

حجاب الغافل

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عبيد الله

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكرة عبيد الله

دار طائر

بيروت

کتاب الہمازی

1

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الأول

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

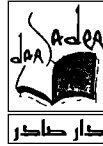
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخريبه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساح الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

I - أبو الفرج :

1 - توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكرم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فكان إسحاق - وصنعتة التي عرف بها هي الغناء - يناظر أهل الكلام ، ويتكلم في الفقه ، فإذا تحوّل الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوّق على محاوريه في كل موضوع . كان عصره يفسح المجال للمثقف الطموح أن يتعمّق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتغاله بالتخصّص في اتجاه واحد . ومن عرف مؤلّفات إسحاق الموصلي الكثيرة¹ استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألّف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحدي ، فيه نشأ أبو حيان التوحيدي وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الوراقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127-128) قد عدّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تدخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشي وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 - متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

1 من هذه المؤلّفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبرج . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأصوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أخرى كثيرة ، مما يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلّفات أخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أنّ الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخرون نسبياً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعياني التوصل إليه . أمّا تاريخ وفاته . فسأتحدّث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 - النسبة إلى إصبهان

يقول الثعالبي (التيمة 3 : 114-118 ط . القاهرة) ، «الأصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أنّ أكثر من ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعُدّوه أصفهانيّ المولد . غير أنّ بعض الباحثين المعاصرين يشكّ في أنّ تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربّما لأنّ ابن النديم سمّاه «أبو الفرج ابن الأصفهاني» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أنّ أباه كان يعرف بالأصفهانيّ ، فلمّا اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخفّفاً من قولهم ابن الأصفهانيّ) .

4 - تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أميّة ، فقد كان شيعياً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشييعه مجاراة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحبّ أن يعرفه الناس «محايداً» ، فلا هو أمويّ ولا هو عباسيّ ، وإنّما هو علويّ الهوى ، يتشيع لعلّي وآله ، ويؤلف في أخبار من قتل منهم كتاباً كاملاً سمّاه «مقاتل الطالبين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاً من الأمويين والعباسيين على حدّ سواء ، بل إنّهُ يُبرز أنّ من قتل منهم على أيدي العباسيين كان أكثر بكثير ممّن قتل في أيّام الأمويين .

5 - المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكنّا نستطيع أن نقدّر أنّ جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنّها كعبة العلم والفنّ والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج¹ الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل من لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصبهاني الناشئ عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949 م .

والأخبار والآثار والأنساب ، بل إنه لم يقف عند هذا الحد إذ رأى أنَّ الثقافة التي تحوّل إليها لا بدّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّ «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي اتّجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهتّىء نفسه ليكون نديماً يسليّ مناديه ، أيّاً كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيا له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له الثعالبيّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبيّ الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المقذع ، حتى في هجاء المهلبيّ صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتّقونه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذ الوزير المهلبيّ نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتنوق في شؤون الشراب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال التنظّف في ملبسه وغيره ، وافتقاره إلى آداب المائدة . وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسية تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكلواً نهماً ، فإذا أحسّ بثقل الطعام في معدته تناول كمية قليلة من الفلفل المدقوق كأنّه يعتقد أن ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أن أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهّي وأنّه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظّنه ياقوت أبا الفرج الأصفهاني . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهُو والحانات والمنتزهات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملحنين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلائل على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنَّ أبا الفرج كان يحبُّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنَّه لم يكن يغادر بغداد إلَّا ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيِّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34-36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبتٍ من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : المديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرَ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيَّض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضع ليالٍ ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «متوث» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرَّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجواب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار منادياته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءاً كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحدٌ لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوء بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعترافية لدى أبي الفرج قد تدفع متتبع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانف عنها المواضع الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمُّ شواذ من السلوك .

6 - وفاة أبي الفرج

توفي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عما قاله مؤلف الفهرست .

وقد استوقف هذا التاريخ ياقوتاً الحموي الذي اطلع على «أدب الغرباء» ونقل النص منه ، وقدَّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمل ، ونقل الصفدي النص بكامله عن ياقوت . وحين اطلع محقق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدِّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنني أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدّد باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يتدع ابن أبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أبي الفوارس هذا متابعاً لأخبار أبي الفرج ، فهو الذي أخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أبي الفرج لحادثة تمت سنة 362 لا يستبعد انتماءه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكرنا أن أدب الغرباء كان آخر ما ألف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معز الدولة وتولي ابنه بختيار ، فإن معز الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفي أبو الفرج بعده بحوالي ستة أشهر ، وأبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أتردد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتانين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعي في كتابه «أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

- 1 - مجرد (أبو تجريد) الأغاني .
- 2 - أخبار جحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .
- 3 - أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .
- 4 - أخبار الإمام الشواعر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أشعار الإمام» وطبع بالاسم الأول مرة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .
- 5 - كتاب الممالك الشعراء .
- 6 - كتاب الأخبار والنوادر .
- 7 - كتاب أدب السماع .
- 8 - كتاب مجموع الأخبار والآثار .
- 9 - كتاب الغلمان المغنين .

10 - كتاب أخبار الطفيليين .

11 - أيام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 - كتب في الأنساب

1 - كتاب مناجيب الخصيان ألفه للوزير المهلب في خصيين كانا له .

2 - كتاب جمهرة النسب .

3 - كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 - أربعة كتب في أنساب أربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 - مؤلفات في مجالات أخرى :

1 - كتاب دعوة التجار .

2 - كتاب تفضيل ذي الحجة .

3 - كتاب الفرق والمعار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 - مقاتل الطالبين (وقد مرّ ذكره فيما تقدّم) .

5 - كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 - دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحري ، ديوان أبي تمام .

5 - كتاب الأغاني الكبير :

1 - مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنه كان في نحو خمسة آلاف ورقة ، ولكنه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أبو الفرج عن المدة التي أمضاها قال إنه ألفه في خمسين عاماً أي أنه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرئ هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدهكّي (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلفه بعد أن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرّد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّ لضخامته ، وذكر أنّ أبا الفرج لم يكتب منه إلّا نسخة واحدة (وهذا معناه إلّا «مبيضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأجازها بألف دينار . وحين

بلغ الخبر صاحب بن عبّاد استقلّ المبلغ ، أمّا مسوّد الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور ويخطّ التعليق فاشتراها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهى والصاحب بن عبّاد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أحمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلمّا حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظلّم وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّه ليجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتز أن يحصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهديب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجردّه ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868-1869) وبعدها طبعة الساسي (1905) ثم توالى الطبعات بعد استقراره محققاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16-25 ، مع فهرس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالى الطبعات البيروتية .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنّفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولما كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمداً الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «المفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها مما يعز على الحصر .

2 - منهج أبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشيد هي الحجر الذي ألقي في بحر معرفة أبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أبو الفرج أن الأصوات التي غناها ثلاثة هم : إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضم إليها ما غناه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غناه الخلفاء وأبناء الخلفاء وأن يذكر مع كل أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فتذكر ترجمته ونسبه والأخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أياماً من أيام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كله لا ينفرد أبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكل ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذاكرة قوية ، تنفذ صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعبه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأبي الفرج ، فهو لم يعفه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أبي العتاهية : «وقد طالبت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت ، ولم يتقدم بشيء ، إلى أشباه لذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحت ، والهزل النحت ؛ وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعه مراراً . . .» .

3 - موثوقية أبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كلّ قبيح ومنكر». لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشييعه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم « كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات » (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلا أن ذلك كلّه يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسي وابن أبي خميسة وأبي خليفة بن الحباب الجمحي ، ولكنّه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإنّنا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطّة التي انتحاهّا كانت مفتوحة على مصراعيها لنقله الأخبار ، ويجب أن نتذكّر أن ليس كلّ ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقديّ والهيثم بن عدي والطبري ، إذ لا بدّ أن نتذكّر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهناك باب آخر ندخل منه إلى مدى الموثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختي أنّ أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربما تكون أهمية هذه الرواية في أنّ أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذٍ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : « وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد » ، إلا أنّ ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنّها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارئ ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أنّ شخصية أبي الفرج تمثّل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنّك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكّرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أمية وعصرهم وجدته لا يفترق كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرّق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أولهما أنّ أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أمية لم يكونوا يقلّون في ترفهم عن بني العباس في ذروة تطوّرهم ، وأنّه هو نفسه غير ملوم في أن يغرق إلى أذنيه في

الملذات ، لأنه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إنّ الأغاني تصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المؤلف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيلات يجعلونها أقنعة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارئ فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكاديميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقه .

4 - هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً بيني وبين محققي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشبع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتصلان بنا لا بالأغاني : أولهما أنّنا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونبيل) وفقهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 - كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المدة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورفاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطرًا ومعدّل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .
 أمّا النسخة الثانية فهي نسخة التيموريّة بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينيّة حيث تأكّدنا أنّها الأرجح وأمدّتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات بينط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطّتنا أن نقرأ الأغاني مقارناً بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكنّا لم نستطع أن نحقق ذلك إلّا بصورة جزئيّة ، لكثرة تلك المصادر .
 إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز تعدّ كتباً موجزة جدّاً فقيرة إذا قورنت به .

إن نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربيّ ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزبانيّ ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهماً آخر ، في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدّد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنه سميع مجيب .

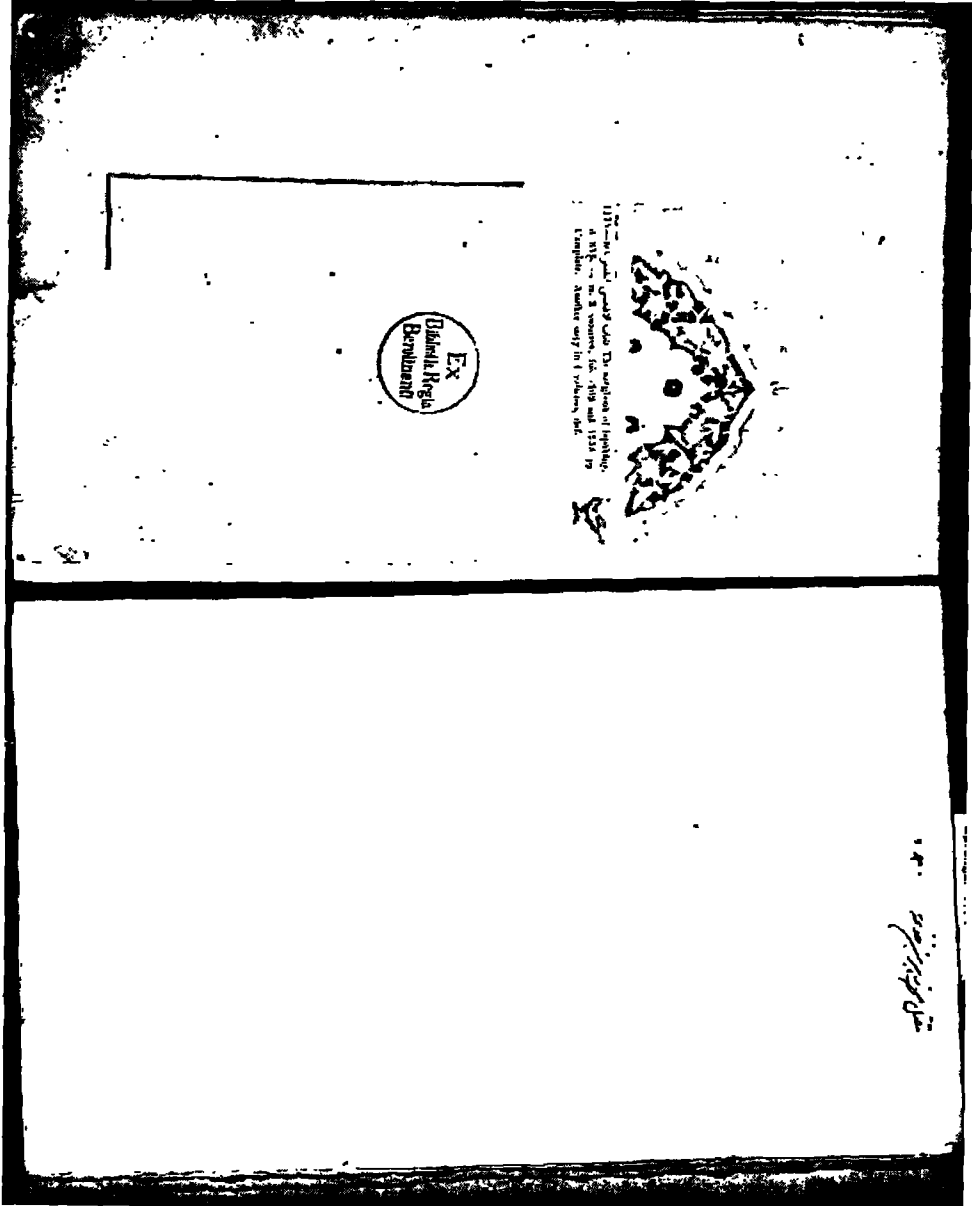
المصادر والمراجع

1 - المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

- 1 - ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 م .
- 2 - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
- 3 - أبو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
- 4 - أبو نعيم : تاريخ أصفهان ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
- 5 - ابن الجوزي : المنتظم ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
- 6 - جمال الدين القفطي : انباه الرواة ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
- 7 - ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي - بيروت) .
- 8 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
- 9 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 3 : 207 (بيروت) .
- 10 - خليل بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993 م) .
- 11 - الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، 2 : 305 (الكويت 1960 م) .
- 12 - الحافظ الذهبي : ميزان الاعتدال ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
- 13 - الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
- 14 - الياضي : مرآة الجنان ، 2 : 159 .
- 15 - ابن كثير : البداية والنهاية ، 11 : 263 (بيروت - الرياض) .
- 16 - ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلمي - بيروت) .
- 17 - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
- 18 - ابن العماد : شذرات الذهب ، 3 : 19 .

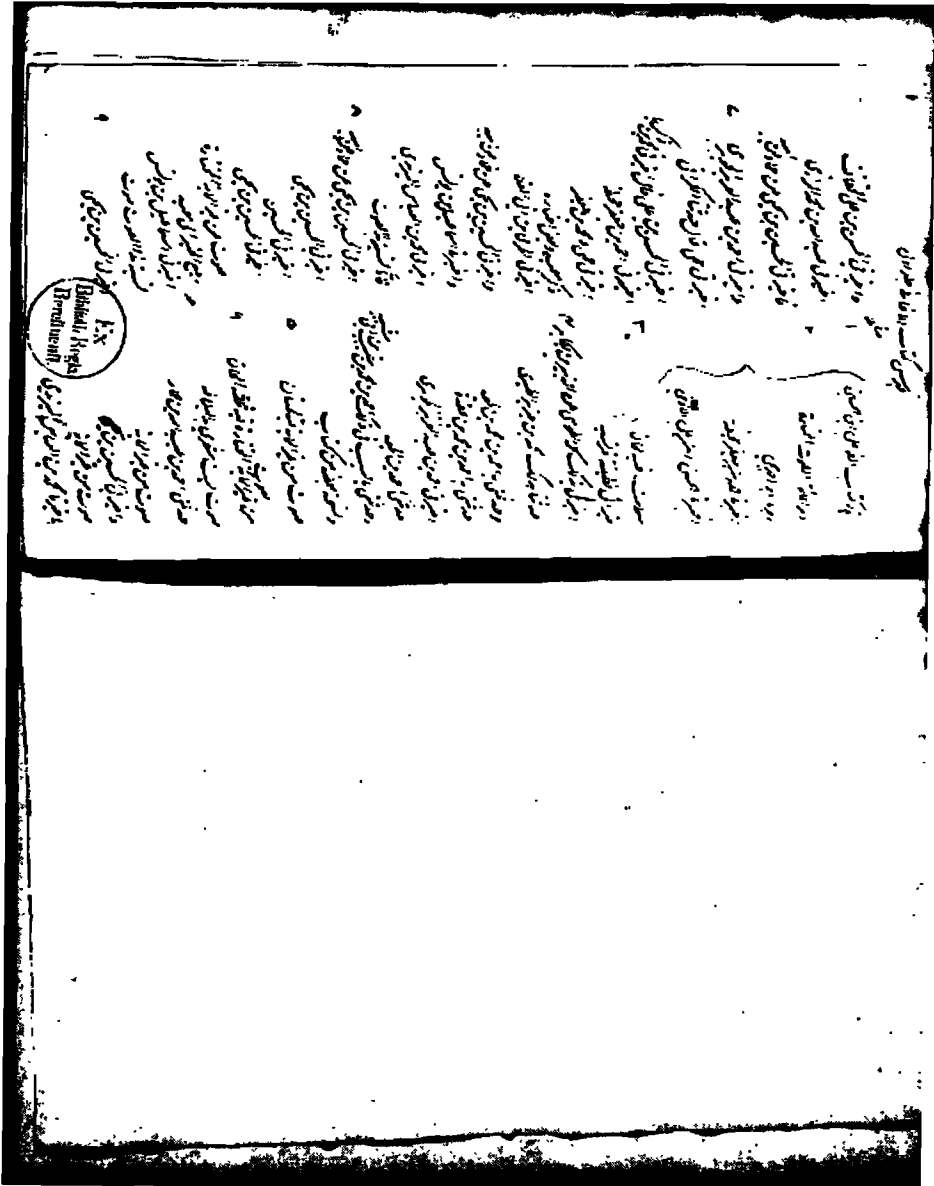
المراجع الحديثة

- 19 - M. Nallino, in EI2, p. 118
- 20 - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) Brockelmann, GAL .
- 21 - فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، 2 : F. Sezgin, GAS .
- 22 - عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج وكتابه ، (القاهرة ، 1956) .
- 23 - عبد الجواد الأصمعي : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
- 24 - خلف الله محمد أحمد : صاحب الأغاني أبو الفرج . . . (دار الكاتب العربي 1968) .
- 25 - محمد أبو الفضل إبراهيم : مقدمة المحقق ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
- 26 - أحمد طالب : أبو الفرج الأصفهاني و . . . مقارنة ببلوغرافية (بحث في مجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد السنة الخامسة (17)) مايو / أيار 1997 .
- 27 - مقدمة الدكتور صلاح المنجد محقق «أدب الغرابة» (ص 5-17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزبداً من الدراسات الكلاسيكية والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أن هناك بحثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .



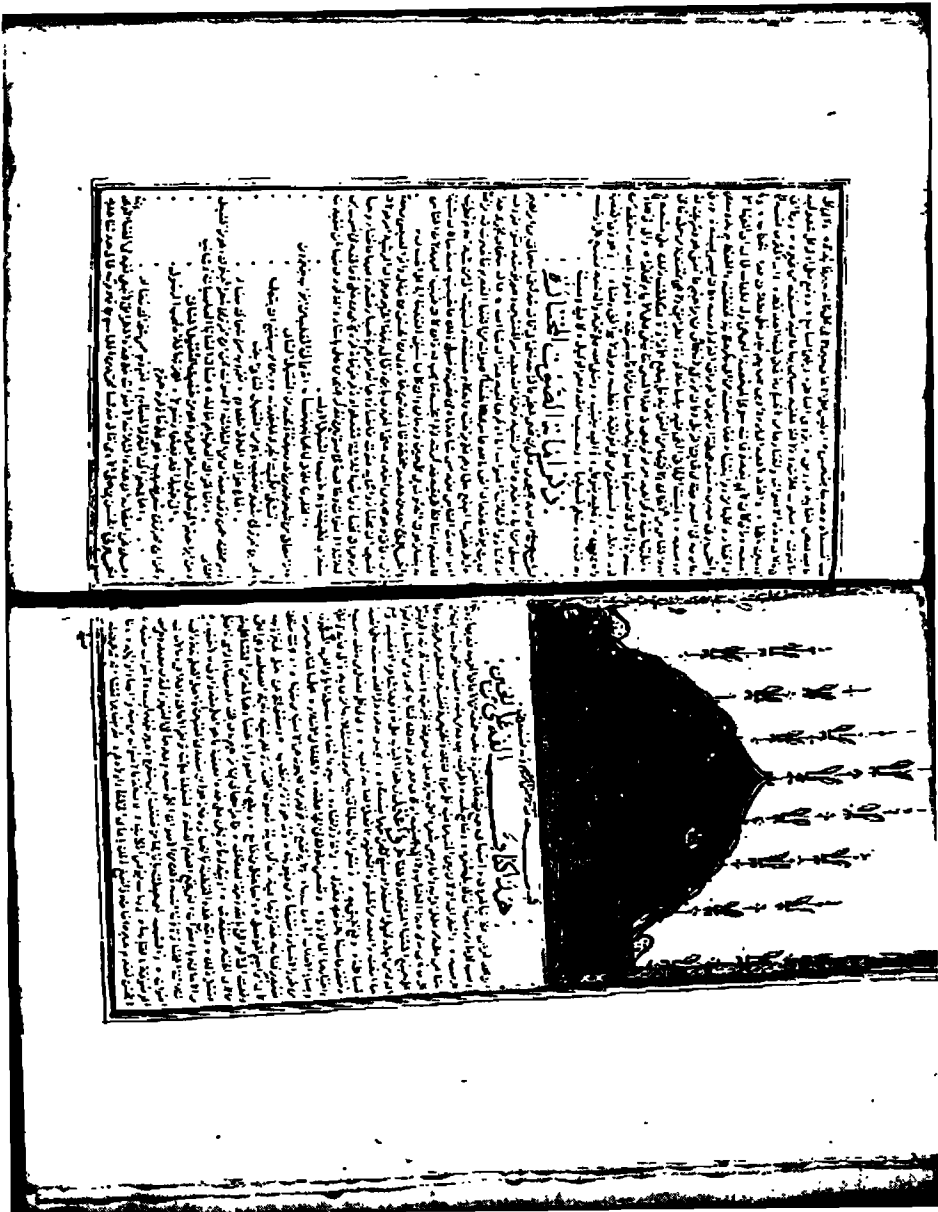
ورقة الغلاف من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



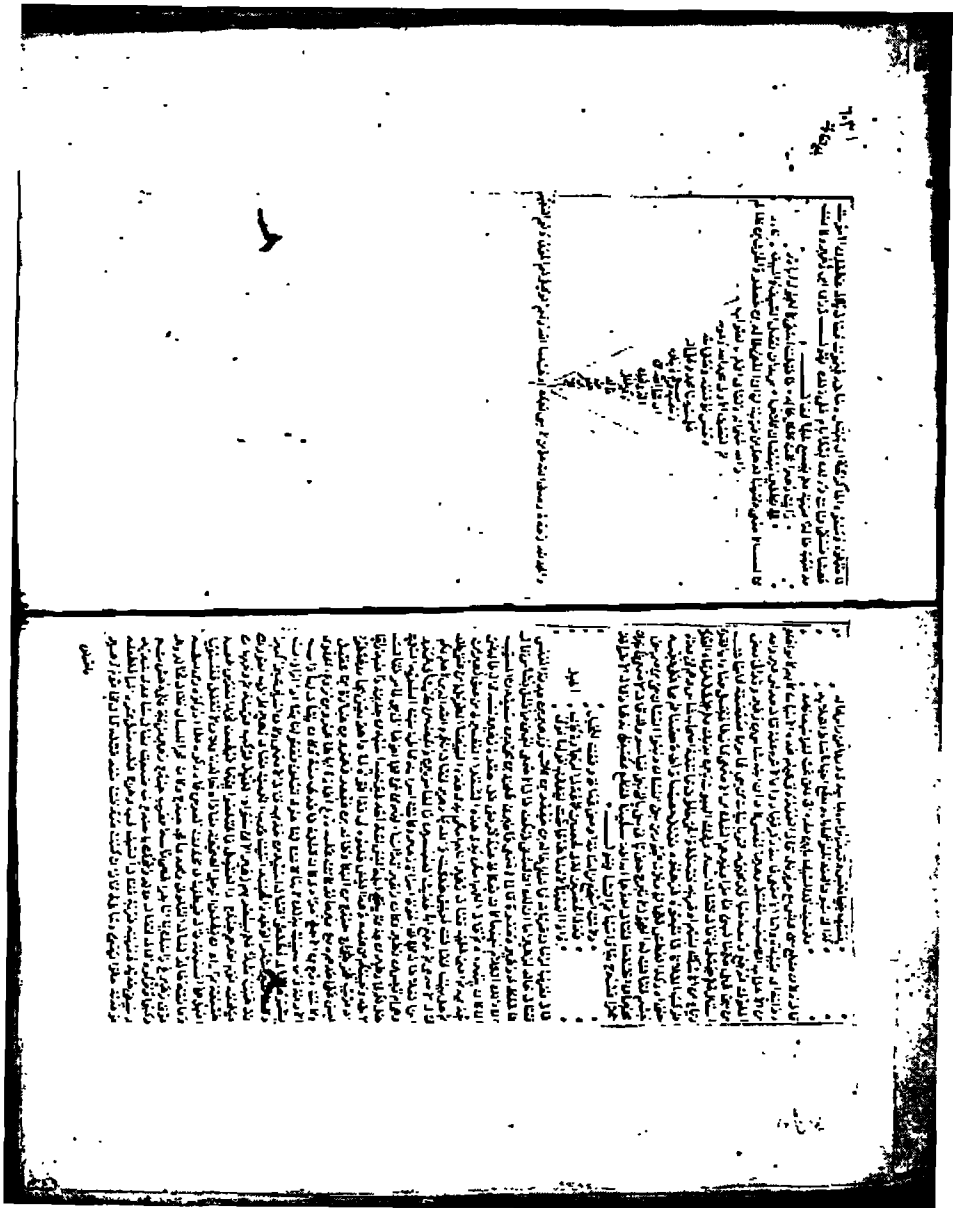
الورقة الأولى من فهارس المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



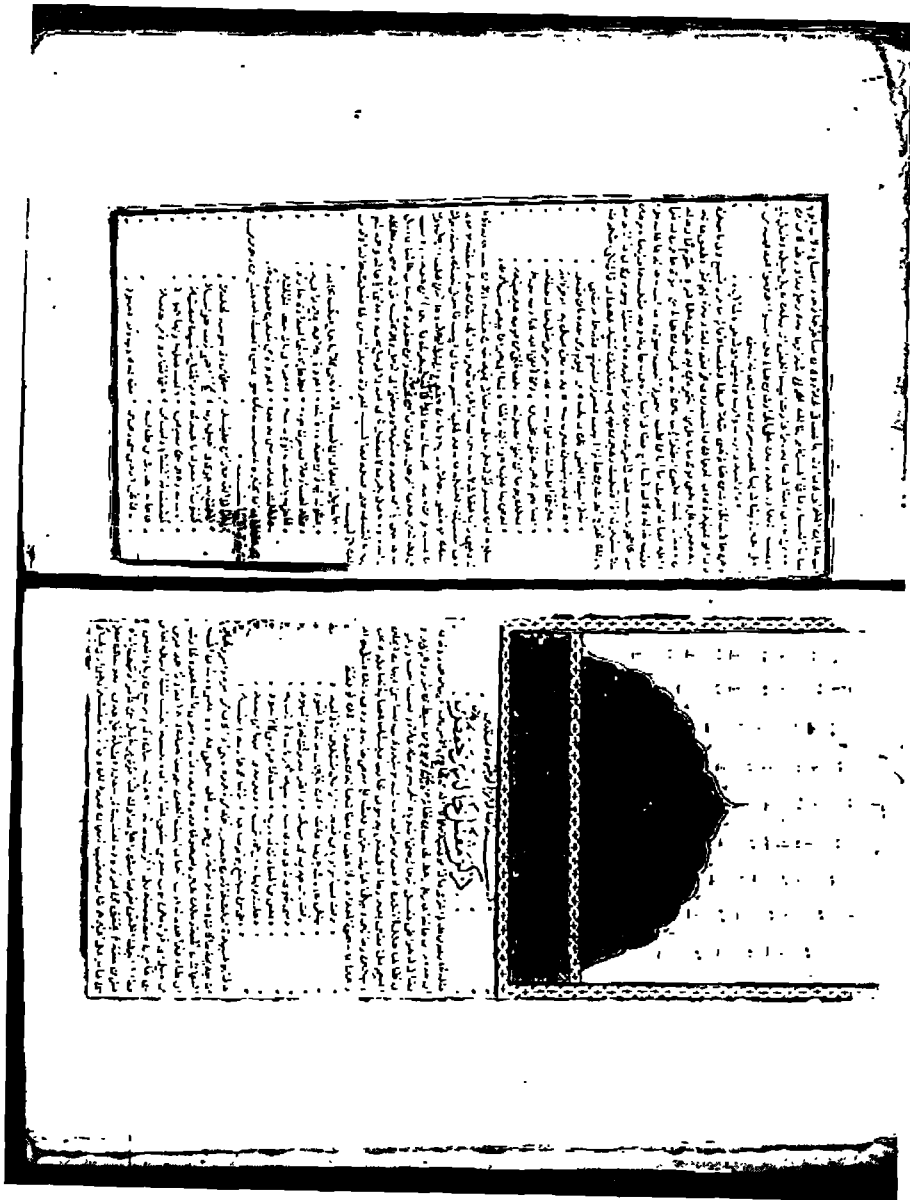
الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



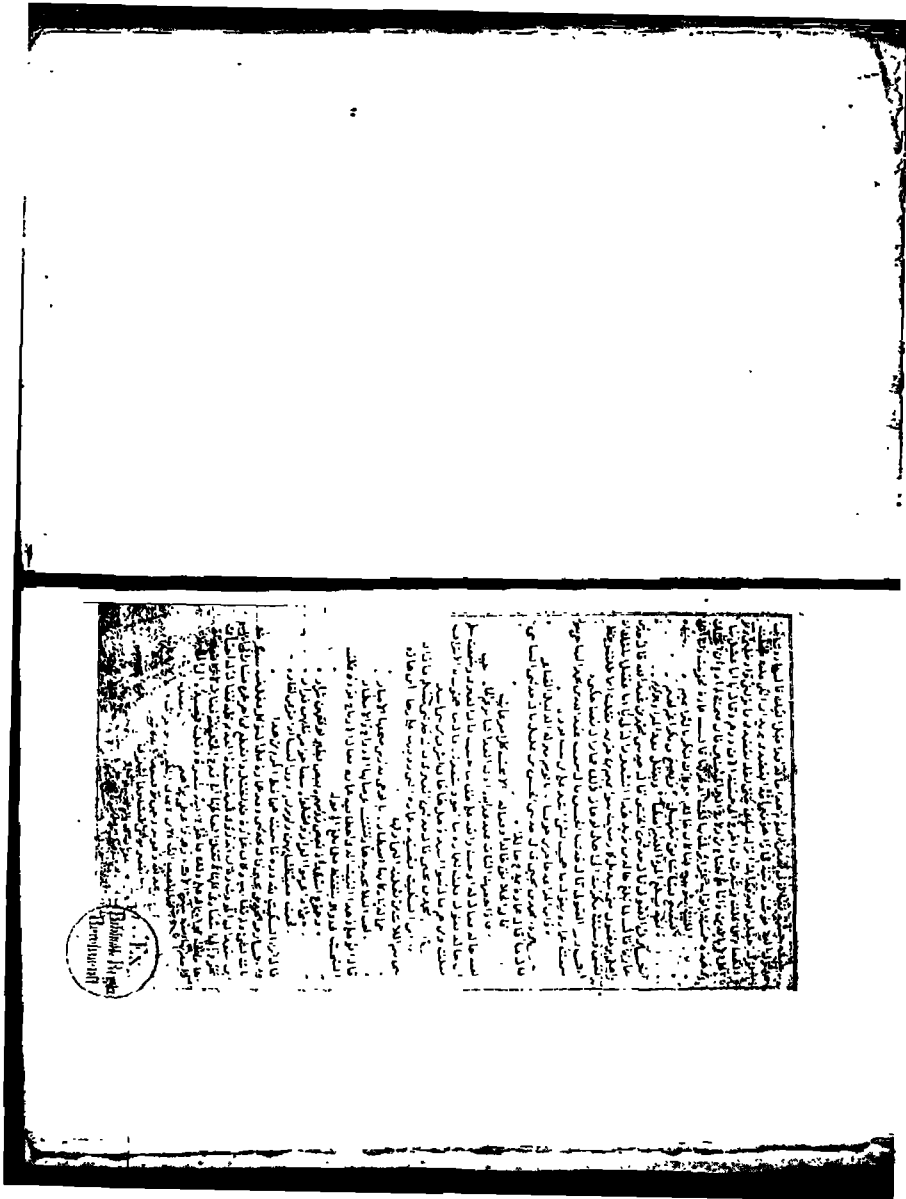
الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة المؤلف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصفهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشتراك إن كان بين المغنين فيه ، على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي بها يوصل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبراً يُستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه ، على أقصر ما أمكنه وأبعد من الحشو والتكثير بما يقل الفائدة فيه . وأتى في كل فصل من ذلك بتتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرفاً منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالتأدبين معرفتها ويحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُنتخلة من غرر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأمر المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وقليح بن العوّاء باختيارها له من الغناء كله ؛ ثم وقعت إلى الواثق بالله ، رحمة الله عليه ، فأمر إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان اختير متقدماً ، أو يُبدل ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى¹ منه وأولى

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتبع هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدمي المغنين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النغم العشر المشتمة على سائر نغم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدم غيرها في الشهرة كمُدُنٍ مَعْبَدٍ وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جعلت بإزائها من صنعة ابن سُرَيْجٍ وخَيْرٍ بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة¹ بألقابها وزينبِ يُونُسَ الكاتب ؛ فإن هذه الأصوات من صُدُور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُنُ تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصّةٌ تُستفاد وحديثاً يُستحسن ؛ إذ ليس لكل الأغاني خبرٌ ، ولا في كل ما له خبر فائدةٌ ، ولا لكل² ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويُلْهي السامع .

وَوَقَعَ على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ «صوت» لتكون علامةً ودلالةً عليه يتبيّن بها ما فيه صنعة من غيره . وربما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعارٌ³ قيلت في تلك المعاني وغُنّيَ بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ؛ لأنها إذا أُفْرِدَتْ عنها كانت إمّا منقطعة الأخبار غير مُشاكلةٍ لنظائرها أو مُعادةً أخبارها ؛ وفي كلتا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيء الذي تطول أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لثلاً تنقطع الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخّر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائر له يُضاف إليها ، غير قاطع اتّساق غيره منها ولا مُفْرِدٍ للقرائن بتوسّطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل والّتيق .

[ترتيب الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولعلّ [بعض] من يتصفّح ذلك يُنكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غنّى به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نخوناه عِلَلٌ :

منها : أنّنا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثة الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأولّهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمرُ بن أبي ربيعة ، ثم نُصَيْبٌ . فلمّا جرى أوّل الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ، ألحق آخره

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعل على حسب ما حضر ذكره . وكذلك سائر المائة الصوت المختارة ؛ فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات ، وإنما المغزى فيه ما ضُمَّته من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا مما يضرُّ بها .

ومنها : أنَّ الأغاني قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أنَّ ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يخلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن تأتي بكلِّ ما أتى به المصنِّفون والرواة منها على كثرة حشوه وقلة فائدته ، وفي هذا نقض ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن تأتي ببعض ذلك فيُنسب الكتاب إلى قصور عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبار الشعراء . فلو أتينا بما غني به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزَه حتى نَفْرُغ منه ، لجرى هذا المجرى ، وكانت للنفس عنه نبوة ، وللقلب منه ملَّة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدٍّ . وكلُّ منتقلٍ إليه أشهى إلى النفس من المتقلِّ عنه ، والمنتظرُ أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبارٍ قديمة إلى مُحدثَةٍ ، ومليك إلى سُوقَةٍ ، وجِدٍّ إلى هزل ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه ، لا سيما والذي ضَمَّنَّاه إياه أحسنُ جنسِه ، وصَفُّو ما أُلِف في بابِه ، ولُبَّابُ ما جُمع في معناه .

وكلُّ ما ذكرنا فيه من نِسب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيم بن المهدي ومُخارق وعُلوِيه وعمرو بن بانه ومحمد بن الحارث بن بُسْخَر ومن وافقهم ؛ فإنهم يسمُّون الثقيلَ الأوَّل وخفيفه الثاني وخفيفه ، ويسمُّون الثقيلَ الثاني وخفيفه الأوَّل وخفيفه ، وقد اطَّرح ما قالوه الآن وترك ، وأخذ الناسُ بقول إسحاق . [الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلِّف هذا الكتاب : والذي بعثني على تأليفه أنَّ رئيساً من رؤسائنا كلَّفني جمعه له ، وعرفني أنَّه بلغه أنَّ الكتاب¹ المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليلُ الفائدة ، وأنَّه شاكٌّ في نسبته ؛ لأنَّ أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأنَّ ابنه حماداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك . وقد لَعَمري صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما ألّف أبي هذا الكتاب قطّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التي جُمِعت فيه إلى ما ذُكر معها من الأخبار ما غنّى فيه أحدٌ قطّ ، وأنّ أكثر نسبه إلى المغنّين خطأ ؛ والذي ألّفه أبي من دواوين الغناء يدلّ على بطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وضعه ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُخصة¹ التي هي أوّل الكتاب ؛ فإنّ أبي ألّفها ؛ إلّا أنّ أخبارها كلّها من روايتنا . هذا ما سمعته من أبي بكر حكايةً فحفظته واللفظ يزيد وينقص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظَةُ أنّه يعرف الورّاقَ الذي وضعه ، وكان يسمّى بسندٍ الورّاق ، وحانوته في الشرقية في خان الزبل² ، وكان يُورّق لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورة الطرائق ، ولا هي بمُقتعة من جُملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغ الإرادة ؛ فتكلّف ذلك له على مشقةٍ احتملتها منه ، وكراهةٍ أن يؤثر عني في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلداً ، وإليّ على تطاولها منسوباً ، وإن كان مَشوباً بفوائد جَمّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلّ مُوبقةٍ وخَطِيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليه نُنيب . وصلى الله على محمد وآله عند مُفتتح كلّ قول وخاتمته وسلّم تسليمًا . وحسبنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعِيناً .

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءاً لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شكّ فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] - ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم قال حدثني أبي قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد ، رحمة الله عليه ، أمر المغنين ، وهم يومئذ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماءهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شدا به ، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ثم شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه ، فذكرته ولم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأنّ الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان ، وإن كان السبقُ للقدماء إلى كل إحسان .

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العنبر بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختروها ، ثم أمرهم باختيار عشرةٍ منها فاختروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحنٌ معبدٌ في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقل الأول : [من البسيط]

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جبرون
ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، ولحنه من الثقل الثاني : [من الطويل]

تشكى الكمينت الجري لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما
ولحن ابن مُحَرِّز في شعر نصيب ، وهو من الثقل الثاني أيضاً : [من الطويل]

أهاج هواك المنزل المتقادِم ؟ نعم ، وبه تمن شجاك معالم
وذكر جحظة عن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن مُحَرِّز في شعر المجنون ، وهو من الثقل الثاني :

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك فشأن المنايا القاضيات وشاينا

ولحن إبراهيم¹ الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقل الثاني : [من الوافر]
إلى جيّداء قد بعثوا رسولاً ليُحرّزنها ، فلا صُحِبَ الرسولُ
ولحن ابن محرز في شعر نصيب ، وهو على ما ذكر ، هزج : [من الهزج]
أهاج هواك المنزل المتقدّم ؟ نعم وبه ممن شجاك معالمُ
وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نعمة في الغناء إلاّ
وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي² قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا عبد الله بن
أبي سعد الوراق قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني محمد بن جرير المغنّي قال
حدّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسن صوت غنّي فيه ،
فاختاروا له لحن ابن مُحَرِّز في شعر نصيب :

أهاج هواك المنزل المتقدّم ؟

قال : وفيه دَوْرٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أصحُّ عندي .
ويدلّ على ذلك تبأين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخر في جودة الصنعة وإتقانها
وإحكام مبادئها ومقاطعها وما فيها من العمل ، وأنّ الأخر ليست مثلها ولا قريبة منها . وأخرى
هي أنّ جَحَظَةَ حكى عمّن روى عنه أنّ فيها صوتاً لإبراهيم الموصليّ ، وهو أحد من كان اختار
هذه الأصوات للرشيد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفليج [بن العوراء] ، وليس
أحدٌ منهما دونه إن لم يَفْقَهُه ، فكيف يمكن أن يقال : إنهما ساعدا إبراهيم الموصلي على اختيار
لحنٍ من صَنَعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفُضِّلَت عليها ؟ ألم يكونا لو فعلا
ذلك قد حكماً لإبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرِّياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه أتى أباه
إبراهيم بن ميمون يوماً مسلماً ، فقال له أبوه : يا بُني ، ما أعلم أحداً بلغ من برٍّ ولده ما بلغته
من برٍّ ، وإنّي لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجةٍ أصير فيها إلى محبّتك ؟ قلت : قد كان ،
جُعِلَتْ فداك ، كلّ ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك ، ولكنّي أسألك واحدة : يموت هذا
الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمع ، فيقول الناس لي ماذا وأنا أحلُّ منك هذا المحلّ ؟ قال لي :
ومن هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بُني ، أسرجوا لنا . فجئنا ابن جامع ، فدخل

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من يبيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتكَ في حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمْنِي ، وإن شئتَ فاقذِفْنِي ، غيرَ أَنَّهُ لا بدَّ لك من قضائِها . هذا عبدك وابن أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبتُ معه أسألك أن تُسَعِّفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمَكِما مَشْوشَةً وَقَلِيَّةً وَأَسْقِيَكِما من نَبِيذِ التمرِ وَأُغْنِيَكِما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مَضِينا إليه وإلَّا أَقَمْنَا يومنا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمرَ بالدوابِ فَرُدَّتْ . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقلية ونبيذه التمرِ فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فغَنَّا ، فنظرتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويعظمُ ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلَمَّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركبنا وركبتُ معهما . فلَمَّا كُنَّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيت ابنَ جامع يا بني ؟ قلت له : أَوْ تُعْفِينِي جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : لستُ أُعْفِيكَ فقل . فقلت له : رأيتُك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صَغُرْتُ عندي في الغناء معه [حتى صرتُ كلا شيء] . ثم مضينا إلى الرشيد ، وانصرفتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنِّي لم أَكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلَمَّا أَصْبَحْتُ أُرْسِلُ إلى أبي فقال : يا بني ، هذا الشتاء قد هَجَمَ عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عَظِيمٌ بين يديه ، فاصْرِفْ هذا المال في حوائجك . فقمت فقبَلْتُ يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال واتَّبَعْتَه ، فصَوَّتَ بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدْقِي فيكَ وفي ابن جامع . قال : صدقتَ يا بني ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُسْتَغْنَى بما ذكرها هنا عنها . فإبراهيمُ يُحِلُّ ابنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقَدِّم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُلَيْح عليه ؟! هذا خطأ لا يُتَخَيَّلُ . وعلى ما به فإننا نذكر الصوتين اللذين رويانهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نُتَبِعُهُما باقي الاختيار . فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى .

[2 - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ
إِلَى الْبَلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُهُ دُورٌ نَزَحْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْهُونِ
قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَاراً فَأَعْلَمُهَا وَلَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِي

عَرُوضُهُ مِنْ أَوَّلِ الْبَسِيطِ . الْقَصْرُ الَّذِي عَنْهُ هَاهُنَا : قَصْرُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْعَرِصَةِ¹ .
وَالنَّخْلُ الَّذِي عَنْهُ : نَخْلٌ كَانَ لِسَعِيدٍ هُنَاكَ بَيْنَ قَصْرِهِ وَبَيْنَ الْجَمَاءِ ، وَهِيَ أَرْضٌ كَانَتْ لَهُ ،
فَصَارَ جَمِيعُ ذَلِكَ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بَعْدَ وَفَاةِ سَعِيدٍ ، ابْتِغَاءً مِنْ ابْنِهِ عَمْرٍو بِاحْتِمَالِ ذَيْنَهُ عَنْهُ ؛
وَلِذَلِكَ خَبِرَ يُذَكَّرُ بَعْدُ . وَأَبْوَابُ جَيْرُونٍ بِدِمَشْقٍ . وَيُرْوَى : « حَازَتْ قَرَائِنُهُ » مِنْ الْمَحَازَاةِ .
وَالْقَرَائِنُ : دُورٌ كَانَتْ لِبْنِي سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مُتَلَاصِقَةً ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَانِهَا . وَنَزَحْنَ :
بَعُدْنَ ، وَالنَّازِحُ : الْبَعِيدُ ؛ يُقَالُ : نَزَحَ نَزُوحاً . وَالْهُونُ : الْهَوَانُ . قَالَ الرَّاجِزُ : [مِنْ الرِّجْزِ]

لَمْ يُتَذَلَّ مِثْلُ مَكْنُونٍ أَيْضَ مَاضٍ كَالسِّنَانِ الْمَسْنُونِ
كَانَ يُوقِي نَفْسَهُ مِنَ الْهُونِ

وَالْمَكْنُونُ : الْمَسْتَوْرُ الْخَفِيُّ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِنِّ . الشَّعْرُ لِأَبِي قَطِيفَةَ الْمُعِطِيِّ ، وَالْغَنَاءُ
لِمَعْبُدٍ ، وَلَهُ فِي لَحْنَانٍ : أَحَدُهُمَا خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ وَهُوَ
الْلَّحْنُ الْمُخْتَارُ ، وَالْآخَرُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ .

[3] - خبر أبي قطيفة ونسبه¹

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط . واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . هذا الذي عليه النسابون .

وذكر الهيثم بن عدي في «كتاب المثلث» أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه . وذكر أن دغلاً النسابة دخل على معاوية فقال له : من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس . فقال : صفهما لي . فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوة وعز الملك ، يطيف به عشرة من بينه كأنهم أسد غاب . قال : فصفت أمية . قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريباً يقوده عبده ذكوان . فقال : مة ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتموه بعد وأحدثتموه ، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به .

ثم نعود إلى سياقة النسب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . والنضر عند أكثر النسابين أصل قريش ، فمن ولد النضر عد منهم . ومن لم يلد له فليس منهم . وقال بعض نسائي قريش : بل فهر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يلد له فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وولد إلياس يقال لهم خندف ، سُموا بأُمهم خندف وهو لقبها ، واسمها ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهي أم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن يشجب ، وقيل : أشجب ، بن نبت بن قيثار بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروى عن بن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسائيين ممن أخذ ، فيما يزعم ، عن دغفل وغيره : معد بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاذيب بن نبت بن ثعلبة بن عذر بن سريج بن محلم بن العوام بن المَحْتَمَل بن رائمة بن العقيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر² بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن ددع بن محمود بن

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67-68 (تحقيق عبد الستار فراخ) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقري .

الرائد بن بدوان بن أمامة بن دؤس بن حُصَيْن بن النَّزَال بن الغمير بن محبشر بن معذر بن صَيْفِي بن نَبْت بن قَيْدَار بن إِسْمَاعِيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صَلَّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليمًا . ثم أجمعوا أن إبراهيم بن أَزَرَ وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه ، وهو في التوراة بالعبرانية تَارَح بن ناحور ، وقيل : النّاحر بن الشّارع وهو شارُوع بن أَرْغُو وهو الراح بن فالغ ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها ، بن عابر بن شالغ بن أَرْفَخْشَد وهو الرافد بن سام بن نوح صَلَّى الله عليه وسلّم ابن لامك وهو في لغة العرب مِلْكَان بن التّوَشَلْخ وهو المنوف بن أَخْنَح وهو إدريس نبيّ الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مَهْلَايِل بن قَيْنَان وهو قنَان بن أَنُوش وهو الطاهر بن شِيث وهو هبة الله ويقال له أيضًا : شاث بن آدم أبي البشر صَلَّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلّم تسليمًا . هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبي ﷺ تكذيب للنسبين ودفع لهم . وروي أيضًا خلاف لأسماء بعض الآباء . [وقد شرحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يُستغنى به عن غيره] .

[العنابس والأعياص من بني أمية]

وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية . وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكرًا ، كل واحد منهم يُكنى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحرَب وأبو حرب ، وسُفيان وأبو سفيان ، والعُوَيْص لا كُنَى له . فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حَرَمِي بن أبي العلاء ، واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق ، والطوسي ، واسمه أحمد بن سليمان ، قالوا : حدّثنا الزبير بن بَكَار عن محمد بن الضَّحَّاك الحِزَامِي عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص . ومنهم العنابس¹ وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . وإنما سُموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حَرَب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقَاتَلُوا قِتَالاً شديداً فشَبَّهُوا بِالْأَسَد ، والأُسْدُ يقال لها العنابس ، واحدها عَنَبَسَة . وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي : [من الوافر]

مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثنا عمرو بن شَبَّة ، وحدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخُرَّاز ، قال : حدّثنا المدائني

وابن غزالة ، قالوا : أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير ، فقال له : نَفِدْتُ نَفَقَتِي وَنَقِيتُ راحلتي . قال : أَحْضِرْهَا ، فَأَحْضِرْهَا . فقال : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدِيرُ بِهَا ، ففعل . فقال : اِرْقَعْهَا بِسَيْتٍ وَاحْصِفْهَا بِهَلْبٍ وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ خَفُّهَا وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ تَصِحَّ¹ . فقال ابن فضالة : إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا وَلَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا ، فَلَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ ! قال ابن الزبير : إِنَّ وَرَاكِبَهَا . فانصرف عنه ابن فضالة وقال² : [من الوافر]

أَقُولُ لِعِلْمَتِي شَدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَمَالِي حِينَ أَقْطَعَ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ³
سَيِّعِدُ بَيْنَنَا نَصْرُ الْمَطَايَا وَتَعْلِقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ⁴
وَكُلُّ مُعْبَدٍ قَدْ أَعْلَمْتَهُ مَنَاسِمُهُنَّ طُلُوعَ النَّجَادِ⁵
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي حُبَيْبٍ نَكِذْنَ وَلَا أُمِيَّةَ بِالْبِلَادِ⁶
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

أبو حبيب : عبد الله بن الزبير ، كان يكنى أبا بكر . وخبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يَكْنِيهِ بِهِ إِلَّا مِنْ ذَمِّهِ ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ : عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أُمَّهَاتِي فَعَبَّرَنِي بِهَا وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ . قال اليزيدي : «إِنَّ» هَاهُنَا بِمَعْنَى نَعَمْ ، كَأَنَّهُ إِقْرَارٌ بِمَا قَالَ . ومثله قول ابن قيس الرُّقَيَّاتِ :

وَيَقْلَنْ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقد كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

وَأُمُّ أَبِي مُعِيطٍ أَمْنَةُ بِنْتُ أَبَانَ بْنِ كُلَيْبٍ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعَصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ

1 نَبَّ الْبَعِيرَ : رَقَّتْ أَخْفَافُهُ . السَّبْتُ : جُلُودُ الْبَقَرِ الْمَدْبُوعَةِ بِالْقَرْظِ تُحْدَى مِنْهَا النِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ . وَالْخَصْفُ : أَنْ يُظَاهَرَ الْجُلْدَيْنِ بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ وَيَخْرُجُ مِنْهُمَا ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْخَرْزِ الْمَخْصَفِ . وَالْهَلْبُ بَضْمُ الْهَاءِ : شَعْرُ الْخَنْزِيرِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ ، وَأَنْجِدُ : إِذَا أَخَذَ فِي بِلَادٍ نَجْدٍ ؛ وَالْبِرْدَانُ : الْغَدَاةُ وَالْعَشْيُ .

2 نَسَبُ الْبَغْدَادِيِّ 4 : 65-66 . هَذَا الشَّعْرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيِّ . وَأُورِدَ الْأَصْبَهَانِي عَنْ ابْنِ حُبَيْبٍ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِفَضَالَةَ بْنِ شَرِيكٍ وَأَوَّلَهُ فِي آيَاتٍ :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ تَعَبْتُ قُلُوصِي فَرَدَّ جَوَابَ مُشْدُودِ الصَّفَادِ

3 ذَاتُ عِرْقٍ مُهْلٌ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَهُوَ الْحَدَّيْنِ نَجْدٍ وَتِهَامَةٍ (يَاقُوت) . وَالْكَاهِلِيَّةُ : زَهْرَاءُ بِنْتُ خَثْرَاءِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ بْنِ أَسَدٍ وَهِيَ أُمُّ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى .

4 نَصُّ الْمَطَايَا : اسْتِخْرَاجُ أَقْصَى مَا عِنْدَهَا مِنَ السَّيْرِ . وَالْأَدَاوِي : جَمْعُ إِدَاوَةٍ وَهِيَ عَوَاءُ الْمَاءِ . وَالْمَزَادُ : جَمْعُ مَزَادَةٍ وَهِيَ الرَّاوِيَّةُ يَحْمَلُ فِيهَا الْمَاءُ .

5 الْمَعْبِدُ : الطَّرِيقُ الْمَذَلُّ . وَأَعْلَمْتُهُ مَنَاسِمَهُنَّ : أَثَرْتُ فِيهِ بِأَخْفَافِهَا .

6 يُقَالُ : نَكَدَهُ حَاجَتُهُ إِذَا مَنَعَهُ إِتَابُهَا وَلَمْ يَقْضِهَا .

هوازن ، ولها يقول نابغة بني جعدة :

وشاركنا قريشاً في ثقاها وفي أنسابها شريك العنان¹
بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان
وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس ، فولدت له العاص وأبا العيص
والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية . فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان
أهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا معيط ، فكان بنو
أمية من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته ؛ أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار .
قال الزبير : وحدثني عمي مصعب قال : زعموا أن ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا
عمرو ، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] :
﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ فسُمي نكاح المقت .

[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث]

وأسير عقبة بن أبي معيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدثنا بذلك محمد بن
جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن
إسحاق في خبر ذكره طويل ، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن
إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري ، قالوا
جميعاً² : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أنا خاصة من
قريش ؟ قال نعم . قال : فمن للصبية بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسمى بنو أبي معيط صبية النار . واختلف في قاتله ، فقيل : إن علي بن أبي طالب ،
صلوات الله عليه ، تولى قتله . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدثني به أحمد ابن محمد بن
سعيد بن عقدة قال : أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عبّاد قال حدثني عبد
العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن
علي بن أبي طالب عليهم السلام : أن النبي ﷺ أمر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي
معيط والنضر بن الحارث . وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري
قتله ، وأن الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام النضر ابن الحارث بن كلدة .

1 شرك العنان وشركة العنان : اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف

. 3 : 1/4

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حُميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه¹ ، قالوا : قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ صَبْرًا : أَمْرَ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مِنْ بَدْرٍ حَتَّى إِذَا كَانَ «بِالصُّفْرَاءِ»² قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ أَحَدِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، أَمْرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ . قَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَةَ فِي حَدِيثِهِ : «الْأَنْثِيلُ»³ ؛ فَقَالَتْ أُخْتُهُ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَرْثِيهِ⁴ :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَنْثِيلَ مَطْنَةٌ	مِنْ صُبْحٍ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوقِفٌ
أَبْلَغُ بِهِ مَيْتًا بِأَنَّ نَحْيَةً	مَا إِنْ تَرَأَى بِهَا النِّجَابُ تَخْفِقُ
مِنْ يَإِ إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِدِرْتِهَا وَأُخْرَى تَخْنَقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	إِنْ كَانَ يَسْمَعُ هَالِكٌ لَا يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقِّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمَقِيدِ وَهُوَ عَانٍ مَوْثِقُ
أُمُحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ نَسْلُ نَجِيَّةٍ	فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيطُ الْمُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فَدِيَةٍ فَلَنَاتَيْنِ	بَاعِزٌ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفُقُ
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَخَذْتَ بِرِزْلَةٍ	وَأَحْقُهُمْ إِنْ كَانَ عِتَقٌ يُعْتَقُ

فَبَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «لَوْ سَمِعْتُ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا قَتَلْتُهُ» . فَيَقَالُ : إِنَّ شَعْرَهَا أَكْرَمُ شَعْرِ مَوْتُورَةٍ وَأَعْفَى وَأَكْفَى وَأَحْلَمُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ⁵ : وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ بِعِرْقِ الطُّبِيَّةِ⁶ قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ . قَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ : فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ ؟

1 سيرة ابن هشام : 2 : 644 .

2 الصفراء : واد قريب من بدر .

3 الأنثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .

4 أنساب الأشراف : 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة : 3 : 14-15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .

5 السيرة : 2 : 744 .

6 عرق الطيبة : موضع من الرِّوْحَاءِ على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أروى بنت عامر بن كُرَيْز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه . وولى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لقَّبَ به . وأمُّه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة .

[نفي بني أمية عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة ، مع نظائر له تشوقاً إليها .

حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبة البزار ، قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني أبي قال حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى « كتاب الأزارقة » ، ونسخت بعضه من كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدي . واللفظ للمدائني في الخبر ما أتسق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى روايه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عيَّاش عن مُجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أنَّ الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لما سار إلى العراق ، شمر ابن

الزبير للأمر الذي أَرَادَهُ وَلَيْسَ الْمَعْفَرِيُّ¹ وَشَبَرَ بَطْنَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا بَطْنِي شَبَرٌ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَسَعَ الشَّبَرُ ! وَجَعَلَ يُظْهِرُ عَيْبَ بَنِي أُمَيَّةَ وَيَدْعُو إِلَى خِلَافِهِمْ . فَأَمْهَلَهُ يَزِيدُ سَنَةً ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ عَشْرَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ . وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَسْمُونُ أَوْلَئِكَ الْعَشْرَةَ النُّفَرِ الرَّكْبَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهِ الْأَشْعَرِيُّ ، وَرَوْحُ بْنُ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيُّ ، وَسَعْدُ بْنُ حِمْزَةَ الْهَمْدَانِيُّ ، وَمَالِكُ بْنُ هَبِيرَةَ السَّكُونِيُّ ، وَأَبُو كَبْشَةَ السَّكْسَكِيُّ ، وَزَمْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ : ابْنُ مَسْعُودٍ الْفَزَارِيُّ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَشَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْهَمْدَانِيُّ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ ، النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ؛ فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ النُّعْمَانُ يَخْلُو بِهِ فِي الْحِجْرِ كَثِيرًا . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهٍ يَوْمًا : يَا ابْنَ الزَّبِيرِ ، إِنَّ هَذَا الْأَنْصَارِيَّ وَاللَّهُ مَا أَمْرٌ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْنَا بِمِثْلِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ عَلَيْنَا ، إِنِّي وَاللَّهُ مَا أَدْرِي مَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : يَا ابْنَ عِضَاهِ ، مَا لِي وَلَكَ ! إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، أَفَكُنْتَ قَاتِلًا حَمَامًا مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمَا حَرَمَةُ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ يَا غَلَامَ ، ائْتِنِي بِقَوْسِي وَأَسْهُمِي ، فَأَتَاهُ بِقَوْسِهِ وَأَسْهُمِهِ ، فَأَخَذَ سَهْمًا فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ سَدَّه نَحْوَ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ : يَا حَمَامَةُ ، أَيَشْرَبُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْخَمْرَ ؟ قَوْلِي : نَعَمْ ، فَوَاللَّهِ : لَنْ فَعَلْتَ لِأَرْمِينِكَ . يَا حَمَامَةُ ، أَتُخْلَعِينَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَتُفَارِقِينَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتُقِيمِينَ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يُسْتَحَلَّ بِكَ ؟ وَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتَ لِأَرْمِينِكَ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : وَيْحَكَ ! أَوْ يَتَكَلَّمُ الطَّائِرُ ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنَّكَ يَا ابْنَ الزَّبِيرِ تَتَكَلَّمُ . أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُبَايَعَنَّ طَائِعًا أَوْ مُكْرَهًا أَوْ لَتُعَرِّقَنَّ رَايَةَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِي هَذِهِ الْبُطْحَاءِ ، ثُمَّ لَا أُعْظَمُ مِنْ حَقِّهَا مَا تُعْظَمُ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : أَوْ تَسْتَحِلُّ الْحَرَمَ ! قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَحِلُّهُ مَنْ أُلْحِدَ فِيهِ . فَحَبَسَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى شَيْءٍ . وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَعْدِ : وَقَالَ بَعْضُ الشَّعْرَاءِ ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ، وَاسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخَ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَشَبَرَ ابْنَ الزَّبِيرِ بَطْنَهُ :

ما زال في سورة الأعراف يدرسها حتى بدا لي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبراً قد شُبِعَتْ وقد أَفْضَلْتَ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثم إنَّ ابنَ الزبير مضى إلى صَفِيَّةَ بنتِ أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله ، عليه السلام ، والمهاجرين والأنصار من أثر معاوية وابنه [وأهله] بالفيء ، وسألها مسأله أن يبايعه . فلمَّا قَدِّمَتْ له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلا إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القول في ذلك . فقال لها : أما رأيتِ بَغَلَاتٍ معاوية اللواتي كان يُحجُّ عليهنَّ الشُّهْبُ ، فإنَّ ابن الزبير ما يريد غيرهنَّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالاه على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطِيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجدَ وأتوا المنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنَّ عدوَّ الله سيِّئُ حمير . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ ثوبي . وقال آخر : قد خلعتُه كما خلعتُ خُفِّي ، حتى كثُرت العمامُ والنَّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؟ وكان هذا أوّل ما هاج الشَّرَّ بينه وبين ابن الزبير .

| وقعة الحرّة |

قال المدائني : واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاَّ يُعينوا عليهم الجيش ، وأنَّ يرُدُّوهم عنهم ؛ فإنَّ لم يقدرُوا على رُدِّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم ! فإنَّ الجنود تأتیکم وتطوُّكم ، وأُعذِر لكم ألاَّ تخرجوا أميركم ؛ إنَّكم إن ظفرتُم وأنا مقيمٌ بين أظهرکم فما أيسرَ شأني وأقدرُكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلاَّ نظراً لكم أريد به حقنَ دمائكم . فشتموه وشتمو يزيد ، وقالوا : لا نبداً إلاَّ بك ، ثمَّ نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ عبدَ الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنَّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضمَّ عيالنا . فقال : لست من أمرکم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثمَّ أتى عليّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضمَّ أهله وثقله ففعل ، ووجَّههم وامرأته أمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابنه : عبد الله ومحمد . فعرضَ حُرَيْثُ رَقَاصَة وهو مولیُّ لبني بهزٍ من سلیم كان بعض عمّال المدينة قطع رجله ، فكان إذا مشى كأنه يرقص ، فسُمِّيَ رَقَاصَة ، لثقل مروان وفيه أمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعضاً فكادت تدقُّ عنقه ، فولّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أميّة . فحسَّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رَقَاصَة ، فأراد مروان أن يصلّي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلّي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلّي بأهله فليصلِّ ، فصلّى بهم ومضى . فمرَّ مروان بعبد الرحمن بن أزهريّ ، فقال له : هلُمَّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يصلِّ إليك مكروه ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتك رَحِمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أعرضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لما أخرجوا ونَدِمَ على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظَلِموا وبُغِيَ عليهم . فقال ابنه سالم : لو كَلَمْتُ هؤلاء القوم ! فقال : يا بني ، لا ينزع هؤلاء القوم عما هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغَيِّرَ غيرَ . قال : فمضوا إلى ذي خُشْب¹ ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأتبعهم العبيد والصبيان والسَّقَلَة يرمونهم . ثم رجع حُرَيْث رَقَاصَة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أمية بذي خُشْب عشرة أيام ، وسرَّحوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه الغوث . وبلغ أهل المدينة أنهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحرث رَقَاصَة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها ، فنخس حرثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخَّر عنها وزجرها وقال : اعلي واسلمي . فلما كانوا بالسويداء² عرض لهم مولى لمروان ، فقال : جعلتُ فداك ! لو نزلت فأرحت وتغدَّيت ! فالغداء حاضر كثير قد أدرك . فقال : لا يدعني رَقَاصَة وأشباهه ، وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشْب فقال : لا مال إلا ما أحرزته العِيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلاً³ أو وادي القُرى ؛ وفي ذلك يقول الأحوص :

لا تَرْتِينَ الحَزْمِيَّ رَأَيْتَ بِهِ ضُرّاً ولو سَقَطَ الحَزْمِيُّ فِي النَّارِ
الناخِسِينَ بِمَرَوَانٍ بِذِي خُشْبٍ وَالْمُقَجِّمِينَ عَلَى عَثْمَانَ فِي الدَّارِ

قال المدائني : فدخل حبيب بن كُرة على يزيد ، وهو واضعُ رجله في طستٍ لوجع كان يجده ، بكتاب بني أمية وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثرتهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة . فندَّب الناس وأمرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القيني ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسْرِفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلا قَصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إني رأيت في منامي شجرة غرقٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلت نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدرك تأرك أهل المدينة قتلة عثمان . فخرج مسلم وكان من قصَّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

1 ذو خشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .

2 السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

3 حقيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشوق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَكَيْفَ بَذِي وَجْدٍ مِنَ الْقَوْمِ آلِفِ
 مِنْ أَجْلِ أَبِي بَكْرٍ جَلَّتْ عَنْ بِلَادِهَا أُمِّيَّةٌ ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَصَارِفِ
 عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . وَالْغَنَاءُ لِسَائِبِ خَائِرٍ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ،
 ذَكَرَ ذَلِكَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يُعْرِفُ صَاحِبُهُ . قَالَ الْهَيْثِمُ فِي
 خَبَرِهِ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى فِي ذَلِكَ :

[من الطويل]

قَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْبَلَاطِ مُجَوِّعٌ وَدَارِ أَبِي الْعَاصِ التَّمِيمِيِّ حَتِّفٌ¹
 فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا وَلَا مِثْلَنَا عَنْ مِثْلِهِمْ يَتَنَكَّفُ

[من الطويل]

وقال أبو قطيفة أيضاً :

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَسَلَّعَ فِدَارُ الْمَالِ أَمْسَتْ تَصَدَّعُ
 وَبِالشَّامِ إِخْوَانِي وَجُلُّ عَشِيرَتِي فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي إِلَيْهِمْ تَطْلَعُ
 عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَى فِيهِ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى
 الْبِنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَمَعْدٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رَوَايَةِ حَبَّشَ . وَذَكَرَ إِسْحَاقُ
 أَنَّ فِيهِ لَحْنًا فِي خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ مَجْهُولِ الصَّانِعِ . وَقَالَ أَبُو
 قُطَيْفَةَ أَيْضًا :

[من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

لَيْتَ شِعْرِي: هَلْ الْبَلَاطُ كَعَهْدِي وَالْمُصَلَّى إِلَى قُصُورِ الْعَقِيقِ ؟
 لَأَمْنِي فِي هَوَالِكِ يَا أُمَّ يَحْيَى مِنْ مُبِينٍ بَغِشَّهُ أَوْ صَدِيقِ
 عَرُوضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . غَنَاهُ مَعْبِدٌ وَيُقَالُ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَا يُعْرِفُ صَاحِبَهُ .
 حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ : كَانَ ابْنُ

1 البلاط : موضع بالمدينة . هو الختف بن السجف بن سعد بن عوف كان ديناً شريفاً ، المعارف لابن قتيبة ص 212 .

الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشام ؛ فلما طال مقامه بها قال :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا
وهل برحت بطحاء قبر محمد
لهم منتهى حبي وصفو مودتي
قال وقال أيضاً :

صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري وأين مني ليت
أعلى العهد يلبن فبرام¹
أم كعهدي العقيق أم غيرته
بعدي الحادثات والأيام ؟
وبأهلي بذلت عكاً ولخماً
وجداماً ، وأين مني جذام !
وتبدلت من مساكن قومي
والقصور التي بها الآطام ،
كل قصر مشيد ذي أواس
يتغنى على ذراه الحمام
إقر مني السلام إن جئت قومي
وقليل لهم لدي السلام

عروضه من الخفيف ، غناه معبد ، ولحنه ثقیل أول بالخنصر في مجرى البصر .
و«يلبن» و«برام» : موضعان . والآطام : جمع أطم ، وهي القصور والحصون . وقال
الأصمعي : الآطام : الدور المسطحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أواس»
بالشين معجمة ؛ كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أي منقوشة . ورواه إسحاق :
«أواس» بالسين غير معجمة ، وقال : واحدها آسي ، وهو الأصل . قال ويقال : فلان في
آسيه ، أي في أصله . والآسي والاساس واحد . وذرى كل شيء : أعاليه ، وهو جمع ،
واحدته ذروة . ويروى : «أبلغن السلام إن جئت قومي» .

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها :

أقطع الليل كله باكتئاب
وزفير فما أكاد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا
ر وحرب يشيب منها الغلام
خشية أن يصيبهم غمت الده
هر عنا تباعد وانصرام
فلقد حان أن يكون لهذا الد

1 يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام : جبل في بلاد بني سليم عند الحرة من ناحية البقيع .

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عَمَّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إِسْحاق عن أبيه عن الحِزَامِي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدني قالا : إِنَّ ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال : حَنَّ وَاللَّهِ أَبُو قَطِيفَةَ وَعَلَيْهِ السَّلَام وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، مَنْ لَقِيَهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ آمَنٌ فَلْيَرْجِعْ . فَأَخْبِرْ بِذَلِكَ فَاذْكُرْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعاً ، فَلَمْ يَصِل إِلَيْهَا حَتَّى مَاتَ . قَالَ ابن عَمَّار : فَحَدَّثْتُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى بَلَدِهِ عَلَى كُرْهِ مِنْهَا ، فَسَمِعَتْ مُنْشِداً يُنْشِدُ شِعْرَ أَبِي قَطِيفَةَ هَذَا ، فَشَهَقَتْ شَهْقَةً وَخَرَّتْ عَلَى وَجْهِهَا مَيِّتَةً ؛ هَكَذَا ذَكَرَ ابن عَمَّار فِي خَبَرِهِ .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حَمَّاد : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَائِشَةَ مَوْلَى آلِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ : خَرَجْتُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ فِي خِيفٍ¹ ، فَرَأَاهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَتْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فُنُسِبَتْ لَهُ ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَهْلِهَا فَزَوَّجُوهُ [إِيَّاهَا] بَكَرِهِ مِنْهَا ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الشَّامِ . [وَخَرَجَتْ مَخْرَجاً] ، فَسَمِعْتُ مَثَمَلًا يَقُولُ :

صوت من غير المائة المختارة

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدُنَا جُبُوبُ الْمُصَلَّى أَمْ كَعْهَدِي الْقَرَأْنُ؟²
وَهَلْ أَذُورُ حَوْلَ الْبَلَاطِ عَوَامِرٌ مِنْ الْحَيِّ أَمْ هَلْ بِالْمَدِينَةِ سَاكِنٌ؟
إِذَا بَرَقَتْ نَحْوَ الْحِجَازِ سَحَابَةٌ دَعَا الشُّوقَ مَنِّي بِرُقْهَا الْمُتَيَّامِنُ
فَلَمْ أَتُرْكَنْهَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِهَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
عروضه من الطويل ، يقال : إِنْ لِمُعْبَدٍ فِيهِ لَحْنٌ ، قَالَ : فَتَنَفَّسَتْ بَيْنَ النِّسَاءِ فَوَقَعَتْ مَيِّتَةً .
قَالَ أَيُّوبُ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ الْأَعْرَجُ فَقَالَ : أَتَعْرِفُهَا ؟ قُلْتُ لَا .
قَالَ : هِيَ وَاللَّهِ عَمَّتِي حَمِيدَةُ بِنْتُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : لَمَّا أُجْلِيَ ابْنُ الزَّبِيرِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنِ الْحِجَازِ قَالَ أَيُّمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ الْأَسَدِيُّ :

[من الوافر]
كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَوْمَ رَاحُوا وَعُرِّيَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ صَرَارُ³

1 يقال : خرج فلان في خيف أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالذال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَمَارِيخُ الْجِبَالِ إِذَا تَرَدَّتْ بِزِينَتِهَا وَجَادَتْهَا الْقِطَارُ¹
 وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن سعد الكُرَاني قال حدثنا العُمري عن
 العتيبي قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو يتولّى الكوفة لعثمان بن
 عفان :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ بِأَنْتِي أَرْقُ بِلَا دَاءٍ سِوَى الْإِنْعَاضِ
 إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خِفْتُ إِمْتَاكَ أَوْ أَرَى فِي الدَّارِ مَحْدُودًا بَزُرْقٍ لِحَاضِ
 يعني دارَ عثمان التي تُقام فيها الحدود . فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه .
 أخبرني عبد الله بن محمد الرّازي قال حدثنا الحرّاز عن المدائني قال : كان أبو قطيفة من
 شعراء قریش ، وكان مَن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشام ، فقال في ذلك : [من الطويل]
 وَمَا أُخْرِجْنَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِنَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
 أَجِنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابَةً كَأَنِّي أُسِيرُ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنُ
 وكان يتحرّق على المدينة ؛ فأتى عبّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له : إنَّ خاله أخبره أنَّ
 العراقيّ قد فتحا . فقال عبدُ الملك لأبي قطيفة لِمَا يعلمه من حُبِّه المدينة : أَمَا تسمع ما يقوله عبّادُ
 عن خاله ؟ قد طابت لك المدينة الآن . فقال أبو قطيفة :

إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ إِنْ غَرَّني مِنْ حَيَاتِي خَالُ عَبَّادٍ
 أَنَّنَا يَقُولُ لَنَا الْمِصْرَانِ قَدْ فُتِحَا وَدُونَ ذَلِكَ يَوْمٌ شَرُّهُ بَادِي
 قال : وأذن له ابنُ الزبير في الرجوع ، فرجع فمات في طريقه .

[قصر سعيد بن العاص بالعرة]

وأما خبرُ القَصْرِ الذي تقدّم ذكره وبيعُه من معاوية ، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن
 أبيه قال ذكر مُصعب بن عمّار بن مصعب بن عُروة بن الزبير : أنَّ سعيد بن العاص لما حضرته
 الوفاة وهو في قصره هذا ، قال له ابنه عمرو : لو نزلت إلى المدينة ! فقال : يا بني ، إن قومي لن
 يَضُنُّوا عَلَيَّ بَأَن يَحْمِلُونِي عَلَى رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِذَا أَنَا مُتُّ فَأَذِنَهُمْ ، فَإِذَا وَارِثَتْنِي فَانْطَلِقُ إِلَى
 معاوية فأنعني له ، وَأَنْظُرْ فِي دِينِي ؛ وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَلَيْكَ قَضَاءُهُ فَلَا تَفْعَلْ ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ
 قصري هذا ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا اتَّخَذْتُهُ نَزْهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ . فَلَمَّا مَاتَ آذَنَ بِهِ النَّاسُ ، فَحَمَلُوهُ مِنْ قَصْرِهِ
 حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَرَوَّاحِلَ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ مُنَاحَةً ، فَعَزَّاهُ النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَودَعُوهُ ، فَكَانَ هُوَ
 أَوَّلَ مَنْ نَعَاهُ لِمَعَاوِيَةَ ؛ فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَكَ دِينًا ؟ قَالَ نَعَمْ . [قال : كم هو ؟

1 شَمَارِيخُ الْجِبَالِ : رُؤُوسُهَا ، وَاحِدُهَا شِمْرَاخ . الْقِطَارُ : جَمْعُ قَطَرٍ وَهُوَ الْمَطَرُ .

قال [ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنّ ذلك وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرض عليك بعض ماله فبتاعه فيكون قضاء دينه منه . قال : فاعرض عليّ . قال : قصره بالعرصة . قال : قد أخذته بدّينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وفرّقها في غُرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ . فأثاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولى له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصكّ ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطّه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإثما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أخبرك عنه ، مرّ سعيدٌ بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنّي رأيتك تمشي وحدك فأحببتُ أن أصلَ جناحك . فقال لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدّين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأتنا . فقال عمرو : لا جرّم والله لا يأخذها إلّا بالوافية ، أعطه إياها ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُروني أخذتُ منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فينزو دم وجهه في وجهي فأكره رده . فأثاه مولى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّني أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصة . فقال له عمرو : فكم أخذت ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى أعجز من هذا ! يقول له سعيدٌ : خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدّيتها عنك .

[أبو قطيفة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أمّه وأمُّ خالد بن الوليد بن عقبة عمّة أروى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتَب :

أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حين أنمّي لأكرم ضيضيّ وأعرّ جيل¹

وَأُنْمَى لِلْعَقَائِلِ مِنْ قُصَيٍّ وَمَخْزُومٍ فَمَا أَنَا بِالضَّئِيلِ
وَأَرْوَى مِنْ كُرَيْزٍ قَدْ نَمَتْنِي وَأَرْوَى الْخَيْرِ بِنْتُ أَبِي عَقِيلِ
كِلَا الْحَيَيْنِ مِنْ هَذَا وَهَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ فِي الشَّرَفِ الطَّوِيلِ
فَعَدَّدُ مِثْلَهُنَّ أَبَا ذُبَابٍ لِيَعْلَمَ مَا تَقُولُ ذَوُو الْعُقُولِ
فَمَا الزَّرْقَاءُ لِي أُمًّا فَأَخْزَى وَلَا لِي فِي الْأَزَارِقِ مِنْ سَبِيلِ

قال : يعنني بأبي الذُّباب عبد الملك . والزرقاء : إحدى أمهاته من كندة ، وكان يُعيرُ بها .
أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدثنا قَعْنَبُ بن المحرز قال حدثنا
المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنَّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصُه ، فقال : [من الطويل]
نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِيِّ الْمُسْلِمُ ؟
مَنْ أَنْتُمْ مَنْ أَنْتُمْ خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ فَقَدْ جَعَلْتُ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ !
فبلغ ذلك عبد الملك فقال : ما ظننتُ أنَّا نُجْهَلُ ، والله لولا رِعايتي لحرمته لألحقته بما
يعلم ، ولقَطَعْتُ جلده بالسَّيَاطِ .

[شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبِيِّ قال :
طَلَّقَ أَبُو قَطِيفَةَ امْرَأَتَهُ ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ بِهَا الرَّجُلُ
وَصَارَتْ لَهُ ، فَقَالَ :

فِيَا أَسْفَا لِفُرْقَةٍ أُمَّ عَمْرٍو وَرِحْلَةٍ أَهْلِهَا نَحْوَ الْعِرَاقِ
فَلَيْسَ إِلَى زِيَارَتِهَا سَبِيلٌ وَلَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِي
وَعَلَّ اللَّهُ يَرْجِعُهَا إِلَيْنَا بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلٍ أَوْ طَلَاقِ
فَارْجِعْ شَامِتًا وَتَقَرَّ عَيْنِي وَيُجْمَعَ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمِّي ومحمد بن جعفر قالَا حدثنا الحسن بن عُثَيْلٍ الْعَنْزِيُّ قال حدثنا محمد بن عليٍّ بن
أبي حَسَّانَ عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان
على خراسان ، فلَمَّا عَزَلَهُ قَدِيمُ الْمَدِينَةِ بِمَالٍ وَسِلَاحٍ وَثَلَاثِينَ عَبْدًا مِنَ السُّعْدِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَهُ
دَارًا . فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِيهَا وَمَعَهُ ابْنُ سَيْحَانَ وَابْنُ زَيْنَةَ وَخَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ وَأَبُو قَطِيفَةَ إِذْ تَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ
فَقَتَلُوهُ ؛ فَقَالَ أَبُو قَطِيفَةَ يَرِثِيهِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا لَخَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ :

[من البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ تَهْتَانَا وَابْكِي سَعِيدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَا
إِنْ ابْنَ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدُقْ مَوَدَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بْنِ سَيْحَانَا

[4] - ذكر معبد وبعض أخباره

هو مَعْبُدُ بن وَهْب ، وقيل ابن قُطَيْبٍ مَوْلَى ابن قطر ، وقيل ابن قُطَيْن مولى العاص بن وابصة المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .
 أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : معبدُ المغنّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .
 وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال ابن الكلبي : معبدُ مولى ابن قطر ، والقطريون موالى معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسَّان قال : معبد بن وهب مولى ابن قُطَيْن وهم موالى آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيّاً مديد القامة أُحْوَل .

وذكر ابن خُرْداذبِه أنّه غنّى في أوّل دولة بني أميّة ، وأدرك دولة ولد العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنّى يُضْحَكُ منه ويُهزَأُ به . وابن خُرْداذبِه قليلُ التصحيح لما يرويه ويضمّنه كتبه . والصحيح أنّ معبدًا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنّ كان أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروّه أحد سوى ابن خُرْداذبِه ولا قاله ولا رواه عن أحد ، وإنّما جاء به مُجازفةً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثني أيُّوب بن عُمَرُ أبو سلَمَةَ المَدِينِيّ قال حدّثنا عبد الله بن عمران بن أبي فَرَوَةَ قال حدّثني كَرْدَمُ بن معبد المغنّي مولى ابن قُطَيْن قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخْرِجَ نعشه إلى سَلَامَةِ القَسِّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير ، وهي تبكي أبي وتقول :

قد لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي	كأخي الداءَ الوجيع
وَنَجِيّهُ الهمُّ مِنِّي	بات أدنى من ضَجِيعي
كلّما أبصرتُ ربعاً	خالياً فاضتُ دموعي
قد خلا من سيّدٍ كا	ن لنا غير مُضِيع
لا تَلَمُّنا إنْ خَشَعْنَا	أو هَمَمْنَا بِخُشُوع

قال كَرْدَمُ : وكان يزيدُ أمرُ أبي أن يعلمها هذا الصوت ، فعلمها إيّاه فندبته به يومئذٍ . قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ والغَمَرَ أخاهُ متجرِّدينِ في قميصينِ ورداءينِ يمشيانِ بينَ يديَّ سيره حتى أُخرجَ من دار الوليد ؛ لأنَّه تولَّى أمره وأخرجَه من داره إلى موضع قبره .

فأمَّا نسبةُ هذا الصوت ، فإنَّ الشعرَ للأحوص ، والغناءَ لمعبد ، ذكره يونس ولم يُجنِّسه . وذكر الهشاميُّ أنَّه ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لحِجَابَةٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، ولابنُ المَكِّيِّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ نشيد . وفيه لِسَلَامَةِ القسِّ عن إسحاق لَحْنٌ من القدر الأوسط من الثَقِيلِ الأوَّلِ بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذَكَرَ مَوْلَى لآلِ الزبير ، وكان منقطعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليٍّ : أنَّ معبدًا عاش حتى كَبِرَ وانقطع صوته ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلمَّا غَنَى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتیانُ نُزُولٍ¹ من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فضحكوا منه وهزُّوا به ، فأنشأ يقول² :

فَضَحْتُم قَرِيشًا بِالْفِرَارِ وَأَنْتُمْ قُمدونَ سُودانَ عِظَامِ المَنَاقِبِ
فَأَمَّا القِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْ وَلَكِنْ سِيراً فِي عِرَاضِ المَوَاقِبِ

وهذا شعرٌ هُجِّوا به قديماً ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيُّ من ذلك وقال : ضَحِكْتُمْ منه حتى إذا أَحْفَظْتُمُوهُ أَرَدْتُمْ أَنْ تَتَنَاولُوهُ ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ . قال إسحاق : فحدَّثني ابنُ سَلَامٍ قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أَصِرْتَ إلى ما أرى ؟ فَأشار إلى حَلْقِهِ وقال : إِنَّمَا كانَ هذا ؛ فَلَمَّا ذهبَ ذهبَ كُلُّ شَيْءٍ .

[اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق]

قال إسحاق : كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعةً ، وأحسنهم حَلْقًا ؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خاتِرٍ ، ونشيطِ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْم) ، وكان زوجها مولى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقليل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر :

أَجَادَ طُوَيْسٌ والسُّرَجِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدٍ

قال إسحاق قال ابن الكلبي عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيام مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ ، وقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : إن عاش كان مُغَنِّيَ بلاده . ولمعبدِ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدَّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .

2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزاعة 1 : 453 .

فيها مَنْ تأخّر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رَقّه ، وربّما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطِ الفارسيّ وسائب خائِرٍ مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحِذق وحسن الغناء وطيبِ الصّوت . وصنّع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدّم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أنّ معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شعبان ممتلىء ولا سقّا يحمل قريةً على الترنّم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدر المتكّي أن يترنّم بها حتى يقعد مستوفزاً¹ ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أنّ معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له : كيف كنتَ تسمعُ جُعِلْتُ فداءك ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفيتَ بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسَمِعْتُ مَنْ لا أُحصى من أهل العلم بالغناء يقولون : لم يكن فيمن غنّى أحدٌ أعلم بالغناء من معبد . قال : وحدثني أيّوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريتُه عاتكة ، فتحدّثت فذكرَ معبداً فقال : أدركته يلبس ثوبين مُمشّقين² ، وكان إذا غنّى عَلا منخراه . فقالت عاتكة : يا سيدي أو أدركتَ معبداً ؟ قال : إي والله وأقدّم من معبد . فقالت : استحييتُ لك من هذا الكبير .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام قال حدثني جرير قال : قال معبد : قدِمْتُ مَكّةَ ففيل لي : إنّ ابن صفوان قد سبق بين المغنّين جائزة ، فأتيْتُ بابه فطلبتُ الدخول ؛ فقال لي آذنه : قد تقدّم إليّ ألاّ آذنَ لأحدٍ عليه ولا أوذنه به . قال فقلت : دَعني أدنو من الباب فأغني صوتاً . قال : أمّا هذا فنعم . فدنوت من الباب ، فغنيتُ [صوتاً] ، فقالوا : معبد ! وفتحوا لي ، فأخذتُ الجائزة يومئذ .

أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حمّاد : قال أبي : وذكر عَوَزُك ، وهو الحسن بن عُتبة اللّهبيّ ، أنّ الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدرُ على الحجّ . ففيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهلُ المدينة بصوتي معبد :

القصر فالنخلُ فالجماء بينهما

و«قُتَيْلَة» يعني حنّه :

[من الخفيف]

1 قعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالمرغة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةً عَنْ جِيٍّ — سِدِّ تَلِيْعٍ تَزِيْنُهُ الْأَطْوَاقُ¹

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغَ الغناء ؟ قال : أرتجل قعودي وأوقع بالقضيب على رجلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت . فقيل له : ما أبينَ ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقي الغنم بظهر الحرّة ، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك ، فأتي صخرة بالحرّة ملقاة بالليل فاستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي . [اعتراف مالك بن أبي السمع لمعبد بالتفوق.]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسختُ من كتاب حمّاد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدؤوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدؤوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنّا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنسانٌ لمالك : أتشدك الله ، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : والله ما بلغتُ شراكه قطّ ، والله لو لم يُغنّ معبدٌ إلّا قوله : [من الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالَ فِي حَلَقٍ شُهْبٍ²

لكان حسبه ! قال : وكان مالك إذا غنى غناء معبدٍ يُخَفِّفُ منه ، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومططّله ، وحذفته أنا . وتمايم هذا الصوت :

صوت من غير المائة المختارة

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالَ فِي حَلَقٍ شُهْبٍ
إِذَا أَنْفَدُوا الزَّقَّ الرَّوِّيَّ وَصُرْعُوا نَشَاوَى فَلَمْ أَقْطَعْ بِقَوْلِي لَهُمْ حَسْبِي
بَعَثْتُ إِلَى حَانُوتِهَا فَسَبَّأْتُهَا بَغِيرِ مِكَّاسٍ فِي السَّوَامِ وَلَا غَضَبٍ³

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . والشعر لمالك بن أبي كعب بن القَيْنِ الْخَزَرَجِيِّ أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ . هكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكر أنه من مُرَادٍ . ولهذا الشعر خبرٌ طويل يُذكر بعد هذا .

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .

2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .

3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى ، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سُرَيج .
ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثقیل الأول بالسَّبابة في مجرى البَينصر عن
إسحاق ، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول : إنَّ مالکاً أخذ لحنه فيه فحذف
بعض نغمه وانتحلّه ، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكر أنَّ هذا الشعر لرجل من
مُرَادٍ ، ورُوي له فيه حديثٌ طويل . وقد أُخرج خبره في ذلك وخبرُ مالك بن أبي كعب
الخرزجيّ أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أُفرد له ؛ إذ كانت
له أخبارٌ كثيرة ، ولأجله لا تصلح أن تُذكر هاهنا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا أبو
غَسَّان عن يونس الكاتب قال : أقبلتُ من عند معبد ، فلَقيني ابن مُحَرِّز بِطُحان¹ ، فقال : من
أين أقبلت ؟ قلتُ : من عند أبي عَبَاد . فقال : ما أخذتَ عنه ؟ قلتُ : غَنَى صوتاً فأخذته . قال :
وما هو ؟ قلتُ :

ماذا تَأَمَّلَ واقِفٌ جَمَلاً في رُبْع دارٍ عابِه قِدَمُهُ
الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادخُلْ معي دار ابن هَرَمَةَ وَالْقَه عليّ ،
فدخلتُ معه ، فما زلتُ أَرَدُّده عليه حتى غَنَاه ، ثم قال : ارجع معي إلى أبي عَبَاد ، فرجعنا
فسمِعناه منه ، ثم لم نفتَرِقْ حتى صنع فيه ابن مُحَرِّز لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

ماذا تَأَمَّلَ واقِفٌ جَمَلاً في رُبْع دارٍ عابِه قِدَمُهُ
أَقْوَى وأَقْفَرٌ غيرَ مُتَنَصِّبٍ لِبَدِ الرَّمَادَةِ ناصِعٍ حُمَمُهُ
غَنَاه معبَدٌ ، ولحنه ثَقِيلٌ أوّلٌ بالسَّبابة في مجرى الوسطى . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ أوّلٌ
بالوسطى يُنسب إلى الغَرِيض وإلى ابن مُحَرِّز . وذكر عمرو بنُ بَانَةَ أنَّ الثَقِيل الأول
للغريض . وذكر حَبِشٌ أنَّ فيه لمالكٍ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى
سائبِ خاتِرٍ ، وذكر حبشٌ أنَّه لإسحاق .
[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي قال ابن الكلبيّ : قدِمَ ابنُ

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق ويطحان وقناة .

سُرَيْج والغَرِيضُ المدينة يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران مَنْ بها من صَدِيقَهما من قريشٍ وغيرهم . فلمَّا شارفاها تقدَّما ثَقَلْهُما لَبَرَتَاذا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلَةِ ، وهي جَبَانَةٌ على طَرَفِ المدينة يُغَسَّلُ فيها الثياب ، إذا هما بغلامٍ مُلتَجِفٍ بإزارٍ وطَرَفُهُ على رأسه ، بيده حِبَالَةٌ يَتَصَيَّدُ بها الطيرَ وهو يتغنَّى ويقول :

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما أَشْهَى إلى النفسِ من أبوابِ جَيَّرونِ
وإذا الغلامُ مَعْبُدٌ . قال : فلمَّا سمعَ ابنُ سُرَيْجٍ والغَرِيضُ معبداً مالا إليه واستعداداه الصوتَ فأعاده ، فسمِعَا شيئاً لم يَسْمَعَا بمثله قطُّ . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كالיום قطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيكَ ؟ قال ابنُ سُرَيْجٍ : هذا غناءُ غلامٍ يَصِيدُ الطيرَ ، فكيف بمنَّ في الجوبة ! يعني المدينة . قال : أمَّا أنا فَثَكَلْتُهُ والدته إن لم أرجع . قال : فكراً راجعين .

[قدوم معبد مكة ومشاهدة الغريض]

قال : وقال معبد : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فذهب بي بعضُ القُرَشِيِّينَ إلى الغريض ، فدخلنا عليه وهو متصَبِّحٌ² ، فانتبه من صَبْحَتِهِ وقعد ، فسَلَّمَ عليه القرشي ، وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وأنا أُحِبُّ أن تسمعَ منه . قال : هاتِ ، فغَنَّتْهُ أصواتاً . فقال بَمِدْرَى³ معه في رأسه ، ثم قال : إنَّك يا معبدٌ لَمَلِيحُ الغناء . قال : فأحفظُني ذلك ، فجَثَوْتُ على رُكْبَتَيْ ، ثم غَنَّتْهُ من صَنَعَتِي عشرين صوتاً لم يُسْمَعْ بمثلها قطُّ ، وهو مُطَرِّقٌ واجِمٌ قد تَغَيَّرَ لونه حسداً وخجلاً .

[ابن معبد وحكم الوادي]

قال إسحاق : وأُخْبِرْتُ عن حَكَمِ الوادي قال : كنتُ أنا وجماعةٌ من المغنِّينَ نَخْتَلِفُ إلى معبدٍ نأخذُ عنه ونتعلَّمُ منه ، فغَنَّا يوماً صوتاً من صَنَعَتِهِ وأُعْجِبَ به ، وهو :

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما

فاستَحْسَنَاهُ وَعَجَبْنَا منه . وكنتُ في ذلك اليومُ أوَّلَ من أخذَه عنه واستحسنه منِّي فأعجَبَتْنِي نفسي . فلمَّا انصرفتُ من عندِ معبدٍ عَمِلْتُ فيه لَحْناً آخرَ وبكُرْتُ على معبدٍ مع أصحابي وأنا مُعْجَبٌ بِلَحْنِي . فلمَّا تَغَنَّنَا أصواتاً قلتُ له : إنِّي قد عَمِلْتُ بعدَكَ في الشعرِ الذي غَنَّيْتَاهُ لَحْناً ، واندفعتُ فغَنَّتْهُ صوتي ؛ فوجَمَ معبدٌ ساعةً يتعجَّبُ منِّي ثم قال : قد كنتُ أمسُ أرجى منِّي لك اليومَ ، وأنتَ اليومَ عندي أبعدُ من الفلاح . قال حَكَمٌ : فأنسيتُ ، يعلم الله ، صوتي ذلك منذُ تلك الساعة فما ذكرتهُ إلى وقتي هذا .

1 لعلها الحومة .

2 التصبُّح : اليوم بالغداة .

3 المدرى : المشط .

[معبد والأسود]

قال إسحاق : وقال معبد : بَعَثَ إِلَيَّ بعضُ أمراء الحجاز ، وقد كان جُمِعَ له الحرمان ، أن أشخصُ إلى مكة ، فتشخصتُ . قال : فتقدمتُ غلامي في بعض تلك الأيام ، واشتدَّ عليَّ الحرُّ والعطشُ ، فانتهييتُ إلى خيَاء فيه أسودٌ وإذا حِبابٌ¹ ماء قد بُردتْ ، فملتُ إليه فقلتُ : يا هذا ، اسقني من هذا الماء . فقال لا . فقلتُ : فأذن لي في الكين² ساعة . قال لا . فَأَنَحْتُ ناقتي ولجأتُ إلى ظلِّها فاستترتُ به ، وقلتُ : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقدمُ به عليه ، ولعلِّي إن حرَّكتُ لساني أن يُنلَّ حَلَقِي رِيقِي فيُخَفِّفَ عني بعض ما أجده من العطش ! فترنمت بصوتي :

القصرُ فالنخلُ فالجماء بينهما

فلما سمعني الأسود ، ما شعرتُ به إلا وقد احتملني حتى أدخلني خيأه ، ثم قال : أي ، بأبي أنت وأمي ! هل لك في سويق السُّلتِ³ بهذا الماء البارد ؟ فقلتُ : قد منعني أقلُّ من ذلك ، وشربة ماءٍ تُجزئني . قال : فسقاني حتى رويتُ ، وجاء الغلام فأقامت عنده إلى وقت الرواح . فلما أردتُ الرحلة قال : أي ، بأبي أنت وأمي ! الحرُّ شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك ، فأذن لي [في] أن أحمل معك قربةً من ماءٍ على عنقي وأسعى بها معك ، فكلما عطشتُ سقيتكُ صحنًا وغنيتني صوتًا ! قال : قلت ذاك لك . فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه حتى بلغت المنزل .

[معبد وابن سريج يلتقيان ببطن مر]

نسختُ من كتاب جعفر بن قدامة بخطه : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال : كان معبد خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره ، فسمع في طريقه غناء في «بطن مر»⁴ فقصده الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارِقٌ شعره حسنُ الوجه ، عليه دُرَاعَةٌ قد صبغها بزعفران ، وإذا هو يتغنَّى :

صوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا ودعا الهَمَّ شَجْوُهُ فأجابا
ذاك مِن منزلٍ لسلمى خلأ لايس من خلأه جلبابا

1 جمع حَب وهو الجرة .

2 الكين : ما وراك من حرٍّ أو برد .

3 السُّلت : شعير لا قشر له .

4 بطن مر : موضع على مرحلة من مكة ويقال له : «مر الظهران» .

عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عَوْجُوا طَمَعاً أَنْ يَرُدَّ رِبْعَ جَوَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمَنَسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
فَقَرَعَ مَعْبِدٌ بَعْضَاهُ وَغَنَى : [من الكامل]

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
وَكُنَّ أَفْقَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ : بِاللَّهِ أَنْتَ مَعْبِدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، [فَسَأَلْتُهُ] وَبِاللَّهِ أَنْتَ ابْنُ سُرَيْجٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَوَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُكَ مَا غَنَيْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَابَا وَدَعَا الْهَمَّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمَنَسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ بَّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنَزَلٍ لِسُلْمَى خَلَاءِ مُكْتَسٍ مِنْ عَقَائِهِ جِلْبَابَا
عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عَوْجُوا طَمَعاً أَنْ يَرُدَّ رِبْعَ جَوَابَا
ثَانِياً مِنْ زِمَامٍ وَجَنَاءِ عَنَسٍ قَانِياً لَوْنُهَا يُخَالِ خِضَابَا
جَدُّهَا الْفَالِجُ الْأَشْمُ مِنَ الْبُخْ سَ وَخَالَاتُهَا انْتُخِنَ عِرَابَا
الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى
الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

صوت

[من الكامل]

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
وَكُنَّ أَفْقَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ الْهَشَامِيِّ .
أَرْحَلَةُ مَعْبِدٍ إِلَى الْأَهْوَا

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيَاطِيقٍ قَالَ
حَدَّثَنِي يُونُسُ الْكَاتِبُ قَالَ : كَانَ مَعْبِدٌ قَدْ عَلَّمَ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحِجَازِ الْغِنَاءَ ، تُدْعَى ظِيَّةَ ،

وعُني بتخريجها ، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأعجب بها وذهبت به كلّ مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لِحَبَّتِه إِيّاها وأسفه عليها لا يزالُ يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقرُّه ، ويظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغناؤه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عُرف ذلك منه . وبلغ معبدٌ خبره ، فخرج من مكّة حتى أتى البصرة ، فلمّا وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلّاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا . فلمّا صاروا في فَم نهر الأبلّة¹ تغدّوا وشربوا ، وأمر جواريه فغنّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرَوٌ وخفّان غليظان وزيّ جافٍ من زيّ أهل الحجاز ، إلى أن غنّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانّت سعادُ وأمسى حبلُها انصرَما واحتلّت الغورَ فالأجراعَ من إضما²
إحدى بليٍّ وما هام الفؤادُ بها إلّا السّفاةُ وإلّا ذُكرَةُ حُلما

قال حمّاد : والشعر للنابعة الذبياني ، والغناء لمعبد ، وخفيفٌ ثقيلٌ أوّلٌ بالينصر ، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجدِ أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إنَّ غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضب : وأنت ما يُدريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتلزم شأنك ! فأمسك ، ثم غنّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى غنّت :

صوت

با ابنة الأزديّ قلبي كحبيبُ مُستَهامٌ عندها ما يُنِيبُ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُونِي إِنَّ مَنْ تَنهَوْنَ عنه حبيبُ
إنّما أبلى عظامي وجِسمي حُبُّها والحبُّ شيءٌ عجيبُ
أيُّها العائبُ عندي هواها أنتَ تَفدي من أراكَ تَعيبُ³

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّلٌ بالسبابة في مجرى الينصر ، قال :

1 الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجراع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنورة .

3 مَنْ لعلّ صوابها «الذي» .

فَأَخَلَّتْ بَعْضُهُ ، فَقَالَ لَهَا مَعْبُدٌ : يَا جَارِيَةُ ، لَقَدْ أَخَلَلْتِ بِهَذَا الصَّوْتِ إِخْلَالًا شَدِيدًا . فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَا أَنْتَ وَالْغَنَاءُ ! أَلَا تَكْفُ عَنْ هَذَا الْفُضُولِ ؟ فَأَمْسَكَ . وَغَنَّى الْجَوَارِي مَلِيًّا ، ثُمَّ غَنَّتْ إِحْدَاهُنَّ :

صوت

خَلِيلِيَّ عُوْجَا فَأَبْكِيَا سَاعَةً مَعِيَ عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنُودَعُ¹
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَلِمَّ بِدِمْنَةٍ لِعِزَّةٍ لَاحَتْ لِي بَيْنَدَاءَ بَلْقَعِ
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا : رَاجِعِ الْهُوَى وَلِلْعَيْنِ : أَذْرِي مِنْ دَمْعِكَ أَوْدَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لَنَا مَصِيفًا أَقْمَنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ

الشعر لكثير ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمل للغريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقوين² على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة ، فأمسك معبد ؛ حتى إذا سكنت الجواري سكنت اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسنت والله يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناء ، فسأله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه ؛ فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُدَارِيه . ثم غنى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهبك لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة³ وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى ، وأسألك أن تنزل إلي وتختلط بي . فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فممن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبد وغني بتخريجها ، فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضل

1 ديوان كثير : 410 .

2 ل : تقوين .

3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلِّ صنعة . فقال له معبد : أو إنك لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصكَّ معبدٌ بيده صلعتَه ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، والله لا قصرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك في كلِّ واحدةٍ منهنَّ خلفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتْنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة ، وأسأنا عِشْرَتَكَ ، وأنت سيّدنا ومَن نتمنّى على الله أن نلقاه . ثم غيّر الرجلُ زيّه وحاله وخلع عليه عِدَّةَ خِلَعٍ ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حِذْقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد الوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغلابي¹ قال حدّثني مهديُّ بن سابق قال حدّثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدّثني عمر القاري بن عديّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجّه البريد إلى المدينة فاتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هيئت له فملئت بالخمر والماء ، وأتي بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما سترٌ قد أرخِيَ ؛ فقال له غنّني يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْفِي على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمُ فما أصابَهُمُ إلّا بما شاءوا
ما زال يَعدُّو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ حتى تَفانُوا وريبُ الدهرِ عَدَاءُ
أَبْكى فِرَاقَهُمُ عَيْنِي وأَرْقَها إنَّ التفرُّقَ للأحبابِ بَكاؤُ

الغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ ، وفيه ليحيى المكيّ رَمْلٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلّها رواية الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه ، فرفع الوليد السّتر ونزع ملاءةً مُطَيّبةً كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلةً ، ثم أتى بأثوابٍ غيرها وتلقّوه بالمجامر والطّيب ، ثم قال غنّني : [من الكامل]

صوت

يا ربُّعُ ما لك لا تُجيبُ متيِّما قد عاج نحوكَ زائراً ومُسَلِّما
جادتكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ² متبسِّما

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريّا بن دينار الغلابي .

2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبدٍ ثانيٍ ثَقِيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكيّ . وفيه لَعْلُوهُ ثانيٍ ثَقِيلٍ آخر بالبصر
في مجراها عنه . قال : فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينارٍ فصبّها بين يديه ، ثم قال : انصرف
إلى أهلِكَ واكنم ما رأيت .

وأخبرني بهذا الخبر عمّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدّثني هارون بن
محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني سليمان بن سعد¹ الحلبي قال : سمعتُ القاري بن عديّ
يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجّه إليه إلى المدينة فأحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر
ببركة بين يدي مجلسه فمُثِلت ماء وردٍ قد خلط بمسك وزعفران ، ثم فرّش للوليد في داخل
البيت على حافة البركة ، وبُسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبد
فراى سِتْرًا مُرَحًى ومجلس رجلٍ واحد . فقال له الحجاب : يا معبد ، سلّم على أمير المؤمنين
واجلس في هذا الموضع ؛ فسَلّم فردّ عليه الوليد السلام من خلف السّتر ، ثم قال له : حيّاك الله يا
معبد ! أتدري لِمَ وَجّهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع
منك . قال معبد : أأُغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنّني : [من البسيط]

ما زالَ يَعدُّو عليهم ريبُ دهرِهِمُ حتى تَفانُوا وريبُ الدهرِ عَدَاءُ

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجوّاري السّجف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجوّاري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى
معبدًا ، ثم قال له : غنّني يا معبد :

يا ربُّعُ ما لك لا تُجِيبُ متيِّما قد عاج نحوكَ زائرًا ومسلِّما
جادتكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ متبسِّما
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ دعاكَ أجبته وبكيتَ من حُرِّقٍ عليه إذا دما

قال : فغناه ، وأقبل الجوّاري فرفعن السّتر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غنّني .
فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنّني :

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتِي أُنْدُبُ الرِّبْعَ المُحِيلَا
واقفاً في الدارِ أبكي لا أرى إلّا طلولا
كيف تَبْكِي لأَناسٍ لا يَمَلُّونَ الذَّمِيلَا²

1 ل : سعيد .

2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كَلَّمَا قَلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا¹

قال : فلَمَّا غَنَّاهُ ألقى نفسه في البركة ثم خرج ، فردُّوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم أقبل عليه الوليد فقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد عند الملوك حظوةً فليكنتم أسرارهم . فقلت : ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، احمِلْ إلى معبد عشرة آلاف دينارَ تُحَصِّلْ له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه ، فحملت إليه كلُّها ، وحملت على البريد من وقته إلى المدينة .

[معبد والشيخ الشامي]

قال إسحاق : وقال معبد : أرسل إليّ الوليد بن يزيد فأشخصتُ إليه . فبينما أنا يوماً في بعض حمامات الشام إذ دخل عليّ رجل له هيئة ومعه غلمان له ، فاطلّ واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عندي لأكوننَّ بِمَرْجَرِ الكلب ؛ فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني ، ثم ترنّمت ، فالتفت إليّ وقال للغلمان : قدّموا إليه جميع ما ها هنا ، فعبّار جميع ما كان بين يديه عندي . قال : ثم سألتني أن أسير معه إلى منزله فأجبتّه ، فلم يدع من أبرّ والإكرام شيئاً إلّا فعله ، ثم وضع النبيذ ، فجعلت لا آتي بحسن إلّا خرجتُ إلى ما هو أحسن منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى مني . فلَمَّا طال عليه أمري قال : يا غلام ، شيخنا شيخنا ، فأنّي بشيخ ؛ فلَمَّا رآه هَشَّ إليه ، فأخذ الشيخُ العود ثم اندفع يُغني :

سِلَوْرُ فِي الْقَدْرِ وَثَلِي عُلُوهُ جَاءَ الْقِطُّ أَكَلَهُ وَثَلِي عُلُوهُ

السَّلَوْرُ : السمك الجريّ بلغة أهل الشام . قال : فجعل صاحب المنزل يُصَفِّقُ ويضرب برجله طرّاً وسروراً . قال : ثم غنّاه :

وَتَرَمِينِي حَبِيْبَةٌ بِالْدُّرَاقِنِ وَتَحْسُبُنِي حَبِيْبَةً لَا أَرَاهَا

الدُّرَاقِنُ : اسم الخوخ بلغة أهل الشام . قال : فكاد أن يخرج من جلده طرباً . قال : وانسللتُ منهم فانصرفتُ ولم يعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قطّ غناءً أضيع ، ولا شيخاً أجهل !

[معبد وابن مائشة]

قال إسحاق : وذكر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد : أن ابن عائشة كان يُلقى عليه وعلى رُبَيْحَةَ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً ، فاندفع ابن عائشة يُغنيهِ وقد أخذه منه فغضب معبد وقال : أحسنتَ يا ابن عاهرة الدار ، تُفَاحِرُنِي ! فقال : لا والله ، جعلني

الله فداءك يا أبا عباد ، ولكنني أقتبس منك ، وما أخذته إلا عنك ، ثم قال : أنشدك الله يا ابن شماس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهم نعم .
 أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غناءً ، فقيل له : وكيف أصبحت أحسن الناس غناءً ؟ قال : وما يمنعي من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً ، وأبو عباد مُغْنِي أهل المدينة والمقدّم فيهم !

[قدوم معبد إلى مكة والتقاؤه بالمغنين بها]

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب ابن عباية عن رجل من هذيل قال : قال معبد : غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذكر ، فقلت : لا تين مكة فلا تسمعن من المغنين بها ولا تغنينهم ولا تعرفن إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكة . فلما قدمتها بعثت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقعيقان¹ في بيت فلان ؛ فجت إلى منزله بالجلس فقرعت الباب ؛ فقال : من هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجل أشتهي الغناء ، وأزعم أنني أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببت أن تنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني . فلوى شيئاً ثم قال : انزل علي بركة الله . قال : فنقلت متاعي فنزلت في جانب حُجرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : من هذا الرجل ؟ قال : رجل من أهل المدينة خفيف يشتهي الغناء ويضطرب عليه ، ليس عليكم منه غبن ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنوا ، فجعلت أعجب بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويعجبهم مني ، حتى أقمنا أياماً ، وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أمسك علي صوتك :

قُلْ لَهْدٍ وَتَرْبِهَا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا
 قال : أو تحسن شيئاً ؟ قلت : تنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعت فيه فغنيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلك الله ! قلت : فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي ، فغنيته ، فازدادوا عجباً وصياحاً . فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من غناؤه أصواتاً قد تخيرتها . قال :

1 قعيقان : قرية قرب مكة .

فصاحوا حتى عَلتْ أصواتُهم وهَرَفُوا بي¹ وقالوا : لأنت أحسن بأداء غِنائنا عَنَّا مِنَّا . قال : قلت : فأُمسِكُوا عليّ ولا تَضَحِكُوا بي حتى تسمعوا من غِنائي ، فأَمْسَكُوا عليّ ؛ فغَنَيْتُ صوتاً من غِنائي فصاحوا بي ، ثم غَنَيْتَهُمْ آخِرَ وَآخِرَ فَوَثَبُوا إِلَيّ وقالوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَصَيْتاً واسماً وَذِكْراً ، وَإِنَّ لَكَ فِيمَا هَاهُنَا لَسَهْماً عظيماً ، فمن أنت ؟ قلت : أنا معبد . فقبَلُوا رَأْسِي وقالوا : لَفَقَتَ عَلَيْنَا وَكُنَّا نَتَهَاوَنُ بِكَ وَلَا نَعْدُكَ شَيْئاً وَأَنْتَ أَنْتَ . فَأَقَمْتَ عِنْدَهُمْ شهراً آخِذُ مِنْهُمْ وَيَأْخِذُونَ مِنِّي ، ثم انصرفت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنْدٍ وَتَرْبِهَا	قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا
إِنْ تَجُودِي فطالما	بِتُ لَيْلِي مُسَهِّدَا
أَنْتِ فِي وُدِّ بَيْنِنَا	خَيْرُ مَا عِنْدَنَا يَدَا
حِينَ تَذَلِّي مُضَفَّرَا	حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْوَدَا

الشعر لعمَر بن أبي ربيعة² ، والغناء لابن سُرَيْج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسْهُ . وفيه للمالك خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالبصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهِشَامِي : فيه لابن مُحَرِّز خفيف ثَقِيلٌ بالوسطى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِيَّ لما جَهَّدَتْهُ	وَبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ
لذلك أُذِنِي دُونَ خَيْلِي مَكَانَهُ	وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
فقلتُ له : إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً	فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكُلَّ وَتَسَامَا

1 هرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر - بيروت) 1961 .

عَدِمْتُ إِذَا وَفَّرِي وَفَارَقْتُ مُهْجَتِي لَنْ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا إِنْ اللَّهُ سَلَّمَ¹
عروضه من الطويل . قوله : «لَنْ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا» ، يعني أَنَّهُ يَجِدُ فِي سِيرِهِ حَتَّى يَقِيلَ بِهَذَا
الموضع ، وهو قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة² المخزومي ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني
ثقل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقل بالبنصر عن عمرو بن بانه .
وفيه ثقل أول يقال إِنَّهُ لِيَحْيَى الْمَكِّي . وفيه خفيف رمل يقال إِنَّهُ لِأَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْمَنْجَمِ .
وفيه للمعتضد ثاني ثقل آخر في نهاية الجودة . وقد كان عمرو بن بانه صنع فيه لحناً فسقط
لسقوط صنعته .

أخبرني جحظة قال حدثني أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ قَالَ : صَنَعَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ لَحْنًا فِي
«تَشَكِّي الْكَمِيتِ الْجَرِيِّ» فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ عَجَائِزُنَا بِذَلِكَ ، قَالَتْ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْرُضَهُ عَلَى
مَتَيْمٍ لِنَعْلَمَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ ، فَقَلْنَا لِبَعْضِ مَنْ أَخَذَهُ عَنْ عَمْرُو : غَنِّ «تَشَكِّي الْكَمِيتِ
الْجَرِيِّ» فِي اللَّحْنِ الْجَدِيدِ ؛ فَقَالَتْ مَتَيْمٌ : أَيْشَ هَذَا اللَّحْنُ الْجَدِيدُ وَالْكَمِيتُ الْمَحْدَثُ ؟
قَلْنَا : لَحْنٌ صَنَعَهُ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ . فَغَنَّتْهُ الْجَارِيَّةُ ، فَقَالَتْ مَتَيْمٌ لَهَا : اقْطِعي اقْطِعي ، حَسْبُكَ
حَسْبُكَ هَذَا ! وَاللَّهِ لِحَمَارِ حُتَيْنِ الْمَكْسُورِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْكَمِيتِ .

1 أَقِلْ : من القيلولة ؛ وقرن : اسم موضع ، ذكره في المتن .

2 ديوان عمر : 341 .

[5] - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويُكنّى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطّاب» . وكان أبو ربيعة جدّه يسمّى «ذا الرُّمحين» ؛ سُمّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رُحمين .

أخبرني بذلك الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني عمّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه الضحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . وقيل : إنّهُ قاتلَ يوم عُكاظ برُحمين فسُمّي «ذا الرُّمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمُسيبيّ ومحمد بن سلام ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزُّبَيْري :

أَلَا لِلّهِ قَـوْمٌ وَ	لَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هِيْشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ	مَنَافٍ مِدْرَهُ الْخَضَمُ ¹
وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ	عَلَى الْقَوَّةِ وَالْحَزَمِ ²
فَهَذَانِ يَذُودَانِ	وَذَا مِنْ كَتَبٍ يَرْمِي
أَسُودٌ تَزْدَهِي الْأَقْرَا	نَ مَنَاعُونَ لِلْهَضَمِ ³
وَهُمْ يَوْمَ عُكَازٍ مَ	نَعَوَا النَّاسَ مِنَ الْهَزَمِ
وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوَا	بِسِرِّ الْحَسَبِ الضُّخْمِ ⁴
فَإِنْ أَحْلَفَ وَبَيْتِ الدِّ	هِ لَا أَحْلَفَ عَلَى إِثْمِ
لَمَّا مِنْ إِخْوَةٍ بَيْنَ	قُصُورِ الشَّامِ وَالرَّدَمِ
بَازُكَيٍّ مِنْ بَنِي رَيْطَ	ةَ أَوْ أَوْزَنَ فِي الْحِلْمِ

1 المدرة : زعيم القوم .

2 يقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان .

3 تزدهي الأقران : تستخفّ بهم .

4 يقال : أشبى فلان إذا وُلِدَ ولد كيّس .

أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة . ورِيطة هذه التي عنها هي أم بني المغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكه .

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وجئتُه أطلب منه مَغْرَماً ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حسان يُنشدُها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أفترِي على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعتُ عائشة تُنشدُها فقلتُ . فقال : لا ، إلا أن تقول : سمعتُ حسان يُنشدُها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليّ وأبئتُ عليه ، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أمية . فقلت : سَمَّهم لي ، فسَمَّاهم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من الهزج]

ألا لله قـوْمٌ و لدتُ أُختُ بني سَهْم

... الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزُبَيْر . قال : فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزُبَيْر .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال : أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات :

ألا لله قـوْمٌ و لدتُ أُختُ بني سَهْم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالا : حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شبة : قال محمد بن يحيى : وأختُ بني سهم التي عنها رِيطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب ، وهي أم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه ، وعدّة غيرهم لم يُعقبوا ، وإياهم يعني أبو ذؤيب بقوله : [من الكامل]

صَخِبُ الشَّوَارِبِ لا يزالُ كأنّه عبدُ لآلِ أبي ربيعة مُسْبِعُ

ضرب بعزهم المثل . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بَحِيرًا ، فسَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تلقبه «العِدْل» ؛ لأنّ قريشاً كانت تكسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنّةً ، ويكسوها هو من ماله سنّةً ، فأرادوا بذلك أنّه وحده عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزُبَيْر :

[من الطويل]

بَحِيرُ بْنُ ذِي الرُّمَحِينَ قَرَّبَ مَجْلِسِي وَرَاحَ عَلَيَّ خَيْرُهُ غَيْرَ عَاتِمٍ
وقد قيل : إِنَّ الْعِدْلَ هُوَ الْوَلِيدُ مِنَ الْمُغِيرَةِ .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِيراً ، وكان مَتَجِرُهُ إلى اليمن ، وكان من أكثرهم
مالاً . وأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةٍ ، وقيل : مُخَرَّمَةٌ ، وكانت عَطَّارَةً يَأْتِيهَا الْعِطْرُ مِنَ الْيَمَنِ .
وقد تزَوَّجَهَا هِشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ أَيْضاً ، فولدت له أَبَا جَهْلَ والحَارِثَ ابْنَي هِشَامٍ ؛ فَهِيَ أُمُّهُمَا
وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَعِيَّاشُ ابْنِي أَبِي رَبِيعَةٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ وَالطُّوسِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَتْ
أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةٍ تَبِيعَ الْعِطْرَ بِالْمَدِينَةِ . فَقَالَتْ الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَكَانَ
أَبُوهَا قَتَلَ أَبَا جَهْلَ بْنِ هِشَامٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ : بَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ، فَذَكَرْتُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتُ مُخْرَبَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ تَبِيعُ عِطْرًا لَهَا فِي
نِسْوَةٍ ، قَالَتْ : فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَاتَسَبَّنَا لَهَا . فَقَالَتْ : أَنْتِ ابْنَةُ قَاتِلِ سَيِّدِهِ ؟ تَعْنِي أَبَا جَهْلَ .
قُلْتُ : بَلَى أَنَا بِنْتُ قَاتِلِ عَبْدِهِ . قَالَتْ : حَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ أَبِيعَكَ مِنْ عِطْرِي شَيْئًا . قُلْتُ : وَحَرَامٌ
عَلَيَّ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَمَا وَجَدْتُ لِعِطْرٍ تَنْتَأُ غَيْرَ عِطْرِكَ ، ثُمَّ قُمْتُ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
عِطْرًا أَطْيَبَ مِنْ عِطْرِهَا ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهُ لِأَغِظََهَا .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يَتَصَرَّفُونَ فِي جَمِيعِ الْمِهَنِ ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ
كَثِيرًا ؛ فَرُوي عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْنَةَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ : هَلْ لَكَ فِي
حَبَشَ بَنِي الْمُغِيرَةِ تَسْتَعِينُ بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « لَا خَيْرَ فِي الْحَبَشِ إِنْ جَاعُوا سَرَقُوا وَإِنْ شَبِعُوا زَنَوْا ، وَإِنْ
فِيهِمْ لَخَلَّتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالْبَأْسُ يَوْمَ الْبَأْسِ » . وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
أَبِي رَبِيعَةٍ عَلَى الْجَنْدِ وَمَخَالِفِهَا ، فَلَمْ يَزَلْ عَامِلًا عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ . هَذَا مِنْ رِوَايَةِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، اسْتَعْمَلَهُ أَيْضًا عَلَيْهَا .

[أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ وَأَخُوهُ الْحَارِثُ]

وَأُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا «مَجْدُ» ، سَبَبَةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ وَيُقَالُ مِنْ حِمَيْرٍ .
قَالَ أَبُو مُحَلَّمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : هِيَ مِنْ حِمَيْرٍ ، وَمِنْ هُنَاكَ أَتَاهُ الْغَزَلُ ؛ يُقَالُ : غَزَلَ يَمَانٍ ،
وَدَلَّ حِجَازِيٌّ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ : أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ أُمُّ وَلَدٍ سُودَاءٍ مِنْ حَبَشٍ يُقَالُ لَهُمْ : فَرَسَانٌ¹ .

1 فَرَسَانٌ : مِنْ جَزَائِرِ الْيَمَنِ .

وهذا غلطٌ من أبي زيد¹ . تلك أمٌ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُبَاعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ذيناً وسيّداً من سادات قريش . قال الزبير بن بَكَّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولّاه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أَرْسَلَ عَوْفاً وَقَعْدَ ! «لا حُرَّ بوادي عَوْف» . فقال له يحيى بن الحكم : وَمَنْ الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتُ والله أُمّةٌ خيراً ممّا ولدتُ أمُّهُ ! وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي : أَنَّ أُمّه ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعرف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وَجِدَ الصليب في عنقها ، وكانت تَكْتُمُهُ ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فَإِنَّ لَهَا أَهْلَ دِينٍ هُمْ أَوْلَى بِهَا مِنَّا وَمِنْكُمْ ؛ فاستحسن ذلك منه وعجِبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» ...]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من المخرج]

ألا لله قومٌ و لدتُ أختُ بني سَهْمٍ
هشامٌ وأبو عبْدٍ منافٍ مِدرَةُ الخَصْمِ
وذو الرُّمحين أشباكٌ على القوّة والحَزْمِ
فهذان يَزدودان وذا من كَتَبَ يَرمِي
عروضه من مكفوف المخرج . الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حماد .

[رأى يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكَيْعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائني عن رُسْتَم بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عَباد ، إِنِّي أريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ عن نفسي وعنك ، فَإِنْ قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاشرَ أَنْ تردّه عليّ ، فقد أذنتُ لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعتُ رُبُّكَ بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يردُّ عليك إلا مخطيء . قال : إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائها انحناؤاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أُمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شُبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكني أوتر الطرب على كل شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام ، فأغرب أنا ويُشَرِّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

أَلَا لِلَّهِ قُـوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ

الأربعة الأبيات . وغناه ، فصاح يزيد : أحسنت والله يا مولاي ! أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأول ، فأعاد . ثم قال : أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فاستخفه الطرب حتى وثب وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول :

يا دارُ دَوْرِنِي يا قَرَقَرُ امسْكِينِي
أَلَيْتَ مُنْذُ حِينِ حَقّاً لَتَصْرِمِينِي
ولا تُواصِلِينِي بالله فَارْحَمِينِي
لَمْ تَذْكُرِي يَمِينِي

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه ، حتى خرّ مغشياً عليه ووقع فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدم [فأقاموه] وأقاموا مَنْ كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالحٌ يقال له «جوان» ، وفيه يقول العرجي :

شَهِيدِي جُوانٌ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُوانٌ
فأخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز ، فشَهِدَ عنده بشهادة ؛ فتمثّل :

شَهِيدِي جُوانٌ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُوانٌ
وهذا الشعر للعرجي . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقبَلَه . وقال غير الزبير : إنه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرُنِي في شِعْرِكَ ! متى أُشْهِدْتَنِي على صاحبك هذه ؟ ومتى كنتُ أنا أُشْهِدُ في مثل هذا ! قال : وكان امرأً صالحاً .

وأخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بكار بن عبد الله قال : استعمل بعض ولاة مكة جوان بن عمر على تبالّة¹ ، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً ؛ فجعلت خثعم سنة جوان تاريخاً ؛ فقال ضبارة بن الطفيل : [من الطويل]
أُتْلِسْنَا لَيْلَى عَلَى شَعَثِ بِنَا من العامِ أَوْ يُرْمَى بِنَا الرَّجَوَانِ²

صوت

[من الطويل]

رَأْتَنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَرَاقَهَا أَخُو غَزَلٍ ذُو لِمَّةٍ وَدِهَانٍ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي فِي لَيْالٍ مَضَيْنَ لِي لِعَامَيْنِ مَرّاً قَبْلَ عَامِ جُوانٍ
رَأْتَنَا كَرِيمِي مَعَشِرٍ حُمٍّ بَيْنَا هَوَى فحِفْظُنَاهُ بِحُسْنِ صِيَانٍ³
نَذَوْدُ النُّفُوسَ الْحَائِمَاتِ عَنِ الصَّبَا وَهْنٌ بِأَعْنَاقٍ إِلَيْهِ ثَوَانِي
ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقليل بالينصر ، وذكر الهشامي أنه لقراريط .

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنتٌ يقال لها : «أمة الواحد» ، وكانت مُسْتَرْضَعَةً في هذيل ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة ، وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق : [من السريع]

لَمْ تَذَرِ وَلِيَعْفِرْ لَهَا رَبُّهَا مَا جَشَمْنَا أَمَةً الْوَاحِدِ⁴
جَشَمْتَ الْهَوْلَ بَرَاذِينَا نَسَأُلُ عَنْ بَيْتِ أَبِي خَالِدٍ
نَسَأُلُ عَنْ شَيْخِ بَنِي كَاهِلٍ أَعْيَا خَفَاءَ نَشْدَةِ النَّاشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المزيان عن أبي بكر العامريّ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم ، قال : أراه عن الحسن ، قال : وُلِدَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ لَيْلَةَ قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَيُّ حَقٍّ رُفِعَ ، وَأَيُّ باطلٍ وُضِعَ ! . قال عوانة : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

1 تبالّة : بلدة من أرض تهامة .

2 يرمي به الرجوان : يستهان به ، والرجوان جانباً البئر .

3 حمّ : أتيج وقدر .

4 ديوان عمر : 116 .

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهري قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام ، قالوا : قال أيوب بن سيار ، وأخبرني به الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيار عن عمر الركاء قال : بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُورّدين أو مُمَصَّرين¹ حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده : [من الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرٌ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحَ فَمُهَجَّرٌ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عباس ! إنّا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقلُ عَنَّا ، ويأتيك غلام مُتَرَفٌ من مُتَرَفِي قَرِيشٍ فَيُنْشِدُكَ :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزِي وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْصُرُ
فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْصُرُ

فقال : ما أراك إلّا وقد حَفِظْتَ البيتَ ؛ قال : أَجَلٌ ، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إِيَّاهَا . قال فَإِنِّي أَشَاءُ ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبة : أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبةً ، وما سمعها قطّ إلّا تلك المرّة صَفْحًا . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قطّ . فقال : لكنني ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عباس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلّا رويته ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسدُّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولأنه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أَمِنْ آلِ نَعْمٍ . . .» فقال : إِنَّا نَسْتَجِيدُهَا . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

1 ثوب ممصّر : فيه بعض صفرة .

المُعِيرِي شَيْئاً بَعْدَنَا ؟

قال : وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة :

فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ

قال : لا ، بل :

فَيَخْزَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسِرُ

قال عمر بن شُبَّة وأبو هَفَّان والزبير في حديثهم : ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : أنشد ، فأنشده¹ :

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .
[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن إسحاق قال : كان العرب تُقَرِّ لقریش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ؛ فإنها كانت لا تُقَرِّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عُمِّي مُصْعَباً يحدِّث عن جدِّي أنه قال مثل هذا القول . قال : وحدثني عِدَّةٌ من أهل العلم أن النُصَيْب قال : لعمُرُ بن أبي ربيعة أوصَفْنَا لِرَبَّاتِ الحِجَال . قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : إني لا أمدح الرجال ، إنما أمدح النساء . قال : وكان ابن جُرَيْج يقول : ما دخل على العواتق في حِجَالهنَّ شيءٌ أضرَّ عليهنَّ من شعر عمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير وحدثني عُمِّي عن جدِّي ، وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هَفَّان عنه عن المدائني ؛ قال قال هشام بن عروة : لا تُرَوُّوا فَنِيَاتِكُمْ شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ، وأنشد :

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خذي حَذَرَكَ
وقُولي في مُلاطفَةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّلي عُمَرَكَ

أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبير¹ قال حدثني أبي عن سمره² الدوماني من حمير قال : إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقَبَضْتُ على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أَكُلَّ ما قلته في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عني . قلت : أسألك بالله قال : نعم وأستغفر الله .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حماد الراوية : أنه سُئِلَ عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُقُ الْمُقَشَّرُ³ .

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلاً من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم ؛ فذكر يوماً شعر عمر بن أبي ربيعة فهَجَّنَه . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومرّ بهم حماد الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يُحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال ننزّو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوم الأنصاري : ما عُصِيَ الله بشيء كما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شابٌ أُعَشِّقُ ولا أُعَشِّقُ ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحِسان إلى الممات . ولقد لقيتني فتاتان مرة فقالت لي إحداهما : أَذُنُ مني يا ابن أبي ربيعة أُسِرَّ إليك شيئاً . فدنوت منها ودنّت الأخرى فجعلت تَعْضُنِي ، فما شعرت بعض هذه من لذة سِرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن الفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال : لقيتُ جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنَّ شعرك رُفِعَ⁴ إلى المدينة وأنا أُحِبُّ أن تُسَمِعَنِي منه شيئاً . فقال : إنكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسب ، وإنَّ أنسب الناس المخزومي ؛ يعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْسٍ ، وبنو أخيه معه وهم

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المفسد .

4 ل : وقع .

مُحَرِّمُونَ ، فقال لبعضهم : خُذْ بِيَدِي فَأُخِذْ بِيَدِهِ ؛ وقال : وَرَبُّ هَذِهِ الْبَنِيَّةُ¹ مَا قُلْتُ لَامْرَأَةٍ قَطُّ شَيْئاً لَمْ تَقْلَهُ لِي ، وَمَا كَشَفْتُ ثَوْباً عَنْ حَرَامٍ قَطُّ . قَالَ : وَلَمَّا مَرَضَ عُمَرُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَزَعُ أَخُوهِ الْحَارِثِ جَزَعاً شَدِيداً . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَحْسِبُكَ إِنَّمَا تَجْزَعُ لِمَا تَنْظُنُّ بِي ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَكِبْتُ فَاحِشَةً قَطُّ ! فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَشْفَقُ عَلَيْكَ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ سَلَّيْتُ عَنِّي .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي مُصْعَبُ الزَّيْبِرِيِّ قَالَ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرِينَ أَوْ حَاجِّينَ ؛ فَلَمَّا طُفْنَا بِالْبَيْتِ مَضِينًا إِلَى الْحِجْرِ نُصَلِّي فِيهِ ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ فَرَجَ² بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَأَوْسَعْنَا لَهُ . فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمَا ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ . فَرَحَّبَ بَنَا وَقَالَ : يَا ابْنِي أَخِي ، إِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْجَمَالِ أَتْبَعُهُ ، وَإِنِّي رَأَيْتُكُمَا فَرَأَيْتِي حُسْنُكُمْ وَجَمَالَكُمْ ، فَاسْتَمِعَا بِشَبَابِكُمَا قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ ؛ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ .

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : عَاشَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ثَمَانِينَ سَنَةً ؛ فَتَكَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَنَسَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

قال الزبير وحدثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَجَجْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ وَعَلَيَّ جُمَّةٌ . فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ جِئْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ مَعَهُ ، فَجَعَلَ يَمُدُّ الْخُصْلَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يُرْسِلُهَا فَيَرْجِعُ عَلَيَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : وَاشْبَاهَا ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، قَدْ سَمِعْتَنِي أَقُولُ فِي شَعْرِي : قَالَتْ لِي وَقُلْتُ لَهَا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ كُنْتُ كَشَفْتُ عَنْ فَرْجٍ حَرَامٍ قَطُّ ! فَفَقِمْتُ وَأَنَا مُتَشَكِّكٌ فِي يَمِينِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ فَقِيلَ لِي : أَمَّا فِي الْحَوْكِ فَلَهُ سَبْعُونَ عَبْدًا سِوَى غَيْرِهِمْ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي طَبِيبَةُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : مَرَرْتُ بِجَدِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ وَأَنَا دَاخِلَةٌ مَنْزِلَهُ وَهُوَ بَفَنَائِهِ وَمَعِيَ دَفْتَرٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا مَعَكَ ؟ وَدَعَانِي . فَجِئْتُهُ وَقُلْتُ : شَعْرُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ! تَدْخُلِينَ عَلَى النِّسَاءِ بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ !! إِنْ لَشَعْرَهُ لَمَوْقِعًا مِنَ الْقُلُوبِ وَمَدْخَلًا لَطِيفًا ، لَوْ كَانَ شَعْرٌ يَسْحَرُ لَكَانَ هُوَ ، فَارْجِعِي بِهِ . قَالَتْ : فَفَعَلْتُ .

قال إسحاق : وَأَخْبَرَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ قَالَ : قَدِمْتُ امْرَأَةً مَكَّةَ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ . فَبَيْنَا عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ يَطُوفُ إِذْ نَظَرَ إِلَيْهَا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ ؛ فَدَنَا مِنْهَا فَكَلَّمَهَا ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ يَطْلُبُهَا حَتَّى أَصَابَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا هَذَا ، فَإِنَّكَ

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَمِ اللَّهِ وفي أَيَّامِ عَظِيمَةِ الْحُرْمَةِ . فَأَلَحَّ عَلَيْهَا يُكَلِّمُهَا حَتَّى خَافَتْ أَنْ يُشَهِّرَهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْآخَرَى قَالَتْ لِأَخِيهَا : أَخْرِجْ مَعِيَ يَا أَخِي فَأَرِنِي الْمَنَاسِكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهَا ، فَأَقْبَلْتُ وَهُوَ مَعَهَا . فَلَمَّا رَأَاهَا عَمَرَ أَرَادَ أَنْ يَعْزِضَ لَهَا ، فَنَظَرَ إِلَى أَخِيهَا مَعَهَا فَعَدَّلَ عَنْهَا ؛ فَتَمَثَّلَتِ الْمَرْأَةُ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي¹
 قَالَ إِسْحَاقُ : فَحَدَّثَنِي السَّنْدِيُّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ ، وَقَدْ حَدَّثَ بِهَذَا الْخَبَرَ ، وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ فَنَاءً مِنْ قَرِيشَ فِي خِدْرِهَا إِلَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ .
 قَالَ إِسْحَاقُ : قَالَ لِي الْأَصْمَعِيُّ : عَمَرَ حُجَّةً فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِ إِلَّا قَوْلُهُ :

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهَرًّا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
 وَلَهُ فِي ذَلِكَ مَخْرَجٌ ؛ إِذْ قَدْ أَتَى بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ . قَالَ : وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ :

قِيلَ لِي هَلْ تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهَرًّا

[شعر عمر الذي غنى فيه المغنون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار
 من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت
 لم تنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنى فيه من قوله² :

[من الطويل]

صوت

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ	غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا	فَتُبْلَغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعَذِّرُ
أَشَارَتْ بِمَذْرَأِهَا وَقَالَتْ لِأَخِيهَا	أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ ؟
فَقَالَتْ : نَعَمْ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ	سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ	فَيُضْحِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .

2 ديوان عمر : 120-127 .

أخا سفرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتُ به فَلَواتُ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
 وليلةَ ذي دُورَانِ جَشَمْتَنِي السُّرَى وقد يَجْشُمُ الهولَ المُحِبُّ المَغْرُرُ
 فقلتُ : أبادِيهم فإمّا أفوتهم وإمّا ينالُ السيفُ ثأراً فيثأُرُ

هذه الأبياتُ جُمعت على غير توالٍ ؛ لأنّه إنّما ذُكر منها ما فيه صنعةٌ . غنى في الأوّل والثاني من الأبيات ابن سُرَيْج خفيف رَمَلٍ بالبِنْصر عن أحمد بن المَكِّي وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمعبدٌ لحناً من الثَّقِيلِ الأوّل بالبِنْصر . وغنى ابن سُرَيْج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثَقِيل بالوسطى ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لِحَكَم . وغنى ابن سُرَيْج في الخامس والسادس لحناً من الرَمَلِ بالوسطى عن عمرو بن بَنة . وذكر يونس أنّ في السابع والثامن لابن سُرَيْج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لَمَالِكُ لحناً من الثَّقِيلِ الثاني بالبِنْصر .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال أخبرني محمد بن إِسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عَبَّاس وهو في المسجد الحرام فقال : مَتَّعني الله بك ! إنّ نفسي قد تَأَقَّتْ إلى قول الشعرِ ونازعني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أَحَببتُ أن تسمعه وتستره عليّ . فقال : أَنشِدني ، فَأَنشدته :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ

فقال له : أَنْتَ شاعِرٌ يا ابن أخي ، فَقُلْ ما شِئت . قال : وَأَنشد عمر هذه القصيدة طَلَحَة بن عبيد الله بن عوف الزُّهري وهو راكِبٌ ، فوقف وما زال شائِقاً ناقته حتى كُئِبَتْ له .

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حَدَّثني الحسين بن إِسماعيل قال حَدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أَنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تَهَامِيٌّ إذا أُنجِد وجَدَ البرْدَ ، حتى أَنشد قوله :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْضَرُ
 قَلِيلاً عَلَى ظَهَرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ سَبَوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ المُحِبُّ
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرِيَّانٌ مُلْتَفٌّ الحِدَائِقِ أَخْضَرُ
 وَوَالِ كَفَاها كُلُّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لشيءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرْشِيُّ يَهْذِي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حَدَّثني الأصمعيّ قال : قال لي الرشيد : أَنشِدني أحسنَ ما قيل في رجلٍ قد لَوَّحه السفرُ ؛ فَأَنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

حيث قال :

رأت رجلاً أماً إذا الشمس عارضتُ
فيضحي وأماً بالعشيّ فيخصرُ
أخا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتُ
به فلّواتُ فهو أشعثُ أغبرُ
... الأبيات كلّها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعقب
قدومه من بلاد الرُّوم .

أخبرني الفضلُ بن الحُبَاب الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدّثنا محمد بن
سَلَام قال أخبرني شُعَيْب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها
عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : إنَّ ابنَ أبي ربيعة لجاهلٌ بليّتي
هذه حيث يقول :

ووال كفّاهَا كلَّ شيءٍ يَهْمُهَا فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلَ تَسْهَرُ

[مجن عمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان قال حدّثني إسحاق عن المدائني قال : عرض
يزيدُ بن معاوية جيش أهل الحرّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ خَلَقَ سَمِجٌ ، فنظر
إليه يزيد وضحك وقال له : وَنَحْكَ ! تُرْسُ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من تُرْسِكَ . يريد
قول عمر :

فكان مِجْنِيّ دون مَنْ كنتُ أَتْقِي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِيَانٍ ومُعْصِرُ

[جَمِين صاحب الوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قُدّامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سَمِعَ أبو
الحارث جُمَيْنٌ مُغْنِيَةً تُغْنِي :

أشارت بِمِدْرَاهَا وقالت لأختها أهذا المُعِيرِيّ الذي كان يُذَكِّرُ ؟
فقال جُمَيْن : امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلّا لَتَفَقَّأَ بها عينه ، هَلَّا أشارت
إليه بنفانق مُطَرَفٍ بالخردل ، أو سنْبوسِجَةٍ مغموسة في الخلّ ، أو لوزينِجَةٍ شَرَقَةٍ بالدَّهْنِ !
فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدلُّ على مودّة صاحبه .

أخبرني الحَرْمِيّ قال : حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أُوَيْس عن عَطَّاف بن
خالد الوابِصيّ عن عبد الرحمن بن حرمة قال : أنشد سعيد بن المسيّب قولَ عمر بن أبي
ربيعة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو عُيُوبَهُ ورَوَّحَ رُغِيَانٌ ونَوَّمَ سَمَرُ

[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له قاتله الله ! لقد صَغُرَ ما عَظُمَ الله ! يقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾

مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٦﴾ [يس 36] .

ومنها ما فيه غناء لم يُنسَبَ في موضعه من الأخبار فنُسبَ هاهنا¹ : [من المتقارب]

صوت

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ
إِذَا سَلَكَتْ غَمْرَ ذِي كَنْدَةٍ مَعَ الصَّبْحِ قَصْدٌ لَهَا الْفَرْقَدُ²
عِرَاقِيَّةٌ ، وَتِهَامِي الْهَوَى يَغُورُ بِمَكَّةَ أَوْ يُنْجِدُ
وَحَثَّ الْحِدَاةُ بِهَا عِيْرَهَا سِرَاعاً إِذَا مَا رَوَّتْ تَطْرُدُ
هُنَالِكَ إِمَّا تُعْزِي الْفَوَادَ وَإِمَّا عَلَىٰ إِثْرِهَا تَكْمُدُ
وَلَيْسَتْ بِبَذْعٍ إِذَا دَارُهَا نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أَجْلَدُ³
صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّىٰ عِلْمِ تِ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمُورِدُ
وَجَرَيْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّىٰ عَرَفَ تِ مَا أَتَوْقَىٰ وَمَا أَحْمَدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ النَّبَا حِ وَالضَّوْءِ ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
[نَأَيْنَا عَنْ الْحَيِّ حَتَّىٰ إِذَا تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْفِدُ]⁴
بَعَثْنَا لَهَا بَاغِيّاً نَاشِداً وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةً مِّنْ يَنْشُدُ
أَتْنَا تَهَادَىٰ عَلَى رَقَبَةٍ مِنَ الْخَوْفِ أَحْشَاوَهَا تُرْعَدُ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْداً بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
لَمِمَّا شَقَائِي تَعَلَّقْتُكُمْ وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَكُمْ مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوَابِقُ مِنْ عِبَرَةٍ عَلَى الْخَدِّ يَجْرِي بِهَا الْإِثْمَدُ
فَإِنَّ التِّي شَيَعَتْنَا الْغَدَاةَ مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ
كَأَنَّ أَقَاجِيَّ مَوْلِيَّةً تَحْدَرُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ نَدِي⁵

غَنَّى مَعْبُدٌ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ مِنَ الْآيَاتِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مِنْ أَصْوَاتٍ قَلِيلَاتٍ الْأَشْبَاهُ

عَنْ إِسْحَاقَ . وَغَنَّى فِيهَا أَشْعَبُ الْمَعْرُوفُ بِالطَّامِعِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَلِلْغَرِيضِ فِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوَّلِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى⁶ عَنْ عَمْرٍو . وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ وَهُوَ :

1 ديوان عمر : 90-92 في فاطمة بنت الأشعث .

2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكة .

3 وليست يبدع إذا في ل : وليست نزوعاً لئن .

4 سقط البيت من ل .

5 في البيت إقواء ، ولعله دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .

6 ل : بالبنصر .

وكفّت سوابق من عبّرة

ثم الأول والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكي . ولمالك ، ويقال إنه لمعبد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي . وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي . وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رَمَلٌ بالبصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسَّبَّابة في مجرى البصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه . وفي الرابع والخامس رَمَلٌ لمعبد عن ابن المكي ، وقيل : إنه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشامي . وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رَمَلٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأول والثاني رمل من كتابه . ولعلّية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيلٌ أول . ولابن مسجج في الثاني عشر والأول رَمَلٌ ، ويقال إنه للرطاب ، وذكر حبش أنه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى معبد وإلى يحيى المكي ، وزعم حبش أن فيها رَمَلًا بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أن في :

تَشْطُّ غَدًا دارُ جيراننا

خمسة أَلحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عُرِفَ صحته من الغناء فيه سبعة أَلحان : ثقيل أول ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورَمَلٌ ، وخفيفه . أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المزيان أن الذي أحصي فيه إلى وقته ستة عشر لحنًا . والذي وجدته فيه ممّا جمعته ها هنا ، سوى ما لم يذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحنًا : منها في الثقيل الأول لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمَل سبعة ، وفي خفيف الرَّمَل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجّت فهِوِيَهَا وراسلها ، فواصلته ودخل إليها وتحدّث معها وخطبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تزوّجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بُدَيْحًا]

أخبرني بهذا الخبر الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بديحاً يقول : حجّت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدّها أن يتلقّاها مساء الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يُرسل رسولاً ، يُعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدّها . قال بُدَيْح : فلم أشعر به إلا مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، انتِ بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها ؛ فأبيتُ أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فغَيَّب بغلته عني ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زُقاق الحاج . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأنته لموعده ؛ وذلك قوله :

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشداً ينشد

قال بديح : فلما رأيته مقبلةً عرفتُ أنّه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك :

فهذا سحرُك النسوا ن ، قد خبرتني خبرك

قد سَحَرْتَنِي¹ وأنا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبليّة . قال : وحدّثها بحديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهذام² مولى الرّبّعيين عن أبي الحارث بن عبد الله الرّبّعيّ قال : لقي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أهدّحك ابن أبي ربيعة أنّه قُرشيّ ؟ فقال بُدَيْح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحيه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إن من تغايى لك ليغيب عنك ، فقد ضمت عليه قبضتك إن كان لك ذهنٌ ، أمّا رأيت لمن كانت العاقبة ؟ والله ما بالي ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر الحاربيّ : أنّ فاطمة بنت محمد بن الأشعث حَجَّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حَجَّت بنتُ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح] ، وكانت معها أمّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها : [من المتقارب]

تَشْطُ غداً دارُ جيراننا ولَدَارُ بعدَ غداً أبعدُ

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعل الصواب «أبو الهذام» .

وذكر القصة¹ بطولها . قال : وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه سترًا رقيقًا تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشده ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفّها الشعر فرفعت السّجف ، فرأى وجهًا حسنًا في جسم ناحل ، فخطبها وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار ، فأبت وحجبتّه وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنّ الفتاة غمّها ذلك ، فقالت لها أمّها : قد قتلك الوجد به فتزوّجيه . قالت : لا والله لا يتحدث أهل العراق عني² أنّي جئتُ ابن أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوّجته . قال : ويقال : إنّها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأجمر³ بيته وأعطى المشرّ مائة دينار ، فأته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلمّا صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيّعها⁴ :

صوت

قال الخَلِيطُ غداً تصدّعنا	أو بعده ، أفلا تُشيّعنا
أما الرّحيلُ فدونَ بعد غدٍ	فمتى تقول الدارَ تجمّعنا
لنشوقنا هندٌ وقد علمتْ	علماً بأنّ البين يُفرّقنا ⁵
عجباً لموقفنا وموقفها	وسمّع تربّيها تُراجعنا !
ومقالها سرّ ليلةً معنا	نعهّد فإنّ البين فاجعنا ⁶
قلتُ العيونُ كثيرةٌ معكم	وأظنّ أنّ السّير مانعنا
لا بل نزوركم بأرضكم	فيطاعُ قائلكم وشافعنا
قالتُ أشيء أنت فاعله	هذا لعمرك أم تخادعنا ؟
بالله حدّث ما تؤمّله	واصدّق فإنّ الصّدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعد له	إخلافٌ موعده تقاطعنا

الغناء لابن سريج ثقیلٌ أولٌ مطلقٌ في مجرى البصر عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّه للغريض بالوسطى . وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشاميّ ، وذكر حبش أنّه لموسى شهوات .

1 ل : القصيدة .

2 ل : خلفي .

3 أجمر البيت : بثّ فيه بخوراً .

4 ديوان عمر : 434 .

5 يفرّقنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم) .

6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمحية]

ومنها مما لم يُنسب أيضاً :

[من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَكَ¹
وقُولِي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلِي عُمَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
أهذا سِحْرُكَ النِّسْوَ نَ ، قد خَبَّرْنِي خَبْرَكَ²

غنى فيها ابن سريج خفيف رمل بالنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنه للغريض . وفيها للمالك خفيفٌ ثقيلٌ عن ابن المكي . وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأنَّ هذه الأبيات لعمَرَ من قصيدة رائية موصولة الرّاءات بالفي ، إلا أنَّ المغنين غَيَّرُوا هذه الأبيات في هذين اللّحنين ، فجعلوا مكان الألف كافاً ؛ وإنما هي :

[من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَا
وأوّل القصيدة³ :

[من مجزوء الوافر]

صوت

تَصَالَى القلبُ وادَّكَرَا صباهُ ولم يكن ظهراً
لزينبَ إذ تُجِدُّ لَنَا صفاء لم يكن كديراً
أليستُ بالتي قالتُ لمولاةٍ لها ظهراً
أشيري بالسَّلام له إذا هُوَ نَحُونَا خَطْراً
لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَا
وقُولِي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلِي عُمَرَا
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذَا أَمْرَا !
أهذا سِحْرُكَ النِّسْوَ نَ ، قد خَبَّرْنِي الْخَبْرَا

غنى ابنُ سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البَصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى أنه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان . وللغريض في الأوّل من الأبيات لحن من

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدتي سحراً» .

2 سحرِك في ل : خدعك .

3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدَرُ الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما¹ :

طَرَبْتُ وَرَدَّ مَنْ تَهْوَى جِمَالُ الْحَيِّ فابْتَكِرَا
فَقُلْ لِلْمَالِكِيَّةِ لَا تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا²

وذكر يونس أن لمبعد في هذا الشعر الذي أوله :

تَصَابِي الْقَلْبُ وَادْكِرَا

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشامي³ : أن أحدهما خفيف ثقيل والآخر رمل . وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رمل⁴ لدحمان عن الهشامي ، قال : ويقال إنه لابنه الزبير . وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجُمَحِي .

أخبرني بذلك محمد بن خَلَفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْعَامِرِيِّ . وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزُّهْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَمْرَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : شَبَّ⁵ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بَزِينَةَ بِنْتُ مُوسَى الْجُمَحِيَّةِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا⁶ :

صوت

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَأَلْمَا الْعَدَاةَ بِالْأَطْعَانِ⁵

لَا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبَ إِنَّ الْ قَلْبَ رَهْنٌ بِآلِ زَيْنَبَ عَانِي

مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرُ الْمَوْ قِفَ مِنْهَا بِالْخَفِيفِ إِلَّا شَجَانِي

غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالنصر عن عمرو :

لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا غَيْرَ مَا قَلْتُ مَارِحًا بِلِسَانِي

هِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوُدِّ مِنِّي وَإِلَيْهَا الْمَهْوَى فَلَا تَعْدُلَانِي

حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَى مِنْ قَطِينٍ مُؤَلَّد : حَدَّثَانِي⁶

1 انظر الديوان : 193-194 .

2 للمالكية في ل : للبربرية .

3 ل : نسب .

4 ديوان عمر : 416 .

5 ملام في ل : م الملام .

6 لأختها في ل : لتربها .

كيفَ لي اليومَ أن أرى عُمَرَ المُرَّ سِلَّ سِرّاً في القولِ أن يُلْقاني ؟
 قالتا : نَبْتَغِي رسولاً إليه ونُمِيتُ الحديثَ بالكِتمانِ
 إنَّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها كالمُعَمَّى عن سائرِ النِّسوانِ¹
 [عمر وابن أبي عتيق]

قال : وكان سببُ ذكره لها أن ابنَ أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فاطَّراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّ بها ؛ فبلغ ذلك ابنَ أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتَنطِقُ الشعرَ في ابنةِ عمِّي ؟ فقال عمر² : [من الخفيف]

صوت

لا تَلْمِني عتيقُ حَسبي الذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كَفاني
 لا تَلْمِني وأنتَ زَيْنُتها لي أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ
 إنَّ بي داخلاً من الحبِّ قد أُدِّ لى عِظامي مكنونهُ وبِراني
 لو بعينيك يا عتيقُ نَظَرْنَا ليلةَ السَّفحِ قَرَّتِ العينانِ
 إذ بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّ رٍّ وفَصْلٌ فيه من المَرْجانِ
 قد قَلَى قلبي النساءُ سواها غيرَ ما قَلْتُ مازحاً بلساني³

وأول هذه القصيدة :

إنَّني اليومَ عاد لي أحزاني وتذكَّرتُ ما مضى من زماني⁴
 وتذكَّرتُ طَبيَّةً أمَّ رِئِمٍ هاج لي الشوقَ ذِكْرُها فشجاني⁵
 غنَّى أبو العنيس بن حمدون في «لا تلمني عتيق . . .» لحناً من الثقيل الأول المطلق . وفيه رملٌ طنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحرَّميُّ قال حدَّثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

يا خليلي مِ الملام دعاني وألِّمَّا الغداةَ بالأطعانِ

1 كالمُعَمَّى في الديوان : كالمُعَمَّى .

2 ديوان عمر : 417 .

3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .

4 وتذكَّرتُ ما مضى في الديوان : وتذكَّرتُ ميعتي .

5 أم رِئِم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينب إنّ الـ قلبَ رهنٌ بآل زينب عاني
... القصيدة . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهميَّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي
عتيق وقيل له : إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا
أقرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هُصَيْنٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا
أبا وداعة أن يُعِظَ من سمرقندَ على أهل عدن !

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدثني عمِّي
عمران بن عبد العزيز قال : شَبَّ عمر بن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى في أبياته التي يقول
فيها :

لا تلوما في آل زينب إنّ الـ قلبَ رهنٌ بآل زينب عاني
فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبُك فقد عُيِّبَ عَنَّا ، وأمّا لسانُك فشاهدٌ عليك .
قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عدَلَ ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره
زينب في شعره ؛ فقال عُمر :

لا تَلْمَني عتيقُ حَسبي الذي بي إنّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زينتها لي
قال : فبدره ابن أبي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربُّ البيتِ قلته . فقال ابن أبي عتيق : إنّ شيطانك وربُّ
القبر¹ ربّما أَلَمَ بي ، فيجدُ عندي من عَصِيانِهِ خِلافَ ما يجدُ عندك من طاعته ، فيُصِيبُ مِنِّي
وأصِيبُ منه .

أخبرني الحُرَاميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني قُدّامة بن
موسى قال : خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرَة ، فلمّا كنتُ بِسَرَفٍ² لقيني عمر بن أبي ربيعة على
فرس فسَلَّمَ عليّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجّهاً يا أبا الخطّاب ؟ فقال : ذُكِرَتْ لي امرأةٌ من
قومي بَرَزَة الجمال ، فأردت الحديث معها . فقلت : هل علمت أنّها أُختي ؟ فقال : لا !
واستحيا وثنى عُنقَ فرسه راجعاً إلى مكّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمريّ عن لَقِيط بن

1 يعني قبر الرسول ﷺ .

2 سرف : موضع قريب من مكّة .

بكر المحاربى قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر¹ :

[من الطويل]

صوت

مَنْ لَسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ لَزِينَبَ نَجَوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
أَقُولُ لِمَنْ يَنْغِي الشُّفَاءَ مَتَى تَجِيءُ بَزِينَبَ تُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَنْتَ لَامِسُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَشْفِ مِنْ سَقَمِي بِهَا فَإِنِّي مِنْ طِبِّ الْأَطْبَاءِ آيسُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لَزِينَبَ حَتَّى يَعْلُوَ الرَّأْسَ رَامِسُ
فَلَمَّا بَدَتْ قَمَرَاوُهُ وَتَكَشَّفَتْ دُجَّتُهُ وَغَابَ مَنْ هُوَ حَارِسُ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ
نَجِيئِينَ نَقْضِي اللَّهْوَ فِي غَيْرِ مَأْتَمٍ وَإِنْ رَغِمَتْ مِنَ الْكَاشِحِينَ الْمَاعِطِسُ

قال : فقال ابن أبي عتيق : أمنا يسخرُ ابن أبي ربيعة فأيُّ مَحْرَمٍ بقي ؟ ثم أتى عمرَ فقال له :
يا عمرُ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّكَ مَا أَتَيْتَ حَرَامًا قَطُّ ؟ قال بلى ! قال : فأخبرني عن قولك : [من الطويل]

كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأخبرنَّك ! خرجتُ أريدُ المسجدَ وخرجتُ زينبُ تريده ، فالتقينا
فأتعدنا لبعض الشعاب ، فلما توسَّطنا الشَّعْبُ أخذتنا السماء ، فكرهتُ أن يُرى بشيائها بللُ
المطر ، فيقال لها : أَلَا استترتِ بِسَقَائِفِ المسجدِ أَنْ كُنْتَ فِيهِ ، فأمرتُ غِلْمَانِي فسترونا بِكِسَاءٍ
خَزٍّ كَانَ عَلَيَّ ؛ فذلك حين أقول :

كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ لَابِسُ²

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة !

الغناء في هذه الأبيات التي أولها :

[من الطويل]

مَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ

لِرَذَاذٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ ؛ وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدَّعي أنه له ، ولم يُصدِّق .

أخبرني الحرَّمِيُّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن

الماجشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى³ :

[من الخفيف]

1 ديوان عمر : 217 .

2 الثوب في ل : من اثواب .

3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينبَ الإعراضُ للتعدي وما بها الإبغاض¹
 ووليدَيْنِ كان عُلَّقَها القلْد ب² إلى أن علا الرؤوسَ بياض²
 جبلها عندنا متينٌ وحَبْلِي عندها واهِنُ القوي أنقاض³

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحَرِّزٍ خفيف رَمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وقال الهشامي : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لما قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدْعَ للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني
 قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتَ لها بالموْدَة ، وللنساء بالدهْفشة . قال : والدهْفشة : التَّجْمِيشُ
 والخديعة بالشَّيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهْقشة ، مكان الدهْفشة .
 ومما قاله عمر في زينب وغنيَّ فيه قوله³ : [من الخفيف]

صوت

أُيِّها الكاشِخُ المعيرُ بالصُر م تَزَحَّزْخُ فما لها الهِجْرانُ
 لا مُطاعٌ في آل زينبَ فارجعُ أو تَكَلِّمْ حتَّى يَمَلَّ اللِّسانُ
 نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمسي ثم يُخْفِي حديثنا الكِتمانُ
 كيف صَبْرِي عن بعضِ نَفْسِي وهل يَصُدُّ بَرُّ عن بعضِ نَفْسِي الإنسانُ !
 ولقد أشْهَدُ المحدثَ عند الـ قَصُرَ فيه تَعَفُّفٌ وِيانُ
 في زمانٍ من المعيشة لَدُنْ قد مضى عَصْرُهُ وهذا زمانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير . وذكر يونس أن فيه لحناً لابن مُحَرِّزٍ ولحناً لابن عباد الكاتب ، أوّل لحن ابن عباد الكاتب :

لا مُطاعٌ في آل زينبَ

وأوّل لحن ابن مُحَرِّز :

ولقد أشْهَدُ المحدثَ

1 وما بها في د : وما بنا .

2 بياض في د : البياض .

3 ديوان عمر : 420-421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

وَمَا غَنَى فِيهِ لَابِنٌ مُحَرِّزٌ مِنْ أَشْعَارِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ مُوسَى
قوله¹ :

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَلَفٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةٍ النَّظَرِ
تمشي الهوينا إذا مشتَ فضلاً وهي كمثل العسلوج في الشجر²
للغريض في هذين البيتين خفيف رملٍ بالوسطى ، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي
وحبش : [من المنسرح]

ما زال طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزَتْ
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا
ما إن طَمِعْنَا بِهَا وَلَا طَمِعْتُ
بِيضاً حَسَاناً خَرَائِداً قُطُفَاً
قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعَا
يُنْصِتْنَ يَوْمًا لَهَا إِذَا نَطَقَتْ
قَالَتْ لِيَرْبٍ لَهَا تُحَدِّثُهَا
قُومِي تَصَدِّيْ لَهُ لِيَعْرِفْنَا
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى
مَنْ يُسْقَ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا
حتى رأيتُ النقصانَ في بَصَرِي
يمشيان بين المقامِ والحجرِ
حتى التقينا ليلاً على قَدَرٍ
يمشيان هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقْرِ
وفُزْنَ رِسْلًا بِالْذَّلِّ وَالْخَفَرِ
كَيْمًا يُشْرِفُنَهَا عَلَى الْبَشْرِ
لِنُفْسِيدِنَ الطَّوَافِ فِي عُمَرِ
ثم اغمزيه يا أخت في خَفَرٍ
ثم اسبَطَرْتُ تَسْعَى عَلَى أَثَرِي³
يُسْقَ بِمِسْكِ وَبَارِدٍ خَصِيرِ⁴
[غنى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وغنى فيه ابن سريج
رَمَلًا بالبنصر عن الهشامي وحَبَشَ] .
[ومنها]⁵ :

صوت

أَلَا يَا بَكْرُ قَدْ طَرَقَا خِيَالُ هَاجٍ لِي أَرْقَا⁶

1 ديوان عمر : 68-69 .

2 فضلاً في ل : قطفاً .

3 اسبطرت : أسرع .

4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى بريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .

5 ديوان عمر : 269-270 .

6 أرقاً في د : الأرقا .

لزينب إنها همّي فكيف بجبلها خلّقا
خدلّجة إذا انصرفت رأيت وشاحها قلّقا
وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مُختنقا
إذا ما زينب ذُكرت سكبت الدمع مُتسقا
كأنّ سحابة تهمّي بماء حُمّلت غدقا

الغناء لحنين رمل عن الهشامي . وفيه لابن عباد خفيف ثقيل ، ويقال : إنه ليونس . ومما قاله [فيها] أيضاً وغني فيه :

صوت¹

ألمّ بزینب إنّ البینَ قد أفدا قلّ التواء لئن كان الرّحيلُ غدا²
قد خلّفت ليلة الصّورين جاهدة وما على المرء إلاّ الحلفُ مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصيفها لقد وجدتُ به فوق الذي وجدا³
لو جمّع الناسُ ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم أعدِلْ به أحدا

الغناء لابن سريج رمل بالسّبابة والبنصر في الأوّل والثاني عن يحيى المكيّ ، وله فيه أيضاً خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو ، ولمعبد ثقيل أوّل في الأوّل والثاني عن الهشامي . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى الغريض ومالك .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفان عن إسحاق عن مصعب الزبيريّ قال : اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقن إليه وتمنّينه . فقالت سَكينة : أنا لكنّ به ؛ فبعث إليه رسولا أن يوافي الصّورين⁴ ليلة سَمَتها ، فوافاهنّ على رواجله ، فحدّثهنّ حتى طلع الفجر وahan انصرفهنّ . فقال هنّ : والله إنّني لاحتاجُ إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكنّي لا أخلط بزيارتكنّ شيئا . ثم انصرف إلى مكّة وقال في ذلك :

ألمّ بزینب إنّ البینَ قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدمة .

أعود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال : أنشد جرير قول عمر بن

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : قرب ودنا .

3 المناصف : الخدم .

4 الصوران : موضع بيقع المدينة .

أبي ربيعة¹ :

[من الخفيف]

صوت

سائلا الربعَ بالبليِّ وقولا
هيجت شوقاً لي الغداة طويلاً²
أين حيّ حلوك إذ أنت مخفو
فبهم أهلاً أراك جميلاً ؟
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا
وبرغمي لو استطعت سبيلاً
سئموننا وما سئمنا مقاماً
وأحبوا دماً وسهولاً

فقال جرير : إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى ، والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أن فيها رملًا ثالثاً بالوسطى لابن جامع . وقال الهشامي : فيها ثلاثة أرمال لابن سريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العباس بن حمدون فيها ثاني ثقل . وفيها هزج لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال : وجدت كتاباً بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذ صاحب المروى أن النصب قال : عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال .

أخبرني الطوسي : قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مضع قالت : سمعت جدك³ يقول وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة⁴ :

صوت

يا ليتني قد أجزتُ الحبلَ نحوكم
حبلَ المعرفِ أو جاوزتُ ذا عُشرٍ
إنَّ الثَّواءَ بأرضٍ لا أراكِ بها
فاستيقنيه ثَواءَ حقِّ ذي كَدَرٍ
وما ملّلتُ ولكن زاد حُبُّكم
وما ذكرتُك إلا ظِلْتُ كالسِّدْرِ⁵
ولا جدّلتُ بشيءٍ كان بعدكم
ولا منحتُ سِواك الحبَّ من بشرٍ

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسلام بن الغساني رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وفقاً النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجنسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .

2 البلي : اسم تل .

3 ل : خالي .

4 ديوان عمر : 145 .

5 السدر : المتحير .

الآيات :

[من البسيط]

أَدْرِِي الدَّمُوعَ كَذِي سَقَمٍ يُخَامِرُهُ وَمَا يُخَامِرُنِي سَقَمٌ سِوَى الذِّكْرِ
 قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْدَى تَذَكُّرِكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ
 قالت : فقال جَدَّكَ : إِنَّ لَشَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ لَمَوْقِعًا فِي الْقَلْبِ ، وَمَخَالَطَةً لِلنَّفْسِ لَيْسَا
 لغيره ، وَإِنْ كَانَ شَعْرٌ يَسْحَرُ لَكَانَ شَعْرُهُ سَحْرًا .

أخبرني، الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عِمَامَةُ بْنُ عَمْرِو¹ قَالَ : رَأَيْتُ عَامَرَ بْنَ صَالِحِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِيِّ يَسْأَلُ الْمُسَوَّرَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ شَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ
 لَهُ شَيْئًا لَا يَعْرِفُهُ ، فَيَسْأَلُهُ أَنْ يُكَيِّبَهُ إِيَّاهُ فَيَفْعَلُ ، فَرَأَيْتُهُ يَكْتُبُ وَيُدْهِ تَرْعَدُ مِنَ الْفَرَحِ .
 [مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني، الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَمَّةِ
 يُوسُفَ قَالَ : ذَكَرَ شَعْرُ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ وَشَعْرُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ فِي مَجْلِسِ
 رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ : صَاحِبُنَا ، يَعْنِي الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ ، أَشْعَرُهُمَا .
 فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : بَعْضُ قَوْلِكَ يَا ابْنَ أَخِي ، لِشَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ لَوُطَةٌ² فِي الْقَلْبِ ،
 وَغُلُوقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَتْ لِشَعْرِ ، وَمَا عَصَى اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ بِشَعْرِ أَكْثَرَ مِمَّا عَصَى
 بِشَعْرِ ابْنِ بِي رِبِيعَةَ ، فَخُذْ عَنِّي مَا أَصِيفُ لَكَ : أَشْعَرُ قَرِيشَ مَنْ دَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلُطْفٌ مَدْخَلُهُ ،
 وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ ، وَمَتْنٌ حَشْوُهُ ، وَتَعْطُفٌ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتُ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ حَاجَتِهِ . فَقَالَ
 الْمَفْضَلُ لِلْحَارِثِ : أَلَيْسَ صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ³ :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يُوودُهَا الْعَقْلُ⁴
 لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
 فَيَكَاذُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحِلُّ⁵
 لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، اسْتَزُّ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاكْتُمْ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تُشَاهِدِ
 الْحَافِلَ بِمَثَلِ هَذَا ؛ أَمَّا تَطَيَّرَ الْحَارِثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رِبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافِلَهُ ! مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ

1 ل : عمرو .

2 لوطه : تَلَقَّ والتصاق ؛ ويقال : نوطه والمعنى واحد .

3 ديوان - مارت 77-78 .

4 يوودها : يثقلها .

5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبة للربيع من صاحبك ، أجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربيع بالبلبي وقولا هيجت شوقاً لي الغداة طويلاً

وذكر أبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خجلاً مُدْعِئاً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباع]

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين ، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ؛ وإنما لُقّب القُباع لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّه البصرة ، فرأى مكيالاً لهم فقال : إنّ مكيالكم هذا لقُباع ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلقّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال : استمع ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لقُباع ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدؤلي ، وقد عتب عليه ، يهجوه ويُخطب ابن الزبير :

أمر المؤمنين جُريتَ خيراً أرخنا من قُباع بني المُغيرة
بلوناه ولُمناه فأعيا علينا ما يُمرُّ لنا مَريّة
على أنّ الفتى نكحَ أكوّل وولّا جُ مذهبُه كثيره

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبلَ منه ، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحجج وأُئين¹ مخافة أن يهيجَه مقامُه بمكة على قول الشعر . فطُرب يوماً فقال² :

[من البسيط]

صوت

هيئتَ من أمةِ الوهّاب منزلُنا إذا حللنا بسيفِ البحر من عَدَنٍ³

1 لحج وأئين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413-414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلَّ أهْلُكَ أَجْيَاداً وليس لنا
لو أَنَّهَا أَبْصَرْتُ بِالْجَزْعِ غَيْرَتَهُ
إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَنْتُ بِصَاحِبِهَا
مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا
وَقَوْلَهَا لِلثَّرِيَا وَهِيَ بَاكِئَةٌ
بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتَ بِهَا
فَمَا أَخَذْتَ بَتْرَكَ الْحَيِّجِّ مِنْ ثَمَنِ

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتك وغدر . قال : وقال ابن جريج⁴ : ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشدّاً يُنشدُّ قوله :
[من البسيط]

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتَ بِهَا
فَمَا أَخَذْتَ بَتْرَكَ الْحَيِّجِّ مِنْ ثَمَنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكة ، فخرجتُ مع الحاجِّ وحجّجت .
غنّى في أبيات عمر هذه ابن سريج ، ولحنه رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ في مجراها عن إسحاق . وفيها
للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

[عمر مع الوليد يعرفه أحوال الطائف]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان قال حدّثني إسحاق عن السعدي⁵ قال : قدِمَ
الوليد بن عبد الملك مكة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رجلٍ علِمَ بأموال الطائف
فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمرُ بن أبي ربيعة . قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له
فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ثم ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه
يحدّثه ، ثم حرّك عمرُ رداءه ليُصلّحه على كتفه ، فرأى على منكبيه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟
فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالةٍ من عند جاريةٍ أُخرى ، فجعلتُ تُسارّني ،
فغارت التي كنتُ أحدثها فعضّتْ منكبي ؛ فما وجدتُ أَلَمَ عَضِّهَا مِنْ لَذَّةٍ مَا كَانَتْ تِلْكَ تَنْفُثُ

1 أجياد : مكان بمكة .

2 سنن : طرق .

3 ظفرت في ل : رضيت .

4 ل : ابن جبر .

5 ل : السعدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلما رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .
[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكريّ وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه قال : دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق ؛ فإنه لمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه فردّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَنْ أشعرُ : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفلٌ : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبنا¹ :

خليليّ ما بال المطايا كأنّما نراها على الأدبار بالقوم تنكّصُ
وقد قطّعتْ أعناقهنّ صباةً فأنفسنا ممّا يلاقين شخّصُ
وقد أتعب الحادي سُرَاهنّ وانتحي بهنّ فما يألُو عَجولٌ مُقلّصُ²
يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شوقنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ
ويقولُ صاحبك ما شئتَ . فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشعرُ في الغزل ، وصاحبنا أكثرُ أفانينَ شعر . فقال سعيد : صدقتَ . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقّد بيده حتى وفّى مائةً . فقال البكريّ في حديثه عن عبد الجبار ، قال مُسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاًّ هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه .
[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثَّقَفيّ : أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قولُ جميل³ :

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعودُ
وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة⁴ :

[من البسيط]

1 ديوان عمر : 218 .

2 مقلّص : مشمّر ثيابه .

3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .

4 ديوان عمر : 100 .

كَأَنَّنِي حِينَ أُمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَتَغَيَّ مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
فَقَالَ الْوَلِيدُ : حَسْبُكَ وَاللَّهِ بِهَذَا ! أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِهِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ : [من الرمل]

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاتَمَرٌ أَمَرَ رَشِيدٌ مُؤْتَمَنٌ
قَالَ : شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ ، وَجَمِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُدْرِيِّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا
بِالْأَبْطَحِ ؛ فَأَنْشَدَ جَمِيلٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من الطويل]

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُثَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوِّيِّ شَيْئًا ؟ قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْشَدْنِيهِ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ² : [من الطويل]

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	فَقَرَّ بَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي ³
فَطَارَتْ بَحْدًا مِنْ فَوَادِي وَقَارَنْتِ	قَرِينَتَهَا حَبْلَ الصَّفَاءِ إِلَى حَبْلِي ⁴
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا	كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدْوُكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا	قَرِيبُ الْمَاءِ تَسَامِي مَرْكَبَ الْبَغْلِ
فَقَالَتْ فَمَا شِئْنُ قَلْبِ لَهَا أَنْزَلِي	فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
نُجُومٍ دَرَارِيٍّ تَكْنُفْنَ صُورَةَ	مِنَ الْبَدْرِ وَافَتْ غَيْرُ هُوجٍ وَلَا عُجَلٍ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى	عَدُوٌّ مُقَامِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فَعْلِي
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا	مَعِيَ فَتَكَلَّمْتُ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهَا مِنْ تَرَقُّبٍ	وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا	وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذِي الشَّكْلِ ⁵

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان عمر : 293-294 .

3 الحصاب أو الخصب : موضع رمي الجمار .

4 فوادي في ل : سهامي .

5 الشكل : الدل .

عَرَفَنَ الذي تَهْوَى فقلن آتَدْنِي لَنَا نَطْفُ سَاعَةً فِي بَرْدِ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ¹
 فَقَالَتْ فَلَا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثِي أَتَيْنَاكِ ، وَانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ
 وَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا أَتَيْنَ الذي يَأْتِيَنَّ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
 فقال جميلٌ : هيهاتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ اللَّيَالِي² ، وَاللَّهِ مَا يُخَاطِبُ النِّسَاءَ مَخَاطِبَتَكَ أَحَدٌ . وَقَامَ مُشْمَرًا .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمِّي مُصْعَبُ : كَانَ عَمْرُ يُعَارِضُ جَمِيلًا ؛ فَإِذَا قَالَ هَذَا قَصِيدَةً قَالَ هَذَا مِثْلَهَا . فَيَقَالُ : إِنَّهُ فِي الرَّائِيَةِ وَالْعَيْنِيَّةِ أَشْعَرُ مِنْ جَمِيلٍ ، وَإِنْ جَمِيلًا أَشْعَرُ مِنْهُ فِي اللَّامِيَّةِ ، وَكِلَاهُمَا قَدْ قَالَ بَيْتًا نَادِرًا ظَرِيفًا ؛ قَالَ جَمِيلُ :

خَلِيلِيَّ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 وقال عمر :

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
 [حِينَ سَمِعَ الْفَرَزْدَقُ بَيْتًا لِعَمْرِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : سَمِعَ الْفَرَزْدَقُ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ يُنْشِدُ قَوْلَهُ :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
 [وَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ :

فَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا أَتَيْنَ الذي يَأْتِيَنَّ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي]
 صَاحَ الْفَرَزْدَقُ : هَذَا وَاللَّهِ الذي أَرَادَتْهُ الشُّعْرَاءُ فَأَخْطَأَتْهُ ، وَبَكَتْ عَلَى الدِّيارِ .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدتها عمر ، واستنشدته ما له في وزنها :

[من الطويل]

صوت

خَلِيلِيَّ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُوو فَضْلٍ³

1 تهوى قد تقرأ : تهوى .

2 سَجِيسَ اللَّيَالِي : أَبَدُ الدَّهْرِ .

3 الْهَلَاكِ : الْمُسَوِّكُونَ أَوْ طَالِبُو الْمَعْرُوفِ .

أَفِقْ أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعْ عَنْكَ «جُمْلًا» لَاسَبِيلَ إِلَى جُمْلٍ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يُغنى به فيها لمبعد . وذكر يحيى المكي : أن لابن مُحرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبِنصر . وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبِنصر يمانٍ عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طنبورة خفيف رملٍ عن الهشامي . وفيها لإسحاق ثقيلٌ أولٌ عن الهشامي أيضاً . وذكر حمادٌ عن أبيه : أن لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً ، ولم يُجنِّسه . وذكر حبشٌ أن الثقيل الأول لابن طنبورة . ومنها في شعر جميل أيضاً :

[من الطويل]

صوت

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتُ حَبْلِي بُثْنَةً أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبَخْلِ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
الغناء لابن مِسَجَحٍ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن الهشامي .

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر :

[من الطويل]

صوت

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثْتُ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهْمٍ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِ

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ، ولحنه رملٌ مُطلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر يونس : أن فيه لحناً للمالك لم يُجنِّسه ، وذكر الهشامي : أن لحن مالك خفيف ثقيل . وذكر حبشٌ : أن لمبعد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبِنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . [وليس حبشٌ ممن يُعتمد في هذا على روايته] .

[رأي مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال : أدركتُ مَشِيخَةً مِنْ قَرِيشٍ لَا يَزِنُونَ بِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ شَاعِراً مِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ فِي النَّسِيبِ ، وَيَسْتَحْسِنُونَ مِنْهُ مَا كَانُوا يَسْتَقْبَحُونَهُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ مَدْحِ نَفْسِهِ ، وَالتَّحْلِي بِمَوَدَّتِهِ ، وَالابْتِيَارِ فِي شِعْرِهِ . وَالابْتِيَارُ : أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ فَيَذْكُرُهُ وَيَفْخَرُ بِهِ . وَالابْتِهَارُ : أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَفْعَلْ .

[نقد ابن أبي عتيق أبياتا لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله¹ : [من الرمل]

صوت

بينما يَنْعَتِنِّي أَبْصَرْتَنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَغْدُو بِي الْأَعْرَى
قالتِ الكبرى أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى قالتِ الوُسْطَى نعمَ هذا عمرُ
قالتِ الصغرى وقد تَيَمَّمْتُهَا قد عرفناه وهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيْجٍ خفيف رَمَلٍ بالْبَنْصَرِ . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدتها ، أنت لم تَنْسُبْ بها ، وإنما نَسَبْتَ بنفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ خَدِّي فوطِئْتُ عليه .

أخبرني الحرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَارٍ قال : لم يذهب على أحدٍ من الرواة أن عمر كان عفيفاً يَصِفُ ولا يقف² ، ويحوم ولا يَرِدُ .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حَدَّثَنَا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي ، وحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ قال حَدَّثَنَا أَبُو هَفَافٍ عن إِسْحَاقَ المَوْصِلِيِّ عن رجاله ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلَمَّا انصرف من الْحَجِّ أَلْفَى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمرُ فَسَلَّمَ عليه وجلس إليه . فقال له : أنشدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلَّ ما قلتُ وهما لك . قال : ائتني بهما ففعل ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

فطرب الوليدُ واهتزَّ لذلك ، فلم يزالا يُنشِدانه حتى قام ، فأَجَزَلَ صلاته وَرَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مميزات شعر عمر]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقَّب «كِيلَجَةَ» قال حَدَّثَنِي أَبُو هَفَافٍ قال حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بن إبراهيم المَوْصِلِيُّ عن مُصْعَبِ بن عبد الله الزبيري ، وأخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَارٍ عن عمِّه مصعب أنه قال : راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس

1 ديوان عمر : 174 .

2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظرائه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر ، وحُسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب
المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وإنطاق القلب ، وحُسن العزاء ، ومخاطبة
النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ،
وطُلاوة الاعتذار ، وفُتح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المساءة على العُدال ، وحُسن
التفجّع ، وبُخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصّفاء ؛ إن قدّح أوري ، وإن اعتذر أبرأ ،
وإن تشكّى أشجى ، وأقدم عن خبيرة ولم يعتذر بغيرة ، وأسرّ النوم ، وغمّ الطير ، وأغذ السير ،
وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وعصى وأخلى وحالف بسمعه
وطرفه ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحبّ وأسرّ ، وبطن به وأظهر ، وألحّ وأسفّ ،
وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذلّ صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ،
وأعلى قاتله ، واستبكى عادله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن منى ، وأهذر قتلاه ؛ وكان بعد هذا
كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله¹ :

صوت

فلما تواقفنا وسلّمتُ أشرقتُ وجوه زهاها الحسنُ أن تتقنأ
تبالهنّ بالعرفان لَمّا رأيتني وقُلنّ امرؤٌ باغٍ أكلٌ وأوضعا

الغناء لابن عبّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجنّسٍ عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قوله² :

لها من الرّيم عيناه وسُتته ونخوة السابق المُختال إذ صهّلا³

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله⁴ :

صوت

عُوجا نُحَيّ الطَّلَلُ المُخولا والرّبعَ مِنْ أسماء والمنزلا
بسايغِ البوّابة لم يعدّه تقادّم العهدِ بأن يُوهّلا⁵

1 ديوان عمر : 228 .

2 ديوان عمر : 308 .

3 ستنه في رواية : ولفتته .

4 ديوان عمر : 310 .

5 البوّابة : الفلاة .

الغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إِسْحَاق . قال إِسْحَاق بن إبراهيم : يعني أَنَّهُ لم يُوْهَل فيعدوه تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدينين : يُحْيِيهِ بَأَن يُوْهَل ، أَي يدعوه له بذلك .
ومن قصده للحاجة قوله¹ :

[من الخفيف]

صوت

أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ الثَّرِيَّا سُهَيْلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ²
هي شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
ويُروى : «هي غوريَّة» . الغناء للغريض خفيف ثَقِيل بالبصر عن عمرو وابن المكي .
ومن استنطاقه الربع قوله :

[من الخفيف]

صوت

سَائِلَا الرَّبْعَ بِالْبَلْيِ وَقُولَا هِجَتَ شَوْقًا لِي الْغَدَاةَ طَوِيلَا
أَيْنَ حَيٍّ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُو فَبِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلَا
قال ساروا فَاْمَعَنُوا وَاسْتَقَلُّوا وَبِرَغْمِي لَوْ قَدْ وَجَدْتُ سَبِيلَا
ويُروى :
سَيِّمُونَا وَمَا سَيِّمْنَا جَوَارًا وَأَحْبُوا دَمَانَةً وَسُهُولَا
فيه رَمَلَان : أحدهما لابن سُرَيْج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إِسْحَاق . والآخر
لِإِسْحَاق مطلق في مجرى البصر ، وفيه لأبي العَنَسِ ابن حمدون ثاني ثَقِيل . وقد شرحتُ
نسبته مع خبره في موضع آخر . قال إِسْحَاق : أَنشِدَ جَرِيرٌ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي
كُنَّا نَدُورُ عَلَيْهِ فَأَخْطَأْنَاهُ .
ومن إنطاقه القلب قوله³ :

[من المديد]

قال لي فِيهَا عَنِيْقٌ مَقَالًا فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدَّمُوعُ
قال لي وَدَّعْتُ سُلَيْمِي وَدَعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ : لَا أُسْتَطِيعُ
الغناء لِلْهُدَلِيِّ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن الهشامي . قال : وفيه ليحيى المكي ثَقِيلٌ أَوَّلُ نُسْبٍ
إِلَى مَعْبَدٍ وَهُوَ مِنْ مَنَحُولِهِ .

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

4 كتاب الأغاني - ج 1

ومن حسن عزائه قوله¹ :

[من الطويل]

أَلْحَقْتُ إِنْ دَارُ الرَّيَّابِ تَبَاعَدْتُ أَوْ انْتَبَتْ جِبْلٌ أَنْ قَلْبِكَ طَائِرُ
أَفِقْتُ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا الدَّ هَوَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرَّجَالِ الْمَرَائِرُ²
زَعِ النَّفْسَ وَاسْتَبَقِ الْحَيَاءَ فَإِنَّمَا تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّيَّابَ الْمَقَادِرُ³
أُمِيتْ حُبَّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا وَعِشْرَتَهَا كَمَثَلِ مَنْ لَا تُعَاشِرُ
وَهَبْهَا كَشْيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحٍ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
وَكَالنَّاسِ غُلِقَتْ الرَّيَّابُ فَلَا تَكُنْ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ حَاضِرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله «زَعِ النفس» لابن سريج ثقيل أول بالنصر عن عمرو .
وفيه لعمري الوادي رمل بالنصر عن ابن المكي . وفيه لـ «قُدَارٍ» لحن من كتاب إبراهيم غير
مُجَنِّس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير⁴ ، ويرويها الكوفيون للكميت بن
معروف الأسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره ؛ [ولكل فيها
أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة⁵ النساء ، قال مُصْعَبُ الزبيري : وقد أجمع أهل بلدنا ممن له
علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا ؛ قوله⁶ :

صوت

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقِينَا الرَّيَّابُ أَيَاذَا أَقْلَتَ أَفْوَلَ السَّمَاءِ
وَكَفَّتْ سَوَابِقُ مَنْ عَبْرَةٍ كَمَا ارْفَضَ نَظْمُ ضَعِيفُ السَّلَاكِ
فَقُلْتُ لَهَا مَنْ يُطِيعُ فِي الصَّدِيقِ أَعْدَاءَهُ يَجْتَنِبُهُ كَذَاكِ
أَغْرَكِ أَنِّي عَصَيْتُ الْمَلَامَ فَيْلُ وَأَنْ هَوَانَا هَوَاكِ
وَأَلَّا أَرَى لَذَّةً فِي الْحَيَاةِ تَقَرُّ بِهَا الْعَيْنُ حَتَّى أَرَاكِ
فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ مُكَارَمَتِي وَاتِّبَاعِي رِضَاكِ

1 ديوان عمر : 133 .

2 بالرجال في ل : بالرحيل .

3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .

4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .

5 ل : مخاطبته .

6 ديوان عمر : 287 .

فليت الذي لام في حُبكم وفي أن تُزاري بقرنٍ وقاك¹
هُموم الحياة واسقامها وإن كان حَتَفٌ جَهِيْزٌ فذاك
الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم . وقيل : إن فيه
لحناً آخر لابن جامع .
ومن عِفَّةٍ مقاله قوله² :

[من الخفيف]

صوت

طال ليلى واعتادني اليوم سقمُ
حرَّة الوجه والشمائل والجو
وأصابت مقاتل القلب نعمُ
هر تكليمها لمن نال غنمُ
م رخييم يشوب ذلك حلمُ
ليس لي بالذي تغيب علمُ
لست يا نعم فيهما من يدمُ
الغناء لابن سريج رملٌ عن الهشامي .
ومن قلة انتقاله قوله³ :

[من المديد]

صوت

أيها القائل غير الصواب
واجتنبي واعلم أن ستعصى
أمسك النصح وأقل عتابي
ولخير لك طول اجتنابي
دائم الغمر بعيد الذهاب⁴
عالم أفاقه رجع الجواب
فدع اللوم وكلني لما بي
عدلت للنفس برد الشراب
صادقاً أحلف غير الكذاب
عند قرب منهم واجتناب
هي والله الذي هو ربي
أكرم الأحياء طراً علينا

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .

2 ديوان عمر : 374 .

3 ديوان عمر : 60 .

4 الغمر : الحقد .

خاطبتني ساعةً وهي تبكي ثم عَزَّتْ خُلَّتِي في الخِطَابِ¹
 وكفى بي مِدْرَهَاءَ لخصومٍ لسواها عند حَدِّ تَبَائِي²
 الغناء لكَرْدَمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسبابة في مَجْرَى الوُسْطَى عن إِسْحاق في الأوَّل والخامس ثم
 الثاني والثالث . وفيه لمبعد خفيف ثَقِيل بالبنصر عن يَحْيَى المكي .
 ومن إثباته الحُجَّةُ قَوْلُهُ³ :
 [من الطويل]

خَلِيلٌ بَعْضَ اللوم لا تَرَحَّلَا به رفيقكما حتى تقولَا على عِلْمٍ⁴
 خَلِيلٍ مَنْ يَكْلِفُ بَآخَرَ كالذي كَلِفْتُ به يَدْمُلُ فَوَادًا على سَقَمٍ
 خَلِيلٍ ما كانت تُصَابُ مَقَاتِلِي ولا غِرَّتِي حتى وَقَعْتُ على نَعَمٍ
 خَلِيلٍ حتى لَفَّ حَبْلِي بِخَادِعٍ مُوقَى إِذَا يُرْمَى صَيُودٍ إِذَا يُرْمِي
 خَلِيلٍ لو يُرْقَى خَلِيلٌ من الهوى رُقِيتُ بما يُدْنِي النَّوَارَ من العُصْمِ
 خَلِيلٍ إِن بَاعَدْتُ لَأَنْتَ وَإِن أَلَنْ تُبَاعِدُ فلم أَتَبَلَّ بِجَرْبٍ ولا سِلْمٍ
 ومن ترجيحه الشكُّ في موضع اليقين قَوْلُهُ⁵ :
 [من الطويل]

صوت

نظرتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنِي ولي نظرتُ لولا التَّحَرُّجُ عَارُمُ
 فَقُلْتُ : أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بدتُ لك خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
 بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَنَوَلُّ أبوها وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ⁶
 وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيتُهَا على عَجَلٍ تُبَاعِهَا والخَوادِمُ
 فلم أُسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةَ رَاحَتٍ وَجْهَهَا والمعاصمُ
 مَعَاصِمُ لم تَضْرِبْ على الْبَهْمِ بالضُّحَى عَصَاهَا وَوَجْهَ لم تُلْحَهُ السَّمَائِمُ⁷

1 عَزَّتْ : بخلت .

2 المدرة : القوي الحجة .

3 ديوان عمر : 357 .

4 لا ترحلا به رفيقكما : لا تثقلا عليه به (أي باللوم) .

5 ديوان عمر : 348-349 .

6 بعيدة مهوى القرط : يعني أَنَّ عَنْقَهَا طویل .

7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضَار تَرَى فِيهِ أُسَارِيعَ مَائِهِ صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكُفُ النُّوَاعِمُ¹
 إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاکْتَفَنَهَا تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَاكِمُ
 طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْنَهُ نَزَعْنَ وَهَنَ الْمُسْلِمَاتِ الظُّوَالُمُ
 الغناء لمبعد ثقيلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي . وفيها لابن
 سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيلٌ
 بالوسطى عن الهشامي .
 ومن طلاوة اعتذاره قوله² :

صوت

عَاوَذَ الْقَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ مِنْ حَبِيبٍ أَمْسَى هَوَانَا هَوَاهُ
 يَا لِقَوْمِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَمَّنْ لَا تَرَى النَّفْسُ طَيْبَ عَيْشٍ سِوَاهُ
 أَرْسَلْتُ إِذْ رَأْتُ بَعَادِي أَلَّا يَقْبَلْنَ بِي مُحَرَّشًا إِنْ أَتَاهُ³
 دُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَقَالَةَ مِنَّا وَلِيُطْعِنِي فَإِنْ عِنْدِي رِضَاهُ
 لَا تُطْعِ بِي فَذَتَكَ نَفْسِي عِدْوًا لَحْدِيثٍ عَلَى هَوَاهُ افْتَرَاهُ
 لَا تُطْعِ بِي مَنْ لَوْ رَأَى وَإِيَّاكَ أَسِيرِي ضَرُورَةً مَا عَنَاهُ
 مَا ضِرَارِي نَفْسِي بِهِجْرِي مَنْ لِي س مُسِيئًا وَلَا بَعِيدًا ثَرَاهُ⁴
 وَاجْتَنَابِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَمَا الْخُلْدُ دُ بِأَشْهَى إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَرَاهُ

الغناء لمبعد خفيف ثقيلٌ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني
 ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى للهذلي . وفيه لابن مُحَرِّزٍ
 ثاني ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو ، وابتدأوه نشيداً أوله : «ما ضراري نفسي» . وقال الهشامي :
 وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنانٍ من الثقيل الثاني .
 [ومن نهجه العلل]

ومن نهجه العِلَلُ قوله⁵ :

[من المتقارب]

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .

2 ديوان عمر : 440 .

3 المحرش : المحرض .

4 ثراه في ل : نواه .

5 ديوان عمر : 91 .

وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنْ تَسْمَعِي إِذَا جِئْتُكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ¹
 فَرُحْنَا سِرَاعاً وَرَاحَ الْهَوَى دَلِيلاً إِلَيْهَا بِنَا يَقْصِدُ²
 فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرَسِ النَّبَا حِ وَالصَّوْتِ ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
 بَعَثْنَا لَهَا بَاغِيًا نَاشِدًا وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةٌ مِنْ يَنْشُدُ³
 وَقَدْ نُسِبَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى مَنْ غَنَّى فِيهَا مَعَ :
 تَشِيطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

ومن فتحه الغزل قوله² :
 [من الطويل]
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعُشْقُ وَلَمْ تَذَرِ مَا الْهَوَى فَكُنَّ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا
 ومن عطفه المساءة على العذال قوله³ :
 [من الخفيف]

صوت

لَا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
 لَا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْتُنَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي الْعَنْبَسِ ابْنِ حَمْدُونَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ مِنْ مَجْمُوعِ أَغَانِيهِ . وَفِيهِ رَمْلٌ طَنْبُورِيٌّ
 مُحَدَّثٌ . وَفِيهِ هَزَجٌ لِأَبِي عَيْسَى ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ .
 ومن حسن تفجعه قوله⁴ :
 [من الطويل]

صوت

هَجَرْتَ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَا اجْتَرَمَ وَقَطَّعْتَ مِنْ ذِي وَدُكَ الْحَبْلِ فَانصَرَمَ
 أَطَعْتَ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطِيعُ مَقَالَةً وَاشٍ يَقْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ⁵
 أَتَانِي رَسُولٌ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ شَفِيقٌ عَلَيْنَا نَاصِحٌ كَالَّذِي زَعَمَ
 فَلَمَّا تَبَاثَنَّا الْحَدِيثَ وَصَرَّحْتَ سَرَائِرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ كَتَمَ
 تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمُحَارَّشَ كَاذِبٌ فَعَنْدِي لَكَ الْعُتْبَى عَلَى رَغَمٍ مِنْ رَغَمٍ

1 ناشدًا ينشد في رواية : منشداً ينشد .

2 ديوان عمر : 118 .

3 ديوان عمر : 417 .

4 ديوان عمر : 356 .

5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فَمِلَانَ لُمْتُ النَّفْسَ بَعْدَ الَّذِي مَضَى وبعد الذي آلت وآليتُ مِنْ قَسَمٍ¹
 ظَلَمْتُ وَلَمْ تُعْتَبْ وَكَانَ رَسُولُهَا إليك سريعاً بالرُّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمَ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج
 الحنان ، وذكر الهشامي أَنَّ لَحْنَهُ الْآخِرَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وَأَنَّ لَعْلُوِيَّ فِيهِ رَمَلًا آخِر .
 ومن تبيخيله المنازل قوله² :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالْمُتَرَبِّعَا يَبْطُنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا³
 إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بُدِّلَتْ مَعَالِمُهَا وَبَلَاءٌ وَنَكْبَاءُ زَعَزَعَا⁴
 فَيُخْلَنَ أَوْ يُخْبِرَنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَأَنَّ فَوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفْجَعَا
 الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .
 ومن اختصاره الخبر قوله⁵ :

صوت

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمُهَجَّرُ
 لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فُتَبْلَغُ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعَذِّرُ
 أَشَارَتْ بِمَذْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا أَهَذَا الْمُغْيَرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
 لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَصْرِ ، وَلَهُ أَيْضًا فِي بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ مِنْ هَذِهِ
 القصيدة ، وهما قوله :

وَلَيْلَةٌ ذِي دَوْرَانَ جَشَمْتَنِي السُّرَى وَقَدْ يَجْشُمُ الْهَوْلَ الْحَبُّ الْمُغَرَّرُ
 فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَأْرًا فَيَثَارُ
 رَمَلٌ آخَرٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . قَالَ الزَّبِيرُ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ مَا
 مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي رِبْعَةَ :

1 فَمِلَانَ : فَمِنْ الْآن .

2 ديوان عمر : 227 .

3 حليّات : اسم موضع ، لعلّه قرب مكّة .

4 المغمس : موضع قرب مكّة في الطريق إلى الطائف .

5 ديوان عمر 120-127 .

لحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتبلغُ عُذراً والمقالةُ تُعذِرُ
فقال : قام كما جلس .

ومن صدقه الصفاء قوله¹ :

[من الخفيف]

كلُّ وصلٍ أُمسى لديك لأنثى
كلُّ أنثى وإن دنت لوصالٍ
غيرها وصلها إليها أداء
أو نأتُ فَنَبِيَّ للرَّبابِ الفداء

وقوله² :

[من المتقارب]

صوت

أحبُّ لحبك مَنْ لم يكنُ
وأبذلُّ مالي لمرضايتكم
صَفِيّاً لنفسي ولا صاحباً
وأُعْتَبُ مَنْ جاءكم عاتباً
وأرغبُ في ودِّ مَنْ لم أكنُ
ولو سلكَ الناسُ في جانبٍ
لَيَمَّمْتُ طِيَّتَهَا إِنني
أرى قُربها العجبَ العاجباً
من الأرضِ واعتزلتُ جانباً

الغناء لابن القفاص رملٌ عن الهشامي ويحيى المكي ، وفيه للرُّبَعيُّ لحنٌ من كتاب إبراهيم
غير مُجَنَّس .

ومما قدَحَ فيه فأورَى قوله³ :

[من الرمل]

صوت

طالَ لَيْلي وتَعَنَّاني الطَّربُ
أرسلتُ أسماءَ في مَعْنِيَةٍ
واعتراني طولُ همٍّ ووصبُ
عَتَبَتِها وهي أحلى مَنْ عَتَبُ
أنْ أتى منها رسولٌ مَوْهِناً
وجدَ الحيَّ نياماً فانقلبُ
ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ به
أحدٌ يفتح باباً إذ ضربُ
قال : أيقاظُ ، ولكن حاجةُ
عَرَضَتْ تُكْمُ مَنَّا فاحتجبُ
ولَعَمْرُداً رَدَّنِي ، فاجتهدتُ
بِيمِينٍ حَلْفَةً عند الغضبِ

1 ديوان عمر : 14 .

2 ديوان عمر : 66 .

3 ديوانه 28-29 .

يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا سَقَفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبٍ
قُلْتُ حَيْلًا فَأَقْبَلِي مَعْدِرَتِي مَا كَذَا يَجْزِي مُجِبٌّ مَنْ أَحَبَّ
إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرُّضَا فَأَقْبَلِي يَا هِنْدُ ، قَالَتْ قَدْ وَجَبُ

الغناء للمالك خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو . وفيه لمعبد لحن من كتاب يونس لم يُجنسه ، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل . وفيه لابن سريج رمل عن الهشامي .

قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله والحرمي عن الزبير عن عمه : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأة يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها . ثم وعدته أن تزوره ، فتأهب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته¹ عينه فنام ، وكانت عنده جارية له تخدمه ؛ فلم تلبث أن جاءت ومعها جارية لها ، فوفقت حجرة² وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضرته فلم يستيقظ . فقالت لها : تطلعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مُضطجع وإلى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حولا ؛ فقال في ذلك :

طال ليلى وتعناني الطرب

قال أبو هفان في حديثه : وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جزلة³ من النساء ، فصدمتها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته ، فرضيت . وإياها يعني عمر بقوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا بِرَفْقٍ وَأَدَبِ

قال إسحاق في خبره : وحدثني ابن كُناسة قال أخبرني حماد الراوية قال : استشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعادي إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلى وتعناني الطرب

1 ل : حملته .

2 حجرة : ناحية .

3 جزلة : عاقلة .

فلما أنشدته قوله : [من الرمل]

فَاتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ

إلى قوله :

إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا فاقْبَلِي يَا أُخْتَ قَالَتْ قَدْ وَجِبَ¹

فقال الوليد : وَيَحْكُ يَا حَمَاد ! أَطْلُبُ لِي مِثْلَ هَذِهِ أَرْسِلَهَا إِلَى سَلْمَى . يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقَهَا لِيَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا ثُمَّ تَبَعَتْهَا² نَفْسُهُ .

قال إسحاق وحدثني جماعة منهم الحرمي والزيري وغيرهما : أَنَّ عَمْرَ أَنْشَدَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : النَّاسُ يَطْلُبُونَ خَلِيفَةَ مَذْقُتِ عُثْمَانَ فِي صِفَةِ قَوَادَتِكَ هَذِهِ يَدْبِرُ أُمُورَهُمْ فَمَا يَجِدُونَهُ ! .

رَجَعَ إِلَى خَيْرِ عَمْرِ الطَّوِيلِ

قالوا : ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله³ : [من الخفيف]

فَالْتَقِينَا فَرَحَّبْتُ حِينَ سَلَّمْتُ وَكَفَّتْ دَمْعاً مِنَ الْعَيْنِ مَاراً⁴
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْنَا مِنْكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوَرَاراً
قُلْتُ كَلَّا لَاهُ ابْنُ عَمِّكَ بَلْ خِفْتُ لَنَا أُمُوراً كُنَّا بِهَا أَغْمَاراً⁵
فَجَعَلْنَا الصَّدُودَ لَمَّا خَشِينَا قَالَةَ النَّاسُ لِلْهَوَى أُسْتَاراً
لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَهَدْتَ وَلَكِنْ أَوْقَدَ النَّاسُ بِالْنَمِيمَةِ نَاراً
[فَلِذَاكَ الْإِعْرَاضُ عَنْكَ وَمَا آثَرُ قَلْبِي عَلَيْكَ أُخْرَى اخْتِياراً]
مَا أُبَالِي إِذَا النَّوَى قَرَّبْتُمْ فَدَنَوْتُمْ مَنْ حَلَّ أَوْ مَنْ سَارَا
فَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتَ طَوَالَ وَأَرَاهَا إِذَا قَرُبْتَ قَصَارَا

ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله⁶ :

1 يا أُخْتَ فِي رِوَايَةٍ : يَا هَنْدَ .

2 ل : تَبَعَتْهَا .

3 ديوان عمر : 160-163 .

4 مار الدمع : جرى .

5 لاه ابن عمك : لله ابن عمك .

6 ديوان عمر : 48-49 .

صوت

لَعَمْرُكَ مَا جاورَتْ غُمْدانَ طائِعاً وقَصَرَ شَعُوبٌ أَنْ أَكونَ به صَباً¹
ولكنَّ حُمى أَضْرَعَتْنِي ثلاثةً مُجْرَمَةً ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِنَا غِياً²
وحَتَّى لو أَنَّ الخُلْدَ تَعْرِضُ إنْ مَشَتْ إلى البابِ رِجْلِي ما نَقَلْتُ لها إرباً
فإنَّكَ لو أَبْصَرْتَ يَوْمَ سَوَيْقَةٍ مُناخِي وَحَبْسِي العِيسَ دَامِيَةً حُدْباً³
وَمَصْرَعٍ إِيحْوانٍ كَأَنَّ أَتْنَهُم أَنِينُ المَكَاكِي صادَفَتْ بلداً خِصْباً
إذاً لَأَقْشَعِرَّ الرَّأسُ مِنْكَ صَبَابَةً ولا سَتَفْرَغُ عَيْنُكَ مِنْ سَكْبَةٍ غَرِباً⁴

غَنَى فِي الأوَّل والثَّانِي مِنْ هَذِهِ الأَبْيَاتِ مَعْبُدٌ وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أوَّلُ بِالوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِمَا لِلْمَلِكِ ثَقِيلٌ أوَّلُ عَنْ الهِشَامِيِّ ، وَنَسَبُهُ يُونُسُ إِلَى مَالِكٍ وَلَمْ يُجَنِّسْهُ .

وَمِنْ إِقْدَامِهِ عَنْ خَبْرَةٍ وَلَمْ يَعْتَدِرْ بَغْرَةَ قَوْلَهُ⁵ :

صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَرَفَ سَتُ أَيْنَ المَصَادِرُ وَالْمَوَرِدُ
وَجَرَبْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ سَتُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَعْمِدُ
وَمِنْ أَسْرِهِ النُّومَ قَوْلَهُ⁶ :

نَامَ صَحْبِي وَبَاتَ نَوْمِي أُسِيرَا أَرْقُبُ النَّجْمَ مَوْهِنًا أَنْ يَغُورَا
وَمِنْ غَمِّهِ الطَّيْرِ قَوْلَهُ⁷ :

فَرَحْنَا وَقَلْنَا لِلْغَلَامِ افْضَحْ حَاجَةً لَنَا ثُمَّ أَذْرَكْنَا وَلَا تَتَغَيَّرِ
سِرَاعًا تَعْمُ الطَّيْرِ إِنْ سَنَحَتْ لَنَا وَإِنْ تَلَقَّنَا الرُّكْبَانُ لَا تَتَخَبَّرِ
نَتَغَيَّرُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : غَبَرَ فَلَانُ أَيُّ لَيْثٍ .

وَمِنْ إِغْذَاذِهِ السَّيْرِ قَوْلَهُ⁸ :

[مِنْ الخَفِيفِ]

1 غمدان وشعوب : قصيران باليمن .

2 أضرعنتني : أذلنتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .

3 حدبا في ل : جريا .

4 صباية في ل : عجابة .

5 ديوان عمر : 90 .

6 ديوان عمر : 160 .

7 ديوان عمر : 130 .

8 ديوان عمر : 160-163 .

قلتُ سيرا ولا تُقيما يبْصُرِي وحَفِيرٍ فما أَجْبُ حَفِيرًا¹
 وإذا ما مررتُما بمَعانٍ فأَقْلأُ به الثَّوَاءُ وسِيرا
 إِنَّمَا قَصْرُنَا إذا حَسَرَ السبِ رُبْعيراً أن نَسْتَجِدَّ بَعيراً²
 ومن تخييره ماءُ الشباب قوله³ :

[من الخفيف]

صوت

أَبْرَزوها مِثْلَ المَهَاةِ تَهَادِي بين خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
 ثم قالوا تَجَبُّها قلتُ بَهْرًا عددَ القَطَرِ والحصى والترابِ
 وهي مَكُونَةٌ تَحْيَرُ منها في أديمِ الخَدَّينِ ماءُ الشبابِ
 الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي ،
 وقيل : بل هو هذا .

ومن تَقويله وتَسْهيله قوله⁴ :

قالتُ على رِقْبَةٍ يوماً لجارتِها ما تأْمُرِينَ فَإِنَّ القلبَ قد تُبِلَا
 وهل لي اليومَ من أختٍ مُواخِيَةٍ منكنَّ أَشْكُو إليها بعضَ ما فَعَلَا
 فراجعتُها حَصانٌ غيرَ فاحِشَةٍ بَرَجْعٍ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلَا
 لا تذكُرِي حُبَّه حتى أراجِعَهُ إِنِّي سَأُكْفِيكِه إن لم أُمِتْ عَجَلَا
 فافْتَنِي حِياءُكِ في سِتْرِ وفي كَرَمٍ فلستِ أَوَّلَ اثْنِي عُلِّقَتْ رَجُلَا
 وأما ما قاس فيه الهوى فقوله⁵ :

[من البسيط]

وَقَرَّبَنَ أسبابَ الهوى لِمَتِّمٍ يَقيسُ ذراعاً كلِّما قَسَنَ إصْبَعَا
 ومن عصيانهِ وإِخلائه قوله⁶ :

[من الخفيف]

وَأُنْصُ المَطْيِي يَتَبَعْنَ بالرَّكْ سِبِ سِراعاً نَواعِمَ الأَطْعانِ

1 بصرى : مدينة بالشام . حفير : نهر بالأردن .

2 قصرنا : غابتنا . حسره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .

3 ديوان عمر : 59 .

4 ديوان عمر : 315-317 .

5 ديوان عمر : 228 .

6 ديوان عمر : 419 .

فَنَصِيدُ الْغَرِيرِ مِنْ بَقَرِ الْوَحْدِ شِرِّ وَلَهُوْ بِلْدَةِ الْفَتِيَانِ
فِي زَمَانٍ لَوْ كُنْتُ فِيهِ ضَجِيعِي غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَذُ رَيْنَ إِلَّا الطُّنُونُ أَيْنَ مَكَانِي

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله ¹ :

سَمْعِي وَطَرْفِي حَلِيفَاهَا عَلَى جَسَدِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي
لَوْ طَاوَعَانِي عَلَى إِلَّا أَكَلَّمَهَا إِذَا لَفَضَيْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي

ومن إبرامه نعت الرسل قوله ² :

فَبَعَثْتُ كَاتِمَةَ الْحَدِيدِ بِ رَفِيقَةٍ بَجَوَابِهَا
وَحُشِيَّةً خَرَّاجَةً مِنْ بَابِهَا
فَرَقْتُ فَسَهَّلْتُ الْمَعَا رِضَ مِنْ سَبِيلِ نِقَابِهَا

ومن تحذيره قوله ³ :

صوت

لَقَدْ أُرْسَلْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا خُذِي حَدَرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزِينَبَ نَوَّلِي عُمَرَكَ
فَإِنْ دَاوَيْتَ ذَا سَقَمٍ فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كَفَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ ، قَدْ خَبَّرْنِي خَبْرَكَ
وَقُلْنَ إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَدْرَكَ حَاجَةً هَجَرَكَ

غنى ابن سريج في هذه الأبيات ، ولحنه خفيف ثقيل . ولابن المكِّي فيها هزج بالوسطى .
وفيهما رملٌ ذكر ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع ، وذكر
قُمَرِيَّ أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدثني عمي قال حدثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُزَوِّوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .

2 ديوان عمر : 27 .

3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ؛ وأنشد :
 [من مجزوء الوافر]
 لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حَذْرَكَ
 . . . الأبيات .

ومن إعلانه الحب وإساره قوله¹ :
 [من الطويل]
 شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه وأخفيتُ منه في الفؤادِ غَليلاً
 ومما أبطن به وأظهر قوله² :
 [من الرمل]
 حُبُّكم يا آل لَيْلى قَاتِلِي ظهرَ الحبُّ بجسمي وبَطْنِ
 ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُكُمْ غيرَ أنْ أَقْتَلَ نفسي أو أُجَنِّ
 ومما أَلَحَّ فيه وأسَفَّ قوله³ :
 [من الخفيف]
 ليت حَظِّي كحَظِّ العَيْنِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المَهْنَا
 أو حديثٌ على خَلاءٍ يُسَلِّي ما يُجِنُّ الفؤادَ منها وَمِنَا
 كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٌ مِنْكَ يَوْمًا أنْ أراها قبلَ المماتِ وَمِنَا
 ومن إنكاحه النومَ قوله⁴ :
 [من الكامل]

صوت

حتَّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ونظرتُ غَفْلَةً كاشحٍ أن يغفلا
 واستنكحَ النومُ الذينَ نخافُهم وسقى الكرى بَوَائِبَهُم فاستثقلا
 خرجتُ تَأَطَّرُ في الثيابِ كأنَّها أَيْمٌ يسيبُ على كَتِيبٍ أَهْيَلًا⁵
 الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ لغيره وقد
 نُسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلِ أَنْ تَتَرَحَّلَا

[من الخفيف] ومن جَنِيهِ الحديثَ قوله :

1 ديوان عمر : 313 .

2 ديوان عمر : 414 .

3 ديوان عمر : 406 .

4 ديوان عمر : 312 .

5 الأيم : الحية .

وَجَوَارٍ مُسَاعِفَاتٍ عَلَى اللَّهِ
صَيْدٍ لِلرَّجَالِ يَرُشِقْنَ بِالطَّرِ
قَدَ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهُنَّ لِلَّهِ
فَاجْتَنَيْنَا مِنَ الْحَدِيثِ ثَمَاراً
وَمِنْ ضَرْبِهِ الْحَدِيثُ ظَهَرَهُ لَبَطُهُ قَوْلُهُ¹ :

[من الخفيف]

فَبَشَّشْنَا غَلِيلَنَا وَاشْتَفَيْنَا
وَأَتَيْنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا اشْتَهَيْنَا
فِي قَضَاءٍ لِدَيْنِنَا وَاقْتَضَيْنَا
وَمِنْ إِذْلَالِهِ صَعَبَ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ² :

[من الطويل]

فَلَمَّا أَقْضَيْنَا فِي الْهَوَى نَسْتَيْنَهُ
شَكُوتُ إِلَيْهَا الْحَبِّ أَظْهَرُ بَعْضُهُ
وَمِنْ قَنَاعَتِهِ بِالرَّجَاءِ مِنَ الْوَفَاءِ قَوْلُهُ³ :

[من الخفيف]

فِعِدْدِي نَائِلاً وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي
قَالَ الزَّبِيرُ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ⁴ :

[من الطويل]

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بَنَائِلٍ
وَمِنْ إِعْلَائِهِ قَاتَلَهُ قَوْلُهُ⁵ :

[من الكامل]

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي
قُولِي يَقُولُ تَحَرَّجِي فِي عَاشِقِي
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأَنْكُكُمْ
فُكِّي رَهَيْتَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي
فَاشْكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتَ وَسَلِّمِي
كَلِّفِي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتِّمِ
أَصْبَحْتُمْ يَا بَشَرُ أَوْجَعَهُ ذِي دَمٍ
فَاعْلِي عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَسَلِّمِي

1 ديوان عمر : 430 .

2 ديوان عمر : 313 .

3 ديوان عمر : 15 .

4 لم يرد البيت في ديوان كثير .

5 ديوان عمر : 364-365 .

فتضاحكتُ عَجَباً وقالتُ حقُّه ألا يُعلِّمنا بما لم نَعْلَمِ
علمي به ، والله يَغْفِرُ ذنبه ، فيما بدا لي ، ذو هَوَى مُتَقَسِّمِ
طَرِفٌ يُنَازِعُهُ إلى الأَدْنَى الهوى ويَتُّ خُلَّةً ذي الوِصالِ الأَقْدَمِ¹

ومن تنفيذه النومَ قوله² :

[من الطويل]

فلَمَّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأطفئتُ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بالعشاءِ وأنورُ
وغابَ قَمِيرٌ كنتُ أرجو غُيوبه وروحُ رُعيانٍ ونومٌ سُمُرُ
ونَفَضْتُ عَنِّي النومَ أَقبلتُ مِشْيَةَ الـ حُبابٍ ورُكني خَشْيَةَ القومِ أزورُ³

ومن إغلاقه رَهْنٌ مِنِّي وإهداره قَتلاً قوله⁴ :

[من الطويل]

فَكَمْ من قَتِيلٍ ما يُبَاءُ به دَمٌ ومن غَلَقٍ رَهْنًا إذا لَفَّه مِنِّي⁵
ومن مالٍ عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجَمْرَةِ البيضُ كالذَّمي

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مَقُولاً .

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي عَمِّي ، وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن رجاله : أنَّ عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطَّواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال له : إنها ابنة عَمِّي . قال : ذاك أَشْنَعُ لأمرِك . فقال : إني خطبْتُها إلى عَمِّي ، فأبى عليَّ إلَّا بِصَدَاقِ أربعمئة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك ، وشكا إليهِ من حَبِّها وكَلَفِه بها أمراً عظيماً ، وَتَحَمَّلَ به عليَّ عَمُّه . فسار معه إليه فكَلَّمه . فقال له : هو مُمْلِقٌ ، وليس عندي ما أَصْلِحُ به أمره . فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمئة دينار . فقال له : هي عليَّ فزَوِّجْه ، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حينَ أَسَنَّ حَلَفَ ألا يقولَ بيتَ شعرٍ إلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يحدثُ نفسَه ؛ فجعلتُ جاريةً له تكلِّمه فلا يردُّ عليها جواباً . فقالت له : إنَّ لك لأمرأً ، وأراك تريد أن تقول شعراً ؛ فقال⁶ :

[من الوافر]

1 طرف : ملول .

2 ديوان عمر : 123 .

3 الحجاب : الحية .

4 ديوان عمر : 18 .

5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقَّ أجله ولم يفكَّ .

6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تقولُ وَلِيدَتِي لَمَّا رَأَتْني طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
أراكَ اليومَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقاً وَهَاجَ لَكَ الْهُوَى دَاءُ دَفِينَا
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ إِذَا مَا شَتَّتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
بِرِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ فَشَاقَكَ أُمُّ لَقِيَتْ لَهَا خَدِينَا
فَقُلْتُ شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ كَبَعُضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِندَ فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا
وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا لَغِيرِ قَلِيٍّ وَكُنْتُ بِهَا ضَمِينَا
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفَوَادُ بِهَا جُنُونَا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد . الغناء لابن سريج رمل بالبصر عن عمرو والمشامي . وفيه ثقیل أولُ يقال : إنه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رمل .

[عمر وعروة]

أخبرني الحرّميُّ قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عَصِيدَةَ قال : ذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رِيعَةَ كَانَ يُسَایِرُ عُرْوَةَ بْنَ الزَّيْبِرِ وَيُحَادِثُهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَأَيْنَ زَيْنُ الْمَوَاكِبِ ؟ يَعْنِي ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عُرْوَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى بِذَلِكَ لِحَمَالِهِ . فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ هُوَ أَمَامُكَ ؛ فَرَكُضَ يَطْلُبُهُ . فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَوَلَسْنَا أَكْفَاءَ كِرَاماً مُحَادِثِينَ وَمَسَايِرَتِكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! وَلَكِنِّي مُعَرِّئٌ بِهَذَا الْجَمَالِ أَتَبِعُهُ حَيْثُ كَانَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ ¹ :

إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلِّعٌ بِالْحَسَنِ أَتَبِعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
ثُمَّ مَضَى حَتَّى لَحِقَهُ فَسَارَ مَعَهُ ، وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِ تَعَجُّباً مِنْهُ .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : رَأَى عَمْرُ بْنُ أَبِي رِيعَةَ رَجُلًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ بِجَمَالِهِ وَتَمَامِهِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ . فَجَاءَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَا زِلْتَ أَتَشَوَّقُكَ

مند بلغني قولك : [من الخفيف]

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بَسْتَا نِ مِنَ الْوَرْدِ أَوْ مِنَ الْيَاسَمِينَا
نَظْرَةً وَالتَّفَاتَةَ أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونِي حَلَلْتَ فِيمَا يَلِينَا
ويروى : « . . . أترجى أَنْ تَكُونِي حَلَلْتَ . . . » .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولى لزياد قال : حجَّ أبو الأسود الدؤلي ومع امرأته وكانت جميلة . فبينما هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً . فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها ، فأخبرت أبا الأسود ؛ فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٍ فقال له :

وَإِنِّي لَيْثِيْنِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا وَعَنْ شَتَمِ أَقْوَامٍ خَلَائِقُ أَرْبُعُ
حَيَاءٍ وَإِسْلَامٍ وَبُقْيَا وَأَنْتَنِي كَرِيمٌ وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
فَشَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنَّنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظَلُّعُ
فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عمُّ لكلامِها بعد هذا اليوم . ثم عاود فكلمها ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له :

أَنْتَ الْفَتَى وَابْنُ الْفَتَى وَأَخُو الْفَتَى وَسَيِّدُنَا لَوْلَا خَلَائِقُ أَرْبُعُ
نُكُولُ عَنِ الْجُلَى وَقُرْبٌ مِنَ الْخَنَا وَيُخْلُ عَنْ الْجَدْوَى وَأَنْكَ تُبْعُ
ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُشْتَمِلاً على سيف . فلما رآهما عمر أعرض عنها ؛ فتمثل أبو الأسود :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

[رأي الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المزيان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العُمري قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال : قديم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، ووصيفا له فقصدتهما ، وكان عندهما قِيَانُ ؛ فسلم عليهما وقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فرعون ، وقال الآخر : أنا هامان . قال : فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر ؛ فضحك ونزل ، فسلم عليهما وسلماً عليه وتعاشروا مدة . ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا ، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها¹ :

[من الطويل]

فَلَمَّا التَّقِينَا وَاطْمَأْنَنْتُ بِنَا النُّوَى
وُغِيبَ عَنَّا مَنَ نَخَافُ وَنُشْفِقُ

حتى انتهى إلى قوله :

فَقُمْنَ لَكِي يُخْلِينَنَا فَتَرْقُتُ
وَقَالَتْ أَمَا تَرْحَمْنِي لَا تَدْعُنِي
فَقُلْنَ اسْكُتِي عَنَّا فَلَسْتَ مُطَاعَةً
وَلَدَى غَزَلٍ جَمُّ الصَّبَابَةِ يَخْرُقُ
وَحَلْلُكَ مِنَّا ، فَاعْلَمِي ، بِكَ أَرْفُقُ

فصاح الفرزدق : أنتَ والله يا أبا الخطاب أغزلُ الناس ، لا يُحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية ؛ وودعه وانصرف .

[عمر وابن عياش]

أخبرني الحرشي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه : أنه حجَّ مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسنَّ وشاخ ، فسلم عليه وسأله ثم قال له : أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب ؟ فأنشده² :

[من الطويل]

يَقُولُونَ : إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُكَ الْهُوَى
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطْتُ
عَشِيَّةَ لَا يَسْتَنْكِفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ
تَرْوَحٌ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ
وَمَا النَّسْكَ أَسْلَانِي وَلَكِنْ لِلْهُوَى
وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أُغِيبُ
لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
سَفَاهَ امْرِئٍ مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبُ
بَعَيْنِ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ
فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
عَلَى الْعَيْنِ مَنِي وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

[عمر والنسوة اللاتي واعدن بالعتيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحزمي قال : واعد عمر بن أبي ربيعة نسوة من قریش إلى العقيق ليتحدثن معه ؛ فخرج إليهنَّ ومعه الغريضُ ، فتحادثوا ملياً ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوها عليهنَّ بمطرَفِه وبُرْدَيْنِ له حتى استترن من المطر إلى أن سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى أغني فيه ؛ فقال عمر³ :

[من المتقارب]

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألم تسأل المنزلَ المُقْفِرَا بياناً فيكْتُمَ أو يُخْبِرَا
 ذكرتَ به بعض ما قد شَجَاكَ وحقُّ لذي الشَّجْوِ أن يَذْكُرَا
 مُقَامَ الحَبِيبِ قد ظَاهَرَا كِسَاءٍ وَبُرْدَيْنِ أن يُمَطَّرَا¹
 ومَمْشَى الثَّلَاثِ به مَوْهِنَا خرجن إلى زَائِرٍ زُورَا
 إلى مجلسٍ من وراء القِيَابِ سَهْلِ الرُّبَا طَيْبٍ أَغْفَرَا
 غَفَلَنَ عن اللَّيْلِ حَتَّى بَدَتْ تَبَاشِيرُ من واضحٍ أُسْفَرَا
 فَقُمْنَ يُعَفِّينَ آثَارَنَا بِأَكْسِيَةِ الخَزِّ أن تُقْفَرَا
 مَهَاتَانِ شَيَعَتَا جُودُرَا أَسِيلاً مُقْلَدُهُ أُخُورَا²
 وَقُمْنَ وَقُلْنَ لَوَ أَنَّ النِّهَارَ مُدَّ لَهُ اللَّيْلُ فَاسْتَأخَرَا
 قَضَيْنَا به بعضَ أَشْجَانِنَا وَكَانَ الحَدِيثُ به أَجْدَرَا

ذكر ابن المكي أنَّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر المشامي أنَّ هذا اللحن للغريض ، وأنَّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : وَلَدَحْمَانٌ فيه أيضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيها لابن الهُرَيْدِ خفيف رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبشٌ : فيها لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خَلَفَ بن المَرْزَبَانِ قال حَدَّثَنِي أَبُو العَبَّاسِ المَدِينِيُّ قال أَخْبَرَنَا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله³ :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِإِهْرَاقِ عَبْرَةٍ وَهَى غَرْبَهَا فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا
 نَعْنَهُ عَلَى الْإِثْكَالِ إِنْ كَانَ ثَاكِلاً وَإِنْ كَانَ مَحْزُوبًا وَإِنْ كَانَ مُقْصَدًا⁴

قال : فلمَّا أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخَرِيتَ وقال له : قُمْ بِنَا إِلَى عَمْرِ . فَمَضَيْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : قَدْ جِئْنَاكَ لِمَوْعِدِكَ . قال : وَأَيُّ مَوْعِدٍ بَيْنَنَا ؟ قال : قَوْلُكَ : «فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا» . قَدْ جِئْنَاكَ ، وَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْكِي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ ، أَوْ نَنْصَرِفُ عَلَى أَنَّكَ

1 الحبيبين في رواية : الحبين .

2 جُوذُرًا فِي ل : رِبْرًا .

3 ديوان عمر : 114 .

4 مقصداً في رواية «محزوناً» . والمقصود : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالدُ الخُرَيْتُ هو خالد بن عبد الله القَسْرِي .
[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا دَمَازُ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ
الْهَمْدَانِي قَالَ : لَقِيتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَكُلُّ مَا قُلْتَهُ فِي شِعْرِكَ فَعَلْتَهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .
[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هَفَّانَ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ قَالَ : قَدِمَ عُمَرُ بْنُ
أَبِي رَبِيعَةَ الْكُوفَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالٍ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ إِبْلِيسَ ، وَكَانَ لَهُ قَيِّتَانِ
حَازِقَتَانِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَأْتِيهِمَا فَيَسْمَعُ مِنْهُمَا ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ ¹ : [من الكامل]

يَا أَهْلَ بَابِلَ مَا نَفَسْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ
مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبَ لَيْلٍ بَارِدٍ وَغِنَاءَ مُسْمِعَتَيْنِ لَابِنِ هِلَالٍ ²

[وصف عمر وغيره للبرق]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هَفَّانَ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ رَجَالِهِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ
وَالْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ وَأَبَا رَبِيعَةَ الْمُصْطَلِقِيَّ وَرَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَابْنَ أُخْتِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ ،
خَرَجُوا يُشَيِّعُونَ بَعْضَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ . فَلَمَّا انْصَرَفُوا نَزَلُوا «بَسْرِفَ» فَلَاحَ لَهُمْ بَرْقٌ ؛ فَقَالَ
الْحَارِثُ : كُلُّنَا شَاعِرٌ ، فَهَلُمُّوا نَصِفِ الْبَرْقَ . فَقَالَ أَبُو رَبِيعَةَ : [من الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاهِ ذُو الرُّبَا فَيُنَابِعُ ³

فَقَالَ الْحَارِثُ : [من الطويل]

أَرِقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ ⁴ وَدُونَهُ مَهَامُهُ مَوْمَاءٍ وَأَرْضٌ بَلَّاقِعُ ⁵

فَقَالَ الْمَخْزُومِيُّ : [من الطويل]

يُضِيءُ عِضَاهُ الشَّوْكَ حَتَّى كَأَنَّهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجَرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

فَقَالَ عُمَرُ : [من الطويل]

1 ديوان عمر : 336 (م) .

2 مسمعتين في ل : محستين .

3 ينابيع : موضع ببلاد هذيل .

4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .

5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيا رب لا آلو المودّة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال : مالي وللبرق والشوك !
[تنمة خبر عمر ونسوة واعدنه بالعقيق]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالد القسريّ معه ، وهو خالد الخريّت ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبَّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما مَلِيّاً ، فأخذتهم السماء ومطّروا . ثم ذكر مثل خبر تقدّم ، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخزاعيّ ، وذكر الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغريض . وحكى أنّه قال في ذلك ¹ : [من الطويل]

صوت

أفي رَسَمِ دارٍ دَمَعُكَ المُتَرَقِّقُ سَفاهاً وما استنطاق ما ليس يَنْطِقُ
بِمِثِّ التَّقَى «جَمْعٌ» ومُفَضًى «مُحَسَّرٌ» مَغَانِي قَدْ كَادَتْ عَلَى العَهْدِ تَخْلُقُ
ذَكَرْتُ بِهِ ما قَدْ مَضَى مِنْ زَمَانِنَا وَذَكَرُكَ رَسَمَ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ
مَقَاماً لَنَا عِنْدَ العِشَاءِ وَمَجْلِساً بِهِ لَمْ يُكْذِرْهُ عَلَيْنَا مُعَوِّقُ
وَمَمْشَى فَنَاقٍ بِالكِساءِ تَكُنُّنَا بِهِ تَحْتَ عَيْنٍ بَرَقَها يَتَأَلَّقُ
يُلُّ أَعَالِي الثَّوبِ قَطَرٌ وَتَحْتَهُ شُعَاعٌ بَدَا يُعْشِي العَيُونَ وَيُشْرِقُ
فأَحْسَنُ شَيْءٍ بَدَأَ أَوَّلَ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ إِذَا نَتَفَرَّقُ
ذكر يحيى بن المكيّ أنّ الغناء في ستّة أبيات متوالية من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل
بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى .
[عمر وليلى بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكَار قال أخبرني مصعب قال : لقي عمر بن أبي ربيعة ليلي بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسب بها ، فقال : جعلني الله فداك ، عَرَّجِي ها هنا أَسْمِعْكِ بعض ما قلته فيك . قالت : أو قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هاتِ . فأنشدها ² : [من الوافر]

صوت

ألا يا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخِلْتِ فَنَوَّلِينَا

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقد حضر الرَّحِيلُ وحنَّ منَّا فِرَاقُكَ فانظُرِي ما تأمُرنا
 فقالت : آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه . ثم صاحتُ ببعثتها ومضتُ .
 وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقیل بالوسطى عن يحيى المكِّي ، وذكر الهشاميُّ أنَّه
 من منحوه إلى ابن سريج . وفيهما رملٌ طنبوريٌّ لأحمد بن صدقة .
 أخبرني بذلك جَحْظَةُ عنه . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّاَزي قال : حدَّثنا أحمد بن
 الحارث الخَرَّاز عن ابن الأعرابي : أنَّ ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عمر بن أبي
 ربيعة ، فوجَّهت إليه مَوْلى لها فجاءها به . فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتَّى متى لا تزال سادراً في
 حَرَمِ الله تُشَبِّبُ بالنساء وتُشيد بذكرهنَّ ؟ أمَّا تخاف الله ؟ قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلتُ .
 قالت وما قلتُ ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة . فقالت له القول الذي تقدَّم أنَّها أجابته به . قال :
 وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلتُ فيك ، ثم أنشدها قوله ¹ :

أَمِنَ الرَّسْمَ وَأَطْلَالَ الدَّمْنَ	عاد لي وجدي وعادتُ الحزنَ
إِنَّ حُبِّي آلَ لَيْلى قَاتِلِي	ظهرَ الحبُّ بجسمي وبطنَ
يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ	فأتمِرُ أَمَرَ رَشيدٍ موثَمِنُ
التَّمَسُّ لِلْقَلْبِ وَصلاً عندها	إِنَّ خَيْرَ الوَصْلِ ما ليس يُمَنُ
عَلِقَ الْقَلْبُ ، وَقَدْ كان صَحَا	من بني بَكْرٍ غِزالاً قد شَدَنُ ²
أَحْوَرَ الْمُقْلَةَ كالْبَدْرِ ، إذا	قُلْدُ الدُّرِّ فَقَلْبِي مُمْتَحَنُ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتكم	غيرَ أنْ أَقتَلَ نَفْسي أو أُجَنُ
خُلِقْتُ لِلْقَلْبِ مَنِي فِتْنَةً	هكذا يُخْلَقُ معروضُ الفِتَنِ

قال : وفيها يقول ³ :

إِنَّ لَيْلى وَقَدْ بَلَغَتْ المَشْيَا	لم تَدَعِ للنساءِ عندي نصيبا
هاجِرٌ بَيْتُها لَأَنْفِي عنها	قولَ ذي العيبِ إِنْ أَرَادَ عِيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقیلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن
 عائشة ثقیلٌ أولٌ ، يقال : إِنَّهُ أَوَّلُ ثَقِيلٍ غَنَّا ، كان يُغني الخفيف ، فعِيبٌ بذلك فصنع هذا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 شدن : شَبَّ .

3 لم يرد البيتان في ديوانه .

اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأبلِّي رَمْلٌ عن الهشاميّ .

والغناء في : [من الخفيف]

إِنَّ لَيْلِي وَقَدْ بَلَغْتُ الْمَشِيئَا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو أيضاً .
وذكر إبراهيم أَنَّ فِيهِ لَحْنًا لِعَطَرْدٍ ، ولم يَجْنِسْهُ .

[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني محمد بن منصور الأزديّ قال حدثني
أبي عن الهيثم بن عديّ قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المزدلفة يريد منى إذ
بَصُرَ بامرأة في رِحَالَةٍ ففُتِنَ ، وسمع عجوزاً معها تُناديها : يا نَوَارُ استتري لا يَفْضَحُكَ ابن
أبي ربيعة . فاتَّبَعَهَا عمر وقد شَعَلَتْ قلبه حتى نزلت بمنى في مِضْرَبٍ قد ضُرِبَ لها ، فنزل
إلى جنب المِضْرَبِ ، ولم يزل يَتَلَطَّفُ حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناسُ وجهاً
وأحلاه مَنَظَرًا ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذَّرَ ذلك عليه ،
وكان آخر عهده ؛ فقال فيها¹ :

صوت

عَلِقَ النَّوَارَ فَوَادُهُ جَهْلًا	وصبا فلم تترك له عقلا
وتعرّضت لي في المسير فما	أمسى الفؤاد يرى لها مثلا
ما نعمة من وحش ذي بقرٍ	تَغْدُو بِسَقَطِ صَرِيمةٍ طِفْلا ²
بالذَّ منها إذ تقول لنا	وأردتُ كَشَفَ قِنَاعِها: مَهْلا
دعنا فإنك لا مكارمة	تَجْزِي وَلَسْتَ بواصلٍ حَبْلا
وعليك مَنْ تَبَلَ الْفَوَادَ وإن	أمسى لقلبك ذِكْرُهُ شُغْلا
فأجبتُها إنَّ المحبَّ مُكَلَّفٌ	فَدَعَيْ العِتَابَ وأحدِثني بَذْلا ³

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خفيف ثَقِيلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثاني ثَقِيلٌ
بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة .

1 ديوان عمر : 334 .

2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : متهاها .

3 مكلف : مثل كلف .

[عمر وأُمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حَدَّثني أَبُو عبد الله السَّدُوسِيّ عن عيسى بن إسماعيل العَتَكِيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : حَجَّتْ امرأة من بني أُمَيَّة يقال لها أُمّ الحَكَم ، فَقَدِمَتْ قبل أوانِ الحَجِّ مُعْتَمِرَةً . فبينما هي تطوف على بَغْلَةٍ لها إِذْ مَرَّتْ على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدَّثون وقد فَرَعَهُمْ¹ طَوْلاً وَجَهَرَهُمْ جَمالاً وَبَهَرَهُمْ شَارَةً وعارضةً وبيانا ، فمالت إليهم ونزلت عندهم ، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت . ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيام الحجّ ، فرحلت إلى الشام . وفيها يقول عمر : [من المتقارب]

تَأَوَّبَ لَيْلِي بَنَصَبٍ وَهَمَّ وعاودتُ ذِكْرِي لأُمّ الحَكَمِ²
فَبِتُّ أَراقِبُ لَيْلَ التَّمامِ ، مَنْ نامَ من عاشِقٍ لم أنمِ
فإن تَريني على ما عَرا ضعيفَ القيامِ شديدَ السَّقمِ
قد كَتَبَ فوقَ الفِراشِ ما إن تُقِلَّ قِيامي قَدَمِ
بأنسِيه طَيِّبٍ نَشَرها هَضِيمِ الحِشا عَدْبَةَ المَبْتَسَمِ

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت : [من المتقارب]

صوت

وفتيانٍ صدقٍ صياحِ الوجو ه لا يَجِدُون لشيءٍ أَلَمَ³
مِن آلِ المُغِيرَةِ لا يَشْهَدُون عندَ المَجازِرِ لَحْمَ الوَضَمِ⁴

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخوريّ ، عن عمرو . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودحمان . وفيه لابن المكّي خفيف رَمَلٍ .
[حديث عمر مع سَكينة بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حَدَّثنا أَبُو هَفَّان عن إِسحاق عن أبي عبد الله الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف ، فتذاكَرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشِعْرَهُ وَظَرْفَهُ وحسن حديثه ، فَتَشَوَّقْنَ إليه وَتَمَنَّيْنَهُ ؛ فقالت سَكينة بنت الحسين عليهما السلام : أنا لَكُنَّ به . فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصَّوْرَيْنِ ، وَسمّت له الليلة والوقت ، وواعدت

1 فرعهم : زاد عليهم طَوْلاً .

2 النصب : الغناء . لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

3 ديوان عمر : 389 .

4 الوضم : خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم ؛ ولحم الوضم : لحم يقطع للميسر ، وهو يفرق على الفقراء .

صواحباتها ؛ فوافاهنَّ عمر على راحلته ، فحدّثهنَّ حتى أضاء الفجر وحن انصرافهنَّ . فقال
لهنَّ : والله إنِّي لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط
بزيارتكنَّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكة وقال¹ :

صوت

قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبَابِ
لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ فيما أطال تصِيدِي وِطْلَايِي
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْمُنَى أَيَّامَنَا إذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَايِي
خَبِرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا تَرْمِي الْحَشَا بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
أُسْكِنَ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ مِنِّي عَلَى ظَمَلٍ وَقَدْ شَرَابِ
بَالَدٌ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّمَا تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ

الغناء للهذليَّ رَمَلُ بالوسطى عن الهشامي . وفيه للغريض خفيف ثقیل بالوسطى عن
حبش . قال وقال فيها :

صوت

أَحْبُ لِحَبْلِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَفِيّاً لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبَا
وَأَبْذُلُ نَفْسِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأُعْتَبُ مَنْ جَاءَ كَمْ عَاتِبَا
وَأَرْغَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبَا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ مِنَ الْأَرْضِ وَاعْتَرَلَتْ جَانِبَا
لَيَمَمْتُ طَيْتَهَا ، إِنَّنِي أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا
فَمَا ظُيِّبَتْ مِنْ طِبَاءِ الْأَرَا لِكِ تَقَرُّو دَمِثِ الرُّبَى عَاشِبَا²
بِأَحْسَنَ مِنْهَا غَدَاةَ الْغَمِيمِ وَقَدْ أَبَدْتُ الْخَدَّ وَالْحَاجِبَا³
غَدَاةَ تَقُولُ عَلَى رِقَبَةٍ لَخَادِمِهَا : يَا أَحْسِي الرَّاكِبَا
فَقَالَتْ لَهَا : فِيمَ هَذَا الْكَلَامُ وَأَبَدْتُ لَهَا عَابِساً قَاطِبَا
فَقَالَتْ كَرِيمٌ أَتَى زَائِراً يَمُرُّ بِكُمْ هَكَذَا جَانِبَا

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .

2 يقرؤ : يتبع ، ودميث الربي : السهل اللين منها .

3 الغميم : اسم موضع بين مكة والمدينة .

شريفٌ أتى ربُّنَا زائراً فأكره رجعتَه خائباً

[بغوم وأسماء]

غنى في الأول والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكيّ ، ولحنه رملٌ من رواية الهشاميّ : وحدثني وكيعٌ وابن المزيان وعمي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحراميّ قال حدثنا محمد بن معنٍ الغفاريّ قال حدثني سُفيان بن عُيينة قال : بينا أنا ومُسعرٌ بن كِدَامٍ مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد طلعت علينا غوراء متكئة على عصا يُصَفِّقُ أحدَ لَحْيَيْهَا على الآخر ، فوقفت على إسماعيل فسَلَّمْتُ عليه ، فردّها عليها السلام ، وساءلها فأحفى¹ المسألة ، ثم انصرفت . فقال إسماعيل : لا إله إلا الله ؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها ؟ ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا والله ، ومن هي ؟ قال : هذه «بُغُومُ» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها :

حَبَّذَا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا ءِ وَعَيْصُ يَكْنُنَا وَخَلَاءُ²

أنظرا كيف صارت ، وما كان بمكة امرأة أجمل منها . قال : فقال له مسعر : لا وربّ هذه البنية ، ما أرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قط . وفي هذه الأبيات يقول عمر³ :

[من الخفيف]

صوت

صَرَمْتُ حَبْلَكَ الْبُغُومُ وَصَدَّتْ	عَنْكَ فِي غَيْرِ رَبِيبَةٍ أَسْمَاءُ
وَالْغَوَايِي إِذَا رَأَيْتُكَ كَهَلًا	كَانَ فِيهِنَّ عَنْ هَوَاكَ التَّوَاءُ
حَبَّذَا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا	ءِ وَعَيْصُ يَكْنُنَا وَخَلَاءُ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَةَ الْجَزْلِ لَمَّا	أَخْضَلْتُ رِبْطَتِي عَلَى السَّمَاءِ ⁴
لَيْتَ شِعْرِي ، وَهَلْ يَرُدُّنَّ لَيْتٌ ،	هَلْ لِهَذَا عِنْدَ الرَّبَابِ جِزَاءُ
كُلُّ وَصَلٍ أُمْسَى لَدَيَّ لِأَنْتِي	غَيْرِهَا وَصَلُهَا إِلَيْهَا أَدَاءُ
كُلَّ خَلْقٍ وَإِنْ دَنَا لِرَوْصَالٍ	أَوْ نَأَى فَهُوَ لِلرَّبَابِ الْفِدَاءُ
فَعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي	إِنَّمَا يَنْفَعُ الْحَبَّ الرَّجَاءُ

1 أحفى المسألة : بالغ وأطال في السؤال .

2 العيص : الشجر الكثيف .

3 ديوان عمر : 15 .

4 الجزل : اسم موضع قرب مكة .

لمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهية مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنْدُ الذي في بيت سُكينة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنيان ، يقال لإحادهما البغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أمةُ المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنْد هذه الأبيات . فلَمَّا انتهى إلى قوله :

ولقد قلتُ ليلةَ الجزلِ لَمَّا أَخْضَلْتُ رِيْطِيَّ عَلَيَّ السَّمَاءُ

خرجتِ البغومُ ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعم أنك بالجزلِ وأنت في جُنْد محمد بن مصعب ، وتزعم أن السماء أَخْضَلْتُ رِيْطَكَ وليس في السماء قَرَعةٌ² ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المسيبي ومحمد بن سلام أن عمر أنشد ابن أبي عتيق قوله :

جَبَدَا أَنْتِ يَا بَغُومُ وَأَسْمَا ۖ وَعَيْصُ يَكُنُّنَا وَخِلَاءُ

فقال له : ما أبقيتَ شيئاً يَتَمَنَّى يا أبا الخطاب إلا مَرَجَلًا يُسَخِّنُ لَكُمْ فِيهِ الْمَاءُ لِلْغُسْلِ .

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : حَجَّتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ بِنْتُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا قَضَتْ نُسُكَهَا أَتَتْ عَمْرَ بْنَ أَبِي رِيْعَةَ وَقَدْ أَخْفَتْ نَفْسَهَا فِي نِسْوَةٍ ، فَحَدَّثَهَا مَلِيًّا . فَلَمَّا انصرفت أَتَبَعَهَا عَمْرُ رَسُولًا عَرَفَ مَوْضِعَهَا وَسَأَلَ عَنْهَا حَتَّى أَثْبَتَهَا ؛ فَعَادَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهَا بِمَعْرِفَتِهِ إِيَّاهَا . فَقَالَتْ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تُشَهِّرَنِي بِشِعْرِكَ ؛ وَبَعَثْتَ إِلَيْهِ بِالْفِ دِينَارٍ ، فَقَبِلَهَا وَابْتَاعَ بِهَا حُلًّا وَطَبِيًّا فَأَهْدَاهَا إِلَيْهَا ، فَرَدَّتْهُ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلِيهِ لِأَنْهَيْتَهُ ، فَيَكُونُ مَشْهُورًا ؛ فَقَبِلَتْهُ وَرَحَلَتْ . فَقَالَ فِيهَا³ :

1 الجُنْدُ : بناء مرتفع مستدير .

2 القرع : ما تناثر من الغيم .

3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَجِيدُ ائْتِكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةِ الْأَوْطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ صَاحِحًا سَلِمًا ففُؤَادِي بِالْخَيْفِ أُمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الدَّهْرَ كَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمَيْنِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

الغناء لابن مُجَرِّزٍ ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأوَّلِ بِالْخِنْصَرِ في مجرى الوُسْطَى عن إِسْحَاقَ ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسْطَى عن ابن المَكِّي . وفيه لُذْكَاءُ وَجْهِ الرُّزَّةِ الْمُعْتَمِدِيّ ثَقِيلِ أَوَّلٍ من جَيْدِ الغناء وفاخِرِ الصَّنْعَةِ ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله . وأنشِدَ ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : اللهُ أَرْحَمُ بعباده أَنْ يجعل عليهم ما سألتُه لِيَتِمَّ لك فسُقُك .

[عمر وحميدة جارية ابن تَفَاحَة]

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعة من الرواة : أنَّ عمر كان يهوى حُمَيْدَةَ جارية ابن تَفَاحَة ؛ وفيها يقول¹ : [من الخفيف]

صوت

حُمِّلَ الْقَلْبُ مِنْ حُمَيْدَةَ ثِقْلًا إِنَّ فِي ذَاكَ لِلْفُؤَادِ لَشُغْلًا
إِنْ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتُ فَقُولِي حَمْدٌ خَيْرًا وَأَتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلًا
وَصَلِّينِي فَأُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي لَسْتُ أَصْفِي سِوَاكَ مَا عَشْتُ وَصَلَا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوُسْطَى عن يحيى المَكِّيِّ والهامي . وفيها يقول² : [من الكامل]

صوت

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةَ زَاغُرُ أَمْ أَنْتَ مُدَكِّرُ الْحَيَاءِ فَصَابِرُ
فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي حَمِيدَةٌ مُوجَعُ وَالذَّمُّعُ مُنَحْدِرٌ وَعَظْمِي فَاتِرُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّي قَبْلَ الَّذِي فَعَلْتُ عَلَى مَا عِنْدَ حَمْدَةِ قَادِرُ
حَتَّى بَدَا لِي مِنْ حُمَيْدَةَ خُلَّتِي يَنْ وَكُنْتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَاذِرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنْصَرِ عن إِسْحَاقَ .

1 ديوان عمر : 337 .

2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جوارى بني أمية في موسم الحج]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال : أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حدثني عن عمر بمحدث غريب ؛ فقال : نعم ، كنت معه ذات يوم ، فاجتاز به نسوة من جوارى بني أمية قد حَجَجْنَ ، فتعرض لهنّ وحادثهنّ وناشدنّ مدّة أيام حجّهنّ ؛ ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطاب ، إنا خارجات في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرة تكون عندك تذكرنا بها . فسرّ بذلك ووجه بي إليهنّ في السحر ، فوجدتهنّ يركن ، فقلنّ لعجوز معهنّ : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي اتحفناه بها . فأخرجت إليّ صندوقاً لطيفاً مقلّلاً مختوماً ؛ فقلنّ : ادفعه إليه وارتحلن . فجئته به وأنا أظنُّ أنه قد أودع طيباً أو جَوْهرًا . ففتحه عمر فإذا هو مملوء من المضارب (وهي الكيرنجات)¹ ، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مُجَان مَكّة ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذ أمير مَكّة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحك وقال : تماجنّ عليّ ونفد² لهنّ . ثم أصلح مادبةً ودعا كل واحد من له اسم في تلك المضارب . فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال : هات يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق ؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه . فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فرّز وقال : ما هذا أخزأك الله ! فقال له : رؤيداً ، اصبر حتى ترى . ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرّقها فيهم ؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي . فقالوا له : ويحك ! ما هذا ؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهرًا طويلاً ويضحكون منه .

[قومي تصدي له]

قال وحدثني هذا المولى قال : كنت مع عمر وقد أسنّ وضعف ، فخرج يوماً يمشي متوكّئاً على يدي حتى مرّ بعجوز جالسة ، فقال لي : هذه فلانة وكانت إلّفاً لي ، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها³ : [من المنسرح]

صوت

أبصرُها ليلةً ونسوتُها يمشينَ بين المقام والحجرِ

1 الكيرنجات : ما كان في شكل عضو الرجل .

2 نفذ لهن التماجن : أي جاء نافذاً مصيباً .

3 ديوان عمر : 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات .

بَيْضاً حِسَاناً نَوَاعِمَاءَ قُطْفَاءَ يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقَرِ
 قَالَتْ لِيَرْبِ لَهَا تُلَاطِفُهَا لِنَفْسِدَنَّ الطَّوْفَ فِي عُمَرِ
 قَوْمِي تَصَدِّي لَهُ لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمَزِيهِ يَا أُخْتِ فِي خَقَرِ
 قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي¹
 بَلْ يَا خَلِيلِي عَادَنِي ذِكْرِي بَلْ اعْتَرَّتَنِي الْهُمُومُ بِالسَّهَرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها
 لِسنانِ الكاتب رَمْلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأبجر خفيف رملٍ بالوسطى عنه .
 وفي :

قالت لترب لها تُلَاطِفُهَا

لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالبصر عن الهشامي ، وفيه للدلال خفيفٌ ثقيلٌ عنه أيضاً .
 ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأول والثاني ثقيل أولٌ عن الهشامي أيضاً ، ومن الناس من ينسب لحنه
 إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .
 [ملاً فمه ماءً ومجّه في وجوهن]

قال : وجلس معها يحدثها ، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطاب
 عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتن تشتهين أن تريته فتعالين . فجئن إلى مضربٍ قد حُجِرَ به
 دون بابها فجعلن يثقبانه ويضعن أعينهن عليه يُصِرْنَ . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب
 أحبُّ إليك ؟ قال : الماء . فأتيتُ بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملاً فمه فمجّه عليهن في
 وجوههن من وراء الحاجز ؛ فصاح الجوّاري وتهاوَيْنَ وجعلن يضحكن . فقالت له العجوز :
 ويلك ! لا تدعُ مُجُونَك وسَفْهَكَ مع هذه السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكتُ نفسي لما
 سمعت من حرّ كاتهن أن فعلتُ ما رأيت .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني
 قال حدّثني عليُّ بن طريف الأسديّ قال : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف
 بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم
 أتاها فحدثها وناشدها وناشدته وخطبها . فقالت : إن هذا لا يصلحُ هاهنا ، ولكن إن جئتني
 إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوّجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً أُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَا هِيَ ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ فَرَكِبَ نَجِيئاً لَهُ وَأَرْكَبَهُ نَجِيئاً آخَرَ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَا يُصْلِحُهُ ، وَسَارَا لَا يَشْكُ السَّهْمِيُّ فِي أَنَّهُ يَرِيدُ سَفَرُ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ؛ فَمَا زَالَ يَحْفَدُ¹ حَتَّى لَحِقَ بِالرُّفْقَةِ ، ثُمَّ سَارَ بِسِيرِهِمْ يُحَادِثُ الْمَرْأَةَ طَوْلَ طَرِيقِهِ وَيُسَايِرُهَا وَيَنْزِلُ عِنْدَهَا إِذَا نَزَلَتْ حَتَّى وَرَدَ الْعِرَاقَ . فَأَقَامَ أَيَّاماً ، ثُمَّ رَاسَلَهَا يَتَنَجَّزُهَا وَعَدَهَا ؛ فَأَعْلَمَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ مَتَزَوَّجَةً ابْنَ عَمٍّ لَهَا وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَاداً ثُمَّ مَاتَ وَأَوْصَى بِهِمْ وَبِمَالِهِ إِلَيْهَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ ، وَأَنَّهَا تَخَافُ فُرْقَةَ أَوْلَادِهَا وَزَوَالَ النِّعْمَةِ ؛ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَتْ ؛ فَردَّهَا عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى مَكَّةَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا² :

صوت

نَامَ صَحْبِي وَلَمْ أَتَمْ	مِنْ خَيَالٍ بَنَى أَلَمٌ
طَافَ بِالرَّكْبِ مَوْهِنًا	بَيْنَ خَاخٍ إِلَى إِضْمٍ ³
ثُمَّ تَبَهَّتْ صَاحِبًا	طَيِّبَ الْخِيَمِ وَالشَّيْمِ
أُرِيحِيًّا مُسَاعِدًا	غَيْرَ نِكْسٍ وَلَا بَرَمٍ
قُلْتُ يَا عَمْرُو شَفَّنِي	لَاعِجُ الْحُبِّ وَالْأَلَمِ
أَيْتَ هِنْدًا فَقُلْ لَهَا	لَيْلَةَ الْخَيْفِ ذِي السَّلَمِ

الغناء للملك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العباس الرُّبَيْعِيُّ خفيف رَمَلٍ من رواية عمرو بن بانه ، وذكر حبش أن لحنَ عبد الله بن العباس رَمَلٌ آخر عن الهشامي .

[شهادة جرير في شعر عمر ثابتة]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان جريرٌ إذا أنشِد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ يَهَامِي إذا أنجد وَجَدَ البرْدَ ، حتى أنشِد قوله :

رَأْتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْضَرُ

... الأبيات . فقال : ما زال هذا يَهْذِي حَتَّى قَالَ الشعر .

1 يحفد : يسعى ويسرع .

2 ديوان عمر : 395 .

3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العنبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسل بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه ومعني صاحب لي ظريف وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل ، فنظر هل بقي في نفسه منه شيء . فقال له صاحبي : يا أبا الخطاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُدَّ بالسيفِ رأسي في مودَّتِها لَمَرَّ يَهْوِي سريعا نحوها راسي¹

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : والله درُ جنادة العذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك ؟ فقلت : حيث يقول : [من البسيط]

سَرَّتْ لَعَيْنِكَ سَلْمَى بعد مَغْفَاها فَبِتْ مُسْتَنِيهَا من بعد مَسْرَاها
وَقَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا مَنْ هَذَاكِ لَنَا إِنْ كُنْتَ تِمْنَالِهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا
مِنْ حُبِّهَا أَتَمْنَى أَنْ يَلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بِلَدِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاها
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُصْمِرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاها
وَلَوْ تَمَوْتُ لِرَاعَتِي وَقُلْتُ أَلَا يَا بُؤْسَ لِلْمَوْتِ لَيْتَ الْمَوْتَ أَبْقَاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقي ، ولقد هيَّجْتُمَا علي ساكنًا ، وذكرْتُمَا ما كان عني غائبًا ، ولأحدتْكُمَا حديثًا حُلُوًّا :

[عمر وهند بنت الحارث المرة]

بينما أنا منذ أعوام جالس ، إذ أتاني خالد الخري ، فقال لي : يا أبا الخطاب ، مرّت بي أربع نسوة قبيل العشاء يُردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدو ولا حصر ، فيهن هند بنت الحارث المرية ، فهل لك أن تأتيهن متكرراً فتسمع من حديثهن وتتمع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت ؟ فقلت له : ويحك ، وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة أعرايي ثم تجلس على قعود [ثم اتينهم فسلم عليهن] ، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن . ففعلت ما قال ، وجلست على قعود ، ثم أتيتهم فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن . فسألنني أن أنشدن وأحدثن ، فأنشدتهن

1 مختلف في نسبه . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجدة بن جنادة العذري .

لَكثيرٌ وجَميلٌ والأحوصُ ونُصيبٌ وغيرهم . فقلن لي : وَيَحَكَّ يا أعرابيٌّ ؛ ما أَمْلَحَكَ وأظرفَكَ !
لو نزلت فتحدَّثتَ معنا يومنا هذا ؛ فإذا أُمسيتَ انصرفتَ في حفظِ الله . قال : فَأَنَحْتُ بعيري ثم
تحدَّثتَ معهنَّ وأنشدتُهنَّ ، فسُرِرْنَ بي وجَدِلْنَ بِقُرْبِي وأعجبهنَّ حديثي . قال : ثم إنَّهنَّ تَغَامَزْنَ
وجعل بعضُهنَّ يقول لبعضٍ : كَأَنَّا نعرف هذا الأعرابيَّ ؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت
إحداهنَّ : فهو والله عمر ، فمدَّتْ هُنْدُ يَدَهَا فانزعَتِ عِمَامَتِي فألقَتْها عن رأسي ثم قالت لي : هِيْه
بالله يا عمر ؛ أترأى خدعتنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك
لثأبتنا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى . قال عمر : ثم أخذنا في الحديث ؛ فقالت هند : ويحك يا عمر ؛
اسمع مِنِّي ، لو رأيتني منذ أَيَّامٍ وأصبحت عند أهلي ، فأدخلتُ رأسي في جيبِي ، فنظرتُ إلى جِري
فإذا هو ملءُ الكفِّ ومُنِيَّةُ التمنيِّ ، فناديت يا عُمرَاهُ يا عُمرَاهُ ، قال عمر : فصَحَّتْ يا لَبِيكَا¹ يا
لَبِيكَا¹ ؛ ثلاثاً ومددتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتُ . وحادثتُهنَّ ساعة ، ثم ودَّعتهنَّ وانصرفتُ .
فذلك قولِي² :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحَيِّ والترَّبعا	يَبْطُن حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقعا
إِلَى السَّفْحِ مِنْ وادي المَغْمَسِ بَدَلْتُ	مَعَالِمُهُ وَبَلَاءَ وَنَكْبَاءَ زَعْرعا
لَهْدِي وَأَتْرَابٍ لَهْدِي إِذِ الهوى	جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعا
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ المَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ	كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحِيقَ المُشْعَشَعَا ³
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى	لَوْاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَوْضِعَا ⁴

الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن الهشاميِّ ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن
جامع وابن عَبَّادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء :

صوت

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقْتُ	وَجَوْهَ زَهَاها الحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَّا
تَبَاَلَهْنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتُنِي	وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا ⁵

1 ل : يا لبيك للبيك (مع تصحيف) .

2 ديوان عمر : 227-229 .

3 كما في ل : إِذَا .

4 موضعا في ل : مطمعا .

5 في رواية : لما عرفني . أَكَلٌ : تعب ؛ أَوْضَعَا : أسرع .

وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّيمٍ يَمِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعاً

الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لابن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنَّسٍ .
[هذه الأبيات مقرونة بالأول ، والصنعة في جميعها مختلفة ، يُغني المَغْنُونُ بعضَ هذه وبعضَ تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قَدِّمْتُ ذِكْرَهُ] . وهي قصيدة طويلة ، ذَكَرْتُ منها ما فيه صُنْعَةٌ .

ومَّا قاله في هند هذه وَغَنِّي فيه قَوْلُهُ¹ :

صوت

ألم تسأل الأطلالَ والمنزِلَ الخَلَقَ بَرَقَةَ ذي ضالٍ فَيُخْبِرَ إِنْ نَطَقَ² ؟
ذَكَرْتُ بهِ هَنداً فَظَلْتُ كَأَنِّي أَخُو نَشْوَةٍ لَأَقَى الْحَوَانِيتَ فَاغْتَبَقُ

الغناء لَعَطَرْدٍ ولحنه من القَدْرِ الأوسط من الثَقِيلِ الأوَّلِ بالخِصَرِ في مَجْرَى الْبِنْصَرِ عن إِسْحَاقَ . وفيه لمبعدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن الهشامي . وذكر حبشٌ أَنَّ فيه للغريض ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى . ومنها³ :

صوت

أصبح القلبُ مَهِيضاً رَاجَعَ الحُبَّ الغَرِيضاً⁴
وأجدُّ الشوقَ وَهْناً أَنْ رَأَى بَرَقاً وَمِيضاً
ثم باتَ الرِّكْبُ نُوًّا مَاءً وَلَمْ أَطْعَمْ غُمُوضاً
ذاك من هَندٍ قَدِيماً تَرَكُهَا القلبُ مَهِيضاً⁵
وَبَدَّتْ ثم أَبَدَتْ وَاضِحَ اللُّونِ نَحِيضاً⁶
وَعَذَابَ الطَّعْمِ غُرّاً كَأَقَاجِي الرَّمْلِ بِيضاً

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالسَّابَةِ في مَجْرَى الْبِنْصَرِ . وفيه لَحْكمٌ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إِنَّهُ يَمَانٍ . ومن الناس من يَنْسُبُ لَحْنَ ابْنِ مُحَرِّزٍ إِلَى ابْنِ مِسْجَحٍ .

1 ديوان عمر : 278 .

2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .

3 ديوان عمر : 221 .

4 مهيضاً في رواية : «مريضاً» .

5 تركها في ل : رجعها .

6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها¹ :

[من الطويل]

صوت

أرَبْتُ إلى هِنْدٍ وَتَرَبُّيْنَ مَرَّةً لَهَا إِذْ تَوَاقَفْنَا بِفَرْعِ الْمُقَطَّعِ²
[لِتَعْرِيجِ يَوْمٍ أَوْ لَتَعْرِيسِ لَيْلَةٍ عَلَيْنَا بِجَمْعِ الشَّمْلِ قَبْلَ التَّصَدُّعِ
فَقُلْنَ لَهَا لَوْلَا ارْتِقَابُ صَحَابَةٍ لَنَا خَلْفَنَا عُجْنَا وَلَمْ نَتَوَرَّعِ]
وَقَالَتْ فَنَاءً كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهَا مُغْفَلَةٌ فِي مِئْزَرٍ لَمْ تُدَرَّعِ
لَهْنٌ ، وَمَا شَاوَرْنَاهَا ، لَيْسَ مَا أَرَى بِحُسْنِ جِزَاءٍ لِلْحَبِيبِ الْمَوْدَّعِ
فَقُلْنَ لَهَا لَا شَبَّ قَرْنُكَ فَافْتَحِي لَنَا بَابَ مَا يَخْفَى مِنَ الْأَمْرِ نَسْمَعِ³

وهي أبيات . الغناء للغريض وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخَنْصَرِ فِي
مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِّي أَنَّهُ لَا بَيْنَ سَرِيحٍ . ومنها⁴ : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمْتُ بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا حَسِيتُ وَسَطَ رِحَالِ الْقَوْمِ عَطَّارَا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْمُحَيِّيِّ وَاتَّبَهْتُ لَهُ وَمَنْ مُحَدِّثُنَا هَذَا الَّذِي زَارَا ؟
أَلَا انْزِلُوا نَعِمْتَ دَارٌ بِقَرَبِكُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكُمْ مِنْ زَائِرِ زَارَا
فُبَدِّلَ الرَّبْعُ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ عُفَرَ الطَّبَاءِ بِهِ يَمَشِينُ أَسْطَارَا

الغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه ليونس خفيف ثَقِيل .
وفيه لأبي⁵ فَارَةَ هَزَجٌ بِالْبِنْصَرِ . وأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرُ هِنْدَ قَوْلُهُ⁶ : [من البسيط]

يَا صَاحِبِي فَقَا نَسْتَخِيرُ الدَّارَا أَقْوَتْ وَهَاجَتْ لَنَا بِالنَّعْفِ تَذَكَارَا
وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سَرَبًا بِهَا حَسَنًا مِثْلَ الْجَادِرِ لَمْ يُمَسِّنْ أَبْكَارَا
فِيهِنَّ هِنْدٌ وَهِنْدٌ لَا شَبِيهَ لَهَا فَيَمَنْ أَقَامَ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ سَارَا

1 ديوان عمر : 234 .

2 أرَبْتُ : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .

3 لَا شَبَّ قَرْنُكَ : لَا كَبُرَتْ .

4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ل : لابن .

6 ديوان عمر : 142-143 .

تَقُولُ لَيْتَ أَبَا الْخَطَّابِ وَافَقْنَا كِي نَلْهُوَ الْيَوْمَ أَوْ نُنْشَدَ أَشْعَارَا
فَلَمْ يَرُغْهُنَّ إِلَّا الْعَيْسُ طَالِعَةً بِالْقَوْمِ يَحْمِلْنَ رُكْبَانًا وَأُكْوَارَا¹
وَفَارَسٌ يَحْمِلُ الْبَازِي فَقُلْنَ لَهَا هَا هُمْ أَوْلَاءُ وَمَا أَكْثَرْنَ إِكْثَارَا
لَمَّا وَقَفْنَا وَعَنَّا رُكَابِنَا بُدِّلْنَ بِالْعُرْفِ بَعْدَ الرَّجْعِ إِنْكَارَا²

ومنها³ :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرُبْعٌ عَلَى الطَّلَلِ وَمَغْنَى الْحَيِّ كَالْخِلَالِ
لَهْدٍ إِنَّ هَذَا حُبُّ هَا قَدْ كَانَ مِنْ شُعْلِي
[فَلَمَّا أَنْ عَرَفْتُ الدَا] رَ عُبْتُ لِرَسْمِهَا جَمَلِي
وَقُلْتُ لَصُحْبَتِي عُوجُوا فَعَاجُوا هِزَّةَ الْإِبِلِ
وَقَالُوا قِفْ وَلَا تَعْجَلْ وَإِنْ كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
قَلِيلٌ فِي هَوَاكَ الْيَوْمِ مَ مَا نَلْقَى مِنَ الْعَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقیل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ
عن الهشاميّ وحَبَش . ومنها⁴ :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

هَاجَ ذَا الْقَلْبَ مَنْزِلُ بِالْبُلَيْيْنِ مُحْوِلُ
عَظْرَتِ آيَهُ الصَّبَا وَجُنُوبٌ وَشَمَالُ
إِنَّ هَذَا قَدْ أَرْسَلَتْ وَأَخُو الشَّوْقِ مُرْسِلُ
أَرْسَلَتْ تَسْتَحِثُّنِي وَتَفْدِي وَتَعْذِلُ
أَيْنَا بَاتَ لَيْلِهِ بَيْنَ غُصْنَيْنِ يُوبَلُ
تَحْتَ عَيْنٍ يَكُنُّنَا بُرْدُ عَصَبٍ مُهْلَهْلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقیل مُطلق في مجرى البَصر ، ذكر إسحاق أنه لملك ، وذكر

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .

2 وعَنَّا في ل : وغينا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجوع : ترديد النظر .

3 ديوان عمر : 291 .

4 قارن بديوان عمر : 299-300 وفيه أنَّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنه لابن مُحَرِّز . وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنه لابن زُرَّار الطائفي خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى ، وروى مثل ذلك دنانير عن فليح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيل من مجموعته ورواية الهشامي . وفيه لحكم هَزَجٌ بالخنصر والبصر عن ابن المكي . وفيه للحجبي¹ رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه ثقيلٌ أولُ نسبه ابن المكي إلى ابن مُحَرِّز ، وذكر الهشامي أنه منحول . وفيه خفيف رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لحن ابن مُحَرِّز . ومنها² : [من الكامل]

صوت

يا صاح هل تدري وقد جَمَدْتُ عَيْنِي بما أَلْقَى من الوجد³
لَمَّا رَأَيْتُ دِيَارَهَا دَرَسْتُ وَتَبَدَّلْتُ أَعْلَامَهَا بَعْدِي
وَذَكَرْتُ مَجْلِسَهَا وَمَجْلِسَنَا ذَاتَ الْعِشَاءِ بِمَهِيْطِ النَّجْدِ
وَرِسَالَةً مِنْهَا تُعَاتِبُنِي فَرَدَدْتُ مَعْتَبَةً عَلَى هِنْدِ
الغناء ليحيى المكي رَمَلٌ بالوسطى . وفيه لغيره ألحان آخر . ومنها⁴ : [من الرمل]

صوت

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَأَسْتَبَدْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُ
وَلَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتٍ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبَرُّدُ

ويروى : زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا

أَكْمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي عَمَرَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
فَقَضَا حَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ
حَسَدًا حُمْلَنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

الغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالك من كتاب يونس غيرُ مجلس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لحن

1 ل : ليحيى .

2 ديوان عمر : 104-105 .

3 ألقى في ل : أخفى .

4 ديوان عمر : 101 .

لمالك ، ويقال إنه لمتيم . ومنها¹ :

[من مجزوء الرجز]

صوت

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكَرُ لَمَّا غَدَوْا فانشَمَرُوا²
 عَلَى بَغَالٍ شُحَّجٍ قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّقَرُ³
 فِيهِنَّ هَنْدٌ لِيَتْنِي مَا عُمِّرْتُ أَعْمَرُ
 حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا حَتَفْتُ أَتَانِي الْقَدَرُ

لابن سُرَيْجٍ فِيهِ لَحْنَانٌ : رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ رَمَلٌ عَنْ
 الْمَشَامِيِّ . وَمِنْهَا⁴ :

[من السريع]

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ دَنَفٍ مُغْرَمٍ هَامَ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلَمْ
 هَامَ إِلَى رَيْمٍ هَضِيمٍ الْحَشَا عَذَبَ الثَّنَايَا طَيِّبِ الْمُبْسِمِ
 لَمْ أَحْسَبِ الشَّمْسَ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمٍ
 قَالَتْ أَلَا إِنَّكَ ذُو مَلَّةٍ يَصْرِفُكَ الْأَذْنَى عَنِ الْأَقْدَمِ
 قُلْتُ لَهَا بَلْ أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ فِي الْوَصْلِ يَا هَنْدُ لَكِي تَصْرِمِي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه بُدَيْحٌ لَحْنٌ قَدِيمٌ .
 وَقِيلَ : إِنَّ فِيهِ رَمَلًا آخَرَ لِعَمَّارَةَ مَوْلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ . وَمِنْهَا⁵ :

[من الطويل]

صوت

تَصَابِي وَمَا بَعْضُ التَّصَابِي بِطَائِلٍ وَعَاوَدَ مِنْ هِنْدٍ جَوَى غَيْرُ زَائِلٍ
 عَشِيَّةً قَالَتْ صَدَعَتْ غَرْبُهُ النَّوَى فَمَا مِنْ تَلَاقٍ قَدْ أَرَى دُونَ قَابِلٍ
 وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ مَجْلِسًا لَنَا مَرَّةً مِنْهَا بَقَرْنِ الْمَنَازِلِ
 بَنَخْلَةَ بَيْنَ النَّخْلَتَيْنِ يَكُنُّنَا مِنَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْعَيْنِ يُرْدُ الْمَرَاجِلِ⁶

1 ديوان عمر : 196-197 .

2 انشَمَرُوا : مضوا مسرعين .

3 الشحيج : صوت البغل .

4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ديوان عمر : 302 .

6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وفيه لِلْعُمَانِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ عَنْ دَنَانِيرِ
والهشامِيِّ . ومنها¹ :

صوت

لَجَّ قَلْبِي فِي التَّصَايِي وَاَزْدَهَى عَنِّي شَبَابِي
وَدَعَانِي لِهُوَى هِنْدَ سِدِ فَوَادٍ غَيْرُ نَابِي
قَلْتُ لَمَّا فَاضَتْ الْعَيْدُ نَانٍ دُمْعًا ذَا انْسِكَابِ
إِنْ جَفْتَنِي الْيَوْمَ هِنْدُ بَعْدَ وَدٍّ وَاقْتِرَابِ
فَسَيِلُ النَّاسِ طُرًّا لِفَنَاءٍ وَذَهَابِ
الغناء لأهل مَكَّةَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ ، وَهُوَ بِشْرُ بْنُ مُوسَى بْنِ
صَالِحٍ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ قَالَ : كَانَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ جَالِسًا
بِمَنْىً فِي فَنَاءٍ مِضْرَبِهِ وَغُلَامَانَهُ حَوْلَهُ ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ بَرْزَةٌ² عَلَيْهَا أَثَرُ النَّعْمَةِ ، فَسَلَّمَتْ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
عَمْرُ السَّلَامَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَنَا هُوَ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ لَهُ :
حَيَّاكَ اللَّهُ وَقَرَّبَكَ ! هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَتَمِّهِمْ خَلْقًا ، وَأَكْمَلِهِمْ أَدْبَاءً ،
وَأَشْرَفَهُمْ حَسَبًا ؟ قَالَ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ ذَلِكَ ! قَالَتْ : عَلَى شَرْطٍ . قَالَ : قُولِي . قَالَتْ : تُمَكِّنِي مِنْ
عَيْنِكَ حَتَّى أَشُدَّهُمَا وَأَقْوِذَكَ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُرِيدُ حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثُمَّ أَفْعَلْ ذَلِكَ
بِكَ عِنْدَ إِخْرَاجِكَ حَتَّى أَنْتَهِيَ بِكَ إِلَى مِضْرَبِكَ . قَالَ : شَانِكِ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ عَمْرُ : فَلَمَّا
انْتَهَيْتُ بِي إِلَى الْمِضْرَبِ الَّذِي أَرَادْتُ كَشَفْتُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ عَلَى كُرْسِيِّ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ
جَمَالًا وَكَلَاءً ، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ . فَقَالَتْ : أَنْتَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ ؟ قَالَتْ : أَنَا عَمْرُ . قَالَتْ : أَنْتَ
الْفَاضِحُ لِلْحَرَائِرِ ؟ قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَتْ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ³ : [مِنَ الْكَامِلِ]

صوت

قَالَتْ وَعَيْشِرَ أَخِي وَنِعْمَةَ وَالِدِي لِأَنْبَهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ⁴

1 ديوان عمر : 31 .

2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدثهم .

3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .

4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَتَنَاولْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجٍ¹
فَلْتَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ يَبْرُدُ مَاءَ الْحَشْرِجِ²
الغناء لمبعد ثقیل أول بالبنصر عن يونس وعمر .

ثم قالت : قم فاخرج عني ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشددت عيني ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مِضْرَبِي ، وانصرفت وتركني . فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبث ليلتي ، فلما أصبحت إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك في العود ؟ فقلت : شأنك . ففعلت بي مثل فعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي . فقالت : إيه يا فضأح الحرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءك ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لَهَا اتَّكِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ³ لَمْ تَوَسِّدِ⁴
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّفْتُ مَا لَمْ أُعَوِّدْ
فَلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحْتَنِي فَقُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ إِنْ شِئْتَ فَازْدَدْ
الغناء لأهل مكة ثقیل أول عن الهشامي . ثم قالت قم فاخرج عني . فقممت فخرجت ثم رددت . فقالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوف الفوت ، ومحبتني لمناجاتك والاستكثار من محادثتك ، لأقصيتك ؛ هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني .

فكلمت أدب الناس وأعلمهم بكل شيء . ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت ، فأخذت أنظر ، إذا أنا بتور⁵ فيه خلوق⁶ ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في رُدي . وجاءت تلك العجوز فشددت عيني ونهضت بي تقودني ، حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب ، ثم صرت إلى مِضْرَبِي ، فدعوت غلماني فقلت : أيكم يَقْفِي على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .

2 النزيف : الشديد العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

3 الجبانة هنا : الصحراء .

4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .

5 تور : إناء صغير .

6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريئةً ، وإذا المضربُ مضربُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذت في أهبة الرّحيل ؛ فلما نفرتُ نفرتُ معها ، فبصرتُ في طريقها بقبابٍ ومضرب وهيئة جميلة ، فسألتُ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فسأها أمره وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه : قولي له نشدتك الله والرحم أن تصحّني ، ويحك ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرف ولا تفضحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوجّه إليّ بقميصها الذي يلي جلدّها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفاً . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك¹ : [من الكامل]

ضاق الغداةً بحاجتي صدري ويئتُ بعد تقاربِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمة التي علّقْتُها عَرَضاً فيا لحوادث الدهرِ

وفي هذه القصيدة ممّا يُغنى فيه قوله :

صوت

ممكورة رذعُ العبير بها جُمُ العظام لطيفةُ الخصرِ²
وكانَ فاهَا عند رَقَدَتِها تجرّي عليه سُلالةُ الخمرِ³

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقليلٍ من جامعهِ . وفيه لُتيمَ رملٌ من جامعها أيضاً . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة :

فسبتُ فؤادي إذ عَرَضْتُ لها يومَ الرّحيلِ بساحة القصرِ
بمزَيْنِ رذعُ العبير به حسنَ التّرائبِ واضحِ النّحرِ
وبجيدِ آدَمَ شادينِ خرق يرعى الرّياضَ ببلدةٍ قفرِ⁴
لما رأيتُ مَطِيَّها حَرَقاً خَفَقَ الفؤادُ وكنْتُ ذا صبرِ⁵
وتبادرتُ عَيْنايَ بعدهم وانهلَّ دمعُهما على الصّدرِ

1 ديوان عمر : 179-180 .

2 ممكورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .

3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .

4 آدَمَ : أسمر . والشادن : الظبي . خرق : ذو حيرة .

5 الحرق : الجماعات .

ولقد عصيتُ ذَوِي القَرَابَةِ فيكمُ طُرّاً وأهلَ الوُدِّ والصَّهْرِ¹
حتى لقد قالوا وما كذبوا أَجْنَنْتَ أم بك داخلُ السَّحْرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حَدَّثني إِسحاق عن محمد بن أَبان قال حَدَّثني الوليد بن هشام القحذميّ عن أبي معاذ القُرشيّ قال : لما قَدِمْتُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مَكَّةَ جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحَجَّاج ؛ لأنّه كان كذب إليه يتوعّده إن ذكرها أو عرّض باسمها . فلما قضت حجّها وارتحلت أنشأ يقول² :

صوت

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مُتَ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ فِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفْتُ عَيْنُهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانَا يَلْقَى بَلْبٌ أَصِيلٌ³
لَوْ خَلَّتْ خُلَّتِي أَصَبْتُ نَوَالاً أَوْ حَدِيثاً يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ⁴
وَلَظَلَّ الْخَلْخَالُ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ حَيَّةٍ مَقْتُولِ
فَلَقَدْ قَالَتِ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثَرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْيِيلِ

غنى فيه ابن مُحَرِّزٍ ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ مِنْ أَصْوَاتٍ قَلِيلَةٍ الْأَشْبَاهِ عَنْ إِسْحَاقَ وَفِيهِ لِعَبَادِلَ خَفِيفِ ثَقِيلِ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِلْهُذَلِيِّ . وَفِيهِ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانَ ثَانِي ثَقِيلٍ عَنْ الْهَشَامِيِّ . أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفَ بْنِ الْمَرْزَبَانَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ فِي فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ⁵ : [من المديد]

صوت

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكْرُ وَحُمُولُ الْحَيِّ إِذْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِيَابِ لَهَا وَأَدِيرْتُ حَوْلَهَا الْحَجْرُ

1 ذوي القرابة في ل : ذوي أقاربها .

2 ديوان عمر : 296-297 .

3 يلقي في ل : يلهى .

4 التنويل : الاعطاء .

5 ديوان عمر : 184-186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ بِهَا زَمَرًا تَحْتُهَا زُمَرُ¹
 وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ أَثَرُ²
 وَأَخٌ لَمْ أُخَشَّ نَبْوَتَهُ بَنَوَاحِي أَمْرِهِمْ خَيْرُ
 فَإِذَا رِيَمٌ عَلَى فُرُشٍ فِي حِجَالِ الْخَزِّ مُخْتَلِرُ²
 حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ نُومٌ مِنْ طَوْلٍ مَا سَهَرُوا
 شَبَهُ الْقَتْلَى وَمَا قُتِلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا
 فَدَعَتُ بِالْوَيْلِ ، ثُمَّ دَعَتْ حُرَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
 ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا وَيَحْ نَفْسِي قَدْ أَتَى عَمْرُ
 مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
 لِشِقَائِي كَانَ عُلُقُنَا وَلِحَيْنِي سَاقَهُ الْقَدَرُ
 قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ وَلِمَنْ نَاوَاكُمُ الْحَجَرُ

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع :

وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا

للغريض

وفي : يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكْرُ
 وفي : قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ
 وفي : ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا
 وفي : مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا

[ثاني ثقیل بالوسطی عن عمرو]

وفي : ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِيَابِ لَهَا

وما بعده أربعة متواليّة خفيف رمل بالوسطی للهذليّ .

وفي : «وطرقت» وبعده : «فإذا ريم» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقیل بالوسطی عن عمرو . وفيها بعينها ثقیلٌ أَوَّلُ يُقالُ إِنَّهُ لِلأبَجَرِ ، ويُنسب إلى غيره عن الهشاميّ .

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .

2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنّها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتّق الله ولا تقل هُجراً ؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيت . فقال للجارية : أقرّيها السلام وقولي لها : ابن عمّك لا يقول إلّا خيراً¹ . وقال فيها² :

صوت

لعائشة ابنة التيميّ عندي	جمي في القلب ما يُرعى حِماها
يُذكرني ابنة التيميّ ظبيّ	يرودُ بروضةٍ سهلي رباها
فقلتُ له ، وكاد يُراغ قلبي ،	فلم أر قطّ كالיום اشتياها
سوى حمشٍ يساقك مُستبين	وأنّ شواك لم يُشبه شواها ³
وأنّك عاطلٌ عارٍ وليست	بعارية ولا عطّل يداها
وأنّك غيرُ أفرعٍ وهي تُدلي	على المتنين أسحَمَ قد كساها ⁴
ولو قعدت ولم تكلف بوذ	سوى ما قد كلفت به كفاها
أظّل إذا أكلّمها كأنّي	أكلّم حيّة غلبت رفاها
تبيتُ إليّ بعد النوم تسري	وقد أمسيت لا أخشى سراها

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثعلب أول . وفيهما لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ خفيف ثقلٍ جميعاً عن المشاميّ . وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسب إلى معبد ؛ وهو يُشبه غنائه إلّا أنّه لم يروِه عن ثبّت⁵ ولم يذكر طريقته . قال : وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فتیان بني تميم ، أبلغهم إيّاه فتى منهم قال لهم : يا بني تميم بن مرّة ، هالله ليَقْذِفَنَّ بنو مخزوم بناتنا بالعظام وتغفلون ، فمشى ولدُ أبي بكر وولدُ

1 ل : حسناً .

2 ديوان عمر : 442 .

3 حمش : دقة الساقين .

4 أفرع : طويل الشعر .

5 ثبت : ثقة .

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم :
والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي
أولها¹ :

صوت

يا أمّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءَ لَيْنُ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا²
أَمْسَى الْعِرَاقِيَّ لَا يَذْرِي إِذَا بَرَزَتْ مَنْ ذَا تَطَوَّفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجَدَا

الغناء لمبعد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج
ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار
سافرة ، فنظر إليها فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهة يا فاسقُ ، فقال³ : [من الكامل]

صوت

إِنِّي وَأَوَّلَ مَا كَلِفْتُ بِذِكْرِهَا عَجَبٌ وَهَلْ فِي الْحَبِّ مِنْ مُتَعَجَّبٍ⁴
نَعَتْ النِّسَاءَ فَقُلْتُ لَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَبَّهَا لَهَا أَبَدًا وَلَا بِمُقَرَّبٍ
فَمَكُنْتُ حِينًا ثُمَّ قُلْنَ تَوَجَّهَتْ لِلْحَجِّ ، مَوْعِدُهَا لِقَاءَ الْأَخْشَبِ⁵
أَقْبَلْتُ أَنْظُرُ مَا زَعَمَنَ وَقُلْنَ لِي وَالْقَلْبُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ⁶
فَلَقِيتُهَا تَمْشِي تَهَادِي مَوْهِنًا تَرْمِي الْجِمَارَ عَشِيَّةً فِي مَوْكِبٍ
غَرَاءَ يُعْشِي النَّاطِرِينَ بِيَاضُهَا حَوْرَاءَ فِي غُلُوَاءِ عَيْشٍ مُعْجَبٍ
إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا جَلِبَتْ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلَبِ

الغناء لمبعد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيها
للغريض خفيف ثقيل عن الهشامي ، يُبدأ فيه بالثالث .

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هَفَّانَ عن إِسْحَاقَ قال أخبرني مُصْعَبُ الزَّيْرِيُّ : أَنَّ
عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قفي حتى

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : اقرب .

3 ديوان عمر : 49 ، 50 .

4 في الحب في ل : في الدهر .

5 الأخشب : أحد جبلين بمكة .

6 زعمت في ل : عزم .

أُسمِعَكَ ما قُلْتُ فيكَ . قالت : أَوْ قَدْ قُلْتُ¹ يا فاسق ؟ قال : نعم ، فوقفَتْ فَأَنشَدَهَا² : [من البسيط]

صوت

يا رَبَّةَ البَغْلَةِ الشَّهَاءِ هل لَكَ في أن تُنْشِرِي مَيِّتًا لا تُرْهِقِي حَرَجًا³
[ويروى : هل لَكُمْ في عاشقٍ دَنِفٍ]
قالت بدائك مُتْ أو عِشْ تُعَالِجْهُ فما نَرى لَكَ فيما عندنا فَرَجًا
قد كُنْتَ حَمَلْتَنَا غِيظًا نُعَالِجْهُ فإن تُقَدِّدْنَا فَقَدْ عَنَيْتَنَا حِجَجًا⁴
حَتَّى لَوْ اسْطِيعَ مَّا قَدْ فَعَلْتَ بِنَا أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غِيظٍ وما نَضِجَا

الغناء لابن سريج ثقیل أول مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاق ولم يُجنس منها إلا واحداً ، وذكر الهشامي أن أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أن الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . وإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا ورب هذه البنية ! ما عَنَيْتَنَا طَرْفَةً عَيْنٍ قَطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسٌ⁵ ، وسارت . وتتمام هذه الأبيات :

فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له ما مَحَّ حُبُّكَ من قلبي ولا نَهَجًا
ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسَرُّ به مُذْ بَانَ مَنْزِلُكُمْ مَنَا ولا نَلَجًا
ضَنْتُ بنائِلها عنه فقد تَرَكْتُ في غير ذنب أبا الخطاب مُخْتَلِجًا
قال : فلم تَزَلْ عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرَّض لها حتى قضت حجَّها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك⁶ :

إِنَّ مَنْ تَهَوَّى مع الفجرِ طَعَنَ لِلْهَوَى والقلبُ مِتْبَاعُ الْوَطَنِ
بانَتْ الشمسُ وكانت كلِّما ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّذَنَ⁷

1 ل : أَوْ قَدْ فَعَلْتُ .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أقاد به : قابله بالقصاص ؛ عناه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أخرى في الديوان ص 414 .

7 الدذن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فأتَمِرُ أمرَ رشيدٍ مُوْتَمِنٌ
نظَرْتُ عَيني إليها نظرةً تَرَكْتُ قلبي لَدَيْها مُرْتَهَنٌ
ليس حبٌّ فوقَ ما أُحِبُّهُما غيرَ أنْ أَقْتُلَ نفسي أو أُجَنِّ

فيها ثاني ثقل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سُرَيْج ، ونسبه ابن المكِّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مكة .

ومَّا يُغْنِي فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها¹ : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لقلبِ أُمسَى رهيناً مُعْنَى مُسْتَكِيناً قد شَفَّه ما أُجَنَّا²
إِثْرَ شخصٍ نفسي فَدَتْ ذاك شخصاً نازح الدَّارِ بالمدينة عَنَّا
لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المَهْنَا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقل بالسبابة في مجرى البِنْصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالوا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية ، فأرسل إليها رسولاً فضربتها وحلقتُها وأحلفتها ألا تعاد ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحامها رسُلُه . فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها : إن أوصلت لي رُقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنْتِ حُرَّةٌ ولكِ معيشتك ما بَقِيَتْ . فقالت اكتب لي مُكاتبةً واكتب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أمة لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مُكاتبةٌ³ لبعض أهل مولاتك جئتُ أَسْتَعِينُها في مُكاتبتني ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إنَّ بالباب مُكاتبةً لم أر قطُّ أجمل منها ولا أكمل ولا أدب . فقالت : ائذني لها ،

1 ديوان عمر : 406 .

2 رهينا في ل : حزينا .

3 المكاتبه : أمة قد كسب لها سيدها أن يجرها لقاء مبلغه مقدساً .

فدخلت . فقالت : مَنْ كَاتَبَكَ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فاقترني مكاتبتني . فمدت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئها ؛ فإن كان منك إلي شيء مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروه ؛ فعاهدتها وفطنت . وأعطتها الكتاب ، فإذا أوله¹ : [من السريع]

من عاشقٍ صَبَّ يُسِرُّ الهوى	قد شَفَّه الوجدُ إلى كلِّهم
رأتكِ عَنِّي فدعاني الهوى	إليكِ للحين ولم أعلم
قتلتنا ، يا حبذا أنتم ،	في غير ما جُرم ولا ماتم
والله قد أنزل في وحيه	مبيناً في آيه المحكم
من يقتل النفسَ كذا ظالماً	ولم يُقدها نفسه يظلم
وأنت ثأري فتلافني دمي	ثم اجعليه نعمة تنعمي
وحكمي عدلاً يكن بيننا	أو أنت فيما بيننا فاحكمي
وجالسيني مجلساً واحداً	من غير ما عارٍ ولا محرم
وخبريني ما الذي عندكم	بالله في قتل امرئ مسلم

قال : فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداعٌ ملقٌ ، وليس لما شكاه أصل . قالت : يا مولاتي ، فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أدنيتُ له ، وما زال حتى ظفر بيغيتي ؛ فقول لي : إذا كان المساء فلْيَجْلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهب لها . فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس . فتركته حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرني عنك يا فاسق ! ألسن القائل² :

هلاً استحييتِ فترحمي صبا	صديان لم تدعي له قلباً ³
جشيم الزيارة في مودتكم	وأراد ألا ترهقي ذنباً
ورجا مصالحةً فكان لكم	سليماً وكنتم ترينه حرباً ⁴
يا أيها المعطي مودته	من لا يراك مسامياً خطباً ⁵

1 ديوان عمر : 389-390 .

2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .

3 استحييت في ل : ارعويت .

4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .

5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
 وَصِلِ الْحَبِيبَ إِذَا شَغَفَتْ بِهِ وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا
 فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
 لَا بَلْ يَمْلُكَ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَبِئْتُ¹

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا هَوِيَ نطق اللسان بما يهوى . فمكث عندها شهراً لا يدري أهله أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن² فَضَحْتَنِي ؟ لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني . ففعل وتزوجها ؛ فولدت منه ابنتين أحدهما جُوَانٌ ؛ وماتت عنده .
 [عمر ولادة بنت عبد الله بن العباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه : أنَّ عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خلق الله ، فكاد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها³ : [من الكامل]

صوت

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنَّ قُلَالََةَ أَنْ تَسْأَلَا⁴
 إِلَيْتُ بِعَمْرِكَ سَاعَةً وَتَأْتِيهَا فَلَعَلَّ مَا بَخَلْتَ بِهِ أَنْ يُنْذَلَا
 قَالَ ائْتِمِرْ مَا شِئْتَ غَيْرَ مُخَالَفٍ فِيمَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ نَعْبَجَلَا
 لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطْيِيُّ مُعَقَّلَا
 حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظَلَامُهُ وَرَقَبْتُ غَفْلَةَ كَاشِحٍ أَنْ يَمْحُلَا⁵
 خَرَجْتُ تَأَطَّرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا أَيْمُ يَسِيبُ عَلَى كَثِيبٍ أَهْيَلَا⁶
 رَحَبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا فَتَبَسَّمتُ لَنَحِيَّتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي مُقْبِلَا
 وَجَلَا الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَّلَا

1 هاه : كلمة وعيد .

2 ل : أبعد ما .

3 ديوان عمر : 311 .

4 قلالة : قليلة .

5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .

6 تتأطر : تتشئ . الأيم : الحية .

فَلَيْسَتْ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ يُرْقَى بِهِ مَا اسْطَاعَ إِلَّا يَنْزِلَا

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقیل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، ابتدأه نشيد . وفيها لابن سريج ثقیل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً . وفيها لابن سريج في الأول والرابع من الأبيات رمل عن ابن المكي ، ولأبي دُلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقیل بالسبابة والبنصر ، وابتدأه نشيد من رواية ابن المكي . وفيه لمحمد بن الحسن بن مُصعب هزج .

أخبرني محمد بن مزید بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لما حجَّ الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبد فغناه :

[من الكامل]

وَدَّعْ لِبَابَةِ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا

فلم يزل يُردِّده عليه ، ثم أخرجه معه لما رحل عن المدينة ، فغناه في المنزل به حتى أراد الرَّحِيلَ ، فحمله على بغلة له وذهب غلام له يتبعه ؛ فقال : إلى أين ؟ فقال : أمضي معه حتى أجيء بالغلة . فقال : هيهات ! ارجع يا بني ، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك . وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو :

[من الطويل]

تَشْكِي الْكُمَيْتِ الْجَرِيَّ لَمَّا جَهَدْتُهُ

[عمر والثريا]

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهم الذين يقال لهم العَبَلَاتُ ؛ سُمُّوا بذلك لجدة لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهي من بطن من تميم يقال لهم البراجم ، غيرُ براجم بني أسد .

[نسب الثريا بنت علي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : كانت عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة ، عند رجل من بني جُشمَ بن معاوية ، فبعثها بأنحاء سمن تبعيها له بعكاظ ، فباعَت السمن وراحتين كان عليهما ، وشربت بثمرتها الخمر . فلما نفذ ثمنها رهن ابن أخيه وهربت ، فطلَّقها . وقالت في شربها الخمر :

[من المتقارب]

شَرِبْتُ بِرَاحِلَتِي مِجْحَنٍ فَيَا وَيْلَتِي ، مِجْحَنٌ قَاتِلِي
وَبَابِنَ أَخِيهِ عَلَى لَذَّةٍ وَلَمْ أُحْتَفِلْ عَذَلِ الْعَاذِلِ

قال : فتزوجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدت له أُمَيَّةُ الأصغر وعبدُ أُمَيَّةَ ونَوْفَلًا ، وهم العَبَلَاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بَكَار عن عمِّه : أَنَّ الثُّرَيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّةِ الأصغر ، وَأَنَّهَا أُخْتُ محمد بن عبد الله المعروف بِأبي جِرَابِ الْعَبْلِيِّ الذي قتله داود بن علي ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زياد المَكِّي :

ثَلَاثُ حَوَائِجٍ وَلَهْنٌ جِئْنَا فَقُمُ فِيهِنَّ يَا ابْنَ أَبِي جِرَابِ
فَإِنَّكَ مَاجِدٌ فِي بَيْتِ مَجْدٍ بَقِيَّةُ مَعْشَرٍ تَحْتَ التَّرَابِ

قال : وله يقول ابن زيادِ المَكِّي أيضاً :

إِذَا مُتَّ لَمْ تُوصَلْ بِعُرْفِ قَرَابَةٍ وَلَمْ يَتَّقَ فِي الدُّنْيَا رَجَاءَ لِسَائِلِ
قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إنما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، ووَرِثَ بِقُعْدُودِهِ¹ فِي النَّسَبِ دار عبد شمس بن عبد مناف ، وَحَجَّ معاويةُ فِي خِلاَفَتِهِ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الدَّارِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عبد الله بن الحارث بِمِجْحَنٍ لِيُضْرِبَهُ بِهِ وَقَالَ : لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بِطَنِكَ ، أَمَا تَكْفِيكَ الْخِلَافَةُ حَتَّى تَطْلُبَ هَذِهِ الدَّارَ ؟ فَخَرَجَ معاوية يَضْحَكُ .

[ترجيح المؤلف لنسب الثريا]

قال مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَهَذَا غَلَطٌ مِنَ الزَّبِيرِ عِنْدِي ، وَالثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ أُخْتُ الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّهَا رَبَّتِ الْغَرِيضَ الْمُغْنِيَّ وَعَلَّمَتْهُ النَّوْحَ بِالْمَرَاثِيِّ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنْ أَهْلِهَا يَوْمَ الْحَرَّةِ . وَإِذَا كَانَتْ قَدْ رَبَّتِ الْغَرِيضَ حَتَّى كَبُرَ وَتَعَلَّمَ النَّوْحَ عَلَى قَتْلِ الْحَرَّةِ [وهو رجل] ، وَهِيَ وَقَعَةٌ كَانَتْ بِعَقَبِ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ ، فَقَدْ كَانَتْ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ امْرَأَةً كَبِيرَةً ، وَبَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ قَتْلِهِ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةِ نَحْوُ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَقَدْ شَبَّ بِهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ ، وَأَنشَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ شِعْرَهُ فِيهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ أُخْتُ الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَقَدْ أَدْرَكَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَهِيَ امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ ! وَقَدْ اعْتَرَفَ الزَّبِيرُ أَيْضًا فِي خَبَرِهِ بِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ أَدْرَكَ خِلَافَةَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ؛ فَقَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا بَنَتْهُ ، أَصُوبٌ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَرَنَهَا بِمَنْ قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ .

1 القعدد : القرابة المتمكنة في الوراثة .

وهذا القول الذي قلته قولُ ابن الكلبي وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان ، قال وحدثني به جماعة من أهل العلم بنسب قريش .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن أيوب بن مسلمة ، أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مُسَهَّباً¹ بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت غرضة ذلك جَمَلاً وتَمَماً ، وكانت تصيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل² الرُكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار فيلهم . فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أنني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقط عني اسمه . فقال عمر : الثريا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عيلة ، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء³ ، وهي أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا وقد توقّعتَه وهي تتشوق له وتُشْرِفُ ، فوجدها سليمة عميمة ومعها أختها رُضَيّا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر⁴ :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِيَّ لَمَّا جَهَدْتُهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ⁵
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ أَلْتَقَى لِلْعَيْنِ قُرَّةً فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكِلَ وَتَسَامَا
لِذَلِكَ أَذْنِي دُونَ خَيْلِي رِبَاطُهُ وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
عَدِمْتُ إِذَا وَفَّرِي وَفَارَقْتُ مُهَجَّتِي لَعَنَ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا إِنْ اللَّهُ سَلَمَا

قال مسلمة بن إبراهيم : قلت لأَيُّوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيات : [من لخفيف]

حَبَّذا الحِجُّ والثَرِيَّا وَمَنْ بِالْ خَفِيفٍ مِنْ أَجْلِهَا وَمُلْقَى الرَّحَالِ
يَا سَلِيمَانُ إِنْ تُلَاقِ الثَرِيَّا تَلَقَّ عَيْشَ الْخُلُودِ قَبْلَ الْهَلَالِ
دُرَّةً مِنْ عَقَائِلِ الْبَحْرِ بِكْرٌ لَمْ تَشْنِهَا مَثَاقِبُ اللَّالِ

1 المسهب : السقيم من الحب .

2 ل : فيسائل .

3 كداء : جبل في أعلى مكة .

4 ديوان عمر : 341 .

5 ديوان ابن الرقيات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112-113 .

تَعْقِدُ الْمِئْزَرَ السُّخَامَ مِنَ الْخِزْزِ عَلَى حَقْوِ بَادِنٍ مِكَسَالٍ¹

[عمر ورملة الخراعية]

قال إسحاق في خبره عَمَّنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ ، وذكر مثله الزبير بن بَكَارَ فيما حَدَّثَنَا بِهِ عَنْهُ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤَمِّنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَفْلَحَ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَالَ حَدَّثَنِي بِلَالُ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ قَدِيمَ لِلْحَجِّ ، فَأَتَاهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ . فَلَمَّا قَضَى سَلَامَهُ وَمُسَاءَلَتَهُ عَنْ حَجِّهِ وَسَفَرِهِ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَبَا الْخَطَّابِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُ فِي بُلْهَنِيَّةٍ² مِنَ الْعَيْشِ . قَالَ : وَأَنْتَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : حَجَّتُ رَمْلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيَةِ فَقَالَ فِيهَا³ :

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
قَلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمَيْدُ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَ⁴
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَدَّ تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
وَنَرَى أَتْنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْ تَ بَظُنٍّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
بَسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعْتِ قَدْ نَرَاهُ لِنَظَرٍ مُسْتَبِينَا

غَنَّى مَعْبُدٌ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ . وَغَنَّى فِي الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ ابْنُ سَرِيحٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْهُ أَيْضاً . وَذَكَرَ حَيْشُ أَنَّ فِيهِ لِلْغَرِيضِ أَيْضاً لَحْناً مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبِنْصَرِ . قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ الثُّرَيَّا ، بَلَغَتْهَا إِيَّاهُ أُمُّ نَوْفَلٍ ، وَكَانَتْ غَضَبِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ انْتَشَرُ⁵ خَبْرُهُ عَنْ الثُّرَيَّا حَتَّى بَلَغَهَا مِنْ جِهَةٍ أُمُّ نَوْفَلٍ وَأَنْشَدَتْهَا قَوْلَهُ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ

1 السخام : اللين .

2 في بلهنية : في عيش مرفه .

3 ديوان عمر : 425-426 .

4 أُمَيْدُ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَ : أَقْسَمَ سَوَالِكَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ .

5 ل : استتر .

فقلت : إنه لوقاحٌ صنع¹ بلسانه ، ولئن سلّمتُ له لأردنَّ من شأوه ، ولأثيّنَّ من عِنايه ،
ولأعرّفنَّه نفسه . فلما بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

قُلْتُ مَنْ أَنتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِّدْ سُؤَالَكَ الْعَالَمِينَ

فقلت : إنه لسألٌ مُلِحٌّ ، [قُبْحاً له] ولقد أجابته إن وَفَتْ . فلما بلغتُ إلى قوله :

[من الخفيف]

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا

قلت : غَمَزَتْهُ الْجَهْمَةُ² ، فلما بلغتُ إلى قوله :

[من الخفيف]

قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أُنْ تَ عَسَى أَنْ يَجِرَّ شَأْنُ شُؤُونَا

قلت : رَمَتْهُ الْوَرْهَاءُ³ بآخر ما عندها في مقامٍ واحد . وهَجَرَتْ عَمَرَ .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي مُصْعَبُ : أنَّ
رملة بنت عبد الله بن خلف حجّت ، فتعرّض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها : [من الخفيف]

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ

وقال في هذه القصيدة :

[من الخفيف]

فَرَأَتْ حِرْصِي الْفَتَاةُ فَقَالَتْ خَبَرِيهِ ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا ؟

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا

قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أُنْ تَ عَسَى أَنْ يَجِرَّ شَأْنُ شُؤُونَا

قال الزبير : ورملةُ هذه أُمُّ طَلْحَةَ بْنِ عَمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وهي أُخْتُ طَلْحَةَ
الطَّلَحَاتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ .

[كثير يتغزل بنسوة من قريش رداً على عمر]

قال : فبلغتُ هذه الأبيات كثيراً ، فغضِبَ لذلك وقال : وأنا والله لا أتمارى أن سيجرُّ شأنُ

شؤوننا . ثم ذكر نسوة من قريش فساقهنّ في شعره من الحجّ حتى بلغ بهنّ إلى ملل⁴ ، ثم أشفقَ

فجاز ، ولم يزد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أولها⁵ :

[من الخفيف]

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .

2 الجهمّة : الضعيفة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 ملل : موضع بين مكة والمدينة .

5 ديوان كثير : 395-400 .

ما عَنَّاكَ الْغَدَاةَ مِنْ أَطْلَالٍ . دَارِسَاتِ الْمَقَامِ مُذْ أَحْوَالِ

صوت

قُمْ تَأْمَلْ فَأَنْتَ أَبْصَرُ مِنِّي هل تَرَى بِالْغَمِيمِ مِنْ أَجْمَالِ¹
 قَاضِيَاتِ لُبَانَةٍ مِنْ مُنَاخِ وَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ بِالْجِبَالِ²
 قَلَنْ عُسْفَانَ ثُمَّ رُحْنَ سِرَاعاً هَابِطَاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَزَالِ³
 وَارِدَاتِ الْكَدِيدِ مُجْتَرِعَاتِ جُزْنَ وَادِي الْحُجُونِ بِالْأَثْقَالِ⁴
 قَصْدَ لِفْتٍ وَهْنٍ مُتْسِقَاتُ كَالْعَدُولِي لَاحِقَاتِ التَّوَالِي⁵
 طَالَعَاتِ الْغَمِيمِ مِنْ عَبُودِ سَالِكَاتِ الْخَوِيِّ مِنْ أُمْلَالِ⁶
 فَسَقَى اللَّهُ مُتَوًى أُمَّ عَمْرٍو حَيْثُ أُمْتُ بِهَا صُدُورُ الرَّحَالِ
 حَبْدًا هُنَّ مِنْ لُبَانَةٍ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
 رَبُّ يَوْمٍ أُتِيهِنَّ جَمِيعاً عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ مِكَسَالِ⁷
 غَيْرَ أَنِّي امْرُؤٌ تَعَمَّمْتُ جِلْمًا يَكْرَهُ الْجَهْلَ وَالصَّبَا أُمَثَالِي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر
 الهشامي أن فيها للحَجَّجِيِّ رملًا بالْبِنْصَرِ .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فَلَمَّا هَجَرَتِ الثُّرَيَّا عَمْرَ قَالَ فِي ذَلِكَ :
 مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

فبلغ ابن أبي عتيق قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من
 الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره .

1 الغميم : موضع قرب المدينة .

2 بالجبال يروى أيضاً «بالخيال» .

3 عسفان : موضع قريب من مكة . غزال : قرن غزال وهو وادٍ .

4 الكديد : موضع بين عسفان وراغ .

5 لفت : وادٍ قريب من عقبة هرثى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .

6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السبالة وملل .

الخوي : اسم وادٍ . وأملاال : اسم موضع .

7 أُتِيهِنَّ فِي ل : رَأَيْتَهُنَّ .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةً¹ الوجه ، عظيمة الأنف ، حسنة الجسم ، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فديك² كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجعُ الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرته . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال : لما بلغ الثريا قولَ عمر بن أبي ربيعة في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتَهُ نُوْرَ بدرٍ يُضِيءُ لِلنَّاظِرِينَ

قالت : أفٍّ له ما أكذبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة .

[رحل بابنته لثلاً يشيب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حستان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن ذأب : أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مكة ، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً . فقال أبوها : كأنتي بها وقد كبرت ، فشَبَّ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أقمتُ بمكة . فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنته من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم ترَ أحداً من بني جُمَحَ حضر جنازته ، ولا وجدت لها مُسْعِداً ولا عليها داخلاً . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نحن ؟ وَمِنْ أَيِّ البلادِ نحن ؟ فخبّرتها . فقالت : لا جرّم والله لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة ! فباعَت الضيعة والدار ، وخرجت في أيام الحج . وكان عمر يقدّم فيعتمر في ذي القعدة ويحلُّ ، ويلبس تلك الحُللَ والوشى ، ويركب النجائب المخضوية بالحناء عليها القُطوع³ والديباج ، ويسبل لِمَتَهُ ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق مُحَرَّمات ، ويتلقى المَدَنِيَّاتِ إلى مرٍّ ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعراقيات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جارية كأنها القمر ، تُعَادِلُها جارية سوداء كالسُّبْجَةِ⁴ . فقال للسوداء : مَنْ أنتِ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أنتِ يا خالة ؟ فقالت : لقد أطل الله تعبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .

2 أبو فديك : عبد الله بن ثور ، تغليي خرج في البحرين أيام بني أمية .

3 القُطوع : الطنافس .

4 السُّبْجَةُ : ثوب أو قميص أسود .

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ هَذَا الْعَالَمَ مَنْ هُمْ وَمَنْ أَيْنَ هُمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَسَى أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ شَأْنٌ .
قَالَتْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ فَمَكَّةُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ وَرَحَلْنَا إِلَى
بَلَدِنَا ؛ فَضَحِكُ . فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى سَوَادِ ثُنَيْتِيهِ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ :
عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ . قَالَ : وَبِمَ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَتْ : بِسَوَادِ ثُنَيْتِكَ وَبِهَيْئَتِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا
لِقْرِيشٍ ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِيدُ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَا

وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ . فَلَمْ يَزَلْ عَمْرُ بِهَا حَتَّى تَزَوَّجَهَا وَوَلَدَتْ لَهُ .

أخبر صلح الثريا وعمر |

قَالَ : فَلَمَّا صَرَمَتِ الثَّرِيَا عَمْرَ قَالَ فِيهَا¹ :

[من الخفيف]

صوت

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ
سَلَبْتَنِي مَجَاجَعَةُ الْمِسْلِكِ عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
أُبْرِزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْتِرَابِ²

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالبصرة عن عمرو ، وذكر حبش أنه للملك .

[ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا |

أَخْبِرْنِي الْحَرَمِيَّ بْنَ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤْمِنُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
أَفْلَحَ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ قَالَ أَخْبِرْنِي بِإِلَالِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ : أَنَشِدْ ابْنَ أَبِي
عَتِيقٍ قَوْلَ عَمْرٍ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِيَّايَ أَرَادَ وَبِي نَوَهُ ، لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْلًا حَتَّى أَشْخَصَ فَأُصْلِحَ
بَيْنَهُمَا ، وَنَهَضَ وَنَهَضْتُ مَعَهُ ؛ فَجَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُمْ نَجَائِبُ لَهُمْ
فُرَّةٌ يُكْرَوْنَهَا ، فَاتَكْرَى مِنْهُمْ رَاحِلَتَيْنِ وَأَعْلَى لَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : اسْتَوْضِعْهُمْ أَوْ دَعْنِي أَمَا كَسَهُمْ ؛
فَقَدْ اسْتَطَوْا عَلَيْكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ؟ ثُمَّ رَكِبَ

1 ديوان عمر : 59-60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحدهما وركبتُ الأخرى ، فسار سَيْرًا شديدًا ؛ فقلتُ : أبقِ على نفسك ؛ فإنَّ ما تريد ليس يَفُوتُكَ . فقال : وَيَحْك ، [من الخفيف]

أَبَادِرُ حَبْلِ الْوَدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا

وما حلاوة الدنيا إنَّ تمَّ الصَّدْعُ بينَ عمرَ والثريا ؟ فَقَدِمْنَا مَكَّةَ لَيْلًا غيرَ مُحْرَمِينَ ، فَدَقَّ على عمر بابهُ ، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركبْ أَصْلِحَ بَيْنِكَ وبينَ الثريا ؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وَقَدِمْنَا الطَّائِفَ ، وقد كان عمرُ أَرْضَى أُمَّ نُوْفَلٍ فكانت تطلبُ له الحِيلَ لِإِصْلَاحِهَا فلا يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريا : هذا عمر قد جَشَمَنِي السَّفَرُ من المدينة إليك ، فجئتُكَ به مُعْتَرِفًا لكَ بِذَنْبٍ لم يَجْنِهِ ، معترداً إليك من إساءته إليك ؛ فدعيني من التَّعْدَادِ والتَّردَادِ ؛ فَإِنَّهُ من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحته أحسن صَلُحٍ وأتمَّ وأجملهُ ، وكرَّرْنَا إلى مَكَّةَ ، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل . وزاد عمر في أبياته¹ :

أَزْهَقْتُ أُمَّ نُوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابٍ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدَّعَاءِ كَمَا لَبَّ سَى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

قال الزبير : وما دَعَتْهَا أُمَّ نُوْفَلٍ إِلَّا لِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، وَلَوْ دَعَتْهَا لَعَمْرُ مَا أَجَابَتْ . قال : وسألتُ عَمِّي عن أُمَّ نُوْفَلٍ ، فقال : هي أُمُّ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَبِي الثَّرِيَّا . وسألتُه عن قوله :

..... كَمَا لَبَّ سَى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

فقال : كَرَّرْتُ فِي التَّلْبِيَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُحْرِمُ ، فَقَالَتْ : لَيْتَكَ لَبِيتَ .
وَأَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ بَعْضَ الْمَكِّيِّينَ قَالَ : كَانَتْ الثَّرِيَّا تَصُبُّ عَلَيْهَا جَرَّةَ مَاءٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ فَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ فَخْذَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ عِظَمِ عَجِيزَتِهَا .
وَأَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بِخَبَرِ الثَّرِيَّا هَذَا مَعَ عُمَرَ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ مَا ذَكَرَهُ الزَّبِيرُ ، وَقَالَ فِيهِ : لَمَّا أَنَاخَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ بِيَابَ الثَّرِيَّا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : مَا حَاجْتُكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَنْشَدَهَا الشَّعْرَ . فَقَالَتْ : ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَارِغْ وَنَحْنُ فِي شُغْلٍ ، وَقَدْ تَعَبْتُ فَأَنْزِلْ بِنَا . فَقَالَ : مَا أَنَا إِذَا بَرَسُولٌ . ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمَا .

1 الأبيات في القصيدة السابقة في الديوان .

حدَّثني أحمدُ بن عبيد الله بن عمَّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثني إبراهيم بن إسحاق العنزيُّ قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أيُّوب بن عبايَةَ ، وأخبرني به الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أَفْلَح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قَدِمَ عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلَمَّا استلقى قال : أَوْه ! [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن بلغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصلَّى مرَّ بنصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا محجنٍ . قال لَيْكَ ! قال : أتودعُ إلى سُلَمَى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تقول لها يا ابن الصَّدِّيق : إنك مررتَ بي فقلتَ لي : أتودعُ إليها شيئاً ، فقلتُ :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلَمَى وَأَنْتَ صَبُورُ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الْعَزْمِ مِنْكَ جَدِيرُ¹
وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلِقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَى بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ²

قال : فمرَّ بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها «الْقَسْرِيَّةُ»² ، فأبلغها الرسالة ؛ ففرَّت زَفَرَةً كادت أن تفرَّق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن جوابك أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعَكَ الآنَ لَنَعَقَ وصار غُرَاباً . ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب . فقالت له : أما وجد رسولاً أصغرَ منك ؟ انزل فأريح . فقال : لستُ إذاً برسول ؛ وسألها أن ترضى عنه ، ففعلت . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خَشِيتُ أَنْ تُضَيِّعَ هذه الرسالة . قالت : أدَّى الله عنك أمانتك . قال : فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُهُ إليك ؟ قالت : تنشده قوله في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتُهُ ضَوْءٌ بِدِرٍ أَضَاءَ لِلنَّاطِرِينَا
فقال : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا ابْنَةَ أَخِي أَنْ تَغْلِبَنِي بِالْمَثَلِ السَّائِرِ . قالت : وما هو ؟ قال : «حَرِيصٌ لَا يَرَى عَمَلَهُ» . قالت : فما تشاء ؟ قال : تَكْتُبِينَ إِلَيْهِ بِالرِّضَا عَنْهُ كِتَاباً يَصِلُ عَلَى يَدِي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجعَ من قَوْرِهِ حتى قَدِمَ مَكَّةَ ، فأتى عمرَ . فقال له : من أين أَقْبَلْتَ ؟ قال : من حيث أرسلتني . قال : وأنتَ ذلك ؟ قال : من عند الثريا ، أَفْرِخْ رَوْعَكَ ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتان في مجموع شعر نصيب (الدكتور داود سلوم) :

[تغني ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن علي ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غنني «من رسولي إلى الثريا . . .» ؛ فسكت عنه فم يجبه . فقال له جليس له : أيقول لك غنني فلا تجيبه؟! فسكت . فقال له الحسن : مالك ؟ ويحك ، ألك خيال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك إليها ، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا ، فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أتخير لك أي الصوتين أغني : أقوله¹ : [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَافِنِي الهمُّ وَاغْتَرَّتَنِي الهمومُ
يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّنِي مُسْتَهَامٌ بِهِوَائِكُمْ وَأَنَّنِي مَرْحُومٌ

أم قوله :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فقال له الحسن : أسأنا بك الظنُّ أبا جعفر ، غنَّ بهما جميعاً ، فغناهما . فقال له الحسن : لولا أنك تغضب إذا قلنا لك : أحسنت ، لقلتُ لك : أحسنت والله ، قال : ولم يزل يرددُّهما بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .

[ينشد عمرُ ابن أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحرَّمي بن أبي الغلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الرِّبَعي عن أبيه قال : أنشد عمرُ بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله :

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لِلثَّرِيَا شَبِيهَا بِمَسِيلِ التَّلَاعِ يَوْمَ التَّقِينَا

فلما بلغ إلى قوله :

ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا قَدْ ظَلَمْنَا إِنْ رَدَدْنَاهُ خَائِبًا وَاعْتَدَيْنَا

قال : أحسنت والهدايا² وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق مُتَمَثِّلًا قول الشاعر :

[من الخفيف]

أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنِ أَوْ بِخِيَلًا مُخَلَّدًا³

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .

2 والهدايا : قَسَمٌ ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحج .

3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خلأ من الأيسر وأمن

قال ابن أبي عتيق : أمكنت للشارب الغدر «من عال بعدها فلا أنجبر»¹ . فلما بلغ إلى قوله :

فمكنتا كذاك عشراً تباعاً في قضاءٍ لدنينا واقتضينا

قال : أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه ، فلا عرفكما الله قبيحاً ! فلما بلغ إلى قوله :

كان ذا في مسيرنا إذ حجبنا علم الله فيه ما قد نونا

قال : إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه ، فأرود² التفسير ، ولئن مت لأموتن معك ، أف³ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب . فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد .

قال : فلقي الحارث بن خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تتحللاً مني³ ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يغفر الله لك يا أبا عمرو ، إن ابن أبي ربيعة يُبرىء القرح ، ويضع الهناء مواضع النقب⁴ ، وأنت جميل الخفض . فضحك الحارث بن خالد وقال : «حبك الشيء يُعمي ويصم» . فقال : هيهات أنا بالحسن عالم نظار !

[خبر السواد في ثنيتي عمر]

وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمه مُصعب في خبره : أن امرأة غارت عليه فاعترضته بمسواك⁵ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا .

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المسيبي وأبي الحسن المدائني : أنه أتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا الست وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعت . فقال لها : إنه ليس ممن أحشيمه ولا أخفي عنه شيئاً ؛ واستلقى فضحك ، وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر ، فخرجت إليه فضربت به بظاهر كفها ، فأصابت الخواتيم ثنيتيه العلين فنغضتا وكادت تسقطان⁵ ، فقدم البصرة فعولجتا له ، فثبنتا واسودتا . فقال الحزين الكِناني يُعيره بذلك ، وكان عدوه وقد بلغه خبره :

[من البسيط]

1 من عال بعدها فلا أنجبر : هذا مثل ، أي من افقر بعد هذا فلا استغنى .

2 أرود : ترفق ؛ وربما قرنت فأرود .

3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حل .

4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .

5 ل : فنغضتا ، وكادت أن تقنعهما وخاف أن يسقطا .

ما بالُ سِنَّكَ أُمَ ما بالُ كَسْرَهما أَهْكَذا كُسِرا في غيرِ ما باس¹
 أم نَفَحَةٌ من فتاةٍ كُنْتَ تَأَلَّفُها أم نالَها وَسَطٌ شَرِبَ صَدْمَةُ الكاسِ
 قال : ولقيه الحزين الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذْهَبْ اذْهَبْ ،
 وَيَلْكَ ، فَإِنَّكَ لا تُحَسِّنُ أن تقول² :

صوت

لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا ما تَعِدُ وَشَفْتَ أَنْفَسَنَا مَما تَجِدُ
 واستَبَدَّتْ مَرَّةً واحدةً إِنَّمَا العاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُّ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وخفيف رملٍ
 [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي . ولما لك [فيه] ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشامي .
 ولُتَيْمٌ ثاني ثَقِيلٍ عن ابن المعتز . وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مُخارق أن خفيف الرمل ليحيى
 المكيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :

اسْلَمِي يا دارُ مِنْ هَند

أخبر الثريا مع الحارث أخي عمر أ

حدّثني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفان عن إسحاق الموصليّ عن رجاله المذكورين :
 أن الثريّا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرته ، فصادفت
 أخاه الحارث قد طرّقه وأقام عنده ، ووجّه به في حاجة له ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه ، فلم
 يشعر الحارث إلّا بالثريّا قد أَلقتَ نفسَها عليه تُقبّله ، فانتبه وجعل يقول : اغزُبِي عَنِّي فلستُ
 بالفاسق ، أخزأكما الله ، فلما عِلِمْتُ بالقِصّة انصرفت . ورجعَ عمرُ فأخبره الحارث بخبرها ؛
 فاعتمَ لِمَا فاتَه منها ، وقال : أَمّا والله لا تَمسُكُ النارُ أبداً وقد أَلقتَ نفسَها عليك . فقال له
 الحارث : عليك وعليها لعنةُ الله .

وأخبرني بهذه القِصّة الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكَار عن يعقوب بن إسحاق
 الربيعيّ عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفِيّ : أن الحارث بن عبد الله زار
 أخاه ، ثم ذكر نحوه من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : بَلَغَ عمرُ خبرها ، فجاء إلى أخيه
 الحارث وقال له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، ما لَكَ ولأمةِ الوهابِ ابتِك ؟ أَتَنكُ مُسَلِّمةً عليك فلعتَها
 وزجرتها وتهدّدتها ، وما هي تيك باكية . فقال : وإنّها لهي ، قال : ومنَ تَراها تكون ؟ قال :
 فانكسر الحارثُ عنه وعن لَوَمِهِ .

1 ما بالُ كسرهما في ل : أم ما شأن حسنهما .

2 ديوان عمر : 101-102 .

[سهيل يتزوج الثريا]

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار . ورواه أيضاً حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العماري ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا ، وقال الزبير : بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنه كان هناك منزله ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيانِ

هي شاميةٌ إذا ما استقلتُ وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَمَانِي

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالنصر . وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالنصر . وأولُ هذه القصيدة¹ :

أيها الطارق الذي قد عَنَانِي بعد ما نام سامِرُ الرُّكْبَانِ

زَارَ مِنْ نَازِحٍ بغيرِ دليلٍ يَتَخَطَّى إِلَيَّ حَتَّى أَتَانِي

وذكر الرياشي عن ابن² زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التميمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال : كان عمر بن أبي ربيعة قد ألحَّ على الثريا بالهوى . فشقَّ ذلك على أهلها ، ثم إنَّ مسعدة بنَ عمر أخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرَضَ له ، وتزوجت الثريا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر ، فقال :

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيانِ

وذكر الأبيات . وقال في خبره : ثم حملته الشوقُ على أن سار إلى المدينة فكتب إليها³ :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابٌ مُؤَلِّهِ كَمِدٍ

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أولها «أيها المنكح» .

2 هو محمد بن زكريا الغلابي .

3 ديوان عمر : 114 .

كَتَبَ وَكَفَى الْعَيْنِ مِنْ بِالْحَسَرَاتِ مَنْفَرِدِ
يُورِّقُهُ لَهَيْبُ الشَّوْ قِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَدِ¹
فِيْمَسِكُ قَلْبَهُ بِيَدِ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ
وكتبه في قُوْهِية² وشفه وحسنه وبعث به إليها . فلما قرأته بكت بكاءً شديداً ، ثم
تمثلت :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ³
وكتبت إليه تقول⁴ :

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ أَمِدَّ بِكَافُورٍ وَمِسْكٍ وَعَنْبَرٍ
وَقِرْطَاسُهُ قُوْهِيةٌ وَرِبَاطُهُ بِعَقْدٍ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ
وَفِي صَدْرِهِ : مَنِّي إِلَيْكَ نَحِيَّةٌ لَقَدْ طَالَ تَهْيَامِي بِكُمْ وَتَذَكُّرِي
وَعُنْوَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ إِلَى هَائِمٍ صَبٌّ مِنَ الْحَزَنِ مُسْعَرٍ
قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشعره مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك ،
ولكنِّي ذكرته كما وقع إليَّ .
[الثريا عند الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مولى فائِدٍ وَمَنْ ذكر خبره مع الثريا : فمات عنها سهيلاً أو طَلَّقَهَا ، فخرجت إلى
الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دَيْنٍ عليها ؛ فَبَيْنَا هي عند أُمِّ الْبَيْتِ بنتِ عبد العزيز بن
مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريا جاءتنِي ، تَطْلُبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ دَيْنٍ
عليها وَحَوَائِجَ لها . فَأَقْبَلَ عليها الوليدُ فقال : أَتُرَوِّينَ من شعرِ عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت :
نعم ، أَمَا إِنَّهُ يَرْحَمُهُ اللَّهُ كَانَ عَفِيفاً عَفِيفَ الشَّعْرِ ، أُرْوِي قوله⁵ :

صوت

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْيْنِ لَوْ بَيَّ مَنْ رَجَعَ السَّلَامِ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فِيَالِي قَصْرِ ذِي الْعُشَيْرَةِ فَالْصَّا ئِفِ أُمْسَى مِنَ الْأُنَيْسِ يَبَابَا⁶

1 السحر : الرثة .

2 قوهية : قطعة قماش من صنع قوهستان .

3 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 لليل تروثي قيس .

4 انظر خزائن الأدب 1 : 31 وما بعدها .

5 ديوان عمر : 40 .

6 ذو العشيرة : موضع بالصَّمان . الصائف : من نواحي المدينة .

وبما قد أرى به حيّ صِدْقٍ ظاهري العيشِ نعمةً وشباباً
إذ فؤادي يَهْوَى الرِّبابَ وأنتى الدُّ هرَ حتّى المماتِ أنسى الرِّباباً
وحساناً جَواريّاً خَفِرَاتٍ حافظاتٍ عند الهوى الأحساباً
لا يُكثَرْنَ في الحديثِ ولا يت بعنَ يَنعِقْنَ بالبِهامِ الظُّراباً¹

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلما خلا الوليدُ بأُمِّ البَينِ قال لها : لله دَرُ الثريا ، أتدريينَ ما أرادتُ بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إني لما عرّضتُ لها به عرّضتُ لي بأن أُمِّي أعرايية . وأُمُّ الوليد وسليمان ولأدّة بنتُ العبّاس بن جزيّ بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسيّ .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لملك بن أبي السّمح خفيف ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البَينِ . وفيها لابن سريج رمل بالخِصر في مجرى البَينِ . وفيها لإبراهيم خفيف ثَقِيلٍ بالسبابة في مجرى البَينِ كلها عن إسحاق . وذكر حبش أيضاً أنّ فيها لابن مِسجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لابن مُحَرِّزٍ فيها خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى .

ومّا يُعْنَى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها «من رسولي» :

صوت

وتَبَدَّتْ حتّى إذا جُنَّ قلبي حال دوني ولأيدٌ بالثيابِ
يا خليلي فاعلماً أنّ قلبي مُستَهامٌ برّيةِ المِحرابِ²

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها :

صوت

أَقْتَلِينِي قَتلاً سَريعاً مُرِحاً لا تَكُونِي عَلَيَّ سَوَطَ عَذابِ
شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنديُّ فهي كالشمس من خِلالِ السَّحابِ³

الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٍ بالبَينِ عن عمرو . ومنها :

1 يعني أنّهنّ لسن راعيات غنم ، يصحن زجراً لها بين الروابي (الظراب) .

2 المِحراب هنا : العلية .

3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قال لي صاحبي لَيْعَلَمَ ما بي أَتُحِبُّ الْبُتُولَ أُخْتَ الرَّيَّابِ¹
 قلتُ وَجَدِي بها كَوَجْدِكَ بالما ء إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
 الغناء للملكِ رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أذْكَرْتَنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا بَرَزْتَ من دُجْنَةِ وَسْحَابِ
 أَزْهَقْتَ أُمَّ نَوْفَلٍ إذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، ما لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ
 حين قالت لها أَجِيبِي فقالت مَنْ دَعَانِي ؟ قالت أَبُو الْخَطَّابِ
 الغناء للغريض خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميِّ وحمَّاد بن إسحاق . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَبًا ثم مرحباً بالتي قا لَتْ غَدَاةَ الْوَدَاعِ عند الرِّحِيلِ
 لِلثَّرِيَا قُولِي له أَنْتَ هَمِّي وَمُنَى النَّفْسِ خَالِيًا وَخَلِيلِي
 الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الْبِنْصَرِ عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف
 رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عن عمرو . ومنها³ : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بَأْنَ الْبَيْنِ بَعْدَ غَدِ فَاَلْقَبُ مِمَّا أَزْمَعُوا يَجِفُّ⁴
 تَشْكُو وَنَشْكُو ما أَشَتْ بِنَا كُلُّ لَوْشَكِ الْبَيْنِ يَعْتَرِفُ
 حَلَفُوا لَقَدْ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَحَلَفْتُ أَلْفًا مِثْلَ ما حَلَفُوا
 الغناء للغريض خفيف ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى . ومنها⁵ : [من الخفيف]

صوت

فَلَوْتُ رَأْسَهَا ضِرَارًا وَقَالَتْ لَا وَعَيْشِي وَلَوْ رَأَيْتُكَ مِتًّا

1 البتول في ل : القبول .

2 ديوان عمر : 301-302 .

3 ديوان عمر : 258 .

4 وجف يجف : خفق .

5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آثَرْتَ بِالْمُودَّةِ غَيْرِي وَتَنَاسَيْتَ وَصَلْنَا وَمَلَلْنَا
قَدْ وَجَدْنَاكَ إِذْ خَبِرْتَ مَلُولًا طَرَفًا لَمْ تَكُنْ كَمَا كُنْتَ قُلْنَا¹

الغناء للمالك رمل ثقيل¹ أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي ، وكذا رَوَّته دنانير عن فليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

يَا خَلِيلِي سَائِلَا الْأَطْلَالَ وَمَحَلًّا بِالرَّوَضَتَيْنِ أَحَالَا³
وَيُرَوَّى : بِالْبُلْبُلَيْنِ إِنْ أُحْرَنْ سُؤَالَا⁴

وَسَفَاهُ لَوْلَا الصَّبَابَةُ حَبْسِي فِي رُسُومِ الدِّيَارِ رَكْبًا عِجَالَا
بَعْدَ مَا أَفْقَرْتُ مِنْ آلِ الثَّرِيَا وَأَجَدْتُ فِيهَا النَّعَاجُ ظِلَالَا

الغناء لابن سريج هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحكم الوادي ثقيل أول من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أن فيه لابن عائشة لحنًا لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحنًا ولم يُجنِّسه . وقال حبش : فيه لإسحاق ثقيل⁵ أول بالوسطى .

[سهيل ينقل الثريا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي ، يعني أبا العيناء ، عن القَحْذَمِيِّ عن أبي صالح السَّعْدِيِّ قال : لما تزوج سُهَيْل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشام ، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله ، فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه . فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنَكِّرًا حتى مرَّ بالخيمة ؛ فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضتها : كلميه ؛ فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرِّجِل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودَّعها وبكى طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ، ثم اتبعهم بصره حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول⁵ : [من البسيط]

1 الطرف : الملول .

2 ديوان عمر : 321-322 .

3 الروضتان : مثى يراد به المفرد .

4 أحرن : رجعن ، رددن .

5 ديوان عمر : 315-317 مع بعض اختلاف .

عن حالٍ مَنْ حَلَّهْ بِالْأُمْسِ مَا فَعَلَا
 إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَاحْتَمَلَا
 فِي الْفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عَيْسِيهِمْ زَجَلًا¹
 هَوَاتِفُ الْبَيْنِ وَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلَا
 بِاللَّهِ لُؤْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
 مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْنِي بِهِ جَدَلَا
 فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقَلَا
 فِي بَعْضِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرِّجُلَا²
 وَإِنْ أَتَى الذَّنْبُ مِمَّنْ يَكْرَهُ الْعَدَلَا
 مَا آبَ مُعْتَابُهُ مِنْ عِنْدِنَا جَدَلَا
 وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى ذِي اللَّبِّ مَنْ هَزَلَا
 وَقَدْ أَرَى أَنَّهَا لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا³
 وَلَا الْفَوَادُ فَوَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا
 فَمَا عَبَّاتُ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوْلَا⁴
 مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَاشِي إِذَا مَجَلَا⁵
 وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَّنِي زَلَلَا

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخِيرِ الطَّلَلَا
 فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ
 وَخَادَعْتُكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ
 لَمَّا وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَخَتْ
 صَدَّتْ بَعَادًا وَقَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا
 وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتِ وَاسْتَمِعِي
 حَتَّى يَرَى أَنَّ مَا قَالَ الْوُشَاةُ لَهُ
 وَعَرَفِيهِ بِهِ كَالْهَزْلِ وَاحْتَفِظِي
 فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ
 لَوْ عِنْدَنَا اغْتَيْبَ أَوْ نِيلَتْ نَقِصَتُهُ
 قُلْتُ اسْمِعِي فَلَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي لَطْفِ
 هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْذِرَهَا
 مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مَنْ تَقَلَّبَهُ
 أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أُتِيتَ بِهِ
 مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ
 إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطَتِهِ

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المربان
 قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني
 كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل أبيات شعرٍ أتخ
 بها على الثريا فقلت :

[من الخفيف]

1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .

2 في بعض في الديوان : في غير .

3 لأعذرهما في الديوان : لتعذرهما .

4 الحول : الحيلة .

5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

صوت

أَلَا يَا عَيْنُ مَا لَكَ تَدْمَعِينَا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيتِ فَتُكْحَلِينَا
أَمْ أَنْتِ حَزِينَةٌ تَبْكِينَ شَجَوًّا فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونَا

غنى الغريضُ في هذين البيتين لحناً من خفيف الثَّقِيلِ الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى
المكي والهشامي وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبِي قال حدَّثنا الزبير بن بَكَار قال حدَّثني عبد الجبَّار بن سعيد
المُساخِقي قال حدَّثني إبراهيم بنُ يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدِّه عن ثعلبة بن
عبد الله بن صُعَيْر : أنَّ عمرَ بن أبي ربيعة نظرَ في الطَّوافِ إلى امرأةٍ شريفة ، فرأى أحسنَ خلقِ
الله صورةً ، فذهب عقله عليها ، وكلَّمها فلم تُجِبْهُ ؛ فقال فيها¹ : [من البسيط]

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِّنْ تَسْحَبِ الرِّيحِ
كَيْمَا تَجُرُّ بِنَا ذَيْلًا فَتَطْرَحُنَا عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُعْبَرَةٌ سُوحُ
أَنْتِي بِقُرْبِكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أُمَسْتُ لَنَا رُوحُ
فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِيحُ
إِحْدَى بُنَيَاتٍ عَمِّي دُونَ مَنْزِلِهَا أَرْضٌ بِقِيَعَانِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ

فبلغها شعره فجزعت منه . فقل لها : اذكريه لزوجك ؛ فإنه سينكر عليه قوله .
ف قالت : كلاً والله لا أشكوه إلا إلى الله . ثم قالت : اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً
فاجعله طعاماً للريح . فضرَبَ الدهرُ مِنْ ضَرْبِهِ ، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبت ريحٌ فنزلَ
فاستتر بسلمة² ، فعصفت الريحُ فخذشه غصنٌ منها فدمي وورم به ومات من ذلك .

1 ديوان عمر : 89 .

2 ل : فنزل فاستدري .

[6] - أخبار ابن سريج ونسبه¹

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويُكنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مناف . وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال : ابن سريج مولى لبني ليث ، ومنزله مكة .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عتبة اللّهي عن ابن سريج فقال : هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفي بني عائذ يقول الشاعر :

فإن تصلح فإنك عائذي² وصلح العائذي إلى فساد³

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدّم سناطاً⁴ في عينيه قبل⁵ ، بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصلح فكان يلبس جمة⁶ مركبة ، وكان أكثر ما يرى مقنعا ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال : كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يُلقب «وجه الباب» ، وصلح فكان يلبس جمة ؛ وكان لا يُغني إلا مقنعا يُسبل القناع على وجهه .

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين : كان ابن سريج أحسن الناس غناءً ، وكان يُغني مرتجلاً ويوقع بقضيب ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .

2 من قصيدة لحسان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزائن 6 : 103-104 .

3 سناط : لا يثبت شعر في لحيه .

4 القبل : ضرب من الحول .

5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عتبة اللّهيّ يروي مثل ذلك فيه ، وذكر أنّ قبره بنخلة¹ قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسنّ قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناء . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذليّ : سمعت ابن جريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيد .

قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيّوب بن سلمة المخزوميّ قال : كان في عين ابن سريج قبلّ حلّو لا يبلغ أن يكون حولاً ، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صلّع في جبهته ، وكان يلبس جمّة مركبة فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يلقّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تركيّاً .

وقال أبو أيّوب المدنيّ : كان ابن سريج ، فيما روينا عن جماعة من المكيّين ، مولى بني جندع بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنى سدّل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله ، وكان يوقع بقضيب ، وقيل : إنّه كان يضرب بالعود ، وكانت علته التي مات منها الجدّام .

[ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسيّ على الغناء العربيّ.]

قال إسحاق وحدثني أبيّ² قال : أخبرني من رأى عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس ، وكان ابن سريج أوّل من ضرب به على الغناء العربيّ بمكة . وذلك أنّه رآه مع العجم الذين قدّم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أحذق الناس .

[أمّ ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيريّ : أنّ أمّ ابن سريج مولاة لآل المطلّب يقال لها «رائقة» ، وقيل : بل أمّه هند أخت رائقة ؛ فمنّ ثمّ قيل : إنّ مولى بني المطلّب بن حنطب . وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحكم بن المطلّب بن عبد الله بن المطلّب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قریش ووجوها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجّع .

[أصول الغناء العربيّ]

قال إسحاق : وأصل الغناء أربعة نفر : مكّيّان ومدنيّان ؛ فالمكّيّان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيّان : معبد ومالك .

1 هي نخلة اليمانية .

2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أول شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمار : أخبرني بذلك من شئت من مَشِيخَتِنَا : أن يوماً شُهِرَ فيه ابن سريج بالغناء في خِتان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين . قال لأم الغلام : خَفِّضِي عليك بعض الغُرم والكُلْفَة ؛ فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه .

[شهادة هشام بن المُرَيَّة في ابن سريج]

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرَيَّة ، وكان قد عُمِرَ ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلت له : مَنْ أَحَدَقُ الناس بالغناء ؟ فقال لي : أَتَجِبُ الإِطَالَة أم الاختصار ؟ فقلت : أَحَبُّ الاختصار الذي يأتي على سؤالي . قال : ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أَحَدَقَ منه بالغناء ، وبذلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعمجه غناؤه وقال : أنا اليوم سريجِي .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة : ابن سريج وابن مُحَرِّز والغريص ومعبد . فقلت له : من أحسن الناس غناء ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال نعم . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئت فسرت لك ، وإن شئت أجملت . قلت : أجمل . قال : كأنه خُلِقَ من كل قلب ، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي .

[شهادة إبراهيم الموصلي فيه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال قال حماد بن إسحاق : أخبرني أبي عن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك قال : سألت إبراهيم الموصلي ليلة وقد أخذ منه النبيذ : مَنْ أَحْسَنُ الناس غناء ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابن محرز . قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال لي : إن كان ابن سريج إلا كأنه خُلِقَ من كل قلب فهو يُغَنِّي له ما يشتهي !

[شهادة إسحاق الموصلي فيه]

أخبرني جَحْظَة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : أرسلني محمد بن الحسين بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَدَتْهُ

أَيُّهُمَا أَحْسَنُ ؟ فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ فَرَزَعَرَعْتُهَا وَأَنْحَتُهَا وَقَمْتُ بِهَا فَمَا بَلَغَتْهُ . فَرَجَعْتُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ لَحْنَ أَحْسَنُ مِنْ لَحْنِ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَلَقَدْ تَحَامَلُ لَابْنُ سَرِيحٍ عَلَى نَفْسِهِ ،

ولكن لا يدع تعصُّبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكره جَحْظَةُ في خبره ولم يقل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جَحْظَةُ في خبره : قال علي بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنه قلما غني في صوت واحدٍ لحنانٍ فسقط خيرُهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحنُ إسحاق ، وقد ترك لحنُ ابن سريج ، فقلَّ مَنْ يسمعه إلّا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبرج]

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال : يقولون : إن ابتداء غناء إسحاق الذي في ¹ :

[من الطويل]

تَشْكَى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَّدَتْهُ

إنما أخذته من صوت الأبرج :

[من الطويل]

يقولون ما أبكأك والمالُ غامر²

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

يقولون ما أبكأك والمالُ غامر عليك وضاحي الجلد منك كنينُ
فقلت لهم لا تسألوني وانظروا إلى الطربِ النَّزاع كيف يكونُ
غناه الأبرجُ ثقيلاً أولُ بالبصرة ، عن عمرو ودنانير . وذكر الهشامي أن فيه لعزة المَرْزُوقِيَّة
ثاني ثَقِيلٍ بالوُسْطَى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سباط قال : كان ابن سريج أول مَنْ غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس ، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُغني نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورد الخبر مَكَّة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة³ بالمدينة ، فعلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو

1 ل : الذي فيه الصباح .

2 أبكأك في ل : أهلك (حيث وردت) .

3 اسمه مسلم بن عقبة ولقب مسرفاً لأنه صاحب معركة الحرّة .

اليومَ داخلٌ في أغانيه ، وهو :

[من السريع]

يا عينُ جُودِي بالدُمُوعِ السَّفَاحِ وابكي على قَتْلِ قُرَيْشِ الْبَطَاحِ
فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أوَّل ما نذب به .

قال ابن جامع : وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا : أنَّ سَكِينَةَ بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخلٌ في غناؤه . والشعر :

[من الكامل]

يا أرضُ ويحكِ أَكْرَمِي أمواتي فلقد ظَفِرَتْ بساتيني وحُماتي
فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحَةِ مكة والمدينة والطائف .

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكَنَنَات جميعاً : أنَّ سَكِينَةَ بعثت إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك ، وأمرته أن يُعلِّمه النِّياحَةَ ، فلم يزل يُعلِّمه مدّةً طويلة ، ثم تُوفي عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام ، وكان ابن سريج عَليلاً عِلَّةً صعبة فلم يقدر على النِّياحَةِ . فقال لها بعدها عبد الملك : أنا أنوح لك نوحاً تُسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تُحسِّن ذاك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نوحٌ غريضٌ ؛ فلُقِّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية ، فقال لهم : فَمَنْ ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلامٌ سَكِينَةَ . قال : فهل جَوَزَ الناسُ نوحه ؟ قالوا : نعم وقدّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوحَ وعدل إلى الغناء ، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبَابَةُ ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنّت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يَنُحْ بعده حتى هلك . قال : ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغني صوتاً إلا عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضرٌ أنَّ يحيى المكيّ حدثه أنَّ عَطَاءَ بنَ أبي رباحٍ لقي ابن سريج بذي طوى¹ ، وعليه ثيابٌ مُصَبَّغَةٌ وفي يده جَرَادَةٌ مشدودة الرجل بخيطٍ يُطِيرُها ويجذبها به كلما تخلّفت ؛ فقال له عطاء : يا فتانُ ، ألا تكفُّ عما أنت عليه ؟ كفى الله الناس مؤونتك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي ؟ فقال له : تَقْتَنُهُمُ أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلّم ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليك ، إلّا ما سمعت مني بيتاً من الشعر ، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك عما أنا عليه . وأنا أقسم بالله وبحقّ هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك . فأطمع ذلك عطاء في ابن سريج ، وقال : قل . فاندفع يغني بشعر جرير¹ :

[من الكامل]

صوت

إنّ الذين غدّوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا²
غَيَضْنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

لحن ابن سريج هذا ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل . وإسحاق فيه رملٌ آخرٌ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريص . قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريجّة ، فحلف ألاّ يكلم أحداً بقية يومه إلّا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خير من الأخبار ، لا يُجيبه إلّا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُشدّ هذا الشعر حتى صلّى المغرب ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له .

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني إسحاق عن ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب قال : لما قال عمر بن أبي ربيعة :

[من الطويل]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنِي وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
غَنَى فِيهِ ابْنُ سَرِيح .

قال : وحجّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نَجِيبَيْنِ رَحَالَتَاهُمَا³ مُلَبَّسَتَانِ بِالذَّبَاجِ ، وقد خضبا النجيين ولبسا حُلَّتَيْنِ ، فجعلا يتلقيان الحاجّ ويتعرّضان للنساء إلى أن أظلم الليل ، فعَدَلَا إلى كَتِيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ يُضِيءُ ، فجلسا على الكتيب ، وقال عمر لابن سريج : غنّي صوتك الجديد ؛ فاندفع يغنيه ، فلم يستتمّه إلّا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلم ثم قال : أيمنك ، أعزك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .

2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .

3 الرحالة : سرج من جلد يتخذ للخيول والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم ونُعَمَّةَ عَيْنٍ ، على أن تنزل وتجلس معنا . قال : أنا أَعْجَلُ من ذلك ، فإن أَجَمَلْتَ وأَنْعَمْتَ أَعَدَّتْهُ ، وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله يا أبا الخطاب ؛ فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفْنَا فَعَرَفْنَا نَفْسَكَ . قال : لا يمكنني ذلك . فغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثب إليه عمر فأعظمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبل رِكابه ؛ فنزع حُلَّتَهُ وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِقَ ثَقَلَهُ . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إِيَّاهما ، وقال له : إن هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، ففرغهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : حجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوب بالحناء مشهَّر الرَّحْلُ بِقَرَابٍ¹ مذهب ، ومعه عبید بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جنادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحَجَّلًا ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسمِّيهِ «الكوكب» ، في عُنْقِهِ طوق ذهبٍ ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر² : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجنادٍ خذِ السيفَ واشتملْ
عليه برفقٍ وارقبِ الشمسَ تغربْ
وأسرج لي الدُّهْمَاءَ واعجلْ بِمِمْطَرِي
ولا تُعلِمَنَّ خَلْقًا من الناس مَذْهَبِي³

الغناء لزرزُرٍ غلامٍ المارقي خفيفٌ ثَقِيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه ، قال : ومع عمر جماعة من حَسَمِهِ وغلَمانه ومواليه وعليه حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان⁴ مرتفعان ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إلَّا عَجِبَ من حسن هيئتهم ، وكان عمر من أَعْظَرَ الناس وأَحْسَنِهِمْ هَيْئَةً ، فخرجوا من مَكَّةَ يومَ التَّروِيَةِ بعد العَصْرِ يريدون مَنًى ، فمَرُّوا بمنزل رجلٍ من بني عبد منافٍ بِمَنًى قد ضُرِبَتْ عليه فساطيطُهُ وخِيَمُهُ ، ووافى الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من

1 القراب : شبه الجراب .

2 ديوان عمر : 55-56 .

3 الممطر : معطف يتقي به المطر . خلقاً في الديوان : حيًّا .

4 ثوب هروي : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتْهَا ، وَسَرَّ جَوَارِيهَا دُونَ الْقُبَّةِ لَثَلًا يَرَاهَا مَنْ مَرَّ . فَأَشْرَفَ عَمْرٌ عَلَى النَّجِيبِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ وَأَجْمَلَهُنَّ . فَقَالَ لَهَا جَوَارِيهَا : هَذَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ . فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَرَّتْهَا الْجَوَارِي وَوَلَائُهَا عَنْهُ وَبَطْنٌ دُونَهَا بِسَجْفِ الْقُبَّةِ حَتَّى دَخَلَتْ . وَمَضَى عَمْرٌ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَسَاطِيطُهُ بِمَنْى ، وَقَدْ نَظَرَ مِنَ الْجَارِيَةِ إِلَى مَا تَيَّمَهُ وَمِنْ جَمَالِهَا إِلَى مَا حَيَّرَهُ ، فَقَالَ فِيهَا¹ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنَى	وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ	بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا تَنَوَّلُ	أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقَيْتُهَا	عَلَى عَجَلٍ تَبَاغُهَا وَالْخَوَادِمُ
فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا	عَلَى الرِّغْمِ مِنْهَا كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ ²
مَعَاصِمٌ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ بِالضُّحَى	عَضَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلْخُهَ السَّمَائِمُ
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيعَ مَائِهِ	صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكْفُ النَّوَاعِمُ
إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاكْتَفَنَهَا	تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَآكِمُ
طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَ	نَزَعْنَ وَهَنَ الْمُسْلِمَاتُ الظُّوَالِمُ

ثُمَّ قَالَ عَمْرٌ لابن سريج : يَا أَبَا بَحِيٍّ ، إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي رَجُوعِنَا مَعَ الْعَشِيَّةِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ كَثْرَةِ الزَّحَامِ وَالْغُبَارِ وَجَلَبَةِ الْحَاجِّ فَتَقَلَّ عَلَيَّ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَرُوحَ رَوَاحًا طَيِّبًا مُعْتَزِلًا ، فَتَرَى فِيهِ مِنْ رَاحٍ صَادِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِهَا ، وَنَرَى أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الشَّامِ وَنَتَعَلَّلُ فِي عَشِيَّتِنَا وَلَيْلَتِنَا وَنَسْتَرِيحُ ؟ قَالَ : وَأَنْتَى ذَلِكَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ؟ قَالَ : عَلَى كَثِيبِ أَبِي شَحْوَةَ³ الْمُشْرِفِ عَلَى بَطْنِ يَأْجَجٍ⁴ بَيْنَ مَنَى وَسَرْفٍ ، فَنُبْصِرُ مَرُورَ الْحَاجِّ بَنَاءَ وَنَرَاهُمْ وَلَا يَرُونَا . قَالَ ابْنُ سَرِيحٍ : طَيِّبٌ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي . فَدَعَا بَعْضُ خُدَمِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا إِلَى الدَّارِ بِمَكَّةَ ، فاعْمَلُوا لَنَا سُفْرَةً وَاحْمِلُوهَا مَعَ شَرَابٍ إِلَى الْكَثِيبِ ، حَتَّى إِذَا أَبْرَدْنَا وَرَمِينَا الْجَمْرَةَ صَرِينَا إِلَيْكُمْ ؛ قَالَ : وَالْكَثِيبُ عَلَى خَمْسَةِ أُمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ مُشْرِفٌ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَطَرِيقِ الشَّامِ وَطَرِيقِ الْعِرَاقِ ، وَهُوَ كَثِيبٌ شَامِخٌ مُسْتَدِيقٌ أَعْلَاهُ مِنْفَرَدٌ عَنِ الْكُثْبَانِ ؛ فَصَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا . فَلَمَّا انْتَشَبَا أَخَذَ ابْنُ سَرِيحٍ

1 ديوان عمر : 348-349 .

2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .

3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .

4 يأجج : موضع قريب من مكة .

الدُّفَّ فقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج . فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتقي الله قد حبست الناس عن مناسكهم ؛ فيسكت قليلاً ، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، إلى أن مرّت قطعة من الليل ، فوقف عليه في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستن¹ فهو كأنه ثمل ، حتى وقف بأصل الكتيب وثني رجله على قربوس² سرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عين ، فأيتها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين ما لك كلما نَعَبْتَ بفقدانِ عليّ تحومُ
أباليين من عَفَاء أنت مُخبري عَدِمْتُكَ مِنْ طيرِ فانتَ مَشومُ

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : أزدّد إن شئت . فقال : غنّني :

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا قَمَرَ الأرضِ³
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشَّكَرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي⁴
وَنَوَّهْتُ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أَتَبُهُ مِنْ بَعْضِ⁵

فغناه ، فقال له : الثالث ولا أَسْتزِيدُكَ . فقال : قل ما شئت . فقال : تُغنّيني . [من المنسرح]

يَا دَارُ أَقْوَتَ بِالْجِزْعِ فَالْكَتَبِ بين مَسِيلِ الْعُذَيْبِ فَالْرُحْبِ⁶
لَمْ تَتَّقَعْ بِفَضْلِ مِثْرَها دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقْ دَعْدٌ فِي الْعَلْبِ⁷

فغناه . فقال له ابن سريج : أبقيت لك حاجة ؟ قال : نعم ، تنزل إلي لأخاطبك شفاهاً بما أريد . فقال له عمر : انزل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أنني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلني وغلماني لأطلتُ المقام معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنني أخاف أن يفضحني الصبح ، ولو كان ثقلني

1 مستن : مرح نشيط .

2 قربوس السرج : مقدمه ومؤخره .

3 نداء «مسلمة» مرخم .

4 حبل في رواية : «جزء» .

5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكري وما كان ميتاً .

6 الكتب : اسم واد . انظر ديوان جرير : 67 .

7 العلب : جمع علبة ، إناء لحفظ اللبن (يعني أنها ليست بدوية) .

معي لما رَضِيت لك بالهُوينا ، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخَاتَمِي ولا تُخَدِّعِ عنهما ؛ فإنَّ شراءَهما ألفٌ وخمسمائة دينار . وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِنيَ وليَ نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بِيَعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَنَوَفَلُ أبُوها وَإِما عَبْدُ شَمْسٍ وَهاشِمُ
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّابَةِ في مجرى البِنْصر عن إسحاق .
وفيه لابن سريج رَمَلٌ بالسَّابَةِ في مجرى البِنْصر عنه . وقد نُسِبَ في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

[من الطويل]

أَلا يا غُرَابَ الْبَيْنِ مالِكَ كُلِّما نَعَبْتُ يَفْقَدانِ عَلَيَّ تَحُومُ
أَبالْبَيْنِ مِنْ عَفْراءَ أَنْتَ مُخَبِّرِي عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فَأَنْتَ مَشُومُ
الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إِنَّهُ لَغَيْرُهُ¹ . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن
الهشامي .

صوت

[من الطويل]

أَمْسَلَمَ إِنِّي يا ابنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ويا فارسَ الهَيْجَا ويا قمرَ الأَرْضِ²
شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وما كُلُّ مَنْ أَوَّلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي
وَنَوَّهْتَ لِي بِاسْمِي وما كانَ خاملاً ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أَنَبُهُ مِنْ بعضِ
الشعر لأبي نُحَيْلَةَ الحِمَّانِيِّ . والغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى ، وقد أُخْرِجَ هذا
الصوت مع سائر أخبار نُحَيْلَةَ في موضعٍ آخَرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ
قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي خَلِيفَةَ قَالَ : كَانَ أَبِي نَازِلًا فِي عُلُوٍّ ، فَكَانَ الْمَغْنُونُ يَأْتُونَهُ . قَالَ فَقُلْتُ :

1 لعلَّ لعروة بن حزام ، فعفراء صاحبه ، ولابن ذريح لبنى .

2 ويا قمر في رواية «ويا جبل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غناءً ؟ قال : لا أدري ، إلّا أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سَكَنُوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّه قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدَّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدَّثنيهِ المدائنيّ ومحمد بن سلام عن المُحرز بن جعفر عن عمر¹ بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمعَ غناءً ، فلَمَّا انصرفَ رآه أصحابه وقد حالَ لونه ، فقالوا : إنّ بك لَشَرًّا . قال : إنّهُ ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إنّ كان من العجّن إنّهُ لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنس فما انتهى مُنتهاه شيءٌ ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى :

صوت

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ بَوَادِي غَدْرٍ لَجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِي مُضَرٍّ²
خَدَلْجَةِ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ سَلُوسِ الْوِشَاحِ كَمَثَلِ الْقَمَرِ³
تَرَيْنُ النِّسَاءَ إِذَا مَا بَدَتْ وَتِيهَتْ فِي وَجْهَهَا مَنْ نَظَرُ⁴

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مرَّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنّى :

بَتَّ الْخَلِيطُ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائنيّ : وبلغني من وجه آخر أنّه سمعه يُغنّى :

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضْحَوْا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا⁵
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوْشَلِكُ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدَاةَ قَدْ طَلَعُوا

فقال هذه المقالة .

1 ل : عمير .

2 غدر : من مخاليف اليمن .

3 خدلجة : ممتلئة الذراعين . سلوس : (الوشاح) لَيَّتته .

4 ييهت : يدهش .

5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين صوت

[من البسيط]

بَتَّ الْخَلِيطُ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا إِذْ وَدَّعُوكَ فَوَلُّوا ثُمَّ مَا رَجَعُوا
وَأَذْنُوكَ بَيْنَ مَنْ وَصَالِهِمْ فَمَا سَلَوْتَ وَلَا يُسْلِيكَ مَا صَنَعُوا
يَا ابْنَ الطَّوِيلِ وَكَمْ آثَرْتَ مِنْ حَسَنِ فِينَا وَأَنْتَ بِمَا حُمِّلْتَ مُضْطَلَعُ
نَحْطَى وَنَبَقَى بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَنَا فَإِنْ هَلَكْتَ فَمَا فِي مَلَجٍ طَمَعُ

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر على إسحاق وذكر حبش أن فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي .

نسبة الصوت الآخر صوت

[من المنسرح]

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضْحَوْا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا
مَا كُنْتُ أَذْرِي بَوَشْلِكَ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحِدَاةَ قَدْ طَلَعُوا
عَلَى مِصْكَيْنِ مِنْ جِمَالِهِمْ وَغَتَّرِيسَيْنِ فِيهِمَا خَضَعُ¹
يَا قَلْبُ صَبْرًا فَإِنَّهُ سَفَهَ بِالْحُرِّ أَنْ يَسْتَفِزَّهُ الْجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقيل أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه . وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكِّي . وذكرت دنائير والهشامي أن فيه لمبعد ثاني ثقيل . وذكر عمرو بن بانه أن الثقيل الأول للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل .

[عدد الأصوات التي غنى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي ، فقال إسحاق : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً . فقال بلى . ثم جعلاً يُنشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك ، ثم أنشد

1 العتريس : الناقة القوية الصلبة . المصك : القوي .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنَّ لحنَ هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني ، ولحنَ الثاني من لحنه الفلاني ، حتى عدَّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُغني¹ الناس بما يشتهون ، فلا يُغنيهم صوتاً مدح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنه يَعدِّل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نعدَّهما اثنين عند التحصيل مِنَّا لغنائه ، فصدقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيتها أولى عندك بالتَّقديم ؟ فقال :

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عَمْرُ
فقال له إبراهيم : أَحْسَبُكَ يا أبا محمد ، مُتَّعْتُ بِكَ ، ما أردتَ إلَّا مُسَاعِدَتِي . فقال : لا ، والله ما إلى هذا قَصَدْتُ ، وإن كنتُ أهوى كلَّ ما قَرَّبَنِي من مَحَبَّتِكَ . فقال له : هذا أَحَبُّ أَغَانِيهِ إِلَيَّ ، وما أَحْسَبُهُ في مَكَانٍ أَحْسَنَ مِنْهُ عِنْدِي ، ولا كان ابن سريج يَتَغَنَّا أَحْسَنَ مِمَّا يَتَغَنَّا جَوَارِي . ولئن كان ذلك فما هو عِنْدِي في حُسْنِ التَّجَزُّؤِ وَالْقِسْمَةِ وَصَحَّتُهُمَا مِثْلُ لَحْنِهِ فِي² :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيِّياً أُمَّ يَعْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى³
أَجْمَعَ الْحَيُّ رِحْلَةً ففَوَّادِي كَذِي الْأَسَى
قَلْتُ لَا تُعْجِلُوا الرِّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى

الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقيل الأول مُطلق في مجرى الوسطى . وفيه للهلدي خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي . وفيه لملك ثقيل أول بالبنصر عن عمرو . وفيه لحنان من الثقيل الثاني : أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسبه قومٌ إلى ابن مُحْرَز ، ولم يصحَّ ذلك . قال : فاجتمعا معاً على أنَّه أولُ أَغَانِيهِ وَأَحْقُهَا بالتَّقديم . وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما وَيَتَّفِقَانِ عَلَيْهِ ، فكتبْتُ هذا الشعر . ثم اتَّفَقَا على أَنَّ الَّذِي يَلِيهِ :

[من الرمل]

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عَمْرُ

1 ل : يعاشر .

2 ديوان عمر : 16 .

3 أم يعمر في رواية : أم معمر .

فأثبتته أيضاً . ثم تناظراً في الثالث فاجتمعاً على أنه : [من الكامل]

فتركته جَزَرَ السَّبَاع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
فقال إسحاق : لو قدَّمناه على الأغاني التي تَقَدَّمَتْه كلها لكان يستحقُّ ذلك . فقال أبو
إسحاق : ما سمعته منذ عرفته إلا أُبْكَاني ؛ لأنِّي إذا سمعته أو ترنَّمتُ به وجدتُ غَمْرًا على
فؤادي لا يَسْكُنُ حتى أبْكي . فقال إسحاق : إنَّ مذهبه فيه لِيُوجِبُ ذلك ؛ فدَوَّنْته ثالثاً . ثم
اتَّفقا على الرابع وأَنَّهُ : [من الطويل]

فلم أَرْ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ ولا كَلِيلِ الحِجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
وتحدَّثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من السريع]
عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكِ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
فأثبتته . ثم تناظراً في السادس واتَّفقا على أَنَّهُ : [من مجزوء الوافر]

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَ مُطْلَحَا
فأثبتته . ثم تناظراً في السابع فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الكامل]
غَيْضُنْ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنِ لِي ماذا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
فأثبتته . وتناظرا في الثامن فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الرمل]

تُنَكِّرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ
فأثبتته . وتناظرا في التاسع فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الطويل]
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقِيَتِي أَكَلَفْهَا سَيْرَ الْكَلَالِ مَعَ الطَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وَإِذَا مَا عَشَرَتْ فِي مِرْطِهَا نَهَضَتْ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي .
ومنها : [من الكامل]

صوت

فتركته جَزَرَ السَّبَاع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
الشعرُ لغنَّرة بن شدَّادِ العبَّسي . والغناء لابن سريج ثقيل أوَّل بالوسطى عن

عمرو¹ ومنها :

[من الطويل]

صوت

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كِلْيَالِي الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها² :
[من السريع]

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
الشعرُ للعرجي . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها³ : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأُظْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا
الشعرُ لعمر . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه
للغريض لَحْنَانٌ : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عَنْ
عمرو بن بَانَةَ . وفيه لمُعَبِدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ثَالِثٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ .
ومنها : [من الكامل]

صوت

غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
الشعرُ لجري . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لِإِسْحَاقَ رَمَلٌ بالوسطى . وفيه
للْهُذَلِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ بالوسطى عَنْ الْهَشَامِيِّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

تُنْكِرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبْرٍ
الشعرُ لعبد الرحمن بن حَسَّانَ . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقِي أَكَلَفُهَا سَيْرَ الْكَلَالِ مَعَ الظَّلْعِ
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لِإِسْحَاقَ رَمَلٌ بالوسطى .

1 ل : عن الهشامي .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه : أن معبداً تغنى : [من الرمل]

أَب لَيْلِي بِهِمُومٌ وَفِكْرُ
مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي وَالسَّهَرُ¹
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غَرَاباً واقِعاً
شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

فعارضه مالك فغنى في أبيات من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وَجَرَتْ لِي ظَبِيَّةٌ يَتْبَعُهَا
لَيْنُ الْأَطْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
كَلَّمَا كَفَكُفْتُ مِنِّْي عِبْرَةً
فَاضَتْ الْعَيْنُ بِمَنْهَلٍ دَرَرِ³

قال : فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصَّوْتَيْنِ ، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أجودُ صنعةً منك . فتنافرا إلى ابن سريج فمَضَيَا إليه بمكة . فلَمَّا قَدِمَاها سألَا عنه ، فأخبرَا أنه خرج يَتَطَرَّفُ⁴ بالحناء في بعض بساتينها . فاقْتَفَى أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء ، فقالا له : إنا خرجنا إليك من المدينة لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا فِي صَوْتَيْنِ صَنَعْنَاهُمَا . فقال لهما : لِيُغْنِ كُلُّ واحدٍ منكما صوته . فابتدأ معبد يُغْنِي لحنه . فقال له : أحسنتَ والله على سوء اختيارك للشَّعْر ! يا ويحك ! ما حَمَلَكَ على أن ضَيَّعْتَ هذه الصنعة الجيدة في حُزْنٍ وَسَهَرٍ وَهَمُومٍ وَفِكْرٍ ! أربعة ألوانٍ من الحُزْنِ في بيتٍ واحد ، وفي البيت الثاني شرَّان في مِصْرَاعٍ واحدٍ ، وهو قولك : [من الرمل]

شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

ثم قال للمالك : هاتِ ما عندك ، فغناه مالك . فقال له : أحسنتَ والله ما شئت ! فقال له مالك : هذا وإنما هو ابن شهره ، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْلُ ؟ قال دحمان : فحدثني معبد أن ابن سريج غَضِبَ عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالحناء من يديه وأصابه وقال له : يا مالك ، ألي تقول ابن شهره ! اسمعْ مني ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عَبَّاد ، أنشدني القصيدة التي تَغْنِيئُهَا فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهت إلى قوله : [من الرمل]

تُنْكَرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ
غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنى فيه ؛ فانصرفنا مَفْلُوكَيْنِ مَفْضُوحَيْنِ من غير أن نُقِيمَ بمكة ساعةً واحدةً .

1 وفكر في ل : وذكر .

2 لَيْنُ الْأَطْلَافِ فِي ل : لَيْنُ الْأَطْرَافِ .

3 أي كالطر المتتابع .

4 يَتَطَرَّفُ بِالْحَنَاءِ : يَخْضِبُ بِهِ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ .

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْلِي بِهِمُومٍ وَفَكَرَ من حَبِيبِ هَاجِ حُزْنِي وَالسَّهَرِ
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غَرَاباً وَقَعَا شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ
يَتَيْفُ الرِّيشَ عَلَى عُثْرِيَّةٍ مُرَّةَ الْمُقْضَمِ مِنْ دَوْحِ الْعُشْرِ¹

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيهه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .
والغناء لمبعد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر عمرو بن بانه أنه للغريض ، وله لحن آخر في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وَجَرَتْ لِي ظَبْيَةٌ يَتْبَعُهَا لَيْنُ الْأَطْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
خَلْفَهَا أَطْلَسُ عَسَالُ الضُّحَى صادفته يوم طلل وخصر³

الغناء لمالك خفيف ثقيل بالنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إِنَّ عَيْنَيْهَا لَعَيْنَا جُودِرَ أَهْدَبِ الْأَشْفَارِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ
تُنْكِرُ الْإِثْمَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكي .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهزاج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد : لما ضادَّ ابن سريج الغريض وناوَاهُ ، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعض أطراف مكة داراً يأتیانها في كل جمعة ويجتمع لهما ناس كثير ، فيوضع لكل

1 العبرية : من شجر السدر .

2 الأطلاف في ل : الأطراف .

3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتز إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويتراذّله . قال : فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناؤه من الناس لقربه من النّوح وشبّهه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصّرت الغناء وحذفتّه وأفسدته . فقال له : نعم يا مخنث ، جعلت تنوح على أبيك وأمك ، ألي تقول هذا ؟ والله لأغنينّ غناءً ، ما غنى أحد أثقل منه ولا أجود . ثم تغنى :

تشكّى الكميت الجريّ لما جهده

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرّية قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بدنةً وينحرها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مخلدُ بن خدّاش المهلبيّ : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ ، فقدم قادمٌ من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسأله عن الأخبار وهو يُخبره ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقيل له : أو لم تكن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرّيجاً .

[أبو السائب المخزوميّ وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائنيّ قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزوميّ ، وكان يصلي في كلّ يوم ليلة ألف ركعة ، فلما رآني تجوّز¹ وقال : ما معك من مبكيات ابن سريج ؟ قلت قوله :

ولهنّ بالبيت العتيق لبانةٌ والبيت يعرفهنّ لو يتكلّم
لو كان حيّاً قبلهنّ طعائناً حيّاً الحطيم وجوهنّ وزمزم
لبثوا ثلاثاً بأعظم مني غبطةً وهم على سفرٍ لعمرك ما هم
متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجدّ تفرّق لم يندموا

فقال لي : غنّه ، فغنّيته . ثم قام يصلي فأطال ، ثم تجوّز إليّ فقال : ما معك من مطرباتٍ ومُشجّياته ؟ فقلت : قوله :

[من الكامل]

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لسنا نبالي حين ندرِكُ حاجةً ما باتَ أو ظلَّ المطيُّ مَعَقَلًا
فقال لي : غنه ، فغنَّيته . ثم صلَّى وتجوَّزَ إليَّ وقال : ما معك من مُرَقَصَاتِهِ ؟
فقلت :

[من الطويل]

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاضِرٍ ولا كَلَيْلِي الْحِجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوًى
فقال : كما أنتَ حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بر كعتين .

[فغنى ابن سريج والغريض بسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حماد : وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، وذكر أبو أيوبَ المدني عن
الحزامي قال حدَّثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال : أرسلتني أُمِّي وأنا غلامٌ أسألُ
عطاء بن أبي رباح عن مسألة ، فوجدته في دارٍ يقال لها دارُ المُعلَّى ، وقال أبو أيوب في خبره : دارُ
المُقلِّ ، وعليه ملحفةٌ مُعَصْفَرَةٌ ، وهو جالسٌ على منبرٍ وقد خُتِنَ ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو
يأمر به أن يُفَرَّقَ في الخلق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعب بالجوَّز حتى أكل القوم وتفرَّقوا وبقي مع
عطاءٍ خاصته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أذنتَ لنا فآرسلنا إلى الغريض وابن سريج ! فقال : ما
شئتم ، فأرسلوا إليهما . فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما
بيتاً في الدار ، فتغنَّيا وأنا أسمع . فبدأ ابن سريج ففقر بالدُّفِّ وتغنَّى بشعر كثير : [من الطويل]

بَيْلِي وَجَارَاتٍ لِلَيْلَى كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَا تُحَدِّدِي بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ¹
أُمْتَقِطِعْ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَشَاجِرِنِي يَا عَزَّ فَيْكَ الشَّوَاخِرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عَزَّةَ قَادِنِي إِلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَعْجَلْتِنِي الْبَوَادِرُ²
أَصْدُ وَبِي مِثْلُ الْجُنُونِ لَكِي يَرَى رُؤَاةُ الْخَنَا أَنَّنِي لِبَيْتِكَ هَاجِرُ

فكانَ القوم قد نزل عليهم السُّبات ، وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات فما تسمع
حساً ، ثم أصغوا إليه بأذانهم وشخصتُ إليه أعينهم³ وطالت أعناقهم . ثم غنى الغريض
بصوتٍ أنسيته بلحنٍ آخر . ثم غنى ابن سريج وأوقع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدُّفَّ
فغنَّى بشعر الأخطل :

[من الطويل]

فَقَلْتُ اصْبَحُونَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا
وَقَلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِرَاجِهَا فَأَكْرِمُ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

1 الملا : مثل الفلا .

2 اللبواذر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَانَتْهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبُوا¹
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحَرَّكُوا وَلَا نَطَقُوا إِلَّا مُسْتَمْعِينَ لِمَا يَقُولُ . ثُمَّ غَنَّى الْغَرِيضُ بِشَعْرِ آخِرِ
وهو :

هَلْ تَعْرِفُ الرَّسْمَ وَالْأَطْلَالَ وَالذِّمْنَا زِدْنَ الْفَوَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزْنَا
دَارٌ لَصَفْرَاءَ إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسْنَا
إِذْ تَسْتَبِيكُ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ وَمُقَلَّتِي جُودِرٍ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَدَّنَا
ثُمَّ غَنَّى جَمِيعاً بِلَحْنٍ وَاحِدٍ ؛ فَلَقَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّ الْأَرْضَ تَمِيدُ ، وَتَبَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي عَطَاءٍ أَيْضاً .
وَعَنَى الْغَرِيضُ فِي شَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ² :

كَفَى حَزْناً أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيباً لَا أَزُورُكَ كَلَّمْنَا
دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالاً مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمَا
وَلَيْسَ بِتَرْوِيْقِ اللَّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالذِّمَّا
وَعَنَى ابْنُ سَرِيحٍ أَيْضاً³ :

خَلِيلِي عُوْجَا نَسْأَلُ الْيَوْمَ مَنَزِلَا أُبَى بِالرِّاقِ الْعُفْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَا
فَفُرْعَ النَّبِيْتِ فَالشَّرَى خَفَّ أَهْلُهُ وَبُدِّلَ أَرْوَاحاً جَنُوباً وَشَمَالاً⁴
أَرَادَتْ فَلَمْ تَسْطِيعْ كَلَاماً فَأَوْمَأَتْ إِلَيْنَا وَلَمْ تَأْمَنْ رَسَولاً فَنُرْسِلَا
بِأَنَّ بَتَّ عَسَى أَنْ يَسْتَرْ اللَّيْلُ مَجْلِساً لَنَا أَوْ تَنَامَ الْعَيْنَ عَنَّا فَتَقْبِلَا⁵
وَعَنَى الْغَرِيضُ أَيْضاً⁶ :

يَا صَاحِبِي قِفَا نُقْضُ لُبَانَةً وَعَلَى الظُّعَائِنِ قَبْلَ بَيْنِكُمَا اِعْرِضَا
لَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَقُولَ بِحَاجَةٍ رِفْقاً فَقَدْ زُوْدْتُ زَاداً مُجْرِضَا⁷

1 الشاصيات : صفة للزقاق .

2 ديوان عمر : 390 .

3 ديوان عمر : 309 .

4 البيت والشري : موضعان . الأرواح : الرياح .

5 فتقبلا في ل : فتغفلا .

6 ديوان عمر : 323-324 .

7 مجرّضاً : يغص بالريق ، وقد تقرأ «محرضاً» .

ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ لِفَتَاتِهَا هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضاً¹
 هذا الذي أُعْطِيَ مَوَاتِقَ عَهْدِهِ حَتَّى رَضِيتُ وَقُلْتُ لِي لَنْ يَنْقُضَا
 وَأَغَانِي أَنْسِيْتُهَا ، وَعَطَاءٌ يَسْمَعُ عَلَى مِنبَرِهِ وَمَكَانِهِ ، وَرَبَّمَا رَأَيْتُ رَأْسَهُ قَدْ مَالَ وَشَفَتَيْهِ
 تَتَحَرَّكَانِ حَتَّى يَبْلُغَتَهُ الشَّمْسُ ، فَقَامَ يَرِيدُ مَنْزِلَهُ . فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُمَا وَقَدْ
 رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا وَتَغْنِيَا بِهِذَا . وَلَمَّا بَلَغَتِ الشَّمْسُ عَطَاءً قَامَ وَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغَنَاءِ ،
 فَاطَّلَعَ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَيُّهُمَا أَحْسَنُ غَنَاءً ؟ قَالَ : الرَّقِيقُ
 الصَّوْتِ ، يَعْنِي ابْنَ سَرِيجٍ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقُ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
 لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظُعَانًا حَيًّا الْخَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَرُ
 وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاغِبًا يَبُضُّ بِأَكْنَفِ الْخَطِيمِ مُرْكَمٌ²
 لَبِثُوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غَيْطَةٍ وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ لِعَمْرُكَ مَا هُمْ
 مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
 عَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشَّعْرُ لَابِنِ أُذَيْنَةٍ . وَالْغَنَاءُ لَابِنِ سَرِيجٍ ثَانِي ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى
 الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَأَخْبَارُ ابْنِ أُذَيْنَةٍ تَأْتِي بَعْدَ هَذَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر :

[من الكامل]

لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً

صوت³

[من الكامل]

وَدَّعْ لُبَابَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
 وَانْظُرْ بَعَيْنِكَ لَيْلَةً وَتَأْنِهَا فَلْعَلَّ مَا بَخِلْتُ بِهِ أَنْ يَنْدَلَا⁴

1 محسر : موضع بين مكة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .

2 لواغيا : متعبات .

3 ديوان عمر : 311-312 .

4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرك ليلة وتأنها .

لسنا نبالي حين ندرِكُ حاجةً ما راح أو ظلَّ المطيُّ مُعَقَّلا
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلا¹
خرجتُ تَاطُرُ في الثيابِ كأنَّها أئيمٌ يسيبُ على كتيبٍ أهيلا

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها . وفيه لمبعد
لحنٌ من خفيف الثَّقيلِ الأوَّلِ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه
ونادرها وصُدور صناعته وما يُقدِّم على كثيرٍ منها .

[الغمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاق الحرَميُّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدَّثني عبد
الرحمن بن عبد الله الزُّهريُّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : كنتُ أُسيرُ مع الغمَرِ بن
يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة :

ودَّعُ لُبَابَةَ قَبْلَ أن ترحَلا واسألُ فإن قَلِيلَه أن تَسْألا
قال ائتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخَالَفٍ فيما هَوَيْتَ فإِنَّا لن نَعْجَلا
نَجْزِي أَيَادِي كُنتَ تَبْدُلُهَا لَنَا حقُّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلا
خرجتُ تَاطُرُ في الثيابِ كأنَّها أئيمٌ يسيبُ على كتيبٍ أهيلا
رَحَبْتُ لَمَّا أَقْبَلْتُ فَتَعَلَّلْتُ لتحيتي لَمَّا رَأَيْتَنِي مُقْبِلا
فَجَلَا القِنَاعُ سَحَابَةً مشهورةً غَرَاءَ تُعْشي الطَّرْفَ أن يتأملا
فَظَلَّلْتُ أَرْفِيهَا بما لو عَاقِلٌ يُرقى به ما اسطاعَ ألاَّ يَنْزِلا
تَدْنُو فَأَطْمَعُ ثم تمنعُ بَذَلُهَا نفسٌ أبتُ للجودِ أن تتبخلا²

قال : فَأَمَرَ غلامَه فحملني على بغلته التي كانت تحته . فلمَّا أراد الانصراف طلب الغلام
مني البغلة ، فقلتُ : لا أُعْطِيكَهَا ، هو أَكْرَمُ وأشرفُ مِن أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني .
فقال للغلام : دَعُهْ يا بُنَيَّ ، ذهبَ واللَّهِ لُبَابَةُ ببغلةِ مولاكَ .

[القرشي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليٍّ عن هارون بن
الزُّبَيَّات عن حمَّاد عن أبيه قال حدَّثني عثمان بن حفص الثَّقفيُّ عن إبراهيم بن عبد السلام بن

1 غفلة حارسٍ أن يعقلا في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .

2 فأطمعُ . . . في الديوان : فطمع . . . بالجود .

أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخرَ مَنْ بَقِيَ من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تُطرب القرشيَّ فغنّه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك تُرقصه : قال : وأبو نافع هذا أحذقُ غلمان ابن سريج ومَنْ أخذ عنه ، وكان آخرَ رُوَاة صوتاً . ومنها¹ :

صوت

بَلَيْلى وجاراتِ لِلَّيلى كأنَّها نِعاجُ المَلأ تُحَدِّى بهنَّ الأباغرُ
أُمُتْقِطعُ يا عزَّ ما كان بيننا وشاجرني يا عزَّ فيك الشَّواجرُ
إذا قيل هذا بيتُ عَزَّة قاذني إليه الهوى واستعجلتني البَوادرُ
أُصَدُّ وبني مثلُ الجنونِ لكي يرى رِواةُ الخنا أنِّي لبيتك هاجرُ
أَلَا لَيْتَ حَظِّي منك يا عزَّ أنْتي إذا بَنتِ باع الصبرِ لي عنك تاجرُ

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء لمعبدٍ ثَقِيل أول بالينصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحنٌ أوله : «أُصَدُّ وبني مثلُ الجنون» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها² :

صوت

أناخُوا فَجَرُوا شاصياتِ كأنَّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرَّبُوا
فقلتُ اصْبَحُوني لا أبا لأبيكمُ وما وَضَعُوا الأثقالَ إلَّا ليفعلُوا
تَمَرَّ بها الأيْدي سَنِحاً وبارحاً وترُفَعُ باللَّهْمَّ حَيٌّ وتَنزَلُ

عروضه من الطويل . الشاصياتُ : الشَّائِلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الرِّقاق ؛ يقال : شَصَا يَشْصُو . وشَصَا يبصره إذا رفعه كالشاحص ؛ وأنشد : [من مشطور الرجز]

ورُبَّ رِبٍ خِماص يَطْعُنُ بالصِّياصي³
ينظرُ من خِصاصٍ باعِيْنِ شِواصي⁴
كَفَلَقِ الرِّصاصِ تَسْمُو إلى القَنَاصِ

الشعرُ للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368-370 (تحقيق إحسان عباس) بيروت 1971 .

2 ديوان الأخطل : 3-4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .

3 ررب : قطع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياصي : القرون .

4 خصاص : فتحات ، كوى .

أسيد بن أبي العيص بن أمية . والغناء للمالك وله فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها :
[من البسيط]

صوت

هل تعرفُ الرسمَ والأطلالَ والدِّمْنَا

وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدّمت . عروضه من البسيط . الشعرُ لذي الإصبع العدواني¹ .
والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر . ومنها :
[من الطويل]

صوت

كفى حَزناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا

صوت

وهو من المائة المخارة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دعي القلبَ لا يَزِدْ حَبالاً مع الذي به مِنْكَ أو دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهِ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكِ وَخِيَمَا
وليس بتزويق اللسانِ وصوغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ
عروضه من الطويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس أن للمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْتُمْ فُكِّي عَانِيَا بَلْ مُغْرَمَا وَشُدِّي قُوَى حَبْلِ لَنَا قَدْ تَصَرَّمَا
فَإِنْ تُسَعِّفِيهِ مَرَّةً بَنَوَالِكُمْ فَقَدْ طَالَمَا لَمْ يَنْجُ مِنْكَ مُسَلَّمَا
كفى حَزناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيباً لَا أَزُورُكِ كُلَّمَا
وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق المغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفى عن دحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أُوهُ أَحْسَنُ ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

1 تنسب أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 432 .

فقلت : اذهب بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا تَرُدُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوغِهِ ولكنه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

ثم قال لي معبد : أسمعُكَ ؟ قلت : نعم ، وأريتُهُ أنِّي لم أسمعهُ قبل ، فقال : اسمعه مِنِّي ، فغَنَّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلِ إبراهيم بن المهديّ إلى إسحاق الموصلي . « وكُتِبَ رُفَعَتِي هذه وأنا في غَمْرَةٍ من الحُمَى تصدِّفُ عن المفترضات . ولولا خوْفِي من تشنِيعِكَ وتَجَنِّيكِ لم يكن فيَّ لإجابة فضلٍ ، غير أنِّي قد تكلفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علَّتِي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليس بتزويقِ اللسانِ وصَوغِهِ ولكنه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِمَ علينا فتیان من موالِي بني أُمَيَّة يريدون مَكَّةَ ، فسمعوا معبداً ومالِكاً فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مَكَّةَ فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهُم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتیان من قريش ، أتيناكَ مُسلِّمين عليك ، وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما تَرَوْنَ . فقالوا : إنَّ الذي نكتفي منك به يَسِيرٌ ، وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبَابِي وعُودِي ، فَأَتَتْهُ خادِمة بِخامَةٍ فسَدَلَهَا على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنَّى لِقَبْح وجهه ، ثم أخذ العود فغَنَّاهم ، فأرْخى ثوبه على عينيه وهو يغَنِّي ، حتى إذا اكْتَفَوْا ألقى عودَه وقال : معذرةٌ . فقالوا : نَعَمْ ، قد قَبِلَ اللهُ عذْرَكَ فأَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجبون ممَّا سمِعوا . فَمَرُّوا بالمدينة مُنْصَرِفِينَ ، فسمعوا من معبدٍ ومالِكٍ ، فجعلوا لا يَطْرِبُونَ لهما ولا يُعْجِبُونَ بهما كما كانوا يَطْرِبُونَ . فقال أهلُ المدينة : نَحْلِفُ بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا : أجل ! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَغَّصَ علينا ما بعده .

[تَغَنَّى رِقْطاءُ الحِطْيَةِ برملِ ابن سريج]

وذكر العتَّابيُّ أنَّ زكريَّا بن يحيى حدَّثه قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثمانيُّ

عن بعض أهل الحجاز قال¹ : التقى قنديل الجصاص وأبو الحديد بشعب الصفراء² ، فقال قنديل لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحبشية رائحة تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي :

صوت

سقى مازمي نجد إلى بئر خالد فوادي نصاع فالقرون إلى عمد³
وجادت بروق الراحات بمزنة تسح شايبياً بمرتجز الرعد
منازل هند إذ توأصلي بها ليالي تسيني بمسطرف الود
ينير ظلام الليل من حسن وجهها وتهدي بطيب الريح من جاء من نجد
الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي . فزفت خلفها زيف النعامة ، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش⁴ حسير⁵ فأودعتها قلبي وخلفته لديها ، وأقبلت أهوي كالرخمة بغير قلب . فقال لي قنديل : ما دفع أحد من المزدلفة أسعد منك ، سمعت شعر ابن عمارة في غناء ابن سريج من رقطاء الحبشية ؛ لقد أوتيت جزءاً من النبوة . قال : وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس ؛ فدخل رجل من أهل المدينة منزلها فغنته صوتاً . فقال له بعض من حضر : هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه ؟! فطرب المدني وقال : علي العهد إن لم يكن وترها من معى بشكست النحوي ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكست هذا كان نحوياً بالمدينة ، وقتل مع الشراة⁶ الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول : غناء كل مغن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أضرب ، فضرب مله مطرب يحرك ويستخف ، وضرب ثان له شجا ورقة ، وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة . قال : وكل هذا مجموع في غناء ابن سريج .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61-62 (الفقرة : 85) .

2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .

3 المازم : طريق ضيق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .

4 المشاش : واد يجري يعرفات .

5 حسير : متعب كل عن السير .

6 الشراة : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

[التقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي وتغنى ابن سلمة بغناء ابن سريج]

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي بيثر الفصح¹ ، فقال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع نَسْتَمِيع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتَقاً ، قال : فقعدا يتحدّثان ، فمرَّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطَرِّبِي الحجاز ، أَلْشَيْء كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعِدٍ كان ذلك ، أَفْتُونُسْنَا ؟ قال : فقعدوا يتحدّثون . فلَمَّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد أبهارَ الليل² وساعدك القمر ، فأوقعَ بَقَهْقَهة ابن سريج وأصِيبَ معنك . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بِلَا جُرْمٍ وَصَدَّتْ تَغَضُّباً وَقَالَتْ لِتَرَبِّئَهَا مَقَالَةً عَاتِبِ
سَيَعْلَمُ هَذَا أَتْنِي بِنْتُ حُرَّةٍ سَأَمْنَعُ نَفْسِي مِنْ ظُنُونِ كَوَاذِبِ
فَقُولِي لَهُ عَنَّا تَنَحَّ فَإِنَّا أَبْيَاتُ فُحْشٍ طَاهِرَاتُ الْمَنَاسِبِ

الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزِفُن³ ويقول : أَبْشِرْ حَبِيبِي ، فَلَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ شُهَدَاءِ قَرْوِينَ . قال : ثم قال ابن سلمة للأخضر : نِعْمَ الْمُسَاعِدُ عَلَى هَمِّ اللَّيْلِ⁴ أَنْتَ ؛ فَأَوْقِعْ⁵ بَنُوْح ابن سريج وَلَا تَعُدْ مَعْنَاكَ⁶ . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِالْحَجَّوْنَ تَنَفَّسَتْ تَنَفَّسَ عَمَزُونَ الْفَوَادِ سَقِيمِ
وَقَالَتْ وَمَا يَرَقَا مِنَ الْخَوْفِ دَمْعُهَا أَقَاطِنُهَا أَمْ أَنْتَ غَيْرُ مُقِيمِ
فَإِنَّا غَدَاً تُحَدِّدِي بِنَا الْعَيْسُ بِالضُّحَى وَأَنْتَ بِمَا نَلْقَاهُ غَيْرُ عَلِيمِ
فَقَطَّعَ قَلْبِي قَوْلُهَا ثُمَّ أَسْبَلَتْ مَحَاجِرُ عَيْنِي دَمْعُهَا بِسُجُومِ

قال : فجعل أبو السائب يتأفّف ويقول : أَعْتَقُ مَا أَمْلِكُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِرْدَوْسِيَّةَ الطَّيْنَةِ ، وَإِنِّيَا بَعْلَمِيهَا لِأَفْضَلُ مِنْ أَسِيَّةِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ .

1 ل : بيثر الفصح .

2 ابهار الليل : انتصف .

3 يزفن : يرقص .

4 ل : سهر الليل .

5 ل : فوقع .

6 ل : معنك .

7 . كتاب الأغاني - ج 1

[تغني الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال : بلغني أن أبا ذهبل الجُمَحِيَّ قال : كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مُغْنِيَةِ بالمدينة يقال لها «الذلفاء» ، فغَنَّتْنا بشعر جَمِيل بن معمر العُدْرِيَّ ، واللحن لابن سريج :

صوت

لَهْنُ الْوَجَى لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَكَسِيرُ
كَأَنِّي سَقَيْتُ السُّمَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَجَدَ بِهِمْ حَادٍ وَحَانَ مَسِيرُ
فقال أبو السائب : يا أبا ذهبل ، نحن والله على خَطَرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة وأن يكفيننا كلَّ مَحْذُور ، فما آمَنُ أن يهْجُمَ بي على أمرٍ يَهْتَكُنِي . قال : وجعل يبكي .
[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وَكِيعُ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ عن بَكَّارٍ بن رباح عن إسحاق بن مِقَمَّةَ عن أمِّه قالت : سمعتُ ابن سريج على أخشب منى غداة النَّفَرِ وهو يغني : [من الخفيف]
جَدَدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي لِحَبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فُتْرَمَّا
ونسبهُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت : فِيمَا تَشَاءُ أن تسمع من خِباءٍ ولا مُضْرَبٍ حَنِينًا وَلَا أُنَيْنًا إِلَّا سَمِعْتَهُ .
[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يُذَكِّرُ إبراهيم بن المهدي ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه : هذا صوت قد تَمَعَّبَدَ فيه ابن سريج . فقال له إبراهيم : ما ظننتُ أنكَ يا أبا محمد مع علمك وتَقَدُّمِكَ تقول مثلَ هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تَمَعَّبَدَ ابنُ سريج ، وإنما مَعْبَدٌ إذا أحسن قال : أصبحتُ سَرِيحِيًّا ، قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفعَ قَدْرَهُ عن مثله ، وأَعِيدُكَ بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج . قال : فما رأيتُ إسحاق دفع ذلك ، ولا أباه ، ولا زاد على أن قال : هي كلمة يقولها الناس ، لم أقلها اعتقاداً لها فيه ، وإنما تكلَّمْتُ بها على العادة .
[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوق عليه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكِيعُ قال حَدَّثَنَا محمد بن إسماعيل قال حَدَّثَنَا محمد بن سلام قال :

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غنى فأجاد قال : أنا اليوم سُرِيجِي .
[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدثني الحُرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني محمد بن سَلَامٌ قال حدثنا شُعَيْب بن صخر قال : كان نعمان المغنِّي عندي نازلاً ، وكان يغني ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيتهم كان أحق ؟ قال : لا أدري ، إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكَّتوا .
[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عيَّاش قال حدثني عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ قال : بينما نحن بعمى ونحن نريد الغدوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأُحوص فقال : أبيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسَّعة . فلما جَنَّهُ الليلُ لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يَقْطُرُ ماءً . قلت : ما لك ؟ قال :

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لَمَّا حَرَمَ تَ ، ضَلَّ ضَلَالُكَ مِنْ مُحَرَّمٍ !
تُرِيدُ بِهِ الْبِرَّ يَا لَيْتَهُ كَفَافاً مِنَ الْبِرِّ وَالْمَائِمِ

الغناء لابن سريج ولم يُجَنِّسه . قال قلت : زَنَيْتَ وَرَبَّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لَقِيَ ابن سريج فقال : إني قد قلتُ بيتين حسنين أحبُّ أن تُغَنِّيَ بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إِيَّاهما ؛ فغَنَّى بهما من ساعته ، ففَتِنَ مَنْ حضرَ مَنْ سَمِعَ صَوْتَهُ .
[جرير يذهب من المدينة إلى مكة لسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال ¹ : قديم جرير بن الخَطَفَى المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نَطْلُبُ الشَّعرَ ، فاحتشدنا له ومعنا أشعْبُ . فبينما نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح . وجاء الأُحوص بن محمد الشاعر من قُبَاءٍ على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجة ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أريد والله أن أُعْلِمَهُ أنَّ الفرزدقَ أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِّضْ له وانصرف ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأُحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليك يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأُحوص : يا ابن الخطَفَى ، الفرزدقُ أشرفُ منك وأشعر . قال جرير : مَنْ هذا أخزاه الله ؟ قلنا : الأُحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10-11 (رقم : 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أنت القائل :

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
قال نعم . قال : فإنه يَقْرُ بِعَيْنِهَا أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفقرُ ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأحوص يُرمي بالحلاقِ فانصرف ، فبعث إليهم بتمر وفاكهة . وأقبلنا على جرير نسأله ،
وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت ، فألحَّ عليه أشعبُ يسأل . فقال : والله إنني لأراك
أقبحهم وجهاً وأراك الأمهم حسباً ؛ فقد أبرمتني منذ اليوم . قال : إنني والله أنفعهم وخيرهم
لك . فاتبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إنني أُمْلِحُ شعرك وأجيدُ مَقَاطِعَهُ ومبادئه .
فقال : قُلْ ، وَيَحْك ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ
لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى ألصق برُكْبته رُكْبَتَهُ¹ ، وقال : لعمري لقد
صدقتُ ، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجَدته وزَيَّنته ، أحسنت والله ، وصله وكساه . فلما
رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت ، قال له بعض أهل المجلس : فكيف لو سمعت واضع هذا
الغناء ؟ قال : أو إن له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكة . قال :
فلست بمفارق حِجَازكم حتى أبُلِّغَهُ . فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر
في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً ، فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المَهَا مع ظَرْفٍ
كثير ، فأدنوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحبوا بجرير وأدنوه وسرُّوا
بمكانه ، وأعظم عبْد بن سريج موضع جرير وقال : سل ما تريد جُعِلْتُ فداءك ! قال : أريد
أن تُغْنِيَنِي لَحْنًا سَمِعْتُهُ بِالْمَدِينَةِ أَرْعَجَنِي إِلَيْكَ . قال : وما هو ؟ قال :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ
فغناه ابن سريج ويده قضيبٌ يُوقِعُ بِهِ وَيَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئاً قط أحسنَ من ذلك .
فقال جرير لله دَرُكُكم يا أهلَ مكة ، ما أعطيتُم ! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليُقيم بين أظهرِكم
فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظمَ الناس حظاً ونصيياً ، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ،
ووجوهُكم الحِسان ، وَرَقَّةُ أَلْسِنَتِكُمْ ، وَحُسْنُ شَارَتِكُمْ ، وكثرةُ فَوَائِدِكُمْ !
[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

1 ل : حتى مس برُكْبته رُكْبَتَهُ .

الملك إلى عامل مكة أن أشتخص إلي ابن سريج ، فأشخصه . فلما قديم مكث أياماً لا يدعوه ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنه ذكره ، فقال : ويلكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضر . قال : علي به . فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فتهياً وليس وأقبل حتى دخل عليه فسلم . فأشار إليه أن اجلس ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : ويحك يا عبید ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة منطقتك ومجلسك . فقال : جعلت فداك يا أمير المؤمنين ! «تسمع بالمعدي خير من أن تراه» . قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ما عندك . فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص¹ :

أَمَرَلْتِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسْلَمَا
وَذَكَّرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بَيْشٍ مَقِيمَةً
يَمَانِيَةً شَطَطَتْ فَأَصْبَحَ نَفْعُهَا
أَجِبْ دُنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِي سَوَى الظَّنِّ مَنْ بَكَى
فَدَعُوهَا وَأَخْلِفْ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً
فَإِنْ بِكَفِّهِهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ
إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوَاً وَلَمْ يُثْبِ
تَخِيرُهُ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ
فَلَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَدْعُ مُسْلِمًا
يَنَالُ الْغِنَى وَالْعِزَّ مَنْ نَالَ وَدَّهَ

فقد هجئتما للشوق قلباً متيماً
وجدت وصلي حبله قد تجلماً
وحل بوجج جالساً أو تتهماً²
رجاء وظناً بالمغيب مرجماً
بها صدغ شعبي الدار إلا تثلماً
أحياناً يبكي أم تراباً وأعظماً
تزل عنك بوئسى أو تفيدك أنعماً³
وغيث حياً يحيا به الناس مرهماً⁴
على ملكه مالا حراماً ولا دماً
وليلاً وكان الله بالناس أعلماً
لبيغته إلا أجاب وسلماً
ويرهب موتاً عاجلاً من تشاماً

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص ؛ علي بالأحوص . ثم قال : يا عبید هيّة ؛ فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد⁵ :

- 1 شعر الأحوص : 195-196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .
- 2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً للجلس وهو من نجد . تنهم : نزل تهامة .
- 3 أنعماً في ل : مغنماً .
- 4 مرهما : وجود بالرهام أي المطر .
- 5 ديوان عدي بن الرقاع : 216-221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987 .

صوت

طَارَ الْكَرَى وَالْمُهِمُّ فَكُنْتُمَا
 كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعاً أُسْتَكِنُ بِهِ
 فَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ شَيْئاً بَعْدَ دَاجِيَةٍ
 فَإِنْ تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ
 فَقَدْ آيَبْتُ أَرَاعِي الْخَوْذَ رَاقِدَةً
 بَرِاقَةً الثَّغَرُ تَشْفِي الْقَلْبَ لَذَّتْهَا
 كَلَّا قُحُونٍ بِضَاحِي الرُّوضِ صَبَّحَهُ
 صَلَّى الذِّي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ
 عَلَى الذِّي سَبَقَ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً
 هُوَ الذِّي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ
 عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَتَفْقِدَهُ
 إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ
 لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ

وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَامْتَنَعَا¹
 وَأَسْتَظِلُّ زَمَاناً نُمْتُ انْقَشَعَا
 فَيَنَانِي مَا تَرَى فِي صُدُغِهَا نَزَعَا²
 وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُوءِ الْوَرَعَا
 عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُوراً بِهَا وَلِعَا³
 إِذَا مُقْبِلُهَا فِي رَيْقِهَا كَرَعَا
 غَيْثٌ أَرَشَ بِنَتْنُصَاحٍ وَمَا نَقَعَا
 وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجُمُعَا
 بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مَعَا
 عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا
 وَأَنْ نَكُونَ لِإِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعَا
 مُلْكٌ عَلَيْهِ أَعَانَ اللَّهُ فَارْتَفَعَا
 لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطُونَ مَا مَنَعَا

فقال له الوليد : صدقت يا عبيد ! أننى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو
 غير هذا قلت لأحسنْتُ أدبَك . قال ابن سريج : ذلك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . قال الوليد :
 يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فضلِ ربِّي لِيُتِلُونِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ .
 قال الوليد : لَعَلُّمُكَ وَاللَّهِ أَكْبَرُ وَأَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ غِنَائِكَ ! غَنَّنِي . فغناه بشعر عدي بن
 الرِّقَاعِ العامليِّ يمدح الوليد⁴ :

[من الكامل]

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمًا فَاعْتَادَهَا
 وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٍ

مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
 كَالرَّيِّمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْتَادَهَا⁵

1 الكنع : حضر .

2 نزع : صلع خفيف .

3 أراعي في ل : أناغي .

4 ديوان عدي بن الرقاع : 82-95 .

5 طفلة في ل : برزة .

إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصِلْنِي خُلْتُي وَتَبَاعَدْتُ مَنِّي اغْتَفَرْتُ بِعَادَهَا
صَلَّى إِلَاهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
وَإِذَا الرَّيِّعُ تَتَابَعْتُ أَنْوَاهُ فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصِ فَجَادَهَا¹
نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا غَيْشًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا
أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَاكَهَا مِنْ أُمِّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ وَكَفَفَتْ عَنْهَا مَنْ يَرُومُ فَسَادَهَا
وَأَصَبَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مُصِيبَةً عَمَّتْ أَقَاصِي غَوْرَهَا وَبِنَجَادَهَا
ظَفَرًا وَنَضْرًا مَا تَنَاولَ مِثْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا²
فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الشَّاءَ وَجَدْتُهُ جَمَعَ الْمَكَارِمَ طِرْفَهَا وَتِلَادَهَا

فأشار الوليدُ إلى بعض الخدم ، فغطَّوه بالخَلَع ووضَعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبَدَرًا من الدَّراهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولى بني نوفل بن الحارث ، لقد أُوتيتَ أمراً جليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله مُلكاً عظيماً وشرفاً عالياً ، وعِزًّا بَسَطَ يَدَكَ فِيهِ فَلَمْ يَقْبِضْهُ عَنْكَ وَلَا يَفْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فأدام الله لك ما ولأك ، وحَفِظَكَ فيما اسْتَرَعَاكَ ؛ فَإِنَّكَ أَهْلٌ لِمَا أُعْطَاكَ ، وَلَا نَزَعَهُ مِنْكَ إِذْ رَأَكَ لَهُ مَوْضِعاً . قال : يا نَوْفَلِي ، وَخَطِيبٌ أَيْضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نَطَقْتُ ، وَبِلِسَانِكَ تَكَلَّمْتُ ، وَبِعِزِّكَ بَيَّنْتُ . وقد كان أمر بإحضار الأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيِّ . فلَمَّا قَدِمَا عَلَيْهِ أَمَرَ بِإِنزَالِهِمَا حَيْثُ ابْنُ سَرِيحٍ ، فَأَنْزَلَا مَنْزَلاً إِلَى جَنْبِ ابْنِ سَرِيحٍ . فَقَالَا : وَاللَّهِ لَقُرْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ قُرْبِكَ يَا مَوْلَى بَنِي نَوْفَلٍ ، وَإِنْ فِي قُرْبِكَ لَمَّا يَلِدُنَا وَيَشْغُلُنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا نُرِيدُ . فقال لهما ابن سريج : أَوْ قِلَّةُ شُكْرٍ ؟ فقال له عدي : كَأَنَّكَ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ تَمُنُّ عَلَيْنَا ! عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ إِنْ جَمَعْنَا وَإِيَّاكَ سَقَفُ بَيْتٍ أَوْ صَحْنُ دَارٍ إِلَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَّا الْأَحْوَصُ فَقَالَ : أَوْ لَا تَحْتَمِلُ لِأَبِي يَحْيَى الزَّلَّةَ وَالْهَفْوَةَ ؟ وَكَفَّارَةَ يَمِينٍ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِ الْمَحَبَّةِ ، وَإِعْطَاءِ النَّفْسِ سُؤْلَهَا خَيْرٌ مِنْ لَجَاجٍ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ ! فَتَحَوَّلَ عَدِيٌّ ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ الْأَحْوَصُ . وَبَلَغَ الْوَلِيدُ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ ، فَدَعَا ابْنَ سَرِيحٍ وَأَدْخَلَهُ بَيْتاً وَأَرْخَى دُونَهُ سِتْراً ، ثُمَّ أَمَرَهُ إِذَا فَرَّغَ الْأَحْوَصَ وَعَدِيٌّ مِنْ كَلِمَتَيْهِمَا أَنْ يُغْنِيَ . فَلَمَّا دَخَلَا وَأَنْشَدَاهُ مَدَائِحَ فِيهِ ، رَفَعَ ابْنُ سَرِيحٍ

1 خناصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .

2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرُونَهُ وضرب بعوده . فقال عديّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقَابَ قريشٍ والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخْفِضُه أخرى فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، لِيَسْمَعَ غَناءَه ؟ فقال : ويحك يا عديّ ! أَوَلَا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قطُّ ولا سمعتُ مثله حسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجِنَّ يتغنّون . فقال : اخرج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حَقٌّ لهذا أن يُحمل ؛ حَقٌّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غنّاه ابن سريج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة¹ :

بالله يا ظبيّ بني الحارثِ	هل من وفى بالعهدِ كالنّاثِ
لا تخذعني بالمُنَى باطلاً	وأنت بي تلعبُ كالعابثِ
حتّى متى أنت لنا هكذا	نفسى فداء لك يا حارثي
يا مُتتهى همّي ويا مُنيتي	ويا هوى نفسى ويا وارثي

[عتاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أن رجلاً من [الأشراف من] قريش من موالى ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزينَ بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلْتُ فِداك ، امرأته طالقٌ إن أنت لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حملك على هذا ؟ قال : جُعِلْتُ فِداك قد فعلتُ . فالتفت النوفليّ إلى بعض من كان معه متعجباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طلّقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلمّا توسّطوا الدار قال : امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزّب عني يا لكعُ ، ثم بَدَرَ الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : اتُطَلّق امرأته وتحمّل وزراً ذلك ؟! قال : فوزرُ الغناء أشدُّ . قالوا : كلاً ما سوى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب :

أَلَيْسَتْ بَالْتِي قَالَتْ	لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرَا
أُشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ	إِذَا هُوَ نَحْوَنَا خَطَرَا

وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ لِرِزْبَ نَوَلِّي عَمْرَا
أَهَذَا سِجْرُكَ النِّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

فقال للجماعة : هذا والله حسنٌ ، ما بالحجاز مثله ولا في غيره . وانصرفوا .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عمير الليثي لابن سريج : لو تركت الغناء ، وعاتبته على ذلك . فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، لو سمعته ما تركته . ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيق له كان معه فقال : ما تنتظر ؟ ادخل بنا وإلا طَلَقْتُ امرأةَ الرجل . فدخلا مع ابن سريج ، فغنى بشعر الأحوص :

صوت

لَقَدْ شَاقَكَ الْحَيُّ إِذْ وَدَّعُوا فَعَيْنُكَ فِي إِثْرِهِمْ تَدْمَعُ
وَنَادَاكَ لِلْيَنِّ غُرْبَانُهُ فَظَلَّتْ كَأَنَّكَ لَا تَسْمَعُ
ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن أنت لم تستحسنه لأتركه . فتبسم عبد الله وخرج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوت الذي أوله في الخبر :

جَدْدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي

أولُه¹ :

صوت

إِنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ حِينَ الْمَا هَاجَ لِي ذُكْرَةٌ وَأُحْدِثَ هَمًّا
جَدْدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي مُحِبُّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوَا جِمَالَهُمْ فَتَزَمَّا²
وَلَقَدْ قُلْتُ مُخِيفاً لِرَغْرِضٍ هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْغَزَالَ الْأَجَمَّا³
هَلْ تَرَى مِثْلَهُ مِنَ النَّاسِ شَخْصاً أَكْمَلَ النَّاسِ صُورَةً وَأَتَمَّا⁴

1 ديوان عمر : 393 .

2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .

3 الأجم : الذي ليس له قرنان .

4 الناس في ل : اليوم .

عَرَوْضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى
عَنِ الْهَشَامِيِّ . وفيه للغريض أيضاً ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ : أُنْشِدَ
جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَوْلَ عَمْرِو : [مِنَ الْخَفِيفِ]

لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمَاهِلَهُمْ فَتُزَمَّ
فَطَرِبَ وَارْتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلُوا الْبَيْنَ ، أَفَلَا يُكُونُ قَرِيبَةً ! أَفَلَا يُودَّعُونَ صَدِيقاً !
أَفَلَا يَشْدُونَ رَحْلاً ؟ حَتَّى جَرَّتْ دَمَوْعُهُ .

وَحَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزُّبَيْرِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ . وَمِنْهَا : [مِنَ الْكَامِلِ]

صوت

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ الْعَذْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ¹

عَرَوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشعر لجبر ، والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
الْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ ، وَذَكَرَهُ إِسْحَاقُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى أَحَدٍ . وفيه للغريض ثاني
ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ أَيْضاً . وَمَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لِمَعْدٍ أَوْ لَكَرْدَمَ ابْنِهِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ
ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبٌ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمَعْتَزِ غَيْرِ مَجْنَسٍ . وَمِنْهَا : [مِنَ الطَّوِيلِ]

صوت

أَمْنَزَلْتَنِي سَلَمَى عَلَى الْقِدَمِ اسْلَمَا فَقَدْ هَجْتُمَا لِلشَّوْقِ قَلْباً مُتَيْمًا
وَذَكَّرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَجِدَّةً وَصَلَّى حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّمَا
عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ ، وَالْغَنَاءُ لَكَرْدَمَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَقِيلَ : إِنَّ
هَذَا الثَّقِيلَ الثَّانِي لِحَمْدِ الرَّفِّ ، وَإِنَّ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لَكَرْدَمَ . وَمِنْهَا : [مِنَ الْكَامِلِ]

صوت

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
إِلَّا رَوَاكِدَ كُلِّهِنَّ قَدْ اصْطَلَى حَمَرَاءُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا إِيقَادَهَا²
عَرَوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشعر لعدي بن الرِّقَاعِ الْعَامِلِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَابْنِ مُحَرَّزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مَطْلُوقٌ
فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه لِلْمَالِكِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرِو . وفيه لَحْنٌ لِإِبْرَاهِيمَ ،

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأثافي . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج ، وذكر حماد في كتاب ابن مُحَرِّزٍ أنه مما يُنسب إلى ابن مِسْجَحٍ [أو إلى ابن مُحَرِّزٍ] . ومنها :

صوت

بِاللهِ يَا ظَبْيَ بَنِي الْحَارِثِ هل مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ
لَا تَخْذَعْنِي بِالْمُنَى بِاطِلَاءٍ وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَائِثِ

عروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أنه لسياط . وذكر الهشامي وبذل أن فيه لإبراهيم الموصلي لحناً آخر . وفيه خفيف رمل بالنصر ذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي ، وغيره ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

وهو الذي أوله في الخبر :

أليست بالتي قالت	لمولاة لها ظهرا
تصالي القلب فادكرا	هواه ولم يكن ظهرا ¹
لزينب إذ تجد لنا	صفاء لم يكن كدرا
أليست بالتي قالت	لمولاة لها ظهرا
أشيري بالسلام له	إذا هو نحونا نظرا
وقولي في ملاطفة	لزينب نولي عمرا
فهزت رأسها عجباً	وقالت من بدا أمرا
أهذا سحر ك النسوا	ن قد خبرتني الخيرا
طربت ورد من تهوى	جمال الحي فابتكرا
فقل للبربرية لا	تلومي القلب إن جهرا ²
بطرت وهكذا الإنسا	ن ذو بطر إذا طفرا
فأين العهد والميثا	ق لا تخير بنا بشرا

1 ديوان عمر : 194-195 وهي هنا أكمل ولعلها هنا ملفقة من قصائد متعددة إذا صح توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْوَافِرِ . الشَّعْرَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ ، وَالْغَنَاءَ لِابْنِ سَرِيحَ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالْأَوَّلِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِّ عَنْ إِسْحَاقَ . وَلِلْغَرِيضِ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالْأَوَّلِ لَحْنٌ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ . وَلِمُعَبِّدٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كُلُّهَا لَحْنٌ عَنْ يُونُسَ وَدَنَانِيرَ وَلَمْ يُجَنِّسْهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَفِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ رَمْلٌ لِذَخْمَانَ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِلزُّبَيْرِ ابْنِهِ . وَلِمَالِكٍ لَحْنٌ أَوَّلُهُ :

صوت¹

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيتِي وَقَلْتُ لَهَا خُذِي حَذَرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزِينَبَ نَوَلِي عُمَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بَذَا أَمَرَكَ
أَهَذَا سَحَرُكَ النِّسَاءُ نَ قَدْ خَبَّرْنِي خَبَرَكَ

وَلَحْنُ مَالِكٍ هَذَا خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَهَكَذَا يَرُوي الشَّعْرَ وَيَجْعَلُ قَوَافِيَهُ كُلُّهَا عَلَى الْكَافِ . وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَعَيْنُهَا عَلَى هَذِهِ الْقَافِيَةِ خَفِيفٌ رَمْلٌ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ سَرِيحَ وَإِلَى الْغَرِيضِ . وَذَكَرَ جَبَشٌ أَنَّ فِيهِ لِمُعَبِّدٍ لَحْنًا مِنَ الرَّمْلِ أَوَّلُهُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْأَوَّلِ الْمَذْكُورَةِ .

رجع الخبر إلى سياقة أحاديث ابن سُرِيحَ

[ابن سريح أحسن الناس غناء]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَوَكَيْعٌ وَجَحْظَةُ قَالُوا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ لِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : سَأَلْتُ أَبَاكَ لَيْلَةً وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابُ عَنْ أَحْسَنِ النَّاسِ غِنَاءً ، فَقَالَ لِي : مِنْ النِّسَاءِ أَمْ مِنَ الرِّجَالِ ؟ قُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ . قَالَ : ابْنُ مُحَرَّرٍ . فَقُلْتُ : فَمِنْ النِّسَاءِ ؟ قَالَ : ابْنُ سَرِيحَ . قَالَ إِسْحَاقُ لِي : وَيُقَالُ أَحْسَنُ الرِّجَالِ غِنَاءً مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ ، وَأَحْسَنُ النِّسَاءِ غِنَاءً مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ . قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ خَاصَّةً : ثُمَّ كَانَ ابْنُ سَرِيحَ كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ قَلْبٍ كُلِّ وَاحِدٍ ، فَهُوَ يُغْنِي لَهُ بِمَا يَشْتَهِي .

[ابن سريح ببعض أندية مكة]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادُ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : قَالَ ابْنُ

سريج : مررتُ ببعضِ أندية مكة وفيه جماعةٌ ، فحَصِرْتُ فقلتُ : كيف أجُوزُهم مع تَعَبِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهُم يقولون : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم مَنْ لم يَعْرِفْنِي : وَمَنْ ابن سريج ؟ فقال : الذي يَغْنِي :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطَّلَحَا

قال ابن سريج : فلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قَوَيْتُ نَفْسِي وَاسْتَدَّتْ مُتَنِّي ، ومررتُ بهم أخطر في مُصَبَّغَاتِي . فلَمَّا حَازَيْتُهُمْ قَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَسَلَّمُوا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا لِأَحْدَانِهِمْ : امشُوا مع أَبِي يَحْيَى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حَدَّثَنِي عَمِّي بهذا الخبر فقال حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ سَرِيحَ : دَعَانِي فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي مَرَوَانَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِمْ وَأَنَا فِي ثِيَابِ الْحِجَازِ الْغِلَاطِ الْجَافِيَةِ ، وَهُمْ فِي الْقَوَاهِيِّ وَالْوَشِيِّ يَرِفُلُونَ كَأَنَّهُمْ الدَّنَائِرُ الْهِرْقَلِيَّةُ ، فَغَنَيْتُهُمْ وَأَنَا مُحْتَقِرٌ لِنَفْسِي عِنْدَهُمْ لَحْنًا لِي ، وَهُوَ :

صوت

أَبِالْفُرْعِ لَمْ تَظْعَنْ مَعَ الْحَيِّ زَيْنُ بِنَفْسِي مِنَ النَّأْيِ الْحَبِيبُ الْمُغِيبُ
بَوَجْهِكَ عَنْ مَسِّ التُّرَابِ مَضِنَّةٌ فَلَا تَبْعُدِي إِذْ كُلُّ حَيٍّ سَيَعْطَبُ

ولحن ابن سريج هذا رمل بالخنصر في مجرى البنصر . قال : فتضاءلوا في عَيْنِي حَتَّى سَاوَيْتُهُمْ فِي نَفْسِي لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْظَامِ لِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قُلَالَةً أَنْ تَسْأَلَا
فَطَرَبُوا وَعَظَّمُونِي وَتَوَاضَعُوا لِي ، حَتَّى صِرْتُ فِي نَفْسِي بِمَنْزِلَتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَصَارُوا فِي عَيْنِي بِمَنْزِلَتِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطَّلَحَا

فَطَرَبُوا وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيَّ وَرَمَوْا بِجُلُحِهِمْ كُلَّهَا عَلَيَّ حَتَّى غَطَوْنِي بِهَا ؛ فَمَثَلْتُ لِي نَفْسِي أَنَّهَا نَفْسُ الْخَلِيفَةِ وَأَنَّهُمْ لِي خَوْلٌ ؛ فَمَا رَفَعْتُ طَرْفِي إِلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ تَبْهًا . وَقَدْ مَضَتْ نَسْبَةُ «وَدَّعْ لُبَابَةَ» فِي أَخْبَارِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِ . وَأَمَّا :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ نُ

[من الوافر] فنذكر نسبته :

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطْلَحَا
نَعَمْ وَلَوْشَكَ بَيْنَهُمْ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سُنْحَا
أَجَزَنَ الْمَاءُ مِنْ رَكَكٍ وضوء الفجرِ قد وَضَحَا¹
فَقُلْنَ مَقِيلُنَا قَزَنٌ نُبَاكِرُ مَاءَهُ صُبْحَا
تَبِعْتُهُمْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ من حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
يُودِّعُ بَعْضُنَا بَعْضًا وكلُّ بِالْهَوَى جُرْحَا
فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فغَيْرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

عروضه من الوافر . الشعر لأبي ذُهَلٍ الجُمَحِيِّ² والغناء للمالكِ وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بالْبِنْصَرِ عن إِسْحَاقَ ، وخفيف ثَقِيلٌ بالوَسْطَى عن عَمْرِو . ولمعبد فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخِنْصَرِ فِي
مَجْرَى الْوَسْطَى . ولابن سَرِيحٍ فِي الْخَامِسِ وَمَا بَعْدَهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ
إِسْحَاقَ . وفيه الْغَرِيضُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ .

[مدح جرير ابن سريح]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَ جَرِيرٌ الْمَدِينَةَ أَوْ مَكَّةَ فَجَلَسَ مَعَ قَوْمٍ ،
فَجَعَلُوا يَعْزِفُونَ عَلَيْهِ غَنَاءَ رَجُلٍ رَجُلٍ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ ، حَتَّى غَنَوَهُ لَابْنُ سَرِيحَ ، فَطَرِبَ وَقَالَ : هَذَا
أَحْسَنُ مَا أَسْمَعْتُوْنِي مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ . قَالُوا : وَكَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟ قَالَ : مَخْرَجُ كُلِّ مَا
أَسْمَعْتُوْنِي مِنَ الْغَنَاءِ مِنَ الرَّأْسِ ، وَمَخْرَجُ هَذَا مِنَ الصَّدْرِ .

[تحكيم الأفلح المخزومي في غناء قبتين]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ قَالَ : جَاءَ سِنْدَةُ الْخَيَّاطِ الْمَغْنِيَّ إِلَى الْأَفْلَحِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ يوصَفُ
بِعَقْلٍ وَفَضْلٍ ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَمْضِي ؟ فَقَالَ : إِلَيْكَ قَصَدْتُ مِنْ مَجْلِسٍ
لِبَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ أَقْبَلْتُ مُحَاكِماً إِلَيْكَ . قَالَ : فِيمَاذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ وَحَضَرَتْ
مَجْلِسَهُ رَقَطَاءُ الْحَبْطِيِّينَ ، وَصَفْرَاءُ الْعَلْقَمِيِّينَ ، فَتَنَاوَلْنَا بَيْنَهُمَا رَمْلَ ابْنِ سَرِيحَ : [من الرمل]

1 رَكَكٌ : مَوْضِعٌ بِجَبَلِ طَيْءِ الْمَسْمِيِّ «سَلْمَى» .

2 سَبَقَ أَنْ نَسَبَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ أَبِي رِيْعَةَ وَانْظُرْ دِيَوَانَهُ ص 84 . وَيَنْسَبُ أَيْضاً إِلَى جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
أَرْطَاةَ .

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَبْقَى سَاعَةً مع ما أُلْقِيَ إِذَا اللَّيْلُ حَضَرَ
 مِنْ يَذُقُ نَوْمًا وَيَهْدَأُ لَيْلُهُ فلقد بُدِّلْتُ بِالنَّوْمِ السَّهْرُ
 قُلْتُ مَهْلًا إِنَّهَا جَنِيَّةٌ إِنْ تُخَالِطُهَا تَفْزُ مِنْهَا بَشَرٌ¹

فَغَنَّتَاهُ جَمِيعًا ، وَاخْتَلَفْنَا فِي تَفْضِيلِهِمَا ، فَفَضَّلْتُ كُلُّ فَرِيقٍ مَنَا إِحْدَاهُمَا ، فَرَضِينَا جَمِيعًا بِحُكْمِكَ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمَا . قَالَ : فَوَجَمَ سَاعَةً ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْكُمُوا تَأَمَّلُوا سَاعَةً ثُمَّ حَكُمُوا ، فَإِذَا حَكَمَ الْحَكْمُ مَضَى حُكْمُهُ كَأَنَّمَا مَا كَانَ ، فَفَضَّلْتُ مَنْ فَضَّلَهُ وَأَسْقَطْتُ مَنْ أَسْقَطَهُ ، إِذَا تَرَاضَى الْخَصْمَانِ بِهِ ، فَكَّرَهُ الْأَفْلَحُ أَنْ يُرْضِيَ قَوْمًا وَيُسْخِطَ آخَرِينَ ، فَقَالَ لِسِنْدَةٍ صِفْهُمَا أَنْتَ لِي كَيْفَ كَانَتَا إِذْ غَنَّتَاهُ وَاشْرَحْ لِي مَذْهَبَهُمَا فِيهِ كَمَا سَمِعْتَ ، وَأَنَا أَحْكُمُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقَالَ سِنْدَةٌ : أَمَّا جَارِيَةُ الْحَبْطِيِّينَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَلُوكُ لَحْنَهُ كَمَا يَلُوكُ الْفَرَسُ الْعَتِيقُ لِجَامِهِ ، ثُمَّ تُلْقِيهِ فِي هَامِيَةٍ لَدُنِي ثُمَّ تُخْرِجُهُ مِنْ مَنَحْرِ أَغْنٍ² ، وَاللَّهِ مَا ابْتَدَأَتْهُ فَتَوَسَّطَتْهُ وَأَنَا أَعْقِلُ ، وَلَا فَرَعْتُ مِنْهُ فَأَقْفْتُ إِلَّا وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّي رَأَيْتُهُ فِي نَوْمِي . وَأَمَّا صَفْرَاءُ الْعَلَقَمِيِّينَ ، فَإِنَّهَا أَحْسَنُهُمَا حَلْقًا ، وَأَصَحُّهُمَا صَوْتًا ، وَالْأَيْنُهُمَا تَثْنِيًا ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا قَطُّ فَاتَفَعَّعَ بِنَفْسِهِ وَلَا دِينَهُ .

هَذَا مَا عِنْدِي ، فَاحْكُمْ أَنْتَ يَا أَخَا بَنِي مَخْزُومٍ . فَقَالَ : قَدْ حَكَمْتُ بِأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي الرَّأْسِ ، فَبِأَيُّهُمَا نَظَرْتُ أَبْصَرْتُ ، وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عُبَيْدِ بْنِ سَرِيحٍ خَلْفٌ لَكَانَتَا . قَالَ : فَانصَرَفُوا جَمِيعًا رَاضِينَ بِحُكْمِهِ .

[تناء جرير المديني على ابن سريج]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ جَرِيرًا الْمَدِينِيَّ عَنْ ابْنِ سَرِيحٍ ، فَقَالَ : أَتَذْكُرُهُ وَيَحْكُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَقُولُ : سَيِّدٌ مَنْ غَنَّى وَوَاحِدٌ مَنْ تَرَنَّمَ ! [ثناء الشعبي عليه]

قَالَ حَمَّادٌ وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هَارُونَ³ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَهِيرٍ السَّعْدِيِّ الْكُوفِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرِو الْفُقَيْمِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّعْبِيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ فِي غُرْفَتِهِ ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غَنَاءٍ ، فَقُلْتُ : أَهَذَا فِي جِوَارِكَ ؟ فَأَشْرَفَ بِي عَلَى مَنْزِلِهِ ، فَإِذَا بَغْلَامٌ كَأَنَّهُ فَلَقَهُ قَمِيرٌ وَهُوَ يَتَغَنَّى . قَالَ إِسْحَاقُ : وَهَذَا الْغَنَاءُ لِابْنِ سَرِيحٍ : [من الخفيف]

وَقُمَيْرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرٍ مَنْ لَهُ قَالَتِ الْفَنَاتَانِ قُومًا

1 تَفَزُّعٌ فِي ل : تُصَبُّ .

2 ل : أَرْن .

3 ل : مَرَوَان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيًّا ، هذا

ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبو أيوب المَدِينِيُّ قال : حدَّثني الهشاميّ الربيعيّ عن إسحاق الموصليّ قال : تغنّى ابنُ سريج في شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة وهو : [من الرجز]

صوت

حَانَكَ مَنْ تَهَوَّى فَلَا تَخْنُهُ وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ

وَاسْلُكْ سَبِيلَ وَصْلِهِ وَصْنُهُ إِنْ كَانَ غَدَارًا فَلَا تَكْنُهُ

عَسَى تَبَارِجُ تَجِيءُ مِنْهُ فِيرْجِعِ الْوَصْلُ وَلَمْ تَشْنُهُ

قال المَكِّيُّونَ : قال ابن سريج : ما تَغَنَّيْتُ بهذا الشعر قطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي أُحْلُ حُلَّ الخليفة .

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهانيّ : وجدت في هذا الشعرَ لَحْنَيْنِ : أحدهما ثَقِيلٌ أَوَّلُ وَالْآخِرُ رَمَلٌ ، مجهولَينِ جميعاً ، فلا أدري أيُّهما لَحْنُهُ .

[وصف ابن سريج للمغني الحسن]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْعَتَّابِيِّ : أَخْبَرَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ جَدِّهِ الْفَضْلِ عَنْ ابْنِ جَامِعٍ عَنْ سَيَّاطٍ عَنْ يُونُسَ الْكَاتِبِ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ سَرِيحٍ عَنْ قَوْلِ النَّاسِ : فَلَانُ يُصِيبُ وَفَلَانُ يُخْطِئُ ، وَفَلَانُ يُحْسِنُ وَفَلَانُ يُسِيئُ ؟ فَقَالَ : الْمَصِيبُ الْحَسَنُ مِنَ الْمَغْنِيِّنَ هُوَ الَّذِي يُشْبِعُ الْأَلْحَانَ ، وَيَمْلَأُ الْأَنْفَاسَ ، وَيُعَدِّلُ الْأَوْزَانَ ، وَيُقَخِّمُ الْأَلْفَاظَ ، وَيَعْرِفُ الصَّوَابَ ، وَيُقِيمُ الْإِعْرَابَ ، وَيَسْتَوْفِي النَّعْمَ الطَّوَالَ ، وَيُحَسِّنُ مَقَاطِيعَ النَّعْمِ الْقِصَارَ ، وَيُصِيبُ أَجْنَاسَ الْإِيْقَاعِ ، وَيَخْتَلِسُ مَوَاقِعَ النَّبَرَاتِ ، وَيَسْتَوْفِي مَا يَشَاكُلُهَا فِي الضَّرْبِ مِنَ النَّفَرَاتِ . فَعَرَضْتُ مَا قَالَ عَلَيَّ مَعْبِدٍ ، فَقَالَ : لَوْ جَاءَ فِي الْغِنَاءِ قَرَأَنٌ مَا جَاءَ إِلَّا هَكَذَا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبة المغنية]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشْقِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ ظُبْيَةَ : أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِحَبَابَةِ يَوْمًا : أتعرفين أحداً هو أطربُ مِنِّي ؟ قالت . نعم ، مولاي الذي باعني . فَأَمَرَ بِإِشْخَاصِهِ فَأَشْخَصَ إِلَيْهِ مَقِيدًا . وَأَعْلَمَ بِحَالِهِ فَأَذِنَ فِي إِدْخَالِهِ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَبَابَةَ وَسَلَامَةً تُغْنِيَانِ ؛ فَغَنَّتْهُ سَلَامَةُ لَحْنَ الْغَرِيضِ فِي : [من المتقارب]

تَشِطُّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا

فَطَرِبَ وَتَحَرَّكَ فِي أَقْيَادِهِ . ثُمَّ غَنَّتْهُ حَبَابَةُ لَحْنِ ابْنِ سَرِيجَ الْمَجْرَدُ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَوَثَبَ وَجَعَلَ يَحِجِّلُ فِي قِيدِهِ وَيَقُولُ : هَذَا وَأَيُّكُمَا مَا لَا تَعْدُلَانِي فِيهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الشَّمْعَةِ فَوَضَعَ لَحِيَّتَهُ عَلَيْهَا فَاحْتَرَقَتْ ، وَجَعَلَ يَصِيحُ : الْحَرِيقَ الْحَرِيقَ يَا أَوْلَادَ الزُّنَا . فَضَحَكَ يَزِيدُ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْرَبَ النَّاسِ حَقًّا ، وَوَصَلَهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى بَلَدِهِ .

[سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيجَ كَانَ جَالِسًا ، فَمَرَّ بِهِ عَطَاءُ وَابْنُ جُرَيْجٍ . فَحَلَفَ عَلَيْهِمَا بِالطَّلَاقِ أَنْ يُغْنِيَهُمَا ، عَلَى أَنَّهُمَا إِنْ نَهِيَاهُ عَنِ الْغِنَاءِ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ تَرَكَهُ . فَوْقًا لَهُ وَغَنَاهُمَا :

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَابِلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا

فَغَنَيْتُ عَلَى ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَقَامَ عَطَاءُ فَرَقَصَ . وَنَسَبَ هَذَا الصَّوْتُ وَخَبَرَهُ يُذَكِّرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

[غناء ابن سريج عند موقف الحاج للاستماع]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيجَ كَانَ عِنْدَ بَسْتَانَ ابْنِ عَامِرٍ يُغْنِي :

لِمَنْ نَارٌ بِأَعْلَى الْخَيْدِ فِ دُونَ الْبَيْرِ مَا تَخْبُو
أَرَقْتُ لَذِكْرِ مَوْجِعِهَا فَحَنٌّ لَذِكْرِهَا الْقَلْبُ
إِذَا مَا أَخْمَدْتُ الْقَبِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

فَجَعَلَ الْحَاجُّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى جَاءَ إِنْسَانٌ مِنْ آخِرِ الْقَطْرَاتِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ قَطَعْتَ عَلَى الْحَاجِّ وَحَبَسْتَهُمْ ، وَالْوَقْتُ قَدْ ضَاقَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَقُمْ عَنْهُمْ ، فَقَامَ وَسَارَ النَّاسُ .

[ابن سريج ينال جائزة السابق في الغناء]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ : أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا حَجَّ سَبَقَ بَيْنَ الْمَغْنَنِ بِدْرَةَ . فَجَاءَ ابْنُ سَرِيجَ وَقَدْ أُغْلِقَ الْبَابُ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْحَاجِبُ ، فَأَمْسَكَ حَتَّى سَكَنُوا وَغَنَّى :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي

فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا ابْنُ سَرِيجَ ، قَالُوا : هُوَ هُوَ ، قَالَ : أَدْخُلُوهُ فَادْخُلْ فَأَمَرَهُ بِإِعَادَةِ الصَّوْتِ فَأَعَادَهُ ، فَقَالَ : خَذِ الْبَدْرَةَ ، وَأَمُرَ لِلْمَغْنَنِ بِأُخْرَى .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من الوافر]

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْسَ فِتْرٍ
أَرَاقِبُ فِي الْمَجْرَةِ كُلَّ نَجْمٍ تَعْرَضُ لِلْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي
لِيَهْمٌ لَا أزالُ لَهُ مُدِيمًا كَانَ الْقَلْبُ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرٍ

الشعر لعروة بن أذينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى . وفيه لأبي عباد² رمل³ بالوسطى ، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب³ الحرّون .
[تاريخ وفاة ابن سريج.]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال ابن مِقَمَّة : دخلتُ على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يحيى ؟ فقال : أصبحتُ والله كما قال الشاعر :

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ مَا أَلاقي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مِقَمَّة : لما احتضر ابن سريج نظرَ إلى ابنته تبكي فبكى ، وقال : إنَّ من أكبر هَمِّي أنتِ ، وأخشى أن تَضِيعَ بَعْدِي . فقالت : لا تَخَفُ ؛ فما غَنَيْتَ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أُغْنِيهِ . فقال : هاتي . فاندفعت تُغْنِي أصواتاً وهو مُضْغِعٌ إِلَيْهَا ، فقال : قد أصبتِ ما في نفسي ، وهَوَّنْتَ عَلَيَّ أَمْرِي . ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزَوَّجَهُ بِإِثَابِهَا ؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحلها ؛ فهو الآن يُنسَبُ إِلَيْهِ . قال إسحاق : فقال كَثِيرُ بْنُ كَثِيرٍ السَّهْمِي يَرِثُهُ : [من البسيط]

مَا لِلْهُوِّ بَعْدَ عُيَيْدٍ حِينَ يَخْبُرُهُ مَنْ كَانَ يَلْهُو بِهِ مِنْهُ بِمُطْلَبٍ
لِلَّهِ قَبْرُ عُيَيْدٍ مَا تَضُمَّنُ مِنْ لَذَاذَةِ الْعَيْشِ وَالْإِحْسَانِ وَالطَّرَبِ

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .

2 ل : لابن عباد .

3 ل : لحاجب .

لولا الغريضة فيه من شمائله¹ مشابه لم أكن فيها بذى أرب¹
 قال إسحاق : وحدثنى هشام بن المُرِّيَّة أن قادمًا قَدِمَ المدينة فسارَّ معبدًا بشيء ، فقال معبدٌ :
 أصبحتُ أحسنَ الناسِ غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟
 قالوا لا . قال : أعلمني أن عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناسِ غناءً وهو حيٌّ . وفي ابن
 سريج يقول عمر بن أبي ربيعة :

[من السريج]

صوت

قالت وعيناها تجودانها صوحيته والله لك الراعي
 يا ابن سريج لا تدع سِرِّنا قد كنت عِندي غير مَذِياع

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيوب المَدِينِي : توفِّي ابن سريج بالعلَّة التي أصابته من الجُذام بمكة ، في
 خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكة ودُفِنَ في موضع بها يقال له
 دَسَمٌ² .

[وقفة على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحرْمِي بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني هارون بن أبي بكر قال
 حدَّثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال : إنا لبِغناء دار عمرو بن عثمان
 بالأبطح في صُبحِ خامسةٍ من الثَّمان ، يعني أيام الحجِّ ، قال : كنت جالساً أيام الحجِّ ، فما إن
 دَرَيْتُ إلا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب
 إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فانتسبتُ لهما عثمانياً . فنزلا وقالوا : رجلان من أهلِكَ
 لهما حاجةٌ ونَجِبٌ أن تقضيهما قبل أن نُشْده³ بأمر الحجِّ . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالوا : نريد إنساناً
 يَقِفُنَا على قبرِ عبيد بن سريج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلةً بني أبي قارة من
 خزاعة بمكة ، وهم موالٍ عبيد ابن سريج ، فالتمستُ لهما إنساناً يصحبُهُما حتى يَقِفَهُما على
 قبره بدسم ، فوجدتُ ابن أبي دُبَاكِيلٍ فأنهضتُ معهما . فأخبرني بعد : أنه لما وَقَفَهُما على قبره
 نزل أحدهما عن راحلته فحسَرَ عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن
 مروان ، فعقر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كليلٍ حسنٍ ويقول :

[من الطويل]

1 شمائله في ل : مشابهه .

2 دسم : موضع على مقربة من مكة .

3 نشده : نشغل .

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَّرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبُ
فَجَالَتْ بِأَرْجَاءِ الْجُفُونِ سَوَافِحُ مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَلِي الَّذِي يَتَعَقَّبُ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَدِّ سَاقَهَا دَمٌ بَعْدَ دَمْعٍ إِثْرَهُ يَتَصَبَّبُ
فَإِنْ تُسْعِدَا نَذْبُ عُبِيداً بَعُولَةً وَقَلَّ لَهُ مَنَا الْبُكَاءِ وَالتَّحُوبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القرشي : خذ في صوت أبي يحيى ؛ فاندفع
يتغنى¹ :

أُسْعِدَانِي بِعَبْرَةِ أُسْرَابِ مِنْ دُمُوعٍ كَثِيرَةٍ التَّسْكَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي مُوَلَّهًا مُوَلَّعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلَ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَابِ مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونُ مِنْ أَهْلِ صِدْقٍ وَكُهُولٍ أَغْفَةٍ وَشَبَابِ
سَكُنُوا الْجَزْعَ جَزَعِ بَيْتِ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفْيَى السَّبَابِ
فَلْيَ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَصْحَابِي

قال ابن أبي دُبَاكِلٍ : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثاً حتى غُشِيَ على صاحبه ، وأقبل
يُصلِح السَّرَجَ على بغلته وهو غير مُعَرَّجٍ عليه . فسألته مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذَامِ .
قلتُ : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن المُنتَشِرِ . قال : ولم يَزَلِ القُرَشِيُّ على حاله ساعةً ثم
أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبدأ مَصْبُوبٌ²
على نفسك ! وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ؟ ثم قَرَّبَ إليه الفرسَ ، فلَمَّا عَلَاهُ استخرج الجذامي
من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدْحًا وإِدَاوَةً مَاءٍ ، فجعل في القَدْحِ تُرَاباً من تُرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ
عليه ماءً من الإِدَاوَةِ ، ثم قال : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ السَّلْوَةَ فَشَرِبَ ، ثم فعل هو مثل ذلك ،
ورَكِبَ على البغلِ وأردفني . فخرجا والله ما يُعَرِّضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كُنَّا فِيهِ ، وَلَا أَرَى
فِي وَجْهِهِمَا شَيْئاً مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ . فلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا ابْطَحُ مَكَّةَ قَالَا : انْزِلْ يَا
خَزَاعِي فَنَزَلْتُ . وَأَوْمَأَ الْفَتَى إِلَى الْجَذَامِيِّ بِكَلَامٍ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ وَفِيهَا شَيْءٌ فَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا
هُوَ عَشْرُونَ دِينَاراً ، وَمُضِيَا . فَانْصَرَفْتُ إِلَى قَبْرِهِ بِيَعِيرَيْنِ ، فَاحْتَمَلْتُ عَلَيْهِمَا أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ
الَّتَيْنِ عَقَرَاهُمَا فَبِعْتُهَا بِثَلَاثِينَ دِينَاراً .

1 الشعر لكثير بن كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الجبري من الأغاني .

2 ل : منصوب .

صوت من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة¹ : [من الطويل]

أهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزَلَ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ
مَضَارِبُ أَوْتَادٍ وَأَشَعْتُ دَائِرُ مُقِيمٌ وَسُفَعٌ فِي الْمَحَلِّ جَوَائِمُ²

عروضه من الطويل . الشعرُ نُصِيبُ ، والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر ، وله فيه أيضاً هزج بالسبابة في مجرى البِنْصر ، وذكر جَحْظَةَ عن أصحابه أَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَارُ ، وحكى عن أصحابه أَنَّهُ ليس في الغناء كُلُّهُ نَغْمَةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الثَّلَاثَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَارَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا .

ومن قصيدة نُصِيبُ هذه مما يُغْنَى فِيهِ قَوْلُهُ : [من الطويل]

لَقَدْ رَاعَيْتِي لِلْبَيْنِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ بَانٍ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَتْ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجْوُهُنَّ فَدَائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثقلٍ مطلق في مجرى البِنْصر عن يونس ويحيى المَكِّيَّ وإِسْحَاقَ ، وأظنُّهُ مع البَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَأَنَّ الْجَمِيعَ لَحْنٌ وَاحِدٌ ، وَلَكِنَّهُ تَفَرَّقَ لَصُعُوبَةِ اللَّحْنِ وَكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَجُعِلَا صَوْتَيْنِ .

1 شعر نُصِيبُ : 128 عن الأغاني .

2 أَشَعْتُ : صفة للوتد ؛ وَسُفَعٌ صفة للأثافي .

[7] - ذكر نُصَيْبٍ وأخباره¹ [108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رَبَاح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعض العرب من بني كِنانة السُّكَّانِ بَوْدان² ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولأءه منهم ، وقيل : بل كاتب مَوالِيه ، فأدَّى عنه مَكاتِبَتَه .

وقال ابن ذَابٍ : كان نُصَيْبٌ من قُضاعة ثم من بَلِيٍّ . وكانت أمُّه سَوْداء فوقع عليها سَيْدُها فَحِلَّتْ بِنُصَيْبٍ ، فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرَةَ . وكان شاعراً فَحَلًّا فصيحاً مُقَدِّماً في النسيب والمدح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إِنَّه لم يَنْسُبْ قطُّ إلاَّ بامراته .

أخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال : كتب إليَّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِخْجَن بن نُصَيْب بن رباح يذكُر عن عمِّته غَرْضَةَ بنت النُّصَيْب : أَنَّ النُّصَيْب كان ابن نَوَيْسَيْنِ سَبْيَيْنِ كانا لخِزاعة ، ثم اشترت سلامة أُمُّ نُصَيْب امرأة من خِزاعة ضَمْرِيَّة حاملاً بالنُّصَيْب ، فأعتقت ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : كان نُصَيْبٌ من أهل وَدَّان عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أهلُ بيته . وكان أهل البادية يدعونه النُّصَيْب تفخيماً له ، ويروون شعره . وكان عفيفاً كبيرَ النَّفْس مُقَدِّماً عند الملوك ، يُجيد مَدِيحَهُمْ ومَرائِيَهُمْ .

أخبرني الحسين بن حمَّاد عن أبيه عن ابن الكلبي قال : كان نُصَيْب من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أمُّه أمة سَوْداء ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشح للمرزباني : 296 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752-2757 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197-201 تحقيق إحسان عباس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386-390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعل المراد هو الذي بين مكة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية ، وأخبرنا الحرْمِيُّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال حدثني رجلٌ من خزاعة من أهل كَلْبَةَ ، وهي قرية كان فيها النُصَيْبُ وكثيرٌ ، قال : بلغني أنّ النُصَيْبَ قال : قلتُ الشعر وأنا شابٌ فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتي مَشِيخَةً من بني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مَنَاة ، وهم موالي النُصَيْبِ ، ومشيخةٌ من خزاعة ، فأنشدُهم القصيدة من شِعْرِي ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعرُ ! فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنني مُحْسِنٌ ، فأزعموا وأزعمتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأختي أُمّامة وكانت عاقلةً جَلَدَةً : أي أُخَيَّةُ ، إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعْتَقَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ به وأُمّك ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرأتِي . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا ابن أُمّ ، أتجتمع عليك الخصلتان : السَّوَادُ ، وأن تكون ضُحْكَةً للناس ! قال : قلتُ فاسمعي ، فأنشدتها فسمِعتُ ، فقالت : بأبي أنت ، أحسنتَ والله ، في هذا والله رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فآخِرُجْ على بركةِ اللهِ . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قَدِمْتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم ، فعَرَجْتُ إليه فقلتُ : أنشده وأستنشده وأعرض عليه شِعْرِي . فأنشدته : فقال لي : ويلَكَ ؟ أهذا شِعْرُكَ الذي تَطْلُبُ به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلستَ في شيء ، إن استطعتَ أن تكْتُمَ هذا على نفسك فافعل . فانفضختُ عَرَقاً ، فحَصَّيْنِي رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمْتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شِعْرُكَ الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أُصِبتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرفَ محاسن الشعرِ ، فأمضِ لوجهك ولا يَكْسِرَنَّكَ . قال : فسَرَّني قوله ، وعلمتُ أنّه قد صدَّقني فيما قال ، فاعتزمتُ على المُضِيِّ .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فَنَحِيتُ عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشَّارَةِ سَهْلَ المَدْحَلِ ، يُؤَدِّنُ له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أماسي بغلته . فلما رأيَ قال : ألك حاجة ؟ قلتُ : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد اذدريتُ فطُردتُ من الباب ونُحِيتُ عن الوجوه . قال :

فأنشيدني ، فأنشدته . فأعجبه شعري ، فقال : ويحك ؛ أهذا شعرك ؟ فإياك أن تتحلج ؛ فإن الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ، فقل أبياتاً تذكر فيها خوف¹ مصر وفضلها على غيرها ، والقني بها غداً . فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي² :

سرى الهم تثنيني إليك طلائع
وبات وسادي ساعد قل لحمه
بمصر وبالخوف اعترتني روائع
عن العظم حتى كاد تبدو أشاجع³
قال : وذكرت فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي
تمشى به أفناء بكر ومذحج
فكل ميسل من يهامة طيب
أعني على برق أريك وميضه
إذا اكتحلت عينا مجب بضوئه
هنيئاً لأم البخري الروى به
وما زلت حتى قلت إني لخالع
ومانح قوم أنت منهم مودتي
[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعر ، احضر بالباب حتى أذكرك للأمير . قال : فجلست على الباب ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي . فدخلت فسلمت على عبد العزيز ، فصعد في بصره وصوب ، ثم قال : أنت شاعر ؟ ويلك ! قلت : نعم ، أيها الأمير . قال : فأنشيدني . فأنشدته ، فأعجبه شعري . وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خريم الأسدي⁴ بالباب . قال : ائذن له ، فدخل فاطمأن . فقال له الأمير : يا أيمن بن خريم ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلي فقال : والله لينعم العادي في أثر المخاض ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار . قال : فإن له شعراً وفصاحة . فقال لي أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت نعم . قال : قيمته ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتخفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها الأمير ! ما لهذا

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .

2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينه ، وانظر ديوان نصيب : 103-104 .

3 الأشاجع : أصول الأصابع .

4 سترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشعر ؟ أمثلُ هذا يقول الشعر أو يُحسين شعراً ؟ فقال : أنشده يا نصيب ، فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : شعرُ أسود . وهو أشعر أهل جلدته . قال : هو والله أشعرُ منك ، قال : أمني أيها الأمير ؟ قال : إي والله منك . قال : والله أيها الأمير ، إنك لمُلُولٌ طَرَفٌ . قال : كذبت والله ما أنا كذلك ؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك ، تُنازِعُنِي التَّحِيَّةَ وتَوَاكِلُنِي الطَّعَامَ وتَتَكَيَّءُ عَلَيَّ وسَائِدِي وفُرْشِي وبِكَ ما بك ؟ يعني وَضَحاً كان بأيمن ؛ قال : ائذْنِ لي [أن] أخرج إلى بشر بالعراق ، واحمِلني على البريد . قال : قد أَذِنْتُ لك ، وأمر به فحُمِلَ على البريد إلى بشر . فقال أيمن بن خريم : [من الوافر]

ركبتُ من المُقَطَّمِ في جُمَادَى إلى بِشْرِ بنِ مَرْوَانَ الْبَرِيدَا
ولو أعطاك بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رَأَى حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقِمْ بِبِشْرِ عَمُودَ الْحَقِّ إِنْ لَهُ عَمُودَا
وَدَعْ بِشْراً يُقَوِّمُهُمْ وَيُحْدِثُ لأهلِ الزَّيْغِ إِسْلاماً جَدِيدَا
كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَّوهُ لِأَعْظَمِ الْأَيَّامِ عِيدَا
على دِيبَاجِ خَدْيٍ وَجْهَ بِشْرِ إِذَا الْأَلْوَانُ خَالَفَتِ الْخُدُودَا
قال أَيُّوبُ يعني بقوله :

إِذَا الْأَلْوَانُ خَالَفَتِ الْخُدُودَا

أَنَّهُ عَرَضَ بِكَلْفٍ كَانَ فِي وَجْهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .
وَأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرَجاً مَلِيحاً وَأَبْيَضَ جُوزْجَانِيّاً عَتُودَا¹
وَأَنَا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرِ كَأُمِّ الْأَسَدِ مِذْكَاراً وَلُودَا
قال : فَأَعْطَاهُ بِشْرٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[أَوَّلُ مِنْ نَوَّهَ بِاسْمِ نَصِيبٍ وَوَصَلَهُ بَعِيدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : أَوَّلُ مَنْ نَوَّهَ بِاسْمِ نَصِيبٍ وَقَدِمَ بِهِ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوءَ ، قَدِمَ بِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ وَصِيفٌ حِينَ بَلَغَ وَأَوَّلَ مَا قَالَ الشَّعْرَ . قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، جِئْتُكَ بِوَصِيفٍ نُوبِيٍّ يَقُولُ الشَّعْرَ ، وَكَانَ نَصِيبُ ابْنِ نُوبِيسَينَ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَأَعْجَبَهُ شَعْرُهُ ، وَكَانَ مَعَهُ أَيُّمَنُ بْنُ خَرِيمِ الْأَسَدِيِّ . فقال عبد العزيز : إِذَا دَعَوْتُ بِالْغَدَاءِ فَأَدْخِلُوهُ عَلَيَّ فِي جُبَّةٍ صَوْفٍ مُحْتَرِماً بِعِقَالٍ ، فَإِذَا قَلْتُ قَوْمَهُ فَقَوْمُوهُ وَأَخْرِجُوهُ وَرُدُّوهُ عَلَيَّ فِي جُبَّةٍ وَشِيٍّ وَرِدَاءٍ

1 يعني جملاً قوياً أبيض من منطقة جوزجان .

وشي . فلمّا جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أدخل نصيب في جبة صوفي محترماً بعقال ، فقال : قوموا هذا الغلام . فقالوا : عشرة ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : ردّوه ، فأخرجوه ثم ردّوه في جبة وشي ورداء وشي . فقال : أنشدنا ، فأنشدهم . فقال : قوموه ، قالوا : ألف دينار . فقال أيمن : والله ما كان قط أقلّ في عيني منه الآن ، وإنه ليعم راعي المخاض . فقال له : فكيف شعره ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منك . قال : أميني أيها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنك لملول طريف . فقال له : والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة ، كل ذلك أحتملك ، وكان بأيمن بياض ، فقال له أيمن : ائذن لي أن أخرج إلى بشر . فأذن له فخرج ، وقال أبياته التي أولها :

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى

وقد مضت الأبيات . قال : فلمّا جازَ بعد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاك بشراً . قال : أتجوزني ؟ قال : إي والله أجوزك إلى من قديم إليّ وطلّبي . قال : فلم فارقت صاحبك ؟ قال : رأيتم يا بني مروان ، تتخذون للفتى من فتياتكم مؤدّبا ، وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدّبين . فسّر ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقّد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعتق النصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال : يقال : إن نصيباً أضلّ إبلاً له فخرج في بغائها فلم يُصبها ، وخاف مواله أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته ؛ فأخلف عليه ما ضلّ لمواليه وابتاعه وأعتقه .

أخبرنا الحرّمي قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال : أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبد لبني مُحَرَز الضمري ، فقالت أمّه له : إنك سترقد ويأخذك ابن مُحَرَز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقولها . حتى إذا كان بمكان ماء يُعرف بالدوّ ، فبينما هو راقد إذ هجم عليه ابن مُحَرَز ؛ فقال حين رآه :

إني لأخشى من قِلاص ابن مُحَرَز إذا وخذت بالدوّ وخدّ النعائم

يرع عن بطين القوم أية روعة ضحياً إذا استقبلته غير نائم

فأطلقوه ، فرجع فأتى أمّه . فقالت : أخبرتك يا بُنيّ أنّه ليس عندك أن تُعجزَ القوم . فإن كنت يا بُنيّ قد غلبتني أنك ذاهب فخذ بنت الفلانة ؛ فإني رأيته وطئت أفحوص¹ بيضات

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطَاةٍ فَلَمْ تَفْلِقْهُنَّ فَرَكَبَهَا ، فَهِيَ الَّتِي بَلَغَتْهُ ابْنُ مَرْوَانَ .
قال أبو عبيد الله بن الزبير : عندنا أَنَّ الَّتِي أَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَنْبَلٍ .
[أَوَّلُ اتِّصَالِهِ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا كُلَيْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ حَدِيثًا (أَيَّ حَسَنَ الْحَدِيثِ) قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ نَصِيبًا كَانَ حَبَشِيًّا يَرْعَى إِبِلًا لِمَوَالِيهِ ، فَأُضِلَّ مِنْهَا بَعِيرًا ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى أَتَى الْفُسْطَاطَ ، وَبِهِ إِذْ ذَاكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ نَصِيبٌ : مَا بَعْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاحِدٌ أَعْتَمِدُهُ لِحَاجَتِي . فَأَتَى الْحَاجِبَ فَقَالَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْأَمِيرِ ؛ فَإِنِّي قَدْ هَيَّأْتُ لَهُ مَدِيحًا . فَدَخَلَ الْحَاجِبَ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ رَجُلٌ أَسْوَدُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ بِمَدِيحٍ قَدْ هَيَّأَهُ لَكَ . فَظَنَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنَّهُ مِمَّنْ يُهْزَأُ بِهِ وَيُضْحَكُ لَهُمْ ، فَقَالَ : مَرَّةً بِالْحَضُورِ لِيَوْمِ حَاجَتِنَا إِلَيْهِ . فَغَدَا نَصِيبٌ وَرَاحَ إِلَى بَابِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَرَّهُ ، فَأَمَرَ بِالسَّرِيرِ فَأُبْرِزَ لِلنَّاسِ ، وَقَالَ : عَلِيٌّ بِالْأَسْوَدِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُضْحِكَ مِنْهُ النَّاسُ . فَدَخَلَ ، فَلَمَّا كَانَ حَيْثُ يُسْمَعُ كَلَامُهُ ، قَالَ ¹ :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ	وغيرهم نِعَمٌ غَامِرَةٌ
فَبَابِكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ	وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكُلِّبِكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ	مِنَ الْأَمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
وَكَفَّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ	نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ
فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنِّي الثَّنَاءُ	بِكُلِّ مُجَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

فَقَالَ : أَعْطُوهُ أَعْطُوهُ . فَقَالَ : إِنِّي مَمْلُوكٌ . فَعَدَا الْحَاجِبَ فَقَالَ : اخْرُجْ فَأَبْلُغْ فِي قِيمَتِهِ ؛ فَعَدَا الْمُقَوِّمِينَ فَقَالَ : قَوْمُوا غَلَامًا أَسْوَدَ لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ . قَالُوا : مِائَةُ دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ رَاعٍ لِلْإِبِلِ يُبْصِرُهَا وَيُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا . قَالُوا : حِينَئِذٍ مِائَتَا دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ يَبْرِي الْقِسِيَّ وَيُثَقِّفُهَا وَيَرْمِي النَّبْلَ وَيَرِيشُهَا . قَالُوا : أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ رَاوِيَةٌ لِلشَّعْرِ بِصِيرٍ بِهِ . قَالُوا : سِتْمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ شَاعِرٌ لَا يُلْحَقُ حِدَقًا . قَالُوا : أَلْفُ دِينَارٍ . قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : ادْفَعُوهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ثَمَنَ بَعِيرِي الَّذِي أَضَلَلْتُ . قَالَ : وَكَمْ ثَمَنُهُ ؟ قَالَ : خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ دِينَارًا . قَالَ ادْفَعُوهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؛ جَائِزَتِي لِنَفْسِي عَنْ مَدِيحِي إِيَّاكَ . قَالَ : اشْتَرِ نَفْسَكَ ثُمَّ عُدْ إِلَيْنَا . فَأَتَى الْكَوْفَةَ وَبِهَا بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ ، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ فَاسْتَصْعَبَ الدِّخُولَ إِلَيْهِ . وَخَرَجَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ

متنزهاً فعارضه ، فلماً ناكبه (أي صار جذاء منكبه) ناداه¹ : [من الكامل]

يا بشرُ يا ابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خَلَقَ الإلهُ يَدَيْكَ لِلْبُخْلِ
جاءتْ به عَجْزٌ مُقَابِلَةٌ ما هُنَّ من جَرَمٍ ولا عُكْلٍ

قال : فأمر له بِشَرٍّ بعشرة آلاف درهم . الجعفرية التي عنها نصيب : أم بشر بن مروان ، وهي قُطَيْبَةُ بنت بشر بن عامر مُلاعب الأُسَنة بن مالك بن جعفر بن كلاب . [أم بشر بن مروان]

أخبرنا اليزيدي عن الخزاز عن المدائني عن عبد الله بن مُسلم وعامر بن حَفْص وغيرهما : أن مروان بن الحَكَمَ مرَّ ببادية بني جعفر ، فرأى قُطَيْبَةَ بنت بشر تنزع بدلو على إبلٍ لها ، وتقول :

ليس بنا فَقْرٌ إلى التَّشْكِي جَرِيَّةٌ كحُمُرِ الأَبَكِ²
لا ضَرَعٌ فيها ولا مُدَكِّي³

ثم تقول : [من الرجز]

عامانِ تَرْقِيقٌ وعامٌ تَمَمًا لم يَتَرَكَ لَحْمًا ولم يَتَرَكَ دَمًا
ولم يَدْعُ في رأسٍ عَظْمٍ مكدمًا إِلَّا رَذَايا ورجلاً رُزْمًا⁴

فخطبها مروان فتزوجها ، فولدت له بشر بن مروان .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان في خبر النصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواء . [نصيب يقسم ما يصيبه في مواليه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُتبي قال : دعا النَّصِيبُ مَوالِيه أن يستلحقوه فأبى ، وقال : والله لأن أكون مولى لائثاً أحبُّ إليَّ من أن أكون دعيّاً لائحاً . وقد علمتُ أنكم تريدون بذلك مالي ، والله لا أكسبُ شيئاً أبداً إِلَّا كنتُ أنا وأنتم فيه سواء كأحدكم ، لا أستأثرُ عليكم منه بشيء أبداً . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدكم .

[نصيب والفرزدق بخضرة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحرَزمي قال حدثنا [الزُّبيري] ، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن

1 ديوان نصيب : 120 .

2 الجرّة : قطيع من الحمير . الأَبَك : الحمير المتدافعة .

3 الضرع : الضعيف . المَدَكِّي : المسن .

4 مكدم : موضع للقدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أبي خيثمة قال حدثنا الزبير [قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال : دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مدحاً له ، فأنشده قوله يفتخر¹ :

وركب كأنَّ الرِّيحَ تطلبُ عندهم لها برةٌ من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الرِّيحَ وهي تلفهم على شغب الأكوار من كلِّ جانب
إذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم ناراً غالب

قال : وعمامته على رأسه مثل المنسف ؛ فغاض سليمان وكلح في وجهه ، وقال لنصيب : قم فأنشد مولاك ويلك ، فقام نصيب فأنشده قوله² :

أقول لركب صادقين لقيتهم قفا ذات أوшал ومولاك قارب³
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعرفه من أهل ودان طالب
فعاजूوا فأتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنت عليك الحقائق
وقالوا عهدناه وكل عشيّة بأبوابه من طالب العرف راکب
هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدر المضيء الكواكب⁴

فقال له سليمان : أحسنت والله يا نصيب ، وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق وقد خرج من عنده :

وخير الشعر أكرمهُ رجالاً وشر الشعر ما قال العبيدُ

[النصيب وعبد العزيز بن مروان.]

أخبرنا الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال : حمل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطم ، مقطم مصر ، على بُخْتِي قد رَحَلَه بَغِيظٌ⁵ فوقه ، وألبسه مُقَطَّعاتٍ وشي ، ثم أمره أن ينشد ؛ فاجتمع حوله السُّودان وفرحوا به ، فقال لهم : أسررتكم ؟ قالوا : إي والله . قال : والله لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر .

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر - بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .

2 ديوان نصيب : 59 .

3 قارب : ذاهب للورود .

4 المضيء في ل : المنير .

5 الغيظ : الرجل .

[نصيب وجري]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العراف قال : مرَّ جريرٌ بنصيبٍ وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتك . قال : وجلدتك يا أبا حذرة .
[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية قال : بلغني أنَّ النُصَيْب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أُخلى له مجلسه واستنشدته مراثي بني أُمَيَّة ، فإذا أنشدته بكى وبكى معه . فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]
إذا استبقَ الناسُ العُلا سَبَقَتْهُمْ يَمِينُكَ عَفْوَاً ثم صَلَّتْ شِمَالُهَا¹
فقال له هشامٌ : يا أسودُ ، بلغت غاية المدح فسَلِّني . فقال : يدُك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحباه وكساه وأحسنُ جائزته .
[نصيب وإعناقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : أصاب نُصَيْبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكنمه ورجع إلى المدينة في هيئة بدَّة ، فقالوا : لم يُصِيبْ بمدحه شيئاً . فمكث مُدَّةً ، ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أمَّ أمه بضِعْفِ ما ابتاع به أمه فأعتقها . وجاءه ابن خالته له اسمه سُحَيْمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما معي والله شيءٌ ، ولكنني إذا خرجتُ أخرجتكُ معي ، لعلَّ الله أن يُعْتَقَكَ . فلما أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سُحَيْمٍ يرعى إبله وأخرجه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه . فمرَّ به يوماً وهو يزِفُن ويَزْمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إن كنتَ أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً ، وإن كنتَ أعتقتني لِتَصِلَ رَحِمِي وتَقْضِي حَقِّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده ، أُرْفِنُ وَأَزْمُرُ وَأَصْنَعُ ما شئت . فانصرف النُصَيْبُ وهو يقول² : [من الرجز]

إِنِّي أُرَانِي لِسُحَيْمٍ قَائِلاً إِنَّ سُحَيْمًا لَمْ يُشِينِي طَائِلاً
نَسِيتَ إِعْمَالِي لَكَ الرُّوَاحِلَا وَضَرَبِي الْأَبْوَابَ فَيْكَ سَائِلاً !
عِنْدَ الْمَلُوكِ أُسْتَيْبُ النَّائِلَا حَتَّى إِذَا آنَسْتَ عَتَقًا عَاجِلاً
وَلَيْتَنِي مِنْكَ الْقَفَا وَالْكَاهِلَا أَخْلَقًا شَكْسًا وَلَوْناً حَائِلاً

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتُ جائزة النُصَيْبِ عند عبد العزيز ، قال³ : [من الوافر]

1 صلت : جاءت مصلبة أي تالية .

2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 63 .

وإن وراء ظهري يا ابن ليلى
أمامة منهم ولماقيتها
تركت بلادها ونأيت عنها
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا
أناساً ينظرون متى أوب
غداة البين في أثري غروب
فأشبه ما رأيت بها السلوب
نثيبك لكن الله المثيب

فعجل جأزته وسرّحه . قال إسحاق : فحدثني ابن كُناسة قال : ليلي أم عبد العزيز كلبية .
وبلغني عنه أنه قال : لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها ؛ فكان الشعراء
يذكرونها باسمها في أشعارهم .

[شرف نصيب لشعره.]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال : وقفت سوداء بالمدينة على نصيب
وهو يُنشد الناس ، فقالت : بأبي أنت يا ابن عمّ وأُمّي ! ما أنت والله عليّ بخزي . فضحك
وقال : والله لَمَنْ يُخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك .

[أخطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق وحدثني ابن عباية وغيره أنّ ابناً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي اعتقه بنتاً
له من أخيه ، فأجابه إلى ذلك ، وعرف أباه . فقال له : اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم .
فلما حضروا أقبل نصيب على أخي سيده فقال : أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك ؟ قال نعم .
فقال لِعبيد له سود : خذوا برجل ابني هذا فجزّوه فاضربوه ضرباً مبرحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً
مبرحاً . وقال لأخي سيده : لولا أنّي أكره أذاك لألحقتك به . ثم نظر إلى شاب من أشرف
الحي ، فقال : زوج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يُصلحُهما في مالي ، ففعل .

[نصيب ومنادمة عبد الملك بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال : دخل نصيب على
عبد الملك فتغدى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتادم عليه ؟ فقال : تؤمّني ؟ ففعل . فقال :
لوني حائل ، وشعري مُفلّ ، وخلقتي مشوّهة ، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إيّاي بشرف
أب أو أم أو عشيرة ، وإنما بلغت بعقلي ولساني . فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني
وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك ، فاعفاه .

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثني محمد بن صالح بن النطّاح قال بلغني عن خلاد بن
مرّة عن أبي بكر بن مزيد قال : لقيت النصيب يوماً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا مخجن ،
لم سُميت نصيباً ، ألقولك في شعرك عاينها النصيب ؟ فقال : لا ، ولكني وُلدت عند أهل
بيت من ودان ، فقال سيدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه . فلما رآني قال : إنه لُنصّب

الخلق ؛ فسميت النُصَيْبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .
[فصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسديّ قال :
قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصريّ : لئن وليتُ العراق لأستكنّ نصيباً لفصاحته
وتخلّصه إلى جيد الكلام .
[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه]

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُهرّيّ قال :
حدّثني نصيب قال : دخلتُ على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنشدني قولك : [من الطويل]
إذا لم يكن بينَ الخليئين ردّةً سوى ذكر شيء قد مضى دَرَسَ الذُّكْرُ
فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهذليّ ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]
وقفتُ بسدي دُوران أنشدُ ناقتي وما إن بها لي من قُلوصٍ ولا بَكْرٍ
فقال لي عبد العزيز : لك جائزة على صديق حدّثك ، وجائزة على شعرك ؛ فأعطاني على
صدق حدِيثي ألف دينار ، وعلى شعري ألف دينار .
[أوصاف نصيب الجسميّة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيتُ
النُصَيْبَ وكان أسود خفيف العارضين ناتئ الحنجرة .
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن يزيد السَّعديّ عن
جدّته جمال بنت عَوْن بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيتُ رجلاً أسود مع امرأةٍ
بيضاء ، فجعلتُ أعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذي
أقول : [من الطويل]

ألا ليت شعري ما الذي تُحدِثين بي غداً غُرْبَةَ النَّايِ المَفَرَّقِ والبَعْدِ
لدى أمِّ بَكْرٍ حين تَقَرَّبُ النُّوى بنا ثم يَخْلُو الكاشِحُونَ بها بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عند الأُلى هُمْ لنا العِدا فتُشْمِتُهُمْ بي أم تدومُ على العهدِ
قال : فصاحتُ : بل والله تدومُ على العهد . فسألتُ عنهما فقيل : هذا نُصَيْبٌ ، وهذه أمُّ بكر .
[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النُّطَّاح قال حدّثني أبو اليقظان
عن جُويريّة بن أسماء قال : أتى النُصَيْبَ عبد الله بن جعفر فحمّله وأعطاه وكساه . فقال له
قائل : يا أبا جعفر ، أعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسودَ إنَّ
ثناءه لأبيض ، وإنَّ شعره لِعربيّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممَّا نال . وما ذاك ، إنّما هي

رواحِلُ تُنْصَى ، وثيابٌ تَبْلَى ، ودراهمُ تَفْنَى ، وثَناءٌ يَبْقَى ، ومَدائحُ تُرَوَّى !
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال قال أبو الأسود : امتدح نُصَيْبٌ
عبد الله بن جعفر وذكر مثله .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثَنَا الْخَرَّازُ عن المدائني قال : قيل لُنْصَيْبٍ : إِنَّ هَاهُنَا نِسْوةٌ
يُردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك . قال : وما يصنعن بي ! يَرَيْنَ جِلْدَةَ سوداء وشِعْراً
أبيض ، ولكن ليسمعن شعري من وراء سِتْرِ .

[تغني منقذ الهلالي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال :
أتاني مُنْقِذُ الْهَلَالِي لَيْلاً ، فضرب عليّ الباب . فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : مُنْقِذُ الْهَلَالِي .
فخرجتُ إليه فِرْعَاءً . فقال : الْبُشْرَى . فقلت : وَأَيُّ بُشْرَى أَتَيْتَنِي بِكَ فِي هَذَا اللَّيْلِ ؟ فقال :
خَيْرٌ ، أتاني أهلي بِدَجَاجَةٍ مَشْوِيَةٍ بين رغيفين فتعشيتُ بها ، ثم أتوني بِقَيْنَةٍ من نبيذٍ قد التقى
طرفاها صفاءً وَرِقَّةً ، فجعلتُ أَشْرَبُ وأترنم بقول نُصَيْبٍ :

بَزِينَبَ أَلَمَ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرُّكْبُ

ففكَّرتُ في إنسانٍ يفهم حُسْنه ويعرف فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأتيتُكَ مُخْبِراً بذلك .
فقلت : ما جاء بك إلّا هذا ؟ فقال : أَوَلَا يَكْفِي ؟ ثم انصرف .
[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال مَسْلَمَةُ لُنْصَيْبٍ : أَنْتَ لَا تُحْسِنُ
الْمِجْهَاءَ . فقال : بَلَى وَاللَّهِ ، أَتُرَانِي لَا أَحْسِنُ أَنْ أَجْعَلَ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ أَخْزَاكَ اللَّهُ ؟! قال : فَإِنَّ
فَلَاناً قَدْ مَدَحْتَهُ فَحَرَمَكَ فَاهْجُهُ ، قال : لَا وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي أَنْ أَهْجُوهُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ أَهْجُو
نَفْسِي حِينَ مَدَحْتَهُ . فقال مَسْلَمَةُ : هَذَا وَاللَّهِ أَشَدُّ مِنَ الْهَجَاءِ .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حماد : قرأتُ على أبي عن ابن عَباية عن الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيِّ قال : دخل
نُصَيْبٌ مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ
أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومِنبره ، فقال : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، ائْذَنْ
لِي أَنْ أَتَشْدِكَ من مرأثي عبد العزيز . فقال : لَا تَفْعَلْ فَتَحْزِنُنِي ، وَلَكِنْ أَتَشْدِي قَوْلَكَ . «فَقَا
أُخْوَيَّ» ؛ فَإِنَّ شَيْطَانَكَ كَانَ لَكَ فِيهَا نَاصِحاً حِينَ لَقَنْكَ إِيَّاهَا . فَأَنْشَدَهُ¹ :

[من الوافر]

1 ديوان نصيب : 135 عن الأغاني .

صوت

قِفَا أَخَوَيَّ إِنَّ الدَّارَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ بَعْدَ كُفَا تَكُونُ
 لِيَايَ تَعْلَمَانِ وَالْ لَيْلِ قَطِينُ الدَّارِ فَاحْتَمَلِ الْقَطِينُ
 فَعُوجًا فَانْظُرَا أَتَيْنُ عَمَّا سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تَبِينُ
 فَظَلًّا وَاقْفَيْنِ وَظِلٌّ دَمْعِي عَلَى خَدَّيْ تَجُودُ بِهِ الْجُفُونُ¹
 فَلَوْلَا إِذْ رَأَيْتَ الْيَأْسَ مِنْهَا بَدَأَ أَنْ كَذَتْ تَرَشُّقُ الْعَيُونُ ،
 بَرَحْتَ فَلَمْ يَلْمَكَ النَّاسُ فِيهَا وَلَمْ تَغْلُقْ كَمَا غَلِقَ الرَّهَيْنُ

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سُرَيْجٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو ويونس .
 [قصة نصيب مع عجوز بالحففة]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان نُصَيْبٌ ينزل على عجوز بالحففة إذا قَدِمَ من الشام ، وكان لها بُنْيَةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قَدِمَ وهَبَ لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقَدِمَ عليهما قَدَمَةً وبات بهما ، فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلاً فركضها برجله ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلَمَّا أَصْبَحَ نُصَيْبٌ رأى أثر مُعْتَرَكهما ومُغْتَسِلَهما . فلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ قالت له العجوز وبنتها : بأبي أنت ، عادتكَ . فقال لها² :
 [من الطويل]

أَرَاكِ طَمُوحَ الْعَيْنِ مِثْلَ الْهَوَى لِهَذَا وَهَذَا مِنْكَ وَدُّ مُلَاطِفُ
 فَإِنْ تَحْمِلِي رِدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَجَبِّي فَرْدٌ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَادِفُ
 ولم يُعْطِهَا شَيْئاً وَرَحَلَ .

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيوب : وكانت بَمَلَلٍ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ وعمران بن عبد الله بن مُطِيعٍ ونُصَيْبٌ . فلَمَّا رَحَلُوا وهَبَ لها الْقُرْشِيَّانِ ولم يكن مع نُصَيْبٍ شَيْءٌ ، فقال لها : اختاري إن شئتِ أَنْ أَضْمَنَ لَكَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَاكِ إِذَا قَدِمْتُ ، وإن شئتِ قُلْتُ فَيْكِ أَيْبَاتًا تَنْفَعُكَ . قالت : بَلِّ الشَّعْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ . فقال³ :

[من الطويل]

1 الجفون في ل : الشؤون .

2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .

3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلَا حَسِيٌّ قَبْلَ الْبَيْنِ أَمْ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَنَا غَدًا بِقَرِيبٍ
لَنْ لَمْ يَكُنْ حَبِيبُكَ حَبًّا صَدَقْتَهُ فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَىٰ يَا وَنَحْ كُلَّ غَرِيبٍ
فَشَهَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَصَابَتْ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ فِيهَا خَيْرًا .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيوب : ودخل النُصَيْبُ على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وَلِيَ الخِلافةَ .
فقال له : يَا أَبِيه يَا أَسُودَ ، أَنْتَ الَّذِي تُشَهِّرُ النِّسَاءَ بِنَسِيكِ ! فقال : إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا أَقُولَ نَسِيًّا ، وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ مَنْ حَضَرَ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ خَيْرًا .
فقال : أَمَّا إِذْ كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَسَلِّ حَاجَتَكَ . فقال : بُنَيَاتٌ لِي نَفَضْتُ عَلَيْهِنَّ سَوَادِي فَكَسَدَنَ ،
أُرْغَبُ بِهِنَّ عَنِ السُّودَانِ وَيَرْغَبُ عَنْهُنَّ الْبَيْضَانُ . قال : فَتُرِيدُ مَاذَا ؟ قال : تَفَرِّضُ لِهِنَّ ، فَفَعَلَ .
قال : وَنَفَقَةٌ لَطَرِيْقِي . فَأَعْطَاهُ حَلِيَّةَ سَيْفِهِ وَكِسَاهُ ثَوْبِهِ ، وَكَانَا يُسَاوِيَانِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا .

[اجتماع النصب والكميت وذو الرمة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ ابْنِ كُنَاسَةَ قَالَ :
اجْتَمَعَ النُّصَيْبُ وَالْكَمَيْتُ وَذُو الرِّمَّةِ ، فَأَنْشَدَهُمَا الْكَمَيْتُ قَوْلَهُ :

هَلْ أَنْتَ عَنْ طَلَبِ الْأَيْفَاعِ مَنْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها :

أَمْ هَلْ طُعَائِنُ بِالْعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْأَنْسُ وَالشَّنْبُ
فَعَقْدُ نَصِيبٍ وَاحِدَةٍ . فقال له الْكَمَيْتُ : مَاذَا تُحْصِي ؟ قال : خَطَأُكَ ، بَاعَدْتَ فِي الْقَوْلِ ،
مَا الْأَنْسُ مِنَ الشَّنْبِ ؟ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

لَمَيَاءٍ فِي شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ¹

ثم أنشدهما قوله :

أَبَتْ هَذِهِ النَّفْسُ إِلَّا ادَّكَارَا

حتى بلغ إلى قوله :

إِذَا مَا الْمَجَارِسُ غَنَيْنَهَا تُجَاوِزْنَ بِالْفَلَوَاتِ الْوِبَارَا²
فقال له النُّصَيْبُ : وَالْوِبَارُ لَا تَسْكُنُ الْفَلَوَاتِ . ثم أنشد حتى بلغ منها :

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .

2 المجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كَأَنَّ الْغُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَا جِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَاراً¹
 فقال النصيب : ما هَجَتِ أَسْلَمُ غِفَاراً قَطُّ ؛ فانكسر الكُمَيْت وأمسك .
 [نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي : أَنَّ نَصِيباً مدح
 عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فأمر له بعشر قلائص ، وكتب بها إلى رجلين من
 الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملك إلا رزقي ، وأني لأكره أن أبسط يدي في أموال
 هؤلاء القوم . فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً . فقراه وقالا : قد أمر
 لك بثمان قلائص ، ودفعنا ذلك إليه . ثم عَزَلَ ووَلَّى مكانه رجلٌ من بني نصر بن هوازن ،
 فأمر بأن يُتَّبَعَ ما أعطى ابن الضحاك ويُرتَجَعَ ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر
 بمطالبتها بها . فقال : والله ما دفع إلي إلا ثماني قلائص . فقال : والله ما تخرج من الدار
 حتى تؤدِّي عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرج حتى قبض ذلك منه .

فلما قدم على هشام سمر عنده ليلة وتذاكروا النصري ، فأنشده قوله فيه² : [من البسيط]
 أفي قلائص جُرْب كُنَّ في عملٍ أَرْدَى وَتَنَزَّعُ مِنْ أَحْشَائِي الْكِدُ
 ثمانية كُنَّ في أهلي وعندهمُ عَشْرُ فَأَيَّ كِتَابٍ بَعَدْنَا وَجَدُوا
 أَخَانِي أَخَا الْأَنْصَارِ فَانْتَقَصَا مِنْهَا فَعِنْدَهُمَا الْفَقْدُ الَّذِي فَقَدُوا
 وَإِنَّ عَامِلَكَ النَّصْرِيَّ كَلَّفَنِي فِي غَيْرِ نَائِرَةٍ دَيْنًا لَهُ صَعْدُ³
 أَذْنَبَ غَيْرِي وَلَمْ أَذْنَبْ يُكَلِّفْنِي أَمْ كَيْفَ أَقْتُلُ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ
 قال : فقال هشام : لا جرم والله ، لا يعمل لي النصري عملاً أبداً ؛ فكذب بعزله عن المدينة .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بكار إجازةً عن هارون بن
 عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر⁴ قال : قَدِمَ عَلَيْنَا النَّصِيبُ فَجَلَسَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ وَأَوْمَأَ
 إِلَى مَجْلِسٍ حِذَاءَهُ ، فَاسْتَنْشَدْنَاهُ ، فأنشدنا قوله⁵ :

أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكَرِ ضَرِيَّةِ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مِنْ عُقَابٍ وَمِنْ وَكَرِ⁶

1 الغطامط : صوت غليان القدر .

2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .

3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقة .

4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .

5 انظر ديوانه 93-94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .

6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمَرَّ اللَّيَالِي مَا مَرَزْنَ وَلَا أَرَى مُرُورَ اللَّيَالِي مُنْسِيَاتِي ابْنَةَ النَّضْرِ
وَقَفْتُ بِذِي دَوْرَانَ أَنْشُدْ نَاقَتِي وَمَالِي لَدَيْهَا مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرٍ¹
وَمَا أَنْشُدُ الرَّغِيَانَ إِلَّا تَعَلَّةً بَوَاضِحَةَ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الْمَنَاسِكِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْجَفْرِ جَبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحرّميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السّعديّ عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلّمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال : قال عبد الملك بن مروان لنُصَيْبٍ أَنْشُدْنِي ؛ فَأَنْشُدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² :

وَمُضْمَرُ الْكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ بِهِ طَيَّ الْحَمَائِلِ لَا جَافٍ وَلَا فَقِيرُ
وَذِي رَوَادِفَ لَا يُلْفَى إِلَّا زَارُهَا يُلَوَّى وَلَوْ كَانَ سَبْعًا حِينَ يَأْتِرُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا نُصَيْبُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : بِنْتُ عَمِّ لِي نُوَيْيَّةٌ ، لَوْ رَأَيْتَهَا مَا شَرِبْتَ مِنْ يَدِهَا الْمَاءَ . فَقَالَ لَهُ : لَوْ غَيْرَ هَذَا قُلْتَ لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال حدّثنا المدائنيُّ قال : كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ اشْتَرَى نُصَيْبًا وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ فَأَعْتَقَهُمْ ، وَكَانَ نُصَيْبٌ يَرْحَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مُسْتَمِيحًا³ ، فَيَجِيزُهُ وَيُحَسِّنُ صِلَتَهُ . فَقَالَ فِيهِ نُصَيْبٌ⁴ :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
فَتَى لَا يَرْزَأُ الْخُلَانَ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزَوُهُ الْخَلِيلُ
فَبَشَّرَ أَهْلَ مَصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مَصْرَ نَيْلُ

[نصيب وشاعر هجاء]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعيُّ أبو دُلْفَ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيِّ عن عمّه قال : كَانَ نُصَيْبٌ يُكْنَى أَبَا الْحَجَنَاءِ ، فَهَجَاهُ شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ فَقَالَ :

1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .

2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .

3 مستميحاً : طالباً العطاء .

4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأَيْتُ أَبَا الْجَحْنَاءِ فِي النَّاسِ حَائِراً وَلَوْ أَنَّ أَبِي الْجَحْنَاءِ لَوْنُ الْبَهَائِمِ
 تَرَاهُ عَلَى مَا لَاحَهُ مِنْ سَوَادِهِ وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَهُ وَجْهُ ظَالِمٍ
 فَقِيلَ لِنَصِيبٍ : أَلَا تُجِيبُهُ فَقَالَ : لَا ، وَلَوْ كُنْتُ هَاجِياً لِأَحَدٍ لِأَجَبْتُهُ ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَوْصَلَنِي
 بِهَذَا الشَّعْرِ إِلَى خَيْرٍ ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَقُولَهُ فِي شَرٍّ ، وَمَا وَصَفَنِي إِلَّا بِالسَّوَادِ وَقَدْ
 صَدَّقَ . أَفَلَا أَنْشِدُكُمْ مَا وَصَفْتُ بِهِ نَفْسِي ؟ قَالُوا بَلَى . فَأَنْشَدَهُمْ ذُوهُ : [مِنَ الْكَامِلِ]

لَيْسَ السَّوَادُ بِنَاقِصِي مَا دَامَ لِي هَذَا اللِّسَانُ إِلَى فَوَائِدِ ثَابِتٍ
 مَنْ كَانَ تَرَفُّعُهُ مَنَابِتُ أَصْلِهِ فَبِئْسَ أَشْعَارِي جُعِلْنَ مَنَابِتِي
 كَمْ بَيْنَ أَسْوَدَ نَاطِقِي وَبَيَانِهِ مَاضِي الْجَنَانِ وَبَيْنَ أَيْضَ صَامِتِ
 إِنِّي لَيَحْسُدُنِي الرَّفِيعُ بِنَاوِهِ مِنْ فَضْلِ ذَاكَ وَلَيْسَ بِي مِنْ شَامِتِ
 وَيُرَوَّى مَكَانَ « مِنْ فَضْلِ ذَاكَ » ، « فَضْلِ الْبَيَانِ » وَهُوَ أَجُود .

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى
 الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ قَائِلٌ لِلنَّصِيبِ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ، مَا لَكَ
 وَلِلشَّعْرِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُكَ عَبْدٌ فَمَا وُلِدْتُ إِلَّا وَأَنَا حُرٌّ ، وَلَكِنْ أَهْلِي ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي . وَأَمَّا
 السَّوَادُ فَأَنَا الَّذِي أَقُولُ² : [مِنَ الْوَافِرِ]

وَأَنْ أَكُ حَالِكاً لَوْ نِي فَإِنِّي لَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي سَقَطٍ وَعَاءٍ
 وَمَا نَزَلْتُ بِي الْحَاجَاتُ إِلَّا وَفِي عِرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الْحَيَاءِ

[شِعْرُ النَّصِيبِ فِي جَارِيَةِ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَشِيبَ بِهَا]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثْتُ عَنْ السِّدْوَاسِيِّ قَالَ : وَقَفَ
 نَصِيبٌ عَلَى أَيْيَاتٍ فَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بَلْبَنٍ أَوْ مَاءٍ فَسَقَتْهُ ، وَقَالَتْ : شَبِّبْ
 بِي . فَقَالَ : وَمَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : هِنْدٌ . وَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ وَقَالَ : مَا اسْمُ هَذَا الْعَلَمِ ؟
 قَالَتْ : قَنَا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ³ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَحِبُّ قَنَا مِنْ حُبِّ هِنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي أَقْرَباً زَادَهُ اللَّهُ أَمْ بَعْدَا
 أَلَا إِنَّ بِالْقِيَعَانِ مِنْ بَطْنِ ذِي قَنَا لَنَا حَاجَةً مَالَتْ إِلَيْهِ بَنَا عَمْدَا
 أَرُونِي قَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَحِبُّ قَنَا إِنِّي رَأَيْتُ بِهِ هِنْدَا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .

2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 84-85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخطبت هذه الجارية من أجلها ، وأصابته بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأتت ثم تزوجته.]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال : دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدثني يا نصيب ببعض ما مرّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، علقت جارية حمراء ، فمكثت زماناً تمنيني بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت : إليك عني ؛ فوالله لكأنك من طوارق الليل . فقلت لها : وأنت والله لكأنك من طوارق النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاطني قولها ، فقلت لها : هل تدريين ما الظرف ؟ إنما الظرف العقل . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك . فأرسلت إليها هذه الأبيات¹ :

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى وما لسواد جليدي من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء كبعد الأرض من جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل ومثلك ليس يُعَدَم في النساء
فإن ترضي فردّي قول راضٍ وإن تابي فنحن على السواء

قال : فلما قرأت الشعر قالت : المال والشعر يأتيان على غيرهما ؛ فتزوجتني .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال : أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قاتل الله نصيباً ما أشعره² ! :

فإن يك من لوني السواد فأنني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقة
وما ضرّ أثوابي سوادي وتحتها لباس من الغلياء بيض بناقة
إذا المرء لم يئذل من الود مثلاً ما بذلت له فاعلم بأنني مفارقة

[نصيب وجرير]

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلف : أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف ترى يا أبا حذرة . فقال له : أنت أشعر أهل جلدتك .

[نصيب والوليد بن عبد الملك.]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .

2 ديوان نصيب : 110-111 وفيه تخريج كثير والبيت الأول مختلف عما هنا .

عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال : قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهري : أنشدت الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا محجن ، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له : وددتُ والله يا ابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنه لم يفعل ولستُ بكاذبك .
[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه.]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربّه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زياً . فسألت عنه ، فقيل : هذا نصيب ، فدنوت منه فحدّثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جميلٌ إمامنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحِجال ، وكثير أبكانا على الدّمن وأمدحنا للملوك ، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعت . فقلت له : إنّ الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجّو . فضحك ثم قال : أفتراهم يقولون : إنّي لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا . فقال : أمّا تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخراك الله ؟ قال قلت بلى . قال : فإنّي رأيتُ الناس رجّلين : إمّا رجلاً لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجّوه فأظلمه ، وإمّا رجلاً سألته فمَنعني فنفسي كانت أحقّ بالهجاء ؛ إذ سؤلت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه .
[نصيب وكثير والأحوص في مجلس.]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهديّ قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه : حدّثني أبو يوسف التّجيبّي قال حدّثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال : حدّثني النصيب أبو محجن أنّه خرج هو وكثير والأحوص غبّ يوم أمطرت فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن تركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتّع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدوابّ ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفّحون ويرون بعض ما يشتهون ، حتى رفع لهم سوادٌ عظيم فأموه حتى أتوه ، فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيبوهنّ من أوّل وهلة ، فقالوا : لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا . فحلّفنهم أن يرجعوا إليهنّ ، ففعلوا وأتوهنّ ، فسألنهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة برّزة على فرّش لها ، فرجبت وحيّت ، وإذا كراسيٌ موضوعة ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسي . فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبي لنا فنصيّحه ونعرك أذنه فعلنا ، وإن شئتمُ بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تدعِين بالصبي ولن يفوتنا الغداء . فأومأت

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إِلَّا كَلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سُرِرت بمطرفي ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهرها¹ ، ثم كُشف عنها وإذا جارية ذات جمالٍ قريئة من جمال مولاتها ، فرحبت بهم وحيثهم ، فقالت لها مولاتها : خُذي ، ويحك ، من قول النصيب عافى الله أبا مُحجّن² :

ألا هل من البين المُفَرَّق من بُدٍّ وهل مثل أيامٍ مُنْقَطَعِ السَّعْدِ³
تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوَّلَكَ ، وَالْمُنَى عَلَى عَهْدِ عَادٍ مَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي
فَغَنَّتْ ، فَجَاءَتْ بِهِ كَأَحْسَنَ مَا سَمِعْتُهُ قَطَّ بِأَحْلَى لَفْظٍ وَأَشْجَى صَوْتٍ . ثم قالت لها :
خُذي أيضاً من قول أبي مُحجّن عافى الله أبا مُحجّن⁴ :

أَرْقَ الْمُحِبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ لِطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرُدُّهُ
وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِي وَأَبِي فَلَيْسَ تَرَقُّ لِي كَبِدُهُ
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي وَلَا بَلَدِي فَنَكُونُ حِينًا جِيرَةً ، بَلَدُهُ
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةٍ يَجِدُهُ
إِلَّا ابْنُ عَجَلَانَ الَّذِي تَبَلَّتْ هِنْدٌ فَقَاتَ بِنَفْسِهِ كَمَدُهُ⁵

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكدت أُطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : ويحك ، خُذي من قول أبي مُحجّن عافى الله أبا مُحجّن⁶ :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمْتَعْتُ طَوْلَهُ وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مُتَمَتِّعٌ
نَعَمْ إِنَّ ذَا شَجْوٍ مَتَى يَلْقَى شَجْوَهُ وَلَوْ نَائِمًا مُسْتَعْتَبٌ أَوْ مُودَّعٌ
لَهُ حَاجَةٌ قَدْ طَالَمَا قَدْ أَسْرَهَا مِنَ النَّاسِ فِي صَدْرِ بِهَا يَتَصَدَّعُ
تَحْمَلُهَا طُولَ الزَّمَانِ لَعَلَّهَا يَكُونُ لَهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنَزَعٌ
وَقَدْ قُرَعْتُ فِي أُمِّ عَمْرٍو لِي الْعَصَا قَدِيمًا كَمَا كَانَتْ لَذِي الْحِلْمِ تَقْرَعُ⁷

1 ذهب بهرها : سكن روعها .

2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .

3 السعد : موضع قريب من المدينة .

4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .

5 فأت بنفسه : ذهب بها .

6 ديوان نصيب : 101 .

7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد

عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحنٍ ، عافى الله أبا مِحنٍ¹ :

يا أيُّها الرِّكبُ إنِّي غيرُ تابعِكُم حتى تُلِمُّوا وأنْتُم بي مُلْمُونَا
فَمَا أرى مِثْلَكُم رَكْباً كشَكْلِكُم يدعوهُم ذو هوى إلّا يَغوْجُونَا
أَمْ خَبِرُونِي عن دائِي بعَلِمِكُم وأَعْلَمُ النَّاسِ بالداءِ الأَطْبُونَا

قال نُصَيْب : فوالله لقد زُهِيتُ بما سمعتُ زهواً خَلَّ إليَّ أنِّي من قُرَيْش ، وأنَّ الخلافة لي . ثم قالت : حَسْبُكَ يا بُنَيَّة ! هاتِ الطعام يا غلام ! فوثبَ الأُحوص وكَثُرَ وقالوا : والله لا نَطْعُمُ لك طعاماً ولا نَجْلِسُ لك في مجلس ؛ فقد أسأتِ عِشْرَتَنَا واستخففتِ بنا ، وقَدِمْتَ شِعْرَ هَذَا على أشعارنا ، واستمعتِ الغناء فيه ، وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضُلُ شِعْرَهُ ، وفيها من الغناء ما هو أَحْسَنُ من هذا . فقالت : على معرفة كلِّ ما كان مِنِّي ، فأَيُّ شِعْرٍ كَأَفْضَلُ من شِعْرِهِ ؟ أَقُولُك يا أُحوص :

يَقْرُ بعَيْنِي ما يَقْرُ بعَيْنِها وأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ العَيْنُ قَرَّتْ
أو قولك يا كَثِيرُ في غَزَّة :

وما حَبِيبَتُ ضَمْرِيَّةً جُدُوِيَّةً سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّ لَهَا بَعْلًا²

أَمْ قولك فيها :

إِذَا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنَكَّها فَإِنْ عَطَّاسُها طَرَفُ السَّفَادِ

قال : فخرجنا مُغْضَبِينَ واحتَبَسْتَنِي ، فتَغَدَّيتُ عندها ، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحُلَّتَيْنِ وطِيب ، ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت : ادفعها إلى صاحبك ؛ فَإِنْ قَبِلَها وإلَّا فهي لك . فَأَتَيْتُهُما منازلُهما فَأَخْبَرْتُهُما القِصَّةَ . فَأَمَّا الأُحوص فَقَبِلَها ، وَأَمَّا كَثِيرٌ فلم يَقْبَلْها ، وقال : لعن الله صاحبك وجائزتها ولعنك معها ، فَأَخَذَتْها وانصرفت . فَسَأَلْتُ النُّصَيْبَ : مِمَّنِ المَرْأَةُ ؟ فقال : من بني أُمَيَّة ولا أَذْكَرُ اسمَها ما حَيَّيتُ لأحد .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان]

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال : وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد

1 ديوان نصيب : 137-138 عن الأغاني .

2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكنان .

يقال لها «سُكْرٌ». فقدم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدْرِك . فقال : أَوْه ، ما أراني راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نصيبٌ يرثيه¹ :

أصِيتُ يَوْمَ الصَّعِيدِ مِنْ سُكْرٍ مصيبةٌ ليس لي بها قَبْلُ
تَاللَّهِ أَنْسَى مَصِيبَتِي أَبَدًا ما أَسْمَعْتَنِي حَنِينَهَا إِلَّا بُلُ
وَلَا التَّبَكُّيَ عَلَيْهِ أُعُولُهُ كلُّ المصِيبَاتِ بَعْدَهُ جَلَلُ
لَمْ يَعْلَمْ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَلٍ عُرْفٍ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
حَتَّى أَجْنُوهُ فِي ضَرْحِهِمْ حِينَ أَنْتَهَى مِنْ خَلِيلِكَ الْأَمَلُ
غَنَى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَلَحْنُهُ رَمَلٌ بِالسَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ الْهَيْشَامِيُّ أَنَّ لَهُ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الْمَرْجِ ، وَذَكَرَ ابْنُ بَازٍ أَنَّ الرَّمْلَ لَابْنِ الْهَرَبِزِيِّ² :

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُصْعَبِ الزَّيْبَرِيِّ عَنْ مَشِيخَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ : أَنَّ نَصِيبًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي بَعْضَ مَا رَأَيْتَ بِهِ أَخِي ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ³ :

عَرَفْتُ وَجَرَّتْ الْأُمُورَ فَمَا أَرَى كَأَضٍ تَلَاهِ الْغَابِرُ الْمُتَأَخَّرُ
وَلَكِنْ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ نِعَمَتِي يَمُرُّونَ أَسْلَافًا أَمَامِي وَأَعْبَرُ
فَإِنْ أَبْكِهِ أُعَذِّرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى بَصِيرٌ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصِيرُ
وَكُنْتُ رَكَابِي كُلَّمَا شَتَّتْ تَنْتَحِي إِلَيْكَ فَتَقْضِي نَجْبَهَا وَهِيَ ضَمَرُ
تَرَى الْوَرْدَ يُسْرًا وَالتَّوَاءَ غَنِيمَةً لَدَيْكَ وَتُثْنِي بِالرَّضَا حِينَ تَصْدُرُ
فَقَدْ عَرِيتُ بَعْدَ ابْنِ لَيْلٍ فَإِنَّمَا ذُرَاهَا لِمَنْ لَاقَتْ مِنَ النَّاسِ مَنْظَرُ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَزَلْ بِدُفُوفِهَا مَرَادٌ لْغُرْبَانِ الطَّرِيقِ وَمَنْقَرُ⁴
فَإِنْ كُنَّ قَدْ نَلْنَ ابْنَ لَيْلٍ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَيَّرُ
فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلَهُ :

[من الطويل]

فَإِنْ أَبْكِهِ أُعَذِّرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى بَصِيرٌ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصِيرُ

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .

2 هو إسماعيل بن الهربز ، وكان مولى لآل الزبير .

3 ديوان نصيب : 87-88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .

4 الدف : الجنب ، والضمير في دُفوفها يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

قال له : ويلك ! أنا كنتُ أحقُّ بهذه الصفة في أخي منك ؛ فهلاً وصفتني بها ؛ وجعل ييكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصري : لو وليتُ العراقَ لاستكثبتُ نصيباً . قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام ، ألم تسمع قوله¹ : [من الطويل]

فلا النفسُ ملَّتْها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطرفِ عنها فترجعُ
رأتها فما ترتدُّ عنها سامةً ترى بدلاً منها به النفسُ تقنعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبٍ لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول :

إن تغدُ من مقلّي نخلانٍ مُرتجلاً يرحلُ من اليمنِ المعروف والجود²

قال : فغضب نصيبٌ ونزع عمامته وبرك عليها ، وقال : لكن تأتونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبٍ أو أحسن ؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعجبوا من إقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم³ . [نصيب وأم بكر الخراعية]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري : أن نصيباً كان ربّما قديم من الشام فيطرحُ في حجر أم بكر الخراعية أربعمئة دينار ، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كفّ عن ذلك .

[نصيب يعترف أنه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفِي عن أبيه قال : رأيتُ النصيبَ بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداءٍ وحيرة⁴ ، فجعل يُشيدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إن الوادي مَسْبُعةٌ ، فمن أهل المجلس ؟

1 ديوان نصيب : 102 .

2 المنتقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .

3 بعد هذا في (ل) خبر مرّ من قبل .

4 الحيرة : ضرب من برود اليمن .

قالوا : ثَقِيف ؛ فعَرَفَ أَنَّا بُغِضُ ابن هشام وَبُغِضْنَا ، فقال : إِنَّا لله أَبْعَدُ ابن ليلي أَمْتَدَحِ ابن جَيْدَاء ! فقال له بعض أهل المجلس : يا أبا مِحْجَن ، أَتَطْلُبُ القريضَ أحياناً فيعسرُ عليك ؟ فقال : إي والله لربُّما فعلتُ ، فأمرُ براحِتي فَيُشَدُّ بها رَحْلي ، ثم أُسِيرُ في الشَّعَابِ الخالية ، وأَقِفُ في الرِّبَاعِ الْمُقَوِّية ، فَيُطْرِبُنِي ذلك وَيُفْتَحُ لي الشعرُ . والله إِنِّي على ذلك ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحي الفتاة الحَيَّة من إنشاده في سِتْرِ أبيها . قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال : كَأَنِّي أراه صَدْعاً خفيف العارضين ناتئ الحَنجرة .
[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : أنشد نصيب قوله :

وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يا ابن أُم ، قُلْ غَاقٍ فَإِنَّكَ تَطِيرُ . يعني أَنَّهُ غَرَابٌ أَسْوَدُ .
أخبرني الحِرْمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْر قال أخبرني أحمد بن محمد الأَسدي أَسَد قريش قال : قال ابن أبي عتيق لنصيب : إِنِّي خَارِجٌ ، أَفْتَرسلُ إلى سَعْدَى بشيء ؟ قال : نعم ، بيتي شِعْرٌ .
قال : قل ؛ فقال :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكَدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ²
قال : فَأَنشد ابن أبي عتيق سَعْدَى البيتين ، فتنفَّست تنفَّسَةً شديدةً . فقال ابن أبي عتيق :
أَوَّه ! أَجَبْتَهُ والله بأَجود من شعره ، ولو سمعتُ خليلك لَنَعَقَ وطار إليك .
[نصيب والحكم بن المطلب]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هَفَّان عن إسحاق الموصلي عن المُسَيَّبِي قال : قال أبو النجم : أَتَيْتُ الحَكَمَ بن المَطْلَب فمدحته ، وخرج إلى السَّعَاية³ فخرجنا معه ومعه عِدَّةٌ من الشعراء . فبينما هو مع أصحابه يوماً واقفٌ ، إذا براكب يُوضِعُ في السرابِ⁴ وإذا هو نصيب ، فتقدَّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله ، فمكث أياماً حتى أتاه فقال : إِنِّي قد خَلَفْتُ صَبِيَّةً صِغاراً وَعِيالاً ضِعَافاً . فقال له : ادْخُلِ الحَظِيرَةَ فَخُذْ منها سبعين فَرِيضَةً⁵ . فقال له :

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .

2 سنا في ل : لها .

3 السعاية : جمع الزكاة .

4 في رواية : يوضع في السير .

5 الفريضة : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعني ابن لي أخاف أن يثلمها¹ علي . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحرزمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لنصيب : هَرِمَ شعرك . قال : لا والله ما هَرِمَ ، ولكن العطاء هَرِمَ ، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن المطلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة ، فلما رأيته قلت² :

أبا مروانَ لستَ بخارجيٍّ وليس قديمٌ مجدك بانتحال³
أغرُّ إذا الرّواقُ انجابَ عنه بدا مثلَ الهلالِ على المِثالِ
تراءاه العيونُ كما تراءى عشيّةً فطَرها وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائئة ومائة لَحَحَةٍ ، وقال : ارفعْ فراشي ؛ فرفعته فأخذتُ من تحته مائتي دينارٍ .

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة.]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أسعدُ بن عبد الله المري⁴ عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال : والله إني لَمَعَ أبي عُبَيْدة بن عبد الله بن زمة في حِواءٍ⁵ له ، إذ جاءه كثيرٌ فحيّاه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثيرٌ ؛ وجاء رجلٌ فسَلَّم فرَدَدنا عليه السلام واستدّيناه ، فإذا نصيب في بَزّة جميلة قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كثيرٌ يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيْدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كثيرٌ على نصيب فقال : والله يا أبا مِحْجَن ، إن أثر الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرّةَ ظاهرَ الكِبَرِ قليلَ الحياء . فقال له نصيب : لكنَّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخَرٍ غيرَ جميل . لقد رجعتَ وإنك لزائدُ النقصِ⁶ ، كثيرُ الحماقة . فقال كثيرٌ : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لمولاتك :

[من الوافر]

1 يثلمها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .

2 ديوان نصيب : 119 عن الأغاني .

3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .

4 ل : الزني .

5 الحِواء : مجموعة من بيوت الشعر .

6 ل : التقصير .

إذا أُمْسِيَتْ بَطْنُ مَجَاحَ دُونِي وَعَمَقُ دُونِ عَزَّةَ فَالْبَقِيعُ¹
فليس بلائِمْسِي أَحَدٌ يُصَلِّي إِذَا أَخَذَتْ مَجَارِيَهَا الدَّمُوعُ

فقال له نصيب : أنا والله أشعرُ منك حيث أقول لابنة عمك² : [من الطويل]

خَلِيلِي إِنْ حَلَّتْ كُلِّيَّةٌ فَالرُّبَى فذَا أَمَجَ فَالشَّعْبَ ذَا الْمَاءِ وَالْحَمَضُ³
فَأَصْبَحَ مِنْ حَوْرَانَ رَحْلِي بِمَنْزِلٍ يُبْعِدُهُ مِنْ دُونِهَا نَازِحُ الْأَرْضِ⁴
وَأَيَّاسْتُمَا أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَخُوضًا لِي السَّمِّ الْمَصْرَحُ بِالْمَحْضِ⁵
فَفِي ذَاكَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ سَلَامَةٌ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى غَمَضٍ

قال : فاقْتَحَمَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ ، وَثَبَتَ لَهُ النَّصِيبُ . فَلَمَّا نَالَتْهُ رِجْلَاهُ رَمَحَهُ نَصِيبٌ بِسَاقِهِ⁶
رَمْحَةً طَاحَ مِنْهَا بَعِيداً عَنْهُ ، فَمَا زَالَ رَاقِداً حَتَّى أُيْقِظَنَاهُ عَشِيّاً لَرَمَى الْجِمَارِ .

أخبرني الحرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ الزُّبَيْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرِ بْنِ عَثْمَانَ النَّحْوِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : غَدَوْتُ يَوْماً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ وَهُوَ مُحْتَلٌّ بِالرَّحْبَةِ⁷ ، فَأَلْقَيْتُ عَنْهُ جَمَاعَةً مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا ، فَأَتَاهُ آتٍ
فَقَالَ لَهُ : ذَاكَ النَّصِيبُ مِنْذُ ثَلَاثٍ بِالْفَرَسِ⁸ مِنْ مَلَلٍ مُتَلَدِّدٍ كَأَنَّهُ وَالَهُ فِي أَثَرِ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ .
فَنَهَضَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَنَهَضْنَا مَعَهُ ، فَإِذَا نَصِيبٌ عَلَى الْمَنْحَرِ مِنْ صَفَرٍ⁹ . فَلَمَّا عَايَنَّا وَعَرَفَ أَبَا
عُبَيْدَةَ هَبَطَ ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَبَعَ قَوْماً سَائِرِينَ وَأَنَّهُ وَجَدَ آثَارَهُمْ وَمَحَلَّهُمْ
بِالْفَرَسِ فَاسْتَوَلَّاهُ ذَلِكَ . فَضَحِكَ بِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَوْمُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّمَا يُهْتَرُ¹⁰ إِذَا عَشِيقٌ مَنِ
اتَّسَبَ عُذْرِيّاً ، فَأَمَّا أَنْتَ فَمَا لَكَ وَلِهَذَا ؟ فَاسْتَحْيَا وَسَكَنَ . وَسَأَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : هَلْ قُلْتَ فِي
مُقَامِكَ شِعْراً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَنْشُدْ¹¹ : [من الطويل]

1 مجاح : بعد مدلجة للذهاب من مكة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .

2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .

3 ذو أمج : من أعمال المدينة .

4 رحلي في ل : أهلي .

5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .

6 ل : برجله .

7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه يسمّى المكان .

8 الفرش : اسم واد .

9 صفر : جبل قرب ملل .

10 يهتر : يذهب عقله .

11 ديوان نصيب : 98-99 عن الأغاني .

لَعَمْرِي لئن أُمْسَيْتَ بِالْفَرَشِ مُقْصِداً ثَوِيَاكَ عُبُودٌ وَعُدْنَةُ أَوْ صَفَرٌ¹
فَفَرَعَ صَباً أَوْ تَيْمَمَ مُصْعِداً لِرَبْعٍ قَدِيمِ الْعَهْدِ يَتَكِفُ الْأَثَرُ²
دَعَا أَهْلَهُ بِالشَّامِ بَرَقُ فَأَوْجَفُوا وَلَمْ أَرْ مَتْبوعاً أَضَرَ مِنَ الْمَطَرِ
لَتَسْتَبْدِلَنَ قَلْباً وَعَيْناً سِوَاهُمَا وَإِلَّا أَتَى قَصِداً حُشَاشَتَكَ الْقَدَرُ
خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا أَوْ رَأَيْتُمَا هَلْ اشْتَقَ مَضْرُورٌ إِلَى مَنْ بِهِ أَضَرَ
نَعَمْ رُبَّمَا كَانَ الشَّقَاءُ مُتِيحاً يُغْطِي عَلَى سَمْعِ ابْنِ آدَمَ وَالْبَصَرُ³

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكساه وحمله ، وانصرف وهو يقول⁴ :

أصابَ دواءَ عِلَّتِكَ الطَّيِّبُ وخاضَ لك السُّلُوَ ابنُ الرِّيبِ
وَأَبْصَرَ مِنْ رُقَاكَ مَفْثَاتٍ ودأوكَ كانَ أَعْرَفَ بالطَّيِّبِ

[نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عن الْأَصْمَعِيِّ قال : دخل نُصَيْبُ على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يومَ ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها ، فطرب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنتَ يا نُصَيْبُ ! سَلَنِي ما شئتَ . فقال : يَذُكُ يا أمير المؤمنين بالعطاء أبْسَطُ من لساني بالمسألة ؛ فأمر به فملئ فمهُ جَوْهَراً ، فلم يزل به غَنِيّاً حتى مات .

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أَبِي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا أَبُو غُزَيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة ، فأنشده قوله : [من البسيط]

يا ابنَ الْهِشَامَيْنِ لَا بَيْتُ كَبَيْتَهُمَا إِذَا تَسَامَتَ إِلَى أَحْسَابِهَا مُضَرٌّ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحْجَنٍ إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحليها . فقام إليها نُصَيْبٌ متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عَطِيَّةً أَهْناً من هذه ولا أكرم ولا أَعْجَلَ ولا أَجْزَلَ . فسمعهم نُصَيْبٌ فأقبل عليهم وقال : والله إنكم قلماً صاحبتم الكرام ؛ وما راحلة ورَحْلٌ حتى ترفعوهما فوق قَدَرِهِمَا !

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .

2 ففرع صباً : ذهب منحدرأ . يتكف الأثر : يقصه ويتبعه .

3 متيحاً : مقدراً .

4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحرّميّ وعيسى بن الحسين قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال : استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخِلافةَ نُصَيْباً أَلَا يَكُونُ جَاءَهُ وَإِدْأَ عَلَيْهِ مَادِحاً لَهُ وَوَجَدَ عَلَيْهِ . وَكَانَ نُصَيْبٌ مَرِيضاً ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ حِينَ بَرَأَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْمَرَضِ وَعَلَى رَاحِلَتِهِ أَثَرُ النَّصَبِ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من الطويل]

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قَرِيضُ لَبِيَّتِهِ	وَأَهَذْتُ لَهُ بُدْنًا عَلَيْهَا الْقَلَائِدُ
لَنْ كُنْتُ طَالْتُ غَيْبَتِي عَنْكَ إِنِّي	بِمَبْلَغِ حَوْلِي فِي رِضَاكَ لَجَاهِدُ
وَلَكُنِّي قَدْ طَالَ سَقَمِي وَأَكْثَرْتُ	عَلَى الْعِهَادِ الْمُشْفِقَاتِ الْعَوَائِدُ ²
صَرِيْعُ فِرَاشٍ لَا يَزِلُّنَ يَقْلُنَ لِي	بُنْصَحٍ وَإِشْفَاقٍ مَتَى أَنْتَ قَاعِدُ
فَلَمَّا زَجَرْتُ الْعَيْسَ أَسْرَتُ بِحَاجَتِي	إِلَيْكَ وَذَلْتُ لِلْسَانِ الْقَصَائِدُ
وَإِنِّي فَلَا تَسْتَبْطِئُنِي بِمَوَدَّتِي	وَنُصْحِي وَإِشْفَاقِي إِلَيْكَ لَعَامِدُ
فَلَا تُقْصِنِي حَتَّى أَكُونَ بِصَرْعَةٍ	فِيئَاسَ ذُو قُرْبَى وَيَشْمَتَ حَاسِدُ ³
أُنَلِّنِي وَقُرْبَنِي فَإِنِّي بِالْغُ	رِضَاكَ بَعْفُو مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدُ
أَبْتُ نَائِماً أَمَّا فَوَادِي فَهَمُّهُ	قَلِيلٌ وَأَمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبَارِدُ
وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ	لِيَانٌ وَمَعْرُوفٌ وَلِلْخَيْرِ قَائِدُ ⁴
إِلَيْكَ رَحَلْتُ الْعَيْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا	قِسِي السُّرَى ذُبُلًا بَرَّتْهَا الطَّرَائِدُ
وَحَتَّى هَوَادِيهَا دِقَاقٌ وَشَكُوهَا	صَرِيْفٌ وَبَاقِي النَّفْيِ مِنْهَا شَرَائِدُ ⁵
وَحَتَّى وَتَتْ ذَاتُ الْمِرَاحِ فَأَذْعَنْتُ	إِلَيْكَ وَكَلَّ الرَّاسِمَاتُ الْحَوَافِدُ ⁶

قال : فرقُ له هشام وبكى ، وقال له : ويحك يا نصيب ! لقد أضررنا بك وبرواحلك . ووصله وأحسن صِلته واحتفل به .

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحرّميّ عن الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادَةَ قَالَ : قَدِمَ نُصَيْبٌ عَلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ

1 ديوان نصيب : 76-77 عن الأغاني .

2 العهد هنا : الدموع وأصل معناها الأمطار .

3 الصرعة هنا : الموت .

4 الليان : النعمة والترفيه .

5 هودايها : أعناقها . وشكوها : شكواها . صريف : احتكاك أسنانها ؛ النقي : مخ العظام . شرائد : بقايا .

6 ذات المراح : الناقة النشيطة ؛ الراسمات : اللواتي يمشين الرسم ؛ والحوافد : المسرعات .

النَّصْرِيّ وهو أمير المدينة بفرضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضَمْرَة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلْمة لم يَحْتَلِمُوا ، فردَّهم النَّصْرِيّ . فكلَّمه نُصَيْبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزله عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطِيع أن اسكتْ وكُفَّ واخرُج ؛ فإنِّي كافيك . فلما خرج إبراهيم لقيَه نُصَيْب ، فقال له : أشرتَ إليّ فكرهتُ أن أغضيك ، فما كرهتَ لي من مراجعته والصَّلاة له ومن ورائي المُستَعْتَب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيّ حديدٌ غَلِقٌ ، وخَشِيتُ إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يَمْضي عليه وَيَلْجُ فيه ، وهو مالِكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرج قبل أن يَلْجُ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمْضي عليه وَيَلْجُ فيه ؛ فتنتظرُ لتصادفَ منه طيبَ نفس فتكلِّمه وترفدك عنده . فقال نُصَيْب :

يَوْمَانِ يَوْمٌ لِرُزْزِيقٍ فَسَلُّ ويومُهُ الْآخِرُ سَمَحٌ فَضَلُّ¹

أنا ، جُعِلتُ فِدَاءَكَ ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فأشيرُ إليّ حتى أكلمه . قال : ودخل إليه نُصَيْب عَشِيَّاتٍ ، كلٌّ ذلك يُشيرُ إليه ابن مُطِيع ألا يكلمه ، حتى صادفَ عَشِيَّةً من العَشِيَّاتِ منه طيبَ نفس ، فأشار إليه أن كلّمه . فكلّمه نُصَيْبٌ فأصاب مَخِيلَه بكلامه ، ثم قال : إني قد قلتُ شعراً فاسمعه أيُّها الأمير وأجزه ، ثم قال² :

أهاجَ الْبُكَاءُ رُبْعَ بَاسْفَلٍ ذِي السِّدْرِ عَفَاهُ اخْتِلَافُ الْعَصْرِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرِ³
نَعَمْ فَتَنَانِي الْوَجْدُ فَاشْتَقْتُ لِلَّذِي ذَكَرْتُ وَلَيْسَ الشَّوْقُ إِلَّا مَعَ الذِّكْرِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْمَوْضِعَيْنِ لِرَبِّهِمْ وَحُرْمَةِ مَا بَيْنَ الْمَقَامِ إِلَى الْحَجْرِ
لَنْ حَاجَتِي يَوْمًا قَضَيْتَ وَرِشَتِي بِنَفْحَةِ عُرْفٍ مِنْ يَدِكَ أَبَا بَشِيرٍ⁴
لَتَعْرِفَنَّ الدَّهْرَ مِنِّي مَوْدَّةً وَنُصْحًا عَلَى نُصْحٍ وَشُكْرًا عَلَى شُكْرِ
سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْمُزْنِ أَرْضًا عَمَرَتْهَا بِرِيٍّ وَأَسْقَاهَا بِلَادَ بَنِي نَصْرِ
بِوَجْهِكَ فَاسْتَعْمِلْتَ مَا دُمْتَ خَائِفًا لِرُبِّكَ تَقْضِي رَاشِدًا آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أَصْحَابِي وَتَسْتَرَّ عَوْرَةً بَدَتْ لَكَ مِنْ صَحْبِي فَإِنَّكَ ذُو سِتْرِ
فَمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التِّي سَأَلْتُ فَأَعْطَانِي لِقَوْمِي مِنْ فَقْرِ

1 الفصل : الرذل .

2 ديوان نصيب : 95-96 عن الأغاني .

3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .

4 لئن حاجتي يوماً في ل : لئن أنت حاجاتي .

وقد خرجت منه إليك فلا تكن بموضع يفضات الأنوق من الوكر¹
 قال : فقال عثمان بن حيان المرّي وهو عنده ، وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم : قد احتلم
 الآن القوم أيها الأمير ، واستوجبوا الفرض . ورفده ابن مطيع فأحسن ، واشتدّ عليه أن شرّكه
 ابن حيان في رّفده وتشييعه . وقال النصري لابن مطيع وابن حيان : صدقتما قد احتلما
 واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يا فلان ، لكتاب من كتابه ، ففرض له .
 [نصيب يحدث أنه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن عليّ الشكريّ قال حدثني
 الرياشي عن العنبيّ قال : دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد
 طال الحديث بينهما : هل عشقت قط ؟ قال : نعم ، أمة لبني مدلج . قال : فكنت تصنع
 ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها مني ، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو
 حاجبي ، وفيها أقول² :
 [من الطويل]

وقفت لها كيما تمرّ لعلني أخالسها التسليم إن لم تسلم
 ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
 مساكين أهل العشق ما كنت أشتري جميع حياة العاشقين بديرهم
 فقال عبد العزيز : ويحك ، فما فعلت ؟ قال : بيعت فأولدها سيّدها . قال : فهل في
 نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ، عقابيل أحزان .
 [حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول بن سليمان بن قريظاب البلوي : أن
 إبلاً لنصيب أجذبت وحالت³ ، وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم . قال :
 فأخبرني أبي وعمي أنه وقد على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعلني الله فداك ، إني
 حملت ديناً في إبل ابتعتها مجذبات حيال ، وقد قلت فيها شعراً . قال : أنشده ، فأنشده⁴ :

فلما حملت الدين فيها وأصبحت حياً لمُسِنَّاتِ الهوى كذت أندم
 على حين أن راث الربيع ولم يكن لها بصعيد من تهمّة مقصم⁵

1 يفيضات الأنوق ، لا تنال ، ولذلك يضرب المثل بعزتها .

2 ديوان نصيب 131-132 عن الأغاني وغيره .

3 حالت : لم تحمل .

4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .

5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيةٌ للأسلميّ وما دنا لفحشٍ ولا تدنو إلى الفحشِ أسلمُ
فقال له عبد العزيز : فما ذُنُوكَ ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم .
فلما رجع أنشد الأسلميَّ الشعرَ فترك ما له عليه ، وقال : الثمانية الآلاف لك .
[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال حَدَّثَنِي المَوْصِلِيُّ عَنْ ابنِ أَبِي عُبَيْدَةَ قال :
أتى نُصَيْبٌ مَكَّةَ فَأَتَى المَسْجِدَ الحَرَامَ لَيْلاً . فبينما هو كذلك إِذْ طَلَعَ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ فجلَسْنَ قَرِيباً
وجعلن يتحدَّثْنَ ويتذاكِرْنَ الشعرَ والشعراء ، وإذا هنَّ من أَفْصحِ النساءِ وآدِبهنَّ . فقالت
إحداهن : قاتل الله جميلاً حيث يقول :

وبينَ الصَّفا والمَروتينِ ذكُرتُكم بمُخْتَلَفٍ ما بينَ ساعٍ ومُوجِفٍ
وعند طَوائِفٍ قد ذكُرتُكِ ذُكْرَةً هي الموتُ بل كادتُ على الموتِ تَضَعُفُ
فَقالت الأُخرى : بل قاتل الله كُثَيَّرَ عَزَّةٍ حيث يقول :

طَلَعْنَ عَلَيْنَا بَيْنَ مَرَوَةٍ وَالصَّفا يَمُرْنَ عَلَى البَطْحَاءِ مَوَرَّ السَّحَابِ
فَكِذْنُ لَعَمْرُ اللهِ يُحَدِّثُنَّ فِتْنَةً لُمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَائِبِ
فَقالت الأُخرى : قاتل الله ابنَ الزانيةِ نُصَيْباً حيث يقول :

أَلَا مَ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَستَطِيعُهَا وَحُرْمَةٍ ما بينَ البَنِيَّةِ والسُّرِّ
لَمِلْتُ عَلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مَيْلَةً وَلَوْ كانَ في يَوْمِ التَّحَالُقِ والنَّحْرِ
فَقام نُصَيْبٌ إِلَيْهِنَّ فَسَلَّمَ عَلِيهِنَّ ، فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلامَ . فقال لَهُنَّ : إِنِّي رَأَيْتُكُنَّ تَتَحَدَّثُنَّ
شَيْئاً عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ . فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسْمَعْنَ أَوَّلاً . فقلن : هاتِ . فَأَنشَدَهُنَّ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

ويومَ ذِي سَلَمٍ شاقَّتَكَ نائِحَةً وَرَقَاءٍ فِي فَنَنِ الرِّيحِ تَضطَرُّ
فقلن له : نسألك بالله وبحقِّ هذه البَنِيَّةِ ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المَظْلُومَةِ المَقْدُوفَةِ بِغَيْرِ جُرمٍ
«نُصَيْبٍ» . فقمْنَ إِلَيْهِ فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَرَحَّبْنَ بِهِ ، واعتذرت إليه القائلة ، وقالت : والله ما أردت
سوءاً ، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت . فضحك وجلس إليهنَّ ، فحادثهنَّ إلى
أنْ انصرفن .

[8] - أخبار ابن مُحَرز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسلم بن مُحَرز فيما رَوَى ابنُ المَكِّي ، ويُكنى أبا الخطَّاب ، مولى بني عبد الدَّار بن قُصَيٍّ . وقال ابن الكلبي : اسمه سَلَمٌ . قال ويقال : اسمه عبد الله . وكان أبوه من سَدَنَةِ الكعبة ، أصله من الفُرس ، وكان أصفر أجناً طويلاً .

وأخبرني الحِرْمِيّ قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : اسمُ ابن مُحَرز سَلَمٌ ، وهو مولى بني مخزوم . وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مَرَّةً ومكَّةً مَرَّةً ، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلَّم الضرب من عَزَّة المَيْلَاء ، ثم يرجع إلى مكَّة فيقيم بها ثلاثة أشهر . ثم يشخص إلى فارس فتعلَّم ألحان الفُرس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلَّم ألحان الرُّوم وأخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نَعَم الفريقيين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألَّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمَع مثله . وكان يقال له صَنَّاج العرب .

[ابن محرز أول من غنى الرمل]

أخبرني عَمِّي قال حدَّثني أبو أيوب المَدِينِي عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه قال ، قال أبي : أول من غنَّى الرَّمْل ابن محرز وما غنَّى قبله . فقلتُ له : ولا بالفارسيَّة ؟ قال : ولا بالفارسيَّة ، وأول من غنَّى رَمَلاً بالفارسيَّة سَلَمُكَ في أيام الرشيد ، استحسَن لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقل لحنه إلى الفارسيَّة وغنَّى فيه .

[حمل ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قال أبو أيوب وقال إِسحاق : كان ابن مُحَرز قليلَ المَلابسة للناس ، فأحمل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلا غناؤه ، وأخذتُ أكثرَ غنائه جاريةً كانت لصديق له من أهل مكَّة كانت تألفه ، فأخذته الناس عنها . ومات بداءً كان به . وسقط إلى فارس فأخذ غناء الفُرس ، وإلى الشام فأخذ غناء الروم ، فتخير من نَعَمهم ما تغنى به غناءه . وكان يقدِّم بما يُصبيه فيدفعه إلى صديقه ذاك فينفقه كيف شاء ، لا يسأله عن شيء منه ، حتى إذا كاد أن ينفد جهَّزه وأصلح من أمره ، وقال له : إذا شئت فارحل ، فيرحل ثم يعود . فلم يزل كذلك حتى مات .

[ابن محرز أول من غنى بزوج من الشعر]

قال : وهو أول من غنى بزوج من الشعر ، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداء به . وكان يقول : الأفراد لا تيمُّ بها الألحان . وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح . قال إسحاق : وكانت العلة التي مات بها الجذام ، فلم يُعاشِر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيوب قال إسحاق : قديم ابن مُحَرِّز يريد العراق ، فلما نزل القادسيّة لقيّه حُنين ، فقال له : كم مَتَّكَ نفسك من العراق ؟ قال : ألف دينار . قال : فهذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف واحلف ألا تعود .

[علو كعبه في صناعة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَنْ أحسنُ الناسُ غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسرتُ ، وإن شئتَ أجملتُ . قلت : أجمل . قال : كأنه خلقت من كلِّ قلب ؛ فهو يغني لكلِّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيَت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقُّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنّه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أحسن الناس غناءً ؟ فقال : أَمِنْ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابن مُحَرِّز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سَريج ، ثم ابن مُحَرِّز ، ثم معبد ، ثم الغريض ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي حدثنا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسن الناس غناءً ، فمرَّ بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن مُحَرِّث الكِنَانيّ حليف قريش ، فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها ، ففعل وقال : أغنيكَنَّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أميرَ مَكَّة ؟ قلن نعم . فغناهاهن :

[من الكامل]

صوت

فَوَدِدْتُ إِذْ شَحَطُوا وَشَطَطَ دَارُهُمْ وَعَدَّتْهُمْ عَنَّا عَوَادٍ تَشْغَلُ
أَنَا نَطَاعُ وَأَنْ تُنْقَلَ أَرْضُنَا أَوْ أَنَّ أَرْضَهُمْ إِلَيْنَا تُنْقَلُ

لُتَرَدَّ مِنْ كَتَبِ إِلَيْكَ رَسَائِلِي بِجَوَابِهَا وَيَعُودَ ذَاكَ الْمُرْسَلُ¹
عَرَّوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ الْغَنَاءِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ خَفِيفُ رَمَلٍ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ، ذَكَرَ
عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَا بِنَ مُحَرِّزٌ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَا بِنَ سُرَيْجٌ .

[ابن محرز وحنين الحيري]

وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ فِي خَبْرِهِ : بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ مُحَرِّزٍ لَمَّا شَخَّصَ يَرِيدُ الْعِرَاقَ لَقِيَهُ حُنَيْنٌ
فَقَالَ لَهُ : غَنَّنِي صَوْتًا مِنْ غَنَائِكَ . فغَنَّاهُ :

صوت

وَحُسْنُ الزَّبْرِجَدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ زَانَ الْعُقُودِ²
يُفَصِّلُ يَاقُوتُهُ دُرَّهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْمُتَقَارِبِ الشَّعْرَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ : وَالْغَنَاءُ لَا بِنَ مُحَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالسَّبَابَةِ
فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ حُنَيْنٌ حِينَئِذٍ : كَمْ أُمَلَّتَ مِنَ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا وَانْصَرَفْ . وَلَمَّا شَاعَ مَا فَعَلَ لَامَهُ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ دَخَلَ الْعِرَاقَ لَمَّا كَانَ لِي مَعَهُ فِيهِ خَبِزٌ آكَلُهُ ، وَلَا طُرْحَتُ وَسَقَطْتُ إِلَى آخِرِ
الدَّهْرِ . وَهَذَا الصَّوْتُ أَعْنِي :

وَحُسْنُ الزَّبْرِجَدِ فِي نَظْمِهِ

مِنْ صُدُورِ أَغَانِي ابْنِ مُحَرِّزٍ وَأَوَائِلِهَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَذْهَبِهِ فِيهِ وَلَا يَتَشَبَّهُ بِهِ أَحَدٌ . وَمَا يُغْنِي فِيهِ
مِنْ قَصِيدَةٍ نُصِيبُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ

صوت

[من الطويل]

لَقَدْ رَاعَنِي لِلْبَيْنِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنِ بَانٍ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَى فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجُوهُنَّ فَدَائِمُ

الْغَنَاءُ لَا بِنَ سُرَيْجٍ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَعَمْرُو وَابْنِ الْمَكِيِّ ، وَهُوَ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ ، وَهُوَ مِنْ
جَيْدِ الْأَلْحَانِ وَحَسَنِ الْأَغَانِي ، وَهُوَ مِمَّا عَارَضَ ابْنَ سُرَيْجٍ فِيهِ ابْنُ مُحَرِّزٍ وَانْتَصَفَ مِنْهُ .

1 المرسل في ل : الدخيل (وهو الذي يداخل الآخر ويعرف سره) .

2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت¹

[من الوافر]

إلى جِداء قد بعثوا رسولاً ليحزنها فلا صُحِبَ الرسولُ
كأنَّ العامَ ليس بعامٍ حجٌّ تغيَّرتِ المواسمُ والشُّكولُ
الشعرُ للعرجيِّ ، والغناء لإبراهيم الموصليِّ ، ولحنه المختار ماخوريٌّ بالوسطى ، وهو من
خفيفِ الثَّقيلِ الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقيلٍ بالسَّبابة في مجرى
البنصر ، وذكر عمرو بن بانه أنَّ الماخوريَّ لابن سُرَّيج .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] - أخبار العرجي ونسبه¹

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس² . وقد شُرح هذا النسب في نسب أبي قطفة . وأمُّ عفان وجميع بني أبي العاصي آمنه بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبید بن عويج بن عدي بن كعب . وأمُّ عثمان أروى بنت كزیز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأُمه وأبيه ولدا في بطن واحد . وأمُّ عمرو بن عثمان أم أبان بنت جندب الدوسية .

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدثني مخرز بن جعفر عن أبيه عن جدّه قال : قديم جندب بن عمرو بن حُمّة الدوسي المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم مضى إلى الشام وخلف ابنته أم أبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كفناً فزوجه بها ولو بشارك نعلها ، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسراة³ . فكانت عند عمر ، واستشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباهاً ويدعوها ابنته . قال : فإن عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها ، فقال : من له في الجميلة الحسية بنت جندب بن عمرو بن حُمّة ، وليعلم امرؤ من هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعمر الله ، كم سقت إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوجتكها ، فعجله ؛ فإنها معدة . قال : ونزل عن المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذه عمر في رده⁴ فدخل به عليها ، فقال : يا بُنية ، مُدّي جِجرك ، ففتحت حجرها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنية ، قولي اللهم بارك لي فيه . فقالت : اللهم بارك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مهرُك . فنفتحت⁵ به وقالت : واسواتاه ! فقال : احتسبي منه لنفسك ووسعي منه لأهلك ، وقال لحفصة : يا ابنتاه ، أصلحي من شأنها

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478-480 ؛ ونسب فريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي للبكري : 422 ؛ والوافي بالوفيات للصفدي : 17 : 384-388 تحقيق درورتيا كرافولسكي . وتهذيب التهذيب : 5 : 338-339 وخزانة الأدب : 1 : 98-99 ؛ ومقدمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المخاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفتحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغيري بَدَنَهَا¹ واصْبَغِي ثوبها ، ففعلت . ثم أرسل بها مع نسوة إلى عثمان . فقال عمر لما فارقت :
 إِنَّهَا أمانةٌ في عُنُقِي أَخشى أن تَضِيعَ بيَني وبين عثمان ، فلحِقَهُنَّ فَضْرِبَ على عثمان بابه ، ثم قال :
 خذْ أهْلَكَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِمْ . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة .
 فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسِيَّةِ مُقاماً ما كنتَ
 تقيمه عند النساء . فقال : أما إنَّه ما بقيت خَصْلَةٌ كنتُ أحبُّ أن تكون في امرأة إلا صادفتُها فيها ما
 خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنِّي رجل قد دخلت في السنِّ ، وحاجتي في النساء
 الولدُ ، وأحسبُها حديثة لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسَّمت . فلما خرج سعيد من عنده قال لها
 عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنِّي لمن نسوة ما دخلت امرأةً منهنَّ
 على سيِّد قطُ فرأت حمراء² حتى تَلِدَ سيِّد من هو منه : قال : فما رأيت حمراء حتى ولدت عمرو بن
 عثمان . وأمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أمُّ وليد . وأمُّ العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال
 إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمِّ ولد .

[سبب تعلقه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمِّي : أنَّه إنَّما لُقِّبَ
 العرجي لأنَّه كان يسكن عَرَجَ الطائف . وقيل : بل سُمِّيَ بذلك لما كان له ومال عليه بالعرج .
 وكان من شعراء قريش ، ومن شُهر بالغزل منها ، ونحا نحوَ عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبَّه به
 فأجاد . وكان مشغولاً باللَّهو والصَّيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له
 نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجِداء التي شَبَّ بها هي أمُّ محمد بن هشام بن
 إسماعيل المخزومي ، وكان ينسبُ بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس
 محمد إياه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مَزِيد إجازةً عن حمَّاد بن إسحاق فذكر أنَّ حمَّاداً حدَّثه عن إسحاق عن
 أبيه عن بعض شيوخه : أنَّ العرجي كان أزرق كَوَسَجاً³ ناتئ الخنجرة ، وكان صاحب غزلٍ
 وفُتُوَّة ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فليل له العرجي ونُسِبَ إلى ماله .
 وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاءٌ حسنٌ
 ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عتبة بن إبراهيم اللّهي : أنَّ العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظماً

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .

2 حمراء : كناية عن دم الحيض .

3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله ، وكان قد اتخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قِدْرَه وقام الغلامان يوقدان ، فإذا نام واحد قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصْبِحَا ، يقول : لعلَّ طارقاً يَطْرُق .

[العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال حدثني مصعب ، وأخبرنا الحِرْمِيُّ عن الزبير عن عمه مصعب وعن محمد بن الضحَّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعض ، وأخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن مُصْعَب قال : كانت حبشيَّة من مَوْلَدَات مَكَّة ظريفة صارت إلى المدينة ، فلما أتاها موت عمر بن أبي ربيعة اشتدَّ جَزَعُهَا وجعلت تبكي وتقول : مَنْ لَمَكَّة وشِعَابِهَا وأباطِحِهَا ونَزْهِهَا ووَصَفِ نِسَائِهَا وحسَنَ وجَمالِهنَّ ووَصَف ما فيها ؟ فقيل لها : خفّضي عليك ؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يُضَيِّعْ حَرَمَه .

[العرجي وكلاية مولاة عبد الله بن القاسم العبلي]

أخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بَكَار قال حدثني عمي مصعب ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عَوْرَكٍ¹ اللّهي : أن مَوْلَاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأمويّ العبلي² ، وكان يُلَغِّها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهنّ في شعره ، وكانت كلابة تُكثِّر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهنّ في شعره ؛ ولعمري ما لقي أحداً فيه خيرٌ ، ولئن لقيته لأسودن وجهه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العبلي نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مَكَّة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مَكَّة ، والعرج أعلاها قليلاً ممّا يلي الطائف . فبلغ العرجي أنّه خرج إلى مَكَّة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلابة وكان خلفها في أهله ، فصاحت به : إليك ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال³ :

[من البسيط]

1 قد تقدّم أنّه الحسن بن عتبة اللّهي .

2 نسبة إلى العبلات .

3 هي أوّل قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُورٌ بَعَثْنَ رَسُولاً فِي مُلَاطَفَةٍ
إِلَيَّ أَنْ إِيْتَنَا هَذَا إِذَا غَفَلْتُ
فَجِئْتُ أَمْشِي عَلَى هَوْلِ أُجْشِمُهُ
إِذَا تَخَوَّفْتُ مِنْ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ
أَمْشِي كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ يَمَانِيَّةٍ
فِي حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ مُشْرِيةٍ
خَلَّتْ سَبِيلِي كَمَا خَلَّتْ ذَا عُدْرٍ
وَهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَالٍ وَلَيْسَ لَهُ
حَتَّى جَلَسْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مَكْتِمًا
أَبْدَيْنَ لِي أَعْيُنًا نُجَلًّا كَمَا نَظَرْتُ
قَالَتْ كَلَابَةٌ مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ لَهَا
أَنَا امْرُؤٌ جَدُّ بِي حَبٌّ فَأَحْرَضَنِي
لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ
وَأَنعَمِي نِعْمَةً تُجْزَى بِأَحْسَنِهَا
سَرُّ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ
هَذِي يَمِينِي رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ
قَالَتْ رَضِيتُ وَلَكِنْ جِئْتَ فِي قَمَرٍ

ثَقَفًا إِذَا غَفَلَ النَّسَاءُ الْوَهْمُ¹
أَحْرَاسُنَا وَافْتَضَحْنَا إِنْ هُمْ عَلِمُوا
تَجَشُّمُ الْمَرْءِ هَوْلًا فِي الْهَوَى كَرُمُ
قَدْ جَفَّ فَاْمَضْ بِشَيْءٍ قُدْرَ الْقَلَمِ²
غُصْنًا مِنَ الْبَابِ رَطْبًا طَلَّةَ الدِّيمِ³
تَعْفُو بِهَدَايِهَا مَا أَثَرْتُ قَدَمُ⁴
إِذَا رَأَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ يَنْتَجِمُ
عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشَاهَا وَلَا نَدَمُ⁵
وَطَالِبُ الْحَاجِّ تَحْتَ اللَّيْلِ مُكْتِمُ
أَدَمُ هِجَانٍ أَتَاهَا مُصْعَبٌ قَطْمُ⁶
أَنَا الَّذِي أَتَيْتُ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعَمُوا
حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَقْنِي السَّقَمُ
مِنْ بُغْضِنَا أَطْعَمُوا لَحْمِي إِذَا طَعَمُوا⁷
فَطَالَمَا مَسْنِي مِنْ أَهْلِكِ النَّعَمُ
أَنْ يُحَدِّثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أُنْمُوا
فَارَضْنِي بِهَا وَلَآنْفِ الْكَاشِحِ الرَّغْمُ
هَلَّا تَلَيْثَتْ حَتَّى تَدْخُلَ الظُّلْمُ

- 1 ثَقَفًا : فهما حاذقا ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساء في ل : استيقظ ، والنساء : الكثير النسيان .
- 2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .
- 3 الدميم في ل : الرهم .
- 4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوثة . تطمس : ما أثرت قدم في الديوان : ما تندب القدم ، والمراد أن أهدابها تطمس آثار الأقدام .
- 5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .
- 6 أبدين في الديوان : سدن . المصعب : الفحل . القطم : المشتبه للضراب .
- 7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فَبِتُّ أُسْقَى بِأَكْوَاسٍ أَعْلَى بِهَا مِنْ بَارِدٍ طَابَ مِنْهَا الطَّعْمُ وَالنَّسَمُ¹
 حَتَّى بَدَا سَاطِعٌ لِلْفَجْرِ نَحْسُهُ سَنَا حَرِيقٍ بَلِيلٍ حِينَ يَضْطَرُّمُ
 كَفَرَةُ الْفَرَسِ الْمُنْسُوبِ قَدْ حُسِرَتْ عَنْهُ الْجِلَالُ تَلَالًا وَهُوَ يَلْتَجِمُ²
 وَدَعْتَهُنَّ وَلَا شَيْءٌ يُرَاجِعُنِي إِلَّا الْبَنَانُ وَالْأَعْيُنُ السُّجُمُ
 إِذَا أَرَدَنْتَ كَلَامِي عِنْدَهُ اعْتَرَضْتُ مِنْ دُونِهِ عِبْرَاتٌ فَانَثَى الْكَلِمُ
 تَكَادَ إِذْ رُمِنَ نَهْضًا لِلْقِيَامِ مَعِي أَعْجَازُهُنَّ مِنَ الْأَنْصَافِ تَنْقَصِمُ

قال : فسمع ابن القاسم العجلي بالشعر يُغْنَى به ، وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يُغْنُوا فيه ، فصنعوا في أبياتٍ منه عدة الحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من لإيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع ما كَلَّتْهَا من ماله . قال : فلما سمع العجلي بالشعر يغنى به أخرج كُلابةً وأتهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غرارَتِي وبَعْرٍ ، فأحلفها بمكة بين الرُّكنِ والمقام أن العرجي كَذَبَ فيما قاله . فحلفتُ سبعين يمينا ، فَرَضِي عنها وردّها . فكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي :

فَطَالَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعْمُ

قال : كَذَبَ والله ما مسَّهُ ذلك قط . وقال إسحاق : وقد قيل : إن صاحبَ هذه القصيدة [والقصة] أبو جراب³ العجلي ، وإن كُلابةً كانت أُمّةً لِسُعْدَةَ بنتِ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان العرجي قد خطبها وسُمِّيَتْ به ، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوَّجته ، فقال العرجي هذا الشعر فيها . غنى في قوله :

أَمْشِي كَمَا حَرَّكَتْ رِيحُ يَمَانِيَّةٍ

علي بن هشام هزجا مطلقاً بالبصرة ، وفيه للمسدود هزج آخر طنبوري ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوَانَهُمُ

رَمَلٌ لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسْطَى . وفي « قالت كُلابة » والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحنٌ من خفيف الرَّمَلِ . ولنبيه في « أنا امرؤ جدتي » وما بعده . هزج بالوُسْطَى ، ولدحمان في « حُورٌ بَعَثَنَ » وما بعده ، هزج بالوُسْطَى ،

1 طاب في ل : لَذ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتى طاب الطعم والنسم .

2 الفرس في الديوان : الأزهر .

3 ل : جراب .

وروى عنه الهشاميّ فيه ثقيلًا أول . ولأبي عيسى ابن المتوكلّ في «وأنعمي نعمة» وبيتين بعده ، ثقيل أول .

وأخبرني بخبر العرجي وكلاّبة هذه الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه مُصعب ، وأخبرني به وكيع عن أبي أيوب المديني عن مُصعب وذكر نحواً ممّا ذكره إسحاق ؛ وزعم أنّ كلاّبة كانت قِيمةً لأبي جراب العبليّ وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس .
[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكّران شعراً للعرجي]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنتُ عند أيّوب بن مَسْلَمَة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجي¹ : [من الخفيف]

أين ما قلتُ مُتٌ قبلَكَ أينا	أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا
فلقد خِفْتُ منكُ أنْ تَصْرِمِي الحَبْ	لَ وَأَنْ تَجْمَعِي مع الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولين في فتى هَامَ إذْها	مَ بمن لا ينالُ جهلاً وحيناً
فاجعَلِي بيننا وبينكُ عَدلاً	لا تَحِيفِي ولا يَحِيفُ علينا
واعْلَمِي أنْ في القضاءِ شُهوداً	أو يميناً فأَحْضِرِي شاهِدِينَا
خَلَّتِي لو قَدَرْتُ منكُ على ما	قُلْتِ لي في الخلاءِ حينَ التَّقِينَا
ما تَحَرَّجْتُ من دَمِي عِلْمَ الد	هُ ولو كنتُ قد شهدتُ حُنِينَا

قال فقال أيّوب لأشعب : ما تظنُّ أنّها وَعَدَتْه ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً أنّها وَعَدَتْه أن تأتيه في شِعْبٍ من شِعَاب العَرَج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شغلٍ ففقطّعها عن موْعِدِه . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيْرٌ وعُوَيْر ، وكلُّ غَيْر خَيْر² : فبنو زيد مولى عائشة بنتِ سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدلُ الحَكَم ؟ قال : حُصَيْن بن غُرَيْر الحميري . قال : فما حَكَم به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقّه وسَقَطَتْ المؤونة عنه . قال : يا أشعبُ ، لقد أَحْكَمْتَ صِنَاعَتَكَ ؛ قال : سَلْ علامةً عن علمِه .

[شعر العرجي في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل النقي]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبيّ قال : قال العرجي في امرأة من بني حبيب (بطنٍ من بني نصر بن معاوية) يقال لها عاتِكة ، وكانت زوجة

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .

2 هذا مثل .

طَرَجَ بن إسماعيل الثَّقَفِي :

[من الكامل]

يا دارَ عاتِكَة التي بالأزهر¹ أو فَوْقَه بقفا الكَيْسِبِ الأحمر¹
لم أَلَقْ أَهْلَكَ بعدَ عامٍ لِقَيْتَهُمْ يا لَيْتَ أَنْ لِقَاءَهُمْ لم يُقْدِرِ

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابنِ مِشْعَبَ حاضر² في سامِرِ عَطِرٍ وِلِيلِ مُقَمِّرِ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلَا حِفْأً هَرَوِيَّةً بِالزَّعْفَرَانِ صِيَاغُهَا وَالْعُصْفَرِ
فَتَلَا زَمًا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

الأزهر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعَبِ الذي عناه مغنٍّ من أهل مَكَّةَ كان في زمن ابنِ سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، ومات في تلك الأيام ، فأدخلَ الناسُ غناؤه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبه مَنْ لا يعلم إلى ابن مُحَرَّرٍ ، يعني : [من الكامل]

بفناء بيتك وابن مشعب حاضر²

[من المنسرح]

قال : وهو الذي غنَّى :

أَقْفَرَ مَن يَحُلُّهُ السَّنْدُ فَاَلْمُنْحَنَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُمْدُ
وَيُحْيِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَحْذَرُ مِنْ فُرْقَةِ الْحَبِيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب عذاله]

أخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنَا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حَدَّثَنِي ابنُ مُخَارِقٍ قال : وَاَعَدَّ العرجيُّ هَوًى لَهُ شِعْبًا مِنْ شِعَابِ عَرَجِ الطائف إذا نزل رجالُها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أتانٍ لها معها جارية لها ، وجاء العرجيُّ على حِمَارٍ معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونَزَا الحِمَارُ على الأتان . فقال العرجيُّ : هذا يومٌ قد غاب عُدَّالُه .

[ثراء العرجي]

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنَا الْكُرَائيُّ قال حَدَّثَنَا النَّضْرُ بن عمرو عن ابنِ دَاحَةَ قال : كان العرجيُّ يَسْتَقِي على إبله في شَمَلَتَيْنِ ، ثم يغتسل ويلبس حُلَّتَيْنِ بخمسائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

يَوْمًا لأصْحَابِي وَيَوْمًا لِلْمَالِ مِدْرَعَةً يَوْمًا وَيَوْمًا سِرْبَالٌ

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أن العرجي كان غازیاً فأصابته الناس مجاعة ، فقال للتجار : أعطوا الناس وعلي ما تعطون ، فلم يزل يُعطيهـم ويُطعم الناس حتى أخصبوا¹ ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار ، فألزمها العرجي نفسه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيت المال أحق بهذا ، ففضى التجار ذلك المال من بيت المال . [العرجي وأم الأوقص المخزومي]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير عن عمه ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره : أن العرجي خرج إلى جنابات الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرَّ ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي ، وكان يتعرض لها ، فإذا رآها رمت بنفسها وتستر منه ، وهي امرأة من بني تميم ، فبصر بها في نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعذل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكرٍ له ومعه وطبا لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي ، أمعك لبن ؟ قال نعم ، ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص ، وتوآب من معها إلى الوطنين ، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن . فقالت له امرأة منهن : أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض ؟ أضاع منك شيء ؟ قال : نعم قلبي . فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته ، فقالت : العرجي بن عمر ورب الكعبة ؛ ووثبت وسترها نساؤها وقلن : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك . فمضى مُنصرفاً ، وقال في ذلك² :

أقول لصاحبي ومثل ما بي	شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما	تأوبه مؤرقة الهموم
لحيني والبلاء لقيت ظهراً	بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأيت عيناها منها	أسيل الخد في خلقي غميم
وعيني جودر خرق ونغراً	كلون الأفحوان وجيد ريم ³
حنا أترأبها دوني عليها	حسو العائدات على السقيم

1 أخصبوا في ل : أحصى .

2 ديوان العرجي : 97-100 .

3 خرق : مفرع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقال له ابنُ عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فظلم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمر العرجي لكنتُ قد أسرفتُ عليّ . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزومي وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعدما رقدَ السامرُ فأشرفتُ عليه . فقال : سَهَرْتُ وَذَكَرْتُ أَحْأَلي أَسْتَمْتَعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي¹ :

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا صُبْحٌ تَلَوَحَ كالأغَرِّ الأشقرِ
فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فقال : أعدّه عليّ ، فأعدته . فقال : أحسنَ والله ! امرأته طالقٌ إن نطقَ بجرف غيره حتى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو مُنصَرِفٌ من ماله يريد المدينة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذُ الليلة . فقال : إنا لله ! وأيُّ كهلٍ أُصِيبَتْ منه قریشٌ ! ثم مضينا ، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلَاةٍ فيها قيد البغلة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ قلتُ : آنفاً . فلما أراد المضيّ قلتُ : أُنَدِّعُهُ هكذا ؟ والله ما آمنُ أن يتهورَ في بعض آبارِ العقيق ؛ قال : صدقت ، يا غلام ، قيدَ البغلة ، فأخذَ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويُشير بيده إليه يُري أَنَّهُ يفهم عنه قصته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمله على بغلتي وألحقه بأهله . فلما كان بحيث علمتُ أَنَّهُ قد فاتهُ أخبرته بخبره ، فقال : قَبَحَكَ اللهُ ماجناً ؛ فضحّت شيخاً من قریش وغررتني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عروة بن عبد الله بن

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال : أنشد ابن جُنْدَبِ الهذليّ ابن أبي عتيق قول العرجي¹ :

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها لخدامها قومي أسألني لي عن الوترِ
فقلت يقول الناسُ في سِتِّ عَشْرَةَ فلا تعجلي منه فإنك في أجرِ
فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةٌ الأضحى ولا ليلةُ الفطرِ
بعادلةِ الإثنين عندي وبالحرى يكونُ سواءٍ منهما ليلةُ القدرِ
فقال ابن أبي عتيق : أشهدكم أنها حرّةٌ من مالي إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه والله أفعه من ابن شهاب .

[شعر العرجي في زوجته أم عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : تزوّج العرجيّ أم عثمان بنت بُكير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمّها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها² :

إنّ عثمانَ والزُّبيرَ أحلاً دارها باليفاع إذ ولّداها
إنّها بنتُ كلِّ أبيضَ قرمٍ نال في المجد من قصي ذراها
سكّنَ الناسُ بالظواهرِ منها وتبوأ لنفسه بطحاهها
قال إسحاق : ولما تزوّج الرشيدُ زوجته العُثمانية أعجب بها . فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العيلي]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدثت أنّ أبا عديّ العبليّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جلّذان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجي وهو نازل هناك بوادي يقال له العرجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : ويحك ؛ ما يحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن وُردان مولى معاوية ، وهما يأكلان القسبَ والجلجلان³ . ثم بعث إليه بخبز ولبن ، وبعث لرواحله بحمض ، وقدم إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .

2 ديوانه : 52 . وأول القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .

3 القسب : الثمر اليابس ؛ الجلجلان : السمسم .

الْقَتَّ¹ والشَّعِير . فكتب إليه أبو عديّ :

[من الطويل]

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِلِ الرِّكْبَ إِذْ أَتَوْا
رَفَعْتَ لِئَامَ النَّاسِ فَوْقَ كَرَامِهِمْ
فَأَمَّا بَعِيرَانَا فَبِالْحُمُضِ غُذِّيَا

فكتب إليه العرجي² :

[من الطويل]

أَتَانَا فَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
كَرَايَةَ يَيْطَارٍ بِأَعْلَى حَدِيدَةٍ
أَتَانَا عَلَى سَعْبٍ يُعَرِّضُ بِالْقِرَى
قَالَ : فَارْتَحِلْ أَبُو عَدِيٍّ مُغَضِبًا وَقَالَ : مَزَحْتُ مَعَهُ فَهَجَانِي ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ فِي

العرجي :

[من الطويل]

سَرَتْ نَاقَتِي حَتَّى إِذَا مَلَّتِ السَّرَى
طَوَاهَا الْكَرَى بَعْدَ السَّرَى بِمُعَرَّسٍ
وَهَمَّتْ بِتَعْرِيسٍ فَحَلَّتْ قُبُودَهَا
تَمَطَّى قَلِيلًا ثُمَّ جَاءَ بَصْرَبَةٍ
فَقُلْتُ لَهُ أُرْدُدْ قِرَاكَ مُذَمَّمًا
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرَنَا عِنْدَ بَيْتِهِ
لَقَدْ عَلِمْتُ فَهَرٌّ بِأَنَّكَ شَرُّهَا
وَتَلَبَسَ لِلجَّارَاتِ إِتْبَاءً وَمُتَزَرًّا
يُدْخِنُ بِالْعُودِ الْيَلْنَجُوجِ مَرَّةً
فَإِنْ قُلْتَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَالِدِي

وَعَارَضَهَا عَرَجُ الْجَبَانَةِ وَالْخِصْبِ³
جَدِيبٍ وَشَيْخٍ بئْسَ مُسْتَعْرِضُ الرِّكْبِ
إِلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ أَلَامٌ مِنْ كَلْبٍ
وَقُرْصُ شَعِيرٍ مِثْلَ كِرْكِرَةِ السَّعْبِ⁴
فَلَسْتُ إِلَيْهِ بِالْفَقِيرِ وَلَا صَحْبِي
وَأَنْحَرْنَا لِلْكُومِ فِي الْيَوْمِ ذِي السَّعْبِ
وَأَكَلُ فَهْرٍ لِلْخَيْثِ مِنَ الْكَسْبِ
وَمِرْطًا فَبئْسَ الشَّيْخُ يَرْفُلُ فِي الْإِتْبِ⁵
وَالْبَضِرُ وَالسُّودَاءُ وَالْمَائِعِ الرُّطْبِ⁶
فَقَدْ كَانَ عَثْمَانُ بَرِيئًا مِنَ الْوِشْبِ⁷

1 القَت : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .

2 ديوان العرجي : 175-176 ، عن الأغاني .

3 ل : الخيانة .

4 صرية : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ؛ والسقْب : ولد الناقة .

5 الاتب : ثوب لا جيب له ولا كمين .

6 يُدْخِنُ فِي ل : يبخر . الضرو : شجر طيب الريح . والسوداء : الحبة السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .

7 الوشب والوشب بمعنى .

وَقَدِمَا يَجِيءُ الْحَيُّ بِالنَّسْلِ مَيْتًا وَيَأْتِي كَرِيمُ النَّاسِ بِالْوَكْلِ الثَّلْبِ¹
 لَهُ لِحْيَةٌ قَدْ مَزَقَتْ فَكَأَنَّهَا مِقْمَةٌ حَشَّاشٍ مُحَالَفَةُ الْعُشْبِ²
 فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَرَجِيُّ أَتَى عَمَّهُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْلِيَّ فَشَقَّ قَمِيصَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكَاهُ
 إِلَيْهِ . فَبَعَثَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَفَهَاهُ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَنَ عُذْتُ لَا كَلَمْتُكَ أَبَدًا ، فَكَفَّ عَنْهُ .
 [كان العرجي من أفرس الناس وأرامهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار :
 رجل من أهل مكة وكان هيباً أديباً قال : كان للعرجي حائطٌ يقال له العُرج في وسط بلاد بني
 نصر بن معاوية ، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها ، فكانت تضر به
 ويضر بأهلها ويشكونه ويشكوه . وكان من أفرس الناس وأرامهم وأبراهم لسهم ، فكان ربما
 يرى مائة سهم من الرمان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفة³ من إبل بني نصر ،
 فيفعل ذلك .
 [حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدثني ابن غُرَيْر قال : لما حُبِسَ العرجي وضرب وأقيم على البُلس⁴
 قال :

مَعِيَ ابْنُ غُرَيْرٍ وَاقِفًا فِي عَبَاءَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُ بَنِي نَصْرِ
 فَقَالَ فَتَى مِنْ بَنِي نَصْرِ يُجِيبُهُ ، وَكَانَ حَاضِرًا لَضَرْبِهِ وَإِقَامَتِهِ :
 أَجَلٌ قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ فِيكَ عُيُونَنَا فَبَيْسَ الْفَتَى وَالْجَارُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِلْعَرَجِيِّ : جِئْتُكَ أَخْطُبُ إِلَيْكَ مَوْدَّتَكَ . قَالَ : بَلْ
 خُذْهَا زِنًا ؛ فَإِنَّهَا أَحْلَى وَالذَّلَّ !

[تمثل امرأة بشعر العرجي عند لومها على الرفث في الحج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمِّعٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمٍ
 قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْعُمَرِيُّ : خَرَجْتُ حَاجًّا ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَمِيلَةً تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ أَرَفَّتْ فِيهِ ،
 فَأَدْنَيْتُ نَاقَتِي مِنْهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَّةً ! أَمَا تَخَافِينَ اللَّهَ ؟ فَسَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ يَبْهَرُ
 الشَّمْسَ حُسْنًا ، ثُمَّ قَالَتْ : تَأْمَلْ يَا عَمَّ ؛ فَإِنِّي مِمَّنْ عَنَّا الْعَرَجِيُّ بِقَوْلِهِ⁵ :
 [من الطويل]

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .

2 العشب في ل : القشب .

3 الناقة الخلفة : الحامل .

4 البلس : المسوح تعباً بالتين .

5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأذنت على الخدين بُرداً مهلهلاً
من اللاء لم يخجججن يبعين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلاً

قال فقلت لها : فإنني أسأل الله ألا يُعَذَّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضاء العراق لقال لها : أعزبي قبحك الله ؛ ولكنه ظرفُ عبّاد أهل الحجاز . وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار ، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما ، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب . والحكاية عنه في هذا المعنى أصحُّ منها عن عبد الله العمري ، حدّثنا بهذا وكيع . والغناء في هذه الأبيات لعرار المكيّ ثاني ثقيل . وفيه خفيف ثقيل لمعبد ، وفيها لعبد الله بن العباس الربيعيّ ثقيل أول ، ويقال إنّ خفيف الثقيل لابن سريج ، ويقال للغريص .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العباس : دعاني المتوكّل ، فلمّا جلست مجلسَ المدامة قال لي : يا عبد الله ، تغنّ فغنيته في شعرٍ مدحته به ؛ فقال : أين هذا من غنائك في : [من الطويل]

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أقفر ممن يحلّه سرف

[هجاء العرجي محمد بن هشام وتشبيهه بأمّه]

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ صنعتي حينئذٍ كانت وأنا شابٌ عاشقٌ ؛ فإن استطعت ردّ شبابي وعشقي صنعتُ مثل تلك الصنعة . فقال هيهات ، وقد لعمري صدقت ، ووصلني . والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جدياء أمّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان يهجوّه ويشبّ بأمّه وبامراته ، وكان محمد تيّهاً شديد الكبر جباراً ، فلم يزل يتطلّب عليه العللَ حتى حبسه وقيّده بعد أن ضربه بالسوط وأقامه على البُلس للناس . واختلف الرواة في السبب الذي أعتلّ به عليه ؛ وقد ذكرت ذلك في رواياتهم .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حدّثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قالَا أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قالَا حدّثنا الزبير بن بكار قالَا حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحّاك الخزّاميّ عن الضحّاك ابن عثمان ، وذكره

حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا :
كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلما ولي الخلافة ولأه مكة ، وكتب إليه أن يحجَّ
بالناس ، فهجاه العرجي بأشعار كثيرة .

منها قوله فيه :

كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُوكُ
إِلَى جَيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُخْبِرَهَا فَلَا صُحْبَ الرَّسُولُ
ويروى : «ليحزننها» وهكذا يغنى .

ومنها قوله¹ :

أَلَا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بِمَكَّةَ قَاطِنًا وَمِنْ جَاءَ مِنْ عَمَقٍ وَنَقَبِ الْمُشَلَّلِ²
دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ فَمَا حَجُّ هَذَا الْعَامِ بِالْمُتَقَبَّلِ
وَكَيْفَ يُزَكِّي حَجٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ لَدَى تَجْمِيرِهِ غَيْرُ دُلْدُلِ³
يَظَلُّ يُرَائِي بِالصَّيَامِ نَهَارَهُ وَيَلْبَسُ فِي الظَّلْمَاءِ سِمْطِي قَرْنَفُلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد بن الضحَّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيوب بن
عباية : كان العرجي يشبُّ بأُمِّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها
جَيْدَاءُ⁴ :

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رِيَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَخْرُجِي
إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةً إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ مَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مَنَى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجُجِ
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُجِبُّ لَدَى بَيْنَ حَبِيبِ قَوْلِهِ عَرَجِ

1 ديوان العرجي : 189 (عن الأغاني) .

2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .

3 الدلدل : شبيه بالقنفذ .

4 ديوان العرجي : 17-20 .

نَقَضَ إِلَيْكُمْ حَاجَةً أَوْ نَقُلْ هَلْ لِي مِمَّا بِي مِنْ مَخْرُجٍ
قال إسحاق في خبره : فحدثني حمزة بن عتبة اللهي قال : أنشد عطاء بن أبي رباح قول
العرجي :

في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنِّي وأهلُه إن هي لم تَحْجُجْ
فقال : الخير والله كله بمنِّي وأهلِه حَجَّتْ أَوْ لَمْ تَحْجُجْ . قال : ولقي ابن سُرَيْجَ عطاء وهو
راكب بمنِّي على بغلته ، فقال له : سألتك بالله إلَّا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً . قال :
وَيَحْكُ ؛ دَعْنِي فَإِنِّي عَجَلٌ . قال : امرأته طالق لمن لم تقف مختاراً للوقوف لأُمْسِكَنَّ بِلِجَامِ
بَغْلَتِكَ ثُمَّ لَا أَفَارِقُهَا وَلَوْ قُطِعَتْ يَدِي حَتَّى أُغْنِيكَ وَأَرْفَعَ صَوْتِي لَا أُسِرُّهُ . قال : هاتِ
وعَجِّلْ ؛ فَعَنَاهُ :

في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنِّي وأهلُه إن هي لم تَحْجُجْ
فقال : الخير كله والله بمنِّي ، لَا سِيَّما وقد غَيَّبَهَا اللهُ عَنْ مَشَاعِرِهِ ، خَلَّ سَبِيلَ الْبَغْلَةِ .
أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر
قال حدثني حمزة بن عتبة اللهي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنتُ مع عطاء بن
أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي :

إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ
في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنِّي وأهلُه إن هي لم تَحْجُجْ

فقال عطاء : خيرٌ كثيرٌ بمنِّي إذ غَيَّبَهَا اللهُ عَنْ مَشَاعِرِهِ .

[تشبيه بجيرة المخزومية زوجة محمد بن هشام]

قال : وقال في زوجته جيرة المخزومية (يعني زوجة محمد بن هشام) ¹ :

[من الكامل]

صوت

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلَّمِي جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ
الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يَتْبَعُهُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ

قال حماد بن إسحاق في خبره : حدثني ابن أبي الحُوَيْرِثِ الثَّقَفِيُّ عن ابن عمِّ لُعْمارة بن

حمزة قال حدثنا سليمان¹ الخشَّاب عن داود المكي قال : كنّا في حلقة ابن جُريج وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّة من العراقيين ، إذ مرّ به ابنُ تيزن المغني وقد ائثرز بمئزر على صدره ، وهي إزرة الشُّطَار عندنا ، فدعاه ابن جُريج فقال له : أحِبُّ أن تُسمِعني . قال : إنيّ مستعجلٌ ، فألَح عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غَنَّاك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليمين! غنني الصوت الذي غنّاه ابن سُريج في اليوم الثاني من أيام منى على جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ فقطع طريق الذاهب والرجاء حت تكسّرت الحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلمي جَبْرُ

فقال له ابن جُريج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ويحك ، أعِدّه . قال : من الثلاثة فإني قد حلفتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنت ؛ فأعِدّه من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكان هؤلاء الثُقَلَاء عندك لأطَلْتُ معك حتى تَقْضِي وَطَرَك . فالتفت ابن جُريج إلى أصحابه فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ، فقالوا : إنا لنُنْكِرُه عندنا بالعراق ونُنْكِرُه . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطغان محمد بن هشام حبس العرجي حتى مات.]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمّه جيّداء [بنت عفيف] : أنتِ غَضَضْتِ مني بآنك أُمِّي ، وأَهْلَكْتِني وقتَلْتِني . فتقول له : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّي من قريش ما وَلِيَّ الخلافة غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغاناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقَيّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأَقَسَمَ : لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

[روايات أخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجي.]

وذكر إسحاق في خبره عن أيّوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجي لآحي مولى كان لأبيه فأمصّه العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأملهه حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كفافاً ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعدّت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه .

وذكر الزبير في خبره عن الضحّاك بن عثمان : أن العرجي كان وكلّ بحرمه مولى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يخالف إليهنّ ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهنّ ، فقتله وأحرقه بالنار . فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام ، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيراً لما ولّاه هشام الحجّ فأحفظه . فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمّه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتم مولاه هذا ، وأنّه طال شتمه إيّاه . فلما أكثر ردّ المولى عليه ، فاختلف من ذلك ، فقال لأشعب : أشهد على ما سمعت . قال أشعب : وعَلامَ أشهد ؟ قد شتمته ألفاً وشتمك واحدة ، والله لو أن أمك أم الكتاب ، وأمّه حمالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجي]

قال الزبير وحدثني حمزة بن عتبة اللّهيّ قال : لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميريّ ، فجلدهما ، وصبّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلس في الخناطين¹ بمكة ؛ فجعل العرجي يُنشد : [من الوافر]

سينصُرني الخليفةُ بعد ربّي ويغضب حين يُخبر عن مساقبي
عليّ عِباءةٌ بَلقاءٍ ليستُ مع البَلوى تُغيّبُ نصفَ ساقبي
وتغضب لي بأجمعها قُصيّ قَطِينُ البيتِ والدُّمُثُ الرِّقَاقِ

ثم يصيح : يا غرير أجّاد ، يا غرير أجّاد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخلّيطاً . وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها² : [من الوافر]

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوَراءِ بِكَرٍ ألُوفُ السِّتْرِ واضِحَةُ التَّرَاقِي
بَكَتْ جَزَعاً وَقَدْ سُمِرَتْ كُبُولٌ وَجامِعَةٌ يُشَدُّ بِها خِناقِي³
على دَهْماءِ مُشْرِفةٍ سَمُوقٍ ثَناها القَمَحُ مَرَلَقَةٌ المَراقِي⁴
عليّ عِباءةٌ بَلقاءٍ ليستُ مع البَلوى تُغيّبُ نصفَ ساقبي

1 الخناطون : باعة الخنطة ، وقوله في الخناطين يعني السوق الخاصة بهم .

2 ديوان العرجي : 135-137 .

3 الجامعة : الغلّ .

4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كَأَنَّ عَلَى الْخُدُودِ وَهْنَ شُعْتُ سِجَالُ الْمَاءِ يُبْعَثُ فِي السَّوَاقي
فَقُلْتُ تَجَلُّدًا وَحَلَفْتُ صَبْرًا أَبَالِي الْيَوْمَ مَا دَفَعْتُ مَاقِي
سَيَنْصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبِرُ عَنْ مَسَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَعِهَا قُصَيٌّ قَطِينُ الْبَيْتِ وَالْدُّمَثُ الرِّقَاقِ
بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ إِذَا تَنَحَّى لِغَامِ النَّاسِ فِي الشُّعْبِ الْعِمَاقِ

قال : فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به : يا غرير أجباد ، يا غرير أجباد ، يعني بني مخزوم ، وكانت منازلهم في أجباد ، فغيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح . وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مرَّ بالعرجي وهو واقف على البلس ومعه ابن غرير وقد جُلدا وحلَّقا وصُبَّ الزيت على رؤوسهما والبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعرجي ، وكان فأفأء ، فوقف عليه فأراد أن يتوجَّع لما ناله ويدعوه ، فلجَّحَ لما كان في لسانه كما يفعلُ الأفأء . فقال له ابن غرير : عني ، لا أخرجت من فيك أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذا لا برحت منه أبداً .

قال : ومرَّ به صبيان يلْقُطُون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غرير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْنِ أَشْأَمَ مِنِّي وَمَنكَ ! إِنَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيانَ لَأَهْلُهُمْ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِئَةُ نَوَى ؛ فَقَدْ تَرَكُوا لَقَطَهُمْ لِلنَّوَى ، وَقَدْ وَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَإِلَيْكَ وَيَنْصَرِفُونَ بِغَيْرِ شَيْءٍ فَيَضْرِبُونَ ، فَيَكُونُ شَوْمُنَا قَدْ لَحَقَهُمْ . قال : وقال العرجي في حبسه¹ :

[من الوافر]

صوت

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرٍ
وَصَبِرٍ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْمَنَايَا وَقَدْ شَرِعْتُ أَسْتَهْأَ بَنَحْرِي
أَجَرُّرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ فَيَا لِلَّهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرُو

[أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّخَّافُ قال حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بْنُ الْمُحَرِّزِ الْبَاهِلِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ جَارٌ بِالْكُوفَةِ يَغْنِي ، فَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ وَقَدْ سَكِرَ يُغْنِي فِي غُرْفَتِهِ ، وَيَسْمَعُ أَبُو حَنِيفَةَ غِنَاءَهُ فَيُعْجِبُهُ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَغْنِي :

[من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر
فلقيته العسس ليلة فأخذه وحبس . ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ
فأخبر ؛ فدعا بسواده وطويلته فلبسهما ، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له : إن لي جاراً
أخذه عسسك البارحة فحبس ، وما علمت منه إلا خيراً . فقال عيسى : سلّموا إلى أبي حنيفة
كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً . فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له
سراً : ألسنت كنت تغني يا فتى كل ليلة : [من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرمت ، أحسن الله جزاءك .
قال : فعُدْ إلى ما كنت تغني ؛ فإنني كنت آنسُ به ، ولم أرَ به بأساً . قال : أفعلُ .
[عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجي «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لما حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكثر التمثّل بقول
العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا عندنا أثر من نفسه .

[حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني : [من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر

فقلت له : أمّا سداد الكنيف فأت مليّ به . وأمّا الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنتُ
حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عني مليّاً ، ثم أقبل عليّ فأنشد متمثلاً : [من الطويل]

وأكرم نفسي إنني إن أهنّتها وحقّك لم تكرّم على أحدٍ بعدي

قال فقلت له : والله ما يكون من الهوانِ شيء أكثر ممّا بذلتها له ، فبأي شيء أكرمتها ؟
فقال : بلى ، والله إنّ من الهوانِ لشيئاً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى
أمثالك من الناس . فانصرفت عنه أخزى الناس . قال محمد بن مزيد : فحدثني حمادٌ قال قال
لي أبي : اختصر الأصمعيّ ، فيما أرى ، الجواب ، وسرّ أقبحه على نفسه ، وإلاّ فكنّاس
كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيب بمثله
الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضطِغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبُلِّغه عنه في حياة هشام ، فلما وَلِيَ الخِلافة قَبَضَ عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسَّياط . فقال له محمد : أسألك بالقَرابة . قال : وأيُّ قرابة بيني وبينك ؟ وهل أنت إلا من أشجَع ؟ قال : فأسألك بصهر عبد الملك . قال : لم تحفظه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم أن يُضْرَبَ قرشيٌّ بالسَّياط إلا في حَدٍّ . قال : ففي حَدٍّ أَضْرَبُكَ وَقَوْدٍ ، أنت أولُ من سَنَّ ذلك على العرجيِّ ، وهو ابن عمِّي وابنُ أمير المؤمنين عثمان ، فما رَعَيْتَ حقَّ جدِّه ولا نسبه بهشام ، ولا ذكرتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا وليُّ ثأره ، اضْرِبْ يا غلام ؛ فضربهما ضرباً مبرِّحاً ، وأثَقِلَا بالحديد ، ووجَّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يَتَلَفَا ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالدَ القسريِّ ، ونفسك نفسك إن عاش أحدُ منهما . فعذبَهما عذاباً شديداً ، وأخذَ منهما مالا عظيماً حتى لم يبقَ فيهما موضعٌ للضَّرْب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بِلِحِيته فجذبوه بها . ولما اشتدَّت عليهما الحال ، تحامَل إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالدُ القسريُّ معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر :

قد راح نحو العراقِ مشخِلبه	قصارُه السَّجَنُ بعده الخَشِيبه ¹
يركبها صاغراً بلا قَتَبٍ	ولا خِطامٍ وحولَه جَلَبه
فَقُلْ لدَعَجاءٍ إن مررتَ بها	لن يُعْجِزَ اللهُ هاربٌ طَلَبه
قد جعلَ اللهُ بعدَ غَلَبَتِكُم	لنا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أُسَدٍ	ولا إلى نَوَفَلٍ ولا الحَجَبه
لكنَّما أشجَعُ أبوك سَلِ الد	كَلْبِي لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبه

[الرشيد وإسحاق حين غناه بيت العرجي]

قال إسحاق في خبره : غَيَّتْ الرشيدَ يوماً في عُرْضِ الغناء :

أضاعوني وأَيَّ فتى أضاعوا ليومَ كرهيةٍ وسِدادٍ نَغَرٍ
فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجيُّ ؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن

1 مشخلبة : أداة تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمَّى الجارية مسخلبة بما عليها من الحلي أو الخرز .
والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرّ منه شيء * . فأتبعتهُ بحديث مقتلِ ابني هشام ، فجعل وجهه يُسفر
 وغيظه يسكن . فلما انقضى الحديث ، قال لي : « يا إسحاق ! والله لولا ما حدثتني به من
 فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أمثال بني مخزوم إلا قتلتهُ بالعرجي .
 والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه :
 [من الطويل]

صوت

إذا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أمَّ مالكٍ	فشأن المنايا القاضياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتنقضي	وحُبُّك ما يزدادُ إلاّ تماديا
خليليّ إن دارتْ على أمَّ مالكٍ	صُرُوفُ الليالي فابغيا لي ناعيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعجلٍ	ولا لبقاء تنظران بقائيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يروي البيت الأوّل منها لقيس بن الحداية وهو جاهليّ .
 والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حبش وابن المكيّ أنّ فيه لإسحاق لحناً آخرَ من
 الثقيل بالخنصر والبنصر .

الفهرس

- مقدمة التحقيق : أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني 5
- I - أبو الفرج 5
- 1 - توطئة موجزة 5
- 2 - متى ولد علي بن الحسين ؟ 5
- 3 - النسبة إلى أصفهان 6
- 4 - تشيع أبي الفرج 6
- 5 - المرحلة البغدادية 6
- 6 - وفاة أبي الفرج 8
- II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني 9
- 1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه 9
- 2 - كتب في الأنساب 10
- 3 - مؤلفات في مجالات أخرى 10
- 4 - دواوين جمعها 10
- 5 - كتاب الأغاني الكبير 10
- المصادر والمراجع 16
- المراجع الحديثة 16
- مقدمة المؤلف 23
- [1] - ذكر المائة الصوت المختارة 27
- [2] - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة [. 30
- [3] - خبر أبي قطيفة ونسبه 31
- [4] - ذكر معبد وبعض أخباره 46
- [5] - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه 62
- [6] - أخبار ابن سريج ونسبه 167
- [7] - ذكر نصيب وأخباره [-108هـ] 214
- [8] - أخبار ابن مُحَرز ونسبه 245
- [9] - أخبار العَرَجِيّ ونسبه 249

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ʿALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ʿAbbās
Dr. Ibrāhīm al-Saʿāfīn and Bakr ʿAbbās

Vol. 1

DAR SADER
Beirut

حجاب الغافل

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عبيد الله

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكرة عبيد الله

دار طائر

بيروت

کتاب الہامی

2

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور احسان عباس

الدكتور ابراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

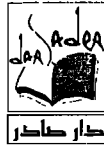
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تحريه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممعطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص. ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[10] - أخبار مجنون بني عامر ونسبه¹

إسبه وتصحيح اسمه |

هو ، على ما يقوله من صحَّح نسبه وحديثه ، قيسٌ ، وقيل : مهديّ ، والصحيح [أنه] قيسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن عُدَس² بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومن الدليل على أن اسمه قيسٌ قولُ ليلي صاحبه فيه : [من الطويل]

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرةٌ متى رَحَلُ قيسٍ مُستَقِلٌ فراجعٌ
وأخبرني الحسن بن علي³ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مَنْ لا أُحْصِي يقول :
اسم المجنون قيسُ بن الملوّح .

| كانت له لؤثة ولم يكن مجنوناً |

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ ، وأخبرني الجوهريّ عن عمر بن شبة أنّهما سَمِعَا الأصمعيّ يقول ، وقد سئل عنه : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لؤثة كلؤثة أبي حيّة النُميريّ .

[اختلاف الرواة في وجوده]

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شبة عن الحزاميّ قال حدّثني أيوب بن عباية قال : سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه .

وأخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن ذأب⁴ قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً ؟ قال : أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى

1 مجنون بني عامر : لا فائدة في الإحالة على مصادر لترجمته ، ففي كتب أخبار العشاق مثل : مصارع العشاق وتريين الأسواق ، وكتاب الشوق والفراق ، لابن المرزبان ، وفي الزهرة لابن داود الظاهريّ وخزانة الأدب 4 : 229-233 وغيرها أخبار وأشعار له ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستار فراج ، وتلك مغامرة لا تحمد آثارها في الدارسين (طبعة مكتبة مصر ، القاهرة) على أنّه حاول - رحمه الله - استقصاء المراجع في تخريج الشعر وإثبات الروايات المختلفة . وقال الجاحظ (البيان والتبيين 4 : 22) وأما مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ ، وهو الذي يقال له : مجنون بني عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجنّهما بعشيقتهما كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة . وقال أيضاً : ومن المجانين مهدي بن الملوّح الجعدي ، وهو مجنون بني جعدة .

2 ل : بن قيس بن عدي .

3 ل : وأخبرني الحرمي .

4 ابن ذأب اسمه عيسى بن يزيد .

نَروي أشعار المجانين ؟ إنَّهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنَّما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنَّما يكون هذا في هذه اليمانية الضَّعاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولُها ، الصَّعَلَةُ رؤوسها ، فأما نزار فلا .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول : رجلان ما عُرِفا في الدنيا قطُّ إلاَّ بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القرية ، وإنَّما وضعهما الرواة .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبة قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد عن الحزامي قال : ولم أسمع من الحزامي فكتبته عن ابن أبي سعد قال أحمد : وحدَّثنا به ابن أبي سعد عن الحزامي قال حدَّثنا عبد الجبار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مُساحق عن أبيه عن جدِّه قال : سمعتُ² على بني عامر فرأيتُ المجنون وأتيتُ به وأنشدني .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد السُّكَّري قال حدَّثنا إسماعيل بن مُجمَّع عن المدائني قال : المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحبُ ليل قيس بن مُعاذ من بني عامر ، ثم من بني عُقيل ، أحد بني نُمير بن عامر بن عُقيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مهدي بن الملوَّح من بني جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[قيل إنَّ فتى من بني أُمَيَّة وضع حديثه وشعره ونسبه إليه]

وأخبرني عمِّي عن الكُراني قال حدَّثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي قال³ : حدَّثتُ أنَّ حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أُمَيَّة كان يهوى ابنة عمِّ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه .

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسديَّ قالا : حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : اسم المجنون قيس بن مُعاذٍ أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وأخبرني أبو سعد الحسن بن علي بن زكريَّا العدويَّ قال حدَّثنا حماد بن طالوت بن عبَّاد : أنَّه سأل الأصمعيَّ عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لُوثَةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها ليلي ، واسمه قيس بن مُعاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني عن أبيه أنَّ اسمه قيس بن مُعاذ .

1 رأس صعل : صغير .

2 سعى على القوم : عمل ساعياً أي جابياً للزكاة .

3 انظر الخزائن : 4 : 229 .

4 عثمان بن طالوت .

وذكر شُعَيْب بن السَّكَن عن يونس النَّحْوِيّ أَنَّ اسمه قيس بن الملوّح . قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي : وحدَّثني رجل من أهل اليمن أَنَّهُ رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أَنَّهُ¹ قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبي أَنَّهُ قيس بن الملوّح ، وحدَّث أَن أَباه مات قبل اختلاطه² ، فعقّر على قبره ناقته وقال في ذلك : [من الطويل]

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي بذِي السَّرْح³ لما أَن جفاه الأقاربُ
وقلتُ لها كُونِي عَقِيْرًا فَإِنِّي غداً راجلٌ أمشي وبالأمسِ راكبُ
فلا يُعِدُّنَكَ اللهُ يا ابن مُزاحمٍ فكلُّ بكأس الموت لا شكَّ شاربُ⁴

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي وأبو عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى أَنَّ اسمه الْبُخْتَرِيّ بن الجَعْد . وذكر مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ والرياشي وأبو العالية أَنَّ اسمه الْأَقْرَع بن مُعَاذ . وقال خالد بن كلثوم : اسمه مهديُّ بن الملوّح .

وأخبرني الْأَخْفَش عن السُّكْرِيّ عن أَبِي زياد الْكِلَابِيّ⁵ ، قال : ليلي صاحبة المجنون هي ليلي بنت سَعْد بن مَهْدِيّ بن رَبِيعَة بن الْحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعَة بن عامر بن صعصعة . أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ ، قال حدَّثنا أَبُو قِلَابَة الرَّقَاشِيّ⁶ ، قال حدَّثني عبد الصَّمَد بن الْمُعَدَّل ، قال : سمعتُ الْأَصْمَعِيّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول : لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لُوثَةٌ ، وهو القائل⁷ :

أُخِذْتُ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا ضَنْتُ مُحَاسِنُهُ بِحُسْنِهِ
كَأَدَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُوزُ قَرْنِهِ

[لقب بالمجنون كثير غيره وكلهم كان يشب بليل]

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جَمِيل الْعَتَكِيّ قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا الْأَصْمَعِيّ قال : سألتُ أَعْرَابِيًّا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامريّ فقال : عن أيَّهم تسألني ؟

1 في ل : فعرفه أَنَّهُ .

2 اختلاطه : تغيّر عقله .

3 ذو السرح : واد بنجد .

4 لا شك في ل : لا بدّ .

5 أبو زياد الكلابي : اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث عاش في أوائل الدولة العباسية وكان شاعراً وعالماً باللغة .

6 أبو قلابَة الرقاشي ، هو عبد الملك بن محمد الرقاشي .

7 ديوان المجنون : 281 .

فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي كان يُشَبَّب بليلي ، فقال : كلُّهم كان يُشَبَّب بليلي ، قلتُ : فأنشدني لبعضهم ، فأنشدني لمُزاحم بن الحارث المجنون¹ :

ألا أيُّها القلبُ الذي لَجَّ هائِماً بلَيْلى وليداً لم تُقَطِّعْ تَمائِمةً
أَفَقٌ قد أَفاقَ العاشِقون وقد أَنى لكَ اليومَ أن تَلْقَى طَبِيباً تَلائِمةً
أَجِدْكَ لا تُنْسِيكَ لَيْلى مُلِمةً تُلِمْ ولا عَهْدٌ يَطُولُ تَقادُمةً

قلت : فأنشدني لغيره منهم ، فأنشدني لمُعاذ بن كُلَيْب² المجنون :

ألا طالما لاعتَبْتُ لَيْلى وقادني إلى اللّهُو قلبٌ لِلحِسانِ تَبوعُ
وطال امتراءُ الشوقِ عينيَ كلِّما نَزَفْتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُموعُ
فقد طال إمساكي على الكَيْدِ التي بها مِن هوى لَيْلى العَدَاةِ صُدوعُ

قلتُ : فأنشدني لغير هذين مَن ذَكَرْتَ ، فأنشدني لمَهْدِي بن الملوِّح :

لو أَنَّ لَكَ الدنيا وما عُدِلَتْ به سِواها ولىلٍ بائِنٌ عَنكَ بَيْنُها³
لَكُنْتَ إلى لَيْلى فقيراً وإنما يَقودُ إِلَيْها وُدٌّ نَفْسِكَ حَيْنُها

قلتُ له : فأنشدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنَّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال قال ابن الأعرابي : كان مُعاذ بن كُلَيْب مجنوناً ، وكان يُحِبُّ لَيْلى ، وَشَرِكَه في حُبِّها مُزاحم بن الحارث العُقَيْلي ، فقال مُزاحمٌ يوماً للمجنون :

كِلانا يا مُعَاذُ يُجِبُّ لَيْلى بَفِيٍّ وفِيكَ مِن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكُكَ في هوى من كان حَظِّي وحَظُّكَ مِن مودَّتِها العَذابُ
لقد خَبَلْتُ فَوادَكَ ثُمَّ نَتَّ بقلبي فهو مَخْبُولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنَّه لما سمع هذه الأبيات التَّيسَ وخولط في عقله . وذكر أبو عمرو الشَّيباني : أنَّه سمع في الليل هاتِفاً يَهْتِفُ بهذه الأبيات ، فكانت سبب جنونه .

1 ديوان مجنون ليلي : 248 .

2 هذه الأبيات لمُعاذ بن كُلَيْب ، ولكنها موجودة في ديوان المجنون أيضاً .

3 بائِنٌ في ل : حائِنٌ .

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي عن أيوب بن عباية : أنَّ فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون ، وأتته عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر ، فحمله الناس وزادوا فيه .
[إنكار وجوده والقول بأن شعره مولد عليه]

وأخبرني عمي عن الكرائي عن العُمري عن العُتيبي عن عَوانة أَنَّهُ قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب ، فسئل مَنْ قال هذه الأشعار ؟ فقال : فتى من بني أمية .

وقال الجاحظ¹ : ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في لئلي إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شعراً هذه سبيله قيل في بُنَي إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح .

وأخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المدني² قال حدثني الحكم بن صالح قال : قيلَ لرجل من بني عامر : هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنما يقتلُ العشقُ هذه اليمانية الضعاف القلوب .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال حدثني مَنْ سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرفه .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي أَنَّهُ ذكر عن جماعة من بني عامر أَنَّهُم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه ، وذكروا أنَّ هذا الشعر كله مؤلَّد عليه .

أخبرني أحمد بن عبَّيد الله بن عَمَّار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحكم عن عَوانة قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العقب صاحبُ قصيدة الملاحم³ ، وابن القرية⁴ ، ومجنون بني عامر .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرباشي قال سمعتُ الأصمعي يقول : الذي أُلقيَ على المجنون من الشعر وأُضيفَ إليه أكثرُ مما قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال :

1 هذا القول مهمٌ للدارس ، وهو منطلق لتصحيح الدراسة في المجنون وشعره ؛ وقد ردّد هذا القول البغدادي في الخزانة 4 : 229 .

2 أبو أيوب المدني : هو سليمان بن أيوب بن محمد المدني (أي من أهل المدينة) .

3 قصيدة الملاحم : قصيدة يزعم فيها صاحبها أَنَّهُ سينبئ عما سيجري من أحداث في المستقبل .

4 له محاورات مع الحجاج ، يبدو أنَّ معظمها موضوع .

أنشدتُ أَيُوبُ بن عباية هذين البيتين¹ :

وخبَرْتُماني أَنَّ تيماءَ منزلٌ لِّلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ ألقى المَراسيا
فهذي شهورُ الصَّيفِ عَنَّا قد انقضتْ فما لِلنَّوَى تَرَمِي بِلَيْلَى المَراسيا
وسألته عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إِنَّ الناسَ يروونهما للمجنون ، فقال :
وَمَن هو المجنون ؟ فأخبرته ، فقال : ما لهذا حقيقة ولا سمعتُ به .

وأخبرني عَمِّي عن عبد الله بن شبيب عن هارون بن موسى الفَرَوِيَّ قال : سألت أبا بكر
العدَوِيَّ عن هذين البيتين فقال : هما لجميل ، ولم يَعْرِفِ المجنون ، فقلتُ : فهل معهما غيرهما ؟
قال : نعم ، وأنشدني :

وإني لأخشى أن أموتَ فجاءةً وفي النفس حاجاتُ إليك كما هيأ
وإني لِنُسيبي لِقاؤكِ كلَّما لِقيتُكِ يوماً أنْ أبشُكَ ما بيأ²
وقالوا به داءُ عيَاءٍ أصابه وقد علِمْتُ نفسي مكانَ دواييا
وأنا أذكرُ ما وقع إليَّ من أخباره جُملاً مستحسنَةً ، مُتَبَرِّئاً من العهدة فيها ، فإنَّ أكثر
أشعاره المذكورة في أخباره ينسبُها بعضُ الرُّواةِ إلى غيره وينسبُها مَنْ حَكَيْتُ عنه إليه ، وإذا
قدِّمْتُ هذه الشريطة برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَّبِعٍ للعيوب³ .
[بدء تعشقه ليلي]

أخبرني بخبره في شَعْفِهِ بليلى جماعةٌ من الرُّواةِ ، ونسختُ ما لم أسمعهُ من الروايات
وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتَّسقَ ولم يَخْتَلِفْ ، فإذا اختلفَ نَسَبْتُ كلَّ روايةٍ إلى راويها .
فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المَهَلَّبِيُّ ، قالوا :
حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أَيُوبَ عن ابنِ قُتَيْبَةَ ، ونسختُ أخبارَهُ من رواية
خالد بن كُلْثُومٍ وأبي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي وابنِ دُأْبٍ وهِشامِ بن محمد الكَلْبِيِّ وإسحاق بن
الجَصَّاص وغيرهم من الرُّواةِ .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلي بنت مَهْدِيَّ بن سَعْدِ بن
مهديّ بن ربيعة بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتُكنى أُم مالك ، وهما
حينئذٍ صبيان ، فعَلِقَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه وهما يرعيانِ مواشيَ أَهْلِهِما ، فلم يَزالا كذلك
حتى كبرا فَحُجِبَتْ عنه ، قال : ويدلُّ على ذلك قوله :

[من الطويل]

1 بشأن ما يرد من الأبيات الياثية المنسوبة للمجنون انظر القصيدتين رقم 307 و308 في ديوانه .

2 ل : ليشيني .

3 تأمل تخرج أبي الفرج في هذا الموضع .

صوت

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ ذُوَابَةٍ وَلَمْ يَبْدُ لِلْأُتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمٌ¹
صَغِيرَيْنِ نَزَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبَهْمُ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلْأَخْضَرِ الْجُدِّيِّ لَحْنٍ مِنْ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى ، ذَكَرَهُ هَارُونَ بْنُ
مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَالْهَشَامِيُّ .

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عُبَايَةَ وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ
بَعِينَهُ مِنْ خَطِّ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ
حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَتَّابٍ الْبَصْرِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ : بَيْنَا ابْنُ
مُلَيْكَةَ يُؤَذِّنُ إِذْ سَمِعَ الْأَخْضَرَ الْجُدِّيَّ يُغَنِّي مِنْ دَارِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَعَلَّقْتُهَا غَرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبٍ وَلَمْ يَبْدُ لِلْأُتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمٌ
صَغِيرَيْنِ نَزَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبَهْمُ
قَالَ : فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ : حَيٍّ عَلَى الْبَهْمِ ، حَتَّى سَمِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَعَدَا
يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : حَدَّثَنِي مَعْرُوفُ الْمَكِّيُّ وَالْمُعَلَّى بْنُ هِلَالٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْجَصَّاصِ قَالُوا :
كَانَ سَبَبُ عَشْقِ الْمَجْنُونِ لَيْلَى ، أَنَّهُ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ كَرِيمَةٍ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مِنْ حُلَلِ
الْمُلُوكِ ، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا : كَرِيمَةٌ ، وَعِنْدَهَا جَمَاعَةٌ نَسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ فِيهِنَّ لَيْلَى ،
فَأَعْجَبَهُنَّ جَمَالُهُ وَكَمَالُهُ ، فَدَعَوْنَهُ إِلَى النَّزُولِ وَالْحَدِيثِ ، فَتَزَلَّ وَجَعَلَ يُحَدِّثُهُنَّ وَأَمَرَ عَبْدًا لَهُ
كَانَ مَعَهُ فَعَقَّرَ لَهْنَ نَاقَتَهُ ، وَظَلَّ² يُحَدِّثُهُنَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَتَى عَلَيْهِ
بُرْدَةٌ مِنْ بُرْدِ الْأَعْرَابِ يَقَالُ لَهُ : «مُنَازِلُ» يَسُوقُ مِعْزَى لَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَقْبَلْنَ عَلَيْهِ وَتَرَكْنَ
الْمَجْنُونَ ، فَغَضِبَ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدَهُنَّ وَأَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَعْقِرُ مِنْ جَسَرٍ كَرِيمَةٍ نَاقَتِي وَوَصِّلِي مَفْرُوشٌ لِيُوصَلَ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضِي صَوْتَ تِلْكَ الْخِلَاحِلِ
مَتَى مَا انْتَضَلْنَا بِالسَّهَامِ نَضَلْتُهُ وَإِنْ نَزَمَ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي³
قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ لَيْسَ حُلَّتُهُ ، وَرَكِبَ نَاقَةً لَهُ أُخْرَى وَمَضَى مُتَعَرِّضًا لَهْنَ ، فَأَلْفَى لَيْلَى

1 في رواية : وهي ذات تمائم .

2 ل : وجعل .

3 انتضلا : تباريا في رمي السهام .

قاعدةً بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته ، وعندها جَوَّيرياتٌ يتحدثُنَ معها ، فوقف بهنَّ وسلَّم ، فدَعَوَنَه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَنْ لا يشغله عنك مُنازِلٌ ولا غيره ؟ فقال : إي لَعَمْرِي ، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجعلت تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّثُ غيره ، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها ، فبينما هي تُحدِّثُه ، إذ أقبل فتى من الحيّ فدعته وسارته سِراراً طويلاً ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانتقع¹ لونه وشقَّ عليه فعلها ، فأنشأت تقول :

كيلانا مظهر للناس بغضاً وكلُّ عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبن ثم هوى دفين

فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهَقَةً شديدةً وأغميَ عليه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونَضَحوا الماء على وجهه [حتى أفاق] وتمكَّن حبُّ كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلٌّ مَبْلَغ .

[خطبته لليلي واختيارها عليه غيره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدَّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المَخْزومي عن أبي الهيثم العقيلي قال : لما شهِر أمر المجنون وليلي وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها ورَدَّ بن محمد العقيلي وبذل لها عَشْرًا من الإبل ورَاعِيها ، فقال أهلها : نحن مُخَيَّروها بينكما ، فمَنْ اختارت تزوجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري ورَدًا لَنُمَثِّلَنَّ بِكَ ، فقال المجنون² :

ألا يا لَيْلَ إن مُلِّكْتَ فينا خياركِ فانظري لِمَن الخيارُ
ولا تَسْتَبْدِلِي مِنِّي دَنِيًّا ولا بَرَمًا إذا حُبَّ القُتَارُ³
يُهرُّول في الصغير إذا رآه وتُعْجِزُه مُلِمَّاتُ كِبَارُ
فمثل تأيَّم منه نكاح ومثل تَمَوَّلٍ منه افتقارُ
فاختارت ورَدًا فتزوجته على كُرِّه منها .

1 انتقع لونه : تغيَّر .

2 ديوان مجنون ليلي : 122-123 وينسب البيتان للعباس بن الأحنف .

3 البرم : اللئيم ، والأصل وصف للذي لا يدخل مع القوم في الميسر . القُتار : رائحة اللحم المشوي .

[حكاية أبيه عن جنونه بليلي]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالاً : حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمار بن خريم¹ المُرِّي قال : خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنون ، فدللتُ عليه وعلى مَحَلَّتِهِ ، فلقيتُ أباه شيخاً كبيراً وحوله إخوة للمجنون مع أبيهم رجالاً ؛ فسألتهم عنه فبَكَوه ، وقال الشيخ : أما والله لهُوَ كان آثر عندي من هؤلاء جميعاً ، وإنه عَشِيقُ امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله ، فلما فشا أمرُهُ وأمرُها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرها ، فزوجهَا غيره ، وكان أول ما كَلِفَ بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدثون كما يتحدث الفتيان ، وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيقيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضةً ، فتعرض عنه وتقبل على غيره ، وقد وقع له في قلبها مثلٌ ما وقع لها في قلبه ، فظننتُ به ما هو عليه من حبها ، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَّتْ فقالَت : [من الوافر]

صوت

كلانا مُظْهِرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبه مَكِينٌ
وأسرارُ الملاحِظِ ليس تخفَى إذا نطقتُ بما تُخفي العيون²

غنت في الأول عَرِيبٌ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إن هذا الغناء لشارية ، والبيت الأخير ليس من شعره ، قال : فخرٌ مغشياً عليه ثم أفاق فاقدأ عقله ، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرَّقه ولا يمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظام حوله ، فإذا ذكرتُ له ليلي أنشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يُخطئ حرفاً ، وترك الصلاة ، فإذا قيل له : ما لك لا تُصلي ! لم يُردَّ حرفاً ، وكنا نحبسه ونُقَيِّده ، فَيَعُضُّ لسانه وشفته ، حتى خشينا عليه فخلينا سبيله فهو يهيم .

[قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف]

قال الهيثم : فولَّى مروان بن الحَكَمَ عمرَ بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقُشَيْرَ وجَعْدَةَ والحريش وحبيبَ وعبد الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه³ فكلَّمه وأنشده فأعجَبَ به ، فسأله أن يخرج معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلما أراد الرُّواحُ جاءه قومه فأخبروه خبره وخبرَ ليلي ، وأنَّ أهلها استعدَّوا السلطان عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عمَّا وعده وأمر له بقلائص ، فلما علم بذلك وأتى بالقلائص ردَّها عليه وانصرف .

1 هو حريم (بالحاء المهملة) في تاريخ الطبري .

2 الشطر الثاني في ل : وقد تغرى بذوي اللحظ الظنون .

3 ل : يستحكم جبه .

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة : أنَّ المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به ، قال له : أكون معك في هذا الجَمْع الذي تجمعه غداً ، فأرى في أصحابك ، وأتجمل في عشيرتي بك ، وأفخر بقربك ، فجاءه رَهْطٌ من رهط لَيْلى وأخبروه بقصته ، وأنه لا يريد التجمل به ، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها ، وأنهم قد شكّوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم ، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقتلهم ، فردّها وقال [في ذلك] : [من الوافر]

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقَرْشِيِّ لَمَّا بدا لي النقصُ منه لليهود
وراحوا مُقْصِرِينَ وَخَلْفُونِي إلى حُزْنٍ أَعَالِجُهُ شَدِيدٍ

[نوفل بن مساحق يتوسط للمجنون]

قال : ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى ، قال : فلم تزل تلك حاله ، إلّا أنّه غير مستوحش ، إنّما يكون في جنّات الحيّ منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلّا خرّقه ، ويَهْدِي ويُخْطِطُ في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يُجيب أحداً سألَه عن شيء ، فإذا أحبّوا أن يتكلّم أو يثوب عقله ذكروا له ليل ، فيقول : بأبي هي وأمّي ، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيّبهم ، ويأتيه أحداث الحيّ فيحدّثونه عنها ويُنشِدونه الشعر الغزل ، فيجيبهم جواباً صحيحاً ويُنشدهم أشعاراً قالها ، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفل بن مساحق ، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان ، فقال لغلام له : يا غلام ، هاتِ ثوباً ، فأتاه به ، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل ، فقال له : أتعرفه جُعِلْتُ فِدَاكَ ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن سيّد الحيّ ، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآف ، وإذا طُرِحَ عليه شيء خرّقه ، ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وحدّثه عن أمره ، فدعا به وكلمه ، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به ، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليل ، فذكرها له وسأله عن حبه إياها ، فأقبل عليه يحدّثه بحدِيثها ويشكو إليه حبه إياها ويُنشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحَبِّ صَبْرٌ كَيْفَ مَا أَرَى ؟ قال : نعم ، وسيتهي بي إلى ما هو أشدّ مما ترى ، فعجِب منه وقال له : أَتُحِبُّ أن أزوّجكها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأزغبهم في المهر لها ، قال : أتراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : انظر ما تقول ، قال : لك عليّ أن أفعل بك ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إياها ، وراح معه المجنون كأصحّ أصحابه يحدّثه ويُنشده ، فبلغ ذلك رهطها فتلّقوه في السلاح ، وقالوا له : يا ابن مُسَاحِق ، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت ، فقد أهْدَرْنَا لَنَا السُّلْطَانُ دَمَهُ ،

فَأَقْبَلَ بِهِمْ وَأَدْبَرَ ، فَأَبْتَوْا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ لِلْمَجْنُونِ : انصرف ، فقال له المجنون : والله ما وَفَيْتَ لِي بالعهد ، قال له : انصرافك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سَفْكِ الدماء ، فقال المجنون¹ :

صوت

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخْلَسَ عَقْلُهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ²
خَلِيًّا مِنَ الْخُلَاةِ إِلَّا مُعَذَّرًا يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي³

الغناء للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى من جامع أغانيه : [من الطويل]

إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلٍ عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ رَوَائِعَ عَقْلِي مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبٍ⁴
وَقَالُوا صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفُ جَنَّةٍ وَلَا هَمٌّ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكْذِبِ
وَشَاهَدُ وَجْدِي دَمْعُ عَيْنِي وَحُبُّهَا بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءِ عَظْمِي وَمَنْكِبِي

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبْتُ لَيْلِي أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَّاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ⁵
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ⁶

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وفيه لابن جامع هزج من رواية المشامي وهي قصيدة طويلة .

ومما يُغْنَى فِيهِ مِنْهَا قَوْلُهُ : [من الطويل]

صوت

فَلَمْ أَرْ لَيْلِي بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفٍ مِنْنِي تَرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ⁷
وَيُيَدِّي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

1 ديوان مجنون ليلي : 78-80 وفيه تخريج كثير .

2 تخلّس عقله : أخذ خلسة .

3 المعذّر : المقصر .

4 روائع عقلي في ل : عواذب قلبي .

5 الحب في ل : اليأس .

6 غادرت في ل : أبقيت .

7 بعد في ل : غير .

فأصبحتُ من لَيْلَى الغَدَاةَ كناظرٍ مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مُعَرَّبٍ
ألا إِنَّمَا غادرتِ يا أُمَّ مالِكٍ صَدَى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
فيه ثَقِيلَ أَوَّلٍ مطلقٍ باستهلالٍ ، ذكر ابنِ المَكِّي أَنَّهُ لأبيهِ يحيى ، وذكر الهشامي أَنَّهُ
للوائقِ ، وذكر حبش أَنَّهُ لابنِ محرز ، وهو في جامعِ أغاني سليمان منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّرِيِّ عن محمد بن حبيب للمجنون¹ : [من الطويل]

فواللهِ ثم اللهُ إِنِّي لدائبٌ أَفكَّرَ ما ذَنبِي إليها وأعَجَبُ
وواللهِ ما أدري عَلامَ قتلَتني وأَيَّ أُموري فيكَ يا ليلَ أركبُ
أُقَطِّعُ جِلَّ الوصلِ فالموتُ دونهُ أَمَ اشربُ رَنقا منكم ليس يُشربُ
أَمَ اهربُ حتى لا أَرى لي مجاوراً أَمَ اصنعُ ماذا أَمَ أبوحُ فَأُغَلَبُ
فأيُّهُما يا ليلَ ما ترتضيَنهُ فَإِنِّي لمظلومٌ وإِنِّي لمُعْتَبُ

[حجته مع أبيه لسُلوان ليلي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبِي قالا : حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة
قال : ذكر هشام بن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علي قال
حَدَّثَنَا ابن أبي سعد قال حَدَّثَنِي علي بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبي عن أبيه : أَنَّ أبا المجنون
وأمَّهُ ورجالَ عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلي فوعظوه وناشدوه اللهُ والرَّحِمَ ، وقالوا له : إِنَّ هذا
الرجلَ لَهالِكٌ ، وقبل ذلك ففي أَقبح من الهلاكِ بذهابِ عقله ، وإِنَّكَ فاجعٌ به أباه وأهلُهُ ،
فنشدناكَ اللهُ والرحمَ أن تفعلَ ذلك ، فواللهِ ما هي أشرفُ منه ، ولا لكَ مثَلُ مالِ أبيه ، وقد
حَكَمَكَ في المهرِ ، وإن شئتَ أن يخلعَ نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاقِ أمِّها
إِنَّه لا يزوجه إِيَّاهَا أبداً ، وقال : أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يَأْتِه أحدٌ من العربِ ، وأَسِمُ
ابنتي بميسَمِ فضيحة ، فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فروجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه ،
فما أَمسى إلَّا وقد بنى بها ، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً ، فقال الحيُّ لأبيهِ :
احجُجْ به إلى مَكَّة وادعُ اللهُ عزَّ وجلَّ له ، ومُرهُ أن يتعلَّقَ بأستارِ الكعبة ، فيسألُ اللهُ أن يعافيه ممَّا
به ويُغْفِرَها إليه ، ففعلَ اللهُ أن يُخَلِّصَهُ من هذا البلاءِ ، فحجَّ به أبوه ، فلمَّا صاروا بمِنى سَمِعَ
صائِحاً في الليلِ يَصيحُ : يا ليلي ، فصرخَ صَرَخَةً ظَنُّوا أَنَّ نفسه قد تَلَفَتْ وسقطَ مَغشياً عليه ، فلم
يزلْ كذلك حتى أصبحَ ثم أفاق حائلَ اللونِ ذاهلاً ، فَأَنشَأَ يقولُ² :

[من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلي : 45-46 . والشطر الثاني من البيت الخامس فيه «فأول مهجور وآخر معتب» .

2 ديوان مجنون ليلي : 162 وانظر أيضاً ص 163-164 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لغير المجنون .

صوت

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعِزَاءَ فَقَالَ لِي مِنْ الْآنَ فَيَأْسُ لَا أَعَزَّكَ مِنْ صَبْرٍ
إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَصْبَحَ نَائِيًا فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حُلُولِكَ فِي الْقَبْرِ
وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى فَهَيَّجَ أَطْرَابَ الْفَوَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بَلِيلٌ طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَعِيَهُ وَلَيْلَى بَارِضٍ عَنْهُ نَازِحَةٌ قَفَرٍ

الغناء لعريب خفيف ثقيل ، ثم قال له أبوه : تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلي ، فتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم زدني ليلي حباً وبها كلفاً ولا تنسيني ذكرها أبداً ، فهم حينئذٍ واختلط¹ فلم يضبط² . قالوا : فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفّر منه ، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمرّ به من أحياء العرب عن نجد ، فيقال له : وأين أنت من نجد؟ قد شارفت الشام ! أنت في موضع كذا ، فيقول : فأروني وجهة الطريق ، فيرحونه ويعرضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجه نحوه .

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالَا حدّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال : خرج منّا فتى حتى إذا كان ببئر ميمون² إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال ، وإذا معهم فتى أبيض طوال جعد³ كأحسن من رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصُفرة ، وإذا هم متعلقون به ، فسألت عنه ، فقل لي : هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت ، وهو على نية أن يأتي به قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ليدعوه له هناك لعله يكشف ما به ، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوه ، يقول : أخرجوني لعلني أتنسّم صبا نجد ، فيخرجونه فيتوجهون به نحو نجد ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقِي نفسه من الجبل ، فإن شئت الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجد ، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له : يا أبا المهديّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفّس تنفّسة ظننت أن

1 ل : وخولط .

2 بئر ميمون : بئر في مكة .

3 طوال : زائد في الطول ؛ جعد : شديد الأسر ، غير مضطرب الخلق .

كَبِدُهُ قَدْ انْصَدَعَتْ ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنْ وَادٍ وَادٍ وَمَوْضِعٍ وَمَوْضِعٍ ، وَأَنَا أُخْبِرُهُ وَهُوَ يَكِي
أَحْرَ بَكَاءٍ وَأَوْجَعَهُ لِلْقَلْبِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ¹ :

[من الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ عَوَارِضَتِي قَنًا
وَهَلْ جَارَتَانَا بِالْبَيْتِ إِلَى الْحِمَى
وَعَنْ عُلُويَّاتِ الرِّيحِ إِذَا جَرَتْ
وَعَنْ أَقْحَوَانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
وَهَلْ أَنْفُضَنَّ الدَّهْرَ أَفْنَانٌ لِمَتِّي
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ
لَطُولِ اللَّيَالِي هَلْ تَغَيَّرْنَا بَعْدِي²
عَلَى عَهْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلَى الْعَهْدِ³
بَرِيحِ الْخُرَامِيِّ هَلْ تَهْبُّ عَلَى نَجْدِ⁴
إِذَا هُوَ أُسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى جَعْدِ⁵
عَلَى لَاحِقِ الْمَتْنِينِ مُنْدَلِقِ الْوُخْدِ⁶
تَحَدَّرُ مِنْ نَشْرِ خَصِيبٍ إِلَى وَهْدِ⁷

[سؤاله زوج ليل عن عشرته معها]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ وَالْعُتَيْبِيِّ قَالَا⁸ : مَرَّ
الْمَجْنُونُ بِزَوْجٍ لَيْلِي وَهُوَ جَالِسٌ يَصْطَلِي فِي يَوْمٍ شَاتٍ ، وَقَدْ أَتَى ابْنَ عَمٍّ لَهُ فِي حَيِّ الْمَجْنُونِ
لِحَاجَةٍ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

صوت

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قُبِيلَ الصَّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاها
وَهَلْ رَفَتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلِي رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي نَدَاها

فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِذْ حَلَفْتَنِي فَنَعَمْ ، قَالَ : فَقَبِضَ الْمَجْنُونُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ قَبْضَتَيْنِ مِنَ الْجَمْرِ ، فَمَا
فَارَقَهُمَا حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، وَسَقَطَ الْجَمْرُ مَعَ لَحْمِ رَاحَتَيْهِ ، وَعَضَّ عَلَى شَفْتَيْهِ فَقَطَعَهُمَا ،
فَقَامَ زَوْجٌ لَيْلِي مَغْمُومًا بِفَعْلِهِ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ فَمَضَى .
غَنَّى فِي الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَرَّزٍ ، وَلَحْنَهُ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
الْهَشَامِيِّ .

1 ديوان مجنون ليلي : 123-124 .

2 قنا وعوارضاته : جبال بنجد .

3 البتيل : هو بحسب السياق اسم موضع .

4 علويات الرياح : الرياح اسي تهب من جهة العالية من نجد .

5 الثرى الجعد : الذي أصابه الندى .

6 لاحق المتنين : ضامر . مندلق الوخد : سريع في سيره .

7 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . النشر : المكان المرتفع .

8 الخبر والشعر في خزانة الأدب : 10 : 54-55 .

[مروره بجبلي نعمان ومكثه فيهما إلى هبوب الصبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبیب بن نصر المهلبی قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحكم عن عوانة : إنه حدثه ووافقه ابن نصر وابن حبیب قالوا : إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفاً عليه [من] أن يضيع أو يهلك ، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان ، فقال له بعض فتيان الحي : هذان جبلا نعمان ، وقد كانت ليلي تنزل بهما ، قال : فأبى الرياح يأتي من ناحيتهما ؟ قالوا : الصبا ، قال : فوالله لا أرى هذا الموضع حتى تهب الصبا ، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا ، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول¹ :

صوت

أيا جبلي نعمان بالله خلياً سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها²
أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبد لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس محزون تجلت همومها³

[ارتحال أهل ليلي عن منازلهم وما قاله في ذلك]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسين بن الحرون قال حدثني الكسروي⁴ عن جماعة من الرواة قال : لما منع أبو ليلي المجنون وعشيرته من تزويجه بها ، كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم ، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم ، فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال : الموت أروح لي فليتهم قتلوني ، فلما علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرة منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم ، فارتحلوا عنها وأبعدوا ، وجاء المجنون عشيّة فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلائع ، فقصد منزل ليلي الذي كان بيتها فيه ، فألصق صدره به وجعل يمرغ خديّه على ترابه [ويكي] ، ثم أنشأ يقول ، وذكر هذه الأبيات ابن حبیب وأبو نصر له [بغير خبر]⁵ :

أيا حرجات الحي حيث تحملوا بذي سلم لا جادكن ربيع⁶

1 ديوان مجنون ليلي : 250 .

2 سبيل الصبا في ل : نسيم الصبا .

3 تجلت في ل : تسلت .

4 ل : الكردي .

5 ديوان مجنون ليلي : 190-193 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لقيس بن ذريح .

6 الحرجة : الغيضة .

وَحَيَّمَاتُكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى بَلِيْنٌ بِلَى لَمْ تَبْلَهْنَ رُبُوْعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا يَنْدَمُ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ فَإِنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ¹
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ² إِلَيْكَ ثَنَايَا مَا لَهْنِ طُلُوعُ³

[حديثه مع نسوة فيهن ليل]

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاهما³ أن ليلي وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلة إذا وجدت فرصة لذلك ، فمكث مدة يرأسها في الوفاء وهي تعدّه وتُسوّفه⁴ ، فأتى أهلها ذات يوم والحى خلوف⁵ ، فجلس إلى نسوة من أهلها حجرة⁶ منها بحيث تسمع كلامه ، فحادثهن طويلاً ثم قال : ألا أنشدكن أبياتاً أحدثتها في هذه الأيام ؟ قلن : بلى ، فأنشدهن⁷ :

صوت

يَا لَرَجَالٍ لَهُمْ بَاتَ يَعْرُونِي مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَاذٌ يُبْلِينِي
مَنْ عَاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ يَا بِي فِيمَطْلُنِي ذَنْبِي وَيَلْوِينِي
لَا يُبْعِدُ النِّقْدَ مِنْ حَقِّي فَيَنْكَرَهُ وَلَا يُحْدِثُنِي أَنْ سَوْفَ يَقْضِينِي
وَمَا كَشْكْرِي شَكَرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي وَلَا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِقُنِي⁸
[أطعته وعصيتُ الناسَ كُلَّهُمْ فِي أَمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهُوَ يَعْصِينِي]⁹

قالا : فقلن له : ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته ! وجعلن يتضاحكن وهو يبكي ، فاستحيّت ليلي منهن ورقت له حتى بكت ، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو .
في الثلاثة الأبيات الأول من هذه الأبيات هزج طنبورى للمسدود ؛ قالوا في خبرهما هذا :

1 نفس شعاع : انتشر أمرها فلا تتشدد .

2 أشرفت : ارتفعت . الثنايا : العقاب (ج عقبة) .

3 ل : صنفها .

4 تسوّفه : تماطله .

5 الحى خلوف : غاب عنه الرجال وبقي فيه النساء .

6 حجرة : ناحية .

7 ديوان مجنون ليلي 279 .

8 يوافيني في رواية : يواتيني .

9 هذا البيت لم يرد في ل .

وكان للمجنون ابنا عمّ يأتياه فيحدثانه ويُسلّياه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهديّ ألا تجلس ؟ قال : لا ، بل أمضي إلى منزل ليلى فأتِ رسمه وأرى آثارها فيه ، فأشفي بعض ما في صدري بها ، فقالا له : فنحن معك ، فقال : إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما ، فقاما معه حتى أتى دار ليلى ، فوقف بها طويلاً يتتبع آثارها ويكي ويقف في موضع موضعٍ منها ويكي ، ثم قال¹ :

صوت²

يا صاحبي أَلِمَّا بي بمنزلةٍ قد مرّ حينٌ عليها أيّما حينٍ
إني أرى رجعاتِ الحبّ تقتلني وكان في بدئها ما كان يكفيني
لا خير في الحبّ ليست فيه قارعةٌ كأنّ صاحبها في نزعٍ موتون³
إن قال عدّاله مهلاً فلان لهم قال الهوى غيرُ هذا القولِ يعنيني
ألقي من اليأس تاراتٍ فتقتلني وللرجاء بشاشاتٍ فتحييني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين : إنّ جماعة من بني عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بني عامر بن عُقيل يُقال له : قيس بن معاذ ، وكان يُدعى المجنون ، وكان صاحب غزلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقةٍ له يسيرُ ، فمرّ بامرأةٍ من بني عُقيل يُقال لها : كريمة ، وكانت جميلة عاقلة ، معها نسوةٌ فعرفنه ودعوته إلى النزول والحديث ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطيلسان وقلنسوة ، فنزل فضلٌ يُحدّثهنّ ويُنشدهنّ وهنّ أعجبُ شيءٍ به فيما يرى ، فلمّا أعجبه ذلك منهنّ عقرَ هنّ ناقته ، وقمنَ إليها فجعلنّ يشوين ويأكلنّ إلى أن أمسى ، فأقبل غلامٌ شابٌ حسنُ الوجه من حيّهنّ فجلس إليهنّ ، فأقبلنّ عليه بوجوههنّ يَقُلنّ له : كيف ظلّلتَ يا مُنازلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فعلهنّ غَضِبَ ، فقام وتركهنّ وهو يقول⁴ :

أَعْقِرْ مِنْ جَرًّا كريمةً ناقتي ووَصِّلِي مَفْرُوشَ لَوْضَلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعَقَعَنَ الحُلِيِّ ولم أَكُنْ إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخلِ
قال : فقال له الفتى : هلّمّ تنصارع أو نتناضل ، فقال له : إنّ شئتَ ذلكَ فقمْ إلى حيث لا

1 ديوان مجنون ليلى : 280 .

2 وردت هذه الأبيات في الشعر والشعراء أيضاً .

3 الموتون : المنقطع الوتين .

4 قد مرّ الخبر والشعر في هذه الترجمة عن ابن الكلبيّ من طريق آخر .

تراهنَّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شئت فافعل ، وقال :

[من الطويل]
إذا ما انتَضَلْنَا في الخلاء نَضَلَّتْهُ وإن يَرَمِ رَشَقًا عِنْدَهَا فهو ناضلي
وقال ابن الكلبي في هذا الخبر : فلما أصبح ليسَ حُلَّتْهُ وركب ناقته ومضى مُتَعَرِّضًا لهنَّ ،
فَأَلْفَى ليلي جالسةً بفتاء بيتها ، وكانت معهنَّ يومئذٍ جالسة ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوَيْتُهُ ، وعندها
جَوِيرِيَّاتٌ يُحَدِّثُنَهَا ، فوقف بهنَّ وسلَّم ، فدَعَوْنَهُ إلى النزول وقُلْنَ له : هل لك في محادثة مَنْ لا
يشغله عنك مُنَازِل ولا غيره ؟ قال : إي لعمري ، فنزل وفعلَ فَعَلْتُهُ بالأَمْس ، فأرادت أن تَعْلَمَ هل
لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتُحدِّثُ غيره ، وقد كان
عَلِقَ حُبُّهَا بقلبه وشَغَفَهُ واستمَلَحَهَا ، فبينما هي تُحدِّثُهُ إذ أَقْبَلَ فتى من الحيِّ فدعته فسارَّته سَرَارًا
طويلاً ثم قالت له انصرف ، فانصرف ، ونظرتُ إلى وجه المجنون قد تَغَيَّرَ وامتَقِعَ وشَقَّ عليه ما
فَعَلْتُ ، فَأَنْشَأْتُ تقول :

كلانا مُظْهِرٌ للناسِ بُغْضًا وكلُّ عِنْدَ صاحبه مَكِينُ
تُبَلِّغُنَا العيونُ مَقَالَتَيْنَا وفي القلبين ثَمَّ هَوَى دَفِينُ

[قد نسبت هذا الشعر متقدمًا] فلما سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهَقَةً عَظِيمَةً وأَغْمِيَ عليه
فمكثَ [كذلك] ساعةً ، ونَضَحُوا المَاءَ على وجهه حتى أَفَاقَ ، وتمكَّنَ حُبُّ كُلِّ واحدٍ
منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كُلٌّ مَبْلَغٍ .

حدثني عمِّي عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القُرَشِيِّ قال
حدثنا أبو العالية عن أبي ثُمَامَةَ الجعدي قال : لا يُعْرِفُ فينا مجنونٌ إلَّا قيس بن الملوِّح .
[أتصالة بليلي في صباه]

قال : وحدثني بعض العشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوِّح قبل أن يُخَالِطَ : ما أعجبُ
شيءٍ أَصَابَكَ في وَجَدِكَ بليلي ؟ قال : طَرَقْنَا ذاتَ لَيْلَةٍ أَضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ ، فبعثني
أبي إلى منزل أبي ليلي وقال لي : اطلب [لنا] منه أُدْمًا ، فَأَتَيْتُهُ فوَقَفْتُ على خِيَابَتِهِ فَصَحِبْتُ بِهِ ،
فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طَرَقْنَا ضَيْفَانٌ ولا أُدْمَ عندنا لهم فَأَرْسَلَنِي أباي أَطْلُبُ مِنْكَ أُدْمًا ،
فقال : يا ليلي ، أخرجني إليه ذلك النُّخِي¹ ، فاملئني له إِنْاءَهُ من السمن ، فَأَخْرَجْتُهُ وَمَعِيَ
قَعْبٌ² ، فجعلتُ نَصْبُ السمن فيه وتَنَحَّدْتُ ، فَأُلْهَانَا الحَدِيثَ وهي تَصُبُّ السمن وقد امتلأَ
القَعْبُ ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى استنقعت أَرْجُلُنَا في السمن ، قال : فَأَتَيْتُهُمْ لَيْلَةً ثَانِيَةً

1 النخي : الزق .

2 القعب : القدح الضخم .

أَطْلُبُ نَاراً ، وَأَنَا مُتَلَفَعٌ بِبُرْدٍ لِي ، فَأُخْرِجَتْ لِي نَاراً فِي عُطْبَةٍ¹ فَأَعْطَتْنيهَا وَوَقَفْنَا نَتَحَدَّثُ ، فَلَمَّا احترقت العُطْبَةُ خَرَقَتْ مِنْ بُرْدِي خَرْقَةً وَجَعَلْتُ النَّارُ فِيهَا ، فَكَلَّمَا احترقت خَرَقْتُ أُخْرَى وَأَذْكَيْتُ بِهَا النَّارَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ مِنَ الْبَرْدِ إِلَّا مَا وَارَى عَوْرَتِي ، وَمَا أَعْقِلُ مَا أَصْنَعُ ، وَأُنْشِدُنِي² :

أُمَسْتَقْبِلِي نَفْحُ الصَّبَا ثُمَّ شَائِقِي بِبُرْدٍ ثَنَايَا أُمَّ حَسَّانَ شَائِقُ
كَأَنَّ عَلَى أَثْيَابِهَا الْخَمْرَ شَجَّهَا بماء الندى من آخر الليل غَابِقُ³
وَمَا شِمْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرُساً كما شيم في أعلى السحابة بارِقُ⁴
ومن الناس من يروي هذه الأبيات لُنَصِيبٍ ، ولكن هكذا رُوي في [هذا] الخبر .

[حدث الأصمعي أنه لم يكن مجنوناً وروى من شعره]

أخبرنا محمد بن خلف وَكَيْعٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ ، وَ[قد] تَذَاكَرْنَا مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ قَالَ : هُوَ قَيْسُ بْنُ مَعَاذِ الْعَقِيلِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَكُنْ مَجْنُوناً إِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لُوثَةٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ : [من مجزوء الكامل]
أَخَذْتُ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا ضَنْنْتُ مُحَاسِنَهُ بِحُسْنِهِ
كَأَدَّ الْغَزَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُوزُ قَرْنِهِ

قال : وهو القائل :

[صوت]

وَلَمْ أَرْ لَيْلٍ بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفٍ مِئْنَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُخَصَّبِ
وَيُؤَيِّدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَأُصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، ابْتِدَاؤُهُ نَشِيدٌ مِنْ صِنْعَةِ الْوَائِقِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ . وَذَكَرَهُ ابْنُ الْمَكِّيِّ لِأَبِيهِ يَحْيَى . وَهُوَ فِي جَامِعِ غَنَاءِ سُلَيْمٍ⁵ بْنِ سَلَامٍ لَهُ . وَذَكَرَهُ حَبِشٌ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ فَنَسَبَهُ فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ فِي أَحَدِهِمَا إِلَى ابْنِ مُحَرَّزٍ ، وَالْآخَرُ إِلَى يَحْيَى الْمَكِّيِّ . وَزَعَمَ الْهَمَشَامِيُّ أَنَّ فِيهِ لِسُلَيْمِ بْنِ سَلَامٍ لَحْنًا آخَرَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ .

1 العطبة : خرقه تعلق بها نار .

2 ديوان مجنون ليلى : 203 .

3 الغابق : الساقى .

4 شمتة في ل : ذقته .

5 ل : سليمان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفيّ قال حدثني إبراهيم بن سعد الزهرّيّ قال : أتاني رجل من عُذرة حاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشاق ، فقلت له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنا لأرقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتنا بنو عامرٍ بمجنونها . [شيء من أوصافه]

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه¹ القطّان إجازةً قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيت مجنون بني عامر ، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شُحوبٌ ، واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّيْنِ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا أُعْذِي عَلَى اللَّهِ عَادِيَا²

أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثنا الرياشي قال : سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : سمعت مُعَاذاً وبشر بن المفضل جميعاً يُنشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر :

طَمِعْتُ بَلِيلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ³

وَدَانَيْتُ لَيْلَى فِي خِلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شَهْوَدٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ⁴

وحدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثنا أبو خليفة [الفضل بن الحباب] عن ابن سَلام قال : قضى عبيد الله بن الحسن بن الحُصَيْن بن أبي الحرّ العنبريُّ على رجل من قومه قضيّةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العنبريُّ أنّه تحاملَ عليه وانصرف مُغَضَّباً ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ وكان شديداً أيّداً ، ثم قال له : إيه يا عبيد الله ! [من الطويل]

طَمِعْتُ بَلِيلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فقال عبيد الله :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خِلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شَهْوَدٌ عُدُولٌ عِنْدَ لَيْلَى مَقَانِعُ

خَلَّ عَنْ الْبَغْلَةِ . قال الصُّوليّ في خبره هذا : والبيتان اللَّبَيْثُ⁵ هكذا ، قال : فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة .

1 لعلّ الصواب : زكرويه .

2 اللّهُو في ن : الدهر .

3 تريع : ترجع .

4 المقانيع : الشهود العدول .

5 البعث : من شعراء العصر الأموي .

[زيارة ليلي له وحديثه معها]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال حدثنا زكريا بن موسى عن شعيب بن السكّن عن يونس النحوي قال¹: لما اختلط عقل قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب، مضت أمّه إلى ليلي فقالت لها: إن قيساً قد ذهب حبك بعقله، وترك الطعام والشراب، فلو جئتّه وقتاً لرجوت أن يثوب إليّه [بعض] عقله، فقالت ليلي: أمّا نهراً فلا [لأنتني لا]² آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس، إن أمك تزعم أنك جئت من أجلي وتركت المطعم والمشرب، فاتق الله وأبق على نفسك، فبكى وأنشأ يقول: [من البسيط]

قالت جئت على أيش فقلت لها الحب أعظم ممّا بالمجانين³

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وأنما يصرع المجنون في الحين

قال: فبكت معه، وتحدّتا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودّعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

[سب جنونه بيت شعر قاله]

أخبرنا ابن المرزبان قال قال القحذمي: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلي ابتلاني
سلب عقله. الغناء لحكم ثقيل أول، وقيل إنه لابن الهريذ. وفيه لمتيم خفيف ثقيل أول
من جامع أغانيها. وحدثني جحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برص.

[اختلاف الرواة في تسميته المجنون]

أخبرني الحسن بن علي [قال حدثنا محمد بن طاهر] القرشي عن ابن عائشة قال: إنما سمي المجنون بقوله:

ما بال قلبك يا مجنون قد خلعاً في حب من لا ترى في نيّله طمعا

الحب والودّ نيّطاً بالفؤاد لها فأصبحت في فؤادي ثابتين معا

حدثنا وكيع عن ابن يونس قال قال الأصمعي: لم يكن المجنون مجنوناً، إنما جنّته العشق، وأنشد له:

1 ورد هذا الخبر بسند آخر عن يونس النحوي في مصارع العشاق 1: 125.

2 في مصارع العشاق: أمّا نهراً فلا يمكنني ذلك، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي...

3 على أيش (أصلها على أي شيء) وقيل إنها مولدة في الاستعمال، وفي مصارع العشاق: قالوا جنت على رأسي (وهو مصحّف).

يُسَمُّونِي المجنونَ حينَ يَرُونَنِي نَعَمْ بِي مِنْ لَيْلَى الغدَاةَ جنونُ
لَيْالِي يَزْهِي بِِي شَبَابٌ وَشِرَّةٌ وإِذْ بِي مِنْ خَفْضِ المَيشَةِ لَيْنٌ¹
أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني علي بن سهل عن المدائني :
أنه ذُكِرَ عنده مجنون بني عامر فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما قيل له المجنون بقوله : [من الطويل]
وإنِّي لمجنونٌ بليلى مُوكَّلٌ ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى بكيَتْ صَبَابَةً لِتَذَكَّارِهَا حتَّى يَبْلُلَ البُكَاءُ الخَدَّاءُ
أخبرني عمر بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عون بن عبد الله
العامري أنه قال : ما كان والله المجنون الذي تعزونه إلينا مجنوناً ، إنما كانت به لؤثة وسهْوٌ
أحدثهما به حُبُّ لَيْلَى ، وأنشد له : [من الطويل]
وبي من هوى لَيْلَى الذي لو أبُثُّه جماعة أعدائي بكت لي عُيونُها
أرى النفسَ عن لَيْلَى أبتُ أن تُطِيعَنِي فقد جُنَّ مِنْ وَجْدِي بليلى جنونُها
أخبرني ابن المرزبان قال قال العتبي : إنما سَمِيَ المجنون بقوله : [من الطويل]
يقول أناسٌ عَلاً مجنونٌ عامرٌ يرومُ سُلوّاً قلتُ أنَّى لِمَا بيا
وقد لامني في حُبِّ لَيْلَى أقاربي أخي وابنُ عمِّي وابنُ خالي وخالِيا²
يقولون لَيْلَى أهلُ بيتِ عداوةٍ بنفسي لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ ومالِيا
ولو كان في لَيْلَى شِذَاءٌ من خصومةٍ للوَيْتِ أعناقَ المَطْطِي³ المَلَاويا
أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سلام : لو حلفتُ
أنَّ مجنونَ بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقتُ ، ولكن تَوَلَّه⁴ لما زُوِّجت ليلي وأيقن اليأسَ منها ،
ألم تسمَعُ إلى قوله : [من الطويل]
أيا ويح مَنْ أَمسى تُخَلَّسَ عَقْلُهُ فأصبح مذهوباً به كلُّ مذهبٍ
خَلِيعاً مِنَ الخُلَّانِ إِلَّا مُجَامِلاًً يُسَاعِدُنِي مَنْ كان يَهْوى تَجَنُّبِي⁵
إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وراجعتُ عَوَازِبُ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ

1 الشرة : نشاط الشباب .

2 أقاربي في ل : قرابتي .

3 المطي في ل : الخصوم .

4 ل : تدلّه .

5 خليعاً في رواية تقدّمت : خلياً . مجاملاً ورد في ما تقدّم «معذراً» .

[أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلبي عن مسعود بن سعد عن ابن سلام ونحوه .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السكيت للمجنون :

يُسْمُونَنِي المَجْنُونُ حِينَ يَرُونَنِي - نَعَمْ بِي مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ جُنُونُ
قال : وأنشدنا له أيضاً :

صوت

وَشَغَلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ فِيكَ فَإِنَّهُ شَغَلِي
وَأَدِيسُ لَحْظَ مُحَدَّثِي لِيرَى أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

[تكنيته ليلي بأَم مالك]

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأحمول عن علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة : أن صاحبة مجنون بني عامر التي كَلَفَ بها ليلي بنت مهدي بن سعد بن مهدي [بن ربيعة] بن الحرّيش ، وكنيتها أُم مالك ، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال :

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ - بِمَا رَحِبَتْ يَوْمًا عَلَيَّ تَضْيِيقُ
وقال أيضاً :

فَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ أَشَابَ قَذَالِي وَاسْتَهَامَ فُؤَادِي
خَلِيلِي إِنْ دَارَتْ عَلَى أُمِّ مَالِكٍ صُرُوفُ اللَّيَالِي فَاغِيَا لِي نَاعِيَا

وقال أبو عمرو الشيباني : عَلِقَ المجنون ليلي بنت مهدي بن سعد من بني الحرّيش ، وكنيتها أُم مالك ، فشهر بها وعرف خبره فحجبت عنه ، فشق ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوجه إياها ، فاشتدّ به الأمر حتى جُنَّ وقيل له : «مجنون بني عامر» ، فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يُحَدَّثُ به ولا يعقله إلا إذا ذُكِرَتْ ليلي . وأنشد له أبو عمرو :

صوت

أَلَا مَا لِلَّيْلَى لَا تَرَى عِنْدَ مَضْجَعِي - بَلِيلِي وَلَا يَجْرِي بِذَلِكَ طَائِرُ
بَلَى إِنْ عَجَمَ الطَّيْرُ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ - بَلِيلَى وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَاجِرُ

أَزَلْتُ عَنْ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِذِي الْأَثَلِ أَمْ قَدْ غَيَّرْتَهَا الْمَقَادِرُ
فَوَاللَّهِ مَا فِي الْقَرَبِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ وَلَا الْبَعْدُ يُسْلِينِي وَلَا أَنَا صَابِرُ
وَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ وَأَيِّ مَرَامٍ أَوْ خِطَابٍ أَخَاطِرُ¹
وَتَاللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ فِي ذَاتِ بَيْنَا عَلَيَّ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَجَائِرُ
فَلَوْ كُنْتُ إِذْ أَرْمَعْتُ هَجْرِي تَرْكِنِي جَمِيعَ الْقَوَى وَالْعَقْلُ مِنِّي وَافِرُ
وَلَكِنَّ أَيْامِي بِحَقْلٍ غُنِيزَةٍ وَبِالرَّضْمِ أَيَّامَ جَنَاهَا التَّجَاوُرُ²
وَقَدْ أَصْبَحَ الْوُدُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَا أَمَانِيَّ نَفْسٍ وَالْمَوْءَلُ حَائِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ رَنَقَتْ يَا أُمَّ مَالِكٍ حَيَاتِي وَسَاقِنِي إِلَيْكَ الْمَقَادِرُ³

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بني عامر ، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ ، فخبروني عنه أنَّه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلي ، ربا معها ثم حُبِّبَتْ عنه ، فاشتدَّ ذلك عليه وذهب عقله ، فأناه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يصنعُ بنفسه ، فقال⁴ :

صوت

يَا صَاحِبِي أَلَمَّا بِي بِمَنْزَلَةٍ قَدْ مَرَّ حِينَ عَلَيْهَا أَيُّمًا حِينَ
فِي كُلِّ مَنْزَلَةٍ دِيْوَانُ مَعْرِفَةٍ لَمْ يُبْقِ بَاقِيَةً ذَكَرُ الدَّوَاوِينِ
إِنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الْحَبِّ تَقْتُلُنِي وَكَانَ فِي بَدْئِهَا مَا كَانَ يَكْفِينِي

الغناء لابن جاعع خفيف ثقيل .

[جنونه ليلي وهيامه على وجهه من أجلها]

أخبرني هاشم الخزاعي عن [العباس بن الفرج] الرياشي قال : ذكر العُتْبِيُّ عن أبيه قال : كان المجنون في بدء أمره يرى ليلي ويألفها ويأنسُ بها ثم غُيِّبَتْ عَنْ نَظَرِهِ ، فَكَانَ أَهْلُهُ يُعْزُونَهُ عَنْهَا وَيَقُولُونَ : نَزَّوَجَكَ أَنْفَسَ جَارِيَةٍ فِي عَشِيرَتِكَ ، فَيَأْبَى إِلَّا لَيْلَى وَيَهْذِي بِهَا وَيَذْكُرُهَا [فَكَانَ رَبِّمَا اسْتِرَاحَ إِلَى أَمَانِيَّتِهِمْ وَرَكِنَ إِلَى قَوْلِهِمْ] ، وَكَانَ رَبِّمَا هَاجَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَالْهَمُّ فَلَا يَمْلِكُ مِمَّا هُوَ فِيهِ أَنْ يَهْمِمَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَحَّشَ مَعَ الْبَهَائِمِ فِي الْقِفَارِ ، فَكَانَ قَوْمُهُ

1 الخطار : المراهنة .

2 حقل غنيزة والرضم : موضعان .

3 رنق : كدّر .

4 ديوان مجنون ليلي : 280 .

يلومونه وَيَعْدُلُونَهُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ فِي الْمَلَامَةِ وَالْعَدْلِ يَوْمًا فَقَالَ :

[من البسيط]

صوت

يَا لِلرِّجَالِ لَهُمْ بَاتَ يَعْرُونِي مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَانَ يَعْنِينِي
عَلَى غَرِيمٍ مَلِيءٍ غَيْرِ ذِي عُدْمٍ يَأْبَى فِيمُطْلُنِي دَنِيٍّ وَيَلْوِينِي
لَا يَذْكُرُ الْبَعْضَ مِنْ دَنِيٍّ فَيُنْكِرُهُ وَلَا يُحَدِّثُنِي أَنَّ سَوْفَ يَقْضِينِي¹
وَمَا كَشْكُرِي شُكْرًا لَوْ يُوَافِقُنِي وَلَا مُنَى كَمُنَاهُ إِذْ يُمْنِينِي
أَطْعَمَهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي أَمْرِهِ ثُمَّ يَأْبَى فَهُوَ يَعْصِينِي
خَيْرِي لِمَنْ يَتَغَيَّي خَيْرِي وَيَأْمُلُهُ مِنْ دُونِ شَرِّي وَشَرِّي غَيْرُ مَأْمُونٍ
وَمَا أَشَارِكُ فِي رَأْيِي أَحَا ضَعْفٍ وَلَا أَقُولُ أَحْيَى مَنْ لَا يُوَاتِينِي

في هذه الأبيات هَزَجٌ طَنْبُورِيٌّ لِلْمَسْدُودِ مِنْ جَامِعِهِ .

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي : حَدَّثَنِي رَبَاحُ الْعَامِرِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَجْنُونُ أَوَّلَ مَا عَلِقَ لَيْلَى كَثِيرَ الذِّكْرِ لَهَا وَالْإِنْيَانِ بِاللَّيْلِ إِلَيْهَا ، وَالْعَرَبُ تَرَى ذَلِكَ غَيْرَ مُنْكَرٍ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْفَتَيَاتِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَهْلُهَا بَعْشَقَهُ لَهَا مَنَعُوهُ مِنْ إِتْيَانِهَا وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ ، فَذَهَبَ لِذَلِكَ عَقْلُهُ وَيَسُّ مِنْهُ قَوْمُهُ وَاعْتَنَوْا بِأَمْرِهِ² ، وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَلَا مَوَهُ وَعَدَّلُوهُ عَلَى مَا يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا هِيَ لَكَ بِهَذِهِ الْحَالِ ، فَلَوْ تَنَاسَيْتَهَا رَجَوْنَا أَنْ تَسْلُوَ قَلِيلًا ، فَقَالَ لَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ : [من الطويل]

صوت

فَوَاكِدًا مِنْ حَبٍّ مَنْ لَا يُحِبُّنِي وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهْنٌ فَنَاءٍ
أَرَيْتُكَ إِنْ لَمْ أُعْطِكَ الْحَبَّ عَنْ يَدٍ وَلَمْ يَكُ عِنْدِي إِذْ أُبَيَّتْ إِيَاءُ³
أَتَارِكْتَنِي لِلْمَوْتِ أَنْتَ فَمَيِّتٌ وَمَا لِلنَّفُوسِ الْخَائِفَاتِ بَقَاءٍ
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي بِي لَيْسَ بِهِيْنٍ ، فَأَقْلُوا مِنْ مَلَامِكُمْ فَلَسْتُ بِسَامِعٍ فِيهَا
وَلَا مُطِيعٍ لِقَوْلِ قَائِلٍ .

[قَصَّةٌ حَبَّةٌ لَيْلَى فِي رَوَايَةِ رَبَاحِ الْعَامِرِيِّ.]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَمُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ دَاؤَبٍ عَنْ رَبَاحِ بْنِ حَبِيبٍ الْعَامِرِيِّ : أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ حَالِ الْمَجْنُونِ وَلَيْلَى ،

1 فَيُنْكِرُهُ فِي ل : فَتَنْظُرُهُ .

2 ل : وَاجْتَمَعُوا بِأَمْرِهِ .

3 أَرَيْتُكَ : مُحَفَّفٌ عَنْ أَرَيْتُكَ . عَنْ يَدٍ : عَنْ اسْتِسْلَامٍ ؛ طَوَاعِيَةٍ .

فقال : كانت ليلى من بني الحريش وهي بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة ابن الحريش ، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً وأملهن شكلاً ، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صَبّاً بهن ، فبلغه خبرها ونُعت له ، فصبا إليها وعزم على زيارتها ، فتأهب لذلك وليس أفضل ثيابه ورجل جُمته ومسّ طيباً كان عنده ، وارتحل ناقه له كريمةً برحلٍ حسنٍ وتقلّد سيفه وأتاها ، فسلم فردّت عليه السلام وتَحَفّت¹ في المسألة ، وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثر ، وكل واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة شوقاً إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى واجتهد أن يُغمِض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول² :

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَيْلِي الْهَزَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَبِجَمْعِي وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
لَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَّتَ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

عروضه من الطويل . والغناء لإبراهيم الموصلي رملٌ بالوسطى عن عمرو ، قال : وأدام زيارتها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدّث إليه غيرها ، وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف ، فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما قُرب من منزلها لقيته جارية عسراء فتطير منها ، وأنشأ يقول :

وَكَيْفَ يُرَجِّي وَصْلُ لَيْلَى وَقَدْ جَرَى بِجَدِّ الْقَوَى وَالْوَصْلِ أَعْسَرُ حَاسِرُ
صَدِيعُ الْعَصَا صَعْبُ الْمَرَامِ إِذَا انْتَحَى لَوْصَلِ امْرَأَةٍ جُدَّتْ عَلَيْهِ الْأَوَاصِرُ³

ثم سار إليها في غدي فحدّثها بقصته وطيرته مَن لقيه ، وأنه يخاف تغيّر عهدها وانتكائه وبكى ، فقالت : لا تُرْع ، حاشَ لله من تغيّر عهدي ، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله ، فلم يزل عندها يُحادثها بقية يومه ، ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه ، فجاءها يوماً كما كان يجيء ، وأقبل يُحدّثها فأعرضت عنه ، وأقبلت على غيره بحدّثها ، تريد بذلك مِحنته وأن تعلم

1 ل : وأحفت .

2 الأبيات في شرح أمالي القاضي : 961 قال ورواها غير أبي علي :

نَهَارِي نَهَارُ الْوَاهِنِينَ صَبَابَةٌ وَلَيْلِي تَبْنُو فِيهِ عَنِي الْمَضَاجِعُ

وقال المحقق : من قصيدة في الأغاني 17 : 72 لابن الدمينية ، ومنها بيتان في عيون الأخبار 1 : 262 بغير نسبة وستأتي في الأغاني منسوبة لقيس بن ذريح . وفي ديوانه تحقيق الأستاذ راتب النفاخ ، ص 88 .

3 صدع العصا : كناية عن التفرق .

ما في قلبه ، فلما رأى ذلك جَزَعَ جَزَعاً شديداً حتى بَانَ في وجهه وعُرف فيه ، فلما خافت عليه أُقبلت عليه كالمُسرة إليه فقالت¹ :

كِلانا مُظهرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبه مَكِينٌ
فَسَرِّي عنه وعلم ما في قلبها ، فقالت له : إنما أردتُ أن أمتحنَكَ والذي لكَ عندي أكثرُ
من الذي لي عندكَ ، وأُعطي الله عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواكَ حتى أذوقَ
الموت إلا أن أُكره على ذلك ، قال : فانصرفتُ عنه وهو من أشدَّ الناسِ سروراً وأقرَّهم عيناً ،
وقال :

أُظُنُّ هواها تارِكِي بِمَضَلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لدي ولا أهلٌ
ولا أحدٌ أَفْضِي إليه وصيَّتِي ولا صاحبٌ إلا المَطيَّةُ والرَّحْلُ²
مَحاً جُبُّها حَبَّ الأَلَى كُنَّ قَبْلَها وَحَلَّتْ مكاناً لم يكن حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

[شعره فيها بعد أن تزوجت وأيس منها]

أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العَيْناء عن العُتبيِّ قال : لما حُجبتُ ليلي عن المجنون
خطبها جماعة فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من بني ثقيفٍ موسرٌ فزوجوه وأخفوا ذلك
عن المجنون ثم نُمي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقه ، فقال³ :

دَعَوْتُ إِلَهي دَعْوَةً ما جَهِلْتُها ورَّيْتُ بما تُخْفِي الصدورُ بصيرُ
لَعَنَ كُنْتُ تُهْدِي بَرْدَ أنيابها العَلا لأفقرَ مِنِّي إنَّني لَفَقيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أن قد تزوجتُ فهل يأتيني بالطلاقِ بشيرُ

وقال أيضاً⁴ :

أَلا تِلْكَ لَيْلِي العامِرِيَّةُ أَصَبَحْتُ نَقَطْعُ إلا من ثَقِيفٍ حِبالها⁵
هَمُّ حَبَسُوها مَحَبَسَ البُدنِ وابتَغى بها المالَ أقوامٌ أَلَا قَلَّ مالُها
إذا التفتتُ والعيسُ صَعُرَ من البُرى بنخلةٍ جَلَّتْ عِبرَةُ العَيْنِ حالها⁶

1 خبر الجارية العسراء ، والشعر الذي يتلوه في مصارع العشاق للسراج : ج 2 : 46-48 (طبعة دار صادر ، 1958) .

2 صاحب في مصارع العشاق : ولا وارث .

3 تنسب الأبيات لابن الدمينية . انظر ديوانه تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ وانظر ديوان مجنون ليلي : 140 .

4 الأبيات في مصارع العشاق 2 : 288 وديوان مجنون ليلي : 227 .

5 حبالها في مصارع العشاق : وصالها .

6 جلَّتْ في مصارع العشاق : خُلِّي .

قال : وجعل يمرّ بيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزوره وإن حلَّه شخصٌ إليّ حبيبٌ
هجرْتُكَ إشفافاً وزرْتُكَ خائفاً وفيكَ عليّ الدهرُ منك رقيبٌ
سأستعيبُ الأيامَ فيكَ لعلّها بيومٍ سرورٍ في الزمانِ تؤوبُ
الغناء لعريبٍ ثاني ثقیل بالوسطى . قال : وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثَّقَفِيّ
فقال¹ :

صوت

كأنَّ القلبَ ليلةً قيلَ يُغدى بلَيْلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شركٌ فباتتُ تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ
عروضه من الوافر . الغناء لابن المَكِّيّ خفيفٌ ثقیلٌ [أول] بالوسطى في مجراها عن
إسحاق ، وفيه خفيف ثقیل آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البَنَصْرِ ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ
بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ ، قال : فلمّا نُقِلَتْ [لَيْلى] إلى الثَّقَفِيّ قال : [من الطويل]
[قصيدته العينية]

طَرِبْتَ وشاقتك الحُمُولُ الدَوَافِعُ غَدَاةَ دعا بالبين أسْفَعُ نازِعُ²
شَحَا فاهُ نعباً بالفراقِ كأنّه حَرِيبٌ سَلِيبٌ نازحُ الدارِ جازِعُ³
فقلتُ ألا قد بَيَّنَّ الأمرُ فانصَرَفَ فقد راعنا بالبين قبلك رائعُ
سُقيتَ سُمُوماً من غرابٍ فإنني تَبَيَّنْتُ ما خَبِرْتُ مَذْأَنْتَ واقعُ⁴
ألم تَرَ أنّي لا مُجِبُّ أَلُومِهِ ولا يَبْدِيلُ بعدهم أنا قانعُ

- 1 ورد الشعر في الزهرة 1 : 229 منسوباً لتوبة بن الحمير ؛ وفي شرح الأمالي : 696 منسوباً لنصيب بن رباح أو لقيس بن ذريح . وهو للمجنون في الأمالي 2 : 61 . وانظر ديوان مجنون ليلى 180-182 .
- 2 هذا البيت مكوّن في الديوان من بيتين :

طربت وهاجتك الديار البلاقع وعادك شوق بعد عامين راجع
وأوقد ناراً في فؤادك محرقاً غداً تذّ للبين أسفع نازع
الأسفع : صفة للغراب .

- 3 شحافه : فتحه . نعباً في الديوان : نطقاً .
- 4 سُموماً في ل : سماماً . خبرت في الديوان : حاولت .

[ألم تر دارَ الحَيِّ في رونقِ الضحى
وقد يتناهى الإلفُ من بعد ألفة¹
وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم²
كأنِّي غداةَ البين ميّتُ جوبة³
تَخْلَسُ من أوْشال ماءِ صُبابة⁴
وبيضٍ تطلّى بالعَبرِ كأنّها
تَحْمَلُن من وادي الأراكِ فأومَضَتْ⁵
فما رَمَنَ ربعَ الدارِ حتى تشابهَتْ⁶
وحتى حملنَ الحورَ من كلِّ جانب⁷
فلما استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى⁸
أشْرُنَ بأن حُثُوا الجمالَ فقد بدا⁹
فلما لَحِقْنَا بالحُمُولِ تباشَرَتْ¹⁰
يُعَرِّضُنَ بالدّلِّ المَلِيحِ وإن يُرْدُ¹¹
فقلتُ لأصحابي وذمعي مُسْبِلُ¹²
أليلى بأبوابِ الخدورِ تعرّضَتْ¹³

[مروره مع ابن عمّ له على حمامة تهدل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الهيثم بن فِرّاسٍ قال حدّثني العُمريّ عن

- 1 من بعد ألفة في ل : من بعد قربه . والشطّر الأول في الديوان : «وقد يشعب الألاف من بعد عزة» .
- 2 جيرة في الديوان : خلة .
- 3 جوبة : أرض سهلية ملساء . وفي الديوان «رهن منية» .
- 4 الشطر الأول في الديوان : «تخلص من يهواه ماء حياته» .
- 5 الشطر الأول في الديوان : «وبيض غذاهن النعيم كأنّها» . نعا ج : البقر الوحشية في الصحراء .
- 6 الشطر الأول في الديوان : تحملت من ذات التناضب واتبرت .
- 7 في الديوان : هجل الدار . الهجائن : الإبل البيض ، والجون : (هنا) السود .
- 8 الحور : صفة للنساء . السدول : ما يجلل من الهودج . الأكارع : السيقان .
- 9 رادع : مزودّ بالردع وهو الطيب والخلوق . وفي الديوان «المطي» «طيب الظل» .
- 10 متع الحرّ فهو مائع : اشتدّ وطال .
- 11 جناهن في الديوان : جماهن .

الهيثم بن عديّ : أنَّ أبا المجنون حجَّ به ليدعو الله عزَّ وجلَّ في الموقف أن يُعافيه ، فसार ومعه ابنُ عمِّه زياد بن كعب بن مزاحم ، فمرَّ بحمامة تدعو على أَيْكة فوقف ييكى ، فقال له زياد : أيَّ شيء هذا ؟ ما يُبكيك أيضاً ؟ سرُّ بنا نلحقِ الرُّفقة ، فقال¹ : [من الطويل]

أَنَّ هَتَفْتُ يوماً بواِدِ حمامةً	بكيتَ ولم يَعْذِرْكَ بالجهل عاذِرُ
دَعَتْ ساقَ حُرٍّ بعد ما عَلَتْ الضُّحى	فهاجَ لك الأحرانَ أن نأخَ طائرُ ²
تُعْنِي الضُّحى والصُّبحَ في مُرْجَنةٍ	كِثافِ الأعالي تحتها الماءُ حائرُ ³
كَأَنَّ لم يكن بالغَيْلِ أو بطرِ أَيْكةٍ	أو الجزعِ من ثولِ الأشاءِ حاضرُ ⁴
يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هَجَرُوا	أرى الحيَّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ ⁵
وإنِّي وإنْ غالَ التقادُمُ حاجتي	مُلِمٌّ على أوطانٍ لَيْلَى فَنَاطِرُ ⁶

[هيامه إلى نواحي الشام]

أخبرني [محمد بن مزيد] بن أبي الأزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البكري عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني عمي عن [عبد الله] بن شبيب عن [هارون بن موسى] الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني ابن المزيان عن ابن الهيثم عن العمري عن العتبي قالوا جميعاً : كان المجنون وليل وهما صبيَّان يرعيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التَّوَاد⁷ ، فلما ذهب عقله وتوحَّش ، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به ، فإذا تذكَّر أيام كان يُطيفُ هو وليل به جَزَعٌ جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهاهم : بأبي أنتم ، أين التَّوَاد من أرض بني عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بني عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فأُمَّه ، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن ، فيرى بلداً يُنكرها وقوماً لا يعرفهم

1 ديوان مجنون ليلي : 125 .

2 ساق حرّ : ذكر الحمام .

3 مرجحة : متمايلة (يعني الأغصان) .

4 الغيل ووطن أَيْكة والجزع : مواضع ؛ وكذلك : ثول الأشاء . والأشاء في الأصل نوع من الشجر ؛ والثول : نوع من الشجر أو تجمع التحل .

5 هجروا : طعنوا في الهجرة .

6 غال التقادم حاجتي : أي أنَّ تقادم العهد ومضيه قد قضى على حاجتي وذهب بها .

7 في تحديد جبل التواد والشعر المتصل به ، انظر معجم البلدان لياقوت ، مادة «تواد» 2 : 55 (طبعة دار صادر) . وانظر الشعر في الزهرة 1 : 295 وفيه بعض الخبر أيضاً .

فيسألهم عن التَّوباد وأرض بني عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من أرض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا ، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوباد ، فإذا رآه قال في ذلك : [من الطويل]
[شعره عند رؤيته التَّوباد]

وأَجْهَشْتُ للتَّوبادِ حينَ رأيتهُ وَكَبَّرَ للرحمنِ حينَ رَأَيْتُ¹
وَأَذْرَيْتُ دمعَ العينِ لَمَّا عرفتهُ وَنادَى بأعلى صوتهِ فدعاني
فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ وعهدي بِذاك الصَّرمِ منذَ زمانٍ²
فقال مَضَوْا واستودَعُونِي بلادَهُم وَمَنْ ذا الذي يبقَى على الحَدَثَانِ³
وَإِنِّي لأُبكي اليومَ من حَذْرِي غداً فِرَاقَكَ والحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ⁴
سِجَالاً وَتَهْتَاناً ووَيْلاً وَدِيمَةً وَسَحّاً وَتَسْجَاماً إلى هَمَلَانِ

[سبب ذهاب عقله]

أخبرني عَمِّي عن [عبد الله] بن شبيب عن هارون بن موسى الفَرَوِيِّ عن موسى بن جعفر بن أبي كثير قال : لما قال المجنون :

[من الطويل]

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لَغِيرِي وَابْتَلَانِي بِجِبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلِي ابْتِلَانِيَا
سَلِبَ عَقْلَهُ .

[توهم أن منادياً ينادي ليلي]

وحدثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالهما برص . قال موسى بن جعفر في خبره المذكور : وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح : يا ليلي في ليلة ظلماء أو توهم ذلك ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتِفٌ يهتِفُ بليلي ، ثم أنشأ يقول⁵ :

[من الطويل]

أَقُولُ لأَدْنَى صَاحِبِي كُلِّيمَةً أُسِرْتُ مِنَ الْأَقْصَى أَجِبْ ذَا الْمَنَادِيَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي أَصَابِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا

1 يا قوت : وسبَّح ؛ الزهرة : وهلل .

2 يا قوت : فقلت له أين الذين عهدتهم برَّك في خَفَضٍ وعيش لِإِيانٍ

3 يا قوت : يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ .

4 يا قوت : وَأَقْلَقُ .

5 هناك أبيات متفرقة في الزهرة 1 : 71 ، 82 ، 85 لعلها من هذه القصيدة البائية . وانظر ديوانه .

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكس شمالاً يُنازعني الهوى عن شماليا

[شعر له في منى وغيرها]

وقال ابن شبيب وحدثني هارون بن موسى قال : قلت لغزير بن طلحة المخزومي : من أشعر الناس ممن قال شعراً في منى ومكة وعرفت ؟ فقال : أصحابنا القرشيون ، ولقد أحسن المجنون حيث يقول¹ :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان² الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلي طائراً كان في صدري
فقلت له : هل تروي للمجنون غير هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له : [من الطويل]

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه عليه السحاب فوقه ينتصب³
وما سلك المومة من كل جسر طليح كجفن السيف تهوي فتركب⁴
لقد عشت من ليلي زماناً أحبها أنا الموت إذ بعض المحبين يكذب
أخبرني محمد بن يزيد عن حماد [بن إسحاق] عن أبيه قال : كانت كنية ليلي أم عمرو ، وأنشد للمجنون⁵ :

صوت

أبي القلب إلا حبه عامرة لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندی إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضمر
الغناء لعريب ثقيل أول ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

[ليلى تزوج رجلاً من ثقيف]

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة قال : خطب ليلى صاحبة المجنون جماعة من قومها فكرهتهم ، فخطبها رجل من ثقيف موسر فرضيته ، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك⁶ :

1 البيتان في الزهرة : 238 وانظر ديوانه : 56 .

2 الزهرة : أطراب (وكبت هناك خطأ أطراب) .

3 ينتصب : يعلو .

4 الجسرة : الناقة القوية ، طليح : متعبة من كثرة السير .

5 يرد البيت الثاني في قصيدة لأبي صخر الهذلي (شرح ديوان الهذليين 2 : 957) وفي الشرح أنه للمجنون .

6 انظر مصارع العشاق 2 : 288 وديوانه : 56-57 .

ألا إنَّ لَيْلى كالمَيْحَةِ أَصْبَحَتْ تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفِ حَبَالِهَا¹
 فقد حبسوها مَحْبَسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى بها الرِّيحَ أَقْوَامٌ تَسَاحَتْ مَالِهَا²
 خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانِهَا يُدْنِي لَنَا تَكْلِيمَ لَيْلى احْتِيَالِهَا
 فَإِنْ أُنْتَمَا لَمْ تَعْلَمَاهَا فَلَسْتَمَا بِأَوَّلِ بَاغٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا
 كَأَنَّ مَعَ الرِّكْبِ الَّذِينَ اغْتَدَوْا بِهَا غَمَامَةً صَيْفٍ زَعَزَعْتُهَا شِمَالُهَا
 نَظَرْتَ بِمُقْضَى سَيْلِ جَوْشَنَ إِذْ غَدَوْا تَخُبُّ بِأَطْرَافِ الْمَخَارِمِ آلِهَا³
 بِشَافِيَةِ الْأَحْزَانِ هَيْجَ شَوْقِهَا مُجَامَعَةَ الْأَلْفِ ثُمَّ زِيَالِهَا
 إِذَا التَفْتَتَ مِنْ خَلْفِهَا وَهِيَ تَعْتَلِي بِهَا الْعَيْسُ جَلَّى عَبْرَةَ الْعَيْنِ حَالِهَا
 أَخْبِرْنِي عَلِيَّ بْنَ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبَ عَنْ أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ
 حَاتِمٍ قَالَ : وَأَنْشَدَنَاهُ الْمُبَرَّدُ لِلْمَجْنُونِ فَقَالَ⁴ :

صوت

وَأَحْبَسُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِذِكْرَاكِ وَالْمَمْشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
 مَخَافَةً أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ وَأَحْرُسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
 فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ اجْتَرَمْتَهُ وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ ، عَنْكَ تَطْيِيبُ
 فَلَوْ شِئْتَ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ الدَّهْرَ مَنِّي مَا حَيِّتُ نَصِيبُ
 أَمَا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
 لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خَلَّةً لَهَا دُونَ خُلَايِ الصَّقَاءِ حُجُوبُ
 ذَكَرَ يَحْيَى الْمَكِّيَّ أَنَّهُ لَا بِنَ سُرَيْجٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ ، وَقَالَ الْهَشَامِيُّ : إِنَّهُ مِنْ مَنْحُولٍ يَحْيَى إِلَيْهِ .
 [خبر أبي الحسن البغاء والمرأة التي أحبت صديقاً له من قريش]

أَخْبِرْنِي الْحَزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَالِبِ الدِّينَارِيِّ قَالَ - حَدَّثَنِي
 إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَأَخْبِرْنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ
 حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سَلِيمَانَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْبَغَاءِ قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَصَدِيقٌ لِي مِنْ قَرِيشٍ نَمْشِي بِالْبِلَاطِ
 لَيْلاً ، إِذَا بِظُلِّ نَسُوءٍ فِي الْقَمَرِ ، فَسَمِعْتُ إِحْدَاهُنَّ تَقُولُ : أَهْوُ هُوَ ؟ فَقَالَتْ لَهَا أُخْرَى مَعَهَا : إِي

1 المنيحة : الهبة (شاة تمنح وترد إذا انقطع لبنها) .

2 تساحت مالها : ذهب مالها واستوصل .

3 جوشن : اسم جبل . غدا في ل : والضحي . المخارم : الطرائق في الجبال . الآل : السراب .

4 ديوان مجنون ليلى : 51 .

والله إنه هو ! فدننت مني ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]
ليست ليالك في خاخ بعائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم¹
فقلت : أجب فقد سمعت ، فقال : قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني ،
فقلت² : [من الطويل]

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
ثم مضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله رمضيت إلى منزلي ، فإذا أنا
بجويرية تجذب ردائي فالتفت ، فقالت لي : المرأة التي كلمتها تدعوك ، فمضيت معها حتى
دخلت داراً واسعة ثم صرت إلى بيت فيه حصير ، وقد نثت لي وسادة فجلست عليها ، ثم جاءت
جارية بوسادة مثنية فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلست عليها ، فقالت لي : أنت المجيب ؟ قلت :
نعم ، قالت : ما كان أفض لجوابك وأغلظه ! فقلت لها : ما حضرنى غيره ، فسكتت ، ثم قالت :
لا ، والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك ، فقلت لها : أنا الضامن لك عنه ما
تُحبين ، فقالت : هيهات أن يقع بذلك وفاء ، فقلت : أنا الضامن وعلي أن آتيك به في الليلة القابلة
فانصرفت ، فإذا الفتى ببابي ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : ظننت أنها سترسل إليك وسألت عنك
فلم أعرف لك خبراً ، فظننت أنك عندها ، فجلست أنتظر ، فقلت له : وقد كان الذي ظننت ،
وقد وعدتها أن آتيك فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة ، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء ، فلما
جاء الليل رحلنا إليها ، فإذا الجارية منتظرة لنا ، فمضت أمامنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار
ودخلنا معها ، فإذا رائحة طيبة ومجلس قد أعد ونضد ، فجلسنا على وسائد قد ثبّت [لنا] ،
وجلست ملياً ثم أقبلت عليه فعاتبته ملياً ثم قالت³ : [من الطويل]

صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو كان قول يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم
هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدُمينة ، وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق ولم
يُجنسه . وقال الهشامي : هو خفيف رمل . وفيه لعريب خفيف ثقل أول يُنسب إلى حَكَم

1 خاخ في ل : جمع .

2 البيت لكثير من تائته المشهورة .

3 وردت الأبيات في البيان والتبيين 3 : 370 ، والديوان 3 : 55 .

الوادي وإلى يعقوب . قال : ثم سكنت وسكت الفتى هنيهة ثم قال : [من الطويل]
 غَدَرْتُ ولم أَغْدِرْ وَخُنْتُ ولم أَخُنْ وفي بعض هذا للمحبِّ عزاء
 جزيتك ضِعْفَ الودِّ ثم صرمتني فحبُّك من قلبي إليك أدا
 فالتفتت إليَّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتك ، فغمزته أن كُفَّ فكفَّ ، ثم أقبلت
 عليه وقالت :

صوت

تجاهلت وصلي حين جدت عماتي فهلاً صرمت الجبل إذ أنا أبصر
 ولي من قوى الجبل الذي قد قطعتة نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ مؤفر
 ولكنما آذنت بالصرْم بغتة ولست على مثل الذي جئت أقدر
 الغناء لإبراهيم ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، فقال : [من الطويل]
 لقد جعلت نفسي ، وأنتِ اجترمتي وكنت أعز الناس ، عنك تطيب
 قال : فبكت ، ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتت إليَّ
 وقالت : قد علمت أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ،
 وإنما ذكر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار المجنون

[رأى المجنون أبيات أهل ليلي فقال شعراً]

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العُمري عن الهيثم بن عدي أن رهطَ المجنون اجتازوا
 في نُجعةٍ لهم بحمي ليلي ، وقد جمعتهم نُجعة فرأى أبيات أهل ليلي ولم يُقدم على الإمام بهم
 وعدلَ أهلُه إلى جهة أخرى ، فقال المجنون¹ : [من الطويل]

لعمرك إن البيتَ بالقبيل الذي مررت ولم ألم عليه لشائق²
 وبالجزع من أعلى الجنية منزل شجا حزني صدري به متضائق
 كائني إذا لم ألقَ ليلي معلقً بسين أهفو بين سهلي وحالق

1 ديوان مجنون ليلي ، طبعة دار صادر ، ص 155 .

2 منها بيتان في مصارع العشاق 2 : 244 .

على أنبئي لو شئتُ هاجتُ صبابتي عليّ رسومٌ عيٍّ فيها التَّنَاطُطُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الحَبَّ يا أُمَّ مالِكٍ بقلبي براني اللهُ منه لَلْاصِيقُ¹
يَضُمُّ عليّ الليلُ أطرافَ حُبِّكم كما ضَمَّ أطرافَ القميصِ البَنائِقُ

صوت

[من الطويل]

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ
نعم صدق الواشون أنت حبيبةٌ إليّ وإن لم تصفُ منك الخلائقُ
الغناء لمتيمٌ ثقيلٌ أولٌ من جامعها . وفيه لدِعامَةٌ رملٌ عن حبّشٍ .

[حديث ليلي مع جارة لها من عقيل]

أنخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن الطيّب قال قال ابن الكلبي : دخلتُ ليلي على جارة لها من عُقيلٍ وفي يدها مسواكٌ تَسْتَاكُ به ، فتنفّستُ ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المسواك ؛ فقالت لها جارتها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بن الملوّح ، وبكت ثم نزعَتْ ثيابها تَغْتَسِلُ ؛ فقالت : وَيَحَهُ ، لقد عَلِقَ مِنِّي ما أهلكه من غير أن أَسْتَحِقَّ ذلك ، فنشدتك الله ، أصدق في صفتي أم كَذَب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنون قولها فبكي ثم أنشأ يقول² :

[من البسيط]

نُبِئتُ لَيْلى وقد كُنّا نَبْخُلُّها قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خرباً
وحبذا راكبٌ كُنّا نَهْشُ به يُهْدِي لنا من أراكِ الموسمِ القُضْباً
قالتُ لجارتها يوماً تُسأَلُها لَمّا اسْتَحَمْتُ وأَلَقْتُ عندها السِّلْباً
يا عَمْرُكَ اللهُ أَلّا قُلْتُ صادقةً أَصَدَقْتُ صِفَةَ المجنونُ أم كَذِباً

ويروى : «نشدتك الله» ويروى : «أصادقاً وصف المجنونُ أم كذباً» .

[سمع المجنون بخروج ليلي مع زوجها فقال شعراً]

وقال أبو نصر في أخباره : لما زُوِّجَتْ ليلي بالرجل الثقفيّ سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر : أنتَ مَن يُشَيِّعُ ليلي ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غداً ، ضَحْوَةً أو الليلة ، فبكي [المجنون] ثم قال :

[من الوافر]

1 براني في ل : جزاني .

2 ديوان مجنون ليلي : 82 .

صوت

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بَلَيْلى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قِطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

الغناء ليحيى المكي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وفيه رمل ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكي ؛ وقال حبش : فيه خفيف ثقيل [بالوسطى] لسليم .
[وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً]

وقال الهيثم بن عدي في خبره : حدثني عبد الله بن عيَّاش الهمداني قال حدثني رجلٌ من بني عامر قال : مُطِرْنَا مَطَرًا شَدِيدًا فِي ربيعِ ارتبَعناه ، ودام المطرُ ثلاثًا ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلاً جالساً حَجَرَةً وحده فقصدته ، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحرَّفته¹ :

صوت

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقَلَّتِي غُرُوبُ²
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتَ فِيهِ قَرِيبُ
يَكُونُ أَجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّى طَيْبَكُمْ فَيْطِيبُ
أَظْلُ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبُ
وَإِنَّ الْكُثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمَى إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحِيبُ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيباً وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

وأول هذه القصيدة ، وفيه أيضاً غناء :

صوت

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَهَجْرَانُهُ مَنِّي إِلَيْهِ ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْتاقاً وَزَرْتُكَ خَائِفاً وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرُ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَغْفِرُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا بِيَوْمِ سُرُورٍ فِي هَوَاكَ تُثِيبُ

1 ديوان مجنون ليلى : 52-53 .

2 غروب : جمع غرب ، وهو الدمع ، وهو أيضاً سجل الماء .

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية¹ مَرْوِيَّةٌ ، وَرُوِيَتْ هَا هُنَا للمجنون [في هذه القصيدة] . وفيها لِعَرِيبٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ . ولعبد الله بن العباس ثاني ثَقِيلٍ . ولأحمد بن المكيّ خفيف ثَقِيلٍ :

وأفردتُ إفرادَ الطريدِ وباعدتُ إلى النفسِ حاجاتُ وهنَّ قريبُ
لئن حالَ يأسٌ دونَ لَيْلى لرُبما أتى اليأسُ دونَ الأمرِ فهو عَصِيبُ²
ومَنِّتَنِي حتى إذا ما رأيتني على شَرَفٍ للنَّاظرينَ يَريبُ
صدَدتِ وأشَمَّتِ العدوَّ بصرِنا أثابكُ يا لَيْلى الجِزاءِ مُثِيبُ

[لغاؤه في توحشه ليلي فجأة وشعره في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حَدَّثَنَا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال حَدَّثَنَا مَهْدِيّ بن سابق قال حَدَّثَنَا بعضُ مشايخ بني عامر أنَّ المجنون مرَّ في توحُّشه فصادف حيَّ ليلي راحلاً ولقيها فجأةً فعرَفها وعرفته فصَعَقَ وخرَّ مغشياً على وجهه ، وأقبلَ فِتْيَانٌ من حيِّ ليلي فأخذه ومسحوا الترابَ عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلي أن تَقِفَ له وقفةً ، فرَقَّتْ لِمَا رآته به ، وقالت : أَمَا هذا فلا يجوز أن أفتضحَ به ، ولكن يا فلانة ، لَأَمَةٍ لها ، اذهبي إلى قيس فقولِي له : ليلي تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : أعزُّ عليّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاءِ دائلكَ لوقَّيتُكَ بنفسِي منه ، فمضتِ الوليدةُ إليه وأخبرته بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أَبْغِيها السلامَ وقولي لها : هيهات ! إنَّ دائي ودوائي أنتِ ، وإنَّ حياتي ووفاتي لفي يديكَ ، ولقد وكَّلتُ بي شقاءَ لازماً وبلاءَ طويلاً . ثم بكى وأنشأ يقول³ : [من الطويل]

أقول لأصحابي هي الشمسُ ضوؤها قريبٌ ولكن في تناوُلها بُعْدُ
لقد عارضتنا الرِّيحُ منها بنفحةٍ على كَيْدِي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغشِيّاً عليّ وقد مَضَتْ أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُ
أُقلِّبُ بالأَيْدِي وأهلي بِعَوْلَةٍ يُفدُّونني لو يستطيعون أن يَفدُّوا
ولم يبقَ إلَّا الجِلْدُ والعظمُ عارياً ولا عظمٌ لي إن دام ما بي ولا جِلْدُ

1 محمد بن أمية شاعر غزل مأموني ، ترجمته في معجم الشعراء : 354 والوافي للصفدي 2 : 229-230 وطبقات ابن المعتز : 322 .

2 فهو عَصِيبُ في ل : فهو قريب .

3 ديوان مجنون ليلي : 97-98 . وردت هذه الأبيات فيما تقدم من هذا الجزء ص 18 بلفظ وترتيب مختلفين .

أُذْنِيَّ مَا لِي فِي انْقِطَاعِي وَغُرْبَتِي إِلَيْكَ ثَوَابٌ مِنْكَ دَيْنٌ وَلَا نَقْدُ
عِدِينِي ، بِنَفْسِي أَنْتَ ، وَعَدّاً فَرِيماً جَلَا كُرْبَةَ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ الْوَعْدُ
وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كَبَلَيْتِي وَلَا مِثْلَ جَدِّي فِي الشَّقَاءِ بِكُمْ جَدُّ
غَزَتْنِي جُنُودُ الْحَبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جَنْدٍ قُقُولٌ أَتَى جُنْدُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدني يقول قال نوفل بن مساحق :
أخبرت عن المجنون أن سبب توحشه أنه كان يوماً بِضَرِيَّةً جالساً وحده إذ ناداه مُنَادٍ من
الجبَل : [من الوافر]

كِلَانَا يَا أَخِي يُحِبُّ لَيْلِي بِفِيَّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى التَّرَابُ
لَقَدْ خَبَلْتُ فَوَادَكَ ثُمَّ ثُنْتُ بِقَلْبِي فَهُوَ مَهْمُومٌ مُصَابُ
شَرِّكَكَ فِي هَوَى مَنْ لَيْسَ تُبْدِي لَنَا الْأَيَّامُ مِنْهُ سِوَى اجْتِنَابُ

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

قال : فتنفس الصُّعْدَاءُ وَغُشِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا سَبَبُ تَوْحُّشِهِ فَلَمْ يُرْ لَهُ أَثَرٌ حَتَّى وَجَدَهُ
نُوفَلُ بْنُ مَسَاحِقٍ . قَالَ نُوفَلُ : قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ لِي : تَوْحَّشَ وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ
وَلَا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ صَارَ ، فَخَرَجْتُ يَوْمًا أَتَصِيدُ الْأَرُوزَ ، وَمَعِيَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي ، حَتَّى
إِذَا كُنْتُ بِنَاحِيَةِ الْحِمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكِيَةِ عَظِيمَةٍ قَدْ بَدَأَ مِنْهَا قَطِيعٌ مِنَ الظُّبَاءِ ، فِيهَا شَخْصٌ
إِنْسَانٌ يُرَى مِنْ خَلَلِ تِلْكَ الْأَرَاكَِةِ ، فَعَجِبَ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ ، فَعَرَفْتُهُ وَأَتَيْتُهُ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ
الْمَجْنُونُ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ ، فَتَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي وَتَخَفَّفْتُ مِنْ ثِيَابِي وَخَرَجْتُ أَمْشِي رُويْدًا حَتَّى
أَتَيْتُ الْأَرَاكَِةَ فَارْتَقَيْتُ حَتَّى صَرْتُ عَلَى أَعْلَاهَا وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الظُّبَاءِ ؛ فَإِذَا بِهِ وَقَدْ تَدَلَّى
الشَّعْرَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَكُذِّ أَعْرِفُهُ إِلَّا بِتَأَمُّلٍ شَدِيدٍ ، وَهُوَ يَرْتَعِي فِي ثَمَرِ تِلْكَ الْأَرَاكَِةِ ، فَرَفَعَ
رَأْسَهُ فَتَمَثَّلْتُ بَيْتَ مِنْ شَعْرِهِ¹ :

[من الطويل]

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلٍ وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَعْبَاكُمَا مَعَا²

قال : فَفَرَّتِ الظُّبَاءُ ، وَانْدَفَعَ فِي بَاقِي الْقَصِيدَةِ يُنْشِدُهَا ، فَمَا أَنْسى حُسْنَ نَعْمَتِهِ وَحُسْنَ
صَوْتِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

[من الطويل]

1 هذه الأبيات في حماسة أبي تمام (شرح التبريزي 2 : 112-114) ط . بولاق ليزيد بن الطرفة باختلاف يسير
في الترتيب ، وسقوط البيتين 6 ، 7 هنا وفي شرح المزدوقي للصمة القشيري ؛ وسترده منسوبة للصمة في ترجمته
من كتاب الأغاني ، وتنسب أيضاً إلى قيس بن ذريح .

2 الحماسة : أتبكي على ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا ، وفي رواية حضنت إلى ريا . . .

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعاً وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ اسْبَلْنَا مَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا
مَعِيَ كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ بِوَصْلِ الْغَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرَا
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِينَ أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ الْعَيُونُ النَّاضِرَاتُ التَّطَلُّعَا

قال : ثم سقط مغشياً عليه ، فتمثلتُ بقوله ¹ :

يَا دَارَ لَيْلِي بِسِقْطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
مَا تَفْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ لَيْلٍ تَمُوتُ كَذَا فِي مَوْقِفٍ وَقَفْتَهُ أَوْ عَلَى دَارِ
أُبْلَى عِظَامَكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَهَا كَمَا يُنَحُّتُ قِدْحُ الشُّوْحَطِ الْبَارِي ²

فرفع رأسه إليّ وقال : مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ ؟ فقلت : أَنَا نُوْفَلُ بْنُ مَسَاحِقَ ، فَحَيَّانِي
فقلت له : مَا أَحْدَثَتْ بَعْدِي فِي يَأْسِكَ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي يَقُولُ ³ :

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلِي وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَيَّ يَمِيناً جَاهِداً لَا أَزُورُهَا
وَأُوْعِدُنِي فِيهَا رَجَالٌ أَبُوهُمْ أَبِي وَأَبُوهَا خُشِنَتْ لِي صُدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنْتِي أُحِبُّهَا وَأَنْ فَوَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا

قال : ثُمَّ سَنَحْتُ لَهُ ظِلَاءً فَقَامَ يَعْدُو فِي أَثَرِهَا حَتَّى لَحِقَهَا فَمَضَى مَعَهَا .

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ
ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : لَمَّا قَالَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ :

قَضَاهَا لَغِيرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشِيءٍ غَيْرِ لَيْلِي ابْتِلَانِيَا

نُودِي فِي اللَّيْلِ : أَنْتَ الْمَتَسَخِّطُ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْمُعْتَرِضُ فِي أَحْكَامِهِ ؟ وَاخْتَلَسَ عَقْلُهُ فَتَوَحَّشَ
مِنْذَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَهَبَ مَعَ الْوَحْشِ عَلَى وَجْهِهِ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا هَذَا الْبَيْتُ مِنْ
أَشْهُرِ أَشْعَارِهِ ، وَالصَّوْتُ الْمَذْكُورُ بِذِكْرِهِ أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ هَاهُنَا مِنْهَا . وَفِيهَا أَيْضاً عِدَّةُ آيَاتٍ
يُغْنَى فِيهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ ⁴ :

1 ديوان مجنون ليلي : 67 .

2 القدح : السهم ؛ الشوْحَطُ : مِنْ أَنْوَاعِ النَّبْعِ الصَّالِحِ لِصَنْعِ الْقَسِيِّ .

3 ديوان مجنون ليلي : 146 ببعض اختلاف .

4 انظر الزهرة : 67 ، 70 ، 82 ، 85 ، 185 .

صوت

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُتُّ نَحْوَهَا بَوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حَبَّهَا كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا
أُحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا

في هذه الأبيات هزج خفيف لمعان معزفي [؟]: [من الطويل]

صوت

وَحَبَّرْتُمَانِي أَنَّ تِيْمَاءَ مَنْزَلٌ لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَايَا
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلَى الْمَرَايَا
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنَ الرَّمْلِ صَنَعْتَهُ عَجُوزُ غُمَيْرِ الْبَاذِغِيْسِي¹ عَلَى لَحْنِ إِسْحَاقَ :
أَمَاوِيٍّ إِنْ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ

وله حديث قد ذكر في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنى ، لأنه أشهر في أيدي الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أخذ فجعل على هذه الأبيات وكيد بذلك : [من الطويل]

صوت

فَلَوْ كَانَ وَاشِرٌ بِالْيِمَامَةِ بَيْتُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا
وَمَاذَا لَهُمْ ، لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُمْ ، مِنْ الْحَظِّ فِي تَضْرِيمِ لَيْلَى حِيَالِيَا
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشْقَيْتِ عَيْشَتِي وَإِنْ شِئْتَ بَعَدَ اللَّهُ أَنْعَمَ بِإِلِيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا يَرَى نِضْوًا مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا
أَمْضُورِيَّةً لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا وَمَتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا
أُحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِلْسَّحَرِ رُقِيَّةً وَإِنِّي لَا أُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا

1 الباذغيسي : نسبة إلى باذغيس من أعمال هراة .

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء¹ : [من الطويل]

صوت

تكادُ يدي تَنْدَى إذا ما لمستُها وينبتُ في أطرافها الورقُ الخضرُ
أبى القلبُ إلّا حبّها عامريّةً لها كنيّةٌ عمرو وليس لها عمرو
الغناء لعريب ثقيل أول ، وذكر الهشامي أنّ فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

[رثاؤه لأبيه]

أخبرني محمد بن مريد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : أنشدني جماعة من بني عُقيل للمجنون يرثي أباه ، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات² : [من الطويل]

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي بذِي السّرحِ لما أن جَفَتْهُ أقرابُهُ
وقلتُ لها كوني عقيراً فإنني غداة غديّ ماشٍ وبالأُمسِ راكبُهُ
فلا يُعِدُّكَ اللهُ يا ابنَ مزاحمٍ وكلُّ امرئٍ لِلْمَوْتِ لا بدَّ شارِبُهُ
فقد كنتَ طَلّاعَ النّجادِ ومُعْطِيَّ آلِ حجاجٍ وسيفاً لا تُفَلُّ مَضارِبُهُ

[وعظه جعدي فقال شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغني أنّ رجلاً من بني جعدة بن كعب كان أحمأً وخِلاًّ للمجنون ، مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الأرض ويعبثُ بالحصى ، فسلم عليه وجلس عنده ، فأقبل يخاطبه ويعظه ويُسلّيه ، وهو ينظر إليه ويلعب³ بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه ، فلما طال خطابه إيّاه قال : يا أخي ، أما لكلامي جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنّك تُكلّمني فاعذرني ، فإنّي كما ترى مذهوبُ العقل⁴ مُشترِكُ اللبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإِنَّهُ شُغِلِي
وأديمُ لَحْظَ مُحَدِّثِي ليرى أنّ قد فهمتُ وعندكم عَقْلِي

1 سبق أن ورد البيتان بترتيب معكوس فيما تقدّم من هذا الجزء .

2 وردت ثلاثة من هذه الأبيات فيما تقدّم من هذا الجزء غير متصلة القوافي بالهاء .

3 ل : ويعبث .

4 ل : مذهوب بي .

[شعره عند تجاوب حمام]

الغناء لِعَلَّوِيَّة . وقال الهيثم : مرّ المجنون بواديّ في أيّام الربيع وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول :

صوت

ألا يا حَمَامَ الأيْلِ ما لكَ باكياً أَفَارَقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنّمتْ هتوفُ الضحى بين الغصون طروبُ
تُجاوبُ ورَقاً قد أذنَّ لصوتها فكلُّ لِكَلٍّ مُسْعِدٌ ومُجِيبُ¹
الغناء لرذاذ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى .

[زيارة قيس ليلي عندما غاب زوجها]

وقال خالد بن حمل : حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوج ليلي وأباها خرجا في أمر طَرَقَ الحَيَّ إلى مكّة ، فأرسلتْ ليلي بأمة لها إلى المجنون فدعته فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السَّحَر ، وقالت له : سير إليّ في كلّ ليلة ما دام القومُ سَفَرًا ، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودّعته :

تمتّع بليلى إنّما أنتَ هامةٌ من الهام يدنو كلّ يوم حِمَامُها²
تمتّع إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم متى يرجعوا يَحْرُمُ عليكَ كلامُها

[مرض ولم تعده ليل]

وقال الهيثم : مرّض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونسائهم ولم تعدّه ليلي فيمن عاده ، فقال³ :

صوت

ألا ما لِلَّيلى لا ترى عند مَضْجَعِي بليلى ولا يَجْري بها لي طائرُ
بلى إنّ عَجَمَ الطير تجري إذا جَرَتْ بليلى ولكن ليس للطير زاجرُ
أحالتُ عن العهد الذي كان بيننا بذي الرِّمْتِ أم قد غيبتُها المقابرُ⁴
الغناء لسليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

1 أذنَّ لصوتها : أصغين لها .

2 يقال : فلان هامة اليوم أو غد أي أنّه قريب من الموت ، لا يعمر طويلاً .

3 ديوان مجنون ليلي : 126-127 .

4 ذو الرمت : اسم وادٍ ، سُمّي كذلك لأنّ فيه شجر الرمت . وفي رواية بذي الأثل .

فوالله ما في القرب لي منك راحة
 ووالله ما أدري بأية حيلة
 ووالله إن الدهر في ذات بيننا
 فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني
 ولكن أيامي بحقل غنيزة
 فقد أصبح الود الذي كان بيننا
 لعمري لقد أزهقت يا أم مالك
 ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
 وأي مرام أو خطار أخطر
 علي لها في كل أمر لجائر
 جميع القوى والعقل مني وافر
 وذو الرمث أيام جناها التجاور
 أماني نفس إن تخبر خابر¹
 حياتي وساقتي إليك المقادر

[خبر الظبي الذي ذكره ليل]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصهباني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حدثني بعض بني عُقيل قال : قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك ؟ قال : ليلي ، قيل : دُع لي فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها ، قال : والله ما أعجبنى شيء قط فذكرت ليلي إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها بشاشته عندي ، غير أنني رأيت ظبياً مرة فتأملته وذكرت ليلي فجعل يزداد في عيني حسناً ، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه فتبعته حتى خفياً عني فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرمته بسهم فما أخطأت مقتله ، وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقية شلوه ، ودفنته وأحرقته الذئب ، وقلت في ذلك² :

[من الطويل]

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة
 رأيت غزلاً يرتعي وسط روضة
 فيا ظبي كل رعداً هنيئاً ولا تخف
 وعندي لكم حصن حصين وصارم
 فما راعني إلا وذئب قد انتحى
 ففوق سهمي في كئوم غمزتها
 فأذهب غيظي قتلته وشفى جوى
 فصبراً على ما شاءه الله لي صبرا
 فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهراً
 فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا
 حسام إذا أعملته أحسن الهبرا
 فأعلق في أحشائه الناب والظفرا
 فخالط سهمي مهبجة الذئب والنحرا³
 بقلبي إن الحر قد يدرك الوترا

1 الديوان : والمؤمل حائر .

2 ديوان مجنون ليلي : 171 .

3 كئوم : صفة للقوس حين لا تصوت .

[بلغه أن زوج ليلي سبه فقال فيه شعراً]

قال أبو نصر : بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلي ذكره وعضه¹ وسبه وقال : أَوْ بَلَّغَ
من قدر قيس بن الملوّح أن يدعي محبة ليلي ويؤثّر باسمها ؟ فقال ليغيظه بذلك : [من الطويل]

فإن كان فيكم بعلٌ ليلي فإني وذو العرش قد قبلتُ فاها ثمانيا
وأشهدُ عند الله أنني رأيتها وعشرون منها إصبعا من ورائها
أليس من البلوى التي لا شوى لها بأن زوجتُ كلباً وما بُذلتُ ليا²

[خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه إلى جهة رهط ليلي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن
الصباح عن ابن الكلبيّ قال : خرج المجنون في عِدّة من قومه يريدون سفراً لهم ، فمروا في
طريق يتشعب وجهتين : إحداهما ينزلها رهطُ ليلي وفيها زيادة مرحلة ، فسألهم أن يعدلوا معه
إلى تلك الوجهة فأبوا ، فمضى وحده وقال³ :

صوت

أتركُ ليلي ليسَ بيني وبينها سوى ليلةٍ إنّي إذا لَصُبُورُ
هَبُونِي امرأً منكم أضلَّ بعيره له ذِمّةٌ إنَّ الذّمَامَ كبيرُ
وللصّاحبِ المتروكُ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا الله عن ليلي الغداة فإنها إذا وَلَّيْتُ حُكْماً عليّ تَجُورُ

الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى
عن حبّش ، وفيه لابن المارقيّ خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، وفيه لعلويّة رملٌ بالبصر .

[هتفت حمامة فقال شعراً]

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : أن المجنون كان ذات ليلة جالساً مع
أصحاب له من بني عمّه وهو وَلّةٌ يتلظى ويتململُ وهم يعظونه ويحدثونه ، حتى هتفت
حمامة من سرّحةٍ كانت بإزائهم ، فوثب قائماً وقال :

[من الطويل]

1 عضه : تنقصه بسبّ أو ذم .

2 بلوى لا شوى لها : أي لا بلوى بعدها .

3 ديوان مجنون ليلي : 139 .

صوت

لقد غَرَّدَتْ في جنح ليل حمامةً على إلفها تبكي وإنِّي لنائمٌ
كذبتُ وبيتَ الله لو كنتُ عاشقاً لما سَبَقْتَنِي بالبكاء الحمائمُ
ثم بكى حتى سقط على وجهه مَغْشياً عليه ، فما أفاق حتى حَمَيْتَ الشمسُ عليه من غدٍ .
الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مطلق في مجرى الوسطى .
[في رمل يبرين]

وذكر أبو نصر عن أصحابه أَنَّ رجلاً مرَّ بالمجنون وهو يرمل يَبْرِين¹ يُخَطِّط فيه ،
فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه ، فقال له : ما بك يا أخي ؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ
يقول :

بِي اليأسُ والداءُ الهيامُ أَصابني فَإِيَّاكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بكَ ما بيا
كَأَنَّ جَفَوْنَ العَيْنِ تَهْمِي دُمُوعُهَا غَدَاةَ رَأَتْ أَظْعَانَ لَيْلِي غَوَادِيَا
غُرُوبٌ أَمْرُتْهَا نَوَاضِحُ بُزْلٍ على عَجَلٍ عُجْمُ يُروِّينَ صَادِيَا

[الهوى اليماني]

وقال خالد بن حمل : ذكر حماد الراوية أَنَّ نفرًا من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون ، فوقفوا
ينظرون إليه فأنشأ يقول :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الِيمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
يقول في هذه القصيدة :

[من الطويل]

صوت

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٍ وَدَانَ هِجْتُمَا عَلَيَّ الهوى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
فَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي دُمُوعَ العَيْنِ لو كنتُ خَالِيَا
غَنَى في هذين البيتين عُلُوِيَّةٌ غناء لم يُنسب .
[من الطويل]

فَوَاللهِ إِنِّي لَا أُحِبُّ ، لغير أن تَحُلَّ بها لَيْلِي البراقَ الأعاليَا
أَلَا يَا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلِي مُجَشِّمِي حِيَاضَ المنايا أَوْ مُقِيدِي الأعاديَا

1 يبرين : من منطقة الأحساء في شرقي الجزيرة العربية .

وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا بَلَحْنِيكَمَا ثُمَّ اسْجَعَا عَلَّانِيَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا وَأَرَدْتُمَا لَحَاقًا بِأَطْرَافِ الْعَصَا فَاتَّبَعَانِيَا

[زوج ليلى يرحل بها]

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أنَّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنَّه غادٍ بها فقال:

صوت

أُمُزِمَةٌ لِلْبَيْنِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلُكَ غَافِلٌ
سَتَعْلَمُ إِنْ شَطَطَ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَزَالُوا بَلَيْلَى أَنْ لُبَّكَ زَائِلٌ
الغناء للزبير بن دحمان ثقیل أول بالوسطى .

قال أبو نصر قال خالد: وحدثني جماعة من بني قُشَيْرٍ أنَّ المجنونَ سَقِمَ سَقَمًا¹ شديدًا قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك، فدخل إليه أبوه يعلِّله فوجده يُنْشِدُ هذه الأبيات ويكيأحرَّ بكاءً وينشج أحرَّ نشيج²:

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِمًا بَلَيْلَى وَلِيدًا لَمْ تُقَطِّعْ تَمَائِمُهُ
أَفَقُّ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ أَنْتَى لِحَالِكَ أَنْ تَلْقَى طَبِيبًا تَلَائِمُهُ
فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ الْعَزَاءِ كَأَنَّمَا تَرَى نَائِي لَيْلَى مَغْرَمًا أَنْتَ غَارِمُهُ
أَجِدُّكَ لَا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةً تُلِمُّ وَلَا يُنْسِيكَ عَهْدًا تَقَادُمُهُ

قال: ووقف مستترًا ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها، فلمَّا رآهم يرتحلون بكى وجزع، فقال له أبوه: ويحك، إنما جئنا بك مُتَخَفِّيًا لِيَتَرَوَّحَ بعضُ ما بك بالنظر إليهم، فإذا فعلتَ ما أرى عُرِفْتَ، وقد أهدَرَ السلطان دَمَكَ إِنْ مَرَرْتَ بِهِمْ، فَأَمْسِكْ أَوْ فَانصَرَفْ؛ فقال: ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا بالكٍ فانصرفتُ بنا، فانصرف وهو يقول:

صوت

دُدِ الدَّمْعُ حَتَّى يَظْعَنَ الْحَيَّ إِنَّمَا دَمُوعُكَ إِنْ فَاضَتْ عَلَيْكَ دَلِيلٌ
كَأَنَّ دَمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا جُمَانًا عَلَى جَيْبِ الْقَمِيصِ يَسِيلُ

1 ل: سَقَمًا .

2 ديوان مجنون ليلى: 248 .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابي للمجنون¹ :

صوت

ألا ليت ليلى أطفأت حَرَّ زَفْرَةٍ أعالجهما لا أستطيع لها رَدًّا
إذا الريحُ من نحوِ الجَمَى نَسَمَتْ لَنَا وجدتُ لَمْسَها ومَنَسَمَها بَرْدًا
على كبدٍ قد كاد يُيْدي بها الهوى ندوباً وبعضُ القومِ يحسِنُني جَلْدًا²
هذا البيت الثالث خاصةً يُروى لابن هرمة³ في بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق ، أوله :

أفاطمَ إنَّ النَّأْيَ يُسلي من الهوى⁴

وقد أخرج في موضع آخر . غنى في هذين البيتين عبدُ آلِ الهذلي⁵ ، ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقیل ، وهما في هذه القصيدة :

وإني يَماني الهوى مُنْجِدُ النَّوى سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدًا
سقى الله نَجْدًا من ربيعٍ وَصِيفٍ وماذا يُرْجَى من ربيعٍ سقى نَجْدًا
بلى إنَّه قد كانَ للعيش قُرَّةً وللصَّحْبِ والرُّكبانِ منزلةً حَمْدًا⁶
أبى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكْرِ نِسوةٍ رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُومًا ولا نُكْدًا
إذا رُحْنٌ يَسْحَنُ الذُّيولَ عَشِيَّةً ويقتُلنَ بالألحاظِ أنفُسنا عَمْدًا
مَشى عَيْطَلاتٍ رُجَّحَ بِخُصُورِها رَوادفُ وَعْثاتٍ تردُّ الخطأ رَدًّا⁷
وتَهْتَزُّ لَيْلى العامريَّةُ فوقها ولائتُ بِسَبِّ القَزِّ ذا غُدُرٍ جَعْدًا⁸

1 ديوان مجنون ليلى : 119-120 .

2 قرّر أبو الفرج أن هذا البيت وحده لابن هرمة ، ولكن جامع الديوان ، أورد له قبله ثلاثة أبيات أخرى لم ترد هنا (ديوانه : 95-96) . وانظر الأغاني 579/2 من هذه الطبعة .

3 ابن هرمة : إبراهيم بن هرمة وهو أحد الشعراء المحدثين ، وستأتي ترجمته في الأغاني ؛ جمع ديوانه محمد جبار المعيد ؛ النجف 1969 .

4 يسلي من الهوى في الديوان : يسلي ذوي الهوى .

5 ل : عبدان الهذلي (وهو خطأ) .

6 منزلة حمد أي منزلة محمودة .

7 عيطلات جمع عيطلة وهي الطويلة العنق . وعثات : لينات .

8 لائت : لفت ؛ السب ؛ الخمار ؛ الغدر جمع غديرة وهي الذؤابة أو الخصلة من الشعر .

إِذَا حَرَكَ الْمِدْرَى ضَفَائِرَهَا الْعُلَا مَجَجْنَ نَدَى الرِّيحَانِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدَا
وَأَخْبَارِ الْهَذِيلَيْنِ¹ تُذَكِّرُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَثَلًا تَنْقُطِعُ أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ ، وَلَهُمَا
فِي الْمَائَةِ الصَّوْتِ الْمُخْتَارَةِ أَغَانٍ تُذَكِّرُ أَخْبَارَهَا مَعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
[طلب من رجلين إطلاق ظبية صاداها]

أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عدي ،
وأخبرني محمد بن خلف [بن المرزبان] عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال :
مرّ المجنون برجلين قد صادا ظبيةً فربطاهما بحبل وذبحا بها ، فلمّا نظر إليهما وهي تركض في
حبالهما دمعت عيناه ، وقال لهما : خلّاهما وخُذا مكانها شاةً من غنمي ، وقال ميمون في خبره :
وخُذا مكانها قُلُوصاً من إيلي ؛ فأعطاهما وحلّاهما فولّت تعدو هاربة . وقال المجنون للرجلين حين
رأها في حبالهما² :

يَا صَاحِبِي اللَّذِينَ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا فِي الْحَبْلِ شَيْهًا لِلَّيْلِ ثُمَّ غَلَّاهَا
إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أَعْطَافِ شَاتِكُمَا مَشَابِهًا أَشْبَهْتَ لَيْلِي فَحَلَّاهَا
قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهي] تعدو أشدَّ عدو هاربة مذعورة³ : [من الطويل]

صوت

أَيَا شَيْهَ لَيْلِي لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصْدِيقُ
وَيَا شَيْهَ لَيْلِي لَوْ تَلَبَّثْتَ سَاعَةً لَعَلَّ فَوَادِي مِنْ جَوَاهِ يُفِيقُ
تَفِيرُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا فَأَنْتِ لِلَّيْلِ لَوْ عَلِمْتَ طَلِيقُ

[خبره مع نسوة عدلته في حب ليلي]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أن ابن
الأعرابي أخبرهما أن نسوة جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك
ما ترى في هوى ليلي ، وإنما هي امرأة من النساء ، هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى
إحدانا فنُساعِفَكَ وَنَجْزِيكَ بهواك ويرجع إليك ما عَزَبَ⁴ من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنّ :
لَوْ قَدَّرْتُ عَلَى صَرْفِ الْهَوَى عَنْهَا إِلَيْكَ لَصَرَفْتُهُ عَنْهَا وَعَنْ كُلِّ أَحَدٍ بَعْدَهَا وَعِشْتُ فِي النَّاسِ

1 الهذليان : مغنيان هما سعيد وعبد آل ابن مسعود .

2 ديوان مجنون ليلي : 285 .

3 ديوان مجنون ليلي : 206-207 وفيه رواية البيت الثالث :

عشقت فأذّي شكر ليلي بنعمة فأنت لليلي إن شكرت طليق

4 في ل : ذهب .

سويّاً مستريحاً ؛ فقلن له : ما أعجبك منها ؟ فقال : كلّ شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني ، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلّا كان في عيني حسناً وبقلي علقاً ، ولقد جَهدتُ أن يَبْحَ منها عندي شيءٌ أو يَسْمُجَ أو يُعَابَ لأسلُو عنها فلم أجده ؛ فقلن له : فصِفْها لنا ، فأنشأ يقول¹ :

بيضاء خالصةً البياض كأنّها قمرٌ توسّطَ جُنحَ ليلٍ مُبرَدٍ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ إنّ الجمالَ مَظَنَّةٌ للحسدِ
وترى مدامعها تَرَقِرقُ مُقَلَّةٍ سوداءَ ترغِبُ عن سوادِ الإثمِ
خَوْدٌ إذا كَثُرَ الكلامُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى الحياءِ وإن تَكَلَّمْ تَقْصِدِ²
قال : ثم قال ابن الأعرابي : هذا والله من حَسَنِ الكلامِ ومُنْفَحِ الشَّعرِ .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً ، وفيه غناء ، قال : [من الطويل]
كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذُكرتُ ليلي يَشُدُّ به قَبْضا
كأنّ فِجَاجَ الأرضِ حَلَقَةُ خَاتَمٍ عليّ ، فما تردّأ طولاً ولا عَرِضا
[أودع رجلاً شعراً ينشده على مسمع من ليلي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّة قال حدّثنا أبو مسلم عن القحذميّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إني أريد الإمامَ بحَيِّ ليلي فهل تُودِعُنِي إليها شيئاً ؟ فقال : نعم ، قِفْ بحيث تسمعُك ثم قُلْ³ :

صوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ باليأس منك ولكنّي أُعْنِيها⁴
مَنِيْتُكَ النفسَ حتى قد أضربَ بها واستيقنَتْ خُلُفاً ممّا أُمْنِيها
وساعةً منك أَلُهوها وإن قَصُرَتْ أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلي لقد أحسن الذي يقول⁵ :

[من البسيط]

1 ديوان مجنون ليلي 117 ورواية البيت الأول فيه :

بيضاء باكرها النعيم كأنّها قمر توسّط جَنح ليل أسود

2 تقصد : تذهب مذهب الاعتدال .

3 ديوان مجنون ليلي : 270 .

4 أعنيها : أحملها العناء .

5 ديوان مجنون ليلي : 289 .

الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكني أعنيها
 وأنشدها الأبيات ؛ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : أبلغه السلام وقل له : [من البسيط]
 نفسي فداؤك ، لو نفسي ملكتُ إذا ما كان غيرك يَجْزِيها ويُرضيها
 صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطباري عنك أخفيها
 قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، ثم
 أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لَعُرْوَةَ الْعُدْرِيّ أَضْحَى أَحاديثاً لقومٍ بعد قومٍ
 وعُرْوَةُ مات موتاً مُسْتَرْجِحاً وها أنا ميّت في كلِّ يومٍ
 أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر
 للمجنون¹ :

صوت

أيا زينة الدنيا التي لا ينالها مُنَايَ ولا يدو لقلبي صرِيْمُها
 بعيني قذاةً من هوالِك لَوَ أَنَّها تُداوِي بمن تهوى لصَحِّ سَقِيْمُها
 وما صَبَرْتُ عن ذكرِك النفسُ ساعةً وإن كنتُ أحياناً كثيراً ألومُها

[سأل أبو المجنون رجلاً أن يبلغه أن ليلي تشتمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن
 ابن الكلبيّ قال : سأل الملوّح أبو المجنون رجلاً قَدِيمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ
 إليه فيخبره أنّه لقي ليلي وجلس إليها ، ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها
 المجنون ، وقال له : حدّثه بها ، فإذا رأيته قد اشربَ لحديثك واشتهاه فعرفه أنّك ذكرته
 لها ووصفت ما به فشتمته وسبته ، وقالت : إنّهُ يكذب عليها ويُشهرُها بفعله ، وإنّها ما
 اجتمعت معه قطّ كما يصفُ ؛ ففعل الرجل ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلفائه إيّاها ؛ فأقبل
 عليه وجعل يسأله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله ، إلى
 أن أخبره بسبّها إيّاه وشتمها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لما حكاه عنها² : [من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلي 252-253 .

2 ديوان مجنون ليلي : 85 .

صوت

تَمَرَّ الصَّبَا صَفْحًا بَسَاكِنَ ذِي الْغَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبُ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا جَوَائِي بِمَا تُهْدِي إِلَيَّ جَنُوبُهَا
قَرِيبَةً عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا بَدَارَ قَلْبِي تُمْسِي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا هَنِيئًا وَمَغْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

ذكر أبو أيوب المديني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته . وفيه لمثيم
غناءً يُنسب . وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال ، وفيه غناء¹ : [من الطويل]

صوت

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ لَيْلَى تُزَارُ بِذِي الْأَثَلِ وَبِالْجِرْعِ مِنْ أَجْزَاعٍ وَدَانَ فَالْنَخْلِ
صَدِيقٌ لَنَا فِيمَا نَرَى غَيْرَ أَنَّهَا تَرَى أَنْ حَبِّي قَدْ أَحَلَّ لَهَا قَتْلِي

[وصف رجل المجنون ليلي فبكت]

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن
عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا : خرج منَّا رجلٌ إلى ناحية الشام والحجاز وما
يلي تيماء والسرَّة وأرض نجد ، في طلب بُغْيَةٍ له ، فإذا هو بخيمة قد رُفَعَتْ له وقد أصابه
المطرُ فعدَّل إليها وتحنَّج ، فإذا امرأة قد كلَّمته فقالت : انزل ، فنزل . قال وراحت إبلهم
وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم ، فقالت : سلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ فقلت : من ناحية تهامة
ونجد ؟ فقالت : ادخل أيَّها الرجل ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة ، فأرخت بيني وبينها
سِتْرًا ثم قالت لي : يا عبد الله ، أيَّ بلاد نجدٍ وطئت ؟ فقلت : كلَّها ؛ قالت : فيمن نزلتَ
هناك ؟ قلت : ببني عامر ؛ فتنفَّست الصُّعداء ثم قالت : فبأي بني عامر نزلت ؟ فقلت : ببني
الحريش ؛ فاستعبرت ثم قالت : فهل سمعت بذكر فتى منهم يقال له : قيس بن الملوَّح ويلقب
بالمجنون ؟ قلت : بلى والله ، وعلى أبيه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفيافي ،
ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] إلا أن تُذكر له امرأة يقال لها ليلي ، فيبكي ويُشيد
أشعاراً قالها فيها . قال : فرفعتِ السترَ بيني وبينها ، فإذا فَلَقَةٌ قمرٍ لم ترَ عيني مثلها ، فبكتُ
حتى ظننتُ ، والله ، أن قلبها قد انصدع ، فقلت : أيتها المرأة ، اتقى الله فما قلتُ بأساً ،

فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رَحَلُ قيسٍ مُسْتَقِلٌ فراجعُ
بنفسي مَنْ لا يستقلُّ بِرَحْلِهِ وَمَنْ هو إن لم يحفظِ الله ضائعُ
ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها ، فقلت لها : مَنْ أَنْتِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ ؟ وما قَصَّتْكِ ؟ قالت : أنا
لبلى [صاحبته] المشؤومة والله عليه غيرُ المؤنسة له ؛ فما رأيت مثلَ حزنها ووجدتها عليه قط .

[أخبر شيخ من بني مرة لقي المجنون وشهده ميتاً في واد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة
قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمار ، وأخبرني عثمان عن الكُراني عن العُمري عن
لَقِيط ، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن
عمار ، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأَصمعي وأبو مسلم المُستَملي عن ابن
الأعرابي ، يزيد بعضهم على بعض ، أن عثمان بن عمار المري أخبرهم أن شيخاً منهم من بني
مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون ، قال : فدُلْتُ على مَحَلَّتْه فأَتَيْتُها ، فإذا
أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً ،
وقال الشيخ : والله هو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي ؛ وإنه هَوِيَ امرأةً من قومه ،
والله ما كانت تَطْمَعُ في مثله ، فلَمَّا أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يُزَوِّجَهَا منه بعد ظهور
الخبر فزَوَّجَهَا من غيره ، فذهب عقلُ ابني وَلَحِقَهُ خَبَلٌ وهام في الفياضي وَجَدَأَ عليها ،
فحبسناه وقيدناه ، فجعل يَعَضُّ لسانه وشفَتَيْه حتى خَفِنَا [عليه] أن يقطعها فخلينا سبيله ،
فهو يهيم في [هذه] الفياضي مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلَّ يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ،
فإذا تنَحَّوا عنه جاء فأكل منه . قال : فسألتهم أن يدلوني عليه ، فدلوني على فتى من الحي كان
صديقاً له وقالوا : إنه لا يَأْنَسُ إلَّا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ، فأتيتُه فسألته أن يدلني عليه ؛
فقال : إن كنت تريد شعره فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أُمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً فإن كان قال
شيئاً أتيتك به ؛ فقلت : بل أريد أن تدلني عليه لآتيه ؛ فقال لي : إنه إن نفر منك نفر مني
فيذهب شعره ، فأبيت إلَّا أن يدلني عليه ؛ فقال : اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيته فادنُ منه
مستأنساً ولا تُره أنك تهابه ، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء ، فلا يُروِعْكَ واجلس
صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نِفاره فأنشده شعراً غزلاً ، وإن
كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجب به ؛ فخرجت فطلبتُه يومي
إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خطَّ فيه بإصبعه خطوطاً ، فدنوتُ منه غير منقبض ،
فنفر مني نفور الوحش من الإنسان ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فمكث

ساعة كأنه نافرٌ يريد القيام ، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه
وقلت : أحسن والله قيسُ بن ذريحٍ حيث يقول¹ :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِيَّ بعلمك في بُنَى وأنتَ خَبِيرُ
فإن أنتَ لم تُخبرَ بشيءٍ علمته فلا طِرْتَ إلّا والجنّاحُ كَسِيرُ
ودُرْتُ بأعداءٍ حبيبكَ فيهمُ كما قد تَرَانِي بالحبيبِ أدورُ
فأقبل عليّ وهو يكي فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول : [من الوافر]
كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قِطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هُنِيهَةً ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : وَأَحْسَنَ وَاللَّهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ حَيْثُ
يَقُولُ :

وَأَنِّي لَمُفْنٍ دَمَعَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ حِذَا رَأَى لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيلَةٌ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفْلِكَ إِلَّا أَنْ مَنْ حَانَ حَائِنُ
قال : فبكي ، والله حتى ظننتُ أنَّ نفسَه قد فاضت ، وحتى رأيتُ دموعَه قد بَلَّتِ الرملَ
الذي بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول² : [من الطويل]

صوت

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَّيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
ويروى : «وَعَادَرْتُ مَا غَادَرْتُ . . .» ، ثم سَنَحْتُ لَهُ ظَبِيَّةً فَوَثَبَ يَعْدُو خَلْفَهَا حَتَّى غَابَ
عَنِّي وَانصَرَفْتُ ، وَعُدْتُ مِنْ غَدٍ فَطَلَبْتُهُ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَصْنَعُ لَهُ طَعَامَهُ إِلَى
الطَّعَامِ فَوَجَدْتُهُ بِحَالِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ غَدَوْتُ وَجَاءَ أَهْلُهُ مَعِيَ فَطَلَبْنَاهُ يَوْمَنَا فَلَمْ نَجِدْهُ ،
وَعَدَدْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَسْتَقْرِئُ أَثَرَهُ حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْحَجَارَةِ خَشِينٍ ، وَهُوَ مَيِّتٌ بَيْنَ
تِلْكَ الْحَجَارَةِ ، فَاحْتَمَلَهُ أَهْلُهُ فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ .
[الحزن على المجنون وندم أبي ليلى]

قال الهيثم : فحدثني جماعة من بني عامر : أنَّه لم تبقَ فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحريش

1 ديوان مجنون ليلى : 262 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

2 ينسب هذان البيتان أيضاً لكثير (انظر ديوانه : 586 وديوان مجنون ليلى : 94) .

إلا خرجت حاسرةً صارخةً عليه تندبه ؛ واجتمع فتیان الحَيّ يكون عليه أحرّ بكاء ،
وينشجون عليه أشدّ نشيج ، وحضرهم حيّ ليلي مُعزّين وأبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً
وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كلّ هذا ، ولكنّي كنتُ امرئاً عربياً أخاف
من العار وقُبْح الأحداث ما يخافه مثلي ، فزوّجتها وخرجت عن يدي ، ولو علمتُ أنّ أمره
يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك . قال : فما رُئيَ يومَ
كان أكثر باكيةً وباكيةً على ميتٍ من يومئذٍ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[منها] الصوت الذي أوّله :

ألا يا غرابَ البين ويحكَ نَبْنِي بعلمِكَ في بُنَي وأنتَ خبيرٌ
الغناء لابن محرز ثقیل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لحكم . وفي
رواية ابن الأعرابيّ أنّه أنشده مكان :
ألا يا غرابَ البين ويحكَ نَبْنِي بعلمِكَ في بُنَي وأنتَ خبيرٌ

صوت

[من الطويل]

ألا يا غرابَ البين هل أنتَ مُخْبِرِي بخيرٍ كما خَبَرْتَ بالنأي والشَّرَّ
وخَبَرْتَ أن قد جدّ بينٌ وقرَّبوا جمالاً لبينٍ مُثَقَلاتٍ من الغَدْرِ
وهجّت قذَى عينٍ بلُبْنِي مريضَةٍ إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعُها تجري
وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بياقٍ على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذريح ، والغناء لابن جامع ، ثقیل أوّل بالسبابة في مجرى البصر عن
إسحاق . وفيه لبخٍ ثقیل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لدحمان ثاني ثقیل عن الهشاميّ
وعبد الله بن موسى .

[من الوافر] ومنها الصوت الذي أوّله :

كأنّ القلبَ ليلةً قِيلَ يُغْدَى بلَيْلى العامريّة أو يُراح

[من الطويل] ومنها الصوت الذي أوّله :

وأدنينيّني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يُجِلّ العُصمَ سهلَ الأباطيح

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقیل بالوسطى عن الهشاميّ .

[بكاء أبي ليل على المجنون]

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا الفضل الربيعي عن محمد بن حبيب قال : لما مات مجنون بني عامر وجد في أرض خشنة بين حجارة سود ، فحضر أهله وحضر معهم أبو ليل ، المرأة التي كان يهواها ، وهو متدمم من أهله ، فلما رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنه قد شريك في هلاكه ، فبينما هم يقبلونه إذ وجدوا خرقه فيها مكتوب : [من الطويل]

ألا أيُّها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت ولا هنيئ من عيشك الغصا
شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيُم مع الهلاك لا أطعم الغصا

صوت

[من الطويل]

كأن فؤادي في مخالب طائر إذا ذكرت ليلي يشدُّ به قبضا
كأن فيجاج الأرض حلقة خاتم عليّ فما تردأ طولاً ولا عرضاً
في هذين البيتين رمل ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز ، وذكر حبش والحشامي أنه لإسحاق .

[عوتب على التغني بالشعر]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال حدثني بعض القشيريين عن أبيه قال : مررت بالمجنون وهو مشرف على وادٍ في أيام الربيع ، وذاك قبل أن يختلط ، وهو يتغنى بشعر لم أفهمه ، فصحت به : يا قيس ، أما تشغلك ليل عن الغناء والطرب ؟ فتنفس تنفساً ظننت أن حيازيمه قد انقادت ، ثم قال : [من الطويل]

صوت

وما أشرف الأيفاع إلا صبابه ولا أنشد الأشعار إلا تدوايا
وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان جهد الظن أن لا تلاقيا
لحسى الله أقواماً يقولون إنني وجدت طوال الدهر للحب شافيا

[التفاوه بقيس بن ذريح]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال : اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه ، وكان كل واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحُّشه لا يجلس إلا منفرداً ولا يحدث أحداً ولا يرد على

متكلم جواباً ولا على مُسلم سلاماً ، فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ عليه السلام ؛ فقال له : يا أخي ، أنا قيس بن ذريح ؛ فوثب إليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، أنا والله مذهبٌ بي مُشترِكُ اللب فلا تُلمني ، فتحذّتا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخي ، إن حيّ ليلي منا قريب ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلغها عني السلام ؟ فقال له : أفعل . فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلي فسلم وانتسب ؛ فقالت له : حياك الله ، ألك حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عمك أرسلني إليك بالسلام ؛ فأطرت ثم قالت : ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله ، قل له عني : رأيت قولك :

أَبَتْ لَيْلَةً بِالْغَيْلِ يَا أُمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حَبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ¹
أَلَا إِنَّمَا أَبْقَيْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

أخبرني عن ليلة الغيل ، أي ليلة هي ؟ وهل خلوتُ معكِ في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنة عمّ ، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنّما أخبر أنّه رآكِ ليلة الغيل فذهبت بقلبه ، لا أنّه عناكِ بسوء ؛ قال : فأطرت طويلاً ودموعها تجري وهي تكفكفها ، ثم انتحبت حتى قلتُ تقطعت حيازيمُها ، ثم قالت : اقرأ على ابن عمي السلام ، وقل له : بنفسِي أنت ، والله إنّ وجدي بك لفوق ما تجد ، ولكن لا حيلة لي فيك ؛ فانصرف قيس إليه ليخبره فلم يجده .

[رأى ليلي فيكي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويّة قال حدّثني عمّي عن ابن الصّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : مرّ المجنون بعد اختلاطه بليلي [وهي] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل ، فلمّا رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده ، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق وأنشأ يقول :

بَكَى فَرِحاً بَلَيْلِي إِذْ رَأَاهَا مَحَبٌّ لَا يَرَى حَسَنًا سِوَاهَا
لَقَدْ ظَفِرَتْ يَدَاهُ وَنَالَ مُلْكًا لَئِنْ كَانَتْ تَرَاهُ كَمَا يَرَاهَا

الغناء لابن المكيّ رمل بالبنصر . وفيه لعريب ثقيل أول عن الهشامي . وفيه خفيف رمل ليزيد حوراء . وقد نُسِبَ لحنه إلى ابن المكيّ ولحن ابن المكيّ إليه .

صوت
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الرمل]

رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يشربون الخمرَ بالماءِ الزَّلَالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذلك الدهرُ حالاً بعد حالٍ

الشعر لعدي بن زيد العبادي ، والغناء لابن مُحَرَّز ، ولحنه المختار خفيف [رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رمل] آخر بالنصر ابتداءه نشيد ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طنبورة ، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه . وهذه الأبيات قالها عدي بن زيد العبادي على سبيل الموعظة للنعمان بن المنذر ، فيقال : إنها كانت سبب دخوله في النصرانية .
[عظة عدي بن زيد للنعمان بن المنذر]

حدَّثني بذلك أحمد بن عمران المؤدَّب قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَّة قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة ، فقال له عدي بن زيد : أيُّها الملك ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يشربون الخمرَ بالماءِ الزَّلَالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذلك الدهرُ حالاً بعد حالٍ

قال : ثم جاوز الشجرة فمرَّ بمقبرة ، فقال له عدي : أيُّها الملك ، أتدري ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

أيُّها الركبُ المُخَيَّبُ نَ على الأرضِ المُجِدِّونُ
فكما أنتمُ كُنَّا وكما نحنُ تكونون

فقال له النعمان : إنَّ الشجرة والمقبرة لا يتكلَّمان ، وقد علمتُ أنَّك إنما أردتَ عِظَتِي ، فما السبيلُ التي تُدرِّكُ بها النجاة ؟ قال : تدعُ عبادة الأوثان وتعبُدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى بن مريم ؛ قال : أو في هذا النجاة ؟ قال : نعم ، فتصرَّ يومئذٍ . وقد قيل : إنَّ هذه القصة كانت لعدي مع النعمان الأكبر بن المنذر ، وإنَّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصَّر . وخبر هذا يأتي مع أحاديث عدي .

[11] - ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله¹

[نسبه]

هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عَصِيَّة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان أيوب هذا فيما زعم ابن الأعرابي أول من سُمِّي من العرب أيوب ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهله .

[عدي بن زيد لا يعد في فحول الشعراء]

وليس ممن يعد في الفحول ، وهو قروي . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها . وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها . ومثله كان عندهم أمية بن أبي الصلت ، ومثلها كان عندهم من الإسلاميين² الكُميت والطرمّاح . قال العجاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقليل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنهما قرويان يصيفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه . وكذلك عندهم عدي وأميه .

[سب نزول آل عدي الحيرة]

قال ابن الأعرابي فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السُّكَّري عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : سب نزول آل عدي بن زيد الحيرة أن جدّه أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق بأوس بن قلام أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيوب بن محروف وبين أوس بن قلام هذا نسب من قِيل النساء ، فلما قدم عليه أيوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ، ثم إن أوساً قال له : يا ابن خال ، أتريد المقام عندي

1 ترجمة عدي بن زيد في طبقات فحول الشعراء : 140-142 والشعر والشعراء : 150-156 ومعاهد التنصيص : 1 : 315-323 وخزانة الأدب : 3 : 348-356 والموشح : 532-534 ومعجم المرزباني : 80 ومعجم الأدباء والوافي للصفدي : 19 : 530 تحقيق د . رضوان السيد : 1203 وصفحتان أخرى (انظر الفهرست) وشعراء النصرانية للويس شيخو ومقدمة ديوانه صنعة محمد جبار المعبيد ، بغداد 1965 (ولبعظه أصل مخطوط) .

2 ل : في الإسلام .

وفي داري ؟ فقال له أيوب : نعم ، فقد علمت أنني إن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم ، وما لي دارٌ إلا دارك آخر الدهر ؛ قال أوس : إني قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرِّجَم ، فأنظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكهُ أو أبتاعهُ لك ؛ قال : وكان لأيوب صديقٌ في الجانب الشرقي من الحيرة ، وكان منزلُ أوسٍ في الجانب الغربي ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزل الذي تُسكنيهِ عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ؛ فابتاع له موضع داره بثلثمائة أوقية من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعايتها وفرساً وقَيْنَةً ؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها . وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقّه وحقّ ابنه زيد بن أيوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحُمْلان¹ .

[مقتل زيد بن أيوب]

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قَلَام فولدت له حمّاداً ، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيَّام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم مُتَدَوْن² بِخَفِيرٍ ، المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره ؛ فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجلٌ من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قَبْلَ أبيه ، فقال له ، وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوب : ممَّن الرجل ؟ قال : من بني تميم ، قال : من أيهم ؟ قال : مَرَّتِي³ ؛ قال له الأعرابي : وأين منزلك ؟ قال : الحيرة ؛ قال : أمن بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بني أيوب ؟ واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلمه أنّه قد عرفه ؛ فقال له زيد بن أيوب : فمن أي العرب أنت ؟ قال : أنا امرؤٌ من طيء ؛ فأمنه زيد وسكت عنه ، ثم إنَّ الأعرابي اغتفل⁴ زيد بن أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه ، فلم يرم حافر دابته حتى مات ؛ فلبث أصحابُ زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنّه قد أمعن في طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يسوا منه ، ثم غَدَوْا في طلبه فاقتَفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يُساوره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ، فعرفوا أنّ صاحب الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغْدَوْا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحوا به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل

1 الحملان : دواب الحمل .

2 ل : وهم متبدون . ومتندون أي مجتمعون .

3 نسبة إلى امرئ القيس .

4 اغتفله : انتهب منه غفلة .

بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع¹ كنفه بسهم فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي ، فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب .
[تولي حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحق بالوصفاء ؛ فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان فلطم اللحياني عين حماد فشجّه حماد ، فخرج أبو اللحياني فضرب حماداً ، فأتى حماداً أمه يبكي ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان لأنّ ابنه لطمني فشجّجته ، فجزعت من ذلك وحوّلتها إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه ، فكان حماد أول من كتب من بني أيوب ، فخرج من أكتب الناس وطُلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر ، فليث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوّجها من طيء فسمّاه زيدا باسم أبيه .
[سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى]

وكان لحماد صديق من الدهاقين² العظماء يقال له فروخ ماهان ، وكان مُحسناً إلى حماد ، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، وكان من المرازية³ ، فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده ، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان ، فعلمه لما أخذه الفارسية فلَقَنها ، وكان ليبيّاً فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلاّ بأولاد المرازية ، فمكث يتولّى ذلك لكسرى زماناً .
[تمليك زيد بن حماد على الخيرة]

ثم إنّ النعمان النَّصريّ اللّخميّ هلك ، فاختلف أهلُ الخيرة فيمن يُملّكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل يُنصّبُه ، فأشار عليهم المزيان بزيد بن حماد ، فكان على الخيرة إلى أن ملّك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عديّاً ، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء ، ووُلد للمزيان ابن فسمّاه «شاهان مَرْد» .
[تعلم عدي بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية]

فلما تحرّك عديّ بن زيد وأيفع طرّحه أبوه في الكُتّاب ، حتى إذا حذَقَ أرسله المزيان مع ابنه «شاهان مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلّم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر ، وتعلّم الرمي

1 مرجع الكتف : الجانب السفلي منه .

2 الدهاقين وهو جمع دهقان ، وهو رئيس القرية .

3 المرازية : جمع مزيان (Satrap) قائد منطقة حدودية . والٍ على منطقة ثغرية (حدودية) .

بالنشاب فخرج من الأساورة¹ الرُماة ، وتعلّم لعبَ العجم على الخيل بالصَّوَالِجَة² وغيرها .
[اتصاله بكسرى وتولييه الكتابة في ديوانه]

ثم إنَّ المرزبان وفَدَّ على كِسرى ومعه ابنه «شاهان مرد» ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى بجعل كلِّ واحدٍ منقاره في منقار الآخر ، فغضِبَ كسرى من ذلك ولحِقَتْهُ غَيْرَةٌ ، فقال للمرزبان وابنه : لِيَرَمْ كُلُّ واحدٍ منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجواهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ؛ فاعتمد كلُّ واحدٍ منهما طائراً منهما ورَمَيَا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما إلى بيت المال فمُلِكت أفواههما جوهراً ، وأثبت «شاهان مرد» وسائر أولاد المرزبان في صحابته ؛ فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك : إنَّ عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه في حجرِي³ فربَّيته ، فهو أفصحُ الناس وأكبتهم بالعربية والفارسية ، والمملك محتاج إلى مثله ، فإن رأى أن يُثَبِّتَه في وَلَدِي فعل ؛ فقال : ادعه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحُسن ، وكانت الفُرس تتبرَّك بالجميل الوجه ، فلمَّا كلَّمه وجدته أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغِب فيه وأثبته مع ولد المرزبان .

[عديّ أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فكان عديّ أوَّل من كتب بالعربية في ديوان كِسرى . فرغِب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهبوه ، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤدِّن له عليه في الخاصة وهو معجبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بن حمّاد يومئذ حيّ إلّا أنَّ ذِكر عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذِكرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعٌ من عنده حتى يقعد عديّ ، فعلاً له بذلك صيتٌ⁴ عظيمٌ . فكان إذا أراد المُقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقلَّ .

[إرسال كسرى له إلى ملك الروم]

ثم إنَّ كسرى أرسل عديّ بن زيد إلى ملكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفٍ ما عنده ، فلمَّا أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمّاله على البريد لِيُريه سَعَةً أرضه وعظيمٌ⁵ مُلكه ، وكذلك كانوا يصنعون ؛ فمن ثَمَّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشام وهي أوَّل شعر

1 الأساورة جمع أسوار وهو الفارس الخاذق في الرمي .

2 الصوالجة جمع صولجان ، عصا معقوفة ، يلعب بها بالكرة اللاعب وهو على ظهر الفرس (Polo) .

3 ل : وخلفه عندي .

4 ل : صوت وهي بمعنى «صيت» .

5 ل : وعظم .

قاله فيما ذكر¹ :

[من الخفيف]

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزْعِ مِنْ دُو
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا
قَدْ سَقَيْتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشِيرٍ
فَهَوَّةٌ مُزَّةٌ بِمَاءِ سَخِينٍ

ثم كان أول ما قاله بعدها قوله³ :

[من الرمل]

لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخَيْمٍ
أَصْبَحَتْ غَيْرَهَا طُولَ الْقِدَمِ
[وفي غير هذه الرواية لمن الدار تبدت]⁴ :

مَا تَبَيَّنُ الْعَيْنُ مِنْ آيَاتِهَا
غَيْرُ نُؤْيٍ مِثْلَ خَطِّ الْقَلَمِ
صَالِحاً قَدْ لَفَّهَا فَاسْتَوْسَقَتْ
لَفَّ بَازِيٍّ حَمَاماً فِي سَلَمٍ⁵

[تولية أهل الحيرة زيداً أبا عدي على الحيرة]

قال : وفسد أمر الحيرة وعدي بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه ، فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب ، وكان قبله على الحيرة ، فقال له : يا زيد أنت خليفة أبي ، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملكيكم ، دونكموه ملكوه من شئتم ؛ فقال له زيد : إن الأمر ليس إلي ، ولكنني أسير⁶ لك هذا الأمر ولا آلوك نصحاً ، فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك ، وقالوا له : ألا تبعث إلى عبدك الظالم ، يعنون المنذر ، فترج منه رعيته ؟ فقال لهم : أولاً خير من ذلك ! قالوا : أشير علينا ؛ قال : تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت ملكي ، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزواً أو قتالاً ، فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور ؛ قالوا : رأيك أفضل . فأتى المنذر فأخبره بما قالوا ؛ فقبل ذلك وفرح ، وقال : إن لك يا زيد عليّ نعمة لا أكفرها ما عرفت حق سبد ، وسبد صنم كان لأهل الحيرة ؛ فولّى أهل الحيرة زيداً على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر . وفي

1 ديوان عدي : 186 ، وانظر معاهد التنصيص 1 : 318 .

2 دومة : قرية من قرى الغوطة . جيرون : دمشق أو أحد أبوابها .

3 ديوان عدي : 73 .

4 زيادة من ل .

5 استوسقت : اجتمعت . السلم : نوع من الشجر .

6 أسير : أختبر وأنفخص .

ذلك يقول عديّ : [من الرمل]

نحن كنّا قد علمتم قبلكم عمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ¹

[قدوم عديّ للحيرة وخروج المنذر للقائه]

قال : ثم هلك زيدٌ وابنه عديّ يومئذٍ بالشام . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحِمالات² كان أهلُ الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ، فلمّا هلك أرادوا أخذها ؛ فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللّات والعزى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيدٍ تُفروق³ وأنا أسمع الصّوت .

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنه النعمان بن المنذر :

وأبوك المرء لم يُشْنأ به يومَ سيمَ الخسفِ ممّا ذو الخسارِ⁴

قال : ثم إنّ عدياً قديم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والمرزبان الذي ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلمام بالحيرة فأذن له فتوجّه إليها ، وبلغ المنذر خبره فخرج فقلّقه في الناس ورجع معه . وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنّه كان يؤثّر الصيد واللّهو واللعب على الملّك ، فمكث سنين⁵ يبدو في فصلّي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثّر على بلاد بني يربوع مبدئى من مبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم ، وكان أخلاًؤه من العرب كلّهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضَبّة وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحَيَّين⁶ بإبله .

[زواجه من هند بنت النعمان]

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي يومئذٍ جارية حين بلغت أو كادت . وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبيّ عن إسحاق بن الجصّاص وحمّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قالوا : كان لعديّ بن زيد أخوان : أحدهما اسمه عمّار ولقبه أبيّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُميّ ، وكان لهم أخ من أمّهم يقال له عديّ بن حنظلة من طيّء ، وكان أبيّ

1 الإصار : طنّب الخيمة .

2 الحِمالة : الدية .

3 التفروق : قمع البصرة والثمرة ، يقال للشّيء إذا كان تافهاً .

4 لم يشْنأ به : لم يواجه بالكراهية . ذو الخسار في ل : بخسار .

5 ل : سنتين .

6 ل : هاتين القبيلتين .

يكون عند كسرى ، وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الأكاسرة ، ولهم معهم أكل¹ وناحية ، يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم .
[المنذر يعهد بابنه النعمان إلى عدي]

وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربّوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له «الأسود» ، أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب ، فأرضعه ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة ، وكان ولده يقال لهم «الأشاهب»² من جمالهم ، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الأشاهب في الحيد ررة يمشون غداة كالسيوف

[سعى عدي بن زيد في ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدي بن مرينا]

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش³ قصيراً ، وأمّه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فذلك ، فلما احتضر المنذر وخلف أولاده هؤلاء العشرة ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إياس بن قبيصة الطائي ، وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فمكث مملّكاً عليها أشهراً وكسرى في طلب رجل يملّكه عليهم ، وهو كسرى بن هرمز ، فلم يجد أحداً يرضاه فضجر ، فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ، ولأملكنّ عليهم رجلاً من الفرس ، ولأمرنهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عدي : من بقي من آل المنذر ؟ وهل فيهم أحد فيه خير ؟ فقال : نعم أيها الملك السعيد ، إن في ولد المنذر لبقية وفيهم كلهم خير ؛ فقال : ابعث إليهم فأحضرهم ، فبعث عدي إليهم فأحضرهم وأتزلهم جميعاً عنده ، ويقال : بل شخّص عدي بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم ، ثم قدّم بهم على كسرى . قال : فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل إلى النعمان : لست أملك غيرك فلا يوحشك ما أفضّل به إخوانك عليك من الكرامة فإنني إنما أغترهم بذلك ، ثم كان يفضّل إخوانه جميعاً عليه في النزل والإكرام والملازمة ويربهم تنقصاً للنعمان وآته غير طامع في تمام أمر على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : إذا أدخلتكم على الملك فلبسوا أفخر ثيابكم وأجملها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتابطوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون ، فإذا قال

1 أكل : رزق .

2 سموا بذلك لبياضهم أو لجمالهم .

3 أبرش : أرقط ، في وجهه بقع بيضاء وأخرى غير ذلك .

لكم : أَتَكْفُونِي الْعَرَبَ ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذَّ أحدكم عن الطاعة وأفسد ، أَتَكْفُونِيهِ ؟ فقولوا : لا ، إنَّ بعضنا لا يقدر على بعض ، لِيَهَابَكُمْ وَلَا يَطْمَعَ فِي تَفَرِّقِكُمْ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ مَنَعَةٌ وَبَأْسًا فَقِيلُوا مِنْهُ ؛ وَخَلَا بِالنَّعْمَانِ فَقَالَ لَهُ : الْبَسْ ثِيَابَ السَّفَرِ وَادْخُلْ مُتَقَلِّدًا بِسَيْفِكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ لِلْأَكْلِ فَعِظْ اللَّقْمَ وَأَسْرِعِ الْمَضْغَ وَالْبَلْعَ وَزِدْ فِي الْأَكْلِ وَتَجَوَّعٌ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَسْرِي يُعْجِبُهُ كَثَرَةُ الْأَكْلِ مِنَ الْعَرَبِ خَاصَّةً ، وَيَرَى أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْعَرَبِيِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ¹ أَكُولًا شَرِهًا ، وَلَا سِيمًا إِذَا رَأَى غَيْرَ طَعَامِهِ وَمَا لَا عَهْدَ لَهُ بِمِثْلِهِ ، وَإِذَا سَأَلَكَ هَلْ تَكْفِينِي الْعَرَبَ ؟ فَقُلْ : نعم ، فإذا قال لك : فَمَنْ لِي بِإِخْوَتِكَ ؟ فَقُلْ لَهُ : إنَّ عَجَزَتُهُ عَنْهُمْ فَإِنِّي عَنْ غَيْرِهِمْ لَأُعْجِزُ . قَالَ : وَخَلَا ابْنُ مَرْيَنَ بِالْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ عَمَّا أَوْصَاهُ بِهِ عَدِيَّ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : غَشَّكَ وَالصَّلِيبَ وَالْمَعْمُودِيَّةَ وَمَا نَصَحَكَ ، وَلَنْ أُطْعَمَنِي لَتُخَالَفَنِّي كُلَّ مَا أَمُرُكَ بِهِ وَلَتُمْلِكَنَّ ، وَلَنْ عَصِيَّتِي لِيُمْلِكَنَّ النِّعْمَانَ وَلَا يَغْرُنَكَ مَا أَرَاكَ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَى النِّعْمَانِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دِهَاءٌ فِيهِ وَمَكْرٌ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَعْدِيَّةَ لَا تَخْلُو مِنْ مَكْرٍ وَحِيلَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ عَدِيًّا لَمْ يَأْتِنِي نَصْحًا وَهُوَ أَعْلَمُ بِكِسْرِي مِنْكَ ، وَإِنْ خَالَفْتُهُ أَوْحَشْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَيَّ وَهُوَ جَاءَ بِنَا وَوَصَفَنَا وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كَسْرِي ؛ فَلَمَّا أَيْسَرَ ابْنُ مَرْيَنَ مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ : سَتَعْلَمُ . وَدَعَا بِهِمْ كَسْرِي ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ جَمَالُهُمْ وَكِبَالُهُمْ وَرَأَى رَجَالًا قَلَمًا رَأَى مِثْلَهُمْ ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدي ، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمل أكله ، فقال لعدي بالفارسية : إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا ، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقول له : أَتَكْفِينِي الْعَرَبَ ؟ فيقول : نعم أَكْفِيكَهَا كُلَّهَا إِلَّا إِخْوَتِي ، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له : أَتَكْفِينِي الْعَرَبَ ؟ قال : نعم ؛ قال : كُلَّهَا ؟ قال : نعم ؛ قال : فكيف لي بإخوتك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنَا عن غيرهم أعجز ؛ فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب .

[توعد عدي بن مرينا لعدي بن زيد]

فَلَمَّا خَرَجَ وَقَدْ مُلِكَ قَالَ ابْنُ مَرْيَنَ لِلْأَسْوَدِ : دُونَكَ عُقْبَى خِلَافِكَ لِي ؛ ثُمَّ إِنَّ عَدِيًّا صَنَعَ طَعَامًا فِي بَيْعَةٍ وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ مَرْيَنَ أَنْ أَتِنِي بِمَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّ لِي حَاجَةً ، فَأَتَى فِي نَاسٍ فَتَغَدَّوْا فِي الْبَيْعَةِ ؛ فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ لَابْنِ مَرْيَنَ : يَا عَدِي ، إِنَّ أَحَقَّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ ثُمَّ لَمْ يَلْمُ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ مِثْلَكَ ، وَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذَرِ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ يُمْلِكَ مِنْ صَاحِبِي النِّعْمَانِ ، فَلَا تَلْمَنِي عَلَى شَيْءٍ كُنْتَ عَلَى مِثْلِهِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَلَّا تَحْقِدَ عَلَيَّ شَيْئًا لَوْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعْطِيَنِي مِنْ نَفْسِكَ مَا أُعْطِيكَ مِنْ نَفْسِي ، فَإِنْ نَصِيْبِي فِي

هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ؛ وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوهُ أبداً ولا يغيه غائلةً ولا يزوي عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدي بن زيد ، قام عدي بن مرينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوهُ أبداً ويغيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة ، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد :

ألا أبلغ عدياً عن عديٍّ فلا تجزع وإن رئتُ قواكا
هياكلنا تبرُّ لغير فقيرٍ لِحَمَدٍ أو يَمِّمَ به غناكا
فإن تظفرَ فلم تظفرَ حميداً وإن تعطبَ فلا ينعُدْ سواكا
ندمتَ ندامةَ الكسعيِّ لما رأْتُ عيناكَ ما صنعتُ يداكا¹

[تدبير عدي بن مرينا المكيدة لعدي بن زيد]

قال : ثم قال عدي بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المَعْدِي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنتُ أخبرك أن مَعْدًا لا ينال كيدُها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني ؛ قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرَضتها علي ، ففعل . وكان ابنُ مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا ، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا ، وكان إذا ذُكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيئ ذلك بأن يقول : إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعْدِي لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى من يُطيفُ بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا : إنه كذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إنَّ الملكَ ، يعني النعمان ، عامله ، وإنه هو ولآه ما ولآه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرمان² له ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدي بن زيد : عزمتُ عليك إلا زرتني فإنني قد اشتقتُ إلى رؤيتك ، وعدي يومئذٍ عند كسرى ، فاستأذن كسرى فأذن له .

[حبس النعمان لعدي بن زيد وما خاطب به عدي النعمان من الشعر]

فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبسٍ لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدي يقول

1 الكسعي : رجل من كسع ، كان رامياً ، فرمى عيراً في الظلام فأصابه ، وهو يحسب أنه أخطأه ، فكسر قوسه ، فلما رأى العير مقتولاً ندم ؛ فضرب به المثل في الندامة .

2 القهرمان : الخازن أو الوكيل .

الشعر وهو في الحبس ، فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر¹ : [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْهَمَامِ وَيَأْتِي لَكَ بِخَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ
أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَنْ غُسَ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمِحَالِ²
وَيُضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسَ يَرْمُو نَ وَأَرْمِي وَكُلُّنَا غَيْرُ آلِي³
فَأُصِيبُ الَّذِي تُرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأَرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَتْفِي بِكَفِّي وَلَمْ أَلْقَ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ⁴
مَحَلُّو مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتْنَا الْعَا مَ فَقَدْ أَوْقَعُوا الرَّحَى بِالْثُقَالِ⁵

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضاً وهو محبوس⁶ : [من الوافر]

أَرَقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ⁷
تَلُوحُ الْمَشْرِقِيَّةُ فِي ذُرَاهِ وَيَجْلُو صَفْحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ

ويروى : تخالُ المشْرِقِيَّةُ . الدخدار : فارسية معربة وهو الثوب المصون . يقول

فيها : [من الوافر]

سَعَى الْأَعْدَاءُ لَا يَأْلُونَ شَرًّا عَلَيَّ وَرَبِّ مَكَّةَ وَالصَّلِيبِ
أَرَادُوا كَيْ تُمَهِّلَ عَنْ عَدِيٍّ لَيْسَجَنَّ أَوْ يُدْهَدَهُ فِي الْقَلِيبِ⁸
وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ⁹
أَعَالِنُهُمْ وَأَبْطِنُ كُلَّ سِرٍّ كَمَا بَيْنَ اللَّحَاءِ إِلَى الْعَسِيبِ
فَفَزَرْتُ عَلَيْهِمْ لَمَّا التَقَيْنَا بَتَاجِكَ فَوْزَةَ الْقِدْحِ الْأَرِيبِ¹⁰

1 الأبيات في ديوانه : 56 (وأكثرها عن الأغاني) .

2 الاخطار للمال والنفس : بذلها . ناهدوا في الحرب : نهض بعضهم إلى بعض . المحال : (بكسر الميم) : المكر وإعمال الحيلة .

3 غير آلي : غير مقصّر .

4 الأقتال (هنا) الأعداء .

5 الثقال : الجلد يفرش تحت الرحى ، ويسمى به أيضاً الحجر الأسفل من الرحى .

6 الشعر في ديوان عدي : 37 .

7 المكفهر (هنا) صفة للمسحاب . رؤوس شيب : أي رؤوس جبال مبيضة بما يعلوها من ثلج .

8 يدهده : يدحرج ؛ القلب : البئر .

9 لراز الخصم : لازم للخصم ؛ لا يعرّد : لا يجيد .

10 القدح : سهم الميسر ؛ الأريب : الفائز .

وما دَهْرِي بَأَن كُدِّرْتُ فَضْلاً
أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النِّعَمَانِ عَنِّي
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيداً
أَتَاكَ بَأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي
وَبَيْتِي مُقْفِرٌ إِلَّا نِسَاءً
يُبَادِرُنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ
يُحَاذِرُنَ الْوُشَاةَ عَلَى عَدِيٍّ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمراً
وَأَنْ أَظْلِمَ فَقَلَمُوا عَاقِبَتُمُونِي
وَأَنْ أَهْلِكَ تَجِدُ فَقَدِي وَتُخْذَلُ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدِينَا
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي
قَالُوا : وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً⁴ :

ولكن ما لقيتُ من العَجِيبِ¹
وقد تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
وَعُلَاً وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ
وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ²
أَرَامِلَ قَدْ هَلَكُنَ مِنَ النَّجِيبِ
كَشَنُّ خَانِهِ خَرَزُ الرَّيِّبِ³
وما اقْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَقَدْ يَهْمُ الْمَصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَأَنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبي
إِذَا التَّقَتِ الْعَوَالِي فِي الْحُرُوبِ
وَلَا تُغْلِبْ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

[من الرمل]

طال ذا الليلُ علينا واعتَكَّرَ
مِنْ نَجْيِ الْهَمِّ عِنْدِي ثَاوِياً
وَكَأَنَّ اللَّيْلَ فِيهِ مِثْلُهُ
لَمْ أَغْمَضْ طَوْلَهُ حَتَّى انْقَضَى
غَيْرَ مَا عِشْقِي وَلَكِنْ طَارِقُ
وَفِيهَا يَقُولُ :

وكأنِّي ناذرُ الصُّبْحِ سَمَرٌ
فَوْقَ مَا أُعْلِنُ مِنْهُ وَأُسِرٌ
وَلَقَدْ مَأْ ظُنُّنَّ بِاللَّيْلِ الْقِصْرُ
أَتَمَنَّى لَوْ أَرَى الصُّبْحَ جَشَرَ⁵
خَلَسَ النَّوْمَ وَأَجْدَانِي السَّهْرُ
قَوْلَ مَنْ قَدْ خَافَ ظَنًّا فَاغْتَذَرَ⁶

[من الرمل]

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَالُكَأ

1 ما دهرى بأن كدرت : ما رغبتى بأن أكون كدرت .

2 الحريب : المحروب الذي سلب ماله .

3 الشن : الجلد الخلق . الريب : الذي يصلح الشيء ولا يفسده .

4 الديوان : 59 ومنها أبيات في تاريخ الطبري 2 : 198 ومعاهد التنخيص 1 : 319 .

5 جسر الصبح : طلع .

6 مَالُكَأ : رسالة .

أَتَيْتِي وَاللَّهِ ، فَاقْبَلْ حَلْفِي
مُرْعَدٌ أَحْشَاؤُهُ فِي هَيْكَلِ
مَا حَمَلْتُ الْغِلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ
لَا تَكُونَنَّ كَأَسِي عَظْمِهِ
عَادَ بَعْدَ الْجَبْرِ يَبْغِي وَهْنُهُ
وَإِذْكَرُ النُّعْمَى الَّتِي لَمْ أَنْسَهَا
وَقَالَ لَهُ أَيْضاً ، وَهِيَ قَصِيدَةُ طَوِيلَةٍ³ :

[من الرمل]

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَالُكَأً
لَوْ بَغِيرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرْقُ
لَيْتَ شِعْرِي عَنْ دَخِيلٍ يَفْتَرِي
قَاعِدًا يَكْرُبُ نَفْسِي بَثُّهَا
أَجْلَ نُعْمَى رَبِّهَا أَوْ لَكُمْ
أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَرِي
كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي⁴
حَيْثَمَا أَدْرَكَ لَيْلِي وَنَهَارِي
وَحَرَاماً كَانَ سِجْنِي وَاحْتِصَارِي
وَدُنُؤِي كَانَ مِنْكُمْ وَاصْطِهَارِي⁵

[رواية المفضل الضبي في سبب حبس النعمان عدي بن زيد]

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغني عنده شيئاً . (هذه رواية الكلبي) .
وَأَمَّا الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا قَدَّمَ عَلَى النُّعْمَانِ صَادَفَهُ لَا مَالَ عِنْدَهُ وَلَا أَثَاثَ
وَلَا مَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ ؛ وَكَانَ آدَمُ إِخْوَتَهُ مَنْظَرًا وَكُلُّهُمْ أَكْثَرَ مَالًا مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : كَيْفَ أَصْنَعُ
بِكَ وَلَا مَالَ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : مَا أَعْرِفُ لَكَ حِيلَةً إِلَّا مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ ؛ فَقَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا
نَمْضُ إِلَى ابْنِ قُرْدَسٍ ، رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ مِنْ دُومَةَ ؛ فَأَتِيَاهُ لِيَقْرَضَا مِنْهُ مَالًا ، فَأَبَى أَنْ يُقْرِضَهُمَا
وَقَالَ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَأَتَيْتَا جَابِرَ بْنَ شَمْعُونَ وَهُوَ الْأَسْقَفُ أَحَدُ بَنِي الْأَوْسِ بْنِ قَلَامَ بْنِ بَطِينٍ
[ابن الأوس]⁶ بَنِي جَمْهَيْرِ بْنِ لَحْيَانَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ فَاسْتَقْرَضَا مِنْهُ مَالًا ، فَأَنْزَلَهُمَا

1 حلفي لأبيل في ل : حلفتني بأبيل . والأبيل : الراهب .

2 آسي : مداوي . الأسى : العلاج .

3 ديوان عدي : 93-94 .

4 هذا قد ذهب مثلاً . إنَّ المرء إذا شَرِقَ بِاللَّقْمَةِ حَذَرَهَا بِشَرْبِ الْمَاءِ ، فَمَاذَا يَفْعَلُ إِذَا شَرِقَ بِالْمَاءِ نَفْسَهُ ؟! وَهُوَ مِثْلُ
لِلأَذَى الْحَاصِلِ مِمَّنْ يَرْجَى نَفْعَهُ (انظر المثل 3290 في الميداني) .

5 أَجَلَ أَنْ : مِنْ أَجْلِ أَنْ . رَبِّهَا : تَعَاهِدُهَا وَنَمَاهَا ؛ قِيلَ : رَبُّ الصَّدَاقَةِ أَصْعَبُ مِنْ إِنْشَائِهَا .

6 زيادة من ل .

عنده ثلاثة أيام يذبح لهم وَيَسْقِيهِم الخمر ، فلمّا كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تُقْرِضُنَا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهما إياها ؛ فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهم إلاّ على يدك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحب القَصْرِ الأبيض بالحيرة ، ثم ذكر من قصّة النعمان وإخوته وعدي وابن مَرِينَا مثل ما ذكره ابن الكلبي . وقال المفضل خاصة : إنّ سبب حبس النعمان عديّ بن زيد ، أنّ عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغذى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عديّ ابن مَرِينَا فاحتبسه حتى تغدّى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثملوا ، ثم ركب إلى عديّ ولا فَضْلَ فيه ، فأحفظه¹ ذلك ، ورأى في وجه عديّ الكراهة ، فقام فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان :

أَحْبَبْتُ مَجْلِسَنَا وَحُسْنَ نَ حَدِيثِنَا يُودِي بِمَالِكُ
فَالْمَالُ وَالْأَهْلُونَ مَصْدُ رَعَّةً لَأَمْرِكَ أَوْ نَكَالِكُ
مَا تَأْمُرُنْ فِينَا فَأَمَّا رُكُ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكُ²

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عديّ بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب فغضب وأمر به فُسْحِبَ من منزله حتى انتهى به إليه ، فحبسه في الصَّنِينِ³ ولجّ في حبسه وعديّ يرسل إليه بالشعر ، فمما قاله له⁴ : [من الخفيف]

ليس شيءٌ على المنونِ بياقِ غيرُ وجه المسبّحِ الخلّاقِ
إن نكُنْ آمِنِينَ فاجأنا شَدَّ رُ مُصِيبُ ذَا الْوُدِّ وَالْإِشْفَاقِ
فبريٍّ صدرِي من الظلم للُرِّ بَ وَحْنٍ بِمُعْقَدِ الْمِثَاقِ
ولقد ساءني زيارةُ ذي قُرِّ بَى حَبِيبِ لُودُنَا مُشْتَاقِ
ساءه ما بنا تبينَ في الأيدِ سِدِي وَإِشْنَاقُهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ
فاذهبي يا أُمِيمَ غيرَ بعيدِ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوُثَاقِ⁵

1 أحفظه : غاظه ، ولد لديه حفظة .

2 تأمرن في ل : ما تأتمر .

3 الصنين : موضع بظاهر الكوفة ينزل فيه المنذر .

4 ديوان عديّ : 150-151 وانظر ابن سلام : 118 .

5 يا أُمِيمَ في ل : يا أُمِّي .

واذهبي يا أميم إن يشأ الله يُنفس من أزم هذا الخناق¹
أو تكن وجهك قتلك سبيل الد اس لا تمنع الحتوف الرواقي

ويقول فيها :

وتقول العداة أودى عدي² وبنوه قد أيقنوا بغلاق²
يا أبا مُسهر فابلغ رسولا إخوتي إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامراً وأبلغ أخاه أنني موثق شديد وثاقي³
في حديد القسطاس يرقبني الحا رس والمرء كل شيء يلاقي⁴
في حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق⁵
فاركبوا في الحرام فكروا أحاكم إن عيراً قد جهزت لأنطلاق

يعني الشهر الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمان إلى البحرين ، فأقبل رجل من غسان فأصاب في الحيرة ما أحب ؛ ويقال : إنه جفنة بن النعمان الجفني ، فقال عدي بن زيد في ذلك⁶ :

سما صقر فاشعل جانبيها وأهلك المروح والعزيب⁷
المروح : الإبل المروحة إلى أعطانها . والعزيب : ما ترك في مراعيه .

وثبن لدى الثوية ملجعات⁷ وصحن العباد وهن شيب⁷
ألا تلك الغنيمه لا إفال⁸ ترجيها مسومة⁸ ونيب⁸
ترجيها وقد صابت بقر⁸ كما ترجو أصاغرها عتيب⁸

[لما طال سجنه كتب إلى أخيه في ذلك شعراً فأجابه]

وقالوا جميعاً : فلما طال سجن عدي بن زيد كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى بهذا

1 يا أميم في ل : يا أمي . الأزم : الضيق والشدة .

2 الغلاق : إسلام القاتل إلى ولي أمر المقتول .

3 وثاقي في ل : الوثاق .

4 حديد القسطاس : حديد القبان .

5 منضحات في ل : مودحات (أي قدرات ، علق بها وزح) .

6 ديوان عدي : 114 .

7 الثوية : موضع قريب من الكوفة ؛ والضمير في وثبن يعود إلى الخيل . العباد : نصارى الحيرة .

8 الإفال : صغار الإبل والمفرد أفيل . ترجيها في ل : ترجيها . النيب : النوق المسنة .

الشعر¹ :

[من المتقارب]

أُبْلِغُ أُبَيًّا عَلَى نَأْيِهِ وهل ينفعُ المرءُ ما قد عَلِمُ
بأنَّ أُنْحَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَا دِ كُنْتُ بِهِ وَائْتِقًا مَا سَلِمُ
لَدَى مَلِكٍ مُوثِقٌ فِي الْحَدِيدِ لِمَا بِحَقٍّ وَإِمَا ظُلُمُ
فَلَا أُعْرِفُكَ كَذَاتِ الْغَلَا م مَا لَمْ تَجِدْ عَارِمًا تَعْتَرِمُ²
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتِنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حِلْمُ

قال : فكتب إليه أخوه أبي :

[من الخفيف]

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جَزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفٌ ضَعِيفُ³
وَيَمِينُ إِلَهِ لَوْ أَنْ جَأُوا طَحُونًا تُضِيءُ فِيهَا السِّيُوفُ⁴
ذَاتَ رِزٍّ مَجْتَابَةً غَمْرَةَ الْمَوِ تِ صَحِيحٌ سِرْبَالُهَا مَكْفُوفُ⁵
كُنْتَ فِي حَمِيهَا لَجِئْتُكَ أَسْعَى فاعلمنْ لو سمعتُ إِذْ تَسْتَضِيفُ⁶
أَوْ بِمَالٍ سَأَلْتَ دُونَكَ لَمْ يُمِ نَعُ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفُ
أَوْ بِأَرْضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلُنِي بُعْدٌ بِهَا أَوْ مَخَوْفُ
إِنْ تَفْتِنِي وَاللَّهِ إِلْفًا فُجُوعًا لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مِنِّي بَعِيدٌ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْنِيفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ جَزِعْتُ عَلَيْهِ لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أُسُوفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكَتُ غَزَائِي لِقَلِيلٍ شُرَاكَ فِيمَا أُطُوفُ

[أمر كسرى النعمان بإطلاق عدي فقتله]

قالوا جميعاً : فلما قرأ أبي كتاب عدي قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلاً ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كُتِبَ إليك في أمره . فأثنى النعمان أعداء عدي من بني بُقَيْلَةَ وهم من غسان ، فقالوا له : اقتله

1 ديوان عدي : 164 .

2 صبي عارم : بين العرامة أي الحدة والشدة ؛ وفي البيت روايات مختلفة .

3 الألف : الثقل البطيء .

4 الجأواء : الكتيبة السوداء (من لبس الدروع) .

5 الرز : الصوت .

6 تستضيف : تستجير .

الساعة فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخل إليه وهو محبوس بالصنّين ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمرُك به فامثله ، فدخل الرسول على عديّ ، فقال له : إني قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ووعده بعدة سنّية ، وقال له : لا تخرُجنَّ من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندي لأقتلنَّ ، فقال : لا أستطيع إلّا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله إليه . فانطلق بعضُ مَنْ كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أن رسولَ كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يَسْتَبِقْ منّا أحداً أنتَ ولا غيرك ؛ فبعث إليه النعمان أعداءه فغمّوه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ؛ فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسنة ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسك فأخرجهُ ؛ فلما أصبح ركبَ فدخل السجن ، فأعلمه الحرس أنّه قد مات منذ أيامٍ ولم نجترى على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إني كنتُ أمس دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئتُ اليوم فجددني السجّان وبهتني¹ ، وذكر أنّه قد مات منذ أيامٍ . فقال له النعمان : أبيعُ بك الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي ؛ كذبت ، ولكنك أردتَ الرشوة والخبث ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثّق منه إلّا يخبر كسرى إلّا أنّه قد مات قبل أن يقدّم عليه . فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إني وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه . ونديم النعمان على قتل عديّ وعرف أنّه احتيل عليه في أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبَةً شديدة .

[مدح النعمان زيد بن عديّ لدى كسرى فاتّخذة كاتباً]

ثم إنّه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا زيد بن عديّ بن زيد ؛ فكلمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقربه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجّهزه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّاً كان ممّن أُعِينَ به الملكُ في نصحه ولُبه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مدّته وانقضى أجله ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مصيبي ، وأمّا الملك فلم يكن ليَفْقِد رجلاً إلّا جعل الله له منه خلفاً لما عظمَ الله من ملكه وشأنه ؛ وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلحُ لخدمة الملكِ فسرّحته إليه ، فإن رأى الملكُ أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرف عمّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبه عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور الملكِ . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظّفةٌ في كلّ

1 بهته : كذّبه في وجهه .

سنة : مُهْرَانِ أَشْقَرَانِ يُجْعَلَانِ لَهُ هُلَامًا ، وَالْكَمَّاءُ الرُّطْبَةُ فِي حِينِهَا وَالْيَابِسَةُ وَالْأَقِطُ وَالْأَذْمُ وَسَائِرُ تِجَارَاتِ الْعَرَبِ ؛ فَكَانَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ يَلِي ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ هَذَا عَمَلُ عَدِيٍّ . فَلَمَّا وَقَعَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ عِنْدَ الْمَلِكِ هَذَا الْمَوْقِعَ سَأَلَهُ كَسْرَى عَنِ النِّعْمَانِ ، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ . وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ سِنَوَاتٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ . وَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى ، فَكَانَ يَكْثُرُ الدِّخُولُ عَلَيْهِ وَالْخِدْمَةُ لَهُ .

[كيد زيد بن عدي للنعمان عند كسرى]

وكانت للملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إِلَى الْمَلِكِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْلُبُونَهَا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ وَلَا يَظُنُّونَهَا عَنْدهم . ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَ لِلْمَلِكِ فِي طَلَبِ تِلْكَ الصِّفَةِ ، وَأَمَرَ فَكُتِبَ بِهَا إِلَى النُّوَاحِي ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ ، فَخَاطَبَهُ فِيمَا دَخَلَ إِلَيْهِ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْمَلِكَ قَدْ كَتَبَ فِي نِسْوَةِ يُطَلَّبْنَ لَهُ وَقَرَأْتُ الصِّفَةَ ، وَقَدْ كُنْتُ بَالَ الْمُنْذِرِ عَارِفًا ، وَعِنْدَ عَبْدِكَ النِّعْمَانِ مِنْ بَنَاتِهِ وَأَخَوَاتِهِ وَبَنَاتِ عَمِّهِ وَأَهْلِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ امْرَأَةً عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ؛ قَالَ : فَاصْبِرِي فِيهِنَّ ؛ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ شَرَّ شَيْءٍ فِي الْعَرَبِ وَفِي النِّعْمَانِ خَاصَّةً أَنَّهُمْ يَتَكْرَمُونَ ، زَعَمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، عَنْ الْعِجَمِ ، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يُغَيَّبَهُنَّ عَنْ مَنْ تَبْعَثُ إِلَيْهِ أَوْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ غَيْرَهُنَّ . وَإِنْ قَدِمْتُ أَنَا عَلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، فَابْعَثْنِي وَابْعَثْ مَعِيَ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِكَ يَفْهَمُ الْعَرَبِيَّةَ حَتَّى أُبْلَغَ مَا تَحَبُّهُ ؛ فَبْعَثَ مَعَهُ رَجُلًا جَلَدًا فَهِمًا ، فَخَرَجَ بِهِ زَيْدٌ ، فَجَعَلَ يَكْرُمُ الرَّجُلَ وَيُلْطِفُهُ حَتَّى بَلَغَ الْحَيْرَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْمَلِكُ وَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ احْتِاجَ إِلَى نِسَاءٍ لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَرَادَ كِرَامَتَكَ بِصِيْهِرِهِ فَبْعَثَ إِلَيْكَ ؛ فَقَالَ : مَا هَؤُلَاءِ النِّسْوَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ صِفَتُهُنَّ قَدْ جِئْنَا بِهَا . وَكَانَتْ الصِّفَةُ أَنَّ الْمُنْذِرَ الْأَكْبَرَ أَهْدَى إِلَى أَنْوَشِيرَوَانَ جَارِيَةً كَانَتْ أَصَابَهَا إِذْ أَغَارَ عَلَى الْحَارِثِ الْأَكْبَرِ بْنِ أَبِي شَمِيرٍ الْغَسَّانِيِّ ، فَكُتِبَ إِلَى أَنْوَشِيرَوَانَ بِصِفَتِهَا ، وَقَالَ : إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى الْمَلِكِ جَارِيَةً مُعْتَدِلَةَ الْخَلْقِ ، نَقِيَّةَ اللَّوْنِ وَالشَّغَرِ ، بِيضَاءَ قَمَرَاءَ وَطَفَاءَ² كَحَلَاءَ دَعَجَاءَ حَوْرَاءَ غَيْنَاءَ قَنَوَاءَ³ شَمَاءَ بَرْجَاءَ⁴ زَجَاءَ⁵ أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ الْمُقْبَلِ ، جَثْلَةَ الشَّعْرِ⁶ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ،

1 الهلام : مرق اللحم المطبوخ بخل حين يبرّد ويصفى .

2 وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجب .

3 قنواء : مرتفعة أعلى الأنف .

4 برجاء : جميلة الوجه .

5 زجاء : دقيقة الحاجب .

6 جثلة الشعر : ذات شعر كثيف .

بعيدة مهوى القرط¹ ، عيطاء² ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مُشاش المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميصية الخصر ، غرثي الوشاح³ ، رداح الإقبال ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين⁴ ، رياء الروادف ، ضخمة المأكمتين ، مفعمة الساق ، مُشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي⁵ ، مكسال الضحى ، بضّة المتجرّد ، سموعاً للسيد ، ليست بخنساء⁶ ولا سفعاء⁷ ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغدّ في بؤس ، حيّة رزينة ، حليلة ركيّة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرائيها رأي أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صنّاع الكفين ، قطيعة اللسان⁸ رهوة الصوت⁹ ساكته ، تزين الولي ، وتشين العدو ، إن أردتها اشتيت ، وإن تركتها انتهت ، تحمّل عيناها ، وتحمّر وجنتاها ، وتذبذب شفتاها ، وتبادرك الوثبة إذا قمت ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست . قال : فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ؛ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مَهَا السّواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المَهَا والعَيْنُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان أي البقر ؛ فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أنّ هذا يشقّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذي طلب المليك ليس عندي ، وقال لزيد : اعزّني عند الملك . فلمّا رجعا إلى كسرى ؛ قال زيد للرسول الذي قدّم معه : صدّق الملكَ عما سمعت ، فإنّي سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلمّا دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه إليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذي كنتَ خبرتني به ؟ قال : قد كنتَ خبرتكَ بضيّبتهم بنسائهم على غيرهم ، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع

1 بعيدة مهوى القرط : سبطاة عن أنّها طويلة .

2 عيطاء : طويلة العنق .

3 غرثي الوشاح : كناية عن دقة الخصر .

4 لفاء الفخذين : ضخمة الفخذين .

5 قطوف المشي : متقاربة الخطى .

6 خنساء : متأخرة الأنف .

7 سفعاء : سوداء .

8 قطيعة اللسان : نزرة الكلام .

9 رهوة الصوت : رقيقة الصوت .

والعُريَ على الشَّع والريَّاش ، وإيثارهم السَّمومَ والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم ليسمونها السَّجَنَ ، فسلَّ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال ، فَإِنِّي أَكْرِمُ الْمَلِكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول : وما قال ؟ فقال له الرسول : أيُّها الملك ، إِنَّه قال : أَمَا كَانَ فِي بَقَرِ السَّوَادِ وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ، فَعُرِفَ الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، لكنَّه لم يزد على أن قال : رَبُّ عَيْدٍ قد أراد ما هو أَشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك .

[النعمان يستجير بسادات العرب ثم يسلم نفسه لكسرى]

وجعل النعمانُ يستعدُّ ويتوقَّع حتى أتاه كتابه : أَنْ أَقْبِلُ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ حَاجَةً إِلَيْكَ ، فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبَلِي طَيِّءٍ وكانت فِرْعَةُ¹ بنت سعد بن حارثة بن لَأْمَ عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامراً ، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيئاً على أَنْ يُدْخِلُوهُ الجبلين ويمنعوه فآبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صَهْرُكَ لَقَتَلْنَاكَ ، فَإِنَّه لا حاجة بنا إلى مُعَادَاة كسرى ، ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبله ، غيرَ أَنْ بَنِي رَوَاحَةَ بن قُطَيْعَةَ بن عَبْسٍ قالوا : إِن شِئْتَ قَاتَلْنَا مَعَكَ ، لَمِنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القَرْظُ² ، قال : مَا أَحَبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّه لا طاقة لكم بكِسْرَى . فأقبل حتى نزل بِذِي قَارٍ في بني شَيْبَانَ سِيراً ، فلقِيَ هَانِيَّ بن قَبِيصَةَ ، وقيل بل هَانِيَّ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أَبِي ربيعة بن ذُهَل بن شَيْبَانَ ، وكان سيِّداً مَنِيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من ربيعة في آل ذِي الْجَدَيْنِ لَقَيْسَ بن مسعود بن قيس بن خالد ذِي الْجَدَيْنِ ، وكان كسرى قد أظعم قيسَ بن مسعود الأُبْلَةَ ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعِلِمَ أَنْ هَانِيّاً يَمْنَعُهُ مِمَّا يَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسَهُ .

وقال حَمَادُ الرَّاوِيَةِ في خبره : إِنَّه إِنَّمَا اسْتَجَارَ بِهِانِيَّ كَمَا اسْتَجَارَ بغيره فَأَجَارَهُ ، وقال له : قد لَزِمْنِي ذِمَامُكَ وَأَنَا مَانِعُكَ مِمَّا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وولدي منه ما بقي من عَشِيرَتِي الْأُدُنِيِّينَ رَجُلٍ ، وَإِنْ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِكَ لِأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ ، لَسْتُ أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لِأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مَجَاوِرَتِي وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ؛ فَقَالَ : إِنَّ كُلَّ أَمْرٍ يَجْمَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُلْكِ سَوْقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَأنَّ تَمُوتَ كَرِيماً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَجَرَّعَ الذِّلَّ أَوْ تَبْقَى سَوْقَةً بَعْدَ الْمُلْكِ ، هَذَا إِنْ بَقِيتَ ، فَامْضِ إِلَى صَاحِبِكَ وَاجْهَلْ إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالاً وَأَلْقِ نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ صَفَحَ

1 ل : قرعة .

2 مروان القَرْظُ : مروان بن زنباع العبسي ، وكان يضرب به المثل في العزّة .

عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، وإما أن أصابك فالموت خيرٌ من أن يتلعب بك صعاليك العرب
ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً ؛ فقال : كيف
بحرّمي ؟ قال : هنّ في ذمتي ، لا يُخلص إليهنّ حتى يُخلصَ إلى بناتي ؛ فقال : هذا
وأبيك الرأي الصحيح ، ولن أجاوزَه . ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب اليمن وجوهرًا
وطرفاً كانت عنده ، ووجهً بها إلى كسرى وكسب إليه يعتذر ويُعلمه أنّه صائرٌ إليه ،
ووجهً بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه
لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

[وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته]

فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عديّ على قنطرة ساباط ، فقال له : انجُ
نُعيمُ ، إن استطعت النجاء ؛ فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله ، لئن عشتُ لك لأقتلنك قتلةً
لم يُقتلها عربيٌّ قطّ ولألجئَنَّك بأبيك ؛ فقال له زيد : امضِ لشأنك نُعيمُ ، فقد والله أُخيتُ
لك أُخيةً¹ لا يقطعها المهر الأرن . فلما بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى
سجن كان له بخانقين² ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه .

وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبي : ألقاه تحت
أرجل الفيّلة فوطئته حتى مات ، واحتجّوا بقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه بساباط حتى مات وهو مُحزّرقُ
قال : المحزّرق : المضيقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنّه مات بخانقين ، وقالوا : لم يزل
محبوساً مدةً طويلة ، وإنّما مات بعد ذلك بحين قبيل الإسلام ، وغضيت له العرب حينئذٍ ،
وكان قتله سبب وقعة ذي قار .

[أحبّ عدي بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّباح وأخبرني الحسن بن
عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال عليّ بن الصّباح حدّثني هشام بن الكلبيّ عن
أبيه قال : كان عديّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيّوب الشاعر العبّاديّ يهوى هند بنت
النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ بن
نصر بن ربيعة بن عمرو . الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو مالك بن
عديّ بن الحارث بن مرة بن أدّ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن

1 أخية : عروة ؛ أي ربطت لك عروة ، وشددتك إليها ، وهي عروة قوية لا يقطعها المهر الحيويّ النشيط .

2 خانقين : بلد في شرق العراق .

يَشْجُبُ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ ، ولها يقول ¹ :

[من الرمل]

عَلِقَ الْأَحْشَاءَ مِنْ هِنْدٍ عَلَقُ مُسْتَسِيرٍ فِيهِ نَصَبٌ وَأَرْقُ

وهي قصيدة طويلة . وفيها أيضاً يقول ² :

[من الرمل]

مَنْ لِقَلْبٍ دَنْفٍ أَوْ مُعْتَمَدٌ قَدْ عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ وَمُقَدَّدٌ

وهي طويلة . وفيها أيضاً يقول ³ :

[من الخفيف]

يَا خَلِيلِي يَسِّرَا التَّعْسِيرَا ثُمَّ رُوحَا فَهَجِّرَا تَهْجِيرَا

عَرَّجَا بِي عَلَى دِيَارٍ لَهْنِدٍ لَيْسَ أَنْ عُجْتُمَا الْمَطْيَى كَبِيرَا

[قصة تزوجه بهند]

قال ابن الكلبي : وقد تزوجها عدي . وقال ابن أبي سعد ، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالاً : كان سبب عيشقه إياها أن هندا كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها ، وأمها مارية الكنديّة ؛ فخرجت في خميس الفصح ⁴ ، وهو بعد السّعائين ⁵ بثلاثة أيام ، تتقرب في البيعة ، ولها حينئذٍ إحدى عشرة سنة ، وذلك في مُلْكِ المنذر ؛ وقد قَدِمَ عدي حينئذٍ بهديّة من كسرى إلى المنذر ، والنعمان يومئذٍ فتى شاب ، فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب ، وكانت مديدة القامة غيلة الجسم ، فرأها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها ، وقد كان جواربها رأيّن عدياً وهو مقبل فلم يقلن لها ذلك ، كي يراها عدي ، وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية ، وقد كانت أحبّت عدياً فلم تدر كيف تأتي ⁶ له . فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها ، وسبت جواربها ونالت بعضهن بضرب ؛ فوقع هند في نفس عدي . فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً . فلما كان بعد حول وظنت مارية أن هندا قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة ، وقال خالد بن كلثوم : بيعة توما وهو الصحيح ؛ ووصفت لها من فيها من الرواهب ، ومن يأتيها من جوارب الحيرة ، وحسن بنائها وسرّجها ؛ وقالت لها : سَلِّي أَمْلِكُ الْإِذْنَ لَكَ فِي إِتْيَانِهَا ، فسألتها ذلك فأذنت لها ، وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فليس يَلْمَقاً ⁷ كان «فَرَحَانْشَاهُ مَرْدٌ»

1 ديوان عدي : 147 .

2 ديوان عدي : 42 .

3 ديوان عدي : 130 .

4 الفصح : عيد تذكّر قيامة المسيح عند النصارى ويسمى العيد الكبير ويقع دائماً يوم أحد .

5 السّعائين (وبالشين أيضاً) عيد لهم يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح .

6 ل : كيف تراءى .

7 اليلمق : القباء .

قد كساه إِيَّاه ، وكان مُذهَّباً لم يُر مثله حُسناً ، وكان عديّ حسنَ الوجه¹ ، مديد القامة ، حُلُوّ العينين ، حسنَ المَبيسم ، نقيّ الثَّغَر . وأخذ معه جماعة من فتیان الحيرة ، فدخل البيعة ؛ فلما رآته مارية قالت لهند : انظري إلى هذا الفتى ؛ فهو والله أحسن من كلِّ ما تَرَيْن من السرج وغيرها ؛ قالت : ومن هو ؟ قالت : عديّ بن زيد ؛ قالت : أتخافين أن يعرفني إن دنوتُ منه لأراه من قريب ؟ قالت : ومن أين يعرفُك وما رآك قطّ من حيث يعرفُك ؛ فدنتُ منه وهو يمازح الفتیان الذين معه وقد برع عليهم بجماله ، وحُسن كلامه² وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فذهَلتُ لما رآته وبَهَتَتُ تنظر إليه . وعَرَفَتُ مارية ما بها وتَبَيَّنَت في وجهها ، فقالت لها : كَلِّميه ، فكَلِّمته ، وانصرفت وقد تبعته نفسُها وهَوِيَّتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلما كان الغدُ تعرَّضت له مارية ، فلما رآها هَشَّتْ لها ، وكان قبل ذلك لا يكَلِّمها ، وقال لها : ما غدا بِك ؟ قالت : حاجةٌ إليك ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلاّ أعطيتُك إِيَّاه ، فعَرَفَتْه أنها تهواه ، وأن حاجتها الخُلوة به على أن تحتال له في هند ، وعاهدته على ذلك ؛ فأدخلها حانوت خَمَارٍ في الحيرة ووقع عليها ؛ ثم خرجت فأتت هنداً ، فقالت : أما تشتهين أن تَرَيّ عديّاً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ قالت : أُعِدُّه مكان كذا وكذا في ظَهْر القصر وتُشْرِفين عليه ؛ قالت : افعلي ، فواعدته إلى ذلك المكان ، فأتاه وأشرفت هند عليه ، فكادت تموت ، وقالت : إن لم تُدخِلْه إليّ هَلَكْتُ . فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدَّقته ، ودَكَرَت أنها قد شَغَفَتْ به ، وأن سبب ذلك رؤيتها إِيَّاه في يوم الفِصح ، وأنه إن لم يزُوجها به افتضحت في أمره أو ماتت ؛ فقال لها : ويلك ؛ وكيف أبدؤه بذلك ! فقالت : هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنت ، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره . وأتت عديّاً فأخبرته الخبر ، وقالت : ادعُه ، فإذا أخذ الشراب منه فاخطُبْ إليه فإنه غير رادك ؛ قال : أخشى أن يُغْضِيَه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا ؛ قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه معه ؛ فصنع عديّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان بعد الفِصح بثلاثة أيّام ، وذلك في يوم الاثنين ، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان ، فأجابته وزُوجَه وضمَّها إليه بعد ثلاثة أيّام .

[ترهب هند بعد قتل عديّ]

قال خالد بن كلثوم : فكانت معه حتى قتله النعمان ، فترهَّبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند³ في ظاهر الحيرة . وقال ابن الكلبي : بل ترهَّبت بعد ثلاث سنين ومنعته

1 ل : حسن الثغر .

2 ل : وحسن قامته .

3 هما ديران بهذا الاسم ، كبير وصغير .

نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت ، وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية
المغيرة بن شعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردته .
[خطبها المغيرة بن شعبة فردته]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد بن
الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قالاً : مرّ المغيرة بن شعبة لما ولّاه معاوية الكوفة بدير هند ،
فتزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها ، فأذنت له وبسطت له مسحاً فجلس
عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُك خاطباً ؛ قالت : والصليب لو علمتُ أن فيّ حصلةً
من جمالٍ أو شبابٍ رغبتُك فيّ لأجبتُك ، ولكنك أردت أن تقول في المواسم : ملكك مملكة
النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردت ؟ قال : إي والله ؛ قالت : فلا سبيل
إليه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها :
[من الكامل]

أدركت ما منيتُ نفسي خالياً لله درك يا ابنة النعمان
فلقد ردّدت على المغيرة ذهنه إنّ الملوك نقيّة الأذهان

وفي رواية أخرى :

إنّ الملوك بطيئة الإذعان

يا هندُ حسبك قد صدقت فأمسكي فالصدق خيرُ مقالّة الإنسان

[عشقها لزرقاء اليمامة]

وقد روى عن ابن الكلبي غيرُ علي بن الصباح في هند أنها كانت تهوى زرقاء
اليمامة ، وأنها أول امرأة أحبّت امرأة في العرب ، فإنّ الزرقاء كانت ترى الجيش من
مسيرة ثلاثين ميلاً ؛ فغزا قوم من العرب اليمامة ، فلما قُربوا من مسافة نظرها قالوا :
كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ؟ فاجتمع رأيهم على أن يقتلوا شجراً تستر كل شجرة
منها الفارس إذا حملها ؛ فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها ؛ فأشرفت ، كما
كانت تفعل ، فقال لها قومها : ما ترى يا زرقاء ؟ وذلك في آخر النهار ؛ قالت : أرى
شجراً يسير ؛ فقالوا : كذبت أو كذبتك عينك ، واستهانوا بقولها ؛ فلما أصبحوا صبحهم
القوم ، فاكسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا
فيها عروقاً سوداء ، فسئلت عنها فقالت : إني كنت أديمُ الاكتحال بالإثمد فلعلّ هذا
منه ، وماتت بعد ذلك بأيّام ؛ وبلغ هنداً خبرها فترهبت ولبست المسوح وبتت ديراً
يعرفُ بدير هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتى ماتت .

[قيل إن النعمان أكره عدياً على طلاق هند]

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي : أن النعمان لما حبسَ عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلقها . قال ابن حبيب : وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أخته ، هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة .
وقالت رواية العرب : إنه كان زوجَ ابنته هند ، فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها :
أَبْصَرْتُ عَيْنِي عِشَاءَ ضَوْءِ نَارٍ

فقال فيها : [من الرمل]

أَجَلْ نَعْمَى رَبِّهَا أَوْلُكُمْ وَدُنُوِي كَانَ مِنْكُمْ وَاصْطِهَايِ
نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا عَمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِ¹

[سبب تنصّر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيم بن فهد قال حدّثنا خليفة بن خياط شباب العُصْفُريّ² قال حدّثنا هشام بن محمد قال حدّثني يحيى بن أيّوب البجليّ قال حدّثنا أبو زُرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجليّ قال : سمعتُ جدّي جرير بن عبد الله يقول ، وأخبرني به عمّي قال حدّثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال حدّثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيّوب عن أبي زُرعة بن عمرو قال : سمعتُ جدّي جرير بن عبد الله ، ولَفِظَ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ، قال : كان سببُ تنصّر النعمان ، وكان يعبد الأوثان قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : النعمان بن المنذر الأكبر ، أنّه كان قد خرج يتنزّه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد ، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عديّ بن زيد : أبيتَ اللّعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : فقال له تقول³ :

أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَخِيْو نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُوْنَ
كَمَا أَنْتُمْ كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُوْنَ
وقال الصُّوليّ في خبره : فقال له تقول :

كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ حِينَا فَغَيَّرْنَا دَهْرٌ فَسُوفَ كَمَا صِرْنَا تَصِيْرُونَا
قال : فانصرف وقد دخلته رِقَّةٌ ، فمكث بعد ذلك يسيراً ؛ ثم خرج خَرَجَةً أُخْرَى فمرّ

1 قبلها في الرواية الشهيرة : قبلكم ، وقد مرّت .

2 هو المؤرّخ صاحب تاريخ خليفة وكتاب في الطبقات (توفي سنة 240 وقبل 246) .

3 ورد البيتان فيما تقدّم من هذا الجزء وأوّل البيت الثاني «فكما» .

على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ؛ قال : فإنّها تقول¹ :

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالٍ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُفُ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَتَاخَوْا عِنْدَنَا يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الرُّلَالِ²
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُدْمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدِي فِي الْجِلَالِ³
عَمِرُوا دَهْرًا بَعِيشٍ حَسَنِ آمِنِي دَهْرَهُمْ غَيْرَ عِجَالٍ
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ⁴
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالْفَتَى فِي طِلَابِ الْعِيشِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قال الصُّوليّ في خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياتيّ الكلبيّ : فرجع النعمان من وجهه وقال لعديّ : ائمني الليلة إذا هدأتِ الرّجلُ لتعلمَ حالي ، فأثاء فوجده قد لبسَ المُسَوَّحَ وتنصّر وترهّب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حاله ، فتنصّر ولده بعده ، وبنوا البيع والصوامع ، وبنّت هند بنت النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الذي بظهر الكوفة ويقال له : «دير هند» ، فلمّا حبس كِسرى النعمان الأصغر أباهما ومات في حبسه ترهّبت هند ولبست المسوَّحَ وأقامت في ديرها مُترهّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

[المؤلف يرى أنّ النعمان هو الذي تنصّر]

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنّما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياتيّ على ما فيه من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصة ذكرتُ كلّ ما يُروى في معناها . وهو خبر مختلط ، لأنّ عديّ بن زيد إنّما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد ؛ وقد ذكرتُ نسب النعمان آنفاً ، ولعلّ هذا النعمان الذي ذكره عمّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر ، والمتنصّر السائح على

1 ديوان عديّ : 82 .

2 عندنا في ل : حولنا .

3 القدم : جمع فدام وهو غطاء يوضع على فم الابريق للتصفية . تردى : تعدو أو تمشي الرديان : أي ترجم الأرض بمحافرها .

4 رواية هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء :

عصف الدهر بهم فانقضوا وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية ؛ وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لما حبسه مع من ضربه مثلاً له من الملوك السالفة ! .
[حكاية خالد بن صفوان مع هشام بن عبد الملك]

حدثنا بخبر ذلك الملك جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء قالا :
حدثنا إسحاق بن البهلول الأنباري قال حدثني أبي البهلول بن حسّان التنوخي قال حدثني
إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان بن الأهم قال :
أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال : قدّمت عليه وقد خرج
بقرايته وحشمه وغاشيته وجلسائه ، فنزل في أرض قاعٍ صحصح مُنيّفٍ أفيح ، في عامٍ قد بكر
وسميّه ، وتتابع وليّه ، وأخذت الأرض فيه زيتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مُونقي
فهو في أحسن منظر ، وأحسن مختبر ، وأحسن مُستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ؛
قال : وقد ضرب له سُرّادق من حيرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط فيه
أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها ، وعليه دُرّاعة من خز أحمر مثلها عمامتها ، وقد أخذ
الناس مجالسهم ؛ قال : فأخرجت رأسي من ناحية السّماط فنظر إليّ شيبه المستنطق لي فقلت :
أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلّدتك من هذا الأمر رُشداً ، وعاقبة ما يؤول إليه
حمداً ، وأخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنماء ، ولا كدّر عليك منه ما صفا ، ولا خالط
سروره بالردى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً ، إليك يقصدون في مظالمهم¹ ،
 ويفزعون في أمورهم ، وما أجْدُ شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك ، وتوقيع مجلسك ،
وما من الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أذكرك نعم الله عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما
أجْدُ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ، فإن أذن أمير المؤمنين
أخبرته به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان متكئاً ثم قال : هات يا ابن الأهم ، قال : قلت يا أمير
المؤمنين إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخوزنّي والسدير في عامٍ
قد بكر وسميّه ، وتتابع وليّه ، وأخذت الأرض [فيه] زيتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع
مُونقي ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مختبر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وقد كان
أعطي فتاء السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه : لِمَ مثلُ هذا ،
هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أُعطي أحدٌ مثل ما أُعطي ؟ قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلَة
الحجّة ، والمضيّ على أدب الحق ومنهاجه ، قال : ولم تخلُ الأرض من قائم لله بحجّة في عباده ؛
فقال : أيّها الملك إنك سألت عن أمرٍ ، أفأذن في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : رأيته

1 ل : في مطالبهم .

هذا الذي أنتَ فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أراك إلاّ عَجِبْتَ بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيّب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرْتَهناً ؛ قال : ويحك ؛ فأين المهربُ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تُقيم في ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك ، وأَمْضُكَ وأَرْمَضُكَ¹ ، وإما أن تضع تاجك ، وتخلعَ أطمارك ، وتلبسَ أُمساحك ، وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك ؛ قال : فإذا كان السَّحَرُ فاقرع عليّ بابي فإنني مختارٌ أحد الرايين ، وربّما قال إحدى المنزلتين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فَلَوَاتِ الأرض وقَفَرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا يُخالف ؛ قال : ففرع عليه عند السَّحَرِ بابه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس أُمساحه ، وتهياً للسياحة ، فلزما والله الجبلَ حتى أتاهما أجُلُهُما ، وهو حيث يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم² :

[من الخفيف]

أَيْهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْدَّهْمِ	رَأَيْتَ الْمَبْرَأَ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيِّ	أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِيرُ	وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مَلُوكُ الرِّ	وَمَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ	لَهُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلَ	سَاءَ فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمَنُونِ فَبَادَ الْ	حُلُكُ عَنْهُ فَبِأَبِهِ مَهْجُورُ
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَرَتِ إِذْ أَشَدَّ	رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَم	لِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّدِيرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيْ	طَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَامِ	لَهُ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ ³

1 أرمضك : أوجعك .

2 ديوان عديّ : 84-92 وأوّل القصيدة :

أرداح مودع أم بكور لك فاعلم لأي حال تصير

3 الإمامة : النعمة .

ثم صاروا كأنهم ورقٌ جَفَّ - ففألوت به الصَّبَا والدَّبُورُ¹

قال : فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته ، وبلَّ عمامته ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصره ، فأقبلت الموالى والحشمُ على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ؛ أفسدتَ عليه لذته ، ونغصتَ عليه مأدبته ، فقال : إليكم عني فإنني عاهدتُ الله عزَّ وجلَّ ألاَّ أدخلوا بملكٍ إلاَّ ذكَّرتُهُ الله عزَّ وجلَّ .

[خبر الحضر]

فأما خبرُ الحضر وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإنني أذكر خبرهما ها هنا لأنَّه ممَّا يحسن ذكره بعقب هذه الأخبار ولا يُستغنى عنه ، والشيء يتبع الشيء .

أخبرني بخبره إبراهيم بن السري عن أبيه عن شعيب عن سيف ، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين² عن السُّكْرِيِّ عن محمد بن حبيب عن بن الأعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي ، وهشام بن الكلبي عن أبيه ، وإسحاق بن الجصاص عن الكوفيين : أنَّ الحضر كان قصراً بجبال تكريت بين دجلة والفُرات ، وأنَّ أخا الحضر الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرم بن عمرو بن النخع بن سليح بن بني تزييد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأمه جبهة امرأة من بني تزييد بن حلوان أخي سليح بن حلوان ، وكان لا يُعرف إلاَّ بأمه هذه ، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة ، وكان معه من بني الأجرم [ثم من بني العبيد ابن الأجرم] وسائر قبائل قضاعة ما لا يُحصى ، وكان ملكه قد بلغ الشام . فأغار الضيزن فأصاب اختاً لسابور ذي الأكشاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السليح بن حُذَيْب بن الدَّهَّان بن غنم بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة :

لَقَيْنَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذَّكُورِ
فَلَا قَتْ فَارِسٍ مَنَا نَكَالاً وَقَتَّلْنَا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ مِ الْجَزِيرَةِ كَالسَّعِيرِ

1 ألوت به : ذهبت به .

2 كتاب أسماء المغتالين لمحمد بن حبيب في «نوادير المخطوطات» - المجموعة السادسة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون (ط . ثانية) 1972 ، ولم يرد فيه خبر الحضر ؛ وانظر الطبري 2 : 47-48 ومعجم البلدان لياقوت (حضر) ؛ وحضارة الحضر أمر تشهد به الآثار ؛ وقد نشرت عنها بحوث كثيرة في مجلة سومر بالعراق .

قالوا: ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحضرة أربع سنين لا يستغلّ منهم شيئاً¹ . ثم إن النضير بنت الضيزن عرّكت ؛ أي حاضت فأخرجت إلى الرّبط ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فرأها ورأته ، وعشيقها وعشيقته ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : أحكمك وأرفعك على نسائي ، وأخصك بنفسي دونهن ؛ قالت : عليك بحمامة مطوّقة ورقاء ، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكر تكون زرقاء ، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتداعى المدينة ، وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت له : أنا أسقي الحرس الخمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينة ، وفتحها سابور عنوة ، فقتل الضيزن يومئذ ، وأباد بني العبيد ، وأفنى قضاة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصبحت قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا ، فقال في ذلك عمرو بن آله وكان مع الضيزن :

أَلَمْ يَحْزَنْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ سَرَاةَ بَنِي الْعَبِيدِ
وَمَصْرَعُ ضَيْزِينَ وَبَنِي أَبِيهِ وَأَحْلَاسُ الْكَتَائِبِ مِنْ تَزِيدٍ²
أَتَاهُمْ بِالْفُيُولِ مُجَلَّلَاتٍ وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورُ الْجَنُودِ
فَهَدَمَ مِنْ أَوَاسِي الْحَضْرَ صَخْرًا كَأَنَّ ثِقَالَه زُبْرُ الْحَدِيدِ³

قال : فأخرب سابور المدينة واحتمل النضير بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر ، فلم تزل ليلتها تتصور⁴ من خشاية في فرشها وهي من حرير محشو بالقز ، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آس ملتصقة بعكبة من عكبتها قد أثرت فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخها من لين بشرتها . فقال لها سابور : ويحك ! بأي شيء كان أبوك يُغذيك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصقوة الخمر . فقال : وأبيك لأنا أحدث عهداً بمعرفتك ، وأثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين ! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفّر غدائرهما بذنبه ، ثم استركضه فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أَقْفَرَ الْحَضْرُ مِنْ نَضِيرَةٍ فَالْمِرْ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرَاثِرِ

1 ل : لا يظفر منهم بشيء .

2 أحلاس الخيل : الملازمون لها من الفرسان ؛ وأحلاس الكتائب : رجال الحرب .

3 الأواسي : جمع آسية . وهي أساس البناء .

4 تتصور : تتلوى .

قالوا : وكان الضَّيْنُ صاحبُ الحَضْرُ يُلقَّبُ السَّاطِرُونَ ، وقال غيرهم : بل السَّاطِرُونَ صاحبُ الحَضْرُ كان رجلاً من أهل باجَرْمَى والله أعلم أي ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْرُ الذي ذكره عدي .

[خبر الخورنق]¹

وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشَّقِيقَة ، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرف له خبرٌ ، والشَّقِيقَة أمه بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الضَّخْم اللّخمي ، وهو صاحب الخورنق ، فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية علي بن الصَّبَّاح إياه عنه : أنه كان سببُ بنائه الخورنق أن يزْدَجِرْدَ بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَريءٍ صحيح من الأدوية والأسقام ، فدلَّ على ظَهْرِ الحَيْرَةِ ، فدفع ابنه بهرام جُور بن يزْدَجِرْدَ إلى النعمان بن الشَّقِيقَة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره بأن يبني الخورنق مسكناً له ولابنه ويُنزله إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .

[جزاء سنمار]

وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له «سِنْمَارُ» فلمّا فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنكم تُوفُوني أجرتي وتصنعون بي ما أَسْتَحِقُّه ، لَبَنَيْتُهُ بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقالوا : وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ؟ ثم أمر به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ² . وقال : في بعض الروايات أنه قال له : إني لأعرفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هَدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال له : أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً ، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصْرِ ، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيِّ³ :

جزاء سِنْمَارٍ جَزَوْهَا وَرَبَّهَا وباللَّاتِ وَالْعُزَّى جِزَاءُ الْمَكْفَرِ
ومنها قول سَلِيطَ بن سعد⁴ :

[من البسيط]

1 تجد خبر الخورنق في شرح المثل «جزاء سنمار» في كتب الأمثال ؛ وانظر نشوة الطرب لابن سعيد ، 273-274 تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن 1982 والناقب المريدية لأبي البقاء 1 : 266-269 تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان (الطبعة الأولى) وخزانة الأدب 1 : 292-294 .

2 الجوسق : القصر .

3 بيت أبي الطمحن في خزانة الأدب 1 : 294 .

4 بيت سليط بن سعد في خزانة الأدب 1 : 293 .

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ وحسنٍ فعلٍ كما يُجزى سيمارٌ
وقال عبد العزيز بن امرئ القيس الكلبي¹ ، وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغساني
أفراساً ، ووفد إليه فأعجب به واختصه ، وكان للملك ابنٌ مُسترضعٌ في بني عبد ودٍّ من كلبٍ
فنهشته حيةً ، فظنَّ الملكُ أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزيز : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم
قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ ، فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلن وأفعلن ،
فقال له : رجونا من حيائك أمراً حال دونه عقابك ، ودعا أبنيه شراحيل وعبد الحارث ،
فكتبَ معهما إلى قومه :

جزاني جزاه الله شرَّ جزائه جزاء سيمارٍ وما كان ذا ذنبٍ
سوى رصه البنيانَ عشرين حجةً يُعلي عليه بالقراميد والسكب²

وهي أبيات ، قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظم وجعل معه كسرى كتيبتين :
إحداهما يُقال لها : «دوسر» وهي لتنوخ ، والأخرى : «الشهباء» وهي للفرس ، وكانتا
أيضاً تسميان القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلاد الشام ، وكلٌّ من لم يدين له من العرب . فجلس
يوماً يُشرف من الخورنق فأعجبه ما رأى من ملكه . ثم ذكر باقي خبره مثل ما ذكره خالد بن
صفوان لهشام من مخاطبة الواعظ وجوابه وما كان من اختياره السياحة وتركه ملكه .
[رأى النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني عبد الله بن عمرو
قال ذكر ابن حمزة عن مشايخه : أن النعمان بن المنذر لما نعي إلى النابغة الذبياني وحدث بما صنع
به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثّل³ :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه والدهر بالوتر ناجٍ غير مطلوبٍ
ما من أناسٍ ذوي مجدٍ ومكرمةٍ إلا يشدُّ عليهم شدة الذيبِ
حتى يُبيد على عمَدٍ سراتهم بالنافذات من النبل المصابيبِ
إني وجدتُ سيهام الموتِ مُعرضةً بكلِّ حتفٍ من الآجالِ مكتوبِ

[الغناء في شعر عدي بن زيد]

وفي سائر قصائد عدي بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغان .

1 الخبر في الخزائن 1 : 293-294 .

2 السكب : النحاس أو الرصاص .

3 قوله «تمثّل» يعني أن الأبيات ليست للنابغة .

منها¹ : [من المنسرح]

صوت

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَبْنِ الْـ أَيَّامٍ يَنْسُونَ مَا عَوَّاهُهَا
يَنْسُونَ إِخْوَانَهُمْ وَمَصْرَعَهُمْ وَكَيْفَ تَعْتَاقُهُمْ مَخَالِبُهَا²
مَاذَا تُرْجِي النُّفُوسُ مِنْ طَلَبِ الْـ خَيْرُ وَحْبُ الْحَيَاةِ كَارِبُهَا³
تَظَنَّ أَنْ لَنْ يَصِيبَهَا عَنَتُ الدِّ هَرٍ وَرَيْبُ الْمُنُونِ صَائِبُهَا⁴

ويروى عُقْبُ الدهر ، يقول : الأَيَّامُ تَغْنِي النَّاسَ فَتَخْدَعُهُمْ وَتَحِيلُهُمْ مِثْلَ الْغَبْنِ فِي الْبَيْعِ .
وَتَعْتَاقُهُمْ : تَحْبِسُهُمْ ، يقال : اعتاقه واعتقاه . وكاربها ها هنا : غامها ، وهو في موضع آخر
القريب منها ، يقال كَرَبُهُ الأمرُ وكرته وبهضه وغنظه إذا غمّه ، الغناء في هذه الأبيات لابن
مُحَرِّزٍ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالنصر ، نسبه حَبَشٌ وَدَنَانِيرٌ إِلَى
حُثَيْنٍ ، ونسبه الهشامي وابن المكيّ إِلَى الْهُدَلِيِّ . ومنها⁵ : [من المديد]

صوت

يَا لُبَيْنَى أَوْقِدِي النَّارَا إِنَّ مَنْ تَهَوَّنَ قَدْ حَارَا
رُبُّ نَارٍ بِتُ أَرْمُقُهَا تَقْضِمُ الْهُنْدِيَّ وَالْغَارَا
عِنْدَهَا ظَبْيٌ يُوْرُثُهَا عَاقِدٌ فِي الْجِدِّ تَقْصَارَا⁶

عروضه من المديد ، حار يحير هنا : ضلّ ، وحار في موضع آخر : رجع . والغار : شجر
طَيِّبُ الرِّيحِ ، والغار أيضاً : شجرُ السَّوسِ ، والغار : الغيرة . ويورثها : يوقدها ويكثر خطبها .
والتقصار : المِخْنَقَةُ ، الغناء الحُثَيْنِ خفيف ثقيل أَوَّلُ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .
وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لعريب .

أخبرني محمد بن مَزِيدٍ بن أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ وَأَخْبَرَنَا بِهِ يَحْيَى بْنُ
عَلِيٍّ عَنْ كَلُوةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ عَنْ يُونُسَ

1 ديوان عدي بن زيد : 45 .

2 تعتاقهم في الديوان : تغتالهم .

3 كاربها في الديوان : كاذبها .

4 صائبها في الديوان : كاربها .

5 ديوان عدي بن زيد : 100 .

6 الشطر الثاني في الديوان : عاقد في الخصر زنارا . والتقصار : القلادة .

النحوي قال : مات رجل من جُنْدِ أهل الشام عظيمُ القدر ، له فيهم عزٌّ [وعدد] ؛ فحضر الحجاجُ جنازته وصلى عليه وجلس على قبره وقال : لِيُنْزِلَ إِلَيْهِ بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يسوي عليه : رحمك الله أبا قنان ، إن كنتَ ما علمتُ لتُجيدَ الغناء ، وتُسرعُ ردَّ الكأس ، ولقد وقعتَ في موضعٍ سوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة¹ . قال : فما تمالك الحجاج أن ضحك ، وكان لا يكثر الضحك في جدٍّ ولا هزل . فقال له : أهذا موضع هذا لا أم لك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، فرسه حبيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغني : [من المديد]

يا لُبَيْنَى أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا

لانتشر الأمير على سعة ، وكان الميتُ يلقبُ بسعة ، فقال : إنا لله أخرجوه من القبر ؛ ما أئير حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام ؟ قال : وكان سعة هذا الميتُ من أوحش خلق الله كلهم صورة ، وأذمهم قامة . فلم يبقَ أحد حضر القبر إلا استفرغ² ضحكاً . ومنها من قصيدته التي أولها³ :

لِمَن الدارُ تَعَفَّتْ بِخَيْمِ

صوت

[من الرمل]

وثلاثُ كالحماماتِ بها بين مجئهنَّ توشيمُ الحُمَمِ
أسألُ الدارَ وقد أنكرتها عن حبيبي فإذا فيها صَمَمٌ⁴

ويروى : توشيمُ العَجَمِ . والتوشيمُ أراد به آثار الوقود قد صار فيها كالوشم . والثلاث يعني الأثافي التي تنصب عليها القدر ، الغناء لإبراهيم خفيفٌ ثقیلٌ أولٌ مطلقٌ في مجرى البصر عن عمرو وابن المكي . وفيه لحكم لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنس . وهذه القصيدة التي أولها :

لمن الدارُ تَعَفَّتْ بِخَيْمِ أصبحتَ غيرها طولُ القَدَمِ
ما تَبَيَّنَ العينُ من آياتها غيرُ نُويٍ مثل خطِّ بالقلمِ

وبعده :

1 ل : إلى يوم الدكة .

2 ل : إلا استغرب .

3 ديوان عدي بن زيد : 73 .

4 أنكر تهاني في ل : وقد أنكرها ؛ الديوان : وقد حينئذ .

وثلاث كالحمامات بها بين مجّاهنّ توشيمُ الحمم
وعلى هذا خُفِضَ قوله : وثلاث كالحمامات . ومنها قوله :
كفى غَيْرُ الأيّام للمرأة وازعا

صوت

[من الطويل]

بنات كرام لم يُرَيْنَ بضرة دُمى شَرِقاتٍ بالعَبيْر رَوادِعا¹
يُسارِقْنَ مِ الأستار طَرْفاً مُفْتَرّاً وَيُورِزْنَ مِنْ فَتَقِ الخُدُورِ الأصابع²
بنات كرام موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :
وأصْبِي ظِلَاءً فِي الدَّمَقْسِ خَواضِعا

بنات كرام هكذا في القصيدة على تواليها ، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضرة
وبضرة جميعاً بالضم والفتح . والدُمى : الصُّورُ ، وأحدثها دُمِيَّةٌ . الغناء في هذين البيتين لابن
قندح ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصرة عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أَنَّهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ بَزِيعٍ ،
وذكر حبشٌ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . ومنها³ :
[من الوافر]

صوت

أَرِقْتُ لِمَكْفَهْرٍ باتَ فيه بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ
تَرْوُحُ المَشْرِيقَةِ فِي ذُرَاهُ وَيَجْلُو صَفْحَةَ الذَّيْلِ القَشِيبِ

والمكفهر والمكهرهف : السحاب المتوالي المتراكب . والشَّيْبُ : السحاب التي فيها سواد
وبياض شَبَّهَها بالرُّؤُوسِ الشَّيْبُ ، وقال قوم : بل شَيْبٌ : جبل معروف . شَبَّهَ البرق في
السحاب بَلَمَعَانِ السُّيُوفِ . ورواه ابن الأعرابي :

ويجلو صفح دَخْدَارِ قَشِيبِ

وقال : الدَّخْدَارُ : الثوب المَصُونُ ، وهو أعجميٌّ مَعْرَبٌ أصله تخت دار . والقشيب :
الجديد . الغناء لِعَرِيبٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالبصرة . ومنها من قصيدته التي أولها⁴ :

أَلا يَا طَالَ لَيْلِي وَالنَّهَارُ

1 روادع بالعير : مخلقات بالعير .

2 من فتق الخدور في ل : من فتق السنور .

3 ديوان عدي : 37 (وقد تقدّم) .

4 ديوان عدي : 132 (ولم يورد الشطر الثاني) .

صوت

[من الوافر]

ألا مَنْ مُبْلَغُ النِّعمَانِ عَنِّي علانيةً فقد ذهبَ السَّرارُ
بأنَّ المرءَ لم يُخلَقْ حَدِيداً ولا هَضْباً تَوَقَّاهِ الْوِبَارُ¹
ولكنْ كالشَّهابِ فَنَمَّ يَخْبُو وحادي الموتِ عنه ما يَحَارُ
فهل مِنْ خالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وهل بالموتِ يا لِلنَّاسِ عَارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . الْوِبَارُ : جمع وَبْر . والشَّهابُ : السراج . ويخبو : يَطْفَأُ . الغناء لبأبويه ثقیل أول بالنصر عن حبش والحشامي . ومنها² :
[من الوافر]

صوت

ألا مَنْ مُبْلَغُ النِّعمَانِ عَنِّي فبينا المرءُ أَغْزَبَ إِذْ أَرَا³
أَطَعْتَ بَنِي بُقَيْلَةَ فِي وَثَاقِي وَكُنَّا فِي حُلُوقِهِمْ ذُبَا⁴
مَنْحَتَهُمُ الْفُرَاتَ وَجَانِيهِ وَتَسْقِينَا الْأَوَاجِنَ وَالْمِلَاحَ⁵

الغناء لحنين خفيف ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها⁶ : [من الرمل]

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ دَنَفٍ أَوْ مُعْتَمِدُ قَدْ عَصَى كُلَّ نَصِيحٍ وَمُفَدِّ
لَسْتُ إِنْ سَلَّمِي نَأْتَنِي دَارُهَا سَامِعاً فِيهَا إِلَى قَوْلِ أَحَدُ

المُعْتَمِدُ : الذي عَمَدَهُ الْوَجْعُ يَعْمِدُهُ عَمْداً . غَنَاهُ ابْنُ مُحَرَّزٍ وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي
مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ
فِيهِ لِمَالِكٍ لَحْنًا ، وَلِسَانُ الْكَاتِبِ لَحْنًا ، وَهُوَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشَ . وَمِنْهَا⁷ : [من الخفيف]

1 الْوِبَارُ : جمع وَبْر ، وهي - فيما يقال - دَوْبِيَّةٌ تَكُونُ فِي الْغُورِ وَلَا تَرْقَى الْهَضَابَ .

2 ديوان عدي : 120 .

3 أَغَانِي الدَّارِ الْوُطْنِيَّةِ أَغْرَبَ ، وَعَنْهُ الدِّيَّانُ ؛ وَصَوْنَاهُ ، مَعْنَى أَغْزَبَ : خَرَجَ بِمَاشِيَةٍ لِيَقِيمَ فِي الْمَرْعَى بَعِيداً عَنْ
مَكَانِ قَوْمِهِ ؛ أَرَاَحَ : رَجَعَ بِهَا مَسَاءً إِلَى الْحَيِّ وَهَذَا كِتَابَةٌ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ .

4 الذَّبَاحُ : وَجَعَ فِي الْحَلْقِ .

5 لَ : وَمَا يَلِيهِ . الْأَوَاجِنُ : جَمْعُ آجَنَ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي تَغْيَرُ طَعْمُهُ ؛ وَالْمِلَاحُ : الْمَلْحُ .

6 ديوان عدي : 42 .

7 ديوان عدي : 84 .

4 ، كِتَابُ الْأَغَانِي - ج 2

صوت

أَرْوَاحُ مُودَّعٍ أَمْ بُكُورُ لَكَ فَاعِمِدْ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ¹
 وَيَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِيَّ وَعَدِيَّ بِسُخْطِ رَبِّ أُسِيرُ²
 أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالدهـ سرَّ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ
 أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ مَ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ

يريد : أَرْوَاحُ نودَّعَكَ فيه أَمْ بكورُ ؟ أيَّهما تريد ؟ فاعِمِدْ للذي تصيرُ إليه من أمر آخرتك .
 والموفورُ : الذي لم تُصبه نوائب الدهر . الغناء لحنين من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقته ، وذكر
 حماد بن إسحاق عن أبيه أن حنيناً غناه خالداً القسريَّ أيامَ حَرَمِ الغِناء ، فَرَقَّ له وقال : غَنَّ ولا
 تُعاشِرَ سَفِيهاً ولا مُعْرِيداً . والخبر [في ذلك] يُذكر في أخبار حنين .
 ومَّا يُغْنِي فيه أيضاً من شعر عدي³ :

صوت

أَلَا يَا رَبِّمَا عَزَّ خَلِيلِي فَتَهَاوَنْتُ
 وَلَوْ شِئْتُ عَلَى مَقْدُ رَوْ مِنِّْي لِعَاقَبْتُ
 وَلَكِنْ سَرَّني أَنْ يَعِدَ لَمُمُوا قَدْرِي فَأَقْلَعْتُ
 أَلَا لَا فَاسْأَلُوا الْفَتِيَّةَ مَا قَالُوا وَقَدْ قَمْتُ

الغناء لسياطٍ رمل عن الهشامي . وفيه ليحيى المكيَّ خفيف ثَقِيلٍ نسبته إلى مالك وليس
 له . ولَعَرِيبٌ في البيتين الأولين ثَقِيلٌ أوَّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر⁴ وهو :

ولكنَّ حبيبي جَلَّ عِنْدِي فَتَغَافَلْتُ

ومَّا يُغْنِي فيه من شعره⁵ :

صوت

تَعْرِفُ أَمْسٍ مِنْ لَمَيْسَ الطَّلَلِ مِثْلَ الْكِتَابِ الدَّارِسِ الْأَحْوَلِ

- 1 الديوان : فاعلم .
- 2 هذا البيت هو رقم 43 من القصيدة ، والذي بعده هو التاسع عشر : ففي الترتيب اختلاف كبير .
- 3 ديوان عدي : 119 .
- 4 ولكن جامع الديوان ألحقه بالأبيات السابقة .
- 5 ديوان عدي : 157 .

الذي قد دَرَسَ فلا يُقرأ .

أَنْعِمَ صَبَاحاً عَلَقَمَ بَنَ عَدِي أَثَوَيْتَ الْيَوْمَ أَمْ تَرَحَّلَ
قَدْ رَحَّلَ الْفَتَيَانُ عَيْرَهُمُ وَاللَّحْمُ بِالْغَيْطَانِ لَمْ يُنْشَلْ¹
إِذْ هِيَ تَسْبِي النَّاظِرِينَ وَتَج لَوْ وَاضِحاً كَالْأَقْحُوَانِ رَزَلْ
الرَّزَلُ : المستوي البنية .

عذباً كما ذقتُ الْجَنِّيَّ مِنَ التِّ ففاح مَسْفِيّاً ببردِ الطَّلِّ
هكذا يُغْنَى . والذي قاله عدي : يَسْقِيهِ بَرْدُ الطَّلِّ . الغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي أَنَّ عمرو بن امرئ القيس المكنى
بأبي شريح وعَلَقَمَةُ بن عدي ، وقيل علقم بن عدي بن كعب ، وعمرو بن هند خرجوا إلى الصيد
فأتوا قصر ابن مُقَاتِلٍ² فمكثوا فيه يتصيدون ، فزعموا أَنَّ علقمة بن عدي تَبَعَ حماراً فصرعه
والشمس لم تَطْلُعْ ، ثم لحق آخر قطعنه فانقصف الرمح فيه ومَرَّ به فرسه يركض ، فجال به العير
فضربه فأصاب صدره فقتله ، وقيل : إِنَّ الرمح المنقصف دخل في صدره فقتله ، وذلك في أيام
الربيع ، وكان عدي بن زيد معهم وإليه قصدوا ، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل ، فقال عدي
هذه القصيدة يرثيه بها .

صوت

من المائة المختارة³

[من الطويل]

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسْحَلَانُ فَحَامِرَةٌ تَمَشَّى بِهِ ظُلْمَانُهُ وَجَاذِرَةٌ⁴
بِمُسْتَأْسِدِ الْقُرَيَّانِ عَافٍ نَبَاتُهُ فَنُورُهُ مِثْلُ إِلَى الشَّمْسِ زَاهِرَةٌ⁵
رَأَتْ عَارِضاً جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةٌ بِمُسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تُبَادِرَةٌ
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَتَى الْمَاءُ دُونَهَا وَسُدَّتْ نَوَاحِيهِ وَرُفَّعَ دَابِرَةٌ⁶

1 الغيطان : الحقول المطمئنة .

2 قصر ابن مقاتل (أو قصر مقاتل) كان في طريق الذهاب من عين التمر إلى الشام .

3 ديوان الخطيئة : 180 تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة : 1958 .

4 مسحان وحامر : موضعان في ديار الشام . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ، والجاذر : أولاد البقر .

5 مستأسد القرين : النامي من نبات القرين وهي مجاري الماء . عاف نباته في ل : حو تلاعه .

6 سدت في ل : وهدت .

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسْحَلَان : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه إلى مُسْحَلَان . وَالظُّلُمَان : ذكورُ النعامِ واحدُها ظليم . وَالجَّاذِر : أولاد البقر واحدُها جُوْذُرُ وجُوْذَرُ بضمّ الذال وفتحها . وَتَمْشَى : تُكْثِرُ المَشْيَ . وَالْقُرْيَانُ : مجاري الماء إلى الرِّياضِ واحدُها قَرِي . وَالْمُسْتَأْسِدُ : ما التَفَّ منها وطلال . وَالنُّوَارُ يقال : إِنَّهُ يَكُونُ أَبَدًا حِيَالَ الشَّمْسِ يستقبلها بوجهه ، فيقول : إِنَّ نُوَارَ هذه الروضة يميلُ زاهرُهُ حِيَالَ الشَّمْسِ . وَالْعَارِضُ : السحاب . وَالْجَوْنُ : الأسود . وَالْغَرِيرَةُ : الناعمة التي لم تُجَرَّبِ الْأُمُورَ ، يقول : لما رَأَتْ هذه المرأةُ السحابة السوداء قامت بِمِسْحَاتِهَا تُصْلِحُ النَّوِيَّ حَوَالِيَّ بَيْتِهَا وهو الحَاجِزُ بينه وبين الأرض المستوية . وَقوله : رَفَعَ دَابِرُهُ أَي مؤخره الذي يلي الماء من النَّوِي . الشَّعْرُ لِلْحَطِيطَةِ يَهْجُو الزَّبْرَقَانَ بَنَ بَدْر . وَالْغَنَاءُ لَابْنِ عَائِشَةَ وَلَحْنُهُ الْمُخْتَارُ خَفِيفٌ رَمَلِي بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ لَهُ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي .

[12] - خبر الخطيئة ونسبه¹

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[نسبه]

الخطيئة لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه جرؤلُ بنُ أوس بن مالك بن جُوَيْة بن مَخْزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عِيلَان بن مُضَر بن نزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدِّمهم وفصحائهم ، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مُجيدٌ في ذلك أجمع ، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ ، ونسبه مُتدافِعٌ بين قبائل العرب ، وكان ينتمي إلى كلِّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين .

[إسلامه وارتداده]

وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم . ثم ارتدَّ وقال في ذلك² : [من الطويل]

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا فيا لِعِبَادِ الله ما لأبي بَكْرٍ
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إذا مات بعده وتلك لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهيرِ

[سبب لقبه الخطيئة]

ويُكنى الخطيئة أبا مُلَيْكَة ، وقيل : إنّ الخطيئة غَلَبَ عليه ولُقِّبَ به لِقصره وقربه من الأرض . وقال حماد الراوية قال أبو نصر الأعرابي : سُمِّيَ الخطيئةُ لأنَّه ضَرَطَ ضَرْطَةً بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنّما هي حُطِيئةٌ ، فسُمِّيَ الخطيئة . وقال المدائني قال أبو اليقظان : كان الخطيئة يدَّعي أنّه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سَدُوس ، قال : وسُمِّيَ الخطيئة لقربه من الأرض .

[انتماءه إلى بني ذهل بن ثعلبة]

أخبرني الفضل بن الحُباب³ الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إلىّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن

1 في ترجمة الخطيئة وأخباره انظر (الشعر والشعراء) : وابن سلام : 110-121 والموشح : 139-141 والخزانة 3 : 287-295 (جرول) ووصية الخطيئة في تذكرة ابن حمدون 3 : 269-271 (تحقيق إحسان عباس وبكر عباس دار صادر ، بيروت 1996) .

2 الشعر في تاريخ الطبري 3 : 246 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ونسبه لعبد الله الليثي ، وانظر ديوان الخطيئة : 329 والبيت الأول في الأغاني هو السابع في الديوان ، من قصيدة مطلعها :
ألا كلَّ أرماح قصار أذلة فداء الأرماح ركزن على الغمر

3 طبقات ابن سلام 1 : 158 وانظر الديوان : 81 .

سَلَامٌ : أَنَّ الحَطِيطَةَ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى بَنِي ذُهْلَ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَقَالَ :
 إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرَيْةِ مِنْ بَنِي ذُهْلَ
 قَالَ : وَالْقُرَيْةُ : مَنَازِلُهُمْ ، وَلَمْ يَنْبِتْ¹ الحَطِيطَةُ فِي هَؤُلَاءِ .
 [تَلَوْنَهُ فِي نَسَبِهِ]

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ
 خِرَاشَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ وَخَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولَانِ : كَانَ الحَطِيطَةُ إِذَا غَضِبَ عَلَى بَنِي عَبْسٍ يَقُولُ :
 أَنَا مِنْ بَنِي ذُهْلَ ، وَإِذَا غَضِبَ عَلَى بَنِي ذُهْلَ قَالَ : أَنَا مِنْ بَنِي عَبْسٍ .
 أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْدَاسِيُّ قَالَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ أَبِي قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : كَانَ
 الحَطِيطَةُ مَغْمُوزَ النِّسَبِ ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الزُّنَا الَّذِينَ شَرُّوْا .
 قَالَ إِسْحَاقُ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ الحَطِيطَةُ يَضْرِبُ بِنَسَبِهِ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَقَالَ فِي
 ذَلِكَ² :

قَوْمِي بَنُو عَوْفَ بْنِ عَمٍّ سِرُّوْا إِنِ ارَادَ الْعِلْمَ عَالِمٌ
 قَوْمٌ إِذَا ذَهَبَتْ خَضَا رِمُّ مِنْهُمْ خَلَفَتْ خَضَارِمُ
 لَا يَفْشَلُونَ وَلَا تَبِيْءُ تُّ عَلَى أَتُوفِيهِمُ الْمَخَاطِمُ
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَقَدِمَ الحَطِيطَةُ الْكُوفَةَ فَتَزَلَّ فِي بَنِي عَوْفَ بْنِ عَامِرَ بْنِ ذُهْلَ يَسْأَلُهُمْ وَكَانَ
 يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَقَالَ فِي ذَلِكَ³ :

سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْمَالَ يَجْمَعُهُ سَيِّبُ الْإِلَهِ وَأَقْبَالِي وَإِدْبَارِي
 إِلَى مَعَاشَرٍ مِنْهُمْ يَا أُمَامَ أَبِي مِنْ آلِ عَوْفَ بُدُوءٍ غَيْرِ أَشْرَارِ⁴
 نَمْشِي عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابٍ أَضْأَنَّ لَنَا مَا ضَوَّاتُ لَيْلَةَ الْقَمَرَاءِ لِلْسَّارِي⁵
 [خَبَرَهُ مَعَ أَخُوهِ مِنْ أَوْسَ بْنِ مَالِكٍ]

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي خَبَرِهِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، وَحَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
 ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَوْسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُوَيْتَةَ بْنِ مَخْزُومَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَالِبِ بْنِ
 قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْسٍ تَزَوَّجَ بِنْتَ رِيَّاحَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَوْفَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ

1 ل : يَنْبِت .

2 ديوان الحطيطه : 80 .

3 ديوان الحطيطه : 78-79 .

4 البدوء : السادة والمفرد بدء .

5 الشطر الثاني في الديوان : كما أضاءت نجوم الليل للساوي .

ذُهل بن ثعلبة ، وكان له أُمّة يُقال لها الضَّرَاءُ فأعلقها بالخطيئة ورحل عنها . وكان لبنت رياح أُخٌ يُقال له : الأَفْقَمُ ، وكان طويلاً أَفْقَمٌ¹ ، صغير العينين ، مضغوط اللّحَيْن ، فولدتِ الضَّرَاءُ الخطيئة فجاءت به شبيهاً بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبي ؟ فقالت لها : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبهته بأخيها ؛ فقالت لها : صدقت . ثم مات أوس وترك ابنين من الحرّة ، وتزوج الضَّرَاءُ رجلاً من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الخطيئة من أمّه . فأعتقت بنت رياح الخطيئة وربّته فكان كأنّه أحدهما . وترك الأفقم نخلاً باليمامة . فأتى الخطيئة أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنّها اعتلقت من أوس بن مالك ، فقال لهم : أفردوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا : لا ، ولكن أقم معنا فنحن نؤاسيك فقال² :

أَأْمَرْتُمَانِي أَنْ أَقِيمَ عَلَيْكُمَا كَلَّا لَعَمْرُ أَيْكُمَا الْحَبَاقِ
عبدانٍ خيرهما يُشَلُّ بضبعه شَلُّ الأَجِيرِ قلائصَ الْوَرَّاقِ³

[سأل أمّه من أبوه فخلطت عليه]

قال : وسأل الخطيئة أمّه : مَنْ أبوه فخلطت عليه فقال⁴ :

تقول لي الضَّرَاءُ لستَ لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أولئكا
وأنتَ امرؤٌ تبغي أباً قد ضلّلتَه هِبَلَتِ أَلْمَا تَسْتَفِقُ من ضلالِكا

[خبره مع إخوته من بني الأفقم]

قال : وغضبَ عليها فلحقَ بإخوته بني الأفقم فقال :

سيرى أُمَامَ فَإِنْ الْمَالِ يَجْمَعُهُ سَيَبُ إِِلَاهِ وَإِقْبَالِي وَإِدْبَارِي

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال :

إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرْيَةِ من بني ذُهل

وسألهم ميراثه من الأفقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أمّ مُليكة ، وأمّ مُليكة : امرأةُ الخطيئة ، فقال :

[من الطويل]

1 أفقم : في أسنانه عيب .

2 ديوان الخطيئة : 281 .

3 يشل : يطرد ، بضبعه : بوسط عضده . الْوَرَّاق : صاحب الورق ، أي ذو المال .

4 ديوان الخطيئة : 276 .

لِيَهْنِي تَرَاثِي لَامْرَى غَيْرَ ذِلَّةٍ صَنَائِيرُ أُحْدَانٍ لَهْنٍ حَقِيفُ
قال : ثم لم تُقَعِّعِ النُّخِيلَات ، وقد أَقَامَ فِيهِمْ زَمَانًا فَسَأَلَهُمْ مِيرَاثَهُ كَامِلًا مِنَ الْأَقْفَمِ فَلَمْ
يُعْطُوهُ شَيْئًا وَضَرِبُوهُ¹ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ² : [من الطويل]

تَمَنَيْتُ بَكْرًا أَنْ يَكُونُوا عِمَارَتِي وَقَوْمِي وَبَكَرٌ شَرٌّ تِلْكَ الْقَبَائِلُ³
إِذَا قُلْتُ بَكَرِي نَبَوْتُمْ بِحَاجَتِي فَيَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
فَعَادَ إِلَى بَنِي عَبْسٍ وَاتَّسَبَّ إِلَى أُوسَ بْنِ مَالِكٍ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي خَبَرِهِ : لَمَّا أَتَى أَهْلَ
الْقُرَيْةِ ، وَهُمْ بَنُو ذُهْلٍ ، يَطْلُبُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْأَقْفَمِ مَدَحَهُمْ فَقَالَ : [من الكامل]

إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِتِهَا أَهْلُ الْقُرَيْةِ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ
الضَّامِنُونَ لِمَالِ جَارِهِمْ حَتَّى يَتَمَّ نَوَاهِضُ الْبَقْلِ
قَوْمٌ إِذَا اتَّسَبَوْا فَفَرَعُهُمْ فَرَعِي وَاثْبَتُ أَصْلِهِمْ أَصْلِي
قال : فَلَمْ يُعْطُوهُ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُمْ : [من الكامل]

إِنَّ الْيَمَامَةَ شَرُّ سَاكِتِهَا أَهْلُ الْقُرَيْةِ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ

[تَزَوَّجَتْ أُمُّهُ فَهَجَاَهَا]

وَقَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ فِي خَبَرِهِ : كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي تَزَوَّجَ أُمَّ الْخَطِئَةِ أَيْضًا وَلَدَ زَنًا اسْمُهُ
الْكَلْبُ بْنُ كُنَيْسٍ بْنُ جَابِرِ بْنِ قَطْنِ بْنِ نَهْشَلٍ ، وَكَانَ كُنَيْسٌ زَنَى بِأُمِّهِ لَزْرَارَةَ يَقَالُ لَهَا
رُشْيَةً ، فَوُلِدَتْ لَهُ الْكَلْبُ وَيَرْبُوعًا ، فَطَلَبَهُمْ مِنْ زُرَّارَةَ فَمَنَعَهُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا مَاتَ طَلَبَهُمْ مِنْ
ابْنِهِ لَقِيطٍ فَمَنَعَهُ ؛ وَقَالَ لَقِيطٌ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

أَفِي نَصْفِ شَهْرٍ مَا صَبَرْتُمْ لِحَقِّنَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ سَيْنِينَا
وَهِيَ أَيْيَاتُ . فَتَزَوَّجَ الْكَلْبُ الضَّرَاءَ أُمَّ الْخَطِئَةِ ؛ فَهَجَاَهَا الْخَطِئَةُ وَهَجَا أُمَّهُ فَقَالَ⁴ : [من الكامل]

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النِّسَاءِ فَسُوَّتَنِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ
إِنَّ الذَّلِيلَ لَمَنْ تَزَوَّرَ رِكَابُهُ رَهْطَ ابْنِ جَحْشٍ فِي الْخُطُوبِ الْحَوْسِ⁵

1 ل : فصر فوه .

2 ديوان الخطيئة .

3 العمارة : القبيلة .

4 ديوان الخطيئة : 273 .

5 الحوس : الشداد .

قَبَحَ إِلَاهُ قَبِيلَةً لَمْ يَمْنَعُوا
أَبْلَغَ بَنِي جَحْشٍ بَأَنَّ نِجَارَهُمْ
وَقَالَ الْخَطِيئَةُ يَهْجُو أُمَّهُ³ :

يَوْمَ الْمُجِيمِ جَارَهُمْ مِنْ فَقْعَسٍ¹
لَوْمْ وَأَنَّ أَبَاهُمْ كَالْهَجْرَسِ²
[من الوافر]

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ
فَقَدْ مُلِّكَتِ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى
فَإِنْ تُخَلِّيْ وَأَمْرُكَ لَا تَصُولِي
لِسَانُكَ مِيرْدٌ لَا خَيْرَ فِيهِ
وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَ
تَرْكَبُهُمْ أَدَقُّ مِنَ الطُّحِينَ⁴
بِمَشْتَدِّ قُؤَاهُ وَلَا مَتِينٍ
وَذَرُّكَ دَرٌّ جَاذِبَةٌ دَهِينٌ⁵
وَقَالَ يَهْجُو أُمَّهُ أَيْضًا⁶ :

[من الوافر]

تَنَحَّى فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا
أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرًّا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةُ سُوءٍ
وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ
أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ

[هجاء دنيء النفس فاسد الدين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال :
كان الخطيئة جَشِعًا سَوُولًا مُلْجِفًا ، دنيء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلًا ، قبيح المنظر ،
رَثَّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في (شعر) شاعرٍ من عيبٍ إلا
وجدته ، وقلما تجد ذلك في شعره .

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : بُخلاء العرب أربعة : الخطيئة ،
وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان .

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الخطيئة بَذِيًّا هَجَاءً ،
فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوهُ فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول⁷ : [من الطويل]

1 المجيمر : أرض أو جبل يبلاد بني أسد . فقعس : قبيلة من بني أسد .

2 الهجرس : ولد الثعلب .

3 ديوان الخطيئة : 278 .

4 فقد ملكت في الديوان : فقد سُوِّسَتْ .

5 لا خير فيه في ل : لا عيب فيه ؛ الديوان : لم يبق شيئاً . الجاذبة : الناقة التي تجذب لبنها فلا ينزل ، والدهين :
الناقة القليلة اللبن .

6 ديوان الخطيئة : 277 .

7 ديوان الخطيئة : 282 .

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمًا بَشْرٌ فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
وجعل يُذهورُ هذا البيت في أشدّاقه ولا يرى إنساناً ، إذ اطلع في ركيٍّ أو حوض فرأى
وجهه فقال :

أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ فُقُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

[قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفاً من شره]

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء : حدّثنا الزبير بن بَكَار قال حدّثني عمّي قال :
قدم الحطيئة المدينة فأرصدت قريش له العطايا خوفاً من شره ، فقام في المسجد فصاح : مَنْ
يحملني على بغلين .

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام¹ وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدّثنا
حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمداثني ومُصعب : كان الحطيئة سؤولاً جَشِيعاً ،
فقدم المدينة وقد أرصدت له قريش العطايا ، والناس في سَنَةِ مُجْدِبَةٍ وَسَخْطَةٍ من خليفة² ،
فمشى أشرافُ أهل المدينة بعضهم إلى بعض ، فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر ،
والشاعر يُظَنُّ فَيُحَقَّقُ ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهْدَ نَفْسِهِ بَهْرَهَا³ ،
وإن حرّمه هجّاه ، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ
البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له
أربعمائة دينار ، وظنّوا أنّهم قد أغنّوه ، فأتّوه فقالوا له : هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان
وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ؛ فظنّوا أنّهم قد كفّوه عن المسألة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل
الإمام ماثلاً ينادي : مَنْ يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ جَهَنَّمَ⁴ .

[كان متين الشعر]

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعرَ الحطيئة فجمعت متفرقاً ما وصفاه به في هذا
الخبر ، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالاً :
كان الحطيئة مَتِينَ الشعر ، شَرُودَ القافية⁵ ، وكان دنيء النفس ، وما تشاء أن تطعن في

1 طبقات ابن سلام 1 : 113 (الفقرة : 130) .

2 في سَخْطَةٍ من خليفة أي غضبة ؛ وقد توفي الحطيئة سنة 59هـ ؛ وقد يكون الخليفة هو معاوية ؛ ولعله كان
مغضباً على أهل المدينة .

3 بهر نفسه : كلفها فوق ما تطيق .

4 كَبَّةَ جَهَنَّمَ : شدتها وصدمتها .

5 القافية الشُرود : القصيدة التي تسير في البلاد .

شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً ، وما أقل ما تجد ذلك في شعره .

[وضعه كعب بن زهير بعده في الشعر فهجاه مزرد بن ضرار]

قالا : فبلغ من ذنابة نفسه أنه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير ، فقال له : قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك ، وقال أبو عبيدة ؛ تبدأ بنفسك فيه ثم تُثني بي ، فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع ! فقال كعب¹ : [من الطويل]

فَمَنْ لِلْقَوافي شَانِهَا مَنْ يَحْوِكُهَا	إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرْوُلُ
كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً	تَنَحَّلَ مِنْهَا مِثْلَ مَا تَنَحَّلُ
نَقُولُ فَلَا نَعِيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ	وَمِنْ قَائِلِهَا مَنْ يُسِيءُ وَيُجْمِلُ
نُثَقِّفُهَا حَتَّى تَلِينُ مُتُونُهَا	فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُمَثِّلُ

قال : فاعترضه مُزَرَّدُ بن ضرار ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَاخ ، وكان عَرِيضاً أي شديد العارضة كثيرها ، فقال² :

بِاسْتِكَ إِذْ خَلَفْتَنِي خَلَفَ شَاعِرٍ	مِنَ النَّاسِ لَمْ أَكْفَيْءَ وَلَمْ أَتَنَحَّلْ ³
فَإِنْ تَخَشَّيْتُ أَخْشَبُ وَإِنْ تَنَحَّلَا	وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمْ أَتَنَحَّلُ ⁴
فَلَسْتُ كَحَسَّانِ الْحَسَامِ ابْنِ ثَابِتٍ	وَلَسْتُ كَشَمَّاخٍ وَلَا كَالْمُخَبَّلِ

[هجا قومه ومدح إبله]

نسختُ من كتاب الجَرَمِيِّ بن أبي الغلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي محمد بن الضَّحَّاك قال : أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة نال فيها من قومه ومدح إبله فقال⁵ :

مَهَارِيسُ يُرْوِي رِسْلُهَا ضَيْفَ أَهْلِهَا إِذَا الرِّيحُ أَبَدَتْ أَوْجُهُ الْخَفِرَاتِ⁶

1 ديوان كعب بن زهير (شرح السكري) : 59-60 (دار الكتب 1950) .

2 أبيات مزرد وردت في ديوان كعب : 64 وما بعدها .

3 أكفاً : جاء بالإكفاء ، وهو عيب في القافية . تنحل : ادعى شعراً لنفسه وهو ليس له .

4 خشب الشعر جاء به كما جادت به القريحة دون تنقيح ؛ وقد قرأ «خشن» بالنون .

5 ديوان الحطيئة : 322 .

6 المهاريس : النوق التي تأكل العيدان (تهرسها) إذا لم تجد كلاً . رسلها : حليها .

يُزِيلُ الْقَتَادَ جَذْبُهَا بِأَصُولِهِ إِذَا أَصْبَحَتْ مُقَوَّرَةٌ خَرِصَاتٍ¹

[دخل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرم]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرَانيُّ عن التَّوْزِيَّ عن أبي عبيدة قال : بينا سعيد بن العاص يُعَسِّي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولاً أولاً ، إذ نُظِرَ على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سَمَرِهِ ، فذهب الشَّرْطُ يُقِيمُونَهُ فَأَبَى أَنْ يَقُومَ ، وحانت من سعيد التفاتة فقال : دَعُوا الرجل ، فتركوه ؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مَلِيًّا ؛ فقال لهم الخطيئة : والله ما أصبتم جيّد الشعر ولا شاعِر العرب ؛ فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذي يقول : [من الخفيف]

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ رَزَيْتُهُ الْإِعْدَامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ ؛ قال : ثم مَنْ ؟ قال : الذي يقول :

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ بِالْجَهْلِ وَقَدْ يُخْذَعُ الْأَرِيبُ²

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ؛ قال : ثم مَنْ ؟ قال : والله لحَسْبُكَ بِي عِنْدَ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ إِذَا رَفَعْتُ إِحْدَى رَجُلِي عَلَى الْأُخْرَى . ثم عَوَيْتُ فِي أَثَرِ الْقَوَافِي عَوَاءَ الْفَصِيلِ الصَّادِي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الخطيئة ؛ قال : فرحّب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة ؛ ووصله وكساه .

[عتيبة بن النّهاس يكرمه عندما عرفه]

ومضى لوجهه إلى عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيِّ فَسَأَلَهُ ؛ فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيك من عدده ، ولا في مالي فضل عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسك للشر ؛ قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الخطيئة وهو هاجينا أُنْجَبَتْ هِجَاءً ؛ فقال : رُدُّوهُ ، فَرُدُّوهُ إِلَيْهِ ، فقال له : لِمَ كَتَمْنَا نَفْسَكَ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَيْنَا ؟ اجلسْ فلك عندنا ما يسرك ؛ فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ³

1 مقورة : مهزولة . خريصات : جائعات ، وفي ل : خورات .

2 أفلح : أي أبق . وفي ل : أدرك .

3 يفره : يكمله .

فقال له عتيبة : إنَّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلب شيئاً إلاّ اشترته¹ له ؛ فجعل يعرضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدُها ويؤمىء إلى الكرايس² والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أمره ثم مضى ؛ فلمّا جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الخطيئة ، فلمّا رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرك ؛ قال : قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمعهما ثم أنشأ يقول³ :

سُئِلَتْ فلم تبخل ولم تُعطِ طائلاً فسيان لا ذمّ عليك ولا حمد⁴

وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة فتعطي ولا يُعدي على النائل الوجد

ثم ركض فرسه فذهب .

[ليس في شعره مطع]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزَيْد البُوشَنجِيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن عمرو الجرجاني⁵ عن أبي صفوان الأحوزي⁶ قال : ما من أحدٍ إلاّ لو أشاء أن أجِدَ في شعره مطعناً لوجدته إلاّ الخطيئة⁷ .

[رأي إسحاق في شعره]

قال حمّاد : وسمعت أبي يقول وقد أنشد قولَ الخطيئة :

[من الطويل]

وفتيان صدق من عديّ عليهم صفائحُ بُصرى علقتُ بالعواتقِ

إذا ما دُعُوا لم يسألوا مَنْ دعاهم ولم يُمسِكوا فوقَ القلوبِ الخوافي

وظاروا إلى الجردِ العتاقِ فالجموا وشدُّوا على أوساطهم بالمناطِقِ

أولئك آباءُ الغريبِ وغائّةُ الصرِّ يخِر ومأوى المُرملين الدَّرادي

أحلُّوا حياضَ الموتِ فوقَ جباههم مكانَ النَّواصي من وجوه السَّوابقِ

ويروى :

1 ل : ابتعته .

2 الكرايس : الثياب القطنية .

3 ديوان الخطيئة : 329 .

4 طائلاً في ل : نائلاً .

5 ل : الجرجاني .

6 ل : الأحوزي .

7 ديوان الخطيئة : 394 .

«إذا استلجموا» وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمَاهم
ويروى : أولئك أبناء العَرِيف ، ثم قال : أما إني ما أزعِمُ أن أحداً بعد زُهَيْرٍ أشعرُ من
الخطيئة .

[واقفه ابن ميادة في شطر فعرف أنه شاعر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنه لما قال ابن ميادة :
تمشّى به ظلّمانه وجاذرُهُ
قليل له : قد سبقك الخطيئة إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أن الخطيئة قال هذا قطّ ، والآن
علمتُ والله أني شاعرٌ حين واطأتُ الخطيئة .
[رأي الأصمعي في شعره]

قال حمّاد : قال أبي : وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الخطيئة : أفسد مثلاً
هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .
[سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه]

قال حمّاد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال : لقيت الخطيئة بذات
عرق¹ فقلت له : يا أبا مُليكة ، مَنْ أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحيّة ثم قال : هذا
إذا طُمِع .
[قابل حسان متكرراً وسمع من شعره]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن
طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال : أخبرني بعض أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسان بن
ثابت وهو يُنشد ، فقال له حسان : كيف تسمع² يا أعرابي ؟ قال : ما أسمع³ بأساً ؛ قال حسان : أما
تسمعون إلى الأعرابي ؟ ما كنتك أيّها الرجل ؟ قال : أبو مُليكة ، قال : ما كنت قطّ أهونَ عليّ
منك حين اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الخطيئة ، فأطرق حسان ثم قال له : امضِ بِسلام .
[الخطيئة وابن الحمامة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال⁴ : مرّ ابن الحمامة بالخطيئة
وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال : قلت ما لا يُنكر ؛ قال : إني خرجت

1 ذات عرق : على الحدّ بين نجد وتهامة .

2 ل : كيف ترى .

3 ل : ما أرى .

4 الحكاية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 380) .

من [عند] أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضمنتُ لأهلك قراك ؛ قال : أفأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفياً به ؟ قال : دونك الجبل يفيء عليك ؛ قال : أنا ابن الحمامة ؛ قال : انصرف وكن ابن أي طائر شئت .

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزاز¹ عن المدائني فحكى ما ذكرناه من قول الخطيئة عن أبي الأسود الدؤلي .

وأخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قال² : أتى رجل الخطيئة وهو في غنم له فقال له : يا صاحب الغنم ، فرفع الخطيئة العصا وقال : إنها عَجْرَاء من سَلَم ؛ فقال الرجل : إني ضيف ؛ فقال : للضيفان أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إن الرجل قال له : السلام عليكم ؛ فقال له : عَجْرَاء من سَلَم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرَّاق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ؛ فانصرف الرجل عنه .

[إنما أنا حسب موضوع]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال : زعم الجاحظ أن الخطيئة كان يقول : إنما أنا حسب موضوع ؛ فسمع عمرو بن عُبيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صديقة ، فقال عمرو : كذب تَرَحَّه الله إنما ذلك التقوى .

[يجهو أضيفه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعي : لم ينزل ضيف قط بالخطيئة إلا هجاه ، فنزل به رجل من بني أسد لم يسمه الأصمعي ، وذكر أبو عبيدة أنه صخر بن أعشى الأسدي أحد بني أعشى بن طريف بن عمرو بن قعين ، فسقاه شربة من لبن ، فلما شربها قال³ :

لما رأيتُ أن من يبتغي القرى وأن ابن أعشى لا محالة فاضحي

شدتُ حيازيم ابن أعشى بشربة على ظمأ سدت أصول الجوائح

وروى الأصمعي شدت بالشين المعجمة :

ولم أك مثل الكاهلي وعرسه بغي الود من مطروفة العين طامح⁴

1 الخزاز : هو أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز (بزاءين) .

2 الحكاية التالية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 821) .

3 ديوان الخطيئة : 317 .

4 الكاهلي : رجل من بني كاهل ، سقته زوجه سمأ . مطروفة العين في ل : مطروفة الود .

غدا باغياً يَبْغِي رضاها وودَّها وغابتْ له غيبَ امرئٍ غيرِ ناصح
دَعَتْ رَبَّهَا أَلَّا يَزَالَ بفاقةٍ ولا يَغْتَدِي إِلَّا على حَدِّ بارح¹
قال فأجابه صخرُ بنِ أَعْيَى فقال² : [من الطويل]
أَلَا قَبَحَ اللهُ الحَطيئةَ إِنَّه على كُلِّ ضيفٍ ضافه هو سَالِحُ
دُفِعْتُ إليه وهو يَخْنُقُ كَلبه أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لا أبا لك نايحُ
بَكَيْتَ على مَذْقٍ خبيثٍ قَرَيْتَه أَلَا كُلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شائِحُ
قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال³ : [من الوافر]
وسَلَّمْ مَرَّتَيْنِ فقلتُ مهلاً كفتك المَرَّةَ الأولى السَّلاما
ونَفَقْتُ بطنه ودعا رؤُوساً لِمَا قد نالَ من شَيْعٍ وناما⁴
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أمامة وابنته مُليكة ، فنزل منزلاً وسرحَ دَوْدًا له ثلاثاً ، فلما قام للرواح فقد إحداها فقال : [من الوافر]
أَذْئَبُ القَفْرِ أم ذئبٌ أنيسٌ أصابَ البَكَرُ أم حَدَثُ اللَّيالي
ونحن ثلاثة وثلاثُ دَوْدٍ لقد جَارَ الزمانُ على عِيالي
أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أُصدقَ من بيت الحطيئة : [من البسيط]
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعدَمُ جَوازِيَه لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ
فقليل له : فقول⁵ طَرَفَةٌ : [من الطويل]
سَبَدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهلاً ويأتِيكَ بالأخبار مَنَ لم تُزوِّدِ
فقال : من يأتِيكَ بها مَن زَوَّدَتْ أَكْثَرُ ، وليس بيتٌ مَّا قالته الشعراءُ إِلَّا وفيه مَطْعَنٌ إِلَّا قول⁶ الحطيئة :
لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

1 إلا على في ل : إِلَّا رأى . أي لا يقابله إِلَّا الطائر البارح الذي يتشاءم به .

2 شعر ابن أعين في ديوان الحطيئة : 319-320 .

3 ديوان الحطيئة : 353 .

4 نفق : قرقر ، لأنَّه شبع ، فنادى : يا بني رؤس ، أشرأ منه وبطراً .

5 ل : فبيت .

6 ل : بيت .

قال إسحاق قال المدائني قال سلم بن قتيبة : ما أعلم قافية تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُشَدَّ مثل قول الحطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناسِ

[كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا الرَّيَّاشِيُّ قال سمعت الأصمعي يقول : كتبت للحطيئة في ليلة أربعين قصيدة .

[«لا يذهب العرف . . .» في التوراة وهو من تخرصات كعب الأحبار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : بلغني أن هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أبي بن كعب . يعني قول الحطيئة :

[من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناسِ

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان بن أبي عائشة قال : سمع كعب الجبر رجلاً يُشَدُّ بيت الحطيئة :

[من البسيط]

مَنْ يفعلُ الخيرَ لا يَعدَمُ جَوازِيهَ لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناسِ

فقال : والذي نفسي بيده إنَّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة . قال إسحاق قال العمري :

والذي صحَّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والعباد» .

[أوصى عبيد الله بن شداد ابنه بشعره]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أبو عدنان : لما حضرت عبيد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له : يا بني إني أرى داعي الموت لا يُقْلَعُ ، وبحق أن مَنْ مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه ينزع . يا بني ، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية ، والشكر لله ، وصدق الحديث والنية ، فإن للشكر مزيداً ، والتقوى خير زاد ، كما قال الحطيئة¹ :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنَّ التقى هو السعيدُ

وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخراً وعندَ الله للأتقى مزيدُ

وما لا بدَّ أن يأتيَ قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ

[روى حماد لبلال مدحه في أبي موسى الأشعري]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قديم حماد

الراوية البصرة على بلال بن أبي بُردة وهو عليها ؛ فقال له : ما أطرفنتي شيئاً يا حماد ؛ قال : بلى ، ثم عاد إليه فأنشده للخطيئة في أبي موسى الأشعريّ يمدحه : [من البسيط]

جمعت من عامرٍ فيه ومن جُشمٍ ومن تميمٍ ومن حاءٍ ومن حامٍ
مُسْتَحَقَّاتٍ رَوَاياها جَحَافِلُها يَسْمُو بها أَشْعَرِيٌّ طَرْفُهُ سامي

فقال له بلال : وَيَحْكُ ؛ أَيْمَدَحُ الخطيئة أبا موسى الأشعريّ وأنا أروي شعرَ الخطيئة كلّهُ فلا أعرفُها ؛ ولكن أشيعُها تذهب في الناس .

وذكر المدائنيّ أنّ الخطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده :

جمعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتهُمُ حتى رَفَذْتَهُمُ بوائِلٍ رهطٍ ذي الجَدَّينِ بِسْطامٍ

فوصله أبو موسى ؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه : إني اشتريت عرضي منه بها ؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت¹ . ولما وليّ بلالُ بنُ أبي بُردة إياها حمادُ الراوية فوصله أيضاً .

[كذبه عمر في بيت قاله]

ونسختُ من كتاب حماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عمي عن الكُرانيّ عن الرياشيّ قال حدثني محمد بن الطُّفيل عن أبي بكر بن عيّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال : سبق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على فرس له فجثا على ركبتيه وقال : «إِنَّه لَبَحْرٌ» ؛ قال عمر : كَذَبَ الخطيئة حيث يقول : [من الطويل]

وإنَّ جِياذَ الخيل لا تَسْتَفِرُّنا ولا جاعلاتُ الرِّيطِ فوقَ المَعاصِمِ²

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسولُ الله ﷺ .

[أراد سفرًا فاستعطفته امرأته فرجع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة أنّ الخطيئة أراد سفرًا فأثته امرأته وقد قُدِّمَتْ راحلته ليركب ، فقالت :

[من الكامل]

1 هذا خبر غريب .

2 يوصف الفرس بأنّه بحر إذا كان واسع الخطو .

أَذْكُرُ تَحْنُنَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَاذْكُرْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ
فَقَالَ : حُطُّوا ، لَا رَحْلَتُ لِسَفَرٍ أَبَدًا .

[رجل ضاف قوماً من الجنّ فيهم صاحب الخطيئة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ
أنخي الأصمعيّ عن عمّه عن أبيه قال : قال رجل : ضِفْتُ قوماً في سفر وقد ضللتُ الطريقَ ،
فجاؤوني بطعام أجْدُ طعمه في فمي وثقله في بطني ، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ : أنشدْ عمك ؛
فأنشدني :

عفا من سَلِمَى مُسْحِلَانُ فَحَامِرَةٌ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرَةٌ¹

فقلت له : أليس هذا للخطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجنّ .

[رأى ابن شبرمة في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن عُيَيْنَةَ : سمعت ابن شبرمة يقول :
أنا والله أعلم² بجيّد الشعر ، لقد أحسن الخطيئةُ حيث يقول³ :

[من الطويل]

أولئك قوم إن بنَوْا أحسنوا البُنيَ وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا شدُّوا

وإن كانت النِّعماءُ فيهم جزَّوا بها وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

وإن قال مولاهم على جُلٍّ حادثٍ من الدهرِ رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البُنيَ ، قال : بُنية ؛ فقال

له : أتُجمَعُ فِعْلَةٌ على فُعَلٍ ؟ قال : نعم مثل رِشوة ورُشَى وجِبوة وحَبَى .

[نزل على بني مقلد فأحسنوا جواره ومدحهم]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا
ابن الأعرابيّ عن المفضلّ : أنَّ الخطيئةَ أقحمتَه السنة ، فنزل ببني مُقَلَّد بن يَرْبُوع ، فمشى
بعضهم إلى بعض وقالوا : إنَّ هذا الرجل لا يَسْلَمُ أحدٌ من لسانه⁴ ، فتعالوا حتى نسأله عمّا
يحبّ فنفعله وعمّا يكره فنجتنبه ؛ فأتوه فقالوا له : يا أبا مُلَيْكَة ، إنَّك اخترتنا على سائر العرب
ووجب حقُّك علينا ، فمرّنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحبّ أن تنتهي عنه ؛ فقال : لا تُكثروا
زيارتي فتملُوني ، ولا تقطعوها فتوحِشُوني ، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسمِعُوا

1 عفا من سَلِمَى مسحِلان في ل : عفا مسحِلان من سَلِمَى .

2 ل : عالم .

3 ديوان الخطيئة : 140 .

4 ل : لا يسلم على لسانه أحد .

بناتي غناء شُبَّانِكُمْ¹ ، فَإِنَّ الْغَنَاءَ رُفِيَّةُ الزَّنا . قال : فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ . وَجَمَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَلَدَهُ وَقَالَ : أُمُّكُمْ الطَّلَاقُ ، لَئِنْ تَغَنَّيَ أَحَدُكُمْ وَالْحَطِئَةُ مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرُنَا لِأَضْرِبَنَّهُ ضَرْبَةً بِسِيفِي² أَخَذْتُ مِنْهُ مَا أَخَذْتُ . فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِيمَا يَرْضَى حَتَّى انْجَلَتْ عَنْهُ السَّنَةُ ، فَارْتَحَلَ وَهُوَ يَقُولُ³ :

جَاوَرْتُ آلَ مُقَلَّدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إِذْ لَيْسَ كُلُّ أَحْسَى جَوَارٍ يُحْمَدُ
أَيَّامٌ مَنْ يُرِدِ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ فِينَا وَمَنْ يُرِدِ الرَّهَادَةَ يَرْهَدُ

[خبره مع الزبرقان]

فَأَمَّا خبره مع الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرٍ وَالسَّبَبِ فِي هِجَاؤِهِ إِيَّاهُ ، فَأَخْبَرَنِي بِهِ أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ بِهِ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ يُونُسَ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ دَرِيدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي الْيَزِيدِيُّ عَنْ عَمِّهِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَقَدْ جَمَعْتُ رَوَايَاتَهُمْ وَضَمَمْتُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ :

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ وَلَّى الزُّبْرَقَانَ بْنَ بَدْرٍ بِنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفٍ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ عَمَلًا ، وَذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَصْمَعِيُّ ، وَقَالَ : الزُّبْرَقَانُ : الْقَمَرُ ، وَالزُّبْرَقَانُ : الرَّجُلُ الْخَفِيفُ اللَّحْيَةُ . قَالَ : وَأَقْرَأَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى عَمْرِ بْنِ سَنَةَ مُجَلِّدِيَةً لِيُؤَدِّيَ صِدْقَاتِ قَوْمِهِ ، فَلَقِيَهُ الْحَطِئَةُ بِقَرْقَرَى⁴ وَمَعَهُ ابْنَاهُ أَوْسٌ وَسَوَادَةٌ وَبَنَاتُهُ وَامْرَأَتُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الزُّبْرَقَانُ وَقَدْ عَرَفَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْحَطِئَةُ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : الْعِرَاقُ ، فَقَدْ حَطَمْتُنَا هَذِهِ السَّنَةَ ؛ قَالَ : وَتَصْنَعُ مَاذَا ؟ قَالَ وَدِدْتُ أَنْ أَصَادِفَ بِهَا رَجُلًا يَكْفِينِي مَوْئِنًا عِيَالِي وَأُصْفِيهِ مَدْحِي أَبَدًا ؛ فَقَالَ لَهُ الزُّبْرَقَانُ : قَدْ أَصْبَتَهُ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ يَوْسَعُكَ لَبْنًا وَتَمْرًا وَيَجَاوِرُكَ أَحْسَنُ جَوَارٍ وَأَكْرَمُهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَطِئَةُ : هَذَا وَأَبْيَكُ الْعَيْشِ ، وَمَا كُنْتُ أَرْجُو هَذَا كُلَّهُ ؛ قَالَ : فَقَدْ أَصْبَتَهُ ؛ قَالَ : عِنْدَ مَنْ ؟ قَالَ : عِنْدِي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ ؛ قَالَ وَأَيْنَ مَحَلُّكَ ؟ قَالَ : أَرْكَبُ هَذِهِ الْإِبِلَ ، وَاسْتَقْبِلْ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، وَسَلِّ عَنْ الْقَمَرِ حَتَّى تَأْتِيَ مَنْزِلِي . قَالَ يُونُسُ : وَكَانَ اسْمُ الزُّبْرَقَانَ الْحُصَيْنِ بْنِ بَدْرٍ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الزُّبْرَقَانَ لِحُسْنِهِ ، شُبَّهُ بِالْقَمَرِ . وَقِيلَ : بَلْ لَبَسَ عِمَامَةً مَزْبُوقَةً⁵ بِالزَّعْفَرَانِ فَسَمِيَ الزُّبْرَقَانَ لَذَلِكَ . وَقَالَ

1 ل : غناء شبيبتكم .

2 ل : بالسيف .

3 ديوان الحطيئة : 66 .

4 قرقري : منطقة من اليمامة ذات قرى وزروع .

5 مزبوقه : مصبوغة .

أبو عبيدة في خبره : فقال له : سِرْ إلى أُمِّ شَذْرَةَ وهي أُمُّ الزبرقان وهي أيضاً عَمَّةُ الفرزدق ، وكتب إليها أن أحسنني إليه ، وأكثرني له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكله إلى زوجته . فلحق الحطيئة¹ بزوجه على رواية ابن سَلَامٍ ، وهي بنت صعصعة بن ناجية المَجَاشِيعِيَّةُ ، واسمها هُنَيْدَةُ² ، وعلى رواية أَبِي عبيدة : أَنَّهَا أُمُّهُ ، وذلك في عامٍ صعبٍ مُجْدِبٍ ، فأكرمتها المرأة وأحسنَت إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيضُ بن عامر بن شَمَّاسٍ بن لَأَيٍّ بن جعفر وهو أَنْفُ الناقة بن قُرَيْع بن عَوْفٍ [بن كعب] بن سَعْدٍ بن زيد مَنَاءَ بن تَمِيمٍ ، وبلغ إخوته وبني عَمَّةٍ فاغتنموها . وفي خبر اليزيدي عن عَمَّةٍ قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي : وكانوا يغضبون من أَنْفِ الناقة ، وإنما سَمِّيَ جَعْفَرُ أَنْفِ الناقة لأنَّ أباه قُرَيْعاً نَحَرَ ناقةً فقسَّمَهَا بين نساءه ، فبعثت جعفرًا هذا أُمُّهُ ، وهي الشَّمُوسُ من وائل ثم من سعد هُذَيْمٍ ، فأَتَى أباه ولم يبقَ من الناقة إلا رَأْسُهَا وعنقها ، فقال : شَأْنُكَ بهذا ؛ فأدخل يده في أنفها وجَرَّ مَا أعطاه ؛ فسمِّيَ أَنْفُ الناقة . وكان ذلك كاللَّقَبِ لهم حتى مدَّحهم الحطيئة ، فقال³ :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يَسُوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، وكانوا يَنَازِعُونَ الزُّبْرُقَانَ الشَّرَفَ ، يعني بَغِيضاً وإخوته وأهله ، وكانوا أشرفَ من الزُّبْرُقَانَ ، إلا أَنَّهُ قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عبيدة في خبره : كان الحطيئة دَمِيمًا سَيِّئَ الْخَلْقِ ، لا تأخذه العين ، ومعه عيال كذلك ، فلَمَّا رَأَتْ أُمُّ شَذْرَةَ حاله هان عليها وقصَّرت به ، ونظر بغيضٌ وبنو أَنْفِ الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شَذْرَةَ ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها . فلَمَّا أَلَحَّ عليه بنو أَنْفِ الناقة ، وكان رسولهم إليه شَمَّاسُ بن لَأَيٍّ وعَلَقْمَةُ بن هُوْذَةَ وبَغِيضُ بن شَمَّاسٍ والمُخْبِلُ الشاعر ، قال لهم : لستُ بحاملٍ على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُرَكْتُ وجُفِيت تحوَّلتُ إليكم ؛ فأطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سَلَامٍ في خبره⁴ : فلَمَّا لم يُجِبْهُمْ دَسُّوا إلى هُنَيْدَةَ زوجةِ الزبرقان أَنَّ الزبرقان إنما يريد أن يتزوَّج ابنته مُلَيْكَةَ ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جَفْوَةٌ وهي في ذاك تَدَارِيهِ . ثم أرادوا النُّجعة ، قال أبو عبيدة : فقالت له أُمُّ شَذْرَةَ ، وقال ابن سَلَامٍ : فقالت له هُنَيْدَةُ : قد حضَّرت النُّجعة فاركب أنت وأهلك هذا الظَّهْرَ إلى مكان كذا

1 ل : فرحل الحطيئة حتى لحق .

2 ل : هند .

3 ديوان الحطيئة : 128 .

4 طبقات ابن سلام : 115 .

وكذا ، ثم اردّده إلينا حتى نلحقك¹ فإنه لا يسعنا جميعاً ؛ فأرسل إليها : بل تقدّمي أنت فأنت أحقُّ بذلك ؛ ففعلت وتناقلت عن ردّها إليه وتركته يومين أو ثلاثة ، وألحّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تركت بمضيعة . وكان أشدّهم في ذلك قولاً بغيضَ بن شماس وعلقمة بن هودة ، وكان الزبرقان قد قال في علقمة :

لِي ابْنُ عَمٍّ لَا يَزَا لَ يَعْيِيْنِي وَيُعِيْنُ عَائِبُ
وَأَعِيْنُهُ فِي النَّائِبِ تَ وَلَا يُعِيْنُ عَلَى النَّوَائِبِ
تَسْرِي عَقَارِبُهُ إِلَ سِيَّ وَلَا تَدْبُ لَهُ عَقَارِبُ²
لَا إِبْنَ عَمٍّ لَا يَخَا فُ الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَوَائِبِ³

قال : فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلما ألحّوا على الخطيئة أجابهم وقال : أما الآن فنعم ، أنا صائرٌ معكم . فتحمل معهم ، فضربوا له قبةً ، وربطوا بكلّ طنّب من أطناها جلة⁴ هجرية ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحاً⁵ وكسوة . قال : فلما قدّم الزبرقان سأله فآخبر بقصته ، فنادى في بني بهدلة بن عَرْف ، وهم لأُمّ دون قرّيع ، أمهم السّقاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة . فركب الزبرقان فرسه ، وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القرّيعيين ، فقال : ردّوا عليّ جاري ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطرحتّه وضيعته ؛ فألّم أن يكون بين الحيّين حربٌ ، فحضرهم أهل الحِجْبي من قومهم ، فلأموا بغيضاً وقالوا : اردّد على الرجل جازه ؛ فقال : لست مُخرجه وقد آويته ، وهو رجل حرٌّ مالك لأمره ، فخيروه فإن اختارني لم أخرجّه ، وإن اختاره لم أكرهه . فخيروا الخطيئة فاختر بغيضاً ورهطه ؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له : أبا مليكة ، أفارقت جوارِي عن سُخْطٍ وذمٍّ ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سلام⁶ ، وأمّا أبو عبيدة فإنه ذكر أنّه كان بين الزبرقان ومن معه من القرّيعيين تلاحٍ وتَشاحٌ . وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطّاب على بغيض ، فحكم عمر بأن يُخرج الخطيئة حتى يُقام في موضع خال بين الحيّين وحده ويُخلّى سبيله ، ويكون جارٍ أيّهما اختار ؛ ففعل ذلك به ، فاختر القرّيعيين . قال : وجعل الخطيئة

1 ل : حتى يلحقنا .

2 ولا تدب في ل : ولا تيممه .

3 لاه : لله .

4 الجلة : وعاء من خوص لحفظ التمر . وعند ابن سلام : جلة من بر في هجر .

5 اللقاح : النوق الحلوة .

6 ليس هذا مطابقاً تماماً لما عند ابن سلام .

يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيان ، فهجا بغيضاً فقال :

أرى إبلي بجوف الماء حلت	وأغوزها به الماء الرواء
وقد وردت مياه بني قريع	فما وصلوا القرابة مذ أسأوا
تحلاً يوم ورد الناس إلي	وتصدرو وهي مُحِنَّةٌ ظمأ ¹
ألم أك جار شماس بن لأي	فأسلمني وقد نزل البلاء
فقلت تحولي يا أم بكر	إلى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف	تعالى سمكه ودحا الفناء
وما أضحى لشماس بن لأي	قديم في الفعال ولا ربأ ²
سوى أن الخطيئة قال قولاً	فهذا من مقاتله جزاء

فحينئذ قال الخطيئة يهجو الزبرقان ويُنَاضِلُ عن بغيض قصيدته التي يقول فيها³ :

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً	في آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم	في بائس جاء يخذو آخر الناس
لقد مررتكم لو أن درتكم	يوماً يجيء بها مسحجي وإيساسي ⁴
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم	كيما يكون لكم متحجي وإمراسي
لما بدا لي منكم غيب أنفسيكم	ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمت يأساً مبيناً من نوالكم	ولن يرى طارداً للحر كالياس ⁵
جار لقوم أطالوا هون منزله	وغادروه مقيماً بين أزماس
ملوا قراه وهرته كلابهم	وجرحوه بأياب وأضراس

1 تحلاً : تمنع من ورود الماء . محقة : ضامرة .

2 الرباء : الفضل .

3 ديوان الخطيئة : 283 .

4 مرى : مسح الضرع لندرة الناقة . الإباس : التسكين والتهدئة .

5 يرى في ل : ترى .

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُغَيْتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي
مَنْ يَفْعَلُ الخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فُلْتُ مَعَاوِلَكُمْ مِنْ آلِ لَأَيٍّ صَفَاةٌ أَصْلُهَا رَاسِي
قَدْ نَاضِلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كَنَائِبِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ انْكَاسِ

الجُبُّ : الغريب . والإبساس : أن يُسَكَّنَهَا عند الحَلَب . والمَاتِح : المستَقِي الذي يجْذِب الدِّلُو من فوق . والإمراس : أن يقع الحبلُ في جانب البَكْرَةِ فيُخْرِجُهُ ، فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطَّاب ، فرفعه عمرُ إليه واستنشدَه فأنشدَه ؛ فقال عمر لحَسَّان : أترَاه هجَاه ؟ قال : نعم وسلَّح عليه ، فحبسه عمر .

[زياد يقتدي بفعل عمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المَهْلَبِيّ قالا حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله بن عِيَّاش عن الشَّعْبِيّ قال : شهدت زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثة التَّيْمِيّ ، فقال : إني هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال :

وكيف أَرْجِي ثَرَوَهَا ونَمَاءَهَا وقد سار فيها خُصِيَّةُ الكَلْبِ عَامِرُ

فقال أبو علاثة : ليس هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتُ ؟ قال قلتُ :

وإنِّي لأَرْجُو ثَرَوَهَا ونَمَاءَهَا وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عَامِرُ

قال زياد : قاتل الله الشاعر ، ينقلُ لسانه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سنَّة لقطعتُ لسانك ؛ فقام قيس بن فهد الأنصاريّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أذري من الرجل ، فإن شئتَ حدَّثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه ، قال : وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه ، قال : هايتَ ، قال شهدته وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال : إني هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي :

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُغَيْتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

فقال عمر : ما أستمعُ هجاءَ ولكنها معاتبَةٌ ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروعتي إلّا أن آكلَ وألَسَ ؟ فقال عمر : عليّ بحَسَّان ، فجيء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُهُ ولكن سلَّح عليه ، قال ويقال : إنه سأل كَيْبِداً عن ذلك فقال : ما يُسرُّني أنّه لَحِقَنِي من هذا الشعر ما لَحِقَهُ وأن لي حُمَرَ النِّعَم ، فأمر به عُمر فجُعِلَ في نَقِيرٍ¹ في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء ،

1 نقير : موضع منقور أي محفور مجوف .

فقال¹ :

[من البسيط]

ماذا تقول لأفراخٍ بذِي مَرَخٍ زُغِبِ الحَوَاصِلِ لا ماءٍ ولا شَجَرٍ²
 أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عَمْرُ³
 أنتَ الإمامُ⁴ الذي من بعدِ صاحِبِهِ ألقى إليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
 لم يُؤثِرْوكَ بها إذ قَدَّموكَ لها لكن لأنفسِهِم كانتَ بكِ الأثَرُ

فأخرجه وقال له : إِيَّاكَ وهِجَاءُ الناسِ ؛ قال : إذا يموت عِيَالِي جوعاً ، هذا مكسِبِي ومنه معاشي ؛ قال : فَإِيَّاكَ والمُقَدِّعُ من القول ؛ قال : وما المقدع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خيرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أهجى مِنِّي . ثم قال : والله لولا أن تكون سُنَّةً لَقَطَعْتُ لسانَكَ ، ولكن اذهبْ فأنت له ، خُذْهُ يا زَبْرَقان ؛ فَأَلْقَى الزَبْرَقان في عنقه عِمَامَةً فاقْتاده بها ؛ وعارضته غَطْفَان فقالوا له : يا أبا شَذْرَةَ ، إِخْوَتُكَ وبنو عَمِّكَ ، هَبْ لَنَا ؛ فوهبه لهم . فقال زياد لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رَوِيَ عن عَمْرٍ ، وإنما هي السُّنَنُ ، فاذهب به فهو لك ؛ فَأَلْقَى في عنقه حَبْلًا أو عِمَامَةً ، وعارضته بَكْرُ بن وائل فقالوا له : أَخْوَالُكَ⁵ وجيرانُكَ ؛ فوهبه لهم .

[استعطف عَمْرٍ بِشعر فَأُطْلِقَهُ]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : أَنَّ الخطيئةَ لَمَّا حَبَسَهُ عَمْرٍ قال وهو أَوَّلُ ما قاله⁶ :

[من المتقارب]

أُعَوِّدُ بِجَدِّكَ إِنِّي امْرُؤٌ سَقَتْنِي الأَعَادِي إِلَيْكَ السَّجَالَا
 فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالاً وَأَرْجَى نَوَالَا
 تَحْنَنٌ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا
 وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الوُشَاةِ فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالَا

1 ديوان الخطيئة : 208 .

2 ذو مرخ : واد كثير الشجر بالجزاز ، وقيل قرية باليمامة ويروى بذِي أمر وهو موضع بنجد . زغب الحواصل في الديوان : حمر الحواصل ؛ وكلتاها كناية عن الصغر .

3 أَلْقَيْتَ في الديوان : غيبت .

4 الإمام في الديوان : الأمين .

5 ل : إِخْوَتُكَ .

6 ديوان الخطيئة : 222 .

فإن كان ما زَعَمُوا صادقاً فسيَقَتْ إليك نسائي رجلاً¹
 حواسير لا يشتكين الوجى يُخَفِّضْنَ آلا ويرَفَعْنَ آلا
 فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أولها :
 [من البسيط]

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مَرخٍ

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء ومحمد بن العباس اليزيدي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهر بن عبد الله الهشامي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحرزمي قال حدثني عبد الله بن مُصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أرسل عمر إلى الخطيئة وأنا جالسٌ عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مَرخٍ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر²
 ألقيت كاسهم في قعرٍ مظلمةٍ فاغفر عليك سلامُ الله يا عمر³
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النهى البشرُ
 لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر⁴
 فأمّن على صبيّةٍ بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القررُ
 أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عَرَض داوية تَعْمى بها الخبرُ⁵

قال فبكى حين قال :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مَرخٍ

فقال عمرو بن العاص : ما أَظَلَّتِ الخَصْراء ولا أَقَلَّتِ الغبراء أعدلَ من رجلٍ يكي على تركه الخطيئة ، فقال عمر : علي بالكُرسي ، فأتني به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا علي في الشاعر⁶ ، فإنه يقول الهجرَ وينسب بالحُرْم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ، ما أراني إلا قاطعاً لسانه ، ثم قال : علي بالطُّسْت⁷ ، فأتني بها ، ثم قال : علي بالمخَصَف⁸ ، علي بالسكين ، لا

1 رجلاً : راجلة أي ماشية .

2 زغب الحواصل في ل : حمر الحواصل .

3 ألقيت في ل : غادرت .

4 كانت بك في ل : إذ كانت .

5 داوية في ل : دوية .

6 الشاعر : أي شاعر يفعل ذلك = يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم .

7 ل : بطست .

8 المخصف : المخرز .

بل عليّ بالموسى ، فهو أوحى¹ ؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قل لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النجاء . قال : فلما وليّ قال له عمر : يا خطيئة ، كأنّي بك عند فتى من قريش ، قد بسط لك نمرقة وكسر لك أخرى وقال : غنّا يا خطيئة ، فطَفِقْتَ تغنيه بأعراض الناس . قال ابن أسلم : فما انقضبت الدنيا حتى رأيت الخطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له أخرى وقال : غنّا يا خطيئة ، فجعل يغني ، فقلت له : يا خطيئة ، أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحم الله ذلك المرء² ، أما إنه لو كان حياً ما فعلت . قال : وقلت لعبيد الله : سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل .

[اشترى منه عمر أعراض المسلمين]

وروي عن عبد الله بن المبارك أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الخطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الخطيئة في ذلك³ : [من الكامل]

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
وحمتني عرض اللثيم فلم يخف
شمتاً يضّر ولا مديحاً ينفع
ذمي وأصبح آمناً لا يفزع

[شفع له عبد الرحمن بن عوف عند عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نعيم : أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطاب وكلمه في أمر الخطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النمري الذي كان الزبرقان حمّله على هجاء بغيض :

دعاني الأتّيجان ابنا بغيض
وقالوا سِرْ بأهلك فأتينا
وأهلي بالعلاة فمّنياني⁴
إلى حبٍّ وأنعامٍ سيمان
فسرتُ إليهم عشرين شهراً
وأربعاً فذلك حجّان
فلما أن أتيت ابني بغيض
وأسلمني بدائي الداعيان

1 أوحى : أسرع .

2 ل : يرحم الله عمر .

3 ديوان الخطيئة : 210 .

4 الأتّيج : صفة للرجل إذا كان أحذب أو عظيم الجوف أو ناتئ الصدر . العلاة : جبل في ديار النمر بن قاسط أو بالعراق .

يَبِيتُ الذُّبُّ والعُثْوَاءُ ضَيْفًا لَنَا بِاللَّيْلِ بِسَ الضَّائِفَانِ¹
أَمَارِسُ مِنْهُمَا لَيْلًا طَوِيلًا أَهْجَهُجُ عَنْ بَنِي وَيَعْرَوَانِ²
تَقُولُ حَلِيلَتِي لِمَا اشْتَكَيْنَا سِيدِرُكُنَا بَنُو الْقَرْمِ الهِجَانِ
سِيدِرُكُنَا بَنُو الْقَمَرِ بَنُ بَدْرِ سَرَّاجُ اللَّيْلِ لِلشَّمْسِ الْحَصَانِ
فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُو إِنْ أُنْدَى لَصَوْتِ أَنْ يَنَادِي دَاعِيَانِ³
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي أَنَا النَّمْرِيُّ جَارُ الزُّبْرَقَانِ
طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَطَرِيدُ حَرْبٍ بِمَا اجْتَرَمْتُ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي
كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ بِهِ طَرِيدًا نَزَلْتُ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ أَبَانِ
أَتَيْتُ الزُّبْرَقَانَ فَلَمْ يُضِغْنِي وَضِغْنِي يَتْرِمَ مَنْ دَعَانِي⁴

[مَكَثَ فِي بَنِي قَرِيعَ إِلَى أَنْ أَحْصَوْا وَأَجَازَوْهُ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لم يزل الحطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا⁵ قال لبغيض : فلي بما كنت تضمنت ؛ فأني بغيض علقمة بن هودة فقال له : قد جاء الله بالحيا ، ففلي بما قلت ، وكان قد ضمن له مائة بعير ، وأبرئني مما تضمنته عهدتي ؛ فقال : نعم ، سل في بني قريع فمهما فضل بعد عطائهم أن يتم مائة أتممته ، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين ؛ قال : فأتممتها علقمة له مائة وراعيين فدفعت إليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السيئة واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه . فلما رحل عنهم قال⁶ : [من البسيط]

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِذْ وَدَّعْتُ أَرْضَهُمُ أَخِي بَغِيضًا وَلَكِنْ غَيْرُهُ بُعْدَا
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ مَنْ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَمَنْ يَحْبُو الْجَلِيلَ وَمَا أَكْدَى وَلَا نَكْدَا
وَمَنْ تُلَاقِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مَبْتَهَجًا إِذَا أَجْرَهْدَ صَفَا الْمَذْمُومِ أَوْ صَلْدَا⁷

1 العثواء : الضبع .

2 هجج : يصيح بالذئب أو الضبع لتفريقه .

3 هذا البيت من الشواهد النحوية على نصب الفعل بعد واو المعية المسبوبة بالأمر .

4 تريم : اسم واد .

5 أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

6 ديوان الحطيئة : 139 .

7 متهجاً في ل : مجتهداً . اجرهده الأرض : لم ينبت فيها نبات .

لَا قِيَّتَهُ ثَلَجاً تَنْدَى أَنَامِلُهُ إِنَّ يُعْطِكَ الْيَوْمَ لَا يَمْنَعُكَ ذَاكَ غَدَاً¹
إِنِّي لِرَافِدِهِ وَدِّي وَمَنْصَرَّتِي وَحَافِظُ غِيَبِهِ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

[سأل ابن عباس عليه جناح في هجاء الناس]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن ذأب عن عبد الله بن عيَّاش المُنْتَوَف قال: بَيْنَا ابْنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا كُفَّ بَصْرُهُ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قَرِيشٍ ، إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ يَخْطِرُ وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ وَجَبَّةُ خَزٍّ وَعِمَامَةُ خَزٍّ ، حَتَّى سَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، أَفْتِنِي ؛ قَالَ : فِي مَاذَا ؟ قَالَ أَتَخَافُ عَلَيَّ جُنَاحاً إِنْ ظَلَمَنِي رَجُلٌ فَظَلَمْتُهُ وَشَتَمَنِي فَشَتَمْتُهُ وَقَصَّرَ بِي فَقَصَّرْتَ بِهِ ؟ فَقَالَ : الْعَفْوُ خَيْرٌ ، وَمَنْ انْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَرَأَيْتَ امْرَأً أَتَانِي فَوَعَدَنِي وَغَرَّبَنِي وَمَنَّانِي ثُمَّ أَخْلَفَنِي وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِي ، أَيْسَعُنِي أَنْ أَهْجُوهُ ؟ قَالَ : لَا يَصْلُحُ الْهَجَاءُ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَتَظْلِمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ ، وَتَشْتَمَ مَنْ لَمْ يَشْتَمْكَ ، وَتَبْغِي عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِ عَلَيْكَ ، وَالْبَغْيُ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ ، وَفِي الْعَفْوِ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْفَضْلِ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ ؛ فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّحَانَ الْمُحَارِبِيُّ حَلِيفَ قَرِيشٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيَّ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَالْطُفَّ فِي مَسْأَلَتِهِ ، وَقَالَ : قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَجْرَوْلُ ؟ قَالَ : جَرَوْلُ ؛ فَإِذَا هُوَ الْخَطِيئَةُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : اللَّهُ أَنْتَ ! أَيُّ مِرْدَى قِذَافٍ² ، وَذَائِدٍ عَنْ عَشِيرَةٍ ، وَمُثْنٍ بِعَارِفَةٍ تُوتَاهَا أَنْتَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ! وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ عَرَكْتَ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا كَرِهْتَ مِنْ أَمْرِ الزُّبُرْقَانِ كَانَ خَيْرًا لَكَ ، وَلَقَدْ ظَلَمْتَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ ، وَشَتَمْتَ مَنْ لَمْ يَشْتَمْكَ ؛ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ بِهِمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ لِعَالَمٍ ؛ قَالَ مَا أَنْتَ بِأَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ غَيْرِكَ ؛ قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ³ :

أَنَا ابْنُ بَجْدَتِهِمْ عِلْمًا وَتَجَرِبَةً فَسَلْ بِسَعْدٍ تَجِدُنِي أَعْلَمَ النَّاسِ⁴
سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ كَثِيرٌ إِنْ عَدَدْتَهُمْ وَرَأْسُ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ آلُ شَمَّاسٍ
وَالزُّبُرْقَانُ ذُنَابَاهُمْ وَشَرُّهُمْ لَيْسَ الذَّنَائِي أَبَا الْعَبَّاسِ كَالرَّاسِ
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَلَّا تَقُولَ إِلَّا خَيْرًا ، قَالَ : أَفْعَلُ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَمِنْ الْمَاضِينَ أَمْ مِنَ الْبَاقِينَ ؟ قَالَ : مِنَ الْمَاضِينَ ؛ قَالَ : الَّذِي

1 ثَلَجاً : فَرَحاً مَبْتَهَجاً .

2 مِرْدَى قِذَافٍ : حَجَرٌ يَقْذَفُ بِهِ ؛ وَيَسْتَعْمَلُ أَيْضاً لِلرَّجُلِ الشَّجَاعَ فَيَقَالُ إِنَّهُ لِمِرْدَى حُرُوبٍ .

3 ديوان الخطيئة : 294 .

4 أَنَا ابْنُ بَجْدَتِهِمْ : أَنَا الْعَالَمُ بِخَبَرِهِمْ وَبِوِطْأَنِ أُمُورِهِمْ .

يقول :

[من الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ

[من الطويل]

وما بدونه الذي يقول :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ إِخْأً لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ

ولكنّ الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولاً ، يعني نفسه ، والله يا ابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباكون فلا تشكّ أنّي أشعرهم وأصردهم سهماً¹ إذا رميتُ .

[منع الزبرقان عبد الله بن أبي ربيعة ماء فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : روي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عديّ وغيرهما : أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لما قدّم من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحلاه وهو الماء الذي يقال له بنيان ، فنزل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشيع ، فأكرموه وذبحوا له شاة وقالوا : لو كانت إبناً منا قريةً لنحرنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله :

[من الطويل]

وما الزبرقان يومَ يَمْنَعُ ماءه بِمُحْتَسِبِ التَّقْوَى وَلَا مَتَوَكِّلٍ

مقيمٌ على بُنيانٍ يَمْنَعُ ماءه وماءٌ وشيعٌ ماءٌ ظمآنٌ مُرْمِلٍ

قال : فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعده على عبد الله وقال : إنّه هجاني يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمر عن ذلك عبد الله ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي نزلت على مائه فحلّاني عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زبرقان ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ألا أمتنع ماء حفر آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي ؟ فقال عمر : والذي نفسي بيده ، لئن بلغني أنّك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتني بنجد أبداً ؛ فقال بعض بني أنف الناقة يُعيّر الزبرقان ما فعله :

[من الوافر]

أَتَدْرِي مَنْ مَنَعَتْ وَرودَ حَوْضٍ سَلِيلَ خَضَارٍ مَنَعُوا الْبِطَاحَا

أَزَادَ الرِّكْبِ تَمَنَعَ أَمْ هِشَاماً وَذَا الرُّمَحِينَ أَمْنَعَهُمْ سِلَاحاً²

هَمْ مَنَعُوا الْأَبَاطِحَ دُونَ فِهْرٍ وَمَنْ بِالْخَيْفِ وَالْبُدْنَ اللَّقَاحَا

1 أصردهم سهماً : أنفذهم سهماً .

2 زاد الركب : لقب والد أمية بن المغيرة المخزومي . ذو الرمحين : لقب المغيرة بن عبد الله المخزومي .

بضربٍ دونَ بِيضَتِهِمْ طَلَخَفٍ إِذِ الْمَلْهُوفُ لَأَذَ بِهِمْ وَصَاحَا¹
وما تَدْرِي بِأَيِّهِمْ تُلاقِي صدورَ الْمَشْرِفَةِ والرَّمَاحا

[وصيته عند موته بالشرعاء والفقراء والأيتام]

وللخطيئة وصيةٌ ظريفةٌ يأتي كلُّ فريقٍ من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضعٍ واحدٍ وصدرتُ بأسانيدِها .

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال حدثنا عيينة بن المنهال عن الأصمعيّ ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبديّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبي عمرة] عن أبيه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا² : لما حضرت الخطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشّعْر من راويةِ السوء ؛ قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَيّ ؛ قال : من الذي يقول :

إذا أنْبَضَ الرامونَ عنها تَرَنَّمَتْ تَرَنَّمَ ثَكَلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنائِرُ ؟

قالوا : الشَّمَّاخ ؛ قال : أبلغوا غَطَفَانَ أَنَّهُ أشْعُرُ العرب ؛ قالوا : وَيَحْك ! أهذه وصية ! أوصِ بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابِيءَ أَنَّهُ شاعرٌ حيث يقول :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ³
قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك⁴ ! قال : أبلغوا أهلَ امرِءِ القيسِ أَنَّهُ أشْعُرُ العرب حيث يقول :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَمَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَذْبُلُ
قالوا : اتَّقِ اللَّهَ ودَعْ عنكَ هذا ؛ قال : أبلغوا الأنصارَ أَنَّ صاحبهم أشْعُرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

1 بيضة القدم : ساحتهم . ضرب طلخف : ضرب شديد .

2 قد أشرنا إلى هذه الوصية في أول ترجمة الخطيئة .

3 رأيت في ل : وجدت .

4 ل : بغير ذا .

قالوا : هذا لا يُغْنِي عنكَ شيئاً ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

الشَّعْرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلْمَةٌ إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهُ يريدُ أن يعرِّبه فيَعْجِمُهُ

قالوا : هذا مِثْلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمدِ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخصمِ الدِّ
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتُ تَرِدُ

قالوا : يا أبا مُليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزع على المديح الجيِّد يُمدِّح به من ليس له أهلاً . قالوا : فَمَنْ أشعرُ الناس ؟ فأوماً بيده إلى فيه وقال : هذا الجَحِيرُ إذا طَمَعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبرَ باكياً ؛ فقالوا له : قل لا إله إلا الله ؛ فقال : [من الرجز]

قالتُ وفيها حَيْدَةٌ ودُعْرُ عَوِذُ بَرِّي مِنْكُمْ وَحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول في عبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عبيدٌ قِنْ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأوصِ للفقراءِ بشيء ؛ قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارةٌ لا تَبُورُ ، واستُ المسوؤلِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأنثى من وَلَدِي مثلُ حَظِّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قضى الله جلَّ وعزَّهنَّ ؛ قال : لكنِّي هكذا قضيتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلُّوا أموالهم ونيكوا¹ أمهاتهم ؛ قالوا : فهل شيء تَعْهَدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، تَحْمِلُونَنِي على أتانٍ وتتركونني راكبها حتى أموتَ فإنَّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والأتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطَّ ؛ فَحَمَلُوهُ على أتانٍ وجَعَلُوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول : [من الرجز]

لا أَحَدٌ أَلَأَمُ من حُطِيَّةٍ هجا بَنِيهِ وهجا المُرِيَّةَ
من لَوْمِهِ ماتَ على قُرِيَّةٍ

والفُرِيَّةُ : الأتان .

[الغناء في شعر الحطية]

ذكر ما غُنِّي فيه من القصائد التي مدح بها الحطيةُ بغيضاً وقومَهُ وهجا الزبرقان وقومه منها : [من الطويل]

صوت

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَعُوا هِنْدُ وَقَدْ حَزَنَ غَوْرًا وَاسْتَبَانَ لَنَا نَجْدُ
وَأَنَّ التَّيَّ نَكَبَتْهَا عَنْ مَعَاشِرٍ عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدُّوا
الغناء لعلوَيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، وهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]
أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَأَيٍّ وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدُّ
فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تُعَادِي صَدُورَهُمْ وَذُو الْجَدِّ مَنْ لَانُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا
يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا فَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجَدُّ
أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنْ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أَوْلَتْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَى عَلَيْهِمْ حَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا¹
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضَّلَ أَحْلَامِيكُمْ رَدُّوا²
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٌ لِلدُّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
ومنها³ : [من الطويل]

صوت

وَأَدْمَاءُ خُرْجُوجٍ تَعَالَتْ مَوْهِنًا بِسَوْطِي فَارَمَدَتْ نَجَاءَ الْخَفِيدِ⁴
إِذَا آنَسَتْ وَقَعًا مِنَ السَّوْطِ عَارِضَتْ بِهِ الْجَوْرَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ⁵
وَتَشْرَبُ بِالْقَعْبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ تُقَدِّ بِمِشْفَرِهَا يَوْمًا إِلَى الْحَوْضِ تَنْقَدِ
الموهن : وقتٌ من الليل بعد مُضِيِّ صَدْرِ مِنْهُ . وَاَرَمَدَتْ : نَجَتْ ، وَالْأَرَمَدَاد : النَّجَاءُ .
وَالْخَفِيدُ : الظِّلِم .

- 1 النعمى عليهم في ل : النعماء فيهم .
- 2 على جُلٍّ في ل : على كل .
- 3 ديوان الحطيئة : 155 .
- 4 الخرجوج : الناقة الطويلة . تعال : استخرج ما بقي لدى الناقة من قوّة على المسير . أرمدت : أسرع .
النجاء : السرعة . الخفيد : الظليم (ذكر النعام) .
- 5 الجور : القصد . ويروى :

فَإِنْ آنَسَتْ حَسًّا مِنَ السَّوْطِ عَارِضَتْ بِي الْقَصْدِ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ :
أَنَّ فِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفَ رَمَلٍ آخَرَ ، وَهُوَ فِي جَامِعِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرَ مَجْنَسٍ . وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ
مَجْهُولٌ ، وَذَكَرَ حَبَشٌ : أَنَّهُ لِمُعَبَّدٍ ؛ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ لِيَحْيَى الْمَكِّيِّ .

[عَدَّهُ بَعْضُهُمْ أَشْعَرَ النَّاسِ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ
ابْنِ عَبَّادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْسُقِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ كَعْبٍ قَالَ : جِئْتُ سُوقَ الظَّهْرِ¹ فَإِذَا
بِكُثَيِّرٍ ، وَإِذَا النَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ ، فَتَخَلَّصْتُ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : أَبَا صَخْرَ ؛ قَالَ : مَا
تَشَاءُ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلٍ حُرَّةٍ هَضِيمِ الْحَشَا حُسَانَةَ الْمُتَجَرِّدِ
تُفَرِّقُ بِالْمَذْرَى أَثِيثًا نَبَاتَهُ عَلَى وَاضِحِ الذُّفْرَى أَسِيلَ الْمُقْلَدِ²

قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الْخَطِئَةُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَاكَ .

[كَتَبَهُ عُمَرُ فِي شِعْرِ لَهُ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَزَّازُ عَنْ
الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُنْشِدَ
قَوْلَ الْخَطِئَةِ :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ
فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبَ ، بَلْ تِلْكَ نَارُ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ : أَنَّ رَجُلًا
دَخَلَ عَلَى الْخَطِئَةِ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَإِلَى جَانِبِهِ سَوْدَاءٌ قَدْ أُخْرِجَتْ رِجْلُهَا مِنْ تَحْتَ
الْكِسَاءِ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَفِي رِجْلِكَ خُفٌّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا رِجْلُ سَوْدَاءَ ، أَتَدْرِي
مَنْ هِيَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : هِيَ وَاللَّهِ الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلٍ حُرَّةٍ

وَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ ، وَاللَّهُ لَوْ رَأَيْتَهَا يَا ابْنَ أَخِي لَمَا شَرِبْتَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهَا ؛ قَالَ : فَجَعَلْتُ تُسَبُّهُ
أَقْبَحَ سَبٍّ وَهُوَ يَضْحَكُ . وَمِنْهَا³ :

[مِنْ الْبَسِيطِ]

1 سوق الظهر : سوق الدواب .

2 الذفري : العظم النابت خلف الأذن .

3 ديوان الخطيئة : 195 .

صوت

ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لَكُمْ في بائسٍ جاء يحدو أُنُقًا شُرْبًا¹
 طافتُ أُمَامَةً بِالرُّكْبَانِ آوَنَةً يا حُسْنَهَا مِنْ خَيَالٍ زَارَ مُتَّقِبًا
 إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ حَمَشَ اللَّثَاثُ تَرَى فِي مَائِهِ شَنْبًا²
 قَدْ أَخْلَفَتْ عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ وَكَذَّبَتْ حُبًّا مَلْهُوفٍ وَمَا كَذَبَا
 الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

[من الطويل]

ومنها :

صوت

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا ، وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ ، بِأَحْسَنِ مَا يَجْزِي الرِّجَالَ بَغِيضًا³
 فَلَوْ شَاءَ إِذْ جِئْنَاهُ صَدًّا فَلَمْ يُلَمَّ وَصَادَفَ مَنْأَى فِي الْبِلَادِ عَرِيضًا
 الغناء للهدليّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ .

1 الأُنُقُ الشَّزْبُ : الضامرة .

2 حمش : دقيق .

3 هو بغيض بن عامر الذي أغرى الخطيئة بالتحوّل عن جوار الزبرقان إلى جواره .

[13] - أخبار ابن عائشة ونسبه

[اسمه وكنيته]

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرف له أبٌ فكان يُنسب إلى أمّه ، ويلقبه مَنْ عاداه أو أراد سبّه «ابن عاهة الدار» . وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرف ذلك . وعائشة أمّه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش . وقيل : إنها مولاة لآل المطلّب بن أبي وداعة السهمي ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام . وحكى ابن الكلبي القول الأول ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبي . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه : إن محمد بن مَعْن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلّب بن أبي وداعة السهمي وإنه كان لغير رَشْدَة ، فأدركتُ المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسن ابن المرأة . قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي : بل كان مَوْلَى لكثير بن الصلت .

[سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه]

قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، أَلْغِيَّةٌ أنت ؟ قال : كانت أمّي يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبت على نسبي .

[كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك]

قال إسحاق : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه ، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما .

[كان جيد الغناء دون الضرب]

وقد قيل : إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرتَجِلاً لم يضرب قط .

[كان يضرب بالبندائه المثل]

وابتداؤه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شعر ، أو غناء يُبدأ به فيستحسن : كأنّه ابتداء ابن عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسطاً وقطعاً بعد أبي عبّاد معبد ، وقد سمعتُ مَنْ يقول : إن ابن عائشة مثله ؛ وأمّا أنا

فلا أُجسّرُ على أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيّد اليدين فكان أكثر ما يغني مرتجلاً . وكان أطيب الناس صوتاً . قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير : لا تخذعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَمَا كان بعد أبي عباد مثله . أخبرني أحمد بن جعفر جَحَظَة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكِّي عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثة من المغنّين كانوا أحسن الناس حُلُوقاً : ابن عائشة وابن تَيْزَن وابن أبي الكَنَات . [ضرب ابن أبي عتيق رجلاً خدش حلقه]

حدثني عمّي قال حدثنا محمد بن داود بن الجَرَّاح قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال¹ : رأى ابن أبي عتيق حَلَقَ ابن عائشة مُخَدَّشاً فقال : مَنْ فعل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فتزع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلما خرج أخذ بِتَلْبِيهِ وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لَكَ تَضْرِبُنِي ؟ أيّ شيء صنعتُ ؟ وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاه وأقبل على مَنْ حضر فقال : هذا أراد أن يكسر مزامير آل داود : شدّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه . [لم يكن آخر غنائه كأوله]

قال إسحاق في خبره : وحدثني أبي عن سباطٍ عن يونس الكاتب قال : ما عرفنا أحداً بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنّى ، ولو كان آخر غنائه مثل أوّل له لقدّمته على ابن سُريج . قال إبراهيم : هو كذاك عندي ، وقال إسحاق مثل قولهما . قال : وقال يونس : كان ابن عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجيداً ، وكان غناؤه أحسن من ضربه ، فكان لا يكاد يَمَسُّ العود إلّا أن تجتمع جماعة من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويغني ، فناهيك به حُسناً . [يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان أنّه ذكر يوماً المغنّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعد طُويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً ؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القول قول جميلة له : وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون . [رأه الحسن بن الحسن بالعتيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت]

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال : كان ابن عائشة تائهاً سيّء الخُلُق ،

1 الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 63 (الفقرة : 92) عن الأغاني .

فإن قال له إنسان : تَغَنَّ ، قال : المِثْلِي يقال هذا ؟ وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء : أحسنت ، قال : المِثْلِي يقال أحسنت ؟ ثم يسكت ، فكان قليلاً ما يُتَغَنَّ به . فسأل العقيق مرةً فدخل عَرَصَةَ سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها ، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس على قرن البئر ، فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين ، فقال لهما : امضيَا رويداً حتى تَقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال : بخير ، فذاك أبي وأمي ، قال : انظر من إلى جنبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعم ، قال : فهما حُرَّان لئن لم تغنني مائة صوت لآمرنَّهما بطرحك في البئر ، وهما حُرَّان لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما ، فاندفع ابن عائشة فكان أوّل ما ابتدأ به صوتاً له وهو :

ألا لله درُّك من فتى قوم إذا رهبوا

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت ، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر ممّا سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنى :

صوت

قل للمنازل بالظُّهرانِ قد حانا أن تنطقي فتبينني القولَ تبينا

قال جرير : فما رئي يوم أحسن منه ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله ، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء ، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه ، فيقال : إنه ما رئي جمّع في ذلك الموضع مثلاً ذلك الجمع ، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له : أحسنت والله ، أحسنت والله ، ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة زفاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[من مجزوء الوافر]

منها¹ :

صوت

ألا لله درُّك من فتى قوم إذا رهبوا

1 شعر أبي العيال في شرح أشعار الهذليين 1 : 423-432 وهو يرثي ابن عم له اسمه عبد بن زهرة ، قتل بالقسطنطينية .

وقالوا مَنْ فتى للحر ب يَرْقُبْنَا وَيَرْتَقُبُ
فَكَتَ فتَاهُمْ فِيهَا إِذَا تُدْعَى لَهَا تَبُّ
ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدَنِي رُدَاغُ السَّقَمِ وَالْوَصْبُ¹
كَمَا يَعْتَادُ ذَاتَ الْبِ سَوْ بَعْدَ سُلُوحَا الطَّرَبُ
عَلَى عَيْدِ بْنِ زُهْرَةَ بَتْ طَوَلَ اللَّيْلُ أَتُنْحَبُ

الشعر لأبي العيال الهذلي . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيلٌ أولٌ بالخِصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبدَأُ فيه بقوله : [من مجزوء الوافر]

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدَنِي رِدَاغُ السَّقَمِ وَالْوَصْبُ

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حماد بن إسحاق أَنَّ خفيف الرمل ممالك . البَوُّ : جلد يُحشَى تَبْنًا وَيَجْفَفُ لِكَيْلَا تَخْبُثَ رَائِحَتُهُ² ، وَيُدْنَى إِلَى النَّاقَةِ الَّتِي قَدْ نُحِرَ فَصِيلُهَا أَوْ مَاتَ لِنَشَمِّهِ فَتَدِيرُ عَلَيْهِ .

ومنها³ : [من البسيط]

صوت

قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالظُّهْرَانِ قَدْ حَانَا أَنْ تَنْطَقِي فُتَيْبِي الْقَوْلَ تَبْيَانَا
قَالَتْ وَمَنْ أَنْتَ قُلْ لِي قُلْتُ دَوْشَعَفٍ هِجَّتْ لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْحَبِّ أَحْزَانَا⁴
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أولٌ بالوسطى عن الهشامي وحبش .

[غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن الجهم الشاعر قال حدثني رجل⁵ : أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ كَانَ وَاقِفًا بِالْمَوْسَمِ مَتَحِيرًا ، فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا يُقِيمُكَ هَا هُنَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَعْرِفُ رَجُلًا لَوْ تَكَلَّمَ لِحَبْسِ النَّاسِ هَا هُنَا فَلَمْ

1 رداغ في ل : صداع الرأس ؛ الديوان : رداغ السقم .

2 ل : يخبث ريحه .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 433 .

4 هجت له في ل : هاجت له .

5 نقل ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 12-13 (رقم : 7) وانظر نهاية الأرب للنويري 4 : 284 والبيت

الأول في شرح ديوان زهير : 59 .

يذهب أحد ولم يجيء ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغني : [من الوافر]

جرت سُنْحاً فقلتُ لها أُجِيزي نَوَى مشمولَةً فمتى اللقاء

قال : فحُبِسَ الناس ، واضطربت المَحاملُ ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع .
فأتني به هشامُ بن عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردت أن تفتن الناس ؟ قال : فأمسك عنه
وكان تيّهاً ، فقال له هشام : ارفق بتيهك ، فقال : حقّ لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن
يكون تيّهاً ، فضحك منه وخلّى سبيله .

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

[من الوافر]

جرت سُنْحاً فقلتُ لها أُجِيزي نَوَى مشمولَةً فمتى اللقاء

بنفسي مَنْ تذكّره سَقَامٌ أعانيه ومطلّبه عَناءٌ

الساخ : ما أقبل من شمالك يريد يمينك ، والبارح ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت
يونس بن حبيب يسأل رُوبة عن الساخ والبارح ، فقال : الساخ : ما ولأك ميامنه ،
والبارح : ما ولأك مشائمه . وقوله : أُجِيزي أي انفُذي . قال الأصمعي : يقال : أُجِزْتُ
الوادي إذا قطعتة وخلفته ، وجُزُّته أي سِرْتُ فيه ف تجاوزته ، وجاوزته مثله . قال أوس بن
مغراء :

ولا يَريُمون في التعريفِ موقفهم حتى يقال أُجِزُوا آلَ صوفانا¹

ومشمولة : سريعة الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة ، وهي التي تصيبها الشّمال
فتكثيفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب ، واستعارها هاهنا في النوى لسرعة
انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مجرى الذمّ للساخ لأنّه يُتشاءم به . البيت الأوّل
من الشعر لزهير بن أبي سلمى ، والثاني مُحَدَّث ألحقه المغنّون به لا أعرف قائله . والغناء لابن
عائشة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالبصرة .

[غنى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن
مَزِيد² والحسين بن يحيى قالوا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حماد الراوية

1 آل صوفانا في ل : آل صوفانا .

2 ل : محمد بن جرير .

قال : كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فسرّحْ إليّ حمّاداً الراوية على ما أحبّ من دوابّ البريد ، وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إليّ ، فقلت : السمع والطاعة ؛ فقال : يا دُكَيْن ، مرّ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتها . فلما كان اليوم الذي أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائِكَ ؛ فقلت : أصلح الله الأمير «إن العَوَانَ لَا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ»¹ وسيلغك قولي وثنائي . فخرجتُ حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَحْرَاءِ ، فاستأذنتُ عليه فأذن لي ، فإذا هو على سرير ممهّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورداء يقيئان الرّعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السّمح وأبو كامل² مولاه ، فتركتني حتى سكن جأشي ، ثم قال أنشدني :

أَمِنَ المَنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ

فأنشدته حتى أتيت على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرَةَ اسقيهِ ، فسقاني ثلاثة أكؤُس حَثْرُنَ ما بين الذُّوَابَةِ والنعل . ثم قال يا مالك ، غنّني : [من مجزوء الوافر]

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَا مُطْلَحَا

ففعل . ثم قال له : غنّني : [من البسيط]

جَلَا أُمِيَّةٌ عَنِّي كُلٌّ مَظْلَمِي سَهْلَ الْحِجَابِ وَأَوْفَى بِالَّذِي وَعَدَا

ففعل . ثم قال له : غنّني : [من الوافر]

أَتَنَسَى إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمِي بَفَرَعٍ بِشَامِي سُقَيَ الْبَشَامُ

ففعل . ثم قال : يا سَبْرَةَ ، أو يا أبا سبرة ، اسقني بزُبّ فرعون ؛ فأتاه بقدرح مُعَوَّجٍ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبتُ بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌ لم أرَ شاباً أحسنَ وجهاً منه ، في رجله بعضُ الفَدَعِ³ ؛ فقال : يا سبرة اسقيهِ ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنّني : [من الرمل]

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِزْرَرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبٍ

فغنّاه ، فنبذ إليه الثوبين . ثم قال له : غنّني : [من مجزوء الكامل]

1 هذا مثل ، انظر جمهرة العسكري : 32 .

2 ل : وأبو مالك .

3 الفدع : الاعوجاج .

طاف الخيالُ فمرحبا ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنك تركتنا بمزجر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ، ما جهلتُ قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطنّاجير¹ من حرارة غناؤه . قال حماد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من البسيط]

جلا أُميَّةٌ عني كلّ مظلمةٍ سهّلُ الحجابِ وأوفى بالذي وعدا
إذا حلّلتُ بأرضٍ لا أراك بها ضاقتُ عليّ ولم أعرف بها أحدا
الغناء لابن عبّاد الكاتب خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنّه لعمر الوادي . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى . ومنها² :

صوت

أتنسى إذ تودّعنا سُلَيْمَى بفرعٍ بشامةٍ سُقِيَّ البَشَامُ
متى كان الخيامُ بذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الغِيثُ أَيْتُهَا الخِيَامُ
أَتَمُضُّونَ الخِيَامَ ولم نسلمَ كلامُكم عليّ إذا حرامُ
بنفسي مَنْ تَجَنَّبُهُ عزيزٌ عليّ وَمَنْ زيارُته لِمَامُ
ومن أُمسي وأصبح لا أراه وَيَطْرُقُنِي إذا رَقَدَ النِّيامُ³

الشعر لجبرير . والغناء لابن سُرَيْج ، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها في الأوّل والرابع ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الأوّل ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث وما بعده رمل بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وللدّلال في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالسّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكّي . وللغريض في الأوّل والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل

1 الطنّاجير جمع طنجير ، وهو نوع من القدور .

2 ديوان جبرير 1 : 278 تحقيق د . نعمان أمين طه ، (دار المعارف ، القاهرة) .

3 رقد في ل : هجع .

بالبنصر عن الهشامي . ولابن جامع في الأول والثاني والرابع والخامس هزج عن الهشامي .
وفيه لابن جندب خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها الصوت الذي أوله في الخبر :
وهي إذ ذاك عليها مِئزَّرٌ

وأوله¹ :

[من الرمل]

صوت

عَهْدَتْنِي نَاشِئاً ذَا غِرَّةٍ رَجِلَ الْجُمَّةِ ذَا بَطْنٍ أَقْبَ
أَتَبَعَ الْوِلْدَانَ أَرْخِي مِئزَّرِي ابن عَشْرَ ذَا قُرَيْطٍ مِنْ ذَهَبٍ
وهي إذ ذاك عليها مِئزَّرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبٍ

الشعر لامرئ القيس ، ويقال : إنه أول شعر شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة
ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي ودنانير وحماد بن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل بالبنصر ذكر
حماد في أخبار جميلة أنه لها ، وذكر حبش والهشامي أنه لابن سُرَيْج ، وقيل : إنه
لغيرهما . ومنها² :

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نٌ إِذْ جَاوَزَنْ مُطَّلَحَا
نَعَمْ وَلَوْ شِئْتُ بَيْنَهُمْ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سُنْحَا
أَخَذَنْ الْمَاءَ مِنْ رَكَكٍ وَضَوْءُ الْفَجْرِ قَدْ وَضَحَا³
يَقْلَنْ مَقِيلُنَا قَرْنٌ نُبَاكِرُ مَاءَهُ صُبْحَا
تَبَعْتُهُمْ بِطَرْفِ الْعِي نَ حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
يُودَعُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَكُلُّ بِالْهَوَى جُرْحَا
فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فَغِيرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن عمه وأهله
لجعفر بن الزبير بن العوام ، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب . ورواه
الزبير * إذ جَاوَزَنْ مَنْ طَلَحَا * وقال : ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلَح . والغناء
لمالك وله فيه لحنان : ثقيلٌ أولٌ بالبنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه
لمعبد ثقيلٌ أولٌ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيْج في الخامس ، وهو

1 ديوان امرئ القيس : 294 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعارف ، القاهرة) .

2 هو في ديوان عمر : 84 وقد مرَّ من قبل .

3 من رَكَك في ل : من وشل . الفجر في ل : الصبح .

تَبِعْتُهُمْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهَا لِلْغَرِيضِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ ، قَالَ : وَهُوَ الَّذِي فِيهِ اسْتِهْلَالٌ . وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِيِّ أَنَّ الثَّقِيلَ الثَّانِي لِمَالِكٍ ، وَخَفِيفُ الثَّقِيلِ لِلْغَرِيضِ . وَمِنْهَا :
[من مجزوء الكامل]

صوت

طَرَقَ الْخِيَالُ فَمَرَحَبَا أَلْفَا بِرُؤْيَا زَيْنَا
أَنْتَى اهْتَدَيْتَ لِفَتْيَةٍ سَلَكُوا السَّيْلَ فَعُلِيَا¹

[طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرٌ قَالَ : أَخَذَ بَعْضُ وُلاَةِ الْمَدِينَةِ الْمَغْنَيْنَ وَالْمَخْنَثِينَ وَالسُّفَهَاءَ بِلَزُومِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلٌ نَاسِكٌ يَكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ مَوْلَى لَابْنِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ يُقْرَأُ النَّاسُ الْقُرْآنَ ، وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يُلَازِمُهُ ، فَخَلَا لَابْنُ عَائِشَةَ يَوْمًا الْمَوْضِعُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَرَأَ لَهُ فَطَرَّبَ وَرَجَّعَ ، فَسَمِعَ الشَّيْخُ صَوْتًا لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَفْسَدْتَ نَفْسَكَ وَضَيَّعْتَهَا ، فَلَوْ أَنَّكَ لَزِمْتَ الْمَسْجِدَ وَتَعَلَّمْتَ الْقُرْآنَ لَأَقَمْتَ² لِلنَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَأَصَبْتَ بِذَلِكَ مِنَ الْوَلَاةِ خَيْرًا ، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلَ أُذُنِي قَطُّ صَوْتُ أَحْسَنُ مِنْ صَوْتِكَ ؛ فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ صَوْتِي فِي الْأَمْرِ الَّذِي صَنَعْتُ³ لَهُ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : انْطَلِقْ مَعِي حَتَّى أُسْمِعَكَه ، فَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى مِيضَاةٍ بِيَقِيعِ الْعَرَقَدِ عِنْدَ دَارِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَتَوَضَّأُ عِنْدَهَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَاَنْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ يَغْنِي :
[من مجزوء الكامل]

أَلَا أَنْ أَبْصُرْتُ الْهَدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي

فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْخِ كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَذَا حَسَنٌ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمِعَهُ ، وَلَكِنْ لَا أَطْلُبُهُ وَلَا أَمْشِي إِلَيْهِ ؛ قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَعَلِيَ أَنْ أُسْمِعَكَه ؛ فَكَانَ يَرْصُدُهُ ، فَإِذَا خَرَجَ أَبُو جَعْفَرٍ يَتَوَضَّأُ خَرَجَ ابْنُ عَائِشَةَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى يَقِفَ خَلْفَ جِدَارِ الْمِيضَاةِ بَحِثٌ يَسْمَعُ غِنَاءَهُ ، فَيَغْنِيهِ أَصْوَاتًا حَتَّى يَفْرُغَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ وَضُوئِهِ . فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَطْلَقُوا مِنْ لَزُومِ الْمَسْجِدِ .

1 السليل وعليب : واديان .

2 ل : لأمت .

3 ل : صيغ .

نسبة هذا الصوت¹

صوت

[من مجزوء الكامل]

طَرَقَ الْخِيَالُ الْمُعْتَرِي وَهْنًا فَوَادَ الْعَاشِقِ
 طَيْفٌ أَلَمَ فَهَاجَنِي لِلْبَيْنِ أُمُّ مُسَاحِقِ
 أَلَانَ أَبْصَرْتُ الْهَدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي
 وَتَرَكْتُ أَمْرَ غَوَايَتِي وَسَلَكْتُ قَصْدَ طَرَائِقِي
 وَلَقَدْ رَضِيتُ بَعِيشَنَا إِذْ نَحْنُ بَيْنَ حَدَائِقِ
 رَكَائِبَ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الدُّرُوبِ فَدَائِقِ²

الشعر للوليد بن يزيد ، ويقال : إنه لابن رُهَيْمَةَ . والغناء لابن عائشة رمل بالبصر عن عمرو ، وذكره يونس أيضاً له في كتابه . وفيه لأبي زَكَارُ الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي . وذكر ابن خُرْدَازِبِه أَنَّهُ لأبي زَكَارُ الأعمى وهو قديم ، وأنه وجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحكم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنس ، ولا أدري أيُّها هو . وفي هذه الأبيات خفيف ثقيل متنازع فيه نسب إلى معبد وإلى مالك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنه لحن حكَم .

[أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه إلى البغيعة]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأَزْهر البُوشَنجي والحسين بن يحيى الأعور المرداسي قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال : كان الحسن بن الحسن مُكْرَماً لابن عائشة مُحِبّاً له ، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه ، وكان من أتبه خلق الله وأشدّه ذهاباً بنفسه ، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البُغْيِعة فامتنع ابن عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بعلمان له حِشَان وقال : نفيت من أبي لئن لم تسر معي طائعاً لتسيرن كارهاً ، ونفيت من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم . فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أَنَّهُ لا بدّ من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً . فأمر الحسن بإصلاح ما يُحتاج إليه وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى البُغْيِعة³ فنزلا الشعب ، وجاءهم ما أعدوا فأكلوا ؛ ثم أمر الحسن بأمره وقال يا محمد ؛ فقال له : لييك يا

1 شعر الوليد بن يزيد : 153 تحقيق د . حسين عطوان (عمان 1979) عن الأغاني .

2 وركائب في ل : وركابنا . دابق : مكان تجمع جيوش الأجناد الشامية لمحاربة الروم ، وهي في منطقة حلب .

3 البغيعة : عين غزيرة الماء لآل الرسول ﷺ وقفها علي بن أبي طالب هي وعين أبي نيروز على أهل المدينة .

سَيِّدِي ؛ قَالَ : غَنِّي ؛ فاندفع فغناه :

[من الكامل]

صوت

يدعو النبيَّ بعَمِّه فيُجِيبُه يا خَيْرَ مَنْ يدعو النبيَّ جَلالاً
ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسَّ رجالاً وأرى الإقَامَةَ بالعراقِ ضلالاً
وأرى المَرَجِيَّ للعراقِ وأهلَه ظَمَّانَ هاجِرَةٍ يَوْمَلُ آلاً
وطَرِبْتُ إِذْ ذَكَرَ المدينةَ ذاكَرٌ يَوْمَ الخَميسِ فهاجَ لي بَلْبالاً
فظَلَلْتُ أنظرَ في السماءِ كأنني أبغِي بناحيةَ السماءِ هلالاً

الشعر لابن المولى¹ من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكر خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغناء لابن عائشة ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبِصَرِ عن حمادٍ والهشاميِّ وحِش . وقال الهشاميُّ خاصَّةً : فيه لحن لقراريطَ ، فقال له الحسن : أحسنتَ والله يا ابن عائشة ؛ فقال ابن عائشة : والله لا غَنَيْتُكَ في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا بِرَحَتِ البُغْيِغَةِ ثلاثةَ أَيَّامٍ ! فاغتمَّ ابن عائشة ليمينه ونديم وعلم أَنَّهُ لا حيلةَ له إِلَّا المَقامُ ، فأقاموا . فلَمَّا كان اليوم الثاني قال له الحسن : هاتِ ما عندك فقد بَرَّتَ يمينُكَ ، وكانوا جلوساً على شيءٍ مرتفع ، فنظروا إلى ناقةٍ تَقْدُمُ جماعةَ إِبِلٍ ، فاندفع ابن عائشة فغَنَّى :

[من المتقارب]

تَمَرَّ كَجَنْدَلَةِ المُنْجَنِيبِ قِيَّ يُرْمَى بها السورُ يومَ القتالِ
فماذا تُخْطِرفُ مِنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وإِكامٍ توالِي²
ومن سيرها العَنَقُ المُسْبِطُ والعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الكَلالِ

فقال له الحسن : وَيْلَكَ يا محمد ؛ لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له :

غَنَّنِي ، فغناه :

[من المتقارب]

إذا ما انتشيتُ طَرَحْتُ اللِّجام في شِدْقٍ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبٍ³
يُبْذُ الجِبادَ بِتَقْريبِهِ وَيَأْوِي إلى حُضْرٍ مُلْهَبٍ
كُمِيتَ كَأَنَّ عَلَى مَتْنِهِ سبائكُ من قُطْعِ المَذْهَبِ
كَأَنَّ القُرْنُفْلَ والزَنْجِبِيلَ يُعَلُّ على رِيقِها الأَطِيبِ

1 ستأتي ترجمة ابن المولى في الأغاني .

2 قُلَّةٌ في ل : حلق .

3 اللجام في ل : الكلام .

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنك ، بأبي أنت وأمي ، قد أجمتني بحجر فما أطيق الكلام . فأقاموا باقي يومهم يتحدثون ؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غناك إلا صوتاً واحداً حتى تنصرف ، وعليه وعليه إن حلفت ألا أبر قسمك ولو في ذهاب رُوحه ؛ فقال له الحسن : فلك الأمان على محبتك ؛ فاندفع فغناه :

صوت

أنعمَ اللهُ لي بهذا الوجهِ عيناً وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً
حين قالت لا تذكرن حديثي يا ابن عمي أقسمتُ قلتُ أجل لا
لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتى يُنقلَ البحرُ بالغرَابيلِ نقلاً
قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها .
[نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة]

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها : [من المتقارب]

صوت

تمرَّ كَجَنْدَلَةِ الْمُنَجَّيْـ قِي يُرْمَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فماذا تُخَطِّفُ مِنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وَإِكَامٍ تُوَالِي
وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطِ رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَالِ
ألا يا لِقَوْمٍ لَطِيفِ الْخِيَالِ أَرَقَّ مِنْ نَازِحِ ذِي دَلَالِ
يُثْنِي التَّحِيَّةَ بَعْدَ السَّلَامِ ثُمَّ يُفَدِّي بَعْمٌ وَخَالِ
خِيَالٍ لَسَلَّمِي فَقَدْ عَادَ لِي بِنُكْسٍ مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ أَنْدَمَالِ
أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال : يمرّ بالياء لأنه وصف به حمراً وخشياً ، ولكن المغنين جميعاً يغنونه بالناء على لفظ المؤنث ، وقد وصف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله :

ومن سيرها العنقُ المُسْبِطُ

ولكن المغنين أخذوا من صفة العير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنوا فيهما .
وقوله :

فماذا تُخَطِّفُ مِنْ قُلَّةٍ

يعني أنه يمرّ بالموضع المرتفع فيطفره . وروى الأصمعي :

[من المتقارب]

فماذا تَخْطَرَفَ من حَالِقِي ومن قُلَّةٍ وحجابٍ وجالٍ
 فالخالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال :
 حرف الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَقُ المُسْبِطُ : المُسْتَرَسِلُ السهل . والعَجْرِيَّةُ :
 التعسّف والإسراع . يقول : إذا كَلْتُ وتعبت تعجرت في السير من بقية نفسها وشدتها .
 وروى الأصمعيّ فيها : [من المتقارب]

خَيَالٌ لَجَعْدَةٌ قد هاجَ لي نُكاساً من الحبِّ بعد اندمالٍ
 يقال : نُكَسَ ونُكاس بمعنى واحد وهو عَوْدُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من
 العلة ، واندمال الجرح : بُرُؤُهُ . فأما الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله : [من المتقارب]

فَسَلَّ الهمومَ بغيرانَةٍ مُواشِكَةَ الرَّجْعِ بعد انتقالٍ¹
 ذَمُولٍ تَرَفٍّ زَفِيفَ الظِّلِّ سمَ شمرَ بالنَّعْفِ وَسَطَ الرِّئَالِ²
 وَتَرَمَدَ هَمَلَجَةً زَعَزَعًا كما انخرط الحبلُ فوق المَحَالِ³
 ومن سيرها العَنَقَ المُسْبِطَ والعَجْرِيَّةُ بعد الكَلالِ
 كَأَنِّي ورحلي إذا رُعْتُها على جَمَزَى جازيءٍ بالرمالِ⁴
 وأما صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأثن : [من المتقارب]

فَظَلَّ يُسَوِّفُ أَبوالهَـا وَيُوفِي زِيَاذِي حُدْبَ التَّلَالِ⁵
 فَطَافَ بتعشيرِه وانتحى جَوَائِلَهَا وهو كالمُسْتَجَالِ⁶
 تَهَادَى حوافِرُهَا جَنَدَلًا زَوَاهِقَ ضَرْبِ قُلَاتٍ بِقَالِ⁷
 رَمَى بالجَرَامِيزِ عُرْضَ الوَجِيعِ من وَاَرَمَدَ في الجري بعد انفتالِ⁸
 بِشَأْوٍ له كضَرِيمِ الحَرِيـِ قِيَّ أو شِقَّةَ البرقِ في عُرْضِ خَالِ⁹

1 مواشكة الرجع : سريعة السير .

2 الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .

3 ترمد : تسرع في السير . هملجة : حسنة السير في سرعة . زعزع : شديد .

4 جمزى : سريع في وثبه . والجازيء : المكثفي بالرطب عن الماء .

5 يوفي : يصعد ، يعلو . زيازي : جمع زيزاء وهي الأرض الغليظة .

6 التعشير : النهيق .

7 تقذف حوافرها الجندل من حافر لآخر . الزواحق : السابقات . وهنا إشارة إلى لعبة قديمة .

8 جراميز الوحش : قوائمه وجسده . الوجين : الأرض الغليظة .

9 الخال : السحاب الذي يوشك أن يمطر .

يُمَرَّ كَجَنْدَلَةَ الْمُنَجَّيْبِ — قِي يُرْمَى بِهَا السَّوْرُ يَوْمَ الْقِتَالِ
 فَمَاذَا تَخْطُرُفَ مِنْ حَالِقِي — وَمِنْ حَدَبٍ وَحِجَابٍ وَجَالِ
 الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذلي¹ . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه :
 أيّ الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو ، فيقال : إنه خفيف الرمل ، ويقال : إنه هو الثقيل
 الأوّل ، ويقال : إنه الرمل . فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكره
 إسحاق في موضع فتوقف عنه ولم ينسبه ، ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يَزَنَ المكيّ .
 ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال : فيه خفيف رمل آخر لمالك . وذكره يونس في أغاني ابن
 أبي يَزَنَ المكيّ ونسبه ولم يُجَنِّسْهُ . وذكر ابن خُرْدَاذِيَه والهشاميّ أنّ فيه لهشام بن المريّة لحناً من
 الثقيل الأوّل ، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرنا . وذكر
 إسحاق أنّ الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكيّ أنّه
 لأبيه ، وذكر غيره أنّه غلط وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمل لابن عائشة . وقال حبّش :
 فيه لابن سُريج هزج خفيف بالوسطى . ومنها ، وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على
 البيت الأوّل منه :

صوت

إذا ما انتشيت طرحت اللجام — في شِدْقٍ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ
 الشعر للنابغة الجعدي² . والغناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحمّاد .
 ومنها الصوت الذي أوّله :

أَنعمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عينا

وقد جُمع مع سائر ما يُغنى فيه من القصيدة ، وهو :

أَثَلْ جُودِي عَلَى الْمُتَيْمِ أَثَلَا — لَا تَزِيدِي فَوَادَهَ أَثَلْ خَبَلَا
 أَثَلْ إِنِّي وَالرَّاقِصَاتِ بِجَمْعٍ — يَتَبَارِئْنَ فِي الْأَزْمَةِ قَتَلَا
 سَابِحَاتٍ يَقْطَعْنَ مِنْ عِرْفَاتٍ — بَيْنَ أَيْدِي الْمَطِيِّ خَزَنًا وَسَهَلَا
 وَالْأَكْفُ الْمُطَهَّرَاتِ عَلَى الرُّكُ — مِنْ لَشَعَثٍ سَعَوْا إِلَى الْبَيْتِ رَجَلَا

1 أمية بن أبي عائذ الهذليّ : وقصيدته هذه في شرح أشعار الهذليين 2 : 494 والآيات الواردة هنا لا تلتزم ترتيب الديوان .

2 ديوان النابغة الجعدي : 31 وما بعدها (طبع المكتب الإسلامي 1964) .

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتَّى
أو تمورَ الجبالَ مَوْرَ سحابٍ
أنعمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عينا
حينَ قالت لا تُفْشِينِ حَدِيثِي
فاتَّقِ اللهُ واقبلي العذرَ مِنِّي
إن أكنَ سوءتُكم به فلكِ العُدُ
لم أُرْحَبْ بأن سَخِطْتَ ولكنْ
إن شخْصاً رأيته ليلةَ البد
جعل اللهُ كلَّ أنثى فِداء
وجهكُ الوجهَ لو سألتَ به المز
يُنْقَلُ البحرُ بالغرَابيلِ نَقْلاً
مُرْتَقٍ قد وَعَى من الماءِ ثَقْلاً
وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً
يا ابنَ عمِّي أقسمتُ قلتُ أَجَلٌ لا
وتجافِي عن بعض ما كان زَلّاً
سبى لَدَيْنَا وَحَقُّ ذاكِ وَقْلاً
مرحباً أن رَضِيتَ عَنَّا وأهلاً
ر عليه ابتنى الجمالُ وَحَلّاً
لكِ بل خدّها لرجليكَ نَعلاً
نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاً

الشعر للحارث بن خالد المخزومي¹. والغناء لمعبد في الأربعة أبيات الأول: خفيف
ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانه. ولابن هَوْبَر في الأول والثاني ثقيل أول آخر عن
إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول، وآخر بالنصر أوله استهلال.
وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيل بالوسطى. ولدحمان في التاسع
والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيل أول بالنصر. ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر
لحن من كتاب يونس ولم يقع إلَيَّ من يُجَنِّسه. ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن
المشامي. وفيها أيضاً للغريض خفيف رمل بالنصر. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن
ذكره حماد عن أبيه ولم يُجَنِّسه.

[غنى الوليد بن يزيد فطرب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشَّيْبِيَّ وَحَبِيب بن نصر
المهلبِيَّ قالوا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن مَزِيد بن
أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالَا حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن
أبيه عن شيخ من تَنُوخ ولم يقل عمر بن شَبَّة في خبره: محمد بن سلام عن أبيه، ورواه
عن محمد عن شيخ من تَنُوخ، قال: كنتُ صاحبَ سِتْرِ الوليد بن يزيد، فرأيتُ ابن
عائشة عنده وقد غناه:

[من الكامل]

1 شعر الحارث بن خالد: 81-84 جمع د. يحيى الجبوري (بغداد - 1972) عن الأغاني.

صوت

إِنِّي رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّفْرِ حُوراً نَفِينَ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ
مِثْلَ الْكَوَاكِبِ فِي مَطَالِيعِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ أَطْفَنَ بِالْبَدْرِ
وَخَرَجْتُ أَبْغِي الْأَجَرَ مُحْتَسِباً فَرَجَعْتُ مَوْفُوراً مِنَ الْوِزْرِ

قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء للمالك . هكذا في خبر إسحاق .
وما وجدته ذكره للمالك في جامع أغانيه . ووجدته في غناء ابن سريج خفيف رمل بالوسطى
عن الهشامي قال : فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقنا بالسماء الرابعة ،
وكان الغناء يعمل فيه عملاً ضلّ عنه من بعده ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ؛ أعيد بحق
عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ؛ أعيد بحق أمية ، فأعاد ؛ ثم قال : أعيد
بحق فلان ، أعيد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسه ، فقال : أعيد بحياتي ؛ فأعاده . قال :
فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هبه ؛ فجعل ابن عائشة
يضمّ فخذه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تريم حتى أقبله ، فأبداه له فقبل رأسه ، ثم نزع ثيابه
فألقاها عليه ، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة وقال :
اركبها ، بأبي أنت ، وانصرف ، فقد تركتني على مثل المقل من حرارة غنائك ؛ فركبها على
بساطه وانصرف .

[محتاج يصرّ على السماع فجعله الوليد في ندماه]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن النخعي
قال حدثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الربيعي قال¹ : خرج ابن عائشة المدني من عند
الوليد بن يزيد وقد غناه :

أَبْعَدَكَ مَعْقِلاً أَرْجُو وَحِصْناً قَدْ اغْتَيْتَنِي الْمَعَاقِلُ وَالْحُصُونُ

وهي أربعة أبيات ، هكذا في الخبر ، ولم يذكر غير هذا البيت منها ، قال فأطربه فأمر له
بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارة القصار كسوة . فبينما ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من
أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَنْ هذا الراكب ؟
قال : ابن عائشة المغني ؛ فدنا منه وقال : جُعِلْتُ فداك ، أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال :
لا ، أنا مولى لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي أراه

1 التذكرة الحمدونية 9 : 63-64 (رقم : 93) عن الأغاني ؛ وانظر نهاية الأرب 4 : 284-285 وديوان
الناطقة الديباني : 222 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة) .

بين يديك من المال والكسوة ؟ قال : غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة ؛ قال : جُعِلَتْ فداءك ، فهل تَمَنَّ عليَّ بأن تُسمعني ما أسمعته إِيَّاه ؟ فقال له : ويليكَ ؛ أمثلي يُكَلِّمُ بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال : الحَقْنِي بالبَاب . وحرَّكَ ابن عائشة بَغْلَةً شَقْرَاءَ كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كَفَرَسِي رِهَانٍ ، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف ، فلم يفعل ؛ فلما أعياه قال لغلامه : أدخِلْهُ ، فلما دخل قال له : ويليكَ ؛ من أين صَبَّكَ اللهُ عليَّ ! قال : أنا رجل من أهل وادي القُرَى أَشْتَهِي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلِكَ ؛ فقال له : جُعِلَتْ فداءك ، والله إن لي لُبْنَةً ما في أذنِها ، عِلِمَ اللهُ ، حلقة من الورق فضلاً عن الذهب ، وإن لي لزوجةً ما عليها ، يشهد الله ، قميصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلَّة والفقر اللذين عَرَفْتُكُهما وأضعفت لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجَبَ إليَّ ، وكان ابن عائشة تائهاً لا يَغْنِي إلا لخليفةٍ أو لذي قدر جليل من إخوانه ؛ فتعجَّب ابن عائشة منه ورجمه ، ودعا بالدَّوَاةِ وكان يَغْنِي مُرتَجِلاً ، فغناه الصوت ؛ فطرب له طرباً شديداً ، وجعل يُحرِّك رأسه حتى ظنَّ أنَّ عنقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرِزْهُ شيئاً ، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه ، فجعل يَغِيبُ عن الحديث . ثم جدَّ الوليد به فصدَّقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطُلبَ حتى أُحضِرَ ، ووصله صِلَةٌ سنِيَّةٌ ، وجعله في ندمائه ووكَّله بالسَّقْيِ ، فلم يزل معه حتى مات .

[سمع الشعبي غناء فمدحه]

أخبرني الحسن بن عليَّ الخفاف قال حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدَّثنا محمد بن سَلَام قال حدَّثني عمر بن أبي خليفة قال : كان الشَّعْبِيُّ مع أبي في أعلى الدار ، فسمعنا تحتنا غِنَاءَ حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنَّى :

قالتُ عُبَيْدُ تَجْرُمًا في القولِ فعلَ المازحِ

فما سمعتُ غِنَاءَ كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعْبِيُّ يتعجَّب من غِنائه ويقول : يُوتِي الحِكْمَةَ من يشاء .

[من مجزوء الكامل]

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتُ عُبَيْدُ تَجْرُمًا في القولِ فعلَ المازحِ

أَنْجِزْ بَعْمَرَكْ وَعَدْنَا فَأُظِنَّ حَبَّكَ فَاضِحِي
فَأُجِبْتُهَا لَوْ تَعْلَمُ مِنْ بَمَا تُجِنُّ جَوَانِحِي
فِيمَا أَرَى لَرَجِمْتَنِي مِنْ حَمَلٍ حُبٍّ فَادِحِ
مَا فِي الْبَرِيَّةِ لِي هَوًى فَاسْمَعِ مَقَالَةَ نَاصِحِ
أَشْكُو إِلَيْهِ جَفَاءَ كَمْ إِلَّا سَلامَ مُصَافِحِي

زعم حبش أن الغناء لابن عائشة خفيف ثقیل بالبصر .

[احتال عليه جماعة من قريش في الحج فغنى لهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض أهل المدينة قال : حدثني من رأى ابن عائشة حاجاً وقد دعاه فتية من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حضر الطعام ، فلما طعموا دعا بشراب فشرّبوا ، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغني أي ذلك وغضب ، فإذا تحدث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غني فيه ابتداء هو فغناه ، فكان من فطن له يفعل ذلك به ، فقال رجل منهم : حدثني اليوم رجل من الأعراب ممن كان يصاحب جَمِيلاً بحديث عجيب ؛ فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدثني أن جَمِيلاً بينما هو يُحدثه كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى ، فثار نافراً ، مُقشعر الشعر ، متغير اللون ، إلى ناقة له مجمعة¹ قريبة من الأرض ، مؤثقة الخلق ، فشدّ عليها رحله ثم أتاها بمحلب فيه لبن فشرّبه ، ثم ثنى فشربت حتى رويت ، ثم قال : اشدّد أداة رحلك واشرب واسقِ جملك ، فإني ذاهب بك إلى بعض مذهب ، ففعلت ، فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي ، فسيرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسيرنا يومنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة ؛ فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهن فوجدنا الرجال خلوفاً ، وإذا قدر لباً وقد جهدت جوعاً وعطشاً ، فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنييني حرّها حتى رويت ، فذهبت أخرج رأسي من القدر فضأقت علي وإذا هي على رأسي قلنسوة ، فضحك مني وغسلن ما أصابني . وأتي جميل بقرى فوالله ما التفت إليه ؛ فبينما هو يحدثهن إذا رواعي الإبل ، وقد كان السلطان أحلّ لهم دمه إن وجدوه في بلادهم ، وجاء الناس² فقلن : ويحك ! أنج وتقدم ، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يرمونه ويطردونه ، فإذا غشوه قاتلهم

1 يريد مجمعة الخلق أي مكتنزة قوّة .

2 ل : وجاء النسوة .

ورمى فيهم ، وقام بي جملي ، فقال لي : يسّر لنفسك مركباً خلفي ، فأردفني خلفه ، لا والله ما انكسر ولا انحلّ عن فرسه حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ست ليالٍ وستة أيام وما التفت إلى طعام وقال في ذلك : [من الكامل]

إنّ المنازلَ هيّجتْ أطرايَ واستعجمتْ آياتُها بجوابي
وهي قصيدة طويلة . وقال أيضاً : [من الطويل]

وأحسنُ أيامي وأبهجُ عيشتي إذا هيّجَ بي يوماً وهنَّ قُعودُ
قال فقال ابن عائشة : أفلا أُغنيّ لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغناه ، فما سمعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك ، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحسنه والغناء وطيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنا مستأذنوك ، فإن أذنتَ لنا سألناك ، وإن كرهتَ تركناك ؛ فقال : سلّوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغنّينا في مجلسنا هذا ما نشطتَ هذا الصوت فقط ؛ فقال لهم : نعم ونعمة عينٍ وكرامةً ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

[من الكامل]

إنّ المنازلَ هيّجتْ أطرايَ واستعجمتْ آياتُها بجوابي
قَفَرْتُ تَلَوْحُ بذي اللّجَيْنِ كأنّها أنضاءٌ وشَمٌّ أو سُطورُ كتابٍ
لَمَّا وَقَفْتُ بها القُلُوصَ تبادرتْ مِنِّي الدُمُوعُ لفرقةِ الأحبابِ¹
وذكرتُ عصراً يا بُثينةُ شافني إذ فاتني وذكرتُ شرخَ شبّابي

الشعر لجميل² . والغناء للهذليّ ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق .
أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال حدّثني عمرو بن أبي الكنّات الحَكَميّ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كنّا يوماً متنزّهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش ، فبينما نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكّئ على يده ، فلمّا رأى جماعةًنا وسَمِعَني أُغنيّ جاعنا فسَلَّمَ وجلس إلينا

1 القُلُوص في ل : الركاب .

2 ديوان جميل بثينة : 31-32 عن الأغاني - جمعه د . حسين نصّار (مكتبة مصر) .

وتحدّث معنا ، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغلظه إذا سئل أن يُغني ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كثيرٍ وجميل وغيرهما من الشعراء ، يستجرون بذلك أن يطرب فيُغني ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثكم إيّاه ؛ قالوا : هات ؛ قلتُ : حدّثني هذا الرجل أنّه مرَّ بناحية الرّبدة فإذا صبيانٌ يتغاطسون¹ في غديرٍ ، وإذا شابٌ جميلٌ منهوك الجسم عليه أثرُ العلة ، والنحول في جسمه بين ، وهو جالس ينظر إليهم ، فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال : من أين وضّح الراكب ؟ قلتُ : من الحمى ؛ قال : ومتى عهدك به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلتُ : ببني فلان ؛ فقال : أوّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفساً قلتُ أنّه قد خرّق حجاب قلبه ؛ ثم أنشأ يقول² :

صوت

سقى بلداً أمست سُلَيْمى تحلّه من المزن ما يروى به ويسيم
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه يحلّ به شخصٌ عليّ كريم
ألا حبّداً من ليس يعدلُ قرْبهُ لذيّ وإن شطّ المزارُ نعيم³
ومن لاميّ فيه حميمٌ وصاحبٌ فردّ بغيظٍ صاحبٌ وحميمٌ
ثم سكن كالغشي عليه ، فصيحّت بالصّبية ، فاتوا بماء فصبّته على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول⁴ :

إذا الصّبُّ الغريبُ رأى خُشوعي وأنفاسي تزيّن بالخُشوع
ولي عَيْنٌ أضرتّ بها التفاتسي إلى الأجرع مُطلقاً الدموع
إلى الخلوات يأنسُ فيك قلبي كما أنسَ الغريبُ إلى الجميع⁵
فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدك ، أو أكرّ عودِي على بدئي إلى الحمى في حاجة إن كانت لك حاجة أو رسالة ؟ فقال : جُزيتَ خيراً وصحيتك السلامة ؛ امضِ لطيتك ، فلو أنّي علمتُ أنّك تُغني عني شيئاً لكنتَ موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة ، ولكنك أدركتني في صُبابه من حياتي يسيرة ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي ليلته إلّا ميتاً ؛ فقال القوم : ما أعجب

1 ل : يتغاطسون ؛ وفي أمالي القالي (37) يتقامسون .

2 الخير والشعر في أمالي القالي 1 : 37-38 .

3 لدي في ل : علي .

4 هذه الأبيات في أمالي القالي 1 : 38 دون نسبة .

5 يأنس فيك قلبي في ل : تأنس فيك نفسي .

هذا الحديث ! واندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعاً وطربَ وشربَ بقية يومه ، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن انصرفنا .

فأما نسبة هذين الصوتين فإنَّ في الأوَّل منهما لَحْناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى ، نسبه يحيى المكيَّ إلى معبد ، وذكر الهشاميَّ أنَّه منحول . وفي هذا الخبر : أنَّ ابن عائشة غناه ، وهو يغنى في البيت الأوَّل والثاني من الأبيات . وفيه للضيزني الملقَّب بنبَّيكة لحنٌ جيِّد من الثقيل الأوَّل . وكان نبَّيكة هذا من حُذَّاق المغنِّين وكبارهم ، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خُمارويه بن أحمد ، ثم قديم بغداد في أيام المقتدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت في يده ضُبابة قويَّة من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيِّدة قد ذكرتُ ما وقع إليَّ منها في المجرَّد¹ . وذكرتُ ممَّا وقع إليَّ له في هذا الكتاب لَحْناً جيِّداً في شعر سعد ذلفاء ، وهو :

وَلَمَّا وَقَفْنَا دُونَ سَرَحَةِ مَالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وأما الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي : أنَّ ابن عائشة غناه فما رأيتُ له نسبة في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد ، ولعلَّه ممَّا انطوى عني أو لم يشتهر فسقط عن الناس .

[غنى من قصر ذي خشب ورأى نسوة يمشين فاتجه نحوهم فسقط فمات]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليٍّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة اللُّثيَّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبلَ ابن عائشة من الشام حتى نزل قصر ذي خشبٍ ومعه مالٌ وطيبٌ وكساءٌ فشربَ فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظرَ فإذا بنسوةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنَّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنَّ ؟ فنهض فلَبَسَ ملاءةً مدلوكةً ، ثم قام على شُرْفَةٍ من شُرُفات القصر فتغنى :

وقد قالتُ لأترابٍ لها زُهرٌ تلاقينا

تعالينَ فقد طابَ لنا العيشُ تعالينا

فأقبلنَ إليه فطربَ واستدارَ حتى سقط من السطح ؛ وهذا الخبر يُذكر على شرحه في خبر وفاته .

1 المجرد : أحد مؤلفات أبي الفرج .

[كان يغني بشعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلام عن جرير أبي الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غنَّى في صوت له من شعر الحطيئة وهو :

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسْحُلَانٌ فَحَامِرَةٌ

نظر إلى أعطافه في كلِّ رَنَّةٍ ، فسئل يوماً ، وقد دَبَّ فيه الشرابُ ، عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة : إِنَّ الغناء رُقِيَّةٌ من رُقَى النَّيْثِ ، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحبِ غناء ، وكيف لا أُعجبُ به ومحلُّه منِّي هذا المحلُّ ؟ وكان لا يسأله أحدٌ إِيَّاه إلاَّ غَنَاهُ ، فمن فَطِنَ له أكثرُ سؤاله إِيَّاه . وكان جرير يقول : إِنَّه أحسنُ صوتٍ له وأرقه وأجوده .

[وفاة ابن عائشة]

وتُوفِّي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيام الوليد . وما أظنَّ الصحيح إلاَّ أنَّه توفِّي في أيام الوليد ، لأنَّه أقدمه إليه . وذكر من زعم أنَّه توفِّي في خلافة هشام : أنَّه إنَّما وفد على الوليد وهو وليَّ عهد .

[ذو خشب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ذكر عمران بن هند : أنَّ الغمر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلَمَّا نَزَلَ قَصْرَ ذِي خُشْبٍ شرب على سطحه ، فغَنَّى ابن عائشة صوتاً طَرِبَ له الغمر ، فقال : اردُّده ، فأبى ، وكان لا يردُّ صوتاً لسوء خُلُقِهِ ، فأمر به ، فطُرِحَ من أعلى السَّطْحِ فمات . ويقال : بل قام من الليل وهو سكران ليُبُولَ فسقط من السطح فمات .

[حكايات أخرى في سبب وفاته]

قال إسحاق فحدَّثني المدائني قال حدَّثني بعض أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده ، فلَمَّا قَرُبَ من المدينة نزل بذِي خُشْبٍ على أربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، ولأه هشام وهو خاله ، وكان في قصر هناك ، فقبل له : أصلحَ اللهُ الأمير ، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألتَه أن يقيمَ عندنا اليومَ فيُطِرَنا وينصرف من غَدٍ ؛ فدعا به فسأله المُقامَ عنده فأجابه إلى ذلك ، فلَمَّا أخذوا في شربهم أخرج المخزومي جوارِيَه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمزُ جاريةً منهنَّ ، فقال لخادمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارم به ، وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا شرفات ، وهو يُشرف على بستان ، فلَمَّا قام ليُبُولَ رمى به الخادم من فوق السطح فمات ، فقبْرُه معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حماد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيب وكساء ، فشرب فيه ، ثم تطرّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهن ؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكة ، ثم قام على شرفة من شرف القصر فتغنّى في شعر ابن أذينة :

وقد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا
تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليه ، وطرب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قدم المدينة فمات بها .

[بكي عليه أشعب فأضحك الناس]

قال : ولما مات قال أشعب¹ : قد قلت لكم ، ولكنه لا يُغني² حذر من قدر ، : زوّجوا ابن عائشة ربيحة الشّمسائية تخرج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا ، وجعل يبكي والناس يضحكون منه .

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت³

[من الهزج]

سُئِمِي أَرْمَعْتُ بَيْنَا	فأين تقولها أين ⁴
وقد قالت لأتراب	لها زهر تلاقينا
تعالين فقد طاب	لنا العيش تعالينا
وغابَ البرم الليل	للة والعين فلا عينا
فأقبلن إليها مس	رعات يتهاذينا
إلى مثل مهارة الرم	ل تكسوا المجلس الزينا
إلى خوي منعمة	حففن بها وفدينا
تمنين مناهن	فكنا ما تمنينا

1 قول أشعب نقله الحمدوني في التذكرة 9 : 62 (رقم : 86) .

2 ل : ينجي .

3 الشعر لعروة بن أذينة في مجموع شعره : 398-400 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد) .

4 أزمعت في ل : أجمعت . تقولها : تظنها .

الشعر لعروة بن أذينة ، والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .
[كان مالك بن أنس يكره الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سمعتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنعه الله بخزيه مالك بن أنس ، ثم حلف له إنه سمع مالكا يُغني :
[من الهزج]

سُلَيْمَى أزمعتُ بينا فأين تقولها أينا
في عرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .
[مرّ بابن أذينة وطلب إليه أن يقول له شعراً يغنيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال : مرّ ابن عائشة بابن أذينة فقال له : قل أبياتاً هزجاً أغنّ فيها ؛ فقال له : اجلس فجلس ؛ فقال :

سُلَيْمَى أزمعت بينا

الآيات . قال أبو غسان : فحدثتُ أن ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لما سمع قوله : [من الهزج]

تَمَنِّينَ مُنَاهَنَ فَكُنَّا مَا تَمَنِّينَا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تَمَنِّينِكَ لَمَّا أَقْبَلَ بَخْرُكَ ، وأدبرَ ذَفْرُكَ ، وذُبُلَ ذَكْرُكَ ! فجعل يشتمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال فحدثني حماد الخشبي¹ قال : ذُكِرَ ابنُ أذينة عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : نَعَمْ الرجلُ أبو عامر ، على [أنه] الذي يقول :

وقد قالت لأترابٍ لها زُهرٌ تلاقينا

[غنى للوليد بن يزيد بمكة فطرب وأجازه]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي قال : كان هشام بن عبد الملك مكرماً للوليد بن يزيد ، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً للوليد ، وكان ، فيما يقال ، زنديقاً ، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه ، فاتخذ نُدماً وشرب وتهتكت ، فأراد هشام قطعهم عنه ، فولاه الموسم في سنة عشر

ومائة ، فرأى الناس منه تهاوياً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث إلى المغنّين فغنّوه وفيهم ابن عائشة فغنّاه :

سُلَيْمَى أَجْمَعَتْ بَيْنَنَا

فَنَعَرَ الْوَلِيدُ نَعْرَةً أَذِنَ لَهَا أَهْلُ مَكَّةَ . وأمر لابن عائشة بألف دينار ، وخلع عليه عدّة خِلَعٍ ، وحمله . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس ، وأمر للمغنّين بدون ذلك ، فتكلّم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا وليّ عهدِ المسلمين ؟ وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلّعه ، وأرادَه على ذلك فأبى ؛ وتكرّر هشام للوليد ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط ، وتعبت هشام بالوليد وخاصّته ومواليه ، فنزل بالأزرق بين أرض بَلَقَيْنَ وفَرَازَةَ على ماء يقال له الْأَغْدَقُ ، حتى مات هشام . [انقضت أخباره] .

وَمَا فِي الْمِائَةِ الصَّوْتِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ أَغَانِي ابْنِ عَائِشَةَ

[غناؤه في صوت من المائة المختارة]

صوت

من رواية عليّ بن يحيى :

[من الكامل]

بَعْضَ الْحَيْنِ فَإِنْ شَجَوَكِ شَائِقِي	حَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِي
بَدَتِ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ	بَأَبِي الْوَلِيدُ وَأَمَّ نَفْسِي كَلَمًا
حَاجَاتُنَا مِنْ عِنْدِ أَرْوَعٍ بَاسِقِ	أَثْوَى فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِيَتْ
كَانَتْ حَدِيثًا لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ	لَا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةٍ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنت ، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو :

[من الكامل]

فَإِلَى الْوَلِيدِ الْيَوْمَ حَنْتُ نَاقَتِي تَهْوِي بِمُغْبِرٍ الْمُتُونِ سَمَالِقِي¹

وبعده «حنت إلى برق . . .» . وقوله : «قِرِي» من الْوَقَارِ ، كأنّها لما حنت أسرع وتنازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال يخاطبها ، قِرِي . وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبي الوليد وأمّي في كلّ ليل ونهار أبداً . وَأَثْوَى : أنزل . وَالثَّوَاءُ : الإقامة ؛ قال الأعشى :

[من الطويل]

1 السمالق : الأراضي الجرداء .

لقد كَانَ في حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوَيْتِهِ تَقْضَى لُبَانَاتٌ وَيَسَامُ سَائِمُ
والْبَاسِقُ : الطَوِيلُ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أَي طَوَالاً .
وَيُرْوَى :

لَا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةً مَطْرُوحَةً

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطَاةَ الْمُحَارِبِيِّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أَوَّلُ
بإطلاق الوتر في مجرى البَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه للهِذَلِيِّ لَحْنٌ آخِرٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ عَنْ
الهِشَامِيِّ وَابْنِ الْمَكِيِّ . فَأَوَّلُ لَحْنِ الْهِذَلِيِّ اسْتِهْلَالٌ فِي :

حَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقَلْتُ لَهَا قِرِي

وأَوَّلُ لَحْنِ ابْنِ عَائِشَةَ : [من الكامل]

بِأَبِي الْوَلِيدِ وَأُمُّ نَفْسِي كُلَّمَا
بَدَتِ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ

[14] - أخبار ابن أُرطاة ونسبه¹

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن أُرطاة ، وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أُرطاة بن سَيْحان بن عمرو بن نَجِيد بن سعد بن لَاحِب بن ربيعة بن شُكُم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن عليّ بن جَسْر بن محارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وأمّ جَسْر بن محارب كَأْس بنت لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس ، وأمّ عليّ بن جسر ماوِيَة بنت عليّ بن بكر بن وائل ، هذه رواية أبي عمرو الشيبانيّ أخبرني بها عمّي والصُّوْلِيّ عن الحَزَنْبَلِ عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : وشُكُم بن عبد الله أوّل مُحاربيّ سَادَ قَوْمَهُ وَأَبَدَهُمْ رَأْساً بِنَفْسِهِ ، وكانوا جيراناً في هَوَازِن ؛ وآل سَيْحان حلفاء حرب بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أُمَيّة عامّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال : بنو سَيْحان من بني جَسْر بن محارب ، وبنو عبد مناف تُقَوِّي حِلْفَهُمْ ، وهم عندي أعزّأوهم وليسوا بأحلافهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال : لما قَتَلَ هشام بن الوليد أبا أَرْيَهْر ، بعثت قريش أُرطاة بن سَيْحان حليف حرب بن أُمَيّة إلى الشَّرَاة يُحَذِّرُ مَنْ بها من تُجَار قريش ، وخرج حازم الأُرْدِيّ لِيُخَيِّرَ قَوْمَهُ ، فسبّه أُرطاة ، وقال في ذلك وقد حدّثهم فَنَجَّوْا : [من الكامل]

مثلُ الحليف تُشدُّ عُرْوَتُهُ	يُثْنِي العِناجَ لها مع الكَرْبِ ²
زَلَمَ إِذَا يَسْرُوا بِهِ يُسَرُّ	ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ ³
هل تَشْكُرُنَّ فِهْرٌ وتاجِرُها	دَابَّ السُّرى بالليلِ والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لَهُمْ يَقِينُهُمْ	بيان لا أَلْسٍ ولا كَذِبِ ⁴

1 لم نجد لعبد الرحمن بن أُرطاة ترجمة في المصادر الأدبية عدا الأغاني .

2 العناج والكرب : سير وحبل يشدّان بالدلو لاستنقاذا إذا انقطع الحبل .

3 الزلم : قدح لا ريش فيه ويشبه به الرجل الخفيف . إذا يسروا : إذا لعبوا الميسر .

4 الألس : الخيانة والكذب .

[شاعر إسلامي مقل ليس من الفحول]

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقلّاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية ، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أمية كواحدٍ منهم إلا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر ، وخصوصه بالوليد بن عثمان وموانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم ، لأنهما كانا يتنَادمان على الشراب .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بل في الوليد بن عتبة . وخبره في ذلك يُذكر بعد هذا .

[أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال قال عتبة بن المنهال المهلبّي حدثني غير واحد من أهل الحجاز قالوا : كان ابن سيحان حليفاً لقريش ينزل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يومٍ خُمَارٌ ، فذهب لسانه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه ، فأقبل الوليد إليه فرعاً ، فلما رآه قال : أخي مخمور وربّ الكعبة ، ثم أمر غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيّاه ، وصنع له حساء وجعل على رأسه دهنًا وجعل رجله في ماء سُخْنٍ ، فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به . ومات الوليد بعد ذلك . فبينما ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه يُنقل من بيت إلى بيت ، إذ مرّت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَسَتْ وتَقَبَّضَتْ ، فانتحب وقال :

لا تَبْعَدَنَّ إداوةً مطروحةً كانت حديثاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الأبيات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يُخمر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خيفَ عليه وشقَّ النساء عليه الجيوب ، فدُعِيَ له ابن سيحان ، فلما رآه قال : اخرجن عني وعن أخي ، فخرجن ، فقال له : الصُّبُوح أبا عبد الله ، فجلس مُفِيقاً ؛ فذلك حيث يقول ابن سيحان :

بأبي الوليدُ وأمّ نفسي كلّما بدتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
أتوى فأكرمَ في الثَّوَاءِ وقُضِيَتْ حاجتُنا من عندِ أَرْوَعِ باسِقِ

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلاتٍ
وسماحةٍ للمعتفين إذا اعتفوا في ماله حقاً وقولٍ صادقٍ
لا تبعدنَّ إداوةً مطروحةً كانت حديثاً للشرابِ العاتقِ

[كان ينادم الوليد بن عثمان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان يُكنى أبا الجَهْم ، وكان لابن سيحان صديقاً وندماً ، وكان صاحب شراب ، فمرض فعاده الوليد وقال : ما تشتهي ؟ قال : شراباً ؛ فبعث فجاءه بشراب في إداوة . ثم ذكر باقي الخبر¹ نحو الذي قبله .

[خرج مع الوليد بن عثمان إلى الحجاز ولما عاد أعطاه إداوة شراب]

أخبرني محمد بن خلف وكيعة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج إليها في زمان التمر بنفر من قومه ، يَجْنُون له ويعاونونه ، فكان إذا حضر خروجهم دفع إليهم نفقات لأهلهم إلى رجعتهم ، فخرج بهم مرة كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان ، فأتى ابن سيحان كتاباً من أهله يسألونه القدوم لحاجة لا بد منها ، فاستأذنه فأذن له ، فقال له ابن سيحان : زودوني من شرابكم هذا ، فزودوه إداوة ملاءها له من شرابهم ، فكان يشربها في طريقه حتى قدم على أهله ، فألقاها في جانب بيته فارغة ، فمكث زماناً لا يذكرها ، ثم كنسوا البيت فراها ملقاة في الكناسة فقال : [من الكامل]

لا تبعدنَّ إداوةً مطروحةً كانت حديثاً للشرابِ العاتقِ
إن تصبجي لا شيء فيك فربما أترعت من كأسٍ تلذُّ لذائقي
بأبي الوليد وأم نفسي كلما بدت النجوم وذرت قرن الشارقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وشمائلٍ ميمونةٍ وخلاتٍ
وكرامةٍ للمعتفين إذا اعتفوا في ماله حقاً وقولٍ صادقٍ
أثوى فأكرم في الثواء وقضيت حاجتنا من عند أروعٍ باسقي
لما أتينا ما جد الـ أخلاق سباقاً لقرمٍ سابقٍ
قال الوليد يدي لكم رهن بما حاولتم من صامتٍ أو ناطقٍ
فإلى الوليد اليوم حنت ناقتي تهوي بمعبر المتون سمالقي
حنت إلى برقي فقلت لها فيري بعض الحين فإن شجوك شائقي

[حدّثه مروان بالخمير ومنع منه معاوية]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالخزنبّل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالاً جميعاً : كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيّام كان معاوية يُعاقب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحَرَمين ، وأنكر عليه أشياء بلغتْه فغاضته : من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته ، فرصدَه حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدّ ثمانين سوطاً . وقديم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أنّ مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضب معاوية وقال : والله لو كان حليف أبي العاص لَمَا ضربه ولكنّه ضربه لأنّه حليف حرب ، أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

وَإِنِّي امْرُؤٌ حَلَفْتُ إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى عَدِيداً إِذَا ارْفَضْتُ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ

كذب والله مروان ، لا يَضْرِبُهُ في نبيذ أهل المدينة وشكّهم وحُمقهم ؛ ثم قال لكتابه : اكْتُبْ إلى مروان : فليُبْطِل الحدّ عن ابن سيحان ، وليخطُبْ بذلك على المنبر ، وليقلّ إنّه كان ضربه على شبهة ثم بأنّ له أنّه لم يشرب مُسْكِراً ، وليُعْطِه ألفي درهم . فلمّا ورد الكتاب على مروان عَظُمَ ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجِعْهُ ولا تُكذِّبْ نفسَكَ ، ولا تُبْطِلْ حُكْمَكَ ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عَزَمَ على شيءٍ أو أرادَه ، لا والله لا أراجِعُهُ . فلمّا كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنّا كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مُسْكِراً ، وإذا نحن قد عَجَلْنَا عليه ، وقد أَبْطَلْتُ عنه الحدّ . ثم نزل فأرسل إليه بألفي درهم .

[رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد بن عثمان الحدّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن سيحان المُحَارِبِي شاعراً ، وكان حلّو الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصِيب من الشراب ، فكان كلُّ مَنْ قَدِمَ من ولاة بني أمية وأحداثهم مَن يُصِيب الشراب يدعوه ويناديه ، فلمّا وَلِيَ الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان وعُزّل مروان وجَدَ مروان في نفسه وكان قد سَبَعَهُ¹ ، فحقّد ذلك عليه مروان واضطغته ، وكان

1 سبعة : ذكره بالقيح .

الوليد يُصيب من الشراب ويبحث إلى ابن سيحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مروان يفعل به الذي فعله ، وقد كان مدحه ابن سيحان ووصله مروان ، ولكنّ مروان أراد فضيحة الوليد ، فرصده ليلةً في المسجد ، وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثَملاً فيمّر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم ، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي ، وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتهجّدون ، فلمّا خرج ابن سيحان ثَملاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه ، ثمّ دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شرطته فحبسه ؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أنّ مروان إنّما أراد أن يفضحه ، وأنّه لو لقي ابن سيحان ثَملاً خارجاً من عند غيره لم يعرض له ، فقال الوليد : لا يُرئني من هذا عند أهل المدينة إلّا ضرب ابن سيحان ، فأمر صاحب شرطته فضربه الحدّ ثمّ أرسله .

[مكث في بيته استحياء]

فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس ، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له : ما يُجلسك¹ في بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس ؛ قال : اخرج أيّها الرجل ، وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كُسوة ، فقال له : البسها ورُح معنا إلى المسجد فهذا أخرى أن يكذب به مكذب ، ثمّ ترحل إلى أمير المؤمنين فتُخبره بما صنع بك الوليد فإنّه يصليّك ويُطيل هذا الحدّ عنك ؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثمّ تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة ؛ فقائل يقول : لم يُضرب ، وقائل يقول : أنا رأيته يُضرب ، وقائل يقول : عزّر أسواطاً .

[رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد]

فمكث أياماً ثمّ رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه ، وكلم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصته وما صنعه به مروان ، فقال : قبح الله الوليد ما أضعف عقله ! أما استحياء من ضربك فيما شرب ؟ وأمّا مروان فإنّي كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ، ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يُصب ، وقد صبر نفسه في حدّ كُنّا ننزّهه عنه ، صار شرطياً ! ثمّ قال لكتابه : اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أمّا بعد ، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ، ما زدت على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه ممّا حرّم عليك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ،

وطُفَ به في حِلَقِ المسجد وأخبرهم أَنَّ صاحبَ شُرْطِكَ تعدَّى عليه وظلمه ، وأنَّ أمير المؤمنين قد أبطلَ ذلك عنه ، أليس ابن سيحان الذي يقول :

وَإِنِّي أَمْرُؤُا أُنَمَّى إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى عَدِيداً إِذَا ارْفَضْتُ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ
إِلَى نَضِيدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَتْهُمْ هِضَابُ أَجَا أَرَاكُنْهَا لَمْ تَقْصِفِ¹
مِيَامِينُ يَرْضَوْنَ الْكِفَايَةَ إِنْ كَفُوا وَيَكْفُونَ مَا وَلَّوْا بِغَيْرِ تَكْلَفِ
غَطَارِفَةٌ سَاسُوا الْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفِ²
فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِراً يُفْشِرُ فَضْلَهُ وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِراً يَتَعَفَّفِ
وَإِنْ تُبْسِطِ النُّعْمَى لَهُمْ يَنْبَسُطُوا بِهَا أَكْفَأَ سِيَاطاً نَفْعُهَا غَيْرُ مُقْرِفِ
وَإِنْ تُزَوِّعْهُمْ لَا يَضِجُّوا وَتُلْفِيهِمْ قَلِيلِي التَّشْكِي عِنْدَهَا وَالتَّكْلُفِ³
إِذَا انْصَرَفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا إِذَا الْجَاهِلُ الْخَيْرَانَ لَمْ يَتَصَرَّفِ
سَمَوْا فَعَلَوْا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بَيْنَانِ عَالٍ مِنْ مُنِيفٍ وَمُشْرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاة وثلاثين لِقحة ممَّا يوطن السَّيَالَةَ⁴ وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيد مائتي دينار . ثم قدِمَ بكتاب معاوية إلى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحدَّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له معاوية . وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بابن سيحان ، وما أَرَادَهُ بذلك . ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

[ضربه مروان الحدَّ فأبطله معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنَا أَبُو مسلم الغِفَارِيُّ قال حَدَّثَنِي موسى بن عبد العزيز قال : أَخَذَ ابْنُ سَيْحَانَ الْجَسْرِيَّ ، هَكَذَا قَالَ وَهُوَ غُلَطٌ ، فِي شَرَابٍ فِي إِمَارَةِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ حَلِيفاً لِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَضَرِبَهُ مَرْوَانُ ثَمَانِينَ سَوْطاً عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ ، فَكُتِبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَشْكُوهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ أَخَذْتَ حَلِيفَ حَرْبٍ فَضَرَبْتَهُ ثَمَانِينَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ ، وَاللَّهِ لَتُبْطِلَنَّهَا عَنْهُ ، أَوْ لِأُقَيِّدَنَّ مِنْكَ ؛ فَقَالَ مَرْوَانُ لِابْنَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى وَاللَّهِ أَلَّا تَفْعَلَ ؛ قَالَ : وَيْحَكَ ، أَنَا أَعْلَمُ

1 النضد : الأعمام والأخوال . كَانَتْهُمْ فِي ل : كَانَتْ .

2 الغطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف . سِيَاسَتَهَا فِي ل : سِيَاسَتَهُمْ .

3 والتكلف في ل : والتلف .

4 السِّيَالَةُ : أرض بين المدينة ومكة .

بَعَزَمَات¹ معاوية منك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا كُنَّا ضَرْبَنَا ابْنَ سِيحَانَ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ مِنَ الْحَرَسِ وَوَجَدْنَاهُ غَيْرَ عَدْلٍ وَلَا رِضًا ، فَاشْهَدُوا أُنْتِي قَدْ أَبْطَلْتَ ذَلِكَ الْحَدَّ عَنْهُ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : ضَرَبَ مَرْوَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سِيحَانَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ سَوْطًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ ضَرَبْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي نَبِيذِ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِي يَسْتَعْمَلُونَهُ وَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، وَإِنَّمَا ضَرَبْتَهُ حَيْثُ كَانَ حَلِيفُهُ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ كَانَ حَلِيفًا لِلْحَكَمِ مَا ضَرَبْتَهُ ، فَأَبْطُلَ عَنْهُ الْحَدُّ قَبْلَ أَنْ أُضْرِبَ مَنْ أَخَذَ مَعَهُ : أَخَاكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ؛ فَأَبْطُلَ مَرْوَانَ عَنْهُ الْحَدُّ ؛ فَقَالَ ابْنُ سِيحَانَ فِي ذَلِكَ يَذْكُرُ حَلِيفَهُ :

إِنِّي امْرُؤٌ عَقْدِي إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى عَدِيدًا إِذَا ارْفَضْتُ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ²
وقال الطُّوسِيّ : كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ يَشْرَبُ مَعَ ابْنِ سِيحَانَ ، فَلَمَّا ضَرَبَهُ مَرْوَانَ الْحَدَّ كُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَتُبْطَلَنَّ عَنْهُ أَوْ لَأُبْعَثَنَّ إِلَى أَخِيكَ مَنْ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ بِالسَّوْطِ فِي السُّوقِ ، أَلَيْسَ ابْنُ سِيحَانَ الَّذِي يَقُولُ :

سَمَوْتُ بِحَلِيفِي لِلطُّوَالِ مِنَ الرَّبَى وَلَمْ تَلْقَنِي قِنًا لَدَى مَبْرَكِ الْجُرْبِ
إِذَا مَا حَلِيفُ الدَّلِّ أَقَمَّا شَخْصَهُ وَدَبَّ كَمَا دَبَّ الْحَسِيرُ عَلَى نَقَبِ³
وَهَضْتُ الْحَصَى لَا أُخْنِسُ الْأَنْفَ قَابِعًا إِذَا أَنَا رَاخِي لِي خِنَاقِي بَنُو حَرْبِ⁴

[كَانَ مَعَ سَعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ حِينَ قَتَلَهُ غُلَمَانُهُ وَهَرَبَ عَنْهُ]

أَخْبَرَنِي الْحَزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَأَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ الطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ وَغَيْرُهُ قَالُوا : قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ الْمَدِينَةَ فَقَتَلَهُ غُلَمَانٌ جَاءَ بِهِمْ مِنَ الصُّغْدِ ، وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَرْطَاةَ بْنِ سِيحَانَ حَلِيفُ بَنِي حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَهَرَبَ عَنْهُ لَمَّا قَتَلُوهُ ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ يَرِثِي سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ ، وَعَثْمَانُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بَدِمِعٍ مِنْكَ تَهْتَانَا وَابْكِي سَعِيدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَا⁵

1 ل : بحماقات .

2 عقدي في ل : أنمي .

3 الحسير : المعبي . نقب خفّ البعير : حني .

4 وهض الحصى : دقّه . قابع : مستخفّ .

5 ورد هذا البيت في المجلد الأول ، ص 45 . وأبكي في ل : على .

إِنَّ ابْنَ زَيْنَةَ¹ لَمْ تَصْدُقْ مَوَدَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْمَاطَةَ بْنِ سَيْحَانَ
فَقَالَ ابْنُ سَيْحَانَ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ :

[من الطويل]

يَقُولُ رَجَالٌ قَدْ دَعَاكَ فَلَمْ تُجِبْ وَذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ²
فَإِنْ كَانَ نَادَى دَعْوَةً فَسَمِعْتُهَا فَشَلَّتْ يَدَيَّ وَاسْتَكَّ مِنِّْي الْمَسَامِعُ
وَالْأَفْكَانَتُ بِالَّذِي قَالَ بَاطِلًا وَدَارَتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَاتُ الْقَوَارِعُ
يَلُومُونَنِي أَنْ كُنْتُ فِي الدَّارِ حَاسِرًا وَقَدْ فَرَّ عَنْهُ خَالِدٌ وَهُوَ دَارِعُ

فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَجِيبُهُ :

[من الطويل]

فَإِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَكِنْ رَأَيْتَهُ بَعِينُكَ إِذْ مَجْرَاكَ فِي الدَّارِ وَاسِعُ
وَأَسْلَمْتَهُ لِلصُّغْدِ تَدْمِي كُلُّوْمُهُ وَفَارَقْتَهُ وَالصَّوْتُ فِي الدَّارِ شَائِعُ
وَمَا كَانَ فِيهَا خَالِدٌ بِمَعْذِرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِ صَمٌّ أَوْ هُوَ سَامِعُ³
فَلَا زِلْمًا فِي غُلٍّ سَوْءٍ بِعِيرَةٍ وَدَارَتْ عَلَيْكُمْ بِالشَّمَاتِ الْقَوَارِعُ

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ
عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَتْ أُمُّهُ : أَشْتَهِي أَنْ يَرِثِيهِ شَاعِرٌ كَمَا فِي نَفْسِي حَتَّى أُعْطِيَهُ مَا يَخْتَكِمُ ؛ فَقَالَ
ابْنُ سَيْحَانَ :

[من مجزوء الكامل]

إِنْ كُنْتُ بَاكِئَةً فَتَى فَبَاكِئِي هَبْلَتِ عَلَى سَعِيدٍ⁴
فَارَقْتُ أَهْلَكَ بَغْتَةً وَجَلَبَتِ حَتْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ
أَذْرِي دَمَوْعَكَ وَالْدِّمَا عَلَى الشَّهِيدِ ابْنِ الشَّهِيدِ

فَقَالَتْ : هَكَذَا كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَقَالَ فِيهِ ، وَوَصَلَتْ ابْنُ سَيْحَانَ . وَكَانَتْ تَنْدُبُهُ بِهَذَا
الشَّعْر .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَتِهِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْ عَمِّي عَنْ الْحَزَنْبَلِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ
أَبِيهِ قَالَ : جَلَسَ ابْنُ سَيْحَانَ وَخَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ يَتَحَدَّثَانِ ، فَجَرَى
ذِكْرُهُ فَبَكَيَا جَمِيعًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ سَيْحَانَ يَرِثِيهِ :

[من الطويل]

1 ابن زينة في ل : ابن زينة .

2 يقول رجال في ل : يقول أناس . مثلك في ل : نفسك .

3 معذِر : مقصّر .

4 هبلت : ثكلت .

ألا إنَّ خيرَ الناسِ إن كُنتَ سائلاً
سعيدُ بنُ عثمانَ القَتيلُ بلا دَحْلُ¹
تداعت عليه عُصبةُ فارسيَّة
فأضحى سعيدٌ لا يُمرُّ ولا يُحلي²

وقال خالد بن عَقبة :

ألا إنَّ خيرَ الناسِ نفساً ووالداً
سعيدُ بن عثمانٍ قَتيلُ الأعاجِمِ
بكتْ عينُ مَنْ لَمْ يَكِهِ وَسَطَ يَثْرِبِ
مَدَى الدهرِ منه بالدموعِ السَّواجِمِ
فإن تكن الأيَّامُ أُرِدْتُ صروفُها
سعيداً ، فمَنْ هذا عليها بسالمِ
قال الحَزْبَلُ : أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عَمِّي وأنشدني
السُّكْرِيُّ عن ابن حبيب والطُّوسِيَّ له :

صوت

رَحِمَ اللهُ صَاحِبِيَّ ابْنِي الحَا
رثِ إذ يَنْهَيَانِي أن أَبُوحَا
بالتِي تَيَمَّتْ فَوَادِي وَأَنْ أَذْ
ري دموعي على ردائي سُفُوحَا
في مَعَانِي مَنَازِلٍ مِنْ حَبِيبِ
باشَرْتُ بَعْدَهُ قِطَاراً وَرِيحَا
ولقد قلتُ للفَوَادِ وَلَكِنْ
كَانَ قَدِماً إِلَى هَوَاهُ جَمُوحَا
قلتُ أَقْصِرْ عَن بَعْضِ حُبِّكَ أَرَوِي
إِنْ بَعْضَ الحِيَابِ كَانَ فَضُوحَا
فَعَصَانِي ، فَلَيْسَ يَسْمَعُ قَوْلَا
مِنْ حَمَامٍ عَلَى الأَرَاكِ ، جُنُوحَا
أَمْ يَحْيَى تَقَبَّلَ اللهُ يَحْيَى
بِقَبُولِ كَمَا تَقَبَّلَ نُوحَا
أَمْ يَحْيَى لَوْلَا طِلَابُكَ قَدْ سَحَا
سُتُ مَعَ الوَحْشِ أَوْ لَبَسْتُ المُسُوحَا
ولقد قلتُ لَا أَحْدِثُ سِرّاً
سِرّاً أُخْرَى مَا دَمْتُ أَمْشِي صَحِيحَا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه
للغريض ثقيل أول عن المشامي . وفيه لزريق رمل .

قال أبو عمرو : وابن سيحان الذي يقول :

[من مجزوء الوافر]

ألا هل هاجَكَ الأظعا
نُ إذ جاوزَن مُطَّلحا

[جفاه بنو مطيع فذمهم]

والناس يروونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبته على غزل أهل الحجاز جميعاً . وقال أبو عمرو في

1 بلا دحل : بغير ثار .

2 تداعت في ل : تراغت .

خبره : كان ابن سيحان يحدث قال : كنت ألف¹ من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أمية : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وبني مطيع ، فلما ضربني مروان الحد جئت فجلست إلى بني مطيع كما كنت أجلس ، فلما رأوني عرفت الكراهة في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وسعوا لي ، فانصرفوا ورحلوا إلى بني عبد الرحمن ، فلما رأوني أقبلوا بوجوههم عليّ وحيوا ورحبوا وسهلوا ووسعوا لي ، ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدثونني ، وقالوا : لعلك خشعت للذي لحقك ، أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم ، وظلموا مروان في فعله ، ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيراً ، ولم يزالوا حتى بسطوني ، فقلت أمدحهم وأذم بني مطيع :

لقد حرمت وُدَّ بني مطيع حرام الدهن للرجل الحرام
وإن جف الزمان مددت حبلاً متيناً من حبال بني هشام
رطب عودهم أبداً وريق إذا ما اغبر عيذان اللام

[لامته امرأته على مبيته خارج المنزل]

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سيحان يُنادم الوليد بن عثمان على الشراب فبييت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيحدّ ، فقالت له امرأته : قد صرت لا تبتي في منزلك وأظنك قد تزوجت ، وإلا فما مبيتك عن أهلك ! فقال لها :

لا تعدمني نديماً ماجداً أنفاً لا قائلاً قاذفاً خلقاً بيهتان²
أغرّ راووقه ملان صافية تنفي القذى عن جبين غير خزيان³
سبيته من قرى بيروت صافية عذراء أو سيئت من أرض بيسان
إنا لنشرها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان

[يحث ابن عمه على شرب الخمر]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذّان قال : كان ابن سيحان صاحب شراب ، فدخل على ابن عم له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبذ زبيب ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال

1 ل : كنت أخصّ .

2 لا تعدمني في ل : لن تعدمني .

3 ملان في ل : صهبا .

له : يا ابن سريع ، إن كنت تشربه على أن نبذ الزبيب حلالاً فإنك أحق ، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فإن الوزر واحد ، ثم قال :

دَعِ ابْنَ سَرِيعٍ شَرِبَ مَا مَاتَ مَرَّةً وَخُذْهَا سُلَافاً حَيَّةً مُزَّةَ الطَّعَمِ
تَدْعُكَ عَلَى مُلْكِ ابْنِ سَاسَانَ قَادِراً إِذَا حَرَمْتَ قُرَاؤَنَا حَلَبَ الْكَرَمِ
فَقَشْتَانِ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ فَاعْتَزِمِ عَلَى مُزَّةٍ صَفَرًا رَاوَوْقَهَا يَهْجِي¹
فَإِنَّ سَرِيعاً كَانَ أَوْصَى بِحُبِّهَا بَيْنَهُ وَعَمِّي جَاوَزَ اللَّهَ عَنْ عَمِّي
وَيَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ شَهِدْتُ بَنِي أَبِي عَلَيْهَا إِلَى أَنْ غَابَ تَالِيَةُ النَّجْمِ
حَسَوَهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً تُدَارُ عَلَيْهِمُ بِالصَّغِيرِ وَالضَّخْمِ
فَمَاتُوا وَعَاشُوا وَالْمُدَامَةُ بَيْنَهُمْ مُشْعَشَعَةً كَالنَّجْمِ تُوصَفُ بِالْوَهْمِ

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية يُنادم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، ويشرب معه الخمر ، وهو القائل :

إِصْبَحْ نَدِيمَكَ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ حَتَّى يَرُوحَ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ
وَاشْرَبْ هُدَيْتَ أَبَا وَهْبٍ مُجَاهِرَةً وَاخْتَلْ فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمِ أُولَى خَالِ
أَنْتَ الْجَوَادُ أَبَا وَهْبٍ إِذَا جَمَدَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ مَالِ
لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ شَمَرْتُ مُرْتَحِلاً عَنَساً تُعَاقِبُ تَخْوِيداً بِإِرْقَالِ
لَمَّا تَوَاصَوْا بِقَتْلِي قَمْتُ مُعْتَزِماً حَتَّى حَمَيْتُ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَوْصَالِي
عَمَّ الْوَلِيدُ بِمَعْرُوفِ عَشِيرَتِهِ وَالْأَبْعَدُونَ حَظُّوْا مِنْهُ بِإِفْضَالِ

[شعره في الوليد وقد حماه من أخواله]

قال : وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بيّنة ، فتأمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم ؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنائته عليهم فيفارقه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةً صاحبهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزِلَ وهو نديمه وصفيه . وهو القائل في الوليد ، وفيه غناء :

1 الشطر الثاني في ل : وبأدر إلى الصهباء راووقها يهجي .

صوت

بات الوليدُ يعاطيني مُشعشةً حتى هويتُ صريعاً بين أصحابي
في الغناء : بات الكريم يعاطيني .

لا أستطيع نهوضاً إن هممتُ به وما أتهنه من حسوٍ وتشرابٍ
حتى إذا الصبحُ لاحَ لي جوانبه ولَّيتُ أسحبُ نحوَ القومِ أثوابي
كأنني من حمياً كأسه جملٌ صحتُ قوائمه من بعد أوصاب¹

ويروى :

كأنني من حمياً كأسه ظلُّع

الغناء ليحيى المكيّ ، ورؤي : ضلَّع ، خفيف ثقيل بالنصر عن الهشاميّ وبذل . قالت
بذل : وفيه لحنٌ آخر ليحيى ؛ ولم تذكر طريقته .
[قصة تبرئه لسعيد بن العاص من الشرب]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو فهيرة قال : دخل عبد
الرحمن بن أرمطة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة ؛ فقال له : ألسن القائل : [من البسيط]

إنّا لنشربها حتى تميلَ بنا كما تمايلَ وسنانٌ وبوسنان

فقال له عبد الرحمن : معاذ الله أن أشربها وأنعتها ، ولكني الذي أقول : [من الطويل]

سموتُ بحلفي للطوالِ من الذرى ولم تلقني كالنسرِ في ملتقى جدبٍ
إذا ما حليفُ القومِ ألقى مكانه ودبَّ كما يمشي الحسيرُ من النقبِ
وهصتُ الحصى لا أهربُ الضيمَ قائما إذا أنا راخي لي خناقِي بنو حربٍ

وقام يجرّ مطرفه بين الصفتين حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال : لو أمرت
بهذا الكلب فضرب مائتي سوط كان خيراً له ؛ فقال : يا بني ، أضربه وهو حليفُ حرب بن أمية
ومعاوية خليفة بالشام ! إذا لا يرضى ؛ فلما حجّ معاوية لقيه بمنى ؛ فقال : إيه يا سعيد ؛ أمرك
أحمقك بأن تضرب حليفي مائتي سوط ؛ أما والله لو جلدته سوطاً لجلدتك سوطين ؟ فقال له
سعيد : ولم ذاك ؟ أو لم تجلد أنت حليفك عمر بن جبلة ؛ فقال له معاوية : هو لحمي آكله ولا
أؤكله² . قال : وكان ابن سيحان قد قال :

1 جمل في ل : خيل .

2 في المثل : هو لحمي آكله ولا أدعه لآكل .

لا يَعدَمُنِي نديمي ماجداً أنفاً لا قائلاً خالطاً زوراً بيْهْتانِ
أُمنسي أعطيه كأساً لذَّ مشربها كالمسك حُفَّتْ بِنسرينِ وريحانِ
سبيته من قُرَى يَبْرُوت صافيةً أو التي سُبَّتْ من أرضِ بيسانِ
إنّا لَنَشْرِبُها حتى تَمِيلَ بنا كما تَمِيلُ وَسنانِ وَنَسنانِ
انقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[صوت من المائة المختارة]

[من الخفيف]

يا خليلي هَجْراً كَيَّ تَرُوحا هِجْتما للرواح قَلْباً قريحاً
إنْ تُريغاً¹ لَتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدِي تَجِداني بِسِرِّ سَعْدِي شَحِيحاً
إنْ سَعْدِي لَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي جَمَعَتْ عِفَّةً وَوَجْهاً صَبِيحاً
كَلَمْتَنِي وَذاك ما نِلْتُ منها إنْ سَعْدِي تَرى الكلامَ رَيِّحاً²

الشعر لابن ميادة . والغناء لحنين ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحناً من الثقيل الأول بالبنصر ، وأظنه هذا ، وأنَّ عَمراً غَلَطَ في نسبته إلى دحمان .

1 تريغان : تريدان ، تحاولان .

2 ريحاً : جالباً للريح .

[15] - أخبار ابن ميادة ونسبه¹

[نسبه]

اسمه الرَّمَّاح بن أبرد بن ثوبان بن سُراقَة بن حَرْمَلَة ، هكذا قال الزبير بن بَكَّار في نسبه . وقال ابن الكلبي : ثوبان بن سُراقَة بن سلمى بن ظالم ويقال سُراقَة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن زيد بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر . وأمه ميادة أم وَلَدٍ بربريّة ، ورُوي أنّها كانت صقلبيّة² . ويكنى أبا شُرْحِبِيل ، وقيل بل يُكنى أبا شراحيل .

[كان يزعم أنّ أمّه فارسيّة]

وكان ابن ميادة يزعم أنّ أمّه فارسيّة ؛ وذكرَ ذلك في شعره فقال³ :

[من الطويل]

أنا ابنُ أبي سلمى وَجَدَيَّ ظالمٌ وأُمِّي حَصانٌ أخلصَتْها الأعاجمُ⁴
أليسَ غلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرمٍ مَنْ نِيطَتْ عليه التمامُ

[كذب موسى بن سيار في أنّ أمّه فارسيّة]

أخبرني بذلك الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكَّار قال حدّثني أبو مَسْلَمَة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير الفزاريّ قال أخبرني موسى بن سيار بن نَجِيج المُرْزِيّ قال : أنشدني ابن ميادة أبياته التي يقول فيها :

[من الطويل]

أليسَ غلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرمٍ مَنْ نِيطَتْ عليه التمامُ

فقلت له : لقد أشحطتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجعة ، فهلاً غَرَبْتَ (يريد أنّها صَقْلِيَّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال : إي بأبي أنت ، إنّهُ مَنْ جاع انتجع ، فدَعُها تَسِيرُ في الناس فإنّه «مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ»⁵ .

1 في ترجمة ابن ميادة انظر : من نسب إلى أمّه لابن حبيب في نوادر المخطوطات 1 : 91 (رقم : 27) والشعر والشعراء وأنساب الأشراف للبلاذري (خ) . وطبقات ابن المعتز 106-109 وشرح أمالي القالي للبكري وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (خ) (مصورة 6 : 79) . ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 1309-1311 .

2 صقلبية : من الأقوام السلافية واللفظة تعريب للأصل .

3 شعر ابن ميادة : 227 وخزانة الأدب 1 : 77 .

4 أخلصتها في ل : حصتها .

5 من يسمع يخل : هو مثل يعني أنّ من يسمع أخبار الناس قد يصدّقها .

[ردّ عليه الحكم الخضري فخره وهجاه]

قال الزبير قال ابن مسلمة : ولما قال ابن ميادة هذه الأبيات قال الحكم الخضري يرّد عليه :

وما لك فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ولا وَلَدَتِكَ الْمُحْصَنَاتُ الْكَرَائِمُ
وما أنتَ إِلَّا عَبْدُهُمْ إِنْ تُرِبُّهُمْ مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا تَسْتَرِبُّكَ الْمَقَاسِمُ
رَمَى نَهْلًا فِي فَرْجِ أُمِّكَ رَمِيَّةً بِحَوْقَاءِ تَسْقِيهَا الْعُرُوقُ الثَّوْاجِمُ
قال أبو مسلمة : ونهبل عبدٌ لبني مُرةٍ كانت ميادة تزوّجته بعد سيّدها ، وكانت صقلبيّة .
[شاعر مخضرم]

وابن ميادة شاعرٌ فصيحٌ مقدّمٌ مخضرم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة¹ ، وقرّن به عمر بن لُجأ والقُحيف العُقيليّ والعُجَيْر السُّلُويّ .
[يقول لأمه اصبري على المحو]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكُريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان ابنُ ميادة عَرِيضاً للشَّرِّ ، طالباً مُهاجَأةَ الشعراء ومُسابَئةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنبِ أمّه ويقول :
[من الرجز]
اعرّزِمي مَيَادَ للقوافي²
أَيَّ إِنِّي سَاهَجُوا النَّاسَ فِيهِجُونَكَ .

وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي هفان بهذه الحكاية مثله ، وزاد فيها :
[من الرجز]
اعرّزِمي مَيَادَ للقوافي واستسمعيهنّ ولا تخافي
سَتَجِدِينَ ابْنَكَ ذَا قِذَافٍ³

[استنشد امرأة أمام أمّه عما قيل في هجوها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا داود بن عُلْفَةَ الأُسديّ قال : جاورت امرأةً من الخُضر : (رهط الحكم الخُضريّ) أبيات ابن ميادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رحيّ وثقالاً لتطحن ، فأعاروها إياهما ؛ فقال لها ابن ميادة : يا أخت الخُضر ، أتروين شيئاً ممّا قاله الحكم الخُضريّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أمّه ، فجعلت تأبى ، فلم يزل

1 كذا قال أبو الفرج ، ولم يرد ذكر لابن ميادة في طبقات ابن سلام .

2 اعرزومي : اشتدّي .

3 ذا قذافيّ : ذا مراماة .

بها حتى أنشدته :

أَمِيَادَ قَدْ أَفْسَدَتْ سَيْفَ ابْنِ ظَالِمٍ بَيْظُرِكَ حَتَّى عَادَ أَثْلَمَ بَالِيَا
قال : ومياعة جالسةٌ تسمع . فضحك الرَّمَّاحُ ، وثارت مياعة إليها بالعمود تَضْرِبُهَا بِهِ
وتقول : أَيُّ زَانِيَةٍ ؛ هِيَ زَانِيَةٌ ! أَيَّايَ تَعْنِينَ ؟ وقام ابن ميادة يَخْلُصُهَا ، فَبَعْدَ لَأَيِّ مَا أَنْقَذَهَا ،
وقد انترَعَتْ مِنْهَا الرَّحَى وَالْفُفَّال .
[في صحبه شمايط إياه]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَرَمَلَةَ مَنْظُورُ بْنُ
أَبِي عَدِيٍّ الْفَزَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شَمَاطِيطُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :
أَنَا شَمَاطِيطُ الَّذِي حَدَّثْتَ بِهِ مَتَى أَتَبُّهُ لِلْغَدَاءِ أَنْتَبُهُ
حَتَّى يُقَالَ شَرُّهُ وَلَسْتُ بِهِ

قال : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ابْنِ مِيَادَةَ فَوَرَدَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ لِلْحَكَمِ الْخُضَرِيِّ يَقُولُ
فِيهَا :

أَأَنْتَ ابْنُ أَشْبَانِيَّةٍ أَذْلَجْتَ بِهِ إِلَى اللَّوْثِ مَقْلَاتٍ لَيْسَ جَنِينُهَا¹
أَشْبَانِيَّةٌ : صَقْلِيَّةٌ ، قَالَ : وَأُمُّهُ مِيَادَةُ تَسْمَعُ فَضْرَبَ جَنْبِهَا وَقَالَ :
اعْرُزْ زِمِي مِيَادَ لِلْقَوَافِي
فَقَالَتْ : هَذِهِ جَنَائِكَ يَا ابْنَ مَنْ خَبُثَ وَشَرٌّ ، وَأَهْوَتْ إِلَى عَصَا تَرِيدُ ضَرْبَهُ بِهَا ؛ فَقَرَّ
مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

يَا صِدْقَهَا وَلَمْ تَكُنْ صَدُوقًا
فَصِيحَتْ بِهِ : أَيُّهُمَا الْمَعْنَى ؟ فَقَالَ : أَضْرَعُهُمَا خَدَّيْنِ وَالْأُمُّهُمَا جَدَّيْنِ ؛ فَضْرَبْتُ جَنْبَهَا
الْآخِرَ وَقُلْتُ : فَهِيَ إِذَا مِيَادَةُ ، وَخَرَجْتُ أَعْدُو فِي أَثَرِ الرَّمَّاحِ ، وَتَبِعْتَنَا تَرْمِينَا بِالْحِجَارَةِ وَتَفْتَرِي
عَلَيْنَا حَتَّى فُتْنَاهَا .
[أصل أمه ميادة]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ
الْفَزَارِيُّ : أَنَّ مِيَادَةَ كَانَتْ أُمَّةً لِرَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ زَوْجَةً لَعَبْدٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَهْبَلٌ ، فَاشْتَرَاهَا بَنُو
ثَوْبَانَ بْنِ سُرَاقَةَ فَأَقْبَلُوا بِهَا مِنَ الشَّامِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَصَبَّحُوا بِهَا الْمُلَيْحَةَ (وهي مائة لبني سلمى
وَرَحْلُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ جَذِيمَةَ) نَظَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَى إِلَيْهَا وَهِيَ نَاعِسَةٌ تَمَائِلُ عَلَى بَعِيرِهَا ،

1 المقلات : المرأة ليس لها إلا ولد واحد .

فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثوبان ؛ فقال : وأبيكم إنها لميَّادة تميدُ وتميل على بعيرها ، فغلب عليها «ميَّادة» . وكان أبردُ ضِلَّةً من الضلل¹ ورثَّةً من الرث² جلفاً لا تخلُص إحدى يديه من الأخرى ، يرعى على إخوته وأهله ، وكانت إخوته كلهم ظُرفاء غيره . فأرسلوا ميَّادة ترعى الإبل معه فوقع عليها ، فلم يشعروا بها إلا حُبلى قد أقعسها بطنها³ ، فقالوا لها : لمن ما في بطنك ؟ قالت : لأبرد ، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم ، حتى رمت بالرَّمَّاح فرأوا غلاماً فدَعَمَا نَجيباً ، فأقرَّ به أبرد . وقالت بنو سلمى : ويلكم يا بني ثوبان ! ابتطِنوه فلعلَّه يُنجب ؛ فقالوا : والله ما له غير ميَّادة ، فبنوا لها بيتاً وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرَّمَّاح بثوبان وخبيل وبشير بني أبرد ، وكانت أوَّل نساؤه وآخرهنَّ ، وكانت امرأة صِدق ، ما رُميت بشيء ولا سُبَّت إلا بنهبل .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي]

قال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي في هجائه ابن ميَّادة :

لعمري لئن شابت حليلاً نهبل
لبئس شبابُ المرء كان شبابُها
ولم تدرِ حمراء العجان أنْهبل⁴
أبوه أم المرِّي تبَّ تبابُها

[هجا بني مازن فردَّ عليه رجل منهم]

قال أبو داود : وكان ابن ميَّادة هجا بني مازن وفزارة بن ذبيان ، وذلك أنَّهم ظلموا بني الصارد ، والصارذ من مرَّة ، فأخذوا مألهم⁴ وغلبوهم عليه حتَّى الساعة ؛ فقال ابن ميَّادة⁵ :

فلأوردنَّ على جماعة مازن
ظلُّوا بذئ أركُ كأنَّ رؤوسهم
خيلاً مُقلَّصة الخصى ورجالا
شجرٌ تخطَّاه الربيع فحالاً⁶
فقال رجل من بني مازن يردُّ عليه :

يا ابن الخبيثة يا ابن طَلَّة نهبل
هلاً جمعت كما زعمت رجالا

1 ضلَّة : امرؤ لا خير فيه ، وقد تقرأ «صلة» بالصاد المهملة .

2 الرث : سفلة الناس .

3 أقعسها : جعلها قعساء وهي التي تكون نائمة الصدر .

4 ل : فأخذوا ماء لهم .

5 شعر ابن ميَّادة : 198 (عن الأغاني) .

6 ذو أرك : واد باليمامة .

أَبْطَرُ مَيَّدةٌ أُمٌ بِخُصْيَيْ نَهْبلٍ أُمٌ بِالْفُساةِ تُنَازِلُ الأَبْطالاً
ولكن وردت على جماعة مازن تبغي القتال لتلقين قتالا

[يفتخر بأمه وأبيه]

قال : وبنو مرةُ يُسمّون الفُساةَ لكثرة امتيارهم التمر ، وكانت منازلهم بين فَذَكْ وخيبر فلقبوا بذلك لأكلهم التمر . وقال يحيى بن عليّ في خبره ، ولم يذكره عن أحد : وقال ابن ميادة يفتخر بأمه¹ :

أنا ابن مَيَّدةَ تَهْوِي نُجُبِي صَلَّتُ الجَبِينَ حَسَنُ مُرْكَبِي
ترفعني أُمِّي وينميني أُمِّي فوق السحابِ ودُورِنَ الكوكبِ

[يفخر بأبيه في العرب وبأمه في العجم]

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفزاريّ : إنّ ابن مَيَّادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم² :

أليس غلامٌ بين كِسرى وظالمٍ أَكْرَمَ مَنْ نِيْطَتْ عَلَيْهِ التَّمائِمُ
لو أنّ جميعَ الناسِ كانوا بَتْلَعَةَ وَجِئْتُ بِجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمٍ
لَظَلْتُ رِقَابُ الناسِ خاضِعَةً لنا سُجُوداً على أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ

[سمع الفرزدق شيئاً من شعره فاتحله]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّانَ دِماذ عن أبي عبيدة قال : كان ابن مَيَّادة واقفاً في الموسم يُنشد :

لو أنّ جميعَ الناسِ كانوا بَتْلَعَةَ

وذكر تمام البيت والذي بعده . قال : والفرزدق واقفٌ عليه في جماعة وهو مُتَلَثِّمٌ ، فلمّا سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يا ابن أبرد صاحب هذه الصفة ؟ كذبت والله وكذب مَنْ سمع ذلك منك فلم يُكذِّبْك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فِرَاس ؛ فقال : أنا والله أولى بهما منك ، ثم أقبل على راويته فقال : اضممهما إليك :

لو أنّ جميعَ الناسِ كانوا بَتْلَعَةَ وَجِئْتُ بِجَدِّي دارِمٍ وابنِ دارِمٍ
لَظَلْتُ رِقَابُ الناسِ خاضِعَةً لنا سُجُوداً على أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ

1 شعر ابن مَيَّادة : 70 .

2 شعر ابن ميادة : 227 .

قال : فأطرق ابن ميادة فما أجابه بحرف ، ومضى الفرزدق فانتحلهما .

[كان له أخوان شاعران]

أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي داود قال : أم بني ثوبان ، وهم أبرد أبو ابن ميادة والعوثبان وقريض وناغضة ، وكان العوثنان وقريض شاعرين ، أمهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى .

[مهاجته لعقبة بن كعب بن زهير]

ويقال : إن الشعر أتى ابن ميادة عن أعمامه من قبل جدّهم زهير . قال إسحاق في خبره هذا : وحدثني حميد بن الحارث أن عقبة بن كعب بن زهير نزل المليحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بغيراً ، وبلغ ابن ميادة أن عقبة قال في ذلك شعراً ، فقال ابن ميادة يردّ عليه¹ : [من الكامل]

ولقد حلفتُ بربِّ مكّة صادقاً لولا قرابةُ نسوةٍ بالحاجرِ
لكسوتُ عُقبةَ كُسوةٍ مشهورةٍ تردُّ المناهلَ من كلامٍ عائرٍ

وهي قصيدة ؛ فقال له عقبة :

ألوّماً أنّني أصبحتُ خالاً وذكرُ الخالِ ينقصُ أو يزيدُ
لقد قلّدتُ من سلمى رجلاً عليهم منحةٌ وهم العبيدُ

فقال ابن ميادة² :

إن تكُ خالنا فقُبِحتْ خالاً فأنت الخالُ تنقصُ لا تزيدُ³
فيوماً في مُزينةٍ أنت حرٌّ ويوماً أنت محتدك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يلقى هواناً ويؤكلُ ماله العبدُ الطريدُ⁴

[أوصاف ابن ميادة]

قال إسحاق فحدثني عكرمة⁵ قال : كان ابن ميادة أحمر سبطاً⁶ عظيم الخلق طويل اللحية ، وكان لباساً عطراً ، ما دنوت من رجلٍ كان أطيب عَرَفاً منه .

1 شعر ابن ميادة : 157 .

2 شعر ابن ميادة : 108 .

3 فقُبِحت في ل : قُبِحت .

4 يلقى في ل : يلقوا .

5 ل : عكرمة .

6 سبطاً : طويلاً حسن الاستواء .

[مقارنة بينه وبين النابغة]

قال إسحاق : وحدثني أبو داود قال : سمعت شيخاً عالماً من غطفان يقول : إن كان الرَّمَّاح لأشعر غطفان في الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقيس ، وكان النابغة إنما يَهْدِي باليمن مضللاً حتى مات .

[كثير السقط في شعره]

قال إسحاق : وحدثني أبو داود أن بني ذبيان تزعم أن الرَّمَّاح بن ميادة كان آخر الشعراء . قال إسحاق : وحدثني أبو صالح الفزاري أن القاسم بن جندب الفزاري ، وكان عالماً ، قال لابن ميادة : والله لو أصلحت شعرك لذكرت به ، فإني لأراه كثير السَّقَط ؛ فقال له ابن ميادة : يا ابن جندب ، إنما الشعر كنبل في جفكيرك¹ ترمي به الغرض ، فطالع وواقع وعاصد² وقاصد .

[كان في أيام هشام وبقي إلى خلافة المنصور]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان ابن ميادة حديث العهد لم يدرك زمان قتيبة بن مسلم ، ولا دخل فيمن عناه حين قال : «أشعر قيس الملقَّبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان» ، ولكنه شاعر مُجِيد كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور .

[مدح بني أمية وبني هاشم]

أخبرنا يحيى بن علي قال : كان ابن ميادة فصيحاً يُحتجُّ بشعره ، وقد مدح بني أمية وبني هاشم : مدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان .

[علم أنه شاعر حين وافق الخطبة في بيت قاله]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أخبرني طمَّاح ابن أخي الرَّمَّاح بن ميادة قال : قال لي عمي الرَّمَّاح : ما علمتُ أنني شاعرٌ حتى واطأت³ الخطبة ، فإنه قال :

عفا مُسْحَلان من سُلَيْمى فحامِرة تَمْشَى به ظِلْمائنه وجآذرة
فوالله ما سمعته ولا رويته فواطأته بطبعي فقلت :

[من الطويل]

1 الجفير : جعبة السهام .

2 عاصد : حائد عن الهدف .

3 واطأ : وافق .

فدو العُشَّ والممدورُ أصبحَ قايماً تَمْشَى به ظُلُمَانُهُ وَجَادِرُهُ
فلَمَّا أنشدتها قيل لي : قد قال الخطيئة :

تَمْشَى به ظُلُمَانُهُ وَجَادِرُهُ

فعلمتُ أَنِّي شاعرٌ حينئذٍ .

[كان ينسب بأم جحدر]

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني موسى بن زهير بن مُضَرَّس قال : كان الرماح بن أبرد المعروف بابن مِيَادَة يَنْسُبُ بأم جحدر بنت حَسَّان المُرِّيَّة إحدى نساء بني جذيمة ، فحلف أبوها لِيُخْرِجَهَا إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ؛ فَقَدِمَ عليه رجلٌ من الشام فزوجه إياها ؛ فلقى عليها ابن مِيَادَة شدة ، فرأته وما لقي عليها ، فأتاها نساؤها يَنْظُرُنَ إليها عند خروج الشامي بها . قال : فوالله ما ذكُرَنَ منها جمالاً بارعاً ولا حُسناً مشهوراً ، ولكنها كانت أكسبَ الناسَ لعجب . فلَمَّا خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن مِيَادَة يقول² :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرًا
إِذَا نَزَلْتُ بَصْرَى تَرَخِي مَزَارُهَا وَأَعْلَقَ بَوَابَانِ مِنْ دُونِهَا قَصْرًا³
فَهَلْ تَأْتِينِي الرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِنًا بَرِيَاكِ تَعْرَوْرِي بِهَا جَرَعًا عَفْرًا

قال الزبير : وزادني عَمِّي مُصْعَبُ فِيهَا :

فَلَوْ كَانَ نَذْرٌ مُدْنِيًا أُمِّ جَحْدَرٍ إِلَيَّ لَقَدْ أُوجِبْتُ فِي عُنُقِي نَذْرًا⁴
أَلَا لَا تَلْطِي السَّرَّ يَا أُمِّ جَحْدَرٍ كَفَى بَذْرًا الْأَعْلَامُ مِنْ دُونِنَا سِتْرًا⁵
لَعَمْرِي لئن أُمْسَيْتِ يَا أُمِّ جَحْدَرٍ نَأَيْتِ لَقَدْ أَبْلَيْتِ فِي طَلَبِ عُذْرَا
فَبَهْرًا لِقَوْمِي إِذْ يَبْعُونَ مُهْجَتِي بَغَانِيَةً بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرًا⁶

قال الزبير : بَهْرًا هَاهُنَا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما ينهرهم ، كما تقول :

1 ذو العُش : من أودية العقيق ؛ الممدور : اسم موضع في ديار غطفان . الفاوي : المَقْفَر .

2 شعر ابن مِيَادَة : 134 (س اختلاف في الترتيب) وانظر فرحة الأديب 67 ، 68 - 70 .

3 الشطر الأول في شعر ابن مِيَادَة : إذا جاوزت بصرى تقطع وصلها .

4 أوجبت في شعر ابن مِيَادَة : أودمت .

5 لَطَّ السَّر : أَرْخَاه .

6 شعر ابن مِيَادَة : تَفَاوَدَ قَوْمِي . . .

جَدْعًا وَعَقْرًا . وفي أوّل هذه القصيدة ، على ما رواه يحيى بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن حُمَيْد بن الحارث ، يقول :

[من الطويل]

ألا لا تَعُدْ لي لَوْعَةً مثلُ لَوْعَتِي عليكِ بأذمي والهوى يَرْجِعُ الذُّكْرَا
عَشِيَّةُ الْوَيْ بالِرْدَاءِ على الحَشَا كأنَّ رِدَائِي مُشْعَلٌ دُونَهُ جَمْرَا

[تزوج أم جحدر وشعر ابن ميادة في ذلك]

قال حُمَيْد بن الحارث : وأمّ جحدر امرأة من بني رَحْل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النّعاميّ : أنّ أمّ جحدر كانت امرأة من بني مرة ثم من بني رحل ، وأنّ أباه بلغه مصير ابن ميادة إليها ، فحلف ليزوّجها رجلاً من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلاً من أهل الشام فاهتداها¹ وخرج بها إلى الشام ، فتبعها ابن ميادة حتى أدركه أهل بيته فردّوه مُصْنَعًا لا يتكلّم من الوجد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها :

[من الطويل]

خَلِيلِيّ مِنْ أُنْبَاءِ عُدْرَةٍ بَلَّغَا رسائلَ مَنْ لا تَزِيدُكَما وَقْرًا²
أَلَمَّا على تَيْمَاءِ نَسَأَلُ يَهُودَهَا فإنّ لدى تيماء من رَكْبِها خَبْرًا
وبالْغَمْرِ قد جازتْ وَجَازَ مَطِيُّهَا عليه فَسَلْ عن ذاك نَيَّانَ فالْغَمْرَا³
ويا لَيْتَ شِعْرِي هل يَحُلْنَ أَهْلُهَا وأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطُنِ اللَّوَى خُضْرَا

[قصّة عشقه لها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني أبو سعيد (يعني عبد الله بن شبيب) قال حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرّياحيّ العُدْرِيّ قال حدّثني عمر بن وهب العبّسيّ قال حدّثني زياد بن عثمان العَطْفانيّ من بني عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فَغَرَضْنَا⁴ من طُول الثَّوَاءِ ، فإذا أعرابيّ يقول : يا معشر العرب ، أَمَا مِنْكُمْ⁵ رجلٌ يَأْتِينِي أَعْلَلُهُ إِذْ غَرَضْنَا

1 اهتداها : تزوّجها .

2 أُنْبَاءِ في ل : أُنْباء .

3 الشطر الثاني في ل : فأسقى الغواذي بطن تبان فالغمرا .

4 غرضنا : سئنا .

5 ل : أَمَا فيكم .

من هذا المكان فأخبره عن أمّ جحدر وعني ؟ فجنّْتُ إليه فقلت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الرّماح بن أبرد ، قلت : فأخبرني ببدء أمركا ؛ قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتي فأعجبنتني ، وكانت بيني وبينها خلّة ، ثم إنّي عتبتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتهما فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليكِ مردود ؛ فقالت : ما قضى الله فهو خير . فلبثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتُ بهم نَجعةً فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأةٍ آخر لي : والله لئن دَنّتُ دارنا من أمّ جحدر لآتينها ولأطلبنَّ إليها أن تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن ردّته لا نَقضُته أبداً ؛ ولم يكن يومان حتى رجعوا ، فلمّا أصبحتُ غَدوتُ عليهم فإذا أنا بيتين نازلين إلى سند¹ أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجنّْتُ فسلمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأخرى ؛ فقالت : ما جاء بك يا رماح إلينا ؟ ما كنّا حسيّنا إلاّ أنّه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إنّي جعلتُ عليّ نَذراً لئن دَنّتُ بأمّ جحدر دارّ لآتينها ولأطلبنَّ منها أن تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لا نَقضُته أبداً ، وإذا التي تكلمني امرأةٌ أخيها وإذا الساكنة أمّ جحدر ؛ فقالت امرأةٌ أخيها : فادخلْ مقدّم البيت فدخلت ، وجاءت فدخلت من مؤخره فدَنّت قليلاً ، ثم إذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غرابٌ فنَعَبَ على رأس الأبرق فنظرتُ إليه وشهَقْتُ وتغيّر وجهها ؛ فقلت : ما شأنك ؟ قالت : لا شيء ؛ قلت : بالله إلاّ أخبرتني ؛ قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلاّ ببلد غير هذا البلد ؛ فتقبّضت نفسي ، ثم قلت : جاريةٌ والله ما هي في بيت عِيافة ولا قِيافة ، فأقمتُ عندها ، ثم تروّحتُ إلى أهلي فمكثتُ عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها ، فقالت لي امرأةٌ أخيها : ويحك يا رماح ؛ أين تذهب ؟ فقلت : إليكم ؛ فقالت : وما تريد ؟ قد والله زوّجتُ أمّ جحدر البارحة ، فقلت : بمنّ ويحك ؟ قالت : برجل من أهل الشام من أهل بيتها ، جاءهم من الشام فخطبها فزوّجها وقد حُمِلتُ إليه ، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرّاقاتٍ ، فجلستُ إليه فأنشدته وحدثته وعدتُ إليه أيّاماً ، ثم إنّه احتملها فذهب بها فقلت² :

أجارَتنا إنّ الخطوبَ تنوبُ علينا وبعضَ الآمين تُصيبُ
أجارَتنا لستُ الغداةَ بيارح ولكنّ مُقيماً ما أقامَ عسيبُ
فإنّ تسأليني هل صَبَرْتَ فإنّني صَبُورٌ على رَبِّ الزمانِ صليبُ

1 السند : ما ارتفع من قبل الوادي .

2 لعلّ هذا وهم ؛ إذ لم يكن ابن ميادة يهتدم أشعار غيره .

قال علي بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابن ميادة فأخذها بأعينها ، أمّا البيتان الأولان فهما لامرئ القيس قاهما لَمَّا اخْتَضِرَ بِأَنْقَرَةَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَهُوَ : [من الطويل]

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبَ تَنْوِبُ وَأَنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
والبيت الثالث لشاعر¹ من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيلَ بن أبي طالب ، فنقله ابن ميادة نقلاً . ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة² : [من الطويل]

جَرَى بِأَنْبِتَاتِ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ جَحْدَرٍ ظَبَاءٌ وَطِيرٌ بِالْفِرَاقِ نَعُوبُ
نَظَرْتُ فَلَمْ أَعْتَفْ وَعَافَتْ فَبَيَّنْتُ لَهَا الطِيرُ قَبْلِي وَاللَّيْسُ لِيْبُ
فَقَالَتْ حَرَامٌ أَنْ نَرَى بَعْدَ هَذِهِ جَمِيعَيْنِ إِلَّا أَنْ يُلِمَّ غَرِيبُ
أَجَارَتْنَا صَبْرًا فَيَا رَبُّ هَالِكٍ تَقَطَّعَ مِنْ وَجَدٍ عَلَيْهِ قَلُوبُ
[رحل إلى الشام لرؤيتها فردته]

قال : ثم انحدرت في طلبها ، وطمعت في كلمتها : «إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد» . قال : فجمعت فدرت الشام زماناً فلتقاني زوجها فقال : ما لك لا تغسل ثيابك هذه ؟ أرسل بها إلى الدار تغسل ، فأرسلت بها ؛ ثم أتني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أم جحدر لجارتها : إذا جاء فأعلميني ؛ فلما جئت إذا أم جحدر وراء الباب فقالت : ويحك يا رمّاح ؛ قد كنت أحسب أن لك عقلاً ؛ أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه ؟ انصرف إلى عشيرتك فأتني أستحيي لك من هذا المقام ؛ فانصرفت وأنا أقول³ : [من الطويل]

صوت

عَسَى إِنْ حَجَجْنَا أَنْ نَرَى أُمَّ جَحْدَرٍ وَيَجْمَعُنَا مِنْ نَخْلَتَيْنِ طَرِيقُ
وَتَصْطَلِّكَ أَعْضَادُ الْمَطِيِّ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ مُسَرٌّ دُونَ كُلِّ رَفِيقِ
في هذين البيتين لحن من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحجبي .

وقال حين خرج إلى الشام ، هذه رواية ابن شبيب⁴ : [من الطويل]

1 ل : لرجل .

2 لم ترد هذه الأبيات في ما جمع من شعره .

3 شعر ابن ميادة : 175 .

4 ل : حبيب .

ألا حياءَ رَسْماً بذِي العُشِّ مُقْفِراً
فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أنِّي
عشيةٌ أثْنِي بالرداءِ على الحَشَى
يَمِيلُ بنا شحطُ النوى ثم نلتقي
وبالغَمْرِ قد جازتُ وِجَازَ مطيِّها
خَلِيلِي من غَيْظٍ بنِ مُرَّةٍ بَلْغَا
ألا ليت شعري هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعاً أمَّ جَحْدَرٍ
وإني لاستنشِي الحديثِ من آجلِها
وإني لأستحيي من الله أن أرى
وربعاً بذِي المَمْدُورِ مستعجماً قَفْراً
إذا ما أَتَيْتُ الدارَ تَرَجِعُنِي صَفْراً
كَأَنَّ الحَشَى من دُونِهِ أُسْعِرَتْ جَمْراً
عِدَادُ الثُّرَيَّا صادفتُ لَيْلَةً بَذْراً
فأُسْقَى الغَوَادِي بَطْنُ نَيَّانَ فالغَمْرَا
رسائلَ منِّي لا تَزِيدُكُما وقْراً
سَبِيلٌ ، فأما الصبرُ عنها فلا صَبْراً
عليّ لقد أُوذِمْتُ في عُقْبي نَذْراً¹
لأُسمَعَ منها وهي نازحةٌ ذِكْراً
إذا غَدَرَ الخُلَّانُ أنوي لها غَدْراً

أخبرني محمد بن مَرْزِد قال حَدَّثَنَا حَمَّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن مَيَّادَة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت :

[من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الصَّارِدِيَّةَ جاورَتْ
ثلاثاً فلمَّا أن أصابتُ فَوادَه
بأَصْهَبَ يَرْمِي للزَّمامِ برأسِه
جلتُ إذ جلَّتْ عن أهلِ نَجْدٍ حميدةٌ
وقالت وما زادتُ على أن تَبَسَّمْتُ
عَدِمْتُ الهوى ما يَترَحُ الدهرُ مُقْصِداً
وقد كان قلبي ماتَ للوَجْدِ مَوْتَةً
لياليَ بالمَمْدُورِ غيرَ كَثِيرٍ²
بِسَهْمَيْنِ من كُحْلِ دَعَتْ بِهِجِيرِ
كَأَنَّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبيْرِ
جَلَاءَ غَنِيٍّ لا جَلَاءَ فقيرِ
عَذِيرِكَ من ذِي شَيْبَةٍ وَعَذِيرِي
لقلبي بِسَهْمٍ في اليدين طَرِيرٍ³
فقد هَمَّ قلبي بَعْدَها بَنُشُورِ

قال : فقلت لأبي داود : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابن مَيَّادَة ، والله ما جُلِيتُ إلا على حمار وهو يذكر بعيراً وَيَصِفُهُ وَأَنَّها جُلِيتُ جَلَاءَ غَنِيٍّ لا جَلَاءَ فقيرِ ، فَأَنْطَقَهُ الشَّيْطَانُ بهذا كُلُّهُ كما سمعت .

أخبرني الحِرْمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي موسى بن زهير قال : مكثتُ أمُّ

1 أُوذِمْتُ في ل : أوجبت .

2 الصَّارِدِيَّة : نسبة إلى بني صارِد وهم حي من مُرَّة .

3 مقصِد : مصيب . السهم الطير : المَحْدَد .

جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجها عنها ومات ولدها منه ، فقَدِمَتْ نجداً على إختوتها وقد مات أبوها .

[قص على سيار خبره معها حتى تزوجت]

أخبرني سيار بن نجيح المزني قال : لقيتُ ابن ميادة وهو يبكي فقلت له : ويحك ؛ ما لك ؟ قال : أخرجتني أم جحدر وآلت يميناً ألا تكلمني ، فانطلق فاشفع لي عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رواقَ بيتها فوجدتها وهي تدمك جريراً لها بين الصلابة والمدق تريد أن تخطم به بعيراً تحج عليه ؛ فقالت : إن كنت جئت شقيقاً لابن ميادة فبيتي حرام عليك أن تلقني فيه قدمك . قال : فحججت ، ولا والله ما كلمته ولا رآها ولا رأيته . قال موسى قال سيار : فقلت له : اذكر لي يوماً رأيته منها ؛ فقال لي : أما والله لأخبرنك يا سيار بذلك : بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلت : هل ترين من رجال ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيته من رجل ؛ فألقيت رجلي على ناقتي ثم أرسلتها حتى أنحنتها بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلت أقيد الناقة ، فما كان إلا ذاك حتى دخلتُ وقد ألقيت لي فراشاً مرقوماً مطموماً ، وطرحت لي وسادتين على عجز الفِراش وأخريين على مقدمه ؛ قال : ثم تحدثنا ساعةً وكأنما تلغيني بحديثها الربُّ¹ من حلاوته ، ثم إذا هي تصبُّ في عسٍّ مخضوبٍ بالحِنَّاءِ والزعفران من ألبان اللقاح ، فأخذتُ منها ذلك العسَّ وكأنه قناة فراوحتهُ بين يدي ، ما ألقمته فمي ولا دريتُ أنه معي حتى قالت لي عجوز : ألا تصلي يا ابن ميادة لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار² ! ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة ؛ قال : فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلمتها فيه حتى زوجها أبوها ، وهو أظرف ما كان بيني وبينها .

أخبرني الحارثي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حكيم بن طلحة الفزاري ثم المنظوري قال : قال ابن ميادة : إني لأعلم أقصر يومٍ مرَّ بي من الدهر ؛ قيل له : وأيُّ يوم هو يا أبا الشرحبيل ؟ قال : يومٌ جئتُ فيه أم جحدر باكراً فجلستُ بفناء بيتها فدعت لي بعسٍّ من لبن فأتيتُ به وهي تحدثني ، فوضعتُ على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثها إن شربت ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني صلاة الظهر وما سربت .

قال الزبير : وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره : وقال ابن ميادة فيها أيضاً³ :

1 ل : الزيد .

2 ل : الرجال .

3 شعره : 150-149 عن الأغاني .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الصَّارِدِيَّةَ جَاوَرَتْ
ثَلَاثًا فَلَمَّا أَنْ أَصَابَتْ فُؤَادَهُ
بَأَحْمَرَ ذِيَالِ الْعَسِيبِ مَفْرَجٍ
حَلَفْتُ بَرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مِنَى
لَقَدْ كَادَ حُبُّ الصَّارِدِيَّةِ بَعْدَمَا
يَكُونُ سَفَاهًا أَوْ يَكُونُ ضِمَانَةً
عَدِمْتُ الْهَوَى لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ مُقْصِدًا
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي مَاتَ لِلْحُبِّ مَوْتَةً
جَلَّتْ إِذْ جَلَّتْ عَنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَمِيدَةً
وَمَّا يَغْنَى فِيهِ مِنْ أَشْعَارِ ابْنِ مِيَادَةَ فِي النَّسِيبِ بِأَمِّ جَحْدَرٍ [قوله]² : [من الطويل]

صوت

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى وَالتَّذَكُّرِ
وَعَيْنِ قَدَى إِنْسَانِهَا أُمِّ جَحْدَرٍ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لَمْ يَطِرْ
وَلَا كَضُلُوعٍ فَوْقَهُ لَمْ تُكْسِرْ
الْغَنَاءَ لِإِسْحَاقٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى .

[جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسع شعره]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَكِيمُ بْنُ طَلْحَةَ
الْفَزَارِيُّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ قَالَ : جَنَيْتُ جَنَابَةً فَعَرِمْتُ فِيهَا ، فَنَهَضْتُ إِلَى أَخْوَالِي بَنِي مُرَّةٍ
فَاسْتَعْتَهُمْ فَأَعَانُونِي ، فَأَتَيْتُ سَيَّارَ بْنَ نَجِيحٍ أَحَدَ بَنِي سَلَمَى بْنِ ظَالِمٍ فَأَعَانَنِي ، ثُمَّ قَالَ :
انْهَضْ بِنَا إِلَى الرَّمَّاحِ بْنِ أَبْرَدَ ، يَعْنِي ابْنَ مِيَادَةَ ، حَتَّى يُعِينَكَ ، فَدَفَعْنَا إِلَى بَيْتَيْنِ لَهُ ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ
فَقِيلَ : ذَهَبَ أَمْسَ ؛ فَقَالَ سَيَّارُ : ذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ لِبَنِي سُهَيْلٍ ، فَخَرَجْنَا فِي طَلَبِهِ فَوَقَعْنَا عَلَيْهِ فِي
قَرَارَةٍ³ بِيضَاءَ بَيْنِ حَرَّتَيْنِ ، وَفِي الْقَرَارَةِ غَنَمٌ مِنَ الضَّأْنِ سُودٌ وَبَيْضٌ ، وَإِذَا حِمَارٌ مُقَيَّدٌ مَعَ الْغَنَمِ
وَإِذَا بِهِ مَعَهَا ، فَجَلَسْنَا إِذَا شَابَّةٌ حُلُوةٌ صَفْرَاءُ فِي دُرَاعَةٍ مُورَسَةٍ ، فَسَلَّمْنَا وَجَلَسْنَا ؛ فَقَالَ :
أُنْشِدِيهِمْ مِمَّا قُلْتَ فَيْكَ شَيْئًا ؛ فَأُنْشَدْتُنَا⁴ :

[من الطويل]

1 تقدّم هذا البيت برواية أخرى .

2 شعر ابن ميادة : 156 .

3 القرارة : المطمئن من الأرض .

4 شعر ابن ميادة : 204 .

يُمنُونَنِي مِنْكَ اللِّقَاءُ وَإِنِّي
إِلَى ذَاكَ مَا حَارَتْ أُمُورُكَ وَانْجَلَتْ
إِذَا حَلَّ أَهْلِي بِالْجَنَابِ وَأَهْلُهَا
أَقْلُ خُلَّةً بَانَتْ وَأَدْبَرَ وَصْلُهَا
وَحَالَتْ شُهُورُ الصَّيْفِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَقُولُ لَعَذَائِي لِمَا تَقَابَلَا
لَا تُكْثِرُوا عَنْهَا السُّؤَالَ فَإِنَّهَا
مِنَ الصُّفْرِ لَا وَرْهَاءَ سَمَجٍ ذَلَالُهَا
وَلَكِنَّهَا رِيحَانَةٌ طَابَ نَشْرُهَا
لَأَعْلَمُ لَا أَلْفَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
غَيَايَةُ حُبِّكَ انْجِلَاءُ الْمَخَايِلِ¹
بَحِثِ التَّقَى الْغُلَّانُ مِنْ ذِي أُرَائِلِ
تَقَطَّعَ مِنْهَا بَاقِيَاتُ الْحَبَائِلِ²
وَرَفَعُ الْأَعَادِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
عَلَيَّ بَلَوْمٍ مِثْلَ طَعْنِ الْمَعَالِلِ
مُصَلِّصَةً مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الصَّلَاصِلِ³
وَلَيْسَتْ مِنَ السُّودِ الْقِصَارِ الْحَوَائِلِ
وَرَدْتُ عَلَيْهَا بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

ثم قال لها : قومي فاطرحي [عنك] دراعتك ، فقالت : لا حتى يقول لي سيّار بن نجيح ذلك ، فأبى سيّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيت حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتها ، فما رأيت أحلى منها . فقال له سيّار : فما لك يا أبا الشرحبيل لا تشتريها ؟ فقال : إذا يفسد حبها .

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الحضري]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني مغيرة بنت أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زيان بن سيّار الفزارية قالت أخبرني أبي قال : جمعني وابن ميادة وصخر بن الجعد الحضري مجلس ، فأنشدنا ابن ميادة قوله :

يُمنُونَنِي مِنْكَ اللِّقَاءُ وَإِنِّي
لَأَعْلَمُ لَا أَلْفَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ صَخْرٌ فَقَالَ لَهُ : الْمَحَبُّ الْمَكْبُ يُرْجُو الْفَائِتَ وَيَغْمُّ الطَّيْرَ ، وَأَرَاكَ حَسَنَ الْعَزَاءِ يَا
أَبَا الشُّرْحَبِيلَ ؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ابْنُ مِيَادَةَ . قَالَ أَبُو عَدِيٍّ فَقُلْتُ : [من الرجز]

صَادَفَ دَرَّةُ السَّيْلِ سَيْلًا يَرْدَعُهُ
بِهَضْبَةٍ تَرُدُّهُ وَتَدْفَعُهُ
ويروى : دَرَّةُ السَّيْلِ سَيْلٌ ، فَقَالَ لِي : يَا أبا عَدِيٍّ ، وَاللَّهِ لَا أَتَلَطَّخُ بِالْخَضِرِ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ قَالَ
أَخُو عُذْرَةَ :

1 الغاية : كل ما يظل من سحاب ونحوه .

2 بانء في ل : ناءت .

3 مصلصة : مصونة كالحمام .

هو العبدُ أقصَى هُمٍّ أن تُسَبَّهُ وكان سيابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ
قال الزبير : قوله يغمّ الطير يقول : إذا رأى طيراً لم يزجرها مخافةً أن يقع ما يكره .
قال : فلم يُجَزَّ إليه صخر بن الجعد جواباً . يعني بقوله : « لا أتلطخ بالخضر مرتين »
مُهاجاته الحَكَمَ الخُضريّ ، وكانا تَهَاجِيَا زماناً ثم كفَّ ابن ميادة وسأله الصلحَ فصالحه
الحَكَمُ .

[ابن ميادة والحكم الخضري]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني أبو مسلمة
موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأَحول التَغْلبيّ ثم الخولانيّ قال : كان أوّل ما بدأ
الهجاء بين ابن ميادة وحَكَمَ بن مَعمر الخُضريّ أنّ ابن ميادة مرّ بالحَكَمَ بن مَعمر وهو
يُنشد في مصلّى النبي ﷺ في جماعة من الناس قوله : [من الكامل]

لمن الديارُ كأنّها لم تُعَمِّرْ بين الكِناسِ وبين بُرقٍ مُحَجَّرٍ¹
حتى انتهى إلى قوله :

يا صاحبيّ أَلَمْ تَشِيماً بارِقاً نُضِجَ الصُّرَادُ بِهِ فَهَضْبُ الْمُنْحَرِ²
قد بتُّ أَرْقُبُهُ وبات مصعداً نَهَضَ الْمُقَيَّدُ فِي الدَّهَاسِ الْمُوقَرِ³

فقال [له] ابن ميادة : ارفعْ إليّ رأسك أيّها المنشد ، فرفع حَكَمَ إليه رأسه ؛ فقال
له : من أنت ؟ قال : أنا حَكَمَ بن مَعمر الخُضريّ ؛ قال : فوالله ما أنت في بيتٍ حسبٍ ،
ولا في أرومةٍ شِعْرٍ ؛ فقال له حَكَمَ : وماذا عِبتَ من شعري ؟ قال : عِبتُ أنّك أذهستَ
وأوقرتَ ؛ قال له حَكَمَ : ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميادة ؛ قال : ويحك ! فلم رَغِبتَ عن
أبيك وانتسبتَ إلى أُمِّك ؟ فَبَحَّ اللهُ والدينَ خيرُهُما مَيّادَ ، أمّا والله لو وجدتَ في أبيك خيراً
ما انتسبتَ إلى أُمِّك راعيةَ الضأن . وأمّا إِذْهَاسِي وإيقاريّ فإني لم آتِ خَيْرَ إِلَّا مُمْتاراً لا
مُتَحامِلاً⁴ ، وما عدوتُ أن حَكِيتَ حالَكَ وحالَ قومِكَ ، فلو كنتَ سكتَ عن هذا لكان
خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا إلّا عن هِجاء .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال حدّثني
عُمير بن ضمرة الخُضريّ قال : أوّل ما هاج الهجاء بين ابن ميادة وبين حَكَمَ بن معمر بن

1 الكناس والمحجر : موضعان .

2 الصراد وهضب المنحر : موضعان .

3 الدهاس : الأرض السهلة اللينة تغوص فيها الرجل ؛ والموقر : الثقل الحمل ، وهي نعت للمقيد .

4 متحامل : الذي يحمل بالأجرة .

قَبْرُ بن جِحَاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب ، قال : والخضر ولد مالك بن طريف ، سُمُوا بذلك لأنَّ مالكاً كان شديد الأذمة ، وكذلك خرج ولده فسُمُوا الخضر ، أنَّ حَكَمًا نزل بِسُمَيْرِ بن سَلَمَةَ بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمرو وهو خُصَيْلَة بن مَرَّة ، فأقبل ابن ميادة إلى حَكَمَ لِيَعْرِضَ عليه شعره وليسمع من شعره ، وكان حَكَمَ أَسْنَهُما ، فأنشدا جميعاً جماعة القوم ، ثم قال ابن ميادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتُهُما يا حَكَمَ ؟ قال : أو ما أعجبك من شعري إلَّا بيتان ؟ فقال : والله لقد أعجباني ، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حَكَمَ : فأَيُّ بيتين هما ؟ قال : حين تُساهِمُ بين ثوبيهما وتقول :

فوالله ما أدري أزيدت مَلاحَةً وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقلٌ
تساهِمُ ثوبهاها ففي الدَّرْعِ غَاذَةً وفي المِرْطِ لِفَاوَانٍ رَدْفُهُما عِبْلٌ¹

فقال له حَكَمَ : أو ما أعجبك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميادة : قد أعجباني ، فقال : أو ما في شعري ما أعجبك غيرُهُما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حَكَمَ : فإني سوف أُعيبُ عليك قولك :

ولا برح الممدور رَيَّانٌ مُخْصِيًّا وجيدٌ أعالي شِعبه وأسافلُهُ²
فاستسقيت لأعلاه وأسفلَه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال : وأيُّ شيء تريد ؟ تركته لا يزال رَيَّانٌ مُخْصِيًّا : وتهاترا فغضب حَكَمَ فارتحل ناقته وهذر ثم قال :

فإنه يومٌ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ

فقال رجل من بني مَرَّة لابن ميادة : اهدير كما هذر يا رَمَاح ، فقال : إنما يَغِطُّ الْبَكْرُ .
ثم قال الرَّمَاح :

فإنه يومٌ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ مَنْ كان منكم ناكِرًا فقد نَكَزَ
وبينَ الطَّرْفِ النَّجِيبُ فَبَرَزَ

قال الزبير : يريد بقوله ناكِرًا : غائضًا قد نَزَفَ . قال الزبير : وسمعت رجلاً من أهل البادية يَنزِعُ على إبلٍ له كثيرة من قَلِيبٍ ويرتجز :

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسِيفًا أو يكن البحرُ لها حَلِيفًا

قال الزبير قال الجُمَحِيُّ قال عُمَيْرُ بن ضَمْرَةَ : فهذا أول ما هاج التهاجي بينهما .

1 عادة في ل : رادة .

2 جيد : سقي مطراً غزيراً .

[فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم وعملس]

قال الزبير قال الجُمَحِيّ : وحدّثني عبد الرحمن بن ضبعان المحاربيّ قال : كان ابن ميادة وحكم الخُضريّ وعملس بن عقيل بن علفّة متجاورين متحالين ، وكانوا جميعاً يتحدثون إلى أم جحدر بنت حسان المريّة ، وكانت أمها مولاة ، ففضّلت ابن ميادة على الحكم وعملس فغضبا . وكان ابن ميادة قال في أم جحدر :

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر
ويا ليت شعري هل يحلن أهلها
سبيل فأمّا الصبرُ عنها فلا صبرا
وأهلك روضات بطن اللوى خضرا

وقال فيها أيضاً :

إذا ركّدت شمسُ النهارِ ووضعتْ
الأبيات ؛ فقال عملس بن عقيل وحكم الخُضريّ يهجوونها ، وهي تُنسب إلى حكم :

لا عوفيت في قبرها أم جحدر
كما حادثت عبداً لثيماً وخلّته
ولا لقيت إلا الكلابيّ والجمرأ
فيا ليت شعري هل رأت أم جحدر
وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأت
وبالغمر قد صرّت لقاحاً وحادثت
من الزاد إلا حشو ريطاته صفرأ
أكشك أو ذاق مغابك القشراً¹
قفا أم رمّاح إذا ما استقت ذفراً²
عبيداً فسئل عن ذاك نيان فالغمرأ

وقال عملس بن عقيل بن علفّة ويقال : بل قالها علفّة بن عقيل :

فلا تضعا عنها الطنافس إنما
يُقصّر بالمرمأة من لم يكن صقراً
وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حماد عن أبيه عن جرير بن ربّاط وأبي داود قال :
يُعرض بقوله : «من لم يكن صقراً» بابن ميادة أي إنه هجين ليس من أبوين متشابهين كما
الصقر . وبعدّه بيت آخر من رواية يحيى ولم يروه الزبير معه :

منعمّة لم تلق بؤساً وشقوةً
بنجدٍ ولم يكشف هجين لها سيرا
قالوا جميعاً : فقال ابن ميادة يهجو علفّة³ :

1 أكش : لعلها جمع كشّة على غير قياس وهي الخصلة من الشعر المغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والقشر : البرص أو الشديدة الحمرة .

2 دفرأ : دفعا .

3 شعر ابن ميادة : 143-144 .

أَعْلَفَ إِنَّ الصَّقَرَ لَيْسَ بِمُدْلَجٍ وَلَكِنَّهُ بِاللَّيْلِ مُتَّخِذٌ وَكْرًا
وَمُقْتَرِشٌ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ سَلْحَهُ إِذَا اللَّيْلُ أَلْقَى فَوْقَ خُرْطُومِهِ كِسْرًا
فَإِنْ يَكُ صَقْرًا بَعْدَ لَيْلَةٍ أُمَّهُ وَلَيْلَةَ جَحَافٍ فَأَفٌّ لَهُ صَقْرًا
تَشُدُّ بِكَفَيْهَا عَلَى جِذْلٍ أُيْرِهِ إِذَا هِيَ خَافَتْ مِنْ مَطِيئَتِهَا نَفْرًا

يريد أن أم علفة من بني أنمار، وكان أبوه عقيل بن علفة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جحاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها. وقال يحيى بن علي خاصة في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود: إن جحاف بن إباد كان رجلاً من بني قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة، وكان يتحدث إلى امرأة عقيل بن علفة، وهي أم ابنه علفة بن عقيل، ويتهم بها، وهي امرأة من بني أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها سلافة، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وكان عقيل من أغبر الناس، فربطها بين أربعة أوتاد ودهنها بإهالة¹، وجعلها في قرية نمل، فمر بها جحاف بن إباد ليلاً فسمع أنينها، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفدك، فاستعدت واليها على عقيل. وقام عقيل من جوف الليل فأوقد عسوة² ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جحاف فعرفه وتبعه حتى صبح القرية، وخنس جحاف عنها؛ فأتى الوالي فقال: إن هذه رأيتني قد كبرت [سني] وذهب بصري فاجترأت علي، وكان عقيل رجلاً مهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صهر بني مروان. قال: فعير ابن ميادة علفة بن عقيل بأمر جحاف هذا في قوله:

فَإِنْ يَكُ صَقْرًا بَعْدَ لَيْلَةٍ أُمَّهُ وَلَيْلَةَ جَحَافٍ فَأَفٌّ لَهُ صَقْرًا
قال: ولجَّ الهجاء بينهما. وقال فيه ابن ميادة وفي حَكَمِ الخُضْرِيِّ وقد عاون علفة:

لَقَدْ رَكِبَ الْخُضْرِيُّ مَنِيَّ وَتَرَبُّهُ عَلَى مَرَكَبٍ مِنْ نَائِبَاتِ الْمَرَائِبِ
وقال لعلفة³:

يَا ابْنَ عَقِيلٍ لَا تَكُنْ كَذُوبًا أُنْ شَرِبْتَ الْحَزَرَ وَالْحَلْبَا
مَنْ شَوْلَ زَيْدٍ وَشَمَمَتِ الطُّيَا جَهْلًا تَجَنَّيْتُ لِي الذُّنُوبَا

1 إهالة: شحم مذاب.

2 العسوة: النار يستضاء بها.

3 شعر ابن ميادة: 82-83 عن الأغاني.

قال : ثم لم يُلبَّه ابنُ ميادةُ أنْ غلبه ، وهاج التهاجي بينه وبين حَكَم الخُضريّ ، وانقطع عنه عُلفه مفضوحاً . قال : وماتت أمّ جحدر التي كان ينسب بها ابن ميادة على تفتة¹ ما كان بينه وبين عُلفه من المُهاجاة ، ونُعيت له فلم يُصدق حتى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عَمَّار فنعاه له ؛ فقال² :

ما كنتُ أحسبُ أن القومَ قد صدقوا حتى نعاها لي الرَّحليُّ عَمَّارُ
وقال يرثيها³ :

خَلْتُ شُعْبُ الْمَمْدُور لَسْتُ بواجدٍ به غيرَ بالٍ من عِضاهِ وَحَرَمَلٍ
تَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَى بِهِ أُمّ جَحْدَرٍ وماذا تَمَنَّى من صَدَى تَحْتِ جَنْدَلٍ
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ وَلَلْبَخْلُ خَيْرٌ مِنْ غَنَاءِ مُطَوَّلٍ

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة بن مرمي ، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه : أن ابن ميادة وحكماً الخُضريّ تواعدا المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها وجاء نفرٌ من قريش ، أمهاتهم من مرة ، إلى ابن ميادة فمنعوه من موافقة حَكَم ، وقالوا : أتعرض له ولست بكُفِّه فيشتم أمهاتنا وأخواننا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ، قال : وكان حَكَم يسجع سجعا كثيراً ، فقال : والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعا أفضح به فلم يلقه . وذكر الزبير له سجعا طويلاً غشاً لا فائدة فيه ، لأنه ليس برجز منظوم ولا كلام فصيح ولا مسجع سجعا مؤتلفاً كائتلاف القوافي ، إلا أن من أسلمه قوله : والله لئن ساجعتني سجعاً ، لتجدني شجاعاً ، للجار مناعاً ، ولأجدنك هياعاً ، للحسب مضياً ؛ ولئن باطشتك بطاشاً ، لأذهشك به إدهاشاً ، ولأدقن منك مُشاشاً ، حتى يجيء بولك رشاشاً . وهذا من غث السجع ورذله ، وإنما ذكرته ليُستدل به على ما هو دونه مما ألغيت ذكره . قال : ورجز به فقال⁴ :

يا معدن اللوم وأنت جبلة وآخر اللوم وأنت أوله
جارت سباقاً بعيداً مهله كان إذا جرى أباك يُفشله
فكيف ترجوه وكيف تأمله وأنت شرُّ رجلٍ وأنذله

1 على تفتة : على حين أو على إثر .

2 البيت مفرداً في مجموع شعره : 128 عن الأغاني .

3 شعر ابن ميادة : 212-213 .

4 شعر ابن ميادة : 217 .

الأُمه في مَأْزِقٍ وَأَجْهَلُهُ أَدْخَلَهُ بَيْتَ الْمُخَازِي مُدْخِلُهُ
فَاللُّؤْمُ سِرْبَالٌ لَهُ يُسْرِبُلُهُ ثَوْباً إِذَا أَنْهَجَهُ يُبَدِّلُهُ¹

فَأَجَابَهُ حَكَمٌ :

يَا ابْنَ التِّي جِيرَانَهَا كَانَتْ تَضُرُّ وَتَتَّبَعُ الشَّوْلَ وَكَانَتْ تَمْتَصِرُ
كَيْفَ إِذَا مَارَسَتْ حُرّاً تَنْتَصِرُ

ولهما أراجيز كثيرة طويلة جداً أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها .

[خرج الحكم إلى الرقم للقاء ابن ميادة ولما لم يلقه تهاجيا]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ مَنْ لَقِيتُ مِنَ
الْخُضَرِ : أَنَّ حَكَمًا الْخُضَرِيَّ خَرَجَ يَرِيدُ لِقَاءَ ابْنِ مِيَادَةَ بِالرَّقَمِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ فَلَمْ يَلْقَهُ ، إِمَّا
لَأَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْهُ وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَصَادِفْهُ ، فَقَالَ حَكَمٌ :

[من البسيط]

فَرَّ ابْنُ مِيَادَةَ الرَّقْطَاءُ مِنْ حَكَمٍ بِالصُّغْرِ مِثْلَ فِرَارِ الْأَعْفَدِ الدَّهْمِ²
أَصْبَحَتْ فِي أَقْرِ تَعْلُو أَطَاوِلَهُ تَفَرُّ مَنِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالرَّقَمِ³

وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي رَوَايَتِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ : قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَهْجُو حَكَمًا وَيَنْسَبُ بِأَمِّ

جَحْدَرٍ :

يُمْنُونَنِي مِنْكَ اللَّقَاءُ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ لَا أَلْقَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
وَقَدْ مَضَى أَكْثَرُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مُتَقَدِّمًا ، فَذَكَرْتُ هَاهُنَا مِنْهَا مَا لَمْ يَمْضِ وَهُوَ قَوْلُهُ :

[من الطويل]

فِيَا لَيْتَ رَثَّ الْوَصْلِ مِنْ أَمِّ جَحْدَرٍ لَنَا بِجَدِيدٍ مِنْ أَوْلَاكَ الْبَدَائِلِ
وَلَمْ يَنْقُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوُدِّ إِلَّا مُخْفِيَاتِ الرِّسَائِلِ
وَإِنِّي إِذَا اسْتَنْبَهْتُ مِنْ حُلُوِّ رَقْدَةٍ رُمِيتُ بِجَبِيهَا كَرَمِي الْمُنَاضِلِ

صوت

[من الطويل]

فَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَأَدْمُعُهَا يُذْهِبُ حَشْوُ الْمَكَاحِلِ

1 أنهجه : أبلاه وأخلقه .

2 الصغر : الذل . الأعقد : التيس في قرنه التواء وكذلك الكلب والذئب لانعقاد ذنبهما .

3 أقر : واد لبني مرة .

تمتّع بهذا اليوم القصير فإنه رَهينٌ بأيّامِ الدهورِ الأطاولِ
 الغناء في هذين البيتين لعلّي بن يحيى المنجّم ، ولحنه من الثقيل الثاني .
 وكنتُ امرءاً أُرْمِي الزوائلَ مرّةً فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائلِ
 وعطّلتُ قوسَ اللّهُ من سرّعانها وعادتُ سيّهامي بين رثٍ وناصيلِ
 السّرّعان : وتَرّ يعمل من عَقَبِ المتن ، وهو أطول العَقَبِ .

إذا حلَّ يَبْتِي بين بَدْرِ ومازِنِ ومُرّةً نَلْتُ الشَّمْسَ واشتدَّ كاهلي
 يعني بَدْر بن عمرو بن جُوَيْة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فزارة بن ذبيان ، ومُرّة بن
 عوف بن سعد بن ذبيان ، ومُرّة بن فزارة ، ومازن بن فزارة . وهي طويلة . قال أبو الفرج
 الأصبهاني : أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدَّ
 كاهلي» فقال :

عَطَسْتُ بِأَنْفِي شامخٍ وتناولتُ يَدَيَّ الثَّرِيّا قاعداً غيرَ قائِمِ
 ولَعَمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .
 وفي هذه القصيدة يقول :

فَضَّلْنَا قَرِيشاً غيرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وغيرَ بني مروانِ أَهْلِ الفضائِلِ
 [سُرّبه إبراهيم بن هشام لدعواه أنّه فضل قريشاً]

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب ، وأخبرني به الحسن بن
 علي عن أحمد بن زهير عن مُصْعَب قال : قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة : أنت
 فضلتَ قريشاً ؟ وجردّه فضربه أسواطاً .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : لما قال ابن ميادة : [من الطويل]

فَضَّلْنَا قَرِيشاً غيرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وغيرَ بني مروانِ أَهْلِ الفضائِلِ
 قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آلَ مُحَمَّدٍ قبلنا ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنّه
 يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمّا أفضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفد ابن ميادة إلى المنصور
 ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل
 المنصور يتعجّب .

[ابن ميادة والحكم الخضريّ بعريحاء]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال : حدّثني
 العباس بن سَمُرّة بن عَبَّاد بن شَمَّاح بن سَمُرّة عن رِجَّان بن سُوَيْد الخُضْرِيّ ، وكان راوية

حَكَمَ بن معمر الخُضْرِيّ ، قال : تواعد حَكَمٌ وابنُ مِيَادَةَ غُرَيْجَاءَ ، وهي ماءة ، يتوافقان عليها ، فخرج كلٌّ واحد منهما في نَفَرٍ¹ من قومه ؛ وأقبل صخر بن الجعد الخُضْرِيّ يَوْمُ حَكَمًا ، وهو يومئذٍ عدوّ لحَكَمٍ لِمَا كان فرط بينهما من الهجاء في أَرْكُوبٍ² من بني مازن بن مالك بن طريف بن خَلَف بن مُحَارِب ؛ فلمَّا لقيه قال له : يا حَكَمَ ، أهولاء الذين عَرَضْتَ للموت ؟ وهم وجوه قومك ؛ فوالله ما دماؤهم على بني مُرَّةٍ إلَّا كدماء جدّاية ؛ فعرف حَكَمَ أَنَّ قول صخر هو الحقّ فردّ قومه ، وقال لصخر : قد وعدني ابنُ مِيَادَةَ أن يُواقفني غدًا بعُريجاء لأن أنأشده ؛ فقال له صخر : أنا كثير الإبل ، وكان حَكَمَ مُقْبِلًا ، فإذا وردت إيلي فارتجز ، فإنّ القوم لا يشجعون عليك وأنت وحدك ، فإن لقيت الرجل نحر وأطعم فانحر وأطعم وإن أتيت على مالي كله . قال رِيحان رايته : فورد يومئذٍ غُرَيْجَاءَ وأنا معه فظلَّ على غُرَيْجَاءَ ولم يَلْقَ رَمَاحًا ولم يوافِ لموعده ، وظلَّ يُنشد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف³ وجوه إيل صخر وردّها . وبلغ الخبرُ ابنَ مِيَادَةَ ومُوافاة حَكَمَ لموعده⁴ ، فأصبح على الماء وهو يرتجز ويقول :

أنا ابنُ مِيَادَةَ عَقَّارُ الْجُرُزِ كلُّ صَفِيٍّ ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرٌ

وظلَّ على الماء فنحَرَ وأطعم . فلمَّا بلغ حَكَمًا ما صنع ابن مِيَادَةَ من نحره وإطعامه شقَّ عليه مشقَّةً شديدةً .

[توافيهما بحمي ضريّة وصلحهما]

ثم إنهما بعدُ توافيا بحمي ضريّة . قال رِيحان بن سُوَيْد : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلَّا بقيةَ كَلْبٍ بضريّة . قال : فسبقنا ابن مِيَادَةَ يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لِعُكَّاشَةَ بن مُصْعَب بن الزُّبَيْر ذاتِ مالٍ ومنزلةٍ من السلطان . قال : وكان حَكَمَ كريمًا على المولاةِ هناك يُتَقَى لسانه . قال رِيحان : فبينما نحن عند المولاة وقد حططنا براذعَ دوابنا إذا راكبنا قد أقبلنا ، وإذا نحن برَمَاحٍ وأخيه ثَوْبان ، ولم يكن لثوبان ضريبٌ في الشجاعة والجمال ، فأقبلنا يتسايران ، فلمَّا رآهما حَكَمَ عرفهما ، فقال : يا رِيحانُ ، هذان ابنا أبرد ، فما رأيك ؟ أتكفيني ثوبان أم لا ؟ قال : فأقبلنا نحونا ورَمَاحٍ يتضاحك حتى قبض على يد حَكَمَ وقال : مرحبًا برجل سكت عنه ولم يسكت عني ، وأصبحتُ الغداة أطلب سَلْمَه يسوقني الذئبُ والسنة ، وأرجو أن أرعى

1 ل : جماعة .

2 أركوب : ركب .

3 ل : ضرب .

4 ل : لموضعه .

الحِمى بجاهِهِ وبركته ؛ ثم جلس إلى جَنْبِ حَكَمَ وجاء ثوبان فقعد إلى جَنْبِي ؛ فقال له حَكَمَ : أما وربُّ المرسلين يا رَمَاح لولا أبياتٌ جعلتَ تعصم بهنَّ وترجعُ إليهنَّ ؛ يعني أبياتَ ابنِ ظالم ، لاستوسقت كما استوسق مَنْ كان قَبْلَكَ . قال ربحان : وأخذنا في حديثٍ أسمعُ بعضُهُ ويخفى عليَّ بعضُهُ ، فظَلَلْنَا عند المرأة وذُبِحَ لنا وهما في ذلك يتحدَّثان ، مقبِلٌ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَدْنَا ، حتى كان العِشاء فشدَدْنَا للرَّواح نوْمُ أهلنا ؛ فقال رَمَاح لحكم : يا أبا مَنِيع ، وكانت كنية حَكَمَ : قد قضيتَ حاجتك وحاجة مَنْ طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةٌ في أن يُرْعِنَا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتي منه وإنِّي لأكره الرجوع إليه ، وما من حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إنَّ هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأتاب إليه ، فأجبتُ أن يكون ذلك على يدك¹ وبمَحْضَرِكَ . قال : فدعا به عاملٌ ضَرِيَّةٌ² وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجةَ رَمَاح ، فأذكرته إياها ، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن ميادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرْعِنِي عُرِيَّاء لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ ، فأرعه إياها . فأقبل رَمَاح على حَكَمَ فقال : جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائي مِنْ قومي مَنْ يَتَمَنَّى أن يرعى عُرِيَّاء بنصف ماله . قال فلماً عَزَمَا على الانصراف ودَّع كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه وانصرفا راضيين .

[استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم]

وانصرف ابنُ ميادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هِشام فاستغضبه على حكم في قوله :

وما ولدتُ مُرِيَّةً ذاتَ ليلَةٍ من الدهرِ إلَّا زادَ لوْماً جَينِها

فأطرده وأقسم : لئن ظفِرَ به لِيُسْرِجَنَّهُ وَلِيَحْمِلَنَّ عليه أحدهم . فقال رَمَاح ، وساء ما صنعوا : عَمَدْتُمْ إلى رجلٍ قد صلَحَ ما بيني وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتُم عليه وجئتُم بإطراده ! وبلغ الحكمُ الخبرُ فطار إلى الشام فلم يبرحها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرَةَ : مات بالشام غرقاً ، وكان لا يُحَسِّنُ العَوَمَ فمات في بعض أنهارها . قال : وهو وجهُ الذي مدح فيه أسود بن بلال المُحَارِبِي ثم السَّوَّائِي في قصيدته التي يقول فيها :

1 ل : يدك .

2 ل : الجهة .

[من الكامل]

واستيقنت أن لا برّاح من السرى
حتى تُناخ بأَسودَ بنِ لَلالِ
قَرَّمْ إذا نزلَ الوُفودُ ببابه
سمَتِ العيونُ إلى أَشَمِّ طُوالِ

[مناقضات حكم وابن ميادة]

ولحكم الخُضريّ وابن ميادة مناقضات كثيرة وأراجيز طُوالٌ طَوِيْتُ ذَكَرَ أَكثَرُها وألغيتُه ،
وذكرتُ منها لُمعاً من جيّد ما قالاه لثلاثاً يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا
يستوعب سائرُه فيطول . فمما قاله حَكَمٌ في ابن ميادة قوله : [من الطويل]

خَلِيلِي عُوْجاً حَيِّياً الدارَ بالجَفْرِ
وقولا لها سَقِيّاً لِعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيِّي من رسومٍ تلاعبتُ
بها حَرَجَفٌ تَذِرِي بأذيالِها الكُذْرَ

ومن جيّد قوله فيها وهو يفتخر : [من الطويل]

إذا يَسَتْ عِيدانُ قومٍ وجدتنا
وعيداننا تُعشى على الورقِ الخُضْرِ
إذا الناسُ جاؤوا بالقرُومِ أتيتهم
بقَرَمٍ يُساوي رأسه غُرّةُ البدرِ¹
لنا الغورُ والأنجاد والخيْلُ والقنا
عليكم وأَيّامُ المكارِمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قوله : [من الطويل]

فيا مُرّاً قد أخزأك في كلِّ موطنٍ
من اللؤمِ خَلَّاتٌ يَزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنَّ أنَّ العبدَ حامِي ذِمّارِكُم
وبئس الحامي العبدُ عن حَوَزةِ الثَغْرِ
ومنهنَّ أن لم تَمسَحُوا وجهَ سابِقِ
جَوادٍ ولم تَأْتُوا حَصاناً على طُهرِ
ومنهنَّ أن الميثَ يُذَفَن منكمُ
فَيَفْسُو على دُفّانِه وهو في القبرِ
ومنهنَّ أن الجارَ يسكُن وَسْطَكمُ
بريئاً فيُلْقَى بالخِيانةِ والغَدْرِ
ومنهنَّ أن عُدَّتُم بَارِقَطَ كَوْدَنِ
وبئس الحامي أنت يا ضَرْطَةَ الجَفْرِ
ومنهنَّ أن الشيخَ يوجَدُ منكمُ
يَدِبُ إلى الجاراتِ مُخْدَوِدِبِ الظَهرِ
تَبَيّت ضِيابُ الضُغْنِ تَخشى احتراشها
وإن هي أَمَسَتْ دونَها ساحلُ البحرِ²

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة ، منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم³
بها³ :

[من الطويل]

1 يساوي في ل : يسامي .

2 ضباب الضغن : الأحقاد .

3 شعر ابن ميادة : 152-154 .

لقد سَبَقَتْ بِالْمُخْرِبَاتِ مُحَارِبٌ
فمنهنَّ أَنْ لَمْ تَعْقِرُوا ذَاتَ ذِرْوَةٍ
ومنهنَّ أَنْ لَمْ تَمْسَحُوا عَرَبِيَّةً
ومنهنَّ أَنْ لَمْ تَضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ
ومنهنَّ أَنْ كَانَتْ شِيُوخُ مُحَارِبٍ
ومنهنَّ أُخْرَى سَوْءَةً لَوْ ذَكَرْتُهَا
ومنهنَّ أَنْ الضَّأْنَ كَانَتْ نِسَاءُكُمْ
ومنهنَّ أَنْ كَانَتْ عَجُوزُ مُحَارِبٍ
ومنهنَّ أَنْ لَوْ كَانَ فِي الْبَحْرِ بَعْضُكُمْ
وَمَا قَالَهُ ابْنُ مِيَادَةَ فِي حَكْمِ قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا¹ :

[من الطويل]
بَحِثْ التَّقْتُ رُبْدُ الْجَنَابِ وَعَيْنُهَا
وَيَقُولُ فِيهَا :

فَلَمَّا أَتَانِي مَا تَقُولُ مُحَارِبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ غَشَى مُحَارِباً
تَرَى بَوَجْهَ الْخَضِرِ خَضِرَ مُحَارِبٍ
لَقَدْ سَاهَمْتَنَاكُمْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ
فَصَارَتْ لَنَا أَهْلُ الضَّعِينِ مُحَارِبٌ
إِذَا أَخَذَتْ خُضْرِيَّةٌ قَائِمَ الرِّحَى
وَمَا حَمَلَتْ خُضْرِيَّةٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ
فَقَالَ حَكَمٌ يَجِيبُهُ عَنْ هَذِهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

[من الطويل]
لَأَنْتَ ابْنُ أَشْبَانِيَّةٍ أَدْلَجْتَ بِهِ
فَجَاءَتْ بِرَوَاثٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ
فَمَا حَمَلَتْ مُرِّيَّةً قَطُّ لَيْلَةً
وَمَا حَمَلَتْ إِلَّا لِأَلَامٍ مِنْ مَشَى

إِلَى اللَّوْمِ مِقْلَاتٍ لَيْمٍ جَبِينُهَا
إِذَا مَا صَغَا فِي خِرْقَتَيْهَا جَبِينُهَا
مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا أزدَادَ لَوْماً جَبِينُهَا
وَلَا ذُكِرَتْ إِلَّا بِأَمْرِ يَشِينُهَا

1 شعر ابن ميادة : 230-231 عن الأغاني .

2 لوناً في ل : لؤماً .

تَزَوَّجُ عَثْوَانُ الضَّيِّينَ وَتَبَغْيِي بِهَا الدَّرُّ لَا دَرْتُ بِخَيْرٍ لَبُونَهَا
أَظُنْتُ بَنُو عَثْوَانِ أَنْ لَسْتُ شَاتِمًا بِشَتْمِي وَبَعْضُ الْقَوْمِ حَمَقِي ظَنُونَهَا
مَدَانِيسُ أَبْرَامَ كَأَنَّ لِحَاهُمْ لِحَى مُسْتَهْبَاتٍ طَوَالٍ قُرُونَهَا¹
قال الزبير : فحدثني موهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحد بني قتال بن مرة فقال : ما له أخزاه الله يهجو صبيتنا ؟ قال : وهم أجفى قوم غَضَبًا لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيم بن هشام قوله في نساء بني مرة إذ يقول :

وَمَا حَمَلْتُ إِلَّا لِأَلَامٍ مَنْ مَشَى

فَغَضِبَ ثُمَّ نَذَرَ² دَمَهُ ؛ فَهَرَبَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ بِهَا .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن ضبعان الخضري قال : لقي ابن ميادة صخر بن الجعد الخضري فقال له : يا صخر ، أَعَنْتَ عَلِيَّ ابْنَ عَمِّكَ الْحَكَمَ بَنَ مَعْمَرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ صَخَرُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الشُّرْحِبِيلِ مَا أَعَنْتُهُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خُيِّلَ إِلَيْكَ مَا كَانَ يُخَيَّلُ³ إِلَيَّ ، وَلَقَدْ هَاجَيْتُهُ فَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ شَجَرَ الْوَادِي يُعِينُهُ عَلَيَّ .

ومن جيد قول ابن ميادة في حَكَمٍ قصيدته التي أولها :

صوت

لَقَدْ سَبَقْتُكَ الْيَوْمَ عَيْنَاكَ سَبَقَةً وَأُبْكَاكَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ مَلَاعِبَةً
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْعَلِّبُنِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَإِنْ أَسْتَطِيعُ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبُ الْهَوَى فَمَثَلُ الَّذِي لَا قِيَتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ
في هذه الأبيات غِنَاءٌ يُنْسَبُ ، يَقُولُ فِيهَا فِي هَجَاءِ حَكَمَ :
لَقَدْ طَالَ حَبْسُ الْوَفْدِ وَفَدٍ مُحَارِبٍ عَنْ الْمَجْدِ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ حَاجِبُهُ
وَقَالَ لَهُمْ كُفُّوا فَلَسْتُ بِأَذْنٍ لَكُمْ أَبَدًا أَوْ يُخْصِي التُّرْبَ حَاسِبُهُ
وهي قصيدة طويلة .

[فضله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جلال⁴ بن عبد العزيز المرِّي ثم الصاردي عن

1 أبرام : جمع برم وهو الثقيل الجاني . المستهبات : التيوس الهائجة للسفاد .

2 نذر في ل : هدر .

3 ل : خُيِّل .

4 ل : حلال ، بالحاء .

أبيه : قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميادةَ في بيت أبي ، قال : قال لي ابن ميادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مولى من موالى خُرَشَةَ يقال له شُقران يَعِيب ابن ميادة وَيَحْسُدُهُ على مكانه من الوليد ، فلمَّا اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقران : يا شُقران ، ما عَلِمْتُكَ في ابن ميادة ؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه : [من الطويل]

لَيْمٌ يُبَارِي فِيهِ أَبْرَدُ نَهَبَلًا لَيْمٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

فقال الوليد : يا ابن ميادة ، ما عَلِمْتُكَ في شُقران ؟ قال : عِدَمِي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خُرَشَةَ كَاتَبَتْهُ على أربعين درهماً ووعدتها ، أو قال : وعدته ، أن تُجِيزَهُ بعشرين درهماً ففَبَضَّتْهُ¹ إِيَّاهَا ، فَأَغْنِيَهُ عَنِّي يا أمير المؤمنين ، فليس له أَصْلٌ فَأَحْتَفِرَهُ ، وَلَا فَرَعٌ فَأَهْتَصِرَهُ ؛ فقال له الوليد : اجْتَنِبْهُ يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشَّيْمة ، فَقَصَرَ شُقران صاغراً ، ثم أَنشَدَتْهُ ، فَأَقِيَمَتِ الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لِقْحَةٍ وفَحَلَهَا وراعيها وجارية بِكَرٍ² وُفَرَسٍ عَتِيقٍ ، فَاخْتَلَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقَلْتُ³ : [من البسيط]

أَعْطَيْتَنِي مَائَةً صُفْراً مَدَامِعُهَا كَالنَّخْلِ زَيْنٌ أَعْلَى نَبْتِهِ الشَّرْبُ⁴
وَيُرَوَى : كَأَنَّهَا النَّخْلُ رَوَى نَبْتَهَا الشَّرْبُ

يَسُوقُهَا يَافِعٌ جَعْدٌ مَفَارِقُهُ مِثْلُ الْغَرَابِ غَذَاهُ الصَّرُّ وَالْحَلَبُ
وَذَا سَبَبٍ صُهَيْبٌ لَهْ عُرْفٌ وَهَامَةٌ ذَاتُ فَرْقٍ نَابِهَا صَحْبٌ⁵

لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة ، وهي من قصيدة للرَّمَّاحِ طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ، وقد أجاد فيها وأحسن ؛ وذكرْتُ من مُخْتَارِهَا هَاهُنَا طَرَفًا ، وَأَوَّلُهَا : [من البسيط]

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِالْعَلْيَاءِ غَيْرَهَا سَافِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنٌّ لَهُ طُنْبٌ⁶
دَارٌ لَبِيضَاءُ مُسَوِّدٌ مَسَائِحُهَا كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ تَرَعَى وَتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُنِ إلى الحاجب من الشَّعْرِ . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعت منتصبه تتوجَّسُ .

1 ل : فنقصته .

2 ل : عنراء .

3 شعر ابن ميادة : 57-59 .

4 في اللسان «شرب» : «مثل النخيل يروي فرعه الشرب» . والشرب الحفر التي تُحَفَرُ حول النخيل وتملاً بالماء ليروى .

5 السبيب : شعر الناصية والذنب .

6 بالعليا غيها في ل : بالربع غيره .

تَحْنُو لِأَكْحَلِ أَلْقَتَهُ بِمَضِيعَةٍ فَقَلْبُهَا شَفَقًا مِنْ حَوْلِهِ يَجِبُ

يقول فيها :

[من البسيط]

يا أطيَّبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجَعَتِهَا وأملَحَ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ
ليستَ تجودُ بنيلٍ حينَ أسأَلُها ولستُ عندَ خلاءِ اللّهِ أَغْتَصِبُ
في مرفَقَينِها إذا ما عَوْنَقَتْ جَمَمَ على الصَّجِيعِ وفي أنيابِها شَنَبُ
وليلةِ ذاتِ أهوالٍ كواكِئِها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيْتُ والعُطْبُ
قد جَبَّتْها جَوْبُ ذِي المِقْرَاضِ مِمِّطَرَةً إذا استوى مُغْفَلَاتُ البِيدِ والحَدَبُ¹
بِعَنْتَرِيسٍ كأنَّ الدَّبَرَ يَلْسَعُها إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلَفَها طَرْبُ²
إلى الوليدِ أبي العبَّاسِ ما عَجِلْتُ ودونَه المِعْطُ من لُبْنانٍ والكُثْبُ³
لَمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وساكِنِه نَفَحَتْ لي نَفْحَةً طارتَ بها العَرَبُ
وبعد هذا البيت قوله :

أَعْطَيْتَنِي مائَةً صُفْراً مَدَامُعُها

إِنِّي امرؤٌ أَعْتَفِي الحاجاتِ أَطْلُبُها كما اعتَفَى سَيْقٌ يُلْقَى له العُشْبُ
السَّيْقُ : الذي قد شَبِعَ حتى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير جِرْصٍ ولا كَلْبٍ ، كما
يَعْتَفِي هذا البعير البَشِمُ من غير شرِّه ولا شدةِ طَلَبٍ .

ولا أُلِحُّ على الخُلانِ أسألُهم كما يُلِحُّ بعَظْمِ الغاربِ القَتَبُ
ولا أُخادِعُ نَدْماني لأخدَعَه عن مالِه حينَ يَسْتَرخِي به اللَّبُّ
وأنتَ وابناكَ لم يوجدَ لكم مَثَلُ ثلاثة كلَّهم بالتاجِ مُعْتَصِبُ
الطَّيِّبونَ إذا طابتْ نفوسُهم شُوسُ الحواجبِ والأبصارِ إنْ غَضِبُوا⁴
قَسِنِي إلى شعراءِ الناسِ كلَّهم وادعُ الرُّوَاةَ إذا ما غَبَّ ما اجْتَلَبُوا⁵
إِنِّي وإن قال أقوامٌ مَدِيحُهم فأحسنوه وما حابوا وما كَذَبُوا

1 الممطرة : ثوب من صوف يلبس في المطر . الحذب : الأرض الغليظة المرتفعة .

2 العنتريس : الناقة الضخمة القوية .

3 المعط : الأراضي التي لا نبات فيها .

4 شوس : جمع أشوس . والشوس هو النظر بمؤخر العين غيظاً أو تكبراً .

5 غب : فسد .

أَجْرِي أُمَامَهُمْ جَرِّيَ أَمْرِي فَلَجَّ عِنَانُهُ حِينَ يَجْرِي لَيْسَ يَضْطَرُّ

[سبب الهجاء بينه وبين شقران]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن ، أظنه¹ المدائنيّ ، قال أخبرني أبو صالح الفزاريّ قال : أقبل شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخي عذرة بن سعد بن هذيم ، قال : وهذيم عبد حبشيّ كان حصن سعداً فغلب عليه ، وهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره ، فلقيته ابن ميادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمرّ امترته لأهلي يقال له : زُبُّ رباح ، فقال له ابن ميادة يُمازحه² :

كَأَنَّكَ لَمْ تَقْفُلْ لِأَهْلِكَ تَمْرَةً إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْفُلْ بِزُبِّ رُبَاحٍ³
فقال له شقران :

فَإِنْ كَانَ هَذَا زُبُّهُ فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى نِسْوَةِ سُودِ الْوُجُوهِ قَبَاحٍ
فغضب ابن ميادة وأمضه وأثنى عليه بالسوط فضربه ضربات وانصرف مغضباً ؛ فكان ذلك سبب الهجاء بينهما .

قال حمّاد عن أبيه وحديثي أبو عليّ الكلبيّ قال : اجتمع ابن ميادة وشقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن ميادة : يا أمير المؤمنين ، أجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حسبي ولا نسبي ولا لساني ولا منصبي ! فقال شقران : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَنْ كُنْتَ ابْنُ شَيْخِي عَشِيرَتِي هِرْقَلٍ وَكِسْرَى مَا أَرَانِي مُقَصِّراً
وَمَا أَتَمْنَى أَنْ أَكُونَ ابْنُ نَزْوَةٍ نَزَاهَا ابْنُ أَرْضٍ لَمْ تَجِدْ مُتَمَهِّراً⁴
عَلَى حَائِلٍ تَلْوِي الصَّرَارَ بِكَفِّهَا فَجَاءَتْ بِخَوَارٍ إِذَا عُضَّ جَرَجْرًا
أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير بن بَكَارٍ وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدائنيّ عن زبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلّاد عن أبي أيّوب بن عبد العزيز قال : استأذن ابن ميادة على الوليد بن يزيد وعنده شقران مولى قُضاعة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصندوق واستنشهده هجاء شقران فجعل يُنشدّه ، ثم أمر

1 ل : أحسبه .

2 شعره : 107 . وفسر جامع الشعر «زُبُّ رباح» بأنّه نوع من تمر البصرة ، ولم يفهمه شقران كذلك .

3 لأهلك في ل : لأَمَك .

4 ابن أرض : غريب أو مسافر أو ضيف .

بفتح الصندوق فخرج عليه شقران وجعل يهدر كما يهدر الفحل¹ ويقول : [من الوافر]

سَأَكْعَمُ عَنْ قُضَاعَةِ كَلْبٍ قَيْسٍ عَلَى حَجَرٍ فَيُنْصِتُ لِلْكَعَامِ¹
أَسِيرُ أَمَامَ قَيْسٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمَا قَيْسٌ بِسَائِرَةِ أُمَامِي

وقال أيضاً وهو يسمع : [من الكامل]

إِنِّي إِذَا الشُّعْرَاءُ لَأَقَى بَعْضَهُمْ بَعْضاً يَبْلُقَعِي يَرِيدُ نِضَالَهَا
وَقَفُوا لِمُرْتَجِزِ الْهَدِيرِ إِذَا دَنَتْ مِنْهُ الْبِكَارَةُ قَطَعَتْ أَبْوَالَهَا²
فَتَرَكْتَهُمْ زَمْرًا تَرْمِزُ بِاللُّحَى مِنْهَا عَنَافِقُ قَدْ حَلَقَتْ سِيَالَهَا

فقال له ابن ميادة : يا أمير المؤمنين اكف عني هذا الذي ليس له أصل فأحفره ، ولا فرغ فأهصره ؛ فقال الوليد : أشهد أنك قد جرجرت كما قال شقران :

فجاءت بخوارٍ إذا عُضَّ جرجرا

[تفاخره مع عقال بالشعر]

قال يحيى في خبره : واجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عقال شديد الرأي في اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة واعتلاه ؛ فقال ابن ميادة³ : [من الطويل]

فَجَرْنَا يَنَابِيعَ الْكَلَامِ وَبَحْرَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِ ذُو الرِّوَايَةِ يَسْبَحُ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا شَعْرُ قَيْسٍ وَخِنْذِفٍ وَقَوْلُ سِوَاهُمْ كُلُّفَةٌ وَتَمْلُحُ

فقال عقال يُجيبه : [من الطويل]

أَلَا أَبْلُغِ الرَّمَّاحَ نَقْضَ مَقَالَةٍ بِهَا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أَوْ كَانَ يَمْزَحُ⁴
لَئِنْ كَانَ فِي قَيْسٍ وَخِنْذِفٍ أُلْسُنٌ طِوَالٌ وَشِعْرٌ سَائِرٌ لَيْسَ يُقْدَحُ
لَقَدْ خَرَقَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ قَبْلَهُمْ بِحَوَرِ الْكَلَامِ تُسْتَقَى وَهِيَ تَطْفَحُ⁵
وَهُمْ عَلَّمُوا مَنْ بَعْدَهُمْ فَتَعَلَّمُوا وَهُمْ أَعْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا
فَلِلْسَابِقِينَ الْفَضْلُ لَا يُجْحَدُونَهُ وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِمْ تَبَجُّحُ

1 كعم : شدّ فم الحيوان فلا يؤكل أو يصوت .

2 البكارة : الفتية من الإبل .

3 شعر ابن ميادة : 97 .

4 نقض في ل : بعض .

5 تطفح في ل : طُفَحَ .

[شعره في حنينه إلى وطنه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز¹ عن أبيه قال حدّثني ابن ميادة قال : قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين ، وهو موضع كان الوليد ينزله في الربيع :

لَعَمْرُكَ إِنِّي نَازِلٌ بِأَبَايِنِ لَصَوَّارٌ مُشْتَاقٌ وَإِنْ كُنْتُ مُكْرَمًا²
أَبَيْتُ كَأَنِّي أَرَمَدُ الْعَيْنِ سَاهِرٌ إِذَا بَاتَ أَصْحَابِي مِنَ اللَّيْلِ نَوْمًا
قال : فقال لي الوليد : يا ابن ميادة كأنك غَرَضْتُ³ من قُرْبنا ؛ فقلت : ما مثلك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه ، ولكن⁴ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّنِي أَهْلِي
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ تَطَالُعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ⁵
بِلَادٍ بِهَا زَيْطُتٌ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطْعَنَ عَنِّي حَيْنٌ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَاسِي فَأَيُّسِرُ عَلَيَّ الرِّزْقُ وَاجْمَعُ إِذَا شَمْلِي

فقال : كم الهجمة ؟ قلت : مائة ناقة ؛ فقال : قد صدّرتُ بها كلّها عُشراء . قال ابن ميادة : فذكرتُ ولداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استسقّوه سقاهم الله وأنا ، وإذا استكسّوه كساهم الله وأنا ؛ فقال : يا ابن ميادة ، وكم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر ، منهم عشرة نفرٍ وسبع نسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يا ابن ميادة ، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين ، وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعٌ حلّلي مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجال فثلاثٌ حلّلي مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السّقي فلا أرى مائة لِقْحَةٍ إِلَّا سَتْرُوِيهِمْ ، فإن لم تُروهم زدّتهم عينين من الحجاز ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحُمَيَّاتُ ؛ قال : فقد أخلفها الله عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ : مائة لِقْحَةٍ وفحلها وجارية يكرُ وفرس عتيق .

1 ل : عبد الرحمن .

2 صوَّار : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة ممّا يلي الشام .

3 غرضت : ضجرت ومللت .

4 شعر ابن ميادة : 199-200 .

5 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . الهجل : المطمئن من الأرض .

[عارض ابن القتال واتحل بيتاً من شعره]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني شدّاد بن عُبّة عن عبد السلام بن القتال قال : عارضني ابن ميادة فقال : أنشدني يا ابن القتال ، فأنشدته : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبينَ ليلةً بصحراء ما بين التنوفة والرمل
وهل أزجُرُّ العيسَ شاكيةَ الوجى كما عَسَلَ السُّرحانُ بالبلدِ المحل¹
وهل أسمعَنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ تُغنّي حماماتٍ على فننٍ جئل²
وهل أشربَنَّ الدهرَ مُزَنَ سحابةٍ على ثَمَدِ الأفعاة حاضره أهلي³
بلاذٍ بها نيطتْ عليّ تمائمِي وقُطِّعَنَ عني حين أدركني عقلي

قال : فأتاني الرواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميادة وحده .

[أجازه الوليد إبلاً فأرادوا ابدالها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني رجل من كلب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال : أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يُمسِكوا التلاد ؛ فقال ابن ميادة⁴ : [من الوافر]

أَلَمْ يَبْلُغَكَ أَنَّ الْحَيَّ كَلْباً أرادوا في عطيتك ارتدادا
وقالوا إنها صُهبٌ ووُرُقٌ وقد أعطيتها دهماً جعادا
فعلِمُوا أَنَّ الشَّعْرَ سَبِيلُ الْوَلِيدِ فَيُغْضِيهِ ؛ فقالوا له : انطلق فخذها صُفْراً جِعاداً .

[شعره في رثاء الوليد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لما قُتِلَ الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه⁵ : [من الوافر]

ألا يا لهفَتَيَّ على وليدٍ غداةً أصابه القَدْرُ المتاحُ

1 الوجى : الحفا .

2 الجئل : الكثير الورق .

3 مُزَنٌ في ل : صوب . الثمد : الماء القليل . والأفعاة : هضبة لبني كلاب .

4 شعر ابن ميادة : 109-110 والبيتان في الشعر والشعراء ص 657 . ورواية البيت الثاني فيه :

أرادوا لي بها لَدَيْنِ شَتَّى وقد أعطيتها دهماً جعادا

5 شعر ابن ميادة : 95 والشطر الأول من البيت الأول فيه : «ألا لهفي على الملك المرجى» .

ألا بكّي الوليد فتى قُرَيْشٍ وأسمحها إذا عُدَّ السَّمَا حُ
 وأجبرها لذي عَظْمٍ مَهِيضٍ إذا ضَنْتْ بِدِرْتِهَا اللَّقَا حُ
 لقد فعلتْ بنو مَرْوَانَ فِعْلاً وأمرأ ما يسوغ به القَرَا حُ
 قال يحيى : وغنى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذكر طريقةً غِنائه .

[ابن ميادة وعثمان بن عمرو بن عثمان]

أخبرنا الحِرْمِيُّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن زهير بن مُضَرَّسَ الفَزَارِيِّ عن أبيه
 قال : أخصب جنابُ الحجاز الشاميّ فمالتُ لذلك الخِصْبُ بنو فَزَارَةَ وبنو مَرَّةَ ، فتنحَلُّوا
 جميعاً به . قال : فبينما ذات يوم أنا وابن مِيَادَةَ جالسان على قارعة الطريق عِشَاءً إذا راكبان
 يُوجِفَانِ راحلتين حتّى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر الریح¹ وهو عثمان بن عمرو بن
 عثمان بن عَفَّانٍ معه موئلي له ، فنسبنا وانتسب لنا ، وقد كان ابن مِيَادَةَ يُعلِّلني بشعره ،
 فلمّا انقضى كلامنا مع القُرَشِيِّ ومولاه استعدتْ ابن مِيَادَةَ ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له
 يقول فيه² :

وعلى المُلَيْحَةِ من جَذِيمَةٍ فَنِيَّةٍ يتمارضون تمارضَ الأُسْدِ
 وترى الملوكَ الغرَّ تحت قِبابِهِم يمشون في الحَلَقَاتِ والقِدِّ³

قال : فقال له القُرَشِيُّ : كذبت ؛ قال ابن مِيَادَةَ : أفي هذا وحده ؟ أنا والله في غيره أكذب ؛
 فقال له القُرَشِيُّ : إن كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربِّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه :
 ﴿لَا يَلَابِ قُرَيْشٌ﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما ؛ فلمّا فاتا
 أبصارنا قال ابن مِيَادَةَ⁴ :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانعٌ منكَ نفسُهُ وغثُ قُرَيْشٍ حيثُ كان سَمِينُ

[ابن ميادة وسنان بن جابر وهجاؤه بني حميس]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرِّي قال : كان ابن مِيَادَةَ قد هاجى
 سِنَانُ بن جابر أحد بني حُمَيْسَ بن عامر بن جُهَيْنَةَ بن زيد بن ليث بن سُودَ بن أُسَلَمَ ؛ فقال
 ابن مِيَادَةَ له فيما قال من هِجائه⁵ :

1 ل : بخر الزنج .

2 شعره : 117 .

3 قبابهم في الديوان : «حول بيوتنا» .

4 شعر ابن ميادة : 258 وينسب أيضاً إلى عروة بن أذينة وسلمة بن عباس .

5 شعر ابن ميادة : 160 عن الأغاني .

لقد طالما علّلت حُجراً وأهله
أأهجو قريشاً ثم تكرر ريتي
بأعراض قيس يا سنان بن جابر
ويسرفني عرضي حميس بن عامر
قال : وقال فيهم أيضاً¹ :

قصار الخطي فرق الخصى زمر اللحي
ذكرت حمام القيظ لما رأيته
كأنهم ظربني اهترشني على لحم
يُمشون حولي في ثيابهم الدُهم²
وتبدي الحميسيات في كل زينة
فروجاً كآثار الصغار من البهم³

قال : ثم إن ابن ميادة خرج يبغي² إبلاً له حتى ورد جباراً ، وهو ماء لحميس بن عامر ، فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنت ، فنشدها إبلاً فذكرتها له وقالت : ممن أنت ؟ قال : رجُلٌ من سليم بن منصور ؛ فأذنت له وقالت : ادخل حتى تقرئك وقد عرفته وهو لا يدري ؛ فلما قرته قال ابن ميادة : وجدت ريح الطيب قد نفح علي من البيت ، فإذا بنت لها قد هتكت الستر ، ثم استقبلتني وعليها إزار أحمر وهي مؤترزة به ، فأطلقته وقالت : انظر يا ابن ميادة الزانية ؛ أهذا كما نعت ؟ فلم أر امرأة أضخم قبلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلت ؟ :

وتبدي الحميسيات في كل زينة
فروجاً كآثار الصغار من البهم³
قال : قلت : لا والله يا سيدي ، ما هكذا قلت ولكن قلت :

وتبدي الحميسيات في كل زينة
فروجاً كآثار المقيصرة⁴ الدُهم⁵
وانصرف يتشَبَّب⁵ بها ، فذلك حين يقول :

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى
كان سنّاها لاح لي من خصاصة
لزينب نار أوقدت بجبار
على غير قصد والمطي سوار
حميسية بالرماتين محلها
تمدّ بجلف بيننا وجوار
قال أبو داود : وكانت بنو حميس حلفاء لبني سهم بن مرة ، ثم للحصين بن الحمام . وتمدّ وتمت واحد .

1 شعر ابن ميادة : 229 عن الأغاني .

2 يبغي في ل : يتبغي .

3 الصغار من البهم في ل : المقيصرة الدُهم .

4 المقيصرة : الإبل المسان .

5 يتشَبَّب في ل : ينسب .

رجع إلى الشعر

[من الطويل]

تَجَاوِرُ مِنْ سَهْمٍ بِنِ مُرَّةٍ نِسْوَةً
نَوَاعِمَ أَبْكَاراً كَأَنَّ عَيُونَهَا
كَأَنَّ نَزَاهَا وَهِيَ مَنَا قَرْيَةً
تَتَّبَعُ مِنْ حِجَرٍ ذُرّاً مُتَمَنِّعٌ
يَذُورُ بِهَا ذُو أُسْهُمٍ لَا يَنَالُهَا
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنَبِّينِ مِنْهَا وَدِيَّةٌ
يَظَلُّ سَحِيقُ الْمِسْكِ يَقْطُرُ حَوْلَهَا
وَمَا رَوْضَةٌ خَضِرَاءُ يَضْرِبُهَا النَّدَى
بِأَطْيَبِ مِنْ رِيحِ الْقَرْنَفُلِ سَاطِعاً
وَمَا ظَلِيَّةٌ سَاقَتْ لَهَا الرِّيحُ نَغْمَةً
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَامَتْ فَأَتَلَعَتْ
فَلَيْتَكَ يَا حَسَنَاءُ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
بِمُجْتَمَعِ النَّقَبِينَ غَيْرَ عَوَارِي¹
عَيُونُ ظِبْيَاءٍ أَوْ عَيُونُ صُورٍ²
عَلَى مَتْنِ عَصْمَاءَ الْيَدَيْنِ نَوَارٍ³
لَهَا مَعْقِلٌ فِي رَأْسِ كُلِّ طَمَارٍ⁴
وَذُو كَلْبَاتٍ كَالْقِسِيِّ ضَوَارِي
سَقَتْهَا السَّوَاكِي مِنْ وَدِيِّ دَوَارٍ⁵
إِذَا الْمَاشِيطَاتُ احْتَفَنَهُ بِمَدَارِي
بِهَا قُنَّةٌ مِنْ حَنَوَةٍ وَعَرَارٍ⁶
بِمَا التَّفَّ مِنْ دِرْعٍ لَهَا وَخِمَارٍ
عَلَى غَفْلَةٍ فَاسْتَسَمِعَتْ لَخُورٍ⁷
عَلَى شَرَكٍ مِنْ رَوْعَةٍ وَنِفَارٍ⁸
يَبِيعُ لَنَا مِنْكِ الْمَوَدَّةَ شَارِي⁹

[ابن ميادة وزينب بنت مالك]

وأخبرني بهذا الخبر الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أبو حرملة منظور بن أبي
عديّ الفزاريّ ثمّ المنظوريّ عن أبيه قال حدّثني رَمَاحُ بْنُ أَبَرْدٍ قال : خرجتُ قافلاً من
السُّلَعِ¹⁰ إلى نَجْدٍ حتّى إذا كنتُ ببعض أَهْضَامٍ¹¹ الحَرَّةِ (هكذا في نُسختي ، وأظنّه هِضَابُ

1 النقبين في ل : الصفين .

2 الصوار هنا قطع البقر .

3 عصماء اليدين : في يديها بياض . وتوصف به الخيل والظباء والوعول . ونوار : نفور .

4 حجر في ل : حجن . الطمار : المكان المرتفع .

5 الودية : فسيلة النخل وهي هنا كناية عن ضفيرة من الشعر . السواقي في ل : السواني .

6 الحنوة نبات طيب الرائحة وكذا العرار .

7 نغمة في ل : فغمة .

8 أتلتع : مدّت عنقها .

9 شاري : بائع .

10 سلع : جبل قرب المدينة .

11 أهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض .

الحرّة¹ رُفِعَ لي بيتٌ كالطُّراف العظيم ، وإذا بفنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيتٌ من بيوت بني مُرّةٍ وبني من العيمة² إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم ، فلما كنت غير بعيد سلّمت فردّت عليّ امرأةٌ برّزة بفناء البيت ، وحيّت ورحّبت واستنزلتني فنزلتُ ، فدعتُ بلبن ولياً ورسل من رسل³ تلك الغنم ، ثم قالت : هيا فلانةُ البسي شفاً واخرجي ، فخرجتُ عليّ جاريةٌ كأنها شَمعة ما رأيتُ في الخلق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُوارِي منها شيئاً وقد نَبَا عن ركبها ما وقع عليه من الثوب فكأنه قَعْبٌ مُكْفَأٌ ، ثم قالت : يا ابن ميادة الخبيثة ، أنت القائل : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كُلِّ زِينَةٍ فُروجا كآثارِ الصُّغارِ مِنَ البُهْمِ ؟

فقلت : لا والله ، جعلني الله فداك يا سيدي ، ما قلت هذا قطّ ، وإنّما قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كُلِّ زِينَةٍ فُروجا كآثارِ المُقَيِّسَةِ الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيْسِيَّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن ميادة

قصيدته :

أَلَمَّا فَزُّورَا اليَوْمَ خَيْرَ مَزارِ

[أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدّثني مَوْهُوبُ بن رَشِيد الكِلَابِيُّ قال : أعطى الوليد بن يزيد أبَن مِيَادَةَ جاريةً طَبْرِيَّةً أَعْجَمِيَّةً لا تُفْصِح ، حسناء جميلةً كاملةً لولا العُجْمة ، فعشيقها وقال فيها⁴ :

جزاك الله خيراً من أمير

فقد أعطيت مبراداً سخونا

بأهلي ما أَلْذِكُ عند نفسي

لو أنّك بالكلام تُعَرِّبُنَا⁵

1 الظاهر أنّ ما بين قوسين ليس من صلب الكتاب ولعلّها حاشية على بعض النسخ فأدخلها ناسخ لاحق في المتن ، لأنّ أبا الفرج يروي رواية عن الحرّميّ بن أبي العلاء . وعندما يقتبس من كتابه يقول «نسخت من كتاب الحرّميّ بن أبي العلاء» .

2 العيمة : شهوة اللبن .

3 الرسل : اللبن .

4 شعر ابن ميادة : 231 .

5 بأهلي في ل : بنفسي .

كَأَنَّكَ طَبِيبَةٌ مَضَعَتْ أَرَاكَ¹ بوادي الجِرْعِ حين تُبْغِمِينَا¹

[ملاحظاته مع رجل من بني جعفر]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إسحاق بن شُعَيْب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : وردتُ على بني فزارة ساعياً² ، فأتاني ابنُ مَيّادة مُسَلِّماً عليّ ، وجاءتني بنو فزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُخطّطاً موسوماً بجمال ، فلمّا رأيته أعجبني ، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم : أيّ أخوالي هذا ؟ فوالله إنّهُ لَيَسُرُّني أن أرى فيكم مثله ؛ فقالوا : هذا ، أمتّع الله بك ، رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إليّ ابن مَيّادة ، وكان قريباً منّي ، وقال : لا يغرّنك ، بأبي أنت ، ما ترى من جسمه فإنّه أجوفٌ لا عقلَ له ؛ فسمعه الجعفريُّ فقال : أفيّ تقَع يا ابن مَيّادة وأنت لا تقرّي ضيفك ؟ فقال له ابن مَيّادة : إن لم أقره قراه ابن عمّي وأنت لا تقرّي ولا ابن عمك . قال ابن عمران : فضحكتُ ممّا شَهِد³ به ابن مَيّادة على نفسه .

[بخيل لا يكرم أضيافه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن المعلّى بن نوح⁴ الفزاريّ قال حدّثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فزارة قال : ضيفتُ ابن مَيّادة فأكرمني وتحفّى بي وفرّغ لي بيتاً فكنّْتُ فيه ليس معي أحد ، ثم جاءني بقَدَحٍ ضخمٍ من لبن إبله فشربته ثم ولى ، فلم يَنْشَبْ أن جاءني بآخر فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتّى عاد بآخر فقلتُ : حَسْبُكَ يا رَمَاح فلا حاجة لي بشيء ؛ فقال : اشربْ بأبي أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مدحوراً⁵ .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصْعَب عن جدّي عبد الله بن مُصْعَب قال : أتينا ابن مَيّادة نتلقّى منه الشعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شَنَّةٍ ؟ فظنّناها تمرّاً ، فقلنا له : هاتِ ، لنَبْسُطَه بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فَضْلَةٌ من خمرٍ قد شربَ بعضها وبقي بعضٌ ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

[دعي في وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط]

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيريّ قال حدّثني نعمة

1 التبغيم : ترخيم الصوت .

2 ساعياً : جابياً للصدقات .

3 ل : باء .

4 ل : برج .

5 مدحوراً : مطروداً .

الغفاري قال : قدِم ابن ميادة المدينة فدُعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمةُ حرساً يضربون الزَّلايين¹ بالسيّاط يمنعونهم من الدخول ، فرجعَ وهو يقول² : [من الطويل]
ولما رأيتُ الأُصْحِيَّةَ قنعتُ مفارقَ شَمْطٍ حيثُ تُلوى العمامُ
تركتُ دِفَاعَ البابِ عما وراءه وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالمُ
[رقياه على نسائه]

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال : قال الوليد بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه : مَنْ تركتَ عند نساءك ؟ قال : رَقِيبين لا يُخالفاني طَرْفةَ عين : الجُوع والعُري . وهذا القول والجواب يُروى أن عمر بن عبد العزيز وعقيل بن عُلفة تراجعاها ، وقد ذُكِرَا في أخبار عُقيل .
[مدحه لأبي جعفر المنصور]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي مُصْعَب وأخبرني محمد بن مَزِيد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدّثنا أبو أيّوب المَدِينِيّ عن مُصْعَب : أن ابن ميادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها³ :

طلعتُ علينا العيسُ بالرمّاح

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحلّبت له ناقة من إبله ، وراح عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مسح على بطنه ثم قال : سبحان الله ؛ إن هذا هو الشَّرّ ؛ يكفيني لبن بكرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج وأغترب في طلب المال ! ثم رجّع فلم يخرج . وهذه القصيدة من جيّد شعر ابن ميادة ، أوّلها :

وكواعبٍ قد قلن يَومَ تواعِدُ قَوْلَ المَجِدِّ وهُنَّ كالنُّزَاحِ
يا ليتنا في غير أمرٍ فادِحِ طَلَعْتُ عَلَيْنَا العيسُ بالرمّاحِ
بيننا كذاك رأيَتني مُتَعَصِّباً بالخَزِّ فوق جُلالةِ سَرَدَاحِ⁴

1 الزلايين : الطفيليين .

2 شعر ابن ميادة : 228-229 عن الأغاني وأنساب الأشراف 12 : 50 .

3 شعر ابن ميادة : 99-100 وفي الروايات اختلاف في اللفظ باختلاف المصادر .

4 الجلالة : الناقة العظيمة . وسرداح : أي طويلة أو كثيرة اللحم .

فِيهِنَّ صَفراءُ الْمَعَاصِمِ طِفْلةٌ
فَنظَرْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ بِأَعْيُنٍ
وَارْتَشْنَ حِينَ أُرْدُنَّ أَنْ يَرْمِيَنِي
يَقُولُ فِيهَا فِي مَدْحِ الْمَنْصُورِ وَبَنِي هَاشِمٍ :

فَلَيْتُ بَقِيتُ لِأَلْحَقَنَ بِأَبْحُرٍ
وَلَا تَبْنَ يَنْبِي عَلَيَّ إِنَّهُمْ
قَوْمٌ إِذَا جُلِبَ الثَّناءُ إِلَيْهِمْ
وَلَأَجْلِسَنَّ إِلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّهُ
وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ .

[قوله عندما أصاب الحاج بمكة مطر شديد وصواعق]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : اعْتَمَرْتُ
فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ، فَصَادَفَنِي ابْنُ مِيَادَةَ بِمَكَّةَ وَقَدِمَهَا مُعْتَمِراً ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ
شَدِيدٌ تَهَدَّمَتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ وَتَوَالَتْ فِيهِ الصَّوَاعِقُ ، فَجَلَسَ إِلَيَّ ابْنُ مِيَادَةَ الْغَدَ مِنْ ذَلِكَ
الْيَوْمِ ، فَجَعَلَ يَأْتِينِي قَوْمٌ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرِهِمْ فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْغَيْثِ فَيَقُولُونَ : صَبَقَ
فُلَانٌ وَانْهَدَمَ مَنْزِلُ⁴ فُلَانٍ ؛ فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ : هَذَا الْغَيْثُ⁵ لَا الْغَيْثُ ؛ فَقُلْتُ : فَمَا الْغَيْثُ
عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ :

[من الطويل]

سَحَابٌ لَا مِنْ صَيَّبٍ ذِي صَوَاعِقٍ
وَلَا مُحَرِّقَاتِ مَأْوَهِنَ حَمِيمٍ⁶
إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا
بَكَيْنَ بِهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمٌ

[استحسان الناس لشعره]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَلَسْتُ أَنَا
وَعِيسَى بْنُ عُمَيْلَةَ وَابْنُ مِيَادَةَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَنْشَدَنَا ابْنُ مِيَادَةَ شِعْرَهُ مَلِيّاً ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا

1 الطفلة : اللبنة . غريضة : رقيقة البشرة ناعمة .

2 قطع : ناضبات . وأنزاح : نزح أكثر مائها .

3 الإشارة هنا إلى علي بن عبد الله بن العباس جد المنصور .

4 ل : دار .

5 الغيث : الفساد .

6 صيب في ل : صيف .

قوله¹ :

[من الطويل]

ألا ليت شِعْري هل أبيتَ ليلةً بحرّة ليلي حيث ربتني أهلي
 بلادٌ بها نيطت عليّ تماثمي وقطّعت عني حين أدركني عقلي
 وهل أسمعن الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب إلى هجل
 صهيبة صفراء تلقى رباعها بمنعرج الصمان والجرع السهل²
 تلقي رباعها : تطرح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهل أجمعن الدهر كفيّ جمعةً بمهضومة الكشحين ذات شوى عبل
 محللة لي لا حراماً أتيتها من الطيات حين تركض في الجبل
 تميل إذا مال الضجيع بعطفها كما مال دغص من ذرا عقيد الرمل
 فقال له عيسى بن عميلة : فأين قولك يا أبا الشرحبيل³ :
 [من الطويل]

لقد حرمت أمي عليّ عديمتها كرائم قومي ثم قلة مالها
 فقلت له : فاعطف إذا على أمة بني سهيل فهي أعند وأنكد ، وقد كنت أظن أن ميادة قد
 ضربت جأشك⁴ على اليأس من الحرائر ، وأنا اداعبه وأضحكه ؛ فضحك وقال⁵ : [من الطويل]
 ألم ترَ قوماً ينكحون بمالهم ولو خطبت أنسابهم لم تزوج⁶

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب وغيره : أن حُسَيْنَةَ اليسارية كانت
 جميلة ، وآل يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تيماء ، ولهم هناك عدد وجلد ،
 وقد انتسبوا في كلب إلى يسار بن أبي هند فقبلهم⁷ بنو كلب ، قال : وكانت عند رجل من قومها
 يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يسار ، وكان ابن ميادة يزورها ؛ وفيها يقول :
 [من الوافر]

ستأتينا حُسَيْنَةَ حيث شئنا وإن رَغِمَتْ أنوفُ بني يسار⁸

1 شعره : 199-200 .

2 بمنعرج الصمان في ل : بمعنجل الصمان ؛ والصمان موضع .

3 شعر ابن ميادة : 239 .

4 ضرب جأشاً : اطمأن قلبه . والمعنى هنا أن أمه جعلته يئس من الاقتران بالحرائر لضعف نسبها .

5 شعر ابن ميادة : 94 عن الأغاني .

6 أنسابهم في ل : أماتهم .

7 ل : وقيلتهم .

8 شعر ابن ميادة : 159 عن الأغاني وأنساب الأشراف .

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميادة عندها ، فهمّ به هو وأهلها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنَةُ حتى أفلت ابن ميادة ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

لقد ظَلَّتْ تُعَاوُنُنِي عَلَيْهِمْ صَمُوتُ الْحِجَلِ كَاطِمَةُ السَّوَارِ¹
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ يُقَطِّعُ سَلَحَهُ خَلْفَ الْجِدَارِ

[ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْفِ التُّغَلْبِيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُمَيْرَةَ الْعَدَوِيِّ عن أبي العلاء ابن وثاب قال : قَدِمَ ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسْمُرُ عنده في الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إِنِّي أَهَمُّ أَنْ أَتَزَوَّجَ ، فابغوني أيماً ؛ فقال له ابن ميادة : أنا أَذْلكُ ، أصلحك الله أيّها الأمير ؛ قال : على مَنْ يا أبا الشَّرْحَبِيلِ ؟ قال : قَدِمْتُ عليك أيّها الأمير فدخلت مسجداً فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة وأهلها ، فوالله لبيّنا أنا أمشي فيه إذ قادتني رائحة عطر رجل حتى وَقَفْتُ بي عليه ، فلمّا وقع بصري عليه استلهاني حُسْنُهُ فما أَقْلَعْتُ عنه حتّى تكلم ، فخلّته لما تكلم يتلو زبوراً أو يدرُسُ إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتّى سكّنت ، فلولا معرفتي بالأمر لشككتُ أنّه هو ، ثم خرج من مُصَلَّاهُ إلى داره ، فسألت : مَنْ هو ؟ فأخبرت أنّه لِلْحَيَّيْنِ وبين الخليفين ، وأنّ قد نالته ولادة من رسول الله ﷺ لها نور ساطع من غُرَّتِهِ وذوَابَتِهِ ، فنعم المنكيحُ ونعم حَشْوُ الرُّحْلِ وابنُ الْعَشِيرَةِ ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكره البلاد . فلمّا قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومَنْ حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن ميادة² :

لهم نَبُوءَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّمٌ³

قال يحيى بن عليّ : ومّا مدّح به عبد الواحد لما قَدِمَ عليه قوله⁴ :

مَنْ كان أخطأه الرِّبْعُ فَإِنَّمَا نُصِرَ الْحِجَازُ بَغْيِثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ⁵
إِنَّ الْمَدِينَةَ أَصْبَحَتْ مَعْمُورَةً بِمُتَوَجِّحِ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ مَاجِدِ

1 كاطمة السوار : لا يسمح لسوارها أو حجلها صوت لامتلاء معصمها وساقها . وفي ل : كاطمة السرار .

2 شعر ابن ميادة : 223 .

3 فهو في ل : فضل .

4 شعر ابن ميادة : 112 .

5 الحجاز في ل : الربيع .

ولقد بلغتَ بغيرِ أمرٍ تَكْلُفٍ أعلى الحظوظِ برغمِ أنفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراقِ ويثربِ ملكاً أجارَ لمسلمِ ومُعاهدِ
ماليهما وذميهما من بعد ما غشى الضعيفَ شعاعُ سيفِ الماردِ

[التقائه في طريق مكة بجماعة يرتجزون بشعره]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن زيد السلميّ قال : إنّا لنزولُ أنا وأصحابي لي قبل الفطر ثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا ، فإذا راكبٌ يسير على جملٍ مُتَفٍّ بثوبٍ والسماءُ تغسّله حتى أناخ إلى أجَمٍ عَرَفْتَهُ ، فلمّا رأيناه لثِقاً¹ قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَهُ وقَدَدنا جَمَلَهُ ، فلمّا أَقْلَعَتِ السماءُ عَنّا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ مِنّا يرتجزون والرَّجُلُ لم ينتسب لنا ولا عرفناه ، فارتجز أحدهم فقال² :

أنا ابنُ مِيَادَةَ لَبَّاسُ الحَلَلِ أَمْرٌ من مُرٍّ وأحلى من عَسَلٍ

حتى قال له الرجل : يا ابن أخي ، أتدري من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم ، ابن ميادة قال : فأنا هو ابن ميادة الرَّمَّاح بن أَبَرَدٍ ، وبات يُعلِّنا من شعره ، ويقطع عَنّا الليل بنشيدِهِ ، وسرينا راحلين فضَبَّحنا مكةَ ففَضِينا نُسْكِنَا ، وَلَقِيَهُ رَجُلَانِ من قومه من بني مُرةٍ فعرفهما وعرفاه وأفطرنا بمكةَ ، فلمّا انصرفنا من المسجد يوم الفِطْرِ إذا نحن بفارسين مُسَوِّدين وراجلين³ مع المُرِّيِّين يقولون : أين ابن ميادة ؟ فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كَنّا فيها ، فقلنا لابن ميادة : ابرُزْ ؛ فلمّا نَظَرَ إلى المُرِّيِّين قال :

إحدى عَشِيَّاتِكَ يا شَمِيرَجُ

[محاورته مع عبد الصمد بن علي]

قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سُلَيْمٍ يقوله لفرسه :

[من الرجز]

أقولُ والرَّكْبَةُ فوقَ المِنْسَجِ إحدى عَشِيَّاتِكَ يا شَمِيرَجُ⁴

ويروى : مشمرج ، فقالوا لابن ميادة : أجب الأمير عبد الصمد بن علي ، وخذ معك من أصحابك مَنْ أَحْبَبْتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةٌ نَفَرٍ أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شجرة ، فدخلتُ على عبد الصمد بن علي فوجدته جالساً متوشحاً بملحفَةٍ مُورَّدةٍ ؛ فقال لي : مَنْ أنت ؟

1 لثِقاً : مبتلاً .

2 شعر ابن ميادة : 218 .

3 ل : وراجلتين .

4 منسج الفرس : ما بين العرف وموضع اللبد .

قلتُ : رجلٌ من بني سُلَيْمٍ ؛ فقال : ما لك تُصاحب المرِيَّ وقد قتلوا معاوية بن عمرو ؛
وقالت الخنساء¹ :

ألا ما لِعَيْنِي أَلَا ما لَهَا لقد أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَ لَهَا
فَأَلَيْتُ آسَى عَلَى هَالِكِ وأسألُ نائِحَةً ما لَهَا
أبعدَ ابنِ عمرو مِن الِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا
فإنْ تَكُ مُرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فقد كان يُكْبِرُ تَقْتَالَهَا

أُتْرِيها ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ، وما زال من المعركة حتى قَتَلَ به خُفاف بن عمرو
المعروف بابن نُدْبَةَ كبش القوم مالك بن حِمَارٍ الفزاري ثم الشَّمْخِي² ، أما سَمِيعُ الأَمِيرِ قولُ
خُفاف بن نُدْبَةَ في ذلك³ :

فإنْ تَكُ خَيْلِي قد أَصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكًا⁴
تَيَمَّمْتُ كَبِشَ القومِ حينَ رَأَيْتُهُ وَجَانِبْتُ شُبَّانَ الرِّجَالِ الصَّعَالِكَا⁵
أقولُ لَهُ والريحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ⁶

وقد تَوَسَّطَ معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتل كبش القوم الذي أُصِيبَ
بأيديهم ؛ فقال : لله دَرُكُ ! إذا وَلَدَتِ النِّسَاءُ فَلْيَلِدْنَ مِثْلَكَ ؛ وأمر لي بألف درهم ، فدُفِعَتْ إليَّ
وخلع عليَّ .

وادخل ابن مِيَادَةَ فسلم عليه بالإمرة ؛ فقال له : لا سلمَ الله عليك يا ماصَ كذا من أمه ؛
فقال ابن مِيَادَةَ : ما أَكْثَرَ المَاصِينَ ! فَضْجِكَ عبد الصَّمَدِ ، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن مِيَادَةَ
التي يقول فيها :

لنا المُلْكُ إِلَّا أَنْ شَيْئاً تَعُدُّهُ قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ رِقَابُهَا⁷

1 الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر) : 120-123 وسترده مرة أخرى في الأغاني في ترجمة الخنساء .

2 الشَّمْخِي : نسبة شَمَخٍ وهم بطن من فزارة .

3 الأبيات في مجموع شعر خُفاف بن نُدْبَةَ (جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي) . وسترده مرة أخرى في

ترجمة خُفاف في الأغاني وفي ترجمة الخنساء . وانظر العقد الفريد 5 : 163-166 والخزانة 5 : 438
وما بعدها .

4 على عين : بجذ ويقين . يقال فعلت كذا عمداً على عين وفعلته عمد عين . وفي ل : على عيني .

5 حين في ل : لما . وجانب في ل : جنب .

6 يَأْطِرُ : يشي ، يعطف .

7 داخَتْ : ذَلَّتْ وخضعت .

ثم قال لابن ميادة : أُعْتِقَ مَا أَمْلِكُ إِنْ غَادَرْتَ مِنْهَا شَيْئاً إِنْ لَمْ أُبْلَغْ غِيْظَكَ ، فقال ابن ميادة : أُعْتِقَ مَا أَمْلِكُ إِنْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا بَيْتاً قَلْتُهُ أَوْ أَقَرْتُ بَيْتَ لَمْ أَقُلْهُ ؛ فَقَرَأَهَا عَبْدُ الصَّمَدِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ قَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ ؛ قَالَ : أَفَكُنْتَ أَمِنْتَ يَا ابْنَ مِيَادَةَ أَنْ يَنْقُصَ عَلَيْكَ بَازٍ مِنْ قَرِيشٍ فَيَضْرِبَ رَأْسَكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ الْبَازِينَ ! أَفَكَانَ ذَلِكَ الْبَازِيَّ أَمِناً أَنْ يَلْقَاهُ بَازٍ مِنْ قَيْسٍ وَهُوَ يَسِيرُ فَيَرْمِيهِ فَتَشُولُ رِجْلَاهُ ! فَضَحِكَ عَبْدُ الصَّمَدِ ثُمَّ دَعَا بِكُسُوفَةٍ فَكَسَاهُمْ .

[تمثل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الصمد¹ بن شبيب قال قال أبو حذافة السهمي : سَبَّ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ بَعْضُ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَأَغْلَظَ لَهُ وَهُوَ سَاكِتٌ ، وَالنَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ صَبْرِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَطَالَ أَقْبَلَ الْحَسَنِيَّ² عَلَيْهِ مِمْتَلَأً بِقَوْلِ ابْنِ مِيَادَةَ³ :

[من الطويل]

أَظُنْتُ سَفَاهاً مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا أَنْ أَهْجُوهَا لَمَّا هَجَجْتَنِي مُحَارِبُ
فَلَا وَأَبِيهَا إِنَّنِي بَعْشِيرَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبُ
فَقَامَ الْقُرَشِيُّ خَجَلًا وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا .

[مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال : مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فَأَخْبَرَنِي مِسْمَعُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَامَ لَهُ بِحَاجَتِهِ عِنْدَ جَعْفَرٍ وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ . قَالَ فَقَالَ لَهُ : جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . مِمَّنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ قُلْتُ : أَحَدُ بَنِي مِسْمَعٍ ؛ قَالَ : مِمَّنْ ؟ قُلْتُ : مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ؛ قَالَ : مِمَّنْ ؟ عَافَاكَ اللَّهُ ! قُلْتُ : مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بَيْكَرَ بْنِ وَاثِلٍ قَطًّا أَوْ عَرَفْتُهُمْ لَمَدَحْتُكَ ، وَلَكِنِّي مَا سَمِعْتُ بَيْكَرَ قَطًّا وَلَا عَرَفْتُهُمْ ، ثُمَّ مَدَحَ جَعْفَرًا فَقَالَ⁴ :

[من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا سَيُوفُ بَنِي عَلِيٍّ بِنَابِيَةِ الطُّبَاةِ وَلَا كِلَالِ
هُمْ الْقَوْمُ الْأَلَى وَرِثُوا أَبَاهُمْ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ غَيْرَ اتِّحَالِ

1 ل : عبد الله .

2 ل : الحسيني .

3 شعر ابن ميادة : 243 ورواية البيت الثاني فيه : « معاذ الإله إني . . . » .

4 شعر ابن ميادة : 214 عن الأغاني .

وهم تَرَكَوا المقال لهم رفيعاً وما تَرَكَوا عليهم من مقالٍ¹
 حَدَوْتُمْ قومَكُم ما قد حَدَوْتُمْ كما يُحْدِي المِثَالُ على المِثَالِ
 فَرَدُّوا في جِرَاحِكُمْ أَسَاكِمَ فقد أَبْلَغْتُمْ مُرَّ النُّكَالِ²

يُشير عليه بالعفو عن بني أُمَيَّةَ ويُذَكِّرُه بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المدينيّ عن محمد بن سلام ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرِّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره : قال جعفر بن سليمان لابن ميادة : أتجِبُّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاك ابنُ عَمِّكَ رِياح³ بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيُّها الأمير ، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عَمِّكَ الوليد بن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميادة : أأنت الذي تقول⁴ :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا نَمَّ تَغَضَّبُوا وَتَغَضَّبَ قُرَيْشٌ تَحْمَرُ قَيْسًا غَضَابُهَا
 قال : لا والله ، ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتُ ؟ قال : قلتُ .
 بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا نَمَّ تَغَضَّبُوا وَتَعَدَّلَ قُرَيْشٌ تَحْمَرُ قَيْسًا غَضَابُهَا
 [هجا بني أسد وبني تميم]

قال : صَدَقْتَ هكذا قلتُ . وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميادة بني أسد وبني تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان :

وَأَحْقَرُ مُحَقَّرِ تَمِيمٍ أَخَوَكُمُ وَإِنْ غَضِبْتَ يَرْبُوعُهَا وَرِبَابُهَا
 أَلَا مَا أَبَالِي أَنْ تُخْدِفَ خَنْدِفُ وَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ يَطِينَنَّ ذُبَابُهَا⁵
 وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكُمْ حِجَابُهَا
 وَلَوْ حَارِبَتْنَا الْجَنُّ لَمْ نَرْفَعْ الْقَنَا عَنِ الْجَنِّ حَتَّى لَا تَهْرَأَ كِلَابُهَا
 لَنَا الْمَلِكُ إِلَّا أَنْ شَيْئاً تَعُدُّهُ قُرَيْشٌ وَلَوْ شِئْنَا لَذَلَّتْ رِقَابُهَا

1 المقال في ل : المقام .

2 الأسى : المداواة والعلاج .

3 ل : رماح .

4 شعر ابن ميادة : 77-78 .

5 تخدِف : تهرول .

وإن غَضِيتُ من ذا قُرَيْشٍ فقلُّ لها مَعَاذَ الإِلهِ أَنْ أَكُونَ أَهَابُهَا
وَأَنِّي لَقَوْلُ الجَوَابِ وَأَنِّي لَمَفْتَجِرُ أَشْيَاءِ يُعَيِّي جَوَابُهَا¹
إِذَا غَضِيتُ قَيْسٌ عَلَيْكَ تَقَاصَرْتُ يَدَاكَ وَفَاتَ الرَّجُلَ مِنْكَ رَكَابُهَا

[ابن ميادة وسَمَاعَةُ بن أَشُول]

قال إِسْحَاقُ فِي خَبْرِهِ فَحَدَّثَنِي جُبَيْرُ بن رِبَاطُ بن عَامِرُ بن نَصْرٍ قال : فقال سَمَاعَةُ بن أَشُولُ النِّعَامِيُّ يَعارِضُ ابنَ مِيَادَةَ :

لَعَلَّ ابنَ أَشْبَانِيَّةٍ عَارَضْتُ بِهِ رِعاءَ الشَّوِيِّ مِنْ مُرْجٍ وَعَازِبٍ²
يُسَامِي فِرْعَوْنَ مِنْ خَزِيمَةٍ أَحْرَزْتُ عَلَيْهِ ثَنَايا المَجْدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فقال ابن مِيَادَةَ : مَنْ هَذَا ؟ لَقَدْ أَغْلَقَ عَلَيَّ أَغْلَقَ اللهُ عَلَيْهِ ! قالوا : سَمَاعَةُ بن أَشُولُ ؛ فقال :
سَمَاعَةُ يُسَمِّعُ بِي³ ، وَأَشُولُ يَشُولُ بِي ، وَاللهُ لَا أَهَاجِيهِ أَبَدًا ، وَسَكَتَ عَنْهُ .

[هَجَاهُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ جُهَيْمِ الأَسَدِيِّ]

وقال عبد الرحمن بن جُهَيْمِ الأَسَدِيُّ أَحَدُ بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَدٍ يَرُدُّ عَلَى ابنِ مِيَادَةَ ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ذَكَرْتُ مِنْهَا أُمَيَّاتًا :

لَقَدْ كَذَبَ العَبْدُ ابنُ مِيَادَةَ الَّذِي رَبَا وَهِيَ وَسَطُ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعَابُهَا
شَرْنَبَةُ الأَطْرافِ لَمْ يَقْنَنَّ كَفَّهَا خِضَابٌ وَلَمْ تَشْرُقْ بِعَطْرِ ثِيَابُهَا⁴
أَرْمَاحُ إِنْ تَغَضَّبَ صَنَادِيدُ حِنْدِفٍ يَهْجُ لَكَ حَرْبًا قَصْبُهَا وَاعْتِيَابُهَا⁵
ويروى «اعْتِيَابُهَا» مِنَ الْغِيَةِ . و«اعْتِيَابُهَا» مِنَ الْعَيْبِ .

وَلَوْ أَغْضَبْتَ قَيْسٌ قُرَيْشًا لَجَدَّعْتُ مَسَامِعَ قَيْسٍ وَهِيَ خُضْعُ رِقَابُهَا
لَقَدْ جَرَّ رَمَاحُ ابنِ وَاهِصَةِ الخُصِيِّ عَلَى قَوْمِهِ حَرْبًا عَظِيمًا عَذَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ المَمْلُوحُ بِالشُّومِ رَأْسُهُ قُتِيبةٌ أَنْ لَمْ تَحْمَرْ قَيْسًا غِضَابُهَا⁶
وَلَمْ تَحْمِهَا أَيَّامَ قَتْلِ ابنِ حَازِمٍ وَأَيَّامَ قَتْلِ كَانَ خِزْيًا مُصَابُهَا

1 يقال افتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه . وفي ل : لمفتخر .

2 الشوي : اسم جمع للشاة .

3 يسمع بي : يشهرني ويفضحني وكذلك يشول بي .

4 شرنبة الأطراف : غليظتها . لم يقن : لم يقنأ أي يصغ .

5 قصبها : عيبها .

6 بالشوم في ل : بالشأم .

ولا يَوْمَ لاقينا نُميراً ففُتِلَتْ
 وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجِبَكَ وَحَوْلَهَا
 ولو أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْلانَ أَصْحَرَتْ
 ولو أَنَّ قَرْنَ الشَّمْسِ كانَ لَمَعِشِرِ
 وَلَكِنَّهَا لِلَّهِ يَمْلِكُ أَمْرَهَا
 لَعَمْرِي لئن شابتَ حَلِيلَةَ نَهَبَلٍ
 ولم تَدْرِ حَمَاءَ الْعِجَانِ أَتَهَبَلُ
 فَإِنَّ يَكْ رَمَّاحُ بْنُ مِيَادَةَ الَّتِي
 جَرَى جَرَيَّ مُوَهُونِ الْقَوَى فَصَرَتْ بِهِ
 فَلَنْ تَسْبِقَ الْمَضْمَارَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
 وَوَاللَّهِ لَوْلا أَنَّ قَيْساً أَذِلَّةٌ
 لَأَلْحَقْتُهَا بِالزَّنَجِ ثُمَّ رَمَيْتُهَا

نُمَيْرٌ وَفَرَّتْ كَعْبُهَا وَكِلَابُهَا
 خُيُولُ تَمِيمٍ سَعْدُهَا وَرِبَابُهَا
 لَأَنْوَاءُ غَنَمٍ غَرَقَتْهَا شِعَابُهَا
 لَكُنَّا لَنَا إِشْرَاقُهَا وَاحْتِجَابُهَا
 بِقُدْرَتِهِ إِصْعَادُهَا وَانْصِبَابُهَا
 لِبُسِّ شَبَابِ الْمَرْءِ كانَ شَبَابُهَا
 أَبُوهُ أُمُّ الْمُرِّي تَبَّ تَبَابُهَا
 يُصِنَّ إِذَا بَاتَتْ بِأَرْضٍ تَرَابُهَا
 لَعِيمةٌ أَعْرَاقٍ إِلَيْهِ اتِّسَابُهَا
 مِنَ الْخَيْلِ عِنْدَ الْجِدِّ إِلَّا عِرَابُهَا¹
 لَنَامَ فَلَا يُرْضَى لِحُرِّ سِيَابُهَا
 بِشِنْعَاءِ يُعْيِي الْقَاتِلِينَ جَوَابُهَا

[ابن ميادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشيباني فعرضتهُ على أبي داود فعرفه أو عامته ، قال : إنا لجلوسٌ على الهَجْمِ² في ظلِّ القَصْرِ عَشِيَّةً ، إذ أَقْبَلَ إلينا ثلاثة نفرٍ يَقُودُونَ نَاقَةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عيينة بن حِصْنٍ وهو في جماعة من بني عيينة ، قال : فرأيتُ أَجَلَةً ثلاثةً ما رأيتهُم قطُّ ، فقلنا : مَنْ القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بنيهِ : اذهب بهذه الناقة فأطلقْ عنها عند بيت أَمِّكَ ؛ فقال له ابن ميادة : هذه يا أبا جعفر السَّعْلاة ، أَفلا أنشِدُكَ ما قلتُ فيها ؟ قال : بلى فهات ؛ فقال³ :

فَعَدْتُ عَلَى السَّعْلاةِ تَنْفُضُ مِسْحَهَا
 وَتَجَذَّبُ مِثْلَ الْأَيْمِ فِي بُرَةِ الصُّفْرِ⁴
 تُيَمِّمُ خَيْرَ النَّاسِ مَاءً وَحَاضِراً
 وَتَحْمِلُ حَاجَاتِ تَضَمُّنِهَا صَدْرِي⁵

1 تسبق في ل : الصمات .

2 الهجم : ماء لبني فزارة .

3 شعر ابن ميادة : 152-153 عن الأغاني .

4 الأيم : الحية .

5 الحاضر : الحي العظيم .

فَأَنِّي عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي لِقَائِلٌ وَجَدْتُ خِيَارَ النَّاسِ حَيَّ بَنِي بَدْرِ
لَهُمْ حَاضِرٌ بِالْهَجْمِ لَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ حَيًّا أَهْلُ بَدْوٍ وَلَا حَضَرٍ
وَحَيْرٌ مَعْدٌ مَجْلِسًا مَجْلِسٌ لَهُمْ يَفِيءُ عَلَيْهِ الظِّلُّ مِنْ جَانِبِ الْقَصْرِ
أَخْصُرُ بِهَا رَوْقِي عُيَيْنَةٌ إِنَّهُ كَذَاكَ ضَحَاخُ الْمَاءِ يَأْوِي إِلَى الْعَمْرِ
فَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تَتَخَيَّرُوا الدَّ حِمَاهُ وَأَنْ تَرْعَوْا ذُرَى الْبَلَدِ الْقَفْرِ

قال : فكان أول قائم من القوم ركضة بن علي بن عيينة ، وهو ابن عم أبان وعبد بن بنت أبان ، وكانت إبله في العطن¹ وهي أكرم نعم بني عيينة وأكثره ، فقال : ما سمعت كاليوم مديح قوم قط ، حكمتك ماض في هذه الإبل ؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، وقام آخر وآخر ؛ فقال ابن ميادة : يا بني عيينة ، إني لم آتكم لتباري لي شياطينكم في أموالكم ، إنما كان علي دين فأردت أن تعطوني أبكراً أبيعها في ديني . فأقام عند أبان بن سعيد خمسة عشر يوماً ، ثم راح بتسع عشرة ناقة ، فيها ناقة لابن أبان عشراء أو رباعية . قال يحيى في خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة : إني على الهجم يوماً إذ أقبل رجل فجعل يصرف راحلته في الحياض فيرده الرجل بعد الرجل ، فدعوته فقلت : اشرع في هذا الحوض ؛ فلما شرع فسقى قال : من هذا الفتى ؟ فقلت : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة ؛ فقال² : [من الطويل]

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُن لَأَبَاءِ سَوْءٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا
فَمَا الْعَوْدُ إِلَّا نَابِتٌ فِي أَرْوَمِهِ أَبِي شَجَرُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله : [من الطويل]

كَذَاكَ ضَحَاخُ الْمَاءِ يَجْرِي إِلَى الْعَمْرِ

فقال : أراد أن الأمر كله والسودد يصير إليه ، كما يصير الماء إلى الغمرة حيث كانت .

[ابن ميادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال أخبرني مصعب بن الزبير قال : ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره ، وابن ميادة من أحوال أيوب بن سلمة ، فقال فيه³ : [من الطويل]

1 العطن : مبرك الإبل .

2 شعر ابن ميادة : 272 وقد وضعهما جامع الشعر في ما ينسب إلى ابن ميادة وليس له . وهما ينسبان أيضاً لجميل بئينة ونهشل بن حري أو يردان دون نسبة .

3 شعر ابن ميادة : 216 عن الأغاني .

ظَلَّلْنَا وَقُوفاً عِنْدَ بَابِ ابْنِ أُخْتِنَا وَظَلَّ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَالْمَجْدِ فِي شُغْلٍ
صَفَا صَلْدٌ عِنْدَ النَّدَى وَنَعَامَةٌ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْعُصْلِ

[ابن ميادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيوب وأخبرني مصعب قال : قدم ابن ميادة على رياح بن عثمان ، وقد وليَ المدينة وهو جادٌ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذْ حَرَساً وجُنُداً من غَطَفَانٍ وَاثَرَكَ هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَكَ ، وحَذَارٍ من قريش ؛ فاستخفَّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلَمَّا قُتِلَ رياح قال ابن ميادة¹ : [من الوافر]

أَمَرْتُكَ يَا رِيَّاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فَقُلْتَ هَشِيمَةً مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
وَقُلْتُ لَهُ تَحْفَظْ مِنْ قُرَيْشٍ وَرَقَّعَ كُلَّ حَاشِيَةٍ وَبُرِدَ
فَوَجَدَا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً غَيْرَ وَجْدِي

[تشبيه بالنساء]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدَّثني أكثم بن صيفي المُرِّي ثم الصاردي عن أبيه قال : كان ابنُ ميادة رأى امرأة من بني جُشَمِ بن معاوية ثم من بني حَرَامٍ يقال لها أم الوليد ، وكانوا ساروا عليه ، فأعجبَ بها وقال فيها² :

أَلَا حَبَّذَا أُمُّ الْوَلِيدِ وَمَرَبَعٌ لَنَا وَلَهَا نَشْتُو بِهِ وَنَصِيفُ

ويروى :

لَنَا وَلَهَا بِالْمَشْتَوَى وَمَصِيفُ حَرَامِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا
فَوَعَثُ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَلَطِيفُ كَأَنَّ الْقُرُونَ السَّوْدَ فَوْقَ مَقْدَّهَا
إِذَا زَالَ عَنْهَا بُرُوعٌ وَنَصِيفُ بِهَا زَرْجُونَاتٌ بِقَفَرٍ تَنْسَمْتُ
لَهَا الرِّيحُ حَتَّى بَيْنَهُنَّ رَفِيفُ³

قال : فلَمَّا سَمِعَ زَوْجَهَا هَذِهِ الْآيَاتِ أَتَاهَا فَحَلَفَ بِطَلَاقِهَا لَئِنْ وَجَدَ ابْنَ مِيَادَةَ عِنْدَهَا لَيَدُقَنَّ فَخِذَهَا ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا وَاعْتَرَاهَا⁴ ، حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عِنْدَ بَيْتِهَا فَدَقَّ فَخِذَهَا ، وَاحْتَمَلَ فَرَحْلَ

1 شعر ابن ميادة : 114 .

2 شعر ابن ميادة : 171 .

3 الزرجونة : شجرة الغلب .

4 اغترها : راقبها وطلب غرتها .

ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميادة¹ :

[من الوافر]

أَنَا سَارَ بْنُ كَلَابٍ حَرَامِيُونَ لَيْسَ لَهُمْ حَرَامُ
كَأَنَّ بَيْوتَهُمْ شَجَرٌ صِغَارٌ بَقِيعَانِ تَقِيلُ بِهَا النَّعَامُ
حَرَامِيُونَ لَا يَقْرُونَ ضَيْفًا وَلَا يَذَرُونَ مَا خُلِقَ الْكَرَامُ

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأعجبَ بامرأة منهم يقال لها : أمّ البختريّ ، وكان يتحدث إليها مدّة مقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها² :

[من الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرَقٍ لَا يُفْتَرُ لَامِعُهُ بَشْهَبِ الرَّبِيِّ وَاللَّيْلِ قَدْ نَامَ هَاجِعُهُ³
أَرِقْتُ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ صُحْبَتِي وَأَعْجَبَنِي إِيْمَاضُهُ وَتَتَابُعُهُ
يُضِيءُ صَبِيرًا مِنْ سَحَابٍ كَأَنَّهُ هِجَانٌ أَرْنَتْ لِلْحَنِينِ نَوَازِعُهُ⁴
هَنِيئًا لَأَمِّ الْبَخْتَرِيِّ الرَّوَى بِهِ وَإِنْ أَتَهَجَّ الْحَبْلُ الَّذِي النَّأْيُ قَاطِعُهُ⁵
لَقَدْ جَعَلَ الْمُسْتَبْضِعُ الْغَشَّ بَيْنَنَا لِيَصْرِمَ حَبْلِنَا تَجُوزُ بِضَائِعُهُ
فَمَا سَرَحَةٌ تَجْرِي الْجَدَاوِلُ تَحْتَهَا بِمَطَرِدِ الْقِيعَانِ عَذْبٍ يَنَابِعُهُ⁶
بِأَحْسَنِ مَنَاهَا يَوْمَ قَالَتْ بِذِي الْغَضَا أَتَرَعَى جَدِيدَ الْحَبْلِ أَمْ أَنْتَ قَاطِعُهُ

[خطب امرأة من بني سلمى بن مالك فلم يزوجه]

أخبرني عمّي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأشعث أنّ ابن ميادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البهثة ، وهم بطن يقال لهم البهثاء ، فأبوا أن يزوجه وقالوا : أنت هَجِينٌ وَغَنٌ أَشْرَفُ منك ؛ فقال⁷ :

[من الطويل]

فَلَوْ طَاوَعْتَنِي آلَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ لِأَعْطَيْتُ مَهْرًا مِنْ مَسْرَةِ غَالِيَا
وَسِرْبٍ كَسِرْبِ الْعَيْنِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ يُغَادِينُ بِالْكُحْلِ الْعُيُونُ السَّوَاغِيَا

1 شعر ابن ميادة : 223 عن الأغاني .

2 شعر ابن ميادة : 167 عن الأغاني .

3 يفتّر : يضعف ويخبو .

4 الصبير : السحاب الأبيض الكثيف . هجان الإبل : البيض .

5 أنهج الحبل : أخلق ويلي .

6 القيعان في ل : القرعان .

7 شعر ابن ميادة : 239 عن الأغاني .

إِذَا مَا هَبَّطْنَ النَّيْلَ أَوْ كُنَّ دُونَهُ بِسَرِّهِ الْحِمَى أَلْقَيْنَ ثَمَّ الْمَرَاثِيَا¹
[مات في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم
يَفِدْ² إليه ولا مدحه ، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة³ ثوابه لهم .

1 النيل : بليدة في سواد الكوفة (ياقوت) أو موضع في بلاد بني كلاب . وفي ل : النير . السرو : ما ارتفع عن
مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .

2 ل : يعد .

3 ل : نزارة .

[16] - أخبار حنين الحيري ونسبه

[نسب]

حنين بن بلوغ الحيري مختلف في نسبه ، فقيل : إنه من العباديين من تميم ، وقيل : إنه من بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بقوا من جدّيس وطسم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعدّوا فيهم ، ويُكنى أبا كعب . وكان شاعراً مُعَنِّياً فحلاً من فحول المُعَنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحيرة ويُكرّي الجمال إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانياً . وهو القائل يصف الحيرة ومنزلها بها :

صوت

أنا حنينٌ ومنزلي النَجَفُ وما نَدِيمي إلا الفتى القَصِيفُ
أقرعُ بالكأسِ ثَغَرَ باطيةٍ مُتَرَعَّةٍ ، تارةً وأغترفُ
من قهوةٍ باكرَ التجارِ بها بيتَ يهودٍ قرارها الخَزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِيبٌ لم تَغْذُنِي شِقْوَةٌ ولا عُنْفُ

الغناء والشعر لحنين ، ولحنه خفيف رمل بالنصر . وفيه لابن المكيّ خفيف ثقيل قديم . ولعريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ .

[غنى هشام بن عبد الملك في الحجّ]

أخبرنا وكيع قال قال حماد حدثني أبي عن أبي الخطاب قال وحدثني ابن كناسة عن سليمان بن داود : مولّى ليحيى ، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوبَةَ عن قَعْنَب بن الحرز الباهليّ عن المدائنيّ قالوا جميعاً : حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُهُ الأبرشُ الكلبيّ ، فوقَفَ له حنين بظهر الكوفة ومعه عودُه وزامرُ له ، وعليه قُلَنَسِيَّةٌ طويلة ، فلما مرّ به هشامُ عَرَضَ له ؛ فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : حنين ، فأمر به فحُمِلَ في مَحْمَلٍ على جمل وعَدِيلُهُ زامرُه ، وسيرَ به أمامه وهو يتغنّى :

صوت

أَمِنْ سَلْمَى بِظَهْرِ الكُو فَةِ الآيَاتِ وَالطَّلُلُ
يلوحُ كما تلوَحُ على جفون الصَّيْقِلِ الْخِلَلُ¹

1 الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويجلوها . والخلل : جمع خلّة وهي بطانة تجعل على السيف وينقش عليها بالذهب أو غيره .

الصنعة في هذا الصوت لَحْنَيْنِ ثاني ثقيل بالبصر عن عمرو . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره ، قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطاب أنه غنى هشاماً :
[من مجزوء الرمل]

صوت

صاح هل أبصرتَ بالخَبِّ تتين من أسماء نارا
مَوْهِناً شُبَّتْ لعينيه لك ولم تُوقِدْ نهارا
كَتَلَالِي البرقِ في المَزْ ن إذا البرقُ استطارا
أذكرتني الوصلَ من سَعْد مدى وأياماً قصارا

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثقيل بالسبابة في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . ونسبه ابن المَكِّي إلى الغريض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهشامي : فيه لمالك خفيف رمل ، قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف ، فأمر له بمائتي دينار .
[كان يغني ثمن غناه]

وقال إسحاق : قيل لَحْنَيْنِ : أَنْتَ تُغْنِي منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالأ ولا داراً ولا عَقَراً إلا آتيتَ عليه ! فقال : بأبي أنتم ، إنما هي أنفاسي أقسيمها بين الناس ، أَفَتَلُومُونَنِي أَنْ أُغْلِي بها الثمن !
[غنى في الموسم في ظل بيت أبي موسى الأشعري]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزِيد قالوا حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه ومُضْعَب بن الزُّبَيْر عن بعض المَكِّيِّين ، وأخبرني به الحرميُّ بن أبي العلاء وحبيب بن نصر قالوا حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَب قال حَدَّثَنِي شيخ من المَكِّيِّين يقال له شَرِيس¹ قال : إنا لبالأبطح أيامَ الموسم نَشْتَرِي ونَبِيعُ إذ أَقْبَلُ شيخٌ أبيضُ الرأسُ واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو أشدَّ بياضاً أم بقلته أم ثيابه ؛ فقال : أين بيتُ أبي موسى ؟ فأشرنا له إلى الحائط ؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلِّ من بيت أبي موسى ، ثم استقبلنا ببقلته ووجهه ثم اندفع يُغْنِي :
[من الخفيف]

صوت

أُسْعِدِينِي بدمعةٍ أُسْرَابٍ من دموعٍ كثيرةٍ التَّسْكَابِ²

1 ل : شويس .

2 أُسْعِدِينِي في ل : أُسْعَدَانِي .

إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكَوْنِي مُغْرَمًا مَوْلَعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
فَارْقَوْنِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
سَكَنُوا الْجَزَعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفْحِي السَّبَابِ¹
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونُ مِنْ حَيٍّ صِدْق وَكَهُولٍ أَعْفَى شَبَابِ
أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَايَا مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَلِيَ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَصْحَابِي

الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي . والغناء لمبعد ثقيف أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن أبي ذباكل الخزاعي ثاني ثقيف بالوسطى عن ابن خرداذبة ، قال : ثم صرّف² الرجل بغلته وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه من هو ؛ فقال : أنا حنين بن بلوع وأنا رجل جمال أكري الإبل ، ثم مضى .

[خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني ، قال : كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيات³ ، فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطرين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قدّه وحلاوته وخفة روحه استحلّوه ، وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويشتهي ويصغي إليه ويستمتع ويطيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد يُتَفَعَّعَ به في شيء إذا سمعته ، حتى شدا منه أصواتاً فاستمعها الناس ، وكان مطبوعاً حسن الصوت ، واشتهوا غنائه والاستماع منه وعشرفته ، وشهره بالغناء ومهر فيه ، وبلغ منه مبلغاً كبيراً ، ثم رَحَلَ إلى عُمر بن داود الوادي وإلى حَكَم الوادي ، وأخذ منهما ، وغنى لنفسه في أشعار الناس ، فأجاد الصنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره . وقَدِمَ ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حُنيئاً ، وقد كان يعرفه ، فخشى أن يعرفه الناس فيستحلّوه ويستولي على البلد فيسقط هو ، فقال له : كم متّك نفسك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وانصرف واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف .

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن

1 صفي السباب : موضع بمكة .

2 ل : ضرب .

3 التحيات : ما يجيا به القادم من باقات الریحان ونحوه .

إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن مُحَرِّز قَدِمَ الكوفة وبها بِشْرُ بن مروان ، وقد بلغه أَنَّهُ يشربُ الشراب ويسمعُ الغِناء ، فصادفه وقد خرج إلى البصرة ؛ وبلغ خبره حُنين بن بَلَوَع فتلطَّف له حتى دعاه ؛ فغناه ابن محرز لحنه ، قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثَّقِيل الثاني من جَيِّد الأغاني :

صوت

وَحُرُّ الرَّبْرِجَدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ زَانَ الْعُقُودِ¹
يُقَصِّلُ ياقوتُهُ دُرَّهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدُ

قال : فسمع شيئاً هاله وحيره ، فقال له حنين : كم مَنَّتَكَ نفسك من العراق ؟ قال : أَلَفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودَعِ العراق لي وامضْ مُصاحباً حيث شئت ، قال : وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحبُّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثِّرُ على الخلوة شيئاً ، فأخذها وانصرف .

[خرج إلى حمص وغنى بها فلم يستطع أهلها غناه]

وقال حماد في خبره قال ابني حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنين قال : خرجت إلى حِمَصِ أَلْتَمِسُ الْكَسْبَ بها وأرتاد مَنْ أَسْتَفِيدُ مِنْهُ شيئاً ، فسألت عن الْفَتَيَانِ بها وأين يجتمعون ، فقل لي : عليك بِالْحَمَامَاتِ فَإِنَّهُنَّ يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلته ، فإذا فيه جماعة منهم ، فَأَنْسَتُ وانبسطت ، وأخبرتهم أنني غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتينَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا ، وأتينَا بِالشَّرَابِ فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مُغَنٍّ يُغَنِّيكم ؟ قالوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ قلت : أَنَا لكم به ، هاتوا عُوداً فَأَتَيْتُ بِهِ ، فابتدأتُ في هُنَيَاتٍ² أَبِي عَبَادٍ مَعْبَدٍ ، فَكَأَنَّمَا غَنَيْتُ لِلْحَيَّطَانِ لَا فَكِيهوا لَغَنَائِي وَلَا سُرُّوا بِهِ ، فقلت : ثَقُلَ عَلَيْهِمْ غِنَاءُ مَعْبَدٍ لِكثَرَةِ عَمَلِهِ وَشِدَّتِهِ وَصَعُوبَةِ مَذْهَبِهِ ، فَأَخَذْتُ فِي غِنَاءِ الْغَرِيضِ فَإِذَا هُوَ عِنْدَهُمْ كَلَا شَيْءٍ ، وَغَنَيْتُ خَفَائِفَ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَأَهْزَاجَ حَكَمٍ ، وَالْأَغَانِي الَّتِي لِي ، وَاجْتَهَدْتُ فِي أَنْ يَفْهَمُوا ، فَلَمْ يَتَحَرَّكَ مِنْ الْقَوْمِ أَحَدٌ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : لَيْتَ أَبَا مُنَبِّهٍ قَدْ جَاءَنَا ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَرَى أَنِّي سَأَفْضَحُ الْيَوْمَ بِأَبِي مُنَبِّهٍ فَضِيحَةً لَمْ يَفْضَحْ أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا . فبينما نحن كذلك إذ جاء أَبُو مُنَبِّهٍ ، وَإِذَا هُوَ شَيْخٌ عَلَيْهِ خَفَانٌ أَحْمَرَانِ كَأَنَّهُ جَمَالٌ ، فوثبوا جميعاً إليه وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وقالوا : يَا أَبَا مُنَبِّهٍ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا ،

1 الليت : صفحة العنق .

2 الهنيات : الأراجيز .

وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً ، وَخَنَسْتُ أنا حتى صرتُ كَلا شيءٍ خوفاً منه ، فأخذ العود
ثم اندفع يغني :

طَرِبَ البحر فاعْبُرِي يا سفينه لا تَشْقِي على رجالِ المدينة
فأقبل القوم يصفقون وَيَطْرَبُونَ ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ، فقلت في نفسي :
أنتم هاهنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أُمِيتُ في هذه البلدة . فلمّا أصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي
واحتقبتُ رَكوةً¹ من شرابٍ وَرَحَلْتُ متوجّهاً إلى الحيرة ، وقلت : [من الخفيف]

ليتَ شعري متى تَخَبَّ بِي النا قةُ بين السَّديرِ والصَّيِّونِ
مُحَقِّباً رَكوةً وَخُبْزَ رُقاقٍ وَبُقُولاً وَقِطْعَةً من نُونٍ²
لستُ أبغي زاداً سواها من الشا مٍ وحسبي عُلالَةٌ تَكْفِينِي
فإذا أَبْتُ سالماً قلتُ سُحْقاً وَبِعَاداً لمعشرٍ فارقوني

[غنى خالدُ القسري بعد ما حرم الغناء]

أخبرني محمد بن مَزِيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبار
رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أَدْرَجَ الإسنادَ وهو
سماعه أم ذكره مُرسلاً ، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة : أنَّ خالدَ بن عبد الله القسري حَرَّمَ الغناء
بالعراق في أيامه ، ثم أَذِنَ للناس يوماً في الدخول عليه عامّةً ، فدخل إليه حُنين ومعه عودٌ تحت
ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرب ذلك
بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ؛ فقال له خالد : غَنِّ ؛ فحرّك
أوتاره وغنّى : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الشامتُ المُعَيَّرُ بالدهرِ رِ أأنتِ المُبرِّأُ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّامِ بل أنتِ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رَأَيْتَ المَنونَ خَلَدْنَ أم مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أَذِنْتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسَنَّ سفينهاً ولا مُعَرِّباً .
فكان إذا دُعِيَ قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعَرِّبٌ ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

1 ل : زكرة وهي زق صغير .

2 ركة في ل : زكرة .

شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد ، والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله :
المبرأ ، يعني المبرأ من المصائب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وفّر
الرجل يوفّر . ولديك بمعنى عندك ها هنا .
[غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصّحّاف الكوفي قال حدثنا قَعْنَب بن المُحَرِّز
الباهلي قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عيَّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبِيِّ جميعاً ،
وأخبرني محمد بن مَزِيد وحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن
عيَّاش عن الشَّعْبِيِّ قال : لما ولي بِشْرُ بن مروان الكوفة كنتُ على مظالمه ، فأتيته عشيّةً وحاجبه
أَعْنِ (صاحب حمّام أَعْنِ) جالس ، فقلت له : استأذن لي على الأمير ، فقال لي : يا أبا
عمرو ، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعلمه ، وخلاك ذمّ ، فقد حدث أمر
لا بدّ لي من إنّهائه إليه ، وكان لا يجلس بالعشيّ ، فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة
حتى أوصلها إليه ؛ فكتبتُ رُقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممّن
يُحتشم منه فأذن له ، فأذن لي فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة
صفراء وملاءة تقوم قياماً من شدّة الصّقال ، وعلى رأسه إكليل من ریحان ، وعلى يمينه
عِكرمة بن رُبَيع ، وعلى يساره خالد بن عَتَّاب بن ورفاء ، وإذا بين يديه حُنين بن بلّوع معه
عوده ، فسلمتُ فردّ عليّ السلام ورحّب وقرب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرك لم آذن
له على هذه الحال ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك الستر لكلّ ما أرى منك والدخول
معلك فيما لا يَجْمُل ، والشكرُ على ما تُؤلّيني ؛ فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتُ إلى حُنين
وعوده في حجّره وعليه قباء خُشْك شوي ، وقال إسحاق : خشكون ، ومُسْتَقَّة¹ حمراء
وخُفّان مُكعَّبان ، فسلم عليّ ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب ؛ فقال : بخير أبا عمرو ؛
فقلت : احزق الزّير وأرخ البمّ ففعل ؛ وضرب فأجاد ؛ فقال بشر لأصحابه : تلوموني على
أن آذن له في كلّ حال ! ثم أقبل عليّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حزق الزير ؟ فقلت :
ظننت أن الأمر هناك ؛ فقال : فإنّ الأمر كما ظننت هناك كلّهُ . ثم قال : فمن أين تعرف
حُنيئاً ؟ فقلت : هذا بطّة أعراسنا فكيف لا أعرفه ؟ فضحك ، وغنى حُنين فأجاد ، فطرب
وأقرّ له بجائزة ، ثم ودّعته وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم
وعشرة أثواب ؛ فقامتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفت . وقد وجدت هذا الخبر

1 خشك شوي : قميص خشن . خشكون : زاهي اللون . مستقة : فرو طويل الكمّ أو جبة واسعة . وجميعها
كلمات معربة عن الفارسية .

بخط أبي سعيد السُّكْرِي يَأْثُرُهُ¹ عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جدّه : أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ الشَّعْبِيُّ هَذَا الْمَدْخَلَ وَأَنَّ حَنِينَ بْنَ بَلَوَعَ غَنَاءَ : [مِنَ الطَّوِيلِ] هُمْ كَتَمُونِي سَيْرَهُمْ حِينَ أَرَمَعُوا وَقَالُوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكَرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأنّ هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعلّويه رمل بالوسطى ، وغنّني للمأمون فيه فقال : سَخَرُوا مِنِّي الْفَضْلَ أَعَزَّهُ اللَّهُ . [شيء من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي ، وقال أبو عبيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال : وكان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في أيام بني أمية ، فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَبُ المثل في الجاهليّة والإسلام ؟ قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطيب مائها ، ونزّهة ظاهرها ، تصلح للخفّ والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومنازلهم ، وقد قدّمتها ، أصلحك الله ، مُحِفّاً فرجعتْ مُثْقِلاً² وورّدتها³ مُقِلاً فأصارتك مُكثراً ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وصفتها به من الفضل ؟ قال : بأنّ تصير إليّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذات العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك ؛ قال : أفعل ؛ فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسَمَكها وما صيّد من وَحْشها : من ظباء ونعامٍ وأرانبٍ وحبارى ، وسقام ماءها في قِلالها ، وخمرها في آينتها ، وأجلسهم على رَقَمها³ ، وكان يُتَّخَذُ بها من الفُرُش أشياء ظريفة ، ولم يستخدم لهم خُراً ولا عَبْدّاً إلّا من مُولّديها ومولّداتها من خَدَمٍ ووصائفٍ ووصفاء كأنّهم اللؤلؤ ، لُغَتُهُمْ لُغَةُ أَهْلِهَا ، ثم غَنّاهم حُنينٌ وأصحابه في شعر عَدِيّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما ، وحيّاهم برياحينها ، ونَقَلَهُمْ على خَمَرها ، وقد شربوا بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيَنتي استعنتُ على شيءٍ ممّا رأيَيت وأكلتَ وشربتَ وافترشتَ وشَمَمْتَ وسَمِعْتَ بغير ما في الحيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفة بلدك ونَصَرْتَهُ فَأَحْسَنْتَ نَصَرَتَهُ والخروج ممّا تَضَمَّنْتَهُ ، فبارك الله لكم في بلدكم .

1 يَأْثُرُهُ : يرويه .

2 ل : وزرتها .

3 الرقم : ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ .

[المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين]

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حنين إلا نقرأ من السدريين يقال لهم : عباديس ، وزيد بن الطليس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن حممة ، وكانوا يغنون غناء الحيرة بين المزج والنصب¹ وهو إلى النصب أقرب ولم يدون² منه شيء لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول . وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حممة ، أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد .

[عمره ونسبه]

وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدثني أبو بشر الفزاري قال حدثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب قال : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنه من جدّيس ؛ قال وقيل أيضاً : إنه من لخم ؛ وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب .

[غنى حفيده إبراهيم بن المهدي وقصّ عليه خبر جدّه مع ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال : كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي ، فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّة أصوات لجدّه ، فما استحسنتها ، لأنّ الشيخ كان مشوّه الخلق³ ، طنّ الغناء⁴ ، قليل الحلاوة ، إلا أنّه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يقرّغ منه ، فغنّاني صوت ابن سريج :

فتركتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِنُهُ مَا بَيْنَ قَلْعِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

فما أذكر أنّي سمعته من أحد قطّ أحسن ممّا سمعته منه ، فقلت له : لقد أحسنت في هذا الصوت ، وما هو من أغاني جدّك ولا من أغاني بلدك ، وإني لأعجب من ذلك ! فقال لي الشيخ : والصليب والقربان ما صُنِعَ هذا الصوت إلّا في منزلنا وفي سرداب لجدّي ، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمّتي ؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال :

[ضافه ابن سريج متكرراً فأكرمه]

حدثني أبي أنّ عبيد بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار . فأتى بها منزلنا في ولاية

1 النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنّه أرقّ .

2 ل : يذروا .

3 ل : مشتد الخلق .

4 ل : كزّ الغناء .

بِشْر بن مروان الكوفة ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مَكَّة ، بلغني طيبُ الحيرة وجودةَ حَمَرها وحُسْنُ غَنائِكَ في هذا الشعر :

حَتَّيْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَذْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بِقَيْدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ، وتعاشر حتى تَنفَدَ وأنصرف إلى منزلي . فسأله جَدِّي عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتمى إلى بني مخزوم ، فأخذ جَدِّي المال منه وقال : موَقَّرُ مَالِكَ عَلَيْكَ وَلَكَ عِنْدَنَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُكَ مَا نَشِطْتَ لِلْمُقَامِ عِنْدَنَا ، فَإِذَا دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى بَلَدِكَ جَهَّزْنَاكَ إِلَيْهِ وَرَدَدْنَا عَلَيْكَ مَالَكَ وَأَخْلَفْنَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَيْكَ إِلَى أَنْ جِئْتَنَا ، وَأَسْكَنَهُ دَارًا كَانَ يَنْفَرِدُ فِيهَا ؛ فَمَكَثَ عِنْدَنَا شَهْرَيْنِ لَا يَعْلَمُ جَدِّي وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِنَا أَنَّهُ يُغْنِي ، حَتَّى انصرف جَدِّي مِنْ دَارِ بِشْر بن مروان فِي يَوْمٍ صَائِفٍ مَعَ قِيَامِ الظَّهِيرَةِ ، فَصَارَ إِلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِي كَانَ أَنْزَلَ ابْنَ سَرِيحٍ فِيهَا فَوَجَدَهُ مُعَلَّقًا فَارْتَابَ بِذَلِكَ ، وَدَقَّ الْبَابَ فَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ وَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَصَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْحَرَمِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا ابْنَتَهُ وَلَا جَوَارِيَهُ ، وَرَأَى مَا بَيْنَ الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْحَرَمُ وَدَارِ ابْنِ سَرِيحٍ مَفْتُوحًا ، فَاتَّضَى سَيْفَهُ وَدَخَلَ الدَّارَ لِيَقْتُلَ ابْنَتَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَهَا رَأَى ابْنَتَهُ وَجَوَارِيَهُ وَقُوفًا عَلَى بَابِ السَّرْدَابِ وَهُنَّ يُؤَمِّنْنَ إِلَيْهِ بِالسَّكُوتِ وَتَخْفِيفِ الْوُطْءِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى إِشَارَتِهِنَّ لِمَا تَدَاخَلَهُ ، إِلَى أَنْ سَمِعَ تَرَنَّمَ ابْنَ سَرِيحٍ بِهَذَا الصَّوْتِ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَصَاحَ بِهِ ، وَقَدْ عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ ، وَلَكِنْ بِالنَّعْتِ وَالْحَذَقِ : أَبَا يَحْيَى ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَتَيْتَا بِلَثْمَائَةِ دِينَارٍ لِنُنْفِقَها عِنْدَنَا فِي حَيْرَتِنَا ! فَوَحَقَّ الْمَسِيحُ لَا خَرَجْتَ مِنْهَا إِلَّا وَمَعَكَ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ وَثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ وَسَوَى مَا جِئْتَ بِهِ مَعَكَ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَلَقِيَهُ بِخِلَافٍ مَا كَانَ يَلْقَاهُ بِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَاغَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . فَصَارَ مَعَهُ إِلَى بِشْر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهمٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ وَصَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِثْلِهَا ؛ فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ رَدَّ عَلَيْهِ جَدِّي مَالَهُ وَجَهَّزَهُ وَوَصَلَهُ بِمِقْدَارِ نَفَقَتِهِ الَّتِي أَنْفَقَهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحِيرَةِ ، وَرَجَعَ ابْنُ سَرِيحٍ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ أَخَذَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِي دَارِنَا مِنْ هَذَا الصَّوْتِ .

[استقدمه إلى الحجاز ووفاته]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي حُسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ الْحِيرِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَغْنُونُ فِي عَصْرِ جَدِّي أَرْبَعَةَ نَفَرٍ ثَلَاثَةٌ بِالْحِجَازِ وَهُوَ وَحْدَهُ بِالْعِرَاقِ ، وَالَّذِينَ بِالْحِجَازِ : ابْنُ سَرِيحٍ وَالْغَرِيضُ وَمَعْبُدٌ ، فَكَانَ يَبْلُغُهُمْ أَنَّ جَدِّي حُنَيْنًا قَدْ غَنَى فِي هَذَا الشَّعْرِ :

[من الكامل]

هَلَا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَاهِبِ وَكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ الْمَشِيْبِ الْآتِبِ
 هَذَا وَرُبُّ مُسَوِّفِينَ سَقَيْتُهُمْ مِنْ خَمْرٍ بَابِلَ لَذَّةً لِلشَّارِبِ
 بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ قَعْبِ الْحَالِبِ
 بِزَجَاجَةٍ مَلَأَ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبٍ¹

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدِّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعةٍ شرُّ منَّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيه . فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا ، فشخص إليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه ، فلم ير يومٌ كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صيروا إليّ ؛ فقال له ابن سريج : إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينه بنت الحسين عطفتنا إليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدلوا إلى منزل سكينه . فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذناً عاماً فغصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنهم سألو جدِّي حُنيئاً أن يغنيهم صوته الذي أوله :

هَلَا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَاهِبِ

فغناهم إيَّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنَّا لتتقدَّمك ، ولا نُغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغناهم إيَّاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس على السطح وكثروا لسمعوه ، فسقط الرُّواق على مَنْ تحته فسَلِموا جميعاً وأُخرجوا أصِحَّاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سكينه عليها السلام : لقد كدَّر علينا حُنين سرورنا ، انتظرناه مدَّةً طويلة كائناً والله كنَّا نسوقه إلى مَنِيَّتِهِ .

[الغناء في الأصوات المتقدِّمة.]

نسبة ما في الخبر الأوَّل² من الغناء

صوت

[من الكامل]

وَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

1 فصح في ل : صبح .

2 سقطت من ل .

إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخَذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَأْتِمِ¹
الشعر لعنترة بن شداد العبسي ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل . ومنها :

صوت

[من الوافر]

حَتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَذْنُو لِصَيْدٍ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بِقَيْدٍ

الغناء لحنين الحيري ثقيل أول . وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري جميعاً عن ابن المكي ، ووافقه عمرو بن بانه في لحن إبراهيم الموصلي . ونسبة الشعر الذي غناه حنين في منزل سَكِينَة ، عليها السلام ، يقال : إِنَّهُ لَعَدِيّ بن زيد ، وقيل : إِنَّ بَعْضَهُ لَهُ وَقَدْ أَضَافَهُ الْمَغْنُونُ إِلَيْهِ . وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق .

صوت من المائة المختارة

[من الكامل]

رَاعَ الْفَوَازَ تَفَرَّقُ الْأَحْبَابِ يَوْمَ الرِّحِيلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي
فَطَلَلْتُ مَكْتَبًا أَكْفَكِفُ عَبْرَةً سَحًا تَفِيضُ كَوَاثِلِ الْأَسْرَابِ
لَمَّا تَنَادَوْا لِلرِّحِيلِ وَقَرَّبُوا بُزَلَ الْجَمَالِ لِطِيَةِ وَذَهَابِ
كَادَ الْأَسَى يَقْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَالْوَجْهُ مِنْكَ لَيْسَ الْفُكْ كَابِي

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . [وقال حبش : وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى] . وذكر حبش : أَنَّ لِلْغَرِيضِ أَيْضاً فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى . ولما كان ثقيل أول بالوسطى . وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حَبَّتْ فِي خِلَافَتِهِ .

[قصة ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك بن مروان]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير بن المدائني ومحمد بن سلام والمسيبي : أَنَّ بِنْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حَبَّتْ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ يَتَوَعَّدُهُ إِنْ ذَكَرَهَا فِي شَعْرِهِ بِكَلِّ مَكْرُوهٍ ؛ وَكَانَتْ تَحِبُّ أَنْ يَقُولَ فِيهَا شَيْئاً وَتَتَعَرَّضَ لَذَلِكَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ خَوْفاً مِنَ الْحَجَّاجِ . فَلَمَّا قَضَتْ حَجَّهَا خَرَجَتْ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَتْ

1 أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . المستلثم : لابس الأئمة وهي الدرع .

له : من أين أنت ؟ قال : من أهل مكة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله ، قال : ولم ذاك ؟ قالت : حَجَجْتُ فدخلتُ مكةَ ومعِي من الجوّاري ما لم تَرَ الأعين مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسقُ ابن أبي ربيعة أن يُزوّدنا من شعره أبياتاً نلّهو بها في الطريق في سَفَرنا ! قال : فإنّي لا أراه إلّا قد فعل ؛ قالت : فأُتينا بشيءٍ إن كان قاله ولك بكلّ بيتٍ عشرةُ دنانير ؛ فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أحبُّ أن تَكْتُمَ عليّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده :
[من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَرَّقُ الأُحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطرابي

وهي طويلة . وأنشده :
[من الخفيف]

هاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأُحبابِ واعتَرَّتْني نوائِبُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً ، يقول فيها :
[من الخفيف]

اقتُليني قَتْلاً سريعاً مُرِحاً لا تكوني عليّ سَوَطَ عَذابِ

شَفَّ عنها مُحَقَّقُ جَنَدِيٍّ فهي كالشمس من خلالِ سَحَابِ¹

ذكر حبش : أن في هذه الثلاثة الأبيات للهُذليّ ثاني ثقل بالبنصر ، قال : فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعَتْ إليه ما وعدته به .

[17] - ذكر الغريض وأخباره

[اسمه وكنيته وسبب لقبه]

الغريض لقبٌ لُقِّبَ به ، لأنه كان طَرِيَّ الوجهَ نَضِيراً غَضَّ الشَّبابَ حَسَنَ المنظر ، فَلُقِّبَ بذلك . والغريض : الطريُّ من كلِّ شيء . وقال ابن الكلبي : شُبِّهَ بالإغريض وهو الجُمَارُ فُسِّمِي به ، وَثُقِّلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقليل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو يزيد¹ .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيَّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غَسَّان عن جماعة من المَكِّيِّين : أَنَّهُ كان يَكْنَى أبا مروان . وهو مولى العَبَلات ، وكان مُوَلِّداً من مُوَلِّدي البربر . وولاهُ وولاءٌ يحبُّ قَيْلَ وَسُمِّيَةَ لِلثَّرِيَّا (صاحبة عُمَر بن أبي ربيعة) وأخواتها : الرُّضَيَّا وقُرَيَّة وأمَّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر ، وقد مضت أخبارهنَّ في صدر الكتاب .

[أخذ الغناء عن ابن سريج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني محمد بن نصر الضُّبَيْعِيّ قال حدَّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مسكين . وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أبو غَسَّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأَزهَر حدَّثنا حماد بن إِسحاق عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سلام ، وقد جمعت رواياتهم في قصَّة الغريض ، قالوا : كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدَفِّ ويوقع بالقضيب ، وكان جميلاً وَضِيئاً ، وكان يُصنِّع نفسه وَيُرْقِّها² ، وكان قبل أن يُغْنِيَ خَيَّاطاً . وأخذ الغناء في أوَّل أمره عن ابن سريج ، لأنَّه كان يخدمه . فلمَّا رأى ابن سريج طَبْعَه وظَرْفَه وحلاوة مَنْطِقِهِ خَشِيَ أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده ؛ فاعتلَّ عليه ، وشكاه إلى مَوَلِيَّاته ، وهنَّ كنَّ دَفَعْنَهُ إِلَيْهِ ليعَلِّمه الغناء ، وجعل يتجنَّى عليه ثم طرده ؛ فشكا ذلك إلى مَوَلِيَّاته وعَرَفْنَهُ غرضَ ابن سريج في تنحيته إِيَّاه عن نفسه ، وأنَّه حسده على تقدِّمه ؛ فقلن له : هل لك في أن تسمع نوحنا على قتلانا فتأخذه وتُغْنِي عليه ؟ قال : نعم فافعلن ، فأسمَعْنَهُ المراثي فاحتذاها وخرَّجَ غناءَ عليها كالمراثي .

1 ل : زيد .

2 ل : يترفها .

[كان ينوح للنساء في المآتم]

وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كل من سمعه . ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجَا . فكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه الغريض فغنى فيه لحناً آخر . فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدَّ عليه وحسده ، فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس ؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصرت الغناء وحذفت ؛ قال : نعم يا مخنث حين جعلت تنوح على أمك وأبيك .

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال : لما غضب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحوراء وبغوم ، جارتين نائحتين كانتا في شعب ابن عامر بمكة ، ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما ، فرأته يوماً يعصر عينيه ويكي ؛ فقالتا له : ما لك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج ؛ فقالتا له : لا أرقاً الله دمعك ؛ الزر رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منا ، فإن ضيغت بعدها فأبعدك الله .

[عنه جرير ضمن الأربعة المشهورين في الغناء]

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال : رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعتة يقول : كان المغنون بمكة أربعة ، فسيد مبرز وتابع مسدد ؛ فسألناه عن ذاك ، فقال : كان السيد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض¹ .

[كان الناس لا يفرقون بينه وبين ابن سريج]

وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال : كان الغريض أخذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج ، وما زال أصحابنا لا يفرقون بينهما لمقاربتهما في الغناء . قال الزبيري وقال بعض أهلي : لو حُكِّمَت بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرقت بينهما ، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق ، فأما غير ذلك فلا ، لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى ، فكان كأنه هو ؛ ولذلك قالت سكينه لما غنى الغريض وابن سريج :

عُوجِي علينا ربة الهودج

والله ما أفرق بينكما ، وما مثلكما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يُدرى أي ذلك أحسن .

[كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج]

قال إسحاق : وسمعت جماعة من البُصراء عند أبي يتذاكرونهما ، فأجمعوا على أن الغريض أشجى غناء ، وأن ابن سريج أحكمُ صنعة .

[غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن]

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال حدثني بعض أهلي قال : حججنا فلماً كنا بجمع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أشجى ، فأصغى الناس كلهم إليه تعجباً من حسنه¹ ، فسألت : من هذا الرجل ؟ فقل لي : الغريض ، فتتابع جماعة من أهل مكة فقالوا : ما نعرف اليوم أحداً أحسن غناء من الغريض ، ويدلّك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاجّ وهم في حجّهم فيصغون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغيّهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يرى ، ويُسمع صوته فترنّم ورجّع صوته وغنى في شعر عمر بن أبي ربيعة :

أيّها الرائحُ المجدُّ ايتكارا قد قضى من تِهَامَةِ الأوطارا
فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ ، وتكلّم الناس فقالوا : طائفةٌ من الجن حُجَّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أيّها الرائحُ المجدُّ ايتكارا قد قضى من تِهَامَةِ الأوطارا
من يكن قلبه الغداة خلياً ففؤادي بالخيف أمسى معاراً²
ليت ذا الحج كان حتماً علينا كلّ شهرين حجّة واعتمارا
عروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن محرز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الثاني³ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريض من رواية حماد عن أبيه .

[غنى هو ومعبد وابن سريج على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا : هلّم نبلّك أهل مكة ، ووجدت هذا الخبر بغير إسناد مرويّاً عن يونس الكاتب : أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المغنين من الحرم ، فلما كان في الليلة التي عزم بهم على

1 ل : واستحساناً .

2 معاراً في ل : مطارا .

3 ل : الأول .

النَّفْيَ فِي غَدِّهَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ ، وَكَانَ مَعْبِدٌ قَدْ زَارَهُمْ ، فَبَدَأَ مَعْبِدٌ فَغَنَّى ، كَذَا رُوي
عن يونس ولم يذكره الباقر : [من الطويل]

صوت

أَتَرَبَّنِي مِنْ أَعْلَى مَعَدِّ هُدَيْتُمَا أَجِدَّا الْبُكَاءَ إِنَّ التَّفَرُّقَ بَاكِرٌ¹
فَمَا مَكُنَّا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكُمَا بَثْهَلَانِ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ الْأَبَاعِرُ
عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . هَكَذَا ذَكَرَهُ وَلَمْ يَنْسِبْهُ وَلَا جَنْسَهُ ، قَالَ : فَتَأَوَّهَ أَهْلُ مَكَّةَ وَأَتَوْا
وَتَمَخَّطُوا . وَانْدَفَعَ الْغَرِيضُ يُغْنِي : [من الخفيف]

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجِدِّ ابْتِكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةٍ الْأُوطَارِ²
فَارْتَفَعَ الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ . وَانْدَفَعَ ابْنُ سَرِيحٍ يُغْنِي : [من الخفيف]
جَدَّدِي الْوَصْلَ يَا قُرْبُ وَجُودِي مُحِبٌّ فِرَاقَهُ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوَا جِمَالَهُمْ فَتَزَمَّا³
فَارْتَفَعَ الصَّرَاخُ مِنَ الدُّورِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ . قَالَ يُونُسُ فِي خَبْرِهِ : وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَمِيرِ
فَاسْتَعْفَوْهُ مِنْ نَفْيِهِمْ فَأَعْفَاهُمْ . وَذَكَرَ الْبَاقُونَ أَنَّ الْغَرِيضَ ابْتَدَأَ بِلَحْنِهِ :
أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُجِدِّ ابْتِكَارًا

وَتَلَاهُ ابْنُ سَرِيحٍ فِي «جَدَّدِي الْوَصْلَ» . قَالَ : وَارْتَفَعَ الصَّرَاخُ فَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ مَعْبِدٍ شَيْءٍ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُغْنِيَ .

[غَنَّتْ شَطْبَاءُ الْمَغْنِيَةِ عَلَى بَنِ جَعْفَرٍ فَطَرَبَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بَنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ
السَّعْدِيُّ قَالَ : حَضَرْتُ شَطْبَاءَ الْمَغْنِيَةِ جَارِيَةً عَلَى بَنِ جَعْفَرٍ ذَاتَ يَوْمٍ تُغْنِي : [من الخفيف]
لَيْسَ بَيْنَ الرَّحِيلِ وَالْبَيْنِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوَا جِمَالَهُمْ فَتَزَمَّا³

فَطَرَبَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَاحَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ! أَلَا يُوَكُّونَ⁴ قَرْبَةَ ! أَلَا يَشْدُونُ
مَحْمِلًا ؟ أَلَا يُعَلِّقُونَ سُفْرَةَ ؟ أَلَا يُسَلِّمُونَ عَلَى جَارٍ ؟ هَذِهِ وَاللَّهِ الْعَجَلَةُ .

[لَمَّا مَاتَ الثَّرَيَّا نَاحَ عَلَيْهَا الْغَرِيضُ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

1 أعلى في ل : عليا .

2 الرائح في ل : الراكب .

3 البين في ل : والموت .

4 أوكى القرية : ربط رأسها .

يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال : قال لي كثير بن كثير السهمي : لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل لي شعراً أبلك به عليها ؛ فقلت :

صوت

[من الوافر]

ألا يا عينُ مَالِكٍ تَدْمَعِينَا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيْتِ فَنُكْحَلِينَا
أَمْ أَنْتِ مَرِيضَةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا فَشَجْوُكِ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونَا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَنْ رآه بين عمودَيْ سَرِيرِهَا يَنُوحُ به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي . وفيه ثقيلٌ أَوَّلُ مجهول .
[ساوت سَكينة بينه وبين ابن سُرَيْج]

أخبرني الحُرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال حَدَّثَنِي محمد بن سلام وأخبرنا وَكِيع قال حَدَّثَنَا محمد بن إِسْمَاعِيل عن محمد بن سلام عن جرير ، ورواه حماد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً : أَنَّ سَكِينَةَ بنت الحسين عليه السلام حَجَّتْ فَدَخَلَ إِلَيْهَا ابن سُرَيْج والغريض وقد استعار ابن سُرَيْج حُلَّةً لَامرَأَةٍ من قَرِيش فَلَبِسَهَا ؛ فقال لها ابن سُرَيْج : يا سَيِّدَتِي ، إِنِّي كُنْتُ صَنَعْتُ صَوْتًا وَحَسَنَتُهُ وَتَنَوَّقْتُ¹ فِيهِ ، وَخَبَأْتَهُ لَكَ فِي حَرِيرَةٍ فِي دُرْجٍ مَمْلُوءٍ مِسْكَاً فَنَارَ عَيْنَيْهِ هَذَا الْفَاسِقُ ؛ يعني الغريض ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَتَحَاكَمَ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَأَيْنَا قَدَمَتَيْهِ فِيهِ تَقَدَّمَ ؛ قالت : هاتِه ؛ فغناها :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي

فقالت : هَاتِه أَنْتِ يَا غَرِيض ؛ فغناها إِيَّاه ؛ فقالت لابن سُرَيْج : أَعِدْهُ ، فَأَعَادَهُ ، وَقَالَتْ : يَا غَرِيض ، أَعِدْهُ ، فَأَعَادَهُ ؛ فقالت : مَا أَشَبَّهُكُمَا إِلَّا بِالْجَدَّتَيْنِ² : الْحَارَّةَ وَالْبَارِدَةَ لَا يُدْرِي أَيُّهُمَا أَطْيَبُ . وقال إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ : مَا أَشَبَّهُكُمَا إِلَّا بِاللَّوْلُوِّ وَالْيَاقُوتِ فِي أَعْنَاقِ الْجَوَارِي الْحِسانِ لَا يُدْرِي أَيُّهُمَا أَحْسَنُ .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي
إِنِّي أَتَيْتُ لِي يَمَانِيَّةً إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْجِجٍ

1 تنوق في الشيء : جوده .

2 ل : بالحد بين .

نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنْى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
أَيْسُرُ مَا نَالَ مُحِبٌّ لَدَى بَيْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجْ

عروضه من السريع ، والشعرُ للعرجي ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .
وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن حبش . ولإسحاق في الأول والثالث ثقيل أول بالبصر عن
عمرو . وللابجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البصر عن ابن المكي . ولعلوية خفيف ثقيل
عن الهشامي . ولحكم خفيف رمل عنه أيضاً .

[غنى عطاء بشعر العرجي فردّه عليه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن بشر قال حدثني إبراهيم بن
المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللّهي عن عبد الوهاب بن مُجاهد أو غيره قال : كنت مع
عطاء بن أبي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي :
إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله : [من السريع]

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنْى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
قال فقال عطاء : بمنى والله وأهله خير كثير إذ غيبتها الله وإياه عن مشاعره .

[قصّة الأوقص المخزومي مع سكران يغني]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال : ولي قضاء
مكة الأوقص المخزومي فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله ، فإنه لناثم ليلة في جناح له إذ مرّ
به سكران يتغنى : [من السريع]

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ

فأشرف عليه فقال : يا هذا شربتَ حراماً ؛ وأيقظتَ نياماً ؛ وغنيتَ خطأ ؛ خذْه عني .
فأصلحه له وانصرف .

[عطاء بن رباح والأبهر المغني]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن حمزة بن عتبة
اللّهي قال : مرّ الأبجر بعطاء وهو سكران فعدّله وقال : شهّرتَ نفسك بالغناء وأطرحتَها
وأنت ذو مروءة ، فقال : امرأته طالق ثلاثاً إن برحت أو أغنيك صوتاً ، فإن قلت لي : هو قبيح
تركته ؛ فقال له عطاء : هات ويحك ! فقد أضرت بي ، فغناه : [من السريع]

في الحجَّ إنَّ حَجَّتْ وماذا مِنِّي وأهلُه إنَّ هي لم تَحْجُجْ
فقال له عطاء : الخيرُ والله كُلُّه هناك حَجَّتْ أو لم تَحْجُجْ ، فاذهب الآن راشداً فقد برَّتْ
يَمِينُكَ .

[ابن أبي عتيق والغريص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَّة قال حدَّثني المَعيرة بن محمد قال حدَّثني هارون بن موسى الفَرَوِي قال حدَّثني بعضُ المَدَيِّين قال : خرج ابن أبي عتيق على نجيب له من المدينة قد أَوْقَرَه من طُرْف المدينة المَشَارِب¹ وغير ذلك ، فَلَقِيَ فتى من بني مَخْزُوم مُقْبِلاً من بعض ضياعه ، فقال : يا ابن أخي ، أَتَصْحَبُنِي ؟ قال : نعم ؛ قال المخزومي : فمضينا حتى إذا قُرُبْنَا من مَكَّة جَنَّبْنَا عنها حتى جُزَّناها فصرنا إلى قصر ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأذن له ، فدخلنا فإذا رجل جالس كأنه عجوزٌ بربريةٌ مُختَضِبة ، لا أَشْكُ في ذلك ، وإذا هو الغريص وقد كَبِرَ ، فقال له ابن أبي عتيق : تَشَوَّقْنَا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : نَجِبَ أَنْ نَسْمَعَ ؛ قال : ادْعُ فَلانَةَ ، جاريةً له ، فجاءت فغَنَّتْ ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلَّ خضابُه وغَنَّى :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فَأَقَمْنَا عنده أياماً كثيرةً وخَبَّازُهُ قائمٌ وطعامُهُ كثير . ثم قال له ابن أبي عتيق : إِنِّي أريد الشُّخُوصَ ، فَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ تُحْفَةٌ عَدَنِي وَلَا يَمَانٍ وَلَا عُودٌ إِلَّا أَوْقَرَ به راحلته . فلما ارتحلنا وبرزنا صاح به الغريص : هيا هيا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : أَلَمْ تَرَوْا عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال : «يُحْشَرُ من بَقِيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر» ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى ؛ فقال : هذه سِنَّ لي انتَزَعْتُ فَأُحِبُّ أَنْ تَدْفِنَهَا بالبقيع ، فخرجنا والله أُخْسِرُ اثْنين لم نَعْتَمِرْ ولم ندخلْ مَكَّةَ ، حاملين سِنَّ الغريص حتى دَفَنَّاها بالبقيع .

[غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائها]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريص مع قوم فغَنَّاهم هذا الصوت :

جَرَى ناصِحٌ بِالوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
فاشْتَدَّ سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أَنْ يُكَلِّمُوا الغلامَ في الخَلْوَةِ معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة ، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى

1 المَشَارِب : جمع مشربة وهي إناء للشرب .

القوم ، وأقبل الغريض يتناول حَجَرًا حَجَرًا يَقَرَع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له :
ما هذا يا غريض ؟ قال : كأنِّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً دَليلاً تَشْهَد علينا بما كان مِنَّا
إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتها عليّ ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

جَرى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ففَرَّني يَوْمَ الحِصَابِ إلى قَتْلِي
فَقَالَتْ وَأَرَحْتَ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا معي فَتَحَدَّثْتُ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لِمَ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

عَرَّوضه من الطويل ، الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْج رَمَلٌ بإطلاق الوتر في
مجرى البَنْصَر عن إِسحاق في الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أن فيه لَحْنًا مَالِك ، وفيه للغريض
خفيف ثَقِيلٍ أَوَّل بالوسطى عن حَبَشٍ والحشاميّ وعليّ بن يحيى وحمّاد بن إِسحاق . ولمعبد فيه
ثَقِيلٍ أَوَّل بالبَنْصَر عن حبش . ولابن مُحَرِّز ثاني ثَقِيل بالوسطى عنه .

[كان عمر وجميل يتعارضان في قول الشعر]

حَدَّثني عَلِيّ بن صالح بن الهيثم قال حَدَّثني أَبُو هِشَام عن إِسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبِ
والمَدائِنِيِّ وابنِ سَلَام : أنَّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارض جَمِيلاً ، إِذَا قال هذا قَصِيدَةً قال هذا
مِثْلَهَا ، فيقال : إِنَّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَمِيل ، وإنَّ جَمِيلاً أشعرُ منه في اللاميّة .
وقال الزبير فيما أَخْبَرني به الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّلُ قَصِيدَةَ جَمِيل اللاميّة
على قَصِيدَةِ عمر ، وأنا لا أَقول هذا ، لأنَّ قَصِيدَةَ جَمِيل مختلفة غير مُؤْتَلَفَة ، فيها طَوَالِعُ النُّجْدِ
وخَوَالِدُ المَهْد ، وقَصِيدَةُ عمر بن أبي ربيعة مَلَساء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخِذٌ بَعْضُهَا بِأَذْنَابِ
بعض ، ولو أَنَّ جَمِيلاً خَاطَب في قَصِيدَتِهِ مَخَاطَبَةَ عمر لَأُرْتِجَ عَلَيْهِ وَعَثَرَ كَلَامُهُ به .

أَخْبَرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر قال حَدَّثني مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم قال حَدَّثني
شيخ من أَهْلِي عن أبي الحارث بن نَابِتَة مَوْلَى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له
عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارثِ قَلْبِي طَائِرٌ فاستَمِعْ قَوْلَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنٍ

قال : شَهِدْتُ عمر بن أبي ربيعة وجَمِيلاً بِالْأَبْطَح ، فَأَنشَدَ جَمِيلاً قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ

فِيهَا :

[من الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثْنَةً أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
ثم قال : يا أبا الخطاب ، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً ؟ قال : نعم ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]
جَرَى ناصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطاب ، والله لا أقول مثلاً هذا سَجِسَ اللَّيَالِي ؛ والله ما
خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ ؛ وقام مُشَمِّراً .

أخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكَّار قال : رأيتُ علماءنا جميعاً¹ لا
يشكُّون في أنَّ أحسنَ ما يُروى في تعظيم² السرِّ قولُ عمر : [من الطويل]

ولكنَّ سرِّي ليس يَحْمِلُهُ مِثْلِي
قال الزُّبير : وحدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني ابن أبي الزُّناد قال : إنَّما اجتمع
عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب .

[سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه]

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلَّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائني : أنَّ
الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمَّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

فَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا فَعَلْنَ الَّذِي يَقَعْلَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
صاحَ الفرزدق وقال : هذا والله الشعرُ الذي أرادتُهُ الشعراءُ فأخطأته وبَكَتِ الديارُ .

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني

سوى قصيدة جميل فإنَّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها : [من الطويل]

جَرَى ناصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

صوت

[من الطويل]

فَقِصِي الْبَغْلَةَ الشَّهْبَاءَ بِاللَّهِ سَلِّمِي عَزِيزَةَ ذَاتِ الدَّلِّ وَالْخُلُقِ الْجَزَلِ
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ

1 جميعاً في ل : كلهم .

2 ل : حفظ .

فَقُلْنَ لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسَامِي مَرْكَبَ الْبَغْلِ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة وعلي بن يحيى ، وقيل إنه لمالك . ولابن مُحَرَّز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي . ولابن سريج في الأول ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال . ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبنصر . ولأبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي . ومنها : [من الرمل]

صوت

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاسْتَمِعْ قَوْلَ رَشِيدٍ مَوْثَمٍ¹
لَيْسَ حُبٌّ هُوكَ مَا أَحْبَبْتُكُمْ غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنِّ
حَسَنُ الْوَجْهِ نَقِيٌّ لَوْنُهُ طِيبُ النَّشْرِ لَذِيذُ الْمُحْتَضَنِ

عروضه من الرمل ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنه لابن عائشة ، وذكر ابن المكي أنه للغريض في الثاني والثالث ، وفيهما رمل يقال إنه لأهل مكة ، ويقال : إنه لعبد الله بن يونس صاحب أيلة . وفيه ثقيل أول ذكر حَبَشٌ أنه لابن سريج ، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السندي المكي ، وأنه غناه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال : كان ابن عائشة يُغَنِّي الْهَزَجَ وَالْخَفِيفَ ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَنِّيَ غَنَاءَ شَجِيئاً² ثَقِيلاً ؛ فغَنَّى :

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

[قيل إنه كان يتلقى غناه عن الجن]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية عن مولى آل الغريض قال : حدثني بعض موليائي وقد ذُكِرَ الغريض فترحمَّنَ عليه وَقُلْنَ : جَاءَنَا يَوْمًا يَحْدِثُنَا بِحَدِيثِ أَنْكَرَنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَتَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَكُنَّا نَلْقَى مِنْ

1 قول في ل : أمر . وقد ورد البيت في ترجمة عمر برواية «فائتمر أمر رشيد مؤتمن» وكذلك هو في الديوان .

2 ل : نقيًا .

الناس عَنَّا بِسَبِيهِ ، وكان ابن سريج في جِوارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً فَفَتَنَ أَهْلَ مَكَّةَ بِحُسْنِ وَجْهِهِ مع حُسْنِ صَوْتِهِ ، فلَمَّا رَأَى ذلك ابن سريج نَحَاهُ عنه ، وكانت بعض مَوَلِيَّاتِهِ تُعَلِّمُهُ النِّياحَةَ فَبَرَزَ فيها ، فجاءني يوماً فقال : نَهَيْتِي الجَنُّ أَنْ أَتُوحَ وَأَسْمَعْتَنِي صَوْتاً عَجِيباً فَقَدْ ابْتَنَيْتُ عَلَيْهِ لَحْناً فَاسْمَعِيهِ مِنِّي ، واندفع فغَنَّى بصوت عَجِيبٍ في شعر المَرَّارِ الأَسَدِيِّ :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا بَيْنَ ذِي الْغَضَا وَهَضْبِ الْقَنَانِ مِنْ عَوَانٍ وَلَا بِكَرٍ¹
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ ذَلَالٌ وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَيْلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ
فَكَذَّبْنَاهُ وَقُلْنَا : شَيْءٌ فَكَّرَ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا اللَّحْنِ² ، فكان في كلِّ يومٍ يَأْتِينَا فيقول :
سَمِعْتُ الْبَارِحَةَ صَوْتاً مِنَ الْجَنِّ بِتَرْجِيْعٍ وَتَقْطِيعٍ قَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِ صَوْتَ كَذَا وَكَذَا بِشَعْرِ فُلَانٍ ، فلم يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ وَنَحْنُ نُنْكِرُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّا لَكَذَلِكَ لَيْلَةً وَقَدْ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي جَمْعٍ لَنَا سَهْرُنَا فِيهِ لَيْلَتُنَا وَالْغَرِيضُ يُغْنِيْنَا بِشَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِبْعَةٍ :

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ الْبُكُورُ نَعَمْ فَلَأَيَّ هَوَاهَا تَصِيرُ
إِذْ سَمِعْنَا فِي بَعْضِ اللَّيْلِ عَزِيفاً عَجِيباً وَأَصْوَاتاً مُخْتَلِفَةً دَعَرْتُنَا وَأَفْرَعْتُنَا ، فقال لنا الغريض :
إِنَّ فِي هَذِهِ الْأَصْوَاتِ صَوْتاً إِذَا نِمْتُ سَمِعْتُهُ ، وَأَصْبَحَ فَأُبْنِي عَلَيْهِ غَنَائِي ؛ فَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ فَإِذَا نَعَمَتُهُ
نَغْمَةُ الْغَرِيضِ بَعَيْنِهَا فَصَدَّقْنَاهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها البيتان

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَاهُ الْغَرِيضُ وَلَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ . قَالَ :
وَلَعَلَّوِيَّةٌ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخِرٌ بِالْبَنْصَرِ .
ومنها³ :

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ الْبُكُورُ نَعَمْ فَلَأَيَّ هَوَاهَا تَصِيرُ

1 القنان : جبل لبني أسد .

2 ل : الحسن .

3 الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبعة دار صادر) : 154 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

أَبَالْعَوْرُ أَمْ أَنْجَدَتْ دَارُهَا وَكَانَتْ حَدِيثًا بَعْدِي تَغُورُ
نَظَرْتُ بِخَيْفٍ مِنْ نِظَرَةٍ إِلَيْهَا فَكَادَ فَوَادِي يَطِيرُ
هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً وَمَا خِلْتُ شَمْسًا بَلِيلَ تَسِيرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ مُسْتَشْرِفٌ وَأَنَّ عَدُوَّكَ حَوْلِي حُضُورُ

عروضه من المتقارب . الشعر للنميري ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لسياط
خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيف ثقيل بالوسطى ؛ أوله :

هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً

وفيه للغريص ثاني ثقيل بالنصر عن الهشامي وحماد ، وذكر غيرهما أنه لابن جامع .
وذكر حبش أن فيها لابن محرز ثقيلًا أول بالنصر .

[أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينه فغناها بشعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ : اجتمع
نِسْوَةٌ فَذَكَرْنَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَشَعْرَهُ وَظَرْفَهُ وَحُسْنَ مَجْلِسِهِ وَحَدِيثَهُ وَتَشَوُّقَهُ إِلَيْهِ وَتَمَنِّيَنَّهُ ؛
فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : أَنَا لَكُنَّ بِهِ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ رَسُولًا وَوَعَدَتْهُ الصَّوْرَيْنِ¹ لِلَّيْلَةِ سَمَتَهَا ، فَوَافَاها عَلَى
رَوَاحِلِهِ وَمَعَهُ الْغَرِيضُ ، فَحَدَّثْنَهُ حَتَّى وَافَى² الْفَجْرَ وَحَانَ انْصِرَافُهُنَّ ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي وَاللَّهِ
لَمُسْتَأَقٌ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَكِنْ لَا أُحِلُّ بِزِيَارَتِكَ شَيْئًا ، ثُمَّ
انْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ :

أَلَحِمَّ بَرِزْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَيْنُ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

قال : وانصرف عمر بالغريص معه ، فلمّا كان بمكة قال عمر : يا غريص ، إنّي أريد أن
أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من ذلك ما شئت
وما أنت أهله ؛ قال : إنّي قد قلت في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فامض به إلى النسوة
فأنشدهنّ ذلك وأخبرهنّ أنّي وجّهت بك فيه قاصداً³ ؛ قال : نعم . فحمل الغريص الشعر
ورجع إلى المدينة فقصده سكينه وقال لها : جعلت فداك يا سيّدتى ومولاتي ، إن أبا الخطاب ،
أبقاه الله ، وجّهني إليك قاصداً ، قالت : أوليس في خيرٍ وسرور تركته ؟ قال : نعم ؛ قالت :
وفيم وجّهك أبو الخطاب حفظه الله ؟ قال : جعلت فداك ، إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً

1 الصوران : موضع بالمدينة .

2 ل : رأى .

3 ل : عامداً .

وأمرني أن أنشدك إياه ؛ قالت : فهاته ، قال فأنشدها : [من البسيط]

أَلِمَّ بَزِينَبَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
الشعر كله ؛ قالت : فيا وَيَحَهُ ! فما كان عليه ألا يرحل في غده ؛ فوجهت إلى النسوة
فجمعتهن وأنشدتهن الشعر ، وقالت للغريض : هل عَمِلْتَ فيه شيئاً ؟ قال : قد غَنَيْتُهُ ابن أبي
ربيعة ؛ قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ؛ فقالت سكينه : أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة ،
لولا أنك سبقت فغنّيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك ، يا بُنَانَة ، أعطيه بكل بيت ألف درهم ،
فأخرجت إليه بُنَانَة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه ؛ وقالت سكينه : لو زادنا عُمَرَ لزدناك .

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلِمَّ بَزِينَبَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
قد حَلَقْتُ لَيْلَةَ الصَّوْرَيْنِ جَاهِدَةً وما على الحُرِّ إِلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدَا
لأختها ولأخرى من مناصيفها لقد وَجَدْتُ به فوق الذي وَجَدَا¹
لَعَمْرُهَا ما أَرَانِي إِنْ نَوَى نَزَحْتُ وهكذا الحبُّ إِلَّا مَيْتاً كَمَدَا
عروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان :
أحدهما رَمَلٌ بالسَّبَابَةِ في مجرى البِنْصَرِ عن إِسْحَاقَ ، والآخر خفيف رَمَلٌ بالوسْطَى عن عمرو .
وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثَقِيلٌ بالبِنْصَرِ عن الهشاميِّ وحَمَّادَ ، وذكر عمرو : أَنَّهُ لِمَالِكَ ، أوله
الرابع ثم الأول ، ومن الناس مَنْ يَنْسِبُ هذا إلى معبد ؛ وأوله : [من البسيط]

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا

وذلك خطأ ، اللحن الذي عَمِلَهُ معبد غير هذا وهو :

صوت

[من البسيط]

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
أَمْسَى الْعِرَاقِيُّ لَا يَدْرِي إِذَا بَرَزَتْ مَنْ ذَا تَطَوَّفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجَدَا
عروضه من البسيط . الشعر للأحوص ، ويقال : إِنَّهُ لعمر أيضاً . والغناء لمعبد ، ولحنه من
الثقيل الأول بالبِنْصَرِ عن عمرو والهشاميِّ .

1 مناصف : جمع منصف وهو الخادم .

[غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال : حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النسوة عليها فأمرت لهنّ بكسوة وأطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها ، فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج موليّاته مع جواريهنّ الخلع والأطاف ؛ فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبت عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا بيارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمة بنت كرام ، واندفع يغني بشعر جميل :

تذكرت ليلي فالفؤاد عميد وشطّ نواها فالمرار بعيد

فقلت : ويلكم ؛ هذا مولى العبال بالباب يُذكر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلمّا رآته ضحكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيء سمّته له ذهب عن ابن سلام) قال : فغناها في شعر كثير :

وما زلت من ليلي لذن طرّ شاربي إلى اليوم أخفي حبّها وأداجن
وأحمل في ليلى لقوم ضغينة وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقلت له : ما عدوت ما في نفسي ، ووصلته فأجزلت . قال إسحاق : فقلت لأبي عبد الله : وهل علمت حديث هذين البيتين ؟ ولم سألت الغريض ذلك ؟ قال : نعم .

[الشعبي عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة]

حدّثني أبي قال قال الشعبي : دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده ، فسلمت ثم ذهبت لأنصرف ، فقال لي : اذن ، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ، ثم قال : إذا قمت فأتبعني ، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته ، فلمّا طعن في الدار التفت إليّ فقال : ادخل ، فدخلت معه ومضى نحو حُجرته وتبعته ، فالتفت إليّ فقال : ادخل ، فدخلت معه ، فإذا حجلة ، وإنّها لأوّل حجلة رأيته لأمر ، فقامت ودخل الحجلة فسمعت حركة ، فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجت فقلت لي : يا شعبي ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس ، فجلست على وسادة ورُفع سجف الحجلة ، فإذا أنا بمصعب بن الزبير ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أر زوجاً قطّ كان أجمل منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شعبي ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ قال : ومن هي ؟ قلت : سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ؛

قال : لا ، ولكن هذه ليل التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلْتُ من لَيْلِي لَدُنْ طَرٍّ شَارِبِي

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ قُمْ ، فقمْتُ . فلَمَّا كان العَشيُّ رُحْتُ وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسَلَمْتُ ، فلَمَّا رآني قال لي : اذُنْ ، فذَنُوتُ حتى وضعتُ يدي على مرافقه ، فأصغى إليَّ فقال : هل رأيتَ مثل ذلك لإنسان قطَّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أفندري لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لتُحدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفتَ إلى عبد الله بن أبي فَرُوة فقال : أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفْتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة¹ القَصَّار ثياباً وب نظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أباً عذرتها ثم هَلَكَ ، فترَوَّجها مصعب فقتل عنها ، ثم تزَوَّجها عمر بن عبيد الله بن معمر فبنى بها بالحيرة ، ومُهَّدَتْ له يوم عُرْسِه فُرُش لم يُرَ مثُلها : سبع أذرع في عرض أربع ، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرَّات ؛ فَلَقِيَتْهُ مَوَلَاةٌ لها حين أصبح فقالت : يا أبا حَفْص ، كَمَلْتُ في كلِّ شيءٍ حتى في هذا . فلَمَّا مات ناحت عليه وهي قائمةٌ ، ولم تَنُحْ على أحد منهم قائمةً ، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمةً على زوجها علِمَ أنَّها لا تريد أن تتزوَّج بعده ؛ ففعل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك ؛ قالت : إنَّه كان فيه خلل ثلاث لم تكن في أحد منهم : كان سيِّد بني تَيْم ، وكان أقربَ القوم بي قرابة ، وأردتُ ألاَّ أتزوَّج بعده ! .

وأخبرني بخبر مصعب والشَّعْبِيَّ وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوَّانة قال : خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة ، فمرَّ بالمسجد فأخذ بيد الشَّعْبِيَّ . ثم ذكر باقي الحديث مثله ، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغْنِي . قال ابن عَمَّار : وأخبرني به داود بن جميل عن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابي : قال ابن عَمَّار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني أنَّ الشَّعْبِيَّ قال : دخلتُ المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناي فذَنُوتُ حتى وضعتُ يدي على مرافقه ، فأصغى إليَّ وقال : إذا قمتُ فاتَّبِعني . ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثلاً الذي تقدَّمه .

1 كارة : صرَّة الثياب . وقال كارة القصار كناية عن كبرها .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

وما زلتُ من ليلي لَدُنَّ طَرَّ شاري إلى اليوم أُخْفِي حُبَّها وأداجنُ
وأحملُ في ليلي ضغائنَ مَعَشَرٍ وتُحْمَلُ في ليلي عليّ الضغائنُ¹
عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغناء لمعبد ثَقِيل أول بالبِئِصر عن
حبش . وفيه لحن للغريض .

[كان الغريض إذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجي]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان الغريض إذا غنى بيتين لكثير قال : أنا
السَّريجي حقاً ، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه .
[قدم يزيد بن عبد الملك مَكَّة فغناه الغريض]

وقدِمَ يزيد بن عبد الملك مَكَّة فبعث إلى الغريض سِيراً فأتاه فغناه بهذا اللحن وهو
فيهما :

وإنِّي لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أحمِلْ على قومها جِدِّي
فأشير إلى الغريض أن اسكُتْ ؛ وفطين يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنيني بما
يريد ، فأعاد عليه الصوت مراراً ، ثم قال : زدني ممَّا عندك فغناه بشعر عمرو² بن شأس
الأسديّ :

فواندسي على الشباب وواندَم ندِمْتُ وبان اليوم مني بغير ذم
أرادتُ عراراً بالهوانِ ومن يُردُّ عراراً³ لعمري بالهوانِ فقد ظَلَمُ
قال : فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنّية . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديث ،
وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم
يزيد مَكَّة وبعثته إلى الغريض سِيراً قبل أن يُستخلف ؛ فقلت له : فلم أُشير إلى الغريض أن يسكت

1 ورد البيت فيما تقدّم برواية مختلفة وتلك هي رواية الديوان .

2 سترجم له أبو الفرج فيما بعد . وله ترجمة في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة) 338-339 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

3 ضبط هذا الاسم في المصادر بالقلم بفتح العين وكسرها . انظر اللسان (عرر ، عمم) والشعر والشعراء : 338 والحامسة بشرح المرزوقي : 280 .

حين غناه بشعر كثير :

وإني لأرعى قومها من جلالها

وما السبب في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أحدثك :

[عمر بن بلال يصلح بين عبد الملك وزوجه عاتكة]

حدثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشد الناس حباً لعاتكة امرأته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي أم يزيد بن عبد الملك ، فغضبت مرة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحجبت وأغلقت ذلك الباب ، فشق غضبها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصته يقال له عمر بن بلال الأسدي ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيتَ ؟ قال : حُكْمُكَ . فأتى عمرُ بابها وجعل يتباكى . وأرسل إليها بالسلام ، فخرجت إليه حاضتها ومواليها وجواريتها فقلن : ما لك ؟ قال : فزعتُ إلى عاتكة ورجوتها ، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلُ الآخر به ، فقلت : أنا الوليُّ وقد عفوت ؛ قال : لا أعودُ الناس هذه العادة ، فرجوتُ أن يُنجيَ الله ابني هذا على يدها ؛ فدخلن عليها فذكرن ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قلن إذاً والله يُقتل ، فلم يزلن حتى دعت بشيابه فأجمرتها¹ ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حديثُ الخصيِّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أقبلت ؛ قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : قد والله طلعت ، فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها ، فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ ، إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فأردت قتل الآخر وهو الوليُّ وقد عفا ؛ قال : إني أكره أن أعودُ الناس هذه العادة ؛ قالت : أتشدك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو يبالي ؛ فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يبرحها حتى اصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثرَك ، فهات حاجتك ؛ قال : مزرعة بعدتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير :

وإني لأرعى قومها من جلالها

البيتين ؛ فعلمت عاتكة ما أراد . فلما غنيَ يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أمه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غنيَ به لما كان عيباً ،

فكيف وإنما هو مثلٌ تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين !
[حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك]

قال أبو عبد الله : وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قُتل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس ، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلّما شكّ في شيء سأل عراراً عنه فأخبره ، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثلاً :
[من الطويل]

وإنّ عراراً إن يكن غيرَ واضحٍ فإنّي أحبّ الجوّنَ ذا المنكبِ العمَم¹
فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : ممّ ضحكك ويحك ! قال :
أعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحك
عبد الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة ، ثم أحسن جائزته وسرّحه .
قال أبو عبد الله : وإنما أراد الغريض أن يغني يزيد بمتمثلات عبد الملك في الأمور العظام ،
فلما تبين كراهة مواليه غناه فيما تمثّل به في عاتكة أراد أن يعقبه ما تمثّل به في فتح عظيم كان
لعبد الملك ، فغناه بشعر عمرو بن شأس في عرار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

وإنّي لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحتُ لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أُحبلُ على قومها حِقْدي
عروضه من الطويل . الشعر لكثير ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى
البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن فيه لقفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلوية
ثقيل أول .

[خرج إليه معبد بمكة وسمع غناه]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدّثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال
حدّثني معبد قال : خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في
لحنه :

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعة

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وأن الجِنَّ نهته أن يُغنيَه لأنه فَنَّ طائفةً منهم ،
فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه ، فلما قدمت مكة سألت عنه فذُلتُ على منزله ، فأتيتُه
ففرعتُ الباب فما كلمني أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أحدٌ ؟ قالوا لي :
نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إني قد أكثرْتُ دَقَّ الباب ، فما أجابني أحدٌ ؛ قالوا : إن الغريض
هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجِبني أحد ، فقلت : إن نفعني غِنائي يوماً نفعني اليوم ،
فاندفعت فغنيتُ لحني في شعر جميل :

عَلِقْتُ الهوى منها وَلِيداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنِمِّي حُبُّها ويزيدُ
فوالله ما سمعتُ حركة الباب ، فقلت : بطلَ سِحري وضاع سَفَري وجئتُ أطلب ما
هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهمني¹ لضعف غِنائي عنده ، فما شعرتُ
إلا بصائح يصيح : يا معبد المغني ، افهم وتلقَ عني شعر جميل الذي تُغني فيه يا شقي
البخت ، وغني :

صوت للغريض ولم تُذكر طريقته

[من الطويل]

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها وقد قُرِبْتُ نَضوي أَمِصَّرَ تريدُ²
ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيْتُكَ فاعذِرني فدَّتْكَ جُدودُ³
خَليلي ما أخفي من الوجدِ باطن وداعي بما قلتُ الغداة شَهِيدُ⁴
يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغزوةٍ وأيَّ جهادٍ غيرهنَّ أريدُ
لكلِّ حديثٍ عندهنَّ بشاشةٍ وكلِّ قتيلٍ بينهنَّ شَهِيدُ⁴

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقصّر إليّ نفسي
وعلمتُ فضيلته عليّ بما أحسن من نفسه ، وقلت : إنه لَحَرِيّ بالاستتار من الناس تنزِيهاً لنفسه
وتعظيماً لقَدْره ، وإن مثله لا يستحقُّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف
إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يصيح بي : يا معبد ، انتظر أكلمك ،

1 لم يتوهمني : لم يعرفني .

2 النضو : المهزول من الإبل .

3 باطن في رواية ظاهر .

4 عندهن في ل : بينهن .

فرجعتُ ، فقال لي : إنَّ الغريض يدعوك ؛ فأسْرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي :
 أَتَجِبُ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ ففرع الباب ففُتِحَ ، فقال لي : ادخل ولا
 تُطِلَّ الجلوس ؛ فدخلت فإذا شمس طالعة في بيت ، فسَلَّمْتُ فَرَدَّ السلام ، ثم قال : اجلس
 فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخُلُقاً وخلُقاً ، فقال : يا معبد ، كيف طرأت إلى
 مكَّة ؟ فقلت : جُعِلت فداءك ! وكيف عرفتنِي ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلت : وكيف وأنت لم
 تسمعه قط ؟ قال : لما غَنَيْتُ عرفْتُك به وقلت : إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعِلت
 فداءك ، فكيف أَجَبْتَنِي بقولك : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها وقد قُرِبْتُ نِضْوِي أمصرَ تريدُ
 فقال : قد علمتُ أنْكَ تريدُ أن أَسْمِعَكَ صوتي : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ شادناً بمكَّة مكحولاً أسيلاً مدامعة
 ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنَّه صوتٌ قد نهيتُ أن أُغْنِيَه فغَنَيْتُكَ هذا الصوتَ جواباً لِمَا
 سألتُ وَغَنَيْتُ ؛ فقلت : والله ما عدوتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجة ؟ فقال لي : يا أبا عَباد ،
 لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعْذِرْ ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنَّه
 لأجلُ الناسِ عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحدِيثِهِ وعَجِبْتُ من فِطْنَتِهِ وَبِقِافَتِهِ ، فما
 رأيتُ إنساناً إلا وهو أَجَلٌ¹ منه في عيني .

[خبر جميل وبشينة وتوسطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها]

وذكرتُ جميلاً وبُشِينَةً فقلت : ليتني عرفتُ² إنساناً يُحدِّثُنِي بقِصَّةِ جميل وخبر الشعر
 فأكون قد أخذت بفضيلة الأمرِ كُلِّهِ في الغناء والشعر . فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهور ،
 وقيل لي : إن أردتَ أن تُخَبِّرَ بمشاهدته فأْتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان
 يُخْبِرُكَ الخبر ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا في إيلي في الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على
 رَحْلِهِ كأنَّه جانٌّ فسَلَّم عليَّ ثم قال : مَن أنت يا عبد الله ؟ فقلت : أحدُ بني حنظلة ؛ قال :
 فانتسب ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَحْذِي الذي أنا منه ؛ ثم سألتني عن بني عُذرة أين نزلوا ؛
 فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أبا بني حنظلة ، هل لك في
 خير³ تصطنعه إليَّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر مَنِّي لك

1 ل : أعظم .

2 ل : أصبت .

3 ل : معروف .

عليه ؛ فقلت نعم ، ومن أنت أولاً ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أخبرك غير أنني رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم ، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتشدهم بكرة أدماء¹ تجرّ خفيها غفلاً من السمّة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت : إن المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال ، فتشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه ؛ فأتيت القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها ، فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إن الصبي والمرأة يريان ما لا ترى الرجال ، فأذنوا ؛ فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقريتها بيتاً بيتاً أنشدتهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حرّ الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف حانت مني التفاتة فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسي : سوءة ، وثقّ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تعديل مالي ثم آتبه فأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه ، فسلمت فردّ عليّ السلام ، وذكرت ضالتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبت ضالتك وما أظنك إلا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجل ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلت فأتيت بصحفة فيها تمرٌ من تمر هجر ، وقدح فيه لبن ، والصحفة مصرية مفضضة والقدر مفضض لم أر إناء قط أحسن منه ؛ فقالت : دونك ؛ فجمعت وشربت من اللبن حتى رويت ، ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل ، فهل ذكرت من ضالتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف² ؟ قلت نعم ؛ قالت : فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها ثم حال الليل بيني وبينها ؛ فقمّت وجزيتها الخير وقلت : والله لقد تغدّيت ورويت ! فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها ، فوالله ما رأيت من أثر ، فأتيت³ صاحبي فإذا هو متشجّع في الإبل بكسائه ورافع عقيرته⁴ يغني ، قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلت : ما ورائي من شيء ؛ قال : لا عليك ! فأخبرني بما فعلت ، فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت ؛ فقال : قد أصبت طلبتك ؛ فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألتني عن صفة الإنائين : الصّحفة والقدر فوصفتها له ، فتنفّس الصّعداء وقال : قد أصبت طلبتك ويحك ؛ ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف

1 تشدهم : تسألمهم . البكرة : الفئنة من الإبل . أدماء : بيضاء .

2 الشرف : المكان العالي .

3 ل : وانصرفت إلى .

4 عقيرة الرجل : صوته .

بها ؛ فقال : حسبك ! فمكثتُ حتى إذا أوتِ إبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدنُ منه ، وجلس مني بمزجر الكلب ، فلما ظنَّ أنني قد نمتُ رمقته فقام إلى عيبة¹ له فاستخرج منها بُردَيْن فأتزر بأحدهما وتردَّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي فجعلتُ أخفي نفسي حتى إذا خِفتُ أن يراني انبطحت ، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجراتٍ قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهنَّ ، وإذا صاحبتَه عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ ، فقالت : اجلس ؛ فوالله لكأنَّه لصيق بالأرض ، فسلمَ عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمعتُ به قطً وأبعده من كل ريبة ، وسألته مثل مسألته ، ثم أمرتُ جارية معها فقرَّبت إليه طعاماً ، فلما أكل وفرَّغ ، قالت أنشدني ما قلت ؛ فأنشدها :

عَلَيْتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَلْ إلى اليوم يَنمي حبُّها وَيَزِيدُ

فلم يزالا يتحدثان ، ما يقولان فحشاً ولا هجراً ، حتى التفتت التفاتة فنظرتُ إلى الصبح ، فودَّع كلُّ واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعتُ به قطً ثم انصرفا ، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه ؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرديه ثم قال : يا أنا بني تميم ، حتى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضأتُ وصليتُ وحلبت إبلي وأعاني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثم دعوته إلى الغداء فتغذتُ ، ثم قام إلى عيبته فافتتحها² فإذا فيها سلاح وبُردان ممَّا كسَّته الملوك ، فأعطاني أحدهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ذخرته عنك ، وحدثني حديثه وانتسب لي ، فإذا هو جميل بن معمر والمرأة بُشينة ، وقال لي : إني قد قلتُ أبياتاً في مُنصرَفي من عندها ، فهل لك إن رأيتها أن تُنشدها³ ؟ قلت : نعم ! فأنشدني :

وما أنسَم الأشياء لا أنسَ قولها وقد قرَّبتُ بضوي أمصرَ تريدُ

الأبيات ، ثم ودَّعني وانصرف ، فمكثتُ حتى أخذتُ الإبلَ مراتعها ، ثم عَمَدْتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم آرتديت بالبردِ وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إني جئتُ أمس طالباً واليوم زائراً ، أفأذنون ؟ قالت : نعم ، فسمعتُ جَوَيرِيَّة تقول لها : يا بُشينة ، عليه والله بُردٌ جميلٌ ؛ فجعلتُ اثني على ضيفي وأذكر فضله ، وقلت : إنَّه ذكرك فأحسن⁴

1 العيبة : وعاء من الجلد توضع فيه الثياب .

2 ل : مال إلى عيبته فأشخصها .

3 ل : هل لك أن تأتيها فتشدها .

4 ل : بأحسن .

الذكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لي حتّى أنظر إليك ؟ قالت : نعم ، فليستُ ثيابها ثم برزت ودعت لي بطُرفٍ ، ثم قالت : يا أبا بني تميم ، والله ما ثوبك هذان بمُشْتَبِهَيْنِ ، ودعتُ بعبيتها فأخرجت لي ملحفةً مَرَوِيَّةً مُشْبَعَةً من العُصْفَرِ ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومنَّ إلى كِسْرِ البيت ولتَخْلَعَنَّ مِدْرَعَتَكَ ثم لتَأْتِرَنَّ بهذه الملحفة فهي أشبه بِرُدِّكَ ؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتها الأبيات فدَمَعَت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إيلي بملحفةٍ بثينة وبُردٍ جميلٍ ونَظَرَةٍ من بثينة . قال معبد : فجزيتُ الشيخ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناسُ حالاً بنظرةٍ من الغريض واستماعٍ لغنائه ، وعِلْمٍ بخديث جميل وبثينة فيما غنّيت أنا به وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصِدْقِهِ ، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبثينة ، ومن الغريض ومنّي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلّها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

[من الطويل]

عَلَقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ	إلى اليومِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي انتِظَارِي نَوَالَهَا	وَأَفْنَيْتُ بِذَلِكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلَا أَنَا مُردودٌ بما جِئْتُ طَالِباً	وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا	وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي أَمِصَرَ تَرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى	لَزَرْتُكَ فَاغْذِرْنِي فَدَتُكَ جُدُودُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي	مِنَ الْحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشُ بِهِ	تَوَلَّتْ وَقَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ

عروضه من الطويل ، الشعر لجميل بن معمر ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع ، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانه . وذكر عمرو والحشامي أنّ فيه ثَقِيلاً أَوَّلَ آخَرَ لِلْهُذَلِيِّ ، وأنّ فيه خفيف ثَقِيلٌ يُنسَبُ إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم ، أوله : «وما أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ» . وفي الأربعة الأبيات الأوّل ثاني ثَقِيلٌ البِنْصَرُ لابن أبي قباحة . وإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثَقِيلٌ آخر بالوسطى عن الحشامي . وَوَقَدْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِيهِ غَنَاءٌ أَيْضاً ، وَهُوَ مُوصُولٌ بِأَبْيَاتٍ أُخَرَ :

[من الطويل]

صوت

أَلَا لَيْتَ رَعِيانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنُ يَعُودُ
فَنَغْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ قَرِيبٌ وَمَا قَدْ تَبَذَّلِينَ زَهِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَمَا رَثٌ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ¹
فَقَدْ تَلْتَقِي الْأَهْوَاءُ بَعْدَ تَفَاوُتٍ وَقَدْ تُطَلِّبُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

في البيتين الأولين خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر حبش أنه لإسحاق ؛
وليس يُشبه أن يكون له . وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش
أيضاً .

[قال ابن أبي ربيعة في شعر له فغيره الغريض باسمه لما غناه]

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال
حدثني الوليد بن هشام عن محمد بن معن عن خالد بن سلمة المخزومي قال : خرجتُ مع
أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ ، فلما أسحرنا قال لي أعمامي : انزل عن نجيبك واحمل
عليه هذا الشيخ واركب جمَلَه ، ففعلت ؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غلاف ، ثم
ضرب به وغنى :

هَاجَ الْغَرِيضَ الذَّكَرُ لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا

فقلت لبعض أصحابنا : مَنْ هذا ؟ قال : الغريض .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الرجز]

هَاجَ الْغَرِيضَ الذَّكَرُ لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا
عَلَى بَغَالٍ شُحَّجٍ قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْدٌ لَيْتَنِي مَا عُمَرْتُ أُعَمَّرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا خُفٌّ أَتَانِي الْقَدَرُ

عروضه من الرجز . الذي قال عمر :

1 ليلة في ل : مرة .

هاج القريص الذكّر

بالقاف ، فجعله الغريص لما غنى فيه : «الغريص» يعني نفسه . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ له فيه لحنين . وذكر إسحاق أنّ أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر ، وذكر الهشامي أنّ الآخر خفيف رمل . وفيه للغريص ثقل أول بالبنصر ، وقيل : إنه لحن ابن سريج ، وإن خفيف الرمل للغريص . وأول هذا الصوت في كتاب يونس :

هاج فؤادي مَحْضُرٌ بذِي عُكاظٍ مُقْفَرٌ¹
 حتّى إذا ما وازنوا الـ حَمْرُوةً حين ائْتَمَرُوا²
 قيل انزلوا فَعَرَّسُوا من ليلكم وانشَمِرُوا
 وقولها لأختها أُمُطَمِّنٌ عَمَرٌ

[قدم الوليد بن عبد الملك مكّة فصحبه ابن أبي ربيعة وغناه الغريص]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السّعديّ : أنّ الوليد بن عبد الملك قدّم مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف ، فقال : هل من رجلٍ عالمٍ يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمّ بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكّروه فأباه ، ثم عاد فذكّروه فقال : هاتوه ؛ وركب معه فجعل يُحدّثه ، ثم حوّل عمر رداءه ليُصلّحه على نفسه ، فرأى الوليد على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنت عند جارية لي إذ جاءتنى جارية برسالة من عند جارية أخرى وجعلت تُسارّني بها ، فغارت التي كنت عندها فعضّت منكبي ، فما وجدتُ ألمَ عضّتها من لذة ما كانت تلك تنفّث في أذني حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تُضحك به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزّنا حتى رجع . وكان قد حمّل الغريص معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً ، فهل لك أن تسمعه ؟ قال : هاتّه ، فدعا به فقال : أسمع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته ؛ فاندفع يغني بشعر عمر ، ومن الناس من يرويه لجميل : [من الكامل]

صوت

إنّي لأحفظُ سرّكم ويسرّني لو تعلمين بصلاح أن تُذكرِي

1 المحضر : الماء يجتمعون ويحضرون عليه .

2 وازنوا : حاذوا . وائتمروا : تشاوروا .

ويكون يومٌ لا أرى لك مُرسلاً أو نلتقي فيه عليّ كأشهرٍ
يا ليتني ألقى المنيةَ بَغْتَةً إن كان يومٌ لقائكم لم يُقدِّرِ
ما كنتِ والوعد الذي تعدّيني إلا كبرقٍ سحابةٍ لم تُمطِّرِ
تُقضى الديونُ وليس يُنجِزُ عاجلاً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعسِّرِ

عروضه من الكامل . وذكر حبش أن الغناء للغريض ، ولحنه ثقیل أوّل بالبصر ، قال :
فاشْتدَّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقیتُك ، ووصله وكساه وقضى حوائجه .

[نصيب يصف لنفسه وللشعراء الثلاثة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عوانة قال
حدّثني رجل من أهل الكوفة قال : قدِمَ نُصَيْبُ الكوفة ، فأرسلني أبي إليه ، وكان له صديقاً ،
فقال : أقرئه مني السلام وقل له : إن رأيت أن تهدي لنا شيئاً ممّا قلت ! فأتيته في يوم جمعة وهو
يصلي ، فلما فرغ أقرأته السلام وقلت له ، فقال : قد علم أبوك أنّي لا أنشد في يوم الجمعة
ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحبّ ، فلما خرجتُ وانتهيت إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أتروي
شيئاً من الشعر ؟ قلتُ نعم ؛ قال : فأنشدني ؛ فأنشدته قول جميل :

إني لأحفظُ غَيْبَكم وَيَسْرُنِي لو تعلمين بصالِحٍ أن تُذَكِّرِي
الآياتِ المتقدِّمة ؛ فقال نُصَيْبُ : أُمْسِكْ ! أُمْسِكْ ! لله دَرُه ! ما قال أحدٌ إلّا دون ما قال ،
ولقد نَحَتَ للناس مثلاً يَحْتَذِرُونَ عليه . ثم قال : أمّا أصدّقنا في شعره فجَمِيل ، وأمّا أوصفنا لربّات
الحِجَال فكثير ، وأمّا أكذبنا فعمر بن أبي ربيعة ، وأمّا أنا فأقول ما أعرف .
[سمع أصوات رهبان في دير فصنع لحناً على مثالها]

وقال هارون بن محمد الزيات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أن الغريض سمع أصواتَ
رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض من معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مثل هذا
الصوت لحناً ؛ فصاغ مثله في لحنه :

يا أمّ بكرٍ حُبُّك البادي لا تَصْرِمِينِي إِنّني غادي
فما سَمِعَ بأحسن منه .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الكامل]

يا أمّ بكرٍ حُبُّك البادي لا تَصْرِمِينِي إِنّني غادي

جَدَّ الرِّحْلُ وَحَثْنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ

عروضه من مُزاحَفِ الكامل . الشعر¹ لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري . والغناء للغريض خفيف ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وفيه لابن المكيّ ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى عن حبّش . وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَجٌ .

[غناء إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عُبَايَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُقْبَةَ ، وَكَانَ يُعْرِفُ بَابَنَ الْمَاشِطَةِ ، قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابُ لِي فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْهَيْثَمِ إِلَى الْعَقِيقِ ، وَمَعَنَا رَجُلٌ نَاسِكٌ كُنَّا نَحْتَشِمُ مِنْهُ ، وَكَانَ مَحْمُومًا نَائِمًا ، وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَسْمَعَ مِنْ مَعْبَا مِنَ الْمَغْنَنِ وَنَحْنُ نَهَابُهُ وَنَحْتَشِمُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ فِينَا رَجُلًا يُنْشِدُ الشَّعْرَ فَيُحْسِنُ ، وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَهُ ، وَلَكِنَّا نَهَابُكَ ؛ قَالَ : فَمَا عَلَيَّ مِنْكُمْ ؛ أَنَا مَحْمُومٌ نَائِمٌ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ؛ فَانْدَفَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْهَيْثَمِ فَغَنَى :

يَا أُمَّ بَكْرٍ حَبْكُ الْبَادِي لَا تَصْرِمِينِي إِنَّنِي غَادِي

جَدَّ الرِّحْلُ وَحَثْنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يَرْقُصُ وَيَصِيحُ : أُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ ، وَاللَّهِ أُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ أَيْرِهِ وَقَالَ : أَنَا أَنْيْكَ أُمَّ الْحُمَى ! قَالَ : يَقُولُ لِي ابْنُ الْمَاشِطَةِ : أَعْتَقْتُ مَا أَمْلِكُ إِنْ كَانَ نَاكَ أُمَّ الْحُمَى أَحَدٌ قَبْلَهُ .

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيّوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سوءته وما قاله بعد ذلك .

[هرويه إلى اليمن خوفاً من نافع بن علقمة وموته بها]

وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنه مات في خلافة سليمان ، لأنّ الوليد كان ولّى نافع بن علقمة مَكَّةَ فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبيّ قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ : أَنَّ نَافِعَ بْنَ عُلْقَمَةَ لَمَّا وَلَّيَ مَكَّةَ خَافَهُ الْغَرِيضُ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَطْلُبُهُ فَلَمْ يَجِثْهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَاسْتَخْفَى فِي بَعْضِ مَنَازِلِ إِخْوَانِهِ . قَالَ : فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ يَخْدُمُهُ : أَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْهِ يَوْمًا

1 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : سبّترجم له أبو الفرج فيما بعد .

رَبْعَةً¹ له وقال له : صِرْ بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيباً ؛ قال : فصيرتُ بها إليه ، فلقيني نافع بن علقمة فقال : هذه رُبْعَةُ الغريض والله ، فلم أقدر أن أكتمه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قصته ؟ فأخبرته الخبر ؛ فضحك وقال : سِرْ معي إلى المنزل ففعلت ، فملأها طيباً وأعطاني دنائير ، وقال : أعطه وقل له يظهرُ فلا بأس عليه ؛ فسيرتُ إليه مسروراً فأخبرته بذلك فجزع وقال : الآن ينبغي أن أهرب ، إنما هذه حيلة احتالها علي لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليمن ، فكان آخر العهد به .

قال إسحاق فحدثني هذا المخزومي : أن الغريض لما صار إلى اليمن وأقام به اجتزأ به في بعض أسفارنا ؛ قال : فلما رأيته بكى ؛ فقلت له : ما يُكيك ؟ قال : بأبي أنت وأُمِّي ! وكيف يطيبُ لي أن أعيش بين قوم يروني أحيل عودي فيقولون لي : يا هُنا ، أتبيع آخرة الرَّحْل ! فقلت له : فارجع إلى مكة ففيها أهلك ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنما كنتُ أَسْتَلِدُّ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطنتُ² هذا المكان ولستُ تاركه ما عشتُ ؛ قلنا له : فغَنَّا بشيء من غنائك فتأبى ، ثم أقسمنا عليه فأجاب ، وعَمَدنا إلى شاة فذبحناها وخرطنا من مُصرانها أوتاراً ، فشدّها على عُوده واندفع فغَنَّى في شعر زهير :

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُونَا فَقَلْبِي يُسْتَجِرُّ بِهِ جُنُونَا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه ؛ فقلنا له : ارجع إلى مكة ، فكلُّ مَنْ بها يشتاقل . ولم نزل نُرْغِبُه في ذلك حتى أجاب إليه . ومَضِينَا لحاجتنا ثم عُدْنَا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصتك ؟ قال : جاءني منذ ليال قوم ، وقد كنتُ أُغْنِي في الليل ، فقالوا : غَنَّا ؛ فَأَنكَرْتُهُمْ وَخِفْتُهُمْ ، فجعلتُ أُغْنِيهِمْ ؛ فقال لي بعضهم غَنِّي :

لَقَدْ حَثُوا الْجَمَالَ لِيَهْدَ رُبُونَا مَنَا فَلَمْ يَحِلُّوا³

ففعلت ؛ فقام إلي هُنَّ منهم أَرْبُ⁴ فقال لي : أحسنتَ والله ! ودَقَّ رأسي ، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا ، فأفقتُ بعد ثالثة وأنا عليل كما ترى ، ولا أُرَانِي إِلَّا سَامُوت . قال : فأقمنا عنده بقية يومنا ومات من غدي فدفناه وانصرفنا .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة عن أبي غَسَّان قال : زعم المكيُّون أن

1 ربعة : وعاء الطيب .

2 أوطن المكان : آخذة وطناً .

3 لم يملوا : لم يجدوا موثلاً يعتصمون به .

4 هن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» . والأرب : الكثير الشعر .

الغريض خرج إلى بلاد عك¹ فغنى ليلاً :

هُم رَكَبٌ لَقُوا رَكْباً كما قد تجمعُ السُّبُلُ
فصاح به صائح : اكفُفْ يا أبا مروان ، فقد سَفَهْتَ حُلَمَاءَنَا ، وأصببت سفهاءنا ، قال :
فأصبح ميتاً .

[رواية أخرى في وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الخطّاب قال حدثنا رجل من آل أبي قبيل ، يقال له مُحَرَّز ، عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغريض ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدثني محمد بن سلام عن أبي قبيل ، وهو مولى لآل الغريض ، قال : شهدتُ مَجْمَعاً لآل الغريض إمّا عُرْساً أو خِتَاناً ، فقبل له : تَغَنٍّ ؛ فقال : هو ابن زانية إن فعل ؛ فقال له بعض مواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أو كذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به وتمشّى مشيةً لم أر أحسن منها ، ثم تغنى :

تَشَرَّبَ لَوْنَ الرَّازِقِيَّ بِيَاضِهِ أو الزعفران خالط المسك رادعهُ²
فجعل يُغْنِيهِ مُقْبِلاً ومُذْبِراً حتى التوت عُنْقُهُ وخرَّ صريعاً ، وما رفعناه إلّا ميتاً ، وظننّا أنّ فالجاً عاجله . قال إسحاق وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال : إنّما نهته الجنّ أن يتغنى بهذا الصوت ، فلما أغضبه مواليه تغناه فقتلته الجنّ في ذلك .

نسبة هذه الأصوات

صوت³

منها :

[من الوافر]

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُونَا فقلبي يُسْتَجَنُّ به جُنُونَا
أَبْكَى لِلْفِرَاقِ وَكُلُّ حَيٍّ سيكي حين يَفْتَقِدُ الْقَرِينَا
فَإِنْ تُصْبِحُ طَلِيحَةً فَارَقْتَنِي بَيْنِي فَالْزَيْبَةُ أَنْ تَبِينَا⁴
فَقَدْ بَانَتْ بِكَرْهِي يَوْمَ بَانَتْ مُفَارِقَةً وَكُنْتُ بِهَا ضَيْنَا

1 بلاد عك : مخلاف باليمن .

2 الرازي : ثياب الكتان البيض ، وقيل هو الكتان نفسه (اللسان) ، وهو غير متفق تماماً مع سياق البيت .

3 لم نعر على هذه الأبيات في ديوان زهير بشرح ثعلب .

4 طليعة في ل : ظليمة .

الشعر لزهير ، والغناء للغريض عن حبش ، وقيل : إنه لدحمان . وفيه لأبي الورد خفيف
رمل بالوسطى [عن حبش والحشامي] .
انقضت أخبار الغريض .
ومنها :

[من مجزوء الوافر]

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَةَ

لقد حَثُوا الجِمالَ لِيَهْ	رَبُّوا مِنَّا فلم يَقُولُوا
على آثارهِنَّ مُقَلِّد	ص السَّرْبَالِ مُعْتَمِلٌ ¹
وفيهم قَلْبُكَ المَتَّبِعُ	لُ بالحِسناءِ مُخْتَبِلٌ
مُخَفَّفَةٌ بِحَمَلِ حَمَا	ئِلِ الدَّيْباجِ والحُلَلِ ²
أَسَائِلُ عاصِماً في السَّرِّ	أَيْنَ تَرَاهُمْ نَزَلُوا
فَقَالَ هُمْ قَرِيبٌ مِنْ	كَ لَوْ نَفَعوكَ إِذْ رَحَلُوا

الشعر للحكم بن عَبدَلِ الأسدِيّ ، والغناء في اللحن المختار للغريض ، ولحنه خفيف
ثَقِيل [أَوَّل] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات . وذكر
الحشاميّ أَنَّ فيهما لحناً لمعبد من الثَقِيلِ الأَوَّل . وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج
رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثَقِيلِ أَوَّل بالوسطى عن
حبش . وذكر أحمد بن عبيد أَنَّ الذي صَحَّ فيه أربعة أُلحان : منها لحنان في خفيف الثَقِيل
لـلغريض ومالك ، ولحنان في الرمل لابن سريج ومُخَارِق . وذكر ابن الكلبيّ أَنَّ فيها
لعريب رَمَلاً ثالثاً ، وذكر حبش أَنَّ فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولابن مِسْجَح
رَمَلاً بالبنصر ، ولابن سريج ثاني ثَقِيل بالبنصر . هذه الأُلحان كُلُّها في «لقد حَثُوا» والذي
بعده .

1 مقلص السربال : مشمره .

2 في هذا البيت إقواء .

[18] - أخبار الحكم بن عبدل ونسبه¹

[نسبه]

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، شاعرٌ مُجيدٌ مُقدّمٌ في طبقته ، هَجَّاءٌ خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أعرج أهدب . ومنشؤه الكوفة .

[أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القيسيّ بواسط قال حدّثنا العُتبيّ قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ أعرج لا تُفارقه العصا ، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يكتبُ على عصاه حاجته ويبيعُ بها مع رُسله² ، فلا يُحبسُ له رسولٌ ولا تؤخّرُ له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل : [من الطويل]

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَبْوَابِ نُقْصَى وَنُحْجَبُ
وَكُنْتُ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً وَهَذِي لَعَمْرُ اللَّهِ أَهْمِي وَأَعْجَبُ
تُطَاعُ فَلَا تُعْصَى وَيُحْذَرُ سُخْطُهَا وَيُرْغَبُ فِي الْمَرْضَاةِ مِنْهَا وَتُرْهَبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردتَ من عصاي حتى صيرتها ضحكةً ؟ واجتنّب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجه في الرِّقاع .

[حبس هو وأبو عليه صاحبه]

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ ، وأخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثنا

1 ترجمة الحكم بن عبدل في السمط : 899 ومصورة ابن عساكر 5 : 208 وتهذيب ابن عساكر 4 : 399 ومختصر ابن منظور 7 : 219 والمؤتلف والمختلف 242 والوافي 13 : 114 والفوات 1 : 390 ووردت له ترجمة في ابن خلكان 2 : 201 وأخرى في معجم الأدباء 3 : 1185 ، واستغرب محقق الكتالين - إحسان عباس - ورود هاتين الترجمتين فيهما لأنّ الأولى ليست على شرط ابن خلكان لأنّه لا يعرف سنة وفاته ، وبما أنّ الثانية لشاعر فهي أليق بمعجم الشعراء . وقد اقتبس ابن حمدون من أخباره وأشعاره عن الأغاني في عشرة مواضع وله في حماسة أبي تمام أربع قطع .

2 ل : رسوله .

أبو جعفر القُرشيّ قال : كان للحَكَم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَم يُحمَلُ وأبو عُليّة يُقاد ، فلَقِيَهُما صاحب العَسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلَمّا استقرّا في الحبس نظر الحَكَم إلى عصا أبي عُليّة موضوعةً إلى جانب عصاه ، فضجّك وأنشأ يقول :

حَبْسِي وَحَبْسُ أَبِي عُليّة لَمّة من أعاجيب الزمان
أعمى يُقادُ ومُقعدٌ لا الرّجلُ منه ولا اليَدان
هذا بلا بَصَرٍ هنا لك وبّي يَحْبُ الحامِلان
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفلا قَرينَ حُوتٍ في مكان
طِرْفِي وطِرْفُ أَبِي عُليّة لَمّة دهرنا مُتوافقان
مَنْ يَفْتَحِرُ بِجَواذِهِ فَجِياذُنا عُكَّازتان
طِرْفانٍ لا عَلفاهُما يُشْرِى ولا يَتصاولان
هَبْنِي وإيَّاه الحَريب قَ أَكان يَسطَعُ بالدُخان
قال : وكان اسم أبي عُليّة يحيى ، فقال فيه الحَكَم أيضاً :

أقول ليحيى ليلة الحبس سادراً ونومي به نَوْمُ الأَسيرِ المَقيدِ¹
أعني على رَعي النجوم ولَحْظِها أعينك على تَجبيرِ شِعْرِ مُقصدِ²
ففي حاليّنا عِبرةٌ وتَفَكُّرٌ وأعجبُ شيءٍ حَبْسُ أعمى ومُقعدِ
كِلانا إذا العُكَّازُ فارَقَ كَفَّهُ يُنبيخُ صَريعاً أو على الوجه يَسجُدُ³
فَعُكَّازةٌ تَهْدِي إلى السُّبُلِ أَكْمَها وأخرى مَقامَ الرّجلِ قامت مع اليَدِ

[دولة العرجان]

أخبرني محمد بن عمران الصَّبِرِيُّ قال حَدَّثنا الحسن بن عُليل قال حَدَّثني أحمد بن بُكير الأَسديّ قال حَدَّثني محمد بن أنس السَّلاميّ الأَسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُميت قال : وَلِي الشُّرطة بالكوفة رجلٌ أَعرجُ ، ثم وَلِي الإمارة أميرُ أَعرج ، وخرج ابن عبدل وكان أَعرج ، فلقني سائلاً أَعرج وقد تَعَرَّضُ لِلأَميرِ يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل :

[من الكامل]

1 السادر : المتحير .

2 الشعر المقصد : أي في قصائد طويلة .

3 في هذا البيت إقواء .

أَلْقِ الْعَصَا وَدَعِ التَّخَامُعَ وَالتَّمِسَ عَمَلًا فَهَٰذَا دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ¹
لَأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شَرْطِنَا مَعًا يَا قَوْمَنَا لِكَلَيْهِمَا رِجْلَانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانُ²
فَبَلَغْتَ أَبْيَاتُهُ ذَلِكَ الْأَمِيرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَائَتِي دِرْهَمٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَ عَنْهُ .

وَحَدَّثَنِيهِ الْأَخْفَشُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ
عَوَانَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : وَلِيَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ
الْكُوفَةَ وَضُمَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ يُقَالُ لَهُ سَهْلٌ ، وَكَانَا جَمِيعًا أَعْرَجَيْنِ . ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ
الْحَدِيثِ مِثْلَ حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ نُعَيْمٍ .

[حلم بما أعطاه عبد الملك بن بشر بن مروان]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ عَنْ قَعْنَبِ بْنِ الْمُحَرِّزِ
الْبَاهَلِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِ الْأَحْمَرِيِّ قَالَ : كَانَتْ لَابْنِ عَبْدِ الْأَسَدِيِّ حَاجَةٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرَ بْنِ
مَرْوَانَ ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَهَيَّأُ لَهُ الْكَلَامُ ، حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ لَكَ
رُؤْيَا ، فَقَالَ : هَاتِيهَا . فَقَصَّهَا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ : وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ أَيْضًا ؛ قَالَ : هَاتِ مَا
رَأَيْتَ ؛ فَقَالَ :

[من الكامل]

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصَّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَحَبَوْتَنِي فِيمَا أَرَى بُولِيدَةٍ مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا
وَبِدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبَغْلَةٍ شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِلُ لِجَانِبِهَا³
لَيْتَ الْمُنَابِرَ يَا ابْنَ بَشَرَ أَصْبَحْتُ تَرُقَى وَأَنْتَ خَطِيئُهَا وَإِمَامُهَا

فَقَالَ لَهُ ابْنُ بَشَرَ : إِذَا رَأَيْتَ هَذَا فِي الْيَقِظَةِ أَتَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُ قَبِيلَ الصَّبْحِ ؛
قَالَ : يَا غَلَامَ ، ادْعُ فَلَانًا ، فَجَاءَ بُوْكَيْلُهُ ، فَقَالَ : هَاتِ فَلَانَةَ فَجَاءَتْ ، فَقَالَ : أَيْنَ هَذِهِ مِمَّا
رَأَيْتَ ؟ قَالَ : هِيَ هِيَ ؛ وَالْأَفْعَلِيَّةُ وَعَلَيْهِ ؛ ثُمَّ دَعَا لَهُ بِدْرَةٍ ، فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ ، وَبِغْلَةٍ فَرَكِيهَا
وَخَرَجَ ؛ فَلَقِيَهُ قَهْرْمَانُ⁴ عَبْدَ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَتَبِيعُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : بِكَمْ ؟ قَالَ : بِسِتِّمَائَةٍ ،
قَالَ : هِيَ لَكَ ، فَأَعْطَاهُ سِتِّمَائَةً ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أُبَيَّتَ إِلَّا أَلْفًا لَأَعْطَيْتُكَ ؛ قَالَ : إِنِّي

1 التَّخَامُعُ فِي ل : التَّحَامِقُ . وَالتَّخَامُعُ : التَّظَاهَرُ بِالْخَمْعِ وَهُوَ الْعَرَجُ .

2 وَوَزِيرِنَا فِي ل : وَوَزِيرُهُ . وَفِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْوَاءُ .

3 النَّاجِيَةُ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ . يَصِلُ لِجَانِبِهَا : أَيُّ لَهُ صَوْتٌ .

4 قَهْرْمَانُ : الْوَكِيلُ أَوْ أَمِينُ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ .

تُنْدِم ! لو أبيتَ إلّا ستّة لبعثتُ .

[هجاؤه محمد بن حسان]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم عن ابن عيَّاش عن لُقَيْط قال : تزوّج محمد بن حسان بن سعد التَّميمي امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس ، زوّجها إياه رجلٌ منهم يقال له زياد ، فقال ابن عبدل : [من الطويل]

أَبَاغَ زِيَادُ سَوْدَ اللَّهِ وَجَهَهُ عَقِيلَةَ قَوْمٍ سَادَةٍ بِالْدَرَاهِمِ
وَمَا كَانَ حَسَّانُ بْنُ سَعْدٍ وَلَا ابْنُهُ أَبُو الْمَسْكِ مِنْ أَكْفَاءِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
وَلَكِنَّهُ رَدَّ الزَّمَانَ عَلَى اسْتِهِ وَضَيَّعَ أَمْرَ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ
خُذِي دِيَّةً مِنْهُ تَكُنْ لَكَ عُدَّةٌ وَجِيئِي إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ فَخَاصِمِي
فَلَوْ كُنْتُ فِي رَوْحٍ لَمَا قُلْتُ خَاصِمِي وَلَكِنَّمَا أُلْقِيْتُ فِي سَجْنِ عَارِمٍ¹

قال : فلمّا بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسان عاملاً على بعض كُور السّواد ، فسأله ابن عبدل حاجةً فردّه عنها ، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاء كثيراً .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصّيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثنا أحمد بن بُكَيْر الأسدي عن محمد بن بشر السّلامي عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، فذكر نحواً مما ذكره عمي وزاد فيه قال : وكانت المرأة التي تزوّجها مُعَاذَةُ بنت مُقاتل بن طلبة ، فلمّا سمعت ما قال ابن عبدل فيها نَشَزَتْ على زوجها وَهَرَبَتْ إلى أهلها ، فتوسّطوا ما بينهما وافتدّيت منه بمال وفارقها .

[سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدتها من شعره]

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني عن العُمري عن عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال : سمع ابن عبدل الأسدي امرأةً وهي تتمشّي بالبلاط تتمثّل بقوله :

وَأَعْسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَدْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
فقال لها ابن عبدل ، وكان قريباً منها : يَا أَحْيَا ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأسدي ؛ قال : أَفَتُجِيبِيَنَهُ مَعْرِفَةً ؟ قالت : لا ؛ قال : فَأَنَا هُوَ ، وأنا الذي أقول :

[من الطويل]

1 سجن عارم : حبس كان لابن الزبير ثم للحجاج . قال ياقوت «ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف» .

وَأَنْعِظْ أحياناً فينقذُ جلدَهُ وَأَعِذْهُ جُهْدِي فلا ينفعُ العَدْلُ
وَأَزِدْهُ نَعْظاً حينَ أَبْصِرُ جارتي فَأَوْثِقْهُ كيما يُثَوِّبَ له عَقْلُ¹
وَرَبُّنَا لم أَدْرِ ما حِيلَتِي له إذا هو آذاني وعرَّ به الجهلُ
فَأَوْيْتُهُ في بطنِ جاري وجارتي مكابرةً قَدْماً وإنْ رَغِمَ البَعْلُ²

فَقَالَتْ له المرأةُ : بئسَ واللهِ الجارُ للمُغِيبَةِ³ أَنْتَ ، فقال : إي والله ، ولتلي معها زوجها وأبوها وابنها وأخوها .

[قدم على ابن هبيرة مستجدياً فأعطاه بعد إلحاح ما أراد]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّافُ قال حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بنِ المحرزِ الباهليُّ قال حَدَّثَنَا الهيثمُ بن عديٍّ وأخبرني به حبيب بن نصر المَهَلَّبِيُّ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي علي بن الحسن قال حَدَّثَنِي أبو خالد الخُزَاعِيُّ الأَسْلَمِيُّ عن الهيثم بن عديٍّ عن ابن عِيَّاش قال : قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدِ اللَّهِ الشاعر الكوفيَّ واسطاً على ابن هُبَيْرَةَ وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

أَتَيْتَكَ في أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ عَشِيرَتِي وَأَعْيَا الأُمُورِ الْمُفْطِعاتِ جَسِيمُهَا
فَإِنْ قُلْتَ لي في حاجتي أَنَا فاعِلٌ فَقَدْ ثَلَجَتْ نَفْسِي وولَّتْ هُمُومُهَا

قال : أَنَا فاعِلٌ إِنْ اقْتَصَدْتَ ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لِرِمْنِي في حِمَالَةٍ ؛ قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُناصِفُوكَها ، قال : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، أَتَخَافُ عَلَيَّ التَّخَمَةَ إِنْ أَتَمَمْتُهَا ؟ قال : أَكْرَهُ أَنْ أَعُودَ النَّاسَ هذه العادة ؛ قال : فَأَعْطِنِي جَمِيعَهَا سَرّاً وَاْمْنَعْنِي جَمِيعَهَا ظاهراً حتى تُعَوِّدَ النَّاسَ المَنْعَ وإِلَّا فالضَّرُّ عَلَيْكَ واقعٌ إِنْ عَوَّدْتَهُمْ نِصْفَ ما يَطْلُبُونَ ؛ فَضَحِكَ ابن هُبَيْرَةَ وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فَجَثَا بين يديه وقال : امرأته طالقٌ لا أَخَذْتُ أَقْلَ من أربعة آلاف أو أَنصَرَفُ وَأَنَا غَضَبَانٌ ؛ قال : أعطوه إِيَّاهَا قَبْحه اللهُ فَإِنَّهُ ، ما عَلِمْتُ ، حَلَّافٌ مَهِينٌ ؛ فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .

[أَفْنَى الطاعون قوماً من بني غاضرة فرثاهم]

أخبرني حبيب بن نصر المَهَلَّبِيُّ قال حَدَّثَنَا العَنْزِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن معاوية الأَسَدِيُّ قال حَدَّثَنِي مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيره قالوا : لَمَّا وَقَعَ الطاعون بالكوفة أَفْنَى بني

1 يثوب في ل : يكون .

2 قدماً : المضي والإقدام .

3 المغيبة : التي غاب عنها رجالها .

غاضرة ومات فيه بنو زُرّ بن حُبَيْش الغاضريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفَاء ، وبنو عمّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدِ الغاضريّ يرثيهم : [من الطويل]

أبعد بني زُرٍّ وبعد ابن جَنْدَلٍ وعمرو أَرْجِي لَذَّةَ العيش في خَفْضِ
مَضَوْا وَبَقِينَا نَأْمُلُ العيشَ بعدهم أَلَا إِنْ مَنْ يَبْقَى عَلَى إِثْرِ مَنْ يَمْضِي
فقد كان حَوْلِي من جِيَادٍ وسالمٍ كُهُولَ مَسَاعِيرٍ وكلُّ فَتَى بَضٍّ¹
يَرَى الشُّحَّ عَارًا والسَّمَاحَةَ رِفْعَةً أغرُّ كَعُودِ البَانَةِ الناعمِ الغَضِّ

[مجاوزه محمد بن حسان وقد سأله حاجة فلم يقضها]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُحَلَّم قال : سأل الحَكَمُ بن عبدل أخو بني نصر بن قَعِين محمد بن حسان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إياها ؛ فردّه ولم يَقْضِها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدِل : [من الوافر]

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظُلُومًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
يَقُولُ أَمَاتَنِي رَبِّي خِدَاعًا أَمَاتَ اللَّهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ
فَلَوْلَا كَسْبُهُ لَوُجِدْتَ فَسَلًا لَيْيَمَ الْكَسْبِ شَأْنُكَ شَأْنُ عَبْدِ²
رَكِبْتُ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَتَانِي كَرِيمٍ يَنْتَغِي الْمَعْرُوفَ عِنْدِي
فَقُلْتُ لَهُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ نُصْحٌ وَمِنْهُ مَا أُسِرُ لَهُ وَأُبْدِي
تَوَقَّ دِرَاهِمَ الْبَكْرِيِّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ التَّعْدِي
أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مُسْتَثْنٍ يَمِينًا أَبَا بَخْرٍ لَتَتَخِمَنَّ رَدِّي

أخبرني محمد بن عمران الصِّيرْفِيُّ قال حَدَّثَنَا الحسن بن عُثَيْل العَنَزِيُّ قال حَدَّثَنِي أحمد بن بُكَيْرِ الأَسَدِيِّ قال حَدَّثَنِي محمد بن أَنَسِ السَّلَامِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن سهل الأَسَدِيُّ رَاوِيَةُ الكُمَيْتِ : أَنَّ الحَكَمَ بن عبدل الأَسَدِيّ أَتَى محمد بن حسان بن سعد التَّمِيمِيّ وكان على خراج الكوفة ، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خِراجِهِ ؛ فقال : أَمَاتَنِي اللَّهُ إِنْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَضَعَ مِنْ خِراجِ أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول : [من البسيط]

1 مساعير : يسعون نار الحرب . والبض : رخص الجسم .

2 الفسل : المسترذل الضعيف الذي لا مروءة له .

دَعِ الثَّلاثِينَ لَا تَعْرِضْ لِصَاحِبِهَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي تِلْكَ الثَّلاثِينَ
لَمَّا عَلَا صَوْتُهُ فِي الدَّارِ مُبْتَكِرًا كَأَشْتَفَانِ يَرَى قَوْمًا يَدُوسُونَا¹
أَحْسِنُ فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ مَمْلَكَةً إِمَارَةً صَرَتْ فِيهَا الْيَوْمَ مَفْتُونَا
لَا يُعْطِيكَ اللَّهُ خَيْرًا مِثْلَهَا أَبَدًا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِلَّا قُلْتُ آمِينَا

قال : فلم يضع له شيئاً ثمّ على الرجل ؛ فقال فيه :

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهًا ظَلُومًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
يَقُولُ أَمَاتِنِي رَبِّي خِدَاعًا أَمَاتَ اللَّهُ حَسَانَ بْنَ سَعْدٍ
فَمَا صَادَفَتْ فِي قَحْطَانٍ مِثْلِي وَلَا صَادَفْتُ مِثْلَكَ فِي مَعَدٍّ
أَقْلَ بَرَاعَةً وَأَشَدَّ بُخْلًا وَالْأَمَّ عِنْدَ مَسْأَلَةٍ وَحَمْدٍ
نَحَوْتُ مُحَمَّدًا وَدُخَانُ فِيهِ كَرِجِ الْجَعْرِ فَوْقَ عَطِينٍ جَلْدٍ²
فَأَقْسَمُ غَيْرَ مُسْتَشْنٍ يَمِينًا أَبَا بَخْرٍ لَتَتَخِمَنَّ رَدِّي
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْذَبَ مِنْ تَمِيمٍ لَخِفْتُ مَلَائِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
نَكَهْتُ عَلَيَّ نَكْهَةً أَخْذَرِيَّ شَتِيمٍ أُعْصَلَ الْأَنْيَابُ وَرَدٍ³
فَمَا يَدْنُو إِلَى فَمِهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طُلِيَتْ مَسَافِرُهُ بِقَنْدٍ⁴
فَإِنْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْ فَيْكِ حَتْفًا فَإِنِّي كَالَّذِي أَهْدَيْتَ مُهْدِي

قال محمد بن سهل : وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً . قال : واشتهرت حتى إن كان المُكَارِي لَيَسُوقُ بَغْلَهُ أَوْ حِمَارَهُ فَيَقُولُ : عَدَّ * أَمَاتَ اللَّهُ حَسَانَ بْنَ سَعْدٍ * فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أَمَاتَ اللَّهُ ابْنِي مُحَمَّدًا ، فهو عَرَضَنِي لهذا البلاء في ثلاثين درهماً .

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بْنُ مُحَرِّزٍ قَالَ أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ : دَعَا أَبُو الْمُهَاجِرِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ لِيَشْرَبَ عِنْدَهُ وَلَهُ جَارِيَةٌ تَغْنِي فَغَنَتْ ؛ فَقَالَ ابْنُ

1 كَأَشْتَفَانِ فِي ل : كَاسْتَعَارَ . يَدُوسُونَا فِي ل : يَسُوقُونَا .

2 نَحَوْتُ فِي ل : فَقَدْتُ . الْجَعْرُ : نَجْوَى كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ السَّبَاعِ . وَالْعَطِينُ : الْجِلْدُ الْمُتَشَنَّنُ .

3 يَقْصِدُ بِالْأَخْذَرِيِّ : الْأَسَدَ ؛ وَالشَّتِيمَ : الْأَسَدَ الْعَابِسَ ؛ وَأُعْصَلَ الْأَنْيَابُ : مَعُوجَهَا ؛ وَالْوَرْدُ : الْأَحْمَرُ الضَّارِبُ إِلَى الصَّفْرِ .

4 الْقَنْدُ : عَسَلٌ قَصَبُ السُّكَّرِ إِذَا جُمِدَ .

عبدل :

[من الكامل]

يا أبا المهاجر قد أردت كرامتي فأهتنتني وضررتني لو تعلم
عند التي لو مسّ جلدي جلدها يوماً بقيت مخلداً لا أهرم
أو كنت في أحمى جهنم بقعة فرأيتها بردت علي جهنم

قال : فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول له : ويحك ! والله لو كان إليها سبيل لوهبتها لك ، ولكن لها مني ولد .

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي]

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال : كان عمر بن يزيد الأسدي مبخلًا ، ووجده أبوه مع أمة له فكان يُعير بذلك ، وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجة ، فدخلوا إليه وهو يأكل تمرًا فلم يدعهم إليه ، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها ؛ فقال فيه ابن عبدل :

جئنا وبين يديه التمر في طبقي فما دعانا أبو حفص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دنسٍ لوئم وجئن ولولا أيرهُ سادا

[ابن عبدل يقتضي ديون امرأة موسرة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأخول عن أبي نصر عن الأصمعي قال : كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسود ، فاستعانت بابن عبدل في دينها ، وقالت : إني امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها ؛ فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه ؛ فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سيخطئك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبالِي
كما أخطاك معروف ابن بشرٍ وكنت تعدّ ذلك رأس مالٍ
قال : وكان ابن عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله ؛ فقال له : أخمسائة أحب إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل ؟ قال : ألف في قابل . فلما أتاه قال له : ألف أحب إليك أم ألفان في قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً .

[تلفظه في سؤال عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن لقيط قال : دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر ، فقال له : ما أحدثت بعدي ؟ قال : خطبت امرأة من قومي فردت عليّ جواب رسالتي ببنتي شعير ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت :

[من الوافر]

سيخطئك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حالي
كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تعد ذلك رأس مال
فضحك عبد الملك ، ثم قال : لجاد ما أذكرت بنفسك ! وأمر له بألفي درهم .

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأسدي وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا
محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني منجاب بن الحارث قال حدثني عبد الملك بن عفان قال :
كان الحكم بن عبدل الأسدي ثم الغاضري صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جفاءً لشغل
عرَض له ، فغبر عنه شهراً ، ثم التقياً فقال : يا ابن عبدل ، ما لك تركتنا وقد كنت لنا زوراً ؟
فقال ابن عبدل :

كنتُ أثني عليك خيراً فلماً أضمر القلبُ من نوالك ياسا
كنتُ ذا منصبٍ قيتُ حيائي لم أقل غير أن هجرتك باسا
لم أطق ما أردتُ بي يا ابن مروا ن سَلَقِي إذا أردتُ أناسا
يَقْبَلُونَ الخسيسَ منك ويثنون ن ثناء مدخماً دِخْماً¹
فقال له : لا نسومك الخسيس ولا نريد منك ثناء مدخماً ، ووصله وحمله وكساه .

[ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو]

أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل الغزري قال وحدثني محمد بن معاوية قال
حدثني منجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال : أراد عمر بن هبيرة أن يغزي الحكم بن
عبدل الغاضري ، فاعتلّ بالزمانة² فحمل وألقي بين يديه فجرده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضع
عنه الغزو وضمه إليه وشخص به معه إلى واسط ؛ فقال الحكم بن عبدل : [من الطويل]

لعمري لقد جرّدتني فوجدتني كثير العيوب سيئ المتجرّد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ووقفت مني للقضاء المسدّد
فلما صار عمر إلى واسط شكّا إليه الحكم بن عبدل الضبعة³ ، فوهب له جارية من
جواريه ، فوآبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعاً أو عشرة طلقاً ، فلما أصبحت قالت له :
جعلتُ فداك من أيّ الناس أنت ؟ قال : امرؤ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نصيرُتم .

1 ثناء مدخمس ودخماس : أي لا حقيقة له .

2 الزمانة : العاهة .

3 الضبعة : شدة شهوة الفحل .

[أعفاه الحجاج من الغزو]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي ، قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلمي عن محمد بن سهل راوية الكُميت فقال فيه : ضرب الحجاج البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان ، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول له : «بأيي» جزعاً عليه ، فسُمي ذلك الجيش «جيش بأيي» ، وأحضر ابن عبدل فجرّد فوجد أعرج فأعفي ؛ فقال في ذلك :

لعمري لقد جردتني فوجدتني

[من الطويل] البيتين ، وزاد معهما ثالثاً وهو :

ولستُ بذِي شَيْخَيْن يَلْتَرِمَانِه وَلَكِنْ يَتِيمٌ سَاقِطُ الرَّجْلِ وَالْيَدِ

[تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عفان قال : تزوج ابن عبدل امرأة من همدان فقالوا له : على كم تزوجت ؟ فقال :

تَزَوَّجْتُ هَمْدَانِيَّةً ذَاتَ بَهْجَةٍ عَلَى نَمَطٍ عَادِيَةٍ وَوَسَائِدِ
لعمري لقد غاليتُ بالمهرِ إِنَّهُ كَذَاكَ يُغَالَى بالنساءِ المَوَاجِدِ

[من الوافر] قال : فلمّا دخل بها كرهها فقال :

أَعَاذَلْتِي مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي أَقِلَّا اللّوْمَ إِنْ لَمْ تَعْذِرَانِي
فَأَنِّي قَدْ دُلْتُ عَلَى عَجْوِزٍ مُبْرِقَةٍ مَخْضِبَةِ الْبَنَانِ
تَقْضَنُ جِلْدَهَا وَاحْضَرُ إِلَّا إِذَا مَا ضُرِّجَتْ بِالزَّعْفَرَانِ
فَلَمَّا أَنْ دَخَلْتُ وَحَادَثْتَنِي أَظَلَّتْنِي يَوْمَ أَرْوَنَانِ¹
تُحَدِّثْنِي عَنِ الْأَزْمَانِ حَتَّى سَمِعْتُ نِدَاءَ حُرٍّ بِالْأَذَانِ
فَقَالَتْ قَدْ نَكَحْتُ اثْنَيْنِ شَتَّى فَلَمَّا صَاحِبَانِي طَلَقَانِي²
وَأَرْبَعَةً نَكَحْتُهُمْ فَمَاتُوا فَلَيْتَ عَرِيفَ حَيٍّ قَدْ نَعَانِي³

1 أرونان : صعب .

2 صاحباني في ل : صاحباني .

3 عريف في ل : عزيز الجن .

وقالت ما تِلَادُكَ قَلْتُ مَالِي حَمَارٌ ظَالِعٌ وَمَزَادَتَانِ
 وَبُورِيٌّ وَأَرْبَعَةٌ زُيُوفٌ وَتَوْبَا مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقَانِ¹
 وَقِطْعَةٌ جُلَّةٌ لَا تَمَرُ فِيهَا وَدَنَّا عَوْمِيَّةٌ مُتَقَابِلَانِ²
 فَقَالَتْ قَدْ رَضِيتُ فَسَمُّ الْفَأِ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُ الشَّاهِدَانِ
 وَمَا لَكَ عِنْدَنَا أَلْفٌ عَتِيدٌ وَلَا تَسْعُ تُعَدُّ وَلَا ثَمَانِ
 وَلَا سَبْعٌ وَلَا سِتٌّ وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي الطَّوِيلُ مِنَ الْهَوَانِ

[كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلما مات رثاه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمِّي عن أبيه عن ابن الكلبي قال : كان الحكم بن عبدل الأسدي منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبّه ويستطيعه ، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها ، فلما مات بشر جزع عليه الحكم وقال يرثيه : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدْرِ مُتَعَجِّباً لِنَصْرِفِ الدَّهْرِ³
 مَا زِلْتُ أَطْلُبُ فِي الْبِلَادِ فَتًى لِيَكُونَ لِي ذُخْراً مِنَ الذُّخْرِ
 وَيَكُونُ يُسْعِدُنِي وَأُسْعِدُهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ مِنَ الْأَمْرِ
 حَتَّى إِذَا ظَفِرْتُ يَدَايَ بِهِ جَاءَ الْقَضَاءُ بِخَيْنِهِ يَجْرِي
 إِنِّي لَفِي هَمٍّ يَبَاكُرُنِي مِنْهُ وَهَمٌّ طَارِقٍ يَسْرِي
 فَلَأَصْبِرَنَّ وَمَا رَأَيْتُ دَوْاً لِلْهَمِّ غَيْرَ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ
 وَاللَّهِ مَا اسْتَعْظَمْتُ فُرْقَتَهُ حَتَّى أَحَاطَ بِفَضْلِهِ خُبْرِي

[خرج مع عمّال بني أمية إلى الشام]

أخبرني ابن دريد قال حدثني عمِّي عن أبيه عن ابن الكلبي قال : لما ظفّر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمّال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان ممن يدخل إلى عبد الملك ويسمّر عنده ، فقال لعبد الملك ليلة : [من البسيط]

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ رَبُّمَا نَفَعْتُ هَلْ ابْصِرَنَّ بَنِي الْعَوَامِ قَدْ شُمِلُوا
 بِالذِّلِّ وَالْأَسْرِ وَالتَّشْرِيدِ إِنَّهُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ حَتَفٌ حَيْثَمَا نَزَلُوا

1 بُورِي : حصير من قصب . والأربعة الزيوف : أربعة دراهم مزيفة .

2 الجلّة : قفّة كبيرة للتمر .

3 بلابل الصدر : الهموم ، جمع بلبال .

أَمْ هَلْ أَرَاكَ بِأَكْنَفِ الْعِرَاقِ وَقَدْ ذَلَّتْ لِعِزِّكَ أَقْوَامٌ وَقَدْ نَكَلُوا¹
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَاتِلُ هَذَا الشَّعْرِ :

إِنْ يُمَكِّنِ اللَّهُ مِنْ قَيْسٍ وَمِنْ جَدَسٍ² وَمِنْ جُذَامٍ وَيُقْتَلُ صَاحِبُ الْحَرَمِ³
نَضْرِبُ جَمَاجِمَ أَقْوَامٍ عَلَى حَنْتِي ضَرْبًا يُنَكِّلُ عَنَّا سَائِرَ الْأُمَمِ³

[يزيد بن عمر بن هبيرة وبنو ابن عبدل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجّم عن أبيه قال
حدثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال : خرج يزيد بن عمر بن هبيرة
يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة ، وقد أقيمت الصلاة ، فنزل يُصَلِّي ، واجتمع
الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا
المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثل قول الشاعر :

مَا إِنْ تَرَكْنَا مِنَ الْغَوَاضِرِ مُعْصِرًا⁴ إِلَّا فَصَمْنَا بِسَاقِهَا خَلْخَالًا⁴
فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِفَاتِ :

وَلَقَدْ عَطَفْنَا عَلَى فَرَارَةِ عَطْفَةٍ⁵ كَرَّ الْمَنِيحِ وَجُلْنَا ثُمَّ مَجَالًا⁵
فَقَالَ يَزِيدُ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : بِنْتُ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً ! وَقَامَ
خَجَلًا .

[ابن عبدل وصاحب العسس]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ
عَطَاءِ بْنِ مُصْعَبٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ الْحَدَّثَانِ قَالَ : كَانَ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِيِّ أَعْرَجَ أَحْدَبَ ، وَكَانَ
مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ وَأَمْلَحِهِمْ ، فَلَقِيَهُ صَاحِبُ الْعَسَسِ لَيْلَةً وَهُوَ سَكْرَانٌ مَحْمُولٌ فِي مَحْفَةٍ ؛ فَقَالَ
لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا بَغِيضُ ، أَنْتَ أَعْرَفُ بِي مِنْ أَنْ تَسْأَلَنِي مَنْ أَنَا ، فَازْهَبْ إِلَى
شُغْلِكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّصُوصَ لَا يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ لِلسَّرْقَةِ مَحْمُولِينَ فِي مِحْفَةٍ ؛ فَضَحِكَ
الرَّجُلُ وَانصَرَفَ عَنْهُ .

1 أقوام في ل : أعداء .

2 جدس : بطن من كندة . وفي رواية جُرْسُ ، وهي بطن من حمير .

3 سائر في ل : غابر .

4 فصمن في ل : قصمن .

5 المنيح : اسم فرس .

[ابن عبد يعرض بابن هبيرة حتى أغضبه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : رأيت ابن عبد الأسدي وقد دخل على ابن هبيرة ، فقال له : أنشدني شيئاً . فقال : أنشدك مقولة أيها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هذه الأبيات ؛ وهي قديمة وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويروى أنها لأعشى همدان :

نجمٌ ولا نُعطى وتُعطى جيوشهم وقد ملؤوا من مالنا ذا الأكارع
وقد كلّفونا عدّةً وروائعاً فقد وأبى رُعنأكُم بالروائع
ونحنُ جَلَبْنَا الخيلَ من ألفِ فرسخٍ إليكم بمُحمرٍّ من الموتِ نافعٍ

قال : فغضب ابن هبيرة من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنني قد أمّنتك واستشدتُك لضربتُ عنقك .

[كانت له جارية سوداء فولدت ولداً فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال : كانت للحكم بن عبد جارية سوداء ، وقد كان يميل إليها فولدت له ابناً أسود ، فكان من أعزَم الصبيان¹ ، فقال فيه :

يا رَبُّ خالٍ لَكَ مُسَوِّدَ القفا لا يَشْتَكِي من رِجلِهِ مَسَّ الحفا
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا عَيْنَا غُرَابٍ فَوْقَ نَيْقٍ أَشْرَفَا²

[هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا المدائني قال : كان عمر بن يزيد الأسدي بخيلاً على الطعام ، فدخل عليه الحكم بن عبد الشاعر وهو يأكل بطيخاً ، فسلم فلم يرده عليه السلام ولم يدعه إلى الطعام ؛ فقال ابن عبد يهجوهُ :

في عُمَرُ بن يَزِيدَ خَلَّتْنا دَنَسٌ بُخْلٌ وَجَبْنٌ وَلَوْلَا أَيُّهُ سادا
جِئْناهُ يَأْكُلُ بِطِيخاً على طَبَقٍ فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عمر على شرطة الحجاج وكان بخيلاً جداً ، فأصابه قولنَجْ فحفنه الطبيب بدهن

1 من أعزَم الصبيان : من أحبهم .

2 النيق : أرفع موضع من الجبل .

كثير ، فأنخل ما في بطنه في الطست ، فقال للغلام : ما تصنع به ؟ قال : أضبه ؛ قال : لا ! ولكن مَيِّز منه الدهن واستصبح به .

[ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال : كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمد بن عمير وكان كلما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكتبه هذا يساره ، فوقف وأنشأ يقول :

أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضٍ مَشَقَّةٍ وَحَصَادُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ¹
فَبِحَقِّ أُمِّكَ وَهِيَ غَيْرُ حَقِيقَةٍ بِاللِّينِ وَاللَّطْفِ الَّذِي لَا يُخْزَنُ²
لَا تُدْنِ فَاكَ إِلَى الْأَمِيرِ وَنَحْوِهِ حَتَّى يُدَاوِيَ نَتْنَهُ لَكَ أَهْوَنُ
إِنْ كَانَ لِلظُّرْبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلْجُحْرُ أَنْفِكَ يَا مُحَمَّدُ أَتْنُ

[خطب امرأة فأبت فقال يعيرها]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن بكر الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكُميت قال : خطب ابن عبدل امرأة من همدان يقال لها : أم رباح فلم تزوجه ، فقال : أما والله لأفضحك ولأعيرنك فقال :

فَلَا خَيْرَ فِي الْفَتَيَانِ بَعْدَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَا فِي الزَّوَانِي بَعْدَ أُمِّ رِبَاحٍ
فَأَيَّرِي بِحَمْدِ اللَّهِ مَاضٍ مُجَرَّبٌ وَأَمَّ رِبَاحٍ عُرْضَةٌ لِنِكَاحِي

[ولد له ولد سماه بشراً تيمناً ببشر بن مروان]

قال : فتحاماها الناس فما تزوجت حتى أسنت . وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال : وُلِدَ لِلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنٌ فَسَمَاهُ بِشْراً ، ودخل على بشر بن مروان فأنشده : [من المقارب]

سَمَّيْتُ بِشْراً بِبِشْرِ النَّدَى فَلَا تَفْضَحْنِي بِتَصْدَاقِهَا
إِذَا مَا قُرَيْشُ قُرَيْشُ الْبَطَا حَ عِنْدَ تَجْمَعِ آفَاقِهَا

1 عروض : الطريق في عرض الجبل .

2 باللين في ل : بالبر .

تَسَامَتْ قُرُومُهُمْ لِلنَّدَى تُبَارِي الرِّيحَ بِأُورَاقِهَا¹
فَمَالُكَ أَنْفَعُ أُمُورِهَا وَخُلُقُكَ أَكْرَمُ أَخْلَاقِهَا

[اقترض مالاً فدفعه عنه عبد الملك بن بشر]

فأمر له بألفي درهم ، وقال : استعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال :
اقترض ابن عبدل مالاً من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أَنْ يَقْضِيَهُمُ الْمَالُ عِنْدَ طُلُوعِ الْهَلَالِ ،
فلَمَّا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ يَوْمَانِ قَالَ :

قَدْ بَاتَ هَمِّي قِرْنًا أَكْبَدُهُ كَأَنَّمَا مَضْجَعِي عَلَى حَجَرٍ
مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يُرَى هَلَالُ عَدِي فَإِنْ رَأَوْهُ فَحَقَّ لِي حَذَرِي
مِنْ فَقْدِ بِيضَاءِ غَاذَةٍ كَمَلْتُ كَأَنَّهَا صُورَةٌ مِنْ الصُّورِ
أَصْبَحْتُ مِنْ أَهْلِ الْغَدَاةِ وَمِنْ مَالِي عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ²

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفه له ؛ فقال فيه : [من المنسرح]

لَمَّا أَتَاهُ الَّذِي أُصِيبْتُ بِهِ وَأَنْشَدُوهُ إِيَّاهُ فِي شِعْرِي
جَادَ بَضِيعِي مَا حَلَّ مِنْ غُرْمِي عَفْوًا فزَالَتْ حَرَارَةُ الصَّدْرِ
لَأَشْكُرَنَّ الَّذِي مَنَنْتَ بِهِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَطَالَ لِي عُمْرِي

[فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء]

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا
للحجاج : إنَّما شعْرُ ابنِ عبدل كُلهُ هِجَاءٍ وشِعْرٌ سَخِيفٌ ؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهُم فاستمع
مَنِّي ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله³ :

وَأَنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَأَعْرِضُ مِيسُورِي لِمَنْ يَتَغْنِي قَرْضِي فَأُذِرُكَ مِيسُورَ الْغِنَى وَمَعِيَ عَرْضِي

حتى انتهى إلى قوله :

وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ وَلَا الْبُخْلُ فَاعِلَمَ مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي
فقال له الحجاج : أحسنت ! وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم .

1 أوراقها : أمورها .

2 ليلة الصدر : ليلة صدور الناس عن حجّهم ، أي شديد الاضطراب .

3 يبدو أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة أثبت القاضي أربعة عشر بيتاً منها (الأمالى 2 : 261) .

صوت¹

من المائة المختارة

[من المتقارب]

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرُ أُمُّ شَانْنَا شَانُهَا
فَإِنْ تُمْسُ شَطَّتْ بِهَا دَارُهَا وَبَاخَ لَكَ الْيَوْمَ هِجْرَانُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوْدَانُهَا²
بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا مُزْنَةً دَلُوحٌ تَكْشِفُ إِدْجَانُهَا
وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا تَنْفَحُ بِالْمَسْكِ أَرْدَانُهَا

أَجَدَّ : أَسْتَمَرَ . وَغُنْيَانُهَا : اسْتَغْنَاوْهَا . أُمُّ شَانْنَا شَانُهَا : يَقُولُ أُمُّ هِيَ عَلَى مَا نَحِبُّ .
وَشَطَّتْ : بَعْدَتْ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : يَقَالُ : شَطَّتْ وَشَطَّنَتْ وَشَسَعَتْ وَتَشَسَعَتْ وَبَعْدَتْ
وَنَاتٍ وَتَزَحْرَحَتْ وَشَطَّرَتْ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَتَرَكَّنِي فِيهِمْ شَطِيرًا³

وَمِنْهُ سُمِّيَ الشَّاطِرُ . وَبَاخَ : ظَهَرَ ؛ وَمِنْهُ بَاخَةُ الدَّارِ وَأَنْشَدَ :

أَتَكْتُمُ حُبَّ سَلْمَى أُمِّ تَبُوحٍ⁴

وَالرَّوْضَةُ : مَوْضِعٌ فِيهِ نَبْتُ وَمَاءٌ مُسْتَدِيرٌ ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيقَةُ . وَقَوْلُهُ :

كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوْدَانُهَا

أَرَادَ كَأَنَّ حَوْدَانَهَا الْمَصَابِيحَ فَقَلَبَ ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؛ قَالَ الْأَعَشَى :

... كَأَنَّ الْجَمْرَ مِثْلُ تَرَابِهَا

أَرَادَ كَأَنَّ تَرَابَهَا مِثْلُ الْجَمْرِ . وَالْمُزْنَةُ : السَّحَابَةُ . وَالْدُّلُوحُ : الثَّقِيلَةُ ، يَقَالُ : مَرَّ يَدْلُجُ

1 أبيات قيس بن الخطيم في ديوانه (تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت) : 66-69 .

2 الحوذان : نبات سهلي طيب الريح له زهرة حسنة .

3 شطيراً : غريباً .

4 سلمى في ل : ليلي .

بحمله إذا مرّ به مُثَقَلًا . والدَّجَنُ : إلباسُ الغيمِ السحابِ برَشٍّ وَندَى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تَكشَّفُ إذْجَانُها إذا انكشف السوادُ عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنَةً بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطَيْن من الكُمَيْن .
الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطُوَيْس خفيف ثَقِيل أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى .

* * * *

الفهرس

- [10] - أخبار معجون بني عامر ونسبه 5
- [11] - ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله 63
- [12] - خبر الخطيئة ونسبه والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر 101
- [13] - أخبار ابن عائشة ونسبه 132
- [14] - أخبار ابن أرطاة ونسبه 158
- [15] - أخبار ابن ميادة ونسبه 171
- [16] - أخبار حنين الحيريّ ونسبه 223
- [17] - ذكر الغريض وأخباره 235
- [18] - أخبار الحكم بن عبدل ونسبه 265

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 2

DAR SADER
Beirut

کتابُ الْإِعْزَازِ

3

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

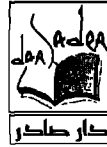
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AQḤĪĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[19] - ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر ، ويكنى قيس أبا يزيد² .
أخبرني الحرّمي بن أبي الغلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال حدثنا حمّاد بن
إسحاق عن أبيه قال : أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم³ : [من المنسرح]

بينَ سُكُولِ النساءِ خَلَقْتُهَا حَذَوًا فَلَا جَبَلَةَ وَلَا قَضَفَ⁴

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذَوًا ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع .

[أخذه بثأر أبيه وجده]

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ،
فلما بلغ قتل قاتل أبيه ، ونشيت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها .
فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن
المفضل قال : كان سبب قتل الخطيم أن رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له
مالك اغتاله فقتله ، وقيس يومئذ صغير ، وكان عدي أبو الخطيم أيضاً قُتِل قبله ، قتله رجل
من بني عبد القيس ، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره لم يزل يلتمس
غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه يثرب فقتله ، وظفر بقاتل جده بذي
المجاز ، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس ،
فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري ، فاستجده فلم يُنجده ، فأتى خدّاش بن زهير
فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي ، فإذا هو واقف على راحلته في السوق ، فطعنه
قيس بحربة حتى أنفذ حضنه فقتله ، ثم استمر . فأراد رهط الرجل ، فحالت بنو عامر دونه ؛
فقال في ذلك قيس بن الخطيم⁵ :

1 طبقات محمد بن سلام الجمحي : 228-231 تحقيق العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة 1974 ، والمؤتلف والمختلف للآمدي : 159-160 تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة 1961 ، وخزانة
الأدب للبغدادى 7 : 24-37 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1986 ، وديوان قيس بن الخطيم تحقيق
الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .

2 ل : أبا زيد .

3 الديوان : 103 .

4 جبلة في الديوان : قصد ، وفي ل : عبله (حيثما وردت) . القصف : قلة اللحم .

5 من القصيدة الأولى في ديوانه .

ثَارَتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضِغْ وَلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا
ضَرَبْتُ بِذِي الزُّجَّيْنِ رِبْقَةَ مَالِكٍ فَأُبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ شَفَاءَهَا¹
وَسَامَحَتْنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ خِدَاشٌ فَأَدَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا²
مَلَكَتُ بِهَا كَفْسِي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا³

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل . وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلاً من قریش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر ، وكان عالماً بحديث الأنصار ، قال⁴ : كان من حديث قيس بن الخطيم أن جدّه عديّ بن عمرو قتل رجلاً من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك ، وقتل أباه الخطيم بن عديّ رجلاً من بني عبد القيس ممن كان يسكن هجرَ ؛ وكان قيس يوم قتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقتل الخطيم قبل أن يثار بأبيه عديّ ؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثار أبيه وحده فيهلك ، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك ، فكان قيس لا يشك أن ذلك على ذلك . ونشأ أيداً شديد الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيراً لك من أن تخرجها عليّ ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سَلْ⁵ . برك ؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه بين ثدييه وقال لأمّه : أخبريني من قتل أبي وجدّي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء ؛ فقال : والله لتُخبريني من قتلتهما أو لأتحمّلن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ؛ فقالت : أمّا جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأمّا أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجرَ ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بُنيّ إنّ مالكا قاتل جدك من قوم خدّاش بن زهير ، ولأبيك عند خدّاش نعمة هو لها شاكر ، فأثّر فاستشره في أمرك واستعنه يُعِنك ؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه⁶ وهو يسقي نخله ، فضرب الجرير⁶ بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلو في

1 الزُّجَّيْنِ في الديوان : بذى الزرين (وهو سيف) ويروى بذى الخرصين .

2 الشعاع : انتشار الدم .

3 أنهرت : وسّعت .

4 أورد ابن حمدون في التذكرة خبر ثار قيس واغتياله 7 : 377-382 .

5 الناضح : جمل يستقى عليه .

6 الجرير : الحبل .

البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر ، وقال : مَنْ يَكْفِينِي أمر هذه العجوز ؟ (يعني أمه) فَإِنْ مِتُّ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنْ هَذَا الْحَائِطِ¹ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ هُوَ لَهُ ، وَإِنْ عَشْتُ فَمَا لِي عَائِدَ إِلَيَّ وَلَهُ مِنْهُ مَا شَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ تَمَرِهِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ : أَنَا لَهُ ، فَأَعْطَاهُ الْحَائِطَ ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ عَنْ خَدَاشِ بْنِ زَهِيرٍ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ، فَصَارَ² إِلَى خَبَائِثِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَكُونُ تَحْتَهَا أَضْيَافُهُ ، ثُمَّ نَادَى امْرَأَةَ خَدَاشِ : هَلْ مِنْ طَعَامٍ ؟ فَأَطْلَعَتْ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهَا جَمَالُهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ؛ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ نُزُلٍ نَرْضَاهُ لَكَ إِلَّا تَمَرًا ؛ فَقَالَ : لَا أَبَالِي ، فَأَخْرَجَنِي مَا كَانَ عِنْدَكَ ؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِقُبَاعٍ³ فِيهِ تَمَرٌ ، فَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرَةً فَأَكَلَ شِقَّهَا وَرَدَّ شِقَّهَا الْبَاقِي فِي الْقُبَاعِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُبَاعِ فَأَدْخَلَ عَلَى امْرَأَةِ خَدَاشِ بْنِ زَهِيرٍ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِ⁴ . وَرَجَعَ خَدَاشُ فَأَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ خَبَرَ قَيْسٍ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مُتَحَرِّمٌ . وَأَقْبَلَ قَيْسٌ رَاجِعًا وَهُوَ مَعَ امْرَأَتِهِ يَأْكُلُ رُطْبًا ؛ فَلَمَّا رَأَى خَدَاشَ رَجُلَهُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ قَالَ لَامْرَأَتِهِ : هَذَا ضَيْفُكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ قَالَ : كَأَنَّ قَدَمَهُ قَدِمَ الْخَطِيمِ صَدِيقِي الْيَشْرِبِيِّ ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَرَعَ طُنْبُ⁵ الْبَيْتِ بَسَنَانٍ رَمَحَهُ وَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لَهُ خَدَاشُ فَدَخَلَ إِلَيْهِ ، فَنَسَبَهُ فَاتَسَبَّبَ وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي جَاءَ لَهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُعِينَهُ وَأَنْ يَشِيرَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ؛ فَرَحَّبَ بِهِ خَدَاشُ وَذَكَرَ نِعْمَةَ أَبِيهِ عِنْدَهُ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا زِلْتُ أَتَوَقَّعُهُ مِنْكَ مِنْذُ حِينٍ . فَأَمَّا قَاتِلُ جَدِّكَ فَهُوَ ابْنُ عَمِّ لِي وَأَنَا أُعِينُكَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا اجْتَمَعْنَا فِي نَادِيْنَا جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ وَتَحَدَّثْتُ مَعَهُ ، فَإِذَا ضَرَبْتُ فُخْذَهُ فُتِبْتُ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ . فَقَالَ قَيْسٌ : فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ نَحْوَهُ حَتَّى قَمْتُ عَلَى رَأْسِهِ لَمَّا جَالَسَهُ خَدَاشُ ، فَحِينَ ضَرَبْتُ فُخْذَهُ ضَرَبْتُ رَأْسَهُ⁶ بِسَيْفٍ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخُرْصَيْنِ⁷ ، فَثَارَ إِلَيَّ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُونِي ، فَحَالَ خَدَاشُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي وَقَالَ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا قَتَلَ إِلَّا قَاتِلَ جَدِّهِ . ثُمَّ دَعَا خَدَاشُ بِجَمَلٍ مِنْ إِبِلِهِ فَرَكَبَهُ ، وَانْطَلَقَ مَعَ قَيْسٍ إِلَى الْعَبْدِيِّ الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَا قَرِيبًا مِنْ هَجَرَ أَشَارَ عَلَيْهِ خَدَاشُ أَنْ يَنْطَلِقَ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ قَاتِلِ أَبِيهِ ، فَإِذَا دُلَّ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : إِنَّ لَصًّا مِنْ لَصُوصِ قَوْمِكَ عَارِضَنِي فَأَخَذَ مَتَاعًا لِي ، فَسَأَلْتُ مَنْ سَيَدُ قَوْمِهِ فَذُلِّلْتُ عَلَيْكَ ، فَاَنْطَلَقَ مَعِي حَتَّى تَأْخُذَ مَتَاعِي مِنْهُ ؛ فَإِنْ أَتَبَعَكَ وَحْدَهُ فَسْتَئَالَ مَا تَرِيدُ مِنْهُ ، وَإِنْ أَخْرَجَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَاضْحَكْ ، فَإِنْ سَأَلَكَ تَمْ ضَحَكَتَ فَقُلْ : إِنَّ الشَّرِيفَ عِنْدَنَا لَا يَصْنَعُ

1 الحائط : البستان .

2 ل : فأتى .

3 القُبَاع : وعاء للتمر وغيره .

4 ل : حاجته .

5 ل : قرع الظلة .

6 ل : عنقه .

7 هو سيف ذو الزرين أو ذو الخرصين ، انظر الأبيات فيما تقدّم .

كما صنعتَ إذا دُعِيَ إلى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيباً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسيبيل ذلك ، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به ، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه . ونزل خدش تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبدى فقال له ما أمره خدش فأحفظه ، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلما طلع على خدش ، قال له : اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك ؛ قال : لا أريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك ؛ ثم ثار إليه قطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه ، فلما فرغ منه قال له خدش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه¹ ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله ، فإن قومه لا يظنون أنك قتلتهم وأقمت قريباً منه ، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه ، فإذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلنا في دارات من رمال هناك ، وفقد العبدى قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خدش . وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا ، فلم يتكلمتا حتى أتيا منزل خدش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله . ففي ذلك يقول قيس² :

تذكر ليلي حسنها وصفاءها	وبانت فما إن يستطيع لقاءها ³
ومثلك قد أصببت ليست بكنة	ولا جارة أفضت إلي خباءها ⁴
إذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري	وأتبع دلوي في السماح رشاءها ⁵
ثارت عدياً والخطيم فلم أضغ	وصية أشياخ جعلت إزاءها

وهي قصيدة طويلة .

[استنشد الرسول شعره وأعجب بشجاعته]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال حدثنا زياد بن بيان⁶ العُقيلي قال حدثنا أبو خولة الأنصاري عن أنس بن مالك قال : جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجِيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ،

1 ل : إن فررنا اليوم قتلنا .

2 هي أول القصيدة التي منها الأبيات السابقة .

3 فما إن يستطيع في الديوان : فأمسى ما ينال .

4 أفضيت إلي خباءها في الديوان : أفضت إلى حياتها ، أي لم يبق بيني وبينها ستر .

5 خط أو حط : أي أصبح مئزره يجز وراءه لأنه يمشي مختلاً .

6 ل : بنان .

يعني قوله¹ :

[من الطويل]

أُتَعَرَفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةً وَخَشْأً غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ²

فَأَنْشَدَهُ بَعْضُهُمْ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

[من الطويل]

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسِّيفِ مِخْرَاقُ لَاعِبٍ³

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « هَلْ كَانَ كَمَا ذَكَرَ » ؛ فَشَهِدَ لَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَقَالَ لَهُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَوْمَ سَابِعِ عُرْسِهِ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ وَمِلْحَفَةٌ مَوْرَسَةٌ⁴ فَجَالَدْنَا كَمَا ذَكَرَ . هَكَذَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ قَالَ : لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ حُرُوبٍ إِلَّا فِي يَوْمٍ بُعِثَ⁵ فَإِنَّهُ كَانَ عَظِيمًا ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَخْرُجُونَ فَيَتَرَامَوْنَ بِالْحِجَارَةِ وَيَتَضَارِبُونَ بِالْخَشَبِ .

قَالَ الزُّبَيْرُ وَأَنْشَدْتُ مُحَمَّدُ بْنُ فَضَالَةَ قَوْلَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

[من الطويل]

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسِّيفِ مِخْرَاقُ لَاعِبٍ

فَضَحِكَ وَقَالَ : مَا اقْتَتَلُوا يَوْمَئِذٍ إِلَّا بِالرِّطَائِبِ وَالسَّعَفِ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي اسْتَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَيْدِ شَعْرِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ، وَمِمَّا أَنْشَدَهُ نَابِغَةُ بَنِي دُيَّانٍ فَاسْتَحْسَنَتْهُ وَفَضَّلَتْهُ وَقَدَّمَتْهُ مِنْ أَجْلِهِ .

[أَنْشَدَ النَّابِغَةُ مِنْ شَعْرِهِ فَاسْتَجَادَهُ]

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ قَالَ أَبُو غُرَيْبَةَ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : قَدِيمُ النَّابِغَةِ الْمَدِينَةِ⁶ فَدَخَلَ السُّوقَ فَتَزَلَّ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، ثُمَّ جَثَا عَلَى رَكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى عَصَاهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الوافر]

عَرَفْتُ مَنْزِلًا بِعُرَيْتَاتٍ فَأَعْلَى الْجِرْعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّنِ⁷

فَقُلْتُ : هَلْكَ الشَّيْخَ وَرَأَيْتَهُ قَدْ تَبَعَ قَافِيَةً مُنْكَرَةً . قَالَ وَيَقَالُ : إِنَّهُ قَالَهَا فِي مَوْضِعِهِ ، فَمَا

1 الديوان : 76 .

2 يعني تتابع جلود ذات خطوط مذهبة .

3 الحديقة : قرية من أعمال المدينة .

4 مَوْرَسَةٌ : مصبوغة بالورس أي صفراء اللون .

5 يوم بعث : من أيام الحرب بين الأوس والخزرج .

6 ل : السوق .

7 عريتات : اسم واد . الميّن في ل : الخيف . الميّن : المقيم .

زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجلٌ يُنشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

أتعرف رَسْماً كاطِّرادِ المذاهبِ

حتى فرغ منها¹ ؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يا ابن أخي . قال حسان : فدخَلني منه ، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما ، ثم تقدَّمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشدُ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلَّم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته ؛ فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأوس : لم يزد قيس بن الخطيم النابعة على :

أتعرف رَسْماً كاطِّرادِ المذاهبِ

نصف البيت ، حتى قال أنت أشعر الناس .

[صفاته الجمالية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المُجمَعِيّ : كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج² العينين أحمر الشفتين بَرَّاق الشَّايَا كأن بينها بَرَقاً ، ما رآته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها .

[أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا محمد قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجمَعِيّ قال : قال حسان بن ثابت للخنساء : أهجِّي قيس بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه . قال : فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرِقَةٍ³ ملتفّاً في كِساء له ، فنخسته برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبر ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبل ، فأقبل . قال : والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

[عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام]

قال الزبير وحدَّثني عمِّي مصعب قال : كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كُرَيْز⁴ بن زُغوراء فأسلمت ، وكانت تكتُم قيس بن الخطيم إسلامها ، فلما قديم قيس مكة عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يقدّم رسول الله ﷺ المدينة ؛ فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد ، وأوصاه بها خيراً ، وقال له : إنها قد

1 ل : حتى أتى على آخرها . (وهي في 38 بيتاً في الديوان) .

2 الدعج : شدة سواد العين مع سعتها .

3 المشرقة : حيث يتشرق الإنسان ، أي يجلس في الشمس شتاء .

4 ل : كرز .

أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله ﷺ ؛ فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : «وفى الأديعج» .

قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب ، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس ، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة .
[قتله الخزرج بينهم]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش النحوي عن أبي سعيد السُّكْرِي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل : أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت ، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم ، فتوامروا¹ وتواعدوا قتله ؛ فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالا له بالشوط² حتى مرَّ بأطم³ بني حارثة ، فرُمي من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدهما في صدره ، فصاح صيحةً سمعها رهطه ، فجاءوا فحملوه إلى منزله ، فلم يروا له كُفًفاً إلا أبا صعصة يزيد بن عوف بن مُدرك النَّجَّاري ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله ، فضرب عنقه واشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بأخر رمق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس قد أدركت بثأرك ؛ فقال : عضضتْ بأير أهلك إن كان غير أبي صعصة ؛ فقال : هو أبو صعصة ، وأراه الرأس ؛ فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .
[مهاجاته حسان]

وهذا الشعر أعني :

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا⁴

فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رَواحة ، وقيل : بل قاله في عمرة : امرأة كانت لحسان بن ثابت ، وهي عمرة بنت صامت بن خالد . وكان حسان ذكر ليلي بنت الخطيم في شعره ، فكافأه قيس بذلك ، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرُّبيع⁵ .
فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزُّبير قال حدثني مصعب قال : مرَّ حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم ، وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلفَ في قريش ، فقال لها حسان : اظغني فالْحَقِّي بالحي فقد ظعنوا ، وليت شعري

1 توامروا : لغة في تآمروا ؛ وفي ل : تذاامروا أي حضَّ بعضهم بعضاً .

2 الشوط : ذكر ياقوت أنه بستان بالمدينة .

3 الأطم : البناء الحصين .

4 عجز البيت : فتهجر أم شأننا شأنها ، وهي فيما يقال ردَّ على قصيدة حسان «لقد هاج نفسك أشجانها» وسيرِد تفصيل ذلك فيما بعد .

5 من أيام الأوس والخزرج .

ما خلَّفَكَ وما شَأْنُكَ : أَقَلَّ ناصِرُكَ أم راث¹ رافدُكَ ؟ فلم تكَلِّمه وشَتَّمه نساؤها ؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه² :

[من المتقارب]

لقد هاج نفسَكَ أَشْجَانُها وعاوردها اليومَ أَذْيَانُها³
تذكرتَ ليلي وأنتى بها إذا قُطِّعتْ منك أَقْرَانُها
وحَجَّلَ في الدارِ غِرْبَانُها وخَفَّ من الدارِ سُكَّانُها
وغيرَها مُعْصِرَاتُ الرِّيحِ وَسَحَّ الجُنُوبِ وَتَهْتَانُها
مَهَاةً من العينِ تَمْشِي بها وتَتَّبِعُها ثَمَّ غِرْلَانُها
وقفتُ عليها فساءَلْتُها وقد ظعنَ الحَيَّ : ما شَأْنُها
فَعَيَّتْ وجاوبني دونَها بما راع قلبي أعوانُها

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولَّها :

[من المتقارب]

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُها

وفخرَ فيها بيومَ الرُّبِيعِ وكان لهم فقال :

[من المتقارب]

ونحنَ الفوارسُ يومَ الرُّبِيعِ ح مع قد عِلِمُوا كيف فُرْسَانُها
حِسانُ الوجوهِ جِدادُ السيو فِ يَبْتَدِرُ المجدَ شُبَّانُها

وهي أيضاً طويلة .

[غنت عزة الملاء بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا الأصمعي قال حدثني شيخ قديم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا أبو غَسَّان عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال ذُكر لي عن جعفر بن مُحَرِّز السَّدُوسِيِّ ، قالوا : دخل النُّعمان بن بَشِير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال : والله لقد أَخْفَقْتُ⁴ أَذْنائِي من الغناء فَاسْمِعُونِي ؛ فقليل له : لو وَجَّهْتَ إلي عَزَّة فَإِنَّها من قد عرفتَ ؛ قال : إي ورب البيت ، إِنَّها لَمَنْ يَزِيدُ النفسَ طِيباً والعقلَ شَحْداً ، اِبْعَثُوا إليها عن رسالتي ، فَإِنْ أَبَتْ صِرْنَا إليها ؛ فقال له بعض القوم : إِنَّ النُّقْلَةَ تَشْتَدُّ

1 راث : تَأَخَّرَ وتَلَكَّأَ .

2 ديوان حسان : 239-240 .

3 الدين هنا بمعنى العادة .

4 أَخْفَقْتُ هنا : حُرِمْتُ .

عليها لِثَقْلَ بدنِها وما بالمدينة دابة تحملها ؛ فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوداج ! فوجّه إليها بنجيب فذكرت علة ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرّقوها ، فأذنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غنيّني ، فغنته :
[من المتقارب]

أَجَدَّ بِعَمْرَةٍ غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرُ أُمُّ شَانُنَا شَانُهَا

فأشير إليها أنّها أمّه فسكت ؛ فقال : غنيّني فوالله ما ذكرت إلا كراماً وطيباً ؛ لا تغنيّني سائر اليوم غيره ؛ فلم تزل تغنيّه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لقيط : كنت عند سعيد الزبيريّ قال سمعت عامراً الشعبيّ يقول : اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عزة ، فلما انصرف إذا امرأةً بالباب منتظرة له ، فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأقضيّن بينكما بقضيّة لا تردّ عليّ ، قد أحلّ الله له من النساء مئتي وثلاث ورباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أنّ المعنيّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة¹ .

وأما ما ذكر أنّه عنيّ عمرة امرأة حسن بن ثابت ، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكار عن عمّه : أنّ قيس بن الخطيم لما ذكر حسن أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة ، وهي التي يقول فيها حسن² :

أَزْمَعْتُ عَمْرَةَ صَرْمًا فابْتَكِرْ

[حسن بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب قال : تزوّج حسن بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوسيّة ثم إحدى بني عمرو بن عوف ، فكان كلّ واحد منهما معجباً بصاحبه ، وإنّ الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت :

أَجَرْتُ مَخْلَدًا وَدَفَعْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ صَالِحٌ مَا آتَيْتُ

فتكلّم حسن في أمره بكلام أغضب عمرة ، فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس ؛ فغضب لهم فطلّقها ، فأصابها من ذلك ندم وشدة ؛ وندم هو بعدُ فقال :

[من الرمل]

1 لأنّ عمرة بنت رواحة هي أمّ النعمان بن بشير .

2 ديوان حسن : 307 وفيه : أجمعت عمرة ، وهي في 21 بيتاً .

صوت

أزمنتُ عمرةً صرماً فابتكرُ¹ إنما يُدهِنُ للقلبِ الحَصيرُ¹
لا يكن حُبُّكَ حبّاً ظاهراً² ليس هذا منك يا عَمْرُ بِسِرٍّ²
سألتُ حَسَّانَ مَنْ أحواله³ إنما يَسْأَلُ بالشَّيءِ الغُمرُ³
قلتُ أحوالي بنو كعبٍ إذا⁴ أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرِ⁴

يريد يُدهِنُ القلبُ ، فأدخل اللام زائدةً للضرورة . عَمْرُ : ترخيم عمرة . والسر :
الخالص الحسن . غَنَّتْ في هذه الأبيات عزة الميلاء ثاني ثقل بالنصر من رواية حبش .
وتمام القصيدة :

رُبَّ خالٍ لي لو أبصرته⁵ سَبَطَ المِشْيةَ في اليومِ الحَصيرُ⁵
عند هذا الباب إذ ساكنه⁶ كلُّ وجهٍ حسنٍ النَّقْبةَ حُرٍّ⁶
يوقدُ النارَ إذا ما أُطْفِئَتْ⁷ يُعْمَلُ القِدْرُ بأثْباحِ الجُرُ⁷
مَنْ يَغُرُّ الدهرُ أو يَأْمَنُ⁸ من قَبيلٍ بعد عمروٍ وحُجْرٍ⁸
ملكاً من جبلِ الثلجِ إلى⁹ جانيئِي أَيْلَةَ من عبدٍ وحُرٍّ⁹
ثم كانا خيرَ من نالَ الندى¹⁰ سَبَقَا الناسَ بإقْساطٍ وبرٍّ¹⁰
فارسيَّ خيلٍ إذا ما أَمْسَكَ¹¹ رَبَّةُ الخِذْرِ بِأطرافِ السُّتْرِ¹¹
أتيا فارسَ في دارهم¹² فتناهَوْا بعد إعْصارٍ بَقَرٍّ¹²
ثم نادَوْا يا لَغَسَّانَ اصْبِرُوا¹³ إِنَّهُ يَوْمٌ مَصالِيَتْ صَبْرٌ¹³
اجعلوا مَعْقَلَهَا أيمانكم¹⁴ بالصَّفِيحِ المُصْطَفَى غيرِ الفُطْرِ¹⁴
بِضْرابٍ تَأْذَنُ الجِنُّ له¹⁵ وطِعانٍ مثلِ أَفْواهِ الفُقْرِ¹⁵

1 يدهن للقلب يريد يدهن القلب بمعنى يداهن .

2 ظاهراً في ل : قاهراً .

3 الغمر : الجاهل .

4 النقبة : حالة وضع النقاب .

5 قبيل في ل : قنيل .

6 الندى في ل : الغنى . إقساط : عدالة .

7 مصاليت : شجعان .

8 السيف الفطير : المثلم .

9 تأذن : تسمع . أفواه الفقر : أفواه القنوت .

ولقد يعلم مَنْ حَارَبَنَا أَنَّنَا نَنْفَعُ قِدْمًا وَنَضُرُّ
صُبْرٌ لِلْمَوْتِ إِنْ حَلَّ بَنَا صَادِقُوا الْبَاسِ غَطَارِيفُ فُخْرُ
وَأَقَامَ الْعِزُّ فِينَا وَالْغِنَى فَلَنَا فِيهِ عَلَى النَّاسِ الْكُبْرُ
مِنْهُمْ أَصْلِي فَمَنْ يَفْخَرُ بِهِ يَعْرِفُ النَّاسُ بِفَخْرِ الْمَفْتَحِرِ¹
نَحْنُ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ مَعًا غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ عُسْرِ²
فَاسْأَلُوا عَنَّا وَعَنْ أَفْعَالِنَا كُلُّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْخَبْرِ³

قال الزبير فحدثني عمي قال : ثم إنَّ حسان بن ثابت مرَّ يوماً بنسوة فيهنَّ عمرة بعد ما طَلَّقَهَا ، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهنَّ : إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبيه وانسُبي أحواله وهي متعزِّضة له ، فلمَّا حاذاهنَّ سأله مَنْ هو ونسبته فانتسب لها ، فقالت : فمَنْ أحوالك ؟ فأخبرها ، فبصقت عن شِمَالِهَا وأعرضت عنه ؛ فحدَّدَ النظرَ إليها وعجِبَ من فعلها وجعل ينظر إليها ، فبصرَ بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أنَّ الأمرَ من قِبَلِهَا أتى ؛ فقال في ذلك⁴ :

قالتْ له يوماً تخاطبُهُ رَيَّا الرُّوَادِفِ غَادَةَ الصُّلْبِ
أُمًّا الْمَرْوَةِ وَالْوَسَامَةَ أَوْ حُشْمَ الرِّجَالِ فَقَدْ بَدَا ، حَسْبِي
فَوَدِدْتُ أَنَّكَ لَوْ تُخَبِّرُنَا مَنْ وَالِدَاكَ وَمَنْصِبُ الشَّعْبِ⁵
فَضَحَكَتُ ثُمَّ رَفَعْتُ مَتَّصِلًا صَوْتِي كَرَفَعِ الْمُنْطِقِ الشَّعْبِ⁶
جَدِّي أَبُو لَيْلَى وَوَالِدُهُ عَمْرُو وَأَحْوَالِي بَنُو كَعْبِ
وَأَنَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَزَمَ الشَّتَاءُ بَخْلَقَةَ الْجَدْبِ⁷
أَعْطَى ذَوُو الْأَمْوَالِ مُعْسِرَهُمْ وَالضَّارِبِينَ بِمَوْطِنِ الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذي عناه حسان : حرام بن عمرو بن زيد مناة .

1 يعرف : يعترف .

2 النكس : الضعيف .

3 أفعالنا في ل : أخبارنا .

4 ديوان حسان : 230 .

5 الشغب : مجمع القبائل .

6 كرفع في ل : أوان .

7 بخلقة في ل والديوان : محالف .

ومّا فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

صوت

حَوْرَاءُ مَمْكُورَةٌ مَنَعْمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ¹
تَنَامُ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رُويْدًا تَكَادُ تَنْقُصُ²
أَوْحَشَ مِنْ بَعْدِ خَلَّةٍ سَرَفُ فَالْمُنْحَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُرْفُ

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث ، والغناء لَقَفَا النَجَّارَ ، ولحنه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن علي في الاختيار الوائقي . وهو في كتاب إسحاق لَقَفَا النَجَّارَ ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَر ، ولعله غير هذا اللحن المختار . [الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جَحْجَبِي وبني خَطَمَةَ ، ولم يشهد بها قيس ولا كانت في عصره ، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له : دِرْهَمُ بْنُ يَزِيد . قال أبو المنهال عُثَيْبَةُ بْنُ الْمِنْهَالِ : بعث رجل من غَطَفَانَ من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيَانَ إِلَى يَثْرِبَ بفرسٍ وحُلَّةٍ مع رجل من غَطَفَانَ وقال : ادفعهما إلى أعزّ أهل يَثْرِبَ ، قال وقيل : إنَّ الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثَّقَفِي . قال وقيل : بل الباعث بهما علقمة بن علاثة ، فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَيْنِقَاعَ فقال ما أمر به ، فوثب إليه رجلٌ من غَطَفَانَ كان جاراً لِمَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانَ الْخَزْرَجِيِّ يقال له كعب الثعلبي ، فقال : مالك بن الْعَجْلَانَ أعزّ أهل يَثْرِبَ ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أَحْيَحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ أعزّ أهل يَثْرِبَ ، وكثر الكلام ، فقَبِلَ الرَّسُولُ الْغَطَفَانِيَّ قَوْلَ الثَّعْلَبِيِّ الَّذِي كَانَ جَاراً لِمَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانَ ودفعهما إلى مالك ؛ فقال كعب الثعلبي : ألم أقل لكم : إنَّ خَلِيفِي أعزُّكُمْ وَأَفْضَلُكُمْ ! فغَضِبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ سُمَيْرُ فَرَصَدَ الثَّعْلَبِيَّ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَأَخْبَرَ مَالِكُ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي عَوْفٍ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكِ ابْنِ الْأَوْسِ : إِنَّكُمْ قَتَلْتُمْ مَنَّا قَتِيلًا فَأَرْسِلُوا إِلَيْنَا بِقَاتِلِهِ ؛ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ مَالِكِ تَرَامَوْا بِهِ : فَقَالَتْ بَنُو زَيْدٍ : إِنَّمَا قَتَلْتَهُ بَنُو جَحْجَبِي ، وَقَالَتْ بَنُو جَحْجَبِي : إِنَّمَا قَتَلْتَهُ بَنُو زَيْدٍ ؛ ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَى مَالِكٍ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي السُّوقِ قَتِيلٌ فِيهَا صَاحِبُكُمْ نَاسٌ³ كَثِيرٌ ، وَلَا يُدْرَى أَيُّهُمْ قَتَلَهُ ؛ وَأَمَرَ مَالِكُ أَهْلَ تِلْكَ السُّوقِ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ سُمَيْرٍ وَكَعْبٍ ، فَأَرْسَلَ مَالِكُ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِالَّذِي بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّمَا قَتَلَهُ سُمَيْرٌ ، فَأَرْسِلُوا بِهِ إِلَيَّ أَقْتُلُهُ ؛ فَأَرْسَلُوا

1 الشطر الأول في ديوان قيس : «تغترق الطرف وهي لاهية» .

2 تنقص في الديوان : تغرف ، أي تسقط .

3 ل : خلق .

إليه : إنه ليس لك أن تقتل سُمَيْرًا بغير بيّنة ؛ وكثرت الرسل بينهم في ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُمَيْرًا ويأبؤن أن يعطوه إياه . ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن يُنشئوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدية فقبلها ؛ فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سُمَيْرًا ؛ فأبى بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رواحة ففعل ؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج ، ف قضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك وأذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبى بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذلان بني الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بني عمرو بن عوف على سُمَيْر ، ويخرّض بني النجّار على نصرته : [من المنسرح]

إِنَّ سُمَيْرًا أَرَىٰ عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَبُوا دُونَهُ وَقَدْ ائْتَفُوا
إِنْ يَكُن الظَّنُّ صَادِقًا بِنَبِيِّ اللَّهِ جَارٌ لَا يَطْعَمُوا الَّذِي عُلِفُوا
لَا يُسَلِّمُونَا لِمَعَشِرٍ أَبَدًا مَا دَامَ مِنَّا بَيْطُنُهَا شَرَفٌ¹
لَكُنْ مَوَالِيٌّ قَدْ بَدَا لَهُمْ رَأْيٌ سِوَى مَا لَدَيَّْ أَوْ ضَعُفُوا
[يقال : عُلِفُوا الضيم إذا أقرؤا به ، أي ظني أنهم لا يقبلون الضيم] .

صوت

[من المنسرح]

يَنْ بَنِي جَحْجَجِي وَبَيْنَ بَنِي زَيْدٍ فَأَتَىٰ لَجَارِيَّ التَّلْفُ²
يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْدُرُوعِ كَمَا تَمْشِي جِمَالٌ مَّصَاعِبُ قُطْفُ³
كَمَا تَمْشَى الْأَسْوَدُ فِي رَهَجِ الْ حَمَتِ إِلَيْهِ وَكُلُّهُمْ لَهْفُ⁴
غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعْبِدٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ الْمَشَامِي أَنَّ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لِلْغَرِيضِ .

وقال درهم بن يزيد بن ضبيعة أخو سُمَيْر في ذلك⁴ :

[من المنسرح]

1 شرف : شريف .

2 فأتى لجاري التلّف في ل : فأتى تخاذل السلف .

3 مصاعب : جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يذلل للركوب أو الحمل . وقطف : سرية .

4 الأبيات في الخزّانة 4 : 280 .

يا قوم لا تقتلوا سُميراً فإنَّ
 إن تقتلوه تَرِنٌ نَسوتُكم
 إني لَعَمْرُ الذي يَحُجُّ له الد
 يمينُ بَرٌّ بالله مجتهد
 لا نرفعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِهِ
 إنَّك لاقِ غداً غواةً بني
 فأبْدِ سيماكَ يَعْرِفوكَ كما
 القتلَ فيه البوارُ والأسفُ
 على كريمٍ وَيَفْزَعُ السَّلَفُ¹
 لاسُ ومن دون بيتِه سَرَفُ
 يَحْلِفُ إن كان يَنْفَعُ الحَلِفُ
 ما دام مَنّا يَبْطِنُها شَرَفُ
 عَمِّي فانظرَ ما أنتَ مُرْدَهْفُ²
 يُبْذُون سيماهمُ فَتَعْتَرِفُ

معنى قوله «فأبْدِ سيماك» : أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغيّر لباسه ويتنكّر لئلاً يُعرف فيُقصد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مالٍ لا تَبْغِين ظَلامَتنا
 يا مالٍ والحقُّ إن قَنِعتَ به
 إن بُجِيراً عبدٌ فخذُ ثمناً
 ثم اعلَمْن إن أردتَ ضَيِّمَ بني
 لأضَبَحَن دَارَكَم بذي لَجَبٍ
 البَيضُ حِصْنٌ لهم إذا فَرَعُوا
 والبَيضُ قد ثُلُمتَ مضاربُها
 كأنَّها في الأكفِّ إذ لَمعتْ
 يا مالٍ إِنّا مَعاشِرُ أنفُ
 فيه وفينا لأمرنا نَصَفُ
 فالحقُّ يُوفى به ويُعْتَرِفُ
 زَيدُ فَإني وَمَن له الحَلِفُ
 جَوْنٌ له من أُمَامِهِ عَزَفُ³
 وسابِغاتُ كأنَّها النُّطَفُ⁴
 بها نفوسُ الكُماةِ تُخْتَطَفُ⁵
 وَمِيزُ بَرَقٍ يَبْدو وينكسفُ

وقال قيس بن الخطيم الطَّفَرِيُّ أحد بني النُبَيْت في ذلك ، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان ، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور :

[من المنسرح]

رَدَّ الحَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنَّهُم وَقَفُوا

1 ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء .

2 مردهف : مقتحم .

3 عزف : عزيف أي صوت .

4 النطف : اللؤلؤ الصافي أو الماء .

5 ثلمت في ل : فلتت .

لو وَقَفُوا سَاعَةً نَسَأْلُهُمْ
فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسُ الدِّ
بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا
تَنَامُ عَنْ كُتْرِ شَأْنِهَا فَإِذَا
تَغْتَرِقُ الطَّرَفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
حَوْرَاءُ جِيدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا
قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ
خَوْدَ يَغْثُ الْحَدِيثُ مَا صَمَتَتْ
تَخْزَنُهُ وَهُوَ مُشْتَهَى حَسَنٌ

وهي طويلة يقول فيها :

أَبْلَغُ بَنِي جَحْجَجِي وَإِخْوَتِهِمْ
إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ
لَمَّا بَدَتْ نَحُونَا جِبَاهُهُمْ
نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامَهُمْ
يَتَّبِعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ
إِنْ بَنِي عَمْنَا طَغَوْا وَبَغَوْا
فَرَدَّ عَلَيْهِ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَلَمْ يَدْرِكْ ذَلِكَ⁹ :

[من المنسرح]

زَيْدًا بَأْتًا وَرَاءَهُمْ أَثْفُ⁶
أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجْفُ
حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ⁷
وَقَلُّنَا هَامَهُمْ بِهَا جَنْفُ⁸
سُخْنٌ عَيْبُطٌ عُرُوقُهُ تَكْفُ
وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفُ

[من المنسرح]

مَنْ ذَكَرَ خَوْدَ شَطَطَتْ بِهَا قَدَفُ¹⁰
أَرْضًا سِيَوَانًا وَالشَّكْلُ مُخْتَلِفُ

مَا بَالُ عَيْنِيكَ دَمْعُهَا يَكْفُ
بَانَتْ بِهَا غَرَبَةٌ تَوَمَّ بِهَا

- 1 جبلية في ل : عبله .
- 2 قد مرّ آنفأ برواية «تنقصف» .
- 3 السدف : الظلمة .
- 4 لذة في ل : للذة .
- 5 أثف : مستأنف .
- 6 أثف : يأبون الضيم .
- 7 الصحف : كتب العهود .
- 8 جنف في ل : عنف .
- 9 ديوان حسان : 387 .
- 10 عينيك في الديوان : عيني .

ما كنتُ أَذري بوشكٍ بينهمُ حتى رأيتُ الحُدُوجَ تَنقِذُفُ¹
 دَعُ ذا وَعَدُ القَرِيضِ في نَفَرٍ يَرْجُونَ مدحي ومدحي الشرفُ²
 إن تَدْعُ قومي للمجد تُلْفِهِمُ أَهْلَ فَعَالٍ يبدو إذا وُصِفُوا
 إن سُميراً عبدٌ طَغَى سَفَهَا ساعده أعْبُدْ لهم نَطَفُ³

قال : ثم أرسل مالكُ بن العَجَلانُ إلى بني عمرو بن عوف يُؤذِنُهُم بالحرب ، ويَعِدُهُم يوماً يلتقون فيه ، وأمر قومه فتهيأوا للحرب ، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودٌ قد حالفت قبائل الأوس والخزرج ، إلا بني قُرَيْظَةَ وبني النَضِيرِ فإنَّهُم لم يحالفوا أحداً منهم ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم ، والتي حالفت قُرَيْظَةَ والنَضِيرُ من الأوسِ أوسُ الله وهي خَطْمَةُ وواقِفُ وأُمَيَّةُ ووائلُ ، فهذه قبائلُ أوسِ الله . ثم زحف مالكُ بمن معه من قومه من الخزرج ، وزحفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُرَيْظَةَ والنضير ، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء ، وكان أول يوم التقوا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم التقوا مرةً أخرى عند أطُمِ بني قَيْنِقَاعَ ، فاقتتلوا حتى حَجَزَ الليلُ بينهم ، وكان الظَّفَرُ يومئذٍ للأوس على الخزرج ، فقال أبو قيس ابن الأسَلَتِ في ذلك :

لقد رأيتُ بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيبِ
 ألا فِدَى لهم أُمِّي وما ولدتُ غداة يَمْشُونَ إِرْقَالَ المَصاعيبِ
 بكلِّ سَلْهَبَةٍ كالأَيْمِ ماضيةٍ وكلِّ أَيْضٍ ماضي الحدِّ مخشوبِ⁴

أصل المخشوب : الحديث الطبع ، ثم صار كلُّ مصقول مخشوباً ؛ فشَبَّهَهَا بالحية في انسلالها ، قال : فلبث⁵ الأوسُ والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون⁶ القتالَ في تلك السنين ، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطنٌ لم تُحفظ ، فلَمَّا رأت الأوسُ طولَ الشرِّ وأنَّ مالكا لا يَنْزِعُ⁷ ، قال لهم سُويد بن صامتِ الأوسي ، وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية ،

1 تنقذف في الديوان : قد عزفوا .

2 الشطر الثاني في الديوان : يدعون مجدي ومدحتي شرف .

3 النطف : الأقرط .

4 السلْهبة : الفرس الطويلة .

5 ل : فمكث .

6 ل : يتعاودون .

7 ينزع : يكف .

وكان الرجل عند العرب¹ إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابعاً رامياً سمّوه الكامل ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلَة : يا قوم ، أرضُوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيرُكم ، وإن حَمَلْتُمْ على أنفسكم بعض الحمل . فأرسلت الأوسُ إلى مالك بن العَجَلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر ، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحَة ، فقالوا : إِنَّا قد حَكَمْنَاك بيننا ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ؛ قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكْمِي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس ؛ قالوا : فإننا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا ؛ قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لتَرْضُونَ بحكمي وما قضيتُ به ولتُسَلِّمَنَّ له ؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين ، فرضي بذلك مالكٌ وسلّمت الأوسُ وتفرّقوا على أن على بني النَجَّار نصف دية جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخْرِجُوا إلّا الذي كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووَدِيَ جاره دية الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

[20] - ذكر طويس وأخباره¹

[اسمه وكنيته]

طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعم ، وهو مولى بني مخزوم . وقد حدثني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد : قال سعد بن أبي وقاص : كني طويس أبا عبد المنعم .

[أول من غنى بالعربية في المدينة]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي ومحمد بن سلام الجمحي ، وعن الواقدي عن ابن أبي الزناد ؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه ، وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين ؛ قالوا : أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس ، وهو أول من ألقى الخنث بها ، وكان طويلاً أحول يكنى أبا عبد المنعم ، مولى بني مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنما كان ينقر بالدف ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يتقى للسانه . [شؤمه]

قالوا : وسئل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قبض رسول الله ﷺ ، وقُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وزُوج يوم قتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل علي رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنه وُلد له يوم مات الحسن بن علي عليهما السلام . وقال : وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة . قالوا : وأول غناء غناه وهزج به : [من مجزوء الرمل]

صوت

كيف يأتي من بعيد وهو يخفيه القريب
نازح بالشأم عنا وهو مكسأل هبوب
قد براني الحب حتى كدت من وجدي أذوب

الغناء لطويس هزج بالنصر .

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسن الأنصاري أنبأني أبي قال : اجتمع يوماً جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً ، فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منا : أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسرُّون به علماً وظرفاً وحسن غناء وجودة نقر

1 تجد له ذكراً في كتب الأمثال تحت قولهم «أخنت من طويس» (الميداني 1 : 137 والدرة الفاخرة : 1 : 185) . وقولهم «أشأم من طويس» (الدرة 1 : 235 ومادة (طوس) في اللسان) .

بالدف ، ويضحك كل ثكلى حَرَى ؛ فقال بعض القوم : والله إنه على ذلك كان مشووماً¹ ؛ وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي ، إلا أنه قال : وُلِدَ يوم مات نبيُّنا ﷺ ، وقُطِمَ يوم مات صديقنا ، وخُتِنَ يوم قُتِلَ فاروقنا ، وزُوجَ يوم قُتِلَ نورنا ، ووُلِدَ له يوم قُتِلَ أخو نبيِّنا ؛ وكان مع هذا مخنثاً يَكِيدُنَا ويطلب عثراتنا ؛ وكان مُفْرِطاً في طولِه مضطرباً في خلقه أحوال . فقال رجل من جَلَّةِ أهل المجلس : لئن كان كما قلت لقد كان مُمتِعاً فهِماً يُحسِنُ رعايَةَ من حفظ له حقَّ المجالسة ، ورعايَةَ حُرمة الخدمة ، وكان لا يَحْمِلُ قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له . [كان يحب قريشاً ويحبونه]

ولقد كان مُعظماً لمواليه بني مخزوم ومَن والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحْكِيك به ؛ وما يلام من قال يعلم وتكلم على فهم ، والظالم المَلُوم ، والباديء أظلم . فقال رجل آخر : لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشاً يَكْتَنِفُونَهُ ويُحْدِقُونَ به ويُحِبُّونَ مجالسته ويُنصِتُونَ إلى حديثه ويتمنَّونَ غناؤه ، وما وضعه شيء إلا حَنَسُهُ ، ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدناه . [كان يلقب بالذائب]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حَدَّثَنَا يوسف بن إبراهيم قال حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إبراهيم بن المهدي قال حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بن جامع عن سباط قال : كان أوَّل من تَغْنَى بالمدينة غناءً يَدْخُلُ في الإيقاع طُويس ، وكان مولده يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطامه في اليوم الذي توفِّي فيه أبو بكر ، وخِتانُه في اليوم الذي قُتِلَ فيه عمر ، وبنائُه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ووُلِدَ له يوم قُتِلَ عليٌّ رضوان الله عليهم أجمعين ، ووُلِدَ وهو ذاهب العين اليمنى . وكان يلقَّب بالذائب ، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنَّه غَنَى : [من مجزوء الرمل]

قد براني الحبُّ حتى كدتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

[مروان بن الحكم والنغاشي المخنث]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال : كان بالمدينة مخنث يقال له النُّغَاشِي ، فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً ، فبعث إليه يومئذٍ ، وهو على المدينة ، فاستقرأه أم الكتاب : فقال : والله ما معي بناتُها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن ؟ فقال : أتَهْزَأُ لا أم لك ؟ فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان² ، وقال : من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير .

1 ل : لمشووم .

2 بطحان : واد بالمدينة .

[طلبه مروان في المختن ففر منه حتى مات]

فَأَتَيْ طُوسٍ وَهُوَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَغْنِي بِشَعْرِ حَسَّانِ
ابن ثابت¹ :

لَقَدْ هَاجَ نَفْسَكَ أَشْجَانُهَا وَعَاوَدَهَا الْيَوْمَ أَذْيَانُهَا
تَذَكَّرْتُ هِنْدًا وَمَا ذَكَرُهَا وَقَدْ قَطَعْتُ مِنْكَ أَقْرَانُهَا²
وَقَفْتُ عَلَيْهَا فَسَاءَ لُتْهَا وَقَدْ ظَعَنَ الْحَيُّ مَا شَانُهَا
فَصَدَّتْ وَجَاوِبَ مَنْ دُونَهَا بِمَا أَوْجَعَ الْقَلْبَ أَعْوَانُهَا

فَأَخْبَرَ بِمَقَالَةِ مَرْوَانَ فِيهِمْ ؛ فَقَالَ : أَمَا فَضَّلْتَنِي الْأَمِيرُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلٍ حَتَّى جَعَلَ فِيَّ وَفِيهِمْ
أَمْرًا وَاحِدًا ؟ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى نَزَلَ السُّوَيْدَاءَ ، عَلَى لَيْتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا
عُمَرَهُ ، وَعُمِّرَ حَتَّى مَاتَ فِي وَلايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

[هَيْتُ الْمُخَنَّتِ وَبَادِيَةُ بِنْتِ غِيلَانَ]

قَالَ إِسْحَاقُ وَأَخْبَرَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ وَعَوَانَةُ قَالَ : قَالَ
هَيْتُ الْمُخَنَّتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الطَّائِفَ فَسَلِّ النَّبِيَّ ﷺ بَادِيَةَ بِنْتِ
غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مَعْتَبٍ ، فَإِنَّهَا هِيَ فَاءُ شَمُوعٍ³ نَجَلَاءَ ، إِنْ تَكَلَّمْتَ تَغْنَتْ ، وَإِنْ قَامَتْ
تَنَّتْ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ⁴ ، مَعَ ثَغْرِ كَأَنَّهُ الْأُقْحَوَانُ ، وَبَيْنَ رَجْلَيْهَا كَالْإِنَاءِ الْمَكْفُوءِ ، كَمَا
قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

تَغْتَرِّقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ⁵
بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جَبْلَةَ وَلَا قَضَفُ⁶

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَقَدْ «غَلَّغْتَ النَّظْرَ يَا عَبْدُ اللَّهِ» ، ثُمَّ جَلَّاهُ عَنْ⁷ الْمَدِينَةِ إِلَى الْحِمَى . قَالَ
هَشَامٌ : وَأَوَّلَ مَا اتَّخَذَتْ النُّعُوشُ⁸ مِنْ أَجْلِهَا . قَالَ : فَلَمَّا فَتَحَتْ الطَّائِفَ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ

1 قد مرَّ هذا الشعر من قبل .

2 هنداً في ل : ليلي وقد تقدَّم بهذه الرواية .

3 شموع : ضحوك لعب .

4 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 5 : 307 ولكنه أسقط هذه العبارة . وانظر الإصابة 6 : 296 .

5 سبق أن مرَّ هذا البيت برواية أخرى .

6 جبلة في ل : عبله .

7 ل : عن نظر .

8 النعش هنا : الحفة .

عوف فولدت له بُرَيْهَة . فلم يزل هَيْتَ بذلك المكان حتى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فلَمَّا ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلَّم فيه فَأَبَى أَنْ يُرَدَّه ؛ فلَمَّا وليَ عمر رضي الله عنه كُلَّم فيه فَأَبَى أَنْ يُرَدَّه وقال : إن رأيته لأضربن عنقه ؛ فلَمَّا ولي عثمان رضي الله عنه كُلَّم فيه فَأَبَى أَنْ يُرَدَّه ؛ فقيل له : قد كبر وضَعُف واحتاج ؛ فأذِن له أَنْ يدخل كُلَّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه . وكان هَيْتَ مَوْلَى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وكان طُويس له ؛ فمن ثَمَّ قِيلَ الْخِنْثُ .
وجلس يوماً فغَنَى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية :

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وهي لاهيةٌ

إلى آخر البيتين ؛ فَأَشِير إلى طُويس أَنْ اسكُتْ ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مَثَلٌ ضربه هَيْتُ في أُمِّ بُرَيْهَة ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الطاهر ، أوجَدْتَ عَلِيَّ في نفسك ؟ أَقْسِمُ بالله قَسَمًا حَقًّا لَا أَغْنِي بهذا الشعر أَبَدًا .
[ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه]

قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهلي الراوية عن بعض أهل المدينة ، وحدثنا الهيثم بن عدي والمدائني ، قالوا : كان عبد الله بن جعفر معه إخوان¹ له في عَشِيَّة من عشايا الربيع ، فراحَت عليهم السماء بمطر جَوْدٍ فأسال كُلُّ شيء ؛ فقال عبد الله : هل لكم في العقيق ؟ وهو متنزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر ، فركبوا دوابَّهُم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مَدِّ الْفُرَات ، فَإِنَّهُمْ لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جَنَّةٌ نستجِنُ بها وهذه سماء خليقة أَنْ تَبْلُ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طُويس فَإِنَّهُ قريب مِنَّا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكننا ؟ وطويس في النُّظَّارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر ؛ فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جُعِلَتْ فداءك ؛ وما تريد من طُويس عليه غضب الله : مخنث شائن لمن عرفه ؛ فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فَإِنَّهُ مليح خفيف لنا فيه أنس ؛ فلَمَّا استوفى طُويس كلامهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيَحْك ؛ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العناق² ، وكانت عندها عُنَيْقَة قد رَتَّها باللبن ، واختبز خبزاً رُقَاقاً ؛ فبادر فذبحها وعَجَنَتْ هي . ثم خرج فتلَقَّاه مَقْبِلًا إليه ؛ فقال له طُويس : بأبي أنت وأُمِّي ؛ هذا المطر ، فهل لك في المنزل فنستكن فيه إلى أَنْ تَكْفَ السماء ؟ قال : إِيَّاكَ أريد ؛ قال : فامض يا سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدثوا حتى أدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأُمِّي ، تُكْرِمُنِي إذ دخلت منزلي بَأَنْ تتعشَّى

1 ل : حدث .

2 العناق : الأنتى من ولد الماعز .

عندي ؛ قال : هات ما عندك ؛ فجاءه بَعَنَاقُ سَمِينَةَ ورُقَاقُ ، فأكل وأكل القوم حتى تَمَلَّؤُوا ، فأعجبه طَيبُ طعامه ، فلمَّا غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأُمِّي ، أتمشَّى معك وأُغْنِيكَ ؟ قال : افعل¹ يا طُويس ؛ فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرعى لها ذَنَبَيْنِ ، ثم أخذ المُرْبَعَ² فتمشَّى وأنشأ يغني :

يا خَلِيلِي نابِي سُهْدِي لَمْ تَنْمَ عَيْنِي ولم تَكْدِ
كيف تَلْحُونِي على رَجُلٍ أَنَسٍ تَلْتَدُهُ كَبْدِي
مثل ضوءِ البدرِ طَلَعَتْهُ ليس بِالزُّمَيْلَةِ النُّكْدِ³

فطرب القوم وقالوا أحسنتَ والله يا طُويس . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلا أَنِّي سمعت شعراً حسناً ؛ قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وتقول فيه هذا الشعر ؛ فنكَّس القوم رؤوسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض له لدخل فيها .

[عَرَضَ بسعيد بن عبد الرحمن في شعر]

قال وحدثني ابن الكلبي والمدائني عن جعفر بن محرز قال : خرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، إلى السويداء وخرج الناس معه ، وقد أخذت المنازل ، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دَابَّ اللَّيْثِيَّ وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ، فلقيهما طويس فقال لهما : بأبي أنتما وأُمِّي ؛ عرجا إلى منزلي ؛ فقال يزيد لسعيد : ميل بنا مع أبي عبد النعيم ؛ فقال سعيد : أين تذهب مع هذا المخنث ؛ فقال يزيد : إنما هو منزل ساعة فمالا ، واحتمل طُويس الكلام على سعيد ، فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه ونصَّعه⁴ ، فأتاها بفاكهة من فاكهة الماء ؛ ثم قال سعيد : لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم ؛ فتناول خريطة فاستخرج منها دُقْفاً ثم نقره وقال :

يا خَلِيلِي نابِي سُهْدِي لم تَنْمَ عَيْنِي ولم تَكْدِ
فشرايِي ما أُسَيِّغُ وما أَشْتَكِي ما بي إلى أَحَدٍ

1 ل : بلى .

2 المربع : دفّ هذا شكله .

3 الزميلة : الضعيف الرذل .

4 ل : ونصَّده .

كيف تَلْحُونِي على رجلٍ آنسٍ تلتذُّه كِبِدي
مثلُ ضوءِ البدرِ صورتهُ ليس بالزُمَيْلَةِ النَّكِدِ
من بني آلِ الْمُغِيرَةِ لا خاملٍ نَكْسٍ ولا جَعِدِ
نظرتُ يوماً فلا نظرتُ بعده عيني إلى أحدٍ

ثم ضرب بالدفِّ الأرض ؛ فقال سعيد : ما رأيتُ كالיום قطُّ شعراً أجود ولا غناءً أحسن منه ؛ فقال له طويس : يا ابن أبي الحُسام ، أتدري مَنْ يقوله ؟ قال : لا ؛ قال : قاله عَمَّتُكَ خولة بنت ثابت تُشَبِّبُ بَعْمَارَةَ بن الوليد بن المغيرة المخزومي ؛ فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطُّ مثل ما استقبلني به هذا المخنث ؛ والله لا يُفْلِتَنِي ! فقال يزيد : دَع هذا وأمنه ولا ترفع به رأساً . قال أبو الفرج الأصبهاني : هذه الأبيات ، فيما ذكر الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكَار ، لابن زهير المخنث .

[مدح ابن سريج غناءه]

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش ، وابن الكلبي عن أبي مسكين قالا : قدِم ابن سريج المدينة فغناهم ، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كلِّ مَنْ غنى ، وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فاستخرج دُفّاً من حِضْنِهِ ثم نَقَرَ به وغناهم بشعر عُمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت ، عارضها بقصيدتها فيه : [من الرمل]

يا خليلي نابني سُهْدي لم تَنَمْ عَيْنِي ولم تَكْدي

وهو :

تَنَاهَى فيكُمْ وَجْدِي وصدَّعَ حُبُّكُمْ كَيْدِي
فقلبي مُسَعَّرٌ حزنًا بذات الخالِ في الخدِّ
فما لاقى أخو عشقي عَشِيرَ العُشْرِ من جَهْدِي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال : والله هذا أحسنُ الناسُ غناء .

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمع قال حدثني المدائني قال : قدِم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسنُ الناسُ غناء ، إذ مرَّ بهم طويس فسمعهم وما يقولون ، فاستلَّ دُفَّهُ من حِضْنِهِ ونقره وتغنَّى : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ الْمُخَنَّبَةَ التي مرَّرتُ بنا قبل الصُّباحِ
في حُلَّةٍ مَوْشِيَةٍ مَكِيَّةٍ غَرَّتْني الوُشاحِ
زَيْنٌ لمشهدٍ فطَرهم وتَزِينُهم يَوْمَ الأَضاحِ

الشعر لابن زهير المخنث ، والغناء لطويس هزج ؛ أخبرنا بذلك الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار ، فقال ابن سريج : هذا والله أحسنُ الناسُ غناء لا أنا .
[تبع جارية فزجرته]

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال : حدّثت أنّ طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها ، فخبّت¹ في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلما جازت بمجلسٍ وقتتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديق ولي زوج ومولى يَنْكِحُنِي ، فسَلُّوا هذا ما يريد مني ؟ فقال : أضيق ما قد وسَّعه . ثم جعل يتغنّى :

أَفِقْ يَا قَلْبُ عَنْ جُمْلٍ	وَجُمْلٌ قَطَعَتْ حَبْلِي
أَفِقْ عَنْهَا فَقَدْ عَنِي	تَ حَوْلًا فِي هَوَى جُمْلٍ
وَكَيْفَ يُفِيقُ مَحْزُونٌ	بِجُمْلٍ هَائِمُ الْعَقْلُ
بِرَاهِ الْحُبِّ فِي جُمْلٍ	فَحَسْبِي الْحُبُّ مِنْ ثَقُلِ
وَحَسْبِي فَيْلُ مَا أَلْقَى	مِنْ التَّفْنِيدِ وَالْعَذْلِ ²
وَقَدْ مَا لَامَنِي فِيهَا	فَلَمْ أَحْقِلْ بِهِمْ أَهْلِي

[طويس والرجل المسحور]

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سَفَرَةٍ ومعنا رجلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ فدعونا بالغداء ، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخلق في زِيّ الأعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل ؛ فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أسيد ؛ فقال : هذا وادٍ قد أخذت³ سباعه فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ صاحبكم وأكل . قلنا في أنفسنا : هذا من الجنّ ، ودخلتنا فرعة⁴ ؛ ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخَ رَوْعُكُمْ فَأَنَا طُويس . قال له بعض من بني غِفَارٍ أو من بني عَبَسَ : مرحباً بك يا أبا عبد النعيم ، ما هذا الرّيّ ! فقال : دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطي الأحياء فلا يُنكروني . فسألت الرجل أن يغنيني ؛ فاندفع ونقر بدفٍّ كان معه مربّع ، فلقد تخيل لي⁵ أنّ الوادي ينطق معه حسناً ،

1 ل : فحشت .

2 التّفنيد في ل : التعنيف .

3 أخذت سباعه : سحرت ؛ وفي ل : أخاف .

4 ل : ودخلنا فرع .

5 ل : خيل إلي .

وتعجبنا من علمه وما أخبرنا [به] من أمر صاحبنا .

وكان الذي غنى به في شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفارية حيث رهنها على الشراب¹ :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي	عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ ²
وَقَالُوا لَسْتَ بَعْدَ فِدَاءِ سَلْمَى	بِمَقْنٍ مَا لَدَيْكَ وَلَا فَقِيرٍ
فَلَا وَاللَّهِ لَوْ مُلِكْتُ أَمْرِي	وَمَنْ لِي بِالتَّدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَعَصِيَّتُهُمْ فِي حَبِّ سَلْمَى	عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصَّدُورِ ³
فِيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غُلِبْتُ أَمْرِي	عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

[عروة وامراته سلمى الغفارية]

قال إسحاق وحدثني الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : لما غزا النبي ﷺ بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضرّون بدفوف ويترّمون بالزمامير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب مظهرين لذلك تجلدا ، ومرت في الطعن يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف ، وكانت سلمى من بني غفار ، فسبها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولاداً وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأمرهم ويسمون بني الأخيذة ، أي السبيّة ، فقالت : ألا ترى ولدك يعيرون ؟ قال : فماذا ترين ؟ قالت : أرى أن تردني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم لها⁴ ، فأرسلت إلى قومها أن القوة بالخمير ثم اتركوه حتى يسكر ويشمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه ؛ فلقيه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر ، فلما سكر سأله سلمى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعد . ويقال : إنما جاء بها إلى بني النضير ، وكان صعلوكاً يُغير ، فسقوه الخمر ، فلما انتشى منعوه ولا شيء معه إلا هي فرهنها ، ولم يزل يشرب حتى غلقت⁵ ؛ فلما قال لها : انطلقني قالت : لا سبيل إلى ذلك ، قد أغلقتني . فبهذا صارت عند بني النضير . فقال في ذلك :

[من الوافر]

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

1 ديوان عروة (شرح ابن السكيت) : 58 تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق : 1966 .

2 الخمر في الديوان : النساء وهي أيضاً الخمر .

3 حسك الصدور : الغلّ والعداوة .

4 أنعم لها : قال لها نعم .

5 غلق الرهن : استحق .

هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء ، وما وجدته في شيء من الكتب مجنساً فتذكر طريقته .

[كان يغرى بين الأوس والخزرج بغنائه]

قال إسحاق وحدثني المدائني قال : كان طويس ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقلّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيَّان فغنى فيه طويس إلّا وقع فيه شيء ؛ فنهى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوسّدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولّع القوم به ، فكان يُبدي السرائر ويُخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به¹ .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه ويُستشهد على معرفته ، فغنى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو :

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجِمَالَ فَانصَرَفُوا ماذا عليهم لو أتتهم وقفوا
لو وقفوا ساعةً نسائلهم ريث يضحّي جماله السلفُ
فليت أهلي وأهل أئله في الـ دأر قريبٍ من حيث نختلف²
فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة وهو :

أبلغ بني جحججني وقومهم خطمة أنا وراءهم أنفُ
تكلموا وانصرفوا وجرت بينهم دماء ، وانصرف طويس من عندهم سليماً لم يكلم ولم يُقل له شيء .

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق فحدثني الواقدي وأبو البخريّ ، قالا : قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل . ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي وأبو البخريّ ، وحدثني مشايخ لنا قالوا : كانت الأوس والخزرج أهل عز ومنعة وهما أخوان لأب وأم وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأُمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو ؛ وقضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عُذرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وكانت أول حرب جرت

1 ل : يتماشون إليه .

2 في الدار في ل : والدار . ورواية الديوان :

بل ليت أهلي وأهل أئله في دارٍ قريبٍ من حيث تختلفُ

بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سُمير بن يزيد بن مالك ، وسُمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف ، وكان مالك سيد الحَيَّين في زمانه ، وهو الذي ساق تَبَعاً إلى المدينة وقتل الفُطَيُون¹ صاحب زهرة وأذلَّ اليهودَ للحَيَّين جميعاً ، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم ، وكانت دية المولى فيهم ، وهو الخليفُ ، خَمَساً من الإبل ، ودية الصريح عشراً ، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف : ابعثوا إليَّ سُميراً حتى أقتله بمولاي فإننا نكره أن تَنَشَبَ بيننا وبينكم حرب ؛ فأرسلوا إليه : إنا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عقله² ، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يُقتل بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون دية الصريح ؛ فأبوا إلا دية المولى . فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج ، وكان فيهم مُطاعاً ، وأمرهم بالتهيؤ للحرب . فلما بلغ الأوس استعدُّوا لهم وتهيئوا للحرب واختاروا الموت على الذل ؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّقِينَة بين بئر سالم وبين بقاء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إن رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، نشدك الله والرحم ، وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ، فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك ؛ فارعوى مالك عند ذلك ، وقال نعم ؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به ، واستوثق منهم ، ثم قال : فإني أقضي بينكم : إن كان سُمير قتل صريحاً من القوم فهو به قَوْدٌ ، وإن قبلوا العقل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مولى فلهم دية المولى بلا نقص ، ولا يُعطى فوق نصف الدية ، وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلّمةً إلينا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلّمةً إليكم . فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يردّ عليه رأيه ، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمر قومه بالقتال ، فجمع القوم بعضهم لبعض ثم التقوا بالفضاء عند أطام بني قَيْنَقاع ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعوا إلى الصلح فحكّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسان بن ثابت النَجَّاري ، فقضى بينهم أن يدّوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على مالك وعليهم كما كانت أوّل مرة : المولى على ديته ؛ والصريح على ديته ؛ فرضي مالك وسلّم الآخرون . وكان ثابت إذ حكّموه أراد إطفاء النائرة³ فيما بين القوم ولمْ شَعَثْهم ، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبّت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمس وأبى مالك أن يأخذ دون عشر . فلما أخرج

1 أسطورة الفطيون لها مشابه ، من ذلك ما يتصل بقصة طسم واستعباده لجديس .

2 عقله : ديته .

3 النائرة : الفتنة (وتصحف إلى النائرة) .

ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألا يُقتل رجلٌ في داره ولا معقله ، والمعاقل : النخل ، فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل . ثم انظروا في القتلى فأبى الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه . فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودّتهم الأوس واصطلحوا . ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك :

وأبى في سُميحة القائلُ الفا صلُّ حين التفتُّ عليه الخصومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة : [من المنسرح]

رَدَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

[رأي عمر بن عبد العزيز في شعره]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يُنشد قول قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

بينَ شُكولِ النساءِ خِلَقَتُها قَصْدٌ فلا جَبَلَةٌ ولا قَصَفُ

تنام عن كُبرِ شأنها فإذا قامت رُويداً تكاد تنقصُ

تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ كأتما شَفَّ وجهها نُزْفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسب الناس .

[أصوات من المائة المختارة]

ومّا في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت¹

[من الخفيف]

يا لَقَوْمي قد أرقتني الهمومُ ففؤادي ممّا يُجِنُّ سقيمُ

أندبَ الحبُّ في فؤادي ففيه لو تراءى للناظرين كلومُ

يُجِنُّ : يُخفي ، والجنة من ذلك ، والجنّ أيضاً مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه ندباً وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرمة² :

[من البسيط]

تُريكُ سنّةً وجهٍ غيرَ مُقرّفةٍ ملساءٍ ليس بها خالٌ ولا ندبُ

1 الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات : 194 تحقيق د . محمد يوسف نجم ، عن الأغاني (دار صادر ، بيروت) .

2 ديوان ذي الرمة : 1 : 29 من قصيدته المشهورة :

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنّه من كُلّى مفربة سربُ

الشعر لابن قيس الرُّقِيَّات فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إسحاق : وهو أجود لحن غناه طويس ، ووجدته في كتاب الهشاميّ خفيف رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طنبورة . قال وقال ابن المكيّ : إنه لحكم ، وقال عمرو بن بانه : إنه لابن عائشة أوله هذان البيتان ، وبعدهما :

ما لَذَا الهمُّ لا يَريُّمُ فؤادي مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنَّ مَنْ فَرَّقَ الجماعةَ مِنَّا بعدَ خَفَضِ ونَعْمَةٍ لذيِّمُ
انقضت أخبار طويس .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

[من الكامل]

حُجِبَ الألى كُنَّا نُسَرِّ بقربهم يا ليتَ أنْ حجابهم لم يُقَدِّرِ
حُجُبُوا ولم نَقْضِ اللبَّانةَ منهم ولنا إليهم صَبُوءٌ لم تُقْصِرِ
ويُحِيط مئزرها بِرَدْفٍ كاملٍ راسي المَجَسَّةِ كالكَثِيبِ الأعْفَرِ
وإذا مَشَتْ خِلَتِ الطريقَ لمشيها وَجِلاً كمشي المُرْجَجِ المَوْقِرِ
لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لقفا النجار ، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لابن سريج . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواقعيّ أن لحن قفا النجار المختار من الثقيل الأوّل .

صوت

من المائة المختارة

أَفِقْ يا دارميُّ فقد بُليتَا وإنَّكَ سوف تُوشِكُ أنْ تَمُوتَا
أراك تَزِيدُ عشقاً كلَّ يومٍ إذا ما قلتَ إنَّكَ قد بَرِيتَا
الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارميّ ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

[21] - ذكر الدارمي وخبره ونسبه¹

[نسبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : الدارميّ من ولد سُويد بن زيد الذي كان جدّه قتل أسعد بن عمرو بن هند ، ثم هربوا إلى مكّة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف .

وكان الدارميّ في أيام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادير ، وكان من ظُرفاء أهل مكّة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول :

ولمّا رأيتُك أوليتني الـ قبيحَ وأبعدتَ عنيّ الجميلاً
تركتُ وصالك في جانبٍ وصادفتُ في الناسِ خيلاً بديلاً

[شيب بذات خمار أسود فنفتت الخمر السود]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فضّل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال وحدّثني به النّوشجانيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره : أنّ تاجراً من أهل الكوفة قدّم المدينة بخمّر فباعها كلّها وبقيت السود منها فلم تنفّق ، وكان صديقاً للدارميّ ، فشكا ذاك إليه ، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ؛ ثم قال : [من الكامل]

صوت

قلّ للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعتِ براهبٍ متعبٍ
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له يباب المسجد

وغنى فيه ، وغنى فيه أيضاً سينان الكاتب ، وشاع في الناس وقالوا : قد فنك² الدارميّ ورجع عن نسكه ؛ فلم تبق في المدينة طريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان مع

1 لم يذكر أبو الفرج اسم الدارميّ كاملاً فلم يكن من الممكن العثور على ترجمة له في مصادر أخرى ، وهو إنما اشتهر بأبياته في «ذات الخمار الأسود» . وقد حققت ديوانه كارين صادر ، بيروت 2000 .

2 فنك : مجن .

العراقيّ منها ؛ فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد .
 فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً ، وهو خفيف ثَقِيلٍ أوّل بالسبابة
 في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لِسِنَانِ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش . وذكر حبش
 أنّ فيه لابن سريج هزجاً بالبصر .
 أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال : حضرت يوماً مجلس بعض قوَاد
 الأتراك وكانت له ستارة فَنُصِبَتْ ، فقال لها : غنيّ صوت الخمار الأسود المليح ، فلم ندرِ ما
 أراد حتى غنّت :

قل للمليحة في الخمار الأسود

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنيّ :

إنّي خريت وجئت أنتقله

فضحكّت ثم قالت : هذا يشبهك ؛ فلم ندرِ أيضاً ما أراد حتى غنّت :
 إنّ الخليط أجَدّ مُتَنَقِّلَه

[بخله وظرفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سلّم¹
 الخزاعيّ قال حدّثني الحرّمازيّ قال زعم لي ابن مودود قال : كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً
 وكانت مُتَفَتِّيات² أهل مكّة لا يطيب لهنّ مُتَنَزّه إلاّ بالدارميّ ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في مُتَنَزّه
 لهنّ ، وفيهنّ صديقة له ، وكلّ واحدةٍ منهنّ قد واعدت هواها ، فخرجن حتى أتَيْنَ الجُحفة³
 وهو معهنّ ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن
 فعلنا قطعنا في الأرض ؛ قالت لهنّ صاحبتّه : أنا أكفيكنّه ؛ قلن : إنّنا نريد ألاّ يلومنا ؛ قالت :
 عليّ أن ينصرف حامداً ، وكان أبخلَ الناس ، فأتته فقالت : يا دارميّ ، إنّنا قد تفلّنا⁴ فاجلب
 لنا طيباً ؛ قال نعم هو ذا ، أتني سوق الجُحفة آتيكنّ منها بطيبٍ ؛ فأتى المُكاريِن فاكترى حماراً
 فصار عليه إلى مكّة وهو يقول :

أنا بالله ذي العِزِّ وبالرُّكنِ وبالصَّخْرةِ

من اللائي يُردنَ الطَّيِّبَ بَ في اليُسْر وفي العُسْرَة

1 ل : ابن أبي سلمة .

2 متفتيات : يذهبن مذهب الفتوة ويتشبهن بالفتيان .

3 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

4 تفل : تغيّرت رائحته لعدم الطيب .

وما أقوى على هذا ولو كنتُ على البَصْرَة

فمكثت النسوة ما شئن . ثم قَدِمَ من مَكَّةَ فلقِيتهُ صاحبه ليلة في الطَّوَّافِ ، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتُ تُعَاتِبُهُ على ذهابه ويُعَاتِبُهَا ، إلى أن قالت له : يا دارمي ، بحق هذه البَيِّتَةِ أُتَحَبُّنِي ؟ فقال نعم ، فبَرِّئُهَا أُتَحَبُّنِي ؟ قالت نعم ؛ قال : فيا لك الخَيْرُ فَأَنْتِ تَحَبُّنِي وأنا أُحِبُّكَ ، فما مدخل الدراهم بيننا ؟!

[عطسة الدارمي وعبد الصمد بن علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال حَدَّثَنِي عَمِّي قال : كان الدارميُّ عند عبد الصمد بن عليٍّ يَحْدِثُهُ ، فَأَغْفَى عبد الصمد فعطس الدارميُّ عطسةً هائلةً ، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضُّ كَذَا من أَمِّهِ أَتَفْزَعُنِي ؟ قال : لا والله ولكن هكذا عَطَّاسِي ؛ قال : والله لَأَنْقَعَنَّكَ في دمك أو تَأْتِيَنِي بَيِّتَةٌ على ذلك ؛ قال : فخرج ومعه حَرَسِيٌّ لا يدري أين يذهب به ، فلقيه ابن الرِّيَّان المكيُّ فسأله ؛ فقال : أنا أشهد لك ؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد ؛ فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أنِّي رأيتُهُ مرَّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه ؛ فضحك عبد الصمد وعلَّى سبيله . أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حَدَّثَنَا هَارُونَ بن محمد قال حَدَّثَنَا الزبير قال : قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميِّ : لو صَلَّحْتَ عَلَيْكَ ثِيَابِي لَكَسَوْتُكَ ؛ قال : فَذَيْتُكَ ! إن لم تَصْلُحْ عَلَيَّ ثِيَابُكَ صَلَّحْتُ عَلَيَّ دَنَانِيرِكَ .

[الدارمي مع نسوة من الأعراب]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديُّ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن زهير قال حَدَّثَنَا الزبير ، ونسخت من كتاب هَارُونَ بن محمد : حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي يونس بن عبد الله الْخِيَّاطُ قال : خرج الدارميُّ مع السُّعَاةِ¹ ، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فَأَعْطَوْهُ دَرَاهِمَ ، فَأَتَى بِهَا في ثوبه ، وأحاط به أعرابِيَّاتٌ فجعلن يسألنه وألحجنَّ عليه وهو يردُّهنَّ ؛ فعرفته صبيَّةٌ منهنَّ فقالت : يا أخواتي ، أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارميُّ السَّالُّ . ثم أنشدت : [من المتقارب]

إِذَا كُنْتَ لَا بَدَّ مُسْتَطَعِمًا فَدَعْ عَنْكَ مَنْ كَانَ يَسْتَطَعِمُ

فولَّى الدارميُّ هَارِباً مِنْهُنَّ وَهَنَّ يَتَضَاحَكْنَ بِهِ .

[الدارمي والأوقص القاضي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بن أَبِي خَيْثَمَةَ قال حَدَّثَنَا مَصْعَبُ الزبيريُّ قال : أتى الدارميُّ الأوقص القاضي بِمَكَّةَ في شيء فأبطأ عليه فيه ، وحاكمه إليه خصم له في

حق ، فحبسه به حتى أذاه إليه . فبينما الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلي ويدعو ويقول : يا رب أعني رقبتي من النار ، إذ قال له الدارمي والناس يسمعون : أولك رقبة تعتق ؟ لا والله ما جعل الله ، وله الحمد ، لك من عتق ولا رقبة ؛ فقال له الأوقص : ويلك ! ومن أنت ؟ قال : أنا الدارمي ، حبستني وقتلتني ؛ قال : لا تقل ذلك وأنتي فإني أعوضك ؛ فأتاه ففعل ذلك به .
[نادرة له مع عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحرمي أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال : مدح الدارمي عبد الصمد بن علي بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشراة ؛ فقال لغلامه : أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا ؛ فوثب الدارمي فقال : بأبي أنت وأمي ! برك وعقوبتك جميعاً نقد ! فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني ! فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلط فيما بيننا ، والغلط في هذا لا يستقال ؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل .
[نادرة له في مرضه]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال : أصابت الدارمي قرحة في صدره ، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده . فراه قد نفث من فيه نفثاً أخضر ، فقال له : أبشر ، قد أخضرت القرحة وعوفيت ؛ فقال : هيهات ، والله لو نفثت كل زمردة في الدنيا ما أفلت منها .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يَا رُبَّعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرْبَا زِدْتَ الْفَوَازَ عَلَى عِلَاتِهِ وَصَبَا
رُبَّعٌ تَبَدَّلَ مَمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ عَفَرَ الظُّبَاءَ وَظَلَمَانًا بِهِ عُصَبَا
الشعر لُهلال بن الأسعر المازني ، أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه .
وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشيباني . ومن لا يعلم ينسبه إلى عمر بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونصيب ، وليس كذلك . والغناء في اللحن المختار لعزور الكوفي ، ومن الناس من يقول عزون بالنون وتشديد الزاي ، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنني سمعت له بخبر ولا صنعة غير هذا الصوت . ولحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وهكذا نسبه في الاختيار الوائقي . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأول بالبنصر . وفي أخبار الغريض عن حماد أن له ثقيلاً أول . وقال الهشامي : فيه لعبد الله بن العباس لحن من الثقيل الثاني . وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز خفيف رمل بالبنصر .

[22] - أخبار هلال بن الأسعر ونسبه¹

[شاعر أمويّ شجاع أكل]

هو ، فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأمويّة ، وأظنّه قد أدرك الدولة العباسيّة ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكلوا معدوداً من الأكلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حرب غنائ . هذا لفظ أبي عمرو . وقال أبو عمرو : وعمر هلال بن أسعر عُمرّاً طويلاً ومات بعد بلالاً عظام مرّت على رأسه .

[كان المغيرة بن قنبر يعوله فلمّا مات رثاه]

قال : وكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويُفضلُ عليه ويحتملُ ثقله وثقلَ عياله فهلك ، فقال هلال يرثيه :

[من الوافر]

ألا ليت المغيرة كان حيّاً	وأفنى قبله الناسَ الفناء
ليُنك على المغيرة كلُّ خيلٍ	إذا أفنى غرائكها اللقاء ²
ويُنك على المغيرة كلُّ كلٍّ	فَقِيرٍ كان ينعشه العطاء ³
ويُنك على المغيرة كلُّ جيشٍ	تَمُورُ لدى معاركه الدماء
فتى الفتیان فارسُ كلِّ حربٍ	إذا شالت وقد رُفِع اللّواء ⁴
لقد وارى جديداً الأرض منه	خِصالاً عَقْدُ عِصْمَتِها الوفاء
فصبراً للنوائب إن أَلَمّتْ	إذا ما ضاق بالحدّث الفضاء
هزبرٌ تنجلي الغمراتُ عنه	نقيّ العِرضِ هُمته العلاء
إذا شهد الكريهة خاض منها	بُحوراً لا تكدّرُها الدّلاء
جَسُورٌ لا يروّع عند رَوْعٍ	ولا يثني عريمتَه اتّقاء

1 أورد ابن حمدون بعض أخبار هلال المازنيّ في التذكرة نقلاً عن الأغاني 9 : 34 ، 101 .

2 العرائك : جمع عريكة أي الشدّة والقوّة ، وأصل العريكة : سنام البعير .

3 ينعشه في ل : حين يلتبس .

4 شالت الحرب : إذا تمّ الاستعداد لها وأصبحت وشيكة الوقوع .

حَلِيمٌ فِي مَشَاهِدِهِ إِذَا مَا حُبَا الحُلَمَاءُ أَطْلَقَهَا الْمِرَاءُ¹
 حَمِيدٌ فِي عَشِيرَتِهِ فَقِيدٌ يَطِيبُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الثَّنَاءُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْمَنِيَّةُ أَقْصَدَتْهُ وَحُمٌ عَلَيْهِ بِالتَّلَفِ الْقَضَاءُ²
 فَقَدْ أَوْذَى بِهِ كَرَمٌ وَخَيْرٌ وَعَوْدٌ بِالْفَضَائِلِ وَابْتِدَاءُ³
 وَجُودٌ لَا يَضُمُّ إِلَيْهِ جُوداً مُرَاهِنُهُ إِذَا جَدَّ الْجِرَاءُ⁴

[كَانَ عَادِيَّ الْخَلْقِ صَبُوراً عَلَى الْجُوعِ]

وقال خالد بن كلثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يَرِدُ مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شرباً حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شرباً ، وكان عاديّ الخلق لا تُوصف صفته .

[حكايات عن قوته]

قال خالد بن كلثوم فحدثنا عنه من أدركه : أنّه كان يوماً في إبلٍ له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وَقَعَ الشمس محتدم الهاجرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينما هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فُقيم ، كانا أشدّ تَمِيمِيَّينَ في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهَيَّاجُ ، وقد أقبلَا من البحرين ومعهما أنواط⁵ من تمر هَجَرَ ، وكان هلالٌ بناحية الصُّعَابِ⁶ ؛ فلَمَّا انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أنّ الإبل له ، ناديا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تسقينَا ؟ وهما يظنّانه عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنيخاها فإنّ عليها وَطْبَيْنِ من لبنٍ ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : ويحك ! انهض يا غلام فأتِ بذلك اللبن !؟ فقال لهما : إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان⁷ الوطبين فتشربان ؛ قال فقال أحدهما : إنك يا ابن اللّخناء لغليظ الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيث قال له

1 حبا : جمع حَبْوَةٍ والثوب يشتمل به ؛ وإطلاق الحبا يعني الخروج عن طور الحلم إلى السفه والطيش ؛ والمراء :

المجادلة والمخاصمة . أي أنّه يظلّ حليماً حتى إذا واجهه ما يخرج الحلماء عن أطوارهم .

2 أقصدته : أصابته .

3 خير : شرف .

4 الجراء : المسابقة والمفاخرة .

5 أنواط : جمع نوط وهو الجلة الصغيرة من الثمر ونحوه .

6 الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين .

7 ل : فتحدران .

أحدهما : «إِنَّكَ يَا ابْنَ الْخِثَاءِ لَغَلِيظُ الْكَلَامِ» ، : أَرَأَيْتَ هُوَانًا وَصَغَارًا ؛ وَسَمِعَا ذَلِكَ مِنْهُ ، فَدَنَا أَحَدُهُمَا فَاهْوَى لَهُ ضَرْبًا بِالسُّوْطِ عَلَى عَجْزِهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، فَتَنَاوَلَ هَلَالُ يَدِهِ فَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ وَرَمَاهُ تَحْتَ فَخْذِهِ ثُمَّ ضَغَطَهُ ضَغْطَةً ؛ فَنادى صاحبه : وَيْحَكَ أَغْشَيْتَنِي قَدْ قَتَلْتَنِي ؛ فَدَنَا صَاحِبُهُ مِنْهُ ، فَتَنَاوَلَ هَلَالُ أَيْضًا فَاجْتَذَبَهُ فَرَمَى بِهِ تَحْتَ فَخْذِهِ الْآخَرَى . ثُمَّ أَخَذَ بِرِقَابِهِمَا فَجَعَلَ يَصُكُّ بِرُؤُوسِهِمَا بَعْضًا بِبَعْضٍ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَمْتَنِعَا مِنْهُ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : كُنْ هَلَالًا وَلَا تُبَالِي مَا صَنَعْتُ ؛ فَقَالَ لَهَا : أَنَا وَاللَّهِ هَلَالٌ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تُفْلِتَانِ مِنِّي حَتَّى تُعْطِيَانِي عَهْدًا وَمِثْقَالًا لَا تَخْيِسَانِ بِهِ : لَتَأْتِيَانِ الْمَرْبِدَ¹ إِذَا قَدِمْتُمَا الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ لَتُنَادِيَانِ بِأَعْلَى أَصَوَاتِكُمَا بِمَا كَانَ مِنِّي وَمِنْكُمَا ؛ فَعَاهَدَاهُ وَأَعْطِيَاهُ نَوْطًا مِنَ التَّمْرِ الَّذِي مَعَهُمَا ، وَقَدِمَا الْبَصْرَةَ فَاتَيَا الْمَرْبِدَ فَناديا بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمَا .

وَحَدَّثَ خَالِدٌ عَنْ كُثَيْفٍ² بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِنِيِّ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا مَعَ هَلَالٍ وَنَحْنُ نَبْغِي إِبِلًا لَنَا ، فَدَفَعْنَا إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَقَدْ لَغِينَا وَعَطَشْنَا ، وَإِذَا نَحْنُ بِفَتْيَةٍ شَبَابٍ عِنْدَ رَكِيَّةٍ³ لَهُمْ وَقَدْ وَرَدَتْ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا هَلَالًا اسْتَهْوَلُوا خَلَقَهُ وَقَامَتَهُ ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاحِ ؟ فَقَالَ لَهُ هَلَالٌ : أَنَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَحْوَجُ ؛ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِلَى لَبَنِ وَمَاءٍ فَإِنِّي لَغَيْبٌ ظَمَانٌ ؛ قَالَ : مَا أَنْتَ بِذَاتِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى تُعْطِيَنَا عَهْدًا لَتُجِيبِنَنَا إِلَى الصَّرَاحِ إِذَا أَرَحْتَ وَرَوَيْتَ ؛ فَقَالَ لَهَا هَلَالٌ : إِنِّي لَكُمْ ضَيْفٌ ، وَالضَيْفُ لَا يُصَارِعُ آهْلَهُ وَرَبَّ مَنْزِلِهِ ، وَأَنْتُمْ مَكْتَفُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ : اعْمِدُوا إِلَى أَشَدِّ فَحْلٍ فِي إِبِلِكُمْ شِدَّةً وَأَهْبِيهِ صَوْلَةً وَإِلَى أَشَدِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ ذِرَاعًا ، فَإِنْ لَمْ أَقْبِضْ عَلَى هَامَةِ الْبَعِيرِ وَعَلَى يَدِ صَاحِبِكُمْ فَلَا يَمْتَنِعُ الرَّجُلُ وَلَا الْبَعِيرُ حَتَّى أُدْخِلَ يَدَ الرَّجُلِ فِي فَمِ الْبَعِيرِ ، فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ صَرَعْتُمُونِي ، وَإِنْ فَعَلْتَهُ عُلِمْتُمْ أَنَّ صَرَاحَ أَحَدِكُمْ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : فَعَجَبُوا مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ ، وَأَوْمَتْوُوا إِلَى فَحْلٍ فِي إِبِلِهِمْ هَائِجٍ صَائِلٍ قَطِيمٍ⁴ ؛ فَأَتَاهُ هَلَالٌ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ وَشَيْخٌ لَهُمْ ، فَأَخَذَ بِهِامَةَ الْفَحْلِ مِمَّا فَوْقَ مِشْفَرِهِ فَضَغَطَهَا ضَغْطَةً جَرَّجَرُ الْفَحْلُ مِنْهَا وَاسْتَخَذَى وَرْعًا ، وَقَالَ : لِيُعْطِنِي مِنْ أَحَبِّتُمْ يَدَهُ أَوْلَجَهَا فِي فَمِ هَذَا الْفَحْلِ . قَالَ فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا قَوْمَ تَنْكَبُوا هَذَا الشَّيْطَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ فَلَانًا (يَعْنِي الْفَحْلَ) جَرَّجَرَ مِنْذُ بَزَلٍ⁵ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَلَا تَعْرِضُوا لِهَذَا الشَّيْطَانِ . وَجَعَلُوا

1 المرید : محلة بالبصرة كانت قديماً سوقاً للإبل ثم أصبحت معقد مفاخرة الشعراء ومجالس الخطباء .

2 ل : كثيف .

3 ركية : بئر .

4 قطم : هائج .

5 بزل البعير : فطر نابيه ودخل في سنته التاسعة .

يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم .
[صارع في المدينة عبداً]

قال وحدثنا من سمع هلالاً يقول : قَدِمْتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إيلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي وقيل لي : أجب الأمير . قال : قلت لهم : ويلكم ! إيلي وأحمالي ! فقيل : لا بأس على إيلك وأحمالك . قال : فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير ، فسلمتُ عليه ثم قلت : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إيلي وأمانتي ! قال فقال : نحن ضامنون لإيلك وأمانتك حتى نوذيتها إليك . قال فقلت عند ذلك : فما حاجة الأمير إليّ جعلني الله فداه ؟ قال فقال لي ، وإلى جنبه رجل أصفر ، لا والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خلقاً منه ولا أغلظ عُنْقاً ، ما أدرى أطوله أكثر أم عرضه : إن هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربياً¹ يصارع إلا صرعه ، وبلغني عنك قوة ، فأردتُ أن يُجريَ الله صرعَ هذا العبد على يدك فتدرك ما عنده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلني الله فداً الأمير ، إني لَغِبٌ نصيبٌ جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إيلي وأوذي أمانتي وأريح يومي هذا وأجيئه غداً فليفعل . قال فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إيله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فاشبعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلَلْتُ بقية يومي ذلك وبِتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شبعاً وراحةً وصلاحٍ أمر ، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعلى جُبَّةٍ لي صوفٍ وبِتُّ² وليس عليّ إزار إلا أتني قد شددت بعمامتي وسطي ، فسلمتُ عليه فردَّ عليّ السلام ، وقال للأصفر : قُم إليه ، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اتَّزِرْ يا أعرابي ؛ فأخذتُ بتي فاتَّزرت به على جُبَّتِي ؛ فقال : هيهات ؛ هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ؛ قال : فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها ، فشددت بها على حَقْوِي³ وخلعت الجُبَّة ؛ قال : وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وجلٌّ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا مني دنوةً فنقد⁴ جبهتي بظفره نقدة حتى ظننتُ أنه قد شجَّني وأوجعني ، فغاضني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خلقه بهم أقبضُ منه ، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعت إبهامي في صدغيه وأصابعي الأخر في أصل أذنيه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قتلتنِي ؛ قتلتنِي ؛ فقال الأمير :

1 ل : عبداً .

2 البت : كساء غليظ ، وقيل هو من وبر وصوف .

3 حقو : خصر .

4 نقد الشيء : نقره باصبعه .

اغمس رأس العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك عليّ ؛ قال : فغمستُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمغشي عليه ؛ فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزة وصلة وكسوة وميرة وانصرفت¹ .

[قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ ثم فر إلى اليمن]

قال أبو الفرج : ولهلال أحاديث كثيرة من أعاجيب شدته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني رباب من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف ، فقال حاجب :

وقائلة وباكية بشجو لبس السيف سيف بني رباب
ولو لأقى هلال بني رزام لعجله إلى يوم الحساب

وكان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جَلَان يقال له عبيد بن جري في شيء كان بينهما ، فشجّه وخمسه خماسة ، فأتى هلال بني جَلَان فقال : إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي ، فأوعدوه وزجروه² ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه ؛ فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكره ؛ ثم إن عبيد بن جري قديم الوقى ، وهو موضع من بلاد بني مالك ، فلما قدمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوفه ؛ فسأل عن أعز أهل الماء ، فقليل له : معاذ بن جعدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيار بن رزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء ، فعقد عبيد بن جري طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته ، وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء ، فقليل : رجل استجار بآل معاذ بن جعدة . ثم خرج عبيد بن جري ليستقي ، فوافق قدومه هلال بإبله يوم وروده ، وكان إنما يقدمها في الأيام ، فلما نظر هلال إلى ابن جري ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده ، فانتزع المحور³ من السانية فعلاه به ضربة على رأسه فصرع وقيذاً⁴ ، وقيل : قتل هلال بن الأسعر جاز معاذ بن جعدة ! فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة الرّزاميين ، وهم بنو عمّه ، فأتى راحلته⁵ ليركبها . قال هلال : فأتني

1 ل : ثم انحدرت .

2 ل : وزبروه .

3 المحور : الحديدية بين الخطاف والبكرة ؛ والسانية : الدلو العظيمة .

4 الوقيد : الذي أشرف على الموت .

5 ل : ناقته .

خولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت ، وهي جدّة أبي السّفّاح زهيد بن عبد الله بن مالك أمّ أبيه ، فتعلّقت بثوب هلال ، ثم قالت : أيّ عدوّ الله قتلت جارتنا ، والله لا تُفارقني حتى يأتيتك رجالنا ! قال هلال : والمحور في يدي لم أضعه ؛ قال : فهَممتُ أن أعلو به رأس خولة ، ثم قلت في نفسي : عجزوا لها سينٌ وقرابةٌ ، قال : فضربتُها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ ، ثم أتيت ناقتي فأركبها¹ ثم أضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ؛ وهم يومئذ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقال لها جبيلةٌ ، وهو مع ذلك ابن عمّتهم خولة بنت يزيد بن ثابت ، فهو معهم كأنّه بعضُهم ؛ فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواقعة² على الجَلّاني وهو دَفِنٌ لم يمّت ، فسألوا على تلك الواقعة فأخبروا بما كان من استجارة الجَلّاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك ؛ فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثال الجبال في شدّة خلقهم مع نجدتهم ، وركبوا معهم بعشرة غلّمة لهم أشدّ منهم خلقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعٍ يريد من رَميته ، حتى تبعوا هلالاً ؛ وقد نسل³ هلال من الحرب يومه ذلك كلّهُ وليلته ، فلمّا أصبح أمّتهم وظنّ أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم ؛ وتبعوه ، فلمّا أصبحوا من تلك الليلة قصّوا أثره ، وكان لا يخفي أثره على أحد لعظم قدّمه ، فلاحقوه من بعد الغد ، فلمّا أدركوه وهم عشرون ومعهم النبل والقسيّ والسيوف والرّسّة ، ناداهم : يا بني جعدة ، إني أنشدكم الله أن أكون قتلت رجلاً غريباً طلبته بترّة تقتلونني وأنا ابن عمّكم ! وظنّ أنّ الجَلّاني قد مات ، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه ؛ فقال معاذ : والله لو أيقنّا أنّه قد مات ما ناظرنا⁴ بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمّت ، ولسنا نحبّ قتلك إلّا أن تمتنع منّا ، ولا نُقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارتنا ؛ فقاتلهم وامتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلّمانه : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصي حتى تأخذوه ؛ ففعلوا ذلك ، فما قدّروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين ، ودقّوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشّجاج في رأسه ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرّون على أخذه ، فوضعوا في رجله أدّهم⁵ ، ثم جاؤوا به وهو معروض على بغير حتى انتهوا به إلى الوقبي فدفعوه إلى الجَلّاني ولم يمّت بعد ، فقالوا : انطلقوا به

1 ل : فركبتها .

2 الواقعة : الصراخ على الميت .

3 نسل : أسرع في سيره ؛ وفي ل : تمهل .

4 ما ناظرنا بك القتل : ما أخرناه .

5 أدّهم : قيد .

معكم إلى بلادكم ولا يُحدِثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصنع بصاحبكم ، فإن مات فاقتلوه وإن حيّ فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش¹ الجناية . فقال الجلائئون : وَفَتَ ذِمَّتْكُمْ يَا بَنِي جَعْدَةَ ، وَجَزَاكَمُ اللَّهُ أَفْضَلَ مَا يَجْزِي بِهِ خِيَارَ الْجِيرَانِ ، إِنَّا نَتَخَوَّفُ أَنْ يَنْزِعَهُ مِنَّا قَوْمُكُمْ إِنْ خَلَيْتُمْ عَنَّا وَعَنْهُمْ وَهُوَ فِي أَيْدِينَا ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ : فَإِنِّي أَحْمِلُهُ مَعَكُمْ وَأُشِيعُكُمْ حَتَّى تَرِدُوا بِلَادَكُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَحُمِلَ مَعْرُوضاً عَلَى بَعِيرٍ وَرَكِبَتْ أُخْتُهُ جَمَاءَ بِنْتَ الْأَسْعَرِ مَعَهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : قَتَلْتَنِي بَنُو جَعْدَةَ ، وَتَأْتِيهِ أُخْتُهُ بِمَغْرَةٍ فَيَشْرِبُهَا فَيُقَالُ : يُمَشِي بِالْدَّمِ ، لِأَنَّ بَنِي جَعْدَةَ فَرَّثُوا² كِبِدَهُ فِي جَوْفِهِ . فَلَمَّا بَلَّغُوا أَدْنَى بِلَادِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ قَالَ الْجَلَاءِيُّونَ لِمُعَاذٍ وَأَصْحَابِهِ : أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكُمْ ، قَدْ وَفَيْتُمْ فَانْصَرَفُوا . وَجَعَلَ هَلَالٌ يُرِيهِمْ أَنَّهُ يُمَشِي فِي اللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً . فَلَمَّا ثَقُلَ الْجَلَاءِيُّ وَتَخَوَّفَ هَلَالٌ أَنْ يَمُوتَ مِنْ لَيْلَتِهِ أَوْ يَصْبِحَ مَيِّتاً ، تَبَرَّزَ هَلَالٌ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ وَفِي رِجْلِهِ الْأُدْهُمُ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً ، وَوَضَعَ كِسَاءَهُ عَلَى عِصَاهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ ، ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى الْأُدْهُمِ فَحَطَّمَهُ ، ثُمَّ طَارَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ عَلَى رِجْلَيْهِ ، وَكَانَ أَدَلَّ النَّاسَ فَتَنَكَّبَ الطَّرِيقَ الَّتِي تُعْرَفُ وَيُطْلَبُ فِيهَا وَجَعَلَ يَسْلُكُ الْمَسَالِكَ الَّتِي لَا يُطْمَعُ فِيهَا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَثَاثَةَ بْنِ مَازِنٍ يَقَالُ لَهُ السَّعْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ طَلْقَ بْنِ جُبَيْلَةَ بْنِ أَثَاثَةَ بْنِ مَازِنٍ ، فَحَمَلَهُ السَّعْرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقَالُ لَهَا مَلُوءَةٌ ، فَرَكِبَهَا ثُمَّ تَجَنَّبَ بِهَا الطَّرِيقَ فَأَخَذَ نَحْوَ بِلَادِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ، تَخَوُّفاً مِنْ بَنِي مَازِنٍ أَنْ يَتَّبِعُوهُ أَيْضاً فَيَأْخُذُوهُ ، فَسَارَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامَهَا حَتَّى نَزَلَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ ، فَنَحَرَ النَّاقَةَ فَأَكَلَ لَحْمَهَا كُلَّهُ إِلَّا فَضْلَةً فَضَلَتْ مِنْهَا فَاحْتَمَلَهَا ، ثُمَّ أَتَى بِلَادَ الْيَمَنِ فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَبِثَ زَمَاناً وَذَلِكَ عِنْدَ مَقَامِ الْحِجَّاجِ بِالْعِرَاقِ ، فَلَبِغَ إِفْلَاتَهُ مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ . فَاَنْطَلَقُوا إِلَى الْحِجَّاجِ فَاسْتَعْدَوْهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَتْلِهِ صَاحِبَهُمْ ؛ فَبَعَثَ الْحِجَّاجُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُعْبَةَ بْنِ الْعَلْقَمِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَرِيفُ بَنِي مَازِنٍ حَاضِرَتَهُمْ وَبَادِيَتَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : لَتَأْتِيَنِي بِهِ لَهَلَالٌ أَوْ لِأَفْعَلَنَّ بِكَ لِأَفْعَلَنَّ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعْبَةَ : إِنَّ أَصْحَابَ هَلَالٍ وَبَنِي عَمِّهِ قَدْ صَنَعُوا كَذَا وَكَذَا : فَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ مَا صَنَعُوا فِي طَلْبِهِ وَأَخْبَرَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى الْجَلَاءِيِّينَ وَتَشِيعُهُمْ إِلَيْهِ حَتَّى وَرَدُوا بِلَادَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ : وَيْلَكَ ! مَا تَقُولُ ؟ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْبَكْرِيِّينَ : صَدَقَ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؛ قَالَ فَقَالَ الْحِجَّاجُ : فَلَا يُرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْوَفَكُمْ ، أَشْهَدُوا أَنِّي قَدْ آمَنْتُ كُلَّ قَرِيبٍ لَهَلَالٍ وَحَمِيمٍ وَعَرِيفٍ وَمَنْعْتُ مَنْ أَخَذَ أَحَدًا بِهِ وَمَنْ طَلَبَهُ حَتَّى يَظْفَرَ بِهِ الْبَكْرِيُّونَ أَوْ يَمُوتَ قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا وَقَعَ هَلَالٌ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ بَعَثَ إِلَى بَنِي رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ بِشَعْرِ يَاعَاتِبَهُمْ فِيهِ وَيُعْظَمُ عَلَيْهِمْ حَقُّهُ وَيَذَكِّرُ قَرَابَتَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ بَنِي

1 الأرش : دية الجراحات .

2 فرثوا كبده : ضربوها فأخذوا بها .

مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم ، فقال معاذ : لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمّ واحد حتى يُحمل له دم ولجواني دمّ آخر ، وإن أراد هلال الأمان وسطنا حُمِلَ له دم ثالث ؛ فقال هلال في ذلك :

بني مازن لا تطردوني فإنني
ولا تثلجوا أكباد بكر بن وائل
ولا تجعلوا حِفْظي بظَهْرٍ وتحفظوا
فإنّ القريبَ حيثُ كان قريكم
وإن البعيدَ إن دنا فهو جاركم
وإنّي وإن أوجدتموني لحافظ
سيحُمي حماكم بي وإن كنتُ غائباً
وتعلم بكر أنكم حيثُ كنتم
وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العدا
وأنهم لما أرادوا هُضمي
حسامٍ متى يعزم على الأمر يأتِه
وهم بدأوا بالبغْي حتى إذا جُزوا
فلم يكُ منهم في البديهة² مُنصِفٌ
ولم يفعلوا فعلَ الحليم فيجملوا
فإن يسر لي إبعاد بكرٍ فربّما
وربّ جمى قوم أبحتُ ومورِد
وسجف دجوجي³ من الليل حالِك
سفينة خواض بحور هُمومِه
جسورٌ على الأمر المهيب إذا ونى

أخوكم وإن جرّت جرائرها يدي
بترك أحييكم كالخليع المطرِد
بعيداً يبغضاء يروح ويغتدي
وكيفَ يقطع الكَفّ من سائر اليدي
وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعد
لكم حفظاً راض عنكم غير مُوجدٍ¹
أغرّ إذا ما ريع لم يتبلّد
وكنتم من الأرض الغريبة محتدي
وأنّي وإن أوجدتُ لستُ بأوحدٍ
مُنوا بجميع القلب عَضِب مُهتدي
ولم يتوقّف للعواقب في غدٍ
بأفعالهم قالوا لجازيهم قد
ولم يك فيهم في العواقب مُهتدي
ولم يفعلوا فعلَ العزيز المؤيد
منعتُ الكرى بالغِيط من مُتوعّد
وردتُ بفتيان الصباح ومورِد
رفعتُ بعجلى الرّجل مَوارة اليدي³
قليل التّياث العزم عند التردّد⁴
أخو الفتك ركاب قري المتهدّد

1 أوجدتموني : أحفظتموني .

2 البديهة : البداية .

3 مَوارة اليد : يعني أنّها سريعة الحركة .

4 الالتياث : الإبطاء ؛ وفي ل : ثبات .

وقال وهو بأرض اليمن : ١ . [من الطويل]

أقول وقد جاوزتُ نُعْمَى وناقِي
سقى الله يا ناقِ البلادِ التي بها
فما عن قَلِي مَنَا لها خَفَتِ النوى
ولكنَّ صرفَ الدهرِ فرَّقَ بيننا
فَسَقِيًا لصحراءِ الإهالةِ مَرَبَعًا
وسَقِيًا ورَعِيًا حيثُ حَلَّتْ لِمَازِنِ
تَحِنُّ إلى جَنَبِي فُلَيْجٌ مع الفَجْرِ
هواكِ ، وإن عَنَا نَأْتُ ، سَبَلِ القَطْرِ¹
بنا عن مَرَايِهَا وكُتُبَانِهَا العُفْرِ
وبين الأداني ، والفتى غَرَضُ الدهرِ
وللوقَبَى من مَنَزَلٍ دَمِثٍ مُثْرِي
وأَيَّامِهَا الغُرَّ المحجَّلَةِ الزَّهْرِ

قال خالد بن كلثوم : ولَمَّا دُفِعَ هلال إلى أولياء الجَلَّانِي لِيَقْتُلُوهُ بصاحبهم جاء رجل يقال له :
حُفَيْدٌ² كان هلال قد وتره فقال : والله لأؤْتِيبَنَّه ولَأَصْغُرَنَّ إليه نفسه وهو في القيود مصبور³
لِلْقَتْلِ ، فَأَتَاهُ فلم يدع له شيئاً مَّا يَكْرَهُ إِلَّا عَدَّهُ عَلَيْهِ . قال : وإلى جنب هلال حَجَرٌ يَمَلَأُ
الكِفَّ ، فَأَخَذَهُ هلال فَأَهْوَى بِهِ لِلرَّجُلِ فَأَصَابَ جَبِينَهُ فَاجْتَلَفَ جُلْفَةً من وجهه ورأسه ، ثم
رمى بها وقال : خذ القصاص مَنِي الآن ، وَأَنْشَأَ يقول : [من الرجز]

أَنَا ضَرَبْتُ كَرِيًّا وَزَيْدًا وَثَابِتًا مَشِيئَتُهُمْ رُوَيْدًا
كَمَا أَفَدْتُ حَيْنَهُ عُبَيْدًا وَقَدْ ضَرَبْتُ بَعْدَهُ حُفَيْدًا⁴
قال : وهؤلاء كلُّهم من بني رِزَامِ بن مَازِنَ ، وكلُّهم كان هلال قد نَكَأَ فِيهِمْ .

[أَدَّى عَنْهُ دَيْسَمُ الدِّيَةِ لِبَنِي جَلَانَ فَمَدَحَهُ]

قال خالد بن كلثوم : وَلَمَّا طَالَ مُقَامُ هلالٍ بِالْيَمَنِ نَهَضَتْ بَنُو مَازِنٍ بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى بَنِي
رِزَامِ بن مَازِنَ رَهْطَ هلال ورَهْطَ معاذ بن جعدة جَارِ الجَلَّانِي المَقْتُولِ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ قَدْ
أَسَأْتُمْ بَابِنَ عَمَّكُمْ وَجُرُؤْتُمْ الْحَدَّ فِي الطَّلَبِ بَدْمَ جَارِكُمْ ، فَنَحْنُ نَحْمِلُ لَكُمْ مَا أَرَدْتُمْ ، فَحَمَلَ
دَيْسَمُ بن المِنْهَالِ بن خَزِيمَةَ⁵ بن شَهَابِ بن أَثَاثَةَ بن ضِيَابِ بن حُجَيَّةَ بن كَالِيَةَ بن خُرْقُوصِ بن
مَازِنِ الَّذِي طَلَبَ معاذ بن جعدة أَنْ يُحْمَلَ لِحَارِهِ ، لِفَضْلِ عَزِهِ وَمَوْضِعِهِ فِي عَشِيرَتِهِ ، وَكَانَ
الَّذِي طَلَبَ ثَلَاثَمِائَةَ بَعِيرٍ ؛ فَقَالَ هلال في ذلك : [من الكامل]

1 السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

2 ل : جعيد .

3 ل : مصفود .

4 حفيدا في ل : جعيدا .

5 ل : جذيمة .

إن ابن كايّة المرزأ ديسماً وإري الزناد بعيد ضوء النار¹
 من كان يحمل ما تحمل ديسم من حائل فنقي وأم حوار²
 عيت بنو عمرو بحمل هنائد فيها العشار ملابي³ الأبكار³
 حتى تلافها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار
 حتى إذا وردت جميعاً أرزمت جلاًن بعد تشمس ونفار
 ترعى بصحراء الإهالة روبة⁴ والعنطوان منابت الجرجار⁴

[أعان. قمبر بن سعد على بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً]

وقال خالد بن كلثوم : كان قُميرُ بنُ سعد مُصدّقاً على بكر بن وائل ، فوجد منهم رجلاً قد سرق بعض صدقته ، فأخذه قُمير ليحبسه ، فوثب قومه وأرادوا أن يحولوا بين قُمير وبينه ، وهلالٌ حاضرٌ ، فلمّا رأى ذلك هلالٌ وثب على البكرتين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما⁵ ويُناطح بين رؤوسهما ، فانتهى إلى قُمير أعوانه فقهرّوا البكرتين ؛ فقال هلال في ذلك :

دعاني قُميرٌ دَعْوَةً فأجبته فأني امرئ في الحرب حين دعاني
 معي ميخَذَمٌ قد أخلص القينُ حدّه يُخفّضُ عند الرّوعِ رَوْعَ جنّاني
 وما زلتُ مذ شَدّتْ يميني حُجْزتي⁶ أحاربُ أو في ظلّ حربٍ تراني

[حبسه بلال بن أبي بردة واقفكه ديسم]

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ قال حدّثنا حَكِيمُ بن سعد عن زُفَر بن هُبيرة قال : تقاوم هلالُ بن أسعر المازنيّ ، وهو أحد بني رِزام بن مازن ، ونُهَيْسٌ⁷ الجَلّانيّ من عترة وهما يسقيان إبلهما ، فخذف⁸ هلالٌ نهيساً⁹ بمحورٍ في يده

1 المرزأ هنا : الكريم الذي يصاب في ماله .

2 الفقى : الناقة الفتية السمينة .

3 عيت في ل : عنيت . هنائد : جمع هنيذة وهي المائة من الإبل . العشار الملابيء : التي قرب نتاجها .

4 الروبة : الأرض الكثيرة الكلاء والشجر . العنطوان : نبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه . الجرجار : نبات طيب الريح .

5 يكنفهما : يضمهما .

6 الحجرة : معقد الإزار .

7 ل : وبهس .

8 خذف : حذف ورمى .

9 ل : بيهسا بمحزز .

فأصابه فمات ، فاستعدى ولده بلال بن أبي بُردة على هلال فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم ابن المنهال أحد بني كابية بن حرقوص فافتكه بثلاث ديات ، فقال هلال يمدحه :

تدارك دَيْسَمٌ حَسَباً ومجداً رِزَاماً بعد ما انشَقَّتْ عَصَاهَا
هو حَمَلُوا المِثِينَ فَأَلْحَقُوهَا بأَهْلِهَا فكان لهم سَنَاهَا
وما كانت لِتَحْمِلَهَا رِزَامٌ بِأَسْتَاهِ مُعَقَّصَةِ لِحَاهَا
بِكَابِيَةِ بنِ حَرْقُوصٍ وجدٌ كَرِيمٍ لا فَنَى إِلَّا فَنَاهَا

[نهم هلال وكرة أكله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن إسحاق القاضي قال حَدَّثَنِي نصر بن علي الجَهْضَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِّل الصَّيرَفِيُّ قال حَدَّثَنَا فضل بن الحسن قال حَدَّثَنَا نصر بن عليّ عن الْأَصْمَعِيِّ قال حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بن سليمان قال : قلت لهلال بن أسعر : ما أَكَلْتَ أَكَلْتَهَا بلغني عنك ؟ قال : جُعْتُ مرّةً ومعِي بعيري فنحرته وأكلته إلّا ما حملت منه على ظهري ، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل المضري : ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها ؛ فقالت لي : ويحك ؛ كيف تصل إليّ وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعة أيام . وحَدَّثَنِي به ابن عمّار قال حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي أحمد بن معاوية عن الْأَصْمَعِيِّ عن مُعْتَمِر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر ، هكذا قال ابن أبي سعد : معتمر عن أبيه وقال في خبره : فقلت له ، كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : خمساً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن إسحاق القاضي قال حَدَّثَنَا نصر بن عليّ قال حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قال حَدَّثَنِي شيخ من بني مازن قال : أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميع ما في بيتنا ، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلمّا رأى الخبز قد اختلف عليه قال : كأنكم أرسلتم إلى الجيران ، أعندكم سَوِيق ؟ قلنا : نعم ، فجثته بجراب طويل فيه سويق وبِرِّيَّة نبذ ، فصبّ السويق الذي كان في الجراب كلّهُ ، فشربه مع النبيذ وصبّ عليه النبيذ حتى أتى على السويق والنبيذ كلّهُ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن موسى قال حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ هلال بن أسعر مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطْباً في زَوَارِق ، فجلس على زورقٍ صغير منها وقد كُثِبَ الرطب فيه وغطّي بالواري ، قال له : يا ابن عمّ أَكُلُ من رُطْبِكَ هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : ما يكفيني . قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورق

وجعل يأكل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف ، فكُشف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رُطبه وألقى النوى فيه .

قال المدائني وحديثي مَنْ سألَه عن أعجب شيء أكله ، فقال : مائتي رغيف مع مَكوك¹ ملح .
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازي ، وكان كهلاً سرياً مُعدلاً ، قال حدثني شبان النيلي عن صدقة بن عبيد المازني قال : أولم عليّ أبي لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريداً من جزور . فكان أول من جاءنا هلال بن أسعر المازني ، فقدّمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر ، ثم استسقى فأتى بقرية من نبيذ فوضع طرفها في شِدقه ففرغها في جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عمل الطعام .

[أبو عمرو بن العلاء لم يَرُ أطول منه]

أخبرني الجوهريّ قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال : حدثني أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حياً ، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه .

[غنى مخارق الرشيد فأعتقه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني بعض حاشية السلطان قال : غنى إبراهيم الموصليّ الرشيد يوماً :

يا ريعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرباً زدتَ الفؤادَ على علّاته وصَبَا
قال : والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزّون ، فأعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مراراً ؛ فقال له الموصليّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارق ، فإنه أخذه عني وهو يفضلُ فيه الخلق جميعاً ويفضّلني ، فأمر بإحضار مُخارق ، فأحضِر فقال له غنّني :

يا ريعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرباً زدتَ الفؤادَ على علّاته وصَبَا
فغناه إيّاه ؛ فبكى وقال : سلّ حاجتك ! قال مخارق : فقلت : تُعتقني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشرّفني بولائك ، أعتقك الله من النار ؛ قال : أنت حرّ لوجه الله ، أعِد الصوت ؛ قال : فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ضيعةٌ تُقيمُني غلتها ؛ فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أمير المؤمنين

1 المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

بمنزل وفرشيه وما يصلحه وخادم فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعذه ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطيل الله بقاءك ويُديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك ؛ قال : فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق ، وحدثني به الصولي أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال : كان أبي إذا غنى هذا الصوت : [من البسيط]

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا
يقول : أنا مولى¹ هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنيته مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنت ، أعِدْ فأعدتُ ؛ فبكى وقال : أحسنت ! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار ، فأنّا مولى هذا الصوت بعد مولاي ، وذكر قريباً ممّا ذكره المبرّد من باقي الخبر .

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني إسحاق النخعي عن حسين بن الضحّاك عن مُخارق : أنّ الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : من منكم يغني :

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا
قال : فقلت فقلت : أنا ، فقال : هاتِه ؛ فغنيته فطرب وشرب ، ثم قال : عليّ بهرثمة ، فقلت في نفسي : ما تُراه يريد منه ؟ فجاءوا بهرثمة فأدخلَ إليه وهو يجرّ سيفه ، فقال : يا هرثمة ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنا ؛ فقال : انصرف فانصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنيتهك أبا المهنا لإحسانك ، وأمر لي بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه²

[من الوافر]

وخيلٌ كنتُ عينَ الرُّشدِ منه إذا نظرتُ ومستمعاً سَميعاً
أطافَ بِغَيِّهِ فعدلتُ عنها وقلتُ له أرى أمراً فظيعاً³
الشعر لعروة بن الورد ، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقیل بالنِصر عن عمرو بن بانه ، وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن عمرو أيضاً .

1 التذكرة : عتيق .

2 ديوان عروة : 50 .

3 الشطر الأول في الديوان : «أطاف بغيه فعدلت عنه» .

[23] - أخبار عروة بن الورد ونسبه¹

[نسبه ، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور]

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَقِيلَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبٍ بْنِ هَرِيمٍ² بْنِ لُدَيْمٍ بْنِ عَوْذِ بْنِ غَالِبِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْسٍ بْنِ بَغِيضِ بْنِ الرَّيْثِ بْنِ غُظْفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ ، شَاعَرَ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَارِسٍ مِنْ فُرْسَانِهَا وَصُعْلُوكٍ مِنْ صُعَالِيكِهَا الْمَعْدُودِينَ الْمَقْدَمِينَ الْأَجْوَادَ .

[سبب تلقيبه بعروة الصعاليك]

وَكَانَ يُلَقَّبُ عُرْوَةَ الصُّعَالِيكَ لِجَمْعِهِ إِيَّاهُمْ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ³ إِذَا أَخْفَقُوا فِي غَزَوَاتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعَاشٌ وَلَا مَغْزَى ، وَقِيلَ : بَلْ لُقِّبَ عُرْوَةُ الصُّعَالِيكَ لِقَوْلِهِ⁴ : [من الطويل]

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمُشَاشِ آفَاءً كُلَّ مَجْزَرٍ⁵
يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاها مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ
وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَةٌ وَجْهَهُ كَضَوْءِ شَهَابٍ الْقَابِسِ الْمُنْتَوِّرِ⁶

[شرف نسبه وتمني الخلفاء أن يصاوهوه أو يتسبوا إليه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ : لَوْ كَانَ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ وَلَدٌ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ إِلَيْهِمْ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فَرَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، وَحَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَا جَمِيعًا : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ :

1 ترجمة عروة بن الورد في الشعر والشعراء : 566 (دار الثقافة 1964) ، وأخباره ومختارات من شعره منشورة في مصادر كثيرة كخزانة الأدب للبغدادي (تحقيق عبد السلام هارون) وأمالى القالي (انظر الفهرس) وحماسة أبي تمام (شرح المازوني تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 421 ، 464 ، 1169 ، 1575 ، 1653 ، 1723 وانظر التذكرة الحمدونية (تحقيق إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر 1996 ، بيروت) 2 : 279 ، 430 ، 4 : 20 ، 5 : 104 ، 7 : 338 ، 8 : 91 ، 98 ، 117 ، 118 ، والبصائر والذخائر للتوحيدي (تحقيق د . وداد القاضي ، دار صادر 1988 ، بيروت) 7 : 162 ، وقد طبع ديوانه مرّات .

2 ل : هرم .

3 ل : بأمورهم .

4 ديوان عروة (طبعة دار صادر ، بيروت 1964) : 37 وهذه الأبيات من قصيدة له طويلة .

5 مصافي المشاش : مؤثر رؤوس العظام اللينة .

6 ولله صُعْلُوكٌ في الديوان : ولكن صُعْلُوكًا .

ما يسُرَّنِي أَنْ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ وَلَدَنِي مَن لَمْ يَلِدْنِي إِلَّا عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ لِقَوْلِهِ¹ : [من الطويل]
 إِنِّي امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدٌ
 أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى بِجِسْمِي مَسَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدٌ²
 أَفَرَّقَ جِسْمِي فِي جِسْمٍ كَثِيرَةٍ وَأَخْشَوْ قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ³
 [قال الخطيب لعمر بن الخطاب كنّا نأثم في الحرب بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغني أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للخطيب : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألف حازم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقدِّم إقدام عنترة ، ونأثم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد .
 [أجود من حاتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : ويقال : إنّ عبد الملك قال : من زعم أنّ حاتمًا أسمعُ الناسَ فقد ظلمَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ .
 [منع عبد الله بن جعفر معلّم ولده من أن يرويه قصيدة له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ : سَمِعْتُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِمُعَلِّمٍ وَلَدَهُ : لَا تُرَوِّهِمْ قَصِيدَةَ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا⁴ : [من الوافر]

دَعَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
 ويقول : إنّ هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

[أخبر عروة مع سلمى سبيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال : أغار عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ عَلَى مُزَيْنَةَ فَأَصَابَ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنْ كِنَانَةَ نَاكِحًا ، فَاسْتَأْفَقَهَا وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ⁵ : [من الطويل]

1 ديوان عروة : 29 .

2 الشطر الثاني في الديوان والحامسة : بوجهي شحوب الحقّ والحقّ جاهد ، ومسّ في ل : شحوب .

3 ديوان والحامسة : أقسم .

4 ديوانه : 45 .

5 ديوانه : 63 .

تَبَعُ عَدِيًّا حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارَهَا وَأَبْنَاءَ عَوْفٍ فِي الْقُرُونِ الْأَوَّلِ¹
فَالَا أُنَلَّ أَوْسًا فَإِنِّي حَسْبُهَا بِمَنْبَطِحِ الْأَدْغَالِ مِنْ ذِي السَّلَاطِلِ²

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النضير ، فلما رآوها أعجبتهم فسقوه الخمر ، ثم استوهبها منه فوهبها لهم ، وكان لا يمس النساء ، فلما أصبح وصحا ندم فقال :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي

الآيات . قال : وجلاها النبي ﷺ مع من جلا من بني النضير .

وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكراً يقال لها سلمى وتكنى أم وهب ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكنت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حُجِجْتُ بِي فَأُمِّرْتُ عَلَى أَهْلِي وَأَرَاهِمُ ؛ فَحَجَّ بِهَا ، فَأَتَى مَكَّةَ ثُمَّ أَتَى الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يَخَالِطُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ بَنِي النَّضِيرِ فَيُقْرِضُونَهُ إِنْ احتاج وَيُيَايِعُهُمْ إِذَا غَنِمَ ، وَكَانَ قَوْمُهَا يَخَالِطُونَ بَنِي النَّضِيرِ ، فَأَتَوْهُمْ وَهُوَ عِنْدَهُمْ ؛ فَقَالَتْ لَهُمْ سَلَمَى : إِنَّهُ خَارِجٌ بِي قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَتَعَالَوْا إِلَيْهِ وَأَخْبِرُوهُ أَنَّكُمْ تَسْتَحْيُونَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ مِنْكُمْ مَعْرُوفَةَ النَّسَبِ صَحِيحَتَهُ سَيِّئَةً ، وَاقْتَدُونِي مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَنْتِي أَفَارِقَهُ وَلَا أُخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَأَتَوْهُ فَسَقَوْهُ الشَّرَابَ ، فَلَمَّا ثَمَلَ قَالُوا لَهُ : فَادِنَا بِصَاحِبَتِنَا فَإِنَّهَا وَسِيطَةُ النَّسَبِ فِينَا مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنْ عَلَيْنَا سُبَّةٌ أَنْ تَكُونَ سَيِّئَةً ، فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْنَا وَأَرَدْتَ مَعَاوِدَتَهَا فَاخْطُبْهَا إِلَيْنَا فَإِنَّا نُنْكِحُكَ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : ذَاكَ لَكُمْ ، وَلَكِنْ لِي الشَّرْطُ فِيهَا أَنْ تُخَيِّرُوهَا ، فَإِنْ اخْتَارْتَنِي انْطَلَقْتُ مَعِيَ إِلَى وَلَدِهَا وَإِنْ اخْتَارْتَكُمْ انْطَلَقْتُمْ بِهَا ؛ قَالُوا : ذَاكَ لَكَ ؛ قَالَ : دَعَوْنِي اللَّهُ بِهَا اللَّيْلَةَ وَأَفَادِهَا غَدًا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاوَوْهُ فَاِمْتَنَعَ مِنْ فِدَائِهَا ؛ فَقَالُوا لَهُ : قَدْ فَادَيْتَنَا بِهَا مِنْذُ الْبَارِحَةِ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِّنْ حَضَرٍ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ وَفَادَاهَا ، فَلَمَّا فَادَوْهُ بِهَا خَيَّرُوهَا فَاخْتَارَتْ أَهْلَهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا عُرْوَةُ أَمَا إِنِّي أَقُولُ فَيْكَ وَإِنْ فَارَقْتُكَ الْحَقُّ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَلْقَتْ سِتْرَهَا عَلَى بَعْلِ خَيْرٍ مِنْكَ وَأَغْضَتْ طَرْفًا وَأَقْلَتْ فُحْشًا وَأَجُودَ يَدًا وَأَحْمَى لِحْقِيقَةٍ ؛ وَمَا مَرَّ عَلَيَّ يَوْمٌ مِنْذُ كُنْتُ عِنْدَكَ إِلَّا وَالْمَوْتُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ بَيْنَ قَوْمِكَ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَشَاءُ أَنْ أَسْمَعَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِكَ تَقُولُ : قَالَتْ أُمَةُ عُرْوَةَ وَكَذَا وَكَذَا إِلَّا سَمِعْتُهُ ؛ وَوَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ فِي وَجْهِ غَطْفَانِيَّةٍ أَبَدًا ، فَارْجِعْ رَاشِدًا إِلَى وَلَدِكَ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عُرْوَةُ فِي ذَلِكَ :

1 عدياً في الديوان : عداء .

2 الشطر الثاني في ل والديوان : بمنبطح الأوعال من ذي السلائل .

سَقُونِي الخمرَ ثم تَكْنُفُونِي¹وأولها² :

[من الوافر]

أَرَقْتُ وَصُحْبَتِي بِمَضِيْقٍ عَمَقٍ لَبِقٍ مِنْ تَهَامَةٍ مُسْتَطِيرٍ³
 سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ دِيَارُ سَلْمَى إِذَا كَانَتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ⁴
 إِذَا حَلَلْتُ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلِي بَيْنَ إِمْرَةٍ وَكَبِيرٍ⁵
 ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهَبٍ عَلَّ الْحَيِّ أَسْفَلَ مِنْ نَقِيرٍ⁶
 وَأَحَدْتُ مَعْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهَبٍ مُعْرَسُنَا بِدَارِ بَنِي النَّضِيرِ⁷
 وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلَهُو إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أَثِيرٍ⁷
 بَاتَسَةً الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا بُعِيدَ النَّوْمِ كَالْعِنَبِ الْعَصِيرِ

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو ، وقال فيها : إِنَّ قَوْمَهَا أَغْلَوْا بِهَا الْفِدَاءَ ، وَكَانَ مَعَهُ طَلْقٌ وَجُبَارٌ أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ ، فَقَالَا لَهُ : وَاللَّهِ لئن قَبِلْتَ مَا أَعْطَوْكَ لَا تَفْتَقِرُ أَبَدًا ، وَأَنْتَ عَلَى النِّسَاءِ قَادِرٌ مَتَى شِئْتَ ، وَكَانَ قَدْ سَكِرَ فَأَجَابَ إِلَى فِدَائِهَا ، فَلَمَّا صَحَا نَدِمَ فَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْفِدَاءِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ . وَجَاءَتْ سَلْمَى تُثْنِي عَلَيْهِ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ لَصَحْحُوكَ مُقْبِلًا ، كَسُوبٌ مُدْبِرًا ، خَفِيفٌ عَلَى مَتْنِ الْفَرَسِ ، ثَقِيلٌ عَلَى الْعَدُوِّ ، طَوِيلُ الْعِمَادِ ، كَثِيرُ الرَّمَادِ ، رَاضِي الْأَهْلِ وَالْجَانِبِ ، فَاسْتَوْصِرْ بَيْنِيكَ خَيْرًا ، ثُمَّ فَارِقْتَهُ . فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهَا ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ : يَا سَلْمَى ، أَثْنَيْتِ عَلَيَّ كَمَا أَثْنَيْتِ عَلَى عُرْوَةَ ، وَقَدْ كَانَ قَوْلُهَا فِيهِ شُهْرًا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَا تُكَلِّفْنِي ذَلِكَ فَإِنِّي إِن قُلْتُ الْحَقَّ غَضِبْتَ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَكْذِبُ ؛ فَقَالَ : عَزَمْتَ عَلَيْكَ لِتَأْتِيَنِي فِي مَجْلِسِ قَوْمِي فَلْتُثْنِينَ عَلَيَّ بِمَا تَعْلَمِينَ ، وَخَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَدْيِ الْقَوْمِ ، وَأَقْبَلَتْ فَرَمَاهَا الْقَوْمُ⁸ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِمْ وَقَالَتْ : أَنْعِمُوا صَبَاحًا ، إِنَّ هَذَا عَزَمَ عَلَيَّ

1 الخمر في الديوان : النسء وهو الخمر .

2 ديوان عروة : 31-32 .

3 عمق : موضع قرب المدينة .

4 السرير : موضع في بلاد بني كنانة .

5 إمرة وكبير : جبلان ، وفي الديوان : زامرة .

6 نقير : موضع . وفي الديوان وياقوت : أسفل ذي نقير .

7 آثر ذي أثير : أوّل كل شيء .

8 ل : الناس .

أَنْ أَتْنِي عَلَيْهِ بِمَا أَعْلَمُ . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّ شِمْلَتَكَ لَالْتِحَافُ ، وَإِنْ شَرَبَكَ لَاشْتِفَافٌ¹ ، وَأَنْتَ لَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَمَا تُرْضِي الْأَهْلَ وَلَا الْجَانِبَ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَلَا مَهَ قَوْمَهُ وَقَالُوا : مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْهَا .
[كَانَ يَجْمَعُ الصَّعَالِيكَ وَيَكْرَهُهُمْ وَيَغْيِرُ بِهِمْ]

أَخْبَرَنِي الْأَخْفَشُ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو فَقْعَسٍ قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ إِذَا أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةً شَدِيدَةً تَرَكَوْا فِي دَارِهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ ، وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَجْمَعُ أَشْيَاءَ هَؤُلَاءِ مِنْ دُونِ النَّاسِ مِنْ عَشِيرَتِهِ فِي الشَّدَّةِ ثُمَّ يَحْفِرُ لَهُمُ الْأَسْرَابَ وَيَكْنُفُ عَلَيْهِمُ الْكَنْفَ² وَيَكْسِيهِمْ ، وَمَنْ قَوِيَ مِنْهُمْ ، إِمَّا مَرِيضٌ يَرَأَى مِنْ مَرَضِهِ ، أَوْ ضَعِيفٌ تَثُوبُ قُوَّتُهُ ، خَرَجَ بِهِ مَعَهُ فَأَغَارَ ، وَجَعَلَ لِأَصْحَابِهِ الْبَاقِينَ فِي ذَلِكَ نَصِيئًا ، حَتَّى إِذَا أَخْصَبَ النَّاسُ وَالْبَنُو وَذَهَبَتِ السَّنَةُ أَلْحَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِأَهْلِهِ وَقَسَمَ لَهُ نَصِيْبَهُ مِنْ غَنِيْمَةٍ إِنْ كَانُوا غَنِمُوهَا ، فَرَبَّمَا أَتَى الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَقَدْ اسْتَغْنَى ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ عُرْوَةُ الصَّعَالِيكَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ السَّنِينَ وَقَدْ ضَاقَتْ حَالُهُ³ :

لَعَلَّ ارْتِيَادِي فِي الْبِلَادِ وَبُغْيَتِي وَشَدِّي حَيَازِيْمَ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ⁴
سَيَدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ⁵

[أَغَارَ مَعَ جَمَاعَةٍ عَلَى رَجُلٍ فَأَخَذَ إِلَيْهِ وَامْرَأَتَهُ ثُمَّ هَجَاهُمْ]

فَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَيَّضَ لَهُ وَهُوَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَشِيرَتِهِ فِي شَتَاءٍ شَدِيدٍ نَاقَتَيْنِ دِهْمَاوَيْنِ ، فَتَحَرَ لَهُمُ إِحْدَاهُمَا وَحَمَلَ مَتَاعَهُمْ وَضَعْفَاءَهُمْ عَلَى الْأُخْرَى ، وَجَعَلَ يَتَنَقَّلُ بِهِمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَكَانَ بَيْنَ النَّقْرَةِ وَالرَّبْدَةِ⁶ فَنَزَلَ بِهِمْ مَا بَيْنَهُمَا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : مَاوَانُ⁷ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَيَّضَ لَهُ رَجُلًا صَاحِبَ مَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ قَدْ فَرَّبَهَا مِنْ حَقُوقِ قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا أَلْبَنَ النَّاسُ ، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ إِلَيْهِ وَامْرَأَتَهُ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ ، فَأَتَى بِالْإِبِلِ أَصْحَابَ الْكَنْفِ فَحَلَبَهَا لَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ عَشِيرَتِهِمْ أَقْبَلَ يَقْسِمُهَا بَيْنَهُمْ وَأَخَذَ مِثْلَ

1 شربك اشتفاف : تعني أَنَّهُ يَشْرَبُ كُلَّ فِي الْإِنَاءِ .

2 يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤوون إليها ، واحدها الكنيف .

3 ديوان عروة : 54 .

4 ارتيادي في الديوان والحماسة : انطلاقي .

5 الهجمة من الإبل : أربعون أو أكثر ، فإذا بلغت مائة فهي هنيذة .

6 النقرة : من منازل حاج الكوفة ؛ والربدية : من قرى المدينة .

7 ماوان : قرية في أودية العلاء من أرض اليمامة .

نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها ؛ فجعل يَهُمُّ بأن يحملَ عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ، ثم يذكرُ أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يُردَّ عليهم الإبل إلا راحلةً يحملُ عليها المرأة حتى يلحقَ بأهلها ، فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه ؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها¹ :

ألا إن أصحابَ الكَيْفِ وجدتهم	كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
ورائي لمدفوعٍ إليّ ولأوهم	بماوان إذ نمشي وإذ تتلمل
ورائي وإياهم كذي الأم أرهنت	له ماء عينيها تُفدي وتحمل ²
فباتت بحد المرققين كلئهما	توحوح مما نالها وتولول ³
تخير من أمرين ليسا بغبطة	هو الثكل إلا أنها تتجمل ⁴

[سبى ليلي بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً]

وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضاً : كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلي بنت شعواء ، فمكثت عنده زمناً وهي مُعجبة له تُريه أنها تحبه ، ثم استزارته أهلها فحملها حتى أتاها بها ، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه ، وتوعده قومها بالقتل فانصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلي ، خبري صواحبك عني كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ، أتراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبري عني ، فقال في ذلك⁵ :

تَحنّ إلى ليلي بجو بلادها	وأنت عليها بالملأ كنت أقدر ⁶
وكيف تُرجيها وقد حيل دونها	وقد جاوزت حياً بئيماء منكراً
لعلك يوماً أن تُسرّي ندامةً	عليّ بما جشمتني يوم غصورا ⁷

وهي طويلة .

1 ديوان عروة : 56-58 .

2 وإياهم في الديوان : وإياكم . أرهنت : أدامت .

3 بحد المرققين في الديوان : لحد المرققين ، أي أنها باتت متكئة على مرققيها .

4 تتجمل في الديوان : قد تجمل .

5 ديوانه : 33-35 ، وهي أبيات من قصيدة طويلة .

6 بجو بلادها في الديوان : بحر بلادها : أي وسطها . الملا : المتسع من الأرض .

7 تسري هنا : تظهر ، وهو من الأضداد . غصور : مدينة فيما بين المدينة وبلاد خزاعة وكنانة .

قال : ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عَيس ثم من بني سُكَيْن يقال لها أسماء ، فما لبثت عندهم إلا يوماً حتى استنقذها قومها ؛ فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها ، فقال عروة يعيبرهم بأخذه ليلي بنت شعواء الهلالية¹ : [من الطويل]

إن تأخذوا أسماء موقف ساعة فمأخذ ليلي وهي غدراء أعجب
ليسنا زماناً حسنها وشبابها وردت إلى شعواء والرأس أشيب
كأخذنا حسناء كرهاً ودمعها غداة اللوى مغصوبةً يتصبب

[خرج ليغير فمئته امرأته فصاها]

وقال ابن الأعرابي : أجذب ناس من بني عَيس في سنة أصابتهم فأهلك أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغشنا ؛ فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً ، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازياً ، فمر بمالك بن حيمار الفزاري ثم الشمخي ؛ فسأله : أين يريد ؟ فأخبره ، فأمر له بجزور فنحروها فأكلوا منها ؛ وأشار عليه مالك أن يرجع ، فعصاه ومضى حتى انتهى إلى بلاد بني القين ، فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه ؛ وقال في ذلك² :

أرى أم حسان الغداة تلومني
تقول سليمى لو أقمت لسرنا
لعل الذي خوفتنا من أماننا
يصادفه في أهله المتخلف

وهي طويلة .

وقال في ذلك أيضاً³ :

أليس ورائي أن أدب على العصا
رهينة قعر البيت كل عشية
أقيموا بني بُنَى صدور ركابكم
فإنكم لن تبلغوا كل همتي
فیشمت أعدائي ويسأمني أهلي
يطيف بي الولدان أهدج كالرأل⁴
فكل منايا النفس خير من الهزل
ولا أربي حتى ترؤا منبت الأثل

1 ديوانه : 18 .

2 ديوان عروة : 51 .

3 ديوان عروة : 53-54 .

4 الرأل : ولد النعام . وأهدج كالرأل : أمشي مضطرباً من الكبر كولد النعام .

لعلّ ارتيادي في البلاد وحياتي وشدّي حيازيم المطيّة بالرّجل¹
 سيدفعني يوماً إلى ربّ هجمة يُدافع عنها بالعقوق وبالْبُخل
 [قصته مع هندي أغار على فرسه]

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني حرّ بن قطن أنّ ثُمّامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقال : يا ثُمّامة ، أتُحفظ حديثَ ابن عمّك عروة الصّعاليك بن الوَرْد العبّسيّ ؟ فقال : أيُّ حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه ؛ قال : ما يحضّرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عروة حتّى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنّب فرماها ثم أوزى ناراً فشواها وأكلها ودفنّ النّار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب الليل و غارت النجوم ، ثم أتى سرّحة² فصعدها وتخوّف الطلّب ، فلمّا تغيب فيها إذ الخيل قد جاءت وتخوفوا البيّات³ . قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركّز رُمحَه في موضع النار وقال : لقد رأيتُ النّارَ هاهنا ؛ فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً ، فأكبّ القوم على الرجل يعدّونَه ويغيّون أمرَه ويقولون : عنيتنا في مثل هذه الليلة القرّة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النّارَ في موضع رُمحي ؛ فقالوا : ما رأيت شيئاً ولكن تحدّلقك وتذهيك هو الذي حَمَلَكَ على هذا ، وما نعجب إلّا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزلوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتّبعهم عروة ، حتّى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتمكّن في كسرييت ؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود ، وعروة ينظر ، فأتاها العبد بعُلبَة فيها لبن فقال : اشربي ؛ فقالت لا ، أو تبدأ ، فبدأ الأسود فشرب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صلفك ! عنيت قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيتُ ناراً ، ثم دعا بالعُلبَة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرّع : ريحُ رجلٍ وربّ الكعبة ؛ فقالت امرأته : وهذه أخرى ، أيُّ ريح رجلٍ تجده في إنائك غير ريحك ؟ ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتهمني ويظنّ بي الظنون ، فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل إلى فراشه ، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرك⁴ ، فرجع عروة إلى موضعه ، ووثب الرجل فقال : ما كنت لتكذّبنني فمالك ؟ فأقبلت

1 ارتيادي في الديوان : انطلاقي .

2 السرحة : واحدة من شجر السرح وهو شجر عظام يستظلّ بها .

3 البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً .

4 ل : ونخر .

عليه امرأته لوماً وعدلاً . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه¹ الرجل ، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم إليك الليلة ؛ وأتاه عروة فجال في متنه وخرج ركضاً ، وركب الرجل فرساً عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمع خلفي يقول : الحقني فإنك من نسله . فلما انقطع عن البيوت ، قال له عروة بن الورد : أيها الرجل قف ، فإنك لو عرفتنى لم تقدم عليّ ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيت الليلة منك عجباً ، فأخبرني به وأردّ إليك فرسك ؛ قال : وما هو ؟ جئت مع قومك حتى ركزت رُحُك في موضع نارٍ قد كنت أوقدتها فتَنُوك عن ذلك فانشيت وقد صدقت ، ثم اتبعك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما ، ثم شمت رائحة رجل في إنائك ، وقد رأيت الرجل حين أثرته زوجتك بالإناء ، وهو عبدك الأسود وأظن أن بينهما ما لا تحب ، فقلت : ريح رجلٍ ؛ فلم تزل تشيك عن ذلك حتى انشيت ، ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب وتحرك فخرجت إليه ، ثم خرجت وخرجت ، ثم اضربت عنه ، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تشني وترجع ؛ فضحك وقال : ذلك لأحوال السوء ، والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل ، وما رأيت من كعاعتي² فمن قبل أخوالي وهم بطن من خزاعة ، والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم ، فذلك الذي يشينني عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحق بقومي وخارج عن أخوالي هؤلاء ومُخلّ سبيل المرأة ، ولولا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناواة قومي أحد من العرب . فقال عروة : خذ فرسك راشداً ؛ قال : ما كنت لأخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله³ ، فخذه مباركاً لك فيه . قال ثمامة : إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا .

[قصة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه]

قال المنصور : أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا ؟ بلى يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره . قال : خرج عروة وأصحابه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

[من الطويل] وفي هذه الغزاة يقول عروة⁴ :

1 ل : ومنعه الفرس .

2 الكعاعة : الجبن والضعف .

3 ل : خير منه .

4 ديوان عروة : 23 .

أقول لقوم في الكَينِفِ تَرَوُحُوا عَشِيَّةً قَلْنَا حَوْلَ مَاوَانَ رُزَح¹

وفي هذه القصيدة يقول :

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجَحٍ²

ثم مضى يتغنى لهم شيئاً وقد جهّدوا ، فإذا هو بأبيات شَعَرَ وبامرأة قد خلا من سنّها وشيخ كبيرٍ كالخِفاء³ المُلقي ، فكَمَنَ في كِسْرِيَّتِ منها ، وقد أَجْدَبَ الناسَ وهَلَكْتَ الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْوِيَّةٍ ، فقال ثمامة : وما السُّحُورُ ؟ قال : الحلقوم بما فيه ، والبيت خالٍ فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته وَقَوِي ، فقال : لا أَبَالِي مَنْ لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةَ فَظَنَّتْ أَنَّ الكَلْبَ أَكَلَهَا فقالت للكلب : أَفَعَلْتَهَا يا خبيثُ ! وطردته . فإنه لكذلك إذا هو عند المساء يابلُ قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفتُ فَرَقًا ، فعلم أَنَّ راعيها جلدٌ شديدُ الضرب لها ، فلَمَّا أَتَتْ المُنَاخَ برَكَتْ ، ومكث الراعي قليلاً ثم أَتَى ناقةً منها فَمَرَى⁴ أَخْلَافَهَا ، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أَتَى الشيخ فسقاه ، ثم أَتَى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز ، ثم أَتَى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجع ناحية ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَرَيْنِ ابني ؟ فقالت : ليس بابنك ! قال : فابن مَنْ ويليكَ ؟ قالت : ابن عروة بن الورد ، قال : ومن أين ؟ قالت : أَتذكر يوم مرَّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ، ووصفته لي بِجَلْدٍ فَإِنِّي استظرفته . قال : فسكت : حتى إذا نَوَمَ وثَبَّ عروة وصاح بالإبل فاقطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاَّ يَتَّبِعَهُ الغلام ، وهو غلام حين بدا شاربه ، فَاتَّبَعَهُ . قال : فاتخذوا⁵ وعالجه . قال : فضرب به الأرض فيقع قائماً ، فتحوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إِنِّي عُرْوَةُ بن الورد ، وهو يريد أن يُعَجِّزَهُ عن نفسه . قال : فارتدع ، ثم قال ما لك ويليكَ ؟ لستُ أَشْكُ أَنَّكَ قد سمعتَ ما كان من أُمِّي ؛ قال قلت : نعم فاذهب معي أنت وأُمُّك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجل فإنه لا ينهاك عن شيء ، قال : الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي ، فإن له حقاً وذماماً ، فإذا هلك فما أَسْرَعَنِي إليك ، وخذ من هذه الإبلَ بغيراً ؛ قلت : لا يكفيني ، إنَّ معي أصحابي قد خَلَّفَتْهُمْ ؛ قال : فثانياً ، قلت لا ؛ قال : فثالثاً ، والله لا زِدْتُكَ على ذلك . فأخذها ومضى إلى

1 الديوان والحماسة : قلت لقوم ... عشية بتنا ، وفي رواية : أقول لأصحاب الكنيف ...

2 الديوان : رغبة .

3 ل : كالخباء .

4 مَرَى أَخْلَافَهَا : مسح ضرعها لتدر .

5 اتَّخَذُوا : تقاتلا .

أصحابه ، ثم إنَّ الغلام لَحَقَّ به بعد هلاك الشيخ . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد زَيَّنَتْهُ عندنا وعظَّمَتْهُ في قلوبنا ؛ قال : فهل أعقَبَ عندكم ؟ قال لا ، ولقد كُنَّا نتشاءم بأبيه ، لأنَّه هو الذي أوقع الحربَ بين عُبَيْسٍ وفزارة بمراهنته حُذيفة ، ولقد بلغني أنَّه كان له ابنُ أَسَنٍّ من عروة فكان يؤثرُه على عروة فيما يعطيه ويُقرُّبه ، فقليل له : أتوتِّر الأَكْبَر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه ! قال : أتروُن هذا الأصغر ؟ لكن بقي مع ما رأى من شدَّة نفسه ليَصِيرَنَّ الأَكْبَر عِيالاً عليه .

صوت

من المائة المختارة¹

[من البسيط]

أزرى بنا أننا شالتْ نعامتنا فخالني دونه بل خِلْتُهُ دوني
فإن تُصيبك من الأيام جائحةٌ لم أبك منك على دنيا ولا دين²

الشعر لذي الإصبع العدواني ، والغناء لِقَيْلٍ مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أزرى بنا : قَصَّر بنا ، يقال : زَرَيْتُ عليه إذا عَيْتَ عليه فَعَلَهُ ، وأزريتُ به إذا قَصَّرْت به في شيء . وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكليتهم ، يقال : شالت نعامتهم ، وزَفَّ رَأْلُهُمْ ، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبقَ فيه منهم أحد ولم يبقَ لهم فيه شيء . وخالني : ظننتي ، يقال : خِلْتُ كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننته . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلت به .

1 هذان البيتان من نونية ذي الإصبع العدواني التي مطلعها :

يا من لقلب شديد الهم محزون أمسى تذكر ليلي أم هارون

وهي المفضلية الحادية والثلاثون ، وقد أوردها القالي كاملة في أماليه 1 : 255 وما بعدها ومنتهى الطلب 3 : 62-63 (طبعة دار صادر) ، وتجد تخريجاً كاملاً لها في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط . 7 ، دار المعارف ، القاهرة) .

2 لم يرد هذا البيت في المفضليات ولا عند القالي ، وسيورد أبو الفرج جانباً كبيراً من القصيدة ليس فيه هذا البيت . وانظر ديوانه (جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي ، الموصل ، 1973) .

[24] - ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره¹

[نسه]

هو حُرثان بن الحارث بن مُحَرِّث بن ثعلبة بن سَيَّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن عَدَوان بن عمرو بن سَعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار ، أحد بني عدوان وهم بطنٌ من جَدِيلَة . شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

[فبيت عدوان فرثاها]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ وابن عَمَّار والأسديّ ، قالوا حَدَّثَنَا الحسن بن عَلِيل العنزيّ قال حَدَّثَنَا أَبُو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال : نَزَلَتْ عدوان على ماء فَأَحْصَوْا فِيهِمْ سَبْعِينَ أَلْفَ غَلامٍ أَغْرَلٌ² سِوَى مَنْ كَانَ مَخْتُونًا لكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ، ثُمَّ وَقَعَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَتَفَانَوْا فَقَالَ ذُو الإصْبَعِ³ :

صوت

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا	نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ ⁴
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا	فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضٍ
فَقَدْ صَارُوا أَحَادِيثَ	بَرَفَعَ الْقَوْلِ وَالْخَفْضِ ⁵
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَا	تُ وَالْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا	سَ بِالسَّنَةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي	فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

1 ترجمة ذي الإصبع العدواني في الشعر والشعراء لابن قتيبة : 597-598 (طبعة دار الثقافة ، بيروت) والمؤتلف والمختلف للأمدي : 118 والسمط : 289 والخزانة : 5 : 282 وما بعدها (تحقيق عبد السلام هارون) والفضلية 29-31 بشرح ابن الأباري (تحقيق ليال) وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون وأمثالي القالي : 1 : 255 وما بعدها ، وأورد ابن حمدون في مواطن متفرقة من التذكرة تنفاً من أخباره وشعره وأمثاله (انظر الفهرس) .

2 أغرل : غير مختون .

3 ديوانه : 46-52 .

4 حية الأرض : يقال للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض .

5 أي أنهم أصبحوا أحاديث للناس في السر والعلن .

غنى في هذه الآيات مالكٌ ثقيلاً ^{أَوَّلَ} بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .
وأما قول ذي الإصبع :

ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي

فإنه يعني عامرَ بنَ الظُّربِ العدواني ، كان حَكَمًا للعرب تَحْتَكِمُ إليه .

[من قرعت له العصا]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال : قيس تدعى هذه الحكومة وتقول : إنَّ عامر بن الظُّرب العدواني هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَع له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده : إنك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحْمَلُ عنك ؛ قال : فاجعلوا لي أَمارةً أعرِفُها فإذا زَعْتُ فسمعتها رجعتُ إلى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدَّامَ بيته ويقعدُ ابنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاع¹ أو هفا قرَع له الجَفَنَة فرجع إلى الصواب . وفي ذلك يقول المتلمّس² :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقرَعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا
قال ابن حبيب : وربيعة تدعى لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمَّام . واليمن تدعى لربيعة بن مُخاشين ، وهو ذو الأعواد ، وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأسود بن يَعْفَرُ :

ولقد علمتُ لَوْ أَنَّ عَلَمِي نَافِعِي أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي أبو دُلْف قال أخبرنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال : زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلتُ عدوان من منزل ، فعُدُّ فيهم أربعون ألفَ غلام أقلف . قال الرياشي وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبي قال : وقع على إِيَّادِ البقِّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بِقَتَانٍ .

[سؤال عبد الملك بن مروان عن ذي الإصبع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدّثني يعقوب بن نَعِيم قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عَصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزياتي ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثني عمر بن شَبَّة ولم يُسنده إلى أحد وروايته أتم : أنَّ عبد الملك بن مروان لما قَدِم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لِعَرْض³ أحياء العرب ، وقال عمر بن شَبَّة : إنَّ مُصعب بن الزبير

1 ل : زَل .

2 راجع ذلك في كتب الأمثال .

3 ل : جعل يعترض .

كان صاحب هذه القصّة ، فقام إليه معبد بن خالد الجدليّ ، وكان قصيراً دميماً ، فتقدّمه إليه رجل منّا حسن الهيئة ؛ قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : مَن أنت ؟ فسكت ولم يقل شيئاً وكان منّا ، فقلتُ من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : من أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان عدوانياً ؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سُمّي ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ فقلت : نهشته حيّة في إصبعه فبيست ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وبم كان يسمّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان يسمّى حرثان ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : من أيّ عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر :

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرُهُمْ
يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أُسَالِمُ ذَلْكَ

وروى عمر بن شبة : لا أسلم . [من الطويل]

فَأَضْحَى كظْهَرِ الْفَحْلِ جُبَّ سَنَامِهِ
يَدِبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحْدَبَ بَارِكََا
فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرَكَنِي وَقَالَ أَنَشِدْنِي قَوْلَهُ : [من المرح]

عذير الحيّ من عدوان

قال الرجل : لستُ أرويه ؛ قلت : يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك ؛ قال : اذنُ مني ، فإنّي أراك بقومك عالمًا ؛ فأنشدته¹ :

[من مجزوء الوافر]

وَلَيْسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ
إِذَا أَبْرَمَ أَمْرًا خَا
يَقُولُ الْيَوْمَ أَمْضِيهِ
عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَا
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَقَدْ صَارُوا أَحَادِيثَ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَا
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي
مِنْ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ
لَهُ يَقْضِي وَمَا يَقْضِي
وَلَا يَمْلِكُ مَا يُمْضِي
نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى بَعْضِ
بَرَفِ الْقَوْلِ وَالْحَفْضِ
تُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ
فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

ومنهم من يُجيزُ النّا سَ بالسُّنةِ والفرضِ
وهم مَن وَلَدُوا أَشْبُوا بسرَّ الحَسْبِ المَحْضِ¹
وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَامِ رُ ذو الطول وذو العرضِ
وهم بَوُوا ثَقِيفاً دا رَ لا ذُلَّ ولا خَفْضِ²

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل علي فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ؛ فانصرفتُ بها . وقوله : «ومنهم من يُجيزُ الناس» فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيّارة أحد بني وابش بن زيد بن عدوان . وله يقول الراجز :

خَلَّوْا السَّبِيلَ عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَرَارَةَ

حَتَّى يُجِيزَ سَالِماً حِمَارَةَ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ يَدْعُو جَارَةَ

قال : وكان أبو سيّارة يُجيزُ الناس في الحج بأن يتقدمهم على حمار ، ثم يخطبهم فيقول : اللهم أصلح بين نسائنا ، وعاد بين رعائنا ، واجعل المال في سُمَحائنا ، أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ، وأَكْرِمُوا جَارَكُمْ ، واقْرُوا ضَيْفَكُمْ ، ثم يقول : أَشْرِقْ ثَبِيرٌ كَيْمَا نَغِيرُ ، وكانت هذه إجازته ، ثم يَنْفِرُ ويتبعه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيبَانِي والكَلْبِي وغيرهما .

[خير بناته الأربع وقد أوردن الزواج]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العَلَيْمِي قال حدثنا محمد بن داود الهشامي قال³ : كان لذي الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فِعَرِضُ ذلك عليهن فَيَسْتَحِينَ ولا يزوجهن ، وكانت أمهن تقول : لو زَوَّجْتَهُنَّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً إلى مُتَحَدِّثٍ لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن : تعالين نتمنى وَلِنَصُدُقْ ، فقالت الكبرى .

[من الطويل]

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ ذَوِي غَنَى حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ وَالْعِطْرِ⁴

طَيِّبٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ⁵

1 أشبوا : جاؤوا بأولاد نجباء أذكىاء .

2 بووا : أنزلوا ، بوأوا .

3 قارن الخبر بما جاء في الكامل للمبرد (تحقيق الدالي) : 679 وما بعدها .

4 والعطر في ل : والنشر .

5 وتر في ل : هجر .

فقلن لها : أَنْتِ تُحِبِّينَ رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية : [من الطويل]

ألا هل أراها ليلةً وضجيجها أشمُ كنصل السيفِ غيرُ مُبَلِّدٍ¹
لصُوقٍ بأكباد النساءِ وأصله إذا ما انتمي من سِرٍّ أهلي ومَحْتَدِي

فقلن لها : أَنْتِ تُحِبِّينَ رجلاً من قومك . فقالت الثالثة : [من الطويل]

ألا لَيْتَهُ يَمْلَأَ الجِفَانُ لَضِيفِهِ له جفنةٌ يَشْقَى بها النَّيْبُ والجُرُ²
له حَكَمَاتُ الدهر من غير كِبَرَةٍ تَشِينُ ولا الفاني ولا الضَّرْعُ الغمُّ³

فقلن لها : أَنْتِ تُحِبِّينَ رجلاً شريفاً . وقلن للصغرى : تَمَنِّي ؛ فقالت : ما أريد شيئاً ؛ قلن : والله لا تَبْرَحِينَ حتى نعلم ما في نفسك ؛ قالت : زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من قُعودٍ⁴ . فلما سمع ذلك أبوهنَّ زوجهنَّ أربعتهنَّ . فمكثنَّ برهةً ثم اجتمعنَّ إليه ، فقال للكبرى : يا بُنَيَّةُ ، ما مَالُكُمْ ؟ قالت : الإبل ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها مُرعاً ، ونشرب ألبانها جُرْعاً ، وتحملنا وضعيفنا معا ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحليلة ، ويُعطي الوسيلة⁵ ؛ قال : مالٌ عَمِيمٌ وزوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بُنَيَّةُ ما مَالُكُمْ ؟ قالت : البقر ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألف الفِئَاءُ ، وتودَّك⁶ السَّقاءُ ، وتملأُ الإِنَاءُ ، ونساءٌ في نساء ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ويتنسى فضله ؛ قال : حَظِيظٍ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مَالُكُمْ ؟ قالت : المعزى ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نُولدها فطُماً ، ونسلخها أَدَمًا ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخیل الحَكِيرُ⁷ ولا بالسَّمْحُ البَذِيرُ ، قال : جَدَّوْى مُغْنِيَةٍ . ثم قال للرابعة : يا بُنَيَّةُ ، ما مَالُكُمْ ؟ قالت : الضَّئَانُ ؛ قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شرٌّ مال ، جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ ، وهِيَمٌ⁸ لا يَنْقَعْنَ ، وَصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ ، وأمرٌ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتَّبَعْنَ⁹ ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرٌّ

1 ليلة في ل : مرة .

2 لضييفه في ل : فدية .

3 حكمات الدهر في ل : محكمات الشيب . الضرع الغمر : الضعيف غير المجرب .

4 انظر المثل رقم 1729 عند الميداني وقد نقل في خبره ما جاء في الكامل .

5 الوسيلة : ما يتقرَّب به إلى الغير .

6 تودَّك : تجعل فيه الودك وهو الدسم .

7 الحكر : المستبد ، وفي ل : الخَرَّ .

8 أي عظيمات الأجدا ف لا يشبعن وشديدات العطش لا يروين .

9 أمر مغوياتهن يتبعن : يتبعن المتقدمة منهن فإذا سقطت في ماء أو وحل تبعها الباقي .

زوج ، يُكْرِم نفسه ويُهين عِرسه ؛ قال : «أشبه امرأ بعضُ بَرَّة»¹ .

وذكر الحسن بن عُليل العنزيّ في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضّادّيّة إلّا الأبيات التي أنشدّها وأنّ سائرّها منحول .
[خرف وأهتر وقال في ذلك شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحزَنبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : عُمَرُ ذُو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خَرِفَ وأهتر وكان يفرّق ماله ، فعذّله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده ؛ فقال في ذلك² :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَعْدُو مُصَمِّمًا جَدْعًا³
فليس فيما أصابني عَجَبٌ إِنْ كُنْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ أَوْ صَلَعًا
وَكُنْتُ إِذْ رَوْنَقُ الشَّبَابِ بِهِ مَاءَ شَبَابِي تَخَالَهُ شَرَعًا
وَالْحَيُّ فِيهِ الْفَتَاةُ تَرْمُقُنِي حَتَّى مَضَى شَأُو ذَاكَ فَاَنْقَشَعَا⁴

صوت

[من المنسرح]

إِنِّكَمَا صَاحِبِي لَمْ تَدْعَا لَوَمِي وَمَهْمَا أَضِيقُ فَلَنْ تَسْعَا⁵
لَمْ تَعْقِلَا جَفْوَةً عَلَيَّ وَلَمْ أَشْتُمْ صَدِيقًا وَلَمْ أَتْلُ طَبْعًا⁶
إِلَّا بَأْنَ تَكْذِيبًا عَلَيَّ وَمَا أَمْلِكُ أَنْ تَكْذِيبَا وَأَنْ تَلْعَا⁷

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسَّبَابَةِ والبِنْصَرِ عن يحيى المَكِّيّ ، والآخر ثقيلٌ أوَّلُ عن الهشاميّ .

[من المنسرح]

1 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (إعداد إحسان عباس ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981) : 701 .

ويروى أيضاً «أشبه امرؤ بعضَ بَرَّة» .

2 انظر ديوان : 55-63 والمفضليّة 29 .

3 الجذع : الحدث الناشئ .

4 انقشعا في ل : فانقطعا .

5 لم في ل والمفضليات : لن . أضيق في ل والمفضليات : أضع . يعني : أنهما لا يستطيعان الإحاطة بما يضيع منه ، أي أنهما يعجزان عن بلوغ مبلغه أو القيام مقامه .

6 في المفضليات : لن تعقلا جفرة عليّ ولن أوذ نديماً ولم أنل طبعاً

الطبع : هو الدنس أو العيب .

7 تلعا : تكلنبا .

وَأَنَّنِي سَوْفَ أَبْثِدِي بَنَدَى يَا صَاحِبِيَّ الْغَدَاةَ فَاسْتَمِعَا
ثُمَّ سَلَا جَارَتِي وَكَيْتَهَا هَلْ كُنْتُ فِيمَنْ أَرَابَ أَوْ خَدَعَا¹
أَوْ دَعَتَانِي فَلَمْ أُجِبْ ، وَلَقَدْ تَأْمَنَ مِنِّي حَلِيلَتِي الْفَجْعَا
أَبَى فَلَا أَقْرَبَ الْخِيَاءِ إِذَا مَا رُبُّهُ بَعْدَ هَذَا أَهْجَعَا
وَلَا أُرُومَ الْفَتَاةَ زَوَّرَتْهَا إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَلِيلُ أَوْ شَسَعَا²
وَذَاكَ فِي حِقْبَةٍ خَلَتْ وَمَضَتْ وَالْدَهْرُ يَأْتِي عَلَى الْفَتَى لَمَعَا³
إِنْ تَزْعُمَا أَنَّنِي كَبِرتُ فَلَمْ أَلْفَ ثَقِيلًا نَكْسًا وَلَا وَرَعَا
إِمَّا تَرَيَّ شَيْكَتِي رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ فَقَدْ أَحْمِلُ السَّلَاحَ مَعَا

أبو سعد : ابنه ، ورُميحٌ : عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يُطَاعِنُهُمْ بها كالرُمح ،
فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها .
[من المنسرح]

السَّيْفُ وَالرَّيْحُ وَالْكِنَانَةُ قَدْ أَكْمَلْتُ فِيهَا مَعَالِيًا صُنْعَا⁴
وَالْمُهْرُ صَافِي الْأَدِيمِ أَصْنَعُهُ يَطِيرُ عَنْهُ عِفَاؤُهُ قَزَعَا⁵
أَقْصِرُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَرْدَعُهُ حَتَّى إِذَا السَّرْبُ رِيحَ أَوْ فَرَعَا
كَانَ أَمَامَ الْجِيَادِ يَقْدُمُهَا يَهْزُ لَدْنًا وَجُوجُوا تَلْعَا⁶
فَغَامَسَ الْمَوْتَ أَوْ حَمَى ظُعُنَا أَوْ رَدَّ نَهْبًا لِأَيِّ ذَاكَ سَعَى⁷

[وصيته لابنه عند موته]

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له : يا بُنَيَّ ، إنَّ أباك قد فني وهو
حيٌّ وعاش حتَّى سَمِعَ العِش ، وَأَنَّنِي مُوصِيكَ بِمَا إِنَّ حِفْظَتَهُ بَلَّغَتْ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَّغَتْهُ ، فاحفظ
عَنِّي : أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ بِحَبْوِكَ ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يُطِيعُوكَ ، ولا
تَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ ؛ وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يَكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ وَيَكْثُرُ عَلَى

1 خَدَعَا فِي ل : قَدَعَا .

2 شَسَعَ : بَعَدَ .

3 لَمَعَا : أَلَوْنَا .

4 رَوَايَةُ الْمُفَضَّلِيَّاتِ : السَّيْفُ وَالرَّيْحُ وَالْكِنَانَةُ وَالْجَبَلُ جِيَادًا مَحْشُورَةً صَنَعَا

وَالْمَعَالِبُ : جَمْعُ مَعْبَلَةٍ وَهِيَ نَصْلٌ عَرِيضٌ طَوِيلٌ . وَصَنَعَ : جَمَعَ صَنِيعٌ وَهُوَ الْمَجْرِبُ الْمَجْلُوبُ .

5 الْعِفَاءُ : الشَّعْرُ الطَّوِيلُ وَالْقَزَعُ : الْقَطْعُ الْمَتَفَرِّقَةُ .

6 الْجُوجُ : الصَّدْرُ . وَتَلَعَ : مَنِبَسَطٌ .

7 غَامَسَ الْمَوْتَ : وَرَدَهُ .

مودتكَ صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعين من استعان بك ،
وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن
مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سودك ؛ ثم أنشأ يقول¹ :

أأسيدُ إن مالا ملك ستَ فسيرَ به سيراً جميلاً
آخر الكرام إن استطع ستَ إلى إخوانهم سيلاً
واشرب بكأسهم وإن شربوا به السُّمِّ الثميلة
أهين اللُغام ولا تكن لإخوانهم جملاً ذلولاً
إن الكرام إذا تُوا خيهم وجدت لهم فضولاً²
ودع الذي يعد العشى رة أن يسيل ولن يسيل
أبني إن المال لا يبكي إذا فقد البخيل

صوت

[من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إن أزمعت من بليد إلى بليد رحيلاً
فاحفظ وإن شحط المزأ رُ أخوا أخيك أو الزميلة³
واركب بنفسك إن همم ستَ بها الخزونة والسهولة
وصلد الكرام وكُن لمن ترجو مودته وصولاً

الغناء للهندي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو :

[من مجزوء الكامل]

ودع التواني في الأمور ر وكن لها سلساً ذلولاً
وابسط يمينك بالندی وامدذ لها باعاً طويلاً
وابسط يدك بما ملكت ستَ وشيد الحسب الأثيلاً
واعزِم إذا حاولت أم راً يفرجُ همَّ الدخيلة
وابذل لضيفك ذات رخ ليك مكرماً حتى يزولا⁴
واحل على الأيفاع لل عافين واجتنب المسيلة

1 ديوانه : 72-74 .

2 فضولاً في ل : قبولاً .

3 الزميل : الرفيق في السفر .

4 الرجل هنا : المثنوى والمنزل .

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ يَوْمًا وَأَرَعَدَتْ الْخَصِيلا¹
 فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْثِ خَضً سَبَّ مِنْ فَرِيستِهِ التَّلِيلَا²
 وَانْزِلْ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا أَبْطَالُهَا كَرِهُوا النِّزُولَا
 وَإِذَا دُعِيَتْ إِلَى الْمُهْ سَمَّ فَكُنْ لِفَادِحِهِ حَمُولَا

[استنشد معاوية قيساً شعره وزاد في عطائه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُتبي قال : جرى بين عبد الله بن الزبير وعُتْبَةَ بن أبي سُفيان لِحاء بين يدي معاوية ، فجعل ابن الزبير يَعْدِلُ بكلامه عن عُتْبَةَ وَيُعَرِّضُ بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك ، فالتفت إليه معاوية متمثلاً وقال³ : [من الطويل]

ورام بعُورانِ الكلام كأنها نوافِرُ صُبْحٍ نَفَرَتْهَا المراتع⁴
 وقد يَدْحَضُ المرءُ الموارِبُ بالخنا وقد تُدْرِكُ المرءَ الكريمَ المصانع⁵

ثم قال لابن الزبير : مَنْ يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع ؟ فقال : أترويه ؟ قال لا ؛ فقال : مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرويه يا أمير المؤمنين ؛ فقال أنشدني ؛ فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعِ برجليه لآخرَ قاعدٍ ومُعْطٍ كريمٍ ذو يسارٍ ومانعٍ
 وبانٍ لأحسابِ الكرامِ وهادمٍ وخافضٍ مولاه سَفاهاً ورافعٍ
 ومُنْغِضٍ على بعضِ الخطوبِ وقديدت له عَوْرَةٌ من ذي القراية ضاجعٍ
 وطالبِ حُوبٍ باللسانِ وقلْبِهِ سيوى الحقَّ لا تَخْفَى عليه الشرائع⁶

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبَةَ .

[شعره في ابن عمه وقد عاداه]

قال أبو عمرو : وكان لذي الإصبع ابن عمٍ يُعاديهِ فكان يَتَدَسَّسُ إلى مكارِهِهِ وَيَمْشِي به إلى أعدائِهِ وَيُوَلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمِّهِ وَيَغِيهِ عندهم شراً ؛ فقال فيه ، وقد أنشدنا

1 أرعدت الخصيل : جعلت الأوصال ترجف من الخوف .

2 التليل : العنق .

3 ديوانه : 66-67 .

4 عوران الكلام : ما تنفيه الأذن .

5 يدحض : يزل .

6 سوى الحق : وسطه أي أن قلبه ملازم للحق .

الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والأحول السُّكْرِي¹ :

[من مجزوء الكامل]

يا صاحِبِي قِفَا قَلِيلَا	وَتَخَبَّرَا عَنِّي لَمِيسَا
عَمَّنْ أَصَابَتْ قَلْبَهُ	فِي مَرَّهَا فَعَدَا نَكِيسَا ²
وَلِيَّ ابْنُ عَمٍّ لَا يَزَا	لِإِلَيَّ مُنْكَرُهُ دَسِيسَا
دَبَّيْتُ لَهُ فَأَحْسَّ بَعْدَ	الْبُرْءِ مِنْ سَقَمٍ رَسِيسَا ³
إِمَّا عَلَانِيَةً وَإِمَّا	لَا مُخْمَرًا أَكْلًا وَهَيْسَا ⁴
إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي أَبِي	كَ يَحْمَجُونَ إِلَيَّ شُوسَا ⁵
حَقَقًا عَلَيَّ وَلَنْ تَرَى	لِي فِيهِمْ أَثَرًا بَيْيسَا
أَنْحُوا عَلَى حُرِّ الْوَجُو	هِ بِحَدِّ مِثْشَارٍ ضُرُوسَا ⁶
لَوْ كُنْتُ مَاءً لَمْ تَكُنْ	عَذْبَ الْمَذَاقِ وَلَا مَسُوسَا ⁷
مِلْحًا بَعِيدَ الْقَعْرِ قَدْ	فَلَّتْ حَجَارَتُهُ الْفُؤُوسَا
مَنَّاغُ مَا مَلَكَتْ يَدَا	كَ وَسَائِلُ لَهُمْ نُحُوسَا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ، وليس من شعر ذي الإصبع

ولكنه يشبه معناه :

[من الرجز]

لَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ غَيْرَ عَذْبٍ	أَوْ كُنْتُ سَيْفًا كُنْتُ غَيْرَ عَضْبٍ
أَوْ كُنْتُ طَرَفًا كُنْتُ غَيْرَ نَدْبٍ	أَوْ كُنْتُ لَحْمًا كُنْتُ لَحْمَ كَلْبٍ ⁸

قال : وفي مثله أنشدنا :

[من الرجز]

لَوْ كُنْتُ مُخَاً كُنْتُ مُخَاً رِيْرَا	أَوْ كُنْتُ بَرْدًا كُنْتُ زَمْهَرِيرَا ⁹
أَوْ كُنْتُ رِيْحًا كَانَتْ الدُّبُورَا	

1 ديوانه : 42-44 .

2 نكيس : مريض .

3 الرسيس : أول الحمى .

4 مخمراً : متسترأ . والأكل الوهيس : الشديد .

5 يحمجون : يديمون النظر . الشوس : النظر بمؤخر العين تغيظاً .

6 الميثار : لغة في المنشار .

7 المسوس : الماء بين العذب والمالح .

8 طرف ندب : حصان نشيط .

9 مخ ريرا : أي فاسد من الهزال .

[سبب تفرق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو : وكان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانوا : أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانية نفر ، فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف ، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سينان بن جابر ، وتفرقوا على حرب . وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً ، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك ، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم ، وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بني عيس بن ناج ، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال : قد قتل من ثمانية نفر فقبلنا الدية وقُتل منكم رجل فاقبلوا ديته ؛ فأبيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطّعوا . فقال ذو الإصبع في ذلك¹ :

[من الطويل]

ويا بُؤْسَ للأيام والذهرِ هالِكَا	وصرفِ الليالي يَخْتَلِفْنَ كذَلِكَا
أبعدَ يني ناجٍ وسَعِيكَ فيهِمْ	فلا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ ما كان هَالِكَا
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم	يقولُ مريرٌ لا أحوِلُ ذَلِكَا
فأضحوا كظهر العودِ جُبَّ سَنَامُهُ	تحومُ عليه الطيرُ أَحَدَبَ بارِكَا ²
فإن تكِ عدوانُ بن عمرو تفرقت	فقد غَيَّيتُ دَهراً ملوكاً هَالِكَا

[قصيدته النونية]

وقال أبو عمرو : وفي مرير بن جابر يقول ذو الإصبع ، وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور ، وأولها³ :

[من البسيط]

يا مَنْ لقلبٍ شديدٍ لهمْ محزونٍ	أمسى تَذَكَّرَ رَيًّا أمْ هَارُونُ ⁴
أمسى تَذَكَّرَهَا مِنْ بعد ما شَحَطْتُ	والدَّهْرُ ذو غِلْظٍ حيناً وذو لين ⁵

1 ديوانه : 69-70 .

2 تحوم عليه الطير في ل : يدب إلى الأعداء .

3 هذه هي النونية التي منها المفضلية 31 وفي حاشية طبعة شاكر وهارون تخريج كامل لها وقد أوردها القالي في

الأمالى كاملة 1 : 255-257 ، وانظر ديوانه : 88-98 .

4 الأمالى : طويل البث .

5 غلط في ل والأمالى : غلظة .

فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً
فقد غنينا وشمل الدار يجمعنا
نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم
ولي ابن عم على ما كان من خلتي
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا
لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي
ولا ترى في غير الصبر منقصة
لولا أواصر قربي لست تحفظها
إذا برئتك برياً لا انجبار له
إن الذي يقبض الدنيا ويسطها
الله يعلمكم والله يعلمني
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمة
لو تشربون دمي لم يزو شاربكم
ولي ابن عم لو أن الناس في كيدي
يا عمرو إن لا تدغ شتمي ومنقصتي
كل امرئ صائر يوماً لشيئته
إني لعمرك ما بابي بذني غلتي

وأصبح الولي منها لا يواتيني¹
أطيع رياً ورياً لا تعاصيني
بخالص من صفاء الود مكنون²
مختلفان فأقلبه يقلبني
فخالني دونه بل خلته دوني
شيعاً ولا أنت ديانتي فتخزوني³
ولا بنفسك في العزاء تكفيني⁴
فإن ذلك مما ليس يشجيني
وما سواه فإن الله يكفيني
ورهبته الله في مولى يعاديني
إني رأيتك لا تنفك تبريني
إن كان أغناك عني سوف يغنيني
والله يجزيكم عني ويجزيني⁵
ألا أحبكم إن لم تحبوني
ولا دماؤكم جمعاً ترويني
لظل محتجراً بالنبل يرميني⁶
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني⁷
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
عن الصديق ولا خيري بممنون

1 الولي : القرب وفي الأمالي : الولي وهو الودع .

2 بخالص في الأمالي : بصادق .

3 دانه : قهره .

4 العزاء : السنة الشديدة .

5 الشطر الأول رواية الأمالي : الله يعلمني والله يعلمكم .

6 محتجز : شاد مثززه كناية عن النهي .

7 حتى في الأمالي : حيث . كانت العرب تزعم أن القتيل الذي لم يؤخذ بثأره تصيح روحه عند قبره « اسقوني ! » وتطير عندما يدرك بثأره .

ولا لسانِي على الأدنى بمنطلق
لا يُخْرِجُ القَسْرُ مِنِّي غيرَ مَغْضِيَةٍ
وأنتُمْ مَعَشَرُ زَيْدٍ على مائةٍ
فإن علمتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فانطلقوا
يا رَبِّ ثوبٍ حواشيه كأوسطه
يوماً شَدَدْتُ على فَرْغَاءٍ فاهقةٍ
ماذا عليّ إذا تدعونني فَرَعاً
وكنْتُ أُعْطِيكُمْ مالي وأمنحكم
يا رَبِّ حَيٍّ شَدِيدِ الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ
رَدَدْتُ باطلَهُمْ في رَأْسِ قَائِلِهِمْ
يا عَمْرُو لو كنْتُ لي الْفَيْتِي يَسْراً
[قصيدته في رثاء قومه]

قال أبو عمرو : وقال ذو الإصبع يرثي قومه :

[من الهزج]

وليس المرء في شيء
إذا يفعل شيئاً خا
جديداً العيش ملبوساً
وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدماً في صدر هذه الأخبار ، وتامها :
وأمر اليوم أصلحه
فبينما المرء في عيش
أتاه طبق يوماً
ولا تعرّض لما يمضي
له من عيشة خفض
على مرّقة دحض⁷

1 مفضية في الأمالي : مأية .

2 غييم في الأمالي : جهلتم .

3 فرغاء : طعنة واسعة ، والفاهقة هي التي تنهق بالدم أي تنصب .

4 وكنْتُ في الأمالي : قد كنْتُ .

5 ذعرت في الأمالي : دعونهم .

6 خصوصاً في الأمالي : جميعاً .

7 طبق : شدة .

وهم كانوا فلا تُكذَّب ذوي القوّة والنهض
وهم إن ولّدوا أشبوا بسير الحسب المخض
لهم كانت أعالي الأر ض فالسران فالعرض¹
إلى ما حازه الحزن فما أسهلّ للحمض
إلى الكفرين من نخل لة فالداءة فالعرض²
لهم كان جمام³ الما ء لا المزجي ولا البرض⁴
فكان الناس إذ همّوا ييسر خاشع مغضي
تنادوا ثم ساروا برئيس لهم مرضي
فمن ساجلهم حرباً فقي الخيبة والخفض
وهم نالوا على الشنا ن والشحناء والبغض
معالي لم ينلها النا س في بسط ولا قبض

[شعر أمانة بنت ذي الإصبع]

قال أبو عمرو : قالت أمانة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها : [من السريع]

كم من فتى كانت له مئعة أبلج مثل القمر الزاهر⁵
قد مرّت الخيل بحافاته كمر غيث لجب مطر
قد لقيت فهم وعدوانها قتلاً وهلكاً آخر الغابر
كانوا ملوكاً سادة في الذرى دهرأ لها الفخر على الفاجر
حتى تساقوا كأسهم بينهم بغياً فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يحلّل بأوطانهم يحلّل برسم مفقر دائر

[شعره في الكبير]

قال أبو عمرو : ولأمانة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال : [من الكامل]

1 العرض : واد باليمامة . وكلّ واد فيه قرى ومياه : عرض .

2 الداءة : جبل نواحي مكة . وفي ل : الدارة .

3 جمام الماء : كثيرة .

4 المزجي والبرض : الماء القليل .

5 مئعة الشباب : أوله .

وَتَذَكَّرَتْ إِذْ نَحْنُ مِنَ الْفَتَيَانِ	جَزَعَتْ أَمَامَهُ أَنْ مَشَيْتُ عَلَى الْعَصَا
إِرْمَاءَ وَهَذَا الْحَيِّ مِنْ عَذْوَانِ	فَلَقَبْتُ مَا رَامَ إِلَالَهُ بِكَيْدِهِ
طَافَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ بِأَوَانِ	بَعْدَ الْحُكُومَةِ وَالْفُضَيْلَةِ وَالنُّهَى
وَتَبَدَّدُوا فِرْقًا بِكُلِّ مَكَانِ	وَتَفَرَّقُوا وَتَقَطَّعَتْ أَشْلَاؤُهُمْ
وَالذَّهْرُ غَيْرُهُمْ مَعَ الْحِدْثَانِ	جَدَبَ الْبِلَادُ فَأُعْقِمَتْ أَرْحَامُهُمْ
صَرَغَى بِكُلِّ نُقَيْرَةٍ وَمَكَانِ	حَتَّى أَبَادَهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ
فَالذَّهْرُ غَيْرُنَا مَعَ الْأَزْمَانِ	لَا تَعْجِزُ أُمَامُ مِنْ حَدَثِ عَرَا

[25] - ذكر قيل مولى العبلات

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك : أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يحيى قيل عبداً للثريا ورَضِيّاً وأخواتهما بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر بن عبد شمس مَوَلِيَّاتِ الغريض .

قال وحدثني حماد قال حدثني أبي قال حدثني ابن أبي جناح قال حدثنا مقاحف بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدثني هشام بن المُرِّيَّة ، وهي أُمّه ، وهو مولى بني مخزوم ، قال : كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العبلات ، وله من الغناء¹ : [من الطويل]

صوت

وأخرجتها من بطن مكة بعد ما أصاتَ المنادي للصلاة وأعتما
فمرت ببطن الليث تهوي كأنما تُبادِرُ بالإصباح نهياً مُقسماً²
والشعر لأبي دَهْلٍ الجُمَحِيّ . وأوّل هذه القصيدة :
ألا علقَ القلبُ المتيمّ كلّما

[أبو دهل الجمحي]

وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكّار قال حدثني يحيى بن المقداد الزُمَعِيّ قال حدثني عمي موسى بن يعقوب الزُمَعِيّ قال أنشدني أبو دَهْلٍ الجُمَحِيّ لنفسه³ : [من الطويل]

ألا علقَ القلبُ المتيمّ كلّما لجوجاً ولم يلزمَ من الحبّ ملزماً
خرجتُ بها من بطن مكة بعد ما أصاتَ المنادي للصلاة وأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزتُ بي يَلَمَلَمًا⁴
ومرتُ ببطن الليث تهوي كأنها تُبادِرُ بالإدلاج نهياً مُقسماً

1 البيتان لأبي دهل الجمحي وسيردان عمّا قليل في قصيدته . وسيرجم أبو الفرج فيما بعد في الأغاني لأبي دهل ، وسيرورد القصيدة بصورة أتم . لاحظ اختلاف الرواية في الصفحة الواحدة .

2 الليث : واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو هو موضع في الحجاز (ياقوت) .

3 ديوان أبي دهل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، ط10 ، النجف ، 1972) : 106-109 .

4 يللم : موضع قريب من مكة وهو ميقات أهل اليمن .

أجازت على البزواء والليل كاسر
فما ذرّ قرن الشمس حتى تبيّنت
ومرّت على أشطان دومة بالضحى
وما شربت حتى ثنيت زمامها
فقلت لها قد تعت غير ذميمة
جناحين بالبزواء وزدا وأذهما¹
يعلّب نخلأ مشرفاً ومخيماً²
فما خزرت للماء عيناً ولا فما
وخفت عليها أن تحز وتكلما
وأصبح وادي البرك غيثاً مديماً³

قال فقلت له : يا عمّ ما كنت إلا على الريح ! فقال : يا ابن أخي إن عمك كان إذا همّ فعل ،
وهي العجاجة ، أما سمعت قول أخي بني مرة⁴ :

إذا أقبلت قلت مشحونة
وإن أدبرت قلت مدعورة
وإن أعرضت خال فيها البصير
يدأ سرحاً مائراً ضبعها
فمرّت على كشب غدوة
تخبّط بالليل جزأه
أقلت لها الريح قلعا جفولا⁵
من الرمد تتبع هيقاً ذمولا⁶
ر ما لا يكلفه أن يفيلا⁷
تسوم وتقدّم رجلاً زجولا⁸
ومرّت فويق أريك أصيلا⁹
كخبّط القوي العزيز الذليلا¹⁰

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني ابن أصبغ السلمي قال : جاء إنسان
يُغنّي إلى عيَّاش المنقريّ بالعقيق فجعل يُغنّيهِ قول أبي ذهل :

ألا علق القلب المتيمّ كلثما

1 البزواء : موضع في طريق مكة قرب الجحفة .

2 عليّ : موضع بتهامة .

3 تعت في ل : بعث . وادي البرك : ناحية باليمن .

4 المقصود بشامة بن عمرو الغدير والأبيات من المفضلية العاشرة وبين الروايتين بعض اختلاف .

5 القلع : الشراع ، وفي ل : خلعا .

6 الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد مائل إلى الرمادي ، والهيّ : ذكر النعام ، والذمول : المسرع .

7 يقيّل : يخطيء .

8 الشطر الأول في ل : يدي سرح مائر ضبعها . ومائر ضبعها : أي سريعة حركة القوائم . وتسوم : تمرّ مرّاً سهلاً . والزجول : التي تدفع نفسها .

9 ل : بذى خشب ، وهو موضع قرب المدينة ، وكشب : جبل ممّا يلي حدود اليمن . أريك : جبل في بلاد اليمن مرة ، وقيل سميّ بذلك لكثرة شجر الأراك فيه .

10 حزان (بكسر الحاء وضمتها) : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض .

وجعل يعيده فلما أكثر قال له عيَّاش : كم تُنذِرُ بالعجز عافاك الله ! اسم أمي كلثم ، قال :
وتسمعُ العجز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه¹ :

أزرى بنا أننا شالَتْ نعامتنا فخالني دونه بل خِلته دوني
فإن تُصَبِّك من الأيام جائحة لا نَبِكُ منك على دنيا ولا دين
[وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب] .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

لِي ابنُ عمٍّ على ما كان من خلقي مختلفانِ فأقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَخْزُونِي
غَنَى في هَذينِ البيتينِ الهذليَّ ثانيَّ ثَقِيلٍ بالوسطى .
وقد عَجِبْتُ وما في الدَّهْرِ من عَجَبٍ يَدُ تَشْجُ وأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يُحِزُّ بِكَ ضَعْفُهُ يوماً فتدْرِكَه العواقبُ قد نَمَّا
يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عَلَيْكَ وإنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بما فعلتَ فقد جَزَى
عَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ ، الشعرُ لَغَرِيضٍ² الْيَهُودِيَّ وهو السموألُ بن عادِياء ، وقيل إنَّه لابنُه
سَعْيَةُ³ بن غَرِيض ، وقيل إنَّه لزيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ ، وقيل إنَّه لورْقَةَ بن نُوفَلٍ ، وقيل إنَّه
لزُهَيْر بن جَنَاب ، وقيل إنَّه لعامر بن المجنون الجَرْمِيَّ الذي يقال له : مَدْرَجُ الرَّيْح ، والصحيح
أنَّه لَغَرِيض أو لابنُه .

1 تقدّمت الأبيات في ترجمة ذي الإصبع العدواني .

2 ضبط غريض في المصادر المختلفة هكذا بالغين على وزن فَعِيل ، وبالعين على الوزن نفسه وعلى التصغير . وقول أبي الفرج إن غريض هو السموأل بن عادِياء مستغرب ، فهو يذكر السموأل في ترجمته بأنَّه ابن غَرِيض بن عادِياء .

3 سعية بن غريض تسميه بعض المصادر سعة بالنون (انظر الإصابة 3 : 94) ويقال سعية بالشين (المؤتلف : 211) .

26 - [خبر غريض اليهودي]

[نسبه وأصل قومه]

وغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران عليه السلام ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجهه جیشاً إلى العماليق وكانوا قد طَفَّوْا وبلغت غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفَرُوا بهم أن يقتلوهم أجمعين ، فظَفَرُوا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابنٍ للملكهم كان غلاماً جميلاً فرجَموه واستبقوه ، وقَدِمُوا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غيرَ البلد الذي ظَفَرْنَا به وقتلنا أهلَه ؛ فرجعوا إلى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج إياها عند وقوع سيل العرم باليمن ، فمن هؤلاء اليهود قُرَيْظَةُ والنَضِيرُ وبنو قَيْنِقَاع وغيرهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأتَّهم ليسوا من العرب فتَدَوَّنَ العرب أنسابهم إنما هم حلفاؤهم ، وقد شَرَحْتُ أخبارهم وما يُغْنِي به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله ، وكان أبوه على الميضاة بالمدينة فعُرف بذلك ، وهو يسير الصناعة ليس ممن خَدَمَ الخلفاء ولا شُهِرَ عندهم شهرة غيره . وهذا الغناء ماخوري بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقليل بالبنصر .

[نسب له شعر هو لورقة بن نوفل]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُ بِكَ ضَعْفُهُ لَغَرِيزِ الْيَهُودِي

[تمثّل عائشة أمام رسول الله بشعر نزل بمعناه الوحي]

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمّل بن عبد الرحمن الثَّقَفِيّ قال حدثني سهل بن المغيرة عن الزُّهْرِيّ عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أتمثّل بهذين البيتين :

[من الكامل]

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا

1 في نسبة هذين البيتين وتمثّل عائشة بهما وما قاله لها النبي ﷺ انظر الشعر والشعراء 296 والعقد 1 : 279 / 5 : 275 (لزهير بن جناب) وفيهما «فتدركه عواقب ما جنى» وفصل المقال : 207 (دون نسبة) والسمط : 206 وحماسة البحري : 252 والخزانة 3 : 393 (ورقة بن نوفل) وروايتها جميعاً كراوية الأغاني : ومودى قول النبي لعائشة على اختلاف اللفظ أنّ من شكر الناس صنيعهم فقد كافأ ومن لم يشكرهم لم يشكر الله .

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى
 فقال ﷺ : «رُدِّي عَلَيَّ قَوْلَ الْيَهُودِيِّ قَاتِلَهُ اللَّهُ ؛ لقد أَتَانِي جَبْرِيلُ بِرِسَالَةٍ مِنْ رَبِّي : أَيُّمَا
 رَجُلٍ صَنَعَ إِلَى أَخِيهِ صَنِيعَةً فَلَمْ يَجِدْ لَهُ جِزَاءً إِلَّا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالِدَعَاءَ لَهُ فَقَدْ كَافَاهُ» .
 قال أبو زيد : وقد حَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَوْرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ ،
 وَقَدْ ذَكَرَ الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ أَيْضاً أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَوْرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ وَذَكَرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي قَصِيدَةٍ
 أَوَّلَهَا :

رَحَلَتْ قُتَيْلَةً عَيْرَهَا قَبْلَ الضَّحَى	وَإِخَالَ أَنْ شَحَطْتَ بِجَارَتِكَ النَّوَى
أَوْ كُلَّمَا رَحَلَتْ قُتَيْلَةً غُدُوَّةً	وَعَدَّتْ مُفَارِقَةً لَأَرْضِهِمْ بَكَى
وَلَقَدْ رَكِبْتُ عَلَى السَّفِينِ مُلْجِجاً	أَذْرُ الصَّدِيقَ وَأُنْتَحِي دَارَ الْعِدَا
وَلَقَدْ دَخَلْتُ الْبَيْتَ يُخْشَى أَهْلُهُ	بَعْدَ الْهَدُوءِ وَبَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدَى
فَوَجَدْتُ فِيهِ حُرَّةً قَدْ زُيِّنَتْ	بِالْحُلِيِّ تَحْسَبُهُ بِهَا جَمَرُ الْغَضَا
فَنَعِمْتُ بِالْأَلَا إِذْ أَتَيْتُ فِرَاشَهَا	وَسَقَطْتُ مِنْهَا حِينَ جِئْتُ عَلَى هَوَى
فَلَيْتَكَ لَذَاتُ الشَّبَابِ قَضَيْتُهَا	عَنِّي فَسَائِلُ بَعْضِهِمْ مَاذَا قَضَى
فَرَجَ الرَّبَابِ فَلَيْسَ يُوْدِي فَرَجَهُ	لَا حَاجَةً قَضَى وَلَا مَاءَ بَغْيِ
فَارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزُنُكَ بَكَ ضَعْفُهُ	يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ	أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

[27] - ذكر ورقة بن نوفل ونسبه¹

[نسبه]

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأمّه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي .
وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح
الأوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غير
ارفع ضعيفك ...
صوت

[من الكامل]

ولقد طرقت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدت فيه حُرّة قد زينت بالحلّي تحسبه بها جمر الغضا
الشعر لورقة بن نوفل ، والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقل الأول بالخنصر في
مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري
عن عروة بن الزبير قال : سئل رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : « قد رأيته في
النام كأنّ عليه ثياباً بيضاً فقد أظنّ أنّ لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض » . قال الزبير وحدثنا
عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عائشة : أنّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي ﷺ
حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ
تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب² العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن
يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت خديجة : أي ابن عمّ ، اسمع من ابن أخيك ؛ قال
ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس
الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ يا ليتني فيها جذع³ ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك
قومك ؛ قال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم » قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما
جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك لأنصرك نصرًا مؤزراً ، ثم لم ينشأ ورقة أن توفي .

1 انظر سيرة ابن هشام 1 : 222 وما بعدها وخزانة الأدب : 3 : 389 وما بعدها وتاريخ الطبري 2 : 292 (أبو
الفضل إبراهيم) .

2 الكتاب : مصدر أي الكتابة العبرانية .

3 جذع : شاب حدث .

[رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً]

قال الزبير حدثني عثمان عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال عروة : كان بلالٌ لجارية من بني جُمَح بن عمرو ، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء ليُشرك بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول : أحدٌ أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ؛ والله لئن قتلتموه لاتخذنه حناناً¹ كأنه يقول : لأتمسّحن به . وقال ورقة بن نوفل في ذلك² : [من البسيط]

لقد نصحت لأقوامٍ وقلت لهم	أنا النذيرُ فلا يغرزكم أحدٌ
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم	فإن دعوكم فقولوا بيننا حدٌ ³
سبحان ذي العرش سبحانه نعوذ به	وقبل قد سبّح الجودي والجمد ⁴
مُسخر كل ما تحت السماء له	لا ينبغي أن يناوي ملكه أحدٌ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويؤدي المال والولد ⁵
لم تغر عن هُرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عادّ فما خلدوا
ولا سليمان إذ دان الشعوب له	والجن والإنس تجري بينها البرد ⁶

[مدحه النبي ونهى عن سبه]

قال الزبير حدثني عمي قال حدثنا الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة : أن رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : « شعرت أنني قد رأيت لورقة جنة ، أو جنتين » يشك هشام .

قال عروة : ونهى رسول الله ﷺ عن سب ورقة .

وقال الزبير وحدثني عمي قال حدثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه : أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله ﷺ أنه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بشمن ، ولئن نطق وأنا حي لأبليّن فيه لله بلاء حسناً .

1 لاتخذنه حناناً : لاتخذن قبره موضعاً للتبرك وطلباً للرحمة . ويضعف الخبر أنّ ورقة بن نوفل توفي قبل البعثة ولم يكن بلال قد تعرّض للعذاب .

2 الأبيات في الخزانة منسوبة إلى ورقة بن نوفل 3 : 389 مع اختلاف يسير في اللفظ والترتيب .

3 حدد : مانع .

4 الجمد : اسم جبل .

5 جعل هذا البيت في الخزانة آخرأ .

6 البرد : جمع بريد وهو الرسول . وهذا البيت ممّا ينسب إلى أمية بن الصلت ولزيد بن عمرو بن نفيل .

[28] - خبر زيد بن عمرو ونسبه¹

[نسبه]

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمه جنداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم . وكانت جيداء عند نفيل بن عبد العزى فولدت له الخطاب أبا عمر بن الخطاب وعبدنهم² ، ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نكاحاً ينكحه أهل الجاهلية .
[اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً]

وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أُرْسِلَ اللهُ قَطَرَ السَّمَاءِ وَيُنْبِتُ بِقَلِّ الْأَرْضِ وَيَخْلُقُ السَّائِمَةَ فَتَرْعَى فِيهِ وَتَذْبُوحُهَا لغيره ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .
[إخراجاً عن مكة لمخالفته دين قريش]

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد بن الضحّاك عن أبيه ، قالوا : كان الخطاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعة من قريش ومنعوه أن يدخلوها حين فارق أمر عبادة الأوثان ، وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل . وكان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال³ : لَبَّيْكَ حَقّاً حَقّاً ؛ تَعْبُداً وَرِقّاً ؛ الْبِرُّ أَرْجُو لَا الْخَالَ ، وَهَلْ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ ! ثم يقول :
[من مجزوء الكامل]

عُدْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ قَائِمُ
يَقُولُ أَنْفِي لَكَ عَانٍ رَاغِمُ مَهْمَا تُجَسَّمْنِي فَأَتْنِي جَاشِمُ

ثم يسجد . قال محمد بن الضحّاك عن أبيه : [و] هو الذي يقول : [من الرجز]

لَا هُمْ إِنِّي حَرَمٌ لَا حِلَّةُ وَإِنَّ دَارِي أَوْسَطَ الْمَحَلَّةِ
عند الصفا ليست بها مضلة

1 انظر ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في سيرة ابن هشام 1 : 224-232 والخزانة 6 : 410-419 وكتب السير كالاستيعاب والإصابة .

2 عبد نهم : شيطان أو صنم لمينة وبه سموا عبدنهم .

3 قارن بما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 230 .

[شعره في ترك عبادة الأوثان]

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : قال زيد بن عمرو بن نفيل¹ :

عزلتُ الجنَّ والجنَّانَ عني	كذلك يفعل الجَلْدُ الصُّبُورُ
فلا العزى أدين ولا ابتيها	ولا صنمي بني غنمٍ أزور ²
ولا هبلًا أدين وكان ربًّا	لنا في الدهر إذ حلمي صغير ³
أربأً واحدًا أم ألف ربُّ	أدين إذا تقسّمت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى	رجالاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم	فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثرُ ثاب يومًا	كما يتروحُ الغصنُ النَّضير ⁴

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل⁵ :

[من الطويل]

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَأَتَمَّا	تَجَنَّبْتَ تَنُورًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ	وَتَرَكْتَ جِنَّانَ الْجِبَالِ كَمَا هِيَا
أَقُولُ إِذَا مَا زُرْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً	خَنَائِكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا
خَنَائِكَ إِنَّ الْجَنِّ كَانَتْ رَجَاءُهُمْ	وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ لِرَبِّ يَسْتَجِيبُ وَلَا أَرَى	أَدِينُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعِيَا
أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ	تَبَارَكَتْ قَدْ أَكْثَرْتَ بِاسْمِكَ دَاعِيَا

يقول : خلقتُ خلقًا كثيرًا يدعون باسمك .

[امتناعه عن ذبائح قريش]

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله قال حدثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن

1 هناك اختلاف كبير بين ما أثبتته أبو الفرج وما جاء في سيرة ابن هشام : 226-227 .

2 غنم في ل : طسم .

3 هبلًا في ل : غنمًا .

4 ثاب في ل : ذات .

5 هذا رثاء ورقة لزيد كما جاء في السيرة 1 : 232 وينحصر التشابه بين النصين في أول بيتين أما الأبيات الأربعة الأخرى فمختلفة جدًا .

أبي الزناد عن موسى بن عتبة قال سمعتُ من أَرْضِي يحدثُ : أنَّ زید بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وأنبت لها من الأرض نباتاً ثم تدبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير : وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ : أنه لقيَ زید بن عمرو بن نُفَيْل بأسفل بَلَدَح ، وكان قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي ، فقدم إليه رسول الله ﷺ سُفْرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل ، وقال : إني لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه .

[اجتمع بالشام مع يهودي ونصراني فسألهما عن الدين واعتنق دين إبراهيم]

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله قال ، قال موسى : لا أراه إلا حدثه عن عبد الله بن عمر : إن زید بن عمرو خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم ؛ فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زید بن عمرو : لا أفر إلا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ؛ قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال لليهودي ، فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ؛ فقال : إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي : لا أعلمه إلا أن تكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم ، فلما برز رفع يديه وقال : اللهم إني على دين إبراهيم .

[بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل مِيفعة]

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة : بلغنا أنَّ زید بن عمرو كان بالشام ، فلما بلغه خبرُ النبي ﷺ أقبل يريد فقتله أهل مِيفعة¹ .

[قال عنه النبي يأتي يوم القيامة أمة وحده]

قال الزبير وحديثي مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال : سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال : «يأتي يوم القيامة أمة وحده» .
وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو¹ :

أُسْلِمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أُسْلِمْتُ	لَهُ الْمَزْنُ تَحْمِيلُ عَذْبَا زُلَالَا
وَأُسْلِمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أُسْلِمْتُ	لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِيلُ صَخْرًا ثَقَالَا
دَحَاها فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا	سَوَاءٌ وَأَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا

1 أبيات زيد هذه في سيرة ابن هشام 1 : 230 مع اختلاف في الترتيب .

29 - [خبر زهير بن جناب]¹

[زهير بن جناب وشعره في الكبير]

وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمرين ، يقال : إنه عُمِّرَ مائة وخمسين سنة وهو ، فيما ذكر ، أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السن الغاية التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إن الحَيَّ ظاعن . فقال عبد الله بن عُلَيم بن جناب : إن الحَيَّ مقيم ؛ فقال زهير : إن الحَيَّ مقيم ؛ فقال عبد الله : إن الحَيَّ ظاعن ؛ فقال : مَنْ هذا الذي يخالفني منذ اليوم ؟ قيل : ابن أخيك عبد الله بن عُلَيم ؛ فقال : أو ما هاهنا أحدٌ ينهائهم عن ذلك ! قالوا : لا ، فغضب وقال : لا أُراني قد خولفت ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتلته . وهو الذي يقول في ذمِّ الكبير وطول الحياة² :

الموتُ خيرٌ للفتى	فليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخَ البجا	لَ إذا تهادى بالشية ³
أبني إن أهلك فقد	أورثكم مجداً بنية ⁴
وتركتكم أبناء سا	داتِ زنادُكم ورية
بل كل ما نال الفتى	قد نلته إلا التحية ⁵

[مدرج الریح]⁶

[مدرج الریح وسبب هذه التسمية]

وأما مدرج الریح فاسمه عامر بن المجنون الجرهمي ، وإنما سمي مدرج الریح بشعره قاله

- 1 ترجمة زهير بن جناب الكلبي في طبقات ابن سلام : 35 والشعر والشعراء : 294-297 والمؤتلف : 190 وسيترجم له أبو الفرج ترجمة أوفى في الأغاني فيما بعد .
- 2 ثلاثة من هذه الأبيات في الشعر والشعراء وثلاثة في المؤلف . وقد وردت القصيدة كاملة في طبقات ابن سلام وسيوردها أبو الفرج في ترجمة زهير بن جناب فيما بعد .
- 3 البجال : الشيخ المبجل لكبره .
- 4 الشطر الثاني في رواية : «إني قد بنيت لكم بنيه99» .
- 5 الطبقات والمؤتلف : «ولكل» وكذلك هي في ترجمة زهير في الأغاني . التحية : الملك ، وتعني أيضاً البقاء . قالوا إنه يقصد هنا البقاء لأنه كان ملكاً في قومه ، وذهب البغدادي في الخزائن 5 : 299 إلى أنه يعني «الملك» وأن التحية أن يقال له «أبيت اللعن» التي لا تقال إلا للملوك .
- 6 لم نثر على ترجمة له سوى سطر في الشعر والشعراء : 622 : «هو عامر بن المجنون ، من قضاة ، وسمي مدرج الریح لقوله . . .» .

في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء وتترأى له ، وكان محمّلاً ؛
وشعره هذا :
[من الرمل]

صوت

لابنة الجنّيّ في الجوّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرِّيحُ من بين صَبَاً وجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِيناً وَطَلَّ

الغناء فيه لحنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ ، وذكر حبش أنّه لمعبد ،
وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حنين من خفيف الثَّقِيلِ الأوّل بالبَينصر . وأخبار عامر بن
المجنون تُذكّر في موضع آخر إن شاء الله تعالى¹ .

1 لم يفد أبو الفرج بهذا الوعد .

30 - [سعية بن غريض]¹

[سعية بن غريض وشعره وهو مختصر]

وأما سعية بن غريض فقد كان ذُكر خبرُ جدّه² السّمّوأل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا . وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذي يقول لما حضرته الوفاة يرثي نفسه³ :

[من الكامل]

صوت

يا ليتَ شعري حين يُذكرُ صالحِي ماذا تُؤبِنُنِي بِهِ أنواحِي⁴
أَيَقْلُنَ لا تَبَعْدُ ، فربَّ كَرِيهَةٍ فَرَجَّتْهَا بِيشارَةٍ وَسَمَاحِ⁵
وَإِذَا دُعِيْتُ لَصَبَةٍ سَهَلْتُهَا أَدْعَى بِأَفْلَحٍ تَارَةً وَنَجَاحِ⁶
غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو ، وَأَسْلَمَ سَعِيَّةٌ وَعُمَرُ عَمراً طَوِيلاً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ .

[سعية بن غريض ومعاوية]

فَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : حَجَّ مُعَاوِيَةُ حَجَّتَيْنِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ بَغْلَةً يَحْجُّ عَلَيْهَا نَسَاؤُهُ وَجَوَارِيهِ . قَالَ : فَحَجَّ فِي إِحْدَاهُمَا فَرَأَى شَيْخاً⁷ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ

- 1 ترجمته في طبقات ابن سلام (وانظر حاشية الأستاذ محمود محمد شاكر حول الاختلاف في اسمه واسم أبيه في المصادر المختلفة) والمؤتلف : 211 .
- 2 انظر أبو الفرج في القول إنّ السّمّوأل جدّ سعية ، فهو في جميع المصادر أخوه ، وقد ذكر مرّة في الإصابة أنّه ابن أخي السّمّوأل .
- 3 هذه الأبيات في طبقات ابن سلام .
- 4 أنواحِي : النائحَات عليّ .
- 5 بيشارة في الطبقات : بيسارة .
- 6 رواية الطبقات :

وَإِذَا عَمِدَتْ لَصَخْرَةٍ أَسْهَلْتُهَا أَدْعُو بِأَفْلَحٍ مَرَّةً وَرَبَاحِ
وفي حاشية الأستاذ محمود شاكر أنّ أفلح ورباح كانا ، على الظنّ ، بطنين من قبائل اليهود ، وربّما كانا عبيدين عنده لأنّ أفلح ورباح من أربعة أسماء نهى النبي ﷺ عن تسمية الرقيق بها .

أيضاً ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعِيَّةُ بن غَرِيض ، وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسوله فقال : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قال : أو ليس قد مات أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! قيل : فأجب معاوية ؛ فأتاه فلم يسلِّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتُ أَرْضُكَ التي بَتِيْمَاءُ ؟ قال : يُكْسِي منها العاري ويردُّ فضلُها على الجار ؛ قال : أفَتَبِيعُها ؟ قال : نعم ؛ قال : بَكْمُ ؟ قال : بَسْتَيْنَ أَلْفَ دينار ، ولولا خَلَّةُ أَصَابَتِ الحَيَّ لم أَبِيعْها ؛ قال : لقد أَغْلَيْتَ ؛ قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَلِّ ! قال : أجل ، وإذا بَخِلْتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي [به] نفسه ؛ فقال : قال أبي :

يا لَيْتَ شِعْرِي حينَ أُنْدَبُ هالِكاً	ماذا تُؤَيِّنُنِي به أنواجي
أَيَقْلَنَ لا تَبْعَدُ ، فَرُبَّ كَرِيهَةٍ	فَرَجَّتْهَا بِشِجَاعَةٍ وَسَمَاحِ
ولقد ضَرَبْتُ بِفَضْلِ مَالِي حَقَّهُ	عند الشِّتَاءِ وَهَبَّةُ الأرواحِ
ولقد أَخَذْتُ الحَقَّ غيرَ مُخَاصِمٍ	ولقد رَدَدْتُ الحَقَّ غيرَ مُلَاحِي
وإذا دُعِيتُ لَصَعْبَةٍ سَهْلَتُهَا	أُدْعَى بِأَفْلَحٍ مَرَّةً وَنَجَاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشعر أُولَى من أَيْبِكَ ؛ قال : كَذَبْتَ وَلَوْمْتُ ؛ قال : أَمَّا كَذَبْتُ فَنَعَمْ ، وَأَمَّا لَوْمْتُ فَلَيْمَ ، قال : لَأَنْتَ كُنْتَ مَيِّتَ الحَقِّ في الجاهلية ومَيِّتَ في الإسلام ، أَمَّا في الجاهلية فقاتلتُ النَّبِيَّ ﷺ والوحي حتى جعل الله عَزَّ وَجَلَّ كَيْدَكَ المردود ، وَأَمَّا في الإسلام فمَنَعْتَ وَلَدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ الخِلافةَ ، وما أنتُ وهي ؟ وَأَنْتَ طَلِيْقُ ابنِ طَلِيْقٍ¹ ! فقال معاوية : قد خَرِفَ الشَّيْخُ² فَأَقِيمُوهُ ، فَأُخِذَ بِيَدِهِ فَأَقِيمَ .

وسَعِيَّةُ هذا هو الذي يقول :

صوت

يا دارَ سَعْدِي بِأَقْصَى تَلْعَةٍ النَّعَمِ	حَيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقَدَمِ ³
وما بِجِزْعِكَ إِلَّا الوَحْشُ ساكنةٌ	وهامدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ
عُجْنَا فما كَلَمْتَنَا الدَّارُ إِذْ سُئِلَتْ	وما بها عن جوابٍ خِلْتُ من صَمَمِ

الشعر لسعية بن غريض ، والغناء لابن محرز ثَقِيلُ أَوَّلُ بالسبابة في مجرى البِنَصْرِ .

1 أي من الذين قال لهم النَّبِيُّ ﷺ يوم الفتح : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

2 ل : الرجل .

3 تلعة النعم : موضع بالبادية .

[31] - أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

[نسبه]

اسمه محمد بن عبد الله ، ويُكنى أبا عبد الله ، مولى بني أمية ، وهو من أهل المدينة ؛ وكان أبوه على ميضأة المدينة فسُمي صاحب الوضوء . وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلاّ صوتين كلاهما في خفيف الثقل الثاني المعروف بالماخوري ، ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلاّ ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له ، وفي كتاب حبش [الصيني] . وهو رجل لا يُحصّل ما يقوله ويرويه .

[مدح يونس الكاتب غناه]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه [عن] جدّه عن سباط عن يونس الكاتب قال : غنى ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة :

خطاطيفُ حُجْنٍ في حبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أيدي إليك نوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود :

ارفع ضعيفك لا يحز بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسن غاية الإحسان ؛ فقيل له : ألا تزيد وتصنع شيئاً آخر ؟ فقال : لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثلاً ما صنعتُ وأزيد ، وإلاّ فحسبي هذا .

[نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتاً ففناه في المحراب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي ، قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، قال ابن عمّار في خبره : وكان يسمّى المبارك ، قال حدثنا أبو مسلمة المصّبحيّ قال : قدّم علينا أسود من أهل الكوفة فغنى :

ارفع ضعيفك لا يحز بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نما

قال : فمررت بعبد الله بن عامر الأسلمي ، وكان يؤمّننا وهو قائم يصلي الظهر ، فقلت له : قدّم علينا أسود من الكوفة يُغني كذا وكذا فأجاده ؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس ؛ فلمّا قضى صلاته قال : أخذته عنه ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأمره عليّ ، ففعلت ؛ قال : فلمّا كان بالليل صلى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت
من المائة المختارة التي رواها علي بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

يا ليلتي تزدادُ نُكْرا مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ لَكَ سَقَتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا

الشعر لبشار ، والغناء في اللحن المختار ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو ويحيى المكي وإسحاق . وفيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وإبراهيم الموصلي .

[32] - أخبار بشار بن برد ونسبه¹

[نسب]

هو ، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان الشعوبيّ ،
بَشَّار بن بُرد بن يَرْجُوح بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن
ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيّس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن
شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهریار بن بنداد سيحان بن مكرّر بن ادريوس بن
يستاسب بن لهراسف . قال : وكان يَرْجُوح من طُخَارُستان من سَبِيّ المَهْلَب بن أبي صُفْرة .
ويُكنى بَشَّار أبا معاذ . ومَحَلُّه في الشعر وتقدّمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرّواة ورياسته
عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخَضَّرمي شعراء
الدولتين العبّاسية والأُمويّة ، وقد شُهر فيهما ومدّح وهجّأ وأخذ سَنِيّ الجوائز مع الشعراء .
أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حَمِيد بن سَعِيد : كان بَشَّار من شعب
ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بَشَّار بن برد بن بهمن بن
أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا معاذ .
[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عمران الصّيرفيّ وغيرهما عن الحسن بن عَلِيل العنزيّ عن
خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال : كان بَشَّار بن بُرد بن يَرْجُوح وأبوه
بُرْدٌ من قَبْلة خيرة القُشَيْريّة امرأة المَهْلَب بن أبي صُفْرة ، وكان مُقيماً لها في ضيعتها بالبصرة
المعروفة «بخيّرَتان» مع عبيد لها وإماء ، فوهبت بُرداً بعد أن زوّجته لامرأة من بني عُقيل
كانت متّصلة بها ، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشاراً فأعتقته العُقيليّة .
وأخبرني محمد بن مَزِيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ
أبو بَشَّار مولى أمّ الطّبّاء العُقيليّة السُّدُوسيّة ، فادّعى بَشَّار أنّه مولى بني عُقيل لنزوله فيهم .

1 ترجمة بَشَّار بن برد في الشعر والشعراء : 643-646 ونكت المهيان : 125 ومعاهد التنصيص 1 : 289
والموشح : 246 وتاريخ بغداد 7 : 112 وطبقات ابن المعتزّ : 21-31 ووفيات الأعيان 1 : 271-274
والسمط : 196 وانظر بروكلمان 2 : 13-17 وقد نشر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ثلاثة مجلّدات من
ديوانه وصلت إلى حرف الرّاء وأتبعها جزءاً رابعاً ضمنه ما جمعه من شعره وكذلك فعل محمد بدر الدين
العلوي (ط . دار الثقافة ، بيروت) وإليه نشير . وقد نقل ابن حمدون قدراً كبيراً من أخباره في مواضع متفرقة من
التذكرة (انظر الفهرس) .

وأخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصّاراً بالبصرة ، قال : ولأولاد بني عَقِيل ؛ فقلت : لأيهم ؟ فقال : لبني ربيعة بن عَقِيل .

وأخبرني وكيع قال حدثني سليمان المدني قال قال أحمد بن معاوية الباهلي : كان بشار وأُمّه لرجل من الأزد ، فتزوج امرأة من بني عَقِيل ، فساق إليها بشاراً وأُمّه في صداقها ، وكان بشار ولداً مكفوفاً فأعتقته العَقِيلِيَّة .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قَعْنَبُ بن المُحرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال : باعت أُمّ بشار بشاراً على أُمّ الظباء السدوسية بدينارين فأعتقته . وأُمّ الظباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بني تيمم اللات بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة ؛ وكان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بخراسان .

[كان أبوه طيناً]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن زيد العجلي قال أخبرني بكر بن مزاحم : أن بُرداً أبا بشار كان طيناً يضرب اللبن ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي : لئن هذين البيتين من ضرب بُرد أبي بشار . فسمع هذه الحكاية حماد عَجْرِدٍ فهجاه فقال :

يا ابن بُردٍ إخساً إليك فمثلُ الـ كلبٍ في الناس أنت لا الإنسانِ
بل لعمري لأنت شرٌّ من الكلد سبٍ وأولى منه بكلّ هوانِ
ولريح الخنزير أهونُ من ريب حِكْ يا ابن الطيّانِ ذي الثُّبانِ

[أنشد المهدي شعراً في أنه عجمي بحضور أبي دلامة]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المدني عن أبي الصلت البصري عن أبي عدنان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي رواية بشار قال : قال : لما دخلت على المهدي قال لي : فيمن تعتدّ يا بشار ؟ فقلت : أمّا اللسان والزّيّ فعيّان ، وأمّا الأصل فعجمي ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين¹ :

ونُبئتُ قوماً بهم جنةٌ يقولون مَنْ ذا وكنتُ العلمُ
ألا أيُّها السائلي جاهداً ليُعرفني أنا أنفُ الكرمِ

نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ فُرُوعِي وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ
فَإِنِّي لِأُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى وَأُصْبِي الْفَتَاةَ فَمَا تَعْتَصِمُ

قال : وكان أبو دُلَامة حاضراً فقال : كلا ! لَوْجْهْكَ أَقْبَحَ مِنْ ذَلِكَ وَوَجْهِي مَعَ وَجْهِكَ ؛
فقلت : كلاً ، والله ما رَأَيْتُ رَجُلًا أَصْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَكْذَبَ عَلَى جَلِيسِهِ مِنْكَ ، والله إِنِّي
لَطَوِيلُ الْقَامَةِ عَظِيمُ الْهَامَةِ تَامَ الْأُلُوحِ ¹ أَسْجَحُ ² الْخَذَّيْنِ ، وَلِرُبِّ مُسْتَرْخِي الْمَذْرُوعَيْنِ ³ لِلْعَيْنِ فِيهِ
مَرَاذٌ قَدْ جَلَسَ مِنَ الْفَتَاةِ حَجْرَةً وَجَلَسْتُ مِنْهَا حَيْثُ أُرِيدُ ، فَأَنْتَ مِثْلِي يَا مَرْضَعَانُ ⁴ ! قال :
فَسَكَتَ عَنِّي . ثُمَّ قَالَ لِي الْمَهْدِيُّ : فَمِنْ أَيِّ الْعَجَمِ أَصْلُكَ ؟ فقلت : مِنْ أَكْثَرِهَا فِي الْفُرْسَانِ ،
وَأَشَدُّهَا عَلَى الْأَقْرَانِ ، أَهْلُ طَخَارُستان ؛ فقال بعضُ الْقَوْمِ : أَوْلَيْكَ الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا ،
الصُّغْدُ تِجَارٌ ؛ فَلَمْ يَرُدُّ ذَلِكَ الْمَهْدِيُّ .

[كان كثير التلون في ولائه للعرب مرةً وللعجم أخرى]

وكان بشار كثير التلون في ولائه ، شديد الشَّغْبِ والتعصُّبِ للعجم ، مرةً يقول يفتخر
بولائه في قيس ⁵ :

أُمِنْتُ مَضْرَّةَ الْفُحْشَاءِ أَنِّي أَرَى قَيْسًا تَضُرُّ وَلَا تُضَارُ ⁶
كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ تَغِيبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاهُ الْقِطَارُ ⁷
وَقَدْ كَانَتْ بَتْدَمَرُ خَيْلُ قَيْسٍ فَكَانَ لِتَذْمُرٍ فِيهَا دَمَارُ
بِحِيٍّ مِنْ بَنِي عَيْلَانَ شُوسٍ يَسِيرُ الْمَوْتُ حَيْثُ يُقَالُ سَارُوا
وَمَا نَلْقَاهُمْ إِلَّا صَدَرْنَا بِرِيٍّ مِنْهُمْ وَهُمْ حِرَارُ ⁸
وَمَرَّةً يَتَبَرَّأُ مِنْ وَلَاءِ الْعَرَبِ فَيَقُولُ ⁹ :

[من الكامل]

أَصْبَحْتُ مَوْلَى ذِي الْجَلَالِ وَبَعْضُهُمْ مَوْلَى الْعَرِيبِ فَخَذْتُ بِفَضْلِكَ فَافْخَرْ
مَوْلَاكَ أَكْرَمُ مِنْ تَمِيمٍ كُلِّهَا أَهْلُ الْفَعَالِ وَمَنْ قُرَيْشِ الْمَشْعَرِ

1 أَسْجَحُ الْخَذَّيْنِ : سَهْلُهُمَا .

2 الْمَذْرُوعَانِ : طَرَفَ الْإِثْنَيْنِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ سَمِينٌ يَرُوقُ لِلْعَيْنِ .

3 مَرْضَعَانِ : لَيْمٍ .

4 دِيوَانُ بَشَّارٍ : 110 .

5 الْفُحْشَاءُ : جَمْعُ فَاحِشٍ وَهُوَ السَّيِّئُ الْخَلْقِ . تَضُرُّ فِي ل : تَسَبُّبٌ .

6 الْقِطَارُ : الْمَطَرُ .

7 حِرَارٌ : شَدِيدُو الْعَطَشِ .

8 دِيوَانُ بَشَّارٍ : 124 عَنْ الْأَغَانِي .

فارجعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدافعٍ سُبْحَانَ مَولاكَ الأَجَلُ الأكبرِ
وقال يفتخر بولاء بني عُقيلٍ¹ :

إِنِّي من بني عُقيلِ بنِ كعبٍ مَوْضِعُ السَّيْفِ مِنْ طَلَى الأعناقِ
ويُكنى بشارُ أبا مُعاذٍ ، ويُلقَّبُ بالمرَعثِ .
أخبرني عمِّي ويحيى بن عليٍّ قالَا حَدَّثَنَا أبو أيُّوبَ المَدِينِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن سلام قال :
بشارُ المرَعثُ هو بشارُ بن بُردٍ ، وإِنما سُمِّيَ المرَعثُ بقوله² :

قال رِيَمٌ مُرَعَثٌ ساحرُ الطَّرِفِ والنَّظَرِ
لستَ واللهِ نائلي قلتُ أو يَغْلِبُ القَدَرُ
أنتَ إن رُمْتَ وَصَلْنَا فانجُ ، هل تُدْرِكُ القَمَرُ

قال أبو أيُّوبَ : وقال لنا ابن سلامٍ مرَّةً أُخرى : إِنما سُمِّيَ بشارُ المرَعثُ ، لأنَّه كان
لقميصه جَبِيانٌ : جَبِيٌّ عن يمينه وجَبِيٌّ عن شماله ، فإذا أراد لُبْسَه ضَمَّه عليه من غير أن
يُدْخِلَ رأسه فيه ، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزراره وخرج منه ، فشَبَّهَتْ تلكَ الجيوبَ بالرِّعَاثِ
لاسترسالها وتَدَلِّيها ، وسُمِّيَ من أجلها المرَعثُ .

أخبرنا يحيى بن عليٍّ قال حَدَّثَنَا عليٌّ بن مَهديٍّ قال حَدَّثَنِي أبو حاتم قال قال لي أبو
عبيدة : لُقِّبَ بشارُ بالمرَعثِ لأنَّه كان في أذنه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاثُ : القِرْطَةُ ،
واحدتها رَعَثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ ، ورَعَثَاتٌ . ورَعَثَاتُ الديك : اللحم المتدَلِّي تحت حنكه ؛
قال الشاعر :

سَقَيْتُ أبا المَصْرَعِ إذ أتاني وذو الرِّعَاثِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ³
شراباً يهرُبُ الذِّبَّانُ منه ويَلْتَفِعُ حين يشربُه الفَصِيحُ

قال : والرِّعَثُ : الاسترسال والتساقط . فكأنَّ اسمَ القِرْطَةِ اشتقَّ منه .

[كان شديد التبرُّم بالناس]

أخبرني محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي العنزيُّ قال حَدَّثَنَا محمد بن بدر العِجْلِيُّ قال : سمعتُ
الأصمعيَّ يذكر أنَّ بشاراً كان من أشدَّ الناس تَبَرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي
ذهب ببصري ؛ فقليل له : ولمَّ يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : لثلاً أرى مَنْ أبغضُ . وكان يلبس قميصاً له

1 ديوان بشار : 168 .

2 ديوان بشار : 140 .

3 المصروع في ل : المطرح .

4 . كتاب الأغاني - ج 3

لَيْتَان¹ ، فإذا أراد أن ينزعه نزعته من أسفله ، فبذلك سَمِيَ المرْعَث .
[صفاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلْفَ الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بن مُحْرِز عن الأصمعي قال :
كان بشارً ضَخْماً ، عظيم الخلق والوجه ، مَجْدُوراً ، طويلاً ، جاحظ المقلتين² قد تغشاهما
لحمٌ أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى وأفظعه مَنظراً ، وكان إذا أراد أن يُشَدَّ صَفْقَ يديه وتنحج
وبصق عن يمينه وشماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب .
[وُلد أعمى وهجي بذلك]

أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن محمد بن سلام قال : وُلد بشارٌ أعمى ، وهو
الأكمه . وقال في تصديق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوهُ :

وعبدِي فقا عينيك في الرَّحْمِ أيرُهُ فجئت ولم تَعْلَمَ لعينيك فاقيا
أأمُك يا بشارُ كانت عفيفة ؟ علي إذا مَشِيَ إلى البيتِ حافيا
قال : ولم يزل بشارٌ منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسراً .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حَدَّثَنَا الرِّياشِي عن الأصمعي قال : وُلد بشارٌ أعمى فما نَظَرَ
إلى الدنيا قط ، وكان يُشَبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصْرَاءُ أن يأتوا
بمثله ؛ فقليل له يوماً وقد أنشد قوله :

كَانَ مَثَارَ النِّقْعِ فوقَ رُؤُوسِنَا وأسيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهُ
ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً فيها ؟
فقال : إنَّ عدم النظر يُقَوِّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما يُنظرُ إليه من الأشياء فيتوفَّر
حِسُّه وتذكُّر قريحته ؛ ثم أنشدهم قوله³ :

عَمِيَتْ جَنِيناً والذكاء من العَمَى فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلمِ مؤثلاً
وغاضَ ضياءُ العينِ للعلمِ رافداً لِقَلْبٍ إذا ما ضَيَّعَ الناسُ حَصَلاً
وشِعِرَ كنورُ الروضِ لاءمتُ بينه بقولٍ إذا ما أحرزَ الشعرُ أسهلاً
أخبرنا هاشم قال حَدَّثَنَا العَنَزِي عن قَعْنَب بن مُحْرِز عن أبي عبد الله الشراذبي قال : كان
بشارٌ أعمى طويلاً ضَخْماً آدمَ مجدوراً .

1 اللبنة : بنية القميص .

2 ل : الحدقتين .

3 ديوان بشار : 180 .

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال قال الحمرايّ قالت لي عمّتي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْلٍ فإذا أنا بشيخٍ أعمى ضخم يُنْشِدُ :
[من الوافر]

مِنْ الْمُفْتُونِ بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ إِلَى شَيْبَانَ كَهْلِهِمْ وَمُرْدٍ
بَأَنَّ فَتَاتَكُمْ سَلَبَتْ فَوَادِي فَنَصَفَتْ عِنْدَهَا وَالنَّصَفُ عِنْدِي
فسألت عنه فقيّل لي : هذا بشار .

[كان يقول أزرى بشعري الأذان]

أخبرني محمد بن يحيى الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التّوزيّ يقول : قال بشار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنّه إسلامي .

[قال الشعر وهو ابن عشر سنين]

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مخشبيّ مَعْرَعة لِسَانِهِ .
[هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له]

قال : وكان بشار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنيّ واستصغرني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

[كان الأصمعيّ يقول هو خاتمة الشعراء]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال : كان الأصمعيّ يقول : بشارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخّرت لفضّلته على كثيرٍ منهم .
قال أبو زيد : كان راجزاً مُقَصِّداً .

[جودة نقده للشعر]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثني أبو عبيدة : قال سمعت بشاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى :

[من البسيط]

وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةُ

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبهه كلام الأعشى ؛ فعجبتُ لذلك .

فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني أبو عمرو ابن العلاء أنّه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى :

[من البسيط]

وأنكرتني وما كان الذي نكرتُ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا
فجعلت حينئذٍ أزداد عَجَباً من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر .
[له اثنا عشرة ألف قصيدة]

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : قال بشار :
لي اثنا عشر ألف بيت عَيْن ؛ فقليل له : هذا ما لم يكن يدعيه أحد قط سواك ؛ فقال : لي اثنا
عشرة ألف قصيدة ، لَعَنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عَيْن .
[رأي أبي عبيدة فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي عن أبي حاتم قال : قلت لأبي عبيدة :
أمرؤ عندك أشعر أم بشار ؟ فقال : حَكَمَ بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت
جيد ، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم برزوا
في مثلها ، ومروان أمدح للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال : قال بشار
الشعر وله عشر سنين ، فما بلغ الحلم إلا وهو مخشي مَعْرَةَ اللسان بالبصرة . قال : وكان يقول :
هَجَوْتُ جريراً فاستصغرنني وأعرض عني ، ولو أجباني لكنت أشعر أهل زمانني .
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبَةَ قال حدثنا أبو العواذل
زكريا بن هارون قال : قال بشار : لي اثنا عشر ألف بيت جيدة ؛ فقليل له : كيف ؟ قال : لي
اثنا عشرة ألف قصيدة ، أمّا في كل قصيدة منها بيت جيد .
[كلام الجاحظ عنه]

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشار شاعراً خطيباً صاحب
منثور ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المقتنين
في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ؛ قال الشعر في حياة جريّر وتعرّض له ، وحكي
عنه أنه قال : هَجَوْتُ جريراً فأعرض عني ، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس .
[كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة]

قال الجاحظ: وكان بشار يدين بالرجعة¹ ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأي إبليس
في تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك في شعره فقال :
الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مُشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

1 الرجعة : القول بأن الميث يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان ، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية
ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء (اللسان) .

[هجا واصل بن عطاء فحث على قتله]

قال : وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكاراً لقوله وهتف به ، فقال يهجو¹ :

ما لي أشايغ غزاًلاً له عنقٌ كيفنق الدوَّ إن ولى وإن مثلاً²
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالاً كفروا رجلاً !

قال³ : فلما تابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل ، وكان ألثغ على الرء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية لدسست إليه من ينعج بطنه في جوف منزله أو في حفله⁴ ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي . فقال أبا معاذ ولم يقل بشاراً ، وقال المشنف ولم يقل المرعث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يععج بطنه ولم يقل يئقر ، للثغة التي كانت به في الرء .

قال : وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكّنه من العبارة أن حذف الرء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها .
[هو أحد أصحاب الكلام الستة]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدثني أبو سهيل قال حدثني سعيد بن سلام قال : كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عبّيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد ، قال أبو أحمد : يعني جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده . فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال . وأما عبد الكريم وصالح فصحّحا التوبة . وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً . وأما الأزدي فمال إلى قول السُمينة⁵ ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهره على ما كان عليه . قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عبّيد : قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا تُفسده وتستزله وتدخّله في دينك ،

1 ديوان بشار : 181 .

2 الغزال : لقب واصل بن عطاء . قيل إنه لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين (انظر البيان والتبيين 1 : 33 تحقيق عبد السلام هارون) . النقتق : ذكر النعام . والدو : الفلاة .

3 انظر البيان والتبيين 1 : 16 .

4 الحفل : الجمع من الناس .

5 السُمينة : نسبة إلى سومنات في الهند ، وهم قوم دهيون يقولون بالتناسخ .

فإن خرجت من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحق بالكوفة ، فدلّ عليه محمد بن سليمان فقتله وصلّبه بها . وله يقول بشار¹ :

قلْ لعبد الكريم يا ابنَ أبي العوّ جاء بعثَ الإسلامَ بالكفرِ موقاً²
لا تصلّي ولا تصومُ فإن صُم ستَ فبعضَ النَّهارِ صوماً رقيقاً
لا تُبالي إذا أصبتَ من الخم سرّ عتيقاً ألا تكون عتيقاً
ليت شعري غداة حُلّيتَ في الجي سدّ حنيفاً حُلّيتَ أم زنديقاً
أنت مَن يَدورُ في لعنة الل هـ صديق لمن ينيلك الصديقا

[رأى الأصمعي فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرياشي قال : سئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلك طريقاً أكثر من يسلكه فلم يلحق من تقدّمه ، وشركه فيه من كان في عصره ، وبشار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسن فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعرٍ وأغزراً وأوسع بديعاً ، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العنزّي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة ، فقال : وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشار أحقُّ بأن يَختموهم به من مروان ؛ فقل له : ولم ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعراً حتّى يُصلحه له بشار ويُقوّمه ! وهذا سلّم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز ، وسلم مُعترف بأنّه تبع لبشار .

[مقارنته بامرئ القيس والقطامي]

أخبرني جحظة قال سمعت عليّ بن يحيى المنجّم يقول : سمعتُ مَنْ لا أحصي من الرّواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول :

ألا انعم صباحاً أيّها الطلل البالي

وحيث يقول :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

1 ديوان بشار : 167 عن الأغاني .

2 موقاً : حقاً وغبابة .

وفي الإسلام القطاميّ حيث يقول :
إِنَّا مُحَيَّوْكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ

ومن المحدثين بشار حيث يقول¹ :

[من الطويل]

صوت

أَبَى طَلَلٌ بِالْجَزْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وماذا عليه لو أجاب مُتِيماً
وبالفرع آثارٌ بقينَ وباللوى مَلَاعِبُ لَا يُعْرِفْنَ إِلَّا تَوْهُمَا

وفي هذين البيتين لابن المكيّ ثاني ثقليل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لابن جُوذِرٍ رَمَلٌ .

[مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأصمعيّ يُعَجِّبُ بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لَا يُكَلِّفُ طَبْعَهُ شَيْئاً مُتَعَذِّراً لَا كَمَنْ يَقُولُ الْبَيْتَ وَيَحْكُكُهُ أَيَّاماً . وكان يُشَبِّهُ بِشَاراً بِالْأَعَشَى وَالنَّابِغَةِ الدُّبْيَانِيّ ، ويشبّه مروان بزهير والحطيئة ، ويقول : هو متكلف .

قال الكُرانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيهما أشعرُ بشارُ أم مروان ؟ فقال : بشار أشعر ، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : سألت أبا زيد مرّةً أخرى عنهما فقال : مروان أجَدُّ وبشارُ أَهْزَلُ ؛ فحدثت الأصمعيّ بذلك ؛ فقال : بشارٌ يَصْلُحُ لِلْجِدِّ وَالْهَزْلِ ، ومروان لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِأَحَدِهِمَا .
[كان شعره سيّاراً بين الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثنا نجمُ بن النُّطَّاح قال : عهدِي بالبصرة وليس فيها غَزَلٌ وَلَا غَزَلَةٌ إِلَّا يَرُوي من شعر بشار ، ولا نائحةٌ وَلَا مُغْنِيَةٌ إِلَّا تَتَكَسَّبُ بِهِ ، ولا ذو شرفٍ إِلَّا وَهُوَ يَهَابُهُ وَيَخَافُ مَعْرَةَ لِسَانِهِ .
[لم يأت في شعره بلفظ مستكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال : قلت لبشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشكّ فيه ، وإنّه ليس في شعرك ما يُشكّ فيه ؛ قال : ومن أين يأتييني الخطأ ؛ وُلِدْتُ هَاهُنَا وَنَشَأْتُ فِي حُجُورِ ثَمَانِينَ شَيْخاً مِنْ فُصَحَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ مَا فِيهِمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ كَلِمَةً مِنَ الْخَطَأِ ، وَإِنْ دَخَلْتُ إِلَى نِسَائِهِمْ فَنَسَاوَهُمْ أَفْصَحُ مِنْهُمْ ، وَأَيُّفَعْتُ

فأبديت¹ إلى أن أدركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟ .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدثنا عمر بن شبة قال : كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشاراً خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخّرت لفضّلته على كثير منهم .

[هو أول الشعراء في جملة من أغراض الشعر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو الفضل المروزيّ² قال حدثني قنّب بن المحرّز الباهليّ قال قال الأصمعيّ : لقيّ أبو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، من أبدع الناس بيتاً ؟ قال : الذي يقول³ :

لم يَطْلُ ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفاً ألم
روحي عني قليلاً وأعلمي أنني يا عبد من لحم ودم

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول⁴ :

لمست بكفي كفّه أبتغي الغنى ولم أدّر أنّ الجود من كفّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول⁵ :

رأيت السُّهَيْلَيْن استوى الجودُ فيهما على بُعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سُهَيْلُ بن عثمانٍ يَجُودُ بماله كما جادَ بالوجعِ سُهَيْلُ بن سالم⁶

قال : وهذه الأبيات كلّها لبشار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنى فيها

صوت

[من الرمل]

لم يَطْلُ ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفاً ألم
وإذا قلتُ لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسِي يا عبد عني وأعلمي أنني يا عبد من لحم ودم

1 أبديت : خرجت إلى البادية .

2 ل : المروزي .

3 ديوان بشار : 211-212 وفي رواية «نفسِي يا عبد . . .» .

4 ديوان بشار : 88 .

5 ديوان بشار : 207 .

6 الوجع : الدبر .

إِنَّ فِي بُرْدِيَّ جَسَماً نَاحِلاً
خَتَمَ الْحَبُّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ
لَوْ تَوَكَّاتٍ عَلَيْهِ لَانْهَدَمَ

غناه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ . وفيه لقعنب¹
الأسود خفيف ثقيل . فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس وأولها : [من الطويل]
لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى

فإنّه ذكر أنّها لبشار . وذكر الزبير بن بكار أنّها لابن الخياط في المهديّ ، وذكر له فيها
معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب .
[هجا صديقه ديسماً لأنّه يروي هجاءه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال : كان
بشار كثير اللّووع بديسم العنزّيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثّر هجاءه ، وكان ديسم لا
يزال يحفظ شيئاً من شعر حماد وأبي هشام الباهليّ في بشار ؛ فبلغه ذلك فقال فيه² : [من الطويل]
أَدَيْسُمُ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَجْلِ زَارِعٍ أَتُرَوِي هِجَائِي سَادِراً غَيْرَ مُقْصِرٍ

قال أبو حاتم : فأنشدتُ أبا زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه ، فقال : لمن هذا الشعر ؟
فقلت : لبشار يقوله في ديسم العنزّيّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال :
الدَّيْسُمُ : ولد الذئب من الكلبة ، ويقال للكلاب : أولاد زارع . والعسبار : ولد الضبع من
الذئب . والسَّمْعُ : ولد الذئب من الضبع . وترجم العرب أن السَّمْعَ لا يموت حتف أنفه ،
وأنّه أسرع من الريح وإنما هلاكه بعرض من أعراض الدنيا .

[مراحه مع حمدان الخراط]

أخبرنا حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان بالبصرة رجلٌ يقال له :
حمدان الخراط ، فاتخذ جاماً لإنسان كان بشار عنده ، فسأله بشار أن يتخذ له جاماً فيه صوّر
طير تطير ، فاتخذ له وجاءه به ، فقال له : ما في هذا الجام ؟ فقال : صوّر طير تطير ؛ فقال له :
قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنّه يريد صيدها ، فإنّه كان أحسن ؛
قال : لم أعلم ؛ قال : بلى قد علمت³ ، ولكن علمت أنّي أعمى لا أبصر شيئاً ! وتهدّده بالهجاء ،
فقال له حمدان : لا تفعل فإنك تندم ؛ قال : أو تهدّدني أيضاً ! قال : نعم ؛ قال : فأني شيء
تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك ؟ قال : أصوّرُك على باب داري بصورتك هذه وأجعلُ من

1 ل : لعثت .

2 ديوان بشار : 128 .

3 ل : علمت .

خلفك قِرداً يَنْكِحُكَ حتى يراك الصادر والوارد ؛ فقال بشار : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ ، أنا أَمَازُحُهُ وهو يَأْبَى إِلَّا الْجِدَّ ! .

[مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسن بن علي ومحمد بن عمران الصِّيرَفِيُّ قالوا : حَدَّثَنَا العنزي قال حَدَّثَنِي جعفر بن محمد العدوي عن محمد بن سلام قال حَدَّثَنِي مَخْلَدُ أَبُو سَفِيَّان قال : كان جرير بن المنذر السدوسي يُفَاخِرُ بشاراً ؛ فقال فيه بشار¹ :

أَمْثَلُ بَيْنِي مُضَرٌّ وَإِلَّ فَقَدْتُكَ مِنْ فَاخِرٍ مَا أَجَنُّ
أَفِي النُّومِ هَذَا أَبَا مُنْذِرٍ فَخَيْرٌ رَأَيْتَ وَخَيْرٌ يَكُنُّ
رَأَيْتُكَ وَالْفَخْرَ فِي مِثْلِهَا كَعَاجِنَةٍ غَيْرَ مَا تَطْجِنُ

وقال يحيى في خبره : فَحَدَّثَنِي محمد بن القاسم قال حَدَّثَنِي عاصم² بن وهب أبو شبل الشاعر البَرْجُمِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن الحجاج السراذني قال : كُنَّا عِنْدَ بشارٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يَنَازِعُهُ فِي الْيَمَانِيَّةِ وَالْمُضَرِّيَّةِ إِذْ أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَقَالَ لَهُ بشار : رَوَيْدَا ، تَفَهَّمْ هَذَا الْكَلَامَ ؛ فَلَمَّا قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ لَهُ بشار : أَهَذَا الَّذِي نُودِيَ بِاسْمِهِ مَعَ اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُضَرٍّ هُوَ أَمْ مِنْ صُدَاءٍ وَعَكٍّ وَحِمِيرٍ ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ .

[نقده للشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيُّ قال حَدَّثَنَا الرِّياشِيُّ قال أَنشَدَ³ بشار قول الشاعر⁴ :

وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعِیُونَ
أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرَ زَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ زَعَمَ أَنَّهَا عَصَا مُخٍّ أَوْ عَصَا زُبْدٍ ، لَقَدْ كَانَ جَعَلَهَا جَافِيَةً خَشِينَةً بَعْدَ أَنْ جَعَلَهَا عَصَاً ؛ أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ⁵ :

وَدَعَجَاءُ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجَنَانِ

1 ديوان بشار : 244 .

2 ل : عصيم .

3 ل : أنشدنا .

4 انظر الخبر والشعر في الكامل للمبرد (الدالي) : 1018 وينسب البيت الأول لكثير (ديوانه : 176) . والثاني للمجنون بني عامر (ديوانه 264) ويردان دون نسبة في عدة مصادر .

5 ديوان بشار : 235 .

إِذَا قَامَتْ لِشَيْتِهَا تَشْتُ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانٍ¹

[اعتداده بنفسه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن [صالح بن] الحجاج قال : قلت لبشار : إني أنشدت فلاناً قولك :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى طَمِعْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبَهُ
فَقَالَ لِي : مَا كُنْتُ أَظُنُّهُ إِلَّا لِرَجُلٍ كَبِيرٍ ؛ فَقَالَ لِي بَشَارُ : وَبِكَ ؛ أَفَلَا قُلْتَ لَهُ : هُوَ وَاللَّهِ
لَأَكْبَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ! .
[وعنده امرأة واعتذرت فعاتبها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عن محمد بن الحجاج قال : كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعده بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأت أرسل إليها يعاتبها ، فاعتذرت بمرض أصابها ؛ فكتب إليها بهذه الأبيات² :

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا	مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ	لَكَ سَقْتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا
وَكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا	قَطَعَ الرِّيَاضَ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا	هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَخَالَ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ	هَ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا	بِصَفَا وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا
جَنِيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ	أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَجَلُ أَمْرًا
وَكَفَاكَ أَنْتِي لَمْ أَحِطْ	بَشَكَاقَةٍ مَنْ أَحْبَبْتُ خُبْرًا
إِلَّا مَقَالَةً زَائِرٍ	نَثَرَتْ لِي الْأَحْزَانَ نَثْرًا
مُتَخَشِّعًا تَحْتَ الْهَوَى	عَشْرًا وَتَحْتَ الْمَوْتِ عَشْرًا

[كان إسحاق الموصلي لا يعتد به ويفضل عليه مروان]

حدثني جمحظة قال حدثني علي بن يحيى قال : كان إسحاق الموصلي لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ؛ أليس هو

1 لمشيته في ل والديوان : لسبحتها ، والسبحة : صلاة التطوع والنافلة وفي رواية أخرى «لحاجتها» .

2 ديوان بشار : 118-119 .

القاتل¹ :

[من مجزوء الرمل]

إِنَّمَا عَظُمْتُ سُلَيْمَى حَيْثِي فَصَبُّ السُّكْرِ لَا عَظُمَ الْجَمَلُ²
وَإِذَا أُذْنِيَتْ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ³

لو قال كلُّ شيءٍ جيّدٌ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيّفهُ . قال : وكان يقدّم عليه مروان ويقول : هذا هو أشدّ استواء شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعدُّ أبا نؤاس ألبتة ولا يرى فيه خيراً .

[أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور ولما قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم]

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال : دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصور ويُشير عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلما قُتل إبراهيم خاف بشارٌ ، فقلب الكنية ، وأظهر أنّه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها⁴ :

[من الطويل]

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سألَمَ عمّا قليلٍ بسالمٍ
قلب هذا البيت فقال : «أبا مسلم» .

[من الطويل]

على الملوك الجبارٍ يقتحِمُ الردى ويصرّعه في المازق المتلاحِمِ
كأنّك لم تسمعَ بقتل مُتَوَجِّحٍ عظيمٍ ولم تسمعَ بفتك الأعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلامَ نائمٍ

يعني الوليد بن يزيد :

وقد كان لا يخشى انقلابَ مكيدةٍ عليه ولا جَرِيّ النّحوسِ الأشائمِ
مُقيماً على اللذاتِ حتى بدّتْ له وجوهُ المنايا حاسراتِ العمائمِ
وقد تَرَدُّ الأيامُ غُرّاً وربّما ورَدَنَ كُلُّوحاً بادياتِ الشّكائِمِ
ومروانٌ قد دارَتْ على رأسه الرّحى وكان لِمَا أُجرمتْ نَزَرَ الجرائِمِ⁵
فأصبحتَ تجري سادراً في طريقهم ولا تَتَقَيّ أشباهَ تلكَ النّقائِمِ

1 ديوان بشار : 192 .

2 حَيْثِي في ل : خلّتي .

3 أذنيّت في ل : قربت .

4 ديوان بشار : 204-206 .

5 يقصد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة .

تَجَرَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ تَعْفُو سَبِيلَهُ وَتُعْرِي مَطَاهُ لَلْيُوثِ الضَّرَاجِمِ¹
فَمَا زِلْتُ حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ عَلَيْكَ فَعَاذُوا بِالسَّيْفِ الصَّوَارِمِ
فَرَمَ وَزَرًا يُنَجِّيكَ يَا ابْنَ سَلَامَةٍ فَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمِ وَضَائِمِ
جَعَلَ مَوْضِعَ «يَا ابْنَ سَلَامَةٍ» «يَا ابْنَ وَشِيكَةٍ» وَهِيَ أُمُّ أَبِي مُسْلِمٍ .

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ وَمَا زِلْتُ مَرْوُوسًا خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ
أَقُولُ لِبَسَامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ غَدَا أُرِيحِيًّا عَاشِقًا لِلْمَكَارِمِ
مَنْ الْفَاطِمِيَّينَ الدُّعَاةِ إِلَى الْهَدَى جِهَارًا وَمَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ فَاطِمٍ
هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي خَافَهُ وَحَذَفَهُ بَشَارٌ مِنَ الْآيَاتِ .

سِرَاجٌ لَعِينِ الْمُسْتَضِيءِ وَتَارَةٌ يَكُونُ ظَلَامًا لِلْعُدُوِّ الْمَزَاجِمِ
إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنُ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ
وَحَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نُوومًا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ
وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظَلَامَةٌ شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ

قال محمد بن يحيى : فحدثني الفضل بن الحُبَاب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول : مِيمَةٌ بِشَارٍ هَذِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِيمَتَيْ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ .
[حديث بشار في المشورة]

قال محمد : وحدثني ابن الرياشي قال حدثني أبي قال : قال الأصمعي قلت لبشار : يا أبا معاذ ، إِنَّ النَّاسَ يَعْجَبُونَ مِنْ آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أبا سعيد ، إِنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ أَوْ خَطَأٍ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ فِي قَوْلِكَ هَذَا أَشْعُرُ مِنْكَ فِي شَعْرِكَ .
[بشار والمعلّى بن طريف]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد البيهقي عن إسحاق وحدثني به محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الْأَزْهَر عن حماد عن أبيه قال : كَانَ بَشَارٌ جَالِسًا فِي دَارِ الْمَهْدِيِّ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الْإِذْنَ ، فَقَالَ بَعْضُ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ لِمَنْ حَضَرَ : مَا عِنْدَكُمْ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ﴾ فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ : النَّحْلُ الَّتِي يَعْرِفُهَا النَّاسُ ؛

قال : هيهات يا أبا معاذ ، النحل : بنو هاشم ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني العلم ؛ فقال له بشار : أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم ، فقد أوسعنا غنائاً ؛ فعَضِبَ وشمَّ بشاراً ؛ وبلغ المهديّ الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بشارُ بها ؛ فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل الله طعامك وشرابك ممّا يخرج من بطون بني هاشم ، فإنك باردٌ غثٌ . وقال محمد بن مزيد في خبره : إنّ الذي خاطبَ بشاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالى المهديّ المعلّى بن طريف .

[بشار ويزيد بن منصور الحميري]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل يزيد بن منصور الحميريّ على المهديّ وبشار بين يديه يُنشدُه قصيدةً امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميريّ ، وكانت فيه غفلةٌ ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أثقُبُ اللؤلؤ ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشار : أعزّبُ ويليكَ ؛ أتنادُرُ على خالي ! فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى يُنشدُ الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته ! .

[ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال : وقف على بشار بعض المُجَّان وهو ينشد شعراً ؛ فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ؛ فصقّ بشار بيديه وغضب وقال له : مَنْ أنت ويليكَ ؟ قال : أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأخوالي من سلُول ، وأصهاري عُكْل ، واسمي كلبٌ ، ومولدي بأضاخ¹ ، ومنزلي بنهر بلال² ؛ فضحك بشار ثم قال : اذهب ويليكَ ؛ فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت مني بحصونٍ من حديد .

[وصف قاص قصراً كبيراً في الجنة فعابه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويّه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال : مرّ بشار بقاصّاً بالبصرة³ فسمعه يقول في قصصه : مَنْ صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة صحته ألف فرسخ في مثلها وعُلُوّه ألف فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشاراً إلى قائده فقال : بعست والله الدار هذه في كانون الثاني .

1 أضاخ : قرية من قرى اليمامة .

2 نهر بلال : نهر بالبصرة حفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

3 ل : بالمدينة .

[سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت]

قال الفضل بن سعيد وحدثني رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال : تزوجت امرأةً منهنّ فاجتمعت معها في علوي بيتٍ وبشار تحتنا ، أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوة مع امرأة ، فنهقَ حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقتها ، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يدقّها بها دقّاً شديداً فسمعتُ بشاراً يقول للمرأة : نفخ ، يعلم الله ، في الصور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فرغت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً وغضارة¹ إلى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار ؛ فقال بشار : صحّ والله الخير ونشّر أهل القبور من قبورهم أزيّت ، يشهد الله ، الآفة وزلزلت الأرض زلزالها ، فعجبتُ من كلامه وغازني ذلك ؛ فسألت من المتكلم ؟ فقبل لي : بشار ، فقلت : قد علمتُ أنّه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشار .

[نكتة له مع رجل رحمته بغلة فشكر الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال : مرّ بشارٌ برجل قد رحمته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار : استزده يزّدك .

[ما لهم مسرعين بالميت ؟]

قال : ومّر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ؛ أتأثم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم ؟ .

[مات ابن له فرثاه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب ، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور ، قالا : توفي ابن لبشار فجزع عليه ؛ فقبل له : أجرٌ قدمته ، وفرطٌ افترطته ، وذخراً أحرزته ، فقال : ولدٌ دفنته ، وثكلٌ تعجّلته ، وغيبٌ وعدته فانتظرتة ؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه² : [من الطويل]

أجارَتنا لا تجزعي وأبيي أتاني من الموت المظل نصيبي
بنّي على رغمي وسخطي رزئته وبُدّل أحجاراً وجال قلب³

1 الغضارة : القصعة الكبيرة .

2 ديوان بشار : 33-34 .

3 جال : جانب ، والقلب : البئر .

وكان كَرِيحَانِ الغصونِ تَحَالُهُ ذَوَى بعد إِشراقِ يَسْرُ وطِيبِ¹
أُصِيبَ بُنْيَى حِينَ أَوْرَقَ غُصْنُهُ وَأَلْقَى عَلَيَّ الْهَمَّ كُلُّ قَرِيبِ
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيتُهُ بِعَجِيبِ²

[نوادره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان اللّيثيّ ، وحدثني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي مسلم ، قالوا : رفع غلام بشارٍ إليه في حساب نفقته جلاءً مرآةً عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما في الدنيا أعجبٌ من جلاءٍ مرآةٍ أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدّدتُ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة مَنْ يجلوها عشرة دراهم . أخبرنا محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبيّ قال حدثنا أبو معاذ النّميريّ قال : قلت لبشار : لِمَ مدحت يزيد بن حاتم ثم هجوته ؟ قال : سألتني أن أنيكه فلم أفعل ؛ فضحكتُ ثم قلت : فهو كان ينبغي له أن يغضب ، فما موضع الهجاء ؟ فقال : أظنك تُحب أن تكون شريكه ؛ فقلت : أعوذ بالله من ذلك ويلك !

[سئل عن شعره الفث فأجاب]

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن خلّاد ، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عمران الصّيرفيّ ، قالوا حدثنا العنزيّ قال حدثنا أحمد بن خلّاد قال حدثني أبي قال قلت لبشار : إنك لتعجىء بالشيء المّجّين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قال قلت : بينما تقول شعراً تُثير به النّقع وتخلع به القلوب ، مثل قولك³ :

إِذَا مَا غَضِينَا غَضِبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدَّمَآ
إِذَا مَا أَعْرَنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
تقول⁴ :

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ
فقال : لكلّ وجهٍ وموضعٍ ، فالقولُ الأوّلُ جدٌّ ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا آكلُ البيض من السُّوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها ،

1 الغصون في ل : العروس .

2 مليته : متعت به .

3 ديوان بشار : 199 .

4 ديوان بشار : 52 .

فهذا عندها من قولِي أحسن من : [من الطويل]

قفا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

عندكَ .

[كان يحشو شعره تكميلاً للقافية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن محمد جِدَار قال حدّثني قُدّامة بن نوح قال : كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنّه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنّني للغريض يا ابنَ قنّانٍ

ف قيل له : مَنْ ابن قنّان هذا ، لسنا نعرفه من مُغْنِي البصرة ؟ قال : وما عليكم منه ! ألكم قَبْلَهُ دَيْنٌ فتطالبوه به ، أو ثأْرٌ تريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنّا أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يُغْنِي لي ولا يخرج من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُدَّ يَوْمٌ وُلِدَ وإلى يوم يموت . قال : وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

..... ووفا ني هلالُ السماء في البردانِ

فقلنا : يا أبا معاذ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سمّيته البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟ .

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غَسَّان دَمَاز ، واسمه رفيع بن سَلَمَة ، قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العبديّ راوية بشار قال : كنّا عند بشار يوماً فأنشدنا قوله¹ : [من المتقارب]

وجارية خُلِقَتْ وحدها	كَأَنَّ النساءَ لديها خَدَمٌ
دُوار العذارى إذا زُرْنَهَا	أَطْفَنَ بِحُورَاءٍ مِثْلَ الصَّنَمِ ²
ظَمِئْتُ إليها فلم تَسْقِنِي	بِرِيٍّ ولم تَشْفِنِي من سَقَمٍ
وقالت هَوَيْتَ فمَتِ راشِداً	كَمَا ماتَ عُرْوَة ³ غَمّاً بَغَمٍ
فلَمَّا رَأَيْتُ الهوى قاتلي	ولستُ بجارٍ ولا بَابِنِ عَمٍ
دَسَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ	وأَيَّ فِتْنٍ إِنْ أَصَابَ اعْتَزَمَ

1 ديوان بشار : 214-216 .

2 دوار : اسم صنم كانت العرب تدور حوله .

3 هو عروة بن حزام صاحب عفراء .

فما زال حتى أنابت له فراح وحلّ لنا ما حرّم

فقال له رجل : ومن أبو مجلّز هذا يا أبا معاذ ؟ قال : وما حاجتك إليه ؟ لك عليه دينٌ أو تطالبه بطائفة¹ ! هو رجل يتردّد بيني وبين معارفي في رسائل . قال : وكان كثيراً ما يحشّو شعره بمثل هذا .

[شعره في فينة]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت بالبصرة فينة لبعض ولد سليمان بن عليّ وكانت مُحسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقاً لسيدها ومدّاحاً له ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغني ؛ فسُرَّ بحضوره وشرب حتى سكر ونام ، ونهض بشار ؛ فقالت : يا أبا معاذ ، أحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي وتكتب بها إليه ؛ فانصرف وكتب إليه² : [من البسيط]

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُورَتُهَا	بَاتَتْ تُغْنِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكَرَانَا
(إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ	قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا)
فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ يَا سَوْلِي وَيَا أَمْلِي	فَأَسْمِعِينِي جَزَاكَ اللَّهُ إِحْسَانَا :
(يَا حَبْدَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ	وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا)
قَالَتْ فَهَلَّا فَدَتِكَ النَّفْسُ أَحْسَنَ مِنْ	هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبُّ الْقَلْبِ حَيْرَانَا :
(يَا قَوْمِ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ	وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا)
فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ أَنْتِ الشَّمْسُ طَالَعَةٌ	أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءُ نِيرَانَا
فَأَسْمِعِينِي صَوْتاً مُطْرِباً هَزَجاً	يَزِيدُ صَبّاً مُجِئاً فَيْكَ أَشْجَانَا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُفَاحاً مُفْلَجَةً	أَوْ كُنْتُ مِنْ قُضْبِ الرِّيحَانِ رِيحَانَا
حَتَّى إِذَا وَجَدْتَ رِيحِي فَأَعْجَبَهَا	وَنَحْنُ فِي خَلْوَةٍ مُثَلَّتْ إِنْسَانَا
فَحَرَكْتُ عَوْدَهَا ثُمَّ انْتَنَتْ طَرِباً	تَشْدُو بِهِ ثُمَّ لَا تُخْفِيهِ كَيْمَانَا :
(أَصْبَحْتُ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	لَأَكْثَرِ الْخَلْقِ لِي فِي الْحَبِّ عِصْيَانَا)

1 طائفة : ذحل أو ثار .

2 ديوان بشار : 223-225 والأبيات التي بين قوسين هي التي فيها الغناء وأوّل اثنين منها من قصيدة جرير التي مطلعها (ص 490 ، ط . دار صادر) :

بان الخليط ولو طوّعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

فقلتُ أطرَبُنا يا زَيْنَ مجلسنا فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولانا
لو كنتُ أعلمُ أنَّ الحبَّ يقتلني أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنتِ الشَّربَ صوتاً مؤثِقاً رَمَلاً يُذكي السَّروورَ ويُكي العينَ ألوانا :
(لا يَقْتُلُ اللهُ مَنْ دامتْ مودَّتُهُ واللهُ يَقْتُلُ أَهْلَ الغَدْرِ أحياناً)
ووجهه بالآبيات إليها ، فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسرَّ بها سروراً شديداً .

[أغضبه أعرابي عند مجزأة بن ثور فهجاه]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن علي قال حدثني علي بن منصور أبو الحسن الباهلي قال حدثني أبو عبد الله المقرئ الجحدري الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة ، قال : دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده وعليه يزة الشعراء ، فقال الأعرابي : من الرجل ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أمولى هو أم عريي ؟ قالوا : بل مولى ؛ فقال الأعرابي : وما للموالي وللشعر ؟ فغضِبَ بشار وسكت هنيهةً ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ ؛ فأنشأ بشار يقول¹ : [من الوافر]

خليلي لا أنامُ على اقتسارٍ ولا أبى على مولى وجارٍ
سأخبرُ فاحسِرَ الأعراب عني وعنه حين تأذن بالفخارِ
أحين كُسيَتَ بعد العري خَزاً ونادمتَ الكرامَ على العقارِ
تُفَاحِرُ يا ابنَ راعيةٍ وراعٍ بني الأحرارِ حَسْبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئتَ إلى قراحٍ شَرِكتَ الكلبَ في وَلَغِ الإطَارِ
تُريغُ بخطبةٍ كسرَ الموالِ ويُسيكُ المكارمَ صيدُ فارٍ²
وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقلِ بدرَّاجِ الديارِ³
وتتشحُ الشمالَ لإلسيها وترعى الضأنَ بالبلدِ القِفارِ⁴
مُقامُكُ بيننا دَنَسٌ علينا فليتَكَ غائبٌ في حَرِّ نارِ
وفخركَ بين خنزيرٍ وكلبٍ على مثلي من الحَدَثِ الكُبارِ
فقال مجزأة للأعرابي : قَبَحَكَ اللهُ ؛ فَأنتَ كَسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك .

1 ديوان بشار : 122-123 عن الأغاني .

2 تريغ : تريد وتطلب .

3 تدريها : تختلها لتصيدها . دراج الديار : القنفذ .

4 الشمال : جمع شملة وهي الكساء يتشح به .

[خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني العنزي عن الرياشي قال : حضر بشار باب محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : أصبر ؛ فقال : إن الصبر لا يكون إلا على بليّة ؛ فقال له الحاجب : إنني أظن أن وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرض له ، فقم فادخل . [بشار وهلال الرأي]

أخبرني وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال : قال هلال الرأي ، وهو هلال بن عطية ، لبشار وكان له صديقاً يمازحه : إن الله لم يذهب بصر أحدٍ إلا عوّضه بشيء ، فما عوّضك ؟ قال : الطويل العريض ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصّك بها ؟ قال نعم ؛ قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تبت وصيرت رافضياً ، فعد إلى سرقة الحمير ، فهي والله خير لك من الرّفْض¹ .

قال محمد بن سلام : وكان هلال يُستقل ، وفيه يقول بشار² : [من الوافر]

وكيف يخف لي بصري وسمعي وحولي عسكران من الثقال
قعوداً حول دسكرتي وعندي كأن لهم عليّ فضول مال
إذا ما شئت صبّحت هلالاً وأي الناس أثقل من هلال

وأخبرني أبو دلف الخزاعي بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، فذكر أن الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة ابن سيّابة ، فلما أجابه بشار بالجواب المذكور ، قال له : من أنت ؟ قال : ابن سيّابة ؛ فقال له : يا ابن سيّابة ، لو نكح الأسد ما افترس ؛ قال : وكان يتهم بالأبنة .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

قال أيوب وحدثني محمد بن سلام وغيره قالوا : مرّ ابن أخي بشار به ومعه قوم ؛ فقال لرجل معه : من هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أن أصحابه أنزال ؛ قال : وكيف علمت ؟ قال : ليست لهم نعال .

[كان دقيق الحس]

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدثني أبي قال حدثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابي ، قال : مررت ببشار يوماً وهو جالس على بابهِ وحده وليس معه خلقٌ وبِيدِهِ مِخْصَرَةٌ يلعبُ بها

1 الرّفْض (بالكسر) : مذهب الرافضة ، وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ولما رفض التبرؤ من الشيخين رفضوه وانفضوا عنه .

2 ديوان بشار : 282 عن الأغاني .

وقدّامه طبق فيه تفّاح وأترج^١، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئت قليلاً قليلاً وهو كافّ يده حتى مددت يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربة كاد يكسرها ، فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ، أنت الآن أعمى ؛ فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟ .

[حدثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني العنزيّ قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : كان لبشار في داره مجلسان : مجلسٌ يجلس فيه بالغداة يُسمّى «البردان» ومجلسٌ يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرقيق» ، فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه : أمسك عليّ بابي واطبّخ لي من طيّب طعامي وصفّ نبذي ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعاً عنيماً ؛ فقال : ويحك يا غلام ؛ انظر من يدق الباب دقّ الشرط ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوة خمسٌ بالباب يسألن أن تقول لهنّ شعراً ينحنّ به ؛ فقال : أدخلهنّ ، فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مُصفيّ في قنانيه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدة منهنّ : هو خمرٌ ، وقالت الأخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيع زبيب ؛ فقال : لستُ بقاتلٍ لكنّ حرفاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي ؛ قال : فتماسكن ساعة ، ثم قالت واحدة منهنّ : ما عليكن ؛ هو أعمى فكلن من طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره ؛ فبلغ ذلك الحسن البصريّ فعابه وهتف ببشار ؛ فبلغه ذلك ، وكان بشار يُسمّي الحسن البصريّ القسّ ، فقال^١ : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا طَلَعْنَ مِنَ الرَّقِيعِ سَقَى عَلِيٌّ بِالْبِرْدَانِ خَمْسًا
وَكَاثَهُنَّ أَهْلًا تَحْتَ الثِّيَابِ زَفَقْنَ شَمْسًا
بَاكَرْنَ عِطْرَ لَطِيمَةٍ وَغُمِسْنَ فِي الْجَادِي غَمْسًا^٢

صوت

لَمَّا طَلَعْنَ حَفَقْنَهَا وَأَصْحَنَ مَا يَهْمِسْنَ هَمْسًا
فَسَأَلْتَنِي مَنْ فِي الْبَيْتِ تِ فَقُلْتُ مَا يُؤْوِينَ إِنْسًا
لَيْتَ الْعِيُونَ الطَّارِفَا تِ طُمِسْنَ عَنَّا الْيَوْمَ طَمْسًا
فَأَصْبَنَ مِنْ طَرْفِ الْحَدِيدِ سِ لَذَاذَةً وَخَرَجْنَ مُلْسًا^٣

١ ديوان بشار 141-142 عن الأغاني .

٢ اللطيمة : المسك . الجادي : الزعفران .

٣ مُلْسًا في ل : قلّسا . والقص : شرب الكثير من النبيذ . وملس : خاليات من العيب .

لولا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يَا قَسُّ كُنْتُ كَأَنَّ قَسًّا

غَنَّى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِحَيِّ الْمَكِّيِّ ، وَلَحْنَهُ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرِو .

[نهائ مالک بن دینار عن التشیب بالنساء]

أخبرنا يحيى قال حدثني العنزي قال حدثنا علي بن محمد قال حدثني جعفر بن محمد النوفلي ، وكان يروي شعر بشار بن برد ، قال : جئتُ بشاراً ذات يومٍ فحدثني ، قال : ما شعرتُ منذ أيامٍ إلا بقارِعٍ يقرَعُ بابي مع الصَّبحِ ، فقلتُ : يا جارية انظري مَنْ هذا ، فرجعتُ إليَّ وقالتُ : هذا مالکُ بن دینار ؛ فقلتُ : ما هو من أشكالي ولا أضرابي ، ثم قلتُ : ائذني له ، فدخل فقال : يا أبا معاذ ، أتشتُم أعراض الناس وتُشَبِّبُ بنسائهم ؟ فلم يكن عندي إلا أن دفعتُ عن نفسي وقلتُ : لا أعود ، فخرج عني ، وقلتُ في أثره¹ : [من المتقارب]

غداً مالکُ بمَلَاماته	عليٌّ وما باتَ من بالية
تَنَاولَ خَوْداً هَضِيمَ الحَشَى	من الحُورِ مَحْظُوظَةً عَالِيَةً ²
فقلتُ دَعِ اللُّومَ فِي حَبِّهَا	فقبلك أَعْيَيْتُ عُدَالِيَةً
وَأَنسِي لأَكُفُّهم سِرَّهَا	غداً تقول لها الجَالِيَةَ ³
عَبِيدَةُ ما لَكَ مَسْلُوبَةٌ	وكنْتُ مُعْطِرةَ حَالِيَةٍ
فقالَتِ على رَقَبَةٍ : إِنِّي	رَهْنَتْ المَرَعَثَ خَلخالِيَةً
بمَجْلَسِ يَوْمِ سَأَوْفِي به	ولو أَجَلَبَ الناسُ أحوالِيَةَ ⁴

[شعره في محبته فاطمة]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثني السَّمِيدَع بن محمد الأزدي قال حدثني عبد الرحمن بن الجهم عن هشام بن الكلبي قال : كان أولُ بدءٍ بشاراً أَنَّهُ عَشَقَ جَارِيَةً يَقَالُ لَهَا فاطمة ، وكان قد كُفِّ وَذَهَبَ بَصْرُهُ ، فسمعها تَغْنِي فَهَوِيَها وَأَنشَأَ يَقُولُ⁵ : [من الرمل]

دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ	مازها التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لها	هل يُجِيدُ النُّعْتَ مَكْفُوفُ البَصْرِ

1 ديوان بشار : 247-248 .

2 محظوظة في ل : محظوظة أي ممدودة المتين حسنة .

3 الجالية : الماشطة التي تجلوها .

4 أحواليه : من حولي .

5 ديوان بشار : 135-136 .

أَمَّا بَدَّدَ هَذَا لَعْبِي وَوِشَاحِي حَلَّه حَتَّى انْتَثَرَ
فَدَعَيْتَنِي مَعَهُ يَا أَمَّا عَلْنَا فِي خَلْوَةٍ نَقْضِي الْوَطَرَ
أَقْبَلْتُ مُغْضَبَةً تَضْرِبُهَا وَاعْتَرَاهَا كَجَنُونَ مُسْتَعِرُ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعُ عَيْنٍ يَغْسِلُ الْكُحْلَ قَطَرُ
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُوا وَيَحْكَمْ وَاسْأَلُونِي الْيَوْمَ مَا طَعُمَ السَّهْرُ
[عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال : مررت أنا ورجل من عُكْل من أبناء سوار بن عبد الله بقصر أوس¹ ، فإذا نحن ببشار في ظل القصر وحده ، فقال لي العُكْلِي : لا بد لي من أن أعبث ببشار ؛ فقلت : ويحك ، مه لا تعرض بنفسك وعرضك له ؛ فقال : إني لا أجده في وقت أدخل منه في هذا الوقت ؛ قال فوقفت ناحية ودنا منه فقال : يا بشار ؛ فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيَنِي ويدعوني باسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأخبرني أنت عن أمك : أولدتك أعمى أم عميت بعدما ولدتك ؟ قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : وددت أنه فسيح لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرأة ، فعسى أن تمسك عن هجاء الناس وتعرف قدرك ؛ فقال : ويحكم ؛ من هذا ؟ أما أحد يخبرني من هذا ؟ فقال له : على رسلك ، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفحم بالعبلاء² فما تقدر أن تقول لي ؟ قال : لا شيء ، اذهب ، بأبي أنت ، في حفظ الله .
[مدح خالد البرمكي]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنعجم قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني العباس بن خالد البرمكي قال : كان الزوار يُسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك السؤال ؛ فقال خالد : هذا والله اسم أستقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمي به أمثال هؤلاء المؤمنين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً ، ولكننا نسميهم الزوار ؛ فقال بشار يمدحه بذلك³ :

حذا خالد في فعله حذو برمك فمجد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله بلفظ على الإعدام فيه دليل

1 قصر أوس بالبصرة يُنسب إلى أوس بن ثعلبة الذي ولي خراسان في عهد الدولة الأموية .

2 بلدة كانت لخشعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم (ياقوت) .

3 ديوان بشار: 107 .

يُسْمَوْنَ بالسُّوَالِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ نَابَةٌ وَجَلِيلٌ
فَسَمَاهُمْ الزَّوَارَ سَتْرًا عَلَيْهِمْ فَاسْتَارَهُ فِي الْمُجْتَدِينَ سُدُولٌ

قال : وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .
[بشار وصديقه تسنيم بن الحواري]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو شبل عاصم بن وهب قال : نهق حمار ذات يوم بقرب بشار ، فخطر بياله بيت فقال¹ : [من البسيط]

ما قام أيرُ حمارٍ فامتلا شَبَقًا إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ فِي اسْتِ تَسْنِيمٍ

قال : ولم يُرد تسنيمًا بالهجاء ؛ ولكنه لما بلغ إلى قوله : «إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ» قال : فِي اسْتِ مَنْ؟ ومر به تسنيم بن الحواري وكان صديقه ، فسلم عليه وضحك ، فقال : فِي اسْتِ تسنيم عليم الله ؛ فقال له : أيش ويحك؟! فأنشده البيت ؛ فقال له : عليك لعنة الله ؛ فما عندك فرق بين صديقك وعدوك ، أي شيء حملك على هذا ! ألا قلت : «فِي اسْتِ حماد» الذي هجأك وفضحك وأعيأك ، وليست قافيتك على الميم فأعزرك ! قال : صدقت والله في هذا كله ، ولكن ما زلت أقول : فِي اسْتِ مَنْ؟ فِي اسْتِ مَنْ؟ ولا يخطر ببالي أحد حتى مررت وسلّمت فرزقته ؛ فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا علي حين سلّمت عليك ؛ وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه وتسنيم يشتمه .

[ليس من حسنه يهاب الأسد.]

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن عمه قال : قالت امرأة لبشار : ما أدري لِمَ يهابك الناس مع قُبْح وجهك ؛ فقال لها بشار : ليس من حُسْنِهِ يهاب الأسد .

[الملاحاة بينه وبين عقبة بن ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الحجاج قال : دخل بشار على عقبة² بن سلم ، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن ربيعة يُشده رجلاً يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ ؛ ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ؛ فقال له بشار : ألي يُقال هذا ؟ أنا والله أرجز منك ومن أليك وجدك ؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحننا للناس باب الغريب وباب الرجز ، والله إني لخليق أن أسده عليهم ؛ فقال بشار : ارحمهم رحمتك الله ؛ فقال عقبة : أتستخف بي يا أبا

1 ديوان بشار : 210 .

2 ولي البصرة لأبي جعفر المنصور .

معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشار : فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ؛ ثم خرج من عنده عقبة مَغْضَباً . فلما كان من غدٍ غداً على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن ربيعة ، فأَنشده أرجوزته التي مدحه فيها¹ : [من الرجز]

يا طَلَلَ الحَيِّ بذات الصَّمَدِ	بالله خَبِرَ كيف كُنْتُ بعدي ²
أَوْحَشْتَ من دَعْدٍ وَزُبْ دَعْدٍ	سَقِيّاً لأَسْمَاءِ ابْنَةِ الْأَشَدِّ
قَامَتْ تَرَأَى إِذْ رَأَيْتَنِي وَخَدِي	كَالشَّمْسِ تَحْتَ الزُّبُرِجِ الْمُنْقَدِّ ³
صَدَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَّتْ عَنْ خَدٍّ	ثُمَّ انْتَنَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ
عَهْدِي بِهَا سَقِيّاً لَهُ مِنْ عَهْدٍ	تُخْلِفُ وَعْداً وَتَقِي بوعْدٍ
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَى فِي جَهْدٍ	وَزَاهِرٍ مِنْ سَبَطِ وَجَعْدٍ
أَهْدَى لَهُ الدَّهْرُ وَلَمْ يَسْتَهْدِ	أَفْوَافَ نَوْرِ الْحَيْرِ الْمُجَدِّ ⁴
يَلْقَى الضُّحَى رِيحَانَهُ بِسَجْدٍ	بُدِّلْتُ مِنْ ذَاكَ بُكَيٍّ لَا يُجِدِي
وَافَقَ حَظّاً مَنْ سَعَى بِجَدٍّ	مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْجَدِّ
الْحَرَّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ	وَلَيْسَ لِلْمُلْجِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وَالنَّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعْدِي	وَصَاحِبِ كَالِدُمْلِ الْمُدِّ ⁵
حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي	أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ ⁶
حَتَّى مَضَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ	وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زُهْدِي
اسْلَمْ وَحْيَيْتَ أَبَا الْمِلْدِّ	مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدَثِ الْمُنْسَدِّ
مُشْتَرَكِ النَّيْلِ وَرِيَّ الزَّنْدِ	أَغَرَّ لِبَاسَ ثِيَابِ الْحَمْدِ
مَا كَانَ مِنِّي لَكَ غَيْرُ الْوَدِّ	ثُمَّ ثَنَاءٍ مِثْلَ رِيحِ الْوَرْدِ
نَسَجْتُهُ فِي مُحْكَمَاتِ النَّدِّ	فَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرْدِّ
لِلَّهِ أَيَّامُكَ فِي مَعْدٍ	وَفِي بَنِي قَحْطَانٍ غَيْرَ عَدِّ

1 ديوان بشار : 84-87 .

2 ذات الصمد : موضع أو ماء .

3 الزبرج : السحاب . والمنقذ : المتقطع .

4 أفواف : جمع فوف وهو نوع من يرود اليمن .

5 النصف : الإنصاف .

6 الورد : من أسماء الحمى .

يوما بذِي طِخْفَةٍ عندَ الحُدِّ ومثلَه أودَعَتِ أرضَ الهندِ¹
 بالمرهفاتِ والحديدِ السَّردِ والمقرباتِ المُبعداتِ الجرْدِ
 إذا الحيا أَكْدَى بها لا تُكْدِي تُلجِمُ أمراً وأموراً تُسْدي
 وابنُ حكيمٍ إنْ أَتاكِ يَرْدِي أصمٌّ لا يسمَعُ صوتَ الرعدِ²
 حيَّتهُ بِتُخْفَةِ المِعْدِ فانْهَدَّ مثلَ الجبلِ المُنْهَدِّ³
 كُلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما يُودِّي ورُبُّ ذي تاجٍ كريمٍ الجَدِّ⁴
 كَالِ كِسْرَى وكَالِ بُردِ أنْكَبَ جافٍ عن سبيلِ القصدِ⁵
 فَصَلَّتْهُ عن مَلِيهِ والوُلْدِ

فطرب عُقبة بن سَلَمٍ وأَجْزَلَ صِلته ، وقام عُقبة بن رُوثة فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ ،
 وهرب من تحت ليلته فلم يَعُدْ إليه .

وذكر لي أَبُو دُلْفَ هاشم بن محمد الخزاعيّ هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ
 قال : فانظر إلى سوء أدب عُقبة بن رُوثة وقد أَجْمَلَ بَشَّارَ مُحَضَّرَه وَعِشْرته ، فقابلَه بهذه المقابلة
 القبيحة ، وكان أبوه أَعْلَمَ خَلَقِ الله به ، لأنَّه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنَيَّ ذَهَبَانِ الشعر
 إذا مَتَّ ماتَ شعْرُكَ معكَ ، فلم يوجد مَنْ يرويهِ بعدكَ ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ
 ولا خبرٌ غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالُّ على سُخْفِهِ وسقوطه وسوء أدبه .
 [كان يهوى امرأة من البصرة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَاز قال حَدَّثَنَا أَبُو عبيدة قال : كان بَشَّارُ
 يهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عبيدة⁴ ، فخرجت عن البصرة إلى عُمانَ مع زوجها ،
 فقال بَشَّارُ فيها⁵ :
 [من الطويل]

صوت

هوَى صاحِبِي رِيحَ الشَّمَالِ إذا جَرَتْ وَأشْفَى لِقَلْبِي أن تَهْبَّ جُنُوبُ
 وما ذاكَ إلَّا أَنَّها حينَ تَنْتَهِي تَنَاهَى وفيها من عُبيدَةٍ طيبُ

1 طخفة : موضع كان فيه يوم لَبَنِي يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

2 يردي : يعدو .

3 أنكب : مائل .

4 ل : عبدة .

5 ديوان بشار : 19 .

عَذِيرِي مِنَ الْعُدَالِ إِذْ يَعْدِلُونَنِي سَفَاهًا وَمَا فِي الْعَاذِلِينَ لَيْبٌ

صوت

[من الطويل]

يقولونَ لو عَزَيْتَ قَلْبَكَ لَأَرْعَوَى فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبٌ
إِذَا نَطَقَ الْقَوْمُ الْجُلُوسُ فَإِنِّي مُكِبٌّ كَأَنِّي فِي الْجَمِيعِ غَرِيبٌ¹

[بشار وأبو الشمقمق]

أخبرني هاشم قال حدثني دَمَاز قال حدثني رجل من الأنصار قال : جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الضيقة ويحلف له أنه ما² عنده شيء ؛ فقال له بشار : والله ما عندي شيء يُغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن سلم ، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشار³ : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أَمْسَى وليسَ له نَظِيرُ

لو كان مثلكَ آخِرُ ما كان في الدنيا فقيرُ

فأمر لبشار بألفي درهم ؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ؛ فجعل بشار يضحك .

[بشار وأبو جعفر المنصور]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَيْنِ⁴ الطائي قال حدثني زحرُ بن حصن قال : حجّ المنصور فاستقبلناه بالرّضَم الذي بين زباله⁵ والشُّقُوق⁶ ، فلما رحل من الشُّقُوق رحلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القبة⁶ وركب نجيباً فسار بيننا ، فجعلت الشمس تضحك⁷ بين عينيه ، فقال : إني قائلٌ بيتاً فمَن أجازَه وهبْتُ له جَبَّتِي هذه ؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال : [من الوافر]

1 مكب : مطرق .

2 ل : ليس .

3 ديوان بشار : 104 وسيردان لابن المولى في ترجمته وهما أيضاً له في معجم الشعراء : 326 وابن خلكان : 6 . 362

4 ل : المستكين .

5 زباله : قرية على طريق الحاج من الكوفة . الشقوق : منزل على الطريق بعد الكوفة .

6 القبة : الهودج .

7 تضحك : تتلأأ .

وهاجرة نَصَبْتُ لها جَبِينِي يُقَطِّعُ ظَهْرُهَا ظَهَرَ الْعِظَايَةِ

فبدر بشار الأعمى فقال¹ : [من الوافر]

وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ ففَاضَ دَمْعِي عَلَى خَدَّيْ وَأَقْصَرَ وَاعْظَايَةِ

فنزح الجبة وهو راكب فدفعها إليه . فقلت لبشار بعد ذلك : ما فعلت بالجبة ؟ فقال
بشار : بعثها والله بأربعمائة دينار .

[كانت له شعر غث يعير به]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليّ العنزي قال حدثني علي بن
محمد النوفلي قال حدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة
عن أبيه قال : كان بشار منقطعاً إلي وإلى إخواني فكان يغشانا كثيراً ، ثم خرج إبراهيم بن عبد الله
فخرج معه عدّة منّا ، فلما قُتِلَ إبراهيم توارينا ، وحبس المنصور منّا عدّة من إخواني ، فلما ولي
المهدي أَمَنَ الناس جميعاً وأطلق المحبوسين ، فقَدِمْتُ بغداد أنا وإخواني نلتمس أماناً من المهدي ،
وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة يُنشدون ويتحدّثون ، فلم أُطْلِعْ بشاراً على
نفسه إلّا بعد أن أظهر لنا المهدي الأمان ، وكب أخِي إلى خليفته بالليل ، فصِحتُ به : يا أبا
معاذ من الذي يقول :

[من الهزج]

أَحِبُّ الْخَاتَمَ الْأَحْمَرَ ر مِنْ حُبِّ مَوَالِيهِ

فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره ، ثم صِحتُ : يا أبا معاذ من الذي
يقول :

[من الرمل]

إِنَّ سَلْمَى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ قَصَبِ السَّكَّرِ لَا عَظَمَ الْجَمَلُ

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصْلًا غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

فغضب وصاح : من الذي يُقَرِّعُنَا بأشياء كُنَّا نعبث بها في الحداثة فهو يُعَيِّرُنَا بها ! فتركه
ساعة ثم صِحتُ به : يا أبا معاذ من الذي يقول² :

[من الطويل]

أَخْشَابُ حَقًّا أَنْ دَارَكَ تَرْعَجُ وَأَنْ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْهَجُ³

فقال : ويحك ؛ عن مثل هذا فسَلْ ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها ، وهي من جيد
شعره ، وفيه غناء :

[من الطويل]

1 ديوان بشار : 248 .

2 ديوان بشار : 58 .

3 ينهج : يبلى .

صوت

فواكِدَا قَدْ أَنْصَجَ الشُّوقُ نَصْفَهَا وَنَصَفَ عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ يَنْصَجُ
وَوَاحَزَنَا مِنْهُمْ يَخْفُفْنَ هُودَجًا وَفِي الْهُودَجِ الْمُخْفُوفِ بَدْرٌ مُتَوَجُّ
فَإِنْ جِئْتَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ فَقُلْ لَهَا عَلَيْكَ سَلَامٌ مَاتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ
بَكَيْتَ وَمَا فِي الدَّمْعِ مِنْكَ خَلِيفَةٌ وَلَكِنْ أَحْزَانِي عَلَيْكَ تَوَهَّجُ

الغناء لسليم بن سلام رمل بالوسطى . ووجدت هذا الخبر بخط ابن مَهْرُوبَةَ فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها ماثلاً يقال لها خَشَّابَةٌ ، فارسية ، فزُوِّجَتْ وأُخْرِجَتْ عن البصرة .

[أنشده أبو النضر شعره فاستحسنه]

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَّانِيُّ قال حدثني أَبُو حَاتِمٍ : قال أَبُو النُّضَيْرِ الشَّاعِرُ : أَنْشَدْتُ بِشَارًا قَصِيدَةً لِي ، فَقَالَ لِي : أَيَجِئُكَ شَعْرُكَ هَذَا كُلَّمَا شَتَّ أَمْ هَذَا شَيْءٌ يَجِئُكَ فِي الْفَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ إِذَا تَعَمَّلْتَ لَهُ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ هَذَا شَعْرٌ يَجِئُنِي كُلَّمَا أُرِدْتُهُ ؛ فَقَالَ لِي : قُلْ فَإِنَّكَ شَاعِرٌ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : لَعَلَّكَ حَابِئَتِي أَبَا مُعَاذٍ وَتَحَمَّلْتُ¹ لِي ؛ فَقَالَ : أَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ .

[حاول تقبيل جارية لصديق له ثم اعتذر عن ذلك]

أخبرني عمي قال حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ عَنِ الْعُمَرِيِّ عَنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبَّاسِ الزُّنَادِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ بِشَارِ الْأَعْمَى فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِ جَارِيَةٍ عِنْدَهُ وَقَالَ : كَيْفَ ابْنَتِي ؟ قَالَ : فِي عَافِيَةٍ ، تَدْعُوكَ الْيَوْمَ ؛ فَقَالَ بِشَارٌ : يَا بَاهِلِي أَنْهَضْ بِنَا ، فَجِئْنَا إِلَى مَنْزِلِ نَظِيفٍ وَفَرَسٍ سَرِيٍّ ، فَأَكَلْنَا ، ثُمَّ جِئَ بِالنَّبِيذِ فَشَرَبْنَا مَعَ الْجَارِيَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ قَامَتْ فَأَخَذَتْ بِيَدِ بِشَارٍ ، فَلَمَّا صَارَ فِي الصَّحْنِ أَوْماً إِلَيْهَا لِيَقْبَلَهَا ، فَأَرْسَلَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِهِ ، فَجَعَلَ يَجُولُ فِي الْعَرْصَةِ ؛ وَخَرَجَ الْمَوْلَى فَقَالَ : مَا لَكَ يَا أَبَا مُعَاذٍ ؟ فَقَالَ : أَذْنِبْتُ ذَنْبًا وَلَا أُبْرَحُ أَوْ أَقُولَ شَعْرًا ، فَقَالَ² :

أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ فَعْلَتِي
تَنَاوَلْتُ مَا لَمْ أُرِدْ نَيْلَهُ عَلَى جَهْلٍ أَمْرِي وَفِي سَكْرَتِي
وَوَاللَّهِ وَاللَّهُ مَا جِئْتُهُ لَعَمْدٍ وَلَا كَانَ مِنْ هِمَّتِي

1 لَعَلَّهَا تَجَمَّلَتْ ، أَيْ تَكَلَّفَتْ الْجَمِيلَ .

2 ديوان بشار : 54 عن الأغاني .

وَالْأَفَمْتُ إِذَا ضَائِعاً وَعَذْنِيَّيَ اللَّهُ فِي مَيْتِي
فَمَنْ نَالَ خَيْراً عَلَى قُبْلَةٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قُبْلَتِي

[كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : لما أنشد بشّار
أرجوزته :

يا طللَ الحَيِّ بذاتِ الصَّمَدِ

أبا المِلدِّ عُقْبَةُ بن سَلَمٍ أمر له بخمسين ألفَ درهم ، فأخراها عنه وكيّله ثلاثة أيام ، فأمر
غلامه بشّار أن يكتب على باب عُقْبَةَ عن يمين الباب¹ :

ما زالَ ما مَنَيْتَنِي من هَمِّي والوعدُ غَمٌّ فَأَرْخُ من غَمِّي
إن لم تُرِدْ حَمْدِي فَرَأَيْتَ دَمِي

فلما خرج عُقْبَةُ رأى ذلك ، فقال : هذه مِن فَعَلاتِ بشّار ، ثم دعا بالقَهْرَمَانِ ، فقال : هل
حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيّها الأمير نحن مُضَيِّقُونَ وغداً أحملها إليه ؛ فقال : زدْ
فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة ؛ فحملها من وقته .

[نهاه المهدي عن التشيب بالنساء]

أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غَسَّانَ دَمَاز قال : سألتُ أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله
نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك استهتار نساء البصرة وشُبَّانِها بشعره ،
حتى قال سَوَّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار : ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة إلى
الفسق من أشعار هذا الأعمى ؛ وما زالا يَعِظَانَهُ ؛ وكان واصلُ بن عطاء يقول : إن من أخذَ
حبائلَ الشيطان وأغواها لكَلِماتِ هذا الأعمى الملحد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه
كثيرة إلى المهديّ ، وأنشد المهديّ ما مدحه به ، نهاه عن ذكر النساء وقول التشيب ، وكان
المهديّ من أشدّ الناس غيرةً ؛ قال : فقلت له : ما أحسبُ شِعَرَ هذا أبلغ في هذه المعاني من
شعر كثيرٍ وجميلٍ وعُروة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة ؛ فقال : ليس كلُّ مَنْ يسمع
تلك الأشعار يعرفُ المراد منها ؛ وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقول وما
يريد ، وأيُّ حُرّةٍ حَصانٍ تسمع قول بشّار فلا يُوَثِّرُ في قلبها ، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي
لا همَّ لها إلّا الرجالُ ! ثم أنشد قوله² :

1 ديوان بشّار : 211 .

2 ديوان بشّار : 99-100 .

قد لَامَنِي فِي خَلِيلَتِي عُمُرُ
 قَالَ أَفَقُلْتُ لَا فَقَالَ بَلِي
 قُلْتُ وَإِذَا شَاعَ مَا اعْتَذَرُكَ مِمَّا
 مَاذَا عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ خَرَسُوا
 أَعَشَقْتُ وَحْدِي وَيُوْخَذُونَ بِهِ
 يَا عَجِبًا لِلْخِلَافِ يَا عَجِبًا
 حَسْبِي وَحَسْبُ الَّذِي كَلِفْتُ بِهِ
 أَوْ قُبْلَةً فِي خِلَالِ ذَاكَ وَمَا
 أَوْ عَضَّةً فِي ذِرَاعِهَا وَلَهَا
 أَوْ لَمَسَةً دُونَ مِرْطِهَا بِيَدِي
 وَالسَّاقُ بَرَأَقَةً مُخْلَخَلَهَا
 وَاسْتَرَحْتَ الْكَفَّ لِلْعِرَاكِ وَقَا
 انْهَضْ فَمَا أَنْتَ كَالَّذِي زَعَمُوا
 قَدْ غَابَتْ الْيَوْمَ عَنْكَ حَاضِيَتِي
 يَا رَبِّ خُذْ لِي فَقَدْ تَرَى ضَرْعِي
 أَهْوَى إِلَى مِعْضَدِي فَرَضُّهُ
 أَلْصَقَ بِي لِحْيَةً لَهُ خَشْنَتْ
 حَتَّى عَلَانِي وَأَسْرَتَنِي غَيْبٌ
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا نَجَوْتَ بِهَا
 كَيْفَ بِأُمِّي إِذَا رَأَتْ شَفَقَتِي
 قَدْ كُنْتُ أَخْشَى الَّذِي ابْتُلَيْتُ بِهِ
 قُلْتُ لَهَا عِنْدَ ذَاكَ يَا سَكَنِي

وَاللَّوْمُ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ضَجَرُ
 قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ مِنْكُمَا الْخَبَرُ
 لَا لَيْسَ لِي فِيهِ عِنْدَهُمْ عُذْرُ
 لَوْ أَنْتَهُمْ فِي عِيُوبِهِمْ نَظَرُوا
 كَالَّذِي تَغْزُو فَتُوْخِذُ الْخَزَرُ
 بِنَفْسِي الَّذِي لَامَ فِي أَهْوَى الْحَجَرُ
 مِنِّي وَمِنْهُ الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ
 بَأْسٌ إِذَا لَمْ تُحَلِّ لِي الْأَزْرُ
 فَوْقَ ذِرَاعِي مِنْ عَضِّهَا أَثَرُ
 وَالْبَابُ قَدْ حَالَ دُونَهُ السُّتْرُ
 أَوْ مَصْرُ رِبْقِي وَقَدْ عَلَا الْبُهِرُ¹
 لَنْتَ إِلَيْهِ عَنِّي وَالْدَّمْعُ مُنْهَدِرُ
 أَنْتَ وَرَبِّي مُغَازِلٌ أَشِيرُ
 وَاللَّهُ لِي مِنْكَ فَيْكَ يَنْتَصِرُ
 مِنْ فَاسِقٍ جَاءَ مَا بِهِ سَكْرُ
 ذُو قُوَّةٍ مَا يُطَاقُ مُقْتَدِرُ²
 ذَاتَ سَوَادٍ كَأَنَّهَا الْإِبْرُ
 وَيَلِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوا³
 فَازْهَبْ فَأَنْتَ الْمُسَاوِرُ الظَّفِيرُ
 أَمْ كَيْفَ إِنْ شَاعَ مِنْكَ ذَا الْخَبَرُ
 مِنْكَ فَمَاذَا أَقُولُ يَا عَبْرُ⁴
 لَا بَأْسَ إِنْنِي مُجَرَّبٌ خَبِيرُ

1 البهر : (يسكون الهاء) تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء وقد حرك للضرورة .

2 المعضد : الدمليج يلبس في العضد .

3 غيب : غائبون .

4 عبر : شديد قوي .

قُولِي لَهَا بَقَّةٌ لَهَا ظُفْرٌ إِنْ كَانَ فِي الْبَقِّ مَا لَهُ ظُفْرٌ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تَمِيلُ القلوب وَيَلِينُ الصَّعْبُ .

قال دَمَاز قال لي أَبُو عبيدة : قال رجلٌ يوماً لبَشَّارٍ في المسجد الجامع يُعَابِثُهُ : يَا أَبَا معاذ ، أَيْعَجِبُكَ الغلامُ الجَادِلُ¹ ؟ فقال غير مُحْتَشِمٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ : لَا ، وَلَكِنْ تُعَجِّبُنِي أُمُّهُ .

[ورد على خالد البرمكي بفارس وامتدحه]

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنَا العَنَزِيُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن سهل عن محمد بن الحَجَّاج قال : ورد بَشَّارٌ على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه ؛ فوعده ومَطَّلَهُ ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده² :

أُظِّلْتُ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا وَأَبْطَأَ رِشَاشُهَا
فَلَا غِيْمُهَا يُجْلِي فَيَأْسَ طَامِعٌ وَلَا غِيْثُهَا يَأْتِي فَيُرَوِّى عِطَاشُهَا

فَحَبَسَ بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لَنْ تنصرف السحابة حتى تَبُلَّكَ إِنْ شاء الله .

[تظاهر بالحجّ وخرج مع سعد بن القعقاع]

أخبرني يحيى بن عَلِيٍّ قال حَدَّثَنَا الحسن بن عَلِيلٍ قال حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بن حرب الطائِيُّ قال حَدَّثَنِي إِسماعيل بن زياد الطائِيُّ قال : كان رجلٌ مِنَّا يقال له سعد بن القعقاع يَتَنَدَّمُ³ بِبَشَّارٍ في المَجَانَةِ ، فقال لبَشَّارٍ وهو يُنادمه : ويحك يَا أَبَا معاذ ! قد نسبنا الناس إلى الزُّنْدَقَةِ ، فهل لك أَنْ تَحْجَّجَ بنا حَجَّةَ تَنْفِي ذلك عَنَّا ؟ قال : نَعَمْ ما رأيتَ ؛ فاشترِيا بعيراً وَمَحْمِلاً وركبا ، فلَمَّا مَرَّا بِزُرَّارَةَ قال له : ويحك يَا أَبَا معاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرَّارَةَ نَتَنَعَّم فيها ، فإذا قَفَلَ الحاجُّ عارضناهم بالقادسيَّةِ وَجَزَزْنَا رؤوسنا فلم يَشْكُ الناسُ أَنَّا جئنا من الحجِّ ؛ فقال له بِشَّارٌ : نَعَمْ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، وإني أخافُ أَنْ تَفْضَحْنَا . قال : لَا تخفْ . فمالا إلى زُرَّارَةَ فما زالا يشربان الخمر وَيَفْسُقَانِ ، فلَمَّا نَزَلَ الحاجُّ بالقادسيَّةِ راجعين ، أخذوا بعيراً وَمَحْمِلاً وَجَزَزَا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناسُ يَهْتَوْنَهُمَا ؛ فقال سعيد بن القعقاع : [من الوافر]

أَلَمْ تَرَنِي وَبَشَّارًا حَجَجْنَا وَكَانَ الْحَجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارَةِ
خَرَجْنَا طَالِبِي سَفَرٍ بَعِيدٍ فَمَالَ بِنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارَةِ

1 الجادل : اليافع الذي قوي واشتد .

2 ديوان بشار : 145 .

3 لعلها يتقدم .

قَابَ النَّاسُ قَدْ حَجَّوْا وَبَرُّوا وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخَسَارَةِ

[أنكر عليه داود بن رزين أشياء فاجابه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني محمد بن القاسم الدينوري قال حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي قال حدثني محمد بن الحسن الضبي قال حدثني محمود الوراق قال حدثني داود بن رزين قال : أتينا بشاراً فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته فبال ؛ ثم حضرت الظهر والعصر فلم يصل ، فدوننا منه قلنا : أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ؛ قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه ؛ فقال : إنما أذنت لكم أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لَمَا أذنت لكم ؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوت بطست ونحن حضور فبُلت ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار ، ثم قال : ومه ؛ قلنا : حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل ؛ فقال : إن الذي يقبلها تفريق يقبلها جملة .

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني عن بعض أصحاب بشار قال : كنّا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله .

[بشار والنقاء]

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازي قال : قعد إلى بشار رجل فاستثقله فصرط عليه صرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم صرط أخرى : فقال : أفلتت ، ثم صرط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مه ، أرايت أم سمعت ؟ قال : بل سمعت صوتاً قبيحاً ، فقال : فلا تصدّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيوب لبشار في رجل استثقله¹ :

ربّما يثقلُ الجليسُ وإن كا ن خفيفاً في كِفّة الميزانِ
كيف لا تحمِل الأمانة أرضٌ حمَلت فوقها أبا سُفيانِ

وقال فيه أيضاً² :

هل لك في مالي وعرضي معاً وكل ما يملكُ جيرانِي
واذهبْ إلى أبعد ما يُتَوَى لا ردّكَ الله ولا مَالِيه

[من السريع]

1 ديوان بشار : 231 .

2 ديوان بشار : 248 .

[أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني محمد بن إبراهيم الجيلي قال حدثني محمد بن
عمران الضبي قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشار الأعمى¹ : [من الخفيف]

أيها الساقيان صبا شراي واسقياني من ريق بيضاء رود²
إن دائي الظما وإن دوائي شربة من رضاب نغر برود³
ولها مضحك كغر الأقاحي وحديث كالوشني وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القل ب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال والليالي يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفات يأكلن قلب الحديد

قال : فطرب الوليد وقال : من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ
غلتني ! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا ذاك فهذا .
[هجاءه أبا زيد فهجاه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان
الطفاوي قال حدثني عبد الله بن أبي بكر ، وكان جليسا لبشار ، قال : كان لنا جار يكنى أبا
زيد وكان صديقا لبشار ، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئة فلم يصادفها عنده ، فقال
يهجوه⁴ :

ألا إن أبا زيد زنى في ليلة القدر
ولم يصرع ، تعالى الله ه ربي ، حرمة الشهر

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه ، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر ، فقلبها وكتب في
ظهرها :

ألا إن أبا زيد له في ذلكم عذر
أتته أم بشار وقد ضاق بها الأمر
فوائبها فجامعها وما ساعده الصبر

1 ديوان بشار : 79-80 .

2 رود : الشابة الحسنة .

3 الشطر الثاني في الديوان : «إن دائي الصدى وإن شغائي» .

4 ديوان بشار : 121 .

قال : فلَمَّا قُرِئَتْ على بشار غضِبَ ونَدِمَ على تعرُّضه لرجل لا نباهة له ، فجعل ينطَحُ الحائط برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تعرَّضْتُ لهجاء سَفِيلةٍ مثل هذا أبداً .
[شعره في قينة]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْروية قال حدَّثني بعضُ ولد أبي عبيد الله وزير المَهْديّ ، قال : دخل بشار على المَهْديّ وقد عُرِضَتْ عليه جارية مغنية فسمع غناءها فأطربها وقال لبشار : قلْ في صفتها شعراً ؛ فقال¹ :

ورائحة للعين فيها مَخِيلَةٌ إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدٍ²
من المستهلاتِ السَّورِ على الفتى خفا بَرَقُها في عبقِرٍ وعُقُودٍ³
كأنَّ لساناً ساحراً في كلامها أَعَيْنَ بصوتٍ للقلوبِ صَوْدٍ
تُمِيتُ به ألبابنا وقلوبنا مراراً وتُحييهم بعد هُمُودٍ

[شعره في عقبه بن سلم]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا أبو أيوب المَدِينِيّ قال قال أبو عدنان حدَّثني يحيى بن الجَوْنُ قال : دخل بشار يوماً على عُقبة بن سَلَمٍ فأَنشدَه قوله فيه⁴ :

صوت

إنَّما لَذَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلَمٍ في عطاءٍ ومَرَكَبٍ لِلقاءِ
ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخو ف ولكن يَلْدُ طَعْمَ العطاءِ
يَسْقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَدُّ بٌ وتُغشى مَنازِلُ الكُرماءِ
لا أبا لي صَفَحَ اللِّيمِ ولا تَجَدُّ ري دُموعي على الحِرونِ الصِّفاءِ
فعلى عُقبةَ السَّلامِ مقيماً وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ

فوصله بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر لرذاذٍ ، وهو من مختار صنعتِه وصُدُورها ومما تشبَّه فيه بالقدماء ومذاهبيهم .

[كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان شعره]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدَّثنا الحسن بن عُليِّ بن عُليِّ العَنَزِيّ قال حدَّثنا أحمد بن خلادٍ عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْروية قال

1 ديوان بشار : 81-82 .

2 رائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً ويقابلها الغادية .

3 خفا برقها : لمع . عبقِر : قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط . والمقصود هنا ثياب المغنية الموشاة .

4 ديوان بشار : 14-15 .

حدّثني أحمد بن خلّاد عن الأصمعيّ قال : كنتُ أشهد خَلَفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخَلَفًا الأحمر يأتیان بشاراً ويُسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثتَ ؟ فيُخبرهما ويُنشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ؛ قالوا : بلغنا أنّك أكثرتَ فيها من الغريب ؛ فقال : نعم ، بلغني أنّ سلماً يتباصر¹ بالغريب فأحببتُ أن أُوردَ عليه ما لا يعرفه ؛ قالوا : فأنشدناها ، فأنشدهما : [من الخفيف]

بَكْرًا صاحِبِيّ قبل الهَجِيرِ إنّ ذاك النجّاح في التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها ؛ فقال له خَلَفَ : لو قلت يا أبا معاذ مكان «إنّ ذاك النجّاح» :

بَكْرًا فالنجّاح في التَّبْكِيرِ

كان أحسن ؛ فقال بشار : بَنَيْتُهَا أعرابِيَّةً وحشيَّةً ، فقلت : «إنّ ذاك النجّاح» كما يقول الأعراب البدويّون ، ولو قلت : «بَكْرًا فالنجّاح» كان هذا من كلام المولّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ؛ فقام خَلَفٌ فقَبَّلَ بين عينيهِ ؛ وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه : لو كان عَلائَةُ² ولدك يا أبا معاذ لفعلتُ كما فعل أخِي ، ولكُنْكَ مولِي ، فمدّ بشارُ يده فضرب بها فخذ خَلَفٍ وقال³ :

ارْفُقْ بِعمْرٍ إذا حَرَكْتَ نِسْبَتَهُ فإنّه عربيٌّ من قَواريِرِ

فقال له : أفعلتها يا أبا معاذ ؟ قال : وكان أبو عمرو يُغَمِّزُ في نسبه .

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة ، فذكر نحوه وقال فيه : إنّ سلماً يُعجِبُه الغريب .

[قيل له إنّ فلاناً سبَّكَ عند الأمير فهجاه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلام قال قال لي خَلَفٌ : كنتُ أسمع بشار قبل أن أراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئاً من شعره ، فأنشدوني شيئاً من شعره لم يكن بالحمود عندي ، فقلت : والله لآتينه ولأطأطئن منه ، فأتيته وهو جالسٌ على بابهِ ، فرأيتُه أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة ، فقلت : لعن الله من يُيالي بهذا ، فوقفتُ

1 يتباصر بالغريب : يظهر أنّه بصير به .

2 يعني أنّه لو كان عربياً فحاً .

3 ديوان بشار : 123 .

أَتَأْمَلُهُ طَوِيلًا ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فَلَانًا سَبَّكَ¹ عِنْدَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ وَوَضَعَ مِنْكَ ؛ فَقَالَ : أَوْ قَدْ فَعَلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأُطْرَقَ ، وَجَلَسَ الرَّجُلُ عِنْدَهُ وَجَلَسْتُ ، وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَقَدْ ذَرَّتْ أَوْدَاجُهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى أَتَشَدْنَا بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَأَفْخَمَهُ² : [من الكامل]

نُبِّئْتُ نَائِكَ أُمِّهِ يَغْتَابُنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ وَهَلْ عَلَيَّ أَمِيرٌ
نَارِي مُحَرَّقَةً وَيَتِيَّ وَاسِعٌ لِلْمَعْتَفِينَ وَمَجْلِسِي مَغْمُورٌ
وَلِيَّ الْمَهَابَةِ فِي الْأَحْبَةِ وَالْعِدَا وَكَأَنِّي أَسَدٌ لَهُ تَامُورٌ³
غَرَّتْ خَلِيلَتُهُ وَأَخْطَأَ صَيْدُهُ فَلَهُ عَلَى لَقَمِ الطَّرِيقِ زَيْبُرٌ
قَالَ : فَارْتَعَدَتْ وَاللَّهِ فَرَائِصِي وَأَقْشَعَرَّ جُلْدِي وَعَظُمَ فِي عَيْنِي جَدًّا ، حَتَّى قَلْتُ فِي نَفْسِي :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْعَدَنِي مِنْ شَرِّكَ .

[شعر له في مدح خالد بن برمك]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ⁴ : مَدَحَ بَشَّارُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ فَقَالَ فِيهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْدَى عَلِيٌّ ابْنُ بَرْمَكٍ وَمَا كُلُّ مَنْ كَانَ الْغِنَى عِنْدَهُ يُجْدِي
حَلَبْتُ بِشْعَرِي رَاحَتِيهِ فَذَرَّتْنَا سَمَاحًا كَمَا ذَرَّ السَّحَابُ مَعَ الرَّعْدِ
إِذَا جِئْتَهُ لِلْحَمْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الْكَرَامَةَ بِالْحَمْدِ
لَهُ نِعَمٌ فِي الْقَوْمِ لَا يَسْتَثِيهَ جَزَاءَ وَكَيْلَ التَّاجِرِ الْمُدَّ بِالْمُدِّ
مُفِيدٌ وَمِثْلُ نَفْسٍ ، سَبِيلُ تَرَاثِهِ إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ كَالْجَزْرِ وَالْمُدِّ⁵
أَخَالِدُ إِنْ الْحَمْدَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ جَمَالًا وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِّ
فَأَطْعِمْ وَكُلْ مِنْ عَارَةِ مُسْتَرَدَّةٍ وَلَا تُبْقِهَا ، إِنْ الْعَوَارِي لِلرَّدِّ

فَأَعْطَاهُ خَالِدٌ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُعْطِيهِ فِي كُلِّ وَفَادَةٍ خَمْسَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمْرُ خَالِدٍ أَنْ يُكْتَبَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي صَدْرِ مَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ . وَقَالَ ابْنُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : آخَرُ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي الْعَمَلُ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

1 ل : سببك .

2 ديوان بشار : 111 .

3 التامور : عرين الأسد .

4 ديوان بشار : 88-89 .

5 تراثه لعلها «تراثه» ليستقيم المعنى .

[عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن عثمان¹ قال : كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمال الخراج ، وكان عفيفاً بخيلاً ، فسأل عمر بن العلاء ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل فوهب له مائة ألف درهم ؛ فدخل أبو الوزير على المهدي فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عمر بن العلاء خائن ؛ قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كلّم في رجل كان أقصى أمّله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم ؛ فضحك المهدي ثم قال : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ، أما سمعت قول بشار في عمر² : [من المتقارب]

إذا دَهَمَتِكَ عِظَامُ الْأُمُورِ فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَاُ ثُمَّ نَمَّ

فَتَسَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمٌ³

أو ما سمعت قول أبي العتاهية فيه :

صوت

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِيَا وَرِمَالَا

فَإِذَا وَرَدْنَ بَنَا وَرَدْنَ مُخَفَّةً وَإِذَا رَجَعْنَ بَنَا رَجَعْنَ ثِقَالَا

الغناء لإبراهيم ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو بن بانه ، أو ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابنَ القَرَمِ مِرْدَاسٍ إِنِّي لِأُطْرِيكَ فِي صَحْبِي وَجُلَاسِي

حتى إذا قيل ما أعطاك من نَشَبٍ أَلْفَيْتُ مِنْ عُظْمٍ مَا أَسْدَيْتُ كَالنَّاسِي

ثم قال : مَنْ اجْتَمَعَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ عَلَى مَدْحِهِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُصَدَّقَ بِفَعْلِهِ .

[شعره في جارية له سوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر الرّبيعي قال : كانت لبشار جارية سوداء وكان يَقَعُ عليها ، وفيها يقول⁴ :

[من السريع]

وَعَادَةِ سَوْدَاءَ بَرَّاقَةٍ كَلَمَاءَ فِي طَيْبٍ وَفِي لِينٍ

كَأَنَّهَا صِيغَتْ لِمَنْ نَالَهَا مِنْ غَنَبٍ بِالْمِسْكِ مَعْجُونٍ

1 ل : طهمان .

2 ديوان بشار : 218 وفيه «إذا أيقظتك حروب العدا» .

3 دمنة : حقد .

4 ديوان بشار : 239 عن الأغاني .

[لیم فی مبالغته فی مدح عقبة بن سلم فأجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهورية قال حدثني أبو الشَّبل البرجمي قال : قال رجل لبشار : إن مدائحك عقبة بن سلم فوق مدائحك كلِّ أحدٍ ؛ فقال بشار : إن عطايه إياي كانت فوق عطاء كلِّ أحدٍ ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدته :

حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ تَرَى كَابِنِ سَلَمٍ عَقْبَةَ الْخَيْرِ مُطْعِمِ الْفُقَرَاءِ
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلْذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ
يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ سَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرَمَاءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا قد مدحت المهديّ وأبا عبيد الله وزيره ، أو قال يعقوب بن داود ، وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطيني شيئاً ، أقالاً على مدحي هذا !

[أبو الشمقمق ينتزع الجزية من بشار]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ أيضاً : حدثني عليّ قال حدثني عبيد الله بن أبي الشَّيص عن دِعيل بن عليّ قال : كان بشار يُعطي أبا الشمقمق في كلِّ سنة مائتي درهمٍ ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هلُمَّ الجزية يا أبا مُعاذ ؛ فقال : ويحك ! أجزية هي ؟ قال : هو ما تسمع ؛ فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح مني ؟ قال : لا ؛ قال : فأعلم مني بمثالب الناس ؟ قال : لا ؛ قال : فأشعر مني ؟ قال : لا ؛ قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوَّك ؛ فقال له : إن هجوتني هجوَّتك ؛ فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ؛ فقال أبو الشمقمق :

إِنِّي إِذَا مَا شَاعِرٌ هَجَانِيَّةٌ وَلَجَّ فِي الْقَوْلِ لَهُ لِسَانِيَّةٌ
أَدْخَلْتُهُ فِي اسْتِ آمَةٍ عَلَانِيَّةٌ بَشَارٌ يَا بَشَارُ

وأراد أن يقول : «يا ابن الزانية» ؛ فوثب بشار فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له : لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن بكر قال حدثني الأصمعي قال : أمر عقبة بن سلم الهنائي لبشار بعشرة آلاف درهم ، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافي بشاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، إني مررتُ بصبيان فسمعتهم يُنشدون :

هَلِّلِينَا هَلِّلِينَا طَعْنَ قِتَاةٍ لَتِينَا
إِنَّ بَشَارَ بْنَ بَرْدٍ تَيْسٌ اِغْمَى فِي سَفِينَا

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

[شعره في هجاء العباس بن محمد بن علي]

أخبرني أحمد قال حدثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيُّ قال حدثنا محمد بن عثمان البصري قال :
استمنح بشار بن برد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه ، فقال
يهجوه¹ :

[من البسيط]

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمْدُودُ وَقَلْبُهُ أَبَدًا فِي الْبَخْلِ مَعْقُودُ
إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودُ
وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أُمُومَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودُ
إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
أَوْزُقُ بِخَيْرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فَمَا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
بُتُّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مُحْمُودُ

[اجتمع عباد بن عباد وسلم عليه]

أخبرني أحمد قال حدثنا العنزيُّ قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبِيُّ قال حدثني أبي عن
عباد بن عباد قال : مررت ببشار فقلت : السلام عليك يا أبا معاذ ؛ فقال : وعليك السلام ،
أعباد ؟ فقلت : نعم ؛ قال : إني لحسن الرأي فيك ؛ فقلت : ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا
معاذ !

[جاء امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيعين]

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرني محمد بن عمر الجرجاني عن أبي يعقوب الخُرَيْمِيِّ
الشاعر أن بشاراً قال : لم أزل منذ سمعتُ قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيعين في بيت
واحدٍ حيث يقول :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
أَعْمِلُ نَفْسِي فِي تَشْبِيهِ شَيْعِينَ بِشَيْعِينَ فِي بَيْتٍ حَتَّى قُلْتُ :

[من الطويل]

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورُ النَّمَرِيِّ فقال وأحسن :

[من البسيط]

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ²

1 ديوان بشار : 74-75 .

2 المذروبة الشرع : السيوف المجددة المشروعة .

[كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره ولمّا أنشد منه سكت]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال : كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً ؛ فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول¹ :

صوت

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لم تَلَقَ الذي لا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَدَى ظَلِمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ

لأبي العنيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالنصر ، قال عليّ بن يحيى : وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولا حشو فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أنّ شُبَيْلَ بن عِزْرَةَ الضُّبَعِيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس ، وكان عالماً بشعره لأنّهما جميعاً من بني ضبيعة ؛ فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنّه قال لبشار : إنّ شُبَيْلاً أخبره أنّها للمتلمّس ؛ فقال : كذب والله شُبَيْلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هُبَيْرَةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدق بشار ، قد مدح في هذه القصيدة ابن هُبَيْرَةَ ، وقال فيها :

رَوَيْدَ تَصَاهُلٍ بالعِراقِ جِيادُنا كَأَنَّكَ بِالضَّحَاكِ قد قامَ نَادِبُهُ
وسامٍ لمروانٍ ومنْ دونه الشُّجَا وهَوْلٌ كُلُّجٍ البحرِ جاشتْ غوارِبُهُ
أَحَلَّتْ به أُمُّ المَنايا بناتِها بأسيافنا ، إنا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهُ
وكنا إذا دَبَّ العدوُّ لسيحطينا وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقِبُهُ
ركبنا له جَهراً بكلِّ مُتَقَفٍ وأبيضَ تَسْتَسْقِي الدِّماءَ مَضَارِبُهُ

ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة :

فلَمّا تَوَلَّى الحَرُّ واعتَصَرَ الثَّرى لَظَى الصَّيْفِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لاهِبُهُ
وطارتْ عَصافيرُ الشَّقَاتِي وَاكْتَسَى من الآلِ أمثالَ المَجَرَّةِ ناضِيَهُ²
غَدَتْ عانةٌ تشكو بأبصارها الصَّدَى إلى الجأبِ إلّا أنّها لا تُخاطِبُهُ

العانة : القطيع من الحمير ، والجاوب : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ

1 ديوان بشار : 42-48 .

2 الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .

العطش قد تبيّن في أحداقها فغارت ، قال : وهذا من أحسن ما وُصِفَ به الحمار والأثن ، أفهذا للمتلمّس أيضاً ؟ قال : لا ؛ فقلت : أفما هو في غاية الجودة وشبيهة بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصّة ! وكيف خصّه بالسرقه منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل ؟ وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى ، ولم يُعثر على بشار أنّه سرق شعراً قطّ جاهليّاً ولا إسلاميّاً . وأخرى فإنّ شعر المتلمّس يُعرف¹ في بعض شعر بشار ؛ فلم يردّد ذلك بشيء .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشاراً أنشده :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعَاتِيّاً صديقَكَ لم تَلَقَ الذي لا تُعَاتِيهِ
وذكر الأبيات . قال : وأنشدتها شبيل بن عَزْرَةَ الضُّبَيْجِيّ ، فقال : هذا للمتلمّس ؛ فأخبرت بذلك بشاراً ، قال : كذب والله شبيل ، لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .
[سأل طاهر عن ولد بشار ليبرهم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم² المُرَوِّزِيّ ، وكان أبوه من قوَاد طاهر ، قال حدّثني أبي قال : لما خلع محمّد المأمون ونذّب له عليّ بن عيسى ، نذب المأمون للقاء عليّ بن عيسى طاهر بن الحسين ذا اليمينين وجلس له لعرضه وعَرَض أصحابه ، فمرّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنشد :

رُويَدَ تَصَاهَلُ بالعراق جِيادُنَا كأنَّكَ بالضحَّاكِ قد قام نَادِيُهُ
فتفاهل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرِّيَاسَتَيْنِ : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العراق ؛ قال : أجل . فلمّا صار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقي من ولد بشار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمت أنّه قد كان همّ لهم بخير .
[غضب على سلم الخاسر لأنّه سرق من معانيه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ، وكان أحد الأدباء ، قال : غَضِبَ بشارٌ على سلم الخاسر وكان من تلامذته ورؤاته ، فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجأؤوه في أمره ؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلّا سَلَمًا ؛ قالوا : ما جئناك إلّا في سَلَمٍ ولا بدّ من أن تَرْضَى عنه لنا ؛ فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو هذا ؛ فقام إليه سَلَمٌ فقبّل رأسه ومثّل بين

1 ل : يفرق .

2 ل : عليّ .

يديه وقال : يا أبا معاذ ، خَرَّيْجُكَ وَأَدْيُكَ ؛ فقال : يا سَلَمُ ، مَنْ الذي يقول : [من البسيط]
 مَنْ راقِبَ الناسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحاجتِهِ وفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللُّهْجُ
 قال : أنت يا أبا مُعَاذٍ ، جعلني الله فداءكَ ! قال : فَمَنْ الذي يقول : [من مخْلَعُ البسيط]
 مَنْ راقِبَ الناسَ ماتَ غَمًّا وفازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ
 قال : خَرَّيْجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه) ؛ قال : أَفَتَأْخُذُ معانيَّ التي قد عُيِّتُ بها وتَعِبْتُ
 في استنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ أَلْفاظِي حتى يُروى ما تقول ويذهب شعري ! لا
 أرضى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرَّعُ إليهِ ، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه . وفي هذه
 القصيدة يقول بشار¹ :
 لو كنتَ تَلْقِيَنِ ما تَلَقَى قَسَمَتِ لَنَا يوماً نَعِيشُ بِهِ مِنْكُمْ وَنَبْتَهِجُ

صوت

[من البسيط]
 لا خَيْرَ في العيشِ إن كُنَّا كذا أبدا لا نَلتَقِي وسبيلُ الملتَقَى نَهْجٌ²
 قالوا حرامٌ تلاقينا فقلت لهم ما في التَّلَاقِي ولا في قُبُلَةِ حَرَجٍ
 مَنْ راقِبَ الناسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحاجتِهِ وفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللُّهْجُ
 أَشْكُو إلى الله هَمًّا ما يُفَارِقُنِي وَشُرْعاً في فُؤادِي الدَّهْرَ تَعْتَلِجُ
 [أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة]

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليّ العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد
 قال : أنشدتُ الأصمعيّ قول بشارٍ يهجو باهلة³ :
 ودعاني مَعْشَرٌ كُلُّهُمْ حُمُقٌ دامَ لَهُمْ ذاكَ الحُمُقُ
 ليس من جُرمٍ ولكن غاظَهُمْ شَرَفِي العارِضُ قد سَدَّ الأَفُقُ
 فاغتاظ الأصمعيّ فقال : وَلَيْلي على هذا العبدِ القَرْنِ ابنِ القَرْنِ⁴ !

[حدثه مع امرأة في الشيب]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدثني عليّ بن مهدي قال حدثني

1 ديوان بشار : 59-60 .

2 نهج : بين واضح .

3 ديوانه : 168-169 .

4 القن : العبد مُلك هو وأبوه .

عبّاس بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ : أنَّ امرأةً قالتُ لبشار : أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحية والرأس ! قال بشار : أما عَلِمْتَ أنَّ بيضَ البُرّةِ أثمنُ من سُودِ الغريبان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ في السَّمْعِ ، ومن لك بأنَّ يحسُنَ شيبُك في العين كما حَسُنَ قولك في السَّمْعِ ! فكان بشار يقول : ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة .
[أحبّ الأشياء إليه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبه قال قال لي أبو عثمان المازنيّ : سئل بشار : أيُّ متاع الدنيا أثرُ عندك ؟ فقال : طعامٌ مُزّ ، وشرابٌ مُرّ ، وبنْتُ عشرين بِكْر .

[دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن أن تواصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطية قال : كان النساء المتطرّفات يدخلنَ إلى بشار في كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره ، فسميع كلام امرأةٍ منهنّ فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله ؛ فقالت لرسوله : قل له وأيّ معنى فيك لي أولك في ! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره ، وأنت قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك ؛ فليت شعري لأيّ شيء تطلّب وصال مثلي ؟ وجعلتُ تهزأ به في المخاطبة ؛ فأدّى الرسول الرسالة ، فقال له : عُدْ إليها فقل لها :

[من الكامل]

أيرى له فضلٌ على آيارهم	وإذا أشظّ سجدنَ غير أولي ¹
تلقيه بعد ثلاثِ عشرةَ قائماً	فعلَ المؤذّن شكَّ يومَ سحاب
وكانَ هامّةً رأسه بطيخةً	حُمِلَتْ إلى مَلِكٍ بدجلةٍ جابي ²

[اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال : قال مروان لبشار لما أنشدّه هذا البيت :

[من الرمل]

وإذا قلتُ لها جُودي لنا خرجتْ بالصمّتِ مِن لا ونعم
جعلني الله فداءك يا أبا معاذ ! هلاً قلتُ : «خَرِسْتُ بالصمّتِ» ؛ قال : إذا أنا في عقلك
فضّ الله فاك ! أتطير على مَنْ أحبّ بالخرس ؟ .

1 أشظّ : أتعظ . أولي : ممتنعات آيات .

2 جابي : جامع الخراج .

[مدح خالد البرمكي فأجازه]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثني بعضُ أصحابنا قال : وقد بشار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده¹ :

أخالدُ لم أُخِيطْ إليك بدمية
أخالدُ بين الأجر والحمدِ حاجتي
فإن تُعطني أفرغْ عليك مدائحي
ركابي على حَرْفٍ وقلبي مُشيع
إذا أنكرتني بلدةً أو نكرتُها
خرجتُ مع البازي علي سوادُ
سوى أُنْثِي عافٍ وأنتَ جوادُ
فأيُّهُما تأتي فأنْتَ عِمادُ
وإن تأبَ لم يُضْرَبْ علي سدادُ
وما لي بأرضِ الباخلينَ بلادُ²
خرجتُ مع البازي علي سوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَعَ واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخرَ بين يديه وآخر خلفه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقلَّ العماد ؟ فلمس الأكياس ثم قال : استقلَّ والله أيُّها الأمير .
[مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِي قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال قال محمد بن الحجاج حدثني بشار قال : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته :

إِنَّ السَّلَامَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ
عَلَيْكَ وَالرَّحْمَةُ وَالسَّرُورُ
فسمعتُهُ يقول : إِنَّ هَذَا الْأَعْمَى لَا يَدْعُنَا أَوْ يَأْخُذُ مِنْ دِرَاهِمِنَا شَيْئاً ؛ فَطَمَعْتُ فِيهِ فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى انْصَرَفْتُ بِجَائِزَتِهِ .

[طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال : وَقَفَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زَيْدٍ شَرِيفٌ ، لَا أُحِبُّ أَنْ أُسَمِّيَهُ ، عَلَى بَشَّارٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَشَّارُ قَدْ أَفْسَدْتَ عَلَيْنَا مَوَالِينَا ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْتِفَاءِ مِنَّا وَتُرْغِبُهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى أَصُولِهِمْ وَتُرَكِّبُ الْوَلَاءَ ، وَأَنْتَ غَيْرُ زَاكِي الْفَرْعِ وَلَا مَعْرُوفِ الْأَصْلِ ؛ فَقَالَ لَهُ بَشَّارٌ : وَاللَّهِ لِأَصْلِي أَكْرَمُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَلَفَرْعِي أَزْكَى مِنْ عَمَلِ الْأَبْرَارِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ كَلْبٌ يُوَدُّ أَنْ نَسْبِكَ لَهُ نَسْبِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ جَوَابَ كَلَامِكَ كَلَاماً³ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ غَدَا بِالْمِرْيَدِ ؛ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهُوَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ بَشَّاراً يُحْضَرُ مَعَهُ الْمِرْيَدُ لِيَفَاخِرَهُ ، فَخَرَجَ مِنَ الْغَدَا يَرِيدُ الْمِرْيَدَ فَإِذَا رَجُلٌ يُنْشِدُ :

[من الطويل]

1 ديوان بشار : 70-71 .

2 الحرف : الناقة القوية . ومشيع : شجاع .

3 كلاماً في ل : شعراً .

شهدتُ على الزَّيْدِي أَن نِسَاءَهُ ضِياعٌ إلى أير العُقيلي تَزْفُرُ¹
فسأل عَمَّن قال هذا البيت ؛ فقليل له : هذا لبشار فيك ؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل
المريد حتى مات .

قال ابن سَلَام : وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي² : [من الطويل]
بَلَوْتُ بني زيدَ فما في كِبَارِهِمْ حُلُومٌ ولا في الأصغَرِينَ مُطَهَّرٌ
فأبلغُ بني زيدٍ وقلُّ لَسْرَاتِهِمْ وإن لم يكن فيهم سَرَاةٌ تُوقَرُ
لأُمِّكم الويلاتُ إن قصائدي صَوَاعِقُ منها مُنْجِدٌ ومَغُورٌ
أَجَدَّهُمْ لا يَتَّقُونَ ذِيَّةً ولا يُؤْتِرُونَ الخَيْرَ والخيرُ يُؤْتِرُ
يَلْفُونَ أولادَ الزَّنا في عِدَادِهِمْ فَعِدَّتُهُمْ من عِدَّةِ الناسِ أَكْثَرُ³
إذا ما رأوا مَنْ دأبُهُ مثلُ دأبِهِمْ أَطافوا به ، والغَيُّ للغَيِّ أَصُورُ⁴
ولو فارقوا من فيهم من دَعَارَةٍ لما عرفتَهُمْ أُمَّهُمْ حينَ تَنْظُرُ
لقد فَخَرُوا بِالْمُلْحَقِينَ عَشِيَّةً فقلتُ افخروا إن كان في اللومِ مَفْخَرُ
يريدون مَسْعَاتِي ودونَ لِقَائِهَا قناديلُ أَبوابِ السَّمَوَاتِ تَزْهَرُ⁵
فقل في بني زيدٍ كما قال مُعَرِّبٌ قَوَارِيرُ حَجَّامٍ غداً تَنَكَّسُرُ

فقال يونس للذي أنشده : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ؛ مَنْ هَيَّجَ هذا الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ ؟ قيل : فلان ؛
فقال : رَبُّ سَفِيهِ قَوْمٍ قد كَسَبَ لِقَوْمِهِ شَرًّا عَظِيماً .
[ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحق جائزته]

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنَا ابن مَهْرُويَّةُ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن بُشَيْرِ بن هلال قال حَدَّثَنِي
محمد بن محمد البصريُّ⁶ قال حَدَّثَنِي النضر بن طاهر أبو الحجاج قال : قال بشار : دعاني
عقبة بن سلم ودعا بحماد عَجْرَدَ وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا : إنه خطر بيالي
البارحة مثلٌ يتمثلُه الناس : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنينَ فجاءَ بلا أذنين» فأخرجوه من الشعر ،
ومن أخرجَه فله خمسة آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا جَلَدْتُكُمْ كُلَّكُمْ خمسمائة ؛ فقال حماد :

1 ضباع : جمع ضبعة وهي الناقة تشتهي الفحل .

2 ديوان بشار : 115 - 116 .

3 يلفون : يجمعون .

4 أصور : أميل .

5 مسعاتي : مكرمتي . تزهَر : تتلأأ .

6 ل : المضري .

أَجَلْنَا أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ شَهْرًا ؛ وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ : أَجَلْنَا أُسْبُوعَيْنِ ؛ قَالَ : وَبَشَارٌ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَقْبَةُ : مَالِكٌ يَا أَعْمَى لَا تَتَكَلَّمُ ! أَعْمَى اللَّهُ قَلْبِكَ ؛ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ حَضَرَنِي شَيْءٌ فَإِنْ أَمَرْتَ قَلْبَهُ ؛ فَقَالَ قُلْ ؛ فَقَالَ¹ :

وَجَاوَرْتُ أَسَدَ بَنِي الْقَيْنِ	شَطَطٌ يَسْلُمِي عَاجِلُ الْبَيْنِ
كَادَتْ لَهَا تَنْشَقُّ نَصْفَيْنِ	وَرَتَّتِ النَّفْسُ لَهَا رَنَّةً
أَخْشَى عَلَيْهِ عُلُقَ الشَّيْنِ	يَا ابْنَةَ مَنْ لَا أَشْتَهِي ذَكَرَهُ
عَيْنًا لَقَبْتُكَ الْفَيْنِ	وَاللَّهُ لَوْ أَلْقَاكَ لَا أَتَّقِي
وَعَلَّقْتُ قَلْبِي مَعَ الدَّيْنِ	طَالِبُهَا دَيْنِي فَرَاغَتْ بِهِ
قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ	فَصِرْتُ كَالْعَيْرِ غَدَا طَالِبًا

قال : فانصرف بشارٌ بالجائزة .

[قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطِيَّةَ الْكُوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو التَّقْفِيُّ قَالَ قَالَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ اللَّاحِقِيُّ : نَزَلَ فِي ظَاهِرِ الْبَصْرَةِ قَوْمٌ مِنْ أَغْرَابِ قَيْسِ عَيْلَانَ وَكَانَ فِيهِمْ بَيَانٌ وَفَصَاحَةٌ ، فَكَانَ بَشَارٌ يَأْتِيهِمْ وَيُنْشِدُهُمْ أَشْعَارَهُ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا قَيْسًا فَيُجْلُونَهُ لَذَلِكَ وَيُعْظَمُونَهُ ، وَكَانَ نِسَاؤُهُمْ يَجْلِسْنَ مَعَهُ وَيَتَحَدَّثْنَ إِلَيْهِ وَيُنْشِدُهُنَّ أَشْعَارَهُ فِي الْغَزْلِ وَكُنَّ يُعْجَبْنَ بِهِ ، وَكُنْتُ كَثِيرًا مَا أَتَى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَأَسْمَعُ مِنْهُمْ ، فَأَتَيْتُهُمْ يَوْمًا فَإِذَا هُمْ قَدْ ارْتَحَلُوا ، فَجِئْتُ إِلَى بَشَارٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَعَاذَ ، أَعَلِمْتَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ ارْتَحَلُوا ؟ قَالَ : لَا ؛ فَقُلْتُ : فَاعْلَمْ ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ لَا عَلِمْتُ ؛ وَمَضَيْتُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ سَمِعْتُ النَّاسَ يُنْشِدُونَ² :

دَعَا بِفِرَاقٍ مَنِ تَهْوَى أَبَانُ	فَقَاضَ الدَّمْعُ وَاحْتَرَقَ الْجَنَانُ
كَأَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بِقَلْبِي	لَهَا فِي مُقْلَتِي وَدَمِي اسْتِنَانُ ³
إِذَا أُنْشِدْتُ أَوْ نَسَمْتُ عَلَيْهَا	رِيَا حُ الصَّيْفِ هَاجَ لَهَا دُخَانُ

فَعَلِمْتُ أَنَّهَا لِبَشَارٍ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : يَا أَبَا مَعَاذَ ، مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : ذَنْبُ غِرَابِ الْبَيْنِ ؛ فَقُلْتُ : هَلْ ذَكَرْتَنِي بَغِيرِ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ؛ فَقُلْتُ : أُنْشِدْكَ اللَّهُ أَلَّا تُزِيدَ ؛ فَقَالَ : امْضِ لَشَأْنِكَ فَقَدْ تَرَكْتُكَ .

1 ديوان بشار : 238-239 .

2 ديوان بشار : 222 عن الأغاني .

3 استننان : سرعة السير .

[بشار وجعفر بن سليمان]

ونسخت من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني يحيى بن سعيد الأيوبي المعتبري قال حدثني أحمد بن المعدل عن أبيه قال : أنشد بشار جعفر بن سليمان¹ : [من الطويل]

أَقْلِي فَإِنَّا لَأَحِقُونَ وَإِنَّمَا يُؤْخِرُنَا أَنَّا يُعَدُّ لَنَا عَدَا
وما كنتُ إلَّا كالأغر ابن جعفرٍ رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان : من ابن جعفر ؟ قال : الطيار في الجنة ؛ فقال : لقد ساميت غير مُسامي ؛ فقال : والله ما يُقعدني عن شأوه بعد النسب ، لكن قلة النسب ، وإني لأجود بالقليل وإن لم يكن عندي الكثير ، وما على من جاد بما يملك ألا يهب البدور ؛ فقال له جعفر : لقد هزرت أبا معاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

[جوابه عندما سئل عن ميله للهجاء دون المديح]

ونسخت من كتابه : حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن سعيد الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال : قيل لبشار : إنك لكثير الهجاء ؛ فقال : إني وجدت الهجاء المولم أخذ بضبع² الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يُكرم في دهر اللثام على المديح فليستعد للفقير وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى .

[بشار في صباه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان برد أبو بشار طيئناً حاذقاً بالتطيين ، وولد له بشار وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركة منه ، ولقد ولد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ولم يمت برد حتى قال بشار الشعر . وكان لبشار أخوان يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصابين وكان بشار باراً بهما ، على أنه كان ضيق الصدر متبرماً بالناس ، فكان يقول : اللهم إني قد تبرمت بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهم فأرحني منهم . وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها ويبتنون ريحها ، فاتخذ قميصاً له جيبان وحلف ألا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول إذا وجد رائحة كريهة من ثوبه : «أينما أتوجه ألق سعدا» . فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على تننيتها ووسخها ، فيقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرحم . قال : وكان يقول الشعر وهو صغير ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضرباً

1 ديوان بشار : 76-77 .

2 الضبع : العضد أو ما بين الإبط إلى منتصف العضد .

شديداً ، فكانت أمّه تقول : كم تضرب هذا الصبيّ الضريع ، أما ترجمه ؟ فيقول : بلى والله إني لأرجمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشار فطمع فيه فقال له : يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر ، وإني إن ألمتُ عليه أغنيكَ وسائر أهلي ، فإن شكّوني إليك فقل لهم : أليس الله يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ . فلما عاودوه شكواه قال لهم برّد ما قاله بشار ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فقه برّد أغيظُ لنا من شعر بشار .
[أعطاه فني مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهورية قال حدّثني محمد بن عثمان الكُرَيزيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال : أتيتُ بشاراً الأعشى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لي : خذ منها ما شئت ، أو تدري ما سببها ؟ قلت : لا ؛ قال : جاءني فتى فقال لي : أنت بشار ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : إني آليتُ أن أدفع إليك مائتي دينار وذلك أنّي عَشِقتُ امرأة فجمعتُ إليها فكلّمتها فلم تلتفت إليّ ، فهَمَمْتُ أن أتركها فذكرت قولك¹ :

لا يُؤيِّسَنَّكَ مِنْ مُخَبَّأَةٍ قَوْلٌ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسَرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

قعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي .

[عاب الأخفش شعره ثم صار يستشهد به]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأخفش طعن على بشار في قوله² :

فَالآنَ أَقْصَرَ عَنْ سُمَيَّةَ بَاطِلِي وَأَشَارَ بِالْوَجَلَى عَلَيَّ مُشِيرٌ

وفي قوله³ :

عَلَى الْغَزَلَى مِنِّْي السَّلَامُ فَرَبَّمَا لَهَوْتُ بِهَا فِي ظِلِّ مَرْوُومَةٍ زَهْرٍ⁴

وفي قوله في صفة سفينة⁵ :

تَلَاعِبُ زَيْنَانَ الْبُحُورِ وَرُبَّمَا رَأَيْتَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي

وقال : لم يُسمِع من الوجَل والغزل فعلى ، ولم أسمع بنون زينان ؛ فبلغ ذلك بشاراً

1 ديوان بشار : 63 .

2 ديوان بشار : 111 .

3 ديوان بشار : 133 .

4 مروومة : محبوبة .

5 ديوان بشار : 134 وفيه «تلاعب تيار البحور . . .» .

فقال : ويلي على القَصَّارين ؟ متى كانت الفصاحة في بيوت القَصَّارين ؟ دعوني وإياه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجَزَع ؛ فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى ! فذهب أصحابه إلى بشار فكذبوا عنه واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يهجوهم ؛ فقال : قد وهبته للوَم عرضه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كتبه لِيُبلغه ؛ فكفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غير أبي حاتم : إنما بلغه أن سيويه عابَ هذه الأحرف عليه لا الأخفش ، فقال يهجوهم¹ :

أُسَيُويهِ يا ابنَ الفارسيَّةِ ما الذي تَحَدَّثْتُ عن شَتحي وما كنتَ تَبْدُ
أُظَلَّتْ تُغَنِّي سادراً في مَساءِ نسي وأُمُكُ بالمُصْرين تُعْطِي وتَأْخُذُ
قال : فتوقاه سيويه بعد ذلك ، وكان إذا سُئِلَ عن شيء فأجاب عنه ووجدَ له شاهداً من شعر بشار احتجَّ به استِكفافاً لشُرِّه .
[ذمَّ بني سدوس باستعانة بني عقيل]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفي قال حدَّثني الحسن بن عُليل العنزي قال حدَّثني أحمد بن علي بن سويد بن مَنجوف قال : كان بشار مُجاوراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحَيِّين ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون ، فاستعانت عُقيل ببشار وقالوا له : يا أبا معاذ ، نحن أَهْلُكَ وأنت ابْنُنا ورِيتَ في حُجُورنا فأعِنَّا ؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون ، فجلس ثم أنشد² : [من الوافر]

كَأَنَّ بَنِي سَدُوسٍ رَهْطَ نَوْرٍ خَنَافِسُ تَحْتَ مُنْكَسِرِ الجِدَارِ
تُحَرِّكُ لِلْفَخَارِ زُبَانِيَّهَا وَفَخَرُ الخُنَفَاءِ مِنَ الصَّغَارِ
فوثب بنو سدوس إليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا ؟ نعوذ بالله من شَرِّكَ ! فقال : هذا دَأْبُكُمْ إن عاودتم مُفَاخرة بني عُقيل ؛ فلم يُعاودوها .

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا ابن مَهْروِيَّة قال حدَّثني محمد بن إِسماعيل عن محمد بن سلام قال : قال يونس النحوي : العجب من الأزد يَدْعُونَ هذا العبد يَنْسِبُ بِنسائِهِم وَيَهْجُو رِجالَهُم ، يَعْنِي بشاراً ، ويقول³ :

أَلا يا صَنَمَ الأَزْدِ الـ لذي يَدْعُونَهُ رَبًّا

1 ديوان بشار : 98 .

2 ديوان بشار : 122 .

3 ديوان بشار : 24 .

ألا يبعثون إليه من يفتق¹ بطنه ؟ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهوريه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال :
مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا ؟ فقال : ابن
أخيك ؛ قال : أشهد أن أصحابه سفلة ؛ قال : وكيف علمت ؟ قال : ليس عليهم نعال .
[سمع شعره من مغنية فطرب]

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني الفضل بن يعقوب قال : كنا عند
جارية لبعض التجار بالكركخ تغنينا ، وبشار عندنا ، فغنت في قوله² : [من مجزوء الكامل]

إنَّ الخليفةَ قد أبى وإذا أبى شيئاً أبَيْتُهُ
ومُخَضَّب رَخْصِ البنا نِ بكى عليّ وما بكَيْتُهُ
يا مَنْظِراً حَسَناً رأيتُ بوجهِ جاريةٍ فَذَيْتُهُ³
بعثتُ إليّ تَسْؤُمِي ثوبَ الشَّبَابِ وقد طَوَيْتُهُ

فطرب بشار وقال : هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر ؛ وقد روى هذه
الكلمة عن بشار غير من ذكرته فقال عنه : إنه قال : هي والله أحسن من سورة الحشر . الغناء
في هذه الأبيات . وتمام الشعر :

وأنا المِطْلُ على العِدا وإذا غلا الحمدُ اشترَيْتُهُ⁴
وأَمِيلُ في أنسِ النَّدِيـ م من الحياءِ وما اشتهَيْتُهُ
ويشوقُنِي بيتُ الحبيبِ ب إذا غدوتُ وأينَ بَيْتُهُ⁵
حالَ الخليفةِ دونه فصَبِرْتُ عنه وما قَلَيْتُهُ⁶

وأنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذه الأبيات وأخبرني أن الجاحظ أخبره أن
المهدي نهى بشاراً عن الغزل وأن يقول شيئاً من النسيب ، فقال هذه الأبيات . قال : وكان
الخليل بن أحمد يُنشدها ويستحسنها ويُعجب بها .

1 ل : يشق .

2 ديوان بشار : 55-56 مع اختلاف في الترتيب .

3 رأيتُ في الديوان : رأيتُه . بوجه في ل والديوان : من وجه .

4 الحمد في الديوان : علق .

5 غدوت في الديوان : اذكرت .

6 حال في الديوان : قام .

[سأله ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ أبو غسان عن محمد بن الحجاج قال : قالت بنت بشار لبشار : يا أبت ، ما لك يعرفك الناس ولا تعرفهم ؟ قال : كذلك الأمير يا بنية .
[سب عبد الله بن مسور أبا النضر فدافع عنه بشار]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال : قال عبد الله بن مسور الباهلي يوماً لأبي النضر ، وقد تحاورا في شيء ، : يا ابن اللخاء ، أتكلمني ولو اشتريت عبداً بمائتي درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضر : والله لو كنت ولد زناً لكنت خيراً من باهلة كلها ؛ فغضب الباهلي ، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تزني أمه ولا يغضب ، فلما كلمك كلمة واحدة لحقك هذا كله ؛ فقال له : وأمه مثل أمي يا أبا معاوية ! فضحك ، ثم قال : والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله ! .

[طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوفه فجهاه]

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثني علي بن مهدي قال حدثني سعيد بن غبيد الخزاعي قال : ورد بشار بغداد فقصده يزيد بن مزيد ، وسأله أن يذكره للمهدي ، فسوفه أشهراً ؛ ثم ورد روح بن حاتم فبلغه خبر بشار ، فذكره للمهدي من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهدي وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقينة وكساه كساء كثيرة ؛ وكان يحضر قيساً مرة ، فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد¹ :

ولما التقينا بالجينة غرني بمعروفه حتى خرجت أفوق²
غرني : أوجرني³ كما يغر الصبي أي يوجر اللبن .

حَبَانِي بَعْدَ قَعْسَرِي ⁴ وَقَيْنَةٍ	وَوَشِي وَالْأَفِي لَهْنٌ بَرِيقٌ ⁴
فَقُلْ لِيَزِيدَ يَلْعَصُ الشَّهْدَ خَالِيًا	لَنَا دُونَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ سَوْقٌ ⁵
رَقَدَتْ فَنَمَ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ إِنَّهَا	مَكَارِمُ لَا يَسْطِيعُهُنَّ لَصِيقُ
أَبِي لَكَ عِرْقٌ مِنْ فَلَانَةٍ أَنْ تَرَى	جَوَادًا وَرَأْسٌ حِينَ شَيْتَ حَلِيقُ

1 ديوان بشار : 165-166 .

2 أفوق : أشهى من الامتلاء .

3 أوجره اللبن : جعله في فيه .

4 قعسري : صلب شديد .

5 يلعص : يلعق .

[مدح إبراهيم بن عبد الله بقصيدة فلما قتل جعلها للمنصور]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : كان بشار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويحرضه ويشير عليه ، فلم تصل إليه حتى قُتل ، وخاف بشار أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مسلم والمدح والمشورة لأبي جعفر المنصور ، فقال :

أبا مُسلمٍ ما طيبُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بِسالمٍ
وإنّما كان قال : «أبا جعفرٍ ما طيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها¹ : [من الطويل]

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعنْ بعزمٍ نصيحٍ أو بتأييدٍ حازمٍ
ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً مكان الخوافي نافعٍ للقوادمِ
وخلّ الهوى للضعيف ولا تكن نووماً فإنّ الحزم ليس بنائمٍ
وما خيرٌ أمسك الغلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يؤيّد بقائمٍ
وحارب إذا لم تعط إلا ظلاماً شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالمِ
وأذن على القربى المقرب نفسه ولا تُشهد الشورى امرأ غير كاتمٍ
فإنك لا تستطردّ الهَمَّ بالمتى ولا تبُلغ العليّا بغير المكارمِ
إذا كنت فرداً هرك القوم مُقبلاً وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم²
وما قرع الأقوام مثلُ مُشيعٍ أريب ولا جلى العمى مثلُ عالم³

قال الأصمعي : فقلت لبشار : إنني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة ؛ فقال : أما علمت أن المشاور بين إحدى الحسينين : بين صواب يفوز بشمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر .

[اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهورية قال حدثني عليّ بن الصباح عن بعض الكوفيين قال : مررت ببشار وهو مُتبطح في دهليزه كأنه جاموس ، فقلت له : يا أبا مُعاذ ، من القائل :

في حُلتي جسمُ فتى ناحلٍ لو هبت الريحُ به طاحا

1 ديوان بشار : 205 - 207 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

2 هرك القوم : كرهوا .

3 المشيع : الشجاع .

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حَمَلَكَ على هذا الكذب ؟ والله إنِّي لأرى أن لو بعث الله الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخالية ما حَرَّكَكَ من موضعك ؛ فقال بشار : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يا أهل الكوفة لا تَدْعُونَ ثِقَلَكُمْ وَمَقْتَكُمْ على كلِّ حال ! .

[عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدَّثني عافية بن شبيب قال : قديم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكّة ، فلم يُهْدِ لبشار شيئاً وكان صديقه ؛ فكتب إليه ¹ : [من الكامل]
ما أنت يا كرديّ بالهشّ ولا أبرّيك من الغشّ
لم تُهْدِنَا نِعْلاً ولا خاتماً من أين أقبلتَ ؟ من الحشّ ² !
فأهدى إليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلْتَ يا أبا معاذ علينا ، فأنشدك الله ألاّ تزيد شيئاً على ما مضى .

[أخبر أنه غنى بشعر له فطرب]

ونسختُ من كتابه عن عافية بن شبيب أيضاً قال حدَّثني صديقٌ لي قال : قلت لبشار :
كنا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي :
هوّى صاحبي ريج الشمال إذا جرتْ وأشقى لنفسي أن تهبّ جنوبُ
وما ذاك إلّا أنّها حين تنتهي تناهي وفيها من عبّدة طيبُ
فطرب وقال : هذا والله أحسن من فُلج ³ يوم القيامة .

[مدح المهدي فلم يجزه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال : مدح بشار المهديّ فلم يُعطه شيئاً ؛ ف قيل له : لم يَسْتَجِدْ شعرك ؛ فقال : والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفه على أحد ، ولكنّا نكذب في القول فنكذبُ في الأمل .

[هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال : هجا بشار رُوْح بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقفذه وتهدّده ؛ فلمّا بلغ ذلك بشاراً قال فيه ⁴ :

[من الهزج]

1 ديوان بشار : 145 .

2 الحش : موضع قضاء الحاجة ، وهو أصلاً البستان .

3 الفلج : الفوز والظفر .

4 ديوان بشار : 201-202 عن الأغاني .

تَهْدِدُنِي أَبُو خَلْفٍ وَعَنْ أَوْتَارِهِ نَامَا
بَسِيفٍ لِأَبِي صُفْرٍ ةَ لَا يَقْطَعُ إِهْجَامُ
كَأَنَّ الْوَرَسَ يَعْلُوهُ إِذَا مَا صَدْرُهُ قَامَا

قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمر بن الخطاب ، قال : فبلغ ذلك رَوْحاً فقال : كل مالي صدقة إن وقعت عيني عليه لأضربه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة ؛ فبلغ ذلك بشاراً فقام من فورهِ حتى دخل على المهدي ؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة رَوْح وعاد به منه ، فقال : يا نُصَيْرُ ، وَجَّهْ إِلَى رَوْحٍ مِنْ يُحْضِرُهُ السَّاعَةُ ؛ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فِي الْمَاجِرَةِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ الْمُخْرَمُ¹ ، فَظَنَّ هُوَ وَأَهْلُهُ أَنَّهُ دُعِيَ لَوْلَايَةِ . قَالَ : يَا رَوْحُ ، إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِي حَاجَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَنَا عَبْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ مَا شِئْتَ سَوْى بِشَارٍ فَإِنِّي حَلَفْتُ فِي أَمْرِهِ يَمِينٍ غَمُوسٍ ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَإِيَّاهُ أَرَدْتُ ؛ قَالَ لَهُ : فَاحْتُلْ لِيَمِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَحْضَرَ الْقَضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَضْرِبَهُ ضَرْبَةً عَلَى جِسْمِهِ بَعْرُضِ السَّيْفِ ، وَكَانَ بِشَارٌ وَرَاءَ الْخَيْشِ ، فَأَخْرَجَ وَأَقْعَدَ وَاسْتَلَّ رَوْحَ سَيْفِهِ فَضْرِبَهُ ضَرْبَةً بَعْرُضِهِ ؛ فَقَالَ : أَوْهَ بِاسْمِ اللَّهِ ؛ فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ؛ هَذَا وَإِنَّمَا ضَرَبَكَ بَعْرُضُهُ وَكَيْفَ لَوْ ضَرَبَكَ بِحَدِّهِ !

[مدح سليمان بن هشام]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبيدة قال : مَدَحَ بِشَارٌ سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ مَقِيمًا بِحَرَانَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَتَشَدَّهُ قَوْلُهُ فِيهِ² : [من الطويل]

نَأْتُكَ عَلَى طُؤُلِ التَّجَاوُرِ زَيْنُ وَمَا شَعَرْتُ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ تَشَعْبُ
يَرَى النَّاسُ مَا تَلْقَى بِزَيْنَبَ إِذْ نَأَتْ عَجِيبًا وَمَا تُخْفِي بِزَيْنَبَ أَعْجَبُ
وَقَائِلَةٍ لِي حِينَ جَدَّ رَحِيلُنَا وَأَجْفَانُ عَيْنَيْهَا تَجُودُ وَتَسْكُبُ
أَغَادٍ إِلَى حَرَانَ فِي غَيْرِ شَيْعَةٍ وَذَلِكَ شَأْوٌ عَنْ هَوَاهَا مُغْرَبٌ³
فَقُلْتُ لَهَا كَلَّفْتَنِي طَلَبَ الْغِنَى وَلَيْسَ وَرَاءَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ مَذْهَبُ
سَيَكْفِي فَتًى مِنْ سَعِيهِ حَدُّ سَيْفِهِ وَكُورٌ عِلَافِيٍّ وَوَجَنَاءُ ذُعْلِبٌ⁴

1 محلة كانت ببغداد .

2 ديوان بشار : 17-18 .

3 مغرب : بعيد .

4 الكور : الرجل . العلافي : نسبة إلى رجل اسمه علاف بن طوار كان أول من صنعها . الوجناء : الناقة الصلبة القوية . ذعلب : سريعة .

إذا استوغرت دارّ عليه رمى بها
فعدّتي إلى يلملم ارتحلتُ وسائلي
لعلك أن تستيقظني أن زورتي
أغرّ هِشامي القنّاة إذا انتمى
وما قصدت يوماً مخيلين خيله
فصرفتُ إلا عن دماء تصبّب²
بنات الصّوى منها ركوبٌ ومُصعَب¹
بزورك والرّحال من جاء يضربُ
سليمان من سير الهواجر تعقبُ
نمّته بدورّ ليس فيهنّ كوكبُ
[استقلّ عطاء سليمان فقال شعراً]

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبخل ، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً
فقال³ :

إن أنس مُقْبِضَ اليدين عن الندى
فلقد أروح عن اللثام مُسلّطاً
في ظلّ عيشٍ عشيرة محمودة
أزمانَ جنّي الشباب مطاوعٌ
ريمٌ بأخوية العراق إذا بدا
فاكحلّ بعبدة مُقتليك من القذى
فلقربُ مَنْ تهوى وأنت متيمٌ
وعن العدوّ مُحَيَّسَ الشيطان⁴
ثُلجَ المَقِيلِ مُنعمَ النَّدمانِ
تندى يدي ويخافُ قرطُ لساني
وإذ الأميرُ عليّ من حرّانِ
برقت عليه أكلةُ المرّجان⁵
وبوشك رويتها من الهملانِ
أشقى لداك من بني مروانِ
فلما رجع إلى العراق برّه ابن هُبيرة ووصله ، وكان يُعظّم بشاراً ويُقدّمه ، لمدحه قيساً
وافتنّاه بهم ، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .
[مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنّاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن الحجاج قال : قدِمَ
بشار الأعمى على المهديّ بالرّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن ،
فنّاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه⁶ : [من المنسرح]

1 استوغرت : حميت ، وهنا ضلقت . الصوى : علامات يهتدى بها .

2 يوماً في ل : قوماً .

3 ديوان بشار : 233 .

4 مُحَيَّس : مدلّل .

5 أخوية : جمع حواء وهو جماعة البيوت المتدانية . أكلة : جمع إكليل .

6 ديوان بشار : 25-26 .

كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أَبْشَرُهُ ولم أَجِءْ رَاغِبًا وَمُحْتَلِبًا
يُزَيِّنُ الْمُنِيرَ الْأَشْمَّ بَعْطُ فِيهِ وَأَقْوَالُهُ إِذَا خَطَبَا
تُشَمُّ نَعْلَاهُ فِي النَّدِيِّ كَمَا يُشَمُّ مَاءُ الرَّيْحَانِ مُنْتَهَبَا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة ونهاه عن التشبيب ألبته ، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده¹ : [من الطويل]

تَجَالَلْتُ عَنْ فِيهِرٍ وَعَنْ جَارَتِي فِيهِرٍ وَوَدَّعْتُ نَعْمَى بِالسَّلَامِ وَبِالْبِشْرِ²
وَقَالَتْ سُلَيْمَى فَيْكَ عَنَّا جَلَادَةٌ مَحْلُكٌ دَانٍ وَالزِّيَارَةُ عَنْ عُفْرِ³
أَخِي فِي الْهَوَى مَا لِي أَرَاكَ جَفَوْتَنَا وَقَدْ كُنْتَ تَقْفُونَا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَنَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا وَزُورَةَ أُمْلَاكِ أَشَدُّ بِهَا أَزْرِي
وَأُخْرِجَتْنِي مِنْ وَزِيرٍ خَمْسِينَ حِجَّةً فَتَى هَاشِمِيٍّ يَقْشَعِرُ مِنَ الْوَزْرِ
دَفَنْتُ الْهَوَى حَيًّا فَلَسْتُ بِزَائِرٍ سُلَيْمَى وَلَا صَفْرَاءَ مَا قَرَّرَ الْقُمْرِي
وَمُصْفَرَّةً بِالزَّرْعِرَانِ جَلُودُهَا إِذَا اجْتَلَيْتَ مِثْلَ الْمَفْرَطَةِ الصُّفْرِ⁴
فَرُبُّ ثَقَالِ الرَّدْفِ هَبْتُ تَلُومُنِي وَلَوْ شَهِدْتَ قَبْرِي لَصَلَّتُ عَلَى قَبْرِي
تَرَكْتُ لِمَهْدِي الْأَنَامَ وَصَالَهَا وَرَاعَيْتُ عَهْدًا بَيْنَنَا لَيْسَ بِالْخَتْرِ⁵
وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ لَقَبَلْتُ فَاهَا أَوْ لَكَانَ بِهَا فِطْرِي
لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئَةً فَمَا أَنَا بِالْمُزْدَادِ وَقِرَاءً عَلَى وَقْرِ
فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ امْتَدَحَهَا بِهَا ، فَأَعْطَاهَا مَا كَانَ يُعْطِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَزِدْهُ شَيْئًا .

[توفي ابن له فجزع عليه وتمثل بقول جرير]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال : حضرنا جنازة ابن لبشار توفي ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وجعلنا نعزيه ونسليه فما يُعْنِي ذلك شيئاً ، ثم التفت إلينا وقال : لله درُّ جرير حيث يقول وقد عزي بسودة ابنه⁶ :

1 ديوان بشار : 131- 134 .

2 تجاللت : ترفعت .

3 تعني أن زيارتك متباعدة رغم قرب محلك .

4 المفرطة الصفر : يعني الدناير .

5 الختر : العذر والخديعة .

6 ديوان جرير (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1964) : 345 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم
 ودعّنتي حين كفَّ الدهرُ من بصري
 أودى سَوَادُهُ يَجْلُو مُقَلَّتِي لَحْمٍ
 إلَّا تَكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْنِ نائِحَةٌ
 كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
 وحين صيرتُ كعَظْمِ الرَّمَّةِ البالي
 بازٍ يُصَرِّصِرُ فوقَ المِرْبَأِ العالي¹
 فَرُبَّ نائِحَةٍ بِالرَّمْلِ مِغْوَالٍ

[استنشدته صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بهي المهدى له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاَّد الأرقط قال : لما أنشد المهدى قول بشار :

لا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ مُخْبَأَةٍ
 قولٌ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
 عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ
 والصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

فنهاه المهدى عن قوله مثلَ هذا ، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سَمَّان ، فقال له : أنشدنا يا أبا مُعَاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ ، فأنشأ يقول² :

وقائلِ هَاتِ شَوْقَنَا فقلتُ له
 أنائمٌ أَنْتَ يَا عمرو بنَ سَمَّانِ
 أما سَمِعْتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ
 وفي الخَلِيفَةِ لا تَنْسُبُ بِجَارِيَةٍ
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَشْقَى بِعِصْيَانِ

[صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أيوب المدائني قال : قال مروان بن أبي حفصة : قَدِمْتُ البصرة فأنشدتُ بشاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجودها ! تَقْدِمُ بَغْدَادَ فَتُعْطَى عَلَيْهَا عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ فَجَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ : قَتَلْتَنِي ! فقال : هو ما أقول لك ؛ وَقَدِمْتُ بَغْدَادَ فَأُعْطِيتُ عَلَيْهَا عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَيْهِ قَدَمَةً أُخْرَى فأنشدته قصيدتي :

طَرَقْتُكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خِيَالَهَا

فقال : تُعْطَى عَلَيْهَا مِائَةُ آلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَقَدِمْتُ فَأُعْطِيتُ مِائَةَ آلْفِ دِرْهَمٍ ، فَعُدْتُ إِلَى البصرة فَأَخْبَرْتُهُ بِحَالِي فِي الْمَرَّتَيْنِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ حَدْسِكَ⁴ ! فقال : يَا بُنَيَّ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ مِنْ عَمِّكَ ؟ .

1 لحم : صفة مقدمة لباز . المربأ : مكان وقوف البازي .

2 ديوان بشار : 236 عن الأغاني .

3 نجر : في الصحاح أرض مكة والمدينة .

4 ل : حديثك .

أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينة عن مروان أنّه قدِمَ على بشار فأنشده قوله :

طَرَقْتَ زَائِرَةً فَحَيَّ خَيَالَهَا

فقال له : يُعْطُونَكَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ : [من الكامل]

أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِيَنْبِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةَ الْأَعْمَامِ

فقال : يُعْطُونَكَ عَلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخَبَرِ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .

[امتنح في صلاته فوجد لا يصلي]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال بعض أصحاب بشار : كُنَّا نَكُونُ عِنْدَهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَمْنَا إِلَيْهَا وَنَجْعَلُ عَلَى ثِيَابِهِ تَرَابًا حَتَّى نَنْظُرَ هَلْ يَقُومُ يُصَلِّي ، فَنَعُودُ وَالتَّرَابُ بِجَالِهِ وَمَا صَلَّي .

[جعل الحب قاضياً بين الحيين بأمر المهديّ]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال أبو عمرو : بعث المهديّ إلى بشار فقال له : قُلْ فِي الْحَبِّ شِعْرًا وَلَا تُطْلِنْ وَاجْعَلِ الْحَبَّ قَاضِيًا بَيْنَ الْحَيِّينَ وَلَا تُسَمِّ أَحَدًا ؛ فَقَالَ ¹ : [من الخفيف]

اجْعَلِ الْحَبَّ بَيْنَ حَيِّي وَبَيْنِي	قَاضِيًا إِنَّنِي بِهِ الْيَوْمَ رَاضِي
فاجتمعنا فقلتُ يَا حِبُّ نَفْسِي	إِنَّ عَيْنِي قَلِيلَةٌ الْإِغْمَاضِ
أَنْتَ عَذَّبْتَنِي وَأَنْخَلْتَ جَسْمِي	فَارْحَمِ الْيَوْمَ دَائِمَ الْأَمْرَاضِ
قَالَ لِي لَا يَحِلُّ حُكْمِي عَلَيْهَا	أَنْتَ أَوْلَى بِالسُّقْمِ وَالْإِحْرَاضِ ²
قُلْتُ لَمَّا أَجَانِبِي بِهَوَاهَا	شَمِلَ الْجَوْرُ فِي الْهَوَى كُلَّ قَاضِي

فبعث إليه المهديّ : حَكَمْتَ عَلَيْنَا وَوَأَفَقْنَا ذَلِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

[اتهمه بعضهم بأخذ معنى من أشعب فردّ عليه]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشميّ قال : أنشد بشار قوله ³ :

[من الوافر]

يُرْوَعُهُ السَّرَّارُ بِكُلِّ أَرْضٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَّارُ ⁴

1 ديوان بشار : 148 - 149 .

2 الإحراض : إذناف الحب .

3 هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه من مصادر متعدّدة : 108 - 110 .

4 السرار : المسارة .

فقال له رجل : أَظَنَّاكَ أَخَذْتَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَشْعَبَ : مَا رَأَيْتُ اثْنَيْنِ يَتَسَارَّانِ إِلَّا أَظُنُّنْتُ أَنَّهُمَا يَأْمُرَانِ لِي بِشَيْءٍ ؛ فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ أَخَذْتُ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَشْعَبَ فَإِنَّكَ أَخَذْتَ يَقْلِبُ الرُّوحَ وَالْمَقْتَ مِنَ النَّاسِ جَمِيعاً فَانْفَرَدَتْ بِهِ دُونَهُمْ ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ وَتَرَكَنَا . وَأَخَذَ أَبُو نَوَاسٍ هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنَهُ مِنْ بَشَّارٍ فَقَالَ فِيهِ ¹ :

تَرَكَتْنِي الْوُشَاةُ نُصَبَ الْمُسِيرِ
سَنَ وَأَخْذُوثةً بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا أَرَى خَالِيَيْنِ فِي السَّرِّ إِلَّا
قَلْتُ مَا يَخْلَوَانِ إِلَّا لِشَانِي

[استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالم]

أخبرني عيسى قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد ، جليسٌ كان لأبي زيد ، قال : أَنَانِي أَعَشَى سُلَيْمٍ وَأَبُو حَنْشٍ فَقَالَا لِي : انْطَلِقْ مَعَنَا إِلَى بَشَّارٍ فَتَسْأَلْهُ أَنْ يُنْشِدَكَ شَيْئاً مِنْ هِجَائِهِ فِي حَمَادٍ عَجْرَدٍ أَوْ فِي عَمْرٍو الظَّالِمِي فَإِنَّهُ إِنْ عَرَفْنَا لَمْ يُنْشِدْنَا ، فَمَضَيْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى بَشَّارٍ فَاسْتَنْشَدْتُهُ فَأَنْشَدَ قَصِيدَةً لَهُ عَلَى الدَّالِ فَجَعَلَ يَخْرُجُ مِنْ وَادٍ فِي الْمَجَاءِ إِلَى وَادٍ آخَرَ ، وَهُمَا يَسْتَمْعَانِ وَبَشَّارٌ لَا يَعْرِفُهُمَا ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : أَمَا تَعْجَبُ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَذَا الْأَعْمَى ؟ فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ : أَمَّا أَنَا فَلَا أُعْرِضُ ، وَاللَّهِ ، وَالَّذِي لَهُ أَبَدٌ ؛ وَكَانَا قَدْ جَاءَا يَزُورَانِهِ ، وَأَحْسَبُهُمَا أَرَادَا أَنْ يَتَعَرَّضَا لِمَهَاجَاتِهِ .

[مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال : كَانَ بَشَّارٌ صَدِيقاً لِأَبِي حُدَيْفَةَ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ قَبْلَ أَنْ يَدِينَ بِالرَّجْعَةِ وَيُكْفِّرَ الْأُمَّةَ ، وَكَانَ قَدْ مَدَحَ وَاصِلاً وَذَكَرَ خُطْبَتَهُ الَّتِي خُطِبَهَا فَتَزَعَّ مِنْهَا كُلُّهَا الرَّاءُ وَكَانَتْ عَلَى الْبَدِيعَةِ ، وَهِيَ أَطْوَلُ مِنْ خُطْبَتِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ وَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَقَالَ ² :

تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ وَالْأَقْوَامَ قَدْ حَقَلُوا
وَحَبَّرُوا خُطْباً نَاهِيكَ مِنْ خُطْبِ
فَقَامَ مُرْتَجِلاً تَغْلِي بَدَاهَتُهُ
كَمِيرٍ جَلَّ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ
وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ
قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

قال : فَلَمَّا دَانَ بِالرَّجْعَةِ زَعَمَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقِيلَ لَهُ : وَعَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ؟ فَقَالَ ³ :

[من الوافر]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي ، بيروت) : 246 .

2 ديوان بشار : 28 .

3 البيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبَحينا

[قال : ما كان الكميّ شاعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجاج : قال بشار : ما كان الكميّ شاعراً ؛ فقليل له : وكيف وهو الذي يقول ! : [من الطويل]

أَنْصَفُ أَمْرِي مِنْ نَصْفِ حَيِّ يُسُبُّنِي لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَيْتُ خَطْباً مِنَ الْخَطْبِ
هَنِيئاً لِكَلْبٍ أَنْ كَلَباً يُسُبُّنِي وَأَنْتِي لَمْ أَرُدُّ جَوَاباً عَلَى كَلْبٍ

فقال بشار : لا بَلُّ شائِئِكَ¹ ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنة لم يُسْتَحَلَّ من ضرطه ضرطة واحدة !

[تمثّل سفيان بن عيينة بشعر له]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجاج الملعّم قال سمعتُ سفيان بن عيينة يقول² : عَهْدِي بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ أَدَباً ثُمَّ صَارُوا الْآنَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَدَباً ، وَصَبَرْنَا عَلَيْهِمْ حَتَّى أَشْبَهْنَاهُمْ ، فَصَرْنَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أُمُوقُ³

[ويخ من سأله عن منزل ولم يفهم]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن الحجاج قال : كنّا مع بشار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يُفْهِّمُهُ ، وَلَا يَفْهَمُ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَامَ يَقُودُهُ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ وَهُوَ يَقُولُ⁴ :

أَعْمَى يَقُودُ بِصِيرٍ لَا أَبَا لَكُمْ قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتْ الْعُمَيَّانُ تَهْدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزله يا أعمى .

[أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنّه أتى بشاراً فقال له : يَا أَبَا مُعَاذٍ ، أَنْشِدْكَ شِعْراً حَسِناً ؟ فقال : مَا أَسْرَنِي بِذَلِكَ ، فَأَنْشَدَهُ :

1 لا بل شائِئِكَ : لا برى ، كارهك . ويجوز بناء «بَلِّ» للمجهول بمعنى «لا مطر» .

2 ديوان بشار : 165 .

3 الموق : حق في غياوة .

4 ديوان بشار : 98 .

أَعَاذَلْتَنِي الْيَوْمَ وَيَلْكُمَا مَهْلًا فَمَا جَزَعًا مِ الْآنَ أَبْكِي وَلَا جَهْلًا¹
 فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ لَهُ بَشَارَ : أَحْسَنْتَ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ عَلَى رَوِيَّهَا وَوزْنَهَا² : [من الطويل]
 لَقَدْ كَادَ مَا أُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ وَالْهَوَى يَكُونُ جَوَى يَيْنَ الْجَوَانِحِ أَوْ خَبَلًا

صوت

[من الطويل]

إِذَا قَالَ مَهْلًا ذُو الْقَرَابَةِ زَادَنِي وَلَوْعًا بِذِكْرَاهَا وَوَجْدًا بِهَا مَهْلًا
 فَلَا يَحْسَبُ الْبَيْضُ الْأَوَانِسُ أَنَّ فِي فَوَادِي سَوَى سَعْدَى لِغَانِيَةٍ فَضْلًا
 فَأَقْسِمُ إِنْ كَانَ الْهَوَى غَيْرَ بِالْغ بِي الْقَتْلَ مِنْ سَعْدَى لَقَدْ جَاوَزَ الْقَتْلَا
 فَيَا صَاحِبَ خَبْرِي الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ بِقَاتِلَتِي ظُلْمًا وَمَا طَلَبْتُ ذَخْلًا³
 سِوَى أَنْتِي فِي الْحَبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا شَدَدْتُ عَلَى أَكْظَامِ سِرِّ لَهَا قُفْلًا
 وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّي أَنَّ لِإِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى فَاسْتَحْسَنْتُ
 الْقَصِيدَةَ وَقُلْتُ : يَا أَبَا مُعَاذٍ ، قَدْ وَاللَّهِ أَجَدْتَ وَبَالَغْتَ ، فَلَوْ تَفَضَّلْتَ بِأَنْ تُعِيدَهَا ؛ فَأَعَادَهَا عَلَى
 خِلَافِ مَا أَنْشَدْتَنِيهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ قَالَهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ .

[حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَلَادٍ قَالَ
 حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ أَكَلِمَ بَشَارًا وَأَرَدَ عَلَيْهِ سُوءَ مَذْهَبِهِ بِمِيلِهِ إِلَى الْإِلْحَادِ ، فَكَانَ يَقُولُ : لَا
 أَعْرِفُ إِلَّا مَا عَايَنْتُهُ أَوْ عَايَنْتُ مِثْلَهُ ؛ وَكَانَ الْكَلَامُ يَطُولُ بَيْنَنَا ، فَقَالَ لِي : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ يَا أَبَا خَالِدٍ⁴
 إِلَّا كَمَا تَقُولُ ، وَأَنْ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ خِذْلَانٌ ، وَلِذَلِكَ أَقُولُ⁵ : [من الطويل]

طَبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْذَبَا
 أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَا⁶
 فَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُقَصِّرٌ وَأُمْسِي وَمَا أَغْقَيْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا⁷

1 ويلْكُمَا في ل : ويحكما .

2 ديوان بشار : 182 عن الأغاني .

3 الذحل : الثَّار .

4 ل : مخلد .

5 ديوان بشار : 24-25 .

6 وقصر في الديوان : ويقصر .

7 مقصّر في الديوان : ناقب .

[عائب منقرّاً يبعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء].

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني ابن مهورية قال حدثني أحمد بن خلّاد بن المبارك قال حدثني أبي قال : كان بالبصرة فتى من بني منقرٍّ أمّه عَجَلِيَّةٌ ، وكان يبعث إلى بشار في كلّ أضحيةٍ بأضحيةٍ من الأضحاحي التي كان أهل البصرة يُسمّونها سنةً وأكثر للأضحاحي ثم تباغ الأضحية بعشرة دنائير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمر وكيّله في بعض السنين أن يُجرّيه على رسمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينيةٍ وسرق باقي الثمن ، وكانت نعجةً عبدليّةً من نِعاَج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مردولٌ ، فلَمّا أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته ربّابة : ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يبعثُ بها إليك ؛ فقال : أدنياها مِنّي فأدنتها ولمسها بيده ثم قال : اكتب يا غلام¹ :

وهبت لنا يا فتى منقرٍّ	وعجلٍ وأكرمهم أولاً
وأبسطهم راحةً في الندى	وأرفعهم ذروةً في العلا
عجوزاً قد أوردّها عمرها	وأسكنها الدهر دارَ البلى
سلّوحاً توهمت أن الرّعاء	سقّوها ليُسهلها الحنظلا
وأضرط من أمّ مُبتاعها	إن اقتحمت بكرةً خرّماً ²
فلو تأكل الزبد بالنرسيان	وتدمج المسك والمندلا ³
لما طيّب الله أرواحها	ولا بلّ من عظمها الأقحلا ⁴
وضعت يميني على ظهرها	فخلت حراقفها جندلا
وأهوت شمالي لعرقوبها	فخلت عراقفها مغزلا
وقلبت أليتها بعد ذا	فشبهت عُصصها منجلا
فقلت أبيع فلا مشرباً	أرجي لديها ولا مأكلاً
أمّ اشوي وأطبخ من لحمها	وأطيب من ذاك مضغ السلّى ⁵
إذا ما أُمِرت على مجلسٍ	من العُجب سبّح أو هللا

1 ديوان بشار : 183-184 .

2 الحرمل : حبّ كالسمسم .

3 النرسيان : نوع من أجود التمر . تدمج : مثل تندمج أي تدخل في المسك والمندل .

4 الأقحل : من أقحل الشيء وإذا يس .

5 السلّى : الجلدّة يكون فيها الولد في بطن أمّه .

رَأَوْا آيَةً خَلَفَهَا سَائِقٌ يَحُثُّ وَإِنْ هَرَوَلْتُ هَرَوَلَا
وَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا ضَخْمَةً بِلَحْمٍ وَشَحْمٍ قَدْ اسْتُكْمِلَا
وَلَكِنْ رَوْحاً عَدَا طَوْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ يَفْعَلَا
فَغَضَّ الَّذِي خَانَ فِي أَمْرِهَا مِنْ أَسْتِ أَمَّهُ بَظَرَهَا الْأَغْرَلَا
وَلَوْلَا مَكَانُكَ قَلْدَتَهُ عِلَاطٌ وَأَنْشَقَّتُهُ الْخَرْدَلَا¹
وَلَوْلَا اسْتِحَائِيكَ خَضَبَتُهَا وَعَلَقْتُ فِي جِيدِهَا جُلْجُلَا
فَجَاءَتْكَ حَتَّى تَرَى حَالَهَا فَتَعَلَّمَ أَنِّي بِهَا مُتَبَلَى
سَأَلْتُكَ لَحْماً لَصِينِيَانَا فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عَيْلَا
فَخَذَهَا وَأَنْتَ بِنَا مُحْسِنٌ وَمَا زَلَّتْ بِي مُحْسِنًا مُجْمِلَا

قال : وبعث بالرقعة إلى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ؛ تعلم أنني أفندي من
بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه ! اذهب فاشتر أضحية ، وإن قدرت أن تكون مثل الفيل
فافعل ، وابلغ بها ما بلغت وابعث بها إليه .

[شعره في رثاء بنية له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال
أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت بشاراً المرعث يرثي بُنْيَةَ له وهو يقول² : [من الرجز]
يَا بِنْتَ مَنْ لَمْ يَكُ يَهْوَى بِنْتَا مَا كُنْتُ إِلَّا خَمْسَةً أَوْ سِتًّا
حَتَّى حَلَلْتُ فِي الْحَشَى وَحَتَّى فَتَتْ قَلْبِي مِنْ جَوَى فَانْفَتَّا
لَأَنْتِ خَيْرٌ مِنْ غَلَامٍ بِنَّا يُصْبِحُ سَكَرَانٌ وَيُمْسِي بَهْتًا³

[مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه]

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال : كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً
ممدحاً ، وكان بشار منقطعاً إلى أبيه ، فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي مكان أبيه ، فمدحه
بقوله⁴ :

ولنافع فضلٌ على أكفائه إن الكريم أحقُّ بالفضل

1 علاط : حبل يجعل في عنق البعير .

2 ديوان بشار : 51 عن الأغاني .

3 بت : منقطع عن العمل (بسبب السكر) . بهت : دهش متحير متعب .

4 ديوان بشار : 187 .

يا نافع الشُّبْرَاتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأُعْقِبْتُ بُوُيُولُ¹
 أشبهتْ عُقْبَةً غَيْرَ ما مُتَشَبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قَبُولِ
 ووليتَ فينا أشهراً فكفيتنا غَنَّتِ المُرِيبِ وسلَّةَ التَّضْلِيلِ
 تُدْعَى هِلَالاً في الزمانِ ونافعاً والسَّلْمُ نِعَمَ أُبُوَّةُ المَأْمُولِ
 فأعطاه مثل ما كان أبوه يُعطيه في كلِّ سنة إذا وفَدَ عليه .

[أجاز شعراً للمهدي في جارية]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العَنَزِيِّ قال حدثني إبراهيم بن عُقْبَةَ
 الرِّفَاعِيِّ قال حدثني إِسْحاقُ بن إبراهيم التَّمَارِ البَصْرِيِّ قال : دخل المهديُّ إلى بعض حُجَرِ الحُرَمِ
 فنظر إلى جاريةٍ منهنَّ تَغْتَسِلُ ، فلَمَّا رَأَتْهُ حَصِرَتْ² ووضعت يدها على فَرْجِها ، فأنشأ يقول :
 نظرتُ عيني لِحَنِي

ثم أُرْتِجَ عليه ، فقال : مَنْ بالبَابِ من الشعراء ؟ قالوا : بشار ، فأذن له فدخل ؛ فقال
 له : أَجِزْ :

نظرتُ عيني لِحَنِي

فقال بشار³ :

نظرتُ عيني لِحَنِي نَظَرًا وافقَ شَيْنِي
 سَتَرْتُ لَمَّا رَأَتْنِي دَوْنَهُ بالراحَتَيْنِ
 فَضَلْتُ مِنْهُ فَضُولُ تحت طَيِّ العُكَّتَيْنِ

فقال له المهديُّ : قَبْحَكَ اللهُ ويحك ؛ أَكنتَ ثالثنا ! ثم ماذا ؟ فقال :

فَتَمَنَيْتُ وَقَلْبِي للهوى في زَفَرَتَيْنِ
 أَتَنِي كُنْتُ عَلَيْهِ ساعةً أو ساعتَيْنِ

فضحك المهديُّ وأمر له بجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أَقْبَعَتْ من هذه الصفة بساعة أو
 ساعتين ؟ فقال : اخرج عني قَبْحَكَ اللهُ ؛ فخرج بالجائزة .

[أنشد شعراً على لسان حمار له مات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَّة قال حدثنا أبو شبل
 عاصم بن وَهَبِ البُرْجُمِيِّ قال حدثني محمد بن الحِجَّاج قال : جاءنا بشار يوماً فقلنا له :

1 الشُّبْرَات : من شبره : أعطاه والشُّبْر (يفتح الشين) ؛ اسم العطية .

2 حَصِرَتْ : استتحت .

3 ديوان بشار : 242-243 مع اختلاف في اللفظ .

ما لك مغتماً ؟ فقال : مات حماري فرأيت في النوم فقلت له : لم مُت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال¹ :

سَيِّدِي خُذْ بِي أَتَانَا	عندَ بابِ الأصبهاني
تَيَمَّتَنِي بَيْنَانِ	وبدَلُ قد شَجَانِي
تَيَمَّتَنِي يَوْمَ رُحْنَا	بثناياها الحسانِ
وبغْجِج ودَلال	سَلَّ جسمي وبراني
ولها خَدُّ أُسَيْلٍ	مثلُ خَدِّ الشيفرانِ
فلذا مُتْ ولو عِشْد	تُ إِذَا طَالَ هَوَانِي

فقلت له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ؛ هذا من غريب الحمار ، فإذا لَقِيتَه فاسأله .

[رأيه فيما يكون عليه المجلس]

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني السري بن الصباح قال : شهد بشار مجلساً فقال : لا تُصَيِّرُوا مجلسنا هذا شعراً كله ولا حديثاً كله ولا غناء كله ، فإن العيش فُرْصٌ ، ولكن غَنُوا وتحدَّثُوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيشَ تناهباً .

[وصفه غلام بذب اللسان وسعة الشدق]

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني عن ابن عائشة قال : جاء بشار يوماً إلى أبي وأنا على الباب ، فقال لي : مَنْ أنت يا غلام ؟ فقلت : من ساكني الدار ؛ قال : فكلمني والله بلسانِ ذَرَبٍ وشِدْقٍ هَرِيَّتٍ² .

[أبطأ سهيل القرشي في إهدائه التمر فكتب إليه ينتجزه]

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني عن أبي حاتم قال : كان سهيل بن عَمَر القرشي يبعث إلى بشار في كل سنة بقواصر³ تمر ، ثم أبطأ عليه سنة ؛ فكتب إليه بشار⁴ : [من الخفيف]

تمرْكُم يا سُهَيْلُ دُرٌّ وهل يُطْ	مَعُ في الدَرِّ مِنْ يَدَيِّ مُتَعَتِي ⁵
فأحْبِبْنِي يا سُهَيْلُ من ذلك التمر	رِ نَوَاةٌ تكون قُرْطاً لبنتي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر .

1 ديوان بشار : 242 .

2 الشدق الهريت : الواسع .

3 قواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) وعاء للتمر يشبه الزنبيل .

4 ديوان بشار : 54 .

5 متعتي : مستكبر .

[سأله بعض أهل الكوفة أن ينشدهم شعراً ثم عاتبوه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال :
جلس إلى بشارٍ أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدهم شيئاً ممّا
أحدثه ، فأنشدهم قوله¹ :

أتى دعاه الشوقُ فارتاحا من بعد ما أصبح جَحْجَاحا
حتى أتى على قوله :

في حُلَيْي جسمُ فتى ناحلٍ لو هبّت الرّيح به طاحا

فقالوا : يا ابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنك فيل عَرَضُك أكثر من طولك ! فقال : قوموا
عني يا بني الزّناء ؛ فإنّي مشغول القلب ، لست أنشط اليوم لمشاتمكم .
[عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال : كان لبشار مجلس يجلس
فيه بالعشيّ يقال له البرّدان ، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشّق امرأة
منهنّ ، وقال لغلامه : عرّفها محبّتي لها ، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها
بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، فتبعها إلى منزلها حتى عرفه ، فكان يتردّد إليها حتى برّمت
به ، فشكته إلى زوجها ، فقال لها : أجيبي وعدي به إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت ، وجاء
بشار مع امرأة وجّهت بها إليه ، فدخل وزوجها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدثها ساعة ،
وقال لها : ما اسمك بأبي أنت ؟ فقالت : أمانة ؛ فقال² :

أمانة قد وُصفت لنا بحسن وإنّا لا نراكِ فإلمسينا

قال : فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ، ففزع ووثب قائماً
وقال³ :

عليّ أليّة ما دمتُ حيّاً أمسك طائعاً إلّا بعودِ
ولا أهدي لقومٍ أنت فيهم سلام الله إلّا من بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضعت كفيّ على أير أشدّ من الحديدِ
فخيرٌ منك من لا خير فيه وخيرٌ من زيارتكم قعودي

1 ديوان بشار : 63 .

2 ديوان بشار : 227 .

3 ديوان بشار : 81 .

وقبض زوجها عليه وقال : هَمَمْتُ بِأَنْ أَفْضَحَكَ ؛ فقال له : كَفَانِي ، فَدَيْتُكَ ، مَا فَعَلْتَ بِي ، وَلَسْتُ وَاللَّهِ عَائِداً إِلَيْهَا أَبَداً ، فَحَسْبُكَ مَا مَضَى ، وَتَرَكَهُ وَانصَرَفَ . وَقَدْ رَوَى مِثْلَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ فِي قِصَّةِ بَشَّارٍ هَذِهِ . وَهَذَا الْخَبَرُ بَعِينُهُ يُحْكِي بِإِسْنَادٍ أَقْوَى مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ وَأَوْضَحَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى السَّائِبِ بْنِ قُرُوحَ ، وَقَدْ ذَكَرْتَهُ فِي أَخْبَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ بِإِسْنَادِهِ .
[رِثَاؤُهُ أَصْدَقَاءَهُ]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ : قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي حَمْدَانُ الْآبَنُوسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نُؤَاسٍ قَالَ : كَانَ لِبَشَّارٍ خَمْسَةُ نُدَمَاءَ فَمَاتَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَبَقِيَ وَاحِدٌ يُقَالُ لَهُ الْبَرَاءُ ، فَركبَ فِي زَوْرَقٍ يَرِيدُ غُبُورَ دَجَلَةِ الْعَوْرَاءِ¹ فَفَرِقَ ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ نَهَى بِشَّاراً عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ وَالْعَشَقِ ، فَكَانَ بِشَّارٌ يَقُولُ : مَا خَيْرٌ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْأَصْدَقَاءِ ؛ ثُمَّ رَأَى أَصْدَقَاءَهُ بِقَوْلِهِ² :

فِي فِتَاةٍ بِالْقَلْبِ مِنْهَا أَوَامُ
سَ وَيَهْفُو عَلَى فَوَادِي الْهَيَامُ
كَعَثْبِي كَأَنَّهُ حَمَامُ
كُتِبَ الْعَاشِقِينَ وَالْأَحْلَامُ
إِنَّ سَلَمَى جِئْتُ فِيَّ احْتِشَامُ
تُ بَهَا وَالْعَيُونَ عَنِّي نِيَامُ
عُتِقْتُ عَانِساً عَلَيْهَا الْخِنَامُ³
بَنَسِيمٍ وَاتَشَقَّ عَنْهَا الزَّكَامُ
حَ شَجَّ فِي لِسَانِهِ بِرِسَامُ⁴
هَ انْكَسَارُ فِي الْمَفَاصِلِ خَامُ
سَ وَمَاتَتْ أَوْصَالُهُ وَالْكَلامُ
لِ وَيَمْشِي يَرُومُ مَا لَا يُرَامُ⁵

يَا ابْنَ مُوسَى مَاذَا يَقُولُ الْإِمَامُ
بَيْتٌ مِنْ جِبِّهَا أَوْقَرُ بِالْكَأُ
وَيَحْهَى كَاعِباً تُدِلُّ بِجَهَنَّمَ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنِي إِلَّا
يَا ابْنَ مُوسَى اسْقِنِي وَدَعْ عَنْكَ سَلَمَى
رُبَّ كَأْسٍ كَالسَّلْسِيلِ تَعَلَّلُ
حُبِسْتُ لِلشُّرَاةِ فِي بَيْتِ رَأْسٍ
نَفَحْتُ نَفْحَةً فَهَزَّتْ نَدِيمِي
وَكَأَنَّ الْمَعْلُولَ مِنْهَا إِذَا رَا
صَدَمَتَهُ الشَّمُولُ حَتَّى بَعِينِي
وَهُوَ بَاقِي الْأَطْرَافِ حَيَّتْ بِهِ الْكَأُ
وَفَتَى يَشْرَبُ الْمَدَامَةَ بِالْمَا

1 دجلة العوراء : دجلة بالبصرة .

2 ديوان بشار : 195-196 .

3 بيت رأس : اسم قرية قرب حلب وأخرى قرب بيت المقدس والقرتان تكثر فيهما الكروم .

4 برسام هنا : لجلجة وهذيان .

5 ويمشي في ل : يمسي .

أنفدت كأسه الدنانير حتى ذهب العين واستمر السَّوام¹
تركه الصَّهباء يرنو بعين نام إنسانها وليست تنام²
جنّ من شربة تُعلّ بأخرى وبكى حين سار فيه المدام³
كان لي صاحباً فأودى به الدهر ر وفارقتُه عليه السَّلام⁴
بقيّ النَّاس بعد هُلك نداما ي وقوعاً لم يشعروا ما الكلام⁵
كجزور الأيسار لا كبَد في ها لباغ ولا عليها سنّام⁶
يا ابن موسى فقد الحبيب على العي ن قذاة وفي الفؤاد سقام⁷
كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأحلاء في المقابر هام⁸
نفسهم عليّ أم المنايا فأنامتهم بعُنف فناموا⁹
لا يغيض انسجام عيني عليهم إنَّما غاية الحزين السَّجام¹⁰

[وفد على عمر بن هبيرة فمدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ: أنَّ بشاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله⁴: [من الطويل]

يخافُ المنايا أن ترحلتُ صاحبي يخافُ المنايا أن ترحلتُ صاحبي
فقلتُ له إنَّ العراقَ مقامُه فقلتُ له إنَّ العراقَ مقامُه
لألقي بني عيلان إنَّ فعّالهم لألقى بني عيلان إنَّ فعّالهم
أولاك الألى شقّوا العمى بسيوفهم أولاك الألى شقّوا العمى بسيوفهم
وجيش كجَنح الليل يزحفُ بالحصى وجيش كجَنح الليل يزحفُ بالحصى
غدونا له والشمسُ في خِدر أمها غدونا له والشمسُ في خِدر أمها
بضرب يذوقُ الموتُ من ذاق طعمه بضرب يذوقُ الموتُ من ذاق طعمه
كأنَّ مَثارَ النَّقع فوق رؤوسنا كأنَّ مَثارَ النَّقع فوق رؤوسنا

1 العين : الذهب . السَّوام : الإبل أو المواشي السائمة .

2 جزور الأيسار : الناقة تذبح للمقامرة عليها .

3 هام : أموات .

4 هذه الأبيات من قصيدة بشار التي تقدمت (ديوانه : 42-48) مع اختلاف في الترتيب .

5 ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

بعثنا لهم موتَ الفُجاءةِ إتنا بنو الموت خفاق علينا سبائبه¹
 فراحوا فريقٌ في الإِسار ومثله قتلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربة
 إذا الملكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خدَّه مَشِينا إليه بالسُّيوفِ نعاثه
 فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أولُ عطية سنية أُعطِيها بشار ورَفَعَتْ من ذكره ،
 وهذه القصيدة هي التي يقول فيها :

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعَاتِبَا صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
 فِعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه مُقَارِفُ ذنبِ مرّةٍ ومجائبه
 إذا أنت لم تَشْرَبْ مراراً على القَدَى ظمئتَ وأيُّ النَّاسِ تصفو مَشارِبُه
 الغناء في هذه الأبيات لأبي العَبَسِ بن حمدون خفيف ثقیل بالبِصْرِ في مجراها .
 [شعره في العشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال : كان لبشار
 مجلس يجلس فيه يقال له البرّدان ، وكان النساء يحضرنه فيه ، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ
 سمع كلام امرأة في المجلس فعشيقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها ، فإذا
 انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أنّي لها مُحِبٌّ ؛ وقال فيها² : [من البسيط]
 يا قومُ أذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً
 قالوا : بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهم الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا³
 هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ يلقي بلُقيانها رَوْحاً ورِيحاناً⁴
 وقال في مثل ذلك⁵ :

قالت عُقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبّها أثرُ
 أنى ولم ترها تهذي فقلتُ لهم إنّ الفؤادَ يرى ما لا يرى البصرُ
 أصبحتُ كالخائم الحيران مُجتنباً لم يقضِ ورداً ولا يُرجى له صدرُ

1 السبائب : جمع سبيبة وهي هنا الراية .

2 ديوان بشار : 226 مع اختلاف في الترتيب .

3 توفي : تبلغ .

4 الشطر الأول في رواية الديوان : « ما كنت أول مشغوف بجارية . . . » .

5 ديوان بشار : 106-107 .

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى وكان يستحسنه¹ :

يُرْهِدُنِي فِي حَبِّ عَبْدَةٍ مَعَشْرٌ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالَفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو الْحَبِّ
فَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانُ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ
وَمَا الْحَسَنُ إِلَّا كُلُّ حَسَنِ دَعَا الصَّبَا وَأَلْفَ بَيْنَ الْعَشَقِ وَالْعَاشِقِ الصَّبِّ
قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك² :

يَا قَلْبُ مَا لِي أَرَاكَ لَا تَقِرَّ إِيَّاكَ أُعْنِي وَعِنْدَكَ الْخَيْرُ³
أَذْعَتَ بَعْدَ الْأَلَى مَضُوءًا حُرْقًا أَمْ ضَاعَ مَا اسْتَوْدَعُوكَ إِذْ بَكَرُوا⁴
قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك⁵ :

إِنَّ سَلِيمِي وَاللَّهُ يَكْلُوهَا كَالسُّكَّرِ تَزْدَادُهُ عَلَى السُّكَّرِ
بُلُغْتُ عَنْهَا شَكْلًا فَأَعْجِبْنِي وَالسَّمْعُ يَكْفِيكَ غَيْبَةَ الْبَصَرِ⁶
[أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال : زعم أبو العالية أن بشاراً قديم على المهديّ ، فلما استأذن عليه قال له الربيع : قد أذن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخل على ذلك ، فأنشده قوله⁷ :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بَعِثْتُ إِلَيَّ تَسْؤَمْنِي بُرْدَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ
وَاللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ

1 ديوان بشار : 34-35 .

2 ديوان بشار : 100-101 وأوّل البيت الثاني فيه «أضعت بين . . .» .

3 لا تقر : لا تأخذ بالوقار والزناة .

4 ضاع في ل : ذاع .

5 ديوان بشار : 130-131 .

6 شكل : غنج ودلال .

7 تقدّمت بعض أبيات هذه القصيدة في ترجمة بشار (ديوانه : 55-56) .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئاً أُبَيَّتُهُ
 وَمُخَضَّبٍ رَخِصَ الْبَنَّا نَ بَكَى عَلَيَّ وَمَا بَكَيْتُهُ
 وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَبِي سَبِ إِذَا أَدَّكَرْتُ وَأَيْنَ بَيْتُهُ
 قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ
 وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَّا مَ عَنِ النَّسِيبِ وَمَا عَصَيْتُهُ¹
 لَا بَلْ وَفَيْتُ فَلَمْ أُضِيعْ عَهْداً وَلَا رَأياً رَأَيْتُهُ
 وَأَنَا الْمُطَّلَّ عَلَى الْعِدَا وَإِذَا غَلَا عِلْقُ شَرِيَّتُهُ²
 أَصْفِي الْخَلِيلَ إِذَا دَنَا وَإِذَا نَأَى عَنِّي نَائِيَّتُهُ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يُعطه شيئاً ؛ فقليل له : إنه لم يستحسن شعرك ؛ فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخشَ صرفه على أحد³ ، ولكنه كَذَبَ أُمِّي لِأَنِّي كَذَبْتُ فِي قَوْلِي . ثم قال في ذلك⁴ : [من الطويل]

خَلِيلِي إِنَّ الْعَسَرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنْ يَسَاراً فِي غَدٍ لَخَلِيلُ
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أُمُوقُ
 أَدُمَاءَ لَا أُسْطِيعُ فِي قَلَّةِ الثَّرَى خَزُوزَا وَوَشِيَا وَالْقَلِيلُ مَحِيقُ⁵
 خُذْ مِنْ يَدِي مَا قَلَّ إِنَّ زَمَانَنَا شَمُوسٌ وَمَعْرُوفَ الرِّجَالِ رَفِيقُ
 لَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا يَشْتَكِي بُخْلًا عَلَيَّ رَفِيقُ
 خَلِيلِي إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلِ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
 وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ تَيْمَمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضْيِيقُ
 وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْحَامِدِ سَوْقُ
 وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنْ أَحْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِيقُ

[أنشد المهدي شعراً في النسب فنهذه إن عاد إلى مثله]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغ المهدي قولُ بشار⁶ : [من الكامل]

1 النسب في ل : النساء .

2 الشطر الثاني تقدمت رواية هذا الشطر : وإذا غلا حمد شريته .

3 ل : حر .

4 ديوان بشار : 164-165 .

5 أدماء : الظبية التي أشرب لونها بياضاً أو السمراء ، وهي هنا علم . الخوزوز : جمع خز . محيق : لا خير فيه .

6 تقدم البيتان الثاني والثالث في هذه الترجمة .

قاسِ الهمومَ تنلُ بها نُجُحاً والليلَ إنَّ وراءه صُبْحاً
لا يُؤيسنكَ من مُخبّأةٍ قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحاً
عُسرُ النساءِ إلى مُياسرةٍ والصعبُ يُمكن بعد ما جَمَحاً

فلما قديم عليه استنشدته هذا الشعر فأنشده إياه ، وكان المهديّ غيوراً ، فغضب وقال : تلك أمك يا عاضّ كذا من أمه ! أتخصّ الناس على الفجور وتقذف المحصّنات المخبات ! والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في نسبٍ لآتين على روحك ؛ فقال بشار في ذلك¹ : [من المنسرح]

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيتُ ضيماً عليّ في شجنٍ
وربّما خيرَ لابن آدم في الـ كُرهٍ وشقّ الهوى على البدنِ
فاشربْ على أبنة الزمان فما تلقى زماناً صفاً من الأبن²
الله يُعطيك من فواضله والمرء يُغضي عيناً على الكمن³
قد عشتُ بين الرّيحان والراح والـ حمزهر في ظلّ مجلسٍ حسنٍ
وقد ملأتُ البلادَ ما بين فُغـ فُور إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبّة : فُغفور : ملك الصين .

شِعراً تُصلّي له العواتق والـ ثيبُ صلاة الغواة للوثنِ
ثم نهاني المهديّ فأنصرفتُ نفسي صنيع الموفّق اللّقي⁴
فالحمْدُ لله لا شريك له ليس بباقي شيء على الزّمنِ

ثم أنشده قصيدته التي أولها :

تجاللتُ عن فِهْرٍ وعن جارتي فِهْرٍ

ووصف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال⁵ : [من الطويل]

تَسْلَى عن الأحبابِ صَرامُ خُلّةٍ ووصالٌ أخرى ما يُقيم على أمرٍ
وركّاض أفراس الصّبابة والهوى جرت حيججاً ثم استقرّت فما تَجري

1 ديوان بشار : 237 .

2 الأبنة هنا : الكدر .

3 الكمن : جمع كمنة وهي ورم في الجفن .

4 اللقن : السريع الفهم .

5 ديوان بشار : 133-134 .

فأصبحن ما يُركَبْنَ إلّا إلى الوغَى وأصبحتُ لا يُزرى عليّ ولا أُرِي
فهذا وإنّي قد شرَعْتُ مع التقى وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري¹

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجري بلحمٍ ولا دمٍ قليلة شكوى الأين ملجئةُ الدُّبرِ²
إذا ظَعَنْتَ فيها الفُلُولُ تشَخَّصَتْ بفرسانها لا في وُعوثٍ ولا وعِ³
وإن قصدت زَلْتَ على مُتَنَصِّبٍ ذليل القوى لا شيء يُفري كما تفري
تُلاعب تَيَّارَ البحورِ وربّما رأيتَ نفوسَ القوم من جَرِيها تجري

قال : وكان قال : «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تَيَّارَ البحور» .

إلى ملكٍ من هاشمٍ في نبوةٍ ومن جَمِيرٍ في الملك في العدد الدُّثْرِ⁴
مِنَ المشتَريين الحمد تندى من الندى يداه ويندى عارضاه من العِطْرِ
فألزمتُ حيلي جِلَ من لا تُغَبِّه عُفاة الندى من حيث يُدري ولا يُدري
بَنى لك عبد الله بيتَ خلافةٍ نزلتَ بها بين الفراقِ والنَّسْرِ
وعندك عهدٌ من وصاة محمد فَرَعْتَ به الأملاك من ولد النَّضْرِ⁵

[هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله]

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء ، فهجاه فقال في قصيدته⁶ :

خليفةٌ يزني بعمّاته يلعب بالدُّبُوق والصَّولِجانِ
أبدلنا الله به غيره ودسَّ موسى في حِرِّ الخيزُرانِ⁷

وأنشدها في حلقة يونس النحوي ، فسُعي به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشار قد هجاه

فقال⁸ :

1 شرعت مع التقى : لزمت الحقّ وابتعدت عن الباطل .

2 الأين : الثعب .

3 الوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

4 الدثر : الكثير .

5 فرع : علا بالشرف .

6 ديوان بشار : 243 .

7 الخيزران : إحدى جوارى المهدي وهي أم موسى (الهادي) وهارون (الرشيد) .

8 ديوان بشار : 91 .

[من السريع]

[من البسيط]

بني أُمَيَّة هُبُّوا طال نوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزُّقِّ وَالْعُودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجأك ؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكري ؛ قال له : بحياتي إلّا أنشدتني ! فقال : والله لو خيّرَني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره ؛ فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ؛ فكاد ينشقّ غيظاً ، وعمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده¹ غير بشار . فأنحدر ، فلمّا بلغ إلى البطيحة سمع أذاناً في وقت ضحى النهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ؛ فإذا بشار يؤذّن سكران ؛ فقال له : يا زنديق يا عاصّ بَطْرُ أمّه ، عجبْتُ أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؛ ثم دعا بابن نَهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة² سبعين سوطاً أتلّفه فيها ، فكان إذا أوجعه السوط يقول : حَسَّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حَسَّ ، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ؛ أ طعامٌ هو فأسمي الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلت : الحمد لله ؛ قال : أَوْنَعْمَةُ هي حتّى أحمد الله عليها ؟ فلمّا ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه ، فألقى في سفينة حتّى مات ثم رُمي به في البطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : لما وليّ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهديّ البصرة ، قال بشار يهجو³ :

هُمْ حَمَلُوا فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَالِحاً أَخَاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ الْمَنَابِرُ

فبلغ ذلك يعقوبَ فدخل على المهديّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أبْلَغَ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه . فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يقدّم على المهديّ فيمدّحه ويعفو عنه ، فوجّه إليه من استقبله فضربه بالسّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الخرّارة .

1 وكده : قصده .

2 الحراقة : سفينة يرمى بالنار منها .

3 ديوان بشار : 113 .

[هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعن جماعة من رواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن علي عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد ، وخبره أتم ، قالوا : خرج بشار إلى المهدي ، ويعقوب بن داود وزيره ، فمدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفل به يعقوب ولم يعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب بشار يريد منزله ، فصاح به بشار :

طال الثواء على رؤس المنزل

فقال يعقوب :

فإذا تشاء أبا معاذٍ فارحل

فغضب بشار وقال يهجهوه :

بني أمة هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود
قال النوفلي : فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفلّ عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد¹ :

يعقوب قد ورد العفاة عشية	مُتعرّضين لسيك المتاب
فسقيتهم وحسيتني كمونة	نبت لزارعها بغير شراب
مهلاً لديك فإنني ربحانة	فاشمم بأنفك واسقيها بذناب ²
طال الثواء على تنظير حاجة	شمطت لديك فمن لها بخضاب ³
تُعطي الغزيرة درّها فإذا أبت	كانت ملامتها على الحلاب ⁴

يقول ليعقوب : أنت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصل إلى درّها فليس ذلك من قبلها ، إنّما هو من منع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس من قبله لسعة معروفه ، إنّما هو من قبل السبب إليه . قال : فلم يعطف ذلك يعقوب عليه وحرّمه ، فانصرف إلى البصرة مُغضباً . فلما قديم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء ، وذلك كلّ على يدي يعقوب ، فلم يعط بشاراً شيئاً من ذلك ، فجاء بشار إلى حلقة يونس

1 ديوان بشار : 38-39 .

2 ذناب : جمع ذنوب وهو الدلو المלאى .

3 فمن في ل : فمر .

4 الغزيرة : الكثيرة الدرّ .

النَّحْوِي فَقَالَ : هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ يُخْتَشِمُ ؟ قَالُوا لَهُ : لَا ؛ فَأَنْشَأَ بَيْتاً يَهْجُو فِيهِ الْمَهْدِيَّ ، فَسَعَى بِهِ أَهْلُ الْحَلَقَةِ إِلَى يَعْقُوبَ ؛ فَقَالَ يُونُسُ لِلْمَهْدِيِّ : إِنَّ بَشَّاراً زَنْدِيقٌ وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ عِنْدِي بِذَلِكَ ، وَقَدْ هَجَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَ ابْنَ نَهْيَكٍ بِأَخْذِهِ ، وَأَزِفَ خُرُوجَهُمْ فَخَرَجُوا وَأَخْرَجَهُ ابْنُ نَهْيَكٍ مَعَهُ فِي زُورَقٍ .

[وفاة بشار]

فَلَمَّا كَانُوا بِالْبَطِيحَةِ ذَكَرَهُ الْمَهْدِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ نَهْيَكٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَضْرِبَ بَشَّاراً ضَرْبَ التَّلْفِ وَيُلْقِيَهُ بِالْبَطِيحَةِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأَقِيمَ عَلَى صَدْرِ السَّفِينَةِ وَأَمَرَ الْجَلَّادِينَ أَنْ يَضْرِبُوهُ ضَرْباً يُتْلَفُونَ فِيهِ نَفْسَهُ فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ؛ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : أَمَّا تَرَاهُ لَا يَحْمَدُ اللَّهَ ؟ فَقَالَ بَشَّارٌ : أَنْعَمَ هِيَ فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا ؟ إِنَّمَا هِيَ بَلِيَّةٌ أَسْتَرْجِعُ عَلَيْهَا ، فَضْرَبَ سَبْعِينَ سَوْطاً مَاتَ مِنْهَا وَالْقَيَّ فِي الْبَطِيحَةِ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فَحَكِيَ قَعْنَبُ بْنُ مُحَرَّرِ الْبَاهِلِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ : لَمَّا ضُرِبَ بَشَّارٌ بِالسَّيَاطِ وَطُرِحَ فِي السَّفِينَةِ قَالَ : لَيْتَ عَيْنَ أَبِي الشَّمْقَمَقِ رَأَتْني حِينَ يَقُولُ :

إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بَرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ¹

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : أَمَرَ الْمَهْدِيُّ عَبْدَ الْجَبَّارِ صَاحِبَ الزَّنَادِقَةِ فَضْرَبَ بَشَّاراً ، فَمَا بَقِيَ بِالْبَصْرَةِ شَرِيفٌ إِلَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْفَرَسِ وَالْكُسُوفَةِ وَالْهَدَايَا وَمَاتَ بِالْبَطِيحَةِ . قَالَ : وَكَانَتْ وَفَاتُهُ وَقَدْ نَاهَزَ سِتِينَ سَنَةً .

قَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ يُونُسَ فَنَعَى بَشَّاراً إِلَيْنَا نَاعٍ ، فَأَنْكَرَ يُونُسُ ذَلِكَ وَقَالَ : لَمْ يَمِتْ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنَا رَأَيْتُ قَبْرَهُ ؛ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِلَّا فَعَلِي وَعَلِيٌّ ، وَحَلَفَ لَهُ حَتَّى رَضِي ، فَقَالَ يُونُسُ : «لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ»² .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ بْنُ بَشِيرٍ ، وَكَانَ يُتَهَمُ بِمَذْهَبِ بَشَّارٍ ، فَقَالَ : لَمَّا مَاتَ بَشَّارٌ أُلْقِيَ جُثَّتُهُ بِالْبَطِيحَةِ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْخَرَّارَةِ ، فَحَمَلَهُ الْمَاءُ فَأَخْرَجَهُ إِلَى دِجْلَةِ الْبَصْرَةِ فَأُخِذَ فَأُتِيَ بِهِ أَهْلُهُ فَدَفَنُوهُ ، قَالَ وَكَانَ كَثِيراً مَا يَنْشُدُنِي³ :

1 قَالَ الْجَاهِظُ : تَقُولُ الْعَرَبُ : «مَا هُوَ إِلَّا تَيْسٌ فِي سَفِينَةٍ» إِذَا أَرَادُوا الْغَاوَةَ وَ«مَا هُوَ إِلَّا تَيْسٌ» إِذَا أَرَادُوا بِهِ نَتْنَ الرِّيحِ (الحيوان 2 : 150 تحقيق عبد السلام هارون) .

2 هَذَا مِثْلُ فِي الشَّمَاةِ (الميداني رقم 3465 وفصل المقال : 98) .

3 دِيَوَانُ بَشَّارٍ : 201 .

سَتَرَى حَوْلَ سَرِيرِي حُسْرًا يَلْطِمُن لَطْمًا

يَا قَتِيلًا قَتَلْتُهُ عَبْدُهُ الْحَوْرَاءُ ظَلَمًا

قال : وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ فَمَا تَبِعَهَا أَحَدٌ إِلَّا أُمَّةٌ لَهُ سَوْدَاءُ سِنْدِيَّةٌ عَجَمَاءُ مَا تُفْصَح ، رَأَيْتُهَا خَلْفَ جَنَازَتِهِ تَصِيحُ : وَاسَيِّدَاهُ ! وَاسَيِّدَاهُ !
[شماة الناس بموته]

قال أبو زيد وحدثني سالم بن علي قال : لَمَّا مَاتَ بَشَّارٌ وَنُعِيَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ تَبَاشَرَ عَامَّتُهُمْ وَهَنَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَحَمِدُوا اللَّهَ وَتَصَدَّقُوا ، لَمَّا كَانُوا مُنْوَا بِهِ مِنْ لِسَانِهِ .
وقال أبو هشام الباهلي فيما أخبرنا به يحيى بن علي في قتل بَشَّارٍ : [من المنسرح]

يَا بُؤْسَ مَيِّتٍ لَمْ يَبْكِهِ أَحَدٌ أَجَلٌ وَلَمْ يَفْتَقِدْهُ مُفْتَقِدٌ

لَا أُمُّ أَوْلَادِهِ بَكَتْهُ وَلَمْ يَبْكُ عَلَيْهِ لِفُرْقَةٍ وَلَدٌ

وَلَا ابْنُ أُخْتٍ بَكَى وَلَا ابْنُ أُخْرٍ وَلَا حَمِيمٌ رَقَّتْ لَهُ كَبِدٌ

بَلْ زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَهُ فَرَحًا لَمَّا أَتَاهُمْ نَعِيُّهُ سَجَدُوا

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من السريع]

قَدْ تَبِعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجْرَدٍ فَأَصْبَحَا جَارِيْنِ فِي دَارٍ

قَالَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ لَا مَرْحَبًا بِرُوحِ حَمَّادٍ وَبِشَّارٍ

تَجَاوَرَا بَعْدَ تَنَائِيهِمَا مَا أَبْغَضَ الْجَارَ إِلَى الْجَارِ

صَارَا جَمِيعًا فِي يَدَي مَالِكٍ فِي النَّارِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

قال أبو أحمد يحيى بن علي وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمد عن أحمد بن خلاد عن أبيه قال : مَاتَ بَشَّارٌ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ بَلَغَ نَيْفًا وَسَبْعِينَ سَنَةً .
[ندم المهدي على قتله]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال : لَمَّا ضَرَبَ الْمَهْدِيُّ بِشَّارًا بَعَثَ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ يُفْتَشِهِ ، وَكَانَ يُتَهَمُ بِالزُّنْدَقَةِ فَوُجِدَ فِي مَنْزِلِهِ طُومَارٌ¹ فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أُرَدْتُ هَجَاءَ آلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ لِبُخْلِهِمْ فَذَكَرْتُ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسَكَتُ عَنْهُمْ إِجْلَالًا لَهُ ﷺ ، عَلَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ فِيهِمْ² :
[من البسيط]

1 طومار : صحيفة .

2 ديوان بشار : 53 .

دِينَارُ آلِ سُلَيْمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ حُقُفًا بِالْعَفَارِيتِ
لَا يُبْصِرَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَاؤُهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ

فَلَمَّا قرأه المهديُّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنه لما هجاه لفق عندي شهوداً على أنه زنديقٌ فقتلته ثم ندمت حين لا يُغني الندم .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارون قال : لما نزل المهديُّ البصرة كان معه حمْدُوَيْه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشاراً وقال : اضربه ضربَ التلف ، فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلما ضربه سوطاً قال له : أوجعتني ويلك ؛ فقال : يا زنديق ، أتضرب ولا تقول : باسم الله ؟ قال : ويلك ! أتريدُ هو فأسمي الله عليه !! قال : ومات من ذلك الضرب .

ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدة مواضع : منها أخباره مع عبدة فإنها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنى فيه المغنون ، وأخباره مع حمَّاد عَجْرَد في تهاجيهما فإنها أيضاً أُفردت ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليِّ فإننا لم نجمع جميعها في هذا الموضع ، إذ كان كلَّ صنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكتاب .

[33] - أخبار يزيد حوراء

[ولاؤه ، وهو ممن من طبقة ابن جامع والموصلي]

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، ويكنى أبا خالد ، مُغْنٌ محسنٌ كثيرُ الصَّنَاعَةِ ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي ، وكان ممن قديم على المهدي في خلافته فغناه ، وكان حسن الصوت حُلُوَ الشمائل .

[كان إبراهيم الموصلي يحسده]

وذكر ابن خُرْدَاذِبَةَ أَنَّهُ بلغه أَنَّ إبراهيم الموصليَّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء ، فاشترى عدَّة جوارٍ وشاركه فيهنَّ ؛ وقال له : عَلَّمَهُنَّ فما رَزَقَ الله فيهنَّ من رِنَحٍ فهو بيننا ، وأمرهنَّ أن يجعلنَّ وَكَدَهُنَّ¹ أخذَ إشارته ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهنَّ بتعليم كلِّ من يعرفه ذلك حتى شهرها في الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من ذلك .

[كان صديقاً لأبي العتاهية وغنى للمهدي من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن موسى قال حَدَّثَنِي جماعةٌ من موالي الرشيد : أَنَّ يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية ، فقال أبو العتاهية أبيتاً في أمر عُبَّةَ يتنجز فيها المهدي ما وعده إياه من تزويجها ، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفس غَنَّاها بها ، وهي² : [من الكامل]

ولقد تَنَسَّمْتُ الرياحَ لحاجتي	فإذا لها من راحتِكَ نسيماً
أشربتُ نفسي من رجائك ما له	عَنَقْتُ يَحُبَّ إليكَ بي ورَسيماً
ورَمَيْتُ نحوَ سماءِ جَوْدِكَ ناظري	أرعى مخابيلَ بَرَقِهِ وأُشيمُ
ولربِّما استيأستُ ثم أقولُ لا ،	إنَّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصنع فيها لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهديَّ فيه طيِّبَ النفس فغناه بها . فدعا بأبي العتاهية وقال له : أَمَا عُبَّةَ فلا سبيلَ إليها لأنَّ مولاتها مَنَعَتْ من ذلك . ولكن هذه خمسون ألفَ درهم فاشتر بعبضها خيراً من عُبَّةَ ، فحُمِلَتْ إليه وانصرف .

1 وكد : قصد .

2 ديوان أبي العتاهية (تحقيق د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965) : 631-633 .

[كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصال]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثنا شيبه بن هشام عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسن الوجه شكلاً¹ ، لم يقدم علينا من الحجاز أنظف ولا أشكل منه ، وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة فيه لا تراها في أحد منهم إلا رأيته فيها ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره بالجميل وينبه على مواضع تقدمه وإحسانه ويبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه .
[رثاه صديقه أبو مالك حين مات]

وكان صديقاً لأبي مالك الأعرج التميمي لا يكاد أن يفارقه ، فمرض مرضاً شديداً واحتضر ، فاغتم عليه الرشيد وبعث بمسرور الخادم يسأل عنه ، ثم مات ؛ فقال أبو مالك يرثيه :

صوت

لم يُمتّع من الشبابِ يزيدُ صار في التُّربِ وهو غَضُّ جديدُ
خانهُ دهرُهُ وقابلَهُ منهُ هُ بنَحسٍ ودابرتُهُ السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنياه من كل وجهٍ وتَدانَى إليه منه البعيدُ
فكأن لم يكنْ يزيدُ ولم يشُدْ سجٌ نَدِيماً يَهْزُهُ التَّغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحن من الثقيل الثاني بالنصر ، من نسخة عمرو بن بانه .

[توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهدي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهروية قال حدثني أحمد بن أبي يوسف قال حدثني الحسين بن جُمهور بن زياد بن طرخان مولى المنصور قال حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن عَيينة بن شارية الدؤلي قال حدثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدثني يزيد حوراء المغني قال : كلمني أبو العتاهية في أن أكلّم له المهدي في عتبة ، فقلت له : إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أغنّه به ، فقال² :

صوت

نَفسي بشيء من الدنيا مُعلّقةٌ اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكفِيها
إنِّي لأياسُ منها ثم يُطْمِئِنِّي فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

1 شكلاً : ذا دلّ وغزل .

2 ديوان أبي العتاهية : 668 .

قال : فَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا وَغَنَيْتَهُ بِهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ خَيْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، فَقَالَ : نَنْظُرُ فِيمَا سَأَلَ ، فَأَخْبَرْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، ثُمَّ مَضَى شَهْرٌ فَجَاءَنِي وَقَالَ : هَلْ حَدَثَ خَيْرٌ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَذْكُرْنِي لِلْمَهْدِيِّ ، قُلْتُ : إِنْ أَحْبَبْتَ ذَلِكَ فَقُلْ شِعْرًا تُحَرِّكُهُ وَتَذْكُرُهُ وَعَدَهُ حَتَّى أُغْنِيَهُ بِهِ ، فَقَالَ ¹ :

صوت

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي فَلَقَدْ أَخَّرَ الْجَوَابُ لِأَمْرِ
مَا جَوَابٌ أَوَّلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ
قال يزيد : فغَنَيْتَ بِهِ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ : عَلَيَّ بَعْتَبَةٌ فَأَحْضِرْتِ ، فَقَالَ : إِنْ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ كَلَّمَنِي فَيْكِ ، فَمَا تَقُولِينَ ، وَلَكَ وَلَهُ عِنْدِي مَا تُحِبَّانِ مِمَّا لَا تَبْلُغُهُ أُمَانِيكُمَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَقِّ مَوْلَاتِي ، وَأُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ لَهَا هَذَا ، قَالَ : فَافْعَلِي ؛ قَالَ : وَأَعَدَمْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، وَمَضَتْ أَيَّامٌ فَسَأَلَنِي مَعَاوِدَةُ الْمَهْدِيَّ ، فَقُلْتُ : قَدْ عَرَفْتَ الطَّرِيقَ فَقُلْ مَا شِئْتَ حَتَّى أُغْنِيَهُ بِهِ ، فَقَالَ ² :

صوت

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ عَنَّقَ يَخْبُ إِلَيْكَ بِي وَرَسِيمُ
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جَوْدِكَ نَاطِرِي أَرْعَى مَخَايِلَ بَرْقِهَا وَأَشِيمُ
وَلَرَبَّمَا اسْتِيَأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا إِنَّ الَّذِي وَعَدَ النَّجَاحَ كَرِيمُ
قال يزيد : فغَنَيْتَ الْمَهْدِيَّ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بَعْتَبَةٌ فَجَاءَتْ ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَتْ : ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمَوْلَاتِي فَكَرِهَتْهُ وَأَبَتْهُ ، فَلِيَفْعَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرِيدُ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ ، فَأَعْلَمْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ بِذَلِكَ ، فَقَالَ ³ :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرْحُتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
مَا كَانَ أَشْأَمَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَغْتَلِجْنَ بِيَالِي
وَلَنْ طَمِعْتُ لَرُبِّ بَرْقَةٍ خَلَبِ مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمْعَةِ آلِ

[مغازله لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قال يزيد حوراء :

1 ديوان أبي العتاهية : 547 .

2 ديوان أبي العتاهية : 633 .

3 ديوان أبي العتاهية : 281 .

كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء ، تتعلّم منها الغناء ، فقلت لها يوماً : افهمي قولي ورُدِّي جوابي وكوفي عند ظني ، فقالت : هاتِ ما عندك ، فقلت : بالله ما اسمك ؟ فقالت : ممنة ؛ فأطرقتُ طيرةً من اسمها مع طمعي فيها ، فقلت : بل باذلة أو مبدولة إن شاء الله ، فاسمعي مني ، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندك شيء فقل ، فقلت :

لِيَهْنِكُ مِنِّي أَنَّنِي لَسْتُ مُفْشِيًا هَوَاكِ إِلَى غَيْرِي وَلَوْ مِتُّ مِنْ كَرْبِ
وَلَا مَانِحًا خَلَقًا سِوَاكِ مَوْدَتِي وَلَا قَاتِلًا مَا عَشْتُ مِنْ حَبْكُمُ حَسَنِي

قال : فنظرتُ إليّ طويلاً ، ثم قالت : أنشدك الله ، أعن فرط حجة أم احتياج غلّة تكلمت ؟ فقلت : لا والله ولكن عن فرط حجة ، فقالت :

فَوَاللَّهِ رَبُّ النَّاسِ لَا خُتُوكَ الْهَوَى وَلَا زِلْتَ مَخْصُوصَ الْحِجَّةِ مِنْ قَلْبِي
فَتَيْقُ بِي فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ وَلَا تَكُنْ عَلَى غَيْرِ مَا أَظْهَرْتَ لِي يَا أَخَا الْحُبِّ

قال : فوالله لكأنما أضمرت في قلبي ناراً ، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدّثني وأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهرًا طويلاً .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

يَا لَيْلَةَ جَمَعْتُ لَنَا الْأَحْبَابَا لَوْ شِئْتَ دَامَ لَنَا النِّعِيمُ وَطَابَا
بِتَنَا نُسْقَاهَا شَمُولًا قَرَفَقَا تَدْعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابَا
حَمْرَاءَ مِثْلَ دَمِ الْغَزَالِ وَتَارَةً عِنْدَ الْمِزَاجِ تَخَالُهَا زِرْيَابَا
مِنْ كَفٍّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ قُمِعَتْ عُنَابَا
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَقَرَتْ بِهَا تُلْقِي عَلَى الْكَفِّ الشَّمَالَ حِسَابَا

عروضه من الكامل ، الشعر لعُكَّاشَةُ الْعَمِّي ، والغناء لعبد الرحيم الدَّقَّاف ، ولحنه المختار هَزَجٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى .

[34] - أخبار عكاشة العمي ونسبه¹

[نسبه وأصل قومه]

هو عكاشة بن عبد الصمد العمي من أهل البصرة من بني العم . وأصل بني العم كالدفع ، يقال : إنهم نزلوا بيني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال الناس : أنتم ، وإن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار والإخوان وبنو العم ، فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

[هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبههم ببني العم]

وقال بعض الشعراء ، وهو كعب بن معدان ، يهجو بني ناجية ويشبههم ببني العم :
[من الوافر]

وجدنا آل سامة في قريش
كمثل العم بين بني تميم

ويروى : « في سلفي تميم » .

[أعانا الفرزدق فهجاهم جرير]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة قال : لما تواقف جرير والفرزدق بالمربد للهجاء اقتتل بنو يربوع وبنو مجاشع ، فأمدت بنو العم بني مجاشع وجأؤوهم وفي أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع ؛ فقال جرير : من هؤلاء ؟ قالوا : بنو العم ، فقال جرير يهجوهم :

ما للفرزدق من عز يلوذ به
إلا بني العم في أيديهم الخشب

سيروا بني العم فالأهواز داركم
ونهر يبرى ولم تعرفكم العرب

وعكاشة شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، ليس ممن شهر وشاع شعره² في أيدي الناس ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم .

[ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعم وشعره فيها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهورية قال حدثني علي بن الحسن عن ابن الأعرابي قال حدثني سعيد بن حميد الكاتب البصري قال قال أبي : كان عكاشة بن

1 عكاشة العمي : بتشديد الكاف وتخفيفها ، له ترجمة في السمط : 526-527 وفوات الوفيات (تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت) 2 : 455-457 وذكر أنه توفي بعد المائتين والزرکشي : 209 وأعلام الزركلي .

2 ل : ذكره .

عبد الصمد العمي صديقاً لي وإلفاً ، وكنا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتم أحدنا صاحبه شيئاً ، فرأيت في بعض أيامه متغير الهيئة عما عهدته مقسم القلب والفكر غير آخذٍ ما كنا فيه من الفكاهة والمزاح ، فسألته عن حاله فكأتمنيها ملياً ، ثم أخبرني أنه يهوى جارية لبعض الهاشمين يقال لها نعيم ، وأن مرامها عليه مستصعب لا يراها إلا من جناح لدارهم ، تُشرف عليه في الفيئة¹ بعد الفيئة فتكلمه كلاماً يسيراً ثم تذهب ، فعاتبته على ذلك فلم يزدجر وتمادى في أمره ، ثم جاءني يوماً ، فقال : قد وعدتني الزيارة لأن شكواي إليها طالت ، فقلت له : فهل حققت لك الموعد على يومٍ بعينه ؟ قال : لا ، إنما سألتها الزيارة فقالت : نعم أفعل ، فقلت له : هذا والله أعجب من سائر ما مضى ، وأي شيء لك في هذا من الفائدة بلا تحصيل وعد ؟ فقال لي : يا أخي ، إن لي في قولها : «نعم» فرجاً كبيراً ، فقلت : أنت أقنع الناس ؛ ثم جاءني بعد يومين وهو كاسف البال مهموم ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : مضيت إلى نعيم فتنجزت وعدّها ، فقالت لي : إن لي صاحبة أستنصحنها وأعلم أنها تُشفق عليّ شفقة الأخت على أختها والأم على ولدها وقد نهتني عن ذلك ، وقالت لي : إن في الرجال غدراً ومكرّاً ، ولا آمن أن تفتضحني ثم لا تحصيلي منه على شيء ؛ وقد انقطعت عني ثم أنشدني لنفسه :

علام حبل الصفاء منصرم	وفيم عني الصدود والصمم
يا من كنينا عن اسمه زمناً	تبع مرضاته ويجترم
قد عيل صبري وأنت لاهية	عني وقلبي عليك يضطر
من جد حبل الوفاء سيدي	منك ومن سامني له العدم
فكم أتاني واش يعيكم	فقلت احساً لأنفك الرغم
أنت الفدا والحمي لمن عيت فار	جع صاغراً راغماً لك الندم

صوت

[من المنسرح]

يا رب خذ لي من الوشاة إذا	قاموا وقمنا إليك نختم
دبوا إليها يوسوسون لها	كي يستزلوا حبيبتني زعموا
هيهات من ذاك ضل سعيهم	ما قلبها المستعار يقتسم

يا حاسدنا موتوا بغيظكمُ حَبْلِي مَتِينٌ بقولها نَعَمْ
 باللهِ لا تُشمتي العُدَّةُ بنا كوني كقلبي فليستُ أَتَهُمُ
 الغناء في هذه الأبيات لَعَرِيبَ رمل . وقيل : إِنَّه لغيرها .
 [زارته نَعِيمَ وَغَتَّه ثُمَّ ذَهَبَتْ]

قال : ثم طال تَرَداده إليها واستصلاحه لها ، فلم أَلْبَثْ أَنْ جَاءَتْني رُقْعَتُهُ في يومِ خميسٍ
 يُعَلِّمُنِي أَنَّهَا قد حَصَلَتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ ، وتوارت عَنِّي ساعةٌ وهو يُخْبِرُهَا أَنَّهُ لا
 فرق بيني وبينه ولا يَحْتَشِمُنِي في حالِ أَلْبَتَةٍ إِلَى أَنْ خَرَجْتُ ، فاجتمعنا وشربنا وَغَتَّتْ غِنَاءَ حَسَنًا
 إِلَى وقتِ العصرِ ثم انصرفت ، وأخذ دَوَاةَ وَرُقْعَةٍ فَكُتِبَ فِيهَا¹ : [من الكامل]

سَقِيًّا لِمَجْلِسِنَا الَّذِي كُنَّا بِهِ	يَوْمَ الْخَمِيسِ جَمَاعَةً أَتَرَابَا
فِي غُرْفَةٍ مَطَرَتْ سَمَاوَةٌ سَقْفُهَا	بِحَيَا النِّعَمِ مِنَ الْكُرُومِ شَرَابَا
إِذْ نَحْنُ نُسْقَاهَا شَمُولًا قَرْقَفًا	تَدْعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابَا
حَمْرَاءُ مِثْلَ دَمِ الْغَزَالِ وَتَارَةً	بَعْدَ الْمِزَاجِ تَخَالُهَا زُرِّيَابَا
مِنْ كَفٍّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا	مِنْ فِضَّةٍ قَدْ قُمِعَتْ عُنَابَا
تَزْدَادُ حَسَنًا كَأَسْهًا مِنْ كَفِّهَا	وَيَطِيبُ مِنْهَا نَشْرُهَا أَحْقَابَا
وَإِذَا الْمِزَاجُ عَلَا فَشَجَّ جَبِينَهَا	نَفَثَتْ بِالْأَسِنَّةِ الْمِزَاجَ حَبَابَا ²
وَتَخَالَ مَا جَمَعَتْ فَأَحْدَقَ سِمَطُهُ	بِالطُّوقِ رِيْقَ حَبَائِبِ وَرُضَابَا
كَفَّتِ الْمَنَاصِفَ أَنْ تَذُبَّ أَكْفُهَا	عَنْهَا إِذَا جَعَلَتْ تَفُوحُ ذُبَابَا
وَالْعُودُ مُتَبِّعٌ غِنَاءَ خَرِيدَةٍ	غَرْدًا يَقُولُ كَمَا تَقُولُ صَوَابَا
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ	تُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشَّمَالَ حِسَابَا
فَهَنَّاكَ خَفَّ بَنَا النِّعَمِ وَصَارَ مِنْ	دُونِ الثَّقِيلِ لَنَا عَلَيْهِ حِجَابَا
آلَيْتُ لَا أَلْحَى عَلَى طَلَبِ الْهَوَى	مُتَلَذِّذًا حَتَّى أَكُونَ تُرَابَا

[اشترى نعيم بغدادِي وسافر بها]

قال : ثم قَدِمَ قَادِمٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ فَاشْتَرَى نَعِيمَ هَذِهِ مِنْ مَوْلَاتِهَا وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادٍ ، فَعَظُمَ
 أَسْفُ عُكَّاشَةٍ وَحَزْنُهُ عَلَيْهَا وَاسْتَهِيمَ بِهَا طَوْلَ عَمْرِهِ ، فَاسْتَحَالَ صُورَتُهُ وَطَبْعُهُ وَخُلُقُهُ إِلَى أَنْ
 فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ، فَكَانَ أَكْثَرَ وَكَدَهُ وَشُغْلُهُ أَنْ يَقُولَ فِيهَا الشَّعْرَ وَيُنَوِّحَ بِهِ عَلَيْهَا وَيَبْكِي ؛ قَالَ

1 الأبيات من الثالث إلى الحادي عشر في الفوات 2 : 457 .

2 نفثت في ل : نفثت .

[من الطويل]

وهل راجع ما مات من صلة الحبل
نعمنا به يوم السعادة بالوصل
علينا وأفنان الجنان جنى البذل²
ترحل أحزان الكيب مع العقل
كالسنة الحيات خافت من القتل³
لكل فتى يهتر للمجد كالنصل
وبث تباريح الفؤاد على رسل
رأيت لسان العود من كفها يملئ
ولا مثل يومي ذاك صادقه مثلي

[من الكامل]

وإلى الأمر من الأمور دعاني
ألقي بكيت من الذي أبكاني
نفس من الحسرات والأحزان
بكت الثياب أسي على جثمان
حتى رجمت لرحمتي إخواني
فكأنني ألقاك كل مكان
معروفة بالقتل في إنسان
ودواؤه بيدك مقترنان
بين النعيم وبين عيش داني
مع ظيئة في عشنا الفينان
بين الغناء وعودها الحنان

حميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك¹ :

ألا ليت شعري هل يعودن ما مضى
وهل أجلسن في مثل مجلسنا الذي
عشية صبت لذة الوصل طيبها
وقد دار ساقينا بكأس روية
وشج شمولاً بالمزاج فطيرت
فيتنا وعين الكأس سح دموعها
وقيتنا كالظبي تسمح بالهوى
إذا ما حككت بالعود رجع لسانها
فلم أر كاللذات أمطرت الهوى

ومما قاله فيها⁴ :

أنعيم حبك سلني وبلائي
أنعيم لو تجدين وجدي والذي
أنعيم سيدتي عليك تقطعت
أنعيم قد رجم الهوى قلبي وقد
أنعيم وانحدرت مدامع مقلتي
أنعيم مثلك الهيام لمقلتي
أنعيم نظرة سحر عينك بالهوى
أنعيم اشفي أو دعي من داؤه
هذا وكم من مجلس لي مؤني
نازعته أردانه فلبستها
تنسي الحليم من الرجال معاده

1 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة من أولها .

2 الفوات : جنى النحل .

3 الفوات : وشجت شمول .

4 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة ابتداء من البيت التاسع .

حتى يعودَ كأنَّ حَبَّةَ قلبه
ظَلَّتْ تُغْنِيَنِي وَتَعْطِفُ كَفَّهَا
فَسَمِعْتُ مَا أَبْكِي وَأَضْحَكَ سَامِعاً
وَمَشَيْتُ فِي لُجَجِ الْهَوَى مُتَبَخِّراً
فَعَلِمْتُ أَنَّ قَدْ عَادَ قَلْبِي عَائِداً
وَمَا قَالَهُ أَيْضاً فِيهَا :

مشدودةً بَمَثَالِثٍ وَمَثَانِي
بِالْعُودِ بَيْنَ الرِّاحِ وَالرَّيْحَانِ
وَسَكِرْتُ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
وَمَشَى إِلَيَّ اللَّهْوُ فِي الْأَلْوَانِ
مِنْ بَيْنِ عُودٍ مُطْرَبٍ وَبَنَانِ

[من الوافر]

نُعَيْمٌ هَلْ بَكَيتَ كَمَا بَكَيتُ
أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بَعْدِي اصْد
فَكَمْ مِنْ عَبْرَةٍ ذَرَفْتُ فَلَمَّا
نَهَضْتُ بِهَا مُكَاتِمَةً فَلَمَّا
وَقَلْتُ لَصُحْبَتِي لَمَّا رَمَانِي
أَرَانِي مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ مَيْتاً
فَلَيْتَ الْمَوْتَ عَجَلَ قَبْضَ رُوحِي
وَقَالَ أَيْضاً فِي فِرَاقِهِ إِيَّاهَا :

وهل بعدي وفيت كما وفيت
طباركُ إذ نأيت واذ نأيت
خَشِيتُ عَيُونَ أَهْلِي وَاسْتَحِيتُ
خَلُوتُ ذَرْفَتُهَا حَتَّى اشْتَفِيتُ
هَوَاكِ بِدَائِهِ حَتَّى انْطَوَيْتُ
وَلَمْ أَرَ فِي نُعَيْمٍ مَا نَوَيْتُ
جَهَاراً فَاسْتَرَحْتُ وَأَيْسَنَ لَيْتُ

[من الكامل]

أُنُعَيْمٌ فِي قَلْبِي عَلَيْكَ شَرَارُ
وَعَلَى الْجَفُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى الْهَوَى
بِمُضْلَةٍ لُبِّ الْحَلِيمِ إِذَا رَمَتْ
طَالِبُهَا حَوْلَيْنِ لَا لَيْلِي بِهَا
حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ يَدَايَ بِكَاعِبٍ
وَتَلَجَّتْ صَدْرًا بِالْفَتَاةِ وَصَارَتَا
بَلَّغَ الشَّقَاءِ أَشَدَّ مَا يَسْطِيعُهُ

وعلى الفؤاد من الصبابة نارُ
دَاعٍ دَعَتْهُ لِحَيْنِي الْأَقْدَارُ
بِالْمَقْلَتَيْنِ كَأَنَّهَا سَحَارُ
لَيْلٌ وَلَا هَذَا النَّهَارُ نَهَارُ
كَالشمسِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَبْصَارُ
كَالنَّفْسِ نَفْسَانَا وَقَرَّ قَرَارُ
فِينَا وَفَرَّقَ بَيْنَنَا الْمِقْدَارُ

وَمَا يُغْنِي فِيهِ مِنْ شَعْرِ عُكَّاشَةِ الَّذِي قَالَهُ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ :

صوت

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الَّذِي
قَدْ كَانَ يُؤْنِقُنِي الْهَوَى

وَلَى بِيَهْجَتِهِ الْقَصِيرِ
وَيُقِرُّ عَيْنِي بِالسَّرُورِ

إِذْ نَحْنُ خُلَانُ الْهَوَى رِيحَانَا عَبَقُ الْعَبِيرِ
وَعَنَاوُنَا وَصْفُ الْهَوَى نَلْتَذُّ بِالْحَبِّ الْيَسِيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته . وفيه لأبي العنبر بن حمدون خفيف رمل . وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

وَجْهُ التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا فِي الْحَسَنِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
إِيمَاوُنَا يَحْكِي الْكَلَا مَ وَسِرُّنَا فَطَنُ الْمَشِيرِ
وَحَدِيثُنَا بِحَوَاجِبِ نَطَقَتْ بِالْسَنَةِ الضَّمِيرِ
بَلْ رُسُلْنَا الْكُتُبُ الَّتِي تَجْرِي بِخَافِيَةِ الصُّدُورِ

[أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حذّه]

حدّثني الحسن بن عُليل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرَوَيْه قال حدّثنا أَبُو مُسْلِمٍ عن المدائنيّ قال : أنشد عكاشة بن عبد الصمد المهديّ قوله في الخمر : [من الكامل]

حَمَاءٌ مِثْلَ دَمِ الْغَزَالِ وَتَارَةً عِنْدَ الْمِرَاجِ تَخَالُهَا زُرِّيَابَا

فقال له المهديّ : لقد أحسنت في وصفها إحسان مَنْ قد شربها ، ولقد استحققتَ بذلك الحدّ ، فقال : أَيَوْمُنِّي أمير المؤمنين حتى أَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِي ؟ قال : قد أَمْتَنَكَ ، قال : وما يُدْرِيكَ يا أمير المؤمنين أَنِّي أحسنت وأجَدتَ صَفَتَهَا إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهَا ؟ فقال له المهديّ : اعزُبْ قَبْحَكَ اللَّهُ .

[وقع له مثل ذلك مع الهادي]

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكَار أَنَّ عكاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله : [من الطويل]

كَأَنَّ فَضُولَ الْكَأْسِ مِنْ زَيْدَاتِهَا خَلَائِلُ شُدَّتْ بِالْجُمَانِ إِلَى حِجْلٍ¹

فقال له موسى : وَاللَّهِ لِأَجْلِدَنَّكَ حَدَّ الْخَمْرِ ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ إِنَّمَا نَقُولُ وَلَا نَفْعِلُ ، فقال : كَذَبْتَ ، قد وصفتها صفة عالمٍ بها ، قال : فاجعل لي الأمان حتى أَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِي ، قال : تَكَلَّمَ وَأَنْتَ آمِنٌ ، قال : أَجَدْتُ وَصَفَهَا أَمْ لَمْ أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أَجَدْتَ ، قال : وما يُدْرِيكَ أَنِّي أَجَدْتُ إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهَا ؟ إِنْ كُنْتَ وَصَفْتُهَا بِطَبْعِي دُونَ امْتِحَانِي فَقَدْ شَرِكْتَنِي فِي ذَلِكَ بِطَبْعِكَ ، وَإِنْ كَانَ وَصَفُهَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالتَّجَرُّبَةِ فَقَدْ شَرِكْتَنِي أَيْضاً فِيهَا ؛ فَضَحِكَ مُوسَى وَقَالَ لَهُ : قد نجوت بحيلتك مِنِّي ، قَاتِلَكَ اللَّهُ فَمَا أَدهَاكَ !

1 زيدات : جمع زيدة وهي الطائفة من الزبد الذي يطفو على الماء والشراب .

[ما غنى فيه من شعره]

ومما وجدتُ فيه غناءً من شعر عُكَّاشة قوله :

[من الطويل]

صوت

وجاؤوا إليه بالتعاويذ والرُّقى وصَبَّوا عليه الماء من شدةِ النُّكسِ¹
 وقالوا به من أعين الجنِّ نظرةً ولو صدَّقوا قالوا به أعينُ الإنسِ

الغناء لعريب . ومنها :

[من الكامل]

صوت

طَرَفِي يذوبُ وماء طَرَفِكِ جامدُ وعليّ من سِيما هوالِكِ شواهدُ
 هذا هوالِكِ قَسَمَتِهِ بين الوري ومنحتني أَرْقاً وطَرَفُكِ راقِدُ
 فعليّ منه اليومَ تسعةُ أسهُمٍ وعلى جميعِ النَّاسِ سَهْمٌ واحدُ

الغناء لَجَحْظَة ؛ ومنها :

[من مجزوء الكامل]

غادِ الهوى بالكأسِ برداً وأطعِ إمارةً من تَبَدَّى

ومنها :

[من البسيط]

كما اشتَهتُ خُلِقْتُ حتى إذا اعتدلتُ تَمَّتْ قَواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها :

[من البسيط]

وزَعْفَرانِيَّةٍ في اللَّونِ تحسُّبُها إذا تَأَمَّلْتُها في جِسْمِ كافُورِ
 تخالُ أنَّ سَقِيطَ الطَّلِّ بينهما دمعٌ تحيّرُ في أجفانِ مَهْجُورِ

[35] - أخبار عبد الرحيم الدقاف ونسبه

[نسبه]

عبد الرحيم بن الفضل الكوفي، ويكنى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم بن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى لآل الأشعث بن قيس، وقيل: بل هو مولى خزاعة. [سمعه حماد الراوية يغني]

ذكر أبو أيوب المديني أن حماداً الراوية حدثه قال: رأيت عبد الرحيم الدقاف أيام هارون الرشيد بالرقّة وقد ظهرت، فحضرتي وسمعته يغني يومئذ صوتاً شل عنه فذكر أنه من صنعه، وهو:

فَدَيْتُكَ لَوْ تَدْرِيْنَ كَيْفَ أَحْبَبَكُم وَكَيْفَ إِذَا مَا غَبْتُ عَنْكَ أَقُولُ

[كان منقطعاً إلى علي بن المهدي]

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بأمه ربيعة بنت أبي العباس.

[غنى في شعر عرض فيه بالرشيد فجلده]

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال: غنّت جارية يوماً بحضرة الرشيد:

[من المنسرح]

قُلْ لِعَلِيٍّ أَيَا فَتَى الْعَرَبِ وَخَيْرَ نَامٍ وَخَيْرَ مُكْتَسِبِ
أَعْلَاكَ جَدَاكَ يَا عَلِيُّ إِذَا قَصَرَ جَدُّ عَنْ ذُرْوَةِ الْحَسَبِ

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيدي ما ذنبي! هذا صوت علّمته، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنها صدقت، فقال لها: عمّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدقاف، فأمر بإحضاره فأحضر، فقال له: يا عاض بظُر أمّه، أتغني في شعر تفاخر فيه بيني وبين أخي؟ جردوه، فجرّدوه، ودعا له بالسياط، فضرب بين يديه خمسمائة سوطاً.

[غنى لعلّي بن المهدي فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهورية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن القطراني عن محمد بن جبر قال: قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدقاف: دخلت على علي بن ربيعة يوماً وسيتارته منصوبة، فغنّت جاريته¹:

[من الطويل]

1 ديوان العباس بن الأحنف (تحقيق عاتكة الخزرجي): 230.

أُنَاسٌ أَمِنَاهُمْ فَنَمَّوْا حَدِيثَنَا فَلَمَّا كَتَمْنَا السِّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا
 فقلت : أَرَأَيْتَ إِنْ غَنَيْتُكَ هَذَا الصَّوْتَ وَفِي تَمَامِهِ زِيَادَةُ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، أَيْ شَيْءٍ لِي عَلَيْكَ ؟
 قال : خِلْعَتِي الَّتِي عَلَيَّ ، فَغَنَيْتَهُ : [من الطويل]

فَلَمْ يَحْفَظُوا الْوَدَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا حِينَ هَمَّوْا بِالْقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا
 قال : فَتَزَعُ خِلْعَتَهُ فَخَلَعَهَا عَلَيَّ ، وَأَقَمْتُ عَنْدهُ بَقِيَّةَ يَوْمِي عَلَى عَرَبْدَةٍ كَانَتْ فِيهِ .
 الشعر لِعَبَّاسٍ بْنِ الْأَحْنَفِ ، وَالْغَنَاءُ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ الدَّقَافِ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ . وَهَذَا أَخَذَهُ
 الْعَبَّاسُ مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَهَبِلٍ¹ : [من الطويل]

صوت

أَمِنَّا أَنْاسًا كُنْتَ تَأْتِمِنُنِيهِمْ فَرَادُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيثِ وَأَوْهَمُوا
 وَقَالُوا لَهَا مَا لَمْ نَقُلْ ثُمَّ أَكْثَرُوا عَلَيَّ وَبَاحُوا بِالَّذِي كُنْتُ أَكْتُمُ
 وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَغَانِي قَدِيمَةٌ : مِنْهَا لَحْنٌ لِابْنِ سُرَيْجٍ رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ
 إِسْحَاقَ . وَلِابْنِ زُرَّوَرٍ الطَّائِفِيَّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ
 وَالْوَسْطَى لِمُتَيْمٍ وَعَرِيبٌ .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

بَكَرْتُ سُمِّيَّةَ غُدُوَّةَ فَتَمَتَّعِي وَغَدْتُ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لَمْ يَرْبَعِ
 وَتَعَرَّضْتُ لَكَ فَاسْتَبْتُكَ بِوَاضِحٍ صَلَّتْ كَمُنْتَصُ الْغَزَالِ الْأَتْلَعِ
 عَرَّضَهُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَالشَّعْرُ لِلْحَادِرَةِ الثَّغْلَبِيِّ ، وَالْغَنَاءُ فِي اللَّحْنِ الْمَخْتَارِ لِسَعِيدِ بْنِ
 مِسْجَحٍ ، وَإِقَاعُهُ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ،
 وَذَكَرَ عَمْرٍو بْنُ بَاثَةَ أَنَّهُ لِابْنِ مُخْرَزٍ . وَفِيهِمَا لِلْغَرِيضِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِمَا
 خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى لِابْنِ سُرَيْجٍ عَنْ حَبَشٍ .

[من الكامل]

وَمَا يُغْنِي فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
 أَسْمَى مَا يُدْرِيكَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ بَادَرْتُ لَذَّتْهُمْ بِأَدَكَنْ مُتْرَعٌ²

1 ديوان أبي ذهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) : 112 .

2 بادرت في ل : ياكورت .

بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ عَاتِقِي كَدَمِ الذَّبِيحِ مُشْعَشَعٍ

غناه مالك ، ولحنه من الثقل الأول بالنصر عن عمرو . وفيه لالك خفيف ثقل آخر أيضاً . وفيهما لعلوية ثقل أول صحيح من جيد صنعته . قوله : فتمتعي يخاطب نفسه ، أي تمتعي منها قبل فراقها . ولم يربع : لم يُقيم . والواضح الصلت : يعني عنقها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المصلات : الماضية ، وشدّ عليه بالسيف صلتاً أي خارجاً من غمده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قصر فيه . والمتنص : المتصب ، يقال : انتص فلان أي انتصب ، ومنصة العروس مأخوذة من هذا ، ومنه نص الحديث : رَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ . واستبتك : غلبتك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُترَع يعني الزق . والمشعشع : المرفق بالماء .

[36] - أخبار الحادرة ونسبه¹

[نسبه]

الحادرة لَقَب غَلَبَ عليه ، والحَوَيْدرة أيضاً ؛ واسمه قُطبة بن أوس بن مِحْصَن بن جَرْوَل بن حبيب بن عبد العُزَّى بن خُزَيْمة بن رِزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار ، شاعرٌ جاهليٌّ مُقِلٌّ . أخبرني بنسبه هذا محمد بن العباس اليزيدي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب ابن أخي الأصمعي عن عمه . قال : وإنما سُمِّي الحادرة بقول زَبَّان بن سَيَّار الفَرَاري له : [من المتقارب]

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ الْمُنَكِّينِ مِنْ رَصْعَاءِ تَنْقِضٍ فِي حَائِرٍ²
عَجُوزٌ ضَفَادِعَ مَحْجُوبَةٍ يَطِيفُ بِهَا وَلَدُهُ الْحَاضِرِ

قال : والحادرة : الضخم .

وذكر أبو عمرو الشَّيباني أن الحادرة خرج هو وزَبَّان الفَرَاري يصطادان فاصطادا جميعاً ، فخرج زَبَّان يشتوي ويأكل في الليل وحده ؛ فقال الحادرة : [من الوافر]

تَرَكْتَ رَفِيقَ رَحْلِكَ قَدْ تَرَاهِ وَأَنْتَ لِفَيْكِ فِي الظُّلُمَاءِ هَادِي
فَحَقَّدَهَا عَلَيْهِ زَبَّان ، ثم أتيا غديراً فتجرَّد الحادرة ، وكان ضخَمَ المنكبين أَرْسَحَ ، فقال زَبَّان : [من المتقارب]

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ الْمُنَكِّينِ مِنْ رَصْعَاءِ تَنْقِضٍ فِي حَائِرٍ
فَقَالَ لَهُ الْحَادِرَةُ³ : [من المتقارب]

لَحَا اللَّهُ زَبَّانَ مِنْ شَاعِرٍ أَخِي خَنْعَةٍ فَاجِرٍ غَادِرٍ⁴

1 انظر مقدِّمة ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، 1973) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق العلامة محمود محمد شاكر) 1 : 186 ، وانظر المفضلية السابقة في شرح التبريزي وفي المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) .

2 تنقض في حائر : تنق في مجتمع الماء . والرصعاء : الرسحاء الخفيفة العجز والفخذين .

3 ديوان الحادرة : 97 .

4 خنعة : رية .

كَأَنَّكَ فُقَّاحَةٌ نَوَّرَتْ¹ مع الصبح في طَرْفِ الحائر¹

فغَلَبَ هذا اللقب على الحادرة .

[كان حسان بن ثابت معجباً بقصيدته «بكرت سميّة»]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول : كان حسان بن ثابت إذا قيل له : تَنَوَّشَدْتَ الْأَشْعَارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أُشِيدَتْ كلمةُ الحَوَيْدِرة : [من الكامل]

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدُوَّةً فَتَمَتَّعِي

قال أبو عبيدة : وهي من مختار الشعر ، أَصَمَعِيَّةٌ مُفَضِّلِيَّةٌ .

[سبب الهجاء بينه وبين زبانه]

نسخت من كتاب ابن الأعرابي قال حدثني المفضل قال : كان الحادرة جاراً لرجل من بني سُلَيْم ، فأغار زَبَان بن سَيَّار على إبله فأخذها فدفعتها إلى رجل من أهل وادي القرى يهودي ، وكان له عليه ذَيْنٌ فأعطاه إياها بدينه ، وكان أهل وادي القرى حُلَفَاء لبني ثعلبة ؛ فلما سمع اليهودي بذلك قال : سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْبِر ، فردَّ الإبل على الحادرة فردَّها على جاره ، ورجع إلى زَبَان فقال له : أعطني مالي الذي عليك ، فأعطاه إياه زَبَان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه² :

لَعْمَرَةَ بَيْنِ الْأُخْرَمَيْنِ طَلُولُ تَقَادَمَ مِنْهَا مُشْهَرٌ وَمُجِيلُ³
وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَعَالَى لِي الضُّحَى لِأُخْبِرَ عَنْهَا إِنِّي لَسَوُولُ

يقول فيها :

فَإِنْ تَحَسَّبُوهَا بِالْحِجَابِ ذَلِيلَةٌ فَمَا أَنَا يَوْمًا إِنْ رَكِبْتُ ذَلِيلُ⁴
سَأْمَنْعُهَا فِي عُصْبَةٍ ثُعْلَبِيَّةٍ لَهُمْ عَدَدٌ وَافٍ وَعِزٌّ أَصِيلُ
فَإِنْ شِئْتُمْ عُدْنَا صَدِيقًا وَعُدْتُمْ وَإِنَّا أَيْتِمٌ فَالْمُقَامُ زَحُولُ⁵

قال : وَلَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه .

1 فقاحة : واحدة الفقاح وهو الزهر عندما يتفتح .

2 ديوان الحادرة : 100 .

3 الأخرمان : مثني الأخرم وهو اسم لعدة مواضع .

4 تحسبوها في ل : تحبسوها .

5 زحول : بعيد .

[غزوة بني عامر]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يذكر عن أبيه : أن جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء : ذؤاب بن غالب من عُقيل ثم من بني كَعْب بن ربيعة ، وعبد الله بن عمرو من بني الصَّمُوت ، وعُقيل بن مالك من بني نُمَيْر ، وهم يريدون غزو بني ثعلبة بن سعد رهط الحادرة ومن معهم من مُحارب ، وكانوا يومئذ معهم ، فنذرت بهم بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المحاربيُّ الحَصَفِيَّ وجُوَيْة بن نصر الجرَميَّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم ، فلما دَنَوْا منهم عرف عُقيل بن مالك النُميريَّ جُوَيْة بن نصر الجرَميَّ ، فناداه : إليَّ يا جُوَيْة بن نصر فإن لي خبراً أسيرَه إليك ؛ فقال : إليك أقبلتُ لكن لغير ما ظننت ، فقال له : ما فعلتُ قُلُوص ؟ ، يعني امرأته ؛ فقال : هي في الظعن أسراً ما كانت قطُّ وأجمله ؛ ثم حَمَلَ كُلَّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طعنتين فطَعَنَه جُوَيْة طعنةً دَقَّت صُلْبَه ، وانطلق قيس بن مالك المحاربيُّ إلى بني ثعلبة فأنذَرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت بنو نُمَيْر وسائر بني عامر ومات عُقيل النُميريُّ وقُتِل ذؤاب بن غالب وعبد الله بن عمرو أحد بني الصَّمُوت ؛ فقال الحادرة في ذلك¹ :

كَانَ عُقَيْلًا فِي الضُّحَى حَلَقْتُ بِهِ وطارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ عَنقَاءُ مُغْرِبُ
ويروى : «وطارت به في اللُّوح» ، وهو الهواء .

وذي كرمٍ يدعوكم آلَ عامرٍ لدى مَعْرَكٍ سِرْبَالِه يَتَصَبَّبُ
رأتُ عامراً وَقَعَ السِّيفُ فأسلموا أخاهم ولم يعطِفَ من الخيلِ مُرْهَبُ
وسلمَ لما أن رأى الموتَ عامراً له مركبٌ فوق الأَسَنَةِ أُحْدَبُ
إذا ما أَظْلَمَتْهُ عَوَالِي رماحنا تدلُّى به نَهْدُ الجُزارةِ مِنْهَبُ²
على صَلَوَيْهِ مُرْهَفَاتٌ كَأَنَّهَا قوادِمُ نَسْرِ بُزٍّ عَنْهِنَّ مِنْكِبُ³

قال : وفي هذه الواقعة يقول خِدَاش بن زهير :

أَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْنَا وَأَمْنَا إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لَا سَبِيلَ إِلَى جَسَرٍ
جَسَرٌ : قبيلة من مُحارب . قال : وهذا اليوم يُعرَفُ بيوم شَواحِطٍ ، قبيلة من محارب .

1 ديوان الحادرة : 92 .

2 نهد الجزيرة : عظيم الأطراف . والمنهب : الفرس الفائق في العدو .

3 الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذي أربع وما انحدر من الوركين .

[يوم الكفافة]

وقال أبو عمرو : خرج خارجة بن حصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بغيض ، فلقوا جيشاً لبني تميم على ماء يقال له «الكفافة» وتميم في جمع سعد والرباب وبني عمرو ، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهزمت تميم وأجفلت ، وهذا اليوم يقال له : «يوم كفافة» ، فقال الحادرة في ذلك¹ :

ونحن مَنَعْنَا من تميم وقد طغت	مَراعي المَلا حتى تَضَمَّنْهَا نجدُ
كَمَعَطْنَا يومَ الكفافة خيلنا	لَتَتَّبِعْ أُخْرَى الجِيشِ إذ بلغ الجِدُّ
على حين شالت واستخفت رجالهم	جلائبُ أحياء يسيلُ بها الشدُّ
إذا هي شكَّ السَّهْرِيُّ نَحْوَهَا	وخامت عن الأبطالِ أتعبها القُدُّ ²
تَكَرَّرُ سِرَاعاً في المَضِيقِ عليهمُ	وتُشْنَى بِطَاءٍ ما تحبُّ ولا تعدو
فأثْنُوا علينا لا أباً لأبيكمُ	ياحساننا إن الثناء هو الخُلْدُ

1 ديوان الحادرة : 94 .

2 خامت : نكصت وجبت . القد : سير يقدر من جلد ويقيد به .

[37] - أخبار ابن مسجح ونسبه

[ولاؤه ، وهو مغنٌ أسود متغن نقل غناء الفرس]

سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . مكِّي أسود ، مُغنٌ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم ، وأوّل من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبربطيّة والأسطوخوسيّة ، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيراً وتعلّم الضرب ، ثم قديم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبّحه من الثبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفُرس والروم خارجة عن غناء العرب ، وغنّى على هذا المذهب ، فكان أوّل من أثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس بعد .

[علم ابن سريج والغريض الغناء]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، والحسين بن يحيى قالاً : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن الرّيّة : أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربي بمكّة ابن مسجح مولى بني مخزوم ، وذلك أنّه مرّ بالفرس وهم يَتَنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيٍّ ؛ وهو الذي علّم ابن سريج والغريض ، وكان ابن مسجح مولداً أسود يُكنى بأبي عيسى .

[احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبنائها]

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان سبب بناء ابن الزبير الكعبة لما احترقت ، أنّ أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه ، وكانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق ، فرفع ناراً على رأس ربح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدروا ، وأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إني لم أتعمد ما جرى فلا تهلك عبادك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلما تعالى النهار أُمِنَ وتراجع الناس ، فقال لهم : الله الله أن ينهدم في بيت أحدكم حجرٌ فيزول

عن موضعه فينيه ويصلحه وأترك الكعبة خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفعلة حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا بينائين من الفرس والروم فيناها .
[نقل غناء الفرس من بنائي الكعبة]

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال : كان سعيد بن مسجح أسود مولداً يكنى أبا عيسى مولى لبني جُمَح ، فرأى الفرس وهم يعملون الكعبة لابن الزبير ويتغنون بالفارسية فاشتق غناءه على ذلك .

قال إسحاق : وحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر وجريز قالا : كان سعيد بن مسجح أسود وهو مولى لبني جُمَح يكنى أبا عيسى .
[كان ولاؤه هو وابن سريج لرجل واحد]

قال إسحاق : وحدثني المدائني عن صخر بن جعفر عن أبي قبيل بمثل ذلك ، وذكر أنه كان يكنى أبا عثمان . قال : وهو مولى لبني نوفل بن الحارث كان هو وابن سريج لرجل واحد ، ولذلك قبل عنه ابن سريج .
[ابن مسجح في حديثه]

قال إسحاق : وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان فذكر مثل ما ذكر أبو قبيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فظناً كيساً ذكياً ، وكان أصفر حسن اللون ، وكان مولاه مُعجَباً به ، وكان يقول في صغره : ليكونن لهذا الغلام شأن ، وما منعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه ، ولئن عشت لأتعرفن ذلك ، وإن ميت فهو حر ؛ فسمعه مولاه يوماً وهو يتغنى بشعر ابن الرقاع العاملي ، وهو من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى : [من الكامل]

صوت

ألم على طللي عفا متقادماً بين اللكيك وبين غيب الناعم¹
لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم²

فدعا به مولاه فقال له : يا بني أعذ ما سمعته منك علي ، فأعاده فإذا هو أحسن مما ابتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنت أقول ، ثم قال : أنتى لك هذا ؟ قال : سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسية فتقفقها وقلبها في هذا الشعر ، قال له : فأنت حر لوجه الله ، فلزم مولاه وكثر أدبه واتسع في غنائه ومهر بمكة وأعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوه منه ، فدفع

1 اللكيك أو اللكاك : موضع وكذلك غيب الناعم .

2 عثا في ل : عسا .

إليه مولاة عُبيد بن سُريج ؛ وقال له : يا بني علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابنُ سُريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرف له نظير .
[غناء نافع الخير عند رجل من قريش]

أخبرني الحِزْمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا أَخِي هَارُون عن ابن الماجِشُون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمد بن خَلْف بن المَرْزبان والحسين بن يحيى قالا : أخبرنا حمَّاد بن إِسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبي عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال : دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطَّرْفُ نبيلٌ تأخذه العين ، لا أعرفه ؛ فقال له القرشي : أقسمتُ عليك إلا ما غَنيتُ صوتاً ، فحوَّلَ خاتمه من خِنْصره اليُسرى إلى بِنْصره اليمنى ، ثم تناول قَدْحاً ، فغنَّاه لحن ابن سُريج في شعر كعب بن جُعيل : [من الطويل]

إذا امتشطتُ عالُوا لها بوسادةً ومدتُ عسيبَ الثن أن يتعفراً
ثوتُ نصفَ شهر تحسبُ الشهرَ ليلةً تناغي غزاًلاً ساجيَ الطرف أحوراً¹
تزيِّنُ حتى تسلبَ المرءَ عقله وحتى يحارَ الطرفُ فيها ويسكراً

ثم غنَّى في شعر توبة بن الحمير : [من الطويل]

وغَيَّرني إن كنتَ لَمَّا تَغَيَّري هواجِرُ تَكْتَنِيهَا وأُسيْرُهَا
وأُدْماء من سِرِّ المَهَارى كأنَّها مَهَاءُ صَوَارٍ غيرَ ما مَسَّ كُورُهَا²
قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفَةٍ مخُوفٍ رَدَاها كَلَمَّا استنَّ مُورُهَا³
تَرى ضعفاءَ القوم فيها كأنَّهم دَعَامِيصُ ماءٍ نَشَّ عنها غَدِيرُهَا⁴

قال : فقلت له إِنِّي لأُرْوِي هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه ، فقال : هكذا رويتها عن عبد الله بن جعفر ، قال : وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر .
الغناء في هذين اللحنين لابن مسجح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرَّت .
وذكر حبشٌ أن في أبيات كعب بن جُعيل لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى .
[دور معاوية بمكة]

حدَّثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب وعمي وحبيب بن نصر المهلبِّي قالوا حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشمي قال حَدَّثني أحمد بن

1 ساجي الطرف : فاتره .

2 الصوار : قطع البقر .

3 أجواز : جمع جوز وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . استن مورها : ثار غبارها .

4 دعاميص : دود أسود يكون في الغدران كلما نشت ، أي نضب أو جفَّ ماؤها .

موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجُمَحِيّ عن أبيه قال : أَوَّلُ مَنْ نَقَلَ الْغَنَاءَ الْفَارِسِيَّ مِنَ الْفَارِسِيَّ إِلَى الْغَنَاءِ الْعَرَبِيِّ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ . قَالَ : وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي وِلَايَةِ إِلَّا أَنَّ الْأَغْلَبَ عَلَيْهِ وَلَا يُبْنَى مَخْزُومٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ لَمَّا بَنَى دُورَهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : «الرُّقْطُ» ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الدَّارَيْنِ إِلَى الرَّدْمِ : أَوَّلَهَا الدَّارُ الْبَيْضَاءُ وَآخِرُهَا دَارُ الْحَمَّامِ ، وَهِيَ عَلَى يَسَارِ الْمُصْعِدِ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى «رَدْمِ عُمَرَ» ، حَمَلَهَا بَنَاتَيْنِ فُرْسًا مِنَ الْعِرَاقِ فَكَانُوا يَبْنُونَهَا بِالْجِصِّ وَالْآجَرِ ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ يَأْتِيهِمْ فَيَسْمَعُ مِنْ غَنَائِهِمْ عَلَى بُنْيَانِهِمْ ، فَمَا اسْتَحْسَنَ مِنْ أَلْحَانِهِمْ أَخَذَهُ وَنَقَلَهُ إِلَى الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ صَاغَ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْغَرِيزَ ، فَكَانَ مِنْ قَدِيمِ غَنَائِهِ الَّذِي صَنَعَهُ عَلَى تِلْكَ الْأَغَانِي¹ : [من الكامل]

صوت

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجَحُ²
مُنِّي عَلَى عَانٍ أَطْلَتِ عَنَاءَهُ فِي الْغُلِّ عِنْدَكَ وَالْعُنَاءُ تُسْرَحُ
إِنِّي لَأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَنْ يَغْشُ وَيَنْصَحُ
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حُبِّهَا قَالَتْ أَجِدُّ مِنْكَ ذَا أَمٍ تَمْرَحُ

الشعر للأخوص ، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالنصر . وَلِدَحْمَانُ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
بِالنَّصْرِ . وَلِمَالِكٍ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ .
[أخذ عنه معبد]

قال : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَنَّى الْغَنَاءَ الْعَرَبِيَّ الْمَنْقُولَ عَنِ الْفَارِسِيِّ . وَعَاشَ سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ حَتَّى لَقِيَهِ مَعْبُدٌ وَأَخَذَ عَنْهُ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
[نفاه دحمان الأشقر والي مكة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك برد]

حَدَّثَنِي عَمِّي وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوفِيُّ قَالَا جَمِيعًا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَيَّةَ الْقُرَشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دَحْمَانُ الْأَشْقَرُ قَالَ : كُنْتُ عَامِلًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَكَّةَ فَنَمِيَ إِلَيْهِ أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ : سَعِيدُ بْنُ مَسْجَحٍ أَفْسَدَ فِتْيَانَ قَرِيشٍ وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِ أَمْوَالَهُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ : أَنْ أَقْبِضَ مَالَهُ وَسِيرَهُ ، فَفَعَلْتُ . فَتَوَجَّهَ ابْنُ مَسْجَحٍ إِلَى الشَّامِ فَصَحِّبَهُ رَجُلٌ لَهُ جَوَارٍ مُغْنِيَاتٌ فِي طَرِيقِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ الشَّامَ ، قَالَ لَهُ : فَتَكُونُ مَعِيَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَصَحِّبَهُ حَتَّى بَلَغَا دِمَشْقَ

1 ديوان الأخوص : 48 عن الأغاني .

2 الأسجاح : حسن العفو .

فدخلوا مسجدها فسألوا : مَنْ أَخَصُّ النَّاسِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قریش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فتيان ، هل فيكم مَنْ يُضَيِّفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قَبْنَةٍ يُقال لها : «بَرْقُ الْأَفْقِي» فتشاقلوا به إلّا فتى منهم تَذَمَّ فقال : أنا أَضَيِّفُكَ ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تجيء أنت وضيفك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَبْنَةِ ، فلمّا أتوا بالعَداء قال لهم سعيد : إني رجلٌ أَسود ولعلّ فيكم من يَقدِّرُنِي فأنا أجلس وأَكلُ نَاحِيَةٍ وقام ، فاستَحْيُوا منه وبعثوا إليه بما أَكل ، فلمّا صاروا إلى الشراب قال لهم مثلاً ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِعَ لهما ، ففَتَّتا إلى العِشاء ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثَّلتُ هذا البيت : [من الطويل]

فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بِيَعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالُمٌ

فغضبت الجارية وقالت : أَيَضْرِبُ هذا الأسود بي الأمثال ؟ فنظروا إليّ نظراً مُكْرَراً ولم يزالوا يُسَكِّنُونَهَا ، ثم غَنَّتْ صوتاً ، فقال ابن مسجح : أَحَسَنْتِ وَاللَّهِ ، فغضب مولاهما وقال : أمثَلُ هذا الأسود يُقَدِّمُ على جاريتي ؟ فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلْتُ على القوم ، فذهبتُ أَقُومُ¹ فتذمَّم القوم وقالوا لي : بل أَقِمِ وَأَحْسِنِ أَدَبَكَ فَأَقِمْتُ ، وَغَنَّتْ فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ وَاللَّهِ يا زانية وأَسَأْتُ ، ثم اندفعتُ فغَنَّيْتُ الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاهما : هذا وَاللَّهِ أَبُو عَثْمَانَ سعيد بن مسجح ، فَقُلْتُ : إني وَاللَّهِ أنا هو ، وَاللَّهِ لَا أَقِمِ عِنْدَكُمْ ، فوثب القُرَشِيُّونَ فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَقِمِ إلّا عند سيِّدكم ، يعني الرجل الذي أنزله منهم ، ثم سأله عَمَّا أَقْدَمَهُ فَأخبرهم بالخبر ، فقال له صاحبه : إني أَسْمُرُ اللَّيْلَةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحَسِّنُ أَنْ تَحْدُوَ ؟ قال : لا ، وَلَكِنِّي أَسْتَعْمَلُ حُدَاءَ ، قال : فإن منزلي بجُدَاءَ منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طيِّبَ نفسٍ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ ، ومضى إلى عبد الملك فلمّا رآه طيِّبَ النفس أُرْسِلَ إلى ابن مسجح وأُخرج رأسه من وراء شُرْفِ القصر ثم حَدَا² : [من الرجز]

إِنَّكَ يَا مُعَاذُ يَا ابْنَ الْفُضَّلِ إِنْ زُلْزِلَ الْأَقْدَامُ لَمْ تُزَلْزَلِ

1 ل : فقامت لأذهب .

2 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 24-26 (رقم 45) وانظر نهاية الأرب 4 : 241-243 .

عن دين موسى والكتاب المنزل تقيمُ أصداعُ القرونِ المثلِ
للحق حتى يتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي: من هذا؟ قال: رجلٌ حجازيٌّ قديمٌ عليّ، قال: أحضره فأحضره له، وقال له: اأخذُ مُجدّاً، ثم قال له: هل تُغني غناء الركبان؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغني، فقال له: فهل تغني المتقن؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغني فاهتز عبد الملك طرباً، ثم قال له: أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة، من أنت وملك؟ قال له: أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني، فنبسم عبدُ الملك ثم قال له: قد وضّح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالهم، وأمنه ووصله وكتب إلى عامله برّد ماله عليه والأُ يعرض له بسوء.

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سلا دارَ ليلي هل تُبين فتَنطِقُ وأنتى تردّ القولَ بيداءِ سَمَلق¹
وأنتى تردّ القولَ دارَ كأنّها لطولِ يلاها والتقدّمِ مَهْرَق²

عروضه من الطويل، الشعر لابن المولى. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعر للأعشى؛ وذلك غلط، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعقب أخباره ليُوقف على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه. والغناء في اللحن المختار لعطرد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيّوب زهرة خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ. وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما:

وقال خليلي والبكا لي غالبٌ أقاض عليك ذا الأسى والتشوقُ
وقد طال توقّاني أكفكف عبّرة تكاد إذا رُدّت لها النفسُ تزَهَقُ³

1 سملق: القاع المستوي لا شجر فيه.

2 مَهْرَق: صحيفة.

3 توقّاني في ل: توقّاني. سيرد هذا الشطر بعد قليل برواية أخرى.

[38] - أخبار ابن المولى ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، شاعرٌ متقدّم مجيد من مخضرميّ الدولتين ومدّاحي أهلها ، وقديم على المهديّ وامتدحه بعدة قصائد فوصله بصلاتٍ سنّية ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيف الثياب حسن الهيئة .
[قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزّنبلي قال قال لي محمد بن صالح بن النطّاح :
كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وكان مسكنه بقاء ، وكان يقدّم¹ على المهديّ فيمدحه ، فقدم عليه فأنشده قوله :
[من الطويل]

سلا دارَ ليلى هل تُبين فتَنطِقُ وأنتى تردُّ القولَ بيداءِ سَمَلَقُ²
وأنتى تردُّ القولَ دارٌ كأنّها لطول بلاها والتقدّم مُهَرَّقُ³
وقال خليلي والبكا لي غالبٌ أقاضُ عليك ذا الأسى والتشوّقُ⁴
وإنسانُ عيني في دوائرٍ لُجّةٍ من الدمع يبدو تارةً ثم يَغَرَّقُ⁵

يقول فيها :

إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي بكلّ فلاةٍ آلهَا يترَقُّ²
إذا غال منها الركبَ صحراءَ برّحت بهم بعدها في السير صحراءَ دردقُ³
رَميتُ قَراها بين يومٍ وليلةٍ بفتلاء لم ينكُب لها الزَّورَ مِرْفَقُ⁴
مُزْمرةً سَقباً كأنّ زِمَامَها بجرداء من عمّ الصَّنوبرِ مُعَلَّقُ⁵
موكّلةً بالفادحات كأنّها وقد جعلت منها الثَّميّلةُ تَخْلُقُ⁶
يَقِيّ الملا هيَقُّ أمامَ رِثالهِ أصمُّ هيجَفٌ أقرعُ الرأسِ نَفْتِقُ⁷

1 ل : يفد .

2 الال : السراب .

3 غالت الصحراء الركب : أبعدتهم . دردق : لعلّه يقصد واسعة .

4 القرا : الظهر . الفتلاء : هي التي قتل ذراعها أي تباعد عن الجنين .

5 مزمرة : مصوطة ، ولعلّها مدمرة : أي تحث فتسرّع في السير . العم : النخل الطويل واستعير هنا للصنوبر .

6 الثميّلة : البقية التي تدّخر من الطعام وغيره .

7 القيّ : القفر . الهيق : الظليم وكذلك النفتق . الرثال : أفراخ النعام . الهجف : المسن أو الجاني الثقيل من النعام .

تراها إذا استعجلتها وكأنها
موركة أرض العذيب وقد بدا
على الأئين يغروها من الرّوع أولق¹
فسرّ به للآئين الخورق
فاستحسنها المهدي وأجزل صلته ، وأمر فغني في نسيب القصيدة . فأما ما شرطت ذكره
من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها :

عفتها الرياح الرامسات مع اليل
بكل شآيب من الماء خلفها
بأذيالها والرائح المتبع²
شآيب ماء مزنها متألّق
إذا ريق منها هريقت سجاله
أعيد لها كرفيء ماء وريق³
فأصبح يرمي بالرباب كأنما
بأرجله منه نعام معلق⁴
فلا تبك أطلال الديار فإنها
خبال لمن لا يدفع الشوق عولق⁵
وإن سفاهاً أن ترى متفجعا
بأطلال دار أو يقودك معلق
فلا تجزعن للبين كل جماعة
وجدك مكتوب عليها التفرق
وخذ بالتعزي كل ما أنت لابس
جديداً على الأيام بال ومخلق
فصبر الفتى عما تولّى فإنه
من الأمر أولى بالسداد وأوفق
ويروى : «أدنى للذي هو أوفق» .

وإنك بالإشفاق لا تدفع الردى
كان لم يرعك الدهر أو أنت آمن
وقال خليلي والبيكا لي غالب
أقاض عليك ذا الأسى والتشوق
وقد طال توقاني أكفك عبرة
على دمنة كادت لها النفس تزهب⁶
وإنسان عيني في دوائر لجة
من الماء يبدو تارة ثم يغرق
وللدمع من عيني شريجا صباية
مُرْسُ الرجا والجائل المترق⁷

- 1 الأولق : الجنون .
- 2 الرائح المتبعق : المطر المندفع .
- 3 كرفيء : سحاب مرتفع .
- 4 الرباب : السحاب الأبيض .
- 5 عولق : غول .
- 6 توقاني في ل : توقاني .
- 7 الشريجان : لوان مختلفان .

وكنْتُ أخوا عِشْقٍ ولم يك صاحبي فيعذِرني ممَّا يَصَبُّ ويعشَقُ
وقد يعذِر الصَّبُّ السقيمُ ذوي الهوى ويلحَى المحبين الصديقُ فيخرَقُ¹
وعابَ رجالٌ أن عِلَقْتُ وقد بدا لهم بعضُ ما أهوى وذو الحلم يعلَقُ
والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالة على صحّة ما قلته .

[كان يشبّه بليل وهي قوسه]

أخبرني الجرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعبيد الله بن مُسلم بن جُنْدُب وابن المولى وأصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُبَاء ، وابن المولى مُتَنَكِّب قوساً عربية ، فأنشد ابن المولى لنفسه :

وأبكي فلا ليل بكت من صَبَابَةٍ إليّ ولا ليل لذي الودِّ تَبَذُّلُ
وأخنعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنباً وإن أذنبْتُ كنتُ الذي اتَّصَلُ
فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُنْدُب : مَنْ ليلي هذه حتى نقودها إليك ؟ فقال لهما ابن المولى : ما هي والله إلا قوسي هذه سمّيتها ليلي .
في هذين البيتين ثقیلٌ أوّلٌ مطلق في مجرى الوسطى لخَزَرَج ، ويقال : إنّه لهاشم بن سليمان .

[مدح يزيد بن حاتم فوهبه كلّ ما يملك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو هَفَّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضّبيّ قال : وقد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها² :

يا واحدَ العربِ الذي أضحَى وليس له نظيرُ
لو كان مثلكَ آخِرُ ما كان في الدنيا فقيرُ
قال : فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورق والعَيْنُ بقيةُ عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخي ، المعذرة إلى الله وإليك ، والله لو أنّ في ملكي أكثرُ لما احتجبتها³ عنك .

[كان يمدح جعفر بن سليمان وقثم بن عَباس ويزيد بن حاتم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب

1 ذوي في ل : ذوو .

2 سبق أن أورد هذين البيتين منسويين لبشار .

3 ل : احتجبتها .

قال حدثنا مُصعب الزبيري عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن المولى مدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، واستفرغ مدحه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها :

يا واحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبةً وساد نزارا
إني لأرجو إن لقيتك سالماً ألا أعالج بعدك الأسفارا
رشت الندى ولقد تكسر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

[مرض عند يزيد بن حاتم وأضعف يزيد صلته]

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتى رضي . ومرض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وتقل حتى أشفى¹ ، فلما أفاق من علته ونهض ، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرقاً خبره ، فقال : لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج بعدي الأسفار حقاً ، ثم أضعف صلته .

[كان يمدح يزيد دون أن يراه]

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال : كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه ، فلما ولّاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغلّ ألف دينار ، أقوم في أدناها وأصبح بقيمي ولا يسمعي وهو في أقصاها .

[عنه الحسن بن زيد على ذكر ليل]

أخبرني عمي قال حدثنا الحزنيل عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أن الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتشيب بحرم المسلمين وتُنشد ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ؟ فحلف له بالطلاق أنه ما تعرض لحرم قط ولا شيب بامرأة مسلم ولا معاهد قط ، قال : فمن ليلي هذه التي تُذكر في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه ، سميتها ليل لأذكرها في شعري ، فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشيب ، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت .

[كان بالعراق وتشوق إلى المدينة]

فقال الحزنيل : وحدثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال : قديم ابن المولى إلى العراق في بعض سنيه فأخفق وطال مقامه وغرض² به وتشوق إلى المدينة فقال في ذلك : [من الكامل]

1 أشفى : أشرف على الموت .

2 غرض به : ضجر وقلق .

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسَّ رجالاً وأرى الإقامةَ بالعراقِ ضلّالا
وطرِبْتُ إذ ذَكَرَ المدينةَ ذاكَرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لي بلبالا
فظللتُ أنظرُ في السماءِ كأنني أبغني بناحية السماءِ هلالا
طرباً إلى أهلِ الحِجازِ وتارةً أبكي بدمعِ مُسبِلِ إسبالا
غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقیل عن الهشامي . وذكره حماد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته .

[من الكامل]

فيقال قد أضحي يُحدث نفسه والعينُ تَدْرِفُ في الرِّداءِ سِجالا¹
إنَّ الغريبَ إذا تذكَّرَ أوْشكت منه المدامعُ أن تفيضَ عِلالا
ولقد أقولُ لصاحبي وكأنه ممّا يعالجُ ضُمْنِ الأغلالا
خَفَضُ عليكَ فما يُرْذُ بك تَلْقَهُ لا تُكثِرَنَّ وإن جَزَعْتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تدع المدينةَ كالذي ترك البحارَ ويَمِّمُ الأوشالا²
فأجاني خاطرٌ بنفسِكَ لا تكنُ أبداً تُعدُّ مع العيالِ عِيالا
واعلمُ بأنك لن تنالَ جَسِمةً حتّى تُجسِّمَ نفسَكَ الأهوالا
إني وجدك يومَ أتركُ زاحراً بحراً يُنْقَلُ سيئهُ الأنقالا
لأضلُّ مَنْ جَلَبَ القوافي صَعْبَةً حتّى أذلَّ مُتُونَهَا إِذلالا³

[مدح المهديّ وعرض بالطالبيين فأجازه]

قال الحزْبَلُ: وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدثني مولى للحسن بن زيد قال :
قدم ابن المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

[من الطويل]

وما قارَعَ الأعداءَ مثلُ محمّدٍ إذا الحربُ أبدتْ عن حُجُولِ الكَواعِبِ
فتى ماجدُ الأعراقِ من آلِ هاشمٍ تَبْجِجُ منها في الذرى والذوائبِ⁴
أشُمُّ من الرّهطِ الذينَ كأنّهم لدى حِنْدَسِ الظُّلَماءِ زهُرُ الكواكبِ⁵

1 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .

2 الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .

3 صعبة في ل : ضيقة .

4 تبجج : تمكّن .

5 حنّس : الليل الشديد الظلمة .

إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا مَنَاقِبُ هَاشِمٍ
وَمَنْ عَيْبَ فِي أَخْلَاقِهِ وَنِصَابِهِ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ
أُولَئِكَ أَوْتَادُ الْبِلَادِ وَوَارِثُو النَّبِ
ثُمَّ ذَكَرَ فِيهَا آلَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ :

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ
وَأَنْتَهُمْ نَالُوا لَهُمْ بَدَمَائِهِمْ
وَقَامُوا لَهُمْ دُونَ الْعَدَا وَكَفَوْهُمْ
وَحَامَوْا عَلَى أَحْسَابِهِمْ وَكَرَائِمِ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَائِدٌ
إِذَا مَا ذَنَبُوا أَدْنَاهُمْ وَإِذَا هَفَوْا
شَفِيقٌ عَلَى الْأَقْصَيْنِ أَنْ يَرْكَبُوا الرَّدَى

[مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهدي]

قال : فوصله المهدي بصلة سنية ، وقديم المدينة فأنفق وبنى داره وليس ثياباً فاخرة ، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حياه . ثم قدم⁵ على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كل سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه :

هاج شوقي تفرق الجيران
وتذكرت ما مضى من زمني

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولو أنّ امرأ ينالُ خلوداً
أو بيتاً ذراه تلصق بالنجـ
أو بمجد الحياة أو بسماحـ

بمحله ومنصب ومكان
سم قراناً في غير بُرج قران
أو بحلم أوفى على ثهلان

1 النصاب : الأصل .

2 ووارثوا في ل : وأورثوا .

3 نفوس في ل : النفوس .

4 الواشجات : جمع واشجة وهي الرحم المشبكة المتصلة .

5 ل : دخل .

أو بفضل لناله حسنُ الخَيِّ ر بفضل الرسول ذي البرهانِ
فضله واضحٌ برهطُ أبي القا سم رهطُ اليقين والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهدى ومَدَى الأَمِّ ر وأهلُ البرهانِ والعرفانِ¹
مَعْدِنُ الحقِّ والنبوةِ والعد ل إذا ما تنازع الخصمانِ
وابنُ زيد إذا الرجالُ تَجَارَوْا يومَ حَفَل وغايةِ ورهانِ
سابقٌ مُغْلِقٌ مُجِيزُ رِهانِ وَرِثَ السَّبْقِ من أبيه الهِجانِ²

قال : فلمّا أنشدّه إياها دعا به خالياً ثم قال له : يا عاضُّ كذا من أمه ، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأمّا إذا مضيت إلى العراق فتقول :

[من الطويل]

وإن أمير المؤمنين ورهطه لرَهطُ المعالي من لُؤَيِّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البلادِ ووارثو الند حيٌّ بأمرِ الحقِّ غير التَّكاذِبِ³

فقال له : أتُصِفُني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل :

وإن أمير المؤمنين ورهطه

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعُ هذا ، ألم تقدر أن يَنفُقَ شعركَ ومديحك إلاّ بتهجينِ أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول :

[من الطويل]

وما نَقَمُوا إلاّ المودّةَ منهم وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنَّهُم نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربٍ⁴

فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال : يا ابن الرسول إنَّ الشاعر يقول ويتقرَّب بجهدِهِ ، ثم قام فخرج من عنده منكسراً ، فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل ؛ فقال ابن المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فألما إن قرنها بالرضى فقبلتها ، وأمّا إن أقام وهو عليّ ساخط ألبتة فلا ؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فأقبلها . ودخل على الحسن فأنشدّه قوله فيه :

سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسألْ وجاد كما جادتُ غوادٍ رَواعِدُ

1 العرفان في ل : والفرقان .

2 الهجان : الحسيب .

3 ووارثو في ل : وأورثوا .

4 نفوس في ل : النفوس .

فَأَقْسِمُ لَا أَنْفَكَ أَتَشِدُّ مَدْحَهُ إِذَا جَمَعْتَنِي فِي الْحَجِيجِ الْمَشَاهِدُ
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا فِي ثَنَائِي قَصِيدَةً ثَنَيْتُ بِأُخْرَى حَيْثُ تُجْزَى الْقَصَائِدُ

[مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبيته على الأزارقة]

قال الحزنبيل: وحدثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلبى قال: لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه وعقد له لواء على كور الأهواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده: [من الطويل]

صوت

أَلَا يَا لَقَوْمِي هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ وَهَلْ يُعْذَرَنَّ ذُو صَبْوَةٍ وَهُوَ أَشْبَبُ
يَحْنُ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ شَطَّتْ النَّوَى بَلِيلَى كَمَا حَنَّ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ¹
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَطَرْدُ، وَلَحْنَهُ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ؛ وَفِيهِ لِيُونَسُ لَحْنُ ذِكْرِهِ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ.

تَقَرَّبْتُ لَيْلَى كَيْ تَثِيبُ فِرَادِنِي بَعَادًا عَلَى بَعْدِ إِلَيْهَا التَّقَرُّبُ
فِدَاوَيْتُ وَجْدِي بِاجْتِنَابٍ فَلَمْ يَكُنْ دَوَاءً لِمَا أَلْقَاهُ مِنْهَا التَّجَنُّبُ
فَلَا أَنَا عِنْدَ النَّأْيِ سَالٍ لِحُبِّهَا وَلَا أَنَا مِنْهَا مُشْتَفٍ حِينَ تَصْقَبُ²
وَمَا كُنْتُ بِالرَّاضِي بِمَا غَيَّرَهُ الرِّضَى وَلَكِنِّي أَنُوي الْعِزَاءَ فَأُغْلَبُ
وَلَيْلِ خُدَارِي الرَّوَاقِ جَشِيمَتُهُ إِذَا هَابَهُ السَّارُونَ لَا أَتَهَيَّبُ³
لَأُظْفَرَ يَوْمًا مِنْ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ بِحَبْلِ جَوَارٍ ذَاكَ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ
بَلَوْتُ وَقَلْبَتُ الرِّجَالَ كَمَا بَلَا بِكَفِّهِ أَوْسَاطَ الْقِدَاحِ مُقْلَبُ
وَصَعَّدَنِي هَمِّي وَصَوَّبَ مَرَّةً وَذُو الْهَمِّ يَوْمًا مُصْعَدٌ وَمُصَوَّبُ
لَأَعْرِفَ مَا آتَى فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ مِنَ النَّاسِ فِيمَا حَازَ شَرْقًا وَمَغْرِبُ
أَكْرَرْتُ عَلَى جَيْشٍ وَأَعْظَمَ هَيْبَةً وَأَوْهَبَ فِي جُودٍ لِمَا لَيْسَ يُوهَبُ
تَصَدَّى رِجَالٌ فِي الْمَعَالِي لِيَلْحَقُوا مَدَاكَ وَمَا أَدْرَكَهُ فَتَدْبَذَبُوا
وَرُمْتُ الَّذِي رَامُوا فَأَذَلَّتْ صَعْبَهُ وَرَامُوا الَّذِي أَذَلَّتْ مِنْهُ فَأَصْعَبُوا

1 اليراع المثقب: المزمار.

2 تصقب: تقرب.

3 خداري: مظلم.

ومهما تناول من مَنال سَنِيَّةٍ يساعذك فيها المُنْتَمَى والمُرْكَبُ¹
ومَنْصِبُ آبَاءِ كِرَامٍ نَمَاهُمُ إلى المجدِ آبَاءِ كِرَامٍ وَمَنْصِبُ

صوت

[من الطويل]

كواكبُ دَجَنٍ كُلِّما انْقَضَ كوكبٌ بدا منهمُ بدرٌ مُنِيرٌ وكوكبٌ
أَنارَ به آلُ المهْلَبِ بعدما هَوَى مُنْكِبٌ منهمُ بليلى وَمُنْكِبٌ
وما زال إلحاحُ الزمانِ عليهمُ بنائيةٍ كادت لها الأرضُ تَخْرُبُ
فلو أَبْقَتِ الأيامُ حَيًّا نَفاسَةً لأبقاهُمُ للجودِ نابٌ ومِخْلَبُ
وكنْتَ ليومِي نِعْمَةً ونِكايةٍ كما فيهما للناسِ كان المهْلَبُ
ألا جَبْذا الأحياءِ منكم وحَبْذا قُبُورٌ بها مَوْتَاكُم حينَ غُيِّبُوا
فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفسر بسرجه ولجامه وخِلْعَةٍ ، وأقسم على
من كان يحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحدٍ منهم بما يمكنه ، فانصرف بملء يده .
[كان عمرو بن أبي عمرو ينشد شعره ويستحسنه]

قال الحَزَنْبَلُ : أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

حَيِّ المنازلَ قد بَلَّينا أَقْوِينَ عن مَرِّ السَّنِينَا²
وسلَّ الدِّيارَ لعلَّها تُخْبِرَكَ عن أُمِّ البَنِينَا
بانَتْ وكلُّ قَرِينَةٍ يوماً مفارقةً قَرِينَا
وأخو الحياة من الحيا قَ مُعالِجٌ غِلْظاً ولينا

غنى في هذه الأبيات نبيَّة خفيفة ثقيل بالنصر .

وترى المَوَكَّلَ بالغوا في راكباً أبداً فُنُونَا
ومن البَلِيَّةِ أن تُدَا نَ بما كَرِهْتَ ولن تَدِينَا
والمرءُ تُحَرِّمُ نفسه ما لا يزال به حَزِينَا
وتراه يَجْمَعُ ماله جمعَ الحَرِيصِ لَوَارِثِينَا

1 المنتمى في ل : المنتهى . المركب : المنبت .

2 أقوى : أقفر .

يسعى بأفضل سعيه فيصيرُ ذاك لقاعدينا
لم يُعطِ ذا النسب القريد حبٍ ولم يَجِدْ للابعدينا
قد حلّ منزله الذمير سمَ وفارق المتنصحين¹

[مدح المهدي بولايته الخلافة]

قال الحزنبل : وذكر أحمد بن صالح بن النطّاح عن المدائني : أن المهديّ لما وليّ الخلافة وحجّ فرق في قريش والأنصار وسائر الناس أموالاً عظيمةً ووصلهم صلاتٍ سنيةً ، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيام أبيه ، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وكانت سنة ولايته سنة خصب ورخص ، فأحبّه الناس وتبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهديّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله ﷺ وسمّيه ، فلقوه فذعوا له وأثنوا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرّب منه ؛ فقال له : هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده [قوله فيه] :

يا ليلَ لا تبخلي يا ليلَ بالزادِ واشفي بذلك داء الحائم الصادي
وأنجز عِدّةً كانت لنا أملاً قد جاء ميعادها من بعد ميعادِ
ما صرّه غيرُ أن أبدى مودّته إنّ المُحبَّ هوَاه ظاهرٌ بادي
ثم قال فيها يصف ناقته :

تطوي البلادَ إلى جمّ منافعهُ فعّالٍ خيرٍ لفعل الخيرِ عوَادِ
للمهتدين إليه من منافعهُ خيرٌ يروحُ وخيرٌ باكر غادي²
أغنى قريشاً وأنصارَ النبيّ ومَن بالمسجدَيْنِ بإسعاد وإحفاذِ³
كانت منافعهُ في الأرض شائعةً تترى وسيرته كالماء للصّادي
خليفةُ الله عبدُ الله والدّه وأمه حُرّةٌ تُنمى لأُمجادِ
من خير ذي يمنٍ في خير رابيةٍ من القبولِ إليها معقلُ النّادي⁴

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة ، وأمر صاحب الجاري⁵ بأن يُجري له ولعياله في كلّ سنة ما يكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء .

1 المتنصّح : الكثير النصّح .

2 للمهتدين في ل : للمجتدين .

3 الإحفاذ : الإسراع في مرضاتهم وقضاء حوائجهم .

4 معقل : ملجأ .

5 صاحب الجاري : صاحب الجرايات أي الأرزاق .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال : وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قریش والأنصار ، فلمّا دخلنا عليه سلّمنا ودعّونا وأثنينا ، فلمّا فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هاتِ يا محمد ما قلت ، فأنشده : [من مجزوء الكامل]

صوت

نادى الأحبةً باحتمالٍ	إنّ المقيمَ إلى زوالٍ
ردّ القيّانُ عليهمُ	دُئِلَ المطيَّ من الجمالِ ¹
فتحملّوا بعقيلةٍ	زهراء أنسة الدلالِ
كالشمسِ راقٍ جمالُها	بين النساءِ على الجمالِ
لمّا رأيتَ جمالهم	في الآلِ تَغَرَّقُ بالآلي
يا ليت ذلك بعد أن	أظهرتَ أنك لا تُبالي
ولمثل ما جرّبتَ من	إخلافهنّ لذي الوصالِ
أسلاكٍ عن طلب الصِّبا	وأخو الصِّبا لا بدّ سالي
يا ابن الأطايب للأطا	يب ذا المكارم والمعالِ
وابن الهداة بنّي الهدا	ة وكاشفي ظلم الضلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ	عند التفاخِرِ والنُّصالِ
وإذا تُحصِّلُ هاشمُ	يعلو بمجدك كلُّ عالي
ويكون ييتك منهمُ	في الشاهقات من القلالِ ²
هذا وأنتِ ثمالُها	وابنُ الثمالِ أخو الثمالِ ³
ومآلُها بأموهرها	إنّ الأمورَ إلى مآلٍ

قال : فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحقّ المديح ، وهذا بحقّ الوفاة . [سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة]

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالوا حدّثنا الحسن بن عُليّ العنزيّ

1 القيّان : العبيد والإماء .

2 القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل .

3 ثمال : غيات .

قال حدثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال : قدِم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يُكثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ، قال : وابن المولى مولى الأنصار ، فلمّا قدِم عبدُ الملك المدينة قدِم ابن المولى ، لِمَا بلغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها ، فأتبعه فأدركه بإضَمّ بذي خُشْب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبد الملك إليه وابنُ المولى على نجيبٍ مُتَنَكِّباً قوساً عربيّةً ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكره ولم يَنَلْهُ مِنّا فعلٌ ، ثم قال له : أخبرني عن ليلي التي تقول فيها : [من الطويل]

وأبكي فلا لَيْلى بَكَتْ من صَبَابَةٍ إلىّ ولا ليلي لذي الوُدِّ تَبَدَّلُ

والله لئن كانت ليلي حرّةً لأزوّجَنكِها ، ولئن كانت أُمّةً لأبتاعَنها لك بما بلغتْ ، فقال : كلاً يا أمير المؤمنين ، والله ما كنتُ لأذْكرُ حُرْمَةَ حُرٍّ أبداً ولا أُمّةً ، والله ما ليلي إلّا قوسي هذه ، سَمَّيْتُها ليلي لأشُبُّ بها ، وإن الشاعر لا يُسْتَطاب إذا لم يَتَشَبَّ¹ ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومه وليلته يُنشده ويُسامره ، ثم أمر له بمال وكسوة ، وانصرف إلى المدينة .

[وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ عن الزبير وغيره عن محمد بن فضالة النحويّ قال : قدِم ابن المولى البصرة ، فأَتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه : [من السريع]

كم صارخٍ يدعو وذِي فاقَةٍ	يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أَحْيَيْتَ بَذَلَ النَّدَى	وكان قد ماتَ فلا يُذْكَرُ
سَلِيلُ عَبَّاسٍ وَلِيّ الهُدَى	ومَنْ به في المَحَلِّ يُسْتَمَطَرُ
هذا امتداحيك عَقِيدَ النَّدَى	أشهدُ بالمجدِ لكَ الأشْفَرُ

[39] - أخبار عَطَرْد ونسبه

[ولأوه وصفته وهو مغنّ مقبول الشهادة فقيه]

عَطَرْد مولى الأنصار ، ثم مولى بني عمرو بن عوف ، وقيل : إنه مولى مُزَيْنَة ، مدنيٌّ ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قُبَاء . وزعم إسحاق¹ أنه كان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيّب الصوت ، جيّد الصنعة ، حسن الرأي والمروءة ، فقيهاً ، قارئاً للقرآن ، وكان يغني مرتجلاً ، وأدرك دولة بني أمية ، وبقي إلى أيام الرشيد ، وذكر ابن خُرْداذبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه : أنه كان مُعَدِّل الشهادة بالمدينة ؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجّم عن أبي أيّوب المدنيّ عن إسحاق .

[جاءه عباد بن سلمة ليلاً وطلب منه أن يغنيه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أن سلمة بن عبّاد² وليّ القضاء بالبصرة ، فقصد ابنه عبّاد بن سلمة عَطَرْداً وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ وأقام معهم ؛ فأتى بابه ليلاً فدقّ عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلائس ، فخرج عَطَرْد إليه ، فلما رآه ومن معه فزع ؛ فقال : لا تُرْع ؛ [من الكامل]

إني قصدتُ إليك من أهلي في حاجةٍ يأتي لها مثلي

فقال : وما هي أصلحك الله ؟ قال : [من الكامل]

لا طالباً شيئاً إليك سوى «حيّ الحُمُولَ بجانب العَزَلِ»³

فقال : انزلوا على بركة الله ، فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

حيّ الحُمُولَ بجانب العَزَلِ إذ لا يوافق شكلها شكلي
الله أنجح ما طلبت به والبرُّ خيرُ حقيبة الرّحل .

1 قارن بال تذكرة الحمدونية 9 : 35-36 (رقم 55 حتى آخرها) .

2 هو كذلك في التذكرة الحمدونية وفي ل : عباد بن سلمة .

3 العزل : موضع في ديار قيس (كذا ذكر البكري) .

إني بجبلك واصل حبل
وبريش نبلك رائش نبل
وشمائي ما قد علمت وما
نبحث كلابك طارقاً مثلي

الشعر لامرئ القيس بن عابس الكندي ، هكذا روى أبو عمرو الشيباني ، وقال : إن من يرويه لامرئ القيس بن جحر يغلط . والغناء لعطرد ثقيل أول بالنصر عن عمرو بن بانه ، وفيه لعمرو بن بانه ثقيل بالوسطى من روايته أيضاً ، وفيه لابن عائشة خفيف رمل بالنصر ، وفيه عنه وعن دنائير لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيل بالنصر .
[غناء إبراهيم بن خالد المعطي عند المهدي]

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المدني وأخبرني به الحسن بن علي قال : كتب إلي أبو أيوب المدني ، وخبره أتم ، قال : حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعطي¹ قال : دخلت على المهدي ، وقد كان وُصف له غنائي ، فسألني عن الغناء وعن علمي به ، فجاذبته من ذلك طرفاً ؛ فقال لي : أتغني النواقيس ؟ قلت : نعم ، وأغني الصلبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيس لحن معبد ، كان معبد وأهل الحجاز يسمونه النواقيس ، وهو :

سلا دار ليلي هل تبين فتطلق
وأنتي ترُدّ القول بيداء سملق

قال : ثم قال لي المهدي وهو يضحك : غنه ، فغنيته فأمر لي بمال جزيل وخلع عليّ وصرفني ، ثم بلغني أنه قال : هذا معطي وأنا لا آنسُ به ، ولا حاجة لي إلى أن أذنيه من خلوتي وأنا لا آنسُ به . هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللحن لمعبد ، وما ذكره أحد من رواة الغناء له ، ولا وجد في ديوان من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شركة فيه ، ولعله غلط .
[تنادى إبراهيم بن خالد المعطي على ابن جامع]

وقد أخبرني هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال : كان إبراهيم بن خالد المعطي يغني ، فدخل يوماً الحمام وابن جامع فيه ، وكان له شيء يجاوز ركبته ، فقال له ابن جامع : يا إبراهيم أتبيع هذا البغل ؟ قال : لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم ؛ فلما خرج ابن جامع من الحمام رأى ثياب المعطي رثة فأمر له بخلع من ثيابه ؛ فقال له المعطي : لو قبلت حملاني قبلت خلعتك ، فضحك ابن جامع وقال له : ما لك أحزاك الله ؟ وملك أما تدع ولعك وبطالتك وشرك ؟ ودخل إلى الرشيد فحدثه حديثه ؛ فضحك وأمر بإحضاره ، فأحضر ، فقال له : أتغني النواقيس ؟ قال : نعم ، وأغني الصلبان أيضاً . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه .

1 لا نعرف لماذا أقحم أبو الفرج هذا الخبر والذي يليه عن إبراهيم بن خالد المعطي في أخبار عطرده ، ولكن مثل هذا كثير في الأغاني .

[كان عطرّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال : كان عطرّد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يخلدُ غيرهم ، وتوفّي في خلافة المهديّ . قال : وكان يوماً يغني بين يديّ سليمان بن عليّ فغناه :

صوت

ألهُ فكم من ماجدٍ قد لها ومن كريمٍ عرضه وافِرُ
الغناء لعطرّد ثاني ثقيّل عن الهشاميّ ، فقليل له : سرّقت هذا من لحن الغريض : [من السريع]
يا ربّع سلامةً بالمتّحنى فخيّف سلّع جادك الوابلُ
فقال : لم أسرقه ولكنّ العقول تتوافق¹ ، وحلف أنّه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

يا ربّع سلامةً بالمتّحنى فخيّف سلّع جادك الوابلُ
إن تُمسّ وخشاً طالما قد تُرى وأنت معمورٌ بهم آهِلُ²
أيّام سلامةً رُعبوبةً خوّد لُعبوبٌ حبّها قاتلُ
محطوطةً المتّن هَضِيمُ الحشّا لا يطبّيها الورعُ الواعِلُ
الغناء للغريض ثاني ثقيّل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ . قال : ومن الناس من ينسّبه إلى ابن سريج .

[حبسه زبراء وإلى المدينة مع المغنّين ثم أطلقه وأطلقهم]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال³ : كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأمر بأصحاب الملاحى فحبّسوا وحبّس عطرّد فيهم ، فجلس ليغرّضهم ، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفّعوا لعطرّد ، وأخبروه أنّه من أهل الهيئة والمروءة والنّعمة والدّين ، فدعا به فخلّى سبيله ، وأمره برفع

1 ل : تتوافى .

2 طالما في ل : فبما .

3 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 65 (رقم 96) .

حوادثه إليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا ، فعاد إليه عطرده ، فقال :
أصلح الله الأمير ، أعلى الغناء حبست هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تظلمهم ، فوالله ما
أحسنوا منه شيئاً قط ؛ فضحك وخلقى سبيلهم .
[استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة]

أخبرني محمد بن يزيد وجحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن
عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمه أيوب بن إسماعيل قال : لما استخلف
الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخص إليه بعطرده المغني ؛ قال عطرده : فأقراني
العامل الكتاب وزودني نفقة وأشخصني إليه ، فأدخلت عليه وهو جالس في قصره على شفير
بركة مرصصة مملوءة خمرأ ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة ، فوالله ما تركني
أسلم عليه حتى قال : أعطرده ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا
هارون . غني :

حيّ الحمولَ بجانبِ العزلِ إذ لا يلائم شكلها شكلي
إني بحبلِك واصلٌ حيلي وبريشِ نبيلِك رائشٌ نبلي
وشمائي ما قد علمت وما نبحتُ كلابك طارقاً مثلي

قال : فغنيته إياه ، فوالله ما أتممته حتى شق حلة وشي كانت عليه لا أدري كم قيمتها ،
فتجرد منها كما ولدته أمه وألقاها نصفين ، ورمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبيئت ، علم
الله ، فيها أنها قد نقصت نقصاناً بيناً ، وأخرج منها وهو كالليت سكرأ ، فأضجع وغطى ،
فأخذت الحلة وقمت ، فوالله ما قال لي أحد : دعها ولا خذها ، فانصرفت إلى منزلي متعجباً مما
رأيت من ظرفه وفعله وطربه ، فلما كان من غدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأخبرني ، فلما
دخلت عليه قال لي : يا عطرده ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال غني :

أينهبُ عمري هكذا لم أنلُ بها مجالسَ تشفي قرَحَ قلبي من الوجدِ
وقالوا تداوِ إن في الطبِّ راحةً فعللتُ نفسي بالدواء فلم يُجدِ

فغنيته إياه ، فشق حلة وشي كانت تلتمع عليه بالذهب التماعاً احتقرت والله الأولى
عندها ، ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبيئت ، علم الله ، نقصانها ، وأخرج منها
كالليت سكرأ ، وألقي وغطى فنام ، وأخذت الحلة فوالله ما قال لي أحد : دعها ولا خذها ،
وانصرفت ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد أقيت ستوره ،
فكلمني من وراء الستور وقال : يا عطرده ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنني بك الآن
قد أتيت المدينة فقامت بي في مجلسها ومحفلها وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين فدخلت

إليه فاقترح عليّ فغنيته وأطربته فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبَه فعل وفعل ، والله يا ابن الزانية ، لئن تحركتُ شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربنّ عنقك ، يا غلام أعطه ألف دينار ، خذها وانصرف إلى المدينة ؛ فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده ، ويزودني نظرة منه وأغنيّه صوتاً ؛ فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فانصرف . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما ، علم الله ، أنني ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غناه عطرّد الوليد قد نسب في أوّل أخباره ، والثاني الذي أوّله : [من الطويل]

أيذهبُ عمري هكذا لم أنلُ بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقليل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانه أن فيه لإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة¹

[من السريع]

إن امرءاً تعناده ذكّر	منها ثلاثُ منى لَذو صبرٍ
ومواقفٌ بالمشعرَيْن لها	ومناظرُ الجَمَرات والنحرِ
وإفاضةُ الرُكبان خلفهم	مثلَ الغمامِ أرَدَّ بالقَطْرِ ²
حتى استلمنَ الركنَ في أنفٍ	من ليلهنَّ يطْأُن في الأُزْرِ
يقْعُدن في التَّطوافِ آونةً	ويطْفَن أحياناً على فترٍ
ففرغن من سَبْعٍ وقد جُهدتْ	أحشاؤهنَّ موائلَ الخُمِرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزومي ، والغناء في اللحن المختار للأبجر ، وإيقاعه من الثقليل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيف ثقليل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 شعر الحارث بن خالد المخزومي (جمع د . يحيى الجبوري ، 1972) : 65-66 عن الأغاني .

2 وإفاضة في ل : وأفاضت . أرَدَّ : أمطر الرذاذ .

[40] - أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه¹

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، وأُمُّها بنت أبي جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

[قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني مُصعب بن عبد الله قال : قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشرٍ من الإبل فقمره أبو لهب ، ثم في عشرٍ فقمره ، ثم في عشرٍ فقمره ، ثم في عشرٍ فقمره ، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء ، فقال له : إني أرى القداح قد حالفتك يا ابن عبد المطلب فهل أقامرك ، فأبى فمِرَ كان عبداً لصاحبه ، قال : افعَل ، ففعل . فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغصّب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتدوه مني بعشرٍ من الإبل ؛ فقالوا : لا والله ولا بوبرة ، فاسترقه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غير مُصعب : فاسترقه وأجلسه قينا يعمل الحديد . فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلاً ، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ .

[ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل]

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ؛ وولاه عبد الملك بن مروان مكة ، وكان ذا قدرٍ وخطيرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدثٌ جليلٌ من وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول :

[من الكامل]

رَحَلَ الشَّبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرْحَلْ	وَعَدَا لَطِيفَةً ذَاهِبٍ مُتَحَمِّلٍ
وَلَيْ بَلَا ذَمٍّ وَغَادِرٍ بَعْدَهُ	شَيْئاً أَقَامَ مَكَانَهُ فِي الْمَنْزِلِ
لَيْتَ الشَّبَابَ تَوَى لَدِينَا حَقَبَةً	قَبْلَ الْمَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلْ

فُنْصِبَ مِنْ لَذَائِهِ وَنَعِيمِهِ كَالْعَهْدِ إِذْ هُوَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
وفيه غناء .

[كان أبو عمرو بن العلاء يسأله عن بعض الحروف]

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قال معاذ بن
العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو إذا لم يَحْجُجْ استَبْضَعَنِي بعض الحروف أسأل عنها
الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وأتيه بجوابها ؛ قال : فَقَدِمْتُ عليه سنة
من السنين وقد ولّاه عبد الملك بن مروان مكة ، فلما رآني قال : يا مُعَاذُ ، هاتِ ما معك من
بضائع أبي عمرو ، فجعلتُ أعجبُ من اهتمامه بذلك وهو أمير .
[هو أحد شعراء قريش الخمسة]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن
أحمد بن سعيد عن الزبير ، ولفظه أتمّ ، قال حدثني محمد بن الضحّاك الحزامي قال : كانت العرب
تُفَضِّلُ قريشاً في كلّ شيء إلا الشعر ، فلما نَجَمَ في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد
المخزومي والعرجي وأبو دهل وعبيد الله بن قيس الرقيّات ، أَقَرَّتْ لها العرب بالشعر أيضاً .
[تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعرهما]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز
قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال : تفاخر مولى لعمر بن أبي
ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعرهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإن
مولاك والله لا يعرف المنازل إذا قلبت ، يعني قول الحارث¹ :
[من الكامل]

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَوَوَّدَهَا الْعُقْلُ
لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِينَهَا سُفْلاً وَأَصْبَحَ سُفْلاًهَا يَغْلُو
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيُرْدُهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال عمر بن شبة : وحدثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحوِّ ما ذكره أبو غسان ، وزاد فيه :
فقال مولى بن أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحَسِّنُ مولاك في شعرٍ إلاَّ نَسِبَ إلى مولاي .
قال ابن سلام : وأنشد الحارثُ بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلّها حتى انتهى
إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال له ابنُ عمر: قُلْ: إن شاء الله ؛ قال: إذا يفسدُ بها الشعر يا عمّ ، فقال له: يا ابن أخي ، إنّه لا خيرَ في شيء يُفسدُهُ «إن شاء الله» . قال عمر: وحدثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسندْها إلى أحدٍ ، وأظنّه لم يروها إلا عن محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المروزي عن إسحاق عن أبي عبيدة ، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثل الذي تقدّمه .
[فضله كثير في الشعر على نفسه]

أخبرني عمّي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا الرياشيّ قال حدثني أبو سلمة الغفاريّ عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال: كان كثيرٌ جالساً في فتية من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس ، وكان مغنياً ، فقالوا لكثير: يا أبا صخر ، هل لك أن تُسمعك غناء هذا ، فإنّه مُجيد: قال: افعلوا ؛ فدعوا به فسألوه أن يغنيهم:

صوت¹

هَلَا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ بِالْجِزْعِ مِنْ حُرُضٍ وَهَنْ بَوَالِي²
سَقِيًّا لَعَرَةً خُلَّتِي سَقِيًّا لَهَا إِذْ نَحْنُ بِالْهَضْبَاتِ مِنْ أُمْلَالٍ³
إِذْ لَا تَكَلَّمْنَا وَكَانَ كَلَامُهَا نَفَلًا نُوَمِّلُهُ مِنَ الْأَنْفَالِ
فَغَنَّا ، فَطَرِبَ كَثِيرٌ وَارْتَاخَ ، وَطَرِبَ الْقَوْمُ جَمِيعاً ، وَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَ كَثِيرٍ ، وَقَالُوا له: يا أبا صخر ما يستطيع أحدٌ أن يقول ، مثل هذا ؛ فقال: بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول:

صوت

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَوَوَّدُهَا الْعُقُلُ
لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سَفَلًا وَأَصْبَحَ سَفَلُهَا يَعْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثير الأول التي أولها:

هَلَا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ

لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وللغريض

1 ديوان كثير: 284-285 والشرط الأول فيه «أربع في معارف الأطلال» .

2 حرّض: واد عند أحد .

3 أمّال: موضع على طريق المدينة إلى مكّة .

في الأوّل والثاني ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر عنه . وفيهما لَعْلُويَةٌ رمل بالوسطى عن عمرو . وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

[تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيرين على العلويين]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : دخل أشعب مسجد النبيّ ﷺ فجعل يطوف الحلق ، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتِي في مسألة ؛ فبينما هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنَدٌ إلى سارية وبين يديه رجلٌ عُلُويّ ، فخرج أشعب مبادراً ؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتطوافه : أوجدت من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكنني علمتُ ما هو خير لي منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدِّلَتْ أَعْلَى مساكنها سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُها يعلو
رأيتُ رجلاً من ولد الزُّبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفَى هذا عَجَبًا ، فانصرفت .

[كان مروائياً وكلّ بني مخزوم زبيرية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة ، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشَّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّان ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيّوب سليمان بن أيّوب المدنيّ قال حدّثنا مُصعب الزبيريّ ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني عمّي ، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر : أن بني مخزوم كلّهم كانوا زبيرية سوى الحارث بن خالد فإنّه كان مروائياً .

[ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحججه وجفاه]

فلَمّا وليّ عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفَدّ عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين ؛ وقال مصعب في خبره : بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلَمّا انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جَفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يَصِلُ إليه ، فانصرف عنه وقال فيه ¹ :

[من الطويل]

صَحِيَّتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا
وما بي وإن أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضَرَاعَةٍ ولا افتقرتُ نَفْسِي إِلَى مِنْ يَضِيمُهَا
هذا البيت في رواية ابن المرزبان وحده :
عَطَفْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْمَا بِكَفِّكَ بَوْسِي أَوْ عَلَيْكَ نَعِيمُهَا
[عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة]

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعرَ ، فأرسل إليه مَنْ رَدَّهُ مِنْ طَرِيقِهِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ :
حَارِ ، أَخْبِرْنِي عَنْكَ : هَلْ رَأَيْتَ عَلَيْكَ فِي الْمَقَامِ بِيَايَ غَضَاضَةً أَوْ فِي قَصْدِي دَنَاءَةً ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ ؟ قَالَ : جَفَوَةٌ ظَهَرَتْ لِي ، كُنْتُ حَقِيقًا بِغَيْرِ
هَذَا ، قَالَ : فَاخْتَرْ ، فَإِنْ شِئْتَ أُعْطِيْتُكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَوْ قَضَيْتُ دَيْنَكَ ، أَوْ وَلَيْتُكَ مَكَّةَ سَنَةً ،
فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا . فَحَجَّ بِالنَّاسِ¹ وَحَجَّتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ عَامِئِدٍ ، وَكَانَ يَهُوَاهَا ، فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ : أُخِّرِ
الصَّلَاةَ حَتَّى أُفْرَغَ مِنْ طَوَافِي ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ فَأَخْرَجُوا الصَّلَاةَ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا ، ثُمَّ أُقِيمَتِ
الصَّلَاةُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، وَأَتَكَرَّ أَهْلُ الْمَوْسَمِ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ وَأَعْظَمُوهُ ، فَعَزَلَهُ وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَوْمُهُ فِيمَا
فَعَلَ ؛ فَقَالَ : مَا أَهْوَنَ وَاللَّهِ غَضَبُهُ إِذَا رَضِيَتْ ! وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَفْرَغْ مِنْ طَوَافِهَا إِلَى اللَّيْلِ لَأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ
إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا قَضَتْ حَجَّهَا أُرْسِلَ إِلَيْهَا : يَا ابْنَةَ عَمِّي أَلَمْ يَبْنِ أَوْعِدِينَا مَجْلِسًا نَتَحَدَّثُ فِيهِ ؛
فَقَالَتْ : فِي غَدٍ أَفْعَلُ ذَلِكَ ، ثُمَّ رَحَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا ؛ فَقَالَ الْحَارِثُ فِيهَا² :
[من الكامل]

صوت

مَا ضُرُّكُمْ لَوْ قَلْتُمْ سَدَدًا إِنَّ الْمَطَايَا عَاجِلٌ غَدَا
وَلَهَا عَلَيْنَا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَسْنَا عَلَى الْأَيَّامِ نَجْجِدُهَا
لَوْ تَمَّتْ أَسْبَابَ نِعْمَتِهَا تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُهَا

لمعبد في هذه الأبيات ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ وَيُونُسَ وَدَنَانِيرَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ
إِسْحَاقُ فَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ مُحَرَّزٍ ثَقِيلًا أَوَّلٌ فِي أَصْوَاتٍ قَلِيلَةٍ الْأَشْبَاهَ ؛ وَقَالَ عَمْرِو بْنُ بَانَةَ : مِنَ النَّاسِ
مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْغَرِيضِ .

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

وما بي وإن أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضَرَاعَةٍ ولا افتقرتُ نَفْسِي إِلَى مِنْ يُهِنُهَا

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 6 : 179 (رقم 489) .

2 شعر الحارث بن خالد : 57-58 .

بلى بأبي إني إليك لضارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يزينها
 البيت الأول للحارث بن خالد ، والثاني ألحق به . والغناء للغريض ثقیلٌ أولٌ بالوسطى عن
 ابن المكي . وذكر الهشامي أن لحن الغريض خفيف ثقیلٌ في البيت الأول فقط ، وحكى أن
 قافيته على ما كان الحارث قاله :

ولا افتقرت نفسي إلى من يضيئها
 وأن الثقیل الأول لمُلية بنت المهدي ، ومن غنائها البيت المضاف . وأُخِلقُ بأن يكون الأمر
 على ما ذكره ، لأن البيت الثاني ضعيفٌ يشبه شعرها .
 [قوله عندما تزوج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة
 قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى قال : لما تزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة
 ورحل بها إلى العراق ، قال الحارث بن خالد في ذلك ¹ :

صوت

[من الكامل]

ظعن الأمير بأحسن الخلق	وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن	أهل التقى والبر والصدق
فظللت كالمقهور مهجته	هذا الجنون وليس بالعشيق
أترجئة عبق العبير بها	عبق الدهان بجانب الحق
ما صبحت أحدا برويتها	إلا غدا بكواكب الطلق

وهي أبيات ، غنى ابن مُحرز في البيتين الأولين خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى
 عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانه أن فيهما لملك ثقیلاً بالوسطى ، وذكر حبش أن فيهما
 لملك رملًا بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيهما للدلال ثاني ثقیل بالنصر ، ولابن سريج
 ومالك رملين ، ولسعید بن جابر هزجاً بالوسطى .
 [استأذن على عائشة فوعده وخرجت من مكة]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن
 محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال : لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن
 خالد وهو أمير على مكة : إني أريد السلام عليك ، فإذا خفت عليك أذنت ، وكان الرسول
 الغريض ، فقالت له : إنا حرم ، فإذا أحللنا أذنك ، فلما أحلت سرت على بغلاتها ، ولحقها

الغريض بعُصفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث إليها :

ما ضُرِّكم لو قَلْتُمْ سَدَّادُ

الآيات المذكورة ؛ فلَمَّا قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدْعُ الحارث باطلَه ؛ ثم قالت للغريض : هل أحدثتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي ، ثم اندفع يغني في هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدَّادُ ، ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه ؛ وأتى على الشعر كله ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زدني ، فغناها في قول الحارث بن خالد أيضاً¹ :

زَعَمُوا بَأْنَ الْبَيْنِ بَعْدَ غَدٍ فَالْقَلْبُ مِمَّا أَحَدَتُوا يَجِفُ
وَالْعَيْنُ مِنْذُ أَجَدَ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الْجُمَانِ دُمُوعُهَا تَكِفُ
وَمَقَالُهَا وَدُمُوعُهَا سُجْمٌ أَقْلِلْ حَنِينَكَ حِينَ تَنْصَرِفُ
تَشْكُو وَنَشْكُو مَا أَشْتَبَ بِنَا كُلُّ بَوْشَكِ الْبَيْنِ مُعْتَرِفُ

إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أولُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشامي ، ولم يذكر له حمادٌ طريقاً .

[غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة]

قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقي عليك أهو أَمَرَكُ أن تغنيَني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحياتِكَ يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غَنِّي في شعرٍ غيره ؛ فغناها قول عمر فيها² :

صوت

[من الخفيف]

أَجْمَعْتُ خُلَّتِي مَعَ الْفَجْرِ بَيْنَا جَلَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجَةَ زَيْنَا
أَجْمَعْتُ بَيْنَهَا وَلَمْ نَكُ مِنْهَا لَذَّةَ الْعَيْشِ وَالشَّابَابِ قَضِينَا
فَنَوَلْتُ حُمُولُهَا وَاسْتَقَلَّتْ لَمْ نَنْلُ طَائِلًا وَلَمْ نُقْضَ دَيْنَا
وَلَقَدْ قَلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَمَّا أُرْسِلَتْ تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيْنَا
أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي أُر سِيلَ وَالْمُرْسِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن

1 شعر الحارث بن خالد : 70-71 . وتنسب هذه الآيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه : 258 ، 259) .

2 ديوان عمر : 435 .

إسحاق ، وغيره ينسبُه إلى ابن سريج . وفيه لمبعدٍ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وأظنه هذا للحن ، قال : فضجِكتُ ثم قالت : وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا ، وبابن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لممّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنيها هذا الصوتَ لأنّه قد كان ترك ذكرها لما غصبت بنو تيم من ذلك ، فلم يحبّ التصريح بها وكرةً إغفال ذكرها ؛ وقال له عمر : إن أبْلغَتْها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم ، فوفّى له بذلك ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى .
[غنى الغريض عاتكة بنت يزيد]

ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وكانت قد حجّت في تلك السنة ، فقال لها جواربها : هذا الغريض ؛ فقالت لهنّ : عليّ به ، فجيء به إليها . قال الغريض : فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر ، فقصصته¹ عليها ؛ فقالت : غنّني بما غنّيتها به ، ففعلتُ فلم أرها تهشّ لذلك ، فغنّيتها مُعرّضاً لها ومذكراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحْكان السّعديّ يُخاطب امرأته وقد نزل به أضيافٌ :
[من البسيط]

أقولُ والضيّفُ مخشّي دَمائمه على الكريمِ وحقّ الضيفِ قد وجبا

صوت

[من البسيط]

يا ربّة البيتِ قومي غيرَ صاغرة ضمّي إليك رجالَ القومِ والقربا
في ليلةٍ من جمادى ذاتِ أُندِيّة لا يُبصر الكلبُ من ظلماتها الطُّنبا
لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدة حتى يُلَفَّ على خيشومه الذُّنبا
الشعر لمُرّة بن مَحْكان السّعديّ ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان ، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانه رَمَلاً بالوسطى ، والآخَر في كتاب الهشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخَر ثاني ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ . قال : فقالت وهي متبسّمة : قد وجبَ حقّك يا غريض ، فغنّني ؛ فغنّيتها :
[من الكامل]

صوت

يا دهرُ قد أكثرَ فجَعنّا بسرّاتنا ووَقَرْتَ في العَظْمِ
وسَلَبْتنا ما لستَ مُخْلِفه يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكْمِ
لو كان لي قرنٌ أناضِله ما طاشَ عندَ حَفِيظَةٍ سَهْمِي

لو كان يُعطي النصف قلتُ له أحرزت سهمك قاله عن سهمي
 فقالت : نُعطيك النصف ولا نُضيع سهمك عندنا ، ونُجزل لك قِسمك ، وأُمرتُ لي
 بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنِيَّة وغير ذلك من الألفاف ، وأُتيتُ الحارث بن خالد فأخبرته
 الخبر وقصصتُ عليه القصة ؛ فأمر لي بمثل ما أُمرتا لي به جميعاً ، فأُتيتُ ابن أبي ربيعة
 وأعلمته بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك ، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثل ما
 انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة وهما من أجمل نساء عالمهما ، وبما أُمرتا لي
 به ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة ، وابن أبي ربيعة ، وما أجازاني به جميعاً من المال .
 [استأذن عائشة بنت طلحة في الزيارة فوعده ثم هربت]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو الحسن المُرُوزِيّ قال حدثنا محمد بن
 سلام عن يونس قال : لما حجّت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير
 مكة : أنعم الله بك عيناً وحيآك ، وقد أردتُ زيارتك فكريهتُ ذلك إلا عن أمرك ، فإن
 أذنتَ فيها فعلتُ ؛ فقالت لمؤلاة لها جَزَلَةٌ : وما أُرِدُّ على هذا السفيه ؟ فقالت لها : أنا
 أكفيك ، فخرجتُ إلى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : وأنت أنعم الله
 بك عيناً وحيآك ، نقضي نُسُكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قومي
 فطوفي واسعي واقضي عُمرَتك واخرجي في الليل ، ففعلت ؛ وأصبح الحارث فسأل عنها
 فأخبر خبرها ، فوجه إليها رسولاً بهذه الأبيات ، فوجدتها قد خرجت عن عمل مكة ،
 فأوصل الكتاب إليها ، فقالت لمولاتها : خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته ، فأخذته وقرأته
 وقالت له : ما قلنا إلا سَكْداً وأنت فارغ للبطالة ، ونحن عن فراغك في شغل .
 [سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ
 وإسماعيل بن يونس الشَّيعِيّ قالوا حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :
 زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضَّحَّاك بن قيس الفهريّ قال : قديم المدينة قادم من مكة
 فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكة ، فقالت : فما
 فعل الأعرابي ؟ فلم يفهم ما أرادت ، فلمّا عاد إلى مكة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟
 قال : من المدينة ، قال : فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعمّاذا سألتك ؟
 قال : قالت لي : ما فعل الأعرابي ؟ قال له الحارث : فعُدَّ إليها ولك هذه الراحلة والحلّة ونفقتك
 لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة ، وكتب إليها فيها¹ :
 [من البسيط]

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قمنا¹
إذ نلبس العيش صفوا ما يكدره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
قال إسحاق : وزادني غير كلثوم فيها :

ليت الهوى لم يقرّني إليك ولم أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن²
غنى في هذه الأبيات ابن مُحَرِّز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن
إسحاق ، وذكر يونس أنّ فيها لحناً ولم يُجنّسه ، وذكر عمرو أنّ فيه لبابويه ثاني ثقيل
بالبنصر .

[غضب على الغريض ثم رق له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام ، قال : لما ولّى عبدُ الملك بن
مروان الحارث بن خالد المخزوميّ مَكَّةَ بعث إلى الغريض فقال له : لا أُرِيكَ في عملي ، وكان
قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يُجيبه ، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف ، وبلغ ذلك الحارث
فرق له فردّه وقال له : لِمَ كنت تُبغضنا وتهجر شعرتنا ولا تُقرّبنا ؟ قال له الغريض : كانت
هفوة من هفوات النفس ، وخطرة من خطرات الشيطان ، ومثلك وهب الذنب ، وصفح عن
الجُرم ، وأقال العثرة ، وغفر الزلّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبداً ؛ قال : وهل غيّت في شيء
من شعري ؟ قال : نعم ، قد غيّت في ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هات ما غيّت ،
فغيّت³ :

[من البسيط]

صوت

بانّ الخليطُ فما عاجوا ولا عدلوا إذ ودّعوك وحتّ بالنوى الإبل¹
كأنّ فيهم غداة البين إذ رحلوا أذماء طاع لها الحوذان والنفل²

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ وحّش ؛ قال حبّش : وفيه لابن سريج
خفيف رمل بالبنصر ، وإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ، فقال له : أحسنت والله يا غريض ،
هات ما غيّت فيه أيضاً من شعري ، فغناه في قوله³ :

[من البسيط]

1 الأقحوانة : موضع قريب من مَكَّة .

2 شعر الحارث بن خالد : 79 .

3 شعر الحارث بن خالد : 60 .

صوت

يا لَيْتَ شعري وكم من مُنيّة قُدرتُ وَفَقَا وأُخرى أتى من دونها القَدْرُ
ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ له طَيِّ الحِمَالَةِ لا جافٍ ولا فَقِيرُ
له شَبِيهان لا تَقْصُرُ يَعْبِيهما بَحِثْ كانا ولا طُولٌ ولا قِصْرُ
لم أُعْرِفْ لهذا الشعر لَحْنًا في شيء من الكتب ولا سَمِعْتُهُ ، فقال له الحارث : أحسنت والله
يا غريض ، إِيه ، وماذا أيضًا ؟ فغَنَاهُ قوله¹ :
[من الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ فما بها أَهلُ حُرَّانُها وِدِمائُها السَّهْلُ
إِنِّي وما نَحْروا غِداةَ مِنِّي عِنْدَ الجِمارِ تَوُدُّها العُقْلُ
الآيات المذكورة وقد مضت نِسْبَتُها معها ، فقال له الحارث : يا غريض لا لَوْمَ في حَبِّكَ ،
ولا عَذْرَ في هَجْرِكَ ، ولا لَذَّةَ لِمَن لا يروِّحُ قلبه بك ، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مَكَّةَ حَظًّا
إِلَّا أَنْتَ لكان حَظًّا كافياً وافياً ، يا غريض إِنما الدنيا زينة ، فَازَيْنُ الزينة ما فَرَّحَ النفسَ ، ولقد فَهِمَ
قَدَرَ الدنيا على حقيقته من فَهِمَ قَدَرَ الغناء .

[نقدت سَكينة بنت الحسين بيتاً من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيريّ قال : أنشِدتُ سَكينة بنت
الحسين قول الحارث بن خالد :

فَفَرَّغَن من سَبْعٍ وقد جُهِدت أَحْشاؤُهنَّ موائِلَ الخَمْرِ
فَقالت : أَحَسَنُّ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم ، فقالت : وما حُسْنُهُ ؟ فوالله لو طافت الإبل
سَبْعاً لَجُهِدت أَحْشاؤُها .

[سئل عما يمنعه من عائشة بعد موت زوجها]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال : لما مات عمر بن عبد الله
التَّيْمِيُّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما
يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أن نسيبي بها كان لشيء من الباطل .
[تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحج]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن
الأعرابيّ قال : لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شَغِلَ عن أن يولِّيَ على الحجِّ
رجلاً ، وكان الحارث بن خالد عامِلَه على مَكَّةَ ، فخرج أَبان بن عثمان من المدينة وهو عامِله
عليها ، فعدا على الحارث بمَكَّةَ لِيَحْجَّ بالناس ؛ فنازعه الحارث وقال له : لم يأتني كتابُ أمير

المؤمنين بتوليّتك على الموسم ، وتغالبا فغلبه أبان بن عثمان بنسبه ، ومال إليه الناس فحجّ بهم ؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك ¹ :

[من الطويل]

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شيب
وكاد غداة الدّير يُنفذ حِصْنَه غلام بطعن القرن جدّ طيب
وأنسوه وصف الدّير لما رآهم وحسن خوف الموت كل معيب

فلقيّه الحجاج بعد ذلك ، فقال : ما لي ولك يا حارث ! أينازعك أبان عملاً . فذكرني ؟ فقال له : ما اعتمدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته ، قال : والله ما فعلت ، فقال له الحارث : المَعذرة إلى الله واليك أبا محمد .

[قال هشام حين سمع شيئاً من شعره : هذا كلام معاني]

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى القرويّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدّب لبني هشام بن عبد الملك قال : بينا أنا ألقى على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدتهم شعر الحارث بن خالد :

إن امرءاً تعتاده ذكراً منها ثلاث مني ل ذو صبر
وهشام مُصنّع إليّ حتى ألقى عليهم قوله :

[من الكامل]

ففرغن من سنع وقد جُهدت أحشاؤهنّ موائل الخمر
فانصرف وهو يقول : هذا كلامُ معاني .

[شعره عندما قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدّثني أبو عبد الله السدوسيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قدّمت عائشة بنت طلحة مكة تريد العمرة ، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكنه كلامها حتى خرجت ، فأنشأ يقول ، وذكر في هذه الأبيات بسرة حاضيتها وكنى عنها ² :

[من مجزوء الكامل]

صوت

يا دار أقفر رسمها بين المخصب والحجون
أقوت وغير آيها مرّ الحوادث والسنين

1 شعر الحارث بن خالد : 46-47 .

2 شعر الحارث بن خالد : 106-107 .

واستبدلوا ظَلَفَ الحجا زَ وَسْرَةَ البلد الأمين
يا بُسْرَ إِنِّي فاعلمي باللهِ مجتهداً يميني
ما إن صرمتُ حبالكم فصلي حبالِي أو ذريني

في هذه الأبيات ثاني ثقل للملك بالنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ ، قال : وفيها لابن مِسْجَح ثقلٌ أول ، وذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالنصر ؛ فيها لمبعد ثقلٌ أول بالوسطى عن حَبَشٍ .

[شِبب بزوجه أم عبد الملك]

أخبرني الطُوسِيّ والحِزْمِيّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَار قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مصعب بن عُرْوَة بن الزُّبَيْر ، وأخبرني به محمد بن خَلْف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ قال : كانت أُمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد ، فولدت منه فاطمة بنت الحارث ، وكانت قَبْلَهُ عند عبد الله بن مُطِيع ، فولدت منه عمران ومحمدًا ، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران¹ :

يا أُمُّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحْتُ بِي الصبايَةُ حتى شَفَّني الشَّقُّ
القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقِيكم كما يتوقُ إلى مَنْجَاته العَرَقُ
تُبِيل نَزراً قليلاً وهي مُشْفِقَةٌ كما يخافُ مَسِيسَ الحَيَةِ الفَرَقُ

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجلٌ يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مُطِيع هذا الشعر ، ثم فَطِنَ فأمسك ؛ فقال له : لا عليك ، فإنّها كانت زوجته . وقال ابن المرزبان في خبره : فقال له : امض رَحِمَك الله وما بأس بذلك ، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفتاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ ، فكان ماذا ؟ .

[شِبب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمره]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّمِيمِيّ عن أبي شُعَيْب الأُسْدِيّ عن القَحْذَمِيّ قال : بينا الحارث بن خالد واقف على جمره العَقَبَة إذ رأى أُمُّ بكر وهي ترمي الجمره فرأى أحسنَ الناس وجهاً ، وكان في خَدِّها خالٌّ ظاهر ، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رَحْلَهَا ، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث ، فأذنت له ، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيّامُ الحجّ ، فأرادت الخروج إلى بلدها ، فقال فيها² : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 72-73 .

2 شعر الحارث بن خالد : 53-54 عن الأغاني .

ألا قل لذات الخال يا صاح في الخد
ومنها علامات بمجرى وشاحها
وترعى من الود الذي كان بيننا
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزني
وجودي عليّ اليوم منك بنائل
فمن ذا الذي يُيدي السرور إذا دنت
دنوكم منا رخاء ناله
كثير إذا تدنو اغتباطي بك النوى
أقول ودمعي فوق خدي مُخَضِّل
لقد منح الله البخيلة ودناً

[شَبَّ بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة]

أخبرني محمد بن خلف قال وحدثت عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال : طافت
ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة ، فرآها
الحارث بن خالد فقال فيها¹ :

أطافت بنا شمسُ النهار ومن رأى
أبو أمها أوفى قريشٍ بذمة
وفيها يقول² :

أمن طللٍ بالجزع من مكة السدر
ظلمت وظلّ القوم من غير حاجة
يُبْكُون من ليلى عهداً قديمة
وماذا يُكيّ القوم من منزلٍ قفر

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقل بالخنصر والبصر عن يحيى المكي ، وذكر
غيره أنه للغريض . وفي ليلى هذه يقول ، أنشدناه وكيع عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن
المنذر الحزامي للحارث بن خالد ، وفي بعض الأبيات غناء³ :

1 شعر الحارث بن خالد : 71-72 .

2 شعر الحارث بن خالد : 66-67 .

3 شعره : 115-117 وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه 95-96) .

صوت

لقد أرسلت في السرِّ ليلى تلومني وترعُمني ذا مَلّةٍ طَرفاً جَلداً
وقد أخلفتنا كلَّ ما وعدتْ به ووالله ما أخلفتها عامداً وعدداً
فقلتُ مُجيباً للرسولِ الذي أتى تُراه ، لكَ الويلاتُ ، من قولها جدّاً ؟
إذا جئتها فاقَرِ السلامَ وقُلْ لها دعي الجورَ ليلى واسلُكي منهُجاً قصداً
أفي مُكثنا عنكم ليالٍ مرَضتُها تَزيدُني ليلى على مَرَضِي جَهداً
تَعْدِين ذنباً واحداً ما جنيتُهُ عليّ وما أُحصي ذنوبكمُ عَداً
فإن شئتِ حرَمْتُ النساءِ سِواكمُ وإن شئتِ لم أَطعم نُفاحاً ولا بَرداً
وإن شئتِ غُرنا بعدكم ثم لم نزل بمكّةَ حتى تَجلسي قابلاً نَجداً

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . وذكر ابن المكيّ أن فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره . وفيه ثقيلٌ أولٌ للأبجر عن يونس والهشامي . وفيه لابن سريج رمل بالبصر . ولعرار خفيف ثقيل عن الهشاميّ وحَبَش .

[غلبه أبان بن عثمان على الصلاة]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال : كان الحارث بن خالد والياً على مكّة ، وكان أبان بن عثمان ربّما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلّي بالناس ويُقيمَ لهم حَجّهم ، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابه ولم يأتِ الحارث كتابٌ ، فلمّا حضر الموسم شخّص أبان من المدينة ، فصلّى بالناس وعاونته بنو أميّة ومواليهم فغلب الحارث على الصلاة ، فقال :

فإن تنج منها يا أبانُ مسلماً فقد أفلتَ الحجاجَ خيلُ شبيب

فبلغَ ذلك الحجاجَ فقال : ما لي وللحارث ! أيعليّه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا ؟ ما ذكّره إياي ؟ فقال له عبيد بن موهب : أتأذن أيها الأمير في إجابته وهجائه ؟ قال : نعم ؛ فقال عبيد :

أبا وإبصر رَكْبَ علانك والتَمِس مكاسيها إن اللقيمَ كَسوبُ
ولا تذكّر الحجاجَ إلّا بصالح فقد عِشتَ من معروفه بذنوب¹
ولست بوالٍ ما حييت إمارةً لمُستخلفٍ إلّا عليك رقيبُ

[سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحبّ إليه فأجاب وقال شعراً]

قال المدائني : وبلغني أنّ عبد الملك قال للحارث : أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قال : ما حسنت فيه حالي وعرض وجهي ، ثم قال :

[من الطويل]

لا كُوفَة أُمّي ولا بَصْرَة أبي ولستُ كمن يثنيه عن وجهه الكسلُ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعره]

منها في تشبيب الحارث بأمراته أمّ عمران :

[من البسيط]

صوت

بَانَ الْخَلِيطُ الَّذِي كُنَّا بِهِ نَشْقُ بَانُوا وَقَلْبُكَ مَجْنُونٌ بِهِمْ عَلِقُ
تُبِيلُ نَزْرًا قَلِيلًا وَهِيَ مُشْفِقَةٌ كَمَا يَخَافُ مَسِيسَ الْحَيَّةِ الْفَرْقُ
يَا أُمّ عِمْرَانَ مَا زَالَتْ وَمَا بَرَحَتْ بِيَّ الصَّبَابَةِ حَتَّى شَفَنِي الشَّفَقُ
لَا أَعْتَقَ اللَّهُ رَقِي مِنْ صَبَابَتِكُمْ مَا ضَرَّنِي أَنْتَنِي صَبٌّ بِكُمْ قَلِقُ
ضَحِكْتَ عَنْ مُرْهَفِ الْأَنْيَابِ ذِي أُشْرِ لَا قَضَمَ فِي ثَنَائِهِ وَلَا رَوْقُ
يَتَوَقُّ قَلْبِي إِلَيْكُمْ كِي يَلَاقِيَكُمْ كَمَا يَتَوَقُّ إِلَى مَنْجَاتِهِ الْغَرْقُ

غنى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ولسلّسل في الأول والثاني ثقيل أول مطلق عن الهشامي ، ولابن سريج في الثاني والأول والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وللهدلي في الثاني ثم الأول هزج عن الهشامي . وذكر حبش أنّ فيها لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن محرز ثاني ثقيل آخر بالبنصر . وذكر الهشامي أنّ لابن سريج في الأبيات خفيف رمل .

ومما يغنى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُسرَة جارتها¹ :

[من الكامل]

صوت

يَا رِنَعْ بُسْرَة بِالْجَنَابِ تَكَلَّمْ وَأَبْنُ لَنَا خَيْرًا وَلَا تَسْتَعْجِمْ

1 شعر الحارث بن خالد : 97-98 عن الأغاني .

ما لي رأيتك بعد أهلك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدّم
تسبي الضجيع إذا النجوم تغورت طوع الضجيع أنيقة المتوسّم
قُب البطون أو انس مثل الدُمى يخلطن ذاك بعفة وتكرّم
الغناء لمعد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والآيات أكثر من هذه إلا
أنّي اعتمدتُ على ما غنيّ فيه .

ومنها صوتٌ قد جمعتُ فيه عدّة طرائق وأصوات في أبياتٍ من القصيدة¹ : [من الكامل]

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدي وبُدل آيهن دُثورا
وتبدلت بعد الأنيس بأهلها عُفراً بواغم يرتعين وُعورا
من كل مضية الحديث ترى لها كفلاً كراية الكئيب وثيرا
دع ذا ولكن هل رأيت طعائناً قرّين أجمالاً هنّ بُكورا
قرّين كلّ مُحيسٍ متحمّل بُزلاً تشبه هامهن قُبورا
يفتنّ لا يألون كلّ مغفلٍ يملأه بحديثهن سرورا
يا دارُ حسرّها البلى تحسيرا وسفت عليها الريح بعدك بُورا
دقّ التراب نخله فمخيم يعراصها ومُسير تسيرا
يا ربّع بُسرة إن أضربك البلى فلقد عهدتْك أهلاً معمورا
عقب الرذاذ خلافهم فكأنّما بسط الشواطِبُ بينهنّ حصيرا²
إن يُمسرّ جبلك بعد طول تواصلٍ خلقاً ويصبح يبتكم مهجورا
فلقد أرايتي ، والجديدُ إلى بلى ، زمناً بوصلك قانعا مسرورا
جذلاً بمالي عندكم لا أبتغي للنفس غيرك خلّة وعشيرا
كنت المنى وأعزّ من وطىء الحصا عندي وكنّتُ بذالك منك جديرا

غنى في الأوّل والثاني من هذه الآيات معبد ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالنصر عن عمرو ، مطلقٌ
في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فيه ثقيلٌ أوّلُ بالنصر عن عمرو ، وإسحاق
فيهما ثاني ثقيل ، وإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفٌ ثقيلٌ بالسبابة والوسطى عن ابن المكّي ،
وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى

1 شعر الحارث بن خالد : 60-63 .

2 الشواطِب : جمع شاطبة ، وهي المرأة التي تشقّ الجريد لتعمل منه الحصير . بينهنّ في ل : فوهنّ .

الوسطى عن إسحاق ، وغنى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفٌ ثَقِيلٌ بالسَّبابة والوسطى
عن يحيى المكيّ ؛ وفيها ثاني ثَقِيلٌ يُنسَبُ إلى طُوَيْسَ وابنِ مِسْجَحَ وابنِ سُرَيْجَ ، ولَمَّا لَكَ في
التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيفٌ ثَقِيلٌ بالسَّبابة والوسطى عن يحيى المكيّ ،
وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسَّبابة والوسطى عن يحيى أيضاً ، وليحيى المكيّ في الحادي
عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثَقِيلٌ ، وإبراهيم فيها بعينها ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشاميّ ،
وفيها لإسحاق رمل ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخليدة المكية خفيف رمل عن الهشاميّ أيضاً .
ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أولها¹ :

[من البسيط]

هل تعرف الدار أضحت أيها عجمًا	كالرق أجري عليها حاذق قلما
بالخيف هاجت شؤونا غير جامدة	فانهلت العين تذرني واكفا سَجَمًا
دار لبسرة أمست ما تكلمنا	وقد أبنت لها لو تعرف الكَلَمَا
وها لبسرة لو يدنو الأمير بها	يا ليت بسرة قد أمست لنا أَمَّا

صوت

حَلَّتْ بِمَكَّةَ لَا دَارَ مُصَاقِبَةٍ هِيَاهُ جَيْرُونَ تَمَنِّي سَكَنَ الْحَرَمَا
يَا بُسْرُ إِنَّكُمْ شَطُّ الْبِعَادِ بِكُمْ فَمَا تُنِيلُونَا وَصَلًا وَلَا نَعْمَا
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْهَذَلِيَّ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَطْطَى ، وَفِيهِمَا لِيَحْيَى الْمَكِّيَّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بِالْبَنْصَرِ ، جَمِيعًا مِنْ رَوَايَتِهِ :

[من البسيط]

قَدْ قُلْتُ بِالْخَيْفِ إِذْ قَالَتْ لِحَارَتِهَا أَدَامَ وَصَلُ الَّذِي أَهْدَى لَنَا الْكَلِمَا

صوت

[من البسيط]

لَا يُرْغِمُ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ	بَلْ أَنْفُ شَانِيكَ فِيمَا سَرَّكَ رَغْمَا
إِنْ كَانَ رَابِلُ شَيْءٍ لَسْتُ أَعْلَمُهُ	مَنْ فِهْذِي يَمِينِي بِالرَّضَى سَلَمَا
أَوْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ شَيْئًا مِثْلَ حَبْكُمُ	فَلَا أُرَحْتُ إِذَا أَهْلًا وَلَا نَعْمَا
لَا تَكْلِينِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحُمُنِي	وَقَاكِ مَنْ تُبْغِضِينَ الْخُتَفَ وَالسَّقَمَا
إِنْ الْوُشَاةُ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمْ	لَا يَرْقُبُونَ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمَمَا

غنى ابن محرز في :

لا يُرغمُ الله أنفاً أنت حامله

خفيف ثقيل بالبصر ، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش ؛ وفي :

لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أول بالبصر عن حبش والهشامي .

[آخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير قال : أذن المؤذن يوماً وخرج الحارث بن خالد إلى الصلاة ، فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة : إنه بقي علي شيء من طوافي لم أتمه ، ففقد وأمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها ؛ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فعزله وولى مكة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وكتب إلى الحارث : ويلك ، أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت ؛ وقال في ذلك ¹ : [من الخفيف]

لم أرَ حَبَّ بَأَن سَخِطَ ولكن	مرحباً أن رَضِيتِ عَنَّا وأهلاً
إنَّ وجهاً رأيته ليلة البد	ر عليه انثنى الجمال وحلاً
وجهها الوجه لو يُسألُ به المُر	ن من الحسن والجمال استهلاً
إن عند الطَّوافِ حين أتمته	لجمالاً فَعَمَّا وخُلُقاً رِفلاً
وكُسِينَ الجمالَ إن غِبْنَ عنها	فإذا ما بدتْ لهنَّ اضمحلاً

[الغناء في شعره]

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كل ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ،

[من الخفيف]

وهو :

صوت

أثَلْ جُودِي على المتيم أثلاً	لا تزيدني فؤاده بك خَبلاً
أثَلْ إني والراقصاتِ بجمَع	يتبارين في الأزمة فُتلاً
سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ	بين أيدي المطي حَزناً وسَهلاً
والأكفُ المضمرات على الرك	من بشعثٍ سَعَوْا إلى البيت رَجلاً
لا أخونُ الصديق في السرِّ حتى	يُنْقَلُ البحرُ بالغرَابيل نَقلاً
أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ	مُرْتَقٍ قد وعى من الماء ثِقلاً

أَنعمَ اللهُ لي بهذا الوجهِ عينا وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً
حين قالت لا تفشينَّ حديثي يا ابن عمِّي أقسمت قلت أجلّ لا
أتقي الله واقبلي العذرَ مِنِّي وتجاوَيْني عن بعض ما كان زلاً
لا تصدِّي فتقتليني ظُلماً ليس قتلُ المحبِّ للمحبِّ حِلاً
ما أكن سوؤتكم به فلك العُد سبي لدينا وحقُّ ذاك وقلاً
لم أرُحِبْ بأن سَخِطتَ ولكن مرحباً أن رَضيتَ عَنَّا وأهلاً
إنَّ شخصاً رأيته ليلة البد ر عليه انشئ الجمال وحلاً
جعلَ اللهُ كلَّ أنشئ فداءً لك بل خدّها لرجلك نعلًا
وجهك البدرُ لو سألتُ به المنز نَ من الحسن والجمالِ استهلاً

غنى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثَقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولابن تَيزن في الأول والثاني ثَقيلٌ أولٌ عن إسحاق ، ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثَقيلٌ أولٌ عن الهشاميِّ وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثَقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثَقيلٍ بالنصر عن عمرو ، ولملك في التاسع إلى آخر الثاني عَشْرَ لحنٍ ذكره يونس ولم يجنِّسه ، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو ، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالنصر عن ابن المكيِّ ، ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حماد عن أبيه ولم يذكر طريقته .

ومنها¹ :

[من الوافر]

صوت

أَحَقَّ أَنْ جِيرَتَنَا اسْتَحَبَّوْا حُزُونُ الْأَرْضِ بِالْبَلَدِ السَّخَاخِ²
إِلَى عَقْرِ الْأَبَاطِحِ مِنْ ثَبِيرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَذْفَعِ ذِي مُرَاخِ³
فَتَلَكَ دِيَارَهُمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا سَوَى طَلَلِ الْمُعَرَّسِ وَالْمُنَاخِ
وَقَدْ تَغْنَى بِهَا فِي الدَّارِ حُورٌ نَوَاعِمُ فِي الْمَجَاسِدِ كَالْإِرَاخِ⁴
غنى في هذه الأبيات الغريض ، ولحنه من الثَقيل الأول بالوسطى عن الهشاميِّ .

1 شعر الحارث بن خالد : 50-51 .

2 السخاخ : الأرض اللينة .

3 هذه جميعها جبال ومواضع بمكة .

4 المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن . والإراخ : بقر الوحش .

[جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلمّا سمعت شعر الحارث طابت به نفساً]

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال : كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولّدات مكّة ، فلمّا ورد على أهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم ، وكانت السوداء أشدّهم حزناً وتسليباً وجعلت لا تمرّ بسكّة من سكك المدينة إلّا ندبته ، فلقبها بعض فتيان مكّة ، فقال لها : خفّضي عليك ، فقد نشأ ابن عمّ له يشبه شعره شعره ، فقالت : أنشيدني بعضه ، فأنشدتها قوله :

إني وما نخروا غداة مني عند الجمار توؤدّها العُقلُ
الأيّات كلّها ، قال : فجعلت تمسّح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي لم يُضَيّع حرّمه .

[ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله]

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي (جدّ عبّيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : ناضل¹ سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عبّس ، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العبسيّ فأصاب ، فقال :

أنا نَضَلْتُ الحارثَ بن خالدٍ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب ، فقال الحارث :

حَسَيْتَ نَضَلْتُ الحارثَ بن خالدٍ

ورمياً فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

مَشَيْكَ بَيْنَ الزَّرْبِ والمَرَابِدِ²

ورمياً فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

وإنّك الناقصُ غيرُ الزائدِ

فقال سليمان : أقسمتُ عليك يا حارثُ إلّا كففتَ عن القولِ والرّمي فكفّ .

1 جعلهما يتباريان في الرماية .

2 الزرب : موضع الغنم . والمريد : موضع الإبل .

[41] - أخبار الأبحر ونسبه

[اسم الأبحر وولاه]

الأبحر لقبٌ غلب عليه ، واسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ، ويُكنى أبا طالب ، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق ، وروى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه : أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية ، وهو مولى لكِنانة ثم لِنِني بَكْر ، ويقال : إنه مولى لِنِني لَيْث . [نشأته]

أخبرني عمِّي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهروية وهارون بن الزيات قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا يوماً جلوساً عند إسحاق ، ففتّنا جارية يقال لها «سَمْحَة» :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّرْ قَتَلَانَا فَهَيْتُ إِسْحَاقُ أَنْ أَسْأَلَهُ لِمَنْ الْغَنَاءُ ، فَقُلْتُ لِبَعْضٍ مِنْ كَانَ مَعَنَا : سَلْهُ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : مَا كَانَ عَهْدِي بِكَ فِي شَبِيبَتِكَ لَتَسْأَلُنَا عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : أَحَبُّهُ لَمَّا أَسْتَنْتُ ، فَقَالَ : لَا وَلَكِنْ هَذَا النَّقَبُ عَمَلُ هَذَا اللَّصِّ ، وَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى تَلَابِيي ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِذَا اشْتَهَيْتَ شَيْئاً فَسَلْ عَنْهُ ، أَمَا لَأُعْطِيَنَّكَ فِيهِ مَا تُعَاجِي بِهِ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، أَتَدْرِي لِمَنِ الشَّعْرُ ؟ فَقُلْتُ : لَجَرِيرٍ ، فَقَالَ لِي : وَالْغَنَاءُ لِلْأَبْحَرِ ، وَكَانَ مَدَنِيّاً مَنْشُوءَ بِمَكَّةَ ، أَوْ مَكِّيّاً مَنْشُوءَ بِالْمَدِينَةِ ، أَتَدْرِي مَا اسْمُهُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : اسْمُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ ضَبِيَّةَ ، أَتَدْرِي مَا كُنِيَّتُهُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : أَبُو طَالِبٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبَ فَعَاجِي بِهِذَا مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّكَ تَظْفَرُ بِهِ .

[كان ولاؤه لبني كِنانة وقيل لبني لَيْث]

وقال هارون : حدثني حماد عن أبيه قال : الأبحر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرة أخرى : عبيد الله بن القاسم ، مولى لبني بكر بن كِنانة ، وقيل : إنه مولى لبني لَيْث ، يُلقب بالحسحاس .

[ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه]

قال هارون : وحدثني حماد عن أبيه قال حدثني عورك اللّهيّ قال : لم يكن بمكة أحدٌ أظرفَ ولا أسرى ولا أحسن هيئةً من الأبرج ، كانت حلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المازمين¹ فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً .

[احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، قالوا : جلس الأبرج في ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريب من التنعيم² فإذا عسكر جرّار قد أقبل في آخر الليل ، وفيه دوابٌ تُجَنَّبُ وفيها فرسٌ أذهمٌ عليه سرجٌ حلّيته ذهب فاندفع ، فغنى : [من الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحَيِّ خالِيَةً قَفْرًا كَأَنَّ بِهَا لَمَّا تَوَهَّمْتُهَا سَطْرًا

فلَمَّا سَمِعَهُ مَنْ فِي الْقِيَابِ وَالْحَامِلِ أَمْسَكُوا ، وصاح صائحٌ : ويحك ؛ أَعِدِ الصوت ، فقال : لا والله ، إلّا بالفرس الأذهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار ، فإذا الوليد بن يزيد صاحبُ الإبل ، فنُودِيَ : أين منزلك ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبرج ومنزلي على باب زُقاق الخرازين ، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَحَتَّ من ثياب وشي وغير ذلك ، ثم أتى به الوليد فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشيةَ التَّروِيَةِ وهو أحسنهم هيئةً ، وخرج معه أو بعده إلى الشام .

[خرج معه إلى الشام]

قال إسحاق : وحدثني عورك اللّهيّ أن خروجه كان معه ، وذلك في ولاية محمد ابن هشام بن إسماعيل مكة ، وفي تلك السنة حجّ الوليد ، لأنّ هشاماً أمره بذلك ليَهْتِكَه عند أهل الحَرَم ، فيجد السبيل إلى خلعه ، فظهر منه أكثر ممّا أراد به من التّشاغل بالمغنين واللّهو ، وأقبل الأبرج معه حتى قُتل الوليد ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحَيِّ خالِيَةً قَفْرًا كَأَنَّ بِهَا لَمَّا تَوَهَّمْتُهَا سَطْرًا

1 المازمان : جبلان بمكة .

2 التنعيم : موضع بمكة .

وقفتُ بها كيما تَرُدُّ جوابها فما يَبْتَ لي الدارُ عن أهلها خُبرا
 الغناء لأبي عَبادٍ ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسياط خفيفٌ رملٍ بالبنصر .
 [أخذ صوتاً من الغريض]

قال إسحاق : وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْأَبْجَرَ أَخَذَ صَوْتاً مِنَ الْغَرِيضِ لَيْلاً ثُمَّ دَخَلَ فِي الطَّوَافِ
 حِينَ أَصْبَحَ ، فَرَأَى عَطَاءَ بْنَ أَبِي رِيَّاحٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، اسْمَعْ صَوْتاً
 أَخَذْتُهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْغَرِيضِ ؛ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، أَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ فَقَالَ : كَفَرْتُ بِرَبِّ
 هَذَا الْبَيْتِ لَعَنَ لَمْ تَسْمَعْهُ مِنِّي سِرّاً لِأَجْهَرَنَ بِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَاهُ : [من الطويل]

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
 إِنِّي أُتَيْحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
 نَبْتُ حَوْلًا كَامِلاً كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ
 فِي الْحِجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ
 فقال له عطاء : الْخَيْرُ الْكَثِيرُ وَاللَّهُ فِي مِنِّي وَأَهْلِي حَجَّتْ أَوْ لَمْ تَحْجْ ، فَازْهَبِ الْآنَ . وَقَدْ
 مَرَّتْ نِسْبَةُ هَذَا الصَّوْتِ وَخَبِرَهُ فِي أَخْبَارِ الْعَرَجِيِّ وَالْغَرِيضِ .
 [ختن عطاء بنه فغناهم ثلاثة أيام]

قال إسحاق : وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : خَتَنَ عَطَاءُ بْنُ
 أَبِي رِيَّاحٍ بَنِيهِ أَوْ بَنِي أَخِيهِ ، فَكَانَ الْأَبْجَرُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَغْنِي لَهُمْ .
 [نازع ابن عائشة في الغناء فتشامت]

قال هارون بن محمد حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ بِخَطِّهِ :
 حَدَّثَنِي غُرَيْرُ بْنُ طَلْحَةَ الْأَرْقَمِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ حَفْصِ بْنِ أَبِي كِلَابٍ قَالَ : كَانَ
 الْأَبْجَرُ مَوْلَانَا وَكَانَ مَكِّيًّا ، فَكَانَ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ لَنَا يَوْمًا : أَسْمِعُونِي غِنَاءَ ابْنِ
 عَائِشَتِكُمْ هَذَا ، فَأَرْسَلْنَا فِيهِ فَجَمَعْنَا بَيْنَهُمَا فِي بَيْتِ ابْنِ هَبَّارٍ فَغَنَى ابْنُ عَائِشَةَ ، فَقَالَ الْأَبْجَرُ : كُلُّ
 مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ تَغَنَيْتُ مَعَكَ إِلَّا بَنَصْفَ صَوْتِي ، ثُمَّ أَدْخَلَ إصْبَعَهُ فِي شِدْقِهِ فَغَنَى ، فَسَمِعَ صَوْتَهُ
 مَنْ فِي السُّوقِ فَحُشِرَ النَّاسُ عَلَيْنَا ، فَلَمْ يَفْتَرَقَا حَتَّى تَشَامَا ؛ قَالَ : وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ حَدِيدًا
 جَاهِلًا .

[غنى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهورية قال وحدثني ابن أبي سعد قال حدثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدثني ابن أشعب عن أبيه قال¹ : دُعِيَ ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلت للرسول : خذني فيهم ؛ قال : لم أؤمر بذلك وإنما أمرت بإحضار المغنّين وأنت بطال لا تدخل في جملتهم ؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غناءً منهم ، ثم اندفعتُ فغنّيته ؛ فقال : لقد سمعتُ حسناً ولكنّي أخاف ؛ فقلت : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شرطٌ ، قال : وما هو ؟ قلت : كلّ ما أصبته فلك شطره ؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا ، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقيسُ النفس ، فغنّاه المغنّون في كلّ فنٍّ من خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّك ولا نشيط ، فقام الأبرج إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبره ، وبأيّ سببٍ هو خائر ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنّه عَشِيقُ أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج على هذا الحال من عندها ؛ فعاد الأبرج إلينا وما جلس حتى اندفع فغنّى :

صوت

فِينِي فَإِنِّي لَا أَبَالِي وَأَيِّقِنِي أَصْعَدَ بَاقِي حَبِّكُمْ أَمْ تَصَوِّبَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي عَزُوفٌ عَنِ الْهَوَى إِذَا صَاحِبِي مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَغَضُّبَا

فطرب الوليد وارتاح وقال : أصبت يا عبيد الله ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر ، ولم يحظَ بشيءٍ أحدٌ سوى الأبرج ، فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وثبتتُ فقلت : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك ؛ فضحك وقال : قبحك الله ، وما السبب في ذلك ؟ فأخبرته بقصّتي مع الرسول وقلت : إنّه بدّأني من المكروه في أوّل يومه بما أتصل عليّ إلى آخره ، فأريد أن أضرب مائة ويضرب بعدي مثلها ، فقال له : لقد لطفت ، أعطوه مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها ؛ فقبضتها وما حظيَ أحدٌ بشيءٍ غيري وغير الرسول .

والشعر الذي غنّى فيه الأبرج الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم ، والغناء للأبرج ثقيلاً أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبت .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 66-67 (رقم 97) .

صوت¹
من المائة المختارة من رواية جَحْظَة

[من الرمل]

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثنا	وَيَرى في نَيْعه أنْ قد غَبَنُ
فهو إنْ أعطى عطاءً فاضلاً	ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بِمَنْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْلِبَة	بَرَّتِ الناسَ كَبْرِي بالسَّفَنِ ²
كان للناسِ ربيعاً مُغْدِقاً	ساقطَ الأكثافِ إنْ راحَ ارجَحَنُ
نُورِ شَرْقٍ يَبِينُ في وجهه	لم يُصِيبْ أثوابه لونُ الدَّرَنِ ³

عروضه من الرمل ، الشعر لموسى شَهَوَات . والغناء لمعبد خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ
في مجرى البَنْصَرِ عَنِ إِسْحَاقِ .

1 انظر الأبيات في جمهرة نسب قريش 1 : 39 .

2 مجلبة في جمهرة النسب : مجحفة . السفن : قطعة خشناء تحكَّ بها الصحف والسهام .

3 جمهرة النسب : نور صدق . . . لم يدنس ثوبه .

[42] - أخبار موسى شهوات ونسبه

وخبره في هذا الشعر¹

[نسبه]

هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويُخْتَلَف في ولائه فيقال : إنه مولى بني سَهْم ، ويقال : مولى بني تَيْم بن مُرَّة ، ويقال : مولى بني عدي بن كعب ؛ ويُكنى أبا محمد ، وشهوات لقبٌ غلب عليه .

وحدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : إنما لُقِبَ موسى شهوات لأنه كان سَوُولاً مُلْحِفاً ، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتَاعٍ أو ثوبٍ أو فرس² ، تباكى ، فإذا قيل له : ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ؛ فسُمِّيَ موسى شهوات . قال : وذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيجان وأنه نشأ بالمدينة وكان يُجلب إليه القندُ والسكر ، فقالت له امرأة من أهله : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات ؛ فغلبت عليه .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال : كان محمد بن يحيى يقول : موسى شهوات مولى بني عدي بن كعب ، وليس ذاك بصحيح ، هو مولى تيم بن مُرَّة . وذكر عبد الله بن شبيب عن الحزامي : أنه مولى بني سَهْم .

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب ومحمد بن سلام قال : موسى شهوات مولى بني سَهْم .

[عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : هَوِيَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فاستهيم بها وسام مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم ، فجمع كل ما يملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثماني فأخبره بحاله واستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه واعتل عليه فخرج من عنده ؛ فلما ولَّى تمثّل سعيد قول الشاعر :

كَبَتْ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي لَقَدْ أَنْعَظْتَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

1 أخبار موسى شهوات وشعره في جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار (تحقيق الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر)

1 : 39 وما بعدها ، القاهرة ، 1381 هـ .

2 ل : فرش .

[أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه]

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته فأمر له بستة آلاف درهم ، فلما قبضها ونهض قال له : اجلس ، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ما تملك فبأي حال تعيشان ! ثم دفع إليه ألفي درهم وكسوة وطيباً ، وقال : أصلح بهذا شأنكما ؛ فقال فيه :

أبا خالد أعني سعيد بن خالد أبا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم وما هو عن أحسابكم برقود
قتلت أناساً هكذا في جلودهم من الغيظ لم تقتلهم بحديد

[رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجواً له فشكاه]

قال : فشكاه العثماني إلى سليمان بن عبد الملك ؛ فأحضر موسى وقال له : يا عاض كذا وكذا ، أتتهجو سعيد بن خالد ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجوته ولكنني مدحت ابن عمه فغضب هو ، ثم أخبره بالقصة ؛ فقال للعثماني : قد صدق ، إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف . قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لعمري والله ما أنت عن أحسابنا برقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله¹ اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة² في كل سنة ، فأرادوا علاجه ، فتكلمت صاحبة على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت ملحان سيد الجن ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدت أكرم منه لهويته .

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاري عن قبيصة بن عمر بن حفص المهلب³ عن أبي عبيدة قال حدثني الحارث بن سليمان الهجيمي ، وهو أبو خالد بن الحارث المحدث ، قال : وكان عنده رؤية بن العجاج ، قال : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن

1 ل : محمد بن العباس .

2 الموتة : ضرب من الصرع .

3 ل : المهلب .

عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتك مُستَعْدِيًّا ، قال : ومن بك ؟ قال : موسى شَهَوَات ، قال : وما له ؟ قال : سَمِعَ بي واستطالَ في عِرْضِي ، فقال : يا غلام ، عليّ بموسى فأتني به فأتني به ؛ فقال : ويلك ؛ أَسَمِعْتَ به واستطلتَ في عِرْضِي ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكني مدحتُ ابنَ عمِّه فغضب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : علقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنها جدتي¹ ، فأتيتُه وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أُصِبْ عنده شيئاً ، فأتيتُ ابنَ عمِّه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوتُ إليه ما شكوته إلى هذا ، فقال : تعود إليّ ، فتركه ثلاثاً ثم أتيتُه فسَهَّلَ من إذني ، فلما استقرَّ بي المجلس قال : يا غلام ، قل لقيمتي : هاتي وديعتي ، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية ، فقال لي : أهذه بُغيتُك ؟ قلت : نعم فإدك أبي وأُمِّي ! قال : اجلس ثم قال : يا غلام ، قل لقيمتي : هاتي طَبيبة² نفقتي ، فأتني بطَبيبة فنُثِرَت بين يديه فإذا مائة دينار ليس فيها غيرها فَرُدَّت في الطَبيبة ، ثم قال : عَتيدة طيبي ، فأتني بها ، فقال : مِلْحَفَة فِرَاشي ، فأتني بها ، فصَيَّر ما في الطَبيبة وما في العتيدة في حواشي المِلْحَفَة ، ثم قال : شألك بهواك واستعِن بهذا عليه ؛ فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

[ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد]

[من الطويل]

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ	أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدٍ
ولكنني أعني ابنَ عائشة الذي	أبو أبويه خالدُ بن أسيدٍ
عقيدَ الندى ما عاش يرضى به الندى	فإن ماتَ لم يرضَ الندى بعقيدٍ
دَعُوهُ دَعُوهُ إنكم قد رقدتم	وما هو عن أحسابكم برَقودٍ

فقال سليمان : عليّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فأتني به ، فقال : أحقُّ ما وصفك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فما طَوَّقَتِكَ هذه الأفعال ؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار ؛ فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها ، فحُمِلَت إليه مائة ألفَ دينار ؛ قال : فلقيتُ سعيد بن خالد بعد ذلك فقلتُ له : ما فعلَ المالُ الذي وصلَّكَ به سليمان ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملكُ منه إلا خمسين ديناراً ؛ قلت : ما اغتاله ؟ قال : خَلَّة من صديق أو فاقَّة من ذي رَحِم .

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصعب الزبيري ومحمد بن سَلَام قال :

1 الجدة : اليسار والسعة .

2 الطَبيبة : جراب صغير من جلد الطَبي .

عشيق موسى شهوات جارية¹ بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحته وهو سَمِيكٌ وأبوه سَمِيٌّ أَيْكٌ ولم أفرق بينكما ليقولنَّ الناس : أهذا أم هذا ، ولكن والله لأقولنَّ قولاً لا يُشكُّ فيه . وتمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها : [من الطويل]

فَدَى للكَرِيمِ العَبَّاسِيَّ ابنَ خَالِدٍ	بَنَى وَمَالِي طَارِيفِي وَتَلِيدِي
عَلَى وَجْهِهِ تَلْقَى الْأَيَّامِينَ وَاسْمِهِ	وَكُلُّ جَوَارِي طِيرِهِ بِسُعودِ
أَبَانُ وَمَا اسْتَغْنَى عَنِ الثَّدْيِ خَيْرُهُ	أَبَانُ بِهِ فِي الْمَهْدِ قَبْلَ قُعودِ
دَعُوهُ دَعُوهُ إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ	وَمَا هُوَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ بِرَقُودِ
تَرَى الْجُنْدَ وَالْجَنَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ	بِحَاجَاتِهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَمَسُودِ ²
فِيُعْطِي وَلَا يُعْطَى وَيُجْتَدَى	وَمَا بَابُهُ لِلْمُجْتَدِي بِسَدِيدِ
قَتَلْتُ أَنْاساً هَكَذَا فِي جُلُودِهِمْ	مَنْ الْغِيْظُ لَمْ تَقْتُلْهُمْ بِحَدِيدِ
يَعِيشُونَ مَا عَاشُوا بِغِيْظٍ وَإِنْ تَحِنُّ	مَنَايَاهُمْ يَوْمًا تَحِنُّ بِحُقُودِ
فَقُلْ لُبَّاعَةِ الْعُرْفِ قَدْ مَاتَ خَالِدٌ	وَمَاتَ النَّدَى إِلَّا فَضُولَ سَعِيدِ

قال وكيع في خبره : أمّا قوله : «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنَّ أمَّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان أُمّة بنت سعيد بن العاصي ، وعائشة أمّ عقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزَاعِيّة أخت طلحة الطلحات ، وأمّها صَفِيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ ، وأمّ أبي عقيد الندى رَمْلَة بنت معاوية بن أبي سفيان .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبّة قال : لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له : اتَّفَقَ اسْمَاهُمَا واسمَ أبويهما ، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرقت بينهما بأُمّهما ، فأغضبه أن مدحت ابن عمّه ، فقال له سليمان : بلى والله لقد هجوتَه وما خفي عليّ ولكنّي لا أجد إليك سبيلاً ، فأطلقه .

[مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بشعر غناه لمعد]

أخبرني وكيع قال حَدَّثَنِي أحمد بن زهير قال حَدَّثَنَا محمد بن سلام قال حَدَّثَنَا محمد بن مَسْلَمَة الثَّقَفِيّ قال : قال موسى شهوات لمعد : أُمَدِّح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات

1 ل : مغنية .

2 الجناب : الغبراء .

وَتُعْنِي فِيهَا وَيَكُونُ مَا يُعْطِينَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ مُوسَى : [من الرمل]

حِمْزَةُ الْمُبْتَاعِ بِالْمَالِ الثَّنَا وَيَرَى فِي يَمِينِهِ أَنْ قَدْ غَبَنَ
فَهُوَ إِنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَاضْلاً ذَا إِخْوَانٍ لَمْ يُكْذِرْهُ بِمَنْ
وَإِذَا مَا سَنَةً مُجْجَفَةً بَرَّتِ النَّاسَ كَبْرِيَّ بِالسَّقْفِ
حَسَرَتْ عَنْهُ نَقِيّاً عَرْضُهُ ذَا بَلَاءٍ عِنْدَ مُخْنَاهَا حَسَنَ
نُورَ صَدَقٍ بَيِّنٍ فِي وَجْهِهِ لَمْ يُدْنَسْ ثَوْبُهُ لَوْنُ الدَّرَنِ
كَنتَ لِلنَّاسِ رَبِيعاً مُغْدِقاً سَاقَطَ الْأَكْنَافِ إِنْ رَاحَ أَرْجَحَنَ

قال أحمد بن زهير : وأول هذه القصيدة عن غير ابن سلام : [من الرمل]

شَاقَنِي الْيَوْمَ حَبِيبٌ قَدْ ظَعَنَ ففَوَادِي مُسْتَهَامَ مُرْتَهَنَ
إِنَّ هِنْدًا تَيَمَّمَتْنِي حِقْبَةً ثُمَّ بَانَتْ وَهِيَ لِلنَّفْسِ شَجَنَ
فَتَنَةُ أَلْحَقَهَا اللَّهُ بِنَا عَائِذٌ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ

[عارض فاطمة بنت الحسين لما زُفَّت إلى عبد الله بن عمرو]

أخبرني حبيب بن نصر المهلهلي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني الطَّلْحِيّ قال أخبرني عبد الرحمن بن حماد عن عمران بن موسى بن طلحة قال : لما زُفَّت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، عَارَضَهَا موسى شهوات : [من مجزوء الخفيف]

طَلْحَةُ الْخَيْرِ جَدَّكُمْ وَلْخَيْرِ الْفَوَاطِمِ
أَنْتِ لِلطَّاهِرَاتِ مِنْ فَرْعِ تَيْمٍ وَهَاشِمِ
أَرْتَجِيكُمْ لِنَفْعِكُمْ وَلِدَفْعِ الْمَظَالِمِ

فَأَمَرَ لَهُ بِكُسُوفٍ وَدَنَانِيرٍ وَطِيبٍ .

[هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك]

قال حدثنا الكُرَانيّ قال حدثنا العَنَزِيّ عن العُتَيْبِيّ قال : كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فَلَمَّا مَاتَ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه ، فقال في ذلك موسى شهوات : [من المتقارب]

أَبْعَدَ الْأَغَرَّ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَرِيعَ قَرِيشٍ إِذَا يُذَكَّرُ
تَزَوَّجَتْ دَاوُدَ مُخْتَارَةً أَلَا ذَلِكَ الْخَلْفُ الْأَعْوَرُ

فَكَانَتْ إِذَا سَخِطَتْ عَلَيْهِ تَقُولُ : صَدَقَ وَاللَّهِ مُوسَى ، إِنَّكَ لِأَنْتَ الْخَلْفُ الْأَعْوَرُ ، فَيَشْتُمُهُ دَاوُدُ .

[مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فَأَجَازَهُ]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرَاني قال حدثنا العُمري عن لَقِيْط قال : أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابهِ بدمشق ، وكان فتى جواداً سَمَحاً ، فلمَّا ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابَّته ، ثم قال :

قم فصوتْ إذا أتيت دِمَشقاً : يا يزيدُ بنَ خالدٍ بنِ يزيدٍ
يا يزيدُ بنَ خالدٍ إن تُجِنِّني يَلْقَني طائِري بنجمِ السُّعودِ
فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة ، وقال له : كلِّما شئتَ فنادِنا نُجِجَكَ .
[تزوج بنت داود بن أبي حميدة]

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزُّبيري قال : زُوج موسى شهوات بنتَ مولى لَمَن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له : داود بن أبي حميدة ، فلمَّا جُلِيت عليه قال داود : ما للجلوة ؟ فأنشأ يقول :

تقول لي النساءُ غَدَاةٌ تُجَلِّي حميدةُ يا فتى ما للجلاءِ
فقلتُ لهم سَمَرُ قَنْدٌ وَبَلَخٌ وما بالصين من نَعَمٍ وشاءِ
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهةٍ عندَ اللقاءِ
[هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه]

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال : قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيَّة ، وكان خالدُ بن عبد الملك استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك ، فقال موسى يهجوهُ :

وجدتُك فَهَآ في القضاءِ مُخَلِّطاً فَقَدْتُكَ من قاضٍ ومن مُتَأَمِّرٍ
فَدَغَ عنك ما شَيدته ذات رِخة أذى الناس لا تَحْشُرُهُمْ كُلَّ مَحْشَرٍ
ثم وَلِيَ القضاءَ سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري ، فقال يمدحه : [من البسيط]
مَنْ سَرَه الحُكْمُ صِرَفا لا مِزَاجَ له من القُضاة وعدلٌ غيرُ مَغْمُوزٍ
فليأتِ دارَ سعيد الخَيْرِ إنَّ بها أمضى على الحقِّ من سيف ابن جُرْمُوزٍ
[هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة]

قال : وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قد وليَ المدينة واشتدَّ على السفهاء والشعراء والمغنين ، ولحقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه ، وكان قبيحَ الوجه ، فقال موسى يهجوهُ :

[من الخفيف]

قل لِسَعْدٍ وَجِهَ العَجُوزَ لَقَدْ كَدَ تَ لِمَا قَدْ أُوتِيتَ سَعْدًا مَخِيلًا
 إِن تَكُنْ ظَالِمًا جَهُولًا فَقَدْ كَا نَ أَبُوكَ الْأَذْنَى ظَلُومًا جَهُولًا
 وقال يهجوهُ :

لعن الله والعبادُ نُطِيطَ الـ وجهه لا يُرْتَجَى قَبِيحَ الجِوَارِ
 يَتَّقِي النَّاسُ فَحْشَهُ وَأَذَاهُ مَثَلُ مَا يَتَّقُونَ بَوْلَ الحِمَارِ
 لَا تَغُرَّنْكَ سَجْدَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَ حَذَارٍ مِنْهَا وَمِنْهُ حَذَارِ
 إِنَّهَا سَجْدَةٌ بِهَا يَخْدَعُ النَّاسَ سَ ، عَلَيْهَا مِنْ سَجْدَةٍ بِالْذَّبَارِ¹

[مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين أعطاه]

أخبرني عمِّي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شبيب قال : ذكر الحِزَامِيُّ أَنَّ موسى شهوات سأل بعضَ آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها ، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فبعث إليه بما كان التمسهُ من الزُّبَيْرِيِّ من غير مسألة ؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد ، ثم أنشأ يقول :

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَاثِي
 أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبَقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

والشعر المذكور فيه الغناء ، يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان فتى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه ، وولاه أبوه العِراقين وعَزَلَ مُصْعَبًا لَمَّا تَزَوَّجَ سَكِينَةَ بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدٍ منهما أَلْفَ أَلْفِ درهم .

[سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزُّبَيْرِيِّ ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة ، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرَّازِيّ والحسين بن عليّ : قال عبيد الله حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث عن المدائني ، وقال الحسين حَدَّثَنَا الحارث بن أبي أسامة عن المدائني عن أبي مِخْنَفٍ : أن أنسَ بن زُنَيْمَ اللَّيْثِيّ كتب إلى عبد الله بن الزبير :

أُبَلِّغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يُرِيكَ خِدَاعًا
 بَضَعَ الْفَتَاةُ بِالْأَلْفِ أَلْفَ كَامِلٍ وَتَبَيَّتْ قَادَاتُ الْجِيُوشِ جَبَاعًا
 لَوْ لأبي حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِي وَأَبْثُ مَا أَبْثُكُمْ لَارْتَاعًا

فلما وصلت الأبيات إليه جَزَعَ ثم قال : صَدَقَ والله ، لو لأبي حفصٍ يقول : إِنَّ مُصْعَباً
تَزَوَّجَ امرأتين بألفي ألفٍ درهمٍ لارتاع ، إِنَّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفه وسلَّ أيره
وسنَّعْزله ، فدعا بابنه حمزة ، وأُمُّه بنت منظور بن زَبَّانَ الفَزَارِيِّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف ،
فولَّاهُ البصرة وعزل مصعباً . فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب ، فقال : لكنَّ أبا خُيَّيبٍ
أغمد سيفه وأيره وخيَّره .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريَّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : هذه الأبيات
لعبد الله بن هَمَّام السَّلُولِيَّ .

[عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحقه]

قالوا جميعاً : فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً
شجاعاً أهوج ، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره ، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناس
منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم ؛ فعزله عن البصرة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا المدائنيُّ قال : لما قَدِمَ حمزة بن عبد الله البصرة والياً
عليها ، وكان جواداً شجاعاً مُخلطاً : يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه إلاَّ وهبه ويمنع
أحياناً ما لا يُمنع من مثله ، فظهرت منه بالبصرة خِفةٌ وضعف . وركب يوماً إلى فيض البصرة ،
فلما رآه قال : إِنَّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفِيَنَّهُمْ صَيْفَتَهُمْ هذه ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه
فوافقه جازراً فقال : قد رأيتُ ذات يوم فظننتُ أن لن يكفِيَهُمْ ؛ فقال له الأحنف : إِنَّ هذه ماءٌ
يأتينا ثم يَفيضُ عنا ثم يعود . وشخص إلى الأهواز فرأى جبلها ؛ فقال : هذا قُعَيْقَعان -
وقعيقعان : جبلٌ بمكة - فلَقِبَ ذلك الجبلُ بقُعَيْقَعان .

قال أبو زيد : وحدَّثني غير المدائنيَّ أَنَّهُ سَمِعَ بذكر الجبل بالبصرة ، فدعا بعامله فقال له :
ابعث فأتنا بخراج الجبل ؛ فقال له : إِنَّ الجبل ليس ببلد فأتيتك بخراجه . وبعث إلى مَرْدَانِشاه
فاستحثه بالخراج فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فقتله ؛ فقال له الأحنف : ما أَحَدٌ سيفك أيَّها
الأمير ! وهَمَّ بعبد العزيز بن شبيب¹ بن خياط أن يضربه بالسَّيَّاط ؛ فكتب إلى ابن الزبير بذلك
وقال له : إذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد إليها مُصْعَباً ؛ ففعل ذلك . وقال
بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعْيِيهِ بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَرَ : [من الكامل]

يا ابن الزبير بَعَثْتَ حمزةً عاملاً يا ليت حمزةً كان خلفَ عُمَانِ
أزرى بدجلة حين عَبَّ عُبَابُهَا وتقاذفت بزواخرِ الطُوفَانِ

[نفار النوار من الفرزدق والتجاؤا لابن الزبير]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ¹ : خَطَبَ النَّوَّارَ ابْنَةَ أُمِّ عَيْنِ الْمُجَاشِعِيَّةِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا ، فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْفَرَزْدَقِ ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهَا دِنِيَّةً ، لِيَزَوِّجَهَا مِنْهُ ، فَأَشْهَدَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ وَبِأَنَّ أَمْرَهَا إِلَيْهِ شُھُوداً عُدُولاً ؛ فَلَمَّا أَشْهَدَتْهُمْ عَلَى نَفْسِهَا قَالَ لَهُمُ الْفَرَزْدَقُ : فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُهَا ، فَمَنْعَتِ النَّوَّارَ نَفْسَهَا وَخَرَجَتْ إِلَى الْحِجَازِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، فَاسْتَجَارَتْ بِأَمْرَاتِهِ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَانَ ، وَخَرَجَ الْفَرَزْدَقُ فَعَاذَ بِابْنِهِ حَمْزَةَ ، وَقَالَ يَمْدَحُهُ² :

يَا حَمْزُ هَلْ لَكَ فِي ذِي حَاجَةٍ ، عَرَضْتُ أَنْضَاؤَهُ بِمَكَانٍ غَيْرِ مَمْطُورٍ
فَأَنْتَ أَوَّلُ قُرَيْشٍ أَنْ تَكُونَ لَهَا وَأَنْتَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْظُورٍ³
فَجَعَلَ أَمْرَ النَّوَّارِ يَقْوَى وَأَمْرَ الْفَرَزْدَقِ يَضْعُفُ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ : [من البسيط]

أَمَّا بَنُوهُ فَلَمْ تَنْفَعْ شَفَاعَتُهُمْ وَشُفِّعْتُ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَانَ
لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَزراً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُزْرَانَا
فَبَلَغَ ابْنَ الزَّبِيرِ شَعْرَهُ ، وَلَقِيَهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْهُ فَضَغَطَ حَلْقَهُ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ ، ثُمَّ خَلَّاهُ وَقَالَ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِراً وَلَوْ رَضِيتُ رُحْمَ اسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتْ
ثُمَّ دَخَلَ إِلَى النَّوَّارِ فَقَالَ لَهَا : إِنْ شِئْتَ فَرَّقْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ثُمَّ ضَرَبْتُ عَنْقَهُ فَلَا يَهْجُونَا أَبَداً ،
وَإِنْ شِئْتَ أَمْضَيْتُ نِكَاحَهُ فَهُوَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَكَانَتْ أَمْرَاءُ صَالِحَةً ، فَقَالَتْ :
أَوْ مَا غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَتْ : مَا أَحْبَبُّ أَنْ يُقْتَلَ وَلَكِنِّي أَمْضِي أَمْرَهُ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي
كَرْهِي إِيَّاهُ خَيْراً ؛ فَمَضَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ .
[غنى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر قالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ
عَنِ الزَّبِيرِيِّ : أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ جَوَاداً ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ مَعْبِدُ يَوْمًا وَقَدْ أَرْسَلَهُ ابْنُ قَطْنٍ مَوْلَاهُ
يَقْتَرِضُ لَهُ مِنْ حَمْزَةِ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَعْطَاهُ الْأَلْفَ الدِّينَارَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قِيلَ لَهُ : هَذَا عَبْدُ ابْنِ
قَطْنٍ وَهُوَ يَرُوي فَيْكَ شَعْرَ مُوسَى شَهَوَاتٍ فَيُحْسِنُ رَوَايَتَهُ ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ فَرُدَّ ، وَقَالَ لَهُ مَا حَكَاهُ

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 192 وما بعدها (رقم 403) .

2 جمهرة نسب قريش : 40-41 (سنة أبيات) .

3 أولى في الجمهرة : أحجى .

القوم عنه ، فغناه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً ؛ ولما كان بعد ذلك ردّ ابن قطن عليه المال فلم يقبله ، وقال له : إنه إذا خرج عني مالٌ لم يعد إلى ملكي . وقد روي أن الداخل على حمزة والمخاطب في أمره بهذه المخاطبة ابن سريج ؛ وليس بذلك ثبت ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

[أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغناه إياه معبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى الغساني : أن موسى شهوات أملق ، فقال لمعبد : قد قلت في حمزة بن عبد الله شعراً فغن فيه حتى يكون أجزل لصلتنا ؛ ففعل ذلك معبد وغنى في هذه الأبيات ، ثم دخلا على حمزة فأنشده إياها موسى ثم غناه فيها معبد ، فأمر لكل واحدٍ منهما بمائتي دينار .

[كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عياش قال : كان موسى شهوات موالي لسليمان بن أبي خيثمة بن خديفة العدوي ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أمية يحسنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتجيئه صلاتهم إلى الحجاز .

[هجا داود بن سليمان بن مروان]

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك : [من المتقارب]

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يُذكرُ
تزوجت داود مختارة ألا ذلك الخلف الأعورُ
فغلب عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلف الأعور .

صوت

من المائة المختارة¹

[من السريع]

عُوجا خليلي على المخضّر	والربع من سلامة المُقفر
عُوجا به فاستنطقاه فقد	ذكرني ما كنت لم أذكرُ
ذكرني سلمى وأيامها	إذ جاورتنا بلوى عسجر

1 ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف. غابريلي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1967) : 39-40 .

بالربع من ودَّانَ مبدى لنا ومُخَوَّراً ناهيكَ من محور
في مَحْضَرٍ كُنَّا به نلتقي يا حَبِذاً ذلك من محضَرٍ
إذ نحن والحَيَّ به جيرةً فيما مضى من سالفِ الأعصرِ

الشعر للوليد بن يزيد ، وقيل : إنه لعمر بن أبي ربيعة ، قيل : إنه للعرجي ، وهو للوليد صحيح ، والغناء واللعن المختار لابن سريج خفيف رمل بالنصر في مجراها ، وفيه إشارية خفيف رمل آخر عن ابن المعتز ، وذكر الهشامي أن فيه لحكم الوادي خفيف رمل أيضاً .
[عَب عمرو بن عثمان على زوجه سَكِينَة بنت الحسين]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال : كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سَكِينَة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه ، فَعَتَبَ عليها يوماً ، فخرج إلى مال له ، فذكر أشعب أن سَكِينَة دعتَه فقالت له : إن ابن عثمان خرج عاتباً علي فاعلم لي حاله ، قلت : لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة ، فقالت : أنا أعطيك ثلاثين ديناراً ، فأعطتني إياها فأتيتها ليلاً فدخلتُ الدار ، فقال : انظروا مَنْ في الدار ، فأتوه فقالوا : أشعب ، فنزل عن فرسه¹ وصار إلى الأرض فقال : أشعيب ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سَكِينَة لأعلم خبرك ، أتذكرت منها ما تذكرت منك ؟ وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض ، قال : دعني من هذا وغني :
[من السريع]

عُوجًا به فاستنطقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكر
فغنيته فلم يَطْرَبْ ، ثم قال : غنني ويحك غير هذا ، فإن أصبت ما في نفسي فلك خلّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلاثمائة دينار ، فغنيته :
[من الخفيف]

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه من حبيب أُمسى هوانا هواءُ
ما ضيراري نفسي بهجران مَنْ لِي س مُسيئاً ولا بعيداً نواءُ
واجتنائي بيتَ الحبيب وما الخلدُ دُ بأشهى إليّ من أن أراهُ

فقال : ما عدوت ما في نفسي ، خذ الحلة ، فأخذتها ورجعتُ إلى سَكِينَة فقصصت عليها القصة ، فقالت : وأين الحلة ؟ قلت : معي ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان ؟ لا والله ولا كرامة ، فقلت : قد أعطانيها ، فأبي شيء تريد مني ؟ فقالت : أنا أشتريها منك ، فبعثها إياها بثلاثمائة دينار .

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارميّ خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للهنديّ ، وفيه لابن جاعم ثاني ثقيل بالوسطى .
[غاضب رجل جارية كان يهواها ففنت مغنية من شعره فاصطلحا]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتفق أن مغنية دخلت فغتهما : [من الخفيف]

ما ضيراري نفسي بهجران من لي س مسيئاً ولا بعيداً نواه
فقلت الجارية : لا شيء والله إلا الحمق ، ثم قامت إلى مولاهما فقبلت رأسه واصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا ويح نفسي لو أنّه أقصر ما كان عيشي كما أرى أكلر
يا من عذيري من كلفت به يشهد قلبي بأنّه يسخر
يا ربّ يوم رأيتني مرحاً آخذ في اللهو مسيل المتزر
بين ندامي تحت كأسهم عليهم كف شادين أحور

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدة خفيف رمل بالنصر .

* * * *

الفهرس

- [19] - ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه 5
- [20] - ذكر طوَيْس وأخباره 22
- [21] - ذكر الدارمي وخبره ونسبه 34
- [22] - أخبار هلال بن الأسعر ونسبه 38
- [23] - أخبار عروة بن الورد ونسبه 51
- [24] - ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره 62
- [25] - ذكر قَيْلٍ مولى العَبَلات 77
- 26 - [خبر غريض اليهودي] 80
- [27] - ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 82
- [28] - خبر زيد بن عمرو ونسبه 84
- 29 - [خبر زهير بن جناب] 88
- 30 - [سعية بن غريض] 90
- [31] - أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه 92
- [32] - أخبار بشار بن برد ونسبه 94
- [33] - أخبار يزيد حوراء 176
- [34] - أخبار عكاشة العمي ونسبه 180
- [35] - أخبار عبد الرحيم الدقاق ونسبه 187
- [36] - أخبار الحادرة ونسبه 190
- [37] - أخبار ابن مِسْجَح ونسبه 194
- [38] - أخبار ابن المولى ونسبه 200
- [39] - أخبار عَطَرْد ونسبه 212
- [40] - أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه 217
- [41] - أخبار الأبيجر ونسبه 238
- [42] - أخبار موسى شَهَوَات ونسبه وخبره في هذا الشعر 243

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ʿALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ʿAbbās
Dr. Ibrāhīm al-Saʿāfīn and Bakr ʿAbbās

Vol. 3

DAR SADER
Beirut

کتابُ الْإِعْزَازِ

4

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

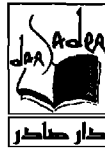
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستانية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستسax الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsadcr.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[43] - ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره¹

سوى ما كان منها مع عتبة ، فإنه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيه بها ، وأنها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته]

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، مولى عَنَزَة ، وكنيته أبو إسحاق . وأمه أم زيد بنت زياد المَحَارِبِيّ مولى بني زُهرة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس² النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضّل عليه العتّابي : [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلْمُكَنِّي نَفْسَهُ مُتَخَيِّراً بَعْتَاهِيَةَ
وَالْمُرْسِلَ الْكَلِمَ الْقَبِيَّ حَ وَغَنَهُ أَذُنٌ وَاعِيَةُ
إِنْ كُنْتَ سِيراً سَوْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عِلَانِيَةُ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَا لِ وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَةُ

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أول أمره يتخنّث ويحمل زاملة المختنّين ، ثم كان يبيع الفَخَّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم .

[شاعريته]

ويقال : أطبع الناس بشار والسيد³ وأبو العتاهية . وما قدّر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرة . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المردول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم

1 ترجمة أبي العتاهية في الشعر والشعراء 675-679 وطبقات ابن المعتز : 228 ومعاهد التنصيص 2 : 285 وشذرات الذهب 2 : 25 ووفيات الأعيان رقم 94 وتاريخ بغداد 6 : 25 والموشح : 254 وانظر بروكلمان 2 : 34-36 وله ترجمة مهمة أوردها ابن العديم في بغية الطلب استمدّها من عدة مصادر بعضها لم يصلنا مثل المستنير في أخبار الشعراء للمرزباني وأخبار أبي العتاهية للآمدي وأخبار أبي العتاهية لابن عمّار . وهذه الترجمة نشرها إحسان عباس في مجلّة دراسات التي تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلّد 15 (7 : 70-91) 1988 وهي التي نشير إليها في الحواشي . وديوانه الذي نعتّمه هنا هو الذي عني بجمعه وتحقيقه د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 وطبعة دار صادر ، 1964 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة نقفاً من أخباره وشعره في نحو ثلاثين فقرة .

2 ل : فارس .

3 يعني السيد الحميري .

من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأنّ شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد . وله أوزان طريفة قالها ممّا لم يتقدّمه الأوائل فيها . وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال .
[كنيته]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوفيّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهدي¹ يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسانٌ متحدّقٌ مُعْتَه² . فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحدّق : عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل : شُناحية . ويقال : أبو عتاهية ، بإسقاط الألف واللام .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُني بأبي العتاهية أنّ كان يحبّ الشهرة والمُجون والتعته . وبلدّه الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .
[قول ابنه إليهم من عنزة]

قال محمد بن سلام : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أنّ أصلهم من عنزة ، وأنّ جدّهم كَيْسَان كان من أهل عَيْن التَّمَر ، فلمّا غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسَان جدّهم هذا يتيماً صغيراً يكفّله قرابة له من عنزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجّه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرته عباد بن رِفاعَة العَنَزِيّ بن أسد بن ربيعة بن نزار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيُخبره كلّ واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كَيْسَان ، فذكر له أنّه من عنزة . فلمّا سمعه عباد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان صار خالصاً له ، فوهبه له ؛ فأعتقه ، فتولّى عَنَزَة .

[استعداؤه مندّل بن علي وأخاه علي من سبه بأنّه نبطي]

أخبرني محمد بن عمران الصِّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عَلِيل العَنَزِيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجاج الجَلّاني الكوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيْل مُصَنَّب³ بن دُوَيْل الجَلّاني ، قال : لم أر قطُّ مندّل بن عليّ العَنَزِيّ وأخاه حَيَّان⁴ بن عليّ غَضِبا من شيء قطُّ إلّا يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخٌ بالدماء . فقالا له : ويحك ؛ ما بالك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له :

1 ابن العديم في دراسات : 49 (الفقرة 11) .

2 ل وابن العديم : مُعْتَه .

3 ل وابن العديم : صعب .

4 ل وابن العديم : حبان ؛ وانظر الفقرة 9 من ابن العديم .

أنت أخونا وابن عمنا ومولانا . فقال : إن فلاناً الجزار قتلني وضربني وزعم أنني نبطي ، فإن كنت نبطياً هربت على وجهي وإلا فقوموا فخذوا لي بحقي . فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضباً ؛ وقال له : والله لو كان حقتك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقه .

أخبرني الصُّوليّ قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر بن معاوية عن جبارة¹ بن المغلس الحِمانيّ قال : أبو العتاهية مولى عطاء بن مِحنج العَنزيّ .
[صنعة أبي العتاهية وصنعة أمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو عَون أحمد بن المنجّم أخبرني خِيارُ الكاتب قال : كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ من أهل المذار² جميعاً ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعملون هذه الجرار الخُضر ، فقدموا إلى بغداد ثم افترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرة . وذكر عن الرياشي أنّه قال مثل ذلك ، وأنّ أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولأى أبي العتاهية من قِبَل أبيه لَعَنَة ، ومن قِبَل أمّه لبني زهرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ، وكانت أمّه مولاة لهم ، يقال لها أم زيد .
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن مَهْرُويه قال : قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخَزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية³ :

ألا إنّما التَّقوى هو العزّ والكَرمُ وحُبُّكَ للدُّنيا هو الفقر والعَدَمُ
وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نقيصةٌ إذا صحَّحَ التَّقوى وإن حاك أو حَجَمَ

[فاخره رجل من كنانة]

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثنا الغلابيّ قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجلٌ من كِنانة أبا العتاهية في شيء ، ففخر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهلِه ؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنِي من ذِكرِ أبٍ وجَدٌ ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المجدِ

1 ل : محمد بن معاوية عن جنادة بن المغلس .

2 المذار : بين واسط والبصرة .

3 ابن العديم في دراسات : 52 (الفقرة 17) .

ما الفخرُ إلّا في التّقى والزُّهدِ وطاعةٍ تُعطي جِنان الخُلدِ
لا بُدَّ من ورْدٍ لأهلِ الورْدِ إمّا إلى ضَحَلٍ وإمّا عدٍ¹

[أراؤه الدينية]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء ، ثمّ إنّه بنى العالم هذه البنية منهما ، وأنّ العالم حديث العين والصنعة لا محدّث له إلّا الله . وكان يزعم أنّ الله سيردّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفنى الأعيان جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طبعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيع بمذهب الزيدية البثرية المبتدعة ، لا يتنقّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مُجبراً .

[مناظرته لثمامة بن أشرس]

قال الصُّوليّ : فحدّثني يموت بن المُرّع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجماع : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنّ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي ؛ فقال له : أجبه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرٍّ فهو من الله ، وأنّ تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحركها . فقال له ثمامة : حرّكها من أمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماض بظُر أمّه والله يا أمير المؤمنين ؛ فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تشغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا معن ، أما أغناك الجواب عن السّفة ؟ فقلت : إنّ من أتمّ الكلام ما قطع الحجّة ، وعاقب على الإساءة ، وشفى من الغيظ ، وانتصر من الجاهل .

قال محمد بن يحيى وحدّثني عون بن محمد الكِنديّ قال : سمعتُ العباس بن رُسَيم يقول : كان أبو العتاهية مُدبّلاً في مذهبه : يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره .

[اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المختلّين]

حدّثني أحمد بن عبّيد الله بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربّه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرّيحانيّ قال حدّثني أبو الشّمقمق : أنّه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المختلّين ، فقلت له : أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنّك وشعرك وقدرك ؟ !

فقال له : أريد أن أتعلّم كيادهم ، وأتحفظ كلامهم .

[حاوره بشر بن المعتمر في صناعة الحجامة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أن بشر بن المعتمر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنك لما نسكتَ جلستَ تحجّم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذاك كان ؟ قال نعم . قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضع من نفسي حسَباً رفعتني الدنيا ، وأضع منها ليسقطَ عنها الكبر ، وأكسبَ بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة . فقال له بشر : دعني من تذليلك نفسك بالحجامة ؛ فإنه ليس بحجة لك أن تؤدّبها وتصلحها بما لعلك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجّمه إلى إخراج الدم ؟ قال لا . قال : فهل كنتَ تعرف مقدار ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قدر طبعه ، ممّا إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضرّ المحجوم ؟ قال لا . قال : فما أراك إلا أردتَ أن تتعلّم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين !

[أراد حدوده صاحب الزنادقة أخذه فستر بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رستم قال : كان حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففرغ من ذلك وقعد حجّاماً . أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : قال أبو دعامه عليّ بن يزيد : أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نسك ، وأنه جلس يحجّم الناس للأجر تواضعاً بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقل له بلى . فقال : أما في بيع الجرار من الذلّ ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة ؟

[جوابه عن خلق القرآن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني شيخ من مشايخنا قال حدثني أبو شعيب صاحب ابن أبي ذؤاد قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتني عن الله أم عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أجبتك ولكنك حمار .

[أوصافه وصناعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا قال حدثني محمد بن موسى قال¹ : كان أبو العتاهية قضيّفاً ، أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وفرة جعدة ، وهيئة حسنة ولبابة وحصافة ،

وكان له عبيد من السودان ، ولأخيه زيد أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَرْفَ في أثُون لهم ؛ فإذا اجتمع منه شيء أَلَقَوْهُ على أجير لهم يُقال له أبو عباد اليزيدي من أهل طاق الجرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسُئِلَ عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال : أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسّر من الخَرْف فيكتبونها فيها .

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتّابي]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني عون بن محمد الكِندي قال حدثني محمد بن عمر الجُرْجاني قال : لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتّابي ، جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه ، ويُفضّل العتّابي عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

[من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلْمُكْنَى نَفْسَهُ	مُتَخَيِّراً بَعْتَاهِيَهُ
والمُرْسِلَ الْكَلِمَ الْقَبِيهَ	حَ وَغَتَهُ أَذُنٌ وَاعِيَهُ
إِنْ كُنْتَ سَرّاً سَوْتَنِي	أَوْ كَانَ ذَاكَ غَلَانِيَهُ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَا	لِ وَأَمَّ زَيْدٍ زَانِيَهُ

يعني أُمّ أبي العتاهية ، وهي أُمّ زيد بنت زياد ، فقيل له : أَتَشْتُمُ مسلماً ؟ فقال : لم أَشْتُمُهُ ، وإنما قلت :

فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَا لِي وَمَنْ عَيْنَا زَانِيَهُ

[هجاه والبة بن الحباب]

قال : وفيه يقول والبة بن الحباب وكان يُهاجيه :

[من الخفيف]

كَانَ فِينَا يُكْنَى أَبُو إِسْحَاقِ	وَبِهَا الرِّكْبُ سَارَ فِي الْآفَاقِ
فَتَكُنِّي مَعْتُوهُنَا بَعْتَاهِ	يَا لَهَا كُنْيَةٌ أَتَتْ بِاتِّفَاقِ
خَلَقَ اللَّهُ لِحَيَّةٍ لَكَ لَا تَدُ	فَكَ مَعْقُودَةٌ بِدَاءِ الْخُلَاقِ

[قصته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الأزهر قال حدثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدثنا النُّوشْجَانِي قال : أتاني البَوَّاب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخَرْاف بالباب ؛ فقلت : ائْذَنْ لهُ ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قَبْوَ مَوْزٍ ؛ فقال : قد صِرْتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلت أبا عُبَيْدَةَ

بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدثني عروة بن يوسف الثَّقَفِيُّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُوشْجاني في شِقِّ مَحْمِلٍ مُسَجَّى ، إلا أنه حيٌّ ، وعند رأسه قِنُوزٌ موز وعند رجله قِنُوزٌ موز آخر ، يُذهَبُ به إلى أهله . فقال النُوشْجاني وغيره : لما دخلنا عليه نعوذه قلنا : ما سبب عِلَّتِكَ ؟ قال : هذا النُوشْجاني جاءني بموز كأنه أيُّور المساكين ، فأكثرُ منه ، فكان سبب عِلَّتِي . قال : ومات في تلك العِلَّة .

[رأي مصعب بن عبد الله في شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مُصْعَبَ بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقلت له : بأيِّ شيء استحقَّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله¹ : [من الهزج]

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ	طَوَالَ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا	مُلِحًّا أَيِّ إِقْبَالٍ
أَيَا هَذَا تَجَهَّزْ لـ	فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
فَلَا بَدْءَ مِنَ الْمَوْتِ	عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

ثم قال مُصْعَبُ : هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقْصَان ، يعرفه العاقل ويُقِرُّ به الجاهل .

[استحسن الأصمعيُّ بعض شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال حدثنا الرِّياشيُّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ يستحسن قول أبي العتاهية² :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا	حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ	سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

[سلم الخاسر يعتبره أشعر الجن والإنس]

حدثنا محمد بن العباس اليزيديُّ إملاءً قال حدثني عمِّي الفضل بن محمد قال حدثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُورِيُّ قال³ : أتيتُ سَلْمًا الخاسر فقلت له : أنشدني لنفسك . قال : لا ، ولكن أنشدك لأشعر الجن والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله⁴ : [من المديد]

1 ديوان أبي العتاهية : 305 (رقم 316) .

2 البيتان في بخلاء الجاحظ : 166 .

3 قارن بابن العديم - دراسات : 50 (الفقرة 14) .

4 ديوان أبي العتاهية : 361 (رقم 368) .

صوت

سَكَنَ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ
 نَحْنُ فِي دَارٍ يُخْبِرُنَا بِيَلَاهَا نَاطِقُ لَسِينُ
 دَارُ سَوْءٍ لَمْ يَدْنُمُ فَرَحُ لَامَرَى فِيهَا وَلَا حَزَنُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا كُلُّنَا بِالمَوْتِ مُرْتَهَنُ
 كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ¹
 إِنْ مَالَ المَرءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الحَسَنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني رجل من أهل البصرة أنسيتُ اسمه ، قال حدثني حمدون بن زيد قال حدثني رجاء بن مسلمة قال : قلت لسلم الخاسر : مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتك بأشعر الجنِّ والإنس . فقلت : إنما أسألك عن الإنس ، فإن زدّنتي الجنَّ فقد أحسنت . فقال : أشعرهم الذي يقول : [من المديد]

سَكَنَ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

[أثنى جعفر بن يحيى على شعره ووافقه الفراء]

حدثني اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا يحيى بن زياد الفراء قال : دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أصلحك الله . قال : أزعمُ أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهل هذا العصر . فقلت : هو والله أشعرهم عندي .

[أثنى آخرون على شعره]

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني جعفر بن النضر الواسطي الضريّر قال حدثني محمد بن شيرويه الأنماطي قال : قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر : مَنْ أشعرُ أهل زمانه ؟ قال : أبو نواس . قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجن .

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال ، قال الربير بن بكّار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك ، قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول :

[من الكامل]

ما ضَرَّ مَنْ جَعَلَ التُّرَابَ مِهَادَهُ أَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرِيرِ إِذَا قَنَعَ
صَدَقَ وَاللَّهُ وَأَحْسَنَ .

[مهارته في الشعر]

حَدَّثَنِي الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي
الْمَعْلِيُّ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : كَيْفَ تَقُولُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ : مَا أَرَدْتُهُ قَطُّ إِلَّا مِثْلَ لِي ،
فَأَقُولُ مَا أُرِيدُ وَأَتْرُكُ مَا لَا أُرِيدُ .

أَخْبَرَنِي ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي رَوْحُ بْنُ الْفَرَجِ الْحِرْمَازِيُّ قَالَ :
جَلَسْتُ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ كَلَامِي كُلَّهُ شِعْرًا لَفَعَلْتُ .
حَدَّثَنَا الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عِكْرِمَةَ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ¹ :
سُئِلَ أَبِي : هَلْ تَعْرِفُ الْعَرُوضَ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْعَرُوضِ . وَلَهُ أَوْزَانٌ لَا تَدْخُلُ فِي
الْعَرُوضِ .

[نظم شعراً للرشد وهو مريض فقره]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عِكْرِمَةَ قَالَ : حُمِّ الرُّشِيدُ ، فَصَارَ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ بَرُوقَةً فِيهَا² :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُم مَا تَوَا إِذَا مَا أَلِمْتَ أَجْمَعُهُمْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ تَرْجَحُ بِاللَّد لَسَ إِذَا مَا وُزِنْتَ أَنْتَ وَهُمْ
قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ وَجْهَكَ يَسُ تَغْنِي إِذَا مَا رَأَى مُعْلِمُهُمْ
فَأَنْشَدَهَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ الرَّشِيدُ ؛ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، فَمَا زَالَ يُسَامِرُهُ وَيُحَدِّثُهُ
إِلَى أَنْ بَرَى ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ السَّبَبِ مَالٌ جَلِيلٌ .

[إعجاب ابن الأعرابي به]

قَالَ : وَحَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ بِالْمَجْلِسِ : مَا هَذَا
الشَّعْرَ بِمُسْتَحَقٍّ لِمَا قُلْتَ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ شَعْرٌ ضَعِيفٌ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ
أَحَدَ النَّاسِ : الضَّعِيفُ وَاللَّهُ عَقْلُكَ لَا شَعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، الْأَبْيُ الْعَتَاهِيَةِ تَقُولُ : إِنَّهُ ضَعِيفٌ
الشَّعْرَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَاعِرًا قَطُّ أَطْبَعَ وَلَا أَقْدَرَ عَلَى بَيْتٍ مِنْهُ ، وَمَا أَحْسَبُ مَذْهَبَهُ إِلَّا ضَرْبًا
مِنَ السَّحَرِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ لَهُ³ :

[من الكامل]

1 أفرد المرزباني ترجمة لمحمد بن أبي العتاهية في معجم الشعراء : 377 وأورد له مقطوعة .

2 ديوان أبي العتاهية (طبعة دار صادر) : 406 .

3 ديوان أبي العتاهية : 280 (رقم 295) وهي 47 بيتاً .

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَاسِرِينَ جَوَانِحِي فَأَرَحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
يَا أَيُّهَا الْبَطِيرُ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدٍ فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقُ الْأَوْصَالِ
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْهُدَى وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
قِسْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسْؤَالِ
فَإِذَا ابْتُلِيَتْ يَبْذُلُ وَجْهَكَ سَائِلًا فَاذْكُرْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْفَضَالِ
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَذُّرًا فِي بَلَدٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
وَاصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أن يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداك ؛ إني لم أرُ دُذَّ عليك ما قلت ، ولكنَّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية ، وشعره في المدح ليس كشعره في الزهد . فقال : أفليس الذي يقول في المدح¹ : [من الطويل]

وَهَارُونُ مَا إِذَا الْمُرْنُ يَشْفَى بِهِ الصَّدَى إِذَا مَا الصَّلْدِي بِالرَّيْقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ لَبِيتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قَرِيشٍ وَآخِرُهُ
وَزَحْفٍ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقَ سَيُوفُهُ وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكْتُ إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ يَبْضُ وَبِمَغَافِرُهُ
إِذَا نُكِبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنُكْبَةٍ فَهَارُونُ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ ثَائِرُهُ
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ مُدْرِكُ كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونُ ضَيْدٌ يُنَافِرُهُ

قال : فتخلَّص الرجل من شرِّ ابن الأعرابيِّ بأن قال له : القولُ كما قلت ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي]

حدَّثني محمد قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني ابن الأعرابيِّ المنجَّم قال حدَّثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عباد قال : حضرتُ أبا نواس في مجلسٍ وأنشد شعراً . فقال له مَنْ حضرَ في المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمَّا والشيخُ حيَّ فلا . (يعني أبا العتاهية) .

[أنشد لثمامة شعره في ذمّ البخل فاعترض على بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني الحسين بن أبي السريّ
قال : قال ثمامة بن أثرس أنشدني أبو العتاهية¹ :
[من الطويل]

إذا المرء لم يُعْتَقْ من المالِ نفسه تَمَلَّكه المالُ الذي هو مالِكُهُ
ألا إنّما مالي الذي أنا مُنْفِقٌ وليس لي المالُ الذي أنا تارِكُهُ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقُّ وإلاّ استهلكته مَهالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله ﷺ : «إنّما لك من مالك ما أكلتَ فأفانيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدّقتَ فأمضيتَ» . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسول الله ﷺ وأنتَ الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلم تحبسْ عندك سبعاً وعشرين بذرةً في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّي ولا تُقدّمها ذُخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله إنّ ما قلتَ هو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تزيد حالَ مَنْ افتقر على حالك ، وأنتَ دائمُ الحرصِ دائمُ الجَمْع ، شحيحٌ على نفسك ، لا تشتري اللحمَ إلاّ من عيد إلى عيد ؟ فترك جوابَ كلامي كلّهُ ، ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوايلهُ وما يتبعه بخمسة دراهم . فلمّا قال لي هذا القول أضحكني حتّى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنّه ليس ممّن شرح الله صدره للإسلام .

[حكايات في بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدثني ثمامة قال : دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزاً بلا شيء . فقلت : كأنّك رأيته يأكل خبزاً وحده ؟ قال : لا ؛ ولكنّي رأيته يتأدّم بلا شيء . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيته قدّامه خبزاً يابساً من رقاقِ فطيرٍ وقدحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنّك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيته أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المنزّهات ، وقد دعا عياشاً صاحب الجسر وتهيّأ له بطعام² ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قدّامهم الغداء فقدم إليّ ثريدةً بخلّ وزيت . فدخلت عليه ، وإذا هو يأكل منها أكل مُتكمّش

1 ديوان أبي العتاهية : 276 في الحاشية عن الأغاني (طبعة دار صادر : 317) .

2 ل : وهياً له غداء .

غير مُنكر لشيء . فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بشريدة بخلٍ وبُزْر بدلاً من الزيت . فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدةً بخلٍ وبُزْر . فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غَطِط الغلام بين دَبَّة الزيت ودَبَّة البُزْر ؛ فلمَّا جاءني كَرِهت التجبُّر وقلت : دُهْنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطية الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخزيميّ ، وكان جَارَ أَبِي العتاهية ، قال : كان لأبي العتاهية جَارٌ يلتقط النوى ضعيفٌ سَيِّء الحال متجملٌ له بنات¹ فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفِي النهار ؛ فيقول أبو العتاهية : اللهمَّ اغْنِهِ عَمَّا هُوَ بسبيله ، شيخٌ ضعيفٌ سَيِّء الحال له بنات متجملٌ ، اللهمَّ اغْنِهِ اصنع له ، بَارِك فيه . فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْواً من عشرين سنة . ولا والله إن تصدّق عليه بدرهم ولا دانيق قط ، وما زاد على الدعاء شيئاً . فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إني أراك تُكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنّه فقير معيل² ، فلم لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

قال محمد بن عيسى الخزيميّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسود طويل كأنّه محرّك أثون ، وكان يُجري عليه في كل يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع . فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّي ما أَفْتَر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام . فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدي رغيفاً فتوجّر ؛ فوعدته بذلك . فلمّا جلستُ معه مرّ بنا الخادم فكّرِهتُ إعلامه أنّه شكّا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، كم تُجري على هذا الخادم في كل يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكْفِيانه . قال : من لم يَكْفِه القليل لم يَكْفِه الكثير ، وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك ، وهذا خادم يدخل إلى حُرْمِي وبناتي ، فإن لم أعوّده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزار وفراش له خلّقي . فقلت له : سبحان الله ؛ خادمٌ قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحقّ ، تكفّنه في خلّقي ، وإنما يكفيك له كفن بدينار ؛ فقال : إنّه يصير إلى البلى ، والحجّ أولى بالجديد من الميت . فقلت له : يرحمك الله يا أبا إسحاق ! فلقد عوّده الاقتصاد حيّاً وميتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقف عليه ذات يوم سائلٌ من العيّارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حوله ، فسأله من بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ، فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية ، فأعاد عليه ثالثة فردّ عليه مثل ذلك ؛ فغضب وقال له : ألسْتَ القائل : [من المديد]

1 طبعة الدار : عليه ثياب .

2 طبعة الدار : مقلّ .

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مَيِّتِهِ حِظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفْنُ

ثم قال : فبالله عليك أتريد أن تُعَدَّ مَالُكَ كُلُّهُ لِثَمَنِ كَفْنِكَ ؟ قال لا . قال : فبالله كم قَدَرْتَ لكفْنِكَ ؟ قال : خمسة دنانير . قال : فهي إِذَا حِظُّكَ مِنْ مَالِكَ كُلُّهُ . قال نعم . قال : فتصدَّق عليّ من غير حِظِّكَ بدرهم واحد . قال : لو تصدَّقت عليك لكان حِظِّي . قال : فاعمل على أن ديناراً من الخمسة الدنانير وضييعته¹ قيراط ، وادفع إليّ قيراطاً واحداً ، وإلاّ فواحدة أخرى . قال : وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلاً بآثي أحفر لك قبرك به متى مُتَّ ، وتريح درهمين لم يكونا في حُسبانك ، فإن لم أحضر رددته على ورثتك أو ردّه كفيلي عليهم . فحجّل أبو العتاهية وقال : اعزّب لعنك الله وغضب عليك ؛ فضحك جميع من حضر . ومرّ السائل يضحك ؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثاله حُرِّمَت الصدقة . فقلنا له : ومن حرّمها ومتى حُرِّمَت ؟ فما رأينا أحداً ادّعى أن الصدقة حُرِّمَت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبي العتاهية : أتزكّي مَالُكَ ؟ فقال : والله ما انفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي . فقلت : سبحان الله ! إنّما ينبغي أن تُخرج زكاة مَالِكَ إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم .
[سئل عن أحكم شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق حدّثنا الزبير بن بكار قال : قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية : أيُّ شعرٍ قلته أحكم ؟ قال قولي :
[من الرجز]
عَلِمْتَ يَا مُجَاشِيعُ بْنَ مَسْعُودَ أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ
مَفْسُودَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسُودَ

[عاتب عمرو بن مسعدة]

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزيرة قال : . كان مُجَاشِيعُ بْنُ مَسْعُودَ أَخُو عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَ صَدِيقاً لأبي العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلّها ويُخلص مودّته ، فمات ، وعرضت لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب إليه أبو العتاهية² :

[من الطويل]

1 الوضيعة : حظّ شيء من أصل الثمن وتسمّى أيضاً «الحطيطة» .

2 ديوان أبي العتاهية : في الزيارات رقم 44 ورواية البيت الثاني فيه :

ومن عجب الأيام أن باد من يفي ومن كنت ترعاني له وبقيتا

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتَا وَضَيَّعْتَ وَدًّا بَيْنَنَا وَنَسَيْتَا
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ مَاتَ مَا لَفِي وَمَنْ كُنْتَ تَغْشَانِي بِهِ وَبَقِيَّتَا
فَقَالَ عَمْرُو : اسْتَطَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَعْمَارُنَا وَتَوَعَّدْنَا ، مَا بَعْدَ هَذَا خَيْرٌ ، ثُمَّ قَضَى حَاجَتَهُ .
[فَارَقَ أَبَا غَزِيَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَزِيَّةٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِذَا
قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَجْلِسُ إِلَيَّ ؛ فَأَرَادَ مَرَّةَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَوَدَّعَنِي ثُمَّ قَالَ : [مِنْ الْخَفِيفِ]
إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشَدُّ خَلَّ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ
[طَالِبَهُ غَلَامٌ مِنَ التِّجَارِ بِمَالٍ فَأَخْجَلَهُ بِشَعْرٍ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُثَيْلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الْغُدْرِيُّ قَالَ : كَانَ لِبَعْضِ التُّجَّارِ مِنْ أَهْلِ بَابِ الطَّاقِ عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ثَمَنُ
ثِيَابٍ أَخَذَهَا مِنْهُ . فَمَرَّ بِهِ يَوْمًا ، فَقَالَ صَاحِبُ الدَّكَانِ لَغَلَامٍ مِمَّنْ يَخْدُمُهُ حَسَنُ الْوَجْهِ : أَدْرِكْ أَبَا
الْعَتَاهِيَةِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى تَأْخُذَ مِنْهُ مَا لَنَا عِنْدَهُ ؛ فَأَدْرَكَهُ عَلَى رَأْسِ الْجِسْرِ ، فَأَخَذَ بَعْنَانِ حِمَارِهِ
وَوَقَفَهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ يَا غَلَامُ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ فُلَانٍ ، بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأَخْذِ مَا لَهُ عَلَيْكَ .
فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ؛ وَكَانَ كُلُّ مَنْ مَرَّ فَرَأَى الْغَلَامَ مُتَعَلِّقًا بِهِ وَقَفَ يَنْظُرُ ، حَتَّى رَضِيَ أَبُو
الْعَتَاهِيَةِ جَمْعَ النَّاسِ وَحَفْلَهُمْ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ¹ :

وَاللَّهِ رَبُّكَ إِنَّنِّي لِأَجِلُّ وَجْهَكَ عَنْ فِعَالِكَ
لَوْ كَانَ فِعْلُكَ مِثْلَ وَجْهِكَ كُنْتُ مُكْتَفِيًا بِذَلِكَ

فَخَجَلَ الْغَلَامُ وَأَرْسَلَ عِنانَ الْحِمَارِ ، وَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَقَالَ : بَعَثَنِي² إِلَى شَيْطَانٍ جَمَعَ
عَلَيَّ النَّاسَ وَقَالَ فِي الشَّعْرِ حَتَّى أَخْجَلَنِي فَهَرَيْتُ مِنْهُ .
[حُجِبَهُ حَاجِبُ عَمْرُو بْنِ مُسْعَدَةَ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ :
حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَكِيمٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَخْتَلِفُ إِلَى عَمْرُو بْنِ مُسْعَدَةَ لَوْدٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
أَخِيهِ مُجَاشَعٍ . فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَحُجِبَ عَنْهُ ، فَلَزِمَ مَنْزِلَهُ . فَاسْتَبْطَأَهُ عَمْرُو ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ
الْكَسَلَ يَمْنَعُنِي مِنْ لِقَائِكَ ؛ وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ رَقْعَتِهِ³ :

1 تكلمة الديوان : رقم 221 (صادر : 321) .

2 ل : أرسلتني .

3 تكلمة الديوان : رقم 217 .

كَسَلَنِي الْيَأْسُ مِنْكَ عَنكَ فَمَا أَرْفَعُ طَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلٍ
 إِنِّي إِذَا لَمْ يَكُنْ أَخِي ثِقَةً قَطَعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الْأَمَلِ
 حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو
 الْعَتَاهِيَةِ عَلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ فَحُجِبَ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ¹ : [من المنسرح]

مَا لَكَ قَدْ حُلْتَ عَنْ إِخَائِكَ وَاسِدَ تَبَدَّلْتَ يَا عَمْرُو شِمَةَ كَدِيرَةٍ
 إِنِّي إِذَا الْبَابُ تَاهَ حَاجِبُهُ لَمْ يَكْ عِنْدِي فِي هَجَرِهِ نَظِيرَةٌ
 لَسْتُمْ تُرْجَوْنَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ
 لَكِنْ لَدُنْيَا كَالظِّلِّ بَهْجَتُهَا سَرِيعَةُ الْإِنْقِضَاءِ مُنْشِرَةٌ
 قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فَالْيَوْمَ أَضْحَى حَرْفًا مِنَ النَّكِيرَةِ

[قصيدته في هجو عبد الله بن معن]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عِكْرِمَةَ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ إِذَا رَأَى
 عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْنٍ بَنَ زَائِدَةً تَمَثَّلَ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ : [من السريع]

أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بَنَا مَمْشُوطَةٌ كُورًا عَلَى بَغْلٍ

وَأَوَّلَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ² : [من السريع]

يَا صَاحِبِي رَحْلِي لَا تُكْثِرَا فِي شَتْمِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَذْلِ
 سَبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
 قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ عَلَى مَنْ الْجَلُوءُ يَا أَهْلِي
 أَنَا فِتَاةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
 مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحِجَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
 وَيَلِي وَيَا لَهْفِي عَلَى أُمْرِدٍ يُلْصِقُ مَنِي الْقُرْطِ بِالْحِجْلِ
 صَافِحَتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ فَقَالَ دَغْ كَفِي وَخُذْ رِجْلِي
 أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بَنَا مَمْشُوطَةٌ كُورًا عَلَى بَغْلٍ
 تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ وَيَا مَنْ رَأَى جَارِيَةً تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ

1 تكملة الديوان : رقم 102 عن الأغاني .

2 تكملة الديوان : رقم 210 عن الأغاني (صادر : 381) .

قد نَقَطْتُ في وجهها نُقْطَةً مَخَافَةَ العَيْنِ مِنَ الكُخْلِ
 إن زُرْتُمُوهَا قال حُجَّابُهَا نحن عن الزُّورِارِ في شُغْلِ
 مولائُنَا مشغولَةٌ عندها بَعْلٌ ولا إِذْنَ على البَعْلِ
 يا بنتَ مَعْنٍ الخيرِ لا تَجْهَلِي وأين إقْصَارٌ عن الجَهْلِ
 أَتَجْلُدُ النَّاسَ وَأَنْتِ امْرُؤٌ تُجْلِدُ في الدُّبُرِ وفي القَبْلِ
 ما يَنْبَغِي للنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخْلِ
 يَبْذُلُ ما يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى هذا لَعَمْرِي مُتَهَيِّ البَذْلِ
 ما قَلْتُ هذا فيكَ إِلَّا وقد جَفَّتْ به الأَقْلَامُ من قَبْلِي

قال : فبعث إليه عبد الله بن معن ، فأتي به ؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزيتك على قولك في ، فهل لك في الصلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال ¹ :

ما لُعْذَالِي وما لي أمروني بالضَّلَالِ
 عَذَلُونِي في اغْتِفَارِي لابن مَعْنٍ واحتمالي
 إن يكن ما كان منه فبِجُرْمي وفعالي
 أنا منه كُنتُ أسوأ عِشْرَةً في كُلِّ حالِ
 قل لِمَنْ يَعْجَبُ من حُسِّ من رُجوعي ومَقالي
 رَبٌّ وُدٌّ بعد صَدٍّ وهوى بعد تَقالي
 قد رأينا ذا كَثِيرًا جاريًا بين الرِّجالِ
 إِنَّمَا كَانَتْ يَمِينِي لَطَمَتْ مِنِّي شِمَالِي

[أحبَّ سعدى التي كان يحبها ابن معن ثم هجاها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليَّ قال حدثنا محمد بن موسى اليزيديَّ قال حدثنا أبو سُوَيْدَ عبد القويَّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالوا : كان أبو العتاهية يَهْوَى في حَدائِته امرأةً نائحةً من أهل الحيرة لها حُسنٌ وجمال يُقال لها سَعْدَى ؛ وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يَهْوَاهَا أيضًا ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتَّهمها أبو العتاهية بالنِّساء ، فقال

فيها¹ :

[من الطويل]

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحْقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
أَفِقْنَ فَإِنَّ الْخَبْزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى
أَرَاكُنَّ تَرْقَعَنَّ الْخُرُوقَ بِمِثْلِهَا
وَهَلْ يَصْلَحُ الْمِهْرَاسُ إِلَّا بَعُودَهُ
أَفِقْنَ فَإِنَّ النَّيْكَ أَشْفَى مِنَ السَّحْقِ
وَلَيْسَ يَسُوءُ الْخَبْزُ بِالْخُبْزِ فِي الْحَلَقِ
وَأَيُّ لَيْبٍ يَرْقَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقِ
إِذَا احْتَجَّجَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدَّقِّ

[أهاجيه في ابن معن]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَهْدِيٌّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ
أَبَا الْعَتَاهِيَةِ وَخَوْفَهُ وَنَهَاهُ أَنْ يَغْرِضَ لِمَوْلَاتِهِ سَعْدَى ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ² :

[من المخرج]

أَلَا قُلْ لَابْنِ مَعْنٍ ذَا الذِّ
لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَ
وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأُسْدِ
فَضُغْ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ
وَلَوْ مَدَّ إِلَى أُذُنِي
قَصِيرُ الطُّوْلِ وَالطَّلِيلِ
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالًا
ي فِي الْوُدِّ قَدْ حَالَا
فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
لَمَا صَالَ وَلَا هَالَا³
بِهِ سَيْفَكَ خَلَّخَالَا
إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالَا
ه كَفَيْهِ لَمَا نَالَا
لَا شَبَّ وَلَا طَالَا⁴
وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَا

حَدَّثَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : احْتَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَتَّى أُخِذَ فِي مَكَانٍ فَضْرِبَهُ مِائَةً سَوْطَ ضَرْبٍ لَيْسَ بِالْمَبْرَحِ
غَيْظًا عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَعْغُفْ فِي ضَرْبِهِ خَوْفًا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى بِهِ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ
يَهْجُوهُ⁵ :

[من مجزوء الخفيف]

جَلَدْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ بِنْتُ زَائِدَةَ

1 تكملة الديوان : رقم 165 .

2 تكملة الديوان : رقم 194 (صادر : 380) .

3 صال في الديوان : راع .

4 الديوان : قصير الطول والطول فلا

5 تكملة الديوان : رقم 69 عن الأغاني .

جَلَدْتَنِي فَأَوْجَعْتُ بِأَبِي تِلْكَ جَالِدَةٌ
وَتَرَاهَا مَعَ الْخَصِيِّ عَلَى الْبَابِ قَاعِدَةٌ
تَتَكَنَّى كُنَى الرَّجَا لِإِعْمَدٍ مُكَايِدَةٌ
جَلَدْتَنِي وَبَالِغْتُ مَائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ
أَجْلِدُنِي وَأَجْلِدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَةٌ

وقال أيضاً¹ :

[من الخفيف]

ضَرَبْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ أَوْجَعَتْ كَفِّهَا وَمَا أَوْجَعْتَنِي
وَلَعَمْرِي لَوْلَا أَدَى كَفِّهَا إِذْ ضَرَبْتَنِي بِالسُّوْطِ مَا تَرَكْتَنِي

[توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصولي : حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَا : لَمَّا اتَّصَلَ هَجَاءُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ وَكَثُرَ ، غَضِبَ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْنٍ مِنْ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ؛ فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَاهَا² :

[من الوافر]

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِيهِ يَزِيدُ كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحُسَّادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحُسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنَعٍ وَبَخْلِ وَيَنْقُصُ فِي الْعَطَاءِ وَلَا يَزِيدُ

[مصالحته أولاد معن]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَبَلَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : مَضَى بَنُو مَعْنٍ إِلَى مَنْدَلٍ وَحَيَّانِ ابْنَيْ عَلِيِّ الْعَنْزِيِّينَ الْفَقِيهَيْنِ ، وَهُمَا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بَطْنٍ مِنْ يُقْدَمَ بْنِ عَنَزَةَ ، وَكَانَا مِنْ سَادَاتِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَحْنُ بَيْتٌ وَاحِدٌ وَأَهْلٌ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَنَا ، وَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَوْلَاكُمْ هَذَا مَا لَوْ أَتَانَا مِنْ بَعِيدِ الْوَلَاءِ لَوَجِبَ أَنْ تَرُدَّعَاهُ . فَأَحْضَرَا أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُمَكِّنُهُ الْخِلَافُ عَلَيْهِمَا ، فَأَصْلَحَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَيَزِيدَ ابْنَيْ مَعْنٍ ، وَضَمِنَا عَنْهُ خُلُوصَ النِّيَّةِ ، وَعَنْهُمَا أَلَّا يَتَّبِعَاهُ بِسُوءٍ ، وَكَانَا مِمَّنْ لَا يُمَكِّنُ خِلَافَهُمَا ، فَرَجَعَتْ الْحَالُ إِلَى الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ . فَجَعَلَ النَّاسُ يَعْذِلُونَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَلَا مَهْ آخِرُونَ فِي صَلَاحِهِ لَهَا ؛ فَقَالَ :

[من مجزوء الرمل]

1 تكلمة الديوان : رقم 266 .

2 تكلمة الديوان : رقم 62 .

ما لُعْذَالِي وَمَا لِي أُمُرُونِي بِالضَّلَالِ

وَقَدْ كُتِبَتْ مُتَقَدِّمَةً .

[رثاؤه زائدة بن معن]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ : كَانَ زَائِدَةُ بْنُ مَعْنٍ صَدِيقًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَلَمْ يُعِنْ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ ، فَمَاتَ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَرِثُهُ¹ : [من الوافر]

حَزَنْتُ لِمَوْتِ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ	حَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِ حُزْنِي
فَتَى الْفَتَيَانِ زَائِدَةُ الْمُصَفَّى	أَبُو الْعَبَّاسِ كَانَ أُخِي وَخِذْنِي
فَتَى قَوْمٍ وَأَيُّ فَتَى تَوَارَتْ	بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ ثَرَى وَلَبْنِ
أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ	دَعْوَتُكَ كَيْ تُجِيبَ فَلَمْ تُجِيبْنِي
سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَرْكَانِ قَوْمِي	أَصْبَنَ بِهِنَّ رُكْنًا بَعْدَ رُكْنِ

[عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه]

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ الْقَارِيءُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي قَتَنِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَذَكَرُوا² قَوْلَ ابْنِ نَوْفَلٍ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ : [من الطويل]

إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ لِحَاجَةٍ فَهَمٌّ بِأَنْ يَقْضِي تَنْحَنَجَ أَوْ سَعَلَ
وَأَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : تَرَكْنِي وَاللَّهِ وَإِنَّ السُّعْلَةَ لَتَعْرِضُ لِي فِي الْخَلَاءِ فَأَذْكُرُ قَوْلَهُ
فَأَهَابَ أَنْ أَسْأَلَ . قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : فَهَذَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ :

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا

وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالًا

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ : مَا لِبِسْتُ سَيْفِي قَطَّ فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا يَلْمَحُنِي إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَحْفَظُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِيَّ ، فَلِذَلِكَ يَتَأَمَّلُنِي فَأُحْجَلُ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اعْجَبُوا لِعَبْدٍ يَهْجُو مَوْلَاهُ . قَالَ :
وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ .

[ناظر مسلم بن الوليد]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي بَعْضِ

1 تكلمة الديوان : رقم 269 .

2 ل : فتذاكروا .

المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك¹ :

الحمدُ والنعمةُ لك والملكُ لا شريكَ لك
ليبك إنَّ الملُكَ لك

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكني أقول² : [من البسيط]

مُوف على مُهَجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنَّه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
ينالُ بالرَّقَى ما يَغيا الرجالُ به كالْموتِ مُسْتَعِجِلًا يَأْتِي على مَهَلٍ
يكسو السيوفُ نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تِيْجَانَ القنا الذُّبُلِ
للهِ من هاشمٍ في أرضِهِ جَبَلٍ وَأَنْتَ وابْنُكَ رُكْنَا ذلكَ الجَبَلِ
فقال له أَبُو العتاهية : قُلْ مثلَ قولي :

الحمدُ والنعمةُ لك
أَقُلْ مثل قولك :

كأنَّه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ

[تقارض هو وبشار التناء]

حدَّثني الصوليُّ قال حدَّثنا الغلابيُّ قال حدَّثنا مهديُّ بن سابق قال : قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أُسْتَحْسِنُ اعتذاركَ من دمَعِكَ حيث تقول³ : [من مجزوء الكامل]

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لي أَسَا رِقَهُ الْبُكَاءُ مِنَ الْحَيَاءِ
فإِذَا تَأَمَّلَ لَامَنِي فَأَقُولُ ما بي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِأُرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ

فقال له أَبُو العتاهية : لا والله يا أبا مُعَاذٍ ، ما لُذْتُ إِلَّا بِمَعْنَاكَ ولا اجْتَنَيْتُ إِلَّا مِنْ غَرَسِكَ حيث تقول⁴ :

1 تكلمة الديوان : رقم 203 .

2 شرح ديوان صريع الغواني (تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف بمصر) : 9 .

3 تكلمة الديوان : رقم 2 .

4 في أمالي القاضي 1 : 49-50 أبيات منها :

وقالوا قد جزعت فقلت كلا وهل يكي من الطرب الجليل
ولم ينسبها لبشار . ومن المستبعد نسبتها إلى بشار لأن قائلها لا بد أن يكون بصيراً .

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما أَلَقِي وقلتُ لهنّ ما يَوْمِي بَعِيدُ
فَقُلْنَ بِكَيْتَ قَلْتُ لهنّ كَلًّا وقد يَنْكِي من الشَّوْقِ الجَلِيدُ
ولكنّي أَصابَ سَوَادَ عيني عَوَيْدُ قَذَى له طَرْفُ حديدُ
فَقُلْنَ فما لَدَمْعِهما سواءُ أَكَلْنَا مُقَلَّتَيْكَ أَصابَ عودُ
إبراهيم الموصليّ في هذه الأبيات لحن من الثقليل الأوّل بالوسطى مُطلق .

[شكا إليه محمد بن الفضل الهاشمي جفاء السلطان]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن هارون الأزرقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابن محمد بن الفضل الهاشمي قال : جاء أبو العتاهية إلى أبي فتح حدّثنا ساعة ، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلَّف الصَّنْعَة وجفاء السلطان . فقال لي أبو العتاهية : اكتب¹ :

كلُّ على الدنيا له حِرْصُ والحادثاتُ أَناتُها غَفْصُ²
وكأنّ من وَارَوْه في جَدَثٍ لم يبدُ منه لناظر شَخْصُ
تَبْغِي من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هي النَقْصُ
يَسِدِ المنيّة في تَلَطُّفها عن دُخْر كلِّ شَفِيقَةٍ فَحْصُ

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازها]

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهاشمي عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مُخَارِقُ قال : لما تنسك³ أبو العتاهية ولبس الصوف ، أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل ، فامتنع ؛ فضربه الرشيد ستين عصاً ، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل . فلما رُفِعَتْ المقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله . فكان الرشيد تحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس في دار ويوسّع عليه ، ولا يُمنع من دخول من يريد إليه . قال مُخَارِقُ : وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرف خبره . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظهراً⁴ ودواةً ؛ فيكتب

1 ديوان أبي العتاهية : 198 (رقم 206) .

2 الغفص : الخنل .

3 ل : تقرأ وهي بمعنى «تنسك» . وانظر الخبر في ابن العديم - دراسات : 51 (الفقرة : 16) .

4 ل : ظهوراً .

إليّ ما يريد ، وأكلمه . فمكث هكذا سنة . واتفق أن إبراهيم الموصليّ صنع صوته : [من الكامل]

صوت

أَعْرِفْتَ دَارَ الْحَيِّ بِالْحِجْرِ فَشَدُورِيانَ فَقِنَّةَ الْغَمْرِ¹
وَهَجَرَتَنَا وَلَقْتَ رَسْمَ بِلَى وَالرَّسْمُ كَانَ أَحَقَّ بِالْهَجْرِ

لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى ، وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . قال مخارق : فقال لي إبراهيم : اذهب إلى أبي العتاهية حتى تُغنيّه هذا الصوت . فأتيته في اليوم الذي انقضت² فيه يمينه ، فغنيته إياه . فكتب إليّ بعد أن غنيته : هذا اليوم تنقضي فيه يميني ، فأحبّ أن تُقيم عندي إلى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّهُ ، حتى إذا أذن الناسُ المغربَ كلّمَني ، فقال : يا مُخارق . قلت : لبيّك . قال : قلْ لصاحبك : يا ابن الزانية ؛ أما والله لقد أبقيتَ للناس فتنةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً ؛ قال مخارق : فكنْتُ أوّل من أفطر على كلامه ؛ فقلت : دُعني من هذا ، هل قلتَ شيئاً للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في امرأتي شعراً . قلت : هاته ؛ فأنشدني³ :

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُشْتَاقٍ شَفَهُ شَوْقَهُ وَطُولُ الْفِرَاقِ
طَالَ شَوْقِي إِلَى قَعِيدَةِ بَيْتِي لَيْتَ شَعْرِي فَهَلْ لَنَا مِنْ تَلَاقِي
هِيَ حَظِّي قَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ ذَوَاتِ الْعُقُودِ وَالْأَطْوَاقِ
جَمَعَ اللَّهُ عَاجِلاً بِكَ شَمْلِي عَنْ قَرِيبٍ وَفَكَّنِي مِنْ وَثَاقِي

قال : فكتبتها وصيرتُ بها إلى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحناً ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غناه إياه في ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعر والغناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي ، وأمّا الشعر فلا أُسِيرِكُ أبي العتاهية . فقال : أو قد فعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستين عصاً ، فأمر له بستين ألف درهم وخلّع عليه وأطلقه .

1 الغمر : جبل بخذاء تَوَزَّ بِمَكَّةَ .

2 ل : انقطعت .

3 الأبيات في تكملة الديوان : 586 عن الأغاني . وكلّ ما لم نشير إلى تخريجه في الديوان من شعره فهو منقول عن الأغاني . وانظر أيضاً ابن العديم : 64 (الفقرة 40) .

[غضب عليه الرشيد وترصّاه له الفضل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا الحسين بن أبي السريّ قال : قال لي الفضل بن العباس : وجد الرشيدُ وهو بالرّقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلّم الفضلُ بن الربيع في أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب إليه أبو العتاهية¹ :

أَجَفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَانَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أُمْتَنَنِي مِمَّا أَرَى كُلَّ الْأَمَانِ
حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَا نُ عَلِيٍّ صَرْتُ مَعَ الزَّمَانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضي عنه . وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخص ، ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ فشخص إليه . فلمّا دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه² : [من الخفيف]

قد دعونا نائياً فوجدنا ه على نأيه قريباً سميعاً
فأدخله إلى الرشيد ، فرجع إلى حالته الأولى .

[رثاء يزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال : كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّب لأبي العتاهية ؛ لأنّه كان يمدح اليمانية أحوالَ المهديّ في شعره ؛ فمن ذلك قوله³ :

صوت

سُقِيَتَ الْغَيْثَ يَا قَصَرَ السَّلَامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
لَقَدْ نَشَرَ الْإِلَاهُ عَلَيْكَ نُوراً وَحَفَّكَ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ
سَأَشْكُرُ نِعْمَةَ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَدُورَ عَلَيَّ دَائِرَةُ الْحِمَامِ
لَهُ بَيْتَانِ بَيْتٌ تُبْعِي وَبَيْتٌ حَلَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنّه مولى لليمن ويتنفي من عنزة ؛ فلمّا مات يزيد رجع إلى ولائه الأوّل . فحدّثني الفضل بن العباس قال : قلت له : ألم تكن تزعمُ أنّ ولائك لليمن ؟! قال : ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن ، وما في واحدٍ ممّن

1 تكملة الديوان : رقم 267 .

2 تكملة الديوان : رقم 149 .

3 تكملة الديوان : رقم 242 .

انتميتُ إليه خيرٌ ، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ . وكان ادَّعى ولاءَ اللَّخْمِيِّينَ . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحُرْمَةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان باراً بأبي العتاهية ، كثيراً فضله عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعَةٍ وحصْنٍ حصين مع كثرة ما يدفعه إليه ويمنعه من المكاره . فلَمَّا مات قال أبو العتاهية يرثيه ¹ :

[من البسيط]

أُنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ إِلَى الْبَشْرِ	أُنْعَى يَزِيدَ لِأَهْلِ الْبَدَنِ وَالْحَضَرِ
يَا سَاكِنَ الْحُفْرَةِ الْمَهْجُورِ سَاكِنُهَا	بَعْدَ الْمَقَاصِرِ وَالْأَبْوَابِ وَالْحُجَرِ
وَجَدْتُ فَقْدَكَ فِي مَالِي وَفِي نَشْبِي	وَجَدْتُ فَقْدَكَ فِي شَعْرِي وَفِي بَشْرِي
فَلَسْتُ أُدْرِي جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً	أَمُنْظَرِي الْيَوْمَ أَسْوَأَ فَيْكِ أَمْ خَبْرِي

[استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدي]

حدَّثَنَا ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلْفٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ ² : حَدَّثْتُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ جَلَسَ لِلشُّعْرَاءِ يَوْمًا ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَفِيهِمْ بَشَّارٌ وَأَشْجَعُ ، وَكَانَ أَشْجَعُ يَأْخُذُ عَنْ بَشَّارٍ وَيُعْظِمُهُ ، وَغَيْرُ هَذَيْنِ ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . قَالَ أَشْجَعُ : فَلَمَّا سَمِعَ بَشَّارَ كَلَامَهُ قَالَ : يَا أَخَا سُلَيْمٍ ، أَهَذَا ذَلِكَ الْكُوفِيُّ الْمُلقَّبُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : لَا جِزَى اللَّهِ خَيْرًا مِنْ جَمْعِنَا مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَنْشُدْ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ؛ أَوْيَبُداً فَيُسْتَشَدُّ أَيْضاً قَبْلَنَا ؟ ! فَقُلْتُ : قَدْ تَرَى . فَأَنْشُدْ :

[من المتقارب]

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَا	أَذَلًّا فَأَحْمِلَ إِذْ لَهَا
وَالْأَفْهَمَ تَجَنَّتْ وَمَا	جَنَيْتُ سَقَى اللَّهِ أَطْلَالَهَا
أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ لِيلَامَا	مِ قَدْ أُسْكِنَ الْحُبَّ سِرْبَالَهَا
مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخُطَا	تُجَاذِبُ فِي الْمَشْيِ أَكْفَالَهَا
وَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِهَا	وَأَتَعَبَ بِاللُّؤْمِ عَذَالَهَا

قال أشجع : فقال لي بشار : وَيْحَكَ يَا أَخَا سُلَيْمٍ ؛ مَا أُدْرِي مِنْ أَيْ أَمْرِيهِ أَعْجَب : أَمِنْ ضَعْفِ شِعْرِهِ ، أَمْ مِنْ تَشْبِيهِه بِجَارِيَةِ الْخَلِيفَةِ ، يَسْمَعُ ذَلِكَ بِأُذُنِهِ ! حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ : [من المتقارب]

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً	إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
وَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ	وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

1 تكملة الديوان : رقم 111 .

2 الخير والشعر في ابن العديم - دراسات : 71 (الفقرة 48) . وانظر ديوان أبي العتاهية : الزيادة (رقم 719) .

ولو رامها أحدٌ غيره
لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تُطعها بنات القلوب
لما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من بغض لا
إليه ليُبغض من قالها

قال أشجع : فقال لي بشّار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى الخليفة لم يطير عن
فرشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي ؟

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني ابن مَهرويه قال حدثني العباس بن ميمون قال
حدثني رجاء بن سلمة قال : سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ، ثم
قلتُ قصيدة أحسن منها . قال : وقد قيل : إن منصور بن عمار شنع عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدثنا ابن مَهرويه قال حدثني أبو عَمَر القرشيّ قال : لما قصّ منصور بن
عمار على الناس مجلسَ البعوضة قال أبو العتاهية : إنما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من رجل
كوفي . فبلغ قوله منصوراً فقال : أبو العتاهية زنديقٌ ، أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا
النار ، وإنما يذكر الموت فقط ؟ فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه ¹ : [من البسيط]

يا واعظ الناس قد أصبحتَ مُتَهَمًا إذ عمتَ منهم أموراً أنت تأتيها
كالمليس الثوبَ من عُرِيٍّ وعورته للناس باديةٌ ما إن يُوارِيها
فأعظمُ الإثمِ بعد الشرك نَعْلُهُ في كلِّ نفسٍ عَمّاها عن مساويها
عرفانها بعيوبِ الناس بُصرها منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال :
يَغْفِرُ اللهُ لك أبا السريِّ ما كنتَ رميتني به .

[وشي به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال أخبرني النسائي عن محمد بن أبي
العتاهية قال ² : كانت لأبي العتاهية جارة تُشْرِفُ عليه ، فرأته ليلةً يَقْنَتُ ، فروت عنه أنه يُكَلِّمُ
القمر ، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية
وراه يُصَلِّي ، ولم يزل يرقبه حتى قَنَتَ وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويه خاسئاً .

1 ديوان أبي العتاهية : 445 (رقم 441) وفيه في البيت الرابع «وشغلها» بدل «عرفانها» .

2 هذا الخبر في ابن العديم - دراسات : 53 (الفقرة 22) . وحمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من
أهل ميسان ، عيّنه المهدي لتعقب الزنادقة .

[قال شعراً يدلّ على توحيده ليتناقله الناس]

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرياشي قال حدّثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أنّي زنديق ، والله ما ديني إلاّ التوحيد . فقلنا له : فقلّ شيئاً نتحدّث به عنك ؛ فقال¹ :

[من المتقارب]

ألا إنّنا كلّنا بائدٌ وأيُّ بني آدمٍ خالدٌ
ويذوّهمُ كان من ربّهم وكلُّ إلى ربّه عائدٌ
فيا عجباً كيف يُعصى الإل هـ أم كيف يجحدّه الجاحدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنّه واحدٌ

[أرجوزته المشهورة]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال : تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ؛ إلى أن جرى ذكرُ أرجوزته المزدوجة التي سماها «ذات الأمثال» ؛ فأخذ بعض من حضر يُنشدها حتى أتى على قوله :

[من الرجز]

يا للشّبابِ المَرِحِ التّصابي روائحُ الجنّةِ في الشّبابِ

فقال الجاحظ للمنشد : قِفْ ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

روائحُ الجنّةِ في الشّبابِ

فإنّ له معنًى كمعنى الطّرب الذي لا يقدر على معرفته إلاّ القلوبُ ، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلاّ بعد التطويل وإدامة التفكير . وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرعَ من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، ويقال : إن له فيها أربعة آلاف مثَل . منها قوله² :

[من الرجز]

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ ما أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَن يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مِمَّنِ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلُمْنِي أَوْ فَدَّرْ إِن كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمٌ ما أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنَمْ
ما انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ

1 ديوان أبي العتاهية : 102 (رقم 103) .

2 هذه الأرجوزة وردت في أصل ديوانه ، وقد جاءت في 320 بيتاً (ص 444-465) .

إِنَّ الفسادَ ضِيْدُهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ المِزَاحُ
 مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْناً هَلَكاً مُبْلِغُكَ الشَّرَّ كَبَاغِيهِ لَكَ
 إِنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ للمرءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ أَفْتَهُ بِقَاوُهُ نَغَصَ عَيْشاً كُلَّهُ فَنَاوُهُ
 يَا رَبِّ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَخْضِ وَكُلُّ مُمْتَزِجٍ وَسَاوَسَ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعَلُّجُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأكْبَرِهِ
 مَا زَالَتْ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَمْرُوجَةٍ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَإِذَا نِتَاجُ وَلَإِذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَخْضِ وَلَيْسَ مَخْضُ يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطْيِبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَانِ
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَمَنِي السَّكُوتُ صِرْتُ كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ الصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جداً ، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسبَ ما استأنقَ الكلامُ من صفتها .

[يرمه بالناس وذمه لهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويَه عن رَوْحِ بنِ الْفَرَجِ قال : شاورَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُشْ عليه : لَعْنَةُ اللهِ عَلَى النَّاسِ ؛ وأنشد¹ : [من السريع]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِم فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
 مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

[مدح عمر بن العلاء]

حَدَّثَنَا الصُّوَيْيَّ قَالَ حَدَّثَنَا الْغَلَايِي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ صَاحِبَ الْمَهْدِيِّ كَانَ مُمَدِّحًا ، فَمَدَحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَقَالَ : كَيْفَ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا الْكُوفِيِّ ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ مِقْدَارُ شَعْرِهِ ؟ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَأَحْضَرَ الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْكُمْ لَيَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يُصِيبُهُ ، وَيَتَعَاطَاهُ فَلَا يُحْسِنُهُ ، حَتَّى يُشَبِّبَ بِخَمْسِينَ بَيْتًا ، ثُمَّ يَمْدَحُنَا بِيَعِضِهَا ، وَهَذَا كَأَنَّ الْمَعْنَى تُجْمَعُ لَهُ ، مَدَحْنِي فَقَصَّرَ التَّشْبِيبَ ، وَقَالَ ¹ :

إِنِّي أُمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِّيهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَدَّوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالًا

صوت

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَاسِيًا وَرِمَالًا
فَإِذَا وَرَدْنَ بَنَّا وَرَدْنَ مُخِيفَةً وَإِذَا رَجَعْنَ بَنَّا رَجَعْنَ ثِقَالًا
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ نَصِيبٍ :
فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

[رأى العتابي فيه]

حَدَّثَنَا الصُّوَيْيَّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ كَاتِبُ غَسَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَخْرَجْتُ رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يُرِيدُ مِصْرَ ، فَنَزَلَتْ عَلَى الْعَتَابِيِّ ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي لِشَاعِرِ الْعِرَاقِ ، يَعْنِي أَبُو نَوَاسٍ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ ، فَأَنْشَدْتُهُ مَا كُنْتُ أَحْفَظُ مِنْ مُلْحِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : ظَنَنْتُكَ تَقُولُ هَذَا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ . فَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ لَقُلْتُ لَكَ : أَنْشِدْنِي لِأَشْعَرِ النَّاسِ ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى الْعِرَاقِ .

[ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعْدَانَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ بِالشَّعْرِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَوْ أَحْسَنُوا تَأْلِيفَهُ كَانُوا شُعْرَاءَ كُلِّهِمْ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ لِآخِرٍ عَلَيْهِ مِسْحٌ : « يَا صَاحِبَ الْمِسْحِ تَبِيعَ الْمِسْحَ ؟ » . فَقَالَ لَنَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ ، أَلَمْ تَسْمَعُوهُ يَقُولُ :

[من الرجز]

يا صاحبَ المسحِ تَبِعِ المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : « تعال إن كنتَ تريدُ الرِّيحَ » . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له :

تعالَ إن كنتَ تُريدُ الرِّيحَا

[وصف الأصمعيّ شعره]

حدّثنا الصُّوفيّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحَلَبِيّ قال حدّثنا مَزِيدُ الهاشميِّ عن السُّدْرِيّ قال : سمعت الأصمعيّ يقول : شِعْرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يَقَعُ فيها الجوهْرُ والذهبُ والترابُ والخَرْفُ والنُّوى .

[مدح يزيد بن منصور]

أخبرني محمد بن مَزِيدُ بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : لما حَبَسَ المهديُّ أبا العتاهية ، تكَلَّمَ فيه يزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية¹ : [من البسيط]

ما قلتُ في فَضْلِهِ شيئاً لأمدَحَه إلّا وَفَضْلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قلتُ
ما زلتُ من رَيْبٍ دهري خائفاً وَجِلاً فقد كَفاني بَعْدَ اللَّهِ ما خِفْتُ

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ . فقلت : يا أبا إسحاق ، أما يصعبُ عليك شيءٌ من الألفاظ فنحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرٌ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُستكرَهة ؟ قال لا . فقلت له : إني لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السَّهْلَة . قال : فاعرَضَ عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ . فقال من ساعته² :

أَيُّ عيشٍ يكون أَبْلَغُ من عي شِ كَفَافٍ قُوْتٍ بِقَدْرِ البلاغِ
صاحبُ البَغْيِ ليس يَسْلَمُ منه وعلى نَفْسِهِ بَغْيٌ كُلُّ باغِي
رُبُّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ منها حائلٌ بينه وبين المَساغِ
أَبْلَغُ الدهرُ في مَواعِظِهِ بل زاد فيهنَّ لي على الإِبلاغِ

1 تكملة الديوان : رقم 41 وهي أربعة أبيات عن الموشح : 262 .

2 ديوان أبي العتاهية : 236 (رقم 244) .

غَبَّتَنِي الْأَيَّامُ عَقْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصِحَّتِي وَفِرَاقِي

[كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره]

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليقطيني قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال : قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخِفًّا بشعر أبي العتاهية ، فَلَقِيَنِي يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصيرت إليه فجاءني بلونٍ واحد فأكلناه ، وأحضرتني تمرًا فأكلناه ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُشِدَّني ، فأنشدني قوله¹ :

بِاللّهِ يَا قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ زُورِينِي قَبْلَ الْمَمَاتِ وَالْأَفَاسْتَرِيرِينِي
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حُبِّ يُقَرِّبُنِي مَمَّنْ يُبَاعِدُنِي مِنْهُ وَيُقْصِيَنِي
أَمَّا الْكَثِيرُ فَمَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَلَوْ أَطْمَعْتَنِي فِي قَلِيلٍ كَانَ يَكْفِينِي

ثم أنشدني أيضاً² :

رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَرِّهِ فِي صَدْرِ صَاحِبِهِ حُلُوٌ

صوت

[من الطويل]

أَخْلَايَ بِي شَجَوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجَوٌ وَكُلُّ أَمْرٍ عَنْ شَجْوِ صَاحِبِهِ حُلُوٌ
وَمَا مِنْ مُحِبٍّ نَالَ مَمَّنْ يُحِبُّهُ هَوَى صَادِقًا إِلَّا سَيَدْخُلُهُ زَهُوٌ
بُلِيْتُ وَكَانَ الْمَرْحُ بِدءٍ بَلِيَّتِي فَأَحْبَبْتُ حَقًّا وَالْبَلَاءُ لَهُ بَذَوٌ
وَعَلَّقْتُ مَنْ يَزْهَوُ عَلَيَّ تَجَبُّرًا وَإِنِّي فِي كُلِّ الْخِصَالِ لَهُ كُفُوٌ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُوٌ

الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أوّلٌ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه . ولعريب فيه خفيف ثقیلٌ من كتاب ابن المعتز ، قال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية³ :

[من الطويل]

1 تكلمة الديوان : الزيادة رقم 263 وفيها «بالله يا حلوة العينين . . .» .

2 تكلمة الديوان : رقم 295 .

3 تكلمة الديوان : رقم 243 .

صوت

خليلي ما لي لا تزال مضرّتي تكون على الأقدارِ حَتْمًا من الحَتمِ
يُصاب فؤادي حين أُرْمى ورَميتي تعودُ إلى نَحري وَيَسْلَمُ من أُرْمِي
صَبْرْتُ ولا والله ما بي جِلادةٌ على الصبرِ لَكِنِّي صَبْرْتُ على رَغْمِي
ألا في سبيلِ الله جِسمي وقُوتِي ألا مُسْعِدٌ حتّى أنوح على جِسمي
تُعَدّ عظامي واحدًا بعد واحدٍ بِمَنْحَى من العُدَالِ عَظْمًا على عَظْمِ
كفّاك بحقّ الله ما قد ظلمتني فهذا مَقام المستجير من الظُّلمِ

الغناء لسياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البِنصر
عن إسحاق ، قال مسلم : قفلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسن أن يقول مثل
هذا الشعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا ابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ؛ فإن الشعر أيضاً من
بعض مَصايد الدنيا .

[وفد مع الشعراء على الرشيد فأفرده بالجائزة]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال
حدّثني ابن الأعرابيّ قال : اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ؛
فأنشد أبو العتاهية¹ :

يا مَنْ تَبَغَّى زَمناً صالحاً صلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنِ
كلُّ لسانٍ هو في مُلكه بالشكرِ في إحسانه مُرْتَهَنٌ

قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحد من
الشعراء بِصلةٍ غيره .

[شعره في فرس الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عمران الضبّيّ
قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : أجرى هارون الرشيد الخيلَ ، فجاءه فرس يقال له المُشَمَّرُ
سابقاً ، وكان الرشيد مُعْجَباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ؛ فبدرهم أبو العتاهية
فقال² :

[من البسيط]

1 تكلمة الديوان : رقم 280 .

2 تكلمة الديوان : رقم 97 .

جاء المشمر والأفراسُ يقدّمها هوناً على رسله منها وما أنبها
وخلفَ الريحَ حسرى وهي جاهدة ومرّ يختطفُ الأبصارَ والنظرا
فأجزلَ صلته ، وما جسّرَ أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

[رثاؤه صديقه علي بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدثني الفضل بن عباس بن عتبة بن جعفر قال : كان علي بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فتوفي علي بن ثابت قبله ، فقال يرثيه¹ :

مونسٌ كان لي هلَكُ والسبيلُ التي سلَكُ
يا علي بن ثابتٍ غفرَ الله لي ولكُ
كلُّ حيٍّ مُملِكُ سوف يَفنى وما ملَكُ

قال الفضل : وحضر أبو العتاهية علي بن ثابت وهو وجود بنفسه ، فلم يزل مُلتزمه حتى فاض ، فلما شدّ لحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول² :

يا شريكِي في الخير قَرَبَك اللّهُ هُ فنعَمَ الشَّرِيكَ في الخير كُنّا
قد لَعَمَرِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المَو تِ فحرَكْتَنِي لها وسَكُنّا
قال : ولما دُفِنَ وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاءً ، ويردّد هذه الأبيات³ : [من الوافر]
ألا مَنْ لي بأنْسِك يا أخِيَا وَمَنْ لي أن أبُثَّكَ ما لَدِيَا
طَوْتُكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرِ كذاك خُطوبُهُ نَشْرًا وطِيَا
فلو نَشَرْتُ قُؤَاك لي المنايا شكوتُ إِلَيْكَ ما صَنَعْتُ إِلِيَا
بكِتِكَ يا علي بدمع عَيْنِي فما أغْنَى البكاءُ عَلَيْكَ شِيَا
وكانت في حَيَاتِكَ لي عِظَات وأنت اليوم أوعِظُ مِنْكَ حَيَا

[مرثيته في علي بن ثابت وأقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر⁴ ، وقد أخرج الإسكندر ليُدْفَن : قال بعضهم : كان

1 تكملة الديوان : رقم 177 وقد جعل البيت الثاني ثالثاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 70 (رقم 67) .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 491 .

4 وردت أقوال الفلاسفة في مصادر كثيرة ذكرها إحسان عباس في كتابه «ملاح يونانية في الأدب العربي» 247-271 (الطبعة الثانية) . وفي تضمين أبي العتاهية لبعض أقوالهم في شعره انظر زهر الآداب 2 :

674-673 (تحقيق علي محمد البجاوي - الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969) .

الملك أمس أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنْتُ حَرَكَةَ الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ ، وَقَدْ حَرَكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ جَزْعاً لَفَقْدِهِ . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

[هو عند نفسه أشعر الناس]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلبيّ قال : لَقِينَا أَبُو الْعَتَاهِيَةَ فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، مَنْ أَشْعُرُ النَّاسِ ؟ قال : الذي يقول :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْقَةِ الرَّحْلِ

فقلت : أَنَشِدْنِي شَيْئاً مِنْ شَعْرِكَ ؟ فَأَنَشِدْنِي¹ :

يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُرْتَهَنَ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اخْتِلَافُهُمَا حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
لَتَجْذِبُنِي يَدُ الدُّنْيَا بِقَوَّتِهَا إِلَى الْمَنَآيَا وَإِنْ نَازَعْتُهَا رَسَنِي
لِلَّهِ دُنْيَا أَنْاسٍ دَائِبِينَ لَهَا قَدْ ارْتَعَوْا فِي رِيَاضِ الْغَيِّ وَالْفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رِتَاعٍ تَبْتَغِي سِمْنَاً وَحَتَفُهَا لَوْ دَرَتْ فِي ذَلِكَ السَّمَنِ

قال : فَكَتَبْتُهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَنَشِدْنِي شَيْئاً مِنْ شَعْرِكَ فِي الْغَزْلِ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ الْغَزْلَ يُسْرِعُ إِلَى مِثْلِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَرْجُو عَصْمَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ . فَأَنَشِدْنِي² :

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا الْيَمُّ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِي فِيْهَا وَفِي طَرْفِهَا سَوَاحِراً أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي حُبُّهَا مَا خَلَا حُشَاشَةً فِي بَدَنِ نَاحِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلاً بِكِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

فقلت له : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، هَذَا قَوْلُ صَاحِبِنَا جَمِيلٌ :

خَلِيلِيْ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلاً بِكِي مِنْ حَبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

فقال : هُوَ ذَاكَ يَا ابْنَ أَخِي وَتَبَسَّم .

1 ديوان أبي العتاهية : 397 (رقم 410) .

2 تكملة الديوان : رقم 204 مع اختلاف في الترتيب .

[شعره في التحسر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلتُ مسجد المدينة ببغداد بعد أن بُيع الأمينُ محمدٌ بسنّةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد¹ :

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي عَلَى وَرَقِ الشَّبَابِ	وَعُصُونِهِ الْخُضِرَ الرُّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عَدَّ	سِي غَيْرَ مُنْتَظَرٍ إِلَّا يَابِ
فَلَأْبُكَيْنَ عَلَى الشُّبَا	بِ وَطِيبِ أَيَّامِ التَّصَابِي
وَلَأْبُكَيْنَ مِنَ الْبِلَى	وَلَأْبُكَيْنَ مِنَ الْخِضَابِ
إِنِّي لَأْمُلُ أَنْ أُخَا	لِدُ وَالْمَنِيَّةُ فِي طِلَابِي

قال : فجعل يُنشدُها وإنَّ دموعه لتسيل على خديه . فلما رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلْتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

[ابن الأعرابي يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عمران الصِّيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثني أبو العباس محمد بن أحمد قال : كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية ويشلُّه ، فأنشدته² :

[من منهوك الكامل]

كَمْ مِنْ سَفِيهِ غَاظَنِي سَفَهًا	فَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْهُ بِالْحِلْمِ
وَكَفَيْتُ نَفْسِي ظَلَمَ عَادِيَتِي	وَمَنْحْتُ صَفْوَ مَوَدَّتِي سِلْمِي
وَلَقَدْ رَزَقْتُ لَظَالِمِي غِلْظًا	وَرَحِمْتُهُ إِذْ لَجَّ فِي ظُلْمِي

[أحب شعره إليه]

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن أحمد الأزدي قال : قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطُّ أحبُّ إليَّ من هذين البيتين [في] معناهما³ :

[من الخفيف]

ليت شعري فإنني لست أدري أيُّ يومٍ يكون آخرَ عُمري

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 68 .

2 تكملة الديوان (صادر) : 411 .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 172 .

وبأيّ البلاد يُقبض رُوحِي وبأيّ البقاع يُحفَرُ قبري

[راهن جماعة على قول الشعر فقلّهم]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبار الفزاريّ قال : اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفص فيه فخّار يدور به في الكوفة ويبيع منه ، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتیان أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئاً منه فتجيزونه ، فإن فعلتم فلکم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهزّئوا منه وسخروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترى بأحد القمارين رطب يؤكل فإنّه قمار حاصل ، وجعل رهنه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجزوا :

ساكني الأحداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يُجزوا البيت ، غرّموا الخطر¹ ؛ وجعل يهزأ بهم وتمّمه :

[من مجزوء الرمل]

مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ما صنعتم أريحتم أم خسرتم

وهي قصيدة طويلة في شعره .

[هجاه أبو حبش وذم شعره]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثم العنزيّ قال : لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألاّ يُطلّقه أو يقول شعراً ، قال لي أبو حبش : أسمعت بأعجب من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة ! ثم أنشدني² :

[من الوافر]

أبا إسحاق راجعت الجماعة وعُدّت إلى القوافي والصناعات

وكنت كجراح في الغيّ عاصٍ وأنت اليوم ذو سمع وطاعة

فجرّ الخزّ ممّا كنت تُكسى ودّع عنك التّقشّف والبشاعة

وشبّب بالتّي تهوى وخبّر بأنك مَيّت في كلّ ساعة

كسدنا ما نراد وإنّ أجدنا وأنت تقول شعرك بالشفاعة

1 الخطر : الرهان .

2 لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع .

[خرج مع المهدي في الصيد]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني أبو خيثم العنزي ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدثني أبو العتاهية قال : أخرجني المهديّ معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا ، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّست السماء وبدأت تمطر فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يُعبّر الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضعّف رأينا ويُعجّزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له . وكاد المهديّ يموت برداً ؛ فقال له : أعطيك بجبتي هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا . فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنّه الخليفة فهرب ، وتبادر الغلمان فنحّوا الجبة عنه وألقوا عليه الخزّ والوشى . فلما انتبه قال لي : ويحك ؛ ما فعل الملاح ؟ فقد والله وجب حقه علينا . فقلت : هرب والله خوفاً من قبح ما خاطبنا به . قال : إنا لله ؛ والله لقد أردت أن أغنيه ، وبأي شيء خاطبنا ؟ نحن والله مُستحقّون لأقبح ممّا خاطبنا به ، بحياتي عليك إلّا ما هجوتني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك ؟ قال : والله لتفعلن ؛ فإنّي ضعيفُ الرأي مُغرَم بالصَّيد . فقلت¹ :

[من السريع]

يا لابسَ الوشي على ثوبه ما أقبحَ الأشبّ في الراح

فقال : زدني بحياتي ؛ فقلت :

[من السريع]

لوشئت أيضاً جُلّت في خامية وفي وشاحين وأوضح²

ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس ، وأنا أستأهل . زدني شيئاً قلت : إفر أخاف أن تغضب . قال : لا والله . فقلت :

[من السريع]

كم من عظيمِ القدر في نفسه قد نام في جبّة ملاح

فقال معنى سوء ، عليك لعنة الله ؛ وقمنا وركبنا وانصرفنا .

[وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا : وقعت رقعة فيها بيتاً شعرٍ في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مُجاشع بن

1 تكملة الديوان : رقم 59 .

2 الأوضح : حلي من الفضّة .

مسعدة ، فقال : هذا كلام أبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ المأمون خبرها فقال : هذه إلي وأنا أعرف العلامة . والبيتان¹ : [من الخفيف]

صوت

ما على ذا كنا افترقنا بسندا نَ وما هكذا عهدنا لإخاء
تَضْرِبُ الناسَ بالمُهَنَّدَةِ البِيدِ ضِر على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاء
قال : فبعث إليه المأمون بمال .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رمل من رواية ابن المعتز .

[استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له]

قال : وكان علي بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية ، وكان يَبْرَهُ في كل سنة ببر واسع ، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين . وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرِّ به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك . فلقية ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده² :

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يَا ابْنَ يَقْطِينِ أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا لَا مِنْكَ تُؤَلِّينِي
إِنَّ السَّلَامَ وَإِنَّ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلٍ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي
هَذَا زَمَانٌ أَلَحَّ النَّاسُ فِيهِ عَلَى تَبِيهِ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقِ الْمَسَاكِينِ
أَمَّا عَلِمْتَ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً وَزَادَكَ اللَّهُ فَضْلاً يَا ابْنَ يَقْطِينِ
أَنْتِي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلُهَا وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ

فقال علي بن يقطين : لست والله أبرح ولا تَبْرَحُ من موضعنا هذا إلا راضياً ، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة ، فحُمِلَ من وقته وعلي واقف إلى أن تَسَلَّمَهُ .

[نظم شعراً في الحبس أبكى الرشيد]

وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسَه ، وَكَّلَ به صاحب خبرٍ يكتب إليه بكلّ ما يسمعه . فكتب إليه أنّه سمعه يُنشد³ :

[من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 17 .

2 الديوان : 376 (رقم 384) بترتيب مختلف وفي التكملة : رقم 285 بهذا الترتيب .

3 الديوان : 353 (رقم 361) .

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظَّلَمَ لَوْمٌ وما زالَ المُسيءُ هو الظَّلُومُ
إلى دَيَّانٍ يومَ الدِّينِ نَمُضِي وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخصومُ
قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفي دينار .
[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب¹ عن محمد بن أبي العتاهية قال : لما قال أبي في عُتْبَةٍ² :
[من السريع]

كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حَسَنِهَا دُمِيَّةٌ قَسٌّ فَتَنَتْ قَسَّهَا
يَا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَيْنِيهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ لَمْ أَنْسَهَا
شَنَعَ عَلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ بِالزَّنْدَقَةِ ، وقال : يتهاون بالجنة ويبتذل ذِكْرُهَا فِي شَعْرِهِ
بِمِثْلِ هَذَا التَّهَانِ ! وَشَنَعَ عَلَيْهِ أَيْضاً بِقَوْلِهِ³ :
[من مجزوء الكامل]

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحَدًا سَنَّ خَلْقَهُ وَرَأَى جَمَالَكَ
فَحَذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الْجِنَانِ عَلَى مِثَالِكَ
وقال : أَيُصَوِّرُ الْحَوْرَ عَلَى مِثَالِ امْرَأَةِ آدَمِيَّةٍ وَاللَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثَالٍ ؛ وَأَوْقَعَ لَهُ هَذَا عَلَى
السَّيْنَةِ الْعَامَّةِ ؛ فَلَقِيَ مِنْهُمْ بَلَاءً .
[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره]

حدثني هاشم بن محمد الخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا خَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ الْبَاذْغِيسِيُّ
قال : قلت لأبي العتاهية : في أي شعر أنت أشعر ؟ قال : قولي⁴ :
[من مجزوء الكامل]
النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ
[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُعَلَّى بْنُ أَيُّوبَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى شَيْخٍ
حَسَنَ اللَّحْيَةِ خَضِيبٍ شَدِيدٍ بَيَاضِ الثِّيَابِ عَلَى رَأْسِهِ لَاطِئَةٌ ، فَقُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ :
وهو ابن خالة الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ . وَكَانَ الْحَسَنُ كَاتِبَ الْمَأْمُونِ عَلَى الْعَامَّةِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَمَا

1 ل : حريث .

2 تكملة الديوان : رقم 135 .

3 تكملة الديوان : رقم 208 . وانظر حاشية القطعة رقم 135 من التكملة .

4 الديوان : 381 (رقم 389) من قطعة فيها 14 بيتاً .

تعرفه ؟ فقلت : لو عرفته ما سألتك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمون يقول له :
أنشيدني أحسن ما قلت في الموت ؛ فأنشده¹ : [من مجزوء الكامل]

أُنسَاكَ مَحْيَاكَ الممَاتَا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثُّبَاتَا
أَوْثَقْتَ بِالدُّنْيَا وَأَنْتَ تَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا
وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَى الْحَيَا وَطَوَّلَهَا عَزْماً بَتَاتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ فِيهِ مَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِزَّةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا
وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَلُّدَ تَ مِنْ مَيْتَتِهِ فَمَاتَا
كُلُّ تَصَبُّحِهِ الْمُنَى يَّةٌ أَوْ تُبَيَّتُهُ يَبَاتَا

قال : فلمّا نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز ، فكتبته عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن
سهل قال حدثني الجاحظ عن ثُمّامة قال : دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده² : [من السريع]

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا
مَنْ لَمْ يُوَاسِرِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا عَرَّضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً ، الدنيا تدبر عمّن
واسى منها أو ضنّ بها ، وإنّما يُوجب السّماحة بها الأجر ، والضمُّ بها الوزر . فقال : صدقت يا
أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص . فقال المأمون : ادفعْ إليه
عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلمّا كان بعد أيام عاد فأنشده³ : [من السريع]

كَمْ غَافِلٍ أَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ لَمْ يَأْخُذِ الْأَهْبَةَ لِلْفَوْتُ
مَنْ لَمْ تَزُلْ نِعْمَتُهُ قَبْلَهُ زَالَ عَنِ النِّعْمَةِ بِالْمَوْتُ⁴

فقال له : أحسنت ؛ الآن طيبت المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

[تأخّرت عنه عادة المأمون سنة ثم عجلها]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عُليّ العزّزيّ قال حدثني ابن

1 الديوان : 74 (رقم 73) .

2 ديوان أبي العتاهية : 338 (رقم : 346) خمسة أبيات .

3 ديوان أبي العتاهية : 79 (رقم : 78) .

4 زال عن النعمة في ل : تذعر النعمة .

سينان العجليّ عن الحسن بن عائذ قال : كان أبو العتاهية يَحُجُّ في كلِّ سنة ، فإذا قَدِمَ أَهْدَى إلى المأمون بُرداً ومِطْرَفاً ونِعْلاً سوداءَ ومَساوِيكَ أراكِ ، فيبعثُ إليه بعشرين ألفَ درهم . وكان يُوصَلُ الهدية من جهته مِنجَابٌ مولى المأمون ويَجِيئه بالمال . فَأَهْدَى مرّةً له كما كان يُهْدِي كلَّ سنة إذا قَدِمَ فلم يُبَيِّه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية¹ : [من الرمل]

خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جُدُداً بِيضاً وَصُفْراً حَسَنَةً
أُحْدِثْتُ لَكَتَنِي لَمْ أَرَهَا مِثْلَ مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أَغفلناه حتى ذَكّرنا .

[كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهَلَّبِيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال أخبرني عُرْوَةُ بن يوسف الثَّقَفِيّ قال : لَمَّا وَلِيَ الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لَمَّا لَزِمَتْهُ أَخَاهُ هَارُونَ وانقطاعه إليه وتركه موسى ، وكان أيضاً قد أمر أن يخرج معه إلى الرِّيِّ فأبى ذلك ؛ فخافه وقال يَسْتَغْفِرُهُ² : [من الطويل]

أَلَا شَافِعٌ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَشْفَعُ فَيَدْفَعُ عَنَّا شَرَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَأِنِّي عَلَى عَظَمِ الرَّجَاءِ لَخَائِفٌ كَأَنَّ عَلَى رَأْسِي الْأَسِنَّةَ تُشْرَعُ
يُرَوِّعُنِي مُوسَى عَلَى غَيْرِ عَثَرَةٍ وَمَالِي أَرَى مُوسَى مِنَ الْعَفْوِ أَوْسَعُ
وَمَا آمِنُ يُمِيسِي وَيُصْبِحُ عَائِداً بَعَفُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُرَوِّعُ

[مدح الهادي واستشفع ابن عقّال حتى نال جائزة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَلِيُّ بن الصَّبَّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : دخل أبي على الهادي فَأَنشَدَهُ³ : [من مجزوء الرمل]

يَا أَمِينَ اللَّهِ مَالِي لَسْتُ أُدْرِي الْيَوْمَ مَالِي
لَمْ أَتَلْ مِنْكَ الَّذِي قَدْ نَالَ غَيْرِي مِنْ نَوَالِ
تَبَذَلُ الْحَقُّ وَتُعْطِي عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالِ
وَأَنَا الْبَائِسُ لَا تَنْظُرُ فِي رِقَةٍ حَالِي

قال : فأمر المُعَلَّى الخازن أن يُعْطِيَهُ عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فَأَتَيْتُهُ فَأَبَى أَنْ

1 تكملة الديوان : رقم 261 .

2 تكملة الديوان : رقم 146 .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 377 .

يُعطيها وذلك أَنَّ الهادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مهيباً ، فكنْتُ أخافه فلم يُطعني طَبْعِي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ . فلَمَّا مَنَعَنِيهِ الْمُعَلَّى صيرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عِقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له ¹ :

أُبْلِغُ سَلِمَةَ أبا الوليدِ سَلَامِي	عَنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِمَامِي
وَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ السَّلَامِ فَقُلْ لَهُ	قَدْ كَانَ مَا شَاهَدْتَ مِنْ إِفْحَامِي
وَإِذَا حَصَرْتُ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُبْطِلٍ	مَا قَدْ مَضَى مِنْ خُرْمَتِي وَذِمَامِي
وَلَطَالَمَا وَفَدْتُ إِلَيْكَ مَدَائِحِي	مَخْطُوطَةٌ فَلْيَأْتِ كُلُّ مَلَامِي
أَيَّامَ لِي لَسَنْ وَرَقَةً جِدَّةً	وَالْمَرْءُ قَدْ يَبْلَى مَعَ الْأَيَّامِ

قال : فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إلي .

[استعطف الهادي لما ولي الخلافة بعد موقعة]

حدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ الصِّيرْفِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْعَزْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : وُلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ؛ فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَنَاشَدَهُ ² :

أَكْثَرَ مُوسَى غِيْظَ حُسَايدِهِ	وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ	أَضِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَاكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً	وَاسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
وَابْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ	عَلَتْ بِهَا ذُرُوءُ أَعْوَادِهِ
كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ	بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَادِهِ
فِي مَحْفَلٍ تَخْفِيقُ رَايَاتِهِ	قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير ، وكان ساعطاً عليه فرضي عنه .

[ترضى المهدي على وزيره أبي عبيد الله]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْخَزَرَجِيُّ الشَّاعِرُ عَنْ يَحْيَى بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : دَخَلَ أَبُو عَبِيدِ اللَّهِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ بُلْغِهِ عَنْهُ ، وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَاضِرُ الْمَجْلِسِ ، فَجَعَلَ الْمَهْدِيُّ يَشْتُمُ أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ وَيَتَغَيِّظُ

1 تكملة الديوان : رقم 244 .

2 تكملة الديوان : رقم 83 .

عليه ، ثم أمر به فجرَّ برجله وحَبَسَ ، ثم أطارق المهديّ طويلاً . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية¹ :

أرى الدنيا لمن هي في يَدَيْهِ عذاباً كلّما كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهِينُ الْمُكْرَمِينَ لَهَا بَصُغْرُ وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ
فتبسّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدنيا ولا أضونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جرَّ برجله الساعة . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزُّ الناس ، فما بَرِحْتُ حتى رأيته أذلَّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .
[يتان روحانيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حفص قال : أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية² :

ما إِنْ يَطِيبُ لذي الرعاية لَدَ أَيْامٍ لَا لَعِبٍ وَلَا لَهْوٍ
إِذَا كَانَ يَطْرُبُ فِي مَسَرَّتِهِ فَيَمُوتُ مِنْ أَجْزَائِهِ جُزْؤُ³
فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ؟ والله لهما روحانيان يطيران بين السماء والأرض .

[فضله ابن منذر على جميع المحدثين لإحسانه في الجدة والمزل]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازنيّ قال : لَقِيتُ ابن منذر بمكة ، فقلت له : مَنْ أشعُرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى مَنْ إِذَا شَتَّ هَزَلَ ، وَإِذَا شَتَّ جَدَّ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول في النَّسِيبِ⁴ : [من الكامل]

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بَلْبَكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

1 ديوان أبي العتاهية : 410 (رقم : 425) .

2 ديوان أبي العتاهية : 429 (رقم : 445) .

3 يطرب في الديوان : يسرف . أجزائه في الديوان : أعضائه .

4 ديوان جرير (صادر) : 476 .

ثم قال حين جدّ : [من الكامل]

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جعل النُّبُوَّةَ والخِلافةَ فِينَا
مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا آلَ تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَأَيْنَا
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دَمَشَقَ خَلِيفَةً لو شئتُ ساقكم إِلَيَّ قَطِينَا

ومن المحدثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعره من كُـمـه . فقلت : مَنْ ؟ قال : أبو العتاهية .

قلت : في ماذا ؟ قال : قوله ¹ :

[من المنسرح]

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَلَالَاتِ
لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مُوَاتَاتِي
مَنْحُتُهَا مُهْجَتِي وَخَالِصَتِي فَكَانَ هَجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
أَقْلَقْنِي حُبُّهَا وَصَيْرَنِي أَحْدُوثةً فِي جَمْعِ جَارَاتِي ²

ثم قال حين جدّ ³ :

[من المنسرح]

وَمَهْمِهِ قَدْ قَطَعْتُ طَامِسَهُ قَفَرٍ عَلَى الْهَوْلِ وَالْمَحَامَاةِ
بِحُرَّةِ جَسْرَةِ عُذَافِرَةٍ خَوْصَاءِ غَيْرَانَةٍ عُلْدَانَةٍ
تُبَادِرُ الشَّمْسَ كُلَّمَا طَلَعَتْ بِالسَّيْرِ تَبْغِي بِذَاكَ مَرْضَاتِي
يَا نَاقُ خُبِّي بِنَا وَلَا تَعْدِي نَفْسَكَ مِمَّا تَرَيْنَ رَاحَاتِ
حَتَّى تُنَاقِخِي بِنَا إِلَى مَلِكٍ تَوَجَّهَ اللَّهُ بِالْمَهَابَاتِ
عَلَيْهِ تَاجَانِ فَوْقَ مَفْرَقِهِ تَاجُ جَلَالٍ وَتَاجُ إِنْخِبَاتِ
يَقُولُ لِلرَّيْحِ كُلَّمَا عَصَفَتْ هَلْ لَكَ يَا رِيحُ فِي مُبَارَاتِي
مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمَّهُ الرَّسُولُ وَمَنْ أَخْوَالُهُ أَكْرَمُ الْخُؤُولَاتِ

[يعيرُ إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته]

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو غَزِيَّةَ ، وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، قَالَ :
كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ عَزِيزٍ يَتَعَشَّقُ عِبَادَةَ الْهُلْبِيَّةِ ، وَكَانَتْ الْمُهَلْبِيَّةُ مُنْقَطَعَةً إِلَى الْخِزْرَانِ .
فَرَكِبَ إِسْحَاقُ يَوْمًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَصْعَبٍ يُرِيدَانِ الْمَهْدِيَّ ، فَلَقِيَا عِبَادَةَ ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : يَا

1 تكلمة الديوان : رقم 45 .

2 أَلْقَنْتَنِي فِي الدِّيَّوَانِ : هَيَمَنِي .

3 تكلمة الديوان : رقم 48 .

أبا بكر ، هذه عبادة ، وحرك دأته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجب من فعله . ومضيا فدخل على المهدي ، فحدثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت ، فأعطاه بعبادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد لها لنفسك فيها فذاك الله ، وهي لك . فقال : إنما أريدها لإسحاق بن عَزِيز . فبكت وقالت : أتؤثر عليّ إسحاق بن عَزِيز وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وصل إليها ابن عَزِيز أبداً ، صار يتعشق جوارِي الناس ؟ فخرج المهدي فأخبر ابن عَزِيز بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبادة . فقال أبو العتاهية يُعَيِّره بذلك¹ :

مَنْ صَدَقَ الْحَبَّ لِأَحِبَّاهِ فَإِنَّ حُبَّ ابْنِ عَزِيزٍ غُرُورٌ
أَنَسَاهُ عَبَادَةَ ذَاتِ الْهَوَى وَأَذْهَبَ الْحَبَّ الَّذِي فِي الضَّمِيرِ
خَمْسُونَ أَلْفًا كُلُّهَا رَاجِعٌ حُسْنًا لَهَا فِي كُلِّ كَيْسٍ صَرِيرٌ
وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً² :

حُبُّكَ لِلْمَالِ لَا كَحُبِّكَ عَبْدٌ نَادَةً يَا فَاضِحَ الْمُحِينَا
لَوْ كُنْتُ أَصْفَيْتَهَا الْوِدَادَ كَمَا قُلْتُ لَمَّا بَعَثَهَا بِخَمْسِينَا

[طال وجع عينه]

حدثني الصُّوْلِيُّ قال حدثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدثني أَبِي قال : رأيت أبا العتاهية بعد ما تَخَلَّصَ من حَبْسِ المهدي وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحل عينه . فقيل له : قد طال وجع عينك ؛ فأنشأ يقول³ :

صوت

أَيَا وَيْحَ نَفْسِي وَيْحَهَا ثُمَّ وَيْحَهَا أَمَا مِنْ خَلَاصٍ مِنْ شِيَاكِ الْخَبَائِلِ⁴
أَيَا وَيْحَ عَيْنِي قَدْ أَضَرَّ بِهَا الْبُكَاءُ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهَا طِبُّ مَا فِي الْمَكَاحِلِ
في هذين البيتين لإبراهيم الموصلي لحن من الثقيل الأول .

1 تكلمة الديوان : رقم 123 .

2 تكلمة الديوان : 259 .

3 تكلمة الديوان : رقم 214 وفيها «ويا ويح» في البيتين .

4 أما من خلاص في التكملة : ألم تنج يوماً .

[مدح الهادي وكان واجداً عليه لاتصاله بهارون]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان الهادي واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي ، فلما ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه¹ :

صوت

يضطربُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرَّكَ موسى القضيْبَ أو فَكَّرَ
ما أَبَيْنَ الفضلَ في مُعَيِّبِ ما أوردَ من رأيه وما أُصْدَرَ
في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقل الأول في نهاية الجودة ، وما بان به فضلُه في الصنّاعة :

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ مَعَشَرِ قومٍ وذُلٌّ مِنْ مَعَشَرِ
يُثْمِرُ مِنْ مَسِّهِ القضيْبُ ولو يَمْسُهُ غيرُهُ لَمَّا ائْتَمَرَ
مَنْ مِثْلُ موسى ومثلُ والدِه الـ مهديّ أو جدّه أبي جَعْفَرٍ
قال : فرضي عنه . فلما دخل عليه أنشده² :

لَهْفِي على الزمَنِ القصيرِ بين الخَوَرَنقِ والسَّديْرِ
إذ نحن في غَرْفِ الجنا نِ نَعُومُ في بَحْرِ السُّرُورِ
في فتيَةٍ ملكوا عنا نَ الدهرِ أمثال الصُّقُورِ
ما منهم إِلَّا الجَسو رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ
يَتَعَاوَرُونَ مُدَامَةً صهباء من حَلَبِ العَصِيرِ
عَذراءُ ربّاهَا شُعا عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجِيرِ
لم تُدَنَّ من نارٍ ولم يَعلَقُ بها وَضَرُ القُدُورِ
ومُفَرِّطِي يمشي أَمّا مَ القومِ كالرَّشَا الغَيرِ
بِزُجاجةٍ تَسْتَخْرِجُ السـ رَّ الدَّفِينِ من الضميرِ
زهراءُ مثلُ الكوكبِ الدُّ رِّيّ في كَفِّ المُديرِ
تَدْعُ الكريمَ وليس يَد ري ما قَبِيلٌ من دَيرِ

1 تكلمة الديوان : رقم 120 .

2 تكلمة الديوان : 104 .

وَمُخَصَّراتِ زُرْنَنَا بعد الهدوء من الخدور
رِيّا رَوادِفُهِنَّ يَلْد بَسَنَ الخواتمَ في الخُصورِ
غُرُّ الوجوه محجّبا تِ قاصراتِ الطّرفِ حُورِ
مُتَنَعِّماتِ في النّعيمِ مِ مُضَمَّخاتِ بالعبيرِ
يَرْفُلْنَ في حُللِ المحا سِينَ والمجاسدِ والحريِ
ما إن يَرينَ الشمسَ إلّا الفَرطَ من خللِ السُّثورِ
وإلى أمينِ الله مَهـ رُبُّنا من الدهرِ العُثورِ
وإليه أَتَعَبُنا المطا يا بالرواحِ وبالبُكورِ
صُعَرَ الخدودِ كائِما جُنْحَنَ أجنحةَ النُّسورِ
مُتَسَرِّلاتِ بالظُّلا مِ على السُّهولةِ والوعورِ
حَتّى وَصَلْنَ بنا إلى رَبِّ المدائنِ والقُصورِ
ما زالَ قَبْلَ فِطامِهِ في سَنِّ مُكْهَلِ كَبيرِ

قال : قيل لو كان جَزَلُ اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلاته . وعاد إلى أفضل ما كان له عليه .

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : قَدِمَ علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون . فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فكان أوّل ما أنشدهم¹ : [من الطويل]

ألم تَرَ رَبِّبَ الدهرِ في كُلِّ ساعةٍ له عارضٌ فيه المنيّة تَلَمَعُ
أيا باني الدُّنيا لغيرِكَ تَبَنِّي ويا جامعَ الدُّنيا لغيرِكَ تَجَمُّعُ
أرى المرءَ وَثاباً على كُلِّ فُرْصَةٍ وللمرءِ يوماً لا مَحالَةَ مَضْرَعُ
تبارَكَ مَنْ لا يَمْلِكُ المُلْكَ غيرُهُ متى تنقضي حاجاتُ مَنْ ليس يَشْبَعُ
وأَيُّ امرئٍ في غايَةٍ ليس نَفْسُهُ إلى غايَةٍ أُخرى سواها تَطْلَعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أن طَبَعَ أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعر الناس .

[تمثّل الفضل بشعر له حين انعطت مرتبته عند المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال : كانت مَرْتَبَةُ أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد

في دار المأمون . فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسن بيتين لك وأصدقهما !
قال : وما هما ؟ قال : قولك¹ :
[من الكامل]

ما الناسُ إلاّ للكثيرِ المالِ أو مُسَلِّطٍ ما دامَ في سُلْطَانِهِ
فإذا الزمانُ رماهما بَبْلِيَّةٍ كان الثُّقَاتُ هناك من أَعْوَانِهِ²

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنما تمثل الفضلُ بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط
مرتبه في دار المأمون وتقدُّم غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه .
[كان ملازماً للرشد فلما نسك حبه ثم أطلقه]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي محمد بن أبي
العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشد في سَفَرٍ ولا حَضَرَ إلاّ في طريق الحجّ ، وكان يُجري عليه
في كلّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون . فلما قديم الرشد الرقة ، ليس أبي
الصوف وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل ، وأمر الرشد بحبسه فحبس ؛ فكتب
إليه من وقته³ :
[من الطويل]

صوت

أنا اليومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ تَذَكَّرُ أَمِينَ الله حَقِّي وَحُرْمَتِي
يَرُوحَ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ لِيَالِي تَذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي
وما كنتَ تُولِنِي لَعْلَكَ تَذَكُرُ⁴ فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً
ووجهك من ماء البشاشة يَقْطُرُ إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

قال : فلما قرأ الرشد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه⁵ :
[من الوافر]

صوت

أَرِقْتُ وَطَارَ عَنْ عَيْنِي النَّعَاسُ وَأَمِينَ الله أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ
ونام السامرون ولم يُواسُوا وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ
عليك من الثُّقَى فِيهِ لِبَاسُ

1 ديوان أبي العتاهية : 401 (رقم 412) .

2 ببلية في ل : بملمة والديوان «رمي الفتى بملمة» .

3 تكلمة الديوان : رقم 86 .

4 لعلك تذكر في ل : لذلك يذكر .

5 تكلمة الديوان : رقم 133 .

كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ
أَمِيرَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بِأَسٍّ وَقَدْ أُرْسِلَتْ : لَيْسَ عَلَيْكَ بِأَسٍّ

غَنَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَحْنُهُ : ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَفِيهِ
أَيْضاً ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنِ الْمَشَامِيِّ ، قَالَ : وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضاً فِي الْحَبْسِ ¹ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَكَلَّفْتَنِي مَا حُلَّتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَلْتَ سَابِغِي مَا تُرِيدُ وَمَا تَهْوِي
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ كَلَّفْتُ وَاحِداً هَوَاكَ وَكَلَّفْتُ الْخَلِيَّ لِمَا يَهْوِي

قَالَ : فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أُخْتِ أَبِي خَالِدِ الْحَرَبِيِّ قَالَ :
قَالَ لِي الرَّشِيدُ : أَحْبِسْ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَضَيِّقْ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُولَ الشَّعْرَ الرَّقِيقَ فِي الْغَزْلِ كَمَا كَانَ
يَقُولُ . فَحَبَسْتُهُ فِي بَيْتِ خَمْسَةِ أَشْبَارٍ فِي مِثْلِهَا ؛ فَصَاحَ : الْمَوْتُ ، أَخْرِجُونِي ، فَأَنَا أَقُولُ
كُلَّ مَا شِئْتُمْ . فَقُلْتُ : قُلْ . فَقَالَ : حَتَّى أَتَنْفَسَ . فَأَخْرَجْتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ دَوَاةً وَقِرْطَاساً ؛ فَقَالَ
أَبْيَاتُهُ النَّثِي أَوْهَا ² : [مِنْ الْخَفِيفِ]

صوت

مَنْ لَعَبْدٍ أَذَلَّهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَاهُ هُوَ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

قَالَ : فَدَفَعْتُهَا إِلَى مَسْرُورِ الْخَادِمِ فَأَوْصَلَهَا ، وَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيِّ فَغَنَى فِيهَا ،
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةَ فَأَحْضَرَ . فَلَمَّا أَحْضَرَ قَالَ لَهُ : أَتَشِدُّنِي قَوْلُكَ ³ : [مِنْ الْكَامِلِ]

صوت

يَا عُتْبَ سَيِّدَتِي أَمَا لَكَ دِينٌ حَتَّى مَتَى قَلْبِي لَدَيْكَ رَهِينٌ
وَأَنَا الذَّلُولُ لِكُلِّ مَا حَمَلْتَنِي وَأَنَا الشَّقِيُّ الْبَائِسُ الْمُسْكِينُ
وَأَنَا الْغَدَاةَ لِكُلِّ بَاكِ مُسْعِدٌ وَلِكُلِّ صَبٍّ صَاحِبٌ وَخَدِينُ
لَا بِأَسٍّ إِنَّ لَذَاكَ عِنْدِي رَاحَةً لِلصَّبِّ أَنْ يَلْقَى الْحَزِينَ حَزِينُ

1 تكلمة الديوان : رقم 8 .

2 تكلمة الديوان : رقم 282 .

3 تكلمة الديوان : رقم 252 .

يا عُتْبَ أَيْنَ أَفْرُ مِنْكَ أُمِيرْتِي وَعَلِيَّ حِصْنٌ مِنْ هَوَاكِ حَصِينُ
لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشَامِيِّ ، فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم . ولأبي
العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله ¹ :

يا رشيدَ الأمرِ أُرْشِدْنِي إِلَى وَجهِ نُجْجِي لَا عَدِمْتَ الرُّشْدَا
لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءًا أَبَدًا مَا رَأْتُ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدَا
أَعِنِ الْخَائِفَ وَارْحَمْ صَوْتَهُ رَافِعًا نَحْوَكَ يَدْعُوكَ يَدَا
وَابِلَاثِي مِنْ دَعَاوِي أُمَلِّ كَلِمًا قَلْتُ تَدَانِي بَعْدَا
كَمْ أُمْنِي بَعْدَ بَعْدٍ غَدِي يَنْفَدُ الْعَمْرُ وَلَمْ أَلَقْ غَدَا

[هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه فاشتكى إلى زبيدة]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن
أبي السري قال : مر القاسم بن الرشيد في موكبٍ عظيمٍ وكان من أتية الناس ، وأبو العتاهية
جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى
جاز ، فجاوزه ولم يلتفت إليه ؛ فقال أبو العتاهية :

يَتِيَهُ ابْنُ آدَمَ مِنْ جَهْلِهِ كَأَنَّ رَحَا الْمَوْتِ لَا تَطْخُنُهُ

فسمع بعض مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة
مِقرعة ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! أَتُعَرِّضُ بِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ؟ وَحَبَسَهُ فِي دَارِهِ . فَدَسَّ
أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِبُ لَهُ حَقَّهُ ، هذه الأبيات ² : [من السريع]

حَتَّى مَتَى ذُو النَّيِّهِ فِي تَيْهِهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ
يَتِيَهُ أَهْلُ النَّيِّهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْوَاهُ
لَمْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه ، وكانت ماثلةً إليه ، فرثت ³ له وأخبرت الرشيد بأمره
وكلمته فيه : فأحضره وكساه ووصله . ولم يَرْضَ عن القاسم حتى برَّأ أبا العتاهية وأذناه
واعتذر إليه .

1 تكلمة الديوان : رقم 65 .

2 الديوان : 413-414 (رقم 430) .

3 ل : فرقت .

[مدح الرشيد والفضل فأجازه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالحرشي¹ إلى ناحية الموصل ، فجيى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج ، فوافي² به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شيءُ الجنون ، فقلت له : ما لك ويحك ؟ ! فقال لي : سبحان الله ؛ أيُدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه ؟ ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده³ :

اللهُ هَوْنٌ عندك الدنْ يا وَبَعْضُهَا إِلَيْكَ
فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُصَ غرَّ كلُّ شيءٍ في يَدَيْكَ
ما هانتِ الدُّنيا على أحدي كما هانتِ عَلَيَّكَ

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال : يا فضل ، أعطيه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده⁴ :

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً فمثلُ الفضلِ فَاتَّخِذِ الْخَلِيلَا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عَظِيماً ويُعْطِي من مَوَاهِبِهِ الْجَزِيلَا
أراني حيثُما يَمُمْتُ طَرْفِي وجدتُ على مَكَارِمِهِ دَلِيلَا

فقال له الفضل : والله لولا أن أساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها ، ولكن سأوصلها إليك في دَفَعَات ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد ، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده . [سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرّد قال حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال : سمعتُ الأميرَ عليّ بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبيّاً في دار الرشيد ، فرأيتُ شيخاً يُنشد والناس حوله⁵ :

ليس للإنسان إِلَّا ما رُزِقَ أَسْتَعِينُ اللهَ باللهِ أَثِقُ

1 ل : بالمجرشي .

2 ل : فوافي .

3 تكملة الديوان : رقم 170 .

4 ديوان أبي العتاهية : 311 (الحاشية) وديوان أبي العتاهية (صادر) : 383 وهما يتفقان مع الأغاني في البيت الأوّل فقط .

5 تكملة الديوان : رقم 168 .

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كله وإذا ما عَلِقَ الهمَّ عَلِقَ
بأبي مَنْ كان لي من قلبه مَرَّةً وَدُّ قَلِيلُ فُسْرُقُ
يا بني الإسلام فيكم مَلِكٌ جامعُ الإسلامِ عنه يَفْتَرِقُ
لَنَدَى هَارُونَ فيكم وَلَهُ فيكمُ صَوْبٌ هَطُولٌ وَوَرِقُ
لَمْ يَزَلْ هَارُونُ خَيْراً كُلَّهُ قَبِلَ الشَّرُّ به يَوْمَ خُلِقَ

فقلتُ لبعض الهاشميين : أما ترى إعجاب الناس بشيْعِرِ هذا الرجل ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إِنَّ الأَعناقَ لَتُقَطَّعَ دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي سأله إبراهيم بن المهدي .

[استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدَّثني الصُّوْلِيُّ قال حدَّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال : ليس أبو العتاهية كساء صُوفٍ وَدُرَّاعَةً صُوفٍ ، وآلى على نفسه ألاَّ يقول شعراً في الغَزَلِ ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال ¹ : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عَمِّ النبيِّ سَمِعاً وطاعه قد خلعنا الكساءَ والدُّرَاعَةَ
ورجَعْنَا إلى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كان سُخْطُ الإمامِ تَرَكَ الصَّنَاعَةَ

وقال أيضاً ² : [من الطويل]

أَمَّا رَحِمَتْنِي يَوْمَ وَلَّتْ فَأَسْرَعْتُ وقد تَرَكْتَنِي واقفاً أَتَلَفْتُ
أَقْلَبُ طَرْفِي كَيْ أَرَاهَا فَلَا أَرَى وَأَحْلِبُ عَيْنِي دَرَّهَا وَأَصَوْتُ

فلم يزل الرشيد مُتَوَانِياً في إخراجِه إلى أن قال ³ : [من الوافر]

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظَّلَمَ لَوْمٌ وما زال المُسِيءُ هو الظُّلُومُ
إلى دَيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخصومُ
لأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي وَأَمْرٍ مَا تَوَلَّيَتِ النُّجُومُ
تموت غداً وَأَنْتَ قَرِيرُ عَيْنٍ من العَفَلَاتِ في لُجَجِ نَعُومٍ

1 التكملة : رقم 152 .

2 تكملة الديوان : رقم 39 .

3 ديوان أبي العتاهية : 353-354 (رقم 361) .

تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمَنَايَا تَنَبَّهَ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
 سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمَمٍ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ
 تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَنَايَا وَكَمْ قَدْ رَامَ غَيْرُكَ مَا تَرُومُ
 أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَلَيْهِ نَوَاهِضُ الدُّنْيَا تَحُومُ
 أَقْلَنِي زَلَّةً لَمْ أَجْرِ مِنْهَا إِلَى لَوَمٍ وَمَا مِثْلِي مَلُومُ
 وَخَلَّصْنِي تُخَلِّصْ يَوْمَ بَعْثٍ إِذَا لِلنَّاسِ بُرَزَتْ الْجَحِيمُ
 فَرَّقَ لَهُ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ .

[حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني ابن أبي الأبيض قال : أتيتُ أبا العتاهية فقلتُ له : إني رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد ، ولي فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهبُ أُستَحْسِنُه ؛ لأنِّي أرجو ألاّ أئتمّ فيه ، وسمعتُ شعرك في هذا المعنى ، فأحببتُ أن أُستزید منه ، فأجبتُ أن تُنشدني من جيّد ما قلتَ ؛ فقال : اعلمُ أنّ ما قلته رديء . قلتُ : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه ممّا لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيّما الأشعار التي في الزُّهد ؛ فإنّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلّاب الغريب ، وهو مذهبُ أشغفُ الناس به الزُّهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه . فقلتُ : صدقت . ثم أنشدني قصيدته¹ :

لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكَلِّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ²
 أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدْأً أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تُحَايِي
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

قال : فصيرتُ إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر . فصيرتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس ؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها³ :

1 ديوان أبي العتاهية : 33-34 (رقم 28) وهي 19 بيتاً .

2 تباب : هلاك .

3 ديوان أبي العتاهية : 278-280 وهي 23 بيتاً .

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ مَا لَابَنِ آدَمَ إِنْ فَتَشْتَّ مَعْقُولُ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تَقْفِلْ رِعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعِيَتْ مَسْوُولُ¹
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينٍ بِأَنْتِي عَنْهُ مَنَقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُولُ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مِذْ أُعِدَّ لَنَا وَكَلْنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْضُولُ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكَالُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَأْكُولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصيرتُ إلى أبي نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونه وقال : لِمَ خَبَّرْتَهُ بِمَا قُلْتَ ؟ قد والله أجاد ، ولم يَقل فيه سوءاً .

[كان أبو نواس يجله ويعظمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدثني هارون بن سعدان مولى البجليين قال : كنتُ مع أبي نواس قريباً من دُور بني نبيخت بنهر طابق² وعنده جماعة ، فجعل يمرّ به القواد والكتاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رجله ووثب وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له ، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقفاً معه يُراوح بين رجله يرفع رجلاً ويضع أخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوه . فقال له بعضُ من حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيته قطّ إلا ظننت أنه سماءٌ وأنا أرض .

[رأي بشار فيه]

قال محمد بن القاسم حدثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدثني السريّ بن الصَّبَّاح مولى ثوبان بن عليّ قال : كنتُ عند بشار فقلتُ له : مَنْ أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّثُ أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

[عزى المهديّ في وفاة ابنته فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم إجازةً : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني الخَزَرَجِيُّ الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدثني أبو العتاهية قال : ماتت

1 الشاء في ل والديوان : النفس .

2 نهر طابق : محلة كانت ببغداد .

بنتُ المهديّ فحزنَ عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلتُ أبيتاً أعزّيه بها ؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على مالا بدّ منه ، ولكن سَلَوْنَا عَمَّنْ فقدنا لَيْسَلُونُ عَنَّا من يَفْقِدُنَا ، وما يَأْتِي الليلُ والنهارُ على شيءٍ إلّا أَبْلِيَاه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذّن لي أن أنشدك ؟ قال هاتِ ؛ فأنشدته¹ :

ما للجديدين لا يئلى اختلافهما وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سَلا عن حبيبٍ بعد ميّته كم بعد موتك أيضاً عنك من سالي
كَانَ كُلُّ نعيمٍ أنتَ ذائقُه من لذّة العيشِ يحكي لمعة الآلِ
لا تَلْعَبَنَّ بك الدنيا وأنتَ ترى ما شئتَ من عيَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلة الموت إلا كُلُّ صالحةٍ أولاً فما حيلةٌ فيه لمُحتالِ
فقال لي : أحسنتَ ويحك ؛ وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ وأوجزتَ ، ثم أمر لي لكلِّ بيتٍ بألف درهم .

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي قال حدّثنا العزّريّ قال حدّثني أحمد بن خلّاد قال حدّثني أبي قال : لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قلْ شعراً في الغَزَل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني ؛ فقال : لا أغني بعد موسى أبداً ، وكان مُحسناً إليهما ، فحبسه . فلمّا شخّص إلى الرّقّة حفرَ لهما حفيرةً واسعةً وقطّع بينهما بحائطٍ ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تشعُر أنت ويغني هذا . فصبرا على ذلك بُرّهة . وكان الرشيد يشرب ذات يومٍ وجعفر بن يحيى معه ، فغنتُ جاريةً صوتاً فاستحسنه وطربا عليه طرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً . فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطول الغناء فيه فنسَمِتِج مدّةً طويلة به ؛ فقال له جعفر : قد أصبته . قال : من أين ؟ قال : تبعثُ إلى أبي العتاهية فيُلجّقه به لقدرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكذ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيمٍ وطربٍ . قال : بلى ؛ فاكُتِب إليه حتى تعلّم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً . فكتب إليه أبو العتاهية² :

[من الرمل]

شُغِلَ المسكينُ عن تلك المِحنِ فارقَ الرُّوحَ وأخلّى من بدنِ

1 تكملة الديوان : رقم 297 .

2 تكملة الديوان : رقم 278 .

ولقد كُلفتُ أمراً عَجَباً أسألُ التَّفْرِيحَ من بيتِ الحَزَنِ
فلَمَّا وصلتُ قال الرشيدُ : قد عَرَفْتُكَ أَنَّهُ لا يفعل . قال : فتُخْرِجُهُ حتى يفعل . قال : لا ،
حتى يَشْعُرَ ؛ فقد حَلَفْتُ . فأقام أَيَّاماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا
نُلاجُ الخلفاء ؟ هَلُمُّ أَقْلُ شعراً وتُغَنَّ فيه . فقال أبو العتاهية¹ : [من الرمل]

بأبي مَنْ كان في قلبي له مرةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِقُ
يا بني العباس فيكم مَلِكٌ شَعْبُ الإحسانِ منه تَفْتَرِقُ
إنما هارونُ خيرٌ كُلُّهُ ماتَ كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يَوْمَ خَلِقُ
وغَنَّى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم ، فأعطى كلَّ
واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدَّثني الصُّوْلِيُّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العباس بن
الفضَّل بن الربيع ، فقال فيه : غضِبَ الرشيد على جارية له فحَلَفَ ألاَّ يدخلُ إليها أَيَّاماً ،
ثم نَدِمَ فقال² : [من الرمل]

صَدَّ عَنِّي إِذْ رَأَيْتُ مُفْتَتَنَ وَأَطالَ الصَّدَّ لَمَّا أَنْ فَطَنَ
كان مَمْلُوكِي فَأَضْحَى مالِكي إِنَّ هَذَا مِنْ أَعاجيبِ الزَّمَنِ
وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لي مَنْ يَزِيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبي
العتاهية . فَبَعَثَ إليه فَأُجِبَ بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصلَّته . فقال : الآن طاب
القولُ ؛ ثم قال³ : [من الرمل]

عِزَّةَ الحَبِّ أَرْتَهُ ذِلَّتِي في هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهٌ حَسَنُ
ولهذا صيرتُ مملوكاً لَهُ ولهذا شاعَ ما بي وَعَلَنُ
فقال : أَحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ؛ وَأَضْعَفَ صلته .

[شعره في ذم الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني الهيثم بن
عثمان قال حدَّثني شبيب بن منصور قال : كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ

1 تقدّمت هذه الأبيات والإشارة إليها في تكملة الديوان برواية أخرى : «بأبي من كان لي في قلبه في الأوّل و» يا
بني الإسلام» في الثاني .

2 تكملة الديوان : رقم 278 (الحاشية) .

3 تكملة الديوان : رقم 279 .

بَشِعَ الهَيْبَةُ عَلَى بَغْلٍ قَدْ جَاءَ فَوْقَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُسَائِلُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ ، ثُمَّ وَقَفَ فِي الْمَوْقِفِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسَ يَشْكُونَ أَحْوَالَهُمْ : فَوَاحِدٌ يَقُولُ : كُنْتُ مُنْقَطِعاً إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي خَيْراً . وَيَقُولُ آخَرُ : أَمَلْتُ فَلَاناً فَعُذِّبَ أَمْلِي وَفَعَلَ بِي ، وَيَشْكُو آخَرُ مِنْ حَالِهِ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ¹ :

فَتَشَّتْ ذِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِأَخِيرِ حَامِدٍ
حَتَّى كَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ أَفْرَغُوا فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ

فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَقِيلَ : هُوَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ .

[هجا سلماً بالخاسر بالحرص]

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَلَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ : أُنشِدَ الْمَأْمُونُ بَيْتَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يُخَاطَبُ سَلْماً الْخَاسِرَ : [من الوافر]

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّ الْحِرْصَ لَمُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالْمَرْوَةِ ، وَاللَّهُ مَا عَرَفْتُ مِنْ رَجُلٍ قَطَّ حِرْصاً وَلَا شَرَّهَا فَرَأَيْتُ فِيهِ مُصْطَنِعاً . فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْماً فَقَالَ : وَيْلِي عَلَى الْمَخْنَثِ الْجَرَّارِ الزَّنْدِيقِ ؛ جَمَعَ الْأَمْوَالَ وَكَنَزَهَا وَعَبَأَ الْبِدُورَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ تَزَهَّدَ مِرَاءَةً وَنِفَاقاً ، فَأَخَذَ يَهْتِفُ بِي إِذَا تَصَدَّيْتُ لِلطَّلَبِ .

[اقتصر منه الجمار لخاله سلم فاعتذر له]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَسْكَرِيُّ الْمُؤَدَّبُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلِ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْعَتَكِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَيْنَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِسْمَعٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ قُثَمَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَعِنْدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُنْشَدُ فِي الزَّهْدِ ، فَقَالَ قُثَمُ : يَا عَبَّاسُ ، اطْلُبِ السَّاعَةَ الْجَمَّازَ حَيْثُ كَانَ ، وَلَكَ عِنْدِي سَبَقٌ² . فَطَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَ رُكْنِ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَقُلْتُ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ؛ فَقَامَ مَعِيَ حَتَّى أَتَى قُثَمَ ؛ فَجَلَسَ فِي نَاحِيَةِ مَجْلِسِهِ وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُنْشِدُهُ ؛ فَأَنْشَأَ الْجَمَّازَ يَقُولُ : [من السريع]

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يُزْهَدُ النَّاسُ وَلَا يُزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقاً أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتُهُ الْمَسْجِدُ

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 126 .

2 سبق : جائزة المتسابقين .

يخافُ أن تنفدَ أرزاقه والرزقُ عند الله لا ينفدُ
والرزقُ مقسومٌ على مَنْ ترى ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سلم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إني لم أذهب حيث ظننت ولا ظنّ خالك ، ولا أردتُ أن أهتِفَ به ؛ وإنما خاطبته كما يُخاطبُ الرجلُ صديقه ، فالله يغفر لكما ، ثم قام .

[غناه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خلف الشُمريّ عن أبيه قال : كنتُ عند مُخارق ، فجاء أبو العتاهية في يوم الجمعة فقال : لي حاجةٌ وأريد الصلاة ؛ فقال مُخارق : لا أبرحَ حتّى تعود . قال : فرجع وطرح ثيابه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له : غَنّني¹ :

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي أُتُجِبُ الغداةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فنتَفَسْتُ ثم قلتُ نعمُ حُ بآ جرى في العروقِ عِرْقًا فعرقا

فجذب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غناه ؛ فاستعاده ثلاث مرّات فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يسمع والله هذا الغناء أحدٌ فيُفْلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويه عنه .

وحَدَّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسَّان الضَّبِّيّ قال حَدَّثنا مُخارق قال : لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنّك خرّجتَ قولي :

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي أُتُجِبُ الغداةَ عُتْبَةَ حَقًّا

فقلتُ نعم . فقال : غَنّه . فمِلْتُ معه إلى خرابٍ ، فيه قوم فقراء سَكَان ، فغَنّيته إِيَّاه ؛ فقال : أحسنت والله ؛ منذ ابتدأت حتّى سكتُ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب ؟ [شعره في تبخيل الناس]

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال : قال مُخارق : لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْرِ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أتنشدني قولك في تبخيلك الناس كلّهم ؟ فضحك وقال

لي : ها هنا ؟ قلت نعم . فأنشدني¹ :

[من مجزوء الكامل]

إِنْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَتَنَقَّ وَانْتَقِدِ الْخَلِيلَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصَفًا فِي الْوَدِّ فَابْغِرْ بِهِ بَدِيلَا
وَلَرَبَّمَا سُئِلَ الْبَخِيلُ لِمَا الشَّيْءُ لَا يَسُوَّى فَتِيلَا
فَيَقُولُ لَا أَجِدُ السَّبِيلَ لِمَا إِلَيْهِ يَكْرَهُ أَنْ يُنِيلَا
فَلِذَاكَ لَا جَعَلَ إِلَّا لَهُ لِمَا إِلَى خَيْرٍ سَبِيلَا
فَاضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ سَتَ فُلَن تَرَى إِلَّا بِخِيلَا

فقلتُ له : أَفَرَطْتَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؟ فقال : فديتك ، فأكذبني بجوادٍ واحد . فأحببتُ موافقته ، فالتفتُ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبل بين عيني وقال : فديتك يا بُني ! لقد رَفَقْتَ حَتَّى كِدْتَ تُسْرِفَ .

[كان بعد تنسكه بطرب لحديث هارون بن مخارق]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال : كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي : يا بُني ، حدثني ؛ فإن أفاضلك تُطْرِب كما يُطْرِب غناؤك . [جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هَفَّان قال حدثني موسى بن عبد الملك قال : كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خَدَمَ المأمونَ وخصَّ به ، رأى منه أبو العتاهية جَفْوَةً ، فكتب إليه² :

[من الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الشَّرِيفَ يَشِينُهُ تَتَائِبُهُ عَلَى الْأَخِلَاءِ بِالْوَفْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغَنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
فَإِنْ نِلْتَ تَيْهًا بِالَّذِي نِلْتَ مِنْ غَنَى فَإِنَّ غِنَايَ فِي التَّجَمُّلِ وَالصَّبْرِ

قال : فبعث إليه بألفي درهم ، وكتب إليه يعتذر مما أنكره .

[طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفي قال حدثني أبو جعفر المَعْبُدي قال : قلت لأبي العتاهية : أجز لي قول الشاعر³ :

[من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية : 311-312 (حاشية القطعة رقم 320) وقد تقدّمت الإشارة إليها في الخبر عن الفضل بن الربيع لاشتراكها مع تلك الأبيات في البيت الأول .

2 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 217-218 .

3 الخبر في تكملة الديوان : رقم 189 والحاشية عن الأغاني .

وكان المالُ يأتينا فكنا نُبذّره وليس لنا عقولُ
فلما أن تولّى المالُ عنا عَقَلْنَا حين ليس لنا فضولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

فقصر ما ترى بالصبر حقاً فكلُّ إن صبرت له مُزِيلُ

[قال لابنه : أنت ثقیل الظلّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهوريه قال حدّثني الحسن بن الفضل الزعفرانيّ قال : حدّثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غَضِبَ عليه : اذهب فإنك ثقیلُ الظلّ جامد الهواء .

[أهدى إلى الفضل نعلًا فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهوريه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجهم الثّميريّ قال : حضرتُ الفضل بن الربيع متّنجراً جائزتي وفرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عونٌ حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلِّم عليك وقد قدِم من مكّة ؛ فقال : أعْغِني منه الساعة¹ يشغلّني عن ركوبي . فخرج إليه عونٌ فقال : إنّه على الركوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُفّه نعلًا عليها شراكٌ فقال : قل له إنَّ أبا العتاهية أهداها إليك فجعلتُ فداءك . قال : فدخل بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو² :

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها قرّم بها يمشي إلى المجد
لو كان يصلح أن أشركها خدّي جعلتُ شراكها خدّي

فقال لحاجبه عون : احملها معنا ، فحملها . فلما دخل على الأمين قال له : يا عبّاسي ، ما هذه النعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما . فقال : أجاد والله ! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتُ والله في بدرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف . [قيل إنّه كان من أقل الناس معرفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهوريه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمرو صاحب الطعام وكان جاراّ أبي العتاهية ، قال : كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفة ، سمعتُ بشرًا الرّيسيّ يقول له : يا أبا إسحاق ، لا تُصلِّ خلف فلانٍ جارك

1 ل : فالساعة .

2 التكملة : رقم 75 .

وإمام مسجدكم ؛ فإنه مُشَبَّه¹ . قال : كلاًّ إنّه قرأ بنا البارحة في الصلّاة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .
[شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حسبه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُويَه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشمي قال حدّثني أبو شَيْخ منصور بن سليمان عن أبيه قال : كتب بَكْر بن المُعْتَمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيقَ القيدِ وغمّ الحبس ؛ فكتب إليه أبو العتاهية² :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالْعَيْرُ وَأَمْرُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ
أَتَيْتَ أَنْ تَرَى فَرْجاً فَأَيْنَ اللَّهِ وَالْقَدْرُ

[ذمّه الخلاء وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي وهو متكئ عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويعيئون ، فقال : أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلّم بصلفٍ ؟ ثم قال لي : مرّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطُرُ ، فقال : يا بنيّ ، لو خَفَضْتَ بعضَ هذه الخيلاء لم يكن أحسنَ بك من هذه الشهرة التي قد شهّرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أوّما تعرف من أنا ؟ فقال له : بلى والله أعرفك معرفة جيّدة ، أوّلُك نطفة مَذِرَة ، وآخرك جيفة قَذِرَة ، وأنت بين ذينك حاملٌ عَذِرَة . قال : فأرخصي الفتى أذنيه وكفّ عما كان يفعل ، وطأطأ رأسه ومشى مُسترسِلاً . ثم أنشدني أبو العتاهية³ :

أَيَا وَاهِأً لَذِكْرُ اللَّهِ هِ يَا وَاهِأً لَهُ وَاهَا
لَقَدْ طَيَّبَ ذِكْرُ اللَّهِ هِ بِالتَّسْبِيحِ أَفْوَاهَا
فِيَا أَتْنَنْ مِنْ حُشٍّ عَلَى حَشٍّ إِذَا تَاهَا⁴
أَرَى قَوْمًا يَتِيهُونَ حُشُوشًا رُزِقُوا جَاهَا⁵

[مدح إسماعيل بن محمد شعره]

حدّثني اليزيدي عن عمّه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال : قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا :

1 المشبه : فرقة تقول بأن الله يشبه الإنسان في تكوينه وأفعاله .

2 تكملة الديوان : 94 .

3 ديوان أبي العتاهية : 406 (رقم 420) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 459 .

4 حشّ في الديوان : «زبل» في المرتين .

5 حشوشا في الديوان : «بهاماً» .

يا أبا إسحاق ، شعرك كله حسنٌ عجيب ، ولقد مرت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جداً ؛
وذلك أنها كانت مقلوبةً أيضاً ، فأواخرها كأنها رأسها ، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً
والله لقد كان حسناً أرفع ما يكون شعراً . قال : وما هي ؟ قلت ¹ : [من الكامل]

المراء في تأخير مدته	كالثوب يخلق بعد جدته
وحياته نفسٌ يعد له	وفاته استكمالٌ عدته
ومصيره من بعد مدته	ليليٌ وذا من بعد وُحدته ²
من مات مالٌ ذوو مودته	عنه وحالوا عن مودته
أزف الرحيل ونحن في لعب	ما نستعد له بعدته
ولقلما تبقي الخطوب على	أشر الشباب وحر وقده
عجباً لمنتبهٍ يضيع ما	يحتاج فيه ليوم رقدته ³

[شبه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيدي : قال عمي وحدثني الحسين بن الضحّاك قال : كنت مع أبي نواس فأنشدني
أبياته التي يقول فيها ⁴ :

يا بني النقص والغير وبني الضعف والخور
فلما فرغ منها قال لي : يا أبا علي ، والله لكأتها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .
[سأل أعرابياً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبو دلف
القاسم بن عيسى العجليّ قال : حَجَجْتُ فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلّ ميل ⁵
وعليه شملةٌ إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه . فقال له أبو
العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أن الله
أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد ، ما وسع خيرُ البلاد جميعَ العباد . فقال له : فمن أين معاشكم ؟

1 ديوان أبي العتاهية : 84 (رقم 84) مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 رواية الديوان : ومصيره من بعد مرته بالناس ظلمة بيت وحدته

3 يحتاج في الديوان : يحتاجه .

4 أدرج هذا البيت وآخر معه في تكملة الديوان : رقم 128 نقلاً عن كتاب البديع لابن المعتز : ص 44 ، ولم يرد
في طبعة صادر من الديوان . ومفهوم قول الحسين بن الضحّاك هنا أن البيت لأبي نواس ولكنه ليس في ديوانه
(الغزالي) .

5 الميل : منار بيني للمسافر على نشز من الأرض .

فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ، تمرّون بنا فننال من فضولكم ، وتتنصرون فيكون ذلك . فقال له : إنّما نمرّ وتنصرف في وقت من السنة ، فمن أين معاشكم ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلا أنّنا نرزق من حيث لا نحسب أكثر ممّا نرزق من حيث نحسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول¹ :

ألا يا طالب الدنيا دَعِ الدنيا لشاينكا
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ الميل يكفيكا

[شتمه سلم لما سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال : لما قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجال
قال سلم : ويلي على ابن الفاعلة ؛ كثرَ البدور ويزعم أنني حريصٌ وأنا في ثوبي هذين !

[كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أدعج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمريّ وسمعتة يتمثل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أنني سمعته يُنشد لنفسه² :

مرّت اليومَ شاطرة بضّة الجسمِ ساحرة
إنّ دنيا هي التي مرّت اليومَ سافرة
سرقوا نصفَ اسمها فهَيَ دنيا وآخرة

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكلّه الله إلى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك يتمثل

ببيتٍ من شعره .

قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُيَيْنَةَ المَهْلَبِيِّ ، وكان يُشَبِّب بدنيا في شعره ، فإمّا أن يكون الخبرُ غلطاً ، وإمّا أن يكون الرجل أنشدها العمريّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال : قال لي الحرّمازيّ : شهدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ،

1 ديوان أبي العتاهية 275 (رقم 291) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 317 .

2 تكملة الديوان : رقم 101 .

وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر ؛ فإذا تعاطيا جميعاً السرعة فضله أبو العتاهية ، وإذا توقفا وتمهلاً فضله أبو نواس .

[جفاه صالح المسكين فعاتبه فجأه بالعداوة]

أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عُلَيْلِ العَنَزِيِّ قال حَدَّثَنَا أَبُو أَنَسٍ كَثِيرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الجِزَامِيُّ قال حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ مَعْرُوفِ الْعَامِلِيِّ قال : قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجئته يوماً ، وكان لي في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيري ، فنظرت إليه قد قصر بي عنها ، وعادته ثانية فكانت حاله تلك ، ورأيت نظره إليّ ثقيلاً ، فنهضت وقلت¹ :

أراني صالحاً بُغضاً	فأظهرتُ له بُغضاً
ولا والله لا ينقُـ	ض إلا زدتُه نقضاً
والأ زدتُه مقتاً	والأ زدتُه رفضاً
ألا يا مُفسِدَ الودِّ	وقد كان له محضاً
تغضبتَ مِنَ الرِّيحِ	فما أطلبُ أن تَرْضَى
لئن كان لك المالُ الـ	مُصْفًى إن لي عِرْضاً

قال أبو العتاهية : فَنَمِي الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة ؛ فقلت فيه² :

مَدَدْتُ لِمُعْرِضٍ حَبْلاً طويلاً	كَأُطَوِّلُ ما يكون من الحِبالِ
حبالٍ بالصَّريمةِ ليس تَفْنَى	مُوصَّلةً على عَدَدِ الرمالِ
فلا تَنْظُرْ إليّ ولا تُرِدْني	ولا تُقَرِّبْ حبالَكَ من حِبالِي
فليت الرَّدَمُ من يأجوجَ بيني	وبينَكَ مِثْبَناً أُخْرى اللَّيالي
فَكَرَّشَ إن أردتَ لنا كلاماً	ونقطعَ قِحفَ رأسِكَ بالقَدالِ

[استشده مساور شعراً في جنازة فُلَيْ]

حَدَّثَنِي أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّوْفَلِيُّ قال : قال مُسَاوِرُ السَّبَّاقِ ، وأخبرني الحِزْمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ مُسَاوِرِ السَّبَّاقِ قال : شَهِدْتُ

1 تكملة الديوان : رقم 143 .

2 تكملة الديوان : رقم 216 .

جنازةً في أيام الحاجّ وقت خروج¹ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفتح، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر: هذا الرجل الذي صِفْتُهُ كذا وكذا أبو العتاهية. فالتفت إليه فقلت له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فقلت له: أنشدني شيئاً من شعرك؟ فقال لي: ما أحملك؛ نحن على سفرٍ وعلى شفيرِ قبرٍ، وفي أيام العشر، وبلدكم هذا تستنشدني الشعر؟ ثم أدبر عني ثم عاد إليّ فقال: وأخرى أزيدُكها، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمع منك وجهاً!

قال النوفليّ في خبره: وصدق أبو العتاهية، كان مُساوِرَ هذا مُقَبِّحاً طويلَ الوجه كأنه ينظر في سيف.

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فعاتبه ولم يرض عنه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجحظة قالا حدّثنا ميمون بن هارون قال: قديم أبو العتاهية يوماً منزلاً يحيى بن خاقان، فلما قام بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل، فسلم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذن له؛ فأخذ قرطاساً وكتب إليه²:

أراك تُراعُ حين تَرى خيالي	فما هذا يَروعك من خيالي
لعلك خائفٌ منّي سؤالي	ألا فلكَ الأمانُ مِنّ السؤالِ
كفيتك إنَّ حالَكَ لم تَملُ بي	لأُطلبَ مثلها بدلاً بحالي
وإنَّ اليُسْرَ مثلُ العُسْرِ عندي	بأيّهما مُنيتُ فلا أبالي

فلما قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجب بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، ولم يلتقيا بعد ذلك.

[كان بينه وبين أبي الشَّمقمق شرٌّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازي قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال: اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمقمق في بيت ابن أذّين، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمقمق شرٌّ، فخبّوه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظنّ أنّه جارية، فقال لابن أذّين: متى استطرفت هذه الجارية؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق، فقال: قلّ فيها ما حضّر؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال:

مددتُ كَفّي نحوكم سائلاً ماذا تَردُّون على السائلِ

1 ل: خرج.

2 تكملة الديوان: رقم 213.

فلم يَلْبَثْ أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت :
نَرَدُّ فِي كَفِّكَ ذَا فَيْشَةٍ يَشْفِي جَوِي فِي أَسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ
فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ؛ وقام مُغَضَّباً .

[استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ
عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُنَازِرٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَاضِرٌ فِي وَسْطِ
الْمَجْلِسِ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لَجَعْفَرٍ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؛ مَعَكُمْ شَاعِرٌ يُعْرِفُ بَابَنَ أَبِي أُمَيَّةَ أَحِبُّ
أَنْ أَسْمَعَهُ يُنْشِدُ ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : هُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْكَ . فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ
إِلَى جَانِبِهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْشِدَهُ ، فَكَأَنَّهُ حَصَرَ ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

[من الرمل]

صوت

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بِوَعْدِ حَسَنِ وَأَجْلِي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي
كَلَّمَا أَمَلْتُ وَعَدًا صَالِحًا عَرَّضَ الْمَكْرُوهَ دُونَ الْأَمَلِ
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْزِنِي الَّذِي أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْزِنِي أَجَلِي

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِأَبِي حَبْشَةَ رَمَلٌ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُرَدِّدُ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ وَيُقَبِّلُ رَأْسَ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَيَكِي ، وَقَالَ : وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ لِي بِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِي .

[لم يرض بتزويج ابنته من منصور بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : كَانَتْ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ بَتْنَانٌ ، اسْمُ
إِحْدَاهُمَا «لَهُ» ، وَالْأُخْرَى «بِاللَّهِ» ؛ فَخَطَبَ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ «لَهُ» فَلَمْ يُزَوِّجْهُ ، وَقَالَ :
إِنَّمَا طَلِبْتُهَا لِأَنَّهَا بِنْتُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَكَأَنِّي بِهَا قَدْ مَلَّهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لِي إِلَى الْإِنْتِصَافِ مِنْهُ
سَبِيلٌ ، وَمَا كُنْتُ لِأَزْوَاجِهَا إِلَّا بِأَعْيُنِ خَزَفٍ وَجِرَارٍ ، وَلَكِنِّي أَخْتَارُهُ لَهَا مُوسِرًا .

[كان له ابن شاعر]

وَكَانَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ وَكَانَ شَاعِرًا ، وَهُوَ الْقَائِلُ ¹ :

[من مخَلَع البسيط]

قَدْ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
مَا كُلُّ نَطْقٍ لَهُ جَوَابُ جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

يا عَجَباً لِمَرِيٍّ ظَلُمٍ مُسْتَيَقِنٍ أَنَّهُ يَمُوتُ

[سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سَهْلٍ الكاتب قال : قلت لأبي العتاهية : أَنشِدْني من شِعْرِكَ ما تستحسن ، فَأَنشَدني :

ما أَسْرَعَ الأَيَّامَ في الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الأشْهُرَ في العُمُرِ

صوت

ليس لمن ليست له حيلةٌ مَوْجُودَةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا واجِرْ مع الدهرِ كما يَجْرِي
مَنْ سَابَقَ الدهرَ كبا كَبُوءٌ لَمْ يَسْتَقْلِهَا آخِرَ الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيل وثقيل أول .

[جفاه الفضل فوصله ابن الحسن بن سهل]

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحَدِّثُ قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أَمِيلِ الناسِ إِلَيَّ ، فلَمَّا رَجَعَ من خُرَاسان بعد موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فَأَنشَدته¹ :

أَفْنَيْتَ عَمْرَكَ إِدْبَاراً وإِقْبَالاً تَبْغِي البَينَ وَتَبْغِي الأَهْلَ وَالْمَلا
الموتُ هَوْلٌ فَكُنْ ما شِئْتَ مُلْتَمِساً من هَوْلِهِ حِيلَةٌ إِنْ كُنْتَ مُحْتَالاً²
أَلَمْ تَرَ المَلِكَ الأُمَيسِيَّ حينَ مَضَى هل نال حيٍّ من الدنيا كما نالاً³
أَفْناه مَنْ لَمْ يَزَلْ يُفْنِي القُرُونُ فَقَدْ أَضْحَى وَأَصْبَحَ عَنْهُ المَلِكُ قد زالاً⁴
كَمْ من ملوكٍ مَضَى رَبُّ الزمانِ بِهِمْ فَأَصْبَحُوا عِبْرَةً فِينَا وَأَمْثالاً

فاستحسنها وقال : أَنْتَ تَعْرِفُ شُعْلِي ، فَعُدْ إِلَيَّ في وقت فراغي أقعد معك وأنس بك . فلم أَزَلْ أُرَاقِبُ أَيَّامَهُ حَتَّى كان يومُ فراغه فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فبينما هو مُقْبِلٌ عَلَيَّ يَسْتَنشِدُنِي وَيَسْأَلُنِي

1 ديوان أبي العتاهية : 302-303 (رقم 314) .

2 الديوان : «للموت غول . . . من غوله . . .» .

3 الأُمَيسِي في الديوان : الأُمَي .

4 القرون في الديوان : الملوك .

فأحدثه ، إذ أنشدته ¹ : [من الكامل]

ولَّى الشبابُ فما له من حيلةٍ وكسا ذؤابتَي المشيبِ خِمَارا
أين البرامكةُ الذين عهدتْهم بالأمسِ أعظمَ أهلِها أخطارا
فلما سمعَ ذكرِي البرامكةَ تَغَيَّرَ لونهُ ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه ، فما رأيتُ منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرَكَ عند الفضل بن الربيع لقد نفعلك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دارةً إلى أن مات .
[عاب مجاشع بن مسعدة فردَّ عليه من شعره]

قال أبو عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مسعدة يقول : قال لي أخي مجاشع : بينما أنا في بيتي إذ جاءني رُفعةٌ من أبي العتاهية فيها ² : [من مجزوء الوافر]

خليلٌ لي أكاثمه أراني لا الأثمه
خليلٌ لا تهبَّ الرِّب حُ إلا هبَّ لائمه
كذا مَنْ نالَ سلطاناً ومن كثرتْ دراهمه

قال : فبعثتُ إليه فأتاني ، فقلت له : أما رَعَيْتَ حقاً ولا ذِماماً ولا مودةً ؟ فقال لي : ما قلتُ سوءاً . قلت : فما حملك على هذا ؟ قال : أغيبُ عنك عشرة أيام فلا تسأل عني ولا تبعثُ إليّ رسولاً ؟ فقلت : يا أبا إسحاق ، أتسييتَ قولك ³ : [من مجزوء الكامل]

يأبى المعلقُ بالمنى إلا رَواحاً وادلاجاً
أرفقُ فعمركُ عودُ ذي أودٍ رأيتُ به اعوجاجاً
مَنْ عاجَ من شيءٍ إلى شيءٍ أصابَ له معاجاً

فقال : حسبك ، حسبك ، أوَسَعَتْنِي عُذْراً .

[عاب شعر ابن منذر لاستعماله الغريب]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزَّارع قال حدثنا الحسن بن عَلِيل العَنَزِي قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصَّمَد الزَّارع قال حدثنا ابن عائشة قال : قال أبو العتاهية لابن

1 ديوان أبي العتاهية : 145 (رقم 148) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 171 .

2 تكملة الديوان : رقم 232 .

3 ديوان أبي العتاهية : 95 (رقم 96) .

مناذر : شعرك مُهَجَّنٌ لا يَلْحَقُ بالفحول ، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدِّثين . فإن كنت تَشَبَّهت بالعجاج ورؤيةً فما لَحِقَتْهُما ولا أنت في طريقهما ، وإن كنت تذهب مذهب المُحدِّثين فما صنعتَ شيئاً . أَخْبِرْنِي عن قولك :

وَمَنْ عَادَاكَ لَأَقَى الْمَرْمِيسَ¹

أخبرني عن المرميس ما هو ؟ قال : فحجّل ابن مناذر وما رجعته حُرْفًا . قال : وكان بينهما تَنَاعُرٌ² .

[عرف عبيد الله بن إسحاق بمكة وسأله أن يجز شعره]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المَهْدِيّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال : وجد المأمون عليّ في شيء ، فاستأذنته في الحجّ فأذن لي ، فقَدِمْتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمرُ الحجّ ، فزاملته إلى مكة . فبينما نحن في الطّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعبيد الله : جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ أَتُحِبُّ أَنْ تَرَى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إني لأُحِبُّ أَنْ أراه وأُعاشره . قلت : فافرغ من طوافك واخرج ، ففعل . فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثنا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجِيزُهُما ؟ فقال له عبيد الله : إِنَّهُ لَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ . فقال له : لَا نَزَفْتُ وَلَا نَفْسُقَ وَلَا نُجَادِلَ . فقال : هَاتِ إِذَا . فقال أبو العتاهية³ :

إِنَّ الْمُنُونَ غَدُوْهَا وَرَوَّاحَهَا فِي النَّاسِ دَائِبَةٌ تُجِيلُ قِدَاحَهَا

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا لَقَدْ أُوطِئَتْهَا وَلَتَنْزَحَنَّ وَإِنْ كَرِهَتْ نَزَاحَهَا

فأطرق عبيد الله ينظرُ إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : [من الكامل]

خُذْ لَا أَبَا لَكَ لِلْمَنِيَّةِ عُدَّةً وَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ إِنْ أُرِدْتَ صِلَاحَهَا

لَا تَغْتَرِرْ فَكَأَنَّنِي بِعُقَابِ رَبِّ سَبَّ الْمَوْتَ قَدْ نَشَرْتُ عَلَيْكَ جَنَاحَهَا

قال : ثم سمعتُ الناسَ يَنْحَلُونَ أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها ، وليس له إلّا البيتان الأوّلان .

1 المرميس : الداهية .

2 ل : تباعد .

3 ديوان أبي العتاهية : 101 (رقم 101) .

[قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن مخرق قال حدثني إبراهيم بن دسكرة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال : قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علي ، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل : [من الطويل]

صوت

تَعَوَّدْتُ مَرَّ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَأَسْلَمَنِي حَسَنُ الْعَرَاءِ إِلَى الصَّبْرِ¹
وَصَبَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِئاً لِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
فقلت له : أعذ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلك أبا العتاهية ؛ ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبطل للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره ، لم تصبر عن استعادتهما ، ولم تقدّم قبل مسألتك عنهما عذراً لنفسك في طلبهما ؛ فقلت : يا أخي إني دهشت لهذه الحال ، فلا تعذّلي واعذّرني متفضلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك ؛ لأنك حبست في أن تقول شعراً به ارتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمّنت ، وأنا مأخوذ بأن أدلّ على ابن رسول الله ﷺ ليقتل أو أقتل دونه ، والله لا أدلّ عليه أبداً ، والساعة يدعي بي فأقتل ، فأينما أحق بالدهش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك . قال : فلا نبخل عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما . قال : فسألت من هو ؟ فقال : أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال ، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ، ولبس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقدم قبلي إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفت عنه . وأمر بضرب عنقه فضرب . ثم قال لي : أظنك قد ارتعت يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيته تسيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحْبَسِهِ فَرُدُّدْتُ ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما² : [من الطويل]

1 مرّ الصبر في ل : من الضر .

2 انظر ديوان أبي العتاهية : 174-175 (رقم 178) وهي خمسة أبيات من ضمنها الثلاثة المتقدمة .

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تَكَرَّهْتُ منه طال عَنِّي على الدهر
لِرُزُورِ غلامِ المارقِي في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل . وفيهما لَعَرِيب خفيف
ثقيل .

[كان خِلْفاً في شعره منه الجيّد والرديء]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجية بن
عبد الواحد قال : قال لي أبو العباس الخُزَيْمِيّ : كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشعر ، بينما هو
يقول في موسى الهادي :

لَهْفِي على الزمنِ القصيرِ بينِ الخَوَرَنَقِ والسُدُورِ

إذ قال ¹ :

أيا ذَوِي الوَخامةِ	أكثرْتُ المَلامةِ
فليس لي على ذا	صبرٌ ولا قُلامه
نعم عَشِيقْتُ مُوقاً	هل قامتِ القيامةِ
لأَرْكَبَنَّ فيمن	هَوَيْتُهُ الصَّرامةِ

[عرض شعرأ له على سلم الخاسر فذمّه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجَمَّاز
قال : قال سلّم الخاسر : صار إليّ أبو العتاهية فقال : جئتُكَ زائراً ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ
أنت عليه ، فأقيم . فقال : إنّ هذا ممّا يشتدّ عليّ . قلت : ولمَ يشتدّ عليك ما يسهلُ على أهل الأدب ؟
فقال : لِمَعْرِفَتِي بضيقِ صدرك . فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرتِه : «رَمَتْنِي بدائِها
وانسَلَّتْ» ² . فقال : دَعْنِي من هذا واسمع مِنِّي أبيتاً . فقلت : هاتِ ، فأنشدني ³ : [من الخفيف]

نَغَصَ الموتُ كلَّ لَذّةِ عيشٍ	يا لَقُومِي لِلْمَوْتِ ما أَوْحاهُ ⁴
عجباً أنّه إذا مات مَيّتٌ	صَدَّ عنه حَبِيْبُهُ وجَفاهُ
حيثما وُجّه امرؤُ لِفُوتِ الـ	حُوتِ فالْمَوْتُ واقِفٌ بِجِذاهُ
إنّما الشَّيْبُ لابنِ آدَمَ ناعٍ	قام في عارِضِيهِ ثم نَعاهُ

1 تكملة الديوان : رقم 240 .

2 هو المثل رقم 1521 عند الميداني وانظر فصل المقال : 92 .

3 ديوان أبي العتاهية : 414-415 (رقم 432) .

4 أَوْحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى الْمُنَى فَأَغْرَقَ فِيهَا مات من قبل أن ينال مُنَاهُ
 مَا أَذَلَ الْمُقِلَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ سِرَ إِقْلَالِهِ وَمَا أَقْمَاهُ
 إِنَّمَا تَنْظُرُ الْعَيُونُ مِنَ النَّاسِ سِرَ إِلَى مَنْ تَرْجُوهُ أَوْ تَخْشَاهُ

ثم قال لي : كيف رأيته ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن ألقاها سوقية . فقال :
 والله ما يُرَغِّبُنِي فِيهَا إِلَّا الَّذِي زَهَّدَكَ فِيهَا .
 [قوله عندما مر به حميد الطوسي متكبراً]

ونسخت من كتابه : عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد بن
 عيسى الحريري قال : كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه وبين
 يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي العتاهية سوادي على أتان ، فضربوا وجه الأتان
 ونحوه عن الطريق ، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه
 وهو لا يلتفت تيهياً ؛ فقال أبو العتاهية¹ :
 [من مجزوء الكامل]

لِلْمَوْتِ أَبْنَاءٌ بِهِمْ مَا شِئْتَ مِنْ صَلَفٍ وَتِيهِ
 وَكَأَنَّنِي بِالْمَوْتِ قَدْ دَارَتْ رَحَاهُ عَلَى بَيْتِيهِ

قال : فلماً جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية² :

مَنْ تَمَنَّى الْمُنَى فِي أَعْيُنِ النَّاسِ سِرَ إِقْلَالِهِ وَمَا أَقْمَاهُ
 إِنَّمَا تَنْظُرُ الْعَيُونُ مِنَ النَّاسِ سِرَ إِلَى مَنْ تَرْجُوهُ أَوْ تَخْشَاهُ

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال : قيل لأبي العتاهية : ما لك
 تبخل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بخلت بما رزقني الله قط . قيل له : وكيف ذاك وفي
 بيتك من المال ما لا يُحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقت .

[طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه]

قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفر الشهرزوري قال حدثني رجاء مولى صالح
 الشهرزوري قال : كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوري وأتس الناس به ، فسأله أن
 يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أكلمه في أشباه هذا ، ولكن
 حملني ما شئت في مالي . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو

1 تكملة الديوان : رقم 291 .

2 ديوان أبي العتاهية : 400-401 (رقم 412) وهي 10 أبيات .

العتاهية :

[من الكامل]

أَقْلَلْ زيارَتَكَ الصديقَ ولا تُطِيلْ إتيانَه فَتَلِجْ في هِجْرانِه¹
 إنَّ الصديقَ يَلِجْ في غِشيانِه لصديقه فَيَمَلُّ من غِشيانِه
 حتَّى تراه بعد طول مَسَرَّة بمكانه مُتَبَرِّماً بمكانِه²
 وأَقْلُ ما يُلَفِّي الفتى ثِقْلاً على إخوانه ما كَفَّ عن إخوانِه³
 وإذا توانَى عن صِيانة نفسه رجلٌ تُنْقَصُ واستُخِفَّ بشانِه

فلَمَّا قرَأَ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ؛ أَنهَجُرني لمنعي إِيَّاكَ شيئاً تعلمُ أَنِّي ما ابتذلتُ نفسي
 له قطً ، وتَنسى مودَّتِي وأُخوتِي ، ومنْ دونِ ما بيني وبينكَ ما أوجبَ عليك أنْ تَعذِرني !
 فكتب إليه⁴ :

[من الكامل]

أَهْلَ التَّخَلُّقِ لو يَدومُ تَخَلُّقُ لسكنتُ ظِلَّ جَنَاحِ مَنْ يَتَخَلَّقُ
 ما الناسُ في الإمساكِ إلَّا واحدٌ فبأيَّهمْ إنْ حُصِّلوا أُتَلَقُ
 هذا زمانٌ قد تَعوَّدَ أَهلُه تِيَةَ الملوِكِ وفعلَ مَنْ يَتَصَدَّقُ

فلَمَّا أَصبحَ صالحٌ غداً بالأبياتِ على الفضلِ بنِ يحيى وحَدَّثَه بالحديثِ ؛ فقال له : لا
 والله ما على الأرضِ أَبْغَضُ إِلَيَّ من إِسداءِ عارِفَةٍ إلى أبي العتاهية ؛ لأنَّه مَن ليس يَظهرَ عليه
 أثرُ صَنِيعَةٍ ، وقد قَضِيتُ حاجَتَه لك ؛ فرجعَ وأرسلني إليه بقضاءِ حاجَتِه . فقال أبو
 العتاهية⁵ :

[من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنِّي صالحاً بوفائِه وَأَضْعَفَ أضعافاً لَه في جَزائِه
 بَلَوْتُ رجالاً بَعْدَه في إِخائِهمْ فما ازدَدْتُ إلَّا رَغْبَةً في إِخائِه
 صديقٌ إذا ما جِئتُ أَبْغِيه حاجَةً رجعتُ بما أَبْغِي ووجهي بمائِه

أخبرني الصُّوَلِيُّ قال حَدَّثني محمد بن موسى قال حَدَّثني أحمد بن حرب قال : أنشدني
 محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هذا في تأخيرِه قضاء حاجَتِه⁶ :

[من الطويل]

1 ولا تطل إتيانه فتلج في الديوان : «... ولا تطل هجرانه فيلج...» .

2 الديوان : «... مستقلاً لمكانه» .

3 وأقل في الديوان : وأخف .

4 تكملة الديوان : رقم 158 .

5 تكملة الديوان : رقم 5 .

6 تكملة : رقم 60 .

صوت

أَعْنِي جُوداً وَابِكِيَا وَدَّ صَالِحٍ وَهَيْجَا عَلَيْهِ مُغُولَاتِ النَّوَاحِ
فَمَا زَالَ سُلْطَاناً أَخٌ لِي أَوْدُهُ فَيَقْطَعُنِي جُرْماً قَطِيعَةً صَالِحٍ
الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقیلٌ أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى البصر .

[أمر الرشيد مؤدب ولده أن يرويهم شعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : كان الرشيد مُعْجَباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُفْعَتَانِ عَلَى نَسْخَةٍ وَاحِدَةٍ ، فبعث بإحدهما إلى مُؤدّب لولده وقال : لِيُرَوِّهْمَا فِيهَا ، ودفع الأخرى إليّ وقال : غَنِّ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ . ففتحتها فإذا فيها¹ :

صوت

قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بُوْدَةٌ وَكَوَى الْقَلْبَ بَصْدَةٌ
مَا ابْتَلَى اللَّهُ فَوَادِي بَكَ إِلَّا شَوْمَ جَدَّةٍ
أَيُّهَا السَّارِقُ عَقْلِي لَا تَضَنَّ بِرَدَّةٍ
مَا أَرَى حُبَّكَ إِلَّا بِالْغَايِ فَوْقَ حَدَّةٍ

[تمثل المعتصم عند موته بشعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الله بن محمد الأموي العُتْبِيُّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيات : لَمَّا أَحْسَنَ الْمُعْتَصِمُ بِالْمَوْتِ قَالَ لِابْنِهِ الْوَائِقِ : ذَهَبَ وَاللَّهِ أَبُوكَ يَا هَارُونَ ! لِلَّهِ دَرُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ² :

الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لَا سَوْقَةَ يَتَّقِي وَلَا مَلِكُ
مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاكِ مَا مَلَكَوْا

[عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وعمّي الحسن والكوكبي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي أبو تمام الطائي : لأبي العتاهية خمسة أبياتٍ ما شَرِكَهَ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا قَدَّرَ عَلَى مِثْلِهَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا مُتَأَخِّرٌ ، وهو قوله :

1 تكلمة : رقم 84 .

2 ديوان أبي العتاهية : 267-268 (رقم 283) .

الناسُ في غَفَلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي¹ : [من المتقارب]

وَلَمَّا اسْتَقَلُّوا بِأَنْقَالِهِمْ وَقَدْ أَرْزَعُوا لِلَّذِي أَرْزَعُوا
قَرَنْتُ التَّفَاتِي بِآثَارِهِمْ وَأَتَّبَعْتُهُمْ مُقْلَةً تَدْمَعُ

وقوله : [من الوافر]

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

[عزاه صديقاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهوريه قال حدثني محمد بن سعيد المَهْدِيّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال : مات شيخ لنا ببغداد ، فلمّا دفنّه أقبل الناسُ على أخيه يُعزّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعزّاه ثم أنشده² : [من المجتث]

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حِينٍ لِبَاسَا
لَيَدْفِنُنَا أَنْاسٌ كَمَا دَفَنَّا أَنْاسَا

قال : فانصرف الناسُ ، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية .

[أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمّه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه : قال : كنتُ في مجلس خزيمة³ ، فجرى حديثٌ ما يُسْفِكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجَّةٌ إلّا رجاء عفوهِ ومغفرته . ولولا عزُ السلطان وكرههُ الذلّة ، وأن أُصيرَ بعد الرياسة سُوقَةً وتابِعاً بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهْدٌ ولا أعبدُ منّي ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوب⁴ :

[من الطويل]

1 تكملة الديوان : رقم 145 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية القطعة 198 (ص 193) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 229 .

3 هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد .

4 ديوان أبي العتاهية : 347 (رقم 356) وهي عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب .

أراك امرأاً ترجو من الله عَفْوَهُ وأنتَ على ما لا يُجِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنتَ مُقَصِّرٌ أيا مَنْ يُداوي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امرأاً لم يُلْهِهِ اليَوْمُ عن غَدٍ تَخَوْفُ ما يَأْتِي به الحَكِيمُ
وإنَّ امرأاً لم يجعلِ البرَّ كَنَزِهِ وإنَّ كانتِ الدنيا له لَعَدِيمُ

فغضِبَ خَزِيمَةً وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِفِ من كنوز البرِّ فيرغب فيه حرٌّ . ففيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنَّه من الذين يَكْزِرُونَ الذهبَ والْفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَهَا في سبيلِ الله .

[مدح يزيد بن مزيد فوصله]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدَّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال قال لي الفضل بن العباس : قال لي أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزِيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها¹ :

وما ذاك إلَّا أَنِّي واثِقٌ بما لديك وَأَنْتَ عالمٌ بوفائِكَ
كَأَنَّكَ في صدري إذا جئتُ زائراً تُقَدِّرُ فيه حاجتي بابتدائكِ
وإنَّ أَمِيرَ المؤمنين وغيره لَيَعْلَمُ في الهيجاء فضلَ غنائِكَ
كَأَنَّكَ عند الكَرِّ في الحربِ إِنَّمَا تَفِرُّ من السُّلَمِ الذي من ورائِكَ
فما آفةُ الأملاكِ غيرُكَ في الوَغَى ولا آفةُ الأموالِ غيرُ حبايِكَ

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرَّجها ولجامها .

[وعظ راهب رجلاً عبداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق وعمِّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلبيّ قالوا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : مرَّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمَعَةٍ ؛ فقال له : عِظْني . فقال : أعطُكَ وعليكم نزل القرآن ، ونبئكم محمد ﷺ قريب العهد بكم ؟ قلت نعم . قال : فاتَّعِظْ بيئتٍ من شعر شاعرٍكم أبي العتاهية حين يقول :

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا وَقَعْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ²

[فضله العتايي على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قال حدَّثنا العَنَزِيُّ قال حدَّثني الفضل بن محمد الزَّارع

1 تكملة الديوان : رقم 7 .

2 وقعت في الديوان (القطعة رقم 109) : سقطت .

قال حدثني جعفر بن جَمِيل قال : قَدِمَ العَتَّابِيُّ الشاعر على المأمون ، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله على كاتبه ثوبة بن يونس ، وكُنَّا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذكر الشعراء ؛ فقال : لَكُمْ يا أهل العراق شاعرٌ منوّه الكنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفضَ يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام . فقلت : لعلك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم ، ذلك أشعر الأولين والآخرين في وقته .

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العَنَزِيُّ قال حدثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنْدِيِّ قال : جلس أبو العتاهية يوماً يَعْذُلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس :

أُتْرَانِي يَا عَتَاهِي تَارِكاً تِلْكَ الْمَلَاهِي
أُتْرَانِي مَفْسِداً بِالنُّسْ لِكِ عِنْدَ الْقَوْمِ جَاهِي

قال : فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك . وجعل أبو نواس يضحك .

[بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : بلغ أبا العتاهية أن أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ؛ فبعث إليه يُعَاتِبُهُ على لسان إسحاق الموصلي ، فأدى إليه إسحاق الرسالة ؛ فكتب إليه أبي :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ أَمَهَلَتْكَ عَتَاهِي وَالْمَوْتَ لَا يَسْهُو وَقَلْبُكَ سَاهِي
يَا وَجَّحَ ذِي السِّنِّ الضَّعِيفِ أَمَالُهُ عَنْ غِيَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ تُنَاهِي
وَكُلَّتْ بِالدُّنْيَا تُبْكِيهَا وَتَدُّ لَدَيْهَا وَأَنْتَ عَنِ الْقِيَامَةِ لَاهِي
وَالْعَيْشُ حُلُوٌّ وَالْمُنُونُ مَرِيرَةٌ وَالِدَارُ دَارُ تَفَاخُرٍ وَتَبَاهِي
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ دُونَهَا سُبُلًا وَلَا تَتَحَامَقَنَّ لَهَا فَإِنَّكَ لَاهِي¹
لَا يُعْجِبُنْكَ أَنْ يُقَالَ مُفَوَّةٌ حَسَنُ الْبَلَاغَةِ أَوْ عَرِيضُ الْجَاهِ
أَصْلِحْ جَهْلُوكَ مِنْ سَرِيرَتِكَ الَّتِي تَخْلُو بِهَا وَارْهَبْ مَقَامَ اللَّهِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ مُظْهِراً لِرَهَادَةٍ تَحْتَاجُ مِنْكَ لَهَا إِلَى أَشْبَاهِ

[شغف عبد الله بن العباس بن الفضل بالغناء في شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال : رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية :

صوت

أحمدُ قال لي ولم يَدُرْ ما بي اتَّحِبُّ الغداةَ عُتَبَةً حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُ بَاءً جَرَى في العُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
لو تَجَسَّيْنِ يا عَتِيَّةُ قلبي لَوَجَدْتُ الفَوَادَ قَرْحًا تَفَقًّا
قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّيِّبُ ومَلَّ الأ هلْ مُنِّي مِمَّا أَقاسي وَالْقَى
ليتنِي مِتُّ فاسترحْتُ فَإِنِّي أبداً ما حَيَّيْتُ منها مُلَقًّى

ولا سيّما من مُخارق ، وكان يُغنيّ فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفريدة رمل .
هكذا قال الصُّوليّ : «فريدة» بالياء ، وغيره يقول : «فِرْدَة» بالنون .

[صنع شعراً يغنيّ فيه الملاحون فلما سمعه الرشيد بكى]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العدويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد ممّا يعجبه غناء الملاحين في الرِّلّالات إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يُغنون فيه . فقبل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوجّه إليّ الرشيد : قلّ شعراً حتّى أسمعهم منهم ، ولم يأمرْ بإطلاقي ؛ فغازني ذلك فقلت : والله لأقولنَّ شعراً يحزنه ولا يسرُّ به ، فعملتُ شعراً ودفعته إلى مَنْ حَفَظَه الملاحين ، فلما ركب الحرّاقة سمعه ، وهو¹ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ رَّ دُنُوٌّ وَنَزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أ نَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ

فإذا المستورُ مِنَّا بينَ ثوبَيْهِ نَضُوحُ¹
 كَمْ رأينا مِن عَزِيزٍ طُوِبَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحَ مِنْهُ بِرَجِيلٍ صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضَرَّ عَلَى قَوْمٍ قُتُوحُ
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلِمَ الْمَوْتُ يَلُوحُ
 كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْـ مَوْتُ يَغْدُو وَيُروحُ
 لَيْتَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّدِّ يَا غَبُوقَ وَصُوحُ
 رُخْنَ فِي الْوَشْيِ وَأَضْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ سِرٌّ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 نُخِ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْدَ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمُّ رُتَ مَا عُمَّرَ نُوحُ

قال : فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويتعجب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدّهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة . فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه ، أوماً إلى الملاحين أن يسكتوا .

[هجا منجأ الذي كان موكلاً بحسه]

حدثني الصُّولي قال حدثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رجاء قال : لما حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه إلى منجأ ، فكان يعنف به ؛ فقال أبو العتاهية² : [من مجزوء الكامل]

منجأ مات بدائه فاعجل له بدوائه
 إنَّ الإمامَ أعلَّه ظلماً بحدِّ شقائه
 لا تُعْنِفَنَّ سَيِّاقَهُ ما كُلُّ ذاكِ برائه
 ما شِئْتُ هذا في مخا يلر بارقاتِ سَمَائِهِ

[مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن معاوية

1 نضوح في الديوان : فضوح .

2 تكملة الديوان : رقم 6 .

القرشي قال : لما عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة : الأمين ، والمأمون ، والمؤمن ، قال أبو العتاهية¹ :

[من الطويل]

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبْعِ الْمَحِيلِ قَعُودِي إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ
وَرَاعَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمِّهِ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رُقُودِ
بِالْوَيْةِ جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتُ نَصْرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقِنُ أَنَّهَا مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفِتْنَةٍ ثَلَاثَةَ أَمْلاكٍ وَلاَةَ عُهُودِ
هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرٌ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقُعُودِ
تَقْلُبُ الْحَاطِظَ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عِيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
جُدُودُهُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نُجُومِ سُعُودِ

قال : فوصله الرشيد بصلية ما وصل بمثلها شاعراً قط .

[ذكر ملك الروم فالتسمه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازة قال حدثني الرياشي قال : قديم رسول ملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسِن العربية ، فمضى إلى ملك الروم وذكره له ؛ فكتب ملك الروم إليه ، وردَّ رسوله يسأل الرشيد أن يُوجِّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألحَّ في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستغفى منه وأباه . واتَّصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما² :

[من المنسرح]

صوت

ما اختلفَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ولا دارتْ نُجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ قَدِ انْقَضَى مُلْكُهُ إِلَى مَلِكٍ

1 تكلمة الديوان : رقم 72 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية ص 274 (رقم 291) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 316 .

[انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله¹ بن أبي سعد قال حدثنا الربيع بن محمد الخثلي الوراق قال أخبرني ابن أبي العتاهية : أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس ، كَرَمَ بيته وقطع الناس ؛ فذكره الرشيد فعرف خيره ، فقال : قولوا له : صيرت زير نساء وجلس بيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقِيهِمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي مُنْتَهَى الْعِدَّةِ

ثم قال : لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها : وهي² :

صوت

عَادَ لِي مِنْ ذِكْرِهَا نَصَبُ فدموع العين تَنْسَكِبُ
وَكَذَاكَ الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَعْتَرِيهِ الْهَمُّ وَالْوَصَبُ
خَيْرُ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
وَحَقِيقٌ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبَوْهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

[وعظه الرشيد]

حدثنا الصوفي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال : قال الرشيد لأبي : عِظْنِي ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت أمين . فأنشده³ :

لَا تَأْمَنْ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَتَّرَتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ⁴
وَأَعْلَمَ بَأَن سِيهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مَنَا وَمُتَرَسٍ⁵
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ⁶
قال : فبكى الرشيد حتى بلَّ كُمَهُ .

1 ل : عبيد الله .

2 تكملة الديوان : رقم 12 .

3 ديوان أبي العتاهية : 192 (من القطعة رقم 199) .

4 الشطر الثاني في الديوان : «وإن تمتعت بالحجاب والحرس» .

5 الديوان : «فما تزال سهام الموت نافذة . . . في جنب» .

6 طريقته في الديوان : مسالكها .

[تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : قال لي أحمد بن أبي فنن : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أيهما الرجلين أشعر : أبو نواس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وضعت أشعار العرب كلها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها ، وليس بيننا خلافاً في أن له في كل قصيدة جيداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جمع جيده كان أكثر من جيد كل مجود . ثم قلت له : بمن ترضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحّاك ؛ فقلت : ما تقول في رجلين تشاجرا ، فضل أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أم من فضل أبا نواس على أبي العتاهية زانية ؛ فحجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ، ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى افترقنا .

[اجتمع مع مخارق فراح يغني وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآية وترهد]

وقد حدثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدي فيما تقدّم ، فقال : حدثني هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال¹ : جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أن أتزوّد منك يوماً تهبّه لي ، فمتى تنشط ؟ فقلت : متى شئت . فقال : أخاف أن تقطع بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإن طلبني الخليفة . فقال : يكون ذلك في غد . فقلت : أفعل . فلما كان في غدٍ باكرني رسوله فجئته ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خبزٌ سميدٌ وخلٌ وبقلٌ وملحٌ وجديّ مشويٌّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشويٍّ فأصبنا منه حتى اكفينا ، ثم دعا بجلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اختر ما يصلح لك منها ؛ فاخترتُ وشربتُ ؛ وصبّ قدحاً ثم قال : غني في قولي :

أحمدُ قال لي ولم يندِر ما بي اتّجِبُ العُدَاةَ عُتَبَةً حَقّاً

فغنيته ، فشرب قدحاً وهو يبكي آخرَ بكاء . ثم قال : غني في قولي : [من السريع]

ليس لِمَنَ ليستَ له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبْرِ

فغنيته وهو يبكي وينشج ، ثم شرب قدحاً آخر ثم قال : غني ، فديتك ، في

قولي : [من الطويل]

1 هذا الخبر والذي يليه ممّا أورده ابن حمدون عن أبي العتاهية بتمامه في التذكرة 9 : 330-332 نقلاً عن الأغاني .

خَلِيلِيَّ مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَبِي تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ

فَغَنِيَّتُهُ إِيَّاهُ . وما زال يقترح عليَّ كلَّ صوتٍ غَنِّيَّ به في شِعْرِهِ فَأُغْنِيَهُ وَيَشْرَبُ وَيَبْكِي حَتَّى صَارَ الْعَتَمَةُ . فقال : أُحِبُّ أَنْ تَصْبِرَ حَتَّى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَجَلَسْتُ . فَأَمَرَ ابْنَهُ وَغُلَامَهُ فَكَسَرَا كُلَّ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالْمَلَاهِي ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ كُلِّ مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ النَّبِيذِ وَاللَّهْ ، فَأَخْرَجَ جَمِيعَهُ ، فَمَا زَالَ يَكْسِرُهُ وَيَصُبُّ النَّبِيذَ وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ وَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ لَبَسَ ثِيَابًا بِيضًا¹ مِنْ صُوفٍ ، ثُمَّ عَانَقَنِي وَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبِي وَفَرَحِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سَلَامَ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ ؛ وَجَعَلَ يَبْكِي ، وَقَالَ : هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِكَ فِي حَالِ تَعَاشُرِ أَهْلِ الدُّنْيَا ؛ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا بَعْضُ حِمَاقَاتِهِ ، فَانصرفت ، وَمَا لَقِيْتُهُ زَمَانًا . ثُمَّ تَشَوَّقَتْ فَأَتَيْتُهُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخَذَ قَوْصَرَتَيْنِ وَثَقَبَ إِحْدَاهُمَا وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ فِيهَا وَأَقَامَهَا مَقَامَ الْقَمِيصِ ، وَثَقَبَ الْأُخْرَى وَأَخْرَجَ رِجْلَيْهِ مِنْهَا وَأَقَامَهَا مَقَامَ السَّرَاوِيلِ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ نَسِيتُ كُلَّ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْعَمِّ عَلَيْهِ وَالْوَحْشَةَ لِعِشْرَتِهِ ، وَضَحَكْتُ وَاللَّهُ ضَحْكًا مَا ضَحَكْتُ مِثْلَهُ قَطُّ . فقال : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ ؟ فَقُلْتُ : أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَكَ ؛ هَذَا أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟ مَنْ بَلَغَكَ عَنْهُ أَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالزُّهَادِ وَالصَّحَابَةِ وَالْمَجَانِينَ ، انْزِعْ عَنْكَ هَذَا يَا سَخِينِ الْعَيْنِ ، فَكَأَنَّهُ اسْتَحْيَا مِنِّي ، ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ جَلَسَ حَجَّامًا ، فَجَهَدْتُ أَنْ أَرَاهُ بِتِلْكَ الْحَالِ فَلَمْ أَرَهُ . ثُمَّ مَرِضَ ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ اشْتَهَى أَنْ أُغْنِيَهُ ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا ، فَخَرَجَ إِلَيَّ رَسُولُهُ يَقُولُ : إِنْ دَخَلْتَ إِلَيَّ جَدَّدْتُ لِي حَزَنًا وَتَأَقَّتْ نَفْسِي مِنْ سَمَاعِكَ إِلَى مَا قَدْ غَلَبَتْهَا عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ وَأَعْتَزُّ بِإِلَيْكَ مِنْ تَرْكِ الْإِلْتِقَاءِ ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ .

[تَمَّتْ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَجِيءَ مَخَارِقُ فِغْنِيَّةٍ فِي شِعْرِهِ]

حَدَّثَنِي حُجْظَةُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ : مَا تَشْتَهِي ؟ فَقَالَ : أَشْتَهِي أَنْ يَجِيءَ مَخَارِقُ فَيَضَعُ فَمَهُ عَلَى أُذُنِي ثُمَّ يَغْنِيَنِي² :

سَيُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنَّ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ³

1 ل : ثياب بيضاء .

2 ديوان أبي العتاهية : 317 (رقم 325) .

3 مدتي في ل : ليلتي .

وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال : قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذكر مثل الأوّل .

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أنّ بشرًا قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .

[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطية قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه ¹ : [من الوافر]

إلهي لا تُعَذِّبني فإنّي	مُقرٌّ بالذي قد كان مِنّي
فمالي حيلةٌ إلّا رجائي	لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنّي
وَكَمْ مِنْ زَلَةٍ لِي فِي الْخَطَايَا	وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا	عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِي
أَجْنُ بَزْهَرَةِ الدُّنْيَا جُنُونَا	وَأَقْطَعُ طَوْلَ عُمْرِي بِالتَّمَنِّي
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عَنْهَا	قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجْنُ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي	لَشَرُّ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

[أمر بته في مرض موته أن تنديه بشعره]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبَعِيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال : قال أبو العتاهية لابنته رُقِيّة في علته التي مات فيها : قومي يا بُنَيّة فاندئي أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبته بقوله ² : [من الكامل]

لَعِبَ الْبَلَى بِمَعَالِي وَرُسُومِي	وَقُيرَتْ حَيًّا تَحْتَ رَذَمِ هُمُومِي
لَزِمَ الْبَلَى جِسْمِي فَأَوْهَنَ قُوَّتِي	إِنَّ الْبَلَى لَمُوكِّلٌ بِلُزُومِي

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخَارِقُ الْمُغْنِيّ قال : تُوْفِّي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصليّ ، وأبو عمرو الشَّيبانيّ عبد السلام ³ في يومٍ واحدٍ في خلافة المأمون ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين .

1 ديوانه : 375 (رقم 383) .

2 ديوانه : حاشية ص 358 (رقم 364) ، (صادر) : 402 .

3 لعلها : بمدينة السلام .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال : مات أبو العتاهية ، وراشد الخنّاق ، وهشيمة الخُمّارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفِنَ حِيالَ قَنْطَرَةِ الرِّيَّاتَيْنِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِبَغْدَادَ .

أخبرني الصُّوْلِيُّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنَّ أباه توفّي سنة عشرٍ ومائتين .
[الشعر الذي أُمِرَ أن يكتب على قبره]

أخبرني الصُّوْلِيُّ قال حدثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيْب قال : أَمَرَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ¹ :

أَذِنَ حَيٌّ تَسْمَعِي	اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي	فاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عِشْتُ تَسْعِينَ حَبَّةً	أَسْلَمْتُ نِسِي لِمَضْجَعِي
كَمْ تَرَى الْحَيَّ ثَابِتاً	فِي دِيَارِ التَّرْغُوعِ
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التَّقَى	فَحُذِّي مِنْهُ أَوْ دَعِي

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال : لَمَّا مَاتَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ رَثَاهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

يَا أَبِي ضَمَّكَ الثَّرَى	وَطَوَى الْمَوْتَ أَجْمَعَكَ
لَيْتَنِي يَوْمَ مِتُّ صِرْتُ	تُ إِلَى حُفْرَةِ مَعَكَ
رَحِمَ اللَّهُ مَصْرَعَكَ	بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَعَكَ

1 ديوانه : الحاشية ص 231 (رقم 238) ، وفي ديوانه (صادر) : 268 ومع أنّه نقل عن الأغاني فقد سقط فيه البيت الرابع .

[أنكر ابنه أنه أوصى بأن يكتب شعر على قبره]

أخبرني الحسن قال حدثني أحمد بن زهير قال : قال محمد بن أبي العتاهية : لَقِينِي محمد بن أبي محمد اليزيدي فقال : أنشدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تُكْتَبَ على قبره ؛ فأنشأتُ أقول له :

كَذَبْتَ عَلَى أَخٍ لَكَ فِي مَمَاتِهِ وَكَمْ كَذِبٍ فَشَا لَكَ فِي حَيَاتِهِ
وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ عَلَى صَدِيقٍ كَذَبْتَ عَلَيْهِ حَيًّا فِي مَمَاتِهِ

فخجل وانصرف . قال : والناس يقولون : إنه أوصى أن يُكْتَبَ على قبره شعر له ، وكان ابنه يُنْكِرُ ذلك .

وذكر هارون بن علي بن مهدي عن عبد الرحمن بن الفضل أنه قرأ الأبيات العينية التي أوَّها :

أُذِّنْ حَيًّا تَسْمَعِي

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عُبَّة ، وهي من أعظم أخباره ؛ لأنها طويلة ، وفيها أغاني كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتها .

[44] - أخبار فريدة

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

قال مؤلف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحَسِّنَتان لهما صنعةٌ تُسمَّيان بفريدة . فأما إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُؤَلِّدةً نشأت بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلِّمَتِ الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة . فلما قُتِلَ جعفر بن يحيى ونُكِبوا هربت ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين ، فلما قُتِلَ خرجت ، فتزوجها الهيثم بن مُسْلِم¹ فولدت له ابنه عبد الله ، ثم مات عنها ، فتزوجها السُّنْدِيّ بن الحَرَشِيّ ومات عنده .

[بعض الشعر الذي لها فيه صنعة]

ولها صنعةٌ جيّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد² :

[من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلَمَى لَوْ تَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
واقفاً في الدَّارِ أَبْكِي عاشقاً حُورَ الْغَوَانِي

ولحنها فيه خفيف رمل .

ومن صنعتها³ :

[من الطويل]

صوت

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ النَّيَامُ أَلَا هُبُوا نُسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ
أَلَا رُبُّ رَكْبٍ قَدْ وَقَفَتْ مَطِيَّهِمْ عليك ولولا أنت لم يَقِفِ الرِّكْبُ
لحنها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[بيت نصفه بدوي والآخر حضري]

فحدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال

1 ل : سلم .

2 ديوان الوليد (تحقيق غابريلى ، بيروت) : 70 (رقم 94) ورواية للبيت الثاني

متلفاً في اللهو مالى عاشقاً حور القيّان

3 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 16 ورواية البيت الأوّل فيه :

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هِبُوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

حدّثني الهيثم بن عديّ قال : قال صالح بن حسان يوماً : ما نصفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلَةٍ ، والنصفُ الآخر كأنّه مُحَنَّثٌ مُفَكِّكٌ ؟ قلت : لا أدري . فقال : قد أُجِلَّتْكَ حولاً . فقلت : لو أُجِلَّتْني عشرة أحوالٍ ما عرفته . فقال : أَوْه ! أف ! لك ! قد كنتُ أَحْسِبُكَ أجودَ ذِهنًا ممّا أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل :

ألا أيُّها الرّكبُ النّيامُ ألا هُبُّوا

هذا كلام أعرابيّ ، ثم قال :

أسألكم هل يقتلُ الرّجلُ الحبُّ

كانّه والله من مخنّي العقيق .

[فريدة المحسة دون فريدة الكبرى]

وأما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أَشُكُّ في أنّ اللحن المختار لها ؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للوائق ، فاختار فيها مُتَمِّمَ لحناً ، ولأبي دلف لحناً ، ولسليم بن سلام لحناً ، ولرياض جارية أبي حمّاد لحناً . وكانت فريدة أثيرة عند الواثق وحظيّة لديه جدّاً ، فاختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق ، ولأنّها ليست دون مَنْ اختار له من نظرائها .

[قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيْقٍ : أنّها اجتمعت هي وخِشْفُ الواضحية يوماً ، فتذاكرتا أحسن ما سمعته من المغنيات ؛ فقالت رَيْقُ : شارية أحسنهنّ غناءً ومُتَمِّمٌ ، وقالت خِشْفُ : عريب وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ ، وتقديم مُتَمِّمٍ في الصنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطّيب وإحكام الغناء .

[أهداها ابن بانة للوائق]

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : كانت فريدة جارية الواثق لعمر بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحْسِنَات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها «خِلّ» ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادة الفطنة والفهم .

[سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال : غَنِيَت الواثق :

قلتُ جِلاً فاقبلي مَعْدِرَتِي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبَّ

[من الرمل]

فقال لي : تقدّم إلى السّتّارة فألقه على فريدة ، فألقيته عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنّها سألتني عن صاحبها في خفاءٍ من الواثق .
[تزوّجها المتوكّل ثم ضربها حتى غتّت]

ولما تزوّجها المتوكّل أرادها على الغناء ، فأبّت أن تغني وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغني ، فاندفعت وغتّت :
[من الوافر]

فَلا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَنَى سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي

[قصّتها مع الواثق وغيره من المتوكّل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخَرٍ قال¹ : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلّ جمعة ، إذا حضرت رَكِبْتُ إلى الدار ؛ فَإِنْ نَشِيطُ إِلَى الشُّرْبِ أَقَمْتُ عنده ، وَإِنْ لَمْ يَنْشَطِرْ انصرفت . وكان رَسْمُنَا أَلَّا يَحْضُرُ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا فِي يَوْمِ نَوْبَتِهِ . فَإِنِّي لَفِي مَنْزِلِي فِي غَيْرِ يَوْمِ نَوْبَتِي إِذَا رُسِلَ الْخَلِيفَةُ قَدْ هَجَمُوا عَلَيَّ وَقَالُوا لِي : احْضُرْ . فقلت : أَلْخَيْرُ ؟ قالوا : خير . فقلت : إِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَمْ يُحْضِرْنِي فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَطَّ ، وَلَعَلَّكُمْ غَلِطْتُمْ . فقالوا : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، لَا تُطِلْ وَبَادِرْ ؛ فَقَدْ أَمَرْنَا أَلَّا نَدْعَكَ تَسْتَقَرَّ عَلَى الْأَرْضِ . فداخلني فزع شديد ؛ وَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ سَاعٌ قَدْ سَعَى بِي ، أَوْ بَلِيَّةٌ قَدْ حَدَثَتْ فِي رَأْيِ الْخَلِيفَةِ عَلَيَّ ؛ فَتَقَدَّمْتُ بِمَا أَرَدْتُ وَرَكِبْتُ حَتَّى وَافَيْتِ الدَّارَ ؛ فَذَهَبْتُ لِأَدْخُلَ عَلَى رَسْمِي مِنْ حَيْثُ كُنْتُ أَدْخُلُ ، فَمُنِعْتُ ، وَأَخَذَ بِيَدِي الْخَدَمُ فَأَدْخَلُونِي وَعَدَلُوا بِي إِلَى مَمَرَاتٍ لَا أَعْرِفُهَا ، فزاد ذلك في جَزَعِي وَغَمِّي . ثم لم يزل الخدم يُسَلِّمُونَنِي مِنْ خَدَمٍ إِلَى خَدَمٍ حَتَّى أَفْضَيْتُ إِلَى دَارِ مَفْرُوشَةِ الصَّخَنِ ، مُلَبَّسَةً الْحِيطَانُ بِالْوَشِيِّ الْمَنَسُوجِ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ أَفْضَيْتُ إِلَى رِوَاقِ أَرْضِهِ وَحِيطَانِهِ مَلْبَسَةً بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَإِذَا الْوَاثِقُ فِي صَدْرِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَنَسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ فَرِيدَةٌ جَارِيَتُهُ ، عَلَيْهَا مِثْلُ ثِيَابِهِ وَفِي حَجَرِهَا عَوْذٌ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : جَوَدْتَ وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ إِلَيْنَا . فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْراً ! قَالَ : خَيْراً ، أَمَا تَرَانَا ! طَلَبْتُ وَاللَّهِ ثَالِثاً يُوَثِّنُنَا فَلَمْ أَرِ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْكَ ، فَبِحَيَاتِي بَادِرْ فَكُلُّ شَيْءٍ وَبَادِرْ إِلَيْنَا . فقلت : قَدْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ أَيْضاً . قَالَ : فَاجْلِسْ فَجَلَسْتُ ، وَقَالَ : هَاتُوا لِمُحَمَّدٍ رِطَلاً فِي قَدَحٍ ، فَأَحْضَرْتُ ذَلِكَ ، وَانْدَفَعْتُ فَرِيدَةً تَغْنِي² :
[من الطويل]

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 226-228 (الفقرة 449) .

2 البيتان في شرح المَرْزُوقِي لِلْحَمَّاسَةِ رَقْم 559 ، وَهِيَ لَنْصِيبِ كَمَا فِي السَّمَطِ 401 .

أَهَابُكَ إِجْلَالاً وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِثْلُ عَيْنِ حَبِيبِهَا
وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَ أَنَّهَا قَلَّتْكَ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

فجاءت والله بالسحر ، وجعل الواصل يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت ، وأغني أنا في خلال غنائها ، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد . فإنا لكذلك إذ رَفَعَ رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتت عودُها ومرت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا كالمنزوع الروح ؛ ولم أشك في أن عينه وقعت عليّ وقد نظرت إليها ونظرت إليّ ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيراً وأطرق أتوقع ضرب العنق . فإني لكذلك إذ قال لي : يا محمد ، فوثبت . فقال : ويحك ! رأيت أغرب مما تهياً علينا ؟ فقلت : يا سيدي ، الساعة والله تخرج روحي ، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله ؛ فما كان السبب ؟ الذنب ؟ قال : لا والله ! ولكن فكّرت أن جعفرأ يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي ، فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت . فسري عني وقلت : بل يقتل الله جعفرأ ، ويحيى أمير المؤمنين أبداً ، وقبّلت الأرض وقلت : يا سيدي الله الله ! ارحمها ومرّ بردها .

فقال لبعض الخدم الوقوف : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلما رآها جنبها وعانقها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعت أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي ؟ وبأي شيء استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي وببكي ، ثم مسح أعينهما ورجعت إلى مكانها ؛ وأوماً إلى خدام وقوف بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ وورقٌ ، ورزماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادماً بدرج ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إياه ، وأحضرت بذرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تحوت فيها ثياب ، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنّا ؛ فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا .

[قصتها مع المتوكل بعد الواصل]

وضرب الدهر ضربَه وتقلّد المتوكل . فوالله إني لفي منزلي بعد يومٍ نوبتي إذ هجم عليّ رُسُلُ الخليفة ، فما أمهلوني حتى ركبتُ وصيرت إلى الدار ، فأدخلت والله الحجرة بعينها . وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواصل على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة .

فلما رأي قال : ويحك ؛ أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوة أطلبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك ! فقلت لها : يا سبحان الله ! أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيد البشر ! بحياته غنّني ! فعرفت والله ثم اندفعت تُغني¹ :

مُقيمٌ بالمجازة من قنوني وأهلك بالأجيفر فالثماد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يُغادي

ثم ضربت بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصيح واسيّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيدي . فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها ؛ فإن الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فانصرف في حفظ الله ؛ فانصرفت ولم أدري ما كانت القصة .

[مدح محمد بن عبد الملك غناها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال : سمعتُ فريدة تغني² :

أخيلاي بي شجو وليس بكم شجو وكل امرئ ممّا بصاحبه خلو
أذاب الهوى لحمي وجسمي ومفصلي فلم يبق إلا الروح والجسد النضو
فما سمعتُ قبله ولا بعده غناء أحسن منه .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي ، وله أيضاً فيه خفيف ثقيل بالسبابة والبنصر عن ابن المكي . وفيه لعمر بن بانه رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعرب خفيف ثقيل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتز وعلي بن يحيى . وتما هذه الأبيات :

وما من مجب نال من يُحيه هوى صادقاً إلا سيّدخله زهو
وفيها كلها غناء مُفترق الألحان في أبياته .

بليت وكان المزح بدء بليتي فأحببت جهلاً والبلايا لها بدو
وعلقت من يزهو عليّ تجيراً وإني في كل الخصال له كفو

1 البيتان لكثير في ديوانه : 222 .

2 الأبيات الواوية لأبي العتاهية وقد تقدّم في ترجمته .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

[من المنسرح]

بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقَهَا أَكْفُ عَيْنِي وَالدَّمْعُ سَابِقُهَا
لِمَا أَتَاهَا مِنَ الْيَقِينِ وَلَمْ تَكُنْ تَرَاهُ يُلِمُّ طَارِقُهَا

الشعر لأمية بن أبي الصلت ، والغناء للهذليّ خفيف ثقیل أول بالوسطی . وفيه لابن محرز
لحنان : هزج وثقیل أول بالوسطی عن الهشاميّ وحبش . وذكر يونس : أن فيه لابن محرز لحناً
واحداً مجنساً .

[45] - ذكر أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت ونسبه وخبره¹

[نسبه]

واسمُ أبي الصَّلْت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقْدَة بن عترة بن قَسِيٍّ ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن . هكذا يقول مَنْ نَسَبَهُمْ إلى قيس ، وقد شُرح ذلك في خبر طُريح . وأمُّ أُمَيَّة بن أبي الصلت رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن : [من البسيط]
لِيَطْلُبَ الثَّارَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنٍ إِذْ صَارَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالا
وقد كُتِبَ خبر ذلك في موضعه .

[أولاد أُمَيَّة]

وكان له أربعة بنين : عمرو وربيعة ووهبٌ والقاسم . وكان القاسم شاعراً ، وهو الذي يقول ، أنشدنيهِ الأَخْفَشُ وغيرُهُ عن ثعلبٍ ، وذكر الزُّبَيْرُ أَنَّهَا لأُمَيَّة² : [من الكامل]

صوت

قومٌ إذا نَزَلَ الغريبُ بدارِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقيَانٍ
لا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ لِيَلْتَمَسَ الْعِلَاتُ بِالْعِيدَانِ
يمدح عبد الله بن جُدعان بها ؛ وأولها :

قومي ثَقِيفٌ إِنْ سَأَلْتَ وَأَسْرَتِي وبهم أَدَافِعُ رُكْنَ مَنْ عَادَانِي
غَنَاءُ الْغَرِيضِ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ . ولابن مُحَرِّزٍ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى ،
عن الهشاميِّ جميعاً .

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]
وَإِنْ يَكُ حَيًّا مِنْ إِيَادٍ فَإِنَّا وَقَيْسًا سَوَاءً مَا بَقِينَا وَمَا بَقُوا

1 تغلب على ترجمة أُمَيَّة في هذا الفصل نزعة أسطورية ، وانظر طبقات ابن سلام : 259-260 إن ذكره في شعراء الطوائف ، والشعر والشعراء (ط . دار الثقافة - بيروت) : 369-372 وخزانة الأدب 1 : 247-253 ، والسمط : 362 والدميري 2 : 154 ، وشعراء النصرانية : 219 ، وراجع بروكلمان 1 : 113-114 حيث أورد ثَبِتًا يبحوث تناولت أُمَيَّة وشعره . وقد جمع شعره وقدم له بدراسة طويلة د . عبد الحفيظ السطلي (واليه نشير) ولكن كيف يميّز الدارس بين الأصل والمنحول من شعره .
2 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء ومعجم المرزباني : 213 للقاسم بن أُمَيَّة .

ونحن خيارُ الناس طُرّاً بِطَانَةً لِقَيْسٍ وَهُمْ خَيْرٌ لَنَا إِنْ هُمْ بَقُوا

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : كان أمية بن أبي الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأول ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب ؛ فمنها قوله :

قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُغَمَدُ

وكان يسمي الله عز وجل في شعره السُّلْطِيطَ ، فقال :

وَالسُّلْطِيطُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُقْتَدِرٌ

وسماه في موضع آخر التغرور فقال : «وأَيِّده التغرور» . وقال ابن قتيبة : وعلمائنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة : اتفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأنّ أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت .

أخبرنا الحرّمي قال حدثنا الزبير قال : قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْت : أمية أشعر الناس ، قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

قال الزبير وحدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ، ولبس المُسُوحَ تعبدًا ، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفة ، وحرّم الخمر وشكّ في الأوثان ، وكان¹ مُحَقِّقًا ، والتمس الدين وطمع في النبوة ؛ لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيًّا يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه . قال : فلمّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قيل له : هذا الذي كنت تستريث² وتقول فيه ؛ فحسده عدوُّ الله وقال : إنّما كنت أرجو أن أكونه ؛ فأنزل الله فيه عز وجل : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . قال : وهو الذي يقول³ :

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ زُورٌ

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر ويرثي قتل قريش]

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد قال : كان أمية يُحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ، وكان

1 ل : وصام .

2 تستريث : تستطىء .

3 ديوان أمية بن أبي الصلت : 393 (رقم 25) .

4 . كتاب الأغاني - ج 4

يرثي مَنْ قُتِلَ من قريش في وقعة بدر ؛ فمن ذلك قوله¹ :

[من مجزوء الكامل]
 ماذا يَبْدُرُ والعَقْنُ — قَلَرُ مِنْ مَرَايَةِ جَحَاجِحٍ
 وقال : وهي قصيدة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها . ويقال : إِنَّ أُمَيَّةَ قَدِمَ على أهل مَكَّةَ «باسمِكَ اللَّهُمَّ» ؛ فجعلوها في أول كُتُبِهِم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .
 قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ المَدَائِنِيُّ قال : قال الحَجَّاجُ على المنبر : ذهب قومٌ يَعْرِفُونَ شعر أُمَيَّةَ ، وكذلك اندراسُ الكلام .

أخبرني الحِرْمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عن عمر بن أبي بكر المَوْمِلِيِّ وغيره قال : كان أُمَيَّةُ بن أبي الصلت يلتمسُ الدِّينَ ويَطْمَعُ في النبوة ، فخرج إلى الشام فمرَّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أُمَيَّةُ : إِنَّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيِّراً اللون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّي عنه ، ثم مضوا فقصَّوا حوائجهم ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظروني ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شَقَّقْتَ على رُقَاقِكَ . فقال : خلوني فإنِّي أرتاد على نفسي لمعادي ، إِنَّ هَا هُنَا راهباً عالِماً أخبرني أَنَّهُ تكون بعد عيسى عليه السلام سِتُّ رَجَعَاتٍ² ، وقد مضت منها خمسٌ وبقيت واحدةٌ ، وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تُخْطِئَنِي ، فأصابني ما رأيْتَ فلما رجعتُ ثانيةً أُتِيْتُه فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيٌّ من العرب ؛ فيعست من النبوة ، فأصابني ما رأيْتَ ؛ إذ فاتني ما كنتُ أطمع فيه .

قال : وقال الزُّهْرِيُّ : خرج أُمَيَّةُ في سفر فنزلوا منزلاً ، فأَمَّ أُمَيَّةُ وجهاً وصعد في كُتَيْبٍ ، فَرَفَعَتْ له كنيسةً فأنتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأُمَيَّةَ حين رآه : إِنَّكَ لَمَتَّبِعُ ، فمن أين يَأْتِيكَ رُئُوكُ³ ؟ قال : من شِقِّي الأيسر . قال : فأَيُّ الثياب أَحَبُّ إِلَيْكَ أن يَلْقَاكَ فيها ؟ قال : السواد . قال : كِدْتَ تكون نبيُّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بملكٍ ، وإن نبيُّ العرب صاحب هذا الأمر يَأْتِيهِ من شِقِّهِ الأيمن ، وأَحَبُّ الثياب إليه أن يَلْقَاهَا فيها البياضُ .
 قال الزُّهْرِيُّ : وأتَى أُمَيَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِيَ الخبر ، فهل أَحسستَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يخرجُ العام .

[مع أبي سفيان في رحلة إلى الشام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة قال : سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إِنَّ

1 من قصيدة تتألف من 11 بيتاً : 345-347 (رقم 8) .

2 في حاشية ل : أي ست من المئين .

3 الرثي : الجني المصاحب .

أمية وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إن بك لشرّاً ، فما قصّتك ؟ قال : خيرٌ ، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سيّنه ؟ فذكر سيّناً . وقال : أخبرني عن ماله فذكر مالا . فقال له : وضعته . فقال أبو سفيان . بل رفعته . فقال له : إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ . قال : وكان الراهب أشيّب ، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش .
[فيهم ثغاء الغنم]

أخبرني الحِزْمِيُّ قال حدّثني الزُّبَيْرُ قال حدّثتُ عن عبد الرحمن بن أبي حماد المِنَقَرِيِّ قال : كان أمية جالساً معه قوم ، فمرّت بهم غنم فتغت منها شاة ؛ فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنها قالت لِسَخْلَتِها : مرّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع . فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أخبرني عن هذه الشاة التي تغت أُلها سَخْلَةً ؟ فقال : نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أول سَخْلَةً ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزُّبَيْرُ وحدّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال : ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب ، وذهب عُمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب . قال الزُّبَيْرُ حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلِي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال : كان أمية نائماً فجاء طائران فوقّ أحدهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشقّ عن قلبه ثم رده الطائر ؛ فقال له الطائر الآخر : أوعى ؟ قال نعم . قال : زكا ؟ قال : أبى .
[خرج مع ركب إلى الشام]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن ذابٍ قال : خرج ركبٌ من ثَقِيفٍ إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلّت ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشّوا بعشاء ، إذ أقبلت عَظَايَةُ حتى دنت منهم ، فحَصَبَها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ؛ وكَفَتُوا سَفَرَتَهم ثم قاموا يرحلون مُمَسِّين ؛ فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مقابلٍ لهم تتوكأ على عصاً ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رَجِيمَةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنتِ ؟ قالت : أنا أمّ العوام ، إمت¹ منذ أعوام ؛ أمّا ورَبُّ العباد ، لتَفترِقَنَّ في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : بَطَّيْ إياهم ، ونفري ركبهم ؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذروة كلِّ بعير منها شيطاناً ما يُملِكُ منها شيء ، حتى افترقت في الوادي . فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكِد . فلما اتّخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها

الأول ؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلا الغد عشية . فلما أنخناها لنرحلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل . فقلنا لأمية : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية ؛ فلما رأى أمية قال : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أذني اليسرى . قال فبأي الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجن ؛ كِدت والله أن تكونه ولم تفعل ؛ إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ، وليست بصادقة ؛ وهي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت . فقال أمية : وما الحيلة ؟ فقال : جمعوا ظهركم ، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سبِّع من فوق وسبِّع من أسفل ، باسمك اللهم ؛ فلن تضركم . فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر . فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ ، فلم تضركم . فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت : قد عرفتُ صاحبكم ، وليبيضن أعلاه ، وليسودن أسفله ؛ فأصبح أمية وقد برص في عذارته واسود أسفله . فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة «باسمك اللهم» في كتبهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزهري قال : دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهىء أدماً لها ، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشق جانب من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الواقع¹ للطائر الذي على صدره : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . قال : فرد قلبه في موضعه فنهض ؛ فأتبعهما أمية طرفة فقال :

لَبَّيْكُمْا لِيَكُمَا هَٰذَا لَدَيْكُمَا

لا بريء فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فانتصر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ، ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال :

لَبَّيْكُمْا لَبَّيْكُمْا هَإِنَّا لَدَيْكُمْا

لا مال يُغنيني ، ولا عشيرة تحميني . فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ، ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل : قال : أبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال :

لَبَّيْكُمْا لَبَّيْكُمْا هَإِنَّا لَدَيْكُمْا

محفوظٌ بالنعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوق على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الأعلى : أوعى ؟ فقال : وعى . قال : أقبل : قال : أبى . قال : ونهض ، فأتبعهما بصره وقال :

لَبَّيْكُمْا لَبَّيْكُمْا هَإِنَّا لَدَيْكُمْا

[من الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأ¹

قالت أخته : ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره . فقلت : يا أخي ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني أجد حرّاً في صدري . ثم أنشأ يقول² :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قنّانِ الجبالِ أرعى الوُعولا
اجعل الموتَ نُصبَ عينك واحذر غَوْلَةَ الدهرِ إنَّ للدهرِ غُولا
حدّثني محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا ابن حمّيد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال صدق أمية في قوله³ :

زَحَلٌ وثورٌ تحت رجلِ يمينه والنسرُ للأخرى وليثٌ مُرصدٌ
فقال رسول الله ﷺ : «صدق» .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني حماد بن عبد الرحمن بن الفضل الحرّاني قال حدّثنا أبو يوسف ، وليس بالقاضي ، عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ بمثل هذا .

1 ديوان أمية بن أبي الصلت : 491 (رقم 85) .

2 ديوان أمية بن أبي الصلت : 450-452 (رقم 65) .

3 من قصيدة مطلعها :

اعلم بأن الله ليس كصنعه صنع ولا يحلي عليه ملحد
(ديوان أمية بن أبي الصلت 353-367) .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المهلب¹ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال : أنشد النبي ﷺ قول أمية² : [من البسيط]

الحمد لله مُمَسَّنا ومُصَبِّحنا بالخير صَبَّحنا رُبي ومَسَّنا
رَبُّ الحنيفة لم تَنفَذْ خزائنها مملوءة طَبَقَ الآفاقَ سُلطانا³
ألا نبيّ لنا مِنّا فيخبرنا ما بعد غائتنا من رأس مَحيانا
بيننا يُرَيِّتنا آباؤنا هَلَكُوا وبينما نَقْتَنِي الأولادَ أَفنانا
وقد عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ العلمَ يَنفَعنا أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أَخْرانا بأولانا

فقال النبي ﷺ : «إِنْ كَادَ أُمِيَّةٌ لَيُسْلِمَ» .

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر ، وحدّثنا خالد بن عمار : أَنَّ أُمِيَّةَ عَتَبَ عَلَى ابْنِ لَهُ فَأَنشَأَ يَقُولُ⁴ : [من الطويل]

غَذَوْتُكَ مولوداً ومُنْتُكَ يافعاً تَعَلُّ بِمَا أُجْنِي عَلَيْكَ وَتَهْمَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبْتَ لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَمَلُ
كَأَنِّي أَنَا المطروقُ دونكَ بالذي طَرِقتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ حَتَمٌ مُوجَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَاظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ النُّعْمُ الْمُتَفَضَّلُ⁵

قال الزبير قال أبو عمرو الشيباني قال أبو بكر الهذلي قال : قلتُ لعكرمة : ما رأيت من يُلغنا عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأُمِيَّةَ : «آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ» ؛ فقال : هو حق ، وما الذي أنكرتم من ذلك ؟ فقلت له : أنكرنا قوله⁶ :

والشمسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حمراء مَطْلَعُ لَوْنِهَا مُتَوَرِّدُ

1 ل : اللهي .

2 ديوان أمية بن أبي الصلت : 516-519 (رقم 96) .

3 تنفذ خزائنها في ل : تعنت خوايمها .

4 ديوان أمية بن أبي الصلت : 430-433 (رقم 53) .

5 المتفضل في ل : المتطول .

6 ديوانه : 366 (رقم 10) .

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلا مُعَذِّبَةً وإلا تُجَلِّدُ
 فما شأن الشمس تُجَلِّدُ ؟ قال : والذي نفسي بيده ما طلعت قط حتى يَنخُسُها سبعون
 ألفَ مَلَكٍ يقولون لها : اطلعي ؛ فتقول : أأُطْلَعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله ! قال : فيأتيها
 شيطانٌ حين تستقبل الضياء يريد أن يَصُدَّها عن الطلوع فتطلع على قرْنَيْه ، فيُحرقه الله تحتها .
 وما غَرَبَتْ قط إلا خَرَّتْ لله ساجدةً ، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يَصُدَّها عن السجود ، فتغرب
 على قرْنَيْه فيحرقه الله تحتها ؛ وذلك قول النبي ﷺ : «تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين
 قرني شيطان» .

حدثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن
 زياد بن سعد أنه سَمِعَ ابن حاضر يقول : اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية ؛
 فقال ابن عباس : ألا أغنيك ؟ قال بلى فأنشده¹ :

والشمسُ تغربُ كلَّ آخرِ ليلةٍ في عين ذي خُلْبٍ وثأطٍ حَرَمَدٍ

[حاله في مرض موته]

أخبرني الحرَمِيُّ قال حدثنا عَمِّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزبير قال : لما مَرِضَ
 أمية مَرَضَهُ الذي مات فيه ، جعل يقول : قد دنا أجلي ، وهذه المَرَضَةُ منيَّتي ، وأنا أعلم أن
 الحنيفية حقٌ ، ولكن الشكُّ يُدْخلني في محمد . قال : ولما دنت وفاته أُغمي عليه قليلاً ثم أفاق
 وهو يقول :

لَبَّيْكُمْما لبيكما هأنذا لديكما

لا مالٌ يفديني ، ولا عشيرة تُنجيني . ثم أُغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنَّ مَنْ حضره
 من أهله أنه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُمْما لبيكما هأنذا لديكما

لا بَرِيٌّ فاعتذر ، ولا قويٌّ فانتصر . ثم إنه بقي يحدِّث مَنْ حضره ساعة ، ثم أُغمي عليه
 مثل المرتين الأوليين حتى يسوسوا من حياته ، وأفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُمْما لبيكما هأنذا لديكما

محفوظٌ بالنعم ،

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

1 لم يرد البيت في ديوانه وانظر اللسان (ثأط) .

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أهيتي ؛ وحدثهم قليلاً حتى يس
القوم من مرضه ، وأنشأ يقول :

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاولَ دَهراً مُتَّهِى أمرِه إلى أنْ يَزُولاً¹
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوسِ الجبالِ أرعى الوُعولاً
اجعلْ الموتَ نُصبَ عينيك واحذرْ غَوْلَةَ الدهرِ إنَّ للدهرِ غولاً

ثم قضى نَحْبَه ، ولم يُؤمن بالنبي ﷺ . وقد قيل في وفاة أمية غير هذا .

[ذهابه إلى اليمن]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر
أمية بن أبي الصلت ، حين بُعث النبي ﷺ ، أنه أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن ،
ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف ، وقد أودع ابنتيه
اليمن ورجع إلى بلاد الطائف ، إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةٍ في القصر فنَعَبَ نَعَبَةً ؛ فقال أمية :
بفِيكَ الكُنْكَثُ ! وهو التراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول إنك إذا شربت الكأس
التي بيدك مُتٌ ، فقلت : بفِيكَ الكُنْكَثُ . ثم نَعَبَ نَعَبَةً أُخرى ، فقال أمية نحو ذلك ؛ فقال
أصحابه : ما يقول ؟ قال : زَعَمَ أَنَّهُ يَقَعُ على هذه المُرْبَلَةِ أسفل القصر ، فيستثير عَظْماً فيبتلعه
فَيَشْجِي به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغراب على المُرْبَلَةِ ، فأثار العظمَ فَشْجِيَ به
فمات ؛ فانكسر أمية ، ووضع الكأسَ من يده ، وتغيَّرَ لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما
سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً ؛ فألَحُّوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شِقِّ وأغمي عليه ثم
أفاق ، ثم قال : لا بَريءَ فاعتذر ، ولا قويٌّ فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

تَبَلَّتْ فَوادَكَ في المنامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بيارِدِ بَسَامِ
كَالِيسْلُ تَخْلِطُهُ بماءِ سَحَابَةٍ أو عاتقِ كَدَمِ النَّبِيحِ مُدَامِ
عَرَّوضُه من الكامل ، الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لموسى بن خارجة الكوفي ثقيلٌ أولُ
بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد عن أبيه أن فيه لحناً لَعَزَةَ المَيْلَاءِ . وليس موسى
بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا مَن خَدَمَ الخلفاء .

1 انتهى أمره في ل : قصره مرة ، وفي الشعر والشعراء : «صائر مرة» .

[46] - أخبار حسان بن ثابت ونسبه¹

[نسبه]

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العنقاء بن عمرو ؛ وإنما سمي العنقاء لطول عنقه . وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ، وهو ذري ، وقيل : ذراء ممدود ، بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال مصعب الزبيري فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عمه قال : بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار يُسمون بني معالة . ومعالة أمه ، وهي امرأة من القين وإليها كانوا يُنسبون . وأم حسان بن ثابت بن المنذر ، الفريرة بنت خالد بن قيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وقيل : إن اسم النجار تيم اللات ؛ وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

وَأُمُّ ضِرَارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ وَالْهَأْ أَمَا لَابِنِ تَيْمِ اللَّاتِ مَاذَا أَضَلَّتْ

يعني ضيرار بن عبد المطلب ، وكان ضلّ فنشدته أمه . وإنما سماه رسول الله ﷺ تيم الله ؛ لأنّ الأنصار كانت تنسب إليه ، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللات .

ويكنى حسان بن ثابت أبا الوليد² ، وهو فحل من فحول الشعراء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المذّر . وكان أحد المعمرين من المخضرمين ، عمّر مائة وعشرين سنة : ستين في الجاهلية وستين في الإسلام .

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : عاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة ، وعاش حسان مائة وعشرين سنة . ومما يحقق ذلك ما أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن

1 أخبار حسان في طبقات ابن سلام 215-220 والشعر والشعراء 1 : 223-226 وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة وغيرها من كتب التراجم ، وخزانة الأدب 4 : 70-77 ، وديوانه الذي نعمده هنا بتحقيق د . وليد عرفات ط . أمناء سلسلة جب التذكارية .

2 ذكر البغدادي في الخزانة كنية أخرى له هي «أبو الحسام» وسترّد فيما بعد في هذه الترجمة .

محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال :
إِنِّي لَغُلَامٌ يَفْعَةُ ابْنِ سَعْدٍ سَنِينَ أَوْ ثَمَانَ ، إِذَا يَهُودِيٌّ يَثْرِبُ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ؛
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا : وَيْلَكَ ؛ مَالِكَ ؟ قَالَ : طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدُ الَّذِي يُوَلَّدُ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . قَالَ :
ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْيَهُودِيٌّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ . فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَّةِ عُمُرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ أَدْرَكَ لَيْلَةَ
وُلْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَهُ يَوْمُئِذٍ ثَمَانُ سَنِينَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ سَنَةً ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالْحَسَّانَ يَوْمُئِذٍ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ ، سِتُونَ سَنَةً أَوْ إِحْدَى وَسِتُونَ سَنَةً ،
وَحِينَئِذٍ أَسْلَمَ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن
عبد الله قال حدثني ابن أبي الزناد قال : عُمِرَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ : سِتِينَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسِتِينَ فِي الْإِسْلَامِ .

قال أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدث سليمان بن حرب عن
حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال : رَأَيْتُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَلَهُ نَاصِيَةٌ
قَدْ سَدَّهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

[كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كَانَ
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَخْضِبُ شَارِبَهُ وَعَنْفَقَتَهُ بِالْحِنَاءِ ، وَلَا يَخْضِبُ سَائِرَ لِحْيَتِهِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ : يَا أَبَتِ ، لِمَ تَفْعَلُ هَذَا ؟ قَالَ : لِأَكُونَ كَأَنِّي أَسَدٌ وَالْبَغُ فِي دَمٍ .
[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : فَضَّلَ حَسَّانُ
الشُّعْرَاءَ بِثَلَاثَ : كَانَ شَاعِرَ الْأَنْصَارِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَشَاعِرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّبَوَّةِ ، وَشَاعِرَ الْيَمَنِ
كُلُّهَا فِي الْإِسْلَامِ .

[أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المَدَر]

قال أبو عبيدة : وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى أَنَّ حَسَّانَ أَشْعَرُ أَهْلِ الْمَدَرِ . أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ أَيْضاً
أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال : اتَّفَقَتِ الْعَرَبُ عَلَى
أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ الْمَدَرِ أَهْلُ يَثْرِبَ ، ثُمَّ عَبْدُ الْقَيْسِ ثُمَّ ثَقِيفٌ ؛ وَعَلَى أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ يَثْرِبَ حَسَّانُ بْنُ
ثَابِتٍ¹ .

1 رتب ابن سلام شعراء المدن أو القرى العربية : المدينة ، مكة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين ، وأشعرهم شعراء
المدينة وفي مقدمتهم حسان بن ثابت .

[سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عَفَّان قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا مَعْمَرُ عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب قال : جاء حَسَّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هريرة ، فقال : أُنشِدُكَ الله : أَسَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقول : «أَجِبْ عَنِّي» ثم قال : «اللَّهُمَّ أَيْدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ» ؟ قال أبو هريرة : اللهم نعم .
[كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عُمَرُ بن شبة قال حدثنا وَهْبُ بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سيرين ، قال أبو زيد وحدثنا هُوَذَةُ بن خليفة قال حدثنا عَوْفُ عن محمد بن سيرين قال : كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثة رَهْطٍ من قريش : عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعلّي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ قَدْ هَجَوْنَا . فقال علي رضي الله عنه : إِنْ أَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلْتُ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ائْذَنْ لِعَلِيٍّ كَيْ يَهْجُو عَنَّا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَدْ هَجَوْنَا . قال : «ليس هناك» أو «ليس عنده ذلك» ؛ ثم قال للأنصار : «مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، بِسِلَاحِهِمْ أَنْ يَنْصُرُوهُ بِالْأَسْتِمْهَمْ ؟» . فقال حسان بن ثابت : أَنَا لَهَا ، وَأَخْذُ بَطْرِفِ لِسَانِهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي بِهِ مَقُولٌ بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ . فقال : «كَيْفَ تَهْجُوهُمْ وَأَنَا مِنْهُمْ» ؟ فقال : إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ . قال : فَكَانَ يَهْجُوهُمْ ثَلَاثَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ : حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ . فَكَانَ حَسَّانُ وَكَعْبٌ يُعَارِضَانِهِمْ بِمَثَلِ قَوْلِهِم بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ وَالْمَآثِرِ وَيُغَيِّرَانِهِم بِالْمَثَالِبِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يُعَيِّرُهُم بِالْكَفْرِ . قال : فَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَشَدُّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلَ حَسَّانَ وَكَعْبٍ ، وَأَهْوَنَ ، الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ . فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَفَقَهُوا الْإِسْلَامَ ، كَانَ أَشَدُّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ .

[استأذن النبي في هجو قريش فأمره أن يأخذ أسلحتهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبّي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمِيّ قال حدثنا أبو يونس القَشِيرِيّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدثنا سيماك بن حرب قال : قام حَسَّانُ أَبُو الْحُسَّامِ فقال : يا رسولَ الله ، ائْذَنْ لِي فِيهِ ، وَأَخْرِجْ لِسَانًا لَهُ أَسْوَدَ ، فقال : يا رسولَ الله ، لَوْ شِئْتُ لَفَرَيْتُ بِهِ الْمَزَادَ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ . فقال : «اذهبْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَلْيُحَدِّثْكَ حَدِيثَ الْقَوْمِ وَأَيَّامِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ثُمَّ اهْجُهُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ» . قال أبو

زيد قال ابن وهب وحدثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيِّ عن البراء بن عازب وعن سيمالك بن حرب ، فأنا أشك : أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ، قال أبو زيد : وحدثنا علي بن عاصم قال حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سيمالك بن حرب بنحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طرف أرنبته ، وقال : يا رسول الله ، لو شِئْتُ لَفَرَيْتُ به المزاد ؛ فقال : « يا حسن وكيف وهو مِنِّي وأنا منه » ؟ قال : والله لأسلنَّه منك كما يُسلُّ الشعر من العجين ؛ قال : « يا حسن فأت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك » . فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : كُفَّ عن فلانة واذكر فلانة . فقال ¹ : [من الوافر]

هَجَوْتُ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإنَّ أبي ووالده وعِرْضي ليعرض محمدٌ منكم وِقاءً
أتَهْجوه ولست له بكُفٍّ فشرُّكمَا لخيرُكمَا الفِداء

[لما بلغ قريشاً شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لما أنشيدت قريش شعر حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة .

قال الزبير : وحدثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مَجْمَع عن رجل من بني العجلان قال : لما بلغ أهل مكة شعر حسان ولم يكونوا عليموا أنه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا .

[نهى عمر بن الخطاب عن إنشاء مناقضات الأنصار ومشركي قريش]

قال الزبير : وحدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال : نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحَيِّ بالميِّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينة عبد الله بن الزبير السهمي وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالوا له : نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشدته وننشدنا مما قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه

1 ديوان حسان : 18 . والمخاطب بقوله «هجوت» هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم الرسول ﷺ ؛ والقصيدة التي منها الأبيات قيلت يوم فتح مكة . وانظر سيرة ابن هشام 1 : 421-424 .

فجاءه ؛ فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزبيري وضرارُ قد جاءا أن يُسمعاك وتُسمعيهما ما قالَا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزبيري وضرار : نَعَمْ يا أبا الوليد ، إن شِعركَ كان يُحتمَل في الإسلام ولا يُحتمَل شعْرنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أَفتَبْدآن أم أبدا ؟ قالَا : نبدأ نحن . قال : ابتدئا ؛ فأنشدها حتى فارَ فصار كالمُرْجَل غَضَبًا ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ؛ فخرج حسان حتى دخل على عُمر بن الخطاب فَقَصَّ عليه قِصَّتَهُما وقِصَّتَهُ . فقال له عمر : لن يذهبَا عنك بشيءٍ ، إن شاء الله ، وأرسل مَنْ يَرُدُّهُمَا ، وقال له عمر : لو لم تَدْرِكهُمَا إِلَّا بِمَكَّةَ فاردُّهُمَا عَلَيَّ . وخرجا فلَمَّا كانا بالروحاء¹ رجع ضرار إلى صاحبه بكَّره ، فقال له يا ابن الزبيري : أنا أعرف عمر وذَبَّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به ، وكأنِّي به قد جاء وشكا إليهِ ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لم تَلَحِّقْهُمَا إِلَّا بِمَكَّةَ فاردُّهُمَا عَلَيَّ ؛ فابيح بنا تَرَكَ العناء وأقيم بنا مكاننا ؛ فإن كان الذي ظننتُ فالرجوع من الروحاء أسهلُ منه من أبعد منها ، وإن أخطأ ظنِّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضَيِّ . فقال ابن الزبيري : نَعَمْ ما رأيت . قال : فأقاما بالروحاء ، فما كان إِلَّا كَمَرَّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهُمَا إليهِ ، فدعا لهما بحسان ، وعَمَرُ في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لحسان : أنشدِهما مَّا قلتَ لهما ؛ فأنشدَهُمَا حتى فرَغَ مَّا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفرَغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أنشدَكَ في الخلاء وأنشدتَهُمَا في الملاء . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مَّا كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغنُ عنكم وبَثَّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكثبوه واحتفظوا به ؛ فدوتوا ذلك عندهم . قال خلاد بن محمد : فأدركتهُ والله وإنَّ الأنصار لتُجدَّه عندها إذا خافتِ بَلاه . [شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا عمران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال في قصة حسان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مَّا قدَّمنا ذكره ، وزاد فيه : فقال حسان فيه² : [من الطويل]

وإنَّ سَنَامَ المَجْدِ من آلِ هاشمٍ بنو بَنَتٍ مَخْزُومٍ ، ووالدُكَ العَبْدُ

1 الروحاء : موضع بين مكة والمدينة .

2 ديوان حسان : 398 من قصيدة أولها :

لقد علم الأقبام أن ابن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْكُمْ كِرَامٌ وَلَمْ يَلْحَقْ عَجَائِزُكَ الْمَجْدُ
وإنَّ امْرَأً كَانَتْ نَثِيلَةً أُمُّهُ وَسَمَاءٌ مَغْلُوبٌ إِذَا يَلْغُ الْجَهْدُ¹
وَأَنْتَ هَجِينٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّأْكِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ²
فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَمَا لِي وَمَا لِحَسَّانٍ ! يَعْنِي فِي ذِكْرِهِ نَثِيلَةً ، فَقَالَ فِيهَا : [مَنْ الطَّوِيلُ]
وَلَسْتُ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ وَلَكِنْ هَجِينٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدُ
[أَعَانَهُ جَبْرِيلُ فِي مَدِيحِ النَّبِيِّ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ
حَدَّثَنَا إِيَّاسُ السُّلَمِيُّ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ : أَعَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فِي مَدِيحِ
النَّبِيِّ ﷺ بِسَبْعِينَ بَيْتًا .
[مَدَحَهُ النَّبِيُّ وَمَدَحَ كَعْبًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ
حَدَّثَنِي جُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَمَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَقَالَ
وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فَشَفَى وَاشْتَفَى» .
[أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ يُؤَيِّدُهُ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنَا
عُمَرُ بْنُ الْخَارِثِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ عَثْمَانَ وَيَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أُوسٍ عَنْ
عَائِشَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الشَّاعِرِ : «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا
يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا كَافَحْتَ عَنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَ وَعَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» .
[اسْتَنْشَدَهُ النَّبِيُّ وَجَعَلَ يَصْنَعُ إِلَيْهِ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا هُوْدَةُ بْنُ خَلِيفَةَ قَالَ حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ :
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً وَهُوَ فِي سَفَرٍ : «أَيْنَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ؟ فَقَالَ حَسَّانُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَسَعْدُكَ . قَالَ : «أَحْذُ» ، فَجَعَلَ حَسَّانُ يَنْشُدُ وَيُصْنَعُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَيَسْتَمِعُ ، فَمَا زَالَ
يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ وَهُوَ سَائِقٌ رَاحِلَتِهِ حَتَّى كَانَ رَأْسُ الرَّاحِلَةِ يَمَسُّ الْوَرِكَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ نَشِيدِهِ . فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : «لَهَذَا أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ» .
[انْتَهَرَهُ عُمَرُ لِإِنْشَادِهِ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنَا

1 نثيلة في رواية أخرى : سمية . سمراء : أم أبي سفيان المهجور .

2 الهجين : من كان أبوه عربيًّا وأُمُّه غيرَ عربيَّة . نيط : ألحق بهم وليس منهم .

زياد بن أبي سهل قال حدثني سعيد بن المسيب : أن عمر مرَّ بحسان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر ؛ فقال حسان : قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك ؛ فانطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيب : أن عمر مرَّ على حسان وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنه يريد النبي ﷺ .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مسلم بن يسار : أن عمر مرَّ بحسان وهو يُنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذ بأذنه وقال : أرغاء كرغاء البعير ! فقال حسان : دعنا عنك يا عمر ، فوالله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغيّر عليّ ! فصده عمر .

[مدح الزبير بن العوام شعره]

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحري بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عم أبي وجماعة غيرهم قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزوة محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : مرَّ الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ ، وحسان بن ثابت يُنشدهم من شعره وهم غيرُ نشاطٍ لما يسمعون منه ، فجلس معهم الزبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفرعة ! فلقد كان يعرض لرسول الله ﷺ فيحسن استماعه ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسان¹ :

أقام على عهد النبي وهدية	حواريه والقول بالفعل يُعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي ولي الحق والحق أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم مُحجَلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأيض سباقٍ إلى الموت يُرقل ²
وإن امرأاً كانت صفيّة أمه	ومن أسدٍ في بيتها لمرفل ³

1 ديوان حسان : 433 وهي فيه كما وردت في الأغاني ترتيباً وعدد الأبيات .

2 حشها : زاد وقودها .

3 المرفل : المعظم المسود .

له من رسول الله قُرْبَى قَرِيبَةً وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ نَصْرٌ مُؤْتَلٌ¹
فَكَمْ كُرْبَةً ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسِيفِهِ عَنْ الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ
فَمَا مِثْلُهُ فِيهِمْ وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرُ مَا دَامَ يَنْبَلُ²
ثَنَّاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالِ مَعَاشِرٍ وَفِعْلُكَ يَا ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

[تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختره النبي دونهما]

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن فضيل عن مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا كَانَ عَامُ الْأَحْزَابِ وَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : «نَعَمْ أَهْجُهُمْ أَنْتَ فَإِنَّهُ سَيُعِينُكَ عَلَيْهِمْ رُوحُ الْقُدُسِ» .

[سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حُدَيْجُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَ حَسَّانُ ، فَقَالُوا : قَدْ جَاءَ اللَّعِينُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ بَلَعَيْنِ ؛ لَقَدْ نَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ .

حَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا حُدَيْجُ بْنُ مَعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ : قَدْ جَاءَ اللَّعِينُ حَسَّانُ مِنَ الشَّامِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ بَلَعَيْنِ ؛ لَقَدْ جَاهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِهِ وَنَفْسِهِ .

[قدم وفد تميم على النبي مفتخرين فأمره النبي أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن عمر وشُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانٍ مَنِيرًا وَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافِعٌ³ عَنْ نَبِيِّهِ» ﷺ . هَكَذَا رَوَى أَبُو زَيْدٍ هَذَا الْخَبَرَ مُخْتَصَرًا . وَأَتَيْنَا بِهِ عَلَى تَمَامِهِ هَاهُنَا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ فِيهِ : أَخْبَرَنَا بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الضُّحَّاكِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ⁴ وَهُمْ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا ، فِيهِمْ

1 نصر في ل : مجد .

2 ينبل : جبل في نجد .

3 نافع : هذه رواية ل ، وفي رواية أخرى «كافح» وكلتاها بمعنى .

4 قصة الوفادة وما فيها من خطب وشعر في كتب السيرة . وانظر ديوان حسان : 101-104 .

الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة ، فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوت عالٍ جافٍ : اخرج إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنفأخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس . فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحي لزين ، وإن ذمي لشين . فقال النبي ﷺ « ذلك الله » . فقالوا : إنا أكرم العرب . فقال رسول الله ﷺ : « أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام » . فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس ، فقام عطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعز أهل المشرق ، وآتانا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلاً ؛ ألسنا بروؤس الناس وذوي فضلهم ؟ فمن فآخرنّا فليعدّ مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكننا نستحي من الإكثار فيما خولنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأتوا بقول أفضل من قولنا ، أو أمرأيت من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شماس فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ووسّع كرسيه علمه ، ولم يقض شيئاً إلّا من فضله وقدرته ؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً ، وأتمنه على خلقه ، وكان خيرة الله من العالمين . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رحمة المهاجرون أكرم الناس أنساباً ، وأصبح الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فعلاً . ثم كان أول من أتبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ؛ فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلّا الله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزبرقان فقال¹ :

نحنُ الملوکُ فلا حیُّ یقارِبُنَا مِنّا الملوکُ وفینا یُوخِذُ الرُّبُعُ
تلك المکارمُ حُرْنَاهَا مُقَارَعَةٌ إذا الکرامُ علی أمثالها اقترعوا
کم قد نشدنا مِن الأحياء کُلُّهُم عند النّهابِ وفضل العزّ یُتَّبِعُ²

1 ورد هذا الشعر في سيرة ابن هشام (2 : 563 وما بعدها) برواية مختلفة في كثير من الأبيات ، وقارن بما جاء في ديوان حسان .

2 نشدنا في ل : قسرنا .

وَنَحَرُ الْكُومِ عَطَّأَ فِي مَنَازِلِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا اسْتَطَعَمُوا شَبَعُوا¹
 وَغَنَ نَطْعِمَ عِنْدَ الْمَحَلِّ مَا أَكَلُوا مِنَ الْعَبِيطِ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ الْقَزَعُ
 وَنَصَرَ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَتَمَضِّي ثُمَّ تَتَّبِعُ
 فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَسَنَ بْنِ ثَابِتٍ فَجَاءَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُجِيبَهُ . فَقَالَ
 حَسَنُ :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدَ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
 يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَالِهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاولُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
 سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ سَرُّهَا الْبِدْعُ
 لَا يَرْقُعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
 أَعْفَى ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُزْرِي بِهِمْ طَمَعُ
 وَلَا يَضُنُّونَ عَنِ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
 يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبْدُو وَهِيَ كَالْحَلَّةِ إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
 لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
 كَانَتْهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ أُسُودُ بَيْشَةٍ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ²
 خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا وَإِنْ مَنَعُوا فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا³
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ ، فَاتْرُكْ عِدَاوَتَهُمْ ، سَمًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ⁴
 أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَائِدُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 أَهْدَى لَهُمْ مِدْحِي قَلْبٍ يُوَازِرُهُ فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنَّ جَدَّ النَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا⁵

1 الكوم : جمع كرماء وهي الناقة الضخمة .

2 مكتنع : قريب . أسد بيشة أو أسد حلية . فدع : اعوجاج الرسغ .

3 أتى في ل : أتوا .

4 يخاض : يخلط . الصاب والسلم : نوعان من الشجر مران .

5 شمعو : لم يجدوا .

فقام عطار بن حاجب فقال¹ :

[من الطويل]

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
بأنا فروع الناس في كل موطن
إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسان بن ثابت فقال² :

[من الطويل]

منعنا رسول الله من غضب له
هل المجد إلا السؤدد العود والندي
على أنف راض من معد وراغم
وجاه الملوك واحتمال العظام³

قال : فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لموتى له ؛ والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب [من خطيبنا] ، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ؛ أعطني يا محمد فأعطاه . فقال : زدني فزاده . فقال : اللهم إني سيد العرب . فنزلت فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[إسلام وفد تميم وإكرام النبي لهم]

ثم إن القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبي ﷺ يتعلمون القرآن ، ويتفقهون في الدين . ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم ، وقال : «أما بقي منكم أحد ؟» ، وكان عمرو بن الأهتم في ركبهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رهطه وكان مشاحنا له .

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

لم يبق منا أحد إلا غلام حديث السن في ركبنا ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم . فبلغ عمراً ما قال قيس ؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس :

[من البسيط]

ظلمت مفترش الهلباء تشمتني
إن تبغضونا فإن الروم أصلكم
عند الرسول فلم تصدق ولم تصب⁴
والروم لا تملك البغضاء للعرب
فإن سؤددنا عود وسؤددكم
مؤخر عند أصل العجب والذنب

فقال له قيس :

[من السريع]

لولا دفاعي كنتم أعبدًا
داركم الحيرة والسيلحون⁵

1 نسب الشعر في سيرة ابن هشام للزيرقان .

2 ديوان حسان : 109 .

3 العود : القديم .

4 الهلباء : الاست .

5 السيلحون : موضع بين الكوفة والقادسية .

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسول]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عمر بن علي بن مَقْدَم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان التميمي عن حبيب بن أبي ثابت ، قال أبو زيد وحدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم ، قالوا : قال حسان بن ثابت للنبي ﷺ¹ :

صوت

شهدتُ بإذن الله أنَّ محمدًا رسولُ الذي فوق السمواتِ من علٍّ
وأنَّ أخوا الأحقاف إذ يَعْدُلُونَهُ يقومُ بدين الله فيهم فيعدل²
وأنَّ أبا يحيى ويحيى كلاهما له عَمَلٌ في دينه مُتَقَبَّلٌ³
وأنَّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مَرْيَمَ رسولُ أتى من عند ذي العرش مُرْسَلٌ
وأنَّ الذي بالجِزْعِ من بطن نخلةٍ ومَنْ دونها فلٌ من الخير مَعَزِلٌ⁴

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقل أول بالنصر من رواية يونس وغيره ، فقال النبي ﷺ : «أنا أشهد معلن» .

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثني جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق ، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : دخلتُ على عائشة وعندها حسان وهو يرثي بنتاً له ، وهو يقول⁵ :

رَزَانُ حَصَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لست كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فقالت : أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره !

1 ديوان حسان : 203 .

2 أخو الأحقاف : النبي هود .

3 يحيى النبي وأبوه زكريا .

4 الشطر الأول في الديوان : وأن التي بالسد من بطن نخلة . الفل : المقفر من الخير .

5 هذا البيت من جملة أبيات يعتذر لعائشة عما نسب إليه من حديث الألفك (انظر ديوانه 1 : 292 و510 برواية السيرة) . وأبياته في رثاء ابنته في ص 234 . ولعل تشابه البيت الثاني منها والبيت الأول من أبيات عائشة كان وراء القصة المنسوبة إلى مسروق .

[أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا ابن أبي أُوَيْس قال حدثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدثاني جميعاً عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال : بينا نحن جلوسٌ عند حسان بن ثابت ، وحسان مضطجعٌ مُسِنِّدٌ رجله إلى فارِعٍ¹ قد رفعهما عليه ؛ إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاجتةٌ مرَّت الساعة بيني وبين فارِع فصدمتني ، أو قال : فرَحمتني . قال : قلنا : وما هي ؟ قال² :

[من الطويل]

ستأتيكم غدواً أحاديثُ جمَّةٌ فأصغوا لها آذانكم وتسمَّعوا
قال مالك بن أبي عامر : فصَبَّحنا من الغد حديثَ صِفِّين .

[سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال حدثنا اللَّيْث بن محمد عن الحنظليِّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جَزْء العنبريِّ قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زفرةٌ ثم قال³ :

[من الكامل]

وكانَ حاقِرَها بكلِّ خَمِيلَةٍ صاعٌ يَكِيلُ به شحيحٌ مُعْدِمٌ
عاري الأشاجع من تَقِيْفٍ أصلُه عبدٌ ويزعمُ أنَّه مِن يَقدُم⁴

قال : والمغيرة بن شعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَنْ بعث بهذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة سمع ما قلت . قال : واسوءتاه ! وقيلها .

[استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعيُّ قال : جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي ﷺ فقال : أجزني من شعر حسان ، فلو مُزجَ البعثرُ بشعره لمزجه . قال : وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعيِّ ، وأخبرني به الحسن بن عليٍّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثني عمِّي مُصعب : أن الحارث بن عوف أتى رسولَ الله ﷺ فقال : ابعتْ معي مَنْ يدعو إلى دينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرَت بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري ، فقدم الحارث على رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤتَّب أحدًا

1 فارِع : أطم بالمدينة ، كان لحسان .

2 ديوان حسان : 492 .

3 ديوان حسان : 438 .

4 يقدم : أبو قبيلة وعلى هذا جاز رفعه .

في وجهه ، فقال : «ادْعُوا لي حَسَّان» ؛ فدُعِيَ له . فلَمَّا رأى الحارث أنشدته¹ : [من الكامل]

يا حارٍ مَنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدِرْ
إِنْ تَغْدُرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ وَالْغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبِرِ²

فقال الحارث : اكْفُفْهُ عَنِّي يا محمد ، وأُوَدِّي إليك دِيَةَ الْخُفَّارَةِ ؛ فَأَدَّى إلى النَّبِيِّ ﷺ سبعين عُشْرًا ، وكذلك دِيَةَ الْخُفَّارَةِ ، وقال : يا محمد ، أنا عَائِدُكَ مِنْ شَرِّهِ ، فلو مُزَجَّ البحر بشِعْرِهِ مزجَه .

[بلغ النَّبِيُّ ﷺ شعره قَالَهُ فُضِرَ بِهِ ابْنُ الْمُعْطَلِ]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العَطَّاف بن خالد قال : كان حسان بن ثابت يجلس إلى أَطْمِهِ فَارِعٍ ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بِسَاطًا يجلسون عليه ؛ فقال يوماً ، وهو يرى كثرة مَنْ يَأْتِي إلى النَّبِيِّ ﷺ من العرب فَيُسَلِّمُونَ : [من البسيط]

أَرَى الْجَلَابِيبَ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ امْسَى يَبِضَّةَ الْبَلَدِ³

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : «مَنْ لي بِأَصْحَابِ الْبِسَاطِ بِفَارِعٍ ؟» . فقال صفوان بن الْمُعْطَلُ : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه ، فلَمَّا رَأَوْهُ عَرَفُوا الشَّرَّ في وجهه ففَرَّوْا وتَبَدَّدُوا ، وأدرك حَسَّانُ دَاخِلًا بَيْتَهُ ، فُضِرَ بِهِ وَفُلِقَ أَلْيَتُهُ . قال : فبلغنا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَوَّضَهُ وَأَعْطَاهُ حَائِطًا⁴ ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية قصرًا ، وهو الذي يقال له : «قصر الدَّارَيْنِ» . وقد قيل : إِنَّ صفوان بن الْمُعْطَلُ إِنَّمَا ضَرَبَ حَسَّانَ لِمَا قَالَهُ فِيهِ وَفِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْإِفْكَ ؛ لِأَنَّ صفوان هو الذي رَمَى أَهْلَ الْإِفْكَ عَائِشَةَ بِهِ .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حَمِيد قال حدثنا سَلَمَةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبَةَ قال : اعترض صفوان بن الْمُعْطَلُ حَسَّانَ بن ثابت بالسيف لِمَا قَدَفَهُ⁵ بِهِ مِنَ الْإِفْكَ حِينَ بَلَغَهُ مَا قَالَهُ . وقد كان حَسَّانُ قال شِعْرًا يَعْزُّضُ بِابْنِ الْمُعْطَلِ وَبِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ الْعَرَبِ مِنْ مُضَرٍّ فَقَالَ⁶ : [من البسيط]

1 ديوان حسان : 137 .

2 السخبر : نوع من الشجر .

3 الجلابيب : لقب كان المنافقون يبنزون به المهاجرين .

4 الحائط : البستان .

5 ل : قرفه .

6 ديوان حسان : 284 . وانظر الخبر والشعر في سيرة ابن هشام : 304 فما هنا متابع للسيرة .

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أوْ كَانَ مُنْتَشِباً فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
 مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَعْدُو فَآخِذُهُ مِنْ دِيَةٍ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوْدِ
 مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطُلُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ
 يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي بِالسَّيْفِ أَفْرِي كَفَرِي الْعَارِضَ الْبَرْدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه وقال : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه]

وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حُمَيْد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان فجمع يديه على عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ ؛ ضرب حسان بالسيف ، والله ما أراه إلا قد قتله . فقال له عبد الله بن رواحة : هل عليم رسول الله ﷺ بشيء من هذا ؟ قال : لا والله . لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ؛ فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني فضربته . فقال رسول الله ﷺ لحسان : « يا حسان أتعيب على قومي أن يهداهم الله عز وجل للإسلام ! » ، ثم قال : « أحسن يا حسان في الذي أصابك » . قال : هي لك يا رسول الله . [برواية أخرى حول الموضوع نفسه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار بمثل ذلك ، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادة ، ووافقه عليها مصعب الزبيري ، فيما أخبرنا به الحسن بن علي ، قال قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وخالف في القصة ، فذكر أن فتية من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم ، فغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر .

وذكر الزهري ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد ، قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبي ﷺ بني المصطلق . قال : وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجل يقال له : سينان ، ورجل من بني غفار يقال له : جهجاه ؛ فخرج جهجاه بفرس لرسول

الله ﷺ وفرس له يومئذ يسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فتية من الأنصار ، فتنازعا فاقتلوا ؛ فقال عبد الله بن أبي بن سلول يومئذ : هذا ما جزونا به ، أويئاهم ثم هم يقاتلوننا ؛ وبلغ حسان بن ثابت الذي بين جبهجاه وبين الفتية الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزهري :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ غَزَوْا وَقَدْ كَثُرُوا	وَابْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بِيضَةَ الْبَلَدِ
يَمْشُونَ بِالْقَوْلِ سِرًّا فِي مُهَادَنَةٍ	تَهْدُدًا لِي كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ	أَوْ كَانَ مُتَشِيًّا فِي بُرْتَنِ الْأَسَدِ
مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَسْمَوْا فَأَقْتَلَهُ	مِنْ دِيَةِ فِيهِ أُعْطِيَهَا وَلَا قَوْدٍ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً	فَيَغْطُلُ وَيَرْمِي الْعَيْرَ بِالزُّبْدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي	أَفْرِي مِنَ الْغَيْظِ فَرِّي الْعَارِضَ الْبَرْدِ
أَمَّا قَرِيشٌ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكُهُمْ	حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الْغِيَاثِ بِالرُّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرَلَةٍ	وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ	حَقٌّ وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فِي سَدَدِ
أَبْلُغُ بَنِي بَائِي قَدْ تَرَكْتُ لَهُمْ	مِنْ خَيْرِ مَا تَرَكَ الْآبَاءُ لِلْوَلَدِ
الدَّارَ وَاسْطَةَ وَالنَّخْلَ شَارِعَةً	وَالْبَيْضَ يَرْفُلْنَ فِي الْقَسِيِّ كَالْبَرْدِ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا حسان نفست علي إسلام قومي » وأغضبه كلامه . فغدا صفوان بن المعطل السلمي على حسان فضربه بالسيف . وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي
غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب قومه على صفوان فحبسوه ، ثم جاؤوا سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقْبِلٌ على ناضحه بين القريتين ، فذكروا له ما فعل حسان وما فعلوا ؛ فقال : أشاورتم في ذلك رسول الله ﷺ ؟ قالوا لا . فقعده إلى الأرض وقال : وانقطع ظهراه ! أتأخذون بأيديكم ورسول الله ﷺ بين ظهرائكم ؟ ودعا بصفوان فأتي به ، فكساه وخلاه . فجاء إلى النبي ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « مَنْ كَسَاكَ كَسَاهُ اللَّهُ » . وقال حسان لأصحابه : احمِلوني إلى رسول الله ﷺ أترضاه ففعلوا ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فردوه . ثم سألهم فحملوه إليه الثانية ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فانصرفوا به . ثم قال

لهم : عُودوا بي إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالوا له : قد جئنا بك مرتين كل ذلك يُعرض فلا نُبرمه بك . فقال : احمِلوني إليه هذه المرة وحدها ، ففعلوا . فقال : يا رسول الله ، بأي أنت وأُمِّي ! احفظ قولي :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَالْوَالِدَةَ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

فرضي عنه رسول الله ﷺ ووهب له سيرين أخت مارية أم ولد رسول الله ﷺ إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأما الزهري فإنه ذكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه ضرب السلمي حسان قال لهم : « خذوه فإن هلك حسان فاقتلوه » . فأخذوه فأسروه وأوثقوه ، فبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فخرج في قومه إليهم فقال : أرسلوا الرجل ، فأبوا عليه ؛ فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله ﷺ تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم ؟ أرسلوا الرجل ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتال ، ثم أرسلوه . فخرج به سعد إلى أهله فكساه حلة ، ثم أرسله سعد إلى أهله . فبلغنا أن النبي ﷺ دخل المسجد ليُصلي فيه فرآه ، فقال : « من كساك كساه الله من ثياب الجنة » . فقال : كساني سعد بن عبادة . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدثني محمد بن جرير الطبري قال حدثني ابن حُميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أن رسول الله ﷺ أعطاه عَوْضًا منها بيرحاء¹ ، وهي قصر بني جَدِيلَةَ اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها إلى رسول الله ﷺ ، فأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه سيرين (أمة قبطية) فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل ، فإذا هو حصور² (لا يأتي النساء) ؛ قُتل بعد ذلك شهيداً .

[شعره في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة : فقال حسان يعتذر من الذي قال في عائشة :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِبَاسَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَتَ سَوَاطِي إِلَيَّ أَنَا لِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مِنْ قَدِيمٍ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ

1 بيرحاء : موضع بالمدينة .

2 ل : فوجدوه حصوراً ما يأتي النساء .

فإن الذي قد قيلَ ليس بلائطٍ ولكنه قولُ امرئٍ بِيٍّ ماجِلٍ¹

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل]

قال الزُّبيرُ وحَدَّثني محمد بن الضَّحَّاك : أنَّ رجلاً هجا حَسَّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطل فقال :

وإنَّ ابنَ المَعْطَلِ من سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيَادَ رَأْسِكَ بِالْخِطَامِ

[سبه أناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حَدَّثنا عمر بن شُبَّة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جُرَيْج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمِّه : أنَّها طافت مع عائشة ومعه أمُّ حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخزوم) . قالت : فابتَدَرْنَا حَسَّانَ نَشْتُمُهُ وهو يطوف ؛ فقالت : ابْنُ الْفَرِيعَةِ تَسْبِيْن ؟ قلن : قد قال فيكَ فَبَرَّكَ اللهُ . قالت : فأين قوله : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ في ذلكَ الجزاءِ

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرْضِي لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاءِ

أخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثنا أحمد بن زهير قال حَدَّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمِّه بنحو ذلك ، وزاد فيه : إني لأرجو أن يُدخله اللهُ الجنَّةَ بقوله .

أخبرني الحسن قال حَدَّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عيينة وسَلَم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمِّه قالت : كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حَسَّانَ فَسَبَّيْتُهُ ؛ فقالت : بِئْسَ ما قلتَ ! اتَّسَبَّيْتَهُ وهو الذي يقول : [من الوافر]

فإنَّ أباي ووالدَه وعِرْضِي لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاءِ

فقلت : أليس مَن لَعَنَ اللهُ في الدنيا والآخرة بما قال فيكَ ؟ قالت : لم يَقُلْ شيئاً ، ولكنه الذي يقول :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ برييةً وتُصْبِحُ غَرَّتِي من لُحُومِ الغَوَافِلِ

فإنَّ كان ما قد جاء عني قَلْتُهُ فلا رفعتُ سَوْطِي إليَّ أَناملي

أخبرني الحسن قال حَدَّثنا الزُّبير قال حَدَّثني مصعب عمِّي قال حَدَّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كنتُ قاعداً عند عائشة ، فمرُّ بجنائزة حَسَّان بن ثابتٍ فِلْتُ منه ؛

1 محل به : كاده بسعاية . ورواية الديوان : «بك الدهر يل سعي امرئ بك ماجل» .

فقلت : مهلاً ؛ فقلت : أليس الذي يقول ؟ قالت : فكيف بقوله : [من الوافر]
فإنَّ أباي ووالدَه وعِرْضِي لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاء
[افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال
حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين : أنَّ حسان أخذ يوماً بطرفِ لسانه وقال :
يا رسول الله ، ما يسُرُّني أنْ لي به مِقُولاً بين صنعاء وبُصرى ، ثم قال : [من الوافر]
لِسَانِي مِقُولٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَيَحْرِي مَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ
[جنبه عن مناصرة صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن
إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في
فارِعٍ (حصن حسان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسان معنا فيه والنساء
والصبيان . قالت : فمر بنا رجلٌ من يهود فجعل يُطيف بالحِصن ، وقد حاربتُ بنو قُرَيْظَةَ
وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عَنَّا ، ورسول الله والمسلمون
في نُحُورِ عدوِّهم لَا يستطيعون أنْ ينصرفوا إلينا عنهم ، إِذْ أَنَا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ،
إنَّ هذا اليهوديُّ كما ترى يُطيفُ بالحِصن ، وإني والله ما آمنه أنْ يدُلَّ على عوراتنا من وراءنا من
يهود ، وقد شغل عَنَّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل إليه فاقْتُلْهُ ؛ فقال : يغفر الله لك يا ابنة
عبد المطلب ؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمَّا قال ذلك ولم أرْ عنده شيئاً
احتجَزْتُ¹ ثم أخذت عموداً ثم نزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلتَه ، فلمَّا فرغت
منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلاَّ أَنَّهُ
رجلٌ . قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنتَ عبد المطلب .
[حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وجبن حسان]

وأخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثنا عليُّ بن
صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : كان ابن الزبير يحدث أَنَّهُ كان في فارِعٍ
(أطم حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة . قال ابن الزبير :
ومعنا حسان بن ثابت ضارباً وتبدأ في آخر الأطم ، فإذا حَمَلَ أصحابُ رسول الله ﷺ على
المشركين حَمَلَ على الودد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الودد حتى كأنه

1 ل : اعتجرت . واحتجز بردائه : إذا شدَّه على وسطه .

يُقَاتِلُ قِرْنًا ، يَتَشَبَّهُ بِهِمْ كَأَنَّهُ يُرَى أَنَّهُ مُجَاهِدٌ حِينَ جَبْنٍ . وَإِنِّي لِأُظْلِمُ ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي بَسْتَيْنِ فَأَقُولُ لَهُ : تَحْمِلُنِي عَلَى عُنُقِكَ حَتَّى أَنْظُرَ ، فَإِنِّي أُحِبُّكَ إِذَا نَزَلْتُ . قَالَ : فَإِذَا حَمَلَنِي ثُمَّ سَأَلَنِي أَنْ يَرْكَبَ قَلْتُ لَهُ : هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا . قَالَ : وَإِنِّي لِأَنْظُرَ إِلَى أَبِي مُعَلِّمًا بِصُفْرَةٍ ، فَأَخْبَرْتُهَا أَبِي بَعْدُ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ حِينَئِذٍ ؟ فَقُلْتُ : عَلَى عُنُقِ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَحْمِلُنِي . فَقَالَ : أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ لَيَجْمَعُ لِي أَبَوَيْهِ .

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : وَجَاءَ يَهُودِيٌّ يَرْتَقِي إِلَى الْحَصَنِ ، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ لَهُ : أُعْطِنِي السِّيفَ ، فَأَعْطَاهَا . فَلَمَّا ارْتَقَى الْيَهُودِيَّ ضَرْبَتْهُ حَتَّى قَتَلَتْهُ ، ثُمَّ احْتَزَتْ رَأْسَهُ فَأَعْطَتْهُ حَسَّانَ وَقَالَتْ : طَوِّحْ بِهِ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ أَقْوَى وَأَشَدَّ رَمِيَّةً مِنَ الْمَرَأَةِ . تَرِيدُ أَنْ تُرْعِبَ بِهِ أَصْحَابَهُ .
[كَانَ حَسَّانَ مَقْطُوعَ الْأَكْحَلِ]

قَالَ الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَ أَكْحَلُ حَسَّانَ قَدْ قُطِعَ فَلَمْ يَكُنْ يَضْرِبُ بِيَدِهِ .

[أَنشَدَ النَّبِيُّ شِعْرًا فِي شَجَاعَتِهِ فَضَحَكَ]

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ أَنشَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ¹ :

لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ مُتَطَهًّا بِصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعٍ
يَحْفِزُ عَنِّي نِجَادَ السِّيفِ سَابِغَةً فَضْفَاضَةً مِثْلَ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ²

قَالَ : فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ فَظَنَّ حَسَّانَ أَنَّهُ ضَحِكَ مِنْ صِفَتِهِ نَفْسَهُ مَعَ جَبْنِهِ .

[قَالَ النَّابِغَةُ حَسَّانَ شَاعِرٍ وَالْخَنَسَاءُ بَكَّاءَةً]

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : جِئْتُ نَابِغَةَ بَنِي ذُبْيَانَ ، فَوَجَدْتُ الْخَنَسَاءَ بِنْتَ عَمْرٍو حِينَ قَامَتْ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَنشَدَتْهُ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ لَشَاعِرٌ ، وَإِنَّ أُخْتَ بَنِي سُلَيْمٍ لَبَكَّاءَةٌ .

[سَمِعَهُ الْخَطِيبَةُ يَنْشُدُ فَسَأَلَهُ رَأْيَهُ فَأَجَابَهُ الْخَطِيبَةُ بِمَا لَمْ يَرْضَهُ]

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَالَ أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مَشَائِخِي : أَنَّ الْخَطِيبَةَ وَقَفَتْ عَلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَحَسَّانَ يُنْشِدُ مِنْ شِعْرِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ : كَيْفَ تَسْمَعُ هَذَا الشَّعْرَ يَا أَعْرَابِيَّ ؟ قَالَ الْخَطِيبَةُ : لَا أَرَى بِهِ بَأْسًا . فَغَضِبَ حَسَّانَ وَقَالَ : اسْمَعُوا إِلَى كَلَامِ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ ! مَا كُنْتُكَ ؟ قَالَ : أَبُو

1 ديوان حسان : 300 .

2 الشطر الثاني في رواية الديوان «تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع» .

مُليكة . قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ عليَّ منك حينَ كُنيتَ بامرأةٍ ، فما اسمك ؟ قال : الحُطَيْئة فقال حسان : امضِ بسلام .

[اتهمه أعشى بكر بالخل فاشتري كلَّ الخمر وأراقها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرْقِي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني الزُّبَيْر ، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزُّبَيْر قال حدثني بعض القرشيين قال : دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خمارٍ بالشَّام ومعه أعشى بكر بن وائل ، فاشتريا خمرًا وشربا ، فنام حسان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمار : كره الشيخ الغرم . فتركه حسان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمار كُلَّها . ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ؛ فعَلِمَ أنَّه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسان¹ :

وَلَسْنَا بِشَرْبِ فَوْقَهُمْ ظِلٌّ بُرْدَةٌ	يُعْدُونَ لِلْخَمَارِ تَيْسًا وَمِفْصَدًا
وَلَكِنَّا شَرَبُ كِرَامٍ إِذَا انْتَشَوْا	أَهَانُوا الصَّرِيحَ وَالسَّدِيفَ الْمُسْرَهْدًا ²
كَأَنَّهُمْ مَاتُوا زَمَانَ حَلِيمَةٍ	فَإِنْ تَأْتِيَهُمْ تَحْمَدُ نِدَامَتَهُمْ عَدَا ³
وإن جئتهم أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ	من الْمِسْلِكِ وَالْجَادِي فَتَيْتًا مُبَدَّدًا
تَرَى حَوْلَ أَثْنَاءِ الزَّرَابِيِّ سَاقِطًا	نِعَالًا وَقَسُوبًا وَرَيْطًا مُنْضَدًّا ⁴
وَذَا نُمْرُقٍ يَسْعَى وَمُلْصِقٍ خَدَّهُ	بِدِيَابَجَةٍ تَكْفَأُهَا قَدَ تَقْدَدًا

[تعبيره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدرٍ يفخر بها ويُعبر الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول⁵ :

صوت

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَنَجَوْتَ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَجِيَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ

1 ديوان حسان : 312 .

2 الصريح : الذي ذهب رغوته . السديف المسرهد : لحم أو شحم السنام السمين .

3 يشير إلى يوم حليلة بين المنذر الأكبر والحارث الأكبر وبه يضرب المثل «ما يوم حليلة بسر» .

4 الزرابي : الطنافس . القسوب : الخف . الریط : جمع ریطة وهي الملاة .

5 من قصيدة من 28 بيتاً . انظر ديوانه : 29 .

غناه يحیی المکیّ خفیفَ ثقیلٍ أوّل بالوسطی . ولعزّة المیلاء فیہ خفیف رمل بالنصر . وفیہ خفیف ثقیل بالنصر لموسی بن خارجة الکوفی ، فأجاب الحارث بن هشام ، وهو مشرک یومئذ ، فقال¹ :

صوت

اللهُ یعلّم ما ترکْتُ قتالَهُم حتّى رَمَوْا فرسی بأشقرَ مُزیدٍ
وعلمتُ أنّی إنْ أَقاتِلُ واحداً أَقتُلُ ولا یضرُّ عَدُوّیَ مشهَدي
ففرَزْتُ منهم والأحیةُ فیهم طمعاً لهم بعقابِ یومِ مُرصدٍ
غنى فیہ إبراهیم الموصليّ خفیف ثقیلٍ أوّل بالنصر ، وقیل : بل هو لفلیح .
[تمثل ربیل بشر حسان]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وکیعٌ قال حدّثنی سلیمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلام عن یونس قال : لما صار ابن الأشعث إلى رُبَیل ، تمثّل ربیل بقول حسان بن ثابت فی الحارث بن هشام :

تَرَكَ الأَحیةَ أنْ یُقاتِلَ دونَهُم ونجا برأس طِمِرَةٍ ولجامٍ
فقال له ابن الأشعث : أو ما سمعت ما ردّ علیہ الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟
فقال قال :

اللهُ یعلّم ما ترکْتُ قتالَهُم حتّى رَمَوْا فرسی بأشقرَ مُزیدٍ
وعلمتُ أنّی إنْ أَقاتِلُ واحداً أَقتُلُ ولا یضرُّ عَدُوّیَ مشهَدي
فصددتُ عنهم والأحیةُ فیهم طمعاً لهم بعقابِ یومِ مُرصدٍ
فقال رُبَیل : یا معشر العرب ، حَسَنتم کلَّ شئی حتّى حَسَنتم الفِرار .

1 انظر الأبیات فی سیرة ابن هشام 2 : 18 والحماسیة رقم 37 فی شرح المروزقي .

[47] - ذكر الخبر عن غزاة بدر¹

[أخبار غزاة بدر]

حدَّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في المغازي قال حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق² قال حدَّثني محمد بن مُسلم الزهري وعاصم بن عُمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس ، كلُّ قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

[نَدب النبي المسلمين للير واستنْفار أبي سفيان لقريش]

لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سَفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : «هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا ؛ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفِلَكُمُوهَا» . فَانْتَدَبَ النَّاسَ ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْقَى حَرْبًا . وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ حِينَ ذَاكَ مِنَ الْحِجَازِ وَجَعَلَ يَتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ ، وَيَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مِنَ الرُّكْبَانِ ، تَخَوُّفًا عَلَى أَمْوَالِ³ النَّاسِ ، حَتَّى أَصَابَ خَبِيرًا مِنْ بَعْضِ الرُّكْبَانِ أَنَّ مُحَمَّدًا اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَكَ وَلِعَيْرِكَ ، فَجَدَّ⁴ عِنْدَ ذَلِكَ فَاسْتَأْجَرَ ضَمَضَمَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ فَبَعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِي أَصْحَابِهِ ؛ فَخَرَجَ ضَمَضَمُ بْنُ عَمْرِو سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ .

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ⁵ : وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَيزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَبْلَ قُدُومِ ضَمَضَمَ [مَكَّةَ] بِثَلَاثِ [لَيَالٍ] رُؤْيَا أَفْرَعَتْهَا ، فَبَعَثَتْ إِلَى أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَتْ : يَا أَخِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتِ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْظَعْتَنِي وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِكَ [مِنْهَا] شَرٌّ أَوْ مُصِيبَةٌ ، فَاسْكُمْ عَنِّي

1 سيرة ابن هشام 1 : 606 وتاريخ الطبري 2 : 421 ومغازي الواقدي 1 : 19 .

2 هو نصًّا عن ابن هشام 1 : 606-607 .

3 السيرة (س) : على أمر .

4 السيرة : فحذر .

5 متابع للسيرة 1 : 607-608 .

ما أحدثك . قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آلَ عُذْرٍ لمصارعكم في ثلاث ؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حوله مثلٌ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفروا يا آلَ عُذْرٍ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثلٌ به بعيره على رأس أبي قُبَيْسٍ فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضتُ ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ من دورها إلا دخلتها منها فُلقة . قال العباس : إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميهيها ولا تذكرهيها لأحد .

ثم خرج العباس¹ فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها [له] واستكتمه إياها ؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث [بمكة] حتى تحدثت به قريش . قال العباس : فغدوتُ أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعودٌ يتحدثون برويا عاتكة . فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ؛ فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب² ، متى حدثتُ فيكم هذه النبئة ؟ قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأتُ عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها قالت : انفروا في ثلاث ؛ فستربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً عليكم أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان إليه مني كبيرٌ إلا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا . فلما أمسينا لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ويتناول النساء وأنت تسمع ، ولم يكن عندك غيرُ شيءٍ مما سمعت ؟ قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان مني إليه من كبيرٍ ، وأنتم الله لا تعرضنَّ له ؛ فإن عاد لأكفينكنه . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أرى [أنِّي] قد فاتني منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيتُه ، فوالله إني لأمشي نحوه العريضة³ ليعود لبعض ما كان فأوقع به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلت في نفسي : ما له لعنه الله ؟ أكلُ هذا فرقاً مني أن أشاتمهُ ؟ فإذا هو قد سجع ما لم أسمع ، صوتٌ ضمضمٌ بن

1 متابع للسيرة 608-609 .

2 ل : يا بني عبد مناف .

3 يمشي العرضة : يمشي مشية فيها تحدُّ ؛ وفي س : إني لأمشي نحوه أتعرضه .

عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جدَّع بعيره وحول رحله وشقَّ قميصه وهو يقول]: يا معشر قريش اللطيمة! [اللطيمة!] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها؛ الغوث الغوث! قال: فشغلني عنه وشغلته عني ما جاء من الأمر.

قال¹: فتجهَّز الناسُ سراعاً، وقالوا: لا يظُنُّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي؛ كلاً والله ليُعلمنَّ غير ذلك! فكانوا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً.

[خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه]

وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان لَطُ² له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، فأفلس بها، فاستأجره بها على أن يُجزىء عنه بعثه، فخرج عنه وتخلف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عبيدة وابن الكلبي: أن أبا لهب قامر العاصي بن هشام في مائة من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم عاد فقمره أيضاً، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة، فذهب بكل ما كان يملكه. فقال له العاصي: أرى القِداح قد حالفتك يا ابن عبد المطلب، هلُمَّ نجعلها على أينا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدحاها فقمره أبو لهب، فأسلمه قيناً، وكان يأخذ منه ضريبة. فلما كان يوم بدر وأخذت قريش كل من لم يُخرج بإخراج رجل مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتيق؛ فخرج فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر³

[وبخ ابن أبي معيط أمية بن خلف لإجماعه القعود]

قال محمد بن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً، فجاءه عتبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهرائي قومه بمِجْمَرَةٍ يحملها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي، استجِمْرُ فإنما أنت من النساء! قال: قَبَحَكَ اللهُ وقَبَحَ ما جئت به؛ ثم تجهَّز وخرج مع الناس. فلما فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السير، ذكروا ما [كان] بينهم

1 متابع للسيرة: 609-610.

2 لط بالمال: ماطل.

3 متابع للسيرة: 610-612.

5 كتاب الأغاني - ج 4

وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتوا من خلفنا .
[تخوف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة ، فكاد ذلك أن يثبطهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : إني جاز لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم] بشيء تكرهونه ، فخرجوا سريعا .
[خروج النبي وعدد جيشه والطريق التي سلكها]

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني عن غير ابن إسحاق ، لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان المعظم في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه . فاختلِف في مبلغ الزيادة على العشرة ؛ فقال بعضهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان صاحب راية رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عباد .

حدثنا محمد قال حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مصعب بن المقدام ، قال أبو جعفر وحدثني محمد بن إسحاق الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال : كنّا نتحدث أن عِدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ، ولم يَجْزْ معه إلا مؤمن ، ثلاثمائة وبضعة عشر .

قال ابن إسحاق¹ في حديثه عمّن روى عنه : وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار ، في ليالٍ مضت من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصُّفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الرُّغَاء حليف بني النجار إلى بدر يتجسّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقدمهما . فلما استقبل الصُّفراء ، وهي قرية بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِيء ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النَّار ، وبنو حُرّاق (بطنان من غفار) ؛ فكُرِههما رسولُ الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما ، فترَكهما والصُّفراء يساراً ، وسلَّك ذات اليمين عل وادٍ يقال له ذِفْران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نَزَلَ ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم .

[استشارة النبي لأصحابه وتأييد الأنصار له]

فاستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلّمون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ، يعني مدينة الحبشة ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال : شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من كل شيء : كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه ، فأتاه المقداد على تلك الحال ، فقال : أبشّر يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله ﷺ : «أشيروا عليّ أيّها الناس» ، وإنّما يريد الأنصار ؛ وذلك أنّهم كانوا عدّد الناس ، وأنّهم حين بايعوا بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا براء من ذمّك حتى نصير إلى دارنا ، فإذا وصلت فأنت في ذمّنا ، نمنعك ممّا نمنع منه أنفسنا وأبنائنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلاّ ممن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأنّ ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ في غير بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله . قال : «أجل» . قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول الله لما أردت [فنحن معك] . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضّته لخضّناه معك ما يتخلف منّا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّاً غداً . إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعلّ الله تعالى أن يُريك [منّا] ما تقرّ به عينك ؛ فسير بنا على بركة الله . فسرّ رسول الله ﷺ [يقول سعد] ونشّطه ذلك ؛ ثم قال : «سيروا على بركة الله وأبشّروا ؛ فإنّ الله قد وعدني إحدى

الطائفتين ، والله لكانني أنظر إلى مصارع القوم» .

[نزل النبي قريباً من بدر]

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من دِفْران ، وسلَّك على ثنابا يُقال لها الأصافر ، ثم انحطَّ منها على بليدٍ يقال له الدَّبَّةُ ، ثم ترك الحنَّانَ يمينه ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ، قال الطبريُّ قال محمد بن إسحاق : حدَّثني محمد بن يحيى بن حَبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبر كما حتى تُخبراني مَن أتتما . فقال له رسول الله ﷺ : «إذا أُخبرتنا أخبرناك» . فقال : أوذاك بذاك ؟ فقال : «نعم» . قال الشيخ : فإنه بلغني أنَّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان صدَّقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله ﷺ) . وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدَّثني صدَّقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلما فرغ من خبره قال : مَن أتتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمِن ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

[أرسل النبي نقرأ إلى بدر يلتمسون الخبر]

فلما أمسى بعث عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزُّبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه .

[قبض هؤلاء نفر على غلامين لقريش لمعرفة أخبارهم منهما]

قال محمد بن إسحاق² : حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير : فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلمٌ غلام بني الحجاج ، وعريض³ أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد ، فاتوا بهما رسول الله ﷺ وهو يصلي . فسألوهما فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدين ثم سلَّم ، ثم قال : «إذا صدَّقكم ضربتموهما ، فإذا كذَّبَاكم تركموهما ، صدَّقا والله إنهما لقريش . أخبراني أين قريش» ؟ قالوا : هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى و] الكثيب : العَقَنَقَل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : «كم القوم» ؟ قالوا : لا ندري . قال : «كم ينحرون كل يوم» ؟ قالوا : يوماً تسعاً

1 تابع للسيرة : 615-616 .

2 متابع للسيرة : 616 .

3 ل : وغريض .

ويوماً عَشْرًا . فقال رسول الله ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة والألف» . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : «فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ» ؟ قالوا : عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَالنُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسُودِ ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَنُبَيْهٌ وَمُنْبَهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرُو بْنُ وَدٍّ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ رَمَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ كَيْدِهَا» .

قال ابن إسحاق¹ : وقد كان بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو وَعَدِيٌّ بْنُ أَبِي الرَّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى نَزَلَا بِدْرًا فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَا شَنَا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ ، وَمَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ عَلَى الْمَاءِ ، فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا تَتَلَاذِمَانِ عَلَى الْمَاءِ ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهَا : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ فَأَعْمَلُ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ . قَالَ مَجْدِيُّ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا . وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا .

[قدم أبو سفيان إلى بدر متجسسا ثم اتجه بالعير نحو الساحل]

وأقبل أبو سفيان حتى² تقدّم العير حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحدا أنكره ، إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شئّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُنَاخَهُمَا فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرَيْهِمَا فَفَتَّهَ فَإِذَا فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ . فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا فَصَرَفَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَسَاحَلَ³ بِهَا وَتَرَكَ بِدْرًا يَسَارًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ .

[روى جهم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفَةُ رَأَى جُهِيمُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ رُؤْيَا ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّائِمَ ، وَإِنِّي لَبَيِّنُ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ ثُمَّ قَالَ : قُتِلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَعَدَّدَ رَجَالًا مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، وَرَأَيْتُهُ ضَرَبَ فِي لَبَةِ بَعِيرِهِ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ ، فَمَا بَقِيَ خِيَاءٌ مِنْ أُخْبِيَةِ الْعَسْكَرِ إِلَّا أَصَابَهُ نَضْحٌ مِنْ دَمِهِ . قَالَ : فَبَلَغْتُ أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ : وَهَذَا أَيْضًا نَبِيٌّ آخَرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ !

1 السيرة : 618-620 .

2 ل : حين .

3 ساحل : اتجه نحو الساحل .

سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

[نصح أبو سفيان بالرجوع فأتى أبو جهل]

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجّاه الله فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نردّ بدرًا ، وكان بدرٌ مؤسماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوقٌ كل عام ، فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحرُ الجُرُزَ ونطعم الطعام ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العربُ [بمسيرنا وجمّعنا] ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

[رجوع بني زهرة]

فقال الأخنس بن شريق بن عمرو [بن وهب] الثَّقَفِيُّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجّى الله لكم عيركم وخلّص لكم صاحبكم مخزّمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنها وارجعوا ؛ فإنه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضيعةٍ لما يقول هذا (يعني أبا جهل) ؛ فلم يشهدْها زُهْرِيٌّ ، وكان فيهم مُطاعاً ، ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ ، إلا بني عديّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد . فرجعتْ بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

[اتهم قريش لبني هاشم]

وقد كان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورةً ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم [لمع] محمد ؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع . وأمّا ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثتُ عنه : شَخَصَ طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين ، أُخْرِجَ كَرْهًا ، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يا رَبِّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبُ فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَائِبِ
فَلْيَكُنْ الْمُسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلِيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق¹

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال : ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العَقَنَقَلِ . وبطنُ

الوادي ، وهو يَلِيل ، بين بَدْرٍ وبين العقنقل : الكتيب الذي خَلَفَهُ قريشٌ . والقَلِيب بيدر من العُدوة الدنيا من بطن يَلِيل إلى المدينة . وبعث الله عزَّ وجلَّ السماء ، وكان الوادي دَهْسًا ، فأصاب رسول الله ﷺ [وأصحابه منها] ما لَبَدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقْدِرُوا على أن يَرتَحِلُوا معه . فخرج رسولُ الله ﷺ ييادِهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به .

[مشورة الحباب بن المنذر على النبي]

قال ابن إسحاق : فحدثني عشرة رجالٍ من بني سَلَمَةَ ذكروا أَنَّ الحُبَابَ بنَ المُنْذِرِ بنَ الجَمُوحِ قال : يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ هذا المنزلَ ، أُنْزِلَ أَنْزَلُكَ الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأْيُ والحربُ والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأْيُ والحربُ والمكيدة» . فقال : يا رسول الله ، إِنَّ هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فنزله ، ثم تُعَوِّزْ ما سواه من القَلْبِ ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم تُقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأْيِ» . فنهض رسول الله ﷺ وَمَنْ معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه . ثم أَمَرَ بالقَلْبِ فَعُوِّزَتْ وَبَنُوا حَوْضاً على القَلِيبِ الذي نزل عليه فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

[بناء عريش من جريد للنبي]

قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن أبي بكر أَنَّ سعد بن مُعَاذٍ قال : يا رسول الله ، نَبَنِيْ لَكَ عَرِيشاً من جريد فتكون فيه وَنَعِدُكَ رِكَابَكَ ، ثم نَلْقَى عَدُوَّنَا ؛ فَإِنْ نَحْنُ أَعَزَّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا على عَدُوَّنَا كان ذلك ما أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْآخِرَى جَلَسَتْ على رِكَابِكَ فَلَجِجْتَ بَيْنَ وِراءِنَا من قومنا ؛ فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبِيَّ اللهُ ما نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ ، [ولو ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً ما تَخَلَّفُوا عَنْكَ ، يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ] . فَأَتَنِي [عليه] رسولُ الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

[إقبال قريش ودعاء النبي عليها]

ثم بُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت . فلمَّا رَأَاهَا رسولُ الله ﷺ تَصَوَّبُ مِنَ الْعَقْنَقْلِ ، وهو الكَتِيبُ الذي منه جَاؤُوا ، إلى الوادي قال : «اللهم هذي قريشٌ قد أقبلت بُخَيْلائِها وفَخْرَها تُحَادِّثُكَ وتَكْذِبُ رِسُولَكَ . اللهم فَنَصْرَكَ الذي وَعَدْتَنِي . اللهم فَأَجْنِبْهُمُ الْغَدَاةَ» . وقد قال رسولُ الله ﷺ ورأى عُتْبَةَ بنَ رِيْعَةَ فِي الْقَوْمِ على جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرُ : «إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا» .

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش]

وقد كان خُفاف [بن إيماء] بن رَحْضة الغِفاريّ ، أو أبوه أَيْمًا بن رَحْضة ، بعث إلى قريش حين مرُّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إن أحببتُم أن نُمِدَّكم بسلاح ورجال فعلنا . فأرسلوا [إليه] مع ابنه : أن وَصَلْتك رَحِمٌ ! فقد قضيت الذي عليك . فَلَعَمْرِي لئن كنّا إنمّا نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم] ، ولئن كنّا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلمّا نزل الناسَ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهم» . فما شَرِبَ منهم رجلٌ إلّا قُتِلَ يومئذٍ ، إلّا ما كان من حَكيم بن حزام فإنّه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له الوجيّه ، وأسلمَ بعد ذلك فحسَنَ إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد [في] يمينه قال : والذي نَجّاني من يوم بَذِر .

[بعث قريش عمير بن وهب متجسّسًا فأخبرهم بما رَوَعهم]

قال محمد بن إسحاق¹ : وحَدَّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأنّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمحيّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلًا أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر : أَلَلقوم كمينٌ أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم يرَ شيئًا ، فرجع فقال : لم أرَ شيئًا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الولايا تحمِل المنايا ! نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلّا سيوفهم . والله ما أَرى أن يُقتَلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ رجلًا منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيكم . فلمّا سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكرُ منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دَمَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنما هو حليفي فعليّ عقله وما أُصيبَ من ماله ؛ فأتى ابنَ الحَنْظَلِيَّةِ فَإِنِّي لا أخشى أن يسحرَ الناسَ غيره (يعني أبا جهل بن هشام) .

[حَكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان بن الحكم]

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدَّثنا غمامة بن عمرو السَّهميّ قال حدَّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالدٍ حَكيمُ بن حزام . قال : إيذنْ له . فلمّا

دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، اذنْ ؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدثنا حديث بَدْر . قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعتُ قبيلةً من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بَدْرًا ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي قال الله عز وجل ؛ فجئت عُتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بِشَرَفِ هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعلُ ماذا ؟ قال : قلتُ : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ واحدٍ : (ابن الحضرمي) وهو حليفك ، فَتَحَمَّلَ دَيْتَهُ فيرجع الناس . قال : أنت وذاك ، وأنا أَتَحَمَّلُ دَيْتَهُ ، فاذهبُ إلى ابن الحَنْظَلِيَّةِ (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عقدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عُتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلتُ : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مُبادراً إلى عتبة وخرجتُ معه لثلاً يفوتني من الخبر شيء ، وعُتبة يتكيء على إيماء بن رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ ، وقد أهدي إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرُّ في وجهه ، فقال لعُتبة : انتفخ سَحْرُك ! فقال عُتبة : فستعلم . فسَلَ أبو جهل سيفه فضرب به متنَ فرسه ؛ فقال إيماء بن رَحْضَةَ : بمس المقام هذا ؛ فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث إلى ابن إسحاق¹

[نصح عتبة بالرجوع فأتى أبو جهل]

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ! والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجلُ منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، رجلٍ قَتَلَ ابن عمَّهُ أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نَثَلَ دِرْعاً له من جرابها وهو يُهَيِّئُهَا ؛ فقلت له : يا أبا الحكم ، إنَّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال) ؛ فقال : انتفخ والله سَحْرُهُ حين رأى محمداً وأصحابه . كلاً والله ! لا مَرَجِعَ حَتَّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بِعُتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن

محمدًا وأصحابه أَكَلَهُ جَزُورٌ ، وفيهم ابنه قد تَخَوَّفَكُمْ عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثَأْرَكَ بعينك ، فقم فأنشد خُفَرَتَكَ¹ ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف² ثم صرخ : وأَعْمَرَاهُ ! وأَعْمَرَاهُ ! فَحَمَيْتِ الحرب ، وَحَقَّبَ³ أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرِّ ، وأُفْسِدَ على الناس الرَّأْيَ الذي دعاهم إليه عُتْبَةُ بن ربيعة . ولما بلغ عتبة قول أبي جهل : «انتفخ سَحْرُهُ» قال : سيعلم مُصَفِّرُ الأَسْتِ مَنْ انتفخ سَحْرُهُ : أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضةً ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسعُه من عِظْمِ هامته ؛ فلما رأى ذلك اعتجَرَ على رأسه ببردٍ له .

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشرين من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسود⁴ بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيِّئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشرين من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَهُ بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشَخُّبُ رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُرَّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

[طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبي من قتلهم]

ثم خرج بعده عُتْبَةُ بن ربيعة بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا نَصَلَ⁵ من الصفِّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتْيَةٌ من الأنصار ثلاثة نفر ، وهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، وأُمُّهُمَا عَفْرَاء ، ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ؛ فقالوا : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى مناديههم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : «قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب» . فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : مَنْ أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي . قالوا : نعم أكفاء كرام . فبارز عبيدة بن الحارث ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة

1 ل : حقوقك .

2 ل : فاكتشف .

3 ل : وخفت .

4 السيرة : 624 .

5 ل : فصل .

شَيْبَةَ بن ربيعة ؛ وبارز عليُّ الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمهَل شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ . وَأَمَّا عليٌّ فلم يُمهَل الوليد بن عتبة أَنْ قَتَلَهُ . واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت¹ صاحبه ؛ فكَرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسياهما فذَقَا² عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبدة ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعَتْ رِجْلُهُ وَمُخُّهُ يسيل . فلَمَّا أَتَوْا بعبدة إلى رسول الله ﷺ قال : أَلَسْتُ شَهِيداً يا رسول الله ؟ قال « بلى » . فقال عبدة . لو كان أبو طالب حَيّاً لَعَلِمَ أَنِّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول : [من الطويل]

وَنُسِّلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّغَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِ

قال محمد بن إسحاق³ : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أَنَّ عَتْبَةَ بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفأ كرام ، إِنَّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا . ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ [أصحابه] أَلَّا يَحْمِلُوا حَتَّى يَأْمُرَهُمْ ، وقال : «إِنْ اكْتَفَكُمُ الْقَوْمُ فَاَنْضَحُوهُمْ عَنْكُم بِالنَّبْلِ» ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

[تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصة سواد بن غزية]

قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد⁴ قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بن غَزِيَّةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيٍّ بن النَجَّارِ وَهُوَ مُسْتَنَبِّلٌ مِنَ الصَّفِّ ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ ، ثُمَّ قَالَ : «اسْتَوْ يا سَوَادُ بن غَزِيَّةَ» . فقال : يا رسول الله ، أَوْجَعْتَنِي ؛ وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ ، فَأَقِذْنِي . قال : فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ : «اسْتَقِذْ» ؛ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ . فقال : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يا سَوَادُ ؟ فقال : يا رسول الله ، حَضَرَ مَا تَرَى ، فَلَمْ آمَنْ الْمَوْتَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بَكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ ؛ فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ وَقَالَ لِي خَيْراً . ثُمَّ عَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّفُوفَ ، وَرَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ وَدَخَلَهُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النِّصْرِ ، وَيَقُولُ فِيمَا يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ

1 أثبتته : أثلخه جراحاً .

2 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

3 السيرة : 625 .

4 ل : ابن أحمد ، وهو خطأ .

اليوم ، يعني المسلمين ، لا تُعَبَّد بعد اليوم» ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله خَلِّ بعض مُناشدتك ربِّك ؛ فَإِنَّ الله مُنْجِزٌ لك ما وعدك .

[دعاء النبي يوم بدر]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدَّثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال حدَّثني سيماءُ الحنفي قال سمعتُ ابن عباس يقول : حدَّثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعديتهم وإلى أصحابه وهم نيفٌ على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وعدتني . اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعَبَّد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، مناشدتك لربِّك ، سيُنْجِزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ .

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن وكيع قال حدَّثنا الثَّقَفِيُّ (يعني عبد الوهَّاب) عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : أَنَّ النبي ﷺ قال وهو في قُبَيْته يومَ بدرٍ «اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ . اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعَبَّدْ بعد اليوم» . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا نبيَّ الله ، فقد ألححتَ على ربِّك ، وهو في الدَّرْع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق¹

[أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشراً بالنصر ومعرضاً على القتال]

قال : وقد خَفَقَ رسول الله ﷺ خَفَقَةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخِذٌ بعنانِ قَرَسِه يقوده وعلى ثنياه النَّفْعُ» . قال وقد رُمي مِهْجَعٌ مولى عُمَر بن الخطاب بسهمٍ فقتل ، فكان أوَّلَ قَتيلٍ من المسلمين . ثم رُمي حارثة بن سُراقَة أحدُ بني عَدِيٍّ بن النَجَّار وهو يشرب من الحوض بسهمٍ فأصاب نَحْرَه فقتل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم ونَفَّلَ كلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : «والذي نفسِي بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلاً فيقتل صابراً مُحْتَسِياً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله الجنة» .

[استهانة أصحاب النبي بالموت]

فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة في يده تَمَرَاتٌ يأكلها : بَخْ بَخْ ! أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! قال : ثم قَذَفَ التُّمَرَاتِ من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ ، وهو يقول :

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بغير زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلَ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة : أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ ، وهو ابن عَفْرَاءَ ، قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قال : «عَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا» ؛ فنزع درعاً كانت عليه فَقَذَفَهَا ، ثم أخذ سيفه فقاتل القومَ حتى قُتِلَ .

[التقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدَّثني محمد بن مسلم الزُّهْرِيُّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرٍ الْعُدْرِيِّ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ قال : لَمَّا اتَّقَى النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قال أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّجِمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ فَأَجِنُهُ الْغَدَاةُ ؛ فكان هو الْمُسْتَفْتَحُ عَلَى نَفْسِهِ . ثم إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ وَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا ، ثم قال : «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ثم نَفَحَهُمْ بِهَا ، وقال لأَصْحَابِهِ : «شُدُّوا» ؛ فكانتِ الْهَزِيمَةُ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قَرِيشَ ، وَأَسَرَ مَنْ أَسَرَ مِنْهُمْ . فلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَسِّحًا بِالسَّيْفِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِيمَا ذُكِرَ لِي ، فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهَةَ فِيمَا يَصْنَعُ النَّاسُ ؛ فَقَالَ لَهُ : «كَأَنَّكَ كَرِهْتَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ» ! قال : أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كانت أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ الشُّرْكِ ؛ فكان الإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

[نهى النبي عن قتل جماعة أخرجوا كارهين]

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال ، وحدَّثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس¹ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ

يومئذ : «إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري [بن هشام] بن الحارث فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ ، فلا يقتله ، وإنما خرج مُستكرهاً» . قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أَيْقَلْ آبَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا وَعَشِيرَتُنَا وَنَتْرِكَ الْعَبَّاسَ ! وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لِأَلْحِمَنَّهُ السَّيْفَ ! فَبَلَغْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ : «يَا أَبَا حَفْصَ أَمَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ أَبِي حَذِيفَةَ يَقُولُ أَضْرِبْ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بِالسَّيْفِ» . فقال عمر : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِي فَلَا أَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ . قال عمر : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كُنَانِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي حَفْصَ . قال : فَكَانَ أَبُو حَذِيفَةَ يَقُولُ : مَا أَنَا بِأَمْنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفاً إِلَّا أَنْ تُكْفِّرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ ؛ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ [شهيذاً] .

[سبب نهى النبي عن قتل أبي البختري]

قال : وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَكْفَ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، كَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ . فَلَقِيَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادِ الْبَلَوِيِّ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، فَقَالَ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ لِأَبِي الْبَخْتَرِيِّ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى عَنْ قَتْلِكَ ، وَمَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ ، وَهُوَ جُنَادَةُ بْنُ مَلِيحَةَ بْنُ زَهِيرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ ، وَجُنَادَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ . وَاسْمُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الْعَاصِي بْنُ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ ، قَالَ : وَزَمِيلِي ؟ فَقَالَ الْمُجَذَّرُ : لَا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِكَ ؛ مَا أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِكَ وَحْدَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ إِذَا لَأَمُوتَنَّ أَنَا وَهُوَ جَمِيعاً ! لَا تَتَحَدَّثْ عَنِّي نِسَاءَ قُرَيْشٍ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ أَنِّي تَرَكْتُ زَمِيلِي حَرَصاً عَلَى الْحَيَاةِ . فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ حِينَ نَازَلَهُ الْمُجَذَّرُ وَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

لَنْ يُسَلِّمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فَاقْتَتَلَا ، فَقَتَلَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ . ثُمَّ أَتَى الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَاتَيْكَ بِهِ ، فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ ، فَقَاتَلْتُهُ فَقَتَلْتُهُ .

[عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف]

قال محمد بن إسحاق : وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَيْضاً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ ¹ : كَانَ أُمِّيَّةً بَنَ خَلْفَ لِي صَدِيقاً

بمكة . قال : وكان اسمي عبد عمرو ، فسُميت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة . قال : وكان يلقياني بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتَ عن اسمِ سَمَّاكَ به أبواك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنني لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تُجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعلُ بيني وبينك يا أبا عليٍّ ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأجيبه فأتحَدَّث معه . حتى إذا كان يوم بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعِي أدراعٌ قد سلبتها وأنا أحملها . فلما رآني قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه . فقال : يا عبد الإله ، قلت نعم . قال : هل لك في فأنَّا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلت : نعم ، هَلُمَّ إِذَا . فطرحْتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيده ويده ابنه عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما .

[مقتل أمية بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أمية بن خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المُعَلَّمُ منكم بريش نعامية في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي ، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ؛ فيقول بلالٌ : أحَدٌ أَحَدٌ ، فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكُفرِ أميةُ بن خلفٍ ، لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلت : أي بلال ، أبأسيري ؟ قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أي بلال ، أبأسيري تُسمَعُ يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكُفرِ أميةُ بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوَا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلُ السيفِ فضربَ رجلَ ابنه فوقه ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثله قطُّ . قال قلت : أنجُ بنفسك ولا نجا ! فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبَّروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِمَ اللهُ بلالاً ؛ ذَهَبَ بأدراعي وفَجَعَنِي بأسيري .

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجلٌ

من بني غِفَار¹ قال : أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ؛ فَتَنْهَبُ مَعَهُ مِنْ يَنْهَبٍ . فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ ، فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمَحَمَةَ الْخَيْلِ ، وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيَزُومُ . قَالَ : فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَاِنْكَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ . وَأَمَّا أَنَا فَكَدْتُ أَهْلِيكَ ، ثُمَّ تَمَاسَكْتُ .

قال محمد بن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجالٍ من بني مازن بن النجَّار عن أبي داود المازني ، وكان شهيد بدرًا ، قال² : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري قال حدثنا يحيى بن بُكَيْرٍ قال حدثني محمد بن إسحاق عن العلاء بن كَثِيرٍ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : قال لي أبي : يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّا أَحَدُنَا لَيُشِيرُ إِلَى الْمُشْرِكِ بِسَيْفِهِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جِسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ .

[لباس الملائكة يوم بدر وحنين]

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال ، وحدثني الحسن بن عُمَارَةَ قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عَتِيَّة³ عن مِقْسَمٍ مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال⁴ : كَانَتْ سَيِّمَا الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ بَيْضًا قَدْ أَرْسَلُوها عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمَ حُمْرًا ، وَلَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ ، وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ مَدَدًا وَعَدَدًا وَلَا يَضْرِبُونَ .

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال ، قال محمد وحدثني ثور بن زيد مولى بني الدَّيْلِ عن عِكْرَمَةَ مولى ابن عباس عن ابن عباس ، قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كَانَ مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ الْجَمُوحِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ يَقُولُ⁵ : لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ أَمَرَ أَبَايَ جَهْلَ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ ، وَقَالَ : «اللَّهُمَّ لَا يُعْجِزْنِكَ» . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ أَبَا

1 السيرة : 633 .

2 السيرة : 633 .

3 ل : عيينة .

4 السيرة : 633 .

5 السيرة : 634-636 .

جهل مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح ، قال : سمعتُ القوم ، وأبو جهل في مثل الحَرْجَة ، وهم يقولون : أبو الحَكَم لا يُخَلِّصُ إليه . فلَمَّا سمعتها جعلتها من شَأني ، فعمَدْتُ نحوه ، فلَمَّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربتُه ضربةً أَطْنَتُ¹ قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شَبَّهتها حين طاحت إلَّا كالنواة تَطْيِيع من تحت مِرْضَخَة² النَّوى حين يُضْرَب بها . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلَّقت بجِلْدَةٍ من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ؛ فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومي وإني لَأَسْحَبُهَا خلفي ، فلَمَّا آذنتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطَّيتُ بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفَّان .

قال : ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عَقِيرٌ³ ، مُعوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتَه ، فتركه وبه رمقٌ ، وقاتل معوذ حتى قُتِل . فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَسَ في القتلى ، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني : «انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته ؛ فإنِّي ازدحمْتُ أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان وكنتُ أَشْبَّ ، أو أَشَفَّ ، منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فخدش في إحداهما خدشاً لم يزل أثره فيها بعدُ» . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَقٍ فعرفته ، فوضعتُ رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّ⁴ بي مرَّةً بمكَّةَ فأذاًني ولكرني ، ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أَعْمَدُ⁵ من رجلي قتلتموه !! لمن الدَّبرَةُ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سَلَمَة عن محمد قال⁶ : زعم رجالٌ من بني مخزوم أنَّ ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِي الغنم مُرتَقِي صعباً ؛ ثم احتزرتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : «الله الذي لا إله غيره» ! ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم أَلْقَيْتُ رأسَه بين يَدَي رسول الله ﷺ ؛ قال : فحَمِدَ الله .

1 أَطْنَت : قطعت .

2 مِرْضَخَة النَّوى : حجر يكسر به النَّوى .

3 عَقِير : جريح .

4 ضَبَّ بالشَّيء : قبض عليه بكفِّه .

5 أَعْمَد : أعجب .

6 السيرة : 636 .

[تكليم النبي أصحاب القلب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت¹ : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القلب طُرحوا فيها إلا ما كان من أمة بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملأها ؛ فذهبوا به ليخرجوه فزائل ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقوهم في القلب ، وقف رسول الله ﷺ فقال : «يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً» . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟ قال : «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق» . قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسول الله ﷺ : «لقد علموا» .

قال ابن سحاق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لما سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وهو يقول من جوف الليل : «يا أهل القلب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم في القلب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» قال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيّفوا ! فقال : «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني» .

قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة قال : «يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنبئكم ؛ كذبتُموني وصدّقتني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس» . ثم قال : «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً» للمقالة التي قالها . ولما أمر بهم رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القلب ، أخذ عتبة فسُحب إلى القلب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كتيبٌ قد تغيّر ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء» أو كما قال . قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنتني ذلك . قال : فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً .

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ممّا جمع الناس فجميع ، واختلف المسلمون فيه : فقال من جمعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله ﷺ نفل كل امرئ ما أصاب . فقال

1 السيرة : 638-639 ، 640 .

2 السيرة : 641-642 .

الذين كانوا يُقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحق منا ، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولأنا الله ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .
[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ويزيد بن رومان¹ : أن رسول الله ﷺ جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة وأربعين أسيراً ، وكان من القتل مثل ذلك ، وفي الأسارى عقيقة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث بن كلدّة ، حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصقراء ، قُتل النضر بن الحارث بن كلدّة ، قُتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر]

قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال² : قُدم بالأسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة (زوج النبي ﷺ) عند آل غفراء في مناحتهم علي عوف ومعوذ ابني غفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب . قال : تقول سودة : والله إني لعهدهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فرُحّت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بجبل . قالت : فوالله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتكم بأيديكم ، ألا مثم كراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت : «يا سودة أعلّ الله وعلى رسوله» قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بجبل أن قلت ما قلت .

[إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتل بدر]

قال محمد بن إسحاق³ : وكان أول من قُدم مكة بمُصاب قريش ، الحيسمان بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن رومان بن كعب بن عمرو الخزاعي . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، ونُبَيْه ومُنْبَه ابنا الحجاج . قال : فلما جعل يُعدّد أشراف قريش قال

1 السيرة : 644 .

2 السيرة : 645 .

3 السيرة : 646 .

صفوان بن أمية وهو قاعدٌ في الحجر : والله إن يعقل هذا فسَلُوهُ عني . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذلك جالس في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلَا .
[أبو لهب وتخلّفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال ¹ : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دَخَلْنَا أهل البيت ، فأسلم العباسُ وأسلمت أم الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهبٍ عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانه رجلاً . فلما جاء الخبر عن مُصاب أهل بدرٍ من قريش ، كَبِثَهُ اللهُ وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً ؛ وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنتُ أعملُ القِداح أنحتُها في حُجرة زمزم ؛ فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحتُ القِداح ، وعندِي أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لهبٍ يجرُّ رجله يسير حتى جلس على طُنب الحُجرة ، فكان ظهره إلى ظهري . فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدِم ؛ فقال أبو لهب : هلُمَّ إليّ يا ابن أخي ، فعندك لعمرى الخير . فجلس إليه والناس قيامٌ عليه . فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إن كان إلّا أن لَقِينَاهُمْ فَأَبَحْنَاهُمْ أَكْتَفَانَا يَقتُلُون وَيأسِرون كيف شاؤوا . وإيّمُ اللهُ مع ذلك ما لُمْتُ الناس ، لَقِينَا رجلاً بيضاً على خيلٍ بلقي بين السماء والأرض ما تُلقي شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنب الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم بَرَكَ عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً ؛ فقامتُ أم الفضل إلى عمود من عُمَد الحُجرة فأخذته فضربت به ضربةً ، فشجّت في رأسه شجّةً مُنكرة وقالت : أتستضعفه أن غاب عنه سيّده ؟ فقام مُولياً ذليلاً . فوالله ما عاش فيها إلّا سبع ليالٍ حتى رماه اللهُ جلّ جلاله بالعدسة فقتلته ؛ فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً لا يدفنه حتى أنشئت في بيته ، وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما ! لا تستحييان أن أبأكما قد أنشئت في بيته لا تعيانه ! فقالا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلقا فأنّا معكما . فما غسّلوهُ إلّا قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمْسُونَهُ ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى وازّوه .

[العباس بن عبد المطلب وتأم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبسون في الوثاق ، بات رسول الله ﷺ ساهراً أول ليلته . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما لك لا تنام ؟ فقال : «سمعتُ تَصَوَّرَ العباس في وثاقه» ؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه ؛ فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً . فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر : «كيف أسرْتَ العباس يا أبا اليسر» ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم» .

[طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكة]

قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : «يا عباس أفدِ نفسك ، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال» . فقال : يا رسول الله ، إني كنتُ مسلماً ولكن القوم استكروني . فقال «الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به ، فأما ظاهرُ أمرِك فقد كان علينا ؛ فأفدِ نفسك» . وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب . فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها لي في فِدائِي . قال : «لا ، ذلك شيء أعطاه الله منك» . قال : فإنه ليس لي مال . قال قال : «فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلت لها إن أُصِبتُ في سَفَرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا» ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما عَلمَ هذا أحدٌ غيري وغيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله . ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه .

[فدت زينب زوجها فردَّ عليها النبي الفداء]

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت¹ : لما بَعَثَ أهلُ مكة في فِداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها . فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رِقَّةٌ شديدة وقال : «إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها وترُدُّوا عليها

الذي لها فافعلوا! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها.
[رثاء الأسود بن المطلب لأولاده]

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد عن أبيه قال¹: ناحت قريش على قتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشتمّوا بكم، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يتأربّ عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة وعقيل والحارث بنو الأسود، وكان يحبّ أن يبكي على بنيّه. فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصره: انظر هل أحلّ النحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة (يعني زمعة)؛ فإنّ جوفي قد احترق. فلمّا رجع إليه الغلام قال: إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته؛ فذلك حين يقول الأسود:

اتبكي أنّ أضلّ لها بعيرٌ	ويمنّعها البكاء من الهجود
ولا تبكي على بكير ولكن	على بذرٍ تقاصرت الجدود ²
على بذرٍ سراً بني هضيض	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكي إنّ بكيت على عقيل	وبكي حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تُسمي جميعاً	فما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال	ولولا يومٌ بذرٍ لم يسودوا ³

[رثاء هند بنت عتبة أبها]

ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أبها⁴: [من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَسَّ لي الأخوين كالـ	غُضْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمَا
قَرْمَانٍ لَا يَتَظَالَمَا	نِ وَلَا يُرَامُ جِمَاهُمَا
وَيْلِي عَلَى أَبَوَيِّ وَالـ	قَبْرِ الَّذِي وَاوَاهُمَا

1 السيرة: 647-648.

2 في هذا البيت إقواء.

3 في هذا البيت إقواء.

4 وردت هذه الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر، بيروت، 1963) وأثبت في الحاشية أنّها تنسب لهند بنت عتبة.

لا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُو لَ وَلَا فَتَى كَفَتَاهُمَا

ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنّه للغريض ، وتما هذه الأبيات :

أَسْدَانِ لَا يَتَذَلَّلَا نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهُمَا
رُمَحَيْنِ خَطِئَيْنِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهُمَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَيْ شَرَوَاهُمَا
سَادَا بَغِيرَ تَكْلُفٍ عَفَوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقديّ ، وأخبرني ابن أبي الأزره قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لما كانت وقعة بدر ، قُتِلَ فيها عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتْبَةَ ؛ فأقبلت هند بنت عُتْبَةَ ترثيهم ، وبلغها تسويم¹ الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبةً ، وأمرت بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرِنُوا جَمَلِي بِجَمَلِ الْخَنَسَاءِ ، ففعلوا . فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : مَنْ أَنْتِ يَا أُخِيَّةُ ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبَةَ أعظم العرب مصيبةً ، وقد بلغني أنّك تُعَاطِمِينَ العرب بمصيبتك ، فِيمَ تُعَاطِمِينَهم ؟ فقالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وِيمَ تُعَاطِمِينَهم أَنْتِ ؟ قالت : بأبي عُتْبَةَ بن ربيعة ، وعمّي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أَوْ سَوَاءَ هُمْ عِنْدَكَ ؟ ثم أنشدت تقول² :

أَبْكِي أَبِي عَمْرًا بَعِينَ غَزِيرَةَ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ هُجُودُهَا
وَصِنَوِي لَا أَنْسَى مُعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ وَفُودُهَا

1 تسويم : وضع علامة للتمييز .

2 في الديوان (طبعة دار صادر) أن هند بنت عتبة أنشدت والخنساء أجابت مع أن في مقدمة الشعر ما يفيد أن شارح الديوان إنما ينقل عن الأغاني .

وصخرأ ، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا
فَذَلِكَ يَا هِنْدُ الرِّزْيَةُ فَاعْلَمِي
فَقَالَتْ هِنْدُ تُجَيِّبُهَا :

[من الطويل]

أَبْكِي عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِمَا
أَبِي عُتْبَةَ الْخَيْرَاتِ وَيُحَلِّكَ فَاعْلَمِي
أَوَّلَكَ آلَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ
وَقَالَتْ لَهَا أَيْضاً يَوْمَئِذٍ :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالِ
غُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا

[لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ قَالَ : قَدِمَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَافِداً ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ
جَعْفَرٍ يَشْرَبُ النَّبِيذَ ، وَيَسْمَعُ الْغِنَاءَ ، وَيُحَرِّكُ رَأْسَهُ عَلَيْهِ . فَجَاءَ مَعَاوِيَةَ مُتَغَيِّراً حَتَّى دَخَلَ
عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَزَّةُ الْمِيلَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ فِي كِوَاءِ³ الْبَيْتِ يُضِيءُ بِهَا
الْبَيْتَ ، تُغْنِيهِ عَلَى عُودِهَا :

[من الكامل]

تَبَلَّتْ قُودَاذُكَ فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضُّجُجَ بِبَارِدِ بَسَامٍ⁴

وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُسٌّ ؛ فَقَالَ : مَا هَذَا يَا أَبَا جَعْفَرٍ ؟ قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَتَشْرَبَنَّ مِنْهُ ، فَإِذَا عَسَلٌ مَجْدُوحٌ بِمِسْكِ وَكَافُورٍ . فَقَالَ : هَذَا طَيِّبٌ ، فَمَا هَذَا الْغِنَاءُ ؟
قَالَ : هَذَا شَعْرُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ . قَالَ : فَهَلْ تُغْنِي بِغَيْرِ هَذَا ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، بِالشَّعْرِ الَّذِي يَأْتِيكَ بِهِ الْأَعْرَابِيُّ الْجَائِي الْأَدْفَرُ ، الْقَبِيحُ الْمَنْظَرُ ، فَيُشَافَهُكَ بِهِ ، فَتُعْطِيهِ
عَلَيْهِ ؛ وَآخِذَهُ أَنَا ، فَأَخْتَارُ مُحَاسِنَهُ وَرَقِيقَ كَلَامِهِ ، فَأُعْطِيهِ هَذِهِ الْحَسَنَةَ الْوَجْهَ ، اللَّيْنَةَ
الْمَلْسَ ، الطَّيْبَةَ الرِّيحَ ، فَتَرْتَلُهُ بِهَذَا الصَّوْتِ الْحَسَنِ . قَالَ : فَمَا تَحْرِيكَكَ رَأْسَكَ ؟ قَالَ :
أَرِيحِيَّةً أَجْدُهَا إِذَا سَمِعْتَ الْغِنَاءَ ، لَوْ سَأَلْتُ عَنْهَا لَأُعْطِيَتْ ، وَلَوْ لَقِيتُ لَأُبَلِّتُ . فَقَالَ
مَعَاوِيَةُ : قَبِّحَ اللَّهُ قَوْمًا عَرَّضُونِي لَكَ . ثُمَّ خَرَجَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصَلَاةٍ .

1 بساهمة الأطال في ل : بسلهمة الأبطال .

2 الأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة .

3 كواء : جمع كوة وهي النافذة .

4 في الظلام في في ديوان حسان : «في المنام» وتشفي الضجيج «تسقي الضجيج» .

[عمر بن أبي ربيعة ونعم]

صوت من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا أَرَاكَ تُفِيقُ طَالَمَا قَدْ تَعَلَّقَتْكَ الْعُلُوقُ¹
 مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حَبِيبٍ قَرِيباً فَأَنَا النَّاظِحُ الْبَعِيدُ السَّحِيقُ
 قُضِيَ الْحُبُّ بَيْنَنَا فَالْتَقَيْنَا وَكَلَانَا إِلَى اللَّقَاءِ مَشُوقُ

الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ، ولكن هكذا غني ؛ وليس هو أيضاً مُشاكلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغناء لبابويه الكوفي ، خفيف ثقيل أول . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نعم ، كان كثير الذكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المزيان عن أبي عبد الله التميمي عن القحذمي والمداثني . قال : وهي التي يقول فيها :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

قال : وكانت تكنى أم بكر ، وهي من بني جُمَح . وتماثل هذه الأبيات على ما حكاها ابن المزيان عن ذكرته :

[من الخفيف]

فَالْتَقَيْنَا وَلَمْ نَخَفْ مَا لَقِينَا لَيْلَةَ الْخَيْفِ ، وَالْمَنَى قَدْ تَشُوقُ
 وَجَرَى بَيْنَنَا فَجْدَدٌ وَصَلَا قُلُوبٌ حَوْلَ أَرِيبٍ رَفِيقُ
 لَا تَظُنِّي أَنَّ التَّرَاسُلَ وَالْبَذْ لَ لِكُلِّ نِسَاءٍ عِنْدِي يَلِيقُ
 هَلْ لَكَ الْيَوْمَ إِنْ نَأَتْ أُمُّ بَكْرٍ وَتَوَلَّيْتُ إِلَى عَزَاءِ طَرِيقُ

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوار القاضي عن بشر بن المفضل قال : بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نَعْمًا اغتسلت في غدير ، فاتاه فأقام عليه ، وما زال يشرب منه حتى جف .

أخبرني محمد بن خلف قال : قال محمد بن حبيب الراوية : بلغني أن نَعْمًا استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خلوق من خلوق المسجد ، فمسحت به ثوبه ، ومضت

1 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 266 وقد تضمن البيت الثاني الذي نفى أبو الفرج نسبته إليه ، ومع بعض اختلاف في الرواية .

وهي تضحك ؛ فقال عمر¹ :

[من الخفيف]

أدخل الله ربُّ موسى وعيسى
مسحته من كفِّها في قميصي
غَضِيتُ أَنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ
وأرى بينها وبين نساء
جَنَّةِ الخُلْدِ مَنْ مَلَانِي خُلُوقاً
حين طافتُ بالبيتِ مَسْحاً رَفِيقاً
ليس يَعْرِفَنِي سَلَكَنَ طريقاً
كنتُ أَهْذِي بِهِنَّ بَوْناً سَحِيقاً
وهذا البيت الأولُ مما عَيبَ على عمر .

[من المديد]

ومما غُنِّي فيه من تشبيب عمر بنُعمٍ هذه² :

صوت

دينَ هذا القلبُ مِنْ نُعمٍ
إِنْ نُعماً أَقْصَدْتُ رجلاً
بَشِيتِ نَبْتَهُ رَتَلِي
وَبُوحْفٍ مَائِلِي رَجَلِي
بَسَقَامٍ لَيْسَ كَالسَّقَمِ
أَمَاناً بِالْخَيْفِ إِذْ تَرْمِي
طَيِّبِ الْأَنْيَابِ وَالطَّعْمِ
كَعَنَاقِيدِ مِنَ الْكَرَمِ

[من مجزوء الوافر]

ومنها³ :

صوت

خَلِيلِي أَرْبَعَا وَسَلَا
بَأَعْلَى الْوَادِ عِنْدَ الْبَيْدِ
وَقَدْ تَغْنَى بِهِ نُعمٌ
لِيَالِي لَا نُحِبُّ لَنَا
بِمَغْنَى الْحَيِّ قَدْ مَثَلَا
رِ هَيْجَ غَبْرَةٍ سَبَلَا
وَكُنْتُ بَوَصْلِهَا جَذَلَا
بَعِيشٍ قَدْ مَضَى بَدَلَا
وَتَهَوَانَا وَنَهَوَاهَا
وَنَعَصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلَا
وَتُرْسِيلُ فِي مُلَاطَفَةٍ
وَنُعْمِلُ نَحْوَهَا الرُّسُلَا

غَنَاهُ الْهَذَلِيُّ ، وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَابِنُ سُرَيْجَ لَحْنَانُ : رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلِي

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 270 .

2 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 386 ورواية البيت الأول :

قد أَصَابَ الْقَلْبُ مِنْ نُعمٍ سَقَمٌ دَاءٌ لَيْسَ كَالسَّقَمِ

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 337 .

بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقليل ، ولُسَلِيم خفيف رمل ، جميعاً عن الهشامي . قال : ويقال : إِنَّ اللَّهَ الْمُنْسُوبَ إِلَى سُلَيْمٍ لِحَكْمِ الْوَادِي .
ومنها من قصيدة أولها¹ :

[من الطويل]

لقد أرسلتُ نَعَمَ إلينا أنْ أثينا فاحِبٌ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبٍ
يُغْنِي عنها في قوله :

صوت

فقلتُ لِحَنَادٍ خُذِ السِّيفَ واشْتَمِلْ عليه بِرَفْقٍ وارْقُبِ الشَّمْسَ تَغْرُبْ
وأَسْرِجْ لِي الدِّهْمَاءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُغْلِمَنَّ حَيًّا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي
فلَمَّا التَقِينَا سَلَمْتُ وَتَبَسَّمْتُ وَقَالَتْ مَقَالَ الْمُعْرِضِ الْمُتَجَنِّبِ
أَمِنْ أَجَلٍ واشِ كاشِحٍ بَنَمِيمَةٍ مَشَى بَيْنَنَا صَدَقَّتَهُ لَمْ تُكَذِّبْ²
وَقَطَّعْتَ حَبْلَ الْوَصْلِ مِنَّا ، وَمَنْ يُطِيعْ بِذِي وَدَّهٍ قَوْلَ الْمُورِّثِ يُعْتَبِ³

صوت

[من مجزوء الكامل]

ما بِالْ أَهْلِكَ يَا رَبَّابُ خُزْرًا كَأَنَّهُمْ غِضَابُ
إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ أَوْعَدُوا وَتَهَرَّ دُونَهُمُ الْكَلَابُ

عروضه من الكامل ، الشعر لَعْلَسٍ ذِي جَدَنِ الْحِمَيْرِيِّ ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه . والغناء لَطُونِيس ؛ ولحنه المختار خفيف رمل بالبصرة .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 55-56 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مشى في ل : جرى .

3 أرش بين القوم : أفسد .

[48] - نسب عَلسٍ ذي جَدَنٍ وأخباره

[نسبه]

هو عَلسٌ بن زيد بن الحارث بن القَوْتُ بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أعز بن الهَم بن الهَمَيْسَع بن حِمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وهو مَلِكٌ من ملوك حِمير . وَلُقِبَ ذا جَدَنٍ لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ، ويقال : إِنَّهُ أَوَّل من تغنّى باليمن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا : إِنَّمَا سُمِّيَ ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

[قبره بصنعاء وآثاره]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سَعْد قال حَدَّثَنَا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشُّعار الهمداني عن حيَّان بن هانئ الأَرَحَبِيِّ عن أبيه قال : أَخْبَرَنِي رجلٌ من أهل صنعاء : أَنَّهُمْ حَفَرُوا حَفِيرًا فِي زمن مروان ، فوقفوا على أَزَجٍ لَهُ بابٌ ، فَإِذَا هُمْ بِرجلٍ على سريرٍ كَأَعْظَم ما يكون من الرجال ، عليه خاتَمٌ من ذهب وعِصَابَةٌ من ذهب ، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أَنَا عَلسٌ ذُو جَدَنٍ الْقَيْلُ ، لَخَلِيلِي مِنْهُ النَّيْلُ ، وَلَعَدُوِّي مِنْهُ الْوَيْلُ . طَلَبْتُ فَأَدْرَكْتُ وَأَنَا ابن مائة سنةٍ من عمري ، وَكَانَتِ الْوَحْشُ تَأْذُنُ¹ لَصَوْتِي . وَهَذَا سِيفِي ذُو الْكَفِّ عِنْدِي ، وَدِرْعِي ذَاتُ الْفُرُوجِ ، وَرُمُحِي الْهَزْبَرِيُّ ، وَقَوْسِي الْفَجْوَءُ² ، وَقَرْنِي³ ذَاتُ الشَّرِّ ، فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ حَشْرٍ ، مِنْ صِنْعَةِ ذِي نَمِرٍ⁴ ؛ أَعْدَدْتُ ذَلِكَ لِدَفْعِ الْمَوْتِ عَنِّي فَخَانَنِي » . قال : فَنَظَرْنَا فَإِذَا جَمِيعُ ذَلِكَ عِنْدَهُ . وَوَجَدْتُ هَذَا الْخَبِيرَ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ عَمَّارٍ ، فَوَجَدْتُ فِيهِ : فَإِذَا طَوَّلُ السِّيفِ اثْنَا عَشَرَ شَبْرًا ، وَعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ تَحْتَ شَارِبِهِ بِالْمُسْنَدِ : «بِأَسْتِ امْرِئٍ كُنْتُ فِي يَدِهِ فَلَمْ يَنْتَصِرْ» .

انقضت أخباره .

1 تَأْذُنُ لَصَوْتِي : تَسْتَمِع ، تَعْبِيرًا عَنْ جَمَالِ صَوْتِهِ .

2 الْقَوْسُ الْفَجْوَءُ : هِيَ الَّتِي يَبِينُ وَتَرَهَا عَنْ كِبْدِهَا .

3 الْقَرْنُ : الْجَعْبَةُ .

4 ل : ذُو نَمِرٍ ، وَهُوَ وَادٍ فِي دِيَارِ بَنِي كَلَابٍ .

[49] - أخبار طويس¹ ونسبه

[أول من صنع الهزج والرمل]

طُوَيْسٌ لَقَبٌ ، واسمه طاووس ، مولى بني مخزوم . وهو أول من غنى الغناء المتقن من المختثين . وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام . وكان يقال : أحسن الناس غناء في الثقل ابن مُحَرِّز ، وفي الرمل ابن سُرَيْج ، وفي الهزج طُوَيْس . وكان الناس يضربون به المثل ، فيقال : «أهزج من طُوَيْس» .

[غنى أبان بن عثمان فطرب وسأله عن عقيدته وسنه وشؤمه]

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الأزهر والحسين بن يحيى قالا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين ، قال إسحاق : وحدثني المدائني والهيثم بن عدي عن صالح بن كيسان : أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان ، فأمره على الحجاز ؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها ، وخرج إليه أشrafها ، فخرج معهم طُوَيْس ؛ فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إني كنت أعطيت الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبن يدي إلى المرفقين ، ثم أزدو² بالدَّف بين يديك ، ثم أبدى عن دُفّه وتغنى بشعر ذي جَدَن الحميري :

ما بال أهلِكَ يا ربابُ خُزراً كأنهم غضابُ

قال : فطرب أبان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُكَ يا طاوُس ، ولا يقول له : يا طُوَيْس لِنَبْلِهِ في عينه ، ثم قال له : اجلس فجلس . فقال له أبان : قد زعموا أنك كافر . فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأصلي الخمس ، وأصوم شهر رمضان ، وأحج البيت . فقال : أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان ؟ ، وكان عمرو أخا أبان وأمه ، فقال له طويس : أنا والله ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، مع جلائل نساء قومي ، أُمْسِكُ بذيوهن يوم رُقْتُ أُمُّك المباركة إلى أبيك الطيب . قال : فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض .

وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العتيبي

1 تقدم ذكر طويس وأخباره في المجلد الثالث صفحة 22 من الأغاني (ذكر طويس وأخباره) وقد أعاد أبو الفرج بعض أخباره التي تقدمت .

2 أزدو : أضرب .

عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس . وزاد فيها أن طويساً قال له : نَذِرِي أَيَّهَا الأمير ؛ قال : وما نَذْرُكَ ؟ قال : نذرتُ إن رأيتُكَ أميراً في هذه الدار أن أُغْنِي لكَ وأزِدُو بِدُفِّي بين يديكَ . فقال له : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول : ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ . قال : فأخرجَ يديه مخضوبتين ، وأخرجَ دُفَّهُ وتَغْنَى :

ما بالُ أهْلِكَ يا ربَّابُ

وزاد فيه : فقال له أبان : يقولون : إنَّكَ مشوومٌ ، قال : وفوق ذلك ؛ قال : وما بلغ من شوْمِكَ ؟ قال : وُلِدْتُ ليلةَ قُبُضِ النَّبِيِّ ﷺ ، وفُطِمْتُ ليلةَ مات أبو بكر رضي الله عنه ، واحتلمتُ ليلةَ قُتِلَ عُمَرُ رضوان الله عليه ، وزُفْتُ إلى أهلي ليلةَ قُتِلَ عثمان رضي الله عنه . قال : فأخرجَ عَنِّي عليك الدِّبَّارُ¹ .

[أهدر دمه أمير المدينة مع المختئين]

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مُصعب بن عثمان عن نوفل بن عمار قال : خرج يحيى² بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فَبَصُرَ بشخصٍ بالسَّبخَةِ ممَّا يلي مسجد الأحزاب ، فلَمَّا نظر إلى يحيى بن الحكم جَلَسَ ، فاستَرَّابَ به ، فوجَّهَ أعوانه في طلبه ؛ فَأَتِي به كَأَنَّهُ امرأةٌ في ثياب مُصَبَّغَةٍ مصقولة وهو مُتَشَيِّطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا ابن نُغَاشِ المَخْنَثِ . فقال له : ما أَحْسِبُكَ تَقْرَأُ من كتاب الله عزَّ وجلَّ شيئاً ، أَقْرَأُ أمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفتُ أمَّهُنَّ عرفتُ البناتِ . فقال له : أَتَنْهَزُ بالقرآن لا أمَّ لكَ ! وأمر به فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ . وصاح في المختئين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زَرْجُونُ المَخْنَثِ : فخرجتُ بعد ذلك أريدُ العاليةَ ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبني ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَمَاتِ قومٍ آتسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطويسٍ قائمٌ في يده الدُّفُّ يتَغْنَى ؛ فلَمَّا رَأَيْتُ قال لي : إِيه يا زَرْجُونُ ! قَتَلَ يحيى بنُ الحكمِ ابنُ نُغَاشِ ؟ قلتُ نعم . قال : وجَعَلَ في المختئين ثلاثمائة درهم ؟ قلتُ نعم . فاندفع يغني : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهْلِكَ يا ربَّابُ خُزْراً كأنَّهُمُ غِضابُ
إن زرتُ أهْلَكَ أوعدوا وتَهَرَّ دونَهُمُ كِلابُ

ثم قال لي : ويحك ! أفمَّا جعل في زيادة ولا فَضَّلَني عليهم في الجُعْلُ بفضلي شيئاً .

1 الدِّبَّار : الهلاك .

2 هذا الخبر ممَّا كَرَّرَهُ أبو الفرج .

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العتّابي قال حدثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزبان ، ولم أسمعْهُ أنا من محمد بن خلف ، قال حدثني إِسحاق بن محمد بن أَبان الكوفي قال حدثني حسين بن دَحمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة ، فخلّا لي الطريق وسطَ النهار ، فجعلتُ أَتَغْنِي : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أَهْلِكَ يا رَبابُ خُزْراً كأنَّهُمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ¹ قد فُتحت ، وإذا وَجْهٌ قد بدا تَتَبَعُهُ لَحِيَّةٌ حمراء ، فقال : يا فاسقُ أَسأتَ التَّأديَّةَ ، ومنعتَ القائِلَةَ ، وأذعتَ الفاحِشَةَ ؛ ثم اندفع يَغْنِيه ، فظننتُ أَنَّ طويساً قد نُشِرَ بعينه ؛ فقلتُ له : أَصلحكَ اللهُ ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثُ أَتَبَعَ المَغْنينَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، فقالت لي أُمِّي : يا بُنَيَّ إِنَّ المَغْنِي إذا كان قَبِيحَ الوجه لم يَلْتَفِتْ إلى غَنائِهِ ، فدَعِ الغناءَ واطلبِ الفقهَ ؛ فَإِنَّه لا يَضُرُّ مَعَهُ قُبْحُ الوجه . فتركت المَغْنينَ وَأَتَبَعْتُ الفُقهاءَ ، فبلغ اللهُ بي عِزَّ وَجَلٍّ ما تَرى . فقلتُ له : فَأَعِدْ جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : لا ولا كِرامَةً ! أتريدُ أن تقول : أَخَذْتُهُ عَن مالِكِ بنِ أَنَسٍ ؟ وإذا هو مالِكُ بنُ أَنَسٍ ولم أعلم .

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

لَمَنْ رَبَعَ بذاتِ الجَيِّ	شِ أُمْسَى دارِساً خَلَقَا
وَقَفْتُ بِهِ أَسْأَلُهُ	وَمَرَّتْ عَيْسُهُمْ حِرْفاً
عَلَوْا بِكَ ظَاهِرَ البَيْدَا	وَالْمَحْزُونُ قَدْ قَلَقَا

[حديث انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ذات الجيش : موضع . ذكر النبي ﷺ أَنَّ جَيْشاً يَغْزُو الكعبةَ ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ إِلَّا رَجُلًا واحدًا يُقَلِّبُ وَجْهَهُ إلى قَفَاهُ ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدثنا محمد بن بَكَّار قال حدثنا إِسْماعِيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقة قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْر بن مُطْعِم يقول حدثني عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «يَغْزُو جَيْشُ الكعبةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» . قالت عائشة : فقلتُ يا رسول الله ، كيف يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وفيهم سواهم وَمَنْ لَيْسَ

منهم ؟ قال : «يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُتَعَثَّنُ عَلَى قَدَرِ نِيَاتِهِمْ» ، الشعر للأحوص¹ ، والغناء في هذا اللحن المختار للدلال المخنث وهو أحد مَنْ خَصَّاهُ ابْنُ حَزْمٍ ، بِأَمْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، مَعَ الْمُخَنَّثِينَ . والخبر في ذلك يُذَكَّرُ بَعْدَ . وَلَحْنُهُ الْمُخْتَارُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّالِثِ . وَلَا سِحَاقَ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخِرٌ . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والحشامي وغيرهما . وفيه رمل يُنسب إلى ابن سريج ، وهو ممَّا يُشْتَكُّ فِي نَسْبَتِهِ إِلَيْهِ . وقيل : إِنَّ خَفِيفَ الرَّمْلِ لِابْنِ سَرِيجٍ ، وَالرَّمْلُ لِمَالِكٍ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ فِيهِ لِلدَّلَالِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبِنَصْرِ أَيْضاً .

1 شعر الأحوص : 162 عن الأغاني .

[50] - ذكر الأحوص وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو الأحوص ، وقيل : إن اسمه عبد الله ، وإنه لُقّب الأحوص لحوص² كان في عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، واسم أبي الأفلح قيس ، بن عُصَيْمَة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . وكان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية : بنو كِسْرِ الذهب . وقال الأحوص حين نُفي إلى اليمن³ :

بَدَلُ الدَّهْرِ مِنْ ضُبَيْعَةٍ عَكَا جِرَّةٌ وَهُوَ يُعَقَّبُ الْأَبْدَالَا

[سبب تسمية جدّه عاصم حمي الدبر]

وكان جدّه عاصم يُقال له حَمِيّ الدَّبَرِ ؛ وكان رسول الله ﷺ بعثه بَعَثًا ، فقتله المشركون ؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدَّبَرُ ، وهي النحل ، فلم يقدروا عليه ، حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله فذهب به . وفي ذلك يقول الأحوص مفتخرًا⁴ :

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبَرُ رُقَيْلُ اللُّحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

[قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم]

حدَّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة بن الفضل قال حدَّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا وَخَيْرًا ، فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ ، وَيُقَرِّئُونَا الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ⁵ ، فَبَعَثَ رَسُولُ

1 ترجمة الأحوص في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 424-426 والمؤلف : 48 والخزانة : 2 : 15-20 ، 52-55 والسمط : 73 وطبقات ابن سلام : 534 والموشح : 187 وانظر بروكلمان : 1 : 196 وقد نقل ابن حمدون من شعره وأخباره 27 فقرة في مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . إبراهيم السامرائي وأعاد جمعه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970) وعليه نعتد .

2 الحوص : ضيق في مؤخر العينين أو في إحداها .

3 شعر الأحوص : 177 .

4 شعر الأحوص : 157 .

5 ل : شعائر .

6 . كتاب الأغاني - ج 4

الله ﷺ معهم نفرًا ستّة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ،
 وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن
 عوف ، وخبيب بن عدي أخا بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخا
 بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظفر من بني ، وأمر رسول الله ﷺ عليهم
 مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتّى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهديل بناحية من الحجاز
 من صدر الهداة) غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يُرْعِ القوم وهم في رحالهم إلّا
 بالرّجال في أيديهم السيوف قد غشّوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : [إنا] والله ما
 نريد قتلكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألاّ نقتلكم .
 فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا : إنا والله لا
 نقبل من مشركٍ عهدًا ولا عقدًا أبدًا ! فقاتلوهم حتّى قتلوهم جميعًا . وأما زيد بن الدثنة ،
 وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق فلانُوا ورَقُوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ؛
 فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ؛ حتّى إذا كانوا بالظّهْران انتزع عبد الله بن
 طارق يده من القِران ، ثم أخذ سيفه واستأخّر عن القوم ، فرمّوه بالحجارة حتّى قتلوه ، فقبره
 بالظّهْران . وأما خبيب بن عديّ وزيد بن الدثنة ، فقدِموا بهما مكة فباعوهما . فابتاع خبيبًا
 حُجَيْر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان حُجَيْر
 أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأُمّه ، ليقّته بأبيه . وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية
 ليقّته بأمية بن خلف أبيه . وقد كانت هذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من
 سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين قُتل عاصم ابنها يوم أُحُدٍ لئن قَدَرْتُ على
 رأس عاصم لِتَشْرِبَنَّ في قِحفه الخمر ، فمَنَعته الدّبَر . فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتّى
 يُمسي ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به . وكان
 عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهدًا لا يَمَسُّه مشركٌ أبدًا ولا يَمَسُّ مشركًا أبدًا تَنَجُّسًا منه . فكان
 عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنّ الدّبَر منَعته : «عجبًا لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ
 المؤمن ! كان عاصم نذرًا ألاّ يَمَسُّه مشركٌ ولا يَمَسُّ مشركًا أبدًا في حياته ، فَمَنَعَه الله بعد مماته كما
 امتنع منه في حياته !» .

[رواية أخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير : وأما غير ابن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه
 غيره : من ذلك ما حدّثنا أبو كرّيب قال حدّثنا جعفر بن عَوْن العمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن
 إسماعيل عن عُمَرَ أو عمرو بن أسيدٍ عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهطٍ ،

وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فخرجوا ، حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً ، فوجدوا مأكَلهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نَوَى يَثْرِب ! ثم اتَّبَعُوا آثارهم ؛ حتى إذا أَحَسَّ بهم عاصم وأصحابه التجَّؤوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزَلوهم ، وأعطوهم العهد . فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهم أَخْبِرْ نَبِيَّكَ عَنَّا . ونَزَلَ إليهم ابن الدُّنَّة البياضي ، وخُيِّبٌ ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسيِّهم ، ثم أوثَقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوَّلُ الغدر ، والله لا اتَّبَعُكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخُيِّبٍ وابن الدُّنَّة إلى مكَّة ، فدفعوا خُيِّباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأُحُدٍ . فبينما خُيِّبٌ عند بنات الحارث ، استعار من إحدى بنات الحارث موسى لِيَسْتَحِدَّ بها للقتل ، فما راع المرأة ولها صبيٌّ يدرُجُ إلَّا خُيِّبٌ قد أَجْلَسَ الصبيَّ على فخذه والموسى بيده ، فصاحت المرأة ؛ فقال خبيب : أَتَحْسِبِينَ أَنِّي أَقْتُلُهُ ! إِنَّ الغَدْرَ ليس من شَأْننا . قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته وما بمكَّة من ثمرَةٍ وإنَّ في يده لِقِطْفاً من عَنَبٍ يأكله ، إنَّ كان إلَّا رزقاً رزقه الله خبيباً . وبعثَ حيٍّ من قيس إلى عاصم لِيُؤْتُوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثارٌ¹ بأُحُدٍ ، فبعثَ الله عليه دَبْرًا فحَمَتْ لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً . فلما خرجوا بخُيِّبٍ من الحَرَمِ لِيقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصِلْ رَكَعَتَيْنِ ، فتركوه فضلَّي رَكَعَتَيْنِ ، فجرتُ سُنَّةٌ لَمَن قُتِلَ صَبْرًا أن يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، ثم قال : لولا أن يقال جَرَعَ لِرِذْتُ ، وما أبالي² :

على أيِّ شِقٍّ كان الله مَصْرَعِي

ثم قال :

[من الطويل]

وذلك في ذاتِ الإله وإنَّ يَشَأُ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ
اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْداً³ ، وَخُذْهُمْ بِدَدًا . ثم خرج به أبو سُرُوعَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله .

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ قال حدَّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال

1 ل : أوتار وهي جمع وتر ، وآثار : جمع ثار .

2 من قصيدة نسبها ابن هشام إلى خبيب مطلعها :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

3 أحصهم عدداً : أهلكهم فلا يبقى من عددهم أحد .

وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى خشبة خبيّب وأنا أتخوف العيون ، فرقيتُ فيها ، فحللتُ خبيباً فوق إلى الأرض ، فانتبذتُ¹ غير بعيدٍ ، ثم التفتُ فلم أرَ لخبيّب أثراً ، فكأنّما الأرض ابتلعتّه ، فلم تظهرْ لخبيّب رمةً حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيد بن الدثنة ، فإنّ صفوان بن أمية بعث به ، فيما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، فأخرجه من الحرم ليقته ؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتُحبُّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه وأنك في أهلِكَ ؟ فقال : والله ما أحبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نسطاس .

[نزول عبد الله وأبي أحمد ابني جحش على عاصم بن ثابت]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المسيبيّ قال حدّثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش ، حين قدما مهاجرين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان .

[شعر لعاصم بن ثابت وكنيته]

وقال عاصم :

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ ومُجنأ من جلدٍ ثورٍ أجردٍ²
وذكر لنا الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير أنّ عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكنى أبا سفيان .
قال : وقال في يوم الرّجيع :

[من الرجز]

أنا أبو سفيانٍ مثلي راما أضربُ كبشَ العارضِ القدّاما³

[كنية الأحوص واسم أمّه وبعض صفاته]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمّه قال : كنية الأحوص أبو محمد . وأمّه أثيلة بنت عمير بن مخشي ؛ وكان أحوص العينين .

1 ل : فاستدرت .

2 المقعد : فرخ النسر وقيل اسم رجل كان يريش السهام . المجنأ : الترس ليس فيه حديد .

3 كبش : رئيس . والعارض : الجيش . والقدّام : الذي يتقدّم في الشرف .

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزبير فحدثني محمد بن يحيى قال : قَدِمَ الفرزدق المدينة ، ثم خرج منها ، فسئِلَ عن شعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرين وعَجِبْتُ لهما : أحدهما أُخْضِرَ يسكن خارجاً من بَطْحَانَ¹ (يريد ابن هرمة) ؛ والآخر أحمَرُ كأنه وَحَرَّةٌ على بُرودَةٍ في شعره (يريد الأحوص) .
والوَحَرَّةُ : يَغْسُوبُ أحمَرُ ينزل الأنبار² .
[مجاوِزه لابنه]

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه³ :

أَقْبَحُ بِهِ مَنْ وَلَدٍ وَأَشْقَحُ مِثْلَ جُرَيِّ الْكَلْبِ لَمْ يُفْقَحْ
إِنْ يَرِ سُوْءًا لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحْ بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتَحِ⁴
قال الزبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِهِ غيرُ رجلين .

[طبقته في الشعر عند ابن سلام]

قال الزبير : وجعل محمد بن سلام الأحوص ، وابن قيس الرقيّات ، ونُصَيِّباً ، وجميل بن معمر طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام⁵ ، وجعله بعد ابن قيس ، وبعد نُصَيِّب . قال أبو الفرج : والأحوص ، لولا ما وضع به نفسه من ذنئ الأخلاق والأفعال ، أَشَدُّ تَقَدُّمًا منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة ؛ وهو أَسْمَحُ طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وَأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشعره رونقٌ ودياجةٌ صافية وحلاوةٌ وعذوبةٌ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليلَ المروءة والدين ، هجاءً للناس ، مأبوناً فيما يُروى عنه .

[جلده سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه : أنّ السبب في جَلْدِ سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إِيَّاهُ ونَفِيهِ له ، أنّ شهوداً شهدوا عليه عنده أنّه قال : إذا أخذتُ جريري⁶ لم أبالِ أيّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً . قالوا : وانضاف إلى ذلك أنّ سَكِينَةَ بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرَتْ يوماً برسول الله ﷺ ففأخراها بقصيدته التي يقول فيها :

[من الخفيف]

1 بطحان : واد بالمدينة .

2 ل : يلزم البقار .

3 البيتان في مجموع شعره : 90 وفي الحيوان للجاحظ 1 : 254-255 أنّهما لأبي الأحوص يهجو فيهما ابنه .

4 هذه رواية الجاحظ ، والشطر الثاني في الديوان «بالباب عند خلقه المستقبح» .

5 شعراء الطبقة السادسة عند ابن سلام هم : عبيد الله بن قيس الرقيّات والأحوص وجميل ونصيب .

6 الجرير : الزمام .

ليس جهلٌ أَتَيْتِهِ يَبْدِيعُ

فزاده ذلك حَنَقًا عليه وغيظًا حتَّى نفاه .

[فخرت سَكِينَةَ بالنبيِّ ففاخرها بجده ونحاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة : أنَّ الأَحوص كان يومًا عند سَكِينَةَ ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَلَمَّا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَخَرَّتْ سَكِينَةُ بِمَا سَمِعَتْ ؛ فَقَالَ الْأَحوصُ¹ :

[من الخفيف]

فخرتُ وانتمتُ فقلتُ ذَرِينِي ليس جهلٌ أَتَيْتِهِ يَبْدِيعُ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبُّ رُ قَتِيلِ اللَّحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ
غَسَلْتُ خَالِيَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبُ رَأْرَأُ مَيْتًا طَوْبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ

قال أبو زيد : وقد لَعَمْرِي فَخَرُ بِفَخْرٍ لَوْ عَلَى غَيْرِ سَكِينَةَ فَخَرُ بِهِ ؛ وَبَأْيِ سَكِينَةَ ﷺ حَمَتُ أَبَاهُ الدَّبْرُ وَغَسَلْتُ خَالَهَ الْمَلَائِكَةُ .

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا جَاءَ ابْنُ حَزْمٍ عَمَلَهُ مِنْ قَيْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْحَجِّ ، جَاءَهُ ابْنُ أَبِي جَهْمٍ بْنُ حَذِيفَةَ وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسُرَاقَةُ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ : إِيهَ يَا ابْنَ حَزْمٍ ! مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفُسٍ مِنْ رَغْمِ أَنْفِهِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي جَهْمٍ : يَا ابْنَ حَزْمٍ ، فَإِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْغَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْفَهُ . قَالَ فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ : صَادِقٌ ، وَاللَّهِ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ . فَقَالَ الْأَحوصُ² :

[من الطويل]

سُلَيْمَانُ إِذْ وَلَّاكَ رَيْكَ حُكْمَنَا وَسُلْطَانَنَا فَاحْكُمْ إِذَا قَلْتَ وَاعْدِلِ
يَوْمُ حَجِيجِ الْمُسْلِمِينَ ابْنُ فَرْتَنَى فَهَبْ ذَاكَ حَجًّا لَيْسَ بِالْمُتَقَبَّلِ

فقال ابن أبي عتيق للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذ لم أُحَجَّ ذلك العامَ بنعمة ربي وشكره . قال : الحمد لله الذي صَرَفَ ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصَّدِّيقِ ، فلم يُضِلِّلْ دِينَكَ ، ولم تُعَنَّ نَفْسَكَ ، وَتَرَ مَا يَغِيظُكَ وَيَغِيظُ الْمُسْلِمِينَ مَعَكَ .

[تعرَّضَ لِحَبَايَةِ الْوَلِيدِ فَأَمَرَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ بِجَلْدِهِ]

أخبرني الحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ

1 شعر الأحوص : 157 .

2 شعر الأحوص : 178 .

عبد العزيز قال : وَفَدَ الْأَحْوصُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَامْتَدَحَهُ ، فَأَنْزَلَهُ مَنْزَلاً ، وَأَمَرَ بِمُطَبَّخِهِ أَنْ يُمَالَ عَلَيْهِ ؛ وَنَزَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ شُعَيْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي ، فَكَانَ الْأَحْوصُ يُرَاوِدُ وَصَفَاءَ لِلْوَلِيدِ خَبَّازِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُرِيدُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ . وَكَانَ شُعَيْبٌ قَدْ غَضِبَ عَلَى مَوْلَى لَهُ وَنَحَاهُ . فَلَمَّا خَافَ الْأَحْوصُ أَنْ يَفْتَضَحَ بِمُرَاوَدَتِهِ الْغُلَامَانِ ، ائْتَسَّ لِمَوْلَى شُعَيْبٍ ذَلِكَ فَقَالَ : ادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَادْكُرْ لَهُ أَنَّ شُعَيْباً أَزَادَكَ عَنْ نَفْسِكَ ، فَفَعَلَ الْمَوْلَى ذَلِكَ . فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى شُعَيْبٍ فَقَالَ : مَا يَقُولُ هَذَا ؟ فَقَالَ : لِكَلَامِهِ غَوْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاشْدُدْ بِهِ يَدَكَ يَصْدُقْكَ . فَشَدَّدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَمَرَنِي بِذَلِكَ الْأَحْوصُ . فَقَالَ قَيْمُ الْخَبَّازِينَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنَّ الْأَحْوصَ يُرَاوِدُ الْخَبَّازِينَ¹ عَنْ أَنْفُسِهِمْ . فَأَرْسَلَ بِهِ الْوَلِيدُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ مِائَةً ، وَيَصُبَّ عَلَى رَأْسِهِ زَيْتاً ، وَيُقِيمَهُ عَلَى الْبُلْسِ² ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ . فَقَالَ وَهُوَ عَلَى الْبُلْسِ أَيْبَاتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا : [من الكامل]

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْهُ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَتَرَفَّعُ شَانِي

[شعره الذي أنشده حين شعر به]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَمْرِو قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرَانَ بْنُ أَبِي فَرْوَةَ قَالَ : رَأَيْتُ الْأَحْوصَ حِينَ وَقَفَهُ ابْنُ حَزْمٍ عَلَى الْبُلْسِ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ وَإِنَّهُ لَيَصِيحُ وَيَقُولُ³ :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْهُ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تُعْظِمُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ تُخْشَى بِوَادِرِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ⁴
إِنِّي إِذَا خَفِيَ اللَّئَامُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

[شعره في هجو ابن حزم]

قال : وَهَجَا الْأَحْوصُ ابْنَ حَزْمٍ بِشَعْرِ كَثِيرٍ ، مِنْهُ⁵ :

أَقُولُ وَأَبْصُرْتُ ابْنَ حَزْمٍ بِنِ فَرْتَنِي وَقُوفاً لَهُ بِالْمَأْزَمِينَ الْقِبَائِلُ

1 ل : غللمانك .

2 البلس : غرائر كبار تُخشى بالتين ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به .

3 شعره : 203 . وقد وردت الأبيات في مصادر عديدة بروايات مختلفة . انظر مثل الحماسية رقم 54 في شرح

المرزوقي .

4 متخمط : متكبر .

5 شعر الأحوص : 165 .

تُرى فَرْتَنِي كَانَتْ بِمَا بَلَغَ ابْنُهَا مُصَدِّقَةً لَوْ قَالَ ذَلِكَ قَائِلٌ
 أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ أَبِي عبيدة قَالَ : كُلُّ أُمَةٍ يُقَالُ لَهَا فَرْتَنِي . وَأَخْبَرَنَا أَبُو
 حَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : فَرْتَنِي : الْأُمَةُ بِنْتُ الْأُمَةِ ، قَالَ الزُّبَيْرُ : فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ حِينَ سَمِعَ
 قَوْلَ الْأَحْوَصِ فِيهِ «ابْنُ فَرْتَنِي» لِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ لَهُ عِلْمٌ : أَنَحْنُ مِنْ وَلَدِ فَرْتَنِي ؟ أَوْ تَعْرِفُهَا ؟ فَقَالَ :
 لَا وَاللَّهِ ؛ قَالَ : وَلَا أَنَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ ذَلِكَ ! وَلَقَدْ عَصَيْتَنِي بِهِ ، وَلَوْ كَانَتْ وَلَدَتْنِي لَمْ أَجْهَلْ ذَلِكَ .
 قَالَ الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي عَمِّي مُصَنَّبٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ قَالَ : فَرْتَنِي : أُمُّ لَهْمٍ فِي
 الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ بَلَقَيْنَ ، كَانُوا يُسَبُّونَ بِهَا ، لَا أُدْرِي مَا أَمْرُهَا ، قَدْ طَرَحَوهَا مِنْ كِتَابِ النِّسَبِ ، وَهِيَ
 أُمُّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سِنَانِ بْنِ وَهَبِ بْنِ لَوْذَانَ السَّاعِدِيَّةِ أُمُّ بَنِي حَزْمٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ
 الْمَاجِشُونَ : أَنَّ الْأَحْوَصَ قَالَ لِابْنِ حَزْمٍ¹ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى ابْنُ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي
 وَقَدْ قَلْتُ مَهْلًا آلَ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ . وَقَالَ أَيْضًا³ :

أَهْوَى أُمِيَّةَ إِنْ شَطَطَتْ وَإِنْ قَرُبَتْ
 وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهَا الْفَيْضَ مَا حَفَلْتُ
 لَا تَأْوِينَ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ
 النَّاحِسِينَ بِمَرَوَانٍ بِذِي خُشْبٍ

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِ الْأَنْصَارِ : أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ لَمَّا
 جَلَدَ الْأَحْوَصَ وَوَقَفَهُ عَلَى الْبُلْسِ يَضْرِبُهُ ، جَاءَهُ بَنُو زُرَيْقٍ فَدَفَعُوا عَنْهُ ، وَاحْتَمَلُوهُ مِنْ أَعْلَى
 الْبُلْسِ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : أَنْشَدَنِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمَاجِشُونَ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي
 سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ⁴ :

إِنَّمَا تُصَيِّبُنِي الْمَنَايَا وَهِيَ لَاحِقَةٌ وَكُلُّ جَنْبٍ لَهُ قَدْ حُمَّ مُضْطَجِعٌ

1 شعر الأحوص : 172 .

2 السمسم المثل : السم المقوى بالسلع أو الذي طال نفعه .

3 شعر الأحوص : 131-132 .

4 شعر الأحوص : 143 عن الأغاني .

فقد جَزَيْتُ بني حَزْمٍ بظْلَمِهِمْ وقد جَزَيْتُ زُرَيْقًا بالذي صنعوا
 قَوْمٌ أُمِّي طَبَعَ الأخلاقِ أُولَهُمْ فهُمْ عَلَى ذاكِ مِنْ أخلاقِهِمْ طَبِعُوا¹
 وَإِنْ أَناسُ وَنَوَا عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وضاقَ بِأَعْمَهُمْ عَنْ وَسْعِهِمْ وَسِعُوا
 إِنِّي رَأَيْتُ غَدَاةَ السُّوقِ مَحْضَرَهُمْ إِذْ نَحْنُ نَنْظُرُ مَا يُتْلَى وَنَسْتَمِعُ

[نفاه ابن حزم إلى ذهلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني غير واحد من أهل العلم : أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث ، وطاف به وغرّبه إلى ذهلك في حميل غريانا . فقال الأحوص وهو يطاف به :

ما مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَ أَبْلَى بِهَا

الآيات . وزاد فيها : [من الكامل]

إِنِّي عَلَى مَا قَدْ تَرَوْنِ مُحَسَّدٌ أَنَّمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ
 أَصْبَحْتُ لِلْأَنْصَارِ فِيمَا نَابَهُمْ خَلَفًا وَلِلشُّعْرَاءِ مِنْ حَسَانِ

قال الزبير : ومما ضُرب فيه أيضاً قوله² :

شَرُّ الْجَزَامِيِّينَ ذُو السِّنِّ مِنْهُمْ وَخَيْرُ الْجَزَامِيِّينَ يَغْدِلُهُ الْكَلْبُ
 فَإِنْ جِئْتَ شَيْخًا مِنْ حِزَامٍ وَجَدْتَهُ مِنَ التَّوَكُّ والتَّقْصِيرِ لَيْسَ لَهُ قَلْبُ
 فَلَوْ سَبَّنِي عَوْنٌ إِذَا لَسَبَّتْهُ بِشِعْرِي أَوْ بَعْضِ الْأَوَّلَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

عون ، يعني عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعني كعب بن لؤي :

أَوْلَيْكَ أَكْفَاءَ لِبَيْتِي بُيُوتُهُمْ وَلَا تَسْتَوِي الْأَعْلَاثُ وَالْأَقْدَحُ الْقَضْبُ

[أعانه فتى من بني جحجبي فدعا عليه]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابت الأنصاري عن محمد بن فضالة قال : كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فملاهم شرًا ، فلم يبق له فيهم صديق ، إلا فتى من بني جحجبي . فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك ، نهض الفتى في جهازه وقام بحوائجه وشيئعه ؛ فلما كان بسقاية سليمان وركب الأحوص

1 طبع : الدنس والعب ، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع .

2 شعر الأحوص : 73 .

مَحْمِلَهُ ، أَقْبَلَ عَلَى الْفَتَى فَقَالَ : لَا أُخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ ؛ فَقَالَ : مَهْ ! غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ! قَالَ الْأَحْوَصُ : لَا وَاللَّهِ أَوْ أُعْلِقَهَا حَرْباً ! يَعْنِي قُبَاءَ وَبَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ .
[هجا معن بن حميد الأنصاري فغفا عنه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ : أَقْبَلَ الْأَحْوَصُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَعْنِ بْنِ حَمِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ، أَحَدِ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفِ بْنِ جَحْجَجِي ، فَقَالَ¹ :

رَأَيْتُكَ مَزْهُوًّا كَأَنَّ أَبَاكُمْ صُهِيبَةَ أَمْسَى خَيْرَ عَوْفٍ مُرْكَبًا
تَقْرُ بِكُمْ كُوْثَى إِذَا مَا نُسِبْتُمْ وَتُنْكِرُكُمْ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ بْنِ جَحْجَجِي²
عَلَيْكَ بِأَدْنَى الْخَطْبِ إِنَّ أَنْتَ نِلْتَهُ وَأَقْصِرْ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ التَّيْهُ مَذْهَبًا³

فَقَامَ إِلَيْهِ بَنُوهُ وَمَوَالِيهِ ؛ فَقَالَ : دَعُوا الْكَلْبَ ، خَلُّوا عَنْهُ ، لَا يَمَسُّهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ؛ فَانْصَرَفَ . حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ بَقِيَاءَ⁴ لَقِيَهُ ابْنُ أَبِي جَرِيرٍ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ ، وَكَانَ شَدِيدًا ضَابِطًا ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْوَصُ :

إِنَّ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لِحَاجَةً إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ⁵

فَأَلْقَى ثِيَابَهُ وَأَخَذَ بِخَلْقِ الْأَحْوَصِ ، وَمَعَ الْأَحْوَصُ رَاوِيَتَهُ ، وَجَاءَ النَّاسَ لِيَخْلُصُوهُ ، فَحَلَفَ لَنْ يَخْلُصَهُ أَحَدٌ مِنْ يَدَيْهِ لِيَأْخُذَنَّهُ وَلِيَدَعَنَّ الْأَحْوَصَ ؛ فَخَنَقَهُ حَتَّى اسْتَرْخَى ، وَتَرَكَهُ حَتَّى أَفَاقَ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ ، لَنْ سَمِعَ أَوْ سَمِعْتُ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لِأَضْرِبَنَّ ضَرْبَةً بِسِيفِي أُرِيدُ بِهَا نَفْسَكَ وَلَوْ كُنْتُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ . فَأَقْبَلَ الْأَحْوَصُ عَلَى رَاوِيَتِهِ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا مَجْنُونٌ ، وَلَمْ يَسْمَعْ هَذَا الْبَيْتَ غَيْرُكَ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْكَ خَلْقٌ .

[لَقِيَ عَبَادُ بْنُ حَمْزَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَصْعَبٍ فَهَذَا هَذَا إِنْ هَجَاهُمَا]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ وَالطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا : أَنَّ الْأَحْوَصَ مَرَّ بِعَبَادِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِخَيْمَتَيْ⁶ أُمِّ

1 شعر الأحوص : 81 .

2 كُوْثَى : محلة بمكة لبني عبد الدار .

3 التيه في ل : اللؤم .

4 ل : المزيقيا .

5 لحاجة في ل : لفاقة . هذا البيت في القسم المنسوب إلى الأحوص : 219 ، وهو في الخزائن 1 : 165 لأيي نخيلة .

6 خيمة أم معبد (ويقال بئر أم معبد) : موضع بين مكة والمدينة نزل الرسول ﷺ وأبو بكر أثناء هجرتهم .

معبد ، وهما يريدان الحجَّ مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك ، وهو على نجيب له فاريه ورخل فآخر وبزة مرتفعة ، فحدثهما أنه قديم على يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأخدمه ؛ فلم يرهما يهشآن لذلك . فجعل يقول : خيمتي أم معبد ، عباد ومحمد ، كأنه يروض القوافي للشعر يريد قوله . فقال له محمد بن مصعب : إني أراك في تهية شعر وقواف وأراك تريد أن تهجونا ؛ وكل مملوك لي حرٌّ لكن هجوتنا بشيء إن لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك . فقال الأحوص : جعلني الله فداك ! إني أخاف أن تسمع هذا في عدواً فيقول شعراً يهجوكم به فينحلني ، وأنا أبرئكما الساعة ، كل مملوك لي حرٌّ إن هجوتكما بيت شعر أبداً .

[رفض محمد بن عباد صحبته في طريقه إلى مكة]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير بن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة ، فإننا ليقرب قديد إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جملي برحل ؛ فقال : الحمد لله الذي وفقكم لي ، ما أحب أنكم غيركم ، وما زلت أحرّك في آثاركم مذ رُفِعتم لي ؛ فقد ازددت بكم غبطة . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحب جد يكره الباطل وأهله ، فقال : لكننا والله ما اغتبطنا بك ولا نجب مسائرتك ، فتقدّم عنا أو تأخر . فقال : والله ما رأيت كالיום جواباً ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحب جد يكره الباطل وأهله ، فأشفقنا مما صنع ، ومعه عدة من آل الزبير ، فلم يقدر أحد منهم أن يرّد عليه . قال : وتقدّم الأحوص ، ولم يكن لي شأن غير أن أعتذر إليه . فلما هبطنا من المشلل¹ على خيمتي أم معبد سمعت الأحوص يهّمهم بشيء ، فتفهّمته فإذا هو يقول : خيمتي أم معبد ، محمد ، كأنه يهّيء القوافي ، فأمسكت راحلتي حتى جاءني محمد ، فقلت : إني سمعت هذا يهّيء لك القوافي ، فإما أذنت لنا أن نعتذر إليه ونرضيه ، وإما خلّيت بيننا وبينه فنضربه ؛ فإننا لا نصادفه في أخلّ من هذا المكان . قال : كلا ! إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألا يهجو زبيراً أبداً ، فإن فعل رجوت أن يُخزّيه الله ، دعه .

[هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيراً]

قال الزبير : وأمّا خبره مع سعد بن مصعب ، فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان ، شك : أيهما حدثه ، قال : كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير ، تحت سعد بن مصعب بن الزبير ، وكان فيهم مأتّم ، فاتهمته بامرأة ، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يمازحه² :

1 جبل يهبط منه إلى قديد .

2 شعر الأحوص : 84-85 عن الأغاني .

وليس بسعدِ النَّارِ مَنْ تَزْعُمُونَهُ ولكنَّ سَعْدَ النَّارِ سَعْدُ بْنُ مُصْعَبٍ
ألم تَرَ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْلَةٌ نَوَحِيهِمْ بَغْوُهُ فَأَلْفَوُهُ عَلَى شَرِّ مَرَكَبٍ
فَمَا يَبْتَغِي بِالْغَيِّ لَا دَرَّ دَرُهُ وفي بَيْتِهِ مِثْلُ الْغَزَالِ الْمُرْتَبِ

قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حُصْنَة ، وهو الذي جَدَّدَ لزياد بن عبيد الله الحارثيَّ الكتابَ الذي في جدار المسجد ، وهو آياتُ من القرآن أحسِبُ أَنَّ منها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ . فلَمَّا فرغ منه قال لزياد : أعطني أجري . فقال له زياد : انتظر ، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت ، فخذُ أجرك .

قال : فعَمِلَ سعد بن مصعبٍ سُفْرَةً ، وقال للأحوص : اذهب بنا إلى سَدِّ عبيد الله بن عمر نَتَغَدَّ عليه ، ونشرب من مائه ، ونسْتَنْقِع فيه ؛ فذهب معه . فلَمَّا صارا إلى الماء ، أمر غلمانهُ أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جَزَعْتُ من هجائك إِيَّاي ، ولكن ما ذَكَرْتُ زوجتي ؟ فقال له : يا سعدُ ، إِنَّكَ لَتَعْلَم أَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَنِي لم أَكْفُفْ عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك : أَلْحِيفُ لك بما يُرْضِيكَ أَلَّا أَهْجُوكَ ولا أَحْدَأُ من آل الزُّبَيْر أبداً ؛ فَأَلْحَفَهُ وتركه .

[مجا مجمع بن يزيد فسبه]

أخبرني الحَرْمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي مصعبٌ عَمِّي عن مصعب بن عثمان قال : قال الأحوص لمُجْمَع بن يزيد بن جارية¹ :

وَجُمِعَتْ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّى خَبِيثَةٍ فَسُمِّيتَ لَمَّا جِئْتَ مِنْهَا مُجْمَعًا
فقال له مجمَع : إِنِّي لا أَحْسِنُ الشَّعْرَ ، ثم أخذ كُرْنَفَةً² فغَمَسَهَا في ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنع خالاتُكَ السَّوَاهِرُ .
[طلب من أم ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرض بها في شعره]

أخبرني الحَرْمِيُّ قال وَحَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال : كانت امرأة يقال لها أمُّ لَيْث امرأةٌ صِدِّق ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خَوْخَة ، وكانت الأنصارية من أجمل أنصارية خُلِقَتْ . فكَلَّمَ الأحوص أمَّ لَيْث أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها ، فأبت ؛ فقال : أَمَا لِأَكَاغِنِكَ ، ثم قال³ :

1 شعر الأحوص : 151 .

2 الكرنافة : ما يتبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف .

3 شعر الأحوص : 82 .

هيهات منك بنو عمرو ومساكنهم إذا تَشَتَّتْ قَنَسْرِينَ أو حَلَبَا
قامتُ تراءى وقد جَدَّ الرحيلُ بنا بين السَّقِيفَةِ والبابِ الذي نُقِيا
إِنِّي لَمَانِحُهَا وَدِّي وَمُنْخِذٌ بِأَمِّ لَيْثٍ إِلَى مَعْرُوفِهَا سَبِيَا

فلَمَّا بَلَغْتَ الْآيَاتُ زَوْجَ الْمَرْأَةِ ، سَدَّ الْخُوخَةَ ؛ فَاَعْتَذَرْتَ إِلَيْهِ أُمُّ لَيْثَ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ
وَيُصَدِّقَهَا . فَكَانَتْ أُمُّ لَيْثَ تَدْعُو عَلَى الْأَحْوَصِ .

[وعده مخزومي أن يعينه عند الوليد ثم أخلف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عُمر بن شُبَّة قال حدثني أبي قال : رَكِبَ الْأَحْوَصُ
إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَبْلَ ضَرْبِ ابْنِ حَزْمٍ إِيَّاهُ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يَقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ
عُتْبَةَ ، فَوَعَدَهُ أَنْ يُعِينَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ قَالَ وَيْحَكَ ؛ مَا هَذَا الَّذِي رُمِيتَ بِهِ يَا أَحْوَصُ ؟
قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ كَانَ الَّذِي رَمَانِي بِهِ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ لَاجْتَنَبْتُهُ ، فَكَيْفَ وَهُوَ
مِنْ أَكْبَرِ مَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عُتْبَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ مِنْ فَضْلِ ابْنِ حَزْمٍ وَعَذْلِهِ كَذَا وَكَذَا
وَأَثْنِي عَلَيْهِ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ : هَذَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكُنْتُ كَذُئِبِ السَّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

[شكاه أهل المدينة فنفي إلى دَهْلَكِ ثُمَّ اسْتَغْطَفَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَعْطَفَ عَلَيْهِ]

فَأَمَّا خَبْرُهُ فِي بَقِيَّةِ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَخْبَرَنِي بِهِ أَبُو
خَلِيفَةَ الْفَضْلِ بْنُ الْحُبَابِ [الْجَمَحِيُّ] قَالَ حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي
عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ : كَانَ الْأَحْوَصُ يَنْسُبُ بِنِسَاءِ
ذَوَاتِ أَخْطَارٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَبِتَغْنَى فِي شَعْرِهِ مَعْبِدٌ وَمَالِكٌ . وَيَشِيعُ ذَلِكَ فِي النَّاسِ ،
فَنُهِىَ فَلَمْ يَنْتَهُ ؛ فَشُكِيَ إِلَى عَامِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَسَأَلُوهُ الْكِتَابَ فِيهِ
إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَكُتِبَ سُلَيْمَانُ إِلَى عَامِلِهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَضْرِبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ وَيُقِيمَهُ عَلَى الْبُلْسِ
لِلنَّاسِ . ثُمَّ يُصَيِّرُهُ إِلَى دَهْلَكِ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ؛ فَتَوَى هُنَاكَ سُلْطَانُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
ثُمَّ وَلِيَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ وَيَمْدَحُهُ ؛ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لَهُ .
وَكُتِبَ فِيمَا كُتِبَ إِلَيْهِ بِهِ¹ :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَغْنِ هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي

وَقُلْ لِأَبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفَاعاً قَلِيلَ الْغَوَائِلِ
وَكَيْفَ تَرَى لِلْعَيْشِ طَيْباً وَلَذَّةً وَخَالِكُ أَمْسَى مُوْتَقِئاً فِي الْحَبَائِلِ !

هذه الأبيات من رواية الزبير وحده ، ولم يذكرها ابن سلام ، قال : فأتى رجال من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز ، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقَدِّمَهُ ، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبَهُ وموضعَه وقديمَهُ ، وقد أُخْرِجَ إلى أرض الشُّرْك ، فنطلب إليك أن تردّه إلى حَرَمِ رسول الله ﷺ ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فَمَنْ الذي يقول ¹ :

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول ² :

أُدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
وَمَا كُنْتُ زَوَّاراً وَلَكِنَّ ذَا الْهَوَى إِذَا لَمْ يَزِرْ لَا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول ³ :

كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةٍ أَوْ دُمَيْةٌ زُيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ
اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْمِهَا يَقِرُّ مِنِّْي بِهَا وَأَتَّبِعُ
قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللَّهُ بَيْنَ قَيْمِهَا وَبَيْنَهُ . قال : فمن الذي يقول ⁴ :

سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حُبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
قالوا : الأحوص . قال : إِنَّ الْفَاسِقَ عَنْهَا يَوْمئِذٍ لَمَشْغُولٌ ، وَاللَّهُ لَا أَرُدُّهُ مَا كَانَ لِي سُلْطَانُ .
قال : فمكث هناك بَقِيَّةَ وَلايَةِ عُمَرَ وَصَدْرًا مِنْ وَلايَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
[غَنَتْ حَبَابَةُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِشِعْرِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لِلْأَحْوَصِ أَطْلَقَهُ وَأَجَازَهُ]

قال : فبينما يزيد وجاريتُه حَبَابَةُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَى سَطْحٍ تُغْنِيهِ بِشِعْرِ الْأَحْوَصِ ، قَالَ لَهَا : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قَالَتْ : لَا وَعَيْنِيكَ مَا أَدْرِي ! قَالَ : وَقَدْ كَانَ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ ، فَقَالَ : ابْعَثُوا إِلَى ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عَنْدهَ عِلْمٌ مِنْ ذَلِكَ . فَأَتَى الزُّهْرِيُّ فَقَرَعَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَخَرَجَ مُرَوَّعًا إِلَى يَزِيدَ . فَلَمَّا صَعِدَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : لَا تَرْعَ ، لَمْ نَدْعُكَ إِلَّا لِخَيْرٍ ، اجْلِسْ ، مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قَالَ : الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا فَعَلَ ؟ قَالَ : قَدْ طَالَ حَبْسُهُ

1 شعر الأحوص (القسم الثاني) : 213 وينسب إلى كثيرين غير الأحوص .

2 شعر الأحوص : 125 .

3 شعر الأحوص : 143-144 .

4 شعر الأحوص : 118 .

بذهلك . قال : قد عَجِبْتُ لِعُمَرُ كيف أغفلَه . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربعمئة دينار . فأقبل الزُّهْرِيُّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرَهم بذلك .
[عنايه لعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريَّ قالا : لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص¹ :

أَلَسْتُ أَبَا حَفْصٍ هُدَيْتَ مُحَبَّرِي أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَقْصَى وَيُدْنِي ابْنَ أُسْلَمَا
فقال عمر : ذلك هو الحق .

قال الزُّبَيْرُ : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون : [من الطويل]

أَلَا صِلَةَ الْأَرْحَامِ أَدْنَى إِلَى التَّقَى وَأَظْهَرُ فِي أَكْفَائِهِ لَوْ تَكَرَّمَا
فَمَا تَرَكَ الصُّنْعُ الَّذِي قَدْ صَنَعْتَهُ وَلَا الْغَيْظُ مَنْنِي لَيْسَ جِلْدًا وَأَعْظَمَا
وَكُنَّا ذَوِي قُرْبَى لَدَيْكَ فَأَصْبَحْتَ قَرَابَتَنَا ثُدْيَا أَجَدَّ مُصَرَّمَا²
وَكُنْتَ وَمَا أَمَلْتُ مِنْكَ كِبَارِقُ لَوَى قَطْرَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ غَيْمًا
وَقَدْ كُنْتَ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً لِيَالِي كَانَ الظَّنُّ غَيْبًا مُرْجَمًا
أَعْدُكَ حِرْزًا إِنْ جَنَيْتُ ظُلَامَةً وَمَالًا ثَرِيًّا حِينَ أَحْمِلُ مَغْرَمًا
تَدَارَكَ بَعْتُبَى عَاتِبًا ذَا قَرَابَةٍ طَوَى الْغَيْظَ لَمْ يَفْتَحْ بِسُخْطٍ لَهُ فَمَا

[قبل إنه دس إلى حباة الشعر الذي غنت يزيد به]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال : كتب إليَّ إِسْحَاقُ بن إبراهيم أَنَّ أَبَا عبيدة حَدَّثَهُ : أَنَّ الْأَحْوَصَ لَمْ يَزَلْ مَقِيمًا بِذَهْلِكَ حَتَّى مَاتَ عُمَرُ بن عبد العزيز ، فَدَسَّ إِلَى حَبَابَةِ فَعَنَّتْ يَزِيدُ بِأَيَّاتِ لَهُ ، قَالَ أَبُو عبيدة : أَظْنَاهَا قَوْلُهُ³ :

صوت

أَيُّهَذَا الْمُخَبَّرِي عَنْ يَزِيدٍ بِصَلَاحٍ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
مَا أَبَالِي إِذَا يَزِيدُ بَقِيَ لِي مَنْ تَوَلَّيْتُ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي

1 شعر الأحوص : 197 .

2 الثدي الأجد : لا لبن فيه .

3 شعر الأحوص : 184 .

لم يجنسه . كذا جاء في الخبر أنها غنته به ، ولم يذكر طريقته . قال أبو عبيدة : أراه عَرَضَ بعمر بن عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يصْرَحَ مع بني مروان ، فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالت : الأحوص ، وهَوَّتْ أمره ، وكَلَّمْتِه في أمانه فأَمَنَه . فلَمَّا أصبح حضر فاستأذنت له ، ثم أعطاه مائة ألف درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان : أن الأحوص دَسَّ إلى حبابة ، فغنت يزيد قوله¹ :

كريمٌ قُرَيْشٍ حين يُنسَبُ والذي أَقَرَّتْ له بالملك كَهْلًا وأَمَرَدَا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً إذا عُدَّتْ من أضعاف أضعافه غداً²
أهان تِلَادَ المالِ في الحمدِ إنَّه إمامٌ هُدَى يجري على ما تَعَوَّدَا
تَشَرَّفَ مجدداً من أبيه وجَدَه وقد وَرِثَا بُنيانَ مجدي تَشِيداً³

فقال يزيد : ويلك يا حبابة ! مَنْ هذا من قريش ؟ قالت : وَمَنْ يكون ؟ أنت هو يا أمير المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدح به أمير المؤمنين ؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقَدَّمَ عليه من دَهْلَكَ ، وأمر له بمالٍ وكُسُوة .

[أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعره في مدحهم]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بعض أهل العلم قال : دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتْ إلينا بخرمة ، ولا تَوَسَّلْتَ بدالة ، ولا جَدَّدْتَ لنا مدحاً ، غير أنك مُقتَصِرٌ على البيتين اللذين قلتهما فينا ، لكنك مُستوجبٌ لجزيل الصَّلَةِ مِنِّي حيث تقول⁴ :

وإنِّي لأَسْتَحْيِيكُمْ أنْ يَقُودَنِي إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ
وأنْ أَجْتَدِي للنفعِ غيرَكَ منهمُ وأنت إمامٌ للرعيّةِ مَقْنَعُ

قال : وهذه قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز .

[لما ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال حدثني

1 من قصيدة ضمت 31 بيتاً ؛ شعره : 98 - 104 .

2 الشطر الأول في رواية الديوان : «وليس عطاء كان منه بمائع» .

3 تشرف مجدداً في الديوان : «تردى بمجد» .

4 شعر الأحوص : 141 .

عمر بن موسى بن عبد العزيز قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص ، فأقدم عليه ، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم . فلما قدم قُباء صَبَّ المال على نِطْعٍ ودعا جماعة من قومه ، وقال : إني قد عَمِلْتُ لَكُمْ طعاماً . فلما دخلوا عليه كَشَفَ لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفْسِحْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ .

قال الزبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة¹ : [من الخفيف]

صَرَمْتُ حَبْلَكَ الْغَدَاةَ نَوَارُ إِنَّ صَرَمًا لِكُلِّ حَبْلٍ قَصَارُ

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سَائِلًا فَإِنَّ يَزِيدًا مَلِكٌ مِنْ عَطَائِهِ الْإِكْثَارُ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ فَغَزَّ بِهِ الدَّيْبُ نَ وَذَلَّتْ لِمُلْكِهِ الْكُفَّارُ
وَأَقَامَ الصَّرَاطَ فَابْتَهَجَ الْحَدُّ سَقُ مُنِيرًا كَمَا أَنْارَ النَّهَارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغْنِي فيهما ، وهما :

صوت

بَشْرٌ لَوْ يَدِبُ ذَرٌّ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ مِنْ مَشْيِهِ آثَارُ
إِنْ أَرَوَى إِذَا تَذَكَّرُ أَرَوَى قَلْبُهُ كَادَ قَلْبُهُ يُسْتَطَارُ

غَنَّتْ فِيهِ عَرِيبٌ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ ، وذكر ابنُ المَكِّي أَنَّهُ لِحَدِّهِ يَحْيَى .

[أراد أن يَكِيدَ عند يزيد لابن حزم فلم يَقِيلَ منه وَأَهْلَانَهُ]

أخبرني الحرزمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ : حَجَّ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ؛ فَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ : إِنَّهُ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ، وَلَا أَرَاهُ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهَا خَيْرًا مِنْهُ ، قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَهُ ؛ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ عَوْنًا فَاقْبِضْ الْمَالَ مِنْهُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْكَ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى تَسْتَوْفِيَهُ مِنْهُ ثُمَّ افْسَحْ نِكَاحَهُ . فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ إِلَى عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَطَالِبِهِ بِالْمَالِ . فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ؛ وَقَدْ فَرَّقْتُهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ لَمْ تَدْفَعْهُ إِلَيَّ كَلَّهِ أَنْ أَضْرِبَكَ بِالسَّيَاطِ ثُمَّ لَا أَرْفَعُهَا عَنْكَ حَتَّى أُسْتَوْفِيَ مِنْكَ . فَصَاحَ بِهِ يَزِيدُ : تَعَالَى إِلَيَّ ،

فجاءه ؛ فقال له فيما بينه وبينه : كَأَنَّكَ خَشِيتَ أَنْ أُسَلِّمَكَ إِلَيْهِ ، ادْفَعْ إِلَيْهِ الْمَالَ وَلَا تُعْرِضْ لَهُ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ دَفَعَهُ إِلَيَّ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهُ عَلَيَّ أَخْلَفْتُهُ عَلَيْكَ ، ففعل . فلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، كَتَبَ فِي أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَفِي الْأَحْوَصِ ، فَحُمِلَا إِلَيْهِ ، لَمَّا بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَالْأَحْوَصِ مِنَ الْعَدَاوَةِ ؛ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ ضَرَبَ الْأَحْوَصَ وَغَرَّبَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَعَمَرُ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا صَارَا بِيَابَ يَزِيدٍ أُذِنَ لِلْأَحْوَصِ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ يَدْعُو ، فَلَمْ يَخْفِضْهُمَا حَتَّى خَرَجَ الْغُلَّامَانِ بِالْأَحْوَصِ مُلَبَّيًّا مَكْسُورِ الْأَنْفِ ، وَإِذْ هُوَ لَمَّا دَخَلَ عَلَى يَزِيدٍ قَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؛ هَذَا ابْنُ حَزْمٍ الَّذِي سَفَّهَ رَأْيَكَ وَرَدَّ نِكَاحَكَ . فَقَالَ يَزِيدُ : كَذَبْتَ ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ ! اكْسِرُوا أَنْفَهُ ، وَأَمْرٌ بِهِ فَأُخْرِجَ مُلَبَّيًّا .

[قصته مع عبد الحكم بن عمرو الجُمَحِيِّ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْجُمَحِيِّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ الْجُمَحِيِّ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَجَعَلَ فِيهِ شِطْرُنَجَاتٍ وَنَزْدَاتٍ وَقِرْقَاتٍ وَدِفَاتِرَ فِيهَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ ، وَجَعَلَ فِي الْجِدَارِ أَوْتَادًا ، فَمَنْ جَاءَ عَلَّقَ ثِيَابَهُ عَلَى وَتَدٍ مِنْهَا ، ثُمَّ جَرَّ دِفْطَرًا فَقَرَأَهُ ، وَأَخَذَ بَعْضَ مَا يُلْعَبُ بِهِ فَلَعِبَ بِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ . قَالَ : فَإِنَّ عَبْدَ الْحَكَمِ يَوْمًا لَفِيَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا فَتَى دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْخَنَاطِينَ إِلَى بَابِ بَنِي جُمَحٍ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُعْصِفَرَانِ مَدْلُوكَانِ وَعَلَى أُذُنِهِ ضِفْثُ رِيحَانٍ وَعَلَيْهِ رَدْعُ الْخُلُوقِ ، فَأَقْبَلَ يَشُقُّ النَّاسَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَ مَنْ رَأَاهُ يَقُولُ : مَاذَا صُبَّ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا ؟ أَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَجْلِسُ إِلَيْهِ غَيْرَهُ ؛ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : فَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُهُ لَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ وَهُوَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَجِبَهُ مَنْ يَقْعُدُ إِلَيْهِ ! فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَهْوَى فَشَبَّكَ يَدَهُ فِي يَدِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَقَامَ يَشُقُّ الْمَسْجِدَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَابِ الْخَنَاطِينَ ، قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْكَ ! رَأَيْتُ مَعَكَ نَصْفَ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَنَصْفَهُمْ فِي الْخَنَاطِينَ ، حَتَّى دَخَلَ مَعَ عَبْدِ الْحَكَمِ بَيْتَهُ ، فَعَلَّقَ رِدَائِهِ عَلَى وَتَدٍ وَحَلَّ أَزْرَارَهُ وَاجْتَرَّ الشِّطْرُنَجَ وَقَالَ : مَنْ يَلْعَبُ ؟ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الْأَبْجَرُ الْمَغْنِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ زَنَدِيقٍ مَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَاهُنَا ؟ وَجَعَلَ يَشْتُمُهُ وَيُمَازَحُهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ : أَتَشْتُمُ رَجُلًا فِي مَنْزِلِي ! فَقَالَ : أَتَعْرِفُهُ ؟ هَذَا الْأَحْوَصُ . فَاعْتَنَقَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ وَحَيَّاهُ . وَقَالَ لَهُ : أَمَّا إِذْ كُنْتَ الْأَحْوَصَ فَقَدْ هَانَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ .

[خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثل بشعر له]

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ

أبيه قال : لما قَدِمَ عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين ، جلس على المنبر فشتم أهل المدينة ووبّخهم ، ثم قال : إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير ، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال مُحَنَّتْكُمْ وَأَخَوَكُمْ الْأَحْوصُ¹ :

وَكَمْ نَزَلْتُ بِي مِنْ خُطُوبٍ مُهِمَّةٍ خَذَلْتُمْ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ
فَأَذْبَرَ عَنِّي شَرُّهَا لَمْ أَبْلُ بِهَا وَلَمْ أَذْعُكُمْ فِي كَرْبِهَا الْمُتَطَلَّعْ

فقام إليه نوفل بن مُسَاحِقٍ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقرنا بالذنب وطلبنا المَعذرة ؛ فعدّ بِجَلَمِكَ ، فذلك ما يُشَبِّهُنَا مِنْكَ وَيُشَبِّهُكَ مِنَّا ؛ فقد قال مَنْ ذَكَرْتَ مِنْ بَعْدِ بَيْتَيْهِ الْأَوَّلَيْنِ :

وَأَنِّي لَمُسْتَأْنٍ وَمُنْتَظَرٍ بِكُمْ وَإِنْ لَمْ تَقُولُوا فِي الْمِلَمَاتِ دَعٌ²
أَوْمَلُ مِنْكُمْ أَنْ تَرَوْا غَيْرَ رَأْيِكُمْ وَشَيْكاً وَكَيْمَا تَتَزَعُّوا خَيْرَ مَتَزَعٍ

[أثر أهل دهلِك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه]

أخبرني الحِزْمِيُّ والطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحِزَامِيِّ : أَنَّ عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ فِي انْتِزَاعِ مَا حَازُوا مِنَ الْفَيْءِ وَالْمَظَالِمِ مِنْ أَيْدِيهِمْ . فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَّى عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيَّ الْمَدِينَةَ ، فَقَرَّبَ عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ وَقَالَ : صَاحِبُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمراً دُونَهُ ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ . فَبَيْنَا هُوَ مَعَهُ إِذْ أَتَاهُ كِتَابُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَنْ أَبْعَثْ مَعَ عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ حَرَسِيّاً حَتَّى يُنْزِلَهُ أَرْضَ دَهْلَكَ وَخُذْ مِنْ عِرَاكِ حَمُولَتَهُ . فَقَالَ الْحَرَسِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِرَاكَ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ : خُذْ يَدَ عِرَاكِ فَابْتَعْ مِنْ مَالِهِ رَاحِلَةً ثُمَّ تَوَجَّهْ بِهِ نَحْوَ دَهْلَكَ حَتَّى تُقِرَّهُ فِيهَا ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ الْحَرَسِيُّ . قَالَ : وَأَقْدَمَ الْأَحْوصُ ؛ فَمَدَحَهُ الْأَحْوصُ ؛ فَأَكْرَمَهُ وَأَعْطَاهُ . قَالَ : فَأَهْلُ دَهْلَكَ يَأْتُرُونَ الشَّعْرَ عَنِ الْأَحْوصِ ، وَالْفَيْقَهُ عَنِ عِرَاكَ بْنِ مَالِكٍ .

[كَادَ لَهُ الْجِرَاحُ الْحَكْمِيُّ بِأَذْرِيحَانَ هُجَاتِهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ]

أخبرني أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ عَمَّنْ يَقْبُحُ بِهِ قَالَ : بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فِي الشَّعْرَاءِ ، فَأَمَرَ بِهَجَاءِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ،

1 شعر الأحوص : 154 مع اختلاف طفيف في الرواية .

2 بكم في ل : معاً .

منهم الفرزدق وكُثِيرٌ والأحوص . فقال الفرزدق : لقدِ امتدحتُ¹ بني المهلب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنه لقييحٌ بمثلي أن يُكذَّبَ نفسه على كبر السنِّ ، فليُعفني أمير المؤمنين ؛ قال : فأعفاه . وقال كُثِيرٌ : إني أكره أن أُعرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلب . وأما الأحوص فإنه هجاهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان ، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب ، فبعث إليه يَرْقُ من خمرٍ فأدخل منزل الأحوص ، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتُ منزله فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فاتوا به الجراح ، فأمر بحلق رأسه ولحيته ، وضربه الحدَّ بين أوجه الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود ؛ فجعل الجراح يقول : أجل ! ولكن لما تعلم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

[رأى أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهاني² : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغضِّ منه في شعره ، ولكننا ذكرنا من كلِّ ما يُوثَرُ عنه ما تُعرَفُ به حاله من تقدُّمٍ وتأخُّرٍ ، وفضيلةٍ ونقصٍ ؛ فأما تفضيله وتقدُّمه في الشعر فمُتَعَالَمٌ مشهور ، وشعره يُنبِئ عن نفسه ويدلُّ على فضله فيه وتقدُّمه وحسن رونقه وتهذيبه وصفائه .

[رأى الفرزدق وجريز في نسيه]

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء والطوسي قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا عبد الملك بن عبد العزيز قال حَدَّثَنِي عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب الهذلي قال حَدَّثَنَا شَيْخٌ لَنَا مِنْ هَذِيلٍ كَانَ خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال : سمعتُ بالفرزدق وجريز على باب الحجاج ، فقلتُ : لو تعرَّضتُ ابن أُخْتِنَا ! فامتطيتُ إليه بعيراً ، حتى وجدتهما قبل أن يَخْلُصَا ، ولكلٍّ واحدٍ منهما شيعَةٌ ؛ فكنتُ في شيعَةِ الفرزدق ؛ فقام الآذَن يوماً فقال : أين جريز ؟ فقال جريز : هذا أبو فراس ؛ فأظهرتُ شيعته لَوْمَةً وأسرَّته . فقال الآذَن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجريز : أتناوِثه وتهاجيه وتُشَاخِصُه ، ثم تُبَدِّئُ عليه فتأبى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ؛ فقال لهم : إنه نَزَرُ القول ، ولم يَنْشَبْ أن يَنْفَدَ ما عنده وما قال فيه فيُفَاخِرُه ويرَفَعَ نفسه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحْسِنَ . فقال قائلهم : لقد نظرتُ نظراً بعيداً . قال : فما نَشِيبُوا أنْ أخرج الآذَنَ فصاح : أين جريز ؟ فقام جريز فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نَفِدَ ، وإذا هو يقول :

[من الكامل]

1 ل : مدحت .

2 ل : مؤلف هذا الكتاب .

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةً تَجْعَلُ

قال : وعِمامته على رأسه مثل المِنْسَف ، فصِحتُ من ورائه¹ : [من الكامل]

هذا ابنُ يوسُفَ فاعلَمُوا وتَفَهَّمُوا بَرَحَ الخَفَاءِ فليس حينَ تَنَاجِي
مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحِجَّاجِ
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِظَةً إِذْ لَا يَتَّقِنُ بَغْيَةَ الأَزْوَاجِ
قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرَجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِكِ النِّيَّةِ نَاجِي

قال : وما تشبيها ؟ وطرب : فقال جرير :

لَجَّ الهَوَى بِفُؤَادِكَ المِلْجَاجِ فَاحْسِبْ بَتَوْضِيحَ بَاكِيرِ الأَحْدَاجِ

وأمرها ، أو قال : أمضاها . فقال : أعطوه كذا وكذا ؛ فاستقلت ذلك . فقال الهذلي :
وكان جريرٌ عربياً قروياً ، فقال للحجاج : قد أمر لي الأمير بما لم يفهم عنه ، فلو دعا كاتباً
وكتب بما أمر به الأمير ؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضيعفه ، وأعطى الفرزدق أيضاً .
قال الهذلي : فجئتُ الفرزدق فأمر لي بستين ديناراً وعبدي ، ودخلتُ على رؤاته فوجدتهم
يُعدِّلون ما انحرف من شعره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فراس ، مَنْ
أشعر الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة . قلت : فمَنْ أنسبُ الناس ؟ قال الذي
يقول² :

لي لَيْتَانِ فليلةٌ مَعْسُولَةٌ أَلْقَى الحَبِيبَ بِهَا بَنَجْمِ الأَسْعَدِ
ومُرِجحةٌ هَمِّي عَلِيٌّ كَأَنِّي حَتَّى الصَّبَاحِ مُعَلَّقٌ بِالْفَرْقَدِ

قلت : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذلي : ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أَسْتَقِلُّ عنده
ما أعطاني صاحبي أَسْتَخْرِجُ به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُخْتِكَ ؟ فأخبرته . فقال : ولك

1 انظر ديوان جرير (طبعة صادر ، 1964) : 73-74 هناك اختلاف كبير في الرواية والترتيب ويبدو أنَّ البيت الأول قد لُقِّق من بيتين في هذه القصيدة :

إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضي البصرة واضح المنهاج
فاستوسقوا وتبينوا سبل الهدى ودعوا النجي فليس حين تناجي

ومطلع القصيدة في الديوان :

هاج الهوى بفؤادك المهتاج فانظر بتوضيح باكر الأحداج

2 شعر الأحوص : 109 وهما من أبيات سترد فيما بعد مطلعها :

يا للرجال لوجدك المتجدد ولما تؤمل من عقيلة في غد

مثله ؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً . قال : وجئتُ رؤاتَه وهم يُقَوِّمون ما انخرِف من شعره وما فيه من السَّناد ، فأخذتُ منه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَنْ أنسَبُ الناس ؟ قال الذي يقول¹ :

يا لَيْتَ شِعْرِي عَمَّنْ كَلَفْتُ به من خَشَعَمَ إِذْ نَأَيْتُ ما صَنَعُوا
قَوْمٌ يَحْلُونُ بالسَّديِرِ وبِالـ حَيْرَةٍ مِنْهُمْ مَرَأًى وَمُسْتَمَعُ
أَنْ شَطَطَ الدَّارُ عَنْ دِيَارِهِمْ أَمْسَكُوا بِالْوِصالِ أَمْ قَطَعُوا
بَلْ هُمْ عَلَى خَيْرٍ ما عَهَدْتُ وما ذَلِكَ إِلَّا التَّامِيلُ والطَّمَعُ
قلت : وَمَنْ هو ؟ قال : الأَحوص . فاجتمعوا على أَنَّ الأَحوص أنسَبُ الناس .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأَحوص :

لي ليلتان فليلة معسولة

وأوّل ما يُغْنَى به فيها :

صوت

يا لِلرَّجالِ لِوَجْدِكَ الْمُتَجَدِّدِ وَلِما تُؤْمَلُ مِنْ عَقِيلَةٍ فِي غَدِ
تَرْجو مَواعِدَ بَعَثُ آدَمَ دُونِها كَانتْ خَبالاً لِلْفَوادِ الْمُقَصِّدِ
هَلْ تَذْكُرِينَ عَقِيلُ أَوْ أَنْساكِه بَعْدِي تَقْلُبُ ذا الرِّمانِ الْمُفْسِدِ
يَوْمِي وَيَوْمُكَ بِالْعَقِيقِ إِذْ هَوَى مَنّا جَمِيعُ الشُّمْلِ لَمْ يَتَبَدَّدِ
لي ليلتان فليلة معسولة أَلقى الحَبِيبَ بِها بَنجَمَ الْأَسْعَدِ
وَمُرِجَةً هَمِّي عَلَيَّ كَأَنِّي حَتّى الصِّباحِ مُعَلَّقٌ بِالْفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا لِلرَّجالِ ويا لِلرجالِ بالكسر والفتح وفي الحديث أَنَّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِن : يا لله يا للمسلمين . وقوله « في غد » ، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر ؛ قال الله سبحانه : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنْ الكَذابُ الْأَشِيرُ ﴾ . والخَبَلُ والخَبالُ : النُّقصان من الشيء . والمُخَبِّلُ ، أصله مأخوذ من النقص لأنّه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلوة المشتهاة .

الشعر للأَحوص . والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيف رمل بالبصر عن الهشاميّ

وحَبَش . وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابُوَيْه ثَقِيلُ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سُرَيْج ذكره يونس ولم يَجْنُسْه . وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أَنَّ لَمَعِدٍ فِي الْأَبْيَاتِ كُلِّهَا لَحْنًا وَأَنَّهُ مِنْ صَحِيحِ غَنَائِهِ ، وَلَمْ يُجْنُسْه .

[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عَباية قال : بلغني أَنَّ ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة ، وأخبرني الحِرْمِيَّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني إبراهيم بن زيد عن عَبْسَةَ بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أَشْعَبُ بن جُبَيْر قال : حضرت امرأة شريفة ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر ؛ فقالت له : أتروي قولَ أُمِّكِ :

لِي لَيْلَتَانِ فَلَيْلَةٌ مَعْسُولَةٌ أَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا بَنَجْمَ الْأَسْعَدِ
وَمُرِيحَةً هَمَّيَ عَلَيَّ كَأَنَّنِي حَتَّى الصَّبَاحِ مَعْلَقٌ بِالْفَرْقَدِ

قال نعم . قالت : أتدري أَيَّ اللَّيْلَتَيْنِ الَّتِي يَبِيتُ فِيهَا مَعْلَقًا بِالْفَرْقَدِ ؟ قال : لا والله . قالت : هي ليلة أُمِّكِ الَّتِي يَبِيتُ مَعَهَا فِيهَا . قال إبراهيم في خبره : فقلتُ لأَشْعَبَ : يا أبا العلاء ، فَأَيُّ لَيْلَتِيهِ الْمَعْسُولَةِ ؟ فقال¹ :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدِ
هي ليلة الإسراف² ، ولا تسأل عما بعدها .

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال : أنشد ابن جندب قول الأحوص : [من الكامل]

لِي لَيْلَتَانِ فَلَيْلَةٌ مَعْسُولَةٌ أَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا بَنَجْمَ الْأَسْعَدِ
وَمُرِيحَةً هَمَّيَ عَلَيَّ كَأَنَّنِي حَتَّى الصَّبَاحِ مَعْلَقٌ بِالْفَرْقَدِ

فقال : أَمَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْلَةَ الْمُرِيحَةَ هَمَّيَ لِأَلَدُ اللَّيْلَتَيْنِ عِنْدِي . قال الحِرْمِيَّ بن أبي العلاء : وَذَلِكَ لِكَلْفِهِ بِالْغَزَلِ وَالشَّقْوَ وَالْحَيْنَ وَتَمَنِّيَ الْلِقَاءِ .

[من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكرت في مواضع أُخَرَ . وعقيلة امرأة من وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أَنَّ عَقِيلَةَ هَذِهِ هِيَ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، كَتَبَ عَنْهَا بِعَقِيلَةَ .

1 هذا البيت من معلقة طرفة .

2 ل : الأشراف .

[أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمار بيت له]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ : أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأحوص :

[من البسيط]

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أُجِرُّ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسر قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجْرُهُ حَتَّى بَلَغَ الْعِرْضَ ثُمَّ رَجَعَ . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيّها الأمير ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْبَيْتَ مَرَّةً فَأَعْجَبَنِي ، فَحَلَفْتُ لَا أَسْمَعُهُ إِلَّا جَرَزْتُ رَسَنِي¹ .

نسبة هذا البيت وما غني² فيه من الشعر

صوت

[من البسيط]

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رُبْعٍ بِذِي سَلَمٍ وَلِلزَّمانِ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ زَمَنٍ

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أُجِرُّ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

عروضه من البسيط . غنى ابن سريج في هذين البيتين لحناً من الثقل الأول بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حبش أنه للغريض .

[كان حماد الراوية يفضلّه على الشعراء في النسب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سالم بن أبي السُّحماء³ وكان صاحب حماد الراوية : أنّ حماداً كان يقدّم الأحوص في النسب .

[هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فصالحه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيزة قال : هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير ، وكان كثير المال ؛ فغضب من ذلك ، فخرج حتّى قدّم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه ، فقبل منه ، ثم جلسا يتحدّثان ؛ فقال الفرزدق : ممّن أنت ؟ قال : من الأنصار .

1 شعر الأحوص : 203 .

2 ل : ومن غنى .

3 ل : السحماء .

قال : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني . قال : قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته ، فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني . فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول¹ :

ألا قف برسم الدارِ فاستنطق الرّسما فقد هاج أحزاني وذكرني نغما
قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعره أبداً . فخرج ابن بشير فاشتري أفضل من الشراء الأوّل من الهدايا ، فقدم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاك ، أين أنت عن ابن عمّك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني . قال : فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول² :

تمشّى بشتمي في أكّريس مالِك تشيدُ به كالكلبِ إذ ينبحُ النّجما³
فما أنا بالمخسوسِ في جذمِ مالِك ولا بالمسمّى ثم يلتزمُ الإسما
ولكنّ بيتي إنّ سألتَ وجدته توسّط منها العزّ والحسب الضّمخما⁴
قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشتري أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

ألا قف برسم الدارِ فاستنطق الرّسما فقد هاج أحزاني وذكرني نغما
فبتُ كأنّي شاربٌ من مُدَمّة إذا أذهبتُ همّاً أتاحتُ له همّاً
غناه إبراهيم الموصليّ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر عبد الله بن العباس الرّبيعيّ أنّه له .

1 شعر الأحوص : 194 .

2 شعر الأحوص : 193-194 .

3 رواية الديوان :

وكتبت وشتمي في أرومة مالِك بسبي به كالكلبِ إذ ينبحُ النجما

والأكّريس : جمع كرس وهو الجماعة من الناس .

4 بيتي في الديوان : أبي .

[أنشد أبو السائب المخزومي شعراً له فطرب]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قال لي أبو السائب المخزومي : أنشدني للأحوص ؛ فأنشدته قوله ¹ :

قالتُ وقلتُ تَحَرَّجِي وصلي حَيَّلَ امرئٌ بوصالكم صَبَّ
واصيلٌ إذا بَغلي فقلتُ لها الغدرُ شيءٌ ليس من ضربي

صوت

[من الكامل]

ثُتَانِ لَا أَدْنُو لَوْصِلَهُمَا عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجَعَهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجُوا كَذَا نَذَرْتُ لَغَانِيَةٍ بَعْضَ الْحَدِيثِ مَطْيَكُمْ صَحْبِي
وَنَقُلْ لَهَا فِيَمِ الصُّدُودُ وَلَمْ نُذْنِبْ بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ
إِنْ تُقْبِلِي نُقْبِلْ وَنُنْزِلْكُمْ مِنَّا بَدَارَ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ
أَوْ تُدْبِرِي تَكْذُرُ مَعِيشَتَنَا وَتُصَدِّعِي مُتَلَاثِمَ الشَّعْبِ

غنى في «ثُتَانِ لَا أَدْنُو» والذي بعده ابنُ جامع ثقبلاً أول بالوسطى . وغنى في «عُوجُوا كَذَا نَذَرْتُ لَغَانِيَةٍ» والأبيات التي بعده ابنُ مُحَرِّزٍ لحناً من القدر الأوسط من الثقبيل الأول مطلقاً في مجرى البَينصر ، قال : فأقبل عليّ أبو السائب فقال : يا ابن أخي ، هذا والله المُجِبُّ عَيْنًا لَا الذي يقول :

وَكُنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ صُرْمِي وَجَدْتُ وَرَائِي مُنْفَسِحًا عَرِيضًا

أَذْهَبَ فَلَا صَحِيحَ ² اللَّهُ وَلَا وَسَّعَ عَلَيْكَ (يعني قائل هذا البيت) .

[سأل المهدي عن أنسب بيت فأجاب رجل من شعره فأجازه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثنا خالد بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحِيّ قال : حملتُ دَيْنًا بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع ، وأنا وراءه في موكبه على بِرْدَوْنٍ قَطُوفٍ ؛ فقال : ما أنسبُ بيتٍ قالته العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرئ القيس :

1 شعر الأحوص : 82 - 84 .

2 ل : أصبَحَكَ .

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ¹
 فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بزيغ : قول كُثَيِّرُ يا أمير المؤمنين : [من الطويل]
 أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكأنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
 فقال : ما هذا بشيءٍ ، وماله يريد أن يَنْسى ذِكْرَهَا حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُ ؟ فقلتُ : عندي حاجتُكَ يا
 أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! قال : الحقُّ بي . قلتُ : لا لِحَاقَ بي ، ليس ذلك في دابَّتِي . قال :
 احْمِلُوهُ عَلَى دَابَّةٍ . قلتُ : هذا أَوَّلُ الْفَتْحِ ؛ فَحُمِلَتْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَلَحِقَتْ . فقال : ما عندك ؟
 فقلتُ : قول الأحوص : [من الطويل]

إِذَا قَلْتُ إِنِّي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا فَحُمِّ التَّلَاقِي بَيْنَا زَادَنِي سَقَمًا
 فقال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ! اقْضُوا عَنْهُ دَيْنَهُ ؛ فَقَضَيْ عَنِّي دَيْنِي .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو : [من الطويل]
 أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكأنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
 وقال² : [من الطويل]

صوت

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَ رَحِيلٍ وَأَذَنَ أَصْحَابِي غَدًا يَقُولِ
 وَلَمْ أَرْ مَنْ لَيْلَى نَوَالًا أَعْدُهُ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ
 أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكأنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
 وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بَاعَنِي بِخَلِيلِ
 وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالُهُ وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل ، الشعر لكُثَيِّر . والغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم ، ولحنه من
 الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :
 وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثَقِيلٌ آخِرُ بالوسطى .

1 لتضربي في ل : لتقذحي . والبيت من معلقة امرئ القيس .

2 ديوان كُثَيِّر : 108 .

[حديث ابن سلام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام ، وأخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير عن محمد بن سلام قال : كان لكثير في النسب حظاً وافر ، وجميل مقدّم عليه وعلى أصحاب النسب جميعاً ، ولكثير من فنون الشعر ما ليس لجميل . وكان كثير راوية جميل ، وكان جميل صادق الصّابة والعشق ، ولم يكن كثير بعاشق ، وكان يقول . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب :

أريد لأنسى ذكراً فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

قال : وقد رأيت من يفضّل عليه بيت جميل¹ :

[من الطويل]

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبل

[حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير]

قرأت في كتاب منسوب إلى أحمد بن يحيى البلاذريّ : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ عبد الله بن مصعب الزبيريّ كان يوماً يذكر شعر كثير ويصف تفضيل أهل الحجاز إياه ، إلى أن انتهى إلى هذا البيت . قال إسحاق : فقلت له : إنّ الناس يعيبن عليه هذا المعنى ويقولون : ما له يريد أن ينساها ؟ فتبسّم ابن مصعب ثم قال : إنكم يا أهل العراق لتقولون ذلك .

[سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهريّ قال حدثني الهزبريّ قال : قيل لكثير : ما أنسب بيت قتله ؟ قال : الناس يقولون :

أريد لأنسى ذكراً فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

وأنسب عندي منه قولي :

[من الطويل]

وقلّ أمّ عمريّ داؤه وشفاهه لديها وريّاه الشفاء من الخبل²

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللّيثي .

[قال محرز بن جعفر إنّ الشعر في الأضرار]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان ، قال الحرّميّ : أحسبه ابن عبد الرحمن

1 ديوان جميل : 99 .

2 «لديها وريّاه الشفاء من الخبل» في ل : «لديها وريّاه إليه طيب» .

المخزومي ، قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال : قيل لمحرز بن جعفر : أنت صاحب شعر ،
ونراك تلزم الأنصار ، وليس هناك منه شيء ؛ قال : بلى والله ، إن هناك للشعر عين الشعر ،
وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول¹ :

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه وذلك حين الفاجعات وحيني
لعمرك إني إن تحم وفاتها بصحبة من يبق ليغير ضيبي

وهو الذي يقول² :

وإني لمكرام لسادات مالك وإني لنوكي مالك لسبب
وإني على الحليم الذي من سجيبي لحمل أضغان لهن طلب

[ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته]

أخبرني الحرزمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثني يحيى بن الزبير بن
عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح : أن
الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه ، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد
النصري إلى البصرة³ :

يا بشر يا رب مخزون بمصرعنا وشامت جليل ما مسه الحزن
وما شامت أمري إن مات صاحبه وقد يرى أنه بالمول مرتنه
يا بشر هبي فإن النوم أرقه نأي مبيت وأرض غيرها الوطن

1 شعر الأحوص : 205 .

2 شعر الأحوص : 80 .

3 شعر الأحوص : 202 .

[51] - ذكر خبر الدُّلال وقصته حين خُصِيَ ومَن خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته]

الدُّلال اسمه ناقد¹ ، وكنيته أبو زيد² ، وهو مدنيٌّ مولى بني فَهْم .
وأخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذبة قال : قال إسحاق : لم يكن في المخنثين أحسن
وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدُّلال . قال : وهو أحد من خصاه ابنُ حَزْم . فلما فُعِلَ
ذلك به قال : الآن تَمَّ الخنث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزُّبيري قال : الدُّلال
مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .
[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب
الزُّبيري قال : كان الدُّلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلها يَعُدُّون في الظُّرفاء وأصحاب
النوادر من المخنثين بها إلا ثلاثة : طُويسٌ ، والدُّلال ، وهنب³ ؛ فكان هنب أقدمهم ،
والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طُويس أظرفُ من الدُّلال ولا أكثرُ مُلحاً .

قال إسحاق : وحدثني هشام بن المُرَّة عن جرير ، وكانا نديمين مدنيين ، قال : ما
ذكرتُ الدُّلال قطُّ إلا ضحكْتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزَرَ الحديث ، فإذا تكلم أضحك
الشُّكلى ، وكان ضاحك السنِّ ، وصنعتُه نَزرةٌ جيِّدة ، ولم يكن يغني إلا غناءً مُضَعَّفاً ، يعني
كثيرَ العمل .

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق : وحدثني أيُّوب بن عَباية قال : شهدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدُّلالَ
وأحاديثه ، طولوا رقابهم وفخروا به ؛ فعلمتُ أنَّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

[كان يلزم النساء]

قال وحدثني ابن جامع عن يونس قال : كان الدُّلال مُبتلىً بالنساء والكَوْنِ معهنَّ ، وكان

1 ل : نافذ .

2 ل : يزيد .

3 ل : وهيت .

يُطَلَّبُ فلا يُقَدَّرُ عليه ، وكان بديعَ الغِناءِ صحيحَ حَسَنِ العِرمِ¹ .

[سبب لقيه ، وتوسطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدثني الزُّبيري قال : إِنَّمَا لُقِّبَ بالدَّلالِ لشكِّله وحُسْنُ ذلِّه وظَرْفه وحلاوة مَنْطِقِهِ وحُسْنُ وجهه وإشارته . وكان مشغولاً بمخالطة النساءِ يكثرُ وَصْفُهُنَّ للرجال . وكان² مَنْ أَرَادَ خِطْبَةَ امرأةٍ سألَهُ عنها وعن غيرها ، فلا يزالُ يصفُ له النساءَ واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسَّطُ بينه وبين من يُعجبهُ منهنَّ حتى يتزوَّجها ؛ فكان يُشاغِلُ كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناءِ بتلك الأحاديثِ كراهةً منه للغِناءِ .

قال إسحاق وحدثني مُصعبُ الزُّبيري قال : أَنَا أَعْلَمُ خَلَقَ اللهُ بالسببِ الذي من أجله خُصِّي الدَّلالُ ؛ وذلك أَنَّهُ كان القادمُ يَقْدَمُ المدينةَ ، فيسألُ عن المرأةِ يتزوَّجها فيدُلُّ على الدَّلالِ ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَنْ تعرفُ من النساءِ للتزويج ؛ فلا يزالُ يصفُ له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافقُ هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أَتاهَا الدَّلالُ ، فقال لها : إِنِّي قد أَصْبْتُ لكَ رجلاً من حَالِهِ وقِصَّتِهِ وهَيْئَتِهِ ويساره ولا عهد له بالنساءِ ، وَإِنَّمَا قَدِمَ بِلَدِنَا أَنفًا ؛ فلا يزالُ بذلك يُشَوِّقُها ويُحَرِّكُها حتى تُطِيعَهُ ؛ فيأتي الرجلُ فيُعلمه أَنَّهُ قد أَحْكَمَ له ما أَرَادَ . فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوَّجته المرأةُ ، قال لها : قد آنَ لهذا الرجلُ أَنْ يدخلَ بك ، والليلة موعده ، وَأَنْتِ مُغْتَلَمَةٌ شَبَقَةٌ جامَّةٌ ؛ فساعة يدخلُ عليك³ قد دَفَقْتَ عليه مثلَ سَيْلِ العِرمِ ، فيقدِّركَ ولا يُعاوِدُكَ ، وتكونين من أَشَامِ النساءِ على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أَصنع ؟ فيقول : أَنْتِ أَعْلَمُ بدواءِ حِرِّكِ⁴ ودائه وما يُسَكِّنُ غَلَمَتَكَ . فتقول : أَنْتِ أَعْرَفُ . فيقول : ما أَجِدُ له شيئاً أَشْفَى من النَّيِّكِ . فيقول لها : إِن لم تَخَافِي الفضيحةَ فابعثي إلى بعضِ الزُّنوجِ حتى يقضى بعضُ وَطَرِكَ وَيَكْفَ عاديةً حِرِّكِ ؛ فتقول له : ويلك ؛ ولا كُلَّ هذا ! فلا تزالُ المُحاوَرَةُ بينهما حتى يقول لها : فكما جاء⁵ عليَّ أقوم ، فَأُخَفِّقْكِ وَأَنَا واللهِ إلى التَّخْفِيفِ أَحوجُ . فتفرَّحَ المرأةُ فتقول : هذا أَمْرٌ مستور ، فيُنِيكها ؛ حتى إذا قُضِيَ لَذَّتُهُ منها ، قال لها : أَمَّا أَنْتِ فقد استرحتِ وَأَمِنَتِ العيبَ ، وَبَقِيتُ أَنَا . ثم يجيء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتها أَنْ تدخلَ عليك الليلة ، وَأَنْتِ رجلٌ

1 الجرم هنا : الصوت أو جهازه .

2 ل : وكل .

3 ل : يجامعك .

4 ل : فرجك .

5 ل : حكم .

عَزَبٌ ، ونساء المدينة خاصّة يُردن المطاولة في الجِماع¹ ، وكأنتي بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم ، فتُبغِضُكَ وتَمَقُّتُكَ ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنّه قد هاجتْ شهوته ؛ فيقول له : كيف أعمل ؟ قال : تطلّب زَنَجِيَّةً فتنيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسْكُنَ غُلْمَتُكَ ؛ فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد² أمرك إلاّ جميلاً . فيقول له ذلك : أعودُ بالله من هذه الحال ، أزنّا وزنجية ؟ لا والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء عليّ قُمْ فنيكني أنا حتى تَسْكُنَ غُلْمَتُكَ وشَبَقُكَ ؛ فيفرّح فتنيكه مرّة أو مرّتين . فيقول له : قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذّة . فتنيك المرأة قبل زوجها ، وتنيكه الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غيوراً شديد الغيرة ، فكتب بأن يُخصى هو وسائر المختئين [بالمدينة ومكة] ، وقال : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهنّ . فورد الكتاب على ابن حَزَمٍ فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزُّبيري . والسبب في هذا أيضاً مختلف فيه ، وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مُصعب³ .

[رواية أخرى في السبب الذي خُصّي من أجله الدلال وسائر المختئين بالمدينة]

فمما رُوي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وهذا الخبر أصحُّ ما رُوي في ذلك إسناداً ، قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبّة عن مَعْن بن عيسى ، هكذا رواه الجوهري ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسَّان قال : قال ابن جَنَاح حدّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغفاريّ قالاً : كان سبب ما خُصّي له المختئون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يَسْمُر ليلة على ظهر سطح ، ففرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوء فجاءت به جارية له . فبينما هي تصبّ عليه إذ أوماً بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً ، فلم تصبّ عليه ؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه ، فإذا هي مُصغية بسمعها إلى ناحية العسكر ، وإذا صوت رجل يغني ، فأنصت له حتى سمع جميع ما تَغَنَّى به . فلما أصبح أذن للناس ، ثم أجرى ذِكْرَ الغناء فلنّ فيه حتى ظنّ القوم أنّه يشتهي ويريده ، فأفاضوا فيه بالتسهيل وذكّر مَنْ كان يسمعه . فقال سليمان : فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء ؟ فقال رجل من القوم : عندي يا أمير المؤمنين

1 ل : النيك .

2 ل : يجيء .

3 ل : مصعب الزبيري .

رجلان من أهل أيلة مجيدان مُحَكِّمان . قال : وأين منزلك ؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : فابعث إليهما ، ففعل . فوجد الرسول أحدهما ، فأدخله على سليمان ؛ فقال : ما اسمك ؟ قال : سُمير ؛ فسأله عن الغناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدك به ؟ قال : الليلة الماضية . قال : وأين كنت ؟ فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان منها الغناء . قال : فما غنيت به ؟ فأخبره بالشعر الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هذر الجملُ فضيعةُ الناقة ، ونَبَّ التيسُ فشكرتِ الشاةُ ، وهذر الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربتِ المرأة ، ثم أمر به فخصي . وسأل عن الغناء أين أصله ؟ فقيل : بالمدينة في المخنثين ، وهم أئمتُّه والحذاق فيه . فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وكان عامله عليها ، أن اخُصِرَ مَن قَبْلَكَ من المخنثين المغنِّين ، فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكتَّاب قال : قرأت كتابَ سليمان في الديوان ، فرأيتُ على الخاء نقطةَ كتمرة العجوة . قال : ومَن لا يعلم يقول : إنَّه صَحَّفَ القاريء ، وكانت أُحص ، قال : فتبَّعهم ابن حزم فخصي منهم تسعة ؛ فمنهم الدلال ، وطريف ، وحبيب نومة الضحى . وقال بعضهم حين خُصِّي : سلِّم الخاتن والمخون . وهذا كلام يقوله الصبي إذا خُن .

قال : فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نسيط الحسني قال : أقبلنا من مكة ومعنا بدراقس وهو الذي ختنهم ، وكان غلامه قد أعانه على خصائهم ، فنزلنا على حبيب نومة الضحى ، فاحتفل لنا وأكرمنا . فقال له ثابت : مَن أنت ؟ قال : يا ابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني ! أو قال : وأنت ختنتي . قال : واسوءتاه ! وأيُّهم أنت ؟ قال أنا حبيب . قال ثابت : فاجتنبت طعامه وخفيتُ أن يسمي¹ . قال : وجعلتُ لحيه الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأمَّا ابن الكلبي فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيط أن أيمن كتب بإحصاء مَن في المدينة من المخنثين ليعرفهم ، فيؤفد عليه مَن يختاره للوفادة ؛ فظنَّ الوالي أنه يُريد الخصاء ، فخصاهم .

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني ابن جُعْدبة ، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المديني عن ابن جُعْدبة واللفظ له : أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنثين ، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل ، وجارية له إلى جنبه ، وعليها غلالة ورداء معصفران ، وعليها وشاحان من ذهب ، وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، وكان سليمان بها

1 ل : فاجتنبت طعامه وخاف أن يسمه .

مشغولاً ، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَيْرُ الأَثَلِيِّ يَغْنِي ، فلم يفكر سليمان في غنائِهِ شُغْلاً بها وإقبالاً عليها ، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجِيبُهُ مُصْغِيَةً إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغْضَباً ، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها ، فسمع سُمَيْراً يَغْنِي بأحسن صوت وأطيب نغمة :

صوت

محبوبةٌ سَمِعْتُ صوتي فَأَرْقَاهَا من آخر الليل حتى شَفَّها السَّهَرُ
تَذَنِّي على جِيدِهَا تُنْسِي مُعْصَفَرَةً والحُلِيِّ منها على لَبَّاتِهَا خَصِرُ
في ليلة النصفِ ما يدري مُضاجِعُهَا أوجهُها عنده أبهى أم القمرُ
ويروى : أوجهُها ما يرى أم وجهُها القمرُ

لَوْ خُلِّيتُ لَمَشْتُ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تكاد من رِقَةٍ للمشي تَنْفَطِرُ

الغناء لسُمَيْرِ الأَثَلِيِّ ، رمل مطلق بالينصر عن حبش . وأخبرني ذُكَاء وجه الرُّزَّة أَنَّهُ سَمِعَ فيه لحناً للدُّلال من الثقيل الأول ، فلم يَشْكُكْ سليمان أَنَّ الذي بها مِمَّا سَمِعْتُ ، وَأَنَّهَا تَهْوِي سُمَيْراً ؛ فوجَّه من وقته مَنْ أَحْضَرَهُ وَحْبَسَهُ ، ودعا لها بسيف ونطع ، وقال : وَاللَّهِ لَتَصْدُقَنِي أَوْ لِأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ! قالت : سَلَنِي عَمَّا تَرِيد . قال : أَخْبِرْنِي عَمَّا بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذَا الرَّجُل . قالت : وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ وَلَا رَأْيَتُهُ قَطُّ ، وَأَنَا جَارِيَةٌ مَنَشَعِي الْحِجَاز ، وَمِنْ هُنَاكَ حُمِلْتُ إِلَيْكَ ، وَوَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ بِهِذِهِ الْبِلَادَ أَحَدًا سِوَاكَ . فَرَقُّ لَهَا ، وَأَحْضَرُ الرَّجُلَ فَسَأَلَهُ ، وَتَلَطَّفَ لَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا سَبِيلًا ، وَلَمْ تَطُبِّ نَفْسَهُ بِتَخْلِيَتِهِ سَوِيًّا فَخْصَاهُ ؛ وَكُتِبَ فِي الْمَخْتَشِينَ بِمِثْلِ ذَلِكَ . هَذِهِ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ . -

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال]

وقد أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : قِيلَ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّ نِسَاءَ قَرِيشٍ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِنَ الْمَخْنَثُونَ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَدْخُلُ عَلَيْكُنَّ هَؤُلَاءِ» . فَكُتِبَ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنْ اخْصِيهِمْ ، فَخْصَاهُمْ . فَمَرَّ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَقَالَ : أَخْصَيْتُمُ الدُّلَالَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يُحْسِنُ :

[من الهزج]

لِمَنْ رَنَعَ بِذَاتِ الْعَجِي شِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقًا

تَأْبَدُ بَعْدَ سَاكِنِهِ فَأَصْبَحَ أَهْلُهُ فِرَقًا

وَقَفْتُ بِهِ أَسْأَلُهُ وَمَرَّتْ عَيْسُهُمْ حِرْقًا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إِنَّمَا أَعْنِي خَفِيفَهُ ، لَسْتُ أَعْنِي ثَقِيلَهُ .

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون : أنّ خليفة صاحب الشرطة لما خصي المختنّون مرّ بأبيه الماجشون وهو في حلّقه ؛ فصاح به : تعال ، فجاءه ؛ فقال : أخصّيتم الدّلال ؟ قال نعم . قال : أما إنّ كان يُجيد : [من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقا

ثم مضى غير بعيد فردّه ، ثم قال : أسْتَغْفِرُ الله ؛ إنّما أعني هزجه لا ثقله .

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النوفليّ قال : صَلَّى الدّلال المَخْنُثُ إلى جانبي في المسجد ، فَضَرَطَ ضَرْطَةً هَائِلَةً سَمِعَهَا مَنْ فِي الْمَسْجِدِ ، فَرَفَعْنَا رُؤُوسَنَا وَهُوَ سَاجِدٌ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ رَافِعاً بِذَلِكَ صَوْتُهُ : سَبِّحْ لَكَ أَعْلَايَ وَأَسْفَلِي ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ إِلَّا قُتِنَ وَقُطِعَ صَلَاتُهُ بِالضَّحْكَ .

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه : أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غَنَّتْكَ جاريتي فلانة :

[من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقا

لَمَّا أَدْرَكَتْ دُكَّانَكَ . فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ وَجِبْتَ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . فقال عبد الله : يا غلام ، مرّ فلانة أن تخرج ؛ فخرجت معها عَوْدُهَا . فقال عبد الله : إنّ هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : ويحه ! لو كَرِهَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ كَانَ أَقْرَبَ لَهُ إِلَى الصَّوَابِ ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟ فقالت : إنّهما ربّما قتلا وهذا لا يَقْتُلُ . فقال عبد الله غَنِّي :

[من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقا

فَغَنَّتْ ؛ فَجَعَلَ الشَّيْخُ يَصْفُقُ وَيَرْقُصُ وَيَقُولُ :

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ

وَيَحْرُكُ رَأْسَهُ وَيَدُورُ حَتَّى وَقَعَ¹ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، وَعَبَدَ اللَّهُ بَنَ جَعْفَرَ يَضْحَكُ مِنْهُ .

[غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمر بن شُبَّة قال حدّثني أَبُو غَسَّان قال : مرّ

الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً ، فغناه الدلال : [من البسيط]

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْصَرَمَا واحْتَلَّتِ الْغَمْرَ فَأَلْجَرَا مِنْ إِضْمَا

فقال له الغمر : أحسنت والله ، وغلبت فيه ابن سريج ! فقال له الدلال : نعمة الله عليّ فيه أعظم من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمعه أحدٌ إلاّ علِمَ أنّه غناء مُخَنَّبٌ حقّاً .

نسبة هذا الصوت¹ : [من البسيط]

صوت

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْصَرَمَا واحْتَلَّتِ الْغَمْرَ فَأَلْجَرَا مِنْ إِضْمَا²

إِخْدَى بَلِيٍّ وَمَا هَامَ الْفَوَادُ بِهَا إِلَّا السَّفَاةُ وَالْأَذْكُرَةُ حُلْمَا

هَلَا سَأَلَتْ بَنِي دُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرْمَا

الشعر للنابعة الديبانيّ ، والغناء للدلال خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيل بالنصر لمبعد عن عمرو بن بانه . وفيه لابن سريج ثقيل أول بالنصر عن حبش . وفيه لنشيط ثاني ثقيل بالنصر عنه . وذكر الهشاميّ أنّ لحن مَعْبِدٍ ثقيل أول ، وذكر حماد أنّه للغريض . وفيه لجَمِيلَة ودَحمان لحنانٍ ، ويقال : إنّهما جميعاً من الثقيل الأول .

[احتكم إليه شيمي ومرجىء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازة عن أبيه عن المدائنيّ قال : اختصم شيعيٌّ ومُرْجِيءٌ ، فجعللا بينهما أول من يطلّع ، فطلّع الدلال : فقالا له : أبا زيد ، أيُّهما خير : الشَّيْعِيّ أم المُرْجِيءُ ؟ فقال : لا أدري إلاّ أنّ أعلاي شيعيٌّ وأسفلي مُرجِيءٌ !

[هرب من المدينة إلى مكة]

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مسكين عن فُلَيْح بن سليمان قال : كان الدلال ملازماً لأمّ سعيد الأسلمية وبنّ ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي ، وكانتا من أمّجَن النساء ، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلّاخيلهما . فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت أخيك ؟ فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر بيثر فحُفِرَتْ في طريقها ، وغطّيت بحصير ، فلما مشّت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها . وطُلب الدلال

1 ديوان النابعة (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) : 61-62 .

2 انصرما في الديوان : اتجذما . الغمر في الديوان : الشرع .

فهرَب إلى مكة . فقال له نساء أهل مكة : قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ! فقال : والله ما قتلهن إلا الحُكَاك . فقلن : اعزُبْ أخزأك الله ، ولا أدنى بك [دارا ، ولا آذانا بك] ! قال : فمن لَكُنْ بعدي يدلّ على دائكُنْ ويعلم موضع شِفائكُنْ ؟ والله ما زنيت قط ولا زني بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

[كان الماجشون يقرب الدلال ويستحسن غناه]

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن ابن الماجشون قال : كان أبي يُعجبه الدلال ويستحسن غناه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ أبي يقول : غناني الدلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفتُ الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبتِ ، وأيُّ شعر تَغْنِي ؟ قال قوله¹ :

صوت

عسى الله أن يُجري المودة بيننا ويوصل حبلاً منكم بجباليا
فكم من خليلي جفوة قد تقاطعا على الدهر لما أن أطالا التلاقيا²
وإنّي لفي كربٍ وأنتِ خليلية لقد فارقت في الوصف حالك حاليّا
عبتُ فما أعتيتني بمودة ورمتُ فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلاً أوّل بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره . وذكر حماد في أخبار الدلال أنّه للدلال ، ولم يجنسه .

[غرر بمخة المخنث فعابت خثيم بن عراك صاحب الشرطة]

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال : قدِم مخنث من مكة يقال له مُخّة ، فجاء إلى الدلال فقال : يا أبا زيد ، دُلّني على بعض مُخنثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه . قال : قد وجدته لك ، وكان خثيم بن عراك بن مالك صاحب شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي جازه ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد ، فأوماً إلى خثيم فقال : الحقّه في المسجد ؛ فإنّه يقوم فيه فيصلي ليُرائي الناس ، فإنك ستظفر بما تريد منه . فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراك ، فقال : عَجَلّي بصلاتك لا صلى الله عليك ! فقال خثيم : سبحان الله ! فقال المخنث : سبحت في جامعة قرّاصية ، انصرفي حتى أتحدّث معلن . فانصرف خثيم من صلاته ، ودعا بالشرط والسيّاط فقال : خذوه فأخذوه ، فضربه مائة وحبسه .

1 ديوان مجنون ليلي ، 311 عن الأغاني .

2 تقاطعا في ل : تواعلا ، ولا معنى له .

[أضحك الناس في الصلاة فتهدده الوالي]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال : صَلَّى الدَّلَالُ يوماً خَلْفَ الإمام بِمَكَّةَ ، فَقَرَأَ : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فَقَالَ الدَّلَالُ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ ؛ فَضَحِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ وَقَطَعُوا الصَّلَاةَ . فَلَمَّا قَضَى الْوَالِي صَلَاتَهُ دَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! أَلَا تَدْعُ هَذَا الْمَجُونِ وَالسَّفَقَةَ ! فَقَالَ لَهُ : قَدْ كَانَ عِنْدِي أَنَّكَ تَعْبُدُ اللَّهَ ، فَلَمَّا سَمِعْتُكَ تَسْتَفْهِمُ ، ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ تَشَكَّكَتَ فِي رَبِّكَ فَتَبَيَّنْتُكَ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا شَكَّكَتُ فِي رَبِّي وَأَنْتَ تَبَيَّنْتَنِي ! اذْهَبْ لَعَنَكَ اللَّهُ ؛ وَلَا تُعَاوِدْ فَأُبَالِغَ وَاللَّهِ فِي عَقُوبَتِكَ !

[قَصَّته مع رجل زَوَّجه امرأة لم يدخل بها]

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال¹ : سَأَلَ رَجُلٌ الدَّلَالَ أَنْ يَزَوِّجَهُ امْرَأَةً فزَوَّجَهُ . فَلَمَّا أَعْطَاهَا صَدَاقَهَا وَجَاءَ بِهَا إِلَيْهِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَامَ إِلَيْهَا فَوَاقَعَهَا ، فَضَرَطَتْ قَبْلَ أَنْ يَطَّأَهَا ، فَكَسِلَ عَنْهَا الرَّجُلُ وَمَقَّتْهَا وَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ ، وَبَعَثَ إِلَى الدَّلَالَ ، فَعَرَفَهُ مَا جَرَى عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ : فَدَيْتُكَ ! هَذَا كُلُّهُ مِنْ عِزَّةِ نَفْسِهَا . قَالَ : دَعْنِي مِنْكَ ؛ فَإِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُهَا ، فَارْدِدْ عَلَيَّ دَرَاهِمِي ، فَردَّ بَعْضُهَا . فَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ بَعْضَهَا وَقَدْ خَرَجْتَ كَمَا دَخَلْتَ ؟ قَالَ : لِلرَّوْعَةِ الَّتِي أَدْخَلْتُهَا عَلَى اسْتِهَا . فَضَحِكَ وَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَأَنْتَ أَقْضَى النَّاسِ وَأَفْقَهُهُمْ .

[سكر مع فتية من قريش فأراد الأمير أن يحده ثم عفا عنه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال : إِنَّ الدَّلَالَ خَرَجَ يوماً مع فتية من قريش في نزهة لهم ، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه ، فأعجبه ؛ وعلم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظَفَرْنَا بِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا ، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي ، وينصرف عنه استشفالاً لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء . فغمزوا الغلام عليه ؛ وفطن لذلك فغضب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس . وكان معهم شرابٌ فشربوا ، وسقَّوه وحملوا عليه لثلاً يبرح² ، ثم سألوهُ أَنْ يُغْنِيَهُمْ فَعَنَاهُمْ :

[من الطويل]

صوت

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ وَبِالْخَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمٌ

1 نقل ابن حمدون هذه الحكاية في التذكرة 9 : 423 (رقم 1007) .

2 ل : يخرج .

أَسْأَلُ عَنْهَا كُلَّ رَكْبٍ لَقِيْتُهُ وَمَالِي بِهَا مِنْ بَعْدِ مَكَيْنَا عِلْمُ
أَيَا صَاحِبِ الْخِيَمَاتِ مِنْ بَطْنِ أُرْتَدُ إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ مَا فَعَلْتُ نَعَمْ¹
فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَائِرَةٍ سِلْمٌ²

ذكر يحيى المكيّ وعمرو بن بانة أنّ الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنّه للدّلال . وفيه لمُخَارِق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ، قال : فاستطير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نعيمُهم ؛ فنذر بهم السُّلطان ، وتعاذت الأشرار³ ، فأحسُّوا بالطلب فهربوا ؛ وبقي الغلام والدّلال ما يطيقان براحاً من السُّكر ؛ فأخذَا فأتَيَا بهما أمير المدينة . فقال للدّلال : يا فاسق ؛ فقال له : من فمك إلى السماء . قال : جَوُّوا فكّه ؛ قال : وعُنْقَه أيضاً . قال : يا عدو الله ! أما وسِعَكَ بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسقُ به ! فقال : لو علمتُ أنّك تغارُ علينا وتشتهي أن نفسقُ سِرّاً ما خرجتُ من بيتي . قال : جرّدوه واضربوه حدّاً . قال : وما ينفعك من ذلك ؛ وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً . قال : ومن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أيُّور المسلمين . قال : ابطّحوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسب أن الأمير قد انتهى أن يرى كيف أناك . قال : أقيموه لعنة الله واشهروه في المدينة مع الغلام . فأخرجوا يُدار بهما في السُّكك . فقيل له : ما هذا يا دلال ؟ قال : اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إنك قواد غضب ! فبلغ قوله الوالي فقال : خلّوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما !

[شهادة معبد في غناء الدلال]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ، ولم يذكره أبو أيُّوب ، فحدّثني أبي عن ابن جامع عن سيباطٍ قال : سمعت يونس يقول قال لي معبدٌ : ما ذكرت غناء الدّلال في هذا الشعر : [من الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ

إِلَّا جَدَّدَ لِي سُرُوراً ، وَلَوِدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَبَقْتُهُ إِلَيْهِ لِحُسْنِهِ عِنْدِي . قال يونس : فقلت له : ما بلغ من حُسْنِهِ عِنْدَكَ ؟ قال : يكفيك أنّي لم أسمع أحسن منه قط .

[ما كان بينه مع بعض المختئين وبين عبد الرحمن بن حسان]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسان قال : كان

1 أرند في ل : أريد .

2 نائرة : عداوة .

3 تعاذت الأشرار : أخذ رجال الشرطة يعدون .

بالمدينة عُرْس ، فاتفق فيه الدُّلال وطُويس والوليد المخنث ، فدخل عبد الرحمن بن حسان ، فلما رآهم قال : ما كنت لأجلس في مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُويس : قد علمت يا عبد الرحمن نيكاتي فيك وأن جرحي إياك لم يندمل ؛ يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذكره لعمته الفارعة ، فارتح نفسك وأقبل على شأنك ؛ فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمي . وقال له الدُّلال : يا أخا الأنصار ! إن أبا عبد النعيم أعلم بك مني ، وسأعلمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع ونقر بالدُّف ، وكلهم ينقر بدُّفه معه ، فتغنى : [من الطويل]

صوت

اتهجّر يا إنسان مَنْ أَنْتَ عاشقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مشتاقٌ إليه وشائِقُهُ
وريمٍ أَحَمَّ المقلتين مُوشِحٍ زرابيُّه ميثوثةٌ ونمارِقُهُ
تري الرِّقَمَ والديباجَ في بيته معاً كما زَيْنَ الروضِ الأنيقِ حدائقُهُ¹
وسيربِ ظباءَ تَرْتَعِي جانبَ الحِمَى إلى الجوّ فالخَبَتَيْنِ بيضٌ عَقَائِقُهُ
وما مِنْ جَمِيٍّ في الناسِ إِلَّا لَنَا جَمِيٍّ وإلَّا لَنَا غَرِيْبُهُ ومَشارِقُهُ

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللهم غفراً ، وجلس .

لحن الدُّلال في هذه الأبيات هزج بالبصر عن يحيى المكيّ وحمّاد .

[استدعاه سليمان بن عبد الملك سرّاً فغناه ثم أعاده إلى الحجاز مكرماً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمُحيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعتُ عَمِيَّ عتبة يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال : كان الدُّلال ظريفاً جميلاً حسنَ البيان ، مِنْ أَحْضَرَ الناسِ جواباً وأَحْجَهُمْ ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رَقَّ له حين خُصِي غَلَطاً ، فوجّه إليه مولى له وقال له : جئني به سرّاً ، وكانت تبغّه نوادره وطيبه ، وحذّر رسوله أن يعلم بذلك أحدٌ . فنَفَذَ المولى إليه وأعلمه ما أمره به ، وأمر بالكيتمان وحذّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلما قَدِمَ أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : ويلك ما خَبْرُكَ ؟ فقال : جِئْتُ من القُبُلِ مرّةً أخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تجبني المرّة من الدُّبُرِ ! فضحك وقال : اعزّب أخزأك الله ؛ ثم قال له : غَنِّ . فقال : لا أحسين إِلَّا بالدُّف . فأمر فأتني له بدُّفٌ ؛ فغَنَّى في شعر العَرَجِيّ² :

1 الأنيق في ل : الأنيث .

2 ديوان العرجي : 89-92 .

أَفِي رَسْمِ دَارِ دَمْعِكَ الْمُتَحَدِّرُ سَفَاهًا وَمَا اسْتِنَاطُ مَا لَيْسَ يُخْبِرُ
تَغْيِرُ ذَاكَ الرَّبْعُ مِنْ بَعْدِ جِدَّةٍ وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُتَغْيِرُ
لَأَسْمَاءَ إِذْ قَلْبِي بِأَسْمَاءٍ مُغْرَمٍ وَمَا ذِكْرُ أَسْمَاءَ الْجَمِيلَةِ مُهْجَرُ
وَمَنْشَى ثَلَاثٍ بَعْدَ هَذِهِ كَوَاعِبُ كَمَثَلِ الدُّمَى بَلْ هُنَّ مِنْ ذَاكَ أَنْضَرُ
فَسَلَّمَنْ تَسْلِيمًا خَفِيًّا وَسَقَطَتْ مَصَاعِيَةُ ظُلْعٍ مِنَ السَّيْرِ حُسْرُ
لَهَا أَرْجٌ مِنْ زَاهِرِ الْبَقْلِ وَالثَّرَى وَبُرْدٌ إِذَا مَا بَاشَرَ الْجِلْدَ يَخْضَرُ
فَقَالَتْ لِيُرَبِّتَهَا الْغَدَاةَ تَبَقِّيَا بَعِينَ وَلَا تَسْتَبْعِدَا حِينَ أَنْصِرُ
وَلَا تُظْهِرَا بُرْدَيْكُمَا وَعَلَيْكُمَا كِسَاءَانِ مِنْ خَزْزٍ بِنَقْشٍ وَأَخْضَرُ
فَعَدَّيْ فَمَا هَذَا الْعَتَابُ بِنَافِعِ هَوَايَ وَلَا مُرْجِي الْهَوَى حِينَ يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حَقُّ لَكَ يَا ذَلَالُ أَنْ يَقَالَ لَكَ الدَّلَالُ ! أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ ! فوالله ما أدري أيَّ أَمْرِيكَ أعجب : أَسْرَعَةُ جَوَابِكَ وَجُودَةُ فَهْمِكَ أَمْ حُسْنُ غِنَاكَ ، بل جميعاً عَجَبٌ ؛ وَأَمْرٌ لَهُ بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ . فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَشْرَبُ عَلَى غِنَائِهِ ، ثُمَّ سَرَّحَهُ إِلَى الْحِجَازِ مُكْرَمًا .

[قصته مع شامي من قواد هشام أراد أن يتزوج من المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : حَجَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ وَقَوَادِهِمْ بِجَنْبِ دَارِ الدَّلَالِ ، فَكَانَ الشَّامِيُّ يَسْمَعُ غِنَاءَ الدَّلَالِ وَيُصْغِي إِلَيْهِ وَيَصْعَدُ فَوْقَ السُّطْحِ لِيَقْرُبَ مِنَ الصَّوْتِ ؛ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الدَّلَالِ : إِمَّا أَنْ تَزُورَنَا وَإِمَّا أَنْ نَزُورَكَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الدَّلَالُ : بَلْ تَزُورُنَا . فَتَهَيَّأَ الشَّامِيُّ وَمَضَى إِلَيْهِ ، وَكَانَ لِلشَّامِيِّ غِلْمَانُ رُوقَةٌ ، فَمَضَى مَعَهُ بِغِلَامَيْنِ مِنْهُمَا كَأَنَّهُمَا دُرَّتَانِ . فَغَنَاهُ الدَّلَالُ :

قَدْ كُنْتُ أَمَلُ فَيْكُمُ أَمَلًا وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِمُذْرِكٍ أَمَلَةً
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْكُمْ خُلْفًا فَزَجَرْتُ قَلْبِي عَنْ هَوَى جَهْلَةٍ¹
لَيْسَ الْفَتَى بِمُخْلَدٍ أَبَدًا حَقًّا وَلَيْسَ بِفَائِتٍ أَجَلَةً
حَيِّ الْعُمُودَ وَمَنْ يَعْقُوتَهُ وَقَفَا الْعُمُودَ وَإِنْ جَلَا أَهْلُهُ

قال : فاستحسن الشامي غنائه ، وقال له : زدني ؛ فقال : أوَمَا يكفيك ما سمعت ؟ قال :

لا والله ما يكفيني . قال : فإن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : تبيعي أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اختر أيهما شئت ؛ فاختار أحدهما . فقال الشامي : هو لك ؛ فقبله الدلال ، ثم غناه :

دَعَنْتِي دَوَاعٍ مِنْ أُرْيَا فَهَيَّجْتُ هَوَى كَانَ قَدَمًا مِنْ فَوَادٍ طَرُوبِ
لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى أَنْ يَعُودَ لِي فَتَغْفِرَ أُرْوَى عِنْدَ ذَاكَ ذُنُوبِي
سَبْتَنِي أُرْيَا يَوْمَ نَعَفَ مُحَسَّرٍ بَوَجْهِ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ

فقال له الشامي : أحسنت ! ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وُلِدَتْ فِي حِجْرٍ صَالِحٍ ، وَنَشَأَتْ فِي خَيْرٍ ، جَمِيلَةُ الْوَجْهِ مَجْدُولَةٌ ، وَضِيئَةٌ ، جَعْدَةٌ ، فِي بَيَاضٍ مُشْرِبَةٍ حَمْرَةٍ ، حَسَنَةُ الْقَامَةِ ، سَبْطَةٌ ، أَسِيلَةُ الْخَدِّ ، عَذْبَةُ اللِّسَانِ ، لَهَا شِكْلٌ وَذَلٌّ¹ ، تَمَلَأُ الْعَيْنَ وَالنَّفْسَ . فقال له الدلال : قد أصبْتُها لك ، فما لي عليك إن دَلَّلتُكَ ؟ قال : غلامي هذا . قال : إِذَا رَأَيْتَهَا وَقَبِلْتَهَا² فَالْغَلَامَ لِي ؟ قال نعم . فَآتَى امْرَأَةً كَتَبَ عَنْ اسْمِهَا ، فَقَالَ لَهَا : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إِنَّهُ نَزَلَ بِقُرْبِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ قَوَادِ هِشَامَ لَهُ ظَرْفٌ وَسَخَاءٌ ، وَجَاءَنِي زَائِرًا فَأَكْرَمْتُهُ ، وَرَأَيْتُ مَعَهُ غَلَامَيْنِ كَانَتْهُمَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَالْكَوَاكِبُ الزَّاهِرَةُ ، مَا وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى مِثْلِهِمَا وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي بِوصفِهِمَا ، فَوَهَّبَ لِي أَحَدَهُمَا وَالْآخَرَ عِنْدَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ فَنَفْسِي خَارِجَةٌ . قَالَتْ : فَتُرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : طَلَبْتُ مِنِّْي وَصِيفَةً يَشْتَرِيهَا عَلَى صِفَةٍ لَا أَعْلَمُهَا فِي أَحَدٍ إِلَّا فِي فَلَانَةٍ بَنَتْكَ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُرِيَهَا لَهُ ؟ قَالَتْ : وَكَيْفَ لَكَ بَأَنْ يَدْفَعَ الْغَلَامَ إِلَيْكَ إِذَا رَأَاهَا ؟ قَالَ : فَإِنِّي قَدْ شَرِطْتُ عَلَيْهِ ذَلِكَ عِنْدَ النَّظَرِ لَا عِنْدَ الْبَيْعِ . قَالَتْ : فَشَأْنُكَ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِذَلِكَ . فَمَضَى الدَّلَالُ فَجَاءَ الشَّامِيَّ مَعَهُ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَرْأَةِ أَدْخَلَتْهُ ، فَإِذَا هُوَ بِحُجْلَةٍ وَفِيهَا امْرَأَةٌ عَلَى سَرِيرٍ مُشْرِفٍ بِرَزَّةٍ جَمِيلَةٍ ، فَوَضِعَ لَهُ كُرْسِيًّا فَجَلَسَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَمِنْ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ نعم . قَالَتْ : مَنْ أَيُّهُمْ ؟ قَالَ : مِنْ خُرَاعَةٍ . قَالَتْ : مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا ، أَيُّ شَيْءٍ طَلَبْتَ ؟ فَوَصَفَ الصِّفَةَ ؛ فَقَالَتْ : أَصْبَتْهَا ، وَأَصَغْتُ إِلَى جَارِيَةٍ لَهَا فَدَخَلَتْ فَمَكَّثَتْ هَنِيئَةً ثُمَّ خَرَجَتْ ؛ فَظَرَّتْ إِلَيْهَا الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ لَهَا : أَيُّ حَبِيبَتِي ، اخْرُجِي ؛ فَخَرَجْتُ وَصِيفَةٌ مَا رَأَى الرَّأْوُونَ مِثْلَهَا . فَقَالَتْ لَهَا : أَقْبِلِي فَأَقْبَلْتُ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : أَدْبِرِي ، فَأَدْبَرْتُ تَمَلَأُ الْعَيْنَ وَالنَّفْسَ ؛ فَمَا بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَتُحِبُّ أَنْ نُؤْزِرَهَا لَكَ ؟ قَالَ نعم . قَالَتْ : أَيُّ حَبِيبَتِي ائْتَرِزِي ، فَضَمَّهَا إِلَى أَرْزَارِ

1 ل : متكلّم ودلال .

2 ل : وقلبتها .

وظهرت محاسنها الخفية ، وضرب بيده على عجزتها وصدرها . ثم قالت : أُتَجِبَ أَنْ نُجَرِّدَهَا لَكَ ؟ قال نعم . أي حبيتي وَضَحِي ؛ فَأَلَقْتَ إِزَارَهَا إِذَا أَحْسَنَ خَلَقَ اللَّهُ كَانَتْهَا سَبِيكَةً . فقالت : يا أخوا أهل الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي¹ . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نباعك ولا تنصرف إلا على الرضى ، فانصرف من عندها . فقال له الدلال : أَرْضِيَتْ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا ؛ فَإِنَّ الصِّفَةَ لَتَقْصُرُ دُونَهَا . ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلما كان من الغد قال له الشامي : امْضِ بِنَا ، فَمَضَيَا حَتَّى قَرَعَا الْبَابَ ؛ فَأَذِنَ لهما ، فدخلوا وسلموا ، وَرَحَّبَتِ الْمَرْأَةُ بِهِمَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِلشَّامِيِّ : اعْطِنَا مَا تَبْذُلُ ؛ قَالَ : مَا لَهَا عِنْدِي ثَمَنٌ إِلَّا وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، فَقُولِي يَا أُمَّةَ اللَّهِ . قالت : بَلْ قُلْ ؛ فَإِنَّا لَمْ نُوطِئْكَ أَعْقَابِنَا وَنَحْنُ نُرِيدُ خِلَافَكَ وَأَنْتَ لَهَا رِضًا . قال : ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ . فقالت : وَاللَّهِ لَقَبْلَةُ مِنْ هَذِهِ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ دِينَارٍ . قال : بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ . قالت : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ! اعْطِنَا أَيُّهَا الرَّجُلُ . قال : وَاللَّهِ مَا مَعِيَ غَيْرَهَا ، وَلَوْ كَانَ لَزِدْتُكَ ، إِلَّا رَقِيقٌ وَدَوَابٌّ وَخُرُثِيُّ² أَحْمَلُهُ إِلَيْكَ . قالت : مَا أُرَاكَ إِلَّا صَادِقًا ، أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : تُخْبِرُنِي . قالت : هَذِهِ ابْنَتِي فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانَ ، وَأَنَا فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانَ ، وَقَدْ كُنْتُ أُرَدْتُ أَنْ أُعْرِضَ عَلَيْكَ وَصِيفَةً عِنْدِي ، فَأَحْبَبْتُ إِذَا رَأَيْتَ غَدًا غُلَظَ أَهْلَ الشَّامِ وَجَفَاءَهُمْ ، ذَكَرْتَ ابْنَتِي فَعَلِمْتَ أَنَّكُمْ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، قُمْ رَاشِدًا . فقال للدلال : خَدَعْتَنِي ! قَالَ : أَوَلَا تَرْضَى أَنْ تَرَى مَا رَأَيْتَ مِنْ مِثْلِهَا وَتَهَبَ مِائَةَ غَلَامٍ مِثْلَ غَلَامِكَ ؟ قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهَا .

نسبة ما عرفتُ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الكامل]

قد كنتُ آملُ فيكمُ أملاً والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أمله
حتى بدا لي منكمُ خُلْفٌ فجزرتُ قلبي عن هوى جهلة³

الشعر للمغيرة بن عمرو بن عثمان ، والغناء للدلال ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها ؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا .

1 ل : منتهى التمني .

2 خرثى : متاع البيت وأثاثه .

3 عن هوى في ل : فارعى .

وذكر علي بن يحيى المنجم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج ، وأن لحن الدلال خفيف ثاني ثقيل نشيد . وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيل بالوسطى ، ولحن ابن سريج ثقيل أول . وفيه لُتَيْمٌ وعَرِيبٌ خفيفاً ثقيل ، المطلقُ المُسَجَّحُ منهما لعرب . ومنها :

صوت

دعني دواعٍ من أريًا فهِيجَتْ هوًى كان قِذماً من فؤادٍ طُرُوبِ
سبّني أريًا يومَ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ بوجهٍ صبيحٍ للقلوبِ سَلُوبِ
لعلّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي وتَغْفِرَ أروى عند ذاك ذُنُوبِي

الغناء للدلال خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه ، وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج .
[غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال : جاء الدلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي ، وكانت عند معاوية فطلّقها ، ففرّع الباب فلم يُفتح له ؛ فغنى في شعر مجنون بن عامر ونقر بدقّه :

خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الْبُكَ إِذَا عَلِمَ مِنْ أَرْضٍ لَيْلَى بَدَا لِيَا
خَلِيلِيَّ إِنْ بَانُوا بَلِيلَى فَهَيْمًا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا

فخرج حَشَمُهَا فزجروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب . وَسَمِعَتِ الْجَلْبَةَ¹ فقالت : ما هذه الضجّة بالباب ؟ فقالوا : الدلال . فقالت : ائذّنوا له . فلمّا دخل عليها شقّ ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْلِهِ وَحَرَبِهِ ؛ فقالت له : الويل وويلك ! ما دهاك ؟ وما أَمْرُك ؟ قال : ضربني حَشَمُكَ . قالت : وَلِمَ ؟ قال : غَنَيْتُ صوتاً أريد أن أُسْمِعَكَ إِيَّاه ، لأَدْخُلَ إِلَيْكَ ؛ فقالت : أَفْ لَهُمْ وَتُفْ ! نحن نبلّغ لك ما تُحِبُّ ونُحَسِّنُ تَأْذِيهِمْ . يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة . فلمّا طرّحت عليه جلس . فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حتّى أُغْنِيكَ . قالت : فذاك إليك ؛ فاندفع يُغْنِي شعرَ جميل² :

أَرْحَمِينِي فَقَدْ بَلَيْتُ فَحَسْبِي بَعْضُ ذَا الدَّاءِ يَا بُثَيْنَةُ حَسْبِي

1 ل : الضجّة .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 22 .

لَا تَلُومُوا قَدْ أَقْرَحَ الْحُبُّ قَلْبِي لَا مَنِي فِيكَ يَا بَثِينَةَ صَحْبِي
زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ دَائِي طَبِّي أَنْتِ وَاللَّهُ يَا بَثِينَةَ طَبِّي¹

ثم جلس فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليّ بالمائدة ؛ فأتني بها كأنّها كانت مهيّأة عليها أنواع الأطعمة ، فأكل ، ثم قال : هل من شراب ؟ قالت : أمّا نبذ فلا ، ولكن غيره . فأتني بأنواع الأشربة ، فشرب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأتني بأنواع الفواكه فتفكّه ، ثم قال : حاجتي خمسة آلاف درهم ، وخمس حُللٍ من حلل معاوية ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة ، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير . فقالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضى ببعض دون بعض ، فإمّا الحاجة وإمّا الردّ . فدعت له بما سأل ، فقبحه وقام . فلما توسّط الدار غنى ونقر بدفّه² :

لَيْتَ شِعْرِي أَجْفَوْتُ أَمْ دَلَالٌ أَمْ عَدُوٌّ أَتَى بُثِينَةَ بَعْدِي
فَمُرِنِي أَطْعَمَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتِ وَاللَّهُ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

وكانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختة بنت قرظلة : اذهبي فانظري إليها ، فذهبت فنظرت إليها ، فقالت له : ما رأيت مثلاً ، ولكني رأيت تحت سُرّتها خالاً كيوضعنّ منه رأس زوجها في حجرها . فطلّقها معاوية ؛ فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ؛ فقتل أحدهما فوضع رأسه في حجرها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت³

[من الطويل]

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الْبُكَاءَ إِذَا عَلِمَ مِنْ أَرْضٍ لَيْلِي بَدَا لِيَا
خَلِيلِي إِنْ بَأَسُوا بَلِيلِي فَهَيْبَا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا⁴
أَمْضُورِيَّةً لَيْلِي عَلَى أَنْ أَزُورَهَا وَمَتَّخِذَ ذَنْباً لَهَا أَنْ تَرَانِيَا
خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا

1 يا بثينة في ل : يا حيتك .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 49 .

3 الأبيات من مواضع متفرقة من الياثية المنسوبة للمجنون في ديوانه : 297 .

4 فهيباً في ل : فقرباً .

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا

الشعر للمجنون ، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وذكر الهشامي أنَّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوَّل لا يشكُّ فيه . قال : وقد قال قوم : إنَّه منحول يحيى المكي . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامي أيضاً . وفيه ليحيى المكي رملٌ من رواية ابنه أحمد . وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يُعرف صانعه .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

لَيْتَ شِعْرِي أَجْفَوَةٌ أَمْ دَلَالٌ أَمْ عَدُوٌّ أَتَى بَثِينَةً بَعْدِي
فَمُرِّنِي أَطْعَمَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتَ وَاللَّهُ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

الشعر لجميل ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسَّبَابَةِ في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لعلوِّيه خفيف ثقيل آخر . وذكر عمرو بن بانه أنَّ فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد . وذكر إسحاق أنَّ فيه رملًا بالبصر في مجراها ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر الهشامي أنَّه لملك . وفيه لثيم خفيف رملٍ . وفيه لعريب ثقيل أوَّل [بالبصر] . وذكر حبش أنَّ فيه للغريض ثقيلًا أوَّل بالبصر . ولمعبد فيه ثقيل أوَّل بالوسطى . وذكر ابن المكي أنَّ فيه خفيف ثقيل لملك وعلوِّيه . [غنى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن عَوَانَةَ بن الحَكَم قال : لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج ، كان ابن أبي عتيق عنده ، فجاءه الدلال متعريضاً فاستأذن . فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدتُ . فقال له ابن أبي عتيق : غنَّا ؛ فقال ابن جعفر : ليس وقتَ ذلك ، نحن في شغل عن هذا . فقال ابن أبي عتيق : وربُّ الكعبة ليُغْنِيَنَّ . فقال له ابن جعفر : هات . فغنَّى ونَقَرَ بالدُفِّ ، والهوارج والرواحل¹ قد هُيِّئَتْ ، وصُيِّرَتْ بنت ابن جعفر فيها مع جواربها والمشيعين لها : [من المنسرح]

يَا صَاحِبَ لَوْ كُنْتَ عَالِمًا خَيْرًا بِمَا يُلَاقِي الْمُحِبُّ لَمْ تَلُمَّهُ
لَا ذَنْبَ لِي فِي مُقَرَّطٍ حَسَنِ أَعْجَبَنِي ذَلِكَ وَمُتَسَمِّ²
شِمْتُهُ الْبُخْلُ وَالْبِعَادُ لَنَا يَا حَبْدًا هُوَ وَحَبْدًا شِيَمُهُ
مُضْمَخٌ بِالْعَبِيرِ عَارِضُهُ طُوبَى لِمَنْ شَمَّهُ وَمَنْ لَثَمَهُ

1 ل : الرماثل .

2 مقرط في ل : مقرطق .

قال : ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدلال ، فطرب ابن جعفر وابن أبي عتيق . وقال له ابن جعفر : زدني وطرب . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى¹ : [من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العَوَازِلُ فِي الصَّبَا ح يَلْمَنَنِي وَالْوُمُهْنَةُ
وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقد كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

ومضت بنت ابن جعفر ، فاتبعها يُغنيها بهذا الشعر ، ولعبد آل الهذلي فيه لحن وهو أحسنها² :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلَا وَأَرَادَ غَيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلَا³
فَوَقَفْتُ أَنْظِرْ بَعْضَ شَأْنِهِمْ وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمُلُ الْأَمَلَا
وَإِذَا الْبِغَالُ تُشَدُّ صَافِيَةً وَإِذَا الْحِدَاةُ قَدْ ازْمَعُوا الرَّحَلَا
فَهَنَّاكَ كَادَ الشَّوْقُ يَقْتُلَنِي لَوْ أَنَّ شَوْقًا قَبْلَهُ قَتَلَا

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك ؛ فقد أوجعت قلبي ؛ وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العَوَازِلُ فِي الصَّبَا ح يَلْمَنَنِي وَالْوُمُهْنَةُ
وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقد كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
لَا بُدَّ مِنْ شَيْبٍ فَدَعُ نَ وَلَا تُطْلَنَ مَلَا مَكْنَهُ
يَمْشِينَ كَالْبَقَرِ الثَّقَا لِ عَمَدَنَ نَحْوِ مُرَاجِيهِنَ
يَحْفَيْنَ فِي الْمَمَشَى الْقَرِيبِ بَ إِذَا يُرْدَنَ صَدِيقَهْنَهُ

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن مسجح خفيف ثقیلٍ أَوَّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقیلٍ أَوَّلُ للغريض عن الهشامي . وفيه خفيف ثقیلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هبَّار عن الهشامي ودنانير ، وذكر حبش أنه ليعقوب .

[من الطويل]

ومنها :

1 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 66-67 .

2 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 326 مع اختلاف كبير في الرواية .

3 وأراد في ل : وازداد .

صوت

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلًا وَأَرَادَ غِيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلًا¹

الآبيات الأربعة .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ثقیل أول بالسبابة عن يحيى المكي . وفيه ليحيى أيضاً ثقیل أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبش أن هذا اللحن لبساسة بنت معبد .

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغناه فأجازه]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفِيِّ قال : كان للدلال صوت يُغني به ويُجيده ، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر² :

صوت

ألم تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالتَّرَبَّعَا يِطْنِ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَا
إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمُقَمَّسِ بَذَلْتُ مَعَالِمُهُ وَبَلَاءَ وَنُكْبَاءَ زَعَزَعَا
وَقَرَّبَنْ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتِّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إِصْبَعَا
فَقُلْتُ لِمُطَرِّهِنَّ فِي الْحُسْنِ إِنَّمَا ضَرَرَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني من الآبيات ثقیل أول بالنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقیل بالنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقیل أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق . وفي الأول والثاني للهدلي خفيف ثقیل أول بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لملك فيه لحنان ، ولمعبد لحن واحد .

[روى هشام بن المرتبة عن جرير صوتين له]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرتبة قال : كنا نعرف للدلال صوتين عجيبيين ، وكان جرير يُغني بهما فأعجب من حسنيهما ، فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما . فأما أحدهما فإنه يُفرح القلب . والآخر يُرْقص كل من سمي به . فأما الذي يُفرح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحن حسن وهو :

1 وأراد في ل : وازداد .

2 تقدّم هذا الشعر في الجزء الأول ، ص 103 ، 130 .

ولقد جرى لك يوم سرحه مالك
أخوى القوادم بالبياض ملّمع
الحب أبغضه إليّ أقله
بانّت عويمة فالقواء قرع
مما تعيف سائح وبريح
قلق المواقع بالفراق يصيح
صرح بذاك فراحتي التصريح
ودموع عينك في الرداء سفوح
والآخر :

[من مجزوء الرمل]

كلما أبصرت وجهاً
فاذا ما لم يكنه
فصلي جبل مجب
وانظري لا تخذليه
حسنأ قلت خليلي
صحت ويلي وعويلي
لكم جد وصول
إنه غير خذول

نسبة هذين الصوتين

للدلال في الشعر الأول الذي أوله :

[من الكامل]

ولقد جرى لك يوم سرحه مالك
خفيف ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريح ثقيل أول عن الهشامي . وقال حبش : إن للدلال
فيه لحنين : خفيف ثقيل أول وخفيف رمل . وأول خفيف الرمل :

[من الكامل]

بانّت عويمة فالقواء قرع

وذكر أن لحن ابن سريح ثاني ثقيل ، وأن لابن مسجع فيه أيضاً خفيف ثقيل .

[من مجزوء الرمل]

والصوت الثاني الذي أوله :

كلما أبصرت وجهاً
حسنأ قلت خليلي

الغناء فيه لعطرد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ، ويقال إنه للدلال . وفيه ليونس
خفيف رمل . وفيه لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو .
[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كان الدلال لا يشرب
النبيذ ، فخرج مع قوم إلى منتزه لهم ومعهم نبيذ ، فشربوا ولم يشرب منه ، فسقوه عسلاً
مجدوحاً ، وكان كلماً تغافل صيروا في شرابه النبيذ فلا ينكره ، وكثر ذلك حتى سكر وطرب ،
وقال : اسقوني من شرابكم ، فسقوه حتى ثعل ، وغناهم في شعر الأحوص¹ : [من البسيط]

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا عند الفراش فبات الهم محتضرا
أراقب النجم كالخيران مرتقبا وقلص النوم عن عيني فانشمرا
من لوعة أورثت قرحا على كبدي يوما فأصبح منها القلب منقطرا
ومن يبت مضمرأ هماً كما ضمنت مني الضلوع يبت مستبطناً غيرا

فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا . ثم غناهم : [من المقارب]

طربت وهاجك من تدكير ومن لست من حبه تعتذر
فإن نلت منها الذي أرتجي فذاك لعمرى الذي أنتظر
والأ صبرت فلا مفرجاً عليها بسوء ولا مبتهر¹

لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيل أول بالنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنه للغريض ، قال : وسكر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقياً ولو ثيابه بقيه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألا يغني أبداً ولا يعاشر من يشرب النبيذ ، فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نجه . [انقضت أخبار الدلال] .

ومأ في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة²

[من البسيط]

يا دين قلبك منها لست ذاكرها إلا ترفق ماء العين أو دمعاً³
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني حتى إذا قلت هذا صادق نزعاً
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
كم من دني لها قد صرت أتبعه ولو سلا القلب عنها صار لي تبعاً
وزادني كلفاً في الحب أن ميعت وحب شيء إلى الإنسان ما ميعا

1 مبتهر في ل : منتهر .

2 هذه الأبيات مما ينسب إلى الأحوص (انظر ديوانه : 152-153) وللمجنون (انظر ديوانه : 200-201) .

3 دين هنا : داء .

الشعر للأحوص ، والغناء ليحيى بن واصل المكي ، وهو رجل قليل الصنعة غير مشهور ، ولا وجدت له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه .

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مطرف بن عبد الله المدني¹ [قال] حدثني أبي عن جدّي قال : بينا أطوف بالبيت ومعّي أبي ، إذا بعجوز كبيرة يضرب أحد لحيّتها الآخر .

فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص :

يا سَلَمَ ليت لساناً تنطيق به قبل الذي نالني من حُبكم قطعاً
يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم فما أبالي أطارَ اللوم أم وقعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزعا
قال : فقلت له : يا أبت ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قط . فضحك ثم قال : يا بُني هكذا يصنع الدهرُ بأهله .

حدثنا به وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أبو خويلد مطرف بن عبد الله المدني¹ عن أبيه ، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

كالبيض بالأدحيّ يلمع في الضحى فالحسنُ حسنٌ والنَّعيمُ نعيمُ
حلين من دُرِّ البحورِ كأنّه فوق النّحورِ إذا يلوحُ نجومُ
الأدحيّ : المواضع التي يبيض فيها النعام ، واحدها أدحية . وذكر أبو عمرو الشيباني أنّ الأدحيّ البَيضُ نفسه . ويقال فيه أدحيٌّ وأداح أيضاً .

الشعر لطريح بن إسماعيل الثَّقَفِيّ ، والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهذليّ خفيف ثقيل من رواية الهشامي . وقد سمعنا من يغني فيه لحناً من خفيف الرَّمَل ، ولست أعرف لمن هو .

[52] - ذكر طريق وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي في كتاب النسب إجازة ، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن ابن عائشة ومحمد بن سلام ومُصعب الزبيري ، قال : طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عَنزة بن عَوف بن قَسي ، وهو ثَقِيف ، بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازَن بن منصور بن عَكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر .

[ثَقِيف والخلاف في نسبه]

قال ابن الكلبي : ومن النسَّابين مَنْ يذكُر أنَّ ثَقِيفاً هو قَسي بن مُنَبِّه بن النُّبَيْت بن منصور بن يَقدُم بن أَفصى بن دُعَيم بن إِيَاد بن زَرار . ويقال : إنَّ ثَقِيفاً كان عبداً لأبي رِغال ، وكان أصله من قوم نَجَوا من ثُمود ، فانتَمى بعد ذلك إلى قَيس . ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكَرَّم وجهه : أَنَّهُ مرَّ بِثَقِيف ، فتغامزوا به ؛ فرجع إليهم فقال لهم : يا عبيد أبي رِغال ، إِنما كان أبوكم عبداً له فهِرَبَ منه ، فثَقَّفَه بعد ذلك ، ثم انتَمى إلى قَيس .

وقال الحَجَّاج في خُطبة خَطَبَها بالكوفة : بَلَّغني أَنتَكم تقولون إنَّ ثَقِيفاً من بَقِيَّة ثُمود ويلَكم ! وهل نَجا من ثُمود إلَّا خيارُهم وَمَن آمَن بِصالح بَقِيٍّ معه عليه السلام ! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَثُمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ . فبلغ ذلك الحسن البصري : فتضاحك ثم قال : حَكَم لُكُغُ لنفسه ، إِنما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمَا أَبْقَى ﴾ أي لم يُبقِهم بل أَهلَکَهم . فَرُفِعَ ذلك إلى الحَجَّاج فطلَبه ، فتوارى عنه حتى هَلَکَ الحَجَّاج . وهذا كان سبب تَواريه منه . ذكر ابن الكلبي أَنَّهُ بلغه عن الحسن .

وكان حمَّادُ الراوية يذكُر أنَّ أبا رِغال أبو ثَقِيف كُلِّها ، وأَنَّهُ من بَقِيَّة ثُمود ، وأَنَّهُ كان مَلِكاً بالطائف ، فكان يَظَلُم رعيته . فمرَّ بامرأة تُرضع صَبِيّاً يَتِيماً بَلَنَ عَنزَ لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مُجَدِّبة ؛ فَبَقِيَ الصَّبِيُّ بلا مُرْضِعة فمات ، فرماه الله بِقارِعةٍ فَأَهْلَكَه ، فرجَمَتِ

1 ترجمة طريح في الشعر والشعراء : (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 568 ومعجم الأدياء (تحقيق احسان عباس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت) : 1458 وابن عساكر 8 : 506 والوافي 16 : 432 وأورد ابن خلدون مختارات من شعره وبعض أخباره في مواضع متفرقة من التذكرة (انظر الفهرس) . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في الجزء الثالث من «شعراء أمويون» مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .

العرب قبره ، وهو بين مكة والطائف . وقيل : بل كان قائد الفيل ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكة والطائف ؛ فمر النبي ﷺ بقبره ، فأمر برجمه فرجم ؛ فكان ذلك سنة .

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان ثقيف والنخع من إباد ؛ فثقيف قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أقصى بن دغمي بن إباد . والنخع ابن عمرو بن الطمنان¹ بن عبد مناة بن يقدم بن أقصى ، فخرجا ومعهما عترة لهما بكون يشربا لبنها ، فعرض لها مصدق² لملك اليمن فأراد أخذها ؛ فقالا له : إنما نعيش بدرها ؛ فأبى أن يدعها ؛ فرماه أحدهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض . فأما النخع فمضى إلى بيشة فأقام بها ونزل القسي موضعا قريبا من الطائف ؛ فرأى جارية ترعى غنما لعامر بن الظرب العدواني ، فطمع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أخوي الغنم ؛ فأنكرت الجارية منظره ، فقالت له : إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم ، وهذا شيء ؛ إن فعلته قُتِلت وأخذت الغنم منك ، وأظنك غريبا جائعا ؛ فدلته على مولاها . فأتاه واستجار به فروجه بته ، وأقام بالطائف . فقيل : لله دره ما أثقفه حين ثقف عامرا فأجاره . وكان قد مرَّ يهودية بوادي القرى حين قُتل المصدق ، فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمته ونفعته .

قال ابن الكلبي في خبر طويل ذكره : كان قسي مقيما باليمن ، فضاك عليه موضعه ونا به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذ منازل فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان ، فانتهى إلى الظرب العدواني ، وهو أبو عامر بن الظرب ، فوجده نائما تحت شجرة³ ، فأيقظه وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظرب . قال : علي أليّة إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني⁴ ابنتك ، ففعل . وانصرف الظرب وقسي معه ، فلقية ابنه عامر بن الظرب فقال : من هذا معك يا أبت ؟ فقص قصته . قال عامر : لله أبوه ! لقد ثقف أمره ؛ فسُمي يومئذ ثقيفا . قال : وعيّر الظرب تزويجه قسيّا ، وقيل : زوجت عبدا . فسار إلى الكهّان يسألهم ، فانتهى إلى شقّ ابن صعب البجلي وكان أقربهم منه . فلما انتهى إليه قال : إنا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قسي ، وقسي عبد إباد ، أبق ليلة الواد ، في وج ذات الأنداد ، فوالى سعدا ليفاد ، ثم لوى بغير معاد . (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر) . قال : ثم توجه إلى سطيح الذبيبي (حيّ

1 ل : الظبيان .

2 المصدق : جامع الزكاة والصدقة .

3 ل : صخرة .

4 تحلف لي لتزوجني .

من غسان ، ويقال : إنهم حَيٌّ من قضاة نَزولٍ في غسان ، فقال : إنا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قسيٍّ ، وقسيٍّ من وَلَدِ ثُمود القديم ، ولدته أمُّه بصحراء بريم ، فالتقطه إِيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم . فرجع الظُّرب وهو لا يدري ما يصنع¹ في أمره ، وقد وَكَّدَ عليه في الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُونَ بالقول . فلهذا يقول مَنْ قال : إنَّ ثَقِيفاً من ثُمود ؛ لأنَّ إِياداً من ثُمود .

قال : وقد قيل : إنَّ حرباً كانت بين إِيادٍ وبين قيس ، وكان رئيسُهم عامر بن الظُّرب ، فظَفِرَتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثُمود وأنكروا أن يكونوا من نزار .

قال : وقال عامر بن الظُّرب في ذلك :

قالتُ إِيادُ قد رأينا نَسَباً في ابْنِي نِزارٍ ورأينا غَلَباً
سيرِي إِيادُ قد رأينا عَجَباً لا أصلُكم منّا فسامي الطَّلَبِ
دارَ ثُمودٍ إذْ رأيتِ السَّيِّبِ

قال : وقد رُوي عن الأعمش أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال على المنبر بالكوفة وذكر ثَقِيفاً : لقد هممتُ أن أضَعَ على ثَقِيفِ الجِزْيَةِ ؛ لأنَّ ثَقِيفاً كان عبداً لصالح نبيِّ الله عليه السلام ، وإنَّه سَرَّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعث العاملُ معه بها ، فهرب واستوطن الحَرَمَ ، وإنَّ أولى الناس بصالح محمد ﷺ ، وإنِّي أشهدُكم أنَّي قد رددتهم إلى الرِّقِّ .

قال : وبلغنا أنَّ ابن عباس قال ، وذكر عنده ثَقِيف ، فقال : هو قسيٌّ بن مُنبه ، وكان عبداً لامرأة صالح نبيِّ الله ﷺ ، وهي الهَيْجُمَانَةُ بنت سعد ، فوهبته لصالح ، وإنَّه سَرَّحه إلى عاملٍ له على الصَّدقة ؛ ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال فيه : إنَّه مرَّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمُّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرها ، فأخذ الشاة ؛ فناشده الله ، وأعطاه عَشْراً فأبى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمَّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نَثَلَ كَنانته فرماه ففلق قلبه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصَّ عليه قصَّته ؛ فقال : أبعدَه الله ؛ فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِمَ قبره ، فأبى اليوم واللييلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ حين انصرف من الطائف مرَّ بقبر أبي رِغال فقال : «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثَقِيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزَّ وجلَّ ، فلمَّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب» ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

قال : وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سئل عن جرهم : هل بقي منهم أحد ؟ قال : ما أدري ، غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف في قيس عيلان ، وبنو لجأ في طيء ، والطفافة في بني أعصر .

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن : ذكرت القبائل عند النبي ﷺ ، فقال : «قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حيمير من تبع وجرهم من عاد وثقيف من ثمود» .

قال : وروى عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن حصين . فقال لهما : ممن أنتما ؟ قالا : من ثقيف . فقال لهما : أترعمان أن ثقيفاً من إباد ؟ قالا نعم . قال : فإن إباداً من ثمود ؛ فشق ذلك عليهما . فقال لهما : أساء كما قولي ؟ قالا : نعم والله . قال : فإن الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه ؛ فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن ، وإن كان أبو رغال قد أتى ما بلغكما . قالا له : فما اسم أبي رغال ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه ؟ قال : قسي بن منبه .

قال : وروى الزهري أن النبي ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفاً ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الأنصار» .

قال : وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «بنو هاشم والأنصار حلفان وبنو أمية وثقيف حلفان» .

قال : وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه¹ :

إذا التَّقْفِيُّ فَاخْرَكُمْ فَقُولُوا هَلُمَّ نَعُدَّ شَأْنُ أَبِي رِغَالٍ
أَبُوكُمْ أَخْبَثُ الْآبَاءِ قَدَمًا وَأَنْتُمْ مُشَبَّهُونَ عَلَى مِثَالِ
عَبِيدِ الْفِزْرِ أَوْرَثَهُمْ بَنِيهِ وَوَلَّى عَنْهُمْ أُخْرَى اللَّيَالِي

[أم طريق ونسبها]

وأم طريق بنت عبد الله بن سبياع بن عبد العزى بن فضلة بن غبشان من خزاعة ، وهم خلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وسبياع بن عبد العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . ولما برز إليه سبياع قال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ، وكانت أمه تفعل ذلك وتقبل² نساء قريش بمكة ، فحمي وخشي لقوله وغضب لسبياع ، فرمى حمزة بحرته فقتله ، رحمة الله عليه ، وقد كتب ذلك في خبر غزاة أحد في بعض هذا الكتاب .

1 ديوان حسان 1 : 167 مع اختلاف كبير في الرواية .

2 تقبل : تولد ، ومنه القابلة .

[كَبَيْتُهُ]

وَيُكْنِي طَرْيَحَ أَبَا الصَّلْتِ ؛ كُنِّي بِذَلِكَ لِابْنِ كَانَ لَهُ اسْمُهُ صَلْتُ . وَلَهُ يَقُولُ¹ : [من الكامل]
 يَا صَلْتُ إِنَّ أَبَاكَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ مَكْتُوبَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَاهَا
 سَلَفْتُ سَوَالِفَهَا بِأَنْفُسٍ مَنْ مَضَى وَكَذَلِكَ يَتَّبَعُ بَاقِيًا أُخْرَاهَا
 وَالذَّهْرُ يُوشِكُ أَنْ يُفَرِّقَ رَيْثَهُ بِالْمَوْتِ أَوْ رِحْلِ تَشْتِ نَوَاهَا²
 لَا بُدَّ بَيْنَكُمَا فَتُسْمِعَ دَعْوَةً أَوْ تَسْتَجِيبَ لِدَعْوَةٍ تُدْعَاهَا

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه]

وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ : أَنَّ أُمَّ الصَّلْتِ بْنِ طَرْيَحَ
 مَاتَتْ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَطَرَحَهُ طَرْيَحُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ . وَفِيهِ يَقُولُ³ : [من الكامل]

بَاتَ الْخِيَالُ مِنَ الصَّلَاتِ مُورِّقِي يَفْرِي السَّرَّاءَ مَعَ الرَّيَّابِ الْمُثْقِي⁴
 مَا رَاعَنِي إِلَّا بَيَاضُ وَجْهِهِ تَحْتَ الدُّجْنَةِ كَالسَّرَاجِ الْمُشْرِقِ

[نشأ في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس]

وَنَشَأَ طَرْيَحُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَاسْتَفْرَغَ شَعْرَهُ فِي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَأَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي
 الْعَبَّاسِ ، وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ⁵ ؛ وَكَانَ الْوَلِيدُ لَهُ مُكْرَمًا مُقَدِّمًا ؛ لِانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَلِخَوَلْوَتِهِ فِي
 ثَقِيفَ .

فَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ قَالَ
 حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ الْجَمِيلِ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ سَهْمِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ أَخْبَرَنِي طَرْيَحُ بْنُ
 إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيِّ قَالَ : خُصِمْتُ بِالْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ حَتَّى صِرْتُ أَخْلُوَ مَعَهُ . فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ
 وَأَنَا مَعَهُ فِي مَشْرَبَةٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، خَالَكَ يُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ شَيْئًا مِنْ خُلُقِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟
 قُلْتُ : لَمْ أَشْرَبْ شَرَابًا قَطُّ مَزْجًا إِلَّا مِنْ لَبَنٍ أَوْ عَسَلٍ . قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ ذَاكَ وَلَمْ يَبَاعِدْكَ مِنْ
 قَلْبِي . قَالَ : وَدَخَلْتُ يَوْمًا إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ الْأُمَوِيُّونَ ، فَقَالَ لِي : إِلَيَّ يَا خَالِي ، وَأَقْعِدْنِي إِلَى جَانِبِهِ ،
 ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرَبَ . ثُمَّ نَاوَلَنِي الْقَدَاحَ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْلَمْتُكَ رَأْيِي فِي
 الشَّرَابِ . قَالَ : لَيْسَ لِدَلِّكَ أُعْطَيْتُكَ ، إِنَّمَا دَفَعْتَهُ إِلَيْكَ لِتُنَاطِلَهُ الْغَلَامَ ، وَغَضِبَ . فَرَفَعَ الْقَوْمَ

1 شعر طريح : 314 .

2 ربه في ل : بينهم .

3 شعر طريح : 308 .

4 الملتقى : الذي يسبب البلب .

5 ل : الهادي وهو خطأ .

أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ؛ فذهبت أقوم ، فقال : اقعد . فلما خلا البيت افتري علي ، ثم قال : يا عاض كذا وكذا ! أردت أن تفضحني ، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ! ثم نهى الحاجب عن إدخاله ، وقطع عني أرزاقه . فمكثت ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متكرراً ، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول¹ :

يا ابن الخلائف ما لي بعد تفرية
ما لي أذاذ وأقصى حين أقصيدكم
كأنني لم يكن بيني وبينكم
لو كان بالود يدي منك أزلفني
وكنت دون رجال قد جعلتهم
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد
فذو الشماتة مسرور بهيضتنا
إليك أقصى وفي حالك لي عجب
كما توفي من ذي الغرة الجرب²
إل ولا خلّة ترعى ولا نسب
بقربك الود والإشفاق والحدب
دوني إذ ما رأوني مقبلاً قطبوا
شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا³
تحدثوا أن حلي منك منقضب
وذو النصيحة والإشفاق مكث⁴

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست . ورجع إلي وقال : إياك أن تعاود . وتما هذه القصيدة :

أين الذمامة والحق الذي نزلت
وحوكي الشعر أصفيه وأنظمه
وإن سخطك شيء لم أناج به
لكن أتاك بقول كاذب أثم
وما عهدتلك فيما زل تقطع ذا
ولا توجع من حق تحمله
فقد تقربت جهداً من رضاك بما
فغير دفعك حقّي وارتفاضك لي
بحفظه وبتعظيم له الكتب
نظم القلائد فيها الدر والذهب
نفسه ولم يك مما كنت أكتسب
قوم بغوني فقالوا في ما طلبوا
قربني ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا تتبع بالتكدير ما تهب
كانت تنال به من مثلك القرب
وطيئك الكشح عني كنت أحسب

1 شعر طريق : 293-295 .

2 وأقصى في ل : وأنهى .

3 أذاعو في ل : أذيع .

4 بهيضتنا في ل : بفعلهم .

أُمُشِمَتْ بِيْ أَقْوَاماً صُدُّوهُمْ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَى
 إِنَّ الَّتِي صُنَّتْهَا عَنْ مَعْشَرٍ طَلَّبُوا
 أَخْلَصْتُهَا لَكَ إِخْلَاصَ أَمْرٍ، عِلْمُ الْأَ
 أَصْبَحَتْ تَدْفَعُهَا مِنِّي وَأَعْطَفُهَا
 فَإِنْ وَصَلْتَ فَأَهْلُ الْعُرْفِ أَنْتَ وَإِنْ
 إِنِّي كَرِيمٌ كِرَامٍ عِشْتُ فِي أَدَبٍ
 قَدْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْعُسْرَ مَنْقُطَعٌ
 فَمَالُهُمْ حُبْسٌ فِي الْحَقِّ مُرْتَهَنٌ
 وَمَا عَلَى جَارِهِمْ إِلَّا يَكُونُ لَهُ
 لَا يَفْرَحُونَ إِذَا مَا الدَّهْرُ طَاوَعَهُمْ
 فَارَقْتُ قَوْمِي فَلَمْ أَعْتَضْ بِهِمْ عَوْضاً
 عَلَيَّ فِيكَ إِلَى الْأَذْقَانِ تَلْتَهَبُ
 حِرْزٍ وَالْأَ يَضُرُّونِي وَإِنْ الْبُؤَا
 مِنِّي إِلَيَّ الَّذِي لَمْ يُنْجِعِ الطَّلَبُ
 قَوْمٌ أَنْ لَيْسَ إِلَّا فِيكَ يَرْتَعِبُ
 عَلَيْكَ وَهِيَ لِمَنْ يُحِبِّي بِهَا رَغَبُ
 تَدْفَعُ يَدَيَّ فَلَئِنْ بُقِيَا وَمُنْقَلَبُ
 نَفَى الْعُيُوبِ وَمَلِكُ الشِّيمَةِ الْأَدَبُ¹
 يَوْمًا وَأَنَّ الْغِنَى لَا بَدَّ مَنْقَلَبُ
 مِثْلُ الْغَنَائِمِ تُخَوِي ثُمَّ تُنْتَهَبُ
 إِذَا تَكَنَّفَهُ أَيْبَاتُهُمْ نَشَبُ
 يَوْمًا يُبْسِرُ وَلَا يَشْكُونَ إِنْ نُكِبُوا
 وَالْدَّهْرُ يُحْدِثُ أَحْدَاثًا لَهَا نَوْبُ

[رواية المدائني في ذلك]

وَأَمَّا الْمَدَائِنِيُّ فَقَالَ : كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ يُكْرَمُ طُرِيحًا ، وَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنَزَلَةٌ قَرِيبَةً وَمَكَانَةً ، وَكَانَ يُدْنِي مَجْلِسَهُ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرَ خَارِجٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ . فَاسْتَفْرَغَ مَدِيحَهُ كُلَّهُ وَعَامَّةَ شَعْرِهِ فِيهِ ؛ فَحَسَدَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْوَلِيدِ . وَقَدِيمُ حَمَادِ الرَّايَةِ عَلَى التَّفِيئَةِ² الشَّامَ ، فَشَكَّوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ طُرِيحٌ بِالْأَمِيرِ ، فَمَا نَالْنَا مِنْهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارَ . فَقَالَ حَمَادُ : ابْغُونِي مَنْ يُنْشِدُ الْأَمِيرَ بَيْتَيْنِ مِنْ شَعْرٍ ، فَاسْقِطْ مَنَزَلَتَهُ . فَطَلَبُوا إِلَى الْخَصِيِّ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَى رَأْسِ الْوَلِيدِ ، وَجَعَلُوا لَهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يُنْشِدَهُمَا الْأَمِيرَ فِي خَلْوَةٍ ، فَإِذَا سَأَلَهُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ ذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طُرِيحٍ ؛ فَأَجَابَهُمُ الْخَصِيُّ إِلَى ذَلِكَ ، وَعَلَّمَهُمُ الْبَيْتَيْنِ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ طُرِيحٌ عَلَى الْوَلِيدِ وَفَتَحَ الْبَابَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَجَلَسُوا طَوِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا ، وَبَقِيَ طُرِيحٌ مَعَ الْوَلِيدِ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ؛ ثُمَّ دَعَا بَغْدَائَتَهُ فَتَعَدَّيَا جَمِيعًا . ثُمَّ إِنَّ طُرِيحًا خَرَجَ وَرَكِبَ إِلَى مَنَزَلِهِ ، وَتَرَكَ الْوَلِيدَ فِي مَجْلِسِهِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، فَاسْتَلْقَى عَلَى فَرَاشِهِ . وَاعْتَنَمَ الْخَصِيَّ خَلْوَتَهُ فَاَنْدَفَعَ يُنْشِدُ :

1 ملك الشيمة : قوامها .

2 التفئة : الحين والزمان .

سيرِي رِكابِي إلى مَنْ تَسْعَدِينَ به فقد أَقَمْتُ بدارِ الهُونِ ما صَلَحَا
سيرِي إلى سَيِّدِ سَمَحٍ خَلَّاهُ ضَحَمِ الدَّسِيعَةِ قَرْمٍ يَحْمِلُ المِدْحَا

فَأَصْغَى الوليدُ إلى الخَصِيِّ بِسَمْعِهِ وَأَعَادَ الخَصِيَّ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ الوليدُ : وَيْحَكَ يَا غلامُ ؛ مِنْ قَوْلِ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طُرَيْحٍ . فَغَضِبَ الوليدُ حَتَّى امْتَلَأَ غَيْظًا ، ثُمَّ قَالَ : وَالْهَفَا عَلَى أُمِّ لَمْ تَلِدْنِي ! قَدْ جَعَلْتَهُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخَرَ خَارِجٍ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ هَشَامًا يَحْمِلُ المِدْحَ وَلَا أَجْلَهَا ! ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالحَاجِبِ ، فَأَتَاهُ . فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ مَا أَذْنْتُ لَطُرَيْحٍ وَلَا رَأَيْتُهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنْ حَاوَلْتَ فَاخْطَفُهُ بِالسَّيْفِ . فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ وَصَلَّتِ العَصْرُ ، جَاءَ طُرَيْحٌ لِلسَّاعَةِ الَّتِي كَانَ يُؤَذِّنُ لَهَا فِيهَا ، فَدَنَا مِنَ الْبَابِ لِيَدْخُلَ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَرَاءَكَ ! فَقَالَ : مَا لَكَ ! هَلْ دَخَلَ عَلَى وَلِيِّ الْعَهْدِ أَحَدٌ بَعْدِي ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنْ سَاعَةٌ وَلَيْتَ مِنْ عِنْدِهِ دَعَانِي فَأَمَرَنِي أَلَّا أَذْنَ لَكَ ، وَإِنْ حَاوَلْتَنِي فِي ذَلِكَ¹ خَطِفْتُكَ بِالسَّيْفِ . فَقَالَ : لَكَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأُذْنُ لِي فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي خَرَّاجَ الْعِرَاقِ مَا أَذْنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ فَارْجِعْ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! هَلْ تَعْلَمُ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ ؟ قَالَ الْحَاجِبُ : لَا وَاللَّهِ ! لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَا عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مَا يَشَاءُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . قَالَ : فَارْجِعْ طُرَيْحٌ وَأَقَامَ بِيَابَ الْوَلِيدِ سَنَةً لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّخُولِ عَلَيْهِ . وَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ وَقَوْمِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجْزٌ بِي أَنْ أَرْجِعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَلْقَى وَلِيَّ الْعَهْدِ فَأَعْلَمَ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ . وَرَأَى أَنَسًا كَانُوا لَهُ أَعْدَاءُ قَدْ فَرِحُوا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْوَلِيدِ وَيَحْدِثُونَهُ وَيَصْدُرُّ عَنْ رَأْيِهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ بِالْحَاجِبِ وَيُؤْمِنِيهِ ؛ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : أَمَّا إِذَا أَطَلَّتِ الْمَقَامُ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا كَانَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرِزَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ حِجَابٌ ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَعْلَمْتُكَ فَتَكُونُ قَدْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَظَفَرْتَ بِحَاجَتِكَ وَأَكُونُ أَنَا عَلَى حَالٍ عُذْرٍ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، دَخَلَ الْحَمَّامَ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرِزَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَالْوَلِيدُ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ أَقْبَلَ . وَبَعَثَ الْحَاجِبُ إِلَى طُرَيْحٍ ، فَأَقْبَلَ وَقَدْ تَنَتَّمَ النَّاسُ . فَلَمَّا نَظَرَ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ صَرَفَ عَنْهُ وَجْهَهُ ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يَرِدَّهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؛ فَدَنَا فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ طُرَيْحٌ يَسْتَعْطِفُهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ² :

نَامَ الْخَلِيُّ مِنَ الْهُمُومِ وَبَاتَ لِي لَيْلٌ أَكْبَدُهُ وَهَمٌّ مُضْلِعٌ

1 ل : الاذن .

2 شعر طريق : 305-304 .

وسهرتُ لا أُسرِّي ولا في لَذَّةٍ
أُبغي وجوه مَخارجي من تُهْمَةٍ
جزعاً لَمَعَتِةِ الوليدِ ولم أَكُنْ
يا ابنَ الخلائفِ إنْ سُخِطَكَ لامرئٍ
فَلَا تَزْعَنْ عن الذي لم تَهْوَه
فاعْطِفْ فِدَاكَ أبايَ عليَّ تَوْسَعاً
فلقد كَفَاكَ وزاد ما قد نالني
سِمَةً لَذاكَ عليَّ جِسْمٌ شاحِبٌ
إنْ كُنْتَ في ذَنْبٍ عَتَبْتَ فَإِنِّي
ويَسْتُ مِنْكَ فَكُلُّ عُسْرٍ بَاسِطٌ
من بعد أَخْذِي من حِبَالِكَ بِالَّذِي
فَارُبُّ صَنِيعِكَ بِي فَإِنَّ بَاعِينَ
أَدْفَعْتَنِي حَتَّى انْقَطَعْتُ وَسُدَّدْتُ
وَرُجِيْتُ وَأَتَقَيْتُ يَدَايَ وَقِيلَ قَدْ
وَدَخَلْتُ فِي حَرَمِ الذِّمَامِ وَحَاطَنِي
أَفْهَادِي مَا قَدْ بَنَيْتَ وَخَافَضْتُ
أَفْلا خَشِيتَ شِمَاتَ قَوْمٍ فَتَهُمُ
وَفَضَّلْتَ فِي الْحَسْبِ الْأَشْمَ عَلَيْهِمُ
فَكَأَنَّ أَنْفَهُمْ بِكُلِّ صَنِيعَةٍ
وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ يَنَالُ أَكْفَهُمْ
أَوْ تَسْتَلِيمُ فَيَجْعَلُونَكَ أَسْوَةً

قال : فقربه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال حَدَّثَنَا عبد الله بن شبيب قال حَدَّثَنَا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللّهبِّي عن أبيه² : أَنَّ طَرِيحاً دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ فِي الشُّعْرَاءِ ؛ فَقَالَ

1 تستليم : تفعل ما تستحقّ عليه اللوم .

2 هذا الخبر ممّا أورده ابن حدود في التذكرة 8 : الفقرة 485 .

له : لا حَيَّكَ اللَّهُ ولا يَبَّكَ ! أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ ، ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد : [من المنسرح]
 لو قَلْتَ للسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ والـ حَوْجُ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَعْتَلِجُ
 لَسَاخَ وَارْتَدَّ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجٌ¹
 فقال له طَرِيحٌ : قد علم الله عز وجل أنني قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عز وجل ، وإيَّاه
 تبارك وتعالى عَنَيْتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلُّص !
 [دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجاره]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث ممَّا أجاز لي أبو أحمد الجريدي روايته عنه : حدَّثنا
 المدائني : أنَّ الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٌ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومواليه والشعراء
 وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له ؛ فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب
 طريق ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخواله عن شماله وهو فيهم ،
 فأنشده² : [من المنسرح]

صوت

أَنْتَ ابْنُ مُسْلَنْطِخِ الْبَطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عَلَيْكَ الْحِجْنِيَّ وَالْوُلُجُ
 طَوْبَى لِفِرْعَيْكَ مِنْ هُنَا وَهنا طَوْبَى لِأَعْرَاقِكَ الَّتِي تَشِيجُ
 لو قَلْتَ للسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ والـ حَوْجُ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَعْتَلِجُ
 لَسَاخَ وَارْتَدَّ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ
 فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئي الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم .
 [ولاؤه ، وكان مغنياً وشاعراً]

وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا يُشِدُّني أحدٌ بعده شيئاً ؛ وأمر
 لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا ، واحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

[من المنسرح]

أَنْتَ ابْنُ مُسْلَنْطِخِ الْبَطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عَلَيْكَ الْحِجْنِيَّ وَالْوُلُجُ
 الأبيات الأربعة . عروضه من المنسرح ، غنَّاه ابن عائشة ، ولحنه رمل مطلق في مجرى
 الوسطى عن إسحاق .

1 سائر في ل : ساحة .

2 شعر طريق : 296 .

[طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه]

المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها . وتطرق عليك : تطبق عليك وتغطيكَ وتضيّق مكانك ؛ يقال : طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيق مُعْضِل . والوشيج : أصول الثبت ؛ يقال : أعراكَ واشجةً في الكرم ، أي نابتة فيه . قال الشاعر¹ :

وهل يُنبتُ الخطيَّ إلا وشيجُه وتَنبتُ إلا في مغارسها النَّخلُ

يعني أنه كريم الأبوين من قريش وثقيف . وقد ردّدَ طرَحَ هذا المعنى في الوليد ، فقال في كلمة له² :

واعتامَ كهْلُك من ثَقِيفٍ كُفْأه فتنازعاكَ فأنْتَ جَوْهَرُ جَوْهَرٍ³
فَنَمَتْ فروعُ القَرِيَتَيْنِ قُصِيَّها وقَسِيَّها بك في الأشمِّ الأكبر

والْحَنِيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حَنًا ، والجمع حُنِيّ مثل عَصَا وعُصَيّ . والوُلُج : كلّ مَتَسَع في الوادي ، الواحدة وَلَجَةٌ . ويقال : الوُلُجَات بين الجبال مثل الرَّحَاب . أي لم تكن بين الحُنِيّ ولا الوُلُج فيخفي مكانك ، أي لست في موضع خفيٍّ من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه : أنا ابن مُسْلَنْطِجِ البَطاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إن كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خلُقٌ فلك شَرَفٌ ، وإن كان لك تقوى فلك كَرَمٌ ، وإلا فذاك الحِمَار خيرٌ منك . أَحَبُّكُمْ إلينا قبل أن نراكم أَحْسَنُكُمْ سَمْتًا ، فإذا تكلّمتم فإيَّيْنُكُمْ مُنْطَقًا ، فإذا اخترناكم فأحسنُكم فعلًا .

وقوله : «لو قلتَ للسَّيْل دَعْ طَرِيقَكَ» ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأَبْطَح والمُطَاع فيه . فكلُّ مَنْ تأمره يُطِيعُكَ فيه ، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لَفَعَلَ لتفوذ أمرك . وإنما ضَرَبَ هذا مثلاً وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيء أشدَّ تعذُّراً من هذا وشبهه ، فإذا صَرَفَه كان على كلّ شيءٍ سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أي لغاض⁴ في الأرض . «وارتد» أي عدل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرَجٌ عنك إلى سائر الأرض .

1 هو زهير بن أبي سلمى .

2 شعر طريح : 303 .

3 اعتام : اختار .

4 ل : لغاب .

[غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه في شعره طرب ورضي عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال إسحاق وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية : أنّ الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه ، وأمرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهراً لئلاً يُعرفوا ، وكان إذ ذاك يتستّر في أمره ولا يُظهره . فسبقهم ابنُ عائشة فدخل نهراً وشهر أمره ، فحبسه الوليد وأمر به فقيّد ، وأذن للمغنين وفيهم معبدٌ ، فدخلوا عليه دَخَلَات . ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنّوا له حتى طرب وطابت نفسه . فلما رأى ذلك منه معبدٌ قال لهم : أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم ، فاطلبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : حسنًا لذيقنا . قال : فكيف لو رأيت ابنَ عائشة وسمعتَ ما عنده ؟ قال : فعليّ به . فطلع ابنُ عائشة يرسف في قيده . فلما نظر إليه الوليد ، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُريح ، والصنعة فيه له : [من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسلّطِجِ البطّاح ولم تطرُقْ عليك الحِنِيّ والوُلُجُ
فصاح الوليد : اكسروا قيده وفكّوا عنه ؛ فلم يزلّ عنده أثيراً مكرماً .

[غنى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكر قومه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد عن الحزاميّ عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتَمِرْ أَمَرَ رَشِيدٍ مُؤَمِّنٌ¹

قال : واللهُ إني لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جُوان بن عُمَر بن أبي ربيعة ، وكان يغني ؛ فقال له : اجلس يا ابن أخي غنّنا . فجلس فغنّى : [من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسلّطِجِ البطّاح ولم تطرُقْ عليك الحِنِيّ والوُلُجُ
فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تغنّاه ، ولا حظّ لك فيه ! هذا قاله طُريح فينا :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ

ومّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد² :

1 فأتَمِر في ل : فاستمع .

2 شعر طريح : 298 .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

وَيُحْيِي غَدَاً إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَخَذَرُ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
وَكَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ تَجَاوَبَ بِالْ فُرْقَةٍ مِنْهَا الْغُرَابُ وَالصُّرْدُ
الشعر لطريق بن إسماعيل ، والغناء لابن مِشْعَب الطائفي ، ولحنه المختار من الرَّمْل
بالوسطى .

[53] - ذكر ابن مشعب وأخباره¹

[أصله]

هو رجلٌ من أهل الطائف مولى لثقيف ، وقيل : إنه من أنفسهم ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وإياه يعني العرجي بقوله² :

[من الكامل]

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَابْنُ مِشْعَبٍ حَاضِرٌ فِي سَامِرٍ عَطِرٍ وَلَيْلٍ مُقَمِّرٍ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

[كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ابن مشعب مُعَنَّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غناءً ، وكان في زمن ابن سريج والأعرج ؛ وعامة الغناء الذي يُنسب إلى أهل مكة له ، وقد تفرق غناؤه ، فنُسب بعضه إلى ابن سريج ، وبعضه إلى الهذليين ، وبعضه إلى ابن مُحَرِّز . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحَرِّز :

[من الكامل]

يَا دَارَ عَاتِكَةَ الَّتِي بِالْأَزْهَرِ

[من المنسرح]

ومنه أيضاً³ :

أَقْفَرَ مِمَّنْ يَحُلُّهُ السُّنْدُ فَالْمُنْحَنَى فَالْعَفِيقُ فَالْجُمْدُ⁴

[اشتبه مريض أن يغني في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه]

أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال : مَرَضَ رجلٌ من أهل المدينة بالشام ، فعاده جيرانه وقالوا له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي إنساناً يَضَعُ فمه على أذني وَيُغْنِيَنِي فِي بَيْتِي الْعَرْجِي :

[من الكامل]

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَابْنُ مِشْعَبٍ حَاضِرٌ فِي سَامِرٍ عَطِرٍ وَلَيْلٍ مُقَمِّرٍ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

1 أقدم أبو الفرج هذه الترجمة الموجزة لابن مشعب في وسط ترجمة طريح .

2 ديوان العرجي : 177 .

3 شعر طريح : 297-300 .

4 الجمد : جبل بنجد والسند : ماء بتهامة .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

[من الكامل]

يا دارَ عاتِكَةَ التي بالأزْهَرِ أو فوقه بقفا الكَثِيبِ الأحمرِ
 بفناء بيتك وابنُ مشعَبَ حاضرٌ في سامرٍ عَطِيرٍ وليلٍ مُقْمِرٍ
 فتلازما عندَ الفراقِ صباةٌ أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المُعْصِرِ

الشعر للعرجي ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل أول بالنصر ، وذكر إسحاق أنه لابن مشعَب . وذكر حبش أن فيه لابن المكي هزجاً خفيفاً بالنصر .
 وأما الصوت الآخر الذي أوله :

أَقْفَرَ مَمَّنْ يَحُلُّهُ السَّنْدُ

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار ، وهو أول قصيدة طُريح التي
 منها :

وَنَحِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَكْرَهَ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
 وليس يُعْنَى فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُريح الوليد بن يزيد ،
 يقول فيها :

لَمْ يَنْقَ فِيهَا مِنَ الْمَعَارِفِ بَعْدَ حِدِّ الْحَيِّ إِلَّا الرَّمَادُ وَالْوَتْدُ
 وَعَرَصَةٌ نَكَّرْتُ مَعَالِمَهَا الـ سَرِجُ بِهَا مَسْجِدٌ وَمُنْتَضِدٌ¹

[أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القاري قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع ، وأظنه هو الذي كنى عنه يحيى بن علي ، فقال : محمد بن خلف القاري ، قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللهي قال حدثنا أبي عن أبيه قال : أنشد المنصور هذه القصيدة ، فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحي المسجد غير طُريح ؟ . وهذه القصيدة من جيد قصائد طُريح ، يقول فيها :

[من المنسرح]

لم أنسَ سلمى ولا ليالينا
 إذ نحنُ في مَيْعة الشَّبابِ وإذْ
 في عَيْشةِ كالفَرْنِدِ عازِيَةِ الشِّدِّ
 نُحْسَدُ فِيهَا عَلَى النِّعِيمِ وَمَا
 أَيَّامَ سَلْمَى غَرِيرَةٌ أَنْفٌ
 وَيُحْيِي غَدَاً إِنْ غَدَا عَلَى بَمَا
 قَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الْفِرَاقِ وَحَيٍّ
 فَكَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ تَجَاوَبَ بِالْ
 دَغْ عَنْكَ سَلْمَى لَغَيْرِ مَقْلِيَّةٍ
 لِلْأَفْضَلِ الْأَفْضَلِ الْخَلِيفَةِ عِبْ
 فِي وَجْهِهِ النُّورُ يُسْتَبَانُ كَمَا
 يَمْضِي عَلَى خَيْرِ مَا يَقُولُ وَلَا
 مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَشْمُ مَنْ خَذَلُوا
 بَيْضَ عِظَامِ الْحُلُومِ حَدُّهُمْ
 أَنْتَ إِمَامُ الْهُدَى الَّذِي أَصْلَحَ الْ
 لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنَّ مُلْكَهُمْ
 وَاسْتَبْشَرُوا بِالرِّضَا تَبَاشَّرَهُمْ
 وَعَجَّ بِالْحَمْدِ أَهْلُ أَرْضِكَ حَتَّى
 وَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ عَيْشَةَ أَنْفَاً
 رُزِقَتْ مِنْ وَدْهِمْ وَطَاعَتِهِمْ
 أَثْلَجَهُمْ مِنْكَ أَنْتَهُمْ عَلِمُوا
 وَأَنَّ مَا قَدْ صَنَعْتَ مِنْ حَسَنِ
 أَلْفَتْ أَهْوَاءَهُمْ فَأَصْبَحَتْ الْأَ

بِالْحَزَنِ إِذْ عَيْشُنَا بِهَا رَعْدُ
 أَيَّامُنَا تِلْكَ غَضَّةٌ جُدُّ
 قُوَّةِ خَضِرَاءَ غُضُّهَا خَضْدُ
 يُوَلِّعُ إِلَّا بِالنَّعْمَةِ الْحَسَدُ
 كَانَتْهَا خُوطُ بَانِيَّةٍ رُوْدُ¹
 أَكْرَهُ مِنْ لَوْنَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
 أَنَا جَمِيعٌ وَدَارُنَا صَدْدُ
 فَرْقَةٍ مِنْهَا الْغُرَابُ وَالصُّرْدُ
 وَعُدُّ مَذْحَأَ يُبَوِّتُهُ شُرْدُ
 سَدَ اللَّهِ مِنْ دُونِ شَاوِهِ صُعْدُ
 لَاحِ سِرَاجِ النَّهَارِ إِذْ يَقْدُ
 يُخْلِفُ مِيعَادَهُ إِذَا يَعْدُ
 عِزّاً وَلَا يُسْتَنْدِلُ مَنْ رَفَدُوا
 مَاضٍ حُسَامٌ وَخَيْرُهُمْ عَتْدُ²
 لَهُ بِهِ النَّاسَ بَعْدَمَا فَسَدُوا
 إِلَيْكَ قَدْ صَارَ أَمْرُهُ سَجْدُوا
 بِالْخُلْدِ لَوْ قِيلَ إِنَّكُمْ خُلْدُ
 سَى كَادَ يَهْتَزُّ فَرِحَةً أُحْدُ
 إِنْ تَبَقَ فِيهَا لَهُمْ فَقَدْ سَعِدُوا
 مَا لَمْ يَجِدْهُ لِوَالِدٍ وَلَدُ
 أَنْتَ فِيمَا وَلَيْتَ مُجْتَهِدُ
 مِصْدَاقُ مَا كُنْتَ مَرَّةً تَعِدُ
 ضَغَانُ سَلْمَا وَمَاتَتْ الْحِقْدُ

1 غريرة : قليلة التجربة . أنف : عذراء . خوط : غصن . رُوْد : الغصن الرطب الرخص .

2 عتد : حاضر معد .

كنتُ أرى أن ما وجدتُ من الـ فَرَحَةٍ لم يلقَ مثله أحدُ
حتى رأيتُ العبادَ كلَّهم قد وجدوا من هواك ما أجِدُ

صوت

قد طلب الناسُ ما بلغتُ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهِدوا
يرفعُكَ اللهُ بالتَّكْرُمِ والـ حَقْوَى فتعلو وأنت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرئٍ من غِنَى تَقَرُّبُهُ منك وإن لم يكن له سَبْدُ
فأنت أَمْنٌ لمن يخاف ولـ حَمْذُولٍ أودى نصيره عَصْدُ

غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقیل بالبصير .

كلُّ امرئٍ ذي يدٍ تُعَدُّ عليـه منكَ معلومة يدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ ما لم يَرَوْكَ فَإِنْ داناهُمْ منك منزلٌ خَمَدُوا
تعروهم رِغْدَةً لَدَيْكَ كما قَفَقَ تحت الدُّجْنَةِ الصَّرْدُ
لا خوفَ ظَلَمٍ ولا قَلِي خُلُقِي إِلَّا جَلالاً كَسَاكَهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَطَ الـ زَوَارُ أرضاً تَحُلُّها حَمْدُوا
فهم رِفاقٌ فُرْقَةٌ صَدَرَتْ عَنْكَ بَغْـمٍ وَرُقَّةٌ تَرِدُ
إِنْ حَالَ دهرٌ بهم فَإِنَّكَ لا تَنفَكُ عن حالك التي عَهِدُوا
قد صدقَ اللهُ ما دَحِيكَ فما في قولهم فِرْيَةٌ ولا فَنَدُ

[ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليَّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليَّ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ ، ولا أظنَّ ، ولا أعلمُ بكلِّ شيءٍ ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ . قال : ولقد كنّا يوماً عند الرشيد ، فغنّى أبي لحناً في شعر طُريح بن إسماعيل ، وهو : [من المنسرح]

قد طلب الناسُ ما بلغتُ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهِدوا

فاستحسن الرشيد اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصلَ أبي عليه . وكان اللحن في طريقة خَفِيفِ الثَقِيلِ الأوَّلِ . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيدي أحسنَ ، ولكنَّ اللحنَ مأخوذاً من لحن الدُّلال الذي غناه في شعر أبي زَيْد : [من الخفيف]

مَنْ يَرِ الْعَيْرَ لَا بَنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِهِ
سِرِّ الْمُرُورَى حُدَاتُهُنَّ عَجَالُ¹

وَأَمَّا الشَّعْرُ فَنَقْلُهُ طَرِيحٌ مِنْ قَوْلِ² زُهَيْرٍ :

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَبْلُغُوا وَلَمْ يُلَامُوا وَلَمْ يَأْلُوا
قَالَ إِسْحَاقُ : فَعَجِبْتُ وَاللَّهِ مِنْ عِلْمِهِ بِالْأَلْحَانِ وَالْأَشْعَارِ ، وَإِذَا اللَّحْنُ يُشْبِهُ لَحْنَ الدَّلَالِ ،
قَالَ : وَكَذَلِكَ الشَّعْرُ ؛ فَاعْتَمَمْتُ أَنْتِي لَمْ أَكُنْ فَهَمْتُ اللَّحْنَ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ ذَهَابِ
أَمْرِ الشَّعْرِ عَلَيَّ ، وَأَنَا وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ أُغْنِي الصَّوْتَيْنِ وَأَحْفَظُ الشَّعْرَيْنِ . قَالَ الْحُسَيْنُ : وَلَحْنُ
الدَّلَالِ فِي شَعْرِ أَبِي زُبَيْدٍ هَذَا مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ أَيْضًا .

[صَادَفَ طَرِيحُ أَبَا وَرْقَاءَ فِي سَفَرِ فُتَيْسَ بِهِ وَذَكَرَ لَهُ قِصَّتَهُ مَعَ أَعْرَابِيٍّ عَاشِقٍ]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَاذُرِيُّ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى وَأَبُو
أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ ؛ قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ وَحَدَّثَنِي الْحِرْمَازِيُّ ، وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَحَدَّثُونَا عَنْ الْحِرْمَازِيِّ
قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْقَعْقَاعِ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ أَبِي وَرْقَاءَ الْحَنْفِيِّ قَالَ : خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ
أُرِيدُ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى أَوَّلِ خَانِ نَزَلْتُهُ ، بَسَطَ غِلْمَانُنَا وَهَيَّؤُوا غَدَاءَهُمْ ، وَلَمْ يَجِءْ أَحَدٌ
بَعْدُ ، إِذْ رَمَانَا الْبَابُ بِرَجُلٍ فَارَهُ الْبِرْدُونَ حَسَنَ الْهَيْئَةِ ، فَصَيَّحَتْ بِالْغِلْمَانِ ، فَأَخَذُوا دَابَّتَهُ
فَدَفَعُوا إِلَيْهِمْ ، وَدَعَوْتُ بِالْغَدَاءِ ، فَبَسَطَ يَدَهُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ، وَجَعَلْتُ لَا أَكْرَمُهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَبْلَهُ .
ثُمَّ جَاءَ غِلْمَانُهُ بَعْدَ سَاعَةٍ فِي ثَقَلٍ سَرِيٍّ وَهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ . فَتَنَاسَبْنَا إِذَا الرَّجُلُ طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
الْتَقَفِي . فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا ارْتَحَلْنَا فِي قَافِلَةٍ غَنَاءٍ لَا يُدْرِكُ طَرَفَاهَا . قَالَ : فَقَالَ لِي : مَا حَاجَتُنَا إِلَى
زِحَامِ النَّاسِ وَلَيْسَتْ بِنَا إِلَيْهِمْ وَخَشَةُ³ وَلَا عَلَيْنَا خَوْفٌ ! نَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمَ فَيَخْلُو لَنَا الطَّرِيقُ
وَنُصَادِفُ الْخَانَاتِ فَارِغَةً وَنُودِعُ أَنْفُسَنَا إِلَى أَنْ يُوَافُوا . قُلْتُ : ذَلِكَ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَصْبَحْنَا
الْغَدَا فَنَزَلْنَا الْخَانَاتِ فَتَغَدَّيْنَا وَإِلَى جَانِبِنَا نَهْرٌ ظَلِيلٌ ؛ فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ نَسْتَقْعَ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ :
شَأْنُكَ . فَلَمَّا سَرَا ثِيَابَهُ⁴ إِذَا مَا بَيْنَ غُصْنَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ ذَاهِبٌ ، وَفِي جَنْبَيْهِ أَمْثَالُ الْجِرْدَانِ ،
فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ . فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَفَطِنْتُ وَتَبَسَّمْتُ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ دُعْرَكَ مِمَّا رَأَيْتَ ؛
وَحَدِيثُ هَذَا إِذَا سَرْنَا الْعَشِيَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدُكَ بِهِ . قَالَ : فَلَمَّا رَكَبْنَا قُلْتُ :
الْحَدِيثُ ! قَالَ : نَعَمْ ! قَدِمْتُ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بِالْأَنْثِيَا ، وَكُتِبَ إِلَيَّ يَوْسُفُ بْنُ عُمَرَ مَعَ
فَرَّاشٍ فَلَمَّا يَدَيْ أَصْحَابِي ، فَخَرَجْتُ أَبَادِرَ الطَّائِفِ . فَلَمَّا امْتَدَّ لِي الطَّرِيقُ وَلَيْسَ يَصْحَبُنِي فِيهِ

1 المرورى : جمع مرورة وهي الفلاة المستوية .

2 ل : شعر .

3 ل : حاجة .

4 سرا ثيابه : ألقاها .

خَلَقَ ، عَنْ لِي أَعْرَابِيٍّ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، فَحَدَّثَنِي ، فَإِذَا هُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ ، وَرَوَى لِي الشُّعْرَ فَإِذَا هُوَ رَاوِيَةٌ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فَإِذَا هُوَ شَاعِرٌ . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قُلْتُ : فَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَذَكَرَ قِصَّةً يُخْبِرُ فِيهَا أَنَّهَ عَاشِقٌ لِمُرِيَّةٍ قَدْ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ عَقْلَهُ ، وَسَتَرَهَا عَنْهُ أَهْلُهَا وَجَفَاهُ أَهْلُهُ ، فَإِنَّمَا يَسْتَرْجِعُ إِلَى الطَّرِيقِ يَنْحَدِرُ مَعَ مُنَحْدِرِيهِ وَيُصْعِدُ مَعَ مُصْعِدِيهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ : غَدَا نَنْزِلُ بِإِزَائِهَا . فَلَمَّا نَزَلْنَا أَرَانِي ظَرْبًا¹ عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لِي : أَتَرَى ذَلِكَ الظَّرْبَ ؟ قُلْتُ : أَرَاهُ . قَالَ : فَإِنَّهَا فِي مَسْقَطِهِ . قَالَ : فَأَدْرَكْتَنِي أَرْبِجَةُ الشَّبَابِ ، فَقُلْتُ : أَنَا وَاللَّهِ آتِيهَا بِرِسَالَتِكَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَأَتَيْتُ الظَّرْبَ ، وَإِذَا بَيْتٌ حَرِيدٌ² ، وَإِذَا فِيهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ظَرِيفَةٌ ؛ فَذَكَرْتُهَا لَهَا ، فَزَفَرْتُ زَفْرَةً كَادَتْ أَضْلَاعُهَا تَسْقُطُ . ثُمَّ قَالَتْ : أُوْحِيٌّ هُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، تَرَكْتُهُ فِي رَحْلِي وَرَاءَ هَذَا الظَّرْبِ ، وَنَحْنُ بَائِثُونَ وَمُصْبِحُونَ . فَقَالَتْ : يَا أَبِي أَرَى لَكَ وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْأَجْرِ ؟ فَقُلْتُ : فَقِيرٌ وَاللَّهِ إِلَيْهِ . قَالَتْ : فَالْبَسْ ثِيَابِي وَكُنْ مَكَانِي وَدَعْنِي حَتَّى آتِيَهُ ، وَذَلِكَ مُغِيرِيَانِ الشَّمْسِ . قُلْتُ : أَفْعَلُ . قَالَتْ : إِنَّكَ إِذَا أَظْلَمْتَ أَتَاكَ زَوْجِي فِي هَجْمَةٍ مِنْ إِبِلِهِ ، فَإِذَا بَرَكَتْ أَتَاكَ وَقَالَ : يَا فَاجِرَةٌ يَا هَنْتَاهُ ، فَيُوسِعُكَ شَتْمًا فَأَوْسِعْهُ صَمْتًا ، ثُمَّ يَقُولُ : اقْمَعِي سِقَاءَكَ ، فَضَعِ الْقِمَعَ فِي هَذَا السَّقَاءِ حَتَّى يُحَقْنَ فِيهِ ، وَإِيَّاكَ وَهَذَا الْآخَرَ فَإِنَّهُ وَاهِي الْأَسْفَلِ . قَالَ : فَجَاءَ فَفَعَلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْمَعِي سِقَاءَكَ ، فَحِثْنِي³ اللَّهُ ، فَتَرَكْتُ الصَّحِيحَ وَقَمَعْتُ الْوَاهِيَّ ، فَمَا شَعَرَ إِلَّا بِالْبَلْبَنِ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ، فَعَمِدَ إِلَى رِشَاءٍ مِنْ قَدِّ مَرْبُوعٍ ، فَتَنَاهُ بَائِثِينَ فَصَارَ عَلَى ثَمَانِ قُوَى ، ثُمَّ جَعَلَ لَا يَتَّقِي مَنِّي رَأْسًا وَلَا رِجْلًا وَلَا جَنْبًا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ وَجْهِي ، فَتَكُونُ الْآخَرَى ، فَأَلْزَمْتُ وَجْهِي الْأَرْضَ ، فَعَمِلَ بظَهْرِي مَا تَرَى .

1 الظرب : الرابية الصغيرة .

2 حرید : معتزل .

3 حِثْنِي اللَّهُ : لم يوفقني إلى الصواب .

[54] - ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولاؤه ، وكان مغنياً وشاعراً]

أبو سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وذكر ابن خردادبه أن اسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يُعرف في الشعراء بابن أبي سينة مولى بني أمية ، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مجيداً ومغنياً ، وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبول الشهادة بالمدينة معدلاً . وعُمر إلى خلافة الرشيد ، ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما . وله قصائد جياذ في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس ، يُذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره .

[طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزره عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن علي عن أخيه أحمد بن علي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق ، قال يحيى خاصة في خبره : قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلما قُرِبتُ من مكة استأذنته في التقدم فأذن لي ، فدخلت مكة ، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في المسجد الحرام . فأتيت المسجد فسألت عنه ، فدللت عليه ، فإذا هو قائم يصلي ، فجلست قريباً منه . فلما فرغ قال لي : يا فتى ، ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، تُغنيني : «لقد طفت سبعا» . هذه رواية يحيى بن علي . وأما الباقر فإنهم ذكروا عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يغني له :

لقد طُفْتُ سَبْعاً قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا
أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

ورَفَقَ به وأدنى مجلسه ، وقد كان نَسَكٌ ؛ فقال : أَوْ أَغْنِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟
قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغَنَى :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَقْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أَثْبَتَتْ إِبْثَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوْلُوهُ وَكَذَا يُشَبِّهُ الْبُنَاةُ الْبُنَاتَا

الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، فأحسن . فقال له المهدي : أحسنت يا أبا سعيد !

فَغَنَّنِي «لقد طفتُ سبعا». قال : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنُ¹ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغَنَّا : [من الكامل]
 قَدِيمُ الطَوِيلُ فَأَشْرَقْتُ وَاسْتَبْشَرْتُ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
 إِنَّ الطَوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَاعْلَمُوا سَادَ الْحُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ
 فَأَحْسَنَ فِيهِ . فَقَالَ : غَنَّنِي «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ قال :
 فَغَنَّنِي . فغَنَّا : [من الخفيف]

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْطُبُ الْأَرْضَ ضَرَّ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَ
 وَأَنْتَ هَذَا الطَوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنَّ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أَوْ هَلَاكَ
 فَأَحْسَنَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ : غَنَّنِي «لقد طفتُ سبعا» ، فقد أحسنت فيما غَنَّيتُ ، وَلَكِنَّا
 نَحِبُّ أَنْ تُغَنِّيَ² مَا دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِي وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَقَدْ رَفَعَهُ لِيُضْرِبَنِي بِهِ وَهُوَ
 يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ، لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ، سَبْعًا طُفْتُ ! مَا صَنَعْتَ بِأُمَّتِي
 فِي هَذَا الصَّوْتِ ! فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَغْفِرْ لِي ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاكَ
 بِالنَّبَوَةِ لَا غَنَّيْتُ هَذَا الصَّوْتِ أَبَدًا ؛ فَرَدَّ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِذَا ! ثُمَّ انْتَبَهْتُ . وَمَا
 كُنْتُ لِأَعْطِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فِي مَنَامِي فَأَرْجِعْ عَنْهُ فِي يَقْظَتِي . فَبَكَى الْمَهْدِيُّ وَقَالَ :
 أَحْسَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ! لَا تَعُدْ فِي غَنَائِهِ ، وَحَبَّاهُ وَكَسَاهُ وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى
 الْحِجَازِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : وَلَكِنْ اسْمَعُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَنَّةٍ جَارِيَةِ الْبَرَامِكَةِ . وَأُظُنُّ
 حِكَايَةَ مَنْ حَكَى ذَلِكَ عَنِ الْمَهْدِيِّ غُلَطًا ؛ لِأَنَّ مَنَّةَ جَارِيَةَ الْبَرَامِكَةِ لَمْ تَكُنْ فِي أَيَّامِ
 الْمَهْدِيِّ ، وَإِنَّمَا نَشَأَتْ وَعُرفَتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ .

وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةً قَالَ حَدَّثَنِي هِبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ
 أَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَقِيَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ وَجَارَاهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ . وَذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا حَمَّادُ بْنُ
 إِسْحَاقَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَإِسْحَاقُ سَأَلَاهُ
 عَنْ هَذَا الصَّوْتِ فَأُجَابَهُمَا فِيهِ بِمَثَلِ مَا أَجَابَ الْمَهْدِيُّ . وَأَمَّا خَيْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ خَاصَّةً
 فَلَهُ مَعَانٍ غَيْرُ هَذِهِ ، وَالصَّوْتُ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْهُ غَيْرُ هَذَا ؛ وَسَيُذَكَّرُ بَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ
 لِقَلَّ تَنْقَطِعَ .

1 ل : خيراً .

2 ل : تغنيا .

[أرادَه إبراهيم بن المهديّ على الذهاب إلى بغداد فأبى]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيّ قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ لَقِيَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ ؛ وَذَكَرَ الْخَبَرَ بِمِثْلِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : فَقَالَ لَهُ : اشْخَصْ مَعِيَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ لَأَخْذُكَ بِمَا لَا تُحِبُّ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُكَ لَأَكْرَهْتُهُ عَلَى مَا أُحِبُّ ، وَلَكِنْ دُلَّنِي عَلَى مَنْ يَنْوِبُ عَنْكَ . فَدُلَّهُ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ ، وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ بَغْلَامٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ قَدْ أَخَذَ عَنِّي وَعَنْ نَظْرَائِي وَتَخَرَّجَ ، وَهُوَ كَمَا تُحِبُّ . فَأَخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ مَعَهُ فَأَقْدَمَهُ بَغْدَادَ ؛ فَهُوَ الَّذِي كَانَ سَبَبَ وَرُودِهِ إِلَيْهَا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

يُسَائِلْنِي صَاحِبِي فَمَا أَعْقِلُ الَّذِي يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ لَيْلِي اعْتَرَانِيَا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن عليّ أَنَّ الشَّعْرَ وَالْغِنَاءَ لِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ الشَّعْرَ لِلْمَجْنُونِ . وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ وَهُوَ الْمُخْتَارُ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ فِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفٌ رَمَلٌ آخَرُ . وَالَّذِي ذَكَرَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَنَّ الشَّعْرَ لِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ هُوَ الصَّحِيحُ .

أخبرني عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنْ عِيْسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْقَحْذَمِيِّ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ . قَالَ عَمِّي : وَأَنْشَدَنِي هَذَا الشَّعْرَ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ عَنْ أَبِي دِعَامَةَ لِأَبِي سَعِيدٍ . وَبَعْدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ مَضَيَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

[من الطويل]

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شَيْعِبِ ابْنَ عَامِرٍ فَأَقْرِيءْ غَزَالَ الشَّعْبِ مِنِّي سَلَامِيَا

وَقُلْ لِّغَزَالِ الشَّعْبِ هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ بِشَيْعِبِكَ أَمْ هَلْ يُصْبِحُ الْقَلْبَ ثَاوِيَا

لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا

وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَجْهِ قَادِمٍ مِنْ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رَدَائِيَا

فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ :

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شَيْعِبِ ابْنَ عَامِرٍ

[لَحْنٌ] لَا بِنِ جَامِعٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ .

ومنها :

[من الخفيف]

صوت

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أُثْبِتَتْ إِبْنَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوَّلُوهُ وَكَذَا يُشَبِّهُ الْبُنَاةُ الْبَنَاتَا

عروضه من الخفيف ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه رَمَلٌ مطلق في مجرى
البنصر عن إسحاق .

ومنها :

[من الكامل]

صوت

قَدِمَ الطَّوِيلُ فَأَشْرَقَتْ لَقْدُومُهُ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
إِنَّ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فاعلموا سَادَ الْحُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ
الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها :

[من الخفيف]

صوت

أَيُّهَا الطَّالِبُ الَّذِي يَخْطُ الْأَرْضَ ضَرَّ دَعَرَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَ
وَأَتَى هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أَوْ هَلَكَ
عروضه من الخفيف ، الشعر لأبي سعيد مولى فائد ؛ وقيل : إنه للدارمي . والغناء لأبي
سعيد خفيف ثقيل . وفيه للدارمي ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار ، هو عبد الله بن عبد الحميد بن
حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي ، وكان مُمدِّحاً .
[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومي]

فأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبي أيوب المديني قال حدثنا عبد الرحمن ابن
أخي الأصمعي عن عمه : أن عبد الله بن عبد الحميد المخزومي ، كان يُعطي الشعراء
فِيْجَزِلَ ، وكان مُوسِراً ، وكان سبب يساره ما صار إليه من أُمِّ سَلَمَةَ المخزومية امرأة أبي
العباس السفاح ؛ فإنه تزوجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسّمح به ويتفتّى¹
ويتسّع في العطايا . وكانت أُمُّ سَلَمَةَ ماثلةً إليه ، فأعطته ما لا يُدرى ما هو ، ثم إنها اتهمته

1 يتفتّى : يتسخرى .

بجارية لها فاحتجبت عنه ، فلم تَعُدْ إليه حتى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيد مولى فائد :

إنَّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ نشر المجذَّ بعد ما كان ماتا
وفيه يقول الدَّارميّ : [من الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخِيطُ الأر ضَ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وراكا
وَأَتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ إِنَّ تَخَوَّفْتَ غَيْلَةً أو هلاكاً
وفيه يقول الدَّارميّ أيضاً : [من منهوك الكامل]

صوت

إنَّ الطويلَ إذا حَلَّتْ به يوماً كفاك مؤونة الثَّقَلِ
ويروى : ابن الطويل إذا حللت به

وحللت في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحِبِ الْفِئَاءِ وَمَنْزِلِ سَهْلٍ
غَنَاهُ ابن عِبَادِ الْكَاتِبِ ، ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالبَنْصَرِ عن ابن المكيّ .
[غنى إبراهيم بن المهدي في المسجد]

فَأَمَّا خَبْرُ إِبْرَاهِيمَ بنِ المَهْدِيِّ مع أَبِي سَعِيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنه يُذَكَّرُ هاهنا ، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزِّيَات قال حدَّثني القَطْرَانِيُّ المَغْنِيّ قال حدَّثني ابن جَبْرِ قال : سمعتُ إِبْرَاهِيمَ بنِ المَهْدِيِّ يقول : كنت بمَكَّةَ في المسجد الحرام ، فإذا شيخ قد طلع وقد قَلَبَ إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلي ؛ فسألتُ عنه فقل لي : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِيْهِ فَحْصَبَهُ ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنُّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلَّا أَنَّهُ له . فقلتُ للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاي : أبلغني ؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهدي ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ ، وقال : لا والله ، بأبي أنت وأُمِّي ، ما عرفتك ! فقلت : لا عليك ! أخبرني عن هذا الصوت : [من المتقارب]

أَفَاضَ المَدَامِصَ قَتَلَى كُدَى وَقَتَلَى بِكُثُوءَ لم تُرْمَسْ¹

قال : هو لي . قلت : وربّ هذه البَيْتَةِ لا تَبْرُحُ حتى تغنيهِ . قال : وربّ هذه البَيْتَةِ لا

1 كدى : (بضم الكاف) موضع بأسفل مَكَّةَ ، وبفتحها : ثنية بالطائف . وكداء : اسم لعرفات أو جبل بمَكَّةَ . ولعلَّ المقصود إذ سترد أبيات أخرى بهذا اللفظ « كداء » . كُتُوءَ : موضع .

تبرح حتى تسمعه . قال : ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه ، فأخذته منه . قال ابن جبر : وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي .

[رد محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني دنية المذني صاحب العباسة بنت المهدي ، وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز : أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدماً لأبي سعيد . فقال له ابن عمران التيمي : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

فقال : إي لعمرك أليك . وإني لأدميجه إدماجاً من لؤلؤ . فرد محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف ألا يشهد عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته ، وقالوا : عرّضت حقوقنا للتوى¹ وأموالنا للتلف ؛ لأننا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنذم ابن عمران بعد ذلك على رد شهادته ، ووجه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حيث . قال : فكان ابن عمران بعد ذلك ، إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم ، عظيم البطن ، كبير العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتد عليه المشي ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضر بي ضرراً طويلاً شديداً . وأنا رجل ثقّال ، برددني إلى أبي سعيد لأسمع شهادته .

[رد المطالب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقبلها]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال : كان المطالب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكة ، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطالب : [ويحك !] ألسنت الذي يقول :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

لَا قَبِيلَتُ لَكَ شَهَادَةً أَبَدًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : أَنَا وَاللَّهِ الَّذِي أَقُولُ : [من الطويل]
كَأَنَّ وَجْهَ الْحَنْطَبِيِّينَ فِي الدُّجَى قَنَادِيلُ تَسْقِيهَا السَّلِيلُ الْهِيَاطُ
فَقَالَ الْحَنْطَبِيُّ : إِنَّكَ مَا عَلِمْتَكَ إِلَّا دَبَابًا حَوْلَ الْبَيْتِ فِي الظُّلَمِ ، مُدْمِنًا لِلطُّوَافِ بِهِ فِي
الْجَلِيلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَقَبِيلَ شَهَادَتِهِ .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا ، الذي في حديث

إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

[من المتقارب]

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى	وَقَتَلَى بِكُنُوءَةٍ لَمْ تُرْمَسْ
وَقَتَلَى بِوَجٍّ وَبِالْأَبْيَ	بَنٍ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرٌ مَا أَنْفُسُ ¹
وَبِالزَّابِيَيْنِ نَفُوسٌ ثَوَتْ	وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسٍ ²
أُولَئِكَ قَوْمِي أَنَاخَتْ بِهِمْ	نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِرٍ
إِذَا رَكَبُوا زَيْنُوا الْمُؤَكِّبِينَ	وَإِنْ جَلَسُوا الزَّيْنُ فِي الْمَجْلِسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ	وَهُمْ أَصَقَوْا الرِّغَمَ بِالْمَعْطَسِ

عروضه من المتقارب ، الشعر للعبلي ، واسمه عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عدي ، وله
أخبار تُذكر مفردة في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه من الثقيل
الثاني بالسبابة في مجرى البنصر . وقصيدة العبلي أولها :

تَقُولُ أُمَامَةً لَمَّا رَأَتْ نُشُوزِي عَنْ الْمَضْجَعِ الْأَنْفَسِ

[أنشد العبلي عبد الله بن حسن شعره في رثاء قومه بني]

نسختُ من كتاب الحرزمي بن أبي العلاء قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، وَأَخْبَرَنِي
الْأَخْفَشُ عَنْ الْمُبَرِّدِ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ عَنْ الزُّبَيْرِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِيَّاشِ السَّعْدِيِّ
قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعَبْلِيُّ إِلَى سُوَيْقَةٍ³ وَهُوَ طَرِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ وَذَلِكَ بِعَقَبِ أَيَّامِ
بَنِي أُمَيَّةٍ وَابْتِدَاءِ خُرُوجِ مُلْكِهِمْ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَصَدَ عَبْدُ اللَّهِ وَحَسَنًا ابْنِي الْحَسَنِ بْنِ

1 وج : واد بالطائف . اللاتان : حرثا المدينة .

2 الزايران : لعلهما الزاب الأعلى والزاب الأسفل في العراق . نهر أبي فطرس : قرب الرملة بفلسطين .

3 سويقة : موضع بالمدينة .

حَسَنٍ بِسُوقَةٍ ؛ فَاسْتَنْشَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ شَيْئاً مِنْ شَعْرِهِ فَأَنْشَدَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَأُرِيدُ أَنْ تُنْشِدَنِي شَيْئاً مِمَّا رَثَيْتَ بِهِ قَوْمَكَ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
[من المتقارب]

تَقُولُ أَمَامَةً لَمَّا رَأَتْ	نُشْوزِي عَنِ الْمَضْجَعِ الْأَنْفَسِ
وَقِلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي	لَدَى هَجْمَةِ الْأَعْيُنِ النَّعْسِ
أَبِي مَا عَرَاكَ ؟ فَقُلْتُ الْهُمُومَ	عَرَوْنَ أَبَاكَ فَلَا تُبْلِسِي
عَرَوْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَهُ مِنْ	الذُّلِّ فِي شَرِّ مَا مَحْبُسِ
لِفَقْدِ الْأَحِبَّةِ إِذْ نَاهَا	سِيهَامٌ مِنَ الْحَدَثِ الْمُبْسِ
رَمَتْهَا الْمُنُونُ بِلَا نُكُلٍ	وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا نُكُوسِ
بَأْسُهُمُهَا الْمُتَلِفَاتِ النَّفُوسِ	مَتَى مَا تُصِيبُ مُهْجَةً تَخْلِسِ
فَصَرَّعْنَهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ	مُلْقَى بِأَرْضٍ وَلَمْ يُرْسَسِ ¹
تَقِيٌّ أَصِيبَ وَأَثَوْبُهُ	مِنَ الْعَيْبِ وَالْعَارِ لَمْ تَدْنَسِ ²
وَأَخَرُ قَدْ دُسَّ فِي حُفْرَةٍ	وَأَخَرُ قَدْ طَارَ لَمْ يُحْسَسِ
إِذَا عَنَ ذِكْرُهُمْ لَمْ يَنَمْ	أَبُوكِ وَأَوْحَشَ فِي الْمَجْلِسِ
فَذَلِكَ الَّذِي غَالَنِي فَاعْلَمِي	وَلَا تَسْأَلِي بِأَمْرِي مُتَعَسِ
أَذَلُّوا قَنَاتِي لِمَنْ رَامَهَا	وَقَدْ أَلْصَقُوا الرَّغْمَ بِالْمَعْطَسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنَّ دموعه لتجري على خَدَّه .

[غنى الرشيد وكان مغضباً فسكن غضبه]

وقد أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن إبراهيم بن رباح قال : عُمَرُ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي سَيِّدَةَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَهُوَ مَوْلَى فَائِدٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ إِلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ ؛ فَلَمَّا حَجَّ أَحْضَرَهُ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي قَصِيدَتَكَ :

تَقُولُ أَمَامَةً لَمَّا رَأَتْ

فَانْدَفَعَ فَعَنَاهُ قَبْلَ أَنْ يُنْشِدَهُ الشَّعْرَ لَحْنَهُ فِي آيَاتِ مِنْهَا ، أَوَّلُهَا :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى

1 يرسس في ل : يرمس .

2 تقي يروى أيضاً : نقي .

وكان الرشيد مُغضباً فسكنَ غَضَبَهُ وطَرِبَ ، فقال : أنشِدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القومُ مَوَالِيٍّ وأنعموا عليَّ ، فرثيتهم¹ ولم أَهْجُ أحداً ؛ فتركه .
[كان ابن الأعرابي ينشد شعر العَبَلِيّ فصَحَّفَه فردّه أبو هفان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنَا الْحَزَنُ بْنُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَحَضَرَ مَعَنَا أَبُو هِفَانَ ، فَأَنشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَمَّنْ أَنَشَدَهُ قَالَ : قَالَ ابْنُ أَبِي سَبَةَ الْعَبَلِيُّ : [من المتقارب]
أَفَاضَ الْمَدَامَعَ قَتَلَى كَذَا وَقَتَلَى بِكَبُوءَ لَمْ تُرْمَسَ

فَغَمَزَ أَبُو هِفَانَ رَجُلًا وَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ : مَا مَعْنَى «كَذَا» ؟ قَالَ : يَرِيدُ كَثَرَتَهُمْ فَلَمَّا قُمْنَا قَالَ لِي أَبُو هِفَانَ : أَسَمِعْتَ إِلَى هَذَا الْمُعْجَبِ الرَّقِيعِ ! صَحَّفَ اسْمَ الرَّجُلِ . هُوَ ابْنُ أَبِي سَبَةَ ، فَقَالَ : ابْنُ أَبِي سَبَةَ ؛ وَصَحَّفَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَوْضِعَيْنِ ، فَقَالَ : «قَتَلَى كَذَا» وَهُوَ كُذِّى ، وَ«قَتَلَى بِكَبُوءَ» وَهُوَ بِكُثُوءَ . وَأَغْلَظُ عَلَيَّ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَفْسِّرُ تَصْحِيفَهُ بِوَجْهِ وَقَاحٍ . وَهَذَا الشَّعْرُ الَّذِي غَنَاهُ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُهُ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعَبَلِيُّ فِيمَنْ قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بَنُورَ أَبِي فُطْرُسَ وَأَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ . وَخَبَرُهُمُ وَالْوَقَائِعُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ مَشْهُورَةً يَطُولُ ذِكْرُهَا جَدًّا . وَنَذَكِرُ هَاهُنَا مَا يُسْتَحْسَنُ مِنْهَا .

1 هنا ينسب أبو الفرج القصيدة إلى أبي سعيد وكان قبل قليل قد نسبها إلى عبد الله بن عمر العَبَلِيّ .

[55] - ذكر مَنْ قَتَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ

[مقتل مروان بن محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنِي مُسَيْحُ بْنُ حَاتِمِ الْعُكَلِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْجَهْمُ بْنُ السَّبَّاقِ عَنْ صَالِحِ بْنِ مَيْمُونٍ مَوْلَى عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا اسْتَمَرَّتِ الْهَزِيمَةُ بِمَرْوَانَ ، أَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بِالرَّقَّةِ ، وَأَنْفَذَ أَخَاهُ عَبْدَ الصَّمَدِ فِي طَلْبِهِ فَصَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَتْبَعَهُ جَيْشًا عَلَيْهِمْ أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَامِرُ الطَّوِيلُ مِنْ قَوَادِ خُرَاسَانَ ، فَلَحِقَهُ وَقَدْ جَازَ مَصْرَ فِي قَرْيَةٍ تُدْعَى بُوصَيْرَ ، فَقَتَلَهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَلَاثَ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَوَجَّهَ بِرَأْسِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَأَنْفَذَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَرَّ اللَّهُ سَاجِدًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَنِي عَلَيْكَ وَأُظْفِرَنِي بِكَ وَلَمْ يُبْقِ ثَأْرِي قَيْلَكَ وَقَبْلَ رَهْطِكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ ؛ ثُمَّ تَمَثَّلَ قَوْلَ ذِي الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِي¹ :

لَوْ يَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يُرَوْ شَارِبَهُمْ وَلَا دِمَاؤُهُمْ لِلْغَيْظِ تُرْوِينِي

[أَمَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنَ مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَبَى وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ]

أخبرني محمد بن خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى فُتًى عَلَيْهِ أُبْهَةٌ الشَّرَفِ وَهُوَ يُقَاتِلُ مُسْتَتِيلًا² ، فَنَادَاهُ : يَا فُتًى ، لَكَ الْأَمَانُ وَلَوْ كُنْتَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِلَّا أَكُنْتُ فَلَسْتُ بِدُونِهِ . قَالَ : فَلَكَ الْأَمَانُ مَنْ كُنْتَ . فَأُتِرِكَ ثُمَّ قَالَ : [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]

أَذُلُّ الْحَيَاةِ وَكُورَةُ الْمَمَاتِ وَكُلًّا أَرَى لَكَ شَرًّا وَبَيْلًا³

وَيُرْوَى : وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسَيَّرًا إِلَى الْمَوْتِ سَيَّرًا جَمِيلًا

ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . قَالَ : فَإِذَا هُوَ ابْنُ مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

[اجتمع عند السَّفَّاحِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ فَأَنشَدَهُ سَدِيفٌ شِعْرًا يَغْرِهَ بِهِمْ فَقَتَلَهُمْ]

أخبرني عَمِيٌّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكُرَّانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ الْمُعْطِيِّ ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ قَالَ أَبُو السَّائِبِ سَلَمُ بْنُ جُنَادَةَ السَّوَّائِيِّ سَمِعْتُ أَبَا

1 البيت من المفضلية رقم 31 وقد ورد في المفضليات وأمالى القالي بضمير المخاطب .

2 ل : مستتلاً .

3 لك في ل : ذاك .

نُعَيْمُ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ يَقُولُ : دَخَلَ سُدَيْفٌ ، وَهُوَ مَوْلَى لَّالِ أَبِي لَهَبٍ ، عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْحَيْرَةِ . هَكَذَا قَالَ وَكَيْعٌ . وَقَالَ الْكُرَّانِيُّ فِي خَبَرِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ عَلَى سَرِيرِهِ وَبَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ، وَبَنُو أُمَيَّةَ عَلَى الْوَسَائِدِ قَدْ ثُبِيتَ لَهُمْ ، وَكَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ هُمْ وَالْخُلَفَاءُ مِنْهُمْ عَلَى السَّرِيرِ ، وَيَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ؛ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِالْبَابِ رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدُ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ مِثْلُكُمْ يَسْتَأْذِنُ وَلَا يُخْبِرُ بِاسْمِهِ ، وَيَحْلِفُ أَلَّا يَحْسِرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاكَ . قَالَ : هَذَا مَوْلَايَ سُدَيْفٌ ، يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَبَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَهُ ، حَذَرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ¹ :

أَصْبَحَ الْمَلِكُ ثَابِتَ الْآسَاسِ	بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
بِالْصُدُورِ الْمُقَدَّمِينَ قَدِيمًا	وَالرُّؤُوسِ الْقِمَاقِمِ الرُّؤَاسِ
يَا أَمِيرَ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الذِّ	مَ وَيَا رَأْسَ مَتَهَى كُلِّ رَاسِ
أَنْتَ مَهْدِيُّ هَاشِمٍ وَهَدَاها	كَمْ أَنَا سِرَ رَجَوَكَ بَعْدَ إِيَّاسِ ²
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا	وَاقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَتَغْرَاسِ
أَنْزِلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا الـ	لَهُ بَدَارِ الْهَوَانِ وَالْإِنْعَاسِ
خَوْفُهُمْ أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْهُمْ	وَبِهِمْ مِنْكُمْ كَحَزْرِ الْمَوَاسِي
أَقْصَهُمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَاحْسِمِ	عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الْأَرْجَاسِ
وَإِذَا كُنَّ مَصْرَعُ الْحُسَيْنِ وَزَيْنِ	وَقَتِيلِ بَجَانِبِ الْمَهْرَاسِ ³
وَالْإِمَامِ الَّذِي بَحْرَانِ أُمْسَى	رَهْنَ قَبْرِ فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي ⁴

1 في الكامل للمبرد (3 : 1367) والعقد الفريد (4 : 486) أنَّ الذي أنشد هذه الأبيات هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، وأنَّ شعر سديف :

لا يقرنك ما ترى من أناس إن تحت البطون داء دويًا

غير أنَّ المخاطب عند المبرد هو عبد الله بن علي (عم السفاح) وفي العقد أبو العباس السفاح . وقد نقل ابن حمدون هذا الخبر والشعر .

2 إياس في ل : أناس .

3 القتيل بجانب المهراس ، هو حمزة بن عبد المطلب ، ونسب قتله إلى بني أمية ، كما قال المبرد ، لأنَّ أبا سفيان كان قائد قريش يوم أحد . والمهراس ماء قريب من أحد .

4 والأمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام قُتل في أيام مروان بن محمد وكان رأس الدعوة العباسية .

فلقد ساءني وساء سوائي قُرْبُهُمْ من نَمَارِقٍ وكراسي
نَعَمْ كَلْبُ الهِرَاشِ مولاك لولا أَوْدٌ من حَبَائِلِ الإفلاس¹

فتغيّر لون أبي العباس وأخذه زَمْعٌ² ورَعْدَةٌ ؛ فالتفت بعضُ وَلَدِ سليمان بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قَتَلْنَا والله العبدُ . ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال : يا بني الفَوَاعِلُ ، أرى قَتْلَاكم من أهلي قد سَلَفُوا وأنتم أحياءُ تَتَلَذَّذُونَ في الدنيا ؟ خُذُوهم ! فأخذتهم الخُرَاسَانِيَّةُ بالكافر كويات ، فاهمِدُوا ، إلّا ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز فإنه استجار بدادود بن عليّ وقال له : إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علِمْتَ صنيعةَ إليكم ، فأجاره واستوهبه من السّفاح ، وقال له : قد علِمْتَ يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا . فَوَهَبَهُ له وقال له : لا تُريني وجهه ، وليكن بحيث تأمنه ؛ وكتب إلى عمّاله في النواحي بقتل بني أُمَيَّة .

[سبب قتل السفاح لبني أُمَيَّة وتشفيّ فيه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدّمَشَقِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمّه : أنّ سبب قتل بني أُمَيَّة : أنّ السفاح أنشِد قصيدةً مُدْرِج بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدَحِّمتم به ؟ فقال : هيهات ! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرُّقِيّات فينا³ :

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّة إلّا أنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنَّ غَضَبُوا
وأنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلُوكِ ولا تَصْلُحُ إلّا عليهمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصٍّ كذا من أمّه ، أو إنّ الخلافة لفي نفسك بعد ؟ خُذُوهم ! فأخذُوا فقتلُوا .

[بسط السفاح على قلائمهم بساطاً تغدّى عليه]

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن النُّضَر بن عمرو عن المعِطِيّ : أنّ أبا العباس دعا بالغداء حين قَتِلُوا ، وأمر ببساطٍ فبُسط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلما فرغ من الأكل قال : ما أعلمني أكلتُ أَكَلَةً قطُّ أهنأ ولا أَطيبَ لنفسي منها . فلما فرغ قال : جرّوا بأرجلهم ؛ فالقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنهم أحياء . قال : فرأيت الكلاب تجرّ بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشي حتى أنْتَنُوا ؛ ثم حُفِرَتْ لهم بئر فألْقُوا فيها .

1 يروى أيضاً «نعم شبل الهراش مولاك شبل» ممّا يقوي نسبة الأبيات إلى شبل بن عبد الله .

2 زمع : رعدة شديدة .

3 ديوان ابن قيس الرقيّات (طبعة دار صادر) : 4 .

[أوغر ابن هرمة صدر داود بن عليّ على بعض الأمويين في مجلسه]

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معن الغفاريّ عن أبيه قال : لما أقبل داود بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعاً وحسين بن عليّ بن حسين وعليّ بن عمر بن عليّ بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمل لداود مجلس بالروثة¹ ، فجلس عليه هو والهاشميون ، وجلس الأمويون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدة يقول فيها :

فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً وَلَا أُمِيَّةَ بِعَسِ الْمَجْلِسُ النَّادِي
كَانُوا كَعَادٍ فَأَمْسَى اللَّهُ أَهْلَكِهِمْ بِمَثَلِ مَا أَهْلَكَ الْغَاوِينَ مِنْ عَادٍ
فَلَنْ يُكَذِّبَنِي مِنْ هَاشِمٍ أَحَدٌ فِيمَا أَقُولُ وَلَوْ أَكْثَرْتُ تَعْدَادِي

قال : فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكيشرة . فلما قام قال عبد الله [بن حسن] لأخيه حسن : أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة ! الحمد لله الذي صرّفها عن أخي (يعني العثماني) . قال : فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة .
[استحلف عبد الله بن حسن داود بن عليّ ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم]

قال محمد بن معن حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن عليّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد الله . قال : فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أمية ، وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إليّ سبيلاً ليمينه . فاستدنانني يوماً فدنوت منه ، فقال : ما أكثر الغفلة وأقلّ الحزمة ! فأخبرت بها عبد الله بن حسن ؛ فقال : يا ابن أمّ ، تغيب عن الرجل ؛ فتغيبت عنه حتى مات .
[أنشد سديف السفاح شعراً وعنده رجال من بني أمية فأمر بقتلهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن عليّ قال : أنشد سديف أبا العباس ، وعنده رجال من بني أمية ، قوله :

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ اسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيًّا

1 الروثة : موضع على ليلة من المدينة .

فلما بلغ قوله :

جَرَّدَ السَّيْفَ وَارْفَعَ الْعَفْوَ حَتَّى لا ترى فوق ظهرها أُمُويًا
لا يَغْرُنُكَ ما ترى من رجالٍ إِنَّ تحت الضَّلُوعِ داءَ دَوِيَّا
بَطَنَ الْبُغْضُ في القديمِ فَأَضْحَى ثاويًا في قلوبهم مَطْويًّا

وهي طويلة ، قال : يا سُدَيْف ، خُلِقَ الإنسان من عَجَلٍ ، ثم قال : [من البسيط]
أَحيا الضَّغائنَ آباءُ لَنَا سَلَفُوا فلنَ تَبِيدَ وَلِلآباءِ أُنْباءُ
ثم أَمَرَ بمن عنده منهم فَقَتِلُوا .

[حضر سليمان بن علي جماعة من بني أُمَيَّة فأمروهم بقتلهم]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي علي بن محمد بن سليمان التُّوفَلِيُّ عن أبيه عن عمومته : أَنَّهُمْ حضروا سليمان بن علي بالبصرة ، وقد حضره جماعة من بني أُمَيَّة عليهم الثَّياب المَوْشِيَّة المرتفعة ، فكأنِّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودَّ شَيْبٌ في عارضِيهِ من الغالية ، فَأَمَرَ بهم فَقَتِلُوا وجُرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ، فَأَلْقُوا على الطريق ، وإنَّ عليهم لسراويلات الوَشْي والكِلاب تعجَّر بِأَرْجُلِهِمْ .

[وقد عمرو بن معاوية على سليمان بن علي يسأله الأمان فأجابته إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن عمرو قال أَخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثيرُ العيال منتشر المال ، فما أكون في قبيلة إِلَّا شَهَرُ أُمْرِي وعُرِفْتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِي حُرْمِي بنفسِي ؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن علي ، فصرَّ إلي . فوافيته فإذا عليه طَبْلَسَانٌ مُطْبِقٌ أبيضُ وسراويلُ وشْي مسدول ، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحداة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه ! فقال : لا والله ، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إِلَّا أَشْهَرُ ممَّا ترى . فأعطيته طَبْلَسَانِي وأخذتُ طَبْلَسَانَهُ وَلَوِيتُ سَراويلَهُ إلى رُكْبَتَيْهِ ؛ فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت له : حَدَّثَنِي ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم نترأَّ قط ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لفظتني البلاد إليك ، ودلّني فضلك عليك ؛ فإمّا قتلتني غانِماً ، وإمّا رَدَدْتَنِي سالِماً . فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرفك ؛ فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اقعد فتكلّم أَمناً غانِماً ؛ ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنَّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَنْ خاف خيفَ عليه . فوالله ما أجابني إِلَّا بدموعه على خَدَّيْهِ ؛ ثم قال : يا ابن أخي ، يَحْقِيقُ الله دَمَك ، ويحفظك

في حُرْمِكَ ، وَيُوقَرُ عَلَيْكَ مَا لَكَ . وَوَاللَّهِ لَوْ أَمَكْنَنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ ، فَكُنْ مُتَوَارِياً كظَاهِر ، وَآمِناً كخَائِف ، وَلَسَأَلْتَنِي رِقَاعَكَ . قَالَ : فَكُنْتُ وَاللَّهِ أَكْتُبُ إِلَيْهِ كَمَا يَكْتُبُ الرَّجُلُ إِلَى أَبِيهِ وَعَمِّهِ . قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَدِيثِ رَدَدْتُ عَلَيْهِ طِيلَسَانَهُ ؛ فَقَالَ : مَهْلًا ، فَإِنْ ثِيَابَنَا إِذْ فَارَقْتَنَا لَنْ تَرْجِعَ إِلَيْنَا .

[شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أمية]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : قَالَ سَدِيفٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ يَحُضُّهُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ وَيَذَكِّرُ مَنْ قَتَلَ مِرْوَانَ وَبَنُو أُمَيَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

كَيْفَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَقَدِيمًا قَتَلُوكُمْ وَهَتَّكُوا الْحُرُمَاتِ
أَيْنَ زَيْدٌ وَأَيْنَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ وَتَرَاتِ
وَالْإِمَامُ الَّذِي أُصِيبَ بَحْرًا نَ إِمَامُ الْهُدَى وَرَأْسُ الثَّقَاتِ
قَتَلُوا آلَ أَحْمَدٍ لَا عَفَا الذَّنْ بَ لِمِرْوَانَ غَافِرُ السَّيِّئَاتِ¹

[شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ لِرَجُلٍ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ :

إِيَّاكُمْ أَنْ تَلِينُوا لَاعْتِزَارِهِمْ فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ
لَوْ أَنَّكُمْ أَمِنُوا أَبَدًا عِدْوَاتِهِمْ لَكُنْهُمْ قُمِعُوا بِالذَّلِّ فَانْقَمَمُوا
أَلَيْسَ فِي أَلْفِ شَهْرٍ قَدْ مَضَتْ لَهُمْ سَقَوَكُمْ جُرْعًا مِنْ بَعْدِهَا جُرْعُ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِمْ مَتُّوا إِلَيْكُمْ بِالْأَرْحَامِ الَّتِي قَطَعُوا
هِيَاهُ لَا بَدَّ أَنْ يُسْقَوْا بِكَأْسِهِمْ رِيًّا وَأَنْ يَخْصُدُوا الزَّرْعَ الَّذِي زَرَعُوا
إِنَّا وَإِخْوَانُنَا الْأَنْصَارَ شِيعَتَكُمْ إِذَا تَفَرَّقْتَ الْأَهْوَاءُ وَالشُّبُعُ
إِيَّاكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمْ قَدْ مُلِّكُوا ثُمَّ مَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا

[رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح]

وَذَكَرَ ابْنُ الْمَعْتَزِ : أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي الْخَصِيبِ فِي قِصَّةِ سَدِيفٍ بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ الْكُرَّانِيُّ عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ الْمُعْطِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهَا : فَلَمَّا أَنْشَدَهُ ذَلِكَ التَّفَتَ إِلَيْهِ أَبُو الْغَمَرِ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ : يَا مَاصُ بَظُرٍ أُمَّه ! أَتَجِبُهُنَا بِهَذَا

ونحن سَروَاتُ الناسِ ! فغَضِبَ أَبُو العَبَّاسِ ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم وَيَبْرُهُ ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخراسانية : خذوهم ؛ فقتلوا جميعاً إلا سليمان بن هشام . فأقبل عليه السفاح فقال : يا أبا الغمر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتلوه ، وكان إلى جنبه ، فقتل ؛ وصلبوا في بُستانه ، حتى تأذى جلساؤه بروائحهم ، فكلموه في ذلك ، فقال : والله لهذا أَلَذُّ عندي من شَمِّ المسك والعنبر ، غيظاً عليهم وحنقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الخفيف]

أصبح الدينُ ثابتَ الأساسِ بالبهايلِ من بني العبَّاسِ¹
بالصدورِ المُقدِّمين قديماً والرؤوسُ القماقمِ الرؤاسِ

عروضه من الخفيف ، الشعر لسُديف . والغناء لعطَّرد رَمَل بالبنصر عن حبش . قال : وفيه لحكم الوادي ثاني ثقيل . وفيه ثقيل أول مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما في قتل بني أمية وغنى فيه :
[من المتقارب]

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدُّ البُكاءُ وقَلَّ البُكاءُ لقتلى كُداءِ
أصيبوا معاً فتولَّوا معاً كذلك كانوا معاً في رخاءِ
بكتُ لهم الأرضُ من بعدهم وناحتْ عليهم نجومُ السماءِ
وكانوا الضياءَ فلماً انقضى الـ زَمانُ بقومي تولَّى الضياءِ

عروضه من المتقارب ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد .

ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنه قد نُسب إلى غيره :

[من الخفيف]

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلُّوا بعد جَمْعِ فراح عَظْمي مَهِيضاً²

1 الدين تقدم برواية «الملك» ، ص 241 .

2 رجالي في ل : الرجال .

ما تذكّرْتهم فتملِك عيني فَيُضْ غَرْبٍ وَحُقَّ لِي أَنْ تَفِيضَا
 الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ . وروى الشَّيعيّ
 عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أَنَّ الشعر لَسَدَيفٍ والغناء للغريض ، ولعلّه وَهْمٌ .
 ومنها :

صوت

أولئك قَوْمِي بَعْدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ تَفَانُوا فَإِلَّا تَذْرِفِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
 كَانَتْهُمْ لَا نَاسَ لِلْمَوْتِ غَيْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مُنْصِفاً غَيْرَ مُعْتَدِي
 الشعر والغناء لأبي سعيد . وفيه لحن مُتَيِّمٌ .
 [ركب المأمون إلى جبل الثلج ففناه علويه بشعر ندب فيه بني أمية]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عمي
 طَيَّاب بن إبراهيم قال : رَكِبَ المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في
 بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَوَاتٍ لم يُرَ أحسن منها ولا أعظم ، فنزل
 المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية وَيَعْجَبُ منها ويذكرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْمَاورد¹
 ورطل نبيد ؛ فقام عُلُوِيَه فغنى :

أولئك قَوْمِي بَعْدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ تَفَانُوا فَإِلَّا تَذْرِفِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
 قال : فَغَضِبَ المأمون وأمر برفع الطبق ، وقال : يا ابن الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ
 تبكي فيه على قومك إلّا هذا الوقت ! قال : نعم أبكي عليهم ! مولاكم زُرَيَاب يركب
 معهم في مائة غَلامٍ ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركب وانصرف
 الناس ، وَغَضِبَ على عُلُوِيَه عشرين يوماً ؛ فكلّمه فيه عَبَّاسُ أَخُو بَحْرٍ ؛ فَرَضِي عنه ،
 وَوَصَلَهُ بعشرين ألفَ درهم .

صوت

من المائة المختارة²

[من الطويل]

مَهَاةٌ لَوْ أَنَّ الذَّرَّ تَمْشِي ضِعَافُهُ عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا³

1 بزماورد : طعام من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 ديوان حميد (طبعة دار صادر ، بيروت) : 90-105 وهي من قصيدة تتألف من مائة وثلاثين بيتاً .

3 رواية الديوان مطابقة لرواية الأصمعي .

فَقُلْنَ لَهَا قُومِي فِدِينَاكِ فَارَكِّي فَأَوَمْتُ بَلَا لَا غَيْرَ أَنْ تَتَكَلَّمَا¹

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالت . يقول : لو مَشَى الذَّرُّ على جِلْدِهَا لَجَرَى مِنْهُ الدَّمُ
من رِقَّتِهِ . وروى الأصمعي : [من الطويل]

مُنْعَمَةٌ لَوْ يُضْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

الشعر لحُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهَلَالِيِّ ، والغناء في اللحن المختار لفُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ ، ولحنه من
الثقيل الأول بالوسطى . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّ لَحْنَ فُلَيْحٍ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى ،
وَأَنَّ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ لِلْهُذَلِيِّ .

وَمَا يُغْنَى فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

[من الطويل]

صوت

إِذَا شَعْتُ غَتَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ
مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا وَلَيْسَ بِحَلِيَّةٍ
تُبْكِي عَلَى فَرْخٍ لَهَا ثُمَّ تَغْتَدِي
تُؤْمَلُ مِنْهُ مُؤْنِسًا لِانْفِرَادِهَا
أَوْ النَّخْلُ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَلْمَلَمَا²
وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفِّيهِ دِرْهَمًا³
مَوْلَاهُ تَبْغِي لَهُ الدَّهْرَ مَطْعَمًا⁴
وَتُبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا أَوْ تَرَنَّمَا
غَنَاهُ مُحَمَّدُ الرَّفَّ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى .

- 1 الشطر الثاني في الديوان : «فَقَالَتْ أَلَا لَا غَيْرَ أَمَّا تَكَلَّمَا» وفي عيون الأخبار «فَأَوَمْتُ بَلَا لَا غَيْرَ مَا أَنْ تَكَلَّمَا» .
- 2 بَيْشَةٌ وَتَثْلِيثٌ وَيَلْمَلَمُ : أَسْمَاءُ مَوَاضِعٍ وَالْأَخِيرَةُ مِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ . وَيُرْوَى بِأَجْزَاعٍ بَدَلًا مِنْ بِأَجْزَاعٍ ، وَبِالْزَنْ بَدَلًا مِنَ النَّخْلِ ، وَيَبْنِمُ أَوْ يَبْمِمُ بَدَلًا مِنْ يَلْمَلَمُ .
- 3 مطوقة في الديوان : تطوق .
- 4 لم يرد هذان البيتان في الديوان ولا في الزيادات .

[56] - ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره¹

[نسبه]

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار . وهو من شعراء الإسلام . وقرنه ابن سلام بنهشل ابن حرّيّ وأوس² بن مغراء .

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيامه . وقد أدرك الجاهلية أيضاً .

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً]

أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالوا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال : تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبب أحدًا بامرأة إلا جلده . فقال حميد بن ثور ، وكانت له صحبة ، فذكر شعراً فيه :

أبى الله إلا أن سرحه مالك على كل أفنان العضاء تروق³
فقد ذهب عرساً وما فوق طولها من السرح إلا عشة وسحوق⁴
العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : الطويلة المفترقة .

1 ترجمة حميد بن ثور الهلالي في كتب الصحابة وطبقات ابن سلام 2 : 583 والشعر والشعراء 306-310 وشرح شواهد المغني : 73 والوافي 13 : 193 ومعجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 1222-1225 وسمط الآلي : 376 وتهذيب ابن عساكر 4 : 456 . وقد صنع الميمني ديوانه ثم نشرته دار صادر ، بيروت بإشراف د . محمد يوسف نجم وإلى هذه الطبعة نشير . وقد تضمنت التذكرة الحمدونية عدة مختارات من شعره في مواضع متفرقة ، وتجد مختارات أخرى في الكامل للمبرد وأمالى القالي وغيرهما .

2 عد ابن سلام في طبقاته أوس بن مغراء في الطبقة الثالثة وعد حميد بن ثور ونهشل بن حرّيّ والأشهب بن رميلة وعمر بن لجأ في الطبقة الرابعة (انظر طبقات فحول الشعراء ، تحقيق العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر : 570 و583) .

3 السرحة : الشجرة الطويلة ويكنى بها الشعراء عن المرأة . والأبيات من مواضع متفرقة من قصيدة تتألف من 46 بيتاً (الديوان : 65-71) .

فلا الظلّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيءُ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ¹
 فَهَلْ أَنَا إِنْ غَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرَحَةٍ مِنْ السَّرَحِ موجودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ
 وهي قصيدة طويلة أولها :
 نَأَتْ أُمُّ عَمْرِ فَالْفُؤَادُ مَشُوقُ يَجِنُّ إِلَيْهَا وَهَاءُ وَيَتُوقُ

صوت

وفيهما مِمَّا يُغْنَى فيه :

سَقَى السَّرَحَةَ المَحَلَالَ والأَبْرَقَ الذي به السَّرَحُ غِيثٌ دَائِمٌ وَبُرُوقُ
 وَهَلْ أَنَا إِنْ غَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرَحَةٍ مِنْ السَّرَحِ موجودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ²
 غَنَاهُ إِسْحَاقُ ، وَلَحْنُهُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .
 [وفد على بعض خلفاء بني أُمَيَّةَ بشعر فوصله]

أُنَخِّرُنَا الحِرْمِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَمِّهِ قَالَ³ : وَقَدْ حُمِّدَ بَنُ ثَوْرٍ عَلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي
 أُمَيَّةَ ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَقَالَ :

أَتَاكَ بِبِيِ اللَّهِ الَّذِي فَوْقَ مَنْ تَرَى وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ عَلَيْكَ دَلِيلُ
 وَمَطْوِيَّةُ الْأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا فَفَنَصٌّ وَأَمَّا لَيْلُهَا فَذَمِيلُ⁴
 وَيَطْوِي عَلَيَّ اللَّيْلُ حِضْنِيهِ إِنِّي لَذَلِكَ إِذَا هَابَ الرِّجَالُ فَعُولُ⁵
 فوصله وصرفه شاكراً .

1 الظل : ما كان من أوّل النهار إلى الزوال . الفَيء : ما كان من الزوال إلى الليل .

2 موجود في الديوان : مسدود .

3 ديوان حميد : 78 وفي الحاشية أنّ الصواب نسبتها إلى حميد الأرقط .

4 الأقرب : جمع قُرب وهو الخاصرة . فنص في ل : فرقل . ويروي : فسبت ، وكلها أنواع من السير .

5 لذلك في ل : أراك .

[57] - أخبار فليح بن أبي العوراء

[هو مول بني مخزوم وأحد مغني الدولة العباسية]

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكة ، مولى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسم أبيه . وهو أحد مغني الدولة العباسية ، له محل كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِعَ من المُحْسِنِينَ ذكره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد .

[مدح إسحاق الموصلي غناء]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعت أحسن غناء من فُلَيْح بن أبي العوراء وابن جامع : فقلت له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُدْخِلانه فيها .

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد¹ المَهْلَبِيّ قال : قال لي إسحاق : أحسن مَنْ سمعتُ غناء عَطَرْد وفُلَيْح .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه ، وهو أحد مَنْ كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن .

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن محمد العنبرسيّ قال حدثني محمد بن الوليد الزبيريّ قال : سمعتُ كثيرَ بن المَحْوَل يقول : كان مُغْنِيَان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيْح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سُلَيْم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة² أحسن منه من حلقك ، فعلمه إياه ، قال : وكان يغني صوتاً يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نَشَرُهَا بالبُكَرِ

قال : فقال فُلَيْح للرسول : قُلْ له : حَسْبُكَ . قال : فسمعنا ضَجِجَه من وراء الستارة .

1 ل : محمد بن يزيد .

2 س يترجم له أبو الفرج فيما بعد .

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهديّ دون سائر المغنّين]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع : أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، فيغنون من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلّا فليح بن أبي العوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصعب الزبيريّ كان يُرويه شعره ويغني فيه في مدائحه للمهديّ ؛ ففسد في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن يناديه ، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه ، وهما :

صوت

يا أُمِينَ إِلَهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَى الْخَلْقِ وَابْنَ عَمِّ الرَّسُولِ
مَجْلِساً بِالْعَيْشِيِّ عِنْدَكَ فِي الْمَيْدَانِ أَبْغِي وَإِلَازَنْ لِي فِي الْوُصُولِ
فَغَنَاهُ فُلَيْحٌ إِيَّاهُ . فقال المهديّ : يا فضلُ ، أَجِبْ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى مَا سَأَلَ ، وَأَحْضِرْهُ
مَجْلِسِي إِذَا حَضَرَ أَهْلِي وَمَوَالِيَّ وَجَلَسْتُ لَهُمْ ، وَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَرْفَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَاوِيَتِهِ
فُلَيْحَ السَّتَارَةِ ؛ فَكَانَ فُلَيْحٌ أَوَّلَ مُغَنٍّ عَايَنَ وَجْهَهُ فِي مَجْلِسِهِمْ .
[دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أَوَّلَ دَخُولِهِ بِغَدَادٍ وَوَصَلَهُ]

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدُومِي فُسْطَاطَ
مِصْرَ زِيَادُ بْنُ أَبِي الْخَطَّابِ كَاتِبَ مَسْرُورٍ خَادِمِ الرَّشِيدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَبَّوبَ بْنَ الْهَفْثِيِّ
يُحَدِّثُ أَبِي ، قَالَ : دَعَانِي مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لِي : قَدْ قَدِمَ فُلَيْحٌ مِنَ الْحِجَازِ
وَنَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَأَعْلِمَنِي أَنَّهُ إِنْ جَاءَنِي قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى
الرَّشِيدِ ، خَلَعْتُ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَرِيَّةً مِنْ ثِيَابِي وَوَهَبْتُ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ
فَخَبَّرْتَهُ بِذَلِكَ ؛ فَأَجَابَنِي إِلَيْهِ إِجَابَةً مَسْرُورٍ بِهِ نَشِيطٍ لَهُ . وَخَرَجَ مَعِي ، فَعَدَلَ إِلَى حَمَّامٍ
كَانَ بِقُرْبِهِ ، فَدَعَا الْقَيْمَ فَأَعْطَاهُ دَرَاهِمِينَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجِئَهُ بِشَيْءٍ يَأْكُلُهُ وَنَبِيذٍ يَشْرِبُهُ ؛ فَجَاءَهُ
بِرَأْسٍ كَأَنَّهُ رَأْسُ عِجَلٍ وَنَبِيذٍ دُوشَابِيٍّ¹ غَلِيظٍ مَسْحُورِيٍّ رَدِيءٍ . فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ ،
وَجَهَّدْتُ بِهِ أَلَّا يَأْكُلَ وَلَا يَشْرَبَ إِلَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيَّ ، وَأَكَلَ مِنْ
ذَلِكَ الرَّأْسِ وَشَرَبَ مِنْ ذَلِكَ النَّبِيذِ الْغَلِيظِ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ ، وَغَنَى وَغَنَى الْقَيْمَ مَعَهُ
مَلِيّاً ؛ ثُمَّ خَاطَبَ الْقَيْمَ بِمَا أَغْضَبَهُ ، وَتَلَا حَيّاً وَتَوَاتَبَا ؛ فَأَخَذَ الْقَيْمُ شَيْئاً فَضَرَبَهُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ
فَشَجَّهُ حَتَّى جَرَى دَمُهُ . فَلَمَّا رَأَى الدَّمَ عَلَى وَجْهِهِ اضْطَرَبَ وَجَزِعَ وَقَامَ يَغْسِلُ جُرْحَهُ ،

1 الدوشاب : نبيذ التمر . والمسحوري : الفاسد .

ودعا بصوفة مُحَرَّقة وزيت ، وَعَصَبَه وتعمَّم وقام معي . فلمَّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعام فرأى سَرَّوَهَ وطِيبَه ، وحضر النبيذ وآلته ، ومدَّتِ الستائرُ وغنَّى الجواري ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيُّما أحقُّ بالعريدةِ وأولى : مجلسُ القَيِّم أم مجلسُ الأمير¹ ؟ فقلت : وكأنَّه لا بُدَّ من عريدة ؟ قال : لا ، والله مالي منها بُدٌّ ، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت : أمَّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ . فسألني محمد عما كنَّا فيه فأخبرته ؛ فضحك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلِّ غناء ، وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

[اتَّفَق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القرمطي قال حدثنا مُدْرِكة بن يزيد قال : قال لي فُليح بن أبي العوراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَم الوادي وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكم : إن قَعَدَ ابنُ جامع معنا فعاونني عليه لنكسره . فلمَّا صرنا إلى الغناء غنَّى حكم ؛ فصيحْتُ وقلتُ : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غَنَيْت ، ففعل لي حكم مثلاً ذلك . وغنَّى ابن جامع فما كنَّا معه في شيء . فلمَّا كان العشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إن أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرجي إلينا ؟ فخرجتُ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظُنُّ أننا لا نسمع : ليس في القوم أنزَه نفساً من فُليح . ثم أشار إلى غلام له : أن ائت كلَّ إنسان بألفي درهم ، فجاء بها ؛ فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كُفِّه ، وفعل بحكم الوادي مثلاً ذلك فطرحها في كُفِّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ مني النبيذ ، فاحبسوها لي عندك² حتى تَبْعَثَ بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرِّقه على أخواتي (تعني جَواري).

[غنَّى الفضل بن الربيع وهو مريض ثم مات في علته]

قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال : كنَّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك في فُليح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدَّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحْفَةٍ ؛ فحدثنا ساعةً ثم غنَّى . فكان فيما غنَّى :

1 ل : منزل (في الحالين) .

2 ل : عند نفسك .

تقول عِرْسِي إِذْ نَبَا الْمَضْجَعُ مَا بِالِكِ اللَّيْلَةَ لَا تَهْجَعُ
فاستحسنناه منه واستعدناه منه مراراً ؛ ثم انصرف ومات في علته تلك ؛ وكان آخر العهد
به ذلك المجلس .

[قصة عاشق غناه هو وعشيقة فبعث إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي
عن فُلَيْحِ بْنِ أَبِي العوراء قال : كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عم له ، فوعدته أن تزوره . وشكا
إلي أنها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للنفقة . فلما زارته قالت له : مَنْ يُلْهِينَا ؟ قال :
صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أول ما غنّيته : [من الوافر]

مِنْ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِهَا شَنَارَا
فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ؛ فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم ، فلم تقيم
وانصرفت . فأقبل عليّ يلومني في أن غنّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيء
اعتمدتُ به مساءً تلك ، ولكنه شيء اتفق . قال : فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه
صرّة فيها ألف دينار ، ودفعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمك : هذا مهري ادفعه إلى
أبي ، واخطبني ؛ ففعل فتزوجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

وقال¹ : [من الوافر]

مِنْ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِهَا شَنَارَا
كَأَنَّ مَجَامِيعَ الْأُرْدَافِ مِنْهَا نَقّاً دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا
يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَدَلِ قَلْبِي وَأَتَّبَعَ الْمُتَمَعَّةَ النَّوَارَا
الشعر لسليك بن السلّكة السّعدي . والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .
وفيه لابن الهريذ لحن من رواية بَدَل ، أوّلُه :

يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَدَلِ قَلْبِي

1 شعر السليك بن السلّكة (جمع حميد آدم تويني وكامل سعيد عواد (مطبعة العاني ، بغداد) : 55 .

وبعده .

[من الوافر]

غَذَاهَا قَارِصٌ يَغْدُو عَلَيْهَا وَمَحْضٌ حِينَ تَنْتَظِرُ الْعِشَارَا

[ورد دمشق على إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه جواريه غناء]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال : كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عامل للرشيد على جند دمشق : قد قديم علينا فليح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله . وأنا محتال لك في تخليصه إليك ، لتستمع به كما استمتعنا . فلم ألبث أن ورد علي فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار . فورد علي رجل أذكّرني لقاءه الناس ، وأخبرني أنه قد ناهز المائة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جوارِي كل ما كان معه من الغناء ، وانتشرت أغانيه بدمشق .

[غنى موق ألحان فليح بفسطاط مصر]

قال يوسف : ثم قديم علينا شاب من المغنين مع علي بن زيد بن الفرّج الحرّاني ، عند مقدّم غنّيسة بن إسحاق فسطاط مصر ، يقال له موق ؛ فغنّاني من غناء فليح : [من المنسرح]

[صوت]

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ اقْبَلِي عُذْرِي ضَاقَ بِهِجْرَانُكُمُ صَدْرِي

لَوْ هَلَكَ الْهَجْرُ اسْتِرَاحَ الْهُوَى مَا لَقِيَ الْوَصْلُ مِنَ الْهَجْرِ

ولحنه خفيف رمل ، فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقا ؛ فسألته من أين أخذه ؟ فقال : أخذته بدمشق ؛ فعلمت أنه مما أخذه أهل دمشق عن فليح .

صوت

من المائة المختارة¹

[من الطويل]

أَفَاطَمَ إِنَّ النَّأْيَ يَسْلِي ذَوِي الْهُوَى وَنَأْيُكَ عَنِّي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجْدًا

أَرَى حَرَجًا مَا نِلْتُ مِنْ وَدِّ غَيْرِكُمْ وَنَافِلَةً مَا نِلْتُ مِنْ وَدِّكُمْ رُشْدًا

وما نلتقي من بعدِ نأبي وفرقةٍ وشَحَطِ نَوَى إلّا وجدتُ له بَرْدًا
على كَبَدٍ قد كاد يُئدي بها الهوى نُدُوبًا وبعضُ القومِ يحسبني جَلْدًا

عروضه من الطويل . النأي : البعد ، ومثله الشَحَط . والحَرَج : الضيق ؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ . والنُدُوب : آثار الجراح ، واحداها نَدَبٌ .

الشعر لإبراهيم بن هرمة ، والغناء في اللحن المختار ، على ما ذكره إسحاق ، ليونس الكاتب ، وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أن الغناء لمزوق الصرّاف أو ليحيى بن واصل . وفي هذه الأبيات للهذليّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ، ومن الناس من ينسب اللحنين جميعاً إليه .

[58] - ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل . هكذا ذكر يعقوب بن السكيت . وأخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه مُصعب ، وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صُبَيْح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قيس بن الحارث بن فهر ، وفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النضر بن كنانة ، وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . قال مَنْ ذُكرنا من النسّابين : قيس بن الحارث هو الخُلُج ، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما استُخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه لِيَفْرِضَ لهم ، فأنكر نَسَبَهُمْ . فلما استُخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً . وسُمُّوا الخُلُج لأنّهم اختلجوا ممّن كانوا معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنّما سُمُّوا الخُلُج لأنّهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدها خليج) فسُمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هرمة عمٌ يقال له هرمة² الأعور ، فأرادت الخُلُج نَفْيَهُ منهم ؛ فقال : أمسيتُ ألامّ العرب دَعِيٌّ أدعياء . ثم قال يهجوهم³ :

رأيتُ بني فهرٍ سباطاً أَكْفَهُمْ فما بالُ ، أنبوني ، أَكْفُكُمْ قُفْداً⁴
ولم تُذَرِكُوا ما أدرك القومُ قبلكم من المجديّ إلاّ دَعْوَةٌ أَلَحَّتْ كَدّاً
على ذي أيادي الدهرِ أفلح جدُّهم وخيبتُم فلم يَصْرَعْ لكم جدُّكم جَدّاً⁵

1 ترجمة إبراهيم بن هرمة في الخزائنة 1 : 224-226 والسمط : 398 وطبقات ابن المعتز : 20 والموشح : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وقد أورد ابن حُدُون كثيراً من أخباره وشعره في مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية (انظر الفهرس) وقد جمع شعره محمد عبد الجبار المعيد (التجف ، 1969) وهو الذي نعتمده هنا .

2 ل : أبو هرمة .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن هرمة ولا في الشعر المنسوب له .

4 سباط الأكف : أَكْفُهُمْ طويلة معتدلة كناية عن الكرم . التقفد : ميل في الكف كناية عن البخل .

5 وحيتم في ل : وخفتم .

9 . كتاب الأغاني - ج 4

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم]

وقال يحيى بن عليّ حَدَّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمَةَ الغِفاريّ قال : نفى بنو الحارث بن فهر ابنَ هَرَمَةَ ، فقال¹ :

[من الطويل]

أَحَارِ بَنَ فَهْرٍ كَيْفَ تَطْرَحُونِي وجاء العدا من غير كم تبتغي نصري²
قال : فصار من وَلَدَ فَهْرٍ في ساعته .

[كان يقول : أنا أَلُمُّ العرب]

قال يحيى بن عليّ وَحدَّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حَدَّثني العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن هَرَمَةَ يقول : أنا أَلُمُّ العرب ، دَعِيُّ أدعياء : هَرَمَةُ دَعِيٌّ في الخُلُج ، والخُلُج أدعياء في قريش .

[قصته مع أسلمي ضافه]

حدَّثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّل قال حَدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر قال : زرتُ عبد الله بن حسن بياديته وزاره ابنُ هَرَمَةَ ، فجاءه رجلٌ من أسلمٍ ؛ فقال ابن هَرَمَةَ لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سَلِّ الأَسْلَمِيَّ أَنْ يَأْذَنَ لي أَنْ أُخْبِرَكَ خبري وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائْذَنْ له ، فَأْذَنْ له الأَسْلَمِيَّ . فقال له إبراهيم بن هَرَمَةَ : إِنِّي خَرَجْتُ ، أَصْلَحَكَ الله ، أَبْغِي ذَوْدًا لي ، فَأَوْحَشْتُ³ وَضِفْتُ هذا الأَسْلَمِيَّ ، فَذَبَحَ لي شاةً وَخَبَزَ لي خبزاً وَأَكْرَمَنِي ، ثُمَّ غَدَوْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَقَمْتُ ما شاء الله . ثُمَّ خَرَجْتُ أَيضاً فِي بُغَاءِ ذَوْدٍ لي ، فَأَوْحَشْتُ فَضِيفَتُهُ فَقَرَانِي بَلْبَن وَتَمَرٌ ، ثُمَّ غَدَوْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَأَقَمْتُ ما شاء الله . ثُمَّ خَرَجْتُ فِي بُغَاءِ ذَوْدٍ لي ، فَأَوْحَشْتُ ، فَقُلْتُ : لو ضِفْتُ الأَسْلَمِيَّ ! فَالْبَلْبَن وَالتَمَرُ خَيْرٌ مِنَ الطَّوْى ؛ فَضِيفَتُهُ فَجَاءَنِي بَلْبَن حَامِضٌ . فَقَالَ : قد أَجَبْتُهُ ، أَصْلَحَكَ الله ، إلی ما سَأَلَ ، فَسَلَّهُ أَنْ يَأْذَنَ لي أَنْ أُخْبِرَكَ لِمَ فَعَلْتُ . فَقَالَ له : ائْذَنْ له ؛ فَأْذَنْ له . فَقَالَ الأَسْلَمِيَّ : ضَافَنِي ، فَسَأَلْتُهُ مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : رجلٌ من قريش ، فَذَبَحْتُ له الشاة التي ذَكَرَ ، وَوالله لو كان غيرُها عندي لذَبَحْتُه له حين ذَكَرَ أَنَّهُ من قريش . ثُمَّ غَدَا مِنْ عِنْدِي وَغَدَا عَلَيَّ الحَيُّ فَقَالُوا : مَنْ كان ضِيفَكَ البَارِحَةَ ؟ قُلْتُ : رجلٌ من قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو من قريش ، وَلَكِنَّهُ دَعِيٌّ فِيهَا . ثُمَّ ضَافَنِي الثَّانِيَةَ عَلَيَّ أَنَّهُ دَعِيٌّ فِي قريش ، فَجَعَلْتُهُ بَلْبَن وَتَمَرٌ وَقُلْتُ : دَعِيٌّ قريش خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ .

1 ديوان ابن هَرَمَةَ : 126 عن الأغاني .

2 وجاء في ل : وجاني .

3 أَوْحَشَ الرجل : إِذَا نَفَذَ زَادَهُ وَجَاعٌ .

ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَنْ كان ضيفك البارحة ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيَ في قريش فجئته بلبن وتمر ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدعي في قريش ، ولكنه دَعِيَ أدعياء قريش . ثم جاءني الثالثة ، فقريته لبناً حامضاً ، والله لو كان عندي شرٌّ منه لقرّيته إياه . قال : فانخذل ابن هرمة ، وضحك عبد الله وضحكنا معه .

[لقيه ابن ميادة وطلب مهاجته ثم تبين أنّه يمزح]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال : لقي ابن ميادة ابن هرمة ، فقال ابن ميادة : والله لقد كنت أحبُّ أن ألقاك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلاً . فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوت إليه وأحببته ، وهو يظنّه جاذباً . ثم قال له ابن هرمة : أما والله إنني للذي أقول¹ : [من الطويل]

إنني لميمونٌ جيواراً وإنني إذا زجر الطير العدا لمشومٌ
وإنني لملان العنان منقل إذا ما ونى يوماً ألف سووم²
فودّ رجال أن أمي تقنعت بشيب يغشي الرأس وهي عقيم

فقال ابن ميادة : وهل عندك جِراء³ ؟ ثكلتك أمك ! أنت الأم من ذلك ! ما قلت إلاّ مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران : اجتمع ابن هرمة وابن ميادة عند جُميع بن عمر بن الوليد ، فقال ابن ميادة لابن هرمة : قد كنت أحبُّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

[أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلقّى به الموكب]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال : وفدت على المهديّ في جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل ، وكان معنا ابن هرمة ؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هُيئ لمسجد ولم يُسقف ، في عسكر المهديّ ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكبراء السلطان ، وكانوا قد عرفونا ؛ وإذا حيال الدكان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شات شديد البرد ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفوفاً ؛ فأقبل ابن هرمة علينا ، فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله ، عليه السلام ، أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عهدتني أحمل

1 ديوان ابن هرمة : 204-205 عن الأغاني .

2 ملان العنان : سريع العدو . منقل : ينقل قوائمه بسرعة . الألف : الثقيل البطيء .

3 الجراء : الفتوة ومثلها الجراية والجري .

الدرهم ! قال : فقلت له : لكُنِّي أنا معي ، فأعطيته درهماً خفيفاً ، فاشتري به ناطفاً على طَبَقٍ للناطفي فجاء بشيء كثير ، فأقبل يتمضغه وحده ويحدّثنا ويضحك . فما راعنا إلاّ موكب أحد الوزراء : أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلت المطرقة¹ ؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجم علينا هذا وأصحابه ، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أننا كنا نأكل معك . قال : فوالله ما أخذتُ أولى بالسُّرِّ على أصحابه وتقلّد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله ! فضعه بين يديك . قال : اعزّب قَبْحَك الله ! قال : فأنت يا ابن أبي ذَرٍّ ، فزبرته .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبتلى بهذا إلاّ دُعيُّ أَدعياءٍ عاضٌ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقّى به الموكب ، فما مرّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازحه ، حتى مضى القومُ جميعاً . [مدح عبد الله حسن فأكرمه]

وقال هارون حدّثني أبو حُدافة السَّهميُّ قال حدّثنا إسحاق بن نسطاس قال : كان ابن هرمة مشتهراً² بالنبذ ، فأتى عبد الله بن حسن بن حسن وهو بالسيالة³ ، فأنشده مديحاً له . فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجة⁴ عليها فافترت فرقتين ، فقال : اخترتُ أيَّهما شئت ، قال : فإنّما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى . قال : وكانت ثلاثمائة ، وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ابن هرمة ، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالتنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله ﷺ .

[دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبذ فشرب حتى حُمِل سكران]

ثم قدّم ابن هرمة المدينة وجَهَّزَ عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، واكرى من رجلٍ من مُزينة . فبينما هو قد شدّ متاعه وحمله والكرى⁵ ينتظره أن يتحمّل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أيّ أبا إسحاق ، عندي والله نبيذٌ يسقط لحم الوجه . فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنّما هي ثلاثة لا تزدُ عليهن شيئاً . فمضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أتى به وهو سكران ، فطرح في شِقِّ المَحْمِلِ وعادله امرأته ومضوا .

[لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر]

فلماً أسَحَرُوا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذّله ، وقالت :

1 المطرقة : الذين يتقدّمون الموكب ويفسحون له الطريق .

2 ل : مشتهراً .

3 السيالة : موضع قرب المدينة .

4 الساجة : هنا واحدة الساج وهو نوع من الخشب .

5 الكري : المكاري .

قد أفسد عليك هذا النبيذُ دينَكَ ودنياك ، فلو تعلَّلت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه إليها وقال¹ :

لا نبتغي لبسَ البعيرِ وعندنا ماء الزَّبيبِ وناطفُ المِغْصَرِ

[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعي]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بن يَحْيَى بن خَلَّاد قال : كان الأصمعيّ يقول : خُتِمَ الشعراءُ بابن هرمة ، والحكمُ الخُضريّ ، وابن مَيَّادة ، وطُفَيْلُ الكِنانيّ ، ومَكِينُ العُدْريّ . [رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حَدَّثَنِي أَبُو حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ أَحْمَدُ بن إِسْمَاعِيلَ قال : كان ابن هرمة مُدْمِنًا للشَّرابِ مُغْرَمًا به ؛ فَأَتَى أَبَا عمرو بن أَبِي رَاشِدٍ مولى عدوان ؛ فَأَكْرَمَهُ وسقاه أَيْامًا ثَلَاثَةً . فدعا ابن هرمة بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أَبِي رَاشِدٍ : قد نَفَدَ نَبِيذُنَا . فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام : اذْهَبْ به إلى ابن حونك² (تَبَّاذَ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده وأتينا بنبيذ ، ففعل . وجاء ابن أَبِي رَاشِدٍ ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رِداؤُك يا أبا إِسْحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك . [مدح محمد بن عمران الطلحي فاحتجب عنه]

قال هارون حَدَّثَنِي محمد بن عمر بن إِسْمَاعِيلَ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ قال حَدَّثَنِي عُمِيّ عبد العزيز بن إِسْمَاعِيلَ قال : مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطَّلحيّ ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبَيْعٍ³ ، فاحتجب عنه ؛ فمدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها⁴ :

إِنِّي دَعَوْتُكَ إِذْ جُفِيتُ وَشَفَّنِي مَرَضٌ تَضَاعَفَنِي شَدِيدُ الْمُشْتَكَى
وَحُسِبْتُ عَنْ طَلَبِ الْمَعِيشَةِ وَارْتَقَتْ دُونِي الْحَوَائِجُ فِي وَعُورِ الْمُرْتَقَى
فَأَجِبْ أَخَاكَ فَقَدْ أَنَا فِ بَصَوْتِهِ يَا ذَا الْإِخَاءِ وَيَا كَرِيمَ الْمُتَجَمِّي
وَلَقَدْ حُفِيتَ صَبِيبَ عُكَّةٍ بَيْنَنَا ذَوْبًا وَمِزْتُ بِصَفْوِهِ عَنْكَ الْقَذَى⁵

1 ديوان ابن هرمة : 130 عن الأغاني

2 ل : ابن حوقل .

3 هو رواية ابن هرمة .

4 ديوان ابن هرمة : 54 عن الأغاني .

5 حفيت في ل : حبيت . وحيت وحفت بمعنى أعطيت . ذوباً : عسلاً .

فَخُذِ الْغَنِيمَةَ وَاعْتَنِمْنِي إِنَّنِي غُنْمٌ لِّمَثْلِكَ وَالْمَكَارِمُ تُشْتَرَى
لَا تَرْمِيَنَّ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا ضَرَحَ الْحِجَابِ كَمَا رَمَى بِي مَنْ رَمَى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار ؛ فقال : ما نزعك¹ يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟
قال : حاجة لم أر فيها أحداً أكفى مني . قال : وما هي ؟ قال : قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات ،
فأردت من أرزاقى مائة دينار . قال : ومن عندي مثلها قال : ومن الأمير أيضاً ! قال : فجاءت المائتا
الدينار إلى ابن هرمة ، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات . وورث الباقي أهله .

[طلب من أبي جعفر أن يحتال له في إباحة الشراب]

وقال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال : امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله
بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تقع مني هذه . قال : ويحك ! إنها كثيرة . قال : إن أردت أن
تهنئني فأبج لي الشراب فإنني مغرم به . فقال : ويحك ! هذا حد من حدود الله . قال : احتل
لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة
واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلَواز² إذا مرّ بابن هرمة سكران ، قال : من
يشترى الثمانين بالمائة ! .

[امتدح الحسن بن زيد وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري
قال أخبرنا ابن ربيع راوية ابن هرمة قال : أصابت ابن هرمة أزيمة ؛ فقال لي في يوم حار :
اذهب فتكأراً حمارين إلى ستة أميال ، ولم يُسمّ موضعاً . فركب واحداً وركبت واحداً ، ثم
سيرنا حتى صيرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزر ، فدخلنا مسجده . فلما مالت
الشمس خرج علينا مُستملاً على قميصه ، فقال لمولّى له : أذن فأذن ، ولم يكلّمنا كلمة . ثم
قال له : أقيم فأقام ، فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ،
حاجتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، أبيات قتلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو
حسن بن حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه ، فقال : هاتها . فقال³ : [من البسيط]

أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ حَوْلِي فَقَدْ قَرَعُوا نَبَلَ الضَّبَابِ الَّتِي جَمَعْتُ فِي قَرْنٍ⁴

1 ما نزعك : ما حركك من مكانك .

2 الجِلَواز : الشرطي .

3 ديوان ابن هرمة : 230-233 .

4 الضباب هنا : الأحقاد . أي أنتم أظهروا حقدهم وعداوتهم وأنا كتمتها .

فَمَا يَبْثُرَبَ مِنْهُمْ مَنْ أَعَاتِبَهُ إِلَّا عَوَائِدَ أَرْجُوهُنَّ مِنْ حَسَنِ
اللَّهِ أَعْطَاكَ فَضْلاً مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هُنٍ وَهْنٍ فِيمَا مَضَى وَهْنٍ¹

قال : حاجتك ! قال : لابن أبي مُضَرَّسٍ عليّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولى له : يا هيثم ، اركب هذه البغلة فَأَتِنِي بِابْنِ أَبِي مُضَرَّسٍ وَذَكَرْ حَقَّه² . قال : فما صَلَّيْنَا العصر حتى جاء به . فقال له : مرحباً بك يا ابن أبي مُضَرَّسٍ ، أَمَعَكَ ذِكْرُ حَقِّكَ عَلَى ابْنِ هَرْمَةَ ؟ قال نعم . قال : فامحُه ، فمحاها . ثم قال : يا هيثم ، بع ابن أبي مُضَرَّسٍ من تمر الخانقين³ بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار ، وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تَمْراً ، وكل ابن رُبَيْح بثلاثين ديناراً تَمْراً . قال : فانصرفنا من عنده ؛ فلقِيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيَّالَةِ ، وقد بلغه الشعر ، فغَضِبَ لِأَبِيهِ وَعُصُومَتِهِ فقال : أَيُّ مَاصٍّ بَطَرٌ أُمُّهُ ! أَنْتَ الْقَائِلُ :

عَلَى هُنٍ وَهْنٍ فِيمَا مَضَى وَهْنٍ

فقال : لا والله ! ولكنِّي الذي أقول لك⁴ :

لَا وَالَّذِي أَنْتَ مِنْهُ نِعْمَةٌ سَلَفَتْ نَرْجُو عَوَاقِبَهَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ
لَقَدْ أَتَيْتُ بِأَمْرِ مَا عَمَدْتُ لَهُ وَلَا تَعَمَّدْهُ قَوْلِي وَلَا سَنِي
فَكَيْفَ أَمْشِي مَعَ الْأَقْوَامِ مَعْتَدِلاً وَقَدْ رَمَيْتُ بَرِيءَ الْعُودِ بِالْأَبْنِ⁵
مَا غَيَّرْتُ وَجْهَهُ أَمْ مُهْجَنَةٌ إِذَا الْقَتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ الْهَجُنِ
قال : وَأَمَّ الْحَسَنَ أُمُّ وَلَدَ .

[لما عرض بعبد الله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه]

قال هارون : فحدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادَةَ قَالَ : لَمَّا قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ هَذَا الشَّعْرَ فِي حَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ : وَاللَّهِ مَا أَرَادَ الْفَاسِقُ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخَوَيْي : حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُجْرِي عَلَى ابْنِ هَرْمَةَ رِزْقاً فَقَطَعَهُ عَنْهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ . فَأَتَاهُ يَعْتَذِرُ ، فَنَحَّى وَطَرِدَ ؛ فَسَأَلَ رِجَالاً أَنْ يَكْلُمُوهُ ، فَرَدُّهُمْ ؛ فَيَسُّ مِنْ رِضَاهُ وَاجْتِنَابِهِ وَخَافَهُ . فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ مَرَّ عَشِيَّةً وَعَبَدَ اللَّهَ عَلَى زُرِّيَّةٍ فِي مَمَرِ الْمَنِيرِ ، وَلَمْ تَكُنْ تُبَسِّطُ

1 هن : كلمة يكتن بها عن الاسم . وكررها ثلاثاً لأنه أراد ثلاثة أشخاص .

2 ذكر الحق : الصلح الذي يكتب فيه الدين .

3 الخانقان : موضع بالمدينة .

4 ديوان ابن هرمة : 234-235 .

5 الأبْن : جمع أبنه وهي العقدة في العود تفسده . ويقال : ليس في حسب فلان أبنه أي عيب .

لأحدٍ غيره في ذلك المكان . فلَمَّا رأى عبد الله تضائلَ وتَقَفَّذَ وتَصَاغَر وأَسْرَعَ المشي . فكأنَّ عبد الله رَقَّ له ، فأمر به فَرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أَتُفْضِلُ الحسنَ عليَّ وعلى أخويَّ ! فقال : بأبي أنت وأُمِّي ! ورَبَّ هذا القبر ما عَنَيْتُ إِلَّا فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أَفتَغْضَبُ لهم ! فضجَّك وقال : والله ما أَحْسَبُكَ إِلَّا كاذِبًا . قال : والله ما كَذَبْتُكَ . فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرايَتُهُ .

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المدينيُّ عن مُصعب قال : إنَّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوبَ عن عليٍّ بن صالح قال ¹ : أنشدني عامر بن صالح قصيدة لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ، ليس فيها حرف يُعْجَم ؛ وذكر هذه الأبيات منها . ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أَظُنُّ أَنَّ أحداً تقدَّم رُزِيناً العروضيَّ إلى هذا الباب . وأولها :

أَرْسَمُ سَوْدَةَ أَمْسَى دَارِسَ الطَّلَلِ مُعْطَلٌ رَدَّه الْأَحْوَالُ كَالْحُلُلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في خبره أَنَّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً ؛ ووجدتها في رواية الأصمعيِّ ويعقوب بن السُّكَيْتِ اثني عشر بيتاً ، فنسختها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعْجَم إِلَّا ما اصطَلَحَ عليه الكُتَّابُ من تصييرهم مكانَ أَلِفٍ ياءَ مِثْلَ «أَعْلَى» فإنَّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ، ومثل «رَأَى» ونحو هذا ، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف ، وإنَّما اصطَلَحَ الكُتَّابُ على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة : [من البسيط]

أَرْسَمُ سَوْدَةَ مَحَلُّ دَارِسُ الطَّلَلِ مُعْطَلٌ رَدَّه الْأَحْوَالُ كَالْحُلُلِ

لَمَّا رَأَى أَهْلَهَا سَدَّوْا مَطَالِعَهَا رَامَ الصُّدُودَ وَعَادَ الْوُدَّ كَالْمُهْلِ

وَعَادَ وَدُّكَ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ وَلَوْ دَعَاكَ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلرَّحْلِ

مَا وَصَلُ سَوْدَةَ إِلَّا وَصَلُ صَارِمَةٍ أَحْلَاهَا الدَّهْرُ دَاراً مَأْكَلِ الْوَعْلِ

وَعَادَ أَمْوَاهُهَا سُدْمًا² وَطَارَ لَهَا سَهْمٌ دَعَا أَهْلَهَا لِلصُّرْمِ وَالْعَلْلِ

صَدَّوْا وَصَدَّ وَسَاءَ الْمَرْءُ صَدُّهُمْ وَحَامَ لِلْوَرْدِ رَذَاهُ حَوْمَةُ الْعَلْلِ

حومة الماء ، كثرته وغمرته . والعَلْلُ : الشُّرْبُ الثاني . والرَّذَةُ : مستنقع الماء .

1 ديوان ابن هرمة : 179-181 عن الأغاني .

2 سُدْمًا : متغيرة .

وَحَلَّسُوهُ رِدَاهَا مَاوَهَا عَسَلٌ مَا مَاءُ رَذِهِ لَعَمْرُ اللَّهِ كَالْعَسَلِ
دَعَا الْحَمَامَ حَمَاماً سَدَّ مَسْمَعَهُ لَمَّا دَعَاه رَأَاه طَامَحَ الْأَمَلِ
طُمُوحَ سَارِحَةٍ حَوْمٍ مُلَمَّعَةٍ وَمُزْرَعُ السَّرِّ سَهْلٌ مَا كَيْدُ السَّهْلِ¹
وَحَاوَلُوا رَذَّ أَمْرِ لَا مَرَدَّ لَهُ وَالصُّرْمُ دَاءٌ لِأَهْلِ اللَّوْعَةِ الْوُصْلِ
أَحَلَّكَ اللَّهُ أَعْلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَاللَّهُ أَعْطَاكَ أَعْلَى صَالِحِ الْعَمَلِ
سَهْلٌ مَوَارِدُهُ سَمَحٌ مَوَاعِدُهُ مُسَوِّدٌ لِكِرَامٍ سَادَةِ حُمُلِ

[عاب المسور بن عبد الملك شعره]

قال يحيى بن عليّ وحدثني أبو أيوب المدينيّ عن أبي حذيفة قال : كان المسور بن عبد الملك المخزوميّ يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ؛ فقال ابن هرمة فيه² :

إِيَّاكَ لَا الزَّمَنَ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجْمِي نِكْلًا يُنْكَلُ قَرَّاصاً مِنَ اللَّجْمِ
يَدُقُّ لَحْيَيْكَ أَوْ تَنْقَادَ مُتَّبِعاً مَشْيَ الْمُقَيَّدِ ذِي الْقِرْدَانِ وَالْحَلَمِ
إِنِّي إِذَا مَا امْرُؤٌ خَفَّتْ نَعَامَتُهُ إِلَيَّ وَاسْتَحْصَدْتُ مِنْهُ قُوَى الْوَذَمِ³
عَقَدْتُ فِي مُلْتَقَى أَوْدَاجِ لَبَّتِهِ طَوَّقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْلَى عَلَى الْقَدَمِ
إِنِّي امْرُؤٌ لَا أَصُوغُ الْخَلْيَ تَعْمَلُهُ كَفَّايَ لَكِنْ إِسَانِي صَائِغُ الْكَلَمِ
إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أُمْسِيَتْ تَقْرِظُهُ جَهْلًا لَذُو نَغْلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمٍ⁴
وَلَا يَعْطُ بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيِّدُ الْأَدَمِ

[عاب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه]

قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : لَقِينِي ابن هرمة فقال لي : يا ابن مصعب ، أَتَفْضَلُ عَلَيَّ قَوْلَ ابْنِ أُذَيْنَةَ ! أَمَا شَكَرْتَ قَوْلِي⁵ : [من الطويل]

فَمَا لَكَ مُخْتَلًا عَلَيْكَ خِصَاصَةٌ كَأَنَّكَ لَمْ تَنْبُتْ بِيَعُضِ الْمَنَابِتِ

1 السارحة : الماشية . الحوم : القطيع الضخم . الملمع : الذي في جسده بقع تخالف لونه . السر هنا : بطن الوادي . الماكذ : الدائم غير المنقطع .

2 ديوان ابن هرمة : 214 .

3 استحصدت قواها : أحكم فعلها . الودم : سيور مستطيلة .

4 نغل : فساد ، والحلم : فساد في الجلد .

5 ديوان ابن هرمة : 74 .

كَأَنَّكَ لَمْ تَصْحَبْ شُعَيْبَ بْنَ جَعْفَرٍ وَلَا مُصْعَبًا ذَا الْمَكْرُمَاتِ ابْنَ ثَابِتٍ
يعني مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَقْلَنِي وَرَوِّني مِنْ شَعْرِكَ مَا
شِئْتُ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرَوْ لَكَ شَيْئًا . فَرَوَّانِي عَبَّاسِيَّاتِهِ تِلْكَ .

[ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له]

قَالَ يَحْيَى : وَأَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ :
قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ¹ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَسْخَى وَلَا أَكْرَمَ مِنْ رَجُلَيْنِ : إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ ،
وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ . أَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ : أَحْسِنُوا
ضِيافَةَ أَبِي إِسْحَاقَ ، فَأَتَيْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْشِدَهُ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ
الشَّعْرِ . ثُمَّ أَخْرَجَ الْغَلَامَ إِلَيَّ رُقْعَةً فَقَالَ : اثْبِتْ بِهَا الْوَكِيلَ . فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ : إِنَّ شِئْتُ أَخَذْتُ
لَكَ جَمِيعَ مَا كَتَبَ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتُ أُعْطَيْتُكَ الْقِيَمَةَ . قُلْتُ : وَمَا أَمْرُ لِي بِهِ ؟ فَقَالَ : مَا تَنَاشَى
بِرِعَائِهَا وَأَرْبَعَةَ أَجْمَالٍ وَغَلَامٍ جَمَّالٍ وَمِظْلَّةٍ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَقُوَّتُكَ وَقَوْتُ عِيَالِكَ سَنَةً . قُلْتُ :
فَأَعْطِنِي الْقِيَمَةَ ؛ فَأَعْطَانِي مَائَتِي دِينَارٍ . وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَيْتُهُ فِي مَنْزِلِهِ بِمُشَاشٍ² عَلَى بَئْرِ
ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ؛ فَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ بِرُزْمَةٍ مِنْ ثِيَابٍ وَصُرْفَةٍ³ مِنْ دِرْهَمٍ
وَدَنَانِيرٍ وَحُلِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا بَقِينَا فِي مَنْزِلِنَا ثَوْبًا إِلَّا ثَوْبًا نَوَارِي بِهِ امْرَأَةً ، وَلَا حَلِيًّا وَلَا دِينَارًا
وَلَا دِرْهَمًا . وَقَالَ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ³ :

أَرْقَنْتَنِي تَلَوْمُنِي أُمُّ بَكْرٍ	بَعْدَ هَذِهِ ⁴ وَاللَّوْمُ قَدْ يُؤْذِنِي
حَذَّرْتَنِي الزَّمَانَ ثُمَّتَ قَالَتْ	لَيْسَ هَذَا الزَّمَانُ بِالْمَأْمُونِ
قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَذِّرُنِي الدَّهْ	رَدَعِي اللَّوْمَ عَنْكَ وَاسْتَبْقِينِي
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا	هَيْمَ يَعْنِيهِ كُلُّ مَا يَعْنِينِي
قَدْ خَبَرَنَاهُ فِي الْقَدِيمِ فَأَلْفَيْ	سَنَا مَوَاعِيدهُ كَعَيْنِ الْيَقِينِ
قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّذِي هُوَ حَقٌّ	مُسْتَبِينَ لَا لِلَّذِي يُعْطِينِي
نَضَحْتُ أَرْضَنَا سَمَاوُكَ بَعْدَ الـ	جَذَبٍ مِنْهَا وَبَعْدَ سُوءِ الظَّنُونِ
فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَأَقَتْ	هُ يَدَا مُحْكَمِ الْقُوَى مِيحُونِ

1 هذا الخبر مما أورده ابن حمدون في التذكرة 2 : 296 (رقم 770) .

2 مشاش : موضع .

3 ديوان ابن هرمة : 239-240 .

4 ل : فتر .

[طلب من محمد بن عمران علماً فأعطاه كل ما ورده]

وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحَجَبِيّ: أَنَّ إِبْلًا لِمُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ تَحْمِلُ عُلْفًا مَرَّتَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزُّهْرِيِّ وَمَعَهُ ابْنُ هَرْمَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَلَا تَسْتَعْلِفُ مُحَمَّدَ بْنَ عِمْرَانَ ! وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُعَرِّضَهُ لِنَعْيِهِ فِيهِجُوه . فَأَرْسَلَ ابْنُ هَرْمَةَ فِي أَثَرِ الْحُمُولَةِ رَسُولًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى ابْنِ عِمْرَانَ ، فَأَبْلَغَهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَرَدَّ إِلَيْهِ الْإِبْلَ بِمَا عَلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى غَيْرِهَا زِدْنَاكَ . فَأَقْبَلَ ابْنُ هَرْمَةَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ : اغْسِلْهَا عَنِّي ، فَإِنَّهُ إِنْ عَلِمَ أَنَّي اسْتَعْلَفْتَهُ وَلَا دَابَّةً لِي وَقَعْتُ مِنْهُ فِي سَوَاءٍ . قَالَ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : تُعْطِينِي حِمَارَكَ . قَالَ : هُوَ لَكَ بِسَرِّجِهِ وَلِجَامِهِ . فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ : مَنْ حَفَرَ حَفْرَةً سَوَاءً وَقَعَ فِيهَا¹ .

[وفد على السري بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب أن يفد عليه]

أخبرني الحرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ عَنْ ابْنِ زُرَيْقٍ ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ مِنْ أُرْوَى النَّاسِ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْيَمَامَةِ ، وَكَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَرْمَةَ وَيُحِبُّ أَنْ يَفِدَ عَلَيْهِ ؛ فَأَقُولُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَخَافُ أَنْ يَكْلِفَنِي مِنَ الْمُؤُونَةِ مَا لَا أَطِيقُ . فَكُنْتُ² أَكْتُبُ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِ هَرْمَةَ ، فَكَرِهَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ إِلَّا بِكِتَابٍ مِنْهُ ؛ ثُمَّ طُلِبَ فَشَخَّصَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ عَلَيَّ وَمَعَهُ رَاوِيَتُهُ ابْنُ رُبَيْحٍ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْقُدُومِ عَلَى الْأَمِيرِ وَهُوَ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى قُدُومِكَ عَلَى مَا كُتِبَتْ بِهِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الْكِتَابِ إِلَيَّ . فَدَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ فَأَخْبَرْتَهُ بِقُدُومِهِ ؛ فَسَرَّ بِذَلِكَ وَجَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا ، ثُمَّ أَذِنَ لِابْنِ هَرْمَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ رَاوِيَتُهُ ابْنُ رُبَيْحٍ . وَكَانَ ابْنُ هَرْمَةَ قَصِيرًا دَمِيمًا أُرَيْمُصُ³ ، وَكَانَ ابْنُ رُبَيْحٍ طَوِيلًا جَسِيمًا نَقِيَّ الثِّيَابِ . فَسَلَّمَ عَلَى السَّرِيِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنِّي قَدْ قُلْتُ شَعْرًا أَثْنَيْتُ فِيهِ عَلَيْكَ . فَقَالَ : ائْتَشِدْ ؛ فَقَالَ : هَذَا يُنْشَدُ فَجَلَسَ . فَأَنْشَدَهُ ابْنُ رُبَيْحٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا⁴ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

عُوجًا عَلَى رُبْعٍ لَيْلَى أُمُّ مُحَمَّدٍ كَيْمَا نُسَائِلُهُ مِنْ دُونَ عَبُودٍ⁵

1 المثل رقم 4002 في مجمع الميداني : «من حفر مغواة وقع فيها» والمغواة حفر تغطى للضبع والذئب وفي مستقصى الزمخشري 2 : 354 «من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكبا» .

2 ل : فقلت .

3 أريمص : تصغير أرمص والرمص : ما يسيل من العين .

4 ديوان ابن هرمة : 101-103 .

5 عبود : جبل قريب من المدينة .

عن أم محمود إذ شطّ المزار بها
فعرّجا بعد تغويرٍ وقد وقفت
شيئاً فما رجعت أطلال منزلة
ثم قال فيها يمدح السري :

ذاك السريّ الذي لولا تدفّقه
من يعتمذك ابن عبد الله مجتدياً
يا ابن الأساة الشفاعة المستغاث بهم
والسابقين إلى الخيرات قومهم
أنت ابن مُسلّطح البطحاء منبتكم
لكم سقايتها قدماً وندوتها
لولا رجاؤك لم تعسف بنا قلص
لكن دعائي وميض لاح معترضاً
وأشده أيضاً قصيدة مدحه فيها ، أولها ⁷ :

أفي طللٍ قفرٍ تحمّل آهله
تسائل عن سلمى سفاهاً وقد نأت
وترجو ولم ينطق وليس بناطقي
ونوي كخطّ النون ما إن تبينه

ثم قال فيها يمدح السري :

فقلّ للسريّ الواصل البرّ ذي الندى

لعلّ ذلك يشفي داء معمود
شمس النهار ولاذ الظلّ بالعود¹
قفرٍ جواباً لحزون الجوى مُودي²

بالعرف متنا حليف المجدي والجودي
يسيب عرفك يعيد خير معمود
والمطعمين ذرى الكوم المقاحيد³
سبق الجياد إلى غاياتها القود⁴
بطحاء مكة لا روس القرايد⁵
قد حازها والد منكم لمولود
أجواز مهمّة قفر الصوى بيد
من نحو أرضك في دهم مناضيد⁶

[من الطويل]

وقفت وماء العين ينهل هامله
بسلمي نوى شحط فكيف تُسائلة
جواباً مُحيل قد تحمّل آهله
عفته ذبول من شمال تدايله

[من الطويل]

مديحاً إذا ما بُث صدق قائله

1 تغوير في ل : تعويق .

2 مودي : هالك .

3 المقاحيد : النوق العظيمة السنام .

4 القود : الخيل الطويلة العنق .

5 القرايد : الأراضي الغليظة المرتفعة .

6 الدهم المناضيد : السحاب الأسود المتراكب .

7 ديوان ابن هرمة 174-175 عن الأغاني .

جوادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كما اهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهُ
نَفَى الظُّلَمَ عَنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ عَدْلُهُ فَعاشُوا وَزاحَ الظُّلُمُ عَنْهُمْ وَباطِلُهُ
وَنامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وَشِدَّةٍ بِسيرةِ عَدْلٍ ما تَخافُ غَوائِلُهُ
وَقَدْ عَلِمَ المَعْرُوفُ أَنَّكَ خِدْنُهُ وَيَعْلَمُ هَذَا الجَوْعُ أَنَّكَ قَاتِلُهُ
بِكَ اللهُ أَحيا أَرْضَ حَجَرٍ وَغَيْرِها مِنَ الأَرْضِ حَتَّى عاشَ بالبَقْلِ آكِلُهُ
وَأَنْتَ تُرَجِّى لِلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَتَنْفَعُ ذَا القُرْبَى لَدَيْكَ وَسائِلُهُ
وَأَنشده أيضاً ممّا مدحه به قوله :

عُوجاً نُحْيِي الطُّلُولَ بِالْكُتُبِ¹

يقول فيها يمدحه² : [من المنسرح]

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى وَقُلْ مُحَبَّرَةٌ لِماجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النِّسَبِ
مَخْضٍ مُصَفَّى العُرُوقِ يَحْمَدُهُ فِي العُسْرِ وَالْيُسْرِ كُلِّ مُرْتَغِبِ
الواهِبِ الخَيْلِ فِي أَعْتَتِها وَالوُصَفاءِ الحِسانِ كالذَّهَبِ
مَجْداً وَحَمداً يُفِيدُهُ كَرَمًا وَالْحَمْدُ فِي النّاسِ خَيْرٌ مُكْتَسَبِ

قال : فلما فرغ ابن رُيِّح ، قال السَّريّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك ؟ قال : جئتكَ عبداً مملوكاً . قال : لا ! بل حُرّاً كريماً وابن عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنته ، ولا صديقاً إلاّ كلّفته ، قال أبو يحيى : يقول لي ابن زُرَيْق : حتّى كأنّ له دَيْناناً وعليه مالاً ، فقال له السَّريّ : وما دَيْنُكَ ؟ قال : سبعمائة دينار . قال : قد قضّاها الله عزّ وجلّ عنك . قال : فأقام أياماً ، ثم قال لي : قد اشتقتُ . فقلت له : قل شعراً تشوّقُ فيه . فقال قصيدته التي يقول فيها³ :

أَلْحَمَامَةٌ فِي نَخْلِ ابْنِ هَدَاجٍ هاجَتْ صَبابةً عاني القلب مُهْتَاجِ
أَمِ الْمُخَبَّرُ أَنَّ الغَيْثَ قَدْ وَضَعَتْ مِنْهُ العِشارُ تماماً غيرَ إِخْداجِ
شَقَّتْ سَوائِفُها بِالْفَرَشِ مِنْ مَلَلٍ إِلَى الأعارِفِ مِنْ حَزَنِ وَأولاجِ⁴

1 الكتب : موضع بديار طيّء .

2 ديوانه : 68 .

3 ديوان ابن هرمة : 76-78 .

4 الفرش : اسم واد . ملل : موضع . الأعارف : جبال باليمامة . أولاج : جمع ولجة وهي ما غمض من الأرض .

حتى كأنَّ وجوه الأرض مُلْبَسَةٌ طرائفُ من سدى عَصْبٍ ودياجٍ
وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السري : [من البسيط]

أَمَّا السَّريُّ فَإِنِّي سَوْفَ أَمْدَحُهُ ما المادحُ الذَّاكرُ الإحسانِ كالهاجي
ذاك الذي هو بعد الله أنقذني فليستُ أنساه إنفاذي وإخراجي
لَيْتُ بَحَجَرٍ إِذَا ما هاجَهُ فَرَعٌ هاجَ إليه بالجمامِ وإسراج
لَأُخْبَوْتُكَ مِمَّا أَصْطَفَيْني مِدْحاً مُصاحباتٍ لِعُمَّارٍ وَحُجَّاجٍ
أُسدى الصنيعة من برٍّ ومن لطفٍ إلى قروعٍ لباب المُلْكِ ولأَجٍ
كَمْ من يَدٍ لَكَ في الأَقالِمِ قد سَلَفَتْ عند امرئٍ ذي غنى أو عند مُحتاجٍ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ، ومائة دينارٍ يتجهَّز بها ، ومائة دينارٍ يُعرَّض بها أهله ، ومائة دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : «يُعرَّض بها أهله» أي يُهدي لهم بها هدية ، والعُرْاضة : الهدية . قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك¹ :

كَانَتْ عُرَاضَتُكَ الَّتِي عَرَضْتَنَا يَوْمَ الْمَدِينَةِ زَكْمَةً وَسُعَالاً

[أنكر شعراً له في بني فاطمة خوفاً من العباسين]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي نَوْفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ قال أَخْبَرَنِي أَبُو مَالِكٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ هَرْمَةَ قال : قال ابن هرمة² :

وَمَهُمَا أَلَامٌ عَلَى حُبِّهِمْ فَإِنِّي أَحِبُّ بَنِي فَاطِمَةَ
بَنِي بِنْتٍ مَنْ جَاءَ بِالْمُحْكَمَاتِ وَالِدَيْنِ وَالسُّنَّةِ الْقَائِمَةِ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله : مَنْ قائلها ؟ فقال : مَنْ عَصَى بَطْرَ أُمِّهِ . فقال له ابنه : يا أبتِ ، أَلَسْتَ قائلها ؟ قال بلى . قال : فَلِمَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ ؟ قال : أليس أَنْ يَعَصِيَ المرءُ بَطْرَ أُمِّهِ خيراً مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُ ابْنُ قَحْطَبَةَ !

[خبره مع رجل يتجرع بعرض ابنته]

أخبرنا الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُدْرِكٍ الْجَعْدِيُّ قال : جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النُّبُط ، معه زوجة له وابنتان كأنَّهُما ظَبْيَتَانِ يقود عليهما ، بمال فدفعه إليه ،

1 لم نثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .

2 ديوان ابن هرمة : 203-204 .

فكان يشتري لهم طعاماً وشرباً . فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خَفَّ ذلك المال ، وجاء قوم آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة ؛ فاستقلوه وكرهوا أن يعلم بهم ؛ فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما ذَرَيْتَ ما الناسُ فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زلزلَ بالروضة ، فتغافلها . ثم جاء أبوهما متفازراً فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفزع لِمَا الناسُ فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزلَ بالروضة . قال : قد جاءكم الآن إنسانٌ معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جئتمكم به وثَقُلْتُ عليكم ؛ فأردتَ إدخاله وإخراجي . أَيْزَلُّ بروضَةٍ من رياض الجنة ويُتْرَكُ منزلُك وأنتَ تَجْمَعُ فيه الرجال على ابنتيك ! والله لا عدتُ إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخبر عن الزبير هارون بن محمد الزيات فزاد فيه ، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبد الله بن حسن فقال : إني قد مدحتُك فاستمع مِنِّي . قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أعطيتُك ما تريد ولا أسمع . قال : إذا أسقطَ ويكسُدُ سوقي . فسمع منه وأمر له بمائتي دينارٍ ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتُك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيماً عنده حتى نَفِدَتْ .

[قصته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما]

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمِّي عمران بن عبد العزيز بن عُمَرُ بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافينا الحجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيْأَةِ ، فإذا إبراهيم بن عليٍّ بن هرمة يأتينا ؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له ؛ فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أخبرُك ببعض ما تَسْتَظَرُّ ؟ قال : بلى ، وربما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جُبَيْر ، وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين ، فإذا رسوله يأتيني أن أُجِبْ ؛ فخرجتُ حتى أتيتُه ؛ فأخبرني بظَّلَعِ جمليه ، وقال لي : أردتُ أن أبعثُ إلى ناضحين لي بعمقٍ¹ لعلِّي أوتي بهما إلى هاهنا لأمضي عليهما ، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرَّغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلفه بجهدك ؛ فإننا مقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالنا . فقلتُ : في الرُّحْبِ والقُرب ، والدار فارغةٌ ، وزوجته طالقٌ إن اشتريتُ عُودَ عَلفٍ ، عندي حاجتك منه . فأنزلته ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسلٍ² ولا جداءٍ ولا طُرفَةٍ ولا غير ذلك إلا اتبعتُ منه فاخيره ، وبعثتُ به إليه مع دجاجٍ كان عندنا . قال : فبينما أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمني بجملٍ عَلفٍ لي ، فلم أزل أنا وهو

1 عمق : اسم ماء في الحجاز .

2 الرُّسل : اللبن .

حتى أخذته مني بعشرة دراهم ، وذهب به فطرحه لظهره . وخرجتُ عند الرّواح أتقاضى العبد ثَمَنَ حِملي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيْتُ . فلمّا رآني مولاه حيّاني ورَحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبد أنّ العَلَفَ لي . فأجلسني فتغديت عنده ، ثم أمر لي مكان كل درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبّاد ، فبعثت إليّ بخمسة دنائير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنائير ففرقتها على غُرَمائي ، وقلت : عند ابن عمران عَوْضٌ منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فعل بي شيئاً . فبينما هو يترحل وفي نفسه مني ما لا أدري به ، إذ كَلَّم غلاماً له بشيء فلم يفهم . فأقبل عليّ فقال : ما أقدر على إفهامه مع قُعودك عندي ، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردت . فقمْتُ مُغْتَمّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنتُ على باب الدار لَقَيْني إنسانٌ فسألني : هل فعل إليك شيئاً ؟ فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذ تَلَفَ مالي ورَبِحْتُ بَدَنِي . قال : وطلّع عليّ وأنا أقولها ، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي ، وزعم أنّه لولا إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهماً . فقلتُ¹ :

[من البسيط]

يا مَنْ يُعِينُ على صَيْفِ أَلَمٍ بنا	ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجى ولا دين
أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفْتُ	أَغَضِيتُ منها على الأقداء والهُونِ
مسافة البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلَةٍ	وأنت تأتية في شهرٍ وعشرين
لستُ تُبالي فَوَاتَ الْحَجَّ إنْ نَصِيتُ	ذاتُ الكلالِ وأسمنتُ ابنَ حريقِ
تحدّث النَّاسُ عَمَّا فيك من كَرَمٍ	هيهاتَ ذاكَ لِضَيْفَانِ الْمَسَاكِينِ
أصبحتُ تَخْزَنُ ما تَحْوِي وتجمعه	أباً سُلَيْمَانَ من أَشْلاءِ قَارُونِ
مثلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٍ له سَلَفُوا	يَجْزُونَ فِعْلَ ذَوِي الإحسانِ بالدُّونِ
ألا تكون كإسماعيلَ إنَّ له	رأياً أَصِيلاً وفِعْلاً غيرَ مَنُونِ
أو مِثْلَ زوجته فيما أَلَمَ بها	هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النُّطَاقَيْنِ

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُكَ يا أبا إسحاق ؛ لقوله : « يا من يعين » . قال : قد رَفَعَكَ الله عن العَوْنِ الذي أُرِيده ، ما أردتُ إلّا رجلاً مثل عبد الله بن خنيزرة وطلحة أطباء الكَلْبَةِ يُمَسِكُونَهُ لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأوجع به خواصيره وجَواعيره . قال : ولما بلغ في إنشاده إلى قوله :

مثلُ ابنِ عمرانَ آباءٌ له سلفوا

أقبل عليّ فقال : عذراً إلى الله تعالى وإليكم ! إني لم أَعْرِ من آبائه طلحة بن عبيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلمه حتى ضرب أنفه ، وقال له : فَعَنَيْتَ من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دَعِي ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تحلفَ ألا تقول له أبداً إلا خيراً ، وحتى تلقاه فترضاه إذا رجع ، وتحتمل كل ما أزل إليك وتمدحه . قال : أفعلُ ، بالحبِّ والكرامة . قال : وإسماعيل بن جعفر لا تعرضْ له إلا بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلاً . قال : واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران¹ :

ألم ترَ أنَّ القولَ يَخْلُصُ صِدْقُهُ	وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطِلُهُ
ذَمَمْتُ امرءاً لم يَطْبِعِ الذَّمُّ عِرْضَهُ	قليلاً لدى تحصيله مَنْ يُشَاكِهُ ²
فما بالحجاز من فتى ذي إمارةٍ	ولا شرفٍ إلا ابنُ عمرانَ فاضِلُهُ
فتى لا يَطْشُرُ الذَّمُّ ساحةَ بيته	وتشقى به ليلَ التَّمامِ عَوَازِلُهُ ³

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الزهريّ قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المسوريّ قال : مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحيّ ، فألفاه راويته وقد جاءته عيرٌ له تحمل غلّةً قد جاءته من الفرع أو خبير . فقال له رجل كان عنده : أعلمُ والله أن أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يُعرّضني للسانه ، فودوا⁴ إليه القطارَ ، فقيّد إليه .

[طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألا يعمل منه نبياً]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم قال : جاء أبي تمرٌ من صدقة عمر ؛ فجاءه ابن هرمة فقال : أمتع الله بك ! أعطني من هذا التمر . قال : يا أبا إسحاق ، لولا أنني أخاف أن تعمل منه نبياً لأعطيتك . قال : فإذا علمت

1 ديوان ابن هرمة : 176 .

2 يطبع : يندس .

3 يطور : يقرب .

4 ل : فردوا .

أَنْتِي أَعْمَلُ مِنْهُ نَبِيذاً لَا تُعْطِينِي ؟ قَالَ : فَخَافَهُ فَأَعْطَاهُ . فَلَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا فِي الدُّنْيَا أَجُودُ مِنْ نَبِيذٍ يَجِيءُ مِنْ صَدَقَةِ عَمْرِ ؛ فَأَخْجَلَهُ .
[سمع جرير شعره فمدحه]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : قَدِمَ جَرِيرُ الْمَدِينَةِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَرْمَةَ وَابْنُ أُذَيْنَةَ فَأَنْشَدَاهُ ؛ فَقَالَ جَرِيرُ : الْقُرْشِيُّ أَشْعَرُهُمَا ، وَالْعَرَبِيُّ أَفْصَحُهُمَا .
[مدح المطلب بن عبد الله فليح مدحه غلاماً حديث السن]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَنَّ ابْنَ هَرْمَةَ قَالَ يَمْدَحُ أَبَا الْحَكَمِ الْمَطْلَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ¹ :
[من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ كَنَفَنِي وَأَوْرَثَنِي بُوسَى ذَكَرْتُ أَبَا الْحَكَمِ
سَلِيلُ مُلُوكٍ سَبْعَةٌ قَدْ تَتَابَعُوا هُمُ الْمُصْطَفُونَ وَالْمُصَفَّوْنَ بِالْكَرَمِ

فَلَامُوهُ وَقَالُوا : أَتَمْدَحُ غُلَاماً حَدِيثَ السَّنِّ بِمِثْلِ هَذَا ! قَالَ نَعَمْ ! وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ يُلَقَّبُهَا «عَيْنَةً» ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ : كَانَ يُلَقَّبُهَا «عَيْنَةً» ، فَقَالَ ² :
[من البسيط]

كَانَتْ عَيْنَةٌ فِينَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ بَيْنَ الْجَوَارِي فَحَلَّاهَا أَبُو الْحَكَمِ
فَمَنْ لَحَانًا عَلَى حُسْنِ الْمَقَالِ لَهُ كَانَ الْمُلِيمَ وَكُنَّا نَحْنُ لَمْ نَلِمِ

[شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه]

قَالَ يَحْيَى وَحَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : أُرْسِلَ ابْنُ هَرْمَةَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَطْلَبِ بَكْتَابَ يَشْكُو فِيهِ بَعْضَ حَالِهِ ؛ فَبِعِثَ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ عَشَرَ دِينَاراً . فَمَكَّثَ شَهْرًا ثُمَّ بَعَثَ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا يَقْوَى عَلَى مَا كَانَ يَقْوَى عَلَيْهِ الْحَكَمُ بْنُ الْمَطْلَبِ . وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ خَطَبَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ فَرَدَّتْهُ ، فَخَطَبَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فزَوَّجَهُ . فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ ³ :
[من الطويل]

خَطَبْتَ إِلَى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَاغِرًا فَحَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إِلَى جِذْمٍ عَامِرٍ
وَفِي عَامِرٍ عِزٌّ قَدِيمٌ وَإِنَّمَا أَجَازَكَ فِيهِمْ هَزْلُ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا ⁴ :
[من المتقارب]

1 ديوان ابن هرمة : 200 .

2 ديوان ابن هرمة : 217 .

3 ديوان ابن هرمة : 128 .

4 ديوان ابن هرمة : 199 .

أَبَا بَخْلٍ تَطْلُبُ مَا قَدَّمْتُ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأَمْوَالِهَا
فَهِيَّهَاتَ ! خَالَفَتْ فَعَلَ الْكَرَامِ خِلَافَ الْجَمَالِ بِأَبْوَالِهَا

[خبره مع امرأة تزوجها]

وقال هارون بن محمد حدثني مُغيرة بن محمد قال حدثني أبو محمد السَّهْمِيُّ قال حدثني أبو كاسب قال : تزوج ابن هرمة بامرأة ؛ فقالت له : أعطني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلا نَعْلَاي ، فدفعهما إليهما ، ومضى معها فتورَّكها مراراً . فقالت له : أَحْقَيْتَنِي ؛ فقال لها : الذي أحقني صاحبه منَّا يَعْصُ بَطْرُ أُمِّهِ .

[أغراه قوم بالحكم بن المطَّلَب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني المُسَيَّبِيُّ محمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن سكرة جازي أبي ضمرة قال : جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب ، فذكر الحكم بن المطَّلَب فاطنَّب في مدحه . فقالوا له : إنَّكَ لتُكثِّرُ ذَكَرَ رَجُلٍ لو طرَقته الساعة في شاةٍ يقال لها «غَرَاء» تسأله إياها لردَّكَ عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله . وكانوا قد عرفوا أنَّ الحكم بها مُعجَبٌ ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدقَّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أعلم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أمر ألاَّ يُحجَّبَ إبراهيم بن هرمة عنه ، فأعلمه به ، فخرج إليه مُتَشَحِّحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعِلْتُ فداك ، وُلِدَ لأخ لي مولود فلم تَدَرَ عليه أمَّهُ ، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرَاء» ، فسألني أن أسألَها . فقال : أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقى في الدار شاةً إلاَّ انصرفت بها ، سَقَهْنَّ معه يا غلام ، فساقهْنَّ . فخرج بهنَّ إلى القوم ، فقالوا : ويحك ! أيُّ شيء صنعت ! فقصَّ عليهم القصَّة . قال : وكان فيهنَّ والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

[لَمَّا سمع بقتل الوليد تُشدُّ شعراً في مدحه]

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عباية عن عمر بن أيوب الليثي قال : شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكير فنام . فلَمَّا حضرت الصلاة تحرك أو حركته . فقال لي وهو يتوضأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أنَّ الوليد قُتِلَ ؛ فرفع رأسه إليَّ وقال¹ :

[من الطويل]

وكانت أمورُ الناس مُنَبَّتةً القُوى فشدَّ الوليدُ حينَ قامَ نِظامُها
خليفةٌ حقٌّ لا خليفةٌ باطلٌ رمى عن قناة الدِّينِ حتى أقامَها
ثم قال لي : إياك أن تذكر من هذا شيئاً ؛ فإنني لا أدري ما يكون .

[كان ابن الأعرابي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابي : أنّه كان يقول : ختم الشعراء بابن هرمة .

[سكر مرة سكرًا شديدًا فعتب عليه جيرانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذريّ : أنّ ابن هرمة كان مُغرماً بالنبيذ ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكر حتى دخل منزله . فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أمّا سمعتم قولي¹ :

أَسْأَلُ اللَّهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وصياحَ الصَّبِيانِ يا سكرانُ
قال : فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفْلِحَ والله هذا أبدأ .

[لم يحمل جنازته إلّا أربعة نفر]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : أنشدني عمّي لابن هرمة² :

ما أَظُنُّ الزَّمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ تارِكاً إنْ هَلَكْتُ من يَبْكِينِي³
قال : فكان والله كذلك ؛ لقد مات فأخبرني مَنْ رأى جنازته ما يحملها إلّا أربعة نفر ، حتى دُفِنَ بالبقيع .

[ولد سنة 90هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة]

قال يحيى بن عليّ ، أراه عن البلاذريّ : وُلِدَ ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها⁴ :

إِنَّ الْغَوائِيَّ قَدْ أَعْرَضَ مَقْلِيَّةً لَمَّا رَمَى هَدَفَ الْخَمْسِينَ ميلادي
قال : ثم عُمِّرَ بعدها مدّة طويلة .

1 ديوان ابن هرمة : 229 .

2 ديوان ابن هرمة : 243 .

3 عَمْرٌ في ل : سعد .

4 ديوان ابن هرمة : 107 .

[59] - ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسبه]

هو يونس بن سليمان بن كُرد بن شهریار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنه مولى لعمر بن الزبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً ، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه . وأخذ الغناء عن معبد وابن سُرَيْج وابن مُحَرِّز والغريض ، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحقُّ ولا أقومُ بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيّد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَنْ غنّى فيها هو الأصل الذي يُعمل عليه ويُرجع إليه . وهو أول مَنْ دَوَّن الغناء .

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياتي لنفسه في يونس :

[من السريع]

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ	طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إنَّ المغنِّينَ إذا ما هُمُ	جارَوْكَ أحنى بهمُ المقبسُ
تنشُر ديباجاً وأشباهه	وهم إذا ما نشروا كُربسوا ¹

[خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنوا ثم غنى ابن عائشة ففرق جمعهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قدامة الجُمَحِيّ قال : اجتمع فتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعةٌ ممَّن يُغني فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق ، في أصحاب لهم فتغنوا ، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ، قال بعض مَنْ كان معهم : فرأيتُ حولنا مثلَ مُراح الضأن ، وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمَّا رأى جماعة النساء عندهم حسدَهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أما والله لأُفرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصرًا من قصور العقيق ؛ فعلا سطحه وألقى رداءه واتكأ عليه وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

هذا مُقامٌ مُطرِدٌ هُدِمتْ منازلُه ودُورُه

1 كُربسوا : أتوا بالكرايس وهي الثياب الخشنة .

رَقَى عَلَيْهِ عُدَاتُهُ ظِلْمًا فَعَاقَبَهُ أَمِيرُهُ¹

الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى . والشعر لعبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطَّاب ، وقيل : إنَّه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ، قال : فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأةٌ منهنَّ إلَّا جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرَّق عامةُ أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسده .
[صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عُمر بن شَبَّة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال : تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعب بن الزبير امرأةً من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لُؤي ، ففرق مصعبُ بينهما . فخرج حتى قَدِم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال : [من مجزوء الكامل]

هَذَا مَقَامٌ مُطَرَّدٌ	هَدِمْتُ مَنَازِلَهُ وَدَوْرَهُ
رَقَيْتُ عَلَيْهِ عُدَاتُهُ	كَذِبًا فَعَاقَبَهُ أَمِيرُهُ
فِي أَنْ شَرِبْتُ بِجَمٍّ مَا	كَانَ جَلًّا لِي غَدِيرُهُ
فَلَقَدْ قَطَعْتُ الْخَرْقَ بَعْدَ	الْخَرْقِ مُعْتَسِفًا أُسِيرُهُ
حَتَّى أَتَيْتُ خَلِيفَةَ الْ	رَّحْمَنِ مَهْودًا سَرِيرُهُ
حَيَّيْتُهُ بِتَحِيَّةٍ	فِي مَجْلَسِ حَضْرَتِ صُفُورُهُ

فكتب عبد الله إلى مصعب : أن ارُدُّ عليه امرأته ؛ فإنِّي لا أُحَرِّمُ ما أحلَّ الله عزَّ وجلَّ ؛ فردَّها عليه . هذه رواية عُمر بن شَبَّة .

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحيم بن حفص : أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطَّاب ، وأنَّ المفرِّقَ بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُبَاع ؛ وذكر باقي الخبر مثل الأوَّل .

[ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنيه ثم وصله]

أخبرني عمِّي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ قال حدثني أحمد بن الهيثم قال : خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة ؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ؛ فلم يشعر يونس إلَّا برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أَجِبِ الأمير ، والوليد إذ ذاك أمير ، قال :

فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير ، لا أدري مَنْ هو ، إلاَّ أنَّه من أحسن الناس وجهاً وأنبههم ، فسلمت عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري ؛ فكُنَّا يومنا وليلتنا في أمر عجيب . وغنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنيته :

إِنْ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي

ثم تنبَّهتُ فقطعتُ الصوت . فقال : مَالِكُ ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعرٍ في مُصْعَب . فضحك وقال : إِنَّ مُصْعَباً قَدْ مَضَى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه ، وإنَّما أريد الغناء ، فأَمْضِ الصوت ؛ فَعُدْتُ فيه فغنيته . فلم يَزَلْ يَسْتَعِيدُنِي حتى أصبح ، فشرب مُصْطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أَيَّام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداء الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي . فقال لي : أنت تغدو غداً ؛ وشرب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلَتْ إليَّ ، وغدوتُ إلى أصحابي . فلما خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليَّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استخلفَ بعث إليَّ فأتيته ، فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ عَنِّي وَالْغَزَلُ
وَعَلَا الْمَفْرَقَ شَيْبٌ شَامِلٌ وَاضِحٌ فِي الرَّأْسِ مَنِيٌّ وَاشْتَعَلَ

الشعر لابن رُهَيْمَةَ الْمَدَنِيِّ ، والغناء في اللحن المختار لعمَرِ الوادي ثاني ثَقِيلٍ بالبصر في مجراها عن إِسْحَاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان : أَحَدُهُمَا خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصر في مجرى الوسطى عن إِسْحَاق ، والآخِرُ رمل بالسبابة في مجرى البصر عنه أيضاً . وفيه رَمَلَانُ بالوسطى والبصر : أَحَدُهُمَا لابن المَكِّيِّ ، والآخِرُ لِحَكَمٍ ، وقيل : إِنَّهُ لِإِسْحَاقَ من رواية الهشاميِّ . ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كُلُّهَا لابن رُهَيْمَةَ فِي زَيْنَب بنت عِكْرِمَةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة : أَحَدُهَا قَدْ مَضَى . والآخِرُ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي وَسَبَّتُ عَقْلِي وَلُبِّي
تَرَكْنِي مُسْتَهَاماً أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي
لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي
وَلَهَا عِنْدِي ذُنُوبٌ فِي تَنَائِيهَا وَقُرْبِي

غَنَاهُ يُونُسُ رَمَلاً بِالْبَنْصَرِ . وَفِيهِ لِحَكَمِ هَزَجٍ خَفِيفٍ بِالسَّيَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَدَ الْفَوَادُ بِزَيْنَبَا وَجَدَاً شَدِيدَاً مُتَعَبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدِي بِهَا أَدْعَى سَقِيمَاً مُسْهَبَاً¹
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سِتْرَةً وَأَتَيْتُ أَمْرَاً مُعْجَبَاً

غَنَاهُ يُونُسُ ثَقِيلَاً أَوَّلَ مَطْلَقاً فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَإِسْحَاقَ ، وَهُوَ مِمَّا يُشَكَّ فِيهِ مِنْ غَنَاءِ يُونُسَ . وَلَعَلَّيَّةَ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ آخِرٍ لَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لَهَا ، كُنْتُ فِيهِ عَنْ رِشَاءِ الْخَادِمِ ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْغَنَاءِ لَحْنَيْنِ هُمَا جَمِيعَاً مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لِيُونُسَ ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَزْعُمُ أَنَّ الشَّعْرَ لَهَا .

ومنها :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ الْمُنَى وَهِيَ الْهَمُّ وَالْهَوَى
ذَاتُ دَلٍّ تُضْنِي الصَّحِيحَ حَاحَ وَتُبْرِي مِنَ الْحَوَى²
لَا يُغَرِّكُ أَنْ دَعَا تِ فَوَادِي فَمَا التَّوَى³
وَاحْذَرِي هِجْرَةَ الْحَبِي بَ إِذَا مَلَ وَأَنْزَوَى

غَنَاهُ يُونُسُ رَمَلاً بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

1 مسهب : ذهب عقله .

2 تضني الصحيح في ل : تصبي الحليم .

3 فما التوى في ل : إلى التوى ، وهو الهلال .

[من مجزوء الرمل]

ومنها :

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي بِأَبِي تَلَكْ وَأُمِّي
بَأَبِي زَيْنَبُ لَا أَكْ نِي وَلَكْنِي أُسْمِي
بَأَبِي زَيْنَبُ مِنْ قَا ضِرْقَضَى عَمْدًا بَظْلَمِي
بَأَبِي مَنْ لَيْسَ لِي فِي قَلْبِهِ قَيْرَاطُ رُحْمٍ^١

غَنَاهُ يُونُسُ رَمَلًا بِالنَّبْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَلَهُ فِيهِ لَحْنٌ آخَرُ .

[من السريع]

ومنها :

صوت

يَا زَيْنَبُ الْحَسَنَاءُ يَا زَيْنَبُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ إِذَا تُنْسَبُ
تَقِيلُكَ نَفْسِي حَادِثَاتِ الرَّدَى وَالْأُمُّ تُفْدِيكَ مَعَاً وَالْأَبُ
هَلْ لَكَ فِي وَدِّ امْرِئٍ صَادِقٍ لَا يَمَذُّقُ الْوُدَّ وَلَا يَكْذِبُ
لَا يَبْتَغِي فِي وَدِّهِ مَحْرَمًا هِيَاتَ مِنْكَ الْعَمَلُ الْأَرِيبُ

غَنَاهُ يُونُسُ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ .

[من الطويل]

ومنها :

صوت

فَلَيْتَ الَّذِي يَلْحَقِي عَلَى زَيْنَبَ الْمُنَى تَعَلَّقَهُ مِمَّا لَقِيَتْ عَشِيرُ^٢
فَحَسَنِي لَهُ بِالْعَشْرِ مِمَّا لَقِيَتْهُ وَذَلِكَ فِيمَا قَدْ تَرَاهُ يَسِيرُ

غَنَاهُ يُونُسُ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ الْهَشَامِيِّ .

هَذِهِ سَبْعَةُ أَصْوَاتٍ قَدْ مَضَتْ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالزِّيَانِبِ . وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَجْعَلُهَا ثَمَانِيَةً ،
وَيَزِيدُ فِيهَا لَحْنَ يُونُسَ فِي :

تَصَابَيْتَ أُمُّ هَاجَتْ لَكَ الشُّوقَ زَيْنَبُ

1 رحم : مصدر رحم كالرحمة .

2 العشير : العشر .

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنه ، فإنَّ شِعْرَهُ لِحُجَيَّةَ بْنِ الْمُضَرَّبِ الْكِنْدِيِّ ، وقد
كُتِبَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ؛ وَإِنَّمَا الزَّيْنَبُ فِي شِعْرِ ابْنِ رُهَيْمَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُدُّهَا تِسْعَةً وَيُضَيِّفُ
إِلَيْهَا :

قُولاً لَزَيْنَبَ لَوْ رَأَيْتَ تَشَوَّقِي لَكَ وَاشْتَرَا فِي

وَهَذَا اللَّحْنُ لِحَكَمٍ . وَالشَّعْرُ لِحَمْدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ،
وَقَدْ كُتِبَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .
انْقَضَتْ أَخْبَارُ يُونُسَ الْكَاتِبِ .

[60] - أخبار ابن ربيعة

[شِبب بَزِينَب بنت عكرمة فامر هشام بضربه فتواری]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال : كان ابن ربيعة يُشَبَّب بَزِينَب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويغني يونس بشعره ، فافتضحت بذلك . فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمه إن وُجد قد عاد لذكرها ، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره . فهرب هو ويونس فلم يُقدَّر عليهما . فلما ولي الوليد بن يزيد ظهراً . وقال ابن ربيعة :

لئن كنت أطردتني ظالماً لقد كشف الله ما أُرهبُ
ولو نلت مِنِّي ما تشتهي لقل إذا رَضِيت زِينُ
وما شئت فاصنعه بي بعد ذا فحُبِّي لزِينَب لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزنانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي : [من مجزوء الوافر]

أحبُّ من الغناء خفيء فهُ إن فاتني الهَزَجُ
وأشأ «ضوء برق» مث لَ ما أشأ «عفا مُزَجُ»
وأبغضُ «يوم تنأى» و«الزُّ يانبُ» كلها سُمُجُ
ويعجبنني لإبراهـ ييم والأوتارُ تختلجُ
«أديرُ مُدامةً صِرْفاً كأن صبيها ودَجُ»

يعني أبانُ لحنَ إبراهيم . والشعر لأبان أيضاً ، وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أديرُ مُدامةً صِرْفاً كأن صبيها ودَجُ
فظلَّ تخالهُ مَلِكاً يُصرُّفها ويمتَزَجُ

الشعر لأبان ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقبيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثاني ثقبيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

وَمَا فِي غِنَاءِ يُونُسَ مِنَ الْمَائَةِ الْمُخْتَارَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ وَلِلْمَاءِ مَمْنُوعاً مِنَ الْحَائِمِ الصَّدْيِ
وَلِلْحَالِ بَعْدَ الْحَالِ يَرْكُبُهَا الْفَتَى وَلِلْحُبِّ بَعْدَ السَّلْوَةِ الْمُتَمَرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق : أنها للغول بن عبد الله بن صَيْفِي الطَّائِي . والصحيح أنها لإسماعيل . وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياه بها ليعلم صحة ذلك . والغناء ليونس ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر ، وتما هذه الأبيات :

وَلِلْمَرْءِ لَا عَمَنْ يُحِبُّ بِمَرْعَوْ وَلَا لِسَبِيلِ الرُّشْدِ يَوْمًا بِمُهْتَدِي¹
وَقَدْ قَالَ أَقْوَامٌ وَهُمْ يَعْذُلُونَهُ لَقَدْ طَالَ تَعْذِيبُ الْفَوَادِ الْمُصِيدِ

1 الشطر الأول في ل : ولا المرء عما قد يحب بمرعو .

[61] - أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

[كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيري قال : كان إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني تيم بن مرة : تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير . فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان ، وقد إليه مع عروة بن الزبير ، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية . وكان طيباً مليحاً مُندراً بطلاً ، مليح الشعر ، وكان كالمنقطع إلى عروة بن الزبير .

[سبب تلقيه بالنسائي]

وإنما سُمي إسماعيل بن يسار النسائي¹ ، لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، فيشتره منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك . وأخبرني الأسدي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطاح قال : إنما سُمي إسماعيل بن يسار النسائي لأنه كان يبيع النجدة والفرش التي تتخذ للعرائس ؛ ف قيل له إسماعيل بن يسار النسائي .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد عن ابن عائشة : أن إسماعيل بن يسار النسائي إنما لُقّب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العُرسات مُصلحاً أبداً ؛ فمن طَرَفه وجده عنده مُعدّاً .

[نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال قال مُصعب بن عثمان : لما خرج عروة بن الزبير إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير ، فعادله . فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف ترى المحمل ؟ قال : أراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ؛ فضحك عروة ، وكان

يستخفّ إسماعيل ويستطيعه .

[تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي عن أيّوب بن عبّاية المخزوميّ : أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيْلَة وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدهم أيّاماً ، وسأل عنهم ف قيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيّب الحديث خلّو ظريف قديم عليهم يسمّى محمداً ويكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القوم يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحم الله أبويك فإنهما سمّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنهما سمّياك باسم نبيّ وكنّياك بكنية قرد . فأفجم الرجل وضجّ القوم ، ولم يعدّ إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

[استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادّعى نيته نفاقاً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدّثنا المدائنيّ عن نعيم العُدريّ قال : استأذن إسماعيل بن يسار النسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجّبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكي . فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مروانيّتي ومروانية أبي أحجّب عنك ؟ فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي ؛ فما سكّت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر . وخرج من عنده ، فلحقه رجلٌ فقال له : أخبرني وملك يا إسماعيل ، أيّ مروانية كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغضنا إياهم ، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كلّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، ف قيل له : قلّ لا إله إلاّ الله ، فقال : لعن الله مروان ، تقرّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مقامه .

[شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني مُصعب قال : قال إسماعيل بن يسار النسائيّ قصيدته التي أوّلها :

[من الخفيف]

ما على رسمٍ منزلٍ بالجنابِ لو أبانَ الغداةَ رَجَعَ الجوابُ¹

1 الجناب : الغناء ولعلّه هنا اسم موضع بعينه .

غَيْرَتَهُ الصَّبَا وَكُلُّ مُلِثٍ دَائِمِ الْوَدْقِ مُكْفَهَرٍ السَّحَابِ
 دَارَ هِنْدٍ وَهَلْ زَمَانِي بِهِنْدٍ عَائِدٌ بِالْهَوَى وَصَفْوِ الْجَنَابِ
 كَالَّذِي كَانَ وَالصَّفَاءُ مَصُونٌ لَمْ تَشْبِهْ بِهِجْرَةَ وَاجْتِنَابِ
 ذَاكَ مِنْهَا إِذْ أَنْتَ كَالْفُضْنِ غَضٌ وَهِيَ رُوْدٌ كَذُمِيَةِ الْمُخْرَابِ
 غَادَةٌ تَسْتَبِي الْعُقُولَ بِعَذْبٍ طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الْأَيَابِ
 وَأَثِيثٌ مِنْ فَوْقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ كَبِيَاضِ اللَّجَيْنِ فِي الزُّرْيَابِ¹
 فَأَقِلُّ الْمَلَامَ فِيهَا وَأَقْصِرْ لَحْجَ قَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ وَاكْتِثَابِ
 صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ²
 انْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم :

رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمٍّ مَاجِدٍ مُجْتَدِيٍّ كَرِيمِ النَّصَابِ
 إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفُرِّ سِرِّ مُضَاهَاةٍ رِفْعَةِ الْأَنْسَابِ
 فَاتْرُكِي الْفَخْرَ يَا أُمَامَ عَلَيْنَا وَاتْرُكِي الْجَوْرَ وَأَنْطَقِي بِالصُّوَابِ
 وَاسْأَلِي إِنْ جَهِلْتَ عَنَّا وَعَنْكُمْ كَيْفَ كُنَّا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
 إِذْ نُرِّي بَنَاتِنَا وَتَدَسُّو نَ سَفَاهَاً بَنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

فقال رجل من آل كثير بن الصلت : إِنَّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ؛ فأفحمه .
 يريد : أَنَّ العجم يربون بناتهم لِيُنْكِحُوهُنَّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات
 غناء ، نسبته :

صوت

صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ
 انْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَاسْتَرَحْتُ عَوَاذِي مِنْ عِتَابِي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، والغناء للمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى
 الوسطى . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أَنَّ فيه للغريض خفيفاً ثقيل بالنبصر ، وذكر

1 الزرياب : الذهب أو ماؤه .

2 قرى : جَمَعَ . والعلاب : جمع عليه وهي إناء كالقدح الكبير يحلب فيه .

في نسخته الثانية أن لابن سريج . وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى ، وأن لحن الغريض ثقيلٌ أول .

[كان شعوبياً شديد التعصب للعجم]

وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعب قال : إسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سبي فارس . وكان إسماعيل شعوبياً شديد التعصب للعجم ، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله :

إِذْ نُرَكِّي بِنَاتِنَا وَتَدُسُّو نُنْ سَفَاهَا بِنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

فقال له أشعب : صدقت والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَنَ القَوْمُ بناتهم خوفاً من العار ، ورَبَّيْتُمُوهُنَّ لتَنكحُوهُنَّ . قال : فضحك القوم حتى استغربوا ، وخجل إسماعيل حتى لو قَدَّرَ أَنْ يَسِيخَ فِي الْأَرْضِ لَفَعَلَ .

[رماه عبد الصمد في البركة بثيابه يلعباز من الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهري قال حدثنا عُمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال : بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالس على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد ، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه ؛ فأمر به الوليد فأخرج . فقال ابن يسار :

قُلْ لِّوَالِي الْعَهْدِ إِن لَّاقِيْتَهُ
إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ
يَنْجُ مِنِّي سَالِمًا عَبْدُ الصَّمَدِ
إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي خُطَّةً
وَوَلِيَّ الْعَهْدِ أَوْلَى بِالرُّشْدِ
لَمْ يَرْمَهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ
فَهُوَ مِمَّا رَامَ مِنِّي كَالَّذِي
يَقْنَصُ الدَّرَاجَ مِنْ خَيْسِ الْأَسَدِ¹

فبعث إليه الوليد بخلعٍ سنيةٍ وصيلةٍ وترضاه . وقد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى ، وذكر هذا الشعر له فيه .

[استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأصوص قصيدة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي : حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول : رَكِبَ فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله

1 المثل رقم 4724 في مجمع الميداني «يطلب الدراج في حبس الأسد» ، وحبس تحريف عن خيس وهو غابة الأسد أو مكانه . وهناك مثل آخر قريب منه وهو «كمتبغي الصيد في عريسة الأسد» (انظر المثل رقم 3115 في مجمع الميداني وص 363 في فصل المقال) .

بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قُبَاء ؛ فاستخرج الأُحوصَ فقال له : أنشدني قولك :

ما ضَرَّ جِيرَانَنَا إِذْ انتَجَعُوا لو أَنَّهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ رَبَعُوا
فأنشده القصيدة . فَأَعْجَبَ بِهَا ، ثم انصرف . فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئتُ إلّا لِمَا
أرى ؟ قال لا . قال : فاسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

ما ضَرَّ أَهْلَكَ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو أَلَمَ فسَلَمًا
فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتها لَمَّا أَتَيْتُهُ . وفي أبياتٍ من
هذا الشعر غناءً نسبته :

صوت

يا هَندُ رُدِّي الوصلَ أن يَتَصَرَّما وصلي امرءاً كَلِفًا بِحُجِّكَ مُغَرَّما
لو تَبْذُلِينَ لنا ذَلَالِكِ مَرَّةً لم نَبْغِ مِنْكَ سِوَى ذَلَالِكِ مَحَرَّما
مَنعَ الزِيَارَةَ أنْ أَهْلَكَ كُلَّهُم أَبَدُوا لِزَوْرِكَ غِلْظَةً وَتَجَهُمًا
ما ضَرَّ أَهْلَكَ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو أَلَمَ فسَلَمًا
الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالسَّبَابَةِ في
مَجْرَى الوَسْطَى عن إِسْحَاق . وفيه لِإِبْرَاهِيمَ المَوْصِلِيِّ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عن حَبَّش .
[سمع زيان السَّوَّاقُ شعره فبكى]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عن أَبِي عُبَيْدَةَ قال : أنشد رجلٌ
زَيَّانَ السَّوَّاقِ قولَ إسماعيل بن يسار :

ما ضَرَّ أَهْلَكَ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفناء بيتك أو أَلَمَ فسَلَمًا
فبكى زَيَّان ، ثم قال : لا شيء والله إِلَّا الضَّجَرُ وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل
يبكي ويمسح عينيه .

[شعره الذي تشاجر بسببه أَبُو المَعَاذِ مع زيان السَّوَّاقِ]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدِلَانِيُّ النُّحَويّ صَهِرَ المُبَرَّدِ قال حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بن عبد الله بن
إِسْحَاقَ الطَّلْحِيِّ قال حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حَدَّثَنِي جعفر بن الحسين المهَلْبِيُّ قال :
أنشدتُ زَيَّانَ السَّوَّاقِ قولَ إسماعيل بن يسار النسائي :

[من الخفيف]

صوت

إِنْ جُمْلًا وَإِنْ تَبَيَّنَتْ مِنْهَا نَكَبًا عَنْ مَوَدَّتِي وَازْوِرَارًا¹
 شَرَّدْتُ بِادِّكَارِهَا النَّوْمَ عَنِّي وَأَطِيرَ الْعَزَاءِ مِنِّي فَطَارَا
 مَا عَلَى أَهْلِهَا وَلَمْ تَأْتِ سُوءًا أَنْ تُحْيَا تَحِيَّةً أَوْ تُزَارَا
 يَوْمَ أَبْدَوْا لِي النَّجْهَمَ فِيهَا وَحَمَمَوْهَا لَجَاجَةً وَضِرَارَا

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلا اللّحز² وقلة المعرفة وضيق العطن³ . فصاح عليه أبو المعافى وقال : فعلى من ذاك ويلك ! أعليك أو على أهلك أو أمك ؟ فقال له زبّان : إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك ، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وابنك . فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له : ويحك يا سفيه ؛ تحسن الدّيانة ! وزبّان يسعى هرباً منه .
 الغناء في هذه الأبيات لابن مسجّح خفيف قليل بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد ، وذكر الهشاميّ وحَبَشَ أنه لابن مُحَرِّز ، وأنّ لحن ابن مسجّح ثاني ثقيل .
 [طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي قال حدّثنا عُمَرُ بن شُبّة قال حدّثني إسحاق الموصلي قال : غنّي الوليد بن يزيد في شعْرٍ لإسماعيل بن يسار ، وهو :

حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَغَارَتِ الْجَوَازُءُ وَالْمِرْزَمُ
 خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ

فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي ؛ فكتب في إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه استنشدَه القصيدة التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده :

كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ وَأَنْتُمْ دَائِي الَّذِي أَكْتُمُ
 أَكَاتُمُ النَّاسَ هَوَى شَفَنِي وَبَعْضُ كَيْمَانِ الْهَوَى أَحْزَمُ
 قَدْ لُمْتَنِي ظُلْمًا بِلَا ظَنَّةٍ وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَنَا الْوَمُ
 أَبْدِي الَّذِي تُخْفِينُهُ ظَاهِرًا أَرْتَدُّ عَنْهُ فَيْكٍ أَوْ أَقْدُمُ

1 وإن في ل : خلي .

2 اللّحز : الشح والبخل .

3 ضيق العطن : ضيق الصدر .

إِمَّا بِيَأْسٍ مِنْكَ أَوْ مَطْمَعٍ
لَا تَتْرُكْنِي هَكَذَا مَيِّتاً
أَوْفِي بِمَا قُلْتَ وَلَا تَنْدِمِي
آيَةً مَا جِئْتُ عَلَى رَقَبَةٍ
أُخَافُ الْمَشْيَ حِذَارَ الْعِدَا
وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زَرْتَكُمْ
وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ
حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَاسْتَدْرَفْتُ
ثُمَّ انْجَلَى الْحُزْنُ وَرَوَعَاتُهُ
فَبِتُّ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نِعْمَةٍ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَا ضَوْؤُهُ
خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا
يُسْدَى بِحَسَنِ الْوَدِّ أَوْ يُلَحَّمُ
لَا أُمْنَحُ الْوَدَّ وَلَا أَصْرَمُ
إِنَّ السَّوْفِيَّ الْقَوْلَ لَا يَنْدَمُ
بَعْدَ الْكَرَى وَالْحَيُّ قَدْ نَوَّمُوا
وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مَظْلَمٌ
أُخَوِّكُ وَالْخَالُ مَعاً وَالْعَمُ
إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ اللَّهُذَمُ
مَنْ شَقَقِي عَيْنَاكَ لِي تَسْجُمُ
وَعُيْبَ الْكَاشِحِ وَالْمُبْرَمُ
يَمْنَحُهَا نَحْرُهَا وَالْفَمُ¹
وَعَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
يَنْسَابُ مِنْ مَكْمِنِهِ الْأَرْقَمُ

قال : فطرب الوليد حتى نزل عن قرشه وسريه ، وأمر المغنين فغنوه الصوت وشرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بكسوة وجائزة سنية ، وسرجه إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي . والغناء لابن سريج رمل .

[سمع شيخ قينة تغنى بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي قال حدثنا محمد بن كنانة قال : اصطحب شيخ وشباب في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعض الشباب للشيخ : إن معنا قينة لنا ، ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها . قال : الله المستعان ؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنكم . فغنت : [من السريع]

حتى إذا الصبح بدا ضوؤه
أقبلت والوطء خفي كَمَا
وَعَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
يَنْسَابُ مِنْ مَكْمِنِهِ الْأَرْقَمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه في الفرات ، وجعل يخبط يديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا

الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إني والله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون .

[مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مُسْلِمٍ المُسْتَمَلِيّ عن المدائنيّ قال : مدح إسماعيل بن يسار النسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ الله بن أنس ، وكان قد اتّصل بيني مروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومثّ إليه بالجوار والصدقة ؛ فلم يُعطه شيئاً . فقال يهجوهُ¹ :

لَعَمْرُكَ مَا إِلَى حَسَنِ رَحَلْنَا وَلَا زُرْنَا حُسَيْنًا يَا ابْنَ أَنْسِ
(يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما)

وَلَا عَبْدًا لَعَبَهُمَا فَخَطَى بِحُسْنِ الْحَظِّ مِنْهُمْ غَيْرَ بَخْسِ
وَلَكِنْ ضَبَّ جَنْدَلَةٌ أَتَيْنَا مُضِبًّا فِي مَكَامِنِهِ يُفَسِّي
فَلَمَّا أَنْ أَتَيْنَاهُ وَقُلْنَا بِمَاجَتَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ
وَأَعْرَضَ غَيْرَ مُنْبِلِجٍ لِعُرْفِ وَظَلَّ مُقَرَّبًا ضِرْسًا بِضِرْسِ
فَقُلْتُ لِأَهْلِهِ أَبِهَ كُزَازَ وَقُلْتُ لِصَاحِبِي أَتَرَاهُ يُمَسِّي
فَكَانَ الْغَنَمُ أَنْ قُمْنَا جَمِيعًا مَخَافَةَ أَنْ نُزْنَ بِقَتْلِ نَفْسِ

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : وَقَدْ عَرَوهُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخْرَجَ مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارِ النَّسَائِيِّ ، فَمَاتَ فِي تِلْكَ الْوَفَادَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ مُطَّلِعًا عَلَى دَوَابِّ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَسَقَطَ مِنْ فَوْقِ السَّطْحِ بَيْنَهَا ، فَجَعَلْتُ تَرْمَحُهُ حَتَّى قَطَعْتَهُ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ جَوَادًا . قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ يَرِثِيهِ :

صَلَّى إِلَاهُ عَلَى فَتَى فَارَقْتُهُ بِالشَّامِ فِي جَدَثِ الطَّوِيِّ الْمُحْدِ²

1 ورد بعض هذه الأبيات برواية مختلفة في عيون الأخبار 3 : 154 منسوبة للحارث الكندي .

2 الطوي : (هنا) القبر المعروض بالحجارة والآجر . وأحد القبر : جعل له لحداً .

يؤاتيه بيديّ دار إقامة
وغبرتُ أَعُولُهُ وقد أَسْلَمْتُهُ
مُتَخَشَّعاً للدهر أَلَيْسُ حَلَّةً
أعني ابنَ عُرْوَةَ إِنَّهُ قد هدَنِي
فإذا ذهبْتُ إلى العَزاءِ أُرُومُهُ
مَنَعَ التَّعْزِيَّ أَتَنِي لِفراقِهِ
ونأى الصديقُ فلا صديقَ أَعُدُّهُ
فلئن تركَكُ يا محمدُ ثاوياً
كان الذي يَزَعُ العدوَّ بدفعه
فمضى لوجهته وكلُّ مُعَمَّرٍ
نائي المَحَلَّةِ عن مَزارِ العُودِ
لِصَفَا الأَمَازِجِ والصَّفِيحِ المُسْنَدِ¹
في النَّائِبَاتِ بِحَسْرَةٍ وَتَجَلُّدٍ
فَقَدْ ابنَ عُرْوَةَ هَدَّةً لم تَقْصِدِ
لِيَرى المُكَاشِخُ بالعِزاءِ تَجَلُّدِي
لَيْسَ العَدُوُّ عَلَيَّ جِلْدَ الأَرَبِ²
لِدِفَاعِ نَائِبَةِ الزَّمَانِ المُفْسِدِ
لِيَمَّا تَرُوحُ مع الكِرامِ وتغتدي
ويردُّ نَخْوَةَ ذي المِراحِ الأَصِيدِ
يوماً سِيذِرُكُهُ جِمَامُ المِوَعِدِ

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مُصْعَبُ بن عبد الله عن أبيه : أَنَّ إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، فسلم ووقف موقف المُتَشِدِّ واستأذَنَ في الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار ! إنما أنت امرؤ زبيرٍ ، فبأيِّ لسان تُشيد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عن من هو أعظمُ جُرمًا وأكثرُ غَناءً لأعدائك مني ، وإنما أنا شاعر مُضْحِك . فتبسَّم عبد الملك ؛ وأوماً إليه الوليد بأن يُنشد . فابتدأ فأنشد قوله :

[من الطويل]

ألا يا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ المُسَهَّدِ
وللحالِ بعد الحال يركبها الفتى
وللمرءِ يُلْحَى في التصابي وقبله
وكيف تناسي القلبِ سَلَمِي وحبُّها
وللماءِ ممنوعاً من الحائمِ الصَّدي
وللحُبِّ بعد السَّلْوَةِ المُتَمَرِّدِ
صَبَاً بالغواني كُلُّ قَرَمٍ مُمَجِّدٍ
كَجَمْرِ غَضَى بين الشَّرَاسِيفِ مُوقِدٍ

حتى انتهى إلى قوله :

1 الأمازج : جمع أَمْعَز وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .

2 الأريد هنا : الأسد .

إِلَيْكَ إِمَامَ النَّاسِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبَ وَنَعَمْ أَخُو ذِي الْحَاجَةِ الْمُتَعَمِّدِ
رَحَلْنَا لِأَنَّ الْجُودَ مِنْكَ خَلِيقَةٌ وَأَنْتَ لَمْ يَذُمَّمْ جَنَابُكَ مُجْتَدِي
مَلَكَتْ فَرَدَتِ النَّاسَ مَا لَمْ يَزِدْهُمْ إِمَامٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُصَرِّدِ¹
وَقُمْتَ فَلَمْ تَنْقُضْ قِضَاءَ خَلِيفَةٍ وَلَكِنْ بِمَا سَارُوا مِنَ الْفَعْلِ تَقْتَدِي
وَلَمَّا وَلَّيْتَ الْمُلْكَ ضَارِبَتْ دُونَهُ وَأَسْنَدَتْهُ لَا تَأْتِي خَيْرَ مُسْنَدٍ²
جَعَلْتَ هِشَامًا وَالْوَلِيدَ ذَخِيرَةً وَلِيَّيْنِ لِلْعَهْدِ الْوَثِيقِ الْمُؤَكَّدِ

قال : فَنظَرَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ الْمَلِكِ مُتَبَسِّمًا ، وَالتَفَتَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ : أَخْرَجَكَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . فَقَطَّبَ سُلَيْمَانُ وَنَظَرَ إِلَى إِسْمَاعِيلِ نَظَرَ مُغْضَبٍ . فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا وَزَنَ الشَّعْرَ أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ قُلْتُ بَعْدَهُ :

وَأَمْضَيْتَ عَزْمًا فِي سُلَيْمَانَ رَاشِدًا وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدُ
فَأَمْرٌ لَهُ بِالْفَنَى دَرَاهِمُ صَلَّةٍ ، وَزَادَ فِي عَطَائِهِ ، وَفَرَضَ لَهُ ، وَقَالَ لَوْلَدِهِ : أَعْطُوهُ ؛ فَأَعْطُوهُ
ثَلَاثَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

[استنشد هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَافْتَخَرَ فَرَمَى بِهِ فِي بَرَكَةِ مَاءٍ وَنَفَاهُ إِلَى الْحِجَازِ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ ذَكَرَ ابْنُ النَّطَّاحِ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانَ : أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ يَسَارٍ دَخَلَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ بِالرُّصَافَةِ جَالِسٌ عَلَى بَرَكَةٍ لَهُ فِي قَصْرِهِ ، فَاسْتَنْشَدَهُ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ يُنْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَفْتَخِرُ فِيهَا بِالْعَجَمِ :

يَا رَبْعَ رَامَةٍ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ رِيمٍ هَلْ تَرْجِعَنَّ إِذَا حَيَّيْتُ تَسْلِيمِي³
مَا بِالْ حَيٍّ غَدَتْ بُزْلُ الْمَطِيِّ بِهِمْ تَخْدِي لَغَرِبَتِهِمْ سَيْرًا بِتَقْجِيمِ
كَأَنَّيْ يَوْمَ سَارُوا شَارِبٌ سَلَبْتُ فَوَادَهُ قَهْوَةً مِنْ خَمْرِ دَارُومٍ⁴

حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا عُودِي بِذِي خَوَرٍ عِنْدَ الْحِفَافِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ

1 غير مصدر : غير قليل .

2 وأسندته في ل : وسأندته .

3 رامة : اسم هضبة أو جبل . ورثم : واد قرب المدينة .

4 داروم : قلعة بعد غزاة في الطريق إلى مصر .

أُضِلِّي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ
أُخْمِي بِهِ مَجْدُ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ مِنْ كُلِّ قَرَمٍ بَتَاجِ الْمُلْكِ مَعْمُومٍ
جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلُجٍ مَرَايَةِ جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمٍ
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجَنُودِ مَعًا وَالهَرْمُزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لَتَعْظِيمٍ
أُسْدُ الْكَتَائِبِ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ زَحَفُوا وَهُمْ أَذَلُّوا مَلُوكَ الثَّرَكِ وَالرُّومِ
يَمِشُونَ فِي حَلَقِ الْمَآذِي سَابِغَةً مَشْيَ الضَّرَاغِمَةِ الْأُسْدِ اللَّهَامِيمِ
هَنَّاكَ إِنْ تَسَالَى تُنَبِّي بَأَنَّ لَنَا جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَرَائِمِ

قال : ففضيب هشام وقال له : يا عاضُ بَظُرِ أُمِّه ! أَعْلَى تَفَخَّرَ وَإِيَّايَ تُشِيدُ قَصِيدَةً تَمْدَحُ بِهَا نَفْسَكَ وَأَعْلَاجَ قَوْمِكَ ؟ غَطُّوه فِي الْمَاءِ ، فَغَطُّوه فِي الْبَرَكَةِ حَتَّى كَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بَشْرٌ وَنَفَاهُ مِنْ وَقْتِهِ ، فَأَخْرَجَ عَنِ الرُّصَافَةِ مَنَفِيًّا إِلَى الْحِجَازِ . قَالَ : وَكَانَ مِثْلَى بِالْعَصْبِيَّةِ لِلْعَجَمِ وَالْفَخْرِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ مَضْرُوبًا مَحْرُومًا مَطْرُودًا .

[مدح الوليد والغمر ابني يزيد فأكرماه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ وَحَدَّثَنِي أَبُو الْيَقْطَانِ : أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ يَسَارٍ وَقَدَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَقَدْ أَسَنَّ وَضَعُفَ ، فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَخِيهِ الْغَمَرِ وَمَدَحَهُ بِقَوْلِهِ :

نَأْتِكَ سُلَيْمِي فَالْهَوَى مُتَشَاوِرُ وَفِي نَائِيهَا لِلْقَلْبِ دَاءٌ مُخَاوِرُ
نَأْتِكَ وَهَامَ الْقَلْبُ ، نَائِيًا بِذِكْرِهَا وَلَجَّ كَمَا لَجَّ الْخَلِيعُ الْمُقَامِرُ¹
بَوَاضِحَةِ الْأَقْرَابِ خَفَافَةِ الْحَشَا بَرَهْرَهَةٍ لَا يَجْتَوِيهَا الْمُعَاشِرُ²

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد :

إِذَا عَدَّدَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَا فَلَا يَفْخَرْنَ يَوْمًا عَلَى الْغَمْرِ فَآخِرُ
فَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى الدَّهْرِ وَاحِدٍ عَلَى الْغَمْرِ إِلَّا وَهُوَ فِي النَّاسِ غَايِرُ
تَرَاهُمْ خَشُوعًا حِينَ يَبْدُو مَهَابَةً كَمَا خَشَعَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى الْأَسَاوِرُ

1 نَائِيًا فِي ل : جهلاً .

2 الأقرباب : جمع قرب وهي الخاصرة . برهرة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

أَغْرُ بِطَاحِيٍّ كَأَنَّ جَبِينَهُ
وَقَى عِرْضَهُ بِالْمَالِ فَاَلْمَالُ جُنَّةٌ
وَفِي سَيِّئِهِ لِلْمَجْتَدِينَ عِمَارَةٌ
نَمَاهُ إِلَى فَرْعِي لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ
وِخْمَسَةُ آبَاءٍ لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
بِهَالِيلٍ سَبَّاقُونَ فِي كُلِّ غَايَةٍ
هُمْ خَيْرٌ مَنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصِّفَا
وَهُمْ جَمَعُوا هَذَا الْأَنَامَ عَلَى الْهَدْيِ
إِذَا مَا بَدَأَ بِدَرْ إِذَا لَاحَ بَاهِرُ
لَهُ وَأَهَانَ الْمَالُ وَالْعِرْضُ وَافِرُ
وَفِي سَيِّئِهِ لِلدِّينِ عِزٌّ وَنَاصِرُ
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي وَحَرْبٌ وَعَامِرُ
خِلَافُ عَدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتَوَاتِرُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ فِي الْمَكْرُمَاتِ الْمَعَاشِرُ
إِلَى حَيْثُ أَفْضَتْ بِالْبِطَاحِ الْحَزَاوِرُ¹
وَقَدْ فَرَّقْتُ بَيْنَ الْأَنَامِ الْبَصَائِرُ

قال : فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة² آلاف درهم .
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعب قال : لما مات محمد بن يسار ،
وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدثه بمصيبته
ووفاته أخيه ، ثم أنشده يرثيه :

عَيْلَ الْعَزَاءِ وَخَانَنِي صَبْرِي
وَرَأَيْتُ رَبِّبَ الدَّهْرِ أَفْرَدَنِي
مَنْ طَيَّبَ الْأَثْوَابَ مُقْتَبِلِ
فَمَضَى لَوَجْهَتِهِ وَأَدْرَكَهُ
وَعَبْرَتْ مَالِي مَنْ تَذَكَّرَهُ
وَجَوَى يُعَاوِدُنِي وَقَلَّ لَهُ
لَمَّا هَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِهِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَنْ أَلْقِيَهُ
كَادَتْ لِفُرْقَتِهِ وَمَا ظَلَمْتُ
وَلَعَمْرُ مَنْ حُبِسَ الْهَدْيُ لَهُ
لَمَّا نَعَى النَّاعِي أَبَا بَكْرٍ
مَنْهُ وَأَسْلَمَ لِلْعِدَا ظَهْرِي
حُلُوَ الشَّمَائِلِ مَا جَدِ غَمْرِي
قَدَرْتُ أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْقَدْرِ
إِلَّا الْأَسَى وَحَرَارَةُ الصَّدْرِ³
مَنْنِي الْجَوَى وَمَحَاسِنُ الذِّكْرِ
فِي قَعْرِ ذَاتِ جَوَانِبِ غُبْرِي
فِي النَّاسِ حَتَّى مَلْتَقَى الْحَشْرِ
نَفْسِي تَمُوتُ عَلَى شَفَا الْقَبْرِ
بِالْأَخْشَبِينَ صَبِيحَةَ النَّحْرِ⁴

1 الحزاوير : جمع حزورة وهي الرابية الصغيرة .

2 ل : خمسة .

3 غير هنا : مكث وبقي .

4 الأخشبان : جبلان .

لو كان نيلُ الخلدِ يُدركه بَشْرٌ بطيبِ الخيمِ والنَّجْرِ
لَغَبِرَتْ لا تخشى المُنونَ ولا أودى بنفسك حادثُ الدَّهْرِ
ولنعم مأوى المُرملينَ إذا قُحِطوا وأُخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقد ذَرَفْتُ عيني فماءُ شؤونها يجري
أنِّي وأيُّ فتى يكون لنا شرواكَ عند تَفاقمِ الأمرِ
لِدفاعِ خصمٍ ذي مُشاغَبَةٍ ولعائلٍ تَرِبَ أخِي فَقَرِ
ولقد علمتُ وإنَّ ضمنتُ جَوَى مِمَّا أَجِنَ كَوَاهِجَ الجَمْرِ
ما لامرئٍ دون المنيَّةِ مِن نَفَقٍ فيحْرِزُهُ ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزبير ، فقال له : أحسنت وأسرفت في القول ، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً . فجزاه خيراً . فلما انصرف تناول هشامُ الرجلَ الزُّبيريَّ وقال : ما أردتَ إلى رجلٍ شاعرٍ مَلِكُ قوله فصَرَفَ أحسنَه إلى أخيه ! ما زدتَ على أن أغريته بعرضيك وأعراضنا لولا أنِّي تَلَافَيْتُهُ . وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه ؛ وله أشعار كثيرة . ولم أَجدَ له خبراً فأذْكُرُهُ ، ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة :

صوت

غَشِيَتْ الدَّارَ بالسَّنْدِ دُوَيْنَ الشَّعْبِ مِنْ أَحَدِ
عَفَتْ بعدي وغيرها تَقَادُمُ سَالِفِ الْأَهْدِ

الغناء لحكم الوادي خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشامي .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم ، شاعرٌ أيضاً ، وهو القائل : [من المتقارب]

مضى الجهلُ عنكَ إلى طَيْبَةٍ وَأَبَكَ جِلْمُكَ مِنْ غَيْبَةٍ
وأصبحتَ تَعَجَّبُ مِمَّا رَأَيْتَ سَتَ مِنْ نَقْصِ دَهْرٍ وَمِنْ مِرَّةٍ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهَتْ الإطالةُ بذكرها .

انقضت أخباره .

صوت¹

[من الطويل]

كُتِبَ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُنْمِمْ²

عروضه من الطويل ، الشعر للنابعة الجعدي . والغناء للهذلي في اللحن المختار ، وطريقته من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا سائر ما يغني به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة ونسبها إلى صانعه ، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره . فمناها على الولاء سوى لحن الهذلي³ :

[من الطويل]

كُتِبَ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُنْمِمْ
أَيَا دَارَ سَلَمَى بِالْحَرُورِيَّةِ اسْلَمِي إِلَى جَانِبِ الصَّمَانِ فَالْمُثَلَّمِ⁴
أَقَامَتْ بِهِ الْبَرْدَيْنِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الدَّخُولِ فَجُرْثُمِ
وَمَسْكَنَهَا بَيْنَ الْغُرُوبِ إِلَى اللَّوَى إِلَى شُعْبٍ تَرَعَى بِهِنَ فَعَيْهَمِ
لِيَالِي تَصْطَاذُ الرِّجَالِ بِفَاحِمْ وَأَبْيَضَ كَالْإِغْرِیْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

في البيت الأول والثاني لابن سريج ثقيل أول آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لملك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى ، ذكر ذلك أبو العنبس والهشامي . وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو بن بانه . ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكي . ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم ، وذكر غيره أنه للغريض . ولإبراهيم فيه ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ، وذكر حبش أنه لمعبد . ولابن محرز في

1 ديوان النابعة الجعدي .

2 المنمم في الديوان : المسهم .

3 ديوان النابعة الجعدي : 137-147 .

4 الصمان والمثلثم والتحول وجرثم والغروب وعيهم : كلها مواضع .

الأول والثاني والثالث والرابع هَزَج ، ذكر ذلك أبو العَنَس ، وذكر قُمَرِيَّ أَنَّهُ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ لَا يَشْكُ فِيهِ . وَلِلدَّلَالِ فِي الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ ثَانِي ثَقِيلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو الْعَنَسِ أَنَّهُ لِلْهُذَلِيِّ . وَلِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي الرَّابِعِ خَفِيفٌ رَمَلٍ . وَلِإِسْحَاقَ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ أَيْضاً مَآخُورِيٍّ ، وَلِمَعْبُدِ خَفِيفٌ ثَقِيلٍ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِيهِمَا ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِحَنَهُ الَّذِي ذَكَرْنَا مُتَقَدِّماً ، وَإِنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الشَّعْرُ غَيْرُهُ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَوْهَاهَا : «كَلِيبٌ لِعَمْرِي» خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ، وَلِلْهُذَلِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ ، وَلِلدَّلَالِ رَمَلٌ ؛ فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ عَشَرَ صَوْتاً¹ . وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَرِيصٌ أَنَّ لَهُ فِيهِمَا (أَعْنِي الْأَوَّلَ وَالثَّانِي) خَفِيفاً بِالْوَسْطَى .

* * * *

الفهرس

- [43] - ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره 5
- [44] - أخبار فريدة 90
- [45] - ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره 96
- [46] - أخبار حسان بن ثابت ونسبه 105
- [47] - ذكر الخبير عن غزاة بدر 127
- [48] - نسب علس ذي جَذَنٍ وأخباره 156
- [49] - أخبار طويس ونسبه 157
- [50] - ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 161
- [51] - ذكر خبر الدلال وقصته حين
خُصِّيَ وَمَنْ خُصِّيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره 190
- [52] - ذكر طريح وأخباره ونسبه 212
- [53] - ذكر ابن مشعب وأخباره 225
- [54] - ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه 231
- [55] - ذكر مَنْ قتل أبو العباس السفاح من بني أمية 240
- [56] - ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره 249
- [57] - أخبار فليح بن أبي العوراء 251
- [58] - ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه 257
- [59] - ذكر أخبار يونس الكاتب 277
- [60] - أخبار ابن رُهَيْمَة 283
- [61] - أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه 285

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 4

DAR SADER
Beirut

کتابُ الاِغازِ

5

كتاب الأمازيغ

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

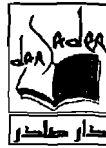
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان .

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[62] - ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره¹

والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر

[نسبه]

هو ، على ما ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ والقَحْذَميَّ ، وهو الصحيح ، حَبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحَّوح بن عُذْس ، وقيل ابن عمرو بن عُذْس مكان وحوح ، ابن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرَمَة بن خَصْصَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون . وقد روى ابن الكلبيّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا ، فمنها أنَّ ابن الكلبيّ ذكر عن أبيه أنَّ خَصْصَة الذي يقول الناس إنَّه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا ، وأنَّ عِكْرَمَة ابنُ قيس بن عَيْلان وخَصْصَة أمّه ، وهي امرأة من أهل هَجَر . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرَمَة صغير فربّته حتى كبر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصْصَة ، فبقيت عليه ؛ ومن لا يعلم يقول : عِكْرَمَة بن خَصْصَة بن قيس ، كما يُقال خِنْديف ، وإنَّما هي امرأة زوجها إلياس بن مضر . وقالوا في صَعْصَعَة بن معاوية : إنَّ الناقمِيَّة بنت عامر بن مالك ، وهو الناقم ، سُمِّي بذلك لأنَّه انتقم بلطمَةٍ لُطِمَها ، وهو ابن سعد بن جَدَّان² بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زرار ، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوَازن فمات عنها أو طَلَّقها وهي نس³ ، فتزوَّجها سعد بن زيد مناة بن تميم ، فولدت على فراشه صَعْصَعَة بن معاوية ، ثم ولدت هُبَيْرَة ونَجْدَة وجُنَادَة ؛ فلمَّا مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأخرجوا صَعْصَعَة منه ، وقالوا : أنت ابن معاوية بن بكر ؛ فلمَّا رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقرؤا بنسبه ودفعوه عن الميراث ؛ فلمَّا رأى ذلك أتى سعد بن الظَّرِب العدَوانيّ فشكا إليه ما لقي ، فزوَّجه بنتَ أخيه عَمْرَة بنت عامر بن الظَّرِب ، وأبوها

1 ترجمة النابغة الجعدي في طبقات ابن سلام 123-131 والشعر والشعراء : 208-214 ومعجم المرزباني 195 وكتاب المعمرين رقم : 66 والخزانة 3 : 167-173 والموشح : 64 وأسَد الغاية والإصابة والاستيعاب وانظر بروكلمان 1 : 232 وقد جمعت أشعاره ماريا نلينو ، وقد اعتمدنا هنا طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .

2 ل : خندف .

3 النساء : المرأة يظنُّ بها الحمل لتأخّر الحيض .

عامر الذي يُقال له : ذو الحِلْم ؛ وعَمْرَة ابنته هذه هي التي كانت تَقْرَع له العصا إذا سها في الحكم ؛ وله يقول الشاعر¹ :

لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرَع العصا وما عَلِمَ الإنسانُ إلَّا لِيَعْلَمَا

قال : وكانت عَمْرَة يوم زَوَّجها عُمُّها نِسَاءً من ملك من ملوك اليَمَن يُقال له : الغافِق بن العاصي الأَزْدِي ، والمُلْك يومئذٍ في الأَزْد ، فولدت على فراش صِعْصعة عامر بن صِعْصعة ، فسَمَّاه صِعْصعَة عامراً بَجْدَه عامر بن الظَّرَب . وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمَان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوَازن :

أَزْعَمْتُ أَنَّ الغافِقِيَّ أَبوكم نَسَبٌ لَعَمْرُ أَيْك غيرُ مُفْنَدٍ
وَأَبوكم مَلِكٌ يُتَنَفُّ بَاسْتِه هَلْبَاءُ عَافِيَة كَهْرَف الهُدْهُدِ
جَنَحَتْ عَجُوزُكُمْ إِلَيْه فَرَدَّهَا نِسَاءً بَعَامِرِكُمْ وَلَمَّا يُؤَيِّدُ²

ويكنى النابغة أبا ليلي .

وأخبرنا أبو خَلِيفَة عن مُحَمَّد بن سَلَام قال : هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صِعْصعة . وقال ابن الأَعرابي : هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابن سَلَام في باقي نسبه . وهذا وَهْمٌ مَن قال : إِنَّ اسمَه قيس³ ؛ وليس يُشَكُّ في أَنه كان له أَخ يُقال له وَخُوح بن قيس ، وهو الذي قتله بنو أُسَد ؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .
وأُمّه فَاخِرَة بنت عمرو بن جابر بن شَيْخَة الأَسَدِي .

[سبب لقبه النابغة]

وإنما سُمِّي النابغة لَأَنه أَقام مَدَّةً لا يقول الشَّعرُ ثم نَبَغَ فقاله .
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأتُ على القَحْذَمِي : قال الجعدي الشَّعرُ في الجاهليَّة ثم أَجْبَلُ⁴ دهرًا ثم نَبَغَ بعدُ في الشَّعر في الإسلام .
أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار عن مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الأَعرابي قال : أَقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلَّم ، ثم تكلَّم بالشَّعر .

1 تقدّم بيت المثلث هذا في ترجمة ذي الإصبع العدواني . وانظر المثل في مجمع الميداني 1 : 37 ومستقصى الزمخشري 1 : 408 .

2 يُؤيد في ل : يولد .

3 انظر بشأن اسمه والخلاف فيه (أهو قيس بن عبد الله أم عبد الله بن قيس) مصادر ترجمته .

4 أَجْبَل الشاعر : صعب عليه قول الشعر .

[عمره وشعره فيه]

قال القحذمي في رواية حماد عنه : كان الجعدي أسنً من نابغة بني ذبيان .
قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه : كان الجعدي النابغة قديماً شاعراً طويلاً مُفلقاً
طويل البقاء في الجاهلية والإسلام ، وكان أكبر من الذبياني ؛ ويدل على ذلك قوله ¹ : [من الوافر]
وَمَنْ يَكُ سائِلاً عَنِّي فَأِنِّي مِنْ الْفِتْيَانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ ²
أَتَتْ مِائَةَ لَعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَقَدْ أَبَقْتُ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّي كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

قال وعمر بعد ذلك عمراً طويلاً . سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنن ما هي ؟ فقال :
وقعة كانت لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خنوهم ³ بالرماح ، فسُمِّي ذلك العامُ
الخنن . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبياني أنه عُمر مع المنذر بن الحرق قبل النعمان بن
المنذر ، وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره ، ولم يكن له قديم إلا أنه مات
قبل الجعدي ، ولم يدرك الإسلام . وقد أدركه الجعدي الذي يقول ⁴ : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ شَيْئاً قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمِنْ عَادَةِ الْمُحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَذَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذَرِ بْنِ مُحَرِّقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مُقْفِرَا
كُهُولٌ وَفِتْيَانٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا ⁵

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن
محمد بن حكيم عن كان يأخذ العلم عنه ولم يُسم إلي أحد في هذا : أن النابغة عُمر مائة وثمانين
سنة ، وهو القائل ⁶ : [من المتقارب]

لَيْسْتُ أَنَساً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسَا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ إِلَالَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا ⁷

وهي قصيدة طويلة ، يقول فيها ، وفيه غناء :

- 1 شعر النابغة الجعدي : 160-163 .
- 2 رواية الشطر الأول في الشعر والشعراء : «ومن يحرص على كبري فاني» . الخنن : داء يأخذ بالإبل في مناخرها وتموت منه .
- 3 خنوهم : اقطعوهم .
- 4 انظر رائية النابغة (رقم 3 أ) في مجموع شعره : 35-59 وهناك بعض اختلاف في الرواية .
- 5 سيف الدينار أو السيف : جلي .
- 6 شعره : 77-80 .
- 7 المستأس : المستعان .

صوت

وكنْتُ غُلَاماً أَقاسي الحُرُوبَ بَ يَلْقَى المُقاسونَ مِنِّي مِرَاساً
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ النُّبَا حَ لَمْ نَعْرِفِ الحَيَّ إِلَّا التماساً
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغَرَّ مُلْتَبِساً بِالْفُؤَادِ التباساً
غَنَى فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ فُلَيْحُ بْنُ أَبِي الْعَوْرَاءِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى .

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبّة :

قال : وقال أيضاً : [من الوافر]

أَلَا زَعَمْتُ بَنُو سَعْدٍ بَنِي أَلَا كَذَبُوا كَبِيرُ السِّنِّ فَاثِي
أَتَتْ مِائَةً لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ

قال : وأنشد عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها : [من المتقارب]

ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبّيت مع كلّ أهل ؟ قال : ستين سنة .

[شعره مشؤوم]

وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دُرَيْدٍ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : أنشد رجلاً من العجم قولَ النابغة الجعديّ :

[من المتقارب]

لَبِستُ أَناساً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَناسٍ أَناساً

[قيل إنه عاش 220 سنة]

وفُسِّرَ له ، فقال : «بدين شان بود» ، أي هذا رجل مشؤوم . وأمّا ابن قُتيبة فإنّه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنّه عُمِّرَ مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان . وما ذاك بمُنْكَرٍ ؛ لأنّه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنّهُ أَفْنَى ثَلَاثَةَ قُرُونٍ كُلِّ قَرْنٍ سِتُونَ سَنَةً ، فهذه مائة وثمانون ، ثمّ عُمِّرَ بَعْدَهُ فَمَكَّثَ بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ خِلاَفَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ ، وَقَدِيمَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَقَدْ دَعَا لِنَفْسِهِ ، فَاسْتَمَاحَهُ وَمَذَحَهُ ؛ وَيَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَيَيْنَ عُمَرَ نَحْوَ مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ ؛ بَلْ لَا أَشْكُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ هَذِهِ السِّنَّ . وَهَاجَى أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ بِحَضْرَةِ الْأَحْطَلِ وَالْعَجَّاجِ وَكَعْبَ بْنَ جُعَيْلٍ فَغَلِبَهُ أَوْسٌ ، وَكَانَ مُغْلَبًا .

[دعاء النبي له]

حدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُوسَى الْقَطَّانُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ زَنْجَوَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّكْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ الْأَشْدُقِ الْعُقَيْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ قَالَ :

أَنشَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا الشُّعْرَ فَأَعْجَبَ بِهِ : [من الطويل]

بلغنا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُونَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «فَأَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى» ؛ فَقُلْتُ : الْجَنَّةُ ؛ فَقَالَ : «قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ؛
فَقُلْتُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . [من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَجَدْتُ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك» ؛ قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ آتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ سَنَةٍ
أَوْ نَحْوُهَا وَمَا انْفَضَّ مِنْ فِيهِ سِنَّ .
[تَجَنَّبَ الْخَمْرَ وَالْأَزْلَامَ وَالْأَوْثَانَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ
النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ مِمَّنْ فَكَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْكَرَ الْخَمْرَ وَالسُّكْرَ وَمَا يَفْعَلُ بِالْعَقْلِ وَهَجَرَ الْأَزْلَامَ
وَالْأَوْثَانَ وَقَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَلِمَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا¹ : [من المنسرح]

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا
وَكَانَ يَذْكُرُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَنِيفِيَّةَ ، وَيَصُومُ وَيَسْتَغْفِرُ ، وَيَتَوَقَّى أَشْيَاءَ لِعَوَاقِبِهَا .
[وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَسْلَمَ]

وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : [من الطويل]

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَتَلَوُ كِتَابًا كَالْمَجَرَّةِ نَبْرًا
وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أُحِيسَ وَمَنْ مَعِيَ سُهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّتَ غَوْرًا
أَقِيمَ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفَعْلِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمَخُوفَةِ أُوجِرًا²

[اسْتَأْذَنَ عَثْمَانَ فِي سَكْنَى الْبَادِيَةِ]

وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَأَنشَدَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَقَالَ لَهُ : «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك» ؛ وَشَهِدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ صَفِيْن . وَقَدْ ذُكِرَ خَبْرُهُ مَعَ عَمْرِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَأَمَّا خَبْرُهُ مَعَ
عَثْمَانَ فَأَخْبَرَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ
مُحَارِبٍ : دَخَلَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ عَلَى عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ : أُسْتَوْدَعُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : وَأَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ قَالَ : الْحَقُّ بِإِلَيَّ فَأَشْرَبُ مِنْ الْبَانِهَا فَإِنِّي مُكْرٍ لِنَفْسِي ؛

1 شعر النابغة : 132 .

2 أوجر : خائف .

فقال : أَتَعَرَّبًا¹ بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ ؟! قال : مَا عَلِمْتُهُ ، وَمَا كُنْتُ لِأُخْرِجَ حَتَّى أَعْلِمَكَ . قال : فَأَذِنْ لَهُ ، وَأَجَلْ لَهُ فِي ذَلِكَ أَجَلًا ، فَدَخَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ عَلِيٍّ فَوَدَّعَهُمَا ؛ فَقَالَا لَهُ : أَنْشِدْنَا مِنْ شَعْرِكَ يَا أبا ليلى ؛ فَأَنْشَدَهُمَا :
[من المنسرح]

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنِ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمًا

فقالا : يا أبا ليلى ، مَا كُنَّا نُرَوِّي هَذَا الشَّعْرَ إِلَّا لِأُمِّيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَصَاحِبُ هَذَا الشَّعْرِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ ، وَإِنَّ عَيْنَ السَّرُوقِ لَمَنْ سَرَقَ شَعْرَ أُمِّيَّةَ .

[كان مغلبًا في المهجاء]

قال أَبُو زَيْدٍ عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ فِي خَبَرِهِ : كَانَ النَّابِغَةُ شَاعِرًا مُتَقَدِّمًا ، وَكَانَ مَغْلَبًا مَا هَاجَى قَطُّ إِلَّا غُلِبَ ، هَاجَى أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ وَكَعْبَ بْنَ جُعَيْلٍ فَغَلِبُوهُ جَمِيعًا .
[مهاجاته أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ]

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : كَانَ بَدْءُ حَدِيثِ النَّابِغَةِ وَأَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا وَجَّهَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ الْفَهْرِيِّ لِقَتْلِ شِيعَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَامَ إِلَيْهِ مَعْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيِّ وَزِيَادُ بْنُ الْأَشْهَبِ بْنِ وَرْدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ جَعْدَةَ ، فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّحْمَنِ أَلَّا تَجْعَلَ بُسْرَ عَلَى قَيْسِ سُلْطَانًا ، فَيَقْتُلَ قَيْسًا بِمَنْ قَتَلْتَ بَنُو سُلَيْمٍ مِنْ بَنِي فَهْرٍ وَبَنِي كِنَانَةَ يَوْمَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا بُسْرُ لَا أَمْرَ لَكَ عَلَى قَيْسٍ ؛ وَسَارَ بُسْرٌ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، فَقَتَلَ ابْنِيَّ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَفَرَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَدَخَلُوا الْحَرَّةَ (حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ) . ثُمَّ سَارَ بُسْرٌ حَتَّى أَتَى الطَّائِفَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ ثَقِيفٌ : مَا لَكَ عَلَيْنَا سُلْطَانٌ ، نَحْنُ مِنْ قَيْسٍ ؛ فَسَارَ حَتَّى أَتَى هَمْدَانَ وَهُمْ فِي جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ شَيْبَامٌ ، فَتَحَصَّنَتْ فِيهِ هَمْدَانُ ، ثُمَّ نَادَوْا : يَا بُسْرُ نَحْنُ هَمْدَانُ وَهَذَا شَيْبَامٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى إِذَا اغْتَرَّوْا وَنَزَلُوا إِلَى قُرَاهِمَ ، أَغَارَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ ؛ فَكُنَّ أَوَّلَ مُسْلِمَاتِ سُبَيْنَ فِي الْإِسْلَامِ . وَمَرَّ بِحَيٍّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ نَزُولٍ بَيْنَ ظَهْرِيَّ بَنِي جَعْدَةَ بِالْفَلَجِ² ، فَأَغَارَ بُسْرٌ عَلَى الْحَيِّ السَّعْدِيِّينَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ ؛ فَقَالَ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ فِي ذَلِكَ :

مُشِيرِينَ تَرَعُونَ النَّجِيلَ وَقَدْ غَدَتْ أَبْوَصَالُ قَتْلَاكُمْ كِلَابُ مُزَاجِمٍ

المُشِيرُ : الَّذِي قَدْ بَسَطَ ثَوْبَهُ فِي الشَّمْسِ . وَالنَّجِيلُ : جَنْسٌ مِنَ الْحَمَضِ . فَقَالَ النَّابِغَةُ

1 التَّعَرَّبَ : أَنْ يَصِيرَ الْمَرْءُ أَعْرَابِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَهَاجِرًا ، وَقَدْ عَدَّ الرَّسُولُ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ .

2 الْفَلَجُ : مَوْضِعٌ أَوْ مَاءٌ .

يجيبه¹ :

[من الوافر]

متى أَكَلْتُ لُحُومَكُمْ كِلَابِي أَكَلْتُ يَدِيكَ مِنْ جَرَبٍ تَهَامٍ²

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مِمَّا أَجَازَ لَنَا رِوَايَتَهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِهِ وَأَخْبَارِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مِنْهَا عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامٍ الْجُمَحِيِّ عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ : أَنَّ النَّابِغَةَ هَاجَى أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ ؛ قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ أَوْسٌ مِثْلَهُ وَلَا قَرِيباً مِنْهُ فِي الشَّعْرِ ؛ فَقَالَ النَّابِغَةُ : إِنِّي وَإِيَّاهُ لَنَبْتَدِرَ بَيْتاً ، أَيُّنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبُ صَاحِبِهِ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ أَوْسَ :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا تَبَلَّى سَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنْ اللُّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قَالَ النَّابِغَةُ : هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُ إِلَيْهِ . فُغْلِبَ أَوْسٌ عَلَيْهِ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : فَحَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي الْمِرْيَدِ فَتَنَافَرَا وَتَهَاوَيَا ، وَحَضَرَهُمَا الْعَجَّاجُ وَالْأَخْطَلُ وَكَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ ، فَقَالَ أَوْسُ :

[من الرجز]

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةً مِّنَا وَرَدَا وَلَوْأَ نَعَاماً فِي الْبِلَادِ رُبْدَا
إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعَادَا كَاهِلَهَا وَرَكْنَهَا الْأَشْدَا

[من الرجز]

فَقَالَ الْعَجَّاجُ :

كَلَّ امْرِئٌ يَعْدُو بِمَا اسْتَعَدَا

[من الطويل]

وَقَالَ الْأَخْطَلُ يُعِينُ أَوْسَ بْنَ مَغْرَاءَ وَيَحْكُمُ لَهُ :

وَإِنِّي لِقَاضٍ بَيْنَ جَعْدَةٍ عَامِرٍ وَسَعْدٍ قِضَاءُ بَيْنَ الْحَقِّ فَيْصَلَا
أَبُو جَعْدَةَ الذُّبُّ الْخَبِيثُ طَعَامُهُ وَعَوْفُ بْنُ كَعْبٍ أَكْرَمُ النَّاسِ أَوْلَا

[من البسيط]

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ :

إِنِّي لِقَاضٍ قِضَاءٍ سَوْفَ يَتَّبِعُهُ مَنْ أَمَّ قَصْدًا وَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى أَوْدٍ³
فَصْلًا مِنَ الْقَوْلِ تَأْتُمُ الْقِضَاءُ بِهِ وَلَا أَجُورَ وَلَا أَبْغِي عَلَى أَحَدٍ
نَاكَتْ بَنُو عَامِرٍ سَعْدًا وَشَاعَرَهَا كَمَا تَنِيكَ بَنُو عَبْسٍ بَنِي أَسَدٍ

1 شعر النابغة : 201 .

2 تهام : منسوب إلى تهامة . وقارن بالنقائض : 717 .

3 أود : عوج .

[مهاجته ليلي الأخيلىة]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجرة بين ليلي الأخيلىة وبين الجعدي أن رجلاً من قُشَيْرٍ ، يُقال له ابن الحيا (وهي أمه) واسمه سَوَّار بن أَوْفَى بن سِرَّة ، هجاه وسبَّ أخواله من أزد في أمر كان بين قُشَيْرٍ وبين بني جَعْدَةَ وهم بأصبهان متجاورون ، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة¹ ، سُمِّيَتْ بذلك لأنه ذكر فيها مساوي قُشَيْرٍ وعُقيل وكل ما كانوا يُسَبِّون به ، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحين من قُشَيْرٍ وعُقيل :

جَهِلْتَ عَلِيَّ ابْنَ الْحَيَا وَظَلَمْتَنِي وَجَمَعْتَ قَوْلًا جَاءَ بَيْتًا مُضَلَّلًا

وقال في هذه القصَّة أيضاً قصيدته التي أوَّلها² : [من البسيط]

إِمَّا تَرَى ظِلَّ الْأَيَّامِ قَدْ حَسَرَتْ عَنِّي وَشَمَرْتُ ذِيلاً كَانَ ذِيالاً³
وهي طويلة ، يقول فيها :

وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ مَا جَدْتُمْ نَفْراً حَامُوا عَلَى عُقَدِ الْأَحْسَابِ أَزْوَالاً⁴
عند النَّجَاشِيِّ إِذْ تُعْطُونَ أَيْدِيَكُمْ مُقَرَّنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرْسَالاً
إِذْ تَسْتَحْيُونَ عِنْدَ الْخَذْلِ أَنَّ لَكُمْ مِنْ آلِ جَعْدَةَ أَعْمَاماً وَأَخْوَالاً
لو تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُودَكُمْ وَتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالاً
يعني عبد الله⁵ بن جَعْدَةَ بن كعب :

إِذَا تَسْرَبَلْتُمْ فِيهِ لِيُنْجِيَكُمْ مَّا يَقُولُ ابْنُ ذِي الْجَدَيْنِ إِذْ قَالَا
حَتَّى وَهَبْتُمْ لِعَبْدِ اللَّهِ صَاحِبَهُ وَالْقَوْلُ فِيكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ مَا فَالَا⁶
تلك المكارم لاقْعَبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاً

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلاً من جَعْدَةَ أدركوه في سفر وقد جهد عطشاً لبناً وماءً فعاش .

1 شعر النابغة : 114-122 .

2 شعره : 100-112 .

3 ذيل : طويل .

4 أزوال : جمع زول وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .

5 هو خال النابغة الجعدي .

6 فال : أخطأ .

وقال في هذه القصة أيضاً يفخر عليهم قصيدته التي أولها¹ :

أبلغ قُشَيْراً والحريشَ فما ذا ردّ في أيديكم شَتْمِي
وفخر عليهم بقتل علقمة الجعفيّ يوم وادي نِساح² وقتل شراحيل بن الأصهب
الجعفيّ ، ويوم رَحْرَحان أيضاً ، فقال فيه :

هَلَا سَأَلْتَ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتَ هَوَازُنُ أَنَّ الْعِرْزَ قَدْ زَالَا³
فلماً ذكر ذلك النابغة قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمَ لَأَقْعَبَانِ مِنْ لَبِن شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَالَا
ففخر بما له وغضّ ممّا لهم . ودخلت⁴ ليلى الأخيلية بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قاذفتُ جُلَّ عَشِيرَتِي لأذكرَ قَعْبِي حَازِرٍ قَدْ تَثَمَلَا⁵
وهي كلمة⁶ . فلماً بلغ النابغة قولها قال⁷ :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا فَقَدْ رَكِبْتَ أَيْرَأً أَغَرَّ مُحَجَّلَا
وقد أَكَلْتُ بَقْلًا وَخِيَمًا نَبَاتُهُ وقد شَرِبْتُ مِنْ آخِرِ الصَّيْفِ أَيْلَا
يعني ألبان الأيل .

دَعِي عَنْكَ تَهْجَاءُ الرِّجَالِ وَأَقْبِلِي عَلَى أَذْلَغِي يَمْلَأُ اسْتِكَ فَيْشَلَا
وكيف أَهَاجِي شَاعِرًا رُحِمَهُ اسْتُهُ خَضِيبَ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مُكْحَلَا
فردّت عليه ليلى الأخيلية فقالت⁸ :

أَنَابِغُ لَمْ تَنْبِغْ وَلَمْ تَكُ أَوَّلَا وَكَنتَ صُنِيًّا بَيْنَ صُدَّتَيْنِ مَجْهَلَا
الصُّنِيّ : شَيْعٌ صَغِيرٌ يَسِيلُ مِنْهُ الْمَاءُ . وَصُدَّانُ : جَبَلَانُ .
أَنَابِغُ إِنْ تَنْبِغْ بِلَوْمِكَ لَا تَجْدُ لِلْوُومِكِ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْعَلَا

1 شعر النابغة : 234 .

2 وادي نِساح : باليمامة .

3 رحرحان : جبل خلف عرفات كان للعرب فيه يومان سيورد أبو الفرج خبرهما فيما بعد في هذه الترجمة .

4 ل : واعتنت .

5 الحازر : اللبن الحامض .

6 كلمة هنا بمعنى قصيدة .

7 شعر النابغة : 123 .

8 ديوان ليلى الأخيلية (جمع وتحقيق خليل العطية وجيلب العطية ، الكويت ، 1971) 100-101 .

تُعِيرَنِي دَاءَ بَأَمِّكَ مِثْلَهُ وَأَيَّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا¹

فغلبته . فلما أتى بني جعدة قولها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتين صاحب المدينة ، أو أمير المؤمنين ، فيأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شمتت أراضنا وافترت علينا ، فتهيئوا لذلك ؛ وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها ، فقالت : [من الطويل]
أتاني من الأنبياء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذلل²
يروح ويغدو وفداهم بصحيفة ليستجلدوا لي ، ساء ذلك معملا

وقد أخبرني ببعض هذه القصة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مختلطة ، وهذا أوضح وأصح .

[يوم وادي نساح]

قال أبو عمرو : فأما ما فخر به النابغة من الأيام ، فمنها يوم علقمة الجعفي ، فإنه غدا في مذحج ومعه زهير الجعفي ، فأتى بني عقيل بن كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة ، فأصاب سبيا وإيالا كثيرة ، ثم انصرف راجعا بما أصاب ، فاتبعه بنو كعب ، ولم يلحق به من بني عقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل ، فجعل يأخذ أبعاد إبل الجعفين فيقول عليها حتى يندبها ، ثم يلحق ببني كعب فيقول : إيه فدي لكم أبواي ، قد لحقتم القوم ؛ حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائط ، ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سبها يومئذ وهي تفلية ، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تضرير سقافته - أي أعلى رأسه - بهذب القطيفة ، فلم يشعروا إلا بالنخيل ؛ فكان أول من لحق زهيراً ابن النهاضة ، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه ، ثم لحقه عقال بن خويلد ، فبعج بطنه ، فسال من بطنه برير وحلب ، والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه . فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد : والله لا أصطبج لبنا³ حتى آمن من الصبح⁴ . قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نساح⁵ وهو باليمامة .

[يوم شراحيل]

قال : وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجعفي فإنه يوم مذكور تفتخر به مضر كلها .

1 وأي حصانٍ لا يقال له هلا في ل : وأي نجيب لا يقال له هلا .

2 شوران : جبل في ديار بني جعدة .

3 ل : حلباً .

4 الصباح : الغارة في الصباح .

5 لم يتطرق أبو عبيدة في النقائض وابن عبد ربه في العقد الفريد إلى يوم وادي نساح أو يوم شراحيل .

وكان شراحيلُ خرج مُغيّراً في جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُرَ تَبَعُهُ وبُعْدُ صِيَّتِهِ¹ واتَّصلَ ظَفَرُهُ ، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغْزَوْا العربَ ماراً بهم في بدائنه وعودته لا يَغْرِضُ أَحَدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غَزَوَاتِهِ فَأُبْعِدَ ، ثم رَجَعَ إليهم فَمَرَّ على بني جَعْدَةَ فَقَرَّتْهُ ونَحَرَتْ له ؛ فعمدَ ناسٌ من أَصحابه سفهاء فتناولوا إبلاً لبني جَعْدَةَ فنحروها ؛ فشكَّتْ ذلك بنو جَعْدَةَ إلى شراحيل ، فقالوا : قَرِينَاكَ وَأَحْسَنُ ضِيَاغَتِكَ ثم لم تمنع أَصحابُكَ مِمَّا يصنعون ؛ فقال : إنَّهم قوم مُغَيَّرُونَ ، وقد أساءوا لَعَمْرِي ؛ وإنَّما يُقِيمُونَ عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدَةَ لأخيه ورد بن عمرو ، وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْدَ : دَعْنِي أَذهب إلى بني قُشَيْرِ ، قال : وجَعْدَةَ وقُشَيْرِ أَخوانَ لَأُمِّ وَأَبِ ، أمَّهما رَيْطَةُ بنت قُفُذْ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم بن منصور ، فأدعَوْهم ، واصْنَعِ أَنْتَ يا هذا لشراحيل طعاماً حسناً كثيراً ، وادعُهُ وأَدْخِلْهُ إِلَيْكَ فاقْتُلْهُ ، فإن احتجت إلينا فِدْحَنٌ ، فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتُ الدَّخَانَ أَتَيْتَكَ بهم فوضعتنا سيوفنا على القوم . فعمدَ وَرْدٌ هذا إلى طعام فأصلحه ، ودعا شراحيلَ وناساً من أَصحابه وأهله وبني عمِّه ، فجعلوا كلُّما دخل البيتَ رجلٌ قتلَهُ وَرْدٌ ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أَصحابُ شراحيلِ يُتَبِعُونَهُ ، فقال لهم وَرْدٌ : تَرَوْحُوا فَإِنَّ صاحبكم قد شَرِبَ وثلِمَ وسيرُوح فرجعوا ؛ ودخَنَ وَرْدٌ ، وجاءت قُشَيْرِ ، فقتلوا من أدركوا من أَصحابه ، وسار سائرُهم ؛ وبلغَهم قتلُ شراحيلِ ، فمَرُّوا على بني عُقَيْلِ ، وهم إخوتهم ، فقالوا : لنقتلَنَّ مالِكَ بن المُتَفَقِّ ؛ فقال لهم مالك : أَنَا آتِيكُمْ بورد ؛ فركبَ بيني عُقَيْلِ إلى بني جَعْدَةَ وقُشَيْرِ لِيُعْطُوهم وَرْدًا ؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فَدَبُّوا عن عُقَيْلِ ، حتى تفرَّقَ مَنْ كان مع شراحيلِ . فقال في ذلك بِحَيْرُ بن عبد الله بن سَلَمَةَ² :

أَحْيِ يَتَبَعُونَ الْعِيرَ نَحْرًا أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمِّ حَيَّا هَلَالِ
لَعَلَّكَ قَاتِلٌ وَرْدًا وَلَمَّا تَسَاقَ الْخَيْلُ بِالْأَسْلِ النَّهَالِ
أَلَا يَا مَالُ وَنَحْ سِوَاكَ أَقْصِرْ أَمَا يَنْهَاكَ حَلْمُكَ عَنْ ضَلَالِ

[يوما رحران]

وَأَمَّا يَوْمَا رَحْرَحَانَ³ ، فَأَحَدُهُمَا مشهور قد ذُكِرَ في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار

1 ل : صوته

2 له ترجمة في المؤلف والمخلف للآمدي (76) وقد ضبط بالقلم بضمّ الباء وفي النقائض (ص 70) بفتحها .

3 انظر في خبر يومي رحران كتاب النقائض ص 1060 وما بعدها . أَمَا ما أورده أبو الفرج عن غارة الطماح الحنفى فغير متصل بيومي رحران .

الحارث بن ظالم ، وهذا اليوم الثاني ، فكان الطَّمَاح الحنفيُّ أغار في بني حَنيفَةَ وبني قَيْس بن ثَعْلَبَةَ على بني الحَرِيش بن كعب وبني عُبَادَةَ بن عُقِيل وطوائفَ من بني عَبْسَ يقال لهم بنو حَذِيفَةَ¹ ؛ فركبت بنو جَعْدَةَ وبنو أَبِي بكر بن كِلَاب ، ولم يشهد ذلك من بني كِلَاب غيرُ بني أَبِي بكر ، فأدركوا الطَّمَاحَ من يومهم ، فَاسْتَنْقَدُوا ما أَخَذَهُ وَأَصَابُوا ما كَانَ معه ، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

[كعب الفوارس ومقتله]

قال : وأما ما ذكره² من إدراكهم بئار كعب الفوارس ، فإن كعب الفوارس ، وهو ابن معاوية بن عُبَادَةَ بن الْبَكَاء ، مرَّ على بني نَهْدٍ وعليه سلاحه ، فحمل عليه رجل من نَهْدٍ يُقال له خُلَيْفٌ فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ؛ ثم إنَّ خُلَيْفًا بعد ذلك بَدَّهْرٍ مرَّ على بني جَعْدَةَ ، فرآه مالك بن عبد الله بن جَعْدَةَ وعليه جَبَّةٌ كعب وفيها أثر الطعنة ، وكان مُحْرِمًا فلم يقدر على قتله ، فقال : يا هذا ! أَلَا رَقَعْتَ هذا الْخَرْقَ الذي في جَبَّتِكَ ؟ وجعل يترصده بعد ذلك ، حتى بلغه بعد دهرٍ أنه مرَّ ببني جَعْدَةَ ، فركب مالكُ بن عبد الله بن جَعْدَةَ فرساً له وقد أُخبر أنَّ خُلَيْفًا مرَّ بجَبَنَاتِهِمْ ، فأدركه فقتله ، ثم قال : بُؤُ بكعب . ثم غزا نواحِيَهُمْ عبدُ الله بن ثُور بن معاوية بن عُبَادَةَ بن الْبَكَاء : جَرَمًا ونَهْدًا ، وهم يومئذٍ في بني الحارث ، فناداهم بنو الْبَكَاء : ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنَّ النهديَّ قتل صاحبنا مُحْرِمًا ؛ فقاتلهم نَهْدٌ وجَرَمٌ جميعاً يومئذٍ ، وكان عبد الله بن ثُور يومئذٍ على فرسٍ وَرْدٍ ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمةً عظيمةً ، وقتلوا قتلى كثيرة . فقال عبد الله في ذلك :

[من الطويل]

فسائلُ بني جَرَمٍ إذا ما لقيتهم ونَهْدًا إذا حَجَّتْ عليك بنو نَهْدٍ
فإنَّ يُخبروك الحقَّ عَنَّا تَجِدُهُمْ يقولون أبلي صاحبُ الفرسِ الْوَرْدِ

[يوم الفلج]

قال : وأما يوم الْفَلَجِ³ ، فإنَّ بكر بن وائل بعثتُ عيناً على بني كعب بن ربيعة حتى جاء الْفَلَجَ - وهو ماء - فوجد النِّعَمَ بعضُه قريباً من بعض ، ووجد النَّاسَ قد احتملوا ، فليس في النِّعَمِ إلَّا من لا طَبَاخُ⁴ به من راعٍ أو ضعيف ؛ فجاءهم عِيْنُهُمْ بذلك ، فركبت بكر بن وائل

1 ل : جذيمة .

2 لم يذكر النابغة ثار كعب الفوارس في القصائد التي أشار إليها أبو الفرج . فهل سها أبو الفرج أو أنَّ نَمَّةً سقط في أصول الأغاني التي وصلتنا ؟ وقد أورد أبو عبيدة خبر الثَّار (ص 469) متصلاً بخبر «يوم فيف الرِّيح» .

3 هذا يوم آخر لم يتطرق إليه أبو عبيدة وابن عبد ربه .

4 لا طباخ به : لا قوَّة له ولا سمن له .

يريدونهم ، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم ، سَمِعُوا الصَّهِيلَ وَأَصْوَاتَ الرِّجَالِ ؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟ ! قال : والله ما أدري ، وإنَّ هذا لما لم أعهد ، فأرسلوا مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُمْ ؛ فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الرِّجَالَ قَدْ رَجَعُوا ، ورَأَى جَمْعاً عَظِيماً وَخِيولاً كَثيرة¹ ؛ فَكَرَّوْا رَاجِعِينَ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ؛ وَأَصْبَحَتْ بَنُو كَعْبٍ فَرَّاءُ الْأَثَرِ فَاتَّبَعُوهُمْ ، فَأَصَابُوا مِنْ أَخْرِيَاتِهِمْ رَجَالاً وَخِيلاً ، فَرَجَعُوا بِهَا .

[خداش بن زهير وهيرة بن عامر]

قال : وأما قوله : [من البسيط]

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم
وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

فإنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ هُبَيْرَةَ بْنَ عَامَرَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ ، لَقِيَ خِدَاشَ بْنَ زُهَيْرِ الْبَكَّائِيِّ ، فَتَنَافَرَا عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَنَا أَكْرَمُ وَأَعَزُّ مِنْكَ ؛ فَحَكَّمَا فِي ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ بَنِي ذِي الْجَدْنِ ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَنَّ أَعْزَهُمَا وَأَكْرَمَهُمَا أَقْرَبُهُمَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ نَسَبًا ؛ فَقَالَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ : أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ ، أَمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ عَمَّتِي ، وَهِيَ أُمِيمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَامَرَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنِّي مَنزَلَةً أَبًا ؛ فَلَمْ يَزَلَا يَخْتَصِمَانِ فِي الْقِرَابَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ دُونَ الْمُكَاثَرَةِ بَابَائِهِمَا إِقْرَارًا لَهُ بِذَلِكَ ، حَتَّى فُلِجَ² هُبَيْرَةُ الْقُشَيْرِيُّ وَظَفِيرٌ .

[عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جعدة سيِّداً مُطَاعاً ، وَكَانَتْ لَهُ إِتَاوَةٌ بِعُكَاظٍ يُؤْتَى بِهَا ، يَأْتِيهِ بِهَا هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَزْدِ وَغَيْرُهُمْ ؛ فَجَاءَ سُمَيْرُ بْنُ سَلَمَةَ الْقُشَيْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ جَالِسٌ عَلَى ثِيَابٍ قَدْ جُمِعَتْ لَهُ مِنْ إِتَاوَتِهِ ، فَأَنْزَلَهُ عَنْهَا وَجَلَسَ مَكَانَهُ ؛ فَجَاءَ رِيَّاحُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَقِيلٍ وَهُوَ الْخَلِيعُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَخَلُّعِهِ عَنِ الْمُلُوكِ لَا يُعْطِيهِمُ الطَّاعَةَ فَقَالَ لِلْقُشَيْرِيِّ : مَا لَكَ وَلَشَيْخِنَا تَنْزِلُهُ عَنْ إِتَاوَتِهِ وَنَحْنُ هَاهُنَا حَوْلَهُ ! فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : كَذَبْتَ ، مَا هِيَ لَهُ ؛ ثُمَّ مَدَّ الْقُشَيْرِيُّ رِجْلَهُ فَقَالَ : هَذِهِ رِجْلِي فَاضْرِبْهَا إِنْ كُنْتَ عَزِيزًا ؛ قَالَ : لَا ! لِعَمْرِي لَا أَضْرِبُ رِجْلَكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْقُشَيْرِيُّ : فَاْمُدُّ لِي رِجْلَكَ حَتَّى تَعْلَمَ أَضْرِبُهَا أَمْ لَا ؛ فَقَالَ : وَلَا أُمَدُّ لَكَ رِجْلِي ، وَلَكِنْ أَفْعَلْ مَا لَا تُنْكَرُهُ الْعَشِيرَةُ وَمَا هُوَ أَعَزُّ لِي وَأَذْلُ لَكَ ؛ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى رِجْلِ الْقُشَيْرِيِّ فَسَحَبَهُ عَلَى قَفَاهُ وَنَحَّاهُ ، وَأَقْعَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ مَكَانَهُ .

1 ل : وخلقاً كثيراً .

2 فلج : غلب وفاز .

قال : وعبد الله بن جعدة أول من صنع الدَّبابة¹ ؛ وكان السبب في ذلك أنهم انتجعوا ناحية البحرين ، فهاجموا على عبد لرجل يُقال له كَوْدَن في قصر حصين ، فدخن العبد ودعا النساء والصبيان ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريداً ، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومن معه على شرف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه ؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبابة على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل ، ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه ؛ فقتل العبد ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم . فذلك قول النابغة² :

ويوم دعا ولدانكم عبد كودن فخالوا لدى الداعي ثريداً مُفلّلا
وقى ابن زياد وهو عُقبة خيركم هبيرة ينزو في الحديد مُكبّلا

يعنى هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة ، حتى مروا على بني زياد العسيتين والرجال غيب ، فأخذوا ابناً لأنس³ بن زياد وانطلقوا به يرجون الفداء ؛ وانطلق عمه عُمارة بن زياد حتى أتى بني كعب ، فلقي هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير ، فقال له : يا هبيرة إن الناس يقولون : إنك بخيل ؛ قال : معاذ الله ! قال : فهب لي جيتك هذه ؛ فأهوى ليخلعها ، فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره ، ثم بعث إلى بني قشير : علي وعلي إن قبلت من هبيرة أقل من فدية حاجب⁴ إلا أن يأتوني بآخي الذي في أيدي بني جعدة ؛ فمشت بنو قشير إلى بني جعدة ، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فافتدوا به هبيرة .

[وحوح أخو النابغة]

وأما خبر وحوح أخى النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبياً وأسرى ، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشُرَيْف⁵ ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذاودا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم ؛ ولم يظفروا منهم بشيء . وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أَرَدَها خلفه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطف

1 الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه .

2 شعر النابغة : 129 عن الأغاني .

3 ل : لأوس .

4 هو حاجب بن زرارة .

5 ل : السديف وهو تحريف . والشريف واد بنجد .

عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوَان ، فضرِبَ يدها بالسيف فقطعها وتَخَلَّصه .
وطُعنَ يومئذٍ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي ، فارتث¹ في معركة القوم ، فأخذه
خالد بن نَضْلَةَ الأسدي ؛ وعطَفَ عليه يومئذٍ أخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضْلَةَ : هَلُمَّ إِلَيَّ
وأنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لي في أمانك ، أنا على فرسي ومعِي سلاحي وأصحابي
قريب ، ولكنني أوصيك بما في العَوْسِجَةِ (يعني أخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَلَ إليه خالد
فأخذه وضمَّه إليه ومنعَ مِنْ قتلِهِ ودَاوَاهُ حتَّى فُديَ بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدْرِكُ
العَبْسِيِّ² :

أَقَمْتُ عَلَى الْحِفَاظِ وَغَابَ قَرَجٌ وَفِي فَرَجٍ عَنِ الْحَسْبِ انْفِرَاجٌ
كَذَلِكَ فَعَلْنَا وَجِبَالُ عَمِّي وَرَدَّنَ بُوْحُوْحُ فَلَجَ الْفِلَاجُ

[مزيد من مفاخرة النابغة الجعدي]

ومَّا قاله النابغة في هذه المفاخرة وَغَنَّى فِيهِ قَوْلُهُ وَقَدْ جُمِعَ مَعَهُ كُلُّ مَا يَغْنَى فِيهِ مِنَ
الْقَصِيدَةِ³ :

صوت

هَلْ بِالْدِّيَارِ الْغَدَاةَ مِنْ صَمَمٍ أَمْ هَلْ بِرَيْعِ الْأُنَيْسِ مِنْ قِدَمٍ
أَمْ مَا تُتَادِي مِنْ مَائِلِ دَرَجِ السَّ يَلُ عَلَيْهِ كَالْحَوْضِ مُنْهَدِمٍ
غَرَاءُ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمِ رَاءُ تَهْدِي أَوَائِلَ الظُّلَمِ
أَكُنِّي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَسَمٍ
كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ طِيبٍ مَسْمٌ وَطِيبٍ مُبْتَسَمٍ⁴
يُسَنَّ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشٍ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُتَمِ⁵

عروضه من المنسرح . وفي الأوَّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخنصر
في مجرى البنصر ، ذكره إِسْحَاقُ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَذَكَرَ ابْنَ الْمَكِّيِّ وَالْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِمُعَبِدٍ ،
وَأَظَنَّهُ مِنْ مَنْحُولٍ يَحْيَى ، وَذَكَرَ حَبِشَ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل

1 أرتث : أصابته جراح وبه رمق .

2 ل : الفقعي .

3 شعر النابغة الجعدي : 148 .

4 وطيب مبتسم في الديوان : وحسن مبتسم .

5 يسن : يسوك . الضرو : شجر طيب الرائحة يتسوك به . براقش وهيلان : مدينتان كانتا في اليمن ثم خربتا .

العتم : شجر الزيتون البري .

بالبنصر ، وذكر حبش أنَّ فيها لإسحاق رملًا آخر ؛ ولابن مِسْجَح فيها ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالبنصر .
[سبقه إلى الكناية عَنْ يعني]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأَخْفَش قال : أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَى الكِنَايَةِ عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ ، فَإِنَّه قال :

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم الله خَفِيَّاتِ كُلِّ مَكْتَمٍ
فَسَبَقَ النَّاسُ جَمِيعاً إِلَيْهِ وَاتَّبَعُوهُ فِيهِ . وَأَحْسَنُ مَنْ أَخَذَهُ وَالطُّفْهُ فِيهِ أَبُو نُوَّاسٍ حَيْثُ يَقُولُ¹ :

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانٍ كَيْفَ خَلَفْتُمُ أَبَا عَثْمَانَ
فَيَقُولُونَ لِي جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ فِي حَالِهَا فَسَلُّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْمَانِي

[رأى الفرزدق في شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : ذَكَرَ الْفَرَزْدَقُ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ فَقَالَ : كَانَ صَاحِبَ خُلُقَانٍ عِنْدَهُ مُطَرَفٌ بِالْفِ ، وَخِمَارٌ² بَوَافٍ ، يَعْنِي دَرَاهِمًا .
[مدح ابن الزبير]

وَحَدَّثَنِي خَبْرَهُ مَعَ ابْنِ الزَّبِيرِ جَمَاعَةً ، مِنْهُمْ حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَوَكَيْعٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ حَدَّثَنِيهِ مِنْ حِفْظِهِ ، قَالُوا حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَخِي هَارُونَ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ : أَقْحَمَتِ السَّنَةُ³ نَابِغَةَ بَنِي جَعْدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَأَنْشَدَهُ⁴ :

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِّيقَ لَمَّا وَلَيْتَنَا وَعَثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاحَ مُعَدُّ
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاحِ⁵ عَثْمَتُ

1 ديوان أبي نُوَّاس (الغزالي) : 252 .

2 الخمار : النصف تغطّي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة لأنَّ الرجل يغطّي بها رأسه .

3 أقحمت السنة : اضطر بسبب الجذب إلى الخروج من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .

4 شعر النابغة الجعدي : 204-205 .

5 العثمتم : الجمل الشديد الطويل .

لتجبرُ منه جانباً زَعَزَعَتْ به صُرُوفُ الليالي والزمانُ المصمّمُ

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوة مالنا فلآل الزبير ، وأمّا عِفْوَتُهُ¹ فإنّ بني أسد بن عبد العزى تشغلها عنك وتيمأ معها ، ولكن لك في مال الله حقان : حقّ برويتك رسول الله ﷺ ، وحقّ بشيرتك أهل الإسلام في فيعهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم ، فأعطاه قلائص سبعاً وجَمَلاً رَجِيلاً² ؛ وأوقر له الإبلَ بُراً وتمراً وثياباً ، فجعل النابتة يستعجل فيأكل الحبّ صِرْفاً ؛ فقال ابن الزبير : ويحّ أبي ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابتة : أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت خيراً فأنجزت فأننا والنبئون فُرَاطُ القاصفين³ » وقال الجرّمي : « فُرَاطٌ لها ضُمنٌ » . قال الزُّبَيْرِيُّ : كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي . [هجاؤه أبا موسى الأشعري]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلف قالّا حدّثنا الرياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عديّ قال : رَعَتْ بنو عامر بالبصرة في الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابتة الجعديّ ومعه عُصْبَةٌ له ؛ فَاتِيَتْ به إلى أبي موسى الأشعريّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةً قومي ؛ قال : فضربه أسواطاً ؛ فقال النابتة⁴ : [من الوافر]

رَأَيْتُ الْبَكَرَ بَكَرَ بَنِي ثَمُودٍ	وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَرَ الْأَشْعَرِيْنَا
فَإِنْ يَكُنْ ابْنُ عَفَّانٍ أَمِيناً	فَلَمْ يَنْعَثْ بِكَ الْبَرَّ الْأَمِينَا
فِيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيْهِ	أَلَا يَا غَوْنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
أَلَا صَلَّيْ الْهَكْمُ عَلَيْكُمْ	وَلَا صَلَّيْ عَلَى الْأُمَرَاءِ فِينَا

[مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالّا حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لما خرج علي رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابتة بني جَعْدَةَ ؛ فساق به يوماً فقال⁵ :

1 عفوته : عفوّة أي ما فضل عن النفقة .

2 القلائص : جمع قلوّص وهي الناقة الشابة . والجمل الرجيل أو الرحيل : القوي على السير .

3 فُرَاطُ القاصفين : المتقدّمون إلى الشفاعة أو الحوض في تراحم . ضمن : ضامنون .

4 شعر النابتة الجعدي : 210 .

5 شعره : 192-193 .

قد عَلِمَ المِصْرانِ والعِراقُ أنَّ عَلِيًّا فَحَلَّها العُتاقُ¹
 أبيضُ جَحْجَاجٌ لَه رِواقُ وأُمُّه غَالِي بها الصِّدَاقُ
 أَكْرَمُ من شُدِّ به نِطاقُ إنَّ الألى جَارَوْكَ لا أَفاقوا
 لَهم سِياقٌ وَلَكم سِياقُ قد عَلِمْتُ ذَلِكُم الرِّفاقُ
 سَقَمْتُ إلى نَهْجِ الهُدَى وساقوا إلى التَّيِّ لَيس لَها عِراقُ²
 في مِلَّةٍ عَادَتُها النِّفاقُ

فلَمَّا قَدِمَ معاويةُ بنُ أبي سفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال³ : [من الطويل]

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسالتي وأَيُّ نَصيحٍ لا يَبِيْتُ على عَنَبٍ⁴
 مَلِكُكُمْ⁵ فَكان الشَّرُّ آخَرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَدَارِكْكُمْ حُلُومُ بني حَرْبٍ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله ؛ فدخل النابغة على معاوية ،
 وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان ، فأنشده⁶ : [من الطويل]

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابنَ هَندٍ بِحاجتي على النَّأيِ والأَنْباءِ تُنمى وتُجَلَبُ
 وَيُخبر عَنِّي ما أَقول ابنَ عامر ونعم الفَتى يَأوي إليه المُعَصَّبُ⁷
 فَإِنْ تَأخَذُوا أَهْلِي ومالي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لَحَرَّابُ الرِّجالِ مُحَرَّبُ
 صَبُورٌ على ما يَكره المرءُ كُلَّهُ سِوى الظَلَمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضَبُ

فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألا ترد عليه شيئاً ؛ فقال : ما أهون والله عليك أن ينحجر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه ، أما والله إن كنت لمن يرويه ! أردد عليه كل شيء أخذته منه . وهذا الشعر يقوله النابغة الجعدي لعقال بن خويلد العقيلي يحذره غيب الظلم لما أجار بني وائل بن معن ، وكانوا قتلوا رجلاً من جعدة ، فحذروهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

1 المِصران : البصرة والكوفة .

2 ليس لها عراق : ليس لها نهاية أو غاية .

3 شعر النابغة الجعدي : 214 .

4 وأي في ل : برأي . وفي أنساب الأشراف : وإني نصيح .

5 ملككم في أنساب الأشراف : هلككم .

6 شعره : 7-8 .

7 المعصب : الذي أكلت ماله السنون أو الذي يُعصب بطنه من الجوع .

قال أبو عمرو الشَّيبَانِي : كان السَّبَبُ في قول الجعدي هذه القصيدة أَنَّ المُتَشِيرَ الباهليَّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظْفَرًا . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنًا له يُقال له سيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ثم في بني جعدة ، فلمَّا أن علم ذلك المُتَشِيرُ وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبَيْع في وَجْهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ؛ فلمَّا فعل ذلك تصدَّعت باهلة ، فلحِقَتْ فرقة منهم يُقال لهم بنو وائل يُقال بن خويلد العقيليِّ ، ولحِقَتْ فرقة أخرى يُقال لهم بنو قُتَيْبَة وعليهم حَجَلُ الباهليِّ يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ الكلابيِّ ، فأجارهم يزيد ، وأجار عِقَالٌ وائلاً . فلمَّا رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قِتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أُجْرْتُمْ ؛ فأَمَّا أَحَدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول ، وأَمَّا الآخِران فعليَّ عَقْلُهُمَا ؛ فقالوا : لا نقبل إلَّا القتالَ ولا نُريد من وائل غَيْراً (يعني الدية) ؛ فقال : لا تفعلوا فقد أُجْرْتُ القوم ؛ فلم يزل بهم حتى قَبِلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عِقَالاً² :

فأبلغ عِقَالاً أَنَّ غَايَةَ داحسٍ	بكفِكَ فاستأخِرَ لها أو تَقَدَّم
تُجِيرُ علينا وائلاً في دمانا	كَأَنَّكَ عَمَّا نابَ أَشْيَاعُنَا عَم
كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أَكْثَرَ ناصراً	وَأَيْسَرَ جُرْماً منك ضُرْجٌ بالدم
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعنة	كحاشية البُرْدِ اليماني المسهم ³
وما يَشْعُرُ الرِّيحُ الأَصْمُ كعوبه	بثُرْوَةِ رَهْطِ الأَبْلَحِ المتظلم ⁴
وقال لجَسَّاسٍ أَغْثِي بِشْرَبَةٍ	تَفْضَلُ بها طَوَلاً عليَّ وأنعيم
فقال تجاوزتَ الأحصَ وماءه	وبطنَ شَبِيثٍ وهو ذو مُترسم ⁵

1 العقل : الدية .

2 شعر النابغة الجعدي : 142-144 .

3 المسهم : المخطَّط .

4 في رواية «بنزوة رهط الأبلح المتوسم» . والأصم : الصلب . والثروة كثرة العدد . والأبلح : المتكبر الذي لا يرعوي عن الفجور . المتظلم : الظالم .

5 الأحص وشيبث : ماءان أو موضعان . والمثل «تخطى إلي شيبثاً والأحص» (مجمع الميداني : 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 155) .

63 - [حرب بكر وتغلب]¹

[مقتل كليب بن ربيعة ونشوب حرب البسوس]

وكان السبب في قتل كليب² بن ربيعة ، فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخى بني قيس بن ثعلبة ، ونسخت بعضه من رواية الكلبي ، وأخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل ، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى ، أن كليباً كان قد عزّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً ، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويُرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره . فبلغ من عزّه وبغيه أنه اتخذ جرّو كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجرّو فيه فيعوي ، فلا يرعى أحد ذلك الكلاً إلا بإذنه ، وكان يفعل هذا بجياض الماء ، فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب ؛ فضرب به المثل في العزّ ، ف قيل : «عزّ من كليب وائل»³ . وكان يحمي الصيد ، ويقول : صيد ناحية كذا وكذا في جوارى ؛ فلا يصيد أحد منه شيئاً ؛ وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس ، ولا يجتبي أحد في مجلسه غيره ؛ فقتله جساس بن مرة .

وقال أبو عبيدة : قال أبو برزة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد : وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه ، ولا يحمي حمي إلا بأمره ، وكان إذا حمى حمي لا يقرب ؛ وكان لمرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم ، وكانت أختهم عند كليب . وقال مقاتل وفراس : وأُم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة ، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل ، فولدت له مالكا وعوفاً وثعلبة . قال فراس بن خندق البسوسي⁴ : فهي

1 انظر حول هذه الحرب النقائض : 905 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 213 وما بعدها ونهاية الأرب 15 :

396-406 و 21 : 473 وما بعدها وابن الأثير 1 : 523 وشرح العيون 92 والشرطي 2 : 371 وأيام العرب في الجاهلية (محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 2 ، 1953) 142-168 وبعض كتب الأمثال عند الحديث على المثل «عزّ من كليب وائل» والمثل «أشام من البسوس» . وقد جمع أبو الفرج روايات أبي عبيدة والكلبي والمفضل واختصر اللفظ .

2 اسمه وائل ، وكليب لقب عليه بسبب جروه الذي سيرد الحديث عنه بعد قليل .

3 المثل 2594 مجمع الميداني 2 : 42 وأمثال العرب ؛ للضيبي 129 وجمهرة العسكري 1 : 132 ومستقصى الزمخشري 1 : 246 .

4 النقائض : القيسي .

أَمَّا . وخالة جَسَّاسِ البَسُوسِ - وقال أَبُو بَرَزَةَ : البَسُوسِيَّةُ - وهي التي يُقال لها : «أَشَّامُ مِنَ البَسُوسِ»¹ فجاءت فنزلت على ابن أختها جَسَّاسِ فكانت جارةً لبني مُرَّةَ ، ومعها ابنُ لها ، ولهم ناقةٌ خَوَّارَةٌ² من نَعَمِ بني سعد ومعها فَصِيلٌ .

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال ، قال أَبُو بَرَزَةَ : وقد كان كُليبُ قبل ذلك قال لصاحبه أُخْتِ جَسَّاسِ : هل تَعْلَمِينَ على الأرض عريباً أَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّةً ؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أخي جَسَّاسُ ونَدِمَانُهُ ابن عمِّه عمرو المَزْدَلِفُ بنُ أَبِي رَيْبَعَةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبَانَ . وزعم مقاتِلُ : أن امرأته كانت أُخْتِ جَسَّاسِ ، فبينما هي تَغْسِلُ رَأْسَ كُليبِ وتُسَرِّحُهُ ذاتَ يومٍ إذ قال : مَنْ أَعَزُّ وائِلُ ؟ فصمَّتْ ، فأعاد عليها ؛ فلمَّا أَكْثَرَ عليها قالت : أَخَوَايَ جَسَّاسُ وَهَمَّامُ ؛ فنزع رأسه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فَصِيلَ ناقةِ البَسُوسِ خالَةَ جَسَّاسِ وجارةً بني مُرَّةَ فقتله ؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبُ بنَ البَسُوسِ فقال : ما فعل فَصِيلُ نَاقَتِكُمْ ؟ قال : قتلتُه وأُخْلِيتَ لَنَا لَبَنُ أُمِّهِ ؛ فأغمضوا على هذه أيضاً . ثم إنَّ كُليباً أعاد على امرأته فقال : مَنْ أَعَزُّ وائِلُ ؟ فقالت : أَخَوَايَ ؛ فأضمَرها وأسرَّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إِبِلُ جَسَّاسِ ، فرأى الناقةَ فَأَنكَرَهَا ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالَةِ جَسَّاسِ ؛ قال : أَوَ قد بلغ من أَمْرِ ابْنِ السَّعْدِيَّةِ أَنْ يُجِيرَ عَلَيَّ بَغِيرَ إِذْنِي ! أَرِمَ ضَرْعَهَا يَا غَلامُ . قال فِرَاسٌ : فأخذ القوسَ فرمى ضَرْعَ الناقةِ فاختلط دُمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعَاةُ على جَسَّاسِ فَأَخْبَرُوهُ بِالْأَمْرِ ؛ فقال : احلُّبُوا لها مِكيَالِي لَبَنٍ بِمَحَلِّبِهَا ولا تَذْكُرُوا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أَصابَهم سَمَاءٌ ، فغدا في غَيْبِهَا يَتَمَطَّرُ³ ، وَرَكِبَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ وابنُ عمِّه عمرو بن الحارث بن ذُهْلِ ، وقال أَبُو بَرَزَةَ : بل عمرو بن أَبِي رَيْبَعَةَ ، وطلعن عمرو كُليباً فَحَطَّمَ صُلْبَهُ ؛ وقال أَبُو بَرَزَةَ : فسكت جَسَّاسُ ، حتى طَعَنَ ابْنَا وائِلِ ؛ فمَرَّتْ بِكَرْبِ بن وائِلِ على نَهْيٍ⁴ يُقال له شَيْبٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ، ثم مَرُّوا على نَهْيٍ آخر يُقال له الْأَخَصُّ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مَرُّوا على بطن الجَرِيبِ⁵ فمَنَعَهُمْ إِيَّاهُ ؛ فمَضَوْا حتى نزلوا الدَّنَائِبَ⁶ ، وَاتَّبَعَهُمْ كُليبٌ وَحَيْهُ حتى نزلوا عليه ؛ ثم

1 مجمع الميداني 1 : 374 وفصل المقال : 504 ومستقصى الزمخشري 1 : 176 وجمهرة العسكري : 556 .

2 ناقة خوارة : رقيقة حسنة .

3 يتمطر : يتنزّه .

4 نهى : غدير .

5 الجريب : اسم لود كبير في نجد .

6 الدنائب : موضع بنجد .

مرَّ عليه جَسَّاسٌ وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال . طردتْ أهلنا عن المياه حتى كِدَتْ تقتلهم عطشاً ؛ فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلّا ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابنُ عمِّه المزدلفُ . وقال بعضهم : بل جَسَّاسٌ ناداه فقال : هذا كفيلك بناقة خالتي ؛ فقال له : أو قد ذكرتْها ؟ أما إني لو وجدتْها في غير إبل مرّةٍ لاستحللتُ تلك الإبلَ بها . فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسه فطعنه برمحٍ فأنفذَ حِصْنِيهِ¹ ؛ فلما تَداءَمَ² الموتُ قال : يا جَسَّاسُ اسقِنِي من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتُ استسقاءكَ الماءَ منذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ إلّا ساعتَكَ هذه ! . قال أبو بَرَزَةَ : فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتزَّ رأسَه . وأما مقاتلٌ فزعم أنَّ عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصمَ صُلْبَه . قال : وفيه يقول مهلهلٌ :

قتيلٌ ما قَتِلُ المرءِ عمرو وجَسَّاسٌ بنِ مُرَّةٍ ذو ضَرِيرٍ³

وقال العباسُ بن مرداسٍ السُّلَمِيُّ يُحذِرُ كُليبَ بن عَهْمَةَ السُّلَمِيَّ ثم الظُّفَرِيَّ لما مات حربُ بنُ أُمَيَّةَ وخَنَقَتِ الجَنُ مُرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحدهم كُليبٌ حَظَّهُم منها ، وسنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ، فحذره غِبُّ الظلم فقال⁴ :

أَكُليبُ ما لك كلَّ يومَ ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُهُ مَلْعُونُ

فافعلْ بِقومك ما أَرَادَ بوائِلُ يومَ الغَدِيرِ سَمِيكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنَحِّلُ للأعشى :

ونحن قَهَرْنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وائلٍ بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخَيَّلَا

أَبَانَاهُ بالنابِ التي شَقَّ ضَرَعُهَا فأصبحَ مَوْطُوءُ الحِمَى مُتَذَلِّلاً⁵

قال : ومَقَتْلُ كُليبٍ بالذنائب عن يسار فَلَجَةٍ⁶ مُصْعِداً إلى مَكَّةَ ، وقبره بالذنائب . وفيه

يقول المهلهلُ :

ولو نَبَشَ المقابرُ عن كُليبٍ فَيُخَبِّرَ بالذنائب أَيُّ زِيرٍ

قال أبو بَرَزَةَ : فلما قتله أُمال يَدُه بالفرس حتى انتهى إلى أهله . قال : وتقول أُخته

1 الحَضَن : ما دون الإبط إلى الكشح .

2 تَداءَمه الموت : تراحم عليه .

3 الضَرِير : الشِدَّة ، وذو ضَرِير : ذو صبر على الشرِّ .

4 في النقااض أربعة أبيات . وسيورد أبو الفرج خبر القرية وموت حرب بن أُمَيَّة والعباس بن مرداس السلمي والشعر في ترجمة أبي سفيان فيما بعد .

5 أَبَاء بالقتيل : قتل قتيلاً به .

6 فَلَجَة : منزل على طريق مَكَّة .

حين رآته لأبيها : إِنَّ ذَا جَسَّاسٍ أَتَىٰ خَارِجًا رَكْبَتَاهُ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ رَكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ ! . قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ : وَرَائِي أَنِّي قَدْ طَعَنْتُ طَعْنَةً لَتُشْغَلَنَّ بِهَا شَبَابُ وَائِلَ زَمَنًا ؛ قَالَ : أَقْتَلْتَ كَلْبِيًّا ؟ قَالَ نَعَمْ ؛ قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتَكَ كُنْتُمْ مُتَمِّمٌ قَبْلَ هَذَا ، مَا بِي إِلَّا أَنْ تَتَشَاءَ مِنِّي أَبْنَاءُ وَائِلَ . وَزَعَمَ مُقَاتِلٌ أَنَّ جَسَّاسًا قَالَ لِأَخِيهِ نَضْلَةَ بْنِ مَرَّةَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ عَضْدُ الْحِمَارِ :

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْبًا تُغِصُّ الشَّيْخَ بِالمَاءِ القَرَّاحِ
مَذْكُورَةً مَتَى مَا يَصْنَعُ عَنْهَا فَتَى نَشَيْتُ بِآخِرِ غَيْرِ صَاحٍ¹
تُنْكَلُ عَنْ ذُبَابِ الْغِيِّ قَوْمًا وَتَدْعُو آخِرِينَ إِلَى الصَّلَاحِ²
فَأَجَابَهُ نَضْلَةُ :

فَإِنْ تَكْ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَا وَانٍ وَلَا رَثَ السَّلَاحِ
قَالَ أَبُو بَرْزَةَ : وَكَانَ هَمَامُ بْنُ مَرَّةَ أَخِي مُهْلَهْلًا وَعَاقِدَهُ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئًا ؛ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ لَهُ فَأَسْرَتْ إِلَيْهِ قَتْلَ جَسَّاسٍ كَلْبِيًّا ؛ فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ : مَا قَالَتْ ؟ فَلَمْ يُخْبِرْهُ ؛ فَذَكَرَهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ : أَخْبِرْتُ أَنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ؛ فَقَالَ : اسْتَأْخِيكَ أَضِيقُ مِنْ ذَلِكَ³ . وَزَعَمَ مُقَاتِلٌ : أَنَّ هَمَامًا كَانَ أَخِي مُهْلَهْلًا وَكَانَ عَاقِدَهُ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئًا ؛ فَكَانَا جَالِسَيْنِ ، فَمَرَّ جَسَّاسٌ يَرْكُضُ بِهِ فَرَسُهُ مُخْرِجًا فَخْذِيهِ ؛ فَقَالَ هَمَامُ : إِنَّ لَهُ لَأَمْرًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخْذِيهِ قَطُّ فِي رَكْضٍ ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَتْهُ الْخَادِمُ فَسَارَتْهُ أَنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ؛ فَقَالَ لَهُ مُهْلَهْلٌ : مَا أَخْبَرْتُكَ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ ؛ قَالَ : هُوَ أَضِيقُ اسْتَأْ مِنْ ذَلِكَ⁴ . وَتَحَمَّلَ الْقَوْمُ ، وَغَدَا مُهْلَهْلٌ بِالْخَيْلِ .

وَقَالَ الْمَفْضَلُ فِي خَبَرِهِ⁵ : فَلَمَّا قُتِلَ كَلْبٌ قَالَتْ بَنُو تَغْلِبَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَعَجَلُوا عَلَى إِخْوَتِكُمْ حَتَّى تُعْذِرُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ؛ فَانْطَلَقَ رَهْطٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَذَوِي أَسْنَانِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَّةَ بْنَ ذُهْلَ ، فَعَظَّمُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : اخْتَرْنَا مِنْ خِصَالِنَا : إِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا جَسَّاسًا فَنَقْتُلَهُ بِصَاحِبِنَا فَلَمْ يَطْلُمِ مَنْ قَتَلَ قَاتِلَهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا هَمَامًا ، وَإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَنَا مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَسَكَتَ ، وَقَدْ حَضَرَتْهُ وَجْهُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلَ فَقَالُوا : تَكَلَّمْ غَيْرَ مَخْذُولٍ ؛ فَقَالَ : أَمَّا جَسَّاسٌ فَعَلَامٌ حَدِيثُ

1 مذكرة : شديدة .

2 ذباب الغي : الجنون أو الشر .

3 المثل رقم 1781 عند الميداني .

4 المثل رقم 1781 عند الميداني .

5 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (تقديم وتعليق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، 1981 : 129-137) .

السنّ ركب رأسه فهرّب حين خاف فلا علم لي به ، وأمّا همّام فابو عَشْرَةَ وأخو عشرة¹ ، ولو دفعته إليكم لصيَّح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريّة غيره ؛ وأمّا أنا فلا أتعجلُ الموتَ ، وهل تزيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولةً فأكونَ أوّلَ قتيْلٍ ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدوّنكم أحدّهم فاقتلوه به ، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقةٍ تضمّنها لكم بكرُ بنِ وائلٍ ؛ فغضّبوها وقالوا : إنا لم نأتك لترذل² لنا بنيك ولا لتسومنا اللين ؛ فتفرّقوا ووقعت الحربُ . وتكلّم في ذلك عند الحارث بن عبّادٍ ، فقال : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل³ » ، وهو أوّلُ من قالها وأرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أربعين سنة ، فيهنّ خمسُ وقعاتٍ مُراحفات ، وكانت تكون بينهم مُغاورات ، وكان الرجلُ يلقي الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

[يوم عنيزة]

وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عنيزة ، وهي عند فلجة ، فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لتغلب ؛ وتصديق ذلك قولُ مهلهلٍ :

[من الوافر]

كأنّا غُدوةٌ وبنيّ أينا بحنّب عنيزة رَحِيّا مُديرِ
ولولا الرّيحُ أسمع مَنْ بحجرٍ صليلَ البيض تُقرع بالذُّكورِ

[يوم واردات]

فتفرّقوا ، ثم غبروا زماناً . ثم التقّوا يوم واردات⁴ ، وكان لتغلب على بكر ، وقتلوا بكرةً أشدَّ القتل ، وقتلوا بُجيراً ؛ وذلك قولُ مهلهلٍ :

[من الوافر]

فإني قد تركتُ بوارِداً بُجيراً في دَمٍ مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عبّادٍ وبعضُ الغشمِ أَشْفَى للصدورِ⁵

قال مُقاتلٌ : إنّه إنّما التَّقَطَ تَوّاً . وسيجيء حديثه أسفل من هذا . التوّ : الفرد ، يُقال : وجدته تَوّاً ، أي وحده .

قال أبو بَرْزة : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عبّادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقّوا بالحنو ، فظهرت بنو ثعلبة على تغلب .

1 أضاف المفضل : وعم عشرة .

2 ل : لتؤدي . وترذل بنيك . تعطينا رذال بنيك (المفضل) .

3 جمهرة العسكري 2 : 391 وأمثال العرب 1 : 131 .

4 واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

5 الغشم : الظلم .

[يوم القصيات]

قال مقاتل : ثم التقوا يومَ بطن السَّرو ، وهو يوم القصيات ، وربما قيل يوم القصية ، وكان لبني تغلب على بكر ، حتى ظنَّت بكرٌ أن سيقتلونها قال مقاتل :

[يوم قضة]

وَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ هَمَامَ بْنِ مَرَّةَ . ثُمَّ التَقَوْا يَوْمَ قِضَّةٍ وَهُوَ يَوْمُ التَّحَالِي وَيَوْمُ الثَّنِيَّةِ . وَيَوْمُ قِضَّةٍ وَيَوْمُ الْفَصِيلِ لِبَكْرِ عَلَى تَغْلِبَ . قَالَ أَبُو بَرْزَةَ : أَتَبِعْتُ تَغْلِبَ بِكْرًا فَقَطَعُوا رِمَالَتِ خَزَازَى وَالرَّغَامَ ثُمَّ مَالُوا لِبَطْنِ الْحِمَارَةِ ؛ فَوَرَدَتْ بِكْرٌ قِضَّةً فَسَقَتْ وَأَسْقَتْ ثُمَّ صَدَرَتْ وَحَلَّأُوا¹ تَغْلِبَ ، وَنَهَضُوا فِي نُجْعَةٍ يُقَالُ لَهَا مُوَيْبَةٌ لَا يَجُوزُ فِيهَا إِلَّا بَعِيرٌ بَعِيرٌ ، فَلَحِقَ رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ بِغُلَيْمٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَطْرُدُ ذَوْدًا لَهُ ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالرَّحْمِ ثُمَّ رَفَعَهُ فَقَالَ : تَحَدَّثِي أُمُّ الْبَوِّ عَلَى بَوِّكَ . فَرَأَاهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ : أَنْفِذُوا جَمَلَ أَسْمَاءَ (ابْنَتَهُ) فَإِنَّهُ أَمْضَى جِمَالِكُمْ وَأَجْوَدُهَا مَنْفَذًا ، فَإِذَا نَفِذَ تَبِعْتَهُ النَّعْمَ ؛ فَوَثَبَ الْجَمَلُ فِي الْمُوَيْبَةِ ، حَتَّى إِذَا نَهَضَ عَلَى يَدَيْهِ وَارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ ضَرَبَ عُرْقُوبِيهِ وَقَطَعَ بِطَانِ الظُّعَيْنَةِ فَوَقَعَ فَسَدَّ الثَّنِيَّةُ ، ثُمَّ قَالَ عَوْفُ : أَنَا الْبَرْكُ أُبْرِكُ حَيْثُ أُدْرِكُ ، فَسُمِّيَ الْبَرْكُ ، وَوَقَعَ النَّاسُ إِلَى الْأَرْضِ لَا يَرُونَ مَجَازًا ، وَتَحَالَفُوا لَتَعْرِفَهُمُ النِّسَاءُ ؛ فَقَالَ جَحْدَرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ أَبُو الْمَسَامِعةِ ، وَاسْمُهُ رَيْبَعَةٌ ؛ قَالَ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ جَحْدَرًا لِقِصْرِهِ : لَا تَحْلُقُوا رَأْسِي فَإِنِّي رَجُلٌ قَصِيرٌ ، لَا تَشِينُونِي ، وَلَكِنِّي أَشْتَرِيهِ مِنْكُمْ بِأَوَّلِ فَارَسٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقَوْمِ ؛ فَطَلَعَ ابْنُ عَنَاقٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ يَمْدَحُ مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ بِذَلِكَ :

يَا ابْنَ الَّذِي لَمَّا حَلَقْنَا اللَّمَمَا ابْتِاعَ مِنَّا رَأْسَهُ تَكَرُّمًا²

بِفَارَسٍ أَوَّلٍ مِنْ تَقْدَمَا

وقال البكريّ :

وَمِنَّا الَّذِي فَادَى مِنَ الْقَوْمِ رَأْسَهُ بِمَسْتَلَمٍ مِنْ جَمْعِهِمْ غَيْرَ أَعْرَلا³
فَادَى إِلَيْنَا بَزَّهُ وَسِلَاحَهُ وَمُنْفَصِلًا مِنْ عُثْقِهِ قَدْ تَزَيَّلَا

قال : وكان جَحْدَرٌ يَرْتَجِزُ يَوْمَئِذٍ وَيَقُولُ :

رُدُّوْا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتْ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجُزُّوْا لِمَتِّي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَقْلُهَا ، وَأَنَّ صَخْرَ بْنَ عَمْرِو السُّلَمِيَّ قَاتِلُهَا ؛ فَقَالَ

1 حَلَّأُوا تَغْلِبَ : مَنَعُوا الْمَاءَ .

2 لَمَّا فِي ل : يَوْمٌ .

3 مَسْتَلَمٌ : لَا بَسَ السِّلَاحَ كُلَّهُ .

مِسْمَع : كَرْدِين (كذب) عامر . وقال البكري :
 وَمِنَّا الَّذِي سَدَّ الثَّيَةَ غُدُوَّةً عَلَى حَلْفَةٍ لَمْ يُبْقِ فِيهَا تَحَلُّلاً
 بَجَهْدِ يَمِينِ اللَّهِ لَا يَطْلُعُونَهَا وَلَمَّا نُقَاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أُسْهَلَا
 وَأَمَّا مَقَاتِلُ فزعم أنهم قالوا : اتَّخَذُوا عَلَماً يَعْرِفُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، فَتَحَالَقُوا . وفيه
 يقول طرفة¹ :

صوت

سائلوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفْنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَخْلَاقُ اللَّمَمُ
 يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنْ أُسُوقِهَا وَتُلْفُ الْخَيْلُ أُعْرَاجَ النَّعَمِ²
 غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهِشَامِيِّ ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ
 الْمَكِّيِّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ .
 [همام بن مرة ومقتله]

وزعم مقاتل أَنَّ هَمَّامَ بْنَ مَرَّةَ بْنَ ذُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَ ، لَمْ يَزَلْ قَائِدَ بَكْرٍ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ
 الْقُصَصِيَّاتِ ، وَهُوَ قَبْلَ يَوْمِ قِصَّةٍ ، وَيَوْمَ قِصَّةٍ عَلَى أَثَرِهِ . وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مَقْتَلِ هَمَّامٍ أَنَّهُ وَجَدَ
 غَلَاماً مَطْرُوحاً ، فَالْتَقَطَهُ وَرَبَاهُ وَسَمَّاهُ نَاشِرَةً فَكَانَ عِنْدَهُ لَقِيطاً ؛ فَلَمَّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي
 تَغْلِبَ ؛ فَلَمَّا التَقُوا يَوْمَ الْقُصَصِيَّاتِ جَعَلَ هَمَّامٌ يِقَاتِلُ ، فَإِذَا عَطِشَ رَجَعَ إِلَى قَرْيَةٍ فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ
 وَضَعَ سِلَاحَهُ ؛ فَوَجَدَ نَاشِرَةً مِنْ هَمَّامٍ غَفْلَةً ، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ³ فَأَقْصَدَهُ فَقَتَلَهُ ، وَلَحِيقَ بِقَوْمِهِ
 تَغْلِبَ . فَقَالَ بَاكِي هَمَّامُ :

لَقَدْ عَيَّلَ الْأَقْوَامَ طَعْنَةَ نَاشِرَةٍ أَنَا شِيرُ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ آشِرَةً⁴

[الحارث بن عباد أخذ بثار ابنه بجير]

ثُمَّ قَتَلَ نَاشِرَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ قِصَّةٍ وَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِمْ بَكْرٌ ، جَاءَ إِلَيْهِمْ
 الْفَيْدُ الرِّمَانِيُّ أَحَدُ بَنِي زِمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ مِنَ الْيَمَامَةِ ، قَالَ
 عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِسْمَعِيُّ : فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَقُلْتُ أَنَا لِفِرَاسِ بْنِ خَنْدَقٍ : إِنَّ عَامِراً يُزْعِمُ أَنَّ
 الْفَيْدَ كَانَ رَئِيسَ بَكْرٍ يَوْمَ قِصَّةٍ ؛ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ⁵ ! كَانَ أَقْلَ النَّاسِ حِظّاً فِي عِلْمِ

1 ديوان طرفة (صادر ، بيروت) : 90 وزعم الأصمعي أنها مصنوعة .

2 أُسُوقٌ : جمع ساق . أُعْرَاجُ النَّعَمِ : قطعان من الإبل .

3 العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

4 يروى : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيّلهم : أفقرهم وجعلهم عالة على الآخرين .

5 ل : عبد الملك .

قومه . وقال فراس : كان رئيس بكر بعد هَمَام الحارث بن عُبَاد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُبَاد قد اعتزل يوم قتل كُليب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي ، وربما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي ، وخذل بكرًا عن تَغْلِب ، واستعظم قتل كُليب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عُبَاد : [من مجزوء الكامل]

يا بؤسَ للحرب التي وضعتُ أراهاطَ فاستراحوا
والحربُ لا يَبْقَى لصا حبها التَّخِيلُ والمِراحُ¹
إِلَّا الفتى الصَّبَّارُ في النَّدِّ سجداتِ والفرسُ الوَقَّاحُ

فلَمَّا أخذ بُجَيْرُ بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بوارِدات ، وإِنَّمَا سُلِّ وَلَمْ يُوْخِذْ في مُزَاخَفَةٍ ، قال له مُهْلَهْل : مَنْ خَالَكَ يا غلام ؟ قال امرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلِبِيُّ لمهلل : إِنِّي أرى غلاماً لَيَقْتُلَنَّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربما قال عن حاله ، قال : فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِصَّة بيده ، فقتله مهلهل . قال : فلَمَّا قَتَلَ مهلهل بُجَيْرًا قال : بؤ² بِشِيسَع نعلِ كُليب ؛ فقال له الغلام : إِن رَضِيتُ بِذلك بنو ضُبَيْعَةَ بن قيس رَضِيتُ . فلَمَّا بلغ الحارث قتلُ بُجَيْرِ ابنِ أَخِيهِ ، وقال أَبُو بَرْزَةَ : بل بجير ابن الحارث بن عُبَاد نفسه ، قال : نَعَمْ الغلامُ غلامٌ أَصلَحَ بين ابني وائلي وباء بِكُليب . فلَمَّا سمعوا قول الحارث : قالوا له : إِن مهلهلاً لَمَّا قَتَلَهُ قال له : بؤ بِشِيسَع نعلِ كُليب³ ، وقال مهلهل : [من الرجز]

كُلُّ قَتِيلٍ في كُليبٍ حُلَامٌ⁴ حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَام

وقال أيضاً :

كُلُّ قَتِيلٍ في كُليبٍ غُرَّةٌ حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرَّة

فغضب الحارث عند ذلك فنادى بِالرَّحِيل . قال مقاتل : وقال الحارث بن عُبَاد :

قَرَّبَا مَرْبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حربُ وائلي عن حِيَالٍ⁵

1 لصاحبها في رواية : «لجاحها» أي مثيها .

2 باء بدمه : عادله وكافاه .

3 جمهرة العسكري 1 : 266 وأمثال العرب : 132 .

4 قتيل حُلَام : ذهب باطلاً .

5 النعامة : فرس الحارث بن عباد . لقحت : حملت . حِيَال : انعدام الحمل . والمعنى أَنَّ الحرب هاجت بعد سكون .

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كَلِيبٌ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ هُ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ

قال : ولم يصحَّ عامر ولا مِسْمَعٌ غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرَزَةَ قال : كان
أَوَّلُ فارسٍ لقي مهلهلاً يومَ وِارِدَاتِ بُجَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادَ ، فقال : مَنْ خَالِكَ يَا غَلَامَ ،
وَبَوًّا¹ نَحْوَهُ الرِّمْحَ ؟ فقال له امرؤ القيس بن أَبَانَ التَّغْلَبِيُّ ، وكان على مقدّماتهم في حروبهم :
مهلاً يا مهلهل ! فَإِنَّ عَمَّ هَذَا وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَدْ اعْتَرَلُوا حَرْبَنَا وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي شَيْءٍ تَمَّا نَكْرَهُ ، وَوَاللَّهِ
لَنْ قَتَلْتَهُ لِيُقْتَلَنَّ بِهِ رَجُلٌ لَا يُسْأَلُ عَنْ نَسَبِهِ ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مهلهلٌ إِلَى قَوْلِهِ وَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ،
وَقَالَ : بُوًّا بِشَيْعٍ نَعَلَ كَلِيبٌ ؛ فَقَالَ الْغَلَامُ : إِنْ رَضِيتَ بِهَذَا بَنُو تُغْلَبَةَ فَقَدْ رَضِيتُهُ . قال : ثُمَّ
غَبَرُوا زَمَانًا ، ثُمَّ لَقِيَ هَمَامٌ بِنَ مَرَّةٍ فَقَتَلَهُ أَيْضًا . فَأَتَى الْحَارِثُ بْنُ عُبَادَ فَقِيلَ لَهُ : قَتَلَ مهلهلٌ
هَمَامًا ؛ فَغَضِبَ وَقَالَ : رُدُّوا الْجَمَالَ عَلَى عَكْرَهَا² «الْأَمْرُ مَخْلُوجَةٌ لَيْسَ بِسُلْكَى³» ؛ وَجَدَ فِي
قَتْلِهِمْ . قَالَ مُقَاتِلٌ : فَكَانَ حَكَمَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ يَوْمَ قِصَّةِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادَ ؛ وَكَانَ الرَّئِيسَ
الْفِنْدُ ، وَكَانَ فَارِسَهُمْ جَحْدَرٌ ، وَكَانَ شَاعِرَهُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ ، وَكَانَ الَّذِي سَدَّ
الْثِيَّةَ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ ؛ وَكَانَ عَوْفٌ أُنْبَى مِنْ أَخِيهِ سَعْدِ .

[أُسْرُ مهلهلٍ وَنَجَاتِهِ]

وَقَالَ فِرَاسُ بْنُ خَنْدَقٍ : بَلْ كَانَ رَئِيسَهُمْ يَوْمَ قِصَّةِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادَ . قَالَ مُقَاتِلٌ :
فَأَسَرَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادَ عَدِيًّا ، وَهُوَ مهلهلٌ ، بَعْدَ انْهِزَامِ النَّاسِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ :
دُلَّنِي عَلَى الْمَهْلِلِ ؛ قَالَ : وَلِي دَمِي ؟ قَالَ : وَلَكَ دَمُكَ ؛ قَالَ : وَلِي ذِمَّتُكَ وَذِمَّةُ أَيْيِكَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، ذَلِكَ لَكَ ؛ قَالَ : فَأَنَا مُهْلِلٌ . قَالَ : دُلَّنِي عَلَى كُفٍّ لِبُجَيْرٍ ؛ قَالَ : لَا أَعْلَمُهُ
إِلَّا أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ أَبَانَ ، هَذَاكَ عِلْمُهُ ؛ فَجَزَّ نَاصِيَّتَهُ⁴ وَقَصَدَ قَصْدَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَشَدَّ عَلَيْهِ
فَقَتَلَهُ . فَقَالَ الْحَارِثُ فِي ذَلِكَ :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكْتَنِي الْيَدَانِ
طُلٌّ مِنْ طُلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أَوْ تَسِرْ بُجَيْرًا أَبَاتُهُ ابْنُ أَبَانَ⁵

1 بَوًّا الرِّمْحَ : سَدَدَهُ .

2 الْعَكْرُ : جَمْعُ عَكْرَةٍ وَهِيَ الْقَطِيعُ الضَّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ رَدُّوا الْإِبِلَ إِلَى بَعْضِهَا .

3 انْظُرِ الْمَثْلَ رَقْمَ 139 عِنْدَ الْمِيدَانِيِّ وَص 305 فِي فَصْلِ الْمَقَالِ . وَالْمَخْلُوجَةُ : الطَّعْنَةُ الْمَوْجَعَةُ ، وَالسُّلْكَى : الطَّعْنَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ .

4 كَانُوا يَجْزُونَ نَاصِيَةَ الْأَسِيرِ قَبْلَ إِطْلَاقِ سَرَاخِهِ لِلاَفْتِخَارِ بِفَعْلِهِمْ .

5 طُلٌّ : دَمُ الْقَتِيلِ لَمْ يُوْخَذْ بِثَأْرِهِ .

فارسٌ يَضْرِبُ الكَتِيبةَ بالسِّيفِ ف وتسمو أَمَامَهُ العَيْنَانِ
 وزعم حُجْرٌ¹ أَن مُهْلَهْلًا قَالَ : لَا وَاللَّهِ أَوْ يَعْهَدَ لِي غَيْرُكَ ؛ قَالَ الحَارِثُ : اخْتَرْتُ مَنْ شِئْتُ ؛
 قَالَ : اخْتَارَ الشَّيْخَ القَاعِدَ عَوْفَ بْنَ مُحَلَّمٍ ؛ قَالَ الحَارِثُ : يَا عَوْفُ أَجِرْهُ ؛ قَالَ : لَا حَتَّى يَقْعَدَ
 خَلْفِي ؛ فَأَمَرَهُ فَقْعَدَ خَلْفَهُ ؛ فَقَالَ : أَنَا مُهْلَهْلٌ . وَأَمَّا مُقَاتِلُ فَقَالَ : إِنَّمَا أَخْذُهُ فِي دَوْرِ الرَّحَى
 وَحَوْمَةِ الْقِتَالِ وَلَمْ يَقْعَدَ أَحَدٌ بَعْدُ ، فَكَيْفَ يَقُولُ الشَّيْخُ القَاعِدُ ! . قَالَ مُقَاتِلُ : وَشَدَّ عَلَيْهِمْ
 جَحْدَرٌ ، فَاعْتَوَرَهُ عَمْرُو وَعَامِرُ ، فَطَعَنَ عَمْرٌاً بِعَالِيَةِ الرِّمْحِ وَطَعَنَ عَامِراً بِسَافِلَتِهِ فَقَتَلَهُمَا عِدَاءُ²
 وَجَاءَ بَيَزَهْمَا . قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِسْمَعِيُّ : فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ عَالِمٌ قَالَ : سَأَلَنِي الْوَلِيدُ بْنُ
 يَزِيدَ : مَنْ قَتَلَ عَمْرٌاً وَأَخَاهُ عَامِراً ؟ قُلْتُ : جَحْدَرٌ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، فَهَلْ تَدْرِي كَيْفَ قَتَلَهُمَا ؟
 قُلْتُ : نَعَمْ ، قَتَلَ عَمْرٌاً بِسِنَانِ³ الرِّمْحِ ، وَقَتَلَ عَامِراً بِزُجْجِهِ . قَالَ : وَقَتَلَ جَحْدَرٌ أَيْضاً أَبَا مِكْنَفٍ .
 قَالَ مُقَاتِلُ : فَلَمَّا رَجَعَ مُهْلَهْلٌ بَعْدَ الْوَقْعَةِ وَالْأَسْرِ إِلَى أَهْلِهِ ، جَعَلَ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانُ يَسْتَخْبِرُونَهُ :
 تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا وَابْنِهَا وَأَخِيهَا ، وَالْغُلَامُ عَنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ؛ فَقَالَ : [مِنَ الْخَفِيفِ]

لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ النَّاسَ عَنْ آ بَائِهِمْ قَتَلُوا وَيُنْسِي الْقِتَالَ
 لَمْ أَرِمْ عَرْصَةَ الْكَتِيبةِ حَتَّى اذ تَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ دِمَائِ نِعَالِ⁴
 عَرَفْتَهُ رِمَاحُ بَكْرِ فَمَا يَا خُذْنَ إِلَّا لَبَانَهُ وَالْقَذَالَ
 غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالًا
 ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى لَحِقَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ ، فَكَانَ فِي جَنْبٍ⁵ ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ ابْنَتَهُ فَأَبَى أَنْ
 يَفْعَلَ ، فَأَكْرَهُهُ فَأَتَكَحَّحَهَا إِيَّاهُ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ مُهْلَهْلٌ : [مِنَ الْمُنْسَرَحِ]

أَتَكَحَّحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمِ⁶
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرْجٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ⁷
 أَصْبَحْتُ لَا مُنْفِسًا أَصَبْتُ وَلَا أَبْتُ كَرِيمًا حُرًّا مِنَ النَّدَمِ⁸

1 ل : جحدر .

2 عالية الرمح : سنامه . وسافلته : زجه . وقتلها عدا : قتلها بطعنتين متواليتين .

3 ل : بعالية .

4 لم أرم : لم أبرح . الورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

5 جنب : حمى باليمن .

6 الأراقم : حمى بن تغلب . الحباء : المهر .

7 أبانان : جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .

8 النفس : الكثير من المال .

هان على تغليب بما لقيتُ أختُ بني المالِكين من جُشمٍ
 ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُغنون من عيلةٍ ولا عَدَمٍ
 ثم إن مهلهلاً انحدر ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة ، فطلب إليه أخواله بنو يشكر ،
 وأم مهلهل المرادة¹ بنت ثعلبة بن جُشم بن غُبر اليشكرية ، وأختها مَنّة بنت ثعلبة أم حُيي بن
 وائل ، وكان المحلل بن ثعلبة خالهما ، فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل ؛
 فسقاه خمرأ ، فلما طابت نفسه تغنى :
 [من الخفيف]

طفلة ما ابنةُ المحلل بيضا لِعُوبٍ لذيدةٍ في العناقِ
 حتى فرغ من القصيدة ، فأدى ذلك مَنْ سَمِعَهُ من المهلهل إلى عمرو ، فحوّله إليه وأقسم ألا
 يذوق عنده خمرأ ولا ماء ولا لبنأ حتى يردَ ربيبَ الهضاب (جمل له كان أقلُّ وروده في الصيف
 الخمس) ؛ فقالوا له : يا خير الفتيان ، أرسلِ إلى ربيبٍ فلتنوّت به قبل وروده ، ففعل فأوجره
 ذنوباً² من ماء ؛ فلما تحلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة ، وهو أوبأ ماءً رأيته قط ، فمات .
 فتلك الهضاب التي كان يرهاها ربيبٌ يُقال لها هضاب ربيب ، طالما رعيتهن ورأيتهن .
 [القبائل التي انضمت إلى بكر]

قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل بن ثعلبة غيرُ ناس
 من بني يشكر وذهلٍ قاتلت بأخرة ، ثم جاء ناس من بني لجيم يوم قِصّة مع الفند . وفي ذلك
 يقول سعد بن مالك :

إن لجيماً قد أبت كلها أن يُرقدونا رجلاً واحداً
 ويشكرٌ أضحت على نأيها لم تسمع الآن لها حامداً
 ولا بنو ذهلٍ وقد أصبحوا بها حلولا خلفاً ماجداً
 القائدي الخيل لأرض العدا والصارين الكوكب الوافداً³

وقال البكري :

[من الطويل]

وصدّت لجيم للبراءة إذ رأت أهاضيب موتٍ تمطر الموت مُعضلاً⁴

1 ل : المرتادة .

2 أوجره ذنوباً : جعل في فيه دلوأ من الماء .

3 الكوكب الوافد : سيد القوم القادم .

4 أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر . ل : يوم بدلاً من موت .

وَيَشْكُرُ قَدْ مَالَتْ قَدِيمًا وَأَرْتَعْتُ وَمَنْتُ بِقُرْبَاهَا إِلَيْهِمْ لِتُوصَلَا
وَقَالُوا جَمِيعًا : مَاتَ جَسَّاسٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَمْ يُقْتَل .
[عدد القتل من بكر وتغلب]

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قَتَلِي تُعَدُّ وَلَا تَذَكَّرُ إِلَّا ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ مِنْ تَغْلِبَ
وَأَرْبَعَةً مِنْ بَكْرٍ عَدَدَهُمْ مُهْلَهْلٌ فِي شِعْرِيهِ ، يعني قصيدتيه : [من الوافر]

إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْزُورِي ¹	أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي
فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ	فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَال لَيْلِي
فَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ	فَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ
وَكَيْفَ لِقَاءٍ مِنْ تَحْتَ الْقُبُورِ ²	يَوْمَ الشَّعْثَمِينَ أَقَرَّ عَيْنًا
بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ	وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتِي
وَبَعْضُ الْغَشْمِ أَشْفَى لِلصَّدُورِ	هَتَكْتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبَادٍ
إِذَا بَرَزَتْ مَخْبَأَةُ الْخُدُورِ ³	عَلَى أَنْ لَيْسَ يُوفِي مِنْ كَلْبٍ
عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ	وَهَمَّامٌ بِنَ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكَنَا
وَيَخْلِجُهُ خِدْبٌ كَالْبَعِيرِ ⁴	يُنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرِّيحُ فِيهِ
صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِغُ بِالذِّكُورِ	فَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ يَحْجِرُ
كَأَسَدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِي الزَّئِيرِ	فِدَى لَبْنِي شَقِيقَةَ يَوْمِ جَاوُوا
بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ ⁵	كَأَنَّ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَعْرِ
بَجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحِيًا مُدِيرِ	غَدَاةَ كَأَنَّنا وَبَنِي أَيْنَا
كَأَنَّ الْخَيْلَ تُرْحَضُ فِي غَدِيرِ ⁶	تَظَلُّ الْخَيْلُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً :

طَفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْحَلَلِ بَيْضًا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِنَاقِ

1 ذو حسم : موضع بالبادية . لا تحزوري : لا ترجعي .

2 يوم الشعثمين : يوم واردة . وفي شعر الأخطل ما يشير إلى أنه يوم الذنائب .

3 يُوفِي فِي ل : يشفي .

4 يخلجه : يجذبه . والخذب : الضخم .

5 أشطان : حبال شديدة الفتل . جال البئر : ناحيتها .

6 ترحض : تغسل .

فأذهبي ما إليك غير بعيدٍ لا يؤاتي العناقُ من في الوثاقِ
ضربتُ نحرَها إليّ وقالتُ يا عدياً لقد وقنتُ الأواقِ
ما أرجي في العيش بعد ندما ي أراهم سُقوا بكأسِ خلّاقٍ¹
بعد عمرو وعامرٍ وحييُّ وربيع الصّدوفِ وأبي عناقِ
وامرئ القيس ميّت يوم أودى ثم خلّى عليّ ذاتَ العراقي²
وكليبٍ سُمّ الفوارس إذ حُمّ رماه الكماءُ بالإيفاقِ³
إنّ تحت الأحجار حدّاً ولينا وخصيماً ألدّ ذا مغلاقٍ⁴
حيّة في الوجار أريدُ لا تند فغُ منه السليم نفثة راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القتلى كانوا قليلاً أنّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب ، فعُدّوهم وعدّوا بنيهم وبني بنيهم ، فإن كانوا خمسمائة فقد صدّقوا ، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى والقبائل . قال مسمع : إن أخي مجنون ، وكيف يحتجّ بشعر المهلهل ، وقد قتل جحدر أباً مكثف يوم قضة فلم يذكره في شعره ، وقُتل اليشكري ناشرة فلم يذكره في الشعر ، وقُتل حبيب يوم إردات ، وقُتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر ، فهؤلاء أربعة . وقال البكري :

تركنا حبيباً يوم أُرْجفَ جمعه صريعاً بأعلى إرداتٍ مُجدلاً
وقال مهلهل أيضاً :

لست أرجو لذة العيش ما أزمّت أجلاذُ قدّ بساقي
جلّوني جلدَ حوبٍ فقد جعلوا نفسيّ عند التراقي⁵
وقال آخر يفخر بيوم إردات :

ومُهرقُ الدماء بوارداتٍ تبيد المخزيات وما تبيدُ
فقلتُ لعامر : ما بال مسمع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعة ؟ فقال عامر : وما أربعة إن كنتُ أغفلتهم فيما يقولون ؟ إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف ، ويوم كذا أربعة آلاف ، والله ما

1 كأس حلاق : كأس المنية .

2 ذات العراقي : الداهية .

3 الإيفاق : توتير القوس للرمي .

4 حد : حدة . ذو مغلاق : لسان بليغ يسدّ الحجة على خصمه . ويروى «مغلاق» أي يغلقها على خصمه .

5 الحوب : الضخم من الجمال .

أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدُّوا أسماء القبائل وأبناءهم وأنزلوا معهم إلى أبناء
أبنائهم ، فكم عسى أن يكونوا ؟

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الخفيف]

أزجر العين أن تُبكي الطلولا	إنّ في الصّدر من كليب غليلاً
إنّ في الصّدر حاجة لن تقضى	ما دعا في الغصون داع هديلاً
كيف أنساك يا كليب ولما	أقصر حزناً يُؤنّسي وغليلاً
أيّها القلب أنجز اليوم نجاً	من بني الحصن إذ غدوا وذولاً ¹
كيف يكي الطلول من هو رهن	بطعان الأنام جيلاً فجيلاً
أنبضوا معجس القسي وأبرق	سنا كما توعّد الفحول الفحولا ²
وصبرنا تحت البوارق حتى	ركدت فيهم السيوف طويلاً
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا	وأخو الحرب من أطاق النزولا

الشعر لمهلل³ ، قال أبو عبّيدة : اسمه عديّ ، وقال يعقوب بن السكيت : اسمه امرؤ
القيس ، وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن
تغلب ؛ وإنما لقب مُهللاً لطيب شعره⁴ ورقته ، وكان أحد من غني من العرب في شعره .
وقيل : إنه أول من قصّد القصائد وقال الغزل ؛ فقليل : قد هلّهل الشعر ، أي أرقّه . وهو أول
من كذب في شعره⁵ . وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي . وكان فيه خنث ولين ،
وكان كثير المحادثة للنساء ، فكان كليب يسميه «زير النساء» ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

ولو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب أي زير

الغناء لابن مُحَرِّز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 النحب : النذر . بنو الحصن : ثعلبة بن عكابة . الذحول : جمع ذحل وهو الثأر .

2 أنبض القوس : جذب وترها لتصوت . معجس : مقبض .

3 ترجمة مهلهل في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 215-217 والخزانة 2 : 164-174 ومعجم المرزباني :

79 .

4 ل : صوت .

5 لقوله : «ولولا الريح أسمع من بحجر . . .» نظراً لبعد المسافة بين مكان الواقعة وحجر . وقد حمل ذلك عليه
القالبي وأبو الفرج وابن قتيبة ، على أنها من أيسر المبالغات في الشعر العربي .

وللغريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى ، والذي فيه سَجْحَةٌ منها لابن مُحَرَّز . ولَمَعْدَ لحنانٌ أحدهما في الأوَّل والسادس ثقيلٌ أوَّل مُطلق في مجرى البنصر ، والآخر خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالبنصر . ولإبراهيم في الأوَّل والرابع ثقيلٌ أوَّل بالخنصر في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الأوَّل والثالث ماخوِريٌّ . ولعلوِيَه في الأوَّل والثاني خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالبنصر ، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . ولابن سُرَيْج في السادس والسابع خفيفٌ رملٌ بالسَّبَّابة في مجرى البنصر . ولابن سُرَيْج أيضاً في الأوَّل والثامن خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالبنصر . وللغريض في الأوَّل والثاني خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالبنصر . وللهذَلِيَّ في الأوَّل والثاني والسابع خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك في الأوَّل والثاني والخامس خفيفٌ ثقيلٌ أوَّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانه .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

ثَكَلْتَنِي عِنْدَ الثَّنِيَّةِ أُمِّي وَأَتَاهَا نَعْيٌ عَمِّي وَخَالِي
إِنْ لَمْ أَشْفِ النَفُوسَ مِنْ حَيٍّ بَكْرٍ وَعَدِيَّ تَطَاهُ بُزْلُ الْجِمَالِ¹

الشعر مجهول² ؛ غناه ابن سُرَيْجٍ ثقيلًا أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق ، وغناه الغريض ثقيلًا أوَّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

قَرَّبَا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ
قَرَّبَاهَا فِي مَقَرَّاتٍ عِجَالٍ عَابَسَاتٍ يَثِينَ وَثَبَ السَّعَالِ³
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد . والغناء للغريض ثقيلٌ أوَّل بالبنصر . وفيه لحن آخر يُقال إنَّه لابن سُرَيْج .

1 لهذا البيت رواية أخرى :

إِنْ لَمْ أَشْفِ النَفُوسَ مِنْ تَغْلِبِ الْغَدِ رِ يَوْمَ تَذَلَّ فِيهِ بَزْلُ الْجِمَالِ

2 إضافة من ل ، ولعلَّ البيتين ملحقان بشعر الحارث بن عباد .

3 مقربات : خيل يقرب مربطها لكرامتها .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلِّيَا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ
يَا لَبَكْرٍ فَاطْعَنُوا أَوْ فَحُلُّوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَارُ

الشعر لمهلهل . والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغناه الأبيجر خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو .

[من الوافر]

ومنها :

صوت

أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ إِنْ يَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
كَأَنَّ الْجَدْيَ جَدْيَ بَنَاتِ نَعَشٍ يُكَبُّ عَلَى الْيَدَيْنِ بِمُسْتَدِيرٍ¹
وَتَحْبُو الشَّعْرِيَانِ إِلَى سُهَيْلٍ يَلُوحُ كَقِمَّةِ الْجَمَلِ الْكَبِيرِ²
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلُ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ

الشعر لمهلهل . والغناء لابن مُحَرِّز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر ، وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى ، عن إسحاق جميعاً . وفي الأبيات كلها على الولاة للأبيجر ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويقال : إِنَّ فِيهَا لَحْنًا لِلْغَرِيزِ أَيْضاً .

[مقتل جَسَّاس]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِيُّ قال حدثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابي عن الْمُفَضَّل عن أَبِي عُبَيْدَةَ : أَنَّ آخِرَ مَنْ قُتِلَ فِي حَرْبِ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْيَانَ ، وَهُوَ قَاتِلُ كُلَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ كُلَيْبٍ ، فَقَتَلَهُ جَسَّاسٌ وَهِيَ حَامِلٌ ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ ، فَكَانَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَا كَانَ ؛ ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْمَوَادَعَةِ بَعْدَ مَا كَادَتِ الْقَبِيلَتَانِ تَتَفَانِيَانِ ؛ فَوَلَدَتْ أُخْتُ جَسَّاسٍ غُلَامًا فَسَمَّاهُ الْهِجْرَسَ وَرَبَّاهُ جَسَّاسٌ ، فَكَانَ لَا يَعْرِفُ أَبًا غَيْرَهُ ، وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ . فَوَقَعَ بَيْنَ الْهِجْرَسِ

1 الجدي : نجم يدور مع بنات نعش أو أحد البروج . يكب : ينكس .

2 تحبو : تدنو . الشعريان : الشعري اليمانية أو العبور والشعري : الغميصاء . وهما اللتان تبكيان لأخييهما سهيل في شعر المعري .

وبين رجل من بني بكر بن وائل كلاماً ؛ فقال له البكري : ما أنت بمنته حتى نُلحقك بأبيك ؛ فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً ، فسألته عما به فأخبرها الخبر ؛ فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها ، فتنفّس تنفّساً تنفّط ما بين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فزعّة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على أبيها ، فقصّت عليه قصّة الهجرس ؛ فقال جسّاس : ثائرٌ وربّ الكعبة ! وبات جسّاس على مثل الرّصف حتى أصبح ؛ فأرسل إلى الهجرس فأتاه ، فقال له : إنّما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت ، وقد زوجتك ابنتي وأنت معي ، وقد كانت الحرب في أهلك زماناً طويلاً حتى كدنا ننفاني ، وقد اصطللحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصّلاح ، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلاّ بلامته وفرسه ؛ فحمله جسّاس على فرس وأعطاه لأمةً ودرعاً ؛ فخرجا حتى أتيا جماعةً من قومهما ، فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم ؛ فلما قَرَبوا¹ الدّم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رُحمه ، ثم قال : وفرسي وأذنيه ، ورُمحي ونصليّ ، وسيفي وغراريّ ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه ؛ ثم طعن جسّاساً فقتله ، ثم لحق بقومه ؛ فكان آخر قتيل في بكر بن وائل .

[ترحيل امرأة كليب عن مأمم زوجها]

قال أبو الفرج : أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشّرقبيّ بن القطاميّ قال : لما قتل جسّاس بن مرّة كُليب بن ربيعة ، وكانت جليلاً بنت مرّة أخت جسّاس تحت كليب ، اجتمع نساء الحيّ للمأتم ، فقلن لأخت كليب : رحلي جليلاً عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتة وعارٌ علينا عند العرب ؛ فقالت لها : يا هذه اخرجي عن مأتمنا ، فأنّت أخت واطرنا وشقيقة قاتلنا ؛ فخرجت وهي تجرّ أعطافها ؛ فلقبها أبوها مرّة ، فقال لها : ما وراءكِ يا جليلاً ؟ فقالت : نُكَلُّ العَدَد ، وحزنُ الأبد ؛ وفقدُ حليل ، وقتلُ أخٍ عن قليل ؛ وبين ذين غرسُ الأحقاد ، وتفتتُ الأكباد ؛ فقال لها : أو يكفُ ذلك كرمُ الصّفح وإغلاء الديات ؟ فقالت جليلاً : أُمْنِيَّةٌ مخدوعٍ وربّ الكعبة ! إيايَ الَّذِي تَدْعُ لك تغلب دم ربّها ؟ قال : ولما رحلت جليلاً قالت أخت كُليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مرّة ، من الكرة بعد الكرة ! . فبلغ قولها جليلاً ، فقالت : وكيف تشمتُ الحرّة بهتك سِتْرِها وترقب وترها ! أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! .

1 كان من عادة العرب أن يغمسوا عند التحالف أيديهم في طيب أو دم أو رماد .

[رثاء جليلة لكليب]

ثم أنشأت تقول¹ :

[من الرمل]

يا ابنة الأقبام إن شئت فلا
 فإذا أنت تبينت الذي
 إن تكن أخت امرئ ليمت على
 جلّ عندي فعل جساس فيا
 فعل جساس على وجدي به
 لو بعين فقيمت عيني سوى
 تحمّل العين قذى العين كما
 يا قتيلاً قوض الدهر به
 هدم البيت الذي استحدثته
 ورماني قتله من كذب
 يا نسائي دونكن اليوم قد
 خصني قتل كليب بلظى
 ليس من يكي ليومين كمن
 يشتهي المدرك بالثأر وفي
 ليته كان دمي فاحتلبوا
 إنني قاتلة مقتولة

تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
 يُوجِبُ اللَّوْمُ فُلُومِي وَاعْذُلِي
 شَفَقٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فَاغْلِي
 حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي
 قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُذْنِ أَجَلِي
 أُخْتِهَا فَاغْفَقَاتُ لَمْ أَخْفَلِ
 تَحْمِيلُ الْأُمِّ أَذَى مَا تَفْتَلِي
 سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلٍّ
 وَانْتَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 رَمِيَّةَ الْمُصْمِي بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ
 خَصَنِي الدَّهْرُ بَرُزُهُ مُغْضِلِ
 مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبَلِي
 إِنَّمَا يَكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 دَرَكِي ثَأْرِي تُكَلُّ الْمُثْكَلِ
 بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي²
 وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاحَ لِي

1 ذكر المرزباني في أشعار النساء عن الحرمي بن أبي العلاء نسبة هذه الأبيات عن محمد بن خلف المرزبان إلى فاطمة أخت كليب ومهلل ترثي بها أخاها . على أن في الأبيات ما لا يتفق منطقياً مع هذه النسبة .

2 بدلاً في ل : درراً .

[64] - ذكر الهذلي وأخباره

[نسب الهذلي وصناعته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : الهذليان أخوان يُقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود ؛ فالأكبر منهما يُقال له سعيد ، ويُكنى أبا مسعود ، وأمه امرأة يُقال لها أم فيعل ، وكان كثيراً ما يُنسب إليها ، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيْسٍ ، وكان فتیان من قريش يروحون إليه كل عشيّة فيأتون بطحاء يُقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُعْني لهم ويكون معهم . وقد قيل : إن الأكبر هو عبد آل ، والأصغر سعيد .

[يعني وهو يزاول نقش الحجارة]

قال هارون وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي : أن الهذلي كان نقاشاً يعمل البرم من حجارة الجبل ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن ، وكان إذا أمسى¹ راح فأشرف على المسجد ثم غنى ، فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص صفرة وحمرة من أودية قريش ؛ فيقولون : يا أبا عبد الرحمن ، أعد ؛ فيقول : أمّا والله وها هنا حجر أحتاج إليه لم يرد الأبطح فلا ؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويحذروها إلى الأبطح ، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويعني لهم .

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف وعمارة قالا : تغنى الهذلي الأكبر ، وكان من أنفسهم ، وكان فتیان قريش يروحون كل عشيّة حتى يأتوا بطحاء يُقال لها بطحاء قريش قريباً من داره ، فيجلسون عليها ويأتيهم فيُعْنيهم .

[أجازه الحارث بن خالد لما سمع غناه]

قال : وأخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عباد الكاتب مولى آل الزبير قال : هجم الحارث بن خالد ، وهو يومئذ أمير مكة ، على الهذلي وهو مع فتیان قريش بالمفجر² يعنيهم وعليه جبة صوف ، فطرح عليه مقطعات خز ، فكانت هذه أول ما تحرك لها .

[تزوج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها]

قال هارون : وحدثني حماد عن أبيه قال : ذكر ابن جامع عن ابن عباد أن ابن سريج لما

1 ل : مشى .

2 المفجر : موضع بمكة . وفي ل : المفخر .

حضرتة الوفاة نظر إلى ابنته فبكى ، فقالت له : ما يُكيك ؟ قال : أخشى عليك الضيعة بعدي ؛ فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذته ؛ قال : فغنيني فغنته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بالهذلي فزوجها منه ؛ فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها فانتحل أكثره ؛ فعامة غناء الهذلي لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته .

[حدّره الحارث بن خالد من منى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان قال : كان الهذلي منزله بمنى ، وكان فتیان قريش يأتونه فيُغنيهم هناك ، ثم أقبل مرة حتى جلس على جمرة العقبة فغنى هناك ، فحدّره الحارث من منى ، وكان عاملاً على مكة ، ثم أذن له فرجع إلى منى¹ .

[غنى لفتية من قريش]

قال هارون : وحدّثني علي بن محمد النوفلي قال حدّثني أبي قال : كان الهذلي النقاش يغدو إليه فتیان قريش وقد عمِل عمله بالليل ، ومعهم الطعام والشراب والدرهم . فيقولون له : غننا ؛ فيقول لهم : الوظيفة ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفة الأخرى ، أنزلوا أحجاري ، فيلقون ثيابهم ويأترون بأزهرهم وينقلون الحجارة وينزلونها ، ثم يجلس² على شُخوب³ من شُناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنيهم حتى المساء ، وكانوا كذلك مدة ؛ فقال له يوماً ثلاثة فتية من قريش : قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقص وظيفتك عليهم ، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعله حظّه اليوم ، فإن وافقت الجماعة هواناً كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أبوا غنيت لهم ما أرادوا وجعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا ؛ قال : هاتوا فاختار أحدهم :

عَفَتْ عَرَافَاتُ الْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدٍ

واختار الآخر :

أَلَمْ بِنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَهْجَدُ⁴

واختار الآخر :

هَجَرْتُ سَعْدَى فِرَازِنِي كَلَفَا

1 ل : مكة .

2 ل : ينزلون .

3 الشخوب : رأس الجبل .

4 المهجد : الموقظ .

[من الطويل]

[من المنسرح]

فغَنّاهم إِيَّاهَا ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك ؛ فلَمَّا أَرادوا الانصراف قال لهم : إِنِّي قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِهِ مُنْعِماً بِذلك ؛ فاندفع فغَنّاهم :

إِنَّ هَتَفَ رِقَاءَ ظَلَّتْ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمْلٍ لِرِقَاءَ تَهْتَفُ
فَقَالُوا : أَحْسَنْتَ وَالله ، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنَا فِي غَدٍ إِلَّا عَلَيْهِ ، فَعَادُوا وَغَنّاهم إِيَّاهُ
وَأَعْطَوْهُ وَظَلَفَتْهُ ؛ ولم يزلوا يستعيدونه إِيَّاهُ باقِيَ يومهم .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك¹ :

صوت

عَفَتْ عَرَفَاتٌ فَالْمَصَافِ مِنْ هَنْدٍ فَأَوْحَشَ مَا بَيْنَ الْجَرِيَيْنِ فَالْنَهْدُ²
وغيرها طولُ التقادُمِ والبلى فليست كما كانت تكونُ على العَهْدِ
الشعر للأخوص ، وقيل : إِنَّهُ لِعمر . والغناء للهذلي ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل
الأول بالخنصر في مجرى البنصر .
ومنها :

صوت

من المائة المختارة

أَلَمْ بِنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَهْجِدُ وَقَدْ كَادَتِ الْجُوزَاءُ فِي الْجَوْ تَصْعَدُ
أَلَمْ يُحَيِّنَا وَمِنْ دُونِ أَهْلِهَا فَيَافٍ تَغُورُ الرِّيحُ فِيهَا وَتُنْجِدُ
عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهذلي ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ
الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المَكِّيَّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذلي هذا ممَّا
اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة .
ومنها :

[من المنسرح]

1 البيتان في ديوان الأخوص : 75 وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 116 .

2 الجريان والنهد : أسماء مواضع .

صوت

هَجَرْتُ سَعْدَى فزادني كَلْفاً هِجْرَانُ سَعْدَى وَأَزْمَعْتُ خُلْفاً
وَقَدْ عَلَى حُبِّهَا حَلَفْتُ لَهَا لَوْ أَنَّ سَعْدَى تُصَدِّقُ الْحِلْفَا
مَا عَلِقَ الْقَلْبُ غَيْرَهَا بَشْراً وَلَا سِوَاهَا مِنْ مَعْلَقِي عَرَفَا
فَلَمْ تُجَنِّبْنِي وَأَعْرَضْتُ صَلْفاً وَغَادَرْتَنِي بِحُبِّهَا كَلْفاً

الغناء للهذليّ ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامر داود]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيّ قال حدثنا عمر بن شُبَّة عن إسحاق قال : زَوْج ابْنِ سُرَيْج لما حضرته الوفاة الهذليّ الأكبر بابتته ، فأخذ عنها أَكْثَرَ غَنَاءِ أَبِيهَا ، وادَّعَاهَا فَعَلَّبَ عَلَيْهِ . قال : وولدت منه ابناً ؛ فلَمَّا أَفْجَعَ جاز يوماً بِأَشْعَبَ وهو جالس في فِئْتَةٍ من قريش ، فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول : هذا ابن دَفْتِي المصحف وهذا ابنُ مزامر داود ؛ فقيل له : ويلك ؛ ما تقول ومن هذا الصبي ؟ فقال : أَوُ ما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُرَيْج ، وُلِدَ على عُود ، واستهلَّ¹ بغناء ، وحنَّك بملوي² ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتِنَ بِمِضْرَاب .

[إسحاق الموصلي يأخذ بغنائه مطرفاً من إبراهيم بن المهدي]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال : دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة ، فرأيت عليه مُطَرَفَ خَزَّ أَسُودَ ما رأيت قطّ أحسن منه ؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف ، فقال : لقد كان لكم أَيَّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيت مثله ؛ فقال : إن قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أقومّه إلّا بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شربنا يوماً من الأَيَّامِ فَبِتْ وَأَنَا مُتَخَنٌ³ ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عَجِّلْ ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنْتُ آكل قبل أن أذهب إليه ؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأني ، وأعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خَزَّ دَكْناء ؛ فقال لي محمد :

1 استهلّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة .

2 حنَّك : ذلك حنكاه . والملوي : من أجزاء العود .

3 متخن : أوهنه السكر ، كما تقول أثنخته الجراح .

يا إسحاق ، أَتَغَدَّيتَ ؟ قلت : نعم يا سيدي ؛ قال : إِنَّكَ لَنَهَمَ ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ !
 فقلت : أَصَبَحْتُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبِي خُمَارُ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَانِي عَلَى الْأَكْلِ ؛ فَقَالَ لَهُ :
 كَمْ شَرَبْنَا ؟ فَقَالُوا : ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، فَقَالَ : اسْقُوهُ إِنِّي أَهَمُّ ؛ فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَفَرَّقَ عَلَيَّ !
 فَقَالَ : يُسْقَى رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا ؛ فَدَفِيعَ إِلَيَّ رِطْلَانِ فَجَعَلْتُ أَشْرِبُهُمَا وَأَنَا أَتَوْهُمُ أَنَّ
 نَفْسِي تَسِيلُ مَعَهُمَا ، ثُمَّ دَفِيعَ إِلَيَّ رِطْلٍ آخَرَ فَشَرِبْتُهُ ، فَكَأَنَّ شَيْئًا انْجَلَى عَنِّي ؛ فَقَالَ
 غَنِّي : [من الطويل]

كُليبٌ لعُمري كان أَكْثَرَ ناصراً

فَغَنِّيْتُهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَطَرِبَ ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَدْخُلُ إِلَى النِّسَاءِ
 وَيَدْعُنَا ، فَقَمْتُ فِي إِثْرِ قِيَامِهِ ، فَدَعَوْتُ غَلاماً لِي ، فَقُلْتُ : اذْهَبْ إِلَى بَيْتِي وَجِئْنِي
 بِيَزْمَاوَرْدَتَيْنِ¹ وَلَفْهَمًا فِي مَنْدِيلٍ وَاذْهَبْ رَكْضاً وَعَجْلاً ، فَمَضَى الْغَلامُ وَجَاءَنِي بِهِمَا ، فَلَمَّا
 وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ انْقَطَعَ فَنفَقُ² مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَضَ عَلَيْهِ ، وَأَدْخَلَ إِلَيَّ
 الْبِزْمَاوَرْدَتَيْنِ ، فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ نَفْسِي إِلَيَّ وَعَدْتُ إِلَى مَجْلِسِي ؛ فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : لِي
 إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُحِبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا لِي ؛ فَقُلْتُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ³ ، فَقُلْ مَا شِئْتَ ؛
 قَالَ : تُرَدِّدْ عَلَيَّ : «كَلِيبُ لَعُمري» وَهَذَا الْمِطْرَفُ لَكَ ؛ فَقُلْتُ : أَنَا لَا أَخْذُ مِنْكَ مِطْرَفًا
 عَلَى هَذَا ، وَلَكِنِّي أَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِكَ فَأُلْقِيهِ عَلَى الْجَوَارِي وَأُرَدِّدُهُ عَلَيْكَ مِرَارًا ؛ فَقَالَ :
 أُحِبُّ أَنْ تُرَدِّدَهُ عَلَيَّ السَّاعَةَ وَأَنْ تَأْخُذَ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ لُبْسِكَ وَهُوَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ؛
 فَرَدَّدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتِ مِرَارًا حَتَّى أَخْذَهُ ، ثُمَّ سَمِعْنَا حَرَكَةَ مُحَمَّدٍ فَقَمْنَا حَتَّى جَاءَ وَجَلَسَ ،
 ثُمَّ قَعَدْنَا فَشَرَبَ وَتَحَدَّثْنَا ؛ فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ : «كَلِيبُ لَعُمري» ، فَكَأَنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَسْمَعْهُ قَبْلَ
 ذَلِكَ حُسْنًا ؛ وَطَرِبَ مُحَمَّدٌ طَرِيبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا غَلامُ ، عَشْرَ يَدَرٍ لَعُمِّي
 السَّاعَةَ ! فَجَاوُوا بِهَا ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لِي فِيهَا شَرِيكًا ؛ قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
 إِسْحَاقُ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَخَذْتُهُ مِنْهُ لَمَّا قَمْتُ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : وَلِمَ أَضَاقَتْ
 الْأُمُومَالُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تُرِيدَ أَنْ تُشْرِكَ فِيمَا يُعْطَى ؛ قَالَ : أَمَّا أَنَا فَأُشْرِكُكَ وَأَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ ؛ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْمَجْلِسِ أَعْطَانِي ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَأَعْطَانِي هَذَا الْمِطْرَفَ ، فَهَذَا
 أَخِذْ بِهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهِيَ قِيمَتُهُ .

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلّي بالزبد والبيض .

2 نفق : مات والضمير يعود إلى الدابة .

3 ل : عبد من عبيدك .

صوت من المائة المختارة

من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه¹ :

[من مجزوء الخفيف]

عَلَّلَ القَوْمَ يشربُوا	كي يَلْذُوا وَيَطْرُبُوا
إِنَّمَا ضَلَّلَ الفَوَّ	دَ غَزَالٌ مُرَبَّبٌ ²
فرشته على النِّمَّا	رِقِ سَعْدَى وزينبُ
حَالٌ دون الهوى ودو	ن سُرَى الليل مُصْعَبٌ ³
وسياطٌ على أَكْفٍ	رَجَالٍ تَقَلَّبُ

الشَّعْرُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح ، ولحنه من الثقيل الأوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَيْجٍ في الرابع والخامس والأوَّل ثاني ثَقِيلٌ في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 177 .

2 مرَبَّبٌ في الديوان : مررب .

3 هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي في الترجمة ويروى : «منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب» .

[65] - ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات

ونسبه وأخباره¹

[نسب عبيد الله بن قيس الرقيات]

هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضياب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب . وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدي بن سعد بن لئث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن محمد بن أبي قلامه² العمري قال حدثني محمد بن طلحة ، قال الزبير وحدثني أيضاً محمد بن الحسن المخزومي ، قالاً جميعاً : كان يُقال لبني معيص بن عامر بن لؤي وبني محارب بن فهر : الأجران من أهل تهامة ، وكانا متحالفين ، وإنما قيل لهما الأجران من شدة بأسهما وعزمهما³ من ناوأهما كما يُعرّ الجرب .

[سبب لقيه بالرقيات]

وإنما لُقّب عبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شَبَّ بثلاث نسوة سُمين جميعاً رقيةً ، منهن رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان بن ضياب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي ، وابنة عمّ لها يقال لها رقية ، وامرأة من بني أمية يُقال لها رقية . وكان هواه في رقية بنت عبد الواحد ؛ وكان عبد الواحد ، فيما أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير ، ينزل الرقة . وإياه عنى ابن قيس بقوله : [من الكامل]

ما خيرُ عيش بالجزيرة بعد ما عثر الزمان ومات عبد الواحد

وله في الرقيات عدة أشعار يُغنى فيها تذكّر بعقب هذا الخير . والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصنّف بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكان صاحب شُرطة مروان بن الحكم بالمدينة .

1 ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 450-452 وشرح شواهد المغني : 47

والموشح : 187 والخزانة : 7 : 281-289 وطبقات ابن سلام : 648-655 والسمط : 294 وحقق ديوانه

الدكتور محمد يوسف نجم (بيروت) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ل : قدامة .

3 عره بمكروه : أصابه به .

[مصعب بن عبد الرحمن على شرطة المدينة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال¹ : لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولّى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته ؛ فقال : إني لا أضبط المدينة بجرّس المدينة ، فأبغني رجالاً من غيرها ، فأعانه² بمائتي رجل من أهل أيلة³ ، فضبطها ضبطاً شديداً . فدخل المسور بن مخرمة على مروان فقال : أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب ! فقال :

ليس بهذا من سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب⁴
وقال غير مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرّميّ : إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛ فقال له عمرو : اهديم دور بني هاشم وآل الزبير ؛ فقال : لا أفعل ؛ فقال : انتفخ سحر⁵ك يا ابن أم حريث ! ألقي سيفنا ! فآلقاه ولحق بابن الزبير . وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كلّ مبلغ ، وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء ، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط ؛ ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه ؛ فقال له محمد : أتضرب عروة ؟ فقال : نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه ؛ فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه . وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه ؛ ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط⁶ ضرباً مبرحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذكر عنه ، إن عمراً مات مرتداً عن الإسلام .

[شاعر قريش]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزبير قال : سألت عمّي مصعباً ومحمد بن الضحّاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلّهم قالوا : ابن قيس الرقيات ؛ وحكي ذلك عن عدي وعن الضحّاك بن عثمان ؛ وحكاها محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . قال

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 79 .

2 ل : فدعا له .

3 أيلة : هي اليوم مدينة العقبة .

4 السياق : السوق . القطوف من الدواب : البطيء .

5 انتفخ سحره : تجاوز قدره . والسحر : الرئة .

6 ل : مائة سوط .

الزبير : وحَدَّثني بمثله غَمَامَةُ بن عمرو السَّهْمِيّ عن مِسْوَ بن عبد الملك اليربوعي .
[ثناء طلحة الزهري على شعره]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحريّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حَدَّثنا الزبير بن بكَّار قال حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عمِّه محمد بن عبد العزيز : أنَّ ابن قيس الرقيات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمي ، إني قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك ، فإن كان جيداً قلتُ ، وإن كان رديئاً كففتُ ؛ فقال له : أنشد ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنعَ اللهَ والهوى وسرى الليل مُصْعَبُ
وسياطٌ على أكَفٍ رجالٍ تَقْلُبُ

فقال : قل يا ابن أخي فإنك شاعر .

[خرج مع مصعب على عبد الملك ثم شفع له ابن جعفر]

وكان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيرياً الهوى ، وخرج مع مُصْعَب بن الزبير على عبد الملك ؛ فلما قُتِل مصعب وقُتِل عبدُ الله هَرَبَ فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل¹ عبدَ الملك في أمره فأمنه .

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحريّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حَدَّثنا الزبير بن عبيد الله بن عبد الله بن البصير البربري² مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال عبيدُ الله بن قيس الرقيات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن³ ، ورأى معالمَ الغدرِ من معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقٍ ، فملأَ المناطقَ من ذلك المالِ والبسني منها ، وقال لي : انطلق حيثُ شئتُ فإني مقتولٌ ؛ فقلتُ له : لا والله لا أرىمُ حتى أرى سبيلك ؛ فأقمتُ معه حتى قُتِل ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأولُ بيتٍ صيرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتانِ كأنهما ظيبتانِ ، فرقيتُ في درجةٍ لها إلى مشربةٍ فقعدتُ فيها ، فأمرتُ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعامِ والشرابِ والقرشِ والماءِ للوضوء ، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حول ، تقيم لي ما يُصلحني وتغدو عليّ في كلِّ صباحٍ فتسألني بالصباح والحاجة⁴ ، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي ، وأنا في

1 ل : فكلم .

2 ل : النضر اليزيدي .

3 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير .

4 أي كيف أصبحت وما حاجتك ؟

ذلك أسمع الصَّباحَ فيَّ والجُعَلَ ؛ فلما طال بي المقام وفقدتُ الصَّباحَ فيَّ وغَرَضْتُ¹ بمكاني غدتُ عليَّ تسألني بالصَّباحَ والحاجة ، فعرفتُها أَنِّي قد غَرَضْتُ وأحببتُ الشُّخوصَ إلى أهلي ؛ فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ؛ فلما أُمِيتُ وضربَ الليل بأرواقه رَقِيتُ إليَّ وقالت : إذا شئتُ ! فنزلتُ وقد أعدتُ راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطيتُ العبدَ نفقةً الطريق ، وقالت : العبدُ والراحتان لك ؛ فركبتُ وركبَ العبدُ معي حتى طَرَقَتْ أَهْلَ مَكَّةَ ، فذَقْتُ منزلي ؛ فقالوا لي : مَنْ هذا ؟ فقلت : عُبَيْدُ اللَّهِ بن قيس الرقيات ؛ فَوَلُّوْهُوا وَيَكُوْهُوا ، وقالوا : ما فارقنا طلبك إلَّا في هذا الوقت ؛ فأقمتُ عندهم حتَّى أُسْحَرْتُ ، ثم نهضتُ ومعِي العبدُ حتَّى قَدِمْتُ المدينةَ ، فجئتُ عبدَ اللَّهِ بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يُعَشِّي أصحابه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجمُ وأقول : يار² يار ابن طيَّار ؛ فلما خرج أصحابُهُ كَشَفْتُ له عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتُك عائداً بك ؛ قال : وَيَحْك ؛ ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظَّفَرِ بك ! ولكنني سأكتبُ إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجةُ الوليد بن عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُ شيءٍ عليها . فكتبُ إليها يسألُها أن تشفعَ له إلى عمِّها ، وكتبُ إلى أبيها يسأله أن يكتبَ إليها كتاباً يسألُها الشفاعةَ ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسأَلها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لي حاجة ؛ فقال : قد قضيتُ كلَّ حاجةٍ لك إلَّا ابنَ قيس الرقيات ؛ فقالت : لا تَسْتَشِرْ علي شيئاً ! فنَفَحَ بيده فأصابَ خَدَّها³ ، فوضعتُ يَدَها على خَدَّها ؛ فقال لها : يَابْنَتِي ارفعي يَدَكَ ، فقد قضيتُ كلَّ حاجةٍ لك وإن كانت ابنُ قيس الرقيات ؛ فقالت : إنَّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمِّنُه ، فقد كتبُ إليَّ أبي يسألُني أن أسألكَ ذلك ؛ قال : فهو آمِن ، فمُرِّيهِ يحضُرُ مجلسي العَشِيَّةَ ؛ فحضر ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخَّرَ الإِذْنَ ، ثم أذن للناس ، وأخَّرَ إِذْنَ ابن قيس الرقيات حتَّى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أَهْلَ الشَّامِ ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ قيس الرقيات الذي يقول⁴ :

كيف نومي على الفراش ولما تشمَلِ الشَّامَ غارةً شَعواءَ

1 غرض : ضجر .

2 يار : كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين .

3 ل : وجهها .

4 ديوان ابن قيس الرقيات : 95 - 96 .

تُذهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعِذْرَاءَ¹

[مدح عبد الملك فلم يرض مدحه]

فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْقِنَا دَمَ هَذَا الْمَنَاقِفِ ؛ قَالَ : الْآنَ وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَصَارَ فِي مَنْزِلِي وَعَلَى بَسَاطِي ! قَدْ أَخَّرْتُ الْإِذْنَ لَهُ لَتَقْتُلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا . فَاسْتَأْذَنَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ أَنْ يُنْشِدَهُ مَدِيحَهُ فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² :

[من المنسرح]

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبِ فَعَيْنُهُ بِالذَّمْعِ تَنْسَكِبُ
كُوفِيَّةً نَازِحَ مَحَلَّتِهَا لَا أُمَّمَ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَّتْ إِلَيَّ وَلَا إِنْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ³
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثْتُ كَثِيرَةً فِي الدِّ قَلْبَ وَلِلْحَبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

حَتَّى قَالَ فِيهَا :

إِنَّ الْأَغْرَّ الَّذِي أَبَوَهُ أَبُو الدِّ عَاصِيٌّ عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ⁴
يَعْتَدِلُ النَّجَاحَ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا ابْنَ قَيْسِ تَمْدَحُنِي بِالنَّجَاحِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ وَتَقُولُ فِي مُصْعَبَ :

[من الخفيف]

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مَلِكُهُ مَلِكٌ عِزَّةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ

أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءً أَبَدًا ! .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا نَفَعَنِي أَمَانِي ، تَرَكْتُ حَيًّا كَمِيتٍ لَا آخِذٌ مَعَ النَّاسِ عَطَاءً أَبَدًا ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمْ بَلَغْتَ مِنَ السِّنِّ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً ؛ قَالَ : فَعَمَّرَ نَفْسَكَ ؛ قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ ذِي قَبْلٍ⁵ ؛ فَذَلِكَ ثَمَانُونَ سَنَةً ؛ قَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : أَلْفَا دِرْهَمٍ ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَيَّ إِلَى أَنْ تَمُوتَ عَلَى تَعْمِيرِكَ نَفْسَكَ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ⁶ :

[من الطويل]

1 العذراء في ل : الحسنة ؛ الخدماء ؛ الخلدخال . وفي الديوان : براها وهي أيضاً الخلاخيل واحدها برة .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 1-6 .

3 الديوان : « يعلم بيني وبينها سبب » .

4 الديوان : « إن الفتيق الذي . . . » .

5 يقال أفعل ذلك من ذي قبل أي في المستقبل .

6 ديوان ابن قيس الرقيات : 82-83 مع بعض اختلاف في الترتيب .

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا
أَتَيْنَاكَ نُنْثِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا يُثْنِي عَلَى الرُّوضِ جَارُهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمِّمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ بِحَارُهَا
وَعِنْدِي مِمَّا حَوْلَ اللَّهِ هَجْمَةٌ عَطَاوُكَ مِنْهَا شَوْلُهَا وَعِشَارُهَا
مُبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارِكٍ تُمَانِيحُ كِبَرَاهَا وَتَمْنِي صِغَارُهَا

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ : وَيَحْكُ يَا ابْنَ قَيْسٍ : أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ حِينَ
تَقُولُ لِابْنِ جَعْفَرٍ :

تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا

أَلَا قُلْتَ : قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ وَلَمْ تَقُلْ : قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ ؛ فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ : قَدْ وَاللَّهِ عِلْمَهُ اللَّهُ
وَعِلْمَتُهُ أَنْتَ وَعِلْمَتُهُ أَنَا وَعِلْمُهُ النَّاسُ .

[رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له]

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي أَنَّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ
الرِّقَايَاتِ مَنَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَطَاءَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَاسْتَجَارَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَعْفَرٍ ، وَقَصَدَهُ فَأَلْفَاهُ نَائِمًا ، وَكَانَ صَدِيقًا لِسَائِبِ خَثَرٍ ، فَطَلَبَ الْإِذْنَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ
فَتَعَذَّرَ ، فَجَاءَ سَائِبُ خَثَرٍ لِيَسْتَأْذِنَ لَهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ سَائِبٌ : فَجِئْتُ مِنْ قَيْلِ رَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَعْفَرٍ فَتَبَحْتُ نُبَاحَ الْجُرُودِ الصَّغِيرِ ، فَاتَّبَعَهُ وَلَمْ يَفْتَحْ عَيْنَيْهِ ، وَرَكَعْتُ بِرِجْلِهِ ، فَدُرْتُ إِلَى عِنْدِ
رَأْسِهِ ، فَتَبَحْتُ نُبَاحَ الْكَلْبِ الْهَرِمِ ، فَاتَّبَعَهُ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَنِي ؛ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ وَيَحْكُ !
فَقُلْتُ : ابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ بِالْبَابِ ؛ قَالَ : آئِذْنُ لَهُ ، فَأَذْنْتُ لَهُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ فَحَرَّبَ ابْنُ
جَعْفَرٍ بِهِ وَقَرَّبَهُ ؛ فَعَرَفَهُ ابْنُ قَيْسٍ خَبْرَهُ ، فَدَعَا بِظُلَيْبَةَ¹ فِيهَا دَنَانِيرُ ، وَقَالَ : عُدُّ لَهُ مِنْهَا ؛
فَجَعَلْتُ أَعُدُّ وَأَتَرَنُ² وَأُحَسِّنُ صَوْتِي بِجُهْدِي حَتَّى عَدَدْتُ ثَلَاثَمِائَةَ دِينَارٍ ، فَسَكَتُ ؛ فَقَالَ لِي
عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَكَ وَيْلَكَ سَكَتَ ! مَا هَذَا وَقْتُ قَطْعِ الصَّوْتِ الْحَسَنِ ، فَجَعَلْتُ أَعُدُّ حَتَّى نَفَدَ مَا

1 ظبية : جراب .

2 ل : وأطرب .

كان في الظبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتهُ إليه ؛ فلما قبضها قال لابن جعفر : أسأل أمير المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام ، فكلْ أكلاً فاحشاً . فركب ابن جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلما قدّم الطعامُ جعل يُسيءُ الأكلَ ؛ فقال عبد الملك لابن جعفر : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استُبقِيَ ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنّه يقول : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المال ؛ قال : ولم وقد وهبته لي ؟ فأجِبْ أن تهَبَ لي عطاءه أيضاً كما وهبتَ لي دَمَه وعفوتَ لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتُعطيهِ ما فاتته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

[عطاء عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال : كان ابن قيس الرقيات منقطعاً إلى ابن جعفر ، وكان يَصِلُهُ وَيَقْضِي عنه دَيْنَه ، ثم استأمن له عبد الملك فأمنه ، وحرّمه عطاءه ؛ فأمره عبد الله أن يُقدّرَ لنفسه ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبد الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبد الله صِلَةٌ من عبد الملك وابن قيس غائبٌ ، فأمر عبد الله خازنه فخبأَ له صِلته ، فلما قدِمَ دفعها إليه ؛ وأعطاه جاريةً حسناء ؛ فقال ابن قيس ¹ :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فداؤه	رجعتُ بفضلٍ من نَدَاهُ ونائل
وإن غِبتُ عنه كان للودِّ حافظاً	ولم يَكُ عَنِّي في المَغِيبِ بغافل
تداركني عبدُ الإله وقد بَدَتْ	لذي الحِقْدِ والشَّنَانِ مِنِّي مَقَاتِلِي
فأنقذني من غَمرة الموت بعد ما	رأيتُ حياضَ الموت جَمَّ المَنَاهِلِ
حَبَانِي لَمَّا جِئْتُهُ بِعَطِيَّةٍ	وجاريةٍ حسناء ذاتِ خَلَاخِلِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها :

[من المنسرح]

صوت

عَادَ لَهُ من كَثِيرَةِ الطَّرْبُ فَعِينُهُ بِالْدَمَوِعِ تَنْسَكُبُ

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا لَا أُمَّمَ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَّتْ إِلَيَّ وَلَا يُعْرِفُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ¹
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي الدِّ قَلْبَ وَلِلْحَبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح ، غناه معبدٌ ثقيلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . قوله : « لا أُمَّمَ دَارُهَا » يعني أنها ليست بقرية . ويُقال : ما كَلَّفْتَنِي أُمَّمًا من الأمر فأفعله : أي قريباً من الإمكان ؛ ويُقال : إِنْ فَلَانًا لِأُمَّمٍ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر : [من المنسرح]

طَرَقَتْهُ أَسْمَاءُ أَمْ حَلَمَا بَلْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رِحَالِنَا أُمَّمًا

أي قرية . وقال الراجز :

كَلَّفَهَا عَمْرُو نِقَالَ الضَّبْعَانِ مَا كَلَّفْتُ مِنْ أُمَّمٍ وَلَا دَانَ²

وقال آخر :

إِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ شَيْئاً أُمَّمًا جَاءَ بِهِ الْكَرِيُّ أَوْ تَجَشَّمًا³

والصَقَبُ : الملاصقة . تقول : واللَّهِ مَا صَاقَبْتُ فَلَانًا وَلَا صَاقِبِنِي ، وَدَارُ فَلَانٍ مَصَاقِبَةٌ لِدَارِ فَلَانٍ ؛ وفي الحديث : « الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ » أي بما لاصقه ، أي إنه أَحَقُّ بِشَفْعَتِهِ . وَالسَّوْرَةُ : شِدَّةُ الْأَمْرِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ : سَاورَ فَلَانٌ فَلَانًا ، وَتَسَاوَرَ الرَّجُلَانِ إِذَا تَغَالَبَا وَتَشَادَا ؛ وَقِيلَ إِنَّ السَّوْرَةَ : الْبَقِيَّةُ أَيْضًا .

ومنها :

صوت

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَمَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

غَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حَبَابَةٌ ، وَهُمَا مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبُ

قال الأصمعي : كَثِيرَةُ هَذِهِ امْرَأَةٌ نَزَلَ بِهَا بِالْكُوفَةِ فَأَوْتَهُ . قال ابنُ قيس : فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا سَنَةً تَرَوْحُ وَتَغْدُو عَلَيَّ بِمَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ حَالِي وَلَا نَسْبِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا بَعْدَ سَنَةٍ مُشْرِفٌ مِنْ

1 مرّ هذا البيت برواية أخرى .

2 الضبعان : ذكر الضبع .

3 الكري : الذي يكري الدواب .

جَنَاحٌ¹ إِلَى الطَّرِيقِ ، إِذَا أَنَا بِمُنَادِي عَبْدِ الْمَلِكِ يُنَادِي بِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِمَّنْ أُصِيبَتْ عِنْدَهُ ؛ فَأَعْلَمْتُ الْمَرْأَةَ أَنِّي رَاحِلٌ ؛ فَقَالَتْ : لَا يَزُودُكَ مَا سَمِعْتَ ، فَإِنَّ هَذَا نِدَاءُ شَائِعٍ مِنْذُ نَزَلْتُ بِنَا ، فَإِنْ أُرِدْتَ الْمَقَامَ فَفِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَإِنْ أُرِدْتَ الْإِنْصِرَافَ أَعْلَمْتَنِي ؛ فَقُلْتُ لَهَا : لَا بَدَّ لِي مِنَ الْإِنْصِرَافِ ؛ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ، قَدَّمْتُ إِلَيَّ رَاحِلَةً عَلَيْهَا جَمِيعُ مَا أُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِي ؛ فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْتِ جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ لِأُكَافِفُكَ ؟ قَالَتْ : مَا فَعَلْتُ هَذَا لَتُكَافِفَنِي ؛ فَانصرفتُ وَلَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهَا إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تُدْعَى بِاسْمِهَا « كَثِيرَةٌ » ، فَذَكَرْتُهَا فِي شِعْرِي .

[فَكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَنِي أُمَيَّةَ]

وَذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ مُصْعَبٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ صَاحِبَ بَنِي أُمَيَّةَ بَنِي هَاشِمٍ أَتَى فُطْرُسَ ، إِنَّمَا بَعَثَهُ عَلَى قَتْلِهِمْ أَنَّهُ أَتَشَدُّهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ذَاتَ يَوْمٍ مَدِيحاً مَدَحَ بِهِ بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَقَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتُمْ تُمَدِّحُونَ بِهِ ؛ فَقَالَ : هِيَ هَاتِ أَنْ يُمَدِّحَ أَحَدٌ بِمِثْلِ قَوْلِ ابْنِ قَيْسٍ فِينَا :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

الْبَيْتَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ : أَلَا أَرَى الْمُطَمَّعَ فِي الْمُلْكِ فِي نَفْسِكَ بَعْدُ يَا مَاصٍ كَذَا مِنْ أُمِّهِ ! ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمْ .

[غَنَّتْ قَيْنَةُ الرَّشِيدِ بِشِعْرِهِ فَحَرَفَتْهُ]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ : اعْتَرَضَ هَارُونُ الرَّشِيدُ قَيْنَةَ فَغَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

فَلَمَّا ابْتَدَأَتْ بِهِ تَغْيِيرَ وَجْهِ الرَّشِيدِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ غَلِطَتْ وَأَنَّهَا إِنْ مَرَّتْ فِيهِ قُتِلَتْ ، فَغَنَّتْ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ النِّفَاقِ فَمَا تَفْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَسَمِعْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبْتَاعُ وَتُسَنِّي لَهَا الْجَائِزَةَ وَيُعَجِّلُ لَهَا الْإِذْنَ لِيَسْكُنَ قَلْبُهَا ؛ قَالَ : ذَلِكَ جَزَاؤُهَا ، قَوْمِي فَأَنْتِ مَنِي بِمِحْثِ تَحِيَّيْنِ .

قَالَ : فَأَغَمِّي عَلَى الْجَارِيَةِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

جُرِيَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْنِهَا مِنْ اللَّهِ جَنَاتٍ تَفُوزُ بِعَدْنِهَا

ومنها : [من الطويل]

صوت

تَقَدَّتْ بَيْ الشَّهْبَاءِ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ أَمْرَاءَ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ بَطِيءٌ غِرَارُهَا
وَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَاءُ مَعْبُودٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ . قوله : «تَقَدَّتْ» أَي سَارَتْ سِيرًا لَيْسَ
بِعَجَلٍ وَلَا مُبْطِئًا ، يُقَالُ : تَقَدَّى فُلَانٌ إِذَا سَارَ سِيرَ مَنْ لَا يَخَافُ فُوتَ مَقْصِدِهِ فَلَمْ يَعَجَلْ .
وقوله : «بَطِيءٌ غِرَارُهَا» يَعْنِي أَنَّ مَنَعَهَا الْمَعْرُوفَ بَطِيءٌ . وَأَصْلُ الْغِرَارِ : أَنْ تَمْنَعَ النَّاقَةُ دِرَّتَهَا ،
ثُمَّ يُسْتَعَارُ فِي كُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

إِنَّ لِكُلِّ نَهْلَاتٍ شِرَّةً ثُمَّ غِرَارًا كَغِرَارِ الدَّرَّةِ
وقال جَمِيلٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

لَا حَتَّ لَعَيْنِكَ مِنْ بُثِينَةِ نَارٍ فَدَمُوعُ عَيْنِكَ دِرَّةٌ وَغِرَارُ

[ما عيب عليه في شعره]

قال الزَّيْبِيُّ : وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا عَيْبَ عَلَى ابْنِ قَيْسٍ ، لِأَنَّهُ نَقَضَ صَدْرَهُ بِعَجْزِهِ ، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِ : إِنَّهُ
سَارَ سِيرًا بَغِيرَ عَجَلٍ ، ثُمَّ قَالَ :

سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
وهذا غَايَةُ الدُّأْبِ فِي السَّيْرِ ، فَنَاقَضَ مَعْنَاهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ .
وَمِمَّا عَيْبَ عَلَى ابْنِ قَيْسٍ الرِّقَايَاتُ قَوْلُهُ وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ غَنَاءٌ¹ :

[من المنسرح]

صوت

تُرْضِعُ شَيْلَيْنِ وَسَطَ غَيْلِهَا قَدْ نَاهَزَا لِلْفِطَامِ أَوْ فُطِيمَا²
مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَوْلُغَانِ دِمَا³
غَنَاءُ الْغَرِيضِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ
وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان ، وفيها يقول :

[من المنسرح]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 151-155 .

2 الديوان : «يقوت شبلين عند مطرقة . . .» .

3 الديوان : «لم يأت يوم . . .» .

أَعْنَى ابْنَ لَيْلَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بِنَا يَلُيُونَ تَعْدُو جِفَانَهُ رُدْمًا¹
 الْوَاهِبَ التُّجْبَ وَالْوَلَائِدَ كَالْ غَزْلَانِ وَالْخَيْلَ تَعْلُكَ اللَّجْمَا²
 وَكَانَ قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ : «أَوْ يَالْغَانِ دَمَا» بِالْأَلْفِ ، وَكَذَلِكَ رُوي عَنْهُ ، ثُمَّ غَيَّرَتْهُ
 الرُّوَاةُ .

[يونس يصفه بأنه غير فصيح ولا ثقة]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ
 الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : سَأَلَ يُونُسَ عَنْ قَوْلِ ابْنِ قَيْسِ الرِّقْيَاتِ : [من المنسرح]

مَا مَرَّ يَوْمَ إِلَّا وَعِنْدَهُمَا لَحْمَ رَجَالٍ أَوْ يُولُغَانِ دَمَا

فَقَالَ يُونُسُ : يَجُوزُ يُولُغَانِ وَلَا يَجُوزُ يَالْغَانِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : فَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقْيَاتِ
 وَهُوَ حِجَازِيٌّ فَصِيحٌ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ بِفَصِيحٍ وَلَا ثَقِيٍّ ، شَغَلَ نَفْسَهُ بِالشَّرْبِ بِتَكْرِيثٍ .
 [انتقد ابن أبي عتيق شعراً له]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادٌ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي : أَوْ بَلَعَكَ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ أَنْشَدَ
 قَوْلَ ابْنِ قَيْسٍ :

سِوَاءَ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فَقَالَ : كَانَتْ هَذِهِ يَا ابْنَ أُمٍّ فِيمَا أَرَى عَمِيَاءَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ
 جَدِّي عَنْ هِشَامِ بْنِ سَلِيمَانَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ : قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَقَدْ مَرَّ
 بِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا فَارِسَ الْعَمِيَاءِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْاسْمُ الْحَادِثُ يَا
 أَبَا مُحَمَّدٍ ! بَابِي أَنْتَ ! قَالَ : أَنْتَ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ تَقُولُ : [من الطويل]

سِوَاءَ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فَمَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ إِلَّا عَلَى عَمِيَاءَ ؛ قَالَ : إِنَّمَا عَنَيْتُ التَّعَبَ ، قَالَ : فَبَيْتُكَ هَذَا
 يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجُومَانَ يَتَرَجِّمُ عَنْهُ .
 وَمِنْهَا :

صوت

ذَكَرْتُكَ أَنَّ فَاضَ الْفَرَاتُ بَارِضُنَا وَفَاضَتْ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ بِحَارُهَا

1 رذم : ممتلئة .

2 الديوان : «مَنْ يَهَبُ الْبَحْتَ . . .» .

وَحَوْلِي مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عطاؤكَ منها شَوْلُها وَعِشارُها
فَجَنَّتْكَ نُشْيَ بِالذِّي أَنْتَ أَهْلُهُ عليك كما أَثْنَى على الروض جارُها
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمِّمْ طَرِيقٌ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُها

الشولُ : الثوب التي شالت بأذنانها وكرهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ، غناه حَكَم الوادي ثقيلاً أوَّل بالوسطى .

[حكم الوادي ودنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيَّ قال حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قال حَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قال قال لي أبي : قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أبا يحيى ، ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت ؟ قلت : ومن لي بها ؟ قال : تلقي لحنك في : [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا

على دنائير فيها هي ذه ، وهذا سلام واقف معك ومخرجها إليك ، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُذِّها فيه ، فإذا أحكمته فلك خمسمائة ؛ فقالت دنائير : يا سيدي ، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسيك عمري كله ! فقال لها : إن حِفْظِيهِ فلك ألف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيدي اشغلي نفسك بهذا ، فإنك أنت تهين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه وتفوزين بالألف الدينار ، وإلا بطل هذا ، فلم أزل معها أكُذِّها ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى ، فدعا بماء وطست ، ثم قال : يا أبا يحيى ، غن الصوت كما كنت تغنيه ، فقلت : هلك ؛ يسمعه مني ، وليس هو بمن يخفى عليه ، ثم يسمعه منها فلا يرضاه ، فلم أجِدْ بُدْأً من الغناء ؛ ثم قال : غنيه أنت الآن ؛ فغنت ؛ فقال : والله ما أرى إلا خيراً ؛ فقلت : جعلت فداك ؛ أنا أمضغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز ، وهذه أخذته الساعة وهو يذل لها بعدي وتجترى عليه ويزداد حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقت ، هات يا سلام خمسمائة دينار ولها ألف دينار ، ففعل ؛ فقالت له : وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف الدينار ؛ قال : ذلك إليك ، ففعلت ؛ فانصرفت وقد أخذت بهذا الصوت ألف دينار .

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات

[شعر ابن قيس الرقيات في كثرة]

قال الزبير بن بكار حَدَّثَنِي عبد الله بن النضر عن أبيه : أن ابن قيس الرقيات قال في

الكوفيّة التي نزل عليها¹ :

[من مجزوء الكامل]

بانت لِتَحْزُنَنَا كَثِيرَةٌ ولقد تكون لنا أُمِيرَةٌ
حَلَّتْ فَلَالِيَجَ السَّوَا د وحلّ أهلي بالجزيرة²

قال : ولقد رحل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً ، وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكيّ :

[من المتقارب]

صوت³

لَجِجْتَ بِحُبِّكَ أَهْلَ الْعِرَاق ولولا كَثِيرَةٌ لم تَلَجَجْ
فليت كَثِيرَةٌ لم تَلْقَنِي كثيرةٌ أخت بني الخَرْج

[سعيد بن المسيّب وابن قيس الرقيّات]

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطَانِيّ قال حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَزْمَلَةَ قال : كنتُ عند سعيد بن المسيّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيّات ، فهشّ وقال : مَرْحَباً يَظْفَرُ مِنْ أَظْفَارِ الْعَشِيرَةِ ، ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أُمَيَّاتاً وَأَسْتَفْتِيكَ فِي بَيْتٍ مِنْهَا فَاسْمَعُهَا ؛ قال : هات ؛ فأنشده⁴ :

[من الكامل]

هل للديار بأهلها عِلْمٌ أم هل تُبَيِّنُ فَيَنْطِقَ الرَّسْمُ
قالت رُقِيَّةٌ فِيمَ تَصْرِمُنَا أَرْقِيّ لَيْسَ لَوْجِهْكَ الصَّرْمُ⁵
تَخْطُو بِخَلْخَالَيْنِ حَشْوُهُمَا ساقانِ مار عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أَبْكَاكُ مَوْقِفُنَا أم هل علينا في البُكَاءِ إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أَبْكَاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيّات :

[من الكامل]

بل ما بكائك منزلاً خَلَقاً قَفْراً يُلُوحُ كَأَنَّهُ الْوَشْمُ

[من الطويل]

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد⁶ :

1 ديوان ابن قيس الرقيّات : 43-44 .

2 فلاليج السواد : قرى سواد العراق .

3 ديوانه : 61 .

4 ديوانه : 55 .

5 الديوان «قالت سكيّنة . . . أسكين . . .» .

6 ديوان ابن قيس الرقيّات : 69 .

أَتَلَبْتُ فِي تَكْرِيْتٍ لَا فِي عَشِيرَةٍ شُهُودٍ وَلَا السُّلْطَانُ مِنْكَ قَرِيبُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ لِلْحَزْمِ عِنْدَكَ مَنْزِلٌ وَلِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مِنْكَ نَصِيبُ
فَقَالَ سَعِيدٌ : لَا مُقَامَ عَلَى ذَلِكَ ، فَاخْرُجْ مِنْهَا ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ قَالَ قَدْ أَصَبْتَ أَصَابَ
اللَّهُ بِكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

قَامَتْ بِخَلْخَالَيْنِ حَشَوُهُمَا - سَاقَانِ مَارَ عَلَيْهِمَا اللَّحْمُ
يَا صَاحِبَ هَلْ أَبْكَاكُ مَوْقِفُنَا أَمْ هَلْ عَلَيْنَا فِي الْبَكَاءِ إِثْمُ
غَنَى فِيهِمَا ابْنُ سُرَيْجٍ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ .

[ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ
وَهَارُونُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ سَعِيدِ الْمُسَاحِقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ وَهَبٍ
مَوْلَى بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ¹ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ وَإِنَّهُ
لَمُعْتَمِدٌ عَلَى يَدَيَّ إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي مَجْلِسِهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ سَلَامَنَا ؛ ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ :
يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ أَشْعَرُ ، أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي : عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ أَوْ عَمْرُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ ؛ فَقَالَ نَوْفَلٌ : حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا ؟ فَقَالَ : حِينَ يَقُولُ صَاحِبُنَا : [من الطويل]

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطِيِّ كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ
وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَاهْنَ وَاتَّحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولٌ مُقْلَصُ
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُنَا مِمَّا تُكَلِّفُ شَخْصُ
يَزِدْنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ وَالْبَعْدُ يَنْقُصُ

وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتَ ؛ قَالَ : فَقَالَ لَهُ نَوْفَلٌ : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي الْغَزْلِ أَمْ تَعَالَى اللَّهُ
بِكَ ، وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَانِينَ شَعْرٍ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَعَلَ
سَعِيدٌ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَعْقِدُ بِيَدِهِ وَيَعُدُّهُ بِالْخَمْسِ كُلِّهَا حَتَّى وَفَى مِائَةً .

قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ : فَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ وَهَبٍ : فَلَمَّا فَارَقْنَاهُ قُلْتُ لِنَوْفَلٍ :
أَتَرَاهُ آسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ إِنْشَادِهِ الشَّعْرَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : كَلَّا ؛ هُوَ كَثِيرُ الْإِنْشَادِ

والاستنشاد للشعر ، ولكنني أحسبهُ للفخر بصاحبه .

[وفوده على حمزة بن الزبير]

أخبرني الحرثمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال : استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير ؛ فقالت له الجارية : ليس عليه إذن الآن ؛ فقال : أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني ! قال : فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته ، فقال : ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات ، إئذني له ، فأذنت له ؛ فقال : مرحباً بك يا ابن قيس ، هل من حاجة نزعك بك ؟ قال : نعم ، زوجتُ بنين لي ثلاثة بنات أخ لي ثلاث ، وزوجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي ؛ قال : فلبنك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار ، ولبنني أخيك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار ، ولبناتك الثلاث ثلثمائة دينار ثلثمائة دينار ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمائة دينار ثلثمائة دينار ، هل بقيت لك من حاجة يا ابن قيس ؟ قال : لا والله إلا مؤونة السفر ؛ فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رفاع أخفاف الإبل .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغني فيه

صوت

[من الكامل]

أَمَسَتْ رُقِيَّةٌ دُونَهَا الْبِشْرُ فَالرَّقَّةُ السُّودَاءُ فَالْغَمْرُ¹
غَنَاهُ يُونُسٌ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ لَعَزَّةُ الْمَيْلَاءِ ثَانِي ثَقِيلٌ .

[من الوافر]

ومنها :

صوت²

رُقَيْيَ بَعِيشَكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْبِنَا الْمُنَى ثُمَّ امْطَلِينَا
عَدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا
أَغْرَكُ أَنْسِي لَا صَبْرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتَ تَصْبِرِينَا
وَيَوْمَ تَبْعُكُمْ وَتَرَكْتُ أَهْلِي حَيْنَ الْعَوْدِ يَتَّبِعُ الْقَرِينَا³

1 السُّوداء في ل : البيضاء . والبشر : جبل . الرقة السوداء : قرية ذات بساتين كثيرة ، والرقة البيضاء : مدينة على الفرات . الغمر : علم على مواضع متعدّدة والبيت في ديوان ابن قيس الرقيات : 182 .

2 ديوانه : 137 .

3 العود : الجمل المسن .

عروضه من الوافر . غناه ابنُ مُحَرَّرٍ ثاني ثَقِيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . ومنها¹ :

صوت

[من مجزوء الوافر]

رُقِيَّةٌ تَيَمَّتْ قَلْبِي فَوَاكِدِي مِنَ الْحَبِّ

نَهَانِي إِخْوَتِي عَنْهَا وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ عَتَبِ²

غناه مالكٌ ثاني ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَصْرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ . وقد ذَكَرْتُ بِذَلِكَ أَنَّ فِيهِ لِابْنِ الْمَكِّي لَحْنًا .

[فَضَّلَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ شَعْرَهُ عَلَى شَعْرِ كَثِيرٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَنَشَدَ كَثِيرُ بْنُ أَبِي عَتِيقٍ كَلِمَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بَنَائِلٍ قَلِيلٍ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلٍ

فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَلَامٌ مَكَافٍ لَيْسَ بِعَاشِقٍ ، الْقُرْشِيَانِ أَقْنَعُ وَأَصْدَقُ مِنْكَ : ابْنُ أَبِي رِبْعَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا

وَقَوْلُهُ أَيْضًا³ :

فَعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي إِنَّهُ يُقْنِعُ الْمَحَبَّ الرَّجَاءُ

وَابْنُ قَيْسِ الرِّقَايَاتِ حَيْثُ يَقُولُ :

رُقِيَّةٌ بَعِيشُكُمْ لَا تَهْجُرُنَا وَمَتِينَا الْمُنَى ثُمَّ امْطَلِينَا

عِدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا

فَأَمَّا تُنْجِزِي عِدَّتِي وَأَمَّا نَعِيشُ بِمَا نُوْثَلُ مِنْكَ حِينَا

قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ وَمَعَهُ ابْنُ الْمُوَلَّى ، فَقَالَ : صَدَقَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَفَقَّهُ اللَّهُ ، أَلَا قَالَ الْمَدْيُونُ كَثِيرٌ كَمَا قَالَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ :

[من الطويل]

1 ديوانه : 169 .

2 الديوان : «وما للقلب من ذنب» .

3 ديوان عمر : 15 .

وأبكي فلا ليلي بَكَتْ من صبايَ ليالكِ ولا ليلي لذي الودِّ تَبَذَّلُ
وأخضعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنِباً وإنْ أذْنِبْتُ كنتُ الذي اتَّصَلُ

[يشب بركة بنت عبد الواحد في الطواف]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عبدة بن أشعب بن جبّير قال حدّثني أبي قال حدّثني فنّد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال : حجّت رُقِيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة ، فكنّت آتيها وأحدّثها فتستظرف حديثي وتضحك مني ؛ فطافت ليلةً بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود وقبلته ، وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات ، فصادف فراغاً فراغها ولم أشعر بها ، فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود ويُقبله ، فصادفها قد سبقت إليه ، فنفتح برؤنّها فارتدّع¹ ؛ وقال لي : من هذه ؟ فقلت : أو لا تعرفها ! هذه رُقِيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال² :

مَنْ عَذِيرِي مَمَّنْ يَصْنُ بِمَبْذُو لِي لَغِيرِي عَلَيَّ عِنْدَ الطَّوْافِ
يريد أنها تُقبل الحجر الأسود وتضنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك³ :

حدّثوني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبْلَةِ حَرَجُ
وفيه غناء يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولما نفّحته برؤنّها فاحت منه رائحة المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنّما فُتحت بين أهل المسجد لطيمة عطار ، فسبح مَنْ حول البيت . قال : وقال فنّد : فقلت بعد انصرافها لابن قيس : هل وجدت رائحة رُؤنّها لشيء طيباً ؟ فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها⁴ :

صوت

سائلاً فنّداً خليلي كيف أردانُ رُقِيّة⁵
إنّني علّقت خوداً ذات دَلْ بخريّة⁶

غناه فنّد ، ولحنه ثقل أول بالبنصر عن حبّش .

1 نفّحته : أصابته . وارتدّع : أصبح به أثر الطيب .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 36 .

3 ديوانه : 163 .

4 ديوانه : 170 .

5 أردان في الديوان : أرواح .

6 علّقت في الديوان : بُدلت . بخريّة : متبخرة في مشيها .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدم وخبره
وهو أيضاً مما قاله ابن قيس في رقية

صوت

[من المديد]

حَبُّ ذَاكَ الدَّلُّ والغَنجُ والتي في عينها دَعَجُ
والتي إن حَدَّثْتُ كَنْبْتُ والتي في وعدّها حَلَجُ¹
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مثْلَمَا فِي الْبَيْعَةِ السُّرُجُ²
خَبِرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عاشقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رقية بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
مطلقٌ في مجرى البصر . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ آخر لابن مُحَرِّزٍ من رواية عمرو بن بانه ، وقيل : بل
هو هذا .

[ابن أبي عتيق يفضل على كثير مرة أخرى]

أَخْبِرْنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ
ابْنُ عِيَّاشٍ السَّعْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي سَائِبٌ رَاوِيَةٌ كَثِيرٌ قَالَ : كَانَ كَثِيرٌ مَدْيُونًا ، فَقَالَ لِي يَوْمًا
وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ : أَذْهَبُ بِنَا إِلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ نَتَحَدَّثُ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ مَعَهُ ؛
فَاسْتَنْشَدَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

[من الطويل]

أَبَائَتُهُ سَعْدَى نَعَمْ سَتَيْنُ

[من الطويل]

حتى بلغ إلى قوله :

وَأَخْلَفَنَ مِيعَادِي وَخُنُّ أَمَانَتِي وليس لِمَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ دِينَ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أَعْلَى الْأَمَانَةِ تَبِعَتَهَا ! فَانْكَفَ وَاسْتَغْضَبَ نَفْسَهُ وَصَاحَ
وَقَالَ :

[من الطويل]

كَذِبَنَ صَفَاءَ الْوَدِّ يَوْمَ مَجَلِّهِ وَأُنْكَلَنْتَنِي مِنْ وَعْدِهِنَّ دِيُونُ³
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : وَيْلَكَ ! هَذَا أَمْلَحُ لَهْنٍ وَأَدْعَى لِلْقُلُوبِ إِلَيْهِنَّ ، سَيِّدُكَ ابْنُ قَيْسٍ
الرَّقِيَّاتِ كَانَ أَعْلَمَ مِنْكَ وَأَوْضَعَ لِلصَّوَابِ مَوْضِعَهُ فِيهِنَّ ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ :

[من المديد]

1 وعدّها في الديوان : وصلها . والخلف : عدم الثبات .

2 صورتها في الديوان : سنتها .

3 وأنكلنتني في ل : وأدركني .

حَبَّ ذَاكَ الدُّلَّ وَالْغُنْجُ والتي في عينها دَعَجُ
والتي إِنْ حَدَّثْتُ كَذِبْتُ والتي في وعدّها خَلَجُ
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مثلما فِي الْبَيْعَةِ السُّرْجُ
خَيْرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عاشقِي فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كثير واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهبَ به .

[ثناء أبي السائب على شعره]

أخبرنا الجرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الرحمن بن غرير الزهري قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومي قولَ ابن قيس الرقيات¹ :

صوت

قَدْ أَتَانَا مِنْ آلِ سَعْدَى رَسُولُ حَبَّذَا مَا يَقُولُ لِي وَأَقُولُ
مِنْ فِتَاةٍ كَأَنَّهَا قَرْنُ شَمْسٍ ضَاقَ عَنْهَا دَمَالَجٌ وَحُجُولُ
حَبَّذَا لَيْتَنِي بِمِرَّةٍ كَلْبٍ غَالَ عَنِّي بِهَا الْكَوَانِينُ غُولُ²

فقال لي : يا ابن الأمير ما تراه كان يقول وتقول ؟ فقلت :

حديثاً كما يسري الندى لو سمعته شفاك مِنْ ادواءٍ كثيرٍ وأسقما
فطرب وقال : بأبي أنت وأمي ! ما زلتُ أُحِبُّكَ ، ولقد أضعف حبي إياك حين تفهم عني هذا الفهم .

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلاً أولً بالوسطى . ولما لك فيها ثاني ثقيل ، كلاهما عن الهشامي .

[علم أشعب بالشعر]

أخبرني محمد بن جعفر الصيّدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال : أنشد أشعب بن جبيرة أبي أبيات عبيد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها :

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 144 .

2 المزة : في غوطة دمشق .

قد أتانا من آل سُعدى رسولٌ حَبَّذا ما يقول لي وأقولُ
 فقال أبى : وَيَحْك يا أشعب ؛ ما تراه قال وقالت له ؟ فقال : [من الطويل]
 حديثاً لو أنَّ اللحمَ يَصْلَى بجره غَرِيضاً أتى أصحابه وهو مُنْضَجُ
 ذكر شوقاً ووصف توقاً ، ووعد ووفى ، والتقىا بمِزَّة كَلْب فشفى واشتفى ، فذلك
 قوله : [من الخفيف]

حَبَّذا ليلتي بِمِزَّة كلبٍ غال عني بها الكَوَينَ غُولُ
 فقال له : إِنَّكَ لَعَلَّامَةٌ بهذه الأحوال ؛ قال أَجَلُ ؛ بآبي أَنْت ! فاسأل عالِماً عن علمه .
 ومَّا في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات¹

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]
 يا قلبُ وَيَحْك لا تذهبْ بك الحُرْقُ إِنَّ الألى كنتَ تهواهم قد انطلقوا
 وذكر أنه لَوْضَّاح ، وقد أُخرج في موضع آخر .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 187 وديوان وضاح اليمن (صادر) : 65 .

[66] - ذكر مالك بن أبي السَّمَح

وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن أبي السَّمَح . واسم أبي السَّمَح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن ذرماء . ويكنى أبا الوليد . وأمه قرشية من بني مخزوم ، وقيل : بل أم أبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السَّمَح بن سليمان بن أوس بن سيماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن ذرماء أحد بني ثعل . وأم أبيه بنت مُذْرِك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ویتيماً في حجره أوصى به أبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفله ويؤمونه ، وأدخله وسائر إخوته في دعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحول طويلاً أحنى . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه :

أبيض كالبدر أو كما يلمع الـ سبارق في حالك من الظلم
فقال له الوليد : بل أنت . [من المنسرح]

أحول كالقرد أو كما يرقب الـ سارق في حالك من الظلم

[أسأذته في الغناء]

وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد وعمر حتى أدرك الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

[كان أبوه منقطعاً إلى ابن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد : قرأت على أبي : أن السبب في انقطاع أبي السَّمَح إلى ابن جعفر أن السنة أقحمت طيماً ، فكان ثعلبة جد مالك أحدهم ، فولد أبو السَّمَح بالمدينة ؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمي ، وكان سبب ذلك مودة كانت بينه وبين آل شعيب السهميين ؛ فلما تزوج حسين عابدة بنت شعيب السهمية خاصمهم بسببها ؛ وكان جد مالك معه وعوناً له مع من عاونوه ، فنشيت بذلك حال بينه وبين بني هاشم ، حتى ولد مالك في دورهم ، فصارت دعوته فيهم .

[أدرك الدولة العبّاسية]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : وعُمَرُ مالك حتى أدرك دولة بني العبّاس ، وقَدِمَ على سليمان بن عليّ بالبصرة ، فَمَتَّ إليه بخُوُلته في قريش ، ودِعُوته لبني هاشم ، وانقطاعه إلى ابن جعفر ، فعجّل له سليمان صلته وكساه وكتب له بأوساقٍ من تمر .

[لازم باب حمزة بن الزبير وأخذ الغناء عن معبد]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الزُّرداني قال : كان مالك بن أبي السَّمْح المغني من طييء ، فأصابتهُم حَطْمَةٌ¹ في بلادهم بالجبيلين ، فَقَدِمَتْ به أمّه وبإخوة له وأخوات أيتامٍ لا شيء لهم ؛ فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، وكان معبّد منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كلّ يوم يغنيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريّم موضعه ، فينصرف إلى أمّه ولم يكتب شيئاً ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بالحنّان معبد ويؤدّيها دَوْرًا دَوْرًا في مواضع صيحاته وإسجاحاته ونبراته نَغْمًا بغير لفظ ولا رواية² شيء من الشعر ؛ وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازمًا لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخل هذا الغلام الأعرابي إليّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا غلام من طييء أصابتنا حَطْمَةٌ بالجبيلين فحطّتنا إليكم ومعّي أمّ لي وإخوة ، وإنّي لزمْتُ بآبِك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني ، فلزمتُ بآبِك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنه كلّهُ ولا أعرف الشعر ؛ فقال : إن كنت صادقاً إنك لفهم . ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتاً فغناه ، ثم قال للمالك . هل تستطيع أن تقول ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغناه فأدّى نَغْمَهُ بغير شعر ، يؤدّي مدّاته وليّاته وعطّافاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفاً ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرّجه ، فليكوننّ له شأن ؛ قال معبد : ولم أفعل ذلك ؟ قال : لتكون محاسنه منسوبة إليك ، وإلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتني به . ثم قال حمزة للمالك : كيف وجدت ملازمتك لبابنا ؟ قال : رأيت لو قلتُ فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرك أن تُحمد بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شيعتُ على بابك شُبْعَةً قط ، ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير ؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل ، وأجرى لهم رزقاً وكسوة ، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبدٍ يسقيهم الماء ، وأجلس مالكا معه في مجالسه ، وأمر معبداً أن يطارحه ، فلم

1 الخطمة : السنة المجلبة .

2 ل : ولا روى شيئاً .

يَنْشَبُ أَنْ مَهْرٌ وَحَذَقٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِعَقَبِ مُقْتَلِ هُذْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ ؛ فَخَرَجَ مَالِكٌ يَوْمًا فَسَمِعَ
امْرَأَةً تَنُوحُ عَلَى زِيَادَةِ الَّذِي قَتَلَهُ هُذْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ بِشَعْرِ أَخِي زِيَادَةَ :
[من الطويل]

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٍ كَوَيْكِبٍ رَهِينَةً رَمَسَ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ¹
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مَوْتَلِي
فَلَا يَذْغُنِي قَوْمِي لَزِيدَ بْنِ مَالِكٍ لَكِنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ
وَالْأَنْلُ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمْنًا فَالْدَهْرُ ذُو مُتَطَوَّلٍ
أَنْخَتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَالِ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَالٍ

فَغَنَى فِي هَذَا الشَّعْرِ لَحْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا نَحَا فِيهِ نَحْوُ الْمَرْأَةِ فِي نَوْحِهَا وَرَقَّةَ وَأَصْلَحَهُ وَزَادَ
فِيهِ ، وَالْآخَرُ نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبَدٍ فِي غَنَائِهِ ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَمْزَةٍ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي قَدْ
صَنَعْتُ غَنَاءً فِي شَعْرِ سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُنْشِدُهُ وَقَدْ أَعْجَبَنِي ، فَإِنْ أَذِنَ الْأَمِيرُ غَنَيْتُهُ
فِيهِ ؛ قَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَاهُ اللَّحْنَ الَّذِي نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبَدٍ ؛ فَطَرِبَ حَمْزَةُ وَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا
غَلَامَ ، هَذَا الْغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبَدٍ وَطَرِيقَتُهُ ؛ فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا لَيْسَ
مِنْ غَنَاءِ مَعْبَدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ ؛ قَالَ : هَاتِ ، فَغَنَاهُ اللَّحْنَ الَّذِي تَشَبَّهَ فِيهِ بَنُوحُ الْمَرْأَةِ ، فَطَرِبَ
حَمْزَةُ حَتَّى أَلْقَى عَلَيْهِ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ قِيمَتُهَا مِائَتًا دِينَارًا ؛ وَدَخَلَ مَعْبَدٌ فَرَأَى حُلَّةَ حَمْزَةَ
عَلَيْهِ فَأَنْكَرَهَا ؛ وَعَلِمَ حَمْزَةُ بِذَلِكَ فَأَخْبَرَ مَعْبَدًا بِالسَّبَبِ ، وَأَمَرَ مَالِكًا فَغَنَاهُ الصَّوْتَيْنِ ؛
فَغَضِبَ مَعْبَدٌ لَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ الْأَوَّلَ وَقَالَ : قَدْ كَرِهْتُ أَنْ آخِذَ هَذَا الْغَلَامَ فَيَتَعَلَّمَ غَنَائِي
فَيَذْغِيهِ لِنَفْسِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ : لَا تَعْجَلْ وَاسْمَعْ غَنَاءَ صَنَعَهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ ،
وَأَمْرُهُ أَنْ يَغْنِيَ الصَّوْتَ الْآخَرَ فَغَنَاهُ ؛ فَاطْرَقَ مَعْبَدٌ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ : وَاللَّهِ لَوْ انْفَرَدَ بِهَذَا
لَضَاهَاكَ ثُمَّ يَتَزَايِدُ عَلَى الْأَيَّامِ ، وَكَلَّمَا كَبِرَ وَزَادَ شَيْخَتْ أَنْتَ وَنَقَصَتْ ، فَلَأَنْ يَكُونَ
مَنْسُوبًا إِلَيْكَ أَجْمَلُ ؛ فَقَالَ لَهُ مَعْبَدٌ وَهُوَ مِنْكَسِرٌ : صَدَقَ الْأَمِيرُ . فَأَمَرَ حَمْزَةُ لِمَعْبَدٍ بِخِلْعَةٍ
مِنْ ثِيَابِهِ وَجَائِزَةٍ حَتَّى سَكَنَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ ؛ فَقَامَ مَالِكٌ عَلَى رِجْلِهِ فَقَبَّلَ رَأْسَ مَعْبَدٍ ، وَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا عَبَّادٍ أَسَاءَكَ مَا سَمِعْتَ مِنِّي ؟ وَاللَّهِ لَا أَغْنِي لِنَفْسِي شَيْئًا أَبَدًا مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَإِنْ
غَلِبَتْنِي نَفْسِي فَغَنَيْتُ فِي شَعْرِ اسْتَحْسَنْتُهُ لَا نَسْبَتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَطَبَّ نَفْسًا وَارْضَ عَنِّي ؛
فَقَالَ لَهُ مَعْبَدٌ : أَوْ تَفْعَلْ هَذَا وَتَفِي بِهِ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ وَأَزِيدُ ؛ فَكَانَ مَالِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا
غَنَى صَوْتًا وَسُئِلَ عَنْهُ قَالَ : هَذَا لِمَعْبَدٍ ، مَا غَنَيْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا قَطُّ ، وَإِنَّمَا آخَذْتُ غَنَاءَ مَعْبَدٍ
فَأَنْقَلَعْتُ إِلَى الْأَشْعَارِ وَأَحْسَنْتُهُ وَأَزِيدُ فِيهِ وَأَنْقُصُ مِنْهُ .

1 النعف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل .

[كان يغني ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُثْبَةَ اللَّهْبِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَحَمَلْتُ مَعِيَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عَشِيَّةُ الْخَمِيسِ قَالَ لَنَا : يَا مَعْشَرَ الرُّفُقَةِ إِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَسْأَلُونِي الْغَنَاءَ ، وَعَلَيَّ وَعَلَيَّ إِنْ غَنَيْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ شَيْئًا فَالْسَّاعَةَ اقْتَرَحُوا مَا أَحْبَبْتُمْ ؛ فَسَأَلَهُ فَيَغْنِيْنَا ، حَتَّى إِذَا كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ¹ طَرِبَ ثُمَّ صَاحَ : الْحَرِيقُ فِي دَارِ سَلَمْعَانَ ، ثُمَّ يَمُرُّ فِي الْغَنَاءِ فَمَا يَكُونُ فِي لَيْلَةٍ أَكْثَرَ غَنَاءٍ مِنْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ .

[مالك بن أبي السَّمْح وسليمان بن علي]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ يَسْمَعُ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ بِالسَّرَّاءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ الشَّامَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، عَدَلَ إِلَيْهِمْ فِي بَدْأَتِهِ وَعَوْدَتِهِ لِانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِمْ ، فَيَبْرُونَهُ وَيَصِلُونَهُ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى إِلَيْهِمُ الْأَمْرُ رَأَى سُلَيْمَانُ مَالِكًا عَلَى بَابِ ابْنِهِ جَعْفَرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِيَّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ بِبَابِكَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِمَالِكٍ ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : وَمَنْ مَالِكٌ ؟ ، يُوْهِمُهُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ ، فَتَغَافَلَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ لَثَلًا يَنْبَغِيهِ عَلَيْهِ فَيَطْلُبُهُ ، وَتَوَهَّمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ وَلَا سَمِعَ غَنَاءَهُ .

قَالَ حَمَادُ : وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى مَالِكًا بِالْبَصْرَةِ عَلَى بَابِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، أَوْ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَرَفَهُ وَقَدْ كَانَ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : فَمَالِي حَسْرَةٌ مِثْلَ حَسْرَتِي بَأَنِّي مَا سَمِعْتُ غَنَاءَهُ .

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ يَتِيمًا فِي حِجْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو السَّمْحِ صَارَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا احْتَضَرَ أَوْصَى بِمَالِكٍ إِلَيْهِ ، فَكَفَلَهُ وَعَالَهُ وَرَبَّاهُ ، وَأَدْخَلَهُ فِي دَعْوَةِ بَنِي هَاشِمٍ ، فَهُوَ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ . ثُمَّ خَطَبَ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْعَابِدَةَ بِنْتَ شُعَيْبِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَمَنَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهَا مِنْهَا وَخَطَبَهَا لِنَفْسِهِ ، فَعَاوَنَ مَالِكُ حُسَيْنًا ، وَكَانَتْ الْعَابِدَةُ تَسْتَنْصِحُهُ ، وَكَانَتْ يَبْنِي أَبُوهَا شُعَيْبٌ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ، فَأَجَابَتْ حُسَيْنًا وَتَزَوَّجَتْهُ ، فَاِنْقَطَعَ مَالِكُ إِلَى حُسَيْنٍ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ قَدِمَ الْبَصْرَةَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ مَتَّ بِصَحْبَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَدَعَاوَتِهِ فِي بَنِي هَاشِمٍ

وانقطاعه إلى حسين ؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلِّ ما قلته يا مالك ، ولكنك كما تعلم ، وأخاف أن تُفسد عليَّ أولادي ، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلٌ لك شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيّاً في كلِّ عام ، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك ؛ قال : أفعَلُ جعلني الله فداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسوة وحمله وزوّده إلى المدينة .

[مالك بن أبي السّمح في كبره]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفيّ عمّن أخبره قال : دخلتُ المدينة حاجّاً فدخلت الحمام ، فبينما أنا فيه إذ دخل صاحبُ الحمام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخٌ أعمى له هيئةٌ ، موترٌ بمنديلٍ أبيض ؛ فلما جلس خرجتُ إلى صاحب الحمام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هذا مالك بن أبي السّمح المغنّي ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عمّاه ، مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : يا ابن أخي ، «على الخبير سَقَطَتْ»¹ ، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنهم صوتاً .

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العباديّ عن إسحاق قال : كان فتيةً من قریش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السّمح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألنا مالكا فغنّانا صوتاً ! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدّل إليهم ؛ فسألوه أن يغنيهم ؛ فقال : نعم والله بالحُبِّ والكرامة ، ثم اندفع يغني ، وأوقع بالمقرعة على قُرْبوس سرّجه ، فرفع صوته فلم يقدر ، ثم خفّضه فلم يقدر ، فجعل ييكّي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنّه كان في هؤلاء الفتيّة الذين كانوا سألوه الغناء ؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

[مالك بن أبي السّمح وعجاجة المخنث]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصمقر قال : قديم مالك بن أبي السّمح المغنّي البصرة ، فلقيه عَجَاجَةُ المَخْنَثُ ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المَخْنَثين ، وقال له : فدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنّي كنتُ أحبُّ أن ألقاك وأن أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذته عن بعض المَخْنَثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المَخْنَثُ جَرْدَ² قطيفةٍ كانت عنده فجلس ، ثم أخذ عَجَاجَةُ الدفَّ فغنّى :

[من الخفيف]

1 مجمع الأمثال للميداني 2 : 24 وجمهرة العسكري 2 : 32 والمستقصى للزمخشري 2 : 164 .

2 الجرد : الخلق .

حَبَّ إِنَّ الْخَمَارَ كَانَ عَلَيْهَا شَاهِدًا يَوْمَ زَارَتِ الْجَوْشَنِيَّةُ¹
 قَدْ سَبَّهَ بِذَلِكَهَا حِينَ جَاءَتْ تَهَادَى فِي مِشْيَةِ بَخْتَرِيَّةِ

فجعل مالك يقول له : وَيْلَكَ ! مَنْ قَالَ هَذَا ؟ لعنه الله ؛ وَيْحَكَ مَنْ غَنَى هَذَا ؟ قَبَّحَهُ اللهُ ، وَيْحَكَ مَنْ رَوَى عَنِّي هَذَا ؟ أَخْزَاهُ اللهُ ، ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجَاجَةِ .
 [مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال أخبرني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جَنَاح قال حَدَّثَنِي مصعب بن عثمان قال حَدَّثَنِي عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر قال حَدَّثَنِي مالك بن أبي السَّمْح قال : قَدِمْنَا عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوَّلَ قُدُومِنَا عَلَيْهِ مَعَ مَعْبِدِ بْنِ عَائِشَةَ ، فغَنَيْنَاهُ لَيْلَةً فَأَطْرَبْنَاهُ ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكُتِبَ لَنَا بِهَا إِلَى كَاتِبِهِ ، فغَدَوْنَا عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ وَقَالَ : أَيُؤْمَرُ لِمِثْلِكُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ؟ لَا وَاللَّهِ وَلَا حُبًّا وَلَا كَرَامَةً ! . فَرَجَعْنَا إِلَى يَزِيدَ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَقَالَتِهِ وَكُرْرِنَا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : كَأَنَّهُ اسْتَنَكَرَ² ذَلِكَ ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : مِثْلُهُ وَاللَّهِ يَسْتَنَكِرُهُ³ وَدَعَاهُ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ وَرَأَانَا عِنْدَهُ اسْتَأْمَرَهُ فِيهَا ، فَأَطْرَقَ مُسْتَحْيِيًّا ؛ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ قُلْتُهَا لَهُمْ وَلَا يَجْمَلُ أَنْ أَرْجِعَ عَمَّا قُلْتَ ، وَلَكِنْ قَطَعْتُهَا عَلَيْهِمْ . قَالَ مَالِكُ : فَمَاتَ وَاللَّهِ يَزِيدُ ، وَقَدْ بَقِيَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ .
 [سليمان بن علي يلوم ولديه على استماعهما للغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمَّاد قال قرأت على أبي ، وحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : لَمَّا انْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ قَدِيمِ الْبَصَرَةِ ، وَكَانَ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ يَوْمَئِذٍ بِهَا ، فَاسْتَزَارَهُ جَعْفَرُ وَمُحَمَّدُ فَزَارَهُمَا ، وَغَنَاهُمَا مَالِكُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ سُلَيْمَانَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَعَدَلَ جَعْفَرًا وَمُحَمَّدًا ، وَقَالَ : نَحْنُ نَتَوَقَّعُ الطَّامَةَ الْكِبْرَى وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ الْغَنَاءَ ! فَقَالَا : أَلَا تَجْلِسُ وَتَسْمَعُ ! ففعل ، فغَنَاهُمْ مَالِكُ :

صوت

ما كنتُ أَوَّلَ مَنْ خَاسَ الزَّمَانُ بِهِ قَدْ كُنْتُ ذَا نَجْدَةٍ أُخْشَى وَذَا بَاسٍ
 أُبْلِغُ أَبَا مَعْبِدٍ عَنِّي وَإِخْوَتَهُ شَوْقِي إِلَيْهِمْ وَأَحْزَانِي وَوَسْوَاسِي
 فخرج وتركهم ولم يُنكر عليهم شيئاً .

1 الجوشنية : نسبة إلى جوشن بطن من غطفان .

2 ل : استنكر .

3 ل : يستنكره .

[مدحه الحسين بن عبد الله]

وفي مالك بن أبي السمع يقول الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس : [من المنسرح]

صوت

لا عيشَ إلا بمالك بن أبي السَّ مح فلا تلحني ولا تلم
أبيضُ كالبدْرِ أو كما يلمع ال بارقُ في حالكِ من الظلم
منَ ليس يعصيك إن رَشَدْتَ ولا يهتِكُ حقَّ الإسلام والحرم
يُصيبُ من لَذَّةِ الكريم ولا يجهلُ آيَ الترخيص في اللِّم
يا رَبِّ ليلٍ لنا كحاشية ال بُردِ ويومِ كذاك لم يَدُم
نعمتُ فيه ومالك بن أبي الس مح الكريم الأخلاقِ والشِّيم

غناه مالك في الأول والثاني والثالث رملاً بالنصر في مجراها ، فيقال : إن مالكا قال له : لا والله ولا إن غويتَ أيضاً أعصيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب . ويقال : إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد ، فسّر بذلك وأجرل صلته .

[غنى الوليد بن يزيد حتى طرب]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال حدثني أبي قال قال ابن الكلبي : قال الوليد بن يزيد لمعبد قد أدتني ولولتك هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالك هذا ، فانظروا لي رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما ؛ فقالا له : مالك بن أبي السمع ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مُغني الحجاز المذكورين ؛ فلما قدِم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغناه فلم يُعجبه ؛ فلما انصرف الغمر قال له : إن أمير المؤمنين لم يُعجبه شيء من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اطلب لي الإذن عليه مرة واحدة ، فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا انصرفتُ إلى بلادي . فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذن ، وقال له : إنه هابك فحصر ؛ قال : فأذن له ، فبعث إليه ؛ فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاث صُراحيات صيرفا ؛ فخرج حتى دخل عليه يخطرُ في مشيته . وقال غير ابن الكلبي : إنه قال لفراش للوليد : اسقني عُساً من شراب ولك دينار ، فسقاه إياه وأعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زدني آخرَ فازيدك آخرَ ، ففعل حتى شرب ثلاثة ، ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته ؛ فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بحلقة الباب فقققها ، ثم رفع صوته فغنى :

لا عيشَ إلا بمالك بن أبي الس منح فلا تلحني ولا تلم

فطَرِبَ الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه إليه مادّاً لهما ، وقام فاعتنقه قائماً ، وقال له :
ادنُ يا ابن أخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أخذ في صوته ذلك ، فلم يزلوا فيه أياماً ، وأجزل
صلته حين أراد الانصراف . قال : ولما أتى مالك على قوله : [من المنسرح]

أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ بَارِقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد : [من المنسرح]

أَحْوَلُ كالقِرْدٍ أو كما يَرْقُبُ السـ سَارِقُ في حالِكٍ من الظُّلَمِ

[كان يأخذ أغاني غيره وبغيرها]

وكان مالك طويلاً أُجْنَى¹ فيه حَوْلٌ . وقد قال قومٌ : إنَّ مالكا لم يصنع لحناً قط غير هذا ،
أعني : « لا عيشَ إلَّا بمالك بن أبي السَّمْح » ، وإنَّه كان يأخذ غناء الناس فيزيده فيه وينقصُ
منه وينسبه الناس إليه ، وكان إسحاق يُنكر ذلك غاية الإنكار ، ويقول : غناء مالك كله
مذهبٌ واحد لا تباين فيه ، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غناؤه ، وإنما كان إذا غنى الحانَ
مَعْبُودٍ الطَّوَالَ خَفَّفَهَا وحَذَفَ بعض نغمها ، وقال : أطاله مَعْبُودٌ ومطَّطه ، وحذفته أنا وحسنته ،
فأما ألا يكون صنع شيئاً فلا .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حماد : قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن
النبال : أنَّ الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء ؟ قال : لا ، ولكنني أزيدُ فيه وأنقصُ منه ؛ فقال له :
فأنت المَحَلِّي إذا .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عتبة اللّهمي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي
الحارثي الذي يقال له سَنَابِل ، وفيه يقول الشاعر :

فإن هي ضنّتْ عنكَ أو حِيلَ دونها فدعها وقُلْ في ابن الكرام سَنَابِل

قال : خرجتُ من مكّة أريد أبا العباس أمير المؤمنين ، فمررت على المدينة فحملت معي
مالك بن أبي السَّمْح ، فسألته يوماً عن بعض ما يُنسب إليه من الغناء ؛ فقال : يا أبا الفضل ،
عليه وعليه إن كان غنى صوتاً قط ، ولكنني آخذُه وأحسنه وأهنيه وأطيه ، فأصيب ويخطئون
فَيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا ، للمالك صنعةٌ كثيرة حسنة ، وصنعتة تجري في
أسلوب واحد ، ويُسبِّه بعضها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه . وقد قيل : إنَّ مالكا
كان يَتَتَفَي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَدَّل به عند مَنْ
يراه ، ويُنكره عند مَنْ يذُمَّه ، لحله في بني هاشم .

1 الأجنى : الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره . والأحنى : الأحدب .

وأخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهي عن سنابل ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أن الحسن بن عتبة حدثه وحكاه عن حمزة بن عتبة أخيه .

[أخذ صوتاً من حمار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي ؛ عن أبيه عن محمد بن يزيد الليثي قال : سئل مالك بن أبي السَّمَح عن صناعته في : [من الخفيف]

لاَحَ بالدَّيْر من أُمَامَة نارُ

فقال : أخذته والله من خربنده¹ بالشام يسوق أحميرة ، فكان يترنم بهذا اللحن بلا كلام ، فأخذته فكسوته هذا الشعر .

[أخذ صوتاً من حائك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : نزل مالك بن أبي السَّمَح عند رجل بمكة مخزومي ، وكان له غلامٌ حائك ، فأتاه آتٍ فقال : أما سمعت غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أو يُغني ؟ قال : نعم بشعر لأبي ذهبل الجُمَحِي ؛ فبعث إليه فأتاه ، فقال : تغنّ ؛ فقال : ما أحسنُ ذاك إلا على حَفِي ؛ فخرج مولاه ومعه مالك إلى بيته ، فلما جلس على حَفّ تغنّى : [من الطويل]

تطاولَ هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ

فأخذه مالكُ عنه وغناه فنسبه الناسُ إليه ؛ وكان يقول : والله ما غنيته قطّ ولا غناه إلا الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الخفيف]

لاَحَ بالدَّيْر من أُمَامَة نارُ لَحَبُّ له يَنْشَرِبَ دارُ

قد تراها ولو تشاء من القرُ ب لأغناكَ عن نداها السَّرا

الشعر للأحوص² ، ويقال : إنه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . والغناء لمالك بن أبي السَّمَح ثقيل أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

1 خربنده : كلمة فارسية تعني المكارى .

2 شعر الأحوص : 96 عن الأغاني .

صوت

[من الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ وَأُعِيتْ غَوَاشِي سَكْرَتِي مَا تَفَرَّجُ
أُبَيْتُ بِهِمْ مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا خِلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطَوَّرًا أُمْنِي النَّفْسَ مِنْ تُكْتَمِ الْمُنَى وَطَوَّرًا إِذَا مَا لَجَّ بِي الْحَبُّ أَنْشِجُ¹
عروضه من الطويل ، الشعر لأبي ذَهَبٍ ، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ
على مذهب إِسْحَاقَ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ .

[هرب يوم مقتل الوليد]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : حَضَرْتُ الْوَلِيدَ بْنَ
يَزِيدٍ يَوْمَ قُتِلَ ، وَكَانَ مَعَنَا مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ وَكَانَ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ قَالَ :
أَهْرُبْ بَنَّا ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَرِيدُونَ مِنَّا ؟ قَالَ : وَمَا يَوْمَنُكَ أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَيْنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا
لِيُحْسِنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَمَا رَأَيْتَ مِنْهُ عَقْلًا قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
[عَلَّمَ ابْنَهُ الْغَنَاءَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ قَالَ الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي ظَبْيَةُ قَالَتْ : رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ
أَبِي السَّمْحِ وَهُوَ عَلَى مَنَامَتِهِ يُلْقِي عَلَى ابْنِهِ وَقَدْ كَبِرَ وَانْقَطَعَ² :
[مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

اعْتَادَ هَذَا الْقَلْبَ بَلْبَالُهُ إِذْ قُرِبَتْ لِلْبَيْنِ أَجْمَالُهُ
خَوَذَ إِذَا قَامَتْ إِلَى خِدْرِهَا قَامَتْ قَطُوفُ الْمَشْيِ مِكَسَالُهُ
تَفَتَّرَ عَنْ ذِي أَشْرٍ بَارِدٍ عَذَبَ إِذَا مَا ذِيْقَ سَلْسَالُهُ
الشعرُ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ ، وَلِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَلْحَانٍ : خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي
مَجْرَى الْوَسْطَى ، وَثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى
عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ . وَفِيهِ رَمَلٌ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ وَابْنِ سُرَيْجٍ .
[شَعْرُ فِي رِثَائِهِ]

أَخْبَرَنِي وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ مُنَشِدًا
يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ يَرِثِي مَالِكًا بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
[مِنْ الْبَسِيطِ]

1 تكتم : اسم المرأة التي يشب بها .

2 ديوان عمر : 338 .

يا مالُ إِنِّي قَضَتُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ
إِلَّا الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي خُصِصْتَ بِهِ مِنْ الْمَوَدَّةِ فِي سِتْرِ وَفِي كَرَمٍ
قال إسحاق قال أبو عُبَيْدَة : هو مالك بن أَبِي السَّمْح . انْقَضَتْ أَخْبَارُهُ .

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكِّي وأبي العَنَس وَمَنْ رَوَى جَحْظَةً
عنه :

فَالَا تَجَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
هَمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَايِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتِكُمْ وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ

عروضه من الطويل . البيت الأول من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليٍّ ، وباقي الأبيات
للوليد بن عُقْبَة بن أَبِي مُعَيْط . والغناء لابن مُحَرِّز ، ولحنه من الثَّقِيلِ الأول بإطلاق الوتر في
مَجْرَى البَنْصَرِ عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغَرِيضِ ثَقِيلٌ أولٌ بالسَّبابَةِ في
مَجْرَى البَنْصَرِ عن إسحاق . وفيه لَمَعْبَدِ ثَقِيلٌ أولٌ آخِرٌ مطلق في مَجْرَى الوَسْطَى عن عمرو
وعن الهشامي . وفيه لِسَلْسَلٍ في الثاني والثالث ثَقِيلٌ أولٌ بالبَنْصَرِ عن حَبَش . وفيه لَعَطَرْدٍ
خفيف ثَقِيل .

[67] - النَّهْدِي فِي هَذَا الشَّعْرِ

وخبِر الوليد بن عُقْبَةَ وَقَدْ مَضَى نَسَبُهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ

[الحارث بن مارية وزهير بن جناب]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِأَخْبَارِ قَوْمِهِ ، قَالَ وَحَدَّثَنِي أَبُو مَسْكِينٍ أَيْضًا ، قَالَ : كَانَ الْحَارِثُ بْنُ مَارِيَةَ الْغَسَّانِيُّ الْجَنْفِيُّ مُكْرَمًا لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ يُنَادِمُهُ وَيَحَادِثُهُ . فَقَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي نَهْدٍ بَنُ زَيْدٍ يُقَالُ لهُمَا حَزَنٌ وَسَهْلٌ ابْنَا رِزَاحٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُمَا حَدِيثٌ مِنْ أَحَادِيثِ الْعَرَبِ ، فَاجْتَبَاهُمَا الْمَلِكُ وَنَزَلَ بِالْمَكَانِ الْأَثِيرِ مِنْهُ ، فَحَسَدَهُمَا زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، هُمَا وَاللَّهِ عَيْنٌ لَدَى الْقَرْنَيْنِ عَلَيْكَ (يَعْنِي الْمُنْذِرَ الْأَكْبَرَ جَدَّ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ) ، وَهُمَا يَكْتَبَانِ إِلَيْهِ بِعَوْرَتِكَ وَخَلَّلَ مَا يَرِيَانِ مِنْكَ ؛ قَالَ : كَلَّا ! فَلَمْ يَزَلْ بِهِ زُهَيْرٌ حَتَّى أُوْغِرَ صَدْرُهُ ، وَكَانَ إِذَا رَكِبَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمَا بَيْعِيرَيْنِ يَرْكَبَانِ مَعَهُ ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمَا بِنَاقَةٍ وَاحِدَةً ؛ فَعَرَفَا الشَّرَّ فَلَمْ يَرْكَبْ أَحَدُهُمَا وَتَوَقَّفَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ :

[من الطويل]

فَالَا تَجَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ

فَرَكِبَهَا مَعَ أَخِيهِ ، وَمَضَى بِهِمَا فَقَتِلَا ، ثُمَّ بَحَثَ عَنْ أَمْرِهِمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدَهُمَا بَاطِلًا فَشَتَمَ زُهَيْرًا وَطَرَدَهُ ، فَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ ؛ وَقَدِمَ رِزَاحُ أَبُو الْغَلَامِينَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَكَانَ شَيْخًا عَالِمًا مُجَرَّبًا ، فَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ دِيَّةَ ابْنَيْهِ ؛ وَبَلَغَ زُهَيْرًا مَكَانَهُ ، فَدَعَا ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ عَامِرٌ ، وَكَانَ مِنْ فِتْيَانِ الْعَرَبِ لِسَانًا وَبَيَانًا ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ رِزَاحًا قَدْ قَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ ، فَالْحَقُّ بِهِ وَاحْتَلَّ فِي أَنْ تَكْفِيَنِيهِ ، وَقَالَ لَهُ : اذْمُغْنِنِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَنَلِّ مَنِّي ، وَأَثَرُ بِهِ آثَارًا ؛ فَخَرَجَ الْغَلَامُ حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ . فَتَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ ؛ فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَامِرُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ؛ قَالَ : فَلَا حَيَّاكَ اللَّهُ وَلَا حَيَّا أَبَاكَ الْغَادِرَ الْكَذُوبَ السَّاعِيَّ ! فَقَالَ الْغَلَامُ : نَعَمْ ، فَلَا حَيَّاكَ اللَّهُ ؛ أَنْظِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا صَنَعَ بظَهْرِي ! وَأَرَاهُ أَثَارَ الضَّرْبِ ؛ فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَدْخَلَهُ فِي نُدْمَائِهِ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ يَحْدِثُهُ يَوْمًا إِذْ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ أَبِي وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَلَسْتُ أَدْعُ أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ ، قَدْ وَاللَّهِ نَصَحْتُ أَبِي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الوافر]

فِيَالِكِ نَصْحَةٌ لَمَّا نَذَقْتُهَا أَرَاهَا نَصْحَةً ذَهَبَتْ ضَلَالَا

ثم تركه أياماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك ، ما تقول في حية قد قُطِعَ ذَنْبُهَا وبقي رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصنيعُ الرجلين ما صنَع ؛ قال : أبيت اللعن ! والله ما قديم رِزاحٍ إلا ليثَّارُ بهما ؛ فقال له : وما آية ذلك ؟ قال : اسقي الخمر ثم ابعثْ إليه غنماً يأتِكَ بخبره ؛ فلما انتشى صرفه إلى قُبته ومعه بنتٌ له ، وبعث عليه عيوناً ؛ فلما دخل قُبته قامت إليه ابنته تُسانده فقال :

دَعِينِي مِنْ سِنَادِكِ إِنْ حَزَنَّا وَسَهْلًا لَيْسَ بَعْدَهُمَا رُقُودُ
أَلَا تَسْلِينِ عَنْ شَيْلِي مَاذَا أَصَابَهُمَا إِذَا اهْتَرَشَ الْأُسُودُ¹
فَإِنِّي لَوْ ثَارَتُ الْمَرْءَ حَزَنًا وَسَهْلًا قَدْ بَدَأَ لَكَ مَا أُرِيدُ

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النُّهْدِي رِزاحٍ ، وردَّ زُهيراً إلى موضعه .

[شعر الوليد بن عقبة]

وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال : أنشدنا محمد بن حبيب أبيات الوليد هذه على الولاء ، وهي :

أَلَا مَنْ لِلَّيْلِ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ إِذَا لَاحَ نَجْمٌ لَاحَ نَجْمٌ يَرِاقِبُهُ²
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أَخْتَكُم وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَجِلُّ مَنَاهِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا بِإِقَادَةِ سِوَاءٍ عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبُهُ³
فَقَدْ يُجِيرَ الْعَظُمُ الْكَسِيرَ وَيُنِيرِي لَذِي الْحَقِّ يَوْمًا حَقُّهُ فَيُطَابُهُ
وَأَنَا وَإِيَّاكُمْ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ كَصَدْعِ الصُّفَا لَا يَرَأُبُ الصَّدْعُ شَاعِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّعَاقُدُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَحَرَابَتُهُ⁴
لَعَمْرُكَ لَا أُنْسَى ابْنَ أَرُوى وَقَتْلَهُ وَهَلْ يَنْسِينَ الْمَاءُ مَا عَاشَ شَارِبُهُ
هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَايَتُهُ
وَأَنِّي لِمَجْتَابٍ إِلَيْكُمْ بِجَحْفَلٍ يُصِمُّ السَّمِيعَ جَرَسُهُ وَجَلَّابَتُهُ

1 شيلي في ل : شليك .

2 كلمة لَاحَ الثانية في ل : غار .

3 المثل : سواء علينا قاتلاه وسالبه في مجمع المياني 1 : 335 والمستقصى 2 : 123 والجمهرة 1 : 515 .

4 الحرائب : المال أو ما يسلب منه .

وقد أجاب الفضلُ بن عَبَّاس بن عُتْبَة بن أَبِي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات ، وقيل : بل أبوه العباس بن عُتْبَة المجيبُ له أيضاً . والجواب : [من الطويل]

صوت

فلا تسألونا بالسلاح فَإِنَّهُ أَضْيَعُ وَالْقَاهُ لَدَى الرَّوْعِ صَاحِبُهُ¹
 وَشِبْهَتَهُ كَسَرَى وَقَدْ كَانَ مِثْلُهُ شَبِيهًا بِكَسَرَى هَدْيِهِ وَعَصَائِبُهُ
 ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّيِّ أَنَّ لَابْنَ مِسْجَحٍ فِيهِ لَحْنٌ وَأَنَّ لَحْنَهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى ، وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ مِنْ مَنْحُولِ أَبِيهِ يَحْيَى إِلَى ابْنِ مِسْجَحٍ .

[68] - ذكر باقي خبر الوليد بن عُقبة ونسبه

[نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة]

الوليدُ بنُ عُقبة بن أبي مُعيط ، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قَطيفة . ويكنى الوليدُ أبا وَهَب . وهو أخو عثمان بن عفان لأمه . أمهما أروى بنت كُرَيْز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب . وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فاسقاً ؛ ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، فشرب الخمر وشهد عليه بذلك ، فحذَّه وعزَّله .

[نحره منه معاوية على الأخذ بثار عثمان]

وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية : [من الطويل]

والله ما هندُ بأُمِّك إن مضى النهـ أَرُ ولم يَشَأر بعثمان نائـ
أُيَقْتَلُ عبدُ القوم سيِّدُ أهله ولم تقتلوه ليت أُمُّك عاقـ
وإنَّا متى نقتلهم لا يُقَدُّ بهم مُقَيَّدٌ فقد دارت عليك الدوائـ

[كان يجالس عثمان على سريره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلاَّ العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عُقبة ، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه عثمان زَحَلَ له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال له الوليد : والله يا أمير المؤمنين ، لقد تَلَجَّلَج في صدري بيتان قَلَّتْهُما حين رأيتك أثرت عمَّك على ابن أُمِّك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنَّه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قَلَّتْهُما ؟ قال قلت :

رَأَيْتُ لعمِّ المرء زُلْفَى قرابة دَوْنِ أخيه حادثاً لم يكن قَدَمَا
فَأَمَلْتُ عَمراً أن يَشِيبَ وخالداً لكي يدعواني يوم مَرْحَةٍ عَمَّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان . قال : فرَّقَ له عثمان ، وقال له : قد وَلَّيتك العراق (يعني الكوفة) .

[ولايته على الكوفة وخبره مع سعد بن أبي وقاص]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن دأب قال : لما ولي عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قديمها وعليها سعد بن أبي وقاص ، فأخبر بقدمه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا نكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصف النهار ، فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببت زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال : أنا أرزؤ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال :

خذيني فجرّيني ضياعاً وأبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصرة
فقال : أما والله لأنّا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت لأجبتك ، ولكنّي أدع ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك ؛ ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم ؛ فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلمهم فيهم ؛ فقال له : أو للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ؛ فخلّى سبيلهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر قال حدثنا جناد بن بشر قال : حدثني جرير عن مغيرة بنحوه . قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب : أنه لما قدم على سعد قال له سعد : ما أدري أكسبت بعدنا أم خمقنا بعدك ؟ فقال : لا تجزعن أبا إسحاق ، فإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه ملكاً .

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : قدم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعيد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالا ، فقال الوليد لعبد الله : خذه بالمال ، فكلمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك ؛ فقال سعد : آتي أمير المؤمنين ، فإن أخذني به أدّيته . فغمر الوليد عبد الله ، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فلعنهما ؛ ودعا الله أن يغير بينهما وأدى المال .

[صلى بالناس الصبح أربع ركعات]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذب قال : صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم .

[شعر الخطيئة فيه]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير
عن الأجلح عن الشَّعْبِيِّ في حديث الوليد بن عُقْبَةَ حين شهدوا عليه قال : قال
الخطيئة¹ :

شهد الخطيئة يوم يلقي ربه أن الوليد أحقُّ بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم سُكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

وقال الخطيئة أيضاً² :

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاق
ومجَّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني وما لكم وما لي من خلاق

[شرب الخمر فضرَب الحد]

أخبرني محمد بن محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال ذكر أبو عُبَيْدَةَ
وهشام بن الكلبي والأصمعي قالوا : كان الوليد بن عقبة زانياً شريب خمر ، فشرب الخمر
بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلّى بهم أربع ركعات ، ثم التفت إليهم
وقال لهم : أزيدكم ؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته : [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ الرِّبَابَا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به ، فأمر
رجلاً بضربه الحد ؛ فلما دنا منه قال له : نَشَدْتُكَ اللَّهَ وَقَرَابَتِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَهُ ؛ فخاف
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعْطَلَ الحد ، فقام إليه فحده فقال له الوليد نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ
وبالقربة فقال له علي : اسكت أبا وهب فاتما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود ، فضربه
وقال : لَتَدْعُونِي قَرِيشٌ بعد هذا جلاذها . قال إسحاق : فأخبرني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ قال : قال
الوليد بن عُقْبَةَ بعد ما جُلِدَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ شَهِدُوا عَلَيَّ بِزُورٍ ، فَلَا تُرْضِهِمْ عَنْ أَمِيرٍ وَلَا تُرْضَ عَنْهُمْ
أَمِيرًا . فقال الخطيئة يكذب عنه :

[من الكامل]

1 ديوان الخطيئة (صادر) : 180 .

2 ديوان الخطيئة : 181 .

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدر
 خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
 ورأوا شمائل ماجد أنف يُعطي على الميسور والعسر
 فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقراً¹

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة : [من الكامل]

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
 ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
 فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

وروى العباس بن ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدثني أبي قال : لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر ، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون ، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر ، فقال : [من الكامل]

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدر
 خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
 ورأوا شمائل ماجد أنف يُعطي على الميسور والعسر
 فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقراً

قال : فسروا بذلك وظنوا أن قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة : [من الكامل]

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
 فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

فوجم القوم وأطرقوا ، فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحدّ .

[قصة رجل معطي شهد عليه عند الأمير]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي² قال حدثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدثنا عمر بن شبة من حفظه ، ونسخت من كتاب لهارون ابن الزيات بخطه عن عمر بن شبة ، وروايته أتم ، فحكيت لفظه ، قال : شهد رجل عند أبي العجاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المعيطيين

1 طمع في ل : طبع .

2 ل : المكّي .

شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكراناً ؛ فقال المشهود عليه وهو المعطي : أعزك الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إني لأحسن ؛ فقال : اقرأ ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ الرَّبَابَا بعد ما شابت وشابا

قال : وإنما تماجنَ بذلك على المعطي ، ليحكى به ما صنع الوليد بن عتبة في مخراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكران ، فأُشيد في صلاته هذا الشعر ؛ وكان أبو العجاج مُحَمِّقاً فظنَّ أنَّ هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، ويَلَكُم ؛ فلم تعلمون ولا تعملون ؟ ولقد روي أيضاً في الشهادة على الوليد في السكر غير ما ذكر من زيادته في الصلاة . [رواية أخرى لحكاية سكره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضحى قال : كان أبو زينب الأزدي وأبو موركع يطلبان عثرة الوليد بن عتبة ، فجاءا يوماً فلم يحضر الصلاة ، فسألا عنه وتلطفاً حتى علما أنه يشرب ، فاقترحا عليه الدار فوجداه يقيء ، فاحتملاه وهو سكران فوضعا على سريره وأخذوا خاتمته من يده ، فأفاق فاقتد خاتمته فسأل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهُمَا لي ؛ فقالوا : أحدهما آدمٌ طويلٌ¹ حسنُ الوجه ، والآخر عريضُ مربع عليه خميص² ؛ فقال : هذا أبو زينب وأبو موركع . ولقي أبو زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش³ الأسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبراهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه ؛ فقال بعضهم : لا يقبل قولنا في أخيه ؛ فشخصوا إليه وقالوا : إنا جئناك في أمر ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا ، وقد قلنا : إنك لا تقبله ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمته أخذناه وهو لا يعقل ؛ فأرسل إلى علي رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أرى أنَّ تُشَخِّصه ، فإن شهدوا عليه بمحض منه حدثته ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عتبة فقدم عليه ، فشهد عليه أبو زينب وأبو موركع وجندب الأسدي وسعد بن مالك الأشعري ، ولم يشهد عليه إلا يمان ؛ فقال عثمان لعلي : قم فاضربه ؛ فقال علي للحسن : قم فاضربه ؛ فقال الحسن : ما لك ولهذا ؛ يكفيك غيرك ؛ فقال علي لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه ، فاضربه بمخضرة فيها سير له رأسان ، فلمّا بلغ أربعين قال له علي : حَسْبُكَ .

1 ل : طوال .

2 الخميصة : كساء أسود مربع .

3 ل : خنيس .

[عائشة تندخل لإقامة الحد على الوليد]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن الواقصي عن الزهري قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلما غضب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكُلنَّ بكم ؛ فاستجاروا بعائشة ؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغلظة ، فقال : أما يجدُ مَراقَ أهلِ العراقِ وفَساقَهم ملجأً إلَّا بيتَ عائشة ؟ فسمعتُ فرفعتُ نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركتُ سنةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه النعل ؛ فتسامعَ الناسُ فجاءوا حتى ملؤوا المسجدَ ، فمن قائل : أحسنتُ ، ومن قائل : ما للنساءِ ولهذا ! حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان ؛ فقالوا له : اتق الله ولا تُعطلَ الحدَّ ؛ واعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزله عنهم .

[ضرب عثمان رجلاً شهد عليه]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال : قديم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه : إنني صليتُ الغداةَ خلفَ الوليد بن عُقبة ، فالتفتُ إلينا فقال : أزيدكم ؟ إنني أجِدُ اليومَ نشاطاً ، وأنا أشمُّ منه رائحةَ الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجلَ ؛ فقال الناسُ : عَطَلَتِ الحدودُ وضُرِبَتِ الشهودُ .

[الوليد بن عقبة وعدي بن حاتم]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال : لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قومٌ يَعدِّرونه ، فيهم عدي بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يسوق بهم ، فقال يرتجز : [من الرجز]

لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف والنشوات من عتيق أو صاف¹

وعزفَ قيناتٍ علينا عزافُ

فقال عدي : إلى أين تذهب بنا ؟ أقيم

[أخبار تتعلق بجلد الوليد]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عَرَضْتُ على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح عن الشعبي عن جندب قال : كنتُ فيمن شهد على الوليد ، فلما استتممتنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقي خبره وضرب علي عليه السلام إياه ، وقول الحسن : «ما لكَ ولهذا !» ، فزاد فيه : فقال له علي : لستَ إِذاً مسلماً ، أو من المسلمين .

حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدَّثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدَّثنا ابنُ عُلَيَّة قال حدَّثنا سَعِيد بن أَبِي عَرُوبَةَ عن عبد الله الدَّانَاج قال سمعت الحُضَيْن بن المُنْذِرَ أبا ساسانَ يحدِّث ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا محمد بن حاتم قال حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَّة قال حدَّثنا سعيد بن أَبِي عَرُوبَةَ قال حدَّثنا عبد الله الدَّانَاج عن حُضَيْن أَبِي ساسانَ قال : لما جيء بالوليد بن عُقْبَةَ إلى عثمان بن عفَّان وقد شهدوا عليه بشرب الخمر ، قال لعلي : دونك ابنَ عمِّك فأقيم عليه الحدَّ ؛ فأمر به فجلد أربعين . ثم ذكر نحو هذا الحديث وقال فيه : فقال عليّ للحسن : بل ضَعُفْتَ وَوَهَنْتَ وَعَجَزْتَ ، ثُمَّ يَا عبدَ اللَّهِ بنَ جعفر ، فقام فجلده وعليّ يَعدُّ حتى بلغ أربعين ، فقال عليّ : أَمْسِكْ ، جلد رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمَّها عمرُ ثمانين ، وكُلُّ سَنَةٍ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمرُ قال حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد قال : لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال : إنَّكَ لتضربني اليومَ بشهادة قومٍ لَيَقْتُلَنَّكَ عامًّا قَابِلًا .

[أبو زيد من نمائه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمِّه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابي قال ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حَكِيم عن خالد بن سَعِيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمد بن أيوب قال حدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعاً : كان أبو زَيْد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبَةَ أَيَّامَ ولايته الكوفةَ ، فلما شَهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زَيْد¹ واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم : [من الخفيف]

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَا بِنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِهِ	— الْمَرْوَرَى حَدَاتُهَا عِجَالُ
مُصْعِدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهْ	بِ خَلَاءٍ تَجِنُّ فِيهِ الشَّمَالُ
يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْرَ	— فِيهِ التَّكْرَارُ وَالزَّلْزَالُ
لَيْتَ شِعْرِي كَذَاكَ الْعَهْدُ أَمْ كَا	نَوَا أَنَا سَأُكْمِنُ يَزُولُ فَرَالُوا
بَعْدَ مَا تَعْلَمِينَ يَا أُمَّ زَيْدٍ	كَانَ فِيهِمْ عِزٌّ لَنَا وَجَمَالُ
وَوَجْوهُ بُوْدُنَا مَشْرِقَاتُ	وَنَوَالُ إِذَا أُريدَ النَّوَالُ

1 سترد ترجمة لأبي زيد الطائي فيما بعد . وهذه الأبيات في مجموع شعره (بغداد) : 127-131 .

أَصْبَحَ الْبَيْتُ قَدْ تَبَدَّلَ بِالْحَيِّ
 كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرِّجَالُ
 وَلَعَمْرُؤُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ لِلْسَّيِّ
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءُ وَلَا الْوُدَّ
 وَلِحَرَمْتُ لَحْمَكَ الْمُتَعَصَّى
 قَوْلُهُمْ شَرَبْتُكَ الْحَرَامَ وَقَدْ كَا
 وَأَبَى الظَّاهِرُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا
 مِنْ رِجَالٍ تَقَارَضُوا مُنْكَرَاتِ
 غَيْرَ مَا طَالِبِينَ ذَخْلًا وَلَكِنْ
 مَنْ يَخُنُّكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ
 فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْوُدِّ
 لَيْسَ بِخَلَاءٍ عَلَيْكَ عِنْدِي بِمَالٍ
 وَلَكَ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَفِّ
 وَجُوهًا كَانَتْهَا الْأَقْطَالُ
 غَيْرُ أَنَّ لَيْسَ لِلْمَنَایَا احْتِيَالُ
 فَمَصَالٌ أَوْ لِلْسَّانِ مَقَالُ
 وَلَا حَالٌ دُونَكَ الْأَشْغَالُ
 ضَلَّةٌ ضَلَّ جِلْمُهُمْ مَا اغْتَالُوا¹
 نَ شَرَابٌ سِوَى الْحَرَامِ خَلَالُ
 شَنَانًا وَقَوْلٌ مَا لَا يُقَالُ
 لَيِّنَالُوا الَّذِي أَرَادُوا فَنَالُوا
 مَالٌ دَهْرٌ عَلَى أَنْسَ فَمَالُوا
 أَوْ يَزُلْ مِثْلَ مَا تَزُولُ الظَّلَالُ
 حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
 أَبَدًا مَا أَقْلٌ نَعْلًا قِبَالُ²
 إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء صوت

[من الخفيف]

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَابَنَ أَرَوَى عَلَى ظَهْرِ
 مُصْعِدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبِي وَهْ
 رَ الْمَرْوَرَى حُدَاتِهِنَّ عِجَالُ
 بٍ خَلَاءٍ تَجِنَّ فِيهِ الشَّمَالُ

عروضه من الخفيف . المَرْوَرَى : جمع مَرْوَرَةٍ وهي الصحراء . غَنَى الدَّلَالُ فِيهِ خَفِيفَ
 ثَقِيلَ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِ .

[لوم الوليد لانزاله أبا زبيد بدار على باب المسجد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ
 قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو زُبَيْدٍ ، فَأَنْزَلَهُ دَارَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهِيَ دَارُ الْقَبْطِيِّ ، فَكَانَ
 مِمَّا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَبَا زُبَيْدٍ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ دَارِهِ يَخْتَرِقُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ

1 المتعصى : المتقطع والمتفرق .

2 أقل : حمل . القبال : سير النمل بين الأصبعين .

فيجعلهُ طريقاً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابي : أن أبا زيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ؛ لأن أبا زيد كان يخرج من منزله حتى يشقّ الجامع إلى الوليد ، فيسمرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشقّ المسجد وهو سكران ، فذلك نبههم عليه .
[ولاه عمر صدقات بني تغلب]

قال : وقد كان عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقبة صدقات بني تغلب ، فبلغه عنه بيتُ قاله وهو :

إذا ما شدّدتُ الرأسَ مِنِّي بمِشْوَذٍ فغَيْكَ مِنِّي تَغْلِبَ ابنةً وائِل¹
فعرّله .

[مدح أبي زيد للوليد]

وكان أبو زيد قد استودع بني كنانة بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلاً فلم يردوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أحوال أبي زيد ، فوجد الوليدُ بني تغلب ظالمين لأبي زيد ، فأخذ له الوليدُ بحقه ؛ فقال يمدح الوليد² :

يا ليت شعري بأنباء أنبؤها قد كان يعيا بها صدري وتقديري
عن امرئ ما يزدّه الله من شرفٍ أفرح به ومُريٍّ غيرُ مسرورٍ
(يعني مُريّ بن أوس بن حارثة بن لأم) . وهي طويلة يقول فيها :
[من البسيط]

إنّ الوليدَ له عندي وحقُّ له وُدُّ الخليلِ ونُصْحُ غيرِ مذخورٍ
لقد رعاني وأدنانِي وأظهرني على الأعادي بنصرٍ غيرِ تعذير³
فشذّب القومَ عني غيرَ مكترثٍ حتى تناهوا على رغمٍ وتصغير⁴
نفسي فداءً أبي وهبٍ وقلّ له يا أمَّ عمرو فحلّي اليوم أو سيري
وفي رواية ابن حبيب : «يا أم زيد» ، يعني : يا أم أبي زيد .

1 المشوذ : العمامة .

2 شعر أبي زيد (بغداد) : 78-79 .

3 وأظهرني في ل : وآثري .

4 شذب : طرد ودفع .

[أقطع أبا زيد أرضاً واسعة]

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجذبت الجزيرة ، وكان أبو زيد في تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ؛ فأبى عليه الأوسي وقال : إن شئت أن أركبك وحدك فعلت وإلا فلا ؛ فأتى أبو زيد الوليد بن عقبة ، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى ، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخيرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : كانت الجنيبة في يد مري بن أوس ، فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زيد . والقول الأول أصح ، وشعر أبي زيد يدل عليه في قوله في الوليد بن عقبة يمدحه¹ :

لَعَمْرُ أَبِيكَ يَا ابْنَ أَبِي مُرِيٍّ لَغَيْرِكَ مَنْ أَبَاحَ لَهَا الدَّيَارَا
أَبَاحَ لَهَا أَبَارِقَ ذَاتِ نَوْرٍ تَرَعَى الْقَفَّ مِنْهَا وَالْعَارَا²
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ فَتَى قَرِيشٍ أَبِي وَهَبٍ غَدَتْ بَطْنًا غَزَارَا³
أَبَاحَ لَهَا وَلَا يُحْمَى عَلَيْهَا إِذَا مَا كَتَمْتُ سَنَةَ جَزَارَا

يريد جزرا من الجذب والشدة .

فَتَى طَالَتْ يَدَاهُ إِلَى الْمَعَالِي وَطَحَّطَحَتَا الْمُقَطَّعَةِ الْقِصَارَا

وهي أبيات .

[شعر أبي زيد عندما نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض]

قال عمر بن شبة في خبره خاصة : فلما غزل الوليد ووليها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال :

[من الخفيف]

وَلَقَدْ مُتَّ غَيْرَ أَنِّي حَيٌّ يَوْمَ بَانَتْ بَوْدَهَا خَنَسَاءُ⁴
مَنْ بَنِي عَامِرٍ لَهَا شِقٌّ نَفْسِي قَسَمَةً مِثْلَ مَا يُشَقُّ الرِّدَاءُ

1 شعر أبي زيد 76-77 .

2 الأبارق : جمع الأبرق وهو الأرض الغليظة الواسعة تنبت البقل والشجر . القف : ما يس من البقول . العرار : نبت أصفر طيب الرائحة .

3 غزار : إبل كثيرة اللبن .

4 شعر أبي زيد : 23-26 .

أَشْرَبْتُ لَوْنَ صُفْرَةٍ فِي بِيَاضٍ وَهِيَ فِي ذَاكَ لَذَنَةٌ غَيْدَاءُ
كُلُّ عَيْنٍ مِمَّنْ يَرَاهَا مِنَ النَّا سَ إِلَيْهَا مُدِيمَةٌ حَوْلَاءُ
فَاتَهُوا إِنْ لِلشَّدَائِدِ أَهْلًا وَذَرُّوا مَا تُزَيِّنُ الْأَهْوَاءُ
لَيْتَ شِعْرِي وَأَيُّنَ مِنِّي لَيْتَ إِنْ لَيْتًا وَإِنْ لَوْأَ عَنَاءُ
أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجُوزَاءُ
وَاسْتَظَلَّ الْعَصْفُورُ كَرْهًا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْجِرْبَاءُ
وَنَفَى الْجُنْدُبُ الْحَصَى بِكَرَاعِهِ هِ وَأَذَكْتَ نِيرَانَهَا الْمَعْرَاءُ¹
مِنْ سَمُومٍ كَانَتْهَا حَرٌّ نَارٍ سَفَعَتْهَا ظَهِيرَةٌ غَرَاءُ
وَإِذَا أَهْلُ بَلَدٍ أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوْيَةَ الْمَلْسَاءُ²
عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِنِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا خَرَسَاءُ³
عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنْ ذَا اللَّيْلِ لِلْعَيُونِ غِطَاءُ

نسبة ما يغنى فيه من هذا الشعر
صوت

[من الخفيف]

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجُوزَاءُ
وَاسْتَكَنَّ الْعَصْفُورُ كَرْهًا مَعَ الضِّبِّ بَ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْجِرْبَاءُ
وَإِذَا الدَّارُ أَهْلُهَا أَنْكَرُونِي عَرَفْتَنِي الدَّوْيَةَ الْمَلْسَاءُ
عَرَفْتُ نَاقَتِي الشَّمَائِلَ مِنِّي فَهِيَ إِلَّا بُغَامَهَا خَرَسَاءُ
عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي إِنْ ذَا اللَّيْلِ لِلْعَيُونِ غِطَاءُ

عروضه من الخفيف . غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ خَفِيفَ رَمْلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ،
وَعَنَى دَاوُدَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيَّ فِي الْخَامِسِ ثُمَّ الْثَالِثَ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .
[تَشَوَّقُ أَبِي زَيْدٍ لِلْكُوفَةِ]

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي خَبَرِهِ : وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَلِيدِ لَمَّا خَرَجَ عَنِ الْكُوفَةِ⁴ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

1 المعراء : الأرض الغليظة ذات الحجارة .

2 الدوية : الفلاة .

3 بغام الناقة : صوتها دون مدّ .

4 شعر أبي زيد : 72-73 .

لَعَمْرِي لئن أُنسى الوليدُ بيلدةٍ سواي لقد أُمسيتُ للذهَرِ مُعَوِّراً¹
 [قال ابن حبيب : «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طييء] .
 خلا أن رزقَ الله غادٍ ورائحٌ وأني له راجٍ وإن سِرتُ أشهراً
 وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلمي إذا أنا بالُنُكراءِ هيَّجتُ معشراً
 إذا صادفوا دوني الوليدَ كأنما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزَعَفراً²
 خضيبَ بنان ما يزال براكب يَخُبُّ وضاحي جلده قد تقشراً³
 وهي طويلة .

[الوليد يفاخر علي بن أبي طالب]

حدَّثني إسحاق بن بنان الأنماطي قال حدَّثنا حُبَيْش بن مُبَشَّر قال حدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدَّثنا ابن أبي ليلى عن الحَكَم عن سَعِيد بن جُبَيْر عن ابن عَبَّاس قال : قال الوليد بن عُقْبَةَ لعلِّي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أَحَدُ مَنْكَ سِنَاناً ، وَأَبْسطُ مَنْكَ لِسَاناً ، وَأَملاً لِلْكُتَيْبَةِ طِعَاناً ؛ فقال له علي رضي الله تعالى عنه : اسكُتْ ! فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ ؛ فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ 18/32 .

[أرسله النبي ﷺ ، على صدقات بني المصطلق فاتهمهم بالردة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عُمر بن شُبَّة قال حدَّثني محمد بن حاتم قال حدَّثنا يونس بن محمد قال حدَّثنا شَيْبَانُ عن قَتَادَةَ في قوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ قال : هذا ابنُ أَبِي مُعَيْطٍ الْوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ ، بعثه النبي ﷺ إلى بني الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقاً ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَهَابَهُمْ ؛ فَرجَعَ إلى النبي ﷺ فَأخبره أَنَّهُمْ قد ارتدَّوا عن الإسلام ؛ فبعث النبي ﷺ خالداً بن الوليد وأمره أن يثبَّت ولا يعجَل ؛ فانطلق حتَّى أَتَاهُمْ لَيْلاً فبعث عيونه ؛ فَلَمَّا جَاوَوْهُ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ متمسكون بالإسلام وسمعوا أَذَانَهُمْ وصلاتهم ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خالداً فرأى ما يُعْجِبُهُ ، فرجع إلى النبي ﷺ فَأخبره .

[شككه زوجه إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال حدَّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدَّثنا نُعَيْم بن حَكِيم عن أَبِي مَرْيَم عن علي : أَنَّ أَمْرَأَةَ الْوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ جَاءَتْ إلى النبي ﷺ ، تَشْتَكِي الْوَلِيدَ وَقَالَتْ : إِنَّهُ يضربها ؛ فقال لها : «ارجعي وقولي إنَّ رسولَ ﷺ ، قد

1 المعور : الذي لا حافظ له . والمعور في ل : مثاراً : أي محلاً للثأر .

2 ذو حماس : موضع وقيل مأسدة . المزعر : الأسد الورد .

3 ل : خضيب لبان .

أجارني» ، فانطلقت فمكثت ساعة ، ثم رجعت فقالت : ما أقْلَع عني ؛ فقطع رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : «امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله ﷺ ، أجارني» ؛ فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ما زادني إلا ضَرْباً ؛ فرفع يديه وقال : «اللهم عليك الوليد» مرتين أو ثلاثاً .

[لم يمسح النبي على رأسه يوم الفتح]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة ، وحدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن بُرقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الهمداني : أن الوليد بن عُقبة قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم ، فجيء بي إليه وأنا مُخلَقٌ فلم يمسسني ، وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلق .

[قتل جندب بن كعب ساحره خشية الفتنة]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن : أن الوليد بن عُقبة كان عنده ساحر يُريه كَيْسيتين تَقْتِيلان ، فتحمل إحداهما على الأخرى فتَهْزِمُها ؛ فقال له الساحر : أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتَهْزِمُها ؟ قال : نعم ؛ وأخير جُنْدَبٌ بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرجوا ، فضربه حتى قتله ، ففرج الناس وخرجوا ؛ فقال : يا أيها الناس لا عليكم ، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكُم في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

[قتل دينار بن دينار لإطلاعه رجلاً أمر بحبسه]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، وحدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري : أن رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يستعين بالسحر ، فقال : أو إن السحر ليعلن به في دين محمد ؟ فقتله ؛ فأتي به الوليد بن عُقبة فحبسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حبست ؟ فأخبره فخلّى سبيله ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

[سيرة جندب بن كعب الأسدي]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا أبو عمران الجوني : أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فراه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحر في جوف

البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة ففَقَطَعَهَا وَقَطَعَ السَّاحِرَ فِي البقرة فاندعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجَنُ يفتح له البابُ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا قُرّة عن محمد بن سيرين قال : انطلق بجندب بن كعب إلى سجن خارج الكوفة وعلى السجن رجل نصراني ، فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار ويقوم الليل ، قال النصراني : والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدق ؛ فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أي أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلة ثم قال : ربي رب جندب وديني على دين جندب ، وأسلم .

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره ، قالوا : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ، نزل رجل فساق بالقوم ورجز ، ثم نزل آخر فساق بالقوم ورجز ، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يواسي أصحابه ، فنزل فجعل يقول : «جندب وما جندب والأقطع الخير زيد» ؛ فدنا منه أصحابه وقالوا : يا رسول الله ما ينفعنا مشيتك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبة ؛ فركب ودنوا منه فقالوا : لقد قلت قولاً ما ندري ما هو ؟ قال : «وما ذاك» ؟ ؛ قالوا : قولك «جندب وما جندب والأقطع الخير زيد» ؛ فقال : «رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله فينتج الله آخر جسده بأوله» ؛ فكان زيد بن صوحان ، قطعت يده يوم جلولاء وقُتل يوم الجمل مع علي . وأما جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يكنى أبا شيان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتله ، وقال : [من الرجز]

الْعَنَ وَلِيداً وَأَبَا شَيَّانَ وَابْنَ حَبِيشَ رَاكِبَ الشَّيْطَانِ

رسول فرعون إلى هامان

[سعيد بن العاص يخلف الوليد على الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال : لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل

يرتجز في طريقه : [من الرجز]

وَيْلَ نُسَيَّاتِ الْعِرَاقِ مَنِّي كَأَنِّي سَمَعْتُ مِنْ جِنٍّ¹
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع قال
قال عدي بن حاتم : قديم سعيد بن العاص الكوفة فقال : اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان
رجساً نجساً ؛ فلم يصعده حتى غسل ، عيباً على الوليد . وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً
والن جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم : [من الرجز]

يَا وَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وجاءنا من بعده سعيد
ينقص في الصّاع ولا يزيد

وقال آخر : [من الوافر]

فَرَرْتُ مِنَ الْوَلِيدِ إِلَى سَعِيدٍ كَأَهْلِ الْحِجْرِ إِذْ جَزَعُوا فَبَارُوا
يَلِينَا مِنْ قَرِيشٍ كُلِّ عَامٍ أَمِيرٌ مُخَدَّتٌ أَوْ مُسْتَشَارٌ
لَنَا نَارٌ تُحَرِّقُنَا فَخَشَى وليس لهم فلا يخشون نار

[زيارة الوليد الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني قال : قديم الوليد بن
عقبة الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة ، فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه ، فقالوا :
والله ما رأينا بعدك مثلك ؛ فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا : بل خيراً ؛ قال : ولكني والله ما
رأيت بعدكم شراً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعض ما تثنون به ، فوالله إن بغضكم
لتلف ، وإن حبكم لصلف .

[قبيصة بن جابر يثني عليه بحضرة معاوية]

قال أبو زيد : وذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً
والوليد وقبيصة عنده : يا قبيصة ، ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ،
في أول وصل الرّجيم وأحسن الكلام فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على
الناس وغضبوا عليه وكنا منهم ، فإما ظالمون فنستغفر الله ، وإما مظلومون فغفر الله له ، وخذ
في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث ينسي القديم ؛ قال : ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة
وبسط الخير وكف الشر ؛ قال : فانت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال :

1 نسيات في ل : ويل لشبان . سمع : سريع أو خبيث لبق .

اسْكُتْ لَا سَكَّتْ ، فَسَكَّتْ وَسَكَّتَ الْقَوْمُ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَالِكَ لَا تَتَحَدَّثْ ؟ قَالَ : نَهَيْتَنِي عَمَّا كُنْتُ أَحِبُّ فَسَكَّتْ عَمَّا أَكْرَهُ .

[دفن هو وأبو زيد في موضع واحد]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني قال : مات الوليد بن عقبة فَوَيْقِ الرَّقَّةَ ، ومات أبو زيد ، فدُفِنَا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أشجع السلمي¹ وقد مرَّ بقبريهما :

مررتُ على عظامِ أبي زُبيدٍ وقد لاحتْ بِلَقَعَةٍ صَلُودٍ
وكان له الوليدُ نديمٌ صِدْقٍ فنادمَ قبرُهُ قبرَ الوليدِ
وما أدري بمن تَبَدَّ المنايا بأحمدٍ أو بأشجعٍ أو يزيدِ

[خرج غازياً للروم وقال شعراً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصراني : لستُ على دينكم ولكنني أنصحكم للنسب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رأوكم ضعفاءً أفنوكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم ؛ فقال سلمان بن ربيعة : يا معشر المسلمين ، ما عذركم عند الله غداً إن أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يُعْنهم أحدٌ منكم ! ؛ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون² الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم . فقال الوليد بن عقبة :

أتاني من الفجّ الذي كنتُ آمناً بقيَّةُ شذاذٍ من الخيلِ ظَلَعٌ³
عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَهَا ونازلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمِيذَعٍ
فإنِّي زعيمٌ أن تصيحَ نساؤهم صياحَ دجاجِ القريةِ المتوزعِ⁴

[مدحه الخطيئة وكذبه الخليس النهدي]

وقال الخطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً⁵ : [من الطويل]

1 سترجم أبو الفرج لأشجع السلمي فيما بعد .

2 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

3 الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . الشذاذ : القلال المتفرقون . ظلع : جمع ظالع وهو الذي في مشيته عرج خفيف .

4 المتوزع : المتفرق .

5 ديوان الخطيئة (صادر) : 77-80 .

أرى لابن أروى خلّتين اصطفاهما قتالٌ إذا يلقى العدوَّ وناثله¹
فتى يملأ الشيزى ويروى بكفه سينان الرذنيّ الأصمّ وعامله¹
يومُ العدوِّ حيث كان بجَحْفَلٍ يُصمُّ السميعَ جرسه وصواهلُه
إذا حان منه منزِلُ الليل أوقدت لأخراه في أعلى اليفاع أوائلُه
نفيت الجعادَ البيضَ عن حرّ دارهم فلم يبقَ إلّا حيّةٌ أنت قاتلُه

فقال الحليس بن نعيم النهديّ يكذب الحطيئة : [من الطويل]

وأبلغ أبا وهب إذا ما لقيته فقد حاربتك الرومُ فيمن تحاربُ
وفي الأرض حياتٌ وأسدٌ كثيرةٌ عدوٌّ ولكن الحطيئةَ كاذبُ

[شعره في مقتل عثمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عليّ بن محمد عن أبي
ميخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال : لما قُتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كل ما كان في داره من
السلاح وإبلًا من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عتبة² : [من الطويل]

بني هاشم ردّوا سلاح ابنِ أختكم ولا تنهبوه لا تحِلُّ مناهيُه
ويروى : ولا تهبوه لا تحِلُّ مواهبُه

بني هاشم كيف الهواة بيننا وعند عليّ سيفه ونجائبُه
قتلتُم أخي كيما تكونوا مكانه كما فعلتُ يوماً بكسرى مرّازبُه

هكذا في الخبر : ولا تهبوه لا تحِلُّ مواهبُه

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إسحاق الجعفريّ :
أنّ الوليد بن عتبة بن أبي مُعيط لقي بجاداً مولى عثمان ، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل ؛
فقال : [من الخفيف]

ليت أنّي هلكْتُ قبلَ حديثِ سلّ جسمي وربعَ منه فؤادي
يومَ لاقيتُ بالبلاطِ بجاداً ليت أنّي هلكْتُ قبلَ بجادٍ³

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونقص منه آخرُ مكانه وغنيّ فيه ، وهو : [من الخفيف]

1 الشيزى : الجفان . الأصم : الصلب . عامل الرمح : صدره .

2 تقدّمت هذه الأبيات بروايات مختلفة ، ص 78 .

3 البلاط : موضع بالمدينة .

صوت

طال ليلي وملّني عُوادي وتَجافى عن الضلوع مِهادي
 من حديثٍ نُمي إليّ فما يَرُ قَاْ دمعِي ولا أُحِسْ رُقادي
 يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجَاداً ليت أني هَلَكْتُ قبلِ بِجادِ
 وبنفسي التي أُحِبُّ وأهلي وبمالي وطارفي وتلادي
 قلتُ لا تَغْضبي فذلك قولي بلساني وما يُجِنُّ فُوادي

غَنّي فيه ابن عَبّاد ثاني ثَقِيل مُطْلَق في مجرى البَنْصَر في الأوّل والرابع من الأبيات ، وذكر عمرو بن بَانَة أَنه لابن مُحَرِّز ، ومن الناس من يَنْسُبُه إلى ابن سُرَيْج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني ، وذكر ابن المَكِّي أَنه للغَرِيض ثاني ثَقِيل بالخَنْصَر في مجرى البَنْصَر ، ووافقه يونس . وذكر أَنَّ في هذا الشعر لابن سُرَيْج والغَرِيض لَحْنين في الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أَنَّ فيها لَمَعِد ثَقِيلاً أوّل بالوُسْطى ، ولَعِبِد الله بن العَبّاس الرِّبْعِيّ ثاني ثَقِيل بالوُسْطى ، ولِلغَرِيض خَفِيف رَمَلٍ بالوُسْطى ، وَلسَلِيم ثَقِيلٌ أوّل بالوُسْطى . وذكر أَحْمَد بن عُبَيْد أَنَّ فيه رَمَلاً لابن جَامِع في البيت الأوّل وحده ، وَأَنَّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه .

[تطير الأيمن من الغناء بشعره]

أخبرني أَحْمَد بن جَعْفَر جَحْظَة قال حَدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حَدَّثني أبي قال : أَرْسَل إليّ مُحَمَّد بن زُبيدة في ليلةٍ من ليالي الصَّيف مُقَمِّرة : يا عَمَّ إِنَّ الحربَ بيني وبين طاهر بن الحسين قد سَكَنَتْ ، فَصَرَّ إليّ ، فَأَنّي إِلَيْكَ مُشْتاقٌ ، فَجَتَّهُ وَقَدْ بَسِطَ له على سَطْح زُبيدة ، وعنده سليمان بن جَعْفَر عليه كِسَاءٌ رُوذِبَارِيٌّ¹ وَقَلَنْسُوءَةٌ طَوِيلَة ، وَجَوَارِيه بين يديه ، «وَضَعْفُ» جَارِيَتُهُ عنده ، فَقَالَ لها : غَنِّيني فَقَدْ سُرِرْتُ بِعَمومتي ؛ فاندفعتْ تَغْنِيه : [من الطويل]

هُمُ قَتَلوه كي يَكُونوا مكانه كما فَعَلْتُ يوماً بِكسرى مَرَارِيهَ
 بني هاشمٍ كيف التواصَلُ بَيْننا وعند أَخِيهِ سِيفُهُ وَنَجَائِيهَ
 هَكَذَا غَنَّتْ ؛ وَإِنَّمَا هو :

وعند عَلِيٍّ سِيفُهُ وَنَجَائِيهَ

فَغَضِبَ وَتَطَيَّرَ وَقَالَ لها : ما قِصَّتْكَ وَيَحْكُ ! أَتُنْتِي وَاتَّهَيْي وَغَنِّيني ما يَسُرُّني !

فاندفعتْ وَغَنَّتْ : [من مجزوء الكامل]

1 نسبة إلى رُوذِبَار وهو علم على مواضع مختلفة .

هذا مَقَامٌ مُطَرِّدٌ هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدَوْرُهُ

فازداد تَطَرُّباً ، ثم قال لها : وَنَحَلْكِ ! انتهى ، غَنِّيني غير هذا ؛ فغَنَّتْ : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ؛ فوثبت وكان بين يديه قَدْحٌ بَلُورٌ وَكَانَ لَحْبُهُ إِيَّاهُ سَمَاءَ بِاسْمِهِ مُحَمَّدًا ، فَأَصَابَهُ طَرْفُ ذَيْلِهَا¹ فَسَقَطَ عَلَى بَعْضِ الصَّوَانِي فَانْكَسَرَ وَتَفَتَّتْ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَرَى وَاللَّهِ يَا عَمَّ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَيَّامِنَا ؛ فَقُلْتُ : كَلَّا ، بَلْ يُثْقِلُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْرُكَ ؛ قَالَ : وَدِجْلَةٌ وَاللَّهِ يَا بَنِي هَادِثَةٍ مَا فِيهَا صَوْتُ مُجْدَافٍ وَلَا أَحَدٌ يَتَحَرَّكُ وَهِيَ كَالطُّسْتِ هَادِثَةٍ ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ : «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» . قَالَ : فَقَالَ لِي : أَسَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ يَا عَمَّ ؟ فَقُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ وَقَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُهُ فَقَالَ : الصَّوْتُ الَّذِي جَاءَ السَّاعَةَ مِنْ دِجْلَةٍ ؛ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا ، وَمَا هَذَا إِلَّا تَوَهُمٌ ؛ فَإِذَا الصَّوْتُ قَدْ عَادَ يَقُولُ : «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» . فَقَالَ : انصرفت يا عَمَّ يَبْتَئِكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَمَحَالٌ أَلَّا تَكُونَ الْآنَ قَدْ سَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ ؛ فَانصرفت ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

[معاوية يأخذ ماله ويوبخه على الطلب]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ ، قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَا الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ مُحَمَّدٌ : وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمِيعًا عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : وَقَدْ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَكَانَ جَوَادًا ، عَلَى مُعَاوِيَةَ ؛ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بِالْبَابِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ مُعْطِيًا² غَيْرَ مُعْطَى ، فَإِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَتَانَا يَقُولُ : عَلَيَّ دَيْنٌ وَعَلَيَّ كَذَا وَكَذَا ؛ يَا غَلَامُ ائْذَنْ لَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَسَأَلَهُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أُمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُحِبُّ إِثَارَ³ مَالِكَ بِالْوَادِي وَقَدْ أَعْجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَهَبُهُ لِيَزِيدَ فَعَلْتَ ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ : هُوَ لِيَزِيدَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَيَّامًا ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَنْظِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِي ، فَإِنَّ عَلَيَّ مَوْوَنَةً وَقَدْ أَرْهَقَنِي دَيْنٌ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَلَا تَسْتَحْيِي لِحَسْبِكَ وَنَسْبِكَ ! تَأْخُذُ مَا تَأْخُذُ فَتَبْذُرُهُ ثُمَّ لَا تَنْفَكُ تَشْكُو دَيْنًا ؟ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَفْعَلْ ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَكَانَهُ فَصَارَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَقَالَ : [من مجزوء الكامل]

1 ل : ردائها .

2 ل : مغيظًا .

3 ل : إتيان .

فإذا سئلتَ تقول لا وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبى فعال الخير لا تروى وأنت على الفراتِ
أفلا تميل إلى نعم أو ترك لا حتى المماتِ

قال : فبلغ معاوية مقدّمه الجزيرة ، فخافه وكتب إليه : أن أقبل إلي ؛ فكتب إليه : [من الطويل]

أعِفُّ وأستحيي كما قد أمرتني فأعطِ سواي ما بدا لك وانحل¹
سأخذو ركابي عنك إن عزيمتي إذا نابني أمر كسلّة منصل
وإني امرؤ للرأي مني تطرف وليس شبا قفل علي بمقفل

ورحل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عقبة]

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

ربما نبهني الإخـ سوان والليل بهيم
حين غارت وتدلت في مهاويها النجوم
ونعاس الليل في عيـ نبي كالشاي مقيم
للتّي تُعَصِّر لـ أينعت منها الكروم
أنا بالرّيّ مقيم في قري الرّيّ أهيم
ما أراني عن قري الرّيّ مدى دهري أريم

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي . ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وإبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل ، وقيل : إنه لابنه إسحاق . وفيه لأحمد بن يحيى المكّي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد .

1 أستحيي في ل : وأستغني .

[69] - نسب إبراهيم الموصلي وأخباره¹

[نسب إبراهيم الموصلي ونشأته]

هو فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجّم عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله ابن الربيع عن وسّاسة ، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه ، إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهّمن بن نسل ، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنّه كتب إلى صديق له فعنّون كتابه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أما تستحي من هذا الاسم ! فقال : هو اسم أبي ؛ فقال : غيره ؛ فقال : وكيف أُغيره ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمون ، فبقي إبراهيم بن ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلنا من فارس ، ولنا بيت شريفٌ في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرب من جور بعض عمّال بني أميّة ، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فكان بين إبراهيم وبين ولدٍ نضلة بن نعيم رضاع . وأمّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فتزوجها ماهان بالكوفة فولدت إبراهيم ومات في الطاعون الجارف² ، وخلف إبراهيم طفلاً . وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة .

[كفله بعد موت أبيه آل خزيمه بن خازم]

قال أحمد³ بن أحمد بن إسماعيل وسّاسة في خبره : ومات ماهان وخلف إبراهيم طفلاً ، فكفّله آل خزيمه بن خازم .

وقال يحيى بن علي في خبره : إنّ كان لإبراهيم لما مات أبوه سستان أو ثلاث ، وخلف معه أخوين له من غير أمّه أكبر منه ، فأقام إبراهيم مع أمّه وأحواله حتى ترعرع ، فكان مع ولد خزيمه بن خازم في الكتاب ، فبهذا السبب صار ولأوه لبني تميم . وسأله الرشيد فقال : ما السبب بينك وبين بني تميم ؟ فاقتصّ عليه قصّته ، وقال : ربّونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا

1 لإبراهيم الموصلي النديم ترجمة موجزة في وفيات الأعيان 1 : 42-43 وتاريخ بغداد 6 : 175 وفي الجزء التاسع من التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلًا عن الأغاني .

2 في وفيات الأعيان 1 : 43 أنّه مات بداء القولنج .

3 ورد فيما تقدّم أنّه أحمد بن محمد بن إسماعيل .

تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رِضاغ ، فتولّونا بهذا السبب ؛ فقال له الرشيد : وَيَحْكُ فما أراك إذن إلّا مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصتي يا أمير المؤمنين .
[سبب نسبه إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيم الموصليّ أنّه لما نشأ واشتدَّ وأدرك ، صَحِبَ الفتیان واشتهى الغناء فطلبه ، واشتدَّ أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهربَ منهم إلى المَوْصِل ، فأقام بها نحواً من سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتیان : مرحباً بالفتي المَوْصِلِي ، فَلَقِبَ به . وقال أحمدُ في خبره : إنّ سبب طلبه الغناء أنّه خرج إلى الموصل ، فصَحِبَ جماعةً من الصعاليك كانوا يُصَيِّبون الطريق ويُصَيِّبه معهم ، ويجمعون ما يُفِيدونه فيَقْصِفُون ويشربون ويغْنُون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشدا ، فكان أطيّهم وأحذقهم ، فلما أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر ابنُ خُرْداذبِه ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كُتُبُه¹ ، أنّ سببَ نَسَبِهِ إلى الموصل أنّه كان إذا سكر ، كثيراً ما يغني على سبيل الوَلَع² :

أنا جيتُ مِنْ طُرُقِ مَوْصِلٍ أَحْمَلُ قِلِيلَ خَمْرِيَا³
مَنْ شاربَ الملوك فلا بدّ مِنْ سُكْرِيَا

قال الأصفهاني : وما سمعتُ بهذه الحكاية إلّا عنه ؛ وإنّما ذكرتها على غثائتها لشهرتها عند الناس ، وإنّما عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبَةِ إبراهيم إلى الموصل ، فذكرته دالّاً على عوّاره . أخبرني الحسين بن يحيى المُرْدَاسِيّ وابنُ أَبِي الأَزهَر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُسْلِمَ أَبِي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً ، ولا يزال يُضْرَب ويُحْبَس ولا يَنْجَعُ ذلك فيه ، فهرب إلى المَوْصِل وهناك تعلّم الغناء ، ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أيضاً ، ومهر وتزوَّج هناك امرأته دُوشار وتفسير هذا الاسم أسدان ، وطال مُقامه هناك ، وأخذ الغناء الفارسيّ والعربيّ ، وتزوَّج بها أيضاً شاهك أمّ إسحاق ابنه وسائر ولده . قال : وفي دُوشار هذه يقول إبراهيم ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج ، :

[من الرجز]

1 رَما كان في طعن أبي الفرج على ابن خرداذبه شيء من الافتئات . فقد اعتمد ياقوت على كتابه «المسالك والممالك» في النقل في «معجم البلدان» وقرظه المسعودي في «التنبيه والاشراف» . وانظر «معجم الأدباء» (تحقيق إحسان عباس) : 1575 .

2 ل : الولوع .

3 هذا شعر عامي ينبغي أن يقرأ كذلك .

دُوشَارُ يَا سَيِّدَتِي يَا غَايَتِي وَمُنِيَّتِي
وَيَا سروري من جميع مع الناس رُدِّي سَيَّتِي

[أنفق أول مال وصله في تعلّم صناعة الغناء]

قال إسحاقُ وحَدَّثني أبي قال: أولُ شيء أُعْطِيتُهُ بالغناء أَنِّي كُنْتُ بالرَّيِّ أَنَادِمُ أَهْلَهَا بِالسَّوِيَّةِ لَا أَرْزُوهُمْ شَيْئاً ، وَلَا أَنْفِقُ إِلَّا مِنْ بَقِيَّةِ مَالٍ كَانَ مَعِي انصرفتُ بِهِ مِنَ الْمَوْصِلِ ؛ فَمَرَّ بَنَا خَادِمٌ أَنْفَذَهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ إِلَى بَعْضِ عَمَّالِهِ بِرِسَالَةٍ ، فَسَمِعَنِي عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، فَشَغِفَ بِي وَخَلَعَ عَلَيَّ دُؤَاجَ سَمُورٍ¹ ، لَهُ قِيَمَةٌ ، وَمَضَى بِالرِسَالَةِ وَرَجَعَ وَقَدْ وَصَلَهُ الْعَامِلُ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَسَاهُ كُسُوةً كَثِيرَةً ، فَجَاءَنِي إِلَى مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ أَسْكُنُهُ فَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَوَهَبَ لِي نِصْفَ الْكُسُوةِ الَّتِي مَعَهُ وَالْفَيِّ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا اكْتَسَبْتُهُ بِالْغِنَاءِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ هَذِهِ الدِّرَاهِمَ إِلَّا عَلَى الصَّنَاعَةِ الَّتِي أَفَادَتْنِيهَا ، وَوُصِفَ لِي رَجُلٌ بِالْأُبَلَّةِ يُقَالُ لَهُ جُؤَانُويَه² كَانَ حَازِقاً ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَصَحِيتُ فَتَيَانَهَا ، فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَغَنَيْتُهُمْ فَشَغَفُوا بِي .

[اتصاله بالمهدي]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : لَمَّا أَتَيْتُ جُؤَانُويَه لَمْ أَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى جَاءَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ احْتَشَمَنِي وَكَانَ مَجُوسِيّاً ، فَأَخْبَرْتُهُ بِصَنَاعَتِي وَالْحَالِ الَّتِي قَصَدْتُ فِيهَا ؛ فَحَرَّبَ بِي وَأَفْرَدَ لِي جَنَاحاً فِي دَارِهِ ، وَوَكَّلَ بِي أُخْتَهُ ، فَقَدِمَتْ إِلَيَّ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسِ مِمَّنْ يُغَنِّي ، فَزَلْتُ إِلَيْهِ ، فَجَلَسْنَا فِي مَجْلِسٍ قَدْ صُفِّيَ لَنَا فِيهِ نَبِيذٌ وَأُعِدَّتْ لَنَا فَاكِهَةٌ وَرِيَّاحِينُ ، فَجَلَسْنَا وَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وَضَرَبُوا وَغَنَوْا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَائِدَةً ؛ وَبَلَغَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ ، فَضَرَبْتُ وَغَنَيْتُ ، فَقَامُوا كُلُّهُمْ إِلَيَّ وَقَبَلُوا رَأْسِي ، وَقَالُوا : سَخِرْتَ مِنَّا ، نَحْنُ إِلَى تَعْلِيمِكَ لَنَا أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْنَا ؛ فَأَقَمْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَيَّاماً ، حَتَّى بَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنُ عَلِيٍّ خَبْرِي ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ فَأَحْضَرَنِي وَأَمَرَنِي بِمِلَازِمَتِهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي لَسْتُ أَتَكَسَّبُ بِالْغِنَاءِ وَإِنَّمَا أَلْتَذُّهُ فَلِذَلِكَ تَعَلَّمْتُهُ ، وَأُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَخَذَنِي بِمِلَازِمَتِهِ ، وَسَأَلَنِي : مَنْ أَنَا ؟ فَانْتَسَبْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَزِمْتَنِي وَعَرِفْتُ بِهَا ؛ وَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ أَثِيراً مَكْرَماً حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الْمَهْدِيِّ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ عِنْدَهُ قَالَ لَهُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْوَجُ إِلَيَّ هَذَا مِنْكَ ، فَدَافَعَهُ عَنِّي ؛ فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ عَلَى الْمَهْدِيِّ سَأَلَهُ عَمَّا رَأَى فِي طَرِيقِهِ وَمَقْصِدِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِي فَوْصَفَنِي لَهُ ؛ فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ بِالرَّجُوعِ إِلَى مُحَمَّدٍ وَإِشْخَاصِي إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ

1 دواج سمور: نوع من الفراء الثمين .

2 ل: خوالويه .

وجاء فأشخصني إلى المهديّ ، فحطّيتُ عنده وقَدَمَني .
[أول هاشميّ صحبه وأول خليفة سمعه]

قال وسواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال : كان أول هاشميّ صجّته عليّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمّد ، وكان فتاهم ظرفاً¹ ولهاً وسماحةً ، ووصفني له جَوَانُويَه ومضى بي إليه ، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع . وأول خليفة سمعني المهديّ ، وصِفْتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان ، وما سمع قبلي من المغنين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العوّاء وسيّاط ، فإنّ الفضل بن الرّبيع وصلهما به .

[نهاه المهديّ عن الشرب ومصاحبة ابنه موسى وهارون]

قال إسحاق : فحدّثني أبي قال : كان المهديّ² لا يشرب فأرادني على مُلازمته وترك الشرب فأبَيْتُ عليه ، وكنتُ أغيّبُ عنه الأيّام ، فإذا جئته جئتُه مُتَشَيِّاً ، فغاظه ذلك مني فضرّبتني وحَبَسَني ، فحدّثتُ الكتابة والقراءة في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما تعلّمتُ هذه الصنعة للذّتي وعِشرتي لإخواني ، ولو أمكنني تركها لتركها وجميع ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضباً شديداً وقال : لا تَدْخُل على موسى وهارون ألبتّة ، فوالله لئن دخلتُ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنّي دخلتُ عليهما وشربتُ معهما ، وكانا مُستَهترين بالنبيذ ، فضرّبتني ثلثمائة سوط ، وقيدني وحَبَسَني .

قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي : أنّه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادم ، فسعى بهما وبني إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجرّدتُ فضرّبتُ ثلثمائة وستين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إنّ جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ دمي ، والله لو كان سرُّ ابنك تحت قدمي ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبان السّاعي العبد ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرّبتني بالسيف في جفّنه³ فشجّني به ، وسقطتُ مغشيّاً عليّ ساعة ، ثم فتحتُ عيني فوقعتا على عيني المهديّ ، فرأيتُهما عينيّ نادِم ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خذْه إليك . قال : وقبّل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سَلَام الأبرش فضرّبتني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلَام عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء

1 ل : أكثرهم طرباً .

2 قارن بالذاكرة الحمدونية 9 : 32-33 (رقم 52أ) ونهاية الأرب 4 : 330-331 .

3 جفن السيف : غمده .

وخضرَاء وحمرَاء من حرِّ السَّوْطِ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهًا بِالْقَبْرِ فَيَصِيرُنِي فِيهِ ؛ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِكَبْشٍ فَذُبِجَ وَسُلْخٌ وَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبُ ، وَدَفَعَنِي إِلَى خَادِمٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ التَّرَكِّيِّ فَصِيرُنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ ، وَوَكَّلَ بِي جَارِيَةً لَهُ يَقَالُ لَهَا جَشَّةٌ ؛ فَتَأْذِيْتُ بَنَزَّ كَانَ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ وَبِالْبَقِ ، وَكَانَ فِيهِ حَلِيٌّ¹ أُسْتَرِجَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَجَشَّةَ : اطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا فَحَمَّ وَكُنْدُرٌ² يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقِ ، فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ ، فَلَمَّا دَخَنْتُ أَظْلَمَ الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْغَمِّ ، فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهِ إِلَى النَّزِّ فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْتَهِيَ حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ ، فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ تَمَّا كُنْتُ فِيهِ ، إِذَا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شَقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ ، فَهَمَمْتُ أَنْ آخِذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى بِيَدِي الْيَسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَا لِي ، ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا ، فَدَخَلْنَا مِنَ الثَّقَبِ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ ، فَمَكَّثْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْهُ ؛ وَوَجَّهْتُ إِلَى أَبِي عَثْمَانَ الْخَادِمِ أَسْأَلُهُ أَنْ يَبِيعَنِي جَشَّةَ لِأُكَافِئَهَا عَمَّا أَوْلَتْني³ فَفَعَلَ ، فَزَوَّجْتُهُ مِنْ حَاجِبٍ لِي ، وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَنَا . قَالَ إِسْحَاقُ : مَكَّثْتُ عِنْدَنَا حَتَّى مَاتَتْ ، وَبَقِيَتْ بِنْتُهَا يَقَالُ لَهَا جُمُعَةُ ، فَزَوَّجْتُهُ مِنْ مَوْلَى لِي فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأنا مقيدٌ :

أُعالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا	أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ
أُسَامُ بِهَا الْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا	بِدَارِ الْمَوَانِ وَشَرِّ الدِّيارِ
فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُم قَلِيلًا	كَثِيرَ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ
فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلٌ خَلِيلًا	لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ

[صنع وهو في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية]

قال : ثُمَّ أُخْرِجَنِي الْمَهْدِيَّ وَأَحْلَفَنِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَكُلِّ يَمِينٍ لَا فُسْحَةَ لِي فِيهَا إِلَّا أُدْخَلَ عَلَى ابْنَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا ، وَخَلَّى سَبِيلِي . قَالَ : وَصَنَعْتُ فِي الْحَبْسِ لِحْنًا فِي شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لَمَّا حَبَسَهُ الْمَهْدِيَّ بِسَبَبِ عُتْبَةٍ ، وَهُوَ⁴ :

صوت

أَيَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ نَجْيِ الْبَلَابِلِ وَيَا وَيْحَ سَاقِي مِنْ قُرُوحِ السَّلَاسِلِ

1 ل : خلاء . والحلي : كلاً يابس .

2 الكندر : اللبان الذكر .

3 ل : فعلت .

4 ديوان أبي العتاهية : 625-626 .

ويا ويح نفسي ويحها ثم ويحها أَلَمْ تَنْجُ يوماً من شياك الحبال
ويا ويح عيني قد أضرب بها البكا فلم يُغن عنها طيباً ما في المكاحل
ذريني أُعَلِّلُ نفسي اليوم إنها رهينة رَمَسٍ في ثرى وجنادل
ذريني أُعَلِّلُ بالشراب فقد أرى بقية عيشي هذه غير طائل

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حماد أنه لجده إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في
الثلاثة الأبيات الأول ، وله في البيتين الأخيرين ثقیلاً أول بالوسطى .
[استمر من الهادي لما ولي الخلافة وكان للمهدي]

قال حماد : فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدتي منه ولم يظهر له بسبب الأيمان
التي حلفه بها المهدي ، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت وأهلنا يروعون بطلبه حتى أصابوه
فمضوا به إليه ، فلما عاينه قال : يا سيدي ، فارقت أم ولدي وأعز خلق الله علي ، ثم غناه لحنه
في شعره :

صوت

يا ابن خير الملوك لا تتركني غرضاً للعدو يرمي حيالي
فلقد في هواك فارقت أهلي ثم عرّضت مهجتي للزوال
ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رَمَلٌ بالوسطى . قال إسحاق : فمؤله والله الهادي وخوّه ،
وبحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائة وخمسين ألف دينار ، ولو عاش لنا لبنينا حيطاناً دورنا
بالذهب والفضة¹ .

[ما وصل إليه من الأموال وما تركه]

قال حماد قال لي أبي² : نظرت إلى ما صار إلى جدك من الأموال والغلات³ وثن من ما باع
من جواريه ، فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف درهم سوى أرزاقه الجارية ، وهي عشرة
آلاف درهم في كل شهر ، وسوى غلات ضياعه ، وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها ؛
ولا والله ما رأيت أكمل مروءة منه ، كان له طعام معد في كل وقت ؛ فقلت لأبي : أكان
يمكنه ذلك ؟ فقال : كان له في كل يوم ثلاث شياه : واحدة مقطعة في القدور ، وأخرى
مسلوخة ومعلقة ، وأخرى حية ، فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور ، فإذا فرغت قطعت الشاة

1 ل : ذهباً وفضة .

2 التذكرة الحمدونية 9 : 33 (رقم 52ب) ونهاية الأرب 4 : 331-332 .

3 ل : والصلات .

المعلّقة ونُصبت القدور وذُبِحت الحية فَعَلَقْتُ وَأَتَيْتُ بِأُخْرَى فَجَعَلْتُ وَهِيَ حَيَّةٌ فِي الْمَطْبَخِ ؛
وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يُتخذ له في كلِّ شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى
وسوى كُسوته ؛ ولقد اتَّفَقَ عندنا مرّةً من الجوّاريّ الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما منهنّ
واحدة إلّا ويُجرى عليها من الطعام والكُسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخصّ جواريه ، فإذا
رُدَّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلّا ثلاثة آلاف دينار ،
وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

[محاطة في ثمن جارية بينه وبين الرشيد]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن المرزبان قالوا أخبرنا حمّاد بن
إسحاق قال : كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدّي جاريةً بستّة وثلاثين ألف دينار ،
فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع : إنّنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحن
نحسب أنّها من بابتنا¹ وليست كما ظننّاها ، وما قَرَبْتُها ، وقد ثَقُلَ عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما
بينكما ، فاذهب إليه فسَلْهُ أَنْ يَحْطُنَا مِنْ ثَمْنِهَا سِتّة آلاف دينار ؛ قال : فصار الفضلُ إليه
فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلّقه ؛ فقال : دَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَةِ الَّتِي لَا مُؤَنَةَ بَيْنَنَا فِيهَا ،
لَسْتُ مِمَّنْ يُخَدَعُ ، وقد جِئْتُكَ فِي أَمْرٍ أَصْدُقُكَ عَنْهُ ، ثم أخبره الخبرَ كلّهُ ؛ فقال له إبراهيم :
إنّه أراد أن يلوّ قَدْرَكَ عندي ؛ قال : ذاك أراد ! قال : فمالي كلّهُ صدقةٌ في المساكين إن لم
أضعفه لك ، قد حَطَطْتُكَ اثني عشر ألف دينار ؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر ؛ فقال : وَتِلْكَ ؛
ادفعْ إلى هذا مالهُ ، فما رأيتُ سُوقَةً قَطُّ أَنْبَلَ نَفْساً مِنْهُ . قال أبي : وكنتُ قد أَتَيْتُ جَدَّكَ
فقلتُ : ما كان لحطيطة هذا المال معنىً وما هو بقليل ، فتغافل عني وقال : أَنْتَ أَحَقُّ ، أَنَا
أَعْرِفُ النَّاسَ بِهِ ، وَاللّهِ لَوْ أَخَذْتُ الْمَالَ مِنْهُ كَمَلًا² مَا أَخَذْتُهُ إِلَّا وَهُوَ كَارِهِ ، وَيَحْقِدُ ذَلِكَ عَلَيَّ
وَكُنْتُ أَكُونُ عَنْده صَغِيرَ الْقَدْرِ ، وقد مَنَنْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْفَضْلِ ، وَانْبَسَطَتْ نَفْسُهُ وَنَشِيطُ
وَعَظْمُ قَدْرِي عَنْده ، وَإِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْجَارِيَةَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ ، وقد أَخَذْتُ بِهَا أَرْبَعَةَ
وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا حُمِلَ الْمَالُ إِلَيْهِ بِلا حَاطِطَةٍ دَعَانِي فَقَالَ لِي : كَيْفَ رَأَيْتَ يَا
إِسْحَاقُ ! مَنْ الْبَصِيرُ أَنَا أَمْ أَنْتَ ؟ فقلتُ : بَلْ أَنْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ .

[وفاءه للفضل بن يحيى والفضل بن الربيع]

حدّثني وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال³ : لَقِيَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى أَبِي وَهُوَ خَارِجٌ

1 من بابتنا : مِمَّنْ يَصْلَحُ لَنَا .

2 كَمَلًا : كَامِلًا .

3 التذكرة الحمدونية 3 : 21 .

من عند الفضل بن الربيع ، وكانا متجاورين في الشَّمَّاسِيَّة¹ ، فقال : من أين يا أبا إسحاق ؟ أمِن عند الفضل بن الربيع ؟ قلت : نعم ، غير معْتَذِرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ؟ هذان والله أمران لا يجتمعان لك ؛ فقال : والله لئن لم يكن في ما يتَّسع لكما حتى يكونَ الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما في خيرٍ ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قِبلني على هذا قِبلني ، ومن لم يقبلني فهو أعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أنت عندي غير متَّهم ، والأمرُ كما قلت ، وقد قِبلتُك على ذلك .

[من الحبس إلى مجلس الرشيد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي : أنَّ الرشيد غضِبَ عليه فقيده وحبسه بالرَّقَّة ، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلستنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غَيَّبُ إبراهيم الموصلي عنه ؛ فأمر بإحضاري فأحضرتُ في قيودي ، ففكَّت عني بين يديه ، وأمرهم فناولوني عُوداً وقال : غنَّي يا إبراهيم ؛ فغنَّيته :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ²
فاستعاده وشرب وطرب ، وقال : هَنَّاأَتَنِي يَوْمِي وَسَاهَيْتُكَ بِالصَّلَةِ ، وقد وهبتُ لك
الهنىءَ والمريءَ ؛ فانصرفْتُ ، فلَمَّا أَصْبَحْتُ عَوَّضْتُ مِنْهُمَا مَائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ
مَرَزْنَ بِفَخٍ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ
يُخَمِّرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَازِ مُقْتَدِرَاتٍ³
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ التَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
الشعر للتميرِيِّ التَّقْفِيِّ . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثاني ثَقِيلٍ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ

1 الشَّمَّاسِيَّة : محلة ببغداد .

2 بطن نعمان : واد بين مكة والطائف . ونسوة خفرات في ل : نسوة عطرات .

3 رواية هذا البيت في الكامل للمبرد (الدالي) : 771

يخشن أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل مخنمات

إسحاق ويحيى المكيّ وعمرو بن بانه . وذكر حبش¹ أن فيه لَعَزَةً المَيْلَاءِ لَحْنًا من الثقيل الأول .
[أنشده يحيى بن خالد بيتاً فثناه وغنى فيه]

أخبرني محمد بن مَزِيد وأحمد بن جعفر جَحْظَةً قالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بن إِسْحَاقَ قال ، وأخبرني
الصُّوْلِيّ قال حَدَّثَنِي عَوْنُ بن مُحَمَّدٍ جميعاً عن إِسْحَاقَ عن أبيه قال : رأيت يحيى بن خالد خارجاً
من قصره الذي عند باب الشَّمَاسِيَّةِ يريد قصره الذي بباب البَرْدَانِ¹ وهو يتمثل : [من الوافر]

صوت

هَوَى يَتِهَامِيَهُ وهَوَى بِنَجْدٍ فَأَبْلَتْنِي التَّهَائِمُ والنُّجُودُ²

قال أبي : فَرِدْتُهُ عليه :

أَقِيمْ بذا وأذْكَرْ عَهْدَ هذا فلي ما بين ذَيْنِ هَوَى جَدِيدُ
قال : وصنعت فيه لَحْنًا ، قال الصُّوْلِيّ في خبره : وهو من خفيف الثَّقِيلِ ، ثم صيرتُ إليه
فَغَنِيَّتَهُ إِيَّاهُ ، فأمر لي بألف دينار وبدأته التي كانت تحته يومئذٍ بِسَرَجِهَا ولِجَامِهَا ؛ فقلت له :
جزاك الله من سيّد خيراً ، فَإِنَّكَ تَأْتِي الأنْفُسَ وهي شواردُ فَتُفَرِّقُهَا ، والأَهْوَاءُ وهي سَقِيمَةٌ
فُتْصِحَّتْهَا ؛ فأمر لي بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضَرَبَ الدهرُ من ضَرْبِهِ ، فبينما أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف ،
وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجّل له وأنشده³ :

صوت

بالله يا غضبانُ إِلَّا رَضِيتُ أَذَاكَرٌ للعهدِ أم قد نسيْتُ

فقال : بل ذاكَرٌ يا أبا الفضل ؛ فأَضَفْتُ إلى هذا البيت :

لو كنتُ أبغِي غيرَ ما تشتهي دعوتُ أن تُبْلِي كما قد بُلِيتُ
وصنعت فيه لَحْنًا ، قال الصُّوْلِيّ في خبره : هو ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، قال : وَغَنِيَّتُهُ به ، فأمر لي بِالْفِي
دينار ووضعتُ ؛ فقلت : من أيّ شيء تَضْحَكُ يا سيّدي ؟ لا زلتُ ضاحكاً مسروراً ! فقال :
ذكرتُ ما جرى في الصوتِ الأوّلِ وأنّه كان مع الجائزة دابةً بِسَرَجِهِ ولِجَامِهِ ، ولن تنصرف
الليلةَ إِلَّا على مثله ، فقمْتُ فقبَلْتُ يَدَهُ ؛ فأمر لي بِالْفِي دينارَ آخَرِينَ ، وقال : تلك الكَرَّةُ
شَكَرْتُ على الجائزة بكلام فَرِدْنَاكَ ، والآن شَكَرْتُ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّي مُضَيِّقٌ

1 البردان : من قرى بغداد آتخذ .

2 فأبليتني في ل : فأبكتني .

3 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 87 .

في هذا الوقت لضاعفتها ، ولكن الدهر بيننا مستأنفٌ جديد .
[غنى الرشيد بشعره]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : لما نزل الرشيدُ في طريقه إلى طوس بشيداز¹ جلس يشرب عنده ، فكان إبراهيمُ الموصلي أولَ مَنْ غناه ، فابتدأ بهذا الصوت ، والشعرُ له :

صوت

رَأَيْتُ الدِّينَ والدُّنْيَا مُقِيمَيْنِ بِشِيدَازِ
أَقَامَا بَيْنَ حَجَّاجٍ وَغَازٍ أَيْمًا غَازِ²

وهو من الثقل الأول ، فأمر له بألف دينار ، ولم يستحسن الشعر ، وقال له : يا إبراهيم صَنَعْتُكَ فيه أحسن من شعرك ؛ فحجَل وقال : يا سيدي شغل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضرتي ؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقت .
[كثير الأصدقاء]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان جدُّك محبًّا للأشراف كثير الأصدقاء منه ، حتى إن كان الرشيدُ ليقولُ كثيراً : ما أعرف أحداً أكثر أصدقاءً من إبراهيم .
[كاتب وشاعر وخطيب]

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة : أبي ، وحكم الوادي ، وفليح بن أبي العوراء ، وسياط ؛ فقلت له : وما بلغ من جذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيحسنون ، ويؤدون غناءً غيرهم فيحسنون ؛ فقلت : فأَيُّهم كان أحذق ؟ قال : كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتبٍ أو شاعرٍ يحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلغ منها ما يبلغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوهٍ ، إن خطب أجزل ، وإن كتب رسالة أحسن ، وإن قال شعراً أحسن ، ولم يكن فيهم مثله .

[أول مَنْ علَّم الجوّاري الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه ، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة جميعاً عن إسحاق قال³ : لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء ، وإنما كانوا يعلمونه الصُّفْرَ والسُّودَ ؛ وأول مَنْ علَّم

1 طوس وشيداز : مدينتان في خراسان ، وفي الأولى دفن الرشيد .

2 حجاج هنا : كثير الحج .

3 أورد ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 27 (رقم 49) عن الأغاني .

الجواري المثنّات أبي ، فإنه بلغ بالقيان كلّ مبلغ ، ورفّع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عيّنة بن محمد بن أبي عيّنة المهلبّي وقد كان هويّ جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السّوم ، وجعل يردّها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلّما زادت في الغناء زاد في سوّمه ، فقال أبو عيّنة :

قلتُ لما رأيتُ مولى أمانٍ قد طغى سوّمه بها طغيانا
لا جزي الله الموصليّ أبا إس حاقّ عنا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مرسلًا بوحيّ من الشّيب طانٍ أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سكّرات ال حبّ يصبّي القلوب والآذانا

[مدح ابن سيابة له]

وقال فيه ابن سيابة :

[من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيم في العذ حم بهذا الشّان ثاني
إنما عمّر أبي إس حاقّ زينّ للزمان
جنّة الدّنيا أبو إس حاقّ في كلّ مكان
فإذا غنى أبو إسحاق ق أجابته المثنائي
منه يُجنّي ثمرُ الله و وريحان الجنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفٌ ثقیل بالنصر ، وخفيفٌ رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

[شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس]

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامَة قال : كان سلّم الخاسر عند أبي العتاهية ، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبّس إبراهيم الموصليّ في المطبق ؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال¹ :

[من الخفيف]

سلّم يا سلّم ليس دونك سترٌ حبّس الموصليّ فالعيشُ مُرٌ
ما استطاب اللذاتِ مُدّ سَكَن المط سبقَ رأسُ اللذاتِ في الناس حُرٌ

ترك الموصلي مَنْ خَلَقَ الـ لَهُ جميعاً وعيشتهم مُقَشَّعِرُ
 حُبِسَ اللهوُ والسرورُ فما في الـ أَرْضِ شَيْءٌ يُلهِي به أو يَسُرُّ
 وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابنِ المَرْزُبَانِ عن أحمد بن أبي طاهر عن ابنِ أبي فَنَنْ لَأبي
 العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلي لَمَّا حُبِسَ¹ : [من الوافر]

أَيَا غَمِّي لَغَمُّكَ يَا خَلِيلِي وَيَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَيَا عَوِيلِي
 يَعْزُّ عَلَيَّ أَنْتَ لَا تَرَانِي وَأَنْتِي لَا أَرَاكَ وَلَا رَسُولِي
 وَأَنْتَ فِي مَحَلٍّ أَذَى وَضْنُكَ وَلَيْسَ إِلَيَّ لِقَائُكَ مِنْ سَبِيلِ
 وَأَنْتِي لَسْتُ أُمْلِكُ عَنْكَ دَفْعاً وَقَدْ فُوجِئْتُ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ

[إبراهيم بن المهدي يدعي لحنا له]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن
 عمر قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطراني المغني عن محمد بن جبر ، وكان المهدي
 رباه ، قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال² : انصرفت ليلة من الشَّماسية فمررتُ بدار إبراهيم
 الموصلي ، وإذا هو في رَوْشَن له وقد صنع لحنه : [من الطويل]

أَلَا رَبَّ نَدْمَانٍ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفْيِضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحَاً سَجُومُهُمَا

وهو يُعيده ويلعب به بنغمه ويكرره لتستوي له أجزاءه ، وجواريه يضربن عليه ، فوقفتُ
 تحت الروشن حتى أخذته ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغاية ،
 وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّماسية واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء
 غنى ، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه ، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟
 قال : لي يا سيدي ، صنعتُه البارحة ؛ فقلت : كذب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديم وأنا
 أغنيه ؛ فقال لي : غنه يا حبيبي ، فغنيتُه كما غناه ؛ فبهت إبراهيم وغضب الرشيد ، وقال له : يا
 ابن الفاجرة ! أتكذبنني وتدعي ما ليس لك ؟ . قال : فظلَّ إبراهيمُ بأسوأ حال ؛ فلما صليتُ
 العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، الصوتُ وحياتكُ له وما كذب ، ولكنني مررتُ به
 البارحة وهو يردده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي واستوى فأخذته منه ؛ فدعا به الرشيد
 ورضي عنه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

1 ديوان أبي العتاهية : 626 عن الأغاني .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 28 (رقم 50) .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أَلَا رَبُّ نَذْمَانٍ عَلَيَّ دَمُوعُهُ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَّيْنِ سَحًّا سُجُومُهَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ وَهَرَّهَا رَجَالٌ لَدَيْهَا قَدْ تَخِفَ حُلُومُهَا¹
الغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[بينه وبين إبراهيم بن المهدي وابن جامع]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبي عن طيَّاب بن إبراهيم الموصلي قال : كان إبراهيم بن المهدي يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّلُ عليه أحداً ، فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال : كنَّا في مجلس الرشيد وقد غلبَ النبيذُ على ابن جامع ، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفت إلى إبراهيم فقال : قد خزيُّ أستاذك فيه ! وفهمتُ صدقَه فيما قال ؛ قال : فقلت له : انتبه أيُّها الشيخ وأعدِ الصوتَ ، ففطنَ وأعاده وتحفَّظ فيه وأصاب ؛ فغضب إبراهيم وأقبل عليَّ فقال : [من الوافر]

أُعَلِّمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي²

وتنكَّر لي وحلفَ ألاَّ يكلِّمَنِي ؛ فقلت للرشيد بعد أيام : إن لي حاجةً ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال : ومن إبراهيم حتى يُطلبَ رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أريده منه لا يُنال إلاَّ برضاه ؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه ؛ فقام إليَّ ليقبِّلَ رأسي ، فلَمَّا أَكَبَّ عَلَيَّ قال : تعود ؟ قلت : لا ؛ قال : قد رضيتُ عنك رضىً صحيحاً ، وعاد إلى ما كان عليه .

[غنى الرشيد في الحيرة]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال : سمعتُ جدِّي عليّاً يحدث عن إسحاق قال : قال أبي : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة ، فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغدى ثم نام ، فاغتمتُ قائلته فذهبتُ فركبتُ أدور في ظهر الحيرة ، فنظرتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأذن لي ، فدخلتُ فإذا جَنَّةٌ من الجنان في أحسن تربة وأغزرها ماءً ، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان ؟ فقال : لبعض الأشاعنة ؛ فقلت له : أيُّباع ؟ فقال : نعم وهو على سَوَمٍ ؛ فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعة عشر ألفَ دينار ؛ قلت : وما يُسمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمَارَى ؛ فقلت :

1 هر الكأس : كرهها .

2 استدَّ : استقام . ويُروى اشتدَّ .

صوت

جَنَانُ شُمَارَى لَيْسَ مِثْلَكَ مَنْظَرٌ لَذِي رَمَدٍ أَعْيَا عَلَيْهِ طَيْبٌ
تُرَابُكَ كَافُورٌ وَنُورُكَ زَهْرَةٌ هَا أَرْجُ بَعْدَ الْهُدُوِّ يَطِيبُ¹

قال : وَحَضَرْتَنِي فِيهِ صَنْعَةٌ حَسَنَةٌ ؛ فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ بِالْغِنَاءِ غَنَيْتَهُ إِيَّاهُ أَوَّلَ مَا غَنَيْتُ ؛ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! وَأَيْنَ شُمَارَى ؟ فَأَخْبَرْتَهُ الْقِصَّةَ ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ وَغَمَزَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَقَالَ : خُذْ تَوْقِيعَهُ بِهَا إِلَيَّ ؛ وَتَشَاغَلَ الرَّشِيدُ عَنِّي ، فَأَعَدْتُ الصَّوْتَ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَعْطُوا هَذَا دَنَانِيرَهُ ؛ فَوُثِّبْتُ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، وَقَعَ لِي بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ؛ فَقَالَ : أَفْعَلُ ، وَوَقَعَ لِي بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ التَّوْقِيعُ عِنْدَ جَعْفَرٍ أَطْلَقَ لِي الْمَالَ وَخَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ الْمَالُ عِنْدِي كَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَأَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنْ شُمَارَى .

[غنى في أبيات طلب الرشيد إجازتها]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : خَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَوْمًا مِنْ حَضْرَةِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ رَقْعَةٌ فِيهَا أَرْبَعَةُ آيَاتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ كُلَّ مَنْ حَضَرَ مِنْ يَقُولِ الشَّعْرِ أَنْ يُجِيزَهَا ، وَهِيَ :

أَهْدَى الْحَبِيبُ مَعَ الْجَنُوبِ سَلَامَهُ فَارْدُدْ إِلَيْهِ مَعَ الشَّمَالِ سَلَامًا
وَاعْرِفْ بِقَلْبِكَ مَا تَضُمَّنْ قَلْبُهُ وَتَدَاوَلَا بِهِوَكَامِ الْأَيَّامِ
وَإِذَا بَكَيْتَ لَهُ فَأَيُّقِنْ أَنَّهُ سَتَجُودُ أَذْمُعُهُ عَلَيْكَ رَهَامًا²
فَاجْبِسْ دُمُوعَكَ رَحْمَةً لِلدُّمُوعِ إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ أَوْ تَحُوطُ ذِمَامًا

فَلَمْ يَوْجِدْ مَنْ يُجِيزُهَا ، فَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ فَغَنَى فِيهَا لَحْنًا مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ .

[تأخر عن ركب الرشيد ليقى عند خمار]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : لَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الرَّقَّةِ أَخْرَجَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ ، وَكَانَ بِهِ مَشْغُوفًا ، فَقَفَقْدَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ أَيَّامًا وَطَلَبَهُ فَلَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِقِصَّتِهِ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ؛ مَا خَبْرُكَ وَأَيْنَ كَانَتْ غَيِّبَتُكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِيثِي عَجِيبٌ ، نَزَلْنَا بِمَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَوُصِّفَ لِي خَمَّارٌ ، مِنْ ظَرْفِهِ وَمِنْ نِظَافَةِ مَنْزِلِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فَتَقَدَّمْتُ

1 ونوروك في ل : ونبتك .

2 الرهام : المطر الضعيف .

أمام ثَقْلِي¹ وَأَتَيْتُهُ مُخَفًّا ، فَوَافَيْتُ أَطِيبَ مَنْزِلٍ وَأَوْسَعَ رَحْلٍ وَأَطِيبَ طَعَامٍ وَأَسْخَى نَفْسٍ ، مِنْ شَابٍّ حَسَنَ الْوَجْهِ ظَرِيفَ الْعِشْرَةِ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ اللَّحَاقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَمَ عَلَيَّ وَأَخْرَجَ لِي مِنَ الشَّرَابِ مَا هُوَ أَطِيبُ وَأَجُودُ مِمَّا رَأَيْتُ ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا ، وَوَهَبْتُ لَهُ ذَنَانِيرَ كَانَتْ مَعِيَ وَكُسُوءَ ، وَقَلْتُ فِيهِ :

صوت

سَقِيًّا لِمَنْزِلِ خَمَّارٍ قَصَفْتُ بِهِ وَسَطَ الرُّصَافَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمَيْنِ
مَا زِلْتُ أَرْهَنُ أَثْوَابِي وَأَشْرِبُهَا صَفَرَاءَ قَدْ عُنُقْتُ فِي الدَّنِّ حَوَلَيْنِ
حَتَّى إِذَا نَفَدْتُ مَنِّي بِأَجْمَعِهَا عَاوَدْتُهُ بِالرَّبَا دَنًّا بَدَنَيْنِ
فَقَالَ «إِزْلُ بَشِين» حِينَ وَدَّعَنِي وَقَدْ لَعَمْرُكَ زُلْنَا عَنْهُ بِالْبَشِينِ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبصرة . قوله : «إِزْلُ بَشِين» كلمة سريرية ، تفسيرها : إِمْضِ بِسَلَامٍ ، دَعَا لَهُ بِهَا لَمَّا وَدَّعَهُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : غَنِّي هَذَا الصَّوْتُ ، فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ وَزَمَرْتُ عَلَيْهِ بِرُصُومًا ، فَوَهَبَ لِي الرَّشِيدُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَقْطَعَنِي ضَبْعَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيَّ الْخَمَّارَ فَاحْضِرْ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ الرَّشِيدُ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ فَوَصَّلَهُ ؛ وَوَهَبَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .

[رؤيا ابن جامع]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالُوا جَمِيعًا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ ابْنُ جَامِعٍ يَوْمًا لِأَبِي : رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي وَإِيَّاكَ رَاكِبَانِ فِي مَحْمَلٍ ، فَسَفَلْتُ حَتَّى كِدْتُ تَلَصَّقُ بِالْأَرْضِ ، وَعَلَا الشَّقُّ الَّذِي أَنَا فِيهِ ، فَلَا أَعْلُوْنَكَ فِي الْغَنَاءِ ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : الرَّوْيَا حَقٌّ وَالتَّأْوِيلُ بَاطِلٌ ، أَنِّي وَإِيَّاكَ كُنَّا فِي مِيزَانٍ ، فَرَجَحْتُ بَكَ وَشَلْتَ كِفَّتَكَ وَعَلَوْتَ فَلَصِقْتُ بِالْأَرْضِ ، فَلَأَبْقَيْنَ بَعْدَكَ وَلْتَمُوتَنَّ قَبْلِي : قَالَ إِسْحَاقُ : فَكَانَ كَمَا قَالَ أَبِي ، عَلَا عَلَيْهِ وَأَفَادَ أَكْثَرَ مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَمَاتَ ابْنُ جَامِعٍ قَبْلَهُ وَعَاشَ أَبِي بَعْدَهُ .

[ابن جامع يأخذ لحنًا له عن جارية]

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي خَدِيجَةُ بِنْتُ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَتْ حَدَّثَنِي خَمَارٌ جَارِيَةٌ أَبِي ، وَكَانَتْ قُنْدَهَارِيَّةً² ، اشْتَرَاهَا جَدِّي عَبْدُ اللَّهِ وَهِيَ صَبِيَّةٌ رِيضٌ³ مِنْ آلِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَتْ : أَلْقَى عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ لَحْنَ فِي

1 ثقل المسافر : متاعه .

2 قندهارية : نسبة إلى قندهار مدينة في أفغانستان .

3 ريض : الدابة أول ما تراض ، يطلق على الذكر والأنثى .

هذين البيتين :

[من الطويل]

صوت

إذا سرّها أمرٌ وفيه مساءتي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أسـ

الشعر لأبي حفص الشطرنجي¹ ، والغناء لإبراهيم ثقيلاً أول بالوسطى ، فسمعتني ابن جامع يوماً وأنا أغنيه ، فسألني : ممن أخذته ؟ فأخبرته ؛ فقال : أعيديه ، فأعدته مراراً ، وما زال ابن جامع يتنغم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه ، ثم كان كلما جاءنا قال لي : يا صبيّة ، غني ذلك الصوت ، فكان صوته علي .

[قصته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكي وأولاده]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال قال مخارق : أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام ، وأعلمنا أنه مشغل فيها مع الحرم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ، وأخبرني وسوسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي² بهذا الخبر فقال حدثني أبي عن أبيه عن مخارق قال : اشتغل الرشيد يوماً واصططح مع الحرم وقد أصبحت السماء متغيمة ، فانصرفنا إلى منازلنا . ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره ، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات ، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلي ، قال مخارق : وأصبحت السماء متغيمة تطيش طشاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود ، فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ؛ فبحث إلى إبراهيم الموصلي فإذا الباب مفتوح والدّهليز قد كنس والبواب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؟ فقال : ادخل ، فدخلت فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور تغرغر وأباريق تزهر ، والستارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست فيه رطليّة وكوز وكأس ، فدخلت أترنم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إنني أصبحت على الذي ظننت ؛ فأتاني خبر ضيعة تجاورني ، قد والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم أملكها ، وقد أعطيت بها مائة ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقت ، ولكن لست أطيب نفساً أن أخرج هذا المال ؛ فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ؟ فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونقر بقضيب معه

1 سترجم أبو الفرج لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني فيما بعد .

2 تقدّم هذا الاسم على أنه أحمد بن أحمد وأحمد بن محمد وهذه صيغة ثالثة .

على الدواة وألقى عليّ :

[من البسيط]

صوت

نام الخَلِيُّونَ من هَمٍّ ومن سَقَمٍ وبِتُّ من كَثْرَةِ الأَحْزانِ لم أنم
يا طالبَ الجودِ والمعروفِ مُجْتَهِداً اعْمِدْ ليحيى حليفَ الجودِ والكرمِ

الشعر لأبي النضير¹ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصرة . قال : فَأَخَذْتُهُ فَأَحْكَمْتُهُ ؛
ثم قال لي : امضِ السَّاعَةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فَإِنَّكَ تَجِدُ النَّاسَ عَلَيْهِ وَتَجِدُ الْبَابَ قَدْ
فُتِحَ وَلَمْ يَجْلِسْ بَعْدُ ، فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُ سَيُنَكِّرُ عَلَيْكَ مَجِئَكَ وَيَقُولُ :
مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَحَدِّثْهُ بِقَصْدِكَ إِيَّايَ وَمَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَبَرِ الضَّيِّعَةِ ، وَأَعْلِمْهُ
أَنِّي صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَأَعْجَبَنِي ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا فَلَانَةُ جَارِيَتِهِ ، وَأَنِّي أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ
حَتَّى أَحْكَمْتُهُ لِنَظَرِخَةٍ عَلَيْهَا ؛ فَسِيدَعُو بِهَا وَيَأْمُرْ بِالسُّتَارَةِ أَنْ تُنْصَبَ وَيُوضَعَ لَهُ كُرْسِيٌّ وَيَقُولُ
لَكَ : اطْرَحْهُ عَلَيْهَا بِحَضْرَتِي ، فَافْعَلْ وَأَتَيْنِي بِالْخَبَرِ بَعْدَ ذَلِكَ . قال : فَجِئْتُ بَابَ يَحْيَى فَوَجَدْتُهُ كَمَا
وَصَفَ ، وَسَأَلَنِي فَأَعْلَمْتُهُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَفَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ قَالَهُ لِي إِبْرَاهِيمُ ، وَاحْضَرُ الْجَارِيَةَ فَأَلْقَيْتُهُ
عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : تُقِيمُ عِنْدَنَا يَا أَبَا الْمَهْنَأِ أَوْ تَنْصَرِفُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْصَرِفُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَقَدْ
عَلِمْتُ مَا أَذِنَ لَنَا فِيهِ ، قَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمَهْنَأِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَاحْمِلْ إِلَى أَبِي
إِسْحَاقَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ثَمَنَ هَذِهِ الضَّيِّعَةِ ، فَحُمِلَتِ الْعَشْرَةُ الْآلَافُ الدَّرْهَمِ إِلَيَّ ، وَأَتَيْتُ مَنْزِلِي
فَقُلْتُ : أُسَرُّ يَوْمِي هَذَا وَأُسَرُّ مِنْ عِنْدِي ، وَمَضَى الرَّسُولُ إِلَيْهِ بِالْمَالِ ؛ فَدَخَلْتُ مَنْزِلِي وَنَثَرْتُ عَلَى
مِنْ عِنْدِي مِنَ الْجَوَارِي دِرْهَمَ مِنْ تِلْكَ الْبَدْرَةِ ، وَتَوَسَّدْتُهَا وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَرِبْتُ وَسُرِرْتُ
يَوْمِي كُلَّهُ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا تَيْنَ أُسْتَأْذِي وَلَا عَرِفَنَ خَبْرَهُ ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ الْبَابَ
كَهَيْئَتِهِ بِالْأَمْسِ ، وَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَتَرَنَمْتُ وَطَرِبْتُ فَلَمْ يَتَلَقَّ ذَلِكَ بِمَا
يَجِبُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : مَا الْخَبَرُ ؟ أَلَمْ يَأْتِكَ الْمَالُ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَمَا كَانَ خَيْرُكَ أَنْتَ بِالْأَمْسِ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ
بِمَا كَانَ وَهَبَ لِي وَقُلْتُ : مَا يَنْتَظَرُ مِنْ خَلْفِ السُّتَارَةِ ، فَقَالَ : ارْفَعْ السَّجْفَ فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا عَشْرُ
بَدَرٍ ؛ فَقُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الضَّيِّعَةِ ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ! مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ
مَنْزِلِي حَتَّى شَحَحْتُ عَلَيْهَا فَصَارَتْ مِثْلَ مَا حَوِيَتْ قَدِيمًا ؛ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ؛ فَتَصْنَعُ
مَاذَا ؟ قَالَ : قِمِ حَتَّى أَلْقِيَ عَلَيْكَ صَوْتًا صَنَعْتُهُ يَفُوقُ ذَلِكَ الصَّوْتَ ؛ فَقِمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَأَلْقَى عَلَيَّ :

[من الطويل]

1 سَيَرَجَمُ أَبُو الْفَرَجِ لأبي النضير فيما بعد .

صوت

وَيَفْرَحُ بِالْمُلُودِ مِنْ آلِ بَرَمَكٍ بُغَاةُ النَّدَى وَالسَيْفُ وَالرَّمْحُ ذُو النَّصْلِ¹
وَتَبْسُطُ الْأَمَالَ فِيهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سَيِّمًا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ

الشعرُ لأبي النُّضير . والغناء لإبراهيمَ ثَقِيلٌ² أَوَّلُ الْبَنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق ، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثَقِيلٌ ، أَظَنَّهُ لِحَنَ إِبْرَاهِيمَ . أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَاهُ صَنَعَ هَذَا الصَّوْتَ فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الثَّقِيلِ وَعَرَّضَهُ عَلَى الْفَضْلِ ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ مَخَارِقًا بِالْقَائِهِ عَلَى جَوَارِيهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَرَاقِشٍ² وَقَضِيبٍ فَأَخَذَتْهُ عَنْهُ . قَالَ مُخَارِقٌ : فَلَمَّا أَلْقَى عَلَى الصَّوْتِ سَمِعْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَصَغُرَ عِنْدِي الْأَوَّلُ فَأَحْكَمْتُهُ ؛ ثُمَّ قَالَ : انْهَضِ السَّاعَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ بَعْدُ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْخُلُوةَ مَعَ جَوَارِيهِ الْيَوْمَ ، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِنَا أَمْسَ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَبِيهِ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ ، وَأَعْلَمَهُ أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَكَانَ عِنْدِي أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنَ الصَّوْتِ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِالْأَمْسَ ، وَأَتَى أَلْقَيْتُهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتُهُ وَوَجَّهْتُ بِكَ قَاصِدًا لَتَلْقِيَهُ عَلَى فَلَانَةٍ جَارِيَةٍ ؛ فَصِيرْتُ إِلَى بَابِ الْفَضْلِ فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَوَصَلْتُ ؛ وَسَأَلَنِي : مَا الْخَبَرُ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ بِخَبْرِي فِي الْيَوْمِ الْمَاضِي وَمَا وَصَلَ إِلَيَّ وَالِيهِ مِنَ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : أَخْزَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَبْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ ! ؛ ثُمَّ دَعَا خَادِمًا فَقَالَ : اضْرِبِ السَّتَارَةَ فَضْرِبْهَا ، فَقَالَ لِي : أَلَقِهِ ، فَلَمَّا غَنَيْتُهُ لَمْ أَتِمَّهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُ مِطْرَفُهُ ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى وَسَادَةٍ دُونَ السَّتَارَةِ ، وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ اسْتَأْذَنُكَ وَأَحْسَنْتَ أَنْتَ يَا مُخَارِقُ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ حَتَّى أَخَذْتُهُ الْجَارِيَةَ وَأَحْكَمْتُهُ ، فَسَرُّ بِذَلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا ؛ وَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي الْيَوْمَ ؛ فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّمَا بَقِيَ لَنَا يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَحَبُّ سُرُورَكَ لَمْ أَخْرَجْ مِنْ مَنْزِلِي ؛ فَقَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمَهْنَأَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاحْمِلْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ مِائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَفَتَحْتُ بَدْرَةَ فَتَرْتُ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِي وَشَرِبْتُ وَسُرَرْتُ أَنَا وَمَنْ عِنْدِي يَوْمَنَا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ بَكَّرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ وَأَعْرِفَهُ خَبْرِي ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَدَخَلْتُ أَتَرْتُهُ وَأَصْفَقُ ؛ فَقَالَ لِي : أَذْنُ ؟ فَقُلْتُ : مَا بَقِيَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ وَارْفَعْ سَجْفَ هَذَا الْبَابِ فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا عَشْرُونَ بَدْرَةً مَعَ تِلْكَ الْعَشْرِ ؛ فَقُلْتُ : مَاذَا تَنْتَظِرُ الْآنَ ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُ ، مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ حَصَلْتُ حَتَّى جَرْتُ مَجْرَى مَا تَقَدَّمَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَحَدًا نَالَ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَا نَلْتُهُ ، فَلِمَ تَبْخُلُ عَلَى نَفْسِكَ بِشَيْءٍ تَمْنِيْتَهُ دَهْرًا وَقَدْ مَلَكَكَ اللَّهُ أَضْعَافَهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَخُذْ هَذَا الصَّوْتَ ؛

1 ل : والنصل وكذا ورد في نهاية الأرب 4 : 354 وشرط البيت الثاني فيه «ولا سيمًا إن كان والده الفضل» .

2 ل : براقش .

وَأَلْقَى عَلَيَّ صَوْتًا أَنْسَانِي وَاللَّهُ صَوْتِي الْأَوَّلِينَ :

[من الطويل]

صوت

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبٌّ وَلَيْلَةٍ إِلَى أُمِّ بَكْرٍ لَا تُفِيقُ فَتُقْصِرُ
أُحِبُّ عَلَى الْهَجْرَانِ أَكْنَافَ بَيْتِهَا فَيَا لَكَ مِنْ بَيْتٍ يُحِبُّ وَيُهْجَرُ
إِلَى جَعْفَرٍ سَارَتْ بِنَا كُلُّ جَسْرَةٍ طَوَّاهَا سُرَاهَا نَحْوَهُ وَالتَّهْجَرُ
إِلَى وَاسِعٍ لِلْمُجْتَدِينَ فَنَاوَهُ تَرَوْحُ عَطَايَاهُ عَلَيْهِمْ وَتَبْكُرُ

الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناء لإبراهيم ، ولم تقع إلينا طريقته . قال مُخَارِقُ : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعتُ قطُّ مثله . فلم يَزَلْ يُرَدِّدُهُ عَلَيَّ حَتَّى أَخَذْتُهُ ، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثلَ ذلك وخبرته ما كان منهما وعرضتُ عليه الصوت ، فسُرَّ به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضَرَ الجارية وقعد على كرسيٍّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخَارِقُ ؛ فاندفعتُ فَأَلْقَيْتُ الصَّوْتَ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ ؛ فقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا مُخَارِقُ وَأَحْسَنَ أُسْتَاذُكَ ، فهل لك في المَقَامِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ ؟ فقلت : يَا سَيِّدِي هَذَا آخِرُ أَيَّامِنَا ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِمَوْقِعِ الصَّوْتِ مِنِّي حَتَّى أَلْقِيْتَهُ عَلَى الْجَارِيَةِ ؛ فقال : يَا غَلَامُ احْمِلْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَإِلَى الْمُوصَلِيِّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَأَقَمْتُ وَمَنْ مَعِيَ مَسْرُورِينَ نَشَرَبُ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَنَطْرَبُ ، ثُمَّ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَلَقَّانِي قَائِمًا وَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ يَا مُخَارِقُ ؟ فقلت : مَا الْخَبَرُ ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لِمَنْ خَلْفَ السِتَارَةِ : خذُوا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ ، ثُمَّ رَفَعَ السَّجْفَ فَإِذَا الْمَالُ ؛ فقلت : مَا خَبَرُ الضَّيْعَةِ ؟ فَأَدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَ مِسُورَةٍ هُوَ مُتَّكِيٌّ عَلَيْهَا فَقَالَ : هَذَا صَكُّ الضَّيْعَةِ ، سَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا فَوُجِدَ بِبَغْدَادَ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، وَكُتِبَ إِلَيَّ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَسْخُو نَفْسًا بِشَرَاءِ الضَّيْعَةِ مِنْ مَالٍ يَحْصُلُ لَكَ وَلَوْ حِيزَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا ، وَقَدْ ابْتَعْتُهَا لَكَ مِنْ مَالِي وَوَجَّهْتُ لَكَ بِصَكِّهَا ؛ وَوَجَّهَ إِلَيَّ بِصَكِّهَا وَهَذَا الْمَالُ كَمَا تَرَى ؛ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ لِي : يَا مُخَارِقُ إِذَا عَاشَرْتَ فَعَاشِرَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ، وَإِذَا خَنَكَرْتَ فَخَنَكَرٌ¹ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ ؛ هَذِهِ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَضَيْعَةٌ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتُّونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لَكَ ، حَصَلْنَا ذَلِكَ أَجْمَعُ وَأَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسِي لَمْ أُبْرَحْ مِنْهُ ، فَمَتَى يُدْرِكُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ ! .

[طلب إليه موسى الهادي أن يغنيه وله حكمه]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَ مُوسَى الْهَادِي شَكِيسَ

1 أي إذا غنيت فغنِّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ (أصل الكلمة فارسي)، الغني المضحك .

الأخلاق صَعَبَ المِزَاج ، مَنْ تَوَقَّاه وَعَرَفَ أَخْلَاقَهُ أَعْطَاهُ مَا أَمَّلَ ، وَمَنْ فَتَحَ فَاهُ فَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ يَفْتَحَهُ
بِغَيْرِ مَا يَهْوَاهُ أَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ ، فَكَانَ لَا يَحْتَجِبُ عَنْ نُدَمَائِهِ وَلَا عَنْ الْمَغْنِيِّينَ ، وَكَانَ يُكْثِرُ جَوَائِزَهُمْ
وَصِلَاتِهِمْ وَيُؤَاتِيهِمْ ؛ فَتَغْنَى أَبِي عَنْهُ يَوْمًا ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا إِبْرَاهِيمَ غَنَّنِي جِنْسًا مِنَ الْغَنَاءِ أَلَدُّهُ
وَأَطْرَبَ لَهُ وَلَكَ حُكْمُكَ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لَمْ يَقْبَلْنِي زُحْلُ يَبْرُدْهُ رَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ مَا
فِي نَفْسِكَ . قَالَ : وَكُنْتُ لَا أَرَاهُ يُصْغِي إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغَانِي إِصْغَاءَهُ إِلَى النَّسِيبِ وَالرَّقِيقِ مِنْهُ ،
وَكَانَ مَذْهَبُ ابْنِ سُرَيْجٍ عَنْهُ أَحْمَدُ مِنْ مَذْهَبِ مَعْبَدٍ ، فَغَنَيْتُهُ : [من الطويل]

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِلذِّكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا اتَّفَضَ الْعَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرُ¹

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَيْبِ دُرَاعَتِهِ فَحَطَّهَا ذِرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ؛ زِدْنِي ،
فَغَنَيْتُ : [من الطويل]

فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَحَطَّهَا ذِرَاعًا آخَرَ أَوْ نَحْوَهُ ، وَقَالَ : زِدْنِي وَتِلْكَ ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ،
وَوَجِبَ حُكْمُكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؛ فَغَنَيْتُ : [من الطويل]

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، اللَّهُ أَبُوكَ ؛ هَاتِ مَا تَرِيدُ ؛ قُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، عَيْنُ
مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتَا كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ
أَرَدْتَ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ : أَطْرَبَهُ فَحَكَّمَهُ ، فَتَجْعَلَنِي سَمَرًا وَحَدِيثًا ! يَا
إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِي : خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ إِذَا قَمْتُ ، فَأَدْخِلْهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ ، فَإِنْ أَخَذَ
كُلَّ مَا فِيهِ فَخَلَّهُ وَإِيَّاهُ ؛ فَدَخَلْتُ فَأَخَذْتُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت²

[من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ	وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
وَيَا هَجَرَ لَيْلِي قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى	وَزِدْتَ عَلَيَّ مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْهَجْرُ

1 هزة في ل : فترة ، أي ضعف .

2 قارن بما جاء في شرح أشعار الهذليين ص 956-959 ، فهناك اختلاف شديد في الرواية والترتيب ، وبما
جاء في أمالي القالي 1 : 148 والرواية فيها أقرب إلى ما في الأغاني . وانظر ديوان مجنون ليلى (فراج) :

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَّرَهُ أَمْرُ
لَقَدْ تَرَكْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلَيْفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ¹

الشعر لأبي صخر الهذلي . والغناء لمعبد ، وأول لحنه «ويا هجر ليلي» وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقیل بالبصر عن عمرو . ولابن سريج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقیلاً أول عن الهشامي . ولعريب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقیلاً أول أيضاً ، وللوائق فيها رمل ، وهو مما صنعه اللوائق قبلها فعارضته بلحنها . وقد نسب قوم لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن سريج إلى معبد .

[استكثر جعفر بن يحيى ثمن جارية اشتراها له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : اشترى جدك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم ، فقال جعفر : أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت بها هذا المال كله ؟ قال : لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي :

لِمَنِ الدِّيارُ بِرُقَّةِ الرُّوحانِ²

لكانت تساويه وزيادة ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطت !

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بِرُقَّةِ الرُّوحانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانًا بِزَمَانِ
صَدَعَ الْغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فَوَادَهُ صَدَعَ الزُّجَاجَةُ مَا لَذاكَ تَدَانِ
إِنْ زَرْتُ أَهْلَكَ لَمْ أُنَوِّلْ حَاجَةً وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي

الغناء لمعبد ، فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي ، ثقیلاً أول بالوسطى ، ونسبه غيرهما إلى حنين ، وقال آخرون : إنه للغريض ، وذكر حبش أنه ليزيد حوراء . وفيه لإبراهيم خفيف رمل بالبصر .

1 لا يروعهما الذعر في ل : لم يفزعهما دعر .

2 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[عدد أصواته]

أخبرني الحسين عن حمّاد قال قال لي أبي : صنع جدك تسعمائة صوت ، منها دينارية ، ومنها درهمية ، ومنهما فلسية ، وما رأيت أكثر من صناعته ؛ فأما ثلثمائة منها فإنه تقدّم الناس جميعاً فيها ، وأما ثلثمائة ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأما الثلثمائة الباقية ، فلعب وطرب ؛ قال : ثم أسقط أبي الثلثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه ، فكان إذا سُئل عن صناعة أبيه قال : هي ستمائة صوت .

وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف :
[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبّ جارية
فما أعلم له فيه معنى إلا استحسانه للشعر ، فإنّ العباس أحسن فيه جداً .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبّ جارية لم يخلق الله لي في قلبها ليلاً
هل تذكرين وقوفي عند بابكم نصفَ النهار وأهل الدار لأهونا
الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى .

[تعرّض لابن عائشة]

أخبرني جحظة قال أخبرني حمّاد بن إسحاق قال : قال رجل لأبي : أخبرني عنك ، لم طعنت على أبيك في صناعته :

قال لي فيها عتيق مقالاً فجرت ممّا يقول الديموع
قال : لأنّه تعرّض لابن عائشة وله في هذا الشعر صناعة ، وابن عائشة ممّن لا يُعارض فلم يقاربه ، وعلى أنّ صناعة أبي من جيّد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر ، ولكنها اقترنت بصناعة ابن عائشة فلم تقاربها ، فسقط عندي لذلك .

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 285-286 ورواية البيت الثاني فيه :

هل تنكرون وقوفي عند داركم نصف النهار وأهل البيت هادونا

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المديد]

قال لي فيها عَتِيقٌ مقالاً فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدَّمْعُ

قال لي وَدَّعْتُ سُلَيْمِي وَدَعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ لَا أُسْتَطِيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمُعَبِدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إِنَّه لابن عائشة . وفيه ثاني ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إلى الهذلي . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم . [لقاؤه جارية من تلميذاته في الري]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن مالك قال حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ الرِّيَّ فَكُنْتُ أَلْفُ فِتْيَانًا مِنْ أَهْلِ النِّعَمِ بِهَا وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَنِي ، فَطَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ إِلَى أَنْ دَعَانِي أَحَدُهُمْ لَيْلَةً إِلَى مَنْزِلِهِ فَبِتُّ عِنْدَهُ ، فَأُخْرِجُ جَارِيَةً لَهُ وَمَدَّ لَهَا سِتَارَةً فَتَغَنَّتْ خَلْفَهَا ، فَرَأَيْتُهَا صَالِحَةً الْأَدَاءِ كَثِيرَةَ الرِّوَايَةِ ، فَشَوَّقْتَنِي إِلَى الْعِرَاقِ وَذَكَرْتَنِي أَيَّامِي بِهَا ، فَدَعَوْتُ بَعُودَ ، فَلَمَّا جِئْتُ بِهِ انْدَفَعْتُ فَغَنَيْتُ صَوْتِي فِي شِعْرِي : [من مجزوء الرمل]

أَنَا بِالرِّيِّ مُقِيمٌ فِي قَرْيِ الرِّيِّ أَهِيمٌ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديمًا بالرِّيِّ ؛ فخرجت الجارية من وراء السِتَّارَةِ مُبَادِرَةً إِلَيَّ ، فَأَكَبْتُ عَلَى رَأْسِي وَقَالَتْ : أَسْتَاذِي وَاللَّهِ ؛ فَقَالَ لَهَا مَوْلَاهَا : أَيُّ أَسْتَاذِيكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ ؛ فَإِذَا هِيَ إِحْدَى الْجَوَارِي اللَّاتِي أَخَذَنِي عَنِّي وَطَالَ الْعَهْدُ بِهَا ؛ فَأَكْرَمَنِي مَوْلَاهَا وَبَرَّنِي وَخَلَعَ عَلَيَّ ، فَأَقَمْتُ مَدَّةَ بَعْدِ ذَلِكَ بِالرِّيِّ وَاتَّشَرَ خَبْرِي بِهَا ، ثُمَّ كَتَبَ بِحَمْلِي إِلَى وَالِي الْبَلَدِ فَأَشْخَصْتُ .

[أطلقه المهدي لما سمع شعره]

أخبرني الحسن قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَطِرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيَّ قَالَ : كُنَّا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ الْمَهْدِيِّ وَقَدْ حَبَسَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ وَضَرَبَهُ وَأَمَرَ بِأَنْ يُلَبَسَ جُبَّةَ صُوفٍ ، وَكَانَ يَخْرُجُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَيَطْرَحُ عَلَى الْجَوَارِي ؛ فَكَتَبَ إِلَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ ، وَنَحْنُ مُصْطَبِحُونَ وَقَدْ جَادَتِ السَّمَاءُ بِمَطَرٍ صَيْفٍ¹ ، وَبَحْضَرْتَنَا شَيْءٌ مِنْ وَرْدٍ مُبَكَّرٍ :

[من المخرج]

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ قَوْمًا مِنْ إِخْوَانِي وَجِيرَانِي

هنيئاً لكم الشربُ على وزْدٍ وتهْتانٍ¹
 وأتني مُفَرَّدٌ وحدي بأشجاني وأحزاني
 فمن جَفَّ له جفنٌ فجَفْناي يَسيلان

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فَرَقَّ له وأمر بطلبه في الوقت ، ثم أطلقه بعدُ أيَّام .

[شغفه بجارية على اليماني]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدَّثني ابن المكي عن أبيه قال :
 كانت لعلِّي اليماني جارية مغنية ، فهويها إبراهيم واستهيم بها زماناً ، وقال فيها : [من الخفيف]

صوت

كنتُ حُرّاً فصرتُ عبدَ اليماني من هوى شادين هواه براني
 وهو نصفان من قضيبٍ ودِعْصٍ² زانَ صدرَ القضيبِ رُماتناي²
 للحنِّ لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثقلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعم قوم أنَّ الشعر
 للحسين بن الضحاك .

[أعجبه أدب النهيكي فعلمه الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبَّه عن إسحاق قال : كان بعض أهل نهيك
 قد تعاطى الغناء ، فلما ظنَّ أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضر ، فقلتُ له : إن قِبلتَ مني فلا
 تُغنَّ فلستَ فيه كما أَرْضِي ؛ فصاح أبي عليَّ صيحةً شديدةً ثم قال لي : وما يُدريك يا صبي ! ثم
 أقبل على الرجل فقال : أنت يا حبيبي بضدِّ ما قال ، وإن لَزِمْتَ الصَّنَاعَةَ برعتَ فيها ؛ فلما خلا
 بي قال لي : يا أحمق ! ما عليك أن يُخزي الله مائة ألف مثل هذا ؟ هؤلاء أغنياء ملوك ، وهم
 يُعَيِّرُوننا بالغناء ، فدعهم يتَهَتَّكوا به ويُعَيِّرُوا وَيَقْتَضِحُوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم ، ويبين فضلنا
 لدى الناس بأمثالهم . قال : ولزِمه النهيكي يأخذ عنه ويبرِّه فيُجزل ، فكان إذا غنَّى فأحسن قال
 له : بارك الله فيك ، وإذا أساء قال : بارك الله عليك ؛ وكثر ذلك منه حتَّى عَرَفَ النهيكي معناه
 فيه ، فغنَّى يوماً وأبي ساه عنه فسكت ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له : جعلتُ فداك ، يا أستاذي ، أهذا
 الصوت من أصوات «فيك» أم «عليك» ؟ فضحك أبي ولم يكن علم أنَّه قد فطن لقوله ، ثم
 قال له : والله لأقبلنَّ عليك حتَّى تصيرَ كما تشتهي ، فإنك ظريفٌ أديب ؛ وعني به حتَّى حسن
 غناؤه وتقدَّم . وفيه يقول أبي :

[من مجزوء الرمل]

1 تهتان السماء : انصباب المطر .

2 الدِعْص : كتيب الرمل .

أوجب الله لك الحـ حق على مثلي بظرفك
 لن تراني بعد هذا ناطقاً إلا بوصفك
 وترى القوة فيما تشتهيه بعد ضعفك

[حكم لابنه إسحاق على مخارق]

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق ، أخبرني به الصولي عن عون بن محمد عن إسحاق قال : غنى مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قيسمه ؛ فقلت له : أعد فأعاده ، وكان الخطأ خفياً ، فقلت للرشيد : يا سيدي ، قد أخطأ فيه ؛ فقال لإبراهيم بن المهدي : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمر كما قال ، ولا هاهنا خطأ ؛ فقلت له : أترضى بأبي ؟ قال : إي والله ، وكان أبي في بقايا علة ؛ فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً ، فجيء به في مِحْفَةٍ ؛ فقال لمُخَارِق : أعد الصوت ، فأعاده ؛ فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه ؛ فقال له : هكذا قال ابنك إسحاق ، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح ؛ فنظر إلي ثم قال : هاتوا دواة ، فأتي بها وكتب شيئاً لم يقف عليه أحد ثم قطعه ووضع بين يدي الرشيد ، وقال لي : اكتب بذكر الموضوع الفاسد من قيسمة هذا الصوت ، فكتبته وألقيته فقرأه وسرّ ، وقام فألقاه بين يدي الرشيد ، فإذا الذي قلناه جميعاً متفق ؛ فضحك وعجب ، ولم يبق أحدٌ في المجلس إلا قرّظ وأثنى ووصف ، ولا أحدٌ خالف إلا خجل وذلل وأذعن . وقال أبي في ذلك :

ليت من لا يُحسن العـ لم كفانا شرَّ علمه
 فاخبر الحق ابتداءً وقس العلم بفهمه
 طيبُ الرِّيحان لا تعـ رفه إلا بشمّه

[بين إسحاق والرشيد]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله ، وحدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد :

سلي هل قلاني من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ وهل ذم رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ
 فطرب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم ، فلما كان بعد سنين ، خطر بيالي ذلك الصوتُ وذكرت قصته ، فغنيته إياه ؛ فطرب وشرب ، ثم قال لي : يا إسحاق ، كآتي في نفسك ذكرت حديث أبيك وأتي أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة ؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيدي ما أخطأت ؛ فقال : قد أخذ ثمنه أبوك مرةً فلا تطمع ؛ فعجبتُ من

قوله ، ثم قلت : يا سيدي ، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا ؛ فقال : ويحك أكثر من مائتي ألف دينار ! قلت : إي والله ! ؛ فوجم وقال : أستغفر الله من ذلك ، ويحك ! فما الذي خلف منها ؟ قلت : خلف علي ديوناً مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه ؛ فقال : ما أدري أين أشدّ تضيقاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

سلي هل قلاني من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ وهل دَمَ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجْتَوِي القومُ الكرامُ صَحَابَتِي إذا اغْبَرَ مَخْشِي الفجاج عميقُ¹
ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنِّي لكم والهدايا المُشْعِراتِ صديقُ²

الشعر يُنسب إلى مُضَرَّس بن قُرط³ الهلالي وإلى قيس بن ذَرِيج ، وفيه بيت يقال : إنه لجَرِير . والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين ، ونسبته تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيج ، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمُعَبَّد ثَقِيلٌ أوَّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[سنورتان تغنيان]

أخبرني عمِّي قال حدثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثتني نَشْوة الأَشْشَانِيَّة⁴ قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكي قال : تشوق يوماً إبراهيم الموصلي إلى سرداب له ، وكانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان ، فقال : أشتهي أن أشرب يومي وأبيت ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك ، فبينما هو نائم في نصف الليل فإذا سنورتان قد نزلتا من درجة السرداب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أترأه نائماً ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداء فغنت بأحسن صوت :

عفا مُزَج إلى لَصَقِ إلى الهَضْبَاتِ من هَكَرِ
إلى قاع التَّقِيرِ إلى قرار جِلَالِ ذي حَدَرِ⁵

1 عميق في ل : سحيق .

2 الهدايا : ما يُهدى إلى البيت الحرام للنحر . والمشعرات : الملعقات .

3 ل : قرظة .

4 ل : نشرة الأشناسية .

5 جميع هذه مواضع .

قال : فمات إبراهيم فرحاً¹ وقال : يا ليتهما أعاده ! فأعاده مراراً حتى أخذه ، ثم تحرّك فقامت السنوّرتان² ، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحَهِ على أحدٍ إلّا جُنَّ ، فطرّحه من غدي على جارية له فجَنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه للمالكِ ثَقِيلٌ³ أوّلٌ بالوسطى عن يحيى المكيّ وعَمْرُو بن بانه .

[الفضل بن يحيى يحتال له للحصول على المال]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً ، فقلتُ له : يا أبا العباس ، جُعِلْتُ فداك ! هَبْ لي دراهمَ فإنَّ الخليفةَ قد حبَسَ يده ؛ فقال : وَيَحْكُ يا أبا إسحاق ؛ ما عندي مالٌ أرضاه لك ، ثم قال : هاهُ ! إلّا أنَّ هاهنا خَصْلَةٌ⁴ أتاها رسولُ صاحبِ اليمنِ فقضينا حوائجَه ، ووجهُ إلينا بخمسين ألفَ دينارٍ يشتري لنا بها محبَّتينا² ؛ فما فعلتُ ضيائِ جاريتك ؟ قلتُ : عندي ، جُعِلْتُ فداك ؛ قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها منك فلا تنقصُها من خمسين ألفَ دينارٍ ؛ فقَبِلْتُ رأسه ثم انصرفتُ فبَكَرَ عليّ رسولُ صاحبِ اليمنِ ومعه صديقٌ لي ، فقال : جاريتك فلانةُ عندك ؟ فقلتُ : عندي ؛ فقال : اعرضها عليّ ، فأخرجتها ؛ قال : بكم ؟ قلتُ : بخمسين ألفَ دينارٍ ولا أنقصُ منها ديناراً واحداً ، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمس هذه العطية ؛ فقال لي : أريدُها له ؛ فقلتُ له : أنت أعلم ، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئتُ ؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين ألفَ دينارٍ مسلمةٍ لك ؟ قال : وكان شراءُ الجاريةِ على أربعمئة دينارٍ ، فلمّا وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً⁴ أرْتَجَ عليّ ولَحَقَنِي زَمْعٌ³ ، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يحدثَ بالجاريةِ حَدَثٌ أو بي أو بالفضلِ بن يحيى ، فسَلَمْتُها وأخذتُ المالَ ؛ ثم بَكَرْتُ عليّ الفضلُ بن يحيى ، فإذا هو جالسٌ وحده ؛ فلمّا نظر إليّ ضجَّك ، ثم قال لي : يا ضَيِّقُ الحوصلة⁴ ! حرَمَتَ نفسك عشرين ألفَ دينارٍ ؛ فقلتُ له : جُعِلْتُ فداك ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقد دخلني شيءٌ أعجزَ عن وصفه وخِفْتُ أن تحدثَ بي حادثةٌ أو بالجاريةِ أو بالمشتري أو بك ، أعاذك الله من كلِّ سوء ، فبادرتُ بقبولِ الثلاثين ألفَ دينارٍ ؛ فقال : لا ضيّر ، يا

1 ل : فرعاً ، وهو أوّلُ بمن يسمع هرتين تغنيان .

2 أي ما نحبّ .

3 زعم : رعدة .

4 ضيق الحوصلة : المتسرّع الحريص .

غلام جيء بالجارية ، فجاء بجاريتي بعينها ؛ فقال : خذها مباركاً لك فيها ، فإنما أردنا منفعتك ولم نريد الجارية ؛ فلما نهضت ، قال لي : مكانك ، إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كُتبه ، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب ، فاعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفت بالجارية ، وبكرت إلي رسول صاحب إرمينية ومعه صديق لي آخر ، فقاؤلني بالجارية ، فقلت : لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لي : معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخيفت مثل خوفي الأول ، فسلمتها وأخذت المال ؛ وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده ؛ فلما رأي ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خيفت والله ما خفت في المرة الأولى ؛ قال : لا ضير ، أخرج يا غلام جاريتك ؛ فجاء بجاريتي بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك ؛ فلما ولت الجارية صبحت بها : ارجعي فرجعت ؛ فقلت : أشهدك ، جعلت فداك ، أنها حرّة لوجه الله وأني قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا ؛ فقال : وفقت إن شاء الله .

[خمار يبهره الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي : كنت في شبّابي أأزّم أصحاب قطربل وباري وبنّي¹ وما أشبه هذه المنازل² ، فأتخذ فيهم الخمار اللطيف ، يحسبوني بالشراب الجيد ويخونوه لي ، فجيئت إلى باري يوماً فلقيني خماري ، فقال لي : يا أبا إسحاق عندي شيء من باتلك ، وقد كنت عملت لحني هذا :

صوت

اشربِ الرّاح وكنْ في شربك الرّاح وقورا
فاشربِ الرّاح رواحاً وظلاماً وبكورا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رمل عن حبش . قال : فدخلت بيته وبزلت³ دته وجعلت أرجع الصوت ؛

1 قطربل وباري وبنّي : قرى كانت قرية من بغداد .

2 ل : المواضع .

3 بزل الدن : ثقبه ليسيل منه الخمر .

فُبِهُتَ ينظر إليَّ والنبيذُ يجري حتى امتلأَ الإناءُ وفاضٌ ؛ فقلتُ له : وَيَحَكَ ! شرأبكَ قد فاض ؛ فقال : دَعْنِي من شرابي ، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام ؟ فقلتُ : لا ؛ قال : فما بالُ خَلْقِكَ هذا حزينا ؟ .

[أخذ مخارق عنه صوتاً فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن عمه طيّاب بن إبراهيم قال : دخلتُ على أبي يوماً وعنده مخارق وأبي يُلقِي عليه هذا الصوت¹ :

طَرِبْتَ وَأَنْتَ مَعْنِي كَيْبٌ وقد يَشْتاق ذُو الْحَزَنِ الْغَرِيبُ²
وَشَاقَكَ بِالْمَوْقَرِ أَهْلُ خَاخٍ فلا أَمَمَ هُناكَ ولا قَرِيبُ³
وَكَمْ لَكَ دُونَهَا مِنْ غُرُضِ أَرْضٍ كَأَنَّ سَرَابِها الْجَارِي سَبِيبُ⁴
لَعَمْرُكَ إِنَّنِي بِرَقِيمٍ قَيْسٍ وجارة أَهْلِها لَأَنَا الْحَرِيبُ⁵

الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيم ماخوريّ بالبصرة عن عمرو ، قال : فلما أخذه مخارق جعل أبي يكي ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعَمَ وسيلة إيليس أنت في الأرض ، أنت والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشأن .

[تفاخر الأب وابنه في الغناء]

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالَا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : لما صنع أبي لحنه في :

لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
خَاصَمْتُهُ وَعَيْتُهُ فِي صِنْعَتِهِ ، وقلتُ له : أَمَا يَازائِكَ مَنْ يَنْتَقِدُ أَنْفَاسَكَ وَيَعِيبُ مُحَاسِنَكَ وَأَنْتَ لَا تَفَكَّرُ ؟ تَجِيءُ إِلَى صَوْتٍ قَدْ عَمِلَ فِيهِ ابْنُ سُرَيْجٍ لِحْنًا فَتُعَارِضُهُ بِلَحْنٍ لَا يَقَارِبُهُ وَالشَّعْرُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ ! فَدَغْ مَا قَدْ اعْتَوَرْتَهُ⁴ صِنَاعَةُ الْقَدَمَاءِ وَخَذْ فِي غَيْرِهِ ؛ فغَضِبَ ، وَكُنْتُ لَا أَزَالُ أَفَاحِرُهُ بِصِنْعَتِي وَأَعِيبُ مَا يُعَابُ مِنْ صِنْعَتِهِ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي فَذَلِكَ ، وَإِنْ غَضِبَ دَارِيَّتُهُ وَتَرْضِيَّتُهُ ؛ فَقَالَ لِي : مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَتَيْ أَدْعُكَ أَوْ تَفَاخَرَنِي بِخَيْرِ صَوْتٍ صِنْعَتُهُ فِي الثَّقِيلِ الثَّانِي فِي طَرِيقَةِ هَذَا الصَّوْتِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَدَّ مِنْهُ اخْتَرْتُ صِنْعَتِي فِي هَذَا اللَّحْنِ :

[من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الأحوص : طبعة دار صادر ، ص 25 .

2 الموقر : في البلقاء بالأردن . وخاخ : موضع بالحجاز .

3 رقيم قيس : موضع قرب البلقاء .

4 اعتورته : تداولته .

قل لمن صدّ عاتباً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعباً

وكان ما تجاربتاه ونحن تتسائر خارجتين إلى الصحراء نقطع فضلة خمار كان بنا ؛ فقال :
من تحب أن يحكم بيني وبينك ؟ فقلت : من ترى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أول من يطلع علينا
أغنيه لحني وتغنيه لحنك ؛ فطمعت فيه وقلت نعم ؛ فأقبل شيخ نبطي يحمل شوكة على حمار له ،
فأقبل عليه أبي فقال : إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء ؛ قال : وأي شيء هو ؟ فقلنا :
زعم كل واحد منا أنه أحسن غناء من صاحبه ، فنسمع مني ومنه وتحكم ؛ فقال : على اسم الله ؛
فبدأ أبي فغنى لحنه ، وتبعته فغنى لحني ، فلما فرغت أقبل علي فقال لي : قد حكمت عليك
عافاك الله ومضى ؛ فلطممني أبي لطمه ما مرّ بي مثلها منه قط ، وسكت فما أعدت عليه حرفاً
ولا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الرمل]

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جاراتها	ذات يوم وتعرّت تبتد
أكما ينعتني تبصيرني	عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها	حسن في كل عين من تود
حسداً حمله من أجلها	وقديماً كان في الناس الحسد ¹

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . ولحن إبراهيم فيه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريج رمل
بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه للمالك خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي ،
 وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وقال الهشامي : أدل شيء على أنه للمالك
شبهه للحنه :

اسلمي يا دار من هندی

وفيه لثيم ثقيل أول . وأما لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه ، فقد كتب شعره والصنعة
فيه ، وهما جميعاً لإسحاق ، ولحنه ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، في أخبار إسحاق .

[يخرج زلزل من الحبس]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه قال : كان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها ؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته ، فجعل إبراهيم يغني صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل ، وهو :

هل دهرنا بك راجع يا زلزلُ أيامَ يئبينا العدو المبطِلُ
أيامَ أنتَ من المكاره آمِنُ والخيرُ مُتَسِعٌ علينا مُقْبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فَقَدَ الإمامَ وقُربَه ماذا به من ذلة لو يَعْقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُردِّداً أبكي بأربعة كأنني مُثْكِلُ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . قال : ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ، ثم قال : يا إبراهيم ، أي شيء كنت تقول ؟ فقال : خيراً يا سيدي ؛ فقال : هاته فتلكاً ، فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروه عليك ، فرد الغناء ؛ فقال له : أتجيب أن تراه ؟ فقال : وهل ينشر أهل القبور ؟ فقال : هاتوا زلزلاً ، فجاءوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسُر به إبراهيم ؛ وأمره فجلس ، وأمر إبراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا ، وشرب الرشيد على ذلك رطلاً ، وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزلزل أول من أحدث هذه العيدان الشبايط¹ ، وكانت قديماً على عمل عيدان الفرس ، فجاءت عجباً من العجب . قال : وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم ، وقد ولدت منه .

[أول أستاذ له في الغناء]

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أول من تعلمت منه الغناء مجنون ، كان إذا صبح به : يا مُضَر ، يصيح ويهيج ويرجم ؛ فبلغني أنه يغني أصواتاً فيجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أدخله إلي فأطعمه وأسقيه وأخذعه حتى أخذ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأول صوت أخذته عنه² :

أرسلي بالسلام يا سلم إنني منذ علقتكم غني فقيرُ
فالغني إن ملكتُ أمرك والفق سرُّ بأتي أزورُ مَنْ لا يزورُ
ويَحْ نفسي تسلو النفوسُ ونفسي في هوى الرِّيم ذكرها ما يحورُ

1 العيدان الشبايط : العيدان الشبيهة بالشبوط وهو سمك يعيش في نهر دجلة .

2 شعر الوليد بن يزيد : 44 .

مَنْ لِنَفْسٍ تَتُوقُ أَنْتَ هَوَاهَا وفؤادٍ يكاد فيك يطيرُ
ثم مكثتُ زماناً أخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقله من أهدقِ الناس وأقومهم على ما يؤديه ؛
ثم غاب عني فما أعرف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يزيد . والغناء ليونس خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن
إسحاق . وذكر غيره أنه لعمر الوادي ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش .
[إحسان الرشيد إليه في الشام]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : خرجتُ مع
الرشيد إلى الشام لما غزا ، فدعاني يوماً فدخلتُ إليه إلى مجلسٍ لم أر أحسن منه مفروشٍ
بأنواع الرُخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلتُ أتوكلي خدمته إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ
فشرب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةً وشي من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا
إبراهيم ، كم من يدٍ أوليتك إياها اليوم ! نادمتني مفرداً ، وآكلتني ، وخلعتُ عليك ثيابي من
بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا
سيدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضلك ، وإن نَعَمَكَ عندي لأكثرُ من أن تُحصي ، وقبَلتُ
رجلَه والأرضَ بين يديه .
[أول من غنى الرشيد في خلافته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال دِغِيل بن عليّ : لما ولي الرشيدُ
الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنون ، كان أول من غناه
إبراهيم الموصلي بشعره فيه ، وهو :

صوت

إذا ظَلَمُ البلادِ تَجَلَّلَتْنا فهارونُ الإمامُ لها ضياءُ
بهارونَ استقام العدلُ فينا وغاض الجورُ وانفسح الرجاءُ
رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه كما سكنتُ إلى الحرَمِ الطِّباءُ
تَبِعْتُ من الرسولِ سبيلَ حقٍّ فشأنك في الأمورِ به اقتداءُ

فقال له الخادم من خلف الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم في شعرك وغنائك ، وأمر له
يومئذٍ بعشرين ألف درهم . لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقيلٌ أولٌ بالسبابة والوسطى عن
أحمد بن المكي .

[دخل على قوم يقصفون في بستان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال حدثني أبي قال : كنتُ أنا وأبو

سعيد النهدي وهاشم بن سليمان المغني يوماً مجتمعين في بستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغني؛ فلما توسطنا أمرنا إذا نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الزِّي، فلما بصرنا به من بعيد، وثب هاشم يعدو حتى لقيه، فقبل يده وعانقه، ولم يعرفه أحد منا، فجاء وسلم سلام الصديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإني اجتزت بكم فسمعتُ غناء أبي القاسم فاستخفني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يُعاشِر إلا فتىً ظريفاً يستحسن هذا الفعل ويسره، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنيكم لما غنى: [من المنسرح]

قُلْ لكرامٍ بياينا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرجُ
وأنا أعلم أن نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جهلني فانا إبراهيم الموصلي؛ فقمنا فقبلنا رأسه وسررنا به أتم سرور، وانهقدت بيننا وبينه يومئذ مودة، ثم غاب عنا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رقعةً فيها: [من الطويل]

أهاشم هل لي من سبيل إلى التي تفرق هم النفس في كل مذهب
معتقة صرفاً كأن شعاعها تضرم ناراً أو توقد كوكب
ألا رب يومٍ قد لهُتُ وليلة بها والفتى النهدي وابن المهلب
ندير مداماً بيننا بتحية وتفدية بالنفس والأب

[عقق يسرق خاتمه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان لي وأنا صبي عقق قد ربّيته وكان يتكلم بكل شيء سمعه، فسرق خاتم ياقوت كان لأبي قد وضعه على ثكأته¹ ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً، فلم يقف له على خبر؛ فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العقق قد نبش تراباً فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلاً، ثم رده فيه ودفنه، فأخذته وجئت به إلى أبي، فسرد بذلك وقال يهجو العقق: [من المتقارب]

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقق
طويل الذناب قصير الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينين في رأسه كأنهما قطرتا زُبُق

[بينه وبين ابن جامع بين يدي الرشيد]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن المكي، قال أبو

الفرج : وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظَةً بهذا الخبر فقال حدثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جده ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها¹ : أن الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهل أقاسمك إياها وأخايرك ، فاقسما المغنين ، على أن جعلاً بإزاء كل رجل نظيره ، وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماء لمحنة المغنين ، وأمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان وطرب الرشيد غاية الطرب ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنى ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غن يا إسماعيل ، فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال ، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان ، غن يا إسماعيل ، فغنى ثالثاً يتقدم الصوتين الأولين ويفضلهما ، فلما أتى على آخره ، قال : هات يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتنا أخزاك الله . قال : وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به ، وأجازه بجوائز كثيرة وخلع عليه خلعاً فاخرة ، ولم يزل إبراهيم منخذاً منكسراً حتى انصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف ، وكان محمد من المغنين المحسنين ، وكان أسرع من عُرف في أيامه في أخذ صوت يريد أخذه ، وكان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فالزمه بيته وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزف : إني اخترتك على من هو أحب إلي منك ، لأمر لا يصلح له غيرك ، فانظر كيف تكون ! قال : أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتعلمه أنك صيرت إليه مهنتاً بما تهياً له علي ، وتنفقني وتثليني وتشتمني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تحبه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذن له ، فدخل وسلم عليه وقال : جئتكم مهنتاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابن الجرُمقانيه² على يدك ، وكشف الفضل في محلك من صناعتك ؛ قال : وهل بلغك خبرنا ؟ قال : هو أشهر من أن يخفى علي مثلي ؛ قال : ويحك ! إنه يقصر عن العيان ؛ قال : أيها الأستاذ ، سرني بأن أسمع من فيك حتى أرويه عنك ، وأسقط بيني وبينك الأسانيد ؛ قال : أقم عندي حتى أفعل ؛ قال : السمع والطاعة ؛ فدعا له ابن جامع بالطعام

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 59 (رقم 51) .

2 الجرُمقانية : نسبة إلى الجرماقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحدثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول ؛ فقال له الزّرف : وما هو أيّها الأستاذ ؟ فغناه ابن جامع إياه ، فجعل محمد يُصَفِّقُ وينعّر ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه . ثم سأله عن الصوت الثاني ، فغناه إياه ، وفعل مثل فعله في الصوت الأول ، ثم كذلك في الصوت الثالث ؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له : يا أستاذ ، قد بلغتُ ما أحبّ ، فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم ؛ فلما طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلّ ما تحبّ ، أدع لي بعود ، فدعا له به ، فضرب وغناه الأصوات ؛ قال إبراهيم : وأبيك هي بصورها وأعيانها ، ردّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحّت لإبراهيم ، وانصرف الزّرف إلى منزله ، وغدا إبراهيم إلى الرشيد ، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم ، فلما بصر به قال له : أو قد حضرت ؟ أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيتَ من ابن جامع ؟ قال : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيعارضك ، ولا أن تكون مُعَصِّباً لحيزٍ وجنبية¹ فيغالبك ، وإلا فما في الأرض صوت لا أعرفه ، قال : دَعْ ذا عنك ، قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا ، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم ، فليس هاهنا عصبية ولا تمييز ، فاندفع فأمر الأصوات كلّها ، وابن جامع مُصَغِرٌ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُخرجة أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلّا من صنّعه ، ولم تخرج إلى أحد غيره ؛ فقال له : ويحك ؛ فما أحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أحدثتُ حدثاً ؛ فقال : يا إبراهيم بجياتي اصدّقني ! فقال : وحياتك لأصدّقنك ، رميته بحجره² ، فبعثت له بمحمد الزّرف وضمّنتُ له ضماناتٍ ، أولها رضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ ، وقد سقط الآن اللوم عني بإقراره ، لأنّه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلا فلو لزمني أن أروي صنّعه للزمه أن يروي صنّعتي ، ولزم كلّ واحدٍ منّا لسائر طبّقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً ؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ، ونصّحت³ عن نفسك ، وقمت بحجّتك ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له : يا

1 جنبية : جانب .

2 المثل رمي فلان بحجره (أي بقرنه الذي هو مثله في الصلابة) مجمع الميداني 1 : 287 (رقم 1525) وجمهرة العسكري 1 : 480 ومستقصى الزمخشري 2 : 103 .

3 نصحت : دفعت بالحجة .

إسماعيل ، أُتَيْتَ أُتَيْتَ ! ذُهِيتَ ذُهِيتَ ! أَبْطَلَ عَلَيْكَ الموصلي ما فعلته به أمس وانتصف اليوم منك ؛ ثم دعا بالزَّفَ فَرَضِي عنه .

[الأصوات التي غنى بها ابن جامع]

قال علي بن محمد : سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون وقد تجارنا هذا الخبر : هل تعرف أصوات ابن جامع هذه ؟ فأخبرني أنه سمع إسحاق يحكي هذه القصة ، وذكر أن الصوت الأول منها :

صوت

بكيْتُ نعم بكيْتُ وكلَّ إلفٍ إذا بانَتْ قريته بكاها
وما فارقتُ بُني عن تقالٍ ولكن شِقْوَةٌ بلغتْ مداها¹

الشعر لقيس بن ذريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن الهشامي .

قال : والثاني منها :

[من المتقارب]

صوت

عفت دار سلمى بمفضي الرغام رياح تعاقبها كل عام
خلاف الحلول بتلك الطلول وسحب الذبول بذاك المقام²
وأنس الديار وقرب الجوار وطيب المزار ورد السلام³
ودهر غريير وعيش السرور ونأي الغيور وحسن الكلام

الشعر لحماد الراوية . والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبصر ؛ ذكر ذلك الخزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو . قال ابن حمدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة ، كثير النغم ، مُحَكَّم العمل ، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدم صنعته ، وكان المعتصم مُعْجَباً به ، وكثيراً ما كان يُسَكِّتُ المغنين إذا غنَّي بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره .

قال : والثالث منها⁴ :

[من الكامل]

1 التقالي : التباغض .

2 خلاف في ل : أحب .

3 وأنس الديار وقرب الجوار في ل : وأنس الجوار وقرب الديار .

4 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 138-139 .

صوت

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرَ عَيْناً لغيرِكَ دُمْعُهَا مِذْرَارُ
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْناً لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقیلاً ^{أول} بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون :
وعَارَضَهُ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَصَنَعَ فِيهِ لَحْناً مِنَ الرَّمْلِ بِالْبِنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا ، فَلَمْ
يَلْحَقْهُ وَلَا قَارِبَهُ . قال : وقد صُنِعَ أَيْضاً فِي هَذَا الشَّعْرِ لَحْنٌ خَفِيفٌ فَاسَدَ الصَّنِعةُ مُحَدَّثٌ لَيْسَ
يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَّرَ هَاهُنَا .

حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَزَنِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَنْشَدَ بَشَّارٌ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ : [من الكامل]

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرَ عَيْناً لغيرِكَ دُمْعُهَا مِذْرَارُ

فَقَالَ بَشَّارٌ : لِحَقِّ وَاللَّهِ هَذَا الْفَتَى بِالْمَحْسَنِينَ ، وَمَا زَالَ يُدْخِلُ نَفْسَهُ مَعَنَا وَنَحْنُ نُخْرِجُهُ حَتَّى
قَالَ هَذَا الشَّعْرُ .

حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : أَنْشَدَ الرَّشِيدُ قَوْلَ
الْعَبَّاسِ : [من الكامل]

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْناً لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

فَقَالَ : يُعِيرُهُ مَنْ لَا حَاطَةَ اللَّهُ وَلَا حِفْظَهُ .

وَمِمَّا يُغْنَى فِيهِ مِنْ قَصِيدَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ الرَّائِيَةِ الَّتِي هَذَا الصَّوْتُ الْأَخِيرُ مِنْهَا
قَوْلُهُ : [من الكامل]

صوت

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ تَأْتِي بِهِ وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ

حَتَّى إِذَا سَلَكَ الْفَتَى لُجْجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

غَنَاهُ ابْنُ جَامِعٍ ثَانِيً ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ . وَفِيهِ لِشَاطِرَةِ امْرَأَةٍ مَنْصُورٍ زَلْزَلٌ ثَقِيلٌ ^{أول}
بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِّيِّ الْمُرْتَجِلُ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ الثَّلَاثَةَ الْمَسْرُوقَةَ مِنْ
ابْنِ جَامِعٍ : [من الكامل]

يَا قَبْرُ بَيْنَ بَيُوتِ آلِ مُحَرَّقٍ¹

1 آل محرق : هم ملوك الحيرة اللخمين . ومحرق لقب يطلق على امرئ القيس بن عمرو بن عدي (المحرق الأكبر)
وعمر بن هند (المحرق الثاني) من ملوكهم ويطلق أيضاً على الحارث بن عمرو بن أبي شمر من الغساسنة -
اللسان (حرق) .

و : [من الوافر]

عفا طَرْفُ الْقُرْبَى فالكثيب¹

وَأَسْقَطَ مِنْهَا قَوْلَهُ : [من الكامل]

نَزَفَ الْبَكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعْرِ

و : [من الوافر]

بَكَيْتُ نَعَمَ بَكَيْتُ وَكُلُّ الْإِفْرِ

نسبة هذين الصوتين
صوت

[من الكامل]

يَا قَبْرُ بَيْنَ بَيُوتِ آلِ مُحَرَّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقٌ
أَمَّا الْبَكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَقِنَ بَكَيْتُ فَالْبَكَاءُ حَقِيقٌ

الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن فضلة² ورجلاً آخر³ من بني أسد كانا نديمين
للمنذر بن ماء السماء ، فقتلهما في سُخْطِهِ عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن⁴ جامع .
والغناء لابن جامع ، وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى ، وَرَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ ، وَقِيلٌ : إِنَّ الرَّمْلَ لَابْنُ
سُرَيْجٍ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْبِرَامِ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى .
ومنها⁵ :

[من الوافر]

صوت

عفا رَسْمُ الْقُرْبَى فالكثيبُ إِلَى مَلْحَاءٍ لَيْسَ بِهَا غَرِيبٌ⁶
تَأَبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا سَقْيِي الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الْغَرِيبُ

- 1 القرية : تطلق على عدة مواضع ، ولعل المقصودة هنا قرية اليمامة .
- 2 هكذا في الشعر والشعراء وسيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : (الغريان) . وفي ديوان عبيد : خالد بن فضلة الفقعسي . وسيورد أبو الفرج في ترجمة عبيد بن الأبرص روايتين لمقتل عبيد ، وفيهما «خالد بن المضلل» .
- 3 هو عمرو بن مسعود . وفي سيرة ابن هشام أن التي رثتها هي هند بنت معبد بن فضلة ، فيكون خالد بن فضلة عمها ، مما يقوّي الرواية هنا .
- 4 هذا سهو من أبي الفرج . فقصة النديمين والمنذر بن ماء السماء سترد في ترجمة عبيد بن الأبرص ولم ترد في أخبار ابن جامع .
- 5 ديوان ابن هرمة : 58-59 .
- 6 ملحاء : واد في اليمامة . غريب : أحد .

فإنك واطراحك وصل سَعْدَى لأخرى في مودتها نُكُوبُ
 كُثَّابَةِ حَلِيٍّ مُسْتَعَارٍ بأذنيها فشأنهما الثُّقُوبُ
 فردت حَلِيٍّ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها نُدُوبُ

الشعر لابن هرمة . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحن للهذلي ، ولم يُجَنِّسْه .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني عيسى بن أيوب القرشي قال حدثني غيث بن عبد الكريم عن فليح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب عن أبيه قال : مررتُ بابن هرمة وهو جالسٌ على دُكَّانٍ¹ في بني زريق ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، ما يُجلسك² هاهنا ؟ قال : بيت كنت قتلته ثم انقطع عليّ الروي فيه وتعدّر عليّ ما أشتهيه ، فأبغضته وتركته ؛ قلت : ما هو ؟ قال : [من الوافر]

فإنك واطراحك وصل سَعْدَى لأخرى في مودتها نُكُوبُ

قال : قتلته ثم انقطع بي فيه ؛ فمرّت بي جُوَيْرِيَّةُ صفراء مليحة كنتُ أَسْتَحْسِنُهَا أَبَدًا وأكَلَمَهَا إِذَا مَرَّتْ بي ، فمرّت اليوم فرأيتها وقد وِرمَ وجهها وتغيّر خلقها ، عمّا أعرف ، فسألتها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلِيًّا وثَقَبُوا أُذُنِي لِأَلْبَسَهُ فَوِرمَ وجهي وأذناي كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْسَ ؛ قال ابن هرمة : فاطرَد لي الشعرُ فقلت :

كُثَّابَةِ حَلِيٍّ مُسْتَعَارٍ بأذنيها فشأنهما الثُّقُوبُ
 فردت حَلِيٍّ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها نُدُوبُ

[سرق إبراهيم بن المهدي شعره ولحنه]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثني أبي قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكَنَات : باكروني غداً ، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقولهُ ، وغنى فيه لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهدي : فقمْتُ في السَّحَرِ وجَهِدْتُ أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي ، فلما خَفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم : إني أريد أن أمضي

1 دكان : دكة تبنى للجلوس عليها .

2 ل : يحبسك .

إلى موضع ولا يشعرُ بي أحد حتى أصير إليه ، وكانوا في زبديات لي يبيتون فيها على باب داري ، فقامت فركبت في إحداها وقصدت دار إبراهيم الموصلي ، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم يتم حتى يُدبر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح ، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

إذا سُكِبَتْ في الكأس قبل مزاجها ترى لونها في جلدة الكأس مُذهبا
وإن مُزِجَتْ راعت بلون تخاله إذا ضُمَّتْهُ الكأس في الكأس كوكبا
أبوها نِجاء المُرْن والكُرْم أمها فلم أرَ زَوْجاً منه أشهى وأطيباً¹
فجاءتكَ صَفراً أشبهت غير جنسها وما أشبهت في اللون أمّاً ولا أباً

قال : فما زِلْتُ واقفاً أستمع منه الصوت حتى أخذته ؛ ثم غدونا إلى الرشيد ، فلما جلسنا للشرب خرج الخادم إليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يا ابن أم غنني ؛ فاندفعتُ فغنيْتُ هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغتُ منه ، فشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ، ما سبقه إليه أحد ؛ فقال إبراهيم : يا سيدي ، فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وُبهته ! وإبراهيم يضطرب ويضج ؛ فلما قضيتُ أرباً من العبث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقُّ أن يُتبع ، وصدّقته ؛ فقال للموصلي : أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه ، فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

[عند محمد بن يحيى في يوم مهرجان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن مُخارق قال : أتى إبراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان ، فسأله محمد أن يقيم عنده ؛ فقال : ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفت ولك عندي كل ما يُهدى إليّ اليوم ؟ فقال : نعم ، وترك في المجلس صديقاً له يُحصى ما يُبعث به إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب ؛ قال : وأهدي إليّ تمثال فيل من ذهب عيناها ياقوتتان ؛ فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعث به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أحضريني ما أُهدي لك ، فأحضره ذلك كله إلا التمثال ، وقال : لا بد من صدقك ، كان من الأمر كذا وكذا ؛

فقال : لا ! إلا على الشريطة وكما ضمنت ، فجيء بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد ؟ قال : بلى ، قال : فردّ التمثال على الجارية ؛ وجعل يفرّق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً ، وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى من في دور الحرم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء ، ثم أخذ من المجلس تَفَاحَتَيْنِ لما أراد الانصراف وقال : هذا لي ، وانصرف ؛ فجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله .
[زاره الرشيد ليلاً وغتته جواريه]

وقال أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتّاب السلطان¹ : أن الرشيد هبَّ ليلة من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه ، وخرج في دُرَاعَةٍ وشيٍّ مُتَلَمِّماً بعمامة وشيٍّ ملتحفاً بإزارٍ وشيٍّ ، بين يديه أربعمئة خادمٍ أبيضٍ سوى الفَرَّاشِينَ ، وكان مسروراً الفَرَّغَانِيَّ جريئاً عليه لمكانه عنده ، فلما خرج من باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصلي . قال مسروراً : فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلّقاه وقبّل حافرَ حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوقٌ طرّق لك بي ؛ ثم نزل فجلس في طَرَفِ الإيوان وأجلس إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : يا سيدي أنتشط لشيء تأكله ؟ فقال : نعم ، خاميز² ظبي ، فأتى به كأنما كان مُعَدّاً له ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِلَ معه ؛ فقال الموصلي : يا سيدي ، أوغنيك أم تغنيك إِمَاوُك ؟ فقال : بل الجوّاري ؛ فخرج جوّاري إبراهيم فأخذن صدرَ الإيوان وجانيبه ؛ فقال : أَيْضَرَيْنِ كُلَّهُنَّ أم واحدة ؟ فقال : بل تُضَرِبِ اثْنَانِ اثْنَانِ وتُغْنِي واحدة فواحدة ، ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانيبه والرشيدُ يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهنّ ، إلى أن غنّت صبيّةً من حاشيته :

يا مُورِي الزُّنْدِ قد أُعِيَتْ قَوَادِحُهُ أَقْبِسْ إِذَا شِئْتَ من قلبي بمقباسِ
ما أَقْبَحَ النَّاسَ في عيني وأسمجهم إِذَا نظرتُ فلم أَبْصِرْكَ في الناسِ

قال : فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرتالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت ، فاستدناها فتقاعست ، فأمر بها فأقيمت حتى وقفت بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرته إليه ؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضرّك ألا تكون خليفة ! ؛ فكادت نفسه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي خبّرت به أن

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 31-32 (رقم 52) .

2 خاميز : اسم أعجمي لطعام من اللحم بجلده .

الصنعة في الصوت لأخته عُلَيَّة بنت المهدي ، وكانت الجارية لها وجَّهَتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

[شعره في ابنة خمارة]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبي يَألف خَمَّارة بالرقَّة يقال لها بِشرة تنزل الهنيء والمريء ، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلَّاهَا ، ثم رحل الرشيد عن الرقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته ، فقال أبي فيها : [من المتقارب]

أيا بنتَ بِشرة ما عاقني عن العهدِ بَعْدُكَ من عَائِقٍ

نَفْسِي النَّوْمَ عَنِّي سنا بارق وأشقهني في ذُرَى شاهق¹

قال : وفيها يقول أيضاً من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوَّل : [من الكامل]

صوت

وزعمتُ أنِّي ظالمٌ فهجرتني ورَمَيْتُ في قلبي بسهمٍ نافذٍ

ونعمَ ظلمتُك فَاغْفِرِي وتجاوزِي هذا مَقَامُ المستجير العائذِ

ذكر حماد في هذا الخبر أنَّ لحن جده من الرَّمَل . ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكي أنَّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوَّل والآخر ثاني ثقيل .

[أغانيه في السجن]

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : حبس الرشيدُ إبراهيم الموصلي عند أبي العباس (يعني أباه عبد الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرّره حتى يستوي له : [من الخفيف]

يا أخِلاءَ قد مَلِيتُ مكاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني

شُرَيْبِي الرَّاحَ إذ تقوم علينا ذاتُ دَلٍّ كأنها غصنُ بانٍ

قال : وغنى في الحبس أيضاً :

ألا طال ليلى أراعي النجوم أعالج في الساق كَبَلًا ثَقِيلًا²

[يترنم أثناء مرضه الذي مات به]

حدثني عيسى قال حدثني عبد الله قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني

1 أشهقني في ل : أسهدي .

2 الكيل : القيد .

عَلَوِيهِ الْأَعْسَرُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا وَهُوَ فِي الْأَبْزَنِ¹ وَبِهِ الْقَوْلُنَج² الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَهُوَ يَتَرْتَمُ بِهَذَا الصَّوْتِ :
[من الطويل]

صوت

تَغْيَرُ مَنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَى ثَغْرِي فَأَصْبَحَ أَثَرَمَا
وَمَحَلَّ أَطْرَافِي فَزَالَتْ فَصُوصُهَا وَحَنَى عِظَامِي عُوجَهَا وَالْمُقُومَا

قال محمد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاق الموصليّ ، فقال : كَذَبَ ابْنُ الزَّانِيَةِ ! وَاللَّهِ مَا كَانَ يَجْتَرِيءُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ لِلنَّاسِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْأَبْزَنِ .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان مآخوريّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقليل عن ابن المكيّ .

[غَنَتِ الْمُقْتَدِرُ إِحْدَى جَوَارِيهِ لَحْنًا لَهُ]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ : كَانَ الْمُقْتَدِرُ يَدْعُونَا فِي الْأَحْيَانِ ، فَكَانَ يَحْضُرُ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَكُنَيْزُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ قَاسِمٍ وَأَنَا وَوَصِيفُ الزَّامِرِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا نُدْعَى لَهُ أَنْ جَوَارِيَهُ كُنَّ يَطْلُبْنَهُ بِإِحْضَارِنَا لِأَخْذِنَا مِنْ أَصْوَاتٍ قَدْ عَرَفْنَاهَا وَيَسْمَعُنَا ، فَتُغْنِي فَيَأْخُذُنَا مَا يَسْتَحْسِنُهُ ، فَإِذَا انْتَصَرَفْنَا أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَكُنَيْزِ دَبَّةٍ وَإِبْرَاهِيمَ بِثَلَاثِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَلِي بِمِائَتِي دِينَارٍ ، وَلِوَصِيفِ بِمِائَتِي دِينَارٍ ، وَلِسَائِرِ مَنْ لَعَلَّهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَنَا بِمِائَتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ الدِّينَارِ إِلَى الْأَلْفِ الدِّرْهَمِ ، فَيَكُونُ إِذَا حَضَرْنَا مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ الْجَوَارِيِ ، فَإِذَا أَرَادَ اقْتِرَاحَ شَيْءٍ جَاءَنَا الْخَدَمُ فَأَمَرُونَا أَنْ نَغْنِيَهُ ، وَيَنْ يَذِي كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا قَيْنَةً فِيهَا خَمْسَةُ أَرْطَالٍ نَبِيذٍ وَقَدْحٌ وَمَغْسِيلٌ وَكَوْزُ مَاءٍ ؛ فَغَنَنْتُ يَوْمًا صِلْفَةً جَارِيَةً زَرْيَابَ بِصِنْعَةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ : [من الطويل]

تَغْيَرُ مَنِّي كُلُّ حُسْنٍ وَجِدَّةٍ وَعَادَ عَلَى ثَغْرِي فَأَصْبَحَ أَثَرَمَا

فَشَرِبْتُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعَادَهُ الْمُقْتَدِرُ مَرَارًا وَأَنَا أَشْرَبُ عَلَيْهِ ؛ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ بِكَفِّي وَقَالَ : يَا مَجْنُونُ ! إِنَّمَا دُعِيتَ لَتُغْنِيَ لَا لَتُغْنَى وَتَطْرَبُ وَتَشْرَبُ ، فَلَعَلَّكَ تَسْكُرُ ، حَسْبُكَ ! ؛ فَأَمْسَكْتُ طَمَعًا أَنْ تَرُدَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَمَا فَعَلْتُ وَلَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَهَا ، وَمَا سَمِعْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا غَنَى هَذَا الصَّوْتِ أَحْسَنَ مِمَّا غَنَّنَهُ . قَالَ : وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ ابْتِاعَهَا مِنْ زَرْيَابَ .

1 الأبزن : حوض مستطيل يعالج فيه المريض بالماء الحار والأدوية الساخنة .

2 القولنج : التهاب القولون .

[ردّ زوجاً إلى زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدثني إسحاق الموصلي عن أبيه قال : بينا أنا بمكة أجول في سبيلها إذا أنا بسوداء قائمة ساهية باكية ، فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها ؛ فبكت وقالت : [من المتقارب]

أعمرُو عَلامَ تَجَنَّبَنِي أخذتَ فؤادي وعَذَّبَنِي
فلو كنتَ يا عمرُو خَبَرَتَنِي أخذتَ جِذاري فما نِلَّتَنِي

فقلتُ لها : يا هذه ، مَنْ عمرُو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يَهْوانِي وما زال يطلبني حتّى تزوّجته ، فلبثَ معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّة وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفْه لي ؛ قالت : أحسنُ مَنْ أنتِ رائِيهِ سُمرَةٌ وأحلامٌ حلاوةٌ وقَدَأ ؛ قال : فركبتُ رواحلي مع غِلْمانِي وصرتُ إلى جُدَّة ، فوقفتُ في موضعٍ المَرُفَأُ أَبْصَرُ مَنْ يحمل من السفن ، وأمرتُ مَنْ يُصَوِّتُ : يا عمرُو يا عمرُو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنْ¹ فيه طعامٌ ، فعرفتهُ بصفتِها ونعتِها إِيَّاه ، فقلتُ :

أعمرُو عَلامَ تَجَنَّبَنِي أخذتَ فؤادي وعَذَّبَنِي

فقال : هِيه ! أَرَأَيْتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرقَ هُنيئَةً ييكِي ، ثم اندفعَ فغَنَّى به أَمْلَحَ غناء سمعته ، وردّده عليّ حتّى أخذتهُ منه ، وإذا هو أحسنُ الناسِ غناءً ؛ فقلتُ له : ألا ترجعُ إليها ؟ فقال : طلبُ المعاشِ يَمْنَعُنِي ؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها في كلِّ سَنَةٍ ؟ فقال : ثلثمائةُ درهمٍ قال إسحاقُ : قال لي أبي : فوالله يا بُنَيَّ لو قال ثلثمائةُ دينارٍ لطابتْ نفسي بها فدعوتُ به فأعطيتُهُ ثلاثةَ آلافِ درهمٍ ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أن تُقِيمَ معها ، فلا تَطْلُبِ المعاشَ إلّا حيثُ هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلاً ؛ وردّدهُ معي إليها .

[يغني الرشيد على انفراد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثنا صالح بن علي (يعني الأضجَم) عن إبراهيم الموصلي ، قال : وكان صالح جاره ، قال : بينا أنا عَشِيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فاستحثني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض ، فلما صرتُ إلى الدارِ غَدِلَ بي عن المدخلِ إلى طرقٍ لا أعرفها ، فأنتهي بي إلى دارٍ حديثِ البناء ، فدخلتُ صَحْنًا واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصَّحُونَ الواسعة ، فإذا هو جالسٌ على كرسيٍّ في وسط ذلك الصَّحْن ، ليس عنده أحدٌ إلّا خادماً يسقيه ، وإذا هو في لَبْسِهِ التي كان يلبسُها في الصيف : غِلالةٌ

1 الصن : وعاء يشبه السلّة يوضع فيه الخبز والطعام .

رقيقة متوشح عليها بإزار رشيد عريض العلم مضرَج ؛ فلما رآني هَشَّ لي وسرَّ ، وقال : يا موصلي ، إني انتهيتُ أن أجلس في هذا الصحن فلم يتفق لي إلَّا اليوم ، وأحببتُ ألا يكون معي ومعلك أحدٌ ، ثم صاح بالخدَّام ، فوافاه مائةٌ وصيفٍ ، وإذا هم بالأروقة مستترون بالأساطين حتَّى لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعاً ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أول من قطع المصلَّيات ، فأتيتُ بمقعد فألقي لي تُجاه وجهه بالقرب منه ؛ ودعا بعود فقال : بحياتي أطربني بما قدَّرتُ ؛ قال : ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزة في عشتيتي ؛ فيينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ ، فقام مقامه الذي كان إذا قامه عليم الرشيدُ أنه يريد أن يُسارَه بشيء ، فأومأ إليه بالدنو ، فدنا فألقى في أذنه كلمة خفيفة ثم تنحَّى ، فاستشاط غضباً واحمرتُ عيناه وانتفخت أوداجه ، ثم قال : حتامٌ أصيرُ على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن ولأفعلن ! ؛ فقلتُ : إنا لله ؛ ليس عند هذا أحدٌ يُخرجُ غضبه عليه ، أحسبه والله سيوقع بي ، فاندفعتُ أغني :

صوت

نعمَ عوناً على الموم ثلاثُ مُترعاتٌ من بعدهن ثلاثُ
بعدها أربعٌ تيمَّةٌ عشرٍ لا بطاءٍ لكنهن جثثُ
فإذا ناولتكهن جوارٍ عطراتٌ بيضُ الوجوه خيناتُ
تم فيها لك السرور وما طيَّ سبَ عيشاً إلَّا الخيناتُ الإناثُ

قال : ويَلِك ثلاثاً لا أمتُ هماً ؛ فشرب ثلاثاً متتابعة ، ثم قال : غنَّ فغنيتُ ، فلما قلتُ :

ثلاث * مُترعاتٌ من بعدهن ثلاثُ

قال : هاتِ ويَلِك ثلاثاً ! ، ثم قال لي : غنَّ ، فلما غنيتُ قال : حُتَّ عليَّ بأربع تيمَّة العشر ، ففعل ؛ فوالله ما استوفى آخرهن حتَّى سكر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم يا موصلي فانصرف ؛ يا مسرور ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقي إلَّا سبقتَه إلى منزله بمائة ألف درهم ، لا أستمُر فيها ولا في شيء منها ؛ فخرجتُ والله وقد أمنتُ خوفاً وأدركتُ ما أملتُ ، ووافيتُ منزلي وقد سبقتني المائة الألف الدرهم إليه .

[يأخذ صوتاً عن ابن جامع]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدَّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدَّثني عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال : خرج رسول الرشيد ذات ليلة إلى

المغنين فقال : غنوا¹ :

[من الخفيف]

يا خليلي قد مللت ثوائي بالمصلي وقد سمعت البقيعا²
بلغاني ديار هندی وسعدى وارجعاني فقد هويت الرجوعا³

قال : فغنّاه ابن جامع ، فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب ؛ فقال له إبراهيم الموصلي : يا سيدي ، فاسمعه من نبيطيك فغنّاه ، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره ، وطرب هارون فقال : ارفعوا الستارة ؛ فقال له ابن جامع : مني والله أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيم فقال : بحياتي صدق ؟ قال : صدق وحياتك يا سيدي ؛ قال : وكيف أخذته وهو أبخل الناس إذا سئل شيئا ؟ قال : تركته يغنيه وكان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستويا ولا يتحرز مني ، فأخذته على هذا منه حتى وفيت به .

[حدث الرشيد عن جارية زلزل فاشتراها وأعتقها]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال⁴ : كان برصوما الزامر وزلزل الضارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة⁵ والدناءة ، فقدم بهما أبي معه سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكنا أطبع أهل دهرهما في صناعتهما ؛ فحدثني أبي قال : كان لزلزل جارية قد ربّاهَا وعلمها الضرب وسألني مطارحتها فطارحتها ، وكانت مطبوعة حاذقة ؛ قال : فكان يصونها أن يسمعها أحد ؛ فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع ، فصرت إليها لأعتريها ؛ فغنّت :

[من السريع]

أقصر من أوتاره العود فالعود للأوتار معمود
وأوحش المزمار من صوته فما له بعدك تغريد
من للمزامير وعيدينها وعامر اللذات مفقود
الخمير تبكي في أباريقها والقينة الخمصانة الرود

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقّة⁶ ؛ قال : فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 249 .

2 سمعت في ل : شنيت .

3 وارجعاني في الديوان : وارجعا بي .

4 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 3 : 31 (رقم 52) .

5 الخشنة : الخشونة . ورجل ذو خشنة : لا يطاق . البذاذة : رثالة الهيبة .

6 ل : يالقه .

فدخلتُ على الرشيد فحدثته بحدثها ، فأمر بإحضارها فحضرت ؛ فقال لها : غني الصوت الذي حدثني إبراهيم عنك أنك غنيته ، فغنته وهي تبكي ؛ فرق الرشيدُ لها وتفرَّغت عيناه ، وقال لها : أتحيين أن أشتريك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرضت علي ما يقصرُ عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفع بي ؛ فازداد رقةً عليها ، وقال : غني صوتاً آخر ، فغنت :

العينُ تظهرُ كتمانِي وتُبدِيهِ والقلبُ يكتُم ما ضَمَّنْهُ فِيهِ
فكيف ينكُم المكتومُ بينهما والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه
فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجْري عليها إلى أن ماتت .

[غضب عليه الرشيد لتعريضه بجارية له]

أخبرنا محمد قال حدثنا حماد عن أبيه عن جدّه قال : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكَرٌ عليّ غداً حتى نصطبَحَ ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كَفَرَسَي رِهَانٍ ؛ فبَكَرْتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنها خوطُ بان أو جدلُ عنان ، حُلوةُ المنظر ، دميثةُ الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غني ، فغنتُ في شعر أبي نواس وهو¹ :

تَوَهَّمْهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وفيه مكانَ الوَهْمِ من نظري أثرٌ²
ومرٌّ بفكري خاطراً فجرحتُهُ ولم أرَ جِسْماً قطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
وصافحه قَلْبِي فَالَمَ كَفَّهُ فعينُ غَمَزِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَقْرٌ³
قال إبراهيم : فذهبتُ والله بعقلي حتى كِدْتُ أَنْ أَتَضَحَّ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قَلْبِي الْغَدَاةَ وَقَلْبُهَا لِي فنحن كذاك في جَسَدَيْنِ رُوحُ
ثم قال لها : غني ، فغنتُ :

صوت

تقول غداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم لي الكَبْدُ الحَرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبْرُ
وقد خنقتها عُبْرَةٌ فدموعُها على خَدَّها بِيضٌ وفي نَحْرِها صُفْرُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 730 عن الأغاني .

2 أثر : أثر الجرح بعدما يبرأ .

3 قلبي في ل : كفي .

الشعرُ لأبي الشَّيْص . والغناء لعمر بن بانه ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لُتَيْمٌ ثاني ثَقِيلٌ وخفيفُ رَمَلٍ آخر قال : فشرب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنَّ يا إبراهيم ؛ فغنَّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتَحَفِّظٍ من شيء : [من الطويل]

تَشَرَّبَ قلبي حَبَّها ومشى به تَمَشَّى حُمَيَّ الكأس في جسم شارِبٍ
ودبَّ هواها في عِظامي فشَفَّها كما دبَّ في المَلْسُوع سُمُّ العقاربِ

قال : ففَطِنَ بتعريضِي ، وكانت جهالةً مِنِّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف ، ولم يدعني شهراً ولا حضرتُ مجلسه ؛ فلَمَّا كان بعد شهر¹ دَسَّ إليَّ خادماً معه رُقعةً ، فيها مكتوب : [من الخفيف]

قد تَخَوَّفْتُ أَنَّ أَمُوتَ مِنَ الْوَجْدِ د وَلَمْ يَدْرِ مَنْ هَوَيْتُ بِمَا بِي
يا كِتابِي فَأَقَرَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ لَا أُسْمِي وَقُلْ لَهُ يَا كِتابِي
إِنَّ كَفًّا إِلَيْكَ قَدْ بَعَثَنِي فِي شَقَاءٍ مُوَاصِلٍ وَعَذَابٍ²

فأتاني الخادمُ بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين ؛ فأحسستُ القصةَ فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربته ضرباً شَقِيتُ به نفسي وغيظي ، وركبتُ إلى الرشيد من فوري فأخبرته القصةَ وأعطيته الرقعةَ ؛ فضحك حتى كاد يستلقي ، ثم قال : على عَمَلٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحنَ مذهبَكَ وطريقَتَكَ ، ثم دعا بالخادم ؛ فلَمَّا خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، وَنَحَكَ ! قتلتنِي ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حَقِّكَ لِمَا وردت به عليّ ، ولكن رَحِمْتُكَ فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقُّه . فأمر لي الرشيدُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ ؛ والله يعلم أَنِّي ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفَافاً ولكن خوفاً .

[كيفية صنعه الأَلْحَان]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدَّثني حَمَاد بن إِسْحاق قال : أخبرني أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ الرشيدَ وقد سألَ جَدِّي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الأَلْحَانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرجُ الهمَّ من فكري وأمثلُ الطربَ بين عيني ، فتسوغُ لي مسالكُ الأَلْحَان التي أريدُ فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجعُ مُصَبِّحاً ظافراً بما أريد ؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصَيَّبَ وتظفرَ ، وإنَّ حُسْنَ وصفك لمُشَاكِلةً حُسْنَ صنعتك وغنائك .

1 ل : شهرين .

2 بعثني في ل : كبتني .

[فراصة يونس الكاتب فيه]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال حَدَّثَنِي حَمَادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : أَدْرَكْتُ يُونُسَ الْكَاتِبَ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ غَنَائِي ؛ فَقَالَ : إِنْ عَشَيْتَ كُنْتُ مُغْنِيَّ دَهْرَكَ .

[نصرفته في مذاهب الغناء]

قال حَمَادُ قال لي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُغْنِينَ مَذْهَبٌ فِي الْخَفِيفِ وَالثَقِيلِ ، وَكَانَ مَعْبُودٌ يَنْفَرِدُ بِالثَّقِيلِ ، وَابْنُ سُرَيْجٍ بِالرَّمَلِ ، وَحَكَمُ بِالْهَزَجِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمُغْنِينَ أَحَدٌ يَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ مِنَ الْأَغَانِي إِلَّا ابْنُ سُرَيْجٍ وَإِبْرَاهِيمُ جَدُّكَ وَأَبُوكَ إِسْحَاقُ .

[ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ يُعْجَبُ بِغَنَائِهِ مَعَ يَزِيدِ حَوْرَاءَ]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ السَّرْحَسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتِ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الْهَذِيلِ الْعَلَّافِ رَأْسَ الْمَعْتَزَلَةِ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ قَالَ : مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَيَزِيدِ حَوْرَاءَ وَهُمَا مُصْطَبِحَانِ ، وَقَدْ أَخَذَا بَيْنَهُمَا صَوْتًا يُغْنِيَانِهِ : هَذَا بَيْتًا وَهَذَا بَيْتًا ، وَهُوَ : [مِنْ الطَّرِيلِ]

صوت

أَيَا جَبَلِيَّ نَعْمَانُ بِاللَّهِ خَلِيًّا سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتُ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

قال ثُمَامَةُ : فَوَاللَّهِ مَا خِلْتُ أَنْ شَيْئًا بَقِيَ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا بَعْدَمَا كَانَا فِيهِ .

أخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُودٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : سَأَلْتُ الرَّشِيدَ أَنْ يَهَبَ لِي يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ لَا يَبْعَثُ فِيهِ إِلَيَّ بُوْجَهَ وَلَا بِسَبَبٍ ، لِأَخْلُوَ فِيهِ بِجَوَارِيَّ وَإِخْوَانِي ، فَأَذِنَ لِي فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَقَالَ لِي : هُوَ يَوْمٌ أَسْتَقْبَلُهُ ، فَأُلِّقَ فِيهِ بِمَا شِئْتُ ؛ فَأَقَمْتُ يَوْمَ السَّبْتِ بِمَنْزِلِي وَتَقَدَّمْتُ فِي إِصْلَاحِ طَعَامِي وَشَرَابِي بِمَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ ، وَأَمَرْتُ بَوَائِي فَأَغْلَقْتُ الْأَبْوَابَ وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ أَلَّا يَأْذَنَ عَلَيَّ لِأَحَدٍ ؛ فَبَيْنَا أَنَا فِي مَجْلِسِي وَالْخَدْمُ قَدْ حَفُّوا بِي وَجَوَارِيَّ يَتَرَدَّدْنَ بَيْنَ يَدَيَّ ، إِذَا أَنَا بِشَيْخِ ذِي هَيْعَةٍ وَجَمَالٍ ، عَلَيْهِ خُفَّانٌ قَصِيرَانِ وَقَمِيصَانِ نَاعِمَانِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ لَاطِئَةٌ¹ ، وَبِيَدِهِ عُكَّازَةٌ مُقَمَّعَةٌ بِفَضَّةٍ ، وَرَوَائِحُ الْمِسْكِ تَفُوحُ مِنْهُ حَتَّى مَلَأَ الْبَيْتَ وَالْدارَ ؛ فَدَاخِلْنِي بِدُخُولِهِ عَلَيَّ مَعَ مَا تَقَدَّمْتُ فِيهِ غِيْظًا مَا تَدَاخَلْنِي قَطُّ مِثْلُهُ ، وَهَمَمْتُ بِطَرْدِ بَوَائِي وَمَنْ حَجَبَنِي لِأَجَلِهِ ؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ أَحْسَنَ سَلَامٍ فَردَدْتُ عَلَيْهِ ، وَأَمَرْتُهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِي فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَحَادِيثِهَا وَأَشْعَارِهَا حَتَّى سَلَّى مَا بِي مِنَ الْغَضَبِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ غِلْمَانِي تَحَرَّوْا مَسَرَّتِي بِإِدْخَالِهِمْ مِثْلَهُ عَلَيَّ لِأَدْبِهِ وَظَرْفِهِ ؛ فَقُلْتُ : هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ فَقَالَ : لَا

1 لاطئة : لاصقة بالرأس .

حاجة لي فيه ؟ فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربت رطلاً وسقيته مثله ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغني لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقت به عند الملوك والخاص والعام ؟ فغاظني قوله ، ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجمسته ثم ضربت فغنيت ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فازداد غيظي وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سماني ولم يُكِنِّي ولم يُجَمِّل مخاطبتي ! . ثم قال : هل لك أن تريننا ؟ فتذممت فأخذت العود فغنيت ؛ فقال : أجدت يا أبا إسحاق ! فأتيت [هزازك]¹ حتى نكأفك ونغنيك ؛ فأخذت العود وتغيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياماً تاماً ما تحفظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط ولا غيره ، لقوله لي : أكافك ؛ فطرب وقال : أحسنت يا سيدي ويا أوثق عُددي ، ثم قال : أتأذن لعيدك بالغناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعه مني ؛ فأخذ العود وجسه وحبسه ، فوالله لخلته ينطق بلسان عربيّ لحسن ما سمعته من صوته ، ثم تغنى² :

صوت

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبعني بها كبداً ليست بذات قروح
أباها عليّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علةً بصحيح³
أئن من الشوق الذي في جوانبي أنين غصيص بالشراب جريح⁴
قال إبراهيم : فوالله لقد ظننتُ الحيطان والأبواب وكلّ ما في البيت يجيبه ويُغنيّ معه من حسن غنائه ، حتى خلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي ؛ ثم غنى⁵ :

صوت

ألا يا حمامات اللوى عُدنَ عوداً فإني إلى أصواتكنّ حزينُ
فعدنَ فلماً عُدنَ كِدْنَ يُمتنّيني وكدتُ بأسراري لهنّ أبينُ
دَعَوْنَ بترداد الهدير كأنما سقّين حُمياً أو بهنّ جنونُ

1 زيادة من ل . وهي كلمة فارسية ومعناها الأنشودة .

2 تنسب هذه الأبيات لابن الدمينه ومجنون ليلي ويزيد بن الطرية وغيرهم (انظر ديوان المجنون : 95) .

3 علة في ل : عورة .

4 جوانبي في ل : جوانحي .

5 تنسب هذه الأبيات لكثير وابن الدمينه ومجنون ليلي . (انظر ديوان المجنون : 263) .

فلم تَرَ عيني مثلهنَّ حمائمًا بكينَ ولم تَدْمَعْ لهنَّ عيونُ
لم أعرف في هذه الأبيات لحنًا يُنسب إلى إبراهيم ، والذي عرفته لمحمد بن
الحارث بن بُسْخَرٍ خفيفُ رمل ، فكاد ، والله أعلم ، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما
سمعتُ ؛ ثم غنى¹ :
[من الطويل]

صوت

ألا يا صبا نجد متى هجيت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أن هتفت وزقاء في رونق الضحى على فنني غصن النبات من الرند
بكيت كما يبكي الحزين صباةً وذبت من الحزن المبرح والجهد²
وقد زعموا أن الحب إذا دنا يملُ وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يُشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوري فخذهُ وانح نحوهُ في غنائك وعلمهُ جواريك ؛
فقلتُ : أعده علي ، فقال : لست تحتاج ، قد أخذته وفرغت منه ، ثم غاب من بين يدي ؛
فارتعتُ وقمتُ إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقةً ، فقلتُ
للجواني : أي شيء سمعتَ عندي ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء سُمِعَ قطً ؛ فخرجتُ متحيراً
إلى باب الدار فوجدته مغلقةً ، فسألتُ البوابَ عن الشيخ ؛ فقال لي : أي شيخ هو ؟ والله ما
دخل إليك اليوم أحد ؛ فرجعتُ لأتأمل أمري ، فإذا هو قد هتف بي من بعض جوانب
البيت : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ، أنا إيليس وأنا كنت جليساك ونديمك اليوم ، فلا
تُرع . فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أظرفه أبداً بطرفة مثل هذه ، فدخلتُ إليه فحدثته
بالحديث ؛ فقال : ويحك ! تأملُ هذه الأصوات³ ، هل أخذتها ؟ فأخذتُ العود أمتحنها ،
فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تنزل ؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم
على الشراب ، وأمر لي بصلية وحملان⁴ وقال : الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها
وفرغت منها ، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

1 تنسب هذه الأبيات إلى ابن الدمينه ويزيد بن الطرية والمجنون (انظر ديوان المجنون : 112) .

2 رواية شرح الحماسة لهذا البيت :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

3 ل : الأبيات .

4 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

نسبة هذه الأصوات

أما الصوت الأول فالذي أعرفه فيه خفيف رملٍ لمحمد بن الحارث بن بسنخر ، ولم يقع إليّ فيه صنعة لإبراهيم . والصوت الثاني الذي أوله : [من الطويل]

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

فشعره ليزيد بن الطثريّة ، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالنصر عن عمرو . وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لدحمان ولحناً لابنه الزبير ، ولم يذكر في أيّ طريقة هما .

[إرشاد إلى شعر ذي الرمة في المنام]

هكذا حدثنا ابن أبي الأزر بهذا الخبر ؛ وما أدري ما أقول فيه ، ولعلّ إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها ، أو صنعت وحكى عنه . إلا أن للخبر أصلاً الأشبه بالحقّ منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً ففسر ذلك عليّ ، ورأيت في المنام كأن رجلاً لقيني فقال : يا إبراهيم ، أعيك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذي الرمة حيث قال¹ :

ألا يا اسلمي يا دار مّي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر²
وإن لم تكوني غير شام بقفرة تجرّ بها الأذيال صيفيّة كدر³

قال : فانتبهت وأنا فرح بالشعر ، فدعوت من ضرب عليّ وغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلما علمت ذلك ، وعملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة ، تنبّهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخوذةً ، منها⁴ :

صوت

أمنزلتي مّي سلام عليكما هل الأزمن اللائي مرزن رواجع
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي أو رسوم بلاقع⁵

1 ديوان ذي الرمة : 206 - 207 .

2 الجرعاء : الرملة المستوية لا نبات فيها .

3 شام : جمع شامة . الصيفية : رياح الصيف . الكدر : جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة .

4 ديوان ذي الرمة : 332 .

5 أو رسوم بلاقع في ل والديوان : والرسوم البلاقع .

صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعاً من الماخوريّ بالوسطي ، وهو خفيف الثقل الثاني . وأخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرّمة مشروحة .

[اختصاصه بالغناء في شعر ذي الرّمة]

حدثني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال قال لي أبي : قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ : صير إليّ حتى أهبّ لك شيئاً حسناً ؛ فصيرت إليه فقال لي : أيما أحبّ إليك : أهبّ لك الشيء الحسن الذي وعدت بك به ، أم أُرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير ، أعزه الله ، إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إليّ هذا الحسن ؛ فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرّمة حفظ الصّبأ ويحبّه ويؤثّر ، فإذا سمع فيه غناء ، أطربه أكثر ممّا يطربه غيره ممّا لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنّيته فأطربته وأمر لك بجائزة ، فقم على رجلحك قائماً وقبّل الأرض بين يديه وقُلْ له : لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألكها أمير المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقام كلّ فائدة ولا تضرّه ولا ترزؤه ؛ فإنه سيقول لك : أيّ شيء حاجتك ؟ فقل : قطيعة تقطعني سهلاً عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد ؛ فإذا أجابك إلى ذلك ، فقل له : تقطعني شعر ذي الرّمة أغنيّ فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه ، فإنّي أحبّ شعره وأستحسنه فلا أحبّ أن يُغنّصه عليّ أحدٌ منهم ، وتوثّق منه في ذلك ؛ فقبلت ذلك القول منه ، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلّا بجائزة ؛ وتوحيّت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته ، فقممت فسألت كما قال لي ، وتبيّنت السرور في وجهه ، وقال : ما سألت شططاً ، قد أقطعتك سؤلتك ؛ فاجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضحمت القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في التوثّق ؟ قال : توثّق كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك تحلف لي أنك لا تعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يُغنّيه في شعر ذي الرّمة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لأن غناه أحدٌ منهم في شعر ذي الرّمة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناؤه ؛ فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه وانصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرّمة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فأجزل ، ولم يتنفع به أحدٌ منهم غيري ؛ فأخذت منه والله بها ألف ألف درهم وألف ألف درهم .

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلميّ قال حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : قال إبراهيم الموصليّ : أرنج عليّ فلم أجِدْ شعراً أصوغ فيه غناءً أغنيّ فيه الرشيد ، فدخلتُ إلى بعض حَجَر دارِي

مغموماً ، فَأَسْبَلْتُ السُّتُورَ عَلَيَّ وَغَلَبْتَنِي عَيْنِي ، فتمثل لي في البيت شيخٌ أشوهُ الخِلقةَ ، فقال لي : يا موصلي ، مالي أراك مغموماً ؟ قلت : لم أَصِبْ شَيْعراً أَغْنِي فيه الرشيدُ الليلةَ ؛ قال : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قول ذي الرُّمَّةِ :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلاً بِجَرَاعِكَ الْقَطْرُ
وَأَنْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ تَجَرُّ بِهَا الْأَذْيَالَ صَيْفِيَّةٌ كُذْرُ
أَقَامَتْ بِهَا حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثَّرِيَّا فِي مَلَأَتِهِ الْفَجْرُ¹
وَحَتَّى اعْتَلَى الْبُهِمَى مِنَ الصَّيْفِ نَافِضُ² كَمَا نَفَضَتْ خَيْلٌ نَوَاصِيهَا شُقْرُ²

قال : وَغَنَانِي فِيهِ بَلَحَنَ وَكَرَّرَهُ حَتَّى عَلِقَتْهُ³ فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أُدِيرُهُ ، فناديت جاريةً لي وَأَمَرْتُهَا بِإِحْضَارِ عُودٍ ، وَمَا زِلْتُ أَتَرْتُمُ بِالصَّوْتِ وَهِيَ تَضْرِبُ حَتَّى اسْتَوَى لِي ؛ ثُمَّ صَرْتُ إِلَى هَارُونَ فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَسْكَتَ الْمَغْنَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : أَعِدْ فَأَعِدْتُ ، فَمَا زَالَ لَيْلَتُهُ يَسْتَعِيدُنِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ وَبَفَرَشِ الْبَيْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ . وَقَالَ : عَلَيْكَ بِشَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ فَغَنِّ فِيهِ ؛ فَصَنَعْتُ فِيهِ غَنَاءً كَثِيراً ، فَكُنْتُ أَغْنِيهِ بِهِ فَيُعْجِبُهُ وَيُجْزِلُ صِلَاتِي .
[غَنَى الرَّشِيدُ مَعَهُ زَلْزَلَ وَبَرَصُومًا فَاطْرَبُوهُ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَابْنُ الْمَرْزُبَانِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَانِمٍ مَوْلَى جَبَلَةَ بْنُ يَزِيدَ السُّلَمِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَزَلْزَلٌ وَبَرَصُومَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ، فَضَرَبَ زَلْزَلٌ وَزَمَرَ بَرَصُومَا وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ⁴ :

صوت

صَحَا قَلْبِي وَرَاعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي⁵
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ وَكُنْتُ صُورًا إِلَيَّ صَرَمُنْتَنِي وَقَطَعْنَ حَبْلِي⁶

فَطَرِبَ هَارُونَ حَتَّى وَثَبَ عَلَى رَجْلَيْهِ وَصَاحَ : يَا آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَنْ يَحْضُرُنِي مِنْ وَلَدِكَ الْيَوْمَ لَسَرَكُ ! ، ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : اسْتَغْفَرَ اللَّهُ .

1 الثرى في ديوان ذي الرُّمَّةِ : والنوى . ملاءة الفجر : بياضه .

2 اعتلى في الديوان ول : واعترى . البهمى : نبات تحبه الغنم وهو أخضر . والنافض : يبس ينفض هذا النبات .

3 ل : عقلته .

4 ديوان أبي العتاهية : 617 .

5 راع : هنا بمعنى رجع .

6 وكن صوراء : أي يملن أعناقهن إليه .

الشعر الذي غنى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر .
[الرشيد يرضى جارية غاضبها]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه قال¹ : كان الرشيد يجِدُ بِمَارِدَةَ
وَجَدًا شديدًا ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما المهجرُ أَيامًا ؛ فأمر جعفرُ بن يحيى
العبَّاس بن الأحنف فقال² :

راجعُ أَحبَّتكَ الذين هجرتهم إِنَّ الْمُتَيْم قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمْ دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ³

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيه الرشيد ؛ فلمَّا سمعه بادر إلى ماردة فترضَّاهَا ؛ فسألتُ عن
السبب في ذلك فعرفته ، فأمرت لكلِّ واحد من العبَّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتُ
الرشيد أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

[نال أول جائزة لشاعر من الرشيد]

أخبرني جعفر بن قدامة عن حَمَاد عن أبيه قال : أَوَّلُ جائزة خرجتُ لشاعر من الرشيد لَمَّا
وَلِيَ الخِلافةَ جائزةٌ لإبراهيم ، فَإِنَّهُ قال يمدحه لَمَّا وَلِيَ :

[من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كانت مريضَةً فَلَمَّا وَلِيَ هَارُونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
فَأَلْبَسَتِ الدُّنْيَا جَمَالًا بِوَجْهِهِ فَهَارُونُ وَالْيَهِيا وَيَحْيى وَزِيرُهَا
وَعَنَى فِيهِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[قام الرشيد بالنرد]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن
مالك قال حدثني إِسْحاق الموصليّ : أَنَّ أَبَاهُ لَعِبَ يَوْمًا مَعَ الرَّشِيدِ بِالنَّرْدِ فِي الْخُلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ
عَلَى الرَّشِيدِ وَالْخُلْعَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ هُوَ ، فَتَقَامَرُ لِلرَّشِيدِ ، فَلَمَّا قَمَرَهُ قَامَ إِبْرَاهِيمُ فَفَزَعَ ثِيَابَهُ ،
ثُمَّ قَالَ لِلرَّشِيدِ : حُكْمُ النَّرْدِ الْوَفَاءُ بِهِ ، وَقَدْ قُمِرْتُ وَوَفَّيْتُ لَكَ ، فَالْبَسَ مَا كَانَ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ
الرَّشِيدُ : وَيْلَكَ ! أَنَا أَلْبَسُ ثِيَابَكَ ! ؛ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ إِذَا أَنْصَفْتَ ، وَإِذَا لَمْ تُنْصَفْ قَدَرْتُ
وَأَمْكُنْكَ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! أَوْ أَفْتَدِي مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : وَمَا الْفِدَاءُ ؟ قَالَ : قُلْ أَنْتَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْقَوْلِ ؛ فَقَالَ : أُعْطِيكَ كُلَّ مَا عَلَيَّ ؛ قَالَ : فَمُرْ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا

1 وردت هذه الحكاية في التذكرة الحمدونية 6 : 209 (رقم 548) .

2 ديوان العبَّاس بن الأحنف (صادر) : 44 .

3 ل : دب السلوك فعز منك المطلب .

أَسْتَحْيِرُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ ؛ فِدْعَا بَغِيرَ مَا عَلَيْهِ فَلِيسَهُ وَنَزَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فَدَفَعَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ .
[فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَالَ ¹ :
زَارَ ابْنُ جَامِعٍ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ ؛ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ جَارِيَةً فَضَرَبْنَ جَمِيعاً طَرِيقَةً وَاحِدَةً وَغَنَيْنَ ؛
فَقَالَ ابْنُ جَامِعٍ : فِي الْأَوْتَارِ وَتَرٍّ غَيْرِ مُسْتَوٍ ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا فَلَانَةُ شُدِّي مَثَاكِ ، فَشَدَّتْهُ
فَاسْتَوَى ؛ فَعَجِبْتُ أَوَّلًا مِنْ فِطْنَةِ ابْنِ جَامِعٍ لَوْ تَرَى فِي مِائَةِ وَعِشْرِينَ وَتَرًا غَيْرَ مُسْتَوٍ ، ثُمَّ أَرَادَ
عَجَبِي مِنْ فِطْنَةِ إِبْرَاهِيمَ لَهُ بَعِينُهُ .
[غناؤه عند خمار بالرقّة]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي
إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ ² : كُنَّا مَعَ الرَّشِيدِ بِالرَّقَّةِ وَكَانَ هُنَاكَ خَمَّارٌ أَقْصَدُهُ
أَشْتَرِي مِنْهُ شَرَاباً حَسَنًا طَيِّباً ؛ وَرَبَّمَا شَرِبْتُ فِي حَانَتِهِ ، فَأَتَيْتُهُ يَوْماً فَبَزَلَ لِي دَنًّا فِي بَاطِنَةٍ لَهُ ،
فَرَأَيْتُ لَوْنَهُ حَسَنًا صَافِيًا ، فَاَنْدَفَعْتُ أُغْنِي :
[من مجزوء الرمل]

صوت

اسْقِنِي صَهْبَاءً صِرْفًا لَمْ تُدَنَّسْ بِمَزَاجٍ
اسْقِنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ قَبْلَ أَصْوَاتِ الدَّجَاجِ
يَا أَبَا وَهْبٍ خَلِيلِي كُلُّ هَمٍّ لَانَفَرَاكِ
حِينَ تَوَهَّتَ بِقَلْبِي فِي أَعَاصِيرِ الْفِجَاجِ

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسِيَاظُ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْخِنْصَرِ
فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، قَالَ : فَدَهَشَ الْخَمَّارُ يَسْمَعُ صَوْتِي ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيَحْكُ ! قَدْ
فَاضَ النَّبِيذُ مِنَ الْبَاطِنَةِ ؛ فَقَالَ : دَغْنِي مِنَ النَّبِيذِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، مَا لِي أَرَى صَوْتَكَ حَزِينًا حَرِيْقًا ،
مَاتَ لَكَ بِاللَّهِ إِنْسَانٌ ؟ فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى الرَّشِيدِ حَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ فَجَعَلَ يَضْحَكُ .
[قصته مع الجوّاري اللاتِي عَفَهُ عَنْ مَوْعِدِ الرَّشِيدِ]

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ أَنَّ الْمَدَائِنِيَّ حَدَّثَ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ لِي الرَّشِيدُ
يَوْماً : يَا إِبْرَاهِيمَ ، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ غَدًا لِلْحَرِيمِ ، وَجَعَلْتُ لَيْلَتَهُ لِلشَّرْبِ مَعَ الرِّجَالِ ، وَأَنَا
مُقْتَصِرٌ عَلَيْكَ مِنَ الْمَغْنَنِ ، فَلَا تَشْتَغِلْ غَدًا بِشَيْءٍ ، وَلَا تَشْرَبْ نَبِيذًا ، وَكُنْ بِحَضْرَتِي فِي وَقْتِ
الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : وَحَقُّ أَبِي لَكُنْ تَأَخَّرْتَ أَوْ

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 21 (رقم 41) .

2 قد تقدّم مثل هذا الخبر في هذه الترجمة عن شربه وغناؤه عند خمار في باري .

اعتَلَّتْ بشيء لأضربنَّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد ، حتى إذا صُلِّيت المغرب ركبْتُ قاصداً إليه ، فلما قُرِبت من فناء داره مررت بفناء قصر ، وإذا زَنْبِيلٌ كبير مُستَوْتٌ منه بحبال وأربع غُرَى أدمٍ وقد دُلِّيَ من القصر ، وجارية قائمة تنتظر إنساناً قد وُعدَ ليجلس فيه ، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه ، ثم قلت : هذا خطأ ، ولعلَّه أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ ، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني ، فنزلت فجلست فيه ، ومُدَّ الزنبيل حتى صار في إلى القصر ، ثم خرجت فنزلت ، فإذا جوارٍ كأنهنَّ المَها جُلوسٌ ، فضحكَنَ وطَرَبْنَ ، وقلن : قد جاء والله من أردناه ؛ فلما رأيتني من قريب تبادرنَّ إلى الحِجاب وقلن : يا عدوَّ الله ، ما أدخلك إلينا ؟ فقلت : يا عدوَّاتِ الله ، ومن الذي أردتنَّ إدخاله ؟ ولم صار أولى بهذا مني ؟ فلم يزل هذا دأبنا وهنَّ يضحكن وأضحكن معهنَّ ؛ ثم قالت إحداهنَّ : أمَّا من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلمَّ نعاشره عشرةً جميلةً ؛ فأخرج إليَّ طعام ودُعيت إلى أكله ، فلم يكن في فضلٍ إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة ، فأصبتُ منه إصابة مُعَذَّر ، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأخرجنَّ إليَّ ثلاث جَوارٍ لهنَّ فغَنَيْنَ غناءً مليحاً ، فغَنَّتْ إحداهنَّ صوتاً لمُعَبَد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أحسنَ إبراهيمُ ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْتَ ليس هذا له ، هذا لمُعَبَد ؛ فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدريك الغناء ما هو ! ؛ ثم غَنَّتْ الأخرى صوتاً للغريض ، فقالت تلك : أحسنَ إبراهيم ، هذا له أيضاً ؛ فقلت : كَذَبْتَ يا خبيثةُ ، هذا للغريض ؛ فقالت : اللهمَّ أخْزِه ، ويلك ! وما يُدريك ؟ ثم غَنَّتْ الجارية صوتاً لي ، فقالت تلك : أحسنَ ابنُ سُرَيْج ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْتَ هذا لإبراهيم ، وأنتِ تَسْئِرينَ غناءَ الناس إليه وغناؤه إليهم ؛ فقالت : وَيْحَكَ وما يُدريك ! ؛ فقلت : أنا إبراهيم ، فتباشرنَ بذلك جميعاً وطَرَبْنَ كلُّهنَّ وظهرنَ كلُّهنَّ لي وقلنَ : كتمتُنا نفسَكَ وقد سررتنا ؛ فقلت : أنا الآن أَسْتودِعُكَ الله ؛ فقلن : وما السبب ؟ فأخبرتهنَّ بقصتي مع الرشيد ؛ فضحكَنَ وقلن : الآن والله طاب حبسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ قلن : إلى لعنة الله . فَأَقَمْتُ والله عندهنَّ أسبوعاً لا أزل ، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعَتْنِي وقلن : إن سَلِمَكَ الله فانت بعد ثلاث عندنا ، قلت نعم ؛ فَأَجْلَسَتْنِي في الزنبيل وسُرَّحَتْ ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دارَ الرشيد ، وإذا النداء قد أشيعَ ببغدادَ في طلبي وأنَّ من أحضرني فقد سُوِّغَ ملكي وأقْطِعَ مالي ؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد ؛ فلما رآني شتمني وقال : السيف والنَّطْع ! إيه يا إبراهيم ، تهاونتُ بأمرِي وتشاغلْتَ بالعوامَ عما أمرك به وجلسْتَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ عليَّ لذتي ! ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا

بين يديك ، وما أمرت به غير فائت ، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قط ، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً ، فاسمعه ، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأنت أعلم ؛ قال : هاتِه فليس يُنجيك ؛ فحدثته ، فوجم ساعة ثم قال : إن هذا لعجب ، أفتُخْضِرني معك هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، وأجلسك معهنَّ إن شئتَ قلبي حتى تحصل عندهنَّ ، وإن شئتَ فعلى موعد ؛ قال : بل على موعد ؛ قلت : أفعَل ؛ فقال : انظر ؛ قلت : ذلك حاصلٌ إليك متى شئتَ ؛ فعَدَل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب ؛ فلما أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنَّ ؛ فمضيتُ إليهنَّ في وقت الوعد ، فلما وافيتُ الموضع إذا الزنбил معلق ، فجلستُ فيه ومدته الجواري فصعدت ، فلما رأيتُني تباشرنَّ وحمِذنَّ الله على سلامتي ، وأقمتُ ليلتي¹ ، فلما أردتُ الانصراف قلتُ لهنَّ : إن لي أحمأ هو عِدْلُ نفسي عندي ، وقد أحبَّ معاشرتكنَّ ووعدته بذلك ؛ فقلنَّ : إن كنتَ ترضاه فمرحاً به ؛ فوعدتُهنَّ ليلة غدٍ وانصرفتُ وأتيتُ الرشيدَ وأخبرته ؛ فلما كان الوقتُ خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع ، فصعدتُ وصعد بعدي ونزلنا جميعاً ، وقد كان الله وفقني لأن قلتُ لهنَّ : إذا جاء صديقي فاستترنَّ عني وعنه ولا يسمع لكنَّ نطقه ، وليكن ما تَخترنه من غناء أو تَقُلنه من قولٍ مُراسلة ؛ فلم يتعدتِ ذلك وأقمنَّ على أتم سترٍ وخَفَر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين ، فلما أخذ مني النبيذ قلتُ سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثبنَّ من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهنَّ ؛ فقال لي : يا إبراهيم لقد أفلتت من أمر عظيم ، والله لو برزتُ إليك واحدة منهنَّ لضربتُ عنقك ، قم بنا ، فانصرفنا ؛ وإذا هنَّ له ، قد كان غضب عليهنَّ فحبسهنَّ في ذلك القصر ؛ ثم وجه من غد بخدم فردوهنَّ إلى قصره ، ووهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهنَّ .

[غنى الرشيد فأجزل صلته]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : أنا اليوم كسلانٌ خائر ، فإن غنيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنتُ صلتك ؛ فغنيتُه :

[من الطويل]

ولم يُرَ في الدنيا مُحِبَّان مثُلنا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخُزُرِ
صَفِيَّان لا نرضى الوُشَاة إذا وشوا عفيفان لا نغشى من الأمر ما يُزري

فطرب ، ودعا بالطعام فأكل وشرب ، وأمر لي بخمسين ألف درهم .

[امتحانه صوتاً لدنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً أعجبني وأعجبت أيضاً هي به ، فقلت لها : لا تعجبي به حتى أعرضه على أهلك أبي إسحاق ؛ فقلت له : والله ما في معرفة الوزير ، أعزه الله ، به ولا بغيره من الصنائع مطعن ، وإنه لأصح العالم تمييزاً وأثقبه فطنةً ، وما أعجبه إلا وهو صحيح حسن ؛ فقال : إن كنت كما تقول أيضاً ، فإن أهل كل صناعة يمارسونها أفهم بها ممن يعلمها عن عرض من غير ممارسة ، ولو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهارُ برأيك أجود ، لأن مني إلى صناعة الصوت ربما حسنٌ عندي ما ليس بالحسن ، وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة ؛ فمضيت فوجدت ستارة منصوبة وأمرأ قد تقدم فيه قبلي ؛ فجلست فسلمت على الجارية ، وقلت لها : تغنيني الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزه الله ؛ فقالت : إن الوزير قال لي : إن استجاده فعرفني ليتم سروري به ، وإلا فاطو الخبر عني لئلا تزول رتبته عندي ؛ فقلت : هاتيه حتى أسمعها ؛ فغنت تقول : [من الكامل]

نفسى أكنتُ عليك مدعياً أم حين أزمعَ بينهم خنتُ
إن كنتِ هائمةً بذكرهم فعلى فراقهم ألا خمتِ¹

قال : فأحسنْتُ والله وما قصرتُ ، فاستعدته لأطلبَ فيه موضعاً لأصلحه² فيكون لي فيه معنى فما وجدتُ ؛ قلت : أحسنْتُ والله يا بُنية ما شئتُ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفتُ له بإيمان رضيها أن كثيراً من حُذاق المغنين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقد استعدته لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدتُ ؛ فقال : وصفك لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها ، فقد والله سررتني وسأسرك ، فلما انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم . [قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد]

حدثني عمي وابن المَرْزبان قالا حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق ، ولم يقل عن أبيه ، قال : والله إني لفي منزلي ذات يوم وأنا مفكرٌ في الركوب مرةً وفي القعود مرةً ، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم للرشيد يأمرني بالحضور من وقتي ، فركبتُ وصرْتُ إليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجباً ، فجلستُ ؛ فقال : علي بالأعرابية وابتها ؛ فأخرجتُ إليَّ إعرابيةً ومعها بُنية لها عشرٌ أو أرجح ؛ فقال : يا إبراهيم ، إن هذه الصبيّة تقول الشعر ؛ فقلتُ لأُمها : ما يقول أمير المؤمنين ؟ فقالت :

1 خُمت في ل : مت .

2 ل : أصلحه .

هي هذه قدّامك فسّلها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أتقولين الشعر ؟ فقلت نعم ؛ فقلت : أنشدني بعض ما قلت ؛ فأنشدتني :

صوت

تقول لأتراب لها وهي تَمْتَرِي دموعاً على الخدّين من شدّة الوجدي¹
أكل فتاة لا محالة نازل بها مثل ما بي أم بليت به وحدي
براني له حبّ تشبّ في الحشا فلم يتي من جسمي سوى العظم والجلد
وجدت الهوى حلواً لذيذاً بديته وآخره مرّاً لصاحبه مُرْدِي²
قال الشبّي³ في خبره : قال إسحاق : وكان أبي حاضراً ، فقال : والله لا تبرّح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً ؛ فصغتُ فيها أنا وأبي وجميع من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما برحتُ حتّى صنعتُ فيه لحناً وتغنيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المرزبان في خبره ، ولم يذكره عمّي ، : فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أحسن رواية ما قلت ، أفأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : افعلي ؛ فقلت⁴ : [من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيم في العـم بهذا الشأنِ ثاني
إنما عُمرُ أبي إسـحاق زينٌ للزمانِ
منه يُجنى ثمرُ اللّـهـ وورّحانُ الجنانِ
جنةُ الدّنيا أبو إسـحاق في كلّ مكانِ

قال : فأمر لها الرشيد بجائزة ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شطرها .
اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الاعرابيّة ثقیلاً أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثاني ثقیل .
وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يُشكّ فيه . وإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقیل .
[الرشيد يجيز المغنين ويفضّب على علّويه]

أخبرني محمد بن مزید عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت أخذت بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت ، وعغيتهُ الرشيد وقلت :

1 تمترى دموعاً : تستدرها .

2 بديء الشيء : أوّله .

3 الشبّي : عمر بن شبّة .

4 تقدّم هذا الشعر منسوباً لابن سيابة ، ص 112 .

صوت

[من البسيط]

هما فتاتانِ لما تعرّفا خلقي وبالشّبابِ على شَيْبِي تَدْلَانِ
رَأَيْتُ عِرْسِيَّ لَمَّا ضَمَّنِي كِبْرِي وشِخْتُ أَزْمَعْتَا صِرْمِي وَهَجْرَانِي
كُلُّ الْفَعَالِ الَّذِي يَفْعَلْنَهُ حَسَنٌ يُضْنِي فَوَادِي وَيُثْدِي سِرَّ أَشْجَانِي
بَلْ احْذَرَا صَوْلَةً مِنْ صَوْلِ شَيْخِكَمَا مَهْلًا عَلَى الشَّيْخِ مَهْلًا يَا فَتَاتَانِ

فَطَرِبَ وَأَمَرَ لِي بِظُبْيَةٍ كَانَتْ مُلْقَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فِيهَا أَلْفُ دِينَارٍ مَسِيقَةٌ¹ ؛ وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ حَاضِرًا ، فَقَالَ : اسْمَعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غِنَاءَ الْعُقَلَاءِ وَدَعْ غِنَاءَ الْمَجَانِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ خَلْقَ اللَّهِ حَسَدًا ، فَغَنَاهُ :

[من الرمل]

صوت

وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِهَا كَالْمَا يَلْبَعْنُ فِي حُجْرَتِهَا
خُذْنِ عَنِّي الظِّلَّ لَا يَتَّبِعْنِي وَمَضَتْ سَعْيًا إِلَى قُبَّتِهَا²
فَطَرِبَ وَشَرِبَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِالْأَلْفِ وَخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . ثُمَّ تَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَةَ وَجَهُ الْقَرَعَةِ فَغَنَى :

[من المنسرح]

صوت

يَمْشُونَ فِيهَا بِكُلِّ سَابِغَةٍ أَحْكِمَ فِيهَا الْقَتِيرُ وَالْحَلَقُ³
يُعْرِفُ إِنْصَافَهُمْ إِذَا شَهِدُوا وَصَبْرُهُمْ حِينَ تَشْخَصُ الْحَدَقُ
فَاسْتَحْسَنَهُ وَشَرِبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . ثُمَّ غَنَى عَلَيْهِ :

[من الكامل]

صوت

يَجْحَدُنْ دَيْنِي بِالنَّهَارِ وَأَقْتَضِي دَيْنِي إِذَا وَقَدَ النَّعَاسُ الرُّقْدَا⁴
وَأَرَى الْغَوَايَا لَا يُوَاصِلُنْ أَمْرًا فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنْ الْأُمْرَدَا
فَدَعَا بِهِ الرَّشِيدَ وَقَالَ لَهُ : يَا عَاضُ بَظَرٍ أُمِّهِ ! أَتَغْنِي فِي مَدْحِ الْمُرْدِ وَذِمِّ الشَّيْبِ وَسِتَارَتِي مَنْصُوبَةٍ وَقَدْ شَيْتُ وَكَأَنَّكَ تَعْرِضُ بِي ؟ ثُمَّ دَعَا مَسْرُورًا فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ فَيَضْرِبُهُ ثَلَاثِينَ

1 الدينار المسيف : الذي جواتبه نقيّة من النقش . والظبية : الجراب .

2 ديوان عمر : 75 وفيه «تسعى إلى قبّتها» .

3 القتير : رؤوس المسامير في الدرع .

4 وقذه النعاس : غلبه .

دِرَّةً وَيُخْرِجُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ففعل ؛ وما انتفعنا به بقيَّة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ثم سألتاه فيه فأذن له ؛ وهذه الأغاني نسب قد ذكرت في موضعها .

قال أبو الفرج لإبراهيم أخباراً مع خنث المعروفة بذات الخال ، وكان يهواها ، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب ، لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره . وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرطت أن الشيء من أخبار الشعراء والمغنين إذا كانت هذه سبيله أفردته ، لئلا يقطع بين القرائن والنظائر مما تضاف إليه وتدخل فيه .

[مرضه وزيارة الرشيد له]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يقول : لما دخلتُ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدَّ أمر القولنج على أبي ولزمه ، وكان يعتاده أحياناً ، فقعده في الأبن عن خدمة الخليفة وعن توبته في داره ؛ فقال في ذلك :

صوت

مَلَّ والله طيبسي من مُقاساة الذي بي
سوف أُنْعَى عن قريب لعدوِّ وحيبي

وغنى فيه لحناً من الرَّمَل ، فكان آخر شعرٍ قاله وآخر لحنٍ صنعه .

أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أن الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبن جالس ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر :

سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

فقال الرشيد : إنا لله ، وخرج ، فلم يُعُدْ حتى سمع الواعية¹ عليه .

[وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال : مات إبراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائيّ النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخُمارة ، فرفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمون أن يصليَ عليهم ، فخرج فصُفُّوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوَّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخروه وقدموا العبّاس بن الأحنف ، فقدّم

فصلّي عليهم ؛ فلما فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال : يا سيدي ، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله¹ : [من الكامل]

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهي التي تشقى بها وتكابد²
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبنى المحبّ الجاحد

ثم قال : أتخفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدته : [من الكامل]

لما رأيتُ الليلَ سدَّ طريقه عني وعذّبي الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تخير ما لديه قائد
ناديتُ من طرد الرقاد بصدّه عما أعالج وهو خلّو هاجد
يا ذا الذي صدّع القواد بهجره أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني حرقة فإلى متى أنا ساهر يا راقد

فقال المؤمنون : أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة ؟ فقلت : بلى والله يا سيدي .

[بكاء برصوما الزامر عليه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال : قال لي برصوما الزامر : أما في حقّي وخدّمتي وميلّي إليكم وشكري لكم ما أستوجب به أن تهب لي يوماً من عمرك تفعل فيه ما أريد ولا تخالفني في شيء ؟ فقلت : بلى ووعدته بيوم ؛ فأتاني فقال : مر لي بخلعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبةً وشي ؛ فلبسها ظاهرة وقال : امض بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه ؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خلّفته وطيبته ؛ فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويكي ويَزِمُرُ حتّى قضى من ذلك وطراً ، ثم ضرب يده إلى ثيابه فشقّها ، وجعلت أسكته وأبكي معه ، فما سكّن إلا بعد حين ، ثم دعا بثيابه فلبسها وقال : إنما سألتك أن تخلع عليّ لثلاً يقال : إن برصوما إنما خرّق ثيابه ليخلع عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امض بنا إلى منزلك فقد اشتفيتُ ممّا أردت ؛ فعُدت إلى منزلي وأقام عندي يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة .

1 ديوان العباس بن الأحنف : 102 .

2 «وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها» في الديوان : «سمّاك لي قوم وقالوا إنها» .

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني القاسم بن يزيد قال : لما مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يُغنين ، فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه ، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مطروق ، فلما طال كلامنا وقال كل واحد منا مثل ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهدي يُغني في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيم ، ويقال : إن الأبيات لأبي الأسد :

تولّى الموصلي فقد تولّت	بشاشاتُ المَزهَر والقِيانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتَبَقَى	حياةُ الموصلي على الزمانِ
سَبَّكِيه المَزهَر والمَلاهي	وتُسَعِدُهُنَّ عاتقَةُ الدنانِ
وتَبْكِيه الغويّة إذ تولّى	ولا تبكيه تالِيَةُ القرآن ¹

قال : فأبكي مَنْ حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أفتراه هو إذا مات مَنْ يبكيه : المحرابُ أم المصحف ؟! قال : وكان كالشامتِ بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حمّاد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه ، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته :

أقول له لما وقفتُ بقبره	عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيّا قبرِ إبراهيم حَبِيتَ حُفْرَةً	ولا زِلْتَ تُسْقَى الغيثَ من سَبَلِ القطرِ ²
لقد عزّني وجدي عليك فلم يدع	لقلبي نصيباً من عَزاء ولا صبرِ ³
وقد كنتُ أبكي من فراقك ليلةً	فكيف وقد صار الفراقُ إلى الحشرِ

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسوسة قال : أنشدني حمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلي :

سلامٌ على القبرِ الذي لا يُجِيننا	ونحنُ نُحيي تُرْبَه ونُخاطِبُه
سَبَّكِيه أشرافُ الملوك إذا رَأَوْا	مَحَلَّ التصايي قد خلا منه جانبُه
ويَبْكِيه أهلُ الظُّرف طُرّاً كما بكى	عليه أميرُ المؤمنين وحاجِبُه

1 القرآن : القرآن .

2 سبل القطر : ما سال من المطر .

3 عزّني : غلبني .

ولما بدا لي اليأسُ منه وأنزفت
عيونُ بواكيه وملّت نواذبه¹
وصار شفاء النفس من بعض ما بها
إفاضة دمع تستهلّ سواكبه
جعلتُ على عينيّ للصبح عبّرة²
ولليلٍ أخرى ما بدت لي كواكبه
قال : وأنشدني أيضاً حمّاد لأبيه يرثي أباه :

[من الطويل]

عليك سلامُ الله من قبرٍ فاجع
وجادك من نوء السّماكين وابل³
هل أنت مُحيي القبر أم أنت سائل⁴
وكيف تُحيّا تربةً وجنادل⁵
أظّل كائنّي لم تُصنبي مصيبة⁶
وفي الصّدْر من وجدٍ عليك بلابل⁷
وهوّن عندي فقدّه أنّ شخصه
على كلّ حال بين عينيّ مائل⁸
أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام
لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ :

[من الخفيف]

أصبح اللهو تحت عفر التراب
ثاويّاً في محلّة الأحباب
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّه
و بخير الإخوان والأصحاب
بكت المسمّعاتُ حزناً عليه
وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آله المجالس حتّى
رحم العودُ دمعة المضرب

[لن تفقد من أليك إلا شخصه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ إلى الرشيد بعقب وفاة أبي ،
وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دمتُ
عيني ، فكففتها وتصبّرت ؛ ولحني الرشيد فدعاني إليه وأداني منه ، فقبلتُ يده ورجله والأرض
بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقاً ؛ فوثبت قائماً ثم قلت :

[من الخفيف]

في بقاء الخليفة الميمون
خلف من مُصيبة المحزون
لا يضير المصاب رزء إذا ما
كان ذا مفرع إلى هارون

فقال لي : كذاك والله هو ، ولن تفقد من أليك ما دمتُ حيّاً إلا شخصه ؛ وأمر بإضافة رزقه
إلى رزقي ؛ فقلت : بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده ، ففي خدمتي إياه ما يُغنيني ؛ فقال : اجعلوا
رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق .

صوت من المائة المختارة

[من المنسرح]

يا دارَ سُعدَى بالجزع من ملل حَيَّت من دِمنةٍ ومن طَلَل¹
إني إذا ما البخيلُ أَمْنُها باتت ضَمُوزاً مني على وَجَلٍ²
لا أَمِتَع العودَ بالفصالِ ولا أبتاعُ إلا قَريبةَ الأجلِ

العود : الإبل التي قد نُتجت ، وأحدثها عائذ . يقول : أنحرها وأولادها للأضياف فلا أمتعها ، والضُمُوز : الممسكة عن أن تجتر . ضمَرَ الجملُ بجِرتِه إذا أمسك عنها ، ودَسَع بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جِرتها فهي ضامِرة .

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لمَرْزوق الصرَّاف³ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنه ليحيى بن واصل . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لدَحْمَانَ لَحْنًا من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالبنصر ، وأن فيه لابن مُحَرِّزٍ لَحْنًا من الثَقِيلِ الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني ، ووافقه ابن المكي . قال : وفيه لدَحْمَانَ خَفِيفٌ رَمَلٌ بالوسطى في الأَوَّلِ والثالث ؛ وذكر الهشامي أن هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثَقِيلِ الثاني لإبراهيم ، وأن لمُعَبِدٍ فيه لَحْنًا من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالوسطى ، وأن فيه للهذلي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، وأن فيه رَمَلًا ينسب إلى ابن مُحَرِّزٍ أيضاً .

1 ديوان ابن هرمة : 182-183 . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكة .

2 ناقة ضُمُوز : تضمّ فاهها لا تسمع لها رغاء .

3 ل : الضرَّاب .

[70] - شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً¹

[جوده أفنى ماله]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرّي ونوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال² : خرجت في حاجة لي ، فلمّا كنت بالسيالة³ وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هرمة ، فصيحّت : يا أبا إسحاق ، فأجابني ابتته : من هذا ؟ فقلت : انظري ، فخرجت إليّ فقلت : أعلمي أبا إسحاق ؛ فقالت : خرج والله آنفاً ؛ قال : فقلت : هل من قرى ؟ فإني مقوم من الزاد ؛ قالت : لا والله ، ما صادفته حاضراً ؛ قلت : فأين قول أبيك :

لا أمتنع العود بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت : بذاك والله أفناها ، أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء ، وزاد فيه : قال : فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : يا بني أنت وأمي ! أنت والله ابنتي حقاً ، الدار والمزرعة لك .

[نهب غنمه الناس وكان بخيلاً]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع قال : كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة ، فجاءه راع بقطعة⁴ من غنم يشاوره فيما يبيع منها ، وكان قد أمره ببيع بعضها ؛ قال مرقع : فقلت : يا أبا إسحاق ، أين عزب عنك قولك ؟

لا غنمي مدّ في الحياة لها إلا لذرك القرى ولا إيلي

وقولك فيها أيضاً :

[من المنسرح]

لا أمتنع العود بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

1 لإبراهيم بن هرمة ترجمة في الخزائن 1 : 424-426 والشعر والشعراء 639-640 والسمط : 398 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وطبقات ابن المعتز : 20 والموشح : 223 .

2 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 199 .

3 السيالة : أوّل مرحلة للذهاب من المدينة إلى مكة .

4 ل : بقطيعة .

فقال لي : مالك أخزأك الله ؟ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئاً فَهُوَ لَهُ ؛ فَانْتَهَبْنَاهَا حَتَّى وَقَفَ الرَّاعِي وَمَا مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ .

وَحَدَّثَنَا بِهَذَا الْخَبَرَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ ابْنَ هَرَمَةَ كَانَ اشْتَرَى غَنَمًا لِلرَّيْحِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلُ : [من المنسرح]

لَا غَنَمِي مُدَّ فِي الْحَيَاةِ لَهَا إِلَّا لَدَرْكَ الْقَرَى وَلَا لِإِبِلِي

قال : نعم ؛ قال : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسَبُكَ تَدْفِعُ عَنْ هَذِهِ الْغَنَمِ الْمَكْرُوءَةَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّكَ لَكَاذِبٌ ؛ فَأَحْفَظْهُ ذَلِكَ فَصَاحَ : مَنْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئاً فَهُوَ لَهُ ؛ فَانْتَهَبَهَا النَّاسُ جَمِيعاً ؛ وَكَانَ ابْنُ هَرَمَةَ أَحَدَ الْبُخْلَاءِ .

[أَوَّلُ شَعْرَ قَالَهُ ابْنُ هَرَمَةَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي نُوْفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ حَدَّثَنِي زُفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِهْرِيُّ : أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَوَّلُ شَعْرَ قَالَهُ ابْنُ هَرَمَةَ . [مزيد يسخر من كرمه]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ¹ : سَمِعْتُ مَزِيدَ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

لَا أُتَمِّعُ الْعُودَ بِالْفَصَالِ وَلَا أُتْبَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال : صَدَقَ ابْنُ الْخَبِيثَةِ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتَرِي الشَّاةَ لِلأَضْحَى فَيَذْبُحُهَا مِنْ سَاعَتِهِ .

[يقول ما لا يفعل]

أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنْ قَرِيشٍ أَنَا فِيهِمْ ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْتِيَ ابْنَ هَرَمَةَ فَنَعْبَثَ بِهِ ، فَتَرَوْنَا زَاداً كَثِيراً ثُمَّ أَتَيْنَاهُ لِنَقِيمَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقُلْنَا : سَمِعْنَا شَعْرَكَ فَدَعَانَا إِلَيْكَ لَمَّا سَمِعْنَاكَ قُلْتَ :

إِنَّ امْرَأً جَعَلَ الطَّرِيقَ لِبَيْتِهِ طُنباً وَأَنْكَرَ حَقَّهُ لِلثِّيمِ

وسمعناك تقول :

[من الكامل]

وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَيَّ كَلَابِي

وَعَوَيْنَ يَسْتَعْجِلْنَهُ فَلَقَيْنَهُ يَضْرِبْنَهُ بِشَرَائِرِ الْأَذْنَابِ¹

وسمعناك تقول : [من المنسرح]

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأَتْ مَنَحَرَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبُ أَوْ جَمَلٍ
لَا أُمْتَعِ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال : فنظر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولاً ولا أسخف ديناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدو الله يا دعي ، أتيناك زائرين وتسمعنا هذا الكلام ؟ ؛ فقال : أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أفبخبركم الله أنني أقول ما لا أفعل وتريدون مني أن أفعل ما أقول ؟ قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا في نزهتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة .

[إعجاب الأصمعي به]

أخبرنا عمي قال حدثني محمد بن سعيد الكُرَائي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : الحكم الخُضري ، وابن ميادة ، ورؤبة ، وابن هرمة ، وطُفيل الكِنَاني ، ومكين العُدري ، كانوا على ساقاة² الشعراء ، وتقدمهم ابن هرمة بقوله : [من المنسرح]

لَا أُمْتَعِ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمي مُعْجَباً بهذا البيت مُستَحْسِناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أما تَرَوْنَ كيف قال ؟ والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخره عن الفحول إِلَّا قُرْبُ عَهْدِهِ . انتهى .

[تفضيل مروان بن أبي حفصة له]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووَكَيْع عن حماد عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : مَنْ أشعر المُحَدِّثِينَ مِنْ طَبَقَتِكُمْ عِنْدَكَ ؟ لَا أَغْنِيكَ ؛ قال : الذي يقول : [من المنسرح]

لَا أُمْتَعِ الْعُودَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

[يصر على أن يؤتى بغريمه مربوطاً]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المَدِينِي عن أبي حُدَافَةَ قال : لَمَّا قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

[من المنسرح]

1 شراشر الأذنان : أطرافها .

2 ساقاة الشعراء : مؤخرتهم .

لا أمتع العودَ بالفِصال ولا أبتاع إلا قربةً الأجل

قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه : [من المنسرح]

ما يشربُ الباردَ القراحَ ولا يذبح من جفرةٍ ولا حمل

كأنه قيردةٌ يلاعُها قرذٌ بأعلى الهضاب من ملل

قال : فقال ابن هرمة : لكن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنَ بآل حنين ولأفعلنَ ؛ فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وأتوا به ابن هرمة فأطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأعودن¹ .

[إبراهيم يعلم مخارقاً لحناً يتفوق به على ابن جامع]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال : كنا عند الرشيد في بعض أيامنا ومُعنا ابن جامع ، فغناه ابن جامع ونحن يومئذ بالرقّة : [من الخفيف]

هاج شوقاً فراقك الأحبابا فتناسيت أو نسيّت الرّبابا

حين صاح الغرابُ بالبين منهم فتصاممت إذ سمعت الغرابا

لو علمنا أنّ الفراق وشيكٌ ما انتهينا حتى نزور القبابا

أو علمنا حين استقلت نواهم ما أقمنا حتى نزم الرّكابا

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً ثقلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو . وذكرت دنائيرُ عن فليح أنّ فيه لابن سريج وابن مُحَرِّزَ لَحْنَيْنِ . قال : فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر ، وما سمع غيره ولا أقبل على أحد ، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار ؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم : لا ترم² منزلك حتى أصير إليك ؛ فصرت إلى منزلي ، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيته في دهليزي ، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مُخَارِقُ ، أنت فسيلة³ مني وحسني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غناه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى ، وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مطّعن على صوتك ، وإذا أطربته وغلبته

1 إلى هنا انتهى أبو الفرج من أخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصلي .

2 لا ترم مكانك : لا تبرحه .

3 فسيلة : شتلة .

عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظفر ؛ وسيصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فرد الصوت الذي غناه ويشرب عليه رطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يرد رذته حتى تغني ما أعلمك إياه الساعة ، فإنه يقبل عليك ويصلك ، ولست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فألقى عليّ لحنه :

يا دار سغدى بالجزع من ملل حيت من دمنة ومن طلل
ورده حتى أخذته وانصرف ؛ ثم بكر عليّ فاستعاد الصوت فرددته حتى رضى به ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صيرنا إلى دار الرشيد ؛ فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أعلم الناس به ، ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطل فشربه ، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغيت صوت إبراهيم ، فلم يزل يصغي إليه وهو باهت حتى استوفيته ؛ فشرب وقال : أحسنت والله ، لمن هذا الصوت ؟ فقلت : لإبراهيم ؛ فلم يزل يستدنيني حتى صيرت قدام سريره ، وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه رطلاً ، فأمر لإبراهيم بجائزة سنّة وأمر لي بمثلها ؛ وجعل ابن جامع يشغب ويقول : يجيء بالغناء فيدسه في أستانه الصبيان ، إن كان محسناً فليغنه هو ، والرشيد يقول له : دع ذا عنك ، فقد والله استقاد منك وزاد عليك .

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

توَلَّى شَابُكَ إِلَّا قَلِيلاً وَحَلَّ الْمَشِيبُ فَصَبِراً جَمِيلاً
كَفَى حَزْناً بِفِرَاقِ الصَّبَا وَإِنْ أَصْبَحَ الشَّيْبُ مِنْهُ بَدِيلاً
الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو .

[71] - أخبار إسحاق بن إبراهيم¹

[نسبه]

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب أبيه ؛ ويكنى أبا محمد ، وكان الرشيد يُولع به فيكنيه أبا صفوان ، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مَرَحاً .

[منزله في العلوم وتقدير الخلفاء له]

وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلّه من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزله في سائر المحاسن ، أشهر من أن يُدلّ عليه فيها بوصف ؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يُحسّنه ؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراً وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي ، ولحب² للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله وأثارها ؛ فهو إمام أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلمهم ؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق ؛ على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يُسمّى به . وكان يقول : لو ددت أن أضرب كلما أراد مريد مني أن أغني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني ، عشر مقارع ، لا أطيق أكثر من ذلك ، وأغني من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة .

[شيوخه]

وقد روى الحديث ولقي أهله : مثل مالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وهشيم بن بشير ، وإبراهيم بن سعد ، وأبي معاوية الضرير ، وروح بن عبادة ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناء أضن خلق الله وأشدّهم بخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانته ومن يأخذ عنه مُتسبباً إليه مُتعصباً له فضلاً عن غيرهم .

1 ترجمة إسحاق الموصلي في معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 594-616 ووفيات الأعيان 1 :

202-205 وتاريخ بغداد 6 : 338 وتهذيب ابن عساكر 2 : 414 ونزهة الألباء : 116 ونور القبس :

316 وطبقات ابن المعتز : 260 وفي التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلت عن الأغاني .

2 لحب الطريق : سلكها وأوضحها .

[صَحَّحَ أَجْنَاسَ الْغَنَاءِ بِطَبْعِهِ]

وهو الذي صَحَّحَ أَجْنَاسَ الْغَنَاءِ وَطَرَائِقَهُ وَمَيَّزَهُ تَمَيِّزاً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدِيماً مُمَيَّزاً عَلَى هَذَا الْجِنْسِ ، إِنَّمَا كَانَ يُقَالُ الثَّقِيلُ ، وَثَقِيلُ الثَّقِيلِ ، وَالْخَفِيفُ ، وَخَفِيفُ الْخَفِيفِ . وَهَذَا عَمَرُو بْنُ بَانَةَ ، وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِهِ ، يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : الرَّمْلُ الْأَوَّلُ ، وَالرَّمْلُ الثَّانِي ؛ ثُمَّ لَا يَزِيدُ فِي ذِكْرِ الْأَصَابِعِ عَلَى الْوَسْطَى وَالْبَنْصَرِ ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَجَارِيَّ الَّتِي ذَكَرَهَا إِسْحَاقُ فِي كِتَابِهِ ، مِثْلَ مَا مَيَّزَ الْأَجْنَاسَ ، فَجَعَلَ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ أَصْنَافاً ، فَبَدَأَ فِيهِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، ثُمَّ تَلَاهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا ، ثُمَّ بِمَا كَانَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، ثُمَّ فَعَلَ هَذَا بِمَا كَانَ مِنْهُ بِالْوَسْطَى عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ ؛ ثُمَّ جَعَلَ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ صَنَفَيْنِ ، الصَّنَفَ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَالصَّنَفَ الثَّانِي الْقَدْرَ الْأَوْسَطَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، وَأَجْرَاهُ الْمَجْرَى الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْ تَمَيِّزِ الْأَصَابِعِ وَالْمَجَارِي ، وَالْحَقُّ جَمِيعَ الطَّرَائِقِ وَالْأَجْنَاسِ بِذَلِكَ وَأَجْرَاهَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ . ثُمَّ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِفَهْمِ ذَلِكَ أَحَدٌ بَعْدَهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُصَنِّفَهُ فِي كِتَابِهِ ؛ فَقَدْ أَلَّفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ كُتُباً ، مِنْهُمْ يَحْيَى الْمَكِّي ، وَكَانَ شَيْخَ الْجَمَاعَةِ وَأُسْتَاذَهُمْ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُ عَنْهُ غَنَاءَ الْحِجَازِ ، وَلَهُ صُنْعَةٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَابْنُ جَامِعٍ يَضْطَرَّانِ إِلَى الْأَخْذِ عَنْهُ ، أَلَّفَ كِتَاباً جَمَعَ فِيهِ الْغَنَاءَ الْقَدِيمَ ، وَالْحَقُّ فِيهِ ابْنُهُ الْغَنَاءَ الْمُحَدَّثَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ ، فَأَتَى فِيهِ فِي أَمْرِ الْأَصَابِعِ بِتَخْلِيْطٍ عَظِيمٍ ، حَتَّى جَعَلَ أَكْثَرَ مَا جَنَسَاهُ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلِطاً فَاسِداً ، وَجَعَلَ بَعْضُهُ ، فِيمَا زَعَمُوا ، تَشْتَرِكُ الْأَصَابِعُ كُلُّهَا فِيهِ ؛ وَهَذَا مُحَالٌ ؛ وَلَوْ اشْتَرَكْتَ الْأَصَابِعَ لَمَا احتِجَّ إِلَى تَمَيِّزِ الْأَغَانِي وَتَصْيِيرِهَا مَقْسُومَةً عَلَى صِنْفَيْنِ : الْوَسْطَى وَالْبَنْصَرِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا طَوِيلٌ لَيْسَ مَوْضِعُهُ هَاهُنَا ؛ وَقَدْ ذَكَرْتَهُ [فِي رِسَالَةِ عَمَلِهَا لِبَعْضِ إِخْوَانِي]¹ تَمَنِّى سَأَلَنِي شَرْحَ هَذَا ، فَأُثْبِتَهُ وَاسْتَقْصَيْتُهُ اسْتَقْصَاءً يُسْتَغْنَى بِهِ عَنْ غَيْرِهِ . وَهَذَا كُلُّهُ فَعَلَهُ إِسْحَاقُ وَاسْتَخْرَجَهُ بِتَمَيِّيزِهِ ، حَتَّى أَتَى عَلَى كُلِّ مَا رَسَمْتَهُ الْأَوَائِلُ مِثْلَ إِقْلِيدِسَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَوْسِيقَى ، وَوَأَفْقَهُمْ بِطَبْعِهِ وَذَهَنِهِ فِيمَا قَدْ أَفْنَوْا فِيهِ الدَّهَوْرَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأُوا لَهُمْ كِتَاباً أَوْ يَعْرِفَهُ .

[بَيْنَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ وَإِسْحَاقَ الْمَصْبِيِّ]

فَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ ، فَسَأَلَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ ، أَوْ سَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُصْعَبٍ بِحَضْرَتِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَعَلُوا لِلْعُودِ وَتَرّاً خَامِساً لِلنَّغْمَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي هِيَ الْعَاشِرَةُ عَلَى مَذْهَبِكَ ، أَيْنَ كُنْتَ تَخْرُجُ مِنْهُ ؟ فَبَقِيَ إِسْحَاقُ وَاجِماً سَاعَةً طَوِيلَةً مُفَكِّراً ،

واحمرت أذناه وكانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرتَا وكثر ولوعه بهما ؛ فقال لمحمد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب ، فإن كنت تضرب أريتكَ أين تخرج ! ؛ فخرج وسكت عنه مُغَضِباً ، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يحسن ، فحلم عنه . قال علي بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إن هذا الرجل سألتني عما سمعت ، ولم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته ، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أن الترجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه ؛ فوعده بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها . وإنما ذكرت هذا بتمام أخباره كلها ومحاسنه وفضائله ، لأنه من أعجب شيء يُؤثر عنه : أنه استخرج بطبعه علماً رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأول في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلم ذلك وتوصل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يشذ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخل إليه ولا عرفه ، ثم تبين بعد هذا ، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضله على أهلها كلهم وتمييزه عنهم ، وكونه سماء هم أرضها ، وبحراً هم جداوله .

[اسم أمه وجنسها]

وأم إسحاق امرأة من أهل الرّي يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنها دُوشار التي كانت تُغني بالدفّ ، فهويها إبراهيم وتزوجها . وهذا خطأ ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً ، وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من شاهك هذه .

[برنامج دراسته اليومي]

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : بقيتُ دهرًا من دهرٍ أغلَس في كل يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكيسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، ثم آتي منصوراً زلزلاً فيضاربني طرقيْن¹ أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأنشدتهما وأحدثتهما فاستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومن لقيت وما أخذتُ وأتغدى معه ، فإذا كان العشاء رُحْتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .

[تعلم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أخذ مني منصور زلزل إلى أن تعلمتُ مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

[جاء إلى ابن عائشة فأكرمه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فرحب به وقال : هاهنا يا أبا محمد إلى جنبتي ، فلئن بعدت بيننا الأنساب ، لقد قربت بيننا الآداب .

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائب عن مجلسه : لولا ما سبق على السنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوكبته القضاء ، فما أعرف مثله ثقةً وصدقاً وعفةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته .

[شهادة سفيان بن عيينة فيه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدثنا المخرمي عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يقول : صيرتُ إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه ، فتعذر ذلك علي وصعب مرأته ، فرأيتُه عند الفضل بن الربيع ، فسألته أن يعرفه موضع من عنائته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدم إليّ بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إن أبا محمد من أهل العلم وحملة . قال : فقلت : تفرض لي عليه ما يحدثني به ؛ فسأله في ذلك ، ففرض لي خمسة عشر حديثاً في كل مجلس ؛ فصيرتُ إليه فحدثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزك الله ، صحيح كما حدثتني به ؟ قال : نعم ، وعقد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأزويه عنك ؟ قال نعم وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك إليّ وقال : قد سرتني ما رأيتُ من تفصيصك في الحديث وتشددك فيه على نفسك ، فصر لي متى شئت حتى أحدثك بما شئت .

[تقدير أبي معاوية الضرير له]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان وعون بن محمد الكندي قالا : سمعنا إسحاق الموصلي يقول : جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضرير ومعى مائة حديث ، فوجدتُ حاجته يومئذ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إن أبا معاوية قد ولاني اليوم حجبته لينفعني ؛ فقلت : معى مائة حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأت ، وإنما جعلتُ لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل عليّ يرغبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنائه به ؛ فقلت له : احتكم في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرت بإحضارها الغلام ، وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت .

[ثناء ابن الأعرابي عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد الأسدي قال حدثني أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب قال : وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر :

نَحْمِلُ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ
فقال له : وَمَنْ ذَلِكَ يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي . قال أبو بكر : والبيت لأبي تمام الطائي .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه : كان إسحاق يُجْزِي على ابن الأعرابي في كل سنة ثلثمائة دينار ، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطه ؛ فمر ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق ؛ فقال : هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

[جرير يورثه الشعر]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : رأيت في منامي كأن جريراً جالس يُنشد شعره وأنا أسمع منه ، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فآلقها في فمي فابتلعها ؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر . قال يزيد ابن محمد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

[تعلم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لي أبي : أعطيت منصوراً زلزلاً من مالي خاصة حتى تعلمت ضربته بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي . قال : وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلاده أول ما يسمعه ، حتى لو ضرب هو وغلّامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة .

[ثناء أبي زياد الكلابي عليه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق ، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق قال : قال لي أبو زياد الكلابي : أولم جار لي يكنى أبا سُفيان وليمة ودعاني لها ، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي :

[من الطويل]

إِنَّ أبا سفيان ليس بمولمٍ فقومي فهاتي فلقةً من حواركِ¹
قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنما أرسلته يتيماً ؛ فقلت أفلا أُجيزه ؟
قال : شأنك ؛ فقلت له : [من الطويل]

فبيتك خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ وقدرُك خيرٌ من وليمَةٍ جاركِ
قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأُمِّي ، جئتَ والله به قَبلاً² ما انتظرتَ به
القَرَبَ ، وما ألومُ الخليفةَ أن يجعلَكَ في سُمّاره ويتملجَ بك ، وإنك لمن طراز ما رأيتُ بالعراق
مثله ، ولو كان الشباب يُشترى لابتعته لك بإحدى عينيَّ ويُمْنِي يديَّ ، وعلى أن فيكَ بحمد
الله ومنه بقيّةٌ تسرّ الودود ، وترغِمُ الحسود . هذا لفظ يزيد المهلبي والأخفش . وأخبرني
بهذا الخبر محمد³ بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شُبّة قال حدّثني إسحاق قال قال
لي يَمّا شدّاد بن عُقبة وإمّا أبو مُجيب : قالت امرأةُ القتال الكلابي له : هل لك في فلقة من
حوارِ نطبُخها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمَةٍ أيّ سفيان ودَعوته ، وكان أبو سفيان
رجلاً من الحيّ زُفّت إليه امرأته تلك الليلة ؛ فجعل ينظر دُخاناً فلا يراه ، فقال : [من الطويل]

إِنَّ أبا سفيان ليس بمولمٍ فقومي فهاتي فلقةً من حواركِ
ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

[ثناء أعرابي على شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أعرابياً فهُمّا
شِعراً لي ، فقال : أَقْفَرْتَ والله يا أبا محمّد ؛ قلتُ : وما أقفرت ؟ قال : رعيتَ قفرةً لم تُرغَ
قبلك . (يريد : أبْدَعْتَ) .

[يتبيّن خطأ في الغناء لم يفتن إليه أحد حضر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالَا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض
أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصلي يقول : دخلتُ على المأمون يوماً
وعقيدٌ يغنيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنينا هذا ؟ فقلتُ :
هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سألتَ عمّي إبراهيم فوصفه وقرّظه
واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ، إن الناس قد أكثرُوا

1 الحوار : ولد الناقة حتى يفصل . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر بنصّه في ترجمة القتال الكلابي ولكن دون إشارة
إلى أبي زياد الكلابي .

2 القبل : الارتجال دون استعداد للقول .

3 ل : أحمد .

في أمري حتى نَسَبْتَنِي فرقة إلى التَّزْيِد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحقّ إذا لَزِمَكَ ؛ فقلت لعقيد : أَرُدُّ هذا الصوتَ الذي غَنِيَتْه أَنْفًا ، وتحفّظ فيه وضرب ضاربه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيته ؟ فقال : ما رأيْتُ شيئاً يُكره ولا سمعته ؛ فأقبلتُ على عقيد فقلت له حين استوفاه : في أيّ طريقة هذا الصوت الذي غَنِيَتْه ؟ قال : في الرَّمْل ؛ فقلت للضارب : في أيّ طريقة ضربتْ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عَسَيْتُ أَنْ أَقول في صوت يغني مغنيَةً رَمَلاً ويضرب ضاربه هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهمه إبراهيم بن المهديّ بعدي ، فقال : صدق يا أمير المؤمنين ، الأمرُ فيه الآنَ بَيْنَ ؛ ففاظنني ، فقلت له : بأيّ شيء بانَ الآنَ ما لم يكنَ يَبِيناً قبلُ ؟ أَتُوهِمُ أنّك استنبطتَ معرفة هذا ؟ وإنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم وسائر من حضر أتباعاً لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدق ؛ فأمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كلِّ مَنْ حضر ، وكنا في ذلك اليوم مرتين .

[إعجاب الأصمعيّ ببنتين له في الفخر]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدّثني أبي : أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة بن خازم : [من الطويل]

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومنصبي ودافعَ ضيّمي خازمٌ وابنُ خازمِ
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتُ يدايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَبُ منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضِّلُهما ويستجيدهما .

[سبب ولاءه لخزيمة بن خازم]

قال ابن حمدون : وكان السبب في تولّي إسحاقَ خُزَيْمَةَ بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا مَنْ إذا قلتُ له يا ابن زانية لم أَخَفْ أَنْ يكذِبني أحد ؛ فمضى إلى خزيمة بن خازم ، فتولّاه وانتمى إليه ، فقيل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

[يُمَيِّزُ صنعة النساء بالسماع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صَنَاجَةٌ كنتُ بها مُعْجَباً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينما أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا بياي يَدَقُّ دَقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَنْ هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتْ صَنَاجَتِي ، تجده ذَكَرَها له ذاكر فبعث إليّ فيها ؛ فلمّا مضى بي الرسول انتهيتُ

إلى الباب وأنا مُتَخَنٌ¹ ، فدخلتُ فسَلَمْتُ ، فردَّ السلام ، ونظر إلى تَغْيَر وجهي فقال : اسْكُنْ فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لِمَن هو ؟ فقلت : أَسْمَعُهُ ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغَنَّتْه وضربتُ ، فإذا هي قد شَبَّهَتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْنِي معها عوداً آخر فإنه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحَدَّثٌ لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لما سمعته وسمعتُ لِينَهُ عرفتُ أنه من صَنَعَةِ النساء ؛ ولما رأيت جودة مَقَاطِعِهِ علمتُ أنَّ صاحِبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لأنها قد حَفِظَتْ مَقَاطِعَهُ وأجزأه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكون أثبت لي فلم أَشْكُكْ ؛ فقال : صدقتُ ، الغناء لعَرِيب .

[يَمِيزُ اللحن الرومي في الشعر العربي]

نسختُ من كتاب ابن أبي سعيد : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ² قَالَ : حَدَّثَنِي مُخَارِقُ مَوْلَانَا قَالَتْ³ : كَانَ لِمَوْلَايَ الَّذِي عَلَّمَنِي الْغَنَاءَ فَرَّاشٌ رُومِيٌّ ، وَكَانَ يَغْنِي بِالرُّومِيَّةِ صَوْتاً مَلِيحَ اللَّحْنِ ؛ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ : يَا مُخَارِقُ ، خُذْ هَذَا اللَّحْنَ الرُّومِيَّ فَاثْبُتْهُ إِلَى شَعْرٍ مِنْ أَصْوَاتِكَ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى أَمْتَحَنَ بِهِ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيَّ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، ففعلتُ ذلك ؛ وَصَارَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ فَاحْتَبَسَهُ مَوْلَايَ ، فَأَقَامَ وَبَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أُدْخِلِيَ اللَّحْنَ الرُّومِيَّ فِي وَسْطِ غَنَائِكَ ؛ فغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ فِي دَرْجِ أَصْوَاتٍ مَرَّتْ قَبْلَهُ ، فَأَصْغَى إِلَيْهِ إِسْحَاقُ ، وَجَعَلَ يَتَفَهَّمُهُ وَيُقَسِّمُهُ وَيَتَفَقَّدُ أَوْرَاقَهُ وَمَقَاطِعَهُ وَيُوقِعُ عَلَيْهِ يَدَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ مَوْلَايَ فَقَالَ : هَذَا صَوْتُ رُومِيٍّ اللَّحْنِ ، فَمِنْ أَيْنَ وَقَعَ إِلَيْكَ ؟ فَكَانَ مَوْلَايَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ اسْتِخْرَاجِهِ لِحْناً رُومِيّاً لَا يَعْرِفُهُ وَلَا الْعِلَّةَ فِيهِ ، وَقَدْ نُقِلَ إِلَى غَنَاءٍ عَرَبِيٍّ وَامْتَزَجَتْ نَعْمُهُ حَتَّى عَرَفَهُ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ .

[فَضَّلَ زَلْزَلَا عَلَى مَلَا حِظِّ فَتَحَدَّاهُ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلْوِيُّ الْأَعْسَرُ ، وَوَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الشَّامِيِّ عَنْ جَدِّهِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ⁴ : تَنَاضَرُ الْمَغْنُونُ يَوْماً عِنْدَ الْوَاتِقِ ، فَذَكَرُوا الضَّرَابَ وَحَدِّقَهُمْ ، فَقَدَّمَ إِسْحَاقُ زَلْزَلَاً عَلَى مُلَا حِظِّ ، وَمُلَا حِظِّ فِي ذَلِكَ الرِّيَاسَةَ عَلَى

1 متخن : مهموم محزون .

2 هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين فنسب إليه .

3 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 22 (رقم 142) .

4 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 22-24 (رقم 47) .

جميعهم ؛ فقال له الواصل : هذا حَيْفٌ وَتَعَدُّ مِنْكَ ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتنحنهما ، فإنَّ الأمر سينكشف لك فيهما ؛ فأمر بهما فأحضرا ؛ فقال له إسحاق : إنَّ للضُّرَّابِ أصواتاً معروفة ، أفامتنحنهما بشيء منها ؟ قال : أجل ، افعل ؛ فسمي ثلاثة أصوات كان أولها :

عُلِقَ قلبي ظليمة السَّيِّبِ¹

فضربا عليه ، فتقدّم زلزل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجّب الواصل من كَشْفِهِ عَمَّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ؟ ولم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يكن أحد في زماني أُضربَ مِنِّي إلا أنكم أعفيتُموني ، فَتَقَلَّتْ مِنِّي ؛ وعلى أن معي بقية لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحظ ، شوّشُ عودك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألُو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعة حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحظ ، غنّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّي مُلاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرَةٍ واحدة ، ويده تصعد وتنحدر على الدّساتين ؛ فقال له واصل : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ؛ إطرَحَ هذا على الجوّاري ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تعرفه الجوّاري ولا يصلحُ لهنّ ، إنّما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديّ كيسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حُدّاق أهل صنّعه ، فترقبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصلَحُ في مجالسها العيْدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتنح العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : «زَهْ زَهْ وزهّان زه» ، ووصله بالصّلة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الرواية بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مِنِّي ، فما زلتُ أُستبطله بضِعِّ عشرة سنة حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلّها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ، وكلّ شيء منها يجانس شيئاً غيره ، كما أعرف ذلك في مواضع الدّساتين ؛ وهذا شيء لا تقي به الجوّاري . قال له الواصل : صدقت ، ولكن متّ لتموتن هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

1 قلبي في ل : القلب . السيب : كورة من سواد الكوفة .

نسبة هذا الصوت صوت

[من السريع]

عَلَّقَ قَلْبِي ظِلِيَّةَ السَّيْبِ جَهْلًا فَقَدْ أَغْرِي بَتْعِي
نَمَتْ عَلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ بِنَا مَجَاسِدٌ يَنْفَحْنَ بِالطَّيْبِ¹
تَصُدُّهَا عَنَّا عَجُوزٌ لَهَا مُنْكَرَةٌ ذَاتُ أَعَاجِيبِ²
فَكَلَّمَا هَمَّتْ بِإِتْيَانِهَا قَالَتْ: تَوَقَّيْ عَدُوَّةَ الذَّيْبِ³

الشعر والغناء لإبراهيم ، هَزَجٌ ثَقِيلٌ بالسَّيْبَةِ في مجرى البِنْصَرِ .

[كان بخيال بالغناء]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي دِمْنُ جَارِيَةٍ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَكَانَتْ مِنْ كِبَارِ جَوَارِيهِ وَأَحْظَى مَنْ عِنْدَهُ ، وَلَقِيتُهَا فَقُلْتُ لَهَا : أَيُّ شَيْءٍ أَخَذْتَ عَنْ مَوْلَاكِ مِنَ الْغِنَاءِ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ أَنَا عَنْهُ وَلَا وَاحِدَةً مِنْ جَوَارِيهِ صَوْتًا قَطُّ ؛ كَانَ أَبْخَلَ بِذَلِكَ ، وَمَا أَخَذْتُ مِنْهُ قَطُّ إِلَّا صَوْتًا وَاحِدًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ انْصَرَفَ مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مُتَخَنٌّ سَكْرًا ، فَدَخَلَ إِلَى بَيْتٍ كَانَ يَنَامُ فِيهِ ، فَرَأَى عَوْدًا مَعْلَقًا فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لِحَادِمِهِ : يَا غَلَامُ ، صَبِّحْ لِي بِدِمْنٍ ؛ فَجَاءَنِي الْغَلَامُ فَخَرَجْتُ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فَرَاشِهِ وَالْعَوْدُ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَصْنَعُ هَذَا الصَّوْتَ وَيُرَدِّدُهُ ، وَقَدْ اسْتَحْفَرُ⁴ فِي نَعْمِهِ وَتَنَوَّقَ فِيهَا حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ ، وَهُوَ :

صوت

أَلَا لَيْلُكَ لَا يَذْهَبُ وَنِيْطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ
وَهَذَا الصَّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ

فَلَمَّا سَمِعْتُهُ عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ دَخَلْتُ إِلَيْهِ أُمْسِكَ ، فَوَقَفْتُ أَسْتَمِعُهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ وَأَخَذْتُهُ عَنْهُ ؛ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ وَضَعَ الْعَوْدَ مِنْ يَدِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ طَلَبَنِي فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، أَيْنَ دِمْنُ ؟ فَقُلْتُ : هَازِنِي ؛ فَقَالَ : مَذْكَمَ أَنْتِ وَاقِفَةٌ ؟ فَقُلْتُ : مِنْذُ ابْتَدَأْتُ بِالصَّوْتِ وَقَدْ أَخَذْتُهُ ؛ فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرٌ مُغْضَبٍ أَسِيفٍ ، ثُمَّ قَالَ : غَنِيهِ ، فَغَنَيْتُهُ حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ ؛ فَقَالَ لِي وَقَدْ فَرَّ وَخَجِلَ : قَدْ

1 مجاسد : قمصان .

2 منكرة : مبغضة مكروهة .

3 همت : همت حذف الميم للضرورة . وقد أجاز بعضهم ذلك . عدوة في ل : عذرة .

4 اسحفنر في الشيء : مضى فيه . وتنوق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك ؛ فقلت : لست أحتاج إلى إصلاحك إياه ، وقد والله أخذته على رَعْمِكَ ؛ فضحك .

لحن هذا الصوت من المزج بالنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

[يَبِينُ خطأ إبراهيم بن المهدي في صوت لابن جامع]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي أبي قال قال لي إسحاق : كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنى إبراهيم صوتاً لابن جامع أُخِلَّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابنُ جامع الناسَ يحجلون خلفه ولا يلحقونه . وفي هذا الصوت خاصة ؛ فقلتُ : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدق ، وما هذا الصوت بتأم الأجزاء ؛ فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيدي ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمرّه فليعد يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأول فأقامه وطمع في الإصابة ؛ فقلت : آفته في البيت الثاني ، فليردّه ؛ فردّه فنقص من أجزائه وقسمته ، فعرّفته فأقرّ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتِي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة ؛ فقال : أُويعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق ؛ فذكر نحوه ممّا ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصّة كانت بين يديّ المعتصم ؛ وزاد فيها فقال : أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقرّ بذلك أقرّ به مُخَارِقٌ وعلّويه ؛ فقال : أُويعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؛ فإنه يعدل عندي البُخْتِجُ¹ ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، وما يفعل البُخْتِجُ ؟ قال : يُسَلِّحُ ؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب ؛ فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده إلى السيف ؛ فقلت له : لا تحسّب أنّي أغضبته ؛ فما كنت لأكلم عمّه بين يديه بهُزءٍ من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقدِّم أحد أن يكلم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلّا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

[يكشف خطأ في وترين ثمانين وترًا]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثنا أحمد بن القاسم الهاشمي عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال² : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشرًا عن يمينه وعشرًا عن يساره ومعهن العيدانُ يضربن بها ؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرته ؛ فقال المأمون : يا

1 البختج : عصير مطبوخ .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 21 (رقم 42) .

إسحاق ، أسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فقال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنّه لفي الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سمّعه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُر الجوّاري اللواتي على اليمين يُمسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكنَ ؛ فقلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمسِكْنَ وتضرب الثامنة . فأمسكنَ وضربت الثامنة ، فعرف إبراهيم الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم ؛ لا تُمارِ إسحاق بعدها ؛ فإن رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وثمانين حلقاً لجديرٍ ألاّ تماريه ؛ فقال : صدقت يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلّها مثنى فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرب أمير المؤمنين المأمون ، وقال : لله درك يا أبا محمد ؛ فكُنّا في يومئذٍ .

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال : سمعتُ الواثق يقول : ما غنّاني إسحاق قط إلاّ ظننتُ أنّه قد زيدَ لي في مُلكي ، ولا سمعته يغني غناء ابن سُرَيْج إلاّ ظننتُ أنّ ابن سُرَيْج قد نُشِر ، وإنّه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيتُ إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمة من نعم الملوك لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط ممّا يُشْتَرى لا شتريتهنّ له بشطرٍ ملكي .

[يدخل إلى الخليفة مع العلماء والفقهاء]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : سأل إسحاق الموصليّ المأمون أنّ يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرّواة لا مع المغنّين ، فإذا أرادَه للغناء غنّاه ؛ فأجابَه إلى ذلك ؛ ثم سألَه بعد حين أنّ يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمّد بن الحارث بن بُسْخَر أنّه كان هو ومُخَارِقٌ وَعَلَوِيٌّ جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكرم وعليه سواده وطويلته ، ويده في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد علّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدة ، فسأل إسحاق المأمون أنّ يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

[امتياز في مجلس الوراق]

حدثني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدثني أبو عبد الله بن حَمْدُون قال : كان المغنّون جميعاً يحضرون مجلسَ الوراق وعيادتُهم معهم إلّا إسحاق ، فإنّه كان يحضّر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عوداً ، فإذا غنى وفرغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الوراق كثيراً ما يكنّيه ، رَفَعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنى وفرغ الوراق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعد منه حرفاً إلّا أن يكون في بعض بيت فيئمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق فيه ، فقال : وعارض مَعْبُداً وابن سُرَيْج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يُلغّه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله .

[عابه إبراهيم بن المهديّ بترك التحريك في الغناء]

أخبرني عمّي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخنّاق : سمعتُ علّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ : إنّ إبراهيم بن المهديّ يعيبك بتركك تحريك الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نفقي بما علمناه ، فإنّا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنّه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم ، وليس يفعل ذلك ، إنّما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار¹ للكتاب ، وهو حيثنذ بأن يُسمّى المحذوف أشبهُ منه بأن يُسمّى المحرّك ؛ فضحك علّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المداديّ ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكّة ؛ لأنّهم يسمّون الثوبَ الجافي² الكثير العرض والطول المداديّ ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضّرابيّ ، وهو الخفيف السخيف³ من الثياب في لغة الحاكّة ، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ؛ ثم قال لعلّويه : بحياتي عليك إلّا ما أعدت عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتك لا فعلت ؛ فإنّه يعلم مثلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخنّاق ؛ فكلّمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤدّيه ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّمًا أخبره شيئاً تغيّظ وشمّ إسحاق بأفبح شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّمًا أخبره بشيء من ذلك

1 الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .

2 الثوب الجافي : الغليظ .

3 الثوب السخيف : القليل الغزل .

ضحك وصفق سروراً لغيط إبراهيم من قوله .

[يغايظ إبراهيم بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخنق قال : إني لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل علي إسحاق بن إبراهيم الموصل ، فسررت بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دعني في بيتك ، ودع غلامك عندي : بُدحاً وسليمان - وكنا خادمين مغنيين - ومزهما أن يغنياني ، وأتني بفلان ليغنياني أيضاً ، بحياتي عليك ، وانطلق إلى إبراهيم بن المهدي ، فإنه سيسر بمكانك ، فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيدي ، أسألك عن شيء ، فإذا قال : سل ، فقل له : أخبرني عن قولك :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

أي شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعته فيه إلا أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلت : «ذهبت» ولم تمدّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتها قُبِحَ الكلام وصار على كلام النبط ؛ فقلت له : يا أبا محمد ، كيف أخاطب إبراهيم بهذا ؟ فقال : هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إياها ؛ فإن استحسنت أن تردني فأنت أعلم ؛ قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي ، ثم أتيت إبراهيم ، وجلست عنده ملياً ، وتجاوزنا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء ، فخاطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجرّمقاني ابن الزانية ؛ قل له عني : أتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للهو واللعب والعَبَث . قال : فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال : الجرّمقاني والله منّا أشبهنا بالجرّامة لغة وهو الذي يقول : «ذهبتو» ؛ وأقام عندي يومه فرحاً بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه .

[نقل عنه محمد بن راشد حديثاً لابن المهدي ففسد ما بينهما]

قال علي بن محمد قال لي أبي : كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنه طابق إبراهيم بن المهدي عليه ، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره . وكان في محمد بن راشد رداءة ونقل للأحاديث ؛ فقال فيه إسحاق :

ونَدَّمان صِدْقٍ لا تُخافُ أذاتُهُ ولا يلفِظُ الأخبارَ لفظَ ابنِ راشدٍ
دعاني إلى ما يشتهي فأجبتُهُ إجابةً محمود الخلائق ماجدٍ
فلا خيرَ في اللذاتِ إلّا بأهلها ولا عيشَ إلّا بالخليل المُساعدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجّوه بأشعار لم تبلغ

مراده ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاق فقال فيه :

[من الطويل]

وأبيات شعر رائعات كأنها إذا انشدت في القوم من حُسْنها سيخرُ
تحفَزَ وأقلولِي لردِّ جوابها أبو جعفر يغلي كما غَلَّتِ القِدْرُ¹
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه عليها أناس كي يكون له ذكرُ
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يقرضونها وأضيعُ منها مَنْ يرى أنها شعرُ
قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفه وصالحه ، فرجع إليه .

[أخذ إبراهيم بن المهدي صوتاً له فغضب]

أخبرني عمِّي قال حدثني علي بن محمد بن نصر الشامي قال حدثني منصور بن محمد بن
واضح : أن إبراهيم بن المهدي طرَحَ في منزل أبيه :

[من المتقارب]

صوت

أَمِنْ آلِ لَيْلٍ عَرَفْتَ الطُّلُولَا بذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا²
بِلَيْلِينَ وَتَحَسَّبَ آيَاتُهُ — سَنَ عَنْ فَرَطٍ حَوْلِينَ رَقَا مُجِبَا³

الشعر لكعب بن زهير⁴ والغناء لإسحاق ، وله فيه لحنان : ثاني ثقلٍ مطلقٍ في مجرى
البنصر ، وماخوري بالوسطى . وفيه للزبير بن دَحْمَانَ خفيفٌ ثقلٍ قال : فجاءنا إسحاق
يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومَرَّ الصوتُ الذي طرحه إبراهيم بن المهدي
من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أعزّه
الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبي إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ؟ هذا أنا صنعته ، وليس
هو كما طرحه . قال : فسأله أبي أن يغنيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي :
اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبسته ، وأنه غنّى بحضرتي الصوت
الذي ألقيناه في منزلك الذي أسكنه ، فزعم أنه صنعته ، وأنه ليس على ما أخذته الجواري
عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبت الرقعة وأنفذتها إلى
إبراهيم . فكتب : نعم ، جعلت فداك ، صدق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما

1 تحفَزَ وأقلولِي : تهيأً للوثوب .

2 ذو حرَضٍ : موضع . مَائِلَاتٍ : منتصبات .

3 فرط حولين : مضي سنتين . محيل : أتى عليه حول .

4 هذان البيتان لم يردا في ديوان كعب وإنما في ديوان زهير أبيه ، وهما من قصيدة في مدح سنان بن أبي حارثة .
وفي الديوان (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ص 193 : رواها أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعي أنها
مولدة . وسيردان في ترجمة زهير منسوين إليه .

ذكره ، لكنِّي لِعِبْتِ فِي وَسْطِهِ لَعِباً أَعْجَبَنِي . قال : فَقَرَأَ إِسْحَاقُ الرِّقْعَةَ فغَضِبَ غَضْباً شَدِيداً ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَكْتُبْ إِلَيْهِ : «إِذَا أَرَدْتَ يَا هَذَا أَنْ تَلْعَبَ فَالْعَبْ فِي غِنَاءِ نَفْسِكَ لَا فِي غِنَاءِ النَّاسِ ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَى هَذَا الشَّعْرِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَاصْنَعْ أَنْتَ إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ ، وَالْعَبْ فِي صَنَعَتِكَ كَمَا تَشْتَهِي مُبْتَدِئاً بِاللَّهْوِ وَاللَّعْبِ غَيْرَ مُشَارِكٍ فِي جِدِّ النَّاسِ بَلْعَبِكَ وَمُفْسِدٍ لَهُ بِمَا لَا تَعْلَمُهُ . يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَيُّدُكَ اللَّهُ ، لَيْسَ هَذَا الصَّوْتُ مِمَّا يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تُمَخَّرِقَ فِيهِ وَتَقُولَ : «جَنْدَرْتُهُ»¹ . قال : وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ : إِنَّهُ يُجَنْدِرُ صَنَعَةَ الْقَدَمَاءِ وَيَحْسُنُهَا .

[مناظرته إبراهيم بن المهدي عند المعتصم]

قال علي بن محمد حدثني جدِّي حَمْدُونُ : أَنَّ إِسْحَاقَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِحَضْرَةِ الْمُعْتَصِمِ : مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ ابْنَ سُرَيْجٍ وَابْنَ مُحَرَّرٍ وَمَعْبُدًا وَمَالِكًا وَابْنَ عَائِشَةَ لَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ تَمَامَ الصَّنْعَةِ وَلَا اسْتِيفَاءَ الْغِنَاءِ ، وَيَعْجِزُونَ عَمَّا بِهِ يَكْمُلُ وَيَتِمُّ وَيَحْسُنُ ، وَأنَّهُ أَقْدَرُ عَلَى الصَّنْعَةِ مِنْهُمْ ؟ قال : أَقُولُ : إِنَّهُ جَاهِلٌ أَحْمَقُ ؛ قال : فَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ كَانَتْ بَقِيَّةٌ عَلَيْهِمْ أَشْيَاءٌ لَمْ يَهْتَدُوا لَهَا وَلَمْ يَحْسِنُوهَا ، فَتَنْهَيْتَ عَلَيْهَا أَنْتَ وَتَمَمْتَهَا وَحَسَّنْتَهَا بِجَنْدَرْتِكَ ؛ قال : فَضَحِكَ الْمُعْتَصِمُ وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ وَاجِماً مُطْرِقاً ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ؛ وَمَا سَمِعْتُهُ أَنَا وَلَا غَيْرِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَبَجَّحُ بِغِنَاءٍ يُصْلِحُهُ مِنْ غِنَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، حَتَّى يُطْلَبَ فِي صَنَعَتِهِ وَيُشْتَهَى اسْتِمَاعُهُ مِنْهُ ، كَمَا كَانَ يَدَّعِي قَدِيماً . قال : وَكَانَ حَمْدُونُ يَقُولُ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَأْكُلُ الْمَغْنِينَ أَكْلًا ، حَتَّى يَحْضُرُ إِسْحَاقُ ، فَيُدَارِيهِ إِبْرَاهِيمُ وَيَطْلُبُ مَكَافَأَتَهُ ، وَلَا يَدْعُ إِسْحَاقُ تَبَكُّيَتَهُ وَمَعَارَضَتَهُ ؛ وَكَانَ إِسْحَاقُ أَفْتَهُ ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً .

[غنى المأمون بشعر ذي الرمة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمُورٌ أَتَسَمُّ الْهَوَاءَ ، فمررتُ برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرمة² : [من الطويل]

صوت

ألم تعلمي يا مَيَّ أَنِّي وَبَيْنَنَا مَهَاوٍ لَطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ
ذكرتك أن مرَّت بنا أم شادين أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرُتِبُ وَتَسْنَحُ³

1 مخرق : موه . وجندر الشيء : أصلحه وصقله .

2 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 79-86 .

3 الشادين : ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وتشربت : ترفع رأسها لتنظر . وتسنع : تأتي عن الشمال .

من المؤلفات الرمل أدماء حرة¹ شعاع الصّحى في منّها يتوضّح¹
هي الشّبّه أعطافاً وجيداً ومقلّة² وميّة منها بعد أبهى وأملح²
كان البرى والعاج عيجت متونه³ على عشر نهى به السيل أبطح³
لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى تباريح من مّي فللموت أروح
فأعجبني ، فصنعت فيه لحناً غنيت به المأمون ، فأخذت به منه مائة ألف درهم . لحن
إسحاق في هذه الأبيات أول مطلق في مجرى البنصر .

[دسّ إليه أبو أحمد غلامين ليعلمهما]

حدثني يحيى بن محمد الطاهريّ قال حدثني ينش⁴ مولى أبي أحمد بن الرشيد قال :
اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رفيقي محموم⁵ ، فذفعنا إلى وكيل له أعجميّ
خراسانيّ ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ ؛ ودفع إليه مائة
ألف درهم . وشهرتاً⁶ بسرّجه ولجامه ، وثلاثة أدرج⁷ من فضة مملوءة طيباً ، وسبعة تخوت⁸
من بز خراسانيّ ، وعشرة أسفاط⁹ من بز مصر ، وخمسة تخوت وشي كوفيّ ، وخمسة
تخوت خز سوسيّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرف إسحاق أنّ هذين
الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان ، وجّه بهما إليه ليتفضّل ويعلمهما أصواتاً اختارها ،
وكتبها له في درج ، وقال له : كلّما علّمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم ، حتّى يتعلّما بها مائة
صوت ، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشّهريّ ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي
بعد الصوتين ، فادفع إليه بكلّ صوت درجاً من الأدرج ، ثم لكلّ صوت بهد ذلك تخاً
وسقطاً ، حتّى ينفد ما بعثت به معك ؛ ففعل ، وانحدرنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنينا
بحضرته ، وبلغه الوكيل الرسالة ؛ فلم يزل يُلقني علينا الأصوات حتّى أخذناها كما أمرنا سيّدنا .
ثم سيرنا إلى سرّ من رأى ، فدخلنا إليه وغنينا جميع ما أخذناه فسره ذلك . وقديم إسحاق سرّ
من رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنكما ستران

1 أدماء : بيضاء .

2 رواية الديوان : « وميّة أبهى بعد منها وأملح » .

3 البرى : الخلاخيل . العاج : أسورة من العاج . عيجت : لويت . العشر : نوع من الشجر . نهى : بلغ نهايته .
أبطح : بطن الوادي . أي أنّ ساقها ومعصمها كشجر العشر الذي يقيه السيل نضراً رياناً .

4 ل : يشق .

5 ل : محموم .

6 الشهري : ضرب من البراذين .

7 الأدرج : جمع درج وهو صندوق صغير توضع فيه الحلي والطيب .

إسحاق بين يديه ، فلا تُسلِّمًا عليه ولا تُوهِّمًا أنكما رأيتماه قطّ ، وألبسنا أقيبة خُراسانية ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الوراق قال له : يا سيّدي ، هذان غلامان اشتريا لي من خُراسان يَغْنَيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنّيا ، فضربنا ضرباً فارسياً وغنّينا غناءً فهليديّاً ؛ فطَرِب الوراق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربيّة ؟ قلنا : نعم ، واندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للوراق : وحياتك يا سيّدي وبيعتك ، وإلّا كلّ ملكٍ لي صدقة وكلّ مملوك لي حرٌّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدري ما تقول ؛ هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراساني ؛ فقال له : بَلِّغ وَلَعُك¹ إليّ ! ونخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثل تلك الأغاني ! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال للوراق : صدّق ، أنا احتلتُ عليه ، ولو رُمْتُ أن يعلمهما ما أخذهما منه إذا عليم أنّهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لَمَا فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تَمَّت عليّ حيلته . وقال أبو أحمد للوراق : إن أردتهما فخذهما ؛ فقال : لا أَفَجَعُكُ بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنعني حضورهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك الملك فلم تُؤثّرهُ ، أفتراني أمتعك الخدمة ؟ فكنا نخدّمه بنوبة .

[لم يكن يحضر عُوده ترفعاً]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمّدون قال حدّثني ابن فيلا الطنبُوريّ وكان قد دخل على الوراق وغنّاه ، قال : قال الوراق في بعض العشايا : لا يبرحُ أحدٌ من المغنّين الليلة ، فقد عزمْتُ على الصُّبُوح في غد ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلّا إسحاق فإنّه قال له : لا وحياتك ما أبيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الوراق معارضة أكثر من أن قال له : فبحياتي إلّا بَكَّرْتُ يا أبا محمد . قال : فرأيت مَخارِقاً وغلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبتنا في بعض الحجّر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دُواد يماشيه في زِيّه وسَوَادِهِ وطويلته مثل طويلته ، فدخلت عليهما فأعلمتهما ؛ فقامت على غلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خيناكر² يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة ؟ أسمعتم بأعجب من هذا البَحْتِ قطّ ؟ فقال له مُخَارِق : دَع هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد . ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُواد ودُعِيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صفّ الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الوراق أن يُغني خرج عن صفّهم قليلاً وأُتِيَ بعود فغنى الصوت الذي يأمره به ؛ فإذا فرغ من القَدَح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ

1 الولع : الكذب .

2 الخيناكر : المغني .

ولم يُتَمِّه ، ورجع إلى صفّ الجلساء .

[مع إبراهيم بن المهدي في مجلس الرشيد]

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوسوسة قال حدثني حمّاد قال : قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماءه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تغنّ : [من الوافر]

شربتُ مُدَامَةً وسُقِيتُ أُخْرَى وراح المُتَشَوُّون وما انتشيتُ

فغنيته ؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا ممّا تحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنّه ، فإن لم أجذك أنّك تُخطيء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فذمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك ؛ فإذا نازعناها أحدٌ بلا علم لم نجد بُدّاً من الإيضاح والذب ؛ فقال : لا غرّ ولا لوم عليك ؛ فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال : ويّلك يا إسحاق أتجترى عليّ وتقول ما قلت يا ابن الفاعلة ؟ لا يَكْنِي ؛ فداخلي ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتمني ، وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك كنت أقول لك : يا ابن الزانية ؛ أو ترى أنّي كنت لا أحسن أن أقول لك : يا ابن الزانية ؛ ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم¹ ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومذهبه ، قال إسحاق : وكان يبطّاراً ، قال : ثم سكتُ ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكوني وإنّ الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدي بذلك وتعاديني كما تُعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر ؛ فأنت تضعف عنهم وتستخفّ بأوليائهم تشقيّاً ؛ وأرجو ألاّ يخرجها الله عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العياذ ، فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذٍ ، والموت أطيب من الحياة مذك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتمني وذكر أمي واستخفّ بي ؛ فغضِب وقال : ما تقول ؟ ويّلك ؛ قلت : لا أعلم ، فسأل من حضر ؛ فأقبل عليّ مسروراً وحُسيناً ؛ فسألهما عن القصّة ، فجعلّا يُخبرانه ووجهه يتردّد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرّي عنه ورجع لونه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمته فعرفك أنّه لا يقدر على جوابك ، إرجع إلى موضعك وأمّسك

1 الأعلام : الذي بشفته العليا شق .

عن هذا . فلما انتضى المجلس وانصرف الناس ، أمر بالأبرح ، وخرج كل من حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فسأء ظني وأهمتني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنيته¹ ثلاث مرّات ، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ؟ ويلك ، لا تعدّ ؛ حدثني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنت أقصّ لك منه فاضربه وهو أخي يا جاهل ؟! أترأك لو أمر غلماناه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتنني بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلني ، وما أشك في أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأحضر ، وقال : قم فانصرف ؛ وقلت لجماعة من الخدم ، وكلّهم كان لي مَجَبّاً وإليّ مائلاً وليّ مطيعاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له : أتستخفّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعه أبي في مجلسي ، وتقدّم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! أتقدّم على هذا وأمثاله ! وأنت ما لك وللغناء ، وما يُدريك ما هو ؛ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبخّ منه مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ؟ ثم تظنّ أنك تخطئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبت لذلك وتعصم بشتمه ؟ أليس هذا ممّا يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه ، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط ! ألا تعلم ، ويْلَكَ ، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ؟ . ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلّا فانا نفّي² من المهديّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط عليه سقفه ، أو مات فجأة ، لأقتلنك به ؛ والله ؛ ، والله ، والله ، فلا تعرض له وأنت أعلم ، قم الآن فاخرج ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده ، فأعرضت عن إبراهيم ؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك ، ثم قال له : إني لأعلم محبتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقّه وبرّه وصلّه ، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتّه بيد منبسطة ولسان منطلق ؛ ثم قال لي : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبّل رأسه ، فقممت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيد بيننا .

1 زناه : نسبه إلى الزنا .

2 ل : بريء .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الوافر]

أَعَاذُلُ قَدْ نَهَيْتُ فَمَا انْتَهَيْتُ وَقَدْ طَالَ الْعَتَابُ فَمَا ارْعَوَيْتُ
أَعَاذُلُ مَا كَبُرَتْ وَفِيَّ مَلْهَى وَلَوْ أَدْرَكْتُ غَايَتَكَ انْتَهَيْتُ
شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُتَشَوُّونَ وَمَا انْتَشَيْتُ
أَبَيْتُ مُعَذِّبًا قَلَقًا كَثِيرًا لِمَا أَلْقَاهُ مِنَ أَلَمٍ وَقَوْتِ¹
الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٌ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

[الرشيذ يستدعيه ليلاً للمنادمة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أُرْسِلُ إِلَى
الرَّشِيدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ عَلَيْهَا قَمِيصٌ مُورَّدٌ وَسَرَاوِيلُ
مُورَّدَةٌ وَقِنَاعٌ مُورَّدٌ كَأَنَّهَا يَاقُوتَةٌ عَلَى وَرْدَةٍ ؛ فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ ؛ فَقَالَ لِي :
غَنَّ ، فَغَنَنْتُ :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ
فَقَالَ : لَمَنْ هَذَا اللَّحْنُ ؟ فَقُلْتُ : لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : هَاتِ لِحْنَ ابْنِ سُرَيْجٍ ،
فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ؛ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رِطْلًا وَسَقَى الْجَارِيَةَ رِطْلًا وَسَقَانِي رِطْلًا ؛ ثُمَّ قَالَ : غَنَّ ،
فَغَنَيْتُهُ :

صوت

هَاجَ شَوْقِي بَعْدَ مَا أَنَّ شَابَ أَصْدَاغِي بُرُوقُ
مَوْهِنًا وَالْبَرْقُ مِمَّا ذَا الْهَوَى قَدَمًا يَشُوقُ

فَقَالَ : لَمَنْ هَذَا الصَّوْتُ ؟ فَقُلْتُ : لِي ؛ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيهِ لِحْنَ آخَرَ ؛ فَقُلْتُ :
نَعَمْ ، لِحْنَ ابْنِ مُحَرِّزٍ ؛ قَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ رِطْلًا ، ثُمَّ سَقَى الْجَارِيَةَ رِطْلًا
وَسَقَانِي رِطْلًا ؛ ثُمَّ قَالَ : غَنَّ ، فَغَنَيْتُهُ :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي
فَقَالَ لِي : لَيْسَ هَذَا اللَّحْنَ أُرِيدُ ، غَنَّ رَمَلٌ ابْنِ سُرَيْجٍ ؛ فَغَنَيْتُهُ وَشَرِبَ رِطْلًا وَسَقَى الْجَارِيَةَ

1 في هذا البيت إقواء .

رطلاً ، ثم قال : حدثني ، فجعلتُ أحَدَتهُ بأحاديث القيان والمغنين طَوَّراً ، وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة ، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الربيع ، فحدثته حديثَ ثلاث جوارٍ ملكهنَّ ووصفهنَّ بالحُسْن والإحسان والظرف والأدب ؛ فقال له : يا عَبَّاسي ، هل تَسْخُو نفسُكُ بهنَّ ؟ وهل لك من سَلْوَةٍ عنهنَّ ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إِنِّي لَأَسْخُو بهنَّ وبنفسِي ، فيها فداك الله ؛ ثم قام فوجَّهَ بهنَّ إليه ، فغَلَبَن على قلبه ، وهنَّ سِخْرَ وضيَاءٍ وخُنَّتْ ذات الخال ؛ وفيهنَّ يقول :

إِنَّ سِخْرًا وَضِيَاءً وَخُنْتُ هُنَّ سِخْرٌ وَضِيَاءٌ وَخُنْتُ
أَخَذْتُ سِحْرًا وَلَا ذَنْبَ لَهَا ثُلُثِي قَلْبِي وَتَرَبَّاهَا الثُّلُثُ

[مع عبيد الله بن عمَّاد بن عائشة بالبصرة]

حدثني الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : أَتَيْتُ عُبيدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَائِشَةَ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ حَصِرْتُ ؛ فَقَالَ لِي : إِنَّ الْحَصَرَ رَائِدُ الْحَيَاءِ ، وَالْحَيَاءُ عَقِيدُ الْإِيمَانِ ، فَانْبِسِطْ وَأَزِلِ الْوَحْشَةَ ، فَلَنْ بَاعِدَتْ بَيْنَنَا الْأَحْسَابُ ، لَقَدْ قَرَّبْتُ بَيْنَنَا الْآدَابُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِخَطَابِكَ ، وَزِدْتَنِي بِيَرِكَ عِجْزًا عَنْ جَوَابِكَ ؛ وَاللَّهِ دَرَّ الْقَطَامِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

أَمَّا قَرِيشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مِنْ يَخْفَى وَيَتَعِيلُ

[أمدى له أحمد بن هشام زعفران]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هِفَان قال : وَجَّهَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ بِزَعْفَرَانَ رَطْبٍ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

إِشْرَبْ عَلَى الزَّعْفَرَانِ الرُّطْبِ مُتَكَنًّا وَانْعَمْ نَعِمْتَ بَطُولِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ
فَحَرَمَةُ الْكَأْسِ بَيْنَ النَّاسِ وَاجِبَةٌ كَحَرَمَةِ الْوُدِّ وَالْأَرْحَامِ وَالْأَدَبِ

قال : فَكُتِبَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ :

أَذْكُرُ أَبَا جَعْفَرٍ حَقًّا أُمْتُ بِهِ أَنِّي وَإِيَّاكَ مَشْغُوفَانِ بِالْأَدَبِ
وَأَنَا قَدْ رَضَعْنَا الْكَأْسَ دِرَّتْهَا وَالْكَأْسُ حَرَمُهَا أَوْلَى مِنَ النَّسَبِ

[وداعه الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان]

حدثنا الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْخُرُوجَ إِلَى خُرَاسَانَ وَدَّعْتُهُ ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَعْدَ التَّودِيعِ :

[من المتقارب]

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل افتقاد الدائم
عليك السلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال : فضمتني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمد ، لو حليت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين معنا ، لأهديت بذلك إلي أنساً وأذكرتني بنفسك ؛ ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين فأمر لي بألف دينار ؛ فكان كتابه لا يزال يرد علي ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غني بهذا الصوت . قال الصولي : وهو من طريقة الرمل .

[حمل الأصمعي من الكتب إلى الرقة]

أخبرني عمي قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال : قال لي الأصمعي : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم ، حملت منها ما خفّ حملهُ ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانية عشر صندوقاً ؛ فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟ فقلت : أضعافها ؛ فجعل يعجب .

[شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال : لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهناه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إلي مستنطقاً ؛ فأنشدته :

[من المديد]

صوت

لاح بالفرق منك القتير وذوى غصن الشباب النضير¹
هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير
ورأت شيئاً برأسي فصدت وابن سيتين بشيب جدير
لا يروعنك شبي فإني مع هذا الشيب خلو مزير²
قد يفل السيف وهو جراز ويصول الليث وهو عقير³
يا بني العباس أتم شفاء وضياء للقلوب ونور
أتم أهل الخلافة فينا ولكم منبرها والسري

1 القتير : الشيب أو أول ما يظهر منه .

2 مزير : ظريف .

3 يفل : يثلم . جراز : ماضٍ قاطع . عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

لا يزال الملك فيكم مدى الدهر ر مقيماً ما أقام فبير¹
 وأبو إسحاق خير إمام ما له في العالمين نظير
 ما له فيما يرش ويبري غير توفيق إله وزير
 واضح الغرة للخير فيه حين يبدو شاهد وبشير
 زانه هدي تقي وجلال وعفاف ووقار وخير
 لو تباري جوده الرج يوماً نزعته وهي طليح² حسير

[شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة]

قال : فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلت إليه يوم مقدمه من غزاته ،
 فأنشدته قولي فيه :

صوت

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى
 تعاوزه الدهر في صرّفه بكرّ الجديدين حتى عفا
 إذ البين لم تُخشِ روعاته ولم يصرف الحيّ صرّف الردى
 وإذ مئعة اللهو تجري بنا وحبل الوصال متين القوى
 فذلك دهر مضى فابكبه ومن ضاق ذرعاً بأمر بكى
 وهل يشفينك من غلة بكائك في إثر ما قد مضى
 إلى ابن الرشيد إمام الهدى بعثنا المطيّ تجوب الفلا
 إلى ملك حلّ من هاشم ذؤابة مجدي منيف الذرى
 إذا قيل أيّ فتى هاشم وسيدها كان ذاك الفتى
 به نعيش الله آمالنا كما نعيش الأرض صوب الحيا
 إذا ما نوى فعل أكرومة تجاوز من جوده ما نوى
 كساه إله رداء الجمال ونور الجلال وهدي التقى

قال : فأمر لي بجائزة ، وقال : لست أحسب هذا لك إلّا بعد أن تقرن صناعتك فيه
 بالأخرى يعني أن أغني فيه وفي : «هزئت أسماء منى» ؛ فصنعت في : [من المديد]

1 ثبير : من جبال مكة .

2 طليح : تعب هزيل .

هزئت أسماء مني

[من المتقارب]

لحناً ، وفي :

لأسماء رسم عفا باللوى

لحناً آخر وغنيته بهما ، فأمر لي بالقي دينار .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير

لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقیلٌ أولٌ بالوسطى . والآخر : [من المتقارب]

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى

الغناء لإسحاق ثاني ثقیلٌ بالوسطى .

[مخارق يصحح مغنياً في لحن لإسحاق]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء قال : غنيتُ

يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في :

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا ابن الموصلي كبير

قال : فنظر إليّ مخارق نظراً شزراً وعضّ شفته عليّ ؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق

قلت : يا أستاذ ، لِمَ نظرتَ إليّ ذلك النظر ؟ أنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟

فقال لي : ويحك ! أتدري أيّ صوت غنيتَ ! إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت

بمنزلة طريق ضيقٍ وعرٍ صعبٍ المرتقى ، أخذُ جانبيّ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن

جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرتقيه عن مَحَجَّتِهِ إلى جانب الوادي هوى ، وإن مال إلى

الجانب الآخر نطّحه حرفُ الجبل فتكسر ؛ صير إليّ غداً حتى أصحّحه لك .

[لحن له على الأذان]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثت من غير وجه : أن

إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذن أذن به على باب

المعتصم ، فأصغى إليه فأعجبه ، فأعاد المبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه

لحنه :

هزئت أسماء مني وقالت

[غلامه يغني إبراهيم بن المهديّ عندما فصد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبّي: أن إبراهيم بن المهديّ فُصِدَ يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي إليك هديةً للفصد حسنةً ؛ فوجّه إليه بُدِيحاً غلامه ، فغناه لحنه في : [من المديد]

هَزَّتْ أَسمَاءُ مِنِّي وَقَالَتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك في طَرْحه على الجوّاري فافعل ؛ فقال له : بذلك أمرني ، وقال لي : إنك ستقول لي هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقل له : لو لم آمرك بطرحه لم يكن هديةً ؛ فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدِيح على جواريه . وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنّه كتب إلى أبيه بهذه الهدية ؛ وهذا خطأ ، لأنّ الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

[مخارق يخرج ابن بسخر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال : اندفع محمد بن الحارث بن بُسْخَر يوماً يغني هذا الصوت ؛ فالتفت إلينا مُخَارِقُ فقال : خرج¹ ابن الزانية ! .

[لماذا استحقّ البرامكة شكره]

حدثني عمّي قال حدثني أبو جعفر محمد بن الدّهْقَانَة النّديم قال حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : دعاني الفضل بن الرّبيع ودعا علّويه ومُخَارِقاً ، وذلك في أيّام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلّا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعَلِّمه الحال في اجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قُرب العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس ، وجاء غلامه بقطرَمِيز² نبيذ فوضعه ناحية ، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه ، وكان علّويه يغني الفضل بن الرّبيع في لحنٍ لسيّاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو : [من الطويل]

فإن تَعَجَّبِي أو تُبْصِرِي الدّهْرَ طَمَنِي بِأَحْدَاثِهِ طَمَّ الْمُقْصَصُ بِالْجَلَمِ³

1 خرج : نبع .

2 القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج ويطلقونها في بعض الأماكن على المرطبان .

3 الجلم : القصص الذي يجز به الشعر والصوف .

فقد أترك الأضيافَ تَنَدَى رِحَالَهُمْ وأكرمهم بِالْمَحْضِ والتَّامِكِ السَّيِّمِ¹

ولحنه من الثقل الثاني ، فقال له إسحاق : أَخْطَأْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي أدَاءِ هَذَا الصَّوْتِ ، وَأَنَا أَصْلَحُهُ لَكَ ؛ فَجَنَّ عُلُوبِهِ وَغَنَظَ وَقَامَتْ قِيَامَتُهُ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ إِسْحَاقُ عَلَى عُلُوبِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا حَبِيبِي ، مَا أَرَدْتُ الْوَضْعَ مِنْكَ بِمَا قُلْتَهُ لَكَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَهْذِيكَ وَتَقْوِيمَكَ ، لِأَنَّكَ مَنْسُوبُ الصَّوَابِ وَالْخَطَأُ إِلَى أَبِي وَإِلَيَّ ، فَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ وَقُلْتُ لَكَ : أَحْسَنْتَ وَأَجَمَلْتَ ؛ فَقَالَ لَهُ عُلُوبِهِ : وَاللَّهِ مَا هَذَا أَرَدْتُ ، وَلَا أَرَدْتُ إِلَّا مَا لَا تَتْرَكُهُ أَبَدًا مِنْ سُوءِ عَشْرَتِكَ ؛ أَخْبِرْنِي عَنْكَ حِينَ تَجِيءُ هَذَا الْوَقْتُ لَمَّا دَعَاكَ الْأَمِيرُ وَعَرَّفَكَ أَنَّهُ قَدْ نَشِطَ لِلْإِصْطِبَاحِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى التَّرَفُّعِ عَنْ مُبَاكَرَتِهِ وَخِدْمَتِهِ مَعَ صَنَائِعِهِ عِنْدَكَ ، وَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ تَجِيئُهُ وَمَعَكَ قَطْرِمِيزٌ نَبِيذٌ تَرْفَعُهُ عَنْ شَرَابِهِ كَمَا تَرْفَعُ عَنْ طَعَامِهِ وَمَجَالَسْتَهُ إِلَّا كَمَا تَشْتَهِي وَحِينَ تَنْشِطُ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَكْفَاءُ ، بَلْ تَزِيدُ عَلَى فِعْلِ الْأَكْفَاءِ ؛ ثُمَّ تَعْمِدُ إِلَى صَوْتٍ قَدْ اشْتَهَاهُ وَاقْتَرَحَهُ وَسَمِعَهُ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ فَمَا عَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَتَجِيبُهُ لِيَتِمَّ تَغْيِصُكَ إِيَّاهُ لَذَّتُهُ ! ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَوْ أَخُوهُ جَعْفَرٌ دَعَاكَ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ ، بَلْ بَعْضُ أَتْبَاعِهِمْ ، لِإِدَارَتِهِ وَبَاكَرَتِهِ وَمَا تَأَخَّرْتَ وَلَا اعْتَذَرْتَ ؛ قَالَ : فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنِ الْجَوَابِ إِعْجَابًا بِمَا خَاطَبَ بِهِ عُلُوبِهِ إِسْحَاقُ ؛ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ تَأَخُّرِي عَنْهُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي حَضَرْتُ فِيهِ ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَتَأَخَّرُ عَنْهُ إِلَّا بِعَائِقٍ قَاطِعٍ ، إِنْ وَثِقَ بِذَلِكَ مِنِّي وَإِلَّا ذَكَرْتُ لَهُ الْحِجَّةَ سَرًّا مِنْ حَيْثُ لَا يَكُونُ لَكَ وَلَا لغيرِكَ فِيهِ مَدْخَلٌ . وَأَمَّا تَرْفَعِي عَنْهُ ، فَكَيْفَ أَتَرْفَعُ عَنْهُ وَأَنَا أَتَنْسِبُ إِلَى صَنَائِعِهِ وَأَسْتَمْنَحُهُ وَأَعِيشُ مِنْ فَضْلِهِ مَذْكَرًا أَنَا وَأَبِي ، وَهَذَا تَضْرِيبُ² لَا أَبَالِي بِهِ مِنْكَ . وَأَمَّا حَمْلِي النَّبِيذَ مَعِي ، فَإِنْ لِي فِي النَّبِيذِ شَرْطًا مِنْ طَعْمِهِ وَرِيحِهِ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْهُ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الشَّرْبِ وَتَنْغِصَ عَلَيَّ يَوْمئِذٍ ، وَإِنَّمَا حَمَلْتُهُ لِيَتِمَّ نَشَاطِي وَيَتَفَعَّ بِي . وَأَمَّا طَعْنِي عَلَى مَا اخْتَارَهُ ، فَإِنِّي لَمْ أَطْعَنْ عَلَى اخْتِيَارِهِ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَقْوِيمَكَ ، وَلَسْتُ وَاللَّهِ تَرَانِي مُتَّبِعًا لَكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ وَلَا مُقَوِّمًا شَيْئًا مِنْ خَطْئِكَ ؛ وَأَنَا أَغْنِي لَكَ ، أَعَزَّ اللَّهُ ، هَذَا الصَّوْتُ فَيَعْلَمُ وَتَعْلَمُ وَيَعْلَمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّكَ أَخْطَأْتَ فِيهِ وَقَصَّرْتَ . وَأَمَّا الْبِرَامِكَةُ وَمِلَازِمَتِي لَهُمْ فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ أَجْحِدَهُ ، وَإِنِّي لَحَقِيقٌ فِيهِ بِالْمَعْذَرَةِ ، وَأَحْرَى أَنْ أَشْكُرَهُمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ وَبِأَنْ أَذِيعَهُ وَأَنْشُرَهُ ، وَذَلِكَ وَاللَّهِ أَقْلُ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنِّي . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْفَضْلِ ، وَقَدْ غَاطَهُ مَدْحُهُ لَهُمْ ، فَقَالَ : اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أَخْبِرَكَ بِهِ مِمَّا فَعَلُوهُ لَيْسَ هُوَ بِكَبِيرٍ فِي صَنَائِعِهِمْ عِنْدِي وَلَا عِنْدَ أَبِي قَبْلِي ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ لِي عَذْرًا وَإِلَّا فَلَمْ : كُنْتُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِي نَازِلًا مَعَ أَبِي فِي دَارِهِ ، فَكَانَ لَا

1 التامك : العظيم السنام من الإبل ، ومثله السنم .

2 التضريب : الاغراء بين القوم .

يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبَّين الضَّجَرَ والتَّنَكُّرَ في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقره وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريَّ ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرضَ ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إليَّ من إخواني أن يروا مثله عندي ؛ ففكرت في ذلك فكيف أصنع ، وزاد فكري حتى خطرَ قلبي قُبْحُ الأُحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة ، وأتني لا آمنُ في وقت أن يستأذن عليَّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيقال صاحبُ دارك ، أو يُوجَّه في وقت فيطلب أجرة الدَّار وعندي من أحتشمه ؛ فضاقت بذلك صهري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِّجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ إلى الصحراء أتفرِّجَ فيها ممَّا دخل على قلبي ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكر لا أُميِّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانه إليَّ : وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خجلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أقصِّدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلما رأيَ تبسّم وقال : ما هذا الزَّيَّ يا أبا محمَّد ! إحتبسنا لك بالبرِّ والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيدي ، ولكنني أصدِّقك ؛ قال : هات ؛ فأخبرته القصَّة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقٌّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إي والله ؛ وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، يا غلام ، ردِّوا حماره وهاتوا له خِلة ؛ فيجاءوني بخِلة تامَّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِعَ النبيذ فشربت وشرب فغنيته ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكب أربع رِقاع ظننتُ بعضها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارَه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة ؛ ثم اتكأ يحيى فنام ، فقامت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدِّم لي حماري ؛ فلما تجاوزت الدَّار قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت ؛ قال : قد والله يبعثُ دارك ، وأشهد على صاحبها ، واتبِع الدَّربُ كلَّه ووُزِنَ ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرُك ليعرفك ، وأظنَّه اشترى ذلك للسلطان ، لأنني رأيت الأمر في استعجاله واستحثائه أمراً سلطانياً ؛ فوقع من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ؛ فلما نزلتُ على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارَه يحيى قد قام إليَّ فقال لي : ادخل ، أيُّدك الله ، دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ؛ فطابت نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليَّ فأقرأني توقيع يحيى : «يُطلَق لأبي

محمد إسحاق مائة ألف درهم يتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها». والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يتاع له بها داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي». والتوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها وممرتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يتاع بها فرساً لمنزله». والتوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفرش يُتخذ له، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته». وقال الوكيل: قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الاتبيعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بُورك لك فيه فأقبضه؛ فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي؛ ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء؟ فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن علويه بأن تقوم له؛ فقال: أفعل؛ وغناه، فتبين علويه أنه كما قال، فقام فقبل رأسه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ وردّه إسحاق مرّاتٍ حتى استوى لعلويه.

[أكان ذلك عند علي بن هشام]

ولقد روي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند علي بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخير أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا: دعا علي بن هشام إسحاق الموصليّ وسأله أن يصطبج عنده ويُنكّر فأجابه؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخَارِقٌ وعلّويه؛ فقال له علي بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجِد من القيام به بُدّاً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى علويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

صوت

إلهي مَنَحْتَ الْوَدَّ مَنِّي بِخَيْلَةٍ وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرٌ
شَفَاءُ الْهَوَى بَثُّ الْهَوَى وَاشْتِكَاؤُهُ وَإِنَّ امْرَأً أَخْفَى الْهَوَى لَصَبُورٌ

الغناء لسليمان أخي أحيحة، خفيفٌ ثقيلٌ أوّلٌ بالنصر عن عمرو، فقال له إسحاق: أخطأت ويْلَكَ، فوضع علويه العود وشرب رطلاً وشرب علي بن هشام؛ ثم تناول العود وغنّى:

[من المديد]

صوت

ولقد أَسْمُوْا إِلَى غُرَفٍ فِي طَرِيقِ مُوحِشٍ جُدْدَةٍ¹
حوله الأَحْرَاسُ تَحْرُسُهُ وَلَدِيهِ جَائِثاً أَسَدُهُ

الغناء لمَعْبَد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرُو ، فقال له إِسْحَاقُ : أخطأتَ وَبَلَّكَ ؛ فوضع العود من يده ثم أَقْبَلَ عَلَى إِسْحَاقِ فَقَالَ لَهُ : دَعَاكَ الْأَمِيرُ ، أَعَزَّهُ اللَّهُ ، لَتُبَكِّرَ إِلَيْهِ ، فَجِئْتَهُ ظَهْرًا ، وَغَنَيْتُ صَوْتَيْنِ يَشْتَهِيهِمَا الْأَمِيرُ أَعَزَّهُ اللَّهُ عَلَيَّ فَخَطَّأَتْنِي فِيهِمَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَغْنِي يَنْ يَدِي الْأَمِيرُ ، أَعَزَّهُ اللَّهُ ، وَلَا تَغْنِي إِلَّا بَيْنَ يَدِي خَلِيفَةً أَوْ وَلِيَّ عَهْدٍ ، وَلَوْ دَعَاكَ بَعْضُ الْبَرَامِكَةِ لَكُنْتَ تُسْرِعُ إِلَيْهِ ثُمَّ تَغْنِي مُنْذُ غُدُوِّهِ إِلَى اللَّيْلِ ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ انْتِقَاصًا مِنْكَ ، وَلَا أَقُولُ مِثْلَهُ لَغَيْرِكَ وَلَا أَرِيدُ ازْدِرَاءً مِنْ أَحَدٍ ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ بِكَ خَاصَّةً التَّقْوِيمَ وَالتَّأْدِيبَ ؛ فَإِنْ سَاءَكَ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ فِي خَطْئِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ، إِنِّي أُحَدِّثُكَ عَنِ الْبَرَامِكَةِ بِمَا يُقِيمُ عَذْرِي فِيهَا ذِكْرَهُ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ يَوْمًا ، وَلَمْ أَكُنْ أَرَدْتُ الدَّخُولَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا رَكِبْتُ مَتَبَدَّلًا² لَهُمْ أَهْمَنِي ، وَكُنْتُ نَازِلًا مَعَ أَبِي فِي دَارِهِ ، فَضِيقْتُ صَدْرًا بِذَلِكَ وَأَحْبَبْتُ الثَّقَلَةَ عَنْهُ ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا بِيَدِي تَقْصُرُ عَمَّا يُصْلِحُنِي ؛ ثُمَّ ذَكَرَ الْخَبَرَ نَحْوًا مِمَّا قُلْتَهُ . وَزَادَ فِيهِ : أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ نَعَرَ وَصَفَّقَ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ بِمِائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَوَقَعَ لَهُ كُلُّ مَنْ جَعْفَرُ وَالْفَضْلُ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مُوسَى وَمُحَمَّدَ بِمِائَةِ أَلْفٍ مِائَةِ أَلْفٍ . وَقَالَ فِيهِ : فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ وَمَنْ حَضَرَ ، وَقَالُوا : لَا يُرَى وَاللَّهِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ أَبَدًا ؛ وَأَخَذَ إِسْحَاقُ الْعُودَ فَغَنَى الصَّوْتَيْنِ فَأَتَانِي فِيهِمَا بِالْعَجَائِبِ ؛ فَقَامَ عَلَّوِيهِ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَسْتَادُنَا وَابْنُ أَسْتَادِنَا ، وَمَا بَنَا عَنْ تَقْوِيمِكَ غِنَى ؛ ثُمَّ غَنَى بَعْدَ ذَلِكَ لَحْنَهُ : «تَشَكَّى الْكَمِيتُ الْجَرِي» ، وَلَمْ يَزَلْ يَغْنِي بَقِيَّةَ يَوْمِهِ كُلَّمَا شَرِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ فَاتَّبَعَهُ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ .

[رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِي فِي غَنَائِهِ]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ : أَحْضَرَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ وَاطْمَأْنَنْتُ ، أَخْرَجَ إِلَيَّ خَادِمُهُ رَقْعَةً ، فَقَالَ : اقْرَأْ مَا فِيهَا وَاعْمَلْ بِمَا رَسَمَهُ الْأَمِيرُ أَعَزَّهُ اللَّهُ ؛ فَقَرَأْتُهَا فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

صوت

يَرْتَاحُ لِلدَّجْنِ قَلْبِي وَهُوَ مَقْتَسَمٌ بَيْنَ الْهَمُومِ ارْتِيَاخَ الْأَرْضِ لِلْمَطْرِ³

1 الجدد : المعالم ، جمع جدة .

2 التبدل : ارتداء الملابس التي تلبس عادة في البيت .

3 الدجن : لباس الغيم الأرض .

إِنِّي جَعَلْتُ لِيَوْمِ الدَّجَنِ نِخْلَتَهُ¹ أَلَّا يَزُولَ وَلِي فِي اللَّهِ مِنْ وَطَرٍ²
وتحت هذين البيتين : «تقدّم ، جُعِلَتْ فداك ، إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بَأَن يُغْنُوا في
هذين البيتين ، وَالْقَى جَمِيعَ مَا يَصْنَعُونَهُ عَلَى فَلَانَةٍ ؛ فَإِذَا أَخَذَتْهُ فَأَنْفَذَهَا إِلَيَّ مَعَ رَسُولِي» ؛
فقلت : السَّمْعُ والطَّاعَةُ لِأَمْرِ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ ، فَهَلْ صَنَعَ فِيهِمَا أَحَدٌ قَبْلِي ؟ فقال : نعم ،
إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ ؛ فقلت : وَاللَّهِ لَوْ كُفِّ إِبْلِيسُ أَنْ يَصْنَعَ فِيهِمَا صِنْعَةً يَفْضُلُ إِسْحَاقَ فِيهَا
بَلْ يَسَاوِيهِ بَلْ يَقَارِبُهُ ، مَا قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا بَلَغَ مَبْلَغَهُ ؛ فَضَحَكَ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَقَالَ :
صَدَقْتَ وَاللَّهِ ؛ وَهَكَذَا يَقُولُ مَنْ يَعْقِلُ لَا كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْحَمَقَى ، وَلَكِنْ اصْنَعْ فِيهِمَا عَلَى
كُلِّ حَالٍ كَمَا أُمِرَ ؛ فقلت : أَفْعَلُ وَقَدْ بَرَّئْتُ مِنَ الْعَهْدَةِ ؛ فَانصرفت فَصَنَعْتُ فِيهِمَا صِنْعَةً
كَانَتْ وَاللَّهِ عِنْدَ صِنْعَةِ إِسْحَاقَ بِمَنْزِلَةِ غَنَاءِ الْقَرَّادِينَ .

[بكى لظهور الشيب في رأسه]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي مِيمُونٌ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الْمُعْتَصِمُ أَوْ
قَالَ لِي الْوَائِقُ : لَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي عَارِضِيكَ ؛ فقلت : نعم يَا سَيِّدِي ، وَبَكَيْتَ ؛ ثُمَّ قُلْتَ
أَبْيَاتًا فِي الْوَقْتِ وَغَنَيْتَ فِيهَا :

تَوَلَّى شِبَابُكَ إِلَّا قَلِيلًا وَحَلَّ الْمَشِيبُ فَصَبْرًا جَمِيلًا
كَفَى حَزَنًا بِفِرَاقِ الصَّبَا وَإِنْ أَصْبَحَ الشَّيْبُ مِنْهُ بَدِيلًا
وَلَمَّا رَأَى الْغَانِيَاتُ الْمَشِيبَ سَبَّ أَغْضَيْنَ دُونَكَ طَرْفًا كَلِيلًا
سَأْنَدُبُ عَهْدًا مَضَى لِلصَّبَا وَأَبْكِي الشَّبَابَ بِكَاءٍ طَوِيلًا

فبكى الْوَائِقُ وَحَزِنَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ قَدَّرْتُ عَلَى رَدِّ شِبَابِكَ لَفَعَلْتُ بِشَطْرٍ مُلْكِي ؛ فَلَمْ يَكُنْ
لِكَلَامِهِ عِنْدِي جَوَابٌ إِلَّا تَقْبِيلُ الْبَسَاطِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

[جهد المغنّون أن يأخذوا لحنًا له فلم يستطيعوا]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ :
لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ لَحْنَ فِي :

قَفَّ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ وَغَيَّرْتَهَا الْأَرْوَاحُ² وَالْدَيْمُ²
رَأَيْتَهُمْ (يَعْنِي الْمَغْنِّينَ) يَأْخُذُونَهُ عَنْهُ وَيَجْهَدُونَ فِيهِ ؛ فَتَوَفَّيَ وَاللَّهِ وَمَا أَخَذُوا مِنْهُ إِلَّا
رَسْمَهُ .

1 النخلة : المذهب ، ويعني هنا أنه يجعل ليوم الدجن ما يناسبه من الشراب واللهم .

2 الأرواح : جمع ريح كأرياح ورياح .

نسبة هذا الصوت صوت

[من المنسرح]

قِفْ بالديار التي عفا القِدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الأرواحُ والِدَيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نَسَائِلُهَا فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجُمُ
ذِكْرًا لِعَيْشٍ مَضَى إِذَا ذَكَرُوا مَا فَاتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَقَمُ
وَكُلَّ عَيْشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مَنْقَطِعٌ مَرَّةً وَمَنْصَرَمُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى مِنْ جَمِيعِ أَغَانِيهِ .

حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونَ الْيَتِيمُ قَالَ حَدَّثَنِي عُجَيْفُ بْنُ عُنْبَسَةَ قَالَ :
كَنتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ ، فَغَنَّا : [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا

فَأَمَرَهُ بِإِعَادَتِهِ ، فَأَعَادَهُ ثَلَاثًا ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : قَدْ
اسْتَحْسَنْتَ هَذَا الصَّوْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَنَأْخُذُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، خُذْهُ فَقَدْ أَعْجَبَنِي ؛ فَاجْتَمَعَ
جَمَاعَةُ الْمَغْنِيِّينَ : مُخَارِقٌ وَعُغْلَوِيَّةٌ وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ وَغَيْرُهُمْ ، فَأَمَرَهُ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى
يَأْخُذُوهُ ؛ فَقَالَ عُجَيْفٌ : فَعَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً قَدْ أَعَادَهُ فِيهَا عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوهُ
وَلَمْ يَكُونُوا أَخَذُوهُ . قَالَ هَارُونَ : فَنَحْنُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ
بُسَيْنٍ ، فَقَالَ لَهُ عُجَيْفٌ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، كُنْتُ أُحَدِّثُ أَبَا مُوسَى بِحَدِيثِنَا الْبَارِحَةَ مَعَ إِسْحَاقَ فِي
الصَّوْتِ وَإِنِّي عَدَدْتُ خَمْسِينَ مَرَّةً ؛ فَقَالَ مُحَمَّدٌ : إِي وَاللَّهِ ؛ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، وَلَقَدْ عَدَدْتُ أَنَا أَكْثَرَ
مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَمَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَهُ ، وَاللَّهِ مَا أَخَذَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَوْلَهُمْ مَا
قَدَّرْتُ ، عَلَّمَ اللَّهُ ، عَلَى أَخَذَهُ عَلَى الصَّحَّةِ وَأَنَا أَسْرَعُهُمْ أَخْذًا ، فَلَا أَدْرِي : أَلِكَثْرَةِ زَوَائِدِهِ فِيهِ أَمْ
لَشِدَّةِ صَعُوبَتِهِ ؛ وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ شَيْئًا ؟ . أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ حَدَّثَنَا
حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عُجَيْفُ بْنُ عُنْبَسَةَ بِهَذَا الْخَبَرِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاءً .
[يَنْظُمُ شِعْرًا عَلَى وَزْنِ أَعْجَبِ الْمُعْتَصِمِ]

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَحَدَّثَنِي حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ ، فَمَرَّ شِعْرٌ عَلَى هَذَا
الْوِزْنِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا لَكَ بِهِ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ فِي أَحْسَنَ مِنْ
هَذَا الشَّعْرِ :

صوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبَا

فأعجبه ، وقال لي : قد والله أحسنت ؛ وأمر لي بالْفَيْ دينار ، والله ما كانت قيمتهما عندي ذَاتَيْن .

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ثاني ثَقِيلٍ بالسَّيِّبَةِ في مجرى الوسطى .

[غضب عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال حدثني ابن المكيّ عن إسحاق قال : غَضِبَ عليّ المخلوع¹ فأقصاني وجفاني ، فاشتدّ ذلك عليّ ، قال : وجفاني وهو يومئذٍ بالأنبار ، فحملتُ عليه بالفضل بن الربيع ، فطلب إليه فشَقَّعه المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطَبِحٌ ، فلم أزل متوقفاً وقد ليستُ قَبَاءً وخُفّاً احمرّ واعتصبتُ بعصاة صفراء وشدّدت وسطى بشقّة حمراء من حرير ؛ فلما أخذوا في الأهازج دخلتُ وفي يدي صَفَاقَتان وأنا أتغنى : [من المجت]

صوت

اسمع لصوت طريب من صَنَعَةِ الأنباري²

صوتٍ مليح خفيف يطيرُ في الأوتار

الشعر والغناء لإسحاق ، هزجٌ بالنصر ، فسُرّ بذلك محمد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم . وأخبرني جَحْظَةُ بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال حدثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ما ذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمد لي بـ«الأنباري» أنّي دخلت عليه يوماً وقد لُتْ³ عمامتي على رأسي لوثاً غير مستحسن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمام أهل الأنبار .

[الأصمعيّ يغيّر رأيه في شعر أعجبه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني أبي : قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي :

صوت

هل إلى نظرة إليك سبيلُ يُروّ منها الصدى ويُشفي الغليل⁴

إنّ ما قلّ منك يكثر عندي وكثيرٌ ممّن تحبّ القليلُ

1 المخلوع هو محمد الأمين .

2 طريب في ل : طريف .

3 لاث عمامته : لفّها وعصبتها .

4 جزم الفعل لضرورة الشعر .

قال : فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الدياج الخسروانيّ ، هذا الرّشي الإسكندرانيّ ، لمن هذا ؟ فقلت له : إنّ ابن ليلته ؛ فتبيّنت الحسد في وجهه ، وقال : أفسدته ، أفسدته ، أما إنّ التوليد فيه لبين . في هذين البيتين لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر .
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر ، فذكر مثل ما ذكره من قُدّمت الرواية عنه ، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيى بعقب هذا الخبر : كان إسحاق يُعجّب بهذا المعنى ويكرّره في شعره ، ويرى أنّه ما سبق إليه ؛ فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرمل]

صوت

أيُّها الطّبيّ الغريرُ هل لنا منك مُجِيرُ
إنّ ما نولّتي من لك وإنّ قلّ كثيرُ

لحن إسحاق فيه خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى ، فقلت : إنّك قد سُبقت إلى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه ؛ فأنشدته لأعرابيٍّ من بني عُقيل : [من الطويل]

قِفي ودّعينا يا مليحُ بنظرةٍ فقد حان منا يا مليح رحيلُ
أليس قليلاً نظرةً إنّ نظرتها إليك وكلاًّ ليس منك قليلُ
عُقَيْلِيَّةٌ أمّا مَلاثُ إزارها فوَعثُ وأما خصرها فضئيلُ¹

صوت

[من الطويل]

أيّا جَنّة الدنيا ويا غايةَ المنى ويا سؤلَ نفسي هل إليك سبيلُ
أراجعةً نفسي إليّ فأغتدي مع الرّكب لم يُقتل عليك قتيلُ
فما كلّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلّ يومٍ لي إليك رسولُ

قال : فحلف أنّه ما سمع بذلك قطّ . قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقيليّ .

[حوار لطيف بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

حدّثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمّد بن أبي طالب الدّيناريّ بمكة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه ، فقال لي : منّ جمع لك مع المودة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمةً ؛ فقلت له : جعلني الله فداك ، إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنُ

1 «فوعث وأما خصرها فضئيل» في ل : «فدعص وأما خصرها فنحيل» . ملاث الإزار : ما يلقه الإزار دون الخصر . الوعث : اللين ، والدعص : كتيب الرمل .

بالفروع ، والله يعلم أنَّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناثر¹ ؛ وما يظهر الودَّ المستقيم ، إلّا من القلب السليم ؛ قال : فأبرئ² ساحتك عندي بكثرة مجيئك إليّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوباً أتقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصراً ؛ فضحك وقال : مَنْ يقدر على جواب المغنين ؟ ؛ فقلت : مَنْ اتّخذ الغناء لنفسه ولم يتّخذ لغيره ؛ فضحك أيضاً ، وأمر لي بخَلَع ودنانير وبرذون وخدام . وبلغ الخبر المعتصم ، فضاغف لإبراهيم ما أعطاني ، فرُحْتُ² وقد رِبحت وأربحت .

[عتب عليه الفضل بن الربيع]

حدّثنا الحرّميّ قال حدّثنا الديّناريّ قال حدّثني إسحاق قال : عتب عليّ الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني ؛ فكتبت إليه : «إِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ عَفْوَاً وَعَقُوبَةً ؛ فذُنُوبُ الْخَاصَّةِ عِنْدَكَ مَسْتُورَةٌ مَغْفُورَةٌ ، فَأَمَّا مِثْلِي مِنَ الْعَامَّةِ فَذَنْبُهُ لَا يُغْفَرُ ، وَكُسْرُهُ لَا يُجْبَرُ ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ مَعَايِي فَأِعْرَاضْ³ لَا يُوَدِّي إِلَى مَقْتٍ .

[جواب الأعرابي للفضل بن الربيع]

حدّثني الحرّميّ قال حدّثنا الديّناريّ قال حدّثني إسحاق قال : كان يختلف إليّ رجل من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرّبه ويستظرف كلامه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه ؛ فقال له الفضل : فيم كنتم ؟ قال : كنّا في قَدْرِ تَقُورٍ ، وكأس تدور ، وغناء يَصُور³ ، وحديث لا يَحُور⁴ .

[كان يصنع الشعر وينحله الأعراب]

حدّثنا الحرّميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب قال : كان إسحاق يقول الشعر على السن الأعراب ، وينشدناه للأعراب ، وكان يُعَايِي بذلك أصحابه ويُغْرِب عليهم به ؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابي :

لَفَظَ الْخُدُورُ عَلَيْكَ حُوراً عَيْنَا أَنْسَيْنَ مَا جَمَعَ الْكِنَاسُ قَطِينَا⁵
فَإِذَا بَسَمْنٌ فَعَنْ كَمِثْلِ غَمَامَةٍ أَوْ أَقْحُونِ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينَا⁶

1 ل : ناطق .

2 ل : فرجعت .

3 يصور : يصوت .

4 لا يحور : لا يرجع أيّ أنّه متجدّد طلي .

5 لفظ : أخرج .

6 معين : ريان .

وأصحُّ من رَأَتْ العيونُ محاجرًا ولهنَّ أمرضُ ما رَأَيْتَ عيونًا
وكأنَّما تلك الوجوهُ أهْلَةٌ أقمرنَ بين العشر والعشرينا
وكأنَّهنَّ إذا نهَضْنَ لحاجةٍ ينهضن بالعقداتِ من يَبرينا¹

قال : وأنشدني أيضاً ممَّا كان ينسبه إلى الأعراب وهو له : [من الطويل]

ومكحولة العينين من غير ما كُحلَّ مُهَفَّهَةٌ الكَشْحَيْنِ ذات شَوَى خَدَلٍ²
مُنْعَمَةٌ الأطراف مُنْعَمَةٌ البرى روادفها تحكي الدهاس من الرمل³
صَبُودٌ لألباب الرجال ، متى رنتُ إلى ذي نُهى جَلَدُ القَوَى وافر العقل⁴
تخلَّى النهى عنه وحالفه الصبا وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل
شبيبة كُتبانٍ يَرُوقُك تحتها عناقيدُ كرم جادها غَدَقُ الويل
رمتني فحلَّت نائطيَّ ولم تُصِب لها نائطيَّ قلبٍ ولا مَقْتلاً نبلي⁵

[رأي الرشيد في شعره]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد الميرد قال حدَّثت عن الأصمعيِّ قال : دخلت أنا وإسحاق الموصليَّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِيسَ⁶ النَّفس ؛ فأنشده إسحاق يقول :

صوت

وآمرة بالبخل قلتُ لها اقْصُرِي فذلك شيء ما إليه سبيلُ
أرى الناسَ خلَّانَ الكرامِ ولا أرى بخيلاً له حتَّى الماتِ خليلُ
وإني رأيتُ البُخل يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يكونَ يُنيلُ⁷
فعالي فعالُ المُكثِرِينَ تَجَمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرَمُ الغنى ورأيي أمير المؤمنين جميلُ

1 العقدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقد . ويرين : جانب من الدهناء .

2 الشوى الخدل : الأطراف المثلثة .

3 البرى : السوار أو الخلخال . الدهاس : المكان اللين السهل .

4 متى رنتُ في ل : إذا رنت .

5 النائط : العرق المستطن الصلب تحت المتن .

6 لقست نفسه : غثت وخبثت .

7 رواية ل : ومن خير خللات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يقال نبيلُ

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرَّ آيَات تَأْتِينَا بِهَا ؛ مَا أَشَدُّ أَصُولَهَا ، وَأَحْسَنَ فُضُولَهَا ، وَأَقْلَ فُضُولَهَا ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلامَ آخِذُ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلمتُ يومئذٍ أن إسحاقَ أَحَذَقُ بصيد الدراهم مِنِّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً ممّا ذكره الأصمعي والألفاظ تختلف .

[يرتجل رجزاً في حفيد الفضل]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرني به جعفر بن قدامة ووكيع عن حمّاد عن أبيه قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله بن العباس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأنَّ أباه مات في حياته ، فأجلسه في حجره وضمّه إليه ودمعت عيناه ؛ فأنشأتُ أقول :

[من الرجز]

صوت

مَدَّ لَكَ اللهُ الحَيَاةَ مَدًّا	حتى يكونَ ابنُكَ هذا جَدًّا
مُوَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرْدًى	ثم يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةَ وَخَدَا	وَشِيْمًا مَرْضِيَّةَ وَمَجْدَا
كَانَتْ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى	شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدَا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمتنني الله بك يا أبا محمّد ، فقد عُوِضْتُ من الحزن سروراً وتسليتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قدامة : وحدثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى ، فذكر أنّ إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حجره ابن له .

غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكلّ لحناً من الرّمل ، يقال : إنّه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدّ ثم غنى به . وأخبرني ذكاء وجه الرّزة عن بدعة الكبيرة : أنّ الرمل لعريب ، وأنّ لحن أبي عيسى خفيف رملٍ .

[عيادته الفضل بن الربيع]

حدثني عمّي قال حدثني الفضل بن محمّد اليزيديّ عن إسحاق قال : أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك :

[من الطويل]

إذا ما أبو العباس عيدَ ولم يعد رأيتَ مَعُوداً أَكْرَمَ النَّاسِ عَائِداً

وجاء بنو العباس يتدرونه مراضاً لما يشكوه مثنى وواحد
يُفدونه عند السلام وكلهم مُجِلُّ له يدعوهم عمّا والدا
قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي : أعِد يا أبا محمد
فأعدتُ ، فأمرني فكتبتها ، وسرّ بها وجعل يردّها حتى خفيها .
[استرضاه الفضل بن الربيع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ
الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :
جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛
فقلت له : [من الطويل]

أَقِم يا أبا العوام ويحك نشرب ونلّه مع اللاهين يوماً ونطرب¹
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيرُهُ فخذهُ بشكرٍ واترك الفضل يغضب
فأقام عندي وسررنا يوماً ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سبب تأخره عنه ؛ فحدثه
الحديث وأنشده البيتين ؛ فغضب² وحول وجهه عني ، وأمر عوناً حاجبه بالألا يدخلني إليه ولا
يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة ؛ فقلت : [من الطويل]

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمْتَ غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كنا
فأحسين فإني قد أسأتُ ولم تزلْ تُعودني عند الإساءة إحساناً
قال : وأنشدته إياهما ، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا
الخير محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، فذكر مثله وزاد فيه : فقلت في
عون حاجبه : [من الخفيف]

عَوْنُ يا عون ليس مثلك عونُ أنت لي عُدَّة إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رضيَ الفضلُ ل غلامٌ يُرضيك أو يردونُ
قال : فأتى عون الفضل بالشعرين جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال : ويحك ! إنما عرض
لك بقوله : «غلام يُرضيك» بالسوء ؛ قال : قد وعدني ما سمعت ، فإن شئت أن تحرميه
فأنت أعلم ! فأمره أن يرسل إليّ ؛ فأتاني رسوله فصيرت إليه فرضي عني ؛ ووفيت لعون .
أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل قال حدثني أبي قال

1 العوام في : ل : العباس .

2 ل : فعتب عليّ .

حدثني الزبير بن دحمان قال : دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ؛ فقال لي : قد عزمتُ غداً على الصُّبوح ، فصر إليّ بُكرةً ؛ فكنْتُ أنا والصبحُ كَفَرَسَي رِهان ؛ فلما أصبحتُ من غدي جعلتُ طريقِي على إسحاق بن إبراهيم فدخلتُ إليه ، فلما جلستُ قال لي : أقم اليومَ عندي ؛ فعرفته خبري ؛ فقال :

أَقِمْ يَا أَبَا الْعَوَّامِ وَيَحْكْ نَشْرِبِ وَنَلُهُ مَعَ اللَّاهِنِ يَوْمًا وَنَطْرِبِ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ جَاءَ خَيْرُهُ فَخِذْهُ بِشُكْرِ وَاتْرُكِ الْفَضْلَ يَغْضِبِ

فقلت : إني لا آمنُ غضبه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لي : أنت تعلمُ أنَّ صَبوحَ الفضلِ أبداً في وقتِ غَبوقِ الناسِ ، فأَقِمْ وارْفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه ؛ فأجبتُه إلى ذلك ؛ فلما شربنا طاب لي الموضوع ، فأقمتُ حتَّى سكرتُ . وذكر باقي الخبر نحواً ممَّا ذكر إسحاق . انتهى .
[كان يذُ كل المغنين]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني محمد بن المكيّ المرتجل قال : قلت لِرُزْزُورِ الكبير : كيف كان إسحاق يَنفُقُ على الخلفاء معكم وأنْت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخَارِقُ أَطِيبُ أصواتاً وأَحْسَنُ نَغْمَةً ؟ قال : كنَّا والله يا بنيّ نَحْضُرُ معه فنَجْهَدُ في الغناء ونُقيمُ الوَهْجَ¹ فيه ويُقبل علينا الخلفاء² ، حتَّى نطمعَ فيه ونظنُّ أنا قد غلبناه ، فإذا غنى عَمِلَ في غنائه أشياء من مُدَرَّاتِهِ وَحِذْقِهِ ولُطْفِهِ حتَّى يُسْقِطُنَا كُلَّنَا وَيُقْبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزُهُ دوننا ويُصْغِي إليه ، ونرى أنفُسَنَا اضْطَرَّاراً دونهُ .
[أول من أحدث التخنيث في الغناء]

حدثنا جَحْظَةُ قال حدثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدثني أبي قال : كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلَّهم أحسنُ صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلَّا صوته فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطْفِهِ وَحِذْقِهِ ومعرفته حتَّى يغلبهم ويُدْهِمُ جميعاً ويفضِّلهم ويتقدَّمهم . قال : وهو أولُ من أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوته ويشاكله ، فجاء معه عجباً من العَجَبِ ؛ وكان في حَلْقِهِ نَبْؤٌ عن الوتر . أخبرني علي بن يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العنيس بن حَمْدُون : أنَّ إسحاقَ أولُ من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنَّما احتال بحذقه لمُنافرة حَلْقِهِ الوتر ، حتَّى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع .

[كان المغنون يتهاونون في غيته فإذا حضر جدوا]

أخبرنا جَحْظَةُ قال حدثني الهشامي عن أبيه قال : كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاقُ

1 ل : الهزج .

2 ل : الخليفة .

معهم غنوا هويّنا وهم غير مفكرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجِدَّة .
[قصته مع نافذ حاجب جعفر بن يحيى]

أخبرني الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد : رأيت الأمير جعفر بن يحيى يستبطئك ويقول : لست أراه ولا يغشاني ؛ فقلت : إني لآتيه كثيراً فأحجب عنه ويصرفني نافذ حاجبه ويقول : هو على شغل ؛ قال : فبلغه أبي ذلك ؛ فقال له : قل له : إنك أمة إذا فعل ؛ فأقمت أياماً ثم كتبت إليه : [من المتقارب]

جُعِلَتْ فداءك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بيني وبين السلام فلست أسلم إلا اختلاسا
وانفذت أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه ، فذكر مثله وقال : كان خادماً يحجبه يقال له : نافذ ، فقال : إذا حجبك فكّه ؛ فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني ؛ فلما دخلت إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه ، وقال لي : أفعلتها يا عدو الله ! فغضب نافذ حتى كاد ييكى ، وجعل جعفر يضحك ويصفق ؛ ولم يعد بعد ذلك للتعرض لي .
[غضب المأمون عليه وشك أبي الفرج في ذلك]

حدّثني الحسين بن أبي طالب قال حدّثني¹ عبيد الله بن المأمون ، وأخبرنا البيهقي عن عمّه عبيد الله عن أبيه قال : غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كلّم فيه فرضي عنه ودعا به ؛ فلما وقف بين يديه اعتذر وقبل الأرض بين يديه واستقاله ؛ فأجابه المأمون جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه :

فلا أنت أعتبت من زلة ولا أنت بالغت في المعذرة
ولا أنت وليتني أمرها فأغفر ذنبك عن مقبرة

هكذا في الخبر ؛ وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي .

[أنشد أبا الأشعث الأعرابي شعراً له فأعجب به]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدّثنا الحسين بن أبي طالب قال حدّثني إسحاق قال : أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له مخافته ورجاءه ، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شاباً يشتري لاشرتيه لك ولو بإحدى يدي² ، وإن في كبرك لما زان الجليس وسره .

1 ل : حدّثني الحرّمي قال حدّثنا الديناري قال حدّثنا

2 ل : عيني .

[حديث له مع زهراء الكلاية]

أخبرنا الحرّميّ قال حدّثنا الدّيناريّ قال حدّثنا إسحاق قال : قالت لي زهراء الكلاية : ما فعل عبدُ الله بن خُرداذبه ؟ فقلتُ : مات ؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لثيم ، غفر الله لصدّاه ، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزهرّاء : حدّثيني عن قول الشاعر : [من الطويل]
أحبّك أنْ أُخبرْتُ أنّك فاركٌ لزوجك إني موعٌ بالفوارِكِ¹
ما أعجبه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرفته أنّ في نفسها فضلةً من جمال وشمخاً بأنفها وأبهةً ، فأعجبتّه .

[غنى المعتصم وهو لقس النفس فطربه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأُخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الميرد قال حدّثت عن غير واحد : أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيام فرآه لقسّ النفس ، فقال له : أما ترى يا أمير المؤمنين طيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ؟ فقال المعتصمُ : ما يدعوني حُسْنُه إلى شيءٍ ممّا تريد ولا أنشطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه يومٌ أَكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أنشطتْك ؛ قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غلمان ، قدّموا الطعامَ والشرابَ ومُدّوا الستارةَ ، وأحضروا الندماءَ والمغنينَ ؛ فأتني بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماءُ والمغنون ؛ فغناه إسحاق : [من الوافر]

صوت

سُقيت الغيثَ يا قصرَ السلامِ فنعيمُ محلّةُ الملكِ الهمامِ

لقد نشرَ إله عليك نوراً وخصّك بالسّلامة والسلامِ

الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسّبابة في مَجْرَى البنصر عن إسحاق . وذكر حبّش أنّ فيه للزُّبَيْر بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى . قال : فطرب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلّا وصلّه وخلّع عليه وحمله ؛ وفَضَّلَ إسحاقُ في ذلك أجمع .

[أول جائزة نالها من الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّباح عن إسحاق قال : أوّلُ جائزة أخذتها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ إليه فغَنَيْتُه :

عَلِقَ القلبُ بِزَوْعَا

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أَرْطالٍ وأمر لي بألف دينار ؛ فكان أوّلُ جائزة أجازَنيها .

1 لزوجك في ل : لعمرك . والفارك من النساء : هي الكارهة لزوجها .

[أبي القدح من يد غلام قبيح الوجه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال¹ : كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حَضَر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بقدحٍ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ وراه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكذب إليه أبي :

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً يُسَلْسِلُهَا من الشَّمُولِ وَأَتَبِعْهَا بِأَقْداحِ
من كَفِّ رِيَمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ رِيْقَتُهُ بعد الهُجُوعِ كَمِسْكَ أَوْ كُتْفَاحِ
لا أَشْرَبُ الرِّاحَ إِلَّا من يَدَي رَشِي تَقْبِيلُ راحَتِهِ أَشْهَى من الرِّاحِ
فضحك وقال : صدقت والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ ، تامَّةُ الحُسن لطيفةُ الخُصُرِ في زِيٍّ غلامٍ عليها أَقْبِيَّةٌ وَمِنْطَقَةٌ ، فقال لها : تَوَلَّيْ سَقْيَ أَبِي مُحَمَّدٍ ؛ فما زالت تَسْقِيهِ حتى سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلَّ مالها في داره إليه ، فحُمِلَتْ معه .
[مودَّة بينه وبين زهراء الكلابية]

أخبرني عمِّي قال حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصَّبَّاح قال : كانت امرأةٌ من بني كِلاب يُقال لها زَهْراءُ تحدِّثُ إسحاقَ وتناشدهُ ، وكانت تَميلُ إليه ، وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرتهُ بجُمْلٍ ؛ قال : فحدثني إسحاقُ أنها كتبتُ إليه وقد غابت عنه تقول : [من البسيط]

وَجَدِي بِجُمْلٍ على أَنِّي أَجْمَعُهُ وَجَدُ السَّقِيمِ يَبْرؤُ بعد إِذْنافٍ²
أَوْ وَجَدُ تُكَلِّي أَصابِ الموتِ واحداً أَوْ وَجَدُ مُغْتَرِبٍ من بين الأَافِ
قال : فأجبتها :

أَقْرِ السَّلامَ على الزَّهْراءِ إِذْ شَحَطَتْ وَقُلْ لها قد أَذَقْتَ القلبَ ما خافا
أَما رَأَيْتِ لِمَن خَلَفْتَ مَكْتَباً يُذَرِّي مدامعَه سَحاً وتَوَكَّفاً³
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أَفارقه وَجَدِي عليك وقد فارقتُ الأَفاً⁴

[يوم الماوشان]

أخبرني عمِّي قال حدثني عبدُ الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 42 (رقم 62) .

2 أَجْمَعُهُ : أَكْمَهُ وَأَخْفِيهِ .

3 أَمَا رَأَيْتِ في ل : أَمَا أَوَيْتِ . تَوَكَّاف : سِيلَ الدَّمْعِ قَلِيلاً قَلِيلاً .

4 أَفارقه في ل : فجعته به .

أنشدني إسحاق لنفسه : [من الطويل]

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً به كان أجلي عندنا من جنى النحل¹
غداة اجتنيينا اللّهُوَ غَضّاً ولم نُبلّ حجاب أبي نصر ولا غَضَبه الفضل²
غَدَوْنَا صِحاحاً ثم رُحْنَا كأننا أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخبل
فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكتبك
الآيات لما سألتَ عما لا يعنيك ؛ ولم يخبرني .
[كان ابن الأعرابي يعجب به وبشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن
ابن الأعرابي : أنه كان يصف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثني عليه ويذكر أدبه وحِفْظَه وعلمَه
وصدقَه ، ويستحسن قوله : [من الخفيف]

صوت

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ إن عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عني من لا أسمى فعيني كل يوم وجداً عليه تسيلُ
الشعرُ والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى ، قال : وكان إسحاق إذا غناه تفيض دموعه على
لحيته ويكي أحرّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق . وحديث ابن موسى
عن حمّاد أتم ، واللفظ له .
[أول صوت وآخر صوت صنعه]

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدثنا محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق قال :
أول صوت صنعه أبي : [من البسيط]

إني لأكني بأجبال عن أجليها وباسم أودية عن اسم واديها
وآخر صوت صنعه مختاراً : [من مجزوء الخفيف]

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا والطلُولَ البَوَالِيَا
ثم قطع الصنعة حتى أمره الواصل بأن يعارض صنعه في : [من الطويل]
لقد بَخِلْتُ حتى لو أني سألتها

[اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه]

قال حمّاد وحدثني أبي قال : كان المغنون يحسدوني مُذْ كنت غلاماً فلما مات أبي

1 الماوشان : ناحية وقرى في واد بهمدان .

2 غضة في ل : غضب .

صنعت هذا الصوت فهو أول صوت صنعته بعد وفاته وهو : [من المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرْضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

فقالوا للرشيذ : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فقال لي الرشيذ في ذلك ؛ فقلت : هذا ومائة بعده خير منه لهم ؛ فقال : اصنع في شعر الأخطل : [من الطويل]

أَعَاذِلْسِي الْيَوْمَ وَيَحْكَمَا مَهْلَا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا

فصنعت فيه كما أمرني ؛ فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا ، وزال عن قلب الرشيذ ما كان ظنه بي . وقد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيذ قوله : [من الخفيف]

كُنْتُ صَبًّا وَقَلْبِي الْيَوْمَ سَالٍ عَنْ حَبِيبٍ يُسِيءُ فِي كُلِّ حَالٍ

وذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيذ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال : أول ما سمعه الرشيذ من غناء أبي : [من الوافر]

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الْمَغَانِي وَكَيْفَ وَهَنْ مُذْ حَجَجَ ثَمَانِي

بَرِئْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بَلَوَى أَبَانِي

دِيَارٌ لِلَّتِي لَجَلَجْتُ فِيهَا وَلَوْ أَغْرَبْتُ لَجَّ بِهَا لِسَانِي

فَكَأَدَ يَظُلُّ لِلْعَيْنَيْنِ غَرْبٌ بَرَبْعِي دِمْنَةً لَا يَنْطِقَانِي

قال : فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيذ : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له : أنا أذع لهم هذا ومائة صوت بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء به بعد ذلك فأذعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قِفْ نَحْيِ الْمَغَانِيَا وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

وَعَلَى أَهْلِهَا فَنَحْ وَابْلُكُ إِن كُنْتَ بَاكِيَا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاق ثقيلاً أول بالوسطى .

صوت

[من المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرْضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

يَلِين وَتَحَسَبُ آيَاتُهَا — عَنْ عَنْ فَرَطٍ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلًا
الشعر لكعب بن زهير . والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

أَعَاذِلْسِيَّ الْيَوْمَ وَيَحْكَمَا مَهْلًا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي وَلَا تَكْثُرَا الْعَذْلَا
دَعَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي فَإِنِّي سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُودًا وَلَا بُخْلَا
إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الصَّفِيحِ جَنَادِلًا عَلَيَّ وَخَلَفْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلَا
فَلَا أَنَا مُجْتَازٌ إِذَا مَا نَزَلْتُهُ وَلَا أَنَا لَاقٍ مَا ثَوَيْتُ بِهِ أَهْلَا
الشعر للأخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أَوَّلُ بالوسطى .

صوت

[من البسيط]

إِنِّي لَا أَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ أَسْمِ وَادِيهَا
عَمْدًا لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً أُخْرَى وَتَحَسَبُ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا
وَلَا يُغَيِّرُ وَدِّي أَنْ أَهَاجَرَهَا وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَتَوِيهَا
وَلِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعْدَتْ بَوَارِحُ الشُّوقِ تُنْضِيْنِي وَأُنْضِيهَا
الشعر لأعرابي ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بِالْبِنَصْرِ .

[حديثه مع الوراق بشأن الأهزاج]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونٍ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ لِلوَائِقِ يَوْمًا :
الْأَهْزَاجُ مِنْ أَمْلَحِ الْغَنَاءِ ؛ فَقَالَ الْوَائِقُ : إِذَا كَانَتْ مِثْلَ صَوْتِكَ :

[من البسيط]

إِنِّي لَا أَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ أَسْمِ وَادِيهَا
فَهِيَ كَذَلِكَ .

[غنى لطلحة بن طاهر مراراً]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الرَّازِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ : بَعَثَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ طَاهِرٍ وَقَدْ انْصَرَفَ مِنْ وَقْعَةٍ لِلشُّرَاةِ وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ لِي الْغَلَامُ : أَجِبْ ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَعْمَلُ ؟ قَالَ : يَشْرَبُ ؛ فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ قَدْ عَصَبَ ضَرْبَتَهُ وَتَقَلَّسَ بِقَلْنَسُوَةِ مَكِّيَّةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ مَا حَمَلَكَ عَلَى لُبْسِ هَذَا ؟ قَالَ : التَّبَرُّمُ بغيره ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّ :

[من البسيط]

إِنِّي لَا أَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا

قال : فغنيته إياه ، فقال : أحسنت والله ! أعد ! فأعدت وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا أغنيته ؛ فأقبل على خادِم له بالحضرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدار سبعين ألف درهم ؛ قال : تحمّل معه . فلما خرجت من عنده تبني جماعة من الغلمان يسألوني ، فوزعت المال بينهم ؛ فرفع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجه إليّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلاً وتناولت الدواة والقرطاس فقلت :

علمني جودك السّماح فما أبقيت شيئاً لديّ من صلتك
لم أبقي شيئاً إلاّ سمحت به كأنّ لي قدرة كمقدرتك
تُلف في اليوم بالهبات وفي السّاعة ما تجتنيه في ستك
فلست أدري من أين تُنفق لو لا أنّ ربّي يَجزي على صلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرت إليه ودخلت عليه فسلمت ؛ فرفع بصره إليّ وقال : اسقوه رطلاً فسقيته ، وأمر لي بآخر وآخر فشربت ثلاثاً ؛ ثم قال لي : غنّ : [من البسيط]

إنّي لأكني بأجبال عن أجبلها

فغنيته ثم أتبعته بالآيات التي قلتها ، وقد كنت غنيته فيها لحناً في طريقة الصوت ؛ فقال : أدن فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فاستعاد الصوت الذي صنعته فأعدته . فلما فهمه وعرف معنى الشعر قال لخادِم له : أحضِرني فلاناً فأحضره ؛ فقال : كم قبلك من مال الضيّاع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم ؛ فقال : احضِرنيها الساعة ؛ فجيء بشمانين بذرة ؛ فقال للخادِم : جئني بشمانين غلاماً مملوكاً ، فأحضروا ؛ فقال : احملوا هذا المال ؛ ثم قال : يا أبا محمّد ، خذ المال والممالك حتى لا تحتاج أن تُعطي لأحد منهم شيئاً .

[مهاجاته محمّد بن راشد]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمّد بن طالب قال : كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصنّب والحضور لسمره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسني جوارثه ويؤاثر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛ فأصيب إسحاق ببصره قبل موته بستين ، فترك زيارة إسحاق وغيره ممّن كان يغشاهم ولزم بيته . وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قطربل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شيخ بن عَميرة ومحمّد بن راشد الخنّاق والحَرَاني ؛ فجرى ذكر إسحاق الموصليّ ، فتوجّع له إسحاق وذكر أنسه به وتمنّى حضوره ، وذكره القوم فأظنّوا في نشر محاسنه وشيعوا ما ذكره

به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمدّه أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلما انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح : [من الطويل]

ألا قل لموسى الخير موسى بن صالح
ومن لو سألت الناس عنه لأجمعوا
لعمري لئن كان الأمير تمناني
لقد زادني ما كان منه صباة
وما زال ممتناً عليّ يخصني
هو السيد القرم الذي ما يرى له
نمته روابي مضعب وبني له
يعز عليّ أن تفوزوا بقربه
فيا ليت شعري هل أروحن مرة
وهل أرين يوماً غصارة ملكه
وهل أسمعن ذاك المزاح الذي به
إذا قال لي «يا مرء ممي خر» وكرها

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل أشرب النبيذ)

فيا لك من ملهى أتيق ومجلس
وهل يغمزن بي ذو الهنات ابن راشد
وهل أرين موسى الكريم ابن صالح

(يريد الغناء في :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر
إذا صاح بالتجمير ثم أعاده
أولئك إخواني الذين أحبهم
وما منهم إلا كريم مهذب

فأجابه محمد بن راشد :

بعثت بشعر فيه أن رسالة
أتتك لموسى عن جماعة إخوان

[من الطويل]

ولا كليالي النفر أفتن ذا هوى
بته من إعراب صحيح وتبيان
وأوثرهم بالود من بين إخواني
حبيب إلى إخوانه غير خوآن

[من الطويل]

بشوق وذكّر للجميل ولم يكن
ولكن نطقنا بالذي أنت أهله
وموسى كريم لم يحيط بك خبره
ولو قد بلاك قال فيك كقول من
ولم يعرفه شوق إليك ولم يجد
حمدت الندامى كلهم غير إنسان
فلا تعتب الإخوان من بعدها فما

قال : فأجابه إسحاق :

[من الطويل]

عجبت لمخدول تعرض جانباً
أتانا بشعر قاله مثل وجهه
فجاء بالفاظ ضعافٍ سخيفة
دعوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه
فإنكم والشعر إذ تدعونه
صه لا تعودوا للجواب فإنما
أنا الأسد الورد الذي لا يقله
ومن قد أردتم جاهدين سقاطه
لعمري لئن قاتم بما أنا أهله
وجحدكم إياي ما تعلمونه
ألا يزجر الجهال عنا أميرنا
ولا سيما من بان للناس شره

[محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال : قال لي
محمد بن عمر² الجرجاني وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً
تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غرة في زمانه ، وواحداً في دهره علماً وفقهاً وأدباً

1 خفان : موضع كان مأسدة .

2 ل : عمران .

ووقاراً ووفاء وجودة رأي وصحة مودة . كان والله يُخْرِسُ الناطقَ إذا نطق ، ويُحَيِّرُ السامعَ إذا تحدّث ، لا يَمَلُّ جليسه مَجْلِسَه ، ولا تَمُجُّ الآذانُ حديثه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك أهلك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غناك أطربك . وما كنت ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلّم فيه إسحاقُ فيُقدِّمُ أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

[أمره المأمون أن يغني في شعره مكتوباً في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلبيّ قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : أمر المأمون يوماً بالفَرَشَ الصَّيفيّ أن يُخْرَجَ ؛ فأخرج فيما أُخرج منه بِساطاً طَبْرِيّ أو أَصْبَهِيّذاني ، مكتوب في حواشيه :

صوت

لَجَّ بالعين واكفُ مِنْ هَوَى لا يُسَاعِفُ
كلّما جَفَّ دمعُه هيجته المعارِفُ
إنّما الموتُ أن تَفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ آلفُ
لك حَبَان في الفؤا دِ تليد وطارفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّلَ به ؛ فصنع فيها الهَزَجَ الذي يُغْنَى به اليوم . قال أحمد : وسمعتها أبيّ منه فقال : لو كان هذا الهَزَجَ لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن . يريد أن حكماً كان صاحب الأهازج .

[اعجاب يحيى المكيّ به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمّد قال حدّثني ابن المكيّ قال : تذاكرنا يوماً عند أبيّ صنعة إسحاق ، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغناهُ إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين :

صوت

الطُّلُول الدَّوَارِسُ فارقتها الأوائسُ
أوحشت بعد أهلها فهي قَفَرٌ بَسَائِسُ

الغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر . قال : فقال أبيّ : لو لم يكن من بدائع إسحاق غيرُ هذا لكفى ، «الطُّلُول الدَّوَارِس» كلمتان ، و«فارقتها الأوائس» كلمتان ، وقد غنى فيهما استهلاً وبسيطاً وصاح وسجّ ورجّع النغمة واستوفى ذلك كلّهُ في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربه . ثم قال : إسحاق والله في زماننا فوق ابن سُرَيْج والغريّض ومعبّد ، ولو عاشوا حتى يروّه لعرفوا فضله واعترفوا له به . وأخبرني عمّي

عن يزيد بن محمد المهلبى : أنه كان عند الواثق فغنته شجاً هذا الصوت ؛ فقال الواثق مثل هذا القول . والمذكور أن ابن المكى قاله ؛ فلا أدري أهذا وهم من يزيد ، أو اتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، أو اتفقت عليه قريحتاهما .
[أعجب هو والزبير بن دحان بغناء خباز]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال : أرسل إليّ الفضل بن الربيع يوماً وإلى الزبير بن دحمان ، فوافق مجيئنا شغلاً كان له ، فصرنا إلى بعض حجره ، فنعست فبنت فإذا زبير يحركني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشووق يُغني : [من الهزج]

صوت

بديّر القائم الأقصى غزالٌ شَفَنِي أُحْوَى
بَرَى حَبِّي لَهُ جَسْمِي وما يَدْرِي بِمَا أَلْقَى
وأخفي حَبَّهُ جُهْدِي ولا والله ما يَخْفَى

الشعر والغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ بالنصر . قال : فقال لي الزبير : تَضَنّ بهذا وانظر مَنْ يبتذله ؛ ! فقلت : لا أَضَنّ بغناء بعد هذا .

[المأمون يستحسن أصواتاً من مغنّين دون إسحاق]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيّب السرخسي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد : كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعُلوّيه ومُخارق وعمرو بن بانة ؛ فغنى مخارق في الثقل الأول :

صوت

أَعَاذُلْ لا آلوكِ إلّا خَلِيقَتِي فلا تَجْعَلِي فوقِي لسانَكَ مِبْرَدَا
ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبّاً ولا يَكُنْ ليَ الْمَالُ رَبّاً تَحْمَلِدِي غِيّهَ غَدَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وَقَايَةً يَقي الْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَبْتَدَا
ألم تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي وَعَزَّ الْقِرَى أَقْرَى السَّدِيفِ الْمُسْرَهْدَا¹

فقال له المأمون : لَمَن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهزبر الجالس (يعني إسحاق) ؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأعدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعادَه فأجاده ، وشرب المأمون عليه رطلاً ؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنّ هذا الصوت ؛ فغناه فلم

1 السديف : السنام ، والمسرهّد : المقطع أو السمين .

يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدور إلى علويه ، فقال له : غنّ فغنى في
الثقل الأول أيضاً :

صوت

أَرَيْتُ الْيَوْمَ نَارَكَ لَمْ أَغْمَضْ¹ بَوَاقِصَةٍ وَمَشْرُبْنَا بَرُودُ²
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ مَوْقِدِهَا وَلَكِنْ لِأَيَّةِ نَظَرَةٍ زَهَرَ الْوَقُودُ³
فَبِتُّ بَلِيلَةً لَا نَوْمَ فِيهَا أَكَابِدُهَا وَأَصْحَابِي رُقُودُ⁴
كَأَنَّ نَجْوَمَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ وَأُمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَرِيدُ⁵

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعلويه :
أعده فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق : غنّه فغنّاه فلم يطرب له طربه لعلويه .
فالتفت إلى إسحاق ثم قال لي : أيها الأمير ، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس لجاج² وجدال
لأعلمته أنه طرب على خطأ ، وأن الذي استحسنه إنما هو تزايد³ منهما³ يُفسد قسمة³ اللحن
وتجزئته ، وأن الصوت ما غنيته لا ما زادا . ثم أقبل عليهما فقال : يا مختنان ، قد علمت أنكما
لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما
كان ما رأيته من طربي لهما إلا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .
[غناؤه للمعتصم بعد رحلة صيد]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك
الخزاعي قال حدثني إسحاق قال : دخلت يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه
ظباء مذبحه⁴ وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛
فجلست وغنيته :

صوت

اشتهينَا في ربيعِ مرّةٍ زَهَمَ الْوَحْشُ عَلَى لَحْمِ الْإِبِلِ⁵
فَغَدَوْنَا بِطُؤَالٍ هَيْكَلٍ كَعَسِيبِ النَّخْلِ مِيَادَ خَضِيلِ⁶

1 واقصة منزل بطريق مكة ، والبرود : البارد . ومشرنا برود في ل : ومشرقنا زرود .

2 ل : حجاج .

3 تزايد وتزيد : تكلف زيادة لا داعي لها .

4 ل : مذبوحه .

5 زهم : شحم الوحش دون أن تكون فيه زهومة أي كراهة ربح .

6 هيكَل : الضخم من الحيوان .

الشعر يقال : إنه لأعشى همدان ، والغناء لأحمد النَّصْبِيَّ خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ؟ فغنيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

ليس الفتى فيهم إذا شرب الشراب مؤثبا
لكن يروح مُرَّحاً حسن الثياب مطبياً
يسقونه صِرْفاً على لحم الظباء مَضْهَباً¹

فقال : هذا أشبه ، وشرب . ثم غنيته شعر وَضَّاح اليمين ، قال : والغناء لابن مُحَرِّزٍ ثقيلٌ² أول² :

صوت

أبى القلبُ اليمانيّ الـ لذي تُحَمَّدُ أخلاقه
ويَرْفُضُ له اللحنُ فما تُفْتَقُ أرثاقه
غزالٌ أدعجُ العين ريبُ خدلجٍ ساقه³
رماني فسي قلبي وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال : هذا والله أحسن صيد والله ، وشرب عليه بقية يومه وخلع عليّ وأمر لي بجائزة . هكذا ذُكر في هذا الخبر أن الثقل الأول لابن مُحَرِّزٍ وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانه أن الثقل الأول بالبنصر لابن طنبورة ، وأن لحن ابن مُحَرِّزٍ خفيفٌ ثقيلٌ .

[دقته في الوصف]

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي قال : قال لي إسحاق يوماً في عرض حديثه : دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميصٌ ديبقي⁴ كأنما قد من جرم الزهرة⁵ ؛ فضجكت ؛ فقال : ما أضحكك . فقلت : من مبالغتك في الوصف ، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدثاً قط ولا واصفاً أبْلَغَ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

[نبرمه بالغناء وبالتسمية به]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال :

1 لحم مذهب : مقطّع .

2 ديوان وضّاح اليمين (صادر) : 69 عن الأغاني .

3 خدلج في ل : مجدل . والخلج : المتلى .

4 الديبقي : المنسوب إلى ديبق وهي بلدة كانت بمصر .

5 الزهرة : ثاني الكواكب السيارة في القرب من الشمس .

قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أَنْ كُلَّ يَوْمٍ قِيلَ لِي : غَنَّ أَوْ قِيلَ لِي عِنْدَ ذِكْرِي : الْمَغْنَى ، ضَرْبُ رَأْسِي خَمْسَةَ عَشَرَ سَوْطاً ، لَا أَقْوَى عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا ، وَلَمْ يُقَلِّ لِي ذَلِكَ .

[صنع لحناً على لحن أذان سمعه]

أخبرنا يحيى قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ قَالَ : صَنَعَ أَبِي لَحْنَهُ فِي : «تَشَكُّي الْكُمَيْتِ الْجَرِيِّ» عَلَى لَحْنِ أَذَانِ سَمِعَهُ .

[كثرة حفظه لأهراج القدماء]

أخبرنا يحيى قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ قَالَ : تَذَاكَرْنَا¹ يَوْمًا الْهَزَجَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ : مَا أَقَلُّهُ فِي الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ؛ فَقَالَ إِسْحَاقُ : مَا أَكْثَرُهُ فِيهِ ! ثُمَّ غَنَاهُمْ ثَلَاثِينَ هَزَجًا فِي إِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ وَمَجْرَى وَاحِدٍ ، مَا عَرَفُوا جَمِيعاً مِنْهَا إِلَّا نَحْوَ سَبْعَةِ أَصْوَاتٍ .

[تقدير زرزور لقدرته في الغناء]

حَدَّثَنِي يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي قَالَ حَدَّثَنِي عَافِيَةُ بْنُ شَيْبٍ قَالَ : قُلْتُ لِرُزْزُورٍ : مَا لَكُمْ تَذِلُّونَ لِإِسْحَاقَ هَذَا الذِّلَّ ، وَمَا فِيكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ أَطْيَبُ صَوْتًا مِنْهُ ، وَهِيَ فِي صِنَائِعِكُمْ وَصْمَةٌ ! فَقَالَ لِي : لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْنَا مَعَهُ لِرَحِمَتِنَا وَرَأَيْنَا نَذُوبَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ فِي النَّارِ ! .

[غضب عليه الفضل بن الربيع فرفضه وحاجبه]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : لَاعَبْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ بِالنَّزْدِ ، فَوَقَعَ بَيْنَنَا خِلَافٌ ، فَحَلَفَ وَحَلَفْتُ ، فَغَضِبَ عَلَيَّ وَهَجَرَنِي ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

يقول أناسٌ شامتون وقد رأوا مُقَامِي وَغِبَابِي الرَّوَاحَ إِلَى الْفَضْلِ
لقد كان هذا خُصًّا بِالْفَضْلِ مَرَّةً فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْيَوْمَ مُنْصَرِّمَ الْحَبْلِ
ولو كان لي في ذاك ذَنْبٌ عَلِمْتَهُ لَقَطَّعْتُ نَفْسِي بِالْمَلَامَةِ وَالْعَذْلِ

وَعَرَضْتُ الْأَبْيَاتَ عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَقَالَ : أَشَدُّ مِنْ ذَنْبِكَ أَنْتَ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ ذَنْبًا ؛ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَذْبَنُكَ أَدَبَ الرَّجُلِ وَلَدَهُ ، وَأَنْ حَسَنَكَ وَقِيحَكَ مِضافان إليَّ لِأَنْكَرْتَنِي ؛ فَأَصْلِحِ الْآنَ قَلْبَ عَوْنٍ ، وَكَانَ يَحْجُبُهُ ، فَخَاطَبْتُهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَنِي بِمَا كَرِهْتُ ؛ فَقُلْتُ : أَتَدْخُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ ! ؛ وَكَانَ عَوْنٌ يُرْمَى بِالْأُبْنَةِ فَقُلْتُ فِيهِ : [من الطويل]

وذاكر أمرٍ ضاقَ ذرعاً بِذِكْرِهِ وَنَاسٍ لَدَاءٍ مِنْهُ مُتَسِّعِ الْخَرْقِ

قَالَ : ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِي رِضَى الْفَضْلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى عَوْنٌ ، فَقُلْتُ فِيهِ : [من الخفيف]

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلك عَوْنُ أَنْتَ لي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنَّ رَضِيَ الْفَضْ لُ غَلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ يَرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون ! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : « غلام يرضيك » ؟ هذا تعريض بك ؛ قال : فكيف أصنع به مع محله عند الأمير ! .
[شكا إليه المأمون أصحابه]

أخبرني الصُّوليُّ قال حدثني عَوْنُ عن إِسْحَاقَ ، وأخبرني بعضُ الخبرِ إِسْمَاعِيلُ بنُ يُونُسَ عن عمر بن شُبَّةَ عن إِسْحَاقَ ، ولفظُ الخبرِ وسياقته للصُّوليِّ ، قال : استدانني المأمون يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِرَاشٍ حتى صارت ركبتني على الفراش ، ثم قال لي : يا إِسْحَاقُ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَصْحَابِي : فَعَلْتُ بِفُلَانٍ كَذَا ففعل كَذَا ، وفعلتُ بِفُلَانٍ كَذَا ففعل كَذَا ؛ حتى عدَّدَ جماعةً من خواصه ؛ فقلت له : أَنْتَ يا سَيِّدِي بتفضُّلك عليَّ وحسنِ رَأْيِكَ فِي ظَنَنْتَ أَنَّي مِمَّنْ يُشَاوِرُ فِي مِثْلِ هَذَا ، فجاوزتَ بي حَدِّي ، وهذا رَأْيِي يَجِلُّ عَنِّي وَلَا يُلْغُهُ قَدْرِي ؛ فقال : وَلِمَ وَأَنْتَ عِنْدِي عَالِمٌ عَاقِلٌ نَاصِحٌ ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سَيِّدِي عَلِمْتَنِي أَلَّا أَقُولَ إِلَّا مَا أَعْرِفُ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَا أَتَالُ ؛ فَضَحِكَ وَقَالَ : قَدْ بَلَغْنِي أَنَّكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ صَنَعْتَ لَحْنًا فِي شَعْرِ الرَّاعِي وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْكَ ؛ فقلتُ : يا سَيِّدِي ، مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا جَوَارِيَّ ، وَلَا حَضَرْتُ عِنْدَكَ لِلشَّرْبِ مِنْذُ صَنَعْتُهُ ؛ فقال : غَنِّهِ ؛ فقلتُ : الْهَيْيَةُ وَالصَّخَوُ يَمْنَعَانِي أَنْ أُؤَدِّيَهُ كَمَا تَرِيدُ ، فَلَوْ أَنَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ يُطْرِبُهُ وَيَقْوِي بِهِ طَبْعَهُ كَانَ أَجُودَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغَدَاءِ فَتَغَدَّيْنَا ، وَمُدَّتِ السَّتَارَةُ فغَنِّي مِنْ وراثتها وشربنا أقداحاً ؛ فقال : يا إِسْحَاقُ ، أَمَا جَاءَ أَوَانُ ذَلِكَ الصَّوْتِ ؟ فقلتُ : بَلَى يا سَيِّدِي ، وَغَنَيْتُهُ لَحْنِي فِي شَعْرِ الرَّاعِي ¹ : [من الوافر]

صوت

أَلَمْ تَسْأَلْ بِعَارِمَةِ الدِّيارِ عَنِ الْحَيِّ الْمَفَارِقِ أَيْنَ صَارَ ²
بَلَى سَاءَ لَهَا فَأَبَتْ جَوَاباً وَكَيْفَ تُسْأَلُ الدَّمَنَ الْقِفَارَا

لَحْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهُ وَمَا زَالَ يَشْرِبُ عَلَيْهِ سَائِرَ يَوْمِهِ ، وَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، لَا طَلَبَ بَعْدَ وَجُودِ الْبُغْيَةِ ، مَا أَشْرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا عَلَى هَذَا الصَّوْتِ ؛ ثُمَّ وَصَلَنِي وَخَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ .

1 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : القصيدة رقم 70 وهي فيه 59 بيتاً والبيت الأول هنا أولها والثاني هو الثامن والخمسون .

2 عارمة : موضع بنجد . صارا : الديوان : سارا .

[مدح أعرابية له]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن مُحَمَّد قال حدَّثني إسحاق قال¹ : كانت أعرابية تقدَّم عليَّ من البادية فأُفْضِلَ عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كلِّ ناطق لكأنَّكَ في عِلْمِكَ وُلِدْتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أُرِيتني نجداً بفصاحتك ، وأحللتني الرِّيحَ بسماحتك ؛ فلا اطَّردَ لي قولٌ إلَّا شكرتك ، ولا نَسَمْتُ لي رَجحٌ إلَّا ذكرك .

[أُخِلَّ أبا المجيب الربيعي صداقاً وداعبه بشعر]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن مُحَمَّد قال حدَّثني المغيرة بن مُحَمَّد المهلبي عن إسحاق قال : كان أبو المجيب الربيعي فصيحاً عالماً ، فقال لي : يا أبا مُحَمَّد ، قد عَزَمْتُ على التَّزَوُّجِ فَأَعِنِّي وَقَوِّنِي ؛ قال : فَأَعْطَيْتُهُ دنانيرَ وثياباً . فغاب عني أياماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مُجِيب ، هاهنا آيات فاسمعهما ؛ فقال : هاتهما ؛ فقلت :

يا لَيْتَ شعري عن أبي مُجِيبٍ إذ بات في مَجاسيدٍ وطيبٍ
معانقاً للرَّشَاءِ الرَّبِيبِ أَلْحَمْدُ المِحْفَارُ في القَلِيبِ²
أَمْ كان رِخْواً ذابلَ القُضيبِ

قال : فقال لي : الأخيرُ والله يا أبا مُحَمَّد .

[عتاب صديق]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عون بن مُحَمَّد قال حدَّثني إسحاق قال : كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتدَمَّمتُ أن أجوزَه ولا أدخلُ إليه ، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقرطاس وكتبتُ إليه :

رجعنا بالصفاء إلى الخليل فليس إلى التَّهَجُّرِ من سبيل
عتابٌ في مُراجعةٍ وصفحٍ أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميل

قال : ووجهتُ بالرُّقعة وقصدتُ بابَه ، فخرج إليَّ حتى تلقَّاني ، ورجعنا إلى ما كنَّا عليه .

[بُتَّ صدق روايته الأخبار]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عبد الله بن المعتز عن الهشامي قال : كان أهلنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره ، بأن يُجلسوا كاتبين فهِمَتَيْنِ خَلْفَ السُّتَّارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبطانه ، ثم يتركونه مدَّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك

1 انظر التذكرة الحمدونية 4 : 49 .

2 أحمد : أتى بما يحمده . القليب : البئر .

المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأها من دفتر ؛ فعلموا حينئذٍ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلا الحق .
[غنى علويه لحناً لأبيه فخطأه في مجلس المأمون]

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن مزيد المهلب قال حدثني أبي عن إسحاق قال : كنا عند المأمون ، فغناه علويه :

صوت

لَعْبَدَةَ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ تُلُوحُ مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أُسْطَارُ
أَسَائِلُ أَحْجَارٍ وَنُوبًا مُهَدَّمَا وَكَيْفَ يَرُدُّ الْقَوْلَ نَوِيٍّ وَأَحْجَارُ

الشعر لبشار ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، قال : فقال المأمون : لِمَن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه علويه ؛ قال : فغناه أنت فغنيته ، فاستعادني مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثّل قول جرير : [من البسيط]

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ¹

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم . ووجدتُ هذا الخبر بخط أبي العباس ابن ثوبة ، فكان فيه : حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العباس الرّبيعي قال : اجتمعنا بين يدي المعتصم ، فغنى علويه :

لَعْبَدَةَ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ

فقال له إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا ؛ فقال علويه : أم من أخذناه عنه هكذا زانية ؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه ؛ وكان علويه أخذه من إبراهيم .
[حواره مع علويه]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني أبو العنيس بن حَمْدُون عن أبيه عن جدّه قال : كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغني إلا الخليفة أو وليّ عهده أو رجلاً من الطاهريّة مثلاً إسحاق بن إبراهيم وطبقته ؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم ، فاشتهدى الواثق أن يُضْرَبَ² بين مخارق وعلويه وإسحاق حاضر ، ففعل حتى تهاترا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أما مخارق فمُنَادٍ طَيِّبُ الصوت ؛ وأما علويه فهو خير

1 ابن اللبون : ولد الناقبة في عامه الثاني . لزّ : شدّ . القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي انشقّ نابه ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم الشديد .

2 التضريب : الاغراء .

حِمَارِي الْعِبَادِي¹ ، وهو على كُلِّ حال شَيْءٌ (يريد تصغيره) ؛ فَوَثَبَ عَلَيْهِ مُغَضَّباً ، ثُمَّ قَالَ لِلوَائِقِ : جَوَارِيهِ حَرَائِرُ وَنَسَاؤُهُ طَوَالِقُ ، لَعَنَ لَمْ تَسْتَحْلِفْهُ بِحَيَاتِكَ وَحَقِّ أَبِيكَ ، أَنْ يَصْدُقَ عَمَّا أَسْأَلُهُ عَنْهُ ، لِأَتُوبَنَّ عَنِ الْغِنَاءِ مَا عِشْتُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ : لَا تُعَرِّدْ يَا عَلِيَّ ، نَحْنُ نَفْعَلُ مَا سَأَلْتَ ؛ ثُمَّ حَلَفَ إِسْحَاقُ أَنْ يَصْدُقَ فَحَلَفَ ؛ فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ الْيَوْمَ صَنَعْتَ بِعَدِّكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ . قَالَ : فَمَنْ أَضْرَبُ النَّاسِ بَعْدَ ثَقِيفٍ ؟ قَالَ : أَنْتَ . قَالَ : فَمَنْ أَطِيبُ النَّاسِ صَوْتاً بَعْدَ مُخَارِقٍ ؟ قَالَ : أَنْتَ . قَالَ عَلَيْهِ لِإِسْحَاقَ : أَهَذَا قَوْلُكَ فِيَّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مُصَلِّيٌ² كُلِّ سَابِقٍ فَاضِلٍ ، وَأَنِّي ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَنْتَ أَحَدُهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُمْ وَلَا يَكُونُ ؟ فَمَا أَنْتَ وَغَنَاؤُكَ الَّذِي لَا يُسْمَعُ انْخِفَاضاً ؛ فَغَضِبَ إِسْحَاقُ ، وَاتَّهَرُ الْوَائِقُ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَخَذَ إِسْحَاقُ عَوْداً فَنَقَلَ مِثْنَاهُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَيْمِ ، وَزِيرَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْمِثْلِثِ ، وَجَعَلَ الْبَيْمَ وَالْمِثْلِثَ مَكَانَ الزَّرِيرِ وَالْمِثْنَى ، وَضَرَبَ وَقَالَ : لِيَغْنَنَّ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ ؛ فَغَنَّى مُخَارِقُ عَلَيْهِ :

تَقَطَّعَ مِنْ ظِلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخيراً عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطَّعُ

وَضَرَبَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ فَلَمْ يَبَيِّنْ فِي الْأَوْتَارِ خِلَافَ وَلَا فُتَيْدَ مِنَ الْإِيْقَاعِ شَيْءٍ وَلَا بَانَ فِيهِ اخْتِلَالٌ ؛ فَعَظُمَ عَجَبُ الْوَائِقِ مِنْ فَعْلِهِ ؛ وَقَامَ إِسْحَاقُ فَرَقَصَ طَرِباً ، فَكَانَ وَاللَّهِ أَحْسَنَ رَقْصاً مِنْ كُبَيْشٍ وَعَبْدِ السَّلَامِ ، وَكَانَا مِنْ أَرْقَصِ النَّاسِ ، فَقَالَ الْوَائِقُ : لَا يَكْمُلُ أَحَدٌ أَبَداً فِي صِنَاعَتِهِ كَمِثْلِ كَالِ إِسْحَاقِ .

[عبد الله بن طاهر يمدحه]

حَدَّثَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يُلَاعِبُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ وَهْبٍ بِالْشُّطْرُنَجِ ، فَغَلَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ بَأَنِّ أَكَايِدِهِ ؛ فَقُلْتُ :

قَدْ ذَهَبَتْ مِنْكَ أَبَا إِسْحَاقٍ مِثْلَ ذَهَابِ الشَّهْرِ بِالْمِحَاقِ³

فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ فُضَائِلَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَتَكْثُرُ عِنْدَنَا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي إِيْلِهِ : [مِنْ الرَّجَزِ]

1 المثل : كحماري العبادي ، سئل عبادي : أي حماريك شر ، فقال هذا ثم هذا أو قال هذا هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر (مجمع الميداني 2 : 161 وجمهرة العسكري 2 : 151 ومستقصى الزمخشري 2 : 215) .

2 المصلي : الذي يلي السابق من الخيل .

3 المحاق : آخر الشهر .

إذا أتاهما طالبٌ يَسْتَأْمُها تكاثرتُ في عينِهِ كِرَامُها

[صنع لحناً في بيتين وغناه الوائق]

أخبرني محمد بن خلف بن الرزبان قال ذكر علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال :
أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌ ، فاستحسنتهما ، وصنعتُ فيهما لحناً
غنيته الوائق ؛ فاستعاده حتى أخذه ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما : [من الطويل]

عسى الله يا ظمياء أن يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت
ثراء فتحتاجي إلي فتعلمي بأنني قد أجزيك حين غنيت

[يضرب بعود مشوش الأوتار]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن مروان قال قال لي
يحيى بن معاذ : كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان ، وإذا التقيا عند
خليفة¹ تكاشحا أقبح تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إن
إبراهيم يثلبك ويغض منك ويقول : إنك تقول : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ويتضحك منك ؛
فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ
أبي وتخريجه وتخريجي ؟ ولكن قلت : إن مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد ، فيتزايد
فيه تزايداً لا يبغي عليه ويتغير في كل حال ، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً لمن يأخذ عنه ،
لقلة ثباته على شيء واحد . ولكني أفعل الساعة فعلاً إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فلست أحسن
شيئاً ؛ وإلا فلا ينبغي له أن يدعي ما ليس يحسنه . ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره ، ثم قال
لإبراهيم : غن على هذا أو يغني غيرك وتضرب عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعت ،
فما عندك ؟ قال : ليفعله هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غن حتى أضرب عليك فأبى ؛
فقال لزرزور : غن فغنى وإسحاق يضرب عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود
مشوش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوشه وجعل كل وتر منه في الشدة واللين على مقدار العود
المشوش الأول حتى استوفى² ؛ ثم قال لزرزور : خذ أحدهما فأخذه ، ثم قال : انظر إلى يدي
واعمل كما أعمل واضرب ففعل ؛ وجعل إسحاق يغني ويضرب وزرزور ينظر إليه ويفعل كما
يفعل ؛ فما ظن أحد أن في العودين شيئاً من الفساد لصحة نغمهما جميعاً إلى أن فرغ من
الصوت . ثم قال إبراهيم : خذ الآن أحد العودين ، فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف

1 ل : الخليفة تكاشفا أقبح تكاشف .

2 ل : استويا .

شئتَ إن كنتَ تحسِن شيئاً ؛ فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أَرَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ؟ قال : لا ، والله ما رَأَيْتُ وَلَا ظَنَنْتُ أَنَّ مِثْلَهُ يَكُونُ .

[أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر]

حدَّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثني عمِّي الفضل قال : دعاني إسحاقُ يوماً ، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبير بن دَحْمَان وعَلَوِيه وحسين بن الضحَّاك ، فمرَّ لنا أحسنُ يوم ؛ فالتفتُ إليَّ إسحاقُ ثم قال : يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر :

أنتَ والله من الأيامِ لَدُنَّ الطَّرْفَيْنِ
كلُّما قَلْبْتُ عينيَّ ففي قُرَّةٍ عَيْنِ

[غناء عند الواثق]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إِنِّي أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ قَرِماً¹ إِلَى غَنَائِكَ فغَنِّني ، فغَنَيْتُهُ : [من البسيط]

من الطِّبَاءِ ظِلَاءُ هُمُّهَا السُّخْبُ² ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشْبُ²
لا يَغْتَرِبْنَ وَلَا يَسْكُنَنَّ بَادِيَةً وليس يَذْرِبْنَ مَا ضَرَعُ وَلَا حَلْبُ
إِذَا يَدٌ سَرَقَتْ فَالْقَطْعُ يُلْزِمُهَا والقطع في سَرَقٍ بِالْعَيْنِ لَا يَجِبُ

قال : فشرب عليه بقيَّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليَّ خِلْعَةً من ثِيابه .

[خرج مع الواثق إلى الصالحية فحنَّ إلى بغداد]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ مع الواثق إلى الصالحية وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ ؛ فقال لي : بحياتي أَذْكَرْتَ بَغْدَادَ فَبَكَيْتَ شَوْقاً إِلَيْهَا ؟ فقلتُ : نعم ، وغَنَيْتُهُ : [من الطويل]

صوت

وما زلتُ أبكي في الديار وإنما بكائي على الأحباب ليس على الدَّارِ

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفني .

وأخبرني محمد بن مَزِيد بهذا الخبر عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدَّثني به عليُّ بن هارون عن عمِّه عن حَمَّاد عن أبيه وخبره أتم ، قال : ما وَصَلَنِي أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَطُّ بِمِثْلِ مَا وَصَلَنِي بِهِ الْوَاقِثُ . ولقد انحدرتُ معه إلى النَّجَف ، فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في

1 القرم : شدَّة الشهوة إلى اللحم . ويقال : قرمت إلى لقاءك : تشهيت لقاءك .

2 السخب : جمع سخاب وهو القلادة من الزهر أو الجواهر .

النجف قصيدة ؛ فقال : هاتيها ؛ فأنشدته¹ : [من البسيط]

يا راكبَ العيسِ لا تعجلْ بنا وقفِ
نحْيَ داراً لسعدى ثم ننصرفِ
حتى أتيتُ على قولي :

لم ينزلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ
أصفى هواءٍ ولا أعذى من النجفِ²
حُفَّتْ بئرٌ وبُخِرَ من جوانبها
فالبرُّ في طَرْفِ والبحر في طَرْفِ
وما يزالُ نسيماً من يمانيةٍ
يأتيك منها برياً روضةً أنفِ³

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أنشدته حتى أتيتُ على قولي في

مدحه :

لا يحسبُ الجودَ يُفني ماله أبداً
ولا يرى بذلَ ما يحوي من السرفِ
ومضيت فيها حتى أتممتها ؛ فطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ، وكناني يومئذٍ ،
وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نؤاس :

بالصالحية من أكنافِ كلواذٍ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت : [من الطويل]

أتبكي على بغدادَ وهي قريةٌ
فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُغداً
لعمركُ ما فارقتُ بغدادَ عن قلى
لَوْ أَنَا وَجَدْنَا عَنْ فِرَاقٍ لَهَا بُداً
إذا ذكرتُ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتُ
من الشوقِ أو كادت تموت بها وَجداً
كفى حَزناً أَنْ رُحْتُ لَمْ أُسْتَطعْ لها
وداعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهداً

قال : فقال لي : يا موصلي ، أشتقتَ إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن
من أجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأنشدته : [من الوافر]

حَنَنْتُ إِلَى الْأَصْصِيَّةِ الصُّغَارِ
وشاقتُ منهم قُربُ المزارِ
وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً
إذا دَنَّتِ الدَّيَارُ مِنَ الدَّيَارِ⁴

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغداد فأقيم مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك
بمائة ألف درهم .

1 يتكرّر هذا الخبر والشعر في ترجمة الواثق فيما بعد ، وكذلك كثير من أخباره مع الواثق .

2 أعذى : أطيب هواء .

3 الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

4 وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً في ترجمة الواثق : « وكلّ مفارق يزداد شوقاً » .

[صنع لنا أحسن من نحن الوائق]

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرني أبي قال : لما صنع الوائق لحنه في : [من الطويل]

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتَى أَقْدَنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتْ

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَائِي التَّرَابِ لَضَنَّتْ

أعجب به إعجاباً شديداً ؛ فوجه بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يغني فيه ؛ فصنع فيه
لحنه الثقيل الأول ، وهو من أحسن صنعة إسحاق ؛ فلما سمعه الوائق عجب منه وصغر لحنه في
عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال
علي بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضر مجلس الوائق أعلم منه بهذا الشأن :

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الطويل]

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتَى أَقْدَنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتْ

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَائِي التَّرَابِ لَضَنَّتْ

الشعر لأعرابي ، والغناء للوائق ثاني ثقيل في مجرى البصر . وفيه لمخارق رمل ،
ولعريب رمل . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير ، وهو خطأ من قائله .
أنشدني هذه الأبيات عمي قال : أنشدني هارون بن علي بن يحيى ، وأنشدنيها علي بن
هارون عن أبيه عن جده عن إسحاق أنه أنشده لأعرابي فقال¹ :

[من الطويل]

صوت

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْغَصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتْ

تَغَنَّتْ بِصَوْتٍ أَعْجَمِيٌّ فَهَيَّجَتْ مِنْ الشُّوقِ مَا كَانَتْ ضُلُوعِي أُجِنَّتْ

غنى في هذين البيتين عمرو بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى . [من الطويل]

فَلَوْ قَطَرْتُ عَيْنُ امْرِئٍ مِنْ صَبَابَةٍ دُمًّا قَطَرْتُ عَيْنِي دُمًّا فَأَلَمَّتْ

فَمَا سَكَنْتُ حَتَّى أُؤَيِّتُ لَصَوْتِهَا وَقَلْتُ تُرَى هَذَا الْحَمَامَةُ جُنَّتْ²

1 قارن بديوان مجنون ليلي (فراج) : 85-87 وفيه تخريج كثير . وسترده هذه الأبيات في ترجمة الوائق فيما بعد
منسوبة لأعرابي برواية محمد بن العباس اليزيدي عن ثعلب . وقد وردت في التذكرة الحمدونية 6 : 57 (رقم
146) منسوبة لأعرابي .

2 ترى في ل : أرى .

ولي زَفَرَاتُ لو يَدُمْنَ قَتَلَنِي
 إذا قلت هذي زَفَرَةُ اليوم قد مضتُ
 فيا مُحْيِي المَوْتِ أَقِدْنِي من التي
 لقد بَخِلْتُ حتى لو أَنِّي سَأَلْتُهَا
 فقلتُ ارحَلَا يا صاحبي فليتنى
 حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ
 وما وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَذَفْتُ بها
 إذا ذكرتُ ماءَ العِضَاهِ وطِيبِهِ
 بأكثَرِ مِنِّي لوعةً غيرَ أَنَّنِي
 وأما لحن إسحاق فإنه غنى في :

[من الطويل]

لقد بَخِلْتُ حتى لو أَنِّي سَأَلْتُهَا

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو :

[من الطويل]

فإن بَخِلْتُ فالِخُلْ منها سَجِيَّةً وإن بَذَلْتُ أعطت قليلاً وأكذبتُ
 قال : ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى .

[غضب الوراق على مخارق]

أخبرني الحسن بن عليٍّ ومحمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب ، وحدثني به
 عمِّي عن أبي جعفر بن دِهْقَانَ النَّدِيمِ عن أبيه قالاً : كان الوراق إذا صنع صوتاً³ قال لإسحاق :
 هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه ، فكان ربّما أصلح فيه الشيء بعد الشيء . فكاده مخارق عنده
 وقال له : إنما يستجيد صنعتك إذا حضر لِقَارَبُكَ ويستخرج ما عندك ، فإذا فارق حضرتك
 قال في صنعتك غير ما تسمع ؛ قال الوراق : فأنّا أحبُّ أن أقفَ على ذلك ؛ فقال له مخارق : فأنّا
 أغْنِيهِ «أيا منشِر الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : فافعل . فلمّا دخل إسحاقُ
 غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْدِهِ ، وفعل ذلك في مواضع خَفِيَّةٍ لم يعلمها الوراق من
 قِسْمَتِهِ ؛ فلمّا غنّاه قال له الوراق : كيف ترى هذا الصوت ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضِيٍّ ؛ فأمر

1 العضاء : شجر له شوك . الخبت : الوادي العميق ، ويطلق أيضاً على صحراء بين مكة والمدينة . أرنت المرأة :
 صاحت مع البكاء .

2 جَمِجَم : أخفى .

3 ل : صوتاً في غناء .

به فسُجِبَ من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه إلى بغداد . ثم جرى ذكره يوماً . فقالت له فريدة : يا أمير المؤمنين ، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه ، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحضِرْهُ أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدّقه عما يسمع ، وأُغْنِيَهُ إِيَّاهُ حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصّدق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده ؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِلَ وأُحضِرَ ، فأظهر الرضى عنه ولزمه أيّاماً ؛ ثم أخلّفه ليصدّقنَّ عما يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غنى الوائق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّته فريدة هذا الصوت وسأله الوائق عنه ، فرضيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعته في المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إِيَّاهُ ؛ فسكن غضبه ووصل إسحاق وتكرّر لمُخَارِقِ مدّة .

[قصة له مع الوائق بشأن الغناء والألحان]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصليّ : أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وقد كان تكلم له في حاجة فقصّيت ، فقال له : أعطاك الله أيّها الأمير ما لم تُحِطْ به أمنيّة ولا تبلغه رغبة . قال : فاشتبهى هذا الكلام واستعاده مني فاعدته . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الوائق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغْنِي فيه ، وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا

فغَنِّيَتْهُ إِيَّاهُ ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فخرجتُ وأَقَمْتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء مني . فلَمَّا طَالَ مُقَامِي قُلْتُ له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدر أن يأخذ هذا الصوت مني ؛ فقال لي : ولم ؟ وَيَحْك ! فقلت : لأنّي لا أَصَحِّحُهُ ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتها مني ؟ (يعني شجاً ، وهي التي كان أهداها إلى الوائق وعَمِلَ مجرد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغْنِيهِ ، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنّها تأخذه مني ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأخرجتُ وأخذته على المكان ؛ فأمر لي بمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وأذن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للوائق عند وداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أمنيّة ولم تبلغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أيّ إسحاق أتُعِيدُ الدعاء ! فقلت : إي والله أعيده قاضٍ أنا أو مغنّ . وقَدِمْتُ بغداد ، فلَمَّا وافى إسحاق جئتُه

مسلماً عليه ؛ فقال لي : وَيَحْك يا إسحاق ؛ أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيها الأمير ؛ قال قال لي : ويحك ! كُنَّا أَغْنَى النَّاسِ عَنْ أَنْ نَبْعَثَ إِسْحَاقَ عَلَى لَحْنِنَا حَتَّى أَفْسَدَهُ عَلَيْنَا . قال علي بن يحيى : فحدثني إسحاق قال : استأذنتُ الواثقَ عدَّةَ دَفَعَاتٍ فِي الانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فَصَنَعْتُ لَحْنًا فِي : [من الطويل]

خليلي عُوجاً من صدور الرُّواحِلِ

ثم غَنَيْتُهُ الْوَائِقَ فَاسْتَحْسَنَهُ وَعَجِبَ مِنْ صَحَّةِ قِسْمَتِهِ وَمُكْتِ صَوْتِهِ أَيَّامًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، قَدْ صَنَعْتُ لَحْنًا فِي صَوْتِكَ فِي إِيقَاعِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، وَأَمَرَ مِنْ وَرَاءِ السَّتَارَةِ فَعَنُوهُ ؛ فَقُلْتُ : قَدْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَغَضْتَ إِلَيَّ لَحْنِي وَسَمَّجَتَهُ عِنْدِي ؛ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ؛ فَلَمَّا صَنَعَ هَذَا اللَّحْنَ وَقُلْتُ لَهُ مَا قُلْتُ ، أَتَبَعْتَهُ بَأَن قُلْتُ لَهُ : قَدْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَصَصْتَ مِنِّي فِي «لَقَدْ بَخِلْتُ» وَزِدْتَ ؛ فَأْذَنْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ .

نسبة هذا الصوت¹

صوت

[من الطويل]

خليلي عُوجاً من صدور الرُّواحِلِ بَجَرَعَاءِ حُزْوَى فَابِكِيَا فِي الْمَنَازِلِ²

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ³

الشعر لذي الرِّمَّةِ ، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بِالْوَسْطَى فِي الْبَيْتَيْنِ . وللواثق في البيت الثاني وحده رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .

[نأسى ابن عيَّاش بشعر ذي الرِّمَّةِ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْحِزَامِيُّ الْكُوفِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ⁴ جَوَّاسِ الْخَنْفِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : كُنْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي الْمَصِيبَةُ تَصَبَّرْتُ وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْبَكَاءِ ، فَاجِدَ ذَلِكَ يَشْتَدُّ عَلَيَّ ، حَتَّى مَرَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْكُنَّاسَةِ⁵ ، فَإِذَا أَنَا بِأَعْرَابِيٍّ وَقَفٍ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَهُوَ يُنْشِدُ :

[من الطويل]

1 ديوان ذي الرِّمَّةِ (مكارتني) : 492-493 .

2 بجرعاء حُزْوَى فِي الدِّيَّوَانِ : بجمهـور حـزوى ، ويروى بـيرقة حـزوى . والجمهـور : الرملة العظيمة ، والجرعاء : الأرض ذات الحزونة أو الرملة السهلة المستوية ، وحزوى : موضع بنجد .

3 البلابل : الهموم في الصدور .

4 ل : أحمد بن أبي جواس .

5 الكناسة : محلة بالكوفة .

خَلِيلِيَّ عَوْجَا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاهِلِ بِجَرَّعَاءِ حُزْوَى فَاكِكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبَ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : هَذَا ذُو الرُّمَّةِ ؛ فَكُنْتُ بَعْدُ إِذَا أَصَابَتْنِي مُصِيبَةٌ بِكَيْتٍ فَأَجِدُ لَذَلِكَ
رَاحَةً ؛ فَقُلْتُ : قَاتِلِ اللَّهَ الْأَعْرَابِيَّ ! مَا كَانَ أَعْلَمَهُ وَأَفْصَحَ لَهْجَتَهُ ! .

[مفاضله بين لحنه ولحن والواق]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِإِسْحَاقَ : أَيُّمَا أَجُودُ ، لَحْنُكَ فِي «خَلِيلِيَّ عَوْجَا» أَمْ
لَحْنُ الْوَائِقِ ؟ فَقَالَ : لَحْنِي أَجُودُ قِسْمَةً وَأَكْثَرُ عَمَلًا ، وَلَحْنُهُ أَطْرَبُ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ رَدَّتَهُ مِنْ نَفْسِ
قِسْمَتِهِ ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى إِدَائِهِ إِلَّا مَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى : فَتَأَمَّلْتُ اللَّحْنَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ
فَوَجَدْتُهُمَا كَمَا ذَكَرَ إِسْحَاقُ . قَالَ وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ : مَا كَانَ بِمَحْضَرَةٍ¹ الْوَائِقِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْغِنَاءِ .

[فضّل ابن المعتزّ لحنًا للوائق على لحنه]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ يَخْلِفُ أَنَّ الْوَائِقَ ظَلَمَ نَفْسَهُ فِي تَقْدِيمِهِ
لَحْنَ إِسْحَاقَ عَلَى لَحْنِهِ فِي «لَقَدْ بَخِلْتُ» . قَالَ : وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَلَّمَا غَنَّى فِي صَوْتِ
وَاحِدٍ بِلَحْنَيْنِ فَسَقَطَ أَجُودُهُمَا وَشَهْرُ الدُّونِ ، وَلَا يُشْهَرُ مِنَ اللَّحْنَيْنِ إِلَّا أَجُودُهُمَا ، وَلَحْنُ
الْوَائِقِ أَشْهَرُهُمَا ، وَمَا يَزُوي لَحْنَ إِسْحَاقَ إِلَّا الْعَجَائِزُ وَمَنْ كَثُرَتْ² رَوَايَتُهُ .

[كان الوائق يعرض عليه صناعته]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ الْمُرْتَجِلِ عَنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ : كَانَ الْوَائِقُ يَعْزُضُ
صِنْعَتَهُ عَلَى إِسْحَاقَ فَيُصْلِحُ فِيهَا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ .

[آخر صوت صنعه]

أَخْبَرَنَا حُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ : أَنَّ آخِرَ صَوْتِ صِنْعِهِ أَبُوهُ : «لَقَدْ بَخِلْتُ» ، ثُمَّ مَا
صَنَعَ شَيْئًا حَتَّى مَاتَ .

[غنى المعتصم بشعر أبي القنافذ]

أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عَمْرُ بْنُ سَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ
قَالَ : دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ سُرَّ مَن رَأَى ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا الْقَنَافِذِ ، فَحَضَرَ بَابَ
الْمُعْتَصِمِ مَعَ الشُّعْرَاءِ فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَهُ : [من المتقارب]

مِرَاضُ الْعَيُونِ خِمَاصُ الْبَطُونِ طِوَالُ الْمَتُونِ قِصَارُ الْخَطَا

1 ل : ما كان يحضر مجلس الوائق .

2 ل : من كثرة .

عِتَاقِ النُّحُورِ رِقَاقِ الثُّغُورِ لُطَافِ الْخُصُوفِ خِدَالِ الشُّوَى¹
 عَطَائِيلُ مِنْ كُلِّ رَقْرَاقَةٍ تَلُوثُ الْإِزَارَ بِدِعْصِ النَّقَا²
 إِذَا هُنَّ مَنِينَا نَائِلًا أَبِي الْبُخْلِ مِنْهُنَّ ذَاكَ الْمُنَى
 إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ أَهْلِ الْبَطَاحِ وَأَهْلِ السَّمَاحِ طَلَبْنَا النَّدَى
 لَهُمْ سَطَوَاتٌ إِذَا هَيَّجُوا وَحَلَمٌ إِذَا الْجَهْلُ حَلَّ الْحِبَا³
 يَبِينُ لَكَ الْخَيْرُ فِي أَوْجِهِ لَهُمْ كَالْمَصَابِيحِ تَجْلُو الدُّجَى
 سَعَى النَّاسُ كَيْ يُدْرِكُوا فَضْلَهُمْ فَقَصَّرَ عَنْ سَعِيهِمْ مَنْ سَعَى
 سَعَى لِلْخِلَافَةِ فَاقْتَادَهَا وَبَرَزَ فِي السَّبْقِ لَمَّا جَرَى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها ، وأمر للأعرابي بعشرين ألف درهم ولي بثلاثين ألف درهم ؛ وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات .
 [طلب من علي بن هشام نبذاً]

حدثني عمي قال حدثني فضل التيزيدي عن إسحاق قال : كتبت إلى علي بن هشام أطلب منه نبذاً ، فبعث إلي جُمانَ بما التمسْتُ ، وكب إلي : قد بعثت إليك بَشْرَابٍ أَصْلَبَ مِنَ الصَّخْرِ ، وَأَعْتَقَ مِنَ الدَّهْرِ ، وَأَصْفَى مِنَ الْقَطْرِ .
 [عبد الله بن طاهر يكلف ليس أن تسرق لحناً له وتذيعه]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أحمد المكي قال : لما صنع إسحاقُ لَحَنَهُ فِي الرَّمْلِ⁴ :

أَمَاوِيٌّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحُ وَيَقِي مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا يَرِيدُ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
 وَهُوَ رَمَلٌ نَادِرٌ ، ابْتَدَأُوهُ صِيَاحٌ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْزِلُ عَلَى تَدْرِيجٍ حَتَّى يَقْطَعَهُ عَلَى سَجْحَةٍ ،
 وَكَانَ كَثِيرَ الْمَلَاذِمَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، ثُمَّ تَخَلَّفَ عَنْهُ مَدَّةٌ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
 لِلْمَيْسَرِ جَارِيَتُهُ : خُذِي لِحْنَ إِسْحَاقَ فِي :
 أَمَاوِيٌّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحُ

- 1 عتاق النحور : جميلاتها . خدال الشوى : مستديرات الأطراف .
- 2 عطائيل : جمع عطبول وهي الفئاة الطويلة العنق . والرقراقة : هي التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث : تلف . دِعْصِ النقا : كتيب الرمل .
- 3 إذا الجهل حلّ الحبا : إذا الجهل استفز الرجال فحلوا أثوابهم استعداداً للفعل .
- 4 هذا الشعر مما ينسب لحاتم الطائي وسيرد في ترجمته فيما بعد ، والمخاطب فيه زوجته ماوية .

فاخلعيه على :

[من الطويل]

وَهَبْتُ شَمَالَ آخِرَ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرَدَائِهَا¹
وَأَلْقِيهِ عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ تُعَلِّمُهَا وَاشْهَرِيهِ وَأَلْقِيهِ عَلَى مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ مِنْ جَوَارِي زُبَيْدَةٍ ،
وقولي : أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ ؛ فَفَعَلْتُ ، وَشَاعَ أَمْرُهُ حَتَّى غَنِيَ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ؛
فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلجَارِيَةِ : مَنْ أَخَذْتَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : مِنْ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ لَمِيسَ جَارِيَتِهِ ،
وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ : وَيْلَكَ ؛ قَدْ صِرْتَ تَسْرِقُ
الْغَنَاءَ وَتَدْعِيهِ ، اسْمِعْ هَذَا الصَّوْتَ ، فَسَمِعَهُ فَقَالَ : هَذَا وَحْيَاتِكَ لِحْنِي ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ فِيهِ نَقَبٌ
مِنْ لَصٍّ حَازِقٍ ، وَأَنَا أَغْوَصُ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْرِفَهُ ؛ ثُمَّ بَكَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ : أَهَذَا حَقِّي
وَحُرْمَتِي وَخِدْمَتِي ! تَأْخُذْ لَمِيسَ لِحْنِي فِي :

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحٍ

فَتَغْنِيهِ فِي : «وَهَبْتُ شَمَالَ» ؟ وَلَيْسَ بِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ بِي أَنَّهَا فَضَحْتَنِي عِنْدَ الْخَلِيفَةِ
وَادَّعَتْ أَنَّهَا أَخَذْتُهُ مِنْ بَعْضِ عَجَائِزِ الْمَدِينَةِ ؛ فَضَحَكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : لَوْ كُنْتُ تُكْثِرُ عِنْدَنَا كَمَا
كُنْتَ تَفْعَلُ لَمْ تُقَدِّمِ عَلَيْكَ لَمِيسَ وَلَا غَيْرَهَا ؛ فَاعْتَذَرَ فَقَبِلَ عَذْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ ؟
قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ نَفْسَهَا عِنْدَ مَنْ أَلْقَتْهُ عَلَيْهَا حَتَّى يَعْلَمَ الْخَلِيفَةُ بِذَلِكَ ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ؛
وَمَضَى إِسْحَاقُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ ؛ فَاسْتَكْشَفَهَا مِنْ لَمِيسَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ
يَعْبَثُ بِإِسْحَاقَ بِذَلِكَ مَدَّةً .

[سخاء الأمين]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَهَوَاتُ الصَّنَاجَةِ
الَّتِي كَانَ إِسْحَاقُ أَهْدَاهَا إِلَى الْوَاتِقِ : أَنَّ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ لَمَّا غَنَاهُ إِسْحَاقُ لِحْنَهُ الَّذِي صَنَعَهُ فِي
شَعْرِهِ وَهُوَ الثَّقِيلُ الْأَوَّلُ :

صوت

يَا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فَدَتُ نَفْسَكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتُ لِلنَّاسِ إِذْ وَلَيْتَهُمْ يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَرَأَيْتُهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى دَارِهِ يَحْمِلُهَا مَائَةُ فَرَّاشٍ .

[فهمه لدقائق الشعر]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْوَاتِقَ :

[من الوافر]

صوت

عَفَا طَرْفُ الْقَرْيَةِ فَالْكَثِيبُ إِلَى مَلْحَاءٍ لَيْسَ بِهَا غَرِيبُ
تَأَبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا سَوَافِي الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الْغَرِيبُ

ولحنه ثقيلٌ ثان قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرَمَةَ في البيتين ، فأَيُّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «الترب الغريب» ، يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد ؛ فقال : صدقت وأحسنْتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

[ابن المدبر يزيد بيتاً على لحن له]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخْفَش قال حدَّثني مُحَمَّد بن الحسن بن الحُرُون قال : كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر ، فغناه مغنٌ كان عنده لحنُ إسحاق :

[من الطويل]

صوت

فَأَصْبَحْتُ كَالْحَوَامِ يَنْظُرُ حَسْرَةً إِلَى الْمَاءِ عَطْشَانًا وَقَدْ مُنِعَ الْوَرْدُ¹
وَقَالَ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْمُدَبِّرِ : زِدْ فِيهِ :

[من الطويل]

وَأَمْسَيْتُ كَالْمَسْلُوبِ مَهْجَةً نَفْسَهُ يَرَى الْمَوْتَ فِي صَدِّ الْحَبِيبِ إِذَا صَدَا
لَحْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ .

[ذهل مروان بن أبي حفصة لسماح شعره]

حدَّثني الأَخْفَش قال حدَّثني مُحَمَّد بن يزيد الأَزْدِيُّ قال حدَّثني شيخ من وَلَدِ الْمُهَلَّبِ قال :
دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ يَوْمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ إِلَى أَنْ أَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ لِنَفْسِهِ² :

[من الطويل]

إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ كَانَتْ أَرْوَمَتِي وَقَامَ بَنْصَرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

قال : وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له : ما لك لا تجيبني ؟
قال : إنك والله لا تدري ، ما أفرغ ابنك هذا في أذني .

1 الحومان : العطشان .

2 تقدّم هذان البيتان في أول هذه الترجمة ورواية الأول منهما هناك ، ص 179 :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

[طرب لشعر أعرابي]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدَّثني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشر¹ : كنتُ مع إسحاق الموصلي في نزهة ، فمرَّ بنا أعرابيٌّ ، فوجَّه إسحاقُ خلفَه بغلامه زياد الذي يقول فيه :

وقولا لساقينا زيادٍ يُرقِّها فقد هدَّ بعضَ القومِ سقِّي زيادٍ
قال : فوافانا الأعرابيُّ ، فلمَّا شربَ وسمعَ حنينَ الدواليبِ قال : [من منهوك الكامل]

صوت

بَكَرْتُ تَحِنُّ وما بها وَجْدِي وأَحِنُّ من وَجْدٍ إلى نَجْدٍ
فدموعُها تَحْيِي الرِّياضُ بها ودموعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّي²
وبساکِني نَجْدٍ كَلِّفْتُ وما يَعْنِي لِمَ كَلَّفِي ولا وَجْدِي³
لو قِيسَ وَجْدُ العاشِقينِ إلى وَجْدِي لَزادَ عليه ما عِنْدِي
قال : فما انصرفَ إسحاقُ إلى بيته إلاَّ محمولا سَكْرًا ، وما شربَ إلاَّ على هذه الأبيات .
والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبَنْصَرِ .

[بساطُ الفضل بن الربيع]

أخبرني محمد بن مَزِيد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليٍّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع وهو على بساط سوسنجردي⁴ ستيني مُذهَّبٌ يلعبُ عليه مكتوبٌ : «مَّا أَمَرُ بصنْعته حَمَّادُ عَجْرَدٍ» ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمَّادُ عَجْرَدٍ ؟ قلتُ : لا ؛ قال : حَمَّادُ عَجْرَدٍ قد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثله قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمَّ قلتُ : أهكذا يفعل الناسُ ؟ قال : أيُّ شيء يفعلونه ؟ قلتُ : تَهَبُّه لي ؛ قال : لا أفعل ؛ قلتُ : إذا أَغْضَبُ ؛ قال : ما شئتَ إفْعَلْ ؛ فخرجتُ مُتَغاضِبًا ؛ فلمَّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَجِجَنِي بالبساط ؛ فكتبْتُ إليه بيتين لحَمْزَةٍ بن مُضَرَّ :

[من الكامل]

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصِي كلَّ ما قد نِلْتُ منك من المتاع المُوَقِّي

1 ل : بشير .

2 أقرحت في ل : أحرقت .

3 يعني في ل : يعني .

4 سوسنجرود : قرية من قرى بغداد .

بخديعتي فأراك مُنخدعاً لها وفُكاهتي وتَغَضُّبي وتملُّقي
قال ابن أبي سعد في خبره : فلما دخلتُ عليه ضحك وقال لي : البيتان خير من البساط ،
فالفصلُ الآن لك علينا .
[مناظرة مع إبراهيم بن المهدي]

أخبرني يحيى بن علي وأحمد بن جعفر جَحْظَةَ عن أبي العَينس بن حَمْدُون عن عمرو بن
بانة قال : رأيتُ إبراهيم بن المهدي ينظر إسحاق في الغناء ، فتكلما بما فهماه ولم أفهم منه
شيئاً ؛ فقلت لهما : لكن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .
[شعره في الواثق]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال : قَدِمْتُ على الواثق في بعض
قَدَماتي ، فقال لي : أما اشتقت إلي ؟ فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدته : [من البسيط]
أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرٍ
لا أستطيعُ رحيلاً إن هَمَمْتُ به يوماً إليه ولا أقوى على السَّفرِ
أنوي الرَّحيلَ إليه ثمَّ يمنعي ما أحدثَ الدهرُ والأَيَّامُ في بَصري
قال : وقال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية : [من البسيط]

صوت

ضنَّتُ سعادَ غَدَاةِ البَيْنِ بالزادِ وأخلفتكَ فما تُوفي بميعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تُودَّعنا والحزنُ منها وإن لم تُبديه بادي
[من البسيط] لإسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى ، يقول فيها :

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هفا قلبي حيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ ولم أحفلَ بينهم وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحمادِ
كم نعمةٍ لأبيك الخيرُ أفردني بها وعمٌّ بأخرى بعدَ أفرادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعمكم لما أحاطَ بها وصفي وتعدادي
لأشكرنكَ ما ناحَ الحَمامُ وما حدا على الصبحِ في إثرِ الدُّجى حادي
قال علي بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق :
أخضبرني فضلاً وحماداً أليس كان قد افتضح من دَمامةِ خَلْقهما وتخلفَ شاهِدَهما .
[ابن المهدي يأسف لفقدان من يحكم بينهما]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : كتب أبي إلى إسحاق
في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى من أحاكمك والناس بيننا حَمِير ؟» .

[ذهابه إلى تلّ عراز]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيّوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثنا إسحاق قال : كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة ، فدخل يوماً إلى النساء ، وخرجت فمضيت إلى تلّ عراز ، فنزلت عند خمارة هناك فسقنتني شرباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش ورّيجان غصّ ، وبرزت بنت لها كأنها خوط¹ باني أو جدل عنان ، لم أر أحسن منها قدأً ، ولا أسيل خدأً ، ولا أعتق وجهاً ، ولا أبرع ظرفاً ، ولا أفتن طرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمّ تماماً ؛ فأقمت عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ ؛ ثم انصرفت فذهبت بي رأسه ، فدخلت عليه وهو غضبان ؛ فلما رأيته خطرّت في مشيتي ورقصت ، وكانت في فضلة من السكر كبيرة ، وغنيت :

صوت

إنّ قلبي بالثلّ تلّ عراز عند ظلي من الظباء الجوّازي²
شادن يسكن الشام وفيه مع دلّ العراق ظرف الحجاز
يا لقومي لبنت قس أصابت منك صفو الهوى وليست تجازي
حلفت بالمسيح أن تنجز الوعد لدّ وليست تجود بالإنجاز

الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه ، قال إسحاق : فسكن غضبه ، ثم قال لي : أين كنت ؟ فأخبرته ؛ فضحك وقال : إن مثل هذا إذا اتفق لطيب ، أعذ غناءك ، فأعده ، فأعجب به ، وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها ؛ وأخذها³ المغنون مني جميعاً وشربنا إلى طلوع الفجر ، ثم انصرفنا فصلّيت الصبح ونمت ؛ فما استقرنا حتى أتى إليّ⁴ رسول الرشيد فأمرني بالحضور ، فركبت ومضيت ؛ فلما دخلت وجدت ابن جامع قد طرح نفسه يتمرغ على دكان في الدار لغلبة السكر عليه ، ثم قال : أتدري لِمَ دُعينا ؟ فقلت : لا والله ؛ قال : لكنّي أدري ، دُعينا بسبب نصرانيتك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله ؛ فضحكت . فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة ، فضحك وقال : صدق ، عودوا فيه فإنّي اشتقت إلى ما كنّا فيه لما فارقتوني ؛ فعُدنا فيه يومنا كله حتى انصرفنا .

1 خوط : غصن ناعم .

2 الظباء الجوّازي : التي اجتزأت بالرطب من البقل والشجر فاستغنت عن الماء .

3 لعلها وأخذها ، أي الغناء .

4 ل : وافاني .

[شعره إلى المأمون حين وجد عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبّي قال : كان إسحاق قد أظهر التوبة
وغير زيّه واحتجّر¹ من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك وتنكّر ؛
فكتب إسحاق إليه وغنى فيه بعد ذلك : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعةً قد خلعنا الرداءَ والدُّرّاعةَ
ورجعنا إلى الصنّاعة لما كان سُخطَ الإمام تركُ الصنّاعةِ
الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالنصر عن عمرو ، وقد ذكر الغلابيّ أنّ هذا الشعر لأبي العتاهية ،
قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لإبراهيم .

[تفصيل لحنين له على لحنين ابن سريج ومعبد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال : قال لي محمد بن الحسن بن مُصعب ، وكان بصيراً
بالغناء والنغم ، : لحنُ إسحاق في «تشكّي الكميّة الجري» أحسنُ من لحن ابن سريج ، ولحنه
في «يوم تُبدي لنا قتيّلة» أحسنُ من لحن معبد ، وذلك من أجود صنعة ابن سريج ، وهذا من
أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاق بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزماميّ راحليهما
وزعزعتُهما² وأنختُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم
أنّه برز عليهما ، ولكنه لا يدعُ تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظَة قال حدثني حمّاد بن إسحاق : أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد
كثّروا في صوتيك : «تشكّي الكميّة الجري» و«يوم تُبدي لنا قتيّلة» ، وقالوا : إنّهما أجود من
لحنين ابن سريج ومعبد ؛ قال أبي : ويحك رُميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سريج وهما
هُما ، فقربت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزماميّ راحليهما
وانتصفتُ منهما .

[تحليل غائاه]

قرأتُ في بعض الكتب أنّ محمد بن الحسن ، أظنّه ابن مصعب ، ذكرَ إسحاق الموصليّ
فقال : كانت صنّعته مُحكمة الأصول ، ونغمته عجيبة الترتيب ، وقسمته مُعدّلة الأوزان ،
وكان يتصرّف في جميع بُسْط الإيقاعات ، فأَيّ بساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد
أقوى صوت جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهب الأوائل ،

1 احتجّر : امتنع .

2 زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً .

ويسلك سبيلهم ، ويقتحم طُرُقهم ؛ فيبني على الرُّسْم فيصيه ، ويحتذي على المِثَال فيَحْكِيه¹ ، فتأتي صناعته قوّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّة في الطَّبع وسهولة المسلك ، وخنثاً بين كثرة النِّعم وترتيبها في الصِّياح والإسجاح ؛ فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يرووها فيردّوها . وكان حسن الطبع في صياحه ، حسن التلطّف ، لتنزيله من الصِّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله ، حتّى تعتدل وتترنّ أعجاز الشعر في القسمة بصدوره . وكذلك أصواته كلّها ، وأكثرها يتدّى الصوت فيصيح فيه ، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه ؛ حتّى كان كثير من المغنّين يلقبونه الملسوغ ؛ لأنّه يبدأ بالصِّياح في أحسن نغمة فتح بها أحدّ فاه ، ثم يردّ نغمته فيرجّحها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتّى يحطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازئها من اللين ، ثم يعود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة ؛ وهذا أشدّ ما يأتي في الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصنعة . قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره وزاد في بعض ما صنعه : «وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأنفذهم في جميع فنونه ، وأضرّبهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة ، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبداً فانّصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلّغه فيها ، ولم يكن بعد إسحاق مثله» .

[تشبيهه لصوت له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام : قال إسحاق وذكر صوته :

صوت

كان افتتاح بلائي النظرُ فالحين سبب ذاك والقدرُ
قد كان باب الصبر مفتوحاً فاليوم أغلق بابهُ النظرُ

الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البصر . وفيه لأحمد بن المكيّ خفيفٌ ثقيلٌ ، ولعريب ثاني ثقيلٌ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال إسحاق : ما شبّهت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطَّبْطابة² وأهل الميدان جميعاً خلفه ، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها³ .

1 ل : فيحكّمه .

2 الطبّطابة : خشبة يلعب بها بالكرة .

3 ل : أخرجها .

[مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن يزيد المهلبيّ قال حدثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن ابن المكّي عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ ؛ فلما كان في أيام محمد الأمين غنيته ، فاشتراه واشتهر به ، وبعث إليّ يحيى بن معاذ وأنا أغنيته : [من مجزوء الرمل]

اسقني وابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنيت : [من مجزوء الرمل]

فاسقني واسق نهيكاً واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال : لتشربن أو لأعاقبك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه¹ وأمر له بمال ، وسرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت إلى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه ، فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدام محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعد فيه . [شعر عليّ بن هشام الذي غنى فيه]

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

يومنا يوم رذاذ واصطباح والتذاذ

فاسقني وابن نهيك وابن يحيى بن معاذ

من كُميت غنقت للشـيخ كسرى بن قباد

ليس للمرء من الهـم سواها من ملاذ

الشعر لعليّ بن هشام ، والغناء لإسحاق ثقيلاً أول بالنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم الهاشمي² قال حدثني أبو عبد الله الهلاليّ قال : كنت عند عليّ بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشاً وطشت ؛ فأنشأ عليّ يقول : [من مجزوء الرمل]

يومنا يوم رذاذ واصطباح والتذاذ

1 غلّفه : طيّبه بالطيب .

2 ل : الهاشمي .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلّامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعال أنت وغلّامك بُنان وعثعث ؛ فجاء إلى بابهِ الرسول وعليه غُرماء له ، فمنعوه الدخول عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم ؛ فرجع الغلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدّين ؛ فقال له : احمل إليه مائتي ألف درهم وجيء به وبغلّامتي الساعة فحملها ؛ فجاء أحمد بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعلي بن هشام : لم تحمّلت هذا لي ؟ أنا والله مُنتظر مالا يجيء فأعطيهما ؛ فقال له : مالي ومالك واحد . فتغديتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أكثر من الحلواء فلست تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرب) ؛ فأكلتُ وغسلتُ يدي ؛ فقال لغلّامه سراج : احمل مع أبي عبد الله الهلالي ثلاثين ألف درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

[تذكر في كبره شعراً له فيكي]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا سليمان المدائني عن ابن المكيّ عن أبيه قال حدثني إسحاق قال : تعشقتُ جاريةً فقلت فيها :

[من الخفيف]

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عني مَنْ لا أُسمي فعيني كلَّ يومٍ عليه حُزنٌ تسيلُ

الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبصرة عن عمرو . وفيه لعريب خفيف رَمَلٍ آخر . وفيه لمحَمَّد بن حمزة وجه القرعة خفيفٌ ثقيلٌ ، وقيل : إنَّه لابن المكيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى غلّويه وإلى حسين مُحَرِّز ، قال إسحاق : ثم ملكتها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كبرت واعتلتُ علي عينا ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامه المتقدمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن يزيد المهلبي عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

[حكم يحيى المكي على لحن له]

أخبرني جَحْظَةُ عن مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال : دعا المأمونُ بإسحاق فأخضِرَه ، فأمره أن يُغني في هذا الصوت :

[من الخفيف]

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ

فغناه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره ؛ فقال المأمون : فإنَّا نردّ الحكم إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكيّ) فجاء به ، فخبره بما قلتُ وما قال ، وأمر إسحاق بردّ الصوت فردّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاق في غنائه وأحسنَ ابني في استحسانه ، إلّا أنَّ هذا اللحن يحتاج أن يُسمَعَ من غير حلقٍ إسحاق ؛ فضحك المأمون ، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن

في إسحاق شيء يُعاب إلا حلقه ، وكان يغلب الناس جميعاً بطبعه وجذقه .
[سبب ضعف بصره]

قال : وأمّا السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره ، فأخبرني به محمد بن خلف وكيع قال حدثني به أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي : أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشتمه ، فردّ عليه إسحاق وأرنب في الرد ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين ! فقال له : اسكُتْ فإنك من موالى العيدين¹ ؛ فقال له الرشيد : وأي شيء موالى العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشتري للخلفاء كل صانع وكلّ ضرب في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحجام والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلما جاز عليه منصرفاً ضرب رأسه بمقرعة فيها مغول ؛ فكان ذلك سبب ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيد الخبر ، فأمر بأن يُحجب عنه إبراهيم ، وحلف ألا يدخل عليه ؛ فُدسّ إلى الرشيد من غناه :

صوت

مَنْ لِعَبْدٍ أَذْلَهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَاهُ هُوَ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل . وفيه لعريبٌ ثقيلٌ أول . وقيل : إن لابن جامع فيه خفيف رمل آخر ، فلما غني الرشيد بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعرّفه ، فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيدي رضاء حسناً ، وقبّل الأرض بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضي عنه وأخضر وأمره بترضي إسحاق ففعل .
[بينه وبين إبراهيم ابن أخي سلمة]

وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال : جاء إبراهيم ابن أخي سلمة إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إني أحب أن تشرّفني بأن تكون نوبتي ونوبة إسحاق الموصلي في مكان واحد ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألتُ فعلت ؛ قال : قد فعلت ؛ ولم أكن حاضراً لمسلته . فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقاً عفيفاً وعرفني الغلام خبره ؛ فقلت له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قل له اخرج أنت ؛ فساء ظني واغتممت ، فخرجتُ إليه فقلت له : ما الخبر ؟ قال : إن أمير

المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلا معي بعد أن أوجه إليك فتركب إلي وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقية يومي على تلك الحال . ثم ركبنا إلى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أمير المؤمنين يُجلك هذا الحلق ، قم بنا إليه ؛ فقمْتُ معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهدي تضيع مقداره أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سلمة ؟ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملة ، ثم لو قُتل لم يعدْ إليه ؛ فقال : ويحك ؛ والله ما جرى من هذا شيء ، إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال : تشرفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامة ؛ فأخبرني فرجعت . فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إلي ففعل مثل فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج إليه فقل له : ولا كرامة لك يا زاني يا ابن الزانية ، لا أجيء معك ولا أدعك تجيء معي أيضاً ، وشتمه أقبح شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فحجل ، فقال له : قل له : ومن أكرهك على هذا ! إنما أحببت أن نصطحب وتناشس في طريقنا ، فإن كرهت هذا فلا تفعله ؛ وانصرف ولم يعاودني بعدها .

[صوت إذا غناه بكى]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المدني عن ابن المكي عن أبيه قال : كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويكي :

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وتلثم تليثم الإناء جوانبه
فللموت خير من حياة خسيصة تباعده طوراً وطوراً تقاربة

الشعر لزبان بن سيار الفزاري ، حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه . والغناء لإسحاق رمل بالوسطى .

[جفاه المأمون فأمر غلوه أن يغنيه بشعر له]

أخبرنا محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال¹ : أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واطب على السماع متستراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربع حجج ، ثم ظهر إلى الندماء والمغنين . وكان حين أحب

السماع سأل عني ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة¹ ؟ قال المأمون : ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله . فأمسك عن ذكرى ، وجفاني مَنْ كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضّر ذلك بي ؛ حتّى جاءني علّويه يوماً فقال لي : أتأذن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا ؛ فإذا سألك انفتح لك ما تريد ، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء ؛ فقال : هات ، فألقيت عليه لَحْني في شعري : [من البسيط]

صوت

يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ موارِدُه أما إليك طريقٌ غيرُ مسدودٍ²
لحائمٍ حامٍ حتّى لا حِيامَ له مُحلّلاً عن طريقِ الماء مطرودٍ³

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو قال : فمضى علّويه ، فلما استقرّ به المجلس ، غناه بالشعر الذي أمرته ؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتّى قال : ويحك يا علّويه ، لمن هذا ؟ قال : يا سيدي ، لعبد من عبيدك جفوتَه وأطرحته من غير جُرم ؛ فقال : أسحاق تعني ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعة ؛ فجاءني رسوله فصرت إليه . فلما دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادّهما ، فانكبتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأظهر من برّي وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبرّه .

[المعتضد يثني على غناه بشعره]

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قُرَيْضُ قال : قال لي أحمد بن أبي العلاء : غنيت المعتضد يوماً وهو أميرٌ صوتُ إسحاق :

يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ موارِدُه أما إليك طريقٌ غيرُ مسدودٍ
فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازجُ اللحمَ والدمَ .

[صوته في شعر له كان الناس يتهادونه كالطرف]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو العنيس بن حمّدون قال أخبرني أبي قال : لما غنّى إسحاقُ في شعره هذا :

[من المتقارب]

1 ل : الخليفة .

2 سرحة الماء : كنى بها عن امرأة .

3 المحلّأ : المنوع من ورود الماء .

صوت

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ عفا بِاللَّوَى أَقَامَ رَهِيناً لَطُولَ الْبَلَى
تَعَاوَرَهُ الدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ بَكَرَ الْجَدِيدَيْنِ حَتَّى عفا

الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد ، والغناء له ثاني ثقليل بالوسطى . وفيه لسليم ثقليل أول من رواية الهشامي ، وذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي ، قال : فكان الناس يتهاذونه كما يتهاذون الطرفة والباكورة . وقال أبو العنيس حدثني ابن مخارق¹ : أن الواصل بعث إلى أبيه مخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليُلقب عليه ، فصادفه علياً ، ولم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرَحَ الغناء كما يلقنه مخارق ، فأعاد إليه الرسول ومعه مِخَفَّة ، وقال : لا بد أن يجيء على كل حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع . [يتحلّى الشجاعة والفروسيّة]

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية² : أن إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفروسيّة ويحب أن يُنسب إليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عَقِيَّهِ ؛ فقال أخوه طيّاب فيه : [من المتقارب]

وَأَنْتَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا تُطِيق وَقُلْتُ أَنَا الْفَارِسُ الْمَوْصِلِي
فَلَمَّا أَصَابَتْكَ نُشَابَةٌ رَجَعْتَ إِلَى سَنَكِ الْأَوَّلِ

[حديث حمزة الزيات معه]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : قال لي حمزة الزيات القاري³ : يا موصلي ، إن لي فيك رأياً ، أفترضي مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضلَ مَطْعَمٍ على مَطْعَمٍ ! .

[شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه]

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكْرِيّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق :

أَنْ تَغْنَيْتَ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ «ألا رَدَّ الْخَلِيطُ جَمَالَ الْحَيِّ فَانْفَرَقُوا»

1 ل : هارون بن مخارق .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 7 : 272 (رقم 1168) .

3 هذا خبر مستغرب . فحمزة القاري توفي سنة 156 في خلافة المنصور ، وإسحاق ولد سنة 150 .

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرقُ
 وقيل أنت حسانُ الناسِ كلهمُ وابنُ الحسانِ فقد قالوا وقد صدقوا
 فما بهذا تقوم النادباتُ ولا يُثنى عليك إذا ما ضَمَك الخرقُ
 قال يحيى بن عليّ: إن هذه الأبيات تُروى لابن المنذر العروضي ولالأصمعيّ .
 [فساد ما بينه وبين الأصمعيّ]

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد
 ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشد معانيه ، وأخبره بقلّة شكره وبخله وضِعة
 نفسه وأنّ الصنّعة لا تزكو عنده ، ووصف له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق
 والسماحة والعلم ؛ وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبة
 الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبي عبيدة مَنْ أقدمه .
 أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدتُ الفضل بن
 الربيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس :

كانّه في الجُلِّ وهو سامي مُستَمِلٌ جاء من الحَمَامِ¹
 يسُور بين السَّرَجِ واللِّجَامِ سَور القطاميّ إلى اليمامِ²
 قال : ودخل الأصمعيّ فسمعني أنشدّها ، فقال : هاتِ بقيتها ؛ فقلت له : ألم تقل إنّهُ لم يبقَ
 منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلّا عيونها ، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاطني
 فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضل بن الربيع قلّة شكره لعارفة³ وبخله بما عنده ؛ ووصفت له
 فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذلّه لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب ،
 ورغبته فيه ، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنتُ سبباً مجيئه به من البصرة .

أخبرني عمّي قال حدثنا فضل اليزيديّ عن إسحاق قال : جاء عطاء الملك⁴ بجماعة من أهل
 البصرة إلى قُرب أبي الأصمعيّ ، وكان نذلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في
 الشمس ، فركضه برجله وصاح به : يا قُرب ، فم ويلك ؛ فقال له : هل لقيتُ أحداً من أهل
 العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من محدّثين ؟ قال : لا والله ؛ قال : ولا
 سمعتُ شيئاً تُرويه لنا أو تُشدّناهُ أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أبو

1 الجل : غطاء للدابة .

2 يسور : يشب ويثور . القطامي : الصقر .

3 العارفة : المعروف .

4 ل : الملك .

الأصمعيّ ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لَكُمْ غداً أو بعده : حدّثني أبيّ أو أنشدني أبيّ ؛ ففضّحه . قال الفضل : ثم مرض الأصمعيّ ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ انفرجت ؛ فعاده أبو ربيعة ، وكان يرغب في الأدب ويترّ أهله ؛ فقال له الأصمعيّ : أقرضني خمسة آلاف درهم ؛ فقال : أفعل . فقال له أبو ربيعة : فأيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أشتهي أن تهدي إليّ فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبرّداً حسناً وسرجاً محليّ ؛ فقال : أفعل ، وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال : [من الوافر]

أليس من العجائب أن قرداً	أصنّيعَ باهليّاً يستطيعُ
ويزعمُ أنّه قد كان يُفتي	أبا عمرو ويسأله الخليل ²
إذا ما قال قال أبي عجبنا	لما يأتي به ولما يقول
وما إن كان يدري ما ذبير	أبوه إن سألت وما قبيل ³
وجلّله عطاء الملك عاراً	تزول الرايات ولا يزول ⁴
نصحتُ أبا ربيعة فيه جهدي	وبعضُ النصيح أحياناً ثقيلُ
فقل لأبي ربيعة إذ عصاني	وجار به عن القصد السيلُ
لقد ضاعتُ بروذك فاحتسبها	وضاع الفصّ والسيف الصقيلُ
وسرجٌ كان للبرذون زيناً	له في إثره جزعاً سهيلُ
وأما الخمسة الآلاف فاعلم	بأنك غبنها لا تستقيلُ
وأن قضاءها فتعز عنها	سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

[الواثق يبهه وصيفة أعجبه فأنشده شعراً للمرار وعناه فيه فوهبها له]

حدّثني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجت وصيفة من القصر كأنها خوطُ بانٍ ، أحسنُ من رآته عيني قط ، تقدّم عدّة وصائف بأيديهنّ المذاب والمناديل ونحو ذلك ، فنظرت إليها نظراً دهش وهو يرمقني . فلما تبين إلحاح نظري قال : مالك يا أبا محمد قد انقطع كلامك وبانت الحيرة

1 ل : وبرذوناً .

2 يقصد أبا عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة والشعر ، والخليل بن أحمد النحوي العروضي .

3 إشارة إلى المثل : ما يعرف قبلاً من دبير (مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 286 ومستقصى الزمخشري 2 : 337 .

4 الملك في ل : الملط .

فيك ؟ فتلجلجتُ ؛ فقال لي : رمتك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم ؛ فضحك ثم قال : أنشدني في هذا المعنى ؛ فأنشدته قولَ المرَّار¹ : [من الطويل]

أَلْكَنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَايَةَ مَا قَالَتْ مَتَى هُوَ رَائِحُ²
وَايَةَ مَا قَالَتْ لَهْنَ عَشِيَّةً وَفِي السَّتْرِ حُرَاتُ الْوُجُوهِ مَلَانِحُ
تَخَيَّرْنَ أَرْمَاضَ فَارْمِينَ رَمِيَّةً أَخَا أَسَدٍ إِذْ طَرَحَتْهُ الطَّوَارِحُ
فَلَبَّسْنَ مِسْلَاسَ الْوِشَاحِ كَانَهَا مَهَاةً لَهَا طِفْلٌ بِرُمَّانٍ رَاشِحُ³

فقال له الواصل : أحسنتَ بحياتي وظرفُتَ ، اصنعُ فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنَّيته إِيَّاهُ ، فاصطبَحَ عليه وشربَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ حَتَّى سَكِرَ ، ولم يقترح عليَّ غيره ، وانصرفْتُ بالجارية .

[غنى الواصل وهو لقس النفس فطربه]

حدَّثني عَمِّي قال حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْوَائِقِ يَوْمًا وَهُوَ خَاطِرُ النَّفْسِ ، فَأَخَذْتُ عَوْدًا مِنَ الْخِزَانَةِ وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَغَنَيْتَهُ : [من البسيط]

مِنَ الطَّبَّاءِ طِبَاءُ هَمُّهَا السُّخْبُ تَرَعَى الْقُلُوبَ وَفِي قَلْبِي لَهَا عُشْبُ
أَهْوَى الطَّبَّاءِ اللُّوَاتِي لَا قُرُونَ لَهَا وَحَلِيهَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ
لَا يَغْتَرِبْنَ وَلَا يَسْكُنَنَّ بَادِيَةً وَلَيْسَ يَعْرِفَنَّ مَا صَرٌّ وَلَا حَلَبُ
وَفِي الَّذِينَ غَدَّوْا ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُمْ ، شَمْسٌ تَبْرَقُعُ أحياناً وَتَتَقَبُّ
يَا حَسَنَ مَا سَرَقْتُ عَيْنِي وَمَا انْتَهَبْتُ وَالْعَيْنُ تَسْرِقُ أحياناً وَتَنْتَهَبُ
إِذَا يَدٌ سَرَقَتْ فَالْقَطْعُ يَلْزِمُهَا وَالْقَطْعُ فِي سَرَقِ الْعَيْنِينَ لَا يَجِبُ

قال : فَهَشَّ إِلَيَّ وَنَشِطَ وَدَعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ وَأَكَلْنَا وَاصْطَبَحَ وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرْخِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ؛ وَقَالَ فِيهِ : فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حَدَّثَنِي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال : كان إِسْحَاقُ الْمُوَصِّلِيُّ يَدْخُلُ فِي مَبْطُنَةٍ وَطَيْلَسَانَ مِثْلَ زِيِّ الْفُقَهَاءِ عَلَى الْمَأْمُونِ ؛ فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي

1 هو المرَّار الفقعسي وسأني ترجمة له .

2 أَلْكَنِي : تحمل إليه رسالتي .

3 رمان : قصر بنواحي واسط . والراشح : الصغير الذي أخذ يمشي مع أمه أو خلفها .

دخول المقصورة يوم الجمعة بذراعة سوداء وطيلسان أسود ؛ فبسم المأمون وقال له : ولا كل هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتم ، وأمر بحملها إليه فحملت .

[أبو خالد الأسلمي يمدحه ويقدم شعره]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبي خالد الأسلمي : أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضلّه ويعظم شأنه ويقدمه في الشعر تقدماً مفراطاً ، فقال : ما قولكم في رجل محدث تشبه بذي الرمة وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبه إليه ، فلم يشكك أحد سمعه أنه له ولا فطن لما فعل أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله ورواه ؛ فسل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

ومدرجة للريح تيهاء لم تكن ليجشمها زميلة غير حازم
يضل بها الساري وإن كان هادياً وتقطع أنفاس الرياح النواسم
تعسفت أفرى جوزها بشميلة بعيدة ما بين القرا والمناسم¹
كان شيرار المرو من نبذها به نجوم هوت أخرى الليالي العواتم²

[غنى المأمون شعر في اللذات]

حدثني عمي وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا فضل الزبيدي عن إسحاق قال : غنيت المأمون يوماً هذين البيتين :

لأحسن من قرع المثاني ورجعها تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشرب في الكاسات من عاتق الخمر
فقال لي المأمون : ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن ؟ الفراغ والشباب والجدة .

[اعتق غلامه لحسن جوابه]

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال : كان لإسحاق غلام يقال له فتح ، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أي شيء خبرك يا فتح ؟ قال : خبري أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى مني ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء ؛ فاستظرفت قوله وضحكت منه ، ثم قلت له : فأي شيء تحب ؟ قال : تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

1 جوز الشيء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر ، والمناسم : الأخفاف .

2 المرو : حجارة بيض رفاق .

[شعره في أبي البصير]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : كان لأبي البصير الشاعر قيان ، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه ، فقال أبي فيه :

سكتُ عن الغناء فما أماري بصيراً لا ولا غيرَ البصير
مخافةً أن أجنن فيه نفسي كما قد جنَّ فيه أبو البصير

[نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى]

أخبرني الحسين بن يحيى الميرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : نهاني الرشيد أن أغني أحداً غيره ، ثم استوهبني جعفر بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل ، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيد يومئذ بعقب علة قد عوفي منها وليس يشرب ؛ فقال لي الفضل : انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخيك ، وليس يخفى عليه خبري ، وأنا متهم عنده بالميل إليكم ، ولست أتعرض له ولا أعرضك ، ولم أجبه . فلما نكبهما الرشيد قال : إيه يا إسحاق ، تركتني بالرقّة وجلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى ! فحلفت بحياته أنني ما جالسته قط إلا على المذاكرة والحديث ، وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر ، وحلفت بترية المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه ؛ فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له ، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتها عليه . فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال : قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل .

[نحنت بحديث لا إسناد فيه]

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون¹ عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيد الحديث ؛ فتحدث مرةً بحديث لا إسناد له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا من المرسلات عرفاً .

[أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه]

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدثني عمي عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشد الفضل بن يحيى قول أبي الجحفاء نصيب مولى المهدي فيهم :

[من الكامل]

صوت

عند الملوك مَصْرَةٌ ومنافع وأرى البرامِك لا تَصُرُ وتنفع
 إن كان شرٌّ كان غيرهم له أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمع
 إن العروق إذا استسَرَّ بها الثرى أشيرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
 فإذا جهَلت من امرئ أعراقه وقديمه فانظر إلى ما يصنع
 قال فقال : كَأَنَّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنَّا وصلناه بثلاثين ألف درهم ، وإذا
 نُجِدَّ له الساعة صلة له ولك معه لحفظك الأبيات ؛ فوصلنا بثلاثين ألف درهم .

[عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه]

وأخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمَّاز قال¹ : عتب المأمون
 على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فإذا فيها
 قوله : [من البسيط]

لا شيء أعظم من جرُمي سوى أُملي لحسن عفوك عن ذنبي وعن زَلِّي
 فإن يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما فأنْتَ أعظم من جرُمي ومن أُملي
 فضحك ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قدراً من جرُمك ، وما جال بفكري ولا
 أُخْطِرُهُ بعد انقضائه على ذكري .

[بينه وبين ابن بانة في مجلس الوراق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمَّد المهلبِّي قال : خرجنا مع الوراق إلى القاطول² للصيد ،
 ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلويّه ومُخارق وعقيد ، وقديم إسحاق في
 ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً ، ثم أمر بالبُكور إلى
 الصُّبوح فباكرنا واصطبحنّا . فغنّى عمرو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصلي : [من الطويل]

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرّاً فأصبحتُ مُدَمِّمةٌ عندي براء من الحمد
 وأصبح عندي من وثقتُ بغيّه بغيضُ الأيادي كلُّ إحسانه نَكْدُ³
 ولحنه خفيف رَمَلٍ بالوسطى ، فغنّاه على ما أخذ من إبراهيم بن المهدي وقد غيَّره . فقال
 الوراق لإسحاق : أتعرف هذا اللحن ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أبي ولكنه ممَّا زعم إبراهيم بن

1 هذا الخبر ممَّا ورد في التذكرة الحمدونية 4 : 116 (رقم 340) .

2 القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة .

3 في هذا البيت إقواء .

المهديّ أنّه جَنَدَرَهُ وَأَصْلَحَهُ فَأَفْسَدَهُ وَدَمَّرَ¹ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : غَنِّ أَنتَ ، فَنَنَاهُ فَأَتَى بِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَاسْتَحْسَنَهُ الْوَائِقُ جَدًّا ؛ فَعَمَّ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ فَقَالَ لِإِسْحَاقَ : أَفَأَنْتَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَقُولَ هَذَا فِيهِ ؟ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِثْلُهُ ، أَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَأَنَا عَبْدُهُ وَعَبْدُ أَبِيهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ؛ وَأَمَّا الْغَنَاءُ فَمَا دَخُولُكَ أَنْتَ بَيْنَنَا فِيهِ ؟ مَا أَحْسَنْتَ قَطُّ أَنْ تَأْخُذَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَغْنِيَ ، وَلَا قَمْتَ بِأَدَاءِ غَنَاءٍ عَنْ أَنْ تَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ ؛ وَالْأَفْغَنُ أَيُّ صَوْتٍ شِئْتَ مِمَّا أَخَذْتَهُ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ ، فَإِنْ لَمْ أَوْضَحْ لَكَ وَلَمْنَ حَضَرَ أَنَّكَ لَا يَسْلَمُ لَكَ صَوْتٌ مِنْ نَقْصَانِ أَجْزَاءِ وَفْسَادِ صَنْعَةٍ فَدُمِي بِهِ رَهْنٌ ؛ فَاسْأَلْ عَمْرُو الْجَوَابَ وَأَغْلِظْ فِي الْقَوْلِ ؛ فَأَمَضَهُ الْوَائِقُ وَشَتَمَهُ وَأَمَرَ بِإِقَامَتِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ فَأَقِيمَ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ إِسْحَاقُ عَلَى الْوَائِقِ فَأَنَشَدَهُ : [من الرجز]

ومجلسٍ باكرته بُكُورًا	والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورًا
والصبحُ لم يَسْتَنْطِقِ الْعُصْفُورَا	على غديرٍ لم يكن دُعُثُورَا ²
لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ غَدِيرَا	يجري حَبَابُ مَائِهِ مَسْجُورَا ³
على حَصَى تَحْسِبُهُ كَافُورَا	تسمع للماء به خَرِيرَا
يَنْسِجُ أَعْلَى مَتْنِهِ سَطُورَا	نسيمٌ رَجَحَ قَدَ وَتَتْ فُتُورَا
حتى تَخَالَ مَتْنَهُ حَصِيرَا	والشَّربُ قَدْ حَفُّوا بِهِ حُضُورَا
وَأَمَرُوا السَّاقِيَّ أَنْ يُدِيرَا	كَأَسْهُمِ الْأَصْغَرَ وَالْكَبِيرَا
وَأَعْمَلُوا الْبِمَّ مَعًا وَالزُّيرَا	وجاوبتْ عِيدَانَهُمْ زَمِيرَا
وَقَرَّبُوا الْمُغْنَى النَّخْرِيرَا	مُقَدِّمًا فِي حِذْقِهِ مَشْهُورَا
فهم يطيطون به سرُورَا	ولا ترى في شربهم تَقْصِيرَا
ولا لِيَصْفُو عَيْشَهُمْ تَكْدِيرَا	ولا لِيَخْلُقَ مِنْهُمْ نَظِيرَا
إِلَّا رُجِيْلًا مِنْهُمْ سِكِّيرَا	مُعْرِبِدًا مُوَضَّحًا شَرِيرَا
مُدَّعِيًا لِلْعِلْمِ مُسْتَعِيرَا	يروم سعيًا كاذبًا مَغْرُورَا
وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِصِيرَا	مُفَضَّلًا بِعِلْمِهِ مَذْكُورَا
عَمَزَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ صَبُورَا	فَعَاذَ مِنِّْي هَارِبًا مَذْعُورَا
بِمَعْشَرٍ تَحْسِبُهُمْ حَمِيرَا	أَشَدَّ مِنْهُمْ حُمَقًا كَثِيرَا

1 دمر عليه : إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشر .

2 الدعثور : الحوض المثلَّم أو الذي لم تحكم صنعته ولم يوسع .

3 المسجور : المنظوم المسترسل

لا ينطقون الدهرَ إلا زورا
كالليث لما ضغم الخنزيرا
معتزفاً بذله مقهورا
معتليا لقرنه عقورا
إذ كنت بالوائق مستجيرا
إمام عدلٍ دبّر الأمورا
ترى من الحق عليه نورا
وجده الأدنى تقى وخيرا
فأصبح الملكُ به مُنيرا
قد أَمِنَ الناسُ به المخطورا
رأيتُ بدرأ طالعا مُنيرا
يرجون منه نائلا غزيرا
لا جاجِدَ النعمى ولا كفورا
حتى إذا كسرتُه تكسيرا
ولّى انهزاماً خاسئاً مدحورا¹
وكنتُ قِدْماً ضيغماً هصورا
وما أخاف الزمنَ العثورا
قد عَزَّ مَنْ كان له نصيرا
برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
تَقَيَّلَ المَهْدِيَّ والمنصورا²
ورثه المعتصمُ التدويرا
وأصبح العدلُ به منشورا
إذا علا المُنْبَرُ والسريرا
بحراً ترى الغنى والفقيرا
والله لا زلتُ له شكورا
وكنتُ بالشكر له جديرا

[أُشْدِدُهُ الْأَصْمَعِيَّ جَمَلَةَ أَشْعَارٍ فِي الْقُرُوسِيَّةِ]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ يَقُولُ : أَتَشْدِدُنِي
الْأَصْمَعِيَّ قَوْلَ الْأَعْمَشِيِّ :

إِنْ تَرَكِبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُزُلُ
ثُمَّ قُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ تَحْفَظُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؟ وَكَانَ مَعَ بَخْلِهِ بِالْعِلْمِ لَا يَبْخُلُ بِمِثْلِ هَذَا ، فَأَنْشَدَنِي
لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيَّ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلُ³
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

[سَرَّهَ غَنَاءٌ مَلَا حَظَ فَمَدَحَهَا]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَرْوَانَ قَالَ
حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : اجْتَمَعْنَا يَوْمًا إِمَّا قَالَ فِي مَنْزِلِي أَوْ فِي مَنْزِلِ

1 ضغم : عض ملء فيه .

2 تقيل الرجل لباه : أشبهه .

3 أوظفه : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر .

محمد بن الحارث بن بُسْخَر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظٌ تُغْنِيَا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومن عندكم ؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرّفوها من أنا فيُخرجها التصنع لي والتحفُّظ مني عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتّى نتفّع بها ؛ وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولاً ، وابتدأت وغنّت والصنعة لفليح بن أبي العوّاء ، ولحنه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق ليلتئذٍ أنّ الغناء لفليح : [من البسيط]

صوت

إِنِّي تَعَلَّقْتُ ظِيماً شَادِناً خَرِقاً عُلَّقَتْهُ شِقْوَةٌ مِنِّي وَمَا عَلِقَا
قال : فطرب إسحاق وشرب حتى وآلى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواةً وكتب : [من الطويل]

سَأَشْرَبُ مَا دَامَتْ تُغْنِي مَلاَحِظُ	وإن كان لي في الشَّيْبِ عن ذاك وإعِظُ
مَلاَحِظُ غَنِيْنَا بَعِيشِكُ وَلِيَكُنْ	عليك لما استَحَفَّظْتَهُ مِنْكَ حَافِظُ
فَأَقْسِمُ مَا غَنَى غِنَاءُكَ مُحْسِنٌ	مُجِيدٌ وَلَمْ يَلْفِظْ كَلْفَظُكَ لَافِظُ
وفي بعض هذا القولِ مِنِّي مَسَاءَةٌ	وغيِظٌ شديدٌ للمغْنين غَائِظُ

[حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثني إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنك تقبِضُ على البرامكة وتؤلّي الفضلَ بن الرّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك ويْلَكَ ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعد أيامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته : [من الهزج]

صوت

إِذَا نَحْنُ صَدَقْنَاكَ	فَضَرَ عِنْدَكَ الصَّدَقُ
طَلَبْنَا النِّفْعَ بِالْبَاطِلِ	لِإِذْ لَمْ يَنْفَعِ الْحَقُّ
فَلَوْ قَدَّمْ صَبّاً فِي	هَوَاهُ الصَّبْرُ وَالرَّفْقُ
لَقَدَّمْتُ عَلَى النَّاسِ	وَلَكِنَّ الْهَوَى رَزَقُ

في هذه الآيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع ، والصحيح أنّه لإسحاق . وقيل : إنّ الشعر لأبي العتاهية . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صيرتَ حَقُوداً .

[المعصم يجيزه وعلويه دون مُخارق]

أخبرني الحسن قال حدثنا يزيد بن محمد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ على المعصم يوماً بسرّاً من رأى ، فإذا الواثق بين يديه وعنده علويه ومُخارق ؛ فغناه صوتاً فلم ينشط له ، ثم غناه علويه فأطربه . فلما رأيتُ طربه لغناء علويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنيته لحنى :

صوت

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحَبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَلَعَلَّوَيْهِ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَأْمُرْ لِمُخَارِقٍ بِشَيْءٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ الْهَوَى وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحَبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَىٍّ أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
الشعر للمجنون¹ . والغناء لإسحاق ثقیلاً أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وغنى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر ، هزجاً بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَهْنَاءِ عَظْمِي وَمُنْكِبِي هَوَىٍّ لَسُلَيْمَى فِي الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ
وَإِنِّي سَعِيدٌ أَنْ رَأْتُ لَكَ مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ عَيْنِي مَنْزَلاً فِي بَنَى أَبِي

[الواثق يجيزه على غناء علويه بلحنه]

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال : غنى علويه بين يدي الواثق يوماً :

صوت

خَلِيلٌ لِي سَاهِجُهُ لَذَنْبٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
وَلَكِنِّي سَارِعَاهُ وَأَكْمَهُ وَأُسْتَرُهُ
وَأُظْهِرُ أَتْنِي رَاضٍ وَأُسْكُتُ لَا أُخْبِرُهُ
لَكِي لَا يَعْلَمُ الْوَاشِي بِمَا عِنْدِي فَأَكْثِرُهُ

الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ، قال : فطَرِبَ الوائِقُ طَرِباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لَعْلَوِيَه بِالْف دينار ؛ ثم قال : أَهَذَا اللحنُ لك ؟ قال : لا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هو لهذا الهَزَبِ¹ (يعني إسحاق) قال : وكان إسحاق حاضراً ، فضحك الوائِق وقال : قد ظلمناه إذاً ، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم .

[عارض ثقيلًا بهزج]

أخبرنا علي بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذِيَه عن أبيه قال : كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعَلَوِيَه حاضرٌ ؛ فغناه عَلَوِيَه : [من مجزوء الوافر]

عَلِقْتُكَ نَاشِئًا حَتَّى رَأَيْتِ الرَّأْسَ مَبِيضًا
عَلَى يُسْرِ وَعِيسَارٍ وَفَيْضِ نَوَالِكِم فَيْضًا
أَلَا أَحِبُّ بَارِضٍ كَدَ تَحْتَلِينَهَا أَرْضًا
وَأَهْلُكَ حَبْدًا مَا هَمَّ وَإِنْ أَبَدُوا لِي الْبُغْضَا

الشعر لابن أذينة . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاق أيضًا . وفيه لِلأَبَجَرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لإسحاق الموصلي هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق أيضًا ، وفيه لِلأَبَجَرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخر ، ولإبراهيم الموصلي رَمَلٌ ، جميعُ ذلك عن الهشامي . قال : فغناه إِيَّاهُ فِي الثَّقِيلِ ، ثم غناه هَزَجًا ؛ فقال له الفتحُ : لِمَنِ الثَّقِيلُ ؟ فقال : لابن سُرَيْجٍ ، قال : فَلِمَنِ الهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهَزَبِ² (يعني إسحاق) ؛ فقال له الفتحُ : وَبِئْسَ يا إسحاق ! أَتُعَارِضُ ثَقِيلَ ابْنِ سُرَيْجٍ بِهِزَجَكَ ؟ قال : فَقَبَضَ إسحاقُ لِحِيَّتِهِ ثم قال : عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ مَا فَاتَنِي إِلَّا بِتَحْرِيكِهِ الذَّقَنَ .

[تصويبه المعتصم في شعر أبي خراش]

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، واستدناني فدنوتُ منه ، واستدناني فتوقفتُ خوفاً من أن أكون مُوَارِيَاً فِي الْمَجْلِسِ لإسحاق بن إبراهيم ؛ فَفَطِنَ الْمُعْتَصِمُ لَذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ إِسْحَاقَ لَكَرِيمٌ ، وَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَنْزِلْ مَا عِنْدَ الْكَرِيمِ بِمَثَلِ إِكْرَامِهِ . ثم تحدثنا وأفضتُ بنا المذاكرةُ إِلَى قول أبي خراش الهذلي³ :

[من الطويل]

1 ل : الهريذ وهو أحد خدماة النار عند المجوس أو أحد عظماء الهند أو علمائها (فارسية) .

2 ل : الهريذ .

3 شرح أشعار الهذليين : 1230 والحماسية رقم 262 .

حَمِدْتُ إلهي بعد عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهَوُنُ مِنْ بَعْضِ
فَأَنْشَدَهَا الْمُعْتَصِمُ إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنْشَدَ فِيهَا : [من الطويل]

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ حُطَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ¹
وَالرَّوَايَةُ «قَدْ بَزَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ» ؛ فَغَلِطْتُ وَأَسَأْتُ الْأَدَبَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ
رِوَايَةُ الْكِتَابِ وَمَا أَخَذَ عَنِ الْمُعَلِّمِ ؛ وَالصَّحِيحُ «بَزَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ» ؛ فَقَالَ لِي : نَعَمْ صَدَقْتَ ،
وَعَمَزَنِي بَعِينُهُ ، يَحْذَرُنِي مِنْ إِسْحَاقَ ؛ وَفَطِنْتُ لَغَلَطِي فَأَمْسَكْتُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَشْفَقَ عَلَيَّ مِنْ
بَادِرَةِ تَبَدُّرٍ مِنْ إِسْحَاقَ ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا فِي الْخُلَفَاءِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يُعْظِمَ عَقُوبَتَهُ
وَيُطِيلَ حَبْسَهُ ، كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ ؛ فَنَبِّهَنِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَكَتُ وَتَبَّهْتُ .
[غَنَى الْمُأْمُونُ ثَلَاثِينَ صَوْتًا مِنْ أَهْزَاجِ الْقَدَمَاءِ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ : كُنَّا عِنْدَ
الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ : مَا أَقَلُّ الْهَزَجِ فِي الْغَنَاءِ الْقَدِيمِ ! ؛ وَقَالَ إِسْحَاقُ : مَا أَكْثَرُهُ ! ثُمَّ غَنَاهُ نَحْوَ ثَلَاثِينَ
صَوْتًا فِي الْهَزَجِ الْقَدِيمِ . فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : هَذَا الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَلِيلُ الرِّوَايَةِ ! .
[أَتْنَى عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ بْنُ جَرِيرٍ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : قَالَ لِي الْعَبَّاسُ بْنُ جَرِيرٍ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ! مَذْكُورٌ
فَطَنَةٌ ، وَمَوْتٌ طَبِيعَةٌ ، مَا أَمَكْرَكَ ! .
[أُعْرَابِيٌّ يَعْجَبُ بِشِعْرِهِ]

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا
يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : أَنْشَدْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ شِعْرًا لِي أَقُولُ فِيهِ : [من الكامل]

أَجَرْتُ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ	لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقِ
إِنَّ الظَّعَائِنَ يَوْمَ نَاصِفَةِ اللَّوَى	هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةُ الْمُشْتَاقِ ²
لَمْ أَنْسَ إِذْ أَلَمَحْنَا فِي رِقْبَةٍ	مَنْهَنَ بِيضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ
وَأَشْرَنَ إِذْ وَدَّعْنَا بَأْنَامِلِ	حُمْرَ كَهْدَابِ الدَّمْقَسِ رِقَاقِ
وَرَمْتِكَ هَذَا يَوْمَ ذَاكَ فَاقْصَدْتَ	بِأَغْرٍ عَذْبٍ بَارِدٍ بَرَّاقِ ³
وَتَنَفَّسْتَ لَمَّا رَأَيْتَكَ صَبَابَةً	نَفْسًا تَصْعَدُ فِي حَشَا خَفَاقِ

1 في الديوان والحماسة : ولكنه قد سل .

2 الناصفة : الرحبة في الوادي .

3 أقصدت : أصابت .

ولقد حذرتُ فما نجوت مُسلِّماً حتى صُرِعتُ مَصارِعَ العُشَّاقِ
 إنَّ الخلافةَ أثبتتُ أوتادُها لما تحمَّلها أبو إسحاقِ
 مَلِكٌ أغرُّ يلوحُ فوق جبينه نورُ الخلافةِ ساطعَ الإِشراقِ
 كُسيَ الجلالَ مع الجمالِ وزانَه هَدْيُ التَّقَى ومكارمُ الأخلاقِ
 صَحَّتْ عروقتُ في الجيادِ وإنما يجري الجوادُ بصحَّةِ الأعراقِ
 ذخرَ الملوكِ فكانَ أفضلَ دُخرهم للملِكِ ما جمعوا من الأوراقِ
 وذخرتُ أبناءَ الحروبِ كأنهم أسدُ العرينِ على مُتُونِ عِتاقِ
 كم من كريمةٍ مَعَشَرٍ قد أنكِحتُ بسيفهم قَسراً بغيرِ صَدَاقِ
 وعزيزةٍ في أهلها وقَطينها قد فارقتُ بَعلاً بغيرِ طلاقِ

قال فقال لي : أَفَلَيْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ فقلت له : وما أَفليت ؟ قال : رَعَيْتَ فَلَامَ لَمْ يَرعَها أَحَدٌ غَيْرَكَ .

[كان المغنون يتلاشون أمامه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حَدَّثَنِي أَخِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَافِيَةَ بْنِ شَيْبٍ قَالَ : قُلْتُ لَزُرُّوْر بْنِ سَعِيدٍ : حَدَّثَنِي عَنْ إِسْحَاقَ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ إِذَا حَضَرَ مَعَكُمْ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ ذَاهِبٌ وَحُلُوفُكُمْ لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ لَا يَزَالُ بِحَذَقِهِ وَرَفَقِهِ وَتَأْنِيهِ وَلُطْفِهِ حَتَّى نَصِيرَ مَعَهُ أَقْلٌ مِنَ التُّرَابِ .

[شعره للفضل بن الربيع في الشيب]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، كَثُرَ وَاللَّهِ شَيْبُكَ ؛ فَقُلْتُ : أَنَا وَذَاكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ :

الشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عَمراً يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّساً
 لَمْ يَتَقِصْ مِنْهُ الشَّيْبُ قَلَامَةً وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَكَيْسُ

قال : هَاتِ يَا غَلامَ دَوَاةً وَقِرْطاساً ، أَكْتُبُهما لِي لِأَتَسَلَّى بِهِما .

[قصته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِسْحَاقَ وَأَخْبَرَنِي وَكِيعٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى لِأَبِي :

مالي لا أرى إسحاقَ ، عرّفني ما خبره ؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكّك ، فقال : أعليلُ هو ؟ فقال : لا ، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجّبه نافذُ الخادم ولحقته جفوةٌ ؛ فقال له : فإن حجّبه بعدها فلننكّه . فجاءني أبي فقال لي : إلّقه ، فقد سأل عنك ؛ وخبرني لما جرى . وجئتُ فحجبتُ أيضاً ؛ وخرج الفضل ليركب ؛ فوثبتُ إليه برقعة وقد كتبتُ فيها : [من المتقارب]

جعلتُ فداءك من كلّ سوء إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يجولون بيني وبين السلام فما إن أسلم إلا اختلاسا

وانفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا

فلما قرأها ضحك حتى غلب ، ثم قال : أو قد فعلتها يا فاسق ؟ فقلت : لا والله يا سيدي ، وإنما مزحتُ ؛ فحجّل نافذٌ خجلاً شديداً ، ولم يعد بعد ذلك لمساوتي .

[سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال : ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنرد ، وقال قوم : يغني ؛ فبلغتني النبوة ، فقال : قل يا إسحاق ؛ قلت : إذا أقول وأصيب ؛ قال : أتعلم الغيب ؟ قلت : لا ، ولكنني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته ؛ قال : فإن لم تصب ؟ قلت : فإن أصبت ؟ قال : لك حكمك ، وإن لم تصب ؟ قلت : لك دمي ؛ قال : وجب ؛ قلت : وجب ؛ قال : فقل ؛ قلت : يتنفس ؛ قال : فإن كان ميتاً ؟ قلت : تحفظ الساعة التي تكلمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني ؛ فقال : قد أنصفت ؛ قلت : فالحكم ؛ قال : احتكم ما شئت ؛ قلت : ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإن رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ فقلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : يا صفيق الوجه ، ما نزيدك على هذا شيئاً .

[مدح سفينة للأمين فأجازه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال : عمل محمد المخلوع سفينةً فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار . فلما أمعن وأنا مقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق ! فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي : كيف ترى سفيتي ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاء وقال لي : قل فيها أبياتاً ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالآيات ؛ فاشتهاها جداً وقال لي : أحسنت يا

إسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار ؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك ؟ فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات هاهنا .
[عرض للوائق بتشوقه إلى أهله]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غيّتُ الوراق في شعر قلته وأنا عنده بسرٌّ من رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي ، وهو :
[من الكامل]

صوت

يا حَبْدًا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ فِي الصَّبَحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ عَبَقًا مِنَ الْجَنَاجِثِ وَالْبَسْبَاسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمد ، لو قلتَ مكان «يا حَبْدًا رِيحُ الجنوب» : «يا حَبْدًا رِيحُ الشَّمال» ، أَلَمْ يَكُنْ أَرْقَ وَأَعْدَى وَأَصَحَّ لِلْأَجْسَادِ وَأَقْلَّ وَخَامَةً وَأَطْيَبَ لِلْأَنْفُسِ ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أمير المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد ؛ فقال : قل ؛ فقلت :

ماذا تَهَيَّجُ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى لِلصَّبِّ بَعْدَ ذَهُولِهِ وَالْيَاسِ

فقال الوراق : إنما استطبت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب ، وإليهم اشتقت لا إليها ؛ فقلت : أَجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبلتُ يده ؛ فضحك وقال : قد أذنتُ لك بعد ثلاثة أيام ، فامض راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألف درهم . لحنُ إسحاق هذا من الثقيل الأول .

[جعفر بن يحيى البرمكي وعبد الملك بن صالح الهاشمي]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي عن إسحاق قال : لم أَر قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له قُتُوَّةٌ وَظَرْفٌ وَأَدَبٌ وَحَسَنُ غِنَاءٍ وَضَرْبٌ بِالطَّبْلِ ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كلِّ فنٍّ من الأدب والفتوة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائمٌ ؛ فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسير بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بَقِيَّةَ يومنا وتغنيني وأغنيك وتأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فسيرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجواري وقال : لِيَبْرُزَنَّ ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمَنَّ منه . فلما وُضِعَ الشَّرَابُ دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنيني وأغنيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بالأذن لأحدٍ من الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول ؛

واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحُجَّاب والخَدَم ؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأذَّنوا له يعني رجلاً كان يأنس به ويمارحُه ويحضرُ خلواتِه ثم أخذنا في شأننا ؛ فوالله إنا لعلَى حالة سارة عجيبة إذ رُفِعَ السُّرُّ ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل ، وغلِطَ الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمي من جلالَةِ القَدَرِ والتَقَشُّفِ وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ، وكان أميرُ المؤمنين قد اجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه . فلَمَّا رأيناه مَقْبِلاً ، أقبل كلُّ واحدٍ منا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشقَّ غِيظاً . وفهم الرجلُ حالنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَعَ قَلَنَسِيَّتَه فرمى بها مع طِيلَسَانِه جانباً ؛ ثم قال : أطعمونا شيئاً ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو متفخ غصباً وغيظاً فطَعِمَ ، ثم دعا برطل فشربه ، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضَادَتِي الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخلق فليس وتخلق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدَّةَ أرطال ، ثم اندفع ليغنيينا ، فكان والله أحسننا جميعاً غناءً . فلَمَّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّي عنه ما كان به التفتَ إليه فقال له : ارفع حوائجَكَ ؛ فقال : ليس هذا موضعَ جوائِجَ ؛ فقال : لَتَفْعَلَنَّ ، ولم يَزَلْ يُلحَّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجدٌ ؛ فأجِبَ أن ترضاه ؛ قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنكَ ، فهاتِ حوائجَكَ ؛ فقال : هذه كانت حاجتي ؛ قال : ارفع حوائجَكَ كما أقول لك ؛ قال : عليّ دِينَ فادِحٌ ؛ قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإنَّ أحببتَ أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة ، فإنه لم يمنعي من إعطائك إياها إلا أن قدَّرَكَ يَجَلَّ على أن يصليكَ مثلي ، ولكنني ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسَلُّ أيضاً ؛ قال : ابني ، تُكَلِّمُ أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمه ؛ قال : قد ولَّاه أمير المؤمنين مصرَ وزوجَه ابنته العالية ومهرَها عنه ألفي ألف درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِرَ الرجلُ (أعني جعفرًا) . فلَمَّا أصبحتُ لم تكن لي هِمَّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكَرَ ، ووجدتُ في الدَّارِ جَلْبَةَ ، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعِيَ بهم ، ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخِلَا على الرشيد ؛ فقال الرشيد لعبد الملك : إنَّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رَضِيَ عنكَ ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة . ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا عليّ أني قد زوجتُه العالية بنتَ أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفي ألف درهم من مالي وولَّيته مصرَ . قال : فلَمَّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ؛ فقال : بَكَرْتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كُنَّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنع ؛ فعَجِبَ لذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد

ضَمِنْتُ لَهُ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَمَانًا ؛ فَقَالَ : مَا هُوَ ؟ فَأَعْلَمْتُهُ ؛ قَالَ : أَوْفٍ لَهُ بِضْمَانِكَ ، وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِهِ ؛ فَكَانَ مَا رَأَيْتَ .
[حمل علويه لحنا له إلى أبيه فأعجب به]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا صُنِعْتُ لِحْنِي فِي : [من الخفيف]
هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ

أَلْقَيْتُهُ عَلَى عُلَوِيهِ ، وَجَاءَنِي رَسُولُ أَبِي بَطْنَى فَكَهَتْهُ بِأَكُورَةٍ ؛ فَبِعِثْتُ إِلَيْهِ : بَرَكَ اللَّهُ يَا أَبَةَ وَوَصَلَكَ ، السَّاعَةَ أَبْعَثْ إِلَيْكَ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْبَاكُورَةِ ؛ فَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّهُ قَدْ أَتَى بِأَبْدَةٍ¹ ؛ فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عُلَوِيهِ فَغَنَاهُ الصَّوْتُ ؛ فَعَجِبَ مِنْهُ وَأَعْجَبَ بِهِ ، وَقَالَ : قَدْ أَخْبَرْتَكُمْ أَنَّهُ قَدْ أَتَى بِأَبْدَةٍ . ثُمَّ قَالَ لَوْلَدِهِ : أَنْتُمْ تَلُومُونَنِي عَلَى تَفْضِيلِ إِسْحَاقَ وَحَبِّتِي لَهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ غَيْرِي لِأَحَبِّتُهُ لَفَضَلْتُهُ فَكَيْفَ وَهُوَ ابْنِي ؛ وَسَتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ لَا تَعِيشُونَ إِلَّا بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ الْبَاهِلِيَّ عَنْ أَخِيهِ أَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ لَمَّا صَنَعَ إِسْحَاقُ لِحْنَ فِي :

غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي

وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ مَعَ أَخْبَارِ هَذَا الصَّوْتِ فِي مَوْضِعِهِ .

[رأيه في إبراهيم بن المهدي]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : سَأَلْتُ إِسْحَاقَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ : دَعْنِي مِنْهُ ، فَلَيْسَتْ لَهُ رَوَايَةٌ وَلَا دِرَايَةٌ وَلَا حِكَايَةٌ .
[رثاؤه هُشَيْمَةَ الْخَمَارَةِ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَتْ هُشَيْمَةُ الْخَمَارَةِ جَارَتِي ، وَكَانَتْ تَخْصُنِي بِأَطْيَبِ الشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ ؛ فَمَاتَتْ فَقُلْتُ أُرْثِيهَا : [من الكامل]

أَضَحْتُ هُشَيْمَةَ فِي الْقُبُورِ مَقِيمَةً وَخَلْتُ مَنَازِلَهَا مِنَ الْفِتْيَانِ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْحَبَّ حَبِيْبُهُ دَبَّتْ لَهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
حَتَّى يَلِينْ لَمَّا تُرِيدُ قِيَادَهُ وَيَصِيرَ سَيْئُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ

[قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَأَلَنِي إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ حَاجَةً ، فَقَضَيْتُهَا لَهُ وَزَدْتُ فِيهَا سَأَلَ ؛ فَقَالَ لِي : [من الرجز]

إذا الرجالُ جهَلُوا المكارمًا كان بها ابنُ الموصليَ عالمًا
أبقاك ذو العرش بقاءً دائماً فقد جُعِلَتْ للكرام خاتماً
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتماً كان نَداه لَنَداك خادماً
قال حمّاد : وقال لي أبي : كان إدريسُ سخياً من بين آل أبي حفصة ؛ فنزل به ضيفٌ ،
فتنمّرت امرأته عليه ؛ فقال لها :
من شرّ أيامك اللَّاتي خُلِقَت لها إذا فقدتِ ندى صوتي وزواري¹

[تشاغل عن دعوة علي بن هشام]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدثنا حمّاد عن أبيه قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا
عبد الله بن محمد بن أبي عَينَةَ ، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلْتُ عنه برجل من
الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً ؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ مَنْ يُعاديّني ؛
فسألوا ابنَ أبي عَينَةَ أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلَفاء ؛ فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مَليّاً بالوعد والخُلف والمُط ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب
لَهجاً بالأعراب إنّ لدينا بعضَ ما تشتهي من الأعراب
قد عَرَفنا الذي شُغِلت به عَنّا وإن كان غيرَ ما في الكتاب
قال : فكتبْتُ إلى الذي حمل ابن أبي عَينَةَ على هذه الأبيات ، قال حمّاد : وأظنّه
إبراهيم بن المهديّ :

قد فهِمْتُ الكتابَ أصلحك الله هُ وعندي عليه رَدُّ الجوابِ
ولمَمرّي ما تُنصفون ولا كا ن الذي جاء منكم في حسابي
لستُ آتيك فاعلمنّ ولا لي فيك حظٌّ من بعد هذا الكتابِ

[عاب علي بن هشام لأنّه مرض ولم يعده]

قال حمّاد : قال أبي : وكتبْتُ إلى عليّ بن هشام وقد اعتللتُ أياماً فلم يأتني
رسولُه :

أنا عليلٌ منذُ فارقتني وأنتَ عَمَن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ
فلَمّا وصلتُ إليه رُفعتي ركبَ إليّ وجاءني عائداً .

[شعره حين عودته من البصرة]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال : لما خرج أبي إلى البصرة خرجته الأولى
وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه :

صوت

ما كنتُ أعرفُ ما في الين من حزنٍ حتى تنادوا بأن قد جيء بالسُّقن
قامتُ تودّعني والعينُ تغليبها فجَمَجَمَتْ بعضَ ما قالت ولم تُين
مالت عليّ تُقدِّيني وترشِّقني كما يميل نسيمُ الرِّيحِ بالغُصنِ
وأعرضتُ ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إياك لم تكنِ
لما افترقنا على كُرهٍ لفرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهَمِّ والحزنِ

[يزيد على شعرٍ لجميل]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدني شدّاد بن عُبّة
لجميل¹ :

قفني تسَلُّ عنك النفسُ بالخُطّةِ التي تُطيلن تخويفي بها ووعيدي²
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضىنا بحكمٍ منك غيرٍ سديدٍ
قال : فأنشدتُ الزُّبير بن بَكَار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلّا بهما
لرايتُهما غنماً . وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً³ :

بُثِّين سَلِّيني بعضَ مالي فإنّما يُمينٌ عند المال كلُّ بخيلٍ
فإنّي وتكراري الزيارةَ نحوكم لَبِّين يَدَيَّ هَجْرٍ بُثِّين طويلٍ
قال أبي : فقلت لشدّاد : فهلا أزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت :

فيا ليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا إذا نحنُ أزمعنا غداً لرحيلٍ
ألا ليتَ أياماً مَصْنينَ رواجعٍ وليت النوى قد ساعدتُ بجميلٍ
فقال شدّاد : أحسنتَ والله ، وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟
قال : نفيتَه عن نفسك بتسميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَقْ بجميل ، فضاع بينكما جميعاً .

1 ديوان جميل : 50 .

2 تخويفي في ل : تسويفي .

3 ديوان جميل : 111 .

[عند إسحاق المصعبي]

حدثني جَحْظَةُ قال حدثني علي بن يحيى المُنَجِّم قال حدثني إسحاق الموصلي قال : دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجه إليّ فحضرت وحضر علويه ومخارق وغيرهما من المغنين ؛ فبينما هم على شرايبهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ المأمون فقال له : أجب أمير المأمون فقال : السمع والطاعة ؛ ودعا بشيابه فلبسها . ثم التفت إلى محمد بن راشد الخنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس ، فاحفظ لي كل صوت يمرّ وما يشربه كل إنسان ، حتى إذا عدت أعدت عليّ الأصوات وشربت ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخص إلى بابك¹ من غدٍ ، وتقدّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلما دخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعت فيما تقدّمت به إليك ؟ قال : قد أحكمت أعزك الله ؛ ثم أخبره بما شرب القوم وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ ممّا حفظه له حتى يستوفي ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفي النبيذ والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد عملت في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبيتاً فاسمعها ؛ فقلت : هايتها أعز الله الأمير ؛ فأنشدني : [من الطويل]

صوت

ألا مَنْ لقلبٍ مُسلمٍ للنوائبِ أحاطت به الأحزانُ من كلِّ جانبِ
تَبَيَّنَ يومَ البين أنَّ اعتزامه على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

[من الطويل]

حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه دمّ صبه بين الحشا والترائبِ
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه فهل بدمي من تائيرٍ أو مُطالبِ
قال : فقلت له : ما سمعت أحسن من هذا الشعر قط ؛ فقال لي : فاصنع فيه لحناً ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأخضرتني وصيفةً له ، فألقيته عليها حتى أخذته ؛ وقال : إنما أردت أن أتسلى به في طريقي وتذكّرني به الجاريةُ أمرك إذا غنته . فكان كلما ذكر أتابي برّه ، إلى أن قديم ، عدّة دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدت فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رملي ، ذكره ابنه عبيد الله عنه . ولمخارق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانه هزجٌ بالوسطى . ولمخارق والطاهرية خفيفٌ ثقيل .

1 هو بابك الخرمي خرج على الدولة العباسية وقتل في أيام المعتصم .

[سأل عنه المتوكل عندما كف بصره]

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله محمد بن حمدون قال : سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي ، فعرف أنه قد كف وأنه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى اجلسه قدام السرير ، وأعطاه مِخْدَةً ، وقال له : بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدة في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنه لا يُستجلب ما عند حرٍّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلما شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً فجاء به ؛ فاندفع يغني بصوت الشعر فيه والغناء له :

صوت

ما علّة الشيخ عيناه بأربعة تغزّو رقان بدمع ثم ينسكب
قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلاماً من الغلمان الوقوف على الخير¹ إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكل : يا ابن حمدون ، أتُحسن أن تغني هذا الصوت ؟ فقلت نعم ؛ قال : غنّه ؛ فترنمت به ؛ فقال إسحاق : من هذا الذي يحكيني ؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون ؛ فقال : وددتُ أنه يُحسن أن يحكيني ، فقلت له : أنت عرضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوضراً² ؛ وكان يستطيعها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنى إسحاق :

صوت

إن هفت ورقاء في رونق الضحى على غصن غصّ الشباب من الرند³
بكيت كما يبكي الحزين صباية وشوقاً وتابعت الحين إلى نجد⁴
فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فعلتلك بالوائق لما غنيتَه بالصالحية⁵ :

طربتُ إلى الأصبيّة الصغار وذكرني الهوى قرب المزار⁶

1 الحير : مشبه الحظيرة للحيوانات البرية ، والمقصود هنا هو قصر المتوكل بسامراء والذي كان له مثل تلك الحظيرة .

2 الرقة : أرض إلى جانب الوادي ينسبط فيها الماء . بوضراً : إحدى قرى بغداد .

3 ل : على فن غص النبات من الرند .

4 رواية ل :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل وأبدت الذي لم تكن تبدي

5 الصالحية : إحدى قرى الجزيرة .

6 الأصبيّة في ل : أصيبة .

فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخر عهدنا به ، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين .

[تطير من اقتراح الواصل شعرًا للغناء]

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلت على الواصل أستأذنه في الانحدر إلى بغداد فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غن¹ : [من الطويل]

صوت

ألا إن أهل الدار قد ودّعوا الداراً وإن كان أهل الدار في الحي أجواراً
وقد تركوا قلبي حزيناً متيمماً بذكرهم ، لو يستطيع لقد طاراً
فطيرت من اقتراحه له وغنيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فانصرف ؛ ثم كان آخر عهدي به . الشعر لمطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل¹
أول بالوسطى عن عمرو .
[استسقى نبذاً ولكن الدن انكسر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الفرج قال حدثنا أحمد بن معاوية قال : كنت في بيتي وعلويه يُغنيني : [من البسيط]

صوت

أعرضن من شمط في الرأس لاح به فهن عنه إذا أبصرته جيداً
قد كنّ يعهدن مني منظرًا حسنًا وجمة حسرت عنها العناقيد
فوردت علي رقة من إسحاق الموصلي يستسقينني نبذاً ؛ فبعثت إليه بدن مع غلام لي ؛ فلمّا توسّط الغلام به الجسر زجم فكسر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسألتي التجافي عنه ؛ فكتب إليّ : [من مجزوء الكامل]

يا أحمد بن معاوية إني رُميت بداهية
أشكو إليك فأشكيني كسر الغلام الخاية
يا ليتها سلمت وكا ن فداءها ابن الزاينة

فبعثت إليه بأربعة أدنان ، وأعتقت الغلام بشفاعته في أمره .

[صنع صوتاً أعجب به المعتصم والوائق]

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مَزِيد قالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيُّ قَالَ قَالَ لِي
حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الصَّوْتُ : [من المنسرح]

صوت

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي عَفَى الْقِدَمُ وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدَّيْمُ
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نُسَائِلُهَا فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجْمٍ
ذِكْرًا لَعِيشٍ مَضَى إِذَا ذَكَرْتُ مَا فَاتَ مِنْهُ فَذَكَرَهُ سَقَمُ
وَكُلُّ عِيشٍ دَامَتْ غَضَارَتُهُ مُنْقَطِعٌ مَرَّةً وَمُنْصَرِمُ

ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، أعجب به المعتصم والوائق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردُّه على
مُخَارِقٍ وَعَلَوِيهِ وَالْجَمَاعَةَ لِيَأْخُذُوهُ عَنْكَ ، وَاَنْصَحْهُمْ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا فِيهِ نَسَبَ إِلَيْكَ
إِحْسَانَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا بَانَ فَضْلُكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي مَرَّةً ، وَكَانُوا يَقْصِدُونَ
إِلَى مَنْزِلِهِ وَيُرَدُّه عَلَيْهِمْ ، وَمَاتَ وَمَا أَخَذُوا مِنْهُ عِلْمَ اللَّهِ إِلَّا رَسْمَهُ . الشعر والغناء لإسحاق ،
ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ .

[في دير القائم وتلّ عزاز]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ² : خَرَجْنَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ يَرِيدُ
الرَّقَّةَ ؛ فَلَمَّا صِرْنَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْقَائِمُ نَزَلْنَا ، وَخَرَجَ يَتَصَيَّدُ وَخَرَجْنَا مَعَهُ ، فَأَبْعَدَ فِي طَلَبِ
الصَّيْدِ ؛ وَلاَحَ لِي دَيْرٌ فَقَصَدْتُهُ وَقَدْ تَعَبْتُ ، فَأَشْرَفْتُ عَلَى صَاحِبِهِ ؛ فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي النَّزُولِ بِنَا
الْيَوْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، وَإِنِّي إِلَى ذَلِكَ لِحْتَاجٍ ؛ فَتَزَلَّ فَفَتَحَ لِي الْبَابَ وَجَلَسَ يَحْدِثُنِي ، وَكَانَ شَيْخًا
كَبِيرًا وَقَدْ أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي عَمَّنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْقَوْمِ وَمَوَالِيهِمْ وَجِيُوشِهِمْ ؛
وَعَرَضَ عَلَيَّ الطَّعَامَ فَأَجَبْتُهُ ؛ فَقَدَّمُ إِلَيَّ طَعَامًا مِنْ طَعَامِ الدِّيَارَاتِ نَظِيفًا طَيِّبًا ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَأَتَانِي
بِشْرَابٍ وَرِيحَانٍ طَرِيٍّ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، وَوَكَّلَ بِي جَارِيَةً تَخْدُمُنِي رَاهِبَةً لَمْ أَرَأَ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهَا وَلَا
أَشْكَلَ ؛ فَشَرِبْتُ حَتَّى سَكِرْتُ ، وَنِمْتُ وَاتَّبَهْتُ عِشَاءً ؛ فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ : [من المزج]

صوت

بَذِيرُ الْقَائِمِ الْأَقْصَى غَزَالٌ شَادِنٌ أَخْوَى
بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي وَلَا يَعْلَمُ مَا أَلْقَى

1 أعين في ل : أدمع .

2 هذه أخبار مكررة .

وَأَكُمُ حَبَّه جُهْدِي وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

وَرَكِبْتُ فَلَحِقْتُ بِالْمَعْسُكِرِ وَالرَّشِيدُ قَدْ جَلَسَ لِلشَّرْبِ وَطَلَبَنِي فَلَمْ أُوجَدْ . وَأُخْبِرْتُ بِذَلِكَ ، فَغَنَيْتُ فِي الْأَيَّامِ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟ وَيَحَكَ ! فَأُخْبِرْتَهُ بِالْخَبَرِ وَغَنَيْتَهُ الصَّوْتُ ؛ فَطَرِبَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكِرَ ، وَأَخَّرَ الرَّحِيلَ فِي غَدٍ ، وَمَضَيْنَا إِلَى الدَّيْرِ وَنَزَلَهُ ، فَرَأَى الشَّيْخَ وَاسْتَنْطَقَهُ ، وَرَأَى الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تَخْدُمُنِي بِالْأَمْسِ ؛ فَدَعَا بِطَعَامٍ خَفِيفٍ فَأَصَابَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِالشَّرَابِ ، وَأَمَرَ الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْأَمْسِ تَخْدُمُنِي أَنْ تَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ وَسَقَيْهِ فَفَعَلَتْ ، وَشَرِبَ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لِلدَّيْرِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَمَرَ بِاحْتِمَالِ خَرَاكِ مَزَارِعٍ كَانَتْ لَهُ سَبْعَ سِنِينَ ؛ فَرَحَلْنَا .

قَالَ حَمَّادٌ : فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : فَلَمَّا صِرْنَا بَتْلَ عَزَّازٍ مِنْ دَابِقٍ¹ خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لِي نَنْتَزِعَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا ، وَطَلَبَنِي الرَّشِيدُ فَلَمْ يَجِدْنِي . فَلَمَّا رَجَعْتُ أَتَيْتُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ ؛ فَقَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟ طَلَبْتُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأُخْبِرْتَهُ بِزُهْرَتِنَا فَغَضِبَ . وَخِفْتُ مِنَ الرَّشِيدِ أَكْثَرَ مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْفَضْلِ ؛ فَقُلْتُ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

صوت

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَّازٍ عِنْدَ ظَهْمِي مِنَ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي
شَادِنٍ يَسْكُنُ الشَّامَ وَفِيهِ مَعَ ظَرْفِ الْعِرَاقِ شَكْلُ الْحِجَازِ
يَا لَقَوْمِي لَبَنٌ قَسٌّ أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوُ الْهَوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ بَدَ وَلَيْسَتْ تَهْمُ بِالْإِنْجَازِ

وَغَنَيْتُ فِيهِ ؛ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ مُغْضَبٌ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ طَلَبْتُكَ فَلَمْ أَجِدْكَ ؛ فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنْشَدْتُهُ هَذَا الشَّعْرَ وَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : عَذْرُ وَأَيْكَ وَأَيُّ عَذْر ! وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ وَيَسْتَعِيدُنِي لَيْلَتَهُ جَمْعَاءَ حَتَّى انْصَرَفْنَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى رَحْلِي إِذَا بِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَانَا يَدْعُونَا ؛ فَوَافَيْتُ فَدَخَلْتُ ، وَإِذَا ابْنُ جَامِعٍ يَتَمَرَّغُ عَلَى دُكَّانٍ فِي الدَّارِ وَهُوَ سَكْرَانٌ يَتَمَلَّمُ ؛ فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ الْمُوصِلِيِّ ، أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي ؛ فَقَالَ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَدْرِي دِرَايَةً صَحِيحَةً ، جَاءَتْ بِنَا نَصْرَانِيَّتُكَ الزَّانِيَةُ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لعنة الله . وَخَرَجَ الْآذِنُ فَأَذِنَ لَنَا ، فَدَخَلْنَا . فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّشِيدَ تَبَسَّمتُ ؛ فَقَالَ لِي : مَا يُضْحِكُكَ ؟ فَأُخْبِرْتَهُ بِقَوْلِ ابْنِ جَامِعٍ ؛ فَقَالَ : صَدَقَ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَقَدْتُمْ فَاشْتَقْتُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ ، فَعُودُوا بِنَا ، فَعُدْنَا فِيهِ حَتَّى انْقَضَى مَجْلِسُنَا وَانْصَرَفْنَا .

1 دابق : من قرى حلب .

لحن إسحاق الأوّل : [من الهزج]

بذير القائم الأقصى

خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلٌ . ولحنه في : [من الخفيف]

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ

خفيفٌ رَمَلٍ .

[دخل على الرشيد ضارباً مغنياً]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كوّرتها على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطى بمشدّة حرير أحمر ، ولبستُ لباساً مُشْتَهَراً ، وأخذتُ بيدي صفاقتين وأقبلتُ أُخطِرُ وأضرب بالصفاقتين وأغني : [من المجث]

إسمع لصوتٍ مليحٍ من صنعة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ يطيرُ في الأوتارِ

فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيةَ يومه ، وما استعاد غيره ، وأمر لي بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

[لحن لذلك الشيطان إسحاق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنى بعضُ مَنْ كان عنده : [من الرمل]

صوت

كلُّ شيءٍ منك في عيني حَسَنٌ ونصبي منك همٌّ وحَزَنٌ

لا تظنّني أنّه غيّرني قدّمُ العهد ولا طولُ الزمنِ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّبُورِيِّين ؛ فقال : لا ولكنّه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

[شعره في جارية سقته في الطريق إلى طوس]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : لما خرجنا مع الرشيد إلى طوس كنتُ معه أسايرُهُ ، فاستسقيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنَةُ¹ ، فخرجتُ إلينا جارية

كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ ، فَسَقَتْنِي مَاءً ؛ فَقُلْتُ هَذَا الشَّعْرُ :
 غَزَالٌ يَرْتَعِي جَنَبَاتِ وَادٍ بَسَحْنَةً قَدْ تَمَكَّنَ فِي فَوَادِي
 سَقَانِي شَرْبَةً كَانَتْ شِفَاءً لِإِلَّةٍ حَائِمٍ حَرَّانَ صَادِي¹
 وَغَنِيَتِهِ الرَّشِيدَ ؛ فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَرْوِّجَكُمَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي . قَالَ :
 فَاخْطُبُهَا وَالْمَهْرُ عَلَيَّ وَمَا يُصْلِحُهَا ؛ فَخَطَبْتُهَا ، فَأَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُخْرِجُوهَا مِنْ بَلَدِهَا . لَحَنُ
 إِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وَفِيهِ لَعَلُّوهُ خَفِيفٌ رَمَلٌ .
 [أحد العامة يأخذ صوتاً عنه]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : مَا اغْتَمَمْتُ
 بِشَيْءٍ قَطُّ مِثْلَ مَا اغْتَمَمْتُ بِصَوْتِ مَلِيحٍ صَنَعْتَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :
 [من المديد]

صوت

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ فَكَتَوَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَا
 أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا
 مَنْ يَكُنْ مَا ذَاقَ طَعْمَ رَدَى ذَاقَهُ لَا شَكَّ إِنْ عَشِقَا
 فَإِنِّي صَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا وَجَعَلْتُ أُرْدَدَهُ فِي جَنَاحٍ لِي سَحَرًا ؛ فَأُظَنُّ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ مَرَّ بِي
 فَسَمِعَهُ فَأَخَذَهُ ؛ فَكَبَّرْتُ مِنْ غَدٍ إِلَى الْمُعْتَصِمِ لِأُغْنِيَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَاطٍ يَسُوطُ² النَّاطِفَ وَهُوَ يُغْنِي
 اللَّحْنَ بَعِينَهُ إِلَّا أَنَّهُ غَنَاءٌ فَاسِدٌ . فَعَجِبْتُ وَقُلْتُ : تُرَى مِنْ أَيْنَ لِهَذَا السَّوَاطِ هَذَا الصَّوْتُ ! وَلَعَلِّي
 إِذَا غَنِيَتُهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَّ بِي هَذَا فَسَمِعَنِي أُغْنِيَهُ ؛ وَبَقِيْتُ مُتَحِيرًا ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا فَتَى ، مَنْ سَمِعْتَ
 هَذَا الصَّوْتُ ؟ فَلَمْ يَجِبْنِي وَالتَفَتَ إِلَى شَرِيكِهِ ، وَقَالَ : هَذَا يَسْأَلُنِي مَنْ سَمِعْتَهُ ! هَذَا غَنَائِي ، وَاللَّهِ
 لَوْ سَمِعَهُ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي لَخَرَّ فِي سَرَائِيلِهِ ؛ فَبَادَرْتُ وَاللَّهِ هَارِبًا خَوْفَ أَنْ يَمُرَّ بِي إِنْسَانٌ
 فَيَسْمَعَ مَا جَرَى عَلَيَّ فَأَفْضِيحَ ؛ وَمَا عَلَّمَ اللَّهُ أَنِّي نَطَقْتُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ بَعْدَهَا .
 [جوابه في أحجية]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ إِلَى
 أَبِي : أَيُّ شَيْءٍ تَصْحِيفُ : «لَا يُرِخُ مِثْلُ الْأَسِنَّةِ» . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبِي : تَصْحِيفُهُ : «لَا يَرِثُ
 جَمِيلٌ إِلَّا بُنِينَةً» ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَيْ مِنْكَ ! .
 [مديحه جعفر بن يحيى]

أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَرَأَى

1 حاتم : عطشان .

2 يسوط : يخلط .

شَفَتْنِي تَحَرَّكَانِ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ ؛ فقال : أَدْعُو أَمْ تَصْنَعُ مَاذَا ؟ فقلتُ : بَلْ أُمْدِحُ ؛
قال : قُلْ ؛ فقلتُ :

صوت

وَكُنْتُ إِذَا إِذْنُ عَلَيْكَ جَرَى لَنَا تَجَلَّى لَنَا وَجْهٌ أَغْرُ وَسِيمٌ
عَلَانِيَةً مَحْمُودَةً وَسِرِيرَةً وَفَعَلَ يَسْرُ الْمُعْتَمِينَ كَرِيمٌ
فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوة ، وقال : زدِ البيتين حسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛
فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني ؛ فلم يزل يشربُ عليهما حتى سكير .
[طفيلي ومقترح]

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أنه حدثه قال : غدوت يوماً
وأنا ضَجِرٌّ من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها ؛ فخرجتُ وركبتُ بُكْرَةً ، وعزمتُ على أن
أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ ؛ فقلتُ للغلماني : إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أنني
بكرتُ في بعض مهماتي ، وأنكم لا تعرفون أين توجهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي ، ثم
عُدتُ وقد حمي النهارُ ؛ فوقفْتُ في الشارع المعروف بالمخرم في فناء تخين الظلِّ وجناح
رحبٍ على الطريق لأستريح . فلم ألبثُ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارهاً عليه جاريةٌ راكبة ،
تحتها منديلٌ ديبقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطرفاً
فاتراً وشمائل حسنة ؛ فخرصتُ¹ عليها أنها مُغَنِّية ، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها . ثم
لم ألبثُ أن جاء رجلانِ شابانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛
فظننا أن صاحبَ الدار دعاني وظنَّ صاحبُ الدار أنني معهما ؛ فجلسنا ، وأتي بالطعام فأكلنا
وبالشراب فوضِع ، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنتُ وشرينا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل
صاحبُ المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني ؛ فقال : هذا طفيلي ، ولكنه ظريفٌ ،
فأجملوا عشرته . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنتِ الجاريةُ في لحنٍ لي :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةً شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ
فأدته أَدَاءُ صَالِحاً وَشَرِيت . ثم غنتُ أصواتاً شتى ، وغنتُ في أضعافها من
صنعتي :

1 فخرصتُ : قدرتُ .

الطُّلُولُ الدُّوَارِسُ فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَوْحَشْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفَرٌ بَسَائِسُ

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأوّل . ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث ، وغنت في
اثنائها من صنعتي :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِيًا

فكان أصلح ما غنته ؛ فاستعدته منها لأصححها لها ؛ فأقبل عليّ رجل من الرجلين وقال : ما
رأيتُ طفليلاً أصفقَ وجهاً منك ! لم ترَضَ بالتطفيل حتى اقترحتَ ، وهذا غاية المثل¹ «طفيلي
ومقترح» ؛ فأطرقتُ ولم أجبه ؛ وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكفُ . ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ
قليلاً ، فأخذتُ العود من الجارية ، ثم شددتُ طبقته وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ إلى
موضعي فصليتُ ، وعادوا ؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عرْبَدته عليّ وأنا صامتٌ ؛ ثم أخذتُ
الجارية العودَ فجسّته وأنكرتُ حاله وقالت : مَنْ مَسَّ عودي ؟ قالوا : ما مسّه أحدٌ ! قالت :
بلى ، والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدّ طبقته وأصلحه إصلاحاً متمكّن من صناعته ؛ فقلتُ لها :
أنا أصلحته ؛ قالت : فبالله عليك خذه واضرب به ؛ فأخذته وضربتُ به مبدأً صحيحاً ظريفاً
عجيباً صعباً ، فيه نقراتٌ محرّكة ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلّا وثبَ على قدميه وجلس بين يديّ ؛ ثم
قالوا : بالله يا سيّدنا اتّغني ؟ فقلتُ : نعم ، وأعرّفكم نفسي ، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمِ الموصليّ ،
والله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تُسمِعُونَنِي ما أكره منذ اليوم لأنّي تملّحتُ معكم ؛
فوالله لا نطقُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرجوا هذا المُعَرَّبَ المُقَيِّتَ الغثَّ ؛ فقال له
صاحبه : مِنْ هذا حَدَرْتُ عليك ؛ فأخذ يعتذرُ ؛ فقلتُ : والله لا نطقُ بحرفٍ ولا جلستُ
معكم حتى يُخرجَ ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنيتُ الأصواتُ التي غنتها
الجارية من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ : هل لك في خصلةٍ ؟ قلتُ : ما هي ؟ قال : تُقيمُ عندي
شهراً ، والجارية والحمارُ لك مع ما عليها من حُلٍّ ؛ قلتُ : أفعَل ، فأقامتُ عنده ثلاثين يوماً لا
يُدري أحدٌ أين أنا ، والمأمونُ يطلبني في كلِّ موضع فلا يعرفُ لي خبراً . فلمّا كان بعد ثلاثين
يوماً أسلم إليّ الجارية والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي ، وركبتُ إلى المأمون من
وقتي ؛ فلمّا رآني قال : إسحاقُ ! وَيَحْلَكُ ، أين تكون ؟ فأخبرته بخبري ؛ فقال : عليّ بالرجل
الساعة ؛ فدلتهم على بيته فأحضر ؛ فسأله المأمونُ عن القصّة فأخبره ؛ فقال له : أنت رجلٌ ذو

مروءة وسبيلك أن تعاونَ عليها ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : لا تُعاشِرَنَّ ذلك المعريَّةَ النَّذْلَ
الْبَتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال : أَحْضِرْنِي الجاريةَ ، فَأَحْضَرْتُهَا فغَنَّتْ ؛ فقال لي : قد
جعلتُ لها نوبةً في كلِّ يومٍ ثَلَاثَاءُ تُغَنِّينِي وراءَ الستارةِ مع الجوّاري ؛ وأمر لها بخمسين ألف
درهم . فريحتُ والله بتلك الرَّكْبَةِ وَأَرَبَحْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

ذكرتك أن مرّت بنا أمّ شادين أمام المطايا تشرّب وتسنح
من المولفات الرمل أدماء حرّة شعاع الضحى في متنها يتوضّح
الشعرُ لذي الرّمة . والغناء لإسحاقَ ثَقِيلَ أَوَّلَ بالسبابة والوسطى ، عن ابن المكيّ . ومن
أغاني إسحاق :

صوت

قل لمن صدّ عاتياً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعياً
الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار . [من مجزوء الخفيف]

الطلولُ الدّوّارسُ فارقتها الأوانسُ
أوحشتُ بعد أهلها فهي قفرٌ بسايسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق . والغناء لإسحاق
خفيفٌ ثَقِيلٌ . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه . وقد ذكرنا ما كان من فعله فيه قبل
هذا .

[إعجاب الواصل بصوت له]

أخبرني عمّي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبّي قال : كنتُ عند الواصل ؛ فغَنَّتْ «شجى» التي
وهبها له إسحاق هذا الصوت ؛ فقال لمخارق وعَلَوِيه : والله لو عاش مَعْبُودٌ ما شقَّ غبارَ إسحاقَ
في هذا الصوت ؛ فقالا له : إنّه لحسنٌ يا أمير المؤمنين ؛ فغَضِبَ وقال : ليس عندك فيه إلّا هذا !
ثم أقبل على أحمد بن المكيّ فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛ أَوَّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ
كلمات : «الطلول» كلمة ، و«الدوّارس» كلمة ، و«فارقتها» كلمة ، و«الأوانس» كلمة ؛
فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يتصرّف فيه المغنيّ لم يُدْخِلْه في هذه الكلمات الأربع !
بدأ بها نشيداً ، وتلاه باليسيط ، وجعل فيه صياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنغم ، واختلاساً

فيها ، وعمل هذا كله في أربع كلمات ، فهل سمعت أحداً تقدّم أو تأخّر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أمير المؤمنين ، قد لحق من قبله وسبق من بعده .
[شعره في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني إسحاق قال : لما خرجت مع الواصل إلى النجف دُرنا بالحيرة ومررنا بدياراتها ؛ فرأيت دير مريم بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحسن بنائه ؛ فقلت :

نعم المحل لمن يسعى للذته دير لمريم فوق الظهر معمور
ظل ظليل وماء غير ذي أسن وقاصيرات كأمثال الدمي حور
فقال الواصل : لا نصطبج والله غداً إلا فيه ؛ وأمر بأن يعدّ فيه ما يصلح من الليل ؛ وباكرناه فاصطبجنا فيه على هذا الصوت ؛ وأمر بمال ففرّق على أهل ذلك الدير ، وأمر لي بجائزة .
لحن إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيل بالنصر .
[غناؤه بشعر على بساط طاهر]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : أخرج إليّ عبد الله بن طاهر يوماً بيتي شعر في رُقعة وقال : هذان البيتان وجدتهما على بساط طبري أصبهيدي أهدي إليّ من طبرستان ، فأحب أن تغنّيني فيهما ؛ فقرأتها فإذا هما : [من مجزوء الخفيف]

لجّ بالعين واكف من هوى لا يساعف
كلما كف غرّبها هيّجته المعازف

قال : فغنّيت فيهما وغدوت بهما إليه ، فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنيّة ، وكان يشتبهه ويقترحه ، وطرحته على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينما المعتصم يوماً جالس يُعرض عليه فرش الربيع ، إذ مرّ به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما :

إنما الموت أن تفا رق من أنت آلف
لك حبان في الفؤاد د تليد وطارف

فأمر بالبساط فحمّل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنّي قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحببت أن أتم سرورك به . فشكر عبد الله ما تأدى إليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره ، وقال لي : والله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشد من

سروري بكل شيء ، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لَجَّ بالعين واكفُ من هوى لا يُسَاعِفُ
كَلَّمَا كفَّ غَرْبُهَا هَيَّجَتْهُ المَعَارِفُ
إِنَّمَا الموتُ أَنْ تَفَا رِقَ مَنْ أَنْتَ أَلِفُ
لَكَ حُبَّانٍ فِي الفَوَا دِ تَلِيدُ وَطَارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر . والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى .

[مقدار صناعته]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال : قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمد ، كم تكون صنعتك ؟ فقال : ما بلغت مائتين قط .

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لي وكيل بن الحروني : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس ؟ قال : لأنني إنما أنقر في صخرة . وإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو ، طرحتها لذلك ؛ وله أخبار آخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخترتها واحتبستها عليها ؛ وفيما ذكرته هاهنا منها مقنع . وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل . فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني :

أن إسحاق كان يسأل الله ألا يتلبه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج ، ولكنك تموت بضدّه ، فأصابه دَرَبٌ في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ؛ ثم ضعف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال : نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته ، فغمّه وحزن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاء أحمد وما كنت آمن وثبته علي مقام الفجيعة بإسحاق ؛

فالحمد لله على ذلك .

حدثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثني رجل من الكتاب من أهل قُطْرُبُل قال حدثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي : [من مجزوء الكامل]

مات الحُسان ابن الحُسا نِ ومات إحسانُ الزمانِ
فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلَقَّاني خبر وفاة إسحاق الموصلي .

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حَفْصَةَ يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي : [من الطويل]

سقى الله يا ابن الموصلي بوابِلُ من الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبت فأوحشت الكرامَ فمأينِي بعثرته يتيكي عليك كريمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاقُ إنني وإن كنت شيخاً بالعراق يتيمُ
وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه : [من الطويل]

على الجدثِ الشرقي عوجاً فسُلماً ببغدادَ لما ضنَّ عنه عوائدُهُ
وقولا له لو كان للموت فديةٌ فذاك من الموت الطريفُ وتالِدُهُ
إسحاقُ لا تَبْعُدْ وإن كان قد رمى بك الموتُ ورذاً ليس يصْذُرُ وارِدُهُ
إذا هزل اخضرت فنونُ حديثه ورقَّت حواشيه وطابت مشاهدُهُ
وإن جدَّ كان القول جدّاً وأقسمتُ مخارجُهُ ألا تَلينَ معاقِدُهُ
فبكُ على ابن الموصلي بعبرةٍ كما أرفضُ من نَظَمِ الجُمانِ فرائدُهُ

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري يرثيه ، نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة ، وذكر أن حماد بن إسحاق أنشده إياها ، ونسخته أيضاً من كتاب الحرّمي بن أبي العلاء يذكر فيه عن الزبير عن عمّه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق :

[من الطويل]

أَتَذْري لَمَن تَبَكّي العيونُ الدَّوارِفُ وينهلُ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعمَ لأمريء لم يبقَ في الناس مثله مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهَّزَ إسحاقُ إلى الله غادياً فله ما ضُمَّت عليه اللغائفُ
وما حَمَلَ النعشَ المَرْجى عشيّةً إلى القبرِ إلّا دامعُ العينِ لاهِفُ
صدورهم مَرَضَى عليه عَميدةٌ لها أزيمةٌ من ذكره وزَفازِفُ

ترى كلَّ محزون تَفِيضُ جفونهُ
جَزِيَتَ جزاءَ المحسنين مضاعفاً
فكم لك فينا من خلائقَ جَزَلَةٍ
هي الشَّهْدُ أو أحلى إلينا حلاوةً
ذهبتَ وخَلَّيتَ الصديقَ بعَوَلَةٍ
إذا خَطَرَاتُ الذكر عاودنَ قلبه
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون ماله
هو المَنّ والسُّلوى لمن يستفيده
بكت دارهُ من بعده وتنكرتُ
فما الدار بالدار التي كنتَ أُعْتَرِي
هي الدار إلّا أنّها قد تخشعتُ
وبانَ الجمال والفعال كلاهما
خلت دارهُ من بعده فكأنّما
وقد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ
كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلْفَةٌ
صِحابتهُ الغرّ الكرام ولم يكن
يُوَوِّلُ إليه كلَّ أبلجٍ شامخٍ
فلَقِيتَ في يمنى يديك صحيفةً
يَسُرُّ الذي فيها إذا ما بدا له
بما كان ميموناً على كلِّ صاحب
سريعٍ إلى إخوانه برضائه

دموعاً على الخدين والوجهُ شاسيفٌ¹
كما كان جدّواك الندى المتضاعفُ
سَبَقَتْ بها منها حديثٌ وسالفُ
من الشَّهْد لم يمزج به الماء غارِفُ
به أَسَفٌ من حزنه مترادِفُ
تتابع منهنّ الشُّوْنُ النوازِفُ
وأتى لما يأتي امرؤ الصديق عارفُ
وسمٌّ على من يشرب السمَّ زاعِفُ
معالمٌ من آفاقها ومعارِفُ²
وإني بها لولا افتقاديك عارفُ
وأظلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ
من الدار واستنّت عليها العواصفُ³
بعاقبةٍ لم يَغْنِ في الدار طارفُ
وملتمسٌ إن طاف بالدار طائفُ⁴
لمن جاء تُزجِيه إليه الرّواجِفُ
ليُصَحِّبه السُّودُ اللّثام المَقارِفُ⁵
ملوكٌ وأبناء الملوك الغطارِفُ
إذا نُشِرَتْ يومَ الحساب الصّحائفُ
ويَقْتَرُ منها ضاحكاً وهو واقِفُ
يُعين على ما نابِه ويُكَائِفُ⁶
وعن كلِّ ما ساء الأَخِلَاءُ صارِفُ

1 شاسف : يابس ضمراً وهزالاً .

2 بعده في ل : فقهه . آفاقها في ل : آياتها .

3 استنّت : انصبت .

4 المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل للاستراحة .

5 المقارف : الأندال .

6 نابِه في ل : ناله .

أرى الناس كالنَّسَناس لم يبق منهمُ خلافاً لك إلا حُشوةٌ وزَعانِفُ¹
 أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرثِي إسحاقَ في
 قصيدة له :

لقد طاب الحمامُ غداةَ اللّوى بنفس أبي حمّـدِ الحمامِ
 فلو قُبِلَ الفداءُ إذا فذتُهُ ملوكُ كان يالفها كرامُ
 فلا تَبْعِدْ فكلُّ فتى سيثوي عليه التُّربُ يُحْثِي والرَّجامُ

قال وقال أيضاً يرثيه :

لله أيُّ فتى إلى دار البلى حمل الرجال ضحى على الأعوادِ
 كم من كريم ما تجفُّ دموعه من حاضر يبكي عليه وباءِ
 أمسى يؤننه ويعرف فضله من كان يثلبه من الحسادِ
 فسقتك يا ابن الموصلي روائح تُروى صدك بصوبها وغوادِ

قال الأصفهاني : وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم ، وأخباره مع
 إبراهيم بن المهدي وغيرها ، فإنها كثيرة ، ولها مواضع ذُكرت فيها وحسن ذكرها هنالك ،
 فأخبرتها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا ، حسبما شرطنا في أول الكتاب .
 ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صوت

[من الطويل]

ألا قاتلَ الله اللّوى من محلّة وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذلّتِ
 غَيننا زماناً باللّوى ثم أصبحت عِراضُ اللّوى من أهلها قد تخلّتِ
 عَرّوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمّة القُشَيْرِيّ ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار ثَقِيلٌ أَوَّلُ
 بالوسطى في مجراها .

* * * *

الفهرس

- [62] - ذكر النابغة الجعدي ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر . . 5
- 63 - [حرب بكر وتغلب] 24
- [64] - ذكر الهذلي وأخباره 42
- [65] - ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات ونسبه وأخباره 48
- [66] - ذكر مالك بن أبي السّمح وأخباره ونسبه 68
- [67] - خبر النّهدي في هذا الشعر وخبر الوليد بن عّقبة 79
- [68] - ذكر باقي خبر الوليد بن عّقبة ونسبه 82
- [69] - نسب إبراهيم الموصلي وأخباره 102
- [70] - شيء من ذكر ابن هرمة أيضاً 168
- [71] - أخبار إسحاق بن إبراهيم 173

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās

Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 5

DAR SADER

Beirut

کتاب اللغز

6

كتاب الإعجاز

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعايفي الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس

دار طائر

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

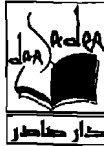
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[72] - أخبار الصّمة القشيري ونسبه¹

[نسبه]

هو الصّمة بن عبد الله بن الطّفيل بن قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سلّمة الخير بن قشِير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار ، شاعرٌ إسلاميٌّ بدويٌّ مُقلٌّ ، من شعراء الدولة الأمويّة .

[هو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأموية]

ولجده قُرّة بن هُبيرة صحبة بالنبي ﷺ ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله .

[وفد جده قُرّة على النبي ﷺ]

أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرّازي وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ وابن ذأب وغيرهما من الرّواة قالوا : وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سلّمة الخير بن قشِير بن كعب بن ربيعة إلى النبي ﷺ فأسلم ، وقال له : يا رسول الله ، إنا كنّا نعبد الآلهة² لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم ذا عقلاً» .

[فصّته في حبّه وزواجه]

وقال ابن ذأب : وكان من خبر الصّمة أنّه هَوِيَ امرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دنية³ يُقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبِيب بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن مُلَاعِب⁴ الأسنة بن جعفر بن كِلاب ، فزوجه إياها . وكان عامر قصيراً قبيحاً ؛ فقال الصّمة بن عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فإنّ تُنكِحوها عامراً لا طّلا عكم إليه يُدهِدْهم برجليه عامراً

شبهه بالجعل الذي يُدهِدُه البعرة برجليه .

قال : فلمّا بنى بها زوجها ، وجَد الصّمة بها وجداً شديداً وحزن عليها ؛ فزوجه أهلُه امرأةً

1 انظر أخبار الصّمة القشيريّ في ديوانه جمع وتحقيق د . عبد العزيز محمّد الفيصل ، النادي الأدبي - الرياض 1981 وفي سبائك الذهب 45 وإصلاح المنطق 404 وجنى الجنتين 62 ومعجم البلدان 348/3 .

2 ل : آلهة .

3 دنية : أي لاصقة النّسب .

4 مُلَاعِب الأسنة : كنية أبو براء ، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب .

منهم يقال لها جَبْرَة بنت وَحْشِي بن الطُّفَيْل بن قُرَّة بن هُبيرة ؛ فَأقام عليها مُقاماً يسيراً ، ثم رحل
إلى الشام غضباً على قومه ، وخلف امرأته فيهم ، وقال لها : [من الطويل]

كُلِّي التمرَ حتَّى تَهْرَمَ النخلُ واضفيري خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس
وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتم على النأي والقلَى بكم مثل ما بي إنكم لصديق
إذا زفرت الحب صعدن في الحشا رُددن ولم تنهجن لهن طريق
وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ما أتننا الریح من نحو أرضكم أتننا برياًكم فطاب هوبها
أتننا بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جنوبها
وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

هل تجزيني العامرية موقفي على نسوة بين الحمى وغضى الجمر¹
مررن بأسباب الصبا فذكرتها مَرَرْنَ بِأَسْبَابِ الصَّبَا فَذَكَرْتُهَا

[موته بطبرستان]

وقال ابن ذأب : وأخبرني جماعة من بني قُشَيْر أَنَّ الصَّمَّةَ خرج في غزِيٍّ من المسلمين إلى
بلد الدَّيْلَم فمات بطبرستان .

قال ابن ذأب : وأنشدني جماعة من بني قُشَيْر للصَّمَّةَ : [من الطويل]

صوت

ألا تسألن الله أن يسقي الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطالبا²
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى فهل يسألن عني الحمى كيف حالها

الغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ولحنه فيهما من الثقيل الأول بالوسطى ، وهو من
مختار الأغاني ونادرها .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع وعمي قالوا حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري حدثنا عبد الله بن إسحاق الجعفري عن

1 الجمر : وفي ل : الحجر .

2 المطالي : جمع مطلاة (يمد ويقصر) وهو مسيل ضيق من الأرض ، أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاء . وقيل :
المطالي روضات ، واحدها مطلى بالقصر لا غير .

عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني رجل من أهل طَبْرِسْتَانَ كَبِيرُ السِّنِّ قال : بينا أنا يوماً أمشي في ضَيْعَةٍ لي فيها أُلُوَانٌ من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار ، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدامٌ خُلُقَانٌ ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلم ، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيٍّ :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدُكَ لَا تَرَى بَشَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرُ¹
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرٍ

قال : فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ؛ فسألت عنه فقبل لي : هذا الصِّمة بن عبد الله القشيري .
[كان ابن الأعرابي يستحسن شعراً له]

أخبرني عمِّي قال حدثنا الخَرَّازُ أحمد بن الحارث قال : كان ابن الأعرابي يستحسن قول الصِّمة :

صوت

أما وجلال الله لو تذكُرْتَنِي كَذِكْرِكَ مَا كَفَكُفْتُ لِلْعَيْنِ مَذْمَعًا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّمَا لَتَصَدَّعَا
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى . وفيهما لِعَرِيبٍ خَفِيفُ رَمَلٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشَرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ فِي الصَّدْرِ نَزْعًا²
تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأُخْذَعًا³

[مدح إبراهيم بن محمد بن سليمان في شعره]

أخبرني أَبُو الطَّيِّبِ بْنُ الْوَشَّاءِ قال : قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الْأَزْدِيُّ : لو حَلَفَ حَالِفٌ أَنَّ أَحْسَنَ أَيْاتٍ قِيلَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فِي الْغَزْلِ قَوْلُ الصِّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ مَا حَيَّتْ :

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشُعْبَاكُمَا مَعَا

1 البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

2 البشر : جبل .

3 الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخذع : عرق في العنق موضع الحجامة .

فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وتَجَزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عن الجَهْلِ بعدَ الحَلَمِ أَسْبَلْتُهَا

صوت

[من الطويل]

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي على كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصْدَعًا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدَمُّعًا
غَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قُرْشِيَّةُ الزَّرْقَاءِ لَحْنًا مِنْ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ عَنِ الْمَشَامِيِّ .

وهذه الأبيات التي أولها «حننت إلى ريتا» تُروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضاً في أخباره . والصحيح في البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما [له] أثبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق ؛ والأخر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة .
[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ لِلصِّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ : وَكَانَ أَبُو حَاتِمٍ
يَسْتَجِيدُهُمَا ، وَأَنشَدْنِيهِمَا عُمِّيَّ عَنِ الْكُرَانِيِّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَنشَدْنِيهِمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ
ابْنِ مَهْرُوبٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ :

[من البسيط]

إِذَا نَأَتْ لَمْ تُفَارِقْنِي عَلاَقَتُهَا وَإِنْ دَنْتُ فَصُدُودُ الْعَاتِبِ الزَّارِي
فَحَالَ عَيْنِي مِنْ يَوْمَيْكَ وَاحِدَةً تَبْكِي لِفَرْطِ صَدُودٍ أَوْ نَوَى دَارٍ

[تذكر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي
عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَخْرٍ عَنْ بَعْضِ بَنِي عُقَيْلٍ قَالَ : مَرَرْتُ بِالصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيِّ يَوْمًا وَهُوَ
جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقْتُكَ فِيمَا قَالْتَ ؛ فَقُلْتُ : مَنْ
تَعْنِي بِهَذَا وَيُحْك ! أَجُنَنْتَ ؟ قَالَ : أَغْنَى الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

[من الطويل]

أَمَّا وَجَلَالُ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرِكَ مَا كَفَفْتَ لِلْعَيْنِ مَدْمَعًا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّمَا لِتَصْدَعًا
أَسْلَى نَفْسِي عَنْهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا لَوْ ذَكَرْتَنِي كَمَا قَالَتْ لَكَانَتْ فِي مِثْلِ حَالِي .

[قصته في خطبة ابنة عمه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد الله التميمي قال : خطب الصَّمة القشيري بنت عمه وكان لها مُجَبِّاً ، فاشتطَّ عليه عمه في المهر ؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يُعنه بشيء ؛ فسأل عَشِيرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ ؛ فَأَتَى بِالْإِبِلِ عَمَّهُ ؛ فَقَالَ : لَا أَقْبِلْ هَذِهِ فِي مَهْرِ ابْنَتِي ، فَسَأَلَ أَبَاكَ أَنْ يُدْلَهَا لَكَ ، فَسَأَلَ ذَلِكَ أَبَاهُ فَلَبَّى عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمَا قَطَعَ عُقْلَهَا وَخَلَّاهَا ، فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ مِنْهَا إِلَى الْآفَةِ . وَتَحَمَّلَ الصَّمةُ رَاحِلًا . فَقَالَتْ بِنْتُ عَمِّهِ حِينَ رَأَتْهُ يَتَحَمَّلُ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا بَاعَتْهُ عَشِيرَتُهُ بِأُبَيْرَةٍ . وَمَضَى مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالثَّغْرِ ؛ فَقَالَ وَقَدْ طَالَ مُقَامُهُ وَاشْتَاقُهَا وَنَدِمَ عَلَى فَعْلِهِ :

أَتَبْكِي عَلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشُعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي : أَنَّ الصَّمةَ خَطَبَ ابْنَةَ عَمِّهِ هَذِهِ إِلَى أَبِيهَا ؛ فَقَالَ لَهُ : لَا أَزَوِّجُكَهَا إِلَّا عَلَى كَذَا وَكَذَا مِنَ الْإِبِلِ ؛ فَذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ وَشَكَا إِلَيْهِ مَا يَجِدُ بِهَا ؛ فَسَاقَ الْإِبِلَ عَنْهُ إِلَى أَخِيهِ ؛ فَلَمَّا جَاءَ بِهَا عَدَّاهَا عَمُّهُ فَوَجَدَهَا تَنْقُصُ بَعِيرًا ، فَقَالَ : لَا آخِذْهَا إِلَّا كَامِلَةً ؛ فَغَضِبَ أَبُوهُ وَحَلَفَ لَا يَزِيدُهُ مَا جَاءَ بِهِ شَيْئًا . وَرَجَعَ إِلَى الصَّمةِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَطُّ الْأُمَّ مِنْكُمْ جَمِيعًا ؛ وَإِنِّي لِأَلَامُ مِنْكُمْ إِنْ أَقَمْتُ بَيْنَكُمْ ؛ ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ وَرَحَلَ إِلَى ثَغْرِ مِنَ الثَّغُورِ ، فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَمِنْ ذَكَرِ دَارِ بِالرَّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْعًا¹
حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشُعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
كَأَنَّكَ لَمْ نَشْهَدْ وَدَاعَ مُفَارِقِ وَلَمْ تَرَ شَعْبِي صَاحِبِينَ تَقْطَعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ أُسْبَلْنَا مَعَا

1 الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري وقد نسب ليزيد بن الطرية :

أَمِنْ أَجْلِ دَارِ بِالرَّقَاشِينَ أَصْفَتْ عَلَيْهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْعًا
وَفِي الدِّيَّانِ (أَمِنْ أَجْلِ) .

تَحْمَلُ أَهْلِي مِنْ قَنِينٍ وَغَادَرُوا بِهِ أَهْلَ لَيْلَى حِينَ جِيدَ وَأَمْرَعَا¹
 أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصِيَا بَلُومِي إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأُسْمَعَا
 قِفَا إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ رَجْعِ نَظَرَةٍ يَمَانِيَّةٍ شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْ مَعَا
 لِمُغْتَصَبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ حِيَاءَ يَكُفُّ الدَّمْعَ أَنْ يَتَطَّلَعَا
 تَبْرَضُ عَيْنِيهِ الصَّبَابَةُ كُلَّمَا دَنَا اللَّيْلُ أَوْ أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مَيْفَعَا²
 فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْجِمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن علي

[من الخفيف]

قُلْ لَأَسْمَاءُ أَنْجِزِي الْمِيعَادَا وَأَنْظُرِي أَنْ تُزَوِّدِي مِنْكِ زَادَا
 إِنْ تَكُونِي حَلَلْتِ رَبْعًا مِنَ الشَّأ مَ وَجَاوَرْتِ جَمِيرًا أَوْ مَرَادَا
 أَوْ تَنَاءَتْ بِكِ النَّوَى فَلَقَدْ قُدَّ تِ فَوَادِي لَحِينِهِ فَانْقَادَا
 ذَاكَ أَنْتِي عَلَقْتِ مِنْكِ جَوَى الْحَا بَ وَلِيدًا فَزِدْتِ سِنًا فَرَادَا

الشعر لداود بن سلم . والغناء لدحمان ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية علي بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقش ، وطلبناه في أشعار المرقشين³ جميعاً فلم نجده ، وكنا نظنه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم ، وفي خبر أنا ذاكره في أخبار داود . وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رواته ؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره ، وما لم يجز هذا المجزى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنّا لومَ خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه ، وإنّما حكينا عن رواته واجتهدنا في الإصابة . وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه ، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله .

1 جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير .

2 تبرض : أي تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً .

3 يعني بالمرقشين : المرقش الأكبر والمرقش الأصغر .

[73] - أخبار داود بن سلم ونسبه

[نسبه]

داود بن سلم¹ مولى بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي²؛ ثم يقول بعض الرواة؛ إنه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طلحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يُقال له داود الآدم³ وداود الأرمك.

[رآه والي المدينة يخطر في مشيته فضربه فمدحه ابن ربيعة لذلك]

وكان من أقيح الناس وجهاً. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذات يوم يخطر خطرة منكراً فدعا به، وكان يتولى المدينة، فضربه ضرباً مبرحاً؛ وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابن ربيعة:

ضربَ العادلُ سعدُ ابنَ سلم في السَّماجةِ
فقضَى اللهُ لسعدٍ من أميرٍ كلَّ حاجةٍ

[مدح آل معمر لأن أمه من موالهم]

أخبرني محمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناس هو مولانا، أبوه رجل من النبط، وأمّه بنت حوط مولى عمر بن عبيد الله بن معمر؛ فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقول ويمدح ابن معمر:

وإذا دعا الجاني النصيرَ لنصره وارتني الغررُ النصيرةَ معمرُ
متخازرين كأنَّ أسدَ خفيّة بمقامها مستبيلات تزار³
متجاسرين بحمل كلِّ مُلَمّة متجبرين على الذي يتجبرُ

1 داود بن سلم: انظر أخباره في ربيع الأبرار 13/2 والمستطرف 1: 117، 1: 164 وأمالى القالي 1: 242 ومحاضرات الراغب الأصفهاني 1: 653 وشرح نهج البلاغة 11: 223 والكامل 2: 144-145 وسراج الملوك 161، والتذكرة الحمدونية 199/2.

2 وفي ل: الأدم.

3 تخازر الرجل: ضيق جفنه ليحدّد النظر. الخفية: غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، وهي علم لموضع بعينه.

عُسْلُ الرُّضَى فَإِذَا أُرِدْتَ خَصَامَهُم خَلَطَ السَّعَامَ بِفِيكَ صَابَ مُعْمَرُ¹
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَرَى أَخْلَاقَهُم إِلَّا تَطْيِبُ كَمَا يَطْيِبُ الْعَبْرُ
 رَفَعُوا بِنَايَ بَعْتِ حَوْطٍ ذِنَّةً جَدِّي وَفَضْلِهِم الَّذِي لَا يُنْكَرُ

[كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرم كتبه فيه قوم ضافوه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال : كان داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة ، وكان يقال له : الآدم² لشدة سواده ، وكان من أبخل الناس ؛ فطرقه قوم وهو بالعقيق ، فصاحوا به : العشاء والقرى يا ابن سلم ؛ فقال لهم : لا عشاء لكم عندي ولا قرى ؛ قالوا : فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هندي ألاً حبيب من دار لم أقصر منك لباناتي وأوطاري
 عودت نفسي إذا ما الضيف تبهني عقر العشار على يسري وإعساري
 قال : لستم من أولئك الذين عنيت .

[عزى السري بن عبد الله عن ابنه]

قال : ودخل على السري بن عبد الله الهاشمي ، وقد أصيب بابن له ؛ فوقف بين يديه ثم أنشده :

يا مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ اسْتَرْجِعُوا خَاسَتِ الدُّنْيَا بَعَّاسُ³
 فُجِعْتُ مِنْ سَبْعَةٍ قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُمْ مِنْ ضِرْنَاءٍ وَالْدَّهَمِ بِالسَّيِّدِ الرَّاسِ⁴
 قال : وداود بن سلم الذي يقول :

قُلْ لَأَسْمَاءُ أَتَجْزِي الْمِيعَادَا وَانْظُرِي أَنْ تَرْوِدِي مِنْكِ زَاذَا
 إِنْ تَكُونِي حَلَلْتُ رِبْعاً مِنَ الشَّأ م وَجَاوَرَتْ جَمِيراً أَوْ مُرَادَا
 أَوْ تَنَاءَتْ بِلِ الْتَوَى فَلَقَدْ قُدْ تِ فَوَادِي لَحِينِهِ فَاثْقَادَا
 ذَاكِ أَنِّي عَلِقْتُ مِنْكِ جَوَى الْحَا بَ وَلِيداً فَزِدْتُ سِنّاً فَرَادَا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غسان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر لداود بن سلم .

1 عُسْلُ : جمع عاسل وعسول أي حلو . والمقمر : الشديد المرارة .

2 ل : الأدم .

3 خاست : غدرت .

4 الضنء : الولد ويطلق على الأصل أيضاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

صوت

[من البسيط]

يا دارَ هند أَلَا حَيِّيتَ من دارٍ لم أقضِ منكُ لُباناتي وأوطاري
يُتَمِّمُ وَيُنَسِّبُ .

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أَخْبَرَنَا الطُّوسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ : دَعَا الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ أَيَّامَ كَانَ يَلِي الْمَدِينَةَ إِلَى وَلايَةِ الْقَضَاءِ فَأَبَى عَلَيْهِ فَجَبَسَهُ ، فَدَعَا مَسْرُقِينَ يَسْرِقُونَ لَهُ مَغْسَلًا فِي السَّجَنِ ، وَجَاءَ بَنُو طَلْحَةَ فَأَنَسَجْنَاهُ مَعَهُ . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَتَانِي بِهِ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ تَلَايَجَجْتَ عَلَيَّ ، وَقَدْ حَلَفْتُ أَلَّا أُرْسِلَكَ حَتَّى تَعْمَلَ لِي ، فَأَبْرَزَ يَمِينِي ، فَفَعَلَ ؛ فَأَرْسَلَ الْحَسَنُ مَعَهُ جُنْدًا حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ وَالْجُنْدُ عَلَى رَأْسِهِ ؛ فَجَاءَهُ دَاوُدُ بْنُ سَلَمٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : [من الخفيف]

طَلَبُوا الْفَقْهَ وَالْمَرْوَةَ وَالْجِدَّ حَمَ وَفِيكَ اجْتَمَعَنَ يَا إِسْحَاقُ

فَقَالَ : ادْفَعُوهُ ، فَدَفَعُوهُ ، فَتُحِّجِّي عَنْهُ ؛ فَجَلَسَ سَاعَةً ثُمَّ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ؛ فَأَعْفَاهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ مِنَ الْقَضَاءِ ؛ فَلَمَّا سَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَرْسَلَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ مَوْلَاكَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَمْدَحَنِي بِشَيْءٍ أَكْرَهَهُ ؟ اسْتَعِنَ بِهَذِهِ عَلَى أَمْرِكَ .

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصة في ذلك]

أَخْبَرَنِي الْحَزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَرِّزُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : بَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَمَعَهُ دَاوُدُ بْنُ سَلَمٍ مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ ، وَعَلَيْهِمَا ثِيَابٌ مَلَوْنَةٌ يَجْرَانِهَا ؛ فَأَوْمَأَ أَنْ يُؤْتَيَا بِهِمَا فَجَاءَا إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَى زَيْدٍ أَنْ اجْلِسْ ، فَجَلَسَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، وَأَوْمَأَ إِلَى الْآخِرِ أَنْ يَجْلِسَ حَيْثُ يَجْلِسُ مِثْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِهِ : ادْعُ لِي نُوْحَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدُعِيَ لَهُ فَجَاءَ أَحْسَنُ النَّاسِ سَمْتًا وَتَشْمِيرًا وَنَقَاءً ثِيَابَ ؛ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فَجَلَسَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى زَيْدٍ فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ؛ تَشَبَهَ بِشَيْخِكَ هَذَا وَسَمْتِهِ وَتَشْمِيرِهِ وَنَقَاءِ ثَوْبِهِ ، وَلَا تُعَدُّ إِلَى هَذَا اللَّبَسِ ، قُمْ فَانْصَرَفْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ سَلَمٍ وَكَانَ قَبِيحًا ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا ابْنُ جَعْفَرٍ أَحْتَمِلُ هَذَا لَهُ ، وَأَنْتَ لِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَمِلُ هَذَا لَكَ ؟ أَلَوْلَمْ أَصْلِكَ ، أَمْ لِسَمَاجَةٍ وَجْهَكَ ؟ جَرَّدَهُ يَا غَلَامَ ؛ فَجَرَّدَ فَضْرَتَهُ أَسَاطًا . فَقَالَ ابْنُ رُهَيْمَةَ : [من مجزوء الرمل]

جلد العادل سعد
ابن سلم في السماجة
ففضى الله لسعد
من أمير كل حاجة

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال : قال لي أبي وقد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بني تعجل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم ، فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم ، فإذا صوت عال ؛ فقال لي أي شيء هذا ؟ أرى أنه قد أعجل علي ؛ ودخلنا فإذا داود بن سلم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعد جلد داود بن سلم أربعين سوطاً ، فأقبل علي سعد وعلى أبي ، فقال : لم تر مثلاً أربعين سوطاً في ظهر لثيم . قال : وفيه يقول الشاعر :

ضرب العادل سعد
ابن سلم في السماجة
ففضى الله لسعد
من أمير كل حاجة

[كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه مدحه جعفر بن سليمان]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار قال حدثني أبو يحيى الزهري واسمه هارون بن عبد الله قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال : كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تميم إذا جاءته غلة من الخانقين¹ أن يصله . فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد شديد ، أغضب ذلك الحسن ؛ فقدم من حج أو عمرة ، ودخل عليه داود مسلماً ، فقال له الحسن : أنت القاتل في جعفر : [من الطويل]

وكنّا حديثاً قبل تأمير جعفر
وكان المنى في جعفر أن يؤمراً
حوى المنبرين الطاهرين كليهما
إذا ما خطا عن منبر أم منبرا
كأن بني حواء صُفُوا أمامه
فخير من أنسابهم فتخيراً ؟

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خيرة اختياره ؛ وأنا الذي أقول : [من الطويل]

لعمري لئن عاقبت أو جدت منعماً
بغفو عن الجاني وإن كان مُعذراً
لأنت بما قدمت أولى بمذحة
واكرم فرعاً إن فخرت وعنصراً
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم
ويدعو علياً ذا المعالي وجعفر

1 خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد .

وزيد الندى والسبط سينط محمد
وعمك بالطف الزكي المطهر¹
وما نال من ذا جعفر غير مجلس
إذا ما نفاه العزل عنه تأخر
بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا
يرؤن به عزاً عليكم ومفخراً

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصِلُّه ويُحسِنُ إليه حتى مات .
قال أبو يحيى : يعني بقوله : « وإن كان مُعْذِراً » أن جعفرأ أعطاه بأبياته الثلاثة ألفَ دينار ،
فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه .

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال :
كنت ليلةً عند الحسن بن زيد يبطحاء ابن أزهَر (على ستّة أميال من المدينة ، حيال ذي الحليفة)
نصفَ الليل جلوساً في القمر ، وأبو السائب المخزومي معنا ؛ وكان ذا فضل وكان مشغولاً
بالسَّماع والغزل ، وبين أيدينا طبقٌ عليه فريك² فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذٍ عاملٌ
المنصور على المدينة ؛ فأنشد الحسن قولَ داود بن سلم وجعل يمدُّ به صوته ويُطَرِّبه : [من الوافر]

صوت

فعرّسنا بيطن عريّتاتٍ ليجمّعنا وفاطمة المسير³
أتّسّى إذ تعرّض وهو بادٍ مقلّدها كما برق الصّير⁴
ومن يطعم الهوى يُعرف هواه وقد يُنيك بالأمر الخير
على أنّي زفرتُ غداة هَرشى فكاد يريهم مني الرّفير⁵

الغناء للغريض ثاني ثقليل بالسّبابة في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه للهُذليّ ثاني ثقليل
بالوسطى عن عمرو بن بانه ، وأظنه هذا اللحن . قال : فأخذ أبو السائب الطّبقَ ، فوحّش به إلى
السماء ، فوقع الفريكُ على رأس الحسن بن زيد ؛ فقال له : ما لك ؟ ويحك ! أجنّنت ؟ فقال له
أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلّا ما أعدتُ إنشادَ هذا الصوتِ ومددته
كما فعلتُ ، قال : فما ملك الحسنُ نفسه ضحكاً ، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إياه . قال ابنُ

1 يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، والسبط الحسن بن علي ، وعمّه الحسين بن علي .

2 الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .

3 عريّتات : اسم واد .

4 الصّير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .

5 هرشى : ثنية قرب الجحفة في طريق مكة يُرى منها البحر .

أبي الزناد : فلمّا خرج أبو السائب قال لي : يا ابن أبي الزناد ، أَمَا سمعتَ مدّه : [من الوافر]

وَمَنْ يُطِيعِ الهوى يُعْرِفْ هواه

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنّه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الثلاثة الأبيات . أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرازيّ وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ .

[ما وقع بين ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب]

أخبرني الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني ظبيّة مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت : أرسلتني مولاتي فاطمة في حاجة ، فمررت برحبة القضاء ، فإذا بضبيعة العبسيّ خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس ؛ فأرسل إليّ فدعاني ، وقد كنتُ رَطَلْتُ¹ شعري وربطت في أطرافه من ألوان العهن ؛ فقال : ما هذا ؛ فقلت شيء أتملّح به ؛ فقال : يا حرسيّ قنعها بالسوط . قالت : فتناولت السوط بيدي وقلت : قاتلك الله ! ما أينَ الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم ! سعدٌ يجلدُ الناس في السّماجة ، وأنت تجلدهم في المّلاحة ؛ وقد قال الشاعر :

جلدَ العادلُ سعدَ ابنِ سَلَمٍ في السّماجة

فقضى الله لسعدٍ من أميرٍ كلَّ حاجة

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه ، وقال : خلّ عنها . قالت : فكان يسوم بي ، وكانت مولاتي تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوى ذلك ، وأقول : لا أريد بأهلي بدلاً ؛ إلى أن مررت يوماً بالرحبة وهو في منظرّة دارِ مروان ينظر ؛ فأرسل إليّ فدعاني ، فوجدته من وراء كِلّة وأنا لا أشعر به ، وحازمٌ وجريّر جالسان ؛ فقال لي حازم : الأمير يريدك ؛ فقلت : لا أريد بأهلي بدلاً ؛ وكُشِفَتِ الكِلّة عن جعفر بن سليمان ، فارتعتُ لذلك فقلت : آه ؛ فقال : ما لك ؟ فقلت :

سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أزلْ أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هندٍ

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ ويحك ! فقلت :

فأبصرتُ هنداً حرّةً غيرَ أنّها تصدّى لقتل المسلمين على عمّدٍ

قالت : فضحك حتى استلقني ، وأرسل إليّ مولاتي ليتاعني ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تستبيعني ؛ فقلت : والله لا أستبيعك أبداً .

1 رطل شعره : ليته وكسره ومشطه وأرسله .

[أرسل شعراً لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سلم قال : كنت يوماً جالساً مع قثم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائهم ، فمرت بنا جارية ، فأعجب بها قثم وتمناها فلم يملكها . فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية إنساناً يقال له صالح . قال داود بن سلم : فكتبتُ إلى قثم :

يا صاحبَ العيسِ ثم راكبها أبلغ إذا ما لقيته قثماً
أن الغزال الذي أجاز بنا معارضاً إذ توسط الحرماً
حوّله صالح فصار مع إلا نسر وخلى الوحوش والسلماء

قال : فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها ، فوجدها قد ماتت .

[وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس : أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلما نزل به خط غلمانهم متاع داود وحلوا عن راحلتهم ؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول :

ولما دُفِعْتُ لأبوابهم ولاقيتُ حرباً لقيتُ النجاحا
وجدناه يحمده المجتدون ويأبى على العسر إلا سماحا
ويغشون حتى يرى كلهم يهابُ الهريز وينسى الثباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار . فلم يعبه أحد من غلمانهم ولم يقوموا إليه ؛ فظن أن حرباً ساخطاً عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانهم ؛ فقال له : سلهم لم فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم ، فقالوا : إنما ننزل من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا . قال : فسمع الغاضري حديثه فأتاه فحدثه فقال : أنا يهودي إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك .

وذكر محمد بن داود بن الجراح أن عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم ، فقال : أحسن والله داود حيث يقول :

لججتُ من حبِّي في تقريره وعُميتُ عيناَي عن عيوبه
كذاك صرفُ الدهر في تقلبيه لا يلبث الحبيبُ عن حبيبهِ

أو يغفر الأعظم من ذنوبه

قال : وأتشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب لداود بن سلم قال : [من الطويل]

وما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ إِلَّا ذَكَرْتُهَا	وأَذْكُرُهَا فِي وَقْتِ كُلِّ غُرُوبِ
وأَذْكُرُهَا مَا بَيْنَ ذَاكَ وَهَذِهِ	وبالليلِ أَحْلَامِي وَعِنْدَ هُبُوبِي
وقَدْ شَفَّنِي شَوْقِي وَأُبْعِدُنِي الْهُوَى	وأَعْيَا الَّذِي بِي طِبُّ كُلِّ طَيِّبِ
وَأَعْجَبُ أَنِّي لَا أَمُوتُ صَبَابَةً	وما كَمَدْتُ مِنْ عَاشِقٍ بِعَجِيبِ
وَكُلُّ مُحِبٍّ قَدْ سَلَ غَيْرَ أَنْتَنِي	غَرِيبُ الْهُوَى ، يَا وَيْحَ كُلِّ غَرِيبِ
وَكَمْ لَامَ فِيهَا مِنْ أَخٍ ذِي نَصِيحَةٍ	فَقُلْتُ لَهُ أَقْصِرْ فَغَيْرُ مُصِيبِ
أَتَأْمُرُ إِنْسَانًا بِفُرْقَةٍ قَلْبِهِ	أَتُصْلِحُ أَجْسَامَ بَغِيرِ قُلُوبِ

[شعر له في مدح قثم بن العباس]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال :

كان داود بن سلم منقطعاً إلى قثم بن العباس ، وفيه يقول : [من السريع]

عَتَقْتَ مِنْ حِلِّي وَمِنْ رِحْلَتِي	يَا نَاقُ إِن أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثْمٍ
إِنَّكَ إِن أَدْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا	حَالَفَنِي الْيَسْرَ وَمَاتَ الْعَدَمُ
فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ وَفِي كَفِّهِ	بَحْرٌ وَفِي الْعَرَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
أَصَمُّ عَنْ قِيلِ الْخَنَاءِ سَمْعُهُ	وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
لَمْ يَدِرْ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى	فَعَاْفَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا «نَعَمُ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبة قال لي إسحاق : لنظم العمياء

في هذه الأبيات صنعة عجيبة ، وكانت تعجدها ما شاءت (إذا غنتها) .

[74] - أخبار دَحْمَان ونسبه¹

[كان مغنياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحج]

دَحْمَان لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلَى بني لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَةَ . وَيُكْنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمَان الأشقر . قال إِسْحَاق : كان دَحْمَان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة مُدْمِناً للحج ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأيتُ باطلاً أشبه بحقٍّ من الغناء .

قال إِسْحَاق : وحدثني الزُّبَيْرِيُّ أَنَّ دَحْمَانَ شَهِدَ لرجلٍ عند عبد العزيز² بن المطلب [بن عبد الله] بن خَنْطَب [المخزومي] ، وهو يلي القضاء لرجلٍ من أهل المدينة على رجلٍ من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعدَّله ؛ فقال له العراقي : إِنَّهُ دَحْمَان ؛ قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه ؛ قال : إِنَّهُ يَغْنِي ويعلم الجواري الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأينا لا يتغنَّى ! اخرجُج إلى رجلٍ عن حقه .

[مدح أعشى سليم غناءه]

وفي دحمان يقول أعشى بني سليم :

إذا ما هَزَجَ الوادِ
سمعتَ الشَّدَوَ من هذا
فهذا سيِّدُ الإنسِ
يُؤْ أو ثَقُلَ دَحْمَانُ
ومن هذا بميزانِ
وهذا سيِّدُ الجانِ

وفيه يقول أيضاً :

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبَتِهِمْ
فأبلغوه عن الأعشى مقالته
قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبَتِهِ
لما اتبرى لهم دَحْمَانُ خِصْيَانَا
أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
يا ليت دَحْمَانَ قبل الموت غَنَانَا

[كان من تلاميذ معبد وأحد رواه]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيْدِلَانِيُّ قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي أنه حدثه عن ابن جامع وزبير بن دَحْمَانَ جميعاً : أَنَّ دَحْمَانَ كان معدلاً مقبول الشهادة عند

1 انظر أخبار دحمان في نهاية الأرب 4 : 241-243 وفي التذكرة الحمدونية 9 : 24 .

2 ولي عبد العزيز قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي ، وولي قضاء مكة .

القضاة بالمدينة ، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضاً ممن تُقبل شهادته . وكان دَحْمَان من رُواة مَعْبَد وغلماَنِه المتقدِّمين . قال : وكان معبد في أوَّل أمره مقبولَ الشهادة ، فلَمَّا حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنَّى له سقطت عدالته ، [لا لأن شيئاً بأن عليه من دخول في محذور ، ولكن] ، لأنَّه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

[منزله في الغناء عند إبراهيم الموصلي]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال إسحاق : كان دحمان يُكنى أبا عمرو ، مولى بني ليث ، واسمه عبد الرحمن ، وكان يَخْضِبُ رأسه ولحيته بالحناء ؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به في الغناء ابنه عبد الله ، وكان يفضل الزبير ابنه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحْمَان [أبيه] .

[كان المهدي يجزل صلته]

أخبرني يحيى عن أبي أيوب عن أحمد بن المكي عن عبد الله بن دَحْمَان قال : رجع أبي من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار . أخبرنا إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبى قالا حدثنا عمر بن شبة قال : بلغني أنَّ المهدي أعطى دَحْمَان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار ؛ وذلك أنه غنَّى في شعر الأُخوص :

قَطُوفُ المَشْيِ إِذْ تَمْشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرْقاً¹

فأعجبه وطرب ، واستخفَّ السرور حتى قال لدَحْمَان : سَلِّني ما شئت ؛ فقال : ضَيِّعتان بالمدينة يقال لهما رَيَّان وغَالِب ؛ فأقطعه إِيَّاهما . فلَمَّا خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد² الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالوا : إِنَّ هَاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلا خليفة ، وقد استقطعهما ولأه العهود في أيام بني أمية فلم يُقَطَّعُوها ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فصُولح عنهما على خمسين ألف دينار .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الوافر]

سَرَى ذَا الهَمِّ بَلْ طَرَقَا فَبِتُّ مَسْهَداً قَلِقَا
كَذَاكَ الحُبُّ مِمَّا يُحْدِثُ لِدِثِ التَّسْهِيدِ والأَرْقَا

1 قَطُوفُ المَشْيِ : بطيته . وخَرْقاً : تحيراً ودهشاً .

2 هو أبو عبيد الله بن عبيد الله الأشعري الكاتب الوزير .

قَطُوفِ المَشْيِ إِذْ تَمْشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرَقًا
وَتُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا إِذَا وَلَّتْ لِتَنْطَلِقَا

الشعر للأخوص . والغناء للدحمان ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهشامي أنه لابن سريج .

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال : مرَّ دحمان المغني وعليه رداء جيد عذني ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو ؟ قال : [من مجزوء البسيط]

ب * ما ضرَّ جيراننا إِذْ انتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت صوت

[من مجزوء البسيط]

ما ضرَّ جيراننا إِذْ انتَجَعُوا لو أَنَّهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ رَبَعُوا¹
أَحْمُوا عَلَى عَاشِقٍ زيارته فَهُوَ بِهِجْرَانٍ بَيْنِهِمْ قُطْعُ²
وَهُوَ كَأَنَّ الْهَيَامَ خالطه وما به غير حبِّها ذَرَعُ³
كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غادِيَةٍ أَوْ دُمِيَّةٌ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ⁴
اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيمِهَا يَقِرُّ عَنِّي بِهَا وَاتَّبِعُ

[اشتري منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل إليه وأكرمه]

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المدني إجازة عن أبي محمد العامري الأوسي قال : كان دحمان جملاً يُكرى إلى المواضع ويتجر ، وكانت له مروءة ؛ فبينما هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ ماله إِذْ سَمِعَ رَنَةً ، فقام واتبع الصوت ، فإذا جارية قد خرجت تبكي ؛ فقال لها : أملكوك أنت ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لَنْ ؟ فقالت : لامرأة من قريش ، وسمتها له ؛ فقال : أتبيعلك ؟ قالت : نعم ، ودخلت إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فسامها حتى استقرَّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دحمان : فأقامت عندي مدةً أطرح عليها ويطرح عليها معبد والأبجر

1 ربُّعوا : تمهلوا وانتظروا .

2 أحمو : حظروا ومنعوا . قطع : في الديوان قطع ص 85 .

3 في ل : ردع .

4 صبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية السحابة تنشأ غدوة .

ونظراؤهما من المغنين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقتُ ، وكنت لا أزال إذا
نزلنا أنزل الأكرياء¹ ناحية ، وأنزل معتزلاً بها ناحية في مَحْمِل وأطرح على المَحْمِل من أُعْيية²
الجمالين ، وأجلس أنا وهي تحت ظلّها ، فأخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكة³ فيها لنا
شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشام . فبينما أنا ذات يوم
نازل وأنا أُلقي عليها لحني :

صوت

لو رَدّ ذو شَفَق حِمَامَ منيةٍ لرددتُ عن عبد العزيز حِمَاماً
صلّى عليك الله من مستودعٍ جاورتُ بوماً في القبور وهاماً⁴

الشعر لكثير⁵ يرثي عبد العزيز بن مروان . وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذا الشعر ليس لكثير
وأنّه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له . والغناء لدَحْمان ، ولحنه من الثقيل الأوّل
بالخنصر في مجرى البَينصر .

قال : فرددته عليها حتى أخذته واندفعتُ تغنيّه ، فإذا أنا براكب قد طَلَع فسَلَم علينا فردّدنا
عليه السلام ؛ فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعة ؟ قلنا نعم ، فنزل ؛ وعرضتُ عليه
طعامنا وشرابنا فأجاب ، فقدمنا إليه السُفرة فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال
للجارية : أغنّين لدَحْمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتاً من صنعتي ، وغمزتها ألا تُعرفه
أنّي دَحْمان ؛ فطَرِب وامتلاً سروراً وشرب أقداحاً والجارية تُغنّيّه حتى قُرب وقتُ الرحيل ؛
فأقبل عليّ وقال : أتُبغيني هذه الجارية ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف
دينار ؛ قال : قد أخذتها بها ، فهلّم دواةً وقرطاساً ، فكتبته بذلك ؛ فكتب : « ادفعْ إلى حامل كتابي
هذا حينَ تَقْرؤه عشرة آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمني بمكانه » وختم الكتاب ودفعه
إليّ ؛ ثم قال : أتدفع إليّ الجارية أم تَمْضي بها معك حتى تقبضَ مالك ؟ قلت : بل أدفعها إليك ؛
فحملها وقال : إذا جئتَ البَخراءَ⁶ فسَلْ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم
انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخراءَ سألتُ عن اسم الرجل ، فدُللتُ عليه ،

1 الأكرياء : جمع كرى وهو المكاري .

2 الأعبيّة : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .

3 الركة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء وفي ل : زكرة .

4 الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .

5 نُسب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار .

6 البخراء : أرض وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

فإذا داره دارُ مُلك ، فدخلتُ عليه ودفعتُ إليه الكتابَ ، فقبله ووضعهُ على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعتها إليّ ، وقال : هذا كتابُ أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أعلمَ أمير المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمرُ لي بأنزال¹ وكان بخيلاً ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ؛ وقد كنتُ أصيبتُ بجملين ، وكانت عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ . قال : وسألَ عني الوليدُ ، فلم يذرِ القَهْرمانُ أين يطُلبني ؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملاً فأردّدهُ إليّ ؛ فلم أوجَد ، لأنّه لم يكن في الرُقّة من معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يَعْرِف اسمي فيسألَ عني . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئت² وأصلح من شأنها ، فظلَّ معها يومه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنيبي لدَحْمان فغنتُ ؛ وقال لها : زيديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوما سمعتَ غناء دَحْمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ؛ فقالت : بلى والله لقد سمعته ؛ قال : وما ذاك ؟ ويحك ! قالت : إنَّ الرجل الذي اشتريتنِي منه هو دَحْمان ؛ قال : أوذلك هو ؟ قالت : نعم ، هو هو ؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزني بالآء أعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان ، فحُمِل فلم يزل عنده أثيراً³ .

[دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأَزهَر قال حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحاق عن أَبِيهِ قال حَدَّثَنَا ابن جَامِع قال : تذاكروا يوماً كَبِير الأَيُور بحضرة بعض أمراء المدينة فاطالوا القول ؛ ثم قال بعضهم : إنّما يكون كَبِير أثير الرجل على قَدَرٍ حِرٍّ أمّه ؛ فالتفتُ الأميرُ إلى دَحْمان فقال : يا دَحْمان ، كيف أثيرك ؟ فقال له : أيها الأمير ، أنت لم تُرد أن تعرف كَبِير أثيري ، وإنّما أردت أن تعرف مقدار حِرٍّ أُمِّي . وكان دَحْمان طيباً ظريفاً .

[ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه]

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي إِسْحاق قال : أوّل ما عُرِف من ظَرْف دَحْمان أن رجلاً مرَّ به يوماً ، فقال له : أثير حماري في حِرٍّ أملك يا دُحيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفهمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : ممَّ ضحكت ؟ فلم يُخبره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتني ؛ قال : إنّه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرني كائنًا ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حماري في حِرٍّ أملك ؛ فضحك ثم قال :

1 الأنزال جمع نُزُل ، وهو ما هيء للضيف أن ينزل عليه .

2 استبراء الرجل الجارية : ألاّ يمسهَا بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها أهي حامل أم لا .

3 الأثير : المكرم .

أَعْجَبُ وَاللَّهِ وَأَغْلَظُ عَلَيَّ مِنْ شَتْمِهِ كِنَايَتُكَ عَنْ أُرْحَمَارِهِ وَتَصْرِيحُكَ بِحِرِّ أُمِّي لَا تَكْنِي .
[جعفر بن سليمان أمير المدينة والمفتون]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهَلْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الرَّبِيعِيُّ الْمَغْنِيُّ قَالَ : قَالَ لَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ : اغْدُوا عَلَى قَصْرِي بِالْعَقِيقِ غَدًا ؛ وَكُنْتُ أَنَا وَدَحْمَانُ وَعَطَرْدُ ، فَغَدَوْتُ لِلْمَوْعِدِ ، فَبَدَأْتُ بِمَنْزِلِ دَحْمَانَ وَهُوَ فِي جَهِينَةٍ¹ ، فَإِذَا هُوَ وَعَطَرْدُ قَدْ اجْتَمَعَا عَلَى قِدْرِ يَطْبُخَانَهَا ، وَإِذَا هُمَا عَزَمَا عَلَى الصُّبُوحِ وَالسَّمَاءِ تَبَغَّشَ² ، فَأَذْكُرُهُمَا الْمَوْعِدَ ، فَقَالَا : أَمَا تَرَى يَوْمَنَا هَذَا مَا أَطْيَبِهِ ! اجْلِسْ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الْقِدْرِ وَنُصِيبَ شَيْئًا وَنَسْتَمْتَعَ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ ؛ فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ مَعَ مَا تَقْدِّمُ الْأَمِيرُ بِهِ إِلَيَّ ؛ فَقَالَا لِي : كَأَنَّا بِالْأَمِيرِ قَدْ انْخَلَّ عَزْمُهُ ، وَأَخَذَكَ الْمَطَرُ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ ، ثُمَّ تَرْجِعْ إِلَيْنَا مَبْتَلًا فَتَقْرَعَ الْبَابَ وَتَعُودَ إِلَى مَا سَأَلْنَاكَ حَيْثُئِذٍ . قَالَ : فَلَمْ أَتُفِتْ إِلَى قَوْلِهِمَا وَمَضَيْتُ ، وَإِذَا جَعْفَرٌ مُشْرِفٌ مِنْ قَصْرِهِ وَالْمَضَارِبُ تُضْرَبُ ، وَالْقُدُورُ تُنْصَبُ ؛ فَلَمَّا كُنْتُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ تَغْنِيَتُ : [من الطويل]

وَأُسْتَصْحَبُ الْأَصْحَابَ حَتَّى إِذَا وَنَوَا وَمَلُّوا مِنَ الْإِذْلَاجِ جِئْتُكُمْ وَحَدِي

قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : يَا غَلَامَ ، هَاتِ مَائَتِي دِينَارًا أَوْ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ الشُّكَّ مِنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ فَانْتَرَهَا فِي حِجْرِ الرَّبِيعِيِّ ، أَذْهَبَ الْآنَ فَلَا تَحُلْ لَهَا عُقْدَةً حَتَّى تَرِيَهُمَا إِيَّاهَا ؛ فَقُلْتُ : وَمَا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ ؟ يَأْتِيَانِكَ غَدًا فَتُلْحِقُهُمَا بِي ؛ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ؛ قُلْتُ : فَلَا أَمْضِي حَتَّى تَحْلَفَ لِي أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ ، فَحَلَفَ . فَمَضَيْتُ إِلَيْهِمَا ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ فَصَاحَا وَقَالَا : أَلَمْ نَقُلْ لَكَ إِنَّ هَذِهِ تَكُونُ حَالُكَ ؛ فَقُلْتُ : كَلَّا فَأَرَيْتُهُمَا الدَّنَانِيرَ ؛ فَقَالَا : إِنَّ الْأَمِيرَ لَحَيٌّ كَرِيمٌ ، وَنَاتِيهِ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَنَعْتَدِرُ إِلَيْهِ فَيَدْعُوهُ كَرَمُهُ إِلَى أَنْ يُلْحِقَنَا بِكَ ؛ فَقُلْتُ : كَذَبْتُكُمَا أَنْفُسَكُمَا ، وَاللَّهِ إِنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ وَوَكَّدْتُ عَلَيْهِ الْأَيْمَانَ أَلَّا يَفْعَلَ ؛ فَقَالَا : لَا وَصَلْتُكَ رَجِمَ .

[غَنَى هُوَ وَابْنُ جَنْدَبٍ بِالْعَقِيقِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي مُرَاجِمٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمَاجِشُونِ قَالَ : صَلَّيْنَا يَوْمًا الصُّبْحَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ سَالَ الْعَقِيقُ ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ مُبَادِرِينَ إِلَى الْعَقِيقِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْعَرْصَةِ³ ، فَإِذَا مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي قِبَالَتُنَا دَحْمَانُ

1 جهينة : قرية من نواحي الموصل على دجلة .

2 بغشت السماء : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

3 العرصة : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

المغني وابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو : [من الخفيف]
 أَسْكُنُ الْبَدْوَ مَا سَكَنْتُ بَيْدِي فَإِذَا مَا حَضَرَتْ طَابَ الْحَضُورُ
 وَإِذَا أَطِيبُ صَوْتٍ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : وَكَانَ أَخِي يَكْرَهُ السَّمَاعَ ؛ فَلَمَّا سَمِعَهُ طَرِبَ طَرِباً شَدِيداً
 وَتَحَرَّكَ ؛ وَكَانَ لَغْنَاءَ دَحْمَانَ أَشَدَّ اسْتِحْسَاناً وَحَرَكَةً وَارْتِياحاً ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَخِي ، اسْمَعْ إِلَى غِنَاءِ
 دَحْمَانَ ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ يَسْكُبُ عَلَى الْمَاءِ زَيْتاً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أَوْحَشَ الْجُبْدَانِ فَالْدَيْرُ مِنْهَا فَقَرَّاهَا فَالْمَنْزِلُ الْمَحْظُورُ¹
 أَسْكُنُ الْبَدْوَ مَا أَقْمَتُ بَيْدِي فَإِذَا مَا حَضَرَتْ طَابَ الْحَضُورُ
 أَيُّ عَيْشٍ أَلَذُّهُ لَسْتُ فِيهِ أَوْ تُرَى نِعْمَةٌ بِهِ وَسُرُورُ
 الشَّعْرَ لِحْسَانَ بْنِ ثَابِتٍ . وَالْغِنَاءُ لِابْنِ مِسْجَحٍ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ .
 [دحمان والفضل بن يحيى]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ
 الْبَصْرِيِّ قَالَ : قَالَ دَحْمَانُ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ذَاتَ يَوْمٍ ؛ فَلَمَّا جَلَسْنَا ، قَامَ وَأَوْمَأَ
 إِلَيَّ فَقُمْتُ ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَمَضَى بِي إِلَى مَنْظَرَةٍ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا ، ثُمَّ صَبَرْنَا
 إِلَى الشَّرَابِ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا جَارِيَةٌ سُودَاءُ حِجَازِيَّةٌ تَغْنِي : [من مجزوء الرمل]

أَهْجُرْنِي أَوْ صِلِينِي كَيْفَمَا شِئْتَ فَكُونِي

أَنْتِ وَاللَّهُ تُحْبِي سَنِي وَإِنْ لَمْ تُخْبِرْنِي

فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحْسَنْتِ ! أَدْخِلِي فَدَخَلْتُ ، فَأَمَرَ بِطَعَامٍ فَقُدِّمَ إِلَيْهَا فَأَكَلَتْ ، وَسَقَاهَا
 أَقْدَاحاً ، وَسَأَلَهَا عَنْ مَوَالِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ ؛ فَبَعَثَ فَاشْتَرَاهَا ، فَوَجَدَهَا مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ غِنَاءً
 وَأَطْيَبِهِمْ صَوْتاً وَأَمْلَحِهِمْ² طَبْعاً ؛ فَغَلَبْتَنِي عَلَيْهِ مَدَّةً وَتَنَاسَانِي ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : [من السريع]

أَخْرَجْتَ السُّودَاءَ مَا كَانَ فِي قَلْبِكَ لِي مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

فَإِنْ يَدُكَ ذَا مِنْكَ لَا دَامَ لِي مَتُّ مِنَ الْإِعْرَاضِ وَالْكَرْبِ

قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَ الرَّفْعَةَ ضَحِكَ ، وَبَعَثَ فِدْعَانِي وَوَصَلَنِي ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُنْسِ .

1 الجبذ : معرب كنبذ بالفارسية ، ومعناه : الأزج المدور كالقبة . وهو مكان بعينه .

2 في ل : وأصلحهم .

قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبَانُ بهذا الخبر ، وأظنه غلطاً ؛ لأنَّ دَحْمَانَ لم يُدْرِك خلافةَ الرشيد ، وإنما أدركها ابنه زُبَيْر وعبد الله ؛ فإنَّما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وَمَا فِي الْمِائَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ صِنْعَةِ دَحْمَانَ]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الطويل]

وَأَيُّ لَآتِي الْبَيْتَ مَا إِنْ أُحِبُّهُ وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
وَأَغْضَيْ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تَسُوءُنِي وَأَدْعَى إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأَجِيبُ
وَأَحْبَسَ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِقُرْبِكَ وَالْمَمْشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ

الشعر للأخوص . والغناء لدَحْمَانَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وقد تقدَّمت أخبارُ الأخوص ودَحْمَانَ فيما مضى من الكتاب .

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

حَيِّياً خَوَلَةً مُنِي بِالسَّلَامِ دُرَّةَ الْبَحْرِ وَمِصْبَاحَ الظَّلَامِ¹
لَا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلْبًا كَاذِبًا يَلْمَعُ فِي غُرْضِ الْغَمَامِ²
وَإِذْ كَرِيَ الْوَعْدَ الَّذِي وَاعَدْتَنَا لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ

الشعر لأعشى هَمْدَانَ . والغناء لأحمد النَّصْبِي ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وعروضه من الرَّمَل . والخَلْبُ من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُتَنَفَّعُ بِسَحَابِهِ . وَتَضَرِبُ المِثْلُ به العربُ لَمَنْ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ؛ قال الشاعر : [من الرمل]

لَا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلْبًا إِنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ

وعرض السحابة : الناحية منها .

1 في الديوان : خولة ، ص 339 .

2 في الديوان «أو تكوني مثل برق . خَلْبُ : خادع ، ص 339 .

[75] - أخبار أعشى همدان ونسبه¹

[نسبه]

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحر بن جُشَم بن حاشد بن جُشَم بن خَيْرَان بن نَوْف بن همدان بن مالك بن زيد بن ززار بن أُوسِلَة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى أبا المصَّبَح ، شاعرٌ فصيح ، كوفيٌّ ، من شعراء الدولة الأموية . وكان زوجُ أخت الشَّعبيِّ الفقيه ، والشَّعبيُّ زوجُ أخته . وكان أحدَ الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ ، وأخى أحمد النَّصبيُّ بالعشيريَّة² والبلديَّة ، فكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمدُ . وخرج مع ابن الأشعث ، فأتى به الحجاجُ أسيراً في الأسرى ، فقتله صبراً .

[قصّ رواه على صهره الشَّعبيّ]

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحسنُ بن عليّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسديّ أنّه أخذ أخباره هذه عن ابن كُناسة عن الهيثم ابن عديّ عن حماد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيّين . قال حدثنا عمر بن شُبّة وأبو هِفان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش الهمدانيّ . قال العنزيّ : وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعيّ . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفرداً .

أخبرني المهلبيّ أبو أحمد حبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالوا حدثنا عمر بن شُبّة وأبو هِفان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش الهمدانيّ قال : كان الشَّعبيّ عامرُ بنُ شراحيل زوجُ أخت أعشى همدان ، وكان أعشى همدان زوجُ أخت الشَّعبيّ ، فأتاه أعشى همدان يوماً ، وكان أحدُ القراء للقرآن ، فقال له : إني رأيتُ كأنّي أدخلتُ بيتاً فيه حنطة وشعير ، وقيل لي : خذ أيّهما شئتَ ، فأخذتُ الشَّعير ؛ فقال : إن صدقتُ رؤياك تركتُ القرآنَ وقراءته وقلتُ الشعر ؛ كما قال .

[أسر في الدِّلم فأحبته ابنة الأمير وهربت معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسديّ عن

1 انظر أخبار أعشى همدان في العقد 3 : 208 وزهر الآداب : 620 وبهجة المجالس 1 : 348 ونهاية الأرب 3 : 83 والتذكرة الحمدونية 3 : 120 ، 4 : 215 ، 231 ، 5 : 203 ، 7 : 373 ، 8 : 179 ، 318 .

2 العشيريّة : نسبة إلى العشير أو العشيرة .

ابن كُناسة ، قال العَنَزِيّ وَحَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ قَالَا ، وَافَقَ رَوَايَتَهُمُ الْهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ : كَانَ أَعْشَى هَمْدَانَ أَبُو الْمُصَبِّحِ مِمَّنْ أَغْرَاهُ الْحَجَّاجُ بِلَدِّ الدَّيْلَمِ وَنَوَاحِي دَسْتَبِي¹ ، فَأُسِرَ ، فَلَمْ يَزَلْ أُسِيرًا فِي أَيْدِي الدَّيْلَمِ² مَدَّةً . ثُمَّ إِنَّ بَنَاتًا لِلْعُلُجِ الَّذِي أُسِرَ هَوَيْتَهُ ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ لَيْلًا فَمَكَّتَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَأُصْبِحَ وَقَدْ وَاقَعَهَا ثِمَانِي مَرَّاتٍ ؛ فَقَالَتْ لَهُ الدَّيْلَمِيَّةُ : يَا مَعْشَرَ³ الْمُسْلِمِينَ ، أَهَكَذَا تَفْعَلُونَ بِنِسَائِكُمْ ؟ فَقَالَ لَهَا : هَكَذَا نَفْعَلُ كُلَّنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : بِهَذَا الْعَمَلِ نَصَرْتُمْ ؛ أَفَرَأَيْتَ إِنْ خَلَصْتُكَ ، أَتَصْطَفِينِي لِنَفْسِكَ ؟ فَقَالَ لَهَا نَعَمْ ، وَعَاهِدْهَا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ حَلَّتْ قِيودَهُ وَأَخَذَتْ بِهِ طُرُقًا تَعْرِفُهَا حَتَّى خَلَصَتْهُ⁴ وَهَرَبَتْ مَعَهُ . فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ :

فَمَنْ كَانَ يَفْدِيهِ مِنَ الْأَسْرِ مَالَهُ فَهَمْدَانُ تَقْدِيهَا الْغَدَاةُ أُيُورُهَا

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم :

[من الكامل]

صوت

لَمَنْ الظُّعَائِنُ سِيرُهُنَّ تَرْجُفُ عَوَمَ السَّقِينِ إِذَا تَقَاعَسَ مِجْدَفُ⁵
مَرَّتْ بِذِي خُشْبٍ كَانَ حُمُولُهَا نَخْلٌ يَيْثُرِبَ طَلْعُهُ مُتَضَعَفُ⁶

غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَحْمَدُ النَّصْبِيُّ ، وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِمَا لِحْمَدُ الرَّفِّ خَفِيفٌ رَمَلِيٌّ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو : [من الرجز]

عُولَيْنَ دِيبَاجًا وَفَاخَرَ سُنْدُسٍ وَبَخَزَ أَكْسِيَةَ الْعِرَاقِ تُحَفَّفُ
وَعَدْتُ بِهِمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَرَامِسُ⁷ قَتْلُ الْمَرَاثِقِ بِالْهَوَادِجِ دُلْفُ⁸
بَانَ الْخَلِيطُ وَفَاتَنِي بِرَحِيلِهِ خَوْدٌ إِذَا ذُكِرْتَ لِقَلْبِكَ يُشْغَفُ⁸
تَجْلُو بِمَسْوَكِ الْأَرَاكِ مُنْظَمًا عَذْبًا إِذَا ضَحَكَتْ تَهَلَّلَ يُنْطَفُ

1 دَسْتَبِي : كَوْرَةٌ كَانَتْ مَقْسُومَةً بَيْنَ الرِّيِّ وَهَمْدَانَ .

2 فِي ل : بِلَدِّ .

3 فِي ل : مَعَاشِرَ .

4 فِي ل : تَخَلَّصَتْهُ .

5 التَّرْجَفُ : الْاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ . فِي ل : يُجْدَفُ .

6 ذُو خُشْبٍ : وَادٍ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ فِي الْمَدِينَةِ . مُتَضَعَفٌ فِي ل : مُتَعَطِّفٌ وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا ص 334 .

7 الْعَرَامِسُ : جَمْعُ عَرَمَسٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ . دُلْفُ : جَمْعُ دَالِفٍ وَهُوَ الْمَاشِي بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ مَقَارِبًا لِلْخَطْوِ .

8 يُشْغَفُ : فِي ل : تُشْغَفُ .

وَكُنَّ رِيقَتَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى عَسَلٌ مَصْفَى فِي الْقِلَالِ وَفَرَقَفٌ¹
وَكُنَّا نَظَرْتُ بَعِينِي ظَلِيَّةً تَحْنُو عَلَى خَشْفٍ لَهَا وَتَعَطَّفُ
وَإِذَا تَنَوَّءَ إِلَى الْقِيَامِ تَدَاغَتْ مِثْلَ الزَّيْفِ يَنْوَّءُ ثُمَّتَ يَضْعُفُ
ثَقُلْتُ رَوَادِفُهَا وَمَالَ بِخَصْرِهَا كَفَلٌ كَمَا مَالَ النِّقَا الْمُتَقَصِّفُ
وَلَهَا ذِرَاعَا بَكْرَةٍ رَحِيَّةً وَلَهَا بَنَانٌ بِالْخِضَابِ مُطَرَفٌ²
وَعَوَارِضٌ مَصْقُولَةٌ وَتَرَائِبٌ بِيضٌ وَبَطْنٌ كَالسَّبِيكِهَةِ مُخَطَفٌ³
وَلَهَا بَهَاءٌ فِي النِّسَاءِ وَبَهْجَةٌ وَبِهَا تَحُلُّ الشَّمْسُ حِينَ تُشْرِفُ
تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ هَوَايَ وَحَاجَتِي لَوْ أَنَّ دَارًا بِالْأُحْبَةِ تُسَعِفُ
وَإِذَا تُصَيِّكُ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةً فَاصْبِرْ فَكُلُّ مَصِيبَةٍ سَتَكْشِفُ
وَلَكِنْ بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا بَكَى لَيَعْنَفُ
عَجَبًا مِنَ الْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّفْتُ وَالذَّارُ تَدْنُو مَرَّةً وَتَقْذَفُ
أَصْبَحْتُ رَهْنًا لِلْعُدَاةِ مَكْبَلًا أُمْسِي وَأَصْبِحُ فِي الْأَدَاهِمِ أَرْسَفُ
بَيْنَ الْقَلَيْسِمِ فَالْقَيْوَلِ فَحَامِنِ فَالْهَزْمِينَ وَمُضْجَعِي مُتَكَنَّفٌ⁴

هذه أسماء مواضع من بلد الدليم تكنفته الهموم بها .

فَجِبَالٌ وَيَمَةٌ مَا تَزَالُ مُنِيفَةً يَا لَيْتَ أَنَّ جِبَالَ وَيَمَةً تُنْسَفُ
وَيَمَةٌ وَشَلْبَةٌ : نَاحِيَتَانِ مِنْ نَوَاحِي الرِّيِّ .
وَلَقَدْ أَرَانِي قَبْلَ ذَلِكَ نَاعِمًا جَذْلَانِ آبَى أَنْ أَضَامَ وَآفُ
وَاسْتَنْكَرْتُ سَاقِي الْوَثَاقِ وَسَاعِدِي وَأَنَا أَمْرُؤُ بِأَدِي الْأَشَاجِعِ أَعْجَفُ⁵
وَلَقَدْ تُضَرِّسُنِي الْحُرُوبُ . وَإِنِّي أَلْفَى بِكُلِّ مَخَافَةٍ أَتَعَسَّفُ
أَتَسْرِيلُ اللَّيْلِ الْبَهِيمَ وَأَسْتَرِي فِي الْخَبْتِ إِذْ لَا يَسْتَرُونَ وَأَوْجِفُ⁶

1 القلال : جمع قلة وهي الجرة العظيمة ، وقيل الكوز الصغير . القرقف : الخمر .

2 طرقت المرأة بناتها : خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

3 مخطف : ضامر .

4 فالقيول فحامن في ل : فالقيول فحازر .

5 الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكف .

6 يسترون في الديوان : وأشدني يشتدون ص 335 .

ما إن أزال مقنعاً أو حاسراً سلفَ الكتية والكتية وقفُ
فأصابني قومٌ فكنتُ أصيهم فالآن أصير للزمانِ وأعرفُ
إنِّي لطلابُ التراثِ مطلبٌ وبكلِّ أسبابِ المنية أشرفُ
باقٍ على الحدثانِ غيرُ مكذبٍ لا كاسفٌ بالي ولا متأسفُ
إن نلتُ لم أفرح بشيءٍ نلتُهُ وإذا سُبقتُ به فلا أتلَهفُ
إنِّي لأخمي في المضيّقِ فوارسي وأكرّرُ خلفَ المستضافِ وأعطفُ¹
وأشدُّ إذ يكبو الجبان وأصطلي حرَّ الأسنة والأسنة تُرغفُ²

صوت

فلئن أصابتنِي الحروبُ فرّما أدعى إذا منع الرُدا فاردفُ
ولرّما يروى بكفّي كهذمٌ ماض ومطرِدُ الكعوبِ مُثَقَّفُ³
وأغبر غاراتٍ وأشهدَ مشهداً قلبُ الجبانِ به يطير ويرجفُ
وأرى مغانمَ لو أشاء حويتها فيصدّني عنها غنى وتَعَفُّفُ
غنى في هذه الأبياتِ دَحْمَانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالنصر عن الهشامي . قال الهشامي :
فيها لملكٍ خفيفٌ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، وواقفه في هذا ابن المكي .

[خرج مع جيش الحجاج إلى مكران فمرض وقال شعراً]

قالوا جميعاً : ثم ضُربَ البعثُ على جيش أهل الكوفة إلى مكران⁴ ، فأخرجه الحجاج معهم ، فخرج إليها وطال مقامه بها ومرض ، فاجتواها وقال في ذلك ، وأنشدني بعض هذه القصيدة البيزدي عن سليمان بن أبي شيخ :

طلبتَ الصبا إذ علا المكبرُ وشاب القذال وما تقصُرُ
وبانَ الشبابُ ولذاته ومثلُك في الجهل لا يُعذرُ
وقال العواذلُ هل ينتهي فيقدّعه الشيبُ أو يُقصرُ⁵

1 المستضاف : من يفرع إليه غيره ويلتجىء به ، يريد به الكميّ الشجاع وفي الديوان : المستضاف ص 336 .

2 يكبو في ل : يبنو .

3 مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها .

4 مكران : ولاية واسعة بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً والمند شرقاً .

5 يقده : يكفه .

وفي أربعين تَوَقَّيْتُهَا
وموعظةً لامرئٍ حازمٍ
فلا تأسفنَّ على ما مضى
فإنَّ الحوادثَ تُبلي الفتى
فيوماً يُساء بما نابَه
ومنَّ كلَّ ذلك يَلْقَى الفتى
كَأَنِّي لم أَرْتَحِلْ جَسْرَةً
فَأَجْشِمَهَا كلَّ دَيْمُومَةٍ
ولم أشهد البأسَ يومَ الوغى
ولم أُحْرِقِ الصفَّ حتى تَمِ
وتحتي جَرْدَاءٌ خَيْفَانَةٌ
أطاعنُ بالرمح حتى اللَّبَا
وما كنت في الحرب إذ شَمَرْتُ
ولكنني كنتُ ذا مَرَّةٍ
أُجِيبُ الصَّريخَ إذا ما دعا
فإنَّ أُمسٍ قد لاح في المَشْيِ
رَخَاءٌ مِنَ العيشِ كُنَّا بِهِ
وإذ أَنَا فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَا
أَصِيدُ الحِسانَ وَيَصْطَلِدُنِي
وبيضاءَ مثلُ مَهَاةِ الكَثِيبِ
كَأَنَّ مَقْلَدَهَا إِذْ بَدَا

وَعَشْرٌ مَضَتْ لِي مُسْتَبْصِرٌ
إِذَا كَانَ يَسْمَعُ أَوْ يُتَصَرَّرُ
وَلَا يَحْزَنْتُكَ مَا يُدِيرُ
وإنَّ الزَّمانَ بِهِ يَعُشِّرُ
ويوماً يُسَرِّ قَيْسْتَبْشُرُ
وَيُمْنِي لَهُ مِنْهُ مَا يُقْلَرُ
وَلَمْ أُجْفِهَا بَعْدَ مَا تَضْمُرُ¹
وَيَعْرِفُهَا الْبَلَدُ الْمُقْفَرُ²
عَلَى الْمُفَاضَةِ وَالْمِغْفَرِ³
لِ دَارِعَةِ الْقَوْمِ وَالْحُسْرِ⁴
مِنَ الْخَيْلِ أَوْ سَابِغٍ مُجْفَرٍ
نُ يَجْرِي بِهِ الْعَلَقُ الْأَحْمَرُ
كَمَنْ لَا يُذِيبُ وَلَا يُخَيِّرُ
عَطُوفاً إِذَا هَتَفَ الْمَحْجَرُ
وَعِنْدَ الْهِجَاجِ أَنَا الْمُسْعَرُ
بُ أُمُّ الْبَيْنِ ، فَقَدْ أَذْكَرُ
إِذِ الدَّهْرِ خَالَ لَنَا مَصْجِرُ
بُ يُعْجِنِي اللَّهُو وَالسُّمَرُ
وَتَعْجِنِي الْكَاعِبُ الْمُعْصِرُ
بُ لَا عَيْبَ فِيهَا لَمَنْ يَنْظُرُ
بِهِ الدَّرُّ وَالشَّدَرُ وَالْجَوْهَرُ⁵

1 الجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . أجفاها : أتعبها .

2 الدَّيْمُومَةُ : القفلة الواسعة .

3 المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

4 الدارعة : الفرقة اللابسة الدروع .

5 الشَّدَرُ : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل خرز يفصل به بين الجواهر في النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تُلَقَط من معدنه دون إذابة الحجارة .

مُقْلَدُ أَذْمَاءِ نَجْدِيَّةٍ يَعْنُ لَهَا شَادِنٌ أَحْوَرُ¹
كَأَنَّ جَنَى النَحْلِ وَالزَّنَجِييَ لَ وَالْفَارِسِيَّةَ إِذْ تُعَصَّرُ²
يُصَبِّ عَلَى بَرْدِ أَنْيَابِهَا مُخَالِطُهُ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا انصَرَفَتْ وَتَلَوْتُ بِهَا رِقَاقُ الْمَجَاسِدِ وَالْمِثْرُ³
وَعَصَّ السَّوَارُ وَجَالَ الْوِشَاحُ عَلَى عُكْنِ خَصَرِهَا مُضْمَرُ
وَضَاقَ عَنِ السَّاقِ خَلْخَالُهَا فَكَادَ مُخَدَّمُهَا يَنْدَرُ⁴
فَتَوَرَّ الْقِيَامُ رَخِيمُ الْكَلَا مَ يُفْزِعُهَا الصَّوْتُ إِذْ تَزْجَرُ
وَتَنْمَى إِلَى حَسَبِ شَامَخٍ فَلَيْسَتْ تُكَذِّبُ إِذْ تَفْخَرُ
فَتَلِكِ الَّتِي شَفَنِي حُبُّهَا وَحَمَلَنِي فَوْقَ مَا أَقْدِرُ
فَلَا تَعْذِلَانِي فِي حُبِّهَا فَإِنِّي بِمَعْدَرَةٍ أَجْدُرُ
ومن ها هنا رواية اليزيدي :

وَقُولَا لَذِي طَرَبٍ عَاشِقِي : أَشْطُ الْمَزَارِ بِمَنْ تَذْكُرُ ؟
بِكُوفِيَّةٍ أَصْلُهَا بِالْفُرَا تَ تَبْدُو هُنَاكَ أَوْ تَحْضُرُ
وَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى مُكَّرَانَ فَقَدْ شَحَطَ الْوَرْدُ وَالْمَصْدَرُ
وَلَمْ تَكُ مِنْ حَاجَتِي مُكَّرَانَ وَلَا الْغَزْوُ فِيهَا وَلَا الْمَتَجَرُ
وَخَبِرْتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِهَا فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أَذْعُرُ
بِأَنَّ الْكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ وَأَنَّ الْقَلِيلَ بِهَا مُقْتَرُ
وَأَنَّ لِحَى النَّاسِ مِنْ حَرِّهَا تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ⁵
وَيَزْعَمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا بِأَنَّ سَنَسْهُمْ أَوْ نَنْجَرُ⁶
أَعُوذُ بِرُبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا تَ فِيمَا أُسِيرَ وَمَا أَجْهَرُ

1 الأذماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادين : ولد الظبية .

2 الفارسية : الخمر .

3 وتلوت بها في الديوان : وتلوت بها ص 327 . المجاسد : الأثواب التي تلي البدن . جمع مجسد .

4 المخدم : موضع الخلخال ، ويندر : يسقط .

5 تجلم : تقطع بالجل ، وهو المقص .

6 سَهم الرجل : تغير لونه وبدنه . نَجَرَ الرجل : أصابه عطش شديد .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَالَنَا رَجَعَةً سِنِينَ وَمِنْ بَعْدَهَا أَشْهُرُ
إِلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤُنَا وَبَادَ الْأَخِلَاءَ وَالْمُعَشَرَ
وَمَا كَانَ بِي مِنْ نَشَاطٍ لَهَا وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلَكِنْ بُعِثْتُ لَهَا كَارَهَا وَقِيلَ انْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ¹
فَكَانَ النَّجَاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَشَرَّهْمُ مُنْكَرُ²
هُوَ السِّيفُ جُرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ السِّيفِ مُسْتَأَخِرُ
وَكَمْ مِنْ آخِرٍ لِي مُسْتَأْنِسٍ يَظَلُّ بِهِ الدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُودِّعُنِي وَانْتَحَتْ عِبْرَةٌ لَهُ كَالْجِدَاوِلِ أَوْ أَغْزُرُ
فَلَسْتُ بِبَلَايِقِهِ مِنْ بَعْدِهَا يَدَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّرَصَرُ³
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمْ عَابَرُوا نَجْرًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى السَّنَدِ وَالْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ الْجَنُّ لَكُنْهُمْ أَنْكَرُ
وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلُنَا أَكْبَرُ عَادٍ وَلَا حَمِيرُ
وَلَا رَامَ سَابُورَ غَزْوًا لَهَا وَلَا الشَّيْخُ كِشْرَى وَلَا قِصْرُ
وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وَأَجَرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُوجَرُ

[قصته مع جارية خالد بن عتاب الرهاحي]

وذكر محمد بن صالح بن النطاح أنَّ هشام بن محمد الكلبي حدث عن أبيه : أنَّ أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالرَّيِّ ودَسْتِي ، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، فلما قديم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقَّينه وفيهنَّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعة القدر عنده ، فجعل الناس يمرُّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً⁴ من النُّعاس ؛ فقالت أمُّ ولد خالد بن عتاب لجواريتها : إنَّ امرأة خالد لتُفَاخِرُنِي بِأبيها وعمِّها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش . وسمِعها الأعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جارية خالد ؛ فضحك وقال لها : إِلَيْكَ عَنِّي يَا لَكُعاء ؛ ثم أنشأ يقول :

[من الطويل]

1 كالذي في الديوان للذي ص 328 .

2 النجاء : السرعة في السير .

3 يد الدهر : كناية عن الأبد .

4 في ل : وشمالاً .

وما يُدْرِيكَ ما فرسٌ جرورٌ وما يدريك ما حَمْلُ السِّلَاحِ¹
وما يدريك ما شَيْخٌ كبيرٌ عَداه الدَّهْرُ عن سَنَنِ المِراحِ
فَأَقْسِمُ لو رَكِبْتُ الوَرْدَ يوماً وليلته إلى وَضَحِ الصَّبَاحِ
إِذَا لَنظَرْتُ مِنْكَ إلى مكان كَسَحَقِ البُرْدِ أو أثَرِ الجِراحِ²

قال : فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَم ، ولقد اجتريء عليك فقال لها : وما ذلك ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبّها ؛ فقال : ذلك أعشى همدان ؛ فأبي شيء قال لك ؟ فأنشدته الأبيات . فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زعمت أنك هجوتها ؛ فقال : أسأت سمعاً ، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطّرات كضوء الصبح أبيض الأداحي³
على شقَر البغال فصيّدتُ قلبي بحسن الدّلّ والحدّق الملاح
فقلتُ من الظباء فقلن سِرْبٌ بدا لك من ظباء بني رياح

فقالت : لا والله ، ما هكذا قال ، وأعادت الأبيات ؛ فقال له خالد : أما إنها لولا أنها قد ولدت مني لوهبتُها لك ، ولكنني أفندي جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصباح ألاّ تُعيدَ في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك . وذكر هذا الخبر العنزي في روايته التي قدّمت ذكرها ، ولم يأت به على هذا الشرح .

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابن النطّاح جميعاً : وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمينه إياه ويَعِدُّه به : إن وُلِّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتي استُعِمِلْتُ فعُذْ خاتمي وأقصر في أمور الناس كيف شئت . قال : فاستُعِمِل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه : [من الوافر]

تُمَنِّينِي إِمَارَتَهَا تَمِيم وما أُمِّي بأمّ بني تَمِيم
وكان أبو سليمان أخاً لي ولكنّ الشراك من الأديم⁴

1 جرور في ل : حرون .

2 السحق : الثوب البالي ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .

3 الأداحي : جمع أدحية وهي بيض النعام في الرمل .

4 الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
أَتَذْكُرْنَا وَمُرَّةً إِذْ غَرَوْنَا وَأَنْتَ عَلَى بُغْيَلِكَ ذِي الْوُشُومِ
وَيَرْكَبُ رَأْسَهُ فِي كُلِّ وَحْلٍ وَيَعْتُرُ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا طَيْلَسَانٌ نَصِيبِيْ وَالْأَسْحَقُ نَيْمٌ¹
فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي خَزٍّ وَقَزٍّ تَبَخَّرَ مَا تَرَى لَكَ مِنْ حَمِيمٍ
وَتَحْسَبُ أَنْ تَلْقَاهَا زَمَانًا كَذَبَتْ رَبُّ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ

هذه رواية ابن النطاح ، وزاد العنزي في روايته :

وَكَانَتْ أَصْبَهَانُ كَخَيْرِ أَرْضٍ لَمُغْتَرِبٍ وَصُعْلُوكٍ عَدِيمٍ
وَلَكُنَّا أَتَيْنَاهَا وَفِيهَا ذَوُو الْأَضْغَانِ وَالْحَقْدِ الْقَدِيمِ
فَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ وَأَنْكَرْتَنِي وَجُوهٌ مَا تُخَيِّرُ عَنْ كَرِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِّنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي لَا أُسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ
فَلَوْ كَانَ ابْنُ عَتَابٍ كَرِيمًا سَمَا لِرَوَايَةِ الْأَمْرِ الْجَسِيمِ
وَكَيْفَ رَجَاءٍ مِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ تَنَائِي الدَّارِ كَالرَّحْمِ الْعَقِيمِ

قال ابنُ النطاح : فبعث إليه خالد : مَنْ مُرَّةٌ هَذَا الَّذِي ادَّعَيْتَ أَنِّي وَأَنْتَ غَرَوْنَا مَعَهُ عَلَى بَغْلٍ ذِي وَشُومٍ ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رَأَيْتَ عَلَيَّ الطَّيْلَسَانَ وَالنَّيْمَ اللَّذَيْنِ وَصَفْتَهُمَا ؟ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ : هَذَا كَلَامُ أَرْدْتُ وَصَفَكَ بِظَاهِرِهِ ، فَأَمَّا تَفْسِيرُهُ ، فَإِنَّ مُرَّةً مُرَارَةً ثَمَرَةً مَا غَرَسْتَ عِنْدِي مِنَ الْقَبِيحِ . وَالبَغْلُ الْمَرْكَبُ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ مَنِّي لَا يَزَالُ يَعْتُرُ بِكَ فِي كُلِّ وَغْثٍ وَجَدَدٍ وَوَعْرٍ وَسَهْلٍ . وَأَمَّا الطَّيْلَسَانُ فَمَا أَلْبَسَكَ إِيَّاهُ مِنَ الْعَارِ وَالذَّمِّ ؛ وَإِنْ شِئْتَ رَاجَعْتَ الْجَمِيلَ فَرَاجَعْتَهُ لَكَ ؛ فَقَالَ : لَا ، بَلْ أُرَاجِعُ الْجَمِيلَ وَتُرَاجِعُهُ ؛ فَوَصَلَهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ وَتَرْضَاهُ . هَكَذَا رَوَى مِنْ قَدَمْتُ ذَكَرَهُ .

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَتَابٍ بَنَ وَرَقَاءَ أَصْبَهَانَ ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَعْشَى هَمْدَانَ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ وَجَارَهُ بِالْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحِبُّ ؛ وَأَعْطَى خَالِدُ النَّاسَ عَطَايَا فَجَعَلَهُ فِي أَقْلَاهَا وَفَضَّلَ عَلَيْهِ آلَ عَطَارِدَ ؛ فَبَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ ذَمَّهُ فَحَبَسَهُ مَدَّةً ثُمَّ أَطْلَقَهُ ؛ فَقَالَ يَهْجُوهُ :

[من الطويل]

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَلْجَأْتَهُ خَصَاصَةً إِلَيْكَ وَلَا مِمَّنْ تَغَرَّرَ الْمَوَاعِدُ

ولكنها الأطماعُ وهي مُذِلَّةٌ دنتُ بي وأنتِ النازح المتباعدُ
 اتَّخِصُّني في غير شيء وتارةً تلاحظني شَزْراً وأنفك عاقِدُ
 فإنك لا كَأَبْنِي فَرَارَةَ فاعْلَمْنِ خُلِقْتَ ولم يُشَبِّههما لك والدُ
 ولا مُذْرِكُ ما قد خلا من نَداهما أبوك ولا حوضيهما أنتِ واردُ
 وإنك لو ساميتَ آلَ عَطَارِدِ لَبَذْتُكَ أعناقُ لهم وسواعدُ
 ومأثرةً عاديةً لن تنالها وبيتٌ رفيعٌ لم تَخْضه القواعدُ
 وهل أنتِ إلَّا ثعلبٌ في ديارهم تُشَلُّ فتَعَساً أو يقودُكَ قائدُ¹
 أرى خالداً يخالُ مشياً كأنه من الكبرياء نَهْشَلُ أو عَطَارِدُ²
 وما كان يَرْبُوعٌ شبيهاً لدارمِ وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفراقُ

[مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج]

قالوا : ولما خرج ابنُ الأشعث على الحجاج بن يوسف حشد معه أهل الكوفة ، فلم يَتَقَ من وجوههم وقرائهم أحدٌ له نَبَاهةٌ إلّا خرج معه لِيُثَقِلَ وطأة الحجاج عليهم . فكان عامر الشَّعْبِيّ وأعشى هَمْدَانِ مِمَّنْ خرج معه ، وخرج أحمد النَّصْبِيّ أبو أسامة الهَمْدَانِي المَغْنِيّ مع الأعشى لِإِلفتِهِ إِيَّاه ، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه ، ولا يزال يحرّض أهل الكوفة بأشعاره على القتال ، وكان ممّا قاله في ابن الأشعث يمدحه :

[من الكامل]

يأبى إلأه وعزّة ابن محمّد وجدودُ مَلِكٍ قبلَ آلِ ثمودِ
 أن تأنسوا بمذمّمين ، عروقُهم في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عبيدِ
 كم من أبٍ لك كان يعقِدُ تاجَه بجبين أبلجٍ مِقُولِ صِنْدِيدِ
 وإذا سألتَ : المجدُ أين محلّه فالمجدُ بين محمّدٍ وسعيدِ
 بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٍ بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ
 ما قصّرتُ بك أن تنال مَدَى العُلا أخلاقُ مَكْرُمَةٍ وإرثُ جدودِ
 قرم إذا سامى القُرُومَ ترى له أعراقُ مجدٍ طارفٍ وتليدِ
 وإذا دعا لعظيمة حُشِدَتْ له هَمْدَانٌ تحت لوائه المعقودِ
 يَمْشُونَ في حَلَقِ الحديد كأنهم أسدُ الإباء سمعن زارَ أسودِ

1 تُشَلُّ : تُطْرَدُ .

2 نهشل وعطارِد : قبيلتان من قبائل العرب .

وإذا دعوتَ بآلِ كِنْدَةَ أَجْفَلُوا بكهولِ صدقِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 وشبابٍ مأسدةٍ كأنَّ سيوفَهُم في كلِّ مَلَحْمَةٍ بروقُ رَعُودٍ
 ما إن تَرى قيساً يقاربُ قيسَكُم في المَكْرُماتِ ولا تَرى كسعيدٍ

[طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعراً]

وقال حمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقفٌ محمودَةٌ وبلاءٌ حسنٌ وآثارٌ مشهورةٌ ؛ وكان الأعشى من أحواله ، لأنَّ أُمَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أُمَّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهمداني . قال : فلمّا صار ابنُ الأشعث إلى سجستانَ جَبى مالا كثيراً ، فسأله أعشى همدان أن يُعطيه منه زيادةً على عطائه فمنعه ؛ فقال الأعشى في ذلك :

هل تعرف الدارَ عفا رسمُها بالحِضْر فالروضةِ من آمِدٍ¹
 دارٌ لَخُودٍ طَفْلَةٍ رُودَةٍ بَأْتٍ فأمسى حُبُّها عامِدِي
 بيضاءٌ مثلَ الشمسِ رَقَاقَةٍ تَبَسِّمُ عن ذي أَشْرٍ باردٍ
 لم يُخْطِ قلبي سهمُها إذ رمتُ يا عجباً من سهمها القاصِدِ
 يا أيُّها القَرَمُ الهِجَانُ الذي يَنْطِشُ بطشَ الأسدِ اللَّابِدِ²
 والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي يُنمى إلى الغائبِ والشاهدِ
 كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحَةٍ تُرَوَّى مع الصادرِ والواردِ
 وكم أَجَبنا لك من دَعْوَةٍ فاعرفْ فما العارفُ كالجاحِدِ³
 نحن حَمِينُكَ وما تَحْتَمِي في الرُّوعِ من مَثْنَى ولا واحدٍ
 يومَ انتصرنا لك مِن عابِدٍ ويومَ أنجيناكَ من خالِدِ⁴
 ووقعة الرِّيِّ التي نَلَتْها بجَحْفَلٍ من جَمْعنا عاقِدِ
 وكم لَقِينا لك من واتِرٍ بصِرْفِ نائِي حَقِ حارِدِ⁵

1 الحِضْر : مدينة بالقرب من تكريت بالعراق . آمد : مدينة في ديار بكر .

2 الهجان : الخالص وخيار كلِّ شيء .

3 كالجاحد في الديوان الجامد ص 324 .

4 عابد في ل : غامد .

5 الحارِد : الغاضب .

ثم وَطِنَاهُ بِأَقْدَامِنَا
 إلى بلاءِ حَسَنِ قَدْ مَضَى
 فَادْكُرْ أَيَادِينَا وَآلَاءَنَا
 وَيَوْمَ الْإِهْوَازِ فَلَا تَنْسَهُ
 إِنَّا لَنَرْجُوكَ كَمَا نَرْتَجِي
 فَانْفَحْ بِكَفِّكَ وَمَا ضَمَّنَا
 مَا لَكَ لَا تُعْطِي وَأَنْتَ أَمْرُو
 تَجْنِي سِجِسْتَانَ وَمَا حَوْلَهَا
 لَا تَرْهَبُ الدَّهْرَ وَأَيَّامَهُ
 إِنْ يَكُ مَكْرُوهٌ تَهْجُنَا لَهُ
 ثُمَّ تَرَى أَنَا سَنَرْضِي بِذَا
 وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأُسْتَارِهِ
 تِلْكَ لَكُمْ أُمْنِيَّةٌ بَاطِلٌ
 مَا أَنَا إِنْ هَاجَكَ مِنْ بَعْدِهَا
 وَلَا إِذَا نَاطُوكَ فِي خَلْقَةٍ
 فَأَعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ طَيِّبًا
 نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَلَا تَجْفُنَا
 إِنْ تَكُ مِنْ كِنْدَةٍ فِي بَيْتِهَا
 شُمُّ الْعَرَانِينَ وَأَهْلُ النَّدَى
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ فَارَسٍ مُعَلِّمٍ
 وَرَاكِبٍ لِلْهَوْلِ يَجْتَابُهُ

وَكَانَ مِثْلَ الْحَيَّةِ الرَّاصِدِ
 وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ كَالزَّاهِدِ
 بَعُودَةٍ مِنْ حِلْمِكَ الرَّاشِدِ
 لَيْسَ النَّشَا وَالْقَوْلُ بِالْبَائِدِ¹
 صَوَّبَ الْغَمَامَ الْمُبْرِقِ الرَّاعِدِ
 وَافْعَلْ فَعَالَ السَّيِّدِ الْمَاجِدِ
 مُثَرٍّ مِنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ
 مُتَكَيِّفًا فِي عَيْشِكَ الرَّاعِدِ²
 وَتَجَرَّدَ الْأَرْضَ مَعَ الْجَارِدِ
 وَأَنْتَ فِي الْمَعْرُوفِ كَالرَّاقِدِ
 كَلَّا وَرَبُّ الرَّكَعِ السَّاجِدِ
 وَمَنْ بِهِ مِنْ نَاسِكَ عَابِدِ
 وَغَفْوَةٍ مِنْ حُلْمِ الرَّاقِدِ
 هَيِّجْ بَاتِيكَ وَلَا كَابِدِ
 بِحَامِلٍ عَنْكَ وَلَا فَاقِدِ³
 لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّكَادِ⁴
 وَاللَّهُ قَدْ وَصَّاكَ بِالْوَالِدِ
 فَإِنَّ أَسْوَالَكَ مِنْ حَاشِدِ⁵
 وَمُتَنَهَى الضُّيْفَانِ وَالرَّائِدِ
 وَسَائِسٍ لِلْجَيْشِ أَوْ قَائِدِ
 مِثْلَ شِهَابِ الْقَبَسِ الْوَاقِدِ

1 النشأ : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء وفي الديوان : النشأ ص 324 .

2 مُتَكَيِّفًا فِي ل : مُمَكِّنًا .

3 فَاقَدَ فِي ل : ذَائِدَ . وفي الديوان : نَاقَدَ ص 325 .

4 الْمُنْكَودَ : الَّذِي يُلْحَقُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ . وَالنَّكَادُ الْمَلْحَ .

5 حَاشِدٌ : حَيٌّ مِنْ هَمْدَانَ .

أَوْ مَلَأَ يُشْفَى بِأَحْلَامِهِمْ مَنْ سَفَهَ الْجَاهِلُ وَالْمَارِدُ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ بِأَحْسَابِنَا نَقْصاً وَمَا الناقصُ كَالزَّائِدِ
وَرَبُّ خَالٍ لَكَ ، فِي قَوْمِهِ فَرَعٌ طَوِيلُ الْبَاعِ وَالسَّاعِدِ
يَحْتَضِرُ الْبَاسَ وَمَا يَتَغَيَّرُ سَوَى إِسَارِ الْبَطْلِ النَّاجِدِ¹
وَالطَّعْنِ بِالرَّايَةِ مُسْتَمَكِنًا فِي الصَّفِّ ذِي الْعَادِيَةِ النَّاهِدِ²
فَارْتَحَ لِأَخْوَالِكَ وَاذْكُرْهُمْ وَارْحَمَهُمُ لِسَلَفِ الْعَائِدِ
فَإِنَّ أَخْوَالَكَ لَمْ يَرْحُوا يُرْتَوْنَ بِالرَّفْدِ عَلَى الرَّافِدِ
لَمْ يَنْخَلُوا يَوْمًا وَلَمْ يَجْبُنُوا فِي السَّلَفِ الْغَازِيِ وَلَا الْقَاعِدِ
وَرَبُّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَالٌ أَثْقَالُهَا وَاجِدِ
مُعْتَرِفٍ لِلرَّزَاءِ فِي مَالِهِ وَالْحَقُّ لِلْسَّائِلِ وَالْعَامِدِ

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ ،
وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكَرَّانِيِّ عَنْ
الْعُمَرِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، وَذَكَرَهُ الْعَنْزِيُّ عَنْ أَصْحَابِهِ ، قَالُوا جَمِيعاً : خَرَجَ أَعْشَى هَمْدَانُ
إِلَى الشَّامِ فِي وِلَايَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمْ يَنْلُ فِيهَا حِظًّا ؛ فَجَاءَ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ عَامِلٌ
عَلَى حِمصَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ ؛ فَكَلَّمَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْيَمَانِيَةَ وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا شَاعِرُ الْيَمَنِ
وَلِسَانُهَا ، وَاسْتَمَاحَهُمْ لَهُ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ ، يُعْطِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِثْلَ دِينَارَيْنِ مِنْ عَطَايِهِ ؛ فَقَالَ : لَا ، بَلْ
أَعْطُوهُ دِينَارًا دِينَارًا وَاجْعَلُوا ذَلِكَ مُعْجَلًا ؛ فَقَالُوا : أَعْطِيهِ إِيَّاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَاحْتَسِبْهَا عَلَى كُلِّ
رَجُلٍ مِنْ عَطَايِهِ ؛ فَفَعَلَ النُّعْمَانُ وَكَانُوا عَشْرِينَ أَلْفًا فَأَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَارْتَجَعَهَا مِنْهُمْ
عِنْدَ الْعَطَاءِ . فَقَالَ الْأَعْشَى يَمْدَحُ النُّعْمَانَ :

وَلَمْ أَرِ لِلْحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاثُلِ كُنُعمَانَ نُعمَانِ النَّدَى ابْنَ بَشِيرِ
إِذَا قَالَ أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ كَمُدْلِ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورِ
مَتَى أَكْفَرَ النُّعْمَانَ لَمْ أَلْفَ شَاكِرًا وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَقْتَدِي بِشَكُورِ
فَلَوْلَا أَخُو الْأَنْصَارِ كُنْتُ كَنَازِلِ ثَوَى مَا ثَوَى لَمْ يَنْقَلِبْ بِنَقِيرِ
[شعره في حرب نصيبين بين المهلب ويزيد بن أبي صخر]

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ فِي خَبَرِهِ : حَاصَرَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ نَصِيبِينَ ، وَفِيهَا أَبُو قَارِبٍ

1 إِسَارَ فِي ل : نَزَالَ . وَفِي الدِّيَوَانِ : الْمَاجِدُ بَدَلَ النَّاجِدِ ص 325 .

2 نَاهِدٌ : الْأَسَدُ .

يزيد بن أبي صخر ومعه الخشبية¹ ؛ فقال المهلب : يا أيها الناس ، لا يهولنكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصي . فحمل عليهم المهلب وأصحابه فلقوهم بالعصي فهزمهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدرس المهلب رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله ، وجعل له على ذلك جُعلاً سنياً ، قال الهيثم : بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي ووعدته بمثلها إذا عاد ، فاندس له العبد فافتاله فقتله وقتل بعده . فقال أدشى همدان في ذلك :

[من الغوليل]

يُسْمَوْنَ أَصْحَابَ الْعِصَى وَمَا أَرَى	مع القوم إلا المشرقية من عصا
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الَّذِي جَاءَ حَازِرًا	وألقي بنا جرمي الخيام وعرصاً ²
أَتَحْسَبُ غَزْوَ الشَّامِ يَوْمًا وَحَرَبَهُ	كبيض يُنْظَمْنَ الْجُمَانِ الْمَفْصَصَا
وَسِيرِكَ بِالْأَهْوَاوِ إِذْ أَنْتَ آمِنٌ	وشريك ألبان الخلايا المقرصاً ³
فَأَقْسَمْتُ لَا تَجِي لَكَ الدَّهْرَ دَرَهَمًا	نصييون حتى تبلى وتمحصاً
وَلَا أَنْتَ مِنْ أَثَوَابِهَا الْخُضْرَ لَابِسٌ	ولكن خُشْبَانًا شِدَادًا وَمَشْقَصًا ⁴
فَكَمْ رَدٌّ مِنْ ذِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا	جُدْنِعَ الْعَنِيكَ رَدَّهَ اللَّهُ أَبْرَصَا
وَشَيْدَ بَنِيانًا وَظَاهِرَ كَسَوَةٍ	وطال جُدْنِعَ بعد ما كان أوقصاً

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة] . والأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جَزَلَةٌ ، هكذا رواه الكوفيون ، وهو الصحيح . وذكر الأصمعي أنها خَوْلَةٌ ، هكذا رواه في شعر الأعشى .

[طلق زوجته أم الجلال وتزوج غيرها وشعره في ذلك]

فذكر العنزي في أخبار الأعشى المتقدم إسنادها : أنها كانت عند الأعشى امرأة من قومه يُقال لها أم الجلال ، فطالت مدتها معه وأبغضها ، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جَزَلَةٌ ، وقال الأصمعي : خولة . فقالت له : لا ، حتى تطلق أم الجلال ؛ فطلقها ؛ وقال في ذلك :

[من المتقارب]

1 الخشبية : أتباع المختار بن أبي عبيد .

2 حاذراً : متأهباً مستعداً ، وفي الديوان : خادراً ص 333 . بنا جرمي في ل : يا جرمي وفي الديوان أيضاً ص 333 .

3 الخلايا : الإبل المخلاة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرص : اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً . والمقارص : الأوعية التي يقرص فيها اللبن .

4 المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يُرمى به الوحش .

تَقَادَمَ وَدُكِّ أُمُّ الْجَلَالِ فطاشت نبأك عند النضالِ
 وطال لزومك لي حِقْبَةً فرئت قوَى الحبل بعد الوصالِ
 وكان الفؤاد بها مُعْجَباً فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي
 صحا لا مُسِيئاً ولا ظالماً ولكن سلا سلوةً في جمالِ
 ورُضتِ خلائقنا كلُّها ورُضنا خلائقكم كلَّ حالِ
 فَأَعْيَيْنَا فِي الَّذِي بَيْنَا تَسْؤِمِيَّتِي كُلَّ أَمْرِ عُضَالِ
 وقد تأمرين بقطع الصديق وكان الصديق لنا غير قالي
 واتبان ما قد تجنَّبته وليداً ولُمتُ عليه رجالي
 أَفَالْيَوْمَ أَرْكُبُهُ بَعْدَ مَا علا الشَّيْبُ مِنِّي صَمِيمَ الْقَدَالِ
 لَعَمْرُ أَيْلِكَ لَقَدْ خِلْتَنِي ضعيفَ القوَى أو شديدَ المِحَالِ
 هَلُمِّي اسْأَلِي نَائِلاً فَانْظُرِي أَحْرِمُكَ الْخَيْرَ عِنْدَ السُّؤَالِ
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّي مُعْرِقٌ نَمَانِي إِلَى الْمَجْدِ عَمِّي وَخَالِي
 وَأَنِّي إِذَا سَاءَنِي مَنْزِلٌ عَزَمْتُ فَأَوْشَكْتُ مِنْهُ ارْتِحَالِي
 فبعضُ العتاب ، فلا تَهْلِكِي فَلَا لَكَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ وَلَا لِي
 فَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْهَا الْبَدَا ءِ صَبَحْتُهَا بِثَلَاثِ عِجَالِ
 ثَلَاثاً خَرَجْنَ جَمِيعاً بِهَا فخلَّيْنَهَا ذَاتَ بَيْتٍ وَمَالِ
 إِلَى أَهْلِهَا غَيْرَ مَخْلُوعَةٍ وَمَا مَسَّهَا عِنْدُنَا مِنْ نِكَالِ
 فَأَمَسْتُ تَجِنُّ حَنِينَ اللَّقَا حَ مِنْ جَزَعٍ إِثْرَ مَنْ لَا يُيَالِي
 فَجِنِّي حَنِينَكَ وَاسْتِيقِنِي بَانَا أَطْرَحْنَاكَ ذَاتَ الشَّمَالِ
 وَأَنْ لَا رَجُوعَ فَلَا تُكْذِبِي مِنْ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ إِثْرَ الْفِصَالِ
 وَلَا تَحْسِبِيْنِي بِأَنِّي نَدِيمٌ سَتْ كَلَّا وَخَالِقْنَا ذِي الْجَلَالِ

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ الْجَلَالِ : بئس والله بعلُ الحرَّةِ وقرينُ الزوجة المسلمة أنت ! وَيَحْك ؛
 أَعَدَدْتَ طَوْلَ الصَّحْبَةِ وَالْحَرَمَةَ ذَنْباً تَسْبِي وتَهْجُونِي بِهِ ! ثُمَّ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُعْضِهُ اللَّهُ إِلَى
 زَوْجَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهَا ، وَفَارَقَتْهُ . فَلَمَّا انْتَقَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَصَارَتْ جَزَلَةً إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ بِهَا لَمْ

يَحْظُ عِنْدَهَا ، ففَرِكْه وتَنَكَّرت له واشتدَّ شغفُها ؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال
فيها :

حَيِّيا جَزَلَةً مَنِّي بِالسَّلَامِ
لَا تَصُدِّي بَعْدَ وَدِّ ثَابِتِ
إِنْ تَدُومِي لِي فَوْصِلِي دَائِمٌ
أَوْ تَكُونِي مِثْلَ بَرَقِ خُلْبِ
أَوْ كَتَخْيِيلِ سَرَابٍ مُعْرَضِ
فَاعْلَمِي إِنْ كُنْتَ لِمَا تَعْلَمِي
بَعْدَ مَا كَانَ الَّذِي كَانَ فَلَا
لَا تَنَاسِي كُلَّ مَا أُعْطَيْتَنِي
وَإِذْ كَرِي الْوَعْدَ الَّذِي وَاعَدْتَنِي
فَلَمَنْ بَدَّلْتَ أَوْ خَسِيتِ بِنَا
[أُمُّ صَمَامَ : الْغَدْرُ وَالْخَنْثُ] .

لَا تُبَالِيْنَ إِذَا مِنْ بَعْدِهَا
رَاجِعِي الْوَصْلَ وَرُدِّي نَظْرَةً
وَإِذَا أَنْكَرْتَ مَنِّي شَيْمَةً
فَإِذْ كَرِيهَا لِي أَزُلْ عَنْهَا وَلَا
وَأَرَى حَبْلَكَ رَتْماً خَلَقَاً
عَجِبْتُ جَزَلَةً مَنِّي أَنْ رَأْتُ
وَرَأْتُ جِسْمِي عِلَاهُ كَبْرَةً
وَصَلَيْتُ الْحَرْبَ حَتَّى تَرَكْتُ
أَبْدَأُ تَرَكَ صَلَاةً أَوْ صِيَاماً²
لَا تَلْجِي فِي طِمَاحٍ وَأَنَامِ
وَلَقَدْ يُنْكَرُ مَا لَيْسَ بِذَامٍ³
تُسْفِحِي عَيْنِكَ بِالْدمْعِ السَّجَامِ
وَحِبَالِي جُدُداً غَيْرَ رِمَامٍ⁴
لِمَتِّي حُقَّتْ بِشَيْبٍ كَالثَّغَامِ⁵
وَصُرُوفَ الدَّهْرِ قَدْ أَبْلَتْ عِظَامِي
جَسَدِي نِضْواً كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ⁶

1 أُمُّ فِي ل : أُمْر . صَمَامَ : الدَاهِيَةُ الشَّدِيدَةُ .

2 تَرَكَ فِي ل : أُجْرَ .

3 وَلَقَدْ أَنْكَرْتُ فِي ل : فَلَقَدْ أَنْكَرْتُ .

4 حَبْل رِمَام : بَالٍ .

5 الثَّغَامُ : نَبْتُ يَكُونُ فِي الْجَبَلِ يَنْبُتُ أَخْضَرَ ثُمَّ يَبْيَضُ إِذَا يَبَسَ فَيَشْبَهُ بِهِ الشَّيْبُ .

6 أَشْلَاءُ اللَّجَامِ : حَدَائِدُهُ بِلَا سَيُورٍ .

وهي بيضاء على منكبيها قَطَطٌ جَعْدٌ وَمَيَّالٌ سُخَامٌ¹
 وإذا تضحك تُبدي حَبِيًّا كَرُضَابُ الْمَسْكِ فِي الرَّاحِ الْمُدَامُ
 كَمَلْتُ مَا بَيْنَ قَرْنٍ فَإِلَى مَوْضِعِ الْخُلْخَالِ مِنْهَا وَالْخِدَامُ²
 فَأَرَاهَا الْيَوْمَ لِي قَدْ أَحْدَثَتْ خُلُقًا لَيْسَ عَلَى الْعَهْدِ الْقِدَامُ

[تمثل الشعبي بشعر له فخر به على البصريين في حضرة الأحنف]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعيد الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ أَتَى الْبَصْرَةَ أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى قَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ فِيهِمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَتَذَاكَرُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَفَاخَرُوا بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ تَزَلِ الْمَفَاخِرَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : وَهَلْ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَّا خَوَلُنَا ؟ اسْتَنْقَذْنَاهُمْ مِنْ عَبِيدِهِمْ ، (يعني الخوارج) . قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَهَجَسَ فِي صَدْرِي أَنْ تَمَثَّلْتُ قَوْلَ أَعْشَى هَمْدَانَ : [من الرمل]

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبَدًا وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عُزَلٍ³
 نَحْنُ سَقَنَاهُمْ إِلَيْكُمْ عُنُوءًا وَجَمَعْنَا أَمْرَكُمْ بَعْدَ فَشَلٍ
 فَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَادْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
 بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُنُونَهُ وَفَتًى أَيْضَ وَصَاحٍ رِفَلٍ⁴
 جَاءَنَا يَرْفُلُ فِي سَابِغَةٍ فَذَبَحْنَاهُ ضَحًى ذَبَحَ الْحَمَلِ⁵
 وَعَفَوْنَا فَتَسَيَّتُمْ عَفَوْنَا وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يا أهل البصرة ، قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف ، فأحسنوا مجالسته .

[شعر له في هزيمة الزبير الخثعمي بجؤلواء]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ عَنْ أَبِي مُحَلَّمٍ⁶

1 القَطَطُ : الشعر القصير . والسُخَامُ : الشعر اللين الحسن .

2 قرن في ل : فرق . الخِدَامُ : الخلائيل ، واحده خدمة . وفي الديوان : الخزام ص 340 .

3 آل في ل : قوماً . العزل : الاعتزال والتنحي . ويريد بال عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

4 الرِّفَلُ من الناس : الطويل الذليل .

5 يرفل في الديوان : يهدج ص 337 .

6 أبو محلم الشيباني : واسمه محمد بن سعد ، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمي محمداً وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة . توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان .

عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال : بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعمي إلى الري ؛ فلقية الخوارج بجُلّولاء¹ ، فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا² عسكره ، وكان معه أعشى همدان ، فقال في ذلك :

أمرت خثعم على غير خير
ثم أوصاهم الأمير بسير
أين ما كنتم تعيفون لنا
س وما تزجرون من كل طير
ضلت الطير عنكم بجُلّولا
ء وغرتكم أماني الزبير
قدر ما أتيح لي من فلسطين
ن على فالج ثقال وغير³
خثعمي مغصص جرجمان
سي محل غزا مع ابن نمير⁴

[مدح الأصمعي شعره وفضله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعي عن أعشى همدان فقال : هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال :

مَن دعا لي غزلي أربح الله تجارتَه

ثم قال : سبحان الله ، أمثل هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم اسم الله عز وجل ويرفع تجارتَه وهو نصب . ثم قال لي خلّف الأحمر : والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه وأن له من الحلّ مثل أن يجوز مثل هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله :

مَن دعا لي غزلي

لا يجوز ، إنما هو : مَن دعا لغزلي ، ومَن دعا لبعير ضالّ .

[مدح خالد بن عتاب فأجازه]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : أملتُ أعشى همدان فأتى خالد بن عتاب بن ورقاء فأنشده :

[من الطويل]

1 جلّولاء : ناحية حدثت فيها موقعة بين المسلمين والفرس .

2 في ل : وأباحوا .

3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنّين يحمل من السند للفحلة . الثقال : البطيء من الدواب والناس .

4 مغصص في الديوان : مغصص ص 331 .

رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالْقَوْلِ طَيِّباً
عَلَيْكَ وَقَالُوا مَاجِداً وَابْنُ مَاجِدٍ¹
بَنِي الْحَارِثِ السَّامِينِ لِلْمَجْدِ ، إِنَّكُمْ
بَنَيْتُمْ بِنَاءً ذَكَرُهُ غَيْرُ بَائِدٍ
هَنِيئاً لِمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ وَاعْلَمُوا
بَأَنِّي سَاطِرِي خَالِداً فِي الْقَصَائِدِ
فَإِنْ يَكُ عَتَابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ
فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

[أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاها]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي غَبِيْدَةَ عَنْ يُونُسَ [قال] :
قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربري ، ودخل عليه : أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك
تذكرني به ؟ فقال : أَوْخيراً من شعري ؟ فقال : هاتِ ؛ قال قال أعشى همدان : [من البسيط]

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ أُمْسَى نَاعِماً جَذِلاً
فِي أَهْلِهِ مَعْجَباً بِالْعَيْشِ ذَا أَنْقٍ²
غِيراً ، أُتِيحَ لَهُ مِنْ حَيْنِهِ عَرَضٌ
فَمَا تَلَبَّثَ حَتَّى مَاتَ كَالصَّعِقِ³
تُمَّتْ أَضْحَى ضُحًى مِنْ غَبٍّ ثَالِثَةٍ
مَقْنَعاً غَيْرَ ذِي رُوحٍ وَلَا رَمَقٍ
يُكَيِّ عَلَيْهِ وَأَذْنُوهُ لِمُظْلِمَةٍ
تُعْلَى جَوَانِبُهَا بِالتُّرْبِ وَالْفَلَقِ
فَمَا تَزُوْدُ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
إِلَّا حَتُوطاً وَمَا وَاوَاهُ مِنْ خِرْقٍ⁴
وغير نفحة أعوادٍ تُشَبُّ لَهُ
وَقُلْ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ
قال : فبكى عمر حتى اخضلت لحيتُهُ .

[هجا شجرة العبيسي بشعر أجازته عليه الحجاج]

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الدِّينَارِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ : سَأَلَ أَعْشَى
هَمْدَانَ شَجَرَةَ بَنِ سَلِيْمَانَ الْعَبْسِيَّ حَاجَةً فَرَدَّ عَنْهَا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ : [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ خِيَّاطاً فَأَصْبَحْتُ فَارِساً
تُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْفَوَارِسُ مِنْ مُضَرٍّ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْكَرْتَ هَذَا فَقُلْ كَذَا
وَبَيِّنْ لِي الْجُرْحَ الَّذِي كَانَ قَدْ دَثَّرَ

1 بالقول في الديوان : بالغيب ص 322 .

2 الأنق : الفرح والسرور .

3 غِيراً في الديوان : غدا ص 336 .

4 الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة .

وإصْبَعَكَ الوُسْطَى عليه شَهِيدَةٌ وما ذاك إِلَّا وَخَزُّهَا الثَّوبَ بِالْإِبْرِ
قال وكان يقال : إِنَّ شَجَرَةَ كان خِيَاطًا ، وقد كان ولي للحِجَّاجِ بعضُ أَعْمَالِ السَّوَادِ .
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الحِجَّاجِ قال له : يا شَجَرَةَ ، أَرِنِي إصْبَعَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا ؛ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ،
وما تَصْنَعُ بها ؟ قال : أَنْظُرْ إِلَى صِفَةِ الْأَعْشَى ؛ فَخَجِلَ شَجَرَةُ . فقال الحِجَّاجُ لحاجبه : مُرِ
الْمُعْطِيَّ أَنْ يُعْطِيَ الْأَعْشَى مِنْ عِطَاءِ شَجَرَةَ كَذَا وَكَذَا . يا شَجَرَةَ ، إِذَا أَتَاكَ امْرُؤٌ ذُو حَسَبٍ
وَلِسَانٍ فَاشْتَرِ عَرَضَكَ مِنْهُ .
[أُسْرَةُ الحِجَّاجِ وَذَكَرَهُ بِشَعْرَ قَالَهُ لِيَكُنْهُ ثُمَّ قَتَلَهُ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
الْحَنْفِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ قَالَ الْمُبَرِّدُ : أَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَهُمْ مُورِّجُ بْنُ عَمْرٍو السَّدُوسِيُّ قَالُوا : لَمَّا أَتَى
الحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّقَفِيَّ بِأَعْشَى هَمْدَانَ أُسِيرًا ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُمَكَّنَ مِنْكَ ، أَلَسْتُ
القَاتِلَ :

لَمَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَانَ	بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ¹
سَارَ بِجَمْعٍ كَالْقَطَا مِنْ فَحْطَانِ	وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ ²
أُمَكَّنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفِ هَمْدَانَ	يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ
إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ	كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابٌ ثَانٍ

أَوَلَسْتُ الْقَاتِلَ :

يَا ابْنَ الْأَشَجِّ قَرِيعَ كَيْدِ	لَدَا لَا أَبَالِي فِيكَ عَتَبًا ³
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيسِ	سِ وَأَنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا ⁴
نُبِئْتُ حَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ	سَفَا خَرَّ مِنْ زَلْقِي فِتْنًا
فَانْهَضَ فُدَيْتَ لَعْلَهُ	يَجْلُو بِكَ الرَّحْمَنُ كَرْبًا
وَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيَوِ	لَ يَكْبَهُنَّ عَلَيْهِ كَبًا ⁵

1 سفا : خفَّ وأسرع وفي الديوان : إِنَّا سَمَوْنَا ص 342 .

2 كَالْقَطَا فِي الدِّيَّوَانِ : كَالِدَبِيِّ ص 342 .

3 الْأَشَجُّ : هُوَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ جَدُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْنِيِّ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، وَفِي الدِّيَّوَانِ : لَا بِنِ الْأَشَجِّ ص 312 . لَا أَبَالِي فِي الدِّيَّوَانِ : لَا أَبِينُ ص 312 . وَالْقَرِيعُ : السَّيِّدُ .

4 النَّاسُ فِي الدِّيَّوَانِ : الْقَوْمُ ص 312 .

5 هُوَ عَطِيَّةُ بْنُ عَمْرٍو الْعَبْرِيُّ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَةِ جِيُوشِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ إِلَى الْعِرَاقِ . وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ بِالْخَيْلِ فَجَعَلَ عَطِيَّةٌ لَا يَلْقَى خَيْلًا إِلَّا هَزَمَهَا .

كلّا يا عدوّ الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زَلْقٍ فَتَبٍّ ، وحرار وانكَبٍّ ، وما لقي ما أحب ؛ ورفع بها صوته واربَدَ وجهه واهتزّ منكياه ، فلم يبقَ أحدٌ في المجلس إلّا أَهَمَّتْهُ نفسه وارتعدت فرائضه . فقال له الأعشى : بل أنا القائل أيّها الأمير :

أبى الله إلّا أن يتم نوره ويُظفيء نارَ الفاسقين فتحمداً
ويُنزل ذُلًّا بالعراق وأهليه كما نقضوا العهدَ الوثيقَ المؤكداً
وما لبث الحجاجُ أن سلَّ سيفه علينا فولّى جمعنا وتبدداً¹
وما زاحف الحجاجُ إلّا رأيته حساماً مُلقى للحروب مُعوّداً²
فكيف رأيت الله فرّق جمعهم ومزقهم عُرضَ البلاد وشرّداً
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة إذا ضمّنها اليومَ خاسوا بها غداً³
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصعدْ إلى الله مصعداً
ولما ذلّفنا لابن يوسف ضِلَّةً وأبرق منا العارضان وأرعداً⁴
قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرّصداً⁵
فصادمنا الحجاجُ دون صفوفنا كفاحاً ولم يضرب لذلك موعداً⁶
بجندٍ أمير المؤمنين وخيله وسلطانهِ أَمسى مُعاناً مؤيِّداً⁷
ليهنيء أمير المؤمنين ظهوره على أمةٍ كانوا بُغاةً وحُسّداً⁸
وجدنا بني مروانَ خيرَ أئمةٍ وأعظمَ هذا الخلقِ حلماً وسُودداً⁹
وخيرَ قريشٍ في قريشٍ أرؤمةً وأكرمهم إلّا النبيَّ محمّداً
إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا وجدنا أمير المؤمنين المُسدّداً
سيغلبُ قوماً غالبوا الله جَهرةً وإن كايده كان أقوى وأكيدا

1 وتبدداً في ل : متبدداً .

2 حساماً في الديوان : معلناً ص 320 .

3 نكثوا في الديوان : وما نكثوا ص 320 . خاس : غدر ونكث .

4 في الديوان : ولما زحفنا لابن يوسف عدوة ص 320 .

5 مُرّصداً : مُترقباً .

6 فصادمنا في الديوان : فكافحنا ص 320 .

7 بجند في الديوان : جُنود ص 320 . معانا : في الديوان : عزيزاً ص 320 .

8 ليهنيء في الديوان : فيهنّي ص 321 .

9 وأعظم في الديوان : أفضل ص 321 . الخلق في الديوان : الناس ص 321 .

كذاك يُضِلُّ اللهُ مَنْ كان قلبه
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم
يناديهم مستعبرات إليهم
والأ تناولهن منك برحمة
تعطف أمير المؤمنين عليهم
لعلهم أن يحدثوا العام توبة
لقد شئت يا ابن الأشعث العام مصرنا
كما شاءم الله النجير وأهله

ضعيفاً ومن وإلى النفاق والحداء¹
وبيضاً عليهم الجلابيب خرداء
ويذرين دمعاً في الخدود وإثمداء
يكن سبباً والبؤلة أعبداء
فقد تركوا أمر السفاهة والردي
وتعرف نصحاء منهم وتوددوا
فظلوا وما لاقوا من الطير أسعداء²
بجذك من قد كان أشقى وأنكداء³

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير ، فخل سبيله ؛ فقال : أظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ؛ لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدو الله أنك تخذعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو ؟ ألسنت القائل ، ويحك !

[من الكامل]

وإذا سألت : المجد أين محله
بين الأغر وبين قيس باذخ
فالمجد بين محمد وسعيد
بَخْ بَخْ لوالده وللمولود⁴

والله لا تبخين بعدها أبداً . أولست القائل :

[من الكامل]

وأصابني قومٌ وكنْتُ أصيهم
فاليوم أصير للزمان وأعرف⁵
كنبت والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده :

[من الكامل]

وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبة
أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيبتها
فأصبر فكل غيبة ستكشف⁶
أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيبتها عنك أبداً ، يا حرسى ، اضرب عنقه ؛ فاضرب عنقه .

1 ضعيفاً في الديوان : مريضاً ص 321 .

2 شئت : من شأمت بتسهيل الهمة وفي الديوان :

لقد شأم المصيرين فرخ محمد بحق وما لاقى من الطير أسعداء

3 النجير : حصن باليمن قرب حضرموت متبع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .

4 الأغر في الديوان : الأشج ص 323 .

5 فاليوم في الديوان : فالآن ص 335 .

6 غيبة في الديوان : مصيبة ص 335 .

وذكر مُورِّج السَّدُوسِيَّ أَنَّ الْأَعْشَى كَانَ شَدِيدَ التَّحْرِيزِ عَلَى الْحِجَّاجِ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ ، فَجَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ جَوْلَةً ثُمَّ عَادُوا ، فَتَزَلَّ عَنْ سَرَجِهِ وَنَزَعَهُ عَنْ فَرْسِهِ ، وَنَزَعَ دَرْعَهُ فَوَضَعَهَا فَوْقَ السَّرَجِ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا فَأَحْدَثَ وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ : لَعَلَّكُمْ أَنْكَرْتُمْ مَا صَنَعْتُ ؟ قَالُوا : أَوْلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ نَكِيرٍ ؟ قَالَ : لَا ، كُلُّكُمْ قَدْ سَلَّحَ فِي سَرَجِهِ وَدِرْعَهُ خَوْفًا وَفَرَقًا ، وَلَكِنَّكُمْ سَتَرْتُمُوهُ وَأَظْهَرْتُهُ ؛ فَحَمِيَ الْقَوْمُ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ يَوْمَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ، وَشَاعَتْ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ عَاوَدُوهُمْ مِنْ غَدٍ وَقَدْ نَكَأَتْهُمْ الْحَرْبُ ؛ وَجَاءَ مَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَبَاكَرُوهُمْ الْقِتَالَ وَهُمْ مُسْتَرِيحُونَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ وَقُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ . وَقَدْ حُكِيَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْ أَبِي كَلْدَةَ الْيَشْكُرِيِّ أَنَّهُ فَعَلَهَا فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ فِي أَخْبَارِ أَبِي كَلْدَةَ ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا حَكَاهُ مَعَ أَخْبَارِهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

[76] - أخبار أحمد النّصبي ونسبه

[نسبه ، وهو مغنٍ طنبوري كان ينادم عبيد الله بن زياد]

النّصبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأوّلُ مَنْ غَنَّى بها وعنه أُخِذَ النّصبُ¹ في الغناء هو أحمد بن أسامة الهمداني ، من رَهْطِ الأعشى الأذنين . ولم أجِدْ نسبَهُ متّصلاً فأذكره . وكان يغني بالطنبور ومرتجلاً ، ويقال إنّه أوّل مَنْ غَنَّى بالطنبور في الإسلام . وكان ، فيما يُقال ، ينادم عبيد الله بن زياد سرّاً ويغنيه . وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنةٌ لم يَلْحَقْها أحدٌ من الطنبوريّين ولا كثيرٌ ممّن يغني بالعود .

[حديث جحظة عنه]

وذكره جَحْظَةُ في كتاب الطنبوريّين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبه عفا الله عنّا وعنه ، في هذا الكتاب أن يثَلَب جميع مَنْ ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَّر عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأنّ مَنْ انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدّمي أهلها ، كان الأجملُ به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم وملح ما عرفه منهم لا أن يثَلَبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النّصبيّ ، وبه صدّر كتابه فقال : أحمد النّصبيّ أوّلُ مَنْ غَنَّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيرها ؛ ولم يخدمُ خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

[كان بخيلاً مرلياً ومات بفالوذجة حارة]

وحَدَّثني جماعةٌ من الكوفيّين أنّه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره ، وإنّه كان يُقرض الناس بعيّنة² ، وإنّه اغتصّ في دعوة دُعي إليها بفالوذجة حارة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات . وهذا كلّهُ باطل . أمّا الغناء فله منه صنعة في الثقل الأوّل وخفيف الثقل الثاني ، ما ليس بغيره مثلاً . منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله :

حيّا خولةً منّي بالسلام

ومنها :

[من الطويل]

سَلَبَتِ الجوّاري حَلِيَّهنَّ فلم تَدَعِ سِواراً ولا طَوْقاً على النحرِ مُدْهباً

1 النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء .

2 عينة : الرّيا .

وهو من الثقيل الثاني ، والشعر للعذيل بن الفرخ¹ ، وقد ذكرت ذلك في أخباره .
ومنها :

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى أننى اعتراك الطَّربُ النازحُ
وهو أيضاً من الثقيل الثاني ، وأصوات كثيرة نادرة تدلّ على تقدّمه .

وأما ما وصفه من بخله وقرضه للناس بالرّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها ، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيين حدثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نحل هو هذه الحكاية ووضعها هنا ، لأنّ أحمد النّصي خرج مع أعشى همدان وكان قرابته وإلفه في عسكر ابن الأشعث ، فقتل فيمن قُتل . روى ذلك الثقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يُذكر في جملة أخباره .

[اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه]

أخبرنا محمد بن مزيّد بن أبي الأَهر والحسين بن يحيى قالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَهُ الْعَنْزِيُّ فِي أَخْبَارِ أَعْشَى هَمْدَانَ الْمَذْكُورَةَ عَنْهُ عَنْ رِجَالِهِ الْمُسَمَّيْنَ قَالَ :
كَانَ أَحْمَدُ النَّصْبِيُّ مُوَاخِيًا لِأَعْشَى هَمْدَانَ مُوَاصِلًا لَهُ ، فَأَكْثَرَ غَنَائِهِ فِي أَشْعَارِهِ مِثْلُ صَنْعَتِهِ فِي شِعْرِهِ :

حيّا خولةً مني بالسلام

[من الكامل] و :

لَمَنْ الطَّعَائِنُ سِيرُهُنَّ تَرْجُفُ

[من السريع] و :

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات فلائدُ صَنْعَتِهِ وَغُرَرُ أَغَانِيهِ . قَالَ : وَكَانَ سَبَبُ قَوْلِهِ الشَّعْرَ فِي سَلِيمِ بْنِ صَالِحِ بْنِ سَعْدِ بْنِ جَابِرِ الْعَنْبَرِيِّ ، وَكَانَ مَنْزِلُ سَلِيمِ سَابِاطَ² الْمَدَائِنِ ، أَنَّ أَعْشَى هَمْدَانَ وَأَحْمَدَ النَّصْبِيَّ خَرَجَا فِي بَعْضِ مَغَازِيهِمَا ، فَتَزَلَا عَلَى سَلِيمٍ فَأَحْسَنَ قِرَاهُمَا وَأَمَرَ لِدَوَابَّهِمَا بِعُلُوفَةٍ وَقَضِيمٍ³ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَنْتَقِلَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَفَعَلَا ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الشَّرَابَ فَأَنْعَمَا بِهِ وَطَلَبَاهُ

1 العذيل بن الفرخ هو العذيل بن الفرخ العجلي ، ولقبه العباب ، وكان العباب كلباً له ، وهو من رهط أبي النجم (العجلي) . وكان هجا الحجاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 :

413 ، وفي الاشتقاق 208 والخزاة 2 : 367-368 .

2 ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

3 القضييم : شعير الدابة .

فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النصبي للأعشى : قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه : [من السريع]

يا أيها القلبُ المطيعُ الهوى	أنى اعتراك الطَّربُ النازحُ
تذكرُ جملاً فإذا ما نأتُ	طار شعاعاً قلبك الطامحُ
هلاً تناهيتَ وكنتَ امرأً	يزجرك المرشيدُ والناصحُ
ما لك لا تتركُ جهلَ الصبا	وقد علاك الشَّمطُ الواضحُ
فصارَ مَنْ ينهاكَ عن حبِّها	لم تَرَ إلَّا أَنَّهُ كاشحُ
يا جُمْلُ ما حَبَّيْ لَكُمْ زائلٌ	عني ولا عن كَيْدي نازحُ ¹
حُمِلتَ وُدّاً لَكُمْ خالصاً	جداً إذا ما هزلَ المازحُ
ثم لقد طال طِلايِكُمْ	أسعى وخيرُ العملِ النَّاجحُ
إني توسَّمتُ امرأً ماجداً	يصدقُ في مِدحتِهِ المادحُ
ذوابةَ العنبرِ فاخترتُهُ	والمرء قد يُعِشُهُ الصالحُ
أُبلِجَ بُهلولاً وظنني به	أنَّ ثنائي عنده رابحُ ²
سَلِيمٌ ما أنْتَ بِنَكسٍ ولا	ذمك لي غادٍ ولا رائحُ
أعطيتَ وُدِّي وثنائي معاً	وخَلَّةٌ ميزانُها راجحُ
أرعاك بالغيبِ وأهوى لك الـ	رشدٌ وجيبي فاعلمنْ ناصحُ ³
إني لِمَنْ سالتَ سَلِمٌ ومَنْ	عاديتَ أُمسي وله ناطحُ
في الرأسِ منه وعلى أنفه	من نَقَماتي ميسمٌ لائحُ
نعم فتى الحَيِّ إذا ليلةٌ	لم يُورِ فيها زَنَدُ القادحُ
وراح بالشَّوْلِ إلى أهلها	مغبرةٌ أذفانُها كالحُ ⁴
وهبتَ الرِّيحُ شاميةً	فانجَحَر القابسُ والنابحُ

1 نازح في ل : بارح .

2 أبلج في ل : أبيض . البهلول : السيّد الجامع لكلّ خير .

3 الجيب : القلب والصدر .

4 الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها . الكالح : الأمر

الشديد .

قد علم الحيّ إذا أمحلوا أنّك رَفَادٌ لهم مانحٌ
في الليلة القالي قراها التي لا غابِقٌ فيها ولا صابحٌ
فالضيفُ معروفٌ له حقّه له على أبوابكم فاتحٌ
والخيلُ قد تعلمُ يومَ الوغى أنّك من جَمَرَتِها ناضحٌ¹

قال : فغنى أحمد النّصبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةً لسليم في السطح ، فسمعت الغناء ، فنزلتُ إلى مولاها وقالت : إني سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لِمَن هذا الشعر والغناء ؟ ومن أنتما ؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النّصبيّ الهمداني ، فانكبَّ على رأس أعشى همدان فقبله وقال : كتمتُاني أنفُسُكما ، وكِدْتُمَا أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين ، وقال : خلّفا عندي ما كان من دوابكما ، وارجعا من مغزَاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم آنصرفا ، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى : إني أرى عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سليم ثعلباً ؛ قال : لكن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلوا القرية ، فوجدا سليماً وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أنّ الحجاج طالب سليماً بمال عظيم ، فلم يخرج منه حتى باع كلّ ما يملكه ، وخربتُ قريته وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشرف أهل الكوفة ، إمّا أسماً بنُ خارجةً وإمّا بعض نظرائه ، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعره

وصنع أحمد النّصبيّ لحنه في سليم

صوت

[من السريع]

يا أيّها القلبُ المطيع الهوى أنّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكرُ جُملاً فإذا ما نأت طار شجاعاً قلبك الطامحُ

1 الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس وقيل : ألف . أو هي كلّ قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يخالفون أحداً ولا ينضمّون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمره تصيرُ لقراع القبائل . الناضح : المدافع الرامي .

أَعْطَيْتَ وَدِّيْ وَثْنَائِي مَعَاً وَخَلَّتَ مِيزَانَهَا رَاجِحُ
 إِنِّي تَخَيَّرْتُ امْرَأً مَاجِداً يَصْدُقُ فِي مِذْنَحِهِ الْمَادِحُ
 سَلِيمٌ مَا أَنْتَ بِنَكْسٍ وَلَا ذَمُّكَ لِي غَايِدٍ وَلَا رَائِحُ
 نَعَمْ فَتَى الْحَيِّ إِذَا لَيْلَةٌ لَمْ يُورِ فِيهَا زَنْدُهُ الْقَادِحُ
 وَرَاحَ بِالشَّوْلِ إِلَى أَهْلِهَا مُغْبِرَةً أَذْقَانُهَا كَالْحُ
 وَهَبْتَ الرِّيحُ شَامِيَةً فَانْجَحَرَ الْقَابَسُ وَالنَّابِحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النُّصَبِيّ ، ولحنه ثاني ثقيل بالسَّابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أَنَّ فِيهِ لِمَالِكٍ لِحْنًا وَلِسْنَانُ الْكَاتِبِ لِحْنًا آخَرَ .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

تَنَكَّرَ مِنْ سُعْدَى وَأَقْفَرَ مِنْ هِنْدٍ مُقَامُهُمَا بَيْنَ الرَّغَامَيْنِ فَالْفَرْدِ¹
 مَحَلٌّ لِسُعْدَى طَالَمَا سَكَنْتَ بِهِ فَأَوْحَشَ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهُ بَعْدِي

الشعر لحَمَادِ الرَّاوِيَةِ . والغناء لِعَبَادِلَ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى ، ذكر الهشاميُّ أَنَّهُ لِلْهُذَلِيِّ ، وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّهُ لِعَبَادِلَ بْنِ عَطِيَّةَ² .

1 الرغام : اسم رملة يعينها من نواحي اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر . الفرد : موضعان يطلق عليهما الاسم نفسه .

2 سترد ترجمته في هذا الجزء ص 71 .

[77] - أخبار حماد الراوية ونسبه¹

[نسبه وولادته وعلمه بأخبار العرب وأيامها]

هو حماد بن ميسرة ، فيما ذكره الهيثم بن عدي ، وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به ، وزعم أنه مولى [بني] شيبان . وذكر المدائني والقحذمي أنه حماد بن سابور ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتوثره وتستزيه ، فيقد عليهم وينادهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته .

حدثنا محمد بن العباس الزبيدي وعمي وإسماعيل العتكي قالوا حدثنا الرياشي قال : قال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس إذا نصح . قال وقتل حماد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة ، فطرحتنا سلمان لبني شيبان ، فولأنا لهم . قال : وكان أبوه يسمى ميسرة ، ويكنى أبا ليلي . قال العتكي في خبره : قال الرياشي : وكذلك ذكر الهيثم بن عدي في أمر حماد .

[سأله الوليد عن سبب تلقيه بالراوية فأجاب]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتيبي والهيثم بن عدي ولقيط² قالوا : قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : باني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث ؛ فقال : إن هذا لعلم وأيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد ؛ فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ؛ فأنشده ألفين وتسعمائة

1 حماد الراوية : انظر أخباره في معجم الأدباء 3 : 1201-1205 وفي التذكرة الحمدونية 3 : 55-56 ، طبقات ابن المعتز : 69 والمعارف 451 والفهرست : 104 ومراتب النحويين : 72 وطبقات الزبيدي 209 وأمالى المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر : 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر : 4 : 430 ومختصر ابن منظور : 70 : 244 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان : 2 : 352 وبغية الوعاة : 1 : 549 والخزانة : 4 : 129 .

2 هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب . كان شاعراً سيئ الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة .

قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

[ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد]

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق الموصلي عن مروان بن أبي حفصة ، وأخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم¹ عن مروان بن أبي حفصة قال : دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحانة ؛ فأقبل الشيخ علي وقال : يا ابن أخي ، إنني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ؛ فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل ؛ قال : أنشد ، فأنشدته قوله : [من الطويل]

سل الدار من جنبي حير فواهب إذا ما رأى هضب القلب المضيق²

ثم جرت ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول !

فقال لي حماد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا

تقابلا .

[سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز]

حدثني عمي قال حدثني الكراني عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال : قلت لحَمَاد الراوية يوماً : ألقى علي ما شئت من الشعر أفسره لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامَكاً قَرْداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ³ ؟

فلم أدر ما أقول ؛ فقال : تَخَوَّفَ : تنقَّص . قال الله عز وجل : ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوَّفٍ﴾ 47/16 أي على تنقُّص .

قال الهيثم : ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد .

1 الأثرم : هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فضحاء العرب ، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين .

2 جنبي حير فواهب في ل : خبتي خبير فذاهب . المضيق : ماء لبني البكاء .

3 التامك : السنام . والقرد : المتلبد الصوف . والسفن : الحديد التي تبرد بها القسي .

[كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر]

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكُراني محمد بن سعد عن النضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدني الفرزدق وحماد الراوية حاضر : [من الطويل]

وكتبت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم¹
فقال له حماد : أنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرك ! أفأردت أن أتركه وقد نحلني الناس ورووه لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعاً غيرك ! .

[كان هو وأبو عمرو كل منهما يقدم الآخر على نفسه]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني الفضل قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو عمرو الشيباني قال : ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه .

[هو أحد الحمادين الثلاثة]

حدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثقفني عن إبراهيم بن عمر [و] العامري قالوا : كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد بن الزبيرقان ، وحماد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يؤمنون بالزندقة جميعاً .

[كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراج]

أخبرني الحسن بن يحيى المزداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية ، فإذا سراجهم على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حماد ، إنك لمُسْرِف مبتذل لحر المتاع ؛ فقال له مطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى أقل ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسن ظنك به ! ومن أين له مثل هذه ؟ إنما هي وديعة أو عارية ؛ فقال له مطيع : أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ويأمن عليها غيره ! قال مطيع : ما أظنها عارية ولا وديعة ولكنني أظنها مرهونة عنده على مال ، وإلا فمن يخرج مثل هذه من بيته ! فقال لهما حماد : قوما عني يا ابني الزائيتين واخرجا من منزلي ، فشر منكما من يدخلكما بيته .

1 أحال على الدم : أقبل عليه .

[كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عَصيدة قال حدثني محمد بن عبد الرحمن العبدي عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية ، وخبر حماد بن إسحاق أتم واللفظ له .

قال حماد الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً ؛ فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرطيان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر ، فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذر¹ ، ثم قلت للشُرطيين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يتصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما وصيرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعّ ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق» . فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مروحول ، فوضعت رجلي في الغرز² وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء³ مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رختامين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحها ، فسلمت فردّ عليّ ، واستدنانني فدنوت حتى قبلت رجله ، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما ، في أذني كل واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقدان ؛ فقال لي : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال : أتدري فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ؛ قال : بعثت إليك لبيت خطر بيالي لم أدر من قاله ؛ قلت : وما هو ؟ فقال :

[من الخفيف]

1 في ل : يرجع .

2 الغرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

3 قوراء : واسعة .

فَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
 قلت : هذا يقوله عَدِيٌّ بن زيد في قصيدة له ؛ قال : فَأَنْشَدْنِيهَا ، فَأَنْشَدْتُهُ :
 بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصَّبِ ح يَقُولُونَ لِي أَلَا تَسْتَفِيْقُ
 وَيُلُومُونَ فِيكَ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهُ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهَوِقُ¹
 لَسْتُ أَدْرِي إِذَا أَكْثَرُوا الْعَذْلَ عِنْدِي أَعْدُوْ يُلُومَنِي أَوْ صَدِيْقُ²
 زَانِهَا حَسَنُهَا وَفَرَعُ عَمِيمِ وَأَثِيْتُ صَلْتُ الْجَبِيْنَ أَتِيْقُ
 وَثَانِيَا مُفْلَجَاتِ عَذَابِ لَا قِصَارَ تُرَى وَلَا هُنَّ رُوْقُ³
 فَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
 قَدَمْتُهُ عَلَى عُقَارِ كَعِيْنَ الـ لَدَيْكَ صَفَى سُلَافِهَا الرَّأْوِقُ
 مُزَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا مُرَجَّتْ لَدَّ طَعْمَهَا مَن يَذُوْقُ
 وَطَفْتُ فَوْقَهَا فِقَاقِيْعُ كَالِدِ رَ صِيْغَارٍ يُثِيرُهَا التَّصْفِيْقُ⁴
 ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءً سَمَاءً غَيْرَ مَا آجَنِ وَلَا مَطْرُوْقُ⁵

قال : فطرب ، ثم قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا حَمَّادُ ، يَا جَارِيَةَ اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ
 بثَلْثَ عَقْلِي . وقال : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ ، فَاسْتَخَفَّهُ الطَّرْبُ حَتَّى نَزَلَ عَنْ فَرْشِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ
 الْآخَرَى : اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ بِثَلْثِ عَقْلِي . فقلت : إِنْ سَقَنْتِي الثَّالِثَةَ افْتَضَحْتَ ،
 فَقَالَ : سَلْ حَوَائِجَكَ ، فقلت : كَائِنَةً مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قلت : إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ ؛
 فَقَالَ لِي : هُمَا جَمِيعًا لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَا لُهُمَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْأُولَى : اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً⁵
 سَقَطَتْ مَعَهَا ، فَلَمْ أَعْقِلْ حَتَّى أَصْبَحْتُ فَإِذَا بِالْجَارِيَتَيْنِ عِنْدَ رَأْسِي ، وَإِذَا عِدَّةٌ مِنَ الْعُخْدَمِ مَعَ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ بَذْرَةٌ ، فَقَالَ لِي أَحَدُهُنَّ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : خُذْ
 هَذِهِ فَانْتَفِعْ بِهَا ، فَأَخَذْتُهَا وَالْجَارِيَتَيْنِ وَانصرفت . هذا لَفْظُ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحْمَدُ بْنُ
 عُبَيْدٍ فِي خَبَرِهِ أَنَّهُ سَقَاهُ شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ طَرِبَ لِإِنْشَادِهِ ، وَوَهَبَ لَهُ الْجَارِيَتَيْنِ لَمَّا طَلَبَ
 إِحْدَاهُمَا ، وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ ، ثُمَّ نَقَلَهُ مِنْ غَدِيٍّ إِلَى مَنْزِلٍ أَعَدَّهُ لَهُ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ فَوَجَدَ فِيهِ الْجَارِيَتَيْنِ
 وَمَا لَهُمَا وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ أَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةَ فَوْصِلٍ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهَذَا هُوَ

1 الموهوق : المشدود بالوهق : وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

2 عندي في معجم الأدباء : فيها ، 1203/3 .

3 روق : طوال .

4 فقايق في ل : فواقع .

5 في ل : عشرة .

الصحيح ؛ لأنَّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكراً ، وكان يُنكر ذلك ويعيه ويعاقبُ عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناء ، نسبته :

[من الخفيف]

صوت

بكر العاذلون في وَضَح الصبِّ ح يقولون ما له لا يُفِيقُ
ويلومون فيك يا ابنةَ عبد الله والقلبُ عندكم مَوْهُوقُ
ثم نادوا إلى الصُّبُوح فقامتُ قَيْنَةً في يمينها إِبْرِيقُ¹
قدَّمته على عُقَّار كعين الدُّ يك صفى سُلَافها الراوقُ

في البيتين الأوَّلين لحن من الثقيل الأوَّل مختلفٌ في صانعه ، نسبته يحيى بن المكيِّ إلى معبد ، ونسبه الهشاميُّ إلى حنين . وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العباس الرِّبَيعيِّ رَمَلٌ ، وفيهما خفيفٌ رَمَلٌ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل ، ذكر حبَّش أنه لحنين .
[أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرماً]

أخبرني محمد بن مَزِيد والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه عن الأصمعيِّ قال : قال حَمَّاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر : احملْ إليَّ حماداً الراوية على ما أَحَبَّ من دوابِّ البريد ، وأعطيه عشرة آلاف درهم مَعُونَة له ؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نِزْه إليَّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يا ذُكَيْن بن شَجْرَة ، أعطه عشرة آلاف درهم ، فأخذتها . فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودِّعاً ، فقال : يا حَمَّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ، فقلت : أ صلح الله الأمير : «إنَّ العوان لا تعلَّم الخِمْرَة»² . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَحْراء³ فاستأذنتُ فأذن لي ، فإذا هو على سريرٍ ممهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيعان الزعفران قيثاً ، وإذا عنده معبد ومالك وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال : أنشدني :

أَمِنَ المَنُونِ ورَّيَّها تَوَجَّعُ

فأنشدته إياها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبْرَة أكْوَساً ، فسقاني ثلاث أكْوَـس خلدَرت ما بين الذَّوابة والنعل . ثم قال : يا معبد غنني :

[من المزج]

1 نادوا في ل : ثاروا .

2 مثل .

3 البَحْراء : مائة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

ألا هل جاءك الأظعا ن إذ جاوزن مُطْلَحًا

فغناه . ثم قال : غنني : [من الوافر]

أتنسى إذ تودّعنا سليمي بفرع بشامية ، سُقي البشام¹

فغنني . ثم قال : غنني : [من البسيط]

جلا أمية عنا كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

فغناه . ثم قال : اسقني يا غلام بزبّ فرعون ، فأتاه بقدر معوج فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أتاه الحجاب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شاب لم أر أحسن منه وجهاً في رجله فدع² ، فقال : يا سبرة اسقه كأساً ، فسقاه ، ثم قال له : غنني : [من الرمل]

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه ، فنبذ إليه أحد ثوبيه ، ثم قال : غنني : [من مجزوء الكامل]

طرق الخيال فمرحبا ألفاً بروية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبلون إليك بأقدارنا وأساننا ، وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطيّاجن من حرارة غناؤه . فسألت عن الغلام ؟ فإذا هو ابن عائشة .

[كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأتشدّه من شعر هفان بن همام]

حدثني الحسن بن محمد المادرائي الكاتب قال حدثني الرياشي عن العُتبيّ ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي ، وليس خبره بتمام هذا ، قال : طلب المنصور حماداً الراوية ، فطلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخصه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو غريان يشرب نبيذاً من إجانة³ وعلى سواته رأس دسّجة⁴ ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيت رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك . فأجاب ، فأشخصته إليه . فلما مثل بين يديه ، قال له : أنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه ؛ فأنشده :

[من الطويل]

1 البشام : شجر طيب الريح والطعم يُستاك به .

2 فدع : عوج وميل في المفاصل كلّها خلقة أو داء .

3 الإجانة : آتية تغسل فيها الثياب .

4 الدسّجة : الإناء الكبير من الزجاج .

خليليَّ عوجاً إنَّها حاجةٌ لنا على قبر هَمَامٍ سقته الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداءه ويُتغى جداه إذا لم يَحْمِدِ الأرضَ رائدُ
كريم النَّثَا حلو الشَّمائلِ بينه وبين المَرْجَى نَفَنَفٌ متباعدُ¹
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن عِيّاً ولا ثِقْلاً على مَنْ يقاعدُ
صبورٌ على العِلَّاتِ يُصبح بطنه خَمِيصاً وآتيه على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفيرة بحرّين قد راحتْ عليه العوائدُ²
صريعاً كنصل السيف تُضربُ حوله ترائبهنَّ المُغُولاتُ الفواقدُ
قال : فبكى أبو جعفر حتى اخضَلَّتْ لحيته ، ثم قال : هكذا كان أخي أبو العباس رضي
الله عنه .

[ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستشده فأنشده شعراً أغضبه فضربه]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيّ قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ
أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْكُرْدِيَّةِ يَسْتَخْفُ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ وَيَحِبُّهُ ، وَكَانَ مُنْقَطِعاً إِلَيْهِ وَلَهُ
مِنْهُ مَنْزِلَةٌ حَسَنَةٌ ، فَذَكَرَ لَهُ حَمَّادُ الرَّائِيَّةُ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ ، وَكَانَ مُطَرِّحاً مَجْفُوعاً فِي أَيَّامِهِمْ ،
فَقَالَ : أَتَيْنَا بِهِ لِنَرَاهُ . فَأَتَى مُطِيعُ حَمَّاداً فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ مَعَهُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمَّادُ : دَعْنِي
فَإِنَّ دَوْلَتِي كَانَتْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَالِي عِنْدَ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ ، فَلَبَّى مُطِيعٌ إِلَّا الذَّهَابَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَعَارَ حَمَّادُ
سَوَاداً وَسَيْفاً ثُمَّ أَتَاهُ ، ثُمَّ مَضَى بِهِ مُطِيعٌ إِلَى جَعْفَرٍ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ سَلاماً حَسَناً وَأَتْنَى
عَلَيْهِ وَذَكَرَ فَضْلَهُ ؛ فَردَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ . فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنْشُدْنِي ؛ فَقَالَ : لَمَنْ أُيِّهَا
الْأَمِيرُ ؟ أَلْشَّاعِرُ بَعِينُهُ أَمْ لَمَنْ حَضَرَ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْشُدْنِي لَجَرِيرٍ . قَالَ حَمَّادُ : فَسَلِّخْ وَاللَّهِ شَعْرَ جَرِيرٍ
كُلَّهُ مِنْ قَلْبِي إِلَّا قَوْلَهُ :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كُلَّمَا اعْتَزَمُوا لَبَّيْنِ تَجَزَعُ

فاندفعتْ فأنشدته إِيَّاهُ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

وتقول بَوَزُعُ قَدْ دَبَّيْتُ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَيْتُ بِغَيْرِنَا يَا بَوَزُعُ

قال حَمَّادُ : فَقَالَ لِي جَعْفَرُ : أَعِدْ هَذَا الْبَيْتَ ، فَأَعَدْتَهُ ؛ فَقَالَ : بَوَزُعُ ، أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟
فَقُلْتُ : اسْمُ امْرَأَةٍ ؛ فَقَالَ : امْرَأَةٌ اسْمُهَا بَوَزُعُ ! هُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَفِيٍّ مِنَ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنْ كَانَتْ بَوَزُعُ إِلَّا غُولًا مِنَ الْغِيلَانِ ؛ تَرَكَتْنِي وَاللَّهِ يَا هَذَا لَا أَنَامُ اللَّيْلَةَ مِنْ فِرْعَ

1 المَرْجَى : الضعيف . النَفَنَفُ : الهوة بين الجبلين .

2 حُرَّين : بلد قرب آمد .

بوزع ؛ يا غلمان ! قفاه ؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا ، ثم قال : جرّوا برجله : فجرّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً ، فتخرّق السواد وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شراً عظيماً ممّا جرى عليّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كله وأشدّ بلاءً إغرامِي ثمنُ السّواد وجفنُ السيف ؛ فلما انصرفتُ أتاني مُطيع يتوجّع لي ؛ فقلت له : ألم أخبرك أنّي لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أُميّة ! .

[حديثه مع مأبون]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : بلغني أنّ رجلاً تحدّث في مجلس حماد الراوية فقال : بلغني أنّ المأبون له رحم كرحم المرأة ، قال : وكان الرجل يُرمى بهذا الداء فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبر عن الشيخ ، فإن خير العلم ما حُمِل¹ عن أهله .

[كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبةً فأرسلها إليه]

قال : وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال : [من الخفيف]

إنّ لي حاجةً فرأيتُ فيها لك نفسي فدى من الأوصابِ
وهي ليست ممّا يبلغها غيب ري ولا يستطيعها في كتابِ
غير أنّي أقولها حين ألقا ك رؤيداً أسيرها في حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليّ بحاجتك ولا تشهري بشعرك ؛ فكتب إليه حماد : [من الخفيف]

إنّني عاشقٌ لجبتك الدُّك ناء عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي أتباهي بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أج عليها عمرها أمير ثيابي

فبعث إليه بها . وقد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس .

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو يعقوب الخزيمي² قال : كنت في مجلس فيه حماد عَجَرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد ، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلة على أن أدب على هذا الغلام ؛ فقلت : شأنك به ؛ ثم نمنا ، فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني ، وإذا أنا قد غلّطت ونمت في موضع الغلام ، فكرهت أن أتكلّم فينتبه الناس فأفتضح وأبطل عليه ما أراد ، فأخذت بيده فوضعتها

1 في ل : أخذ .

2 الخزيمي : هو إسحاق بن حسان يكنى أبا يعقوب .

على عيني العوراء ليعرفني ؛ فقال : قد عرفتُ الآن ، فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبحٍ عظيم .
قال : وما بَرِحَ علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل .
[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق : وأهدى حماد إلى صديقي له غلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاماً تتعلم
عليه كظم الغيظ .
[استهدى نبذاً من صديق له فأجابه]

قال : واستهدى من صديق له نبذاً فأهدى إليه دُستِجة نبذ تمرٍ . فكتب إليه : لو
عرفت في العدد أقل من واحد ، وفي الألوان شراً من السواد ، لأهديته إلي .
[رد على مغني أخطأت في شعر]
قال : وسمع مغنية تغني :

[من الخفيف]

عاد قلبي من الطويلة عاد¹

فقال : وثمود ، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما . والشعر :
عاد قلبي من الطويلة عِيد

[من الخفيف]

[أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجنى فهجاه]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو عثمان اللاحيقي ،
وأخبرني به محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن بشر بن الفضل بن
لاحق قال : جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعراً وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا
تقول مثل هذا ، هذا ليس لك ، وإن كنت صادقاً فاهجنى . فذهب ثم عاد إليه فقال له :
قد قلتُ فيك :

[من الطويل]

سيعلم حماد إذا ما هجوته	أنتحلُّ الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم تر حماداً تقدّم بطنه	وأخر عنه ما تُجنّ المآزرُ
فليس براء خُصيتيه ولو جئنا	لركبته ، ما دام للزيت عاصرُ
فيا ليتَه أُمسى قعيدة بيتَه	له بعملُ صدق كومه متواتر ²
فحماد نعم العرسُ للمرء يتغي الـ	نكاح وبئس المرء فيمن يفاخرُ

فقال حماد : حسبنا ، عافاك الله ، هذا المقدار وحسبك ؛ قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل

1 الطويلة : روضة الصمان .

2 الكوم : النكاح .

الشعر الأول وأجود منه ، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعه فتفضخني ؛ فقال له : قد كنت غنياً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حماد يقول : أسمعتم أعجب مما جررتُ على نفسي من البلاء ! .

[عاب شعراً لأبي الغول فهجاه]

حدَّثني الأسديُّ أبو الحسن قال حدَّثنا الرياشيُّ قال حدَّثنا أبو عبد الله الفهميُّ قال : عاب حماد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجوهُ :

[من الكامل]

نِعم الفتى لو كان يعرف ربّه	ويُقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
هَدَلْتُ مشافره الدنان فأنفه	مثل القدوم يسئها الحدادُ
وأيض من شرب المدامة وجهه	فبياضه يوم الحساب سوادُ
لا يُعجبنيكَ بَزْه وثيابه	إن اليهود تُرى لها أجلاذُ
حماد يا ضُبْعاً تجرّ جِعارها	أُخني لها بالقريتين جرادُ ¹
سبعاً يلاعبها ابنها وبناتها	ولها من الخرق الكبار وسادُ

قال معنى قوله :

[من الكامل]

أُخني لها بالقريتين جرادُ²

هو مثل قول العرب للضُبْع : خامري³ أمّ عامر ، أُبشيري بجرادٍ⁴ عِظال وكمَرِ رجال ؛ فإنّ الضُبْعَ تجيء إلى القليل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غُرْموله فكان كالمنعِظ ، فتحتك به وتحيض من الشهوة ، فيثب عليها الذئب حينئذٍ فتلد منه السَّمْع ، وهو دابة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشنْفريُّ الأزدي .

[من الرمل]

تضحك الضُبْع لقتلي هذيلٍ وتري الذئب لها يستهل⁵

تضحك : تحيض .

[كان لصائم تاب وطلب الأدب والشعر]

وقال ابنُ النطّاح : كان حماد الراوية في أوّل أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شِعْرِ الأنصار ، فقرأه حماد

1 الجعار : جمع جَعَر ، والجَعَر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار : اسم الضبع لكثرة جعرها .

2 أُخني الجراد : كثر بيضه .

3 خامري : استتري .

4 الجراد العِظال الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .

5 يستهل : يصيح ويستغوي الذئاب . اختلف المفسرون حول تضحك ، وأغلبهم على أنها تكثر .

فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

[استشده المهدي أحسن أبيات في السكر ثم أجازته]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال : دخلتُ على المهدي فقال : أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر ، ولك عشرة آلاف درهم وخيلتان من كسوة الشتاء والصيف ؛ فأنشدته قول الأخطل : [من البسيط]

ترى الزجاج ولم يُطْمَثْ يُطيف به كأنه من دم الأجواف مُختَضَبُ¹
حتى إذا افتَضَّ ماء المزن عُذْرَتَهَا راح الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
تَنَزَّو إذا شَجَّها بالماء مازجُها نَزَّو الجنادب في رَمْضاء تلتَهَبُ
راحوا وهم يحسبون الأرض في فُلك إن صرُّعوا وقتَ الرّاحات والرُّكَبُ

فقال لي : أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته .

[مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره]

حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال : قدم حمّاد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حمّاد شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً وليس له ؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله ؛ فلما قضى بلال حوائج حمّاد وأجازته ، قال له : إن لي إليك حاجة ؛ قال : هي مقضية ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ؛ قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبة للخطيئة]

قال صالح : وأنشد حمّاد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيدة قالها ونخلها الخطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها :

جَمَعَتْ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ومن تَمِيمٍ ومن حاءٍ ومن حامِ
مُسْتَحْقِياتِ رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طَرْفُهُ سامي
فقال له بلال : قد علمتُ أنَّ هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الخطيئة ، وإلا فهل كان

يجوز أن يمدح الخطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دَعَهَا تذهب في الناس وسيرها حتى تشتهر ، ووصله .

[يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بتخليطه ونغله شعره للقماء]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخزاز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضل الضبي يقول : قد سُلِّطَ على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

[اجتمع مع المفضل الضبي عند المهدي فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني السعيد الراوية وأبو إيراد المؤدب ، وكان مؤدبي ثم أدب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنه ، وحدثني بنحو من ذلك عبد الله بن مالك وسعيد بن سلم² وحدثني به ابن غزالة أيضاً واتفقوا عليه : أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعباسا³ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ؛ فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دَعَ ذا وعدَّ القولَ في هَرَمٍ

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ يا أمير

1 في ل : بُهَان .

2 لعنه سعيد بن سلم الباهلي أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبد الله بن مالك الخزاعي .

3 محلة كانت شرقي بغداد كانت إقطاعاً لعيسى بن المهدي .

المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنني توهمته كان يفكر في قول بقوله ، أو يُروى في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأله عنه الفضل ، فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده : [من الكامل]

لَمَن الديارُ بَقَّةَ الحَجَرِ أَقْوَيْنَ مُذْ حَجَجَ وَمُذْ دَهَرِ
قَفَرَ بِمُنْدَقِ النَحَائِثِ مِنْ ضَفَوَى أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسُّدْرِ¹
دَعَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبراً لا بدّ من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكلّ يمين مُخرِجة ليصدقته عن كلّ ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . قال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؛ فأقر له حينئذ أنه قائلها ؛ فأمر فيه وفي الفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه .

[سأله الوليد عن مقدار روايته واستشده شعراً في الخمر وأجازه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الأصمعي قال : قال حماد الراوية : أرسل إليّ أمير الكوفة فقال لي : قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك . فحملت فقدمت عليه وهو في الصيد . فلما رجع أذن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجد² بالأرمني³ أرضه وحيطانه ؛ فقال لي : أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنها لرواية ؛ ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حباباً ؛ فقال : أنشدني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هي كما قال عدي بن زيد :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصَّبِ حَقَّ يَقُولُونَ لِي أَلَا تَسْتَفِيقُ
ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى سُلَافٍ كَرِيحِ الـ حَمْسُكَ صَفَى سُلَافَهَا الرَّأُوقُ

1 النحائث : آبار في موضع معروف . ضَفَوَى : مكان دون المدينة .

2 المنجد : المزين .

3 لعله نوع من الحرير منسوب إلى أرمن بأذربيجان .

فَتَرَىٰ فَوْقَهَا فَقَاقِيعَ كَالِيَا قُوتَ يَجْرِي خِلَالَهَا التَّصْفِيقُ¹

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبيات ويشرب عليها حتى سكر ؛ ثم قام فتناول مِرْفَقَةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : مَنْ يَشْتَرِي لَحْمَ الْبَقَرِ ؟ ثم قال لي : يا حماد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أَوَّلَ مَالٍ تَأْتَلُهُ .

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حدَّثني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدَّثنا دَمَازُ² عن أبي عُبَيْدة قال : قال خَلْفٌ : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها . وكان فيه حمق .

[أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمه فغضب]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدَّثني العُمري عن الهيثم بن عدي قال حدَّثني المِسْوَرُ العَنَزِيّ ، وكان من رِوَاةِ العرب وكان أَسَنُّ من سِماك بن حرب ، [عن حماد] قال : دخلتُ على زياد فقال لي : أنشدني ؛ فقلت : مِنْ شَعْرٍ مَنْ أَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ قال : من شعر الأعشى ؛ فأنشدته :

بَكَرَتْ سُمَيَّةٌ غُدُوَّةً أَجْمَالُهَا

قال : فما أتممت القصيدة حتى تبيّنت الغضب في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ؛ فقاموا ؛ ثم لم أَعُدْ والله بعدها إليه . قال حماد : فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

[سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائني قال : قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : لِمَ سُمِّيتَ الراوية ؟ وما بلغ من حفظك حتى استحققت هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً ، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة ؛ فقال : إن هذا لحفظ ؛ هات ، فاندفع ينشد حتى ملّ الوليد ، ثم استخلف على الاستماع منه خليفة حتى وفاه ما قال ؛ فأحسن الوليد صلته وصرّفه .

[أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه واستنشه شعراً في الخمر]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدَّثني الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدَّثني إسحاق الموصلي قال : قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار ، وأمر يوسف بن

1 فقاقيع : في ل : فواقع .

2 دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة . ودماذ لقب كان يُبْزُ به .

عمر بحملي إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف ، فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدّمت عليه سألتني عن أشعار بلي ، فأنشدته منها ما استحسنته ؛ ثم قال : أنشدني في الشراب ، وعنده وجوه من أهل الشام ، فأنشدته : [من مجزوء الخفيف]

أصبح القومَ قهوةً في أباريقٍ تحتذى
من كميتٍ مُدّامةٍ حبّذا تلك حبّذا
يترك الأذنَ شربها أرجواناً بها خذا

فقال : أعدّها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم ، فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا ؛ قال : ثم حملنا وطرحنا في دار الضيفان ، فما أيقظنا إلا حرّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول : فعل الله بك وفعل ، أنت الذي صنعت بنا هذا . [أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني يحيى بن صبيبة بن الطرمّاح بن حكيم عن أبيه عن جدّه الطرمّاح قال : أنشدت حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظهم . قولي : [من الكامل]

بأن الخليطُ بسُخرةٍ فتبدّدوا¹

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ؛ قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلّها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ؛ فقلت له : ويحك ! إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما أطلع عليه أحد ؛ قال : قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعليّ وعليّ ؛ فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالسك بعد هذا أبداً ؛ فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال : لله عليّ بكلّ حصاة من هذا الحصى مائة حجة إن كنت أبالي ؛ فقلت : أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ثم انصرفت . قال دماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعيّ ينشدان بيتي الطرمّاح في هذه القصيدة وهما : [من الكامل]

مُجتاب حُلّة بُرجدٍ لسرّاته قَدَدًا وأخلفَ ما سواه البرجد²
يبدو وتضمّره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويُعمدُ

وكانا يقولان : هذا شعر الناس في هذين [البيتين] .

1 السُخرة : السحر الأعلى أيّ أوّل السحر .

2 هذان البيتان في وصف ثور . اجتاب القميص : لبسه . البرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء غليظ ، أو كساء مخطّط يصلح للخباء . سرّاته : ظهره .

[78] - أخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

هو عبادل بن عطية مولى قريش ، مكي ، مغنٌ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب وسياطٌ ودخمان . وكان حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ظريفاً ، ولم يفارق الحجاز ولا وفد إلى الملوك من بني أمية كما وفد غيره من طبقته ومن هو فوقها . ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

[صفته ، وكان يغني مشيخة قريش وله صنعة كثيرة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد عن ابن أبي جناح قال : كان عبادل بن عطية سرياً نبيلاً نظيفاً ساكنَ الطرف حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مشيخة قريش وجلة أحداثها ، فإذا أرادوا الغناء منه غنى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها : [من البسيط]

تقول يا عمّتا كُفّي جوانبه وتلي بليت وأبلى جيدي الشعرُ

ومنها : [من المتقارب]

أمن حذرّ البين ما ترقُدُ ودمعك يجري فما يجمدُ

ومنها : [من الكامل]

إني استحيْتُك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهّم

ومنها : [من البسيط]

قولا لنائل ما تقضين في رجلٍ يهوى هواك وما جنبته اجتنبا

ومنها : [من الطويل]

علام ترين اليوم قتلي لديكم حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي محرّم

[قال] : وكانوا يقولون له : ألا تكثر الصنعة ؟ فيقول : بأبي أنتم ، إنما أئمته من صخر ، ومن أكثر أزدل .

نسبة هذه الأصوات صوت

[من المتقارب]

أَمِنْ حَذَرِ الْبَيْنِ مَا تَرَقَدُ وَدَمْعُكَ يَجْرِي فَمَا يَجْمُدُ
دَعَانِي إِلَى الْحَيْنِ فَاقْتَادِنِي فَوَادُ إِلَى شِقْوَتِي يَغْمِدُ
فَلَوْ أَنَّ قَلْبِي صَحَا وَارْعَوَى لَكَانَ لَهُ عَنْكُمْ مَقْعَدُ
يَبِيدُ الزَّمَانُ وَحُبِّي لَكُمْ يَزِيدُ خَبَالاً وَمَا يَنْفَدُ

الغناء لعبادل ثقیلٌ أَوَّلُ بالسَّيَّالَةِ والوسطى عن ابن المَكِّي . وفيه لإبراهيم خفيف ثقیل .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

إِنِّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوهُ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفْهَمُ
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْبَأْتَهُ أَهْلَ السَّيَّالَةِ إِنْ فَعَلْتَ وَإِنْ لَمْ
هَكَذَا قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ ، وَالْمَغْنُونُ يَغْنُونُهُ :
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَخْبَرْتَهُ أَحَدًا وَإِنْ أَظْهَرْتَهُ بِتَكْلُمٍ

الشعر لابن هَرْمَةَ . والغناء لعبادل .

[طلب ابن هَرْمَةَ بشعره من الحسن بن حسن خمرًا فوشى به إلى الوالي فقرّ هو وصحبه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ حَسَنَ بْنَ حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ
ابْنُ هَرْمَةَ :

إِنِّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوهُ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفْهَمُ
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْبَأْتَهُ أَحَدًا وَلَا أَظْهَرْتَهُ بِتَكْلُمٍ

قال عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ الجَعْفَرِيُّ : وَكَانَ ابْنُ هَرْمَةَ كَمَا حَدَّثَنِي أَبِي يَشْرَبُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ
بَشَرَفٍ¹ السَّيَّالَةِ عِنْدَ سَمُرَةٍ بِالشَّرَفِ يُقَالُ لَهَا سَمُرَةٌ جَرَانَةٌ فَتَفِدُ شَرَابَهُمْ ؛ فَكَتَبَ إِلَى حَسَنِ بْنِ
حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَطْلُبُ مِنْهُ نَبِيذًا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . فَلَمَّا قَرَأَ حَسَنٌ رَقْعَتَهُ قَالَ : وَأَنَا
عَلِيٌّ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَخْبِرْ بِهِ عَامِلُ السَّيَّالَةِ ، أَمِنِّي يَطْلُبُ الدَّعْيُ الْفَاعِلُ نَبِيذًا ؟ وَكَتَبَ إِلَى عَامِلٍ

1 شرف السَّيَّالَةِ : منزل بين ملل والروحاء .

السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته ، فقال له : إن ابن هرمة وأصحابه السفهاء يشربون عند سمرق جرانة ، فاخرج فخذهم ؛ فخرج إليه العامل بأهل السيالة ، وألذّر بهم ابن هرمة فسبقهم هرباً ، وتعلّق هو وأصحابه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن : [من الوافر]

كبتُ إليك أستهدي نبذاً وأذلي بالجوار وبالحقوق
فخبرت الأمير بذاك غدراً وكنت أخوا مفاضحة وموق¹

ومنها : [من الطويل]

صوت

علامَ ترين اليوم قُتلي لديكم حلالاً بلا ذنب وقتلي مُحرمٌ
لك النفس ما عاشت وقاء من الردى ونحن لكم فيما تجنبت أظلم

وأما صنعه في : [من البسيط]

قولا لنائل ما تقضين في رجلٍ

فإن الشعر لمُسعدة بن البخترى ابن أخي المهلب بن أبي صفرة . والغناء لعبادل . وقد ذكرت ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأن نائلة² التي عُنيَتْ بهذا الشعر هي بنت الميلاء ، ولها أخبار ذكرت في موضع مفرد صلحت له .

ومنها : [من البسيط]

صوت

تقول يا عمّتا كُفّي جوانبه ونلي بليت وأبلي جيدي الشعرُ
مثلُ الأسود قد أعيا مواشطه تَضِلُّ فيه مداريها وتنكسر³
فإن نشرت على عمّد ذوائبها أبصرت منه فتيّت المسك ينتثر

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لعبادل ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ يُنسب إلى دحمان وإلى الغريض وإلى عبادل أيضاً .

1 الموق : الحلق .

2 نائلة : هي بنت عمر بن يزيد الأسدي أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج .

3 الأسود : الحيات .

صوت من المائة المختارة

[من البسيط]

ليست نَعَمْ منك للعافين مُسَجَّلَةٌ من التخلُّق لكن شِمةٌ خُلِّقُ¹
يكاد بأبك من عِلْم بصاحبه من دون بَوَّابه للناس يَنْدَلِقُ²

[شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسماعيل الثقفي]

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقليل الأوَّل بالنصر عن عمرو . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنَّ الشعر لطريح . وذكر يعقوب بن السُّكَيْت أنَّه لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لشهية مولاة العَبَلات خفيف رَمَلٍ بالنصر في مجراها . فمن روى هذه الأبيات لابن هرمة ذكر أنَّها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ومن ذكر أنَّها لطريح ذكر أنَّها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد . والصحيح من القولين أنَّ البيت الأوَّل من البيتين لطريح والثاني لابن هرمة . فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة ، يقول في تشبيها :

تقول والعيسُ قد شُدَّتْ بِأَرْحُلِهَا أَلْحَقَ أَتَكَ مِنَّا اليومَ منطلقُ ؟
قلتُ نعمُ فاكْظِمي قالت وما جَلْدِي ولا أَظُنَّ اجتماعاً حينَ نفترقُ
فقلت إنَّ أُخِي لا أَطوِلُ بِعادِكمُ وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ³
فارتها لا فؤادي من تذكُّرها سالي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقُ
فاضت على إثرهم عينك دمعهما كما تَتابعُ يجري اللؤلؤُ النَّسَقُ

صوت

[من البسيط]

فاستبقِ عينك لا يُودِي البكاءُ بها واكفُفْ بوادِرَ دمعٍ منك تَسْبِقُ
ليس الشؤنُ وإن جادت بياقيةً ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقليل الأوَّل بالنصر عن عمرو ، يقول فيها في مدح

1 ليست في ل : وما . مسجلة : مبدولة أو مرسله .

2 اندلاق الباب : انفتاحه سريعاً .

3 غَلَقَ الرَّهْنُ غَلَقاً : استحقه المرتهن .

الوليد :

[من البسيط]

وما نَعَمْ منكَ للعافينَ مُسَجَلَةٌ من التخلُّقِ لكنَّ شِيمَةً خُلِقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختَصَصْتَ بها وطار قومٌ بلا والذمُّ فانطَلَقوا
قومُ همُ شَرَفَ الدنيا وسودَّذها صَفَوْا على الناسِ لم يُخلَطْ بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضَعُوا أو سالموا رَفَعُوا أو عاقدوا ضَمِنُوا أو حَدَّثُوا صدَّقُوا¹

وأما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومن أبي أحمد² رحمه الله سَمِعْنَا ذلك أجمع . ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعله لم يتفق ذلك ، أو لعلَّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحلّه وسرقه من قائله .

[ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعبّاس بن الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ، وحدّثني به وكيع قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك عن حمّاد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال : قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً لا يحبُّ أن يُعطي أحداً شيئاً ، ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ . فبلغ ذلك ابن هرمة ، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان :

[من البسيط]

ومُعجَبٌ بمدحِ الشّعْرِ يمنعُه من المدحِ ثوابُ المدحِ والشَّقِّقُ
يا أبَيّ المدحِ مِنْ قولٍ يُجَبِّره ذو نِيقَةٍ في حواشي شعره أنقُ³
إنك والمدحُ كالعذراء يُعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرقُ
لكنَّ بمدَّينَ من مفضي سُويمرة مَنْ لا يُذَمُّ ولا يُشَنُّ له خُلُقُ⁴
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون إذا قالوا له صدَّقوا

يعني عبد الواحد بن سليمان :

لا يستقرّ ولا تخفى علامته إذا القنا شالَ في أطرافها الحرقُ⁵

1 ضمنوا في ل : أحكموا .

2 هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم من شيوخ أبي الفرج .

3 النيقة : اسم من التوق . يقال تنوق فلان في منطقته وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالع . الأنتق : الروعة والحسن .

4 مدّين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام ، وسويمرة : موضع في نواحي المدينة .

5 شال : ارتفع . والحرق : لهب النار .

في يومٍ لا مالَ عند المرء ينفعه إلاَّ السَّنانُ وإلاَّ الرمح والدرقُ
يَظعن بالرحم أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يُدانيهم فيعتقُ
وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعاً ، فإنَّهما سبقا إليه . قال مهلهل
وهو أقدمهما :

انْبَضُوا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقَ بنا كما تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولاً¹
يعني أنهم لما أخذوا الْقِسِيَّ ليرموهم من بعيد انتَضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم
بها .

وقال زهير وهو أشرح من الأول :
يَظعنُهم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة : [من البسيط]

يكاد بأهلك من جود ومن كرم من دون بَوَّابه للناس يندلقُ
ويُروى : «إذا أطاف به الجادون» . و«العافون» أيضاً . ويروى : «ينبلق» .
إِنِّي لَأَطْوِي رجلاً أَنْ أَزورَهُمْ وفيهم عَكَّرَ الأنعامَ والورقُ²
طَيَّ الثياب التي لو كُشِّفَتْ وَجِدَتْ فيها المَعَاوِزُ في التفتيش والخِرَقُ³
وأترك الثوبَ يوماً وهو ذو سعة وألَّيسَ الثوب وهو الضيقُ الخَلَقُ⁴
إكرامَ نفسي وأنِّي لا يوافقني ولو ظَمِئْتُ فَحُمْتُ الْمَشْرَبُ الرَّيْقُ⁵

قال هارون⁵ بن الزيات في خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن
سليمان وهو إذ ذاك أمير الحجاز ، فأمر له بثلاثمائة دينار وخِلعة موشية من ثيابه ، وحمله على
فرس وأعطاه ثلاثين لَقحة ومائة شاة ، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البُرِّ
والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمع لسنَّة ، وقال له : هذا لك علي ما دمتُ ودمتُ في الدنيا ،
واقطعه لنفسه وأنس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً .

- 1 أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . المعجس : مقبض القوس . أبرق الرجل : لمع ب سيفه .
- 2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، والورق : المال من الإبل والغنم .
- 3 المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز وفي ل : العواوير .
- 4 الرنق : الكدر .
- 5 هو هارون بن محمد بن عبد الملك .

[مدح والى المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضى عنه بشفاعة عبد الله بن الحسن]

فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة ، تصدَّى للوالي مكانه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبد الواحد بعد ذلك وبلغه الخبر ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمَّل¹ عليه بعبد الله بن الحسن [بن الحسن] ، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أُحبه .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا الرياشي ، وأخبرني به علي بن سليمان الأُخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشي وخبره أتم قال الرياشي حدثني أبو سلمة الغفاري قال قال ابن رُئَيْج راوية ابن هرمة قال حدثني ابن هرمة قال : أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألا أمدح أحداً غيره ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤوتي . فلم ينشب أن عُزل ووُلّي غيره مكانه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعنتي نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي شيئاً كما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينة ، فأخبرني مدحت الذي عُزل به ، فأمر بي فحُجبت عنه ، ورُمّت الدخول عليه فمُنِعْتُ ، فلم أَدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةً وقدر من قريش إلا سألتُه أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعليهم فقلت : يا ابن رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألا أمدح غيره ، فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعاني الشره والكذب إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصتي وسألتُه أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أ حاجة غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة ؛ فقال له : إن رأيت ألا تستثني في حاجتي فأفعل ؛ قال : قد فعلت ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعل ؛ قال اتنوا به ؛ فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُه² ثم وثب مُغضباً وتجوّزتُ في الإنشاد ثم لحقته فقلت له : جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ؛ فقال : ولكن لا جزاك الله خيراً يا ماص

1 تحمّل بفلان على فلان : تشفّع به إليه .

2 الرز : الصوت .

[من الوافر]

بَظُرُ أُمِّهِ ، أَتَقُولُ لِابْنِ مَرْوَانَ :

وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ

بِحَضْرَتِي وَأَنَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ، إِنِّي قُلْتُ قَوْلًا أَخَذَعَهُ بِهِ طُلُبًا لِدُنْيَاهُ ، وَوَاللَّهِ مَا قَسَيْتُ بِكُمْ أَحَدًا قَطُّ . أَفَلَمْ تَسْمَعْنِي قَدْ
قُلْتُ فِيهَا :

[من الوافر]

وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ بِالرِّيحِ

فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، مَا أَظْرَفَكَ ! .

: [حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد
شعر ابن هرمة خاصة ، وأولها :

[من الوافر]

صَرَمَتْ حَبَائِلًا مِنْ حَبِّ سَلَمَى	لَهْنِدٍ مَا عَمَدَتْ لِمُسْتَرَا حِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَقِمَ لَا تَلْقَ هِنْدًا	وَإِنْ تَرَحَّلَ فَقَلْبُكَ غَيْرُ صَاحِي
يَظْلُ نَهَارَهُ يَهْذِي بِهِندَ	وَيَأْرَقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ
أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْحَمُودَ إِنِّي	أَغْصُ حَذَارَ سَخَطِكَ بِالْقَرَا حِ
فَشَلَّتْ رَا حَتَايَ وَجَالَ مُهْرِي	فَالْقَانِي بِمُشْتَجَرِ الرَّمَاحِ
وَأَقْعَدُنِي الزَّمَانُ فَيْتَ صِفْرًا	مِنْ الْمَالِ الْمُعْزَبِ وَالْمُرَا حِ
إِذَا فَخَّمْتُ غَيْرَكَ فِي ثَنَائِي	وَنَصَحِي فِي الْمَغْيَةِ وَامْتِدَا حِ
كَأَنَّ قِصَائِدِي لَكَ فَاصْطَنَعِي	كَرَائِمُ قَدْ عُضِلْنَ عَنِ النِّكَاحِ
فَإِنْ أَكْ قَدْ هَفَوْتُ إِلَى أَمِيرٍ	فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّمَا حِ
وَلَكِنْ سَقَطَتْ عَيْنٌ عَلَيْنَا	وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَا حِ
لَعَمْرِكَ إِنِّي وَبَنِي عَدِيٍّ	وَمَنْ يَهْوَى رِشَادِي أَوْ صِلَا حِ ¹
إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَصِلْنِي	لَفِي حَيْنٍ أَعَالَجَهُ مُتَا حِ
وَأِنِّي إِنْ حَطَطْتُ إِلَيْكَ رَحْلِي	بِغُرْبَى الشَّرَاةِ لَذُو ارْتِيَا حِ ²

1 بنو عديّ : هم قوم ابن هرمة .

2 الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

هششتر^١ لحاجة ووعدت^٢ أخرى
وجدنا غالباً خلقت^٣ جناحاً
إذا جعل البخل^٤ البخل ترساً
فإن سلاحك المعروف حتى
ولم تبخل بناجزة السراح
وكان أبوك قادمة الجناح
وكان سلاحه دون السلاح
تفوز بعرض ذي شيم^٥ صيحا

[سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال : قلت لابن هرمة : أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به أحداً غيره فتقول فيه هذا البيت : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح^١

ثم تقول فيها :

أعبد الواحد الميمون إني أغصّ جذار سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك ؟ فقال : إني أخبرك بالقصة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحة^٢ بالمدينة ، فاستهضتني بنت عمي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنه ليس عندي ما يُقِلُّ^٣ جناحي ؛ فقالت : أنا أنهضك بما أمكنتي ، وكانت عندي ناب لي فنهضت عليها نهجد النوام ونوذي السمار ، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس : ابن هرمة ! حتى دفعت^٤ إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب يتفلق عن رجل كأنه البدر ، فدنا فأذن ثم صلى ركعتين ، وتأمّله فإذا هو عبد الواحد ، فقمّت فدنوت منه وسلّمت عليه ؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلت لكبيك ، بأبي أنت وأمي ! وحيّاك الله بالسلام وقربك من رضوانه ؛ فقال : أمّا أن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسلني بأبي أنت وأمي ، فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرك ؛ فقال : لا ترع فقد وردت علي ما تحب إن شاء الله . فوالله إني لأخطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان ، فسلموا عليه ، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى البيت ثم

1 كانت في ل : خلقت .

2 القحمة : السنة الشديدة والقحط .

3 في ل : يصل .

4 في ل : أويت .

رجع ، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى ، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط¹ يحمل عيشاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ؛ ثم همس إليه ثانية فعاد ؛ وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : اذنُ يا أبا إسحاق ، فإنّي أعلم أنك لم تصير إلينا حتى تفاقم صدّعك² ، فخذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سلّنا لك هذا إلا من أشدّاق عيالنا ؛ ودفع إليّ ألف دينار ، وقال لي : قم فارحل فأغيث من وراءك ؛ فقممت إلى الباب ، فلمّا نظرتُ إلى ناقتي ضيّقتُ³ ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه مُبلّغتكَ ، يا غلام ، قدّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجمال أشدّ سروراً منّي بكلّ ما نلتُه ؛ فهل تلومني أن أغصّ حذارٍ سخط هذا بالقراح ؟ ووالله ما أنشدته ليلتذ بيتاً واحداً .

[مدح المنصور فعاتبه لمده بني أمية ثم أكرمه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجرّجانيّ قال حدّثني عثمان بن حفص الثّقفيّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال : دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان ، فلمّا اجتمع الناس قام ابنُ هرمة فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]

سرى ثوبه عنك الصبّا المتخايل³

حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات عن حفاقي سريره إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلٌ
فأمّ الذي آمنت أمانة الردى وأمّ الذي خوّف بالثكل ثاكلٌ

فقال له المنصور : أمّا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تنشده قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح

قال : فقطع بابن هرمة حتى ما قدر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالبٌ خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق شيئاً⁴ ، فإن رأى أمير المؤمنين

1 ضابط : قويّ شديد .

2 في ل : صمت .

3 سرى عنه الثوب : كشفه .

4 لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

أَنْ يَأْمُرَ لَهُ بِهَا يُجْرَى عَلَيْهِ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي عِيَالَهُ وَيَكْتَبَ بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الْجَارِي أَنْ يُجْرِيَهَا عَلَيْهِمْ فَعَلَ ؛ فَقَالَ : افْعَلُوا ذَلِكَ بِهِ . قَالَ : وَإِنَّمَا فَعَلَ بِهِ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُغْضَبًا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ :

مَا غَيَّرَتْ وَجْهَهُ أُمُّ مُهَبَّةٍ إِذَا الْقَتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ الْهَجْرُنِ
حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى ، وَأَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ وَجَحْظَةُ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِي خَبْرِهِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، وَلَمْ يَقُلْهُ الْآخَرَانِ : دَخَلَ ابْنُ هَرْمَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي قَدْ مَدَحْتُكَ مَدِيحًا لَمْ يَمْدَحْ أَحَدٌ أَحَدًا بِمِثْلِهِ قَالَ : وَمَا عَسَى أَنْ تَقُولَ فِيَّ بَعْدَ قَوْلِ كَعْبِ الْأَشْجَرِيِّ¹ فِي الْمَهْلَبِ :

بِرَاكَ اللَّهُ حِينَ بَرَكَ بِحَرًّا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَتْهَارًا غِزَارًا
فَقَالَ لَهُ : قَدْ قُلْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؛ قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشُدْهُ قَوْلَهُ :
لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ الْمُهَدِّيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ تَكَلَّفَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْكَ نَحْوَهَا ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَبْتُ لَهُ نَفْسَهُ ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ :

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لَمُعَرٌّ فَهَرٌّ وَمُحْتَاجِهَا²
وَمَنْ يُعْجِلُ الْخَيْلَ يَوْمَ الْوَعْيِ بِالْجَامِهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَاءُ بَنِي غَالِبَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِهَا
وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمه ، وأولها :

أَجَارَتَنَا رَوْحِي نَعْمَةً عَلَى هَائِمِ النَّفْسِ مُهْتَاجِهَا
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ مُسْتَكْرِهِ وَلَا حَاجَةٍ دُونَ إِنْضَاجِهَا
يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

كَأَنَّ قُتُودِي عَلَى خَاضِبٍ زُفُوفِ الْعَشِيَّاتِ هَدَاجِهَا³

1 هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب .

2 المعتر : الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

3 الخاضب : ذكر النعام . وزفوف حسن المشي سريعه . والهداج : الذي في مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش .

إلى مَلِكٍ لا إلى سَوْقة كَسْتَهُ الملوِك ذُرًا تاجها
تَحُلَّ الوفود بأبوابه فتَلَقَى الغنى قَبْلَ إرتاجها
بَقَرَاعِ أبوابِ دور الملو كِ عِنْدَ النَحِيَةِ ولَاجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجِدٍ حَمُولِ المَغارِمِ قَرَّاجها
رَكُودِ الجِفَانِ غِداةَ الصَّبَا ويومَ الشَّمَالِ وإِرهاجها¹
وقَفْتُ بِمَدْحِهِ عِنْدَ الجِما رِ أنشدَه بَيْنَ حُجَّاجها²

[دَسَ المنصور إليه مَنْ يسمع منه مدحه لعبد الواحد]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهرُ المبرِّد قال حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحاق طَلْحَةُ بن عبد الله الطلحي قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن سليمان بن المنصور قال : وَجَّهَ المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرم: ودفع إليه أَلْفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال : امض إليه ؛ فَإِنَّكَ تراه جالساً في موضع كذا من المسجد ، فانتسب له إلى بني أُمَيَّة أو موالِيهم ، وسَلَّهُ أَنْ يُنشدَكَ قصيدته الحائِية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجثني براسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة ، وما أراه يُنشدك غيرها ولا يعترف بالحائِية . قال : فَأَتَاهُ الرسول فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشدته قصيدته في عبد الواحد ؛ فقال : ما قلت هذه القصيدة قطُّ ولا أعرفها وإنما نخلها إِيَّاي مَنْ يُعاديَنِي ، ولكنْ إن شئتُ أنشدتك ما هو أحسنُ منها ؛ قال : قد شئتُ فهاه ؛ فأنشده :

سَرَى ثَوْبَهُ عَنكَ الصَّبَا المتخايلُ

حتى أَتَى على آخرها ؛ ثم قال له : هاتِ ما أُمِرُك أميرُ المؤمنين بدفعه إليّ ؛ فقال : أَيُّ شيء تقول يا هذا وأَيُّ شيء دَفَعَ إليّ ؟ فقال : دَعْ ذا عَنكَ ، فوالله ما بعثك إِلَّا أميرُ المؤمنين ومعلك مالٌ وكسوة إليّ ، وأُمِرُك أَنْ تسألني عن هذه القصيدة فإنْ أنشدتك إِيَّاهَا ضربتُ عنقي وحملتُ رأسي إليه ، وإنْ أنشدتك هذه اللامية دَفَعْتُ إليّ ما حَمَلَكَ إِيَّاه ؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمرى ، ودفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

1 الركود من الجفان : الثقل المملوء . الإرهاج : الإمطار .

2 الجمار : اسم موضع بمعنى .

[استقل المهدي على المنصور جائزته له فأجابه]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي عن جدّي قال : لما أنشد ابنُ هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم ؛ فكلمه فيه المهدي واستقلّها ؛ فقال يا بُنيّ ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتَه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح
لاستكثرت له ما استقلته ، ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إني يا بُنيّ
ما هممتُ له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهدم بقتله ثم
أعفو عنه . فأمسك المهدي .
[بعض شعره الذي يغني فيه]

ومما يغني فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره :

صوت

ولما أن دنا منا ارتحالاً وقرب ناجيات السير كُوم¹
تحاسر واضحات اللون زهر على ديباج أوجهها النعيم
أتين مودعاتٍ والمطايا لدى أكوارها خوص هُجوم²
فكم من حرة بين المنقى إلى أخذٍ إلى ما حاز ريم³

ويروى :

فكم بين الأقارع فالمنقى⁴

وهو أجود .

إلى الجماء من خد أسيل نقي اللون ليس به كُوم⁵

- 1 الكوم : النوق الضخمة السنام .
- 2 خوص : جمع أخوص وخواصاء ، والخوص : ضيق العيون وصغرها وغزورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .
- 3 المنقى : طريق بين أحد والمدينة . الريم : واد لمزينة قرب المدينة .
- 4 الأقارع : جبل بين مكة والمدينة .
- 5 الجماء : جبل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق . وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة ، وقيل : الجمّوات ثلاث بالمدينة .

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِ مَا الْآفِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَلِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ذكر الزبير بن بكار أنَّ هذا الشعر كله لأبي المنهال نُفَيْلَةُ الْأَشْجَعِي . قال : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إِنَّهُ لَمَعَمَرُ بْنُ الْعَنْبَرِ الْهَذَلِيُّ . والصحيح من القول ، أَنَّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولَمَّا غَنَّى فيها وفي أبيات نُفَيْلَةَ وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غَيْرَ إِلَى مَا أَوْجَبَ رَفْعَهَا . فَأَمَّا مَا لَابَنَ هَرْمَةَ فِيهَا فَهُوَ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

[من الوافر]

أَجَارَتَنَا بِذِي نَفَرٍ أَقِيمِي فَمَا أَبْكِي عَلَى الدَّهْرِ النَّمِيمِ¹
أَقِيمِي وَجَهَ عَامِكَ ثُمَّ سِيرِي بَلَا وَاهِي الْجَوَارِ وَلَا مُلِيمِ
فَكَمْ بَيْنَ الْأَقَارِعِ فَالْمُنَقَى إِلَى أُحْدٍ إِلَى أَكْنَفِ رِيمِ
إِلَى الْجَمَاءِ مِنْ خَدِّ أَسِيلِ نَقَى اللَّوْنِ لَيْسَ بِذِي كُؤُومِ
وَمِنْ عَيْنٍ مَكْحُولَةِ الْأَمَاقِي بَلَا كُحْلٍ وَمِنْ كَشْحٍ هَضِيمِ
أَرَقْتُ وَغَابَ عَنِّي مِنْ يَلُومِ وَلَكِنْ لَمْ أَتَمِّ أَنَا لِلْهُومِ
أَرَقْتُ وَشَفَنِي وَجَعٌ بَقْلِي لَزِينَبَ أَوْ أُمَيْمَةَ أَوْ رَعُومِ
أَقَاسِي لَيْلَةً كَالْحَوْلِ حَتَّى تَبْدَى الصَّبْحُ مُنْقَطِعَ الْبَرِيمِ²
كَأَنَّ الصَّبْحَ أَبْلَقُ فِي حُجُولِ يَشُبُّ وَيَتَّقِي ضَرْبَ الشَّكِيمِ
رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيْنَا رَوَائِعُهُ بِحَجَّةٍ مُسْتَقِيمِ
إِذَا نَاكَرْتُهُ نَاكَرْتُ مِنْهُ خَصُومَةً لَا أَلَدٌ وَلَا ظُلُومِ
وَوَدَّعَنِي الشَّبَابُ فَصِيرْتُ مِنْهُ كِرَاضَ الصَّغِيرِ مِنَ الْعَظِيمِ
فَدَعَا مَا لَا يَسْرُدُ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ الْجَارَاتِ أَوْ دِمَنِ الرُّسُومِ
وَقُلَّ قَوْلًا تُطَبِّقُ مِفْصَلِيهِ بِمِدْحَةِ صَاحِبِ الرَّأْيِ الصُّرُومِ³
لَعَبْدِ الْوَاحِدِ الْفَلَجِ الْمُعَلَّى عَلَا خُلُقَ الْفُورَةِ وَالْخُصُومِ⁴

1 نفر في ل : بقر .

2 البريم : ضوء الشمس مع بقية سواد الليل .

3 تطبق مفصلية : تصيب فيه الحجة . الصرور : القاطع .

4 الفلج : الظفر والغلب . نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .

دعته المَكْرُمَاتُ فناولته خِطَامَ المجد في سِنِّ الفَظِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنما غُيِّرَتْ حتى صارت مرفوعةً ، فانْتَفَقَتِ الأبياتُ وَغُنِّيَ فيها . وأما أبيات نُفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفيلة قوله :

يُضيء دجى الظلام إذا تبدَّى	كضوء الفجر منظره وسيمٌ
وقائلية ومُثْنِيَةٌ علينا	تقول وما لها فينا حميمٌ
وأخرى لُبُّها معنا ولكن	تَصَبَّرُ وهي واجمةٌ كظومٌ
تُعَدُّ لنا الليالي تحتصيها	متى هو حائنٌ منه قُدومٌ ¹
متى تَرَّ غفلةً الواشين عنها	تَجْدُ بدموعها العينُ السَّجُومُ ²

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد ، ولحنه الثقيل الأوَّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الواصي . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريح .

1 منه في ل : منا .

2 عنها في ل : يوماً .

79 - [الوابصي وأخباره]

[أخباره وسبب تنصره]

وهذا الوابصي هو الصِّلْت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . كان تنصّر ولحق ببلاد الروم ؛ لأنّ عمر بن عبد العزيز فيما ذكر حدّثه في الخمر ، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك ، ومات هنالك نصرانياً .

[راه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى]

فأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء ، أظنه أبا عمرو أو أخاه ، عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا سعيد بن عامر¹ عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم ، وقد جمعت الروایتين ، قال اليزيدي في خبره : إنّ إسماعيل حدّث : أنّ عمر بن عبد العزيز بعث به في الفداء . وقال عمر بن شبة : إنّ إسماعيل حدّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدّثه قال : بينا أنا أجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغني بلسان فصيح وصوت شج : [من الوافر]

فكم من حُرّة بين المنقّى إلى أحدٍ إلى جنّات ريم

فسمعتُ غناء لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلما سمعت الغناء وحُسْنَه ، لم أدْرِ أهو كذلك حسنٌ ، أم لغربته وغربة العربيّة في ذلك الموضع . فدنوت من الصوت ، فلما قُرِبت منه إذا هو في غرفة ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقامت على باب الغرفة ، فإذا رجل مُستلقٍ على قفاه يغني هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى ، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مراراً ؛ فقلت : السلام عليكم ؛ فوثب ورَدّ السلام ؛ فقلت : أبشّر فقد فكّ الله أسرك ، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى . ثم سألته : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الوابصي ، أخذت فُعُذْتُ حتى دخلت في دينهم ؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفنديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلت في الكفر ؛ فقال : قد والله دخلت فيه ؛ فقلت : أنشدك الله إلّا أسلمت ؛ فقال : أسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها ، وإذا دخلت المدينة قيل لي يا نصراني وقيل مثل ذلك لولدي وأمهما ؛ لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنت قارئاً للقرآن فما بقي معك منه ؟ قال : لا شيء إلّا هذه الآية ﴿رُبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

1 في ل : سعد بن عباس . وهو سعيد بن عامر الضُّبَعِيُّ أبو محمّد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء .

كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ . قال : فعادته وقلت له : إِنَّكَ لَا تُعَيِّرُ بِهِذَا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله ! أما تقرأ : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فجعل يُعِيدُ عَلَيَّ قَوْلَهُ : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجيني إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهم لَا تُمَتِّنِي حَتَّى تَمَكِّنَنِي مِنْهُ . قال : فوالله ما زلتُ راجياً لإجابة دعوة عمر فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصي بالمدينة .
[لقبه رجل بصري فأخبره أَن سبب تنصّره لعشقه لامرأة منهم]

وقال يعقوب بن السكيت في هذا الخبر . أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال : نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم ، فإذا أنا بقاتل يقول من فوق الحصن :

فكم بين الأقارع فالنقى إلى أحدٍ إلى ميقاتٍ ريم¹
إلى الزوراء من ثغر نقى عوارضه ومن دَلْ رخيـم
ومن عين مكحلة الأماقي بلا كُحل ومن كشح هضم

وهو يُنشد بلسان فصيح ويكي ، فناديته : أيها المنشد ، فأشرف فتى كأحسن الناس . فقلت : مَنْ الرجل وما قصتك ؟ فقال : أنا رجل من الغزاة من العرب نزلتُ مكانك هذا ، فأشرفتُ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتها فكلّمتهَا ؛ فقالت : إن دخلتَ في ديني لم أخالفك ؛ فغلبَ عليّ الشيطان فدخلتُ في دينها ، فأنا كما ترى . فقلت : أَكُنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ فقال : إِي وَاللّهِ لَقَدْ حَفَظْتَهُ . قلت : فما تحفظ منه اليوم ؟ قال : لَا شَيْءَ إِلَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿رَبُّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قلت : فهل لك أَن نُعْطِيَهُمْ فِدَاءَكَ وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِيحُكَ اللَّهُ .

صوت من المائة المختارة

ومّا في الأخبار من شعر ابن هرمة :

في حاضرٍ لَجِبَ بالليل سامره في الصواهل والرايات والعكر²
وخرّدَ كلمها حور مدامعها كأنها بين كُتبان النقا البقر

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لحنين ، ولحنه من الثقل الأوّل بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبي همهمة لحن من الثقل الأوّل أيضاً . وأبو همهمة هذا مغنّ أسود من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا مَن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبراً فأذكره .

1 ميقات في ل : أكناف .

2 في : في ل : من . الحاضر : الحي العظيم . والسامر : المتسامرون .

80 - [عودٌ إلى أخبار نصيب]

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

بزنب أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنَّ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ
وَقُلْ فِي تَجَنُّبِهَا لَكَ الذَّنْبُ : إِنَّمَا عَتَابُكَ مَنْ عَاتَبَتْ فِيمَا لَهُ عَتَبُ

الشعر لُنُصَيْب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامي ودنانير . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره الهشامي .
[بعض أخبار لنصيب]

وقد تقدّم من أخبار نصيب ما فيه كفاية ، وإنّما تأخّر منها ما له موضع يصلح إفراده فيه ،
مثل أخبار هذا الصوت .
[ذكر عن نفسه أنّه قال شعراً فَعَلِمَ أنّه شاعر]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عمّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن
ابن كُنَاسَة قال : قال نصيب : ما توهّمت أنّي أحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت : [من الطويل]
بزنب أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ
[سمع جميل وجريّر من شعره فتمنّيا لو أنّهما سبقاه إليه]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحرّاميّ
عن محمد بن مَعْن الغفاريّ قال أخبرني ابن الرّيح قال : مرّ بنا جَمِيل ونحن بِضَرْيَة¹ ، فاجتمعنا
إليه فسمعته يقول : لأن أكونَ سَبَقْتُ الأسودَ إلى قوله :

بزنب أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كَذَا وكَذَا لشيءٍ قاله عظيم .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبَيْر قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبِيب بن شَوْذَب
الأسديّ قال : مرّ بنا جَرِير بن الخَطَفَى ونحن بِضَرْيَة ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن

1 ضَرْيَة : قرية في طريق مَكَّة من البصرة من بلاد نجد . وقيل هي صقع واسع بنجد .

أَكُونُ سَبَقْتُ الْعَبْدَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا ؛ يَعْنِي قَوْلَهُ : [من الطويل]
بَزِينَبَ أَلِمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

[أنشده الكميت من شعره وبكى]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبِزْزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ ابْنِ كُنَاسَةَ قَالَ : اجْتَمَعَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ وَنُصَيْبٌ فِي الْحَمَّامِ ، فَقَالَ لَهُ الْكُمَيْتُ : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :

بَزِينَبَ أَلِمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحْفَظُهَا ؛ فَقَالَ الْكُمَيْتُ : لَكِنِّي أَحْفَظُهَا ، أَفَأَنْشِدُكَ إِيَّاهَا ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ الْكُمَيْتُ يُنْشِدُهُ وَهُوَ يَبْكِي .

[كان مع زوجته فمرَّ به ابن سريج يتغنى بشعرٍ له فيها فلامته]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الْخَوَرِثِ عَنْ مَوْلَاةٍ لَهُمْ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَفْصٍ عَنْ مَوْلَاةٍ لَهُمْ قَالَتْ : إِنَّا لَبِئْنِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى أُنْبِيَةِ مَضْرُوبَةٍ وَأَثَاثٍ وَأَمْتَعَةٍ ، فَلَمْ أَذِرْ لَمَنْ هِيَ ، حَتَّى أُنِخَ بِعَيْرٍ ، فَتَزَلَّ عَنْهُ أَسْوَدُ وَسُودَاءُ فَأَلْقَيَا أَنْفُسَهُمَا عَلَى بَعْضِ الْمَتَاعِ ، وَمَرَّ رَاكِبٌ يَتَغَنَّى غَنَاءَ الرُّكْبَانِ :

بَزِينَبَ أَلِمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

فَرَأَيْتُ السُّودَاءَ تَخْبِطُ الْأَسْوَدَ وَتَقُولُ لَهُ : شَهَّرْتَنِي وَأَذَعْتَ فِي النَّاسِ ذِكْرِي ؛ فَإِذَا هُوَ نُصَيْبٌ وَزَوْجَتُهُ . قَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبْرِهِ : وَكَانَ الَّذِي اجْتَنَزَ بِهِمْ وَتَغَنَّى ابْنُ سَرِيجٍ .

[كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كُنَاسَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : [قال] نُصَيْبٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرٌ عَلَى رَاحِلَتِي إِذْ أُدْرِكْتُ نِسْوَةً ذَوَاتِ جَمَالٍ يَتَنَاشِدْنَ قَوْلِي :

بَزِينَبَ أَلِمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

وَإِذَا مَعَهُنَّ ابْنُ سَرِيجٍ ؛ فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَبَا يَحْيَى ، غَنَّا فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَغَنَّا هُنَّ فَأَحْسَنَ ؛ فَقُلْنَ : وَدِدْنَا وَاللَّهِ يَا أَبَا يَحْيَى أَنْ نُصَيِّبًا مَعَنَا فَيَتَمَّ سُرُورُنَا ؛ فَحَرَكْتُ بِعَيْرِي لِأَتَعَرَّفَ بِهِنَّ وَأَنْشِدَهُنَّ ؛ فَالْتَفَتَتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَيَّ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْنِي : وَاللَّهِ لَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ نُصَيِّبًا يُشَبِّهُ هَذَا الْأَسْوَدَ لَا جَرَمَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَتَعَرَّفُ بِهِنَّ سَائِرَ الْيَوْمِ ، وَمَضَيْتُ وَتَرَكْتُهُنَّ . قَالَ : وَكَانَ الَّذِي تَغَنَّى بِهِ ابْنُ

سُرَيْجٌ مِنْ شَعْرِي : [من الطويل]

بَزِينَبُ أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ
وَقُلْ إِنْ تُتِلَ بِالْحَبِّ مِنْكَ مَوْدَّةٌ فَمَا مِثْلُ مَا لُقِّيتَ مِنْ حُبِّكَمْ حُبٌ
وَقُلْ فِي تَجْنِيهَا لَكَ الذَّنْبُ إِنَّمَا عَتَابَكَ مَنْ عَاتَبَتْ فِيمَا لَهُ عَتَبُ
فَمَنْ شَاءَ رَامَ الْوَصْلَ أَوْ قَالَ ظِلْمًا لَذِي وَدَّ ذَنْبٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

[سأله جدّ جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
السَّعْدِيُّ عَنْ جَدَّتِهِ جَمَالِ بِنْتِ عَوْنٍ عَنْ جَدِّهَا قَالَ : قُلْتُ لِلنَّصِيبِ : أَنْشُدْنِي يَا أَبَا مِخْجَنَ
مِنْ شِعْرِكَ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : أَيُّهُ تَرِيدُ ؟ قُلْتُ : مَا شِئْتَ ؟ قَالَ : لَا أَنْشُدُكَ أَوْ تَقْتَرَحَ مَا تَرِيدُ ؟
فَقُلْتُ : قَوْلُكَ : [من الطويل]

بَزِينَبُ أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

قَالَ : فَنَبَسَمَ وَقَالَ : هَذَا شِعْرُ قَلْتِهِ وَأَنَا غَلَامٌ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَنِي الْقَصِيدَةَ . قَالَ الزُّبَيْرُ : وَهِيَ
أَجُودُ مَا قَالَ .

[لأمره عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجاره فأجازه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ
حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ شَاسٍ ، وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ كِتَابِ
أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ شَاسٍ ، وَرَوَاتِهِ أَتَمَّ مِنْ
رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ شُبَّةٍ ، قَالَ أَيُّوبُ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ : أَنَّ النَّصِيبَ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ؛ فَقَالَ لَهُ : هَيْهَ يَا أَسْوَدَ : [من الطويل]

بَزِينَبُ أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ

أَأَنْتَ الَّذِي تَشْهَرُ النِّسَاءَ وَتَقُولُ فِيهِنَّ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ
وَتُبْتُ مِنْ قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَكَانَ قَدْ نَسِكَ ؛ فَأَتْنِي عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَقَالُوا فِيهِ قَوْلًا جَمِيلًا ؛ فَقَالَ
لَهُ : أَمَّا إِذْ أَتْنِي عَلَيْكَ الْقَوْمَ فَسَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي بَنِيَّاتٌ سَوِيدَاوَاتُ
أَرْغَبُ بِهِنَّ عَنِ السُّودَانِ وَيَرْغَبُ عَنْهُنَّ الْبَيْضَانُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفْرُضَ لِهِنَّ فَا فَعَلْ ؛ فَفَعَلَ .

[رأى عثمان بن الضحّاك امرأة فمَثَّلَ بِشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنه أت لزيارتها]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبِيبٍ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ الْمُؤَمَّلِ بْنِ طَالُوتَ عَنْ
أَبِيهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيِّ قَالَ : خَرَجْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي أُرِيدُ الْحِجَّ ، فَنَزَلْتُ فِي فَنَاءٍ

خيمة بالأبواء¹ ، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ، فاستلهاني حسنها ، فتمثلت قول نصيب :

بزینب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكُ الْقَلْبُ
فَقالت الجارية : أتعرف قائل هذا الشعر ؟ قلت : نعم ، ذاك نصيب ؛ قالت : أتعرف زينب هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينب ، وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة ، ولعلك لا ترحل حتى تراه . فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها ، ثم نزل فسلم عليها وسلمت عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بد أن يكون لهما حاجة ، فقممت إلى راحلتي فشددت عليها ؛ فقال : على رسلك ، أنا معك ؛ فلبث ساعة ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لي : كأنك قلت في نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك ؛ فقال لا ، ورب الكعبة البينة المستورة ما جلست معها مجلساً قط هو أقرب من هذا .

[شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة : لو لم تكن هذه القصيدة :

بزینب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ
لنصيب ، شعر من كانت تشبه ؟ فقلت : شعر امرئ القيس ، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ؛ قلت : ما شأنك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت ، فعجبت من اتفاقكما .

[منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب]

قال هارون وحدثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن رجل سمّاه قال : أتاني منقذ الهلالي ليلة وضرب عليّ الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : منقذ الهلالي ؛ فخرجت فزعاً ، فقلت : فيم السري ، أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ، في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين ، فتغذيت بها معهم ، ثم أتيت بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشربت وذكرت قول نصيب :

بزینب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

فأنشدتها فأطربتني ، وفكرت في إنسان يفهم حسن ذلك ويعرف فضله فلم أجِد غيرك

1 الأبواء : قرية من أعمال القرع من المدينة ، وقيل هي جبل على الطريق من المدينة إلى مكة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ .

فأتيتك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا ؟ قال : لا ، وانصرف .
 قال حماد : معنى قوله «التقى طرفاها» أي قد صفت وراقت فأسفلها وأعلىها سواء في
 الصفاء .
 ومما يُغنى فيه من قصيدة نصيب البائية المذكورة قوله :
 [من الطويل]

صوت

خليلي من كعب المأ هديتما بزيب لا يفقدكما أبدا كعب
 من اليوم زوراها فإن ركابنا غداة غد عنها وعن أهلها نكب
 الغناء للمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

[من السريع]

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم
 والدّار وخش والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم
 لست كأقوام خلائقهم نث أحاديث وهتك حرم¹
 نث الحديث : إشاعته . والعنم : شجر أحمر ، وقيل : بل هو دود أحمر كالأساريع يكون
 في البقل في أيام الربيع . والأديم : الجلد . وجلد كل شيء أديمه . ورقش : زين . الشعر²
 لمرقش الأكبر³ ، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها .

1 أحاديث وهتك في ل : الأحاديث ونهكة .

2 هذا الشعر من قصيدة المرقش يرثي بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل ، وكان معه
 مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يقال له عمرو بن عوف . (انظر ديوان المرقشين ،
 تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

3 في ل : الأصغر .

[81] - أخبار المرقش الأكبر ونسبه¹

[نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقربائه للمرقش الأصغر]

المرقش لقب غلب عليه بقوله : [من السريع]

الدَّارُ وَخَشٌ وَالرَّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ

وهو أحد من قال شعراً² فَلَقَّبَ بِهِ . واسمه ، فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبَانِي ، عمرو . وقال غيره : عَوْفٌ³ بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثَعْلَبَةَ الْحِصْنِ⁴ بن عُكَّابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِيٍّ بن بكر بن وائل . وهو أحد المتَّيِّمِينَ . كان يهوى ابنةَ عمِّه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضُبَيْعَةَ ، وكان المرقش الأصغر ابنَ أَخِي المرقش الأكبر . واسمه فيما ذكر أبو عمرو ، ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْمَلَةَ بن سعد بن مالك . وهو أيضاً أحد المتَّيِّمِينَ ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشَبَّبُ بها . وكان للمرقشَيْنِ جميعاً موقعٌ في⁵ بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأسٍ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّمٌ في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثره وكان عوف بن مالك بن ضُبَيْعَةَ عمُّ المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل .

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو القاتل يوم قِصَّة : يا لبكر بن وائل ، أفي كلِّ يوم فرار ! أما ومخلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلَّا ضربته بسيفي . وبَرَكَ يقاتل ، فسمِّي الْبُرْكَ يومئذٍ . [عمرو بن مالك وأسرُه لمهلل]

وكان أخوه عمرو بنُ مالكٍ أيضاً من فرسان بكر ، وهو الذي أسَرَ مُهْلَهْلًا ، التقيا في خيَلَيْنِ من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بكرٍ وتغلب ، في موضع يُقال له نَقَا الرَّمْلِ ، فانهزمت خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فَأَسْرَه فأنطلق به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَرَ⁶ ، فَأَحْسَنَ إِسَارَه . ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِيمَ بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلل

1 المرقش الأكبر : انظر أخباره في : في الشعر والشعراء 1 : 210 . وفي الأنباري 457-460 ، 484 .

2 في ل : الشعر .

3 قيل سُمِّيَ عَوْفًا باسم عمِّه والد أسماء التي كان يهواها ويتشَبَّبُ بها .

4 في ل : بن الحصن .

5 في ل : موقف .

6 هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . ولعله يقصد به هجر التي قصبتها الصفاً باتجاه اليمامة والبصرة .

يشترى منه الخمر ، فأهدى إليه وهو أسير زق خمر ؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل في بيته ، وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه ، فلماً أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ، فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال¹ : إنه لريّان ، والله لا يشرب ماء حتى يرد ربيبٌ يعني جملأ كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدّھاس² من أجواف هجر فيرعى فيها غباً بعد عشر في حمارة القيظ فطلبت ركباً بنو مالك ربيباً وهم حراص على ألا يقتل مهلهل ، فلم يقدرُوا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأشرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأته بنتُ المحلل أحد بني تغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسير ؛ فقال يذكرها :

طَيِّبَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُحَلَّلِ شَبَابًا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِناقِ³

فلماً بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبْنَقَةُ القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول وكان مُحَمَّماً وهو الذي تَضَرَّبَ به العربُ المثلُ في الحمق : لا يكون لي جمل أبداً إلا سَمِيَّتَهُ رِيبِيًّا (يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً) . ذكر ذلك أجمع ابنُ الكلبي وغيره من الرواة . والقصيدة الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مَرثِيَةِ ابن عمِّ له . وفيها يقول :

بَلْ هَلْ شَجَنَكَ الظُّغْنُ بِأَكْرَةٍ كَانَتْهَا النِّخِيلُ مِنْ مَلْهَمٍ⁴

[عشق المرقش أسماء بنت عوف]

قال أبو عمرو ووافقه المفضل الضبي : وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشيق ابنة عمِّه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو البرك ، عشيقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها ؛ فقال : لا أزوجه حتى تُعرَفَ بالبأس ، وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن ، وكان يعده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقش إلى ملكٍ من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زماناً شديداً ؛ فأتاه رجل من مُراد أحد بني غُطَيْف ، فأرغبه في المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك .

1 في ل : فلماً سمع عمرو بن مالك ذلك قال .

2 الدھاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

3 الشَّيْبَاء : التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعدوية .

4 مَلْهَم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

[أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها]

ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولقوها في ملحفة ثم قبروها . فلما قديم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ؛ فنظر إليه وصار¹ بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعنين² لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضنى ضناً شديداً ، فسأله عن الحديث فأخبره به وبترويج المرادي أسماء ؛ فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة كان عسيفاً³ لمرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته ، وكانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المرادي عليها فأحضره إياها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضا . وإتتهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهي أرض مراد ، ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش ؛ فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضرراً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني⁴ ، وإلا فإنني تاركك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حرمة ، وكانا أحب ولده إليه ، إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط . فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات⁵ :

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا	إن الرواح رهين ألا تفعل
فلعل لبثكما يُقرط سيئاً	أو يسبق الإسراع سيئاً مقبلاً ⁶
يا راكباً إمّا عرضت فبلغن	أنس بن سعد إن لقيت وحرماً ⁷
لله دركما ودر أبيكما	إن أفلت العبدان حتى يُقتلا ⁸
من مبلغ الأقوام أن مرقشاً	أضحى على الأصحاب عبثاً مثقلاً

1 في ل : وكان .

2 في ل : بكعاب .

3 العسيف : الأجير والعبد والمستعان به .

4 في ل : إن أطعني .

5 في ل : هذا الشعر .

6 يُقرط : يُقدم .

7 أنس بن سعد وحرمة : هما أخوا مرقش .

8 العبدان : في ل : الغفلي .

وَكُنَّا تَرِدُ السَّبَاعُ بِشِلْوِهِ إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مِنْهَلَا

قال : فانطلق الغُفْلَى وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش . ونظر حرملة إلى الرّحل وجعل يُقلِّبه فقرأ هذه الأبيات ؛ فدعاها وخوفها وأمرها بأن يصدّقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره فعرف أنّ مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلما بصر به قال له : مَنْ أَنْتَ وما شأئك ؟ فقال له مرقش : أنا رجلٌ من مُراد ، وقال للراعي : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماء . فقال له مرقش : أنتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جارتها كل ليلة فأحلب لها عزراً فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فالقه في اللبن ، فإنها ستعرفه ، وإنك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أَنْتَ فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، ففرع الخاتم ثبَّتَها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتها إلى مولاها وهو في شَرْفٍ¹ بنجران ؛ فأقبل فرعاً ؛ فقال لها : لِمَ دعوتني ؟ قالت له : ادعُ عبدك راعي غنمك فدعاه ؛ فقالت : سلّه أين وجد هذا الخاتم ! قال : وجدته مع رجلٍ في كهف خَبَانٍ² ؛ قال : ويقال كهف جبار ، فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مُصيبٌ به خيراً ، وما أخبرني مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رَمَقٍ . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فأعجل السّاعة في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرّاه من ليلتهما فاحتملهما إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت :

[من الوافر]

سَرَى لَيْلًا خِيَالًا مِنْ سُلَيْمَى	فَأَرْقَنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ
فَيْتَ أَدِيرَ أَمْرِي كُلِّ حَالٍ	وَأَذْكَرَ أَهْلَهَا وَهُمْ بَعِيدُ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ	يُشَبُّ لَهَا بِذِي الْأَرْضَى وَقُودُ ³
حَوَالِيهَا مَهًا يَبِضُّ التَّرَاقِي	وَأَرَامٌ وَغِزْلَانٌ رُقُودُ
نَوَاعِمُ لَا تُعَالِجُ بَوْسَ عَيْشٍ	أَوَانِسُ لَا تَرْوِحُ وَلَا تَرُودُ

1 في ل : شرب .

2 في ل : حَبَان .

3 الْأَرْضَى : شجر ينبت بالرمْل وهو شبيه الغُضَى .

يُرْخَنَ مَعاً بِطَاءِ الْمَشْيِ بُدًّا¹ عَلَيْهِنَ الْمَجَاسِدَ وَالْبُرُودُ²
سَكَنَ بَيْلِدَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى
فَمَا بِأَلِيٍّ أَفِيٍّ وَيُخَانُ عَهْدِي
وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَذِينَ بِكَرٍ
وَذُو أَشْرٍ شَتِيَّتِ النَّبْتِ عَذْبٌ
نَقِيٌّ اللَّوْنُ بَرَّاقٌ بَرُودٌ
لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِي
وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
أَنَاسٌ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا³
عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلَ جَدِيدُ

ثم مات عند أسماء ، فدفن في أرض مُراد .

[خرج لقتل زوج أسماء فردّه أخواه وعذلاه فمضى وقال شعراً]

وقال غير أبي عمرو والمفضل : أتى رجل من مُراد يُقال له قرن الغزال ، وكان مُوسيراً ،
فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُملياً ؛ فزوجها أبوها من المراديّ سرّاً ؛ فظهر على ذلك
مرقش فقال : لئن ظفرتُ به لأقتلنه . فلما أراد أن يَهْتديها² خاف أهلها عليها وعلى بعلها من
مرقش ، فترَبَّصوا بها حتى عَزَبَ مرقش في إبله ، وبنى المراديّ بأسماء واحتملها إلى بلده .
فلما رجع مرقش إلى الحيّ رأى غلاماً يتعرَّق عظماً ؛ فقال له : يا غلام ، ما حدث بعدي في
الحيّ ؟ وأوجس في صدره خيفةً لِمَا كان ؛ فقال الغلام : اهتدى المراديّ امرأته أسماء بنت
عوف . فرجع المرقش إلى حيّه فلبس لأُمته وركب فرسه الأغرّ ، وأتبع آثارَ القوم يريد قتلَ
المراديّ . فلما طلع لهم قالوا للمراديّ : هذا مرقش ، وإن لقيك فنفسك دون نفسه . وقالوا
لأسماء : إنه سيمرّ عليك ، فأطلعي راسك إليه واشفري ؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو
بجديثك عن طلب بعلك ، حتى يلحقه إخوته فيردّوه . وقالوا للمراديّ : تقدّم فتقدّم .
وجاءهم مرقش . فلما حاذاهم أَطْلَعَتْ أسماء من خِذْرها³ ونادته ، فغَضَّ⁴ من فرسه وسار
بقربها ، حتى أدركه أخواه أَنَسٌ وَحَرَمَلَةٌ فَعَذَلَاهُ وَرَدَّاهُ عن القوم . ومضى بها المراديّ فألحقها
بِحَيِّهِ . وَضَنِيَّ⁵ مرقش لفراق أسماء . فقال في ذلك :

[من الطويل]

1 بُدّ : جمع بُدّ والأُنثى بداء وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكاً .

2 اهتدى الرجل امرأته : إذا جمعها إليه وضّمها .

3 في ل : حدجها .

4 غَضَ من فرسه : إذا نقص من غربه وحدته .

5 ضني : مرض مرضاً مخافاً كَلَمَّا ظَنَّ بَرُوه نكس .

أَمِنْ آلِ أَسْمَاءِ الرُّسُومِ الدَّوَارِسُ تُخَطِّطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفَرٌ بِسَابِسُ
وهي قصيدة طويلة . وقال في أسماء أيضاً :
أَغْلِبُكَ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ صَبَابَةً وشوقاً إلى أسماء أم أنت غالبة
يَهِيمُ وَلَا يَعِيَا بِأَسْمَاءِ قَلْبُهُ كذلك الهوى إمراره وعواقبه
أُيْلِحِي أَمْرُؤُ فِي حَبِّ أَسْمَاءٍ قَدْ نَأَى بَعَمَزٍ مِنَ الْوَاشِينَ وَازَوَّرَ جَانِبُهُ
وَأَسْمَاءُ هُمُ النَّفْسُ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبه
إِذَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ ظَلَّتْ كَأَنِّي يُعْزِعُنِي قَفَقَافٌ وَرِدَّ وَصَالِبُهُ¹

[كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب وقال شعراً]

وقال أبو عمرو : وقع المجالد بن ريان بيني تغلب بجمران² فنكى فيهم وأصاب مالا
وأُسرى ، وكان معه المرقش الأكبر ، فقال المرقش في ذلك : [من المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ فَجَلَّى أَحَادِيثَهَا عَنْ بَصَرٍ³
بَانَ بَنِي الْوَحْمِ سَارُوا مَعًا بجيش كضوء نجوم السَّحَرِ⁴
بِكُلِّ خَبُوبِ السُّرَى نَهْدَةٍ وَكُلِّ كُمَيْتٍ طُوالِ أَغَرٍّ⁵
فَمَا شَعَرَ الْحَيُّ حَتَّى رَأَوْا بِرِيقِ الْقَوَانِسِ فَوْقَ الْغُرِّ⁶
فَأَقْبَلَنَّهُمْ ثُمَّ أَدْبَرَنَّهُمْ وَأَصْدَرَنَّهُمْ قَبْلَ حَيْدِ الصَّدْرِ⁷
فِيَا رَبُّ شَلُوْ تَخْطُرْفَنَّهُ كَرِيمٍ لَدَى مَزْحَفٍ أَوْ مَكْرٍ⁸
وَكَائِنْ بِجَمْرَانَ مِنْ مُزْعَفٍ وَمِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عُفِرَ⁹

1 وقفقافة : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . الورد : من أسماء الحمى . وصالبه : شدة حرارته مع رعدة .

2 في ل : بنجران ، وجمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .

3 اللسان هنا : الرسالة . وجلَّى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العنى .

4 الوحوم في ل : الوجم ، وبنو الوحوم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

5 القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه .

6 تخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وحلفنه .

7 بجمران في ل : بنجران . مُزْعَف : زعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً .

[82] - وأما المرقش الأصغر¹

[نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره في ذلك وشعره]

فهو على ما ذكر أبو عمرو : ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة . والمرقش الأكبر عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان ، وكان لها قصر [بكاظمة]² وعليه حرس . وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطوّه أحد إلا بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش : إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلاً ممن يعجبها فيبيت معها . وكان مرقش ترعية³ لا يفارق إبله ، فأقام بالماء وترك إبله ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان ؛ حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ وإذا نكثت كأنها التين وكأثار السياط من شدة خفزه إياها عند الجماع ، قالت : آثار رجل بات معي الليلة . وقد كانت فاطمة قالت لها : لقد رأيت رجلاً جميلاً راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك ؛ قالت : فإنه فتي قعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذي رأيته ، وهو الذي بات معي فأثر في هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقدمي له مجمرأ ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو رده فلا خير فيه ، وإن قعد على المجمر أو رده فلا خير فيه . فأثته بالمجمر فقالت له : اقعد عليه ؛ فأبى وقال : أدنيه مني ، فدخن لحيته وجُمته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به . فأثت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع ؛ فآزدادت به عجباً وقالت : اثيني به . فتعلقت به كما كانت تتعلق ، فمضى معها وانصرف أصحابه . فقال القوم حين انصرفوا : لشد ما علقت بنت عجلان المرقش ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوباً حين تُمسي ويمرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون

1 المرقش الأصغر : انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 1 : 214 وفي الأنباري : 498-499 .

2 كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، وهي مدينة الكويت الآن .

3 ترعية : يجيد رعية الإبل أو صناعته وصناعة آباءه رعية الإبل .

له : لم نَرِ إِلَّا أثرَ بنتِ عجلان . فلمّا كانت تلك الليلة حملتُ بنتُ عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب ، وأدخلته إليها فبات معها . فلمّا أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثرَ بنتِ عجلان وهي مُثَقَلَةٌ . فلبث بذلك حيناً يدخل إليها . فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟! فأخبره مرقشُ الخبرَ ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تُدخلني عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أنّ عمرو بن جناب كان أشعر ، فأثته بنتِ عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش . فلمّا أراد مباشرتها وجدتُ مسّاً شعري فخذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قَبِحَ اللهُ سرّاً عند المُعَيّدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وانطلق إلى موضع صاحبه . فلمّا رآه قد أسرع الكُرَّةَ ولم يلبث إلا قليلاً ، عَلِمَ أَنَّهُ قد اقتضح ، فعَصَّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه ، يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ، حياءً ممّا صنع . وقال مرقش في ذلك :

أَلَا يَا اسْلَمِي لَا صُرْمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا	وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمَا
رَمَتَكَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضَالَّةٍ	وَهُنَّ بَنَاتُ خُوصٍ يُخْلَنُ نَعَائِمًا ¹
تَرَاءتْ لَنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ بَوَارِدِ	وَعَذِبِ الثَّنَائِيَا لَمْ يَكُنْ مَتْرَاكًا ²
سَقَاهُ حَبَابُ الْمُنْزَنِ فِي مِتْكَالِ	مِنَ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابًا سَوَاجِمَا
أَرَتَكَ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمَا	وَحَدًّا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمًا ³
صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنَّ ذِكْرَةَ	إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمَا
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ	خَرَجْنِ سِرَاعًا وَاقْتَعَدْنَ الْمَقَائِمَا ⁴
تَحْمَلْنَ مِنْ جَوْ الْوَرِيعةِ بَعْدَ مَا	تَعَالَى النَّهَارُ وَاتَّجَعْنَ الصَّرَائِمَا ⁵

1 الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم جمع نعامة .

2 الوارد من الشعر : الطويل . والقُومُ المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً .

3 الوذيلة : سبيكة الفضة .

4 المقائم : العظام من الإبل ، وقيل هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مقام .

5 الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم والحزم : ما غلط من الأرض وكثرت حجارتها وأشرف . الصرائم : جمع صريمة وهي قطعة الرمل التي تنقطع من معظم الرمل .

تَحْلِينَ ياقوتاً وشذراً وصيغة
 سلكن القرى والجزع تُحدي جمالها
 ألا حبذا وجه تريك بياضه
 وإنني لأستحيي فطيمة جائعاً
 وإنني لأستحييك والخرق بيننا
 وإنني وإن كَلت قُلوصي لَراجِمٌ
 ألا يا اسلمي بالكوكب الطلق فاطما
 ألا يا اسلمي ثم اعلمي أن حاجتي
 أفاطم لو أن النساء ببلدة
 متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله
 وإلى جناب حلفه فاطمته
 فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
 ألم تر أن المرء يجذم كفه
 أمين حلم أصبحت نكت واجماً
 وجزعاً ظفاريّاً ودراً تَوأماً¹
 ووركن قوّاً واجتزعن المخارم²
 ومُسَدِّلات كالمشاني فواحما³
 خميصاً وأستحيي فطيمة طاعما
 مخافة أن تلقني أخاً لي صارما⁴
 بها وبنفسى يا فطيم المراجما
 وإن لم يكن صرّف النوى متلائما⁵
 إليك فردّي من نوالك فاطما
 وأنت بأخرى لابتغيتك هائما⁶
 ويفضّب عليه لا محالة ظالما
 فنفسك ولّ اللوم إن كنت نادما
 ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
 ويجشم من لوم الصديق المجاشما⁷
 وقد تعترى الأحلام من كان نائما⁸

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

إذا قلتُ تسَلُو النفسُ أو تنتهي المنى أبى القلبُ إلا حباً أم حكيم

- 1 الجزع : الخرز .
- 2 جمالها في ل : جمالمهم . وركن : عدلن . قو : منزل للقاصد من المدينة إلى البصرة ، وثمة أماكن أخرى بهذا الاسم . اجتزعن : قطعن . المخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طرق .
- 3 المتلاني : الحبال .
- 4 الخرق : ما اتسع من الأرض .
- 5 الطلق في ل : الفرد . والطلق : الذي لا حرّ فيه ولا قرّ ولا شيء يؤذي .
- 6 لابتغيتك في ل : لابتعتك .
- 7 يجشم : يركب المكروه .
- 8 نكت في الأرض : خطّط فيها بعود .

مُنْعَمَةٌ صَفْرَاءُ حُلُوْ دَلَالُهَا أَيْبَتْ بِهَا بَعْدَ الْهُدُوءِ أَهِيْمٌ¹
 قَطُوفُ الْخُطَا مَحْطُوطَةٌ الْمَتْنُ زَانِهَا مَعَ الْحُسْنِ خَلَقَ فِي الْجَمَالِ عَمِيْمٌ²

الشعر مُخْتَلَفٌ فِي قَائِلِهِ ، فَمِنْ الرِّوَاةِ مَنْ يَرْوِيهِ لَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيُّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْوِيهِ لِقَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْوِيهِ لِعَبِيدَةَ بْنِ هِلَالٍ الْيَشْكُرِيِّ . وَالْغِنَاءُ لِسَيَّاطٍ ، وَلَهُ فِيهِ لَحْنَانٌ : أَحَدُهُمَا ، وَهُوَ الْمُخْتَارُ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ، وَالْآخَرُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَلِبَعْضِ الشُّرَاءِ قَصِيدَةٌ فِي هَذَا الْوِزْنِ وَعَلَى هَذِهِ الْقَافِيَةِ ، وَفِيهَا ذِكْرٌ لِأُمِّ حَكِيمٍ هَذِهِ أَيْضاً ، تُنسَبُ إِلَى هَؤُلَاءِ الشُّرَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَيُخْتَلَفُ فِي قَائِلِهَا كَالِاخْتِلَافِ فِي قَائِلِ هَذِهِ . وَفِيهَا أَيْضاً غِنَاءٌ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْهَا : [مِنْ الطَّوِيلِ]

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ

ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الشَّعْرَ لِقَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ ، وَذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ لَعَمْرُو الْقَنَا ، وَذَكَرَ وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ لِحَبِيبِ بْنِ سَهْمٍ التَّمِيمِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو مِخْنَفٍ أَنَّهُ لِعَبِيدَةَ بْنِ هِلَالٍ الْيَشْكُرِيِّ ، وَذَكَرَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ أَنَّهُ لَعَمْرُو الْقَنَا أَيْضاً . وَالْغِنَاءُ لِمُعَبَّدٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ وَيُونُسَ .

1 الهدوء : الهزيع من الليل . في هذا الشعر إقواء .

2 قطوف الخطا : ضيقها . محطوطة المتن : أي ممدودتهما .

[83] - خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران

وهي وقعة دولاب

وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قيلتا في وقعة دولاب ، وهي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مسلم بن عبيس بن كرز خليفة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير . أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن المدائني ، وأخبرني بها عبيد الله بن محمد الرازي عن الخراز عن المدائني ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خيداش : أن نافع بن الأزرق ، لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقاتلتهم أقام بسوق الأهواز وأعماها لا يعترض الناس ، وقد كان متشككاً في ذلك . فقالت له امرأته : إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه ، فدع نحلنك ودعوتك ، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان¹ فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأتخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ . فقبل قولها واستعرض² الناس وبسط سيفه ، فقتل الرجال والنساء والولدان ، وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم . وإذا وطئ بلدأ فعل مثل هذا به إلى أن يُحييه الله جميعاً ويدخلوا ملته ، فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج . فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله في السواد . فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان ، وسيرتهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إن سيرتهم في مصركم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوكم . وحرّضهم الأحنف ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وسأله أن يؤمّر عليهم أميراً ، فاختر لهم مسلم بن عبيس بن كرز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً ديناً ، فأمره عليهم وشيعه . فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إني ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة ، وإني

1 في ل : الإسلام .

2 استعرض الناس : قتلهم ولم يبال من قتل مسلماً أو كافراً من أي وجه أمكنه .

لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم . فَمَنْ كان مِنْ شأنه الجهادُ فلينهض ، وَمَنْ أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباكون معه ؛ فلَمَّا صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماحُ وعُفرت الخيلُ وكثرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعمد ؛ فقتل في المعركة ابن عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين ، وقُتل نافع بن الأزرق يومئذٍ أيضاً ؛ فعجب الناسُ من ذلك ، وأنَّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسا العسكرين ، والشُّراءُ يومئذٍ ستمائة رجل ، فكانت الحدة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سُدوس . وأتى ابن عُبيس وهو وجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني ، وكان يقال له الأجدم ، كانت يده أصيبت بكابلٍ مع عبد الرحمن بن سَمرة . واستخلف نافع ابن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سَلِيط بن يَرْبوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع ، ورئيس الشُّراء من بني سَلِيط بن يَرْبوع ، فاتصَّلت الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبره : وادَّعى قتل نافع بن الأزرق رجلٌ من باهلة يقال له سلامة . وتحدَّث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلته على بردون وردي فإذا أنا برجلٍ ينادي ، وأنا واقف في خُمسٍ من بني تميم ، فإذا به يعرض عليَّ المبارزة فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبنى وأنا انتقل من خُمسٍ إلى خُمسٍ وليس يزابلني ، فصرَّرتُ إلى رجلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة ، فلَمَّا أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفنا ضربتين فضرَبته فصرَّعته ، ونزلتُ فأخذتُ رأسه وسلبته ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلْتُ نافعاً ، فخرجتُ لتثَّار به . قالوا : فلَمَّا قُتل نافع وابن عُبيس وولِّي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراءَ نيفاً وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إني مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ إني رأيت البارحة كأنَّ يدي التي أصيبت بكابلٍ انحطَّت من السماء فاستشَلَّتني . فلَمَّا كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذٍ ، قال : استشلاه : أخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه ، قال : فلَمَّا قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الراية حتى خافوا العُطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحِميري . وقد اُقتل النَّاسُ يومئذٍ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصَّفت ، ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوَّة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون¹ بالأفواه . فلَمَّا تدافع القومُ الراية وأبوا

1 تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

وَاتَّفَقُوا عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ بَابٍ امْتَنَعَ مِنْ أَخْذِهَا . فَقَالَ لَهُ كُرَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : خُذْهَا فَإِنَّهَا مَكْرُومَةٌ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا لِرَايَةٍ مَشْتُومَةٍ ، مَا أَخْذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ . فَقَالَ لَهُ كُرَيْبُ : يَا أَعُورُ ، تَقَارَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى أَمْرِهَا ثُمَّ صَيَّرُوهَا إِلَيْكَ فَتَأْتِي خَوْفَ الْقَتْلِ ؛ خُذِ اللِّوَاءَ وَيَحْكُ ! فَإِنْ حَضَرَ أَجْلُكَ قُتِلْتَ إِنْ كَانَتْ مَعَكَ أَوْ لَمْ تَكُنْ . فَأَخَذَ اللِّوَاءَ وَنَاهَضَهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى انْتَقَضَتِ الصَّفُوفُ وَصَارُوا كِرَادِيسَ ، وَالْخَوَارِجُ أَقْوَى عُذَّةً بِالْدُرُوعِ وَالْجَوَاشِنِ¹ . وَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ وَيَحْمِلُ حَتَّى يَغِيبَ فِي الشُّرَاةِ وَيَطْعَنَ فِيهِمْ وَيَقْتُلُ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَسَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا ، وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فَيَرَى النَّاسَ كِرَادِيسَ يِقَاتِلُ كُلُّ قَوْمٍ فِي نَاحِيَةٍ . ثُمَّ التَقَى الْحَجَّاجُ بْنُ بَابٍ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّاسِبِيُّ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَجَالَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا جَوْلَةً ثُمَّ تَحَاجَزُوا ؛ وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ هَرَبَ عَامَتُهُمْ ، وَوَلَّوْا حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ الْغُدَّانِيَّ ، أَمَرَهُمْ لَيْسَ بِهِمْ طَرِيقٌ وَلَا بِالْخَوَارِجِ . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الشُّرَاةِ ، وَهِيَ أُمُّ عِمْرَانَ قَاتِلِ الْحَجَّاجِ بْنِ بَابٍ وَقَتِيلِهِ ، تَرْتِي ابْنَهَا عِمْرَانَ :

اللَّهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وَطَهَّرَهُ وَكَانَ عِمْرَانٌ يَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحَرِ
يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ شَهَادَةً بِيَدَيَّ مِلْحَادَةٍ غُدْرٍ²
وَلَّى صَحَابَتَهُ عَنْ حَرٍّ مَلْحَمَةٍ وَشَدَّ عِمْرَانٌ كَالضَّرْغَامَةِ الذِّكْرَ

قَالَ : فَلَمَّا عَقَدُوا لِحَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ الرِّيَاسَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الرَايَةَ نَادَى فِيهِمْ بَأَن يَثْبُتُوا ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلِلْعَرَبِ زِيَادَةٌ فَرِيضَتَيْنِ وَلِلْمَوَالِي زِيَادَةٌ فَرِيضَةٌ ؛ فَغَدَبَ النَّاسَ فَالْتَقَوْا وَلَيْسَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ طَرِيقٌ ، وَقَدْ فَشَّتْ فِيهِمُ الْجَرَاحَاتُ فَلَهُمْ أَنْيُنٌ ، وَمَا تَطَأُ الْخَيْلُ إِلَّا عَلَى الْقَتْلِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ مِنَ الْيَمَامَةِ جَمْعٌ مِنَ الشُّرَاةِ يَقُولُ الْمُكْثَرُ إِنَّهُمْ مَائِثَانِ وَالْمَقْلَلُ إِنَّهُمْ أَرْبَعُونَ فَاجْتَمَعُوا وَهُمْ مُرْجِحُونَ مَعَ أَصْحَابِهِمْ وَاجْتَمَعُوا كَبْكَبَةً³ وَاحِدَةً ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ نَكَصَ بِرَايَتِهِ فَانْهَزَمَ وَقَالَ :

كَرَّيْنَا وَدَوَّلِينَا وَحَيْثُ شَتَّمْنَا فَادْهَبُونَا⁴

وَقَالَ :

أَيَّرُ الْحِمَارُ فَرِيضَةً لِعَبِيدِكُمْ وَالْخُصِيَّتَانِ فَرِيضَةً الْأَعْرَابِ

1 الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

2 الملحادة : مفعول من الإلحاد والهاء للمبالغة . غُدْر : كثير الغدر .

3 الكبكبة : الجماعة .

4 كَرَّيْنَا : انزلوا كرنبي وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

[من الكامل]

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارجُ ، فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي دُجَيْلٍ¹ ففرق
منهم خلقٌ كثيرٌ وسلمت بقيّتهم . وكان مَن غرق دَغَقَلَ بن حنظلة أحد بني عمرو بن
شيبان . ولحقت قطعةٌ من الشُّرَاة خيلَ عبد القيس فأكْبُوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من
بني تميم فعاونوهم وقتلوا الشُّرَاة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم ، وعبرت بقيّة
الناسِ ، فصار حارثةٌ ومَن معه بنهر تيرى² والشُّرَاة بالأهواز ، فأقاموا ثلاثةَ أيّام . وكان على
الأزد يومئذٍ قَبِيصَةُ بن أبي صُفْرة أخو المُهَلَّب ، وهو جدّ هزَارْمَرْد . قال : وغرق يومئذٍ من
الأزد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ شيوخ الأزد طافيةً لحالها

وقال شاعر آخر منهم :

[من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدر ، والحوادثُ جَمَّةٌ ، والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حَتَمٌ لا محالةً واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحُه نهارةً يَطْرُقُ
فلئن أَمِيرُ المؤمنين أَصابه ريبُ المنون فَمَنْ تُصِيْبه يَغْلِقُ³

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائنيّ في خبره : إنّ صالح بن عبد الله
العَبْشَمِيّ قاتِلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قاتلها عمرو القنا ؛ قال وهب بن جرير عن
أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجعد الوشاء عن أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن أبيه عن وهب بن جرير
عن أبيه : إنّ حبيب بن سَهْم قاتلها :

[من الطويل]

لعمركُ إِنِّي في الحياة لَزَاهِدٌ وفي العيش ما لم أَلْقَ أَمَّ حَكِيمٍ⁴
مِنَ الحَفِرَاتِ البِيضِ لم أَرِ مثلاً شِفَاءَ لِذِي بَثٍّ ولا لِسَقِيمٍ
لعمركُ إِنِّي يومَ الطُّمِّ وجهها على نائباتِ الدَّهْرِ غيرُ حليمٍ
ولو شَهِدْتَنِي يومَ دُولَابٍ أَبْصُرْتُ طِعَانَ فَتَى في الحرب غيرَ لئيمٍ⁵
غَدَاةَ طَفَتْ عِلْماءُ بَكْرُ بن وائلٍ وَالْأَفْهَامُ مِن جَمِيرٍ وسَلِيمٍ⁶

1 دُجَيْل : نهر بالأهواز .

2 تيرى : بلد من نواحي الأهواز .

3 أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق : أي لا ينفلت ولا ينجو من غلق الرهن في يد المرتين .

4 معجم البلدان ، 2 : 485 .

5 غير لئيم في ل : مليم .

6 علماء : يريد على الماء . وسليم : يريد سُليم .

ومالَ الحجازيون نحو بلادهم
وكان لعبد القيس أولُ جدّها
فلم أر يوماً كان أكثرُ مُقْعَصاً¹
وضاربةً خدّاً كريماً على فتى
أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطناً
فلو شهدتنا يومَ ذاك وخيلنا
رأت فتيةً باعوا الإلة نفوسهم
وعُجْنَا صدورَ الخيلِ نحو تميم
وولتْ شيوخُ الأزْدِ فهي تَعُومُ²
يَمُجّ دماً من فائِظٍ وكَلِمٍ³
أغرَّ نجيبِ الأُمّهاتِ كريم
له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حَمِيمٍ⁴
تُبِح من الكُفّارِ كلُّ حريم
بجَنّاتِ عَدْنٍ عنده ونعيم

حدثني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد⁴ الأرقط قال : كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً . فتواقف يوماً عبدة بن هلال اليشكريّ وأبو حزابة⁵ التميمي وهما في الحرب ؛ فقال عبدة : يا أبا حزابة ، إني سألك عن أشياء ، أفتصدّقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تضمّنت لي مثل ذلك ؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عما بدا لك . قال : ما تقول في أُمّتكم ؟ قال : يسيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام . قال : ويحك ؛ فكيف فعلهم في المال ؟ قال : يجبونه من غير حيلة ، ويُنفقونه في غير حقّه . قال : فكيف فعلهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه ماله ، ويمنعونه حقّه ، وينكرون أمّه . قال : ويلك يا أبا حزابة ! أمثّل هؤلاء تتبع ؟! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي ؛ قال : قل . قال : أيّ الخمر أطيبُ : أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك ؛ أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال : قد أوجبتُ على نفسك أن تجيب ؛ قال : أمّا إذ أُيِّتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمر السهل أحسن وألس . قال أبو حزابة : فأَيُّ الزواني أفقره : أزواني رامهرمز⁶ أم زواني أرجان ؟ قال : ويلك ! إن مثلي لا يُسأل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدّر ؛ فقال : أمّا إذ أُيِّتَ فزواني رامهرمز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرجان أحسن أبداناً . قال : فأَيُّ الرجلين أشعر : أجريز أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ؛ أيهما الذي يقول :

[من الكامل]

1 في هذا البيت إقواء .

2 أكثر في ل : أحسن . ومقْعَص : يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه فمات مكانه . والفائِظ : الميت .

3 دير حميم : موضع بالأهواز .

4 هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري صهر يونس بن حبيب النحوي .

5 هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية .

6 رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بخضرموت برودا

قال : جرير ؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى توثبوا وصاروا إلى المهلب محكمين له في ذلك ؛ فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سيأبهما ، عليكم بالشراة فسألوهم إذا تواقفتهم . فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكاً ، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب إلى ذلك ؛ فأخبرني من شهدا أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

• أحيل رأسي قد سمعت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عني ثقله

قال : وهم يقدونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلاً .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافأ الناس ناداهم : ليخرج إلي بعضكم ؛ فيخرج إليه فتيان من العسكر ؛ فيقول لهم : أيما أحب إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له : أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ، فأنشدنا ؛ فيقول لهم : يا فسقة ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ، ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون .

[84] - أخبار سيات ونسبه

[نسبه وتلامذته]

سياطٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمه عبد الله بن وهب ، ويُكنى أبا وهب ، مكّي مولى خُزاعة . وكان مقدّماً في الغناء روايةً وصنعةً ، ومقدّماً في الضرب معدوداً في الضُرَاب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ ، وعنه أخذنا ونقلنا ونقل نظراؤهما الغناء القديم ، وأخذهُ هو عن يونس الكاتب . وكان سيات زوج أمّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء : [من الخفيف]

ما سمعتُ الغناء إلا شَجاني مِنْ سياتٍ وزادَ في وَسْواسي
غَنّني يا سياتُ قد ذهبَ اللي ل غناءٍ يطيرُ منه نُعاسي
ما أبالي إذا سمعتُ غناء لسياطٍ ما فاتني للرؤاسي

والرؤاسي الذي عناه هو عباس بن منقار ، وهو من بني رؤاس . وفيه يقول محمد بن أبان الضبّي :

إذا واخيتَ عباساً فكنُ منه على وَجَلٍ
فتى لا يقبل العذرَ ولا يرغب في الوصلِ
وما إن يتغنّى مَنْ يُواخيه من النبلِ

[سبب تلقيه سيات]

قال حمّاد بن إسحاق : لقب سياتٌ هذا اللقب لأنّه كان كثيراً ما يتغنّى : [من الوافر]

كَانَ مَزاحِفَ الحَيَاتِ فيه قُبيلَ الصبحِ آثارُ السَيّاطِ

[مدح إبراهيم الموصليّ غناه]

وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني هارون بن مخارق¹ عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسوسة الموصليّ ، ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسوسة ، عن حمّاد عن أبيه ، قالوا :

[طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنّه يريد الإيقاع بهم]

غنّى إبراهيم الموصليّ يوماً صوتاً لسياط ؛ فقال له ابنه إسحاق : لمن هذا الغناء يا أبت ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسياط . قال : وقال المهدي يوماً وهو يشرب

لَسَلَامَ الْأَبْرَشِ¹ : جئني بسياط وعقاب وحيال ؛ فارتاع كلُّ مَنْ حضر وظنَّ جميعهم أنه يريد الإيقاعَ بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغني وعقاب المدني - وكان الذي يُوقع عليه - وحيال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

[مرَّبَّي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فعنَى له فشقَّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني محمد بن خلف قال حدَّثني أبو أيوب المدني قال حدَّثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال : مرَّ سياط على أبي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سَمَلٌ ثوب رقيق رَثٌ ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ، غنني صوتك في شعر ابن جُنْدَب :

فؤادي رَهينٌ في هواكِ ومهجتي تذوب وأجفاني عليك هُمولٌ

فغناه إيَّاه ، فشقَّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غناك من شق قميصك ! فقال له يا ابن أخي ، إنَّ الشعر الحسنَ من المغني الحسنِ ذي الصوتِ المطربِ أدقُّ للمقرور من حَمَامٍ مُحَمَّى . فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿فَمَا رِبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا من الذين قال الله تبارك وتعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ . وقد أخبرني بهذا الخبر علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه فذكر قرياً من هذا ؛ ولفظُ أبي أيوب وخبره أتم .

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، المعروف بابن أبي اليسع ، قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة : أنَّ سياطاً مرَّ بأبي ريحانة المدني ، فقال له : بحقَّ القبرِ ومَنْ فيه غنني بلحنك في شعر ابن جُنْدَب :

لكلِّ حَمَامٍ أَنْتَ بَاكِ إِذَا بَكَى	ودمعك منهلٌ وقلبك يخفقُ
مخافةً بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وَهَجْرَةٍ	تكونُ ولَمَّا تَأَتْ وَالْقَلْبُ مُشْفِقُ
ولي مهجة ترفضُّ من خوف غنِّها	وقلبٌ بنار الحبِّ يَصْلَى وَيُحْرِقُ
أَظْلُ خَلِيعاً بَيْنَ أَهْلِي مَتِيماً	وقلبي لِمَا يرجوه منها معلقُ

فغناه إيَّاه ؛ فلمَّا استوفاه ضرب بيده على² قميصه فشقه حتى خرج منه وعُشي عليه .

فقال له رجل لَمَّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقي الخبر مثلاً ما تقدّم .

1 سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية أيام البرامكة .

2 في ل : إلى .

[سمع أبو ريحانة جارية تغني فشقَّ قريتها واشترى لها عوضها]

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة قال : مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قربةً وهي تغني وتقول :

وأبكي فلا ليلي بكت من صباية إليّ ولا ليلي لذي الودّ تبدّل
وأخنع بالعُتبي إذا كنت مُذنباً وإن أذنبت كنتُ الذي أنصَلُ

فقام إليها فقال : يا سيّدتني أعيدي ؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري ؛ فقال : أنا أحملها عنك ؛ فدفعها إليه فحملها ، وغنّته الصوت ، فطرب فرمى بالقربة فشققها . فقالت له الجارية : أئن حقّي أن أغنيك وتشقّ قريتي ؟ فقال لها : لا عليك ، تعاليّ معي إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفَتَهُ واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ .

[مرّ بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو العیاء قال قال إسحاق الموصليّ : بلغني أنّ أبا ريحانة المدني كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميصٌ خلق رقيق ؛ فمرّ به سيات المغني فوثب إليه وأخذ يلجأه وقال له : يا سيّدي ، بحقّ القبر ومنّ فيه غنّني صوت ابن جُنْدَب ، فغناه :

فوادي رهين في هوائك ومهجتي تَذُوبُ وأجفاني عليك همول

فشقّ قميصه حتى خرج منه وبقي عارياً وغشي عليه ، واجتمع الناسُ حوله وسياط واقف متعجبٌ ممّا فعل . ثم أفاق وقام إليه ؛ فرحمه سيات وقال له : ما لك يا أبا مشثوم ؟ أيّ شيء تريد ؟ قال : غنّني بالله عليك :

ودّع أمانة حان منك رَحِيلُ إنّ الوداع لمن تحبّ قليل
مثلُ القضيبي تمايلت أعطافه فالرج تجذب متنه فيميل
إنّ كان شأنكم الدلال فإنه حسن دلالك يا أميم جميل

فغناه إياه ؛ فلطم وجهه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سيات ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ؛ خرقت قميصك وليس لك غيره ؛ فقال : دعوني ، فإنّ الغناء الحسن من المغني المطرب أدقُّ للمقرور من حمّام المهديّ إذا أوقد سبعة أيام . قال : ووجه له سيات بقميص وجبة وسراويل وعمامة .

[زاره إبراهيم الموصلي وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غناؤه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن عبد الله الخزاعي وحماد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال : كان سياطُ أستاذ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر . فاعتلَّ علَّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أغرز عليَّ بعلتك أبا وهب ! ولو كانت مما يُفتدى لفتديك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نعم الأستاذ والسيد . قال : قد غنيتُ لنفسِي ستينَ صوتاً فأحبَّ ألاَّ تغيروها ولا تتحلوها . فقال له أبي : أفعُلْ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أيَّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأقصّر عنه فيعرف فضلك عليَّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأحسنه فينسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك ؟ [قال] : لقد استعفيت من غير مكروه . قال الخزاعي في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خزاعياً ، وكان له زامر يقال له حبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حماد قال أبي : أدركتُ أربعة كانوا أحسنَ الناس غناءً ، سياطٌ أحدهم . قال : وكان موته في أول أيام موسى الهادي .

[زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غناؤه]

أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب عن مصعب قال : دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت ؛ فقال له : ألك حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً .

[دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة]

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني محمد بن حديد أخو النصر بن حديد : أن إخواناً لسياط دعوه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزلهم ، فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه ، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسره ونأنس بقربه فمات فجأة ، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت ، ونشدناك الله ألاَّ تعرضينا للسلطان أو تدعي فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صدقتُم ، وهكذا مات أبوه فجأة . فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفتته . وقد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغني ، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

[غنى أحمد بن المكي إبراهيم بن المهدي صوتاً فاستحسنه]

أخبرنا يحيى بن علي وعيسى بن الحسين الزيات ، واللفظ له ، قال حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن المكي قال : غنيتُ إبراهيم بن المهدي لسياط : [من الخفيف]

ضافَ قلبي الهوى فأكثر سهوي

فاستحسنه جداً ، وقال لي : مَنْ أَخَذَتْهُ ؟ قلت : من جارية أليك قُرَشِيَّةَ الزَّبَاءِ ؛ فقال :
أُشْعِرْتُ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي ثَلَاثُ جَوَارٍ مُحْسِنَاتٍ كُلُّهُنَّ تَسْمَى قُرَشِيَّةً ، مِنْهُنَّ قُرَشِيَّةَ الزَّبَاءِ وَقُرَشِيَّةُ
السُّودَاءِ وَقُرَشِيَّةُ الْبَيْضَاءِ ، وَكَانَتْ الزَّبَاءُ أَحْسَنَهُنَّ غَنَاءً ، يَعْنِي الَّتِي أَخَذْتُ مِنْهَا هَذَا الصَّوْتُ ،
قَالَ : وَكَنتُ أَسْمَعُهَا كَثِيراً قَوْلُ : قَدْ سَمِعْتُ الْمَغْنِينَ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَتَفَقَّدْتُ أَغَانِيَهُمْ ، فَمَا
رَأَيْتُ فِيهِمْ مِثْلَ سِيَاطٍ قَطُّ . هَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ رَوَايَةِ عَيْسَى بْنِ الْحُسَيْنِ خَاصَّةً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

ضَافَ قَلْبِي الْهُوَى فَأَكْثَرَ سَهْوِي وَجَوَى الْحُبِّ مُفْطِئٌ غَيْرُ حُلُوٍ
لَوْ عَلَا بَعْضُ مَا عَلَانِي ثَبِيرًا ظَلَّ ضَعْفًا ثَبِيرٌ مِنْ ذَاكَ يَهْوِي
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى الْغَوَانِي خَلِيًّا يَا ثِقَاتِي فَإِنِّي غَيْرُ خَلُوٍ
الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يَا أُمَّ عَمْرٍو لَقَدْ طَالَبْتُ وَدَّكُم جُهِدِي وَأَعْذَرْتُ فِيهِ كُلَّ إِعْذَارٍ
حَتَّى سَقِمْتُ ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ سَالِمَةً مِمَّا أَعَالَجَ مِنْ هَمٍّ وَتَذْكَارٍ
لَمْ يُسَمِّ قَائِلُ هَذَا الشَّعْرَ . وَالْغَنَاءُ لِلرَّطَابِ . وَالرَّطَابُ مَدَنِيٌ قَلِيلُ الصَّنْعَةِ لَيْسَ بِمَشْهُورٍ .
وَقِيلَ لَهُ الرَّطَابُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الرُّطْبَ بِالْمَدِينَةِ . وَلَحْنُهُ الْمَخْتَارُ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلَع البسيط]

تَصَدَّعَ الْإِنْسُ الْجَمِيعُ أَمْسَى فَقَلْبِي بِهِ صُدُوعٌ¹
فِي إِثْرِهِمْ وَجَفُونُ عَيْنِي مُخْضَلَّةٌ كُلُّهَا دُمُوعٌ

لم يُسمَ لنا قائل هذا الشعر ولا عرفناه . والغناء لدُكين بن يزيد الكوفي . ولحنه المختار من خفيف الثقل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للوائح . وذكر هذا الصوت في مُجرّد شجافنسه إلى دكين ، وجنّسه في الثقل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنّه ينسب إلى معبد وإلى الغريض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سيمَ عنك صبراً كلّف ما ليس يستطيعُ

عاصِر لمن لام في هواكم وهو لكم سامعٌ مطيعٌ

ولم أجد لدكين بن يزيد هذا خيراً ولا له شهرة غيره من المغنين .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا أيّها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ

لا تَعْتَبَنَّ على الزما نِ فليس يُعَيِّبك الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العروضي . والغناء لُنبيه المغني ، ولحنه المختار ثقل أول بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنّه وقع إليّ له خبرٌ إلّا ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السّميدع ، مولى قریش ، من أهل البصرة . وأخذ العروض من الخليل بن أحمد ، فكان مقدّماً فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدّب أولادهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثر شعره فيهم . وهو مُقلّ جداً . وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزّين العروضي فأتى فيه ببدائع جمّة ، وجعل أكثر شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرته .

[85] - ذكر نبيه وأخباره

[نسبه وأصله وشعره وسبب تعلّمه الغناء]

زعم ابن خُرّاذبَه أنه رجل من بني تَمِيم صَلِيبِيَّة ، وَأَنْ أَصْلَهُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ
أَمْرِهِ شَاعِرًا لَا يَغْنِي ، وَيَقُولُ شِعْرًا صَالِحًا . فَهُوَ قَيْنَةٌ بَغْدَادِ فَتَعَلَّمَ الْغِنَاءَ مِنْ أَجْلِهَا وَجَعَلَهُ
سَبَبًا لِلدُّخُولِ عَلَيْهَا ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَتَزَيَّدُ حَتَّى جَادَ غِنَاؤُهُ وَصَنَعَ فَأَحْسَنَ وَاشْتَهَرَ ، وَدَوَّنَ غِنَاؤَهُ
وَعُدَّ فِي الْمُحْسِنِينَ . فَمِمَّا قَالَهُ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ وَغَنَّى فِيهِ قَوْلُهُ :

[من الكامل]

صوت

يَا رَبِّ إِنِّي مَا جَفَوْتُ وَقَدْ جَفْتُ فَإِلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رَبَّاهُ
مَوْلَاةٌ سَوَاءٌ مَا تَرَقُّ لَعِبْدَهَا نَعْمَ الْغَلَامُ وَيَسْتِ الْمَوْلَاةُ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ حَيَاتِي هَكَذَا ضَرًّا عَلَيَّ فَمَا أُرِيدُ حَيَاةُ

الغناء لَنَبِيَّهِ ثَانِي ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسِبُ الشَّعْرَ وَالْغِنَاءَ إِلَى
عُلْيَا بِنْتِ الْمَهْدِيِّ .

[سمع مخارق مدح إبراهيم الموصلي لغنائه]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : قُلْتُ لِمَخَارِقَ ، وَقَدْ غَنَّى هَذَا
الصَّوْتُ يَوْمًا :

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِّبُكَ الْمَظَالِمُ¹
فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ هُوَ ؛ فَقَالَ : هَذَا لَنَبِيَّهِ التَّمِيمِيِّ ؛ وَكَانَ لَهُ إِخْوَانٌ يُقَالُ لَهُمَا مُنْبَهُ وَنَبْهَانُ ، وَكَانَ
يَنْزِلُ شَهَارَسُوجَ² الْهَيْثِمِ فِي دَرْبِ الرِّيحَانِ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَسَمِعْتُ مَخَارِقًا يَحْدُثُ إِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَيْمُونٍ يَقُولُ وَقَدْ ذَكَرَ نُبِيَّهَا : إِنْ عَاشَ هَذَا الْغَلَامُ ذَهَبَ
خَبْرُنَا . قَالَ : وَكُنْتُ قَدْ غَنَيْتُهُ صَوْتًا أَخَذْتَهُ عَنْهُ ، وَهُوَ :

[من الطويل]

شَكُوتُ إِلَى قَلْبِي الْفِرَاقَ فَقَالَ لِي مِنْ الْآنَ فَايَأْسَ لَا أَغْرُكَ بِالصَّبْرِ

1 هذا البيت من قصيدة لعمر بن براق الشاعر .

2 شهارسوج الهيثم : محلة من محال بغداد .

إذا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْلَمَنِي الْعِزَّاءُ فُفْرَقَ مَنْ أَهْوَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ
 أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَعْدٍ¹
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُفَضَّلِ قَالَ : اصْطَبَحْنَا يَوْمًا أَنَا وَنُبَيْهِ عِنْدَ
 عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانَ ، فَغَنَانَا نُبَيْهِ لَحْنَهُ :

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ زَانَ مَنْطِقَهُ الْبَيَانُ
 فَمَا سَمِعْتَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَكَانَ صَوْتُنَا عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا . ثُمَّ أَرَدْنَا الْإِنْصِرَافَ ، فَسَأَلْنَا
 عُبَيْدَ اللَّهِ أَنْ نُبَيِّتَ عِنْدَهُ وَنَصْطَبِحَ مِنْ غَدٍ فَأَجَبَنَا . وَقَالَ لِنُبَيْهِ : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي أَنْ يُصْلَحَ
 لَكَ ؟ قَالَ : تَشْتَرِي لِي غَزَالًا فَتُطْعَمَنِي كَبَدَهُ كِبَابًا ، وَتَجْعَلَ سَائِرَ مَا آكَلَهُ مِنْ لَحْمِهِ كَمَا
 تَحِبُّ ؛ فَقَالَ : أَفْعَلُ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَاءَهُ بَغْزَالٌ فَأَصْلَحَهُ كَمَا أَحَبَّ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى أَكَلَهُ
 اسْتَلْقَى لِيَنَامَ ، فَحَرَّكَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَزَعْنَا مِنْ ذَلِكَ . وَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى أُمِّهِ فَجَاءَتْ
 فَأَخْبَرَهَا بِخَبَرِهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ اسْتَرْجَعَتْ² ثُمَّ قَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ ؛ هُوَ رَابِعٌ أَرْبَعَةٌ وَلَدَتْهُمْ
 كَانَتْ هَذِهِ مَيِّتَهُمْ جَمِيعًا وَمَيِّتَةُ أَبِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ؛ فَسَكَنَّا إِلَى ذَلِكَ . وَغُسِّلَ فِي دَارِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 وَأُصْلِحَ شَأْنُهُ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ، وَمَضَيْنَا بِهِ إِلَى مَقَابِرِهِمْ فَدُفِنَ هُنَاكَ .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِسُعْدَى وَعَبَّرْتَنِي تَرَقَّرَقُ فِي الْعَيْنَيْنِ ثُمَّ تَسِيلُ
 أَسْأَلُ رُبْعًا قَدْ تَعَفَّتْ رِسْمُهُ عَلَيْهِ لِأَصْنَافِ الرِّيحِ ذُبُولُ³
 لَمْ يُسَمِّ لَنَا قَائِلَ هَذَا الشَّعْرِ . وَالْغَنَاءُ لِسُلَيْمٍ هَزَجٌ خَفِيفٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ
 إِسْحَاقَ .

1 هو عبد الله بن أبي سعد .

2 استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

3 الذبُول من الريح : ما تتركه في الرمل كَأَثَرِ ذَيْلِ مَجْرُورٍ .

[86] - أخبار سليم

[انقطع إلى إبراهيم الموصلي وهو أمرد فأحبّه وعلمه]

هو سليم بن سلام الكوفي ، ويكنى أبا عبد الله . وكان حسن الوجه حسن الصوت . وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي ، فمال إليه وتعشقه ، فعلمه وغناه وناصحه ، فبرع وكثرت روايته ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوّه ويطعن عليه . واتفق له اتفاق سيء : كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح بن العوزاء وحكم الوادي فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس ، فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه : أن إسحاق قال في سليم : [من الطويل]

سليم بن سلام على برد خلقه أحر غناء من حسين بن مخرز

[سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق : أن الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لكمة ما تقول في ابن جامع ؟ قال : زق من أسل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيزيد حوزاء ؟ قال : ما أبيض أسنانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فحسين بن مخرز ؟ قال : ما أحسن خطامه ! (يريد ما أحسن خضابه) . قال : فسليم بن سلام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

[نصح برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد]

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبة عن إسحاق : وغنى سليم يوماً وبرصوما يزمر عليه بين يدي الرشيد ، فقصر سليم في موضع صيحة ، فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله ، صيحة أشد من هذا ، صيحة أشد من هذا ؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أذكر أنني ضحكت قط أكثر من ذلك اليوم .

[كان يجيد الأمزاج فغنى الرشيد فوصله]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب : إنما أحرّ سلماً عن أصحابه في الصنعة وكعّه بالأمزاج ، فإن ثلثي صنعته هزج ، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنى سليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولأء ، أولها : [من الرمل]

مُتْ عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ أَسْفَا

[من السريع]

والثاني :

أُسْرِفَتْ فِي الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرِ

[من مخلّع البسيط]

والثالث :

أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ نُدُوبُ

فَأُطْرِبُهُ وَأَمْرُ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، وَقَالَ [له] : لَوْ كُنْتُ الْحَكَمَ الْوَادِي مَا زِدْتُ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانَ فِي أَهْزَاجِكَ . (يعني أَنَّ الْحَكَمَ كَانَ مُنْفَرِداً بِالْهَزَجِ) .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من الرمل]

لَسْتُ مِنْهُ بِمُصِيبٍ خَلْفَا	مُتْ عَلَى مَنْ غَبَتْ عَنْهُ أَسْفَا
أَوْ تَرَى نُحُومَهُمْ مُنْصَرَفَا	لَنْ تَرَى قُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدَا
حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى	قَلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجَدِي بِهِمْ
مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا	بَيْنَ الدَّمْعِ لَمَنْ أَبْصَرْنِي

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسُليم ، وله فيه لحنان ، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفٌ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو .

[من السريع]

ومنها :

صوت

وَجُرْتُ حَدَّ التَّيِّهِ وَالْكَبْرِ	أُسْرِفَتْ فِي الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرِ
سُلِّمَ ذِي الْغَدْرِ إِلَى الْغَدْرِ	الْهَجْرُ وَالْإِعْرَاضُ مِنْ ذِي الْهَوَى
مَرًّا عَلَى رَأْسِي مِنَ الْهَجْرِ	مَالِي وَلِلْهَجْرَانِ حَسْبِي الَّذِي
مَا عَرَّفَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ	وَدُونَ مَا جَرَّبْتُ فِيمَا مَضَى

الغناء لسُليم هَزَج بالبنصر .

[من مخلّع البسيط]

ومنها :

صوت

أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ نُدُوبُ أَنْدَبَهُ الشَّادِنُ الرَّيْبُ
تَمَادِيًا مِنْهُ فِي التَّصَابِي وَقَدْ عَلَا رَأْسِي الْمَشِيبُ
أَظَنَنْتَنِي ذَائِقًا حِمَامِي وَأَنَّ إِمَامَهُ قَرِيبُ
إِذَا فَوَّادٌ شَجَاهُ حُبُّ فَقَلَّمَا يَنْفَعُ الطَّيِّبُ

الشعر لأبي نَواس . والغناء لسُليم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشامي . وزَعَمْتُ بَذُلَّ أَنَّ الهزج لها .
[كان أبوه من دُعاة أبي مسلم]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مَخَارِقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
كَانَ سُلَيْمُ بْنُ سَلَامٍ كُوفِيًّا ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَدُعَاتِهِ وَثِقَاتِهِ ،
فَكَانَ يَكَاتِبُ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَى يَدِهِ . وَكَانَ سُلَيْمٌ حَسَنَ الصَّوْتِ جَهِيرَهُ ، وَكَانَ بِخِيَلًا .
[دعا صديقين ولما جاعا اشتريا طعاماً فأكل معهما]

قال أحمد بن أبي طاهر وحَدَّثَنِي أَبُو الْحَوَاجِبِ الْأَنْصَارِيُّ ، واسمه مُحَمَّدٌ ، قال : قال لي سُلَيْمٌ
يَوْمًا : امضْ إِلَى مُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ فَادْعُهُ وَوَأْفِيَانِي مَعَ الظَّهْرِ ؛ فَجِئْنَاهُ مَعَ الظَّهْرِ ، فَأَخْرَجَ
إِلَيْنَا ثَلَاثِينَ جَارِيَةً مُحْسِنَةً وَنَبِيذًا ، وَلَمْ يُطْعَمْنَا شَيْئًا ، وَلَمْ نَكُنْ أَكَلْنَا شَيْئًا . فغَمَزَ مُوسَى غَلَامَهُ
فَذَهَبَ فَاشْتَرَى لَنَا خَبْزًا وَبَيْضًا ، فَأَدْخَلَهُ إِلَى الْكَئِيفِ وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا رَأَى
نَأْكُلُ غَضِبَ وَخَاصَمْنَا وَقَالَ : أَهَكَذَا يَفْعَلُ النَّاسُ ؟ تَأْكُلُونَ وَلَا تُطْعَمُونَنِي ؟ وَجَلَسَ مَعَنَا فِي
الْكَئِيفِ يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ وَاحِدٌ مِّنَّا حَتَّى فَنِيَ الْخَبْزُ وَالْبَيْضُ .
[طلب من مُحَمَّدُ الْيَزِيدِيُّ نَظْمَ شَعْرِ يَغْنِي بِهِ الْخَلِيفَةُ ففعل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ
سُلَيْمُ بْنُ سَلَامٍ صَدِيقِي وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَغْشَانِي . فَجَاءَنِي يَوْمًا وَأَعْلَمَنِي الْغَلَامُ بِمَجِيئِهِ ، فَأَمَرْتُ
بِإِدْخَالِهِ ، فَدَخَلَ وَقَالَ : قَدْ جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ ؛ فَقُلْتُ : مَقْضِيَّةٌ . فَقَالَ : إِنَّ الْمِهْرَجَانَ بَعْدَ غَدٍ ،
وَقَدْ أَمَرْنَا بِحُضُورِ مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أُغْنِيَهُ لِحْنًا أَصْنَعُهُ فِي شَعْرٍ لَمْ يَعْرِفْهُ هُوَ وَلَا مَنْ
بِحَضْرَتِهِ ، فَقُلْتُ أَيْبَاتًا أُغْنِي فِيهَا مِلَاحًا ؛ فَقُلْتُ : عَلَى أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي وَتَصْنَعَ بِحَضْرَتِي اللَّحْنَ ؛
قال : أَفْعَلُ . فَرَدُّوا دَابَّتَهُ وَأَقَامَ عِنْدِي ، وَقُلْتُ :

أَتَيْتُكَ عَائِذًا بِكَ مِنْ لَمَّا ضَاقتَ الْحَيْلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحْنِي يُضْرِبُ الْمَثَلُ

[من مجزوء الكامل]

فإن سَلِمْتُ لكم نفسي فما لاقِيْتُهُ جَلَلُ
وإن قَتَلَ الهوى رجلاً فإنِّي ذلك الرجلُ

فغَنَى فيه وشرِّبنا يومئذٍ عليه ، وغَنَّا عِدَّةَ أصوات من غَنائه ، فما رَأَيْتُه مذ عرَفته كان أنشطَ منه يومئذٍ .

[سرق محمدُ اليزيديّ معنيين من شعر مسلم بن الوليد]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن داود بن الجَرَّاح قال حَدَّثَنِي عبد الله بن مُحَمَّد اليزيديّ قال حَدَّثَنِي أَخِي مُحَمَّد قال : سمعتُ أَبِي يقول : ما سَرَقْتُ من الشعر قطُّ إلاّ معنيين : قال مسلم بن الوليد :

ذاك ظبِّي تحيّرُ الحسَنُ في الأر كانِ منه وجمالُ كلِّ مكانِ
عرضتُ دونَه الحجالُ فما يَدُ قاكِ إلاّ في النّومِ أو في الأماني

فاستعرتُ معناه فقلت : [من مجزوء الرمل]

صوت

يا بعيدَ الدّارِ موصو لأ بقلبي ولساني¹
ربّما باعَدَكَ الدهر رُ فادنتُك الأماني

الغناء في هذين البيتين لسُليم هزج بالنصر عن الهشاميّ .

قال : وقال مسلم أيضاً :

[من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيل أرضٍ فإنِّي ذلك الرجلُ القَتيلُ

ويُروى : «أُصِيبَ فإنِّي ذاك القَتيلُ» فقلت :

[من مجزوء الكامل]

أتيتُكَ عائداً بك مِن ك لما ضاقت الحِيلُ
وصيّرني هواك وبى ليحْنِي يَضْرِبُ المثلُ
فإن سَلِمْتُ لكم نفسي فما لاقِيْتُهُ جَلَلُ
وإن قَتَلَ الهوى رجلاً فإنِّي ذلك الرجلُ

[غنى مخارقاً صوتاً ، فلما بلغ ابن المهديّ طلبه وغناه إياه]

وجدت في كتاب عليّ بن مُحَمَّد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل ، ولم أسمع من أحد : أن إبراهيم بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبّحوا عنده ، قال حمدون : وكنتُ فيهم ،

1 نسبت هذه الأبيات ليحيى بن المبارك اليزيديّ في وفيات الأعيان لابن خلكان 344/2 .

وكان فيمن دعا مُخارق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب ، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيتها الأمير ، ما كان آفتي إلا سليم بن سلام ؛ فإنه مرَّ بي فدخل عليَّ فغَنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتى لم يبقَ في فضلٍ وأخذته . فقال له إبراهيم : فغَنّناه إملالاً¹ ، فغَنّاه :

صوت

إذا كنتَ نذماني فباكرٌ مُدَمَّةٌ معتقةٌ زُفَّتْ إلى غيرِ خاطبِ
إذا عُنَّتْ في ذَنِّها العامَ أَقْبَلْتُ تَرَدَّى رداءَ الحسنِ في عينِ شاربٍ²
الغناء لسليم خفيف ثقیل مطلق في مجرى البصر قال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره ، فغَنّاه إياه وطرحه على جواربه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صرنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبَا ومن السَّفاهةِ والعلاقِ
وَحَطَّطْتُ رحلي عن قَلْوِ ص الحبِّ في قُلُوصِ عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزارِي الـ مجرور عن قدمي وساقِي
وكففتُ غربَ النفسِ حتَّى ما تُتَوَقُّ إلى مِتاقِ
لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عبَّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقیل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفٌ ثقیل ، وقيل : إنه لغيره ، بل قيل : إنه لعمر .

1 يريد : غَنّنا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .

2 تَرَدَّى فلان : لبس الرداء .

[87] - أخبار ابن عبّاد

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمد بن عبّاد ، مولى بني مخزوم ، وقيل : إنه مولى بني جُمَح ، ويُكنى أبا جعفر . مكّي ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء ، مُتَقِن الصنعة كثيرها . وكان أبوه من كتّاب الدِّيوان بمكة ؛ فلذلك قيل ابن عبّاد الكاتب .

[قلبه مالك وطلب منه الغناء ففعل فنّمه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شُبّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفِيّ عن أبي خالد الكِنَانِيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال : والله إنّي لأمشي بأعلى مكة في الشعب¹ ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننتُ أنّهم قالوا له : هذا ابن عبّاد ؛ فمال إليّ فمِلْتُ إليه ؛ فقال لي : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم ؛ قال : ملّ معي هاهنا ، فملت معه ؛ فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهليز ابن عامر وقال : غنّني ؛ فقلت : أغنيك هكذا وأنت مالك ! وقد كان يبلغني أنّه يثلبُ أهل مكة ويتعصّب عليهم ، فقال : بالله إلا غنّيتني صوتاً من صنعتك . فاندفعتُ فغنّيته :

صوت

ألا يا صاحبي قفا قليلاً على ربع تقادم بالمنيّف²
فأمستُ دورهم شحِطتْ وبانت وأضحى القلبُ يخفيقُ ذا وجيف
وما غنّيته إياه إلا على احتشام . فلمّا فرغتُ نظر إليّ وقال لي : قد والله أحسنت ! ولكنّ حَلَقَكَ كأنّه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُ . وهذا اللحنُ من صدور غناء ابن عبّاد . ولحنه من الثقليل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 في ل : العشر .

2 المنيف : موضع وهو ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز وقيل : حصن باليمن .

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني جماعة من أهل العلم : أنَّ ابنَ عبّاد الكاتب توفّي ببغداد في الدولة العبّاسيّة ودُفن بباب حرب¹ . وقال أبو أيوب : أظنه فيمن قديم من مُعني الحجاز على المهديّ .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا طلاً غيّرهُ بَعْدِي صوبُ ربيع صادق الرعدِ
أراك بعد الأنسِ ذا وَحْشَةٍ لستَ كما كنتَ على العهدِ²
ما لي أبْكِي طلاً كلّما ساءلته عني عن الردِّ
كان به ذو غنْجٍ أهيفُ أخورُ مطبوعٌ على الصّدِّ
لم يُسمَّ أبو أحمد³ قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

1 باب حرب : موضع ببغداد .

2 ذا في ل : في .

3 أبو أحمد هو يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم .

[88] - أخبار يحيى المكي ونسبه

[اسمه وكنيته وكنمائه ولأبيه أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس]

هو يحيى بن مرزوق ، مولى بني أمية ، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه ؛ فإذا سئل عن ولائه انتمى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولأوه لهم ، واستعفى من سألته عن ذلك . ويكنى يحيى أبا عثمان . وذكر ابن خرداذبة أنه مولى خزاعة . وليس قوله مما يحصل ، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية .

أخبرني عبد الله بن الربيع أبو بكر الربيعي صديقنا رحمه الله قال حدثني وسوسة بن الموصلي ، وقد لقيت وسوسة هذا ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً ، ولم أسمع هذا منه فكتبته وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه الله ، قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي : سألت يحيى المكي عن ولائه ، فانتمى إلى قريش ؛ فاستزده في الشرح فسألني أن أعفيه .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا أبو أيوب المدني قال : كان يحيى المكي يكنى أبا عثمان ، وهو مولى بني أمية ، وكان يكتم ذلك ويقول : أنا مولى قريش .

[مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان]

ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان :

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم	لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته	أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصحبته	يا ليت دحمان قبل الموت غنانا ¹

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنها لأبان ، وما أظن ابنه أدرك يحيى :

[من البسيط]

يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه	على المغنين طراً قلت بهتانا
لو كنت جالست يحيى أو سمعت به	لم تمتدح أبداً ما عشت إنسانا

ولم تقل سَفَهَا في مُنِي عَرَضْتُ يا ليت دَحمانَ قبل الموت غَنَّا
لقد عَجِبْتُ لدَحمانٍ ومادِحِه لا كان مادِحُ دَحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جَرِيَا بل قام في غاية المجرى وما دَانِي
بذَّ الجِيادَ أبو بكرٍ وصيَّرها من بعدِ ما قَرَحْتَ جُدْعاً وثُنَيانا¹
يعني بأبي بكر ابن صغير العين ، وهو من مغني مكة . وله أخبار تُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى .

[منزله في الغناء وتلاميذه]

وعُمِّر يحيى المكي مائة وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قديم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته ، فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يَخْلِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي ، وكان يغني مرتجلاً ، ويحضر مجلس المتعمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة . ولقيته جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات ، منهم قمرية العمريّة ، وكانت أم ولد عمرو بن بانة . وممن أدركه من أصحابنا جَحْظَة ، وكتبنا عنه عن ابن المكيّ هذا حكايات حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفلّج يفزعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعاين بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه ويغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها وأجناسها كبير جليل مشهور ، إلا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعمل على كتاب ابنه أحمد ، فإنه صحّح كثيراً مما أفسده أبوه ، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه ، وحقق ما نسبته من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

[عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر فصحه ابنه محمد بن عبد الله]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثني وسوسة بن الموصلي قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال : عمل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شاب حديث السن ، فاستحسنه وسرّ به ؛ ثم عرضه على إسحاق فعرّفه عواراً كثيراً في نسبته ، لأنّ جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبته صوت البتّة ، وينسب صنّعه إلى المتقدّمين ، وينحل بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله وبقي في خزائنه ؛ ثم وقع إلى

1 فرح الفارس : صار قارحاً وهو الذي شقّ نابه وطلع . الجذع : ما كان في الثانية من سنه . وثنيان جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه .

محمد بن عبد الله ، فدعا أبي ، وكان إليه محسناً وعليه مفضلاً ، فعرضه عليه ؛ فقال له : إن في هذه النسب تخليطاً كثيراً ، خلطها أبي لضعفه بهذا الشأن على الناس ، ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيره فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم . وصحح له الكتاب الأول أيضاً فهو في أيدي الناس . قال وسواسة : وحدثني حماد أن أباه إسحاق كان يقدم يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويفضله ويناضل أباه وابن جامع فيه ، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحد منكم من أحد أمرين : إما أن يكون مُحَقَّقاً [فيه] كما يقول ، فقد علم ما جهلتم ، أو يكون من صنعته وقد نخله المتقدمين ، كما تقولون ، فهو أفضل [له] وأوضح لتقدمه عليكم . قال : وكان أبي يقول : لولا ما أفسد به يحيى المكيّ نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك ، لما تقدمه أحد . وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً ، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبه فيه بالغريض مرة وبمبعد أخرى وابن سريج وابن مُحَرِّز ، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشبهه على سامعه ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه] من ذلك ، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها ، وليس أحد يعرفها ؛ فيسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل ، فلا يُشَكُّ في قوله ، ولا يُبْتِغى لمباراته أحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مظانّه ودوّنه ، وكشف عوار يحيى في منحولاته وبينها للناس .

[أظهر إسحاق غلظه فأرسل له هدايا وعاتبه]

أخبرني عمي [قال] سمعتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ ، وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القواد ، قال : حضرتُ يحيى المكيّ يوماً وقد غنى صوتاً فسُئِلَ عنه فقال : هذا للمالك ، ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ، ثم غنى لحناً للمالك فسُئِلَ عن صانعه فقال : هذا لي ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا ؟ فديتك ، وتضاحك به . فسُئِلَ عن صانعه فأخبر به ، ثم غنى الصوت . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثم غنى بعد ساعة في الثقل الأول ، واللحن :

صوت

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلَا وَأَرَادَ غِيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلَا
فَظَلَّلْتَ تَأْمُلُ قَرَبَ أَوْتِهِمْ وَالنَفْسُ مِمَّا تَأْمُلُ الْأَمَلَا

فُسِّلَ عنه فنسبه إلى الغريص ، فقال له إسحاق : يا أبا عثمان ، ليس هذا من نَمَطِ الغريص ولا طريقتة في الغناء ، ولو شئتَ لأخذتَ مَالَكَ وتركتَ للغريص ماله ولم تَتَعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيَّةَ يومه . فلَمَّا انصرف بعثَ إلى إسحاق بالطَّافِ كثيرةً وبرَّ واسع ، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له : لستُ من أقرانك فُضادني ، ولا أنا مَن يتصدَّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني ، ولأنت إلى أن أُفِيدَكَ وأُعْطِيكَ ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتَسْمُو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني ، فأعطي غيرك سلاحاً إذا حمَّله عليك لم تقم له ، وأنت أولى وما تختار . فعرف إسحاق صدقَ يحيى ، فكتب إليه يعتذر ، وردَّ الألفاظَ التي حملها إليه ، وحلف لا يعارضه بعدها ، وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد ؛ فوفى له بها ، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان إذا حزبه أمرٌ في شيء منها فَرَّعَ إليه فأفاده وعاونوه ونصَّحوه ؛ وما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك . وحذَّره يحيى ، فكان إذا سُئِلَ بحضرته عن شيء صدَّق فيه ، وإذا غاب إسحاق خلَّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحته ، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنتُ أبخلُ به عليك فضلاً عن غيرك ؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصباً شديداً ، ويصفه ويقدمه ويعترف برياسته ، وكذلك كان في وصف أحمد ابنه وتقريظه .

[عدد أصواته التي صنعها]

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يُقَارَبْ فيها أحد ، والباقي متوسط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد بن يحيى المكيَّ عنه أنه سُئِلَ عن صنعة أبيه فقال : الذي صحَّ عندي منها ألف وثلاثمائة صوت ، منها مائة¹ وسبعون صوتاً غَلَبَ فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدَّم منهم ومَنْ تأخَّر ، فلم يُقم له فيها أحد .

[كان ينسب الأصوات عمداً لغير أصحابها فافضح أمره]

وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي : كان يحيى المكيُّ يُسأل عن الصوت ، وهو يعلم لمن هو ، فينسيه إلى غير صانعه ، فيحمل ذلك عنه كذلك ، ثم يسأله آخرون فينسيه غير تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلَّ تحفظه ، فظهر غواره ، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

[أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد]

وقال أحمد بن سعيد المالكي في خبره : قال إسحاق يوماً للرشيد ، قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي في ما ينسبه من الغناء : أتحب يا أمير المؤمنين أن أريه كذب يحيى فيما يدعيه من روايته ؟ قال نعم . قال : أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه ، وأسألني بحضرة يحيى عن نسبته فأني سأنسيه إلى رجل لا أصل له ، وأسأل يحيى عنه إذا غنيت ، فإنه لا يمتنع من أن يدعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغاناه الرشيد ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه . فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنت لقيت غناديس المديني ؟ قال : نعم ، لقيته وأخذت عنه صوتين ؛ ثم غنى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق [ثلاثاً] وعنى جواريه : أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس ، ولا سمع به في المغنين ولا غيرهم ، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

[علم إسحاق صوتاً غناه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال : غنى جدِّي يوماً بين يدي الرشيد :

صوت

هل هيَجَتِكَ مَغانِي الحَيِّ والدُّورُ فاشتَقَّتْ إنَّ الغَريبَ الدارِ معذورُ
وهل يَحِلُّ بنا إذ عِشْنَا أُنُقُ بيضُ أوانِسُ أمثالُ الدُّمى حورُ

والصنعة له خفيفٌ ثقيلٌ ، فسار إليه إسحاق وسأله أن يعيده إياه ؛ فقال : نعم ، حباً وكرامةً لك يا ابن أخي ، ولو غيرك يروم ذلك لبعده عليه ؛ وأعادته حتى أخذه إسحاق . فلما انصرف بعث إلى جدِّي بتخت¹ ثياب وخاتم ياقوت نفيس .

[دس له إبراهيم بن المهدي من أخذ عنه صوتاً بشمن غال]

حدثني جحظة قال حدثني القاسم بن زُرُور عن أبيه عن موله علي بن المارقى قال : قال لي إبراهيم بن المهدي : ويحك يا مارقى ؛ إن يحيى المكي غنى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينب ، وقد كان النبيذ أخذ مني فأنسيْتُ شعره ، واستعدته إياه فلم يعده ، فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سبق² . فقال لي المارقى ، وأنا يومئذ غلامه ،

1 التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

2 سبق : الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه .

أذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليوم عندي ؛ فمضيت إليه فجثته به . فلمّا تغدّوا وُضع النبيذ ؛ فقال له المارقي : إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه زينب وأنا أحبُّ أن آخذه منك ، وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنه إلّا بحذر ، ولا يدع الطلب والمسالّة ، ولا يُلقِي صوتاً إلّا بعوض . قال لي جمحظة في هذا الفصل : هذا فديتك فعلٌ يحيى مع ما أفاده من المال ، ومع كرم منّ عاشره وخدمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفل إن جئناهم نكارمهم¹ تغافلوا عنّا ، وإن أعطونا النّزّ اليسير منّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومني أن أشتيمهم ؟ فقلتُ : ما عليك لوم . قال : فقال له يحيى : وأي شيء العوض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوت ؟ قال : ما تريد ؛ قال : هذه الزّريّة² الأرمنيّة ، كم تقعد عليها ! أمّا أن لك أن تملّها ؟ قال : بلى ، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة ، وأنا مكّي لا أنت ، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك ، وأمر بحملها معه . فلمّا حصّلت له ، قال المارقي : يا غلام ، هات العود ؛ قال يحيى : والميزان والدرهم ، وكان لا يغني أو يأخذ خمسين درهماً ، فأعطاه إياها ؛ فألقى عليه قوله : [من الطويل]

بزينب أليم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

ولحنه لكردم ثقيلٌ أول ، فلم يشك المارقي أنّه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته . فبكر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت ، فقال له : قد جئتُك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إياه ؛ فقال له : لا والله ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً . فلمّا دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليت بين دَعَوَاتِك لي ، ولم تكن برّاً ولا وصولاً ، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلّا محبتي للأخذ عنك والاعتباس منك ؛ فقال : سرّك الله ، فمّة . قال : تذكّرتُ الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت عليّ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكّر الصوت . قال : أفعل ، ثم اندفع فغنّاه : [من البسيط]

أليم بزينب إن البين قد أفدا قلّ الثواء لكن كان الرحيل غداً³

والغناء لمبعد ثقيل أول فقال له : نعم ، فديتك يا أبا عثمان ، هذا هو ، ألقي عليّ ؛ قال : العوض ؛ قال : ما شئت ؟ قال : هذا المطرف الأسود ؛ قال : هو لك . فأخذه وألقى عليه هذا الصوت حتى استوى له ، وبكر إلى إبراهيم ؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيتُ

1 في ل : مكارمة .

2 الزريّة : واحدة الزراني وهي البُسط .

3 أفد : دنا .

الحاجة ؛ فدعا له بعود فغناه ؛ فقال : خدعك والله ، ليس هذا هو ؛ فعاودَ الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تعطيه إياه فني ذمتي . فلما كان اليوم الثالث بعث بي إليه ، فدعوته وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فما لك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان ، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ ؛ فقال له : لستُ أعلم ما في نفسك فأذكره ، وإنما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمسْتَ حتى لا يبقى عندي زينبُ البتّة إلا أحضرتها ؛ فقال : هاتِ على اسم الله ؛ قال : اذكرِ العِوضَ ؛ قلت : ما شئتَ ؛ قال : هذه الدُّرّاعة الوُشْيُ التي عليك ؛ قال فخذها والخمسين درهم ، فأحضرها . فألقى عليه والغناء لمعبد ثقیلٌ أوّل : [من الطويل]

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هدوءاً إذا التجمُّ أرجحتَ لواحقه¹

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم ، فصادفه يشرب مع الحُرْم ؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل ؛ فقال : قل له : قد جئتُك بحاجتك . فدخل فأعلمه ؛ فقال : يدخلُ فيغنيهِ في الدار وهو قائم ، فإن كان هو وإلا فليخرج ، ففعل ؛ فقال : لا والله ما هو هذا ، ولقد خدعك ، فعاودَ الاحتيال عليه . ففعل مثل ذلك بيحيى ؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظفرتَ بزَيْنَبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان ، وما أشك في أنك تعتمدني بالمنع مما أريده ، وقد أخذتَ كلَّ شيء عندي معاينةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن ، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم ، لك الشريطة ؛ قال : لا تُلمني في أن أعابثك لأنك أخذتَ في معايشي ، والمطلوبُ إليه أقدرُ من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنك تظفر مني بما تريد ، إنما دسك إبراهيم بن المهدي عليّ لتأخذ مني صوتاً غنيته ، فسألني إعادته فمنعته بخلاً عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة ، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً ، وطمع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ؛ لا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك ، وإلا فلا تطمع في الصوت . فقال له : أما إذ فطنتَ فالأمرُ والله على ما قلتُ ، فتغنيهِ الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادته ، ولو غنيته كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به ؛ قال : اشتريه . فتساوما طويلاً ومآكسه حتى بلغ الصوت ألفَ درهم ، فدفعها إليه ، وألقى عليه :

صوت

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بَمْنَى وَنَحْنُ مُعْرِسُونَ هَجُودُ
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بَرِيًّا رَوْضِيَّةً أَنْفٍ تُسَحِّسِحُ مَرْزَهَا وَتَجُودُ

لحنه خفيف ثقيل . قال : وهو صوت كثير العمل ، حلو النغم ، مُحْكَم الصَّنْعة ، صحيح

القسمة ، حسن المقاطع فأخذه وبكر إلى إبراهيم بن المهدي ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني ، وأبلائي بوجه يحيى المكي وشعّه وطلبه وشرّه ، وحدّثه بالقصة ؛ فضحك إبراهيم . وغناه إياه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذه ، وأخلف عليه كل شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم ، وحمله على بردون أشهب فارّه بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيدي ؛ فغلامك زُرُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظلّغ ، هبّ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .
[غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فلبى]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدّثني رقي وشارية جميعاً قالتا : كان مولانا ، تعنيان أبي ، في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنون حضور ، فغنى يحيى المكي ، واللحن له خفيف ثقيل :

صوت

خليل لي أهيّم به فما كافا ولا شكرا
بلى يُدعى له باسمي إذا ما ريع أو عثرا

فاستردّه سيدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيى يُفسده . وفطن الأمين بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره برده وترك التخليط فيه ، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيى : ليست تطيب لك نفسي به إلا بعوض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته ، فلم تأخذ أنت غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبّل يحيى يده وأعاد الصوت وجوّده ، فنظر إلى مُخارق وعلويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خصيّة الشيخ تغطى أستاة عدّة صبيان ، والله لا أعدّته بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال : يا سيدي ، إني أصير إليك حتى تأخذه عني متمكناً ولا يشركك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

[غنى للرشد بئل دارا فأكرمه]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدّثنا أبو أيوب المديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال : أرسل إليّ هارون الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بئل دارا¹ ، فقال : يا يحيى ، غنني :

1 دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

متى تلتقي الألف والعيسُ كلِّما تصعَّدنَ من وادٍ هَبَطنَ إلى وادٍ
فلم أزل أغنيه إياه ويتناول قدحاً إلى أن أُمسى . فعددتُ عشرَ مرَّات استعاد فيها الصوت ،
وشرب عليه عشرةً أقداح ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرني بالانصراف .
[مدح إسحاق غناه وذكر أصواتاً له]

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ في خبره حدَّثني أبي أحمد بن يحيى قال : قال لي إسحاق :
يا أبا جعفر ، لأبيك مائة وسبعون صوتاً ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابع .
فقلت لأبي : أي شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنه في شعر الأخطل : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوى في صرْفِها غيرُ
كاننسي شاربٌ يومَ استبدَّ بهم من قهوة عتقتها حمص أو جذر¹
لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقیل أول ، هكذا في الخبر ، ولإبراهيم فيهما ثقیل أول
آخر ، ولابن سريج رمل .
قال : ومنها :

صوت

بَانَ الخَلِيطُ فما أوَّله وعفا من الروحاء منزله²
ما ظبية أدماء عاطلة تحنو على طفل تطفله³
لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقیل بالنصر . قال أحمد : قال لي إسحاق : وددتُ أن هذا
الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله :
«على طفل تطفله» .
قال : ومنها :

صوت

وَكَفَّ كُمواذ النقا لا يَضِيرها إذا برزتُ ألا يكون خِضابُ
أنامل فتخ لا ترى بأصولها ضُموراً ولم تظْهَرْ لهن كِعب³
ولحنه من الثقیل الثاني .

1 جذر قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الروحاء : قرية قرب المدينة .

3 فتح : رخصة ليثة .

قال : ومنها :

[من المسرح]

صوت

صَادَتْكَ هَنْدٌ وَتِلْكَ عَادَتَهَا فَالْقَلْبَ مِمَّا يَشْفُقه كَمِيدُ
كَمْ تَشْتَكِي الشَّوْقَ مِنْ صَبَابَتِهَا وَلَا تَبَالِي هَنْدٌ بِمَا تَجِدُ
ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

أُغْسِيَتْ مِنْ سَلْمَى هَوَا لَكَ الْيَوْمَ مَحْتَلًا جَدِيدَا
وَمَرَابِطَ الْخَيْلِ الْعِجَا دِ وَمَنْزَلًا خَلَقًا هَمُودَا
ولحنه خفيف ثقيل أيضاً .

قال : ومنها :

[من المتقارب]

صوت

أَلَا مَرْحَبًا بِخِيَالِ أَلَمْ وَإِنْ هَاجَ لِلْقَلْبِ طَوْلَ الْأَلَمْ
خِيَالٌ لِأَسْمَاءَ يَعْتَادُنِي إِذَا اللَّيْلُ مَدَّ رُواقَ الظُّلَمِ
ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

[من الكامل]

صوت

كَمْ لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ فِيكَ سَرَّيْتُهَا أَتُنَعْتُ فِيهَا صُحْبَتِي وَرَكَابِي
لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ السَّرُوقَ خِيَاءَهَا وَمَوَاضِعَ الْأَوْتَادِ وَالْأُطْنَابِ

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيف ثقيل بالوسطى للغريض . قال ابن المكي : غنى أبي
الرشيد ليلة هذا الصوت فأطربه ، ثم قال له : قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت ؛ فظنه فرشاً أو
ثياباً ، فإذا فيه أكياس فيها عَيْنٌ وورق ؛ فحُمِلَتْ يَنْ يَدَيْهِ فَكَانَتْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَعَ قِيَمَةِ
الْعَيْنِ .

قال : ومنها :

[من الكامل]

صوت

إني امرؤ ما لي بقي عرضي وييت جاري آمناً جهلي
وأرى الذمامة للرقيق إذا ألقى رحالته إلى رجلي¹

ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ . قال ابن المكيّ غنى ابنُ جامع الرشيد يوماً البيتَ الأوّلَ من هذين البيتين ولم يزد عليه شيئاً ؛ فأعجب به الرشيدُ واسترده مراراً ، وأسكت لابنَ جامع المغنين جميعاً ، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خلع ، وانصرف . فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أفزاد على البيت الأوّل شيئاً ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه ، وطرحته عليك حتى تأخذه ما تجعل لي ؟ قال : النصف ممّا يصل إليّ بهذا السبب ؛ قال : والله ! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة ؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف . فلما حضر المغنون من غد ودُعي به كان أوّل صوت غناه إبراهيمُ هذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثاني وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلّ الإحسان ، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكير ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خلع ؛ فحمل ذلك كلّهُ ، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد ، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه ؛ فدفع ابنُ جامع في صدر يوابه ودخل إليه ، فقال له : إيه يا يحيى ، كيف صنعتَ ! ألقيتَ الصوت على الجرّمقاني² ! لا رفع الله صرعتك ولا وهب لك العافية . وتشاتما ساعة ، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مدوّخ .

[مدحه إسحاق الموصلي في جمع من المغنين عند الفضل بن الربيع]

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال قال لي إسحاق : كنت أنا وأبوك وابن جامع وفليح بن أبي العوّاء وزبير بن دحمان يوماً عند الفضل بن الربيع ؛ فأنبرى زبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيى) ، فجعلنا يُغنيان ويُباري كلُّ واحد منهما صاحبه ، وذلك يعجب الفضل ، وكان يتعصب لأبيك ويُعجب به . فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير : أنت تتحلل غناء الناس وتدعيه وتنهّلهم ما ليس لهم . فأقبل الفضل عليّ وقال : احكم أيّها الحاكم بينهما ، فلم يخف عليك ما هما فيه ؛

1 الذمامة : الحرمة والحق .

2 الجرّمقاني : واحد الجرامقة من العجم .

فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيى ويغنيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يرووه وما لم نَرَوْه ، وعَلِمَ ما جهلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعتِه أَنه لأحسن الناس صنعةً ، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحَّ أداءاً للغناء ، كان ما يغنيه له أو لغيره . فسرَّ بذلك الفضلُ وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لي .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أهاجنتك الظعائنُ يوم بانوا بذى الزُّيِّ الجميلِ من الأناثِ
ظعائنُ أُسليكتْ نَقَبَ المنقَى تُحَثَّ إذا ونْتَ أيُّ احتثاثٍ¹
الشعر للنميري . والغناء للغريص ، ولحنه المختار ثقیلٌ أوَّلُ بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر .

1 نَقَبَ المنقَى : موضع .

[89] - أخبار النُميري ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشَة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَيْسٍ ؛ وقَيْسٍ هو ثَقِيف . شاعر غَزَل ، مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشَبَّب بها¹ .

[كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف ، وسباق أحاديثه مع الحجاج بشأنها]

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمري عن لقيط بن بكر المحاربي ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قالوا حدثنا عمر بن شبة : أنَّ النُميري كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف بن الحكم لأبيه وأمه . وأمهما الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ؛ وكانت عند المغيرة بن شعبة ؛ فرآها يوماً بكرة وهي تتخلل ، فقال لها : والله لئن كان من غداء لقد جشيت ، ولئن كان من عشاء لقد أنتت ، وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعل المرأة الحرة أنت ؛ والله ما هو إلا من شظية من سواكي استمسكت بين سنين من أسناني . قال حبيب بن نصر خاصة في خبره : قال عمر بن شبة حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل .

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثقفي ، وحدثنا به ابن عَمَّار والجوهري عن عمر بن شبة ، ولم يذكر فيه يعقوب بن داود ، قالوا جميعاً : قال مسلم بن جندب الهذلي وكان قاضي الجماعة بالمدينة : إني لمع محمد بن عبد الله بن نُمير بنعمان² وغلّام يسير خلفه يشتمه أقبح الشتيمة : فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسف ، دَعَه فَإِنِّي ذكرتُ أخته في شعري ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبة في خبره : وولدت الفارعة أم الحجاج من المغيرة بن شعبة بنتاً فماتت ؛ فنازع الحجاج عروة بن المغيرة إلى ابن زياد في ميراثها ؛ فأغلظ الحجاج لعروة ، فأمر به ابن زياد فضرب أسواطاً على رأسه وقال : الأبي عبد الله تقول هذه المقالة ! وكان الحجاج حاقداً

1 في ل : يُنسب .

2 نعمان : هو نعمان الأراك ، وإد بينه وبين مكة نصف ليلة .

على آل زياد يَنْفِيهِمْ من آل أبي سفيان ويقول : آل أبي سفيان سُتة¹ حُمَش² ، وآل زياد رُسْحُ حُدُل³ .

وكان يوسف بن الحكم اعتلَّ علةً فطالت عليه ؛ فنذرت زينب إن عوفي أن تمشي إلى البيت ؛ فعوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطنَ وَجَّ⁴ ، وهو ثلثمائة ذراع ، في يوم جعلته مرحلةً لِثَقَلِ بدنِها ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر . فبينما هي تسير [إذ] لقيها إبراهيم بن عبد الله النُميريُّ أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة . فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلم عليه ؛ فقال له : ألك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَمَاءِ⁵ في بطن نَعْمَانِ ؛ فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةً أن يَنْشَبَ بيننا وبين إخواننا شرّاً . فقال محمد هذه القصيدة وهي أوَّلُ ما قاله : [من الطويل]

صوت

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بطنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ	به زينبُ في نسوة عَطِراتِ
فَأَصْبَحَ ما بينَ الهَمَاءِ فَحْزوة	إلى الماءِ ماءِ الجِزْعِ ذِي العُشْرَاتِ ⁶
لَهُ أَرْجٌ من مِجْمَرِ الهندِ ساطع	تَطْلُعُ رِيَّاهُ من الكَفَرَاتِ ⁷
تَهَادَيْنِ ما بينَ الْمُحْصَبِ من مِنيَّ	وَأَقْبَلْنَ لا شُعْناً ولا غِبراتِ
أَعَانَ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ	مَواشِيََ بِالْبَطْحَاءِ مُوتَجِرَاتِ
مَرَزْنَ بِفَخٍّ ثم رُحْنِ عَشِيَّةٍ	يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مَعْتِمِرَاتِ ⁸
يُخْبِئْنَ أَطْرَافَ البَنانِ من الثَّقَى	ويقتلْنَ بالألْحاظِ مَقْتَدِرَاتِ
تَقَسَّمْنَ لِيَّيَ يَوْمَ نَعْمَانَ إِنِّي	رَأَيْتُ فَوَادِي عَارِمِ النُّظَرَاتِ ⁹

1 سُتة : عظام الأستاه .

2 حمش : دقاق السوق .

3 الحُدُل : جمع أُحدل وهو الذي أُشرف أحد عاتقيه على الآخر .

4 وَجَّ : اسم واد بالطائف .

5 الهَمَاء : موضع بنعمان بين الطائف ومكة .

6 العُشْرَات : جمع عُشْر ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو .

7 الكفريات جمع كَفِير وهو العظيم من الجبال .

8 فَخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

9 لِيَّيَ في ل : قلبي . عارم : شارد النظرات حائرها .

جَلَوْنَ وجوهاً لم تَلَحْها سَمائِمٌ حَرُورٌ ولم يُسَفَعَنَّ بالسَّيِّراتِ¹
 فقلتُ يَعايِيرُ الطِّبَاءِ تناولتُ نِياحَ غصونِ المَرْدِ مُهْتَصِرَاتِ²
 ولَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيِّ راعِها وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَه حَذِرَاتِ
 فَأَذْنَيْنِ ، حتى جاوزَ الركبُ ، دونها حجاباً مِنَ القَسِيِّ والحِبرَاتِ³
 فكدتُ اشتياقاً نحوها وصَبابةً تَقَطَّعُ نَفْسي إثرَها حَسَرَاتِ
 فراجعتُ نَفْسي والحَفِظَةَ بعد ما بَلَلْتُ رداءَ العَصْبِ بالعَبَرَاتِ⁴

غنى ابن سريج في الأول وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان» ، ولحنه ثاني ثقیل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج : قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فآله عنه وأعرض عن ذكره ، فإنك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته ، وإن عاقبته صدقته .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال : هرب النُميرِيُّ من الحجاج إلى عبد الملك واستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلت في زينب فأنشده . فلما انتهى إلى قوله :

ولَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضْتُ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَه حَذِرَاتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميري ؟ قال : أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القَطِران ، وثلاثة أحمرة صحبتني تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظمتُ أمرك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بيعة أمير المؤمنين ، لكن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتين على نفسه ، ولكن أنشدني لأعفون عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده ؛ فأنشده قوله :

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفِرَاتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى

1 السَّيِّرات : جمع سيرة وهي شدة برد الشتاء .

2 النياح من الغصون : التي تحركها الرياح فتمايل .

3 القسي : ضرب من الثياب ، وهو منسوب إلى قس ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بالحرير .

4 العصب : ضرب من البرود .

قوله :

[من الطويل]

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ رَاعَهَا وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ حَذِرَاتٍ
قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرَات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى
قوله :

[من الطويل]

مَرَزْنَ بِفَخٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُبَلِّينَ لِلرَّحْمَنِ مَعْتِمِرَاتٍ
فقال : صدقت ، لقد كانت حَجَّاجَةً صَوَّامَةً ما علمتها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخْمَرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيُخْرَجْنَ جَنَحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ
فقال له : صدقت ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرّة المسلمة . ثم قال له : ويحك !
إنّي أرى ارتياحك ارتياحاً مُريباً ، وقولك قولَ بريء ، وقد أمتتكَ ، ولم يُعْرِضْ له . قال أبو
زيد¹ : وقيل : إنّه طالب عريقه به وأقسم لئن لم يَجِئْهُ به ليضربنَّ عنقه ، فجاءه به بعد هرب طويل
منه ؛ فخطبه بهذه المخاطبة :

[من شعره في زينب]

قال أبو زيد : وقال النُميريّ في زينب أيضاً :

[من الطويل]

صوت

طَرِبْتَ وَشَاقَتِكَ الْمَنَازِلُ مِنْ جَفْنٍ أَلَا رَبَّمَا يَعْتَادُكَ الشُّوقُ بِالْحُزْنِ²
نَظَرْتُ إِلَى أَظْعَانَ زَيْنَبَ بِاللُّوَى فَأَعْوَلْتُهَا لَوْ كَانَ إِعْوَالُهَا يُغْنِي
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكِ زَيْنَبُ مَا دَعَتْ مُطَوَّقَةً وَرِقَاءً شَجَوًّا عَلَى غُصْنٍ
فَإِنْ أَحْتِمَالُ الْحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا عَنَّاكَ وَهَلْ يَعْنِيكَ إِلَّا الَّذِي يَعْني
وَمُرْسِلَةٌ فِي السَّرِّ أَنْ قَدْ فَضَحْتَنِي وَصَرَّحْتَ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ فَمَا تَكْنِي
وَأَشْمَتُ بِي أَهْلِي وَجُلَّ عَشِيرَتِي لِيَهْنِثُكَ مَا تَهَوَاهُ إِنْ كَانَ ذَا يَهْنِي
وَقَدْ لَامَنِي فِيهَا ابْنُ عَمِّي نَاصِحاً فَقُلْتُ لَهُ خُذْ لِي فَوَادِيَّ أَوْ دَعْنِي

غنى ابنُ سُرَيْجٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَحْنًا مِنَ الرَّمْلِ
بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ : فَيَقَالُ : إِنَّهُ بَلَغَ زَيْنَبَ بِنْتُ يُوسُفَ
قَوْلُهُ هَذَا فَبَكَتْ ؛ فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتُهَا : مَا يُيَكِّلُكَ ؟ فَقَالَتْ : أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ بِقَوْلِهِ هَذَا

1 أبو زيد : هو أبو زيد بن عمرو بن شبة النُميري البصري ، كان شاعراً إخبارياً فقيهاً .

2 جفن : اسم واد بالطائف للثقيف .

جاهلٌ بي لا يَعْرِفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً .

قال : وقال النُميريّ فيها أيضاً :

[من الوافر]

أُهاجَنُكُ الظُعائنُ يومَ بانوا	بذي الرِّيّ الجميل من الأثاثِ
ظُعائنُ أُسلكتُ نَقَبَ المُنَقَّى	تُحَثَّ إذا ونَتَ أيُّ احتِثاثِ
تُؤمِّلُ أنْ تُتلاقِيَ أَهلَ بُصْرَى	فيا لك من لقاءِ مستراثٍ ¹
كَأنَّ على الحدائِجِ يومَ بانوا	نِعاجاً ترتعي بَقْلَ البِراثِ ²
يُهيِّجُني الحِمامُ إذا تَداعَى	كما سَجَعَ النوائِجُ بِالْمَراثِثِ ³
كَأنَ عيونُهُنَّ من التَبَكِّي	فصوصُ الجَزَعِ أو يُنَعِ الكَباثِ ⁴
أَلأَقِ أَنْتَ في الحِجَجِ البواقي	كما لاقيتَ في الحِجَجِ الثلاثِ

[طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبباً فلقبه بالحجاج ولم يعرض له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدثنا عثمان بن حفص وغيره : أن يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مروان لما بعث بالحجاج لحرب بن الزبير ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن غلاماً منا قال في ابنتي زينب ما لا يزال الرجل يقول مثله في بنت عمه ، وإن هذا (يعني ابنه الحجاج) لم يزل يتنوّق إليه ويهْمُ به ، وأنت الآن تبعته إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحجاج فقال له : إن محمداً النُميريّ جاري ولا سلطان لك عليه ، فلا تعرض له .

قال إسحاق فحدثني يعقوب بن داود الثَّقَفِيّ قال : قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُدَلِيّ : كنتُ مع النُميريّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبيعة ، فتأخّر النُميريّ حتى كان في آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إن مكانك لم يخفَ عليّ ، اذُنْ فبايع . ثم قال له : أنشيدني ما قلتَ في زينب ؛ قال : ما قلتُ إلا خيراً ؛ قال : لتُنشيدني . فأنشده قوله : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشَتْ	به زينبٌ في نسوةِ عَطِراتِ
أعان الذي فوقَ السمواتِ عرشُهُ	مَواشيَ بالبَطحاءِ مؤتَجِراتِ

1 مسترث : مستبطاً .

2 الحدائج : جمع حديجة . والحديجة من مراكب النساء نحو الهودج والحفّة . البراث : الأماكن السهلة الرمل ، واحداها بَرَث .

3 النوائج في ل : النوادب .

4 الكبث : ثمر الأراك .

يخمرن أطراف الأكف من التقى ويخرجن جُنح الليل معتجرات¹
 فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرمًا وخيرًا وطيبًا . قال : فأنشدُ كلمتكَ كلها فأنت آمن ؛
 فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأتُ ركبَ النُميري راعها وكُنَّ من أن يلقينه خذرات
 فقال له : وما كان ركبُك ؟ قال : والله ما كان إلا أربعة أحمرة تحمل القطران . فضحك
 الحجاج وأمره بالانصراف ولم يعرض له .
 [تهذبه الحجاج فهرب وقال شعراً]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني عن الخليل بن أسد عن العُمري عن عطاء عن عاصم بن
 الحَدَثان قال : كان ابن نُمير الثَّقفي يشبُّ بزينب بنت يوسف بن الحكم ؛ فكان الحجاج
 يتهذده ويقول : لولا أن يقول قائلُ صدقَ لقطعُ لسانه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر
 عدن ، وقال في هربه :

أتتني عن الحجاج والبحر بيننا عقاربُ تسري والعيونُ هواجع²
 فضقتُ بها ذرعًا وأجهشتُ خيفةً ولم آمن الحجاج والأمرُ فاطعُ
 وحلَّ بي الخطبُ الذي جاءني به سميعُ فليستُ تستقرُّ الأضالعُ
 فبتُ أدير الأمرَ والرأيَ ليلتي وقد أخضلتُ خدِّي الدموعُ التوابعُ
 ولم أرَ خيرًا لي من الصبرِ إنه أعفُ وخيرٌ إذ عرَّتني الفواجعُ
 وما أمنتُ نفسي الذي خفتُ شرهَ ولا طاب لي مما خَشِيتُ المضاجعُ
 إلى أن بدا لي رأسُ إسيبٍ طالعا وإسبيلُ حصن لم تنله الأصابعُ³
 فلي عن ثقيفٍ إن همتُ بنجوةً مَهَامُهُ تهوي بينهنَّ الهجارعُ⁴
 وفي الأرض ذاتِ العَرَضِ عنك ابنُ يوسف إذا شئتُ منأى لا أبا لك واسعُ
 فإن نلتني حجاجُ فاشتفِ جاهداً فإن الذي لا يحفظ الله ضائعُ

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه . وطال على النُميري مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء
 حتى وقف على رأس الحجاج ؛ فقال له : إيه يا نُميري ! أنت القائل :

[من الكامل]

1 الأكف في ل : البنان .

2 بيننا في ل : دوننا .

3 إسيب : جبل في مخلاف ذمار .

4 تهوي في ل : تعمي . الهجارع : جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السلوقية .

فإن نلتني حجاجٌ فاشتفِ جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول :

[من الطويل]

أخافُ من الحجاج ما لستُ خائفاً من الأسدِ العرياض لم يثنه دُعْرُ¹

أخافُ يَدِيهِ أن تنالا مقاتلي بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذي أقول :

[من الطويل]

فهأنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً وَمَغْرِباً وأبْتُ وقد دوَّخت كلَّ مكانٍ²

فلو كانت العنقاء منك تطير بي لخلتكَ إلا أن تصدَّ تراني

قال : فتبسّم الحجاج وأمنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلقى سبيله .

ويروى :

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها لخلتكَ إلا أن تصدَّ تراني

[زواج زينب أخت الحجاج وتولية كَرِيها شرطة البصرة]

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق

قال حماد فحدثني أبي قال ذكر المدائني وغيره : أن الحجاج عرض على زينب أن يزوجهها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفِي في زمانه ، أو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوجها إياه ، فأخرجها إلى الشام . وكان محمد بن رباط كَرِيها ، وهو يومئذٍ يُكْرِي . فلما ولي الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة ، فكلّمته زينب في محمد بن رباط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجاج : إنك وليت أعرابياً جافياً شرطتك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألَكَ فيه . قال : ثم أنكر الحكمُ بعضَ تعجُّرفه فعزله . ثم استعمل الحجاج الحكم بن سعد العُدْرِيّ على البصرة وعزل الحكم بن أيوب عنها واستقدمه لبعض الأمر ، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة ، وجهّزه من ماله . فلما قدِم البصرة هيأت له زينبُ طعاماً وخرجت متنزّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إن فيهن امرأة لم يُر أحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أريني ساقكِ ؛ فقالت : لا ، إلا بخلوة ؛ فقالت : ذاك لك ، فكشفته لها ، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خَلْخالاً . قال :

1 العرياض : الأسد الثقيل العظيم .

2 دوَّخت في ل : طوّفت .

وكان الحجاج وجه زينب مع حرّمه إلى الشام لما خرج ابن الأشعث خوفاً عليهنّ . فلما قُتل ابن الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينب يُخبرها الخبر ، فأعطاهَا الكتاب ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فنشرته تقرأه ، وسمعت البغلة قعقة الكتاب فنفرت ، وسقطت زينب عنها فاندقّ عَصُدُهَا وتَهَرَّأَ جوفُهَا فماتت . وعاد إليه الرسول ، الذي نفَذَ بالفتح ، بوفاة زينب . فقال النُميري يريها : [من الطويل]

صوت

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هُذوءاً إذا النجم ارجَحَّتْ لواحقه
سبيكُ مرّان العشيّ يُجيبه لطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مرافقه¹
إذا ما بساطُ اللهو مدّ وألقيت للذاتهِ أنماطُهُ ونمارقه

غناه معبد ، ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نسيب النُميري لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه .
[غنى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر]

صوت

[من الطويل]

تضوّع مسكاً بطنُ نَعْمَانٍ أَنْ مشت به زينبٌ في نسوة خفّرات
مرّرن بفخٍّ رائحاتٍ عشيّة يلبّين للرحمن مُعتمِرات

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالاً حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني² عن عبد الله بن مُسلم الفهري³ قال : خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً ، فصادف ابن سريج وعزة الميلاء متنزّهين ، فأنّاخ ابن جعفر راحلته وقال لعزة : غنّيني فغنّته ، ثم قال لابن سريج : غنّني يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنه في شعر النُميري :

[من الطويل]

1 مرّان العشيّ : كنى به عن الصنّج ذي الأوتار . درم : جمع أدرم وهو من لا حِجَمَ لعظامه .

2 المدائني : (135-225هـ) : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد مناف ، من رواة الأخبار المشهورين .

3 الفهري (125-197هـ) : أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري راوٍ مشهور وله مصنفات كثيرة .

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

فَأَمْرَ بِرَاحِلَتِهِ فَتُحَرَّتْ ، وَشَقَّ حُلَّتَهُ فَأَلْقَى نَصْفَهَا عَلَى عَزَّةٍ وَالنَّصْفَ الْآخَرَ عَلَى ابْنِ سَرِيحٍ . فَبَاعَ ابْنُ سَرِيحٍ النَّصْفَ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ دِينَاراً . وَكَانَتْ عَزَّةٌ إِذَا جَلَسَتْ فِي يَوْمِ زِينَةٍ أَوْ مِبَاهَاةٍ أَلْقَتْ النَّصْفَ الْآخَرَ عَلَيْهَا تَتَجَمَّلُ بِهِ .

[سمع سعيد بن المسيب شعراً له فأعجبه وزاد عليه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عَتَّابٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْعَبَّاسِ الْمُطَّلَبِيِّ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَرَّ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ الْأَخْضَرَ الْحَرْبِيَّ يَتَغَنَّى فِي دَارِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةٍ خَفِيراتٍ
فَضْرَبَ بِرَجْلِهِ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ مِمَّا يَلْذَّ اسْتِمَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : [من الطويل]

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى أَوْسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا وَأَبْدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ

وَعَلَّتْ بَنَانَ الْمَسْكِ وَخَفَاً مَرَجَّلاً عَلَى مِثْلِ بَذْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ¹

وَقَامَتْ تَرَاوَى يَوْمَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتُ بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَافَاتِ²

قَالَ : فَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ .

[مرَّ عَلَى عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ فَاسْتَشْدَدَتْ شَعْرَهُ فِي زَيْنَب]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمْرَانَ الْهَرَوِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمْرَانَ الْهَرَوِيِّ قَالَ : لَمَّا تَأَيَّمَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ كَانَتْ تُقِيمُ بِمَكَّةَ سَنَةً وَبِالْمَدِينَةِ سَنَةً ، وَتَخْرُجُ إِلَى مَالٍ لَهَا عَظِيمٍ بِالطَّائِفِ وَقَصِيرٍ كَانَ لَهَا هُنَاكَ فَتَنْتَرَهُ فِيهِ ، وَتَجْلِسُ بِالْعَشِيَّاتِ ، فَيَتَنَاضَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا الرُّمَاءُ . فَمَرَّ بِهَا النُّمَيْرِيُّ الشَّاعِرُ ؛ فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَتُسَبِّحُهَا ، فَقَالَتْ : ائْتُونِي بِهِ ، فَأَتَوْهَا بِهِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَنْشِدْنِي مِمَّا قُلْتَ فِي زَيْنَبَ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا وَقَالَ : تِلْكَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَدْ صَارَتْ عَظَاماً بِالْيَةِ . قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتُ ؛ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

الْأَبْيَاتُ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قُلْتَ إِلَّا جَمِلاً ، وَلَا ذَكَرْتَ إِلَّا كَرَمًا وَطِيئًا ، وَلَا وَصَفْتَ إِلَّا

1 الوحف : الشَّعْرُ الْغَزِيرُ الْأَسْوَدُ .

2 جمع : علم للمزدلفة .

دِيناً وَتُقَى ، أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ ، فَأَحْضِرْ¹ . فَقَالَتْ لَهُ : أَتَشِدُّنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَوْ أَتَشِدُّكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ² فَيْكُ ؟ فَوُثِبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ لِبَنَتِ عَمِّهِ ، هَاتِمًا قَالِ الْحَارِثُ فِيَّ ؛ فَانْشَدَهَا :

ظَعَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَعَدَوْا بِلَبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَمِيلًا ، ذَكَرَ أَنِّي إِذَا صَبَحْتُ زَوْجًا بِوَجْهِهِ غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ ، وَأَنِّي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَنِّي أَحْسَنَ الْخَلْقِ فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ وَاكْتَسَوْهُ حُلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعُدُّ لَاتِيَانَنَا بَعْدَ هَذَا يَا نُمَيْرِي .

[غنى إبراهيم الموصلي للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الرَّشِيدَ غَضِبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ بِالرَّقَّةِ فَجَبَسَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ اصْطَبَحَ يَوْمًا ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى حَالِهِ إِذْ تَذَكَّرَهُ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ الْمُوصِلِيُّ حَاضِرًا لَانْتِظَمَ أَمْرُنَا وَتَمَّ سُرُورُنَا . قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَجِئَ بِهِ ، فَمَا لَهُ كَبِيرُ ذَنْبٍ . فَبَعَثَ فَجِئَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ أَطْرَقَ الرَّشِيدُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ مَنْ حَضَرَ أَنَّ يَغْنِي ؛ فَانْدَفَعَ فَغْنَى :

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفِيرَاتٍ

فَمَا تَمَالَكَ الرَّشِيدُ أَنْ حَرَّكَ رَأْسَهُ مَرَارًا وَاهْتَزَّ طَرِبًا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمَ ! حَلُّوا قَبِودَهُ وَغَطُّوه بِالْخِلْعِ ، فَفَعِلَ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، رِضَاكَ أَوَّلًا ؛ قَالَ : لَوْ لَمْ أَرْضَ مَا فَعَلْتُ هَذَا ، وَأَمْرٌ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ .

وَمَا قَالَهُ النُّمَيْرِيُّ فِي زَيْنَبَ وَغْنَى فِيهِ :

[من مجزوء الكامل]

صوت

تَشْتَوِ بِمَكَّةَ نَعْمَةً	وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ
أَحْبَبُ بَتْلَكَ مَوَاقِفًا	وَبَزِينِ مِنْ وَاقِفِ
وَعَزِيزَةُ لَمْ يَغْذُهَا	بُؤْسٌ وَجَفْوَةٌ حَائِفِ
غَرَاءَ يَحْكِيهَا الْغَزَا	لُ بِمُقْلَةٍ وَسَوَافِ

1 في ل : فجاء .

2 الحارث : هو الحارث بن خالد المخزومي .

الغناء ليحيى المكيّ خفيف رمل عن الهشاميّ ، وذكر عمر بن بانه أنّه لابن سُرَيْج وأنّه
بالنصر . وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل .
ومن الغناء في أشعاره في زنب :
[من المتقارب]

صوت

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُجِلَّةَ أُخْتَ الْمُحِلِّ
تراءتُ لنا يومَ فرع الأُرا ك بين العِشاء وبين الأُصلِ
كَأَنَّ الْقَرْنُفَلَ وَالزَّنَجِيلَ وَرِيحَ الْخُرَامَى وَذَوْبَ الْعَسَلِ
يُعَلِّ بِه بَرْدُ أَنْبَاهِهَا إِذَا مَا صَفَا الْكُوكَبُ الْمُعْتَدِلُ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أنّ لملك فيه
لحناً في :
[من المتقارب]

كَأَنَّ الْقَرْنُفَلَ وَالزَّنَجِيلَ

والبيت الذي بعده ويتين آخرين وهما :
[من المتقارب]

وَقَالَتْ لِحَارَتِهَا هَلْ رَأَيْتِ إِذْ أَعْرَضَ الرُّكْبُ فَعَلَّ الرَّجُلُ
وَأَنَّ تَبَسُّمَهُ ضَاحِكاً أَجَدَّ اشْتِيَاقاً لِقَلْبٍ غَزَلٍ

وذكر حماد عن أبيه أنّ فيها للهذليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلُّ الذي عناه النُمَيْرِيُّ هاهنا : الْحَجَّاجُ بن يوسف ؛ سُمِّيَ بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان
أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك . وَيُسَمَّى أَهْلُ الشَّامِ عَبْدَ اللَّهِ بن الزبير المُحِلُّ لَأَنَّهُ أَحَلَّ الكعبة ،
زعموا أنّه بمقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحسين بن يحيى المُرْدَاسِيُّ قال قال حَمَادُ بن إِسْحَاقَ : قرأتُ على أبي : وبلغني
أنَّ إِسْمَاعِيلَ بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاسٍ تزوّج أَسْمَاءَ بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن
الزبير) فزوّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّت بالأهواز على السيّد الحُمَيْرِيِّ ؛ فسأل عنها
فُنُسِبَتْ له ؛ فقال فيها قوله :
[من المتقارب]

مَرَّتْ تُزَفُّ عَلَى بَغْلَةٍ وَفَوْقَ رِحَالِهَا قُبَّةٌ
زُبَيْرِيَّةٌ مِنْ بَنَاتِ الَّذِي أَحَلَّ الْحَرَامَ مِنَ الْكَعْبَةِ
تُزَفُّ إِلَى مَلِكٍ مُجِيدٍ فَلَا اجْتِمَاعَ وَبِهَا الْوَجْبَةُ

وقد قيل بأنّ الأبيات اللامية التي أوّلها :
[من المتقارب]

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْر ، وقيل : إِنَّهَا لِأَبِي شَجَرَةَ السُّلَمِيِّ .

[امتشد رجل ابن سيرين فأنشده للنُميري وقام إلى الصلاة]

حدَّثني الحسين بن الطَّيِّب البَلْخِيُّ الشاعر قال حدَّثنا قُتَيْبَةُ بن سَعِيد قال حدَّثنا أَبُو بَكْر بن

شُعَيْب بن الْحَبِيب المَعُولِيُّ¹ قال : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ سِيرِينَ ، فَجَاءَهُ إِنْسَانٌ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الشَّعْرِ قَبْلَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَانْشَدَهُ ابْنُ سِيرِينَ :

كَأَنَّ الْمُدَامَةَ وَالزَّنَجِيلَ وَرِيحَ الْخُرَامِي وَذَوْبَ الْعَسَلِ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلَ

وقال : اللَّهُ أَكْبَرُ ، ودخل في الصلاة .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يَا قَلْبُ وَيْحَكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْخُرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهَوَّاهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا²

[ويُروى : يَذْهَبُ بِكَ الْخُرْقُ] :

مَا بِالْهَمِّ لَمْ يُيَالُوا إِذْ هَجَرْتَهُمْ وَأَنْتَ مِنْ هَجَرِهِمْ قَدْ كَدْتَ تَحْتَرِقُ

الشعر لوضَّاح اليمَن . والغناء لَصَبَّاحِ الْخِيَّاطِ ، ولحنه المختار ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي

مَجْرَاهَا . وفي أبيات من هذه القصيدة أَلْحَانٌ عَدَّةٌ ، فجماعة من المغنِّين قد خلطوا معها غيرَهَا

من شعر الْحَارِثِ بن خَالِدٍ ومن شعر ابْنِ هَرْمَةَ ؛ فَأَخَرْتُ ذِكْرَهَا إِلَى أَنْ تَنْقُضِي أَخْبَارَ وَضَّاحٍ ،

ثُمَّ أَذْكَرَهَا³ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

1 المَعُولِي : نسبة إلى بني مَعُولَةَ بن شمس بن عمرو .

2 الْخُرْقُ : نَقِيزُ الرَّفَقِ .

3 لَمْ يَذْكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ كَمَا وَعَدَ هُنَا .

[90] - أخبار وضاح اليمن¹ ونسبه

[نسبه]

وضّاح لقبٌ غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داؤد بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنه من أولاد الفرس الذين قَدِمُوا اليَمَنَ مع وَهْرَزْ لَنُصْرَة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويَزَعُمُ آخرون أنه من آل خَوْلان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن العَوَث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهمَيْسَع بن العَرَنْجَج² وهو جَمِير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَغْرُب وهو المرعَب بن قَحْطَان . فَمَمَّنْ ذَكَرَ أَنَّهُ من حمير خالِد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أَجْسَل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داؤد بن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الجَمِيرِي فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أُمّه إلى أهلها ، وانقضت عدتها فتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبَّ وضّاح في حجر زوج أُمّه . فجاء عمّه وجدته أُمُّ أبيه ، ومعه جماعه من أهل بيته من جَمِير ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فادّعى زوج أُمّه أَنَّهُ ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البينة أَنَّهُ وُلِدَ على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء³ في أمره وحضر معهم . فلمّا حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يده على رأسه وأعجبه جماله وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن (يعني الفُرس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقَتْ به هذه الكلمة منذ يومئذٍ ، فلقب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أُمُّ داؤد بن أبي جَمَد جدّة وضّاح كِنْدِيَّةً ؛ فذلك حيث يقول في بنات عمّه :

إِنَّ قَلْبِي مُعَلَّقٌ بِنِسَاءِ واضحاتِ الخدود لَسَنَ بِهِجْنِ
مِنْ بَنَاتِ الْكَرِيمِ دَاؤَدَ لَدَةَ يُنْسِبْنَ مِنْ أَبَاةِ اللَّغْنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد :

بَنَى لِي إِسْمَاعِيلُ مَجْدًا مُؤَثَّلًا وَعَبْدُ كَلَالٍ بَعْدَهُ وَأَبُو جَمَدَ

1 وضاح اليمن ، انظر أخباره في : التذكرة الحمدونية 9 : 232-233 .

2 كان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج في الأصل : العتيق .

3 الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنِي عُمِي عن العباس بن هشام عن أبيه قال : كان وضّاح اليمن والمُقَنِّع الكِنْدِي وأبو زُبَيْد الطائِي يَرِدُونَ مواسِمَ العرب مُقَنِّعِينَ يَسْتَرُونَ وجوههم خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك ، وكان يزعم أن وضّاحاً من الأبناء ؛ فقال أبو عبيدة : داذا اسم فارسي . فقلت له : عبد كلال اسم يمانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانية ، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمّوا بأبرهة ، وهو اسم حبشي ، فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة . وأيّ شيء يكون إذا سُمِّيَ عربيّ باسم فارسي ! وليس كل من كُنِيَ أبا بكر هو الصديق ، ولا من سُمِّيَ عُمراً هو الفاروق ، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه . قال : فوجم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب .

ومن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زياد الكلبيّ . وقال خالد بن كلثوم : إن أم إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأم أبيه بنتُ فُرْعان ذي الدروع الكِنْدِي من بني الحارث بن عمرو .

[أحب روضة ولم يتزوجها وقال فيها شعراً]

وكان وضّاح يهوى امرأةً من أهل اليمن يُقال لها رَوْضة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعان ذي الدروع الكِنْدِي .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حَدَّثَنِي محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حَدَّثَنَا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش : أن وضّاحاً هَوِيَ امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ؛ فذهبت به كلّ مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها ؛ وعاتبه أهله وعشيرته . فقال في ذلك :

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ	قد يعشق المرءُ ثم يتنَّدُ
قد يكتُم المرءُ حبه حقّاً	وهو عميدٌ وقلبه كَمِدُ
ماذا تريدين من فتى غَزَلٍ	قد شَفَّه السُّقْمُ فيك والسَّهْدُ
يهذِّدوني كيما أخافهمُ	هيهات أني يَهْدِدُ الأسدُ

الغناء لابن مُحَرِّز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عَبَّاد ، من كتاب إبراهيم ، غير مجنّس .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني سالم بن زيد قال أخبرني التوزي قال حدثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال : كان وضاح يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة . فلما اشتهر أمره معها خطبها فلم يزوجه ، وزوجت غيره ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسر إليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا أن روضة قد جُذمت ، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبراً يرويه أهل العلم إلا لَمَعاً يسيرة وأشياء تدل على ذلك من شعره ، فأما خبر متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غث الحديث والشعر لا يُذكر مثله . وأصابها الجذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شَبَّ بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبرهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال : كان وضاح اليمن يهوى امرأة يقال لها روضة ويشبب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

صوت

يا روضة الوضاح قد	عَنَيْتِ وَضاحَ اليمن
فاسقي خليلك من شرا	بِلم يُكْذِرْهُ الدَّرَن
الريحُ ريح سَفَرَجَلٍ	والطعمُ طعم سَلافِ دَن
إني تهيجني إليـ	ك حامتان على فَنَن

قال مصعب : فحدثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضة من أهل اليمن : أن وضاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينما هو يسير إذ استوقفهم وعدل عنهم ساعة ، ثم عاد إليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى روضة ، وكانت قد جُذمت فجعلتُ مع المجذومين ، وأخرجت من بلدها ، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتها صدراً¹ من نفقتي . وجعل يبكي غماً بها .

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات ؛ فإن في جميعها غناء .
ومما قاله وضاح في روضة المذكورة وفيه غناء ، وأنشدنا جرّمي عن الرُّبَيْر عن عمّه :

صوت

أيا روضة الوضّاح يا خيرَ روضةٍ لأهلك ، لو جادوا علينا بمنزلٍ
 رهينك وضّاحٌ ذهبَ بعقله فإن شئت فاحيه وإن شئت فاقتلي
 وتوقد حيناً باليلنجوج نارها وتوقد أحياناً بمسكٍ ومندلٍ¹
 والأبيات الأولى النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب ، وفي سائرها غناء . وتماؤها بعد
 قوله :

«إني تهيجني إليـ لك حمامتان على قن»
 الزوج يدعو إلفه فتطاعما حبّ السكن
 لا خير في نث الحديد ث ولا الجليس إذا فطن
 فاعصمي الوشاة فإنما قول الوشاة هو الغبن
 إن الوشاة إذا أتو لك تنصّحوا ونهوك عن²
 دسّت حبيبةً مؤهناً إني وعيشك يا سكن
 أبلغتُ عنك تبذلاً وأتى بذلك مؤتمن
 وظننتُ أنك قد فعل ست فكذتُ من حزن أجن
 ذرّفتُ دموعي ثم قل ست بمن يادلني بمن
 اسكتُ فلست مُصدّقاً ما كان يفعل ذا أظن
 إني وجدك لو رأيـ ست خليلنا ذاك الحسن
 يجفوه ثم يحبنا والله ميتٌ من الحزن
 أخبره إمّا جئتـه أن الفؤاد به يجن
 أبغضت فيه أحبّي وقلّيت أهلي والوطن
 أتركتني حتّى إذا علقت أبيض كالشطن
 أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيّعت اللبن
 هكذا قال ، وغيره يرويه : «في الصيف ضيّحت اللبن» أي مذقته . قال³ :

1 اليلنجوج : عود البخور .

2 يريد : عني .

3 الظاهر أن كلمة «قال» من عمل النسخ .

لو قيل يا وضاح قم فاختر لنفسك أو تمن
لم أَعُدْ رَوْضَةً والذي ساق الحجيح له البُدنُ

الغناء في الأول من القصيدة وهو «يا روضة الوضاح» يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعة ، وبعضها لم يَقَعْ إليَّ أَنَّهُ صُنِعَ فيه . فمن قوله فيها :

صوت

يا روضُ جيرانكم الباكرُ فالقلبُ لا لاي ولا صابرُ
قالت ألا لا تَلَجَنُ دارنا إنَّ أبانا رجلٌ غائرُ
قلت فإني طالبٌ غرَّةٍ منه وسيفي صارمٌ باترُ
قالت فإن القصرَ مِنْ دوننا قلتُ فإني فوقه ظاهرُ
قالت فإن البحرَ مِنْ دوننا قلتُ فإني سابحٌ ماهرُ
قالت فحوّلي إخوةَ سبعةٍ قلتُ فإني غالبٌ قاهرُ
قالت فليثُ رابضٌ بيننا قلتُ فإني أسدٌ عاقرُ
قالت فإن الله من فوقنا قلتُ فربِّي راحمٌ غافرُ
قالت لقد أُعْيِيَتْنَا حُجَّةٌ فأتِ إذا ما هَجَعَ السامرُ
فأسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناي ولا زاجرُ
الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يميني ، وذكر يحیی المكيّ أَنه له .

وقال في روضة وهو بالشام : [من الوافر]

أَبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا تذكّرتُ المنازلَ والحبيا
تذكّرتُ المنازلَ من شعوبٍ وحيّاً أصبحوا قُطِعُوا شعوباً¹
سَبَّوْا قلبي فحلَّ بحيث حلُّوا ويُعْظَمُ إن دَعَوْا ألا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ إليكم إن شَمالاً أو جَنوباً
فتأتِيكم بما قلنا سريعاً ويُلْغِنَا الذي قلتم قريباً
ألا يا رَوْضَ قد عَذَبَتْ قلبي فأصبح من تذكركم كئيباً

1 شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

وأبْدَى في مَفَارِقِي المَشْيَا
ولا قَرَبٌ إِذَا كَانَتْ قَرِيَا

[من الكامل]

والقَوْمُ بَيْنَ أَبَاطِحِ وَعِشَاشٍ¹
قَفَرٌ وَحَزَنٌ فِي دُجَى وَرِشَاشٍ
إِنَّ المَحَبَّ إِذَا أُخِيفَ لَمَاشِي
شَفَقًا وَأَخْشَى أَنْ يَشِي بِكَ وَاشِي
وَأَنَا امْرُؤٌ لَخُرُوجِ سَرَكِ خَاشِي
وَالطُّفْ لِأَخَوَتِي الَّذِينَ تُمَاشِي
وَالسُّرُّ يَا وَضَّاحَ لَيْسَ بِفَاشِي
بِخَلَاخِلٍ وَبِحُلَّةِ أَكْبَاشٍ²
وَدُمُوعِ عَيْنِي فِي الرَّدَاءِ غَوَاشِي
فِي العَظَمِ حَتَّى قَدْ بَلَغَتْ مُشَاشِي³

[من الكامل]

بِخِيَالٍ مَنْ أَهْدَى لَنَا الوَضْلَ⁴
خَمْسٌ دَوَائِمُ تُعْمِلُ الإِبْلَا
حَزَنَ البِلَادِ إِلَيَّ وَالسَّهْلَا
أَغْنَى الخَلَائِقِ كُلَّهُم شَمْلَا
وَاللَّهُ مَا أَبْقَيْتَ لِي عَقْلَا
إِلَّا إِلَيْكَ فَأَجْمَلِي الفِعْلَا

وَرَقَّقَنِي هَوَاكِ وَكُنْتُ جَلْدًا
أَمَا يُنْسِيكَ رَوْضَةُ شَحْطُ دَارٍ

وَمَا قَالَ فِيهَا أَيْضًا :

طَرِبَ الفَوَادِ لَطِيفِ رَوْضَةِ غَاشِي
أَنَّى اهْتَدَيْتَ وَدُونَ أَرْضِكَ سَبَسَبٌ
قَالَتْ تَكَالِيفُ المَحَبِّ كَلِيفَتُهَا
أَدْعُوكِ رَوْضَةُ رَحْبٍ وَاسْمُكَ غَيْرُهُ
قَالَتْ فَزُرْنَا قُلْتُ كَيْفَ أَزُورُكُمْ
قَالَتْ فَكُنْ لِعُمُومَتِي سَلَمًا مَعًا
فَتَزُورُنَا مَعَهُمْ زِيَارَةَ آمِنِي
وَلَقِيتُهَا تَمْشِي بِأَبْطَحِ مَرَّةٍ
فَظَلِلْتُ مَعْمُودًا وَبَتَ مُسَهَّدًا
يَا رَوْضَ حُبِّكَ سَلِّ جِسْمِي وَاتَّحِي

وَمَا قَالَ فِيهَا أَيْضًا :

طَرَقَ الخِيَالُ فَمَرْحَبًا سَهْلَا
وَسَرَى إِلَيَّ وَدُونَ مَنْزِلِهِ
يَا حَبْدَا مَنْ زَارَ مَعْتَسِفًا
حَتَّى أَلَمَ بِنَا فَبِتُّ بِهِ
يَا حَبْدَا هِيَ قَدَّكَ حَسْبُكَ قَدْ
وَاللَّهُ مَالِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ

[حَبَّتْ أُمُّ الْبَيْتِ وَرَأَتْهُ فَهَوَيْتَهُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْزُوزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا

1 العِشَاشُ : جَمْعُ عَشَّةٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَلِيلَةُ الشَّجَرِ ، وَقِيلَ هِيَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ .

2 الْأَكْبَاشُ : مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ .

3 الْمَشَاشُ : النَّفْسُ ، وَالْمَشَاشُ أَيْضًا : رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَاحِدُهَا مَشَاشَةٌ .

4 طَرَقَ فِي ل : طَافَ .

العُمريّ عن لَقِيطِ والمُهَيْثِمِ بنِ عَدِيٍّ : أَنَّهُ أُمُّ الْبَنِينَ بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحجِّ فَأَذِنَ لها ، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكةً ومعها من الجوّاري ما لم يُرَ مثله حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممّن تبعها . وقُدِمتْ ، فترأت للناس ، وتصدّى لها أهلُ الغزل والشعر ، ووقعتْ عيناها على وضّاح اليمَنِ فهويته .

فحدّثنا الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني إبراهيم بن محمّد بن عبد العزيز الزُّهري عن محمّد بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه عن بُدَيْحٍ قال : قُدِمتْ أُمُّ الْبَنِينَ بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً ، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ إلى كُثَيْبٍ وإلى وضّاح اليمَنِ أَنِ انسبا بي . فأما وضّاح اليمَنِ فإنه ذكرها وصرّح بالنسب بها ؛ فوجد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأما كُثَيْبٌ فعُدلَ عن ذكرها ونسبَ بجارتها غاضيرة فقال¹ :

صوت

شجا أَظْعَانُ غاضِرَةَ الغَوادي بغير مَشْوَرَةٍ عَرَضاً فَوادي
أَغاضِرَ لو شهدتْ غداةَ بَيْتِمْ حُسُوَ العائداتِ على وِسادي
أَوَيْتَ لعاشقٍ لم تشكُمِيه بواقدةٍ تلذّعُ كالزنادِ²

الغناء في هذه الأبيات لابن مُخَرِّزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن الهِشَامِيِّ وَحَبَشَ . قال بُدَيْحٌ : فكنْتَ لَمَّا حجَّتْ أُمُّ الْبَنِينَ لا تشاءُ أَن تَرى وجهاً حسناً إلّا رأيته معها . فقلت لعبيد الله بن قيس الرُّقَيَاتِ : بَمَنْ تشبَّب من هذا القَطَينِ ؟ فقال لي :

وما تصنع بالسرِّ إذا لم تك مجنوناً
إذا عالجتِ ثَقُلَ الحِ بَّ عالجتِ الأمرُنا³
وقد بُحِتَ بأمرٍ كا ن في قلبِي مكنونا
وقد هِجَّتْ بما حاولَ تَ أَمراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : اكُفِّم عليّ ، فإنك موضع للأمانة ؛ وأنشدني : [من مجزوء الكامل]

1 هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندف الأسديّ لما قتل .

2 أَوَيْتَ في ل : رنيت .

3 الأمرُون : الدواهي .

صوت

أصحوتَ عن أمّ البنية من وذكرها وعنائها
وهجرتها هجرَ امرئ لم يقلُ صفو صفائها
قُرْشِيَّة كالشمس أشد رق نورها بيهائها
زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها
لما سبكرت للشبا ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها
لولا هوى أمّ البنية من وحاجتي للقاءها
قد قربت لي بغلة محبوسة لنجائها

قال بُدَيْح : فلما قتل الوليد وضّاح اليمن ، حجّت بعد ذلك أمّ البنين محتجة لا تكلم أحداً ؛
وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات ، فقال : يا بديح ،

صوت

[من مجزوء البسيط]

بأن الحبيب الذي به تثق واشتدّ دون الحبيبة القلق
يا من لصفراء في مفاصلها لين وفي بعض بطشها خرق

وهي قصيدة قد ذكرت مع أخبار ابن قيس الرقيّات .

الغناء في الأبيات الأولى التي أولها :

[من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أمّ البنين

ينسب في موضع آخر إن شاء الله .

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي
عبيدة قال حدثني كثير قال : حججت مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة
الوليد بن عبد الملك ، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسبا بي ؛ فهبت ذلك ونسبت
بجارتها غاضرة ، فقلت :

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضاً فوادي
أغاضر لو شهدت غداة ينتم حنو العائدات على وسادي
أويت لعاشق لم تشكّميه بواقدة تلذّع كالزناد

[من الوافر]

وأما وضّاح فنسب بها ، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .
 أخبرني عمِّي قال حدّثني محمّد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني أبو عمر العُمريّ عن
 العُتبيّ قال : مدح وضّاحُ اليمنَ الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدته أمّ
 البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرفده عنده وتقوي أمره . فقدم عليه وضّاح وأنشده
 قوله فيه :

صوت

صبا قلبي ومال إليك ميلاً وأرّقني خيالك يا أثيلاً¹
 يمانيّة تلمّ بنا فتبدي دقيق محاسن وتكن غيلاً²
 دعيّنا ما أمت بنات نعشٍ من الطيف الذي يتاب ليلاً³
 ولكن إن أردت فصّبّحنا إذا أمت ركائبنا سهيلاً
 فإنك لو رأيت الخيل تعدو سراعاً يتخذن النقع ذيّلاً⁴
 إذا لرأيت فوق الخيل أسداً تفيد مغانماً وتُفيت نيلاً
 إذا سار الوليدُ بنا وسيرنا إلى خيل نلف بهنّ خيلاً
 وندخل بالسرور ديار قومٍ ونعقب آخرين أذىً وويلاً
 فأحسن الوليد رفده وأجزل صلته⁵ ومدحه بعدة قصائد . ثم نمي إليه أنه شبّ بأم البنين ،
 فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .
 ومدحه وضّاح بقوله أيضاً :

[من الطويل]

ما بال عينك لا تنام كأنما طلب الطبيب بها قذى فاضله
 بل ما لقلبك لا يزال كأنه نشوان أنهله النديم وعله
 ما كنت أحسب أن أبيت ببلدة وأخي بأخرى لا أحلّ محله

1 أثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .

2 وتكن في ل : وتجنّ . الغيل : الساعد الريان الممتلئ . وفي شرح الحماسة في التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكن غيلاً : أي تستر ما جلّ منها كالمصم والساعد والساق والفخذ» .

3 بنات نعش : من الكواكب الشامية .

4 سراعاً في ل : عوايس .

5 في ل : جائزته .

كُنَّا لَعَمْرُكَ نَاعْمِينَ بِغِبْطَةٍ مع ما نُحِبُّ مَيْتَهُ وَمَظْلَهُ
فَأَرَى الَّذِي كُنَّا وَكَانَ بِغَرَّةٍ نلَّهُوَ بِغَرَّتِهِ وَنَهْوَى دَلَّهُ
كَالطَّيْفِ وَافِقِ ذَا هَوًى فَلَهَا بِهِ حتى إِذَا ذَهَبَ الرِّقَادُ أَضْلَهُ
قُلْ لِلَّذِي شَعَفَ الْبَلَاءُ فَوَادَهُ لا تَهْلِكُنَّ أَخَا فَرَبٍّ أَخٍ لَهُ
وَالْقَ ابْنِ مَرْوَانَ الَّذِي قَدْ هَزَّهُ عِزُّ الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى فَأَقْلَهُ
وَاشْكُ الَّذِي لَاقِيْتَهُ مِنْ دُونِهِ وَانْشُرْ إِلَيْهِ دَاءَ قَلْبِكَ كُلَّهُ¹
فَعَلَى ابْنِ مَرْوَانَ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِي أَمْسَى يَذُوقُ مِنَ الرُّقَادِ أَقْلَهُ
شَوْقًا إِلَيْكَ فَمَا تَنَالِكَ حَالُهُ وَإِذَا يَجِلُّ الْبَابَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ
فَالْيَكُ أَعْمَلْتُ الْمَطَايَا ضُمْرًا وَقَطَعْتُ أَرْوَاحَ الشَّتَاءِ وَظْلَهُ
وَلِيَالِيَا لَوْ أَنَّ حَاضِرَ بَيْتِهَا طَرَفَ الْقَضِيبِ أَصَابَهُ لَأَشْلَهُ

فلم يزل محفوقاً حتى وجد الوليد له غرة ، فبعث إليه من اختلسه ليلاً فجاءه به ، فقتله ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

[قتل الوليد له]

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضاح قد شَبَّ بِأُمِّ الْبَنِينَ بنت عبد العزيز بن مروان امرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي أُمُّ ابْنِ عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغ الوليد تشبُّهَ بها ، فأمر بطلبه فأتى به ، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقق قوله ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَلٍ ؛ فإنه لما شَبَّ بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله ؛ فقال : إِذَا تُحَقِّقَ قَوْلُهُ ، ولكن تَبَرُّهُ وتحسن إليه فيستحيي ويكفُّ ويكذب نفسه . فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حياً . فوقع بين رجل من زنادقة الشُعُوبِيَّة وبين رجل من ولد الوليد فخاراً خرجا فيه إلى أن أَغْلَظَا الْمُسَابَّةَ ، وذلك في دولة بني العباس ؛ فوضع الشُعُوبِيُّ عليهم كتاباً زعم فيه أَنَّ أُمَّ الْبَنِينَ عَشِيقَتُ وَضَاحًا ، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فَأَنْهَاهُ إِلَيْهِ وَأَرَاهُ الصَّدُوقَ ، فَأَخَذَهُ وَوَضَّاحَ فِيهِ فَدَفَنَهُ . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ جميعاً .

وأخبرني علي بن سليمان الأُخْفَشُ في كتاب المغتالين قال حدثنا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : عَشِيقَتُ أُمِّ الْبَنِينَ وَضَاحًا ، فكانت تُرْسِلُ إِلَيْهِ فَيَدْخُلُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ؛ فَإِذَا خَافَتْ وَارْتَهَ فِي صَدُوقِ عِنْدَهَا وَأَقْلَمَتْ عَلَيْهِ . فَأَهْدِي

للوليد جَوْهَر له قيمة فَأَعْجَبَهُ واستَحْسَنَهُ ، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أُمِّ البَينِ وقال : قُلْ لها : إِنَّ هذا الجَوهَرَ أُعْجِنِي فَأَثْرُكُ بِهِ . فدخَلَ الخَادمُ عليها مَفاجأةً ووضَّاحَ عَندَها ، فأَدْخَلَتْهُ الصَندوقَ وهو يَري ، فأَدَّى إليها رِسالَةَ الوليد ودفعَ إليها الجَوهَرَ ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبْنِي مِنْهُ حَجْراً ؛ فقالت : لا ، يا ابنَ اللُخْءِ ولا كِرامَةَ . فرجعَ إلى الوليد فَأَخْبِرَهُ ؛ فقال : كَذَبْتَ يا ابنَ اللُخْءِ ، وأَمَرَ بِهِ فُوجِئَتْ عَنقُهُ . ثم لبسَ نعلِيه ودخَلَ على أُمِّ البَينِ وهي جالِسةٌ في ذلك البَيتِ تَمتَشِطُ ، وقد وصفَ له الخَادمُ الصَندوقَ الذي أَدْخَلَتْهُ فيه ، فجلسَ عليه ثم قال لها : يا أُمِّ البَينِ ، ما أَحَبُّ إِلَيْكَ هذا البَيتَ من بينَ بيوتِكَ ! فَلِمَ تَخْتارِينَهُ ؟ فقالت : أَجْلِسُ فيه وَأَخْتارُهُ لَأَنَّهُ يَجْمَعُ حَوائِجِي كُلَّها فَأَتَنَاوَلُها مِنْهُ كَمَا أُريدُ مِنْ قَربِ . فقال لها : هَبِّي لِي صَندوقاً مِنْ هَذِهِ الصَنادِيقِ ؛ قالت : كُلُّها لَكَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؛ قال : ما أُريدُها كُلَّها وَإِنَّمَا أُريدُ واحِداً مِنْها ؛ فقالت له : خُذْ أَيُّها شِئْتَ ؛ قال : هذا الذي جَلِستُ عليه ؛ قالت : خُذْ غَيرَهُ فَإِنَّ لِي فِيهِ أَشْياءَ أُحْتَاجُ إليها ؛ قال : ما أُريدُ غَيرَهُ ؛ قالت : خُذْهُ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . فدعا بِالخَدمِ وأَمَرَهُمْ بِحَمَلِهِ ، فحَمَلُوهُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إلى مَجْلِسِهِ فوضَعَهُ فيه . ثم دعا عَبيداً لَهُ فَأَمَرَهُمْ فَحَفَرُوا بَئِراً في المَجْلِسِ عَمِيقَةً ، فَحَنَى البِساطَ وَحَفَرَتْ إلى المِاءِ . ثم دعا بالصَندوقِ فقال : [يا هَذَا] إِنَّهُ بَلَّغَنَا شَيْءَ إِنْ كانَ حَقّاً فَقَدْ كَفَّناكَ وَدَفَّناكَ وَذَكَرَكَ وَقَطَعنا أَثَرَكَ إلى آخِرِ الدَّهْرِ ، وَإِنْ كانَ باطلاً فَإِنَّا دَفَّنا الخَشَبَ ، وما أَهَوُنَ ذلك ! ثم قَذَفَ بِهِ في البَئرِ وَهَيَّلَ عَلَيْهِ الترابَ وَسَوَّيْتُ الأَرْضَ ورُدَّ البِساطُ إلى حالِهِ وجلسَ الوليدُ عليه . ثم ما رُئِيَ بَعْدَ ذلك اليَومِ لَوضَّاحَ أَثَرٍ في الدَنياءِ إلى هَذا اليَومِ . قال : وما رَأَتْ أُمُّ البَينِ لَذلكَ أَثَرًا في وَجهِ الوليدِ حَتَّى فَرَّقَ المَوتَ بَينَهما .

[مَرَضَتْ أُمُّ البَينِ وَهُوَ فِي دِمَشقَ فَقَالَ شِعْراً]

أَخْبَرَنِي الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : مَرِضْتُ أُمُّ البَينِ وَوضَّاحَ مُقِيمٌ بِدِمَشقَ ، وَكانَ نازِلاً عَلَيْها ؛ فَقَالَ في عَلتِها : [مِنَ الكَاملِ]

حَتَّامَ نَكَّتُمْ حَزَنًا حَتَّامًا	وَعَلَّامَ نَسْتَبْقِي الدَمَوِعَ عَلَما
إِنَّ الَّذِي بِي قَدْ تَفَاقَمَ وَاعْتَلَى	وَنَما وَزادَ وَأَوْرَثَ الأَسْقاما
قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ البَينِ مَريضَةً	نَخْشَى وَنُشْفِقُ أَنْ يَكُونَ جِماما
يا رَبِّ أُمْتِنْ عَنِّي بِطَوَّلِ بَقائِها	واجبِرْ بِها الأَرْمالَ والأَيِّتامِ
واجبِرْ بِها الرَجُلَ الغَريبَ بِأَرْضِها	قَدْ فارقَ الأَحْوالَ والأَعْماما
كَمْ راعِبِينَ وَراهِبِينَ وَبُؤْسَ	عُصْما بِقَربِ جَنابِها إِعْصاما

بجناب ظاهرة الثنا محمودية لا يُستطاع كلامها إعظاما
 الغناء في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس لحكم الوادي خفيف رمل بالوسطى ،
 عن الهشامي وعبد الله بن موسى . ومما وجد في روايتي هارون بن الزيات وابن المكّي في الرابع
 ثم الخامس ثم الأول والثاني لعمر الوادي خفيف رمل ، من رواية الهشامي .
 [شَبَّ بِفَاطِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَفَنَهُ الْوَلِيدُ فِي بَيْتٍ وَهُوَ حَيٌّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال : بلغ الوليد بن
 عبد الملك تشبُّبُ وضاح بأمّ البنين فهمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنه فيه ، وقال له : إن قتلتَه
 فضحتني وحققت قوله ، وتوهم الناس أن بينه وبين أمّي رية . فأمسك عنه على غيظٍ وحتّى ،
 حتى بلغ الوليد أنّه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، وقال فيها :
 [من الكامل]

بنتُ الخليفة والخليفة جدُّها أختُ الخليفة والخليفة بعلُّها
 فرحت قوابلها بها وتباشرت وكذاك كانوا في المسرة أهلها
 فأخفق واشتد غيظه وقال : أمّا لهذا الكلب مُزَجَّرٌ عن ذكر نساتنا وأخواتنا ، ولا له عنا
 مذهب ؛ ثم دعا به فأحضر ، وأمر بيثر فحُفِرَتْ ودُفِنَ فيها حيّاً .
 [شعر له]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد
 العزيز عن يوسف بن الماجشون قال : أنشدتُ محمّد بن المنكدر قولَ وضاح : [من الطويل]
 فما نوّلتُ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتها ما رخص الله في اللّمَمِ
 قال : فضحك وقال : إن كان وضاح إلّا مُفْتِيّاً لنفسه . وتما هذه الأبيات : [من الطويل]
 ترجّل وضاحٌ وأسبل بعدما تكهّل حيناً في الكهول وما احتلم
 وعُلّق بيضاء العوارض طفلةً مُخَضَّبَةً الأطراف طيبة النّسمِ
 إذا قلتُ يوماً نوّليني تبسمتُ وقالت معاذ الله من فعل ما حرّم
 فما نوّلتُ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتها ما رخص الله في اللّمَمِ
 [رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أمّ البنين]

أخبرني عمّي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمريّ عن العُتبيّ في خبره الأول المذكور من
 أخبار وضاح مع أمّ البنين قال : كان وضاح مقيماً عند أمّ البنين ، فورد عليه نعي أخيه وأبيه ؛
 فقال يرثيهما :

[من الوافر]

أُراعك طائرٌ بعد الخُفوقِ
نعمَ وَلَهَا على رجلٍ عَميد
كَأَنِّي إذ علمتُ بها هُدُوءاً
أَعْلُ بَرْقَرَةً من بَعْدِ أُخْرَى
وَتَرْدُفَ عَبْرَةٍ تَهْتَانُ أُخْرَى
كَأَنِّي إذ أَكْفَكِفُ دَمْعَ عَيْنِي
أَلَّا تَلِكَ الحَوَادِثُ غَيْبَتْ عَنْهَا
فَمَا أَتُفَكُّ أَنْظِرَ فِي كِتَابِ
يُخْبِرُ عَنْ وَفَاةٍ أُخْرٍ كَرِيمٍ
وَقَرْمٍ يُعْرِضُ الْخِصْمَاءَ عَنْهُ
كَرِيمٍ يَمَلَأُ الشَّيْزَى وَيَقْرِي
وَأَعْظَمَ مَا رُمِيتُ بِهِ فَجُوعاً
يُخْبِرُ عَنْ وَفَاةٍ أُخْرٍ فَصَبْرًا
سَأَصْبِرُ لِلْقَضَاءِ فَكُلُّ حَيٍّ
فَمَا الدُّنْيَا بِقَائِمَةٍ وَفِيهَا
وَلِلْأَحْيَاءِ أَيَّامٌ تَقْضَى
فَأَغْنَاهُمْ كَأَعْدَمِهِمْ إِذَا مَا
كَذَلِكَ يُبْعَثُونَ وَهُمْ فُرَادَى
أَبْعَدَ هُمَامٍ قَوْمِكَ ذِي الْأَيْدِي
وَبَعْدَ عُيْدَةِ المَحْمُودِ فِيهِمْ
وَبَعْدَ ابْنِ المَفْضَلِ وَابْنِ كَافٍ
تَوَمَّلْ أَنَّ تَعِيشَ قَرِيرَ عَيْنٍ

بِفَاجِعَةٍ مُشْتَعَةٍ الطُّرُوقِ
أَظْلُ كَأَنَّنِي شَرِقَ بَرِيقِي
هُوتُ بِي عَاصِفٌ مِنْ رَأْسِ زَيْقٍ¹
لَهَا فِي القَلْبِ حَرٌّ كَالْحَرِيقِ
كَفَائِضَ غَرْبٍ نَضَّاحٍ فَتِيقِ
وَأَنْهَاهَا أَقُولُ لَهَا هَرَبِيقِي
بِأَرْضِ الشَّامِ كَالْفَرْدِ الغَرِيقِ
تُدَارِي النَفْسُ عَنْهُ هَوَى زَهْوِقٍ²
بَعِيدِ الغُورِ نَفَّاعٍ طَلِيقِ
كَمَا حَادَ الْبِكَارُ عَنِ الْفَنِيقِ³
إِذَا مَا قَلَّ إِيْمَاضُ الْبُرُوقِ⁴
كِتَابٌ جَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ
تَنْجِزُ وَعْدَ مَنَانٍ صَدُوقِ
سِيلَقِي سَكْرَةَ المَوْتِ الْمَذُوقِ
مِنْ الْأَحْيَاءِ ذُو عَيْنٍ رَمُوقِ
يَلْفَ خَتَامُهَا سُوقاً بِسُوقِ
تَقْضَتْ مُدَّةُ الْعِيشِ الرَقِيقِ
لِيَوْمٍ فِيهِ تَوْفِيَةُ الْحُقُوقِ
أَبِي الْوَضَّاحِ رَتَّاقِ الْفُتُوقِ
وَبَعْدَ سَمَاعَةِ الْعَوْدِ الْعَتِيقِ
هَما أَخَوَاكَ فِي الزَّمَنِ الْأَنِيقِ
وَأَنْتَ أُمَامَ طَلَّابٍ لَحُوقِ

1 النِّيقُ : أَعْلَى مَوْضِعٍ فِي الْجَبَلِ .

2 الزَّهْوَقُ : الْهَالِكُ .

3 الْبِكَارُ : جَمْعُ بَكَرٍ وَهُوَ الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْفَنِيقُ : الْفَحْلُ الْمَكْرَمُ لَا يُؤْذِي لِكِرَامَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا يُرَكَبُ .

4 الشَّيْزَى : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَعْمَلُ مِنْهُ الْقَصَاعُ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَا صَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقَالُ لِلْجَفَانِ شَيْزَى .

ودنياك التي أمستَ فيها مزايلة الشقيق عن الشقيق
ومّا قاله في مرثية أهله وذكر الموت وغني فيه ، وإنّما نذكر منها ما فيه غناء لأنّها
طويلة : [من الرجز]

صوت

ما لك وضاح دائم الغزل ألت تخشى تقارب الأجل
صلّ لذي العرش واتخذ قدماً تُنجيك يوم العثار والزّل
يا موت ما إن تزال معترضاً لأملٍ دون منتهى الأمل
لو كان من فر منك منفلاً إذا لأسرعتُ رحلة الجمل
لكنّ كفّيك نال طولهما ما كلّ عنه نجائب الإبل
تنال كفّاك كلّ مُسهلة وحوت بحر ومَعِيل الوعل
لولا حِذاري من الختوف فقد أصبحتُ من خوفها على وجّل
لكنّ للقلب في الهوى تبعاً إنّ هواه رائب الحجل
جرّمة تسكن الحجاز لها شيخٌ غيور يعتلّ بالعلل¹
علّق قلبي ريب بيت ملو لك ذات قرطين وعثة الكفل²
تفتّر عن منطقي تضين به يجري رُضاباً كذائب العسل

[قال شعراً يشبّ بحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني
سليمان بن أبي أيّوب عن مُصعب قال : قال وضاح اليمن في حَبابة جارية يزيد بن
عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأعجب
بها إعجاباً شديداً : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا مَنْ لقلبٍ لا يُطى مع الزاجرين ولا يُفقى
تسلو قلوبُ ذوي الهوى وهو المكلف والمشوق

1 جرّمة : نسبة إلى الحرم .

2 امرأة وعثة : كثيرة اللحم .

تَبَلَّتْ حَبَابَةُ قَلْبِهِ بِالذَّلِّ وَالشَّكْلِ الْأَنْيَقِ¹
وَبَعِينَ أَحْوَرَ يَرْتَعِي سَقَطَ الْكُثِيبُ مِنَ الْعَقِيقِ²
مَكْحُولَةٌ بِالسَّحَرِ تُنَدِّ شَيْءٌ نَشْوَةُ الْخَمْرِ الْعَتِيقِ
هَيْفَاءُ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ لَاحَتْ كَطَالَعَةِ الشَّرُوقِ
وَالرَّدْفُ مِثْلُ نَقَاءِ تَلِّ بَدَّ فَهُوَ زُحْلُوقُ زُلُوقِ
فِي دَرَّةِ الْأَصْدَافِ مَعَ تَنْقَأَ بِهَا رَذَعُ الْخَلُوقِ³
دَاوِي هَوَايَ وَأُطْفِئِي مَا فِي الْفُؤَادِ مِنَ الْحَرِيقِ
وَتَرْفُقِي أُمِّي فَقَدْ كَلَّفَتْنِي مَا لَا أُطِيقُ
فِي الْقَلْبِ مِنْكَ جَوَى الْمُحَدِّ بَّ وَرَاحَةُ الصَّبِّ الشَّفِيقِ
هَذَا يَقُودُ بِرُمَّتِي قُوداً إِلَيْكَ وَذَا يَسُوقُ
يَا نَفْسُ قَدْ كَلَّفَتْنِي تَعَبَ الْهَوَى مِنْهَا فَذُوقِ⁴
إِنْ كُنْتَ تَائِقَةً لِحِ رَّ صَبَابَةٍ مِنْهَا فَتُوقِ

[شعره في روضة]

ومما قال في روضة وفيه عناء قوله :

[من الخفيف]

صوت

يَا لِقَوْمِي لِكثْرَةِ الْعَذَالِ وَلطِيفِ سَرَى مَلِيحِ الدَّلَالِ
زَائِرٍ فِي قُصُورِ صَنْعَاءَ يَسْرِي كُلُّ أَرْضٍ مَخُوفَةٍ وَجِبَالِ

والغناء لابن عباد عن الهشامي رمل ، وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة

[من الخفيف]

يقول فيها :

يَقْطَعُ الْحَزْنَ وَالْمَهَامَةَ وَالْبَيْدَ دَ وَمِنْ دُونِهِ ثَمَانُ لَيَالِي
عَاتَبَ فِي الْمَنَامِ أَحَبَّ بَعْتَبَا هَ إِلَيْنَا وَقَوْلِهِ مِنْ مَقَالِ
قَلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا عَدَدَ الْقَطْ رَ وَسَهْلًا بِطَيفِ هَذَا الْخَيَالِ

1 قلبه في ل : لَبَّه .

2 سَقَطَ الْكُثِيبُ : منقطعه .

3 رَذَعُ : أثر الطيب في الجسد ، والخلوق : ضرب من الطيب .

4 فذوقِ وتوقِ أصلهما ذوقِي وتوقِي .

حَبْدًا مَنْ إِذَا خَلُونَا نَجِيًّا وَهِيَ الهمَّ وَالْمَنَى وَهَوَى النَفْ
 قَالَ : أَهْلِي لَكَ الْفِدَاءُ وَمَالِي قَسَيْتُ مَا كَانَ قَبْلَنَا مِنْ هَوَى النَّا
 س إِذَا اعْتَلَّ ذُو هَوَىِّ بِاعْتِلَالِ لَمْ أَجِدْ حَبَّهَا يُشَاكِلُهُ الْحَا
 س فَمَا قَسَيْتُ حَبَّهَا بِمِثَالِ كُلَّ حَبٍّ إِذَا اسْتَطَالَ سَبِيلِي
 سَبَّ وَلَا وَجَدْنَا كَوَجْدَ الرِّجَالِ لَمْ يَزِدْهُ تَقَادُّمُ الْعَهْدِ إِلَّا
 وَهَوَى رَوْضَةَ الْمَنَى غَيْرُ بَالِي أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ كَيْفَ عَتَابِي
 جِدَّةٌ عِنْدَنَا وَحَسَنَ احْتِلَالِ كَيْفَ عَذَلِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي
 بَعْدَ مَا شَابَ مَقَرِّي وَقَدَالِي وَالَّذِي أَحْرَمُوا لَهُ وَأَحْلَوْا
 بِمَكَانِ الْيَمِينِ أُخْتِ الشَّمَالِ مَا مَلَكَتُ الْهَوَى وَلَا النَّفْسَ مِنِّي
 بَعْنَى صُبْحِ عَاشِرَاتِ اللَّيَالِي إِنْ نَأَتْ كَانَ نَأْيُهَا الْمَوْتَ صِرْفًا
 مُنْذُ عُلَّقْتُهَا فَكَيْفَ احْتِيَالِي يَا ابْنَةَ الْمَالِكِيِّ يَا يَهْنَجَةَ النَّفْ
 أَوْ دَنْتُ لِي فَتَمَّ يَدُو خَبَالِي أَيَّ ذَنْبٍ عَلَيَّ إِنْ قُلْتُ إِنِّي
 س أَفِي حَبِّكُمْ يَحِلُّ اقْتِتَالِي لِأَحِبِّ الْحِجَازِ مِنْ حَبِّ مَنْ فِيهِ
 لِأَحِبِّ الْحِجَازِ حَسْبَ الزُّلَالِ وَهَوَى حِلَالَهُ مِنْ حِلَالِ¹
 وَمَا فِيهِ غَنَاءٌ مِنْ شَعْرٍ وَضَّاح :

[من المديد]

صوت

أَيُّهَا النَّاعِبُ مَاذَا تَقُولُ فَكَلَانَا سَائِلٌ وَمَسْئُولُ
 لَا كَسَاكَ اللَّهُ مَا عَشْتُ رِيثًا وَبِخَوْفٍ بَتٌّ ثُمَّ تَقِيلُ
 ثُمَّ لَا أَتَقَفْتُ فِي الْعُشِّ فَرَحًا أَبْدَأُ إِلَّا عَلَيْكَ دَلِيلُ²
 حِينَ تُتَبَّى أَنَّ هِنْدًا قَرِيبًا يِلْغُ الْحَاجَاتِ مِنْهَا الرِّسُولُ
 وَنَأَتْ هِنْدٌ فَخَبِرَتْ عَنْهَا أَنَّ عَهْدَ الْوَدِّ سَوْفَ يَزُولُ

[من الكامل]

ومنها :

1 الحلال : جمع حِلَّة وهي المحلّة أو القوم النزول فيهم كثرة .

2 أتقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

صوت

حي التي أقصى فؤادك حلت
وإذا رأيتك تقلقت أحشاؤها
وإذا دخلت فأغلقت أبوابها
وإذا خرجت بكت عليك صباة
إن كنت يا وضاح زرت فمرحبا
علمت بأنك عاشق فأدلت
شوقاً إليك فأكرت وأقلت
عزم الغيور حجابها فاعتلت
حتى تبل دموعها ما بلت
رحبت عليك بلادنا وأظلت

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها خفيف رمل بالوسطى يماني عن عمرو وفيها ليحيى المكي ثاني ثقيل بالوسطى ، من كتابه . ولابنه أحمد فيها هزج . وذكر حبش أن ليحيى فيها أيضاً خفيف ثقيل .

ومنها :

[من الطويل]

صوت

أتعرف أطلالاً بميسرة اللوى
فأهلاً وسهلاً بالتي حل حبها
إلى أرعب قد حالفتك به الصبا¹
فؤادي وحلت دار شحط من النوى

الغناء فيه هزج يمني بالنصر عن ابن المكي ، وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة ، وقد عتب عليه في بعض الأمور . وفيها يقول :

[من الطويل]

أبادر دُرْنوكَ الأمير وقربه
وأتبع القصاص كل عشية
لأذكر في أهل الكرامة والنهي²
رجاء ثواب الله في عدد الخطا
وأصبت في صنعاء ألتمس الندى
فإن شئت فاقطعنا كما يُقَطَّع السلى³
فعلنا وقلنا للذي تشتهي بلى
وإن شئت وصل الرحم في غير حيلة
وإن شئت صرماً للتفرق والنوى
فبعداً ، أدام الله تفرقة النوى

ومنها :

[من الكامل]

1 أرعب : موضع .

2 الدُرْنوك : الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب .

3 السلى : الجلد الذي يكون فيها الجنين ، فإن انقطع في البطن هلك الأم والجنين .

صوت

طَرَقَ الخيالُ فمرحباً أَلْفَا بالشاغفاتِ قلوبنا شَغَفَا
ولقد يقول لي الطيبُ وما نبأته من شأننا حَرَفَا :
إني لأحسب أن داءك ذا من ذي دَمالَجٍ يخضِبُ الكَفَا
إني أنا الوضّاح إن تصلي أحسن بك التشيبَ والوصفا
شطّطَ فشفّ القلبَ ذِكْرُكُهَا ودنتُ فما بذلتُ لنا عُرُفَا

ومنها :

صوت

[من مجزوء الكامل]

ويروى لبشار :

يا مرحباً أَلْفَا وَأَلْفَا بالكاسيراتِ إليّ طَرُفَا
رُجُحَ الرّوادِفِ كالظُّبَا ء تعرّضت حُوءاً ووطُفَا
أنكرن مركبي الحِما رَ وكنّ لا يُنكرن طِرُفَا
وسألنني أينَ الشبا بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلُفَا
أفنى شبابي فانقضى حِلْفُ النساءِ تبعن حِلُفَا
أعطيتهنّ مودّتي فعزّينني كذباً وخُلُفَا
وقصائدُ مثل الرُّقَى أرسلتهنّ فكنّ شَغَفَا
أوجعن كلّ مُغازِلٍ وعَصَفْنَ بالغيران عَصَفَا
من كلّ لذاتِ القتَى قد نلتُ نائلةً وعُرُفَا
صِدتُ الأوانسَ كالدمى وسقيتهنّ الخمرَ صِرُفَا

ومنها : وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجدّه أبي جَمَدَ : [من الطويل]

صوت

أُعْنِي على يضاء تَنكَلٌ عن بَرَدٍ وتمشي على هَوْنٍ كَمِشِيَةِ ذي الحَرَدِ¹

1 تنكل : تفتت وتبسم . الحَرَد : ثقل الدرع على المدرع أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

وتلبس من بزّ العراق مناصفاً
إذا قلت يوماً نوليني تبسمت
سموت إليها بعد ما نام بعلمها
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً
ألت ترى من حولنا من عدونا
فقلت لها إني امرؤ فاعلمينه
بنى لي إسماعيل مجداً مؤثلاً
تطيف علينا قهوة في زجاجة
ومنها :

وأبراد عصب من مهلهلة الجند¹
وقالت لعمر الله لو أنه اقتصد
وقد وسدته الكف في ليلة الصرد
ستعطى الذي تهوى على رغم من حسد
وكل غلام شامخ الأنف قد مرّد
إذا ما أخذت السيف لم أحفل العدّد
وعبد كلال قبله وأبو جمّد
تريك جبان القوم أمضى من الأسد

[من مجزوء البسيط]

صوت

يا أيّها القلب بعض ما تجد
قد يكثم المرء حبه حقيقاً
قد يترعون من فتى غزل
يهددوني كيما أخافهم
قد يعشق القلب ثم يتد
وهو عميد وقلبه كمد
قد تيمته خمصانة رؤد
هيهات أنى يهدد الأسد

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

صدع الين والتفرق قلبي
ثوت النفس في الحمول لديها
ولقد قلت والمدامع تجري
جزعاً للفراق يوم تولت :
وتولت أم البنين بلبي
وتولّى بالجسم مني صخي
بدموع كانتها فيض غرب
حسبي الله ذو المعارج حسبي

[من السريع]

ومنها :

صوت

يا أمة الواحد جودي فما
جودي علينا اليوم أو بيني
إن تصرميني فيما أو لما
فيم قتلت الرجل المسلما

1 وأبراد في ل : وأكبش . العصب : ضرب من برود اليمن ، واحده وجمعه سواء . الجند : مدينة باليمن .

إِنِّي وَأَيْدِي قُلُوصٍ ضُمِّرِ وَكُلُّ خِرْقٍ وَرَدَ الْمَوْسِمَا¹
 مَا عُلِقَ الْقَلْبُ كَعَلِيقِهَا وَاضْعَةٌ كَفَأَ عَلَتْ مِغْصِمَا
 رَبَّةٌ مُحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أُرْتَقِي سُلْمَا
 إِخْوَتُهَا أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَنْفُونَ عَنْهَا الْفَارِسَ الْمُعْلَمَا
 كَيْفَ أَرْجِيهَا وَمِنْ دُونِهَا بَوَابُ سَوْءٍ يُعْجِلُ الْمُشْتَمَا
 أَسْوَدُ هَتَّكَ لِأَعْرَاضٍ مَنْ مَرَّ عَلَى الْأَبْوَابِ أَوْ سَلَمَا
 لَا مِنَّةً أَعْلَمُ كَانَتْ لَهَا عِنْدِي وَلَا تَطْلُبُ فِينَا دَمَا
 بَلْ هِيَ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَاشِقًا صَبًّا رَمَتْهُ الْيَوْمَ فَيَمِنْ رَمَى
 لَمَّا ارْتَمِينَا وَرَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أُثْبِتَتْ فِي قَلْبِهِ أَسْهُمَا
 أَعْجَبَهَا ذَاكَ فَأَبْدَتْ لَهُ سُنَّتَهَا الْبِيضَاءُ وَالْمِغْصَمَا²
 قَامَتْ تَرَاءَى لِي عَلَى قَصْرِهَا بَيْنَ جَوَارٍ خُرَّدٍ كَالْدُمَى
 وَتَعْقِدُ الْمِرْطَ عَلَى جَسْرَةٍ مِثْلَ كَثِيبِ الرَّمْلِ أَوْ أَعْظَمَا

ومنها :

[من مخْلَع البسيط]

صوت

دَعَاكَ مِنْ شَوْكَ الدَّوَاعِي وَأَنْتَ وَضَّاحٌ ذُو اتِّبَاعٍ
 دَعَتْكَ مَيَّالَةٌ لَعُوبٌ أَسِيلَةُ الْخَدِّ بِاللَّمَاعِ
 دَلَالُكَ الْحُلُوِّ وَالْمَشْهِي وَلَيْسَ سَرِيكَ بِالْمُضَاعِ
 لَا أَمْنَعُ النَّفْسَ عَنْ هَوَاها وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى انْقِطَاعِ

ومنها :

[من الطويل]

صوت

أَلَا يَا لِقَوْمِي أَطْلِقُوا غُلَّ مَرْتَهَنٍ وَمُنُّوا عَلَى مُسْتَشِيرِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
 تَذَكَّرْ سَلَمِي وَهِيَ نَازِحَةٌ فَحَنٍّ وَهَلْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا اغْتَرَبَ الْوَطَنُ
 أَلَمْ تَرَهَا صَفْرَاءَ رُودًا شَبَابُهَا أَسِيلَةَ مَجْرَى الدَّمْعِ كَالشَّادَنِ الْأَغْنِ

1 الخِرْق : الفتى الحسن الكريم الخليفة .

2 السُّنَّة : الوجه ، وقيل الجبهة والجبينان .

وَأَبْصَرْتُ سَلْمَى بَيْنَ بُرْدَيِ مَرَّاجِلٍ وَأَبْرَادَ عَصَبٍ مِنْ مُهْلَهَلَةِ الْيَمَنِ¹
 فَقُلْتُ لَهَا لَا تَرْتَقِي السُّطْحَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ ذِي لِمَةٍ حَسَنُ
 الْغَنَاءِ لَابِنِ سُرُيْجٍ ، وَلَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ لَحْنَانٌ : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَرَمَلُ
 بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَأَوَّلُ الرَّمْلِ قَوْلُهُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَلَا يَا لِقَوْمِي أَطْلُقُوا غُلًّا مَرْتَهَنَ

وَأَوَّلُ الثَّقِيلِ الْأَوَّلُ : «تَذَكَّرْ سَلْمَى» . وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ هَزَجٌ يَمْنِيَّ بِالْبَنْصَرِ .

[مِنَ الطَّوِيلِ] ومنها :

صوت

أَغْدَوْتُ أُمًّا فِي الرَّائِحِينَ تَرُوحُ أَمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ الْحَسَانِ صَحِيحُ
 إِذْ قَالَتْ الْحَسَنَاءُ مَا لَصَدِيقِنَا رَثَّ الثِّيَابَ وَإِنَّهُ لِمَلِيحُ
 لَا تَسْأَلِنَّ عَنْ الثِّيَابِ فَإِنِّي يَوْمَ الْلِقَاءِ عَلَى الْكُمَاةِ مُشِيحُ
 أَرْمِي وَأَطْعَنَ ثُمَّ أُتْبِعَ ضَرْبَةً تَدْعُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ تَنُوحُ

صوت

من المائة المختارة

[مِنَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

يَا صَاحِبَ إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ وَزُرْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ
 وَأَتَيْتُ لُدًّا عَامِدًا فِي عِيدِ مَرْيَا سَرْجَسٍ²
 فَرَأَيْتُ فِيهِ نِسْوَةً مِثْلَ الظُّبَاءِ الْكُنَّسِ

الشَّعْرُ وَالْغَنَاءُ لِلْمُعَلَّى بْنِ طَرِيفٍ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ . وَلَحْنُهُ الْمُخْتَارُ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .
 وَكَانَ الْمُعَلَّى بْنُ طَرِيفٍ وَأَخُوهُ لَيْثُ مَمْلُوكَيْنِ مَوْلَدَيْنِ مِنْ مَوْلَدِي الْكُوفَةِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِهَا ،
 فَاشْتَرَاهُمَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ وَأَهْدَاهُمَا إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَوَهَبَهُمَا الْمَنْصُورُ لِلْمَهْدِيِّ فَأَعْتَقَهُمَا .
 وَنَهَرَ الْمُعَلَّى وَرَبِضَ الْمُعَلَّى بِيغْدَادَ مَنْسُوبَ إِلَى الْمُعَلَّى هَكَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ خُرْدَاذْبَةَ ، وَكَانَ
 ضَارِبًا مُحْسِنًا طَيِّبَ الصَّوْتِ حَسَنَ الْأَدَاءِ صَالِحَ الصَّنْعَةِ ، أَخَذَ الْغَنَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ جَامِعَ

1 المراجيل : ضرب من برود اليمن عليها تصاوير .

2 لُدٌّ : هي مدينة الله بفلسطين .

وحَكَمَ الوادي . ووَلَّى أخوه لَيْثَ السُّنْدِ ، ووَلَّى هو الطَّرَازُ¹ والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البرم فهزمه ، ثم وَلَّى الأهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللَّيْثَ ويهجو عليَّ بنَ صالح صاحبَ المصَلَّى : [من الخفيف]

يا عليَّ بنَ صالحَ ذا المصَلَّى أنتَ تَقْدِي لَيْثاً وتَقْدِي المَعْلَى
سَدَّ لَيْثٌ ثَغْراً ووَلَّيتَ فاختَتَدَ ستَ فبِئْسَ المولى وبئسَ المولى

وعليَّ بنَ سليمان هذا الذي أَهْدَى المَعْلَى وأخاه إلى المهديِّ هو الذي يقول فيه أبو دُلَامَةَ زَنْد بن الجَوْن الأسديّ ؛ وكان خرج مع المهديِّ إلى الصيد ، فرمى المهديُّ وعليَّ بنَ سليمان ظبيّاً سَنَحَ لهما ، وقد أرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأصاب المهديُّ الظبيَّ وأصاب عليَّ بنَ سليمان الكلبَ فقتلاه . فقال أبو دُلَامَةَ : [من مجزوء الرمل]

قد رمى المهديُّ ظبيّاً شكَّ بالسهم فوادةً
وعليُّ بنُ سُليمان نِ رَمَى كَلْباً فصاده
فهنيئاً لهما كـ لَ امرئ يأكل زادةً

حدَّثنا بذلك الحسن بن عليٍّ عن أحمد بن زهير عن مصعب ، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمِّه .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أَلَا طَرَدَ الهوى عني رُقَادِي فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهَادِ
لعبدةَ إِنَّ عبدةَ تَيْمَنِي وحلَّت من فَوَادِي في السَّوَادِ

الشعر لبشار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر ، ذكر يحيى بن عليٍّ أنه يمني ، وذكر الهشاميُّ أنه لسُليم .

1 الطراز : يريد ديوان الطراز وهو الذي تُنسج فيه الثياب .

[91] - أخبار بشار وعَبْدَة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت¹

[حَبَّ لِعَبْدَة وشعره فيها]

يُحَدِّثُنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ هَكَذَا قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَمِّي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَسْرُورٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ لِبَشَّارٍ مَجْلِسٌ يَجْلِسُ فِيهِ يُقَالُ لَهُ الْبَرْدَانُ . فَبَيْنَا هُوَ فِي مَجْلِسِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ النِّسَاءُ يَحْضُرْنَ ، إِذْ سَمِعَ كَلَامَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا عَبْدَة فِي الْمَجْلِسِ ، فَدَعَا غُلَامَهُ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ عَلَّقْتُ امْرَأَةً ، فَإِذَا تَكَلَّمْتُ فَانْظُرْ مَنْ هِيَ وَاعْرِفْهَا ، فَإِذَا انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَانْصَرَفَ أَهْلُهُ فَاتَّبَعَهَا وَكَلَّمَهَا وَأَعْلَمَهَا أَنِّي لَهَا حَبٌّ وَأَنْشَدَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَعَرَّفَهَا أَنِّي قُلْتُهَا فِيهَا :

[من البسيط]

صوت

قَالُوا بَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ بِجَارِيَةٍ يَلْقَى بِلُقْيَانِهَا رَوْحاً وَرَيْحَانَا
وَيُرَى : هَلْ مِنْ دَوَاءٍ لِمَشْغُوفٍ بِجَارِيَةٍ .

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعَشُّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحياناً
غَنَى إِبْرَاهِيمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَانِيَّ ثَقِيلٍ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، عَنْ إِسْحَاقَ .
وَفِيهَا لِسِيَاطٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ، عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهَا لِإِسْحَاقَ هَزَجٌ مِنْ جَامِعِ أَغَانِيهِ ، قَالَ :
فَابْلَغْهَا الْغُلَامُ الْأَبْيَاتَ ، فَهَشَّتْ لَهَا ، وَكَانَتْ تَزُورُهُ مَعَ نِسْوَةٍ يَصْحَبْنَهَا فَيَأْكُلْنَ عِنْدَهُ وَيُشِيرْنَ
وَيَنْصَرِفْنَ بَعْدَ أَنْ يَحْدِثُهَا وَيُنْشِدُهَا وَلَا تُطْمَعُهُ فِي نَفْسِهَا . قَالَ : وَقَالَ فِيهَا : [من البسيط]

قَالَتْ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حَبِّهَا أَثَرٌ²
أَتَى وَلَمْ تَرَهَا تَهْذِي ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْفَوَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ³

1 تقدّمت أخباره في الجزء الثالث ، ص 94 من هذا الكتاب .

2 عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .

3 تهذي في الديوان : تصبو 3 : 159 .

أصبحت كالحائس الحزان مجتنباً لم يقضِ ورداً ولا يرجى له صدر¹
 قال : وقال فيها أيضاً وهو من جيد ما قال فيها : [من الطويل]
 يُزهدني في حبّ عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
 فقلت دَعُوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يُصير ذو الحب²
 فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب³
 وما الحسن إلا كلّ حُسنٍ دعا الصبا وآلف بين العشق والعاشق الصبّ
 قال : وقال فيها : [من مجزوء البسيط]

يا قلبُ ما لي أراك لا تقرُّ إياك أعني وعندك الخبرُ
 أضعت بين الألى مَضُوناً حرقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بَكروا ؟
 فقال بعضُ الحديث يشغفني والقلبُ راء ما لا يرى البصرُ

[عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه]

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا الحسن بن غليل العنزي
 قال حدثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة ، وزاد فيها : أن عبدة
 جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحدهن قريب فسألته أن يقول شعراً يُنخّن عليه به ،
 فوافيته وقد احتجم وكان له مجلسان : مجلس يجلس فيه غُدوة يسميه «البردان» ومجلس
 يجلس فيه عشية يسميه «الرقيق» وهو جالس في البردان وقد قال لغلّامه : أمسيك علي بابي
 واطبخ لي وهبيء طعامي وطيبه وصف⁴ نبذي . قال : فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعاً
 عنيفاً ؛ فقال : ويحك يا غلام ! انظر من يدق الباب دقّ الشرط ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال :
 خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يُنخّن فيه ؛ فقال : أدخلهن . فلما دخلن نظرن
 إلى النبيذ مُصَفّى في قَنَائِيه ؛ [في جانب بيته] فقالت إحدهن : خمر ؛ وقالت الأخرى :
 زبيب ؛ وقالت الأخرى : معسل . فقال : لستُ بقاتل لكنّ حرفاً أو تطعمن من طعامي
 وتشربن من شرابي . فتماسكن ساعة ، وقالت إحدهن : فما عليكنّ من ذلك ! هذا أعمى ،
 كلن من طعامه واشربن من شرابه وخُذْنِ شعره ، ففعلن . وبلغ ذلك الحسن البصري فغابه
 وهتف به . فبلغ ذلك بشاراً ، وكان الحسن يُلقب القسّ ، فقال فيه بشار : [من مجزوء الكامل]

1 مجتنباً في الديوان : محسباً 3 : 159 .

2 ذو الحبّ في الديوان : ذو اللب 4 : 12 .

3 تبصر في ل : تنظر .

4 في ل : وصبّ .

لَمَّا طَلَعْنَ مِنَ الرَّقِيَّةِ قَى عَلِيٌّ بِالْبَرْدَانِ خَمْسًا
وَكَانَهُنَّ أَهْلًا تَحْتَ الثِّيَابِ زَفَقْنَ شَمْسًا
بَاكَرْنَ طَيْبَ لَطِيمَةٍ وَغَمِسْنَ فِي الْجَادِيَّ غَمْسًا
فَسَأَلَنِي مَنْ فِي الْبُيُوتِ تَفَقَّلْتُ مَا يَحْوِيْنَ إِنْسًا
لَيْتَ الْعَيُونَ النَّاضِرَا تِ طُمِسْنَ عَنَّا الْيَوْمَ طُمْسًا
فَأَصْبَنَ مِنْ طَرَفِ الْحَدِيدِ ثَ لَذَاذَةً وَخَرَجْنَ مُلْسًا
لَوْلَا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يَا قَسُّ كُنْتُ كَأَنَّ قَسًّا

[لأمة مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس]

أخبرني الأسديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالوا حدثنا العنزيّ قال حدثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النوفليّ قال : أتيت بشاراً ذات يوم ، فقال لي : ما شعرت منذ أيام إلا بقارح يقرع بابي مع الصبح ؛ فقلت : يا جارية ، انظري من هذا ؛ فقالت : ما لك بن دينار ؛ فقلت : ما لي ولمالك بن دينار ! ما هو من أشكالي ! ائذني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذ ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت : لا أعاود ؛ فخرج من عندي . وقلت في إثره : [من المتقارب]

غدا مالكٌ بمَلَاماته عليّ وما باتَ مِن بَالِيَةٍ
[على حبّ خود مقيم الحشا من الحور محطوة عالية]
فقلتُ دَعِ اللومَ فِي حُبِّهَا فقبلك أَعْيَيْتُ غُدَالِيَةٍ
وإني لأَكْمَهُمْ سِرَّهَا غداة تقول لها الجالية
أَعْبَدَ مَا لَكَ مَسْلُوبَةً وَكنتِ مُقَرَّطَةً حَالِيَةٍ¹
فقلت على رِقْبَةٍ : إِنِّي رَهْنَتْ المَرَعَثَ خَلْخَالِيَةٍ
بمجلسٍ يومٍ سأوفي به وَإِن أنكر الناسُ أحوَالِيَةٍ

[أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فردّ عليها شعر فيها]

أخبرني وكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الحسن بن جمهور قال حدثني هشام بن الأحنف ، راوية بشار ، قال : إِنِّي لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك السلام وتقول لك : قد اشتدّ شوقنا إليك ولم نرك منذ

1 مقرطقة : لابسة القُرْطُق وهو القباء .

أيام ؛ فقال : عن غير مَقْلِيَة والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام ، خذ الرقعة واكتب فيها ما أقولُ لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأَمَلِي عليّ : [من الخفيف]

عبدَ إني إليك بالأشواقِ لِتلاقٍ وكيف لي بالتلاقي
أنا والله أَشْتهِي سحرَ عينيْ لك وأخشى مَصارعَ العشاقِ
وأهاب الحَرْسِي مُحْتَسِبَ الجُنْدِ سدَّ يَلْفَ البريء بالفُسَّاقِ¹
ومَّا يَغْنَى فيه من شعر بشار في عبدَة قوله : [من الطويل]

صوت

لعبدة دارٍ ما تكلمنا الدارُ تُلوح مغانِها كما لاح أَسْطَارُ
أَسْأَلُ أَجْاراً ونُوباً مُهْذَماً وكيف يُجيب القولَ نُويٍّ وأَجْارُ
وما كَلَمْتُني دارُها إذ سألْتُها وفي كبدي كالنَّفْطِ شُبَّتْ به النارُ
وعند مَغاني دارها لو تكلَّمْتُ ليَكْتَسِبَ بادِي الصَّبابةِ أخبارُ
الغناء لإبراهيم ثاني ثَقِيلٍ مطلقٍ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثَقِيلٌ أوَّلُ
عن الهشامي . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

تَحْمَلُ جِيرانِي فعِني لَبْنَهُم تَفِيضُ بَهْتَانٍ إذا لاحَتِ الدارُ
بَكَيْتُ على مَنْ كُنْتُ أَحْظَى بقرِبه وحقَّ الذي حاذرتُ بالأَمْسِ إذ ساروا²
الغناء ليحيى المَكِّي ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبنصر .
ومن الأغاني في شعره في عبدَة :

صوت

مَسْنِي من صدود عبدَة ضُرُّ فَبَنَاتُ الفَوَادِ ما تَسْتَقِرُّ
ذاك شيء في القلب من حَبِّ عب دةً بادٍ وباطنٌ يَسْتَسِرُّ
الغناء لإبراهيم ثاني ثَقِيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رَمَلٌ
بالبنصر عن عمرو . وفيه لحكم ثَقِيلٌ أوَّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه
لفريدة خفيفٌ ثَقِيلٌ عن إسحاق . وفيه ليحيى المَكِّي ثَقِيلٌ أوَّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن
مُحرز رَمَلٌ عن الهشامي .

1 الحَرْسِي : واحد حرس السَلْطَان وسَكَنَ للضرورة .

2 ساروا : في الديوان صاروا ، ص 448 (طبعة دار صادر) .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد إني قد ظلمتُ وإني مُبْدِ مَقَالَةً رَاغِبٌ أَوْ رَاهِبٍ
وَأَتُوبُ مِمَّا تَكْرَهِينَ لِتَقْبَلِي وَاللَّهُ يَقْبَلُ حُسْنَ فَعْلٍ التَّائِبِ
الغناء لحكم خفيفٌ ثَقِيلٌ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه لِيَحْيَى الْمَكِّيَّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مِنْ كِتَابِهِ . وفيه
لِحُسَيْنِ بْنِ مُحَرَّرِ رَمَلٍ عَنْ الْهَشَامِيِّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد حُبُّكَ شَفَّنِي شَفَاً وَالْحُبُّ دَائِمٌ يُورِثُ الْحَتْفَا
وَالْحُبُّ يُخْفِيهِ الْحَبَّ ، لَكِي لَا يُسْتَرَابُ بِهِ ، وَمَا يَخْفَى
الغناء لِسَيَّاطٍ خَفِيفٌ رَمَلٍ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبد بِاللَّهِ فَرَّجِي كُرْبِي فَقَدْ بَرَانِي وَشَفَّنِي نَصْبِي
وَضِيقْتُ ذُرْعاً بِمَا كَلِّفْتُ بِهِ مِنْ حَبِّكَمُ وَالْحُبُّ فِي تَعَبِ
فَقَرَّجِي كُرْبَةً شَجِيتُ بِهَا وَحَرَ حُزْنٍ فِي الصَّدْرِ كَاللَّهَبِ
وَلَا تَظَنِّي مَا أَشْتَكِي لَعِباً هِيَهَاتَ قَدْ جَلَّ ذَا عَنِ اللَّعِبِ
غَنَاهُ سَيَّاطٌ ثَقِيلًا أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .
ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد زُورِنِي تَكُنْ مِنَّةً لِلَّهِ عِنْدِي يَوْمَ أُنْفَاكِ
وَاللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فَاسْتَيْقَنِي إِنِّي لِأَرْجُوكَ وَأَخْشَاكِ
يا عبد إِنِّي هَالِكٌ مُدْنَفٌ إِنْ لَمْ أَذُقْ بَرْدَ ثَنَائِكَ
فَلَا تَرُدِّي عَاشِقًا مُدْنَفًا يَرْضَى بِهَذَا الْقَدَرِ مِنْ ذَاكِ
الغناء لحكم هَزَجٌ خَفِيفٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد قد طال المطالُ فأنعمي واشفي فؤادَ فتى يهيم مُتيم
الغناء ليزيد حوراء غيرُ مجنس عن إبراهيم .
ومنها :

[من المنسرح]

صوت

يا عبد هل للقاء من سببٍ أولاً فادعو بالويل والحرب
الغناء ليزيد حوراء غيرُ مجنس .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

يا عبد هل لي منكم من عائد أم هل لديك صلاحُ قلب فاسد
الغناء لابن عبّاد عن إبراهيم غيرُ مجنس .
ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد حي عن قريب وتأملي عين الرقيب
وارعي ودادي غائباً فلقد رعيتك في المغيب
أشكو إليك وإنما يشكو المحب إلى الحبيب
غرضي إليك من الهوى غرض المريض إلى الطبيب
الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر .
ومنها :

[من السريع]

صوت

يا عبد بالله ارحمي عبدك وعَلَّيه بمنى وعَدِك
يُصبح مكروباً ويُمسي به وليس يدري ما له عندك
ماذا تقولين لربّ العلا إذا تخليت به وحدك

الغناء لإبراهيم ثاني ثقل بالبنصر عن عمرو . وفيه لإسحاق هزج من جامع أغانيه . وفيه
ليزيد حوراء لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه . وذكر حبش أن الثقل الثاني لسيّاط .
ومنها :

[من المجث]

صوت

يا عَبْدَ جَلِّي كروبي وَأَسْعِفِي وَأُثْيِي¹
 فقد تطاول همِّي وزفرتي ونحييي
 الغناء لابن سكرة عن إبراهيم ولم يجنسه .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد أنت ذخيرتي نفسي فدلتك وجيرتي
 الله يعلم فيكمُ يا عبد حسن سريرتي
 نفسي لنفسك خلة² وكذلك أنت أميرتي²
 الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد حُبِّي لك مستور وكل حب غيره زور
 إن كان هجري سركم فاهجروا إني بما سرك مسرور
 الغناء لحكم هزج³ بالوسطى عن ابن المكي .

ومنها : [من الرمل]

صوت

لم يطلُ ليلى ولكن لم أنم ونفَى عني الكرى طيفاً أَلَمَّ
 وإذا قلتُ لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
 رفهي يا عبد عني واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
 إن في بُردِي جسماً ناحلاً لو تَوَكَّأتِ عليه لأنهدم
 ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذم

الغناء لحكم هزج بالسبابة والوسطى عن ابن المكي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد . وفيه لعنت الأسد خفيف رمل في الأول والخامس . وكان بشار ينكر هذا

1 وأثيي في الديوان : وأثيي ، ص 437 ، طبعة دار صادر .

2 خلة : خلية .

3 في ل : خفيف رمل .

البيت الأخير وهو :

[من الرمل]

ختم الحب لها في عنقي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني أبو حاتم السَّجِسْتاني قال حدثني مَنْ أنشد بشاراً قوله :

[من الرمل]

لم يطل ليلى ولكن لم أتم

حتى بلغ إلى قوله :

[من الرمل]

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذم

فقال بشار : عَمَنْ أَخَذْتَ هذا ؟ قلتُ : عَنْ رَاوِيكَ فلان ؛ فقال : قَبِّحْهُ الله ؛ والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أَمَا تَرَى إِلَى أَثَرِهِ فِيهِ ؟ مَا أَقْبَحَهُ وَأَشَدَّ تَمِيزَهُ عَنْ مَذْهَبِي ! فقال له بعضُ من حضر : نَعَمْ ، هُوَ الْحَقُّه بِالْأَبْيَاتِ .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

عَبْدُ إِنِّي قَدْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي وَاعْرِكِي خَطَايَا بَجَنْبِ¹
عَبْدٌ لَا صَبْرَ لِي وَلَسْتُ فَمَهْلًا قَائِلًا قَدْ عَتَبْتُ فِي غَيْرِ عَتَبِ
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَنْصَبْنِي الْحَدَّ بُؤْسًا فَأَبْلَى جِسْمِي وَعَذَّبَ قَلْبِي
رَبُّ لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْهَجْرِ حَسْبِي فَأَقْلَنْتِي حَسْبِي لَكَ الْحَمْدُ حَسْبِي

الغناء لِسَيَاطِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيه لِسُلَيْمِ هَزَجٌ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّي .

[من مجزوء الرمل]

ومنها :

صوت

عَبْدُ مُنِّي وَأَنْعَمِي قَدْ مَلَكَتُمْ قِيَادِي
شَابَ رَأْسِي وَلَمْ تَشَبْ وَابْلَايِي لِذَاتِي

الغناء لِسَيَاطِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيه لَعَرِيبُ هَزَجٌ .

[من الخفيف]

ومنها :

1 واعركي في ل : واعدي .

صوت

عبد يا هِمَّتِي عَلَيْكَ السَّلَامُ فِيمَ يُجَفِّي حَبِيْبُكَ الْمُسْتَهَامُ¹
 نَزَلَ الْحَبَّ مَنَزَلًا فِي فَوَّادِي وَلَهُ فِيهِ مَجْلَسٌ وَمَقَامٌ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي زَكَارٍ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَعَرِيبٌ هَزَجٌ² .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبد يا قُرَّةَ عَيْنِي أَنْصَفِي ، رُوحِي فَدَاكِ
 عَاشِقٌ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ رَ وَلَا هُمْ سَوَالِكُ
 الْغَنَاءُ لَعَرِيبٌ هَزَجٌ . وَفِيهِ لَحْنٌ لِيَزِيدَ حَوْرَاءَ غَيْرَ مَجْنَسٍ .

ومنها : [من الرمل]

صوت

يَا عَبْدُ يَا جَافِيَةً قَاطَعَهُ أَمَّا رَحِمَتِ الْمُقَلَّةُ الدَّامِعَةُ
 يَا عَبْدُ خَافِي اللَّهِ فِي عَاشِقِي يَهْوَاكِ حَتَّى تَقَعَ الْوَاقِعَةُ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي زَكَارٍ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَرْسَلْتُ أُمَّ جَعْفَرَ لَا تَزُورُ لَيْتَ شَعْرِي بِالْغَيْبِ مَنْ ذَا دَهَاها
 أَتَاهَا عَحْرَشٌ بَنَمِيمٍ كَاذِبٌ مَا أَرَادَ إِلَّا رَدَّاهَا

عروضه من الخفيف ، الشعر للأخوص . والغناء لأم جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر ، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكي وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو الهشامي .

1 الهمة : الهوى .

2 في ل : رمل .

[92] - أخبار الأحوص مع أم جعفر

[أم جعفر التي كان يشب بها الأحوص ونسبها]

وقد ذكرت أخبار الأحوص متقدماً إلا أخباره مع أم جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخرت إلى هذا الموضع . وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمَة¹ ، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عَرْفُطَة بن قَتادة بن مَعَدَّ بن غِيَاث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمَة بن جُشَم بن مالك بن الأوس . وله فيها أشعار كثيرة .

[تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، وأخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن المخزوم بن جعفر الدؤسي ، قالوا جميعاً : لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر وشاع ذكره³ فيها توعد⁴ أخوها أيمن وهذده فلم يئته ، فاستعدى عليه وإلى المدينة ، وقال الزبير في خبره : فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ، فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فجالدا فغلب أخوها . وقال غير الزبير في خبره : وسلح الأحوص في ثيابه وهرب وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها : [من الطويل]

لقد منعتُ معروفها أم جعفر	وإني إلى معروفها لفقيـر
وقد أنكرتُ بعدَ اعترافِ زيارتي	وقد وُغرتُ فيها عليّ صدورُ
أدورُ ولولا أن أرى أم جعفر	بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ بيبتها	وقلبي إلى البيت الذي لا أزورُ
وما كنتُ زواراً ولكن ذا الهوى	إذا لم يُزرَ لا بُدَّ أن سيزورُ

1 لقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه .

2 في ل : معبد .

3 في ل : شعره .

4 في ل : أوعد .

أزورُ على أن لستُ أنفكُ كلُّما أتيتُ عدوًّا بالبنان يُشيرُ
فقال السائب بن عمرو ، أحد بني عمرو بن عوف ، يعارضُ الأحوصَ في هذه الأبيات
ويعيِّره بفراره : [من الطويل]

لقد منع المعروفَ من أمِّ جعفر أخو ثقةٍ عند الجلاد صبورُ
علاك بمَن السوطِ حتى اتَّقِيته بأصفرَ من ماء الصَّفاقِ يفورُ¹
فقال الأحوص : [من الطويل]

إذا أنا لم أغفرَ لأَيِّمَن ذنبه فَمَن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي
أريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدُّني يدٌ لأدانيه مباركةٌ عندي
وقال الزبير في خبره خاصّة : وإِنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن
يتضاريا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان ؛ فإنه كان لما تهاجى سالم بن دارة ومرة بن واقع العطفاني
الفراري لزمهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شبة في خبره : وقال الأحوص فيها أيضاً ، وقد أنشدني علي بن سليمان
الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبة بيتين فأضفتها إليهما : [من الطويل]

وإني ليدعوني هوى أمِّ جعفر وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإني لآتي البيتَ ما إن أحبه وأكثرَ هجرَ البيت وهو حبيبُ
وأغضي على أشياء منكم تسوءني وأدعى إلى ما سرَّكم فأجيبُ
هَيِّني امرأ إمَّا بريئاً ظلَّمته وإمَّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ
فلا تركي نفسي شعاعاً فإنها من الحزن قد كادت عليك تذوبُ
لك الله إني واصلٌ ما وصلني ومُثْنٍ بما أوليتني ومُثِيبُ
وآخذٌ ما أعطيتَ عفواً وإني لأزورُ عما تكرهين هَيِّوبُ

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة ، وهي مروية للمجنون في عدّة روايات ؛
وهي بشعره أشبه . وفي هذه الأشعار التي مضت أغاني نسبتها : [من الطويل]

صوت

أدورُ ولولا أن أرى أمِّ جعفر بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ

1 الصَّفاق : جمع صَقَق وهو الأديم الجديد الذي يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر يسمى صَقَق .

أَدُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْكَ كَلَّمَا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَنَانِ يُشِيرُ
الغناء لمُعبد ، وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّيَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ وَخَفِيفٌ
ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَإِسْحَاقُ فِيهِمَا وَفِي قَوْلِهِ :
[من الطويل]

أَزُورُ الْبُيُوتَ اللَّاصِقَاتِ بَيْتِهَا

وبعده : [من الطويل]

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنَّ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ

لَحْنٌ مِنَ الرَّمْلِ . وَفِي الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ فِيهِمَا غَنَاءٌ مَعْبِدٌ ، لِلْغَرِيضِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ الْهَشَامِيِّ ،
وَلِابِرَاهِيمَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَفِيهِ لَحْنٌ لَشَارِيَّةٍ عَنْ ابْنِ الْمَعْتَزِّ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ .
ومنها : [من الطويل]

صوت

إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيْمَنْ ذَنْبَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْفو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ مَكَافَأَةً لَهُ وَتَصُدَّنِي يَدٌ لِأَدَانِيهِ مَبَارَكَةٌ عِنْدِي
الغناء لمُعبد ثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ مِنْ مَنْحُولٍ يَحْيَى إِلَى
مَعْبِدٍ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ يَنْسَبُ إِلَى غَرِيبٍ وَرَوْنَقٍ .
ومنها وهو : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

وَأَنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنْ أَحْبَبُهُ	وَأَكْثَرَ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
وَأَغْضِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكُمْ تَسْوَأُنِي	وَأَدْعِي إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ
وَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِكِ حَتَّى كَانَتْني	أُمِيمٌ بِأَفْيَاءِ الدِّيارِ سَلِيبُ ¹
أُبْشُكَ مَا أَلْقَى وَفِي النَّفْسِ حَاجَةٌ	لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي	وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ
وَأَخُذُ مَا أُعْطِيتِ عَفْوَاً وَإِنِّي	لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهُينَ هَيُوبُ
فَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شَعاعاً فَإِنَّهَا	مِنَ الْحَزَنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ

1 أُمِيمٌ : فِي ل : لَيْمٍ . سَلِيبٌ : مُسْتَلَبُ الْعَقْلِ .

الشعر للأحوص . ومن الناس مَنْ ينسب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحْمَان . وهو ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلقٌ في مجرى البصر . وذكر الهشاميُّ أَنَّ في الأبيات الأربعة لابن سُرَيْج لحناً من الثَقِيلِ الأوَّل ، فلا أعلمُ الحنَّ دَحْمَانَ عَنَى أُم ثَقِيلاً آخر . وفي :

لَكَ اللهُ إِنِّي واصلٌ ما وصلتني ومُنَّ بِمَا أوليتني ومُثِيبٌ
لِإِسْحَاقَ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيها لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى .

[لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ أُمِّ جَعْفَرٍ عَرَضْتُ لَهُ فِي أَمْرِ فَحَلَفَ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ ؛ قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ عَنْ مُحَرِّزٍ : أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ لَمَّا أَكْثَرَ الْأَحْوَصُ فِي ذِكْرِهَا جَاءَتْ مُنْتَقِيَةً ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ وَلَا يَعْرِفُهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً عَفِيفَةً ؛ فَقَالَتْ لَهُ : اقْضِ ثَمَنَ الْغَنَمِ الَّتِي ابْتَعَهَا مِنِّي ؛ فَقَالَ : مَا ابْتَعْتُ مِنْكَ شَيْئاً . فَأَظْهَرَتْ كِتَاباً قَدْ وَضَعَتْهُ عَلَيْهِ وَبَكَتْ وَشَكَتْ حَاجَةً وَضُرّاً وَفَاقَةً وَقَالَتْ : يَا قَوْمَ ، كَلِّمُوهُ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ وَقَالُوا : اقْضِ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا ؛ فَجَعَلَ يَحْلِفُ أَنَّهُ مَا رَأَاهَا قَطُّ وَلَا يَعْرِفُهَا . فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : وَيْحَكَ ! أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَجَعَلَ يَحْلِفُ مُجْتَهِداً أَنَّهُ مَا يَعْرِفُهَا وَلَا رَأَاهَا قَطُّ . حَتَّى إِذَا اسْتَفَاضَ قَوْلُهَا وَقَوْلُهُ واجتمع الناسُ وَكثُرُوا وَسَمِعُوا مَا دَارَ وَكَثُرَ لَفْظُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ ، قَامَتْ ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْكُتُوا . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ صَدَقْتَ ، وَاللَّهِ مَا لِي عَلَيْكَ حَقٌّ وَلَا تَعْرِفُنِي ، وَقَدْ حَلَفْتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ صَادِقٌ ، وَأَنَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَأَنْتَ تَقُولُ : قُلْتُ لِأُمِّ جَعْفَرٍ وَقَالَتْ لِي أُمُّ جَعْفَرٍ فِي شَعْرِكَ ! فَخَجِلَ الْأَحْوَصُ وَانْكَسَرَ عَنْ ذَلِكَ وَبَرِئَتْ عَنْهُمْ .

[سَمِعْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِيَّ شَعْرًا لَهُ فَطَرَبَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ثَعْلَبُ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : أُنْشِدْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِيَّ قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

لَقَدْ مَنَعْتُ مَعْرُوفَهَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

أَزُورُ عَلَى أَنَّ لَسْتُ أَنْفَكَ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَنَانِ يُشِيرُ

أَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَطَرِبَ وَقَالَ : أَتَدْرِي يَا ابْنَ أَخِي كَيْفَ كَانُوا يَقُولُونَ ! السَّاعَةَ دَخَلَ ، السَّاعَةَ خَرَجَ ، السَّاعَةَ مَرَّ ، السَّاعَةَ رَجَعَ ، وَجَعَلَ يُؤْمِئُ بِإِبْهَامِيهِ إِلَى وَرَاءِ مَنْكَبِيهِ وَبِسَبَابَتِهِ إِلَى حِيَالِ وَجْهِهِ وَيَقْلِبُهَا ، يَحْكِي ذَهَابَهُ وَرَجُوعَهُ .

صوت من المائة المختارة

[من مجزوء الخفيف]

صاح قد لُمتَ ظالماً فانظرِ أن كنتَ لائماً
هل ترى مثلَ ظبيّة قلدوها التماثما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار للمالك خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرني ذُكَاء وجه الرزة أن فيه لِعَرِيبَ رملًا بالبنصر ، وهو الذي فيه سَجْحَة . وفيه لابن المكِّي خفيفٌ ثقيلٌ آخرٌ بالوسطى . وزعم الهشامي أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيْج ، وقد سمعها مَن يغنيهِ . وذكر حَبَش أن فيه رملًا آخر للغريص . ولعاتكة بنت شهدة فيه خفيفٌ ثقيلٌ ، وهو من جيد صنعتها ، وذكر جَحْظَة عن أصحابه أن لحنها الرمل وهو اللحن المختار ، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيده ، ويزعم أنه أخذها عنها . وقال ابن المعتز : حدّثني أبو عبد الله الهشامي : أن عَرِيب صنعتُ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بشراً قط غناه أحسن من خِشْف الواضحية .

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرت ، أو لها موضع تُذكر فيه ، إلا عاتكة بنت شهدة فإن أخبارها تذكر هاهنا ؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا . وقد ذكر جَحْظَة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةً غيرها .

[93] - [عاتكة بنت شهدة]

[عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها]

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية . وأمها شهدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح .
وكانت شهدة مغنية أيضاً .

[غنى ابن داود الرشيد صوتاً لأمها فطرب]

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا العلاء¹ قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال
حدثني عبد الله بن العباس الربيعي عن بعض المغنين قال : كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جامع
والموصلي وغيرهما ، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علي ؛ فتغنى المغنون ،
ثم اندفع محمد بن داود فغناه بين أضعافهم :

صوت

أم الوليد سَلَبَتْنِي حِلْمِي	وَقَتَلَتْنِي فَتَخَوَّفِي إِثْمِي
بِاللَّهِ يَا أُمَّ الْوَلِيدِ أَمَا	تَخْشَيْنَ فِي عَوَاقِبِ الظُّلَمِ
وَتَرْكَنْتَنِي أَبْغِي الطَّيِّبَ وَمَا	لَطِيبِنَا بِالْدَّاءِ مِنْ عِلْمِ
خَافِي إلهِكَ فِي ابْنِ عَمِّكَ قَدْ	زَوَّدَتَهُ سَقَمًا عَلَى سَقَمِ

قال : فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطربوا له . فقال له
الرشيد : يا حبيبي ، لمن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سل هؤلاء المغنين لمن
هو . فقالوا : والله ما ندري ، وإنه لغريب . فقال : بحياتي لمن هو ؟ فقال : وحياتك ما
أدري إلا أنني أخذته من شهدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهدة . هذا الشعر المذكور
لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن مخرز ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقیل أول بالخنصر في
مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقیل بالبنصر عن عمرو . وفيه للملك ثاني

ثقیل بالوسطی عن عمرو وفيه تسليم خفيف رمل بالنصر . وحسين بن مخرز ثقیل أول
عن الهشامي وحش .

[كانت ضاربة مجيدة وعنهما أخذ إسحاق الموصلي]

أخبرني محمد بن مزید عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً
فقال : كانت أضرب مَنْ رَأَيْتُ بالعود ؛ ولقد مكثتُ سبع سنين أختلفُ إليها في كلِّ يوم
فَتُضَارِبُنِي ضرباً أو ضربين¹ ، ووصل إليها مني ومن أبي بسبي أكثر من ثلاثين ألف درهم :
دراهم وهدايا .

[ماتت بالبصرة ، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : كانت عاتكة بنت شهدة أحسنَ
خَلَقَ الله غناءً وأرواهم ، وماتت بالبصرة . وأمها شهدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع
يَلُودُ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائها قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما
هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودعنا من جنونك . فأضجرتَه يوماً بين
يدي الرشيد فقال لها : أي أم العباس : إنني أشتهي ، عَليمَ الله ، أن تحتك شِعْرَتِي بشعرتك .
فقال : احسأ ، قطع الله ظهرك ! ولم تعد لأذاه بعدها .

[غُتَّ جارية شعر فعارضتها هي وذمت بنداراً الزيات]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال : قال لي علي بن
جعفر بن محمد : دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة ، وعاتكة بنت شهدة
تطارحنَ لحنها :

يا صاحبي دَعَا الملامةَ واعلما أن الهوى يَدْعُ الكرامَ عبيدا

فجعلت واحدةً منهن تقول : « يدعُ الرجالَ عبيداً » . فصاحت بها عاتكة بنت شهدة :
ويلك ! بُندارُ الزيات العاضُ بظُرِّ أمه رجل ! أفيمن الكرام هو ؟ . قال : فكنتُ إذا مرَّ بي
بُندارُ أو رأيتُه غلبنِي الضحك فاستحيي منه وأخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة ؛ حتى أَوْرَثَ
هذا بيني وبينه مقاربة ؛ فكان يقول : أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي .

[علّمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة ، وهي علّمتَه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛
فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذكر ذلك في أخباره .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

ولو أنَّ ما عند ابن بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلُ
لعمري لأنَّ البيتَ أَكْرَمُ أَهْلَهُ وأَقْعُدُ في أَفْيائِهِ بالأَصْائِلِ¹

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذؤيب الهذلي . والغناء لحكم الوادي ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعي ، رجل كان يبيع الخمر بالطائف ، وزعم أنَّ الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابي : ليس هذا بشيء ، وزعم أنَّ الناطل : الشيء ؛ يقال : ما في هذا إلناء ناطل ، أي ليس فيه شيء . وقال أبو عمرو الشيباني : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجرعة من الماء واللبن والنبيد . انتهى .

1 لأنَّ في ل : لآتي .

[94] - ذكر أبي ذؤيب¹ وخبره ونسبه

[نسبه]

هو خُوَيْلِدُ بن خالد بن مُحَرَّر² بن زَيْد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم³ بن سعد بن هذيل بن مُدْرِكَة بن الياس بن مضر بن نزار . وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فحسن إسلامه . ومات في غزاة إفريقية .

[رأى ابن سلام فيه شهادة حسن له]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة⁴ فيه ولا وهن .

وقال ابن سلام : قال أبو عمرو بن العلاء : سئل حسان بن ثابت : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أَحْيَا أم رجلاً ؟ قالوا : حياً ؛ قال : أشعر الناس حياً هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . قال ابن سلام : ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله .

[اسمه بالسريانية مؤلف زورا]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني محمد بن معاذ العمري قال : في التوراة : أبو ذؤيب مؤلف زوراً ، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية ، وهو كثير بن إسحاق ، فعجب منه وقال : قد بلغني ذلك . وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر .

[تقدم شعراء هذيل بقصيدته العينية]

قال أبو زيد عمر بن شبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيّه . يعني قوله :

[من الكامل]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 457 وطبقات ابن سلام : 131 والمؤتلف : 173 ومصورة ابن عساكر : 5 : 690 ومختصر ابن منظور : 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر : 5 : 182 وأسد الغابة : 5 : 188 والإصابة : 7 : 63 والوافي : 13 : 437 . والخزانة : 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 : 1 والعيني : 295 ومعاهد التنصيص : 2 : 165 والدميري : 2 : 47 ومعجم الأدباء : 3 : 1275-1277 والتذكرة الحمدونية : 8 : 28-29 .

2 في ل : محرز .

3 في ل : غنم .

4 غمزة : مطمن .

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبِّهِ تَوَجَّعُ¹ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَن يَجَزَعُ²

وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون وورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغنى فيه منها على أثر أخباره هذه .

[خرج مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فمات في مصر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبيري ، وأخبرني حزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جُند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازياً إفرنجة في زمن عثمان . فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزُّبير وكان في جنده بشيراً إلى عثمان بن عفان ، وبعث معه نفرأ فيهم أبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب :

فصاحبَ صدقٍ كسيده الضُّرَّاء يَنْهَضُ فِي الْغَزْوِ نَهْضاً نَجِيحاً²

في قصيدة له . فلما قديما مصر مات أبو ذؤيب بها . وقديم ابن الزُّبير على عثمان ، وهو يومئذٍ ، في قول ابن الزُّبير ، ابنُ ست وعشرين سنة ؛ وفي قول الواقيدي ابن أربع وعشرين سنة . ويُشر عبد الله عند مقدّمه بخبيب بن عبد الله بن الزُّبير وبأخيه عروة بن الزُّبير ، وكانا ولدا في ذلك العام ، وخبيب أكبرهما .

[وصف ابن الزبير لحرب إفريقية]

قال مصعب : فسمعتُ أبي والزُّبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير يقولان : قال عبد الله بن الزُّبير : أحاط بنا جرّير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً ؛ فضاقت بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي ، فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عورة من جرّير والناس على مصافهم ، رأيته على بردون أشهب خلف أصحابه منقطعاً منهم ، معه جارتان له تظللان من الشمس بربيش الطواويس . فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه ؛ فقال : إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أمسك الناس عنه . قال : فدرت فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ودخلت عليه ، فإذا هو مُستلقٍ على فراشه ؛ ففزع وقال : ما الذي أدخلك علي يا ابن الزُّبير ؟ فقلت : إيه وإيه ! كلُّ أَرْبٍ³ نفور ! إني رأيت عورة من عدونا فرجوت الفرصة فيه وخشيت فواتها ، فاخرج فاندب

1 ورّيه في ل : ورّيهها .

2 الضُّرَّاء في ل : الغضا .

3 الأرب من الإبل : الذي يكثر شعر حاجبيه .

الناس إليّ. قال : وما هي ؟ فأخبرته ؛ فقال : عورةٌ لعمرى ! ثم خرج فرأى ما رأيت ؛ فقال : أيها الناس ، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، وقلت : إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإنّي سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فدبّوا عني حتى خرّقتهم إلى أرض خالية ، وتبيّنته فصمّدت¹ صمّده ؛ فوالله ما حسب إلا أنّي رسول ولا ظنّ أكثر أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى برذونه هارباً ، فأدركته فطعنته فسقط ، ورميتُ بنفسي عليه ، واتّقتُ جاريتاه عنه السيفَ فقطعت يد إحداهما . وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسه في رُحمي ، وجال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف² شاؤوا ، وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أحدٌ أحقّ بالبخشارة منك ، فبعثني إلى عثمان .

[اشترى مروان خمس فيء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان]

وقليم مروان³ بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقسموه . وكان مروان قد صفق⁴ على الخمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك ممّا تكلم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حنبل⁵ بن مليل وكان هو وأخوه كلدة أخوي صفوان بن أمية بن خلف لأُمّه ، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة :

[من المتقارب]

أخلف بالله جهد اليم	من ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي تبلى فيك أو تبلى
دعوت الطريد فادنته	خلفاً لسنة من قد مضى ⁶
وأعطيت مروان خمس العبا	د ظلماً لهم وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري	من الفياء أعطيته من دنا
وإنّ الأمين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى

1 صمد صمد الأمر : قصد قصده .

2 في ل : حيث .

3 هو الخليفة مروان بن الحكم .

4 الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع .

5 في ل : حسان .

6 الطريد : الحكم بن العاص بن أمية .

فما أخذنا درهماً غيلةً ولا قسمًا درهماً في هوى

قال : والمال الذي ذكر أن الأشعري جاء به مال كان أبو موسى قديم به على عثمان من العراق ، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم ، وقيل : ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناس ذلك .

[ذكر ابن بكرة وخمره في قصيدة غنى في أبيات منها]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز ، أظنه ابن الدراوردي ، قال : ابن بكرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عدي بن كعب من قريش ، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قط ، وبالمدينة منهم امرأة ، ولهم موالٍ أشهرُ منهم ، يقال لهم بنو سجعان . وكان ابن بكرة هذا خماراً . وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكيم الوادي المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فمما يغنى فيه منها :

صوت

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تُسأَلْ عن الحيّ أم عن عهده بالأوائِل
عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبينه وعفرَ طباء قد ثَوَتْ في المنازل¹
فلو أن ما عند ابن بكرة عندها من الخمر لم تبُلل لَهاتي بناطل
فتلك التي لا يذهبُ الدهرُ حبُّها ولا ذكرُها ما أرزمتُ أم حائل

غناه الفريض ثقيلًا أولًا بالوسطى . ويقال : إن لمعبد فيه أيضًا لحناً .

قوله : «أسألت» يخاطب نفسه . ويروى : «عن السُّكن أو عن أهله» . والسُّكن الذي كانوا فيه . وقال الأصمعي : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضًا . ويروى : «عفا غير نُوي الدار» . والنُوي : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلاَّ يصل المطر إليها . ويروى وهو الصحيح :

وأقطع طُفّي قد عَفَتْ في المعازل²

والطُفّي : خوص المقل . والمعازل : حيث نزلوا فامتنعوا ، واحداها معقل . وواحد الطُفّي : طُفّية . وأرزمت : حنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقب : الذكر . ومنها :

[من الطويل]

1 تبيينه في ل : أبيته .

2 أقطع : جمع قطع وهو كالقطع الغصن تقطعه من الشجرة .

صوت

وإن حديثاً منك لو تبدلنيهِ جنى النحل في ألبان عوذٍ مَطاغل
مَطاغل أبكارٍ حديثٍ يتاجها تُشاب بماءٍ مثل ماء المفاصل

غناه ابن سريج رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعوذ : جمع عائد ، الناقة حين تضع فهي عائد ، فإذا تبعها ولدتها قيل لها مُطْفِل . والمفاصل : مُنفَصِل السهل من الجبل حيث يكون الرضراض¹ ، والماء الذي يستنقع² فيها أطيب المياه . وتُشاب : تُخلط .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي : أن أبا ذؤيب إنما عني بقوله : «مَطاغل أبكار» أن لبن الأبقار أطيب الألبان ، وهو لبنها لأول بطن وضعت . قال : وكذلك العسل فإن أطيبه ما كان من بكر النحل . قال : وحدثني كردين قال : كتب الحجاج إلى عامله على فارس : إبعث إلي بعسل من عسل خلار³ ، من النحل الأبقار ، من المستفشار⁴ ، الذي لم تمسه النار .

[صوت من قصيدته العينية]

فأما قصيدته العينية التي فضّل بها ، فمما يغني به منها :

[من الكامل]

صوت

أمنَ المنون وزينها تتوجعُ والدهرُ ليس بمُعْتَبٍ من يَجْزَعُ
قالت أمانة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثلُ مالك يَنفَعُ
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ
فأجبتُها أن ما لجسمي أنه أودى بنيّ من البلاد فودّعوا

عروضه من الكامل . غناه ابن مُحَرِّز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالنصر في مجراها . قال الأصمعي : سُميت المنون منوناً لأنها تذهب بمنّة كل شيء وهي قوته . وروى الأصمعي : «ورثته» فذكر المنون . والشاحب : المُغَيَّر المَهْزُول . يقال : شَحِبَ يشحب . ابتذلت : امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر ومثلُ مالك يُغْنِيكَ عن هذا ، فاشترى لنفسك مَنْ يَكْفِيكَ ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أقضَّ عليك أي

1 الرضراض : ما دق من الحصى .

2 يستنقع : يجتمع .

3 خلار (كرمان) موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد .

4 المستفشار : لفظه فارسية ، معناها : ما عصرته الأيدي وعالجه .

خَشُنْ فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَضُ : الرمل والحصى . قال الراجز : [من الرجز]
 إِنَّ أَحْيَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَوُجِدَ فِي مَرْمَضِهِ حَيْثُ ارْتَمَضُ¹
 عَسَاقِلٌ وَجِبَا فِيهَا قَضَضُ²

وودّعوا : ذهبوا . استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

[طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدّب فأجازه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال حدثني أبي عن
 الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته
 من المدينة³ إلى مقابر قريش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره .
 ثم أقبل على الربيع⁴ فقال : يا ربيع انظر من في أهلي يُنشدني : [من الكامل]
 أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبَّيْهَا تَوَجَّعَ

حتى أتسلى بها عن مصيبتني . قال الربيع : فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم
 حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله
 لمصيبتني بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلّة رغبتهم في الأدب أعظم وأشدّ عليّ من
 مصيبتني بابني . ثم قال : انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها ، فإني أحب أن
 أسمعها من إنسان يُنشدّها . فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا يُنشدّها إلا شيخاً كبيراً
 مؤدّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شِعْر
 أَبِي ذُؤَيْبٍ . فقلت : أتشدني . فابتدأ هذه القصيدة العينية . فقلت له : أنت بُغيتي . ثم أوصلته
 إلى المنصور فاستنشدّه إيّاها . فلما قال :

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ⁵

قال : صدق والله ، فأتشدني هذا البيت مائة مرة ليرتدّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدّه ، ثم
 مرّ فيها . فلما انتهى إلى قوله :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعٍ⁶

1 ارتمض الرجل من كذا : أي اشتدّ عليه وأقلقه .

2 العساقل : ضرب من الكمأة . والجبء : الكمأة السود .

3 يريد بغداد .

4 هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

5 أعتبه : رجع إلى ما يُرضيه وترك ما يُسخطه .

6 جون السراة يقصد الحمار . والجدائد : الأذن التي لا لبن لها .

قال : سلاً أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أمر الشيخ بالانصراف . فاتبعته فقلت له : أأمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ فأراني صرة في يده فيها مائة درهم .

[خانه خالد بن زهير في امرأة يهاها كان خان هو فيها عويم بن مالك]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو ، وكان يُرسل إليها خالد¹ بن زهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها . فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرّمها . فأرسلت تترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها : [من الطويل]

تريدن كيما تجمعيني وخالداً	وهل يُجمع السيفان ويحلّ في غمدي
أخالد ما راعيت مني قرابة	فتحفظني بالغيث أو بعض ما تبدي ²
دعاك إليها مقلتاها وجيدها	فملت كما مال المحب على غمدي
وكنّت كرقراق السراب إذا بدا	لقوم وقد بات المطي بهم يخدي ³
فأليت لا أنفك أخذو قصيدة	تكون وإياها بها مثلاً بعدي

غناه ابن سريج خفيف رمل بالنصر . الغيب : السر . والرقراق : الجاري . ويروى : «أخذو قصيدة» . فمن قال : «أخذو» بالذال المعجمة أراد أصنع ، ومن قال : «أخذو» أراد أغني .

وقال أبو ذؤيب في ذلك :

وما حمّل البخني عام غيابه	عليه الوسوق بُرها وشعرها ⁴
أتى قرية كانت كثيراً طعامها	كرّفغ التراب كل شيء يميها ⁵

الرفع من التراب : الكثير اللين .

ف قيل تحمّل فوق طوقك إنها مطبّعة من ياتها لا يضيرها

1 خالد بن زهير الهذلي ، ابن أخت أبي ذؤيب .

2 مني في ل : من ذي .

3 خدى البعير : أسرع وزج بقوائمه .

4 الغيار : مصدر غارهم يغيهم إذا مارهم أي اتاهم بالميرة . الوسوق : جمع وسق : وهو حمل البعير ، وقيل الحمل عامة .

5 أتى قرية في ل : إلى قرية .

7 • كتاب الأغاني - ج 6

بأعظمَ مما كنتُ حَمَلْتُ خالداً وبعضُ أماناتِ الرجالِ غُرورها
ولو أنني حَمَلْتُهُ البُزْلَ ما مَشَتْ به البُزْلُ حتى تَتَأَيَّبَ صدورُها
تتَلَبَّ : تستقيم وتتصب وتمتد وتتابع .
خليلي الذي دلى لَغْيي خليلتي جِهاراً فكلُّ قد أَصابَ غُرورها¹
يقال : عَرَه بكذا أي أَصابه [به] .
فشأنُكها ، إني أَمِينٌ وإِنِّي إذا ما تَحَالَى مثلُها لا أَطورها
تَحَالَى : من الخلاوة . أَطورها : أَقْرَبُها :
أُحاذِر يوماً أن تَبِين قَريَتي ويُسلمها أحرارُها ونَصيرُها
الأحرار : الحصون . قريتي : نفسي .
وما أَنفُسُ الفَتَيانِ إِلَّا قرائنُ تَبِينُ وَيَقِي هَامُها وقُبورها
فَنفَسَك فاحفظُها ولا تُفَشِّرِ للعدا من الشرِّ ما يُطوى عليه ضَميرُها
وما يُحَفِّظُ المكتومُ من سرِّ أهله إذا عَقَدُ الأسرارِ ضاعَ كبيرُها
مِنَ القومِ إِلَّا ذو عَقَافٍ يُعِينه على ذاك منه صِدْقُ نفسٍ وخيرُها
رَعَى خالداً سَريَ لياليَ نَفْسُه تَوَالَى على قَصْدِ السبيلِ أُمورها
فلَمَّا تراماه الشَّبابُ وَغِيه وفي النفسِ منه فِتْنَةٌ وفُجورُها²
لوى رأسَه عَنِّي ومالَ بودَه أَغانيجُ خَوْدِ كانَ فينا يَزورُها³
تَعَلَّقَه منها دَلالٌ ومُقلَّة تَظَلُّ لأَصحابِ الشَّقَاءِ تُديرُها
فإنَّ حراماً أنْ أَخونَ أمانةً وآمَنَ نَفْساً ليسَ عِندي ضَميرُها

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبْعِدَنَّ اللهُ لُبَّكَ إِذْ غَزَا وسافرَ والأحلامُ جَمُّ غُورها
غزا وسافرَ لُبَّكَ : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ .
وكنْتَ إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقتْ بأمرِ صُدورها

1 دلى فلان فلاناً في الشر : أوقعه وصيره فيه . العُرور : المعرة والعيب .

2 تراماه الشباب : أي تم شباؤه فكدف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .

3 الأغانيج : جمع أغنوجة .

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرُو تَبَدَّلَتْ سِوَاكَ خَلِيلًا شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا
الاستخارة : الاستعطاف .

فَإِنَّ الَّتِي فِينَا زَعَمْتَ وَمِثْلَهَا لَفَيْكَ وَلَكِنِّي أَرَاكَ تَجُورُهَا
تجورها : تُعرض¹ عنها .

أَلَمْ تَتَّقِهَا مِنْ عَوِيمِ بْنِ مَالِكٍ وَأَنْتِ صَفِيٌّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا²
فَلَا تَجْزَعْنَ مِنْ سُنَّةِ أَنْتِ سِرَّتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
ويروى [قد] أَسْرَتْهَا ، أَي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى «يسيرها» لأنَّ
مستقبل أفعل أسارها يسيرها . و«يسيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها .

فَإِنْ كُنْتَ تَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ مَخَانَةً فَتِلْكَ الْجَوَازِي عَقَبُهَا وَنُصُورُهَا
عَقَبُهَا : يريد عاقبتها . ونُصُورُهَا أَي تُنصر عليك ، الواحد نصر .

وَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي لِلظُّلَامَةِ مَرْكَبًا ذُلُولًا فَإِنِّي لَيْسَ عِنْدِي بَعِيرُهَا
نَشَأْتُ عَسِيرًا لَا تَلِينَ عَرِيكَتِي وَلَمْ يَغْلُ يَوْمًا فَوْقَ ظَهْرِي كُورُهَا³
مَتَى مَا تَشَأُ أَحْمِلُكَ وَالرَّأْسُ مَائِلٌ عَلَى صَعْبَةٍ حَرْفٍ وَشَيْكِ طُمُورُهَا⁴
فَلَا تَكُ كَالثَّوْرِ الَّذِي دُفِنَتْ لَهُ حَدِيدَةٌ حَتْفٍ ثُمَّ أَمْسَى يُثِيرُهَا
يُطِيلُ ثَوَاءً عِنْدَهَا لِيَرُدَّهَا وَهِيَ هَاتِ مِنْهُ دَارَهَا وَقُصُورُهَا
وَقَاسِمُهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لِأَنْتُمْ الَّذِي مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا
نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل .

فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ خَدْعُهُ يَوْمَ أَزْمَعْتُ صَرِيمَتَهَا وَالنَّفْسُ مُرٌّ ضَمِيرُهَا⁵
وَلَمْ يُلَفَّ جَلْدًا حَازِمًا ذَا عَزِيمَةٍ وَذَا قُوَّةٍ يَنْفِي بِهَا مِنْ يَزُورُهَا
فَأَقْصِرْ وَلَمْ تَأْخُذْكَ مِنِّي سَحَابَةٌ يُنْفِرُ شَاءَ الْمُقْلَعِينَ خَرِيرُهَا
المقْلعين : الذين أصابهم القَلْع وهو السحاب .

1 في ل : تعدل .

2 السَّجِير : الخليل الصفيّ .

3 الكور : الرّحل .

4 الرّأس : مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .

5 مُرٌّ ضميرها : أي نفسها خبيثة كارهة .

ولا تَسْقِنَ النَّاسَ مَنِّي بِخَمْطَةٍ مِّنَ السَّمِّ مَنْرُورٍ عَلَيْهَا ذَرُورَهَا¹

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا السَّكَنُ بن سَعِيد قال حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بن هشام قال حَدَّثَنِي أَبُو عمرو عبد الله بن الحارث الهَذَلِيُّ من أَهْلِ المدينة قال : خرج أَبُو ذُؤَيْب مع ابنه وابن أَخٍ له يقال له أَبُو عُبَيْد² ، حتى قَدِمُوا على عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه . فقال له : أَيُّ العمل أَفْضَلُ يا أَمِير المؤمنين ؟ قال : الإِيْمَانُ بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فَأَيُّ أَفْضَلُ بعده ؟ قال : الجِهَادُ في سبيل الله . قال : ذلك كَانَ عليَّ وَإِنِّي لَا أَرْجُو جَنَّةَ وَلَا أَخَافُ نَاراً . ثم خرج فغزا أَرْضَ الرُّومِ مع المسلمين . فَلَمَّا قَفَلُوا أَخَذَهُ الموت ؛ فَأَرَادَ ابْنُهُ وابنُ أَخِيهِ أَنْ يَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ جميعاً ؛ فمَنَعَهُمَا صَاحِبُ السَّاقَةِ وقال : لِيَتَخَلَّفْ عَلَيْهِ أَحَدُكُمَا وليَعْلَمْ أَنَّهُ مَقْتُولٌ . فقال لهما أَبُو ذُؤَيْب : اقترعَا ، فطارت القُرْعَةُ لِأَبِي عُبَيْد ، فتخلفَ عليه ومضى ابْنُهُ مع الناس . فكان أَبُو عُبَيْد يُحَدِّثُ قال لي أَبُو ذُؤَيْب : يا أبا عُبَيْد ، احْفِرْ ذَلِكَ الْجُرْفَ بِرِمْحِكَ ثم اعْضِدْ³ من الشجر بسيفك ثم اجْرُرْنِي إلى هَذَا النهر فَإِنَّكَ لَا تَفْرُغُ حَتَّى أَفْرُغَ ، فَاغْسِلْنِي وَكَفِّنِي ثم اجْعَلْنِي في حَفِيرِي وَإِنِّي⁴ عَلِيَّ الْجُرْفَ بِرِمْحِكَ ، وَأَلْقِ عَلَيَّ الْغُصُونَ وَالشَّجَر ، ثم اتَّبَعَ النَّاسُ فَإِنْ لَهُمْ رَهْجَةٌ⁵ تَرَاهَا في الأفق إِذَا مَشَيْتَ كَأَنَّهَا جَهَامَةٌ . قال : فما أَخْطَأَ مِمَّا قَالَ شَيْئاً ، وَلَوْلَا نَعْتُهُ لَمْ أَهْتَدِ لِأَثَرِ الْجَيْشِ . وقال وهو يجود بنفسه :

أَبَا عُبَيْد رُفِعَ الْكِتَابُ واقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ
وعند رَحْلِي جَمَلٌ نُّجَابٌ أَحْمَرُ في حَارِكِهِ انْصِبَابُ⁶

ثم مضيتُ حَتَّى لَحِقْتُ النَّاسَ . فكان يُقَالُ : إِنَّ أَهْلَ الإِسْلَامِ أَبْعَدُوا الْأَثَرَ في بِلَدِ الرُّومِ ، فما كَانَ وراءَ قَبْرِ أَبِي ذُؤَيْبَ قَبْرٌ يُعْرَفُ لِأَحَدٍ من المسلمين .

1 الخمطة : الطرية التي أخذت طعاماً ولم تستحكم ، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد .

2 في ل : عقيل .

3 عضد الشجر : قطعه .

4 نثل الركبة ينثلها : أخرج ترابها .

5 الرهجة : ما أثير من غبار .

6 الحارك : أعلى الكاهل .

[95] - ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

[نسبه وأصله وصناعته]

هو الحَكَم بن مَيْمُون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حَلَّاقاً يَحْلِقُ رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلاً أَحْوَلَ ، يُكْرِى الجَمَالَ ينقلُ عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويُكْنَى أبا يَحْيَى . وقال مصعب بن عبد الله بن الزُّبَيْر : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرس ، وكان جَمَلاً ينقلُ الزيتَ من وادي¹ القُرَى إلى المدينة .

[غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد]

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أَحْوَلَ أَجَنّاً² يَخْضِبُ بالحناء ، وكان جَمَلاً يحمل الزيتَ من جُدَّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحَذَق ، وكان ينقُرُ بالدفِّ وَيَغْنِي مرتجلاً ، وعُمِّرَ عمراً طويلاً ، غنى الوليد بن عبد الملك ، وغنى الرشيد ومات في الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعة من المغنِّين فيهم عمر بن زاذان ، وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسمِّي الوليد جامعاً لذتي ، وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك ، وقيل : ابن عبيد ، ويعقوب الوادي . وكلُّ هؤلاء كان يصنع فيُحَسِّن .

[مدح إسحاق الموصلي غناه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني حماد قال قال لي أبي : أحذق من رأيتُ من المغنِّين أربعة : جدك وحَكَم وفليح بن العوراء وسيّاط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحَسِّنون ، ويؤدّون غناء غيرهم فيُحَسِّنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنِّين أطبع من حَكَم وابن جامع ، وفليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

[غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه]

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزُّبَيَات أَنَّ أحمد بن المكيّ حدّثه عن أبيه قال حدّثني حكم الوادي ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّوْلِيّ قال حدّثنا الغلابيُّ عن حماد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال : أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد ، وهو

1 وادي القُرَى : وادي بين الشام والمدينة .

2 أَجَنّاً : أَحْدَب .

على حمار ، وعليه جبة وشي ورداء وشي وخف وشي ، وفي يده عقد جواهر ، وفي كُمه شيء لا أدري ما هو . فقال : مَنْ غَنَانِي ما أَشْتَهِي فله ما في كُمِّي وما علي وما معي وما تحتي ؛ فغَنَوْهُ كُلُّهُمْ فلم يَطْرَب ؛ فقال لي : غَنِّ يا غلام ، فغَنَيْتُ :
[من معزوء الرجز]

صوت

إكليلها ألوانُ ووجهها فتانُ
وخالها فريدُ ليس له جيرانُ
إذا مشت تَنَتُّ كأنها ثعبانُ

الشعر لمُطيع بن إِيَّاس . والغناء لحكم الوادي هَزَجٌ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كُمه ، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار ، فرمى به إليّ مع عقد الجواهر ؛ فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدة وجوه في أخبار مُطيع بن إِيَّاس .

[مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً]

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش :

[من الوافر]

صوت

أبو يحيى أخو الغَزَلِ المغنِّي بصيرٌ بالثَّقَالِ وبالخِفَافِ
على العيدان يُحَسِّنُ ما يُغَنِّي ويُحَسِّنُ ما يقول على الدَّفَافِ
غَنَاهُ حكم الوادي هَزَجاً بالبنصر .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادِيُّ قال حَدَّثَنِي أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي : يا قِصَافِي¹ ، إن رجلاً من قريش قال في هذا الشعر : [من الوافر]

أبو يحيى أخو الغَزَلِ المغنِّي

وقد غَنَيْتُ فيه ، فخذُ العودَ حتى تسمعه مني ؛ فأخذتُ العود فطربتُ عليه وغَنَانِيه ، فكنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ حَكَم الوادي هذا الصوت .

[سئل عن صوت فقال ما يكون إلّا لي]

قال أبو يحيى قال إسحاق : سمعتُ حَكَماً الوادي يُغَنِّي صوتاً فأعجبني ، فسألتُه لِمَنْ هو ؟ فقال : ولِمَنْ يكون هذا إلّا لي .

[فغضب من شيخ قال له أحسنت]

وقال مُصْعَب : حَدَّثَنِي شَيْخٌ أَنَّهُ سَمِعَ حَكَمًا الْوَادِيَّ يَغْنِي ، فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ ؛ فَأَلْقَى الدُّفَّ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ، تَرَانِي مَعَ الْمَغْنِيِّنَ مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً وَتَقُولُ لِي أَحْسَنْتَ ! .

[قصته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد]

وقال لي هارون حَدَّثَنِي مُدْرِكُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ قَالَ لِي فُلَيْحٌ : بَعَثَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَإِلَى حَكَمِ الْوَادِيَّ ، وَابْنُ جَامِعٍ مَعَنَا ، فَأَتَيْنَاهُ . فَقُلْتُ لِحَكَمِ الْوَادِيَّ أَوْ قَالَ لِي إِنَّ ابْنَ جَامِعٍ مَعَنَا ، فَعَاوَنِي عَلَيْهِ لِنَكْسِرِهِ . فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْغَنَاءِ غَنَى حَكَمٌ ، فَصَبَحْتُ وَقُلْتُ : هَكَذَا وَاللَّهِ يَكُونُ الْغَنَاءُ ! ثُمَّ غَنَيْتُ فَفَعَلَ بِي حَكَمٌ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَغَنَى ابْنُ جَامِعٍ فَمَا كُنَّا مَعَهُ فِي شَيْءٍ . فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أُرْسِلُ إِلَى جَارِيَتِهِ دَنَانِيرَ : إِنْ أَصْحَابُكَ عِنْدَنَا ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْنَا ؟ ! فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصَائِفُ لَهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَقُولُ لَهَا مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّا لَا نَسْمَعُ : لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَنْزَهُ نَفْسًا مِنْ فُلَيْحٍ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى غَلَامٍ لَهُ : أَنْ آتَتْ كُلَّ إِنْسَانٍ بِالْفُيْ دَرَاهِمٍ ، فَجَاءَ بِهَا . فَدَفَعَ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ أَلْفِينَ فَأَخَذَهَا فَطَرَحَهَا فِي كَمِّهِ ، وَلِحَكَمِ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَرَحَهَا فِي كَمِّهِ ، وَدَفَعَ إِلَى أَلْفِينَ . فَقُلْتُ لِدَنَانِيرَ : قَدْ بَلَغَ مِنِّي النَّبِيدُ فَاحْتِسِبِيهَا لِي عِنْدَكَ ، فَأَخَذَتِ الدَّرَاهِمَ مِنِّي وَبَعَثَتْ بِهَا إِلَيَّ مِنَ الْغَدِ ، وَقَدْ زَادَتْ عَلَيْهَا مِثْلَهَا ، وَأُرْسَلْتُ إِلَيَّ : قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بُوْدِيْعَتَكَ وَبِشْيَاءٍ أَحْبَبْتُ أَنْ تَفَرِّقَهُ عَلَى أَخَوَاتِي (تَعْنِي جَوَارِيَّ) .

[بلغ في المزج مبلغاً قصراً عنه غيره]

قال هارون بن محمد قال حماد بن إسحاق قال أبي : أَرْبَعَةٌ بَلَغُوا فِي أَرْبَعَةِ أَجْناسٍ مِنَ الْغَنَاءِ مَبْلَغًا قَصَرَ عَنْهُ غَيْرُهُمْ : مَعْبِدٌ فِي الثَّقِيلِ ، وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي الرَّمْلِ ، وَحَكَمٌ فِي الْمَزْجِ ، وَإِبْرَاهِيمُ فِي الْمَاخُورِيِّ .

[كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم بن المهدي فوصله هو أيضاً وأخذ عنه ثلثمائة صوت]

قال هارون وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي هِبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : زَارَ حَكَمُ الْوَادِي الرَّشِيدَ ، فَبَرَّهَ وَوَصَّلَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَسَأَلَهُ عَمَّنْ يَخْتَارُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : اكْتُبْ لِي بِهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ عَامِلًا لَهُ بِالشَّامِ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَقَدِمَ عَلَيَّ حَكَمٌ بِكِتَابِ الرَّشِيدِ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَا كَتَبَ بِهِ وَوَصَّلْتُهُ بِمِثْلِ مَا وَصَّلَهُ ، إِلَّا أَنِّي نَقَصْتُهُ أَلْفًا مِنَ الثَّلَاثِمِائَةِ وَقُلْتُ لَهُ : لَا أَصِلُكَ بِمِثْلِ صَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَخَذْتُ مِنْهُ فِيهَا ثَلَاثِمِائَةَ صَوْتٍ ، كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الثَّلَاثِمِائَةِ الْأَلْفِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُ .

[أهانته ابن شقران ولمَّا عرفه اعتذر]

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذْبَةَ قَالَ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَيْنَا حَكَمُ الْوَادِيَّ بِالْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ قَوْمًا يَقُولُونَ : لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى جَارِيَةِ ابْنِ شُقْرَانَ ، فَإِنَّهَا حَسَنَةٌ

الغناء ! فمضوا إليها ، وتبعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزل يظنُّ أنه معهم وهم يظنونُّ أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغَنَّت الجارية أصواتاً ثم غَنَّت صوتاً ثم صوتاً . فقال حَكَمُ الوادي : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصُّ كذا وكذا من أمه ؛ وما يُدريك ما الغناء ؟ فوثب عليه يُتَعَتِعُهُ وأراد ضربه . فقال له حَكَمُ : يا عبد الله ، دخلتُ بسلام وأُخرجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أوْ أضربك . فقال حَكَمُ : على رِسْلِكَ ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا ، واندفع يغني . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى ؛ فقال ربُّ المنزل : جعلتُ فداك ! المَعْدَرَةُ إلى الله وإليك ؛ لم أعرفك ! فقام حَكَمُ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأُخرجنَّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

[لأتمه ابنه على غناؤه الأهازج فأجابه]

وذكر أحمد بن المكي عن أبيه : أنَّ حَكَمًا لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصوت¹ به حتى صار الأمر إلى بني العباس ؛ فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور ؛ فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهازجه . وكان يقال : إنه من أهازج الناس . ويقال : إنه غنى الأهازج في آخر عمره ، وإن ابنه لأمه على ذلك ، وقال له : أبعد الكبير تغني غناء المخنثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ ، غنيتُ الثقيلَ ستين سنة فلم أنلْ إلا القوت ، وغنيتُ الأهازج منذ سُنَيَاتٍ² فأكسبتك³ ما لم تر مثله قط .

[شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء]

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغني بعد ذلك إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص إلا حَكَمًا . فقليل لحكم ذلك فقال : إني لست أشرب ، وغيري يشرب ، فإذا شرب تغير غناؤه .

[استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رآيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان خبر حَكَم الوادي يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن علي ، فِعَجِبَ لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أن حسن شعراً بصوته وطرب مستمعيه ، فماذا يكون ؟ وعلام يعطونه هذه العطايا المستسرفة ؟ إلى أن جلس يوماً في مُسْتَشْرِف له ، وقد كان حَكَم دخل إلى رجل من قواده ،

1 والصوت والصيت الحسن : الذكر الحسن الذي يتشرب الناس .

2 في ل : ستين .

3 في ل : فأكسبت ما لم تره .

أراه قال : علي بن¹ يَقْطِينُ أو أبوه ، وهو يراه ؛ ثم خرج عشيّاً وقد حَمَلَهُ على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها له . فلمّا رآه المنصور قال : مَنْ هذا ؟ فقيل : حَكَمُ الوادي . فحرّك رأسه مَلِيّاً ثم قال : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّ هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لِأَنَّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضَعُهُ إلّا في حقّه .

[اعترض المهديّ في الطريق وغناه فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قَعْنَبُ بن المُحرزِ الباهليّ عن الأصمعيّ قال : رأيت حَكَمًا الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المقدس ، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفَّهُ ونَقَرَ فيه وله شُعَيْرَات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تَخْرُجُ العرو سُ فقد طال حبسُها

فتسرّع إليه الحرسُ ؛ فقال : دعوه وسأل عنه فأخبر أنّه حَكَمُ الوادي ؛ فوصله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره ، وقد ذُكِرَتْ في أخبار الوليد بن يزيد .

[أطرب الهادي دون غيره من المغنّين فأعطاه ثلاث بدر]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عليّ بن مُحَمَّد التَّوْفَلِيّ عن صالح² الأَضْجَمِ عن حَكَمِ الوادي قال : كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعه ولم يبلغ أن يُسْتَخَفَّ جداً ؛ فأخرج ليلةً ثلاث بدر وقال : مَنْ أطربني فهي له . فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبَيْر بن دَحْمَان فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفت ما أراد فغنّيته لابن سريج :

صوت

غَرَاءُ كالليلة المباركة الـ	قَمَرَاءُ تَهْدِي أوائلَ الظلِّمِ
أَكُنِّي بغير اسمها وقد علم اللـ	لَهُ خَفِيَّاتٍ كُلُّ مُكْتَمِرِ
كَأَنَّ فَاها إذا تُنْسَمُ عن	طَيب مَشْمٌ وحسن مُبْتَسَمِ

1 علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وكان والده يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة ، وطلبه مروان فهرب .

2 هو صالح بن علي بن عطية الأضجم الراوي .

يُسْنُ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ يَانَعَ مِنَ الْعُتْمِ¹

الشعر في هذا الغناء للنبأغة الجعديّ ؛ والصنعة لابن سُرَيْج رمل بالبنصر ، فوثب عن فراشه طرباً وقال : أَحَسَنْتُ أَحَسَنْتُ أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ ! إِسْقُونِي فَسُقِي . وَوُثِقْتُ بَأَنَّ الْبَدْرَ لِي ، فَقَمْتُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . فَأَحْسَنَ ابْنُ جَامِعِ الْمَحْضَرِ وقال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُ لَمُحْسِنٌ مُجْمِلٌ . فَلَمَّا سَكَنَ² أَمَرَ الْفَرَاشِينَ بِحَمْلِهَا مَعِيَ . فَقُلْتُ لَابْنِ جَامِعِ : مِثْلُكَ يَقْعَلُ مَا فَعَلْتَ فِي شَرْفِكَ وَنَسَبِكَ ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَشْرَفْنِي بِقَبُولِ إِحْدَاهَا فَعَلْتُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ زَادَكَ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُهْنِكَ مَا رَزَقَكَ . وَلِحَقْنِي الْمَوْصِلِي فَقَالَ : آخِذْ يَا حَكَمٌ مِنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَا دَرَهْمًا وَاحِدًا لِأَنَّكَ لَمْ تُحْسِنِ الْمَحْضَرَ .

[موته وشعر الدارمي فيه]

ومات حَكَمُ الْوَادِي مِنْ قُرْحَةٍ أَصَابَتْهُ فِي صَدْرِهِ . فَقَالَ الدَّارِمِيُّ فِيهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ : [مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

إِنَّ أَبَا يَحْيَى اشْتَكَى عِلَّةً أَصْبَحَ مِنْهَا بَيْنَ عَوَادٍ
فَقُلْتُ وَالْقَلْبُ بِهِ مُوجَعٌ يَا رَبَّ عَافِ الْحَكَمَ الْوَادِي
فَرُبَّ بَيْضٍ قَادَةٍ سَادَةٍ كَأَنْصُلٍ سُلَّتْ مِنْ أَعْمَادٍ
نَادَمَهُمْ فِي مَجْلَسٍ لَاهِيًا فَأَصْمَتَ الْمُنْشِدَ وَالشَّادِي
غَنَّى فِيهِ حَكَمُ الْوَادِي هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ .

صوت

من المائة المختارة

[مِنْ الْكَامِلِ]

أَعَارِفَ الدَّمَنَ الْفِقَارَ تَوَهُمٌ وَلَقَدْ مَضَى حَوْلَ لَهْنٍ مُجَرَّمٌ³
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الدِّيارِ لَعْلَهَا بِجَوَابِ رَجْعِ تَحِيَّةٍ تَتَكَلَّمُ

1 يُسْنُ فِي ل : يَسْتَن . الضَّرْو : شَجَرَةُ الْكَمْكَام . هَيْلَانَ فِي ل : هَمْلَانَ . الْعُتْم : شَجَرُ الزَّيْتُون .

2 فِي ل : سَكَّر .

3 مُجَرَّم : مَنْقُطٌ وَمَنْصَرَم .

عن عِلْمٍ ما فعل الخَلِيطُ ، فما دَرَتُ أَنِّي تَوَجَّهَ بِالْخَلِيطِ الْمَوْسِمُ
ولقد عَهِدْتُ بِهَا سُعَادَ وَإِنِّهَا بِاللَّهِ جَاهِدَةَ الْيَمِينِ لَتُقْسِمُ
إِنِّي لَأُوجِّهُ مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهَا بِالْيَمِينِ وَمُخَالَفَ مَنْ يَزْعُمُ
فلها لدينا بالذي بَذَلْتُ لَنَا وَدَّ يَطُولَ لَهُ الْعَنَاءُ وَيَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان .
والغناء لابن جاعم . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثاني ثقل بإطلاق الوتر في
مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في
البيتين الأولين ثقل أول مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاق وسياطر فيهما ثقل بالنصر
عن عمرو .

[96] - ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[نسبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أبي¹ وداعة بن ضُبيرة [بن سَعِيد] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو] بن هُصَيْن بن كَعْب بن لُؤي بن غالب .
[ضُبيرة السهمي جد ابن جامع وشيء من أخباره]

أخبرني الطُّوسِيّ عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمِّه مصعب ، وأخبرنا محمد بن جرير الطُّبري قال حدثنا محمد بن حُمَيد عن سَلَمَة عن ابن إسحاق قالاً جميعاً : مات ضُبيرة السَّهْمِيّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يرثيه : [من مجزوء الكامل]

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ إِ نَّ ضُبِيرَةَ السَّهْمِيّ مَاتَا
سَبَقَتْ مِنْهُ الْمَشِيءَ بَ وَكَانَ مِيتُهُ افْتَلَاتَا
فَتَزَوَّدُوا لَا تَهْلِكُوا مِنْ دُونِ أَهْلِكُمْ خَفَاتَا²

قال : وأسير أبو وداعة كافراً يوم بدر ففداه ابنه المطَّلِب ، وكان المطَّلِب رجلاً صدق . وقد روى عن النبي ﷺ الحديث .
[كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه]

ويكنى ابن جامع أبا القاسم . وأمّه امرأة من بني سَهْم ، وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال : رأيتُ³ أم ابن جامع مَعْن بن زائدة وابن جامع معها وهو صغير وهو ضعيف⁴ . يتبعها ويطأ ذيلها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئذ على اليمن . فقالت : أصلح الله الأمير ، إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ففرق بيني وبينه . قال : مَنْ هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليّ به . قال : فدخل أقبح مَنْ خلق الله وأشوهه خلقاً . قال : مَنْ هذه منك ؟ قال : امرأتي . قال : خلّ سبيلها ، ففعل . فأطرق مَعْن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

[من الطويل]

1 اسم أبي وداعة : الحارث .

2 خفت الرجل خفأً : مات فجأة .

3 في ل : أنت .

4 في ل : صغير .

لعمري لقد أصبحت غير محبب ولا حسن في عينها ذا مناجب
فما لمثها لما تبينت وجهه وعيناً له حوصاء من تحت حاجب
وأنفاً كأنف البكر يقطر دائباً على لحية عصلاء شابت وشارب¹
أتيت بها مثل المهاة تسوقها فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب
وأمر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك .

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني حماد عن أبيه : أن الرشيد سأل ابن جامع يوماً عن نسبه وقال له : أي بني الإنس وكذلك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سأل ابن أخي (يعني إسحاق) ، وكان يماظ² إبراهيم الموصلي ويميل إلى ابنه إسحاق ، قال إسحاق : ثم التفت إلي ابن جامع فقال : أخبره يا ابن أخي بنسب عمك . فقال له الرشيد : قبحك الله شيخاً من قريش ! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم ! .
[شيء من ورعه وتقواه]

قال هارون حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن³ أبي فراد المخزومي قال : كان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه ، كان يخرج من منزله يوم الجمعة مع الفجر فيصلّي الصبح ثم يصفّ قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصلّي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

[وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه]

قال هارون وحدثني علي بن محمد التوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيره من رجال أهل العسكر قالوا : قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد ، وكان ابن جامع حسن السمّت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته ، وكان يعتّم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ، ويلبس لباس الفقهاء ، ويركب حمراً مريسياً⁴ في زي أهل الحجاز . فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتبس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم ، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلائس ؛ فلما هجم على

1 عصلاء : معوجة .

2 ماظظت فلاناً : شارته ونازعته .

3 في ل : عن .

4 مريسي : نسبة إلى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد .

الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له : أمتع الله بك ، توسمتُ فيك الحجازية والقرشية ؛ قال : أصبت . قال : فمن أي قريش أنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأي الحرمين منزلُك ؟ قال : مكة : قال : ومن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سَلُّ عَمِّن شئت . ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب فأعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغني ، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ؛ ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى موافقته بعد اليوم ، فلم نغمه . فلما كان الإذن الثاني ليحيى غداً عليه الناسُ وغداً عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنُ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحدثه طويلاً كما فعل في المرة الأولى . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذي توافي وتحدث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغني ؛ قال : إنا لله ! . قالوا : إن الناس قد شهروك بموافقته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلم عليه ، فردّ السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القصة ، وكان ابنُ جامع جَهراً فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عني ؟ أي شيء أنكرت ؟ قالوا لك : إني ابنُ جامع المغني فكرهت موافقتي لك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت ؛ ومال الناس فاقبلوا نحوهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جلفاً وقف بين يديك فأنشدك بعجاء وغلظة من لسانه وقال :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد روي عن النبي ﷺ في الشعر قول ، وروي في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتني زدتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أعفنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فتيا ، ما زدتُه على أن حسنته بألفاظي فحسُن في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحى عنه ابن جامع .

[سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالا فأجيب]

قال : وحدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة ، ومر به ابنُ جامع يسحب الخَزَّ ، فقال لبعض أصحابه : بلغني أن هذا القرشي أصاب مالا من بعض الخلفاء ، فبأي شيء أصابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك ؟ فأنشد بعضُ

أصحابه ما يَعْنِي فيه : [من المتقارب]

وَأَصْحَبُ بِاللَّيْلِ أَهْلَ الطَّوَافِ وَأَرْفَعُ مِنْ مِيزَرِي الْمُسْبَلِ
قال : أَحْسَنُ ، هيه ! قال :

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتْلُو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُتَزَلِّ
قال : أَحْسَنُ ، هيه ! قال :

عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنْ يَوْسُفٍ يُسْخِرُ لِي رَبَّةَ الْمُحْمِلِ
قال : أَمَّا هَذَا فَدَعُوهُ .

[كان يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن]

وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَتَّابِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنِي طَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : كَانَ ابْنُ جَامِعٍ يُعِدُّ صِيحَةَ الصَّوْتِ قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَ عَمُودَ اللَّحْنِ .
[اشتغاله بالقمار وحبّ الكلاب]

وحدّث مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ عَنْ أَخِيهِ أَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ جَامِعٍ : لَوْلَا أَنَّ الْقِمَارَ وَحِبَّ الْكِلَابِ قَدْ شَغَلَانِي لَتَرَكْتُ الْمَغْنِينَ لَا يَأْكُلُونَ الْخَبِيزَ .

[دعا كلباً أهدي إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ابْنِ خُرْدَاذْبِهِ قَالَ : أَهْدَى رَجُلٌ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ كَلْباً فَقَالَ : مَا اسْمُهُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوهُ بكلِّ اسم فيه حتى أجابه الكلب .

[ألقي على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجن]

قال هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيَّ قَالَ حَدَّثَنِي حَوْلاءُ مَوْلَاةُ ابْنِ جَامِعٍ قَالَتْ : انْتَبَهَ مَوْلَايَ يَوْماً مِنْ قَائِلَتِهِ فَقَالَ : عَلِيٌّ بِهِشَامَ (بمعني ابنه) ادْعُوهُ لِي عَجِّلُوهُ ، فجاء مسرعاً . فقال : أَيُّ بَنِيَّ ، خذ العودَ ، فَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْجِنِّ أَلْقَى عَلَيَّ فِي قَائِلَتِي صَوْتًا فَأَخَافُ أَنْ أَنْسَاهُ . فَأَخَذَ هِشَامَ الْعُودَ وَتَغَنَّى ابْنُ جَامِعٍ عَلَيْهِ رَمَلاً لَمْ أَسْمَعْ لَهُ رَمَلاً أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ :

صوت

أَمْسَتْ رُسُومُ الدِّيارِ غَيْرُهَا هَوَجُ الرِّياحِ الرِّعَازِعِ الْعُصْفُ
وَكُلُّ حَنَانَةٍ لَهَا زَجَلٌ مِثْلُ حَيْنِ الرُّوَّائِمِ الشُّغْفُ

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجنّ . وفي هذا الصوت للهذليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وقيل : إنّ هذا اللحن لعبّادٍ . وفيه لابن جامع الرمل المذكور .
[أخذ بيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار]

قال هارون وحديثي أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدثني محمد بن موسى¹ بن قُليج الخزاعيّ قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكيّ قال : قال لي ابن جامع : أخذتُ من هارون بيتين غنّيته بهما عشرة آلاف دينار :

صوت

لا بدّ للعاشق من وقفة	تكون بين الوصل والصّرم
يَعْتَبُ أحياناً وفي عتبه	إظهار ما يُخفي من السُّقم
إشفاقه داعٍ إلى ظنّه	وظنّه داعٍ إلى الظلم
حتى إذا ما مضى هجره	راجع مَنْ يَهْوَى على رَغْمٍ ²

هكذا رُوِيَتْه . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر ابن بانة أنّ هذا اللحن لسُليم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، قال : ثم قال لي ابن جامع : فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !
[صادفه جماعة من القرشيين بفتح وهو يغنى]

وقال هارون حديثي أحمد بن زهير قال حدثني مُصعب بن عبد الله قال : خرج ابن أبي عمرو الغفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيين عُمّاراً يريدون مكة ؛ فلمّا كانوا بفتح³ نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها : قال : فينا نحن تغتسل إذ سمعنا صوت غناء ؛ فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ⁴ لهم يشربون منه ؛ فقالوا⁵ : تقدّموا يا فتيان ، فتقدّم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وأبائي وأمّي ! ابن أبي قباحة وإلّا فهو ابن الفاعلة . فقام ابن أبي

1 في ل : عيسى .

2 مضه هجره في ل : تمادى به .

3 فتح : وإد بمكة .

4 فضيخ : عصير العنب ، وشراب يُتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .

5 في ل : فقال ابن جامع .

عمرو فأخرج من وسطه هميئاً فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة . فقال ابن جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .
[غنت جاريته الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبها]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني علي بن سليمان عن محمد بن أحمد النوفلي عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تتبئاني فتغنت يوماً وطربت وقالت : يا بُني ، ألا أغنيك هزجاً لسيدتي في عشيقه له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنت هزجاً ما سمعت أحسن منه ، وهو :

صوت

أشبهك المسكُ وأشبهته قائمة في لونه قاعده
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة
وقد روي هذا الشعر لأبي حفص¹ الشطرنجي يقوله في دنائير² مولاة البرامكة . ونسب هذا الهزج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرهما .
[شبهه برصوما الزامر برق عسل]

قال عبد الله بن عمرو حدثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزهري قال حدثني محمد بن جعفر بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يلقب الأبله ، قال : قال برصوما الزامر ، وذكر إبراهيم الموصلي وابن جامع ، فقال : الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطرياً لم ينضج ، فتأكل منه من ذا وذا . وابن جامع زق عسل ، إن فتحت فمه خرج عسل حلو ، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو ، وإن فتحت يده خرج عسل حلو ، كله جيد .
[غنى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ]

أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه وحماة عن إبراهيم بن المهدي ، وكان إبراهيم يفضل ابن جامع ولا يقدم عليه أحداً ، وابن جامع يميل إليه ، قال : كنا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النيذ ، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفت إلي إبراهيم الموصلي فقال : قد خري فيه ؛ وفهمت صدقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم ، أعيد الصوت وتحفظ فيه ؛ فاتته وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم :

1 أبو حفص : عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغولاً به ، فلعب به لغلبته عليه .
2 دنائير : مولاة يحيى بن خالد البرمكي .

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدَهُ رَمَانِي

وَتَنَكَّرَ لِي لَيْلِي مَعَ ابْنِ جَامِعٍ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ أَيَّامٍ : إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ . قَالَ :
وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : تَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ أَنْ يَرْضَى عَنِّي وَيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ عَبْدُكَ ، وَقَالَ لَهُ : قُمْ إِلَيْهِ فَقَبِّلْ رَأْسَهُ . فَقُلْتُ : لَا يَنْفَعُنِي رِضَاهُ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ ،
فَسَلَّهُ أَنْ يَصْحَحَ الرِّضَا . فَقَامَ إِلَيَّ لِيَقْبَلَ رَأْسِي كَمَا أُمِرَ ، فَقَالَ لِي وَقَدْ أَكْبَّ عَلَيَّ لِيَقْبَلَ رَأْسِي :
أَتَعُودُ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : قَدْ رَضِيتُ عَنْكَ رِضًا صَحِيحًا . وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .
[غَنَى بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ عِنْدَ الرَّشِيدِ فَأَجَادَ]

وَقَالَ حَمَادُ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْعِيَادِيَّ قَالَ : قَدِيمُ حَوْرَاءِ غَلَامِ حَمَادِ الشَّعْرَانِي وَكَانَ أَحَدَ الْمُغَنِّينَ
الْمُجِيدِينَ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : كُنَّا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ فَصَاحَ بِالْمَغَنِّينَ : مِنْ
فِيكُمْ يَعْرِفُ :

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلَيْهِ لِكُ حَتَّى تُنَاجِي بِأَبْوَابِهَا ؟
الشَّعْرُ لِلْأَعَشَى ، فَبَدَّرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيَّ فَقَالَ : أَنَا أَغْنِيهِ ، وَغَنَاهُ فَجَاءَ بِشَيْءٍ عَجِيبٍ .
فَغَضِبَ ابْنُ جَامِعٍ وَقَالَ لَنْزُلَ : دَعِ الْعُودَ ، أَنَا مِنْ جِحَاشٍ وَجَرَّةٌ¹ لَا أُحْتَاجُ إِلَى بَيْطَارٍ ؛ ثُمَّ
غَنَى الصَّوْتَ ؛ فَصَاحَ إِلَيْهِ مَسْرُورٌ² : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المتقارب]

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلَيْهِ	لِكُ حَتَّى تُنَاجِي بِأَبْوَابِهَا
نَزَّورُ يَزِيدَ وَعَبْدُ الْمَسِيحِ	وَقِسًا هُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا
وَشَاهِدُنَا الْجُلَّ وَالْيَاسِمِ	نُ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَابِهَا ³
وَبَرَبُّنَا دَائِمٌ مُعْمَلٌ	فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا
تَنَازَعَنِي إِذْ خَلَّتْ بُرْدَهَا	مَعْطَرَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا
فَلَمَّا التَقِينَا عَلَى آلَةٍ	وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

1 وجرة : على بعد نحو أربعين ميلاً من البصرة في طريق مكة .

2 مسرور : أبو هاشم خدام الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولَّى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي .

3 الجُلَّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره واحده جَلَّة . القصاية : المزمار والجمع القُصَابُ وأراد الأعشى الأوتار .

الشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقب والسيد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي ، فإذا انصرف أجزلوا صلته .

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وله أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحنين الجيري خفيف ثقيل بالوسطى في مخرجها عن إسحاق في الأربعة الأول . وذكر عمرو أنه لابن مُحَرِّز . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشامي أن في الخامس والسادس ثم الأول والثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكي .

[استحضره الفضل بن الربيع لما ولى الهادي]

وقال حماد عن مصعب بن عبد الله قال حدثني الطراز وكان بريداً الفضل بن الربيع قال : لما مات المهدي وملك موسى الهادي أعطاني الفضل دنائير وقال : الحق بمكة فأتني بآبن جامع وأخبرني في قبة ولا تعلمن بداً أحداً ؛ ففعلت فأنزلته عندي واشترت له جارية ، وكان ابن جامع صاحب نساء . فذكره موسى ذات ليلة ، وكان هو والحرائي¹ منقطعين إلى موسى أيام المهدي فضربهما المهدي وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعه مني ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلت الذي أردت . وبعث إليه فأتي به في الليل . فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

[غنى هو وإبراهيم الموصلي الرشيد بشعر السعدي فمدحه وذم الموصلي]

قال إسحاق عن بعض أصحابه : كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يا ابن جامع ، تغنّ ببيت السعدي² :

فلو سألت سراً الحيّ سلمى	على أن قد تلون بي زماني
لخبرها ذوو الأحساب عني	وأعدائي فكلّ قد بلاني
بذبي الذم عن حسبي بمالي	وزبونات أشوس تيجان ³

1 الحرائي : هو إبراهيم الحرائي من ندماء الهادي وكان قيماً على خزائن الأموال في أيامه .

2 هو سوار بن المضرب السعدي .

3 زبونات : دفعات ، واحدها زبونة ، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنها تدفع غيرها . تيجان : الذي يتعرض لكلّ مكرومة وأمر شديد .

وَأَنْتِي لَا أزالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجِزْ كُنْتُ مِجَنًّا جَانِي
 قال : فحرك ابنُ جامع رأسه ، وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار
 فرحاً ، فغنى به ؛ فأريدَ وجهُ إبراهيم لما سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له
 صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميري ! أعيدُ فأعاد ؛ فقال : أنت في حَلْبَةٍ لَا يَلْحَقُكَ أَحَدٌ فِيهَا
 أبداً . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنِّ بهذا الشعر فتغنِّي ؛ فلما فرغ قال : «مرعى ولا
 كالسعدان»¹ ! أخطأتُ في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نفى إبراهيمُ من أبيه إن كان يا
 أمير المؤمنين أخطأ حرفاً ، وقد علمتُ أنني أغفلتُ في هذين الموضعين .
 قال إبراهيم : فلما انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أن أحداً بقي في الأرض يعرف
 هذا الغناء معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، هو إنسانٌ يسمع الغناء منذ عشرين سنةً مع
 هذا الذكاء الذي فيه .

[صوت كان إذا غناه في مجلس لم يتغنَّ بغيره]

قال إسحاق : كان ابن جامع إذا تغنَّى في هذا الشعر :

[من المجتث]

صوت

مَنْ كَانَ يَتَكِي لِمَا بِي مِنْ طَوْلِ سَقَمٍ رَسِيسٍ²
 فَالآنَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِي لَا عِطْرَ بَعْدِ عَرُوسٍ³
 بَنَيْتُمْ فِي فَوَادِي أَوْكَارَ طَيْرِ النُّحُوسِ
 قَلْبِي فَرِيسُ الْمَنَايَا يَا وَيْحَهُ مِنْ فَرِيسِ

الشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ، لم يتغنَّ في ذلك المجلس
 بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنَّى سأل أن يزمرُ عليه برصوما .

[سئل عن تفضيله برصوما فأجاب]

فلما كثر ذلك سألوه إن كان يعلم ما يريد أن يغنيه قبل ذلك فقال : لا والله ، ولكنني إذا
 ابتدأتُ فغنيتُ في الشعر عرف الغرض الذي يصلحُ فما يجاوزه ، وكنتُ معه في راحة ؛
 وذلك أن المغني إذا تغنَّى بزمر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر ؛ فإذا زمرَ
 برصوما فانا في راحة وهو في تعب ، وإذا زمرَ عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب . فإن

1 مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .

2 الرسيس : الثابت الذي قد لزم مكانه .

3 هذا مثل يضرب لمن لا يتدبر عنه نفيس .

شككتكم فاسألوا برصوما ومنصور زلزل . فسألوهما عما قال ، فقالا : صدق .
[هم المهدي بضره لاتصاله بالهادي]

قال وحدثني علي بن أحمد الباهلي قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهدي أن ابن جامع والموصلي يأتیان موسى¹ ، فبعث إليهما فجاء بهما ، فضرب الموصلي ضرباً مبرحاً ، وقال له ابن جامع : ارحم أمي ! فرق له وقال له : قبحك الله ! رجل من قريش يغني ! وطرده . فلما قام موسى ، وجه الفضل خلفه بريداً حتى جاء به ؛ فقال له موسى : ما كان ليفعل هذا غيرك .
[غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار]

قال وحدثني الزبير بن بكار قال قال لي فلانة : تمنى يوماً موسى أمير المؤمنين ابن جامع ، فدفع إلي الفضل بن الربيع خمسمائة دينار وقال : امض حتى تحمل ابن جامع ، وبعث إليه بما يصلحه ، فمضيت فحملته . فلما دخلنا أدخله الفضل الحمام وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغناه فلم يُعجبه . فلما خرج قال له الفضل : تركت الخفيف وغنيت الثقل ، قال : فأدخلني عليه أخرى ؛ فأدخله فغني الخفيف ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار .
[غنى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلي فاجاد]

قال وحدثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدثنا أبو يحيى العبادي قال حدثني ابن أبي الرجال قال حدثني زلزل قال : أبطأ إبراهيم الموصلي عن الرشيد ، فأمر مسروراً الخادم يسأل عنه ، وكان أمير المؤمنين قد صبر أمر المغنين إليه ، فقبل له : لم يأت بعد . ثم جاء في آخر النهار ، فقعد بيني وبين برصوما ، فغني صوتاً له فأطربه وأطرب والله كل من كان في المجلس . قال : فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أما والله يا نبطي ما أحسن إبراهيم وما أحسن غيركما . قال : ثم غنى فنسينا أنفسنا ، والله لكأن العود كان في يده .
[شهد له إبراهيم الموصلي بجودة الإيقاع]

قال وحدثني عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال : دعا أبي الرشيد يوماً ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده ، وأتاها ابن جامع فغناها يومهما . فلما كان الغد انصرف الرشيد وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفر عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنيني إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ، وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصلي ، قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به ؟ لا والله ، ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع ، فكيف يخرج من الإيقاع ؟ .

[احتال في عزل العثماني عن مكة أيام الرشيد]

قال وحدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال : كان سبب عزل العثماني¹ أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا يُحد في النبذ ، فأذن له وكسب له بذلك كتاباً إلى العثماني . فلما وصل الكتاب قال : كذبت ؛ أمير المؤمنين لا يُحل ما حرم الله ، وهذا كتاب مزور . والله لئن تفتكت على حال من هذه الأحوال لأودبتك أدبك . قال : فحذره ابن جامع . ووقع بين العثماني وحماد البيزدي ، وهو على البريد ، ما يقع بين العمال . فلما حج هارون ، قال حماد لابن جامع : أعني عليه حتى أعزله ؛ قال : أفعل . قال : فبدأ أنت وقل : إنه ظالم فاجر واستشهدني . فقال له ابن جامع : هذا لا يقبل في العثماني ، ويفهم أمير المؤمنين كذبنا ، ولكنني احتال من جهة الطفل من هذه . قال : فسأله هارون ابتداء . فقال له : يا ابن جامع ، كيف أميركم العثماني ؟ قال : خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بحق لولا ضعف في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال : زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفان يوم القي على الكناس فأكل وجهه ، فغضب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف ، اعزله ! فكان سبب عزله . [أنخبره إبراهيم بن المهدي بموت أمه كذباً ليحسن غاؤه]

قال هارون بن محمد وحدثني الحسن بن محمد الغيثاني² قال حدثني أبي عن القطراني قال : كان ابن جامع باراً بوالدته ، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة . فدعاه إبراهيم بن المهدي وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته . قال : فجزع لذلك جزعاً شديداً ، وجعل أصحابه يُعزونه ويؤتسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب ، وسأله الغناء فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهدي : إنك ستبذل هذا لأمر المؤمنين ، فابذله لإخوانك ؛ فاندفع يُغني :

صوت

كم بالدروب وأرض الروم من قدام ومن جماجم صرعى ما هم قُبروا
بقنْدَهَار ومن تُقْدَر منيته بقنْدَهَار يُرْجَم دونه الخبر³

الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيف رمل جميعاً عن الهشامي قال : وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان مما

1 العثماني : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان .

2 في ل : العتابي .

3 قندهار : مدينة في أفغانستان الآن .

خبرناك شيء إنما مزحنا بك . قال : ثم قال له : ردّ الصوت ؛ فغناه فلم يكن من الغناء الأول في شيء . فقال له إبراهيم : خذه الآن عليّ ، فأذاه إبراهيم على السماع الأول . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

[هؤم في مجلس الرشيد ثم اتبه من نومه وغناه فأعجب به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عليّ بن الحسن الشيباني عن أحمد بن يحيى المكيّ قال : كان أبي بين يدي الرشيد وابن جامع معه يغني بين يدي الرشيد . فغناه :

خليفة لا يخيبُ سائله عليه تاجُ الوقارِ مُعتدلُ

قال : وغنّي من يتلوه . وهؤم¹ ابن جامع سكرًا ونعاسًا . فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه ، حرّكه من بجنبه لنوته فاتته وهو يغني :

إسلمٌ وحييت أيُّها الطلُّ وإن عفتك الرياحُ والسَّبلُ²

قال : وهو يتلو البيت الأول ، فعجب أهلُ المجلس من ذكائه وفهمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

إسلمٌ وحييت أيُّها الطلُّ وإن عفتك الرياحُ والسَّبلُ

خليفة لا يخيبُ سائله عليه تاجُ الوقارِ مُعتدلُ

الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي . والغناء لابن جامع ثقیلٌ أولٌ بالوسطى ، من رواية الهشامي وأحمد بن يحيى المكيّ .

[أخبره الرشيد بموت أمه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون وقد حدثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا حزن حسن صوته . فأحبّ الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعث خريطة فيها نعي أم ابن جامع وكان باراً بأمه ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهو ،

1 هؤم : هز رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلاً .

2 السَّبل : المطر .

فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ أُمِّكَ . فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحُرقة والحزن الذي في قلبه :

كَمْ بالدُّرُوبِ وأَرْضِ السُّنْدِ مَنْ قَدَّمَ وَمَنْ جَمَاجِمَ صَرَغَى مَا بِهَا قُبِرُوا
بِقُنْدُهِارٍ وَمَنْ تُكْتَبُ مَنِيَّتُهُ بِقُنْدُهِارٍ يُرْجَمُ دُونَهُ الْخَبِيرُ

قال : فوالله ما ملكنا أنفسنا ، ورأيتُ الغلمانَ يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأساطينَ ، قال هارون : لا أشكُّ أنَّ ابنَ المكِّيَّ قد حدَّثَ به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيُّوب ، قال : ثم غنى بعد ذلك :

يا صاحب القبر الغريب
وهو لحنٌ قديم . وفيه لحن لابن المكِّي ، فقال له الرشيد : أحسنت ! وأمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأخير صوت

[من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ	بالشامِ في طَرَفِ الكَثِيبِ
بالحِجْرِ بينَ صفائح	صُمٌّ تُرَصِّفُ بالجُبُوبِ ¹
رَصْنًا وَلَحْدٍ مُمَكِّنِ	تَحْتَ الْعِجَاجَةِ فِي الْقَلِيبِ
فإذا ذَكَرْتُ أَتَيْنَهُ	وَمَغِيبَهُ تَحْتَ الْمَغِيبِ
هاجَتُ لَوَاعِجُ عُبْرَةٍ	فِي الصَّدْرِ دَائِمَةُ الدُّيُوبِ
أَسْفًا لِحَسَنِ بِلَائِهِ	وَلَمَصْرَعِ الشَّيْخِ الْغَرِيبِ
أَقْبَلْتُ أَطْلُبُ طِيَّهَ	وَالْمَوْتَ يُعْضِلُ بِالطَّيِّبِ ²

الشعر لمكِين العُدْرِيَّ يرثي أباه ، وقيل : إنَّه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هَوِيَهَا فمات هناك . والغناء لحكم الوادي ، رمل في مجرى البنصر . وقيل : إنَّ هذا الشعر لسلامة³ ترثي الوليدَ بن يزيد .

1 الحِجْر : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز . الجُبُوب : الطُّوب المفتت .

2 أَعْضَلُ بِهِ : أَعْيَاهُ وَأَعْجَزَهُ .

3 هي سلامة القس .

[سمعت أم جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكل بيت غني فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً]
 أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني
 الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن
 ماهان قال سمعت يزيد يحدث : أنَّ أم جعفر بلغها أنَّ الرشيد جالسٌ وحده ليس معه أحد من
 الندماء ولا المسامرين ؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم
 الرابع . فأرسل إليها : عندي ابن جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنني لا أتهدأ بشرب ولا
 سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه ، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه ! فأرسل
 إليها : إني سائر إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحسين الخادم : امض إليها
 فأعلمها أنني قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها
 قد قامت تستقبله ، فوجه إليها : إن معي ابن جامع ؛ فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء
 الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم .
 وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت لتتكب على يده¹ ؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها
 واعتنقته . ثم أمر ابن جامع أن يغني فاندفع غنى :

صوت

ما رَعَدَتْ رَعْدَةٌ ولا بَرَقَتْ لكنّها أنشئت لنا خَلِقة²
 الماء يجري على نظامٍ له لو يجد الماء مَخْرَقاً خَرَقَةً
 بتنا وباتت على نمارقها حتى بدا الصبحُ عَيْنُها أَرْقَةً
 أن قيل إن الرحيلَ بعد غدٍ والدارُ بعد الجميع مُفْتَرَقَةً

الشعر لعبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع³ ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن
 إسحاق . وفيه لابن مُحَرِّزٍ ثقيلٌ أولُ بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أنَّ فيه لحناً لمعبد
 ولم يجنسه . وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي . ولمخارق في هذه الأبيات رَمَلٌ
 بالبنصر عن الهشامي . وذكر حبش أنَّ الثقيل الأول للغريض . وذكر الهشامي أنَّ مُتَمِّمَ فيها
 ثاني ثقيل بالوسطى ، قال : فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما اشتهيت والله يا أمير
 المؤمنين ! . ثم قالت لمسلم خادماها : ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم . فقال

1 على يده في ل : عليه .

2 يقال : نشأت لهم سحابة خلفة وخليفة أي فيها أثر المطر .

3 في ل : عائشة .

الرشيد : غلبتينا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى برّ ضيفنا وجليسا . فلمّا خرج ، حمل إليها مكان كل درهم ديناراً .

[أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضوينة الصلّصال التيمي قال حدّثني إسماعيل بن جامع السهمي قال : ضمّني الدهر¹ ضمّاً شديداً بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم . فهي في كمّي إذا أنا بجارية حميراء على رقبتها جرّة تريد الركي² تسعى بين يدي وتُرثم بصوت شجيّ تقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النومَ أعيننا
إذا ما دنا الليلُ المضيرُ لذي الهوى جَزَعْنَا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يلاقون مثلَ ما نلاقِي لكانوا في المضاجع مثلاً

قال : فأخذ الغناء بقلبي ولم يدر لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حبّاً وكرامةً . ثم أسندت ظهرها إلى جدار قُرب³ منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى ، ووضعت الجرّة على ساقها ثم انبعثت تغني ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلت : أحسنت ! فلو شئتِ أعدتِ مرةً أخرى ؛ ففطنت وكَلحت وقالت : ما أعجب أمركم ! أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها ! فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي . قال : فأخذتها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال : وانبعثت تغني ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمته ، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أردده حتى خفّ على لساني . ثم إنّي خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحوّل⁴ ، فبقيتُ لا أدري أين أتوجه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛

1 يريد ضغطني واشتد عليّ ، من شدة الفقر والحاجة .

2 الركي : جنس للركية وهي البر .

3 في ل : قريب .

4 باب محوّل : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ .

قلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلته وحضرت صلاة المغرب وأقمتُ بمكاني حتى صَلَّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعَب . وانصرف أهلُ المسجد وبقي رجل يصلي ، خلفه جماعة خدام وخَوَل ينتظرون فراغه ؛ فصلَّى ملياً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستُ صناعتي من الصنائع التي يُمتَّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أَتَغْنِي . قال : فوثب مبادراً ووَكَّل بي بعضَ مَنْ معه . فسألتُ الموَكَّل بي عنه فقال : هذا سلام¹ الأبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهي بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأتيَتْ بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى امتلأت . فإني لذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغسول² وخِلعة وطيب ، ففعل ذلك بي . فحُمِلت على دابةٍ إلى دار الخلافة ، وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ، فجاوزتُ مقاصيرَ عدَّة ، حتى صيرتُ إلى دارِ قُوراء³ فيها أسيرةٌ في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهن العידان ، وفي حجر الرجل عود . فرحَّب الرجل بي ، وإذا مجالسُ حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث أن خرج خدام من وراء الستر فقال للرجل : تَغْنِ ؛ فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على قَبِّ ولم تَرَ الشمسَ إلَّا دونها الكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنِي كَأَنَّ الرِّيحَ تَرْجِعُهَا مَشْيَ الْيَعَاوِيرِ فِي جِيَّاتِهَا الْوَهْلُ⁴

فغَنِّي بغير إصابةٍ وأوتارٍ مختلفةٍ ودَسَاتِينٍ⁵ مختلفة . ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغْنِي ، فغَنَّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، وهو قوله :

يا دار أضحتْ خلَاء لا أنيسَ بها إلَّا الظباءُ وإلَّا النَّاشِطُ الْفَرْدُ⁶

1 سلام الأبرش : خدام المنصور وتولَّى المظالم للمهديّ وعاصر الهادي والرشيد .

2 الغسول : الماء يغتسل به .

3 الدار القوراء : الواسعة الجوف .

4 اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع .

5 الدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .

6 الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي . والفرد : المنفرد .

أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا مَا زَرْتُهُمْ جَذَلُوا وطار عن قلبي التَّشَوُّاقُ وَالْكَمَدُ
[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنت به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها
فانبعثت تغني بصوت لحكم الوادي وهو :

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جدَّ وشكَّ البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيتُ يغلب صاحبه
قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت بصوت الحنين وهو قوله : [من الطويل]

مَرَرْنَا عَلَى قَيْسِيَّةَ عَامِرِيَّةَ لها بشر صافي الأديم هيجان¹
فَقَالَتْ وَأَلَقْتُ جَانِبَ السُّرِّ دُونَهَا مِنْ آيَةِ أَرْضٍ أَوْ مِنْ الرُّجُلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَّا تَمِيمٌ فَأُسْرَتِي هُدَيْتِ وَأَمَّا صَاحِبِي فَيَمَانِ
رَفِيقَانِ ضَمَّ السَّفَرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ
ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتاً فشبه² فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله : [من البسيط]

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودَا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانٍ ذِي بَقَرٍ أَعَارَهَا شَبَّهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا³
بِمُشْرِقٍ كَشَعَاعِ الشَّمْسِ بِهِجْتُهُ وَمُسْبِكٍ⁴ عَلَى لَبَاتِهَا سَوْدَا
ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي : [من الطويل]

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَأَنَا لِقَوْمٍ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وتغنت الثانية :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصاً وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتُ نَهْأً مُقَسِّمًا

1 المهجان : الأبيض الخالص في كل شيء .

2 يريد : خلط فيه ولم يحسن أدائه .

3 ذو بقر : وإد بين أخيلة الحمى حمى الربهة ، وقرية في ديار بني أسد .

4 بمشرق في ل : وشرقا . ومسبطرا .

ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه
وتغنت الثالثة بشعر الخنساء :

[من الطويل]

وما كَرَّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طاعِنٍ
فِيدركُ ثَاراً وهو لم يُخْطِهُ الغنى
ولا أَبْصَرْتُهُ الخيلُ إِلَّا أَقْشَعَرَتْ
فمِثْلُ أَخِي يوماً به العينُ قَرَّتْ
فلستُ أَرْزَأُ بعده برزِيَّة

[من الطويل]

وغنى الرجل في الدور الثالث :

لَحَى الله صُعلوكاً مُناه وهَمَّه
يَنَام الضُّحَى حتى إِذَا لَيْلُهُ انْتَهَى
من الدَّهْرِ أَن يلقى لَبِوساً ومَطْعِماً
تَبَّه مثْلُوجُ الفُؤَادِ مُورِّماً
ولكنَّ صُعلوكاً يَساور هَمَّه
فذلك إِن يَلْقَى الكَرِيهَةَ يَلْقَاهَا
ويَمْضِي على المَهِجاءِ لَيْثاً مُقَدِّماً
كَرِيماً وَإِن يَسْتَغْنِ يوماً فَرِيماً

[من الطويل]

قال : وتغنت الجارية :

إِذَا كُنْتُ رَبِّاً لِلْقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ
أُنْخِئْهَا فَأَرْدَفْهُ فَإِنِ حَمَلْتَكُمَا
رَفِيقُك يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
فذاك وَإِن كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبٌ¹

[من الطويل]

قال : وتغنت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب :

أَلَمْ تَرِ لَمَّا ضَمَّنِي الْبَلَدُ الْقَفْرُ
أَغْنَانَا فَإِنَّا عُصْبَةٌ مَذْجِيَّة
سَمِعْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُو
نُزَارُ عَلَى وَفَرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ

[من الطويل]

قال : وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَسْفَرْتُ
تَبَاهَنَ بِالْعُرْفَانِ لَمَّا عَرَفْتَنِي
وَجِوَةٌ زَهَاها الْحَسَنُ أَن تَتَقَنَعَا
وَقُلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا²
وَلَمَّا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي
أُخِفْتَ عَلَيْنَا أَن نَعْرَ وَنُخْذَعَا

قال : وتوقعْتُ مجيءَ الخادمِ إِلَيَّ ، فقلتُ للرجل : يَا بَئِي أَنْتَ ! خُذِ الْعُودَ فَشُدَّ وَتَرَكْ ذَا
وَارْفَعْ الطَّبَقَةَ وَحُطَّ دُسْتَانُ كَذَا ؛ ففعل ما أَمَرْتُهُ . وخرجَ الخادمُ فقال لي : تَغَنَّ عَافَاكَ اللهُ ؛
فَتَغَنَيْتُ بِصَوْتِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ عَلَى غَيْرِ مَا غَنَاهُ ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُدَمِ يَحْضُرُونَ حَتَّى اسْتَنْدُوا إِلَى
الْأَسِيرَةِ وَقَالُوا : وَيَحْلُكُ ؟ لِمَنْ هَذَا الْغَنَاءُ ؟ قلتُ : لِي ؛ فَانصَرَفُوا عَنِّي بِتِلْكَ السَّرْعَةِ ، وَخَرَجَ إِلَيَّ

1 العقاب : أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة .

2 أكل : أعيا . وأوضع : أسرع .

الخادم وقال : كذبت ؛ هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور ؛ فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود ، فعلمت ما أريد فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنيتُ به . فخرجت إلي الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ؛ لمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فقال كذبت ، هذا لابن جامع ، ودار الدور ، فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية الأخرى سوّي العود على كذا وكذا ، فعلمت ما أردت ، وخرج الخادم فقال لي : تغن فتغنيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلا بي ، وسقوني ، فتزّيدت ، وهو :

عُوجي عليّ فسلمني جبرٌ فيم الصدود وأنتم سَفَرُ
ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يُفرّق بيننا الدهرُ

قال : فتزلزلت والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبت ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنّا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرْتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلَا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضل بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك . فلما صعد السرير وثبت قائماً . فقال لي : أبْنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ؛ متى كنت في هذه البلدة ؟ قلت : أنفاً ، دخلتها في الوقت الذي عليم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس ويحك يا ابن جامع ؛ ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس ، وقال لي : أبشّر وابسط أملك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غنّني يا ابن جامع . فخطر بقلبي صوت الجارية الحميرة فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة ، فعرف ما أردت ، فوزن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتين مواضعها ، وانبعثت أغني بصوت الجارية الحميرة . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعت كذا قط ؟ فقال : لا والله ما خرّق مسامعي قط مثله . فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إليّ ، فصيرته تحت فخذي ودعوتُ لأمرير المؤمنين . فقال : يا ابن جامع ، ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددته وتزّيدت فيه . فقال له جعفر : يا سيدي ، أما تراه كيف يتزّيد في الغناء ؟ هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً . قال : فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار ، فجاءني به فصيرته تحت فخذي . وقال : تغنّ يا إسماعيل ما حَضَرَكَ . فجعلتُ أقصِد الصوت بعد الصوت ممّا كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجوّاري فأغنّيه ؛ فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عَسَسَ الليلُ . فقال : أتعيناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك ، فأعِدّ على أمير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) فتغنيتُ . فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألف دينار . قال :

فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمتُ ، وَلَحَظَنِي فقال : يا ابن الفاعلة ، ثمّ تبسّمتَ ؟ فجنّوتُ على ركبتيّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ مَنْجاةٌ . فقال لي بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدقتُ ، قد يكونُ هذا وقام . ونزلتُ من السرير ولا أدري أين أقصِد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين ؛ ففرّشتُ وأعدتُ فيها جميعُ ما يكونُ في مثلها من آلة جلّساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كلّ آلة وخول إلى جوارٍ ووُصفاء . فدخلتها¹ فقيراً وأصبحت من جلة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الرّبيع عن أبي حفص الشّيباني عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال : ضمّني الدّهرُ بمكة ضماً شديداً فانتقلت إلى المدينة . فبينما أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث ، إذ قال لي رجل حَضَرنا : والله لقد بلغنا يا ابن جامع أنّ الخليفة قد ذكرك ، وأنّ في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضُك . فاحتلتُ في شيء وشخصتُ إلى العراق ، فقلدِمْتُ بغدادَ ، ونزلت عن بغل كنت أكرتُهُ . ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوتَ عنها . وأحسبُه غلط² في إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إنّ الدّور دار مرّة أُخرى حتي صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيّها الرجل ؛ فقلت : ما أنتظر الآن ؟! ثم اندفعتُ أغني بصوت لي وهو : [من الطويل]

فلو كان لي قلبانِ عِشتُ بواحدٍ	وخَلَفْتُ قلباً في هوالِكِ يُعذّبُ
ولكنّما أحيا بقلب مُروّعٍ	فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقربُ
تعلّمتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها	وعَلِمَها حُبِّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه	ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

فخرج الرشيد حيثنّذ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

[من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا	فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونهم	سراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينا

1 يريد بغداد .

2 يريد به محمد بن ضوين الصلصال التميمي .

إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذِي الهوى جَزَعْنَا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلَاقِي لكانوا في المضاجع مثَلَنَا
عروضه من الطويل . وذكر الهشامي أنّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفي الخبر أنّه
أخذه عن سوداء لقيها بمكة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

يا دار أضحت خلاء لا أنيسَ بها إلّا الطباء وإلّا الناشطُ الفردُ
أين الذين إذا ما زرتهم جَدَلُوا وطار عن قلبي التشواقُ والكمدُ
في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن
جامع رمل .

ومنها : [من البسيط]

صوت

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على جَمَلٍ ولم تَرَ الشمسَ إلّا دونها الكَلَلُ
أقولُ للركبِ في دُرْنَا وقد ثَمَلُوا شِيمُوا وكيف يَشِيمُ الشاربُ الثَّمَلُ¹
الشعر للأعشى . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتِبَ فيما يُعْنَى فيه من قصيدة
الأعشى التي أولها :

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

مَرَرْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ عَامِرِيَّةٍ لَهَا بَشَرٌّ صَافِي الْأَدِيمِ هِجَانِ
فَقَالَتْ وَأَلَقْتَ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا مِنْ آيَةِ أَرْضٍ أَوْ مَنْ الرِّجْلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَّا تَمِيمٌ فَأَسْرَتِي هُدَيْتِ وَأَمَّا صَاحِبِي فَيَمَانِي
رَفِيقَانِ ضَمَّ السُّقْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ
غَنَاهُ ابْنُ سَرِيجٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .

ومنها : [من البسيط]

1 درنا : ناحية بالجماعة وكانت تسمى هكذا في الجاهلية .

صوت

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودَا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
 أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتُخَلِّفَنِي فَمَا أَمَلٌ وَلَا تُؤْفِي الْمَوَاعِيدَا
 كَأَنِّي حِينَ أَمْسَى لَا تَكَلِّمَنِي ذُو بُغْيَةٍ يَتَغَيُّ مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
 الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وله فيه ثقيل أول
 [بالبنصر . وذكر عمرو بن بائة أن لمبعد فيه ثقيل أول] بالوسطى على مذهب إسحاق .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيُّغْلِبَنِي الْهُوَى إِذَا جَدُّ وَشَكُّ الْيَمِينِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
 فَإِنْ أُسْتَطِعَ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهُوَى فَمَثَلُ الَّذِي لَا قِيَتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ
 عروضه من الطويل . الشعر لابن ميادة ، والغناء للحجبي خفيف ثقيل بالبنصر من رواية
 حبش .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

تُعِينُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
 وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
 وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَبُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
 يَقْرُبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالُنَا لَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
 عروضه من مقبوض الطويل . والشعر للسَّمُؤَالِ بْنِ عَادِيَاءَ الْيَهُودِيِّ . والغناء لحكم
 الوادي .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا
 وَلَنْ يَلْبَثَ الْخَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاوِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْوَرَادِ أَنْ يَتَهَدَمَا
 عروضه من الطويل . وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة . وفيه لعريب ثقيل أول .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

وما كَبُرَ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طَاعِنٍ ولا أَبْصَرْتَهُ الْخَيْلُ إِلَّا اقْشَعَرَّتْ
فَيُذْرِكُ ثَاراً ثُمَّ لَمْ يُخْطِهِ الْغَنَى فَمَثَلُ أَخِي يَوْمًا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
فَإِنْ طَلَبُوا وَتَرَأَ بَدَا بَرَاتِهِمْ وَيَصْبِرُ بِحِمْيِهِمْ إِذَا الْخَيْلُ وَلَّتْ
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشعر للخنساء ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ وَذَكَرَ
عَلِي بْنُ يَحْيَى أَنَّهُ لَمَعَبَدٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

لَحَا اللَّهُ صُعْلُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
يَنَامُ الضُّحَى حَتَّى إِذَا لَيْلُهُ انْتَهَى تَنَبَّهَ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مُورِّمًا¹
وَلَكِنْ صُعْلُوكًا يُسَاوِرُ هَمُّهُ وَيَمْضِي عَلَى الْمَهْجَاءِ لَيْثًا مَصْمُمًا
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْكَرِيهَةَ يَلْقَاهَا كَرِيمًا وَإِنْ يَسْتَغْنِي يَوْمًا فَرِيًّا
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشعر يقال إنه لَعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِحَاتِمُ الطَّائِيٍّ وَهُوَ
الصَّحِيحُ . وَالْغَنَاءُ لَطُؤِيسٌ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ رَفِيقُكَ يَمْنِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
أُنِخْهَا فَأَرْدَفَهُ فَإِنْ حَمَلْتُكُمَا فِذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبٍ
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالشَّعْرُ لِحَاتِمِ طَيْئٍ .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَرَ لَمَّا ضَمَنْتَنِي الْبَلَدَ الْفَقْرُ سَمِعْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُو
أَغْنِنَا فَإِنَّا عُصْبَةٌ مَذْجِيَّةٌ نُزَارُ عَلَى وَفَرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشعر لعمر بن معد يكرب . وَالْغَنَاءُ لِحَاتِمِ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ
حَبَشٍ .
ومنها :

[من الطويل]

1 مثلوج في ل : مسلوب .

صوت

فلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وجوهَ زهاها الحسنُ أنْ تَتَقَعَا
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا
ولمَّا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قَلْنَ لِي أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخَدَعَا
وَقَرَيْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لَمَتَيْنِ يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلَمًا قِسْنَ إصْبَعَا
عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج والغريض ومالك
ومعبد وابن جامع في علة الحان ، قد كُتِبَتْ مع الخبر في موضع غير هذا .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

عُوجِي عَلِيٍّ فَسَلَّمِي جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمَّ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنَى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ¹
الحول ثم الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهرُ
الشعر للعرجي . والغناء للأبجر ثقیلٌ أوَّلُ عن الهشامي ، ويقال إنه لابن محرز ، ويقال بل
لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنه
لابن سريج ، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد وَخَلَفْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكَ يَعَذُّبُ
وَلَكِنَّمَا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُرَوِّعٍ فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقربُ²
تعلَّمتُ أسبابَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهَا وَعَلَّمَهَا حُبِّي لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
ولي ألف وجه قد عرفتُ مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ
عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن ورق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنه
لعبد الله بن العباس . وفيه لعريب ثقیلٌ أوَّلُ . وفيه لَرَذَاذٌ خفيفٌ ثقیل . وفيه هَزَجٌ يقال إنه
لعريب ، ويقال إنه لنمرة ، ويُقال إنه لأبي فارة ، ويقال إنه لابن جامع .

1 النفر في ل : الشعر .

2 مروِّع في ل : معذب .

[سمعه مصعب الزُّبيري يَغني في بساتين المدينة فمدحه]

حدَّثني مصعب الزُّبيري قال : قَدِم علينا ابنُ جامع المدينة قَدَمَةً في أَيَّام الرشيد ؛ فسمعته يوماً يَغني في بعض بساتين المدينة :

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ ورَدَ المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلَتْها فسارت بمحزون كثير البَلايل¹
وكان رجلاً صَيِّتاً² ، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ ورَدَ المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي ركبَتْها فسارت بمحزون كثير البَلايل
الغناء لابن جامع خفيف ثَقيل بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن الهشامي وابن المكيّ .
[أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفه وأعتقه]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمَّد الرِّيات قال حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنْتُ في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، ففرَّقنا في خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكُنْتُ أراه يفعل شيئاً أعلم أَنَّهُ خطأ : يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لي يوماً : كُنْ مكاني في آخر المستراح . فكُنْتُ أعطيه الإبريق وأُخرج مبادراً ، فإذا سمعتُ حركته بادرت إليه . فقال لي : ما أخفَكَ على قلبي يا غلام ؛ ويحك ؛ ثم دخل قصرًا من تلك القصور فرأى حيَّطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينما هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو : [من الطويل]

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ نحوَ المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلَتْها فسارت بمحزون طويل البَلايل

وتحتة مكتوب : آه آه ، فلم يَدِرْ ما هو . وفطنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتُ ما هو . فقال : قل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوَّه فقال : آه آه ، فكُتِب تأوَّهه وتنفُّسه وتأسُّفه . فقال : ما لك قاتلك الله ؛ قد أعتقتك ووليتك مكانَ ياسر .

1 كثير في ل : طويل . البلايل : جمع بلبل : شدَّة الهمِّ والوسواس في الصدر وحديث النفس .

2 الصَّيِّت : الجهير الصوت .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة [في] الأخبار وإنما افردتها عنها لئلا تنقطع خبر

[من البسيط]

أُمسى بأسماء هذا القلب مَعْمُودًا

[خرج الغريص مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال حدثني المخزومي (يعني الحارث بن خالد) قال : بلغني أن الغريص خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلاً إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقت إليهن وإلى مجالسهن وإلى حديثهن ، وخفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها ، وكان عمر مهياً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره ، وكان مني قريباً ؛ فأتيته فقلت له : إن فلانة وفلانة وفلانة حتى سميتهن كلهن قد بعثنني ، وهن يقرآن عليك السلام ، وقلن : تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريص وكان الغريص يغني هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن أبي ربيعة به معجباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريص أن يغنيه ، وهو قوله :

إذا أقول صَحَا يعتاده عِيْدًا	أُمسى بأسماء هذا القلب مَعْمُودًا
أهدى لها شَبَهَ العينين والعجيدَا	كَأَنَّ أَحَوْرَ مَنْ غِرْلَانِ ذِي نَفَرٍ
لتنكأ القرحَ من قلب قد اصطيدا	قامت تراءى وقد جدَّ الرَّحِيلُ بِنَا
ذو بُغْيَةٍ يبتغي ما ليس مَوْجُودَا	كَأَنَّني يَوْمَ أُمَسِي لَا تَكَلِّمُنِي
فما أَمَلُ وما تُوفي المواعيدا	أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتُخْلِفُنِي
أَوْ أَنَّ أَصَادِفَ مَنْ تَلَقَّاهَا جُودَا	قَدْ طَالَ مَطْلِي ، لَوْ أَنَّ الْيَأْسَ يَنْفَعُنِي
من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا	فليس تَبْدُلْ لِي عَفْوَاً وَأَكْرُمَهَا

فلما أخبرته الخبر قال : لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه إلي ؛ ولكن صوت الغريص وحديث النسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحْجِص . فدعا بشابه فلبسها ، وقال : امض ؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن . فقال لي عمر : خفض عليك مشيك ففعلت ، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس ؛ فسلمنا ، فتهيئنا وتخفرن منا . فقال الغريص : لا عليكن ! هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن

وغنائى . فقالت فلانة : وعليك السلام يا ابن أبي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسنا إلا بك ،
إجلسا . فجلسنا غير بعيد ، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنن بأخمرتھن وأقبلن علينا
بوجوههن وقلن لعمر : كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءني
برسالتكن وكنت وقيداً من علة وجدتها ، فأسرعت الإجابة ، ورجوت منكن على ذلك
حسن الإثابة . فردذن عليه : قد وجب أجرك ، ولم يخب سعيك ، ووافق منا الحارث إرادة .
فحدّثهن بما قلت له من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النسوة : والله ما كان ذلك كذلك ،
ولقد نبهتنا على صوت حسن ، يا غريض هاته . فاندفع الغريض يغني ويقول : [من البسيط]

أمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره ، فكلّ استحسنه . وأقبل عليّ ابن أبي ربيعة فجزاني
الخير ، وكذلك النسوة . فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ، فقمنا جميعاً ،
وأخذ النسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريض معنا .

وقال عمر في ذلك :

[من المنسرح]

صوت

هل عند رسم برامة خبر	أم لا فأيّ الأشياء تنتظر
قد ذكرّنتي الديار إذ درّست	والشوق بما يهيجه الذّكر
ممشى رسولٍ إليّ يُخبرني	عنهم عشاء يبعث ما ائتمروا ²
ومجلس النسوة الثلاث لدى الـ	خيمات حتى تبّلع السّحر
فيهنّ هنّد والهّم ذكّرتها	تلك التي لا يرى لها خطر
ثم انطلقنا وعندنا ولنا	فيهنّ لو طال ليّلنا وطر
وقولها للفتاة إذ أرف الـ	بين أغادٍ أم رائح عُمُر
عجلان لم يقض بعض حاجته	هلا تأنّي يوماً فيتظر
الله جار له وإن نزحت	دار به أو بدا له سفر

غناه الغريض ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى .
وفيه لعبد الرحيم الدّقاف ثقیلاً أوّل بالبصر في البيتين الأولين . وبعدهما : [من مجزوء البسيط]

1 الوقيد : المريض .

2 رسول في ل : فتاة .

هل من رسولٍ إليّ يُخبرني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يومَ ظَلَلْنَا وعندنا ولنا فيهنَّ لو طال يومُنا وَطَرُ
فلَمَّا كانت الليلةُ القابلةُ بعثَ إليّ عمرُ فأتيتُهُ وإذا الغريصُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛
فاندفع يغني :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجلسَ النسوةِ الثلاثِ لدى الـ خيماتِ حتى تبلِّجَ السحرُ
فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنَّا فيه ، فسكتُ حتى فرَغَ الغريصُ من الشعرِ كُلِّهِ ؛
فقلت : يا أبا الخطَّاب ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ هذا والله صفةُ ما كنَّا فيه البارحةَ مع النسوةِ . فقال :
إنَّ ذلكَ ليُقال .

[أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل وفر]

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائني عن علي بن مجاهد قال : إن موسى بن مُصْعَب كان
على المُوَصِّل ، فاستعمل رجلاً من أهل حَرَّان على كُورَةٍ باهْذِرا ، وهي أَجَلٌ كُورِ الموصل ،
فأبطأ عليه الخراج ؛ فكتب إليه :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
إِخْمِلْ ما عندك يا ماصَّ بَظَرٍ أُمِّهِ ، وإلَّا فقد أَمَرْتُ رسولي بشدِّكَ وثاقاً ويأتي بك . فخرج
الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلَحِقَ بِحَرَّان ، وكتب إليه : يا عاضَّ بَظَرٍ أُمِّهِ ! إليّ تكتب
بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عرفتني الدَّوِيَّةُ المَلْسَاءُ
فلَمَّا قرأ موسى كتابه ضَحِكَ وقال : أحسنَ يعلم الله الجوابَ ، ولا والله لا أطلبه أبداً .
وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة :

إنَّ الخليطَ الأليَّ تهوى قد ائتمروا للبين ثم أجَدَّوا السيرَ فانشمروا
يا ابن الزَّانية ؛ والسلام . ثم هرب ، فلم يَطْلُبْهُ .

[إسحاق الموصلي ولحن للغريص]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد قال قال أبي : غنَّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ
الغريص :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
فسأَلْتُهُ أن يُلقِيه عليّ ، فقال : لا إلَّا بألف درهم ؛ فلم أسمع له بذلك . ومضى فلم ألقه .

فوالله يا بني ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدِمَ على ذلك ، وَلَوِدِدْتُ أَنِّي وجدته الآن فأخذه منه كما سمعته وأخذ مني ألف دينار مكان الألف درهم .

خبر

[من الطويل]

تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا

البشر لشُرَيْح بن السَّمُؤَال بن عَادِيَاء . ويقال : إنه للسَّمُؤَال . وكان من يهود يَثْرَب ؛ وهو الذي يُضْرَب به المثلُ في الوفاء فيقال : «أوفى من السَّمُؤَال» .

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبي وأبو عُبَيْدة وحدثني به مُحَمَّد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مُحَمَّد بن السائب الكلبي قال : كان امرؤ القيس بن حُجْر أودع السَّمُؤَال بن عَادِيَاء أدرعاً ؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ، ويقال : الحارثُ بن أبي شَمِر الغساني ، ليأخذها منه ؛ فتحصن منه السَّمُؤَال ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه : إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ الأدرعَ وإِمَّا أَنْ قَتَلْتُ ابْنَكَ ؛ فلبى السَّمُؤَالُ أَنْ يُسَلِّمَ الأدرعَ إليه ؛ فضرب الحارثُ وسطَ الغلام بالسيف ففقطعه اثنين . فقال السَّمُؤَالُ :

[من الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكَنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيَاءَ يَوْمًا بِأَلَا تُهْدَمَ يَا سَمُؤَالُ مَا بَنَيْتُ
بَنَى لِي عَادِيَاءُ حَصْنًا حَصِينًا وَمَاءَ كُلَّمَا شَعْتُ اسْتَقَيْتُ

[من الوافر]

وفي هذه القصيدة يقول :

صوت

أَعَاذَلْتَنِي أَلَا لَا تَعَذِّلْنِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلَةٍ عَصَيْتُ
دَعَيْنِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَغْوَى وَلَا تَغْوِي زَعَمْتَ كَمَا غَوَيْتُ
أَعَاذَلْتُ قَدْ طَلَبْتُ اللُّومَ حَتَّى لَوْ أَنِّي مُتِّهِ لَقَدْ انْتَهَيْتُ
وَصَفَرَاءَ الْمَعَاصِمِ قَدْ دَعَنْتَنِي إِلَى وَصْلٍ فَقُلْتُ لَهَا أَتَيْتُ
وَزِقُّ قَدْ جَرَّرْتُ إِلَى النَّدَامَى وَزِقُّ قَدْ شَرِبْتُ وَقَدْ سَقَيْتُ
وَحَتَّى لَوْ يَكُونُ فَتَى أَنْاسٍ بَكَى مِنْ عَذْلِ عَاذَلَةٍ بِكَيْتُ

عروضه من الوافر . والشعرُ للسَّمُؤَال بن عَادِيَاء . والغناء لابن مُحَرِّز في الأول والثاني

والرابع والخامس خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وغنى فيها مالكٌ خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر في الأوّل والثاني . وغنى دَحْمَانٌ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى . وغنى عبد الرحيم الدَّفَاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْجٍ لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم ينسبه¹ . ولا إبراهيم الموصليّ فيها لحنٌ غير منسوب أيضاً .
[أُسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه]

حدثني محمد بن العباس الزبيديّ قال حدثني سليمان بن أبي شَيْخٍ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأمويّ قال حدثني محمد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال :

بنو الشهر الحرام فلست منهم ولست من الكرام بني عبّيد
ولا من رهط جبار بن قُرط ولا من رهط حارثة بن زيد
قال : وهؤلاء كلّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : أنا ، لا أبا لك ، أشرف من هؤلاء .
قال : فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسرّ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ؛ فجاء حتى نزل بشرّيج بن السموأل بن عاديّ الغسانيّ صاحب تيماء² بحصنه الذي يقال له الأبلق³ . فمرّ شرح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيْجُ لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القيدِ أظفاري⁴
قد جئتُ ما بين بانقيا إلى عدنٍ فطال في العجمِ تردادي وتسياري⁵
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم عقداً أبوك بعُرف غير إنكارٍ
كالغيث ما استمطروه جاذٍ وأبله وفي الشدائد كالمستأسد الضّاري
كنّ كالسموأل إذ طاف الهمامُ به في جحفَل كسواد الليل جرّارٍ
إذ سامه خطّتي خَسَفٍ فقال له قلْ ما تشاء فإني سامعٌ حارٍ

1 في ل : يجنسه .

2 تيماء : بليدة في أطراف الشام على طريق حاج الشام ودمشق .

3 قيل له الأبلق لآته كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل : لآته بُني من حجارة مختلفة الألوان .

4 القيد : القيد .

5 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . تردادي في ل : تكراري .

فقال غَدْرٌ وَتُكَلِّلُ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرِ وَمَا فِيهِمَا حِطٌّ لِمُخْتَارِ
 فَشَكُّ غَيْرِ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْتُلْ أُسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
 وَسَوْفَ يُعْقِبُنِي إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبَيْضُ ذَاتٍ أَطْهَارِ
 لَا سِرَّهِنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَذَرًا وَحَافِظَاتٌ إِذَا اسْتَوْدَعْنَ أَسْرَارِي
 فَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيهَا بَخْتَارًا¹

قال : فجاء شُرَيْحٌ إِلَى الْكَلْبِيِّ فَقَالَ لَهُ : هَبْ لِي هَذَا الْأَسِيرَ الْمَضْرُورَ ؛ فَقَالَ : هُوَ لَكَ ،
 فَأُطْلِقْهُ . وَقَالَ لَهُ : أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَكْرَمَكَ وَأُحْبِثَكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَعَشَى : إِنْ مِنْ تَمَامِ صَنِيعِكَ
 إِلَيَّ أَنْ تُعْطِيَنِي نَاقَةً نَاجِيَةً وَتُخْلِيَنِي السَّاعَةَ . قَالَ : فَأَعْطَاهُ نَاقَةً ، فَرَكِبَهَا وَمَضَى مِنْ سَاعَتِهِ .
 وَبَلَغَ الْكَلْبِيُّ أَنَّ الَّذِي وَهَبَ لَشُرَيْحٍ هُوَ الْأَعَشَى ، فَأَرْسَلَ إِلَى شُرَيْحٍ : ابْعَثْ إِلَيَّ بِالْأَسِيرِ الَّذِي
 وَهَبْتَ لَكَ حَتَّى أُحْبِثَهُ وَأُعْطِيَهُ ؛ فَقَالَ قَدْ مَضَى . فَأَرْسَلَ الْكَلْبِيُّ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يَلْحَقْهُ .
 وَأَمَّا خَبِيرٌ :

وما كَرُّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طَاعِنٍ
 والشعر للخنساء ، فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع ؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفْرَدًا
 عن المائة الصوتِ المختارةِ في أخبار الخنساء ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رجع الخبر إلى قصة ابن جامع

[دفع في صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار]
 وَأَمَّا خَبِيرُ الْجَارِيَةِ الَّتِي أَخَذَ عَنْهَا ابْنُ جَامِعِ الصَّوْتِ وَمَا حَكِيْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ وَقَعَ فِي حِكَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ
 ضُوَيْنِ الصَّلْصَالِ فِيهَا خَطَأٌ ، فَأَخْبَرْنَا بِخَبَرِهَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَامِرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عُكَّاشَةُ الْيَزِيدِيَّ بِجُرْجَانٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَامِعٍ قَالَ : بَيْنَا
 أَنَا فِي غُرْفَةٍ لِي بِالْيَمَنِ وَأَنَا مُشْرِفٌ عَلَى مَشْرِعَةٍ² ، إِذْ أَقْبَلَتْ أُمَّةٌ سَوْدَاءُ عَلَى ظَهَرِهَا قِرْبَةٌ ، فَمَلَأَتْهَا
 وَوَضَعَتْهَا عَلَى الْمَشْرِعَةِ لَتَسْتَرِيحَ ، وَجَلَسْتُ فَغَنَّتُ :

صوت

فَرُدِّي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ وَلَا تُبْعِدِي فِيمَا تَجَشَّمْتِ كُلُّثَمَا
 وَيُرْوَى «وَلَا تُتْرَكِيهِ هَائِمَ الْقَلْبِ مُغْرَمًا» .

1 الختار : الغادر .

2 المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي لها غسل مني وتبذل علقما
أبى الله أن أُمسي ولا تذكُرني وعيناي من ذكراك قد ذرقت دما
أبيتُ فما تنفك لي منك حاجة رمى الله بالحب الذي كان أظلما

غناه سيّاطٌ خفيفٌ ثقيلٌ أوّلٌ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه قال :
ثم أخذت قُرْبَتها لتمضي . فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به ، فنزلتُ إليها فقلتُ
لها : أعيديهِ . فقالت : أنا عنك في شغلٍ بخراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كلِّ
يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيْه عليّ حتى آخذه منك ، وأعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا
الآن فنعم . فجلستُ ، فلم تَبْرَحْ حتى أخذته منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأصبحتُ
من غدٍ لا أذكر منه حرفاً ، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتُ ففعلتُ كفعلها بالأمس . فلما وضعتُ
القربةَ تغنتُ غيره ، فعَدَوْتُ في أثرها وقلتُ : يا جارية ، بحقي عليك رُدِّيْ عليّ الصوتَ فقد
ذهبتُ عني منه نعمةٌ . فقالت : لا والله ، ما مثلك تذهب عنه نعمةٌ ، أنتَ تقيسُ أوله عليّ
آخره ، ولكنك قد أنسيته ، ولستُ أفعل إلاّ بدرهمين آخرين . فدفعتهما إليها وأعادته عليّ
حتى أخذته ثانيةً . ثم قالت : إنك تستكثر فيه أربعة دراهم ، وكأنني بك قد أصبتُ به أربعة
آلاف دينار . فكنْتُ عند هارون يوماً وهو على سريه ؛ فقال : مَنْ غنّاني فأطربني فله ألفُ
دينار ، وقدّامه أكياسٌ في كلِّ كيس ألفُ دينار . فغنّى القومَ وغنيتُ فلم يطربُ ، حتى دار
الغناء إليّ ثانيةً فغنيتُ صوتَ السوداء ؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألفُ دينار ، ثم قال : أعده
فغنيتُ ؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال : أعده فرمى إليّ بثالثٍ وأمسك . فضحكْتُ ؛ فقال : ما
يُضحكك ؟ فقلتُ : لهذا الصوتَ حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فحدثتهُ
به وقصصْتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إليّ برابعٍ وقال : لا تكذبْ قولها .

خبر

[من الكامل]

عُوجِي عليّ فسلمي جبر

الشعر للعرجي وقد ذكرنا نسبة الصوت .

[قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقيدي عن ابن أبي الزناد قال حدثني
محمد بن إسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مخنثاً قد أفسد نساءها . فكتب إلى
عامله بالمدينة أن يحمله . فادخل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللحية والأطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبْنَةٍ¹ قد

1 السبينة : منسوبة إلى سبن : بلدة ببغداد ، وهي إزار أسود متخذ من الحرير يليسه النساء .

حمل دُفًا في خريطته . فلما وقف بين يديّ عمر صعد بصره فيه وصوبه وقال : سواة لهذه الشبيبة وهذه القائمة ! أتخفظُ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ؛ قال : قَبَحَكَ اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضره فقالوا : اسكُتْ فسكُت . فقال له عمر : أتقرأ² من المفصل شيئاً ؟ قال : وما المفصل ؟ قال : ويلك ؛ أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأخطيء فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وأخطيء فيها ، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مثل الماء الجاري . قال : ضعه في الحبس ووكّلوا به معلّمًا يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة وأجرؤا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهم آخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع . فكان كلما علّم سورة نسي التي قبلها . فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، وجهٌ إليّ مَنْ يحمل إليك ما أتعلّمه أولاً فأولاً ، فإنني لا أقدر على حمله جملة واحدة . فبعث عمر مَنْ فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهم إلّا ضائعة ، ولو أطمعناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها غريباً لكان أصلح . ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه قال له : أقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ . قال : أسأل الله العافية ! أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شراً ما فيه وأصعبه . فأمر به فوجّعت عنقه ونفاه . فاندفع يغني وقد توجّهوا به : [من الكامل]

عُوجِي عَلِيٍّ فَسَلَّمِي جَبْرُ فِيمَ الْوَقُوفُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
ما نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَنْى حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ

فلما سمع الموكّلون به حسنَ ترنمه خلّوه وقالوا له : اذهب حيث شئت مُصاحباً بعد استماعهم منه طرائفَ غنائهِ سائرَ يومهم وليلتهم .

[حجّ محدّد بن خالد بن عبد الله وسمع جارية محدّد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه]

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبي عن المدائني قال : أحجّ خالد بن عبد الله ابنه محمّداً وأصبحه رزاماً³ مولاه وأعطاه مالا ، وقال : إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت . فلما صرنا بالمدينة سأل محمّد عن جارية حاذقة ؛ فقيل : عند محمّد بن عمران التيمي القاضي . فصلينا الظهر في المسجد ثم ملنا إليه فاستأذنا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على ليد⁴ ونعلاه في آخر اللبد ؛ فسلمنا عليه فردّ ؛ ونسب محمّداً فانتسب له ، فقال : خيراً . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلجّج الفتى . فقال : كأنك ذكرت فلانة ! يا جارية اخرجي ؛

1 في ل : أتقرأ .

2 في ل : أتخفظ .

3 رزام : هو رزام بن مسلم أدرك أبا جعفر المنصور .

4 اللبد : بسات من صوف .

فخرجت فإذا أحسنُ الناس ، ثم تغتت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخُ يذهب مع حركاتها ويجيء ، إلى أن غتت قوله :

عوجي عليّ فسلمي جبر

[من الكامل]

فلما بلغت :

حتى يفرق بيننا النفر

وثب الشيخُ إلى نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أذنه والنعل فيها وجعل يقول : أهْدُونِي أَنَا بَدَنَةً ، أهْدُونِي أَنَا بَدَنَةً . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنها تساوي ؟ قالوا : ستمائة دينار . قال : هي وحق القبر خير من ستة آلاف دينار ، والله لا يملكها عليّ أحدٌ أبداً ، فانصرفوا إذا شئتم .

[كان ابن جريج في حلقة يحدث فمر به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج]

أخبرنا وسوسةُ بن الموصلي ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثقفي عن ابن عمِّ لعمار بن حمزة قال حدثني سليم الحساب عن داود المكي قال : كنّا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده ابن المبارك وجماعة من العراقيين ، إذ مرَّ به ابن تيزن قال حماد : ويقال ابن بيرن¹ ، وقد ائترز بمثورة على صدره ، وهي إزرة الشطّار عندنا . فدعاه ابن جريج ؛ فقال له : إني مستعجل ، وقد وعدت أصحاباً لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم . فأقسم عليه حتى أتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أحبُّ أن تسمعني . قال : أنا أجيتك إلى المنزل ، فلم تجلسني مع هؤلاء الثقلاء ! . قال : أسألك أن تفعل ؛ قال : امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات . قال : ويحك ؛ ما أعجلك باليمين ؟ قال : أكره أن أحتبس عن أصحابي . فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال : اغفلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنني الصوت الذي أخبرتني أن ابن سريج غناه في اليوم الثالث من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الزاهب والجائي حتى تكسرت الحامل . فغناه : [من الكامل]

عوجي عليّ فسلمي جبر

فقال ابن جريج : أحسنت والله ؛ ثلاث مرّات ، ويحك أعده . قال : أمين الثلاثة ؟ فإني قد حلفت . قال : أعده فأعاده ؛ فقال : أحسنت ؛ أعده من الثلاثة ؛ فأعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأصحابه : لعلكم أنكرتم ما فعلت ! قالوا : إنا لننكره بالعراق . قال : فما تقولون في الرجز ؟ (يعني الحذاء) قالوا : لا بأس به . قال : فما الفرق بينهما ؟ .

[أحسن الناس حلوفاً في الغناء]

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المديني قال : ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوفاً : ابن تيزن ، وابن عائشة ، وابن أبي الكنات .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُمَيْتاً مُدَامَةً عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي سَلَامٌ بَنِ مِشْكَمٍ
تَخَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِداً سِوَاهُمْ فَلَمْ أُغْبِنَ وَلَمْ أَتَنْدَمِ
عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالشَّعْرُ لِأَبِي سَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ . وَالْغِنَاءُ لِسُلَيْمَانَ أَخِي بَابُوِيهِ الْكُوفِيِّ
مَوْلَى الْأَشَاعِثَةِ¹ ، خَفِيفُ رَمْلِ السَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .

1 الأشاعثة : منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي .

[97] - ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّ حرب بن أمية بنت أبي هَمَهَمَة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وأمّ أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم¹ بن ربيعة² بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهي عمّة ميمونة أمّ المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حزن أمّ بني العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أمية والفرق بين الأعياص والعباس منهم وجمل من أخبارهم في أول هذا الكتاب .

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية ومن مالأهم في يوم عكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية³ وازدراعهما إياها . وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها . وتواترت الروايات بذكره فذكرته ، والله أعلم .

[أراد حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا]

أخبرني الطوسي والحزمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مُصْعَب ، وأخبرنا محمد بن الحسين بن ذرّيد عن عمّه عن العباس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني : أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو إخوته مرّ بالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يُرام . فقال له مرداس بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى . قال : نعم المزدراع هو ، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نذرّعه بعد ذلك ؟ قال نعم . فأضرمّا النار في الغيضة . فلما استطارت وعلا لهبها سُمِعَ من الغيضة أتين وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك :

[من البسيط]

إني انتخبْتُ لها حرباً وإخوته
إني بحبل وثيق العقد دسّاسُ

1 في ل : الهرم .

2 في ل : رويّة .

3 القرية : موضع في ديار بني سليم .

إِنِّي أَقَوْمٌ قَبْلَ الْأَمْرِ حُجَّتَهُ كَيْمَا يَقَالَ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِرْدَاسُ

قال : فسمِعُوا هاتِفًا يَقُولُ لَمَّا احْتَرَقَتِ الْغَيْضَةُ :

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارَسَا مُطَاعِنًا مُخَالِسَا
وَيْلٌ لَعَمْرُو فَارَسَا إِذْ لَبِسُوا الْقَوَانِيسَا¹
لَنَقْتَلَنَ بِقَتْلِهِ جَحَاجِحًا عَنَابِيسَا

ولم يلبث حربُ بن أُمَيَّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا . فأَمَّا مرداسُ فُدْفِنَ بِالْقُرَيْةِ . ثم ادَّعَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ كَلِيبُ بْنُ أَبِي عَهْمَةَ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الظُّفَرِيُّ . فقال في ذلك عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

أَكْلِيبُ مَا لَكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظَّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنْتَ سَيِّدٌ مَعِيُونُ

المعيونُ : الذي أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ ، وَقِيلَ : الْمَعِيُونُ : الْحَسَنُ الْمُنْظَرُ فِيمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَلَا عَقْلَ لَهُ .

فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى نِسَائِكَ فَادَّهِنِ إِنَّ الْمُسَالِمَ رَأْسُهُ مَدْهُونُ
وَأَفْعَلْ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ²
وَإِخَالُ أَنْتَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتِكَ سَيْنَانُهَا الْمَسْنُونُ
إِنَّ الْقُرَيْةَ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهَا إِنْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّبَيُّنُ
حَيْثُ انْطَلَقَتْ تَخْطُئُهَا لِي ظَالِمًا وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَدْفُونُ

أَبُو يَزِيدَ : مِرْدَاسُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ .

[مَنْزِلُهُ فِي قَرِيشٍ وَفَقَّاهُ عَيْنُهُ]

وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأْسًا مِنْ رُؤُوسِ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ وَكَهْفًا لِلْمُتَنَافِقِينَ فِي أَيَّامِهِ ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ . وَلَهُ فِي إِسْلَامِهِ أَخْبَارٌ نَذَرَهَا هُنَا . وَكَانَ تَاجِرًا يَجْهُزُ التِّجَارَ بِمَالِهِ وَأَمْوَالِ قَرِيشٍ إِلَى أَرْضِ الْعَجَمِ . وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُشَاهَدَةَ الْفَتْحِ ، وَفُقِّعَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الطَّائِفِ³ ، فَلَمْ يَزَلْ أَعُورًا إِلَى يَوْمِ الْيَرْمُوكِ ، فَفُقِّعَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ فَعَمِيَ .

1 القوائس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

2 يشير إلى تحكُّمِ كَلِيبٍ فِي الْمَاءِ .

3 يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه .

[مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة]

أخبرنا الطوسي والحارثي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكي عن أبي الهيثم عمن أخبره : أنه سمع أبا سفيان يُمَازِح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة ويقول : والله إن هو إلا أن تركك فتركك العربُ فما انتطحت جماء¹ ولا ذات قرْنٍ ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول : «أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة² !» .

[سئل وهو مشرك عن زواج بنته رسول الله ﷺ فمدحه]

قال الزبير وحدثني عمي مصعب : أن رسول الله ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذ مشرك يحارب رسول الله ﷺ ، وقيل له : إن محمداً قد نكح ابنتك ؛ فقال : ذلك الفحل لا يُفدع³ أنفه . واسم أم حبيبة رملة ، وقيل : هند⁴ ، والصحيح رملة .

[أبطأ رسول الله ﷺ بإذنه فعاتبه فأرضاه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال : أذن رسول الله ﷺ يوماً للناس ، فأبطأ بإذن أبي سفيان ، فلمَّا دخل قال : يا رسول الله ، ما أذنت لي حتى كذت تأذن للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كل الصيد في جوف الفرا» .

حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مُصعب قال حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن⁵ يحيى البرمكي قال : أذن رسول الله ﷺ للناس ، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله ، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة⁶ ليؤذن لها قبلي . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله إنك والناس لكما قال الأول : «كل الصيد في بطن الفرا» . أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلهم .

[خرج إلى الشام في تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبي ﷺ فأجابه وصدقه]

حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا

1 الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

2 حنظلة : ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

3 يقدع : يضرب .

4 في ل : صفة .

5 في ل : عند .

6 الخندمة : جبل بمكة .

المثنى بن زُرْعَةَ أَبُو راشد عن مُحَمَّد بن إِسْحاق قال حَدَّثني الزُّهْرِيُّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُبَيْة عن ابن عَبَّاس قال حَدَّثني أَبُو سفيان بن حرب قال : كُنَّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حَصَرْتَنَا حتَّى نَهَكَتْ¹ أُمُورُنَا . فلَمَّا كانتِ الْهُدنةُ [هُدنة الْحُدَيْيَةِ] بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجتُ في نفرٍ من قريشٍ إلى الشامِ ، وكان وجهُ مَنَجَرْنَا منه غَزَّةً ، فقَدِمْنَاهَا حينَ ظَهَرَ هِرْقُلُ على مَنْ كانَ بأَرْضِهِ من الفرسِ ، فأَخْرَجَهُمْ منها وانتزعَ منهمَ صَليَبَهُ الْأَعْظَمَ وكانوا قد استلبوه إِيَّاهُ . فلَمَّا بَلَغَهُ ذلكَ منهمَ وبَلَغَهُ أَنَّ صَليَبَهُ قد اسْتُتْقِدَ منهمَ ، وكانت حِمَصُ مَنْزِلِهِ ، خرجَ منها يمشي على قدميه شُكراً لله حينَ رَدَّ عليه ما رَدُّ لِيصَلِّيَ في بيتِ المقدسِ تُبَسِّطُ لَهُ الْبُسْطُ وتُلْقَى عليها الرِّياحُ . فلَمَّا انتهَى إلى إيليا فُقِضِيَ فيها صلاتُهُ وكان معه بطارقتهُ وأشرفَ الرومِ ، أصبحَ ذاتَ غُدْوَةٍ مهموماً يَقلِّبُ طرفَهُ إلى السماءِ . فقال له بطارقتهُ : واللهِ لَكُنَّا أَكْثَرُ أَصْبَحَتِ الْغَدَاةُ مهموماً . فقال : أَجَلُ ؛ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ أَنَّ مُلْكَ الْخَتَانِ ظَاهِرٌ . فقالوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، ما نَعْلَمُ أُمَّةً تَخْتِجُ إِلَّا الْيَهُودَ ، وهم في سُلْطَانِكَ وتحتَ يدِكَ ، فابْعَثْ إلى كُلِّ مَنْ لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ في بِلَادِكَ فَمُرَّهُ فَلْيَضْرِبْ أَعْنَاقَ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْهُمْ من يَهُودٍ واسترَحَ من هذا الهمِّ . فواللهِ إنَّهُمْ لَفِي ذلكَ من رَأْيِهِمْ يَدْبُرُونَهُ إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَى بِرَجُلٍ من الْعَرَبِ يَقُودُهُ ، وكانتِ الْمُلُوكُ تَتَهَادَى الْأَخْبَارَ بَيْنَهُمْ ، فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ هَذَا رَجُلٌ من الْعَرَبِ من أَهْلِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ يَحْدُثُ عَنْ أَمْرِ حَدَثٍ فَاسْأَلْهُ . فلَمَّا انتهَى بِهِ إلى هِرْقُلَ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَى ، قال هِرْقُلُ لَمَنْ جَاءَ بِهِ : سَلْهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ يَبْلُغُهُ ؛ فَسَأَلَهُ : فقال : خرجَ بينَ أَظْهَرْنَا رَجُلٌ يزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وقد اتَّبَعَهُ نَاسٌ فَصَدَّقُوهُ ، وخالفَهُ آخَرُونَ ، وقد كانتَ بَيْنَهُمْ مَلَاجِمٌ في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وترَكْتَهُمْ على ذلكَ . فلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ قال : جَرِّدُوهُ فَإِذَا هُوَ مَخْتُونٌ ؛ فقال : هذا واللهِ النَّبِيُّ الَّذِي رَأَيْتَ لَا مَا تَقُولُونَ ، أعطوه ثِيَابَهُ وَيَنْطَلِقْ . ثم دعا صَاحِبَ شَرْطَتِهِ فقال له : اقلِبِ الشَّامَ ظَهراً لِبَطْنٍ حتَّى تَأْتِيَنِي بِرَجُلٍ من قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ . فَإِنَّا لَبَغَزَةٌ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا صَاحِبُ شَرْطَتِهِ فقال : أنتم من قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ ؟ قلنا نعم . قال : انطَلِقُوا إلى الْمَلِكِ ، فانطَلِقُوا بنا . فلَمَّا انتهَيْنَا إِلَيْهِ قال : أنتم من رَهْطِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ ؟ قلنا نعم . قال : فَأَيُّكُمْ أُمْسُ بِهِ رَحِمًا ؟ قال : قلتُ أَنَا . قال أَبُو سفيان : وَايْمُ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَرى أَنَّهُ أَنْكَرُ مِنْ ذَلِكَ الْأَغْلَفِ (يعني هِرْقُلَ) ثم قال : أَذْنُهُ ، فَأَقْعَدْنِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْعَدُ أَصْحَابِي خَلْفِي ، وقال : إِنِّي سَأَسْأَلُهُ ، فَإِنْ كَذَبَ فَرُدُّوهُ عَلَيْهِ . قال : فواللهِ لقد عَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدُّوا عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا سَيِّدًا أَتَبَرَّمُ عَنِ الْكَذْبِ ؛ وَعَرَفْتُ أَنَّ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ أَنَا كَذَبْتُهُ أَنَّ يَحْفَظُونَهُ عَلَيَّ ثم يَحْدُثُوا بِهِ

عني ، فلم أكذبه قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي . فجعلت أزهّد له شأنه وأصغر له أمره ، وأقول له : أيها الملك ، ما يهملك من شأنه ! إن أمره ما بلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني . ثم قال : أتيتني فيما أسألك عنه من شأنه . قال : قلت : سلّ عما بدا لك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض ، هو أوسطنا¹ نسباً . قال : أخبرني هل كان أحد في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قال : قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد ؛ قال : فأخبرني عمّن يتبعه أيجبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ؟ قال : قلت : قلما يتبعه أحد² فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجال³ يدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجِد شيئاً سألني عنه اغتَمِر فيه غيرها . قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدَّة³ ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني . ثم كرّر عليّ الحديث فقال : سألتك عن نسبه فيكم ، فرعمت أنه محض من أوسطكم نسباً ؛ فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ، فرعمت أن لا . وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه ، فرعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فرعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عمّن يتبعه أيجبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فرعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه ، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه . وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فرعمت أنها سجال تَدالون عليه ويدل عليكم ، وكذلك حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يَغْدِر ، فرعمت أن لا . فلتن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ؛ إنطلق لشأنك . فقمت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول : يا لعباد الله ! لقد أمر⁴ أمر ابن أبي كبشة⁵ ! أصبحت ملوك بني الأصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم .

1 أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

2 في ل : رجل .

3 أي مدة صلح الحديبية .

4 أمر : عظم .

5 أبو كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعري العبور وسمى المشركون الرسول ﷺ بابن أبي كبشة .

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقه]

قال ابن إسحاق : فقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية¹ بن خليفة الكلبي ، فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم . السلام على من أتبع الهدى . أما بعد ، فأسلم تسلم يؤتلك الله أجرَك مرتين ، وإن تتول فإنَّ الأَكابرَ عليك» .

قال ابن شهاب : فأخبرني أسقفُ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمر هرقل وعقله ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله ﷺ من قبل دحية بن خليفة ، أخذ هرقل فجعله بين فخذه وخاصيته ، ثم كتب إلى رجل رومية² كان يقرأ العبرانية ما تقرؤونه ، فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحب رومية : إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه ، فاتبعه وصدقه . قال : فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة³ ملكه ، وأمر بها فأغلقت⁴ عليهم أبوابها ، ثم أطلع عليهم من عليّة وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الروم ، قد جمعتكم لخبر⁵ ، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنه النبي الذي كنا ننتظره ، ونجده في كتابنا ، فهلم فلنبايعه ولنصدقّه فتسلم لنا ديانا وآخرتنا . قال : فنخرت الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها قد أغلقت دونهم . فقال : كروهم علي وخافهم على نفسه ؛ فكروهم عليه . فقال : يا معشر الروم ، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث ؛ فقد رأيت منكم الذي أسرُّ به ؛ فخرّوا سجداً . وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا .

[حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبي ﷺ وهما باليمن وحديث الخبر اليهودي معهما]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس قال قال لي العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقلدتم اليمن . فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غداك ؟ فقلت : نعم . فانصرف أنا والنفر إلى بيته

1 دحية : صحابي مشهور كان من أجمل الناس وأحسنهم صورة .

2 رومية : أي روما .

3 الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .

4 في ل : فأسريت .

5 في ل : لخبر .

وأرسلت إلى الغداء . فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ قلت : وأي بني أخي ؟ قال أبو سفيان : إيتاي تكتم ؟ وأي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجلاً واحداً ! قلت : وأيهم هو على ذلك ؟ قال : محمد بن عبد الله . قلت : ما فعل ؟ قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إلي كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح¹ غدوة فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعله صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب أن تقول مثل هذا ، وإنني لأخشى أن تكون على بصّر من هذا الأمر ، وقال الحسن بن علي في روايته : على بصيرة من هذا الحديث ثم قال : يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم يميناً وشوئمة كل واحدة منهما عامّة ، فنشدتكم الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذا شوئتمكم . قلت : فلعلها يُمَنَّتْنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قديم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس إلى خير من أخبار اليمن ؛ فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعت . قال : أين فيكم عمّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدّقوا وأنا عمّه . قال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حدّثني عنه . قال : لا تسألني ، فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعيبه ، وغيره خير منه . قال اليهودي : فليس به أذى ، ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه . قال العباس : فتأدّى إلي الخبر فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبر . فقلت للحبر : بلغني أنك سألت ابن عمي هذا عن رجل من يزعم أنه رسول الله ، فأخبرك أنه عمّه ، وليس بعمّه ولكنه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدّق ؟ قال : نعم صدّق . قال فقلت : سلني عنه ، فإن كذبتُ فليردد علي . فأقبل علي فقال : أنشدك الله ، هل فشّت لابن أخيك صَبْوَةٌ أو سَفْهَةٌ ؟ قال قلت : لا والله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش الأمين . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عَباس : فظننتُ أنه خير له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكان أبي سفيان وأنه مُكَلِّبني وراؤي علي ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبر وترك ردائه وجعل يصيح : ذُبِحَتْ يهود ! قُتِلَتْ يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهودي لفزع من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيت ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن

كان حقاً كنت قد سبقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومن به حتى أرى الخيل تطلع من كداء (وهو جبل بمكة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمة والله جاءت على فمي ما أقيت لها بالاً ، إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء . قال العباس : فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة ؟ قال لي : والله إني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

[حديث استثمان العباس له وإسلامه في غزاة الفتح]

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد الله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران (يعني في غزاة الفتح) قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صباح قريش ! والله لئن بغتها رسول الله ﷺ إنها هلاك قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال : أخرج إلى الأراك² ، لعلني أرى خطاباً أو صاحباً لئن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنونه . فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم³ بن حزام وبديل⁴ بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله ﷺ ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً . فقال بديل بن ورقاء : هذه والله نيران خزاعة حمشتها⁵ الحرب . فقال أبو سفيان : خزاعة الأم من ذلك وأذل . فعرفت صوته فقلت : أبا حنظلة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبيك ، فداؤك أبي وأمي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ قد دلف⁶ إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله ﷺ ، فوالله لئن ظفرك بك ليضربن عنقك . فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ . فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا : عم رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ ؛ حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب

1 مرّ الظهران : واد قرب مكة .

2 الأراك : واد قرب مكة .

3 هو حكيم بن خويلد ابن أخي خديجة زوج الرسول ﷺ .

4 رجل من خزاعة .

5 حمش الشيء : جمعه وقلنا هيجه .

6 دلف : تقدّم .

رضي الله تعالى عنه فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؛ ثم اشتد نحو النبي ﷺ ، وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان قال العباس : حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء . فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه . قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرتك . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ وأخذت برأسه وقلت : والله لا ينجيه اليوم أحدٌ دوني . فلما أكثر فيه عمر قلت : مهلاً يا عمر ؛ فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف ، ولو كان من بني علي بن كعب ما قلت هذا ؛ قال : مهلاً يا عباس ؛ فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ وذلك لأنني أعلم أن إسلامك أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : «إذهب فقد آمنناه حتى تغدو به علي الغداة» فرجع به إلى منزله . فلما أصبح غدا به رسول الله ﷺ . فلما رآه قال : «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله» ! فقال : بآبي أنت وأمي ! ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً . فقال : «ويحك تشهد بشهادة الحق قبل والله [أن] تُضرب عنقك» . قال : فتشهد . فقال رسول الله ﷺ للعباس من حين تشهد أبو سفيان : «انصرف يا عباس فاحتسبه عند خطم الجبل بمضييق الوادي حتى يمر عليه جنود الله» . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» . فخرجت به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضييق الوادي ، فمرت عليه القبائل ، فجعل يقول : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لي ولسليم ! ثم تمر به قبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لي ولأسلم ! وتمر به جهينة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة ! حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء ، كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، فقال : من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنها النبوة ؛ قال : نعم إذا . فقلت : إالحق الآن بقومك فحذركم . فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قيل لكم به . قالوا : فمة ! قال : من دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

[بعض ما أسند إليه من أخبار تدلّ على عدم إخلاصه]

حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالَا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير قال : لما كان يوم اليرموك خلّفتني أبي ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوفقتُ معهم ، فكانت الرومُ إذا هزمتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بني الأصفر ، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان :

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مَلُوكُ الرَّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ
فلما فتح الله على المسلمين حدثتُ أبي فقال : قاتله الله ؛ يَأْتِي إِلَّا نِفَاقًا ؛ أَوْلَسْنَا خَيْرًا لَهُ
من بني الأصفر ؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدثتهم ،
فأحدثتهم فيعجبون من نفاقه .

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصره ، فقال : هل غلينا من عَيْنٍ ؟ فقال له
عثمان : لا . فقال : يا عثمان ، إن الأمرُ أمرُ عالمية ، والملكُ ملكُ جاهلية ، فاجعل أوتاد الأرض
بني أمية .

حدثني محمد بن حبان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاس قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن ميسرة الهمداني عن أبي الأبرر الأكبر قال : جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما
بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها ! فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً .
فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عاذبت الله ورسوله ﷺ
والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي
سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال :

وَأَضَحْتُ قَرِيشَ بَعْدَ عَزٍّ وَمَنْعَةٍ خَضُوعاً لَتَيْمٍ لَا بَضْرِبِ الْقَوَاضِبِ¹
فِيَا لَهْفَ نَفْسِي لِلَّذِي ظَفِرْتُ بِهِ وَمَا زَالَ مِنْهَا فَائِزاً بِالرَّغَائِبِ

وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : لما ولي عثمانُ الخلافة ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني

1 هو تيم بن مرة بن كعب ، وبه سُميت القبيلة التي يتنسب إليها أبو بكر الصديق .

أُمِّيَّة ، إِنَّ الْخِلَافَةَ صَارَتْ فِي تَيْمٍ وَعَدِيٍّ¹ حَتَّى طَمَعَتْ فِيهَا ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا بَيْنَكُمْ تَلَقَّفَ الْكَرَّةَ ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ فَصَاحَ بِهِ عَثْمَانُ : قُمْ عَنِّي فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ . وَلَأَبِي سَفْيَانَ أَخْبَارٌ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ وَنَحْوَهُ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا ، وَفِيمَا ذَكَرْتُ مِنْهَا مَقْنَعٌ .

[شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق]

وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ يَقُولُهَا فِي سَلَامِ بْنِ مِشْكَمَ الْيَهُودِيِّ وَيُكْنَى أَبَا غَنَمٍ ، وَكَانَ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ السَّوِيقِ ، فَقَرَّاهُ وَأَحْسَنَ ضَيَافَتَهُ . فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ فِيهِ : [من الطويل]

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُفَيْتَا مُدَامَةً	عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي سَلَامٌ مِنْ مِشْكَمٍ
تَخَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا	سَوَاهِمَ فَلَمْ أُغْبَنَ وَلَمْ أَتَدَلَّمْ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ	لَأُفْرِحَهُ أَبْشِيرَ بِعُورٍ وَمَغْنَمٍ
وَإِنَّ أَبَا غَنَمٍ يَجُودُ وَدَارُهُ	بِئْثَرٍ مَأْوَى كُلِّ أَيْضٍ خِضْرَمٍ ²

1 هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سُمِّيَتِ الْقَبِيلَةُ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

2 الخضرم : الجواد الكثير العطية وأصله البحر الكثير الماء .

[98] - ذكر الخبر عن غزوة السويق

ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

[خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم]

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر . وذلك أن أبا سفيان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمراً حتى يغزو رسول الله ﷺ . فخرج في عدة من قومه ولم يصنع شيئاً ؛ فغيرته قريش بذلك وقالوا : إنما خرجتم تشربون السويق ؛ فسميت غزوة السويق¹ .

حدثنا محمد بن جرير ، قرأته عليه ، قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، قال : كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بدر ، نذر ألا يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حبي بن أخطب يشرب فدى عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ؛ وانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس . ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه ؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أنصار² من نخل لها ، وأتوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذر³ بهم الناس ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قرقرة⁴ الكدر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزاول القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفقون منه للنجاء . فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون غزوة ، قال «نعم» . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة آياتاً من شعر يحرّض فيها قريشاً فقال :

[من معجزة الرجز]

1 السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير .

2 الصور : الجماعة من النخل .

3 نذر : علم .

4 قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر .

كُروا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
 إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دَوْل
 آلت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
 حتى تبیدوا قبائل الأوس وال خزرج إن الفؤاد مشتعل¹
 فأجابه كعب بن مالك :

يا لهف أم المسبحين على جيش ابن حرب بالحرّة الفشل²
 أنطرحون الرجال من سَم الظّه ر ترقي في قنّة الجبل
 جاءوا بجمع لو قيس منزله ما كان إلّا كمعرس الدئل³
 عار من النصر والثراء ومن نجدة أهل البطحاء والأسل
 أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان⁴ بن
 سعد عن الواقدي : أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة .

[اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان]

حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي
 الزناد عن عبد الله بن الحارث قال : شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم ، وكان
 له نديماً ، معهم كعب بن أسد وعبد الله بن أبي قيس بن الخطيم ؛ فأسرع الشراب فيهم
 وكانوا في مؤادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسان : تعال
 أشاربك ؛ فتشاربنا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال
 حسان وعرف الشر في وجهه : أواخراً من ذلك أجعل لك الغلبة . قال : لا ، إلّا أن تشربه ؛
 فأبى حسان . وقال له سلام بن مشكم : يا أبا يزيد ، لا تكرهه على ما لا يشتهي ، إنما دعوته
 لإكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسيء مجالسته . فقال له قيس : أقتدعوني أنت على أن
 تسيء مجالستي ؟ فقال له سلام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملت عليك إلّا لأنك مني
 وأني حليفك ، وليست عليك غضاضة في هذا ، وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته
 منزلي ؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمته . ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم ؛

1 تبیدوا في ل : تبيروا .

2 الفشل : الضعيف الجبان .

3 المعرس : الموضع الذي يعرس فيه أي ينزل القوم . الدئل : دوية كالثلعلب ، وقيل : هي شبيهة بابل عرس .

4 في ل : محمد .

فافترقوا . وآلى سلامُ بنِ مِشْكَمٍ على نفسه ألاَّ يشربَ سنَةً ؛ وقد بلغَ هذا من نديمه وكان كريماً .

صوت من المائة المختارة

[من السريع]

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أبا كامل أني إذا ما غاب كالهامل
قد زادني شوقاً إلى قربه مع ما بدا من رأيه الفاضل
الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كامل . ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر
في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبّش أنّ لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل
الثاني بالوسطى .

* * * *

الفهرس

- [72] - أخبار الصَّمَّة القُشَيْرِيَّ ونسبه 5
- [73] - أخبار داود بن سَلَم ونسبه 11
- [74] - أخبار دَحْمَان ونسبه 19
- [75] - أخبار أَعْشَى هَمْدَان ونسبه 27
- [76] - أخبار أَحْمَد النَّصْبِي ونسبه 50
- [77] - أخبار حَمَّاد الراوية ونسبه 55
- [78] - أخبار عِبَادِل ونسبه 71
- 79 - [الوابصي وأخباره] 86
- 80 - [عود إلى أخبار نصيب] 88
- [81] - أخبار المَرْقَش الأكبر ونسبه 93
- [82] - المَرْقَش الأصغر 99
- [83] - وقعة دولاب وأخبار الشراة 103
- [84] - أخبار سِيَاط ونسبه 109
- [85] - ذكر نُبَيْه وأخباره 115
- [86] - أخبار سُلَيْم 117
- [87] - أخبار ابن عِبَاد 122
- [88] - أخبار يَحْيَى المَكِّي ونسبه 124
- [89] - أخبار الثَّمِيرِي ونسبه 136
- [90] - أخبار وَضَّاح اليمَن ونسبه 148
- [91] - أخبار بَشَّار وَعَبْدَة خاصة إذ كانت أخباره سوى هذه تقلَّمت 170
- [92] - أخبار الأَحْوَص مع أُمِّ جَعْفَر 179
- 93 - [عاتكة بنت شُهدة] 184
- [94] - ذكر أَبِي ذُوَيْب وخبره ونسبه 187
- [95] - ذكر حَكَم الوادي وخبره ونسبه 197
- [96] - ذكر ابن جامع وخبره ونسبه 204
- [97] - ذكر أَبِي سَفْيَان وأخباره ونسبه 239
- [98] - ذكر الخبر عن غزوة السَّوَيْق ونزول أَبِي سَفْيَان على سَلَام بن مِشْكَم 250

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 6

DAR SADER
Beirut

كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعائين الأستاذ بكرة عباس

دار طائر

بيروت

کتابُ الْإِعْزَازِ

7

كتاب الألفاظ

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

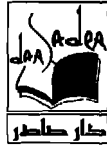
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[99] - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه¹

[نسبه]

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، وَيُكْنَى أبا العَبَّاس . وأُمُّهُ أُمُّ الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقِيل الثَّقَفِيّ ، وهي بنت أخي الحَجَّاج . وفيه يقول أبو نُخَيْلَة² : [من الرجز]
 بين أبي العاصي وبين الحَجَّاج يا لَكُمَا نُورًا سَرَّاجٌ وَهَّاجٌ
 عليه بعد عَمِّه عَقْدُ النَّاجِ

وأُمُّ يَزِيدَ بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة .
 وأُمُّهَا أُمُّ كُثُوم بنت عبد الله بن عامر . وأُمُّ عبد الله بن عامر أُمُّ حَكِيم البَيْضَاء بنت عبد
 المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد³ :

نَبِيُّ الهُدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالَهُ نَبِيُّ الهُدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يُفَاخِرُ

[كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة]

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيَان بني أُمَيَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ،
 وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره
 الناس فقتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ،
 ويقول : إِنَّهُ نُجِلَهُ وَالصِّقَ إِلَيْهِ . والأغلب الأشهر غير ذلك .
 [ولاية العهد بعد هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوب
 القُرشيّ وجُوَيْرِيَّة بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهال بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك
 وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم : أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوش إلى يزيد بن المهلب

1 ترجمة الوليد بن يزيد في المصادر التاريخية التي تناول فترة الدولة الأموية : تاريخ الطبري (7 : 209-262) ، والكامل لابن الأثير (5 : 287-298) ، والمسعودي (مروج الذهب : 2236-2253) ،
 والتنبيه والإشراف (325-333) ، ونهاية الأرب (21 : 473-487) . وقد جمع شعره غابري ، دار
 الكتاب الجديد ؛ وأيضاً جمع د . واضح الصمد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ومنه نشر .

2 سترجم أبو الفرج لأبي نخيلة فيما بعد .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 45 .

وعقدَ مَسْلَمَةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العباسَ بن الوليد بن عبد الملك وعقدَ له على أهل دِمَشْق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهل العراق أهلُ غَدْرٍ وإِرْجَافٍ ، وقد وجهتُنا محاربين والأحداثُ تحدثُ ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهد ، فيفتُ ذلك في أعضاء أهل الشام ؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ، فأبى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أئِماً أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي . قال : فابنُك لم يُلْغ ، فبايعَ هشام ثم لابنك بعد هشام ، قال : والوليدُ يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، قال : غداً أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ هشام ، وأخذ العهدَ عليه ألاَّ يَخْلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيّرَ عهده ولا يحتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ نَدِمَ أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتوفي يزيد سنة خمسٍ ومائة وابنه الوليد ابنُ خمسٍ عشرة سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع في خَلْعِهِ وعقدَ العهدَ بعده لابنه مَسْلَمَةَ بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتكهُ وإدمانه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، ولأه الحِجَّ ليظهرَ ذلك منه بالحرمين فيسقطُ ؛ فحجَّ وظهر منه فعلٌ كثير مذموم ، وتشاغلَ بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولىً له فحجَّ بالناس . فلما حجَّ طالبه هشامُ بأن يخلع نفسه فأبى ذلك ؛ فحرجه العطاء وحرَمَ سائرَ مَوالِيهِ وأسبابِهِ وجفاه جفاءً شديداً . فخرج مُتَبَدِّلاً¹ وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبُهُ ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامُ الناسَ إلى خلعه والبيعةِ لمَسْلَمَةَ بن هشام ، وأُمُّهُ أُمُّ حَكِيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي . وكان مَسْلَمَةُ يُكنى أبا شاكِر ؛ كُنِيَ بذلك لمولى كان لمروان يُكنى أبا شاكِر ، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظمونه ويتبركون به ، فأجابه إلى خَلْعِ الوليد والبيعة لمَسْلَمَةَ بن هشام ومحمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن القَعْقَاع بن خُوَيْلِد العَبْسِيِّ وغيرهم من خاصّة هشام . وكتب إلى الوليد : ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه واركتبته غير مُتَحَاشٍ ولا مستترٍ ، فليت شعري ما دينُك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد ، ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَلَهُ إِيَّاهُ :

[من السريع]

صوت

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكِرٍ
نشرُّبها صِرْفاً وممّوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاثِرِ

غناه عمرُ الوادي رَمَلاً بالبصر ، فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وقال : يعيِّرني بك الوليدُ وأنا
أرشدُك للخلافة ! فالزَمَ الأدبَ ، وأحضِرَ الصلوات . وولاه المُوَسِّمَ سنةَ سبعِ عشرةَ ومائة ،
فأظهر النُسلُ وقَسَمَ بمكَّةَ والمدينةَ أموالاً . فقال رجل من موالي أهل المدينة : [من السريع]

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكِرٍ
الواهب البُزْلَ بأَرْسانِها ليس بزنديقٍ ولا كافِرٍ

قال المدائني : وبلغ خالدُ القسريُّ ما عزمَ عليه هشام ، فقال : أنا بريء من خليفة يُكَنَّى
أبا شاكِرٍ ؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سببَ إيقاعه به .

[تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدَّب قال حدَّثني أبي عن العباس بن هشام قال : دخل
الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْرِهِ قبل أن يدخل ، فحمَّقه من
حضر من بني أُمَيَّة . فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد : كيف حبُّك يا وليد
للمرومِيَّات ، فإنَّ أباك كان بهنَّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحِبُّهِنَّ ؛ وكيف لا أُحِبُّهِنَّ ولن تزال
الواحدةَ منهن قد جاءت بالهَجِينِ مثلك ، وكانت أُمُّ العباس روميَّةً ، قال : اسكتْ فليس
الفعْلُ يأتي عُسْبُهُ بمثلي ؛ فقال له الوليد : اسكتْ يا ابنَ البُظْراء ! قال : أتفخر عليّ بما قُطِعَ
من بَظَرِ أُمِّك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شَرَّابُك ؟ قال : شَرَّابُك يا أمير المؤمنين ؛
وقام مغضباً فخرج . فقال هشام : أهذا الذي تزعمون أنَّه أحقُّ ! ما هو أحقُّ ، ولكني لا أظنُّه
على المِلَّة .

[عبته بوجه بني أُمَيَّة في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيِّ قال : دخل
الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزبير مولى
مَرْوان وليس هشام حاضراً ؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشام ، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له :
من أنت ؟ وهو به عارف ؛ قال : سعيد ابن أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بك . ثم نظر إلى أبي الزبير
فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير ؛ قال : أُنَسِّطُلسُ أنت ؟ مرحباً بك . ثم قال
لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَنْ إبراهيم بن هشام ؟ وهو

يعرفه ؛ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة . قال : مَنْ الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته . قال : يا ابن اللُّخناء ! أتقول هذا ! واتخذنا¹ . وأقبل هشامٌ ؛ فقبل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين ، فجلسا وكفّا . ودخل هشامٌ ؛ فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه ، إلّا أنّه زحَلْ له قليلاً ؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلتَ بِرَابطك ؟ قال : مُعَمِّلَةٌ أو مُسْتَعْمَلَةٌ . قال : فما نعل ندمائك ؟ قال : صالحون ، ولعنهم الله إن كانوا شرّاً ممّن حضرك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يا ابن اللُّخناء ! جثوا عنقه ؛ فلم يفعلوا ودفعوه رُوَيْدًا . فقال الوليد² :

[من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي	ومروانُ جدِّي ذو الفَعَالِ وعامرُ
أنا ابنُ عظيمِ القريتين وعِزُّها	ثَقِيفٌ وفَهْرٌ والعَصاةُ الأكابرُ ³
نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خالُه	نبيُّ الهدى يَقْهَرُ به من يُفَاخِرُ

[رثاء مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان هشام بن عبد الملك يُكثِّرُ تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد ؛ فكان مسلمة يعاتب هشاماً ويكفّه ؛ فمات مسلمة ؛ فغمَّ الوليدُ ورثاه فقال⁴ :

[من المتقارب]

صوت

أنا بَرِيدانٍ من واسِطٍ	يَخْبَانُ بِالْكُتُبِ الْمُعْجَمَةِ
أقولُ وما البعدُ إلّا الرَّدَى	أَمْسَلُمُ لا تَبْعَدَنَ مَسْلَمَةَ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد	تُضِيءُ فقد أصبحتَ مُظْلِمَةً
كُتْمُنَا نَعِيكَ نَخْشَى اليَقِينَ	فَجَلَّى اليَقِينَ عن الجَمْعَمَةِ
وكم من يَتِيمٍ تلافيتَه	بأَرْضِ العَدُوِّ وكم أَيْمَةٍ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَمًا	نصَبْتَ لها رايةً مُعَلَّمةً

غنى في هذه الأبيات التي أولها :

1 اتخذنا : تصارعنا .

2 ديوان الوليد : ص 46 ، رقم 45 .

3 القرينان : مكة والطائف .

4 ديوان الوليد : ص 78 ، رقم 87 .

أقول وما البعد إلا الردى

يونسٌ خفيف ثقیل بالوسطی عن عمرو . وذكر الهشامی أن فيه ثقیلاً أولٌ ینسب إلى أبي کامل وعمر الوادي . وذكر حبش أن لیونس فيه رملًا بالبنصر .
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضر بن منطور بن زيان بن سيار عن أبيه قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطته ، إذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجتر مطرف خز عليه ؛ فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عفتي من بقي لحوق من مضى ؛ وقد أقفر بعد مسلمة الصبيد لمن يرى ، واحتل الثغر قوهي ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ؛ فتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى . فأعرض عنه هشام ولم يرد¹ جواباً ؛ ووجم الناس فما همس أحد بشيء . قال : فمضى الوليد وهو يقول² : [من الوافر]

أهينة حديث القوم أم هم	سكوت بعد ما متع النهار ³
عزيز كان بينهم نبياً	فقول القوم وحي لا يحار
كأننا بعد مسلمة المرجى	شروب طوحت بهم عقار
أو آلاف هجان في قيود	تلقت كلما حنت ظوار ⁴
فليتك لم تمت وفذاك قوم	تريح غيهم عنا الدبار
سقيم الصدر أو شكس نكيد	وأخر لا يزور ولا يزار

يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ، ويعني بالشكس هشاماً ، والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد .

[هشام يحاول خلع من ولاية العهد]

قال الزبير وحدثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده ؛ فقال الوليد⁵ :

[من الطويل]

كفرت يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

1 ل : بحر .

2 ديوان الوليد : ص 44 ، رقم 43 .

3 الهينة : الكلام الخفي غير المفهوم . ومتع النهار : طال وامتنع .

4 ظوار : جمع ظفر وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها .

5 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 98 بترتيب مختلف .

رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِداً فِي قَطِيعَتِي وَلَوْ كُنْتَ ذَا حَزْمٍ لَهَدَمْتَ مَا تَبْنِي
أَرَاكَ عَلَى الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِينَةً فَيَا وَيَحْهَمُ إِنْ مُتَّ مِنْ شَرٍّ مَا تَجْنِي¹
كَأَنِّي بِهِمْ يَوْماً وَأَكْثَرُ قَوْلِهِمْ أَيَا لَيْتَ أَنَا ، حِينَ ، يَا لَيْتَ ، لَا تُغْنِي²

[أمر هشام بطرد عبد الصمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المذائنيّ قال : عتب هشام على الوليد وخاصته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبرق بين أرض بلقين وفرارة على ماء يقال له الأغذف ، وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى . فشرّبوا يوماً ، فقال له الوليد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً تُغنيّ فيها ؛ فقال أبياتاً ، وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي : [من المتقارب]

صوت

أَلَمْ تَرَ لِلنَّجْمِ إِذْ سَبَّعَا يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الْمَرْجَعَا
تَحِيرُ عَنْ قَصْدِ مَجْرَاتِهِ إِلَى الْغُورِ وَالْتِمَسِ الْمَطْلَعَا
فَقُلْتُ وَأَعْجِبْنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا
وَكُنَّا نَوْمُلُ فِي مُلْكِهِ كَتَامِيلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُو رِ طَوْعاً وَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

فروى هذا الشعر ، وبلغ هشاماً ، ففقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه وعلى أصحابه وحرّمهم ؛ وكتب إلى الوليد : قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خيلاً ومحدثاً وندياً ؛ وقد حقّق ذلك ما بلغني عنك ، ولن أبرئك من سوء ؛ فأخرج عبد الصمد مذموماً . قال : فأخرجه الوليد وقال³ :

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهْبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَبِيرٍ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن

1 الشطر الأول في الديوان : تثير على الباقين مجنى ضغينة .

2 الشطر الثاني في الديوان : ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 46 .

يَأْذَن لابن سُهَيْل في الخروج إليه ، وكان من خاصّة الوليد ، فضرب هشامُ ابنَ سهيل ونفاه وسيّره . وكان ابنُ سهيل من أهل النَّبَاهَةِ ، وقد وَلِيَ الولاياتِ ، ولي دمشقَ مراراً وولي غيرها ، وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِمٍ كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المُسَوَّحَ وقِيَّده وحبسه ، فغَمَّ ذلك الوليدَ فقال : من يثق بالناس ؟ ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشووم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع بي ما تَرَوْنَ ، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هَوًى إلّا أَضَرَّ به ؛ كتب إليّ بأن أخرجَ عبدَ الصمد فأخرجته ، وكتبْتُ إليه في أن يأذن لابن سُهَيْل في الخروج إليّ فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ؛ وعَرَفَ مكانَ عِيَاضٍ مِنِّي وانقطاعه إليّ فضربه وحبسه ، يُضَارُّني بذلك ؛ اللهم أَجِرْني منه . ثم قال الوليد¹ : [من البسيط]

صوت

أنا النَّذِيرُ لِمُسْدِي نعمةٍ أبداً إلى المَقَارِيفِ لَمَّا يَخْبِرُ الدَّخْلَ²
إن أنتَ أَكْرَمْتَهُمُ أَلْفَيْتَهُمُ بَطَرُوا وإن أَهْتَهُمُ أَلْفَيْتَهُمُ ذُلًّا
أَتَشْمَخُونَ مِنَّا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ ستَعْلَمُونَ إِذَا أَبْصَرْتُمُ الدُّوْلَا
انْظُرْ فَإِن أنتَ لم تَقْدِرْ على مَثَلِي لهم سِوَى الكلبِ فاضربه لهم مَثَلَا
بَيْنَا يَسْمُنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حتى إِذَا ما اسْتَوَى من بعد ما هَزَلَا
عدا عليه فلم تَضُرُّهُ عَدُوَّتُهُ ولو أَطَاقَ لَهُ أَكْلًا لَقَدْ أَكَلَا

غَنَاهُ مالِكٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ من رواية الهشامي :

[فخره على هشام]

قال : وقال الوليدُ أَيْضاً يفتخر على هشام³ :

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قد عَلِمْتُ عَلِيًّا مَعَدُّ مَدَى كَرِّي وإِقْدامي
إِنِّي لَفِي الذُّرُورَةِ العُلَيَّا إِذَا انتسبوا مُقَابِلٌ بَيْنَ أحوالي وأَعْمامي
بَنَى لِي المَجْدَ بَإِنٍ لم يكن وكِلَالاً على مَنَارٍ مُضِيَّاتٍ وأَعْلَامِ
حللتُ من جوهر الأَعْيَاصِ قد عَلِمُوا في باذخِ مَشْمَخُرِّ العَزِّ قَمَقَامِ

1 ديوان الوليد : ص 66 ، رقم 70 .

2 المقاريف : الأندال . لما في الديوان : ما لم .

3 ديوان الوليد : ص 81 ، رقم 92 عن الأغاني .

صَعَبِ الْمَرَامِ يُسَامِي النَّجْمَ مَطْلَعُهُ يَسْمُو إِلَى فَرْعِ طَوْدٍ شَامِخِ سَامِي
غَنَاءَهُ عَمْرُ الْوَادِي خَفِيفَ ثَقِيلٍ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقِ .

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَصْعَبُ
الزُّبَيْرِيُّ قَالَ : بَعَثَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَاوِيَتَهُ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

أَنَا الْوَلِيدُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ عَلِمْتُ عُلْيَا مَعَدًى مَدَى كَرِّي وَإِقْدَامِي
فَقَالَ هِشَامُ : وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ لَهُ مَعَدًى كَرًّا وَلَا إِقْدَامًا ، إِلَّا أَنَّهُ شَرِبَ مَرَّةً مَعَ عَمِّهِ بَكَّارُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ فَعَرَّبَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَوَارِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ يَعْنِي ذَلِكَ بَكَرَهُ وَإِقْدَامَهُ فَعَسَى .
[عابه هِشَامُ وَالزُّهْرِيُّ فَحَقَّدَ عَلَيْهِمَا]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَعْدٍ
قَالَ حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا الزُّنَادِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعِنْدَهُ الزُّهْرِيُّ وَهُمَا يَعْجَبَانِ
الْوَلِيدَ ، فَأَعْرَضْتُ وَلَمْ أَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِهِ . فَلَمْ أَلْبَثُ أَنْ اسْتَوْذَنْ لِلْوَلِيدِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ
وَهُوَ مُغْضَبٌ فَجَلَسَ قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضَ . فَلَمَّا مَاتَ هِشَامُ وَوَلِيَ الْوَلِيدُ كَتَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحِيلَتْ
فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : أَتَذْكُرُ قَوْلَ الْأَحْوَلِ وَالزُّهْرِيِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَمَا عَرَّضْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ
أَمْرِكَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ أَتَدْرِي مِنْ أُبَلِّغُنِي ذَلِكَ ؟ قُلْتُ لَا ؛ قَالَ : الْخَادِمُ الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِهِ ،
وَايْمُ اللَّهِ لَوْ بَقِيَ الْفَاسِقُ الزُّهْرِيُّ لَقَتَلْتُهُ . ثُمَّ قَالَ : ذَهَبَ هِشَامُ بَعْمَرِي ؛ فَقُلْتُ : بَلْ يُبْقِيكَ اللَّهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ وَصَلَّى الْعَصْرَ . ثُمَّ جَلَسَ يَتَحَدَّثُ إِلَى الْمَغْرَبِ ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَدَعَا
بِالْعِشَاءِ فَتَعَشَّيْتُ مَعَهُ ثُمَّ جَلَسَ يَتَحَدَّثُ حَتَّى صَلَّى الْعَتَمَةَ ، ثُمَّ تَحَدَّثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : اسْقِينِي
فَاتَيْنَهُ بِإِنَاءٍ مَغْطًى ، وَجَاءَ جَوَارُ فُقُمْنَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَشَرِبَ وَانْصَرَفْنَ ؛ وَمَكثَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ :
اسْقِينِي فَفَعَلْنَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَمَا زَالَ وَاللَّهِ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَأُحْصِيَتْ لَهُ سَبْعِينَ
قَدْحًا .

وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مَصْعَبُ عَنْ
أَبِي الزُّنَادِ قَالَ : أَجْمَعَ الزُّهْرِيُّ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ إِنْ وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ ؛ فَمَاتَ
الزُّهْرِيُّ قَبْلَ ذَلِكَ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَبَلَغَ الْوَلِيدُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ وَغَيْرَهُ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ يَعْجَبُونَ بِالشَّرَابِ ؛
فَلَعَنَهُمْ وَقَالَ : إِنَّهُمْ لَيَعْجَبُونَ عَلَيَّ مَا لَوْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ لَذَّةٌ مَا تَرَكَوهُ ، وَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ ، وَأَمَرَ عَمْرَ
الْوَادِي أَنْ يَغْنِيَ فِيهِ ، وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ شَعْرِهِ وَمُخْتَارِهِ . وَفِيهِ غَنَاءٌ قَدِيمٌ ذَكَرَهُ يُونُسُ لَعَمْرُ الْوَادِي
غَيْرَ مُجَنَّسٍ : [مَنْ الْكَامِلُ]

صوت

ولقد قضيتُ وإن تجلَّلَ لِمَتِي شيب على رِغمِ العِدا ، لذَاتِي¹
 من كاعباتٍ كالدُّمَى ومَنَاصِفِ ومراكبٍ للصيد والنَّشَوَاتِ²
 في فِتْيَةٍ تَأبَى الهَوَانِ وجوهُهم شَمُّ الأنوفِ ججاجِ ساداتِ
 إن يَطْلُبُوا بِتِرَاتِهِمْ يُعْطُوا بها أو يُطَلَّبُوا لا يُذَكَّرُوا بترَاتِ

[بينه وبين هشام]

حدَّثني³ المِنْهَال بن عبد الملك قال : كتب الوليد إلى هشام : «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عَنِّي وَمَخُو من محَا من أصحابي ، وَأَنَّهُ حَرَمَنِي وَأَهْلِي . ولم أَكُنْ أَخَافُ أَن يَتْلَى اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ فِي وَلَا يَنَالَنِي مِثْلُهُ مِنْهُ ، ولم يَلِغْ اسْتِصْحَابِي لِابْنِ سُهَيْلٍ وَمَسْأَلَتِي فِي أَمْرِهِ أَن يَجْرِي عَلَيَّ مَا جَرَى . وإن كَانَ ابْنُ سُهَيْلٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِحَسَبِ الْعَمَلِ أَن يَقْرُبَ مِنَ الذَّنْبِ . وعلى ذَلِكَ فَقَدْ عَقَدَ اللهُ لِي مِنَ الْعَهْدِ وَكُتِبَ لِي مِنَ الْعَمْرِ وَسَبَبَ لِي مِنَ الرِّزْقِ مَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ دُونَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى قِطْعِهِ عَنِّي دُونَ مَدَّتِهِ وَلَا صَرَفِهِ عَنْ مَوَاقِعِهِ الْمُحْتَمَةِ لَهُ . فَقَدَّرَ اللهُ يَجْرِي عَلَى مَا قَدَّرَهُ فِيمَا أَحَبَّ النَّاسُ وَكَرِهُوا ، لَا تَعْجِيلَ لِأَجَلِهِ وَلَا تَأْخِيرَ لِعَاجِلِهِ ؛ وَالنَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْتَسِبُونَ الْأَوْزَارَ وَيَقْتَرِفُونَ الْآثَامَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ اللهِ بِمَا يَسْتَوْجِبُونَ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ . وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ بِالنَّظَرِ فِي ذَلِكَ وَالْحَفَظِ لَهُ . وَاللهُ يُوَفِّقُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا يَرْضَاهُ ، وَيُحَسِّنُ الْقَضَاءَ لَهُ فِي الْأُمُورِ بِقُدْرَتِهِ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ فِي آخِرِ كِتَابِهِ⁴ :

[من الطويل]

أليس عَظِيماً أَن أَرَى كُلَّ وَارِدٍ حِيَاضَكَ يَوْمًا صَادِراً بِالنَّوَالِ
 فَأَرْجِعَ مَحْمُودَ الرَّجَاءِ مَصْراً بِتَحْلِيَةٍ عَنْ وَرْدِ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ
 فَأُصْبِحْتُ مِمَّا كُنْتُ أَمَلُ مِنْكُمْ وَلَيْسَ بِلَاقٍ مَا رَجَا كُلُّ أَمَلٍ
 كَمُقْتَبِضٍ يَوْمًا عَلَى غُرْضِ هَبْوةٍ يَشْدُ عَلَيْهَا كَفَّهُ بِالْأَنَامِلِ⁵

فكتب إليه هشام : «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قَطْع ما قطع وغير ذلك . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَغْفِرُ اللهُ مِنْ إِجْرَائِهِ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْكَ ، وَلَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ اقْتِرَافَ

1 ديوان الوليد : ص 24 ، رقم 14 .

2 الديوان : ونواصف (طبعة دار الكتاب الجديد) .

3 قارن نصّ الكناين بما جاء في الطبري .

4 ديوان الوليد : ص 69 ، رقم 73 عن الأغاني .

5 الهبة : الغبرة .

المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محامٍ صحابتك ، لأمرين : أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يُجرّيه عليك . وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك . وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستنائه قطعه عنك . وأما ابن سهيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً . وهل زاد ابن سهيل ، لله أبوك ، على أن كان زفاناً¹ مغنياً قد بلغ في السقه غايته ! وليس مع ذلك ابن سهيل بشرٌ ممن كنت تستصحبه في الأمور التي ينزه أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمري أهلاً للتويخ فيه . وأما ما ذكرت مما سببه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضرباً ولا نفعاً ، وإن الله وليّ ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقتة ، وإن الله أرفأُ بعباده وأرحمُ من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلّ أحسن الرجاء لأن يوليّه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم ؛ فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعونٍ منه . ولئن كان قد قدر الله لأمر المؤمنين وفاة تعجيل ، فإن في الذي هو مُفضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمر المؤمنين بما كتبت به لغير مُستنكرٍ من سفهك وخمفك ، فأبقي على نفسك وقصر من غلوائها وارتع على ظلمك² ؛ فإن الله سطواتٍ وغيراً يصيبُ بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنت ساحت الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام .

[تبشيره بالخلافة بعد موت هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ؛ وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلّهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو ، قال : وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال : أرسل إليّ الوليد صبيحة اليوم الذي أتمته فيه الخلافة فأتيتُهُ ؛ فقال لي : يا أبا الزبير ، ما

1 الزفان : الرقص .

2 المثل اربع على ظلمك ويروى «ارق على ظلمك» في مجمع الميادني 1 : 293 ، وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 .

أَتَتْ عَلِيَّ لَيْلَةً أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، عَرَضْتَنِي أُمُورٌ وَحَدَّثْتُ نَفْسِي فِيهَا بِأُمُورٍ ، وَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ أَوْلَعَ بِي ، فَارْكَبْ بِنَا نَتَنَفَّسْ . فَارْكَبْ وَسِرْتُ مَعَهُ ، فَسَارَ مِيلِينَ وَوَقَفَ عَلَى تَلٍّ فَجَعَلَ يَشْكُو هَشَامًا ، إِذْ نَظَرَ إِلَى رَهْجٍ¹ قَدْ أَقْبَلَ ، قَالَ عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ فِي حَدِيثِهِ ، وَسَمِعَ قَعْقَعَةَ الْبَرِيدِ ، فَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَشَامٍ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْبَرِيدَ قَدْ أَقْبَلَ بِمَوْتٍ وَحْيٍ² أَوْ بِمُلْكٍ عَاجِلٍ . فَقُلْتُ : لَا يَسُوءُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بَلْ يَسُرُّكَ وَيُثَبِّتُكَ ، إِذْ بَدَأَ رَجُلَانِ عَلَى الْبَرِيدِ يُقْبِلَانِ ، أَحَدُهُمَا مَوْلَى لَأَلِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ؛ فَلَمَّا قُرْبَا رَأَى الْوَلِيدَ فَتَزَلَا يَغْدُوَانِ حَتَّى ذَنُوبَا فَسَلِمَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَوَجِمَ ، وَجَعَلَا يَكْرِرَانِ عَلَيْهِ التَّسْلِيمَ بِالْخِلَافَةِ ؛ فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! مَا الْخَبَرُ ؟ أَمَاتَ هَشَامٌ ؟ قَالَا نَعَمْ ؛ قَالَ : فَمَرْحَبًا بِكُمَا ! مَا مَعَكُمَا ؟ قَالَا : كِتَابُ مَوْلَاكَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ فَقَرَأَ الْكِتَابَ وَانْصَرَفْنَا . وَسَأَلَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ مُسْلِمٍ كَاتِبِهِ الَّذِي كَانَ هَشَامُ ضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَزَلْ مُحَبَّسًا حَتَّى نَزَلَ بِهِشَامُ أَمْرُ اللَّهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى حَالٍ لَا تُرْجَى الْحَيَاةُ لِمَثَلِهِ مَعَهَا ، أُرْسِلَ عِيَاضٌ إِلَى الْخَزَانِ : احْتَفِظُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ فَلَا يَصِلَنَّ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ . وَأَفَاقَ هَشَامُ إِفَاقَةً فَطَلَبَ شَيْئًا فَمُنِعَهُ ، فَقَالَ : أَرَأَاكَ كُنَّا خَزَانًا لِلْوَلِيدِ ؛ وَقَضَى مِنْ سَاعَتِهِ . فَخَرَجَ عِيَاضٌ مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً قَضَى هَشَامٌ ، فَخَتَمَ الْأَبْوَابَ وَالْخَزَائِنَ ؛ وَأَمَرَ بِهِشَامَ فَأَنْزَلَ عَنْ فَرَّاشِهِ وَمَنْعَهُمْ أَنْ يَكْفَنُوهُ مِنَ الْخَزَائِنِ ، فَكَفَّنَهُ غَالِبٌ مَوْلَى هَشَامٍ ، وَلَمْ يَجِدُوا قُمْقُمًا³ حَتَّى اسْتَعَارُوهُ . وَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِأَخْذِ ابْنِي هَشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمَخْزُومِيِّ ، فَأَخَذَا بَعْدَ أَنْ عَاذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَشَامٍ بِقَبْرِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَقَالَ الْوَلِيدُ : مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ نَجَا ؛ فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ قَبْرَ أَبِيكَ مَعَاذًا لِلظَّالِمِينَ ، فَخُذْهُ بَرْدًا مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَأَخَذَهُمَا فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى يُوسُفَ بْنِ عَمْرٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْسُطَ عَلَيْهِمَا الْعَذَابَ حَتَّى يَتَلَفَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمَا وَمَاتَا جَمِيعًا فِي الْعَذَابِ بَعْدَ أَنْ أَقِيمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَشَامٍ لِلنَّاسِ حَتَّى اقْتَضَوْا مِنْهُ الْمَظَالِمَ .

وَقَالَ عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ فِي خَبَرِهِ : إِنَّهُ لَمَّا نَعِيَ لَهُ هَشَامُ قَالَ : وَاللَّهِ لَا تُتْلَقِينَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِسَكْرَةٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ⁴ :

[مِنَ الْخَفِيفِ]

طَابَ يَوْمِي وَلَدْتُ شَرْبُ السُّلَافَةِ إِذْ أَتَانِي نَعْيٌ مِنَ الرُّصَافَةِ

1 رهج : غبار .

2 الوحي : السريخ .

3 القمقم : وعاء من نحاس يسخن فيه الماء .

4 ديوان الوليد : ص 58 ، رقم 61 .

وأَنَا الْبَرِيدُ نَعَى هَشَاماً وَأَنَا بِخَاتَمٍ لِلْخِلَافَةِ
 فَاصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرٍ عَائَةً صِرْفاً وَلَهُوْنَا بِقَيْنَةٍ عَزَافَةٍ
 ثُمَّ حَلَفَ أَلَّا يَرْحَ مَوْضِعَهُ حَتَّى يُغْنَى فِي هَذَا الشَّعْرَ وَيَشْرَبَ عَلَيْهِ ؛ فَغْنَى لَهُ فِيهِ وَشَرَبَ
 وَسَكَرَ ، ثُمَّ دَخَلَ فَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ .
 قَالَ : وَسَمِعَ صَيَاحاً ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مِنْ دَارِ هَشَامٍ يَكِيهِ بَنَاتُهُ ؛
 فَقَالَ ¹ :

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلٍ وَرَأَى الْمُصَلَّى بَرْنَةً²
 إِذَا بَنَاتُ هَشَامٍ يَنْدَبْنَ وَالذَّهْنَةَ
 يَنْدَبْنَ قَرَمًا جَلِيلًا قَدْ كَانَ يَعْضُدُهُنَّ³
 أَنَا الْمَخْنُثُ حَقًّا إِنْ لَمْ أُنِكِّنْهُنَّ

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ : وَشَرِبَ الْوَلِيدُ يَوْمًا ، فَلَمَّا طَلَبَتْ نَفْسُهُ تَذَكَّرَ
 هَشَامًا ، فَقَالَ لِعَمْرِ الْوَادِي غَنِّي :

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلٍ وَرَأَى الْمُصَلَّى بَرْنَةً

فَغَنَاهُ فِيهِ ، فَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ سَمِعَهُ مِنْكَ أَحَدٌ أَبَدًا لِأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ :
 فَمَا سَمِعَ مِنْهُ بَعْدَهَا وَلَا عُرفَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طَابَ يَوْمِي وَلَدْتُ شَرْبُ السُّلَافَةِ إِذْ أَنَا نَعِيٌّ مِنْ فِي الرُّصَافَةِ
 غَنَاهُ عَمْرُ الْوَادِي خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ .

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ قَالَ قَالَ حَكَمُ
 الْوَادِي كُنَّا عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَهُوَ يَشْرَبُ ، إِذْ جَاءَنَا خَصِيٌّ فَشَقَّ جَبِيهَ وَعَزَاهُ عَنْ عَمِّهِ هَشَامٍ
 وَهَنَاهُ بِالْخِلَافَةِ وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ وَخَاتَمٌ وَطُومَارٌ⁴ ؛ فَأَمْسَكْنَا سَاعَةً وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ الْخِلَافَةِ ؛
 فَقَالَ : غَنُونِي ، غَنِيَانِي : قَدْ طَابَ شَرْبُ السُّلَافَةِ . . . الْبَيْتَيْنِ ؛ فَلَمْ نَزَلْ نَغْنِيهِ بِهِمَا اللَّيْلَ كُلَّهُ .

1 ديوان الوليد : ص 84 ، رقم 96 .

2 صدر البيت الأول في الديوان : إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي (طبعة دار الكتاب الجديد) .

3 صدر البيت في الديوان : يَنْدَبْنَ شَيْخًا كَبِيرًا (طبعة دار الكتاب الجديد) .

4 طومار : صحيفة .

[سؤال الرشيد عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أترجح ، فقال : إن أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقل ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أتروي من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قضيب ولي جُمّة فَيَنَانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول : يا غلام ، ولدتك سُكَّر (وهي أُم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعت يومئذ يُنشد¹ :

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أترعاً²
كلنا له الصاع التي كالها فما ظلمناه بها أصوعاً
لم نأت ما نأتيه عن بدعة أحله القرآن لي أجمعاً³

قال : فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت .

وللوليد أشعار جيداً فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان . فمنها ، وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ، قوله في صفة الخمر ، أنشدني الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها⁴ :

إصدع نجى الهوم بالطرب وانعم على الدهر بابتة العنب
واستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادُما فهي عجوز تعلقو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت ورقّ جوهرها حتى تبدّت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب

1 ديوان الوليد : ص 53 ، رقم 54 .

2 مكياله في الديوان : محله .

3 لم نأت ما نأتيه في الديوان : وما أتينا ذاك .

4 ديوان الوليد : ص 18 ، رقم 7 .

كَأَنَّهَا فِي زَجَاجِهَا قَبَسٌ تَذْكُو ضِيَاءَ فِي عَيْنِ مَرْتَقِبٍ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَهْـ لِرَ الْمَجْدِ وَالْمَأْثَرَاتِ وَالْحَسْبِ
مَا فِي الْوَرَى مِثْلَهُمْ وَلَا فِيهِمْ مِثْلِي وَلَا مُتَّمٍّ لِمِثْلِ أَبِي
قَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي خَبْرِهِ : وَقَالَ الْوَلِيدُ حِينَ أَتَاهُ نَعْيُ هِشَامٍ¹ : [من الخفيف]

طَالَ لَيْلِي فَبِتُّ أُسْقَى الْمَدَامَا إِذَا أَتَانِي الْبَرِيدُ يَنْعَى هِشَامَا
وَأَتَانِي بِجُلَّةٍ وَقَضِيبٍ وَأَتَانِي بِخَاتَمٍ ثُمَّ قَامَا
فَجَعَلْتُ الْوَلِيَّ مِنْ بَعْدِ فَقْدِي يَفْضُلُ النَّاسَ نَاشِئاً وَغَلَامَا
ذَلِكَ ابْنِي وَذَاكَ قَرْمٌ قَرِيشٍ خَيْرُ قَرْمٍ وَخَيْرُهُمْ أَعْمَامَا
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ لِي عَمْرُو الْوَادِي :
كَنتَ يَوْمًا أَغْنَيْتَ الْوَلِيدَ إِذْ ذَكَرَ هِشَامًا ؛ فَقَالَ لِي : غَنَّنِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ؛ قُلْتَ : وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ² :

صوت

هَلْكَ الْأَحْوَالُ الْمَشُورُ مُ فَقَدْ أُرْسِلَ الْمَطْرُ
ثُمَّتَ اسْتَخْلِفَ الْوَلِيدُ د فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرُ

[أخذ الشعراء معانيه]

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ،
سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررّها في عدّة
مواضع منه . ولولا كراهة التطويل لذكرتها هنا ، على أنها تنبئ عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال
أنشدني أبو غسان وغيره للوليد ، وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها : [من المنسرح]

إِصْدَعْ نَجِيَّ الْهَمُومِ بِالطَّرَبِ وَانْعَمْ عَلَى الدَّهْرِ بَابِنَةِ الْعَنْبِ

الأبيات التي مضت متقدّماً . وهذا من بديع الكلام ونادره ؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى
أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحّاك في أشعارهما .

[من الطويل] ومن جيّد معانيه قوله :

1 ديوان الوليد : ص 77 ، رقم 85 .

2 ديوان الوليد : ص 40 ، رقم 36 .

رَأَيْتَكَ تَبْنِي جَاهِداً فِي قَطِيعَتِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا حِزْمٍ لَهْلُمْتُ مَا تَبْنِي
وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمر وللوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال :

إِذَا لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ مَعَ الشَّرِّ لَمْ تَجِدْ نَصِيحاً وَلَا ذَا حَاجَةٍ حِينَ تَفْرَعُ
وَكَانُوا إِذَا هَمُّوا بِإِحْدَى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لَهُمْ رَأْسِي فَلَا أَتَقَنَّعُ
ومن نادر شعره قوله لهشام¹ :

فَإِنْ تَكْ قَدْ مَلَلْتَ الْقُرْبَ مِنِّي فَسَوْفَ تَرَى مُجَانِبَتِي وَبَعْدِي
وَسَوْفَ تَلُومُ نَفْسَكَ إِنْ بَقِينَا وَتَبْلُو النَّاسَ وَالْأَحْوَالَ بَعْدِي
فَتَنَدَّمُ فِي الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ إِذَا قَايَسْتَ فِي ذِمِّي وَحَمْدِي
أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مَهْرُويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدثنا محمد بن عائذ قال حدثني الهيثم بن عمران قال سمعته يقول : لما بويغ الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق :

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَرْغَبْنِي مَنِيَّتِي بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ

[رسالة إلى أهل المدينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شَبَّة قال حدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له² :

مُحَرَّمُكُمْ دِيَوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكُتَّابُ وَالْكُتُبُ تُطْبَعُ
ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَصَابُوا بِمَهْجَتِي بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ³

وأول هذه الأبيات :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكَبُ الْمُخَيَّونَ أَلْبِغُوا سَلَامِي سُكَّانَ الْبِلَادِ فَاسْمِعُوا
وَقُولُوا أَتَاكُمْ أَشْبُهُ النَّاسِ سَنَةً بِوَالِدِهِ فَاسْتَبْشِرُوا وَتَوَقَّعُوا

1 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 30 .

2 ديوان الوليد : ص 54-55 ، رقم 56 .

3 ... تصابوا بمهجتي في الديوان : ضمنت لكم إن لم تعفني عواقب .

سُؤْشِكْ إلْحَاقْ بِكُمْ وَزِيَادَة وَأَعْطِيَة تَأْتِي تَبَاعاً فَتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبته أهل الحرمين بذلك أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة . فقال حمزة بن بيض يردّ على الوليد لما فعل خلاف ما قال :

وَصَلَتْ سَمَاءُ الضَّرَّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمَتْ سَمَاءُ الضَّرَّ عَنَّا سَتُقْلِعُ
فَلَيْتَ هِشَاماً كَانَ حَيّاً يَسُوسُنَا وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرْجِي وَنَطْمَعُ

[اجتماعه مع أهله يوم بيعته]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن سويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ قالوا لا ؛ قال : لِيَقُلْ قَائِلُكُمْ ؛ فقال رجل منهم : أردت يا أمير المؤمنين أن تُرَيَّنَا ما جَدَّدَ اللهُ لَكَ من نعمته وإحسانه ؛ فقال : نعم ، ولكني¹ :

أَشْهَدُ اللهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ
أَنْتَنِي أَشْتَهِي السَّمَاعَ وَشَرِبَ الْكَأْسَ وَالْعِصْيُ لِلْخُدُودِ الْمَلَّاحِ
وَالنَّدِيمَ الْكَرِيمَ وَالْخَادِمَ الْفَارِسَ يَسْعَى عَلَيَّ بِالْأَقْدَاحِ

قوموا إذا شتمتم .

[اشترى جارية غنته]

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال : عُرِضَتْ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ جَارِيَةٌ صَفْرَاءُ كُوفِيَّةٌ مَوْلُودَةٌ يَقَالُ لَهَا سَعَادُ ، فَقَالَ لَهَا : أَيُّ شَيْءٍ تُحْسِنِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا مَغْنِيَّةٌ ؛ فَقَالَ لَهَا : غَنِّيْ ، فَغَنَّتْ :

[من السريع]

صوت

لَوْلَا الَّذِي حُمِلْتُ مِنْ حَبِّكُمْ لَكَانَ فِي إِظْهَارِهِ مَخْرَجُ
أَوْ مَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ ذُو فَسْحَةٍ أَجَلٌ وَمَنْ حَجَّتْ لَهُ مَذْجُ
لَكِنْ سِبَانِي مِنْكُمْ شَادَنُ مُرَبَّبٌ ذُو غَنَّةٍ أَدْعُجُ
أَغْرُ مَمْكُورٌ هَضِيمُ الْحَشَى قَدْ ضَاقَ عَنْهُ الْحِجْلُ وَالْدُمْلُجُ

الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالنصر . وفيه لدخمان

هَزَجَ بالوسطى ؛ وذكر الهشاميَّ أَنَّ الهزجَ ليحيى المكيَّ ، فطرب طرباً شديداً وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَسْتَعِيدُهَا . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : ومَنْ أَخَذْتِه ؟ قالت : من حَنِينٍ . قال : وأين لَقِيتِه ؟ قالت : رُبِيتُ بالعراق وكان أهلي يَجِيعُونَ به فيُطَارِحُنِي . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابْتَعْهَا بما بلغتْ ولا تُراجِعني في ثمنها ففعل ؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .
[شرب مع محمد بن سليمان بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا ابن مهرويه قال حَدَّثَنِي عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حَدَّثَنَا العباس بن الوليد قال حَدَّثَنَا ضَمْرُه قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيَارَات فتزل فيه وهو والِ على الرَّمْلة ؛ فسأل صاحبَ الدَّيْرِ : هل نزل بك أحدٌ من بني أُمَيَّة ؟ قال : نعم ، نزل بي الوليد ابن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأَيُّ شَيْءٍ صنعا ؟ قال : شربا في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في أنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هَلُمَّ نَشْرَبْ بهذا الجُرْنِ ، وأوماً إلى جرينٍ عظيم من رخام ، قال : أَفْعَلُ ؛ فلم يزالا يتعاطيانهُ بينهما ويشربان به حتى ثَمِلَا . فقال عبد الوهاب لمولَى له أسود : هاتِه . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدة ، فذهب يحرِّكه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانهُ وكلُّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث .
[سعد بن مرة يمدحه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة قال حَدَّثَنَا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : وقد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثِير بن الصَّلْتِ ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد ، فعَرَضَ له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزه له ، فصاح به ، يا أمير المؤمنين ، وافدُك وزائرُك ومؤمِّلُك ؛ فتبادر الحرسُ إليه ليصدّوه عنه ، فقال : دَعُوهُ ، أَذُنُ إِيَّيْ فَدْنَا إِلَيْهِ ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مِنِّي أربعة أبيات ؛ قال : هاتِ .

صوت

[من الكامل]

شِمْنَ المَخَايِلَ نَحْوَ أرضِكَ بالحَيَا وَلَقَيْنَ ركبَاناً بعُرْفِكَ قَفْلاً

قال : ثم مَهْ ؛ قال :

فعمَدَن نَحْوَك لم يُنْخِزْ لِحَاجَةٍ إِلَّا وَقَوْعَ الطيرِ حتى ترحلَا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدُن نحو مُوطئِهِ حَجَرَاتِهِ كَرَمًا ولم تعدِلْ بِذلك مَعْدِلًا

قال : فقد وصلتَ إليه ، فَمَهْ ؛ قال :

لأحت لها نيرانُ حَيِّي قَسْطِلِي فاختَرَن نَارَكَ في المنازلِ منزلاً¹

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أنجحتُ وفادُتْكَ ، ووجبتُ ضيافتَكَ ؛ أعطوه أربعة

آلاف دينار ؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالنصر عن عمرو والهشامي .

[مسلمة بن هشام وزوجته]

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال : لما قديم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يكفأ أباه عن الوليد ويكلمه فيه ألا يعرض له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أم سلمة بنت يعقوب المخزومية ، وكان مسلمة يشرب . فلما قدم العباس لإحصاء ما كتب إليه الوليد ، كتبت إليه أم سلمة : ما يُفِيق من الشراب ولا يهتم بشيء مما فيه إخوته ولا يموت أبيه . فلما راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنبّه وعاتبه على الشراب ، فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : كتبتُ إليّ به أم سلمة ؛ فطلّقها في ذلك المجلس ، فخرجت إلى فلسطين ، وبها كانت تنزل ، وتزوجها أبو العباس السفاح هناك .

[طلق زوجته سعدة وهام بأختها سلمى]

وسلمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحَكَم ، وأمها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزومي .

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن جُويرية بن أسماء : أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين² مُتَبَدِّياً به ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ؛ وكانت بنته أم عبد الملك ، واسمها سعدة ، تحت الوليد بن يزيد . فمرض سعيد في ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائداً ، فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته ، وسترها حواضينها وأختها فقامت فقرعتهن طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها .

1 قسطل في ل : فاصطل . قسطل : قرية في البلقاء .

2 قرين : موضع باليمامة .

وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثت إلى أبيها ، وقيل : بعث إليه هشام : أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه ؟ فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح ردّ . وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسئل ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ، خطبتُ إليه فردّني ، ولو قد مات هشام ووليت لزوجني ؛ وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنّه لما طلق سعدة ندم على ذلك وغمّه . وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصل له سلمى ؛ فاهتمّ لذلك وجزع . وراسل سعدة ، وقد كانت زوّجت غيره فلم ينتفع بذلك .

[توسط أشعب عند سعدة]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهمّ قال حدّثنا المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتني سعدة ؛ فقال : أحضر العشرة الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك ؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين¹ :

أسعدةُ هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقِي
بلى ولعلّ دهرًا أن يُؤاتي بموت من حليلك أو طلاقِ
فأصبحَ شامتًا وتقرَّ عيني ويُجمعَ شملنا بعد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأخبرتُ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففُرِشت وجلست وأذنت له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ! فقال : يا سيّدتني إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبّلغه كما بلّغني ؛ قال : وما تهين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ، ثم قال : هات رسالتك فجعلتُ فداك ؛ قالت : قل له² :

أتبكي على بُنى وأنت تركتها فقد ذهبتُ لبني فما أنت صانعُ
فأقبل أشعب فدخل على الوليد ؛ فقال : هيه ، فأنشده البيت : فقال : أوه قتلتنني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا ابن الزانية ، إمّا أن أدّلك على رأسك

1 ديوان الوليد : ص 108 ، رقم 7 وفيه أنّها تنسب أيضاً إلى غيره .

2 سيأتي هذا البيت في ترجمة قيس بن ذريح برواية مختلفة ، 9 : 151-152 .

منكساً في بحر أو أرمي بك منكساً من فوق القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ،
 هذا الذي أنا صانع ، فاختَرْتُ الآن ما أنت صانع ؛ فقال : ما كنت لتفعل شيئاً من ذلك ؛
 قال : ولم يا ابن الزانية ؟ قال : لم تكن لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدة . قال : أوه ! أفلت والله
 بهذا يا ابن الزانية ! أخرج عني . وقال الحسن في روايته : إنها قالت له أنشدّه : [من الطويل]
 أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالملأ كنت أقدر¹
 وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبته :

صوت

أرى بيت بُنى أصبح اليوم يُهجَرُ وهجرانُ لبني يا لك الخير مُنكرُ
 فإن تكن الدنيا لبُنى تغيّرت فللدهر والدنيا بطونٌ وأظهُرُ
 أتبكي على بُنى وأنت تركتها وأنت عليها بالحرا كنت أقدرُ
 عروضه من الطويل . والشعر لقيس بن ذريح . والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقل أول
 بالنصر عن عمرو والهشامي . وفيهما لعريب رملٌ بالنصر . وفيه لشارية خفيف رمل
 بالوسطى عن الهشامي . وفي الأول خفيف ثقل مجهول .
 [نزى بزى زيات ليرى سلمى]

قال ابن سَلَامَ والمدائني في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرَتْنَى لعلّه يراها ؛ فلقيه
 زيات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما
 عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه
 الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد ، فنادى : من يشتري الزيت ؛ فاطلع بعضُ
 الجوّاري فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن : إنّ بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد ، فاخرجني
 فانظري إليه ؛ فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد !
 وقد رأيته ! فقلن له : لا حاجة بنا إلى زيتك ؛ فانصرف وقال² : [من مجزوء الرمل]

إنني أبصرتُ شيخاً حسنَ الوجه مليحُ
 ولياسي ثوب شيخ من عباء ومُسوح³

1 الملا : اسم موضع .

2 ديوان الوليد : ص 28 ، رقم 19 .

3 ديوان الوليد : لابساً أثواب سوء (طبعة دار الكتاب الجديد) .

وأبيعُ الزيت بيعاً خاسراً غيرَ ربيعٍ

وقال أيضاً¹ : [من الوافر]

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح

بأشهى من مُجاجة ريقٍ سلمى ولا ما في الرقاق من القراح

ولا والله لا أنسى حياتي وثاقَ الباب دوني وأطراحي

قال : فلما ولي الخلافة أشخص إلى المغنّين : فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووها . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم ؛ فغناه قوله :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغناه :

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيلٍ

الأبيات ، فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وأطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الوافر]

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللقاح

بأطيبَ من مُجاجة ريقٍ سلمى ولا ما في الرقاق من القراح

غناه ابن عائشة ، ولحنه ثقیل أول بالوسطى عن الهشاميّ وحامد بن إسحاق .

[نزوج سلمى بعد ولايته الخلافة]

قال المدائني وابن سلام : فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد :

[من الوافر]

أبا عثمان هل لك في صنعٍ تُصيبُ الرشدَ في صلاتي هُديتا

فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيِّتةً ومَيِّتاً²

قالوا : فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافة ، فلما وليها زوجه إياها ؛ فلم يلبث إلا مدة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلة زُفَّت إليه³ :

[من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 31 ، رقم 23 .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 11 . الديوان : فأشكر منك ذا المسدي وتحبي .

3 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

خَفَّ من دار جِيرَتِي يا ابن داود أنسُها
وهي طويلة . وفيها ممَّا يَغْنَى به :

أَوْ لا تخرج العرو سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يُقْضَ بُسُها
برزت كاهلال في ليلة غاب نحسُها¹
بين خمس كواعب أكرمُ الخمسِ جنسُها
غناء ابن سُرِيج ، فيما ذكره حبش ، رملٌ بالبنصر ، أوله :

خَفَّ من دار جِيرَتِي

وغناء معبد فيه خفيفٌ ثقيلٌ ، أوله :

ومتى تخرج العرو سُ

في رواية الهشامي وابن المكي . وغناء عمر الوادي في الأربعة الأبيات الآخر خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشامي أن فيه هزجاً بالوسطى ينسب إلى حكَم وإلى أبي كامل وإلى عمر .

[غنى حكم الوادي بشعره للمهدي]

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال : رأيت حكماً الوادي قد تعرض للمهدي وهو يريد الحج ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة ، فأخرج دقاً له فنقر فيه وقال : أنا ، أطل الله بقاءك ، القائل² : [من مجزوء الخفيف]

ومتى تخرج العرو سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يُقْضَ بُسُها

قال : فتسرّع إليه الحرس ، فصيح بهم ، وإذا هو حكم الوادي ؛ فأدخل إليه المضرب فوصله وانصرف .

نسبة أولاً تخرج العروس . قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادي . وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيف رمل بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق ؛ وذكر حكم الوادي أن الهزج له ؛ وذكر إسحاق أن لحن حكَم خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى . وقال في كتاب يحيى : إن هذا اللحن لعمر الوادي .

1 برزت كاهلال في الديوان : خرجت كلمهاة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

وذكر الهشامي أن فيه خفيفَ ثَقِيلٍ لمبعد ورملاً لابن سريج . وذكر عمرو بن بانه أن فيه للدُّلال خفيفَ ثَقِيلٍ أوّل بالنصر .
[رناؤه سلمى]

وقال المدائني : مكثت عنده سلمى أربعين يوماً ثم ماتت ؛ فقال : [من الوافر]

أَلَمَّا تَعَلَّمَا سَلْمَى أَقَامَتْ	مُضْمِنَةً مِنَ الصَّحَرَاءِ لِحَدَا
لِعَمْرِكَ يَا وَلِيدُ لَقَدْ أَجَنَّا	بِهَا حَسَبًا وَمَكْرُمَةً وَمَجْدًا
وَوَجْهًا كَانَ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاهِ	شِعَاعُ الشَّمْسِ أَهْلٌ أَنْ يُفْدَى
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ أَبْنَكِي لَعِينٍ	وَأَكْثَرَ جَازِعًا وَأَجَلٌ فَقْدًا
وَأَجْدَرَ أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ مِلْكًا	يُرِيكَ جَلَادَةً وَيُسِرَّ وَجْدًا

[شعره في سلمى]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها¹ : [من الهزج]

صوت

عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ	عَرَفْتُ الْمَنْزَلَ الْخَالِي
عَسُوفِ الْوَيْلِ هَطَّالِ	عَفَاهُ كُلُّ حَنَّانِ
وَبَنَتِ الْعَمِّ وَالْخَالِ	لِسَلْمَى قَرَّةَ الْعَيْنِ
خِطَارًا أَتْلَفْتُ مَالِي ²	بَذَلْتُ الْيَوْمَ فِي سَلْمَى
سَحِيقٌ بَيْنَ جَرِيَالِ ³	كَأَنَّ الرِّيقَ مِنْ فِيهَا

غناه عمر الوادي هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خرداذبه أن هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رملٌ ذكر الهشامي أنه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غناه أبو كامل فأعطاه الوليد قلنسيته⁴ : [من الوافر]

صوت

مَنَازِلُ قَدْ تَحَلَّلَ بِهَا سَلِيمِي دَوَارِسُ قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّنُونُ

1 ديوان الوليد : ص 71 ، رقم 76 عن الأغاني .

2 الخطار : جمع خطر وهو ما يتراهن عليه .

3 السحيق : المسك . والجريال : صفوة الخمر .

4 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 97 .

أُمِيتُ السَّرَّ حَفْظًا يَا سَلِمَى إِذَا مَا السَّرَّ بَاحَ بِهِ الْحَزُونُ¹
 غَنَاهُ أَبُو كَامِلٍ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ . وَفِيهِ لَابِنٌ سَرِيجٌ ، وَيُقَالُ لِلْغَرِيضِ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
 بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِحَكَمٍ أَوْ لِعَمْرِ الْوَادِيِّ .
 وَمِنْهَا² :

صوت

أَرَانِي قَدْ تَصَابَيْتُ	وَقَدْ كُنْتُ تَنَاهَيْتُ
وَلَوْ يَتْرُكْنِي الْحُبُّ	لَقَدْ صَمْتُ وَصَلَيْتُ
إِذَا شَعْتُ تَصَبَّرْتُ	وَلَا أَصْبِرُ إِنْ شِئْتُ
وَلَا وَاللَّهِ لَا يَصْبُرُ	رَ فِي الدَّيْمُومَةِ الْحَوْتُ ³
سَلِمَى لَيْسَ لِي صَبِرٌ	وَإِنْ رَخَّصْتَ لِي جَيْتُ
فَقَبْلُكَ أَلْفِينَ	وَفَدَّيْتُ وَحْيَيْتُ
أَلَا أَحِبُّ بَزَوْرٍ زَا	رَ مِنْ سَلِمَى بِيْرُوتِ ⁴
غَزَالٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَ	نَقِيَّ الْجَبَدِ وَاللَّيْتِ

غَنَاهُ ابْنُ جَامِعٍ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ هَزْجًا بِالْوَسْطَى ، وَغَنَاهُ أَبُو كَامِلٍ فِي الْأَيَّاتِ كُلِّهَا عَلَى
 مَا ذَكَرْتُ بَذَلُ وَلَمْ تَجْنُسْهُ . وَغَنَى حَكَمُ الْوَادِيِّ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ
 رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو وَالْهَشَامِيِّ .

وَمِنْهَا⁵ :

صوت

عَبَّتْ سَلِمَى عَلَيْنَا سَفَاهَا	أَنْ سَبَّيْتُ الْيَوْمَ فِيهَا أَبَاهَا
كَانَ حَقُّ الْعَتَبِ يَا قَوْمُ مَنِي	لَيْسَ مِنْهَا كَانَ قَلْبِي فِدَاهَا
فَلَمَنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِقَلْبِي	لَأَبِي سَلِمَى خِلَافَ هَوَاهَا
فَتَكَلَّمْتُ الْيَوْمَ سَلِمَى فَسَلِمَى	مَلَأْتُ أَرْضِي مَعًا وَسَمَاهَا

1 الحزون : الكثير الحزن .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 12 عن الأغاني .

3 الديمومة : الصحراء البعيدة .

4 في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء . رواية معجم البلدان (1 : 525) :

أَلَا يَا حَبْدًا شَخْصَ حَمَتَ لَقِيَاهُ بِيْرُوتِ

5 ديوان الوليد : ص 91 ، رقم 105 عن الأغاني .

غير أني لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبَى لدينا وقلّت أبداً حتى أنال رضاها

غناه أبو كامل خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثقیل
أول من رواية عليّ بن يحيى . وفيه رمل يقال : إنه لابن جامع ، ويقال : بل لحن ابن جامع
خفيف رمل أيضاً .

[خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني
عبد الله بن عمرو قال : لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو ثَمِلٌ ؛ فقال له : يا أبا عثمان ؛
أتردّني على سلمى ! وكأني بك لو قد وليتُ الخلافة خطبتني فلم أجبك ؛ وإن تزوّجتُها حينئذ
فهي طالق ثلاثاً . فقال له سعيد : إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت ؛
فأمصّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا . وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وبكت
وسبّت الوليد ونالت منه ؛ فقال :

عبت سلمى علينا سفاها أن هجوت اليوم فيها أباه

وذكر الأبيات . وقال أيضاً في ذلك ¹ :

[من الوافر]

صوت

على الدور التي بليت سفاها قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صباة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك مأقياها
وقالت عند هجوتنا أباه أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي وعندك خلّة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فهبها خطّة بلغت مداها

غناه مالك بن أبي السّمح خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وللهذلي
فيه ثاني ثقیل بالوسطى عن يونس والهشامي ؛ وذكر حبش : أن الثقیل الثاني لإسحاق ، يعني
بقوله :

أردت بعادنا بهجاء شيخي

أنه كان هجا سعيد بن خالد ، فقال ² :

[من الطويل]

1 ديوان الوليد : ص 90 ، رقم 104 .

2 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 31 .

ومن يك مفتاحاً لخير يريده فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد
قال المدائني : لما غَضِيتُ سلمى من هجائه أباهَا قال يعتذر إليه بقوله¹ : [من مجزوء الوافر]
ألا أَبْلِغْ أَبَا عثْمَا ن عِذْرَةَ مُعْتَبٍ أَسْفَا
فَلَسْتُ كَمَنْ يُوَدِّكْ بِأَلْ لِسَانٍ وَيُكْثِرُ الْحَلِيفَا
عَتَبْتُ عَلَيَّ فِي أَشْيَا ء كَانَتْ بَيْنَنَا سَرَفَا
فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَا ء وَالْجِيرَانَ مَلْهَفَا
تَوَدُّ لَوْ أَنَّني لَحْمٌ رَأَتْهُ الطَّيْرُ فَانْحَطَفَا
وَلَا تَرْفَعْ بِهِ رَأْسَا عَفَا الرَّحْمَنُ مَا سَلَفَا
ومنها وهو من سخيْف شعره² :

[من مجزوء الرمل]

صوت

خَبِّرُونِي أَن سَلَمَى خَرَجْتُ يَوْمَ الْمُصَلَّى
فَإِذَا طَيْرٌ مَلِيحٌ فَوْقَ غَصَنِ يَتَقَلَّى
قُلْتُ مَنْ يَعْرِفُ سَلَمَى قَالَ هَا ثَمَّ تَعَلَّى
قُلْتُ يَا طَيْرُ اذْنُ مَنْيَ قَالَ هَا ثَمَّ تَدَلَّى
قُلْتُ هَلْ أَبْصُرْتَ سَلَمَى قَالَ لَا ثَمَّ تَوَلَّى
فَنَكَا فِي الْقَلْبِ كَلَمًا بَاطِنًا ثَمَّ تَعَلَّى³

فيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ مُطْلَقٌ ، ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِأَبِي كَامِلٍ وَلِعَمْرُ الْوَادِي ، وَذَكَرَ حَبِشُ
أَنَّهُ لِدَحْمَانَ .
ومنها⁴ :

[من الخفيف]

صوت

اسْقِنِي يَا ابْنَ سَالِمٍ قَدْ أَنَارَا كَوَكَبُ الصَّبْحِ وَانْجَلَى وَاسْتَنَارَا
اسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقِ سَلِيمِي وَاسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأَسَا عُقَارَا

1 ديوان الوليد : 58 ، رقم 60 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : ص 67 ، رقم 71 .

3 نكا : مسهل نكأ . ونكأ : قشر مكان الجرح قبل التئامه .

4 ديوان الوليد : ص 42 ، 39 .

غناه ابن قندح ثانيّ ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

[شعر ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني أبي : أن المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيت وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملك ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرئ القيس :

أمن أجل أعرابية حلّ أهلها جنوبَ الملاء عيناك تبتدران

قال : وما في هذا مما يدلّ على مُلكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقَةٌ من أهل الحَضَر ، فكأنه يوئّب نفسه على التعلّق بأعرابية ؛ ثم قال : الشعر الذي يدلّ على أن قائله ملك قولُ الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمي واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله : [من مجزوء المتقارب]

لي المحض من ودّهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويّات الرجال ، يذلّ المعروف لهم ويُمكنه استخلاصها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبيله غناء وهو قوله¹ :

صوت

سقيتُ أبا كامل من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً وكلّ فتى بازل

لي المحض من ودّهم ويغمرهم نائلي

فما لامني فيهم سوى حاسدٍ جاهل

غناه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى النصر .

ومنها وهو من مُلَحّ شعره² :

[من الوافر]

صوت

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك

1 ديوان الوليد : ص 72 ، رقم 78 .

2 ديوان الوليد : ص 62 ، رقم 66 .

أَلَا تَجْزِينَ مَنْ تَيَّمَتْ عَصراً وَمَنْ لَوْ تَطْلِبِينَ لَقَدْ قَضَاكِ¹
وَمَنْ لَوْ مِتَّ مَاتَ وَلَا تَمُوتِي وَلَوْ أَنْسَى لَهْ أَجَلٌ بِكَالِكِ²
وَمَنْ حَقّاً لَوْ اعْطِي مَا تَمْنَى مِنْ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ مَا عَدَاكِ
وَمَنْ لَوْ قُلْتَ مِتُّ فَأُطَاقُ مَوْتاً إِذَا ذَاقَ الْمَمَاتَ وَمَا عَصَاكِ
أُثْبِي عَاشِقاً كَلِيفاً مُعْنَى إِذَا خَدِرْتَ لَهْ رَجُلٌ دَعَاكِ

كانت العرب تقول : إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَدِرَتْ قَدَمُهُ دَعَا بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ فَسَكَنَتْ .
فِي الْخَبَرِ أَنَّ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو خَدِرَتْ ؛ فَقِيلَ لَهُ : ادْعُ بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؛ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . ذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ لَحْناً
لِسَيِّئَانِ الْكَاتِبِ ، وَذَكَرْتُ دَنَائِيرُ أَنَّهُ لِحْكُمْ وَلَمْ تَجَنِّسْهُ .

ومنها³ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

وَيَحَ سَلَمَى لَوْ تَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
مُتَلِفاً فِي اللّهُو مَا لِي عَاشِقاً حُورَ الْقِيَانِ
إِنَّمَا أَحْزَنَ قَلْبِي قَوْلُ سَلَمَى إِذْ أَتَانِي
وَلَقَدْ كُنْتُ زَمَاناً خَالِي الذَّرْعَ لَشَانِي
شَاقَ قَلْبِي وَعَنَانِي حُبُّ سَلَمَى وَبِرَانِي
وَلَكُمْ لَامَ نَصِيحٍ فِي سَلَمَى وَنَهَانِي

غَنَّتْهُ فَرِيدَةٌ خَفِيفَةٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ يَنْسَبُ إِلَى مَعْبَدٍ ؛ وَهُوَ فِيمَا
يَذْكُرُ إِسْحَاقَ يُشَبِّهُ غَنَاءَهُ وَلَيْسَ تُعْرَفُ صَحَّتُهُ لَهُ ، وَذَكَرَ كَثِيرٌ⁴ الْكَبِيرُ أَنَّهُ لَهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ
لَا بِنَ الْمَكِّي . وَفِيهِ لِحْكُمْ هَزَجٌ صَحِيحٌ .

ومنها⁵ :

[من مجزوء الرمل]

- 1 عَصراً فِي الدِّيَوَانِ : عَمراً (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ) .
- 2 أَنْسَى فِي الدِّيَوَانِ : وَإِنْ يَنْسَى (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ) .
- 3 دِيَوَانُ الْوَلِيدِ : ص 86 ، رَقْم 99 .
- 4 ل : كَنِيز .
- 5 دِيَوَانُهُ : ص 77 ، رَقْم 86 عَنْ الْأَغَانِي .

صوت

بَلِّغَا عَنِّي سَلِيمِي وَسَلَاهَا لِي عَمَّا
فَعَلْتُ فِي شَأْنِ صَبٍّ دَنَفِي أَشْعِرَ هَمَّا
وَلَقَدْ قُلْتُ لِسَلْمِي إِذْ قَتَلْتُ الْبَيْنَ عِلْمَا
أَنْتَ هُمِّي يَا سَلِيمِي قَدْ قَضَاهُ الرَّبُّ حَتْمَا
نَزَلْتُ فِي الْقَلْبِ قَسْرًا مَنَزَلًا قَدْ كَانَ يُحْمِي

غَنَاهُ حَكَمٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَلَعَمْرَ الْوَادِي فِيهِ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى

عن إسحاق .

ومنها¹ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

يَا سُلَيْمِي يَا سَلِيمِي كُنْتُ لِلْقَلْبِ عَذَابَا
يَا سَلِيمِي ابْنَةَ عَمِّي بَرْدَ اللَّيْلِ وَطَابَا
أَيُّمَا وَاشٍ وَشَى بِي فَاغْلَمْتُ فَاهُ تَرَابَا
رَيْقُهَا فِي الصَّبْحِ مَسْكٌ بَاشِرَ الْعَذْبِ الرُّضَابَا

غَنَاهُ عَمْرُ الْوَادِي هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِيِّ أَنَّهُ لِمَعَانَ . وَفِي كِتَابِ

إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ لَعَطَرْدٌ .

ومنها² :

[من الهزج]

صوت

أَسْلَمَى تِلْكَ حُيَيْتٍ قَفِي نُخْبِرُكَ إِنْ شِيتِ
وَقِيلِي سَاعَةً نَشْكُ إِلَيْكَ الْحَبُّ أَوْ بَيْتِي
فَمَا صَهَاءٌ لَمْ تُكْسَ قَدَى مِنْ خَمْرِ بِيْرُوتِ
ثَوْتُ فِي الدَّنِّ أَعْوَامًا خَتِيمًا عِنْدَ حَانُوتِ

غَنَاهُ عَمْرُ الْوَادِي ثَانِيًا ثَقِيلًا بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

ومنها³ :

[من الكامل]

1 ديوان الوليد : ص 14-15 ، رقم 3 عن الأغاني .

2 ديوانه : ص 24-25 ، رقم 15 عن الأغاني .

3 ديوانه : ص 37 ، رقم 32 .

2 • كتاب الأغاني - ج 7

صوت

يا مَنْ لقلب في الهوى مُتَشَعِّبٌ بل مَنْ لقلب بالحبيب عميد
 سَلَمَى هواه ليس يعرف غيرها دون الطَّريف ودون كلِّ تليد
 إِنَّ القَرابة والسعادة أَلْفَا بين الوليد وبين بنت سعيد¹
 يا قلب كم كَلِفَ الفؤادُ بغادة مَمْكُورة رَيَّا العظام خريد
 غنَّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها² :

[من الرمل]

صوت

قد تَمَنَّى معشراً إذ أُطربوا من عُقَّار وسَوَّامٍ وذَهَبٌ
 ثم قالوا لي تَمَنَّ واستمع كيف ننحو في الأماني والطلب
 فتمنيتُ سليمى إنها بنت عمِّي من لَهَامِيمِ العرب³
 فيه للهندي خفيف ثقیل أَوَّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل
 لخالد صامّة . وذكر ابن المكي أن فيه لمالك ثاني ثقیل بالوسطى .

ومنها⁴ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

هل إلى أمِّ سعيد من رسول أو سبيل
 ناصح يُخبر أنِّي حافظٌ وُدُّ خليل
 يَبْذُلُ الوُدَّ لغيري وأكافي بالجميل
 لستُ أرضى لخليلي من وصالي بالقليل
 غنَّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبابة في مجرى الوسطى .

ومنها⁵ :

[من مجزوء الرمل]

1 السعادة في الديوان : والمودة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 14 ، رقم 2 عن الأغاني .

3 اللهاميم : جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيول .

4 ديوانه : ص 72 ، رقم 77 عن الأغاني .

5 ديوان الوليد : ص 26-27 ، رقم 18 عن الأغاني .

صوت

طاف من سلمى خيالاً بعد ما نمتُ فهاجا .
 قلت عُجْ نحوِي أسائِلُ لك عن الحبِّ فعاجا
 يا خليلي يا نديمي قم فأنفُتْ لي سراجاً¹
 بفلاةٍ ليس تُرعى أثبتتُ شيحاً وحاجاً²

غناه عمر الوادي ثانيّ ثقیل بالوسطی عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيف رمل بالوسطی
 عن حبش . ولأبي سلمى المدنيّ ثقیل أوّل عن ابن خرداذبه .
 ومنها³ :

[من الرمل]

صوت

أَمْ سَلامٍ أَثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربه
 أنكم من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حسبه
 فارحميه إنه يهذي بكم هائم صَبُّ قَدْ أودى قلبه
 أنتِ لو كنتِ له راحةً لم يُكدر يا سليمى شربه

غناه حَكَمَ رملًا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لابن
 سريج رملًا بالوسطی .
 ومنها⁴ :

[من الخفيف]

صوت

ربّ بيتٍ كأنه متن سهم سوف تأتيه من قرى بيروت
 من بلادٍ ليست لنا يبلاد كلما جئت نحوها حُيت
 أَمْ سَلامٍ لا بَرَحْتَ بخير ثم لا زلتِ جتّي ما حُيت
 طرباً نحوكم وتوقاً وشوقاً لأدّكارِكُم وطيب المبيت
 حيثما كنت من بلادٍ وسرتم فوقاك الإله ما قد خَشيت

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقیل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ ،

1 أنفث : قطع همزة الوصل للضرورة .

2 الحاج : نبت من الحمض .

3 ديوانه : ص 18 ، رقم 6 عن الأغاني .

4 ديوانه : ص 25 ، رقم 16 عن الأغاني .

وذكر غيره أنه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى ،
ولابن سريج خفيف رمل بالنصر . وقيل : إن الرَّمْلَ لعمر الوادي ، وهو أن يكونَ له أشبه .
ومنها¹ :

صوت

طَرَقْتَنِي وَصِحابِي هُجُوعٌ ظَبِيَّةٌ أَذْمَاءُ مِثْلُ الْهَلالِ
مِثْلُ قَرْنِ الشَّمْسِ لَمَّا تَبَدَّتْ وَاسْتَقَلَّتْ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ
تَقْطَعُ الْأَهْوَالَ نَحْوِي وَكَانَتْ عِنْدَنَا سَلْمَى الْوَفِّ الْحِجَالِ
كَمْ أَجَازَتْ نَحْوَنَا مِنْ بِلَادٍ وَخَشِيَّةٌ قَتَالَةٍ لِلرِّجَالِ

لابن محرز فيه ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث . ولابن
سريج في الأول وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لابن عائشة ذكر
الهشامي أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رمل يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي .
ومنها² :

صوت

أَنَا الْوَلِيدُ الْإِمَامُ مُفْتَخِرًا أَنْعِمَ بَالِي وَأَتَّبَعَ الْفَزَلَ
أَهْوَى سُلَيْمَى وَهِيَ تَصْرِمُنِي وَلَيْسَ حَقًّا جَفَاءً مِنْ وَصَلَا
أَسْحَبُ بُرْدِي إِلَى مَنَازِلِهَا وَلَا أُبَالِي مَقَالَ مِنْ عَذَلَا³

غنى فيه أبو كامل رملًا بالنصر . وغنى عمر الوادي فيه خفيف رمل بالوسطى ، ويقال
إن هذا اللحن للوليد .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال الوليد على لسان سلمى⁴ : [من الخفيف]

صوت

إِقْرَ مَنِّي عَلَى الْوَلِيدِ السَّلَامَا عَدَدَ النِّجْمِ قَلٌّ ذَا لِلْوَلِيدِ
حَسَدًا مَا حَسَدْتُ أُخْتِي عَلَيْهِ رُبُّنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَعِيدِ
غَنَاهُ الْهَذَلِيُّ خَفِيفَ ثَقِيلَ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ .

1 ديوان الوليد : ص 73 ، رقم 79 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : 68 ، رقم 72 .

3 أسحب بُردِي إلى منازلها في الديوان : أنقلُ رجلي إلى مجالسها (طبعة دار الكتاب الجديد) .

4 ديوانه : ص 37 ، رقم 33 .

[غضب على جاريته صدوف ثم صالحها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا خالد بن النَّضر القرشيَّ بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السَّجِسْتَانِي قال حدثنا العتيبي قال : كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صدوف ؛ فغاضبها ، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره ، فبرم به ؛ فأنشده :

[من الكامل]

أَعْتَبْتُ أَنْ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعَتَابُ مِثْلِكَ مِثْلُهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِمًا فِيهَا وَأَنْتَ بِحَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنْ الْقَطِيعَةُ لَا يَقُومُ لِمِثْلِهَا إِلَّا الْقَوِيُّ ، وَمَنْ يَحِبُّ ضَعِيفُ
الْحَبُّ أَمْلَكُ بِالْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَالذَّلُّ فِيهِ مَسَلُّكَ مَالُوفُ

قال : فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها .

[استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية : إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بالقيّن لنفقتي وألفين لعيالي ، فقديمت عليه ، فلما دخلت داره قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حماد ؛ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : «ثم ثاروا» ؛ فلم أدر ما يعني فقال : ويحك يا حماد ! «ثم ثاروا» ؛ فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ! ثم انتهت فقلت : [من الخفيف]

ثَم ثَارُوا إِلَى الصُّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
قَدَمَتَهُ عَلَى عُقَارٍ كَعِينِ الْـ ذِيكَ صَفَى سُلَافَهَا الرَّأُوقُ
ثَم قُضِيَ الْخِتَامُ عَنْ حَاجِبِ الدَّ نَ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوقُ
فَسَابَهَا مِنْهُ أَشْمُ عَزِيزِ أُرْجِي غِذَاهُ عَيْشَ رَقِيقُ

الشعر لعدي بن زيد . والغناء لحنين خفيف ثقیل أول بالنصر . وفيه لملك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الربيعي رمل ، كل ذلك عن الهشامي . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح ، والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ؛ فقال : ردّيه فما أنصفناه ! تغدينا ولم نغده ! فأتيت بالغداء ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه¹ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

أدير الكأسَ يميناً لا تُدِرْها لیسارِ
إِسْقِ هذا ثم هذا صاحبَ العودِ النُّصارِ
من كُمَيْتٍ عَتَّقَها منذُ دهرٍ في جِرارِ
خَتَمَها بالأفاويزِ به وكافورٍ وقارِ
فلقد أيقنْتُ أنِّي غيرُ مبعوثٍ لنارِ
سأروضُ الناسَ حتى يركبوا أئیرَ الحمارِ¹
وذروا من يطلب الج سَنَةَ يَسْعَى لِتَبَارِ²

فيه هزجان بالوسطى والبصر لعمر الوادي وأبي كامل ، فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدة ثم أذن بالانصراف ؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

[حكايات تروى عن تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ قال : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به ، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب ، وقال له : ارقصْ وغنني شعراً يُعجبني ؛ فإن فعلتَ فلك ألف درهم ؛ فغناه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .
ودخل إليه يوماً ، فلما رآه الوليد كشف عن أثره وهو مُنعِطٌ ، قال أشعب : فرأيتُه كأنه زممار ابنوس مدهون ، فقال لي : رأيتَ مثله قط ؟ قلت : لا يا سيدي ؛ قال : فاسجدْ له ، فسجدت ثلاثاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدة لأترك وثنتين لخُصيتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني ، فكره ذلك وأضجره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكَهْ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .
وذكرت جاريةً أنه واقعها يوماً وهو سكرانٌ ، فلما تنحّى عنها آذنه المؤذن بالصلاة ، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها ؛ فخرجت متلثمةً فصلّت بالناس .

1 أير في ل والديوان : دين الحمار .

2 رواية الديوان : واتركا من طلب الج سنة يسعى في خسارة

(طبعة دار الكتاب الجديد) .

قال : ونزل على غدِير ماء فاستحسنه . فلما سَكر حلف ألا يبرَحَ حتى يشربَ ذلك الغدير كُلَّهُ ونام ، فأمر العلاء بن البُندار بالقرَب والرَّوَايا فأحضرت ، فجعل ينزحه ويصبه على الأرض والكُتُب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء ؛ فلما أصبح الوليد رآه قد نشِفَ فطرب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحلوا . فارتحل الناس .

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدَّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جبلة : أنَّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدته المبيت ؛ فقال حين انصرف¹ :

قامت إليّ بتقبيل تعانقني	رأى العظام كأن المسك في فيها
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد	نفسى لنفسك من داء تُفديها
بتنا كذلك لا نوم على سرر	من شدة الوجد تُدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها	حان الفراق فكاد الحزن يُشجىها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد	والله عني بحسن الفعل يجزيها

[استسقى من بني كلب]

وحدَّثني النضر بن حديد قال حدَّثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال : مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيّد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب ، فوقف عليهن واستسقاهن وحدّتهن وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول² :

ولقد مررت بنسوة أعشيتني	حور المدامع من بني المنجاب
فيهنّ خرعة مليح دلهما	غرثى الوشاح دقيقة الأنياب ³
زئن الحواضر ما ثوت في حضرها	وتزين باديها من الأعراب

[أطلق غزالاً صاده]

قال النضر وحدَّثني ابن الكلبي عن أبيه : أنَّ الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً ، فأتي به فقال : خلّوه ، فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى . ثم أنشأ يقول⁴ :

1 ديوان الوليد : ص 92 ، رقم 108 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : ص 20 ، رقم 9 عن الأغاني .

3 الخرعة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . وعرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

4 ديوانه : ص 29 ، رقم 20 .

[من الرمل]

ولقد صِدْنَا غَزَالاً سَانِحاً قد أردنا ذبحه لما سَنَحْ
 فإذا شِئْهُكَ ما نُنْكَرُهُ حين أَرْجَى طَرْفَهُ ثم لَمَحْ¹
 فتركناه ولولا حُبِّكُمْ فاعلمي ذاك لقد كان انذِبحْ
 أَنْتَ يَا ظَبِي طَلِيقٌ آمِنٌ فاغْدُ فِي الْغِزْلَانِ مَسْرُوراً وَرُحْ

[مأجنته شراعة بن الزندبوذ]

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد
 الدمشقي قال : بعث الوليد بن يزيد إلى شُرَاعَة² بن الزندبوذ ؛ فلما قدم عليه قال : يا
 شُرَاعَة ، إني لم أستحضرَكَ لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحدثني ولا
 لتقرئني القرآن ؛ قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً . قال : فكيف علمك
 بالفتوة ؟ قال : ابنُ بَجْدَتِها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَلَّ عما شئت . قال : فكيف
 علمك بالأشربة ؟ قال : ليسألني أمير المؤمنين عما أحب . قال : ما قولك في الماء ؟ قال :
 هو الحياة ، ويَشْرَكُنِي فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قطَّ إلا ذكرت أُمِّي
 فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارة البارة وشرابُ أهل الجنة . قال : لله
 درك ! فأَيُّ شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قَدَّر أن يشرب على وجه
 السماء في كِنٍّ من الحرِّ والقرِّ كيف يختار عليها شيئاً !

[الوليد وحادثة المصحف]

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة
 بمصحف ؛ فلما فتحه وافق ورقة فيها : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ
 جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ . فقال : أَسْجَعاً سَجْعاً ! علقوه ؛ ثم أخذ القوس والنبل فرماه
 حتى مزقه ؛ ثم قال³ :

أَتَوَعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فها أنا ذاك جبار عَنِيدُ
 إذا لاقيتَ ربَّكَ يومَ حَشِرٍ فقل لله مَزَقَنِي الوليد⁴

قال : فما لبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل .

1 أَرْجَى لعلها أرخى .

2 كان أحد المجان الندماء وسيكرر ذكره في الأغاني .

3 ديوان الوليد : ص 35 ، رقم 29 .

4 مزقني في ل والديوان : خرقني .

[غضب على جارية لم تفن كما أمرها]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عياش المروزي (من أهل ذي المروة) أن أباه حمل عدة جوار إلى الوليد بن يزيد ؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعرة وفيها ؛ فأمر الوليد جارية منهم أن تغني¹ :

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيّد
وأمرها أخوه أن تغني² :

أتعجب أن طربت لصوت حادٍ حداً بزلأً يسرن بيطن وادٍ
فغنت ما أمرها به الغمر³ ؛ فغضب الوليد واهمر وجهه ، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى
أخيه ، وعرفت الشر في وجهه ، فاندفعت فغنت⁴ :

صوت

أيتها العاتبُ الذي خاف هجري	وبعادي وما عمدتُ لذاكا
أترى أنني بغيرك صبّ	جعل الله من تظن فداكا
أنت كنت الملول في غير شيء	بس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولو أنّ الذي عبت عليه	خير الناس واحداً ما عداكا
فأرض عني جعلتُ نعليك إنّي	والعظيم الجليل أهوى رضاكا

الشعر لعمر . والغناء لمبعد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً . قال : فسرتي عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغني ما دعوتك إليه ؟ قالت : لم أكن أحسنه ، وكنت أحسن الصوت الذي سألني ، أخذته من ابن عائشة ؛ فلما تبينت غضبك غنيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به إليه .

1 البيت لحسان بن ثابت في ديوانه : 349 .

2 البيت لجميل بن معمر . ديوانه : 49 .

3 ذكر أبو الفرج في الخبر أن أخاه الذي كان عنده هو عبد الجبار .

4 أبيات عمر في ديوانه : 288 مع اختلاف في اللفظ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت

[من البسيط]

لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسد أو عبد شمسٍ أو أصحاب اللّوا الصّيدِ
أو من بني نوفلٍ أو آل مُطَلِّبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضَرِ الجَلَا عِيدِ
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرِفُوا لله دُرُكٌ لم تَهْمُهمْ بتهديدِ
الشعر لحسان بن ثابت ، يقوله لمُسايع بن عياض أحد بني تيم بن مرة ، وخبره يذكر بعد هذا . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل : إنه لمالك .
ومنها :

[من البسيط]

صوت

أتعجّب أن طربتُ لصوتٍ حادٍ حدا بُزلاً يَسِرْنَ بيطنٍ وادٍ
فلا تعجّب فإن الحبَّ أَمسى لبُشةً في السّواد من الفؤادِ
الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

[يشترى جارية غنته بشعر المخزومي]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : عُرِضَتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّيةٌ ، فقال لها : غنّي ، فغنّت¹ : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمِلْتُ من حُبِّكم لكان من إظهاره مَخْرُجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أَجَلٌ ومن حَجَّتْ له مَذْجُ
لكن سباني منهم شادنٌ مرّبٌ بينهم أَدْعُجُ
أغرُّ ممكورٌ هَضيْمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحَجَلُ والدُّمْلُجُ

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المخزومي . قال : فمِمَّنْ أخذت الغناء ؟ قالت : من حُنين . فقال : أعيديه ، فأعادته فأجادت ؛ فطرب الوليد ونعّر وقال : أحسنت وأبي وجمعت كل ما يُحتاج إليه في غنائك ، وأمر بابتاعها ، وحطّيت عنده . غنّى في هذا الصوت ابن سريج ، ولحنه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر

1 تقدّم هذا الخبر في هذه الترجمة ، وهناك نسب الشعر إلى الحارث بن خالد المخزومي (صفحة 20) .

المشاميّ خفيفَ ثَقِيلٍ .

ومّا يَغْنَى به من هذه القصيدة :

[من السريع]

صوت

قد صرّح القوم وما لَجَلَجُوا لَجُوا علينا ليت لم يَلَجَجُوا
باتوا وفيهم كالمها طفلة قد زانها الخلدخال والدُمْلُجُ

غناه صباح الخياط خفيفَ ثَقِيلٍ بالبصرة . وغنّى فيه ابن أبي الكَنَنَات خفيفَ ثَقِيلٍ
بالوسطى .

[حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض]

فأما خبر الشعر الذي قاله حَسَّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحد بني تَيْم بن مُرَّة ،
فأخبرني به الحَرَمِيُّ بن أَبِي العَلَاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا عثمان بن عبد الرحمن :
أنَّ عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رقيقاً ثَمَن سُبَي ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَمَا . فمرَّ بهما
طلحة بن عُبيد الله وهو يريدُ الصلاةَ في مسجد رسولِ الله ﷺ فقال : ما لابن مَعْمَرٍ يُلْزَم ؟
فأخبر خبره ؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقْضَى عنه . فقال ابن معمر لابن عامر : إنها إن
قُضِيَتْ عَنِّي بَقِيَتْ مُلَازِماً ، وإن قُضِيَتْ عَنْكَ لم يتركني طلحة حتى يَقْضِيَ عَنِّي ؛ فدفع إليه
الأربعين ألفاً درهم فقصاها ابن عامر عن نفسه وُخِّلِيَتْ سَبِيلُهُ . فمرَّ طلحة منصرفاً من الصلاة
فوجد ابنَ معمر يُلَازِمُ فقال : ما لابن معمر ؟ ألم أَمُرَّ بالقضاء عنه ! فأخبر بما صنع ؛ فقال :
أما ابن معمر فعلم أنَّ له ابن عمّ لا يُسَلِّمُهُ ، إِحْمِلُوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ،
ففعَلُوا وُخِّلِيَتْ سَبِيلُهُ . فقال حَسَّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن
سعد بن تيم بن مُرَّة :

[من البسيط]

يا آلَ تَيْم أَلَا تَنْهَوْنَ جاهلكم قبلَ القِذَافِ بَصْمٌ كالجلاميدِ
فَنَهْنَهُوه فَإِنِّي غَيْرُ تارِككم¹ إن عاد ما اهتزَّ ماءٌ في ثَرَى عودِ
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللّوا الصَّيْدِ
أو من بني نوفل أو آل مُطَلِّبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاعيدِ²

1 نههوه : ازجروه وكفهوه .

2 الجلاعيد : الشداد الصلاب .

أَوْ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ الْأَبْطَالِ قَدْ عُرِفُوا اللَّهُ دَرَكٌ لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِ
أَوْ فِي الذُّوَابَةِ مِنْ تَيْمٍ إِذَا انْتَسَبُوا أَوْ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ الْبَيْضِ الْأَمَاجِيدِ
لَكِنْ سَأَصْرِفُهَا عَنْكُمْ وَأَعْدِلُهَا لَطْلَحَةَ بَنِ عَبِيدِ اللَّهِ ذِي الْجُودِ

رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد

[الوليد وأبو الأقرع]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدثني ابن عِيَّاش قال : دخل أبو الأقرع¹ على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشدني قولك في الخمر ؛ فأنشده قوله :

كُمَيْتٌ إِذَا شَجَّتْ فِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ
تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوْجُهُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ

فقال الوليد : شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها .

[إعجابه بأم حبيب]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائني : نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبت به وراعه جمالها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول² :

صوت

إِنَّمَا هَاجَ لِقَلْبِي شَجْوَهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ
نَظْرَةٌ قَدْ وَقَرَتْ فِي الْـ قَلْبٍ مِنْ أُمِّ حَبِيبِ
فَإِذَا مَا ذَقْتُ فَاهَا ذَقْتُ عَذْباً ذَا غُرُوبٍ³
خَالِطَ الرَّاحَ بِمَسْكِ خَالِصٍ غَيْرِ مَشُوبِ

غناه ابن محرز خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر ، وهو الصحيح .

1 سترجم له أبو الفرج فيما بعد .

2 ديوان الوليد : ص 19-20 ، رقم 8 عن الأغاني .

3 الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الأسنان : مناع ريقها .

[الوليد بن يزيد في آخر دولته]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو عن العنبي قال : لما ظهرت
المسودة¹ بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد² يستمده ، فتشأغل عنه ؛ فكتب إليه كتاباً
وكتب في أسفله يقول :

أرى خلل الرماد وميض جمر وأخر بأن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكي وإن الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري أليقظ أمية أم نيام

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتك خراسان ، فاعمل لنفسك أو دغ ، فإني مشغول عنك
بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن
الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال : دخلت يوماً على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه ،
فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ؛ فما هش شيء منه حتى
أخذت في السخف فأنشدته لعمار ذي كناز³ مجنباً⁴ :

أشتهي منك منك مند لك مكاناً مجنباً
فأجاً فيه فيه فيه ه بأير كمثل ذا
ليت أيري وحرك يو ما جميعاً تجابذا
فأخذ ذا بشعر ذا وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب ، ودعا بالشراب فشرب ؛ وجعل يستعيدني الأبيات
فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة ؛ فعلمت أن أمره قد أدير . ثم أدخلت على أبي مسلم
فاستنشدني فأنشدته ، قول الأفوه⁵ :

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم

1 المسودة : دعاة بني العباس .

2 في الطبري (أحداث سنة 129) وغيره من كتب التاريخ أنه بعث بهذه الأبيات إلى مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية .

3 شاعر ماجن سترجم له أبو الفرج فيما بعد .

4 لعل المقصود الأبيات التي ترد هذه الكلمة في مطلعها والمجنبذ : المرتفع .

5 هو الأفوه الأودي صلاء بن عمرو وسترجم له أبو الفرج فيما بعد .

فلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

[من البسيط]

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ
وَأَنْ تَوَلَّيْتُ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
قَالَ : أَنَا ذَلِكَ الَّذِي تَنْقَادُ بِهِ النَّاسُ ؛ فَأَيَقَنْتُ حِينَئِذٍ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِلٌ .

[خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الزُّهْرِيِّ عَنْ
عَمْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَكَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى شَرَابٍ ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْيَوْمَ
الْجُمُعَةُ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُخْطِبُهُمُ الْيَوْمَ بِشَعْرٍ ؛ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ فَقَالَ¹ : [من الرجز]

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيُّ الْحَمْدِ	أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
وَهُوَ الَّذِي فِي الْكَرْبِ أَسْتَعِينُ	وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ
أَشْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَمَا سِوَاهَا	أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِلَّا هَا
مَا إِنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ شَرِيكُ	قَدْ خَضَعْتَ لِلْمَلِكِ الْمَلُوكُ
أَشْهَدُ أَنَّ الدِّينَ دِينُ أَحْمَدِ	فَلَيْسَ مِنْ خَالَفَهُ بِمُهْتَدِي
وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَرْشِ	الْقَادِرِ الْفَرْدِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
أَرْسَلَهُ فِي خَلْقِهِ نَذِيرًا	وَبِالْكِتَابِ وَاعْظَا بِشِيرَا
لِيُظْهِرَ اللَّهُ بِذَلِكَ الدِّينَا	وَقَدْ جُعِلْنَا قَبْلُ مُشْرِكِينَا
مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا	أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الرُّسُولَ خَابَا
ثُمَّ الْقُرْآنُ وَالْهُدَى السَّبِيلُ	قَدْ بَقِيََا لَمَّا مَضَى الرُّسُولُ
كَانَ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ	حَيُّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنْكُمْ مِنْ بَعْدُ إِنْ تَزَلُّوا	عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهَجِهِ تَضِلُّوا
لَا تَتَرَكْنَ نَصْحِي فَإِنِّي نَاصِحُ	إِنَّ الطَّرِيقَ فَاعْلَمَنَّ وَاضِحُ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجِدْ غِبُّ التَّقَى	يَوْمَ الْحِسَابِ صَائِرًا إِلَى الْهُدَى
إِنَّ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ	أَرَى جِمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
خَافُوا الْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ	يَوْمَ الْلِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ	فَانْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ

ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُهُ وما يقدّم من صلاح يحمدُهُ
فاستغفروا ربّكم وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

ثم نزل .

[الوليد بن يزيد والوليد البندار]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ عن أبيه عن الوليد البندار¹ قال : حَجَجْتُ مع الوليد بن يزيد ؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير ؛ إِنَّ اليَوْمَ يَوْمٌ يشهدهُ الناسُ من جميع الآفاق ، وأريد أن تشرفني بشيء .

قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوت المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسرّرتَ إليّ شيئاً ؛ فقال : أفعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البندار ؛ قممتُ إليه ، فقال : ادنُ مِنِّي فدنوتُ ؛ فأخذ بأذني ثم قال : البندار ولدُ زنا ، والوليد ولدُ زنا ، وكلُّ من ترى حولنا ولدُ زنا ، أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

[نادرة مع أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أشعب قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً ، فقال لي : تمنّ ؛ فقلت : يتمنّي أمير المؤمنين ثم أتمنّي ؛ قال : فإنما أردتُ أن تعلّيني ، فإنّي لأتمنّي ضعفَ ما تتمنّي به كائناً ما كان ؛ قلت : فإنّي أتمنّي كَفَلَيْنِ² من العذاب ؛ فضحك ثم قال : إذا نوفرهما عليك . ثم قال لي : ما أشياء تبُلّغني عنك ؟ قلتُ : يكذبون عليّ . قال : متى عهدك بالأصم ؟ قلتُ : لا عهد لي به . فأخرج أيره كأنه نايّ مدهون ، فسجدتُ له ثلاثَ سجّدات ؛ فقال : وَئِلَكَ إِنَّمَا يسجدُ الناسُ سَجْدَةً واحدةً ؛ فقلت : واحدةً للأصمِّ واثنتين لخصيتيك .

[يغالي بالجوهر]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال : إِنَّمَا أَغْلَى الجوهرَ بنو أميّة ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويغالي به .

[برز للناس راكباً فرساً]

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضربُ بطلّ قدامه ؛ فأخذه منها ووضعهُ على رقبته ، وقرّ الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

1 البندار : الخازن .

2 الكفل : الصيب .

[قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الخزاز عن المدائنيّ عن جويرية بن أسماء قال : قدم الوليد بن يزيد المدينة ؛ فقلت لإسماعيل بن يسار : أخذنا¹ مما أعطاك الله ؛ فقال : هلمّ أقاسمك إن قبلت ، بعث إليّ براوية² من خمر .

[أمر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي مصعب قال حدثني رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغدّى وشرب رطلين ثم جلس للناس . قال : فحدثني عمر الوادي قال : دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشربت ، وطرب ، وغنى صوتاً واحداً وأخذ دقافة فدفف بها ، فأخذ كل واحد منا دقافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ؛ فلما رأنا الحاجب صاح بالناس : الحرّم الحرّم ؛ اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءك ، اليوم يحضر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنّما أنا حاجب فلا تحملني على الشراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقة بالقمع وقام وهو سكران .

[افترى عليه افتراعه ابنته]

أخبرني أحمد بن عبيد بن عمّار قال حدثني يعقوب بن شريك قال حدثني عمّي علي بن عمرو قرقرة قال حدثني أنيف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال : خرج الوليد بن يزيد من مقصورة له إلى مقصورة ؛ فإذا هو بينت له معها حاضيتها ، فوثب عليها فافترعها ؛ فقالت له الحاضنة ؛ إنها المجوسية ؛ قال : اسكتي ! ثم قال : [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَزَ بِاللَّذَةِ الْجَسُورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ ؛ لأنّ هذا الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد .

[تمنى غلاء الخمر وعزة النساء]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مسلمة بن سلم الكاتب قال : قال الوليد بن يزيد : وددت أن كل كأس تُشرب من خمر بدينار ، وأن كل جرّ في جبهة أسد ، فلا يشرب إلّا سخيّ ، ولا ينكح إلّا شجاع .

[شرب شرب الفرس]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي مصعب قال :

1 أخذنا : أعطنا .

2 الراوية : القرية .

سمعتُ رجلاً يحدثُ أبي بالكوفة قال : أرسلت إلى الوليد جَفَنَةً مملوءةً قواريرَ فِرْعَوْنِيَّةٍ لم يُرْ مثُلُها قطّ . فلما أُمسينا صَبَبْنَا فيها الشرابَ في ليلة أربع عشرة ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلة القمر الليلة ؟ فقال بعضهم : في الحمل ، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمر في الجفنة ؛ قال : قَاتَلَكَ اللَّهُ ! أَصَبْتَ ما في نفسي ! لَتَشْرَبَنَّ الهفتجَنَةَ¹ . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجَنَةِ فقال : شَرِبَ كانت الفرسُ تشربه سبعةً أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

[رثاء ابن أذينة لأخيه]

أخبرني الحِزْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُهريّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ قال : بعث إليّ الوليد بن يزيد ، فقدمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس ! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرَة يسقي القومَ الطلّاءَ ، إذ جاءت نوبةُ الغناء إليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيتُ بأبيات قالها عُرْوَة بن أذينة يرثي أخاه بكرةً :

[من الوافر]

صوت

سَرَى هَمِي وهُمُ المرء يسري	وغار النجمُ إلّا قِيدَ فِتْرِ
أَرَأَيْتَ فِي الْمَجْرَةِ كُلَّ نَجْمٍ	تَعْرِضُ فِي الْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي
بُحْزَنُ مَا أَزَالَ لَهُ مُدِيمًا	كَأَنَّ الْقَلْبَ أُسْعِرَ حَرًّا جَمْرٍ
عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا	وَأَيُّ الْعَيْشِ يَحْسُنُ بَعْدَ بَكَرٍ

غناه ابن سريج ثانيّ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال خالد : فقال لي الوليد : أَعِدْ يا صامُ فأعدتُ ؛ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيشُ الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجّر² واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فَرْوة : وأنشدها ابنُ أذينة ابنُ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال : كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت ؛ فحلّف ابنُ أذينة لا يكلمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عتيق وابنُ أذينة مهاجرٍ له .

1 الهفتجَنَة : كلمة فارسية مركّبة من «هفت» : سبعة و«جَنَة» : مرج .

2 تحجر واسعاً : ضيقه .

[أنشدت سكينه بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه]

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال : بلغني أن سكينه بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت ، وأخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال : أنشدت سكينه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي يحيى العبادي : أن سكينه أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر ؛ فلما انتهت إلى قوله :

على بكر أخشي ولّى حميداً وأي العيش يحسن بعد بكر

قالت سكينه : ومن أخوة بكر ! أليس الدخداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحاً ومساءً ؟ قالوا : نعم ؛ قالت : كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت . أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق قال : قديم سليمان بن عبد الملك المدينة ، فجمع المغنين وسبق بينهم ببدرة ، وقال : أيكم كان أحسن غناء فهي له ؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبر ابن سريج ، فجاء وقد أغلق الباب ؛ فقال للحاجب : استأذن لي ؛ قال : لا يمكن وقد أغلق الباب ، ولو كنت جئت قبل أن يغلق الباب لاستأذنت لك . قال : فدعني أغن من شق الباب ؛ قال نعم . فسكت حتى فرغ جميع المغنين من غنائهم ثم اندفع فغنى :

سرى همي وهم المرء يسري

فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه ؛ فلما فرغ قال سليمان : أحسن والله ! هذا والله أحسن منكم غناء ، أخرج يا غلام إليه بالبدرة ، فأخرجها إليه . [الوليد بن يزيد وفرسه السندي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعلبه : أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً ، فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فنهز الرجل وشمه وقال : أتجني بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! ردوه عليه ، فردوه . فلما خرج وجهه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ؛ فهو فرسه الذي يسميه السندي . فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيد وحده ؛ فالتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به . فلما بصُر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله . وقال في ذلك ¹ :

ألم تر أنّي بين ما أنا آمن يخبّ بي السندي قفراً فيافيا
تطلعت من غور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا

ولما بدا لي أنما هو فارسٌ وقتتُ له حتى أتى فرمانيا
 رماني ثلاثاً ثم إنِّي طعنته فرويتُ منه صعدتي وسنانيا
 غناه أبو كامل لحناً من الماخوري بالنصر . ولأبراهيم فيه ثقل أول ، وقيل : إن له فيه
 ماخورياً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقل . وللك رملٌ من رواية الهشامي .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السندي¹ :

قد أغتدي بذي سيب هيكَل مُشربٌ مثل الغرابِ أرجل²
 أعدته لحباتِ الأحول وكلُّ نفعٍ نائرٍ لجَحَلِ
 وكلُّ خطبٍ ذي شؤونٍ مُفضِل

فقال هشام : لكننا أعددنا له ما يسوءه ، نخلعه ونقصيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مطرَحاً .

[رثاؤه سلمى]

نسختُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن العقيلي : أن الوليد لما ولي
 الخلافة خطب سلمى التي كان ينسبُ بها ، فزوجه لما مضى صدرٌ من خلافته ؛ فقامت
 عنده سبعة أيام فماتت ؛ فقال يرثيها³ :

يا سلم كنتِ كجنةٍ قد أطعمتُ أفانها دانٍ جناها موضعُ
 أربأها شققاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
 حتى إذا فسح الربيعُ ظنونهم نثر الخريفُ ثمارها فصدعوا

[أمر يقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية ،
 وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه : أن الوليد بن يزيد
 لما انهمك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف⁴ مع
 المغنين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ، كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي ،
 وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغناه معبد ذات يوم شعر عدي بن زيد
 العبادي :

[من الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 73-74 ، رقم 80 .

2 السبب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية . الهيكَل من الخيل : الكنيف العبل اللين . مشرب : امتزج
 لونه بحمرة . الأرجل : الذي في إحدى رجليه بياض .

3 ديوان الوليد : ص 56 ، رقم 58 عن الأغاني .

4 ل : والعصف .

صوت

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصبِّ حَ يَقولونَ لي ألا تَسْتَفِيقُ
لَسْتُ أَذْري وقد جَفاني خَليلي أَعْدُوْ يَومَني أم صديقُ
ثم قالوا ألا أَصْبَحونا فقامت قينَةُ في يَمينِها إِبْريقُ
قَدَمَتَه على عُقار كَعينِ الـ لَدَيْكَ صَفَى سُلَافَها الرّاووقُ

فيه لمبعد ثقیل أول و يقال إنه لحنين . وفيه للمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العباس رمل كل ذلك عن الهشامي قال : فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعرف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة : اتنني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طست بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلب الرأس بيده . ثم قال يرثيه ¹ :

صوت

عَيْنِي لِلْحَدَثِ الجليل جُوداً بأَرْبعَةِ هُمُولِ
جوداً بدمعِ إنّه يشفي الفؤادَ من الغليلِ
لله قبرٌ ضُمَّنت فيه عظامُ ابنِ الطويلِ
ماذا تَضُمَّنْ إذ تَوَيَّ فيه من اللَّبِّ الأصيلِ
قد كنتُ آوي من هوا لك إلى ذرى كَهْفٍ ظَليلِ²
أصبحتُ بعدك واحداً فرداً بمَدْرَجَةِ السيولِ

غناه الغريز ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو . وغنى فيه سليم لحناً من الثقیل الأول بالبصر عن الهشامي ، وذكر غيره أن لحن الغريز لدحمان ، وذكر حبش أنه لأبي كامل ، وذكر غيره أن لحن الغريز لدحمان . قال : ثم دخل إلى جواريه فقال : والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل . فيقال : إنه لم يعيش بعده إلا مُدَيِّدةً حتى قُتل . والله أعلم . [أجاز حماداً الراوية على إنشاده]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال روى الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش عن

1 ديوان الوليد : ص 70-71 ، رقم 75 عن الأغاني .

2 الذرى : كل ما استتر به . يقال أنا في ظل فلان وذراه ، أي في كنفه وستره .

حَمَادُ الراوية قال : دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح ؛ فقال : أنشدني في النَّسِيب ؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة ، فلم يَهْشْ لشيء منها ، حتى أنشدته قولَ عَمَّارٍ ذي كَنَاز :
[من مجزوء الخفيف]

إِصْبَحِ الْقَوْمَ قَهْوَةً فِي الْأَبَارِقِ تُحْتَذَى
مَنْ كُمَيْتٍ مُدَامَةٍ حَبَّذَا تِلْكَ حَبَّذَا

فطرب . ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ إليه فكشف سِتْرًا خلف ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريق والمناويل ؛ فقال : اسقوهم ، فما بقي أحد إلا أسقي ، وأنا في خلال ذلك أنشده الشعر ؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفَرَّاشون في البُسُط فألقونا في دار الضيافة ، فما أفقنا حتى طلعت الشمس . قال حَمَاد : ثم أحضرني فخلع عليّ خلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس .

[خاصم وكيله في أرض لدى هشام فلم ينصفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان بين الحكم بن الزُّبَيْر أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نوفل أحد بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرُّجبة¹ من أرض دمشق ، وكان الجعفريّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْده ؛ فقال الوليد في ذلك² :

صوت

أَيَا حَكْمَ الْمُتَبَوِّلِ لَوْ كُنْتَ تَعْتَرِي إِلَى أُسْرَةٍ لَبَسُوا بِسُودِ زَعَانِفٍ³
لَأَيَقَنْتَ قَدْ أَدْرَكَتْ وَتَرَكْتَ غَنَوَةً بَلَا حُكْمٍ قَاضٍ يَلْ بَضْرِبِ السَّوَالِفِ

غناه الهذليّ ثقبلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس . قال : فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفريّ فقال : ألا تعطي حَكْمَ بن الزُّبَيْر حَقَّه ! قال : لا ؛ فأمر به فشترت⁴ عينه . ثم قال⁵ :

[من الرجز]

1 الرجة : قرية قرب دمشق .

2 ديوان الوليد : ص 59 ، رقم 62 عن الأغاني .

3 المتبول : الذي به تبل ، وهو الذحل والعداوة . تعتري : تنتسب .

4 شتر عينه : شقها وقلب جفنها .

5 ديوانه : ص 73 ، رقم 80 .

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤونٍ جَحْفَلْ قاسيتُ فيه جَلَبَاتِ الأَحْوَلِ¹

[مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : خرج الوليد إلى متصيّد له فأقام به ، ومات له ابنٌ يقال له مؤمن بن الوليد ، فلم يقدر أحدٌ أن ينعاه إليه ، حتى ثَمِلَ فنعاه إليه سنانُ الكاتب وكان مغنياً ؛ فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للوائق والرشيّد قبله² :
[من الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بِالْوَدَاعِ لِمُؤْمِنٍ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
أَلَا أَيُّهَا الْحَائِيّ عَلَيْهِ تَرَابُهُ هُبْلَتْ وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ الْأَصَابِعُ
يَقُولُونَ لَا تَجَزَعْ وَأَظْهَرُ جَلَادَةً فَكَيْفَ بِمَا تُخْنِي عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ

عروضه من الطويل . غناه سنان الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو . وقيل : إنّ فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أيلة .
[كتب له مؤدبه شعراً ينصحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثني عقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مُسَاحِقٍ السُّلَميّ مؤدّب الوليد شعراً وبعث به إلى النّوّار جارية الوليد ، فغنته به ، وهو :

مَضَى الخلفاءُ بالأمر الحميدِ وَأَصْبَحَتِ المذمّةُ للوليدِ
تَشَاغَلَ عَنْ رَعِيَّتِهِ بِلَهُوٍ وَخَالَفَ فَعَلَ ذِي الرَّأْيِ الرّشيدِ

فكتب إليه الوليد³ :
[من مجزوء الرمل]

لَيْتَ حَظِّي اليَوْمَ مِنْ كَلِّ مَعَاشِرٍ لِي وَزَادِ
قَهْوَةٌ أَبْذُلُ فِيهَا طَارِفِي ثُمَّ تِلَادِي

1 الجلبات : جمع جلبة ، وهي الشدة والجهد . والأحول : هو هشام بن عبد الملك .

2 ديوان الوليد : ص 54 ، رقم 55 .

3 ديوان الوليد : ص 38 ، رقم 34 .

فَيُظَلِّقَ الْقَلْبَ مِنْهَا هَائِماً فِي كُلِّ وَادٍ
إِنْ فِي ذَاكَ صِلَاحِي وفلاحِي ورشادي

[نهى بني أمية عن الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن الوليد الحمصي قال حدثنا هارون بن الحسن العنبري قال : قال الوليد بن يزيد : يا بني أمية ، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين ، فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا . وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة وأشهى إلي من الماء البارد إلى ذي الغلة ، ولكن الحق أحق أن يقال .
[أنكر الناس عليه البيعة لابنيه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني بعض موالي الوليد قال : دخلت إليه وقد عقد لأبنيه بعده وقدم عثمان ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بنصيحته أو يسعني السكوت ؟ قال : بل قل قول الموثوق به ؛ فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : يُبايع لمن لم يحتلِم ؛ وقد سمعت ما أكره فيك ؛ فقال : عَضُوا بيطور أمهاتكم ، أفادخل بيني وبين ابني غيري ؛ فيلقى منه كما لقيت من الأحوال بعد أبي ! ثم أنشأ يقول¹ :

صوت

سَرَى طَيْفٌ ذَا الظُّبْيِ بِالْعَاقِدَا نَ لَيْلاً فَهَيَّجَ قَلْباً عَمِيدَا
وَأَرْقَ عَيْنِي عَلَى غِرَّة فَبَاتَ بِحَزَنِ تَقَاسِي السُّهُودَا
نُوْمِلَ عَثْمَانُ بَعْدَ الْوَلِيدِ دَ لِلْعَهْدِ فِينَا وَنَرْجُو سَعِيدَا²
كَمَا كَانَ إِذْ كَانَ فِي دَهْرِهِ يَزِيدُ يَرْجِي لَتَلِكِ الْوَلِيدَا
عَلَى أَنَّهَا شَسَعَتْ شَسَعَةً فَنَحْنُ نَرْجِي لَهَا أَنْ تَعُودَا³
فَإِنْ هِيَ عَادَتْ فَعَاصٍ الْقَرِيبِ سَبَّ مِنْهَا لَتَوَيْسَ مِنْهَا الْبَعِيدَا⁴

1 ديوانه : ص 104 ، رقم 3 . وقد ذكر المحقق أن الأبيات منسوبة في الطبري لشاعر مجهول وفي تهذيب ابن عساكر 6 : 177 لشاعر اسمه أبو معدان .

2 رواية هذا البيت في الطبري : نبايع عثمان بعد الوليد أو حكماً ونرجو يزيدا

3 شسعت : بعدت .

4 عاص القريب : أي جافه ولا توص بولاية العهد له . وفي الديوان : فأوص القريب .

غناه أبو كامل ثانيَ ثَقِيلَ بالبصرة من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنَّ فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريِّ بالوسطى . وذكر الهشاميُّ أنَّ فيه خفيفَ رملٍ لحكم ، وذكرت دنائيرُ عن حكم أنه لعمر الوادي ، وذكر حبش أنَّ الثَّقِيلَ الثانيَ للمالك وأنَّ فيه لفضل النجارَ رَمَلاً بالبصرة ، أخبرني الحسن بن عليَّ قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْرِ بن بَكَار قال : هو

سرى طيفُ ظبيِّ بأعلى الغُؤَيْرِ

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَّادي أو قال : خُلَيْد .

[حبس يزيد الناقص ولدي الوليد وقتلها]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني إسحاق قال : كان الوليد قد بايع لأبنيه الحكم وعثمان ، وهو أوَّل من بايع لابن سُرَيَّة أمةً ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبسهما ثم قتلها ؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب :

[من الطويل]

إذا قُتِلَ الخَلْفُ المَدِيمُ لسُكره بقَفَرٍ من البَحْراءِ أُسِّسَ في الرَّمْلِ¹
وسيق بلا جُرمٍ إلى الحَتَفِ والرَّدَى بُنيَّاهُ حتى يُذْبِحَ مَذْبَحَ السَّخْلِ
فويلُ بني مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

[تابع الكلبي الرنديق في القول بالمشوية]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حدثني علي بن محمد النُوفليَّ قال حدثني أبي عن العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْبٍ يقول بمقاتله مقالةً الثنوية ؛ فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفِعَ رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريراً أخضرٌ ؛ فقال : اذُنْ يا عَلاءُ فلنوتُ ، فرفع الحريةَ فإذا في السَفَطِ صورةُ إنسانٍ وإذا الزُّبَيْقُ والنُوشادرُ قد جُعِلا في جفنه فجفنه يَطْرِفُ كأنه يتحرَّكُ ؛ فقال : يا عَلاءُ ، هذا ما نبي² ، لم يَتَّبِعْ الله نبيّاً قبله ولا يَتَّبِعْ نبيّاً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتق الله ولا يَغُرَّنكَ هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيُّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أَقُلْ لك : إن العلاء لا يَحْتَمِلُ هذا الحديث . قال العلاء : ومكثتُ أياماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيُّ عنده ، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمَلةً على بِرْدَوْنٍ هِمْلَاجٍ³

1 البخراء : أرض بالشام شديدة التَّن والعمقنة .

2 هو ما نبي بن فاتك الحكيم اتَّخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية .

3 الهملاج : الحسن السير في سرعة وبخثرة .

أشقر من أفره ما سُخِّر ، فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر ؛ فما شعر إلا وأعرابٌ قد جاؤوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتاً وبرذونه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك ، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب ، وقد كانت لهم أبيات بالقرب منه في أرض البَحْرَاء لا حجرَ فيها ولا مَدْرَ فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنه دهنٌ يسيل على صفاة من فراهته ، فعجبنا لذلك ؛ إذ انقضَّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضبعيه فأحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرضَ فذقَّ عنقه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجبنا به .

[قصة الخارجين عليه ومقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الحرّاز عن المدائنيّ قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهلكَ وأنهمك في اللذات وشرب الخمر وبسطَ المكروة على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه ، ملَّ الناسُ أيامه وكرهوه . وكان قد عقد لأبنيه بعده ولم يكونا بلغا ؛ فمشى الناسُ بعضهم إلى بعض في خلعه ، وكان أقوامهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العباس ، وكان امرأً صديقٍ ولم يكن في بني أمية مثله ، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ، فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإن مشى بعضُكم في أمر بعض أُكِلتم ، والله أجلُّ لا بدَّ أن يبلغه فانتظروه . فخرج من عنده ومشى إلى غيره ، فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه ؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له بأنَّه قد دُعِيَ إلى الخلافة فقال له : والله لولا أني لا آمنه عليك من تحامله لوجَّهْتُ بك إليه مشدوداً ؛ فنشدتُك الله ألاَّ تسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه . وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه¹ :

صوت

سَلَّ هَمَّ النفس عنها	بَعَلْنَدَاةٍ عِلَاةٍ ²
تَتَقَي الأَرْضَ وَتَهْوِي	بِخَفَافٍ مُذْمَجَاتٍ
ذَاكَ أُمُّ مَا بِال قَوْمِي	كَسَرُوا سِنَّ قَنَاتِي
وَاسْتَخَفُوا بِي وَصَارُوا	كَفَرُودٍ خَاسِمَاتٍ

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لأبي كامل غزِيل الدَّمَشَقِيّ مَخُورِيّ

1 ديوان الوليد : ص 23 ، رقم 13 .

2 العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ، ومثلها العلاة .

بالنصر . وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

[من مجزوء الرمل]

أصبح اليوم وليدٌ هائماً بالفتيات
عنده راح وإبريد - حق وكأس بالفلانة
ابعثوا خيلاً لخيّل ورماً لرماً

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدثني المدائني عن جويرية بن أسماء ، وأخبرني به ابن أبي الأزرع عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك في اللذات ، سئمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله ؛ فلما لم يُقْلِعْ دَبُّوا في خلعه . فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه ، فجعل يكلم عمي في أن يخلع الوليد بن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد ، فكان العباسُ ينهأه وأبي يردّ عليه ؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي ويردّ عليه ؛ فقال العباس : يا بني مروان ، أظنّ أن الله قد أذن في هلاككم . ثم قال العباس :

[من البسيط]

إني أعيدكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامي ثم تندفعُ
إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسيكوا بعمود الدين وارتدّعوا
لا تلجمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألجمت رنّعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتم لا فدية تغني ولا جزعُ

قال المدائني عن رجاله : فلما استجمع ليزيد أمره وهو مُتَبَدِّئٌ أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه الذي كان مُتَبَدِّئاً فيه وبين دمشق أربع ليال ، فأقبل إلى دمشق متنكراً في سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزة . فقال مولى لعباد بن زياد : إني لبعجروء ، وبين جروء ودمشق مرحلة ، إذ طلع علينا سبعة مُعْتَمُون على حمر فزلوا ، وفيهم رجل طويل جسيم ، فرمى بنفسه فنام وألقوا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت : أما بيع فلا ، وعندي من قرأكم ما يُشبعكم ؛ فقالوا : فعجله ؛ فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشواتيز¹ ، وقلت : أيقظوا صاحبكم للغداء ؛ فقالوا : هو محموم لا يأكل ؛ فسفرّوا للغداء فعرّفت بعضهم ، وسفرّ النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرفته فلم يكلمني . ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاة إلى

معاوية بن مَصَاد وهو بالزُّرة ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطر شديد ، فأتوا منزلَ معاوية فضرِبوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاوية : الفِرَاشَ ، ادخل أصلحك الله ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطك ؛ فقال : ما تُريدني عليه أفسدُ . فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلّم معاوية فباعه . وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحَسَنِيّ مستخفياً ، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجَّاج بن يوسف ، فخاف عبدُ الملك الوَبَاءَ فخرج فنزل قَطْنَا ، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلَمِيّ . وتمَّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : إنَّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جُمادى الآخرة سنة سبع¹ وعشرين ومائة ، فكمنوا في مِيضَاءٍ عند باب الفراديس² ؛ حتى إذا أذنوا العَتَمَةُ دخلوا المسجد مع الناس فصلُّوا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيذفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها ويخرجُ . فلما صلَّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتباطأ أصحابُ يزيد الناقص ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق في المسجد إلَّا الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَبَّسَةَ السُّكْسُكِيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبشِرْ بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنَّا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتَوْا بابَ المقصورة ، وقالوا : نحن رسل الوليد ، ففتح لهم خادِمُ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادمَ ، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خَزَانَ البيت³ وصاحبَ البريد ؛ وأرسل إلى كلِّ من كان يحذُرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبَيْدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَك ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجَّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه إلى الخَشِيبَةِ⁴ فأتَوْه ؛ وقال للبوَّائين : لا تفتحوا الأبوابَ غُدُوَةً إلَّا لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبوابَ في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قديم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، فلم يكن الخَزَانُ قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزَّةِ مع حُرَيْث بن أبي

1 في كتب التاريخ سنة وعشرين ومائة .

2 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

3 أي بيت المال .

4 الخشبية : أصحاب المختار بن أبي عبيد كما سيأتي .

الجهنم . فما انتصف النهار حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثل قولَ النابغة : [من الطويل]

إذا استنزّلوا عنهنّ للطعن أرقّلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعبِ

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قبيلَ الصبح يسبح وهو الآن يُنشد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنادى : من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة ؛ فبايع له الناسُ وأمر بالعطاء . قال : وندب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز ، وقال : من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجلاً ؛ فأعطاهم وقال : موعدكم ذنبه¹ ؛ فوافى ذنبه ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم² ثقل³ الوليد فأخذه ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جُمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمي والأصمغ بن ذؤالة وشبيب بن أبي مالك الغساني وحُميد بن نصر اللخمي ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إني أجيئك . وأتى الوليدُ بفرسين الذائد والسندي ؛ وقال : أعلي يتوائب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصر⁴ الأفاعي ! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقتل عثمان الخشبي ، وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد ؛ فأرسل منصور بن جُمهور في جريدة خيل وقال : إنكم تلقون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشعب فخذوه . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب ، وإذا العباسُ ومعه ثلاثون قد تقدموا أصحابه ؛ فقال له : اعديل إلى عبد العزيز ، فشتّمهم ؛ فقال له منصور : والله لئن تقدمت لأنفذن حِصْنِيكَ بالرمح ؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايع لي زيد ؛ فبايع ووقف ؛ ونصبوا رايةً وقالوا : هذا العباس قد بايع . ونادى منادي عبد العزيز ؛ من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن ؛ فقال العباس : إنا لله ! خدعة من خدع الشيطان ! هلك والله بنو مروان ! . ففترق الناسُ عن الوليد وأتوا العباس . وظاهر الوليدُ في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعة بعدة رؤوس ، فقال : اكبوا أسماءهم ؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامل فيه بالنسيئة .

1 ذنبه : موضع من أعمال دمشق .

2 ل : فتلقاهم .

3 الثقل : المتاع .

4 ل : وأعض .

وناداهم رجالٌ : اقتلوا اللّوطيَّ قِتْلَةً قوم لوط ، فرمّوه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال¹ :

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطلّاءَ وقَيْنَةَ وكأْساً ألا حَسْبِي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برَمْلَةٍ عالِجٍ وعانقتُ سلمى لا أريد بدالا
خذوا مُلْكَكُمْ لا ثَبَتَ الله ملككم ثباتاً يساوي ما حَيَّيتُ عِقَلا
وخلّوا عِنائي قبل غيرٍ وما جَرَى ولا تَحْسُدوني أن أموتَ هُزالاً²

غناه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ، ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذني ، غنني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر ؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه ؟ فقال له يزيد بن عَنبَسَةَ السُّكْسَكِيَّ : كلّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السُّكَّاسِك ، ما تنقِمُون مِنِّي ؟! ألم أزد في أعطياتكم وأعطيتكم فقرائكم وأخدمتُ زَمَنًاكم ودفعْتُ عنكم المَوْنَ ؟ فقال : ما ننقِمُ عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن ننقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُرْبَ الخمر ونكاحَ أمّهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله . قال : حَسْبُكَ يا أخا السُّكَّاسِك ! فلعمري لقد أغرقت³ فأكثرْت ، وإن فيما أحلَّ الله لِسَعَةٍ عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ؛ فَعَلُوا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدُ بن عنبسة ، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه ؛ فقال له يزيد : نَحَّ سيفك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخله بيتاً ويؤامِر فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زياد بن أبي كَبْشَة ، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زياد على وجهه ، وجَرّوه بين خمسة ليُخرجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه ، واحتزّ رأسه أبو عِلَاقَةَ القُضَاعِيَّ وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب⁴ ، وقُدِمَ بالرأس على يزيد ، قَدِمَ به

1 ديوان الوليد : ص 64-65 ، رقم 69 .

2 المثل : جاء فلان قبل غير وما جرى . قالوا : خصّ العير لأنّه أخطر ما يقنص وأسرع جرياً ، فضرب به المثل في السرعة . وقيل العير : إنسان العين . فيكون معناه قبل لحظة عين . فصل المقال : 300 . ومجمع الميداني 1 :

350 و 2 : 96 ومستقصى الزمخشري 2 : 187 .

3 أغرقت : تجاوزت الحدّ في القول .

4 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

رَوْح بن مُقْبِل ، وقال : أَبْشِر يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ الْفَاسِقِ ، فَاسْتَمَّ الْأَمْرُ لَهُ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُ .
ثم كان من خلْع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره .

قال : ولما قُتِلَ الْوَلِيدُ بنُ يَزِيدَ جَعَلَ أَبُو مِخْجَنَ مَوْلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ يُدْخِلُ سَيْفَهُ فِي آسَتِ الْوَلِيدِ وَهُوَ مَقْتُولٌ . فَقَالَ الْأَصْبَغُ بنُ ذُوَالَّةِ الْكَلْبِيِّ فِي قَتْلِ الْوَلِيدِ وَأَخْذِهِمْ أَبْنِيَهُ : [من الطويل]

مَنْ مَبْلُغٌ قَيْسًا وَخِنْذِفَ كُلَّهَا وَسَادَاتِهِمْ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

قَتَلْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ¹ وَبِعْنَا وَلِيِّيْ عَهْدِهِ بِالْدَّرَاهِمِ

وقال أَبُو مِخْجَنَ مَوْلَى خَالِدٍ : [من البسيط]

لَوْ شَاهَدُوا حَدَّ سَيْفِي حِينَ أُدْخِلَهُ فِي آسَتِ الْوَلِيدِ لَمَاتُوا عَنْده كَمَدًا

[كان عمر الوادي يَنْتَهِي حِينَ قَتَلَ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ هِشَامِ بنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ لِي
عمر الوادي : كُنْتُ أَغْنِي الْوَلِيدَ أَقُولُ : [من الكامل]

صوت

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّسَابِ خِيَالًا

قال : فَمَا أَتَمَمْتُ الصَّوْتَ حَتَّى رَأَيْتُ رَأْسَهُ قَدْ فَارَقَ بَدَنَهُ وَرَأَيْتُهُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ .
يقال : إِنَّ اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ لَعَمْرُ الْوَادِي ، وَيُقَالُ : لَا بِنِ جَامِعٍ .

[حبس يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد]

قالوا : وَكَانَ عُثْمَانُ وَالْحَكَمُ ابْنَا الْوَلِيدِ قَدْ بَايَعَهُمَا بِالْعَهْدِ بَعْدَهُ ، فَتَغَيَّبَا فَأَخَذَهُمَا يَزِيدُ
بَعْدَ ذَلِكَ فَحَبَسَهُمَا فِي الْخَضْرَاءِ² وَدَخَلَ عَلَيْهِمَا يَزِيدُ الْأَقْقَمُ بنُ هِشَامٍ فَجَعَلَ يَشْتُمُ أَبَاهُمَا
الْوَلِيدَ وَكَانَ قَدْ ضَرَبَهُ وَحَلَقَهُ ، فَبَكَى الْحَكَمُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ أَخُوهُ : اسْكُتْ يَا أَخِي ؛ وَأَقْبَلَ
عَلَى يَزِيدَ فَقَالَ : أَتَشْتُمُ أَبِي ! قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : لَكِنِّي لَا أَشْتُمُ عَمِّي هِشَامًا ، وَوَاللَّهِ لَوْ
كُنْتُ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ مَا شَتَمْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى وَجْهِكَ فَإِنْ كُنْتُ رَأَيْتَ حَكَمِيًّا³
يُشَبِّهِكَ أَوْ لَهُ مِثْلُ وَجْهِكَ فَأَنْتَ مِنْهُمْ ، لَا وَاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ حَكَمِيٍّ يَشَبِّهِكَ .

[ندم أيوب السخيتاني لمقتله]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ مَسْلَمَةَ بنِ مُحَارِبٍ

1 المقصود خالد بن عبد الله القسري كان الوليد قد سلمه إلى يوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .

2 الخضراء : يطلق على أكثر من موضع .

3 حكمي : نسبة إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان .

قال : لما قُتل الوليدُ قال أيوب السُّخْتِيَانِيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفَتنا لم يقتلوه . قال : وإنّما قال ذلك تخوفاً من الفتنة .

[لن الرشيد قاتليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابناً للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال : ممّن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيّها ؟ فأمسك قال : قلّ وأنت آمن ، ولو أنّك مرواني ، قال : أنا ابن الغمر بن يزيد . قال : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتل عمك جميعاً ، فإنهم قتلوا خليفةً مُجمِعاً عليه ، إرفع إليّ حوائجك ، فقضاها .

[رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا العلاء بن سُويد المقرّي قال : ذكر ليلة المهديّ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شبيب بن شيبّة : يا أمير المؤمنين إن رأيت ألاّ تُجريّ ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنّه كان زنديقاً ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

[دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي]

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبّة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهديّ : أحسبه كان زنديقاً ، فقام ابن علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، الله عزّ وجلّ أعظم من أن يولّي خلافة النبوة وأمر الأمّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته ، وحدّثني أنّه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطَيّية ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتي بثياب بيض نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهديّ : صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّة أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

صوت¹ من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَمْ سَلَامٌ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا شَرَقْتُ بِالدموعِ مِنْي الْمَاقِي
أَمْ سَلَامٌ ذِكْرُكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ أَنْتِ دَائِي وَفِي لِسَانِكَ رَاقِي
مَا لِقَلْبِي يَجُولُ بَيْنَ التَّرَاقِي مُسْتَخْفًا يُتَوَقَّ كُلُّ مَتَاقٍ²
حَذَرًا أَنْ تَبِينَ دَارُ سُلَيْمَى أَوْ يَصِيحَ الدَّاعِي لَهَا بِفِرَاقٍ³

غَنَاهُ عَمْرُ الْوَادِي ، وَلَحْنُهُ الْمَخْتَارُ خَفِيفٌ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ . وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَاثَةَ أَنَّ لِسَلَامَةَ الْقَسَّ فِيهِ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ، وَلَعَلَّهُ بِمَعْنَى هَذَا . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمَّارِ الْجُشَمِيِّ فِي سَلَامَةِ الْقَسَّ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُ ، هُوَ لِلْوَلِيدِ صَحِيحٌ ، وَهُوَ كَثِيرٌ مَا يَذْكُرُ سَلَمَى هَذِهِ فِي شِعْرِهِ بِأَمِّ سَلَامٍ وَيَسَلَمِي ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَصَنَّعُ فِي شِعْرِهِ وَلَا يُبَالِي بِمَا يَقُولُهُ مِنْهُ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِيهَا⁴ :

صوت

أَمْ سَلَامٌ لَوْ لَقِيتُ مِنَ الْوَجْدِ دَ عَشِيرَةِ الَّذِي لَقِيتُ كِفَاكِ
فَأُثْبِتِي بِالْوَصْلِ صَبًّا عَمِيداً وَشَفِيقاً شَجَاهَ مَا قَدْ شَجَاكِ
غَنَاهُ مَالِكٌ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ .

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 60 ، رقم 63 .

2 رواية هذا البيت في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :

من لقلب أُمسى كئيباً حزيناً مستهماً بين اللها والتراقي

3 في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :

وتجيء الدنيا لها بفراق

4 ديوان الوليد : ص 63 ، رقم 67 .

[100] - ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

[نسبه وإعجاب الوليد به]

هو عمر بن داود بن زاذان . وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حكّم وذووه من أهل وادي القرى . وكان قديم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيب الصوت شجيّه مطرباً . وكان أول من غنى من أهل وادي القرى ؛ واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدّم عنده جدّاً ، وكان يسميه جامع لذاتي ومُحيي طربي ، وقتل الوليد وهو يغنيه ، وكان آخر عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء¹ :

صوت

إِنِّي فَكَّرْتُ فِي عَمْرِ	حِينَ قَالَ الْقَوْلَ فَاخْتَلَجَا
إِنَّهُ لِلْمُسْتَنِيرِ بِهِ	قَمَرٌ قَدْ طَمَسَ السُّرُجَا
وَيَغْنِي الشَّعْرَ يَنْظِمُهُ	سَيِّدُ الْقَوْمِ الَّذِي فَلَجَا
أَكْمَلَ الْوَادِيَّ صُنْعَهُ	فِي لُبَابِ الشَّعْرِ فَانْدَمَجَا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادي هَزَجٌ خفيفٌ بالنصر في مجراها .

[الوليد يقنمه على المغنين]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له . وبلغني أنّه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلاً ، وكان الوليد يسميه جامعاً لذاتي . قال : وبلغني أنّ حكماً الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء واتحلوا أكثر أغانيه .

[استرضى الوليد على أبي رقية]

قال إسحاق وحدثني عبد السلام بن الربيع : أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية ، وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أمّ الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتاً : أحسنت والله ، أنت جامع لذاتي ، وأبو رقية مضطجع

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 26 ، رقم 17 عن الأغاني .

وهم يحسبونه نائماً ، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذات أمك ، فغضب الوليد وهم به ؛ فقال له عمر الوادي : جعلني الله فداك ؛ ما يعقل أبو رقية وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ؟ فأمسك عنه .

[يأخذ غناء من راع]

قال إسحاق : وحُدِّثُ عن عمر الوادي قال : بينا أنا أسير ليلة بين العرج¹ والسُّقيا سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قط أحسن منه وهو² :

صوت

وكنْتُ إذا ما جئتُ سَعْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطَوِّي لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِرَاتِ البِيضِ ودَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُخْذوثةً لو تُعيدُها
فكِدْتُ أَسْقَطُ عن راحتي طرباً ؛ فقلت : والله لألتمسَنَّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو
بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هَبَطْتُ من الشَّرَفِ³ ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو
صاحب الصوت ، فأعلمته الذي أقصدني إليه وسألته إعادته علي ؛ فقال : والله لو كان عندي
قِرَى ما فعلتُ ، ولكنِّي أجعله قِراك ، فربُّما ترنَّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبع ، وكسلانٌ فأنشط
ومستوحشٌ فأنسُ ؛ فأعاده علي مراراً حتى أخذته ، فوالله ما كان لي كلام غيره حتى دخلتُ
المدينة ، ولقد وجدته كما قال . حدَّثني بهذا الخبر الحرَميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَيْر بن
بَكَّار قال حدَّثني المؤمِّل بن طالوت الوادي قال حدَّثني مَكِين العُدري قال : سمعت عمر
الوادي يقول : بينا أنا أسير بين الرُّوحاء والعرج ، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربُّما ترنَّمتُ به
وأنا غَرَّانٌ فيشيعني ، ومستوحشٌ فيؤنسني ، وكسلانٌ فينشطني . قال : فما كان زادي حتى
ولجْتُ المدينة غيره ، وجربتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

لقد هَجَرْتُ سَعْدَى وطال صدودُها وعَاوَدَ عَيْنِي دُمْعُها وسهَوُها
وكنْتُ إذا ما زرتُ سَعْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطَوِّي لي ويدنو بعيدُها
منعْمةٌ لم تَلَقْ بؤْسَ مَعيشية هي الخُلْدُ في الدنيا لمن يَسْتَفِيدُها

1 العرج : عقبة بين مكة والمدينة .

2 ديوان كثير (تحقيق إحسان عباس) 200-202 .

3 الشرف : المكان العالي .

هي الخلد ما دامت لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودها
الشعر لكثير . والعناء لابن مُحَرِّز ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلَقٍ بالبصر عن يحيى المكي . وذكر الهشامي
أن فيه ليزيد حَوَاءً ثَانِي ثَقِيل . وفيه خفيف رَمَلٌ يُنْسَبُ إلى عمر الوادي ، وهو بعضُ هذا اللحن
الذي حكاه عن الرَّاعي ولا أعلم لمن هو . وهذه الأبيات من قصيدةٍ لكثيرٍ سائرُها في الغزل وهي
من جيد غزله ومختاره . وتَمَامُ الأبيات بعد ما مضى منها :

فلك التي أَصْفَيْتُهَا بِمَوَدَّتِي وليداً وَلَمَّا يَسْتَبِينَ لي نَهْودُهَا
وقد قتلْتُ نفساً بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ وليس لها عَقْلٌ ولا من يُقَيِّدُهَا
فكيف يَوَدُّ القلبُ من لا يودّه بلى قد تُريدُ النفسُ من لا يُريدُهَا
ألا ليت شِعْري بعدنا هل تَغَيَّرَتْ عن العهد أم أُمست كعهدي عهودُهَا
إذا ذكرتها النفسُ جُنْتُ بِذِكْرِهَا ورَبَعَتْ وَحَنَتْ وَاسْتُخِفَّ جَلِيدُهَا
فلو كان ما بي بالِجبال لَهْدُهَا وإن كان في الدنيا شديداً هُدُودُهَا
ولستُ وإن أُوعِدْتُ فيها بِمُنْتَهَى وإن أُوقِدَتْ نارٌ فَشَبَّ وَقُودُهَا
أَبَيْتُ نَجِيّاً لِلْهَمومِ مُسَهِّداً إذا أُوقِدَتْ نَحْوِي بَلِيلٌ وَقُودُهَا
فَأَصْبَحْتُ ذا نَفْسَيْنِ نفسٌ مَرِيضَةٌ من اليأس ما يَنفَكُ هُمٌّ يَعُودُهَا
ونفسٌ إذا ما كُنْتُ وَحْدِي تَقْطَعُ كما انْسَلَّ من ذاتِ النَّظَامِ فَرِيدُهَا
فلم تُبَدِّ لي يأساً ففِي اليأسِ راحةٌ ولم تُبَدِّ لي جُوداً فَيَنْفَعُ جُودُهَا

[طلب منه الوليد أن يصنع لحناً في شعر له]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه عن أَيُّوب بن عَبَايَةَ قال : قال
عمر الوادي : خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتصق من
شُعاعه ؛ فقال لي : يا جامع لذتي ، أَتَحِبُّ أنْ أَهْبَهُ لك ؟ قلت : نعم والله يا مولاي ؛ فقال : غنّ في
هذه الأبيات التي أنشيدك فيها واجهَدْ نفسك ، فإنْ أَصَبْتَ إِرَادَتِي وهَبْتُهُ لك ؛ فقلت : أَجْتَهد
وَأرجو التوفيق .

صوت¹

ألا يُسَلِّيكَ عن سَلَمِي قَتِيرُ الشَّيْبِ وَالْحِلْمِ²

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 80 ، رقم 90 .

2 قَتِيرُ الشَّيْبِ : أَوَّلُ ما يَظْهَرُ منه .

وَأَنَّ الشَّكَّ مَلْتَبِسٌ فَلَا وَصْلٌ وَلَا صُرْمٌ
فَلَا وَاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ سِرِّ مَا لَكَ عِنْدَنَا ظُلْمٌ
وَكَيْفَ بَظَلَمَ جَارِيَةً وَمِنْهَا اللَّيْنُ وَالرُّخْمُ

فخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى استقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأسٌ وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خُمَاراً ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرغتُ ممَّا أمرتني به ؛ وغيتُهُ ، فصاح : أحسنتَ والله ؛ ووَثِبَ قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدانني فوضع يده اليسرى على متكأ والكأس في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أعِذْ بآبي أنت وأُمِّي ! فأعدتُهُ عليه فشرب ودعا بثنائية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحلَّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أُسكر ؛ فما زلتُ أُعيدُه عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرأ فنام .

[عبد المطلب بن عبد الله يسبق بين المغنين]

أخبرني محمد بن مَرْدُود قال حدثنا حماد عن أبيه عن غُرَيْر بن طَلْحَةَ الأَرَقَمِي عن أبي الحَكَم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إني لبالعَقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أشعب وعمر الوادي وأبو رقية ، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُهُ بين يَدَيَّ وَسَبَقْتُهُمُوهُ فِي رَجَزٍ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَسَقَ¹ عمرُ الوادي فقال :

أَنَا ابْنُ دَاوُدَ أَنَا ابْنُ زَادَانَ أَنَا ابْنُ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ²

ثم خَسَقَ أَبُو رُقِيَّةَ فقال :

أَنَا ابْنُ عَامِرِ الْقَارِي أَنَا ابْنُ أَوَّلِ أَعْجَمِي
تَقَدَّمَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثم خَسَقَ أَشْعَبُ فقال :

أَنَا ابْنُ أُمِّ الْخَلَنَدِاجِ أَنَا ابْنُ الْحَرِثَةِ بَيْنَ أَزْوَاجِ
النَّبِيِّ ﷺ . قال أَبُو الْحَكَم . فقلتُ له : أَيُّ أَخْرَاكَ اللَّهُ ، هل سمعتَ أحداً قطُّ فخر بهذا ؟ فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخري ! لولا أن أُمِّي كانت عندهنَّ ثَقَّةٌ مَا قَبِلَنْ مِنْهَا حَتَّى يَغْضَبَ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ .

1 الخسق : الرمي بالسهم .

2 الأرجاز الثلاثة غير مترنة عروضياً ، وليس بين الثلاثة من كان شاعراً .

[101] - أخبار أبي كامل

[مغنى محسن ومضحك]

اسمُه الغَزِيل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل : بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية ؛ ولعله مات في أيامهم أو قُتل معهم .

[غنى الوليد فاطربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ : أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال¹ :

صوت

نام من كان خليّاً من أَلَمَ ويدائي بتُّ ليلي لم أنم
أرُقُب الصبح كأنّي مُسندٌ في أكفّ القوم تغشاني الظلم
إنّ سلمى ولنا من حبّها ديدنٌ في القلب ما اخضرّ السَلَم
قد سبّنتي بشيتيّ نبتّه وثنايَا لم يعبهنّ قَضَم²

قال فطرب الوليد وخلع عليه حتى قلنسية وشي مذهبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلّا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمّه ويرفعها ويكي ويقول : إنّما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد) .

الغناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانه إلى عمر الوادي ، ونسبه غيره إلى أبي كامل ، وزعم آخرون أنّه لحكم ، هكذا نسبه ابنُ المكيّ إلى حكم وزعم أنّه بالنصر . أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعيّ عن صفوان ابن الوليد المعيطيّ قال : غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في الحنّ لابن عائشة ، وهو :

جنباني أذاة كلّ لئيم إنّه ما علمتُ شرُّ نديم³

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 76 ، رقم 84 .

2 القضم : انصداع في السنّ أو تكسر وتثلم في أطراف الأسنان .

3 ديوان الوليد : ص 83 ، رقم 95 . جنباني في الديوان : جنبوني .

[للوليد فيه أشعار كثيرة]

فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلّسيتها . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه ؛ وزاد فيه أنه أوصى
أن تجعل في أكفانه . وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة . فمنها مما يغنى به : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سَقَيْتُ أبا كامل من الأصفر البالي
وسَقَيْتُهَا معبداً وكلّ فتى فاضل

وقال أيضاً فيه¹ : [من الهزج]

وزِقْ وافر الجنيب من مثل الجمل البازل
به رُحْتُ إلى صَحْبِي ونَدِماني أبا كامل
شربناه وقد بَتْنَا بأعلى الدَّيْرِ بالساحل
ولم نَقْبَلْ من الواشي قبولَ الجاهل الخاطِل²

الغناء لأبي كامل خفيف رمل بالوسطى . وذكر الهشامي أنه ليحيى المكيّ وأنه نُحِلَه أبو
كامل . وذكر أن لعمر الواديّ أو لحكم فيه رَمَلاً بالوسطى وهو القائم .
وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش ، رحمه الله ، أن لَيْشُو فيه خفيف رمل .
ومنها في قول الوليد :

صوت

سَقَيْتُ أبا كامل من الأصفر البالي
وسَقَيْتُهَا معبداً وكلّ فتى فاضل
ليّ المحض من ودهم ويغمرهم نائي
وما لامني فيهم سوى حاسدٍ جاهل

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم . وفيه لَيْشُو ثقيلٌ أوّل . أخبرني بذلك قريش
ووجه الرُّزّة جميعاً .

[كان المعتضد يمدح شعر الوليد]

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال : كان للمعتضد عليّ صوتانٍ من شعر الوليد ،

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 64 ، رقم 68 من الأغاني .

2 الجاهل في ل : العاجل .

أحدهما :

[من مجزوء المتقارب]

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي

والآخر¹ :

[من مجزوء الرمل]

إِنْ فِي الْكَأْسِ لِمَسْكَاً أَوْ بِكَفِّيْ مَنْ سَقَانِي

وكان يُعْجَبُ بهما ويقول لجلسائه : أما تَرَوْنَ شمائلَ الملوك في شعره ، ما

أَبَيْنَهَا :

[من مجزوء المتقارب]

لِي الْمَحْضُ مِنْ وَدَّهِمْ وَيَغْمُرُهُمْ نَائِلِي

وحين يقول :

[من مجزوء الرمل]

كُلَّ لَانِي تَوَجَّانِي وَبِشْعَرِي غُنْيَانِي

وقد نُسِبَ إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُليْمَى

في أحدهما ، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين ، أحدهما :

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

سُليْمَى تَلِكْ فِي الْعِيرِ قَفِي نُخْبِرُكَ أَوْ سِيرِي

إِذَا مَا أَنْتَ لَمْ تَرْتْهِ لَصَبَّ الْقَلْبِ مَغْمُورِ

فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصَّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ

خَرَجْنَا نَتَّبِعَ الشَّمْسَ عَيُوناً كَالْقَوَارِيرِ

وَفِينَا شَادَنُ أَخُو رُ مِنْ حُورِ الْبِعَافِيرِ

الشعر ليزيد بن ضَبَّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهربذ ، ولحنه رَمَلٌ مطلق في

مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ ؛ وذكر في موضع آخر أن

فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً

لأبي كامل ولم يجنسه . وذكر حبش أن فيه لعطرد هزجاً بالوسطى .

[102] - أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

[نسيه وولاؤه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال : كان جدِّي يزيد بن ضبة مولىً لثقيف . واسم أبيه مقسم ؛ وضبة أمه غلبت على نسبه ؛ لأنَّ أباه مات وخلفه صغيراً ، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة ، فكان جدِّي يُنسب إليها لشهرتها . قال : وولاؤه لبني مالك بن حطيظ ثم لبني عامر بن يسار . قال عبد العظيم : وكان جدِّي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه .

[لم يقل هشام تهنته بالخلافة]

فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدِّي مهتئاً بالخلافة . فلما استقرَّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه ، مثل جدِّي بين السَّماطين فاستاذنه في الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده ، وأمر بإخراجه . وبلغ الوليد خبره ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتنِي ، ولكن أخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ؛ فقد سوَّغتُك جميعَ غلته ، ومهما احتجتُ إليه من شيء بعد ذلك فالتمسهُ مني . فخرج إلى الطائف ، وقال يذكر ما فعله هشام به :

[من الوافر]

أرى سلمى تصدّ وما صدّدنا	وغير صدودها كنّا أرَدنا
لقد بخلتُ بنائلها علينا	ولو جادت بنائلها حمِدنا
وقد ضنّنتُ بما وعدتُ وأُمتُ	تغيّر عهدُها عمّا عهدنا
ولو علمتُ بما لاقيتُ سلمى	فتخبرني وتعلم ما وجدنا
تُلمّ على تنائي الدّار منّا	فيسهرنا الخيالُ إذا رَقَدنا
ألم ترَ أنّنا لما ولينا	أُموراً خرّقت فوهتُ سدَدنا
رأينا الفُتقَ حين وهى عليهم	وكم من مثله صدّع رَفَدنا

إذا هاب الكريهة من يليها
وجبار تركناه كليلاً
فلا تنسوا مواطننا فإننا
وما هيضت مكاسير من جبرنا
ألا من مبلغ عني هشاماً
وما كنا إلى الخلفاء نفضي
ألم يك بالبلاء لنا جزاء
وقد كان الملوك يرون حقاً
وليناس الناس أزماناً طويلاً
ألم تر من ولدنا كيف أشي
نكون لمن ولدناه سماء
وكان أبوك قد أسدى إلينا
كذلك أول الخلفاء كانوا
هم آباؤنا وهم بنونا
ونكوي بالعداوة من بغانا
نرى حقاً لسائلنا علينا
ونضمن جازنا ونراه منا
وما نعتد دون المجد مالاً
وأتلد مجدين أتا كراماً

وأعظمها الهبوب لها عمدا
وقائد فتية طاغ أزلنا
إذا ما عاد أهل الجرم عدنا
ولا جبرت مصيبة من هدنا
فما منا البلاء ولا بعدنا
ولا كنا نؤخر إن شهدنا
فنجزي بالمحسن أم حسدا
لوافدنا فنكرم إن وفدنا
وسنناهم ودسناهم وقدا
وأشينا وما بهم قعدنا¹
إذا شيمت مخايلنا رعدنا
جسيمة أمره وبه سعدنا
بنا جدوا كما بهم جدنا
لنا جيلوا كما لهم جيلنا
ونسعد بالمودة من ودنا
فنجبه ونجزل إن وعدنا
فترفده فنجزل إن رفدنا
إذا يغلى بمكرمة أفدنا
بحد المشرقة عنه ددنا

[هنا الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم]

قال : فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة ، فوفد إليه . فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنا بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمه إليه ، وقبل يزيد بن ضبة رجله والأرض بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه إلي . فاستاذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغت بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له ،

فأنشده :

[من الهزج]

سُلِّمَى تِلْكَ فِي الْعِيرِ قَفِي أَسْأَلُكَ أَوْ سِيرِي
إِذَا مَا بَنْتِ لَمْ تَأْوِي لَصَبَ الْقَلْبِ مَغْمُورِ
وَقَدْ بَانَتْ وَلَمْ تَعْهَدِ مَهَاةً فِي مَهَا حُورِ
وَفِي الْآلِ حُمُولُ الْحَدِ سِي تَزْهَى كَالْقَرَاقِيرِ¹
يُورِيهَا وَتَبْدُو مِنْ هـ آَلٍ كَالسَّمَادِيرِ²
وَتَطْفُو حِينَ تَطْفُو فِيهِ هـ كَالنَّخْلِ الْمَوَاقِيرِ³
لَقَدْ لَاقَيْتُ مِنْ سَلْمَى تَبَارِيحَ التَّنَاكِيرِ⁴
دَعَتْ عَيْنِي لَهَا قَلْبِي وَأَسْبَابُ الْمَقَادِيرِ
وَمَا إِنْ مَنْ بِهِ شَيْبٌ إِذَا يَصْبُو بِمَعْذُورِ
لَسَلْمَى رَسْمٌ أَطْلَالِ عَقَتْهَا الرِّيحُ بِالْمُورِ⁵
خَرِيقٌ تَنْخُلُ التُّرْبَ بِأَذْيَالِ الْأَعَاصِيرِ⁶
فَأَوْحِشُ إِذْ نَأَتْ سَلْمَى بَتْلِكَ الدُّورِ مِنْ دُورِ
سَأْرَمِي قَانَصَاتِ الْبَيْدِ هـ إِنْ عِشْتُ بِعُسْبُورِ⁷
مِنْ الْعَيْسِ شَجَوَجَاةٍ طَوَاهَا النَّسْعُ بِالْكُورِ⁸
إِذَا مَا حَقَبْتُ مِنْهَا قَرْنَاهُ بِتَصْدِيرِ⁹

- 1 الآل : السراب ، وقيل إنه من الضحى إلى زوال الشمس والسراب من الزوال إلى العصر . القراقير : جمع قرقور ، وهي السفينة الطويلة .
- 2 الآل هنا : الشخص الذي تظهر في الآل . السمادير : الأشياء التي تراءى للإنسان في ضعف بصره من السكر أو النعاس أو الدور .
- 3 المواقير : جمع ميقار ، والنخلة الميقار : التي عليها حمل ثقيل .
- 4 التباريح : الشدائد . التناكير : الأمور المنكرة .
- 5 المور : الغبار تثيره الريح .
- 6 الخريق : الريح الشديدة الهبوب .
- 7 العسبور : الناقة الشديدة .
- 8 الشجوجاة : الطويلة جداً أو طويلة الرجلين أو طويلة الظهر .
- 9 الحقب : جبل يشد به الرحل . والتصدير : الحزام .

زجرنا العيسَ فارقدت¹ بإعصافٍ وتشمير¹
 تُقاسيها على أين² بإدلاجٍ وتهجير²
 إذا ما اغصوصب الآل³ ومال الظلُّ بالقور³
 وراحت تتقي الشمسَ مطايا القوم كالغور⁴
 إلى أن يُفضح الصبحُ⁴ بأصوات العصافير⁴
 لتعتام الوليدَ القر⁵ م أهل الجود والخير⁵
 كريمٌ يهبُّ البزل⁶ مع الخور الجراجير⁶
 تُراعي حين تُزجيها⁷ هويّاً كالزمير⁷
 كما جاوبت النيبُ رباع الخُلج الخور⁷
 ويُعطي الذهبَ الأحمر ر وزناً بالقناطير⁸
 بلوناه فأحمدنا ه في عُسر وميسور⁸
 كريمُ العودِ والعنص ر غمراً غير منزور⁹
 له السبق إلى الغايا ت في ضمّ المضامير⁹
 إمامٌ يوضح الحقُّ له نور على نور¹⁰
 مقالٌ من أخي ودِّ بحفظ الصدق مأثور¹⁰
 بإحكام وإخلاص وتفهمٍ وتخبير¹¹

قال : فأمّر الوليدُ بأن تُعدَّ أبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألف درهم ؛ فعُدَّت فكانت خمسين بيتاً فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة عدّ أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد ، فإنه بلغه خبر جدِّي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً التمرّي لما مدحاه وهجوا آل أبي طالب

1 أرقدت : أسرع . الإعصاف : السرعة في السير . التشمير : الجدّ في الأمر .

2 اغصوصب : اشتدّ . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .

3 أفضح الصبح : بدا .

4 اعتام : اختار واصطفى ، أي تقصده مختارة له .

5 الخور : النوق الغزيرة اللبن . الجراجير : الكرام من الإبل .

6 الهوي : الدوي في الأذن .

7 رباع : ما ولد من الإبل في أول التاج . الخُلج : جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن .

لكل بيت ألف درهم .

[أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكان قد خرجا إلى الصيد]

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد : أنّ الوليد خرج إلى الصيد
ومعه جدّي يزيد بن ضبة ، فاصطاد على فرسه السنديّ صيداً حسناً ، ولحق عليه حمراً
فصرّعه ؛ فقال لجدّي : صيف فرسي هذا وصيدنا اليوم ؛ فقال في ذلك : [من الهزج]

وأخوى سلسُ المرسي	من مثلُ الصّدعِ الشّعْبِ ¹
سما فوق مُنيفاتٍ	طوال كالقنا سُلْبِ ²
طويلُ الساقِ عُنْجُوجُ	أشَقُّ أَصْمَعُ الكَعْبِ ³
على لأمٍ أَصَمُّ مُضَمٌّ	رِ الأشعر كالقَعْبِ ⁴
تَرى بين حواميه	نُسُوراً كَنَوَى القَسْبِ ⁵
مُعَالَى شَنِجُ الأنسا	ء سامٍ جُرْشُعُ الجَنْبِ ⁶
طوى بين الشراسيف	إلى المنقَبِ فالقَنْبِ ⁷
يغوص الملحمُ القائِ	مَ ذو حَدٍّ وذو شَعْبِ
عَتِيدُ الشَّدِّ والتَّقْرِيبِ	ب والإحضار والعَقْبِ ⁸
صليبُ الأذن والكاه	ل والموقف والعَجَبِ ⁹
عريضُ الخدِّ والجَبْه	ة والبركةِ والهُلْبِ ¹⁰

1 الصدع : الفتى القوي من الأوعال . والشعب : تباعد ما بين القرنين . وسكن العين للضرورة .

2 القنا السلب : الرماح الطويلة ومفرده «سَلْب» .

3 العنْجُوج : الرائع من الخيل . الأشق : الطويل . الكعب الأصمع : اللطيف المستوي .

4 اللأم : الشديد من كل شيء . الأشعر : ما استدار بالحافر من الشعر . القعب : القدح الصغير .

5 الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . لحمه النسر : لحمه صلبة في باطن الحافر . القسب : تمر يابس صلب النواة .

6 الأنساء : جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : منقبضه . جرشع الجنب : متفتحه .

7 الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . المنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . القنب : جراب قضيب الدابة .

8 عتيد الشدّ : شديد الخلق مُعدّ للجري . التقريب والإحضار والعقب : أنواع من العدو .

9 الموقف : نقرة الخاصة . العجب : أصل الذنب .

10 البركة : الصدر . الهلب : شعر الذنب .

إذا ما حثَّه حاثٌ يُباري الرِّيحَ في غَرَبٍ¹
 وإنَّ وجَّهَهُ أَسْرَ ع كالخُذْرُوفِ في الثَّقَبِ²
 وقَفَّاهُنَّ كالأَجْدَ ل لما انضَمَّ للضَّرْبِ
 ووالى الطلعنَ يَخْتار جواشِنَ بُدْنٍ قُبِ³
 تَرى كُلَّ مُدِلٍّ قَا ثَمَّا يَلْهَثُ كالكلبِ⁴
 كأنَّ الماءَ في الأعْطَا ف منه قَطَعُ العُطْبِ⁵
 كأنَّ الدَّمَّ في النُّخْرِ قَذالَ عُلٍّ بالخَضْبِ
 يَزِينُ الدَّارَ موقُوفاً وَيَشْفِي قَرَمَ الرُّكْبِ

قال : فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته ، فاجعل لقصيدتك تشبيهاً وأعطه

الغُزِيلَ وعمر الوادي حتى يَغْنِيَا فيه ؛ فقال :

[من الهزج]

صوت

إلى هَندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلها يُصْنِي
 وهندٌ غادةٌ غَيِّدا ُ من جُرْثُومَةٍ غُلْبِ
 وما إنَّ وجَدَ الناسُ من الأدواءِ كالحبِّ
 لقد لَجَّ بها الإعرَا ضُ والمهجَرُ بلا ذنبِ
 ولما أَقْضَرَ من هَندٍ ومن جاراتها نَحْيِي⁶
 أرى وجدي بهندٍ دا ثَمَّا يَزْدادُ عن غِبِّ
 وقد أَطَوَّلْتُ إِعْراضاً وما بَغْضُهُمْ طِيي⁷
 ولكن رِقْبَةً الأَعـ يُنْ قد تَحْجُزُ ذا اللُّبِّ

1 غرب الفرس : حدته ونشاطه .

2 الخذروف : شيء يدوره الصبي فيسمع له دوي .

3 الجوشن : الصدر .

4 المدل : الجريء .

5 العطب : القطن .

6 النحب : الحاجة .

7 الطب هنا : العادة .

وَرَغْمُ الكَاشِحِ الرَّاغِ - سَمِ فِيهَا أَيْسَرُ الخَطْبِ

قال : ودفع هذه الأبيات إلى المغنين فغنّوه فيها .

[فصيح يطلب الحوشي من الشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي ، وحدثني به محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ، ولكنه كان فصيحاً ، وقد أدركته بالطائف ، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر .

[قيل له ألف قصيدة اتحلتها الشعراء]

قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي ، عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة ، فاقسمتها شعراء العرب واتحلتها ، فدخلت في أشعارها .

[103] - أخبار إسماعيل بن الهريذ

[ولاه]

إسماعيل بن الهريذ مكّي مولى لآل الزبير بن العوّام ، وقيل : بل هو مولى بني كِنانة . أدرك آخر أيام بني أميّة وغنى للوليد بن يزيد ، وعُمّر إلى آخر أيام الرشيد .
[يطرب الرشيد دون كبار المغنّين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ عن أبيه : أنَّ إسماعيل بن الهريذ قدِم على الرشيد من مكّة ، فدخل إليه وعنده ابنُ جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيْح وغيرهم والرشيد يومئذٍ خائرٌ به خُمار شديد ؛ فغَنّي ابنُ جامع ثم فُلَيْح ثم إبراهيم ثم إسحاق ، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه ؛ فاندفع ابن الهريذ يغني ، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد ، فغَنّي : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا راكبَ العيس التي	وفدّت من البلد الحرام ¹
قلّ للإمام ابن الإمام	م أخي الإمام أبي الإمام
زين البريّة إذ بدا	فيهم كمصباح الظلام
جعل الإله الهريذيّ	فذاك من بين الأنام

الغناء لابن الهريذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . قال : فكاد الرشيد يرقص ، واستخفّه الطرب حتى ضرب يديه ورجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فإن أذن مولاي حدّثه به ؛ فقال : حدّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير ، فدفع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً ، فرُحْتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جرةٌ مملوءةٌ من ماء العقيق وهي تغني هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويه ؛ فسألتهَا أن تُعلِّمَنِيه ؛ فقالت : لا وحقّ القبر² إلّا بدرهمين ؛ فدفعْتُ إليها الدرهمين وعَلِّمَتَنِيه ؛ فرجعتُ إلى مولاي بغير لحم فضرِبني ضرباً مبرحاً شَغِلْتُ معه بنفسِي فأنسيْتُ الصوت . ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً ؛ فلقيتُني الجارية فسألتهَا أن تُعيد الصوتَ عليّ ؛

1 وفدّت في ل : وحدث .

2 تقصد قبر النبي .

فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا بِدَرَهْمَيْنِ ؛ فَدَفَعْتُهُمَا إِلَيْهَا وَأَعَادَتْهُ عَلَيَّ مَرَارًا حَتَّى أَخَذْتُهُ . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَوْلَايَ أَيْضًا وَلَا لَحْمَ مَعِيَ قَالَ : مَا الْقِصَّةُ فِي هَذَيْنِ الدَّرَهْمَيْنِ ؟ فَصَدَّقْتُهُ الْقِصَّةَ وَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الصَّوْت ، فَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ وَأَعْتَقَنِي . فَرَحَلْتُ إِلَيْكَ بِهَذَا الصَّوْت ، وَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ؛ فَقَالَ : دَعِ الْأَوَّلَ وَتَنَاسَهُ ، وَأَقِمِّي عَلَى الْغَنَاءِ بِهَذَا اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ؛ فَأَمَّا مَوْلَاكَ فَسَادِّفْ إِلَيْهِ بَدَلَ كُلِّ دَرَهْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ فَحُمِلَ إِلَيْهِ .

[شعر نسب الوليد وليس له]

وَمَا نُسِبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ مِنَ الشَّعْرِ وَلَيْسَ لَهُ ¹ :

[من الرمل]

صوت

من المائة المختارة

امدَحْ الكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَاهْبِجْ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ
إِنَّمَا الكَأْسُ رِبِيعٌ بَاكِرٌ فَإِذَا مَا غَابَ عَنَّا لَمْ نَعِشْ

الشعر لنابغة بني شيبان . والغناء لأبي كامل ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى ، وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري . وفيه لأبي كامل أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشامي أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأول بالوسطى ، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر .

[104] - نسب نابغة بني شيان

[نسه]

النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة¹ بن قيس بن سنان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . شاعرٌ بدويٌّ من شعراء الدولة الأموية . وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه . وكان فيما أرى² نصرانياً لأنني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى . ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده ؛ وله في الوليد مدائح كثيرة .

[مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني العُمري عن العُتيبي قال : لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد ، كان نابغة بني شيان منقطعاً إلى عبد الملك مداحاً له ؛ فدخل إليه في يوم حفل والناس حواله وولده قد أمه ، فمثل بين يديه وأنشده قوله³ :

أشتقت وإنهل دمع عينك أن أضحي قفاراً من أهله طلح⁴
حتى انتهى إلى قوله :

أزحت عنا آل الزبير ولو كانوا هم المالكين ما صلحوا⁵

1 ل : حضيرة وفي الديوان : خصيرة .

2 لقول أبي الفرج هذا ما يبرره في شعر النابغة ، كقوله مثلاً :

يظلّ يتلو الإنجيل يدرسه من خشية الله قلبه طفع
غير أن في شعره نفساً إسلامياً لا يخطئه القارىء ، بل إنه يصرح بإسلامه كقوله :
وتعجني اللذات ثم يعوجني ويسترتني عنها من الله سائر
ويجزني الإسلام والشيب والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجر
فهل كان النابغة نصرانياً في مبدئه ثم أسلم ؟ .

3 ديوان نابغة بني شيان (دار الكتب) : 101-108 .

4 طلح : اسم موضع مختلف على تعيينه .

5 الشطر الثاني في رواية الديوان : كان إمام سواك ما صلحوا .

إِنْ تَلَقَّ بَلَوِي فَأَنْتَ مُصْطَبِرٌ وَإِنْ تُلَاقِ النُّعْمَى فَلَا فَرْحُ
 تَرْمِي بَعِينِي أَقْنَى عَلَى شَرْفٍ لَمْ يَوْذِهِ عَائِرٌ وَلَا لَحَحٌ¹
 أَلْ أَبِي الْعَاصِرِ آلُ مَأْثُورَةٍ غُرٌّ عَتَاقٌ بِالْخَيْرِ قَدْ نَفَحُوا
 خَيْرُ قَرِيشٍ وَهُمْ أَفْضَلُهَا فِي الْجِدِّ جِدٌّ وَإِنْ هُمْ مَزَحُوا
 أَرْحَبُهَا أَذْرَعَا وَأَصْبَرُهَا أَنْتُمْ إِذَا الْقَوْمُ فِي الْوَعَى كَلَحُوا²
 أَمَّا قَرِيشٌ فَأَنْتَ وَارِثُهَا تَكْفٌ مِنْ صَعِبِهِمْ إِذَا طَمَحُوا
 حَفِظْتَ مَا ضَيَّعُوا وَزَنْدَهُمْ أَوْرَيْتَ إِذْ أَصْلَدُوا وَقَدْ قَدَحُوا
 آلَيْتُ جَهْدًا ، وَصَادَقْتُ قَسَمِي ، بَرَبٌ عَبْدٌ تَجُنُّهُ الْكُرْحُ³
 يَظَلُّ يَتَلَوُ الْإِنْجِيلَ يَدْرُسُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ طَفَحُ⁴
 لِأَبْنِكَ أَوْلَى بِمُلْكٍ وَالِدُهُ وَنَجْمٌ مِنْ قَدْ عَصَاكَ مُطْرَحُ
 دَاوُدَ عَذْلٌ فَاحْكَمْ بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَإِنَّهُمْ نَصَحُوا⁵
 وَهُمْ خِيَارٌ فَاعْمَلْ بِسِتِّهِمْ وَاخِيَّ بِخَيْرٍ وَاكْذَحْ كَمَا كَذَحُوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلّم في ذلك بإنذار⁶ ولا دفع ؛ فعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز ، فقال : لقد أَدْخَلَ ابْنُ النَّصْرَانِيَةِ نَفْسَهُ مُدْخَلًا ضَيْقًا فَأَوْرَدَهَا مُورَدًا خَطَرًا ؛ وبالله عليّ لئن ظفّرتُ به لأُخْضِصَنَّ قَدَمَهُ بِدَمِهِ .

[هنا يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب]

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي : لما قُتِلَ يزيد بن المهلب دخل النابغة الشَّيبَانِيّ عَلَى يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فأنشده قوله في تهنتته بالفتح⁷ :

أَلَا طَالَ التَّنْظُرُ وَالْثَوَاءُ وَجَاءَ الصَّيْفُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
 وَلَيْسَ يُقِيمُ ذُو شَجَنِ مُقِيمٍ وَلَا يَمْضِي إِذَا ابْتَغَى الْمَضَاءُ

- 1 والأقنى : الصقر . والعائر : الرمد . واللحج : لصوق الأجنان بوسخ أبيض جامد . ولا لحح في ل : ولا لحوا .
- 2 كلحوا : تغيّرت وجوههم .
- 3 تجنّه الكرح في ل : لله يتنصح . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة كان يسكنها الرهبان .
- 4 الديوان : قفح : أي وجع .
- 5 نصحو في ل : نصّح .
- 6 في ل : بإقرار .
- 7 ديوان النابغة : 40-51 .

طَوَالَ الدَّهْرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ وَمَقْدَارٍ يُوَفِّقُهُ الْقَضَاءُ
فَمَا يُعْطَى الْحَرِصُ غَنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي لَذِي الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَتْبَعُهَا إِذَا انْتَهَتْ الرِّخَاءُ

يقول فيها : [من الوافر]

أَوْثُمُ فَتَى مِنَ الْأَعْيَاصِ مَلَكًا أَغْرَّ كَانَ غُرَّتِهِ ضِيَاءُ
لَأَسْمِعَهُ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحًا وَأَثْنِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ
يَزِيدُ الْخَيْرَ فَهُوَ يَزِيدُ خَيْرًا وَيَنْمِي كُلَّمَا ابْتَغَى النَّمَاءُ
فَضَضَتْ كِتَابَ «الْأَرْدِي» فَضًّا بَكِشَكَ حِينَ لَفَّهَما اللَّقَاءُ
سَمَكْتَ الْمُلْكَ مَقْتَبَلًا جَدِيدًا كَمَا سُمِكَتَ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ¹
نَرْجِي أَنْ تَدُومَ لَنَا إِمَامًا وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا رَجَاءُ
«هَشَامُ» وَ«الْوَلِيدُ» وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب وأن تُوقَر له بُرًّا وزبيبا ، وكساه وأجزل صلته .

[وفد على هشام مادحا فطرده]

قال : ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة ؛ فلما رآه قال له : يا ماص ما أبقت المواسي من بَظَرُ أمه ! ألسن القائل :

هشام والوليد وكل نفس تريد لك الفناء لك الفداء
أُخْرِجْهُ عَنِّي ! وَاللَّهِ لَا يَزُرُونِي شَيْئًا أَبَدًا وَحَرَمَهُ . ولم يزل طول أيامه طريدا ؛ حتى ولي الوليد بن يزيد ؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

[الخمر ومدحها]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن محمد الكوفي عن العُمريِّ الخَصَّاف عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شيان :

[من الرمل]

أَيُّهَا السَّاقِي سَقْنِكَ مُرْنَةً مِنْ رَّبِيعِ ذِي أَهَاضِيبٍ وَطَشٍ²

1 رواية الديوان : سمكت لهم بإذن الله ملكاً . وسمك الشيء : رفعه .

2 الطش : المطر الضعيف . والأهاضيب : المطر المتوالي .

امدح الكأس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بالعطش
 إنما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ فإذا ما غاب عنا لم نعيش
 وكان الشرب قوم موتوا من يقم منهم لأمر يرتعش
 خرس الألسن مما ناهم بين مصروع وصاح منتعش
 من حمياً قرقف حصية قهوة حوائية لم تمتحش¹
 ينفع الزكوم منها ريحها ثم تنفي داءه إن لم تنش²
 كل من يشربها يالفها يُنفق الأموال فيها كل هش

[أشد الوليد شعراً في الفخر]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمحي ،
 قال ابن أبي الأزهر : وهو محمد بن سلام : غنى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة
 الوليد بن يزيد :

امدح الكأس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بالعطش
 فسأل عن قائل هذا الشعر ف قيل : نابغة بني شيان ؛ فأمر بإحضاره فأحضر ؛ فاستنشد
 القصيدة فأنشده إياها ؛ وظن أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد :
 لو سعد جدك لكنت مدحاً فينا لا في بني شيان ، ولسنا نُخلّيك على ذلك من حظ ؛ ووصله
 وانصرف . أول هذه القصيدة قوله³ :

خلّ قلبي من سلمي نيلها إذ رمتني بسهام لم تطيش⁴
 طفلة الأعطاف رودة دمية وشواها بخيري لم يحش
 وكان الدرّ في أخراصها يئض كحلاء أقرته بعش⁵
 ولها عينا مهاة في مها ترتعي نبت خزامي وتنش⁶
 حرة الوجه رخيّم صوتها رطب تجنيه كف المتقش⁷

- 1 الحميا : سورة الخمر وشدتها . والقرقف : الخمر ، سميت كذلك لأنها تصيب شاربها بالردة .
- 2 لم تنش : النشوة أي لم تسكر .
- 3 ديوان بني شيان 83-89 .
- 4 خل : نفذ وثقب .
- 5 الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر .
- 6 التنش : أول ما يظهر من النبات .
- 7 المتقش : المتخير .

وهي في الليل إذا ما عُونَتْ مُنِيَةُ البعل وهمُ الْمُفْتَرِشُ
وفيهما يقول مفتخراً :

[من الرمل]

وبنو شَيَّان حولي عَصَبٌ منهم غُلْبٌ وليست بالقَمِشْ¹
ورَدُوا المجدَ وكانوا أَهْلَهُ فَرَّوُوا والجودَ عَافٍ لم يَنْشِ²
وترى الجُرْدَ لدى أَيْاتِهِمْ أَرِنَاتٍ بَيْنَ صَلْصَالٍ وَجُشْ³
ليس في الأَلْوَانِ منها هُجْنَةٌ وَضَحُ البُلُقِ ولا عَيْبُ الْبَرَشِ⁴
فبها يَخْوُونَ أُمُوالَ الْعِدَا وَيَصِيدُونَ عَلَيْهَا كُلَّ وَحْشِ⁵
دَمِيتْ أَكْفَالُهَا مِنْ طَعْنِهِمْ بِالرُّدَيْنِيَّاتِ وَالخَيْلِ النَّجْشِ⁶
تَنْهَلُ الْخَطِيئَ مِنْ أَعْدَائِنَا ثُمَّ نَفَرِي الْهَامَ إِنْ لَمْ نَفْتَرِشْ⁷
فإذا الْعِيسُ مِنَ الْمَحَلِّ غَدَتْ وَهِيَ فِي أَعْيُنِهَا مِثْلُ الْعَمَشِ⁸
حُسْرَ الْأَوْبَارِ مِمَّا لَقِيتْ مِنْ سَحَابٍ حَادٍ عَنْهَا لَمْ يُرِشْ⁹
خُسْفَ الْأَعْيُنِ تَرَعَى جُوفَهُ هَمَدَتْ أَوْبَارُهَا لَمْ تَنْتَفِشْ¹⁰
تَنْعَشُ الْعَافِي وَمَنْ لَازَ بَنَا بِسَجَالِ الْخَيْرِ مِنْ أَيْدِي نُعْشِ¹¹
ذَاكَ قَوْلِي وَثَنَائِي وَهُمْ أَهْلُ وَدِّي خَالِصاً فِي غَيْرِ غِشِ¹²
فَسَلُّوا شَيَّانَ إِنْ فَارَقْتُهُمْ يَوْمَ يَمْشُونَ إِلَى قَبْرِي بِنُعْشِ¹³
هَلْ غَشِينَا مَحْرَمًا فِي قَوْمِنَا أَوْ جَزَيْنَا جَازِيًا فُحْشًا بِفُحْشِ¹⁴

[بعض شعره الذي غني به]

[من مجزوء الرمل]

ومما يُغْنَى فِيهِ مِنْ شَعْرِ نَابِغَةِ بَنِي شَيَّان :

1 القمش : زعانف الناس وأرذالهم .

2 العافي : الوافي .

3 أرنات : نشيطات . الصلصال : الحمار المصوت . جش : جمع أجش وهو الغليظ الصوت .

4 الهجنة : العيب . البرش : البرص .

5 النجش : المستثارة المسرعة .

6 نفترش : نصرع .

7 لم يرش : لم ينزل ما به من مطر .

8 خسف الأعين : غائرتها . الجوفة : النبتة الفارغة الجوف .

9 العافي في ل : العاني . نعش : تنتعش للكرم وفعل الخير .

صوت

ذَرَفْتُ عَيْنِي دَمَوْعاً مِنْ رَسُومٍ بِخَفِيرٍ
 مُوَحِّشَاتٍ طَامَسَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ الزُّبُورِ
 وَزِقَاقٍ مُتَرَعَاتٍ مِنْ سُلَافَاتِ الْعَصِيرِ¹
 مُجْلَخِدَاتٍ مِلَاءً بَطْنُوهُنَّ بِقَيْرٍ²
 فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْهِمْ صُيِّرَتْ خَيْرَ مَصِيرٍ³
 مِنْ شِبَابٍ وَكُھُولٍ حَكَّمُوا كَأْسَ الْمُدِيرِ
 كَمْ تَرَى فِيهِمْ نَدِيماً مِنْ رُئِيسٍ وَأَمِيرٍ

ذكر يونس أنَّ فيه للمالك لحناً ولابن عائشة آخر ، ولم يذكر طريقتهما ؛ وفيه خفيف رملٍ معروف لا أدري لحن أيُّهما هو .

صوت

من المائة المختارة⁴

[من الكامل]

يَا عَمْرُ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عَمْرَا وَعَزَمْتُ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرَا
 إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَلَفْتُ بِهَا حَمَلْتُ بِلَا تِرَةٍ لَنَا وَتَرَا
 وَتَرَى لَهَا دَلَالاً إِذَا نَطَقْتُ تَرَكْتُ بَنَاتِ فَوَادِهِ صُغْرَا⁵
 كَسَاقِطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ الْأَفْنَا نَ لَا بَشِراً وَلَا نَشْرَا⁶
 الشَّعْرَ لِأَبِي ذَهَبِلِ الْجُمَحِيِّ . وَالْغَنَاءَ لَفَزَارِ الْمَكِّيِّ ، وَلَحْنَهُ الْمُخْتَارَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ فِي
 مَجْرَى الْوَسْطَى عَنِ الْمَشَامِيِّ .

1 رواية هذا البيت في الديوان :

في زقاق كلِّ حجليه من أضراً بيعير
 والحجل : هو السقاء العظيم .

2 مجلخدات : مستلقيات . بطنوهن في ل : طينوهن .

3 رواية هذا البيت والذي بعده في الديوان :

فإذا صرت إليهم صرت في خير مصير
 عند شبان وشيب أعملوا كأس المدير

4 ديوان أبي ذهبل : 110-109 .

5 صعر : مائلة .

6 رواية الديوان : كساقط الرطب الجنِّي من الاقناء لا نشراً ولا نزرا
 الاقناء : جمع قنو وهو العذق بما فيه من رطب . والبثر : الكثير وكذلك النشر .

[105] - أخبار أبي دهل ونسبه¹

[نسبه]

نسبه - فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره ، وهب بن زمة² بن أسيد بن أحiche بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب . ولخلف بن وهب يقول عبد الله بن الزبير أو غيره :

خلف بن وهب كل آخر ليلة أبداً يكثر أهله بعال
سقى لوهب كهله وولدها ما دام في أباتها الذيال
نعم الشباب شباهم وكهولهم صيابة ليسوا من الجهال³
وأم أبي دهل امرأة من هذيل . وإياها يعني بقوله :

أنا ابن الفروع الكرام التي هذيل لأياتها سائلة
هم ولدوني وأشبهتهم كما تشبه الليلة القابلة
واسمها ، فيما ذكر ابن الأعرابي ، هذيلة بنت سلمة .

[كان شاعراً جميلاً عفيفاً]

قال المدائني : كان أبو دهل رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له جمة يُرسلها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومدح معاوية ، وعبد الله بن الزبير ، وقد كان ابن الزبير ولآه بعض أعمال اليمن .
[عده راهب أشعر الناس]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الكلبي عن أبي مسكين ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فiras قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أن قوماً مروا براهب ، فقالوا له : يا راهب ، من أشعر الناس ؟ قال : مكانكم حتى أنظر في كتاب

1 لأبي دهل الجمحي ترجمة في الشعر والشعراء : 512-514 والمؤتلف : 168 وانظر بروكلمان 1 : 198 .
وقد جمع كرنكو شعره سنة 1910 ثم عثر الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن على مخطوطة له في النجف فنشرها عام 1972 ، وإليه نشير .

2 ل : ربيعة وهو تحريف .

3 الصيابة : الخيار من كل شيء .

عندي ، فنظر في رَقّ له عتيق ثم قال : وَهَبْ من وَهين ، من جُمَحْ أو جُمَحِين .
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حَدَّثَنَا عَلِيّ بن صالح عن
عبد الله بن عُروَةَ قال : قال أَبُو دَهْبِلٍ يَفْخَرُ بقومه¹ :

قومي بنو جُمَحْ قوم إذا انحدرتْ شهباءٌ تبصر في حافاتِها الرِّغْفَا²
أهلُ الخلافةِ والمُوفُونَ إن وعدوا والشاهِدو الروع لا عَزْلاً ولا كُشْفَا³
قال الزُّبَيْرُ وأتشدني عمِّي قال أنشدني مصعبُ لأبي دَهْبِلٍ يَفْخَرُ بقومه بقوله⁴ : [من الرجز]

أنا أبو دَهْبِلَ وَهَبٌ لَوْهَبٌ من جُمَحٍ في العزِّ منها والحَسَبُ
والأسرةُ الخُضراءُ والعِيصُ الأَشِبُ ومن هُذَيْلٍ والدي عالي النِّسَبُ⁵
أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبٍ رعي رُدَيْنِي وسيفي المستلبُ
ويُنِضُّني قَوْنُسُها من الذَّهَبِ دِرْعِي دِلاصٌ سَرْدُها سَرْدٌ عَجَبُ⁶
والقوسُ فَجَاءَ لها نَبْلٌ ذَرِبُ محشورةٌ أَحْكِمَ منهن القُطْبُ⁷
ليوم هَيَّجاءٍ أُعِدَّتْ للرَّهَبِ

[كادوا له عند من كان يهواها]

أخبرني مُحَمَّدُ بن خَلَفٍ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن زُهَيْرٍ قال حَدَّثَنَا المَدائِنِيُّ : أنَّ أبا دَهْبِلٍ كان
يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرَة ، وكانت امرأةً جَزَلَةً⁸ يجتمع إليها الرجال للمحادثة
وإنشاد الشعر والأخبار ، وكان أبو دَهْبِلٍ لا يُفارق مجلسها مع كلِّ من يجتمع إليها ، وكانت
هي أيضاً مُحَبَّةً له . وكان أبو دَهْبِلٍ رجلاً سيِّداً من أشراف بني جَمَح ، وكان يحمل الحِمالات
ويُعطي الفقراء ويُقري الضيف . وزعمتُ بنو جَمَحِ أنَّه تزوّج عَمْرَةَ هذه بعد ذلك ، وزعم
غيرهم أنَّه لم يصل إليها . وكانت عَمْرَةُ تُوصيه بحفظ ما بينهما وكمانه ، فضمينَ لها ذلك
واتَّصل ما بينهما . فوقفت عليه زوجته فدنستْ إلى عَمْرَةَ امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ؛

1 ديوان أبي دَهْبِلٍ : 64-65 .

2 الشهباء : الكتيفة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .

3 كشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له في الحرب . وقيل من ينهزم في الحرب .

4 ديوانه : 47-48 .

5 العيص : الأصل . والأشب : الملتف .

6 قونسها : أعلاها . والدرع الدلاص : اللينة الملساء . وسردها سرد في الديوان : شكها شك .

7 القوس الفجاء : ارتفعت سبتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .

8 الجزلة : الأصيلة الرأي .

فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها : إِنِّي لَأَعْجَبُ لَكَ كَيْفَ لَا تَتَزَوَّجِينَ أَبَا دَهْبِلَ مَعَ مَا بَيْنَكُمَا ! قالت : وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي دَهْبِلَ ؟ قال : فَتَضَاهَكَتْ وَقَالَتْ : أَتَسْتُرِينَ عَنِّي شَيْئاً قَدْ تَحَدَّثْتُ بِهِ أَشْرَافُ قَرِيشٍ فِي مَجَالِسِهَا وَسُوقَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي أَسْوَاقِهَا وَالسُّقَاةِ فِي مَوَارِدِهَا ! فَمَا يَتَدَافَعُ اثْنَانِ أَنَّهُ يَهُوَالِكُ وَتَهْوَيْنُهُ ؛ فَوُثِّبَتْ عَنْ مَجَالِسِهَا فَاحْتَجَبَتْ وَمَنَعَتْ كُلَّ مَنْ كَانَ يَجَالِسُهَا مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهَا . وجاء أبو دهبل على عادته فحجبتَه وأرسلت إليه بما كره . ففي ذلك يقول ¹ :

صوت

تطاولَ هذا الليل ما يتلجُ وأعيَتْ غواشي غبرتي ما تفرجُ
وبتُ كئيباً ما أنام كأنما خِلَالِ ضلوعي جمرةً توهجُ
فطوراً أُمْنِي النفسَ من عمرةِ المنى وطوراً إذا ما لَجَّ بي الحزنُ أنشيجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوجُ

الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة : [من الطويل]

أخططُ في ظهر الحَصِيرِ كَأَنِّي أَسِيرُ يَخَافُ الْقَتْلَ وَلِهَانُ مُلْفَجُ
لمبعد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى . وذكر حَمَادُ عَنْ أَبِيهِ فِي أَخْبَارِ مَالِكٍ أَنَّهُ لِحَائِدِ بْنِ جَرْهَدٍ وَأَنَّ مَالِكاً أَخَذَهُ عَنْهُ فَنَسَبَهُ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ إِذَا غَنَاهُ وَسُئِلَ عَنْهُ يَقُولُ : هَذَا وَاللَّهِ لِحَائِدِ بْنِ جَرْهَدٍ لَا لِي . وفيه لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الرَّشِيدِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ . وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمْنِي النفسَ» لِمَالِكٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ . فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ . وفيه لمبعد خفيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ : [من الطويل]

رَأَوْا غِرَّةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْبِهِمِ فَرَاخُوا عَلَى مَا لَا نُحِبُّ وَأَذْلَجُوا²
وَكَانُوا أَنَاساً كُنْتُ آمِنُ غِيْبِهِمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ حَلْمِي وَلَمْ يَتَحَرَّجُوا
فَلَيْتَ كَوَانِيئاً مِنْ أَهْلِي وَأَهْلِهَا بِأَجْمَعِهِمْ فِي قَعْرِ دِجْلَةٍ لَجَّجُوا³
هُمْ مَنَعُونَا مَا نَحِبُّ وَأَوْقَدُوا عَلَيْنَا وَشَبُّوا نَارَ صُرْمٍ تَأَجَّجُ

1 ديوان أبي دهبل : 52-57 .

2 ألبهم : جمعهم .

3 الكوانين : الثقلاء أو الذين يتقصرون الأخبار لنقلها . ولججوا : وقعوا في اللجة . وفي الديوان :

بأجمعهم في لجة البحر لججوا

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا
عسى كربة أمست فيها مقيمة
فكبت أعداء ويجذل ألف
وقلت لعباد وجاء كتابها
وإني لمحزون عشية زرتها
أخطط في ظهر الحصير كأنني
أسير يخاف القتل ولهان ملهج

الملهج : الفقير المحتاج .

وأشفق قلبي من فراق خلية
وكف كهذاب الدمقس لطيفة
يجول وشاحاها ويغتص حجلها
فلما التقينا لجلجت في حديثها

[شعره في عمرة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه محمد بن خشرم ومن شئت من قريش لأبي دهبل في عمرة : [من الكامل]

يا عمر حُم فراقكم عمرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم
إن كان هذا السحر منك فلا
إحدى بنسي أود كلفت بها
وترى لها دلاً إذا نظقت
وترى لها دلاً إذا نظقت

1 لا يستقيم في الديوان : ولا يستم ...

2 الديوان : له كبد من لوعة الحزن تنضج .

3 الدوس : التزوين . مخرج : مصبوغ .

4 يغتص : يمتلىء . الوقف : سوار من عاج .

5 لا ترعي علي : لا تبقي علي .

6 تقدّم هذا البيت (صفحة 86) برواية «بلا ترة» وهي رواية الديوان .

كساقطِ الرُّطْبِ الجَنِيِّ من الأف
نَّان لا بَنَرا ولا نَزْرا
أَقَسْتُ ما أُحِبُّتُ حَبَّكم
لا نَبَّأَ خُلُقْتُ ولا بَكْرا
ومقالَةٌ فيكم عَرَكْتُ بها
جَنِّي أُرِيدُ بها لك العذرا¹
ومُرِيدُ سَرَّكم عَذَلْتُ به
فيما يحاول مَعْدِلًا وَعْرا
قالت يُقِيمُ بنا لَنَجْزِيه
يوماً فَخِيمَ عندها شهرا
ما إن أُقِيمَ لحاجةٍ عَرَضْتُ
إِلَّا لأُبْلِي فيكم العذرا
قالوا : وفيها يقول² :

[من الطويل]

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيته
وغيري في الذنب الذي كان ألوم
أَمِنَّا أناساً كَتَرِ تَأْتَمِنُهُم
فزادوا علينا في الحديث وأوهوا³
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كَثُرُوا
علينا وباحوا بالذي كنت أكرم
غنى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالنصر .

[من الطويل]

وقد مُنِحَتْ عيني القَدَى لفراقهم
وعاد لها تَهْتَانُها فهي تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلم أَرِ فيهم
هواي ولا الوُدَّ الذي كنتُ أَعْلَمُ
أليس عَظِيماً أن نَكُونُ بيلدة
كلانا بها ثاوٍ ولا نَتَكَلَّمُ

[أبو السائب المخزومي يطرب لشعره]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال : سمع أبو السائب المخزومي رجلاً ينشد قول أبي دهل :

[من الطويل]

أليس عجيباً أن نَكُونُ بيلدة
كلانا بها ثاوٍ ولا نَتَكَلَّمُ

فقال له أبو السائب : قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة اخرجي فخرجت ؛ فقال له : أَعِذْ بِأبي أَنْتَ البيت فأعاده ؛ فقال : بلى والله إنه لعجيبٌ عظيمٌ وإلا فسلامة حرّة لوجه الله ؛ اذهب فذيتك مُصاحباً . ثم دخل ودخلت الجارية تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعلك ولا ينفعني ! .

1 عركت بها جنني : احتملتها . والمثل : عركت ذلك بجنني في مجمع الميداني 2 : 8 ومستقصى الزمخشري

2 : 160 .

2 ديوان أبي دهل : 112-114 .

3 أوهوا : نقصوا .

[تمثل متحايين بشعره]

وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : كنّا نختلف إلى أبي العباس المبرّد ونحن أحدثُ نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف باطن أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرّد وجلسنا في مجلس تتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلس الذي شهدناه ؛ فإذا بجارية قد اطلّعت فطرحت في حَجَر الفتى رقعةً ما رأيت أحسنَ من شكلها مختومةً بعنبر ؛ فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نلبث أن خرج خادّم من الدار في يده كَرش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رجمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً . فلمّا تباعدنا سأله عن الرقعة ، فإذا فيها مكتوب :

كفى حَزناً أنا جميعاً بيلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم
فقلنا له : هذا ابتداءٌ ظريف ، فبأي شيء أجبت أنت ؟ قال : هذا صوت سمعته يُغنى فيه ،
فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

أراعك بالخباير نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وفّاك القومُ حقك قطّ ، وقد كان ينبغي أن يُدخلونا معك في القصة لدخولك في جُمْلتنا ، ولكنّا نحن نُوفّيكَ حقك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدِرْ أيّ طريق يأخذ ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دَهبل

[أبو دهبيل وعاتكة بنت معاوية]

أخبرني عمّي قال حدثني الكُرانيّ قال حدثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال حدثنا صالح بن حسان قال ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السريّ قال حدثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه ، يزيد أحدهما على الآخر في خبره ، واللفظُ لصالح بن حسان وخبره أتمّ ، قال : حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان ، فنزلت من مكة بذي طوى . فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواريتها فرفعن السّترَ وهي جالسة في مجلسها عليها شُفوفٌ لها تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دهبيل الجمحيّ ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا ؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه ؛ فلمّا فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتّمته . فقال أبو دهبيل¹ :

[من السريع]

إني دعاني الحين فافتادني حتى رأيتُ الطَّيِّبَ بالبَابِ
يا حسنَه إذ سبَّني مُدْبِرًا مسْتِرًّا عَنِّي بِجِلْبَابِ
سبحان من وقفها حَسْرَةً صَبَّتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَوْصَابِ
يذود عنها إن تطلَّبتُها أبٌ لها ليس بوهابِ
أحلَّها قصرًا منيعَ الذَّرَى يُخْمِي بِأَبْوَابِ وَحُجَابِ

قال : وأنشد أبو دهل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكة وشُهرتُ وغنيَ فيها المغنُّون ، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتُ إليه بكُسوةً ، وجرتُ الرسلُ بينهما . فلما صدرتُ عن مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها ، فكانت تعاهده بالبرِّ واللطفِ حتى وردتُ دمشق وورد معها ، فانقطعتُ عن لقائه وبعُدَ من أن يراها ، ومرضُ بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك ¹ :

طال لي لي وبِتَ كالمحزون ومِلَّتُ الثَّوَاءَ فِي جَيْرُونِ²
وأطَلْتُ المَقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظَّنُونِ³
فبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلٌ كَبَكَاءِ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ⁴
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغَوَا صرَّ مِيزَتُ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْ رَاءَ تَمْشِي فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونِ⁵
قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرْبِهَا عِنْدَ بَرْدِ الشَّوَاءِ فِي قَيْطُونِ⁶
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بٍ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سَقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لِيَلَتِي فِي فَنُونِ

1 ديوان أبي دهل : 68-72 مع اختلاف في الترتيب واللفظ . وسيرد هذا الشعر منسوباً إلى عبد الرحمن بن حسان (في خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم) . وقد ورد في الكامل للمبرد (الدالي) 1 : 387 منسوباً إلى أبي دهل ثم أضاف : «والذي كأنه إجماع أنه لعبد الرحمن بن حسان في بنت معاوية» .

2 جيرون في الديوان : بالمطرون .

3 الديوان : فلتلك اغتربت في الشام حتى ...

4 ورواية الديوان :

فبكت خشية التفرق للين بكاء الحزين نحو الحزين

5 مسنون : مصبوب على استواء .

6 المراجع : ضرب من برود اليمن . القيطون : المخدع .

ليت شعري أين هوى طار نومي أم براني البارقي قصير الجفون¹

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه ؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبيل ؛ فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهبيل الخروج فامنعه وارده إلي ؛ وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهبيل لينصرف ؛ فناداه معاوية : يا أبا دهبيل إلي ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كنت ظننت أن في قریش أشعر منك حيث تقول .

ولقد قلت إذ تطاول سقمي وتقلب ليالي في فنون
ليت شعري أين هوى طار نومي أم براني البارقي قصير الجفون

غير أنك قلت :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا صيرت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبته لم تجدها في سناء من المكارم دون
ووالله إن فتاة أبوها معاوية وجدتها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ؛ وأي شيء زدت في قدرها ! ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في ممر مسنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا ، وإنما قيل على لساني . فقال له : أما من جهتي فلا خوف عليك ، لأنني أعلم صيانة ابنتي نفسها ، وأعرف أن فتیان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز ، وإنما أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وثباته ، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك . وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبيل فتتقضي المقالة عن ابنته ؛ فحذر أبو دهبيل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه ، فكان يكتب عاتكة . فبينما معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصي له فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب ، فلما قرأته بكّت ثم أخذته فوضعت تحت مصلاتها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخصي ، فلم يزل يلفظ حتى أصاب منها غيرة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية ، فإذا فيه :

أعاتك هلاً إذ بخلت فلا تري لذي صبرة زلفى لديك ولا حقاً

رَدَدْتَ فَوَاداً قَدْ تَوَلَّى بِهِ الْهَوَى
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
أَتَسْنِنُ أَيَّامِي بِرَبْعِكَ مُدْنَفَاً
وليس صديق يُرْتَضَى لوصية
وأكبرُ هُمِّي أَن أَرَى لَكَ مُرْسَلَاً
فواكبدي إذ ليس لي منك مجلس
رَأَيْتُكَ تزدادين للصَبِّ غِلْظَةً
وسكنت عينا لا تَمَلَّ ولا تَرْقَا¹
ولم أَر يوماً منك جوداً ولا صدقا
صريعاً بأرض الشام ذا سَقَمٍ مُلْقَى
وأدعو لدائي بالشراب فما أُسْقَى
فطولَ نهاري جالسٌ أَرْقُبُ الطُّرُقَا
فأشكو الذي بي من هواك وما أَلْقَى
وزداد قلبي كلَّ يوم لكم عشقا

قال : فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية ، فاتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذي شجأك ؟ قال : أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دهل كتب بهذه الآيات إلى أختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله إن الرأي لِهَيْنٌ² . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيُريحنا منه . قال معاوية : أف لك ! والله إن امرأاً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصُر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ؟ أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدىة أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قصيدة أخرى تناسدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال قال³ :

ألا لا تَقُلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ
لقد كان في حولين حالا ولم أَرُ
حمى الملك الجبار عني لقاءها
فلا خيرَ في حبٍّ يُخَافُ وبأله
فواكبدي إنِّي شهِرتُ بحبِّها
ويا عجباً إنِّي أكاثم حبِّها
وما كلٌّ من يلحى محباً له عقلُ
هواي وإن خُوفْتُ عن حبِّها شغلُ
فمن دونها تُخشى المتالفُ والقتلُ
ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
ولم يك فيما بيننا ساعةً بَذَلُ
وقد شاع حتى قُطعت دونها السُّبُلُ

1 ترقى : تجف .

2 ل : لبين .

3 ديوان أبي دهل : 99-100 .

قال : فقال معاوية : قد والله رفّهت عني ، فما كنت آمنُ أنه قد وصل إليها ؛ فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلّ فالخطبُ فيه يسير ، فمُن عني ؛ فقام يزيد فانصرف . وحجّ معاوية في تلك السنة ؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرفهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهل ، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صلاتٍ سنّيةً وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض أبو دهل جازته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه ؛ فقال له : يا أبا دهل ، مالي رأيتُ أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا وموالينا ، لا تعرّض لأبي خالد . فجعل يعتذر إليه ويخلف له أنه مكذوبٌ عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يضرّك ذلك عندنا ؛ هل تأهّلت ؟ قال : لا . قال : فأني بنات عمك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ؛ قال : قد زوجتكها وأصدقها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى ؛ فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحتُ به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالقُ البتّة . فسُرّ بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعدّه بإذرار ما وصله به في كل سنة ؛ وانصرف إلى دمشق . ولم يحجّ معاوية في تلك السنة إلّا من أجل أبي دهل .

[قصته مع شامية تزوّجها وشعره فيها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال : خرج أبو دهل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً . فلما كان بجيرون جاءته امرأة فاعطته كتاباً فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ، ثم ذهبتُ فدخلت قصرأ ثم خرجتُ إليه فقالت : لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله ، فإنّه من غائب لها يعينها أمره ؛ فبلغ معها القصر ؛ فلما دخلا إذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقت القصر عليه ، وإذا فيه امرأة وضيفة ، فدعته إلى نفسها فأبى ، فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعته إلى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً ، ولكنّي أتزوّجك ؛ قالت : نعم ، فتزوّجها ؛ فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه ، فأقام معها زمناً طويلاً لا تدعُه يخرج ، حتى يمُس منه أهله وولده ، وتزوّج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عَمِشت ولم تقاسمهم ماله . ثم إنه قال لامرأته : إنك قد أثمتِ فيّ وفي ولدي وأهلي ؛ فأذني لي أطلعهم وأعود إليك ؛ فأخذت عليه أيماناً إلّا يقيم إلّا سنةً حتى يعود إليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا حتى قدِم على أهله ،

فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولده . وجاء إليه ولده ؛ فقال لهم : لا والله ما بيني وبينكم عمل ، أنتم قد ورثتموني وأنا حيّ فهو حظكم ؛ والله لا يشرك زوجتي فيما قديمْتُ به أحد ؛ ثم قال لها : شأنك به فهو لك كله . وقال في الشامية :

صاح حيا إله حيا ودورا عند أصل القناة من جيرون
عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشام حتى ظنّ أهلي مُرجماتِ الظنون
وهي زهراء مثلُ لؤلؤة الغد حواصل ميزات من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتهما لم تجدنها في سناء من المكارم دون
تجعل المسك والينجوج والد لدا صلاء لها على الكانون¹
ثم ماشيتها إلى القبة الخض راء تمشي في ممر مسنون
وقباب قد أسرجت وبيوت نظمت بالريحان والزرجون
قبة من مراحل ضربوها عند حد الشتاء في قيطون
ثم فارقتها على خير ما كا ن قريّن مفارق لقريّن
فبكت خشية التفريق للبيد من بكاء الحزين إثر الحزين
واسألني عن تذكري واطمئني لأناسي إذا هم عدلوني

فلما حلّ الأجل أراد الخروج إليها ، فجاءه موتها فأقام .

[وفوده على ابن الأزرق]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال : وفد أبو دهل الجُمحيّ على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والمهريّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن ؛ فأنكره ورأى منه جفوة ، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم ، وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت ، فقال يمدحه ويعرض بابه الأزرق² :

يا ربّ حيّ بخير ما حييت إنساناً عمارة

1 الينجوج : عود البخور .

2 ديوان أبي دهل : 49-50 .

أعطى فأسنانا ولم يك من عطيته الصغارة
ومن العطية ما ترى جذماء ليس لها نزاره¹
حجراً تقلبه وهل تغطي على المدح الحجارة
كالبغل يُحمد قائماً وتذم مشيته المصاره

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم ؛ فقال له حُنين مولى ابن الأزرق في السرّ : أرى أنك عَجِلْتَ على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم ، فعُدْ إليه فإنه غير تاركك ، واعلم أننا نخاف أن يكون قد غزل فلازمه ولا يفقدك ؛ فإني أخاف أن ينسلك ؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك² :

[من البسيط]

يا حنّ إني لما حدثتني أصلاً مرّج من صميم الوجد معمود
نخاف عزل امرئ كنا نعيش به معروفه إن طلبنا الجود موجود
اعلم بأنّي لمن عاديت مضطغنّ ضبّا وأتني عليك اليوم محسود³
وأنّ شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لبّان جلمود
أنت الممدّح والمغلي به ثمناً إذ لا تمدّح صمّ الجندل السود
إن تغد من منقلبي نجران مرّحلاً يرحل من اليمن المعروف والجود⁴
ما زلت في دَفَعات الخير تفعلها لما اعترى الناس لأواء ومجهود
حتى الذي بين عُسفانٍ إلى عَدَنٍ لحبّ لمن يطلب المعروف أخدود⁵

قال : وأنشدنيها محمد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتها من أبي .

[تعرّ نظم بيت]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزُّبَيْر بن بَكَّار ، وحدثني حمزة بن عتبة قال : قال أبو دهبيل الجُمَحَيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها :

[من البسيط]

اعلم بأنّي لمن عاديت مضطغنّ ضبّا وأتني عليك اليوم محسود
قلتُ فيها نصف بيت ، وأنّ شكرك عندي لا انقضاء له ، ثم أرتج عليّ ، فأقمتُ حولين

1 الجنماء : المقطوعة . والنزارة : القلّة .

2 ديوان أبي دهبيل : 104 - 105 .

3 الضب : الحقد والغيط .

4 المنقل : الطريق في الجبل .

5 اللحب : الواضح . والأخدود : الشق في الأرض .

لا أفعُ على تمامه ، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجِّ في الموسم يذكر لبنان ، فقلت : ما لبنان ؟ فقال : جبل بالشام ؛ فأتملتُ نصف البيت :

[من البسيط]

ما دام بالهَضْب من لبنان جُلُودُ

[تفضيل شعره على شعر نصيب]

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني مُحَمَّدُ بن حَبَشٍ المخزوميّ قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدة مدحه فيها ؛ فقال إبراهيم بن هشام : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهل لصاحبنا ابن الأزرَق حيث قال :

[من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنَقَلِي نَجْرانَ مَرَحِلاً يَبِينُ من اليَمَنِ المعروفُ والجودُ

فغَضِبَ نُصَيْبٌ فَحَمِي فَتَزَعُ عَمَامَتَهُ وَطَرَحَهَا وَبَرَكَ عَلَيْهَا ؛ ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرَق نأتكم بمدح أجود من مدح أبي دهل .

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزَّهْرِيُّ قال حَدَّثني إِسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْمِيُّ قال : كان إبراهيم بن هشام جَبَّاراً وكان يُقيم بلا إِذْنٍ إِذْ كان على المدينة الأشهر . فإذا أَذِنَ للناس أَذِنَ معهم لشاعر ، فيُنشد قصيدة مدحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدة مدحٍ لإبراهيم بن هشام . فأَذِنَ لهم يوماً ، وكان الشاعرُ الذي أَذِنَ له معهم نصيباً وعليه جُبَّةٌ وَشِي ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأَذِنَ له ؛ فأنشده قصيدة لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مدحٍ لإبراهيم بن هشام ، وقصيدة هشام أشعرُ ، فأراد الناسُ مالمحةً نُصَيْبٍ فقالوا : ما أحسنَ هذا يا أبا مِحْجَن ! أعدْ هذا البيت . فقال : إبراهيم : أكثرتم ، إنه لشاعرٌ ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرَق :

[من البسيط]

إن تُمَسِرَ من مَنَقَلِي نَجْرانَ مَرَحِلاً يَبِينُ من اليَمَنِ المعروفُ والجودُ

ما زلتَ في دَفَعاتِ الخيرِ تفعلها لما آعترى الناسَ لأوَّاءُ ومجهودُ

وحَمِي نصيبٌ فقال : إنا والله ما نصنع المدحَ إلَّا على قَدَرِ الرجال ، كما يكون الرجلُ يُمدح . فعمَّ الناسَ الضَّحِكُ وحَلُمَ عنه ، وقال الحاجب : ارتفعوا ، فلمَّا صاروا في السَّقِيفَةِ ضَجَّكُوا وقالوا : أرايتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجَبَّار ! وحَلُمَ من غير حلم .

[مدح ابن الأزرَق بعد عزله]

قال الزُّبَيْرُ وحَدَّثني عَمِّي مصعب قال : خرج أبو دهل يريد ابن الأزرَق فَلَقِيه معزولاً ، فشقَّ ذلك عليه واسترجع ، فقال له ابن الأزرَق : هوَّن عليك ؛ لم يَفْتَكْ شيءٌ ، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهل :

[من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعَا

وحدثني محمد بن الضحَّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .
وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدثني أَبُو تَوْبَةَ صالح بن محمد بن دُرَّاج قال
حدثنا أَبُو عمرو الشَّيْبَانِي قال : وَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ ابناً لسعد بن أَبِي وقاص يقال له إبراهيم
مكانَ الثَّبْت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق ، فخرج حتى نزل بَزِيد ،
فقال لابن الأزرق : هَلَمْ حسابك ؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عملٌ ،
وخرج متوجّهاً إلى مَكَّة . فاستأذنه أَبُو دَهْبِل في صحبة الوَقَّاصِي فَأَذِنَ له فرجع معه ، حتى
إذا دخلوا صنعاء لَقِيَهُمْ بِحَيْر بن رِيَّسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهِم ، ومضي ابنُ الأزرق
ومعه ما احتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِوَاقَهُ ودعا الناسَ فَأَعْطاهم ذلك
المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم . فقال أَبُو دَهْبِل :

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَعْشاه وما نَزَعَا
وأقام أَبُو دَهْبِل مع الوَقَّاصِي ، فلم يَصْنَع به خيراً . فقال أَبُو دَهْبِل ¹ :

ماذا رَزَقْنَا غَدَاةَ الْخَلِّ من رِمَعٍ عند التفرق من خيم ومن كرمٍ ²
ظلُّ لَنَا واقفاً يُعْطِي فأكثر ما سَمَى وقال لنا في قوله نعم
نعم حرف موقوف فإذا حُرِّكَ أُجْرِيَتْ حركته إلى الْخَفْضِ لَأَنَّهُ أُولَى بالساکن :

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعیننا لما تَوَلَّى بدمعٍ واكفٍ سَجِمٍ
تَحْمِلُهُ الناقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بالبُرد كالْبدر جَلَى لَيْلَةَ الظُّلُمِ
وكيف أنساكَ لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمٍ
حتى لقينا بِحَيْرًا عند مَقْدَمِنَا في موكب كضِياع الجِرْعِ مُرْتَكِمٍ
لما رأيتُ مُقامي عند بابِهِمْ وَدِدْتُ أَنِّي بذاك الباب لم أَقِمِ

[مدحه بحير بن ريسان]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أَبُو دَهْبِل :

[من الطويل]

صوت

بحير بن ريسان الذي سكن الْجَنَدُ يقول له الناسُ الجَوَادُ ومن وَلَدَ ³

1 ديوان أبي دَهْبِل : 101-103 .

2 الخل ورمع : موضعان باليمن .

3 الجند : موضع باليمن .

له نفحاتٌ حين يُذكر فضله كسيل ربيع في ضَحَاضِحَةِ السَّنَدِ¹
في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانه أنه ليمان ، وذكر الهشامي أنه لابن
جامع .

[مدائحه في ابن الأزرق.]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبَانِي قال : كان ابن
الزُّبَيْر بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمَدَّ يَدَهُ إلى أموالها وأعطى أعطيةً
سنيةً وبثَّ في قريش منها أشياءً جزيلةً فَأَنْتَ عليه قريش ووفدوا إليه فَأَسْنَى لهم العطايا . وبلغ
ذلك عبد الله بن الزُّبَيْر فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص . فلما قَدِم عليه أراد أن
يحاسبه ، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل ، وقَدِم مكة ؟ فخافت قريشُ ابنَ
الزُّبَيْر عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه ؛ فلما لَقِيَهُمْ نزلتْ إليه
قريشُ فسَلِمَتْ عليه وبَسَطَتْ له أَرْضِيَّتَهَا وتلقته إماؤهم وولائدُهم بمجامر الألوَّة² والعود
الْمَنْدَلِي ييخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزُّبَيْر فسَلِمَ
عليه وهم معه مُطِيفُونَ به . فعَلِمَ ابنُ الزُّبَيْر أنه لا سبيل له إليه فما عَرَضَ ولا صرَّحَ له بشيء .
ومَضَى إلى منزله . فقال أبو دهل³ :

فمن يك شان العزل أو هدَّ ركنه لأعدائه يوماً فما شانك العزل
وما أصبحت من نعمة مُستفادٍ ولا رَجِمَ إلا عليها لك الفضل
وقال أبو دهل أيضاً فيه ، أخبرني بذلك ابن المَرْزُبان عن أبي توبة عن أبي عمرو
الشَّيْبَانِي ؛ وأخبرني به الحِرْمِي عن الزُّبَيْر عن عمه⁴ :

عَقَمَ النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهه إن النساءَ بمثلِه عَقُمُ
متهلِّلٌ بنَعَمٍ بلا مُتَبَاعِدٍ سَيَانٍ منه الوفر والعُدْمُ
نَزَرُ الكلام من الحياء تخاله ضَمِنَا وليس بجسمه سُقْمُ⁵
[وفد على سليمان بن سليمان فلم يحسن وفادته]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال : قال أبو دهل يمدح ابن

1 الضحاح : الماء القليل . والسند : ما ارتفع عن سفح الجبل .

2 الألوَّة : العود يتبخَّر به .

3 ديوان أبي دهل : 75 .

4 ديوانه : 66-67 .

5 الضمن : المريض .

الأزرق¹ :

[من الكامل]

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل ابن الكامل
والحازم الأمر الكريم برأيه والواصل الأرحام وابن الواصل
جمع الرياسة والسماح كليهما جمع الجفير قدام نبل النابل

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن عبد الله قال حدثني أبو جعفر الشؤيعي (رجل من أهل مكة) قال : قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حر شديد ، فكان يُنقلُ سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء . فلما بلغ بني جُمح نودي بأبي دهبل ؛ فقال سليمان : أين أبو دهبل الشاعر ؟ علي به ؛ فأتني به ؛ فقال سليمان : أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت القائل² :

فتنةٌ يُشعلها ورادها حطب النار فدعها تشتعل
فإذا ما كان أمن فأتهم وإذا ما كان خوف فاعتزل
قال : نعم . قال : وأنت القائل³ :

يدعون مروان كيما يستجيب لهم وعند مروان خار القوم أو رقدوا⁴
قد كان في قوم موسى قبلهم جسد عجل إذا خار فيهم خورة سجدوا⁵

قال : نعم . قال : أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قوماً فتنوا فكافحواكم بأسيا فهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم ففوتهم عنهم ، وإنما فتنت فقلت بلساني ، فلم لا يغف عني ! فقال سليمان : قد عفونا عنك وأقطعته قطعةً بمحاذن باليمن . فقيل لسليمان : كيف أقطعته هذه القطعة ! قال : أردت أن أميته واميت ذكره بها .

[أبو دهبل وعمره]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة : أن أبا دهبل كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جولة يجتمع الرجال عندها

1 ديوانه : 106 .

2 ديوانه : 83 .

3 ديوانه : 80 .

4 خار في ل : خار .

5 الجسد : الذي لا يعقل . والبيت إشارة إلى الآية : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ ﴾ .

لإنشاد الشعر والمحادثة ، وكان أبو دهل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً حبة له . وكان أبو دهل من أشراف بني جُمَح ، وكان يحمل الحمالة وكان مُسوِّداً ؛ وزعمت بنو جُمَح أنه تزوجها بعد ، وزعم غيرهم من الرواة أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدم إلى أبي دهل في حفظ ما بينهما وكمثانه ، فضمن ذلك لها . فجاء نسوة كنّ يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهل وقلن : قد علق امرأة ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنه عاشق لك وأنت عاشقة له . فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها ، وكتبت إلى أبي دهل تعذله وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه . فعند ذلك يقول :

[من الطويل]

وأعيت غواشي عَبرتي ما تفرَّجُ
خلال ضلوعي جمرة تنهَّجُ
وطوراً إذا ما لجَّ بي الحزن أنشجُ
ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
فراحوا على ما لا نُحبّ وأذلجوا
فلم ينههم حلم ولم يتخرجوا
علينا وشبوا نار صُرم تأججُ
ولم يلجموا قولاً من الشرّ يُنسجُ
وهل يستقيم الدهرُ والدهرُ أعوجُ
يكون لنا منها نجاة ومخرجُ
له كبد من لوعة الحبّ تنضجُ
لهذا وربّي كانت العين تخرجُ
أسيرٌ يخاف القتلَ ولها نملجُ
ومن آية الصُرم الحديث المُلججُ
وكنْتُ إذا ما جثتها لا أعرجُ
وفي القول مُستنٌّ كثيرٌ ومخرجُ

تطاوَل هذا الليلَ ما يتلجُ
وبتُ كئيباً ما أنام كأنما
فطوراً أمني النفسَ من عمرة المنى
لقد قطع الواشون ما كان بيننا
رأوا غيرةً فاستقبلوها بالبهيم
وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غيهم
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا
ولو تركونا لا هدى الله سعيهم
لأوشك صرفُ الدهرِ يفرق بيننا
عسى كربةً أمسيت فيها مقيمةً
فيكبت أعداءُ ويَجْذَلُ ألفُ
وقلتُ لعبادٍ وجاء كتابها
وخططتُ في ظهر الحَصيرِ كأنني
فلما التقينا لجلجتُ في حديثها
وإنني لمحبوبٌ عشية زرتها
وأعيا عليّ القولُ والقولُ واسعُ

[جارية تغني أبا السائب وأبا جندب بشعره]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير بن بكار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال : أتيتُ ابنَ أبي العرايق فسألته أن يُدخِلني على جارية مغنية لم يرَ أحدٌ مثلاًها

قطّ ؛ فقال لي : إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أُطْلِعَ رأيَهما في ذلك ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فإذا أبو السائب المخزومي وأبو جُنْدَب الهذليّ ؛ وخرجتُ علينا الجارية قاطبةً عابسةً ؛ فلمّا وُضع العودُ في حجرها اندفعتُ تغني وتقول :

عسى كربةً أُمسيتَ فيها مقيمةً يكون لنا منها نَجاةً ومَخْرَجُ
ورائي لمحجوبٌ غداةً أزورها وكنتُ إذا ما زرتها لا أُعْرَجُ
قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له : لعلك أُرثتها بشيء ، عليك وعلينا إن لم تقمُ إليها حتى تقبلَ رأسها وترضّاها ، ففعل .

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلّج وأُعيتُ غواشي عَبرتي ما تَفَرَّجُ
أخطُط في ظهر الحَصرِ كأنني أسيرُ يخاف القتل وَلَهان مُلَفَجُ
الغناء لمعبد ثَقِيلُ أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن للمالك ذكره حمّاد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنّسه . وحكي أنّ مالكا كان إذا سُئِلَ عنه يذكر أنّه أخذه من حائد بن جرّهد فقومه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثَقِيل بالوسطى عن حبّش والهشامي .

صوت

[من الطويل]

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أَحوجُ
فطوراً أُمّني النفسَ من عَمرة المنى وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهمّ أنشِجُ
الغناء للمالك ثَقِيلُ أوّل بالسبابة في معجى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أنّ فيه لمعبد خفيف ثَقِيل بالوسطى .

[شعره في رثاء الحسين بن علي]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني عمّي مُصَنَّب قال : قال أبو دَهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواته¹ :

[من الطويل]

تَبَيْتُ سُكَارَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا
وما أَفْسَدَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ تَأْمُرُ نَوَكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا¹
فَصَارَتْ قَنَاءَ الدِّينِ فِي كَفِّ ظَالِمٍ إِذَا اعْوَجَّ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

[قصيدته الدالية]

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مِقْدَادٍ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَعْقُوبَ الزَّمْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي
مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ أَشَدُّنِي أَبُو دَهْلٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² : [من الطويل]

سَقَى اللَّهُ جَازَانًا فَمَنْ حَلَّ وَلَيْهِ فَكُلَّ فَسِيلٍ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدٍ³
وَمَحْصُولَهُ الدَّارَ الَّتِي خَيَّمَتْ بِهَا سَقَاهَا فَارُوزٌ كُلُّ رُبْعٍ وَقَدْ فَدٍ⁴
فَأَنْتَ الَّتِي كَلَّفْتَنِي الْبِرْكَ شَاتِيًا وَأَوْرَدْتَنِيهِ فَاَنْظُرِي أَيَّ مَوْرِدٍ⁵

صوت

فَوَانَدَمَسِي أَنْ لَمْ أَعْجُ إِذْ تَقُولُ لِي تَقَدَّمُ فَشِيعُنَا إِلَى ضَحْوَةِ الْغَدِ
تَكُنْ سَكْنًا أَوْ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنَّهَا سَتَبْكِي مَرَارًا فَاسْلُ مِنْ بَعْدِ وَاحِمِدِ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ
الْغَنَاءُ لَابْنِ سَرِيحٍ خَفِيفُ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَبْذُ الْكَبِيرِ رَمْلٌ عَنْ
الْهَشَامِيِّ :

لَعَلَّكَ أَنْ تَلْقَى حَبًّا فَتَشْتَفِي بِرُؤْيَا رِيمٍ بَضَّةٍ الْمُتَجَرِّدِ
بِلَادِ الْعَدَا لَمْ تَأْتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا بِهَا هُمُ نَفْسِي مِنْ تَهَامٍ وَمُنْجِدِ
وَمَا جَعَلْتَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ نَاقَتِي إِلَى الْبِرْكَ إِلَّا نَوْمَةَ الْمُتَهَجِّدِ
وَكُنْتَ قُبَيْلَ الصَّبْحِ تَنْبِذَ رَحْلَهَا بِدُومَةٍ مِنْ لَغَطِ الْقَطَا الْمُتَبَدِّدِ
قَالَ فَقُلْتُ : يَا عَمِّي فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتَرِيَ دَابَّةً بِدَرَاهِمِينَ فَتَشِيعُهَا وَتَصْبِحَ مَعَكَ ؟

1 وما أَفْسَدَ فِي الدِّيَّانِ : وَمَا ضَيَّعَ .

2 دِيَّانُهُ : 114 .

3 جَازَانُ : هِيَ الْيَوْمَ مَدِينَةُ فِي جَنُوبِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ . وَوَلِيهِ : قَرْبِهِ . وَسَهَامٌ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ .
وَسُرْدٌ : وَادٌ بِتَهَامَةِ الْيَمَنِ .

4 الْفَدَفْدُ : الْفَلَاةُ .

5 الْبِرْكَ : نَاحِيَةُ بِالْيَمَنِ .

فضحك وقال : نفع الله بك يا ابن أخي ، أما علمت أن الندم توبة ، وعمك كان أشغل مما تحسب .

[أنشد أبو السائب شعراً له فنهكهم به]

قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهل :

سقى الله جازاناً فمن حلّ ولّيه فكلّ فسيلٍ من سهام وسُرْدٍ
فلما بلغ قوله :

فواندمي أن لم أعجّ إذ تقول لي تقدّم فشيّعنا إلى ضحوة الغد
قال أبو السائب : ما صنع شيئاً ! ألا اكترى حماراً بدرهمين فشيّعهم ولم يقل «فواندمي»
أو اعتذر ! وإنّي أظنّ أنه قد كان له عذر . قال : وما هو ؟ قال : أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً .
[قصيدته الميمية]

فقال الزبير وحدثني ابن مقّداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهل قوله¹ :

صوت

ألا علق القلب المتيمّ كلّثما لجاجاً ولم يلزم من الحبّ ملزماً
خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتدّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزت بي يلملماً²
ومرت بطن الليث تهوي كأنّما تُبادر بالإدلاج نهباً مقسماً³

غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالنصر عن الهشامي . قال : وفيه هزج يمان بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أن خفيف الثقيل هو اليماني . وفيه لقيط مولى العبلات رمل صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي . وقال الهشامي : فيه لحكم ثقیل أول . وذكر أبو أيوب المديني في أغاني ابن جامع أن فيه لحناً ولم يجنسه :

1 ديوان أبي دهل : 106-109 . وقد تقدّم هذا الخبر وشعر أبي دهل وبشامة بن الغدير في ترجمة قيل مولى العبلات .

2 يلملم : موضع ميقات أهل اليمن .

3 الليث : موضع بالحجاز .

وجازَتْ على البزواء والليلُ كاسرٌ
فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيَّنتُ
ومرَّت على أَشطانِ رَوْنقٍ بالضُّحى
وما شربتُ حتى ثنيتُ زمامها
فقلت لها قد بنتِ غيرَ ذميمةٍ
جناحينَ بالبزواءِ وزدًا وأذهما¹
بُعْلَيْبَ نخلًا مشرفًا أو مخيما²
فما خزرتُ للماءِ عينا ولا فما³
وخفتُ عليها أن تخرَّ وتكلما
وأصبح وادي البرك غيا مديما

قال : فقلت له : ما كنتَ إلا على الرِّيح ؟ ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنَّ عمك كان إذا همَّ فعلٌ ،
وهي الحاجة . أما سمعتَ قولَ أخي بني مُرة⁴ :

إذا أقبلتُ قلتَ مشحونةٌ
وإن أدبرتُ قلتَ مدعورةٌ
وإن أُعرضتُ خال فيها البصير
يدا سُرْحٍ مائلٍ ضبَّعها
فمرَّت على خُشبٍ غُدوةٌ
تخبُّط بالليل حُرَّانَه
أطاعتُ لها الرِّيحُ قِلْعًا جَفولا⁵
من الرُّبْد تتبع هيقًا ذُمولا⁶
ر ما لا تكلفه أن يميلا
تسوم وتُقدِّم رجلا زحولا⁷
ومرَّت فوقَ أريكِ أصيلا⁸
كخبُّطِ القويِّ العزيزِ الذليلا⁹

[استحسن ريان السواق شعره وقال ليس بعده شيء]

وأخبرني الحرَّمي قال حدثنا الزُّبير قال حدثني جعفر بن الحسن اللّهي قال : أنشدت ريان
السواق قولَ أبي دهل :

أليس عجيباً أن نكون ببلدة
ولا تصرِّميني أن ترينني أحبكم
كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلَّم
أبوء بذنبي إنني أنا أظلم

1 البزواء : موضع في طريق مكة .

2 غليب : واد بتهامة . وفي الديوان : نخلًا مشرفًا ومخيما . وفي ل : جاء هذا البيت ثالثًا .

3 خزرت عينا : ضيقتها .

4 هو بشامة بن الغدير .

5 أطاعت في ل : أقلت .

6 الريد : النعام فيه سواد وغيره . والهيق : ذكر النعام . والذمول : السريع .

7 وتقدم في ل : وتقحم .

8 ذو خشب : موضع قرب المدينة . وأريك : واد .

9 حران : ما غلظ من الأرض مع ارتفاع قليل .

فقال : أحسن ، أحسن الله إليه ؛ ما بعد هذا شيء .

وفي هذه القصيدة يقول :

[من الطويل]

صوت

أَمَّا أَنَا أَنَا كُنْتُ قَدْ تَأَمَّنْتَهُمْ فزادوا علينا في الحديث وَأَوْهَمُوا
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كَثُرُوا علينا وباحوا بالذي كُنْتُ أَكْمُ
لقد كُجِلْتُ عيني القَذَى لفراقكم وعاودها تَهْتَانَهَا فهي تَسْجُمُ
وَأَنْكَرْتُ طَيْبَ الْعِيشِ مِنِّي وَكُذِّرْتُ عَلَيَّ حَيَاتِي وَالْهَوَى مَتَقَسَّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسَّيَّابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزُور
الطائفِيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفاً رملٌ أَحَدُهُمَا بالوسطى لَمُتِّمٌ والآخِرُ
بالبنصر لَعَرِيبٌ .

[بين القاسم بن المعتمر وأبو السائب]

أَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ
الْمَعْتَمِرِ الزُّهْرِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ : يَا أَبَا السَّائِبِ ، أَمَا أَحْسَنُ أَبُو دَهْلٍ
حَيْثُ يَقُولُ¹ :

[من الطويله]

صوت

أَتْرَكَ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنْ الذَّمَامُ كَبِيرُ
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَفْضَلُ ذِمَّةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ

قال : فقال لي : وبأي أنت ! كُنْتُ وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُكَ وَتَثْقُلُ عَلَيَّ ، فَأَنَا الْآنَ أَحْبَبُكَ وَتَخِفُّ
عَلَيَّ .

وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيفٌ رملٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه لَعَلَّوِيهِ رملٌ
بالوسطى من جامع أَغَانِيهِ . وفيه للمازنيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ آخر من رواية الهشاميّ وذُكَّاء وغيرهما .
وأوَّلُ هذا الصوت بيت لم يُذَكَرْ فِي الْخَبَرِ ، وَهُوَ :

[من الطويل]

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَّيْتُ حُكْمًا عَلَيَّ تَجَوَّرُ

1 ديوان أبي دهل : 77-78 . وقد تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة مجنون بني عامر منسوبة إليه 2 : 49 .

[ردّه على توعّد عبد الله بن صفوان لعمّه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبَيْرُ قال حدّثني عمّي مصعب ومحمّد بن الضحّاك عن أبيه : أنَّ أبا رِيحانة عمّ أبي دهب كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزُّبَيْر ، فتوعّده عبد الله بن صفوان ، فلحقّ بعبد الملك بن مروان ، فاستمده الحجاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف ؛ فأشرف أبو رِيحانة على أبي قُبَيْسٍ فصاح أبو رِيحانة : أليس قد أخزأكم الله يا أهل مَكَّة ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى والله قد أخزأنا الله . فقال له ابن الزُّبَيْر : مهلاً يا ابن أخي ؛ فقال : قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة . قال : وقال أبو دهب في وعيد عبد الله بن صفوان عمّه أبا رِيحانة ، واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَةَ¹ :

ولا تُوعِدْ لتقتله عليّاً	فإن وعيدَه كلاً وِيلُ
ونحن بيطن مَكَّة إذ تداعى	لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ
أولو الجمع المقدّم حين ثابوا	إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلما أن تفانينا وأودى	بثروتنا الترحّلُ والرحيلُ
جعلت لحومنا غرضاً كأننا	لتهلكنا عروبةً أو سلُولُ

[رثى ابن الأزرق وأوصى أن يُدفن بجانيه]

أخبرني محمّد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال : مات ابنُ الأزرق وأبو دهب حيّ فدُفِنَ بعُليّيب ، فلما احتضر أبو دهب أيضاً أوصى أن يُدفن عنده . وفيه يقول أبو دهب يرثيه ، عن أبي عمرو الشَّيبانيّ² :

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُليّيب	فتى كان من أهل الندى والتكرّم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى	ونعم الفتى للطارق المتيمّم
أَلْحَقْ أَتَيْ لا أزال على مِنى	إذا صدر الحجاجُ عن كلّ مَوْسِمٍ ³
سقى الله أرضاً أنت ساكنُ قبرها	سِجَالُ الغوايدي من سَحِيلٍ ومُبرَمٍ ⁴

1 ديوان أبي دهب : 98 مع بعض اختلاف .

2 ديوانه : 65 .

3 أزال في ل : أراك .

4 السحيل : الخيط غير المقتول . والمبرم : الخيط المقتول . وهذا كناية عن التعميم ، أي مهما يكن السحاب المار بها .

[خرج إلى مصر لطلب ميراث]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمي قال حدثني
إبراهيم بن أبي عبد الله قال : وقع لأبي دهب ميراث بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من
الطريق فقال¹ :

اسلمني أمّ دهب بعد هجرٍ وتقض من الزمان وعمرٍ
واذكرني كربي المطي إليكم بعد ما قد توجّهت نحو مصرٍ
لا تخالي أني نسيك لما حال ييش ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدم قبلي وأطع يشو عند قبرك قبري
قال إبراهيم : فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعليب .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من المقارب]

ألا أيّها الشادن الأكحل إلى كم تقول ولا تفعل
إلى كم تجود بما لا نريد د منك وتمنع ما نسأل
الشعر للحسين بن الضحّاك . والغناء لأبي زكّار الأعمى ، ولحنه المختار هزج بالنصر .

[106] - أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه¹

[منشؤه وشعره]

الحسين بن الضحّاك باهليّ صليبيّة²، فيما ذكر محمد بن داود بن الجراح، والصحيح أنّه مولى لباهلة. وهو بصريّ المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسيّة، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: أنّه أول من جالس منهم محمد الأمين. شاعرٌ أدبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرف في الشعر حلّو المذهب، لشعره قبول ورونق صافي. وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبّه الناس إلى أبي نواس. وله معاني في صفتها أبدع فيها وسبق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تُذكر في أماكنها. وكان يلقّب الخليع والأشقر، وهاجى مُسلم بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيّد. وهو من المطبوعين الذين تخلّو أشعارهم ومذاهبهم جملةً من التكلف. وعُمّر عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر.

وحدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال: كان حسين بن الضحّاك بن ياسر مولى لباهلة، وأصله من خراسان؛ فكان ربّما اعترف بهذا الولاء وربّما جحدّه، وكان يلقّب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهليّ ابنا خالة.

وحدّثني الصّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ: أنّه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال: هو حسين بن الضحّاك بن ياسر، من موالى سليمان بن ربيعة الباهليّ. قال الصّوليّ: وسألت الطيّب بن محمد الباهليّ عنه فقال لي: هو الحسين بن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، وداره في بني مُجاشع وفيها وُلد الحسين، أرائيها صاحبنا سعيد بن مسلم.

[قصيدة له نسبت إلى أبي نواس]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصّوليّ قالا: حدّثنا المغيرة بن محمد المهلبيّ قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبا نواس لما حَجَجْتُ قصيدتي التي

1 ترجمة حسين بن الضحّاك في وفيات الأعيان 2 : 162-168 وتاريخ بغداد 8 : 54 وطبقات ابن المعتز : 268-271 ومعجم الأدباء (إحسان عيّاس) : 1063-1070 وتاريخ ابن عساكر 4 : 672 وتهذيب 4 : 300 وشذرات الذهب 2 : 123 والوافي 12 : 379. وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستار فراج (دار الثقافة - بيروت 1960) وإذا تعدّدت المصادر واختلفت الروايات فإنّه يعتمد رواية الأغاني.

2 صليبية : خالص النسب.

قَلَّتْهَا فِي الْخَمْرِ وَهِيَ¹ : [من البسيط]

بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ²
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ مِنْهَا إِلَى قَوْلِي :

حَتَّى إِذَا أُسْنِدْتُ فِي الْبَيْتِ وَاحْتَضِرْتُ عِنْدَ الصَّبُوحِ يَسَامِينُ أَكْفَاءِ
فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرْهَاءِ³

قال : فَصَعِقَ صَبْعَةً أَفْرَعَنِي ، وقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَشْقَرَ ؛ فَقُلْتُ : وَيْلَكَ يَا حَسَنَ ؛
إِنَّكَ أَفْرَعَنِي وَاللَّهِ فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ أَفْرَعَنِي وَرُعَنِي ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا
بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا وَأَغْوَصَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا فَسَبَقْتَنِي إِلَيْهِ وَاحْتَلَسَتْهُ مِنِّي ، وَسَتَعْلَمُ لَمَنْ يُرَوِّى أَلِي
أَمْ لَكَ ؛ فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ يَرَوِيهَا لَهُ .

أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الضَّحَّاكِ يَقُولُ :
لَمَّا قُلْتُ قَصِيدَتِي :

بُدِّلَتْ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ

أَتَشَدُّتُهَا أَبَا نَوَاسٍ ؛ فَقَالَ : سَتَعْلَمُ لَمَنْ يَرَوِيهَا النَّاسُ أَلِي أَمْ لَكَ ؛ فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ،
رَأَيْتُهَا فِي دِفَافِ النَّاسِ فِي أَوَّلِ أَشْعَارِهِ .

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ،
فَذَكَرَ نَحْوَهُ مِنْهُ .

[حجبه المأمون لشعره في الأمين]

أَخْبَرَنِي الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ ، قَالَ الصَّوَلِيُّ
وَحَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ
خُرَاسَانَ وَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ ، أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ ، فَذَكَرَ
لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ مُحَمَّدٍ الْمَخْلُوعِ ؛ فَقَرَأَ أَسْمَاءَهُمْ حَتَّى
بَلَغَ إِلَى اسْمِ حُسَيْنَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ⁴ :

[من الكامل]

1 انظر أشعار الخليفة : 19-21 .

2 الآء : الدفلى .

3 الرقراقة : الدمعة التي تترقق في العين دون أن تسيل . والمرهء : التي لم تكحل .

4 انظر أشعار الخليفة : 79 ورواية البيت الثاني فيها :

قد كان فيك لمن مضى خلف ولسوف يعوز بك الخلف

هَلَّا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتِنَا أَبَدًا وَكَانَ لَغِيرِكَ التَّلَفُ
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَائِفًا سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُعْزِزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لا حاجة لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به . قال : وانحدر حسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

أخبرني عمي والكوكبي بهذا قالاً حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الحارث المروزي عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السندي بن شاهك ، فذكر مثله سواء .

قال ابن أبي طاهر فحدثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال : دخلت يوماً على المأمون ومعني بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلت يا أمير المؤمنين ، أحب أن تسمع مني بيتين ؛ فقال : انشدّهما فأنشدته¹ :

حَمِدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا بَنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا ؛ فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله² :

أَيَّخَلَ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ عَلِيٌّ وَقَدْ أَفْرَدْتَهُ بِهِوًى فَرْدٍ
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

قال : فأطرق ساعة ثم قال : ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال . قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى ، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيناً ، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحّاك . وقد روي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون ، وكان له صديقاً . ولعل الغلط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدالية لإبراهيم بن المهدي خفيف ثقيل بالنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفي رمل بالنصر .

1 أشعار الخليع : 119 .

2 أشعار الخليع : 46 .

[أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد ، فقال : لست تطرح على جوارِي وغلماي ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم ؛ فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترأ ليتخير مما فيه ، فمر به شعر الحسين بن الضحّاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو¹ :

أطل حَزناً واثك الإمام محمداً بحزن وإن خفت الحسام المهندا
فلا تمت الأشياء بعد محمدٍ ولا زال شملُ الملك منها مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

فقال لي صالح : أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً ! ثم دعا بـسِكِّين فجعل يحككه ؛ وصعد المأمون من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفتر . فقال المأمون : يا غلام الدفتر ، فأتني به ، فنظر فيه ووقف على الحك فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تصدقوني ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعث فجيء بدفاترك ليتخير ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه ؛ قلنا كذا كان . فقال : غنه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضحّاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنه فغنيت ؛ فقال : اردده فرددته ثلاث مرّات ؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، قال : حتى تعلم أنه لم يضررك عندي .

قال : وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك ، وكان نديمه وصديقه :

يا سعيد وأين مني سعيد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضحّاك في محمد الأمين مرّات كثيرة جياذ ، وكان كثير التحقّق² به والمؤالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إياه . وبلغ من جزعه عليه أنه خولط ؛ فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مسترٍ وإنه قد وقف على تفرّق دُعائه في الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعتة ضناً به وشفقة عليه . ومن جيد مراثيه إياه قوله³ : [من الخفيف]

1 أشعار الخليج : 50 .

2 لعلها التعلّق .

3 أشعار الخليج : 150 .

صوت

سألونا أن كيف نحن فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قومٌ أصابنا حدثُ الدهر سرّ فظّلنا لرّيبه نستكين
نتمنّى من الأُميين إياباً لهفَ نفسي وأين مني الأُميين

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقليل بالوسطى . وفيها لعريبٌ خفيف ثقليل .

ومن جيّد قوله في مرثيته إياه¹ :

أعزّي يا محمّد عنك نفسي معاذَ الله والأَيْدي الجِسامِ
فهلاًّ مات قوم لم يموتوا ودُوفع عنك لي يوم الحِمامِ
كأن الموتَ صادف منك غنماً أو استشفى بقُربك من سقامِ

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمّد النّوفليّ قال قال لي محمّد بن عبّاد : قال لي المأمون وقد قديمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مضرّكم ؟ قلتُ : ما أعرفه ؛ قال : ذاك الحسين بن الضّحّاك ، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم . أليس هو الذي يقول :

رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده فملكه والله أعلم بالعبدِ
قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبْلغَ من بيته هذا ؛ فاكب إليه فاستقديمه ؛ وكان حسين عليلاً وكان يخاف بوادِر المأمون لما فرط منه ؛ فقلت للمأمون : إنّه عليل يا أمير المؤمنين ، علته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فخذُ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم ؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال .

[أشعر المحدثين]

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمّد بن يزيد الأزديّ يقول : حسين بن الضّحّاك أشعرُ المحدثين حيث يقول² :

أيُّ ديباجةٍ حُسن هيّجتْ لوعةَ حزني

1 أشعار الخليلع : 103-104 .

2 أشعار الخليلع : 152 .

إذ رماني القمر الزا هر عن فترة جفن
بأبي شمسُ نهارٍ برزتُ في يوم دجن
قربتني بالمني حـ حتى إذا ما أخلفتني
تركني بين ميعا د وخلفٍ وتجنّي
ما أراني لي من الصب سوة إلا حسن ظني
إنما دامت على الغد ر لِمَا تعرف مني
أستعيذُ الله من إعـ راض من أعرض عني

[استقدمه المعتصم من البصرة]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبو الفيض بن سودة عن جدي قال : لما ولي المعتصم الخلافة سألتني عن حسين بن الضحّاك ، فأخبرته بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم . فلما دخل وسلم استاذن في الإنشاد فأذن له ؛ فأنشده قوله ¹ :

هلاً سألت تلذذ المشتاق ومننت قبل فراقه بتلاقٍ²
إنّ الرقيب ليستريب تنفساً صعداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أرتت لقد نظرت بمقلة عبرى عليك سخينة الآماق
نفسى الفداء لخائف مترقب جعل الوداع إشارة بعناق
إذ لا جواب لمفحم متحيرٍ إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله :

خير الوفود مبشّر بخلافة خصت بيهجتها أبا إسحاق
وأفته في الشهر الحرام سليمةً من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعةً قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام إلى إمام سلامة عفّ الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها وأجار مُملقها من الإملاق

حتى أتمها . فقال له المعتصم : أذن مني فدنا منه ؛ فملأ فمه جوهرًا من جوهر كان بين

1 أشعار الخليفة : 83-84 مع بعض اختلاف .

2 الشطر الأول في أشعار الخليفة : هلاً رحمت تلدد المشتاق . والتلدد : الحيرة والدهش .

يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنظَمَ ويُدفعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله . فكان أحسن ما مُدح به يومئذ .
 ومما قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال :

قل للآلى صرّفوا الوجوه عن الهدى	متعسّفين تعسّف المُرّاقِ
إنّي أحذّرکم بوادر ضيّغم	دربٍ بحطّم موائِل الأعناقِ
متأهب لا يستفزّ جنائنه	زجلُ الرُّعود ولامعُ الإبراقِ
لم يَبْقَ من متعرّمين توثبوا	بالشام غير جماجم أفلاق ¹
من بين مُنجدِل تمجّ عروقه	علّق الأُخادع أو أسير وثاق ²
وثنى الخيول إلى معاقل قيصر	تختال بين أحزّة ورقاقِ
يحملن كلّ مُشمر مُتغشّم	ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداقِ
حتى إذا أمّ الحصون مُنازلاً	والموتُ بين ترائبٍ وتراقِ
هرّت بطارقها هريّر قساوير	بُدّهت بأكره منظر ومذاقِ
ثم استكانت للحصار ملوكها	ذلاً وناط حلوقها بخناقِ
هربت وأسلمت الصليب عشية	لم يَبْقَ غير حُشاشة الأرماقِ

قال : فأمر له المعتصم لكلّ بيت ألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا . فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .
 [أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر]

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال : سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما³ :

إذا ما الماء أمكنتني	وصفو سُلّافة العنّبِ
صيّتُ الفضة البيضاء	فوق قُرّاضة الذهبِ

فقلت له : من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال : أرقُ الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن الضحّاك .

1 المتعرّم : ذو العرامة وهي الشراصة والحلّة في الخلق .

2 العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .

3 أشعار الخليلج : 30 .

[أخذ أبو نواس معنى له في الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس قصيدتي¹ :

وشاطريّ اللسان مخلّق التك ربه شاب المجنون بالنسك²
حتى بلغتُ إلى قولي :

كأنما نُصبَ كأسه قمرٌ يكرعُ في بعض أنجم الفلك³
قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عبّ فيها شاربُ القوم خيلته يُقبّل في داج من الليل كوكبا
قال : فقلت له : يا أبا عليّ هذه مُصالّته⁴ . فقال لي : أتظنّ أنه يُروى لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ ! . أخبرني به جعفر بن قدامة عن عليّ بن محمّد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهبويه قال : أنشدتُ إبراهيم بن المدبر قولَ حسين بن الضحّاك :

كأنما نُصبَ كأسه قمرٌ حاسده بعض أنجم الفلك
حتى إذا رنّحتهُ سورّتها وأبدلّته السكونَ بالحركِ
كشفتُ عن وَرّة مسنّمة في لين صينيّة من الفلك⁵

فقال لي إبراهيم بن المدبر : إنّ الحسين كان يزعم أنّ أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول : يقبّل في داج من الليل كوكبا . فإن كان سرّقه منه فهو أحقُّ به لأنّه قد برّز عليه ، وإن كان حسين سرّقه منه فقد قصر عنه .

[مدح الواثق حين ولي الخلافة]

أخبرني محمّد بن يحيى الخُرّاسانيّ قال حدثني محمّد بن مُخارق قال : لما بُيع الواثقُ

1 أشعار الخليع : 87-88 .

2 الشاطري : نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً . وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العبّاسية على أهل البطالة والفساد .

3 كأنما قمر في ل : تخالفا كأسها قمرأ .

4 المصالّة : أخذ البيت لفظاً ومعنى . والصلت : اللص .

5 الفلك : التلّ من الرمل .

بالخلافة دخل عليه الحسين بن الضحّاك فأنشده قصيدته التي أوّلها¹ : [من الطويل]

صوت

أَلَمْ يَرُعَ الْإِسْلَامَ مَوْتُ نَصِيرِهِ بَلَى حَقٌّ أَنْ يَرْتَاغَ مَنْ مَاتَ نَاصِرُهُ
سَيُسْلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهِ عِظْفِيهِ وَأَلَّفَ شَخْصَهُ عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ
يَصْبُ بِذِلِّ الْمَالِ حَتَّى كَانَتْمَا يَرَى بِذَلِكَ لِلْمَالِ نَهْبًا يُيَادِرُهُ²
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَمًا مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

فقال الواثق : إن كان الحسين لينطبق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية . ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان ، منها لعريب في طريقة الثقيل الأول .

[سرق من شعر أبي العتاهية في الرشيد]

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني محمد بن عمرو الرُّومي قال : لما ولي الواثق الخلافة أنشده حسين بن الضحّاك قصيدة منها : [من الطويل]

سَيُسْلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
وَمَا قَدَّمَ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَقْدَمًا مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فأنشدت إسحاق الموصلي هذا الشعر ؛ فقال لي : نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بالفاظه بعينها حيث يقول³ : [من الطويل]

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ إِمَامٌ اعْتَرَامٌ لَا تُخَافُ بَوَادِرُهُ
إِمَامٌ لَهُ رَأْيٌ حَمِيدٌ وَرَحْمَةٌ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ

قال : فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين ، وإنما كان يروي للأوائل ويتعصب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصة .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

1 أشعار الخليل : 58 .

2 صبّ بالشيء : كلف به وولع .

3 ديوان أبي العتاهية : 540 .

صوت

[من الطويل]

جرى لك من هارون بالسعد طائرُهُ
 إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ
 مواردُه محمودةٌ ومصادرةٌ
 هو الملكُ المجبولُ نفساً على التقي
 مُسلمةٌ من كلِّ سوءٍ عساكرةٌ
 لِنُغمذِ سيوفِ الحربِ فاللهُ وحده
 وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُهُ
 الشعر لأبي العتاهية ، على ما ذكره الصُّولي . وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض
 النسخ لسلمِ الخاسير . والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان خفيفٌ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني
 ثقيل بالبنصر عن الهشامي .

صوت

[من الطويل]

سَيَسْلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ
 أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهُ
 ثنى الله عِطْفِيهِ وَأَلْفَ شَخْصِهِ
 على البرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ
 الشعر لحسين بن الضَّحَّاك . والغناء لعريبٍ ثقيلٌ أوَّلُ مطلق . وفيه لقلمُ الصالحية خفيفٌ
 رمل ، وهو أغرب اللحنين ولحنٌ غريبٌ المشهور .
 [مدح الوائت وهو في الصيد فأجازه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني
 علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنا مع
 الواثق بالقاطول¹ وهو يتصيد ؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزو² من الإوز والدُّراج وطيرِ الماء
 وغير ذلك ؛ ثم رجع فتغدى ، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من يُشدنا ؟ فقام
 الحسين بن الضَّحَّاك فأنشده³ :

[من الطويل]

سقى الله بالقاطول مَسْرَحَ طرفكا
 وخصَّ بسُفْيَاهِ مناكِبَ قَصْرِكَ
 حتى انتهى إلى قوله :
 تَحْيَنَ لِلدُّرَّاجِ فِي جَنَابَتِهِ
 وللغُرِّ آجَالٌ قُدِرْنَ بِكَفْكَا

[من الطويل]

1 القاطول : نهر حفره الرشيد متفرعاً من دجلة وبني عليه قصرأ سماه أبا الجند .

2 الزو : نوع من السفن .

3 أشعار الخليل : 89 .

حُتُوفاً إِذَا وَجَّهْتَهُنَّ قَوَاضِيَا عَجَالاً إِذَا أَغْرَيْتَهُنَّ بَزْجِرَا
أَبَحْتَ حَمَاماً مُضْعِداً وَمُضَوِّباً وَمَا رَمَتْ فِي حَالِكَ مَجْلَسَ لُحَا¹
تَصَرَّفُ فِيهِ بَيْنَ نَائِيٍّ وَمُسْمِعٍ وَمَشْمُولَةٍ مِنْ كَفِّ ظَبِيٍّ لَسَقِيكَ²
قَضَيْتَ لُبَانَاتٍ وَأَنْتَ مَخِيْمٌ مُرِيحٌ وَإِنْ شَطَّتْ مَسَافَةُ عَزْمِكَ
وَمَا نَالَ طَيْبَ الْعَيْشِ إِلَّا مُودَعٌ وَمَا طَابَ عَيْشٌ نَالَ مَجْهُودَ كَدِّكَ³

فقال الواصل : ما يعْدِلُ الراحةَ ولَذَّةَ الدَّعةِ شيء . فلَمَّا انتهى إلى قوله :

خُلِقْتَ أَمِينَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ عَصْمَةً وَأَمْنًا فَكُلُّ فِي ذَرَاكَ وَظِلُّكَ
وَوَقَّتَ بَمَنْ سَمَّاكَ بِالْغَيْبِ وَائْتِقَاً وَثَبَّتَ بِالتَّأْيِيدِ أَرْكَانَ مُلْكِكَ
فَأَعْطَاكَ مُعْطِيكَ الْخِلَافَةَ شُكْرَهَا وَأَسْعَدَ بِالتَّقْوَى سَرِيرَةَ قَلْبِكَ
وَزَادَكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، غَيْرَ مِئَةٍ عَلَيْكَ بِهَا ، أَضْعَافٌ أَضْعَافِ عَمْرِكَ
وَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ فِي كُلِّ حَالَةٍ عُدَّةً لِمَنْ عَادَاكَ سَلَمًا لِسَلْمِكَ
إِذَا كُنْتُ مِنْ جَذْوَاكَ فِي كُلِّ نَعْمَةٍ فَلَا كُنْتُ إِنْ لَمْ أَفْرِ عَمْرِي بِشُكْرِكَ

فطَرِبَ الواصل فَضْرِبَ الْأَرْضَ بِمِخْصَرَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ ، وَقَالَ : اللَّهُ دَرَكٌ يَا حُسَيْنُ ! مَا أَقْرَبَ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَوْدُكَ يُنْطِقُ الْمُفَحِّمَ بِالشَّعْرِ وَالْجَاوِدَ بِالشُّكْرِ . فَقَالَ لَهُ : لَنْ تَنْصَرِفَ إِلَّا مُسْرُوراً ؛ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
[الواصل يشرب في يوم غيم]

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْوَالِثِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي السَّمَاءِ لَطَخَ⁴ غَيْمٌ ، فَقَالَ لِي : مَا الرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا حَكَمَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ قَبْلِي أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ؟ فَإِنَّهُ أَشَارَ بِصَوَابٍ لَا يَرُدُّ وَجْعُهُ فِي شَعْرِ لَا يُعَارِضُ . فَقَالَ : وَمَا قَالَ ؟ فَقُلْتُ قَالَ : [مَنْ الْوَافِرُ]

أَرَى غَيْمًا تَوَلَّفَهُ جَنْوبٌ وَأَحْسَبُهُ سَيَاتِينَا بِهِطَلٍ
فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ فَتَشْرِبُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ
فَقَالَ : أَصَبْتُمَا ؛ وَدَعَا بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ وَالْمَغْنَنِ وَالْجُلَسَاءِ وَاصْطَبَحْنَا .

1 رام المكان : زال عنه وفارقه .

2 مشمولة : الخمر الباردة .

3 المودع : المرفه .

4 لطح غيم : قليل غيم .

[وصف ليلة للوائق]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن علوان قال حدثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال : كان حسين بن الضحّاك ليلةً عند اللوائق وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل ، فأمر بأن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يمض شيء وأنا أقول الساعة ؛ وفكر هنيهة ثم قال¹ :

و طاب يومي بقرب أشباهي	حَتَّ صَبُوحِي فَكَاهَةُ اللَّاهِي
من قبل يومٍ منغصٍ ناهي	فاسْتَرَّ اللَّهُوْ مِنْ مَكَامِنِهِ
مَوْزَّرٌ بِالْمُجُونِ تَيَّاهٍ	بَابِنَةِ كِرَمٍ مِنْ كَفِّ مُتَطَلِقٍ
سَقَى لَطِيفٌ مَجْرُبٌ دَاهِي	يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ
حيرانٌ بين الذَّكُورِ وَالسَّاهِي	كَأَسًا فَكَأَسًا كَأَنَّ شَارِبَهَا

قال : فأمر اللوائق برد مجلسه كهيبته ، واصطحب يومه ذلك معهم ؛ وقال : نحقق قولك يا حسين ونقضي لك كلُّ أرب وحاجة .

[غضبت جارية للوائق عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن مغيرة المهلبّي قال حدثنا حسين بن الضحّاك قال : كانت لي نوبة في دار اللوائق أحضرها جالس أو لم يجلس . فبينما أنا نائم ذات ليلة في حجرتي ، إذ جاء خادَم من خَدَمِ الْحَرَمِ فقال : قُمْ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ . فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً وإلى جنبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فلمَّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه ؛ فغضبت حَظِيَّتُهُ وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتها ؛ فانتبه وهو يرى أنّها عنده فلم يجدها ، فقال : اختلست عزيزتي ، ويحكم أين هي ! فأخبر أنّها قامت غَضْبَى ومضت إلى حجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريقي² :

فَلَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَالرُّضَا	غَضِبْتَ أَنْ زُرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً
فاغفريها واصفحي عما مضى	يَا فَدَتَكَ النَّفْسُ كَانَتْ هَفْوَةً
وانسبي جَوْرِي إِلَى حَكَمِ الْقَضَا	وَاتْرَكِي الْعَذْلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ

1 أشعار الخليل : 122-123 .

2 أشعار الخليل : 70 .

فلقد نَهَيْتَنِي مِنْ رَقَدْتِي وعلى قلبي كئيران الغضا
قال : فلما جئته خبرني القصّة وقال لي : قلّ في هذا شيئاً ؛ ففكرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم
أنشدته الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعدها يا حسين ؛ فأعدتها عليه حتى حفظها ، وأمر
لي بخمسمائة دينار ، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي .
[شعره في لقاء الواصل جاريته في النوم]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال
قال لي حسين بن الضحّاك : كان الواصل يتحطّى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشربَ
أيّاماً ثم سلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت
نومي كان طال قليلاً لأتمتع ببقائها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت¹ : [من الرمل]

ليتَ عينَ الدهرِ عنا غَفَلَتْ وريقبَ الليلِ عنا رَقَدَا
وأقامَ النَّومُ في مدّته كالذي كان وكنا أبداً
بأبي زورٍ تَلَفَّتْ له فتنفّستُ إليه الصُّعْدَا²
بينما أضحكُ مسروراً به إذ تقطّعتُ عليه كَمَدَا

قال : فقال لي الواصل : أحسنتَ ، ولكنك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوته ولا ذنبَ لليل
وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقد .
[سرق منه أبو نواس معنى في الخمر]

أخبرني جَحْظَةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني حسين بن الضحّاك ،
وأخبرني به جعفر بن قدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال : لقيني أبو نواس
ذاتَ يوم عند باب أمّ جعفر من الجانب الغربيّ ، فأنشدته³ : [من الكامل]

أخوَيَّ حيّ على الصُّبُوح صباحا هُبّا ولا تَعِدَا الصُّباحَ رَواحا
هذا الشَّمِيطُ كأنّه متحيّر في الأفقِ سُدّ طريقه فألاحا⁴
ما تأمرانِ بسكرة قروية قرنتَ إلى درك النجاح نجاحا
هكذا قال جَحْظَةُ . والذي أحفظه :

1 أشعار الخليل : 50 .

2 الزور : الخيال يرى في النوم .

3 أشعار الخليل : 38 وانظر قصيدة أبي نواس : 39 .

4 الشميط : الصبح .

ما تأمران بقهوة قَرَوِيَّة

قال : فلمّا كان بعد أَيّام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول : [من الكامل]

ذكر الصُّبُوحِ بسُحرة فارتاحا وأمله ديك الصُّبّاح صياحا

فقلت له : حسن يا ابن الزانية ؛ أفعلتها ؟ فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلّا نُسِب لي .

[إبراهيم بن المهديّ يعرّب عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني أبو أمانة الباهليّ عن الحسين بن الضَّحّاك ، قال محمد بن يحيى وحدّثني المغيرة بن محمد المهلبيّ : أنّ الحسين بن الضَّحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت بينهما مُلاحاة في أمر الدّين والمذهب ؛ فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشُّراب ؛ فانصرف وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه . فكتب إليه ¹ :

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ب فعل الضَّيف بالضيف

فلمّا دارت الكأسُ دعا بالنطع والسيف

كذا من يشربُ الخمر مع التّنين في الصيف

قال : ولم يعد إلى منادمته مدّة . ثم إن إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته .

[نشأته واتّصالة بالأمين]

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني حسين بن الضَّحّاك قال : كنت أنا وأبو نواس ترّين ، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة ، وكنا نحضّر مجالس الأدباء متصاحبين ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة ، واتّصل بي ما آل إليه أمره ، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّيته له ؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولقيتُ الناس ومدحتهم وأخذتُ جوائزهم وعُدّدتُ في الشعراء ، وهذا كلّ في أَيّام الرشيد ، إلّا أنّي لم أصِل إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنّ في خدمته . فغنّي يوماً بهذا الصوت :

[من الطويل]

إن زَمَ أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

فقال لي صالح : قل أنت في هذا المعنى شيئاً ؛ فقلت ² :

[من الطويل]

1 أشعار الخليج : 81 .

2 أشعار الخليج : 26 .

إِنْ دَبَّ حُسَّادٌ وَمَلَّ حَبِيبٌ وَأُورِقُ عَوْدُ الْهَجْرِ أَنْتَ حَبِيبُ¹
لِيَلْبُغْ بَنَّا هَجْرُ الْحَبِيبِ مَرَامَهُ هَلْ الْحَبُّ إِلَّا غَبْرَةٌ وَغَيْبُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِفَرْقَةِ الْفَتَى وَغَيْبَةٍ وَصَلَّى لَا تَرَاهُ يَوْوَبُ
فَأَمَرَ بَأْنَ يُغْنَى فِيهِ . وَاتَّصَلْتُ بِمُحَمَّدِ ابْنِ زُبَيْدَةَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ وَخَدَمْتُهُ ، ثُمَّ اتَّصَلْتُ خَدَمَتِي
لَهُ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ .

[ترضى صالح بن الرشيد]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا
عِنْدَ صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ ، فَجَرَى بَيْنَنَا كَلَامٌ عَلَى النَّبِيذِ وَقَدْ أَخَذَ مِنِّي الشَّرَابُ مَأْخَذًا قَوِيًّا ،
فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ رَدًّا أَنْكَرَهُ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَدْتُ ، فَهَاجَرَنِي ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ² : [من الكامل]

صوت

يَا ابْنَ الْإِمَامِ تَرَكْتَنِي هَمَلًا أَبْكِي الْحَيَاةَ وَأَنْدُبُ الْأَمَلَا
مَا بَالُ عَيْنِكَ حِينَ تَلَحَّظُنِي مَا إِنْ تُقِلُّ جُفُونَهَا ثِقَلَا
لَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ لُبَحْتُ بِهِ كَيْ لَا يَقَالَ هَجَرْتَنِي مَلَلَا
إِنْ كُنْتُ أَعْرِفُ زَلَّةً سَلَفْتُ فَرَأَيْتُ مَيِّتَةً وَاحِدِي عَجَلَا³

فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّيْعِيِّ . قَالَ :
فَكُتِبَ إِلَيَّ : قَدْ تَلَا فِي لِسَانِكَ بِشْعْرَكَ ، مَا جَنَاهُ فِي وَقْتِ سَكْرِكَ . وَقَدْ رَضِيتُ عَنْكَ رِضًا
صَحِيحًا ؛ فَصِرْتُ إِلَيَّ عَلَى أَتَمِّ نَشَاطِكَ ، وَأَكْمَلِ بِسَاطِكَ . فَعُدْتُ إِلَى خَدَمَتِهِ فَمَا سَكِرْتُ عِنْدَهُ
بَعْدَهَا . قَالَ : وَكَانَتْ فِي حُسَيْنٍ عَرِيدَةٌ .

[أُتِشِدَ ابْنُ الْبَوَّابِ شَعْرَهُ لِلْمَأْمُونِ]

وَأَخْبَرَنِي بَعْضُهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ ، وَالْفَاضِلُ
تَزِيدُ وَتَنْقِصُ . وَأَخْبَرَنِي بَعْضُهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ وَكَعْبُ عَنْ آخِرِهِ وَقِصَّةِ وَصُولِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ وَلَمْ
يَذْكُرْ مَا قَبْلَ ذَلِكَ . قَالَ : وَحَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقُلْ وَكَعْبُ : عَنْ أَبِيهِ ،
وَاللَّفْظُ فِي الْخَبَرِ لِابْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ ، قَالَ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَأْمُونِ وَاقِفًا ، فَأَدْخَلَ
إِلَيْهِ ابْنَ الْبَوَّابِ رَقْعَةً فِيهَا آيَاتٌ وَقَالَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي إِنْشَادِهَا ؛ فَظَنَّنَا لَهُ

1 حبيب في الديوان : جنيب .

2 أشعار الخليل : 94 .

3 يدعو على ولده الواحد بالموت العاجل إذا كان يعرف له زلة سلفت .

فقال : هات ؛ فأنشده¹ : [من الطويل]

أَجْرَنِي فَإِنِّي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الْوَعْدِ مَتَى تُنَجِّزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْعَهْدِ
أُعِيدُكَ مِنْ خَلْفِ الْمَلُوكِ وَقَدْ بَدَأَ تَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ²
أَيَّخُلُ فَرْدُ الْحَسَنِ عَنِّي بَنَائِلِ قَلِيلِ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى فَرْدِ
إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصْمَةٌ مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْسَنَ قَائِلُهَا ؛ قَالَ : وَمَنْ
هُوَ ؟ فَقَالَ : عَبْدُكَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ؛ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ : لَا حَيًّا لِلَّهِ مِنْ ذَكَرْتَ وَلَا يَبَاقَ وَلَا
قَرَبَهُ وَلَا أَنْعَمَ بِهِ عَيْنًا ! أَلَيْسَ الْقَائِلُ³ : [من الطويل]

أَعْنِي جُودًا وَابْكِيَا لِي مُحَمَّدًا وَلَا تَذَخَرَا دَمْعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا تَمَتَّ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِ مَبْدَأُ
وَلَا فَرِحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مَشْرَدًا
هَذَا بَذَاكَ ؛ وَلَا شَيْءَ لَهُ عِنْدَنَا . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ : فَأَيْنَ فَضْلُ إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَعَةِ
حِلْمِهِ وَعَادَتِهِ فِي الْعَفْوِ ؟ فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَلَّمَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ رَدًّا جَافِيًّا ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ : هَلْ عَرَفْتَ يَوْمَ قُتِلَ أَخِي مُحَمَّدٌ هَاشِمِيَّةً قُتِلَتْ أَوْ هُتِكَتْ ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ⁴ : [من الطويل]

وَسِرْبَ ظَبَاءٍ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ
أُرْدَ يَدًا مَنِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَلَى كَبِدِ حَرَى وَقَلْبٍ مَفْتَتٍ
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتِينَ بِغَيْطَةٍ وَلَا بَلَغَتْ آمَالُهُمْ مَا تَمَنَّتِ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْعَةٌ غَلَبَتْنِي ، وَرَوْعَةٌ فَاجَأَتْنِي ، وَنِعْمَةٌ فَقَدْتُهَا بَعْدَ أَنْ غَمَرْتَنِي ؛
وَإِحْسَانٌ شَكَرْتُهُ فَانْطَلَقَنِي ، وَسَيِّدٌ فَقَدْتُهُ فَاقْلَقَنِي . فَإِنْ عَاقَبْتَ فَبِحَقِّكَ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ .

1 أشعار الخليل : 46 .

2 وقد بدا في ل : وقد ترى .

3 تقدّم هذا الخبر والأبيات برواية أخرى (ص 114) ، وانظر أشعار الخليل : 50 .

4 أشعار الخليل : 32 .

فَدَمَعَتْ عَيْنَا الْمَأْمُونُ وَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَأَمَرْتُ بِإِدْرَارِ أَرْزَاقِكَ وَإِعْطَائِكَ مَا فَاتَ مِنْهَا ، وَجَعَلْتُ عَقُوبَةَ ذَنْبِكَ امْتِنَاعِي مِنْ اسْتِخْدَامِكَ .
[يشفع عمرو بن مسعدة لدى المأمون]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَمَّا أُعِيَتْ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحِيلَةُ فِي رِضَا الْمَأْمُونِ عَنْهُ ، رَمَى بِأَمْرِهِ إِلَى عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ¹ :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْهَضَابِ	وَشِهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ
أَنْتَ يَا عَمْرُو قَوَّتِي وَحَيَاتِي	وَلِسَانِي وَأَنْتَ ظَفْرِي وَنَابِي
أَتُرَانِي أَتَسَى أَيَادِيكَ الْيَبِ	ضَ إِذْ اسْوَدَّ نَائِلُ الْأَصْحَابِ
أَيْنَ عَطَفَ الْكِرَامُ فِي مَاقِطِ الْحَا	جَةِ يَحْمُونَ حَوَازَةَ الْأَدَابِ ²
أَيْنَ أَخْلَاقُكَ الرِّضْيَةَ حَالَتْ	فِيَّ أَمْ أَيْنَ رِقَّةَ الْكِتَابِ ³
أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأُظْلَمَا !	إِنَّ هَذَا لَوْصِمَةٌ فِي السَّحَابِ
قُمْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِّيَّةِ عَنِّي	قَوْمَةٌ تَسْتَجِرُّ حَسَنَ خُطَابِ
فَلْعَلَّ الْإِلَهَ يُطْفِئَ عَنِّي	بِكَ نَارًا عَلَيَّ ذَاتَ الْتِهَابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطَفُ لِلْمَأْمُونِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَدْرَأَ أَرْزَاقَهُ .

[غضب عليه المعتصم]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ :
غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَيَّ فِي شَيْءٍ جَرَى عَلَى النَّبِيذِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُؤَدِّبَنَّ ؛ وَحَجَبَنِي أَيَّامًا .
فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ⁴ :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَذِيَّةٍ	وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُذْتُ مِنْ غَضَبِهِ
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ	أَتَسَى الْإِلَهَ عَلَيْهِ فِي كُتْبَةٍ
لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقِ لِي سَبِيًّا	أَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبِيَّةٍ

1 أشعار الخليلج : 27 .

2 المأقط : المضييق في الحرب .

3 حالت : تحوّلت من حال إلى حال .

4 أشعار الخليلج : 31 .

ما لي شفيحٌ غيرُ حُرْمِيهِ ولكلُّ من أشفى على عَطْبِهِ
قال : فلمَّا قُرِئَ عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثل هذا الكلام يُسْتَعْطَفُ الكرام ؛ ما هو إلاَّ أن سمعتُ أبياتَ حسينَ هذه حتى أزالَتْ ما في نفسي عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأنَّ يُوْهَبَ له ذنبه ويُتجاوزَ عنه . فرضي عني وأمر بإحضاري .
[هجا العباس بن المأمون]

قال الصُّوليُّ فحدَّثني الحسين بن يحيى أنَّ هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم ؛ لأنَّه بلغه عنه أنَّه مدح العباسَ بن المأمون وتمنَّى له الخلافةَ ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَيِ الواثق فأوصلها وشفَّعَ له فرضي عنه وأمنَّه فظهر إليه ، وهجا العباسَ بن المأمون فقال¹ :

خلَّ اللعينَ وما اكتسبَ	لا زال منقطعَ السببِ
يا عُرَّةَ الثَّقَلَيْنِ لا	ديناً رَعَيْتَ ولا حَسَبَ
حَسَدُ الإمام مكانه	جهلاً خذاك على العطبِ ²
وأبوك قدَّمه لها	لما تخيَّر وانتخبَ
ما تستطيع سوى التند	فَسَّ والتجرُّع للكرْب
ما زلتَ عند أبيك مُدَّ	تَقْصَ المروءة والأدبَ

[شعره في مجلس صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قالا : كنَّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحَّاك وذلك في خلافة المأمون ، وكان صالح يهوى خادماً له ؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحَّى عنه ، وكان جالساً في صحنٍ حوله نرجس في قمر طالع حسنٍ ؛ فقال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغْنِي فيها عمرو بن بانه . فقال الحسين³ :

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى	خِلْتُ أنِّي وما أراك أراكا
وإذا ما تنفَّسَ النرجسُ الغد	ضَّ توهَّمته نسيمَ شذاكا

1 أشعار الخليفة : 25 .

2 خذاك على العطب : قاذك إليه وأوقعك فيه .

3 أشعار الخليفة : 88-89 مع بعض اختلاف .

خُدْعَ لِلْمُنَى تَعْلُنِي فِي كَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَا
لَأُدُومَنَّ يَا حَبِيبِي عَلَى الْعَدَا هَدَ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ
قال عمرو : فقال لي صالح : تغنّ فيها ، فتغنّيتُ فيها من ساعتِي .
لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثَقِيلٌ بالبصرة من روايته .

[شعره في خادم أبي عيسى بن الرشيد]

وقد حدثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبيد الله بن زكريا
الضّرير قال حدثنا الجَمَاز عن أبي نَواس قال : كنت أتعشّق ابناً للعلاء يقال له محمّد ، وكان
حُسين يتعشّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسر ؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال : قد
كاد قلبي أن يسُلُو عنه وعن حبّه . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده
نرجسٌ ، فجلسنا نشرب وطلع القمر ؛ فقلت له : يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمّد ؟
فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه :

وَصَفَ الْبَدْرُ حَسَنَ وَجْهِكَ حَتَّى	خَلْتُ أَنِّي وَمَا أَرَاكَ أَرَاكَ
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الْغَدَا	ضَرَّ تَوَهَّمَتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَ
وَإِخَالَ الَّذِي لَثَمْتَ أَنِّي سِي	وَجَلِيسِي مَا بَاشَرْتُهُ يَدَاكَ
فَإِذَا مَا لَثَمْتُ لَثَمَكَ فِيهِ	فَكَأَنِّي بِذَاكَ قَبْلْتُ فَاكَ
خُدْعَ لِلْمُنَى تَعْلُنِي فِي	كَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَ
لَأُقِيمَنَّ مَا حَبَيْتُ عَلَى الشُّكِّ	رَ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ

قال : فقلت له : أحسنت والله ما شئت ؛ ولكنك يا كشخان¹ هو ذا تقدّر أن تقطع
الطريق في عملي ؟ فقال : يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضرٍ أم بذكر غائبٍ ! والله
لَلنَّعْلِ التي يطأ عليها يُسرٌ أحسنٌ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلِّ ما أتم فيه .
[مدح المتوكّل شعره]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدثني أحمد بن سعيد بن عُبَيْسَةَ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ قال حدثني
عليّ بن الجهم قال : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خلده² وفي يده غصنٌ
آسر وهو يتمثّل بهذا الشعر³ :

[من البسيط]

1 كشخان : ديوث .

2 الخلد : قصر بناه المنصور على شاطئ دجلة .

3 أشعار الخليل : 114-115 .

بِالشُّطِّ لِي سَكَنٌ أَفْدِيهِ مِنْ سَكَنٍ أَهْدِي مِنَ الْآسِ لِي غَصْنِينَ فِي غُصْنٍ
فَقُلْتُ إِذْ نَظَّمَا الْفَيْنَ وَالتَّبَسَا سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِفَالٍ فَيَكَمَا حَسَنُ
فَالْآسُ لَا شَكَّ آسٍ مِنْ تَشَوُّقِنَا شَافٍ وَآسٍ لَنَا يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ
أُبَشِّرْتُمَانِي بِأَسْبَابٍ سَتَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَمَهْمَا يَقْضِيهِ يَكُنْ

قال : فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنشقَّ حسداً : لَمَنْ هذا الشعر يا علي ؟
فقلت : للحسين بن الضحَّاك يا سيدي . فقال لي : هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُّهم
مذهباً وأظرفهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِمَ
أنفكُ ومِتَّ حسداً . وكنتُ قد مدحته بقصيدة وأردتُ إنشادها يومئذ فلم أفعَل ، وعلمتُ
أنِّي لا أُنْتَفِعُ مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخترتها إلى وقت آخر .

[مع شفيع خادم المتوكل]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال : أَحَبُّ
المتوكل على الله أَنْ يُنادمه حسينُ بن الضحَّاك وَأَنْ يَرى ما بَقِيَ من شهوته لما كان عليه ؛
فأحضره وقد كَبِرَ وضعُف ، فسقاه حتى سَكِرَ ، وقال لخادمه شفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيَّاه
بوردة ، وكانت على شفيع ثيابٌ موردة ؛ فمدَّ الحسينُ يده إلى ذراع شفيع . فقال له المتوكل :
يا حسين ، أَتَجَمُّسُ أَخْصَرَ خَدَمِي عندي بِحَضْرَتِي ؟ فكيف لو خلوت ؟ ما أحوجك إلى
أدب ! وقد كان المتوكل غَمَزَ شفيعاً على العَبَثِ به . فقال الحسين : يا سيدي ، أريد دواةً
وقرطاساً ، فأمر له بذلك ، فكتب بخطه¹ :

وكالوردة الحمراء حيًّا بأحمرٍ من الورد يمشي في قراطق كالورد²
له عَبَثَاتٌ عند كلِّ نَحِيَّةٍ بعينه تستدعي الحليم إلى الوجدِ
تمنيتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفْيِهِ شَرِبَةً تذكُرني ما قد نسيْتُ من العهدِ
سقى الله دهرًا لم أَبْتَ فيه ليلةً خَلِيًّا ولكن من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له : ادفعها إلى مولاك . فلما قرأها استملحها وقال :
أحسنْتَ والله يا حسين ؛ لو كان شفيع مِمَّنْ تجوز هبته لوهبته لك ، ولكن بحياتي إلا كنتُ
ساقيه باقي يومه هذا واخذه كما تخدمني ؛ وأمر له بمال كثير حُمِلَ معه لما انصرف . قال

1 أشعار الخليفة : 43 .

2 في مجموع أشعاره :

وكالوردة البيضاء حيًّا بعنبرٍ وكالورد يسمى في قراطق كالورد

أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال : صيرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ، فقلت له : ويلك ! أتدري ما صنعت ؟! قال : نعم أدري ، وما كنتُ لأدعَ عادتي بشيء ؛ وقد قلتُ بعدك¹ :
[من مجزوء الخفيف]

صوت

لا رَأى عَظْفَةَ الأَحَبِّ هـ من لا يُصْرَحُ
أَصْغَرُ السَّاقِيَيْنِ أَشَدَّ كَلُّ عُنْدِي وَأَمْلَحُ
لو تراه كالظُّلِيِّ يَسُ نَحْ حِيناً وَيَبْرَحُ
خَلَّتْ غَصْناً على كَثِيرٍ بِ بَنُورٍ يَوْشُحُ

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقلٍ بالبصرة .

[حيّاه شفيح بتفاحة غير]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وقال حدثني محمد بن أبي عون قال : حضرتُ المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحّاك للمنادمة ، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه ، فسقاه وحيّاه بتفاحة غير . وقال لحسين : قل في هذا شيئاً ؛ فقال² :

وكالدُّرَّةِ البيضاء حَيًّا بغيرٍ وكالورد يسعى في قَرَاطِقَ كالوردِ
له عَبَثَاتٌ عند كلِّ نَحِيَةٍ بعينه تستدعي الحليم إلى الوجد³
تمنيتُ أن أسقى بكفّيه شربةً تُذكرني ما قد نسيْتُ من العهد⁴
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على وعدٍ

فقال المتوكل : يُحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار . فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال : لِمَ ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله لقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، وأطرب فأمّتع ؛ ولولا أن يدُ أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد . فخلج المتوكل وقال : يُعطى حسين بكل بيت ألف دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكبي قال حدثنا بشر بن محمد قال وحدثني علي بن الجهم : أنه حضر المتوكل وقد أمر شفيحاً أن يسقي حسين بن الضحّاك ؛ وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره .

1 أشعار الخليل : 35 .

2 رواية الأبيات هنا كما وردت في مجموع أشعار الخليل ص 43 وفيه تخريجها .

3 بعينه في ل : بكفّيه .

4 بكفّيه في ل : بعينه .

[شعره في مقحم خادم ابن شغوف]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد ، وحدثني عمي قال
حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرّومي قال :
اجتمع حسين بن الضّحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده .
وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويُسرّ ذلك من
ابن شغوف . فلما أكلوا ووضّع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين : قل في مُقحم آياتاً أُغنّ
فيها الساعة . فقال الحسين² :

[من المنسرح]

صوت

وابأبي مُقحم لعزّته قلتُ له إذ خلوتُ مُكتئباً
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نعماً

[تعريض إسحاق الموصليّ بعمرو بن بانة]

وغنّى فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصليّ
بالباب ؛ فقال له عمرو : أعفينا من دخوله ولا تنغص علينا بيغضيه وصلّفه وثقله ففعل ؛
وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن
شغوف . فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضّحّاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصّه .
فقال إسحاق :

[من المنسرح]

يا ابنَ شغوفٍ أماً علمتَ بما قد صار في الناس كلّهم علماً
دعوتَ عمراً فبات ليلته في كلّ ما يشتهي كما زعماً
حتى إذا ما الظلامُ ألبسه سرى ديباً فضاجع الخدماً
نمتَ لم يرَضْ أن يُضاجعهم سراً ولكن أبلدى الذي كما
ثم تغنى لفرط صبّوته صوتاً شفى من غليله السقماً
«وابأبي مُقحم لعزّته قلتُ له إذ خلوتُ مكتئباً»
«تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نعماً»

قال : وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظنّ ؛ فبلغت ابنَ شغوف

1 ويروى أيضاً «مقحم» بالفاء .

2 مجموع شعره : 107 .

فَحَلَفَ أَلَّا يُدْخَلَ عَمْرًا دَارَهُ أَبَدًا وَلَا يَكَلِّمَهُ ، وَقَالَ : فَضَحْنِي وَشَهَرْنِي وَعَرَّضْنِي لِلْسَّانِ إِسْحَاقَ ؛ فَمَاتَ مَهَاجِرًا لَهُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي سَعْدٍ فِي خَبَرِهِ : إِنَّ إِسْحَاقَ غَنِيَ فِيهَا لِلْمَعْتَصِمِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهَا فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ ، فَضَحَكَ وَطَرِبَ وَصَفَّقَ ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعِيدُ الصَّوْتَ وَالْحَدِيثَ وَابْنُ شَغُوفٍ يَكَادُ أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ سَكَرَ وَنَامَ .

لَحَنَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ فِي الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ قَالَهُمَا حُسَيْنٌ فِي مُقْحَمٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَسْطَى .

[رَأَى أَبِي نَوَاسٍ فِي غَزَلِهِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ سَمِعْتُ مَهْدِيَّ بْنَ سَابِقٍ يَقُولُ : التَّقَى أَبُو نَوَاسٍ وَحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ : أَنْتَ أَشْعَرُ أَهْلِ زَمَانِكَ فِي الْغَزْلِ ؛ قَالَ : وَفِي أَيِّ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَلَا تَعْلَمُ يَا حُسَيْنُ ؟ قَالَ لَا ؛ قَالَ : فِي قَوْلِكَ :

وَأَبَايَ مُقْحَمٍ لِعَزَّتِهِ	قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مَكْتَمًا
تَحَبَّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُصُكَ بِالْوِ	دَّ فَمَا قَالَ لَا وَلَا نَعْمَا
ثُمَّ تَوَلَّى بِمَقْلَتِي خَجَلٍ	أَرَادَ رَجَعَ الْجَوَابِ فَاحْتَشَمَا
فَكُنْتُ كَالْمَيْتَغِيِّ بِحِيلَتِهِ	بُرْءًا مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَا سَقَمًا

فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَيَحْكُ يَا أَبَا نَوَاسٍ ؛ فَأَنْتَ لَا تَفَارِقُ مَذْهَبَكَ فِي الْخَمْرِ أَلْبَتَّ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَبِذَلِكَ فَضَّلْتُكَ وَفَضَّلْتُ النَّاسَ جَمِيعًا .

[تَعَلَّبَ يَتْنِي عَلَى شِعْرِهِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ قَالَ أَنْشَدَنِي حَمَّادُ بْنُ الْمُبَارَكِ صَاحِبُ حُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ أَنْشَدَنِي حُسَيْنٌ لِنَفْسِهِ¹ :

[مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ]

لَا وَجْبِيكَ لَا أَصَا	فِجْ بِالْدَّمْعِ مَدَمَعَا
مَنْ بَكَى شَجْوَهُ اسْتَرَا	ح وَإِنْ كَانَ مُوَجَعَا
كِبْدِي مِنْ هَوَاكَ أَسْ	قَمُ مِنْ أَنْ تَقَطَّعَا
لَمْ تَدَعْ سُورَةَ الضَّنَى	فِي السُّقْمِ مَوْضِعَا

قَالَ : ثُمَّ قَالَ لَنَا ثَعْلَبٌ : مَا بَقِيَ مِنْ يُحَسِّنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا .

[رَأَى ابْنَ الرُّومِيِّ فِي غَزَلِهِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَهْوَازِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْعَبَّاسِ الرُّومِيَّ

يقول : حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول¹ :

يا مستعيرَ سَوالفِ الخِشْفِ اسْمَعْ لِحَلْفَةِ صادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أَصِخْ ليلي ويا حَرَبِي من وجنتيكَ وفترةِ الطَّرْفِ
فجَحدتُ رَبِّي فضلَ نعمته وعبدتهُ أبداً على حَرَفِ

[شعره في فتن]

أخبرني عليّ بن العباس الرومي قال حدّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال حدّثني أبي قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال : كانت تألفني مغنية ، وتجيئني دائماً ، وكنت أميل إليها وأستملحها ، وكان يقال لها فتن . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجُحاً ، وكان بغيضاً شرس الخلق ، فإذا جاء معها توقّيته ؛ فمرض ، فجاءتني ومعها غيره ، فبلغتُ منها مرادي وتفرّجتُ يومي وليّتي ؛ فقلت² :

لا تُلْمَنِي على فِتْنٍ إنها كاسِمِها فِتْنُ
فإذا لم أَهْمْ بها فبِمَن ، لا بَمَنِ إِذْنُ
أين ، لا أين ، مثلُها في جميعِ الورى سَكَنُ
طيبَ نَشْرِ إذا لَثَمَ ستَ وغنّجَ ومُحتَضَنُ
وَالِ عَشْرًا مِنَ الصَّبُو حرّ على وجهِها الحسنُ
وعلى لفظِها المُنُو ن لَلامَ بالغَنُ
لست أنسى من الغريب رة إذ بُحت بالشَّجَنُ
قولُها إذ سلبتُها عن كَثِيبٍ وعن عُكَنُ
ليس يُرضيكَ يا فتى من هوىً دونَ أن تَهِنُ
فامتزجنا معاً مُما زجةَ الرُّوحِ للبدنُ
وكُفِينا من أن نُرَا قِبَ نُجُحاً إذا فَطَنُ
وَأَمْنَاهُ أَنْ يَنْـ مَ وما كان مؤتَمَنُ
كلّ ما كان من حبيب بك مستظرفٌ حسنُ

1 شعره : 80 .

2 شعره : 108 عن الأغاني .

[مناظرته مخارق في أبي نواس وأبي العتاهية]

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبد الله الهشامي : أنَّ مُخَارِقاً وحسين بن الضحّاك تَلَا حَيَا في أبي العتاهية وأبي نواس أيهما أشعر ؛ فَاتَّفَقَا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخيران فيه ، فاختار الحسين بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيداً قوياً لمعرفته بذلك ، واختار مخارق شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيلاً غزلاً كان يُغْنِي فيه لا لشيء عرّفه منه إلاّ لأنّه استملحه وغنى فيه ، فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودة ؛ وتخطّراً¹ على مال ، وتحاكماً إلى مَنْ يَرْتَضِيهِ الوائق بالله ويختاره لهما ؛ فاختار الوائق لذلك أبا مُحَلِّم ؛ وبعث فأحضره وتحاكماً إليه بالشعرين فحكّم لحسين بن الضحّاك . فتلكأ مخارق وقال : لم أحسن الاختيار للشعر ولحسّن أعلم مني بذلك ، ولأبي العتاهية خيرٌ ممّا اخترتُ ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدّر عليه لأبي نواس لأنّه أعلم مني بالشعر ، ولكنّا نتخير بالشاعرين ففيهما وقع الجدل ؛ فتحاكماً فحكّم لأبي نواس ، وقال : هو أشعر وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرفه . فأمر الوائق بدفع الخطر إلى حسين ، وانكسر مخارق فما انتفع به بقيّة يومه .

[شعره في الحسن بن سهل]

أخبرني ابنُ أبي طلحة قال حدّثني سَوَادَةُ بن الفَيْض قال حدّثني أبي قال : لما أطرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه ، كان ، في أخيه محمد وجفاه ، لاذ الحسين بن الضحّاك بالحسن بن سهل وطمع أن يُصلحه له ؛ فقال يمدحه² :

أرى الآمالَ غيرَ مُعَرَّجاتٍ	على أحدٍ سوى الحسن بن سهل
يُبَارِي يومَه غُدّه سَمَاحاً	كِلَا اليومين بآنٍ بكلّ فضل
أرى حَسَناً تقدّمَ مُستَبِداً	يَعْدِي من رياسته وقبْل
فإن حَضَرَتِكَ مشكلَةٌ بِشكٍّ	شفاكَ بِحِكْمَةٍ وخطابٍ فَصل
سَلِيلُ مَرَاذِبِ بَرَعُوا حلوماً	وراع صغيرُهُم بسداد كهل
ملوكٌ إن جريتَ بهم أَبْرُوا	وعزّوا أن تُوازِنَهُم بعْدل
لِيَهْنِكَ أن ما أَرَجأتَ رَشْدُ	وما أَمْضيتَ من قول وفعل

1 تخاطرا : تراهما .

2 شعره : 93 .

وَأَنْتَ مُؤَثَّرٌ لِلْحَقِّ فِينَا أَرَاكَ اللَّهَ مِنْ قَطْعٍ وَوَصَلَ
وَأَنْتَ لِلْجَمِيعِ حَيَا رَبِيعٍ يَصُوبُ عَلَى قَرَارَةٍ كُلِّ مَحَلٍّ

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقرّبه وآتسه ووصله وخلع عليه ووعدّه إصلاحَ المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه وَلَما عاجل الحسن من العلة .
[سؤال الحسن بن سهل وجوابه]

قال عليّ بن العباس بن أبي طَلْحَةَ وَحدَّثني أَبُو العباس أحمد بن الفضل المَرْزُيُّ قال :
سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضَّحَّاك : ما عَنَيْتَ بقولك¹ : [من المديد]
يا خَلِيَّ الذَّرْعِ مِنْ شَجَنِي إِنَّمَا أَشْكُو لِتَرْحَمَنِي
قال : قد بَيَّنَّته ؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

مَنْعُكَ الْمِسْوَِرَ يُؤَيِّسُنِي وَقَلِيلُ الْيَأْسِ يَقْتَلِنِي
فقال له أَبُو مُحَمَّدٍ : إِنَّكَ تُضَيِّعُ بِالْخُلَاعَةِ ، مَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْبِرَاعَةِ .

[الحسن بن سهل يهبه غلاماً]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُرِّيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ قَالَ : سَأَلْتُ
حُسَيْنَ بْنَ الضَّحَّاكَ عَنْ خَبْرِهِ الْمَشْهُورِ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي الْيَوْمِ الَّذِي شَرِبَ مَعَهُ فِيهِ وَبَاتَ
عِنْدَهُ وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاؤُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ . فَقَالَ لِي : دَخَلْتُ عَلَى
الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ وَقَدْ جَاءَ وَسَمِيٌّ مِنَ الْمَطَرِ فَرَشَّ رَشًّا حَسَنًا ، وَالْيَوْمُ فِي
أَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَأَطْيَبِهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ ابْنُوسَ وَعَلَيْهِ قُبَّةٌ فَوْقَهَا طَارِمَةٌ² دِياجٌ أَصْفَرٌ وَهُوَ
يُشْرِفُ عَلَى بَسْتَانٍ فِي دَارِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَصَائِفُ يَتَرَدَّدْنَ فِي خِدْمَتِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ غِلَامٌ كَالْدُّينَارِ ؛
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُسْتَطِيقِ ؛ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ³ : [من المتقارب]

أَلَسْتُ تَرَى دِيمَةً تَهْطِلُ وَهَذَا صَبَاحُكَ مُسْتَقْبَلُ

فقال : بَلَى . فَقُلْتُ :

وَتِلْكَ الْمُدَامُ وَقَدْ شَاقْنَا بِرُؤْيَتِهِ الشَّادُنُ الْأَكْحَلُ

فقال : صَدَقْتَ فَمَةً ؛ فَقُلْتُ :

1 شعره : 115 .

2 الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبة ، والمراد هنا ستر رقيق من الدياج كأنه طارمة .

3 شعره : 91-92 ورواية الخبر والأبيات فيه عن الأغاني .

فعاد به وبنا سكرة^١ تهوّن مكروه ما نسأل
فسكت . فقلت :

فإني رأيت له نظرة^٢ تخبرني أنّه يفعل
ثم قال : مه ؛ فقلت :

وقد أشكل العيش في يومنا^٣ فيا حبذا عيشنا المشكل^٤

فقال : العيش مشكل ، فما ترى ؟ فقلت : مبادرة^٥ القصف وتقريب^٦ الإلف . قال : على
أن تقيم معنا وتبيت عندنا . فقلت له : لك الوفاء وعليك مثله لي من الشرط . قال : وما هو ؟
قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا
بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً . ولم أر الغلام ، فسألت عنه فقال لي : الساعة
يجيء ، فلم نلبث أن وافاني ؛ فسألته أين كان ؟ فقال : كنت في الحمام وهو الذي حبسني
عنك . فقلت لوقتي^٧ :

وأبأي أبيض في صفرة	كأنه تبرّ على فضة
جرده الحمام عن درة	تلوح فيها عكن ^٨ بضة
غصن ^٩ تبدى يتثنى على	مأكمة ^{١٠} مثقلة النهضة ^{١١}
كأنما الرش على خده	طلّ على تفاحة غضة
صفاته فاتنة كلها	فبعضه يذكّرني بعضه
يا ليتني زودني قبلة ^{١٢}	أو لا فمين ^{١٣} وجنته عضة ^{١٤}

فقال لي الحسن : قد عمل فيك النبيذ ؛ فقلت : لا وحياتك ؛ فقال : هذا شرّ من ذلك .
فقلت^{١٥} :

استقياني وصرّفا	بنت ^{١٦} حولين قرّفا ^{١٧}
واستقيا المرهف الغري	مر سقى الله مرهفا

1 شعره : 180 .

2 المأكمة : العجيزة .

3 يا ليتني ، لعلها يا ليته ، وكذا هي في شرح المقامات .

4 شعره : 81-82 .

5 القرقف : الخمر لأنها ترعد شاربها .

لا تقولوا نراه أك¹ لَفَ نِضْوَاً مَخْفَفاً¹
 نَعْمَ رِيحَانَةُ النَّدِيْ مَ وَإِنْ كَانَ مُخْطَفاً²
 إِنْ يَكُنْ أَكْلَفَاً فَا نِي أَرَى الْبَدْرَ أَكْلَفَا
 بَأْبِي مَا جُنَّ السَّرِيْ رة يُبْدِي تَعَفُّفاً
 حَفَّ أَصْدَاغَهُ وَعَقَّ رَبِّهَا ثُمَّ صَفَّفاً
 وَحَشَا مَذْرَجَ الْقُصَا صَ بِمَسْكِ وَرَصْفَاً³
 فَإِذَا رُمَتْ مِنْهُ ذَا كَ تَأْبَى وَعَنْفَا
 لَيْسَ إِلَّا بِأَنْ يُر نَحْه السُّكْرُ مُسْعِفَا
 بِأَكْرَا لَا تَسَوْفَا نِي عِدِمْتُ الْمُسَوْفَا
 أَعْجَلَاهُ وَبِالْفُضَا ضة فِي السَّقْيِ فَاغْنَفَا⁴
 وَاحْمِلَا شَغْبَهُ وَإِنْ هُوَ زَنَى وَأَقْفَاً⁵
 فَإِذَا هُمْ لِلْمَنَا مَ فَقُومَا وَخَفَّفاً

فتغاضب الغلام وقام فذهب ، ثم عاد فقال لي : أَقْبِلْ عَلَى شَرَابِكَ وَدَعِ الْهَذْيَانَ . وناولني قدحاً . وقام أبو محمد ليبول ، فشربتُ وأعطاني نُقْلاً فقلتُ : اجعلْ بَدْلَهُ قَبْلَةً ؛ فضحك وقال : أَفْعُلْ ، هذا وَقْتُهُ قَبْدًا لَهُ وقال : لَا أَفْعُلْ ؛ فعاودته فانتهرني . فقال له خادم للحسن يقال له فَرَجٌ : بِحَيَاتِي يَا بَنِيَّ أَسْعِفْهُ بِمَا طَلَبَ ؛ فضحك ثم دنا منِّي كَأَنَّهُ يَنَاولُنِي نُقْلاً وَتَغَافُلُ فَاخْتَلَسْتُ مِنْهُ قَبْلَةً ؛ فقال لي : هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ فَقُلْتُ⁶ : [من الرمل]

وَبَدِيعِ الدَّلِّ قَصْرِيَّ الْغَنَجِ مَرِهِ الْعَيْنَ كَجِيلٍ بِالْدَّعَجِ⁷
 سَمْتُهُ شَيْئاً وَأَصْغَيْتُ لَهُ بَعْدَ مَا صَرَفَ كَأْساً وَمَرْجَ
 وَاسْتَخَفَّتْهُ عَلَى نَشْوَتِهِ نَبْرَاتٍ مِنْ خَفِيفٍ وَهَزَجِ

1 الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .

2 المخطف : قليل لحم الجنب .

3 القصاص : منبت الشعر .

4 الفضاضة : آخر الشيء .

5 زَنَى : قَذَفَ وَسَبَّ .

6 شعره : 34 .

7 مره العين : لم يكتحل .

فتأبى وتثنى خجلاً
 لجّ في «لولا» وفي «سوف ترى»
 ذهب الليل وما نولني
 هوّن الأمر عليه فرج
 خمر النكهة لا من قهوة
 وبنفسي نفس من قال ، وقد
 وذرا الدمع فنوناً ونشج
 وكذا كفّ كف عني وخلج¹
 دون أن أسفر صبح وأنبلج
 بتأنيبه فسقياً لفرج
 أرج الأصداغ بالمسك أرج²
 كان ما كان ، حرام وحرّج

قال : ثم أسفر الصبح . فأنصرفت وعُذت من غدٍ إلى الحسن ؛ فقال لي : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أضيف ذلك نثراً أم نظماً ؟ فقال : بل نظماً فهو أحسن عندي ، فقلت³ :

تألفت طيف غزال الحرم
 وما زلت أقنع من نيله
 بنفسي خيالاً على رقبة
 أتاني يجاذب أردافه
 تمجّ سوافه مسكة
 تضمخ من بعد تجميره
 يقول ونازعته ثوبه
 فغضّ الجفون على خجله
 فشبكت كفي على كفه
 فنهني دفع لا مؤيس
 إذا ما هممت فادنيته
 فما زلت أبسطه مازحاً
 وحكمني الريم في نفسه
 فواصلني بعد ما قد صرم
 بما تجتنيه بنان الحلم
 ألم به الشوق فيما زعم
 من البهر تحت كسوف الظلم
 وعبرة ريقه والنسم
 فطاب من القرن حتى القدم⁴
 على أن يقول لشيء نعم
 وأعرض إعراضة المحتشم
 وأصغيت ألتيم ذراً بفم
 بجّد ولا مطمع معتزم
 تثنى وقال لي الويل لم
 وأفرط في اللهو حتى ابتسم
 بشيء ولكنّه مكتّم

1 كفّ كف : كفّ وأعرض . خلج : جذب وانتزع ، أي دفعه وانتزع نفسه منه .

2 في رواية : المسك الأرج أي الذي تفوح منه رائحة طيبة .

3 شعره : 94-96 .

4 التجمير : التبخير بالطيب .

فواهاً لذلك من طارقٍ على أن ما كان أبقي سَقَمَ

قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ؛ أَظُنَّ ما ادَّعَيْتَهُ على الطَّيِّفِ في النوم كان في اليَقَظَةِ مع الشَّخْصِ نفسه ، وأَصْلَحُ الأشياءِ لنا بعد ما جرى أَنَّ نَرَحُضَ¹ العارَ عن أنفُسنا بهبة الغلام لك ، فخذ لا بُورِكَ لك فيه ؛ فأخذته وانصرفت .

[شعره في غلام للحسن بن سهل]

حدَّثني علي بن العباس قال حدَّثني أبو العَيناء قال : أنشدني الحسين بن الضَّحَّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ، ثم لقيه بعد ذلك فسَلَّمَ عليه فلم يكلمه الغلام ؛ فقال² :

فديتُك ما لوجهك صدَّ عني وأبديتَ التَّنَدُّمَ بالسَّلامِ
أحينَ خلِبتني وقرَّنتَ قلبي بطَرْفِكَ والصَّبَابَةَ في نِظامِ
تَنَكَّرَ ما عهدتُ لُغَبَ يوم فيا قَرَبَ الرِّضَاعِ من الفِطامِ
لأسرَعَ ما نهيتَ إلى همومي سروري بالزيارة واللِّمامِ

[اختلاط جيتين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني حسين بن الضَّحَّاك الخليل قال : كنت في المسجد الجامع بالبصرة ، فدخل علينا أبو نَواسٍ وعليه جُبَّةٌ خَزَّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نَواسٍ ؟ فلم يخبرني ، فتوهَّمتُ أَنَّهُ أَخَذَهَا من موسى بن عِمْرانَ لأنَّهُ دخل من باب بني تميم ؛ فقمْتُ فوجدتُ موسى قد لبس جُبَّةً خَزَّ أخرى ؛ فقلت له³ :

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال : بخير صَبَّحَكَ اللهُ به . فقلت :

يا كريم الإخاء والإخوان

فقال : أَسْمَعُكَ اللهُ خيراً . فقلت :

إن لي حاجةً فأريك فيها إِنَّا في قضائِها سيَّان

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

1 نرحض : نفسل .

2 شعره : 104 .

3 شعره : 111 .

جُبَّةٌ من جِبابك الخَزَّ حتى لا يَراني الشتاء حيث يراني
قال : خذها على بركة الله ، ومَدَّ كَمَّهُ فَنَزَعْتُهَا¹ وَجِئْتُ وَأَبُو نَوَاسٍ جَالِسٌ ؛ فَقَالَ : مَنْ
أَيْنَ لَكَ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ حَيْثُ جَاءَتْكَ تِلْكَ .

[المعتصم يحجز محمد بن عمرو لأنّه جاء مع الحسين]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْحَارِثِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو
الرُّومِيَّ دَارَ الْمُعْتَصِمِ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا كَالْحَأْ . قَالَ : فَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ أَرَادَ النِّكَاحَ فَعَجَزَ عَنْهُ . قَالَ : وَجَاءَ
إِيْنَاخُ فَقَالَ : مُخَارِقٌ وَعُلُويَّةٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ مِنْ أَشْبَاهِهِمَا بِالْبَابِ ؛ فَقَالَ : اعْزُبْ عَنِّي ، عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ! . قَالَ : فَتَبَسَّمتُ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو ؛ وَفَهِمَ الْمُعْتَصِمُ تَبَسُّمِي فَقَالَ لِي : تَمَّ
تَبَسُّمْتُ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ شَيْءٍ حَضَرَنِي ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ² :
[من مجزوء الخفيف]

صوت

أَنْفِرْ عَنْ قَلْبِكَ الْحَزْنَ بِاقْتِرَابٍ مِنَ السَّكَنِ
وَتَمَتَّعْ بِكَرٍّ طَرٍّ فَكْ فِي وَجْهِهِ الْحَسَنِ
إِنْ فِيهِ شِفَاءٌ صَدَّكَ مِنْ لَاعِجِ الْحَزَنِ

قال : فَدَعَا بِالْفَيِّ دِينَارَ : أَلْفٍ لِي وَأَلْفٍ لِمُحَمَّدَ ، فَقُلْتُ : الشَّعْرُ لِي ، فَمَا مَعْنَى الْأَلْفِ
لِمُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَنَا مَعَكَ . ثُمَّ أَذِنَ لِمُخَارِقٍ وَعُلُويَّةٍ فَدَخَلَا ، فَأَمَرَهُمَا بِأَنْ
يَغْنِيَا فِيهِ فَفَعَلَا ، فَمَا زَالَ يَعِيدُ هَذَا الشَّعْرَ ، وَلَقَدْ قَامَ لِيَبُولَ فَمَسَمَعْتُهُ يَرُدُّدُهُ .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعُلُويَّةٌ وهو من الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ .

[أحبُّ غلامٍ لبي كامل المهند]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ :
كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ عِنْدَ أَبِي كَامِلِ الْمُهَنْدِسِ وَأَنَا مَعَهُمْ حَاضِرٌ ، فَرَأَى خَادِمًا فَاسْتَحْسَنَهُ
وَأَعْجَبَهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَتُحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ؛ قَالَ : فَأَعْلِمْنَاهُ ؛ قَالَ : هُوَ أَعْلَمُ
بِحُبِّي لَهُ مِنِّي بِهِ . ثُمَّ قَالَ³ :

[من المقتضب]

1 ل : فَنَزَعْتُهَا .

2 شعره : 109 .

3 شعره 123 عن الأغاني .

عالمٌ بحبيبه مُطرقٌ من التيه
يوسفُ الجمالِ وفر عونٌ في تعديهِ
لا وحقٌ ما أنا من عطفِهِ أرجيه
ما الحياة نافعة لي على تأبيه
النعيمُ يشغلُهُ والجمالُ يُطغيه
فهو غير مُكثرٍ للذي الأقيه
تائهٌ ترهُده في رغبتي فيه

قال محمد بن محمد : وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانه وعريبٌ وسليمٌ وجماعةٌ من المغنين .

[شعره في أمرىء يتف لحينه]

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشق جاريةً مغنيةً ، فزاحمه فيها غلامٌ كان في مرودته حسن الوجه ؛ فلمّا خرجت لحيته جعل يتنف فيخرج منها ؛ ومالت القينةُ إليه لشبابه ؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال¹ :

خلّ الذي عنك لا تسطيعُ تدفعهُ يا مَنْ يُصارع من لا شكّ يصبرُهُ
جاءت طرائقُ شعرٍ أنت ناتفها فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه²
الله أكبرُ لا أنفك من عجبٍ أنت تحصد ما ذو العرش يزعه
تبّاً لسعيك بل تبّاً لأمك إذ ترعى جمى خالق الأحماء يمنعه

وقال فيه أيضاً³ :

ثكلتك أمك يا ابن يوسف حثامٌ ويحك أنت تنف
لو قد أتى الصيفُ الذي فيه رؤوس الناس تُكشف
فكشفت عن خديك لي لكشفت عن مثل الموقوف⁴

1 شعره : 72 .

2 ناتفها في مجموع شعره : تنتفها .

3 شعره : 78 .

4 الموقوف : الذي فيه خطوط بيض على الطول .

أَوْ مِثْلَ زَرْعٍ نَالَهُ الْـ سِرْقَانُ أَوْ نَكْبَاءُ حَرْجَفٌ¹
فَغَدَا عَلَيْهِ الزَّارِعُو نَ لِيَحْصُدُوهُ وَقَدْ تَقَصَّفَ
فَظَلَلَتْ تَأْسَفُ كَالْأَلَى أَسِفُوا وَلَمْ يُغْنِ التَّأْسَفُ

[صالح بن الرشيد يشتري غلاماً]

حدثني علي بن العباس قال حدثني عُمَيْرُ بن أحمد بن نصر الكوفي قال حدثني زيد بن محمد شيخنا قال : قلت لحسين بن الضحّاك وقد قديم إلينا الكوفة : يا أبا علي شهّرتَ نفسك وفضحتها في خادم ، فألاً اشتريته ! فقال : فديتك ؛ إن الحبَّ لَجَاجٌ كُلُّهُ ، وكنتُ أحببتُ هذا الخادم ووافقتني على أن يستبيع لأشترّيه . فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلفتُ منه ولم أقدر على الانتصاف منه ، وآثره الخادم واختاره ، وكِلَانَا يَجِبُهُ إِلَّا أَنَّ صَالِحاً يُنَاكَ وَلَا أَنَاكَ وَالْخَادِمُ فِي الْوَسْطِ بَلَا شُغْلٍ . فضحكتُ من قوله ، ثم سألتُهُ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَنْشِدَنِي² :

إِنَّ مَنْ لَا أَرَى وَلَيْسَ يَرَانِي نُصَبَ عَيْنِي مُمَثَّلٌ بِالْأَمَانِي
بَأَيِّ مِنْ ضَمِيرِهِ وَضَمِيرِي أَبْدَأُ بِالْمَغِيبِ يَنْتَجِيَانِ
نَحْنُ شَخْصَانِ إِنْ نَظَرْتَ وَرُوحَا نِ إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ يَمْتَرِجَانِ
فَإِذَا مَا هَمَمْتُ بِالْأَمْرِ أَوْ هَمَّ بِشَيْءٍ بَدَأْتُهُ وَبَدَانِي
كَانَ وَقَفّاً مَا كَانَ مِنْهُ وَمَنِي فَكَأَنِّي حَكَيْتُهُ وَحَكَانِي
خَطَرَاتُ الْجَفُونِ مِمَّا سَوَاءِ وَسَوَاءِ تَحَرُّكَ الْأَبْدَانِ

فسألتُهُ أَنْ يَحْدِثَنِي بِأَسْرٍ يَوْمٍ مَرَّ لَهُ مَعَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ اجْتَمَعْنَا يَوْمًا فَغَنَى مَعْنِي لَنَا بِشِعْرٍ قَلْتُهُ فِيهِ فَاسْتَحْسَنَهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ تَغَنَّى بغيره ؛ فقال لي : عَارِضُهُ ؛ فَقُلْتُ : بِقُبْلَةٍ فَقَالَ : هِيَ لَكَ ، فَقَبَلْتُهُ قُبْلَةً وَقُلْتُ³ :

فَدَيْتُ مَنْ قَالَ لِي عَلَى خَفَرَةٍ وَغَضَّ مِنْ جَفْنِهِ عَلَى حَوَرَةٍ :
سَمِعَ بِي شَعْرُكَ الْمَلِيحُ فَمَا يَنْفَكُ شَادٍ بِهِ عَلَى وَتَرَةٍ
حَسْبُكَ بَعْضُ الَّذِي أَذْعَتَ وَلَا حَسْبُ لَصَبٍّ لَمْ يَقْضِ مِنْ وَطَرَةٍ

1 النكباء الحرجف : الريح الباردة .

2 شعره : 112 .

3 شعره : 63 من الأغاني .

وقلتُ يا مستعيرَ سالفَةِ الخِيشِ فـ وحسنَ الفتورِ من نَظَرَةٍ
لا تُنكرَنَّ الحَينَ من طَرِبٍ عاودَ فيكَ الصُّبا على كِبَرَةٍ

[ملاطفة غلام أبي عيسى]

حدثني الصُّوليُّ وعليُّ بن العباسَ قالَا حدثنا المغيرة بن محمدَ المهلبِيَّ قالَ : كان حسين بن الضَّحَّاك يتعشَّقُ خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه ؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم ، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به¹ ويكذِّبه ؛ ثم سَكَنَ نِفارُهُ وضحك إليه وتحدَّثا ساعة . فأنشدنا حسين قولَه فيه² :

سائلٌ بطيفِكَ عن ليلي وعن سَهري
لم يَخلُ قلبي من ذِكرَاكَ إذ نظرتُ
سَقياً ليوم سروري إذ تُنازَعني
وفضلُ كَأْسِكَ يأتيني فأشربُه
وكيف أَشْمِلُه لثَمي والزِمره
فليتَ مدَّةَ يومي إذ مضى سلفاً
حتى إذا ما انطوتُ عَنَّا بشاشتُه
وعن تَتابع أنفاسي وعن فِكرِي
عيني إليك على صَحوي ولا سَكْرِي
صفوَ المدامَةِ بين الأنسِ والخَفَرِ
جَهراً وتشربُ كأسي غيرَ مسترٍ
نحري وترفعه كَفِّي إلى بصري
كانت ومدَّةَ أَيامي على قَدَرِ
صيرنا جميعاً كذا جارِين في الحَفَرِ

[صالح بن الرشيد و غلام أخيه]

حدثني عمِّي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضَّحَّاك قال : كان صالح بن الرشيد يتعشَّقُ غلاماً يسمَّى يُسرّاً خادمَ أخيه أبي عيسى ، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُّه ولا يَفي له . فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالح أخيه في السَّحَرِ يقول له : يا أخي إني قد اشتَهِيتُ أن أَصطَبِحَ اليوم ، فبِحياتي لَمَّا ساعدتني وصرَّت إليَّ لنصطَبِحَ اليوم جميعاً . فسار يُسرّاً إلى صالح أخيه في السَّحَرِ وهو مُنتَشِرٌ قد شرب في السَّحَرِ ، فأبلغه الرسالة ؛ فقال : نعم وكرامة ، اجلس أولاً فجلس ؛ فقال : يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها ؛ فقال له : يا يُسر دَعني من مواعيدك ومَطْلُك ، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي ، وإلا فليس هاهنا إلا الغَضَبُ ؛ فقال له : يا سيدي ؛ إني أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوَّعه ، فقضى حاجتَه ، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه . قال الحسين :

1 لعلها : له .

2 شعره : 62-63 عن الأغاني .

ثم خرج إليّ صالح من خلّوته فقال : يا حسين ، قد رأيت ما كنّا فيه ، فإن حضرك شيءٌ ؟
فقل ؛ فقلت¹ :
[من المزج]

صوت

أَيَا مَنْ طَرَفَهُ سِخْرُ	وَمَنْ رَيْقَتَهُ خَمْرُ
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُ	لَكَ لَمَّا غَلِبَ الصَّبْرُ
وَمَا أَحْسَنَ فِي مِثْلِ	لَكَ أَنْ يَنْهَكَ السُّتْرُ
وَأَنْ لَا مَنِي النَّاسُ	فَقِي وَجْهَكَ لِي عَذْرُ
فَدَعَنِي مِنْ مَوَاعِيدِ	كَ إِذْ حِينَكَ الدَّهْرُ
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرُ	حُ أَوْ يَنْقُضِي الْأَمْرُ
فَأَمَّا الْغَضَبُ وَالذَّمُّ	وَأَمَّا الْبَذْلُ وَالشُّكْرُ
وَلَوْ شِئْتَ تَيْسَرْتُ	كَأَمْ سُمِّيتَ بِأَيُّسْرُ
وَكُنْ كَأَسْمِكَ لَا تَمْنُ	عُكَ النَّخْوَةُ وَالْكَبْرُ
فَلَا فُزْتُ بِحُظِّي مِنْ	لَكَ إِنْ ذَاعَ لَهُ ذِكْرُ

قال الحسين : فضحك ثم قال : قد لعنني تيسرُ يسرُ كما ذكرت . فقلت : نعم ومن لا يتيسرُ بعد أخذه الدية ؟ لو أردتني أيضاً بهذا لتيسرتُ . فضحك ثم قال : نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا نريدك لما أردنا له يسراً ، فبئست المطيئة أنت ؛ وأمر لي بها . ثم أمر عريبَ بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر .

[شعره في غلام عبد الله بن العباس الربيعي]

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبّحٌ وخادمٌ له يسقيهِ ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنْتُ سَقْيَ هذا الغلام ، فإن حضرك شيءٌ ؟ في قصّتنا هذه فقل ؛ فقلت² :

[من المنسرح]

أَحْيَتْ صَبُوحِي فُكَاهَةُ اللَّاهِي وَطَابَ يَوْمِي لِقَرَبِ أَشْبَاهِي

1 شعره : 54-55 عن الأغاني وتنسب هذه الأبيات مع بعض اختلاف وزيادات إلى أبي نواس ، ديوانه (الغزالي) : 336 .

2 شعره : 122-123 وسترِد هذه الأبيات فيما بعد من الأغاني في قصّة مع الواقف ثم في ترجمة عبد الله بن العباس الربيعي .

فاستَرَّ اللهوَ من مَكَامِنِهِ من قبل يومٍ مَنَعَصٍ نَاهِي
بَابِنَةِ كَرَمٍ من كَفِّ مُتَطَلِقٍ مَوْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تَبَاهٍ¹
يَسْتَقِيكَ من طَرَفِهِ ومن يَدِهِ سَقَى لَطِيفٍ مَجْرُبٍ دَاهِي
كَأْساً فَكَأْساً كَأَنَّ شَارِبَهَا حَيْرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنى فيه لحناً مليحاً ، وشرنا عليه بقيةً يومنا .

[سكر فجمش يسراً فهتده بخنجره فقال شعراً]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال : خرج حسين بن الضحاك إلى القفص² متنزهاً ومعه جماعة من إخوانه ظرفاء . وبلغ يسراً الخادم خروجه ، فشد في وسطه خنجراً وخرج إليه فجاءه وهو على شرابه على غفلة ؛ فسر به حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلما سكرًا جمشته حسين ؛ فأخرج خنجره عليه وعربد ؛ فأمسك حسين وعاد إلى شرابه ، وقال في ذلك³ :

جَمَشْتُ يُسْراً على تَسْكِرِهِ وقد دَهَانِي بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ
فَهَمَّ بِالْفَتَكِ بي فَنَاشَدَهُ فِي كَرِيمٍ من خَيْرِ مَغْشَرِهِ
يَا مَنْ رَأَى مِثْلَ شَادِنِ خِنْثٍ يَصُولُ فِي خِذْرِهِ بِزُورِهِ
يَسْحَبُ ذَيْلَ الْقَمِيصِ صَعْتَرَهُ وَوَارِدَاتٍ من هُدْبٍ مِثْرَهُ⁴
وَلَا يُعَاطِي نَدِيمَهُ قَدْحاً إِلَّا بِإِبْهَامِهِ وَخِنْصَرِهِ
أَخَافُ من كَيْرِهِ بِوَادَرِهِ أَدَانِي اللهُ من تَكْبِيرِهِ
قَدْ قَلْتُ لِلشَّرْبِ إِذْ بَدَأَ فُضْلاً فِي رَيْطَتَيْهِ وَفِي مُمَصْرِهِ⁵
وَيَلِي على شَادِنٍ تَوَعَّدَنِي بِسَلِّ سِكِينِهِ وَخَنْجَرِهِ
أَمَا كَفَاهُ مَا حَزَّ فِي كَبْدِي بِسِخْرِ أَجْفَانِهِ وَمَخْجَرِهِ
إِذَا نَسِيمُ الرِّيحِ قَالَبْنَا بِالطَّيْبِ من مَسْكَه وَعَنْبَرِهِ
هَزَّ قَوَاماً كَأَنَّهُ غُصْنٌ وَارْتَجَّ مَا انْخَطَّ من مُخْصَرِهِ

1 بالمجون في ل : بالسكون .

2 القفص : إحدى قرى بغداد .

3 شعره : 63-64 عن الأغاني .

4 صعتره : زنته . واردات : متدليات .

5 الريلة : الملاة . المصير : مصبوغ بحمرة خفيفة .

[شعر له في يسر مرة أخرى]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض قال حدثني أبي قال : حضرتُ
حسينَ بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث مَلِيّاً ثم غارله حسينٌ ،
فقال له يسر : إياك والتعرّضَ لي ، واربحْ نفسك ؛ فقال حسين¹ : [من المديد]

صوت

أَيُّهَا النَّفَّاثُ فِي الْعُقَدِ	أَنَا مَطْوِيٌّ عَلَى الْكَمَدِ
إِنَّمَا زَخَرَفْتَ لِي خُدْعاً	قَدَحْتَ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
هَاتِ يَا خُدَّاعُ وَاحِدَةً	مِنْ كَثِيرٍ قُلْتَهُ وَقَدِي ²
لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ خَلْفِكَ لِي	بِوَفَاءِ الْعَهْدِ بَعْدَ غَدِ
مَا الَّذِي بِاللَّهِ صَبِيرُهُ	بَعْدَ قَرَبٍ فِي مَدَى الْأَبَدِ
مَا لِأَنْسٍ كَانَ مُبْتَذِلاً	مِنْكَ لِي بِالْأَمْسِ لَمْ يَعُدِ
إِيهِ قُلْ لِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ	هَلْ ذَهَابَ فِيكَ مِنْ أَحَدِ
حَبْذا وَالْكَأْسُ دَائِرَةٌ	لَهُؤُنَا وَالصَّيْدُ بِالطَّرْدِ
وَحَدِيثٌ فِي الْقُلُوبِ لَهُ	أَخَذَ يَصْدَعُنَ فِي الْكَبْدِ ³
يَوْمَ تُعْطِينِي وَتَأْخُذْهَا	دُونَ نَدْمَانِي يَدَا يَدِ
فَإِذَا أُلْوَيْتَ هَيْجَنِي	تَلَعَّ مِنْ ظِلْيَةِ الْبَلَدِ
وَإِذَا أَصْغَيْتُ ذِكْرَنِي	نَشَرَ كَافُورٌ عَلَى بَرَدِ
ذَاكَ يَوْمَ كَانَ حَاسِدُنَا	فِيهِ مَعْذُوراً عَلَى الْحَسَدِ

[المعتصم يسكر على شعره]

حدثني الصُّوْلِيّ قال حدثنا يزيد بن محمّد المهلبيّ قال حدثنا عمرو بن بانه قال : خرجنا
مع المعتصم إلى الشام لما غزا ؛ فنزلنا في طريقنا بديرٍ مران⁴ ، وهو دير على تَلْعَةٍ مُشْرِفَةٍ عَالِيَةٍ
تحتها مَرُوجٌ ومِيَاءٌ حَسَنَةٌ ، فنزل فيه المعتصم فأكل ونَشِطَ للشرب ودعا بنا ؛ فلمّا شربنا أَقْداحاً
قال لحسين بن الضحّاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد ؟ فقال : لا أَيْنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ والله

1 شعره : 48-49 .

2 قدي : حسي .

3 أخذ : جمع أخذه وهي الرقية .

4 دير مران : قرب دمشق .

لبعضُ الغياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ والله ، وعلى ذلك فقلَّ أبياتاً يُغنٍ فيها عمرو ؛ فقال : أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به ، ولكنني أقول متشوقاً إلى بغداد ، فضحك وقال قل ما شئت¹ : [من البسيط]

صوت

يا دَيْرَ مِديانَ لا عُرَيْتَ من سَكَنِ هَيَّجَتَ لي سَقَمًا يا دَيْرَ مِديانَ²
 هل عند قَسَلِك من علم فيخبرنا أم كيف يُسَعِفُ وجهُ الصبر من بانا
 حُتَّ المِدامَ فَإِنَّ الكَأْسَ مُتَرَعَّةً مِمَّا يَهِيحُ دَواعي الشوقِ أحياناً
 سَقِيًا وَرَعِيًا لكَرْخايا وساكنها وللجُنيّة بالروحاء مَنْ كانا³
 فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارقاً فغنيّا فيها وشرب على ذلك حتى سكر ، وأمر
 للجماعة بجوائز .

لحن عمرو بن بانه في هذه الأبيات رَمَل ، ولحن مُخارق هَزَج ، ويقال : إنه لغيره .
 [مع خادم أبي عيسى]

أخبرني الصُّوليّ قال حدثنا يزيد بن محمد قال : كان حسين بن الضحّاك يميل إلى خادم
 لأبي عيسى بن الرشيد ؛ فعُبِثَ به يوماً على سكر ؛ فأخذ قِنينةً فضرب بها رأسه فشجّه شَجَّةً
 مُنكَرَةً ؛ وشاع خبره وتوجّع له إخوانه وعولج منها مدةً ، فجفا الخادم وأطرحه وأبغضه ولم
 يَعرُض له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعُبِثَ به الخادمُ وغازله . فلما أكثر ذلك
 قال له الحسين⁴ :

صوت

تَعَزَّ بِئاسٍ عن هواي فَإِنِّي إذا انصرفت نفسي فهِهات عن رَدِّي
 إذا خُتِّمَ بالغيب ودِّي فما لكم تُدَلُّونَ إِذْلالَ المُقيم على العهدِ
 ولي منك بُدٌّ فاجتنبني مُدَمِّمًا وإن خلتَ أني ليس لي منك من بُدٍّ
 الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانه ، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل .

- 1 شعره : 185-186 مع أبيات أخرى لم ترد هنا .
- 2 مديان في ل : مران . سكن في ل : سقم . وإن قرأت «سقم» كان الخطاب منصرفاً إلى دير مران ، وإلا فإن الخطاب تشوق إلى دير مديان قرب بغداد على نهر كرخايا الذي كان يصب في دجلة قبل جفافه .
- 3 الروحاء : من قرى بغداد .
- 4 شعره : 45-46 وهي قصيدة طويلة (عن الموشى) اجترأ منها أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة .

[هنا الوثائق بالخلافة فأجازه]

حدثني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبد الله بن المؤمل العسكري قال : لما ولي الوثائق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهنتون والشُعراء فمدحوه وهنأوه ؛ ثم استأذن حسين بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد ، وكان¹ من الجلّساء فترفع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذن له ؛ فأنشده قوله² :

أَكَاتِمُ وَجَدِي فَمَا يَنْكِيكُمْ بِمَنْ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَجِمُ
وَأُنِّي عَلَى حَسَنِ ظَنِّي بِهِ لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ
وَلِي عِنْدَ لَحْظَتِهِ رَوْعَةٌ تُحَقِّقُ مَا ظَنَّهُ الْمُتَمِّمُ
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ مُحِبٌّ وَأَحْسِبُهُ قَدْ عَلِمُ

وفي هذا رَمَلٌ لعبد الله بن العباس بن الربيع .

وَأُنِّي لُغْضٍ عَلَى لَوْعَةٍ مِنْ الشَّوْقِ فِي كَيْدِي تَضَطَّرِمُ
عَشِيَّةً وَدَعْتُ عَنْ مَقْلَةٍ سَفُوحٍ وَزَفْرِ قَلْبٍ سَدِمٍ³
فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ سَوَى الْعَيْنِ تَمْزُجُ دَمْعاً بَدَمٍ⁴
سِذَكَرَ مَنْ بَانَ أُوطَانُهُ وَيَنْكِي الْمَقِيمِينَ مَنْ لَمْ يُقِمِ

وقال فيها يصف السفينة :

إِلَى خَازِنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ سَرَّاجُ النَّهَارِ وَيَذِرُ الظُّلَمِ
رَحَلْنَا غَرَابِيبَ زَفَافَةٍ بِدِجْلَةٍ فِي مَوْجِهَا الْمُتَلَطِّمِ⁵
إِذَا مَا قَصَدْنَا لِقَا طَوْلِهَا وَدَهْمُ قَرَايِيرِهَا تَصْطَلِمِ⁶
سَكْنًا إِلَى خَيْرِ مَسْكُونَةٍ تَيْمَمُهَا رَاغِبٌ مِنْ أَمَمٍ⁷

1 ل : وكأته .

2 شعره : 96-98 وانظر معجم الأدباء (عباس) 3 : 1068-1069 .

3 السدم : الندم والحزن .

4 شعره : «سوى الدمع يغسل طرفاً قد كلم» وكذا في معجم الأدباء .

5 الغرابيب : نوع من القوارب السوداء . زفافة : مسرعة .

6 القراير : السفن الطويلة .

7 من أمم : من قرب . وفي معجم الأدباء «يتممها راغب أو ملم» .

مباركة شاد بنيانها
 كأن بها نشر كافورة
 كظهر الأديم إذا ما السحا
 مبرة من وحول الشتاء
 فما إن يزال بها راجل
 ويمشي على رسله آمناً
 وللنون والضب في بطنها
 غدوت على الوحش مغترّة
 ورحت عليها وأسرائها
 بخير المواطن خير الأثم
 لبرد نداها وطيب النسّم
 ب صاب على متنها وانسجم
 إذا ما طمى وحله وارتكم
 يمرّ الهوينى ولا يلتطم
 سليم الشراك نقي القدم
 مراتع مسكونة والنعم¹
 رواتع في نورها المنتظم
 تحوم بأكنافها تبسّم

ثم قال يمدح الواثق :

يضيق الفضاء به إن غدا
 ترى النصر يقدم رايته
 وفي الله دوح أعداءه
 وفي الله يكظم من غيظه
 رأى شيم الجود محمودّة
 فراح على «نعم» واغتدى
 بطودي أعاربه والعجم
 إذا ما خفقن أمام العلم
 وجرّد فيهم سيوف النقم
 وفي الله يصفح عمن جرّم²
 وما شيم الجود إلا قسم
 كأن ليس يحسن إلا نعم

قال : فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتّصلت أيامه بعد ذلك ، ولم يزل من ندمائه .

[أرتج عليه عند الواثق ثم قال]

حدثني أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال : قال الواثق لحسين بن الضحّاك : قل الساعة أبياناً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً ؛ فقال : في أي معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أمّدت طرفك وقل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصيفه . فالتفت فإذا بيساط زهره قد تفتحت أنواره وأشرق في نور الصباح ؛ فأرتج عليّ ساعة حتى خجلت وضيق ذرعاً . فقال لي الواثق : ما لك ويحك ! ألسنت ترى نور صباح ، ونور

1 النون والضب : كناية عن حاصلات البحر والبر .

2 معجم الأدباء : عمن ظلم .

أقاح ! فانفتح القولُ فقلت¹ :

[من المتقارب]

وَمُبْتَكِرَ الْغَيْثِ قَدْ أَمْطَرَا	أَلَسْتَ تَرَى الصَّبْحَ قَدْ أَسْفَرَا
تُضَاحِكُ بِالْأَحْمَرِ الْأَصْفَرَا	وَأَسْفَرْتَ الْأَرْضُ عَنْ حُلَّة
وَحُكُّكَ فِي الشُّرْبِ كَيْ تَسْكُرَا	وَوَافَاكَ نَيْسَانُ فِي وَرْدِهِ
تُطَارِدُ بِالْأَصْغَرِ الْأَكْبَرَا	وَتُعْمِلُ كَأَسِينٍ فِي فِتْيَةٍ
تُجَازِبُ أُرْدَافَهُ الْمُنْزَرَا	يَحُثُّ كَوْوَسَهُمْ مُخْطَفٌ
أَدَارُ غَدَائِرَهُ وَقُفْرَا ²	تَرْجُلُ بِالْبَانِ حَتَّى إِذَا
رَ وَالْآبُنُوسَةَ وَالْعَبْهَرَا	وَفَضَّضَ فِي الْجُلُنَارِ الْبَهَا
مَقَارِيضُ أَطْرَافِهِ شَذَرَا	فَلَمَّا تَمَازَجَ مَا شَذَرْتُ
لِيَفْعَلَ فِي ذَاتِهِ الْمُنْكَرَا	فَكُلُّ يُنَافِسُ فِي بَرِّهِ

قال : فضحكك الواصل وقال : سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشطّ فقاموا إليها ، فشرب وطرب ، وما ترك يومئذٍ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة . وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في الآفاق .

[شعره في حانة الشط]

قال حسين : فلما كان من الغد غدوتُ إليه ؛ فقال : أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي ، فقد كان حسناً ؛ فأنشدته³ :

[من البسيط]

صوت

عُودِي بِيَوْمِ سرورٍ كالذي كنا	يا حانة الشطّ قد أكرمتْ مثنوانا
طِيبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَاراً وإعلانا	لا تُفْقِدِينَا دُعَابَاتِ الإمام ولا
إِذَا يَطْرِبُنَا الطُّبُورُ أَحيانا	ولا تَخَالُغُنَا فِي غير فاحشية
شَجَواً فَأَهْدِي لَنَا رَوْحاً وَرِيحَاناً ⁴	وهاج زمرُ زُنامٍ بين ذاك لنا

1 شعره : 65-66 .

2 رجل : تمشط . وفر : أرسل شعره على أذنيه .

3 شعره : 167 .

4 زنام : اسم زمار حاذق خديم كلاً من الرشيد والمعتصم والواصل .

وسَلَسَلَ الرَّطْلَ عَمَرُو ثُمَّ عَمَّ بِهِ السُّقْيَا فَأَلْحَقَ أُولَانَا بِأَخْرَانَا
 سَقْيَا لَشَكْلِكَ مِنْ شَكْلِ خُصِصَتْ بِهِ دُونَ الدُّسَاكِ مِنْ لَذَاتِ دُنْيَانَا
 حَقَّتْ رِيَاضُكَ جَنَاتٌ مُجَاوِرَةٌ فِي كُلِّ مُخْتَرَقٍ نَهْرًا وَبِسْتَانَا
 لَا زَلْتَ أَهْلَةَ الْأَوْطَانِ عَامِرَةً بِأَكْرَمِ النَّاسِ أَغْرَاقًا وَأَغْصَانَا
 قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْوَاتِقُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ مُجَدَّدَةٍ ، وَاسْتَحْسَنَ الصَّوْتِ ، وَأَمَرَ فَعْنِي فِي عِدَّةِ آيَاتٍ
 مِنْهَا . غَنَّتْ فَرِيدَةً فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَلَحْنُهَا هَزَجٌ مُطْلَقٌ .

[مخاصمته أبا شهاب]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ
 وَأَبُو شَهَابِ الشَّاعِرِ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

لَقَدْ كُنْتُ رِيحَانَةً فِي النَّدِيِّ وَتَفَاحَةً فِي يَدِ الْكَاعِبِ
 وَعَمَرُو بْنُ بَانَةَ يُغْنِيهَا . فَتَذَاكُرُنَا الدُّوَابُّ ، وَاتَّصَلَ الْحَدِيثُ إِلَى أَنَّ تَلَا حُيَّ حُسَيْنَ وَأَبُو
 شَهَابٍ فِي دَابَّتَيْهِمَا وَتَرَاهُمَا عَلَى الْمَسَابِقَةِ بِهِمَا ، فَتَسَابَقَا فَسَبَقَهُ أَبُو شَهَابٍ . فَقَالَ حُسَيْنُ فِي
 ذَلِكَ ¹ :

كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنَّتُمْ وَتَمَتَّعُوا وَعِيشُوا وَذُمُوا الْكَوْدَنِينَ جَمِيعًا
 فَاقْسِمَ مَا كَانَ الَّذِي نَالَ مِنْهُمَا مَدَى السَّبْقِ إِذْ جَدَّ الْجِرَاءُ سَرِيعًا
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي شَعْرِهِ . فَقَالَ أَبُو شَهَابٍ يَجِيبُهُ :
 أَيَا شَاعِرِ الْخُصْيَانِ حَاوَلْتَ خُطَّةً سُبِقَتْ إِلَيْهَا وَانْكَفَأَتْ سَرِيعًا
 تُحَاوِلُ سَبْقِي بِالْقَرِيضِ سَفَاهَةً لَقَدْ رَمَتْ ، جَهْلًا ، مِنْ حِمَايَ مَنِيْعَا
 وَهِيَ أَيْضًا قَصِيدَةٌ . فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ التَّبَاعُدِ بَيْنَهُمَا . وَكُنَّا إِذَا أَرَدْنَا الْعَبَثَ بِحُسَيْنٍ نَقُولُ
 لَهُ : أَيَا شَاعِرِ الْخُصْيَانِ ، فَيُجَنِّ وَيَشْتُمُنَا .
 [يُفْسِدُ بَيْنَ أَحَدِ جُنْدِ الشَّامِ وَعَشِيقَتِهِ]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : كَانَ
 يَأْلَفُنِي إِنْسَانٌ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ عَجِيبِ الْخِلْقَةِ وَالزِّيِّ وَالشَّكْلِ غَلِيظٌ جِلْفٌ جَافٍ ، فَكُنْتُ
 أُحْتَمِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ وَيَكُونُ حَظِّي التَّعَجُّبَ بِهِ ، وَكَانَ يَأْتِينِي بِكُتُبٍ مِنْ عَشِيقَةٍ لَهُ مَا رَأَيْتُ
 كُتْبًا أَحْلَى مِنْهَا وَلَا أَظْرَفَ وَلَا أَبْلَغَ وَلَا أَشْكَلَ مِنْ مَعَانِيهَا ، وَيَسْأَلُنِي أَنْ أُجِيبَ عَنْهَا ؛

فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي بأنّ الشاميّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن اسمها فقال : «بصّص» . فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به¹ :

أَرْقَصْنِي حُبُّكَ يَا بَصْبُصُ وَالْحُبُّ يَا سَيِّدَتِي يُرْقِصُ
أَرْمَصْتِ أَجْفَانِي بِطُولِ الْبُكَاءِ فَمَا لِأَجْفَانِكَ لَا تَرْمَصُ²
وَأَبَايَ وَجْهَكَ ذَاكَ الَّذِي كَانَتْهُ مِنْ حَسَنَةِ عُصْعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي : يا أبا عليّ ، جعلني الله فداك ، ما كان ذنبي إليك وما أردتَ بما صنعتَ بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلّا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إليّ : إني مشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية ، فتعال إلى الروشن³ الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِباله حتى أراك ؛ فتزيّنت بأحسن ما قدّرت عليه وصرت إلى الموضع . فبينما أنا واقفٌ أنتظر مكلّماً أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صبّ عليّ فملأني من قرني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرّجتي وصيرني وجميع ما عليّ ودأبتي في نهاية السواد والتّن والقذر ، وإذا به ماء قد خلط ببول وسواد سرجين⁴ ، فانصرفت بخزي . وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطّنز⁵ والصياح بي أغلظَ مما مرّ بي ؛ ولحقني من أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجع . وأعظم من ذلك أنّ رُسُلها انقطعت عني جملة . قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إنّ الآفة أنّها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسِرُّ الشّماتة به .

[يفضّل الذهاب إلى ابن بسخر على الحسن بن رجاء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال : كتب إليّ الحسن بن رجاء في يوم شكّ وقد أمر الوائق بالإفطار ، فقال :

هَزَزْتُكَ لِلصُّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّيَامِ

1 شعره : 69 .

2 أرمص العين : جعل فيها قذى أبيض .

3 الروشن : النافذة .

4 السرجين : الزبل .

5 الطّنز : السخرية .

وعندي من قيان المصر عَشْرٌ تَطْيِبُ بِهِنَّ عَاتِقَةُ الْمُدَامِ
ومن أمثالهنَّ إذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الغرام
فكن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبُّ إليَّ من حذف الكلامِ

قال : فوردت عليَّ رقعته وقد سبقه إليَّ محمد بن الحارث بن بُسْحَنَرٍ ووجهه إليَّ بسلام
نظيف الوجه كان يَحْظَاهُ ، ومعه ثلاثة غلّة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إليَّ
كما تُكْتَبُ المناشير ، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول¹ :

سِرْ على اسم الله يا أشد كلَّ من غصن لُجَيْنِ
في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسين
فاشْخِصْ الكهلَ إلى مو لأك يا قُرَّةَ عيني
أره العُنفَ إذا استع صى وطالبه بدّين
ودع اللفظَ وخاطِبَ ه بغمز الحاجبين
واخذِرِ الرّجعة من وج هك في خُفِّي حُنين

قال : فمضيت معهم ، وكتبْتُ إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته² :

دعوتَ إلى محاكاة الصّيام وإعمالِ المَلاهي والمُدَامِ
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي إليك ينوب عن طول الكلامِ
وما شوقي إليك بدون شوقي إلى ثمر التّصابي والغرامِ
ولكن حلَّ في نفر عَسُوفٍ بمنشورٍ محلّ المستهامِ
حسين ، فاستباح له حريماً بطرفٍ باعثٍ سبب الحِمَامِ
وأظهر نخوةً وسطاً وأبدى فظاظته بتركٍ للسلامِ
وأزعجني بالأفاظ غِلاظِ وقد أعطيته طَرَفِي زمامي
ولو خالفته لم يَخْشَ قتلي وقنّعي سريعاً بالحُسامِ

[لاعب الواثق بالنّرد وغازل خاقان خادمه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أبي
قال : كان الواثق يلاعب حسين بن الضّحّاك بالنّرد وخاقان غلام الواثق واقفٌ على رأسه ،

1 انظر شعره : 102-103 .

2 شعره : 103 .

وكان الواثق يتحفظه ، فجعل يلعبُ وينظر إليه . ثم قال للحسين بن الضحّاك : إن قلت الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرّح به . فقال الحسين¹ : [من الطويل]

صوت

أُحِبُّكَ حَبّاً شابه بنصيحةٍ أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقٌ
وأقسم ما بيني وبينك قرْبَةً ولكن قلبي بالحسان علوقٌ

فضحك الواثق وقال : أصبتَ ما في نفسي وأحسنْتَ . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأمر الحسين باللفي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطي . [فضل نفسه على أبي نواس]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال : أنشدني حسين بن الضحّاك لنفسه² : [من البسيط]

بُذِلَتْ من نفحات الورد بالآء ومن صَبُوحك دَرَّ الإبلر والشاء³

حتى أتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أحد من المُحدثين مثلاًها . فقلت : أنت تحوم حول أبي نواس في قوله : [من البسيط]

دَعُ عنك لومي فَإِنَّ اللوم إغراءً وداوِني بالتسي كانت هي الداء⁴

وهي أشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : ألي تقول هذا ! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكتُ أبا نواس ! فقلت له : دَعُ ذا عنك ، فَإِنَّه كلام في الشعر لا قَدَحٌ في نسب ، لو نِكتَ أبا نواس وأمه وأباه لم تكن أشعر منه . وأُحِبُّ أن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك : [من البسيط]

فُضِّتْ خَوَاتِمُها في نعت واصفها عن مثل رَقْرَاقَةٍ في عين مرَّهء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها : [من البسيط]

دارتْ على فِتْيَةٍ ذَلَّ الزمانُ لهم فما أصابهمُ إلّا بما شاءوا

1 شعره : 83 .

2 انظر القصيدة في شعره : 19-23 وفيه تخريج لها .

3 الآء : نبات .

4 القصيدة في ديوانه .

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ
فَأَرْسِلَتْ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيقِ صَافِيَةً كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَقْلِ إِغْفَاءُ
والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه ؛ فقام وهو مغضب كالقِرْبَقُولِي .

[ابن منذر يحكم له على أبي نواس]

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المَدْبَر قال حدثني أحمد بن
المعتصم قال : حجَّ أبو نواس وحسين بن الضَّحَّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيديهما :
قول أبي نواس :

دَغَ عَنْكَ لُومِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ودَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
وقصيدة حسين :

بُذِلَتْ مِنْ نَفَاحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ

فتنازعا أيهما أشعر في قصيدته ؛ فقال أبو نواس : هذا ابن مُنَادِرٍ حَاضِرُ الْمَوْسَمِ وهو
بيني وبينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن منذر : ما أحسب أن أحداً
يجيء بمثل هذه وهم بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لا تَعْجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛
فأنشده قوله :

بُذِلَتْ مِنْ نَفَاحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ وَمِنْ صُبُوحِكَ دَرُّ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ
حتى انتهى إلى قوله :

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتِ وَاصِفِهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي عَيْنِ مَرْهَاءِ
فقال له ابن منذر : حَسْبُكَ ، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً ، والله لو لم تقل في دهرِكَ
كله غير هذا البيت لفضلتك به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأنشأ شعر وقصيدتك
أفضل . فحكم له وقام أبو نواس منكسراً .

[كثير بن إسماعيل يسترضي المعتصم بشعره]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال حدثني
كثير بن إسماعيل التَّحْتَكَار قال : لما قديم المعتصم بغداد ، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم
أبو الواسع وقنينة وحسين بن الضَّحَّاك وحاتم الرِّيش وأنا ، فأدخلنا عليه . فلشؤمي وشقائي
كبت بين عيني : «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً» . فلما رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال
حمدون بن إسماعيل : يا سَيِّدِي تَطَايَبَ بَأْنُ كَبْ عَلَى جَبِينِهِ : «سَيِّدِي هَبْ لِي شَيْئاً» ! . فلم
يَسْتَنْطِبْ لِي ذَلِكَ وَلَا اسْتَمْلَحَهُ ، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدْعُ بِي . ففزعْتُ إلى حسين بن

الضحّاك ؛ فقال لي : إني لم أخلل من أنسه بعدُ بالحلّ الموجب أن أشفع إليه فيك ، ولكنّي أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإنّ ذلك أبلغ . فقلت : أفعل . فقال حسين ¹ :

قلّ لنديا أصبحت تلعب بي سلط الله عليك الآخرة
إن أكن أبرد من قنينة ومن الرّيش فأمّي فاجرة

قال : فأخذتهما وعرفتُ حمدون أنّهما لي وسألته إيصالهما ففعل ؛ فضحك المعتصم وأمر لي بالفي دينار واستحضرني والحقني بأصحابي .

[ابن بسخر والصبوح]

أخبرني عمّي قال حدثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون : كان محمّد بن الحارث بن بسخر لا يرى الصّبوح ولا يؤثّر على الغبوق شيئاً ، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحه استخفافاً بالخدمة ، لأنّه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمّنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبّ الصبوح ؛ فكان يلقّب ابن بسخر الغبوقي . فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنين منعه الصّبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملة غيظاً عليه ؛ فيضجّ من ذلك ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين بن الضحّاك وفي حاتم الرّيش الضّرّاط وكان من المضحكين ² :

حُبّ أبي جعفر للغبوق كقبّحك يا حاتم مُقبلاً
فلا ذاك يُعذّر في فعله وحقّك في الناس أن تُقتلاً
وأشبه شيء بما اختاره ضراطك دون الخلا في الملاً

[يستعطف أبا أحمد بن الرشيد]

حدثني محمّد بن خلف وكيع قال حدثنا محمّد بن عليّ بن حمزة قال : مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مزاحاً أغضبه ، فجأوبه حسين جواباً غضب منه أبو أحمد أيضاً . فمضى إليه حسين من غدي فاعتذر إليه وتنصّل وحلف ؛ فأظهر له قبولاً لعذره . ورأى ثقلاً في طرّفه وانقباضاً عما كان يعهده منه ؛ فقال في ذلك ³ :

[من الكامل]

1 شعره : 68 .

2 شعره : 94 عن الأغاني .

3 شعره : 57 .

لا تَعَجَّبَنَّ لَمَلَّةٍ صَرَفْتُ وجهَ الأميرِ فَإِنَّهُ بَشْرُ
وَإِذَا نَبَا بِكَ فِي سَرِيرَتِهِ عَقَدُ الضَّمِيرِ نَبَا بِكَ الْبَصْرُ

[صحبته للأمين وإكرامه له]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النُّشَارِ قَالَ : كَانَ أَبِي صَدِيقًا لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ وَكَانَ يَعَاشِرُهُ ؛ فَحَمَلَنِي مَعَهُ يَوْمًا إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ أَبِي يَحَادِثُهُ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، قَدْ تَأَخَّرْتُ أَرْزَاقُكَ ، وَانْقَطَعَتْ مَوَادُّكَ وَنَفَقْتُكَ كَثِيرَةٌ ، فَكَيْفَ يَمْشِي أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا اللَّهُ يَا أَخِي ، مَا قَوَامُ أَمْرِي إِلَّا بِبَقَايَا هَيَاتِ الْأَمِينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدَةَ وَذَخَائِرِهِ وَهَيَاتِ جَارِيَةٍ لَهُ ، لَمْ يُسَمِّهَا ، اغْتَنَتْنِي لِلْأَبَدِ لَشَيْءٍ ظَرِيفٍ جَرَى عَلَى غَيْرِ تَعَمُّدٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِينَ دَعَانِي يَوْمًا فَقَالَ لِي : يَا حُسَيْنَ ، إِنَّ جَلِيسَ الرَّجُلِ عَشِيرُهُ وَثِقَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَمْنِهِ ، وَإِنْ جَارِيتِي فَلَانَةٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَغَنَاءً ، وَهِيَ مِنِّي بِمَحَلِّ نَفْسِي ، وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ صَفْوَاهَا وَنَغَصَتْ عَلَيَّ النِّعْمَةُ فِيهَا بَعْجُهَا بِنَفْسِهَا وَتَجَنَّبَهَا عَلَيَّ وَإِدْلَالُهَا بِمَا تَعْلَمُ مِنْ حُبِّي إِيَّاهَا . وَإِنِّي مُحْضِرُهَا وَمَحْضَرُ صَاحِبَةٍ لَهَا لَيْسَتْ مِنْهَا فِي شَيْءٍ لَتَغْنِي مَعَهَا . فَإِذَا غَنَتْ وَأَوْمَأَتْ لَكَ إِلَيْهَا ، عَلَى أَنَّ أَمْرَهَا أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَسْتَحْسِنِ الْغَنَاءَ وَلَا تَشْرَبْ عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا غَنَتْ الْأُخْرَى فَاشْرَبْ وَاطْرَبْ وَاسْتَحْسِنْ وَاشْفُقْ ثِيَابَكَ ، وَعَلَيَّ مَكَانَ كُلِّ ثَوْبٍ مِائَةُ ثَوْبٍ . فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . فَجَلَسَ فِي حُجْرَةِ الْخُلُوةِ وَأَحْضَرَنِي وَسَقَانِي وَخَلَعَ عَلَيَّ ، وَغَنَّتِ الْحَسَنَةُ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ مِنِّي ، فَمَا تَمَالَكَتُ أَنْ اسْتَحْسَنْتُ وَطَرَبْتُ وَشَرَبْتُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ وَقَطَّبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ غَنَّتِ الْأُخْرَى فَجَعَلْتُ أَتَكَلَّفُ مَا أَقُولُهُ وَأَفْعَلُهُ . ثُمَّ غَنَّتِ الْحَسَنَةُ ثَانِيَةً فَأَتَتْ بِمَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطًّا حُسْنًا ، فَمَا مَلَكَتُ نَفْسِي أَنْ صَبَحْتُ وَشَرَبْتُ وَطَرَبْتُ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَعْصُ شَفَتَيْهِ غِيظًا ، وَقَدْ زَالَ عَقْلِي فَمَا أَفَكَّرَ فِيهِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَارًا ؛ وَكَلَّمَا أَزْدَادَ شَرِبِي ذَهَبَ عَقْلِي وَزِدْتُ مِمَّا يَكْرَهُ ؛ فَغَضِبَ فَأَمْضَيْتُ وَأَمَرَ بِجَرِّ رَجُلِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَصَرَفَنِي فَجَرَرْتُ وَصَرَفْتُ ، فَأَمَرَ بَأَنْ أُحْجَبَ . وَجَاءَنِي النَّاسُ يَتَوَجَّعُونَ لِي وَيَسْأَلُونَنِي عَنْ قِصَّتِي فَأَقُولُ لَهُمْ : حَمَلْتُ عَلَيَّ التَّبِيدَ فَأَسَأْتُ أَدَبِي ، فَقَوَّمتُنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصَرَفِي وَعَاقَبَنِي بِمَنْعِي مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ . وَمَضَى لِمَا أَنَا فِيهِ شَهْرٌ ، ثُمَّ جَاءَنِي الْبِشَارَةُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِّي ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِي فَحَضَرْتُ وَأَنَا خَائِفٌ . فَلَمَّا وَصَلْتُ أُعْطَانِي الْأَمِينُ يَدَهُ فَقَبَّلْتُهَا ، وَضَحَكَ إِلَيَّ وَقَامَ وَقَالَ : اتَّبِعْنِي ، وَدَخَلَ إِلَى تِلْكَ الْحَجَرَةِ بَعِينَهَا وَلَمْ يَحْضُرْ غَيْرِي . وَغَنَّتِ الْحَسَنَةُ الَّتِي نَالْنِي مِنْ أَجْلِهَا مَا نَالْنِي فَسَكَتُ فَقَالَ لِي : قُلْ مَا شِئْتَ وَلَا تَخَفْ ؛ فَشَرَبْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا حُسَيْنَ ، لَقَدْ خَارَ اللَّهُ لَكَ بِخِلَافِي وَجَرَى الْقَدَرُ بِمَا تَحَبُّ فِيهِ . إِنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عَادَتْ إِلَى الْحَالِ الَّتِي أُرِيدُ مِنْهَا وَرَضِيْتُ كُلَّ أَعْمَالِهَا ؛ فَأَذْكَرْتَنِي بِكَ وَسَأَلْتَنِي الرِّضَا عَنْكَ وَالِاخْتِصَاصَ لَكَ ؛ وَقَدْ فَعَلْتُ

ووصلتكَ بعشرة آلاف دينار ، ووصلتكَ هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتَ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقّد ذلك عليك فتسألني ألاّ تصلَ إليّ لأجبتها . فدعوتُ له وشكرته وحمدت الله على توفيقه ، وزدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكرتُ وانصرفتُ وقد حُمِلَ معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصلاتها وألطفها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأُمين ؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلاّ سألتُه أن يصلني . فكلُّ شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرتُ من صلاتها . قال ابن النشار : فقال له أبي : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفقه الله لك فيه .

[هنا الأُمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال : دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأُمين بعقبِ وقعة أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزمهم وفضحوهم ؛ فهنأه بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذن له فأنشده¹ : [من الهزج]

أُمينَ الله ثِقَ بالـ	هُ تُعْطَ العِزَّ والنُصْرَة
كِلَ الأمرِ إلى الله	كَلاكَ الله ذو القُدْرَة
لنا النصرُ بإذنِ اللـ	هُ والكِرَّةُ لا الفِرَّة
وللمُراق أعداءُ	لك يومُ السَّوءِ والدُّبُرَة ²
وكأسُ تُورِد الموت	كريمة طعمُها مُرَة
سَقَوْنَا وسَقَيْنَاهُم	فكانت بهمُ الحرَّة ³
كذلك الحربُ أحياناً	علينا ولنا مَرَة

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يزل يتبسّم وهو يُنشدّه .

[عابته الأُمين وركب ظهره]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال : قال لي الحسين بن الضحّاك : شربنا يوماً مع الأُمين في بستانٍ ، فسقانا على الرِّيق ، وجدّ بنا في الشرب ، ونحرزَ من أن ندوق شيئاً . فاشتدَّ الأمرُ عليّ ، وقمتُ لأبول ، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألفَ درهم على أن يجعلَ لي تحت شجرة أوماتُ إليها رُقاقةً فيها لحمٌ ، فأخذ الألفَ وفعل ذلك . ووثب محمدٌ فقال : من

1 شعره : 66-67 .

2 الدبيرة : الهزيمة .

3 الحرّة : العذاب الموجع . وبكسر الحاء : العطش .

يكون منكم حِماري ؟ فكلُّ واحد منهم قال له : أنا ، لأنه كان يركب الواحد منا عبثاً ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أضلُّ القوم . فركبني وجعل يطوف وأنا أُعْدِلُ به عن الشجرة وهو يمرُّ بي إليها حتى صار تحتها ، فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما يُمسك رَمَقِي ولم يصِلني كعادتي ، ما أنا إلا كما قال الشاعر :

ومُطْعِمُ الصيْدِ يَوْمَ الصيْدِ مَطْعَمَهُ أَنْتِ تَوَجِّهِ والمَحْرُومُ محْرُومُ

[يستوهب جارية لأُمِّ جعفر]

حدثني عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحويُّ المبرِّد قال : كان حسين بن الضَّحَّاك الأشقر ، وهو الخليع ، يهوى جاريةً لأُمِّ جعفر ، وكانت من أجمل الجوارى ، وكان لها صُدْغانٌ مُعَقَّران ، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنشيدنا منه شيئاً ؛ فيُخرج إليها الصحيفة ، فتقول له : اقرأ معي ، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة . فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدحه سلم الخاسر وكان مكيناً عند أُمِّ جعفر ، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها ، فأبَتْ عليه أُمُّ جعفر ؛ فوجَّه إلى الخليع بألف دينار وقال : خذْ هذا الألف ؛ فقد جَهِدْتُ الجَهْدَ كُلَّهُ فيها فلم تُمكنني حيلة . فقال الحسين في ذلك ² :

رَمَتْكَ غَدَاةُ السَّبْتِ شَمْسٌ مِنَ الْخُلْدِ	بَسَمِ الْهَوَى عَمْداً وَمَوْتُكَ فِي الْعَمْدِ ³
مَوْزَرَّةُ السَّرْبَالِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا	غَلَامِيَّةُ التَّقْطِيعِ شَاطِرَةُ الْقَدِّ ⁴
مُحَنَّاةُ الْأَطْرَافِ رُوْدٌ شَبَابُهَا	مُعَقَّرَبَةُ الصُّدْغَيْنِ كَاذِبَةُ الْوَعْدِ
أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَزَفَرَةٍ	وَقَدْ شَخَّصْتُ عَيْنِي وَدَمَعِي عَلَى الْخَدِّ
أَجِيزِي عَلَى مَنْ قَدْ تَرَكْتَ فَوَاذَهُ	بِلِحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسُفِ وَالْجَهْدِ
فَقَالَتْ عَذَابٌ بِالْهَوَى مَعَ قَرِيبِكُمْ	وَمَوْتُ إِذَا أَقْرَحْتُ قَلْبُكَ بِالْبَعْدِ
لَقَدْ فَطِنْتَ لِلْجُورِ فِطْنَةً عَاصِمٍ	لَصْنَعِ الْأَيَادِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ

1 أضلع القوم : أشدَّهم .

2 شعره : 44 .

3 الخلد : قصر للمنصور على دجلة .

4 الشاطر : هو الذي أعيا أهله وموَدَّه خبثاً .

سأشكوك في الأشعار غيرَ مُقَصِّرٍ إلى عاصمٍ ذي المَكْرُماتِ وذِي المجدِ
لعلّ فنى غَسَّانَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا فيأمنَ قلبي منكم رَوْعة الصَّدِّ

[يستقطع المعتصم داراً]

حدّثني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٍ قال حدّثني هارون بن مُخَارِقٍ قال : أقطع المعتصمُ
الناسَ الدُّورَ بسرّاً من رأى وأعطاهم النفقاتَ لبنائها ، ولم يُقَطِّعِ الحسين بن الضحّاك شيئاً .
فدخل عليه فأنشده قوله¹ :

يا أَمِينَ الله لا خِطَّةَ لي ولقد أفردتَ صَحْبِي بِخِطَطٍ
أنا في دَهْيَاءٍ من مُظْلِمَةٍ تحمِلُ الشيخَ على كلِّ غَلَطٍ
صعبةُ المسلكِ يرتاع لها كلُّ من أضعَدَ فيها وهَبَطُ
بوّئي منك كما بوّأتهم عَرَصَةٌ تبسُّطُ طَرَفِي ما انبسطُ
أبتني فيها لنفسي موطناً ولعقبِي فَرَطاً بعد فَرَطُ
لم يزل منك قريباً مسكني فأعِدْ لي عادةَ القربِ فقطُ
كلُّ من قَرَبَتْهُ مُغْتَبِطُ ولمن أبعدتَ خِزْيُ وسَخَطُ

قال : فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينارٍ لنفقته عليها .

[أجاز شعراً لأبي العتاهية]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال أخبرني عمّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال :
كنتُ أمشي مع أبي العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شجٍّ على ابنِ لها .
فقال أبو العتاهية² :

أما تنفك باكيةً بعين غزيرٍ دمعها كمدٍ حشاها
أجز يا حسين ؛ فقلت³ :

[من الوافر]

تُنادي حفرةً أُعيتَ جواباً فقد ولّهتَ وصمَّ بها صداها⁴

[نصحه أبو العتاهية بالآ يرضي الأمين]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال :

1 شعره : 71 عن الأغاني .

2 ديوان أبو العتاهية : 67 عن الأغاني .

3 شعره : 124 .

4 صم الصدى : كناية عن الهلاك .

6 • كتاب الأغاني - ج 7

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي . فلقيني أبو العتاهية فقال لي :
يا حسين ، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌ ، وقد علمتُ مكانك من الأمين ، وإنه لحقيقٌ بأن
ترثيه ، إلا أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّفِ عليه والتوجُّعِ له بما صار هجاءً لغيره وثلباً
له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون مُنصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك ؛ فأبقِ على نفسك ؛ يا
ويحك ؛ أتجسرُ على أن تقول¹ :

تركوا حريمَ أبيهم نَفَلاً والمُحْصَنَاتُ صَوَارِخُ هُتَفٍ
هيهاتَ بعدك أن يدومَ لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَفُ

أَكُفِّ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرط منك . فعلمتُ أنه قد نصحني
فجزيته الخيرَ ، وقطعتُ القولَ فنجوتُ برأيه وما كذتُ أن أنجو .
[شعره في فتي جميل أعرض عنه]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيَّاء قال : وقف علينا حسين بن الضَّحَّاك ومعنا
فتى جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه ، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه
والفتى مُعرِّضٌ عنه حتى طال ذلك ؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال² :

تبيته علينا أن رُزِقَتْ مَلاحَةً فمَهْلاً علينا بعضَ تيهك يا بدرُ
لقد طالما كنَّا مِلاحاً وربَّما صَدَدْنَا وَتَهْنَا ثم غَيَّرْنَا الدَّهْرُ

وقام فانصرف .

[عربده في مجلس الأمين.]

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي³ قال حدثني ابن عَجْلان قال : غنى بعضُ المغنين في
مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضَّحَّاك ، وهو :

صوت

أُلسَتَ تَرَى دِيمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتَقْبَلُ
وهذي العُقار وقد راعنا بطلعته الشادنُ الأكحلُ

1 البيتان من قصيدة طويلة في رثاء الأمين . انظر مجموع شعره : 78-80 وفيه ثبت بمصادر القصيدة . وفي البيت الثاني : «لنا» بدلاً من «لهم» .

2 شعره : 53 وينسب البيتان أيضاً لأبي نواس .

3 لعل المقصود الحسين بن القاسم الكوكبي الذي يروي عنه أبو الفرج كثيراً .

فَعَادَ بِهِ وَبَنَا سَكْرَةً تَهَوَّنَ مَكْرُوهَ مَا نَسَأَلُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ نَظْرَةً تَخْبِرُنَا أَنَّهُ يَفْعَلُ

قال : فأمر بإحضار حسين فأحضِر ، وقد كان محمد شرباً أرتالاً . فلما مثل بين يديه أمر فسقي ثلاثة أرتال ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمِل . فلما أفاق كتب إليه¹ :

إِذَا كُنْتُ فِي عُصْبَةٍ مِنَ الْمَعْشَرِ الْأَخْيَبِ
وَلَمْ يَكْ لِي مُسْعِدٌ نَدِيمٌ سِوَى جُعْدُبِ
فَأَشْرَبُ مِنْ رَمْلَةٍ وَأَسْهَرُ مِنْ قُطْرُبِ²
وَلَمَّا حَبَانِي الزَّمَا نَ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَحْسَبِ
وَنَادَمْتُ بَدَرَ السَّمَاءِ فِي فَلَكِ الْكُوكَبِ
أَبْتُ لِي غُضُوضِيَّتِي وَلَوْ مِنْ الْمُنْصَبِ³
فَأَسْكُرُنِي مَسْرَعاً قَوِيٌّ مِنَ الْمَشْرَبِ
كَذَا النِّدْلُ يَنْبُو بِهِ مَنَادِمَةُ الْمُتَجَبِّ

قال : فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلّته .

[شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد]

أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون : أنَّ الحسين بن الضحّاك أنشدّه ، وقد عاتبه خادم من خدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن بانه ؛ فقال حسين فيه⁴ :

[من المنسرح]

صوت

فَدَيْتُ مَنْ قَالَ لِي عَلَى خَفَرَةٍ وَغَضُّ جَفْنًا لَهُ عَلَى حَوَرَةٍ
سَمِعَ بِي شَعْرُكَ الْمَلِيحَ فَمَا يَنْفَكُ شَادٍ بِهِ عَلَى وَتَرَةٍ

1 شعره : 30 عن الأغاني .

2 المثل : أشرب من عقد الرمل : الميداني 1 : 391 والزمخشري 1 : 195 والعسكري 1 : 538 . المثل : أسهر من قطرب : الميداني 1 : 355 والزمخشري 1 : 175 والعسكري 1 : 509 . وقطرب : طائر يجول الليل كله لا ينام .

3 الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته والمقصود هنا طيش الشباب .

4 شعره : 63 عن الأغاني .

فقلتُ يا مستعيرَ سالفَةِ الـ خِشْفٍ وحسنِ الفتورِ من نَظَرَةٍ
لا تُتَكرَنَ الحَنيَنَ من طَرَبٍ عاودَ فيكَ الصُّبا على كِبَرَةٍ
وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

[شعره على قبر أبي نواس]

أخبرني الكوكبيّ قال حدثني أبو سَهْلٍ بن نُوبَخْتٍ عن عمرو بن بانة قال : لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضَّحَّاك على قبره¹ :

[من المنسرح]

كأَبْرَنِيكَ الزَّمانُ يا حسنُ فخابَ سَهْمِي وأُفْلَحَ الزَّمَنُ
ليتكَ إذ لم تكن بقيتَ لنا لم تَبْقَ رُوحٌ يَحُوطُهَا بدنُ

[هجا جراحاً مخنثاً اسمه نصير]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثني مُحَمَّدُ بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال : كان في جوار الحسين بن الضَّحَّاك طبيب يُداوي الجراحات يقال له نُصِيرُ ، وكان مُخَنَّثاً ؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين ، وإذا لم تكن عالج الجراحات . فقال فيه الحسين بن الضَّحَّاك² :

[من السريع]

نُصِيرُ ليس المُرْدُ من شأنه نصيرُ طَبِّ بالُنْكَارِيش³
يقول للُنْكَارِيشِ في خلوة مقالَ ذي لُطْفٍ وتَجْمِيشِ
هل لك أن نلعبَ في فرشنا تَقْلِبَ الطيرِ المَراعيشِ⁴

يعني المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : « يا نصير نلعب تَقْلِبَ الطير المَراعيش » فيشتمهم ويرميهم بالحجارة .

[عبث ابن منذر بشعر له]

حدثني جعفر قال حدثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضَّحَّاك قال : أنشدتُ ابنَ مُناذِرٍ قصيدتي التي أقول فيها :

لَفَقْدِكَ رِيحانةَ العسكرِ

وكانت من أوّل ما قلته من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل

1 شعره : 109 عن الأغاني .

2 شعره : 68-69 عن الأغاني .

3 النكاريش : جمع نكريش وهو الملتحي .

4 المراعيش : نوع من الحمام .

يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أترأه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا ؛ فقلنا : فإنّما فعله طنّزاً بك ؛ فشتّمه وشتّمنا . وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه .

[اجتماع اللوم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن أبي كامل قال : مررتُ بباب حسين بن الضحّاك ، وإذا أبو يزيد السّلويّ وأبو حرّزة الغنويّ وهما ينتظران المحاربين وقد استؤذن لهم على ابن الضحّاك ؛ فقلت لهما : لم لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد : ننتظر اللوم أن يجتمع ، فليس في الدنيا أعجب ممّا اجتمع منا ، الغنويّ والسّلويّ ينتظران المحاربين ليدخلوا على باهليّ .

[دعوة الفتح بن خاقان للصّبح]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر البوشنجيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال : كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح ذكياً جيّداً الطبع والفطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان غرطوج : يا فتح أيّما أحسن : داري أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقّف وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبي إذا كنت فيها ؛ فعجّب منه وتبّناه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكّل عليهما . فاعتلّ الفتح في أيام الواثق علّة صعبة ثم أفاق وعوفي ، فعزّم الواثق على الصّبح ، فقال لي : يا حسين ، اكتب بأيّات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصّبح ؛ فكتبتُ إليه ² :

لما اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمقني	قد لاح لي باكراً في ثوبٍ بذلته
ناديتُ فتحاً وبشّرتُ المدام به	لما تخلص من مكروه علته
ذبّ الفتى عن حريم الراح مكرومة	إذا رآه امرؤٌ ضيذاً لنخلته
فاعجلْ إلينا وعجلْ بالسرور لنا	ونخالس الدهر في أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطحب معه .

[غزله في غلام عبد الله بن العباس بن الربيعي]

أخبرني عمي ³ قال حدّثني يعقوب بن نعيم وعبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن محمد

1 ل : حاد .

2 شعره : 33 .

3 تقدّم هذا الخبر بنصّه في هذه الترجمة .

الأنباري قال حدثني حسين بن الضحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مُصْطَبِجٌ وخادم له يسقيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم ؛ فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل ؛ فقلت :

أَحْيَتْ صَبُوحِي فَكَاهَهُ اللّاهِي	وطاب يومي بقرب أشباهي
فَاسْتَبْرَأَ اللّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ	من قبل يوم منغص ناهي
بَابِنِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُتَطَيِّقٍ	موتّر بالمجون تّياه
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ	سقي لطيف مجرب داهي
كَأْسًا فَكَأْسًا كَانَ شَارِبَهَا	حيران بين الذكور والسّاهي

قال : فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحناً مليحاً وشرّبنا عليه بقيّة يومنا .

[يستنجز وعداً بالسكر قبل رمضان]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض عن أبيه قال : اتفق حسين بن الضحّاك ويُسْرُ مرةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان . فقال حسين ليُسْر : يا سيدي ، قد هجم الصوم علينا ، فتفضّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ؛ فقال له : قد سكرتَ وأخشى أن يبدو لك ؛ فحلف له يسرّ أنه يقي . فلمّا كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء ، فجحد الوعدَ وأنكره . فكتب إليه يقول¹ :

تجاسرتَ على الغدر	كعاداتك في الهجر
فأخلفتَ وما استخلف	متّ من إخوانك الزهر
لئن خيستَ لَمّا ذل	لك من فعلك بالنكر
وما أقنعني فعل	ك يا مختلق العذر
بنفسي أنت إن سوت	فلا بُدّ من الصبر
وإن جرّعتني الغيظ	وإن خشن بالصدر
ولولا فرقي منك	لسميتك في الشعر
وعنتك لا آلو	وإن جرت مدى العذر
أما تخرج من إخلاف	ميعادك في العشر

غداً يفطّمنا الصومُ عن الرّاح إلى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحّاك عمّا أثر له هذا الشعرُ وما كان الجواب ؛ فقال : كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعل ، كان اجتماعنا قبل الصوم في بستان لمولاه ، وتمنّا سرورنا وقضيّنا أوطارنا إلى الليل ، وقلتُ في ذلك ¹ :

[من الطويل]

إلى ملتقى النّهرين فالأثّل فالطّلح
ويسرّن ما أملتُ من دَرَكَ النّجح
حبّيك حتى انقاد عفواً إلى الصلح
ولكنّ من أهواه صيغ على الشّح

سقى الله بطنَ الدّير من مستوى السّفح
ملاعبُ قُذْن القلب قسراً إلى الهوى
أتنسى فلا أنسى عتابك بينها
سمحتُ لمن أهوى بصفو مودّتي

[يصف أيامه مع يسر في البصرة والقنص]

قال عليّ بن العباس : وأنشدني سَوَادَةُ بن الفيض عن أبيه حسين بن الضحّاك يصف أياماً مضتْ له بالبصرة ويومَه بالقفص ومجيء يسرٍ إليه ، وكان يسرّ سألَهُ أن يقول في ذلك شعراً ² :

[من المنسرح]

ولا تُراعي حمامة الحرَم
ونام لا قام سامرُ الخدم
إذا خلّونا في كلِّ مكتم
عينُ ولا تخصري وتحتشمي
على دُجى ليلنا فلم ترم
حتى كأنّي أراه في حلم
وشئتُ عين اليقين بالتهم
أخالني نائماً ولم أتم
بيارد الرّيق طيّب النّسم
ما عيب من قرنه إلى القدم
حتى تجلّت أواخرُ الظلم

تيسري للّمام من أمم
قد غاب لا آب من يُراقبنا
فاستصحبني مُسْعِداً يفاوضنا
تبذلّي بدلةً تقرُّ بها الـ
ليت نجوم السماء راكدة
ما لسروري بالشكّ ممتزجا
فرحْتُ حتى استخفّني فرحي
أمسحُ عيني مُسْتَبْتاً نظري
سقيّاً لليل أُنيت مدّته
أبيضَ مُرتجّة روادفه
إذ قصّبات العريش تجمعنا

1 شعره : 35 عن الأغاني .

2 شعره : 104-105 .

وليلةً بتهّا محسدةً
أَبَتْ عَبراته على غَصَصٍ
سَقِيًّا لَقِيطُونَهَا وَمُخَذِّعِهَا
لا أَكْفُرُ السَّيْلَجِينَ أَزْمِنَةً
وليلة القَفْصِ إِن سَأَلْتَ بِهَا
بات أَنيسي صريعَ خمرته
وبَتْ عن مَوْعِدٍ سَبَقَتْ بِهِ
وَأَبَأني من بدا برَوْعَةٍ «لا»
أَبَاحني نفسه ووسَّديني
حتى إِذا احتاجت النوافسُ في
وقلتُ هُبَّا يا صاحبي وَنَبَّ
فاستَنَّها كالشَّهابِ ضاحكةً
صفراءَ زَيْتِيَّةً موشَّحةً
أُخِذْتُ رِيحانةً أَرَأَحُ لها
فراجع العذرَ إِن بدا لك في الـ

محفوفةً بالظنون والتَّهَمِ
يَرُدُّ أَنْفاسَه إِلى الكَظَمِ¹
كَم مَنْ لِمَامٍ بِهِ وَمَنْ لَمَمِ²
مطبعةً بالنَّعِيمِ والنَّعَمِ³
كانت شفاءً لعلَّة السَّقَمِ
وتلك إِحدى مصارع الكرمِ
أَلْثَمَ دُرًّا مُفْلَجًا بَقَمِ
وعاد من بعدها إِلى «نَعَم»
يُمْنِي يديه وبات مُلتَزِمِي
سُخْرَةٍ أَخَوِي أَحَمَ كالحَمِ
هَتْ أَبَاناً فَهَبْ كالزَّلَمِ
عن بارقٍ في الإِناءِ مُبْتَسِمِ
بَارْجوانٍ مُلْمَعٍ ضَمِ
دَبَّ سروري بها ديبَ دَمِي⁴
عُذِرَ وَإِنْ عُذْتُ لائِماً فَلَمِ

[احتجاب يسر]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدثني سَوَادَةُ بن الفَيْضِ المخزوميّ قال حدثني الْمُعْتَمِرُ بن الوليد المخزوميّ قال : قال لي الحسين بن الضَّحَّاك وهو على شراب له : ويحكمُ أَحدُكُمْ عن يُسْرِ بأعجوبة ؟ قلنا : هات . قال : بلغ مولاه أَنَّهُ جَرى له مع أَخِيهِ سَبَبٌ ، فحجَّبه كما تُحجَّبُ النساءُ ، وأمر بالحَجَرِ عليه ، وأمره أَلَّا يخرجَ عن داره إِلاَّ ومعه حافظٌ له موَكَّلٌ به . فقلتُ في ذلك⁵ :

1 الكظم : مخرج النفس من الحلق .

2 القيطون : البيت أو المخدع .

3 السيلحين : موضع قرب الحيرة .

4 دب سروري في ل : دب فنومي .

5 شعره : 122 .

ظنّ مَنْ لا كان ظناً
أرصد الباب رقيباً
فإذا ما اشتاق قربي
جعل الله رقيباً
والذي أقرح في الشا
كلُّ مشتاق إليه
سيّما من حالت الأحـ
بجبيي فحمّاه
من له فاكتنفاه
ولقائي منعاه
هـ من السوء فدهاه
دن قلبي ولواه
فمن السوء فدهاه
راسُ من دون مُناه

[سأل أبا نواس إصلاح أمره مع يسر]

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدّثني عبد الله بن زكريّا الضّرير قال : قال أبو نواس : قال لي حسين بن الضحّاك يوماً : يا أبا عليّ ، أما ترى غضبَ يسرٍ عليّ ؟ فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالُّ أردتها منه فمَنَعَنيها فغضبتُ ؛ فأسألك أن تُصلِحَ بيني وبينه . فقلت : وما تحبُّ أن أُبلغه عنك ؟ قال : تقول له ¹ : [من السريع]

بِحُرْمَةِ السُّكْرِ وما كانا
أخاف أن تهجرني صاحياً
إنّ بقلبي روعةً كلّما
يا ليت ظنّي أبداً كاذباً
عزمت أن تقتل إنساناً !
بعد سروري بك سكرانا
أضمر لي قلبك هجرانا
فإنه يصدق أحيانا

قال : فقلت له : ويحك ! أتجنّبه وتريد أن تترصّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أنا أعرف به ، وهو كثير التبدّل ، فأبلغه ما سألتك ؛ فأبلغته فرضي عنه وأصلحتُ بينهما . [زائرة على غفلة]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : جاءني يوماً حسين بن الضحّاك ، فقلت له : أيّ شيء كان خيرك أمسر ؟ فقال لي : اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن ؛ فقلت : هات يا سيدي ؛ فقال ² : [من السريع]

زائرة زارت على غفلة
فلم أزل أخذعها ليلتي
يا حبذا الزّورة والزّائرة
خدیعة السّاحر للسّاحرة

1 شعره : 116 عن الأغاني .

2 شعره : 67 .

حتى إذا ما أذعنت بالرضا
وأنعمت دارت بها الدائرة
بت إلى الصبح بها ساهراً
وباتت الجوزاء بي ساهرة
أفعل ما شئت بها ليلتي
وملئ عيني نعمة ظاهرة
فلم نتم إلا على تسعة
من غلمة بي وبها نائرة
سقياً لها لا لأخي شجرة
شغرته كالشجرة الوافرة
وبين رجليه له حربة
مشهورة في حقوه شاهرة
وفي غد يتبعها حية
تلحقه بالكرة الخاسرة

قال : فقلت له : زينت يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .

[أغرى الواثق بالصبح]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيَّاء قال : دخل حسين بن الضحَّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيب ، فحثه على الصُّبوح فلم ينشط له . فقال : اسمع ما قلت ؛ قال : هات ؛ فأنشده¹ :

[من المنسرح]

إسْتِثِرَ اللّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ
مَنْ قَبْلَ يَوْمٍ مَنُغْصِرِ نَاهِي
بَابِنَةَ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُنْطَلِقٍ
مُوتِرٍ بِالْمُجُونِ تِيَاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ لَحْظِهِ وَمِنْ يَدِهِ
سَقِيَّ لَطِيفٍ مَجْرَبٍ دَاهِي
كَأْساً فَكَأْساً كَانَ شَارِبَهَا
حَيْرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

قال : فنشط الواثق وقال : إن فرصة العيش لحقيقة أن تُتَهَزَّ ؛ واصطبح ووصل الحسين .

[ضبعة الاثني]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشَّيْل عاصم بن وهب البرجمي قال : حجَّ الحسين بن الضحَّاك ، فمرَّ في مُنْصَرَفِهِ على موضع يعرف بالقرَّيتين ، فإذا جارية تَطْلُعُ في ثيابها وتنظر في حُرِّها ثم تضربه بيدها وتقول : ما أضيعني وأضيعك ! فأنشأ يقول² :

[من المنسرح]

مررتُ بالقرَّيتين مُنْصَرِفاً
من حيث يقضي ذُوو النَّهْيِ النُّسْكََا
إذا فتاة كأنَّها قمرٌ
لَتَمَّ لَهَا تَوْسُطُ الْفَلَكََا

1 تقدّمت هذه الأبيات في خبر مختلف مع الواثق مرّتين .

2 شعره : 91 عن الأغاني .

واضعةً كفّها على حِرّها تقول يا ضيّعتي وضيّعتك
قال : فلمّا سمعتُ قوله ضحكْتُ وغطّت وجهها وقالت : وافضيّحتاه ! أوّقد سمعتَ ما
قلتُ ؟ .

[في شفيح خادم المتوكّل]

حدّثني محمّد الصّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال : كان الحسين بن الضحّاك
صديقاً لأبي ، وكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفسه قد تتبّعت شفيحاً بعد انصرافه من
مجلس المتوكّل ؛ فأنشدنا لنفسه فيه ¹ :

وأبيض في حُمر الثياب كأنّه	إذا ما بدا نِسرِيّة في شقائق
سقاني بكفّيه رحيقاً وسامني	فسوقاً بعينيه ولستُ بفاسق
وأقسم لولا خشيةُ الله وحده	ومن لا أُسمي كنتُ أوّل عاشق
وإنّي لمعذورٌ على وجنّاته	وإن وسمتني شيبّة في المفارق
ولا عشتُ لي أو يُحدِث الدهرُ شِرّة	تعود بعاداتِ الشباب المفارق
ولو كنتُ شكلاً للصّبا لاتّبعتُه	ولكن سني بالصّبا غيرُ لائق

[طلب من المتوكّل إجراء أرزاق ابنه على زوجته وأولاده]

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضحّاك ابن يسمّى
محمّداً ، له أرزاق ، فمات فقطّعت أرزاقه . فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أن يجعلَ أرزاقَ ابنه
المتوفّى لزوجته وأولاده ² :

إنّي أتيتك شافعاً	بوليّ عهد المسلمين
وشبهك المعتزّ أو	جه شافع في العالمينا
يا ابن الخلائف الأوّل	من ويا أبا المتأخّرينا
إنّ ابن عبدك مات والأ	يام تخخرم القريّا
ومضى وخلف صبيّة	بعراضيه متلّدينا ³
ومُهيرةٌ عبّرى خيلا	فأقارب مُستعبرينا

1 شعره : 85 - 86 .

2 شعره : 120 .

3 المتلّد : المتخبر .

أصبحنَ في ريبِ الحوا دث يُحسنون بك الظنونا
 قطعَ الولاءُ جِرايةً كانوا بها مُستَمْسِكينا
 فامننَ بردَ جميع ما قطعوه غيرَ مراقبينا
 أعطاك أفضلَ ما تؤمُّ ل أفضلَ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكل له بما سأل . فقال يشكره¹ :

يا خيرَ مُستَخلفٍ من آلِ عباسٍ اسلمَ وليس على الأيام من باسٍ
 أحييتَ من أُملي نضواً تعاوَرَه تعاقبُ اليأسِ حتى مات بالياسِ
 [هجا مغنية فهرت وانقطع خبرها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضحّاك ونحن على نبيذ ؛ فعبث بالمغنية وجمّشها ؛ فصاحت عليه واستخفت به . فأنشأ يقول² :

لها في وجهها عُكَنُ وثُلثا وجهها دُقَنُ
 وأُسنانُ كَرِيشِ البَ طَّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قلتُ قد عَمِيَتْ ؛ وما انتفعنا بها بقيّة يومنا . وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما . وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ . ثم هربت من سرّ من رأى ، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .
 قال جعفر وحدثنا أبو العيّن أنّه حضر هذا المجلس ، وحكى مثل ما حكاه محمد .
 [سنّه]

حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلب قال : سألت حسين بن الضحّاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنّه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنة التي وُلِدْتُ فيها بعينها ، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَةَ بن الحجاج سنة ستين ومائة .
 [اعتذاره للمتوكل بكبر السن]

حدثني الصُّولي قال حدثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال : أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحّاك ويلازمه ؛ فلم يُطِقْ ذلك لكبير

1 شعره : 68 .

2 شعره : 109 عن الأغاني .

سنّه . فقال للمتوكّل بعض مَنْ حضر عنده : هو يُطيق الذّهَابَ إلى القرى والمواخير والسكرَ فيها ويعجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتها إلى المتوكّل ، وهي¹ :

أَمَّا فِي ثَمَانِينَ وَفِيَّتْهَا	عَذِيرٌ وَإِنَّا لَمْ أَعْتَذِرْ
فَكَيْفَ وَقَدْ جُرْتُهَا صَاعِدًا	مَعَ الصَّاعِدِينَ يَتَسَعُ أُخَرُ
وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْلَامَهُ	عَنْ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ الْبَشَرِ
سِوَى مَنْ أَصْرَ عَلَى فِتْنَةٍ	وَالْحَدَّ فِي دِينِهِ أَوْ كَفَرُ
وَإِنِّي لَمَنْ أُسْرَاءُ إِلَّا—	هُ فِي الْأَرْضِ نُصَبَ صُرُوفِ الْقَدَرِ
فَإِنْ يَقْضَ لِي عَمَلًا صَالِحًا	أَثَابَ وَإِنْ يَقْضَ شَرًّا غَفَرَ
فَلَا تَلَحْ فِي كَيْرٍ هَدَنِي	فَلَا ذَنْبَ لِي أَنْ بَلَغْتُ الْكِبَرِ
هُوَ الشَّيْبُ حَلَّ بِعَقَبِ الشَّبَابِ	فَاعْقِبْنِي خَوْرًا مِنْ أَسْرِ
وَقَدْ بَسَطَ اللَّهُ لِي عَذْرَهُ	فَمَنْ ذَا يُلُومُ إِذَا مَا عَذَرُ
وَإِنِّي لَفِي كَنْفٍ مُغْدِقٍ	وَعَزُّ بْنُصَرٍ أَبِي الْمُتَصِيرِ
يُارِي الرِّيحَ بِفَضْلِ السَّمَاءِ	حَ حَتَّى تَبْلُغَ أَوْ تَنْحَسِرُ
لَهُ أَكَّدُ الْوَحْيِ مِيرَاثَهُ	وَمَنْ ذَا يُخَالِفُ وَخْيَ السُّورِ
وَمَا لِلْحُسُودِ وَأَشْيَاعِهِ	وَمَنْ كَذَبَ الْحَقَّ إِلَّا الْحَجَرُ

قال ابن حمدون : فلمّا أوصلتها شيعتها بكلامي أعذّره ، وقلت : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها . فقال المتوكّل : صدقت ، خذْ له عشرين ألف درهم واحملها إليه ؛ فأخذتها فحملتها إليه .

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمّد بن نصر قال حدّثني خالي عن حسين بن الضحّاك قال : ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبَتِي وَلَدَهُ ، ثم ضربني الأُمَيْنُ لُمَايَلَةِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثم ضربني المأمون لميلِي إلى محمّد ، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل ، وكلّ ذلك يَجْرِي مجرى الوَلَعِ بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكّل وأمر شفيعاً بالوَلَعِ بي ، فتغاضب المتوكّل عليّ . فقلت له :

يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني أبؤك ، فاعلم أن آخر ضرب
ضربت بسببك . فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك .
[حاله في أواخر أيامه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن
محمد بن مروان الأبراري¹ قال : دخلت على حسين بن الضحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟
جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول² :
[من البسيط]

أصبحتُ من أسراء الله مُحْتَبَساً في الأرض نحو قضاء الله والقَدَرِ
إنَّ الثمانين إذ وقيتُ عِدَّتْها لم تُبقِ باقيةً منِّي ولم تَدْرِ

1 نسبة إلى الأبرار وهي قرية قرية من نيسابور وقد تقدّم «الأبراري» .

2 شعره : 62 .

[107] - أخبار أبي زكار الأعمى¹

[مغنٌ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك]

قال أبو الفرج : أبو زكار هذا رجلٌ من أهل بغداد من قدماء المغنين ، وكان منقطعاً إلى آل برمك ، وكانوا يؤثرونه ويفضّلون عليه إفضالاً .

[قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه]

فحدثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمعت مسروراً يحدث أبي قال : لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبْعُدْ فكلُّ فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُعادي²
وكلّ ذخيرة لا بدَّ يوماً وإن بقيتُ نصير إلى نفاذ
ولو يُفدَى من الحداث شيءٌ فديتك بالطريف وبالتلاد

فقلت له : في هذا والله أتيتك ! فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه .

[طلب أن يقتل مع جعفر]

فقال لي أبو زكار : نشدتك الله إلا ألحقني به . فقلت : وما رغبتك في ذلك ؟ قال : إنه أغنانني عمّن سواه بإحسانه ، فما أحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أستاذُ أمير المؤمنين في ذلك . فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضمّمه إليك وانظر ما كان يُجرّيه عليه فاتممه له .

[صوت مرق في العمى]

حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال : غنى علّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مه ! هذا الصوت مُعْرِقٌ في العمى . الشعر لبشار الأعمى ، والغناء لأبي زكار الأعمى ، وأوّل الصوت «عميت أمري» .

1 يذكر أبو زكار الأعمى في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن نكبة البرامكة . أنظر الطبري (أبو الفضل إبراهيم 8 : 295) ، ووفيات الأعيان 1 : 338 .

2 فلا تبعد : هذا دعاء .

صوت
من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه¹

[من الخفيف]

ما جَرَتْ خَطَرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فَيْلِكُ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
 مِنْ دَمْعٍ تَجْرِي، فَإِنْ كُنْتُ وَحْدِي خَالِيًا أُسْعِدْتُ دَمْعِي انْتِحَابِي
 إِنْ حَبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ جَسْمِي وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ
 لَوْ مَنَحْتَ اللَّقَا شَفَى بِكَ صَبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ ثَوَى فِي التَّرَابِ
 الشعر في الأبيات للسيد الحميري . والغناء لمحمد نعة الكوفي ، مُغَنٍّ غير مشهور ولا مَنَّ
 خدَم الخلفاء وليس له خبر . ولحنه المختارُ ثاني ثَقِيل مَطْلَق في مجرى البنصر . وذكر حبش
 أَنَّ لِمُحَمَّدٍ نَعْجَةً فِيهِ أَيْضًا خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ .

[108] - أخبار السيد الحميري¹

[نبه]

السيد لقبه . واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميري . ويكنى أبا هاشم . وأمه امرأة من الأزد ثم من بني الحُدَّان . وجدّه يزيد بن ربيعة ، شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً² وبنيه ونفاهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . وخبره في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكر أخبار السيد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال : سمعتُ ابن عائشة والقحذمي يقولان : هو يزيد بن مُفَرِّغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ . ومفَرِّغ لقب ربيعة ؛ لأنه راهن أن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرَّغه ؛ فلقب مفَرِّغاً . وكان شَعَاباً بسِيالة³ ، ثم صار إلى البصرة .

[ترك شعره لدمه الصحابة]

وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً . يقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشَّار ، وأبو العتاهية ، والسيد ؛ فإنه لا يُعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع . وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفْرِط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذِفهم والطعن عليهم ، فتُحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك ، وهجره الناس تخوفاً وتراقباً . وله طراز من الشعر ومذهب قلما يُلْحَق فيه أو يُقَارِبُه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضدُّ لهم . ولولا أن أخباره كلّها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً ؛ ولكننا شَرَطْنَا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء ؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاقها من سيئ اختياره على قلة ذلك .

1 للسيد الحميري ترجمة في طبقات ابن المعتز : 32 وابن خلكان 6 : 343 وفوات الوفيات 1 : 188-193

والوافي 9 رقم 5003 وقد جمع ديوانه شاكر هادي شكر (منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت) .

2 المقصود زياد بن أبيه والي معاوية على العراق .

3 الشعاب : الذي يصلح شعب الإناء أي صدعه . والسِيالة : أوّل مرحلة بعد المدينة في طريق الذهاب إلى مكة .

[كان أبواه إباضيين ولما تشيّع هماً بقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد ، قال ابن عمّار وحدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه : أن أبوي السيد كانا إباضيين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبة ، وكان السيد يقول : طالما سب أمير المؤمنين في هذه الغرفة . فإذا سُئِلَ عن التشيّع من أين وقع له ، قال : غاصت علي الرحمة غوصاً .

وروي عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هماً بقتله ؛ فأتى عُقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك ، فأجاره وبوّاه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورثهما .
[على منعب الكيسانية]

وقد أخبرني الحسن بن علي البرقي عن محمد بن عامر عن القاسم بن الربيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيد الحيمري قال : ما مضى والله إلا على مذهب الكيسانية . وهذه القصائد التي يقولها¹ الناس مثل :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ
و تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفرا

وقوله² : [من الطويل]

أيّا راكباً نحو المدينة جَسْرَةً عُدَايَةً تهوي بها كلّ سَنَسَبٍ³
إذا ما هداك الله لاقيتَ جعفرأ فقل يا أمين الله وابن المهذب⁴

لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلها للسيد ، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها ، بمحل قاسم منه وخدمته إياه .
[أوصافه ومواهبه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضيل بن بشار قال : كان السيد أسمر ، تامّ القامة ، أشنب⁵ ، ذا وفرة ،

1 ل : ينشدها .

2 ديوانه : 114-117 ولم يشر إلى كونها لغلامه قاسم الخياط .

3 تهوي في الديوان : يطوي .

4 رواية هذا البيت في الديوان :

إذا ما هداك الله عاينت جعفرأ فقل لولي الله وابن المهذب

5 الشنب : يياض الأسنان وبريقها .

حسنَ الألفاظ ، جميلَ الخطاب ، إذا تحلّت في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجلٍ في المجلس نصيبه من حديثه .

[رأي الفرزدق فيه وفي عمران بن حطان]

أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن عباد عن أبي عمرو الشيباني عن لُبّة بن الفرزدق قال : تذاكرنا الشعراء عند أبي ، فقال : إن هاهنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء . فسألناه من هما ؟ فقال : السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيد أسمر ، تامّ الخلقة ، أشنب ، ذا وفرة ، حسن الألفاظ ، وكان مع ذلك اتّزن الناس إبطين ، لا يقدر أحدٌ على الجلوس معه لتّن رائجتهما .

[رأي الأصمعي]

قال حدثني التّوزي قال : رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد ، فقال : لمن هذا ؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه ؛ فأقسم عليّ أن أخبره فأخبرته ؛ فقال : أنشدني قصيدة منه ؛ فأنشدته قصيدة ثم أخرى وهو يستزيدني ، ثم قال : قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته .

[رأي أبي عبيدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أشعر المحدثين السيد الحميري وبشّار .

[مذهبه]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُليل العنزي عن أبي شُراعة القيسي عن مسعود بن بشر : أن جماعة تذاكروا أمر السيد ، وأتته رجوع عن مذهبه في ابن الحنفية وقال بإمامة جعفر بن محمد¹ . فقال ابن السّاحر راويته : والله ما رجوع عن ذلك ولا القصائد الجعفرية إلاّ منحولة له قيلت بعده . وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام : «إنه سيولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلته اسمي وكنيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها² :

[من الوافر]

1 أي أنه تحول عن الكيسانية إلى مذهب الإمامية .

2 ديوانه : 181-184 .

أَشَاقَتْكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ وَتَرْبِيهَا وَذَاتِ الدَّلِّ دَعْدٍ
مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ مَحَتْ مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَبَلٍ وَرَعْدٍ¹
وَرِيحٌ حَرْجَفٍ تَسْتَنُّ فِيهَا بِسَافِي التُّرْبِ تُلْجِمُ مَا تُسَدِّي²
أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي مَقَالُ مُحَمَّدٍ فِيمَا يُودِّي
إِلَى ذِي عِلْمِهِ الْهَادِي عَلِي وَخَوَلَةُ خَادِمٍ فِي الْبَيْتِ تَرْدِي³
أَلَمْ تَرَ أَنَّ خَوَلَةَ سَوْفَ تَأْتِي بَوَارِي الرُّنْدِ صَافِي الْخِيَمِ نَجْدِي⁴
يَفُوزُ بِكُنْيَتِي وَاسْمِي لِأَنِّي نَحَلْتُهِمَا هُوَ وَالْمَهْدِي بَعْدِي
يُغَيِّبُ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولُوا تَضَمَّنْهُ بِطَيْبَةِ بَطْنٍ لَحْدِي
سَنِينَ وَأَشْهُرًا وَيُرَى بِرَضْوَى بِشِغَبٍ بَيْنَ أُنْمَارٍ وَأُسْدِي
مَقِيمٍ بَيْنَ آرَامٍ وَعَيْنٍ وَحَفَّانٍ تَرُوحُ خِلَالَ رَيْدِي⁵
تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا مَلَاقِيَهُنَّ مَفْتَرَسًا بَحْدِي
أَمِنَ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا بَلَا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدِي
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَبَيْتِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ فَرْدِي
يَطُوفُ بِهِ الْحَجِيجُ وَكُلُّ عَامٍ يَحُلُّ لَدَيْهِ وَفْدٌ بَعْدَ وَفْدِي⁶
لَقَدْ كَانَ ابْنُ خَوَلَةٍ غَيْرِ شَكٍّ صَفَاءً وَلَا يَتِي وَخُلُوصَ وَدِّي
فَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ فِيمَا أَسِيرَ وَمَا أَبُوحَ بِهِ وَأُبْدِي
سِوَى ذِي الْوَحْيِ أَحْمَدُ أَوْ عَلِيٍّ وَلَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ مِنْهُ عِنْدِي
وَمَنْ ذَا يَا ابْنَ خَوَلَةٍ إِذْ رَمَتْنِي بِاسْتِغْنَاءِ الْمَنِيَّةِ حِينَ وَعْدِي
يُنْذِبُ عَنْكُمْ وَيَسُدُّ مِمَّا تَثَلَّمُ مِنْ حَصُونِكُمْ كَسَدِّي
وَمَا لِي أَنْ أُمِرَّ بِهِ وَلَكِنْ أَوْمَلُ أَنْ يُوَخَّرَ يَوْمُ فَقْدِي

1 مَحَتْ : عَفَتْ . السَّبَلُ : الْمَطَرُ .

2 الرِّيحُ الْحَرْجَفُ : الرِّيحُ الْبَارِدَةُ . تَسْتَنُ : تَسْرِعُ . بِسَافِي فِي ل : بِهَارِي .

3 تَرْدِي : تَلْعَبُ .

4 الْخِيَمُ : الطَّيْبَةُ وَالسَّجِيَّةُ .

5 حَفَّانٍ : صِغَارُ النِّعَامِ .

6 يَطُوفُ فِي ل : يَطِيفُ .

فأدرك دولةً لك لستَ فيها بجبار فتوصّف بالتّعدي
على قوم بَعَوْا فيكم علينا لتعدي منكم يا خير مُعدٍ¹
لتعلُّ بنا عليهم حيث كانوا بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرتَ من بلد حرامٍ إلى مَنْ بالمدينة من معدٍ
وماذا غرَّهم والخيرُ منهم بأشوسٍ أعصل الأنيابِ ورَدٍ²
وأنتَ لمن بغى وعداً وأذكى عليك الحربَ واسترداك مُردٍ

في البيتين الأولين من هذه القصيدة غناء ؛ نسبته : [من الوافر]

صوت

أشأقتك المنازلُ بعد هندی وترئيتها وذاتِ الدَّلِّ دعدٍ
منازلُ أقفرتَ منهنَّ مَحَّتْ معالمهنَّ من سَبَلٍ ورعدٍ

عروضه من الوافر . الشعر للسيد الحميري . والغناء لمبعد ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى
البنصر عن يحيى المكي . وذكر الهشامي أنه لكرّدم . وذكر عمرو بن بانه أن اللحن لمالك ثقيلٌ
أوّل بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد : كنتُ عنده يوماً في جناح له ، فأجال بصره
فيه ثم قال : يا إسماعيل ، طال والله ما شُتِمَ أميرُ المؤمنين عليٍّ في هذا الجناح . قلت : ومن
كان يفعل ؟ قال : أبوي . وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ،
وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ مَنْ لم تصحَّ روايته أنه رجع عن مذهبه وقال
بمذهب الإمامية ، وله في ذلك³ :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
وما وجدنا ذلك في رواية مُحصَّل ، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ،
لأنَّ هذا شعر ضعيفٌ يبيِّن التوليدُ فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية مبينٌ لهذا جزالة ومتانة ،

1 المعدي : الناصر .

2 أعصل الأنياب : معوجها .

3 هكذا رواية البيت في طبقات ابن المعتز وفي الديوان :

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
وناديتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفر
ولم يُشر جامعُه إلى الأغاني مع أنه من مصادره .

وله رونق ومعنى ليسا لما يُذكر عنه في غيره .

[رأى الأصمعي مرة أخرى]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال حدثني التوزي قال قال لي الأصمعي : أحب أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميري فعل الله به وفعل ؛ فأتيته بشيء منه ؛ فقرأه فقال : قاتله الله ! ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدّمه من طبقته أحد .

[رأى أبي عبيدة مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوماً وعنده رجل من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلما رأيته أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إن أبا زيد ليس ممن يُحتشم منه ، فاقراً . فأخذ الكتاب وجعل يقرأه ، فإذا هو شعر السيد . فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يرويه . قال : وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضبيّ ينشد شعر السيد .

أخبرني ابن ذرّيد قال : سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين ؟ قال : السيد وبشار .

[عدم الإحاطة بشعره]

وقال الموصليّ حدثني عمي قال : جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة ؛ فخلت أن قد استوعبت شعره ، حتى جلس إليّ يوماً رجل ذو أظفار رثة ، فسمعني أنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي . فقلت في نفسي : لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً ، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره ؛ وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله .

[رأى بشار فيه]

أخبرني عمي قال حدثني الكرائي عن ابن عائشة قال : وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ؛ فأقبل عليه وقال² :

[من الخفيف]

أيها المادح العباد ليُعطى إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم وارزق نفع المنزل العواد

1 تقدّم الكلام على رأي الأصمعي وأبي عبيدة في شعره .

2 ديوان السيد الحميري : 180 وسترد هذه الأبيات في ترجمة عمران بن حطان مع الفرزدق ، وانظر ديوان شعر الخوارج ، القطعة (203) .

لا تَقُلْ في الجَوَادِ ما ليس فيه وتُسَمِّي البَخِيلَ باسم الجَوَادِ

قال بَشَّار : مَنْ هذا ؟ فَعَرَّفَهُ ؛ فقال : لولا أَنَّ هذا الرجلَ قد شُغِلَ عَنَّا بمدح بني هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا . وروى في هذا الخبر أَنَّ عمران بن حطان الشَّارِي¹ خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب .

[سبه السلف]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَش عن سعيد بن المسيَّب عن أبي سعيد السَّكْرِيِّ عن الطُّوسِيِّ قال : إذا رأيتَ في شعر السيِّد «دَغْ ذَا» فدعه ؛ فإنه لا يأتي بعده إِلَّا سَبُّ السَّلَفِ أو بِلْيَّةٌ من بَلَاياه .

[تفسير ابن سيرين لرؤياه]

وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيِّد قال : رأيتُ النبي ﷺ في النوم وكأنَّه في حديقةٍ سَبَّخَةٍ فيها نخل طَوَالٌ وإلى جانبها أرض كأنَّها الكافورُ ليس فيها شيء ؛ فقال : أتدري لِمَن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله ؛ قال : لامرئ القيس بن حُجر ، فاقْلَعُها واغْرِسْها في هذه الأرض ففعلتُ . وأتيتُ ابنَ سيرينَ فَقَصَصْتُ رؤيَايَ عليه ؛ فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا ؛ قال : أما إِنَّكَ ستقول شعراً مثلاً شعر امرئ القيس إِلَّا أَنَّكَ تقوله في قوم بَرَّةٍ أَطْهَار . قال : فما انصرفتُ إِلَّا وأنا أقولُ الشعر .

[شهد جماعة بأنه مطبوع]

قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصيرتُ إلى عمرو بن تميم ، فأثبنتي بعضهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا إليَّ وأنسوا بي ، وأنشدتهم ، وبدأتُ بشعر ذي الرمة فعرفوه ، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتهم للسيِّد² :

أُتَعْرِفُ رَسْماً بالسَّوِّتَيْنِ قَدْ دَثَرَ عَقَّتْهُ أَهَاضِيبُ السَّحَابِ وَالْمَطَرُ³
وَجَرَّتْ بِهِ الْأَذْيَالُ رِيحَانُ خِلْفَةً صَباً وَدُبُورٌ بِالْعَشِيَّاتِ وَالْبُكْرِ
مَنَازِلُ قَدْ كَانَتْ تَكُونُ بِجَوْهَا هَضِيمُ الْحِشَا رِيّاً الشَّوْى سِحْرُهَا النَّظَرُ

1 الشاري : أحد الثُّرَاة وهم طائفة من الخوارج باعوا أنفسهم لله . إشارة إلى الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ .

2 ديوانه : 253 .

3 السَّوِّتَيْنِ في بعض المصادر ونسخ الأغاني : التوين . أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .

قَطُوفُ الْخُطَا خَمْصَانَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ كَانَ مُحْيَاهَا سَنَا دَارَةَ الْقَمَرِ
رَمْتَنِي يُبْعِدُ بَعْدَ قَرَبٍ بِهَا النُّوَى فَبَانَتْ وَلَمَّا أَقْضَى مِنْ عَبْدَةِ الْوَطْرِ
وَلَمَّا رَأَيْتَنِي خَشِيَةَ الْبَيْنِ مُوجِعاً أَكْفَكِ مِنِّْي أَدْمَعاً فَيَضُّهَا دِرَزُ
أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ إِلَيَّ وَدَمْعُهَا كَنْظَمِ جُمَانٍ خَانَهُ السَّلْكُ فَانْتَشَرَ
وَقَدْ كُنْتُ تَمَّا أَحْدَثَ الْبَيْنُ حَازِراً فَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مِنْهُ خَوْفِي وَالْحَذَرُ
قال : فجعلوا يُمرِّقون¹ لإنشادي ويطربون ، وقالوا : لَمَنَ هذا ؟ فأعلمتهم ؛ فقالوا : هو
والله أخذُ المطبوعين ، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله .

[شعر تجوز قراءته على المنابر]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشْقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ :
سَمِعْتُ عَمِّي يَقُولُ : لَوْ أَنَّ قَصِيدَةَ السَّيِّدِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² :
[من الخفيف]
إِنَّ يَوْمَ التَّطْهِيرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ خُصَّ بِالْفَضْلِ فِيهِ أَهْلُ الْكِسَاءِ³
قُرُئَتْ عَلَى مَنِيرٍ مَا كَانَ فِيهَا بَأْسٌ ، وَلَوْ أَنَّ شَعْرَهُ كُلَّهُ كَانَ مِثْلَهُ لَرَوَيْنَاهُ وَمَا عَيْنَاهُ .
وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٌ قَالَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ عَنْ
التَّوَزِّيِّ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ بَعَيْنَهَا فَإِنَّهُ قَالَهَا فِي :
[من الخفيف]
إِنَّ يَوْمَ التَّطْهِيرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ

[أعرابي يفضله على جرير]

قال : ولم يكن التَّوَزِّيُّ مَتَشَبِعاً . قال عَلِيُّ بْنُ الْمَغِيرَةِ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : قَدِمَ
عَلَيْنَا رَجُلٌ بَدَوِيٌّ وَكَانَ أَرَوَى النَّاسِ لَجَرِيرٍ ، فَكَانَ يُنْشِدُنِي الشَّيْءَ مِنْ شَعْرِهِ ، فَانْتَشِدُ فِي مَعْنَاهُ
لِلسَّيِّدِ حَتَّى أَكْثَرْتُ . فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ؛ مَنْ هَذَا ؟ هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْ صَاحِبِنَا .
[مدح السفاح]

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ قَالَ : لَمَّا اسْتَقَامَ
الْأَمْرُ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قَامَ السَّيِّدُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ حِينَ نَزَلَ عَنِ الْمَنَبْرِ فَقَالَ⁴ :
[من السريع]
دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدُّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارَسَا

1 يمرقون : يغنون .

2 لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع .

3 أهل الكساء : هم علي وفاطمة والحسن والحسين كما في بعض الروايات .

4 ديوانه : 258-259 مع بعض اختلاف في بعض الأبيات .

دُونَكُمْوْهَا لَا عَلَا كَعْبُ مَنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسَا
دُونَكُمْوْهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَا بَسَا
لَوْ خَيْرُ الْمُنِيرُ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا
قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا
وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوْهَا إِلَى مَهِيْطِ عَيْسَى فَيْكُمْ آيَسَا

فسرَّ أبو العباس بذلك ، وقال له : أحسنت يا إسماعيل ! سلني حاجتك ؛ قال : تُؤَلِّي سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

[جعفر بن محمد يكي لسامع شعره]

وذكر التميمي ، وهو علي بن إسماعيل ، عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيد ، فأمره بإيصاله ، وأُقعد حُرْمَه خلف سترٍ . ودخل فسلم وجلس . فاستنشدته فأنشده قوله¹ :

أُمِرُّزْ عَلَى جَدَثِ الْحَسِيْدِ مِنْ فَقُلْ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةُ²
آأَعْظَمًا لَا زِلْتِ مِنْ وَطَفَاءِ سَاكِبَةِ رَوِيَّةِ³
وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَطْلِ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ⁴
وَابْكِي الْمُطَهَّرَ لِلْمَطَهِّ رِ الْمَطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ⁵
كَبْكَاءِ مُعْوَلَةٍ أَتَتْ يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمَنِيَّةُ

قال : فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمد تتحدّر على خديّه ، وارتفع الصُّرَاخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدثتُ أبي بذلك لما انصرفت ؛ فقال لي : ويلي على الكيّساني الفاعل ابن الفاعل ! يقول :

فإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَطْلِ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ

فقلت : يَا أَبَتِ ، وماذا يصنع ؟ قال : أَوَلَا يَنْحَرُ ! أَوَلَا يَقْتُلُ نَفْسَهُ ! فَتَكَلِّتَهُ أُمُّهُ ! .

1 ديوانه : 470 .

2 فَقُلْ فِي الدِّيَوَانِ : وَقُلْ .

3 آأَعْظَمًا فِي الدِّيَوَانِ : يَا أَعْظَمًا . وَطَفَاءُ : ثَقِيلَةٌ لِكَثْرَةِ مَائِهَا .

4 النَّقِيَّةُ فِي الدِّيَوَانِ : الزَّكِيَّةُ .

5 أَتَتْ فِي الدِّيَوَانِ : غَدَتْ .

[من أفضل الناس بعد النبي !]

حدّثني أبو جعفر الأعرج ، وهو ابن بنت الفضيل بن بشّار ، عن إسماعيل بن الساحر راوية السيّد ، وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده¹ :

وإسماعيلُ يَبْرُزُ من فلانٍ ويزعمُ أنَّه للنارِ صالي
قال : تلاحي رجلان من بني عبد الله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله ﷺ وآله ؛ فرضيا بحكم أوّل من يطلّع . فطلع السيّد ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضّل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما : إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : عليّ بن أبي طالب . فقطع السيّد كلامه ثم قال : وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية ؟ فضحك مَنْ حضر ووجّه الرجل ولم يُجِرْ جواباً .

[ما يغفره الله لحبّ علي !]

وقال التميمي وحدّثني أبي قال قال لي فضيل الرسان : أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيّد² :

لأُم عمرو باللّوى مرْبُعٌ دارسةٌ أعلامه بَلَقُعُ
فسمعتُ النّحيبَ من داره . فسألني لِمَ هي ، فأخبرته أنّها للسيّد ، وسألني عنه فعرّفته وفاته ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إني رأيته يشرب النّبذَ في الرّستاق³ ؛ قال : أتعني الخمر ؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنبٍ عند الله أن يغفره لمحبّ عليّ ! .
[قوله بالرجعة]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السيّد فقال : بلغني أنّك تقول بالرجعة⁴ ؛ فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا ديني . قال : أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرّجعة ؟ قال السيّد : نعم وأكثر من ذلك إن وثّقت لي بأنك ترجع إنساناً . قال : وأي شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي ؛ فأفحمه .
[جعفر بن عفان الطائي ومهره]

أخبرني⁵ الحسن بن عليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفان الطائي

1 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

2 ديوانه : 261 .

3 الرستاق : كل موضع فيه مزدراع وقرى .

4 الرجعة : مذهب من يقول بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

5 هذه حكاية مقحمة على ترجمة السيّد الحميري . ولعلّ الذي دعا أبا الفرج إلى إدراجها هنا هو النيل من عمر في الأبيات الأربعة الأخيرة من الشعر جرياً على طريقة الحميري في سبّ السلف .

الشاعر : أهدى إليّ سليمان بن عليّ مهراً أعجبني وعزمتُ تربته . فلما مضت عليّ أشهرُ عزمتُ على الحجّ ، ففكرتُ في صديق لي أودعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص ، فصرتُ إليه فسألتُه أن يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي ؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك ؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيته به ، ومضيتُ إلى الحجّ . ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق به ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر ، فإذا هو قد ركبَ حتى دبرَ ظهره وعجفَ من قلة القيام عليه . فقلتُ له : يا أبا حفص ، أهلكذا أوصيتك في هذا المهر ! فقال : وما ذنبي ! لم يتّجّع فيه العلفُ . فانصرفتُ به وقلت :

مَنْ عاذري من أبي حفص وثقتُ به	وكان عندي له في نفسه خطرُ
فلم يكن عند ظنّي في أمانته	والظنّ يُخلف والإنسانُ يُخترُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايته	حتى تبين فيه الجَهْدُ والضُرُّ
عائبته فيه في رفق فقلتُ له	يا صاح هل لك من عذر فتعذّرُ
فقال داءُ به قدماً أضَرَ به	وداؤه الجوعُ والإتعابُ والسفرُ
قد كان لي في اسمه عنه وكُنيتُه	لو كنتُ مُعْتَبِراً ناهٍ ومُعْتَبِرُ
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني	يوماً إذا غبتُ عنه واسمه عمرُ
لو كان لي وَلَدٌ شتّى لهم عددُ	فيهم سمّوه إن قَلُّوا وإن كَثُرُوا
لم ينصحوا لي ولم يُثِقُوا عليّ ولو	ساوى عديدهمُ الحصباءُ والشجرُ

[هجاء بني عدي وبني تيم]

قال وحدّثني أبو سليمان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليّ عهدٍ ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش . فجاء السيّد فرفع إلى الرّبيع¹ رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحةً للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها ، فإذا فيها² : [من الكامل]

قُلْ لابن عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ	لا تُعْطِينَ بني عَدِيّ درهماً ³
أحرّم بني تيم بن مُرةٍ إنهم	شرُّ البريةِ آخراً ومُقَدِّماً ⁴

1 هو الربيع بن يونس حاجب المنصور .

2 ديوانه : 377-378 .

3 بنو عدي : رهط عمر بن الخطّاب .

4 بنو تيم : رهط أبي بكر الصديق .

إِنَّ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً
 وَإِنْ ائْتَمْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ
 وَلَكِنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّءَوكُمْ
 مَنَعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامِهِ
 وَتَأَمَّرُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا
 لَمْ يَشْكُرُوا لِحَمْدِ إِنْعَامِهِ
 وَاللَّهُ مِنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ
 ثُمَّ انْبَرَوْا لَوْصِيَّهِ وَوَلِيِّهِ
 وَيَكَاَفُوكَ بِأَنْ تُذَمَّ وَتُسْتَمَّا
 خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا
 بِالْمَنَعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا
 وَأَبْنَيْهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرْيَمًا
 وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَذَاكَ مَأْتَمًا
 أَفِيْشْكُرُونَ لَغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا
 وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا
 بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلَقَمَا

وهي قصيدة طويلة حُذِفَ باقيها لقيح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عبيد الله¹ ثم قال :
 أقطع العطاء فقطعه ؛ وانصرف الناس ؛ ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال : قد قبلنا
 نصيحتك يا إسماعيل ، ولم يُعْطِهِمْ شَيْئًا . أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن
 إسحاق النخعي عن أبي سليمان الرياحي مثله .

[مناظرة شيطان الطاق له في الإمامة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجُمْهُورِ الْقُمِّيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْمُسْتَرِقِ
 رَاوِيَةَ السَّيِّدِ : أَنَّهُ حَضَرَ يَوْمًا وَقَدْ نَظَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ النُّعْمَانِ الْمَعْرُوفِ بِشَيْطَانِ الطَّاقِ فِي
 الْإِمَامَةِ ، فَغَلَبَهُ مُحَمَّدٌ فِي دَفْعِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنِ الْإِمَامَةِ ؛ فَقَالَ السَّيِّدُ² :
 [من الوافر]

أَلَا يَا أَيُّهَا الْجَدِيلُ الْمَعْنِي
 أَتُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ كَهْلٌ
 أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ
 عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِهِ
 فَأَنْتَ فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ
 بِهِمْ أَوْصَاهُمْ وَدَعَا إِلَيْهِ
 فَسَيْطُ سَيْطُ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ
 لَنَا ، مَا نَحْنُ وَنَحْكَ وَالْعَنَاءُ³
 تُرَاكُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَعٍ رِدَاءٍ
 وَلَاَةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
 هُمْ أَسْبَاطُهُ وَالْأَوْصِيَاءُ
 يَكُونُ الشُّكُّ مَنَا وَالْمِرَاءُ
 جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سُمِعَ الدَّعَاءُ
 وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرِبْلَاءُ

1 هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري كاتب المهدي .

2 ديوانه : 50-51 وانظر أبيات منسوبة لكثير في ديوانه (جمع إحسان عباس) : 521-522 .

3 الجدل : الشديديد الخصومة .

سقى جَدَثًا تَضَمَّنَهُ مُلْتٌ^١ هَتَفُ الرَّعْدِ مُرْتَجِزٌ رِوَاءُ^١
 تَظَلُّ مُظِلَّةٌ مِنْهَا عَزَالٌ^٢ عَلَيْهِ وَتَغْتَدِي أُخْرَى مِلَاءُ^٢
 وَسَيْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ
 مِنْ الْبَيْتِ الْمَحْجَبِ فِي سَرَاةٍ شُرَاةٍ لَفَ بَيْنَهُمُ الْإِخَاءُ
 عَصَائِبُ لَيْسَ دُونَ أَغْرٍ أَجْلَى بِمَكَّةَ قَائِمٌ لَهُمْ أَنْتَهَاءُ

[رؤيا العبدی]

وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثير ، ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبراهيم بن هاشم العَبْدِيُّ البَصْرِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّيِّدُ الشَّاعِرُ وَهُوَ يُنْشِدُ^٣ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ
 حَتَّى أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا عَلَى آخِرِهَا وَهُوَ يَسْمَعُ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ رَجُلًا جَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ طُوسٌ عِنْدَ قَبْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا ، فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى خِلَافٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يُنْشِدُ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ

إِلَى آخِرِهَا ؛ فَاسْتَيْقِظْتُ مِنْ نَوْمِي وَقَدْ رَسَخَ فِي قَلْبِي مِنْ حُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كُنْتُ أَعْتَقِدُهُ .

أَخْبَرَنِي وَكَعِيعٌ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلِيمَانَ النَّاجِي وَمُحَمَّدُ بْنُ حَلِيمٍ الْأَعْرَجُ قَالَا : كَانَ السَّيِّدُ إِذَا اسْتَنْشِدَ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ لَمْ يَبْدَأْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِقَوْلِهِ : [من الوافر]

أَجَدَّ بَالٍ فَاطِمَةَ الْبُكُورُ فَدَمَعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ غَزِيرُ

[رأى العبي في شعره]

قَالَ إِسْحَاقُ : وَسَمِعْتُ الْعُتْبِيَّ يَقُولُ : لَيْسَ فِي عَصْرِنَا هُنَا أَحْسَنُ مَذْهَبًا فِي شِعْرِهِ وَلَا أَنْقَى أَلْفَافًا مِنَ السَّيِّدِ ، ثُمَّ قَالَ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ : أَنْشِدْنَا قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ الَّتِي أَنْشَدْتَنَاهَا الْيَوْمَ ؛ فَانْشَدَهُ قَوْلُهُ^٤ : [من السريع]

١ الملت : المطر الذي يدوم أياماً . ارتجاز الرعد : تتابع صوته . رواء : كثير يروي .

٢ العزالي : مصب الماء من القرية . ويعني هنا المطر الكثير .

٣ ديوانه : 197 .

٤ ديوانه : 321-322 .

هل عند مَنْ أُحِبَّتْ تَنْوِيلُ أَمْ لَا فَإِنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلُ
أَمْ فِي الْحَشَى مِنْكَ جَوَى بَاطِنٌ لَيْسَ تُدَاوِيهِه الْأَبَاطِيلُ
عُلِّقْتَ يَا مَغْرُورٌ خَدَّاعَةً بِالْوَعْدِ مِنْهَا لَكَ تَخْيِيلُ
رَبِّا رَدَّاحَ النَّوْمِ خَمَصَانَةً كَانَتْهَا أَذْمَاءُ عُطْبُولُ¹
يَشْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَخْلُو بِهَا ضَمٌّ إِلَى النَّحْرِ وَتَقْبِيلُ
وَذَوْقُ رَيْقٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ كَانَتْهُ بِالْمَسْكِ مَغْلُولُ
فِي نِسْوَةٍ مِثْلَ الْمَهَا خُرْدٌ تَضْيِيقُ عَنْهُمْ الْخِلَاحِيلُ

يقول فيها :

أُقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ وَالْمَرْءِ عَمَّا قَالَ مَسْؤُولُ
إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى التَّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُولُ

فقال العتبيّ : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب .
في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمُخَارِقِ رَمَلٍ بالبصرة عن الهشامي ، وذكر حبش أنه
للغريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذَلٍ غيرُ مجنس .

[لا يستعمل الغريب في شعره]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي
عن عبد الحميد بن عَقْبَةَ عن إسحاق بن ثابت العطار قال : كنّا كثيراً ما نقول للسيد : ما لك
لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأنّ أقول شعراً قريباً
من القلوب يَلْذُهُ مَنْ سَمِعَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَقُولَ شَيْئاً متعقداً تَضِلُّ فِيهِ الْأَوْهَامُ .

[سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود]

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال أخبرنا يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحِيّ
راوية الشعراء² بالكوفة قال حدثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرِّبَاحِ ومحمد بن سَلَمَةَ ، يزيد
بعضهم على بعض : أنّ السيد لما قَدِمَ الكوفة أتاه محمد بن سهل راوية الكميت ؛ فأقبل عليه
السيد فقال : مَنْ الذي يقول :

يَعِيبُ عَلِيَّ أَقْوَامٌ سَفَاهَا بَأْنِ أَرْجِي أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا

1 الأدماء : كالظبية . العطبول : الطويلة العنق .

2 ل : الشعر .

وإرجائي أبا حسن صواباً
عن العُمَريِّ بَرّاً أو شَقِيّاً¹
فإن قَدَسْتُ قوماً قال قومٌ
أَسأتَ وكنتَ كَذاباً رَدِيّاً
إذا أيقنتُ أَنَّ اللهَ رَبِّي
وأرسلَ أحداً حقاً نَبِيّاً
وَأَنَّ الرُّسُلَ قد بُعِثُوا بِحقٍّ
وَأَنَّ اللهَ كانَ لهم وَلِيّاً
فليس عليَّ في الإرجاء بأسٌ
ولا كِبَسٌ ولست أخاف شيئاً ؟

فقال محمد بن سهل : هذا يقوله مُحارب بن دِثار الذُّهليّ . فقال السيّد : لا كان الله وليّاً
للعاض بَطَرُ أمّه ! مَنْ يُنشدنا قصيدة أبي الأسود :

أحبَّ محمداً حبّاً شديداً
وعباساً وحمزةً والوصيّا
فأنشده القصيدة بعض مَنْ كان حاضراً ؛ فطفق يَسُبُّ محارب بن دِثار ويترحم على أبي
الأسود . فبلغ الخبرُ منصوراً النُمريّ فقال : ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض
بها أبياته ، ثم قال :

يَوَدُّ محاربٌ لو قد رآها
وأبصرهم حَوَالِيها جُثَيّا
وَأَنَّ لسانَه من نابٍ أفعى
وما أُرْجا أبا حسن عليّاً
وَأَنَّ عَجُوزَه مَصَعَتٌ بكلبٍ
وكانَ دماءُ ساقِيها جَرِيّاً²
متى تُرْجيءُ أبا حسن عليّاً
فقد أُرْجِيَتْ يا لُكْعُ نَبِيّاً

[كان جعفر بن سليمان ينشد شعره]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البزّيّ قال حدّثني إسحاق بن
محمّد النّخعيّ قال حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبّعيّ
ومعني أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم ، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد ، فمن أنكره
عليه لم يحدّثه ؛ فسمعتُه يُنشدُهم³ :

ما تعدّلُ الدُّنيا جميعاً كُلّها
من حوضِ أحمَدَ شَرِبَةً من ماءٍ
ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالوا : السيّد
الحميريّ .

1 الإرجاء : التأخير . وهو هنا تأخير الإمام علي إلى الدرجة الرابعة .

2 مصعت : رمت .

3 ديوانه : 52 .

[هجاء زبيرية]

حدثني عمي والكراني قالاً حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشيباني عن الحارث بن صفوان ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أن السيد كان بالأهواز ؛ فمرت به امرأة من آل الزبير تزف إلى إسماعيل بن عبد الله بن العباس ، وسمع الجلبة فسأل عنها فأخبر بها ؛ فقال¹ : [من المتقارب]

أتتنا تزف على بغلة وفوق رحالتها قبه
زبيرة من بنات الذي أحل الحرام من الكعبة
تزف إلى ملك ماجد فلا اجتماعا وبها الوجبة²

روى هذا الخبر إسماعيل بن الساهر فقال فيه : فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء ، فنهشتها أفعى فماتت ؛ فكان السيد يقول : لحقتها دعوتي .

[يدعو على الذين خرجوا للاستقاء]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفي ، وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر ، قال أخبرني أبي قال : خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبة ومطرف وعمامة ؛ فجعل يجر مطرفه ويقول³ :

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً ثم ازمهم يا مزن بالجلمد
لا تسقهم من سبل قطرة فإنهم حرب بني أحمد

[تعريضه برواة الحديث]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الحرمازي قال حدثني رجل قال : كنت أختلف إلى ابني قيس ، وكنا يرويان عن الحسن ؛ فلقيني السيد يوماً وأنا منصرف من عندهما ، فقال : أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتها فمحوت ما فيها . فأعطيته ألواحي فكتب فيها⁴ :

لشربة من سويق عند مسغبة وأكلة من ترديد لحمه واري

1 ديوانه : 137 .

2 الوجبة : الوقعة أو صوت السقوط . وفي المثل : بجنبه فلتكن الوجبة .

3 ديوانه : 180 .

4 ديوانه : 234 .

أَشَدُّ مِمَّا رَوَى حَبَّاءُ إِلَى بَنُو قَيْسٍ وَمِمَّا رَوَى صَلْتُ بْنُ دِينَارٍ¹
مِمَّا رَوَاهُ فَلَانٌ عَنْ فَلَانِهِمْ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ .

[إنشاده في النبي شعرًا في المنام مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عليّ الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال : سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقد أمه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرفه ، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا سيّد ، أنشدني قولك : [من السريع]

لَأُمِّ عَمْرٍو فِي اللَّوَى مَرْبَعُ

فأنشده إياها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً ، فحفظتها عنه كلّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحَنَةً رديءَ الإنشاد ، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يَتَنَتَّعَ فيها ولم يَلْحَن .

[نزل قدم وثبت أخرى]

وقال² محمد بن داود بن الجراح في روايته عن إسحاق النخعيّ حدثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن عليّ بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال : دخلت على جعفر بن محمد أعزّيه عن عمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أنشدك شعرَ السيّد ؟ فقال : أنشد ؛ فأنشدته قصيدة يقول فيها :

فالناسُ يومَ البعثِ راياتهم	خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ
قائدُها العجلُ وفرعونهم	وساميرى الأمة المفضيعة
ومارقٌ من دينه مُخرَجٌ	أسودُ عبدٌ لُكّعٌ أو كَعُ ³
ورايةٌ قائدُها وجهه	كانه الشمسُ إذا تطلّعتُ

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جعلت فداك ! إني رأيته يشرب الخمر . فقال : رحمه الله ؛ فما ذنبٌ على الله أن يغفره لآل عليّ ! إن محبَّ عليّ لا تزل له قدّم إلا تثبت له أخرى .

حدثني الأخفش عن أبي العيّن عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن

1 كان ضعيف ، منهم الرواية ويتنقص الإمام علي .

2 تقدّم بمثل هذا الخبر عن فضيل الرسان .

3 أو كع : لقيم .

محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال : إن زلت له قدم فقد ثبتت الأخرى .
[غرق رجلاً ماراه في تفضيل علي]

نسختُ من كتاب الشاهيني حدثني محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال : انخدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز ، فماراه رجلاً في تفضيل علي وباهله¹ على ذلك . فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة ، فدفعه السيد فغرقه ؛ فصاح الملاحون : غرق والله الرجل ؛ فقال السيد : دعوه فإنه باهلني .
[هجا قوماً لم ينصتوا لشعره]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال :
جلس السيد يوماً إلى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُونَ ؛ فقال² : [من البسيط]

قد ضيَّع الله ما جمعتُ من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر
لا يسمعون إلى قول أجيء به وكيف تستمع الأنعام للبشر
أقول ما سكثوا إنسٌ فإن نطقوا قلت الضفادعُ بين الماء والشجر

[اغتابه رجل فهجاه]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزري قال حدثنا
إسحاق بن محمد النخعي عن محمد بن الربيع عن سويد بن حمدان بن الحصين قال : كان
السيد يختلف إلينا ويغشانا ، فقام من عندنا ذات يوم ، فخلقه³ رجل وقال : لكم شرف
وقدر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتيم السلف . فبلغ
ذلك السيد فكتب إليه⁴ : [من المتقارب]

وصفتُ لك الحوض يا ابن الحصين على صفة الحارث الأعور⁵
فإن تُسَقَ منه غداً شريرة تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنبٌ سوى أنني ذكرتُ الذي فرَّ عن خير⁶

1 باهله : لاعنه .

2 ديوانه : 237 .

3 ل : فتخلقه .

4 ديوانه : 229 .

5 الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أصحاب الإمام علي مات بالكوفة سنة 65 هـ .

6 إشارة إلى عمر بن الخطاب الذي تقول الرواية إنه لم يستطع فتح خيبر وفتحها علي .

ذَكَرْتُ أَمْرًا فَرُّ عَنْ مِرْحَبٍ فِرَارَ الْحِمَارِ مِنَ الْقَسُورِ¹
فَأَنْكَرَ ذَاكَ جَلِيسٌ لَكُمْ زَنِيمٌ أَخُو خُلُقِي أَعُورٍ
لَحَانِي بِحَبِّ إِمَامِ الْهَدَى وَفَارُوقِ أُمْتِنَا الْأَكْبَرِ
سَاحِلِقِ لِحَيْتِهِ إِنِّهَا شُهُودٌ عَلَى الزَّوْرِ وَالْمُنْكَرِ
قال : فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك الرجل ولزموا محبة السيد ومجالسته .

[ردّ سوار بن عبد الله شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال حدثنا مهديّ بن سابق . أنّ السيّد تقدّم إلى سوار القاضي ليشهد عنده ، وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال : أعفني من الشهادة عند سوار ، وبذلّ له مالاً فلم يُعْفِهِ . فلما تقدّم إلى سوار فشهد قال : ألسنت المعروف بالسيّد ؟ قال : بلى ؛ قال : استغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي ، قم لا أرضى بك . فقام مغضباً من مجلسه وكتب إلى سوار رقعةً فيها يقول² : [من مجزوء الرمل]

إنّ سوار بن عبد الله من شرّ القضاة

فلما قرأها سوار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر ، فسبقه السيّد إليه فأنشدته³ :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي يُنْجِي بَطَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بُحْبُوحَةِ النَّارِ⁴
لَا تَسْتَعِينَنَّ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حَكْمِ سَوَارٍ
لَا تَسْتَعِنَنَّ بِخَبِيثِ الرَّأْيِ ذِي صَلَفٍ جَمَّ الْعُيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جَبَّارٍ
تُضْحِي الْخُصُومُ لَدَيْهِ مِنْ تَجْبِرِهِ لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ لِحْظَ أَبْصَارٍ
تِيهًا وَكِبْرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ مِنْ ضَبْعِهِ كَانَ عَيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي⁵

ودخل سوار ؛ فلما رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود⁶ ! فما أحوجك للتعريض للسيّد ولسانه ؟ ثم أمر السيّد بمصالحته .

1 مرحب هو اليهودي صاحب حصن خير قتله محمد بن مسلمة في رواية أو علي بن أبي طالب في رواية أخرى . القسور : الأسد . وهنا إشارة إلى الآية : ﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفَرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر : 50-51) .

2 ديوانه : 139 وهي فيه مقطوعة من 13 بيتاً .

3 ديوانه : 232-233 .

4 بحبوحه المكان : وسطه .

5 الضبع : وسط العضد ويُطلق أيضاً على الإبط .

6 سيرد خبر إياس مع الفرزدق في ترجمة الثاني .

[مدح المنصور لما ولي ابنه العهد]

وقال إسحاق بن محمد النخعي حدثني عبد الله بن محمد الجعفري قال حدثني
محمد بن عبد الله الحيمري قال¹ : دخل السيد على المهدي لما بايع لابنیه موسى وهارون ،
فأنشأ يقول :

ما بال مجرى دمعك الساجم	أمن قذئ بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر	صباة من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائل	من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى	ذي الفضل والمن أبي القاسم
فإنها بيضاء محمودة	جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر	خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم ابنه	موسى على ذي الإربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى	مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة	برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم	في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها إل هابط	عليه عيسى منهم ناجم

[الأعمش يكتب عنه فضائل علي بن أبي طالب]

وقال علي بن المغيرة حدثني علي بن عبد الله السدوسي عن المدائني قال : كان السيد يأتي
الأعمش فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً .
فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمّله على فرس وخلع عليه ؛ فوقف بالكُناسة ثم
قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته
فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وينشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب ؛ فلبس ثيابه وأراد لبس الخف فلبس
أحد خفيه ، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه
أسود² وانساب فدخل جحراً ؛ فلبس علي رضي الله عنه الخف . قال : ولم يكن قال في ذلك
شيئاً ؛ ففكر هنيهة ثم قال³ :

[من الوافر]

1 ديوانه : 406-407 عن الأغاني .

2 الأسود : العظيم من الحيات .

3 من قصيدة في ديوانه : 120-127 تألّف من 27 بيتاً .

ألا يا قومٍ للعَجَبِ العُجَابِ لَخُفَّ أَيْبِي الحَسِينِ وللحُبَابِ¹
 أَتَى خُفًّا لَهُ وَأَنَسَابَ فِيهِ لِيَنْهَشَ رِجْلَهُ مِنْهُ بِنَابِ
 فَخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ عُقَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ أَوْ شَيْئُهُ الْعُقَابِ
 فَطَارَ بِهِ فَحَلَّقَ ثُمَّ أَهْوَى بِهِ لِلْأَرْضِ مِنْ دُونَ السَّحَابِ
 إِلَى جُحْرِ لَهُ فَانْسَابَ فِيهِ بَعِيدِ الْقَعْرِ لَمْ يُرْتَجْ يَبَابِ
 كَرِيهُهُ الْوَجْهَ أَسْوَدُ ذُو بَصِيصٍ حَدِيدُ النَّابِ أَزْرَقُ ذُو لُعَابِ
 وَدُفِعَ عَنْ أَبِي حَسَنِ عَلِيٍّ نَقِيعُ سِمَامِهِ بَعْدَ آنَسِيَابِ

ثم حركَ فرسَه ومضى وجعل تشبيها بعد ذلك :

صَبَوْتُ إِلَى سُلَيْمَى وَالرَّيَابِ وَمَا لِأَخِي الْمَشِيبِ وَلِلتَّصَابِ
 أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُسْتَوْدٍ قَالَ : وَقَفَ
 السَّيِّدُ يَوْمًا بِالْكُوفَةِ ، فَقَالَ : مَنْ أَتَانِي بِفَضِيلَةٍ لَعَلِّي بِنَ أَبِي طَالِبٍ مَا قُلْتُ فِيهَا شِعْرًا فَلَهُ دِينَارٌ ، وَذَكَرَ
 بَاقِيَ الْحَدِيثِ . فَأَمَّا الْعُقَابُ الَّذِي انْقَضَ عَلَى خُفِّ عَلِيٍّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَدَّثَنِي بِخَبَرِهِ
 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بِنَ نَجِيجٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْمُسَعَوْدِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّهَوِيِّ عَنْ أَبِي الزُّعَلِّ الْمُرَادِيِّ قَالَ : قَامَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 فَتَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ نَزَعَ خُفَّهُ فَانْسَابَ فِيهِ أَفْعَى ، فَلَمَّا عَادَ لِيَلْبَسَهُ انْقَضَتْ عُقَابٌ فَأَخَذَتْهُ فَحَلَّقَتْ
 بِهِ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فَخَرَجَ الْأَفْعَى مِنْهُ . وَقَدْ رُوِيَ مِثْلُ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

حَدَّثَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ بِنَ عُقْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ قَالَ حَدَّثَنَا حَيَّانُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ
 النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً تَبَاعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، فَتَزَعَّ خُفَّهُ فَإِذَا عُقَابٌ قَدْ تَدَلَّى فَرَفَعَهُ فَسَقَطَ
 مِنْهُ أَسْوَدُ سَالِخٍ . فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
 وَمِنْ شَرِّ مَا يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ وَمِنْ شَرِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ» .
 قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرَّاشِدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا
 حَيَّانُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ .

[نعم المطي والراكبان]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ قَبِيصَةَ
 قَالَ : سَمِعَ السَّيِّدَ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ سَاجِدًا ، فَكَرِبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ ؛

فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعَمَ المطيُّ مطيُّكُمَا ! فقال النبي ﷺ : «ونِعَمَ الراكبانِ هما» .
فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك¹ :

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ	وقد جلسا حَجْرَةً يلعبانِ
فقدَّاهما ثم حيَّاهما	وكانا لديه بذاك المكانِ
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المَطيَّةُ والراكبانِ
وليدانِ أمهما بَرَّةٌ	حصانٌ مُطَهَّرَةٌ للحِصانِ
وشيخهما ابنُ أبي طالب	فَنِعَمَ الوليدانِ والوالدانِ
خليلي لا تُرْجِيا واعلما	بأنَّ الهدى غيرُ ما تزعمانِ
وأنَّ عَمى الشكِّ بعدَ اليقين	وضَعَفَ البَصيرةُ بعدَ العيانِ
ضلالٌ فلا تَلَجْجا فيهما	فبُعِثتْ لَعْمُرُكا الخَصْلَتانِ
أُيْرَجى عليَّ إمامُ الهدى	وعثمانُ ما أعندَ المُرجِيانِ
ويُرْجى ابنُ حَرْبٍ وأشياؤه	وهُوجُ الخَوارجِ بالنَّهْوانِ
يكونُ إمامَهُم في المَعاد	خبيثُ الهوى مؤمنُ الشَّيْصَبانِ ²

[مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فجهاه]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيُّ قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي وَعُمِّي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ سَعِيدَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ
حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : كُنْتُ جَالِساً فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ بِالْجِسْرِ
وَهُوَ قَاعِدٌ مَعَ جَمَاعَةٍ عَلَى دِجْلَةٍ بِالْبَصْرَةِ وَسَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ قَاضِيُ الْبَصْرَةِ جَالِسٌ عِنْدَهُ
وَالسَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنْشِدُ قَوْلَهُ³ :

إِنَّ إِلَهَ الَّذِي لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ	أَعْطَاكَ الْمَلِكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
أَعْطَاكَ اللَّهُ مُلْكاً لَا زَوَالَ لَهُ	حَتَّى يُقَادَ إِلَيْكُمْ صَاحِبُ الصُّيُنِ
وَصَاحِبُ الْهِنْدِ مَأْخُوداً بِرُمَّتِهِ	وَصَاحِبُ التُّرْكِ مَحْبُوساً عَلَى هُونِ

وَالْمَنْصُورُ يَضْحَكُ سُرُوراً بِمَا يُنْشِدُهُ ؛ فَحَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَى وَجْهَ سَوَّارٍ يَتَرَبَّدُ غَيْظاً

1 ديوانه : 451-452 .

2 الشَّيْصَبَانِ : الشَّيْطَانُ .

3 ديوانه : 444 .

وَيَسُوّدُ حَقًّا وَيَدُلُّكَ إِحْدَى يَدَيْهِ بِالأُخْرَى وَيَتَحَرَّقُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَا لَكَ ؟ أَرَأَيْتَ شَيْءٌ ؟
 قَالَ : نَعَمْ ، هَذَا الرَّجُلُ يُعْطِيكَ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَدَقَكَ مَا فِي
 نَفْسِهِ ، وَإِنَّ الَّذِينَ يُوَالِيهِمْ لَغَيْرُكُمْ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَهْلًا ! هَذَا شَاعِرُنَا وَوَلِيُّنَا ، وَمَا عَرَفْتُ مِنْهُ
 إِلَّا صَدَقَ حُبَّةً وَإِحْلَاصَ نِيَّةً . فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهُ مَا تَحَمَّلْتُ غَضَبَكُمْ لِأَحَدٍ ،
 وَمَا وَجَدْتُ أَبَوِيَّ عَلَيْهِ فَافْتَنْتُ بِهِمَا ، وَمَا زِلْتُ مَشْهُورًا بِمُؤَالَاتِكُمْ فِي أَيَّامِ عَدُوِّكُمْ . فَقَالَ لَهُ :
 صَدَقْتَ . قَالَ : وَلَكِنْ هَذَا وَأَهْلُوهُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَدِيمًا وَالَّذِينَ نَادَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ
 وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ¹ ، فَزِلْتُ فِيهِمْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات : 4) . وَجَرَى
 بَيْنَهُمَا خُطَابٌ طَوِيلٌ . فَقَالَ السَّيِّدُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :
 [من مجزوء الرمل]

قِفْ بِنَا يَا صَاحِبَ رَابِعٍ بِالْمَغَانِي الْمُوَحِّشَاتِ

أُنْشَدَهَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ عَنِ النَّوْفَلِيِّ . وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ بِخَبَرِهِ مَعَ سَوَّارٍ بِالقِصَّةِ مِنْ
 هَاهُنَا إِلَى آخِرِهَا ؛ وَقَالَ فِيهَا :
 [من مجزوء الرمل]

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْ	صَوْرُ يَا خَيْرَ الْوَلَاةِ
إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ	مَنْ شَرَّ الْقَضَاةِ
نَعَثَلِي جَمَلِي	لَكُمْ غَيْرُ مُوَاتٍ ²
جَدُّهُ سَارِقُ عَنَزٍ	فَجَرَّةٌ مِنْ فَجَرَاتِ
لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَا	ذِفِهِ بِالْمُنْكَرَاتِ
وَابْنُ مَنْ كَانَ يَنَادِي	مَنْ وَرَاءَ الْحُجُرَاتِ
يَا هَنَاءُ أَخْرُجْ إِلَيْنَا	إِنَّا أَهْلُ هَنَاتِ
مَدَحْنَا الْمَدْحُ وَمَنْ نَرُو	مَ يُصَبُّ بِالزَّفَرَاتِ
فَاكْفَيْنِيهِ لَا كِفَاهَ الْ	لَهُ شَرُّ الطَّارِقَاتِ ³

[اعتذر إلى سَوَّارٍ فلم يعذره]

فَشَكَاهُ سَوَّارٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يُصِيرَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا ؛ فَفَعَلَ فَلَمْ يَعْذِرْهُ ؛
 فَقَالَ⁴ :

[من المتقارب]

1 يعني وفد بني تميم المعني في سورة الحجرات .

2 نعثل : يهودي من أهل المدينة وقيل رجل من مصر كان يشبه به عثمان من قبيل النيل منه . جملي : نسبة إلى
 وقعة الجمل .

3 فاكفنيه في ل : فاكفناه .

4 ديوانه : 233-234 .

أَتَيْتُ دَعِيَّ بَنِي الْعَنْبَرِ أُرُومَ اعْتِذَاراً فَلَمْ أُعْذِرِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي وَعَاتَبْتُهَا عَلَى اللُّؤْمِ فِي فَعْلِهَا أَقْصِرِي
أَبْعُتْذِرُ الْحَرُّ مِمَّا أَتَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ
أَبُوكَ ابْنُ سَارِقٍ عَنَزَ النَّبِيَّ وَأُمُّكَ بِنْتُ أَبِي جَحْدَرِ
وَنَحْنُ عَلَى رَغْمِكَ الرَّافِضُو نَ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالنُّكْرِ

[شكا سواراً إلى المنصور]

قال : وبلغ السيد أن سواراً قد أعد جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسوار وقال له : قد عزلتكَ عن الحكم للسيد أو عليه . فما تعرض له بسوء حتى مات .

[بينه وبين أبي الخلال]

وروى عبد الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيد عنده وقد أمر له بجائزة ، وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها ، فقال له : أيها الأمير ، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتُر عن سب أبي بكر وعمر ؟ فقال له عقبة : ما علمتُ ذاك ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يُوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حَقُّهم ورعايتهم . فقال له أبو الخلال : فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرِّفْض . فقال : قد سمعتك ، فإن شاء فعل . فقال السيد² :

إِذَا أَنَا لَمْ أَحْفَظْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَهْدَهُ يَوْمَ الْغَدِيرِ الْمُؤَكَّدَا
فَإِنِّي كَمَنْ يَشْرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى تَنْصَرُّ مِنْ بَعْدِ التَّقَى وَتَهْوَدَا³
وَمَا لِي وَتَيْمٍ أَوْ عَدِيٍّ وَإِنَّمَا أُولُو نِعْمَتِي فِي اللَّهِ مِنْ آلِ أَحْمَدَا⁴
تَيْمٌ صَلَاتِي بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ صَلَاتِي بَعْدَ أَنْ أَتَشْهَدَا
بِكَامِلَةٍ إِنْ لَمْ أُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَأَذْعُ لَهُمْ رَبّاً كَرِيماً مِمَّجْدَا
بَذَلْتُ لَهُمْ وَدِّيَّ وَنُصْحِي وَنُصْرَتِي مَدَى الدَّهْرِ مَا سُمِّيْتُ يَا صَاحِبَ سَيِّدَا

1 ل : لقن .

2 ديوانه : 164-165 .

3 عجز البيت في الديوان : من بعد الهدى أو تهودا .

4 وتيم أو عدي في الديوان : تيماً أو عدياً .

وإنَّ امرءاً يُلحَى على صدقٍ ودَّهم أحقُّ وأولى فيهم أن يُفندا
فإن شئتَ فاختَرْ عاجِلَ الغَمِّ ضِلَّةً وإلا فأمْسِكْ كي تُصانَ وتُحمدا

ثم نهض مُغضَباً . فقام أبو الخلال إلى عَقَبَةِ فقال : أَعِذْنِي مِنْ شَرِّهِ أَعَاذَكَ اللهُ مِنَ السَّوْءِ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى الْأَتْعَرَضَ لَهُ بَعْدَهَا .

[تَرْوِجُ تَمِيمَةِ إِيَاضِيَّة]

وَمَا يَحْكِي أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي طَرِيقِهِ بَامْرَأَةٍ تَمِيمِيَّةٍ إِيَاضِيَّة ، فَأَعْجَبَهَا وَقَالَتْ : أُرِيدُ أَنْ أَتَرْوِجَ بِكَ
وَنَحْنُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ . قَالَ : يَكُونُ كِنِكَاحُ أُمِّ خَارِجَةً¹ قَبْلَ حُضُورِ وَلِيِّ وَشَهِودٍ .
فَاسْتَضْحَكَتْ وَقَالَتْ : نَنْظُرُ فِي هَذَا ؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ² : [مِنْ الْبَسِيطِ]

إِنْ تَسْأَلْنِي بِقَوْمِي تَسْأَلِي رَجُلًا فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ مِنْ أَحْيَاءِ ذِي يَمَنِ
حَوَّلِي بِهَا ذُو كَلَاغٍ فِي مَنَازِلِهَا وَذُو رُعَيْنٍ وَهَمْدَانٍ وَذُو يَزَنِ
وَالْأَزْدُ أَزْدُ عُمَانَ الْأَكْرَمُونَ إِذَا عُدَّتْ مَائِزُهُمْ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ
بَانَتْ كَرِيمَتُهُمْ عَنِّي فِدَارُهُمْ دَارِي وَفِي الرَّحْبِ مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَطَنِي
لِي مَنَزَلَانِ بَلْخَجٍ مَنَزَلٌ وَسَطٌ مِنْهَا وَلِي مَنَزَلٌ لِلْعِزِّ فِي عَدَنِ
ثُمَّ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ مِنْ كَبَّةِ النَّارِ لِلْهَادِي أَبِي حَسَنِ

فَقَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ ، وَلَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا : يَمَانٍ وَتَمِيمِيَّةً ، وَرَافِضِيَّةً وَإِيَاضِيَّةً ،
فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟ . فَقَالَ : بِحَسَنِ رَأْيِكَ فِي تَسْخُو نَفْسُكَ ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدُنَا سَلَفًا وَلَا
مَذْهَبًا . قَالَتْ : أَفَلَيْسَ التَّرْوِيجُ إِذَا عَلِمَ انْكَشَفَ مَعَهُ الْمُسْتَوْر ، وَظَهَرَتْ خَفِيَّاتُ الْأُمُورِ ؟ .
قَالَ : فَأَنَا أُعْرِضُ عَلَيْكَ أُخْرَى . قَالَتْ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : الْمُتَعَةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ . قَالَتْ :
تِلْكَ أُحْتُ الزَّنَا . قَالَ : أُعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكْفُرِي بِالْقُرْآنِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ! . قَالَتْ : فَكَيْفَ ؟ قَالَ :
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ . فَقَالَتْ : اسْتَخِيرَ اللَّهُ وَأَقْلَدَكَ أَنْ كُنْتَ صَاحِبَ قِيَاسٍ .
فَفَعَلْتُ . فَانْصَرَفَتْ مَعَهُ وَبَاتَ مُعْرِسًا بِهَا . وَبَلَغَ أَهْلُهَا مِنَ الْخَوَارِجِ أَمْرُهَا ، فَتَوَعَّدُوهَا بِالْقَتْلِ
وَقَالُوا : تَرْوِجَتِ بِكَافِرٍ ! فَجَحَدَتْ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِالْمُتَعَةِ . فَكَانَتْ مَدَّةً تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ عَلَى هَذِهِ
السَّبِيلِ مِنَ الْمُتَعَةِ وَتَوَاصِلِهِ حَتَّى افْتَرَقَا .

1 المثل : أسرع من نكاح أم خارجة في الميداني 1 : 348 والدرة الفاخرة 1 : 224 وفصل المقال : 500
والضبي : 58 .

2 ديوانه : 440-439 .

[بينه وبين ابن سليمان بن علي]

وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال : كنتُ مع السيّد علي باب عُقْبَةَ بن سَلَمٍ ومعنا ابنُ سليمان بن علي¹ ننتظره وقد أُسْرَجَ له لَيْرُكَبٌ ، إذ قال ابنُ سليمان بن علي يعرضُ بالسيّد : أشعرُ الناسِ والله الذي يقول :

محمّدٌ خيرٌ من يمشي على قَدَمٍ وصاحِبَاهُ وعثمانُ بنُ عفّانَا

فوثبَ السيّدُ وقال : أشعرُ والله منه الذي يقول² :

سائلٌ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَةٍ مَنْ كان أثبتَها في الدّين أوتادَا
مَنْ كان أعلمَها عِلْماً وأحلَمَها حلماً وأصدقَها قولاً وميعادَا
إن يصدّقوك فلن يَعدُوا أباً حسنٍ إن أنتَ لم تَلَقَ للأبرار حُسّادَا

ثم أقبل عليّ الهاشمي فقال : يا فتى ، نعمَ الخَلَفُ أنتَ لشرفِ سَلَفِكَ ! أراك تَهْدِمُ شرفَكَ ، وتثْلِبُ سَلَفَكَ ، وتسعى بالعذَاوة على أهْلِكَ ، وتُفَضِّلُ من ليس أصلُكَ من أصلِهِ على مَنْ فَضْلُكَ من فضله ؛ وسأخبرُ أَمِيرَ المؤمنين عنكَ بذا حتى يَضَعَكَ . فوثبَ الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقْبَةَ بن سَلَمٍ . وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرُّكُوبَةِ حتى خرجتِ الجائزَةُ للسيّد .

[يكره إطالة الجلوس إذا لم يمدح آل محمد.]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا ابن القاسم البزّي عن إسحاق بن محمد النخعي عن عتبة بن مالك الدّلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال : كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء ، فتذاكرنا السيّد ، فجاء فجلس ، وخُضْنَا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهض . فقلنا : يا أبا هاشم ، مِمَّ القيامُ ؟ فقال³ :

إنّي لأكره أن أُطِيلَ بمجلس لا ذَكَرَ فيه لفضل آل محمدٍ
ولا ذَكَرَ فيه لأحمدٍ ووصيهِ وبنيهِ ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردي⁴
إنّ الذي ينسأهُم في مجلس حتّى يفارقه لغيرُ مسدّد

1 عم أبي جعفر المنصور .

2 من أبيات في ديوانه : 160-162 والبيت الثاني فيه :

مَنْ كان أقدمَها سلماً وأكثرَها علماً وأطهرَها أهلاً وأولادَا

3 ديوانه : 177-178 .

4 النطف : السيء الفاسد والمتهم بريّة .

[سكره بالأهواز وحبه]

وروى أبو سليمان الناجي : أَنَّ السَّيِّدَ قَدِيمَ الْأَهْوَازِ وَأَبُو بُجَيْرِ بْنِ سِمَاكَ الْأَسَدِيِّ
يَتَوَلَّاهُمَا ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا . وَكَانَ لِأَبِي بُجَيْرٍ مَوْلًى يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ مَذْعُورٍ يُحْفَظُ شَعْرَ
السَّيِّدِ يُنْشِدُهُ أَبَا بُجَيْرٍ ، وَكَانَ أَبُو بُجَيْرٍ يَتَشَبَّعُ . فَذَهَبَ السَّيِّدُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ إِخْوَانِهِ بِالْأَهْوَازِ
فَنَزَلَ بِهِمْ وَشَرِبَ عَنْدهُمْ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى انْصَرَفَ ، فَأَخَذَهُ الْعَسَسُ فَحُجِسَ . فَكَتَبَ مِنْ غَدِهِ
بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَذْعُورٍ . فَدَخَلَ عَلَى أَبِي بُجَيْرٍ وَقَالَ : قَدْ جَنَى عَلَيْكَ
صَاحِبُ عَسَسِكَ مَا لَا قِيَامَ لَكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : اسْمَعْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، كَتَبَهَا
السَّيِّدُ مِنَ الْحَبْسِ ؛ فَانْشِدْهُ يَقُولُ¹ :

قَفْ بِالذِّبَارِ وَحَيْهَا يَا مَرَّعُ	وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ
إِنَّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجَوْهَا	إِلَّا الضَّوَابِحُ وَالْحَمَامُ الْوَقْعُ ²
وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوَانِسُ كَالدَّمَى	جُمْلٌ وَعَزَّةٌ وَالرَّيَابُ وَبَوَزَعُ
حَوْرٌ نَوَاعِمُ لَا تُرَى فِي مِثْلِهَا	أَمْثَالُهَا مِنَ الصَّيَانَةِ أَرْعُ
فَعَرَيْنَ بَعْدَ تَأْلُفٍ وَتَجْمَعُ	وَالدَّهْرُ ، صَاحٍ ، مُشْتَتٌ مَا تَجْمَعُ
فَاسْلَمْ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزَلِ	عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضُرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ
تُوْتِي هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ	فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَيُشَفِّعُ
قُلْ لِلْأَمِيرِ إِذَا ظَفِرْتَ بِخَلْوَةٍ	مِنْهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتَهُ فِي أَحْمَدِ	وَبَيْنَهُ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ
يَخْتَصُّ آلَ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ	فِي الصَّدْرِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الْأَضْلَعُ

فِي هَذَا الْغِنَاءِ لِسَعِيدٍ³ .

[يهجو سوار القاضي بعد موته]

وَحَكَى ابْنُ السَّاحِرِ : أَنَّ السَّيِّدَ دُعِيَ لِشَهَادَةٍ عِنْدَ سَوَّارِ الْقَاضِي ؛ فَقَالَ لِصَاحِبِ الدَّعْوَى :
أَعَفَّنِي مِنَ الشَّهَادَةِ عِنْدَ سَوَّارٍ ؛ فَلَمْ يُعَفِّهِ صَاحِبُهَا مِنْهَا وَطَالَبَهُ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ سَوَّارٍ . فَلَمَّا حَضَرَ
عِنْدَهُ وَشَهِدَ قَالَ لَهُ : أَلَمْ أُعْرِفْكَ وَتَعْرِفْنِي ؟ وَكَيْفَ مَعَ مَعْرِفَتِكَ بِي تَقْدِمُ عَلَى الشَّهَادَةِ عِنْدِي ؟

1 ديوانه : 268-272 وقد ضمَّ إليها الأبيات العينية التي سترد فيما بعد .

2 الضوايح : الثعالب .

3 يبدو أن الخبر لم يتم ، وسيأتي تمامه مع بقية القصيدة بعد قليل . وقوله «في هذا الغناء لسعيد» ناقص أيضاً ولم يكمله .

فقال له : إِنِّي تَخَوَّفْتُ إِكْرَاهَهُ ، وَلَقَدْ افْتَدَيْتُ شَهَادَتِي عِنْدَكَ بِمَالٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي فَأَقَمْتُهَا ؛ فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا إِنْ قَبِلْتُهَا ، وَقَامَ مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَلَمْ يَقْدِرْ سَوَّارٌ لَهُ عَلَى شَيْءٍ لِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ، وَاغْتَاطَ غَيْظًا شَدِيدًا وَانْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَلَمْ يَقْضِ يَوْمَهُ بَيْنَ اثْنَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ سَوَّارًا اعْتَلَّ عِلَّتَهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَلَمْ يَقْدِرِ السَّيِّدُ عَلَى هِجَائِهِ فِي حَيَاتِهِ لِنَهْيِ الْمَنْصُورِ إِيَّاهُ عَنْ ذَلِكَ . وَمَاتَ سَوَّارٌ فَأُخْرِجَ عَشِيًّا وَخُفِرَ لَهُ . فَوَقَعَ الْحَفَرُ فِي مَوْضِعٍ كَثِيفٍ . وَكَانَ بَيْنَ الْأَزْدِ وَبَيْنَ تَمِيمٍ عداوةٌ ، فَمَاتَ عَقِبَ مَوْتِهِ عَبَادُ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ الْمُهَلَّبِ ؛ فَهَجَا السَّيِّدُ سَوَّارًا فِي قَصِيدَةٍ رَثَى بِهَا عَبَادًا وَدَفَعَهَا إِلَى نَوَائِحِ الْأَزْدِ لِمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَمِيمٍ مِنَ الْعداوةِ وَلِقَرَبِهِمْ مِنْ دَارِ سَوَّارٍ يُنْخَنَ بِهَا ، وَأَوَّلُهَا¹ :

يا مَنْ غدا حَامِلًا جُثْمَانَ سَوَّارٍ	من داره ظاعنًا منها إلى النارِ
لا قَدَسَ اللَّهُ رُوحًا كَانَ هَيْكَلُهَا	فقد مضتْ بعظيم الخِزْيِ والعارِ
حتى هَوَتْ قَعْرَ بُرْهُوتٍ مُعَدَّبَةٍ	وجسْمُهُ فِي كَنِيفٍ بَيْنَ أَقْدَارِ ²
لَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعْجِزَةً	فِيهِ وَأَحْكَامُهُ تَجْرِي بِمَقْدَارِ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ بَهْلَتُهُ	يا شَرَّ حَيٍّ بَرَاهُ الْخَالِقُ الْبَارِي ³

[مازح صديقًا زنجيًا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد البقال قال حدثنا شيبان بن محمد الحراني ، وكان يُلقَّبُ بَعُوضَةَ وصار من سادات الأزْد . قال : كان السَّيِّدُ جَارِي ، وكان أَذْلَمُ⁴ ، وكان يُنادِمُ فتيانًا من فتيان الحيّ فيهم فتى مثله أَذْلَمُ غَلِيظُ الْأَنْفِ وَالشَّقَتَيْنِ مُزَنِّجُ الْخَلْقَةِ . وكان السَّيِّدُ من أَتَنَ النَّاسِ إِبْطِينَ . وكانا يَتَمَارِضَانِ ، فيقول له السَّيِّدُ : أَنْتَ زَنْجِي الْأَنْفِ وَالشَّقَتَيْنِ ، ويقول الفتى للسَّيِّدِ : أَنْتَ زَنْجِي اللَّوْنِ وَالْإِبْطِينَ . فقال السَّيِّدُ⁵ :

[من الوافر]

أَعَارَكَ يَوْمَ بَعْنَاهُ رِياحٌ مشافره وأنفك ذا القبيح⁶

1 ديوانه : 230-232 مع بعض اختلاف وخمسة أبيات أخرى .

2 برهوت : بئر في حضرموت قيل إن فيها أرواح الكافرين .

3 البهلة : اللعنة .

4 أذلّم : شديد السواد .

5 ديوانه : 148 .

6 رياح : من أسماء العبيد .

وكانت حِصَّتِي إِبْطِيَّ مِنْهُ وَلَوْناً حَالِكاً أَمْسَى فَضُوحاً
فَهَلْ لَكَ فِي مُبَادَلَتِيكَ إِبْطِي بَأَنْفِكَ تَحْمَدُ الْبَيْعَ الرِّيحَا
فَإِنَّكَ أَقْبَحُ الْفَتَيَانِ أَنْفَاً وَإِبْطِي أَنْتَنُ الْآبَاطِ رِيحَا

[هجا امرأة صديقه]

أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال : مات منّا رجلٌ موسيرٌ وخلف ابناً له فورث ماله وأتلفه بالإسراف ، وأقبل على الفساد واللّهو ، وقد تزوّج امرأةً تسمّى ليلي ، واجتمع على السيّد وكان من أظرف الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالاً كثيراً ؛ وكانت ليلي تعذّله على إسرافه وتقول له : كآتي بك قد افتقرت فلم يُغن عنك شيئاً . فهجاها السيّد . وكان ممّا قال فيها¹ :

[من البسيط]

أَقُولُ يَا لَيْتَ لَيْلٍ فِي يَدَيَّ حَقِي مِنْ الْعَدَاوَةِ مَنْ أَعْدَى أَعَادِيهَا
يَعْلُو بِهَا فَوْقَ رَعْنٍ ثُمَّ يَحْدِرُهَا فِي هُوَةٍ قَتَدَهُدَى يَوْمَهَا فِيهَا
أَوْ لَيْتَهَا فِي عِمَارِ الْبَحْرِ قَدْ عَصَفَتْ فِيهِ الرِّيَّاحُ فَهَاجَتْ مِنْ أَوَاذِهَا²
أَوْ لَيْتَهَا قُرْنَتْ يَوْمًا إِلَى فَرْسِي قَدْ شَدَّ مِنْهَا إِلَى هَادِيهِ هَادِيهَا
حَتَّى يُرَى لَحْمُهَا مِنْ حُضْرِهِ زَيْمًا وَقَدْ أَتَى الْقَوْمَ بَعْدَ الْمَوْتِ نَاعِيهَا³
فَمَنْ بَكَاهَا فَلَا جَفَّتْ مَدَامَعُهُ لَا أَسْخَنَ اللَّهُ إِلَّا عَيْنَ بَاكِهَا

[يشكر والي الكوفة على رداء أعداء له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهزوبه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ وعبد الحميد بن عُقْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْكِسْلَانِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كُنَاسَةَ قَالَ : أَهْدَى بَعْضُ وِلَاةِ الْكُوفَةِ إِلَى السَّيِّدِ رَدَاءً عَدَنِيًّا ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ فَقَالَ⁴ :

[من البسيط]

وَقَدْ أَتَانَا رَدَاءٌ مِنْ هَدِيَّتِكُمْ فَلَا عَلِمْتُكَ طَوْلَ الدَّهْرِ مِنْ وَالٍ
هُوَ الْجَمَالُ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَوْ أَنَّهُ كَانَ مَوْصُولًا بِسِرْبَالٍ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخِلْعَةٍ تَامَةٍ وَفَرَسٍ جَوَادٍ وَقَالَ : يُقَطِّعُ عَنَابُ أَبِي هَاشِمٍ وَاسْتِرَادَتُهُ إِيَّانَا .

1 ديوانه : 467 .

2 الأواذي : الأمواج واحدها آذِي .

3 الزيم : القطع المتفرقة .

4 ديوانه : 343 .

[يسبّ الشيوخ عندما سمع قاصاً يمدحهما]

حدثني عمي قال حدثنا الكُراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرقم قال : كنت مع السيد ، فمرّ بقاص على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول : يُوزن رسول الله ﷺ يوم القيامة في كفة بأمته أجمع فيرجح بهم ، ثم يُوتى بفلان فيوزن بهم فيرجح ، ثم يُوتى بفلان فيوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لعمرى إن رسول الله ﷺ ليرجح على أمته في الفضل ، والحديث حق : وإنما رجح الآخرون الناس في سيئاتهم ؛ لأن من سن سنة سيئة فعُمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . قال : فما أجابه أحد . فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه .

[يتغزل بينت الفجاءة]

وقال أبو جعفر الأعرج حدثني إسماعيل بن السّاحر قال : خرجت من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سلم والسيد ونحن سكارى . فلما كنا بزهران لقينا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة ، وكانت امرأة برزة حسناء فصيحة ، فواقفها السيد وتخطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه . فقال السيد¹ :

من ناكثين وقاسطين الأروغ
حول الأمين وقال هات لئسمعوا
خضع الرقاب بأعين لا ترفع	قم يا ابن مذعور فأنشد نكسوا
شنانهم وتفرقوا وتصدعوا	لولا جذار أبي بجير أظهروا
سبعين عاماً والأنوف تجدع	لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا
منكم بصاحبنا خطيب مصقع ²	إذ لا يزال يقوم كل عروبة
في الشتم مثله بخيل يسجع ³	مُسحَقِر في غيه مُتتابع
إن الشقي بكل شر موع	ليسر مخلوقاً ويسخط خالقاً

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحب عسسه فشتمه وقال : جنيت علي ما لا يد لي به ؛ اذهب صاغراً إلى الحبس وقل : أيكم أبو هاشم ؛ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابتك وامش معه

1 لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر . ويبدو أن الأبيات التالية وما بعدها تمة لخبر حبسه على السكر في الأهواز .

2 عروبة : يوم الجمعة .

3 مسحق : سريع . متتابع : متهافت .

صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيد ولم يُجِبْهِ إلى الخروج إلا بعد أن يُطلق له كلٌّ من أخذ معه . فرجع إلى أبي بجير فأخبره ، فقال : الحمد لله الذي لم يقل أخرجهم وأعط كل واحدٍ منهم مالاً ، فما كنا نقدر على خلافه ؛ افعل ما أحبُّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيله وسبيل كلٍّ من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة ، وأتى به إلى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال : قدِمْتَ علينا فلم تأتِنا وأتيت بعض أصحابك الفساق وشربت ما حرّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر من ذلك إليه ؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنّية وحمله وأقام عنده مدّة .

[أبو بجير والتشيع]

قال النوفليّ وحدثني أبي : أن جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسييب بهم فأطلقهم ، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع ؛ فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشدني وِلْكَ لأبي هاشم . فأنشده قوله¹ :

[من الكامل]

يا صاحبيّ لِدِمْتَيْنِ عفاهما مرُّ الرّياح عليهما فمحاها
حتى فرغ . ثم قال : هاتِ التّويّة ؛ فأنشده² :

[من الكامل]

يا صاحبيّ تروّحاً وذّراني ليس الخليّ كمُسْعَرِ الأحرانِ
فلما فرغ قال : أنشدني الدّماغَةَ الرّائيّة ، فأنشده إياها . فلما فرغ أقبل عليه الثّغريّون فقالوا له : ما أعتبنا فيما عاتبناك عليه . فقال : يا حمير ! هل في الجواب أكثر ممّا سمعتم ؟ والله لولا أنّي لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّد الخبرُ فقال³ :

[من الوافر]

إذا قال الأميرُ أبو بجيرٍ أخو أسدٍ لمنشده يزيدا
طربتُ إلى الكرامِ فهاتِ فيهم مديحاً من مديحك أو نشيدا
رأيتُ لمن بحضرته وجوهاً من الشُّكّاكِ والمرجّين سودا
كأنّ يزيد يُنشد بامتداح أبا حسنٍ نصارى أو يهودا

[أشعر الناس أبو العبد]

وروى أبو داود المسترق : أن السيّد والعبديّ اجتمعا ؛ فأنشد السيّد⁴ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 385 .

2 ديوانه : 445 .

3 ديوانه : 163 عن الأغاني .

4 ديوانه : 418 ورواية صدر البيت الثاني فيه : وما به دان يوم النهر دنت به

إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ يَوْمَ الْخُرَيْتِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِّينَا¹
وبالذي دَانَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِينَا
فَقَالَ لَهُ الْعَبْدِيُّ : أَخْطَأْتُ ، لَوْ شَارَكَتْ كَفُّكَ كَفَّهُ كُنْتُ مِثْلَهُ ؛ وَلَكِنْ قُلْ : تَابَعْتُ كَفِّي
كَفَّهُ لَتَكُونَ تَابِعاً لَا شَرِيكَاً . فَكَانَ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : أَنَا أَشْعَرُ النَّاسِ إِلَّا الْعَبْدِيُّ .
[سُكَّرَ وَسَبَّ الشَّيْخِينَ]

وَقَالَ إِسْحَاقُ النَّخَعِيُّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْأَعْرَجِ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
السَّاحِرِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ السَّيِّدِ وَقَدْ أَكْرَبْنَا سَفِينَةً إِلَى الْأَهْوَازِ ؛ فَجَلَسَ فِيهَا مَعَنَا قَوْمٌ شُرَاقَةٌ ،
فَجَعَلُوا يَنَالُونَ مِنْ عِثْمَانَ . فَأَخْرَجَ السَّيِّدُ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ² :
[مِنْ الْبَسِيطِ]
شَفِيتُ مَنْ نَعَثَ فِي نَحْتِ أَثْلَتِهِ فَأَعْمِدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ الْغَوَّيْنِ³
أَعْمِدْ هُدَيْتَ إِلَى نَحْتِ اللَّذَيْنِ هُمَا كَانَا عَنِ الشَّرِّ لَوْ شَاءَ غُثِّيْنِ
قَالَ إِسْمَاعِيلُ : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْأَهْوَازَ قَدِمَ السَّيِّدُ وَقَدْ سَكِرَ ، فَاتَى بِهِ أَبَا بَجِيرَ بْنِ سَمَّكَ
الْأَسَدِيَّ ؛ وَكَانَ ابْنُ النَّجَاشِيِّ عِنْدَ ابْنِ سَمَّكَ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَكَانَ يَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ .
فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخَ السَّوِّءِ ، تَخْرُجُ سَكِرَانٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ ! لِأَحْسِنَنَّ أَدَبَكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَا
فَعَلْتُ ، وَلِتُكْرِمَنِي وَلِتُخَلِّنَ عَلَيَّ وَتُحْمِلَنِي وَتُجِيزَنِي . قَالَ : أَوْتَهَرَأَ أَيْضاً ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ ثُمَّ
أَنْدَفَعَ يُنْشِدُهُ فَقَالَ⁴ :

مَنْ كَانَ مَعْتَذِراً مِنْ شَتْمِهِ عَمِراً فَابْنُ النَّجَاشِيِّ مِنْهُ غَيْرُ مُعْتَذِرٍ
وَإِبْنُ النَّجَاشِيِّ بَرَاءٌ ، غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ، فِي دِينِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمِنْ عَمْرِ
ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ⁵ :

إِحْدَاهُمَا نَمَّتْ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ وَبَغَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِحْدَاهُمَا⁶
فَهُمَا اللَّتَانِ سَمِعْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ فِي الذِّكْرِ قَصَّ عَلَى الْعِبَادِ نَبَاهُمَا⁷
فَقَالَ : أَبُو هَاشِمٍ ؟ فَقَالَ نَعَمْ . قَالَ : ارْتَفِعْ . فَحَمَلَهُ وَأَجَازَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا صَدَقَنَ قَوْلُكَ فِي
جَمِيعِ مَا حَلَفْتَ عَلَيْهِ .

1 الخريفة : موضع ، بالبصرة كانت به وقعة الجمل .

2 ديوانه : 441 عن الأغاني .

3 نحت أثلته : ذمه وتنقصه .

4 ديوانه : 238 عن الأغاني .

5 أنظر ديوانه : 386 .

6 يقصد حفصة وعائشة .

7 إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم : ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً . . .﴾ .

[أباح له أبو بجير شرب النبيذ]

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّد متغيّر اللون ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فقَدْتُ الشرابَ الذي أَلْفَتُهُ لكرهَةِ الأمير إِيَّاهُ ؛ قال : فاشربْهُ ، فإنَّنا نَحْتَمِلُهُ لك . قال : ليس عندي . قال لكاتبه : اكتب له بمائتي دُورق مِبيخج¹ . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال : البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَع ما يُستغنى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتي دُورق «مي» ولا تكتب «يخج» ، فإنَّكَ تَسْتَغْنِي عنه . فضحك ، ثم أمر فكتبَ له بذلك . قال : والمي : النبيذ .

[شماتة المرجئة بلبي بجير]

قال إسماعيل : وبلغ السيّد وهو بالأهواز أنَّ أبا بجير قد أُشرف على الموت ، فأظهرت المرجئة الشّماتَةَ به . فخرج السيّد متحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها ، وأنشأ يقول² :

تَبَاشِرُ أَهْلُ تَدْمُرَ إِذْ أَتَاهُمْ	بَأْمَرِ أَمِيرِنَا لَهُمْ بَشِيرُ
وَلَا لِأَمِيرِنَا ذَنْبٌ إِلَيْهِمْ	صَغِيرٌ فِي الْحَيَاةِ وَلَا كَبِيرُ
سَوَى حَبِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبِيهِ	وَمَوْلَاهُمْ بِحَبِّهِمْ جَدِيرُ
وَقَالُوا لِي لَكَيْمًا يُحْزِنُونِي	وَلَكِنْ قَوْلُهُمْ إِفْكَ وَزُورُ
لَقَدْ أَمْسَى أَخُوكَ أَبُو بَجِيرٍ	بِمَنْزِلِهِ يُزَارُ وَلَا يَزُورُ
وَوَلَّتْ شِيعَةُ الْهَادِي عَلِيٍّ	كَأَنَّ الْأَرْضَ تَحْتَهُمْ تَمُورُ
فَبِتُّ كَأَنَّنِي مِمَّا رَمَوْنِي	بِهِ فِي قِدِّ ذِي حَلْقِي أُسِيرُ
كَأَنَّ مَدَامَعِي وَجَفُونَ عَيْنِي	تُوَخَّزُ بِالْقَتَادِ فَهَنْ عُورُ
أَقُولُ عَلَيَّ لِلرَّحْمَنِ نَذْرُ	صَحِيحٌ حَيْثُ تُحْتَبَسُ النَّذُورُ
بِمَكَّةَ ، إِنْ لَقِيتُ أَبَا بُجَيْرٍ	صَحِيحاً وَاللَّوَاءَ لَهُ يَسِيرُ

وهي قصيدة طويلة .

[أنشد النبي في النوم قصيدته العينية]

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترقي عن السيّد : أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، فاستنشدَه فأنشده قوله :

[من السريع]

1 مبيخج : كلمة فارسية مركبة من «مي» ومعناها النبيذ و«بخج» ومعناها المطبوخ .

2 ديوانه : 207-208 عن الأغاني .

لَأَمْ عمرو باللّوى مَرْبُعٌ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ بَلَقَعُ
حتى انتهى إلى قوله :

قالوا له لو شئتَ أَعْلَمْتُنَا إلى مَنْ الغَايَةُ والمَفْزَعُ
فقال : حَسْبُكَ ! ثم نَفَضَ يَدَهُ وقال : قد وَاللّهِ أَعْلَمْتُهُمْ .

[مرضه ووفاته]

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر : أَنَّهُمَا حَضَرَا السَّيِّدَ عِنْدَ وَفَاتِهِ بِوَاسِطٍ وَقَدْ أَصَابَهُ
شَرٌّ وَكَرَبٌ ؛ فَجَلَسَ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَهْكَذَا جَزَائِي فِي حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ! قَالَ : فَكَأَنَّمَا كَانَتْ
نَارًا فَطَفِئَتْ عَنْهُ .

[يَتَبَرَّأُ مِنْ عُثْمَانَ وَالشَّيْخِينَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ]

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ لَمْ يَحْضُرْنِي وَأَنَا أُخْرِجُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ :
حَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ السَّيِّدَ وَقَدْ احْتَضَرَ فَقَالَ ¹ :

بَرِئْتُ إِلَى إِلَهِهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ ²
وَمِنْ فَعْلِي بَرِئْتُ وَمِنْ فَعْلِي غَدَاةَ دُعَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ³
ثُمَّ كَانَ نَفْسُهُ كَانَتْ حَصَاةً فَسَقَطَتْ .

[أَهْلُ وَاسِطٍ لَا يَدْفِنُونَهُ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَبِي الْهَدَيْلِ الْعَلَّافِ عَنْ
أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ مَاتَ بِوَاسِطٍ فَلَمْ يَدْفِنُوهُ . وَاللّهِ لَنْ تَحْقُقَ عِنْدِي
لَأَحْرِقْنَهَا ! .

[مُحِبُّو آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ]

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى اللَّوْثِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ عَنْ
صُهَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَأَتَاهُ نَعْيُ السَّيِّدِ ، فَدَعَا لَهُ وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ .
فَقَالَ رَجُلٌ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي
أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّ مُحَبِّبَ آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ وَقَدْ تَابَ ، وَرَفَعَ مُصَلًّى كَانَتْ تَحْتَهُ ،
فَأَخْرَجَ كِتَابًا مِنَ السَّيِّدِ يَعْرِفُهُ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تَابَ وَيَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ لَهُ .

1 ديوانه : 427 .

2 ابن أروى : عثمان بن عفان .

3 يعني أبا بكر وعمر .

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمد بن إدريس العُتبيُّ أنَّ مُعَاذَ بن يزيد الحميريَّ حَدَّثَهُ أَنَّ السَّيِّدَ عَاشَ إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات ، وأنه مدَّحه بقصيدتين فأمر له بِدُرَّتَيْن ففرَّقَهُمَا . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسبُ أبا هاشمٍ تورَّعَ عن قبولِ جوائزنا .
[لَمَّا مات أحضر له سبعون كفنًا]

أخبرني ابن عَمَّار قال حَدَّثَنَا يعقوب بن نُعَيْم قال حَدَّثَنَا إبراهيم بن عبد الله الطَّلحيَّ قال حَدَّثَنِي إسحاق بن محمد بن بَشِير بن عَمَّار الصَّيرفيَّ عن جدِّه بَشِير بن عَمَّار قال : حضرت وفاة السيِّد في الرُّميلة ببغداد ، فوجَّه رسولاً إلى صفِّ الجَزَّارين الكوفيين يُعلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِطَ الرسولُ فذهب إلى صفِّ السموسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلم أنَّه قد غَلِطَ ، فعاد إلى الكوفيين يُعلمهم بحاله ووفاته ؛ فوافاه سبعون كفنًا . قال : وحضرناه جميعاً وإنَّه ليتحسَّرَ تحسُّراً شديداً¹ وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلَّم ، إلى أن أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعلُ هذا بوليِّك ؟ قالها ثلاث مرَّات مرَّةً بعد أخرى . قال : فتجلَّى والله في جبينه عِرْقٌ بياض ، فما زال يتَّسع ويُلَبَس وجهه حتى صار كلُّه كالبدر² ، وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجُنيَّة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

1 ل : لينخر نخيراً .

2 ل : كالبرد .

109 - [أخبار عبد الله بن علقمة وحيشة]

صوت من المائة المختارة¹

[من الطويل]

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ
ولا ذَنْبَ لي إِذْ قَلْتُ إِذْ نَحْنُ جَرِيرَةٌ أَثْبِي بُوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ
عروضه من الطويل .

قوله : « فلا زلن حسرى » : دعاء على الإبل التي ظَعَنْتَ بها وأبعدتها عنه . وحسرى : قد حَسِرْنَ أي بَلَغَ مِنْهُنَّ الْجَهْدُ فلم يُتَقِ فِيهِنَّ بَقِيَّةٌ ، يقال : حَسَرَ نَاقَتَهُ فهو يَحْسِرُهَا ، وهي حَسْرَى ، والذَّكْرُ حَسِيرٌ² ؛ قال الله عز وجل : ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ . وفي الحديث « فَإِنْ اتَّعَبْتَهَا حَسَرْتَهَا » . وَالظَّلْعُ في كلِّ شَيْءٍ : أَنْ تَأْلَمَ رِجْلُهُ فلا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ عليها فَيَغْزِي فِي مَشْيِهِ كَالْأَعْرَجِ إِذَا مَشَى ، ويقال : ظَلَعَ فهو ظَالِعٌ . والنائي : البعيد ، والنَّيَّةُ : الناحية التي تنوي إليها ، والنوى : البعد ، والتنائي : التباعد . والبوائق : الحوادث التي تأتي بما يُحْذَرُ بَغْتَةً ، وهي مثل المصائب والنوائب .

البيت الأول من الشعر لكثير ، ويقال : إِنَّهُ لَأَبْيَ جُنْدَبٍ الْهَذَلِيَّ . والبيت الثاني لرجل من كِنَانَةِ ثَمَ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ ، وزعم ابن ذَابٍ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، وقيل أيضاً : إِنَّهُ يَقَالُ لَهُ عَمْرُو الَّذِي قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ الَّتِي وَجَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا .

الغناء في اللحن المختار مُتَمِّمٌ مَوْلَاةٍ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ وَأُمُّ أَوْلَادِهِ . وَلَحْنُهَا رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ ، من رواية إسحاق وعمرو ؛ وهو من الأرمال النادرة المختارة . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ ، يقال : إِنَّهُ لِحُسَيْنِ بْنِ مُحَرَّرٍ ، ويقال : إِنَّهُ قَدِيمٌ مِنْ غِنَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ .

1 انظر ديوان كثير عزة (جمع إحسان عباس) : 533 .

2 في اللسان (حسر) : الذكر والأنثى سواء والجمع حسرى مثل قتيل قتلى .

[أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثنا ابن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلام يفقه دون المحتلم لتزور جارة لها ، وكان لها بنت يقال لها حبيشة بنت حبش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة . فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبه ووقع في نفسه ، وانصرف وترك أمه عند جارتها ، فلبث عندها يومين . ثم أتتها عبد الله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها ، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحي ، فازداد بها عجباً ، وانصرف بأمه في غداة تمطر ، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول :

وما أدري بلى إنني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبش
حبيشة والذي خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيش

فسمعت ذلك أمه فتعافلت عنه وكرهت قوله . ثم مشياً ملياً ، فإذا هو بظلي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمّا أخبريني غير كاذبة وما يُريد مسؤل الحق بالكذب
أتلک أحسن أم طبيّ براية لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

فجزته أمه وقالت له : ما أنت وهذا ؟ تزوجك بنت عمك فهي أجمل من تلك . وأتت امرأة عمه فأخبرتها خبره ، وقالت : زيني ابتك له ، ففعلت وأدخلتها عليه . فلما رآها أطرق . فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

إذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشى حر السعير يحشّه وقود الغضى والقلب مستعير [جمرا]¹

وجعل يُراسل الجارية وتراسله حتى علقت كما علّقها ، وكثر قوله للشعر فيها . فمن ذلك قال :

حبيشة هل جدّي وجدك جامع بشمليكم شملي وأهلكم أهلي
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الألتين إلى النخل

وهل أَشْتَفِي من رِيْقِ ثَغْرِكِ مَرَّةً كَرَّاحٍ ومِسْكِ خَالِطَا ضَرْبِ النَّحْلِ

فلَمَّا بَلَغَ أَهْلُهَا خَبِيرُهَا حَجَبُوهَا عَنْهُ مُدَّةً ، وَهُوَ يَزِيدُ غَرَاماً بِهَا وَيُكْثِرُ قَوْلَ الشَّعْرِ فِيهَا .
فَأَتَوْهَا فَقَالُوا لَهَا : عِدِّيهِ السَّرْحَةَ ، فَإِذَا أَتَاكَ فَقُولِي لَهُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَحْبَبْتَنِي فَوَاللَّهِ مَا
عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَنَحْنُ قَرِيبٌ نَسْتَمَعُ مَا تَقُولِينَ . فَوَعَدْتَهُ وَجَلَسُوا قَرِيباً
يَسْتَمْعُونَ ، وَجَلَسْتُ عِنْدَ السَّرْحَةِ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْعِلَهَا . فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا دَمَعَتْ عَيْنُهَا
والتفتت إلى حيث أَهْلُهَا جُلُوسٌ ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ قَرِيبٌ فَجَرَعَ . وَبَلَغَهُ مَا قَالُوا لَهَا أَنْ تَقُولَهُ فَأَنْشَأَ
يقول :

لو قُلْتَ مَا قَالُوا لَزِدْتُ جَوِيَّ بِكُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِتْرٌ وَلَا صَبْرٌ
ولم يَكْ حَبْسِي عَنْ نَوَالٍ بِذِلَّتِهِ فَيُسَلِّتَنِي عَنْهُ التَّجَهُُّمُ وَالْهَجْرُ
وما أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ دَمْعَهَا وَنَظَرَتَهَا حَتَّى يُعَيِّنِي الْقَبْرُ

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة]

وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ
وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوهُ وَالْأَقَاتْلَهُمْ . فَصَبَحَهُمْ¹ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
بِالْغَمِيصَاءِ² وَقَدْ سَمِعُوا بِهِ فَخَافُوهُ فَطَعَنُوا ، وَكَانُوا قَتَلُوا أَخَاهُ الْفَاكَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَمَّهُ
الْفَاكَةَ بْنَ الْمَغِيرَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانُوا مِنْ أَشَدِّ حَيٍّ فِي كِنَانَةَ بِأَسَأَ يُسَمُّونَ «لَعَقَةَ الدَّمِ» .
فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَمَعَهُ بَنُو سُلَيْمٍ ، وَكَانَتْ بَنُو سُلَيْمٍ طَلَبْتُهُمْ بِمَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ
صَخْرِ بْنِ الشَّرِيدِ وَإِخْوَتِهِ كُرْزٍ وَعَمْرُو وَالْحَارِثِ ، وَكَانُوا قَتَلُوهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ . فَلَمَّا
صَبَحَهُمْ خَالِدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَرَأَوْا مَعَهُ بَنِي سُلَيْمٍ زَادَهُمْ ذَلِكَ نَفُوراً . فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ :
أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . قَالُوا : نَحْنُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ . قَالَ : فَالْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا . قَالُوا : لَا
وَاللَّهِ . فَقَالَ جَذِيمَةُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي أَقْرَمَ : يَا قَوْمَ ، لَا تَضَعُوا سِلَاحَكُمْ ، وَاللَّهِ مَا بَعْدَ
وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْقَتْلُ . قَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نُلْقِي سِلَاحَنَا وَلَا نَنْزِلُ ، مَا نَحْنُ مِنْكَ وَلَا لِمَنْ
مَعَكَ بِأَمِينٍ . قَالَ خَالِدٌ : فَلَا أَمَانَ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَنْزِلُوا . فَانْزَلَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَأَسْرَهُمْ ، وَتَفَرَّقَ
بَقِيَّةُ الْقَوْمِ فِرْقَتَيْنِ ، فَأَصْعَدَتْ فِرْقَةٌ وَسَفَلَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى .

[رواية أخرى]

قال ابنُ دُأْبٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَنَّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرْدٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : كُنْتُ

1 قارن بسيرة ابن هشام 2 : 429 وما بعدها وفي الشعر والرواية اختلاف غير يسير ، والرواية هنالك هي أيضاً
عن عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي .

2 الغميصاء : موضع قرب مكة .

يومئذ في جند خالد ، فَبَعَثْنَا في أَثَرِ ظُغْنٍ¹ مُصْعَدِيَّةٍ يَسُوقُ بَهْنَ فِتْيَةً ، فقال : أَدْرِكُوا أَوْلَئِكَ . قال : فخرجنا في أَثَرِهِمْ حَتَّى أَدْرَكْنَاهُمْ وَقَدْ مَضَوْا ، وَوَقَفَ لَنَا غُلَامٌ شَابٌّ عَلَى الطَّرِيقِ . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ جَعَلَ يَقَاتِلُنَا وَهُوَ يَقُولُ :

بَيْنَ أَطْرَافِ الذُّيُولِ وَارْبَعْنَ مَشْنَى حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يَفْزَعَنَّ
إِنْ يُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُمْنَعْنَ

فَقَاتَلْنَا طَوِيلًا فَقَتَلْنَاهُ ، وَمَضَيْنَا حَتَّى لَحِقْنَا الظُّغْنَ ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا غُلَامٌ كَأَنَّهُ الْأَوَّلُ ، فَجَعَلَ يَقَاتِلُنَا وَيَقُولُ :

أَقْسَمَ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدِهِ يَزَارُ بَيْنَ أَيْكَةِ وَوَهْدَةٍ²
يَفْرِسُ شُبَّانَ الرِّجَالِ وَحَدَّهُ بِأَصْدَقِ الْغَدَاةِ مَنِي نَجْدَةٍ

فَقَاتَلْنَا حَتَّى قَتَلْنَاهُ ، وَأَدْرَكْنَا الظُّغْنَ فَأَخَذْنَاهُمْ ، فَإِذَا فِيهِمْ غُلَامٌ وَضِيءٌ بِهِ صَفْرَةٌ وَفِي لَوْنِهِ كَالنَّهْوَكَ ، فَرَتَّبْنَاهُ بِحَيْلٍ وَقَدَّمْنَاهُ لِنَقْتُلَهُ ؛ فَقَالَ لَنَا : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ ؟ قُلْنَا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تُدْرِكُونَ بِي الظُّغْنَ أَسْفَلَ الْوَادِي ثُمَّ تَقْتُلُونَنِي ؛ قُلْنَا : نَفْعٌ . فَخَرَجْنَا حَتَّى نَعَارِضَ الظُّغْنَ أَسْفَلَ الْوَادِي . فَلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ يَسْمَعُنَ الصَّوْتَ ، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : اسْلَمِي حَبِيشَ ، عِنْدَ نَقَادِ الْعَيْشِ . فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بِيضَاءِ حُسْنَانَةٍ فَقَالَتْ : وَأَنْتَ فَاسْلَمِي عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَشِدَّةِ الْبَلَاءِ . فَقَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَهْرًا ، وَإِنْ بَقِيتَ عَصْرًا . قَالَتْ : وَأَنْتَ سَلَامٌ عَلَيْكَ عَشْرًا ، وَشَفْعًا تَتْرَى ، وَثَلَاثًا وَتَرَا . فَقَالَ :

إِنْ يَقْتُلُونِي يَا حَبِيشُ فَلَمْ يَدَعْ
وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحْمِي مِنْ دَمِي

فَقَالَتْ لَهُ :

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً
وَأَنْتِ ، فَلَا تَبْعُدْ فَنَعْمَ فَتَى الْهَوَى ،

فَقَالَ لَهَا :

أَرَيْتَكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ
بِخَلِيَّةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ³

1 ظُغْنٌ : جَمْعُ ظُعِينَةٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ فِي الْهُدُوجِ .

2 الْأَسَدُ الْخَادِرُ : الْمَقِيمُ فِي عَرِينِهِ .

3 الْخَوَاتِقُ : جَمْعُ خَاتِقٍ وَهُوَ مَوْضِعُ بَتْهَامَةٍ . حَلِيَّةٌ : وَادٍ بِتْهَامَةٍ أَعْلَاهُ لَهْذِيلٌ وَأَسْفَلُهُ لَكْنَانَةٌ .

أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عاشقٌ تكلف إدلاج السرى والودائق¹
فقلت: بلى والله. فقال:

فلا ذنب لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبى بودٌ قبل إحدى البوائق
أثيبى بودٌ قبل أن تشحط النوى وينأى خليطٌ بالحبيب المفايق

قال ابن أبي حدرّد: فضربنا عنقه، فتصمّت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه فالتصمت فاه، فترعنا منها رأسه وإنها لتكسع² بنفسها حتى ماتت مكانها. وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع خالد وشكاه.

[على يصلح خطأ خالد]

قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ سأل «هل أنكر عليه أحد ما صنع؟» فقال: نعم، رجل أصفر ربعة ورجل أحمر طويل. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني وصفته، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة. وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بإبل وورق وأمره أن يديهم فوادهم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله فقال علي: قدِمْتُ عليهم فقلتُ لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتل والجرحى وتحللوا رسول الله ﷺ؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الرّوع والفرع؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله ﷺ مما علِمَ ومما لم يعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعته إليهم، وجعلتُ أديهم، حتى إني لأدي ميلغة الكلب، وفضلتُ فضلةً فدفعتها إليهم. فقال رسول الله ﷺ: «أقبلوها؟» قال نعم. قال: «فوالذي أنا عبده لبي أحبُّ إليّ من حُمُر النعم».

وقالت سلمى بنت عُميس³:

وكم غادروا يومَ الغميصاء من فتى أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيّد كهل عليه مهابةٌ أصيب ولما يعلّه الشيب واضحا

1 الودائق: جمع وديقة وهي شدة الحر في الهاجرة.

2 تكسع: تضرب.

3 انظر سيرة ابن هشام 2: 432 وفي الشعر اختلاف كبير.

أُحَاطَتْ بِخُطَّابِ الْأَيَّامِي وَطَلَّقَتْ غَدَاتْنِي مِنْ كَانَ مِنْهُمْ نَاكِحَا
وَلَوْلَا مَقَالُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ أَسْلِمُوا لَلَاقَتْ سَلِيمَ يَوْمَ ذَلِكَ نَاطِحَا

[إيقاع بني عامر بن عبد مناة برجال قريش في الجاهلية]

قال ابن دأب : وأما سبب قتلهم القرشيين ، فإنه كان نفر من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدَّمِ» وكانوا ذوي بأس شديد . فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين : إِيَّاكُمْ أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ رَجُلٌ مِنْ فَهْمٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ عِنْدَهُمْ ذَخْلٌ . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلما راحوا أدرَكهم العامريون ففتشَوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم ، فقتلوه وقتلوههم وأخذوا أموالهم . فقال راجزهم :

إِنْ قَرِيشًا غَدَرَتْ وَعَادَةٌ نَحْنُ قَتَلْنَا مِنْهُمْ بِغَادَةٍ¹
عَشْرِينَ كَهْلًا مَا لَهُمْ زِيَادَةٌ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عَفَّانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي أَبُو عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفاكهة بن المغيرة ، والفاكهة بن الوليد بن المغيرة . فأرادت قريش قتالهم حتى خذَلَتْهم بنو الحارث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً . وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوُقْعَةَ هو وضيَرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب² بقوله :

دَعَوْتُ إِلَى خُطَّةٍ خَالِدًا مِنَ الْمَجْدِ ضِيْعُهَا خَالِدُ
فَوَاللَّهِ أَدْرِي أَضَاهَى بِهَا بَنِي الْعَمِّ أَمْ صَدْرُهُ بَارِدُ
وَلَوْ خَالِدٌ عَادَ فِي مِثْلِهَا لِتَابَعَهُ عُتْقٌ وَارِدُ³

وقال ضرار أيضاً :

أَرَى ابْنِي لَوْيٍّ أَسْرَعَا أَنْ تَسَالِمَا وَقَدْ سَلَكْتَ أَبْنَاؤَهَا كُلَّ مَسَلَكِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّشَرُّوا بِرِجَالِكُمْ فَذُوكُوا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِمَذُوكِ⁴

1 غادة : موضع في ديار كنانة .

2 هو ضرار بن الخطاب الفهري من الأشراف والشعراء المعدودين من مسلمة الفتح .

3 عتق واردة : أي متدل ، كناية عن موته .

4 ذوكوا : اسحقوا .

[من الطويل]

فَإِنَّ أَدَاةَ الْحَرْبِ مَا قَدْ جَمَعْتُمْ وَمَنْ يَتَّقِ الْأَقْوَامَ بِالْشَّرِّ يُتْرَكِ

[سرايا النبي إلى قبائل كنانة]

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجِيُوشِ إِلَى قِبَائِلِ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى بَنِي ضَمْرَةَ نُمَيْلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ ، وَإِلَى بَنِي الدُّثُلِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي مُدْلَجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي بَغِيضَ وَمِحَارِبَ بْنَ فَهْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَهْيِكَ أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْسَلٍ ، وَبَعَثَ إِلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ خَالِدًا . فَوَافَاهُمْ خَالِدٌ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْغَمِيصَاءُ ؛ وَقَدْ كَانَ خَبْرُهُ سَقَطَ إِلَيْهِمْ ، فَمَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَتَلَهُ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو قَيْسِ بْنِ عَامِرَ وَبَنُو قُعَيْنَ بْنِ عَامِرَ وَهُمْ خَيْرُ الْقَوْمِ وَأَشْرَفُهُمْ ، فَأُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ . فَلَمَّا أَقْبَلَ خَالِدٌ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا خَالِدُ مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا » ! قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ آيَاتُ سَمِعْتُهُنَّ أَنْزَلَتْ عَلَيْكَ . قَالَ : « وَمَا هِيَ » ؟ قَالَ : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيَذْهَبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وَجَاءَنِي ابْنُ أُمِّ أَصْرَمَ فَقَالَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقَاتِلَ . فَحِينَئِذٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَدَاهُمْ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ مُسَاحِقٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ وَأَمَرَنَا أَلَّا نَقْتُلَ أَحَدًا إِنْ رَأَيْنَا مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْنَا أَذَانًا ، قَالَ وَكِيعٌ وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارِ الرَّمَادِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ ابْنِ عَاصِمٍ هَذَا عَنْ أَبِيهِ بِهِذَا الْحَدِيثِ قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا بَفْتَى يَسُوقُ ظُعَانًا ؛ فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ بِي إِنْ لَمْ أُسَلِّمْ ؟ قُلْنَا : نَحْنُ قَاتِلُوكَ . قَالَ : فَدَعَوْنِي الْحَقَّ هَذِهِ الظُّعَانُ ، فَتَرَكْنَاهُ ؛ فَأَتَى هُودَجًا مِنْهَا وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِيهِ وَقَالَ : اسْلَمِي حَبِيشَ ، قَبْلَ نَفَادِ الْعَيْشِ . فَقَالَتْ : وَأَنْتَ فَاسْلَمِ تَسْعًا وَتَرَا ، وَثَمَانِيًا تَتْرَى ، وَعَشْرًا أُخْرَى . فَقَالَ لَهَا :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ أَثِيْبِي بُوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ
أَثِيْبِي بُوْدٌ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنْأَى أَمِيرٌ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ

قَالَ : ثُمَّ جَاءَ فَضْرَبْنَا عَنَقَهُ . فَخَرَجَتْ مِنْ ذَلِكَ الْهُودَجِ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ فَجَنَّتْ¹ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَتْ تَبْكِي حَتَّى مَاتَتْ .

[حديث خالد للنبي عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العتكي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة قال : يُروى أَنَّ خالد بن الوليد كان جالساً عند النبي ﷺ ، فسُئِلَ عن غزوته بني جَذِيمَةَ فقال : إِنَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحَدَّثْتُ . فقال : «تَحَدَّثْ» . فقال : لَقِينَاهُمْ بِالْغُمَيْصَاءِ عِنْدَ وَجْهِ الصَّبْحِ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى كَادَ قَرْنُ الشَّمْسِ يَغِيبُ ، فَمَنَحَنَا اللَّهُ أَكْثَافَهُمْ فَتَبِعْنَاهُمْ نَطْلِبُهُمْ ، فَإِذَا بِغَلَامٍ لَهُ ذَوَائِبُ عَلَى فَرَسٍ ذُنُوبٌ¹ فِي أَخْرِيَاتِ الْقَوْمِ ، فَبَوَّاتٌ² لَهُ الرَّمْحُ فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ؛ فَقَالَ : لَا إِلَهَ ، فَقَبَضْتُ عَنْهُ الرَّمْحَ ؛ فَقَالَ : إِلَّا اللَّاتُ أَحْسَنْتُ أَوْ أَسَاءْتُ . فَهَمَسْتُ³ هَمْسَةً أَذْرَيْتُهُ وَبَقِيداً⁴ ؛ ثُمَّ أَخَذَتْهُ أَسِيرًا فَشَدَّدَتْهُ وَثَاقًا ؛ ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَكَلِّمْني ، وَاسْتَخْبَرْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْني . فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ رَأَى نِسْوةً مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ يَسُوقُ بَهَنٌ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ : أَيَا خَالِدَ ، قُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ قال : هَلْ أَنْتَ وَاقِفِي عَلَى هَؤُلَاءِ النِّسْوةِ ؟! فَاتَيْتُ عَلَى أَصْحَابِي فَفَعَلْتُ ، وَفِيهِنَّ جَارِيَةٌ تُدْعَى حَبِيشَةَ ؛ فَقَالَ لَهَا : نَاوِلِيْنِي يَدَكَ فَنَاوَلْتُهُ يَدَهَا فِي ثَوْبِهَا ؛ فَقَالَ : اسْلَمِي حَبِيشَ ، قَبْلَ نَفَادِ الْعِيشِ . فَقَالَتْ : حَبِيشَ عَشْرًا ، وَتَسْعًا وَتَرَا ، وَثَمَانِيًا تَتْرَى . فَقَالَ :

[من الطويل]

أَرَيْتَكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ	بِحَلِيَّةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ
أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ	تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ
وَقَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلِي لِأَهْلِكَ جِيرَةٌ	أُثْبِي بُوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الصَّعَاتِقِ
أُثْبِي بُوْدٌ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى	وَيَسْأَى أَمِيرٌ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ
فَأَنْسَى لَا ضَيِّعْتُ سِرًّا أَمَانَتِي	وَلَا رَاقٍ عَيْنِي بَعْدَ عَيْنِكَ رَاقٍ ⁵
[سوى أَنَّ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ	عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ]

فَلَمَّا جَاءَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ قَدَمَتُهُ فَضْرَبْتُ عَنْقَهُ . فَأَقْبَلَتِ الْجَارِيَةُ وَوَضَعَتْ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا وَجَعَلَتْ تَرَشُّفُهُ وَتَقُولُ :

[من الطويل]

لَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَحَقَّ بِحَسَنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي

1 ذنوب : وافر الذنب .

2 بوا الرمح : سدده .

3 همسه : عصره .

4 الوقيد : المشرف على الموت .

5 في هذا البيت والذي يليه إقواء فلعلهما أضيفا إلى الأبيات المتقدمة .

لا تَبْعَدَنَّ يا عمرو حَيًّا وَهالِكًا فقد عشتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الفعلِ
فَمَنْ لَطِيفُ الرِّدِّ الخيلِ تُشَجَّرُ بالقَنَا وللْفَخْرِ يوماً عندَ قَرَقَرَةِ البُزْلِ
وجعلتَ تبكي وتردّدَ هذه الأبياتِ حتى ماتت وإنَّ رأسَه لفي جِجْرَها . فقال رسولُ
الله ﷺ : «لقد رُفِعَتْ لي يا خالد وإنَّ سبعينَ مَلَكًا لَمُطِيفُونَ بك بِمَحْضُونِكَ على قتلِ عمرو
حتى قتلته» .

[طرب أبي السائب المخزومي]

أخبرني محمد بن العباس الزبيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثنا الزبير بن بكار
قال حدثني عبد الله بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام قالت : كان أبو السائب
المخزومي رجلاً صالحاً زاهداً متقلاً يصوم الدهر ، وكان أرق خلق الله وأشدّهم غزلاً . فوجه
ابنه يوماً يأتيه بما يُفطر عليه ، فأبطأ الغلامُ إلى العتمة . فلما جاء قال له : يا عدو نفسه ، ما
أخركَ إلى هذا الوقت ؟ قال : جُزْتُ بباب بني فلان فسمعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذته .
فقال : هاتِ يا بُني ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأحبّونكَ ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضربنكَ .
فاندفع يغني بشعر كثير :

ولما علّوا شغباً تبينتُ أنّه تقطّع من أهل الحجازِ علائقي
فلا زِلْنِ حَسْرَى ظُلُعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قليلِ الأصاِدي
فلم يَزَلْ يغنيهِ إلى نصف الليل . فقالت له زوجته : يا هذا ، قد انتصف الليلُ وما أَفْطَرْنَا .
قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطَرْنَا غيرَه . فلم يزل يغنيهِ إلى السَّحَرِ . فلما كان السَّحَرُ قالت له
زوجته : هذا السَّحَرُ وما أَفْطَرْنَا ؛ فقال : أنتِ طالقٌ إن كان سَحَرْنَا غيرَه . فلما أصبح قال
لأبنة : خذِ جُبَّتِي هذه وأعطيني خَلَقَكَ ليكونَ الحِباءُ فَضْلاً ما بينهما . فقال له : يا أبتِ ، أنتِ
شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بُني ، ما ترك صوتك هذا للبرد علي سبيلاً
ما حَيَّيتُ .

[شعر لسليمان بن أبي دباكل]

أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشيباني عن مصعب الزبيري لسليمان بن أبي
دباكل قال :

فهلّا نظرتَ الصبحَ يا بعلَ زينبٍ فتَقَضَّي لُباناتُ الحبيبِ المفارقِ
يروح إذا يُمسي حنيناً ويغتدي وتهجيرُهُ عند احتدامِ الودائقي
فَطِرْ جاهداً أو كُنْ حليفاً لصخرةٍ مُمنّعةٍ في رأسِ أرْعَنَ شاهقي

فما زال هذا الدهرُ من شؤمِ صرْفِهِ يُفَرِّقُ بينَ العاشقينَ الأوامِ
فَيَبْعِدُنَا مِمَّنْ نُرِيدُ اقْتِرَابَهُ وَيُذِنِي إلَيْنَا مِنْ نُحُبٍ نُفَارِقُ¹
وَلَمَّا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَلَائِقِي
فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلُّعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

[110] - ذكر مُتَيْمِ الهشامية وبعض أخبارها

كانت مُتَيْمٌ صفراءَ مولدةً من مُولِّداتِ البصرة ، وبها نشأت وتَأدَّبَتْ وغُنَّتْ . وأخذتُ
عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين .
[مغنية شاعرة]

وكانت من تخريج بَذَلٍ وتعليمها . وعلى ما أخذتُ عنها كانت تَعْتَمِدُ . فاشتراها علي بن
هشام بعد ذلك ، فأزادته أخذاً مَنْ كان يغشاه من أكابر المغنين . وكانت من أحسن الناس
وجهاً وغناءً وأدباً . وكانت تقول الشعر ليس ممَّا يُسْتَجَادُ ، ولكنه يُسْتَحْسَنُ من مثلها .
وحَظِيَّتْ عند علي بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدَّمتْ على جواريه جُمَعَ عنده ، وهي أُمٌّ وَلَدِيهِ
كلَّهم .

وقال عبد الله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُرَيْشٍ قال أخبرني الحسن بن
أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشامي قال :
[كانت مولاة لليلة]

كانت مُتَيْمٌ لِلْبَانَةِ بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عَرِيبٍ ، فاشتراها علي بن
هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُورِيَّةٌ ، فولدت له صفيةً وتكنى أُمٌّ
العبَّاس ، ثم ولدت محمداً ويُعرف بأبي عبد الله ، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون
ويُعرف بأبي جعفر ، سمَّاه المأمونُ وكنَّاه لما وُلِدَ بهذا الاسم والكنية . قال : ولما توفِّي
علي بن هشام عَتَقَتْ .
[كانت تغني المأمون والمعتصم]

وكان المأمونُ يبعث إليها فتجيئه فتغنيه . فلما خرج المعتصمُ إلى سُرٍّ مَنْ رأى أرسل
إليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسَقِ في دار كانت تسمى الدُشْمُقِيَّ وأقطعها غيرها .
وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع ، ثم ضمَّها لما
خرجت قَلَمٌ . وقَلَمٌ جاريةٌ كانت لعلِّي بن هشام . وكانت مُتَيْمٌ صفراءَ حلوةَ الوجه .
[فضلها عبد الله بن العبَّاس على نفسه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ الحسين بن يحيى بن أَكْثَمَ حَدَّثَهُ عن الحسن بن
إبراهيم بن رياح قال : سألتُ عبد الله بن العبَّاس الرِّيعِيَّ : مَنْ أَحْسَنُ من أَدْرَكَتْ صَنَعَةً ؟

قال : إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : علّويه . قلت : ثم من ؟ قال : متيّم . قلت : ثم من ؟ قال : ثم أنا . فعجبتُ من تقديمه متيّم على نفسه ؛ فقال : الحقُّ أحقُّ أن يُتبع .
أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عمر بن شبة قال : سئل عبد الله بن العباس الرّبيعي عن أحسن الناس غناء . فذكر مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن قال له : ما أحسن أن أصنع كما صنعتُ متيّم في قوله :

فلا زِلْن حَسْرَى ظُلْمًا لِمَ حَمَلْنَا

ولا كما صنع علّويه في قول الصّمة :

فواحسرتي لم أقضِ منك لبانةً ولم أتمتعَ بالجوارِ وبالقربِ
قال : فأين عمرو بن بانة ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضع ، ولكنه صنع لنا في هذا الغناء .

نسبة صوت علّويه

صوت

[من الطويل]

فواحسرتي لم أقضِ منك لبانةً ولم أتمتعَ بالجوارِ وبالقربِ
يقولون هذا آخرُ العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي
ألا يا حمامَ الشَّعبِ شِعْبِ مراهقٍ سقتك الغواصي من حمامٍ ومن شِعْبِ
الشعر للصّمة بن عبد الله القُشَيْرِي . والغناء فيه لعلّويه ، ثَقِيلُ أَوَّلٍ مطلق في مجرى
الوسطى . وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى ، أَوَّلُهُ : «ألا يا حمامَ الشعب» ثم الثاني ثم
الأوّل . وذكر حبشٌ أن فيه لإسحاق ثاني ثَقِيل بالبنصر .
[أخذ إبراهيم بن المهديّ منها صوتاً]

وقال ابن المعتز أخبرني المشاميّ قال : كانت متيّم ذاتَ يوم جالسةً بين أيدي المعتصم
ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ ؛ فغَنَّت متيّم في الثَقِيل الأوّل :

لزيّن طيفٌ تغترّيني طوارقةً هُدُوءاً إذا ما النّجمُ لاحَ لواحِقُهُ
فأشار إليها إبراهيم أن تعيده ؛ فقالت متيّم للمعتصم : يا سيدي ، إبراهيم يستعيدني
الصوتَ وكأنّه¹ يُريد أن يأخذه ؛ فقال لها : لا تعيده . فلمّا كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً

مجلسَ المعتصم ومتيمٌ غائبةٌ ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيمٌ في منزلها بالميدان¹ وطريقه عليها وهي في منظرها لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرّحه على جوارى عليّ بن هشام ؛ فتقدم إلى المنظره وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب بابَ المنظره بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدكِ .

[طلبها المأمون من عليّ بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتز : وحدثتُ أَنَّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها مُعجَباً ؛ فدافعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ . فلما أُلحَ المأمونُ في طلبها حرصَ عليٌّ على أن تعلقَ منه حتى حبلتُ ويئسَ المأمونُ منها . فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله . وحدثني سليمان الطَّبَّال أَنَّهُ رأى متيمٌ في بعض مجالس المعتصم يُمازحها ويَجِدُ بردائها .

[أراد إسحاق انتحال صوت لها]

وحكى عليّ بن محمد الهشاميُّ قال : أَهْدَيْ إلى عليّ بن هشام بَرْدُونَ أَشْهَبُ قِرْطَاسِي² وكان في النهاية من الحسن والفراهة ، وكان عليٌّ به مُعْجَباً ، وكان إسحاقُ يَشْتَهيه شهوةً شديدة ، وعَرَضَ لعلِّي بطلبه مراراً فلم يَرْضَ أن يُعْطِيَه له . فسار إسحاقُ إلى عليّ يوماً بعقب صنعة مُتِمِّم «فلا زِلْنِ حَسْرَى» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيمٍ أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلتُ ، فأطربَ إسحاقُ إطراباً شديداً ، وجعل يَسْتَرِدّه ، فتردّه وتُسْتَوِيهِ ليزيدَ في إطرابه إسحاقُ وهو يُصْغِي إليها ويتفهّمه حتى صَحَّ له . ثم قال لعلِّي : ما فعل البردُونَ الأشهب ؟ قال : على ما عهدتُ من حسنه وفراسته . قال : فاختر الآن مني خَلَّةً من اثنتين : إمّا أن طُبِّتَ لي نفساً به وحملتني عليه ، وإمّا أن أُبَيِّنَ فادّعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته ، أفتراك تقول : إني لمتيمٍ وأقول : إني لي ويؤخذ قولك ويترك قولي ؟ ! قال : لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه ؛ يا غلام قُدِّ³ البردُونَ إلى منزل أبي محمد بِسَرَجِه ولجامه ، لا بارك الله له فيه ! .

قال عليّ بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون : أَنَّ إسحاق قال لمتيمٍ لما سمع هذا الصوت منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ يريد أنّا قد حلت محلّه وساوته .

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 قِرْطَاسِي : خالص البياض .

3 ل : قَدَم .

قال علي بن محمد وقال جدِّي أبو جعفر : كانت متيم تقول : [من الطويل]

صوت

فلا زلن حسرى ظلّعا لم حملنها

الرمل كله .

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدّثني الهشاميّ قال مدّ عليّ بن هشام يده إلى بذل جاريته في عتابٍ يعاتبها ؛ ثم ندّم على فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول :

[من الطويل]

فليت يدي بانت غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفّ وساعد

وغنّت متيمّ جاريته فيه في الثقل الأول ؛ فكان يقال لبذل جارية عليّ بذل الصغيرة .

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدّثني الهشاميّ قال : كان سبب موت بذل هذه أنّها كانت ذات يوم جالسةً عند المأمون فغتنه ، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوسٌ يُكنى بأبي الكركدن من أهل طبرستان يضحك منه المأمون ، فعبثوا به فوثب عليهم وهرّب الناس من بين يديه فلم يبق أحدٌ حتى هرب المأمون ، وبقيت بذل جالسةً والعود في جيّرها ، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجّها في شابورتها اليمنى ؛ فانصرفت وحمت ، وكان سبب موتها .

[نزوّج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدّثني الهشاميّ قال : لما مات عليّ بن هشام ومات المأمون ، أخذ المعتصم جّواري عليّ بن هشام كلّهنّ فأدخلهنّ القصر ، فنزوّج ببذل المغنية وبقيت عنده إلى أن مات ؛ فخرجت بذل الكبيرة والباقيون إلّا بذل الصغيرة لأنّها كانت حرّمت فلم يُخرجوها . ويقال : إنّ لم يكن في المغنين أحسن صنعة من علّويه وعبد الله بن العباس ومتيمّ .

[شعر ابن الجهم في متيمّ الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم :

[من البسيط]

بني متيمّ هل تدرون ما الخبرُ وكيف يُستَرّ أمرٌ ليس يستَترّ
حاجيتكم من أبوكم يا بنيّ غصَبٍ شتّى ولكنّا للعاهر الحجر¹

1 إشارة إلى الحديث : «الولد للفراس وللعاير الحجر» .

[غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر]

قال : وحدّثني جدّي قال : كلّم عليّ بن هشام متيّم فأجابته جواباً لم يرّضه ، فدفع يده في صدرها ، فغضبت ونهضت ، فتناقلت عن الخروج إليه . فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

فليتَ يدي بانَتْ غداةَ مددَتْها إليك ولم ترّجع بكفٍّ وساعِدِ
فإن يرّجع الرحمنُ ما كان بيننا فلستُ إلى يومِ التّنادي بعائِدِ
غنّته متيّمٌ خفيفَ رملٍ بالنصر .

[خصام بينها وبين عليّ بن هشام]

قال : وعُتبت عليه مرّةً فتمادى عتْبها ، وترضاها فلم ترّضَ ، فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربّ هجر دعا إلى صبر ، وإنّما سُمّي القلبُ قلباً لتقلّبه . ولقد صدق العباسُ بن الأحنف حيث يقول¹ :

ما أُراني إلّا ساهجرُ من لي سَ يراني أقوى على الهجرانِ
قد حدّا بي إلى الجفاء وفائي ما أضُرّ الوفاءَ بالإنسانِ²
قال : فخرجتُ إليه من وقتها ورضيتُ .

[تهدي للهشاميّ نقأ بحبه]

وحَدّثني الهشاميّ قال : كانت متيّمٌ تُحبّني حبّاً شديداً يتجاوز محبةَ الأخت لأخيها ، وكانت تعلم أنّي أحبّ النّبيّ ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإني لأذكرُ في ليلةٍ من الليالي في وقت السّحر إذا أنا بياي يَدَقّ . فقيل : مَنْ هذا ؟ فقالوا : خادمٌ متيّمٌ يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله . فقلتُ : يَدْخُل . فدخل ومعه إلى صينيّة فيها نبيّ ؛ فقال لي : تُقرئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أمير المؤمنين المعتمد بالله فجاءوه بنبيّ من أحسن ما يكون ؛ فقلتُ له : يا سيّدي ، أطلبُ من أمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تَطْلُبُ ما شئتُ . قالت : يُطعمني أميرُ المؤمنين من هذا النّبيّ . فقال لسمانة³ : اجعل من هذا النّبيّ في صينيّة واجعلوها قدّام متيّم ؛ فأخذته وذلّلته لك وقد بعثت به إليك معي ، ثمّ دفعتُ إليّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هذه الدّراهم لكي يَفْتَحُوا الدّروبَ لك حتى تصيرَ به إليه .

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 298 .

2 رواية صدر البيت في الديوان : * ملّني وانقأ بحسن وفائي * .

3 هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة كما في الطبري .

ثم حَدَّثَنَا الهشاميّ قال¹ : بعث عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء ، فأخرج مُتَيِّمَ جاريته إليه ؛ فغَنَّتْ بين يديه :

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قليل الأَصَادِقِ
فاستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تَشْتَرِي مِنِّي هذا الصوتَ ؟ فقال له
عليّ بن هشام : جاريّتي تَصْنَعُ هذا الصوتَ وأُشْتَرِيه منك ؟ قال : قد أخذته الساعة
وأَدْعِيه ، فقول مَنْ يُصَدِّقُ ، قولي أو قولك ! فافتداه منه بِبِرْدُونٍ اختاره له .

[صوت بمائة ألف دينار]

وحَدَّثَنِي الهشاميّ قال : سمع عليّ بن هشام قُدَّامَ المأمون من قَلَمٍ جارية زُبَيْدة صوتاً
عجيباً ، فرشا لَمَن أخرجها من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطُرح
الصوتُ على جواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدَّ عليها ، ولو سألتها أن توجّه به ما
فعلت .

[متيّم في كتاب إسحاق]

وحَدَّثَنِي يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه قال : لما صنعت متيّم اللّحن في
قوله :

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا

أعجب به عليّ بن هشام ، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال : من أين لك هذا ؟ فقال : من
بعض الجوّاري . فقال : إنّه لِعَرِيبٌ ؛ ولم يَزَلْ يَسْتَعِيدُه حتى قال : إنّه لَمُتَيِّمٌ ؛ فأطرق . وكان
متحاملاً على المغنّين شديد النّفاة عليهم كثير الظلم لهم مُسْرِفاً في حَطِّ درجاتهم ، وما رأيته في
غِنائِهِ ذَكَرَ لَعَلّويه ولا مخاريق ولا عمرو بن بانه ولا عبد الله بن عباس ولا محمّد بن الحارث صوتاً
واحداً تَرَفُّعاً عن ذكركم مُنْتَصِيباً² لهم ، وذكر في آخر الكتاب قوله :

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلْعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بَلَدٍ ناءٍ قليل الأَصَادِقِ
وَوَقَّعَ تحته «لُمْتَيِّمٌ» . وذكر آخر كلِّ صوت في الكتاب ونَسَبَ إلى كلِّ مغنٍّ صوته غير
مُخَارِقٍ وَعَلّويه وعمرو بن بانه وعبد الله بن عباس فما ذكركم بشيء .
[أعجبت بها شامك جدّة عليّ بن هشام]

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حَدَّثَنِي ابن المكيّ عن أبيه قال قال لي عليّ ابن هشام :

1 تقدّم هذا الخبر مفصلاً برواية الهشامي أيضاً .

2 منتصباً لهم : مظهر العداوة .

لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى شَاهِكِ جَدَّتِي مِنْ خَرَّاسَانَ ، قَالَتْ : اَعْرِضْ جَوَارِيكَ عَلَيَّ ، فَعَرَضْتُهُنَّ عَلَيْهَا .
ثُمَّ جَلَسْنَا عَلَى الشَّرَابِ ، وَغَتَّيْنَا مُتَيْمٌ . وَأَطَالَتْ جَدَّتِي الْجُلُوسَ فَلَمْ أَنْبَسِطْ إِلَى جَوَارِيٍّ كَمَا
كَنتُ أَفْعَلُ ؛ فَقُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

صوت

أَنْبَقَى عَلَى هَذَا وَأَنْتِ قَرِيْبَةٌ وَقَدْ مَنَعَ الزَّوَارُ بَعْضَ التَّكَلُّمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُودِّعٍ وَلَكِنْ سَلَامٌ مِنْ حَبِيبِ مُتَيْمٍ

وَكُتِبَتْهُمَا فِي رُقْعَةٍ وَرَمِيتُ بِهَا إِلَى مُتَيْمٍ ؛ فَأَخَذَتْهَا وَنَهَضَتْ إِلَى الصَّلَاةِ ، ثُمَّ عَادَتْ وَقَدْ
صَنَعَتْ فِيهِ اللَّحْنَ الَّذِي يُغْنَى فِيهِ الْيَوْمَ ، فَغَنَّتْ . فَقَالَتْ شَاهِكُ : مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ ثَقُلْنَا عَلَيْكُمْ
الْيَوْمَ ؛ وَأَمَرْتُ الْجَوَارِيَّ فَحَمَلْنَ مِخْفَتَهَا ، وَأَمَرْتُ بِجَوَائِزَ لِلْجَوَارِيِّ وَسَاوَتْ بَيْنَهُنَّ ، وَأَمَرْتُ
لِمُتَيْمٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[أَوَّلُ مَنْ عَقَدَ زَنَارًا]

وَأَخْبَرَنِي قَالَ : أَوَّلُ مَنْ عَقَدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي طَرَفِ الْإِزَارِ زَنَارًا وَخِيطَ إِبْرَيْسَمٌ¹ ثُمَّ تَجَعَلَهُ فِي
رَأْسِهَا فَيُثْبِتُ الْإِزَارُ وَلَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَزُولُ مُتَيْمٌ .

[رَثَاؤُهَا مَوْلَاهَا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَحْظَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : مَرَّتْ مُتَيْمٌ فِي نِسْوَةٍ
وَهِيَ مُسْتَخْفِيَةٌ بِقَصْرِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ ، فَلَمَّا رَأَتْ بَابَهُ مُغْلَقًا لَا أَنْيْسَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ
عَلَاهُ التَّرَابُ وَالْعُبْرَةُ ، وَطَرَحَتْ فِي أَفْنِيَّتِهِ الْمَزَابِلُ ، وَقَفَتْ عَلَيْهِ وَتَمَثَّلَتْ : [مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

يَا مَنْزِلًا لَمْ تَبَلْ أَطْلَالُهُ حَاشَا لِأَطْلَالِكَ أَنْ تَبْلَى
لَمْ أَبْلِكْ أَطْلَالَكَ لَكُنْتِي بَكَيْتُ عَيْشِي فِيكَ إِذْ وَلَّيْ
قَدْ كَانَ لِي فِيكَ هَوًى مَرَّةً غَيْبَهُ التَّرْبُ وَمَا مُلَأَ
فَصَرْتُ أَبْكِي جَاهِدًا فَقَدَهُ عِنْدَ أَذْكَارِي حَيْثُمَا حَلَا
فَالْعَيْشُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ الْفَتَى لَا بَدَّ لِلْمَحْزُونِ أَنْ يَسْلَى

فيه رمل بالوسطى لابن جامع . قال : ثم بكت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النسوة يُناشدنها وَيَقْلَنَ : الله الله في نفسك ! فَإِنَّكَ تُؤْخِذِينَ الْآنَ ، فبعد لأيٍ ما حُمِلَتْ تَتَهَادَى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع .

[أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها]

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّرِيِّ : حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن الحسن عن عبد الله بن العباس الرُّبَيْعِيِّ قال : قالت لي متيمٌ : بعث إليَّ المعتصمُ بعد قدومه بغداد ، فذهبتُ إليه ، فأمرني بالغناء فغنيتُ : [من المجتث]

هل مُسَعِّدٌ لبكاءٍ بعبرةٍ أو دماءٍ

فقال : اغلبي عن هذا البيت إلى غيره ؛ فغنيتُ غيره من معناه ؛ فدمعت عيناه وقال : غنيَّ غيرَ هذا . فغنيتُ في لحني :

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا وإلاَّ تَذْرِفُ العينُ أَكْمَدِ
فبكى وقال : وَيَجِدُكَ لَا تُغْنِيَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئاً أَلْبَتَّةَ . فغنيتُ في لحني¹ : [من البسيط]

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَابِيَا تَغْشَى كُلَّ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ هَوْنًا غَيْرَ مَكْتَرٍ فَسَوْفَ يَأْتِيكَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي²
فقال : والله لولا أنَّي أعلمُ أنَّكَ إِنَّمَا غَنَيْتَ بِمَا فِي قَلْبِكَ لَصَاحِبِكَ وَأَنَّكَ لَمْ تُرِيدَنِي لَمَثَلْتُ بِكَ ؛ وَلَكِنْ خَذُوا بِيَدِهَا فَأَخْرِجُوهَا ، فَأَخَذُوا بِيَدِي فَأَخْرَجْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من المجتث]

هل مُسَعِّدٌ لبكاءٍ بعبرةٍ أو دماءٍ
وذا لفقد خليلٍ لسادَةٍ نُجَبَاءِ

الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون . والغناء لمتيم . ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى .

1 رواية البيهقي في اللسان :

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَابِيَا تَوَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ حَتَّى تَلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

2 يعني لك الماني : يقدر لك المقدَّر .

منها :

* ذهبْتُ من الدُّنيا وقد ذهبْتُ منِّي¹ *

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره ، وشُرِّحتْ أخبارُهُ فيه . ولحنه
رملٌ بالوسطى .

[من الطويل]

ومنها :

صوت

أولئكَ قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانُوا وإلاَّ تَذْرِفِ العَيْنُ أَكْمَدِ
وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبليّ وغنياً فيه من مرثيئيهما في بني أمية .
ولحنٌ متيمٌ هذا الذي غنّت فيه المعتصمُ ثاني ثقل بالوسطى .

[من البسيط]

ومنها :

صوت

* لا تأمّن الموتَ في حلٍّ وفي حرَمٍ *

ذكر الهشاميُّ أنه ممّا وجدّه من غناء متيمٍ ، غير أنّ لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على
شرح إن شاء الله تعالى ، وإنما ولّهُتُ صوتاً تولّعتُ به وغلّته فنسبه إليها .

[..... أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من إنسان مدني فيه صوتين
فأشتهيها منهما فأخذتهما بحضرتي ، ثم سمعتُ . . . بيتين هما لها أحدهما :

[من السريع]

يا منزلاً لم تبلَ أطلالهُ حاشا لأطلالِكَ أن تبلى
لم أبكِ أطلالِكَ لكنني بكيتُ عيشي فيكَ إذ ولّى

والآخر :

أمسح الربع بخديّ إذ مشى فيه الخليلُ
وعلى مثلك يبكي أيُّها الربعُ المحيلُ
عرفتُ عيني الطلول فلها دمعي يسيلُ
وبكتُ لي إذ رأتني خالياً فيها أجولُ²

1 لم يذكر هذا الصوت فيما تقدّم .

2 ما بين معكوفين زيادة من ل . وما زال الخبر ناقصاً من أوله .

[تغني نفسها]

وأخبرني قال : كنّا في مجلسنا نياماً . فلما كان مع الفجر إذا متيمٌ قد دخلت علينا وقالت : أطعموني شيئاً ؛ فأخرجوا إليها شيئاً تأكله ، فأكلت ، ودعت بنبيذٍ وابتدأت الشرب ، ودعت بعودٍ فاندفعت تغني لنفسها وتشرب . وكان مما غنت : [من البسيط]

كيف الثوّاء بأرض لا أراك بها يا أكثرَ الناس عندي منّةً ويدا
خفيف رمل . وقال : ما رأيتُ أحداً من المُغنين والمغنيات إذا غنّوا لأنفسهم يكادون
يغنون إلا خفيف رمل .
[نوحها على سيدها]

وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال : لما أضيئنا بعلي بن هشام ، جاء النوائح ، فطرح بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحاً من نوح متيم ، وكان حسناً جيداً ، فأبطأ نوح النوائح اللاتي جئن لحسنه وجودته . وكانت زين حاضرةً فاستحسنته جداً ، وقالت : رضي الله عنك يا متيم ! كنت علماً في السرور ، وأنت علم في المصائب .
وأخبرني قال : إني لأذكر من بعض نوحها : [من الخفيف]

لعلي وأحمد وحسين ثم نصر وقبله للخليل

هزج .

[أرسلت لها مؤسسة هدية يوم حجاتها]

قال ابن المعتز : وأخبرني الهشامي قال : وجهت مؤسسةً جاريةً المأمون إلى متيم جارية علي بن هشام في يومٍ احتجمت فيه مخنقة¹ في وسطها حبة² لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمردات وما بينها من شذور الذهب ، وباقي المخنقة قد طيب بغالية .

وأخبرني قال : كانت متيمٌ يعجبها البنفسج جداً ، وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب ، حتى إنها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه إلا كما قُطِف من البستان .
[عرس في الجنة]

وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة : أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لما مات متيم وإبراهيم بن المهدي وبذل : يا سيدي ، أظن أنّ في الجنة عرساً ، فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره . فلما كان بعد أيام ، وقع حريق في حجرة هذه القائلة

1 المخنقة : القلادة .

2 ل : حبة خندارة ، والخندارة : الحديقة .

فاحترق كلُّ ما تملكه . وسجع المعتصمُ الجَلْبَةَ فقال : ما هذا ؟ فأخبر عنه ؛ فدعا بها فقال : ما قصُّتُك ؟ فبكت وقالت : يا سيدي ، احترق كلُّ ما أملكه . فقال : لا تجزعي ، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحابُ ذلك العرس .
[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذكرتُ في متقدِّم أخبار متيِّم أنَّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّيناريُّ قال حدَّثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدَّثني أبي قال : قال المأمون لمُتَيِّم جارية علي بن هشام : أجيزي لي هذين البيتين :

تعالِيْ تكون الكُتُبُ بيني وبينكم ملاحظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسُلي بحاجاتي وهنَّ كثيرةٌ إليك إشاراتٌ بها وزفيرُ

صوت

من المائة المختارة¹

[من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طرفها مرضَ قَتَلْنَا ثم لم يُخَيِّن قَتَلْنَا
يَصْرَعْنَ ذا اللَّبِّ حتى لا حَرَكَ له وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أَرْكَنا
عروضه من البسيط . والشعر لجري . والغناء لابن مُحرَّز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ آخرُ تَغْنِي فيها الحانٌ سوى هذا اللحن ، منها قوله :

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

أَتَبِعْتُهُمْ مقلَّةً إنسانُها غَرِقَ هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا
إنَّ العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قَتَلْنَا ثم لم يُخَيِّن قَتَلْنَا
[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ] أوَّلُ مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 من قصيدة جري التي مطلعها (ديوان جري ص 490 ط . صادر) :

بَانَ الخليط ولو طوعتَ ما بانَا وقطعوا من جبال الوصل أقرانا

ومنها أيضاً :

[من البسيط]

صوت

بَانَ الْأَخِلَاءُ وَمَا وَدَّعْتُ مَنْ بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَرْكَانَا
 أَصْبَحْتُ لَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِمْ يَدَلًّا بِالذَّارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانِ جِيرَانَا
 وَصَرْتُ مَذَّعُ الْأُظْعَانِ ذَا طَرَبٍ مَرُوعًا مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مِخْرَانَا
 فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ وَالثَّالِثِ مِنَ الْأَيَّاتِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ . وَفِيهَا لِلْغَرِيضِ ثَانِي ثَقِيلُ
 بِالْبَنْصَرِ ، مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ وَالْهَشَامِيِّ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ،
 وَلابْنِ سَرَجَسٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ وَبَعْدَهُمَا :

أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقٌ

رَمَلٌ بِالْوَسْطَى . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لَابْنَ مُحْرَزٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِيِ بَعْدَهُمَا «أَتَبَعْتُهُمْ مَقْلَةً» لِحَنَّا
 مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ ، وَذَكَرَ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ .

* * * *

الفهرس

- [99] - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه 5
- [100] - ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبه 65
- [101] - أخبار أبي كامل 69
- [102] - أخبار يزيد بن ضبة ونسبه 72
- [103] - أخبار إسماعيل بن الهريذ 79
- [104] - نسب نابغة بني شيبان 81
- [105] - أخبار أبي دهبّل ونسبه 87
- [106] - أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه 111
- [107] - أخبار أبي زكّار الأعمى 175
- [108] - أخبار السيّد الحِميريّ 177
- 109 - [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة] 212
- [110] - ذكر مُتَيِّم الهشاميّة وبعض أخبارها 222

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 7

DAR SADER
Beirut

کتابُ الْإِعَازِیِّ

8

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

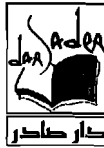
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AQHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[111] - نسب جرير¹ وأخباره

[نسبه]

جرير بن عطية بن الخطفي . والخطفي لقب ، واسمه خديفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى أبا حزره . ولقب الخطفي لقوله : [من الرجز]

يَرَفَعَنَّ لِلَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَقَ جِنَانٍ وَهَاماً رُجُفَا²
وَعَنَقاً بَعْدَ الْكَلَالِ خَيْطَفَا

ويروى : خطفي .

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً . ومختلف في أيهم المتقدم ؛ ولم يبقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون ؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره . وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس نجره³ من نجار هذين في شيء ؛ وله أخبار مفردة عنهما⁴ ستذكر بعد هذا مع ما يُغني عن شعره .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمحي قال حدثنا محمد بن سلام الجُمحي ، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السُكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ وإبراهيم بن سعدان عن أبيه جميعاً عن أبي عبيدة مَعمر بن المثني ، بنسب جرير على ما ذكرته وسائر ما ذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سلام . قالوا جميعاً : وأم جرير أم قيس بنت مُعَيْد بن عُمر بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع . وأم عطية النوار بنت يزيد بن عبد العزى بن

1 انظر أخباره في : طبقات ابن سلام 75/1 والحبر 146 ، 340 والشعر والشعراء 464/1-470 ، والطبري ومعجم البلدان وابن الأثير 164/1 ، 165 ، 155/5 ووفيات الأعيان 321/1 وتاريخ الإسلام 95/4 ورمّة الجنان 334/1 والنجوم الزاهرة 211/1 وشرح شواهد المغني 45/1 ؛ 762/2 ومعاهد التنصيص 262/2 والشذرات 140/1 وخزانة الأدب 75/1 وبروكلمان 215/1 والأعلام 11/2 .

2 أسدف الليل : أظلم . الجنان : جنس من الحيات .

3 النجر والنجار : الأصل والحسب .

4 في ل : معهما .

مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب .

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عنه : اتفقت العرب على أنّ أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمد بن سلام : والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخراهم ، والمخالف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونس يقول : ما شهدتُ مشهداً قطّ قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فرزدقيّاً .

قال ابن سلام : وقال ابن داب : الفرزدق أشعرُ عامّةٍ وجرير أشعرُ خاصّةٍ . وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجُّ مَنْ قدّم جريراً بأنّه كان أكثرهم فنونَ شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً ، وكان ديناً عفيفاً . وقال عامر بن عبد الملك : جرير كان أشبههما وأنسبهما . ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ : قال خالد بن كلثوم : ما رأيتُ أشعرَ من جرير والفرزدق ؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين ، قال : [من الطويل]

عجبتُ لعجلٍ إذ تُهاجِي عبيدها كما آلَ يرثوعٍ هَجَوْا آلَ دارِمِ

يعني بعبيدها بني حنيفة . وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة : [من الكامل]

إنَّ الفرزدق والبَعيثَ وأُمَّه وأبَا البَعيثَ لشرٍّ ما إِستارِ¹

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنَّ شاعرٌ شاعراً قبلي ، قلتُ :

من الأصلاب يَنْزِلُ لوُمُ تَيْمٍ وفي الأرحام يُخلَقُ والمَشِيمِ

وقال محمد بن سلام : قال العلاء بن جرير العنبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَيْتٌ² ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَيْتاً ، وجرير يجيء سابقاً ومُصليّاً وسُكَيْتاً . قال محمد بن سلام : ورأيتُ أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته ، فقلت له : أيُّهما عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومديحٌ وهجاءٌ ونسيبٌ ، وفي كلّها غلب جرير ؛ قال في الفخر :

إذا غَضِيتُ عليكَ بنو تَمِيمٍ حَسِيتَ الناسَ كلّهمُ غَضابا

والمديح :

[من الوافر]

1 الإستار : من العدد : الأربعة .

2 سكيت : الذي يجيء آخر الخيل في السباق .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
والهيجاء : [من الوافر]

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
والنَّسِيبِ : [من البسيط]

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنْ قَتْلَانَا¹
قال أبو عبد الله محمد بن سلام : وبيتُ النَّسِيبِ عندي : [من الطويل]
فَلَمَّا التَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

[جرير وطبقته من الشعراء]

قال كَيْسَانُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَوْجَعَكُمْ (يعني في الهجاء) . فقال : يَا أَهْمَقُ ! أَوَذَاكَ يَمْنَعُهُ أَنْ
يَكُونَ شَاعِرًا ! .

[فضله عبدة بن هلال على الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شُبَّة قال قال أبو عُبَيْدَةَ ، وأخبرنا أبو
خَلِيفَةَ قال حدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني أَبَانُ بن عثمان الْبَلْخِيُّ قال : تنازع في
جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلب ، فارتفعا إليه وسألاه ؛ فقال : لا أقول بينهما شيئاً
ولكنِّي أدُلُّكما على مَنْ يَهُونُ عليه سُخْطُهُما : عُبَيْدَةُ² بن هِلَال الْيَشْكُرِيُّ ، وكان يلزاه مع
قَطْرِي³ وبينهما نهر . وقال عمر بن شُبَّة : في هؤلاء الخوارج من تَهُونُ عليه سِيَالُ كُلِّ وَاحِدٍ
منهما ، فَأَمَّا أَنَا فَمَا كُنْتُ لِأُعْرِضَ نفسي لهما . فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم
الخوارج ؛ فبَدَرَ من الصفِّ ثم دعا بعُبَيْدَةَ بن هلال للمبارزة فخرج إليه . فقال : إِنِّي أَسْأَلُكَ
عن شيء تحاكمنا إليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فَأَيُّ الرجلين عندك
أَشْعَرُ : أَجَرِيْرٌ أَمْ الْفَرَزْدَقُ ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق ؛ أُمثلي يُسأل عن هذين
الكلين ! قالوا : لا بدَّ من حكمك . قال : فَأِنِّي أَسْأَلُكُمْ قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ .
قال : ما تقولون في إمامكم إذا فَجَرَ ؟ قالوا : نطيعه وإن عصى الله عزَّ وجلَّ . قال : قَبِّحْكم
الله ؛ فما تقولون في كتاب الله وأحكامه ؟ قالوا : نُنِيزُهُ وراءَ ظهورنا ونُعْطِلُ أحكامه . قال :
لعنكم الله إذا ؛ فما تقولون في اليتيم ؟ قالوا : نَأْكُلُ ماله وننيك أمه . قال : أَخْرَأْكم الله إذا ؛
والله لقد زِدْتُمُونِي فيكم بَصِيرَةً . ثم ذهب لينصرف ؛ فقالوا له : إِنَّ الْوَفَاءَ يَلْزِمُكَ ، وقد

1 في الديوان : مرض 163/1 .

2 أحد زعماء الخوارج .

3 هو قطري بن العجاءة .

سَأَلْتَنَا فَأَخْبِرْنَاكَ وَلَمْ تُخْبِرْنَا ، فَرَجَعَ فَقَالَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ : [من الكامل]

إِنَّا لَنَذْعَرُ يَا فَقِيرُ عَدَوْنَا بالخيل لاحِقَةَ الْأَيَاطِلِ قُودَا
وَتَحُوطُ حَوَزَتَنَا وَتَحْمِي سَرَحَنَا جُرْدٌ تَرَى لُمُغَارَهَا أُخْدُودَا¹
أُجْرَى قَلَائِدْهَا وَقَدَّدَ لَحْمَهَا أَلَّا يَذُقْنَ مَعَ الشَّكَاثِمِ عُودَا
وَطَوَى الْقِيَادُ مَعَ الطَّرَادِ مُتُونَهَا طَيَّ التَّجَارَ بِحَضْرَةِ بُرُودَا²

قالا : جريرٌ ، قال : فهو ذاك ، فانصرفا .

[حديث الأصمعي وغيره عنه]

أَخْبِرَنِي عَمَّ أَبِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَذَكَرَ جَرِيرًا فَقَالَ : كَانَ يَنْهَشُهُ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ شَاعِرًا فَيَنْبِذُهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيُرْمِي بِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَنْفَعُهُ³ فِيرْمِي بِهِ ، وَثَبَّتَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ . وَقَالَ جَرِيرٌ : وَاللَّهِ مَا يَهْجُونِي الْأَخْطَلُ وَحَدَّهْ وَإِنَّهُ لِيَهْجُونِي مَعَهُ خَمْسُونَ شَاعِرًا كُلُّهُمْ عَزِيزٌ لَيْسَ بَدُونُ الْأَخْطَلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ هَجَائِي جَمَعَهُمْ عَلَى شَرَابٍ ، فَيَقُولُ هَذَا بَيْتًا وَهَذَا بَيْتًا ، وَيَتَحَلَّ هُوَ الْقَصِيدَةَ بَعْدَ أَنْ يُتِمِّمُوهَا .

قال ابن سلام : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْبَيْدَاءِ الرَّيَاحِيُّ قَالَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ : إِنِّي وَإِيَّاهُ لَنَعْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ وَاحِدٍ وَتَضْطَرِبُ دِلَاوُهُ عِنْدَ طَوْلِ النَّهْرِ .

أَخْبِرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَنَافِيُّ قَالَ : كَانَ جَرِيرٌ مَبْدَانَ الشَّعْرِ ، مَنْ لَمْ يَجِرْ فِيهِ لَمْ يَرَوْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ مَنْ هَاجَى جَرِيرًا فَغَلَبَهُ جَرِيرٌ أَرْجَحَ عَنْدهم مِمَّنْ هَاجَى شَاعِرًا آخَرَ غَيْرَ جَرِيرٍ فَغَلَبَ .

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : تَذَاكَرُوا جَرِيرًا وَالْفَرَزْدَقُ فِي حَلْقَةِ يُونُسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَخَلَفَ الْأَحْمَرُ وَمِسْمَعٌ وَعَامِرُ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُسَمِّعِيَّ ، فَسَمِعْتُ عَامِرًا وَهُوَ شَيْخٌ بِكَرْبَنٍ وَائِلٌ يَقُولُ : كَانَ جَرِيرٌ وَاللَّهِ أَنْسَبُهُمَا وَأُسَبَّهُمَا وَأَشَبَّهُمَا . [سمع الراعي شعره فَأَقَرَّ بِأَنَّهُ جَدِيرٌ بِالسَّبِقِ]

قال ابن سلام : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْبَيْدَاءِ قَالَ : مَرَّ رَاكِبٌ بِالرَّاعِي وَهُوَ يَغْنِي بَيْتَيْنِ لَجَرِيرٍ ، وَهُمَا :

[من الطويل]

1 المغار : الإغارة .

2 القياد في الديوان : الطراد 339/1 .

3 نفحه بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

وعاوي عوى من غير شيء رميته بقارعة أنفاذها تقطُر الدما
خروج بأفواه الرؤاة كأنها قرا هندوايني إذا هز صمما
فاتبعه الراعي رسولا يسأله لمن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميع
الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئا . ثم قال لمن حضر : ويحكم الألام على أن يغلبني مثل هذا !
[رأي بشار فيه وفي صاحبيه وراثوه ابنه]

قال ابن سلام : وسألت بشاراً المرعث : أي الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما
ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضروب من الشعر
لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير . فقلت لبشار :
وأي شيء لجرير من المراثي إلا التي رثي بها امرأته ! فأنشدني لجرير يرثي ابنه سودة ومات
بالشام :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم
فارقنتني حين كف الدهر من بصري
أمسى سودة يجلو مقلتي لحيم
قد كنت أعرفه مني إذا غلقت
إن الثوي بذي الزيتون فاحتسبي
إلا تكن لك بالديرين معولة
كأم بو عجول عند معهده
حتى إذا عرفت أن لا حياة به
زادت على وجدها وجداً وإن رجعت
أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قعنب بن المخرز الباهلي عن المغيرة بن حنساء وعمارة بن
عقيل قالا : خرج جرير إلى دمشق يوم الوليد ، فمرض ابن له يقال له سودة ، وكان به معجبا ،
فمات بالشام ، فجزع عليه وراثه جرير فقال :

أودى سودة يجلو مقلتي لحيم باز يصرصر فوق المريا العالي

1 أمسى في الديوان : لكن 2 : 584 . اللحم : البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيها .

2 الغالي : الرامي بالسهم .

3 معولة في الديوان باكية 584/2 .

4 زادت في الديوان : زدنا 584/2 .

[حديث الفرزدق عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدثني أبو نصر اليشكري عن مولى لبني هاشم قال : أمتري أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألتني عن شيء حتى قال : يا نوار ، أدركت برزيتك ؟ قالت : قد فعلت أو كادت . قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحماً ، ففعلت . وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل . ثم قال : هاتي برزيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني . ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ؛ قال : أعن ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى قلت : انشقت حيازيمه¹ ، ثم قال : قاتله الله ! فما أحسن ناحيته وأشد قافيته ! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابجاً وعند الجراء قارحاً ، وقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس : [من الوافر]

إذا غضبت عليك بنو تميم حسيت الناس كلهم غضابا

[أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة ، قالا : نزل الفرزدق على الأحوص حين قديم المدينة . فقال الأحوص : ما تشتهي ؟ قال : شواء وطلاء² وغناء . قال : ذلك لك ؛ ومضى به إلى قينة بالمدينة ؛ فغنته :

صوت

ألا حي الديار بسعد إني أحبُّ لحب فاطمة الديار³
إذا ما حلَّ أهلك يا سلمي بدارة صلصل شخطوا مزارا⁴
أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدغ قلبي فاستطارا

غناه ابن مخرز خفيف ثقل أول بالنصر . فقال الفرزدق : ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ! قال : أو ما تدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجرير يهجوكم به .

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن .

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 سعد : موضع بنجد .

4 دارة صلصل : لعمر بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد .

فقال : وَيْلُ ابْنِ الْمَرَاغَةِ ! ما كان أَخُوْجَه مع عفافه إلى صلابه شعري ، وَأَخُوْجَنِي مع شَهَوَاتِي إلى رَقَّة شعره ! .

[قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال [قال] إسحاق بن يحيى بن طلحة : قديم علينا جرير المدينة فحشدنا له . فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف . فأقبل جرير علينا وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . قال : هذا الخبيث ابن الطيب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلت :

يَقْرُ بَعَيْنِي مَا يَقْرُ بَعَيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
فإنه يَقْرُ بَعَيْنَهَا أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أَفَيَقْرُ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يُرمي بالأبنة ، فأنصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب ؛ فأقبل أشعب يسأله ؛ فقال له جرير : والله إنك لأتبعهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً ، وقد أبرمتني . فقال : أنا والله أنفعهم لك . فانتبه جرير فقال : كيف ؟ قال : إني لأملح شعرك ؛ واندفع يغنيه قوله :

صوت

يا أختَ ناجيةَ السَّلامِ عليكمُ قبلَ الفراقِ وقبلَ لَومِ العُدُلِ¹
لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدكم يومَ الفراقِ فعلتُ ما لم أفعل²
قال : فادناه جرير منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريباً منه ؛ ثم قال : أَجَلُ ! والله إنك لأنفعهم لي وأحسنهم تزييناً لشعري ، أعِدْ ؛ فأعاده عليه وجرير يكي حتى اخضلت لحيته ، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه وكساه حلّة من حُللِ الملوك . وكان يُرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جرير شعره فيغني فيه . قال : وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً . قال حماد : والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج .

[وفد على الحكم بن أيوب فبعث به إلى الحجاج فحدثه عن معارضيه من الشعراء]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِي عن الرِّياشي عن الأصمعي قال وذكر

1 أخت في الديوان : أم 939/2 . الفراق في الديوان : الرواح 939/2 .

2 الفراق في الديوان : الرحيل 939/2 .

المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْنَن ، وذكر ذلك هشامُ بن الكلبيّ قال حدثني النهشليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل قال حدثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطّفيّ ، وأمّه الرّبداء بنتُ جرير . وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقض جريراً أو اعتن¹ بينه وبين الفرزدق وغيره ، فذكرته هاهنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار : أنّ جريراً قديم الكوفة على الحكم بن أيّوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عُقيل ، وهو خليفة للحجاج يومئذٍ ، فمدحه جرير فقال : [من الرجز]

أقبلتُ من نُهْلانٍ أو جَنَيْي حَيْمٍ على قِلاصٍ مثل خيطانٍ السِّلَمِ²

نُهْلانٌ : جبلٌ كان لباهلة ثم غلبت عليه نُمَيْرٌ . وخَيْمٌ : جبلٌ يُناوِحه من طَرَفِهِ الأقصى فيما بين رُكْنَيْه الأقصى وبين مَطْلِعِ الشمس ، به ماء ونخل :

قد طُوِيَتْ بطونها طَيَّ الأَدَمِ يَبْحَثُنَ بَحْثاً كَمُضَلَّاتِ الخَدَمِ

إذا قَطَعْنَ عِلْماً بدا عِلْمٌ حتى تناهَيْنَ إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم في مَقْعِدِ العِزِّ وبُؤْسِ الكَرَمِ³

بعد انفضاج البُذْنِ واللحمِ زَيْمٌ⁴

فلما قديم عليه استنطقه فأعجبه ظَرَفُهُ وشعره ؛ فكتب إلى الحجاج : إنه قديم عليّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين . فكتب إليه أن ابعث به إليّ ، ففعل . فقديم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبةً صَبْرِيَّةً⁵ وأنزله فمكث أياماً . ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا : أجب الأمير ؛ فقال : ألبس ثيابي ؟ فقالوا : لا ، والله لقد أمرنا أن تأتيه بك على الحال التي نجدك عليها ؛ ففزع جرير وعليه قميصٌ غليظ وملاءة صفراء . فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال : لا بأس عليك ، إنّما دَعَاكَ للحديث . قال جرير : فلما دخلتُ عليه قال : إيه يا عدوّ الله ؛ علامَ تشتمُ الناسَ وتظلمُهم ؟ فقلتُ : جعلني الله فداء الأمير ، والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلموني فأتصر . ما لي ولابنِ أُمِّ غَسَّانٍ ؟ وما لي وللبَيْعِثِ ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي ولالأخطل ! وما لي وللتَيْمِيّ ! حتى عدّدهم واحداً واحداً . فقال الحجاج : ما أذري مالك

1 اعتنّ بينه وبينه : اعترض .

2 الشطر الأول في الديوان : أقبلن من جَنَيْي فتاخ وإضمّ ، 512/1 .

3 معقد : موضع العقد .

4 الانفضاج : السَّمْن والضخم ، والزيم : المتفرّق على رؤوس الأعضاء .

5 صبرية : نسبة إلى صبر وهو الجبل الشامخ المطلّ على قلعة تذر .

ولهم ؟ قال : أَخْبِرُ الْأَمِيرَ أَعَزَّهُ اللَّهُ : أَمَّا غَسَّانُ بْنُ ذُهَيْلٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي هِجَابِي وَهَجَا عَشِيرَتِي وَكَانَ شَاعِراً . قال : فَقَالَ لَكَ مَاذَا ؟ قال : قال لي :

لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ بَجِيلَةً زَانَهَا
رَمَيْتَ نِضَالاً عَنْ كُلَيْبٍ فَقَصَّرْتُ
طَوِيلٌ تَنَاجِيَهَا صِغَارٌ قُدُورُهَا
قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ سَلِيطٍ أَلَمْ تَجِدْ
فَقَدْ ضَمَّنُوا الْأَحْسَابَ صَاحِبَ سَوْءَةٍ
كَأَنَّ سَلِيطاً فِي جَوَاشِيهَا الْخُصَى
أَضِجُوا الرُّوَايَا بِالْمَزَادِ فَإِنَّكُمْ
كَأَنَّ السَّلِيطِيَّاتِ مَجْنَأٌ كَمَاءٌ
عَضَارِيطُ يَشْتَوُونَ الْفَرَاسِينَ بِالضُّحَى
فَمَا فِي سَلِيطٍ فَارَسٌ ذُو حَفِيفَةٍ
عَجِبْتُ مِنَ الدَّاعِي جُحِيشاً وَصَائِداً
سَلِيطٌ سِوَى غَسَّانَ جَاراً يُجِيرُهَا³
يُنَاجِي بِهَا نَفْساً خَبِثاً ضَمِيرُهَا
إِذَا حَلَّ بَيْنَ الْأَمْلَحِينَ وَقِيرُهَا⁴
سُتُكْفُونُ رَكْضَ الْخَيْلِ تَدْمَى نَحْوُهَا
لَأَوَّلِ جَانٍ بِالْعَصَا يَسْتَشِيرُهَا⁵
إِذَا مَا السَّرَايَا حَثَّ رَكْضاً مُغِيرُهَا⁶
وَمَعْقَلُهَا يَوْمَ الْهِجَا جُعُورُهَا
وَعَيْسَاءُ يَسْعَى بِالْعِلَابِ نَفِيرُهَا⁷

قال : ثم مَنْ ؟ قال : الْبَعِيثُ . قال : ما لك وله ؟ قال : اعترض دون ابنِ أُمِّ غَسَّانٍ يَفْضُلُهُ عَلَيَّ وَيُعِينُهُ . قال : فما قال لك ؟ قال قال لي :

كُلَيْبٌ لِنَاظِمٍ قَدْ تَعَلَّمُونَهُ
أَتَرْجُو كُلَيْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا
أَنْتَ إِذَا عُدْتُ كُلَيْبٌ لثِمُّهَا
بَخِيرٌ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْبٌ قَدِيمُهَا
قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

[من الطويل]

1 جرير بن عبد الله البجلي كان من أفاضل الكوفة ، توفي سنة 51 هجرية .

2 الجفير : جعية السهام .

3 سليط : قبيلة غسان بن ذهيل .

4 الجواشن : الصدور . وفي جواشنها الخصى أي هي عظام الصدور . والأملاحان : ماءان ، ويقال هما جبلان لبني سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ولا تسمى الغنم وقيراً إلا بحمرها .

5 السليطيات مجناة في الديوان : السليطيين أنقاض ، 893/2 .

6 العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط ، والفراسن : أخفاف الإبل واحدها فرسن .

7 يسعي بالعلاب نفيرها في ل : يدعي بالفلاة نصيرها .

أَلَمْ تَرَ أَنِّي قَدْ رَمَيْتُ ابْنَ فَرْتَنِي بِصَمَاءَ لَا يَرْجُو الْحَيَاةَ أَمِيمُهَا¹
 لَهُ أُمُّ سَوْءٍ بئسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُ إِذَا فَرَطُ الْأَحْسَابِ عُدَّ قَدِيمُهَا²
 قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : الْفَرَزْدَقُ . قَالَ : وَمَا لَكَ وَلَهُ ؟ قُلْتُ : أَعَانَ الْبَيْثَ عَلَيَّ . قَالَ : فَمَا
 قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ :

تَمَنَّى رَجُلًا مِنْ تَمِيمٍ لِي الرَّدَى وَمَا ذَاذَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ذَائِدٌ مِثْلِي
 كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَوَاطِنِي وَقَدْ جَرَّبُوا أَنِّي أَنَا السَّابِقُ الْمُبْلِي
 فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ جِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي³

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : الْأَخْطَلُ . قَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ قُلْتُ : رَشَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ
 عَطَارٍ زَقَاً مِنْ خَمْرٍ وَكَسَاهُ حُلَّةً عَلَى أَنْ يَفْضَلَ عَلَيَّ الْفَرَزْدَقَ وَيَهْجُونِي . قَالَ : فَمَا قَالَ
 لَكَ ؟ قَالَ قَالَ :

إِحْسَاً إِلَيْكَ كَلِيبُ إِنَّ مُجَاشِعاً وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخَوَانِ
 وَإِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ كَانَ لِدَارِمٍ جُمَاتُهُ وَسُهُولَةُ الْأَعْطَانِ
 وَإِذَا قَذَفْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ

قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ :

يَا ذَا الْعِبَاءَةِ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حَكُومَةُ النَّشْوَانِ
 فَذَعُّوا الْحَكُومَةَ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ الْحَكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ
 قَتَلُوا كَلِيبَكُمْ بِلِقْحَةٍ جَارِهِمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُ بِبَهْجَانِ⁴

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : عُمَرُ بْنُ لَجَأَ التَّيْمِيِّ . قَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ بَيْتًا مِنْ شِعْرِ
 فَقَبَّحَهُ وَقَالَهُ عَلَى غَيْرِ مَا قُلْتُهُ ؛ قُلْتُ :

لَقَوْمِي أَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ وَالنَّقْعُ سَابِغُ⁵

1 الفرثي : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس .

2 فرط الأحساب : يعني أوائلها . فرط في الديوان : فارط ، 987/2 .

3 قبلي في ل : قتلي .

4 الهجان : البيض الكرام . يشير إلى كليب بن ربيعة ومقتله .

5 للحقيقة في الديوان : في الحقيقة ، 924/2 .

وَأَوْتَقُ عِنْدَ الْمُرْهَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السِّيفَ لَامِعٌ¹

فَزَعَمَ أَنِّي قُلْتُ : [من الطويل]

وَأَوْتَقُ عِنْدَ الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السِّيفَ لَامِعٌ

فَقَالَ : لِحِقْتُهُنَّ عِنْدَ الْعَشِيِّ وَقَدْ أُخِذْنَ غُدُوَّةً ، وَاللَّهِ مَا يُمَسِّينَ حَتَّى يُفْضَخْنَ . قَالَ : فَمَا

قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : [من البسيط]

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيَّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُوقِعُنْكُمْ فِي سَوَاءٍ عَمَرُ

خَلَّ الطَّرِيقَ لَمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ وَابْرُزْ بَبْرَزةً حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ²

حَتَّى أَتَى عَلَى الشَّعْرِ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ . قَالَ : مَا لَكَ

وَلَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : لَا شَيْءَ ، حَمَلَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ وَأَكْرَهَهُ عَلَى هَجَائِي ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولًا

وَأَمَرَنِي أَنْ أُجِيبَهُ . قَالَ : فَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ قَالَ : [من الكامل]

إِنَّ الْفَرْزَدَقَ بَرَزْتَ أَعْرَاقَهُ عَفَوًا وَغُودِرَ فِي الْغُبَارِ جَرِيرُ

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُحَرَّمٍ قَعَدْتُ بِهِ مَسَاعِيهِ إِنَّ اللَّيْمَ عَثُورُ³

هَذَا قَضَاءُ الْبَارِقِيِّ وَإِنَّهُ بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِكُمْ لَبَصِيرُ

قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : [من الكامل]

يَا بَشْرُ حَقَّ لَوَجْهَكَ التَّبْشِيرُ هَلَّا غَضِيتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ

بَشْرُ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِيرُ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ

إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ ابْنُهَا وَابْنُ اللَّيْمَةِ لِلْثَامِ نَصُورُ

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبُّ جَرِيرُ

وَكَسَحَتْ بِاسْتِكَ لِلْفَخَّارِ وَبَارِقُ شَيْخَانِ أَعْمَى مُقْعَسِدٌ وَكَسِيرُ⁴

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : الْبَلْتَعُ وَهُوَ الْمُسْتَنْبِرُ بْنُ سَبْرَةَ الْعَبْرِيُّ . قَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ قُلْتُ :

أَعَانَ عَلِيَّ ابْنَ لَجَأٍ . قَالَ : فَمَا قَالَ لَكَ ؟ قُلْتُ قَالَ : [من الكامل]

إِنَّ الَّتِي رَيْتُكَ لَمَّا طَلَّقْتَ قَعَدْتُ عَلَى جَحْشِ الْمَرَاغَةِ تَمَرُّغُ

1 اللامع : المشير بالسيف منذراً .

2 برزة : اسم أم عمرو بن لجأ .

3 محمر : اللقيم .

4 وكسحت في الديوان : أكسحت . كسير في الديوان : فقير ، 368/1 .

[أَتَعِيبُ مَنْ رَضِيتُ قَرِيشُ صِهْرَهُ وَأَبُوكَ عَبْدٌ بِالْخَوَزَنِيِّ أَذْلَغُ]¹

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

فما مستنيرُ الخُبثِ إلَّا فَرَاشَةٌ هَوَتْ بَيْنَ مُوتَجِّ الْحَرِيقَيْنِ سَاطِعِ
نَهَيْتُ بَنَاتِ الْمُسْتَنِيرِ عَنِ الرَّقَى وَعَنِ مَشْيِهِنَّ اللَّيْلَ بَيْنَ الْمَزَارِعِ

ويروى :

. . . بَيْنَ مُوتَجِّ مِنَ النَّارِ سَاطِعِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : راعِي الإِبِلِ . قال : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ قلتُ : قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ وَكَانَ بَلْغَنِي أَنَّهُ قَالَ لِي :

يَا صَاحِبِي دَنَا الرَّوَّاحُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفَرْزَدَقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرَا
وقال أيضاً : [من الوافر]

رَأَيْتُ الْجَحْشَ جَحْشَ بَنِي كَلِيبٍ تَيَمَّمْ حَوْضَ دِجْلَةَ ثُمَّ هَابَا
فقلتُ : يَا أَبَا جَنْدَل ، إِنَّكَ شَيْخٌ مُضَرٌّ وَشَاعِرُهَا ، وَقَدْ بَلْغَنِي أَنَّكَ تُفَضِّلُ عَلَيَّ الْفَرْزَدَقَ ،
وَأَنْتَ تُسْمِعُ قَوْلَكَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي دُونَكَ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا يَدَّ مِنْ تَفْضِيلِ قَانَا أَحَقُّ بِهِ لِمَدْحِي
قَوْمَكَ وَذِكْرِي إِيَّاهُمْ . قال : وَابْنَهُ جَنْدَلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ بِفَرَسِهِ حَتَّى ضَرَبَ عَجْزُ
دَابَّتِي وَأَنَا قَائِمٌ فَكَادَ يَقْطَعُ أَصْبَعَ رِجْلِي وَقَالَ : لَا أُرَاكَ وَاقِفًا عَلَى هَذَا الْكَلْبِ مِنْ بَنِي كَلِيبٍ ؛
فَمَضَى ، وَنَادَيْتُهُ : أَنَا ابْنُ يَرْبُوعَ ! إِنَّ أَهْلَكَ بَعَثُوا مَائِرًا مِنْ هُبُودٍ² وَيَسُّ الْمَائِرُ ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي
أَهْلِي لِأَقْعَدَ عَلَى قَارِعَةِ هَذَا الْمَرْبَدِ فَلَا يَسُبُّهُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَبَّيْتُهُ ، وَإِنْ عَلَيَّ نَذْرًا إِنْ جَعَلْتُ فِي عَيْنِي
غَمَضًا حَتَّى أَخْزِيكَ . قال : فَمَا أَصْبَحْتُ حَتَّى هَجَوْتُهُ فَقُلْتُ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلْغْتَ وَلَا كِلَابَا
قال فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ فَأَخَذْتُ بِعَنَانِهِ ، فَمَا فَارَقْتُهُ حَتَّى أَتَشَدَّتْهُ إِيَّاهَا . فَلَمَّا مَرَرْتُ عَلَى
قَوْلِي : [من الوافر]

أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَيُّرُ فِي اسْتِ أَيْبِكَ غَابَا
قال : فَأَرْسَلَ يَدِي وَقَالَ : يَقُولُونَ وَاللَّهِ شَرًّا .
قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدَ الْكِنْدِيُّ قال : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ قال لَمَّا قُلْتُ : [من الوافر]

1 الأذْلَغُ : غليظ الشفتين وهو أيضاً الأكلف .

2 هُبُود : اسم موضع ببلاد بني نُمَيْر .

إذا غَضِيتُ عليكَ بنو تَمِيمٍ حَسِيتَ الناسَ كُلَّهُمُ غَضاباً

قال : [من الوافر]

أَلَا رَغِمَتْ أَنْوفُ بني تَمِيمٍ فُسَاةُ التمرِ إِنْ كانوا غَضاباً
لقد غَضِيتُ عليكَ بنو تَمِيمٍ فما نَكَاتُ بِغَضِيتِها ذُبَاباً
لو أَطْلَعَ الغرابُ على تَمِيمٍ وما فيها مِنَ السَّوآتِ شاباً

قال : فتركته خمسَ سنينَ لا أَهْجوه ، ثم قَدِمتُ الكوفةَ فَأَتَيْتُ مجلسَ كِنْدَةَ ، فطلبتُ إليهم أن يكفوه عني ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنَّه لشاعرٌ وأُوعدوني ؛ فقلت : [من الوافر]

أَلَا أُلْبِغُ بني حُجْرٍ بن وَهَبٍ بأنَّ التمرَ حُلُوٌّ في الشتاء
فَعُودُوا لِلنَّخِيلِ فَأَبْرُواها وَعَيْثُوا بِالْمُشَقَّرِ فالصِّفَاءِ¹

قال : فمكثتُ قليلاً ، ثم بعثوا إليَّ راکباً فأخبروني بمَثالِهِ وجوارِهِ في طَيِّءٍ ، حيث جاور عَتَاباً ، وحَبْلَ أُخْتِهِ هُضَيَّةَ حيث حَبَلْتُ . قال : فقلتُ ماذا ؟ قال قلتُ : [من الوافر]

إذا جَهِلَ الشَّقِيُّ ولم يُقَدَّرْ لبعضِ الأمرِ أَوْشَكَ أن يُصاباً²
أَعْبداً حَلَّ في شَعْبَى غريباً أُلُوماً لا أَبالكُ واغتراباً³
فما خَفِيتُ هُضَيَّةَ حين جَرَّتْ ولا إطعامُ سَخَلَتِها الكِلاباً⁴
تُخَرِّقُ بِالْمَشاقِصِ حاليَّها وقد بَلَّتْ مَشيمَتُها التُّراباً⁵
فقد حَمَلَتْ ثمانيةً وأَوْفَتْ بتاسِعِها وَتَحَسِبُها كَعاباً

قال : ثم من ؟ قلت : جَفَنَةُ الهِزَّانِيِّ بن جعفر بن عُبَايَةَ بن شَكْسٍ من عَنزَةٍ . قال : وما لكَ وله ؟ قال : أَقْبَلُ سائلاً حتى أَتاني وأنا أُمَدِّرُهُ حوضاً لي ، فقال : يا جَرير ، قُمْ إليَّ ها هنا ؛ قلت : نعم . ثم أَتَيْتُهُ فقلتُ : ما حاجتُكَ ؟ قال : مدحُكَ فاستمعَ مِنِّي . قلتُ : أَنشِدْني فَأَنشُدْ ؛ فقلتُ : قد واللهِ أَحسنتَ وأَجملتَ ؛ فما حاجتُكَ ؟ قال : تَكْسُونِي الحَلَّةَ التي كَسَاكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ . فقلتُ : إِنِّي لم أَقِفْ فيها بالموسم ، ولا بدَّ من أن أَقِفَ فيها العامَ ، ولكِنِّي أَكْسوكَ حلَّةَ خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أوَّلَ . فقال : ما أَقْبَلُ غيرها بعينها .

1 المشقر : حصن بالبحرين لعبد القيس .

2 الشقي في الديوان : اللثيم 650/2 .

3 شعبي : موضع في جبل طييء .

4 خفيت في ل : تخفى . جرت في ل : تمسي .

5 المشقص من النصال ما طال وعرض .

6 المدر : تطيين وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء .

فقلت : بلى ، فاقبل وأزبدك معها دنائير نفقة . فقال : ما أفعل ؛ ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بني العدوية ، فحمّله على ناقية له يقال لها القصواء . فقال جفنة : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ لِلْمَرَارِ يَوْمَ لَقِيْتُهُ على الشَّحْطِ خَيْرٌ مِنْ جَرِيرٍ وَأَكْرَمُ

قال : فما قلت له ؟ قال قلت : [من الطويل]

لَقَدْ بَعَثَ هِزَانُ جَفْنَةَ مَائِراً فآبَ وَأَخَذَى قَوْمَهُ شَرَّ مَغْنَمٍ¹
فِيَا رَاكِبَ الْقَصَوَاءِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ لَهُزَانٌ إِذْ أَسْلَمَتْهَا شَرُّ مُسْلِمٍ²
أُظِنُّ عِجَانَ التَّيْسِ هِزَانُ طَالِباً عَلَالَةَ سَبَاقِ الْأَضَامِيمِ مِرْجَمٍ³
كَأَنَّ بَنِي هِزَانَ حِينَ رَدَّيْتُهُمْ وَبِتَنَارٍ تَضَاغَتْ تَحْتَ غَارٍ مَهْدَمٍ⁴
بَنِي عَبْدِ عَمْرِوٍ قَدْ فَرَّغْتُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ طَالَ زَجْرِي لَوْ نَهَاكُمْ تَقْدَمِي
وَرَصْعَاءَ هِزَانِيَّةٍ قَدْ تَحَفُّشَتْ عَلَى مِثْلِ حَرْبَاءِ الْفَلَاحِ الْمَعْمَمِ⁵

قال : ثم من ؟ قلت : المرار بن منقذ . قال : ما لك وله ؟ قلت : أعان علي الفرزدق . قال :

فما قلت له ؟ قال قلت : [من الطويل]

بَنِي مُنْقِذٍ لَا صُلَحَ حَتَّى تَضُمَّكُمْ مِنَ الْحَرْبِ صَمَاءُ الْقَنَاقِ زَبُونٌ⁶
وَحَتَّى تَذُوقُوا كَأْسَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَيَسْلَحَ مِنْكُمْ فِي الْحِيَالِ قَرِينُ
فَإِنْ كُنْتُمْ كَلْبِي فَعَنْدِي شِفَاؤُكُمْ وَلِلْجَنِّ إِنْ كَانَ اعْتَرَاكَ جَنُونٌ⁷

قال : ثم من ؟ قلت : حكيم بن معيّة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

قال : وما لك وله ؟ قلت : بلغني أنه أعان علي غسان السليطي . قال : فما قلت له ؟ قال :

وقلت : [من الطويل]

إِذَا طَلَعَ الرُّكْبَانُ نَجْدًا وَغَوْرُوا بِهَا فَارْجُوا يَا ابْنِي مُعِيَّةَ أَوْ دَعَا⁸

1 مائراً في الديوان : واقداً 271/1 .

2 قائل في الديوان : صانع 271/1 .

3 العلالة : الجري بعد الجري . والأضاميم : الجماعات ، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد .

4 الوبار : مفردة وبره ، وهي دوية . تضاعت : صوّتت .

5 ثمة اختلاف عن الديوان وتغيير في الأشرطة 271/1 .

6 حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .

7 الكلبي : جمع كلب .

8 في هذا الشطر الأول اختلاف شديد عما في الديوان 458/1 .

أَتَسْمَنُ أَسْتَاهُ الْمَجْرُ وَقَدْ رَأَوْا مَجْرًا بَوَّعَسَاوِي رُمَاحَ وَمَضْرَعًا¹
 أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ غَضُوبُ مُحَامِيَا غَدَاةَ اللَّوَى لَمْ تَذْفَعِ الضَّيْمَ مَذْفَعًا²
 قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثُورُ بْنُ] الْأَشْهَبِ بْنِ رَمِيلَةَ النَّهْشَلِيِّ . قال : وما لك وله ؟ قلتُ :
 أُعَانُ عَلِيَّ الْفَرَزْدَقَ . قال : فما قلتُ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

سَيْخَزَى إِذَا ضُنَّتْ خَلَائِبُ مَالِكٍ ثَوِيرٌ وَيَخْزَى عَاصِمٌ وَجَمِيعُ³
 وَقَبْلَكَ مَا أَغْيَا الرُّمَاءَ إِذَا رَمَوْا صَفَاً لَيْسَ فِي قَارَاتِهِنَّ صُدُوعُ⁴
 قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّلْهَمَسُ أَحَدُ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ . قال : ما لك
 وله ؟ قلتُ : أُعَانُ عَلِيَّ الْفَرَزْدَقَ . قال : فما قلتُ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لَقَدْ نَفَخْتَ مِنْكَ الْوَرِيدَيْنِ عِلْجَةً خَبِيثَةُ رِيحِ الْمُنْكَبِينَ قَبُوعُ⁵
 وَلَوْ أَنْجَبْتَ أُمُّ الدَّلْهَمَسِ لَمْ يَعِْبْ فَوَارِسَنَا لَا عَاشَ وَهُوَ جَمِيعُ⁶
 أَلَيْسَ ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةُ غُرْبَانٍ عَلَيْهِ وَقُوعُ
 فَلَا تُذْنِبِيَا رَحَلَ الدَّلْهَمَسِ إِنَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَأْتِي اللَّثَامُ سَمِيعُ⁷
 هُوَ النَّخْبَةُ الْخَوَّارُ مَا دُونَ قَلْبِهِ حِجَابٌ وَلَا حَوْلَ الْحِجَابِ ضُلُوعُ⁸
 قال : ثم مررتُ على مجلسٍ لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري ، وأنشدوني شعراً لم
 يُخْبِرُونِي مَنْ قَالَه : [من الطويل]

غَضِيتَ عَلَيْنَا أَنْ عَلَاكَ ابْنُ غَالِبٍ فَهَلَّا عَلَى جَدَّتِكَ فِي ذَاكَ تَغَضَّبُ⁹
 هُمَا إِذْ عَلَا بِالْمَرْءِ مَسْعَاةُ قَوْمِهِ أَنَاخَا فَشَدَّكَ الْعِقَالُ الْمَوْرَبُ¹⁰

- 1 بنو المجر : من ربيعة من بني مالك بن زيد مناة . الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل .
- 2 غضوب : امرأة من بني المجر كانت شاعرة بذيّة ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .
- 3 عاصم وجميع : رجلان من بني عامر .
- 4 القارة : الصخرة العظيمة . قاراتهن في الديوان : عاديهن 596/1 .
- 5 القبوع في الديوان : المنكين 596/1 والقبوع : التي تقبع السقاء وهو أن تنثي رأس الشقاء إلى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه .
- 6 عاش في ل : مات .
- 7 سميع : يريد أنه محكم في اللزم .
- 8 النخبة : العجان .
- 9 ابن غالب : الفرزدق .
- 10 المورب : المحكم .

قال : فعلمتُ أنه شِعْرُ قَبْضَةِ الْكَلْبِ . قال : فجمعتهُم في شعري فقلت : [من الطويل]

[و] أَكْثَرُ مَا كَانَتْ رَبِيعَةٌ أَنْهَا خِيَاءَانِ شَتَّى لَا أُبَيْسٌ وَلَا قَفْرٌ
مُحَالِفُهُمْ فَقَرٌّ شَدِيدٌ وَذَلَّةٌ وَبِئْسَ الْحَلِيفَانِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ
فَضَبْرًا عَلَى ذُلِّ رِبْعِ بْنِ مَالِكٍ وَكُلُّ ذَلِيلٍ خَيْرٌ عَادِيَهُ الصَّبْرُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : هُبَيْرَةُ بْنُ الصَّلْتِ الرَّبْعِيُّ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ أَيْضًا ، كَانَ يَرْوِي
شِعْرَ الْفَرَزْدَقِ . قال : فما قلتُ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يَمْشِي هُبَيْرَةُ بَعْدَ مَقْتَلِ شَيْخِهِ مَشْيَ الْمُرَاسِلِ أَوْذَنْتَ بِطَلَاقٍ¹
مَاذَا أُرِدْتَ إِلَيَّ حِينَ تَحَرَّقْتَ نَارِي وَشُمْرٌ مِثْرِي عَنْ سَاقِي²
إِنَّ الْقِرَافَ بِمَنْخَرِيكَ لَبِيسٌ وَسَوَادٌ وَجْهَكَ يَا ابْنَ أُمِّ عِفَاقٍ³
سِيرُوا فَرُبَّ مُسَبِّحِينَ وَقَائِلٍ هَذَا شَقَاءٌ لِيَنِي رَبِيعَةَ بَاقِي
أُبْنِي رَبِيعَةَ قَدْ أَخَسَّ بِحَظِّكُمْ لَوْمُ الْجُدُودِ وَدِقَّةِ الْأَخْلَاقِ⁴

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عِلْقَةُ وَالسَّرَنْدَى مِنْ بَنِي الرِّبَابِ كَانَا يُعِينَانِ ابْنَ لَجَأَ . قال : فما
قلتُ لهما ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

عَضُّ السَّرَنْدَى عَلَى تَنْلِيمِ نَاجِذِهِ مِنْ أُمِّ عِلْقَةَ بَطْرًا غَمَّهُ الشُّعْرُ⁵
وَعَضُّ عِلْقَةَ لَا يَأْلُو بَعْرُ عُرَّةٍ مِنْ بَطْرِ أُمِّ السَّرَنْدَى وَهُوَ مُنْتَصِرٌ⁶

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الطُّهَوِيُّ ، كَانَ يَرْوِي شِعْرَ الْفَرَزْدَقِ . قال : ما قلتُ له ؟ قال
قلتُ : [من الطويل]

أَتَنْسُونَ وَهَبًا يَا بَنِي زَيْدٍ اسْتَهَا وَقَدْ كُنْتُمْ جِيرَانَ وَهَبِ بْنِ أُبَيْرَا⁷

1 المراسل : التي أحسَّت من زوجها أنه يريد تطليقها فهي تزين لآخر ، وهي التي مات عنها زوجها ، وهي التي طلقت مرَّات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه .

2 تحرَّقت في الديوان : تسعرت 434/1 .

3 القراف : المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف . عفاق : اسم لرجل .

4 الدقة : الخسة وفي البيت في الديوان اختلاف شديد 434/1 .

5 غمَّه : غطَّاه .

6 عرعة : رأس كل شيء وأعلاه .

7 أتنسون في الديوان : أتنعون 475/1 . أبجر : هو وهب بن أبجر بن جابر العجلي ، وكان خرج مع يزيد بن المهلب ، فلما هزم آل المهلب لحق بأحوال بني طهية ، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميلاً المازني فأخذ وهباً فقتله .

فَمَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِرُوا
 أَلَا رُبَّ أَعْشَى ظَالِمٍ مَتَخَمِّطٍ جَعَلْتُ لِعَيْنَيْهِ جِلَاءً فَأَبْصَرَا¹
 قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : عُقْبَةُ بْنُ السُّنَيْعِ الطُّهَوِيُّ وَكَانَ نَذْرَ دَمِي . قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ
 قُلْتُ :

يَا عُقْبُ يَا ابْنَ سُنَيْعٍ لَيْسَ عِنْدَكُمْ مَاؤَى الرِّفَاقِ وَلَا ذُو الرَايَةِ الْغَادِي
 يَا عُقْبُ يَا ابْنَ سُنَيْعٍ بَعْضَ قَوْلِكُمْ إِنَّ الْوِثَابَ لَكُمْ عِنْدِي بِمِرْصَادٍ
 مَا ظَنُّكُمْ بَنِي مَيْثَاءٍ إِنْ فَرَّغُوا لَيْلًا وَشَدَّ عَلَيْهِمُ حَيَّةُ الْوَادِي
 يَغْدُو عَلَيَّ أَبُو لَيْلَى لِيَقْتُلَنِي جَهْلًا عَلَيَّ وَلَمْ يَشَارْ بِشَدَادٍ²
 إِرْزُوا عَلَيَّ وَأَرْضُوا بِي صَدِيقَكُمْ وَاسْتَسْمِعُوا يَا بَنِي مَيْثَاءٍ إِنْشَادِي
 مَيْثَاءُ هِيَ بِنْتُ زُهَيْرِ بْنِ شَدَادِ الطُّهَوِيِّ وَهِيَ أُمُّ عَوْفِ بْنِ أَبِي سُودِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .
 وَقَالَ أَيْضًا لِبَنِي مَيْثَاءٍ :

نُبْتُ عُقْبَةَ خَصَافًا تَوَعَّدَنِي يَا رُبَّ آدَرَ مِنْ مَيْثَاءٍ مَاْفُونٍ³
 لَوْ فِي طَهِيَّةٍ أَحْلَامٌ لَمَا اعْتَرَضُوا دُونَ الَّذِي كُنْتُ أَرْمِيهِ وَيَرْمِينِي
 قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قُلْتُ : سَحْمَةُ⁴ الْأَعْوَرُ النَّبْهَانِيُّ ، كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ طَيِّءٍ وَلِدَتْ فِي بَنِي
 سَلَيْطٍ فَأَعْطَوْهُ وَحَمَلُوهُ عَلَيَّ . فَسَأَلَنِي فَاشْتَطَّ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي فَحَرَمْتُهُ ، فَقَالَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
 أَقُولُ لِأَصْحَابِي النَّجَاءَ فَإِنَّهُ كَفَى الدَّمَ أَنْ يَأْتِيَ الضُّيُوفَ جَرِيرُ
 جَرِيرُ ابْنِ ذَاتِ الْبَطْرِ هَلْ أَنْتَ زَائِلٌ لِقَدْرِكَ دُونَ النَّازِلِينَ سَتُورُ
 وَهَلْ يُكْرِمُ الْأَضْيَافَ كَلْبٌ لِكَلْبَةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ
 فَلَوْ عِنْدَ غَسَّانِ السَّلَيْطِيِّ عَرَسَتْ رَغَا قَرْنٌ مِنْهَا وَكَأْسَ عَقِيرٍ⁵
 فَتَى هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا عَلَيْكَ إِذَا كَانَ الْجَوَارُ يُجِيرُ

1 المتخمط : المتكبر الشديد الغضب والجلبة . الجلاء : الكحل .

2 يغدو في الديوان : يعدو 433/1 . بشداد : هو شداد الميثاوي ، كان يتحدث إلى امرأة من ربيعة بن مالك بن زيد مائة ، فألقاه أهلها في بئر .

3 توعدني في الديوان : تعيبي 559/2 . الخصاف : الكذاب . والآد : الذي أصابه فتق في إحدى خصتيه .

4 قال ابن الكلبي : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوزة ، وقال أبو عبيدة في النقائض : يُقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

5 القرن : البعير المقرون بآخر . وكأس عقير ، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث .

فقال جرير :

[من الطويل]

وَجَدْنَا بَنِي نَبْهَانَ أَذْنَابَ طَيِّءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ
تَغْنَى ابْنِ نَبْهَانِيَّةٍ طَالَ بَطْرُهَا وَبَاعُ ابْنِهَا عِنْدَ الْهِيَاجِ قَصِيرُ¹
وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ
سَتَاتِي بَنِي نَبْهَانَ مِنْ قِصَائِدٍ تَطَالَعُ مِنْ سَلَمَى وَهَنْ وَغُورُ²
تَرَى قَزَمَ الْمِغْزَى مُهُورَ نَسَائِهِمْ وَفِي قَزَمِ الْمِغْزَى لَهْنٌ مُهُورُ³

قال : وطلع الصبحُ فنهَضَ ونهَضْتُ . قال : فَأَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ قَاعِدًا مَعَهُ أَنَّهُ قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ
أَعْرَابِيًّا ! إِنَّهُ لِحِرْزُ هِرَاش .
[قصته مع الراعي وابنه جندل]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ عَنِ الرَّيَاشِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ
وَذَكَرَ الْمُغِيرَةَ بْنَ حَجَّاءَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَاعِيٌ⁴ الْإِبِلِ يَقْضِي لِلْفَرَزْدَقِ عَلَى
جَرِيرٍ وَيَفْضُلُهُ ، وَكَانَ رَاعِي الْإِبِلِ قَدْ ضَخَمَ أَمْرُهُ وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ النَّاسِ . فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
خَرَجَ جَرِيرٌ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ : هَلَّا تَعَجَّبُونَ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَقْضِي لِلْفَرَزْدَقِ عَلَيَّ
وَهُوَ يَهْجُو قَوْمَهُ وَأَنَا أُمَدِّحُهُمْ ؟ قَالَ جَرِيرٌ : فَضَرَبْتُ رَأْيِي فِيهِ . ثُمَّ خَرَجَ جَرِيرٌ ذَاتَ يَوْمٍ
يَمْشِي وَلَمْ يَرْكَبْ دَابَّتَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ . وَكَانَ لِرَاعِي الْإِبِلِ وَالْفَرَزْدَقِ
وَجُلَسَائِهِمَا حَلَقَةٌ بِأَعْلَى الْمُرَيْدِ بِالْبَصْرَةِ يَجْلِسُونَ فِيهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ لَهُ لِأَلْقَائِهِ مِنْ
حِيَالٍ حَيْثُ كُنْتُ أَرَاهُ يَمُرُّ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ ، حَتَّى إِذَا هُوَ
قَدْ مَرَّ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَابْنُهُ جَنْدَلٌ يَسِيرُ وَرَاءَهُ عَلَى مَهْرٍ لَهُ أَخْوَى مَحْذُوفٍ⁵ الذَّنْبِ وَإِنْسَانٌ يَمْشِي
مَعَهُ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ السَّبَبِ ، فَلَمَّا اسْتَقْبَلْتُهُ قُلْتُ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؛ وَضَرَبْتُ بِشِمَالِي
عَلَى مَعْرِفَةِ بَغْلَتِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ! إِنْ قَوْلُكَ يُسْتَمَعُ وَإِنَّكَ تَفْضُلُ الْفَرَزْدَقَ عَلَيَّ تَفْضِيلًا
قَبِيحًا وَأَنَا أُمَدِّحُ قَوْمَكَ وَهُوَ يَهْجُوهُمْ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَيَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ هَيْئٌ : إِذَا ذُكِرْنَا أَنْ
تَقُولَ كِلَاهُمَا شَاعِرٌ كَرِيمٌ ، وَلَا تَحْتَمِلُ مِنِّي وَلَا مِنْهُ لَائِمَةٌ . قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ كَذَاكَ وَاقِفًا
عَلَيَّ ، وَمَا رَدَّ عَلَيَّ بِذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى لَحِقَ ابْنُهُ جَنْدَلٌ ، فَرَفَعَ كَرَمَانِيَّةً مَعَهُ فَضَرَبَ بِهَا عَجَزَ بَغْلَتِهِ

1 الهياج في الديوان : الفضال 877/2 .

2 سلمى : اسم جبل لطىء ، وهو لبني نبهان خاصة .

3 القزم : الصغار العليلة واحدها قزمة .

4 الراعي : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل .

5 المحذف : قطف الشيء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذهب فرسه إذا قطع طرفه .

ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ! وضرب البغلة ضربة ، فَرَمَحَنِي رَمَحَةً وَقَعَتْ مِنْهَا قَلْنُسُوتِي ، فوالله لو يعرج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى ، يَعْنِي جَنْدَلًا ابْنَهُ ، ولكن لا والله ما عاج عليّ ، فأخذتُ قَلْنُسُوتِي فَمَسَحْتُهَا ثُمَّ أَعَدْتُهَا عَلَى رَأْسِي ثُمَّ قُلْتُ :

أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَيْرُ فِي اسْتِ أَبِيكَ غَابَا
فَسَمِعْتُ الرَّاعِيَّ قَالَ لِابْنِهِ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ طَرَحْتَ قَلْنُسُوتَهُ طَرَحَةً مَشْوُومَةً . قال جريرٌ : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره إليّ لو كان عاج عليّ . فانصرف جريرٌ غضباناً حتى إذا صَلَّى العِشَاءَ بِمَنْزِلِهِ فِي عِلْيَةٍ لَهُ قَالَ : ارْفَعُوا إِلَيَّ بَاطِيَةً مِنْ نَبِيذٍ وَأُسْرِجُوا لِي ، فَأُسْرِجُوا لَهُ وَأَتَوْهُ بِبَاطِيَةٍ مِنْ نَبِيذٍ . قال : فَجَعَلَ يُهَمِّهِمْ ؛ فَسَمِعْتُ صَوْتَهُ عَجُوزٌ فِي الدَّارِ فَاطْلَعْتُ فِي الدَّرَجَةِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ يَحْبُو عَلَى الْفَرَّاشِ غُرْبَانًا لَمَّا هُوَ فِيهِ ، فَانْحَدَرْتُ فَقَالَتْ : ضَيْفُكُمْ مَجْنُونٌ ! رَأَيْتُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا ؛ فَقَالُوا لَهَا : اذْهَبِي لَطِيبَتِكَ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ وَبِمَا يُمَارِسُ . فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ السَّحَرُ ، ثُمَّ إِذَا هُوَ يَكْبُرُ قَدْ قَالَهَا ثَمَانِينَ بَيْتًا فِي بَنِي نُمَيْرٍ . فَلَمَّا خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ : [من الوافر]

فُغِضَ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا
كَبُرَ ثُمَّ قَالَ : أَخْزَيْتُهُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ . ثُمَّ أَصْبَحَ ، حَتَّى إِذَا عَرَفَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ جَلَسُوا فِي مَجَالِسِهِمْ بِالْمِرْبَدِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ مَجْلِسَهُ وَمَجْلِسَ الْفَرَزْدَقِ ، دَعَا بَدْهَنَ فَاذْهَنَ وَكَفَّ¹ رَأْسَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّعْرِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، أُسْرِجْ لِي ، فَأُسْرِجْ لَهُ حِصَانًا ، ثُمَّ قَصَدَ مَجْلِسَهُمْ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَوْضِعِ السَّلَامِ قَالَ : يَا غَلَامُ ، وَلَمْ يَسْلَمْ ، قُلْ لِعَبِيدِ : أَبْعَثْكَ نِسْوَتُكَ تَكْسِيهَهُنَّ الْمَالَ بِالْعِرَاقِ ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ جَرِيرٍ بِيَدِهِ لَتَرْجِعَنَّ إِلَيْهِنَّ بِمَيْرٍ يَسُوءُهُنَّ وَلَا يَسُرُّهُنَّ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَ فِيهَا فَأَنْشَدَهَا . قَالَ : فَنَكَّسَ الْفَرَزْدَقُ وَرَاعِي الْإِبِلِ وَأَرْمَ الْقَوْمُ² ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهَا سَارَ ، وَثَبَتَ رَاعِي الْإِبِلِ سَاعَةً ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَتَهُ بَشْرًا وَعُرًّا وَخَلَّى الْمَجْلِسَ حَتَّى تَرَقَّى³ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي يَنْزِلُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : رِكَابُكُمْ رِكَابُكُمْ ، فَلَيْسَ لَكُمْ هَاهُنَا مَقَامٌ ، فَضَحَّكُمُ وَاللَّهِ جَرِيرٌ ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ : ذَاكَ شَوْمُكَ وَشَوْمُ ابْنِكَ . قَالَ : فَمَا كَانَ إِلَّا تَرْحُلُهُمْ . قَالَ فَمَسَرَّنَا إِلَى أَهْلِنَا سِرًّا مَا سَارَهُ أَحَدٌ ، وَهُمْ بِالشَّرِيفِ وَهُوَ أَعْلَى دَارِ بَنِي نُمَيْرٍ . فَيَحْلِفُ بِاللَّهِ رَاعِي الْإِبِلِ إِنَّا وَجَدْنَا فِي أَهْلِنَا :

1 كَفَّ شَعْرَهُ : جَمَعَهُ وَضَمَّ أَطْرَافَهُ .

2 وَأَرْمَ الْقَوْمُ : سَكَنُوا .

3 تَرَقَّى فِي ل : أَتَى .

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ مَا بَلَغَهُ إِنْسِي قَطَّ ، وَإِنَّ لَجْرِيرٍ لِأَشْيَاعاً مِنَ الْجِنِّ . فَنَشَاءَمْتُ بِهِ بَنُو نُمَيْرٍ
وَسَبُّهُ وَابْنَهُ ، فَهَمَّ يَتَشَاءَمُونَ بِهِ إِلَى الْآنَ .

[قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي
مَوْلَى ابْنِي كَلْبِ بْنِ يَرْبُوعٍ كَانَ يَبِيعُ الرُّطْبَ بِالْبَصْرَةِ أَنْسَيْتُ اسْمَهُ قَالَ : كُنْتُ أَجْمَعُ شَعْرَ
جَرِيرٍ وَأَشْتَهِي أَنْ أَحْفَظَهُ وَأَرْوِيَهُ . فَجَاءَنِي لَيْلَةً فَقَالَ : إِنَّ رَاعِي الْإِبِلِ النُّمَيْرِيَّ قَدْ هَجَانِي ،
وَإِنِّي آتِيكَ اللَّيْلَةَ فَأَعِدُّ لِي شِوَاءً¹ رَشْرَاشاً² وَنَبِيذاً³ مُخْفِضاً ؛ فَأَعْدَدْتُ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أُعْتِمَ
جَاءَنِي فَقَالَ : هَلُمَّ عَشَاءَكَ ، فَاتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ : هَلُمَّ نَبِيذَكَ ، فَاتَيْتُهُ بِهِ ، فَشَرِبَ أَقْداحاً
ثُمَّ قَالَ : هَاتِ دَوَاةً وَكِيفاً³ ؛ فَاتَيْتُهُ بِهِمَا ، فَجَعَلَ يُمْلِي عَلَيَّ قَوْلَهُ :

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعَتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا
حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

فَجَعَلَ يَرُدُّهُ وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى حَمَلْتَنِي عَيْنِي ، فَضَرَبْتُ بِذَقْنِي صَدْرِي نَائِماً ، فَإِذَا بِهِ قَدْ
وَثَبَ حَتَّى أَصَابَ السَّقْفَ رَأْسُهُ وَكَبُرَ ثُمَّ صَاحَ : أَخْزَيْتُهُ وَاللَّهِ ! اكْتُبْ :

فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَاباً

غَضَضْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ ؛ وَاللَّهِ لَا يُفْلِحُ بَعْدَهَا [أَبداً] . فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ مَا أَفْلَحَ
هُوَ وَلَا نُمَيْرِي بَعْدَهَا .

[أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ عَنْ أَبِي عَبْدِ قَالَ : أَقْبَلَ رَاكِبٌ
مِنَ الْيَمَامَةِ ؛ فَمَرَّ بِالْفَرَزْدَقِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَرِيدِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنَ الْيَمَامَةِ .
فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ ابْنَ الْمَرَاغَةِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَحَدْتُ بَعْدِي ؟ فَأَنْشَدَهُ : [من الكامل]

هَاجَ الْهُوَى لِفَوَادِكَ الْمُتَهَاجِ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

1 شِوَاءَ رَشْرَاشَ : خَضَلَ نَدَى يَقَطِرُ سُمًّا .

2 الْمُخْفِضُ : السَّرِيعُ الْإِسْكَارِ .

3 كَانُوا يَكْتُبُونَ فِي عَظْمِ الْكَفِّ لِقَلَّةِ الْقَرَاتِيسِ .

[من الكامل]

فَانْظُرْ بَتُوضِيحَ بَاكِيرِ الْأَحْدَاجِ
فَأَنْشَدَهُ الرَّجُلُ :

هَذَا هَوَى شَغَفِ الْفَوَادِ مَبْرَحٍ
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَنَوَى تَقَاذِفُ غَيْرِ ذَاتِ خِلَاجٍ¹
فَأَنْشَدَهُ الرَّجُلُ :

إِنَّ الْغَرَابَ بِمَا كَرِهْتَ لُمُولَعٍ
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

بَنَوَى الْأَحْبَةَ دَائِمُ التَّشْحَاجِ²

فَقَالَ الرَّجُلُ : هَكَذَا وَاللَّهِ ، قَالَ أَفْصَحْتُهَا مِنْ غَيْرِي ؟ قَالَ : لَا ؛ وَلَكِنْ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ ؛ أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدَ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَمَدَحَ بِهَا الْحَجَّاجَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : إِيَّاهُ أَرَادَ .

[أجاب الفرزدق في الحجّ جواباً حسناً]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : التَّقِيُّ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ بَيْنِي وَهَمَا حَاجَانِ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لَجَرِيرٍ :

فَإِنَّكَ لَاقٍ بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِئِيٍّ فَخَاراً فَخَبَّرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَافْخَرْ

فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : بَلَيِّكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَكَانَ أَصْحَابُنَا يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا الْجَوَابَ مِنْ جَرِيرٍ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ .

[هجا التميم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، وَأَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ [عَنْ ابْنِ سَلَامٍ] قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَجْنَاءِ بِنِ جَرِيرٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي : يَا أَبَتِ ، مَا هَجَوْتَ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا أَفْسَدَتْهُمْ سِوَى التَّمِيمِ . فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَجِدْ حَسَبًا أَضَعُّهُ ، وَلَا بَنَاءً أَهْدُمُهُ .

[حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء]

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ أَخْبَرَنِي أَبُو قَيْسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي : يَا أَبَتِ ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : الْجَاهِلِيَّةُ تَرِيدُ أَمَ الْإِسْلَامَ ؟ قُلْتُ : أَخْبَرَنِي عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : شَاعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ

1 غير ذات خلاج : أي نوى مقطوع بها لا يخالغ فيها الشك والريب .

2 تشحاج الغراب : صومه .

زُهَيْر . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعَةُ الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجِيدُ صَفَةَ
الملوك وَيُصِيبُ نَعْتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْنِي فَإِنِّي نَحَرْتُ الشعرَ
نَحْرًا .

[سمعه الفرزدق ينشد باثيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحسن بن عُلَيْل قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي
عن عُمارة بن عَقِيل عن جدّه قال : وقف الفرزدق على أبي بِمَرْد البصرة وهو يُنشد قصيدته
التي هجا بها الرَّاعي ؛ فلما بَلَغ إلى قوله :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابًا

أقبل الفرزدق على روايته فقال : غَضَّه والله فلا يُجيبه أبدًا ولا يُفْلِح بعدها . فلما بَلَغ إلى
قوله :

بِهَا بَرَصٌ بِجَانِبِ إِسْكَنْيَهَا

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عَنَقَتَهُ¹ ؛ فقال أبي :

[من الوافر]

كَعَنَفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم أَخْزِهِ ؛ والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أَنَّهُ لا
يقولُ غيرَ هذا ، ولكن طَمِعْتُ أَلَّا يَأْبَهُ فغَطَّيْتُ وجهي ، فما أغْناني ذلك شيئًا . قال العنزي
حدثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيْدَةَ قال قال يونس : ما أَرَى جَرِيرًا قال هذا المِصْرَاعُ إِلَّا
حينَ غَطَّى الفرزدق عَنَفَقَتَهُ ، فَإِنَّهُ نَبَّهَهُ عَلَيْهِ بتَغْطِيَتِهِ إِيَّاهَا .

[سئل الفرزدق عَمَّن يجاربه في الشعر فلم يَعترف إِلَّا به]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِي قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا المَدائِنِي عن أبي بَكْر
الهذَلِي قال : قال رجل من بني دَارِمٍ للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِرَاس ، هل تعلم اليومَ أَحَدًا
يَرْمِي معكَ ؟ فقال : لا ؛ والله ما أعرفُ ناصِحًا إِلَّا وقد استكان ولا ناهِشًا إِلَّا وقد انْجَحَرَ إِلَّا
القائل :

[من الطويل]

تَشَأْمْتُ أَوْ حَوَلْتُ وَجْهِي يَمَانِيَا

فَمَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ وَلَا لِيَا²

فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ حَاجَتِي

فَرُدِّي جِمَالَ الْحَيِّ ثُمَّ تَحَمَّلِي

1 العنفة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

2 الحي في الديوان : الين 35/1 .

فَأَنِّي لَمُغْرورٌ أُعْلَلُ بِالْمُنَى لِيَالِي أَرْجُو أَنَّ مَا لَكَ مَالِيَا
 وَقَائِلِيهِ وَالدمْعُ يَحْدِرُ كَحَلْهَا أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْمُوَالِيَا
 بِأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
 بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ الْقَرَمَ بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
 لِسَانِي وَسِيفِي صَارِمَانِ كِلَاهِمَا وَلِلسِّيفِ أَشْوَى وَقَعَةً مِنْ لِسَانِي¹

قال : وهذا الشعر لجرير .

[وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد عن عُمارة بن عُقيل عن أبيه قال : قال جرير : وفدتُ إلى يزيد بن معاوية وأنا شابٌّ [يومئذٍ] ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء ؛ فخرج الحاجبُ إليّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يصلُّ إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره ، وما سمعنا لك بشيء فنادَّ لك على بصيرة . فقلت له : تقولُ لأُمير المؤمنين : أنا القائل :

وَأَنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي انْتِقَالِيَا
 جَرِيءُ الْجَنَانِ لَا أَهَابُ مِنَ الرَّدَى إِذَا مَا جَعَلْتُ السِّيفَ قَبْضَ بَنَانِيَا²
 وَلَيْسَ لِسِيفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلِلسِّيفِ أَشْوَى وَقَعَةً مِنْ لِسَانِيَا
 فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات ؛ ثم خرج إليّ وأذن لي ، فدخلت وأنشدته وأخذتُ الجائزة مع الشعراء ؛ فكانت أولَ جائزة أخذتها من خليفة ، وقال لي : لقد فارق أبي الدنيا وما يظنُّ أبياتك التي توسَّلتَ بها إليّ إلَّا لي .

[موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق]

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَّاني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال : أتيتُ الفرزدق فأنشدني ، ثم قال لي : هل أتيتَ الكلبَ جريراً ؟ قلت نعم . قال : فأنأ شعر أو هو ؟ فقلت : أنت في بعض الأمر وهو في بعض . فقال : لم تناصحني . فقلت : هو أشعر إذا أرخى في خنقه ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوت . فقال : وهل الشعر إلَّا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر ؟ .

1 يقال : رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله . والشوى : الأطراف .

2 أهاب في الديوان : أهال 36/1 .

[حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنبسة القرشي وعوانة بن الحكم : أن جريراً والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان ؛ فقال لهما بشر : إنكما قد تقارضتما الأشعارَ وتطالبتما الآثارَ وتقاولتما الفخارَ وتهاجيتما . فأما الهجاء فليست بي إليه حاجة ، فجددنا بين يديّ فخراً ودعاني مما مضى . فقال الفرزدق : [من الطويل]

نحن السَّنامُ والمناسيمُ غيرُنا فَمَنْ ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسما !

فقال جرير : [من الطويل]

على موضع الأستاهِ أُنتم زعمتُم وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للغلاصيم¹

فقال الفرزدق : [من الطويل]

على مَحَرَثٍ للفرثِ أُنتم زعمتُم ألا إنَّ فوق الغُلصَماتِ الجَمَاجِمَا

فقال جرير : [من الطويل]

وأنبأتمونا أنكم هائمٌ قومكم ولا هائمٌ إلا تابعٌ للخراطيم

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فنحن الزَّمامُ القائدُ المقتدى به من الناسِ ، ما زلنا ولنسا لَهَازِمَا²

فقال جرير : [من الطويل]

فنحن بَنِي زَيْدٍ قطعنا زِمَامَهَا فتاهت كسارٍ طائشٍ الرأسِ عارِمَا³

فقال بشر : غلبته يا جريرُ بقطعك الزَّمامَ وذهابك بالناقة . وأحسن الجائزةَ لهما وفضل جريراً .

[جرير وسكينة بنت الحسين]

قال المدائني وحدثني عوانة بن الحكم قال : جاء جرير إلى باب سُكينة بنت الحسين عليه السلام ، يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جارية لها فقالت : تقول لك سيدي : أنت القائل :

طَرَقْتُكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجِعْني بِسلام

1 الغلصمة : رأس الحلقوم .

2 اللهازم : جمع لزمة ، واللهزمتان ما تحت الأذنين من أعلى اللحين والحدّين .

3 العرام : الشدة والقوة والشراسة .

قال نعم . قالت : فالأأ أخذتَ بيدها فرحبتَ بها وأدניתَ مجلسَهَا وقلتَ لها ما يقال لمثلها ؟ أنتَ عفيفٌ وفيك ضعف ، فخذْ هذين الألفيَ الدرهم فالحقُّ بأهلك .
[تفضيل سَكينة بنت الحسين له على الفرزدق]

قال المدائني في خبره هذا وحديثي أبو يعقوب الثقفي عن الشعبي : أن الفرزدق خرج حاجاً ؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة فدخل إلى سَكينة بنت الحسين عليهما السلام فسلم . فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! أشعرُ منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عليّ وَمَنْ زيارته لِمَامٌ
وَمَنْ أُمسي وأصبحُ لا أراه ويَطْرُقني إذا هَجَعَ النِّيامُ

فقال : والله لو أذنت لي لأسمعَنَّك أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ؛ صاحبك جرير أشعرُ منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لعادني استعمارٌ ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هَجَرَ الضَّجِيعُ فراشها كُئِمْ الحديثُ وعَفَّتِ الأسرارُ
لا يَلْبَثُ القُرْناءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ليلٌ يَكُورُ عليهمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعَنَّك أحسنَ منه ، فأمرتُ به فأخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحوَّلها مولداتٌ لها كأنهنَّ التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدةٍ منهنَّ فأعجب بها وبُهِتَ ينظرُ إليها . فقالت له سَكينة : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ؛ صاحبك أشعرُ منك حيث يقول :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحْيَيْنِ قَتَلانا
يَصْرَعَنَّ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَكَ به وهنَّ أضعفُ خَلَقِ الله أركاناً
أَتَبِعْتُهُمْ مُقْلَةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما ترى تاركٌ للعينِ إنساناً

فقال : والله لئن تركتني لأسمعَنَّك أحسنَ منه ؛ فأمرتُ بإخراجه . فالتفت إليها وقال : يا بنتَ رسول الله ، ﷺ ، إن لي عليك حقاً عظيماً . [قالت : وما هو ؟ قال :] ضربتُ إليك [آباطَ الإبلِ] من مَكَّةَ إرادةَ التسليم عليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردِي

وتفضيل جرير عليّ ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبني ما قد عيل منه صبري ،
وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ؛ فإذا أنا ميتٌ فمري بي أن
أدرج في كفني وأدفن في حير هذه (يعني الجارية التي أعجبته) . فضحكت سكية وأمرت له
بالجارية ، فخرج بها أخذاً برّيطيها¹ ؛ وأمرت الجواري فدفعن في أقفيتهما ، ونادته . يا
فرزدق احتفظ بها وأحسن صحبتها فإنّي آثرتك بها على نفسي .

[حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه]

قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو عمران بن عبد الملك بن عمير عن أبيه ، وحدثني
عوانة أيضاً قالاً : صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا .
فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه .
فقال أعرابي من ناحية القوم : أمّا أكثر فلا ، وأمّا أطيب فقد والله أكلتُ أطيب منه ، فطفقوا
يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنت بمُحقِّ فيما تقول إلا أن
تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر في برث² أحمر في
أقصى حجر³ ، إذ توفي أبي وترك كلاً⁴ وعيلاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر
الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفاف الرباع⁵ لم يُر تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر
نوى ولا أخلى حلوة منه . وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألقتها تأوي الليل تحتها ، فكانت
تثبت رجلها في أصلها وترفع يديها وتعطو⁶ بفيها فلا تترك فيها إلا النبيذ⁷ والمتفرق ؛
فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع ، فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني أرجع من
ساعتي ؛ فمكثت يوماً ويلة لا أراها ، حتى إذا كان السحر أقبلت ، فتهيات لها فرشقتها
فأصبحتها وأجهزتها عليها ، ثم عمدت إلى سرتها فاقتدتها ، ثم عمدت إلى حطب جزل
فجمعتة إلى رصف⁸ وعمدت إلى زندي فقدحت وأضرم النار في ذلك الحطب ، وألقيت
سرّتها فيه ؛ وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حرّ الشمس في ظهري ؛ فانطلقت إليها

1 الربطة : الملاءة .

2 في ل : ترب .

3 أي في أبعد ناحية .

4 الكل : الثقل .

5 الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .

6 تعطو : تتناول .

7 النبيذ : المنبوذ .

8 الرصف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

فكشفتها وألقيت ما عليها من قَدَى وسواد ورماد ، ثم قلبت [منها] مثل الملاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رُطْب تلك النخلة المجزعة¹ والمُنَصَّفة ، فسمعت لها أطيّطاً² كداعي عامرٍ وعطْفان ، ثم أقبلت أتناول الشَّحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى فمي ، فيما أحلف إني ما أكلت طعاماً مثله قط . فقال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتي غنعة تميم وأسدي وكشكشة ربيعة وخوشي أهل اليمن وإن كنت منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عُذرة . قال : أولئك فصحاء الناس ؛ فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين . قال : أي بيتٍ قالته العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

ألستم خيرَ مَنْ ركب المطايا وأنذى العالمين بطون راح

قال : وكان جرير في القوم ، فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأَيُّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟ قال : قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال : فتحرّك [لها جرير] . ثم قال له : فأَيُّ بيتٍ أهجى ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

قال : فاستشرف لها جرير . قال : فأَيُّ بيتٍ أغزل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إنَّ العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحِين قتلنا

قال : فاهتز جرير وطرب ، ثم قال له : فأَيُّ بيتٍ قالته العرب أحسن تشبيهاً ؟ قال : قول

جرير :

سرى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومه قناديلُ فيهنَّ الذُّبَالُ المقتلُ

فقال جرير : جائزتي للعذريّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلهما من بيت

المال ، ولك جائزتك يا جرير لا تُتَقَصُّ منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحُمَلان والكُسوة . فخرج العذريّ وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب .

1 جزع البسر : بلغ الإرتطاب نصفه ، وقيل : بلغ الإرتطاب من أسفله إلى نصفه وقيل : إلى ثلثيه وقيل : بلغ بعضه من غير أن يحد .

2 أطيّط كل شيء : صوته .

[تفضيل عبدة بن هلال لجريز على الفرزدق]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن¹ عن عبد الله بن عياش الحمداني قال : بينا المهلب ذات يوم [أو ليلة] بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة وصياحاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء . فأذن لهم فقالوا : إنا اختلافنا في جريز والفرزدق ؛ فكل فريق منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر ، وقد رضىنا بحكم الأمير . فقال : كأنكم أردتم [أن] تعرضوني لهذين الكلبين فيمزقاً جلدي ! لا أحكم بينهما ، ولكني أدلكم على من يهون عليه سيال جريز وسيال² الفرزدق ، عليكم بالأزارقة ، فإنهم قوم عرب يصيرون بالشعر ويقولون فيه بالحق . فلما كان الغد خرج عبدة بن هلال اليشكري ودعا إلى المبارزة ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقاً ؛ فقال له : يا عبدة ، سألتك الله إلا أخبرني عن شيء أسألك عنه . قال : سل . قال : أو تخبرني ؟ قال : نعم إن كنت أعلمه . قال : أجريز أشعر أم الفرزدق ؟ قال : فبحك الله ؛ أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر ! قال : إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك . فقال من الذي يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا
فقال : جريز . قال : هذا أشعر الرجلين .

[لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن العتيبي قال : قال جريز : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها ، وإنني لأري من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى ، ولولا أنني أخاف أن يستفرغني لأكثر منه .

[جريز في ضيافة عبد العزيز بن الوليد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب وعمي قال حدثنا ابن الأعرابي قال حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بيهس بن صهيب الجرهمي [عن عامر بن شبل الجرهمي] قال : قديم جريز على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مران³ ؛ فكننا نغدو إليه بكراً ، فيخرج إلينا ويجلس في برنس خزر له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طبأخ عبد العزيز إليه بقدر من طلاء مسخن يفور ، وبكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه ،

1 أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عدي .

2 السبال : الشوارب .

3 دير مران : قرب دمشق .

وَيُقْبَلُ عَلَيْنَا وَيَحْدِثُنَا فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَيُشَدُّنَا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ ، حَتَّى يَحْضَرَ غَدَاءَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَقُومُ إِلَيْهِ جَمِيعاً . وَكَانَ يَخْتِمُ مَجْلِسَهُ بِالتَّسْبِيحِ فَيُطِيلُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَا يُغْنِي عَنْكَ هَذَا التَّسْبِيحُ مَعَ قَدْذِكَ لِلْمُحْصَنَاتِ ! فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ إِنَّهُمْ وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي يَنْدَعُونِي ثُمَّ لَا أُحْلَمُ .
[وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة]

أَخْبَرَنِي عُمِّي قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ الْوَرَّاقِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الرَّاوِيَةِ قَالَ سَمِعْتُ الْفَرَزْدَقَ يَقُولُ ، وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزَبَانَ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِفِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودَةَ¹ الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ الْوَرَّاقِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الرَّاوِيَةِ قَالَ : سَمِعْتُ الْفَرَزْدَقَ يَقُولُ : أَبْقَ غَلَامَانِ لِرَجُلٍ مِنَّا يُقَالُ لَهُ الْخَضِيرُ ، فَحَدَّثَنِي قَالَ : خَرَجْتُ فِي طَلِبِهِمَا وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ لِي عَيْسَاءُ² كَوْمَاءُ³ أُرِيدُ الْيَمَامَةَ ؛ فَلَمَّا صِرْتُ فِي مَاءِ لَبْنِي حَنِيفَةً يُقَالُ لَهُ الصَّرَصْرَانُ ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرْخَتْ عَزَالِيهَا⁴ ؛ فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ وَسَأَلْتُ الْقَرَى فَأَجَابُوا ؛ فَدَخَلْتُ دَاراً لَهُمْ وَأَنْخْتُ النَّاقَةَ وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلَّةٍ لَهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، وَفِي الدَّارِ جُورِيَّةٌ لَهُمْ سَوْدَاءُ ، إِذْ دَخَلْتُ جَارِيَةً كَانَتْهَا سَبِيكَةٌ فَضَّةٌ وَكَانَ عَيْنِيهَا كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ ؛ فَسَأَلْتُ الْجَارِيَةَ : لِمَنْ هَذِهِ الْعَيْسَاءُ ؟ (تَعْنِي نَاقَتِي) فَقَالَتْ : لَصُفِيكَمُ هَذَا . فَعَدَلْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهَا السَّلَامَ . فَقَالَتْ لِي : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ . فَقَالَتْ : مِنْ أَيُّهُمْ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ . فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ : أَنْتِ إِذَا مِمَّنْ عَنَاهُ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ وَمَا بَنَى مَلِكُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ
بَيْتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

قَالَ : فَقُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ وَأَعْجَبَنِي مَا سَمِعْتُ مِنْهَا . فَضَحِكْتُ وَقَالَتْ : فَإِنَّ ابْنَ الْخَطَفِيِّ قَدْ هَدَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ هَذَا الَّذِي فَخَرْتُمْ بِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

[من الكامل]

1 ليس من الأخافش المعروفين .

2 العيساء : التي يضرب لونها إلى الأدمة ، وقيل : هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .

3 كوماء : عظيمة السنام طويلة .

4 العزالي : جمع عزلاء ، والعزلاء في الأصل : مصب الماء من الراوية والقرية .

أَخْرَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ¹
 بَيْتًا يُحْمَمُ قَيْنُكُمْ بِفِنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَذْخَلِ²
 قال : فَوَجَمْتُ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ : لَا عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُقَالُ فِيهِمْ
 وَيَقُولُونَ . ثُمَّ قَالَتْ : أَيْنَ تَوُومُ ؟ قُلْتَ : الْيَمَامَةُ . فَتَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ : هَا هِيَ تِلْكَ
 أُمَامَكُ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

تَذَكَّرُنِي بِلَادًا خَيْرُ أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ
 أَلَا فَسَقَى إِلَالَهُ أَجَشُّ صَوْبًا يَسُحُّ بِدَرِّهِ بِلَدَ الْيَمَامَةِ
 وَحَيًّا بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ فَاهْلٌ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
 قال : فَأَنْشَأَتْ بِهَا وَقَلْتُ لَهَا : أَذَاتُ خِزْنٍ أَمْ ذَاتُ بَغْلٍ ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ : [من الوافر]
 إِذَا رَقَدَ النَّيَّامُ فَإِنَّ عَمْرًا تَوَرَّقَهُ الِهْمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
 تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِيٍّ وَلَا بِصَاحِ
 سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمْرُو يَحْنُ إِلَى الرُّوَّاحِ
 فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ عَمْرُو هَذَا ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ : [من الوافر]

سَأَلْتُ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَبِيرِ
 فَإِنْ تَكَ ذَا قَبُولٍ إِنْ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُضِيءُ الْمُسْتَنِيرُ³
 وَمَا لِي بِالتَّبْعِلِ مُسْتَرَاخٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبْعِلُ لِي أُسِيرِي
 قال : ثُمَّ سَكَتَ سَكَنَةً كَأَنَّهَا تَسْمَعُ إِلَى كَلَامٍ ، ثُمَّ تَهَايَشَتْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ : [من الوافر]
 يَخِيلُ لِي هَيَّا عَمْرُو بْنُ كَعْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
 يَسِيرُ بِكَ الْهُوَيْنَى الْقَوْمُ لَمَّا رَمَاكَ الْحُبُّ بِالْعَلَقِ الْعَسِيرِ⁴
 فَإِنْ تَكَ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبْرِ

ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً . فَقُلْتُ لَهُمْ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : هَذِهِ عَقِيلَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ
 عَمْرُو بْنِ مُحَرَّرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ . فَقُلْتُ لَهُمْ : فَمَنْ عَمْرُو هَذَا ؟ قَالُوا : ابْنُ
 عَمَّاهُ عَمْرُو بْنُ كَعْبِ بْنِ مُحَرَّرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ؛ فَارْتَحَلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ . فَلَمَّا دَخَلْتُ الْيَمَامَةَ
 سَأَلْتُ عَنْ عَمْرُو هَذَا فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ مَا قَالَتْ .

1 رفع في الديوان : سمك 2/940 .

2 يُحْمَمُ : يسخن .

3 في هذا البيت إقواء .

4 الْعَلَقُ : الهوى يكون للرجل في المرأة .

[قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الهيثم بدر بن سعيد العطار قال حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلُّون إليه ؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرخى طرفيها فدخل ؛ فصاح به جرير :

يا أيُّها القارىءُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هذا زمانك إنِّي قد مضى زَمَنِي
أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقِيَهُ أني لَدَى البابِ كالمُصْفُودِ في قَرْنٍ¹

قال : فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه . وقد كان هيأ له شعراً ، فلما دخل عليه غيره وقال :

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنَا من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدْرًا كما أتى ربه موسى على قَدَرٍ
أذكر الجَهْدَ والبُلُوَى التي نزلتْ أم تكفني بالذي بُلِّغْتَ من خَبَرِي
ما زِلْتُ بعدك في دارٍ تَعْرِفُنِي قد طالَ بعدك إصعادي ومُنْحَدَرِي²
لا يَنْفَعُ الحاضرُ المجهودُ بادِينَا ولا وجود لنا بادٍ على حَضَرٍ
كم بالمواسمِ من شَعَثَاءِ أُرْمَلَةٍ ومن يَتِيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةً ملهوفٍ كأنَّ به خَبَلًا من الجنِّ أو مَسًّا من النُّشْرِ³
مَنْ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقَدْ والدِه كالْفَرَخِ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرْ⁴

قال : فبكى عمر ثم قال : يا ابنَ الحَظَفَى ، أَمِنْ أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم ، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحبَ صدقاتِ قومك فيصِّلكَ بمثل ما يصلُّ به قومك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنِّي لَمَنْ أَكْثَرُ قومي مالا ، وأحسِنهم حالاً ، ولكنِّي أسألك ما عَوَّدْتَنِيه الخلفاءُ : أربعةَ آلافِ درهمٍ وما يَتَبَعُها من كُسُوفٍ وحُمَلانٍ . فقال له عمر : كلُّ امرئٍ يَلْقَى فعله ، وأما أنا فما أرى

1 أبلغ خليفتنا في الديوان : قل للخليفة إمّا 738/2 .

2 أصل معنى الترقُّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان .

3 النشر : جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .

4 ينهض في الديوان : يدرج 415/1 .

لك في مال حقاً ، ولكن انتظر ، يَخْرُجُ عَطَائِي ، فَأَنْظُرُ ما يَكْفِي عِيَالِي سَنَةً مِنْهُ فَأَدْخِرُهُ لَهُمْ ، ثم إن فضل فضلٌ صرّفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يوفّر أمير المؤمنين ويحمد وأخرج راضياً ؛ قال : فذلك أحبُّ إليّ ؛ فخرج . فلماً ولى قال عمر : إن شرّ هذا ليُتَقَى ، رُدّوه إليّ ، فردّوه . فقال : إن عندي أربعين ديناراً وخِلْعَتَيْنِ إِذَا غُسِلْتُ إِحْدَاهُمَا لِبَسْتُ الأُخْرَى ، وأنا مُقاسِمُكَ ذلك ، على أن الله جَلَّ وعزَّ يعلم أن عمر أُخْرِجَ إلى ذلك منك . فقال له : قد وفّرَكَ الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راضٍ . قال : أمّا وقد حلفتُ فإن ما وفّرته عليّ ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح ، فامض مُصاحباً ؛ فخرج . فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حَزْرَةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرّب الفقراء ويُعَايِدُ الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ؛ ثم وضع رجله في غَرَزِ راحلته وأتى قومه . فقالوا له : ما صنع بك أمير المؤمنين أبا حَزْرَةَ ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشام حَبْلَ جماعةٍ أمينَ القوّى مُستَحْصِدَ العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُفَى الشيطانِ لا تستفِزُهُ وقد كان شيطانِي من الجنِّ راقيا

هذه رواية عمر بن شُبّة . وأمّا اليزيديّ فإنه قال في خبره : فقال له جريرُ يا أمير المؤمنين ، فإنني ابنُ سَبِيل . قال : لك ما لأبناء السبيل ، زادُكَ ونفَعَةُ تَبْلُغَكَ وتُبَدِّلُ راحلتك إن لم تحملك . فألحَّ عليه ؛ فقالت له بنو أُميّة : يا أبا حَزْرَةَ ، مهلاً عن أمير المؤمنين ، ونحن نُرضِيكَ من أموالنا عنه ، فخرج . وجمعت له بنو أُميّة مالا عظيماً ؛ فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر .

[رؤيا أمّه وهي حامل به]

أخبرني محمد بن مَرْزِد بن أبي الأَزهَر قال حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه عن أبي عُبَيْدة قال : رأتُ أُمَّ جَرِير وهي حاملٌ به كأنها ولدتُ حَبْلاً من شَعَرٍ أَسْوَد ، فلماً سَقَطَ منها جعل يَنْزُو فيقع في عُتْقِ هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ ، فانتبهتُ فَرِزَعَةً فَأَوَلَّتِ الرُّؤْيَا فقليل لها : تَلْدِينٌ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وَشَدَّةٍ شَكِيمَةٍ وبلاءٍ على الناس . فلماً ولدته سمّته جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها . قال : والجري : الحبل .

[قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء]

قال إِسْحاق وقال الأصمعيّ حَدَّثَنِي بِلَال بن جرير ، أو حَدَّثْتُ عنه : أن رجلاً قال لجري : من أشعر الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعْرِفَكَ الجواب ؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عِزّاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرْعَهَا ، فصاح به : اخرج يا أبت ؛ فخرج شيخٌ دَمِيمٌ رَثٌ الهَيْئَةُ وقد سال لبِنُ العِزِّ على لِحْيَتِهِ ؛ فقال : ألا ترى هذا ؟ قال نعم . قال : أو

تعرفه ؟ قال لا . قال : هذا أبي ، أفتدري لِمَ كان يشرب من ضَرْع العَنَز ؟ قلت لا . قال : مَخَافَةً أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُ الحَلْبِ فيُطْلَبَ منه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فَاخَرَ بِمِثْلِ هذا الأَبِ ثَمَانِينَ شاعراً وقَارَعَهُمْ به فغلبَهُمْ جميعاً .
[إخوته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيْل عن المُغيرة بن حَجْنَاء عن أبيه قال : وُلد جريراً لسبعة أشهر ؛ فكان الفرزدق يُعَيِّرُهُ ذلك ، وفيه يقول :
[من الطويل]

وَأَنْتَ ابْنُ صُغْرَى لَمْ تَتَمَّ شَهْرُهَا
قال وولِدَ عطيةً جريراً ، وأُمُّهُ أُمُّ قَيْسِ بنتِ مُعَيْدٍ من بني كُليب ، وعَمْرَأُ وَأَبَا الْوَرْدِ .
فَأَمَّا أَبُو الْوَرْدِ فَكَانَ يَحْسُدُ جَرِيرًا ؛ فَذَهَبَتْ لَجَرِيرٍ إِبِلٌ فَشَمِتَ بِهِ أَبُو الْوَرْدِ فَقَالَ لَهُ
جريرٌ :
[من الطويل]

أَبَا الْوَرْدِ أَبَقَى اللَّهُ مِنْهَا بَقِيَّةً كَفَتْ كُلُّ لَوَامٍ خَدُولٍ وَحَاسِدٍ
وَأَمَّا عَمْرُو فَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ جَرِيرٍ ، وَكَانَ يُقَارِضُهُ الشَّعْرَ . فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ :
[من الوافر]
وعمرو قد كرهتُ عتابَ عمرو وقد كثرَ المَعَاتِبُ وَالذُّنُوبُ
وقد صدَّعتُ صخرةً مَنْ رَمَاكُمْ وقد يُرْمَى بِبَيِّ الحَجَرِ الصَّلِيبُ
وقد قطعَ الحديدَ فلا تُمارُوا فِرْنَدٌ لَا يُقَلُّ وَلَا يَذُوبُ
[شعر قاله ليزيد بن معاوية يعاتب به أباه]

قال : وأوَّلَ شعر قاله جرير في زمن معاوية ، قاله لابنه :

فَرُدِّي جِمَالَ الْبَيْنِ ثُمَّ تَحَمَّلِي فَمَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ وَلَا لِيَا
لَقَدْ قَادَنِي الْجِرَانُ يَوْمًا وَقُدَّتُهُمْ وفارقتُ حَتَّى مَا تَصُبُّ جِمَالِيَا
وَأَنِّي لَمَغْرُورٌ أَعْلَلُ بِالْمُنَى ليالي أَرْجُو أَنَّ مَالِكَ مَالِيَا
بَأَيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ الْقَرَمَ بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
بَأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه ؛ لأنَّ جريراً لم يكن شعره شُهر حينئذٍ ؛ فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذِنَ له مع الشعراء ، فأمر يزيدُ ألاَّ يدخلَ

عليه شاعر إلا مَنْ عَرَفَ شعرَه ؛ فقال جرير : قولوا له : أنا القائل : [من الطويل]

فَرُدِّي جِمالَ الحَيِّ ثُمَّ تَحَمَّلِي فما لك فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا
فأمر بإدخاله . فلما أنشده قال يزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أنني قائلها ، وأمر له بجائزة وكسوة .

[استعار من أبيه فحلاً ولما استرده منه عرض به]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبَيْدة قال أبو عمرو : استعار جرير من أبيه فحلاً يُطْرِقه في إبله ، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ¹ خَلَقٍ يَسْتَرِدُّه ؛ فدفعه إليه وقال : يا أبتِ ، هذا «تُرَدُّ إلى عطية تُعْتَلُّ» . يعرض بقول الفرزدق فيه :

ليسَ الكِرامُ بناحِليكَ أباهُم حتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُّ²

[اتعاطه بجائزة مرّت عليه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا الرّياشيّ وعمر بن شَبَّة قالَا حدثنا الأصمعيّ قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال : جلس جرير يُعَلِّي على رجل قوله : [من الكامل]

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لَمَنْ تَحَبَّ قَلِيلُ³

فمروا عليه بجائزة ؛ فقطع الإنشاد وجعل يَنكِي ، ثم قال : شَيَّبَتْنِي هذه الجنازة . قال أبو عمرو : فقلت له : فَعَلَّامَ تَقْدِفِ الْمُحْصَنَاتِ منذ كذا وكذا ؟ فقال : إِنَّهُمْ يَدْعُونَنِي ثُمَّ لَا أَعْفُو .

[قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق]

أخبرني عميّ قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدثنا عبد الله بن المُعَدَّل قال : كان أبي وجماعة من علمائنا يقولون : إنّما فَضِّلَ جريرٌ لمقاومته الفرزدق ، وأفضل شعرٍ قاله جرير :

حَيِّ الْهَدْمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ⁴

1 البتّ : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر ، قيل : هو من وبر وصوف .

2 تعتل : تساق قسراً .

3 لمن تحب في الديوان : إلى الحبيب 91/1 .

4 الهدملة : موضع بعينه . والمواعيس : موضع .

[هجا بني الهجيم لأنهم منعه الإنشاد في مسجدهم]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال : أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم¹ في مسجدهم فأنشدهم ؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هذا أتت الله ! فإن هذا المسجد إنما بُني لذكر الله والصلاة . فقال جرير : أقررتم للفرزدق ومنعتموني ؟ وخرج مغضباً وهو يقول : [من الكامل]

إِنَّ الْهَجِيمَ قَبِيلَةٌ مَلْعُونَةٌ حُصُّ اللَّحَى مُتَشَابَهُو الْأَلْوَانِ²

هُمْ يَتَرَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعَرَ الْأَنْوَفِ لَرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ³

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شَرَبَةٍ بَعْمَانٌ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ

قال : وخفة اللحى في بني هجيم ظاهرة . وقيل لرجل منهم : ما بالكم يا بني الهجيم حُصُّ اللحى ؟ قال : إِنَّ الفحل واحد .

[حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعتُ عُمارة بن عَقِيل يحدث عن أبيه عن جدّه قال : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : مَنْ أشعر الناس ؟ قال فقال : ابنُ العِشرين⁴ . قال : فما رأيك في ابني⁵ أبي سلمى ؟ قال : كان شعرهما نيراً يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتُخذ⁶ الخبيثُ الشعر نَعْلين ، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاذله⁷ . قال : فما تقول في ذي الرُّمة ؟ قال : قَدَر من ظريف الشعر وغريه وحسّنه [على] ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعَةٌ من الشعر قد قَبَضَ عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ! إني لَمَدِينَة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ،

1 بنو الهجيم : بطنان من العرب .

2 ملعونة في الديوان : مخسوسة 439/1 . حص : جمع أحصى وأحصى اللحية : قليل شعرها . وفي الديوان : نط 91/1 .

3 هم يتركون في الديوان : متوركين 439/1 .

4 ابن العشرين : يعني طرفه بن العبد .

5 يعني زهيراً وابنه كعباً .

6 في ل : جعل امرؤ القيس .

7 ذلاذل القميص : ما يلي الأرض من أسافله .

نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنيتُ¹ ، وأرملتُ فأغررتُ ، ورجزتُ فأبحرتُ ؛ فأنا قلتُ ضروبَ الشعرِ كلّها ، وكلُّ واحدٍ منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتُ .

[طلبتُ جارية له أن يبيعها فبيعه الفرزدق ذلك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : كانت لجريز أمة وكان بها معجباً ، فاستخفت المَطْعَمَ والملبسَ والغشيانَ واستقلّت ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أهل خِصْبٍ ونَعْمَةٍ ، فسامته أن يبيعها وألحّت² في ذلك ؛ فقال فيها :

تكلّفني معيشة آلِ زيدٍ ومَنْ لي بالمرّققِ والصنابِ³
تقول ألا تَضُمُّ كَضْمَ زيدٍ وما ضَمّي وليس معي شِبابي

فقال الفرزدق يعبّره ذلك :

فإن تُفَقِّركَ عِلْجةُ آلِ زيدٍ ويُعْجِزُكَ المَرَقَقُ والصنابُ⁴
فقدماً كان عيشُ أبيك مُراً يعيشُ بما تعيشُ به الكلابُ

[قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد الله]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا التّوّزّي عن أبي عبيدة عن أيّوب بن كُسيب قال : دخل جريز على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرمة يُنْشِده . فقال المهاجر بن عبد الله لجريز : كيف ترى ؟ قال : لقد قال وما أنعم . فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول :

أنا أبو الحارثِ واسمي غيلانُ

فنهض جريز وقال :

إني امرؤٌ خُلِقتُ شكساً أشوساً إن تَضْرِساني تَضْرِساني مُضْرَساً⁵

1 سَنَى الشيء : سهّله وفتح .

2 في ل : ولجت .

3 المَرَقَق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . وفي الديوان بالصلائق 812/2 . والصناب : آدم يتخذ من الخردل والزبيب .

4 ويعجزك في ل : ويعوزك .

5 الشكس : الصعب الخلق : والأشوس : الجريء القتال الشديد والمتكبر . وضرسه : عضه وعجمه ليختره .

وثمة اختلاف بين في رواية هذا الرجز في الديوان 564/2 .

قد ليس الدهر وأبقى ملبساً من شاء من نارٍ الجحيم اقتبسا

قال : فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يُجِبْه .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال : كان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يُصْجِرْ¹ له ؛ فقال جرير فيه :

[من الوافر]

أقول نصيحة لبي عدي ثيابكم ونضح دم القليل

وهي قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْجِرُونَ له .

[حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئي]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو العراف قال : قال الفرزدق لذي الرمة : أهلك البكاء في الديار وهذا العبد يرجز بك (يعني هشاماً المرئي) بمقبرة بني حصن . قال : وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقريه لبني امرئ القيس يقال لها : مرأة² ، فلم يقرؤه ولم يعلفوا له ، فارتحل وهو يقول : [من الطويل]

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت
أُنخنا فظللنا بأبرادٍ يُمنّة
فلما رأنا أهل مرأة أغلقوا
وقد سُميت باسم امرئ القيس قرية
يَظُلُّ الكرام المرملون بجوها
ولو وُضعت أكوأها عند بيّهس
علينا حصى المعزاء شمس تنالها
رقاق وأسيافٍ قديم صقالها³
مخادع لم تُرفع لخير ظلالها
كرام صواديها لئام رجالها⁴
سواء عليهم حملها وحيالها⁵
على ذات غسلٍ لم تُشمس رجالها

فقال جرير لهشام ، وكان يتهم ذا الرمة بهجائه التيم وهم إخوة عدي : عليك العبد (يعني ذا الرمة) . قال : فما أصنع يا أبا حذرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرجز ، والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رفدتنني ! قال : قل له :

[من الطويل]

عجبت لرحلٍ من عدي مُشمس
وفي أي يومٍ لم تُشمس رجالها⁶

1 لم يصحر له : لم يبرز له ، من قولهم : أصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء .

2 مرأة : قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم وهي باليمامة .

3 اليمنة : ضرب من برود اليمن .

4 الصوادي : النخل التي لا تُسقى وإنما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .

5 أرمّل القوم : فني زادهم .

6 في الديوان اختلاف بين 1034/2 .

وَفِيمَ عَدِيٍّ عِنْدَ تَيْمٍ مِنَ الْعُلَا وَأَيَّامِنَا اللَّاتِي يُعَدُّ فَعَالُهَا
 مَدَدَتْ بِكَفٍّ مِنْ عَدِيٍّ قَصِيرَةٍ لَتُذْكَرَ مِنْ زَيْدٍ يَدَا لَا تَنَالُهَا
 وَضَبَّةٌ عَمِّي يَا ابْنَ جَلٍّ فَلَا تَرَمُ مَسَاعِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْكَ سِجَالُهَا¹
 يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمُهَا مَا تُجِنُّهُ مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
 فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِينُ بِنِسَائِهَا عَلِيٌّ فَقَدْ أُعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
 إِذَا الرُّمُّ قَدْ قَلَّدَتْ قَوْمَكَ رُمَّةً بَطِيئًا بِأَيْدِي الْمُطْلِقِينَ انْخِلَالُهَا
 تَرَى اللُّومَ مَا عَاشَتْ عَدِيٌّ مُخَلَّدًا سَرَايِلُهَا مِنْهُ وَمِنْهُ نِعَالُهَا

قال : فَلَجَّ الهجاء بين ذي الرمة وهشام . فلما أنشد المَرثِيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال : كَذَبَ الْعَبْدُ السُّوءُ ؛ ليس هذا الكلام له ، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظَلِيٌّ ، هذا كلام ابن الأتَانِ² . قال : ولم يزل ذو الرمة مستعليًا على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات .

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَدْنَانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ مِنْ وَلَدِ حَجَنَاءَ بْنِ نُوحٍ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَحْدِثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَى هِشَامُ بْنُ قَيْسِ الْمَرثِيَّ أَبِي (يعني جريراً) فَاسْتَرْفَدَهُ عَلَى ذِي الرَّمَّةِ ، وَقَدْ كَانَا تَهَاجِيَا دَهْرًا ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ذَا الرَّمَّةَ نَزَلَ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ لَبِنِي أَمْرِيءِ الْقَيْسِ فَلَمْ يُدْخِلُوا رَحْلَهُ ، فَذَمُّهُمْ فِي الْقَرْيَةِ ، وَمَدَحَ بَيْهَسًا صَاحِبَ ذَاتِ غِسْلٍ ، وَهُوَ مَرثِيٌّ . وَذَاتُ غِسْلٍ : قَرْيَةٌ لَهُ . فَقَالَ ذُو الرَّمَّةِ :

وَلَمَّا وَرَدْنَا مَرَاةَ اللُّومِ أَغْلَقْتُ دَسَاكِرُ لَمْ تُفْتَحْ لَخِيرٍ ظِلَالُهَا
 وَلَوْ عَرَّيْتُ أَصْلَابُهَا عِنْدَ بَيْهَسٍ عَلَى ذَاتِ غِسْلٍ لَمْ تُشْمَسْ رِحَالُهَا³
 إِذَا مَا أَمَرُوا الْقَيْسَ ابْنَ لَوْمٍ تَطَعَّمَتْ بِكَأْسِ النَّدَامَى خَبِيثَتَهَا سِيَالُهَا

فقال جرير للمَرثِيَّ : قل له :

غَضِبْتَ لِرَحْلِي مِنْ عَدِيٍّ مُشْمَسٍ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ تُشْمَسْ رَحَالُهَا

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة . قال : فلقي ذو الرمة جريراً فقال له : تَعَصَّبْتَ لِلْمَرثِيِّ وَأَنَا خَالُكَ ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتُ له أن يقول

1 هو جَلُّ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ مَضَرٍ رَهْطُ ذِي الرَّمَّةِ الْعَدَوِيِّ .

2 ابن الأتَان : لَقَبَ كَانَ يَنْبِزُ بِهِ جَرِيرٌ .

3 الْأَصْلَابُ : جَمْعُ صَلْبٍ وَهُوَ عَظْمٌ مِنْ لَدُنِ الْكَاهِلِ إِلَى الْعِجَبِ .

لي :

[من الطويل]

عجبت لرحلٍ من عديٍّ مشمسٍ

فقال له جرير : لا ! بل ألهك البكاء في دارمة حتى أبيضت محارمك . قال : وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرمة عليه ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له جرير : اذهب الآن فقل للمرثي :

[من الوافر]

يَعْدُ الناسون إلى تميم ببيتَ المجدِ أربعةً كباراً
يَعْدُونَ الرِّبَابَ وَالْ سَعْدِ وعمراً ثم حنظلة الخيارا
ويَهْلِكُ بينها المرثيُّ لغواً كما ألغيت في الدية الحواراً¹

[من الوافر]

فقال ذو الرمة قصيدته التي أولها :

نبت عيناك عن طللٍ بحزوى عفتة الریح وامتنح القطارا²

والحق فيها هذه الأبيات . فلما أنشدها وسمعها المرثي جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويله وحزبه ويقول : ما لي ولجرير ؟ فقيل له : وأين جرير منك ؟ هذا رجل يُهاجيك وتهاجيه ؛ فقال : هيهات ؛ لا والله ما يُحسِن ذو الرمة أن يقول :

[من الوافر]

ويذهب بينها المرثيُّ لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

هذا والله كلام جرير ما تعداه قط . قال : ومراً الفرزدق بذِي الرمة وهو يُنشد هذه القصيدة ؛ فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أعد يا غيلان ، فأعاد ؛ فقال له : أنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أبا فراس . قال : كذب فوك ! والله لقد نحلكتها أشد لحين منك ، هذا شعر ابن الأثان . قال : وجاء المرثيون إلى جرير فقالوا : يا أبا حذرة ، قد استعلى علينا ذو الرمة ، فأعنا على عادتك الجميلة . فقال : هيهات ؛ قد والله ظلمتُ خالي لكم مرةً وجاءني فاعتذر وحلف ، وما كنت لأعينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرمة في تلك الأيام .

[أقر له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال حدثني أبو بكر بن نوفل قال حدثني من سأل النصيب قال : قلت له : يا أبا مِحن ، بيتٌ قلتَ نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ ، فأجب أن تخبرني أيكم فيه أشعر ؟ قال : وما هو ؟ قلتُ قولك : [من الطويل]

1 الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصل أول ما ينتج .

2 حزوى : موضع في ديار تميم .

أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا أَكَبَّ عَلَيْهَا جَاوِزٌ مُتَعَرِّقٌ
وقال جميل :

[من الطويل]

أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سُلَالُهَا¹
وقال جرير :

[من الوافر]

إِذَا بَلَغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَفِي طُولِ الْكَلَالِ لَهَا قِيودُ
فَقَالَ نَضِيبٌ : قَاتِلِ اللَّهَ ابْنَ الْخَطَفَى مَا أَشْعَرَهُ ! . قَالَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ
فَضَلْتَهُ ؛ فَقَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ .

[قال عنه ابن منذر هو أشعر الناس]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ الْقَاسِمِ الْقَعْلَجِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمِنْقَرِيُّ قَالَ قَالَ مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ : قُلْتُ لِابْنِ
مُنَازِيرٍ بِمَكَّةَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا شَتَّتَ لَعِبَ ، وَإِذَا شَتَّتَ جَدَّ ؛ فَإِذَا لَعِبَ
أَطْمَعَكَ لَعِبُهُ فِيهِ ، وَإِذَا رُمَتْهُ بَعْدَ عَلَيْكَ ؛ وَإِذَا جَدَّ فِيمَا قَصَدَ لَهُ أَيَّاسُكَ مِنْ نَفْسِهِ . قُلْتُ :
مِثْلُ مَنْ ؟ قَالَ : مِثْلُ جَرِيرٍ حِينَ يَقُولُ إِذَا لَعِبَ :

[من الكامل]

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بَلْبُكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
ثم قال حين جدَّ :

[من الكامل]

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالنَّبُوَّةَ فِينَا
مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا آلَ تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَأَيْنَا²
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا³

[اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الرَّيَاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو قَالَ : لَمَّا بَلَغَ
عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلُ جَرِيرٍ :

[من الكامل]

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا
قَالَ : مَا زَادَ ابْنَ الْمَرَاغَةَ عَلَى أَنْ جَعَلَنِي شُرْطِيًّا ! أَمَا لَوْ أَنَّهُ قَالَ :

لَوْ شَاءَ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

لَسَقَتُهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ .

1 السلال : مثل السل ، وهو داء معروف .

2 يَا آلَ فِي ل : خزر . وفي الديوان 388/1 .

3 القطين : الخدم والحشم .

[فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال : سألت بشاراً العُقَيْليّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ، ولكن ربيعةً تعصبتُ له وأفرطتُ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحسِنُ ضرراً من الشعر لا يُحسنُها الفرزدقُ ، وفضلُ جريراً عليه .

[مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق]

وقال ابن سلام : قال العلاء بن جرير ، وكان قد أدرك الناسَ وسمع : كان يقال : الأخطلُ إذا لم يَجِءْ سابقاً فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدق لا يَجِءْ سابقاً ولا سُكَيْتاً فهو بمنزلة المصلّي أبداً ، وجرير يَجِءْ سابقاً ومصلّياً وسُكَيْتاً . قال ابن سلام : وتأويلُ قوله : إنَّ للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعة طوالاً روائعَ غُرّاً جيداً هو بهنّ سابق ، وسائرُ شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السُكَيْتِ ، والسُكَيْتُ : آخر الخيل في الرّهان ، والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقيّة شعره ، فهو كالمصلّي أبداً ؛ وهو الذي يَجِءْ بعد السابق وقبل السُكَيْتِ . وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق ، وأواسطُ هو بهنّ مصلّ ، وسفّسافاتُ هو بهنّ سُكَيْت .

[مناقضة بينه وبين الفرزدق]

أخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زُرارة قال : قال جرير بالكوفة :

[من الطويل]

لقد قاذني من حُبِّ ماويّة الهوى وما كنتُ تلقاني الجنيّة أقوداً¹
أحبُّ ثرى نجدٍ وبالغورِ حاجةً فغارَ الهوى يا عبدَ قيسٍ وأنجداً
أقول له يا عبدَ قيسٍ صبايةً بأيُّ ترى مستوقد النارِ أوقداً
فقال أرى ناراً يُشبُّ وقودها بحيثُ استفاض الجزعُ شيحاً وغرّقداً²

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها . قال : فحدثني جابر بن جندل قال : فقال لنا جريرٌ : أعجبتكم هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم . قال : كأنكم بآبن القَيْنِ³ وقد قال : [من الطويل]

أَعِدْ نَظْراً يا عبدَ قيسٍ لعلّما أضاءتْ لك النارُ الحِمَارَ المقيّداً⁴

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده :

[من الطويل]

1 في الديوان اختلاف 848/2 . والجنية : التي تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع .

2 الفرقد : كبار العوسج .

3 ابن القَيْن : لقب كان ينز به الفرزدق .

4 لعلّما في ل : فأنما .

حمارٌ بمرُوتِ السُّحامةِ قاربتُ وَظِيفِيهِ حَوْلَ الْبَيْتِ حَتَّى تَرَدُّدًا¹
 كُلِّيَّةٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ وَجْهَهَا كَرِيمًا وَلَمْ يَسْنَحْ بِهَا الطَّيْرُ أُسْعِدًا
 قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنكم بابينِ المِراغةِ قد قال : [من الطويل]
 وما عِبتَ من نارٍ أضاءَ وقودُها فِرَاسًا وَبِسْطَامَ بَنَ قَيْسٍ مَقِيدًا²
 قال فإذا بالبيت قد جاء لجريٍ ومعه : [من الطويل]
 وأوقدتَ بالسَّيِّدَانِ ناراً ذَلِيلَةً وَأَشْهَدْتَ من سَوَاءِ جَعِثٍ مَشْهَدًا³

[جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليّ العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم عن عمارة بن عُقيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخلٌ عنده ، وقد كانا تهاجيا ولم يَر أَحَدٌ منهما صاحبه ، فلما استاذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل ، فطمح طَرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَكَ وتهَضُّمتُ قومَكَ . فقال له جرير : ذلك أشقى لك كأننا من كنت . ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هَذَا يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ؛ فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة . فردَّ عليه بصره ثم قال : فلا حَيَاكَ اللهُ يا ابنَ النصرانيَّة ! أمَّا منعُكُ نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأمَّا تهَضُّمُكُ قومي فكيف تهَضُّمُهُم وأنتَ مَن ضُربتُ عليه الذَّلَّةُ وباءَ بغضبٍ من الله وأدَّى الجزيةَ عن يَدِهِ وهو صاغِرٌ . وكيف تهَضُّمُ لا أُمَّ لَكَ قوماً فيهم النبوةُ والخلافةُ وأنتَ لهم عبدٌ مأمورٌ ومحكومٌ عليه لا حاكم . ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابنِ النصرانيَّة ؛ فقال : لا يجوز أن يكونَ ذلك بحضرتي .

[تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال : نازع جريرٌ بني حِمْيَانَ⁴ في رَكِيَّةٍ لهم ؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليمامة يتحاكمون إليه ؛

1 المروت : موضع لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماء لبني كليب باليمامة . والقينان : الوظيفان أو موضع القيد منهما .

2 يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود .

3 السيدان : موضع . وأشهدت في الديوان : وعُرِّتْ 851/2 .

4 بنو حمان : حي من تميم أحد حي بني سعد بن زيد مناة .

فقال جرير¹ :

[من الرجز]

أُعُوذُ بِالْأَمِيرِ غَيْرِ الْجَبَّارِ مِنْ ظُلْمِ حِمَّانٍ وَتَحْوِيلِ الدَّارِ
 مَا كَانَ قَبْلَ حَقْرِنَا مِنْ مِخْفَارِ وَضَرْبِي الْمِنْقَارِ بَعْدَ الْمِنْقَارِ²
 فِي جَبَلٍ أَصَمٍّ غَيْرِ خَوَّارِ يَصِيحُ بِالْجُبِّ صِيَاحَ الصَّرَّارِ
 لَهُ صَهِيلٌ كَصَهِيلِ الْأُمْهَارِ فَاسْأَلْ بَنِي صَخْبٍ وَرَهْطَ الْجَرَّارِ³
 وَالسَّلْمِيِّينَ الْعِظَامَ الْأَخْطَارِ وَالْجَارُ قَدْ يُخْبِرُ عَنْ دَارِ الْجَارِ⁴

فقال الحِمَّانِي :

[من الرجز]

مَا لِكَلْبِيبٍ مِنْ حِمَى وَلَا دَارٍ غَيْرُ مُقَامٍ أَتْنِي وَأَغْيَارُ
 فُغَسِرَ الظُّهُورِ دَامِيَاتِ الْأَنْفَارِ⁵

قال فقال جرير : فعن مُقَامِيهِنَّ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَجَادِلُ . فقال ابن عربي للحِمَّانِي : قد أَقَرَرْتَ لَخَصْمِكَ ؛ وَحَكَمَ بِهَا لَجَرِيرِ .

[نزل بيني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم]

قال ابن سَلَامٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو يَحْيَى الضَّبِّيُّ قَالَ : بَيْنَا جَرِيرٌ يَسِيرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ إِذْ هَجَمَ عَلَى أَبْيَاتٍ مِنْ مَازِنٍ وَهَلَالٍ ، وَهُمَا بَطْنَانِ مِنْ ضَبَّةٍ ، فَخَافَهُمْ ، لِسُوءِ أَثَرِهِ فِي ضَبَّةٍ ،
 فقال :

[من الوافر]

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكَ وَلَنْ تُرَاعِي بَعْقَوَةَ مَازِنٍ وَبَنِي هِلَالٍ⁶
 هُمَا الْحَيَّانِ إِنْ فَرَعَا يَطِيرَا إِلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِ
 أَمَازِنُ يَا ابْنَ كَعْبٍ إِنْ قَلْبِي لَكُمْ طَوْلَ الْحَيَاةِ لَغَيْرِ قَالِي
 غَطَارِيفٌ يَبِيتُ الْجَارُ فِيهِمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِ وَمَالٍ
 قَالَ : أَجَلٌ يَا أَبَا حَزْرَةَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْكَ .

1 في الديوان اختلاف بين في الأشرطة 445/1-446 .

2 المنقار : حديدة يحفر بها .

3 بني صخب في ل : أبا عصم .

4 السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

5 القعس : جمع أقدس وقعاء . والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . والثفر لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة .

6 العقوة : ساحة الدار .

[وفد على عبد الملك في دمشق فالتفت الناس حوله في المسجد دون الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال شعيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال : رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناس عُنق¹ واحد على جرير : [قيس وموالي بني أمية] يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حزره في مسيرك ، وكيف أهلك وأسألك . وما يطيف بالفرزدق إلا نفر من خنيد جلوس معه . قال شعيب : فقلت لهارون : ولم ذلك ؟ قال : لمدحه قيساً وقوله في العجم :

فيجمعنا والغر أولاد سارة أب لا نبالي بعده من تعذرا

قال شعيب : بلغني أنه أهديت له يومئذ مائة حلة ، أهداها إليه الموالى سوى غيرهم . وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شعيب بن صخر ، فذكر نحوه من حكاية أبي زيد ، إلا أنها أتم من حكاية ابن سلام . وقال أبو خليفة في خبره : سمعت عمارة بن عجيل بن بلال يقول : وافته في يومه ذلك مائة حلة من بني الأحرار² .

[رأى الأحرار في بقاء فعرض به لثلاث يمين عليه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال : بينا جرير بقاء إذ طلع الأحوص وجرير ينشد قوله :

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول :

عوى الشعراء بعضهم لبعض علي فقد أصابهم انتقام
إذا أرسلت قافية شروداً رأوا أخرى تحرق فاستداموا³
فمضطلم المسماع أو خصي وآخر عظم هامته حطام⁴

ثم عاد من حيث قطع . فلما فرغ قيل له : ولم قلت هذا ؟ قال : قد نهيت الأحوص أن يُعين علي الفرزدق ، فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ، ولولا حقكم ما تعوذت منه .

1 العنق : الجماعة الكثيرة .

2 بنو الأحرار : أبناء الموالى من الفرس .

3 ثمة اختلاف كبير في الديوان 280/1-281 .

4 الاصطلام : القطع .

[أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به]

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال قال عمارة بن عَقِيل حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الْحَجَّاجَ أَوْفَدَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَجَّاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَوْفَدَ إِلَيْهِ جَرِيرًا مَعَهُ وَوَصَّاهُ بِهِ وَأَمَرَهُ بِمَسْئَلَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ وَمَعَاوَنَتِهِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَرَدُوا اسْتَأْذَنَ لَهُ مُحَمَّدٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ مِنْ شِعْرَاءٍ مُضَرٍّ وَلَا يَأْذَنُ لَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا زُبَيْرِيَّةً . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ لَهُ مُحَمَّدٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ أَعْلَمَهُ أَنَّ أَبَاهُ الْحَجَّاجَ يَسْأَلُهُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ وَالِي¹ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا نَصَرَهُ بِيَدِهِ وَلَا لِسَانِهِ ، وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْعَرَبَ تَحَدَّثَتْ أَنَّ عَبْدَكَ وَسَيْفَكَ الْحَجَّاجَ شَفَعَ فِي شَاعِرٍ قَدْ لَازَبَهُ وَجَعُهُ وَسَيْلَتُهُ ثُمَّ رَدَّذَتْهُ ؛ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ؛ فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَسَاكَ أَنْ تَقُولَ فِينَا بَعْدَ قَوْلِكَ فِي الْحَجَّاجِ ! أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مِنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصُرْنِي بِالْحَجَّاجِ وَإِنَّمَا نَصَرَ دِينَهُ وَخَلِيفَتَهُ . أَوْلَسْتَ الْقَاتِلَ : [من الكامل]

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيفَةً إِذْ لَا يَتَّقْنَ بَغْيَةَ الْأَزْوَاجِ
يَا عَاضُ كَذَا وَكَذَا مِنْ أُمِّهِ ؛ وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَطِيرَ بِكَ طَيْرَةً بَطِيئًا سُقُوطُهَا ، اخْرُجْ عَنِّي ، فَأُخْرِجَ بَشْرًا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ شَفَعَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ لَجَرِيرٍ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي أَدَّيْتُ رِسَالَةَ عَبْدِكَ الْحَجَّاجِ وَشَفَاعَتَهُ فِي جَرِيرٍ ، فَلَمَّا أَذِنْتَ لَهُ خَاطَبْتَهُ بِمَا أَطَارَ لُبُّهُ مِنْهُ وَأَشْمَتَ بِهِ عَدُوَّهُ ، وَلَوْ لَمْ تَأْذَنْ لَهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ مِمَّا سَمِعَ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَهَبَ كُلُّ ذَنْبٍ لَهُ لِعَبْدِكَ الْحَجَّاجِ وَلِيٍّ فَاغْلُ ، فَأَذِنَ لَهُ . فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ؛ فَقَالَ : لَا تُنْشِدْنِي إِلَّا فِي الْحَجَّاجِ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ لِلْحَجَّاجِ خَاصَّةٌ . فَسَأَلَهُ أَنْ يُنْشِدَهُ مَدِيحَهُ فِيهِ ، فَأَبَى وَأَقْسَمَ أَلَّا يُنْشِدَهُ إِلَّا مِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَجَّاجِ ؛ فَأَنْشَدَهُ وَخَرَجَ بَغِيرَ جَائِزَةٍ . فَلَمَّا أَرَفَ الرَّحِيلُ قَالَ جَرِيرٌ لِمُحَمَّدٍ : إِنْ رَحَلْتُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنِّي وَلَمْ آخِذْ لَهُ جَائِزَةً سَقَطَتْ آخِرُ الدَّهْرِ ، وَلَسْتُ بَارِحًا بِأَبِهِ أَوْ يَأْذَنُ لِي فِي الْإِنْشَادِ . وَأَمْسَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنِ الْإِذْنِ لَهُ . فَقَالَ جَرِيرٌ : ارْحَلْ أَنْتَ وَأَقِيمْنَا . فَدَخَلَ مُحَمَّدٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ جَرِيرٍ وَاسْتَأْذَنَهُ لَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ وَقَبْلَ يَدِهِ وَرَجَلَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ . فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأَمْسَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَنْشِدْ وَيَحْكُ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطْوَنَ رَاحٍ
فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : كَذَلِكَ نَحْنُ وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ . ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ
فَقَالَ :

دَعَوْتَ الْمُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جَمَاحاً هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِمَاحِ¹
وَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيّاً² أَلْفَ الْعَيْصِ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي³
وَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيْشٍ بَعْشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي⁴

قَالَ : ثُمَّ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا حَتَّى أَتَى عَلَى ذِكْرِ زَوْجَتِهِ فِيهَا فَقَالَ :

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لِقَاحٍ
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبَمِ الْقَرَّاحِ⁵

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَلْ تُرْوِيهَا مِائَةَ لِقَاحَةٍ ؟ فَقَالَ : إِنْ لَمْ يُرْوِهَا ذَلِكَ فَلَا أُرْوَاهَا اللَّهُ ! فَهَلْ
إِلَيْهَا ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَأَمَرُ لَهُ بِمِائَةِ لِقَاحَةٍ وَثَمَانِيَةِ مِنَ الرُّعَاءِ .
وكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ جَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ ؛ فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَأْمُرُ لِي بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
تَكُونُ مِخْلَباً ؟ فَضَحِكَ وَنَدَسَ⁶ إِلَيْهِ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بِالْقَضِيبِ وَقَالَ : خُذْهَا لَا نَفْعَ لَكَ ؛ فَأَخَذَهَا
وَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيَنْفَعَنِي كُلُّ مَا مِنْحَتَنِيهِ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ
ذَلِكَ جَرِيرٌ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ يَمْدَحُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُثُهَا ثَمَانِيَّةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفٌ⁶

[هجا سراقه البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دَمَازُ أَبُو غَسَّانَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : بَذَلَ
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ عَطَارِدِ بْنِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَفَرَساً لِمَنْ فَضَّلَ مِنَ
الشُّعَرَاءِ الْفَرَزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ ، فَلَمْ يُقَدِّمِ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سَرَاةَ الْبَارِقِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ يَفْضَلُ
الْفَرَزْدَقُ :

[من الكامل]

1 أبو خبيب : هو عبد الله بن الزبير .

2 الهبرزي : الخالص . الألف : الملتف . العيص : الأصل ، وهو أيضاً الشجر .

3 العشة : الشجرة الدقيقة القضبان اللثيمة المنبت . والضواحي : البادية العيدان لا ورق عليها .

4 الأنفاس : جمع نفَس وهو جرعة الماء . والشيم : البارد .

5 الندس : في الأصل : الطعن الخفيف .

6 هنيذة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

أَبْلَغَ تَعِيمًا غَثًّا وَسَمِينًا وَالْحَكَمَ يَقْصِدُ مَرَّةً وَيَجُورُ
أَنَّ الْفَرَزْدَقَ بَرَزَتْ أَعْرَاقُهُ سَبَقًا وَخَلْفًا فِي الْغُبَارِ جَرِيرُ
ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَضَائِلِ وَالْعُلَا وَابْنُ الْمَرَاغَةِ مُخْلَفٌ مُحْسَرُ¹
هَذَا قَضَاءُ الْبَارِقِيِّ وَإِنْسِي بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِهِمْ لَبِصِيرُ

قال أبو عبيدة فحدثني أيوب بن كُسيب قال حدثني أبي قال : كنت مع جرير ، فاتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه ، وقال له : إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهاراً أو ليلتك إن لقيتك ليلاً ، وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها . فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه ؛ فتهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له : أزعمت أنك تقول الشعر ؟ ما هو إلا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئاً ! فهلاً قلت : [من الكامل]

يَا بَشْرُ حَقَّ لَوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ . هَلَّا قَضَيْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ²

فقال له جرير : حسبك كُفَيْتِكَ . قال : وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أثار الصبح ؛ فقال جرير :

يَا صَاحِبِيَّ هَلِ الصَّبَاحُ مُنِيرُ أَمْ هَلِ لِلْيَوْمِ عَوَازِلِي تَفْتِيرُ
إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْهَا . وَفِيهَا يَقُولُ :

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرُ
يُعْطَى النِّسَاءُ مَهْرَهُنَّ كَرَامَةً وَنِسَاءُ بَارِقٍ مَالَهُنَّ مُهْرُ³

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر ، فقرئت بالعراق وأُفجِم سُرَاقَةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته .

[مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك]

أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال : كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لَجَأَ أَنَّ عمر كان يُنشدُ أَرْجُوزَةً له يصف فيها إبله وجرير حاضر ، فقال فيها :

[من الرجز]

1 بالفضائل في ل : بالقصائد .

2 قضيت في ل : غضبت .

3 ثمة اختلاف بين في الديوان 367/1 .

قد وردت قبل إنا ضحائها تُقرّس الحيات في خيرشائها¹
[جَرَّ العَجُوزِ الشَّيْ من ردايها]

فقال له جرير : أخفقت . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الرجز]

جَرَّ العُرُوسِ الشَّيْ من ردايها

فقال له التيمي أنت أسوأ قولاً مني حيث تقول : [من الطويل]

وأوثقُ عند المُرْدَفَاتِ عَشِيَّةُ لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السَّيْفَ لَامِعُ

فجعلتهن مُرْدَفَاتٍ عُذُوءٌ ثُمَّ تَدَارَكُنَّ عَشِيَّةُ . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الطويل]

وأوثقُ عند المُرْهَفَاتِ عَشِيَّةُ

فقال جرير : والله لهذا البيت أحبُّ إلي من بِكَرِي حَزْرَةَ ، ولكنك مُجَلِّبٌ للفرزدق . وقال

فيه جرير :

شَيْثًا يُقَارِبُ أَوْ وَحْشًا لَهَا غِرْرُ²

وخاطرت بي عن أحسابها مُضَرُّ !

وابْرُزْ بِبَرْزَةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ³

عند العُصَارَةِ والعِيدَانِ تُعْتَصِرُ⁴

هَلَّا سِوَانَا ادْرَأْتُمْ يَا بَنِي لَجَا

أَحِينَ كُنْتُ سِمَامًا يَا بَنِي لَجَا

خَلُّ الطَّرِيقِ لَمَنْ يَنْسِي الْمَنَارَ بِهِ

أَنْتَ ابْنُ بَرْزَةٍ مَنْسُوبًا إِلَى لَجَا

ويروى :

عند العُصَارَةِ والعِيدَانِ تُعْتَصِرُ

أَلَسْتَ نَزْوَةً خَوَّارٍ عَلَى أُمَةٍ

فقال ابن لجأ يرد عليه :

ما خاطرت بك عن أحسابها مُضَرُّ

لَقَدْ كَذَبْتَ وَشَرُّ الْقَوْلِ أَكْذَبُهُ

لَا يَسْبِقُ الْحَلَبَاتِ اللَّوْمُ وَالْخَوَرُ

بَلْ أَنْتَ نَزْوَةٌ خَوَّارٍ عَلَى أُمَةٍ

يَا ابْنَ الْأَتَانِ بِمَثَلِي تُنْقَضُ الْمِرْرُ

مَا قُلْتَ مِنْ هَذِهِ إِلَّا سَأُنْقَضُهَا

وقال عمر بن لجأ :

وَمَا اقْتَبَسُوا مِنِّي وَلِلشَّرِّ قَابِسُ⁵

عَجِبْتُ لَمَا لَاقَتْ رِيَاخٌ مِنَ الْأَذَى

1 الأنا : الوقت في الديوان : تقرّش 151 . والخرشاء : جلد الحية .

2 شيثاً في الديوان : أمراً 210/1 . ادراتم : ختلم . وغرر : غفلات ، واحدها غرة .

3 برزة : أم عمر بن لجأ .

4 عند في الديوان : عبد 213/1 .

5 رياح : هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير .

غَضَاباً لِكَلْبٍ مِنْ كُتَيْبٍ فَرَسْتُهُ هَوَى وَلَشَدَاتِ الْأَسُودِ فَرَأَيْتُ
إِذَا مَا ابْنُ يَرْبُوعٍ أَتَاكَ لَمَّا كَلَى عَلَى مَجْلَسٍ إِنْ الْأَكِيلَ مُجَالِسُ¹
فَقُلْ لَابِنْ يَرْبُوعٍ أَلَسْتَ بِرَاحِضٍ سِيَالِكَ عَنَا إِنْهَنَنْ نَجَائِسُ
تُمْسَحُ يَرْبُوعٌ سِيَالاً لَثِيمَةً بِهَا مِنْ مَنِيِّ الْعَبْدِ رَطْبٌ وَيَابِسُ

قال : ثم اجتمع جرير وابن لَجَجٍ بالمدينة وقد وَرَدَهَا الوليدُ بن عبد الملك ، وكان يَنَالُهُ² في نفسه ، فقال : أَتَقْذِفَانِ الْمُخَصَّنَاتِ وَتَغْضِيَانِهِنَّ ؟ ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزَمَ الأنصاري ، وكان والياً له بالمدينة ، بضربهما فضر بهما وأقامهما على البُلُسِ³ مقرونين ، والتَّيْمِيُّ يومئذٍ أَشْبُ من جرير ، فجعل يَشُولُ⁴ بجرير وجرير يقول وهو المَشُولُ به : [من الوافر]

فَلَسْتُ مُفَارِقاً قَرْنِيَّ حَتَّى يَطُولَ تَصْعُدِي بِكَ وَانْحِدَارِي

فقال ابن لَجَجَا : [من الوافر]

وَلَمَّا أَنْ قُرِنْتُ إِلَى جَرِيرٍ أَبَى ذُو بَطْنِهِ إِلَّا انْحِدَاراً⁵

فقال له قدامة بن إبراهيم الجُمَحِيّ : وَبِشْمَا قُلْتَ ! جعلت نفسك المقرون إليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال تقول :

وَلَمَّا لُزَّ فِي قَرْنِي جَرِيرٌ

فقال : جُرِيتَ خيراً ، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا .

[هو والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

حدثني محمد بن عمران الصَّبْرِيُّ قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي قال حدثني عُمارة بن عَقِيلٍ عن أبيه قال : وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده ، وقد كانا تَهَاجِيَا ولم يَلْقَ أَحَدُهُمَا صاحبه . فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس ، وقد عرفه الأخطل ، فطمح بصر جرير إليه فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومك وهَضَمْتُ قومك . فقال له جرير : ذاك أَشَقَى لَكَ كائناً مَنْ كُنْتَ . ثم أَقبل على عبد الملك فقال : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فضحك وقال : هذا الأخطلُ يَا أبا حَزْرَةَ . فردَّ بصره إليه وقال :

1 في الديوان اختلاف بين ص 113 .

2 التَّالَهُ : المتنسك .

3 البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه .

4 يشول به : يرتفع به .

5 ذو البطن : الرجيع .

فلا حيّاك الله يا ابن النصرانية ؛ أمّا منعك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأمّا تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ؛ إذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية . فقال : لا يكون ذلك بين يدي . فوثب جريرٌ مغضباً . فقال عبد الملك : قم يا أخطل واتبع صاحبك ؛ فإنما قام غضباً علينا فيك ؛ فنهض الأخطل . فقال عبد الملك لخدام له : انظر ما يصنعان إذا برز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم إليه حصاناً له أذهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره ؛ فضحك وقال : قاتل الله جريراً ! ما أفحله ! أمّا والله لو كان النصراني برز إليه لأكله .

[سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال : سئل جرير أيُّ الثلاثة أشعر ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلف مني ما لا يطيقه ؛ وأمّا الأخطل فأشدنا اجترأ وأرمانا للغرض¹ ؛ وأمّا أنا فمدينة الشعر . وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الأصمعي فذكر نحو ما ذكره الرياشي ، وقال في خبره : وأمّا الأخطل فأنعتنا للخمر وأمدحنا للملوك .

[فضله أبو مهدي على جميع الشعراء]

أخبرنا عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن عطاء بن مُصعب قال : قلت لأبي مَهديّ الباهليّ وكان من علماء العرب : أيما أشعر أجريّر أم الفرزدق ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعر العرب كلها ؛ ثم قال : لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكم بينهم .

[لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازني يقول : قال جرير : هجوت بني طهية أنواع الهجاء ، فلم يحفلوا بقولي حتى قلت في قصيدة الراعي :

كَانَ بَنِي طُهْيَةَ رَهْطَ سَلَمَى حَجَارَةُ خَارَى يَرْمِي كَلَابَا

فجزعوا حينئذٍ ولاذوا بي .

[كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :

كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان بلالُ ابنه أعق الناس به . فراجع جريرُ بلالاً الكلامَ يوماً ؛ فقال له بلال : الكاذبُ مني ومنك ناك أمه . فأقبلت أمه عليه وقالت له : يا عدو الله ! أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دعيه ، فوالله لكأنه سميعها مني وأنا أقولها لأبي .
[هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمري عن لقيط قال : كان عمر بن يزيد بن عُمير الأسدي يتعصب للفرزدق على جرير . فتزوج امرأة من بني عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فقال جرير :

نكحت إلى بني عُدس بن يزيد فقد هجنت خيلهم العربا
أتتسى يوم مسكين إذ تُنادي وقد أخطأت بالقدم الركابا¹

وهي قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بن يزيد . ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه .

[استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الهيثم قال حدثني عمي أبو فراس قال حدثني وَدَقَةُ بن معروف قال : نزل جرير على عَنبَسَةَ² بن سَعِيد بواسط ، ولم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجاج . فلما دخل على عَنبَسَةَ ، قال له : وَيَحَاكَ ؛ لقد غررت بنفسك ؛ فما حملك على ما فعلت ؟ قال : شعر قلته اعتلج في صدري وجاشت به نفسي وأحييت أن يسمعه الأمير . قال : فعنفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال : لا تطلعن رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك . قال : فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قاطئ ، وهو قاعد في الخضراء³ وقد صب فيها ماء استنقع⁴ في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسي موضوع ناحية . قال عَنبَسَةُ : فقعدت على الكرسي ، وأقبل علي الحجاج يحدثني . فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت : أصلح الله الأمير ؛ رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه ، فاستخفه عجب به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يُستأذن له . قال : ومن هو ؟ قلت : ابن الخطفي . قال : وأين هو ؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ؛ فأقبل الغلمان يتسارعون . قال : صيف لهم موضعه من دارك ؛ فوصفت لهم البيت الذي هو فيه ،

1 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة 71هـ ، وفيها قتل مصعب .

2 هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أمية ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق .

3 المراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبة الخضراء ، بناها الحجاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة .

4 استنقع الماء : اجتمع .

فانطلقوا حتى جاؤوا به ، فأدخل عليه وهو مأخوذٌ بِضَبْعَيْهِ حتى رُمِيَ به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفس كما يتنفس الفرخ . فقال له : هيه ؛ ما أقدمك علينا بغير إذننا لا أم لك ؟ قال : اصلح الله الأمير ! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه مني الأمير ، فأقبلت به إليه . قال : فتطلق الحجاجُ وسكن ، واستنشدته فأنشدته . ثم قال : يا غلام ؛ فجاؤوا يسعون . فقال : عليّ بالجارية التي بعث بها إلينا عاملُ اليمامة ؛ فأتني بجارية بيضاء مديدة القامة . فقال : إن أصبتَ صفتها فهي لك . فقال : ما اسمها ؟ قال : أمانة ؛ فأنشأ يقول :

وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لَمَنْ تُحِبَّ قَلِيلُ
مِثْلُ الْكَيْثِبِ تَهَيَّلْتُ أُعْطِافُهُ فَالرَّيْحُ تَجْبِرُ مَتْنَهُ وَتَهِيلُ
تِلْكَ الْقُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَمَّنُهَا وَارَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال : خذ بيدها . فبكت الجارية وانتحبت . فقال : ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورحالها .

[أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخل عليه لباس آباءهما في الجاهلية]

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال : قال الحجاج لجريز والفرزدق وهو في قصره بخزير¹ البصرة : اتينا في لباس آباءكما في الجاهلية . فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة . وشاور جريز دهاة بني يربوع فقالوا له : ما لباس آباءنا إلا الحديد ؛ فلبس جريز درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رُمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ؛ فقال جريز :

لَبِستُ سِلَاحِي وَالْفَرَزْدَقُ لُعبَةٌ عَلَيْهِ وَشَاحَا كُرَجٌ وَجَلَّجِلَةٌ²
أَعِدُّوا مَعَ الْحَلِيِّ الْمَلَابَ فَإِنَّمَا جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَنْتُمْ خَلَائِلُهُ

ثم رجعا ، فوقف جريز في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المريد . قال : فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال : كنتُ أختلف إلى جريز والفرزدق ، وكان جريز يومئذٍ كأنه أصغرهما في عيني .

[هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فتناه عن ذلك]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليقظان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء

1 حزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المريد .

2 سِلَاحِي في الديوان : أداتي 969/2 . الكرج : شيء يتخذ بهيمة المهر يلعب عليه .

قال : قديم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبد الله الكلابيَّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصببتُ منه شيئاً ولم يعلم بي جرير ؛ فلم تستقرُّ به الدارُ حتى قال جرير : [من الطويل]
 رأيتُك إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغنى رجعتَ إلى قيسٍ وحدك ضارعُ
 وما ذاك إن أُعْطِيَ الفرزدقُ بأسه بأولِ ثغرٍ ضيعته مجاشيعُ
 فلما بلغ ذلك الفرزدقُ قال : لا جرمَ والله لا أدخل عليه ولا أرزؤه شيئاً ولا أقيم باليمامة ،
 ثم رحل .

[انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي]

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال أبو اليداء : لقي الفرزدقُ عمر بن عطية أبا جرير ، وهو حينئذٍ يهاجي ابنَ لجأ ، فقال له : ويْلَكَ ؛ قُلْ لأخيك : ثكلتُك أمك ! إيتِ التيميَّ من علٍّ كما أصنع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أنفَ لجريرٍ وحميَّ من أن يتعلّق به التيميُّ . قال ابن سلام : فأنشدني له خَلَفَ الأحمرُ يقوله للتيميَّ : [من الطويل]

وما أنت إن قرماً تميمٍ تسامياً أبا التيمِّ إلا كالوشيطَةِ في العظم¹

فلو كنتَ مولى العزّ أو في ظلاله ظلمتَ ولكن لا يدني لك بالظلم

فقال له التيميَّ : [من الطويل]

كذبتُ أنا القرمُ الذي ذقَّ مالكا وأفناء يربوع وما أنت بالقرم

قال ابن سلام فحدثني أبو الغراف : أن رجال تميم مشت بين جريرٍ والتيميَّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهيجون أحياءنا وموتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهد والمواثيق المغلظة ألا يعودا في هجاء . فكفَّ التيميَّ ، وكان جريرٌ لا يزال يسألُ الواحدة بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التيميَّ : والله ما نقضتُ هذه ولا سمعتها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ابن سلام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرملة قال : لما ورد علينا هجاء جريرٍ والتيميَّ ، قال [لي] سعيد بن المسيَّب ترو شيئاً مما قالوا ؛ فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر ، فقال لي : أرويت ؟ قلتُ نعم . فأقبل علي بوجهه فأنشدته للتيميَّ وهو يقول :
 هيه هيه ؛ ثم أنشدته لجرير ، فقال : أكله أكله ! .
 [لم يؤثر مجاؤه في التيم للومهم]

قال ابن سلام وحدثني الرازي عن حجناء بن جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبت ، ما

1 الوشيطه : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

هَجُوتَ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا فَضَحْتَهُمْ إِلَّا التَّيْمَ . فقال : يا بُنَيَّ ، لم أَجِدْ بِنَاءَ أَهْلِيهِ وَلَا شَرْفًا أَضَعُهُ .
وكانت تَيْمٌ رِعاءٌ غنم يَغْدُونَ فِي غَنَمِهِمْ ثُمَّ يَرُوحُونَ ، وقد جاء كل رجل منهم بلبايات
فَيَتَحَلُّها ابنُ لَجَأٍ . فقيل لجرير : ما صنعت في التَّيْمِ شيئاً ؛ فقال : إنَّهم شعراءٌ لِثامٌ .

[هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنَا عمر بن مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات قال
حَدَّثَنِي ابن النطاح قال حَدَّثَنِي أَبُو اليَقْظَان قال : قال جرير لرجل من بني طُهَيْيَّةَ : أَيُّما أشعرُ
أنا أم الفرزدق ؟ فقال له : أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو
حَزْرَةَ ! غَلَبَتْهُ وَرَبُّ الكعبة ! والله ما في كلِّ مائة رجل عالمٌ واحد .

[هو وعدي بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك]

حَدَّثَنَا أحمد بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي عمر بن مُحَمَّد بن عبد الملك قال حَدَّثَنِي ابن النطاح
قال ، وحَدَّثَنِي أَبُو الْأَخْضَرِ الْمُخَارِقِ بن الْأَخْضَرِ الْقَيْسِيُّ قال : إِنِّي كُنْتُ وَالله الذي لا إله إِلَّا
هو أَخَصَّ النَّاسِ بِجَرِيرٍ ، وكان ينزل إذا قَدِمَ على الوليد بن عبد الملك عند سَعِيد بن عبد الله بن
خالد بن أسيد ، وكان عَدِيَّ بن الرقاع خَاصًّا بالوليد مَدَاحًا لَهُ ، فكان جرير يجيء إلى باب
الوليد فلا يُجَالِسُ أَحَدًا مِنَ النَّزَارِيَةِ وَلَا يجلس إِلَّا إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يَقْرُبُ من
مجلس بن الرقاع إلى أن يَأْذَنَ الوليدُ للناس فَيَدْخُلُ . فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، اِخْتَصَصْتَ
عَدُوَّكَ بِمَجْلِسِكَ ؛ فقال : إِنِّي وَالله ما أَجْلِسُ إِلَيْهِ إِلَّا لِأَنْشِيدِهِ أَشْعَارًا تُخْزِيهِ وتُخْزِي قَوْمَهُ .
قال : ولم يكن يُنْشِدهُ شيئاً من شعره ، وإنَّما كان يُنْشِدهُ شعرَ غيره لِيُذِلَّهُ وَيُخَوِّفَهُ نَفْسَهُ . فأذِنَ
الوليدُ للناس ذاتَ عَشِيَّةٍ فَدَخَلُوا وَدَخَلْنَا ، فأخذ الناسُ مَجَالِسَهُمْ ، وتخلَّفَ جريرٌ فلم يَدْخُلْ
حتى دَخَلَ الناسُ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ وَاطْمَأْنَوْا فِيهَا . فبينما هم كذلك إذا بِجَرِيرٍ قد مثَّلَ بين
السَّمَاطَيْنِ يقول : السلام عليك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، إن رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أن يَأْذَنَ لي
في ابن الرقاع المتفرقة أَوْلَفُ بَعْضَهَا إلى بعض ! قال : وأنا جالسٌ أَسْمَعُ . فقال الوليد : وَالله
لَهَمَمْتُ أَنْ أَخْرِجَهُ على ظَهْرِكَ إلى الناس .

فقال جرير وهو قائم كما هو : [من الطويل]

فإن تَنَهَّيْ عَنْهُ فسمِعاً وطاعةً وإلا فإِنِّي عُرْضَةٌ لِلْمَرَاجِمِ¹

قال فقال له الوليد : لا كَثُرَ اللهُ في الناسِ أمثالُكَ . فقال له جرير : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَنَا
وَاحِدٌ قد سَعَرْتُ الْأُمَّةَ² ، فلو كَثُرَ أمثالِي لَأَكَلُوا النَّاسَ أَكْلاً . قال : فنظرتُ وَالله إلى الوليد

1 المراجع : الكلم القبيحة .

2 سَعَرْتُ الْأُمَّةَ ، يريد أوقدت فيها الشر .

تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده . قال : ثم أمره فجلس .
 أخبرني ابن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا ابن النطاح عن
 أبي عبيدة قال : كان جرير عند الوليد وعدي بن الرقاع يُشيدُه . فقال الوليد لجرير : كيف
 تسمع ؟ قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : عدي بن الرقاع . قال : فإن شر الثياب الرقاع ، ثم
 قال جرير : (عاملة ناصية تصلي ناراً حامية)¹ ؛ فغضب الوليد وقال : يا ابن اللخناء ؛ ما بقي
 لك إلا أن تتناول كتاب الله ! والله ليركبك ! يا غلام أو كيفه² حتى يركبه . فغمز عمر بن
 الوليد الغلام الذي أمره الوليد فأبطأ بالإكاف . فلما سكن غضب الوليد قام إليه عمر فكلّمه
 وطلب إليه وقال : هذا شاعر مضر ولسانها ، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يفض منه ؛ ولم يزل به
 حتى أعفاه ، وقال له : والله لئن هجوته أو عرضت به لأفعلن بك ولأفعلن ! . فقال فيه تلك
 القصيدة التي يقول فيها :

أقصير فإن نزاراً لن يفاخرها فرع لثيم وأصل غير مغروس
 وذكر وقائع زار في اليمن ؛ فعلمنا أنه عناه . ولم يُجبه الآخر بشيء .

[وصف شبة بن عقّال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل]

حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمري عن العُتيبي قال : قال هشام بن عبد الملك
 لشبة بن عقّال وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أمير : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين
 قد مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغرّوا بين عشائهم في غير خير ولا ير ولا نفع أيّهم
 أشعر ؟ فقال شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل
 فيجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسرت لنا شيئاً نحصله . فقال ما عندي غير ما قلت .
 فقال لخالد بن صفوان : صفهم لنا يا ابن الأهتَم ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ،
 وأحسنهم عذراً ؛ وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلاهم عللاً ؛ الطامي إذا زخر ، والحامي إذا
 زار ، والسامي إذا خطر ؛ الذي إن هدر قال ، وإن خطر صال ؛ الفصيح اللسان ، الطويل
 العنان ؛ فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم قوتاً ؛ الذي إن هجا وضع ،
 وإن مدح رفع ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شِعراً ، وأهتكم لعدوه سِتراً ؛ الأغر
 الأبلق ، الذي إن طلب لم يُسبق ، وإن طلب لم يُلحق ؛ فجرير . وكلّهم ذكيّ الفؤاد ، رفيع
 العِماد ، وإري الزناد . فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا
 في الآخرين ؛ وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ؛ وأعفهم مقالاً ، وأكرمهم فعلاً .

1 يريد التعريض بعاملة قبيلة عدي بن الرقاع .

2 أو كف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نِعَمَه ، وأَجَزَلَ لديكم قِسْمَه ؛ وأنسَ بكم الغُرْبَه ، وفرَّجَ بكم الكُرْبَه . وأنت ، والله ما علمتُ أيَّها الأميرُ ، كريمُ الغِرَاس ، عالمُ بالناس ؛ جَوادٌ في المَحَل ، بَسامٌ عند البَذَل ؛ حَلِيمٌ عند الطَّيْش ، في ذِرْوَةِ قُرَيْش ؛ ولُبَّابٌ عبدُ شَمْس ، ويومُك خيرٌ من أُمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيتُ كتخلُّصِكَ يا ابنَ صَفْوَان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلِمتَ منهم .

[جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكَيْعٌ قال حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ قال حَدَّثَنِي مُصَنَّبُ الزُّبَيْرِيِّ قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بني زُهْرَةَ قال : حضرتُ عمرَ بنَ لَجَأَ وجريرَ بنَ الخَطَفَي موقوفين للناس بسوق المدينة لما تهاجيا وتَقَاذَفا وقد أمرَ بهما عمرُ بن عبد العزيز ففَرَّنا وأقيما . قال : وعمرُ بنَ لَجَأَ شابٌ كأنه حِصان ، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنُ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأَ :

رَأَوْا قَمَرًا بِساحتهم مُنِيرًا وكيف يُقَارِنُ القَمَرُ الحِمَارا
قال : ثم يَنزُرو به وهما مقرونان في حَبَلٍ فيسْقُطان إلى الأرض ، فأما ابنُ لَجَأَ فيقع قائماً ، وأما جريرٌ فيخِرُّ لركبتيه ووجهه ، فإذا قام نفَضَ الغبارَ عنه . ثم قال بَغْتَتِه قولاً يُخْرِجُ الكلامَ به من أنفه ، وكان كلامه كأن فيه نُونا :

فلستُ مفارقاً قَرْنِي حَتَّى يَطُولَ تصعُدي بكِ وانحداري
قال فقال رجل من جُلُساء عمرَ له حين حضرَ غداؤه : لو دعا الأميرُ بأسيريه فغداهما معه ؛ ففعل ذلك عمر . وإنما فعله بهما لأنهما تقاذفا ، وكان جريرٌ قال له :

تقول والعبدُ مِسْكِينٌ يُجَرِّرها ارفُقْ فَدَيْتُكَ أنتِ الناكحُ الذَّكَرُ¹
قال : وهذه قصيدته التي يقول فيها :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيَّ لا أبا لكم لا يُوقِعَنَّكُمْ في سوءِ عمرُ

[قال ابنه : أجود شعره قصيدته الدالية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي علي بن محمد النُّوفَلِيُّ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : كنت باليَمامة وأنا وإليها فكان ابنُ لَجَريرٍ يُكثِرُ عندي [الدخول] وكنت أُوثرُه فلم أَقُلْ له قَطُّ أنشدني أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الدالية :

[من الكامل]

أَهْوَى أَرَاكَ بَرَامَتَيْنِ وَقُوداً أُمَ بِالْجُنَيْتَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا¹
 فَأَقُولُ لَهُ : وَنَحَكَ ؟ لَا تَزِيدُنِي عَلَى هَذِهِ ؟! فَيَقُولُ : سَأَلْتَنِي عَنْ أَجُودِ شَعْرِ أَبِي وَهَذِهِ
 أَجُودُ شَعْرِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَقْدَمُهَا عَلَى جَمِيعِهِ .
 [ذهب إلى الشام ونزل على نميري فأكرمه]

حَدَّثَنِي ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَعْبِيُّ مِنْ وَلَدِ كَعْبِ
 مَوْلى الْحِجَّاجِ قَالَ حَدَّثَنِي فَلَانُ الْعَلَامَةُ التَّمِيمِيُّ يَرْوِيهِ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : مَا نَدِمْتُ عَلَى هِجَايَ بَنِي
 نُمَيْرٍ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَإِنِّي خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ فَتَزَلْتُ بِقَوْمِ نُزُولٍ فِي قَصْرِ لَهُمْ فِي ضَيْعَةٍ مِنْ
 ضِيَاعِهِمْ ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْقُصُورِ مَشِيداً حَسَناً ، وَسَأَلْتُ عَنْ صَاحِبِهِ فَقِيلَ لِي : هُوَ رَجُلٌ
 مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ . فَقُلْتُ : هَذَا شَامٌ وَأَنَا بَدَوِيٌّ لَا يَعْرِفُنِي ، فَجِئْتُ فَاسْتَضَفْتُ . فَلَمَّا أَذِنَ لِي وَدَخَلْتُ
 عَلَيْهِ عَرَفَنِي فَقَرَأَنِي أَحْسَنَ الْقُرَى لَيْلَتَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جَلَسْتُ ، وَدَعَا بُنَيْتَةً لَهُ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ
 وَتَرَشَّفَهَا ، فَإِذَا هِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً وَلَهَا نَشْرٌ أَشَمُّ أَطْيَبُ مِنْهُ . فَنَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهَا فَقُلْتُ : تَاللَّهِ
 مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ عَيْنِي هَذِهِ الصَّبِيَّةُ وَلَا مِنْ حَوْرِهَا قَطُّ ، وَعَوَّذْتُهَا : فَقَالَ لِي : يَا أَبَا حَزْرَةَ ،
 أَسَوْدَاءُ الْمَحَاجِرِ² هِيَ ؟ فَذَهَبْتُ أَصِفُ طَيْبَ³ رَائِحَتِهَا . فَقَالَ : أَصَنُّ وَبَرٌّ⁴ هِيَ ؟ فَقُلْتُ :
 يَرَحِمُكَ اللَّهُ ؛ إِنَّ الشَّاعِرَ لَيَقُولُ ، وَوَاللَّهِ لَقَدْ سَاءَنِي مَا قُلْتُهُ ، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ بَدَأَنِي فَانْتَصَرْتُ ،
 وَذَهَبْتُ أَعْتَذِرُ . فَقَالَ : دَعْ ذَا عَنْكَ أَبَا حَزْرَةَ ، فَوَاللَّهِ مَا لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا نَحَبُ . قَالَ : وَأَحْسَنَ
 وَاللَّهِ إِلَيَّ وَزُوْدَنِي وَكَسَانِي ، فَانصرفتُ وَأَنَا أَنْدُمُ النَّاسَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنِّي إِلَى قَوْمِهِ .

[كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه بحاج بقصيدته السينية]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ الثَّقَفِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَفْضَلُ يَقْدُمُ الْفَرَزْدَقَ ،
 فَأَنشَدَتْهُ قَوْلَ جَرِيرٍ :

حَيُّ الْهِدْمَلَةِ مِنَ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ
 فَالْحِنُوْ أَصْبَحَ قَفْرًا غَيْرَ مَأْنُوسِ⁵

- 1 الجنية : روضة نجدية بين ضربة وحزن بني يربوع . والمدافع : مجاري السيول . وأود : موضع في ديار تميم
 ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن .
- 2 يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير :
 وخضراء المغابن من نمير يشين سواد محجرها النقايا
- 3 في ل : رائحة طيبها .
- 4 وير : دوية صنة بوله متنن جداً ،
- 5 الهدملة والمواعيس والحنو : مواضع .

وقلتُ أَنشدني لغيره مثلاً فسكت . قال : وكان الفرزدق إذا أَنشدَها يقول : مثلاً فليقل ابنُ اللُّخناء .

[رثاء الفرزدق ابن أخيه وجريز ابنه]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساجقي عن المحرر¹ بن أبي هريرة قال : إني لفي عسكر سليمان بن عبد الملك وفيه جريز والفرزدق في غزاة ، إذ أتانا الفرزدق في غداة ، ثم قال ، اشهدوا أن محمد ابن أخي ، ثم أنشأ يقول :

فبتُ بدَيْرِي أريحاء بليلة	خدارية يزدا طولاً تمامها ²
أكابدُ فيها نفس أقرب من مشى	أبوه بأُم غاب عنها نيامها
وكتأ نرى من غالب في محمد	شمائل تغلو الفاعلين كرامها
وكان إذا ما حل أرضاً تزينت	بزيتها صحراؤها وإكامها
سقى أريحاء الغيث وهي بغيضة	إلينا ولكن بي لئسناه هامها

قال : ثم انصرف . وجاء جريز فقال : قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه ؛ وما ابن أخيه ، فعل الله به وفعل ! قال : ومضى جريز ، فوالله ما لبثنا إلا جُمعاً حتى جاءنا جريز مقام مقامه ونعى ابنه سودة فقال :

أودى سودة يجلو مقتلتي لحم	بازٍ يصرصر فوق المرأ العالي ³
فارقنتي حين كف الدهر من بصري	وحين صيرت كعظم الرمة البالي
إلا تكن لك بالدريين باكية	فرباً باكية بالرميل مغوال
قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم	كيف العزاء وقد فارقت أشبالي ⁴

[هجا الفرزدق لزواجه خدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له]

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا : تزوج الفرزدق خدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس على حكم أبيها ، فاحتكم مائة من الإبل . فدخل على الحجاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتزوج امرأة على حكمها ؟ . فقال

1 هو المحرر بن أبي هريرة الدوسي ، تابعي .

2 أريحاء هي أريحا بفلسطين . وخدارية : شديدة الظلمة .

3 المرأ في الديوان : المرقب 548/2 .

4 كيف العزاء في الديوان : من للعرين 584/2 .

عَنْبَسَةُ بن سَعِيد وأراد نفعه : إِنَّمَا هِيَ مِنْ حَوَاشِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَأَمَرَ لَهُ الْحَجَّاجُ بِهَا . فَوُتِبَ
جريرٌ فقال :

يَا زَيْقُ قَدْ كُنْتَ مِنْ شَيْبَانٍ فِي حَسَبٍ يَا زَيْقُ وَيَحَكَ مَنْ أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ¹
أَنْكَحْتَ وَيَحَكَ قَيْنًا بَاسْتِهِ حَمَمٌ يَا زَيْقُ وَيَحَكَ هَلْ بَارَتْ بِكَ السُّوقُ
غَابَ الْمُثْنَى فَلَمْ يَشْهَدْ نَجِيكُمَا وَالْخَوْفَزَانُ وَلَمْ يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ²
يَا رَبَّ قَائِلَةِ بَعْدِ الْبِنَاءِ بِهَا لَا الصَّهْرُ رَاضٍ وَلَا ابْنُ الْقَيْنِ مَعشُوقُ
أَيْنَ الْأَلَى اسْتَزَلُّوا النُّعْمَانَ ضَاحِيَةً أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ شَيْبَانٍ الْغَرَائِقُ³
قال : فلم يُجِبْهُ الْفَرَزْدَقُ عَنْهَا . فقال جريرٌ أيضاً :

فَلَا أَنَا مُعْطِي الْحَكَمِ عَنْ شَيْفٍ مُنْصِبٍ وَلَا عَنْ بَنَاتِ الْخَنْظَلِيِّينَ رَاغِبُ⁴
وَهُنَّ كَاءُ الْمَزْنِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحًا غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ⁵
فَلَوْ كُنْتَ حُرًّا كَانَ عَشْرًا سِيَاقُكُمْ إِلَى آلِ زَيْقٍ وَالْوَصِيفُ الْمُقَارِبُ⁶
فقال الْفَرَزْدَقُ :

فَنَلْ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لَمْهُمْ عَلَى دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
هُمْ زَوْجُوا قَبْلِي لَقِيطًا وَأَنْكَحُوا ضِرَارًا وَهُمْ أَكْفَاوُنَا فِي الْمَنَاسِبِ
وَلَوْ قَبِلُوا مِنِّي عَطِيَّةَ سُقْتِهِ إِلَى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبِ
وَلَوْ تُنَكِّحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا إِذَا لَنَكَحْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ
قال ابن سلام فحدثني الرَّازِيّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي خَنْظَلَةَ إِلَّا تَرَفَّعَ لَجَرِيرِ
اللَّوِيَّةِ فِي عَظَمِهَا لِتَطْرِفَهُ بِهَا لِقَوْلِهِ :

وَهُنَّ كَاءُ الْمَزْنِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحًا غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ

1 في الديوان اختلاف بين في الشطر الأول وما يليه من الأبيات 191/1 .

2 يريد المثنى بن حارثة الشيباني . الخوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني . مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيباني .

3 الغرائق : جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل .

4 فلا أنا معطي في الديوان : لست بمعطي 809/2 . الشف هاهنا : النقصان ، وقد يكون الشف الفضل والزيادة .

5 وهن في الديوان : أراهن 809/2 . ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب .

6 السياق : المهر . المقارب : الدون ، وقيل هو الوسط بين الجيد والردىء .

فقلتُ للرّازي : ما اللّويّة ؟ قال : الشّريحّة من اللحم ، أو الفدرة¹ من التمر ، أو الكبّة من الشحم ، أو الحفنة من الأقط ؛ فإذا ذهب الألبان وضاعت المعيشة كانت طرفةً عندهم .

قال : وقال جرير أيضاً في شأن حذراء : [من الطويل]

أثائرة حذراءٍ مَنْ جُرَّ بالنقا وهل لأبي حذراءٍ في الوترِ طالبُ

أثأثارُ بسطاماً إذا ابتلتِ استُها وقد بولتِ في مِسمَعِيهِ الثعالبُ²

قال ابن سلام : والنقا الذي عناه جريرٌ هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبّة بسطاماً ، وهو بسطام بن قيس . قال : فكرهت بنو شيبان أن يهتك جريراً أعراضهم . فلما أراد الفرزدق نقل حذراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت . فقال جرير : [من الطويل]

فأقسِمُ ما ماتت ولكنما التوى بحذراء قومٍ لم يروك لها أهلاً

رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم وأن لبسطامٍ على غالبٍ فضلاً

[مدح قوماً عادوه في مرضه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إدريس اليماميّ قال حدثنا عليّ بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جدّه قال : دخلنا على جرير في نفرٍ من قريش نعوّده في علته التي مات فيها ، فالتفت إلينا فقال : [من البسيط]

أهلاً وسهلاً بقوم زبنوا حسبي وإن مرّضتُ فهم أهلي وعوادي³

إن تجرّ طيرٌ بأمر فيه عافيةٌ أو بالفراق فقد أحسنتم زادي

لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدني لم يُسلموني لليث الغابة العادي⁴

[نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدثني أبو جناح أحد بني كعب بن عمرو بن تميم قال : نعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد ما جدّعته ليت الفرزدقُ كان عاش قليلاً

فقال له المهاجر : بمسَ لعمركُ الله ما قلت في ابن عمك ؛ أتتهجو ميتاً ! أما والله لو رأيته

1 الفدرة : القطعة .

2 كناية عن أنه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه .

3 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

4 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

لكنت أكرم العرب وأشعرها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمها عليّ فإنها سَوَّءة ؛ ثم قال من وقته :

فلا وضعتُ بعد الفرزدقِ حاملٌ ولا ذاتُ بعلٍ من نفاسٍ تَعَلَّتْ¹
هو الوافدُ الميمونُ والرائقُ الثأى إذا النعل يوماً بالعشيرة زَلَّتْ²
قال : ثم بكى ثم قال : أما واللهِ إني لأعلمُ أنني قليلُ البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحداً ، وكلّ واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضدّ أو صديق إلا تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتاً أخر ، ولم يقل غيرهما وإنما أضيف إلى ما قاله .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الكامل]

رَحَلَ الْخَلِيطُ جِمَالَهُمْ بِسَوَادٍ وَحَدَا عَلَى إِثْرِ الْبَخِيلَةِ حَادِي
مَا إِنْ شَعَرْتُ وَلَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغَرَابَ يُنَادِي
الشعر لجميل . والغناء لإبراهيم ، ولحنه المختار من الثقليل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى .

1 تَعَلَّتْ المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .

2 الثأى : الفتق والفساد .

[112] - نسب جميل وأخباره¹

[نسبه]

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن² بن ظبيان بن قيس بن جزة بن ربيعة بن حرام بن ضينة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد ، وهو هذيم ، وسمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه ، ابن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . والنسابون مختلفون في قضاة ، فمنهم من يزعم أن قضاة ابن معد وهو أخو زرار بن معد لأبيه وأمه ، وهي معانة بنت جوسم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن ذب بن جرهم ؛ ومنهم من يزعم أنهم من حمير . وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معدياً فقال :

أنا جميل في السنام من معد في الأسرة الحصداء والعيص الأشد³
وقال راجز من قضاة ينسبهم إلى حمير :

قضاة الأثرون خير معشر قضاة بن مالك بن حمير
ولهم في هذا أراجيز كثيرة . إلا أن قضاة اليوم تنسب كلها في حمير ، فتزعم أن قضاة ابن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال القحذمي : اسم سبأ عامر ؛ وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء . وكان يقال له عب⁴ الشمس ، أي عديل الشمس ؛ سمي بذلك لحسنه . ومن زعم من هؤلاء أن قضاة ليس ابن معد ذكر أن أمه عكبرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل ، فخلّفه عليها معد بن عدنان ، فولدت قضاة على فراشه . وقال : مؤرج بن عمرو : هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصححوا هذا القول ، وهو :

يا أيها الداعي اذعنا وأبشّر
قضاة الأثرون خير معشر
وكن قضاة ولا تنزّر
قضاة بن مالك بن حمير

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 434-444 ، والمؤتلف 72 والالآلي 29-30 وابن خلكان 1 : 143-146 والخزائن 1 : 190-192 .

2 في ل : ابن خبيري .

3 الحصداء : القوية وفي البيت اختلاف بين في الديوان 56 .

4 عب الشمس : ضوءها .

النسبُ المعروفُ غير المنكَّر

قال مؤرِّج : وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية . وشعراء قضاة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي إلى معدّ . قال جميل :

وأيُّ معدّ كان فيهم رماحهم كما قد أفاننا والمفاخير مُنصِفٌ
وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمّه عامر رَهْطاً هُذْبَةً بن خَشْرَم : [من الكامل]
وإذا معدّ أوْقدتْ نيرانها للمجدِ أغضتْ عامراً وتضعضوا

[كان رواية هذبة بن خشرم وكان كثير روايته]

وجميل شاعرٌ فصيح مقدّم جامع للشعر والرواية ، كان رواية هُذْبَةَ بن خَشْرَم ، وكان هُذْبَةُ شاعراً روايةً للحطّيئة ، وكان الحطّيئة شاعراً روايةً لزهير وابنه . وقال أبو مُحَلَّم : آخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير ، وكان رواية جميل ، وجميل رواية هُذْبَةَ ، وهُذْبَةُ رواية الحطّيئة ، والحطّيئة رواية زهير .

[نسب بئينة عشيقته]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمي قال : كان جميل يهوى بُيْنَةَ بنت حَبّاء بن ثعلبة بن الهُوْذ بن عمرو بن الأَحْب بن حُنّ بن ربيعة [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة] في النسب .

[كان كثير روايته يقدّمه على نفسه]

حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أبو دَلْف الخزاعي قالاً حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال : كان كثير رواية جميل ، وكان يقدّمه على نفسه ويتخذُه إماماً ، وإذا سئل عنه قال : وهل علّم الله عزّ وجلّ ما تسمعون إلّا منه ! . أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزُّبيري قال : كان كثير إذا ذُكِر له جميل قال : وهل علّم الله ما تسمعون إلّا منه ؟ .

[مرّ على جماعة بشعب سلع فاستندوه من شعره فأنشدهم فمدحوه]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبيري بن بَكَّار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن المسور بن عبد الملك عن نَصِيب مَوْلى عبد العزيز بن مروان قال : قَدِمْتُ المدينة فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، ف قيل لي : الوليد بن سعيد بن أبي سينان الأسلمي ، فوجدته بشيْب سَلْع² مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أَزْهَر . فإنا لجلوس إذ طلع

1 التكملة عن تجريد الأغاني .

2 سلع : موضع بقرب المدينة .

علينا رجلٌ طويلٌ بين المنكبين طوالٌ يقود راحلةً عليها بزةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزر : يا أبا جبير ، هذا جميلٌ ، فادعُه لعلَّه أن يُنشدنا . فصاح به عبد الرحمن : هيا جميلٌ هيا جميل ! فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزر . فقال : قد علمتُ أنه لا يجترى عليَّ إلا مثلك . فاتاه فقال له أنشدنا ، فأنشدهم : [من الطويل]

نَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ أَوَّلِ نَسَاءِنَا	وَيَوْمَ أَفِيَّ وَالْأَسِنَّةُ تَرَعُفُ ¹
وَيَوْمَ رَكَيَا ذِي الْجِذَاةِ وَوَقَعَةٍ	بَيْنَيَانٍ كَانَتْ بَعْضُ مَا قَدْ تَسَلَّفُوا ²
يُحِبُّ الْغَوَانِي الْبَيْضُ ظِلَّ لِيَوَائِنَا	إِذَا مَا أَتَانَا الصَّارِخُ الْمُتَلَهِّفُ
نَسِيرُ أُمَامَ النَّاسِ وَالنَّاسُ خَلَفْنَا	فَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا ³
فَأَيُّ مَعَدٍّ كَانَ فَيَّ رِمَاحِهِ	كَمَا قَدْ أَفَانَا وَالْمُفَاحِرُ يُنْصِفُ
وَكُنَّا إِذَا مَا مَعَشَرٌ نَصَبُوا لَنَا	وَمَرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهِمْ وَتَعَيَّفُوا ⁴
وَضَعْنَا لَهُمْ صَاعَ الْقِصَاصِ رَهِينَةً	بِمَا سَوْفَ نُوفِيهَا إِذَا النَّاسُ طَفَّفُوا
إِذَا اسْتَبَقَ الْأَقْوَامُ مَجْدًا وَجَدْتَنَا	لَنَا مِغْرَفًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أنشدنا هزجاً . قال : وما الهزج ؟ لعلَّه هذا القصير ؟ قال نعم ، فأنشده ، قال الزُّبَيْر : لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين ، وأنشدنا باقيها بهلُول بن سليمان بن قِرْضَابِ الْبَلَوِيِّ :

صوت

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلَةٍ	كِدْتُ أَقْضِي الْغَدَاةَ مِنْ جَلَلَةٍ ⁵
مُوحِشًا مَا تَرَى بِهِ أَحَدًا تَدُّ	تَسِجُ الرِّيحُ تُرْبَ مُعْتَدِلَةٍ
وَصَرِيحًا مِنَ الثَّمَامِ تَرَى	عَارِمَاتِ الْمَدَبِ فِي أَسَلَةٍ ⁶

- 1 أول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة . أفي : موضع في شعر نصيب .
- 2 ذو الجذاة : موضع . وركايا : جمع ركية ، وهي البئر ذات الماء . بينان : موضع .
- 3 في الديوان اختلاف بين 138 .
- 4 نصبوا في الديوان : أجهفوا 138 .
- 5 من جلله : من أجله ، أو من عظمه في عيني .
- 6 الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمذب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

بين غلياء وإيش فُبَلَيٌّ¹ فالغميم الذي إلى جَبَلَةٍ¹
 واقفاً في ديار أم جُسَيْرٍ² من ضُحَى يَوْمِهِ إلى أُصْلَةٍ²
 يا خليلي إن أم جُسَيْرٍ³ حين يدنو الضجيجُ من غَلَلَةٍ³
 روضة ذات حَنَوَةٍ وخُزَامَى⁴ جاد فيها الريحُ من سَبَلَةٍ⁴
 بينما هنَّ بالأراكِ معاً إذ بدا راكبٌ على جَمَلَةٍ⁵
 فتأطرن ثم قلن لها أَكْرَمِيهِ حَيَّتْ في نُزْلَةٍ⁵
 فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلالَ من قُلَلَةٍ⁶
 قد أصون الحديثَ دون خليلٍ لا أخاف الأذاة من قِبَلَةٍ⁷
 غير ما بغضةٍ ولا لاجتنابٍ غير أنني ألحْتُ من وَجَلَةٍ⁷
 وخليلٍ صاقتُ مُرتضياً وخليلٍ فارقتُ من مَلَلَةٍ⁷

قال : فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً . فقال ابن الأزره : هذا أشعرُ أهل الإسلام . فقال ابن حسان : نعم والله وأشعرُ أهل الجاهلية ، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزره : صدقت . قال نصيب : وأنشدت الوليد فقال لي : أنت أشعرُ أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت : يا أبا محجن ، أفرضيتَ منه بأن تكون أشعرُ السودان ؟ قال : وددتُ والله يا ابن أخي أنه أعطاني أكثرَ من هذا ، ولكنه لم يفعل ، ولستُ بكاذبك .

[كان صادق الصباية وكان كثير يقول]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان لكثير في النسب حظٌ وافر ، وجميلٌ مقدّم عليه وعلى أصحاب النسب في النسب ؛ وكان كثيرٌ راويةً جميل ، وكان جميل صادق الصباية والعشق ، ولم يكن كثيرٌ بعاشق ولكنه كان يقول . وكان الناس يستحسنون بيت

1 وإيش : واد أو جبل بين وادي القرى والشام . يلي : تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . الغميم : موضع بالحجاز .

2 أم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل .

3 الغلل : داء وقيل هو الماء بين الأشجار ، وقيل من معاني الغلل العطش وحرارته .

4 الحنوة : نبات سهلي طيب الريح . والسبل : المطر .

5 التأطر : التثني . والنزل : ما يهبط للضيف أن ينزل عليه .

6 اتكأنا : معناه طعمنا وأكلنا .

7 صاقته : قارته .

كثير في النسيب :

[من الطويل]

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي لئلى بكلّ سبيل

[من الطويل]

قال : ورأيت من يفضل عليه بيت جميل :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

[من الطويل]

قال ابن سلام : وهذا البيت الذي لكثير أخذه من جميل حيث يقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي لئلى على كلّ مرّقب

[عرض الفرزدق لكثير أنّه سرق منه فردّ عليه بمثله]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار عن محمد بن إسماعيل عن

عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شهاب عن طلحة بن عبد الله بن

عوف قال : لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط¹ وأنا وهو نمشي نريد المسجد ؛ فقال له

[من الطويل]

الفرزدق : يا أبا صخر ، أنت أنسب العرب حين تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي لئلى بكلّ سبيل

يعرض له بسرقة من جميل . فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر² الناس حين

[من الطويل]

تقول :

ترى الناس ما سیرنا یسیرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال عبد العزيز : وهذا البيت أيضاً لجميل سرقة الفرزدق . فقال الفرزدق لكثير : هل

كانت أمك مرّت بالبصرة ؟ قال : لا ؛ ولكن أبي ، فكان نزيلاً لأُمك . قال طلحة بن

عبد الله : فولذي نفسي بيده لعجبت من كثير وجوابه ، وما رأيت أحداً قط أحقّ منه ،

رأيتني دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهازأ به ، فقلنا : كيف تجدك يا

أبا صخر ؟ قال : بخير ، أما سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلنا : نعم ، يتحدثون أنّك

الذجال . فقال : والله لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام .

[كان كثير يفضل على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال كتب إليّ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدّثني

أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال : كان أبو صخر كثير صديقاً لي ؛ وكان يأتيني كثيراً ،

فقلما استنشدتُهُ إلاّ بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه ، وكان يفضل ويتّخذهُ إماماً .

1 موضع معروف بالمدينة .

2 في ل : أشعر .

قال الزبير وكتب إليّ إسحاق يقول حدثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال : ذكر جميل لكثير ، فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : منه علم الله عز وجل .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري عن إسحاق بن قبيصة الكوفي عن رجل سمّاه قال : سألت نصيباً : أجميل أنسب أم كثير ؟ فقال : أنا سألت كثيراً عن ذاك فقال : وهل وطأ لنا النسب إلا جميل ! .

قال عمر بن شبة وقال إسحاق حدثني السعدي عن أبي مالك النهدي قال : جلس إلينا نصيب فذكرنا جميلاً ، فقال : ذاك إمام المحييين ، وهل هدى الله عز وجل لما ترى إلا بجميل .
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جويرية بن أسماء قال : ما استنشدت كثيراً قط إلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه ، وكان يفضلّه ويتّخذهُ إماماً .

[أول عشقه بنية]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي قال : كان جميل ينسب بأم الجسير ، وكان أول ما علق بنية أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردّها وادياً يقال له بغيض ، فاضطجع وأرسل إبله مضعدة ، وأهل بنية بذنب الوادي ؛ فأقبلت بنية وجارة لها واردتين الماء ، فمرتّا على فصال له برؤك فعرمتهن¹ بنية ، يقول : فعرمتهن ، وهي إذ ذاك جويرية صغيرة ؛ فسبها جميل ، فافترت عليه ، فملح إليه سيابها فقال :

وأول ما قاذ المودة بيننا بوادي بغيض يا بُنينَ سيابُ
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكلّ كلامٍ يا بُنينَ جوابُ

قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نبيه بن الأسود العذري وكانت بنية عند أبيه نبيه بن الأسود ، وإياه يعني جميل بقوله :

لقد أنكحوا جهلاً نبيها طعينة لطيفة طي الكشح ذات شوى خذل²
قال الزبير وحدثني أيضاً الأسباط بن عيسى بن عبد الجبار العذري أن جميل بن مَعمر

1 عرمتهم : أصابتهن بشرّ وأذى .

2 الخذل : الممتلئ .

خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يترينَّ ويَدُو بعضُ بعضٍ لِلرجالِ ، وأنَّ جميلاً
وقف على بُيْتِنة وأختها أمُّ الجُسَيرِ في نساء من بني الأَحَبِّ وهنَّ بناتُ عمِّ عُبيد الله بن قُطَبة
أخي أبيه لَحاً ، فرأى منهنَّ منظراً وأعجبه وعشيق بُيْتِنة وقعد معهنَّ ، ثم راح وقد كان معه
فَتَيان من بني الأَحَبِّ ، فعلم أنَّ القوم قد عَرَفُوا في نظره حبَّ بُيْتِنة ووجدوا عليه ، فراح وهو
يقول :

عَجِلَ الْفِرَاقُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلْ وَجَرَتْ بَوَادِرُ دَمْعِكَ الْمُتَهَلِّلِ
طَرِباً وَشَاقَكَ مَا لَقِيتَ وَلَمْ تَخَفْ بَيْنَ الْحَبِيبِ غَدَاةَ بَرْقَةٍ مِجْوَلِ
وَعَرَفْتَ أَنَّكَ حِينَ رُحْتَ وَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ الْيَقِينُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِمُشْكِـلِ
لَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَى بُيْتِنة رَجْعَةً بَعْدَ التَّفَرُّقِ دُونَ عَامٍ مُقْبِلِ

قال : وإنَّ بُيْتِنة لما أُخْبِرَتْ أَنَّ جميلاً قد نَسَبَ بها حَلَفَتْ بالله لا يَأْتِيها على خِلاءٍ إِلَّا
خَرَجَتْ إِلَيْهِ وَلَا تَتَوَارَى مِنْهُ ، فَكَانَ يَأْتِيها عِنْدَ غَفَلَاتِ الرِّجَالِ فَيَتَحَدَّثُ إِلَيْها وَمَعَ أُخْوَاتِها ،
حَتَّى نَمِيَ إِلَى رِجَالِها أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْها إِذَا خَلَا مِنْهُمْ ، وَكَانُوا أَصْلَافاً غُيَّراً ، أَوْ قَالَ غِيَارَى ،
فَرَصَدُوهُ بِجَمَاعَةٍ نَحْوِ مِنْ بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا وَجاءَ عَلَى الصَّهْبَاءِ نَاقَتُهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بُيْتِنة وَأَمَّ
الجُسَيرَ وَهما يَحْدِثَانِهِ وَهُوَ يُنْشِدُهُما يَوْمئِذٍ :

حَلَفْتُ رَبِّ الرَّاqِصَاتِ إِلَى مِنيَّ هُوِيَّ الْقَطَا يَجْتَرَنَ بَطْنَ دَفِينِ¹
لَقَدْ ظَنَّ هَذَا الْقَلْبُ أَنَّ لَيْسَ لَاقِياً سُلَيْمَى وَلَا أُمَّ الْجُسَيرِ لِحِينِ
فَلَيْتَ رَجُلًا فَيْكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُيْتِينَ لَقُونِي

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِذْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَمَاهُمْ بِهَا فَسَبَقَتْ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ : [من الطويل]

إِذَا جَمَعَ الْإِنْسَانُ جَمْعاً رَمَيْتُهُمْ بِأَرْكَانِها حَتَّى تُخْلَى سَبِيلُها
فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ سَبَبِ الْمُهاجَاةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُبيد الله بن قُطَبة .

[واعدته بُيْتِنة فَمَنْعَها أَهْلُها فَرَقَها نِساءَ الْحَيِّ ، وَشَعَرَ فِي ذَلِكَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِلُولُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مَشِيخَةٍ مِنْ عَذْرَةِ
وَبَلِي : أَنَّ رَهْطَ بُيْتِنة نَذَرُوا دَمَ جَمِيلٍ وَسَمِعُوا أَنَّهُ أَمْسَى بِوَادِي الْقَرَى ، وَهُوَ يَرِيدُ طَرِيقَ مَكَّةَ ،
فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَكبانَ فَتَقَدَّمَا فَوَجَدُوهُ عَلَى مَضِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ بِسِنْدِ الْوَادِي ، فَأَخَذُوا جَانِبِي
الْقَرَى يَأْخُذُهُ السَّيْلُ ، وَهُوَ جَهْدُ مَا تَخْرُجُ مِنْهُ الرَّاحِلَةُ ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ جَمِيلٌ وَصَاحِبَاهُ فَحَرَسُوا

بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سىء الظن بها ، ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يُقرّعنه بذلك ، ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

صوت

أُبثِّنَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِجِي وَخُذِي بِحَظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
فَأَجِبْتُهَا فِي الْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرٍ حُبِّي بَثِينَةً عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي
فَلَرَبُّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَّهَا بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامِي فَضْلاً وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَكَ رَسَائِلِي
الغناء ليحيى المكيّ ثقیل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه : [من الكامل]

صوت

وَيَقْلَنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ مِمَّا أُحِبُّ حَدِيثَهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِضِ الْبَازِلِ
لِيُزِلَنَّ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلَنِي وَإِذَا هَوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بَزَائِلِ
الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو ، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء . وروى حماد عن أبيه في أخبار ابن سريج أن لابن سريج فيه لحناً ولم يعجنسه : [من الكامل]

صَادَتْ فَوَادِي يَا بُثَيْنَ حِبَالَكُمْ يَوْمَ الْحَجُونِ وَأَخْطَأْتُكَ حِبَائِلِي
مَنْيَتْنِي فَلَوَيْتَ مَا مَنَيْتَنِي وَجَعَلْتَ عَاجِلَ مَا وَعَدْتَ كَآجِلِي
وَتَثَاقَلْتُ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي بِهَا أُحِبُّ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مِتَاقِلِ
وَأُطَعْتُ فِي عَوَازِلٍ فَهَجَرْتَنِي وَعَصَيْتُ فِيكَ وَقَدْ جَهَدَنَ عَوَازِلِي
حَاوَلْتَنِي لِأُبْتُ حَبْلَ وَصَالِكُمْ مَنِي ، وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَدَنَ بِفَاعِلِي
فَرَدَدْتُهُنَّ وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بِأَفْوَقَ نَاصِلِي¹
يَعْضَضُنَّ مِنْ غِيظٍ عَلَيَّ أَنَامِلًا وَوَدَدْتُ لَوْ يَعْضَضُنَّ صُمَّ جَنَادِلِي
وَيَقْلَنَ إِنَّكَ يَا بُثَيْنَ بِخَيْلَةٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضُنَيْنِ بَاخِلِي
قالوا : وقال جميل في وعد بثينة بالتلاقي وتأخيرها قصيدة أولها : [من الكامل]

1 السهم الأفوق : الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زمنيته . والفوق : مشتق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرافه : زمناته . واصل : لا نصل له .

يا صاح عن بعض الملامة أقصِر
إنَّ المنى لَلِقَاءِ أُمِّ الْمِسْوَرِ

فمما يغنى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

وَكأنَّ طَارِقَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى وَالنَّجْمُ وَهناَ قَدْ دَنَا لَتَغَوَّرِ
يَسْتَأْفُ رِيحُ مُدَامَةٍ مَعْجُونَةٍ بِذِكِّي مِسْلِكُ أَوْ سَحِيقِ الْعَنْبَرِ¹

الغناء لابن جَامِعٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ الْهَيْشَامِيِّ . وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَابْنُ الْمَكِّيِّ .

ومما يغنى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

إِنِّي لِأَحْفَظُ غَيْبَكُمْ وَيَسْرُنِي إِذْ تَذْكُرِينَ بِصَالِحٍ أَنْ تَذْكُرِي
وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ عَلِيَّ كَأَشْهُرِ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً إِنْ كَانَ يَوْمٌ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقَدَّرِ
أَوْ أُسْتَطِيعُ تَجَلُّدًا عَنْ ذِكْرِكُمْ فَيُفِيقَ بَعْضُ صَبَابَتِي وَتَفَكَّرِي

الغناء لابن مُحَرَّرٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَيْشَامِيِّ . وَفِيهِ يَقُولُ : [من الكامل]

أَلَوْ قَدْ تُجِنِّ كَمَا أُجِنُّ مِنَ الْهَوَى لَعَذَّرْتُ أَوْ لَظَلَمْتُ إِنْ لَمْ تَعَذِّرِ
وَاللَّهِ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ عِلْمٍ بِهَا غَيْرُ الظَّنِّ وَغَيْرُ قَوْلِ الْمُخْبِرِ
لَا تَحْسَبِي أَنِّي هَجَرْتُكَ طَائِعًا حَدَّثَ لِعَمْرُكَ رَائِعٌ أَنْ تُهْجَرِي
فَلْتَبْكِينَ الْبَاكِياتُ وَإِنْ أَبُحْ يَوْمًا بِسْرُكِ مُعْلِنًا لَمْ أُعْذِرِ
يَهْوَاكِ مَا عَشْتُ الْفَوَادُ فَإِنْ أُمْتُ يَتَّبِعُ صَدَايَ صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبَرِ

صوت

[من الكامل]

إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتُ لَنَاظِرٌ نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمَكْنُونِ
يَعِدُّ الدِّيُونَ وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِدًا هَذَا الْغَرِيمُ لَنَا وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ
مَا أَنْتَ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينِي إِلَّا كَبْرَقَ سَحَابَةٌ لَمْ تُمَطِّرِ²

1 يستأف : يشم . معجونة في ل : معلولة .

2 سحابة في ل : سحاب .

قلبي نصحتُ له فردّ نصيحتي فمَتَى هَجَرْتِهِ فَمِنْهُ تَكْثُرِي¹
 الغناء في هذه الأبيات لسُليم رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه قدحٌ طُنُبُورِي أَظَنَّهُ لِحِظَّةٍ أَوْ لَعَلِّي بن
 مودة . قالوا : وقال في إخلافها إِيَّاه هذا الموعَدُ :
 [من الطويل]

صوت

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنَ يَعُودُ²
 فَتَغْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ قَرِيبٌ وَإِذَا مَا تَبْدُلِينَ زَهِيدُ³

ويروى :

وَمَّا لَا يَزِيدُ بَعِيدُ

وهكذا يغنى فيه : الغناء لسُليم خفيفٌ ثقيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وَمَا يَغْنَى فِيهِ مِنْ هَذِهِ
 القصيدة :

صوت

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
 وَهَلْ الْقَيْنُ فَرْدًا بُثِينَةً مَرَّةً تَجُودُ لَنَا مِنْ وَدَّهَا وَنَجُودُ⁴
 عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
 وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بَانْتِظَارِي وَعَدَّهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
 فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيمَا بَبِيدُ يَبِيدُ

الغناء لِمُعْبِدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وَمَا يَغْنَى فِيهِ مِنْهَا :

صوت

وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قُرَيْتُ نَضْوِي أَمَصَرَ تُرِيدُ
 وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى لَزُرْتُكَ فَاعْذِرْنِي فَذَتِكَ جُدُودُ⁵
 خَلِيلِي مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ قَاتِلِي وَدَمَعِي بِمَا قَلْتُ الْغَدَاةَ شَهِيدُ⁶
 يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْزُورَةً وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَ هُنَّ أَرِيدُ

1 هَجَرْتِهِ فَمِنْهُ تَكْثُرِي فِي ل : اسْمُهُ هَجْرَةٌ فَتَكْثُرِي .

2 رِيْعَانَ الشَّبَابِ فِي الدِّيَوَانِ أَيَّامُ الصَّفَا 61 .

3 قَرِيبٌ فِي الدِّيَوَانِ صَدِيقُ 62 .

4 فِي الْبَيْتِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ فِي الدِّيَوَانِ 65 .

5 لَزُرْتُكَ فِي الدِّيَوَانِ : أَتَيْتُكَ 62 .

6 ثَمَّةُ اخْتِلَافٌ بَيْنَ فِي الدِّيَوَانِ فِي هَذَا الشَّطْرِ 62 .

لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قَتِيلٍ عندهنَّ شهيدٌ
 الغناء للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ من رواية حمّاد عن أبيه . وفي هذه القصيدة يقول :
 إذا قلتُ ما بي يا بشينةُ قاتلي من الحبِّ قالت ثابتٌ ويزيدُ
 وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أعش به مع الناسِ قالت ذاكَ منك بعيدُ
 ألا قد أرى والله أن رُبَّ عبْرَةٍ إذا الدَّارُ شَطَطَتْ بيننا سترودُ¹
 إذا فُكِّرْتُ قالت قد ادركتُ ودّه وما ضَرَّنِي بُخْلِي فكيف أجودُ
 فلو تُكشِفُ الأحشاءُ صُودِفَ تحتها لبُئْسَ حَبٌّ طَارِفٌ وتليدُ
 تذكّرُنيها كلُّ ربيعٍ مريضَةٍ لها بالتَّلَاعِ القاوِيَاتِ وتُبدُ²
 وقد تلتقي الأشتاتُ بعد تفرُّقٍ وقد تُذركُ الحاجاتُ وهي بعيدُ³

[عابته بشينة لشعر قاله فيها]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني عمر بن شُبّة عن إسحاق قال : لقي جميلٌ بشينةً بعد
 تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّته ، فتعابتا طويلاً فقالت له : وَيَحَكَ يا جميل ! أتزعم أنّك
 تهوأي وأنت الذي تقول :

رمى الله في عيني بُشينةً بالقَدَى وفي الغرِّ من أنيابها بالقَوَادِحِ !
 فأطرق طويلاً يكي ثم قال : بل أنا القائلُ :
 ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بشينةٌ لا يخفى عليّ كلامها
 فقالت له : وَيَحَكَ ؛ ما حملك على هذه المُنَى ! أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً ! .

[تجسّس أبوها وأخوها كلامه مع بشينة فلم يريا ربة]

قال إسحاق وحدّثني أيوب بن عَباة قال : سَعَتْ أُمّةٌ لبُشينةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت
 لهما : إنّ جميلًا عندها الليلة ؛ فأتياها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالساً حَجَرَةً منها يحدّثها
 ويشكو إليها بَثّه ، ثم قال لها : يا بُشينة ، أَرَأَيْتِ وُدِّي إِيَّاكِ وشَغْفِي بِكِ أَلَا تَجْزِينِيهِ ؟ قالت :
 بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تبغي ! والله لقد
 كنتَ عندي بعيداً منه ، ولئن عاودتَ تعريضاً بريّة لا رأيتَ وجهي أبداً . فضحك وقال :
 والله ما قلتُ لك هذا إلّا لأعلمَ ما عندك فيه ، ولو علمتُ أنّك تُجيبيني إليه لعلمتُ أنّك

1 ترود أي تذهب وتجيء .

2 القاوِيَات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالي الشديد .

3 الأشتات في ل : الأسباب بعد إياسها . وفي الديوان اختلاف بين 65 .

تجيبين غيري ، ولو رأيتُ منك مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استمسك في يدي ،
ولو أطاعتني نفسي لهجرتُك هجرةً الأبد ؛ أو ما سمعتِ قولي : [من الطويل]

وإنِّي لأَرْضَى مَنْ بُثِّنَةً بِالذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ
بَلَا وَبَأْنَ لَا أُسْتَطِيعَ وَبِالْمَنَى وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ أَمَلُهُ
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ،
فانصرفا وتركاهما .

[قابلها مرةً بسعي صديق له]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية عن رجل من
عُدرة قال : كنتُ تريباً لجميل وكان يألُفني ، فقال لي ذات يوم : هل تساعدني على لقاء بُثينة ؟
فمضيتُ معه ، فكمن لي في الوادي وبعث بي إلى راعي بُثينة بخاتمِهِ ، فدفعهُ إليه ، فمضى به
إليها ثم عاد بموعدٍ منها إليه . فلمَّا كان الليلُ جاءته فتحديثاً طويلاً حتى أصبَحَا ثم ودَّعها
وركب ناقته . فلمَّا استوى في غَرَزِهَا¹ وهي باركةٌ قالت له : اذْنُ مني يا جميل .

صوت

[من الكامل]

إِنَّ الْمَنَازِلَ هَيَّجَتْ أَطْرَابِي وَاسْتَعْجَمَتْ آيَاتُهَا بِجَوَابِي
قَفْرًا تَلُوحُ بِذِي اللَّجَيْنِ كَأَنَّهَا أَنْضَاءُ رَسْمٍ أَوْ سَطُورُ كِتَابِ
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرْتُ مَنِّي الدَّمُوعُ لِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ
وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بُثِينَةُ شَاقَنِي وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَحَ شَبَابِي²

الغناء في هذه الأبيات للهُذَلِيِّ ثاني ثَقِيلٍ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

[أرسل كثيراً إلى بُثينة ليستجدَّ منها موعداً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصليّ عن
السَّعِيدِيّ ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثنا أبو مالك
النَّهْدِيّ قال : جلس إلينا كثيرُ ذاتِ يوم فتذاكرنا جميلاً ؛ فقال : لقيني مرةً فقال لي : من
أين أقبلت ؟ قلتُ : من عند أبي الحبيبة (أعني بُثينة) . فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلتُ : إلى

1 الغرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

2 في الديوان اختلاف بين 32 .

الحبيبة (أعني عزة) . فقال : لا بدّ من أن ترجع عودك على بدئك فتستجدّ لي موعداً من بُيُنة . فقلت : عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع . فقال : لا بدّ من ذلك . فقلت له : فمتى عهدك ببُيُنة ؟ فقال : في أول الصيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادي¹ الدّوم فخرجت ومعها جارية لها تغسيل ثيابها ؛ فلما أبصرتني أنكرتني ، فضربت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به ، وعرفتني الجارية ، فأعادت الثوب في الماء ، وتحدّثنا حتى غابت الشمس . وسألناها الموعد فقالت : أهلي سائرون ؛ وما وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها . فقال له كثير : فهل لك في أن آتي الحيّ فأنزع² بآيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها ؟ . قال : ذلك الصواب ، فأرسله إليها ؛ فقال له : انتظرني . ثم خرج كثير حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما ردك ؟ قال : ثلاثة آيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك . قال : هايتها . قال كثير : فأنشدته وبُيُنة تسمع :

فقلتُ لها يا عزّ أرسلُ صاحبي إليك رسولاً والموكلُ مرسلُ
بأن تجعل لي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني ما الذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني بأسفل وادي الدّوم والثوب يُغسلُ

قال : فضربت بُيُنة جانبَ خدرها وقالت : إنحسأ إنحسأ ! فقال أبوها : مهيم³ يا بُيُنة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّاية . ثم قالت للجارية : أبغينا من الدّوماتِ حظباً لنذبح لكثير شاة ونشويها له . فقال كثير : أنا أعجلُ من ذلك . وراح إلى جميل فأخبره . فقال له جميل : الموعد الدّومات . وقالت لأُمّ الحسين وليلَى ونُجَيّا بناتِ خالتها وكانت قد أنست إليهنّ واطمأنّت بهنّ : إني قد رأيتُ في نحو نشيدٍ كثير أن جميلاً معه . وخرج كثير وجميل حتى أتيا الدّومات ، وجاءت بُيُنة ومن معها ، فما برحا حتى برق الصبح . فكان كثير يقول : ما رأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ! ما أدري أيهما كان أفهم !

[وصف صالح بن حسان بيتاً من شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي ، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لي

1 وادي الدوم : وادٍ معترض من شمال خيبر إلى قبلها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض .

2 نزع الشعر : تمثّل به .

3 مهيم : كلمة يمانية معناها : ما أمرك ، وما شأنك ، وما الذي أرى بك ؟ ونحو هذا من الكلام .

صالح بن حَسَّان : هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شَمْلَةٍ وآخره مخنثٌ من أهل العَقِيق يتقصّف تقصّفًا ؟ قلتُ : لا . قال : قد أَجَلْتُكَ حَوْلًا . قلتُ : لا أَذْري ما هو ؛ فقال قولُ جميل :

أَلَا أَيُّهَا النُّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُوا

كَانَهُ أَعْرَابِيٌّ فِي شَمْلَةٍ . ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال :

أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ

كَانَهُ مِنْ كَلَامِ مُخْنَثِي الْعَقِيقِ .

[أهدر السلطان لأهل بئنة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كَرِيم عن أبي عمرو وإسحاق بن مروان قال : عشق جميلٌ بئينة وهو غلام ، فلَمَّا بلغ خطبها فَمُنِعَ منها ، فكان يقول فيها الأشعار ، حتى اشتَهَرَ وطُرد ، فكان يأتيها سِرًّا ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفِيَتْ إلى أَنْ استعمل دَجَاجَةٌ بن رِبْعِيٍّ على وادي القُرَى فشكّوه إليه فتقدّم إليه أَلَّا يَلِمَ بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها ، فاحتبس حينئذٍ .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدثني إبراهيم الرّمّاح قال حدثنا جابر أبو العلاء التَّنُوخيّ قال : لَمَّا نَذَرَ أَهْلُ بَئِينَةِ دَمِ جَمِيلٍ وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل ، فكان يصعد بالليل على قُورٍ¹ رملٍ يتنسم الريح من نحو حَيٍّ بئينة ويقول :

أَيَا رِيحَ الشَّمَالِ أَمَا تَرَنِّي أَهِيْمُ وَأَنْتِي بَادِي النُّحُولِ

هَبِي لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بَشْنٍ وَمُنِي بِالْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ

وَقُولِي يَا بَئِينَةُ حَسْبُ نَفْسِي قَلِيلُكُ أَوْ أَقْلُ مِنْ الْقَلِيلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف . وكانت بئينة تقول لجوارٍ من الحيّ عندها : وَيَحْكُنْ ! إِنِّي لِأَسْمَعُ أَيْنَ جَمِيلٍ مِنْ بَعْضِ الْقِيرَانِ ؛ فيقلن لها : أَتَقِي اللَّهَ ؛ فهذا شيء يخيله لك الشيطانُ لا حقيقة له .

[تذاكر هو وكثيرٌ شرعياً في العشق وبكيا]

حدثني أحمد بن عَمَّار قال حدثني يعقوب بن نَعِيم قال حدثني أحمد بن يَعْلَى قال حدثني سُوَيْد بن عِصَام قال حدثني رُوحُ أَبُو نَعِيم قال : التقى جميلٌ وكثيرٌ فتذاكرا النَّسِيبَ ؛ فقال

كثير : يا جميل ، أترى بُثينة لم تسمع بقولك :
 يقيك جميل كل سوء ، أما له
 [من الطويل]
 لديك حديثٌ أو إليك رسولٌ
 وقد قلتُ في حبي لكم وصيأتي
 محاسنَ شعيرِ ذكُرهنَّ يطولُ
 فإن لم يكن قولِي رضاك فَعَلَمِي
 هُبوبُ الصَّبَا يا بَنَ كيف أقولُ
 فما غاب عن عيني خيالك لحظةً
 ولا زال عنها ، والخيالُ يزولُ

فقال جميل : أترى عَزَّةَ يا كثير لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقول العدا يا عَزَّ قد حال دونكم
 فقلتُ لها والله لو كان دونكم
 شجاعٌ على ظهر الطريق مصمُّمٌ
 وكيف يزوع القلبُ يا عَزَّ رائعٌ
 جهنمُ ما راعتُ فؤادي جهنمُ
 وما ظلمتُك النفسُ يا عَزَّ في الهوى
 ووجهك في الظلِّماء للسفر معلَّمٌ
 فلا تنقِمي حبي فما فيه منقمٌ
 قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا .

[واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب]

وقال الهيثم بن عدي ومن ذكر روايته معه من أصحابه : زار جميلٌ بُثينة ذات يومٍ ، فنزل قريباً من الماء يترصد أمةً لها أو راعيةً ، فلم يكن نزوله بعيداً من ورود أمة حبشية معها قريةً ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه . فسلمت عليه وجلست معه ، وجعل يحذثها ويسالها عن أخبار بُثينة ويحذثها بخبره بعدها ويحملها رسائله . ثم أعطها خاتمه وسألها فدفعه إلى بُثينة وأخذ موعدٍ عليها ، ففعلت وانصرفت إلى أهلها وقد أبطأت عليهم . فلقيها أبو بُثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها ، فالتوت عليهم ولم تخبرهم وتعللت ؛ فضربوها ضرباً مبرحاً ؛ فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعت إليه خاتمه . ومرَّ بها في تلك الحال فتیان من بني عُذرة فسمعا القصّة كلّها وعرفا الموضع الذي فيه جميل ، فأحبّا أن يُبْطِئا عنه فقالا للقوم : إنكم إن لقيتمُ جميلاً وليست بُثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه ؛ وأهل بُثينة أعزُّ عُذرةً ، فدعوا الأمة تُوصِّلَ خاتمه إلى بُثينة ، فإذا زارها يبتئوها جميعاً ؛ قالوا : صدقما لعمري إن هذا الرأي . فدفعوا الخاتم إلى الأمة وأمروها بإيصاله وحذروها أن تخبر بُثينة بأنهم علموا القصّة ، ففعلت . ولم تعلم بُثينة بما جرى . ومضى الفتيان فاندرا جميلاً ؛ فقال : والله ما أُرهبهم ، وإن في كيناتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم ، وهذا سيفي والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبَانُ الجَنان . فناشده الله وقال : البقيّة¹ أصلح ، فتقيم

1 البقية كالبقية وهي أن تقي على عدو له ولا تستأصله .

عندنا في بيوتنا حتى يَهْدَأُ الطلب ، ثم نبعثُ إليها فتزورُكُ وتَقْضِي من لقاءها وطراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤثِّرٍ¹ . فقال أَمَّا الْآنَ فابعثا إليها مِن يَنْذِرُها ؛ فَاتِيَاهِ بَرَاعِيَهُ لهما وقالَا له : قُلْ بِحَاجَتِكَ ؛ فقال : ادخلي إليها وقولي لها : إِنِّي أَرَدْتُ اقْتِنَاصَ طَبِي فحذره ذلك جماعة اعْتَوَرُوهُ من القُنَاصِ ففَاتَنِي اللَّيْلَةُ . فمَضَتْ فَأَعْلَمْتُهَا مَا قَالَ لها ؛ فَعَرَفْتُ قِصَّتَهُ وَبَحِثْتُ عَنْهَا فَعَرَفْتُهَا ؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تَبْرَحْ مَكَانَهَا وَمَضُوا يَقْتَصُونَ أَثَرَهُ فَرَأَوْا بَعَرَ نَاقَتِهِ فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُمْ ، فقال جميل في ذلك :

خَلِيلِي عُوجَا الْيَوْمَ حَتَّى تَسْلُمَا عَلَى غَنَبَةِ الْأَيْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بِهَا ثُمَّ اشْفَعَا لِي وَسَلَّمَا عَلَيْهَا سَقَاهَا اللَّهُ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ²

* * *

إِذَا مَا دَنْتَ زِدْتَ اشْتِيَاقًا وَإِنْ نَأَتْ جَزَعْتُ لِنَائِي الدَّارَ مِنْهَا وَلِلْبُعْدِ³
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حَبًّا بَثْنَةً لَمْ يُرَدْ سِوَاهَا وَحَبُّ الْقَلْبِ بَثْنَةً لَا يُجْدِي
قال : وقال أيضاً : ومن الناس من يُضِيفُ هذه الأبيات إلى هذه القصيدة ؛ وفيها أبيات معادة القوافي تدل على أنها مفردة عنها ، وهي :

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ الْقَدِيمَةَ هَلْ لَهَا بَأْمٌ جُسَيْرٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ
وفيها يقول :

صوت

سَلَى الرِّكْبَ هَلْ عُجْنَا لِمَغْنَاكِ مَرَّةً صَدُورَ الْمَطَايَا وَهِيَ مُوقَرَّةٌ تَخْدِي
وَهَلْ فَاضَتْ الْعَيْنُ الشَّرُوقُ بِمَائِهَا مِنْ آجَلِكِ حَتَّى أَخْضَلُ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي
الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقلبٍ بالوسطى :
وَإِنِّي لَأَسْتَجِرِي لَكَ الطَّيْرَ جَاهِداً لَتَجْرِي بِيَمِينٍ مِنْ لِقَائِكِ مِنْ سَعْدِ
وَإِنِّي لَأَسْتَبْكِي إِذَا الرِّكْبُ غَرَّدُوا بِذِكْرِكَ أَنْ يَحْيَا بِكَ الرِّكْبُ إِذْ يَخْدِي
فَهَلْ تَجْزِيَنِي أُمُّ عَمْرٍو بِوَدِّهَا فَإِنَّ الَّذِي أُخْفِي بِهَا فَوْقَ مَا أُبْدِي
وَكُلُّ حَبٍّ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ جَهْدِهِ وَقَدْ زِدْتُهَا فِي الْحَبِّ مِنِّي عَلَى الْجَهْدِ

1 غير مؤثر : غير معيب . يريد لم تصب بمكروه .

2 سبل في الديوان : سائغ 103 .

3 دنت في الديوان : صقت 74 .

[قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تربه إياها]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وبهلول بن سليمان البَلَوِيّ : أنَّ رَهطَ بُثَيْنَةَ ائْتَمَنُوا عَلَيْهَا عَجُوزاً مِنْهُمْ يَتَّقُونَ بِهَا يُقَالُ لَهَا أُمُّ مَنْظُور . فَجَاءَهَا جَمِيلٌ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمُّ مَنْظُور ، أَرِينِي بُثَيْنَةَ . فَقَالَتْ : لَا ؛ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، قَدْ ائْتَمَنُونِي عَلَيْهَا . فَقَالَ : أُمَّا وَاللَّهِ لِأَضْرَتِكَ ؛ فَقَالَتْ : الْمَضْرُوءُ وَاللَّهِ فِي أَنَّ أَرِيكَهَا . فَمَخْرَجٌ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفَتْ بِالْحِجْرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُور¹
وَلَا ائْتَمَنَ مِنْهَا خُرْساً جَبَّارُهَا إِلَيَّ مِنْ سَاقِطِ الْأُرَاقِ مُسْتَوِر²

قال : فما كان إلا قليلاً حتى انتهى إليهم هذان البيتان . قال : فتعلّقوا بأُمِّ مَنْظُور فحلّفت لهم بكلّ يمين فلم يقبلوا منها ؛ هكذا ذكر الزبير بن بَكَار في خبر أُمِّ مَنْظُور ، وقد ذكر فيه غير ذلك .

[استدعى مصعب أُمَّ مَنْظُور وسأها عن قصتها مع جميل وبثينة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدثني العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، وأخبرني به ابن أبي الأَزهَر عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ : أنَّ رجلاً أَتَشَدَّ مُصْنَعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ قَوْلَ جَمِيل :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفَتْ بِالْحِجْرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُور
فَقَالَ : لَوِدِدْتُ أَنِّي عَرَفْتُ كَيْفَ جَلَّتْهَا . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أُمَّ مَنْظُورَ هَذِهِ حَيَّةٌ . فَكُتِبَ فِي حَمَلِهَا إِلَيْهِ مَكْرَمَةٌ فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا : أَخْبِرِينِي عَنْ قَوْلِ جَمِيل :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا نَظْرَةً سَلَفَتْ بِالْحِجْرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أُمُّ مَنْظُور
كَيْفَ كَانَتْ هَذِهِ الْجَلُوتُ ؟ قَالَتْ : أَلْبَسْتُهَا قِلَادَةً بَلَحَ وَمِخْنَقَةً بَلَحَ وَاسْطَئْتُهَا تَفَاحَةً ، وَضَفَرْتُ شَعْرَهَا وَجَعَلْتُ فِي فَرْقِهَا شَيْئاً مِنَ الْخَلْقِ . وَمَرَّ بَنَا جَمِيلٌ رَاكِباً نَاقَتَهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا حَتَّى غَابَ عَنَّا . فَقَالَ لَهَا مُصْنَعَبٌ : فَإِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا جَلُوتَ عَائِشَةَ بَنَتْ طَلْحَةَ مِثْلَ مَا جَلُوتَ بُثَيْنَةَ ، فَفَعَلْتُ . وَرَكِبَ مُصْنَعَبٌ نَاقَتَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَسِيرُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَ .

1 الحِجْر : اسم موضع .

2 اتسلب في الأصل : أسرع ، كأنه لسرعته يخرج من جلده ، وهو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة . الجبائر : الأساور . الأرواق : الفساطيط .

[زارها مرة متكرراً في زِي سائل]

أخبرني الحرّميّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي بُهْلُولُ عَنْ بَعْضِ مَشَايخِهِ : أَنَّ جَمِيلاً جَاءَ إِلَى بُثَيْنَةَ لَيْلَةً وَقَدْ أَخَذَ ثِيَابَ رَاغٍ لِبَعْضِ الْحَيِّ ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَيْفَاناً لَهَا ، فَانْتَبَذَ نَاحِيَةً ، فَسَأَلَتْهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مُسَكِّينٌ مُكَاتَّبٌ ، فَجَلَسَ وَحْدَهُ ، فَعَشَّتْ ضَيْفَانَهَا وَعَشَّتَهُ وَحْدَهُ . ثُمَّ جَلَسَتْ هِيَ وَجَارِيَةٌ لَهَا عَلَى صِلَاتِهِمَا وَاضْطَجَعَ الْقَوْمُ مُتَّحِينَ . فَقَالَ جَمِيلٌ : [من البسيط]

هَلْ الْبَائِسُ الْمَقْرُورُ دَانٍ فَمُضْطَلٍّ
مِنْ النَّارِ أَوْ مُعْطًى لِحَافاً فَلَابَسٌ

[واعدته مرة وأحسن أهلها فنعوها فقال في ذلك شعراً]

فَقَالَتْ لَجَارِيَتِهَا : صَوْتُ جَمِيلٍ وَاللَّهِ ؛ أَذْهَبِي فَاَنْظُرِي ! . فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : هُوَ وَاللَّهِ جَمِيلٌ ! فَشَهَقَتْ شَهَقَةً سَمِعَهَا الْقَوْمُ فَأَقْبَلُوا يَجْرُونَ وَقَالُوا مَا لَكَ ؟ فَطَرَحَتْ بُرْدًا لَهَا مِنْ حَبْرَةٍ فِي النَّارِ وَقَالَتْ : احْتَرَقَ بُرْدِي ، فَرَجَعَ الْقَوْمُ . وَأُرْسَلَتْ جَارِيَتُهَا إِلَى جَمِيلٍ ، فَجَاءَتْهَا بِهِ ، فَحَبَسَتْهُ عِنْدَهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ .

وَقَالَ الْهَيْثَمُ وَأَصْحَابُهُ فِي أَخْبَارِهِمْ : كَانَتْ بُثَيْنَةُ قَدْ وَاعَدَتْ جَمِيلاً لِلِالْتِقَاءِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، فَأَتَى لَوْعُهَا . وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يَسْتَضِيفُ الْقَوْمَ فَأَنْزَلُوهُ وَقَرُّوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مُتَفَرِّقِينَ مُتَوَارِينَ فِي الشَّجَرِ وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكُمْ أَنْ يَسْلُوا بَعْضَ إِيْلِكُمْ . فَعَرَفُوا أَنَّهُ جَمِيلٌ وَصَاحِبَاهُ ، فَحَرَسُوا بُثَيْنَةَ وَمَنَعُوهَا مِنَ الْوَفَاءِ بِوَعْدِهِ . فَلَمَّا أَسْفَرَ لَهُ الصَّبْحُ انْصَرَفَ كَثِيبًا سَيِّئَ الظَّنِّ بِهَا وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ نِسَاءَ الْحَيِّ يُقَرِّعُنَهُ بِذَلِكَ وَيَقْلَنَ لَهُ : إِنَّمَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالْغَدْرِ ، وَغَيْرُهَا أَوْلَى بِوَصْلِكَ مِنْهَا ، كَمَا أَنَّ غَيْرَكَ يَحْظِي بِهَا . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أُبَيِّنُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي
وُخْذِي بِحُظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ

صوت

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا
بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتُرٍ
حَبِّي بِثِينَةٍ عَنْ وَصَالِكِ شَاغِلِ
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرٍ قُلَامِيَةٍ
فَضْلاً وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي
الْغَنَاءُ لِيَحْيِيَ الْمَكِّيَّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رَوَايَةِ أَحْمَدَ .

وَيَقْلَنُ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ
مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ تَمِّنُ أَحَبُّ حَدِيثِهِ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَاطِلِ
الْغَنَاءُ لَسَلِّمَ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ عَمْرٌ أَنَّهُ لِيَزِيدَ حَوْرَاءَ .

[قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشر]

وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه أن جماعة من بني عذرة حدثوا أن جميلًا رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم ، حتى إذا صادف منها خلوة سكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء ذات غيم وريح ورعد ، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ، ففزعت وقالت : والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن ! فقالت لها بثينة وقد فطنت : إن جميلًا فعل ذلك فانصرفي ناحية إلى منزلك حتى ننام ، فانصرفت وبقيت مع بثينة أم الجسير وأم منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلته الخياء معها وتحادثا طويلاً ، ثم اضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبح من اللبن بعث به إليها ، فراها نائمة مع جميل ، فمضى لوجهه حتى خبر سيده . ورأته ليل والصبح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت حذري بثينة وجميلًا ، فجاءت الجارية فنبهتهما . فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت : يا جميل ! نفسك نفسك ! فقد جاءني غلام نبيه بصبحي من اللبن فرأنا نائمين ؛ فقال لها جميل وهو غير مكترث لما خوفته منه :

لَعَمْرُكَ مَا خَوَّفَنِي مِنْ مَخَافَةٍ بُثَيْنَ وَلَا حَذَرْتَنِي مَوْضِعَ الْحَذَرِ
فَأَقْسِمُ لَا يُلْفِي لِي الْيَوْمَ غِرَّةٌ وَفِي الْكَفِّ مَنِّي صَارِمٌ قَاطِعٌ ذَكَرُ

فأقسمت عليه أن يُلقي نفسه تحت النضد¹ وقالت : إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطجعت أم الجسير إلى جانبها وذهبت خادماً ليلي إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبح معه وقال له : إنني رأيت بثينة مضطجعة وجميل إلى جنبها . فجاء نبيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجسير إلى جانبها نائمة . فخجل زوجها وسبَّ عبده وقالت ليلي لأخيها وأبيها : قبحكما الله ! أفى كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح ؛ قبحه الله وإياكما ! وجعلًا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح . وأقام جميل عند بثينة حتى أجنه الليل ثم ودَّعها وانصرف . وحذرتهم بثينة لما جرى من لقائه إياها فتحامت² مدة ، فقال في ذلك :

[من الطويل]

1 النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

2 في ل : وحذرته عدة .

صوت

إِنْ هَفَّتْ وَرَقَاءَ ظَلَّتْ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمْلٍ لَوْرَقَاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة صرمت ولكني عن الصرم أضعف¹

للهُذَلِيّ في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقیلٌ أوّلٌ بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق ،
والآخر خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو ، وذكر غيره أنّه لابن جامع . وفيه لبذل الكبرى
خفيف ثقیلٌ بالخنصر في مجرى البصر عن أحمد بن المكي . ومّا يغني فيه من هذه القصيدة
قوله :

صوت

لها في سواد القلب بالحُبِّ مِيعَةٌ هي الموتُ أو كادتُ على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرتُك النفسُ يا بَنَ مَرَّةً من الدهرِ إلّا كادتِ النفسُ تَتَلَفُ
وإلّا اعترنني زَفَرَةٌ واستكانةٌ وجاد لها سَجَلٌ من الدَّمْعِ يَذْرِفُ²
وما استظرفتُ نفسي حديثاً لَخَلَّةٍ أَسْرُ به إلّا حديثُك أَطْرَفُ
الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن الهشامي . وأوّل هذه القصيدة :

أَمِنْ مَنْزِلٍ قَفَرٍ تَعَفَّتْ رُسُومُهُ شَمَالٌ تُغَادِيهِ وَنُكْبَاءُ حَرَجَفُ³
فَأَصْبَحَ قَفَرًا بَعْدَ مَا كَانَ أَهْلًا وَجُمْلُ الْمُنَى تَشْتُو بِهِ وَتُصَيِّفُ
ظَلَلْتُ وَمُسْتَنٌّ مِنَ الدَّمْعِ هَامِلٌ مِنَ الْعَيْنِ لَمَّا عُجْتُ بِالدَّارِ يَنْزِفُ⁴
أَمْنَصِفَتِي جُمْلٌ فَتَعْدِلُ بَيْنَنَا إِذَا حَكَمْتَ وَالْحَاكِمُ الْعَدْلُ يُنْصِفُ
تَعَلَّقْتُهَا وَالْجِسْمُ مَنِي مَصْحَحٌ فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ جُمْلٍ وَأَضْعَفُ⁵
إِلَى الْيَوْمِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَشَفَنِي وَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
قَنَاءٌ مِنَ الْمَرَانِ مَا فَوْقَ حَقْوِهَا وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقَاءٌ يَتَقَصِّفُ

1 يا صاح في الديوان يا بَنُ 132 .

2 زفرة في الديوان : عيرة ، في الديوان اختلاف 132 .

3 الحرجف : الريح الباردة الشديدة المهبوب .

4 مستن : منصب .

5 في الديوان اختلاف 133 .

لَهَا مُقَلَّتَا رَيْمٍ وَجِدَادِيَّةٌ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ أَهْلَهَا حِينَ أَقْبَلُوا
وَقَالُوا جَمِيلٌ بَاتَ فِي الْحَيِّ عِنْدَهَا
وَفِي الْبَيْتِ لَيْثُ الْغَابِ لَوْلَا مَخَافَةٌ
هَمَمْتُ وَقَدْ كَادَتْ مِرَارًا تَطْلُعْتُ
وَمَا سَرَّنِي غَيْرُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ
فَكَمْ مُرْتَجٍ أَمْرًا أُتِيحَ لَهُ الرَّدَى
وَكَشَحْتُ كَطَيِّ السَّابِرِيَّةِ أَهْيَفُ¹
وَجَالُوا عَلَيْنَا بِالسُّيُوفِ وَطَوَّفُوا
وَقَدْ جَرَّدُوا أَسْيَافَهُمْ ثُمَّ وَقَّفُوا
عَلَى نَفْسِ جُمْلٍ وَإِلَالِهِ لَأَرْعِفُوا²
إِلَى حَرْبِهِمْ نَفْسِي وَفِي الْكَفِّ مُرْهَفُ
وَمَنِّي وَقَدْ جَاءُوا إِلَيَّ وَأَوْجَعُوا
وَمَنْ خَائِفٍ لَمْ يَنْتَقِصْهُ التَّخَوُّفُ

[له بيت نصفه أعرابي ونصفه مخنث]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ
قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ ، قَالَ لِي صَالِحُ بْنُ
حَسَّانٍ : هَلْ تَعْرِفُ بَيْتًا نَصَفَهُ أَعْرَابِيٌّ فِي شَمْلَةٍ وَأَخْرَجَهُ مَخْنَثٌ يَتَفَكَّكُ مِنْ مَخْنَثِي الْعَقِيقِ .
فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي . قَالَ : قَدْ أَجَلَّنْكَ فِيهِ حَوْلًا . فَقُلْتُ : لَوْ أَجَلَّتَنِي حَوْلَتَيْنِ مَا عَلِمْتُ . قَالَ :
قَوْلُ جَمِيلٍ :

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُوا

هذا أعرابيٌّ في شَمْلَةٍ . ثم قال :

نَسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ

كَانَهُ وَاللَّهِ مِنْ مَخْنَثِي الْعَقِيقِ . فِي هَذَا الشَّعْرِ غَنَاءٌ ؛ نَسَبْتُهُ وَشَرَحْتُهُ :

صوت

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُوا
أَلَا رُبَّ رَكْبٍ قَدْ دَفَعْتُ وَجِيفَهُمْ
نَسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ
إِلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُوجِفِ الرَّكْبُ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ ، وَذَكَرَهُ إِسْحَاقُ فِي
هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى أَحَدٍ . وَفِيهِ لِسْلِيمٌ مَأْخُورِيٌّ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَفِيهِ لِمَالِكٍ ثَانِي ثَقِيلٌ
بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمُعَبَّدٌ . وَفِيهِ لَعَرِيبٍ هَزَجٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ

1 الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت سِنَّةَ أَشْهُرٍ . السابري : الرقيق من الثياب ، وهو أيضاً الدرع
الدقيقة النسيج .

2 أَرَعَفَهُ : أَعْجَلَهُ .

المعتز . وذكر عبد الله بن موسى أنَّ لحن مالك من الثقليل الأول وأنَّ خفيف الرَّمْل لابن سُرَيْج وأنَّ الهزج لحمدونة بنت الرُّشيد .
[جفا بُيْنة لما علقت حجنة الهلالي]

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية المحرزي عن شيخ من رهط جميل من عذرة : أنَّ بُيْنة لما علقت حجنة الهلالي جفاها جميل . قال : وأنشدني لجميل في ذلك :
[من الطويل]
صوت

بَيْنَا حِبَالٌ ذَاتُ عَقْدٍ لَبْنِيَّةٍ أُتِيحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا
فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا هَوًى وصار الذي حلَّ الحبالَ هَوًى لَهَا
وقالوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيْرَهَا الْوَاشِي فَقُلْتُ لَعَلَّهَا

الغناء للهلالي خفيفٌ ثقيلٌ مطلق في مجرى الوسطى . وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع ولم ينسبه إلى أحد ؛ وفيه لسليم ماخوري .
[تمثل إفريقي بشعر له يعرض فيه بفتى من آل عثمان]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مقرر قال : بعثني المنصور لأبتاع له جارية من المدينة وقال لي : اعمل برأي ابن نفيس ؛ فكننت أفعل ذلك ، وأغشى ابنه ، وكانت له جارية مغنية قد كلف بها فتى من آل عثمان بن عفان ، فكان يبيع عقدة¹ عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها . وابتلي برجل من أهل إفريقية ومعه ابن له ، فغشي ابن الإفريقي بيت ابن نفيس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويبرهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وثاقلوا العثماني . فقضي أن اجتمعنا عشية عندها وحضر ابن الإفريقي والعماني ؛ فنزع ابن الإفريقي خفه فتناثر المسك منه ، وأراد العثماني أن يكيد به ففعله . فجلسا ساعة ؛ فقال لها ابن الإفريقي : غني :

بَيْنَا حِبَالٌ ذَاتُ عَقْدٍ لَبْنِيَّةٍ أُتِيحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا

يعرض بالعثماني . فقال لها العثماني : لا حاجة لنا في هذا ، ولكن غني : [من الطويل]

ومن يرع نجداً يُلفني قد رعته بجنيته الأولى ويورذ على وردي

قال : فنكس ابن الإفريقي رأسه وخرج العثماني فذهب ، وخمد أهل البيت فما انتفعوا بقيّة يومهم .

[شعره حين زوّجت بثينة نبيها]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي عمر بن أبي بكر المؤمِّلِيّ وبُهْلُول بن سليمان
البَلَوِيّ : أنَّ جميلًا قال لما زوّجتْ بُثَيْنَةَ نُبَيْهَا :

صوت

ألا نادِ عِيراً من بُثَيْنَةَ تَرْتَعِي نودُّعٌ على شَحْطِ النَّوَى ونودُّعٌ¹
وحثُّوا على جَمْعِ الرُّكَّابِ وقَرَّبُوا جِمالاً ونوقاً جِلَّةً لم تَضَعُضَعُ
في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيْجٍ عن الهِشامِيّ . ومَّا يَغْنَى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أُعِيدُكَ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوَةٍ وأن تَطْمَعِي يوماً إلى غير مَطْمَعٍ
إذا ما ابنُ ملعونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ عليكِ فمُوتِي بعد ذلك أو دَعِي
مِلَلَنَ ولم أَمْلُنْ وما كنتُ سائماً لأجمال سَعْدَى ما أَنَحْنَ بِجَعَجَعٍ²
وحثُّوا على جَمْعِ الرُّكَّابِ وقَرَّبُوا جِمالاً ونوقاً جِلَّةً لم تَضَعُضَعُ
ألا قد أرى إلا بُثَيْنَةَ هاهنا لنا بعد ذا المُنْطَفِ والمُتَرَعِّعِ
لمَعْبُد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْخِنْصَرِ في مجرى الوسطى عن
إِسحاق . ولابن سُرَيْجٍ في الأوَّل والثاني والخامس خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ عن عمرو . ولِلأَبَجَرِ
في الأوَّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ . وفي الأوَّل والثاني خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إلى
مَعْبُد وغيره ، ولم تُعَرَفْ صَحَّتُهُ من جهةٍ يُوثَقُ بها .
[شعره لما أبعدته السلطان عن بثينة]

أخبرني الحرّميّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال أَنشَدَنَا بُهْلُولُ بن سليمان لَجَمِيلٍ لما بَعُدَ عن بُثَيْنَةَ
وخاف السلطان ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَبُ به :

ألا قد أرى إلا بُثَيْنَةَ للقلبِ بَوَادِي بَدَأَ لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ³
ولا يُبْصَاقٍ قد تَيْمَمْتَ فاعترفْ لما أَنتَ لاقٍ أو تَنَكَّبُ عن الرُّكْبِ⁴

1 العير : القافلة .

2 جعجع : موضع بعينه ، وهو في الأصل المتطامن من الأرض ، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ .

3 بدا : موضع بوادي عذرة قرب الشام . وحسبى : موضع وراء وادي القرى ممّا يلي بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادي القرى .

4 بصاق : موضع قريب من مكّة ، وقيل : هو جبل بين أيلة والتيه .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُحَدِّثُ صَبْوَةٍ تَمُوتُ لَهَا بُدِّلْتُ غَيْرِكَ مِنْ قَلْبٍ

[حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَخْرٍ الْحَرَشِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ زِيَادٍ الثَّقَفِيُّ : أَنَّ بُثَيْنَةَ دَخَلَتْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . فَرَأَى امْرَأَةً خَلْفَاءَ¹ مُوَلِيَّةً ؛ فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي رَأَى فِيكَ جَمِيلٌ ؟ قَالَتْ : الَّذِي رَأَى فِيكَ النَّاسُ حِينَ اسْتَخْلَفُوكَ . فَضَحَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ سِنَّ سَوْدَاءٍ كَانَ يَسْتُرُهَا .

[شعره في جملة «جديل»]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعُؤَيْثِيُّ : أَنَّ جَمَلَ جَمِيلٍ الَّذِي كَانَ يَزُورُ عَلَيْهِ بُثَيْنَةَ يَقَالُ لَهُ «جَدِيلٌ» وَفِيهِ يَقُولُ :

[من الطويل]

أَنْخَتَ جَدِيلًا عِنْدَ بُثْنَةٍ لَيْلَةً وَيَوْمًا أَطَالَ اللَّهُ رَغَمَ جَدِيلٍ
أَلَيْسَ مُنَاخُ النَّضْوِ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَبِثْنَةَ فِيمَا بَيْنَنَا بِقَلِيلٍ ؟

[مهاجاته قومها بنى الأحب وإهدار السلطان لهم دمه]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ : أَنَّ جَمِيلًا لَمَّا اشْتَهَرَتْ بُثَيْنَةُ بِحَبِّهِ إِيَّاهَا اعْتَرَضَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قُطَيْبَةَ أَحَدُ بَنِي الْأَحَبِّ وَهُوَ مِنْ رَهْطِهَا الْأَذْنَيْنِ فَهَجَاهُ ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ جَمِيلًا فَأُجَابَهُ ، وَتَطَاوَلَا فَغَلَبَهُ جَمِيلٌ وَكَفَّ عَنْهُ ابْنُ قُطَيْبَةَ ، وَاعْتَرَضَهُ عُمَيْرُ بْنُ رَمْلٍ (رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْأَحَبِّ) فَهَجَاهُ . وَإِيَّاهُ عَنَى جَمِيلٌ بِقَوْلِهِ :

[من الطويل]

إِذَا النَّاسُ هَابُوا خَزِيَّةً ذَهَبَتْ بِهَا أَحَبُّ الْمَخَازِي كَهْلَهَا وَوَلِيدُهَا
لَعَمْرُكَ عَجُوزٌ طَرَقَتْ بِكَ إِنَّنِي عُمَيْرُ بْنُ رَمْلٍ لَا بِنُ حَرْبٍ أَقْوَدُهَا²
بِنَفْسِي فَلَا تَقْطَعْ فَوَادِكَ ضَلَّةً كَذَلِكَ حَزَنِي وَعَثُّهَا وَصَعُودُهَا

قَالَ : فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعٍ بْنُ دَجَاجَةَ ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ بِلَادُ عُدْرَةَ ، وَقَالُوا : يَهْجُونَا وَيَغْشَى بِيُوتَنَا وَيَنْسُبُ بِنِسَائِنَا ؟ فَأَبَاحَهُمْ دَمَهُ ، وَطَلَبَ فَهَرَبَ مِنْهُ . وَغَضِبَتْ بُثَيْنَةُ لِهَجَائِهِ أَهْلَهَا جَمِيعًا . فَقَالَ جَمِيلٌ :

[من الطويل]

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفْتُ بِهِ يَدٌ وَمُمَرُّ الْعُقْدَتَيْنِ وَيَتَّقُ³

1 الخلفاء : الحمقاء .

2 طرقت بك : حملت بك .

3 ممر العقدين يعني وترأ . والممر : الشديد القتل .

له من خَوَافِي النَّسْرِ حُمَّ نَظَائِرُ¹ وَنَصَلٌ كَنَصَلِ الزَّاعِيِ فَعِيقُ¹
 عَلَى نَبْعَةِ زُرَّاءٍ أَمَّا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَمَّا عُودُهَا فَعِيقُ²
 بِأَوْشَكَ قِتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِذُ لَمْ تَظْهَرْ لَهَنَ خُرُوقُ
 تَفَرَّقَ أَهْلَانَا بُثَيْنَ فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ أَقَامُوا وَاسْتَمَرَ فَرِيقُ
 فَلَوْ كُنْتُ خَوَّارًا لَقَدْ بَاحَ مَضْمَرِي وَلَكِنِّي صُلْبُ الْقَنَاقَةِ عَرِيقُ³
 كَأَنَّ لَمْ نُحَارِبْ يَا بُثَيْنَ لَوْ أَنَّهُ تَكَشَّفَ غُمَاهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ

قال ويدل على طلب عامر بن ربيعة إياه قوله :

أَضَرَ بِأَخْفَافِ الْبُغَيْلَةِ أَنَّهَا حِذَارَ ابْنِ رَبِيعٍ بِهِنَ رُجُومُ⁴

[لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزنبلي الأصبهاني قال
 حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عُذْرَةَ : أَنَّ السُّلْطَانَ
 أَهْدَرَ دَمَ جَمِيلٍ لِرَهْطِ بُثَيْنَةَ إِنْ وَجَدُوهُ قَدْ غَشِيَ دُورَهُمْ . فَحَذَرَهُمْ مَدَّةً ، ثُمَّ وَجَدُوهُ
 عِنْدَهَا ، فَأَعْذَرُوا إِلَيْهِ وَتَوَعَّدُوهُ وَكَرِهُوا أَنْ يَنْشَبَ بَيْنَهُمْ وَيَبْنِي قَوْمَهُ حَرْبٌ فِي دِمِهِ ؛ وَكَانَ
 قَوْمُهُ أَعَزَّ مِنْ قَوْمِهَا ، فَأَعَادُوا شَكْوَاهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَطَلَبَهُ طَلَبًا شَدِيدًا ، فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ
 فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً . وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْ بُثَيْنَةَ طَارِقُ عَلَى النَّأْيِ مُشْتَاقٌ إِلَيَّ وَشَائِقُ⁵
 سَرَّتْ مِنْ تِلَاعِ الْحِجْرِ حَتَّى تَخَلَّصَتْ إِلَيَّ وَدُونِي الْأَشْعَرُونَ وَغَافِقُ⁵
 كَأَنَّ فَعِيقَ الْمِسْكَ خَالَطَ نَشْرَهَا تَغَلُّ بِهَ أَرْدَانُهَا وَالْمَرَاغِقُ⁶
 تَقُومُ إِذَا قَامَتْ بِهِ عَنْ فِرَاشِهَا وَيَعْدُو بِهِ مِنْ حِضْنِهَا مَنْ تُعَانِقُ

قال أبو عمرو وحدثني هذا العُدْرِي : أَنَّ جَمِيلًا لَمْ يَزَلْ بِالْيَمَنِ حَتَّى عُزِلَ ذَلِكَ الْوَالِي
 عَنْهُمْ ، وَاتَّجَعُوا نَاحِيَةَ الشَّامِ فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ . قَالَ : فَلَقِيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَمَّا أَخَذْتَ بَعْدِي ؛

1 الفتيق : الحاد الرقيق .

2 خطام القوس : وترها .

3 مضمر في ل : ميسمي .

4 الرجوم : اضطرام العدو أي شدة السير .

5 الأشعرين : جمع أشعري ، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . غافق : قبيلة .

6 غلّ الدهن في رأسه وفي ثوبه : أدخله فيه .

فأنشدني :

[من الطويل]

سقى منزلنا يا بُنَيْنَ بحاجرٍ ودورك يا لَيْلَى وإن كُنَّ بَعْدَنَا
وخيماتك اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى تُزَعِزُ مِنْهَا الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ
وإني أن يعلَى بِكَ اللَّوْمُ أو تُرى وإني على الشيء الذي يُلتَوَى به
فقدتُكَ من نفسٍ شعاعٍ فإتني فقربت لي غيرَ القريبِ وأشرفتُ
يقولون صبَّ بالغواني مُوَكَّلٌ وقالوا رعى اللَّهوَ والمالُ ضائعٌ
على الهجرِ منَّا صَيْفٌ وربيعٌ بِلَيْنَ بلى لم تَبْلُهَنَّ رُبوعٌ
لَقَمَرِيَّهَا بِالْمَشْرِقَيْنِ سَجِيعٌ هَزِيمٌ بِسُلاَفِ الرِّيحِ رَجِيعٌ
بِدَارِ أَدَى من شامتٍ لَجَزُوعٌ وإن زَجَرْتَنِي زَجْرَةَ لَوْرِيعٍ¹
نهيتُكَ عن هذا وأنتِ جميعٌ هناك ثَنِيَا ما لهنَّ طُلُوعٌ
وهل ذاك من فعل الرجالِ بَدِيعٌ فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيعٌ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامي وابن خرداذبة وإبراهيم . وذكر حبش أن في هذه الأبيات لإسحاق لحناً من الثقليل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه . ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيٍّ وقافية هذه القصيدة ، وليست له .

[أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حدثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤمِّل عن أبي عُبَيْدة عن أبيه قال : دخل علينا كثير يوماً وقد أخذ بطَرْفِ رِيطَتِهِ وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

[من الطويل]

وليلَى إذا ما الصَّيْفُ ألقى المَراسِيَا² وخبرْتُماني أن تيماء منزلٌ
فما للَنَوَى ترمي بليلى المَرَامِيَا فهذه شهرُ الصَّيْفِ عني قد انقضتُ
ويَجَرَّ رِيطَتَهُ حتى يبلغَ إلينا ، ثم يُولِّي عَنَّا وَيَجْرُهَا ويقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرتِ عِيشتي وإن شئتِ بعد الله أنعمتِ بآلِيا

1 ورّيع : كاف .

2 في الديوان اختلاف 220 .

وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدٍّ يَرَى نِضْوً مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثِي لِيَا
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْنِي يَا أَبَا صَخْرَ ؟ فقال : وَمَنْ
أَعْنِي سِوَى جَمِيلٍ ؟ هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا ؟ . وَتَيْمَاءُ خَاصَّةٌ : منزل لبني
عُدْرَةَ ، وليس من منازل عامر ؛ وإنما يرويه عن المجنون مَنْ لَا يَعْلَمُهُ .

وفي هذه القصيدة يقول جميل :

وَمَا زِلْتُمْ يَا بَنَى حَتَّى لَوْ أَنَّنِي مِنْ الشَّوْقِ أُسْتَبِكِي الْحَمَامُ بَكِّي لِيَا¹
إِذَا خَلِيتُ رَجُلِي وَقِيلَ شَفَاؤُهَا دَعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتَ أَنْتِ دُعَايَا
وَمَا زَادَنِي النَّأْيُ الْمَفْرَقُ بَعْدَكُمْ سُلُوءًا وَلَا طَوْلُ التَّلَاقِي تَقَالِيَا
وَلَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا كَثْرَةُ النَّاهِينَ إِلَّا تَمَادِيَا
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرَّيِّقِ أَنَّنِي أَظَلُّ إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكَ صَادِيَا
لَقَدْ خِيفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيَا

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني بعض أصحابنا عن مُحَمَّد بن مَعْنٍ
الغِفَارِيِّ عن الْأَصْبَغ بن عبد العزيز قال : كنت عند طَلْحَةَ بن عبد الله بن عَوْفٍ ؛ فدخل عليه
كثيرٌ ؛ فلما دخل من الباب أخذ برجله فثناها ثم حبّل حتى بلغ الفِرَاشَ وهو يقول : جميلٌ والله
أشعر العرب حيث يقول :

وَحَبْرُ تَمَانِي أَنْ تَيْمَاءُ مَنْزِلُ

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه مُحَمَّد بن مَرْيَدٍ .

[يوم ذي ضال]

أخبرني الحرّميّ قال حدثني الزُّبَيْرُ قال حدثني عمر بن إبراهيم السَّعْدِيُّ . أَنَّ رَهْطَ بُثَيْنَةَ
قالوا إِنَّمَا يَتَّبَعُ جَمِيلٌ أَمَةً لَنَا . فواعد جميلٌ بُثَيْنَةَ حين لقيها بِرَقَاءَ ذِي ضَالٍ ، فتحدثا ليلاً
طويلاً حتى أَسْحَرَا . ثم قال لها : هل لكُ أَنْ تَرْقُدِي ؟ قالت : مَا شِئْتُ ، وَأَنَا خَائِفَةٌ أَنْ
نَكُونَ قَدْ أَصْبَحْنَا . فوسَّدها جانبَهُ ثم اضطجعا ونامت ؛ فانسلَّ واستوى على راحلته
فذهب ، وَأَصْبَحَتْ فِي مَضْجَعِهَا ، فلم يُرَعْ الْحَيُّ إِلَّا بِهَا رَاقِدَةً عند مُنَاحٍ راحلة جميل .
فقال جميل في ذلك :

فَمَنْ يَكُ فِي حَبِيٍّ بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي فَبِرَقَاءَ ذِي ضَالٍ عَلِيٌّ شَهِيدُ

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن فليح بن إسماعيل بمثل هذه القصة ، وزاد فيها : فلما انتهت بثينة علمت ما أرادها جميل بها ، فهجرته وآلت ألا تظهر له ، فقال :

ألا هل إلى الإمامة أن أئمتها بثينة يوماً في الحياة سبيل ؟
فإن هي قالت لا سبيل فقل لها غناء على العذري منك طويل
على حين يسلو الناس عن طلب الصبا وينسى اتباع الوصل منه خليل

[شكاها أهلها إلى قومه فلاموه ، وشعره في ذلك]

وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم : تشكى زوج بثينة إلى أبيها وأخوها إمام جميل بها . فوجهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعدوه ، وأتاهم فلامه أهلهم وعنفوه وقالوا : إنا نستحلف إليهم ونتبرأ منك ومن جريرتك . فأقام مدة لا يلتم بها ، ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعوداً ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله : [من الطويل]

وإنني على الشيء الذي يلتوى به وإن زجرتني زجرة لوريع
فقدتلك من نفس شعاع فأنني نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقرنت لي غير القريب وأشرفت هناك ثانيا ما هن طلوع
يقولون صب بالغواني موكل وهل ذاك من فعل الرجال بديع
وقالوا رعت اللهو والمال ضائع فكالناس فيهم صالح ومضيع

[تمثل محمد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال : كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فليحة ، وكانت لها صبية يقال لها رحية ، قد ربّتها لغير رشدة ، وكانت من أجمل النساء وجهاً . فرأت محمداً وقد نظر إليها ذات يوم نظراً شديداً ، ثم تمثل قول جميل :

بثينة من صنف يُقلبن أيدي الرُّ مائة وما يحملن قوساً ولا نبلاً
ولكنما يظفرن بالصيد كلما جلون الثنايا الغر والأعين النجلاً
يخالسن ميعاداً يُرغن لقلها إذا نطقت كانت مقاتلتها فصلاً
يرين قريباً بيتها وهي لا ترى سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سهلاً

ف قالت له فليحة : كأنك تريد رحية ؛ قال : إي والله ؛ قالت : إنني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رشدة . فقال لها : إن الدنس لا يلحق الأعقاب ولا يضر الأحساب . فقالت

له : فما يضرُّ إذا ؟ والله ما يضرُّ إلاَّ الأعقاب والأحساب ، وقد وهبْتُها لك . فسُرَّ بذلك وقال : أمَّا والله لقد أُعْطيتُك خيراً منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إياها ؛ لقد مكنتُ أَسْعَى في طلبها حَوَلَيْن . فضَحِكْتَ وقالت : ما لي ولأبياتٍ جميلٍ ؟ والله ما ابتغيْتُ إلاَّ مَسَرَّتْكَ . قال : فولدتُ منه غلاماً . وكانت فُلَيْحَةُ تدعو الله ألاَّ يُقَيِّه . فبينما محمَّد في بعض هَرَبِهِ من المنصور والجارية وابنها معه إذ رَهَقَهما الطلبُ ، فسقط الصبي من الجبل فتقطَّع . فكان محمَّد بعد ذلك يقول : أُجيب في هذا الصبيّ دعاء فُلَيْحَةَ .

[نصح أبوه له فردَّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين وشعره في ذلك]

وقال الهيثم بن عديٍّ وأصحابه في أخبارهم : لما نذر بُثَيْنَةُ دَمَ جميل وأباحهم السلطان قتله ، أغدَّروا إلى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنَّما هم يَبُوتَاتٌ يَفْتَرِقُونَ كما يَفْتَرِقُ البَطُونُ والأفخاذ والقبائل غير متباعدين ؛ ألم ترَ قول جميل :

أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ أَوَّلُو فَضْلٍ¹

فمشت مَشْيَخَةً الحَيِّ إلى أبيه ، وكان يُلقَّب صُبْحاً وكان ذا مالٍ وفضلٍ وقدرٍ في أهله ، فشكَّوه إليه وناشدوه الله والرحيمَ وسألوه كَفَّ ابنه عمّاً يتعرَّض له ويفضَّحهم به في فَنَاتِهِمْ ؛ فوعدهم كَفَّهُ وَمَنَعَهُ ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَيَّ ! حتى متى أنت عَمِيَّةٌ في ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلَّق بذات بعلٍ يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمَعزِلٍ ثم تقوم من تحته إليك فتغرُّك بخداعها وتُريك الصفاء والمودة وهي مُضْمِرَةٌ لبعْلِها ما تُضمِره الحرَّةُ لَمَن مَلَكَها ، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً ، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلِّها على حالتها المبدولة ؛ إنَّ هذا لَدُلٌّ وضيمٌ ؛ ما أعرف أخيبَ سَهْمًا ولا أضيعَ عُمْراً منك . فأنشدك الله إلاَّ كَفَفْتَ وتأمَّلتُ أمرك ؛ فإنَّك تعلم أنَّ ما قلته حقٌّ ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملكه فيها ، ولكنَّ هذا أمرٌ قد فات واستبدَّ به مَنْ قُدِّرَ له ، وفي النساءِ عِوَضٌ . فقال له جميل : الرَّأْيُ ما رأيْتُ ، والقولُ كما قلتَ ؛ فهل رأيْتُ قبلي أحداً قدَّر أن يدفع عن قلبه هواه ، أو ملك أن يُسَلِّيَ نفسه ، أو استطاع أن يدفَع ما قُضِيَ عليه ؟ والله لو قدَّرتُ أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيلَ شخصها عن عيني لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك ، وإنَّما هو بلائٌ بُليتُ به لحينٍ قد أتيج لي ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحَيِّ والإلام بهم ولو متَّ كَمَدًا ؛ وهذا جَهْدِي ومبلغ ما أقدير عليه . وقام وهو يكي ؛ فبكى أبوه ومَن حضر جَزَعاً لما رأوا منه . فذلك حين يقول جميل :

[من الطويل]

صوت

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفِقْ فَالْتَّعْزِي عَنْ بُثِينَةَ أَجْمَلُ
سَلَا كُلُّ ذِي وَدٍّ عَلِمَتْ مَكَانَهُ وَأَنْتَ بِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ مُوَكَّلُ
فَمَا هَكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ

الغناء للمالك ثقیلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

فِيَا قَلْبُ دَعْ ذِكْرِي بُثِينَةَ إِنَّهَا وَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا تَضَنَّ وَتَبْخَلُ
وَقَدْ أَيَّاسْتُ مِنْ نَيْلِهَا وَتَجَهَّمْتُ وَلِلْيَاسِ إِنْ لَمْ يُقَدَّرِ النَّيْلُ أَمَثَلُ
وَالْأَفْسَلُهَا نَائِلًا قَبْلَ بَيْنِهَا وَأُبْخِلُ بِهَا مَسْئُولَةً حِينَ تُسْأَلُ
وَكَيْفَ تُرْجِّي وَصَلَهَا بَعْدَ بُعْدِهَا وَقَدْ جُدَّ حَبْلُ الْوَصْلِ مَنْ تَوَمَّلُ
وَإِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِمًا ، وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ
فَفِي الْيَاسِ مَا يُسْنِي وَفِي النَّاسِ خُلَّةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَغْزَلُ
بَدَا كَلَفٌ مَنِي بِهَا فَتَشَاقَلْتُ وَمَا لَا يُرَى مِنْ غَائِبِ الْوَجْدِ أَفْضَلُ
هَبْنِي بَرِيئًا نَيْلِيهِ بِظِلَامَةٍ عَفَاها لَكُمْ أَوْ مُذْنِبًا يَتَنَصَّلُ
قَنَاةً مِنَ الْمُرَّانِ مَا فَوْقَ حَقْوِهَا وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقًا يَتَهَيَّلُ

[من الطويل]

قال وقال أيضاً في هذه الحال :

صوت

أَعَنْ ظُعُنَ الْحَيِّ الْأَلَى كُنْتَ تَسْأَلُ بَلِيلُ فَرَدُّوا عَيْرَهُمْ وَتَحْمَلُوا
فَأَمْسُوا وَهُمْ أَهْلُ الدِّيارِ وَأَصْبَحُوا وَمِنْ أَهْلِهَا الْغَرِيانُ بِالْدارِ تَحْجُلُ

فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِسِيَاطٍ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَابَنُ

جَامِعٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو :

عَلَى حِينَ وَلَّى الْأَمْرُ عَنَّا وَأَسْمَحْتُ عَصَا الْبَيْنِ وَانْبَتَّ الرَّجَاءُ الْمُؤَمَّلُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَهْيِمَ بِذِكْرِهَا وَيَحْظَى بِجَدِّوَاهَا سِوَايَ وَيَجْذَلُ
وَقَدْ أَبْقَتْ الْأَيَّامُ مَنِي عَلَى الْعِدا حُسَامًا إِذَا مَسَّ الضَّرِيَّةُ يَفْصِلُ
وَلَسْتُ كَمَنْ إِنْ سِيَمَ ضَنْيماً أَطَاعَهُ وَلَا كَامِرِي، إِنْ عَضَّ الدَّهْرُ يَنْكُلُ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَهْدَى لِي الْبَيْنُ صَفْحَهُ وَبَيْنَ لِي مَا شَتَّ لَوْ كُنْتُ أَعْقَلُ

وآخرُ عهدي من بُئِنَةِ نظرةً على موقفٍ كادت من البين تَقْلُ
فلله عينا مَنْ رأى مثلَ حاجةٍ كتمتُكِها والنفسُ منها تَمْلُ
وإني لأستبكي إذا ذُكِرَ الهوى إليك وإني من هواكِ لأوجَلُ
نظرتِ بِشَرِّ نظرةٍ ظَلْتُ أُمْتِري بها عِبرةً والعينُ بالدمعِ تُكْحَلُ
إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكَ رَدَّهُ من البعدِ فيأضُّ من الدَّمعِ يَهْمِلُ

[ودع بُئينة حين خروجه إلى الشام]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عَبَّابة قال : لما أراد جميلُ الخروج إلى الشام ، هجم ليلاً على بُئينة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أهلكني والله وأهلك نفسك ؛ وَيَحْك ! أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهي إلى الشام ، إنما جئتُكِ مودِّعاً . فحادثها طويلاً ثم ودَّعها ، وقال : يا بُئينة ، ما أُرانا نلتقي بعد هذا ، وبكِ طويلاً . ثم قال لها وهو يبكي :

[من الطويل]

ألا لا أبالي جفوةَ الناسِ ما بدا لنا منك رأيي يا بُئِنَ جميلُ
وما لم تُطيعي كاشحاً أو تَبَدَّلِي بنا بَدَلاً أو كان منك ذُهلُ
وإني وتكراري الزيارة نَحْوَكُم بُئِنَ بذِي هجرِ بُئِنَ يطولُ
وإن صباباتي بكم لكثيرةً بُئِنَ ونسيانِكُم لقليلُ

[أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالخداء لمدحه فقالوا شعراً في الفخر]

أخبرني الحرَّمي بن أبي الغلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي شيوخٌ من عُذرة : أنَّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوَّاسُ بن قُطبة أخو عُبَيْد الله بن قُطبة . فقال مروان لجَوَّاس : انزل فارْجُزْ بنا ، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جَوَّاس وقال :

[من الطويل]

يقول أميرِي هل تَسُوقُ رِكاَبنا فقلت له حادٍ لهنَّ سَوائِيَا
تَكْرَمْتُ عن سَوَقِ المَطِيِّ ولم يكن سِياقُ المَطِيِّ هَمَتِي وَرَجائِيَا
جعلتُ أباي رَهْناً وعِرْضِي سادراً إلى أهل بيت لم يكونوا كِفايَا
إلى شرِّ بيتٍ من قُضاعةٍ مَنْصِيا وفي شرِّ قومٍ منهمُ قد بَدَا لِيَا

فقال مروان : اركَبْ لا رِكاَبَ ؛ . ثم قال لجميل : انزل فارْجُزْ بنا ، وهو يريد أن

يمدحه . فنزل جميل فقال :

[من الرجز]

أنا جميل في السَّنامِ الأعظم الفارِعِ النَّاسِ الأعزُّ الأكرم
أُحْمِي ذِمَارِي وَوَجَدْتُ أَقْرَمِي كَانُوا عَلَى غَارِبِ طَوْدِ خِضْرَمٍ
أَعْيَا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يُهْدَمْ

فقال : عَدُّ عَنْ هَذَا . فقال جميل :

[من الرجز]

لَهْفًا عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْدِي لَهْفًا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَكْفَا
وَلَوْ دَعَا اللَّهَ وَمَدَّ الْكَفَا لَرَجَفَتْ مِنْهُ الْجِبَالُ رَجْفًا
فقال له اركبْ لا ركبْتَ .

[أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر ، ولم يمدح أحداً قط]

قال الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ قَالَ : كَانَ جَمِيلٌ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي
سَفَرٍ وَالْوَلِيدُ عَلَى نَجِيبٍ ؛ فَرَجَزَ بِهِ مَكِينُ الْعُذْرِيِّ فَقَالَ :

[من الرجز]

يَا بَكْرُ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلاكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى ذُرَاكَ
فقال الوليد لجميل : انزل فارْجُزْ ، وظنَّ الوليدُ أَنَّهُ يمدِّحُه . فنزل فقال :
[من الرجز]
أنا جميل في السَّنامِ مِنْ مَعَدَّ فِي الذَّرْوَةِ الْعَلْيَاءِ وَالرُّكْنِ الْأَشَدِّ
وَالْبَيْتِ مِنْ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ وَالْعَدَدِّ مَا يَتَغَيُّ الْأَعْدَاءُ مِنِّي وَلَقَدْ
أَضْرِي بِالشَّتْمِ لِسَانِي وَمَرَدِّ أَقْوَدُ مَنْ شِئْتُ وَصَعْبُ لَمْ أَقْدُ¹
فقال له الوليد : اركب لا حَمَلَكَ اللَّهُ ؛ . قال : وما مدح جميل أحداً قط .

[هذَّه الحزِين الدَّيْلِي فَهَجَاهُ]

أَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ : وَقَفَ جَمِيلٌ
عَلَى الْحَزِينِ الدَّيْلِيِّ وَالْحَزِينُ يُنْشِدُ النَّاسَ . فقال له الحزِين وهو لا يعرفه : كَيْفَ تَسْمَعُ شِعْرِي ؟
قال : صَالِحٌ وَسَطٌ . فغضب الحزِين وقال له : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فوالله لأهْجُونُكَ وَعَشِيرَتُكَ ! . فقال
جميل : إِذَا تَنَدَّمَ . فَأَقْبَلَ الْحَزِينُ يُهَمِّمُهُمْ يَرِيدُ هِجَاءَهُ . فقال جميل :

[من البسيط]

الدَّيْلُ أَذْنَابُ بَكْرٍ حِينَ تَنْسُبُهُمْ وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ذَنْبُ

فقامت له بنو الدَّيْلِ وَنَاشَدُوهُ اللَّهَ إِلَّا كَفَّ عَنْهُمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَمْسَكَ وَانْصَرَفَ .

[راجز جَوَّاسُ بْنُ قُطَيْبَةَ حِينَ ذَكَرَ أخته فغلبه]

أَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ ، وَاللَّفْظُ لَهُ ، قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ

1 ضَرَى بِالشَّيْءِ : لَهَجَ بِهِ ، وَأَضْرَاهُ بِالشَّيْءِ أَهْجَهُ بِهِ .

الضحَّاك عن أبيه قال : لما هاجى عُبَيْدُ اللَّهِ بن قُطَيْبَةَ جَمِيلًا واستعلَى عليه جَمِيلٌ ، أَعْرَضَ¹ عنه ، واعترضه أَخُوهُ جَوَّاسُ بن قُطَيْبَةَ فهجاه وذكر أَخْتًا لَجَمِيل . وكان جَمِيل قبل ذلك يَحْتَقِرُهُ ولا يَنْصِبُ له ، حتى هجا أَخْتَهُ فقال فيما ذكرها به من شعره :

إلى فَخْذَيْهَا الْعَبْلَتَيْنِ وَكَانَتَا بَعْهَدِي لَفَاوَيْنِ² أَرْدَفْنَا ثِقْلًا

فغَضِبَ جَمِيلٌ حينئذٍ فَواعده للمراجعة . قال الزُّبَيْرُ فحدَّثَنِي بعضُ آلِ الْعَبَّاسِ بن سَهْلٍ بن سعد عن عِيَّاسٍ قال : قَدِمْتُ من عند عبد الملك بن مَرْوَانَ وقد أَجَازَنِي وكَسَانِي بُرْدًا ، كان ذلك البردُ أَفْضَلَ جَائِزَتِي ، فنزلتُ واديَ الْقَرَى فوافقتُ الْجُمُعَةَ بها فاستخرجتُ بُرْدِي الذي من عند عبد الملك وقُمْتُ أَصْلِي مع الناس ؛ فلقيني جَمِيلٌ ، وكان صديقًا لي ، فسَلَّمْ بَعْضُنَا على بعضٍ وتساءلنا ثم افترقنا . فلَمَّا أَمْسَيْتُ إِذَا هو قد أَتَانِي في رَحْلي فقال : الْبُرْدُ الذي رَأَيْتُهُ عَلَيْكَ تُعِيرُنِيهِ حَتَّى أَتَجَمَّلَ بِهِ ؛ فَإِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ جَوَّاسٍ مُرَاجَزَةً ، وَتَحْضُرُ فَتَسْمَعُ . قال قلت : لا ؛ بَلْ هُوَ لَكَ كَسْوَةٌ ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُ ، وقلتُ لأَصْحَابِي : ما من شيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أَسْمَعَ مُرَاجَزَتَهُمَا . فلَمَّا أَصْبَحْنَا جعل الأَعَارِبُ يَأْتُونَ أَرْسَالًا حَتَّى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، وحضرتُ وَأَصْحَابِي ، فإِذَا بِجَمِيلٍ قد جاء وعليه خُتَانٌ ما رَأَيْتُ مثْلَهُما على أَحَدٍ قطُّ ، وإِذَا بُرْدِي الذي كَسَوْتُهُ إِيَّاهُ قد جعله جُلًّا لَجَمْلِهِ ؛ فَتَرَاجَزَا فَرَجَزَ جَمِيلٌ ، وكانت بُثَيْنَةُ تُكْنِي أُمَّ عبد الملك ، فقال :

يَا أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ اصْرِمِينِي	فَبَيْنِي صَرْمِي ³ أَوْ صِلِينِي
أُبْكِي وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُتَكِينِي	أُبْكِي حِذَارَ أَنْ تُفَارِقْنِي
وَتَجْعَلِي أَبْعَدَ مِنِّي دُونِي	إِنَّ بَنِي عَمِّكَ أَوْعِدُونِي
أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسِي إِذَا لَقُونِي	وَيَقْتُلُونِي ثُمَّ لَا يَدُونِي ²
كَلَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ لَوْ لَقُونِي	شَفْعًا وَوَتَرًا لَتَوَاكُلُونِي ³
قَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ دُونِي	ضَرْبًا كَالْإِزَاقِ الْمَخَاضِ الْجُونِ ⁴
أَلَا أَسْبُ الْقَوْمَ إِذْ سَبُونِي	بَلَى وَمَا مَرٌّ عَلَى ذَفِينِ ⁵

1 في ل : عَرَد .

2 وداه يديه : دفع ديتيه .

3 أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفًا مِنِّي وَجِبْنًا .

4 الْإِزَاقُ : إِخْرَاجُ الْبُولِ دَفْعَةً وَاحِدَةً .

5 ذَفِين : موضع .

وسابحاتٍ يَلَوِي الحَجُونِ قد جَرَّبُونِي ثم جَرَّبُونِي¹
حتى إذا شابوا وشَيَّبُونِي أخزاهمُ اللهُ ولا يُخْزِينِي
أشباهُ أَعْيَارٍ على مَعِينٍ أَحْسَنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ²
فهنَّ يَضْرِطْنَ من اليقينِ أنا جميلٌ فَتَعَرَّفُونِي
وما تَقْنَعْتُ فَتُنَكِّرُونِي وما أُغْنِيكُمْ لَتَسْأَلُونِي
أَتَمَّى إلى عَادِيَّةٍ طَحُونِ يَنْشَقُّ عنها السَّيْلُ ذو الشَّوُونِ
غَمْرٌ يَدُقُّ رُجَحَ السَّفِينِ ذو حَدَبٍ إذا يُرى حَجُونِ³
تَنْحَلُّ أَحْقَادُ الرِّجَالِ دُونِي

قال : ورجز جميل أيضاً :

[من الرجز]
أنا جميلٌ في السَّنامِ من مَعَدٍّ
وقد تقدَّمت هذه الأرجوزة . ثم رجز بعده جَوَّاسٌ فلم يصنع شيئاً . قال : فما رأيتُ غَلَبَةً
مثلها قطُّ .

[هجا خواتم العذري وبني الأحب]

أخبرنا الحرَّمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا بُهْلُولُ بن سليمان عن العلاء بن سعيد البَلَوِيِّ
وجماعةٍ غيره من قومه : أنَّ رجلاً من بني عُذْرَةَ كان يقال له خَوَّاتٌ ، أمه بَلَوِيَّةٌ ، وكان شاعراً ،
وكان جميل ابن جُدَامِيَّة . فخرج جميل إلى أخواله بجُدَامٍ وهو يقول :

[من الطويل]
جُدَامٌ سيوفُ اللهِ في كلِّ موطنٍ إذا أَرَمْتُ يومَ اللُّقاءِ أَرَامُ⁴
هُمُ منعوا ما بينَ مِصْرَ فِذِي الْقُرَى إلى الشامِ مِنْ حِلٍّ به وَحَرَامِ
بَضْرِبُ يُزِيلُ الهَامَ عن سَكِينَتِهِ وَطَعْنُ كَايِزَاغِ الْمَخَاضِ تُوَامُ⁵
إذا قَصُرَتْ يوماً أَكْفُ قَبِيلَةٍ عن المجدِ نالته أَكْفُ جُدَامِ
فَاعْطَوْهُ مائةَ بَكْرَةٍ . قال : وخرج خَوَّاتٌ إلى أخواله من بَلِيٍّ وهو يقول : [من الطويل]
إِنَّ بَلِيّاً غُرَّةً يُهْتَدَى بها كما يَهْتَدِي السَّارِي بِمُطَّلَعِ النَجْمِ

1 الحجون : جبل بأعلى مكة .

2 الأعيار : الحمر .

3 الرجح من السفن : الثقلية الموقرة . حدب السيل : ارتفاعه . حجون : بعيد .

4 أَرَام : شدة .

5 السَكِينَةُ : مقرُّ الرأس من العنق .

هُمْ وَلِدُوا أُمِّي وَكَنتُ ابْنَ أُخْتِهِمْ وَلَمْ أَتَخَوَّلْ جِذْمَ قَوْمٍ بِلَا عِلْمٍ¹
 قَالَ : فَأَعْطَوْهُ مِائَةَ غُرَّةٍ مَا بَيْنَ فَرَسٍ إِلَى وَلِيدَةٍ ؛ فَفَخَّرَ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْغُرَّةَ الْوَاحِدَةَ
 مِمَّا أَتَى بِهِ مِمَّا مَعَهُ تَعْدِيلَ كُلِّ شَيْءٍ أَتَى بِهِ جَمِيلٌ . فَقَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ قُطَيْبَةَ : [من الوافر]

سَتَقْضِي بَيْنَنَا حُكْمَاءُ سَعْدٍ أَقْطَبَةُ كَانَ خَيْرًا أَمْ صُبَاحُ
 قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْمَرٍ أَبُو جَمِيلٍ يَلْقَبُ صُبَاحًا . وَكَانَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ قُطَيْبَةَ يَلْقَبُ
 حَمَاطًا . فَقَالَ النَّخَّارُ الْمُذَرِّيُّ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ سَعْدٍ : قُطَيْبَةُ كَانَ خَيْرًا مِنْ صُبَاحٍ . فَقَالَ
 جَمِيلٌ يَهْجُو بَنِي الْأَحَبِّ رَهْطُ قُطَيْبَةَ وَيَهْجُو النَّخَّارَ : [من الرجز]

إِنَّ أَحَبَّ سُفْلٍ أَشْرَارُ حُثَالَةٌ عُوْدُهُمْ خَوَارُ²
 أَذَلُّ قَوْمٍ حِينَ يُدْعَى الْجَارُ كَمَا أَذَلَّ الْحَارِثُ النَّخَّارُ
 وَقَالَ الْأَبْيَرُ الْعُتْبِيُّ : قُطَيْبَةُ كَانَ خَيْرًا مِنْ صُبَاحٍ . فَقَالَ جَمِيلٌ : [من البسيط]

يَا ابْنَ الْأَبْيَرِ وَطَبَّ بَتِّ مُسْنِدِهِ إِلَى وَسَادِكَ مِنْ حَمِّ الدَّرَى جُونِ
 وَأَكْلَتَانِ إِذَا مَا شَتَّتْ مَرْتَفَقًا بِالسَّيْرِ مِنْ نَغْلِ الدَّفَنِ مَدَهُونِ
 اذْكُرْ وَأَمْكُ مَنِّي حِينَ تَنْكُبْنِي جِنِّي فَيَغْلِبَ جِنِّي كُلُّ مَجْنُونِ
 وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ شُعْرَاءِ سَعْدٍ فِي تَفْضِيلِ قُطَيْبَةَ عَلَى صُبَاحٍ أَقْوَالًا أَجَابَهُمْ عَنْهَا جَمِيلٌ
 فَأَفْحَمَهُمْ ؛ حَتَّى قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُرَاقَةَ أَحَدُ بَنِي قُرَّةٍ : [من الطويل]

نَحْنُ مَنَعْنَا ذَا الْقُرَى مِنْ عَدُونَا وَعُذْرَةٌ إِذْ نَلْقَى يَهُودًا وَيَعَشْرًا
 مَنَعْنَاهُ مِنْ عَلِيَا مَعَدٍّ وَأَنْتُمْ سَفَاسِيفُ رُوحٍ بَيْنَ قُرَحٍ وَخَيْبَرٍ³
 فَرِيقَانِ رُهْبَانٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْقُرَى وَبِالشَّامِ عَرَّافُونَ فِيمَنْ تَنْصَرَّ
 فَلَمَّا بَلَغَتْ جَمِيلًا اتَّقَاهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيَعْلُو عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ جَمِيلٌ : [من الطويل]

بَنِي عَامِرٍ أَنْتَى انْتَجَعْتُمْ وَكُنْتُمْ إِذَا حُصِّلَ الْأَقْوَامُ كَالْخُصْيَةِ الْفَرْدِ
 فَأَنْتُمْ وَلَأَيِّ مَوْضِعِ الدَّلِّ حَجْرَةٌ وَقُرَّةٌ أُولَى بِالْعَلَاءِ وَبِالْمَجْدِ
 فَأَعْرَضَ عَنْهُ جَعْفَرٌ . قَالَ الزُّبَيْرُ : بَنُو عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدٍ
 رَهْطُ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ بْنِ كُرْزَ بْنِ أَبِي حَيَّةَ بْنِ الْكَاهِنِ وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ أَسْحَمَ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ

1 تخوَّل : اتَّخَذَ خَالًا .

2 سفْل في ل : قَرَم .

3 السفساف : التراب الدقيق . والروح : الريح . وقرح : سوق وادي القرى وقصبتها .

عبد الله بن ذُبْيَان بن سعد هُدَيْم بن زيد . وزِيَادَةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة بن خَنِيس بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن عبد الله بن ذُبْيَان بن الحارث بن سَعْد هُدَيْم . ولأَي ابن عبد مَنَاة بن الحارث بن سعد هُدَيْم . قال : فدخل جميل على هُدْبَة بن خَشْرَم السجْن وهو محبوسٌ بدم زِيَادَة بن زيد ، وأهدى له بُرْدَيْن من ثياب كساه إِيَّاهما سعيد بن العاصي ، وجاءه بنفقة ؛ فلَمَّا دخل عليه عَرَضَ ذلك عليه ؛ فقال هُدْبَة : أنت يا ابنَ قَمِيئَة الذي تقول : [من الطويل]

بني عامر أنى انتجعتم وكنتم إذا عُدُّ الأَقْوَام كالخصية الفرد
أما والله لئن خلَّص الله لي ساقِي لأُمدِّن لك مضمارك ؛ خذ بُرْدِيكَ ونفقتك . فخرج جميل ؛ فلَمَّا بلغ بابَ السجن خارجاً قال : اللهم أغْنِ عني أَجْدَع بني عامر ! . وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأَياً .

[لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه]

أخبرني الجُرُمِي بن أبي العلاء ومُحَمَّد بن مَرْيَد بن أَبِي الأَزْهَر قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم المَخْزُومِي قال حَدَّثَنِي شيخ من أَهْلِي عن أَبِيهِ عن الحارث مولى هشام بن المُغِيرَة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ
قال : شهدتُ عمرَ بن أبي ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأبطح ؛
فأنشد جميلُ قصيدته : [من الطويل]

لقد فَرِحَ الواشون أن صرمتُ حَبْلِي	بُثْنَة أو أَبَدْتُ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مهلاً يا جميلُ وإني	لأقسم ما بي عن بُثْنَة من مَهْلٍ
أحِلِّماً فقبلَ اليوم كان أوانه	أَمْ اخشَى فقبلَ اليوم أوعِدْتُ بالقتلِ
لقد أنكحُوا حَرْبِي بُنْيَاهُ ظَعِينَة	لطيفة طَيِّ البَطْن ذاتَ شَوَى خَدَلٍ
وكم قد رأينا ساعياً بنميمة	لآخرَ لم يَعْمِدْ بكفٍّ ولا رجلٍ
إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا	جَرَى الدمعُ من عَيْنِي بُثْنَة بالكحلِ

صوت

[من الطويل]

كلانا بكى أو كاد يَبْكِي صَبَابَة	إلى إِلْفِهِ واستعجلتُ عُبْرَة قبلِي
فلو تركتُ عَقْلِي معي ما طلبتها	ولكنْ طَلابِهَا لِمَا فات من عَقْلِي
فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها	ويا وَيْحَ أَهْلِي ما أُصِيبَ به أَهْلِي

وقالت لأتراب لها لا زعانيف
 إذا حَمِيتُ شمسُ النهارِ اتَّقَيْتَهَا
 تَدَاعَيْنِ فَاسْتَعْجَمْنَ مَشْيَاً بِذِي الْغُضَا
 إِذَا ارْتَعَنَ أَوْ فُزَعْنَ قُومَنَ حَوَالَهَا
 أَجْدِي لَا أَلْقَى بُيُوتَهُ مَرَّةً
 خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا
 قال : وأنشده عمرُ قوله :

جَرَى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها
 فما أنْسَمَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَوْقِفِي
 فلمَّا تَوَافَقْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا
 فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءٌ وَأَهْلُنَا
 فقالت فما شِئْتَنَ قُلْنَا لَهَا انْزِلِي
 فَأَقْبَلْنَا أُمُثَالَ الدُّمَى فَاسْتَنَفَيْنَا
 نُجُومَ دَرَارِيٍّ تَكْنُفْنَ صُورَةً
 فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى
 فقالت وَأَلْقَتْ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا
 فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لِمَ مِنْ تَرْقُبٍ
 فلمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا
 عَرَفْنَا الَّذِي نَهَوَى فَقُلْنَا ائْذَنِي لَنَا
 فقالت فَلَا تَلْبَثَنَّ قُلْنَا تَحْدِثِي

فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
 وَمَوْقِفَهَا وَهَنًا بِقَارَعَةِ النَّخْلِ
 كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَذُوكَ النُّعْلِ بِالنُّعْلِ
 قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسَامِي مَرْكَبَ الْبَغْلِ⁴
 فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
 وَكُلُّ يُوْفِدِي بِالْمُودَةِ وَالْأَهْلِ
 مِنَ الْبَدْرِ وَافَتْ غَيْرَ هُوجٍ وَلَا تُجَلِّ⁵
 عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فَعَلِي
 مَعِي فَتَحَدَّثْتُ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
 وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
 وَهَنْ طَبِيبَاتٍ بِحَاجَةِ ذِي التَّبَلِ
 نَطْفُ سَاعَةٍ فِي بَرْدِ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ
 أُتِينَاكِ وَأَنْسَبَنَ أَنْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ

1 الزعانف : جمع زعنفة وهي القصيرة . والكس : جمع كساء ، والكس : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء ، والثعل : زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى .

2 بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء .

3 الرَّجُل : الخوف أو الفرع من قوت الشيء .

4 مركب في ل : موقف .

5 ثجل : جمع ثجلاء ، وصف من الثجل وهو عظم البطن واسترخاؤه .

وَقَمْنٌ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَّ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
فَقَالَ جَمِيلٌ: هِيَاتَا يَا أَبَا الْخَطَّابِ: لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسٍ¹ اللَّيَالِي؛ وَمَا
خَاطَبَ النِّسَاءَ مَخَاطِبَتَكَ أَحَدٌ؛ وَقَامَ مَشْمُراً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حَبٍّ قَاتَلَهُ قَبْلِي
أَيِّتُ مَعَ الْهَلَكَ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُوو فَضْلٍ
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَبْتُهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
الْغَنَاءُ لِلْغَرِيزِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو. وَذَكَرَ حَمَادُ وَالْهَشَامِيُّ أَنَّ فِيهِ لِنَافِعِ الْخَيْرِ
مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لِحَنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ.

ومنها:

[من الطويل]

صوت

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي حِيلَ دُونَهُ بِنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ وَأَهْلِكَ مِنْ أَهْلِ
ثَلَاثَةِ أَيْاتٍ فَبَيْتٌ أَحْبَبُهُ وَبَيْتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي
كَلَانَا بَكَى أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً إِلَى إِلْفِهِ وَاسْتَعْجَلَتْ غَبْرَةٌ قَبْلِي
الْغَنَاءُ لِإِسْحَاقَ خَفِيفُ ثَقِيلِ الثَّانِي بِالْبَنْصَرِ.

ومنها:

[من الطويل]

صوت

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بَشِينَةً أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبَخْلِ
يَقُولُونَ مَهْلاً يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأُقْسِمُ مَا بِي عَنْ بَشِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ
الْغَنَاءُ لِابْنِ مُخَرِّزٍ مِنْ كِتَابِ يُونُسَ وَلَمْ يَجْنِسْهُ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ مِمَّا يَنْسَبُ إِلَى ابْنِ
مُخَرِّزٍ وَابْنِ مُسْجَحٍ، وَلَمْ يَصَحَّ عِنْدَهُ لِأَيُّهُمَا هُوَ وَلَا ذَكَرَ طَرِيقَتَهُ.
[غَنَى نَافِعُ الْخَيْرِ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ مِنْ شِعْرِهِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَاةِ عَنْ صَالِحِ بْنِ
حَسَّانَ قَالَ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَشْكَلَ ظَرْفًا وَلَا

1 سَجِيسُ اللَّيَالِي: طَوِيلُ اللَّيَالِي.

أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه . قال : قدِمنا مع عبد الله بن جعفر مرةً على معاوية ؛ فأرسل إليَّ يزيدُ يَدْعُونِي لَيْلاً ؛ فقلتُ : أكرهُ أن يعلمَ أميرُ المؤمنين مكانِي عندك فيشكُونِي إلى ابنِ جعفر . قال فامْهَلْ حتى إذا سَرَّ أميرُ المؤمنين فإنَّ ابنَ جعفر يكونُ معه فلا يَفْتَقِدُكَ وَنَخْلُو نحنُ بما نريدُ قبلَ قيامِهما . فأتَيْتُهُ فغَنَيْتُهُ ؛ فوالله ما رأيتُ فتىً أشرفَ أَرْحِيَّةً منه ؛ والله لألْقَى عليَّ من الكُسا الخَزَّ والوَشْي وغيرِهِ ما لم أَسْتَطِعْ حَمْلَهُ ، ثم أمر لي بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كُنَّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونهَضَ ابنُ جعفر معه ، وكان بابُ يزيدَ في سَقِيفَةِ معاوية ؛ فسمع صوتي ، فقال لابن جعفر : ما هذا يا ابنَ جعفر ؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلَمَّا أَحسَّ به يزيدُ تَنَاول . فقال له معاوية : ما لك يا بُنَيَّ ؟ قال : صَدَعْتُ فِرْجوتُ أن يَسْكُنَ عَنِّي بصوتِ هذا . قال : فنبَسَم معاويةُ وقال : يا نافع ، ما كان أغناها عن قُدومِكَ ! . فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا في بعضِ الأحايين يُذْكي القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وانصرف . فقال لي ابن جعفر : ويَلِّكَ ؛ هل شَرِبَ شيئاً ؟ قلت : لا والله . قال : والله إنِّي لأرجو أن يكونَ من فِتْيَانِ بني عبد مناف الذين يُتَنَفَعُ بهم . قال نافع : ثم قدِمنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما اسْتَخْلِفَ ، فأجلسه معه على سريره ودخلتُ حاشيته تسَلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلَمَّا نَظَرَ إليَّ تَبَسَّمَ . ثم نهَضَ ابنُ جعفر وتَبِعَناه . فقيل له : نَظَرَ إلى نافع وتَبَسَّمَ . فقال ابنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة . فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضعف ما كان يَصِلُهُ به معاويةُ . فلَمَّا أراد الانصراف أتاها يودِّعُه ونحنُ معه ؛ فأرسل إليَّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : ويَحْك يا نافع ؛ ما أَخَرْتُكَ إِلَّا لِأَتَفَرَّغَ لَكَ . هاتِ لَحْنَكَ : [من الطويل]

خليليَ فيما عشتُما هل رأيتما قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتلِهِ قبلي

فأسمعتُهُ ؛ فقال : أَعِدْ وَيَلِّكَ ؛ فأعدتُهُ ، ثم قال : أَعِدْ فأعدتُهُ ثلاثاً . فقال : أحسنت ؛ فسَلَّ حاجتَكَ . فما سألتهُ في ذلك اليوم شيئاً إِلَّا أعطانيهِ . ثم قال : إن يَصْلُحَ لنا هذا الأمرُ من قِبَلِ ابنِ الزُّبَيْر فلعلنا أن نَحْجَّ فتلَقَّانا بالمدينة ؛ فإنَّ هذا الأمرَ لا يَصْلُحُ إِلَّا هناك . قال نافع : فمَنَعَنَّا والله من ذلك شُومُ ابنِ الزُّبَيْر .

[سأله عمر بن أبي ربيعة عن بنية فذهب إليها وحدثها]

أخبرني الحرَّميُّ قال حدثنا الزُّبَيْر قال حدثنا مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم الجَعْفَرِي قال حدثنا القاسم بن أبي الزناد قال : خرج عمرُ بن أبي ربيعة يريد الشام ، فلَمَّا كان بالجناب¹ لقيه جميلٌ ؛ فقال له عمرُ : أنشدني ، فأنشده :

[من الطويل]

1 الجناب : موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام .

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبٍ قاتله قبل
ثم قال جميل : أنشدني يا أبا الخطاب ، فأنشده :
[من الطويل]
ألم تسأل الأطلالَ والمتربعا بيطن حليّاتٍ دوارسَ بَلَقعا
فلماً بلغ إلى قوله :

فلماً توافقنا وسلّمتُ أشرقتُ وجوهَ زهاها الحسنُ أن تتفنعاً
تَبالهنَّ بالعرفانِ لمّا عرفتنِي وقُلنَّ امرؤٌ باغٍ أَكلٌ وأَوْصعا
وقرّبنَ أسبابَ الهوى لمُتيمٍ يقيسُ ذراعاً كلّما قَسَنَ إصبعا
قال : فصاح جميلٌ واستخذى وقال : ألا إنَّ النَّسِيبَ أُخذ من هذا ، وما أنشده
حرفاً . فقال له عمر : اذهب بنا إلى بُثينة حتى نسلمَ عليها . فقال له جميل : قد أُهْدِر
لهم السلطانُ دمي إن وجدوني عندها ، وهاتيكَ أبياتُها . فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها
وتأنَّسَ حتى كلَّم ؛ فقال : يا جارية ، أنا عمرُ بن أبي ربيعة ، فأعْلِمِي بُثينة مكاني .
فخرجتُ إليه بُثينةُ في مَباذِلِها وقالت : والله يا عمرُ لا أَكونُ من نساءك اللاتي يزعمُنَّ أن
قد قتلهنَّ الوجدُ بك ؛ فانكسر عمر ؛ قال وإذا امرأةٌ أدماءُ طُوالةٌ .

وأخبرني بهذا الخبر علي بن صالح عن أبي هِيفان عن إسحاق عن المسيبيِّ والزُّبَيْرِ فذكر
مثل ما ذكره الزُّبَيْرِ وزاد فيه قال : فقال له قول جميل :

وهما قالتا لو أنّ جميلاً عَرَضَ اليومَ نظرةً فرآنا
بَيْنَما ذاكَ منهما وإذا بي أَعْمِلُ النَّصْرَ سيرةً زَفَياناً¹
نظرتُ نحوَ تَرْبِها ثم قالت قد أتانا ، وما علمنا ، مُنانا
فقالت : إنّه استملى منك فما أفلح ؛ وقد قيل : اربط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلّم من
جَرِيه تعلّم من خلّقه .

[لقي بُثينة ورصده أهلها فهَدَّهم ثم هجرته بُثينة وشعره في ذلك]

وذكر الهيثم بن عديٍّ وأصحابه في أخبارهم : أنَّ جميلاً طال مُقامُهُ بالشام ثم قديم ، وبلغ
بُثينةَ خبره فراسلته مع بعض نساء الحيِّ تذكُرُ شوقها إليه ووَجَدَها به وطلبها للحيلة في لقائه ،
وواعدته لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار إليها وحدثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها . وقد كان أهلها
رصدوها ، فلماً فُقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميلٌ فانتضى سيفه
وشدَّ عليهما فاتقياه بالهرب ؛ وناشدته بُثينةُ الله إلا انصرف ، وقالت له : إن أقمتَ فضحتني ،

1 النص : السير الشديد . وزفیاناً : سريعاً .

ولعلّ الحَيَّ أَنْ يَلْحَقُوكَ . فَأَبَى وقال : أَنَا مَقِيمٌ وَأَمْضِي أَنْتِ وَلْيَصْنَعُوا مَا أَحْبَبُوا . فلم تزل تُناشده حتى انصرف . وقال في ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدّة : [من الطويل]

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْخَلَاءَ فَيَنْطِقُ¹ وهل تُخِيرُكَ الْيَوْمَ بَيْدَاءُ سَمَلَقُ¹
وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عِمَاتِي وملَّ الْوُقُوفَ الْأَرْحَبِيَّ الْمُنَوَّقُ²
تَعَزَّزْ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ لَعَلَّكَ مِنْ رِقٍّ لَبِثْتَ تُعْتَقُ³
لَعَمْرُكُمْ إِنَّ الْبِعَادَ لَشَائِقِي وبعضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشْوَاقُ³
لَعَلَّكَ مُحْزُونٌ وَمُبْدٍ صَبَابَةٍ ومُظْهِرُ شَكْوَى مِنْ أَنَاسٍ تَفَرَّقُوا⁴
وَبِيضِ غَرِيرَاتٍ تُنْشِي خُصُورَهَا إِذَا قُمْنَ أَعْجَازُ يُقَالُ وَأُسُوقُ⁵
غَرَائِرٌ لَمْ يَلْقَيْنَ بَوْسَ مَعِيشَةٍ يُجِنُّ بِهِنَّ النَّاضِرُ الْمُنَوَّقُ⁶
وَعَلَّغْتُ مِنْ وَجْدٍ إِلَيْهِنَّ بَعْدَمَا سَرَيْتُ وَأَحْشَائِي مِنَ الْخَوْفِ تَخْفِقُ⁷
مَعِيَ صَارِمٌ قَدْ أَخْلَصَ الْقَيْنُ صَفْلَهُ لَهُ حِينَ أَغْشِيهِ الضَّرْبِيَّةَ رَوْنُقُ⁷
فَلَوْلَا احْتِيَالِي ضِيقَ ذُرْعَا بَزَائِرِ بِهِ مِنْ صَبَابَاتٍ إِلَيْهِنَّ أَوْلُقُ⁸
تَسُوكُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ مَفْلَجًا يُشْعِشِعُ فِيهِ الْفَارِسِيُّ الْمَرْوَقُ⁹
أَيْثَنُ لِلْوَصْلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا نَضًا مِثْلَ مَا يَنْضُو الْخِضَابُ فَيَخْلُقُ⁹
أَيْثَنُ مَا تَنَأَيْنَ إِلَّا كَأَنَّنِي بِنَجْمِ الثَّرَيَّا مَا نَأَيْتِ مُعْلَقُ¹⁰

[أُنشد إِسْحَاقُ الرَّشِيدُ أَحْسَنَ شِعْرِهِ فِي الْعَتَابِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، أَنَشِدْنِي أَحْسَنَ مَا تَعْرِفُ فِي عِتَابِ مُحَبٍّ وَهُوَ ظَالِمٌ مُتَعَتِّبٌ¹⁰ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلٌ جَمِيلٌ :

- 1 سملق : مقفرة لا نبات فيها .
- 2 الأرحبي : النجيب من الإبل ، ينسب إلى قبيلة بني أرحب . والمنوق : الذلول .
- 3 لشائقي في الديوان : يشوقي 145 .
- 4 محزون في الديوان : مشتاق 145 .
- 5 غريرات في الديوان : رعايب 147 .
- 6 تنوق في أموره : جود وبالغ .
- 7 غلغل الرجل : دخل في تعب وشدة ، وفي الديوان تنضبت 148 .
- 8 احتيالي في الديوان : جدالي 148 وفي البيت اختلاف بين الأولي : الجنون .
- 9 الفارسي : من أسماء الخمر .
- 10 متعتب : متجن .

رَدِ الْمَاءُ مَا جَاءَتْ بِصَفْوِ ذَنَابُهُ وَدَعَهُ إِذَا خِيضَتْ بِطَرَقِ مَشَارِبُهُ¹
أُعَاتِبُ مَنْ يَحْلُو لَدَيَّ عَتَابُهُ وَأَتْرِكُ مَنْ لَا أُشْتَهِي وَأُجَابُهُ
وَمِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ ظَالِمًا عِنَاؤُكَ مَظْلُومًا وَأَنْتَ تُعَاتِبُهُ

فقال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ؛ أَعِدَّهَا عَلَيَّ ؛ فَأَعِدْتُهَا حَتَّى حَفَظَهَا ، وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَتَرَكَنِي وَقَامَ فَدَخَلَ إِلَى دَارِ الْحَرَمِ .

[ذهب معه صديق له إلى بيته فطارده أهلها فرجع]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ السَّعِيدِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ كَانَ يَصْحَبُ جَمِيلًا مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ جَمِيلٍ وَهُوَ يَحْدِثُنِي وَأَحْدِثُهُ ، إِذَا ثَارَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ ، فَأَتَكْرَهُهُ وَرَأَيْتُ مِنْهُ غَيْرَ مَا كُنْتُ أَرَى ، وَوُثِبَ نَافِرًا مُقَشَّعِرًا الشَّعْرَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، حَتَّى أَتَيْتُ بِنَاقَةٍ لَهُ قَرِيبَةً مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعَةٍ مُؤْتَقَةٍ الْخَلْقِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِمِخْلَبٍ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَهُ ، ثُمَّ ثَنَيْتُ فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : أَشَدُّ أَدَاةَ رَحْلِكَ وَأَشْرَبُ وَأَسْوَى جَمَلِكَ فَإِنِّي ذَاهِبٌ بِكَ إِلَى بَعْضِ مَذَاهِبِي ، فَفَعَلْتُ . فَجَالَ فِي ظَهْرِ نَاقَتِهِ وَرَكِبْتُ نَاقَتِي ، فَسِيرْنَا بِيَاضَ يَوْمِنَا وَسَوَادَ لَيْلَتِنَا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا فَسِيرْنَا يَوْمَنَا كُلَّهُ ، لَا وَاللَّهِ مَا نَزَلْنَا إِلَّا لِلصَّلَاةِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ دَفَعْنَا إِلَى نِسْوَةٍ فَمَالَ إِلَيْهِنَّ ، وَوَجَدْنَا الرِّجَالَ خُلُوفًا² ، وَإِذَا قَدَرُ لَبَنٍ ثُمَّ وَقَدْ جُهِدَتْ جَوْعًا وَعَطَشًا . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَدَرَ اقْتَحَمْتُ عَنْ بَعِيرِي وَتَرَكْتُهُ جَانِبًا ، ثُمَّ أَدَخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقَدَرِ مَا يَتَيْنِي حَرُّهَا حَتَّى رَوَيْتُ ؛ فَذَهَبْتُ أَخْرِجُ رَأْسِي مِنَ الْقَدَرِ فَضَاقَتْ عَلَيَّ وَإِذَا هِيَ عَلَى رَأْسِي قَلَنْسِيَّةٌ ، فَضَجَّكُنْ مِنِّي وَغَسَلَنَ مَا أَصَابَنِي . وَأَتَيْتُ جَمِيلًا بِقِرَى فَوَاللَّهِ مَا التَفَتَ إِلَيْهِ . فَبَيْنَا هُوَ يَحْدِثُهُنَّ إِذَا رَوَاعِي الْإِبِلِ ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ أَحَلَّ لَهُمْ دَمَهُ إِنْ وَجَدُوهُ فِي بِلَادِهِمْ ؛ وَجَاءَ النَّاسُ فَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ ! أَنْجُ وَتَقَدَّمْ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَكْبَرَهُمْ كُلَّ الْإِكْبَارِ . وَغَشِيَهُ الرِّجَالُ فَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ وَيَطْرُدُونَهُ ، فَإِذَا قَرَّبُوا مِنْهُ قَاتَلَهُمْ وَرَمَى فِيهِمْ . وَهَامَ بِي جَمَلِي ، فَقَالَ لِي يَسِّرْ لِنَفْسِكَ مَرْكَبًا خَلْفِي ، فَأَرَدَفَنِي خَلْفَهُ . وَلَا وَاللَّهِ مَا انْكَسَرَ وَلَا انْحَلَّ عَنْ فُرْصَتِهِ³ حَتَّى رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَدْ سَارَ سِتَّ لَيَالٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ وَمَا التَفَتَ إِلَى طَعَامِ .

[لَامَهُ فِيهَا رَوْقُ ابْنِ عَمِّهِ وَلَمْ أَرَأِ مَا بِهِ احْتَالَ فِي زيارته لها وشعره في ذلك]

وَشَكَا زَوْجُ بُثَيْنَةَ إِلَى أَبِيهَا وَأَخِيهَا إِمَامَ جَمِيلٍ بِهَا ؛ فَوَجَّهُوا إِلَى جَمِيلٍ فَأَعْدَرُوا إِلَيْهِ وَشَكَّوهُ إِلَى عَشِيرَتِهِ وَأَعْدَرُوا إِلَيْهِمْ وَتَوَعَّدُوهُ وَإِيَّاهُمْ . فَلَامَهُ أَهْلُهُ وَعَفَّوهُ وَقَالُوا : اسْتَخْلِصْ

1 الطَّرَقُ : أَنْ تَبُولَ الْإِبِلُ فِي الْمَاءِ وَتَبْعَرَ فَتَكْدِرُهُ .

2 خُلُوفًا : غُيًّا .

3 الْفُرْصَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الصَّوْفِ وَالْقَطْنِ .

إليهم ونبراً منك ومن جريرتك . فأقام مدة لا يُلم بها . ثم لقي ابني عمه رَوْقاً ومُسعدةً ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله :

صوت

زوراً بئينة فالحبيب مَزُورُ إنَّ الزيارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنَّ الترحُّلَ ، إن تلبَّس أمرنا واعتاقنا قَدَرُ أُحِمْ ، بكورُ
الغناء لعريب رَمَلٌ بالوسطى .

صوت

[من الكامل]

إني عشيّة رُحْتُ وهي حزينة تشكو إليّ صبايئةً لَصَبُورُ
وتقول بَتْ عندي قد بُتِكَ ليلةً أشكو إليك فإنّ ذاك يسيرُ
الغناء لسليّم خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهشامي أنّه لمخارق ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وذكر حبش أنّ لحن مخارق خفيف رملٍ .
غراءٍ مبسّامٍ كأنّ حديثها دُرٌّ تَحَدَّرَ نَظْمُهُ منشورُ
محطوطة المتنين مضمرة الحشى رَيّا الرّوادف خلَقها ممكورُ
لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلالِها دَلٌّ ولا كَوَاقِرِها توقيرُ
إنّ اللسان بذكرها لَمُوَكَّلٌ والقلبُ صَادٍ والخواطرُ صُورُ
ولكن جَزَيْتِ الودَّ مني مثله إني بذلك يا بُتَيْنَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وترّكك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها ، وإنك منها بين فجورٍ أرفَعك عنه ، أو ذُلٌّ لا أُحِبُّه لك ، أو كَمَدٌ يُودِّيك إلى التلّف ، أو مخاطرةً بنفسك لقومها إن تعرّضت لها بعد إغذارهم إليك . وإن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرّعت مرارة الحزْم حتى تآلفها وتَصَبّر نفسك عليها طائفةً أو كارهة ألفتَ ذلك وسلّوت . فبكي جميل وقال : يا أخي ، لو ملكت اختياري لكان ما قلت صواباً ، ولكنّي لا أملك الاختيار ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألاّ تكدر ما رجوته عندك فيه بلّوم ، وأنّ تحمّل على نفسك في مساعدتي . فقال له : فإن كنت لا بدّ مُهلِكاً نفسك فاعمَلْ على زيارتها ليلاً ؛ فإنّها تخرج مع بنات عمّها إلى مَلْعَب لهنّ ، فأجبي معك حيثنّ سراً ، ولي أخٌ من رَهْط بئينة من بني

الأحبّ ، نأوي عنده نهراً ، وأسأله مساعدتك على هذا ، فتقيم عنده أياماً نهارك وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضي أرتك ؛ فشكره . ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثينة ، فأخبره الخبر واستعهده كتماناً وسأله مساعدته فيه . فقال له : لقد جئتني بإحدى العظام ؛ ويحك ؛ إن في هذا مُعاداتي الحيّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أُنحِز في أمره من أن يظهر ، فواعدته في ذلك ؛ ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتيا الرجل ليلاً فأقاما عنده . وأرسل إلى بُثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته إليها ؛ فلما رآته عرفت ، فتبعتهما وجاءته فتحادثا ليلتهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها ، وقال لها : عن غير قلى والله ولا ملل يا بُثينة كان وداعي لك ، ولكني قد تدممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه ، وأقمت عنده ثلاثاً ولا مزيد على ذلك ، ثم انصرف . وقال في غدل رَوْق ابن عمّه إياه : [من الطويل]

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة حبيب إليه في ملامته رُشدي¹
وقال أفق حتى متى أنت هائم بيثنة فيها قد تُعيد وقد تُبدي
فقلت له فيها قضى الله ما ترى علي وهل فيما قضى الله من رد
فإن يك رُشداً حُبها أو غواية فقد جئت ما كان مني على عمد

صوت

[من الطويل]

لقد لَجّ ميثاق من الله بيننا وليس لمن لم يُوف الله من عهد
فلا وأيّها الخير ما خنت عهدا ولا لي علم بالذي فعلت بعدي
وما زادها الواشون إلا كرامة علي وما زالت مودتها عندي
الغناء لمتيم ثقل أول عن الهشامي ، وذكر ابن المعتز أنه لشارية ، وذكر ابن خرداذبه أنه
لقلم الصالحة .

أفي الناس أمثالي أحبّ فحالهم كحالي أم أحببت من بينهم وحدي²
وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما لقيت بها أم لم يجد أحد وجدي³

[من الطويل]

وقال جميل فيها :

1 ملامته في الديوان : نصيحته 73 .

2 كحالي في الديوان : فحبهم كحبي 74 .

3 في البيت اختلاف بين الديوان 74 .

خليلي عوجا اليوم حتى تسَلِّما
 أليما بها ثم اشفعا لي وسَلِّما
 وبوفا بذكرى عند بئنة وانظرا
 فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا
 فسوف يرى منها اشتياق ولوعة
 وإن تك قد حالت عن العهد بعنا
 فسوف يرى منها صدود ولم تكن
 أعوذ بك اللهم أن تشحط النوى
 وجاوز إذا ما مت بيني وبينها
 عديمتك من حب أما منك راحة
 ألا أيها الحب المبرح هل ترى
 أجلك لا تبلى وقد بلى الهوى
 على عذبة الأناب طيبة النشر
 عليها سقاها الله من سائغ القطر
 أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكرى
 ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر
 بين وغرب من مدامعها يجري
 وأصغت إلى قول المونب والمزري
 بنفسي من أهل الخيانة والغدر
 بيئته في أدنى حياتي ولا حشري
 فيا حبذا موتي إذا جاورت قبري
 وما بك عني من تواني ولا فتر
 أحا كلف يغري بحب كما أغري
 ولا ينتهي حبي بُئنة للزجر

صوت

هي البدر حسناً والنساء كواكب
 لقد فضلت حسناً على الناس مثلاً
 وشتان ما بين الكواكب والبدر
 على ألف شهر فضلت ليلة القدر
 غنت شارية في هذين البيتين خفيف رمل من رواية ابن المعتز .

[نهجرا مئة ثم اصطلاحاً]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني
 الرِّحَال بن سعد المازني قال : وقع بين جميل وبُئينة هجر في غيرة كان غارها عليها من فتى
 كان يتحدث إليها من بني عمها ، فكان جميل يتحدث إلى غيرها ، فيشق ذلك على بُئينة وعلى
 جميل ، وجعل كل واحد منهما يكره أن يُبدي لصاحبه شأنه . فدخل جميل يوماً وقد غلبه
 الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُئينة . فلما رآته بُئينة جاءت إلى البيت ولم تبرز له ؛
 فجزع لذلك جميل ؛ وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه ؛ وقد بلغ الأمر من جميل كل
 مبلغ ، فأنشأ يقول :
 [من الطويل]

لقد خفت أن يغتالي الموت عنوة وفي النفس حاجات إليك كما هيا

وَأَنِّي لَتَشِينِي الْحَفِيزَةُ كُلَّمَا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبُشِّكَ مَا بِيَا¹
 أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرِّيقِ أَنَّنِي أَظَلَّ إِذَا لَمْ أُسْقَ رِيقَكَ صَادِيَا
 قال : فَرَّقَتْ لَهُ بُيُوتَهُ ، وَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا كَانَتْ مَعَهَا : مَا أَحْسَنَ الصَّدَقَ بِأَهْلِهِ ! ثُمَّ
 اصْطَلَحَا . فَقَالَتْ لَهُ بُيُوتُهُ : أَنَشِدْنِي قَوْلَكَ : [من الطويل]

تَظَلُّ وَرَاءَ السُّتْرِ تَرْنُو بِلَحْظِهَا إِذَا مَرَّ مِنْ أَتْرَابِهَا مَنْ يَرُوقُهَا
 فَأَنْشِدْهَا إِيَّاهَا ؛ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : كَلَّا يَا جَمِيل ! وَمَنْ تَرَى أَنَّهُ يَرُوقُنِي غَيْرُكَ ! .

[نعمي جميل وحزن بيئته عليه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ
 قَالَ ذَكَرَ أَبُو بَنْتِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ تَيْمَاءَ فِي أَغْبَاشِ السَّحَرِ ، فَارْتَيْتُ عَجُوزًا عَلَى
 أَتَانِ ، فَتَكَلَّمْتُ فَإِذَا أَعْرَابِيَّةٌ فَصِيحَةٌ . فَقُلْتُ : مِمَّنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : عُذْرِيَّةٌ . فَأَجْرَيْتُ ذَكَرَ
 جَمِيلٍ وَبُيُوتَهُ ؛ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّا لَعَلَى مَاءٍ لَنَا بِالْجَنَابِ وَقَدْ تَنَكَّبْنَا الْجَادَّةَ لَجِيُوشٍ كَانَتْ تَأْتِينَا
 مِنْ قَبْلِ الشَّامِ تُرِيدُ الْحِجَازَ ، وَقَدْ خَرَجَ رَجُلَانَا لِسَفَرٍ وَخَلَفُوا مَعَنَا أَحَدَانَا ؛ فَانْحَدَرُوا ذَاتَ
 عَشِيَّةٍ إِلَى صِرْمٍ² قَرِيبٍ مِنَّا يَتَحَدَّثُونَ إِلَى جَوَارٍ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي وَغَيْرُ بَيْتِي ، إِذْ انْحَدَرَ
 عَلَيْنَا مَنْحَدَرٌ مِنْ هَضْبَةٍ تَلْقَاءَنَا ، فَسَلَّمْ وَنَحْنُ مُسْتَوْحِشُونَ وَجِلُونَ . فَتَأَمَّلْتُهُ وَرَدَدْتُ السَّلَامَ
 فَإِذَا جَمِيلٌ . فَقُلْتُ : أَجَمِيلُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ؛ وَإِذَا بِهِ لَا يَتَمَاسَكَ جَوْعًا ، فَقَمْتُ إِلَى قَعْبٍ لَنَا
 فِيهِ أَقِطٌ³ مَطْحُونٌ وَإِلَى عُكَّةٍ⁴ فِيهَا سَمْنٌ وَرُبٌّ⁵ فَعَصَرْتُهَا عَلَى الْأَقِطِ ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْهُ وَقُلْتُ :
 أَصِيبْ مِنْ هَذَا ، فَأَصَابَ مِنْهُ ؛ وَقَمْتُ إِلَى سِقَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ مَاءً بَارِدًا فَشَرِبَ مِنْهُ
 وَتَرَا جَعْتُ نَفْسُهُ . فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ بَلَغْتَ وَلَقِيتَ شَرًّا ، فَمَا أَمْرُكَ ؟ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ فِي هَذِهِ
 الْهَضْبَةِ الَّتِي تَرَيْنَ مِنْذُ ثَلَاثِ مَا أَرِيْمُهَا أَنْتَظِرُ أَنْ أَرَى فُرْجَةً ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مُنْحَدَرَ فِتْيَانِكُمْ أَتَيْتُكُمْ
 لِأَوْدَعَكُمْ وَأَنَا عَامِدٌ إِلَى مِصْرَ ، فَتَحَدَّثْنَا ثُمَّ وَدَّعْنَا وَشَخَّصَ ؛ فَلَمْ تَظَلْ غَيْبَتُهُ أَنْ جَاءَنَا نَعْيُهُ .
 فَرَزَعُوا أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ : [من الكامل]

صَدَعَ النَّعْيُ وَمَا كُنِي بِجَمِيلٍ وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولٍ

1 لتشيني في الديوان : لتسنيني 221 .

2 الصَّرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير .

3 الأقط : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به .

4 العُكَّة : زقيق صغير للسمن .

5 الرُّبُّ : ما يطبخ من التمر .

ولقد أجزَّ الذَّيْلَ في وادي القرى نشوانَ بين مزارعٍ ونخيل
قومي بُثينةُ فاندبني بعويل وابكي خليلك دون كلِّ خليل

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال : حدّثني رجلٌ شهد جملاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعاها فقال : هل لك في أن أعطيك كلَّ ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك ؟ فقال قلت : اللهم نعم . قال : إذا أنا متُ فخذُ حُلتي هذه التي في عَيْبتي فاغزِها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك ، وارحلْ إلى رهط بني الأحبِّ من عُذرة ، وهم رهط بُثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارتحلْ ناقتي هذه واركبها ، ثم البسْ حُلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرفٍ وصيخُ بهذه الأبيات وخلاك ذمٌ . ثم أنشدني هذه الأبيات : [من الكامل]

صدع النعي وما كنَى بجميل وثوى بمصرَ ثواءٍ غيرِ فقول

وذكر الأبيات المتقدمة . فلما قضى وواريته أتيتُ رهطَ بُثينة ففعلتُ ما أمرني به جميل ، فما استتممتُ الأبيات حتى برزتُ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فرغتهنَّ طولاً وبرزتُ أمامهنَّ كأنها بدرٌ قد برز في دُجْنَةٍ وهي تتعثرُ في مِرطِها حتى أتتني ، فقالت : يا هذا ، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتني ، ولئن كنتَ كاذباً لقد فضحتني . قلت : والله ما أنا إلا صادق ، وأخرجتُ حُلته . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكَّت وجهها ، واجتمع نساءُ الحيِّ يكيّن معها ويندبنه حتى صعبتُ فمكنتُ مغشياً عليها ساعةً ، ثم قامت وهي تقول : [من الطويل]

وإن سُلُوِي عن جميلٍ لساعةٍ من الدهرِ ما حانت ولا حانَ حينُها
سواءٍ علينا يا جميلُ بن مَعمرٍ إذا مُتَ بأساءِ الحياةِ ولينُها
قال : فلم أر يوماً كان أكثرَ باكيةً وباكيةً منه يومئذٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه

[من الكامل]

أَمسى الشبابُ مُودَعاً محموداً والشيبُ مُوتِفَ المحلِّ جديداً
وتغيّرَ البيضُ الأوانسُ بعدما حمَلتُهُنَّ مَوَاتِقاً وعُهوداً

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّيْرِيَّة ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى ، كلاهما من رواية عمرو بن بانه .

[113] - ذكر يزيد بن الطثيرة¹ وأخباره ونسبه

[نسبه ونسب أمه]

ذكر ابن الكلبي أن اسمه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير . وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . وقال أبو عمرو الشيباني : اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وإنما قيل له سلمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشر . قال : وقد قيل : إنه يزيد بن المنتشير بن سلمة .

والطثيرة أمه ، فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب ، امرأة من طثر ، وهم حي من اليمن عداؤهم في جرم . وقال غيره : إن طثراً من عثر بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وكان أبو جرّاد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسراً طثراً فمكث عنده زمناً ثم خلاه وأخذ عليه إصراً ليبتعن إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله فلم يجد فداءً ، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جرّاد فوسمه سمة إبله ، فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يُوالون بني المنتفق ، وهم يُعيرون ذلك الوسم . وقال بعض من يهجوهم : [من الوافر]

عليه الوسمُ وسمُ أبي جرّاد

وفيهما يقول يزيد بن الطثيرة :

ألا بثسما أن تجرُموني وتغضبوا علي إذا عاتبْتُكم يا بني طثر²
وزعم بعض البصريين : أن الطثيرة أم يزيد كانت مولعة بإخراج زبد اللبن ، فسميت الطثيرة . وطثرة اللبن : زبدته .

[كان يلقب مودقاً لجماله ، وكان كثير التحنن إلى النساء]

ويكنى يزيداً أبا المكشوح³ . وكان يلقب مودقاً ؛ سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون : إنه إذا جلس بين النساء ودّقهن⁴ .

1 انظر أخباره في : الجمحي 150-152 والشعر والشعراء 1 : 427-428 والالآي 103-104 وابن خلكان 2 :

399-395 ومعجم الأدباء 7 : 299-300 والحيوان 6 : 137 .

2 الجرم : القطع والصّرم .

3 كنى بذلك لأنه كان على كشحه كي نار .

4 يقال : ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل . والأصل فيه لذوات الحوافر ثم نقل إلى الإنسان .

أخبرني محمد بن خلف عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يزيد بن الطثيرة يقول : مَنْ أَقْجَمَ عِنْدَ النِّسَاءِ فَيُنْشِدَ مِنْ شِعْرِي . قَالَ : وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُ إِلَى النِّسَاءِ ، وَكَانَ يَقَالُ : إِنَّهُ عَيْنٌ .

[ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مَيَادِ الجرمي ويزيد بن الطثيرة]

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كِلَابٍ عن سعاد بنت يزيد بن زُرَيْقٍ امرأةٍ منهم : أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الطُّثِيرَةِ كَانَ مِنْ أَحْسَنَ مَنْ مَضَى وَجْهًا وَأَطْيَبَ حَدِيثًا ، وَأَنَّ النِّسَاءَ كَانَتْ مَفْتُونَةً بِهِ ، وَذَكَرَ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَنِيًّا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا عَقِبَ لَهُ ، وَأَنَّ النَّاسَ أَمَحَلُّوا حَتَّى ذَهَبَتِ الدَّقِيقَةُ مِنَ الْمَالِ وَنُهَكَتِ الْجَلِيلَةُ ؛ فَأَقْبَلَ صِرْمٌ مِنْ جَرَمٍ سَاقَتْهُ السَّنَةُ وَالْجَذْبُ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى بِلَادِ بَنِي قُشَيْرٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قُشَيْرٍ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ ؛ فَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنْ رَمَى قُشَيْرٍ بَأَنْفُسِهِمْ لِمَا قَدْ سَاقَهُمْ مِنَ الْجَذْبِ وَالْمَجَاعَةِ وَدِقَّةِ الْأُمُوالِ وَمَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَكَةِ . وَوَقَعَ الرِّبْعُ فِي بِلَادِ بَنِي قُشَيْرٍ فَاتْتَجَعَلَهَا النَّاسُ وَطَلَبُوهَا ؛ فَلَمْ يَعُدْ أَنْ لَقِيتَ جَرَمٌ قُشِيرًا ، فَنَصَبَتْ قُشِيرٌ لَهُمُ الْحَرْبَ . فَقَالَتْ جَرَمٌ : إِنَّمَا جِئْنَا مُسْتَجِيرِينَ غَيْرَ مُحَارِبِينَ . قَالُوا : مِمَّاذَا ؟ قَالُوا : مِنَ السَّنَةِ وَالْجَذْبِ وَالْهَلَكَةِ الَّتِي لَا بَاقِيَ لَهَا . فَأَجَارْتَهُمْ قُشِيرٌ وَسَالَمَتْهُمْ وَأَرْعَتْهُمْ طَرَفًا مِنْ بِلَادِهَا . وَكَانَ فِي جَرَمٍ قَتِيٌّ يَقَالُ لَهُ مَيَادُ ، وَكَانَ غَزَلًا حَسَنَ الْوَجْهِ تَامَ الْقَامَةِ آخِذًا بِقُلُوبِ النِّسَاءِ . وَالْغَزَلُ فِي جَرَمٍ جَائِزٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي قُشَيْرٍ نَائِرَةٌ . فَلَمَّا نَازَلَتْ جَرَمٌ قُشِيرًا وَجَاوَرَتْهَا أَصْبَحَ مَيَادُ الْجَرَمِيِّ فَعَدَا إِلَى الْقُشَيْرِيَّاتِ يَطْلُبُ مِنْهُنَّ الْغَزَلَ وَالصَّبَا وَالْحَدِيثَ وَاسْتَبْرَازَ الْقَتِيَّاتِ عِنْدَ غَيْبَةِ الرِّجَالِ وَاشْتَغَالِهِمْ بِالسَّقْيِ وَالرَّغِيَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ فَدَفَعْنَهُ عَنْهُنَّ وَأَسْعَنَهُ مَا يَكْرَهُ . وَرَاحَتْ رَجَالُهُنَّ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ مُغَضَّبَاتٌ ؛ فَقَالَ عَجَائِزُ مِنْهُنَّ : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَرُعَيْتُمْ جَرَمًا الْمَرْعَى أَمْ أَرُعَيْتُمُوهُمُ نِسَاءً كَمْ ! فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : وَمَا أَذْرَاكُنَّ ؟ قُلْنَ : رَجُلٌ مِنْذُ الْيَوْمِ ظَلَّ مَجْجَرًا¹ لَنَا مَا يَطْلُعُ مِنْ رَأْسِ وَاحِدَةٍ ، يَدُورُ بَيْنَ بِيوتِنَا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَبْتَئُوا جَرَمًا فَاصْطَلِمُوها . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَبِيحٌ ؛ قَوْمٌ قَدْ سَقَيْتُمُوهُمْ مِيَاهَكُمْ وَأَرُعَيْتُمُوهُمْ مَرَاغِيَكُمْ وَخَلَطْتُمُوهُمْ بَأَنْفُسِكُمْ وَأَجْرْتُمُوهُمْ مِنَ الْقَحْطِ وَالسَّنَةِ تَفْتَاتُونَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْاِفْتِيَاءُ ؟ لَا تَفْعَلُوا ، وَلَكِنْ تُصْبِحُوا² وَتَقْدَمُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ سَفِيَةٌ مِنْ سَفَهَائِهِمْ فَلْيَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ . فَإِنْ يَفْعَلُوا فَأَتَيْتُمُوهُمْ إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ يَمْتَنِعُوا وَيُقِرُّوْا مَا كَانَ مِنْهُ يَحِلُّ لَكُمْ الْبَسْطُ عَلَيْهِمْ وَتَخْرُجُوا مِنْ دِيْمَتِهِمْ ؛ فَاجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا نَفَرُوا مِنْهُمْ إِلَى جَرَمٍ فَقَالُوا : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي قَدْ جَاوَرْتُمُونَا بِهَا ؟ إِنْ

1 مجاهر القوم : أَمَاكُمْ .

2 أي لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة .

كانت هذه البدعة سجيّة لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء ، فَبَرُّزُوا عَنَّا أَنْفُسَكُمْ وَأَذْنُوا بحرب . وإن كان افتناناً فغَيِّرُوا على مَنْ فعله . وإِنَّهُمْ لم يَغْدُوا أَنْ قالوا لَجَرِّمْ ذلك . فقام رجالٌ مِنْ جَرِّمْ وقالوا : ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا : رجلٌ مِنْكُمْ أَمْسَ ظِلٌّ يَجُرُّ أَذْيَالَهُ بين أبياتنا ما ندرى عَلامَ كان أمرُهُ ؛ فَفَهَّقَهُمْ جَرِّمْ من جَفَاءِ الْقُشَيْرِيِّينَ وَعَجَرَفَيْتِهَا وقالوا : إِنَّكُمْ لَتُحْسِنُونَ من نسائكم بيلاء ؛ أَلَا فابْعَثُوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً . فقالوا : والله ما نُحْسِنُ من نسائنا بيلاء ، وما نعرف منهنَّ إِلَّا العَفَّةَ والكرَمَ ، ولكن فيكم الذي قاتم . قالوا : فَإِنَّا نَبْعَثُ رجلاً إلى بيوتكم يا بني قُشَيْرٍ إذا غَدَتِ الرجالُ وأُخْلِيفَ النساءُ ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، وتتحالف أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ رجلٌ مِنَّا إلى زوجية ولا أخت ولا بنت ولا يُعَلِّمُها بشيء مما دار بين القوم ؛ فَيُظَلُّ سَكَلَاهُمَا في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا عَلَيْنَا عَشِيّاً الماء وتُخْلَى لهما البيوت ، ولا تَبْرُزُ عليهما امرأة ولا تُصَادِقُ منهما واحداً فَيُقْبَلُ منهما صَرَفٌ ولا عَدْلٌ إِلَّا بِمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها . قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَظَلُّوا يَوْمَهُمْ ذلك وباتوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا¹ إلى الماء وتحالفوا أَنَّهُ لَا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيَّادُ الْجَرِّمِيِّ إلى الْقُشَيْرِيَّاتِ ، وغدا يزيد بن الطُّثِيرَةُ الْقُشَيْرِيُّ إلى الْجَرِّمِيَّاتِ ؛ فَظَلَّ عندهنَّ بِأَكْرَمِ مَظَلٍّ لَا يصير إلى واحدةٍ منهنَّ إِلَّا افْتَتَنَتْ به وتابعته إلى المودة والإخاء وقَبَضَ منها رَهْناً وسألته أَلَّا يَدْخُلَ من بيوت جَرِّمْ إِلَّا بَيْتَهَا ، فيقول لها : وأيُّ شيء تخافين وقد أخذت مني الموائيق والعهود وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيركِ ؛ حتى صُلِّيتِ العَصْرُ . فانصرف يزيد بفتح كثير [وذبل]³ ووراقع وانصرف مكحولاً مدهوناً شعبانَ رِيَّانَ مُرْجَلِ اللَّمَّةِ⁴ . وظلَّ مَيَّادُ الْجَرِّمِيِّ يدور بين بيوت الْقُشَيْرِيَّاتِ مرجوماً مُقْصِيّاً لَا يتقرب إلى بيت إِلَّا استقبلته الولائد بالعمد والجندل ، فتهالك لهنَّ وطنٌ أَنَّهُ ارتيادٌ منهنَّ له ، حتى أَخَذَهُ ضَرْبٌ كثيرٌ بالجندل ورأى البأسَ منهنَّ وَجَهَدَهُ العطشُ ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ⁵ قريباً إلى نصف النهار ، فتوسَّدَ يده ونام تحتها نَوْمَةً حتى أَفْرَجَتْ عنه الظَّهِيرَةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من أَلَمِ الضرب وبرد عطشه قليلاً ، ثم قَرُبَ إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد ، فوجد أُمَّةً تَدُودُ

1 في ل : تواعدوا .

2 الفتح : واحدة فتحة ، وهي حلقة من فضة لا فص لها ، فإذا كان فيها فص فهي الخاتم .

3 الذبل : جلد السلحفاة البرية ، وقيل البحرية ، وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الإسورة والأمشاط .

4 اللَّمَّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكيين فهو الجمَّة .

5 السمرة : شجرة من العضاء .

غَمّاً فِي بَعْضِ الظُّعْنِ¹ ، فَأَخَذَ بُرْقَعَهَا فَقَالَ : هَذَا بَرْقَعٌ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِكُمْ ، فَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ ؛ وَجَاءَتِ الْأُمَةُ تَعْدُو فَتَعَلَّقَتْ بِبُرْقَعِهَا فَرَدَّ عَلَيْهَا وَخَجَلَ مَيَّادُ خَجَلًا شَدِيدًا . وَجَاءَ يَزِيدُ مُنْسِيًا وَقَدْ كَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، فَنَشَرَ كُمَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَلَأَنَ بَرَاقِعَ [وَذَبْلًا] وَفَتَحًا ، وَقَدْ حَلَفَ الْقَوْمُ أَلَّا يَعْرِفَ رَجُلٌ شَيْئًا إِلَّا رَفَعَهُ . فَلَمَّا نَثَرَ مَا مَعَهُ اسْوَدَّتْ وَجْوهُ جَرَمٍ وَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ إِمْسَاكَةً . فَقَالَتْ قُشَيْرٌ : أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا أَمْسٍ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمَوَاتِيقِ وَتَحْرُجُ الْأَمْوَالُ وَالْأَهْلُ ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى حَرَامٍ فَلْيَمْسِكْ يَدَهُ ؛ فَبَسَطَ كُلُّ رَجُلٍ يَدَهُ إِلَى مَا عَرَفَ فَأَخَذَهُ . وَتَفَرَّقُوا عَنْ حَرْبٍ ؛ وَقَالُوا : هَذِهِ مَكِيدَةٌ يَا قُشَيْرُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ الطَّطْرِيةِ :

فَإِنْ شَتَّ يَا مَيَّادُ زُرْنَا وَزُرْتُمْ وَلَمْ نَنْفَسَ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ يُصِيبُهَا²
أَيَذْهَبُ مَيَّادُ بِالْبَابِ نِسَوْتِي وَنِسْوَةٌ مَيَّادٍ صَحِيحٌ قُلُوبِهَا

وَقَالَ مَيَّادُ الْجَرَمِيُّ :

لَعَمْرُكَ إِنْ جَمَعَ بَنِي قُشَيْرٍ لَجَرَمٍ فِي يَزِيدَ لَظَالِمُونَا
أَلَيْسَ الظُّلْمُ أَنْ أَبَاكَ مِنَّا وَأَنْتَ فِي كَتِيبَةِ آخِرِنَا
أَحَالِفَةُ عَلَيْكَ بَنُو قُشَيْرٍ يَمِينُ الصَّبْرِ أَمْ مُتَحَرِّجُونَا³

[أَحَبَّ وَحْشِيَّةً وَمَرَضَ لِبَعْدِهَا فَأَعَاتَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى رُؤْيَيْهَا فَبَرَىء]

قَالَ : وَبُلِي يَزِيدُ بَعِشَقٌ جَارِيَةٌ مِنْ جَرَمٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُقَالُ لَهَا وَحْشِيَّةٌ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ . وَنَافَرْتَهُمْ جَرَمٌ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهَا سَبِيلًا ، فَصَارَ مِنَ الْعَشَقِ إِلَى أَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَاشْتَدَّ بِهِ الْجَهْدُ ؛ فَجَاءَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ لَهْ يُقَالُ لَهُ خَلِيفَةُ بْنُ بُوْزَلٍ ، بَعْدَ اخْتِلَافِ الْأَطْبَاءِ إِلَيْهِ وَيَأْسَهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ [لَهُ] : يَا ابْنَ عَمِّ ، قَدْ تَعَلَّمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ سَبِيلٌ ، وَأَنَّ التَّعْزِيَّ أَجْمَلُ ، فَمَا أَرَبْتُكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ وَتَأْتِمَ بِرَبِّكَ ؟ . قَالَ : وَمَا هَمِّي يَا ابْنَ عَمِّ بِنَفْسِي وَمَا لِي فِيهَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ ، وَلَا هَمِّي إِلَّا نَفْسُ الْجَرَمِيَّةِ ؛ فَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ حَيَاتِي فَأَرِنِيهَا . قَالَ : كَيْفَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : تَحْمِلْنِي إِلَيْهَا . فَحَمَلَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ لَا يَطْمَعُ فِي الْجَرَمِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَالُوا لَهُ نَذْهَبُ بِكَ إِلَى وَحْشِيَّةٍ أَبْلَ قَلِيلًا وَرَاجَعَ وَطْمَعٌ ، وَإِذَا أَيْسَ مِنْهَا اشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ . فَخَرَجَ بِهِ خَلِيفَةُ بْنُ بُوْزَلٍ فَحَمَلَهُ فَتَخَلَّلَ بِهِ الْيَمَنَ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ فِي قَبِيلَةِ انْتَسَبَ إِلَى أُخْرَى وَيَخْبِرُ أَنَّهُ

1 فِي ل : الْعَطْنُ ، وَالْعَطْنُ : الْمَنَاخُ حَوْلَ الْوَرْدِ ، فَأَمَّا فِي مَكَانٍ آخَرَ فَمَرَاخُ وَمَاوَى .

2 نَفِيسٌ عَلَيْهِ الشَّيْءُ : لَمْ يَرَهُ أَهْلًا لَهُ .

3 يَمِينُ الصَّبْرِ : هِيَ الَّتِي يَجْسِسُ الْمَرْءُ حَتَّى يَحْلِفَ بِهَا .

طالبُ حاجة . وأبْلٌ حتى صَلَحَ بعضَ الصَّلَاح ، وطَمِعَ فيه ابنُ عمِّه ، وصارا بعد زمانٍ إلى حيٍّ وَحْشِيَّةٍ فلقيا الرُّعْيَانِ وَكَمْنَا في جبلٍ من الجبال . فجعل خليفَةُ ينزل فيتعرَّضُ لرُعْيَانِ الشَّاءِ فيسألهم عن راعي وَحْشِيَّةٍ ، حتى لقي غلامَهَا وَغَنَمَهَا ؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وَحْشِيَّةٍ ؟ فقال غلامها : هي والله بشرٌ ؛ لا حَفِظَ الله بني قُشَيْرٍ ولا يوماً رأيناهم فيه ؛ فما زالت عَلِيلَةً منذ رأيناهم ، وكان بها طَرْفٌ ممَّا بَابِنِ الطُّثَرِيَّةِ ، فقال : وَيَحْك ؛ فَإِنَّ هَاهُنَا إِنْسَاناً يداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : وَيَحْك ؛ فجاء به . ثم إنه خرج فلقية بالغدِّ فأعلمه ، وظلَّ عنده يرعى غَنَمَهُ ، وتأخَّرَ عن الشَّاءِ حتى تقدمته الشَّاءَ وَجَنَحَ الليلُ ، وانحدر بين يدي غَنَمِهِ حتى أراحها . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ من البيت على أربع وتجلَّلَ شَمْلَةً سوداءَ بلونِ شاةٍ من الغنم ؛ فصار إلى وَحْشِيَّةٍ ، فسُرَّتْ به سروراً شديداً ، وأدخلته سِتْراً لها وجمعت عليه من الغدِّ مَنْ يَثِقُ به من صَوَاحِبَاتِهَا وأترابها . وقد كان عهدٌ إلى ابن عمِّه أن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليالٍ ، فإن لم يَرَهُ فليَنصَرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليالٍ ورجع إلى أَصْحٍ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرَّه . فقال :

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبَا يَا ابْنَ بَوَزِلٍ بَفَرَعِ الْغَضَى إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلُهُ¹
لشاهدتَ هوأ بعد شَحْطٍ مِنَ النَّوَى على سَخَطِ الْأَعْدَاءِ حُلُوءاً شَمَائِلُهُ²

صوت

ويوماً كإبهامِ القَطَاةِ مُزِيناً لِعَيْنِي ضُحَاهُ غَالِباً لِي بَاطِلُهُ³
غَنَى فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ الثَّانِي ، وروايته :
تُشَاهِدُ هُوأً بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

مُخَارِقٌ ثَانِيٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ .
أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن عمرو قال حَدَّثَنِي عليّ بن الصَّبَّاح قال : قال أبو محضّة الأعرابيُّ وَأَشَدُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِيَزِيدَ بْنِ الطُّثَرِيَّةِ ، فَلَمَّا بُلِغَ إِلَى قَوْلِهِ : [من الطويل]

1 الغياطل : جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة .

2 في الديوان اختلاف 54 .

3 يضرب المثل في القصر بإبهام القطا .

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كَيْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ وَهَيْتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
طَرِبَ لَذَلِكَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ مِنْ مَغْنَجِ الْكَلَامِ .

[كُتِبَ إِلَى وَحْشِيَةِ شِعْرًا فَاجَابَتْهُ]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ
مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّائِي قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوْحِ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي
ظَبْيَةُ بِنْتُ وَزِيرِ الْبَاهِيَةِ قَالَتْ : كُتِبَ يَزِيدُ بْنُ الطُّثْرِيَّةِ إِلَى وَحْشِيَةِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحْيَاكَ أَطْرَافَ النَّهَارِ بِشَاشَةٍ وَبِاللَّيْلِ يَدْعُونِي الْهَوَى فُاجِيبُ
لَنْ أَصْبَحْتَ رِيحُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا شَمَالًا لَقَدْ مَأْ كُنْتَ وَهِيَ جُنُوبُ
فَاجَابَتْهُ بِقَوْلِهَا : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحْيَاكَ حَبَّ الْيَأْسِ إِنْ نَفَعَ الْحَيَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ هَوَاكَ طَيِّبُ

[يَزِيدُ بْنُ الطُّثْرِيَّةِ وَابْنُ بُوَزَلٍ بِرَمْلَةٍ حَاتِلٍ]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِجَازَةً عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِيٌّ بْنُ سَعْدٍ : أَنَّ
ابْنَ الطُّثْرِيَّةِ وَابْنَ بُوَزَلٍ ، وَهُوَ قَطْرِيٌّ بْنُ بُوَزَلٍ ، خَرَجَا يَسِيرَانِ حَتَّى نَزَلَا بِرَمْلَةٍ حَاتِلٍ¹ بَيْنَ
قِفَارِ الْمِلْحِ ؛ فَقَالَ يَزِيدُ لَابْنِ بُوَزَلٍ : اذْهَبْ فَاسْقِ رَاحِلَتَكَ وَاسْقِنَا . فَلَمَّا جَاوَزَ أُوفَى يَزِيدُ عَلَى
أَجْرَعٍ² ، فَرَأَى أَشْبَاحًا فَأَتَاهَا . فَقِيلَ لَهُ : هَذِهِ وَاللَّهِ فَلَانَةٌ وَأَهْلُهَا عَجِيْبَةٌ بِهَا (أَيُّ مُعْجَبُونَ
بِهَا) . فَأَتَاهَا فَظَلَّ عَشِيَّتَهُ وَبَاتَ لَيْلَتَهُ وَأَقَامَ الْغَدَّ حَتَّى رَاحَ عَشِيًّا وَقَدْ لَقِيَ ابْنَ بُوَزَلٍ كُلَّ شَرٍّ
وَمَاتَ غِيظًا . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبَا يَا ابْنَ بُوَزَلٍ
بِأَسْفَلِ خَلِّ الْمِلْحِ إِذْ دَنَى ذِي الْهَوَى
بِجِرْعِ الْغَضَى إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلُهُ
مُودِيٍّ وَإِذْ خَيْرُ الْوَصَالِ أَوَائِلُهُ
لَشَاهَدْتَ يَوْمًا بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى
وَبَعْدَ تَنَاقِيِ الدَّارِ حُلُومًا شَمَائِلُهُ

وَقَدْ رُوي :

وَعَيْمَ الصَّبَا إِذْ رَاجَعْتَنِي غَيَاطِلُهُ

1 حَاتِلٌ : مَوْضِعٌ .

2 الْأَجْرَعُ : الْكُثَيْبُ جَانِبُ مَنْهُ رَمْلٌ وَجَانِبُ حِجَارَةٍ .

فاختَرط¹ سيفه ابنُ بَوَزَل ، وحاوِطه² يزيدُ بعصاه ، ثم اعتذر إليه وأخبره خبره فقبل منه .
وقد رَوَى هذه الأبيات أبو عمرو الشَّيباني وغيره فزاد فيها على إسحاق هذه الأبيات: [من الطويل]
أَلَا حَبَّذا عيناك يا أُمَّ شَنْبَلٍ إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهِما جال جائِلُهُ
فَدَاكِ من الخَلَلِ كُلُّ مُمَزَّجٍ تكون لأدنى مَنْ يُلاقِي وسائلُهُ³
فَرُحْنَا تَلَقَّانَا به أُمَّ شَنْبَلٍ ضُحَيَّا وأبكتنا عَشِيًّا أَصائلُهُ
وَكُنْتُ كَأَنِّي حينَ كان كلامُها وداعاً وخَلَّى مَوْتَقَ العهدِ حاملُهُ
رَهِيْنٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُهُ عن السَّاقِ حتى جَرَدَ السيفَ قاتِلُهُ
فقال دَعُونِي سَجْدَتَيْنِ وأُرْعِدْتَ حِذارَ الرَّدَى أحشائِهِ ومَفاصِلُهُ⁴

[بنو سدره ويزيد بن الطثريه]

قال إسحاق وقال أبو عثمان سعيد بن طارق : نزلت سارية⁵ من بني سِدْرَةَ على بني قُشَيْرِ
بما لهم ؛ فجعلتُ فتيانُ قُشَيْرِ تترجَّل وتترنِّ وتزور بيوتَ سِدْرَةَ . فاستهزئوهم ؛ فقال يزيد بن
الطُّثَرِيَّة : وما في هذا عليكم ! زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم ، وقال : [من الطويل]

دعوهم يَتَبَعْنَ الصُّبا وتبادلوا بنا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادلِ⁶

ثم إن بني سِدْرَةَ قالوا لنسائهم : وَيَحْكَنَّ فَضَحْتُنَّا ! نأتي نساء هؤلاء فلا نقدر عليهن
ويأتونكن فلا تَحْتَجِينَ عنهم . فقالت كَهْلَةٌ منهن : مُرُوا نساءكم يجتمعنَ إلى بيتي ، فإذا جاءوا لم
يجدوا امرأة إلاَّ عندي ، فإنَّ يزيدَ أتاني لم يُعَذِّ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال : [من الطويل]

سلامٌ عليكم الغداة فمالنا إليكنَّ إلاَّ أن تَشَانِ سَبيلُ

فقالت الكهله : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال :

أنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى إليك فأمسى في حبالِك مُسلِّما

بَرَّتُهُ دواعي الحبِّ حتى تركته سقيماً ولم يتركَنَّ لحماً ولا دماً

فقالت : اختر إحدى ثلاث خِصال : إمَّا أن تمضي ثم ترجع علينا فإنَّا نرقب عيون الرجال

1 اخترط السيف : سلَّه من غمده .

2 حاوطه : داوره .

3 الممزج : الكذاب المخلط ، والذي لا يثبت على خلق .

4 مفاصله في ل : وخصائله . والخصيلة كلُّ لحمه استطالت وخالطت عصياً ، أو كلَّ عصبية فيها لحم غليظ .

5 السارية : الجماعة تسري .

6 الصبا في الديوان : الهوى 52 .

فإنهم قد سُبُونَا فَيْك ؛ وَإِمَّا أَنْ تَخْتَارَ أَحَبَّنَا إِلَيْكَ ، وَأَنْ تَطْلُبَ امْرَأَةً وَاحِدَةً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَشْهَرَكَ النَّاسُ ، وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ . فَقَالَ : سَأَخَذُ إِحْدَاهُنَّ ، فَاخْتَارِي أَنْتِ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ . قَالَتْ : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : إِمَّا أَنْ أُحْمِلَكَ عَلَى مَرْضُوفٍ مِنْ أَمْرِي فَتَرْكِبِيهِ ، وَإِمَّا أَنْ تَحْمِلِينِي عَلَى مَشْرُوجٍ¹ مِنْ أَمْرِكَ فَأَرْكَبِيهِ ، وَإِمَّا أَنْ تَلْزَمِي بَكَرِي بَيْنَ قُلُوصَيْكَ . قَالَتْ : لَوْ وَقَعَ بَكَرُكَ بَيْنَ قُلُوصِي لَطَمَرْنَا بِهِ طَمْرَةً يَتَطَامَنُ عَنْقُهُ مِنْهَا . قَالَ : كَلَّا ! إِنَّهُ شَدِيدُ الْوَجِيفِ ، عَارِمُ الْوُظِيفِ² ، فَعَلْبُهَا . فَلَمَّا أَتَاهَا الْقَوْمُ قَالَتْ لَهُمْ : إِنَّهُ أَتَانِي رَجُلٌ لَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ . فِيمَا أَنْ تَغْمِضُوا لَهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْحَلُوا عَنْ مَكَانِكُمْ هَذَا ؛ فَرَحَلُوا وَذَهَبُوا . فَقَالَ حَكِيمُ بْنُ أَبِي الْخِلَافِ السُّدْرِيِّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ يَذْكُرُ أَنَّهُ إِنَّمَا ارْتَحَلُوا عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ آذَوْهُمْ بِكَثْرَةِ مَا يَصْنَعُونَ بِهِمْ :

[من الطويل]

فَكَانَ الَّذِي تَهْذُونَ لِلْجَارِ مِنْكُمْ بِخَانِجِ حَبَاتٍ كَثِيرًا سَعَالُهَا³

[يزيد بن الطُّرَيْبِ وَأَسْمَاءُ الْجَعْفَرِيَّة]

قَالَ إِسْحَاقُ فَأَخْبَرَنِي الْفَزَارِيَّ : أَنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ وَقَوْمًا مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ تَزَاوَرُوا ؛ فَزَارَ شُبَّانٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ بِيوتَ بَنِي نُمَيْرٍ ، فَقَبِلُوا وَحَدَّثُوا ، وَزَارَ بَنُو نُمَيْرٍ بَنِي جَعْفَرٍ فَلَمْ يُقْبَلُوا ؛ فَاسْتَجَدُوا ابْنَ الطُّرَيْبِ فَزَارَ مَعَهُمْ بِيوتَ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَأَنْشَدَهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَأَعْجَبَنَ بِهِ وَاجْتَمَعْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْبِيوتِ . فَتَوَعَّدَ بَنُو جَعْفَرٍ ابْنَ الطُّرَيْبِ فَتَارَكُوا وَأَمْسَكَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ . فَأَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ الْجَعْفَرِيَّةِ إِلَى ابْنِ الطُّرَيْبِ أَنْ لَا تَقْطَعَنِي ، وَإِنْ مُنِعْتُ فَإِنِّي سَأَتَخَلَّصُ إِلَى لِقَائِكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الطويل]

حَلِيلِي بَيْنَ الْمُتَحَنِّي مِنْ مُخَمَّرٍ وَبَيْنَ اللَّوَى مِنْ عَرْفَجَاءِ الْمُقَابِلِ⁴
قِفَا بَيْنَ أَعْنَاقِ اللَّوَى لِمُرِّيَّةٍ جُنُوبِ تَدَاوِي غُلٍّ شَوْقٍ مُطَاطِلٍ
لَكَيْمًا أَرَى أَسْمَاءً أَوْ لَتِمَسْنِي رِيَّاحُ بَرِّيَّاهَا لِذَاذِ الشَّمَائِلِ
لَقَدْ حَادَلْتُ أَسْمَاءَ دُونَكَ بِاللَّوَى عَيُونَ الْعِدَا سَقِيًّا لَهَا مِنْ مُحَادِلِ⁵
وَدَسْتُ رَسُولًا أَنْ حَوْلِي عِصَابَةٌ هُمُ الْحَرْبُ فَاسْتَبْطَنُ سِلَاحَ الْمُقَاتِلِ
عَشِيَّةَ مَا لِي مِنْ نَصِيرٍ بِأَرْضِهَا سَوَى السَّيْفِ ضَمَّتُهُ إِلَيَّ حِمَائِلِي

1 المشروح : المشقوق .

2 الوظيف لكل ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .

3 البخانج : جمع يُخَنَج : العصير المطبوخ .

4 مُخَمَّرٌ : واد لبني قشير . عرفجاء : ماء لبني قشير أو لبني جعفر بن كلاب مطوية في غرب الحمى .

5 حادل : راوغ .

فيا أيُّها الواشون بالغِشُّ بيننا
دَعُوهُنَّ يَتَبَعْنَ الهوى وتبادَلوا
تَرَوْا حِينَ نَأْتِيهِنَّ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
وَمَنْ غُرِّيتَ لِلْهُو قَدْ مَأْ رِكَابُهُ
تُبْرُزُ وَجْوهُ السَّابِقِينَ وَيَخْتَلِطُ
فَإِنْ تَمَنَعُوا أَسْمَاءَ أَوْ يَكُ نَفْعُهَا
فَلَنْ تَمَنَعُونِي أَنْ أُعْلِلَ صُحْبَتِي
فُرَادَى وَمَشَى مِنْ عَدُوٍّ وَعَاذِلِ
بَنَا ، لَيْسَ بِأَسْ بَيْنَنَا بِالْمُتَبَادِلِ
لِمَنْ وَعَلَى مَنْ وَطَاءُ الْمُتَنَاقِلِ
وَشَاعَتْ قَوَافِي شَعْرِهِ فِي الْقَبَائِلِ
عَلَى الْمُقْرِفِ الْكَافِي غِبَارُ الْقَنَابِلِ¹
لَكُمْ أَوْ تَدْلُبُوا بَيْنَنَا بِالْغَوَائِلِ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَدَى الْعَيْنِ قَابِلِ

[حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبه بن شريك]

قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلبي : أنَّ يزيد بن الطثيرة كان شريفاً متلاًفاً يغشاه
الدِّين ؛ فإذا أُخِذَ به قضاه عنه أخ له يقال له ثور ؛ ثم إنه كثر عليه دَيْنٌ لمولى لعقبه بن
شريك الحرسيّ يقال له البربريّ فحبسه له عقبه بالعقيق من بلاد بني عُقَيْل ، وعقبه عليها
يومئذٍ أمير . وقال المُفَضَّل بن سَلَمَة قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي : كان يزيد قد هَرَبَ منه ،
فرجع إليه من حبٍّ أَسْمَاء ، وكانت جارة البربري ، فأخذه البربري . ويقال : إنه أعطاه
بعيراً من إبل ثور أخيه . فقال يزيد في السجن :

قَضَى غُرْمَائِي حَبُّ أَسْمَاءَ بَعْدَ مَا
فَلَوْ قَلَّ دَيْنُ الْبَرْبَرِيِّ قَضَيْتُهُ
وَكُنْتُ إِذَا حَلَّتْ عَلَيَّ دِيُونُهُمْ
عَلَيَّ لَهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ أُدِيَّةٌ²
نَجِيٌّ إِلَى ثَوْرٍ فَفِيمَ رَحِيلُنَا
أَشَدُّ عَلَى ثَوْرٍ وَثَوْرٌ إِذَا رَأَى
فَذَلِكَ دَأْبِي مَا بَقِيْتُ وَمَا مَشَى
تَخَوَّنَنِي ظَلَمٌ لَهُمْ وَفَجُورٌ³
وَلَكِنْ دَيْنُ الْبَرْبَرِيِّ كَثِيرٌ
أَضُمُّ جَنَاحِي مِنْهُمْ فَاطِيرٌ
ثَمَانُونَ وَافٍ نَقْدُهَا وَجَزُورٌ³
وَتَوَرَّ عَلَيْنَا فِي الْحَيَاةِ صَبُورٌ
بَنَا خَلَّةَ جَزَلُ الْعَطَاءِ غَفُورٌ
لِثَوْرٍ عَلَى ظَهْرِ الْبِلَادِ بَعِيرٌ

ويروى : «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إنَّ عقبه حَجَّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيْتِ
أَتَجِبَ مَا رَكِبَ النَّاسُ ، وَثَبَتَ ابْنُ الطَّثِيرَةِ فِي السَّجْنِ حَتَّى انصَرَفَ عَقْبَةُ بْنُ شَرِيكِ مِنْ

1 المقرف : النذل ، والكافي : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل .

2 الشطر الثاني في ل : تجردت من مطلي لهم وغرور .

3 أدية : المال القليل .

مكة ، فأرسل ابن الكميت في مخاضه¹ مستقبلة الربيع وهي حاضرة العقيق ، تأكل الغصني وتشرب بأحسانه² ، وانحدر عقبة نحو اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلائي . فلما ضاقت بابن الطثرية المخارج قال له صاحب له : لا أعلم لك أنجى إن قدرت على الخروج من السجن إلا أن تركب ابن الكميت فينجيك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحداد³ ، على أن يرسله ليلة إلى ابن عمه ، جعلا ؛ فشكا إليه وجده بها فأرسله . فمضى يزيد نحو الإبل عشاء فاحتكم ابن الكميت حتى جلس عليه فوجهه قصد اليمامة يريد عقبة بن شريك ؛ وقال في طريقه :

لَعَمْرِي إِنْ ابْنَ الْكُمَيْتِ عَلَى الْوَجَا وَسِيرِي خَمْسًا بَعْدَ خَمْسٍ مُكْمَلٌ
لَطَلْتُ الْهُوَادِي بِالْوَجِيفِ إِذَا وَنَى ذَوَاتُ الْبَقَايَا وَالْعَتِيقُ الْهَمْرَجَلُ⁴

فورد اليمامة فأناخ بابن الكميت على باب المهاجر ، فكان أول من خرج عليه عقبة بن شريك . فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيَحْك ؛ أيزيد أنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكميت ؟ قال نعم . قال : ويحك ؛ فما شأنك ؟ قال : يا عقبة ، فار منك إليك ؛ وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

يَا عُقْبَ قَدْ شَذِبَ اللَّحَاءُ عَنِ الْعَصَا عَنِّي وَكُنْتُ مُوزَّرًا مَحْمُودَا
صِلْ لِي جَنَاحِي وَاتَّخِذْنِي عُدَّةً تَرْمِي بِي الْمُتَعَاشِيَ الصَّنْدِيدَا

فقال له عقبة ، وكانت من خير فعلة علمناه فعلها ، أشهدكم أنني قد أبرأته من دين البربري وأن له ابن الكميت ؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله . وهذان البيتان من القصيدة التي أولها :

أَمْسَى الشَّبَابُ مُودَّعًا مَحْمُودَا

وهي من جيد شعره ، يقول فيها :

وَمُدِّلَةٌ عِنْدَ التَّبْدُلِ يَفْتَرِي مِنْهَا الْوِشَاحُ مُخَصَّرًا أُمْلُودَا⁵
نَازَعْتُهَا غَنَمَ الصَّبَا إِنْ الصَّبَا قَدْ كَانَ مِنِّي لِلْكَوَاعِبِ عِيدَا

1 المخاض : الحوامل من النوق .

2 الأحساء : جمع الحسى وهو سهل من الأرض يستتقع فيه الماء .

3 الحداد : السجان .

4 ذوات البقايا من الخيل : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل . والعتيق : الرائع . والهمرجل : السريع .

5 التبذل : ترك التزين . يفتري : يكسو وأصلها من لبس الفروة . الأملود : الناعم الغض .

يا لَرُّجَالٍ وَإِنَّمَا يَشْكُو الْفَتَى مَرَّ الْحَوَادِثِ أَوْ يَكُونُ جَلِيدًا
بَكَرَتْ نَوَارُ تَجْدُّ بَاقِيَةَ الْقَوَى يَوْمَ الْفِرَاقِ وَتُخْلِفُ الْمَوْعودًا¹
وَلَرُبُّ أَمْرٍ هَوَى يَكُونُ نَدَامَةً وَسَبِيلَ مَكْرَهَةٍ يَكُونُ رَشِيدًا
ثم قال يفخر :

لَا أَتَّقِي حَسَكَ الضَّغَائِنِ بِالرُّقَى فِعْلَ الدَّلِيلِ وَإِنْ بَقِيَتْ وَحِيدًا²
لَكِنْ أَجْرُدُ لِلضَّغَائِنِ مِثْلَهَا حَتَّى تَمُوتَ وَلِلْحَقُودِ حُقُودًا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح قال : قال أبو محضة الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية : هي والله من مغنج الكلام :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْبَتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشِيَّةِ الْجَرْمِيَّةِ التي مضى ذكرها .

[تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ، وشعره في ذلك]

أخبرني الجرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني طيبة قال : مرّ يزيد بن الطثرية بأعداء له ؛ فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبل على أثره ؛ فخشى أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة ، فنزل فسبّهم عدوًا ، وأدركوا الراحلة فعقروها . فقال في ذلك :

أَلَا هَلْ أَتَى لَيْلَى عَلَى نَائِي دَارِهَا بَأَنْ لَمْ أَقَاتِلْ يَوْمَ صَخْرٍ مُدَوْدًا³
وَأَنِّي أَسْلَمْتُ الرِّكَّابَ فَعُقِّرْتُ وَقَدْ كُنْتُ مِقْدَامًا بِسَيْفِي مُفْرَدًا
[أثرت فلم أسطع قتالاً ولا ترى أَخَا شَيْعَةٍ يَوْمًا كَأَخَرِ أَوْحَدًا]
فَهَلْ تَصْرِمَنَّ الْغَانِيَاتُ مَوْدَتِي إِذَا قِيلَ قَدْ هَابَ الْمُنُونُ فَعَرَدًا

[هاجى فديكاً الجرمي لأنه عذب وحشية بالنار ليصدها عنه]

أخبرني يحيى إجازة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال : كان يزيد بن الطثرية

1 تجدّ : تقطع .

2 حَسَكَ الضَّغَائِنِ : الحقد والعداوة .

3 مُدَوْدٌ : ذائد .

يتحدّث إلى نساء فُديك بن حنظلة الجرمي¹ ، ومنزلهما بالفلج² . فبلغ ذلك فُديكاً فشقّ عليه فرجر نساءه عن ذلك ، فأبين إلا أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهنّ فُديك ذات يوم وقد جمعهنّ جميعاً أخواته وبنات عمّه وغيرهنّ من حرّمه ، ثم قال لهنّ : قد بلغني أن يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتكنّ عنه ، وإنّ الله عليّ نذراً واجباً ، واخترط سيفه ، إن لم أضرب أعناقكنّ به . فلما ملأهنّ رعباً ضرب عنق غلام له مؤلّد يقال له عصام فقتله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

جعلتُ عصاماً غيرَةً حين رأيتُ أناسي من أهلي مراضٍ قلوبها

ثم إن فُديكاً رأى يزيد قائماً عند باب أهله ، فظنّ أنه يُواعد بعض نساءه ، فارتصده على طريقه وأمر بزيّية³ فحُفرت على الطريق ثم أوقد فيها ناراً ليئة ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما : تبصّرا هل تريان أحداً ؟ فلم يلبثا إلا قليلاً حتى خرجت بنت أخي فُديك ، وكان يقال لها وحشيّة ، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد ؛ فأيقظه العبدان ؛ ومضت حتى وقعت على الزبية فاحترق بعضها ، وأمر بها فأخرجت ، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره . فقال فُديك :

شفى النفس من وحشيّة اليوم أنّها
فإلا تدع خبط الموارِد في الدجى
دواء طيب كان يعلم أنّه

[من الطويل] فبلغ ذلك يزيد فقال :

ستبرأ من بعد الضمانة رجلها
عليّ هدايا البدن إن لم ألاقها
يُحصنها مني فديك سفاهة
تذيقونها شيئاً من النار كلّما

قال : وإنّما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار .

[من البسيط] وقال يزيد أيضاً :

- 1 الفلج : موضع .
- 2 الزبية : الحفرة التي يُصاد بها الأسد والذئب .
- 3 العنيق : السير المنبسط .
- 4 الضمانة : الزمانة والعاهة .
- 5 الكبّاس : الكمرة الضخمة . والحق : ما استدار من حروفها .

يا سُخْنَةَ العَيْنِ لِلْجَرْمِيِّ إِذْ جَمَعَتْ
خُبْرَتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَتَهُمْ
بَيْنِي وَبَيْنَ نَوَارٍ وَحِشَّةِ الدَّارِ
وَمَنْ يُعَذِّبُ غَيْرَ اللَّهِ بِالنَّارِ

فبلغ ذلك فذنيكاً فقال : [من الوافر]

أَحَالَفَةُ عَلَيْكَ بَنُو قُشَيْرٍ
يَمِينُ الصَّبْرِ أَمْ مَتَحَرِّجُونَا
ويروى : يمين الله .

فَإِنْ تَنَكَّلَ قُشَيْرٌ تَقْضِ جَرْمُ
أَلَيْسَ الْجَوْرُ أَنَّ أَبَاكَ مِنَّا
وَتَقْضِ لَهَا مَعَ الشَّيْبَةِ الْيَقِينَا
وَأَنْتَ فِي قَبِيلَةِ آخِرِينَا
لَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ بَنِي قُشَيْرٍ
فَالَا يَحْلِفُوا فَعَلَيْكَ شَكْلُ
وَنَجْرٌ لَيْسَ مِمَّا يَعْرِفُونَا¹
وَمِشْنَتَهُمْ إِذَا يَتَخَيَّلُونَا

قال : وكانت جرمة تدعيه ، وقشير تدعيه ؛ فأراد أن يخبر أنه دعي .

وقال فذنيك بن حنظلة يهجوهم : [من الطويل]

وَأَنَا لِسَيَّارُونَ بِالسُّنَّةِ الَّتِي
وَمِمَّا الَّذِي لَاقَتْهُ أُمُّكَ خَالِيَاً
أَحَلَّتْ وَفِينَا جَفْوَةٌ حِينَ نُظْلَمُ
فَلَمْ تَدْرِ مَا أَيُّ الشُّهُورِ الْحَرَمُ

قال يزيد يهجو فذنيكاً : [من الرجز]

أَنْعَتُ غَيْرًا مِنْ عُبُورِ الْقَهْرِ
صَبَّحَ آيَاتَ فُذَيْكٍ يَجْرِي
أَقَمَرٌ مِنْ شَرِّ حَمِيرٍ قَمَرٍ²
مَنْزَلَةُ اللَّوْمِ وَدَارُ الْغَدْرِ
فَلَقَيْتُهُ عِنْدَ بَابِ الْعَقْرِ
يَنْشِطُهَا وَالْدَّرْعُ عِنْدَ الصَّدْرِ³
نَشْطُكَ بِالْدَّلْوِ قَرَّاحَ الْجَفْرِ⁴

[حاور حسناء عرفته من حديثه]

أخبرنا يحيى بن علي إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو الحارث هانيء بن سعد الخفاجي قال : ذكرت ليزيد بن الطثيرة امرأة حدثت جميلة ؛ فخرج حتى يدفع إليها ،

1 النجر : اللون .

2 القمر : موضع ، والقمر : لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة .

3 العقير : موضع . وينشطها : يرفعها .

4 الجفر : البئر .

فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان ، فسلم عليهما ؛ فأوجست أنه يزيد ولم تثبت ، ورأت عليه مسحة . فقالت : أي ربح جاءت بك يا رجل ؟ قال : الجنوب . قالت : فأني طير جرت لك الغداة ؟ قال : عنز¹ زئمة رأيتها يُداورها ثعلبان ؛ فانقضَّ عليها سرحان فراغ الثعلبان . قال : فطفرت وراء سترها ، وعرفت أنه يزيد .

[ذهب معه قطري لرؤية نساء يحتجن عنه ، وشعره في ذلك]

قال إسحاق وحديثي عطرد قال : قال قطري بن بوزل ليزيد بن الطثري : انطلق معي إلى فلانة وفلانة فانهن يبرزن لك ويسترن عني ، عسى أن أراهن اليوم على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النسوة وظلاً يتحدثان عندهن حتى تروحا . وقال يزيد في ذلك :

على قطري نعمة إن جرى بها يزيد وإلا يجزيه الله لي أجرا
دنوت به حتى رمى الوحش بعدما رأى قطري من أوائلها نفرا

[قصته مع رجل من صداة أحب خثمية فأعانه عليها]

أخبرنا يحيى إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عطرد قال : نزل نفر من صداة² بناحية العقيق ، وهو منزل ابن الطثري ، نصف النهار فلم يأتهم أحد ؛ فأبصرهم ابن الطثري فمرّ عليهم وهو منصرف وليسوا قريباً من أهله . فلما رآهم مرملين أنفذ إليهم هدية ومضى على حياله ولم يراجعهم . فسألوا عنه بعد حتى عرفوه ، فحلا عندهم وأعجبهم . ثم إن فتى منهم وادّه فأخاه فأهدى له برداً وجبةً ونعلين . ثم أغار المقدّم بن عمرو بن همّام بن مطرف بن الأعلم بن ربيعة ابن عقيّل على ناس من خثعم . وفي ذلك يقول الشاعر :

مغار ابن همّام على حيّ خثعما

فأخذ منهم إبلاً ورقيقاً ، وكانت فيهنّ جارية من حسان الوجوه ، وكان يهواها الذي آخى يزيد ، فأصابه عليها بلا عظيم حتى نحل جسمه وتغيرت حاله ؛ فأقبل الفتى حتى نزل العقيق متكرراً ؛ فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية . فقال : أفيك خير ؟ قال نعم . قال : فإني أدفعها إليك . فخبّاه في عريش له أياماً حتى خطف الجارية فدفعها إليه . فبعث إليها قطري بن بوزل ، فاعترض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وطّن له ناقةً مفاجئة³

1 عنز زئمة : لها لحتان متدلّتان من حلقتها .

2 صداة : مخلاف باليمن وفي ل : كداء .

3 المفاجأة : التي تفرّج في المشي بين رجلها .

فقال : النَّجَاةُ فَإِنَّكَ لَنْ تُصْبِحَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ قُشَيْرٍ وَتَصِيرَ إِلَى دَارِ نَهْدٍ فَقَدْ نَجَوْتَ ؛ وَأَنَا أُخْفِي أَثْرَكَ فَعَفَى أَثْرَهُ ، وَقَالَ لَابْنَةُ خَمَّارَةٍ كَانَ يَشْرَبُ عِنْدَهَا : اسْحَبِي ذَيْلَكَ عَلَى أَثْرِهِ فَفَعَلْتُ . ثُمَّ بُحِثَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قِيلَ : قَدْ كَانَ قَطْرِيٌّ أَحْدَثَ النَّاسَ بِهَا عَهْدًا ؛ فَاسْتُعِدِّيَ عَلَيْهِ فَظُفِرَ بِيَزِيدٍ فَأُخِذَ مَكَانَهُ فَحُبِسَ بِحُجْرٍ¹ ، حَبَسَهُ الْمُهَاجِرُ . فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ يَزِيدُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَلَا لَا أَبَالِي إِنْ نَجَا لِي ابْنُ بَوَزَلٍ ثَوَائِي وَتَقْيِيدِي بِحُجْرٍ لَبَالِيَا
إِذَا حُمِّ أَمْرٌ فَهُوَ لَا بَدَّ وَقَعٌ لَهُ لَا أَبَالِي مَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِيُّ طَوْرًا وَتَارَةً هُوَ السَّمُّ وَالذِّيفَانُ وَاللَّيْثُ عَادِيًا²

[غُرْنَقَةٌ مِنْ إِبِلٍ أَخِيهِ لِنِسْوَةٍ فَسَبَّهَ فَقَالَ شِعْرًا]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ الْجُمَحِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْغَرَّافِ قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ الطَّثِيرَةِ صَاحِبَ غَزَلٍ وَمُحَادَّةٍ لِلنِّسَاءِ ، وَكَانَ ظَرِيفًا جَمِيلًا مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ شِعْرًا ، وَكَانَ أَخُوهُ ثَوْرٌ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ وَالنَّخْلِ وَالرَّقِيقِ ، وَكَانَ مَتَسَكِّيًا كَثِيرَ الْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ كَثِيرَ الْمُلَازِمَةِ لِإِبِلِهِ وَنَخْلِهِ ، فَلَا يَكَادُ يُلِمُّ بِالْحَيِّ إِلَّا الْفَلْتَةُ³ وَالْوَقْعَةُ ، وَكَانَتْ إِبِلُهُ تَرُدُّ مَعَ الرَّعَاءِ عَلَى أَخِيهِ يَزِيدُ بْنُ الطَّثِيرَةِ فَتُسْقَى عَلَى عَيْنِهِ . فَبَيْنَا يَزِيدُ مَارٌّ فِي الْإِبِلِ وَقَدْ صَدَرَ عَنِ الْمَاءِ إِذْ مَرَّ بِخَبَاءٍ فِيهِ نِسْوَةٌ مِنَ الْحَاضِرِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ قُلْنَ : يَا يَزِيدُ ، أَطْعِمْنَا لَحْمًا . فَقَالَ : أَعْطَيْتَنِي سِكِينًا فَأَعْطَيْتُهُ ، وَنَحَرَ لَهَا نَاقَةً مِنْ إِبِلٍ أَخِيهِ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَخَاهُ ؛ فَلَمَّا جَاءَهُ أَخَذَ بِشَعْرِهِ وَفَسَقَمَهُ وَشَتَمَهُ . فَانْشَأَ يَزِيدُ يَقُولُ : [مِنَ الْبَسِيطِ]

يَا ثَوْرُ لَا تَشْتَمَنَّ عِرْضِي فَذَاكَ أَبِي فَإِنَّمَا الشَّتْمُ لِلْقَوْمِ الْعَوَاوِيرِ⁴
مَا عَقَرُ نَابٍ لِأَمْثَالِ الدُّمَى خُرْدٍ عَيْنِ كِرَامٍ وَأَبْكَارٍ مَعَاصِيرِ
عَطَفَنَ حَوْلِي يَسْأَلَنَّ الْقِرَى أَصْلًا وَلَيْسَ يَرْضَيْنَنِي مَنِّي بِالْمَعَاذِيرِ
هَبْهَنَ ضَيْفًا عَرَاكِمَ بَعْدَ هَجَعَتِكُمْ فِي قِطْقِطٍ مِنْ سَقِيطِ اللَّيْلِ مَنثورِ⁵
وَلَيْسَ قُرْبُكُمْ شَاءٌ وَلَا لَبَنٌ أَيْرَحُلُ الضَّيْفِ عَنْكُمْ غَيْرَ مَجْبُورِ

1 حُجْرٌ : قَرِيَّةٌ بِالْيَمَنِ .

2 الْمَازِي : الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ ، وَالذِّيفَانُ : السَّمُّ النَّاقِعُ .

3 يَرِيدُ الْوَقْتَ بَعْدَ الْوَقْتِ .

4 الْعَوَاوِيرُ : الْجَبَنَاءُ .

5 الْقِطْقِطُ : الْمَطَرُ الصَّغِيرُ أَوْ الْمَتَابَعُ الْعَظِيمُ الْقَطَرِ ، وَقِيلَ : هُوَ دُونَ الرِّذَاذِ . السَّقِيطُ : النَّدَى وَالتَّلَجُ ، وَفِي ل : سَوَادٌ .

ما خيرُ واردةٍ للماءِ صادرةٍ لا تنجلي عن عقيرِ الرجلِ منحورٍ¹

[أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها فقال شعراً]

أخبرني أبو خليفة قال قال ابن سلام : كان يزيد بن الطثيرة يتحدث إلى امرأة ويعجب بها . فبينما هو عندها إذ حدث لها شابٌ سيواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرٌ ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن ؛ فقال :

أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصولِ كلهم
فَالْقَيْتُ سهمي وسَطَهم حين أَوْخَشُوا
وَكُنْتُ غَرْوَفَ النَّفْسِ أَشْنَأُ أَنْ أَرَى
فيوماً تراها بالعهودِ وَفِيَّةً
يَدَا بِيَدٍ مَنْ جَاءَ بِالْعَيْنِ مِنْهُمْ

له عند ليلى دينةٌ يستدينها
فما صار لي من ذاك إلا نَمِينُهَا²
على الشَّرْكَ من وَرْهَاءِ طَوْعٍ قَرِينُهَا³
ويوماً على دِينَ ابن خاقانَ دينها
وَمَنْ لم يجيء بالعَيْنِ حِيَرَتْ رُهُونُهَا

[من الطويل]

وقال فيها وقد صارَها :

ألا بَأْيِي مَنْ قد بَرَى الجِسمَ حُبُّهُ
ومن هو لا يزداد إلا تَشَوُّقاً
وَأَنِّي وَإِنْ أَحْمَوْا عَلَيَّ كَلَامُهَا
لَمُثْنٍ على ليلى ثناءً يزيدها
أَلَيْلَى احْذَرِي نَقْضَ القُوى لا يَزَلْ لَنَا
وَكُونِي على الواشينَ لَدَاءَ شَغْبَةٍ
فَإِنْ خِفْتَ أَلَا تُحْكِمِي مِرَّةً القُوى

وَمَنْ هو موموقٌ إليَّ حبيبُ
وليس يُرى إلا عليه رقيبُ
وحالت أعادٍ دونها وخروبُ⁴
قَوَافٍ بِأَفْوَهِ الرُّوَاةِ تَطْيِيبُ
على النَّأْيِ والهجرانِ منك نصيبُ
كما أَنَا للواشي أَلَدُّ شُغُوبُ
فَرُدِّي فَوَادِي وَالْمَزَارُ قَرِيبُ

[كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فخلق له فقال شعراً]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفَاجَةَ قال : استعدت جرماً على ابن الطثيرة في وَحْشِيَّة (امرأة منهم كان يشبب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثور أخي يزيد بن الطثيرة وأمره بأدبه ، فجعل عقوبته حَلَقَ لِمَتِهِ فحَلَقَهَا ، فقال يزيد :

[من الطويل]

1 عقير في ل : عقيل .

2 أَوْخَشُوا : خلطوا وصاروا إلى الوحاشة أي الرذالة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 أحمى : حرّم ومنع .

أَقُولُ لِثَوْرٍ وَهُوَ يَخْلُقُ لِمَتِّي بِحُجْنَاءِ مُرْدُوْدٍ عَلَيْهَا نِصَابُهَا
قال عبد الرحمن : كان عمِّي يحتجّ في تأنيث المَوْسَى بهذا البيت .

تَرْفُقُ بِهَا يَا ثَوْرُ لَيْسَ ثَوْبُهَا بهذا ولكن غيرُ هذا ثَوْبُهَا
أَلَا رَبُّمَا يَا ثَوْرُ قَدْ غَلَّ وَسَطُهَا أَنَامِلُ رَخِصَاتٍ حَدِيثٌ خِصَابُهَا¹
وَتَسْلُكُ مِذْرَى الْعَاجِ فِي مُذْلَهِمَةٍ إِذَا لَمْ تُفَرِّجْ مَاتَ غَمًّا صَوْبُهَا
فَرَّاحَ بِهَا ثَوْرٌ تَرَفُّ كَانَتْهَا سِلَاسِلُ دِرْعٍ خَيْرُهَا وَانْسِكَابُهَا²
مُنْعَمَةٌ كَالشَّرِيَةِ الْفَرْدِ جَادَهَا نِجَاءُ الثَّرِيَّا هَطْلُهَا وَذِهَابُهَا³
فَأَصْبَحَ رَأْسِي كَالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفْتُ عَلَيْهَا عُقَابٌ ثَم طَارَتْ عُقَابُهَا⁴

[أخبار من حلقتهم رؤوسهم]

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمُتُهُ فَرَاثَا ، وليس من هذا الباب ، ولكن يُذكر الشيء بمثله : أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : شَرِبَ طَخِيمَ الْأَسَدِيِّ بِالْحِيرَةِ ، فَأَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْبُدِ الْمُرِّيِّ ، وَكَانَ عَلَى شَرْطِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ ؛ فَقَالَ :

وَبِالْحِيرَةِ الْبَيْضَاءِ شَيْخٌ مُسَلَّطٌ إِذَا حَلَفَ الْأَيْمَانَ بِاللَّهِ بَرَّتْ
لَقَدْ حَلَقُوا مِنَّا غُدَافاً كَانَتْهَا عَنَاقِيدُ كَرَمٍ أَتَيْتُ فَاسْبَطَرْتُ⁵
يَظَلُّ الْعَذَارَى حِينَ تُحَلَّقُ لِمَتِّي عَلَى عَجَلٍ يَلْقَطُهَا حِينَ جُرَّتْ

أخبرني مُحَمَّدٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ بَعْضِ بَنِي كِلَابٍ قَالَ : أُخِذَ فَتًى مِنَّا مَعَ بَعْضِ فَتَيَاتِ الْحَيِّ ، فَحُلِقَ رَأْسُهُ فَقَالَ :

يَا لِمَتِّي وَلَقَدْ خُلِقْتَ جَمِيلَةً وَكُرُمْتَ حِينَ أَصَابَكَ الْجَلَمَانُ
أَمَسْتُ تَرَوْقَ النَّاطِرِينَ وَأَصْبَحْتُ قَصَصاً تَكُونُ فَوَاصِلَ الْمَرْجَانِ⁶

1 غلَّ شعره بالطيب : أي أدخله في أصوله .

2 الخير : الهيئة وفي البيت اختلاف في الديوان .

3 كالشرية في الديوان : خدارية ص 26 . الشرية : شجرة الخنظل ، والنَّجَاءُ : جمع نجو كبير وبحار ، وهو السحاب الذي هراق ماءه . والذهاب : جمع ذهبة وهي المطرة الضعيفة .

4 رأسي في الديوان : ورحت برأس 26 .

5 اسبطرت : طالت وامتدت .

6 القصص : ما قصَّ من الشعر .

[شعره في أخيه ثور]

أخبرني وكيع قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا أبو مُحَلَّم قال : كان
ليزید بن الطَّثَرِية أَخٌ یقال له ثورٌ أكبرُ منه ، فكان یزید یُغیر علی ماله ویُتلفه ، فیتحمّله ثورٌ
لحبته إياه . فقال یزید فی ذلك :

نُغیرُ علی ثورٍ وثورٌ یسرُّنا وثورٌ علينا فی الحیاة صبورٌ
وذلك دأبی ما حییتُ وما مَشی لثورٍ علی عَفْرِ التُّرابِ بعیرُ

[الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل یزید وما رثاه به الشعراء]

وقُتِل یزید بن الطَّثَرِية فی خلافة بني العباس ، قتلته بنو حنيفة .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكَّرِي عن محمد بن حبيب
عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل بن سَلَمَة عن أبي عُبَيْدة وابن الكلبي ، وأخبرنا يحيى بن علي
عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجراح العقيلي قال : أغارت بنو حنيفة على طائفة
من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْرٍ جارٌ لهم ؛ فقتل القُشَيْرِي ورجلٌ من بني عُقَيْل
واطَّردت إبلٌ من العُقَيْليين ؛ فاتى الصَّرِيخُ عُقَيْلاً فلجّوا القومَ فقاتلوهم فقتلوا من بني
حنيفة رجلاً وعقروا أفراساً ثلاثة من خيل حنيفة وانصرفوا ، فلبثوا سنة . ثم إنَّ عُقَيْلاً
انحدرت متجعجةً من بلادها إلى بلاد بني تميم ، فذكر حنيفة وهم بالكوكبة والقيضاف ،
فغزتهم حنيفة ، وحذر العُقَيْليون وأنتهم النذر من نَمِرٍ فانكشفوا فلم يقدروا عليهم ؛ فبلغ
ذلك من بني عُقَيْل وتلفهوا على بني حنيفة ، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة ، ثم تشاوروا :
فقال بعضهم : لا تغزوا قوماً في منازلهم ودورهم فيتحصنوا دونكم ويمتنعوا منكم ، ولا
نأمنُ أن يفضحوكم ، فأقاموا بالعقيق . وجاءت حنيفة غازية كعباً لا تتعداها حتى وقعت
بالفلج ، فتطأير الناس ، ورأس حنيفة يومئذ المُنْدَلِفُ ، وجاء صَرِيخُ كَعْبٍ إلى أبي
لَطِيفَة بنِ مُسْلِم العُقَيْلي وهو بالعقيق أميرٌ عليها ؛ فضاقت بالرسول ذرعاً وأتاه هولٌ شديد ،
فأرسل في عُقَيْل يستمدّها ؛ فأتته ربيعة بن عُقَيْل وقُشَيْر بن كعب والحريش بن كعب
وأفناء خفاجة ، وجاش¹ إليه الناس ؛ فقال : إني قد أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجيء
ونعلم ما تُشير به . قال أبو الجراح : فأصبح صَبَحُ ثالثة على فرس له يَهْتِف : أعزَّ الله
نصرَك وأمتعنا بكم ؛ انصرفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناس ؛ وصار في بني
عمه ورَهْطِه دِنِيَّة . وإنما فعل ذلك لتكون له السمعة والذكر . فكان فيمن سار معه

1 جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلاً .

القُحَيْفُ بنُ حُمَيْرٍ ويزيد بن الطُّثِرِيَّةِ الشاعران ؛ فساروا حتى واجهوا القومَ ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِفَ ، رَمَوْهُ فِي عَيْنِهِ ، وَسَبَّوْا وَأَسْرَوْا وَمَثَلُوا بِهِمْ وَقَطَعُوا أَيْدِيَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَأَرْسَلُوهُمَا إِلَى الْيَمَامَةِ وَصَنَعُوا مَا أَرَادُوا . ولم يُقْتَلْ مِمَّنْ كَانَ مَعَ أَبِي لَطِيفَةَ غَيْرُ يَزِيدَ بنِ الطُّثِرِيَّةِ ، نَسِبَ ثَوْبُهُ فِي جِذَلٍ¹ مِنْ عُسْرَةٍ² فَانْقَلَبَ ، وَخَبَطَهُ الْقَوْمُ فَقُتِلَ . فقال القُحَيْفُ يرثيه :

أَلَا تَبْكِي سَرَاةً بَنِي قُشَيْرٍ عَلَى صِنْدِيدِهَا وَعَلَى فَتَاهَا
فَإِنْ يُقْتَلُ يَزِيدٌ فَقَدْ قَتَلْنَا سَرَاتَهُمُ الْكُهُولَ عَلَى لِحَاهَا
أَبَا الْمَكْشُوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِي وَمَنْ يُزْجِي الْمَطْيَى عَلَى وَجَاهَا

وقال القُحَيْفُ أَيْضاً يرثيه :

إِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا شَهِيداً صَابِراً فَقَدْ تَرَكَنا مِنْكُمْ مَجَازِراً
عَشْرِينَ لَمَّا يَدْخُلُوا الْمَقَابِرَ قَتَلَى أَصِيبَتْ قَعْصاً نَحَائِراً³
نَعِجَا تَرَى أَرْجُلَهَا شَوَاغِراً⁴

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وَحْدَهُ . وقال القُحَيْفُ أَيْضاً ولم يَرَوْهَا إِلَّا ابْنُ حَبِيبَ :

يَا عَيْنُ بَكِّي هَمَلاً عَلَى هَمَلٍ عَلَى يَزِيدَ وَيَزِيدَ بْنِ حَمَلٍ
قَالَ أَبْطَالُ وَجَرَّارٍ حُلَلٍ

قال : وَيَزِيدُ بْنُ حَمَلٍ قُشَيْرِيٌّ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ أَيْضاً . وقالت زَيْنَبُ بِنْتُ الطُّثِرِيَّةِ تَرثِي أَخَاهَا يَزِيدَ . وعن أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ أَنَّ الْأَبْيَاتَ لِأُمِّ يَزِيدَ ، قال : وهي من الْأَزْدِ . ويقال : إِنَّهَا لَوْحَشِيَّةُ الْجَرَمِيَّةِ :

[من الطويل]

أَرَى الْأَنْثَلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي مُقِيمَاً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
فَتَى قَدْ قَدْ السَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٍ وَلَا رَهْلٍ لَبَّائِهِ وَبَادِلُهُ⁵

1 الجِذَلُ : أصل الشجرة .

2 الْعُسْرَةُ : شجرة من العضاء وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .

3 القعص : القتل المعجل والموت الوحي .

4 نعيم الرجل : ربا وانتفخ . شواغر : مرفوعات .

5 البادل : جمع بأدلة وهي اللحم بين العنق والترقوة .

فَتَى لَا تَرَى قَدْ الْقَمِيصَ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّمَا تُوْهِى الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ
 إِذَا نَزَلَ الضَّيْفَانُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلُهُ¹
 يَسْرُكَ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
 إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ
 إِذَا الْقَوْمُ أُمُّوْا بَيْتَهُ فَهُوَ عَامِدٌ لِأَفْضَلِ مَا أُمُّوْا لَهُ فَهُوَ فَاعِلُهُ
 مَضَى وَوَرِثَاهُ دَرِيْسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ²
 وَقَدْ كَانَ يَحْمِي الْمَحْجَرِينَ بِسَيْفِهِ وَيَلْغُ أَقْصَى حَجَرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ³
 فَتَى لَيْسَ لَابْنِ الْعَمِّ كَالذُّبِّ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ
 سَيِّكِيهِ مَوْلَاهُ إِذَا مَا تَرَفَّعَتْ عَنِ السَّاقِ عِنْدَ الرَّوْعِ يَوْمًا ذَلَالُهُ

الذُّلُّ : هُذِبَ الثِّيَابُ .

وقد أخبرنا الحرّميّ عن الزُّبَيْرِ عن عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن عَبَّاسِ بن عبد الصمد قال :
 قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْرِ السُّلُوِيّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمِّك ؟ قال : نعم يا أمير
 المؤمنين ، ألا إني قلتُ :
 [من الطويل]

فَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفُ لَا مَتَضَائِلُ وَلَا رَهْلٌ لَبَّاتِهِ وَأَبَاجِلُهُ⁴

فذكر هذا البيتَ وحده ونسبه إلى العُجَيْرِ السُّلُوِيّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن
 الطَّثْرِيَّةِ أو إلى أمّه وأتى بأبياتٍ آخرَ ليست منها ، وسيذكر ذلك في أخبار العُجَيْرِ مشروحاً إن
 شاء الله تعالى .

ومّا يُغْنَى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْرِيَّةِ قوله :

[من الطويل]

صوت

بِنَفْسِي مَنْ لَا بَدَّ أَتَى هَاجِرُهُ وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ
 وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ بِي فَاتَّقَاهُمْ بِيَغْضَيِ إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهُ
 عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الرَّبِيعِيُّ لِحَنًّا مِنْ خَفِيفِ

1 العذور : السّيء الخلق القليل الصبر .

2 الدريس : الخلق من الدروع وغيرها ، المفاضة : الدراع الواسعة .

3 المحجر : الحرم وما يمنعه القوم . الحجرة : الناحية .

4 الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وقيل في باطن الذراع .

الثقيل بالبنصر . وغنّت فيه عَرِيبٌ وفي أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأول آخر .
وغنّت عَلِيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهشاميّ أنّ لإبراهيم فيها لحناً ماخوِريّاً .
والأبياتُ المضافةُ :

بنفسي من لا أنخيرُ الناسَ باسمه وإن حَمَلْتُ حَقْداً عليّ عشائرة
بأهلي ومالي من جَلَبْتُ له الأذى ومَنْ ذكرُهُ مِنِّي قريبٌ أسامرة
ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه وحاوَرَنِي لم أَذِرْ كيف أحاوره

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

شأتكَ المنازلُ بالأبرقِ دوارسَ كالعينِ في المَهْرَقِ
لآلٍ جَمِيلَةٍ قد أُخْلِقَتْ ومهما يَطُلُ عَهْدُهُ يُخْلِقِ
فإن يُقِلَّ الناسُ لي عاشِقُ فأين الذي هو لم يَعَشِقِ
ولم يَبْكُ نُؤيًّا على عَبرَةٍ بداء الصَّبَابَةِ والمَعْلَقِ

شأتكَ : بعدتُ عنكَ . والشأو : البعد . يقال : جرى الفرسُ شأواً ، يريد طَلَقاً . والمَهْرَقُ :
الصحيفة ، والجمع المَهَارِقُ . يريد أنّ الدَّارَ قد بَقِيَتْ منها طرائقُ كالصَّحَف وما فيها .
الشعر للأحوص . والغناء لجميلة ، ولحنها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق .
وفيه لَعَطَرْدٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لمعبد خفيفٌ ثَقِيلٌ عن حَبَش : وفيه
رمل يقال : إنّه لفريدة ، ويقال : إنّه لمالك . وقيل : إنّ الثقيلَ الأولَ لابن عائشة . وذكر
عمرو بن بانة أنّ خفيف الرمل لَعَطَرْدٌ أيضاً .

[114] - ذكر جميلة وأخبارها¹

[ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أَرْطاة فيها]

هي جميلة مولاة بني سُلَيْمٍ ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالى بني الحارث بن الخزرج ، وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولأى زوجها ، فقيل : إنها مولاة للأنصار ، تنزل بالسُّنْح² وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدِّيق ؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاريّ الأمويّ السَّعِيدِيّ . وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنَّها مولاة للحَجَّاج بن عِلَاط السُّلَمِيّ . وهي أصل من أصول الغناء ، وعنَّا أخذ معبدٌ وابن عائشة وحبابة وسَلَامَة وعقيلة العَقِيقِيَّة والشَّمَّاسِيَّان خُلَيْدَة ورُبَيْحَة . وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة :

صوت

إِنَّ الدَّلَالَ وَحَسَنَ الْغَنَاءِ ء وَسَطَ بِيوتِ بني الخزرج
وتلكم جميلة زِينُ النساءِ إِذَا هِيَ تَزْدَانُ لِلْمَخْرَجِ
إِذَا جِئْتَهَا بِذَلِكَ وَدَّهَا بوجه مُنِيرٍ لَهَا أَبْلَجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة . والغناء للملك خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : فيه للدَّلَال وجميلة لحنان .

[كانت أعلم خلق الله بالغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرشيّ عن المُحرزيّ قال : كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء ؛ وكان معبد يقول : أصلُ الغناء جميلة وفرعُه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغَنِّين .

[كيف تعلّمت الغناء]

قال إسحاق وحدثني أيُّوب بن عُبَايَة قال حدثني رجل من الأنصار قال : سُئِلَت جميلة : أنَّى لك هذا الغناء ؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنَّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنْتُ أسمعُه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النُّغمات فبنيتُ عليها

1 انظر خبراً عنها في التذكرة الحمدونية 9 : 36 ، 37 .

2 السُّنْح : موضع قرب المدينة .

غِنَائِي ، فجاءت أجودَ من تَأْلِيفِ ذَلِكَ الْغِنَاءِ ، فَعَلِمْتُ وَأَلْقَيْتُ ، فَسَمِعَنِي مَوَالِيَاتِي يَوْمًا وَأَنَا
أُغْنِي سِرًّا فَفَهِمْنَنِي وَدَخَلَنَ عَلَيَّ وَقُلْنَ : قَدْ عَلِمْنَا فَمَا تَكْتُمِينَا . فَأَقْسَمَنَ عَلَيَّ ، فَرَفَعْتُ صَوْتِي
وَوَغْنِيَّتَهُنَّ بِشَعْرِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَمَى :

[من البسيط]

وما ذكرتُكِ إلَّا هِجَّتْ لِي طَرِبًا إِنَّ الْحَبَّ يَبْعُضُ الْأَمْرَ مَعْذُورُ
ليس المحبَّ بَمَنْ إِنْ شَطَطَ غَيْرُهُ هَجَرُ الْحَبِيبِ وَفِي الْهَجْرَانِ تَغْيِيرُ

صوت

[من البسيط]

نَامَ الْخَلِيَّ فَنَوْمُ الْعَيْنِ تَعْذِيرُ مِمَّا أَذْكَرْتُ وَهَمُّ النَّفْسِ مَذْكَورُ¹
ذَكَرْتُ سُلَمَى وَمَا ذِكْرِي بِرَاجِعِهَا وَدُونَهَا سَبَسَبٌ يَهْوِي بِهِ الْمَوْرُ²

الشعر لزُهَيْر . والغناء في هذين البيتين لَجَمِيلَةَ فَقَطْ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَش . فحينئذٍ
ظَهَرَ أَمْرِي وَشَاعَ ذِكْرِي ، فَقَصَّدَنِي النَّاسُ وَجَلَسْتُ لِلتَّلْعِيمِ ؛ فَكَانَ الْجَوَارِي يَتَكَوَسَّنِي³ ،
فَرُبَّمَا أَنْصَرَفَ أَكْثَرُهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ شَيْئًا سِوَى مَا سَمِعْنِي أَطَارِحُ لَغِيرَهُنَّ ، وَلَقَدْ كَسَبْتُ لِمَوَالِي⁴
مَا لَمْ يَخْطُرْ لِهِنَّ بِيَالٍ ، وَأَهْلُ ذَلِكَ كَانُوا وَكُنْتُ .

[إجماع الناس على تقدّمها في الغناء]

وَحَدَّثَنِي أَبُو خَلِيفَةَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِيِّ
قَالَ : كَانَتْ جَمِيلَةً مِمَّنْ لَا يُشْكُ فِي فَضِيلَتِهَا فِي الْغِنَاءِ ، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ مَقَارَبَتَهَا⁴ فِي ذَلِكَ ، وَكُلُّ
مَدَنِيٍّ وَمَكِّيٍّ يَشْهَدُ لَهَا بِالْفَضْلِ .

[وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنّو مكة والمدينة]

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ الْمُرْيَةِ الْمَدَنِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرُ الْمَدَنِيُّ . قَالَ إِسْحَاقُ : وَكَانَا
جَمِيعًا مَغْنِيَّيْنِ حَازِقَيْنِ شَيْخَيْنِ جَلِيلَيْنِ عَالَمَيْنِ ظَرِيفَيْنِ ، وَكَانَا قَدْ أَسْنَا ، فَأَمَّا هِشَامُ فَبَلَغَ الثَّمَانِينَ ،
وَأَمَّا جَرِيرُ فَلَا أُدْرِي . قَالَ جَرِيرُ : وَقَدْ ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَسَعِيدُ بْنُ مِسْجَحٍ وَمُسْلِمُ بْنُ مُحَرَّرٍ .
الْمَدِينَةُ لِبَعْضٍ مِنْ وَقَدُوا عَلَيْهِ ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الزُّوْلِ عَلَى جَمِيلَةَ مَوْلَاةَ بَهْزٍ ، فَتَزَلُّوا عَلَيْهَا .
فَخَرَجُوا يَوْمًا إِلَى الْعَقِيقِ مَتَزَهِّينَ ، فَوَرَدُوا عَلَى مَعْبَدِ بْنِ عَائِشَةَ فَجَلَسُوا إِلَيْهَا فَحَدَّثُوا سَاعَةً ؛
ثُمَّ سَأَلَ مَعْبَدُ ابْنَ سُرَيْجٍ وَأَصْحَابَهُ أَنْ يَغْرِضُوا عَلَيْهِمْ بَعْضَ مَا أَلْفُوا . فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : إِنَّ لِلْقَوْمِ

1 تعذير : قليل .

2 المور : الغبار المتردد ، وقيل : التراب تثيره الريح .

3 يتكاوسني : يتكففتني ويتراحمن حولي .

4 في ل : مقارنتها .

أعمالاً كثيرة حسنةً ولك أيضاً يا أبا عباد ، ولكن قد اجتمع علماء مكة ، وأنا وأنت¹ من أهل المدينة ، فليعمل كل واحد منا صوتاً ساعته ثم يغنى به . قال معبد : يا ابن عائشة ، قد أعجبتك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة ؛ قال ابن عائشة : أو غصيت يا أبا عباد ! إنني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتقصصك فإنك لأنت المفاد منه . قال معبد : أما إذ قد اختلفنا وأصحابنا المكثرون سكوت فلنجعل بيننا حكماً . قال ابن عائشة : إن أصحابنا شركاء في الحكومة . قال ابن سريج : على شريطة ؛ قال : على أن يكون ما نغني به من الشعر ما حكمت فيه امرأة . قال ابن عائشة ومعبد : رضىنا ، وهي أم جندب . فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غد . فلما حضروا قال ابن عائشة : ما ترى يا أبا عباد ؟ قال : أرى أن يتدى أصحابنا أو أحدهم . قال ابن سريج : بل أنتما أولى . قال : لم نكن لنفعل . فأقبل ابن سريج على سعيد بن مسجع فسأله أن يتدى فأبى . فأجمع رأي المكثين على أن يتدى ابن سريج . فغنى ابن سريج : [من الطويل]

صوت

ذهبت من الهجران في غير مذهب
ولم يك حقاً كل هذا التجنب
خليلي مرّا بي على أم جندب
أقضى لبانات الفؤاد المعبّد
فإنكما إن تنظراني ساعة
من الدهر تنفّعي لدى أم جندب
ألم ترياني كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

الشعر لامرئ القيس . ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وخفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق . وغنى معبد : [من الطويل]

صوت

فلله عينا من رأى من تفرّق
أشت وأتأى من فراق المحصب²
علوّ بأنطاكية فوق عقمّة
كجرمة نخل أو كجنة يثرب³
فريقان منهم سالك بطن نخلة
وآخر منهم جازع نجد كبكب⁴

1 في ل : وإياك .

2 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

3 العقمة : ضرب من الوشي . والجرمة : ما جرم من البسر ، والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

4 في البيت اختلاف في الديوان 43 . بطن نخلة : موضع . والجازع : القاطع . نجد في ل : قصد . كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهره إذا وقفت مع الإمام بعرفة .

فَعَيْنَاكَ غَرْبًا جَدُولٍ فِي مُفَاضَةٍ كَمَرٌ خَلِيجٍ فِي سَنِحٍ مُثَقَّبٍ¹
وغنى ابن مسنحج :

صوت

وَقَالَتْ فَإِنْ يُخَلِّ عَلَيْكَ وَيُعْتَلِّ² يَسُوكَ وَإِنْ يُكْشِفُ غَرَامُكَ تَذَرِبِ³
وَأَنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبِ⁴
وَأَنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ بُكُورٍ أَوْ رَوَاحٍ مُوَوَّبِ⁵
بِأَدْمَاءٍ حُرْجُوجٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا عَلَى أَلْبَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمَغْرَبِ⁶
يَغْرُدُ بِالسَّحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ تَغْرُدُ مِيَّاحُ النَّدَامَى الْمُطْرَبِ⁷
وغنى ابن عائشة :

صوت

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ⁸
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوْبِدِ لَاحَهُ طِرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَأٍ مُغْرَبِ⁹
إِذَا مَا جَرَى شَاوِنٍ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيذُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ¹⁰
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَصَهْوَةٌ غَيْرَ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ¹¹
وغنى ابن مُحَرِّز :

صوت

فَلِلْسَوْتِ الْهُوبُ وَاللِّسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْذَبِ¹²

- 1 الخليج : الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ ، والسنيح : اللؤلؤ . وفي الديوان : صفيح ص 44 . مثقَّب في ل : مصوَّب .
- 2 تدرِب : من الدربة وهي التجربة .
- 3 المَوَوَّب : المردَّد المتكرَّر .
- 4 الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسمية الطويلة على وجه الأرض . القتود : جمع قند وهو أداة الرجل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشعار والوجه .
- 5 يغْرُد : يطْرَب . وسدفة الليل : طائفة من الليل ، ومياح : متبختر .
- 6 المِذْنَب : مسيل الماء إلى الروضة .
- 7 المنجرد : قصير الشعر . الهوادي : السوايق المتقلَّعات . المغْرَب : البعيد المدى .
- 8 أثاب : شجر تصدر الريح فيه حفيفاً عظيماً وشدة صوت .
- 9 الأيطل : الخاصرة والغَيْر : حمار الوحش .
- 10 الإلهاب واللهوب : شدة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار . الدرة : زيادة في العدو . والأخرج : الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه . المهذب : الشديد العدو ، وفي البيت اختلاف في الديوان ص 51 .

فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يُبْلِ شَدَّهُ يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ¹
تَذُبُّ لَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُمِرُّهُ كَذَبُ الْبَشِيرِ بِالرَّدَاءِ الْمُهْدَبِ²
إِذَا مَا ضَرَبْتُ الدَّفَّ أَوْ صُلْتُ صَوْلَةً تَرَقَّبُ مِنِّي غَيْرَ أَذْنَى تَرَقَّبِ³
وَعَنَى الْغَرِيضُ :

صوت

أَخَاتِقَةٍ لَا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ صَبُورًا عَلَى الْعِلَاتِ غَيْرَ مُسَبِّبِ⁴
رَأَيْنَا شَيْهًا يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً كَمَشِي الْعَذَارَى فِي الْمَلَأِ الْمُجَوَّبِ⁵
وَمَا أَنْتَ أُمَّ مَا ذِكْرُهَا رَبِيعَةً تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأُكْنَفٍ شُرْبِ⁶
أَطَعْتُ الْوُشَاةَ وَالْمُشَاةَ بَصُرْمَهَا فَقَدْ أَنْهَجَتْ حَيَالَهَا لِلتَّقْصَبِ⁷

فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : كُلُّكُمْ مُحْسِنٌ وَكُلُّكُمْ مُجِيدٌ فِي مَعْنَاهُ وَمَذْهَبُهُ . قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : لَيْسَ هَذَا بِمُقْنِعٍ دُونَ التَّفْضِيلِ . فَقَالَتْ : أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا يَحْيَى⁸ فَتَضَنُّكَ التَّكَلُّ بِمُحْسِنٍ صَوْتِكَ وَمَشَاكِلَتِهِ لِلنَّفُوسِ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَبَّادٍ فَنَسِيحٌ وَخَدِّكَ بِجُودَةٍ تَأْلِفُكَ وَحَسَنَ نَظْمِكَ مَعَ عَذُوبَةِ غِنَائِكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَثْمَانَ فَلَكَ أَوْلِيَّةٌ هَذَا الْأَمْرُ وَفَضِيلَتُهُ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرَ فَمَعَ الْخُلُقَاءِ تَصْلُحُ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ فَلَوْ قَدَّمْتُ أَحَدًا عَلَى نَفْسِي لَقَدَّمْتُكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَوْلَى الْعَبَلَاتِ فَلَوْ ابْتَدَأْتَ لَقَدَّمْتُكَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ سَأَلُوها جَمِيعًا أَنْ تَغْنِيَهُمْ لَحْنًا كَمَا غَنَوْا ؛ فَغَنَّتَهُمْ بَيْتًا لَامَرِيءِ الْقَيْسِ وَأَرْبَعَةَ آيَاتٍ لَعَلِّمَةً وَهِيَ :

خَلِيلِي مُرَّا بِي عَلَى أُمَّ جُنْدَبِ أَقْضِ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمُعْدَبِ
لِيَالِي لَا تَبْلَى نَصِيحَةً بَيْنَنَا لِيَالِي حَلُّوْا بِالسُّتَارِ فُغْرَبِ⁹

1 الخذرُوف : الدَّوَارَةُ الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا الصَّبِيَّانَ .

2 تَمَرُهُ فِي ل : تَبَرُهُ . الْمُهْدَبُ : ذُو الْهَدَبِ .

3 الدَّفُّ : الْجَنْبُ .

4 غَيْرُ مُسَبِّبٍ : غَيْرُ مُسَبِّبٍ .

5 شَيْهٌ : بَقْرٌ مِنَ الْوَحْشِ . الْمُجَوَّبُ : الْمَصْنُوعُ لَهُ جَيْبٌ .

6 إِيرٌ : جَبَلٌ لِبْنِي غُطْفَانَ غَرْبِيَّ جَبَلِ طَيْءٍ . شَرْبٌ : وَادٍ فِي دِيَارِ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ فِي شَمَالِ الْيَمَامَةِ .

7 أَنْهَجَتْ : خَلَقَتْ وَبَلَّتْ . التَّقْصَبُ : التَّقَطُّعُ .

8 أَبُو يَحْيَى : كُنْيَةُ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَأَبُو عَبَّادٍ كُنْيَةُ مَعْبَدٍ ، وَأَبُو عَثْمَانَ كُنْيَةُ سَعِيدِ بْنِ مَسْجَعٍ ، وَأَبُو جَعْفَرَ كُنْيَةُ ابْنِ عَائِشَةَ ، وَأَبُو الْخَطَّابِ كُنْيَةُ ابْنِ مُحَرَّرٍ ، وَمَوْلَى الْعَبَلَاتِ لَقَبُ الْغَرِيضِ .

9 السُّتَارُ : جَبَلٌ بِعَالِيَةِ الْحِجَازِ ، وَغَرْبُ جَبَلٍ تَلْقَاءُ .

مُبْتَلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلِيَّهَا على شادين من صاحبة مُتَرَبِّبٍ¹
 مَحَالٌ كَأَجْوَارِ الْجَرَادِ وَلَوْلَوْ² من القَلْقَلِيِّ والكَبِيسِ الْمُلَوَّبِ²
 إِذَا الْهَمُّ الْوَاشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا تَبْلُغُ رَسُّ الْحَبِّ غَيْرُ الْمَكْدَبِ³

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضلوها . فقالت لهم : ألا أحدثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غنائكم وتَمَامُ اختياركم ؟ قالوا : بلى والله . قال الغريص : قد والله فهمته يا سيِّدتي . قالت : لعنك الله يا مخنث ؛ ما أجودَ فهمك وأحسنَ وجهك ، وما يُلامُ فيك أبو يحيى إذ عرفته ؛ فهاته حدثنا . قال : يا سيِّدتي وسيِّدة مَنْ حضر ، والله لا نطقُ بحرف منه وأنت حاضرة ، ولكِ الفضلُ والعُتْبَى . قالت : نازع امرؤ القيس علقمة بنَ عبدة الفحل الشعر ؛ فقال له : قد حكمتُ بيني وبينك امرأتك أمَّ جندب ؛ قال : قد رَضِيتُ . فقالت لهما : قولاً شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صيفا فيه الخيل . فقال امرؤ القيس :

حَلِيلِي مَرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ أَقْضُ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ

وقال علقمة :

ذهبتَ من الهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ
 وَأَنْشَدَاهَا ، فَعَلَّبْتُ عَلْقَمَةَ . فقال لها زوجها : بأيِّ شيء غلبته ؟ قالت : لأنك قلت :

فَلِلسَّوْطِ الْهَوْبِ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَاجٍ مُنْعَبٍ⁴
 فَجَهَدْتَ فَرَسَكَ بِسَوْطِكَ ، وَمَرَّيْتَهُ⁵ بِسَاقِكَ وَزَجْرَكَ ، وَأَتَعَبْتَهُ بِجَهْدِكَ . وقال علقمة :

فَوَلَّى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَغَبِيَّةٌ شُوْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهَبٍ⁶

- 1 المبتلة : المكتنزة اللحم الضامرة الكشح . وأنضاء الحُلَي : ما دقَّ منه ولطف . وصاحبة : جبل أحمر بين الركاء والدخول وقيل هضبان .
- 2 المحال : ضرب من الحلي يصاغ مُفَقَّرًا . العجوز : وسط الشيء . القَلْقَلِيُّ : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . الكبيس : حلي يصاغ مجوفاً ثم يُحشَى طيباً ثم يكبس . الملَوَّب : المعطر بالملاب .
- 3 ألحم : أدخل . الرس : الثابت الراسخ . غير المكذب : غير المنقطع الرأئل .
- 4 المنعب : الأحقق المصوَّت ، والذي يمدُّ عنقه في العدو .
- 5 مرى الفرس : استخرج جريه .
- 6 الغبية : المطرة التي تجيء شديدة .

فأدركهـن ثانياً من عنانه يَمُرَّ كَمَرُ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ¹

فلم يضرب فرسه بسوط ، ولم يَمُرْه بساق ، ولم يُتعبه بزجر . فقال ابن عائشة : جُعِلَتْ فِدَاكِ ؛ أَتَأْذِنِينَ أَنْ أُحْدِثَ ؟ قالت : هيه . قال : إِنَّمَا تَزَوِّجُ أُمَّ جُنْدَبَ حِينَ هَرَبَ مِنَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ فَاتَى جَبَلِي طَبِيءً ، وَكَانَ مُفَرَّكاً² . فبينما هو معها ذاتَ لَيْلَةٍ إِذْ قَالَتْ لَهُ : قُمْ يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ ، فلم يقم ؛ فَكُرِّرْتُ عَلَيْهِ فقام فوجد الفجرَ لم يطلع ، فرجع فقال لها : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَمْسَكْتُ . وَأَلَحَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : حَمَلَنِي أَنْكَ ثَقِيلُ الصَّدْرِ ، خَفِيفُ الْعَجِيزَةِ ، سَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ . فَعَرَفَ تَصْدِيقَ قَوْلِهَا وَسَكَتَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى عُلْقَمَةَ وَهُوَ فِي خَيْمَتِهِ وَخَلْفَهُ أُمُّ جُنْدَبَ ، فَتَذَاكُرُوا الشَّعْرَ ، فَقَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ، وَقَالَ عُلْقَمَةُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَحَاكَا إِلَى أُمِّ جُنْدَبَ ، فَفَضَّلَتْ أُمَّ جُنْدَبَ عُلْقَمَةَ عَلَى امْرَأَةِ الْقَيْسِ . فَقَالَ لَهَا : بِمِ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ ؟ قَالَتْ : فَرَسُ ابْنِ عَبْدِ أَجُودَ مِنْ فَرَسِكَ . زَجَرْتُ وَضَرَيْتُ وَحَرَّكَتُ سَاقِيكَ ، وَابْنُ عَبْدِ جَامِدٍ لَا مَقْتَدِرَ . فَغَضِبَ مِنْ قَوْلِهَا وَطَلَّقَهَا ، وَخَلَفَ عَلَيْهَا عُلْقَمَةَ . فَقَالَتْ جَمِيلَةً : مَا أَحْسَنَ مَجْلِسَنَا لَوْ دَامَ اجْتِمَاعُنَا ! ثُمَّ دَعَتْ بِالْغَدَاءِ فَاتَى بِأَلْوَانِ الْأَطْعَمَةِ وَأَنْوَاعِ مِنَ الْفَاكِهَةِ . ثُمَّ قَالَتْ : لَوْلَا شَتَاةُ مَجْلِسِنَا لَكَانَ الشَّرَابُ مُعَدّاً وَلَكِنْ اللَّيْلُ بَيْنَنَا . فَلَمْ يَزَالُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ بِأَطْيَبِ مَجْلِسٍ وَأَحْسَنِ حَدِيثٍ . فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ دَعَتْ بِالشَّرَابِ وَدَعَتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَعْدَ ، وَأَخَذَتْ هِيَ عَوْداً فَضَرَيْتُ ، ثُمَّ قَالَتْ : اضْرِبُوا فَضَرَبُوا عَلَيْهَا بِضَرْبٍ وَاحِدٍ ، وَغَنَّتْ بِشَعْرِ امْرَأَةِ الْقَيْسِ :

أَذْكُرْتُ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيدَا
تَذَكَّرْتُ هَنداً وَأَتْرَافَهَا وَأَيَّامَ كُنْتُ لَهَا مُسْتَقِيدَا³
وَيُعْجِبُكَ اللَّهُوُ وَالْمُسْمِعَاتُ فَأَصْبَحْتَ أَزْمَعْتَ مِنْهَا صُدُودَا
وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا⁴

فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَتْ : تَغَنُّوا جَمِيعاً بِلَحْنٍ وَاحِدٍ ؛ فَغَنُّوْهَا هَذَا الشَّعْرَ وَالصَّوْتَ بَعَيْنِهِ كَمَا غَنَّتْهُ . وَعَلِمَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَتْ بِهَذَا الشَّعْرِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : جُعِلَتْ فِدَاكِ ؛ نَرَجُو أَنْ يَدُومَ مَجْلِسُنَا ، وَيُؤَوِّزَ أَصْحَابُنَا الْمَقَامَ بِالْمَدِينَةِ فَنُؤَاسِيَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا نَمْلِكُهُ . قَالَ أَبُو عَبَّادَ : وَكَيْفَ بِذَاكَ ؟ . فَبَاتُوا بِأَنَعَمِ لَيْلَةٍ وَأَحْسَنَهَا . قَالَ إِسْحَاقُ قَالَ أَبِي قَالَ

1 الرائح : يعني السحاب الذي يأتي بالعشي ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشي . المتحلَّب : المتساقط المتتابع .

2 المفرك : الذي تبغضه النساء .

3 استقاد له : أعطاه مقادته أي أطاعه وذلَّ له .

4 أوجهه : شرفه وجعله وجهياً .

لي يونس : قال أبو عبّاد : لا أعرف يوماً واحداً منذُ عَقَلْتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيره مثل ذلك اليوم ، ولا أحسبه يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركنا نحن مثل ذلك اليوم ولا بلغنا . قال إسحاق : ولا أنا ، ولا أحسب ذلك اليوم يكون بعدُ .

[زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه]

وحدّثني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عبّاد : أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبقتُ الناسَ إليها ، فإذا مجلسُها غاصٌّ ؛ فسألتها أن تُعلّمني شيئاً ؛ فقالت لي : إنّ غيرك قد سبقك ولا يعجلُ تقديمك على مَنْ سواك . فقلتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ إلى متى تفرّغين مِنّ سبقتي ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يسئلك ويسعهم . فبينما نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر ، وإنّه لأوّل يومٍ رأيته وآخره وكنْتُ صغيراً كَيِّساً ، وكانت جميلةً شديدةَ الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقّته وقبّلت رجله ويديه ، وجلس في صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحوّق أصحابه حَوْلَه ، وأشارت إلى مَنْ عندها بالانصراف ، وتفرّق الناس ، وغمزتني أن لا أبرحُ فأقامتُ . وقالت : يا سيدي وسيّد آبائي وموالي ، كيف نشيطتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أمّتك ؟ قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتَ على نفسك ألاّ تغني أحداً إلّا في منزلك ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فسيحاً . قالت : جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ فأنا أصيرُ إليك وأكفر . قال : لا أكلفك ذلك ، وبلغني أنّك تُغنين بيتين لامرئ القيس تُجيدان الغناء فيهما ، وكان الله أنقذَ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيدي نعم ؛ فاندفعتُ تغني فغنّت بعودها ، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء ؛ فسبح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه . وهما :

ولما رأت أنّ الشريعةَ همُّها وأنّ البياضَ من فرائصها دامي¹
تيمّمت العينَ التي عند ضارجٍ يقيء عليها الظلُّ عَرْمَضُها طامي²

[حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلّوا الطريق]

ولابن مسجّح في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ، فلما فرغتُ قالت جميلة : أي سيدي أزيدك ؟ قال : حسبي . فقال بعضُ مَنْ كان معه : بأيّ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ وكيف أنقذَ الله من المسلمين جماعةً بهذين البيتين ؟ قال : نعم ، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبي ﷺ فضلّوا الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقديرون على الماء ، وجعل الرجلُ منهم

1 الشريعة : مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب .

2 ضارج : موضع في بلاد بني عبس . العرمض : الطحلب .

يَسْتَنْدِرِي¹ بَفْيَاءِ السَّرِّ وَالطَّلَحِ يَأْتِساً مِنَ الْحَيَاةِ ، إِذْ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هُمُّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي

فَقَالَ الرَّاكِبُ : مَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : امْرُؤُ الْقَيْسِ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبَ ؛ هَذَا ضَارِجٌ عِنْدَكُمْ ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَيْهِ ؛ فَجَبَّوْا عَلَى الرَّكْبِ فَإِذَا مَا عَذَبٌ وَإِذَا عَلَيْهِ الْعَرْمَضُ وَالظِّلُّ يَفِيءُ عَلَيْهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ رِيْهِمْ وَحَمَلُوا مَا اكْتَفَوْا بِهِ حَتَّى بَلَغُوا الْمَاءَ ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْيَاَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَأَنْشَدُوهُ الشَّعْرَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَلِكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا ، مَنْسِيٌّ فِي الْآخِرَةِ خَامِلٌ فِيهَا ، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ لَوَاءٌ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ » . فَكُلُّهُ اسْتَحْسَنَ الْحَدِيثَ . وَنَهَضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَنَهَضَ الْقَوْمُ مَعَهُ . فَمَا رَأَيْتُ مُجْلِساً كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ .

[سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدم امرأ القيس]

قَالَ إِسْحَاقُ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ دَعْفَلًا النَّسَابَةَ يَحْدُثُ أَنَّهُ رَأَى الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ : امْرُؤُ الْقَيْسِ سَابَقَهُمْ خَسَفَ لَهُمْ عَيْنَ الشَّعْرِ فَافْتَقَرَ عَنْ مَعَانِي غُورٍ أَصَحَّ بَصَرًا . قَالَ إِسْحَاقُ : مَعْنَى خَسَفَ : احْتَفَرَ . وَهُوَ مِنْ كِنْدَةٍ مِنَ الْيَمَنِ ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ فَصَاحَةٌ مُضَرٌّ ، وَلَا شَعْرُهُمْ بِجَيِّدٍ . فَجَعَلَ مَعَانِي الْيَمَنِ غُورًا وَمَا قَالَهُ : أَصَحَّ بَصَرًا أَيُّ أَجْوَدَ شَعْرًا . وَمَعْنَى افْتَقَرَ : احْتَفَرَ . وَالْفَقِيرَةُ : الْحَفِيرَةُ تُحْفَرُ لِلْفَسِيلَةِ لَتَغْرَسَ . وَكُلُّ مَا ابْتَدَأَتْ حَفَرَهُ فَهُوَ فَقِيرٌ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَالَ شَعْرًا جَيِّدًا وَلَيْسَ هُوَ فِي مَعْنَى شَعْرِ مُضَرٍّ .

[حديث جرير عن طرفة وامرئ القيس وزهير وذو الرمة]

وَقَالَ عُمَارَةُ بْنُ عُقِيلٍ بْنُ بِلَالٍ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ الْخَطَفِيِّ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : دَخَلَ جَدِّي عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ ؛ فَقَالَ : أَلَا تَخْبِرُنِي عَنِ الشُّعْرَاءِ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : ابْنُ الْعَشْرِينَ (يَعْنِي طَرْفَةَ) . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ ؟ قَالَ : اتَّخَذَ الْخَبِيثُ الشَّعْرَ نَعْلَيْنِ ، فَأَقْسِمَ بِاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَفَعْتُ لَهُ ذَلَالَتَهُ² . قَالَ : فَمَا رَأَيْتُكَ فِي ابْنِ أَبِي سُلَمَى ؟ قَالَ : كَانَ يَزِيرِي الشَّعْرَ . قَالَ : فَمَا رَأَيْتُكَ فِي ذِي الرُّمَّةِ ؟ قَالَ : قَدَّرَ مِنْ طَرِيفِ الْكَلَامِ وَغَرِيهِ وَحَسَنِهِ عَلَى مَا

1 يستندري : يستظل .

2 الذلال : أسافل القميص الطويل ، الواحد ذلذل .

لم يقدر عليه أحد حتى صَنَّف الشعر¹ .

[زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية عن رجل من الأنصار قال : زار معبدًا مالك بن أبي السَّمْح ؛ فقال له : هل لك أن نصير إلى جميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصدها ؛ فأذِنَتْ لهما فدخلَا ، فأخرجتُ إليهما رُقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بعث بهذه الرقعة إلي فلان أغني فيها . فقال معبد : فابتدئي ؛ فابتدأتُ جميلة فغنَّت : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنما الذَّلْفَاءُ هُمِّي فليدعني من يُلومُ

فغنَّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أحسنُ الناسِ جميعاً حينَ تمشي وتقوم

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حَبِّ الذَّلْفَاءِ عندي منطِقٌ منها رَخِيمُ

فغنَّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أصيلُ الحبلَ لترضى وهي للحبل صرُومُ

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حُبُّها في القلبِ داءٌ مستكنٌ لا يَريمُ

طريقة واحدة . الشعر للأخوص . وذكر ابنُ النطاح أنَّه للبخترِي العبادي . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسَّباية في مجرى البِنْصر عن ابنِ المَكِّي ، وثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر أحمدُ بن سَعِيد المالكِي أنَّ له فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ آخر . وذكر حمَّاد بن إسحاق أنَّ فيه لمالكٍ وجميلةً لحنين . وقالت لمعبد ولمالك : يغني كل واحد منكما لحناً ممَّا عمله . فغناها معبدُ بشعر قاله فيها الأخوصُ يصفها به ، وكان مُعجَباً بها ، وكانت هي له مُكرِّمة ، وهو قوله :

شأتكَ النازلُ بالأبرقِ دوارسَ كالعين في المَهْرَقِ

لآلِ جميلةٍ قد أخلقتُ ومهما يَطُلُ عهده يُخلِقِ

فإن يقل الناسُ لي عاشقٌ فأين الذي هو لم يَعشَقِ

وَلَمْ يَبْكْ نُوباً عَلَى عُبْرَةٍ بَدَاءِ الصَّبَابَةِ وَالْمَعْلُوقِ

في هذه الأبيات ثقیلٌ أوَّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى ، ذكر إسحاق أنه لَعَطَرْدُ ، وذكر ابن المَكِّي أنه لَجَمِيلَةٌ . وفيها خفيفٌ رملٍ بالوسطى في مَجْرَاهَا ، ذكر إسحاق أنه لَعَطَرْدُ أيضاً وعمرو ، وذكر الهشامي أن الثقیل الأول لابن عائشة . وذكر حَبَشُ أن فيه خفيفَ ثقیلٍ لمُعَبَّدٍ وأنَّ خفيفَ الرَّمْلِ للمالك . قال معبد : فَسَرْتُ جَمِيلَةً بما غَيَّبْتُهَا به وتَبَسَّمْتُ وقالت : حَسْبُكَ يَا أَبَا عِبَادٍ ! ولم تَكُنِّي قَبْلَهَا ولا بَعْدَهَا . ثم قالت للمالك : يَا أَخَا طَبِيعٍ هَاتِ مَا عِنْدَكَ وَجَنِّبْنَا مِثْلَ قَوْلِ عُبْدِ بْنِ قَطَنِ¹ ؛ فاندفع وَغْنِي بِلَحْنٍ لَهَا ، وقد تَغْنَى به أيضاً معبدٌ لَهَا . واللحنُ : [من الطويل]

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفْقُ فَالتَعَزِّيْ عَنْ بُثِينَةَ أَجْمَلُ
فَمَا هَكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
فَإِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِماً وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ

لَحْنٌ جَمِيلَةٌ هَكَذَا ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبصير . وفيه ألحانٌ عِدَّةٌ مع أبياتٍ أُخَرُ من القصيدة ، وهي لَجَمِيلٍ . فقالت جميلة : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ فِي غَنَائِكَ وَفِي الْأَدَاءِ عَنِّي . أَمَّا قَوْلُهُ : «سَأَتُكَ» فَأَرَادَ بَعُدْتُ عَنْكَ . وَالشَّأُو : البعد ، يقال : جَرَى الْفَرَسُ شَأُوًّا أَوْ شَأُوَيْنِ أَيْ طَلَقًا أَوْ طَلَقَيْنِ . وَالْمُهْرَقُ : الصحيفة بما فيها من الكتاب ، والجمع مَهَارِقُ ؛ قال ذو الرِّمَّة : [من الطويل]

كُمُسْتَعِيرٍ فِي رَسْمِ دَارٍ كَانَتْهَا بَوَعَسَاءَ تَنْضُوهَا الْجَمَاهِيرُ مُهْرَقُ²

[الذلفاء التي شَبَّ بها الأُحوصُ]

وَالْعَيْنُ أَنْ تَتَعَيَّنَ الْإِدَاوَةُ أَوْ الْقَرْبَةُ الَّتِي تُخَرَزُ وَيَسِيلُ الْمَاءُ عَنْ عَيُونِ الْخَرَزِ . فَشَبَّهَ مَا بَقِيَ مِنَ الدَّارِ بِتَعَيَّنِ الْقَرْبَةِ وَطَرَائِقِ خُرُوقِهَا الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا الْمَاءُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ . فَأَمَّا الذَّلْفَاءُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا فَهِيَ الَّتِي تُفْتَنُ بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ . وَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ مَا طَلَّقَهَا : [من البسيط]

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي دَارٍ عَدَدْتُ بِهَا طَلَاقَ ذَلْفَاءٍ مِنْ دَارٍ وَمِنْ بَلَدٍ
فَلَا يَقُولُنْ ثَلَاثاً قَائِلٌ أَبْدأُ إِنِّي وَجَدْتُ ثَلَاثاً أَنْكَدَ الْعَدَدِ
فَكَانَ إِذَا عَدَّ شَيْئاً يَقُولُ : وَاحِدٌ اثْنَانِ أَرْبَعَةٌ وَلَا يَقُولُ ثَلَاثَةٌ .

[حديث بُثِينَةُ لَهَا عَنْ عَفَّةَ جَمِيلٍ وَعَنْ حَالِهَا مَا سَمِعَتْ نَعِيَهُ]

وقالت جميلة : حَدَّثَنِي بُثِينَةُ ، وَكَانَتْ صَدُوقَةَ اللِّسَانِ جَمَلَةَ الْوَجْهِ حَسَنَةَ الْبَيَانِ عَفِيفَةً الْبَطْنِ وَالْفَرَجِ ؛ قالت : وَاللَّهِ مَا أَرَادَنِي جَمِيلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بَرِيَّةٌ قَطُّ وَلَا حَدَّثْتُ أَنَا نَفْسِي بِذَلِكَ

1 تعني معبدًا ، إذ هو مولى ابن قطن .

2 الوعساء : الرملة اللينة . الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع .

منه . وإنَّ الحَيَّ انتجعوا موضعاً ، وإنِّي لفي هَوْدَجٍ لي أُسِيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِدُ أَيْتَاتاً ، فلم أتمالكُ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحَيِّ ينظرون ، فبقيتُ أطلبُ المُنْشِدَ فلم أَقِفْ عليه ، فناديتُ : أَيُّهَا الهاتفُ بشعر جميل ما ورائكُ منه ؟ وأنا أحسبه قد قضى نَحْبَهُ ومضى لسبيله ، فلم يُجِبْنِي مُجِيبٌ ؛ فناديتُ ثلاثاً ، وفي كلِّ ذلك لا يردُّ عليَّ أحدٌ شيئاً . فقال صَوَاحِبَاتِي : أَصَابِكِ يَا بُثَيْنَةَ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ؟ فقلتُ : كَلَّا ! لقد سمعتُ قائلاً يقول ؛ قُلْنَ : نحن معك ولم نسمعْ ؛ فرجعتُ فركبتُ مطبَّتي وأنا حَيْرَى والهةُ العقلُ كاسفةُ البال ، ثم سرنا . فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتَفُ بِذلك الشعر بعينه ، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت ، فلما قُرِبتُ منه انقطع ؛ فقلتُ : أَيُّهَا الهاتفُ ، ارحمَ حَيْرَتِي وسكُنْ غَيْرَتِي بخبر هذه الأيَّاتِ ؛ فإن لها شأنًا ! فلم يردِّ عليَّ شيئاً . فرجعتُ إلى رَحْلي فركبتُ وسِرْتُ وأنا ذاهبةُ العقل ؛ وفي كلِّ ذلك لا يُخْبِرُنِي صَوَاحِبَاتِي أَنَّهُنَّ سَمِعْنَ شيئاً . فلما كانت اللَّيْلَةُ الْقَابِلَةُ نزلنا وأخذ الحَيُّ مضاجعتهم ونامت كلُّ عين ، فإذا الهاتفُ يَهْتِفُ بي ويقول : يَا بُثَيْنَةَ ، أَقْبِلِي إِلَيَّ أَنَبْتُكَ عَمَّا تَريدين . فأقبلتُ نحو الصوت ، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحَيِّ ، فسألته عن اسمه وَيَّتِهِ . فقال : دَعِي هذا وخِذِي فيما هو أهمُّ عليك¹ . فقلتُ له : وإن هذا لِمِمَّا يَهْمُنِي . قال : اقْنَعِي بما قلتُ لك . قلتُ له : أنت المنشدُ الأيَّاتِ ؟ قال نعم . قلتُ : فما خيرُ جميل ؟ قال : نعمَ فارقتُه وقد قضى نَحْبَهُ وصار إلى حُفْرَتِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عليه . فصَرَخْتُ صَرَخَةً أَذْنْتُ مِنْهَا الحَيَّ ، وسقطتُ لوجهي فَأَغْمِي عليَّ ، فكان صوتي لم يسمعه أحد ، وبقيتُ سائرَ ليلتي ، ثم أَقَفْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ، ورفعتُ صوتي بالعويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُك وما شأنُك ؟ فقَصَصْتُ عليهم القِصَّةَ . فقالوا : يَرْحَمُ اللَّهُ جميلاً . واجتمع نساءُ الحَيِّ وأنشدنَّ الأيَّاتِ فَأَسْعَدَنَنِي بالبكاء ، فأقمنَ كذلك لا يفارقنني ثلاثاً ، وتحزنُ الرجالُ أيضاً وبكواً ورثوه وقالوا كلُّهم : يَرْحَمُهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ عَظِيفاً صَدُوقاً ! فلم أَكْتَحِلْ بعده بِإِثْمٍ ولا فرقتُ رأسي بِمَخِيطٍ ولا مُشْطٍ ولا دهنته إلا من صُدَاعٍ خِفْتُ على بَصَرِي منه ولا لِبِسْتُ خِمَاراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزالُ أَبْكِيهِ إلى الممات . قالت جميلة : فَأَنشَدْتَنِي الشَّعْرَ كُلَّهُ وهذا الغناءُ بعضُهُ ، وهو :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفَقُ فَالتَعَزُّي عَنْ بُثَيْنَةَ أَجْمَلُ

[مدحها ابن سريج فردت عليه مدحاً]

قال ابن سلام حدثني جرير قال : زار ابنُ سُرَيْجٍ جميلةَ لِيَسْمَعَ منها ويأخذَ عنها .

1 أي فيما هو أجدى عليك .

فلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهَا أَنْزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ وَسَأَلَتْهُ عَنْ أَخْبَارِ مَكَّةَ فَأَخْبَرَهَا . وَبَلَغَ مَعْبَدًا الْخَبِيرُ .
[وَكَانَتْ تُطَارِحُهُ وَتَسْأَلُهُ عَنْ أَخْبَارِ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهَا] . وَكَانَتْ عِنْدَهَا جَارِيَةٌ مُحْسِنَةٌ لَبِيقَةٌ
ظَرِيفَةٌ ، فَابْتَدَأَتْ تُطَارِحُهَا . فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ ؛ نَحْنُ كُنَّا أَحَقُّ بِالْإِبْتِدَاءِ .
قَالَتْ جَمِيلَةٌ : كُلُّ إِنْسَانٍ فِي بَيْتِهِ أَمِيرٌ وَلَيْسَ لِلدَّخَلِ أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِ . فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ :
صَدَقَتْ جُعَلْتَ فِدَاءُكَ ؛ وَمَا أَذْرِي أَيُّهُمَا أَحْسَنُ أَدْبُكَ أَمْ غَنَاؤُكَ ! . فَقَالَتْ لَهُ : كُفْ يَا
عَبِيدُ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « احْثُوا فِي وَجْهِهِ الْمَدَاحِينَ التَّرَابَ » . فَسَكَتَ ابْنُ سُرَيْجٍ .
وَطَارَحَتْ الْجَارِيَةُ بِشَعْرِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ :

أَتَعْرِفُ آثَارَ الدِّيارِ تَوْهُمَا كَخَطِّكَ فِي رَقٍّ كِتَابًا مُنَمَّنَا
أَذَاعَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ أَنْيَسِهَا شَهْرًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجْرَمًا¹
فَأَصْبَحْنَ قَدْ غَيَّرْنَ ظَاهَرَ تَرْبِهِ وَغَيَّرْنَ الْأَنْوَاءَ مَا كَانَ مَعْلَمًا
وغيرها طولُ التقادُمِ والبَلَى فَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ إِلَّا تَوْهُمَا
قال : فَحَدَّثْتُ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ جَمَاعَةٌ مِنْ حُدَّاقِ أَهْلِ الْغِنَاءِ ، فَكَلَّمَهُمْ قَالَ : مَزَامِيرُ
دَاوُدَ ! . قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ لَهَا : أَفَأَسْمِعُكَ صَوْتًا لِي فِي هَذَا الشَّعْرِ ؟ قَالَتْ : هَاتِهِ ؛ فَغَنَى : [من الطويل]

دِيَارِ الَّتِي قَامَتْ تَرْبُكَ وَقَدْ عَفَتْ وَأَقْوَتْ مِنَ الزُّوَّارِ كَفًّا وَمِغْصَمًا
تَهَادَى عَلَيْهَا حَلْيُهَا ذَاتَ بَهْجَةٍ وَكَشَحًا كَطَيِّ السَّابِرَةِ أَهْضَمًا²
فَبَانَتْ لَطَافَاتُهَا وَتَبَدَّلَتْ بِهِ بَدَلًا مَرَّتْ بِهِ الطَّيْرُ أَشْوَمًا³
وَعَادِلَتَانِ هَبَّتَا بَعْدَ هَجْعَةٍ تَلُومَانِ مِتْلَفًا مُفِيدًا مَلُومًا
قَالَتْ جَمِيلَةٌ : أَحْسَنْتَ يَا عَبِيدُ ، وَقَدْ غَفَرْنَا لَكَ زَلَّتْكَ لِحْسَنُ غَنَائِكَ . قَالَ مَعْبَدُ : جُعَلْتَ
فِدَاءُكَ ؛ أَفَلَا أَسْمِعُكَ أَنَا أَيْضًا لِحْنًا عَمَلْتُهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ ؟ قَالَتْ : هَاتِ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكَ
تُحْسِنُ . فَانْدَفَعَ فَغَنَى :

فَقُلْتُ وَقَدْ طَالَ الْعِتَابُ عَلَيْهِمَا وَأَوْعَدْتَانِي أَنْ تَبَيَّنَا وَتَصْرِمَا
أَلَا لَا تَلُومَانِي عَلَى مَا تَقَدَّمَا كَفَى بِصُرُوفِ الدَّهْرِ لِلْمَرْءِ مُحْكِمًا
تَلُومَانِ لِمَا غَوَّرَ النِّجْمُ ضَلَّةً فَتَى لَا يَرَى الْإِنْفَاقَ فِي الْحَقِّ مَعْرَمًا

1 حولًا مجرمًا : تامةً كاملاً .

2 السابرية : الثياب الرقيقة . الأهضم : اللطيف الكشع .

3 لطافات : ل : لآيات .

قالت جميلة : ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها . قال مالك :
أفلا أغنيك أنا أيضاً ؟ قالت : ما علمتك إلا تجيد الغناء وتحسين ، فهات . فاندفع فغنى في
هذا الشعر :

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسماً¹
إذا انقلبت فوق الحشية مرة ترنم وسواس الحلي ترنماً²
ونحراً كفائور اللجين يزينه توقد ياقوت وشذر منظماً³
كجمر الغضى هبت به بعد هجعة من الليل أرواح الصبا فتنسماً

فقالت : جميل ما قلت وحسن ما نظمت ، وإن صوتك يا مالك ليمّا يزيد العقل قوة
والنفس طيباً والطبيعة سهولة ، وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علماً وفي آخر الزمان
متواصفاً ؛ والخبر ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين وخاصة في الغناء .
[زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص ففتهم]

وحدثني الحسن بن عتبة اللهي قال حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة
والأحوص بن محمد الأنصاري ، وقد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم ، فلما جلسوا
سألت عمر وأخفت ؛ فقال لها : إني قصدتك من مكة للسلام عليك . فقالت له : أهل الفضل
أنت . قال : وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك ؛ قالت : أفعل . قال لها
الأحوص : أحب ألا تغني إلا ما أسألك . قالت : ليس المجلس لك ، والقوم شركاؤك فيه . قال :
أجل . قال عمر : إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن . قال الأحوص : كلاً . قال عمر : فإني أرى أن
نجعل الخيار إليها . قال ابن أبي عتيق : وفقك الله . فدعت بالعود وغنت :

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً مشي النريف المخور في الصعد⁴
تظل من زور بيت جاريتها واضعة كفها على الكبد
يا من لقلب متيم سديم عان رهين مكلم كمد⁵

1 الخصاص : المنافذ .

2 انقلبت في ل : انصرفت .

3 الفائور : الخوان الذي يتخذ من فضة ، وبه يشبه الصدر الواسع . الشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل بين الجواهر في النظم .

4 تمشي فضلاً : أي تمشي متبذلة في ثوب واحد . النزيف : السكران .

5 السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلم : المجرح .

أَزْجُرُهُ وَهُوَ غَيْرُ مُزْدَجِرٍ عَنْهَا وَطَرَفِي مَكْحَلُ السَّهْدِ
 فَلَقَدْ سَمِعْتُ لِلْبَيْتِ زَلْزَلَةً وَلِلدَّارِ هَمَّهُمَّةٌ . فَقَالَ عَمْرُ : اللَّهُ ذَرُّكَ يَا جَمِيلَةَ ! مَاذَا
 أُعْطِيتِ ؟ أَنْتِ أَوَّلُ الْغَنَاءِ وَآخِرُهُ ؛ ثُمَّ سَكَتَتْ سَاعَةً وَأَخَذُوا فِي الْحَدِيثِ ، ثُمَّ أَخَذَتْ الْعَوْدَ
 وَغَنَتْ :

شَطَطْتُ سَعَادُ وَأَمْسَى الْبَيْنُ قَدْ أَفْدا
 وَأُورَثُوكَ سَقَاماً يَصْدَعُ الْكَبْدَا
 لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا هَجْراً وَلَا تِرَةً
 وَلَا تَزَالُ أَحَادِيثِي بِهَا جُلْدَا

الغناء فيه لسياطٍ خفيفٌ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن
 جَمِيلَةَ . وذكر إبراهيمُ أَنَّ فِيهِ لَحْناً لِحْكَمِ الْوَادِي . وذكر الهشاميُّ وابن خُرْداذبِه أَنَّهُ مِنَ الْخَانَ
 عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فِي سَعَادٍ وَأَنَّ طَرِيقَتَهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي بِالْوَاسِطِي . وذكر إبراهيمُ أَنَّ
 لَابْنَ جَامِعٍ فِيهِ أَيْضاً صَنْعَةٌ ، فَاسْتَخَفَّ الْقَوْمُ أَجْمَعِينَ ، وَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ وَفَحَّصُوا بِأَرْجُلِهِمْ
 وَحَرَّكُوا رُؤُوسَهُمْ ، وَقَالُوا : نَحْنُ فِدَاؤُكَ مِنَ السُّوءِ وَوِقَاؤُكَ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، مَا أَحْسَنَ مَا غَنَيْتِ
 وَأَجْمَلَ مَا قُلْتِ ! . وَأَحْضِرِ الْغَدَاءَ فَتَغْذِي الْقَوْمَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الْحَارَّةِ وَالْبَارِدَةِ وَمِنَ الْفَاكِهَةِ
 الرُّطْبَةِ وَالْيَابِسَةِ ، ثُمَّ دَعَتْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَشْرِبَةِ . فَقَالَ عَمْرُ : لَا أَشْرَبُ ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ مِثْلَ
 ذَلِكَ ؛ فَقَالَ الْأَحْوَصُ : لَكُنِّي أَشْرَبُ ؛ وَمَا جَزَاءُ جَمِيلَةَ أَنْ يُمْتَنَعَ مِنْ شَرَابِهَا ؟ . قَالَ عَمْرُ :
 لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا ظَنَنْتَهُ . قَالَتْ جَمِيلَةُ : مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْمِلَنِي بِنَفْسِهِ وَيَخْلِطَ رُوحِي بِرُوحِهِ شَكَرَنَاهُ ،
 وَمَنْ أَبَى ذَلِكَ عَذَرَنَاهُ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا يَرِيدُ مِنْ قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْأَنْسَ بِمَحَادِثِهِ . قَالَ
 ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : مَا يَحْسُنُ بِنَا إِلَّا مُسَاعَدَتُكَ . قَالَ عَمْرُ : لَا أَكُونُ أَحْسَنَكُمْ ، افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
 تَجِدُونِي سَمِيعاً مُطِيعاً . فَشَرِبَ الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ . فَغَنَّتْ صَوْتاً بِشَعْرِ لَعْمَرِ :

وَلَقَدْ قَالَتْ لِحَارَاتٍ لَهَا كَأَلْهَا يَلْبَعْنُ فِي حُجْرَتِهَا
 خَذَنَ عَنِّي الظِّلَّ لَا يَتْبَعُنِي وَمَضَتْ تَسْعَى إِلَى قُبَّتِهَا
 لَمْ تُعَانِقْ رَجُلًا فِيمَا مَضَى طَفْلَةٌ غَيْدَاءُ فِي حُلَّتِهَا
 لَمْ يَطِشْ قَطُّ لَهَا سَهْمٌ وَمَنْ تَرَمَهُ لَا يَنْجُ مِنْ رَمِيَّتِهَا

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت . وذكر الهشاميُّ أَنَّ فِيهِ لَابْنَ الْمَكِّيِّ رَمَلاً بِالْبَنْصَرِ .
 وذكر علي بن يحيى أَنَّ فِيهِ لَابْنَ سُرَيْجٍ رَمَلاً بِالْوَاسِطِي . فصاح عَمْرُ : وَيْلَاهُ ! وَيْلَاهُ ! ثَلَاثًا ثُمَّ
 عَمَدَ إِلَى جَيْبٍ قَمِيصِهِ فَشَقَّهُ إِلَى أَسْفَلِهِ فَصَارَ قَبَاءً ، ثُمَّ آبَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَنَدِمَ وَاعْتَذَرَ وَقَالَ : لَمْ
 أَمْلِكْ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً . قَالَ الْقَوْمُ : قَدْ أَصَابْنَا كَالَّذِي أَصَابَكَ وَأَغْمَى عَلَيْنَا ، غَيْرَ أَنَّا فَارِقْنَاكَ فِي

تخريق الثياب . فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر ، فقبلها ولبسها ، وانصرف القوم إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق ، فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبلتها جميلة . وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً .
[حجّت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات]

قال إسحاق وحدثني أبي عن سباط وابن جامع عن يونس قال : حجّت جميلة ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي عن سباط وابن جامع عن يونس الكاتب ، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قالوا جميعاً : إنّ جميلة حجّت ، وقد جمعت رواياتهم لتقاربها ، وأحسب الخبر كله مصنوعاً وذلك بين فيه ، فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الخذاق بالغناء هيث وطويس والدلال ويرد القواد ونومة الضحى وفند ورحمة وهبة الله ، هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء ، ومعبّد ومالك وابن عائشة ونايف بن طنبورة وبديع المليح ونايف الخير ، ومن المغنيات الفرهة [و] عزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعقيلة والشماسية وفرعة وببللة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ، ومن غير المغنين ابن أبي عتيق والأخوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الأشراف ، وكذلك من النساء من موالها وغيرهن . وأمّا سباط فذكر أنّه حجّ معها من القيان مشيعات لها ومعظمت لقدرها ولحفا زهاء خمسين قينة ، وجه بهن موالهنّ معها فأعطوهنّ النفقات وحملوهنّ على الإبل في الهوداج والقياب وغير ذلك ؛ فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهنّ درهماً فما فوقه حتى رجعن . وأمّا يونس فذكر أنّه حجّ معها من الرجال المغنين مع من سمينا زهاء ثلاثين رجلاً ، وتخيروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهوداج والقياب . وقيل ، فيما قال أهل المدينة : إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سقراً طيباً وحسناً وملاحة . قالوا : ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسبح وابن سريج والغريض وابن محرز والهدثيون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير لم يسمين لنا ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف . فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم . فلما قضت حجّها سألتها المكيون أن تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جدّاً بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء . فقال عمر بن أبي ربيعة :

أَقْسَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ لَاسْتِمَاعِ غَنَائِهَا إِلَّا خَرَجَ مَعَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَإِنِّي خَارِجٌ .
فَعَزَمَ الْقَوْمُ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِّنْ نَّشِيطٍ ، فَخَرَجْتُ فِي جَمْعٍ
أَكْثَرَ مِنْ جَمْعِهَا بِالْمَدِينَةِ . فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةُ تَلَقَّاهَا أَهْلُهَا وَأَشْرَافُهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،
فَدَخَلْتُ أَحْسَنَ مِمَّا خَرَجْتُ بِهِ مِنْهَا ، وَخَرَجَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مِنْ بَيْتِهِمْ فَوْقُوا عَلَى أَبْوَابِ
دُورِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَى جَمْعِهَا وَإِلَى الْقَادِمِينَ مَعَهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلَهَا وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ
وَنَزَلَ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَقَارِبِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ أَتَاهَا النَّاسُ مُسْلِمِينَ ، وَمَا اسْتَكْفَ مِنْ ذَلِكَ كَبِيرٌ وَلَا
صَغِيرٌ .

[وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج]

فَلَمَّا مَضَى لِمَقْدَمِهَا عَشْرَةُ أَيَّامٍ جَلَسْتُ لِلْغِنَاءِ ؛ فَقَالَتْ لِعَمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : إِنِّي جَالِسَةٌ
لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ ، وَإِذَا شِئْتَ فَعِدِ النَّاسَ لَذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَغَضَّتِ الدَّارَ بِالْأَشْرَافِ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ . فَابْتَدَأَتْ جَمِيلَةً فَغَنَّتْ صَوْتًا بِشَعْرِ عَمْرٍ :

هِيَهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا	إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنٍ
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا فَلَيْسَ لَنَا	إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحَزَنِ ¹
لَوْ أَنَّهُ أَبْصَرْتَ بِالْجِزْعِ عَبْرَتَهُ	وَقَدْ تَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنٍّ
إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَنْتَ بِصَاحِبِهَا	وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ عَكًَّا لَيْسَ مِنْ وَطَنِي ²
مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ يَوْمَ الْحَيْفِ مَوْقِفَهَا	وَمَوْفِيقِي وَكِلاَنَا ثُمَّ ذُو شَجَنِ
وَقَوْلَهَا لِلثَّرِيَّا وَهِيَ بَاكِئَةٌ	وَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ ذُو سُنَنِ
بِاللَّهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ	مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ نَعِمْتَ بِهَا	فَمَا أَصَبْتَ بِتَرْكِ الْحِجِّ مِنْ ثَمَنِ ³

فَكُلُّهُمْ اسْتَحْسَنَ الْغِنَاءَ ، وَضَجَّ الْقَوْمُ مِنْ حُسْنِ مَا سَمِعُوا . وَيَقَالُ : إِنَّهُمْ مَا سَمِعُوا غِنَاءَ
قَطٍّ أَحْسَنَ مِنْ غَنَائِهَا ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَدَمَعَتْ عَيْنُ عَمْرٍ حَتَّى جَرَى الدَّمْعُ عَلَى
ثِيَابِهِ وَلَحِيَّتِهِ . وَإِنَّهُ مَا رُئِيَ عَمْرٌ كَذَلِكَ فِي مَحْفَلٍ غَيْرِهِ قَطُّ .

[غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر]

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ فَقَالَتْ : هَاتِ ؛ فَاَنْدَفَعُ يَغْنِي وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِشَعْرِ

1 أجياد : موضع بمكة يلي الصفا .

2 عكا في ل : لحجا ، ولحج مخلاف باليمن .

3 نعمت في ل : ظفرت .

[من مجزوء الوافر]

عمر :

أَلَيْسَتْ بِالتّي قَالَتْ لَمَوْلَاةٍ لَهَا ظُهُرًا
أَشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحَوْنَا نَظَرًا
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزَيْبَ نَوَلِي عُمَرَا
وَهَذَا سِحْرُكَ النَّشْوَا نَ قَدْ خَبَّرْتَنِي الْخَبْرَا
فَسَمِعَ مِنْ ابْنِ سُرَيْجٍ فِي هَذَا اللَّحْنِ مِنَ الْحُسْنِ مَا يُقَالُ إِنَّهُ مَا سَمِعَ مِثْلَهُ .

[غناء ابن مسجح]

ثم قالت لسعيد بن مسجح : هاتِ يا أبا عثمان ؛ فاندفع فغنى :

[من الطويل]

قَدْ قُلْتُ قَبْلَ الْبَيِّنِ لَمَّا خَشِيتُهُ لَتَعْقِبَ وَدًّا أَوْ لَتَعْلَمَ مَا عِنْدِي
لَكَ الْخَيْرُ هَلْ مِنْ مَصْدَرٍ تَصْدُرِيهِ يُرِيحُ كَمَا سَهَّلْتَ لِي سَبْلَ الْوَرْدِ
فَلَمَّا شَكُوتُ الْحُبَّ صَدَدْتُ كَأَنَّمَا شَكُوتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى حَجَرٍ صَلَدِ
تَوَلَّيْتُ فَأَبْدَتُ غُلَّةً دُونَ نَقْعِهَا كَمَا أَرَصَدْتُ مِنْ بُخْلِهَا إِذْ بَدَأَ وَجْدِي

[غناء معبد]

فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هاتِ ؛ فغنى :

[من الطويل]

أَحَارِبُ مَنْ حَارِبَتْ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأُخِيسَ مَالِي إِنْ غَرِمْتَ فَأَغْفِلُ¹
وَأَنِّي أَخْوَكُ الدَّائِمُ الْعَهْدِ لَمْ أَحُلْ إِنْ أَبْرَكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَاكَ مَنْزِلُ²
سَتَقَطَّعَ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

قالت جميلة : أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء ، هذا الشعر لمعن بن أوس . ثم قالت : هاتِ يا ابن مُحَرِّز ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخِرْكَ لِحَسَاسَةٍ بِكَ وَلَا جَهْلًا بِالَّذِي يَجِبُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكَ تَحِبُّ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا أَوْسَطَهَا وَأَعَدَّلَهَا ، فَجَعَلْتُكَ حَيْثُ تَحِبُّ وَاسْطَةً بَيْنَ الْمَكِينِ وَالْمَدْنِيِّينَ . فغنى :

[من الطويل]

وَقَفْتُ بَرِّيعٍ قَدْ تَحْمَلُ آهْلُهُ فَأَذَرْتُ دُمْعًا يَسْبِقُ الطَّرْفَ هَامِلُهُ
بَسَائِلَةَ الرُّوحَاءِ أَوْ بَطْنِ مَثَرٍ لَهَا الضَّاحِكَاتُ الرَّايَاتُ سَوَاهِلُهُ³

1 يريد فأعقل عنه : يقال : عقل عنه إذا عزم ما لزمه من دية . وأما عقلته فمعناه دفعت ديته .

2 ابزأك خصم : يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك .

3 مَثَرٌ : ماء لجهينة .

هو الموتُ إِلَّا أَنْ للموتِ مدَّةٌ متى يَلْقَ يوماً فارِغاً فهو شاعِلُهُ
فَقالت جميلة : يا أبا الخطَّاب ، كيف بدا لك في ثلاثة وأنت لا ترى ذلك ؟ قال :
أحببتُ أن أُواسِيَ مَعْبِداً . قال معبدٌ : والله ما عَدَوْتُ ما أردت .
[غناء الغريض]

ثم قالت للغريض : هاتِ يا مَوْلَى العَبَلاتِ فاندفع يغني : [من الطويل]
فوا نَدَمي على الشَّبَابِ ووا نَدَمٌ نَدِمْتُ وبانَ اليومَ مِنِّي بغيرِ ذَمٍّ
وَإِذْ إخوتي حَوَّلِي وَإِذْ أنا شائخٌ وَإِذْ لا أُجِيبُ العاذلاتِ مِنَ الصَّمَمِ
أَرادتُ عِراَراً بالهَوانِ وَمِنْ يُرِذْ عِراَراً لَعَمْرِي بالهَوانِ فَقَدْ ظَلَمْتُ¹
قالت جميلة : أَحسَنَ عمرو بن شَأْسٍ ولم تُحَسِّنِ إِذْ أَفَسَدْتَ غِناءَكَ بالتعريض . والله ما
وَضَعْنَاكَ إِلَّا مَوْضِعَكَ ولا نَقَصْنَا مِنْ حَظِّكَ ؛ فبِمَاذا أَهْنَاكَ ! ثم أَقبلتُ على الجماعة فقالت : يا
هؤلاء ، اصدِّقوه وعَرِّفوه نفسَه لِيَقْنَعَ بمكانه . فَأقبل القومُ عليه وقالوا له : يا يزيد قد أَخْطأتَ إِنْ
كنتِ عَرَضْتِ . فقال : قد كان ذلك ، ولستُ بعائِدٍ . وقام إلى جميلة فقبلَ طَرَفَ ثوبها واعتذر
فقبلتُ عذرَه وقالت له : لا تَعُدْ .

[غناء ابن عائشة]

ثم أَقبلتُ على ابن عائشة فقالت : يا أبا جَعْفَرٍ هاتِ ؛ فَتَغَنَّى بِشعرِ النابغة : [من الطويل]
سَقَى الغيثُ قَبْراً يَبِ بَصْرَى وَجاسِمٍ عليه مِنَ الوَسْمِ جَوْدٌ وَوَابِلٌ²
وَأَبَتْ حَوْذاناً وَعَوْفاً مُنوراً سَأْتِبعُهُ مِنْ خَيْرِ ما قال قائلٌ³
بَكَى حارثُ الجَوْلانِ مِنْ هُلْكَ رُبِّهِ فَحَوْرانُ مِنْهُ خاشِعٌ مُتَضائلٌ⁴
وما كان يَبْنِي لو لَقِيتُكَ سالماً وَبَيْنَ الغِنَى إِلَّا لِيالٍ قلائِلٌ⁴

[غناء نافع وبديع]

قالت جميلة : حَسَنٌ ما قُلْتَ يا أبا جَعْفَرٍ . ثم أَقبلتُ على نافع وبُديع فقالت : أَجِبْ أَنْ
تَغْنِياني صوتاً واحداً ؛ فَغَنَّا جميعاً بصوتٍ واحدٍ وَلَحَنَ واحدٌ : [من الوافر]
أَلا يا مَنْ يَلُومُ على التصايي أَفِقْ شَيْئاً لتسمعَ مِنْ جِوايِ

1 عِراَ بن عمرو بن شَأْسٍ .

2 الشطر الأول في ل : فلا زال قبر بين بَشَى وجَلَقٍ . بصرى وجلق : موضعان .

3 الحوذان : نبت . العوف : نبت طَيِّب الرائحة .

4 هذا البيت من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بَكَرْتَ تَلُومُنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا وما في حبٍّ مثلي من معابٍ
أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكٍّ هَوَى متواصلين على اقترابٍ
كَرِيمٌ نَالٌ وَدَأً فِي عَقَافٍ وسترٍ من مُنْعَمَةٍ كَعَابٍ
فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : هَوَاكِ وَاللَّهِ وَاحِدٌ وَغَنَاؤُكِ وَاحِدٌ ، وَأَتَمَّا نُحِثُّمَا مِنْ بَقِيَّةِ الْكَرَمِ وَوَاحِدٍ
الشرف : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

[غناء الهذليين الثلاثة]

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى الْهَذَلِيِّينَ الثَّلَاثَةَ فَقَالَتْ : غَنُّوا صَوْتًا وَاحِدًا ؛ فَاَنْدَفَعُوا فَغَنُّوا بِشَعْرِ عَنْتَرَةِ
الْعَبْسِيِّ :

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدِهِ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ
كَيْفَ الْمَرَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بَعْنِزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِمِ¹
إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمْتُ رِكَابُكُمْ بَلِيلِ مُظْلَمٍ
شَرِبْتُ بَمَاءِ الدُّحْرَضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زُورَاءَ تَنْفَرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ²
[غناء نافع بن طنبورة]

قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بَغَنَائِكُمْ مِنْ اتِّفَاقٍ أَرْوَاحِكُمْ . ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى نَافِعِ بْنِ طَنْبُورَةَ
فَقَالَتْ : هَاتِ يَا نَقْشَ الْغَضَارِ³ وَيَا حَسَنَ اللِّسَانِ ؛ فَاَنْدَفَعَ يَغْنِي :

يَا طُولَ لَيْلِي وَبِتُّ لَمْ أَتُمْ وَسَادِيَّ الْهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِي
أَنْ قَمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ فَأُبْ صرْتُ رَقَاشًا وَلَيْتَ لَمْ أَقُمْ
[غناء مالك بن أبي السمع]

فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : حَسَنٌ وَاللَّهِ ، وَلابْنُ سُرَيْجٍ فِي هَذَا اللَّحْنِ أَرْبَعَةُ آيَاتٍ فِي صَوْتٍ ، ثُمَّ
قَالَتْ : يَا مَالِكُ هَاتِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخَرْكَ لِأَنَّكَ فِي طَبَقَةِ آخِرِهِمْ ، وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أُخَيِّمَ بِكَ
يَوْمَنَا تَبَرُّكًا بِكَ وَكَئِنْ يَكُونُ أَوَّلُ مَجْلِسِنَا كَأَخْرِهِ وَوَسَطُهُ كَطَرْفِهِ ، وَإِنَّكَ عِنْدِي وَمَعْبُدٌ لَفِي
طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَذْهَبٍ وَاحِدٍ ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ وَلَا يَنْكِرُهُ إِلَّا عَاضِلٌ . الْحَقُّ أَقُولُ ، فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُنْكِرْ ؛ فَسَكَتَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ إِقْرَارًا لِمَا قَالَتْ . وَانْدَفَعَ يَغْنِي :

[من الطويل]

1 الغيليم : موضع في ديار بني عبس .

2 الدحرضان : اسم موضع . وقيل هما وسيع ودحرض ، ماءان . الديلم : الأعداء .

3 الغضار : الطين اللازج الأخضر ، وهو لقب له .

عَدُوٌّ لَمَنْ عَادَتْ وَسَلِّمْ لَسَلْمِهَا وَمَنْ قَرِيتُ سَلَمَى أَحَبُّ وَقَرَّبَا
هَبْنِي امْرَأً إِمَّا بَرِيئاً ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئاً تَابَ بَعْدَ وَأَعْتَبَا
أَقُولُ التَّمَّاسَ الْعَذْرَ لَمَّا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْباً وَمَا كُنْتُ مُذْنِبَا
لِيَهْنُفَكَ إِشْمَاتُ الْعَدُوِّ بِهِجْرِنَا وَقَطَعُكَ حَبْلَ الْوَصْلِ حَتَّى تَقْضِبَا

قالت جميلة : ليت صوتك يا مالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقي خواصهم .

[اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس]

فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعاً . فقالت لطويس : هات يا أبا عبد النعيم . قال : فأنكر ما فعلت جميلة في اليوم الأول ؛ لأن طويساً لم يكن يرضى بذلك . فأخبرني ابني جامع أن جميلة صَنَفَتْهُمْ طويساً وأصحابه وابن سُرَيْج وأصحابه ، ثم أقرعت بينهم ؛ فخرجت القرعة الأولى لابن سُرَيْج وأصحابه والثانية لطويس وأصحابه . فابتدأ طويس فغنى :

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَعَادَ لِي طَرَبِي مِنْ حَبِّ خَوْدِ كَرِيمَةِ الْحَسَبِ
غَرَاءَ مِثْلَ الْهَلَالِ آنَسِي أَوْ مِثْلَ تِمثالِ صُورَةِ الذَّهَبِ
صَادَتْ فَوَادِي بِجِيدٍ مُغْزَلَةٍ تَرَعَى رِياضاً مُلْتَفَةً الْعُشْبِ¹

[غناء الدلال]

فقالت جميلة : حسن والله يا أبا عبد النعيم . ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ؛ فاندفع فغنى :

قَدْ كُنْتُ أَمَلُ فَيْكُمْ أَمَلًا وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِمَدْرَكٍ أَمَلُهُ
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْكُمْ خُلْفًا فَجَرَّتْ قَلْبِي فَارْعَوَى جَهْلُهُ
لَيْسَ الْفَتَى بِمُخْلَدٍ أَبَدًا حَيًّا وَلَيْسَ بِفَائِتٍ أَجَلُهُ
حَيُّ الْبُغُومِ وَمَنْ بَعَقَتْهَا وَقَفَا الْعَمُودُ وَإِنْ خَلَا أَهْلُهُ²

[غناء برد الفؤاد ونومة الضحى]

قالت : حسن والله يا أبا يزيد . ثم قالت لهيت : إِنَّا نُجِلُّكَ الْيَوْمَ لِكَبْرِ سِنِكَ وَرِقَّةَ عَظْمِكَ . قال : أَجَلُ يَا ماما . ثم قالت لبرد الفؤاد وَنُومَةُ الضُّحَى : هاتيا جميعاً لَحْنًا واحدًا ؛ فغنيا :

[من المتقارب]

1 المغزلة : الظبية ذات الغزال .

2 العقوة : ساحة الدار . العمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر .

إِنِّي تَذَكَّرْتُ فَلَا تَلْحَنِي لَوْلَوْهُ مَكْنُونَةٌ تَنْطِقُ
مَسْكُنُهَا طَيِّبَةٌ لَمْ يَغْذُهَا بَوْسٌ وَلَا وَالٍ بِهَا يَخْرُقُ
قَدْ قَلْتُ وَالْعَيْسُ سِرَاعٌ بَنَّا تُرْقِلُ إِرْقَالاً وَمَا تُعْنِقُ¹
يَا صَاحِبِي شَوْقِي أَرَى قَاتِلِي وَمُورِدِي مِنْهَا جَوَى يُقْلِقُ

[غناء فند ورحمة وهبة الله]

قالت جميلة : أحسستُما . ثم قالت لَفِنْدَ وَرَحْمَةُ وَهْبَةِ اللَّهِ : هَاتُوا جَمِيعاً صَوْتاً وَاحِداً
فَإِنَّكُمْ مَتَّفِقُونَ فِي الْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ ؛ فَانْدَفَعُوا فَعَنُّوا : [من الطويل]

أَشَاقُكَ مِنْ نَحْوِ الْعَقِيقِ بُرُوقُ لَوَامِعُ تَخْفَى تَارَةً وَتَشُوقُ
وَمَا لِي لَا أَهْوَى جَوَارِي بَرِيرٍ وَرُوحِي إِلَى أَرْوَاجِهِنَّ تَتَّقُ
لَهْنٌ جَمَالٌ فَائِقٌ وَمَلَا حَةَ وَدَلٌّ عَلَى دَلِّ النِّسَاءِ يَفُوقُ

وكان بَرِيرٌ حَاضِراً ، فَقَالَ : جَوَارِيَّ وَاللَّهِ عَلَى مَا وَصَفْتُمْ ، فَمَنْ شَاءَ أَقْرَ وَمَنْ شَاءَ أَنْكَرَ .

[غناء جميلة]

فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : صَدَقَ . ثُمَّ غَنَّتْ جَمِيلَةٌ بِشَعْرِ الْأَعَشَى . وَلَمَعِدَ فِيهِ صَوْتُ
أَخَذَهُ عَنْهَا : [من البسيط]

بَانَتْ سُعَادٌ وَأُمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْغُورُ فَالْجَدَّيْنِ فَالْفَرْعَا²
وَاسْتَنَكَّرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتُ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا
تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مَرْتَحِلًا يَا رَبُّ جَنَّبْ أَيْبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجْعَا
وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَعْيَّرَهُ دَهْرٌ مُلِحٌ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

فَلَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ ابْتِدَائِهَا بِالْأَمْسِ وَخَتَمِهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي . وَقَطَعَتِ الْمَجْلِسَ
فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَأَقَامَ آخَرُونَ .

[اليوم الثالث من أيام المدينة]

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضَرِبَتْ سِتَارَةَ وَأَجْلَسَتْ الْجَوَارِيَّ كُلَّهِنَّ فَضَرَبْنَ
وَضَرِبَتْ فَضَرَبْنَ عَلَى خَمْسِينَ وَتَرَأَ فَتَزَلَزَلَ الدَّارُ ؛ ثُمَّ غَنَّتْ عَلَى عُودِهَا وَهَنَّ يَضْرِبْنَ عَلَى
ضَرْبِهَا بِهَذَا الشَّعْرِ : [من الطويل]

1 الإِرْقَالُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . الإِعْنَاقُ : السَّيْرُ الْمُبْسِطُ .

2 الجَدَانُ : مَوْضِعُ . الْفَرْعُ : مَوْضِعُ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ .

فإن خَفِيتَ كانت لعينكَ قُرَّةً وإن تَبَدُّ يوماً لم يُعمِّمك عارُها
من الخَفِيراتِ البيضِ لم تَرَ غِلْظَةً وفي الحَسَبِ الضَّخَمِ الرِّفيعِ نِجارُها
فما رَوْضَةٌ بالخَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَا جَنَاجِئُها وَعَرَارُها¹
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً وقد أوقدتُ بالمَنَدَلِ الرُّطْبِ نارُها

[غناء عزة الميلاء]

فدمعتُ أعينُ كثيرٍ منهم حتى بَلَ ثوبه وتنفَّس الصُّعداءُ وقال : بنفسِي أنتِ يا جميلة ! . ثم
قالت للجواري : اكفُفْنَ فكفُفْنَ ؛ وقالت : يا عَزَّ غُنِّي ؛ فغَنَّتْ بشعرِ لعمري : [من المتقارب]

تذَكَّرْتَ هَنداً وأُغْصَارَها ولم تَقْضِ نَفْسُكُ أوطارَها²
تذَكَّرْتَ النَفْسُ ما قد مضى وهاجَتْ على العينِ عَوَارَها³
لَتَمْنَحَ رامةً مَنَّا الهوى وترعى لرامةً أسرارَها
إذا لم نَزُرْها حِذارَ العِدا حَسَدْنَا على الزُّورِ زُوارَها

فقالت جميلة : يا عَزَّ ، إِنَّكَ لَباقيةٌ على الدَّهرِ ، فهنيئاً لكُ حسنُ هذا الصوتِ مع جَوْدَةِ
هذا الغناء .

[غناء حباة وسلامة]

ثم قالت لحباة وسلامة : هاتِيا لَحْنًا واحدًا ؛ فغَنَّتَا :

كَفَى حَزناً أَنِّي أُغِيبُ وَتَشْهَدُ وما نَلْتَقِي والقلبُ حَرَّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ أَنِّي إذا اللَّيْلُ جَنَّتِي أَقُومُ مِنَ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ وَأَقْعُدُ
أَحِنُّ إِلَيْكُمْ مِثْلَ ما حَنُّ تائِقُ إلى الْوَرْدِ عَطْشَانُ الْفَوَادِ مُصَرَّدُ⁴
ولي كَبِدٌ حَرَّى يَعْذِبُها الهَوَى ولي جَسَدٌ يَبْلَى ولا يَتَجَدَّدُ

[غناء خليدة]

فاستُحْسِنَ غناؤُهما . ثم أَقبلتُ على خُلَيْدَةَ فقالت لها : بنفسِي أنتِ ! غُنِّي ؛
فغَنَّتْ : [من الوافر]

1 الجنجاث : من أحرار الشجر ينبت بالقيظ تأكله الإبل إذ لم تجد غيره .

2 الأعصار : جمع عصر .

3 العوار : ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

4 التصريد : سقي دون الري .

أَلَا يَا مَنْ يُلُومُ عَلَى التَّصَابِي أَفَقْ شَيْئاً لَتَسْمَعَ مِنْ جَوَابِي
بَكَرْتَ تَلُومُنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا وَمَا فِي حَبٍّ مِثْلِي مِنْ مَعَابٍ
أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكٍّ هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابٍ
كَرِيمٌ نَالَ وَدًّا فِي عَفَافٍ وَسَتَرٍ مِنْ مَنَعْمَةٍ كَعَابٍ

[غناء عقيلة والشماسية]

فاستُحْسِنَ منها ما غَنَّتْ ، وهو بَلَحْنِهَا حَسَنٌ جَدًّا . ثم قَالَتْ لِعُقَيْلَةَ وَالشَّمَّاسِيَّةِ : هَاتِيَا ، فَغَنَّتَا :

[من الطويل]

هَجَرْتَ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا اجْتَرَمَ وَقَطَّعْتَ مِنْ ذِي وَدِّكَ الْحَبْلَ فَاَنْصَرَمَ
أَطَعْتَ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطِيعُ مَقَالَةً وَاشْرَ يَقْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ

[غناء فرعة وبلبله ولذة العيش]

ثم قَالَتْ لِفَرْعَةَ وَبُلْبُلَةَ وَلَذَّةِ الْعَيْشِ : هَاتِيْنِ فَغَنَيْنِ ؛ فَاَنْدَقَعْنَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كَانَ الْفَوَادُ مِنَ الْهَوَى بَغَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمُ
عَلَى دِمَاءِ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا عَلَى النَّأْيِ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ يَرِيمُ
تَلِمُ مُلِمَاتٌ فَيُنْسِينَ بَعْدَهَا وَيُذَكِّرُ مِنْهَا الْعَهْدُ وَهُوَ قَدِيمُ
فَأَقْسِمُ مَا صَافَيْتُ بِعَدِكَ خَلَّةً وَلَا لَكَ عِنْدِي فِي الْفَوَادِ قَسِيمُ

[غناء سعدة والزرقاء]

قَالَتْ : أَحْسَنْتُنْ ؛ وَهُوَ لَعَمْرِي حَسَنٌ . وَقَالَتْ لِسُعْدَةَ وَالزَّرْقَاءِ : غَنِّيَا ؛ فَغَنَّتَا : [من الطويل]

قَدْ أَرْسَلُونِي يُعْزُونِي فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ سَارَتْ بِهَا الرُّفُقُ
اسْتَهْدَتْ الرِّيمَ عَيْنِيهِ فَجَادَهَا بِمُقَلَّتِيهِ وَلَمْ تُتْرَكْ لَهُ عُقُ

فاستُحْسِنَ ذَلِكَ . ثم قَالَتْ لِلْجَمَاعَةِ فَغَنُّوا ، وَانْقَضَى الْمَجْلِسُ وَعَادَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى وَطْنِهِ .
فَمَا رُئِيَ مَجْلِسٌ وَلَا جَمْعٌ أَحْسَنُ مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ .

[طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتاً لها]

وَحَدَّثَنِي¹ عَمَّتِي ، وَكَانَتْ أَسْنَّ مِنْ أَبِي وَعُمُرَتْ بَعْدَهُ ، قَالَتْ : كَانَ السَّبَبُ فِي طَلَبِ
أَبِيكَ الْغَنَاءِ وَالْمَوَاطِبَةِ عَلَيْهِ لِحَنِّ سَمْعِهِ لَجَمِيلَةٍ فِي مَنْزِلِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ ، فَاَنْصَرَفَ
وَهُوَ كَتِيبٌ حَزِينٌ مَغْمُومٌ لَمْ يَطْعَمْ وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ . فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ

1 المتحدَّث : هو إسحق بن إبراهيم الموصلي .

فأمسك ، فألححتُ عليه فانتهرني ، وكان لي مُكرماً ، ففضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر ، فتبعني وترضائي وقال لي : أُحدِّثُك ولا كتمان منك : عَشِيتُ صوتاً لامرأة قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركني اللهُ منه برحمته . فقالت : أتظنُّ أن الله يُحْيِي لك ميتاً ! قال : بل لا أشك . قالت : فما تعليقك قلبك بما لا يُعطاه إلا نبيٌّ ولا نبيٌّ بعد محمد ﷺ . وأما عشقُك الصوتَ فهو أن تحذِّقه وتُغنيَه عشرَ مرارٍ ، فتَمَلَّهُ ويذهبَ عشقُك له ؛ فكأنه ازغوى ورجعَ إلى نفسه ، وقام فقبلَ رأسي ويدي ورجلي وقال لي : فرَجَّتْ عني ما كنتُ فيه من الكَرْبِ والغَمِّ ، ثم تمثَّل : «حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمي وَيُصِمُّ» ولزم بيتَ يونسَ حتى حَذَقَ الصوتَ ، ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونس وانضمَّ إلى سياطٍ ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء وأحسنهم أداءً عَمَنَ مَضَى . قالت عمتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحسن أداءَ الغناء : [من المتقارب]

من الْبَكَراتِ عِراقِيَّةٌ تُسَمَّى سُبَيْعَةَ أَطْرَيْتُهَا
من آلِ أَبِي بَكْرَةَ الْأَكْرَمِينَ خَصَصْتُ بُوْدِي فَأَصْفَيْتُهَا
ومن حَبَّهَا زَرْتُ أَهْلَ الْعِراقِ وَأَسْخَطْتُ أَهْلِي وَأَرْضَيْتُهَا
أَموتُ إِذا شَحَطْتُ دَارُهَا وَأُحْيَا إِذا أَنَا لاقَيْتُهَا
فأَقْسِمُ لو أَنَّ ما بي بها وَكنتُ الطَّيِّبَ لداوَيْتُهَا

قالت عمتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به إذا قُطِعَ ومُدِّدَ تمديدَ الأُطْرِبَةِ وضُرِبَ عليها بِقُضْبَانِ الدَّفْلَى على بطونِ المِغْزَى ؟ فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدَّى ، فما خَرَقَ مسامعي شيءٌ قطُّ أَحْسَنُ منه ؛ ولقد أذكرني بما يؤثر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسف . فبينما أنا يوماً جالسةٌ إذ طَلَعَ عليَّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً ؛ فقال لي : ألا أُحدِّثُكَ بِعَجَبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إن لي شريكاً في عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنتُ عند سياطٍ في يومنا هذا وأنا أُغنيهِ الصوتَ وقد وَقَّفَنِي فيه على شيءٍ لم أكن أَحْكَمْتُهُ عن يونسَ ، وحضر عند سياطٍ شَيْخٌ نَبِيلٌ فَسَبَّحَ على الصوتِ تَسْبِيحاً طويلاً ، فظننتُ أَنَّهُ فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلَمَّا فرغتُ أنا وسياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أُعْجِبُ أَمْرَ هذا الشعرِ وَأُحْسَنَ ما غُنِّيَ به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلغ من الْعَجَبِ به ؟ قال : نعم .

[قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فليحتته وعلمته جارية من جواريه]

حَجَّتْ سُبَيْعَةُ من ولد عبد الرحمن بن أَبِي بَكْرَةَ ، وكانت من أجمل النساء ، فأبصرها عمرُ بن أبي ربيعة ، فلَمَّا انحدرتُ إلى العراق اتَّبَعَهَا يُشِيعُهَا حتى بلغَ معها موضعاً يقال له

الْخَوَزَنَقُ . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ بَلَغْتَ إِلَى أَهْلِي وَخَطَبْتَنِي لَزَوَّجُوكَ . فَقَالَ لَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْلِطَ تَشْيِيعِي إِيَّاكَ بِخِطْبَةٍ ، وَلَكِنْ أَرْجِعْ ثُمَّ آتِيكُمْ خَاطِبًا ؛ فَرَجَعَ وَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ فِيهَا : [من المتقارب]

من الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةٌ تُسَمَّى سُبَيْعَةَ أَطْرَيْتُهَا

ثُمَّ أَتَى بَيْتَ جَمِيلَةَ فَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَ بِهَذَا الشَّعْرَ فَفَعَلَتْ . فَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْ حَسَنِ غَنَائِهَا وَجَوْدَةِ تَأْلِيفِهَا ، فَحَسُنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَوَجَّهَ إِلَى بَعْضِ مَوَالِيَاتِهِ مِمَّنْ كَانَتْ تَطْلُبُ الْغِنَاءَ أَنْ تَأْتِيَ جَمِيلَةَ وَتَأْخُذَ الصَّوْتَ مِنْهَا ؛ فَطَارَحَتْهَا إِيَّاهُ أَيَّامًا حَتَّى حَذَقَتْ وَمَهَرَتْ بِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمَرَ قَالَ : أَرَى أَنْ تَخْرُجِي إِلَى سُبَيْعَةَ وَتُغْنِيَ هَذَا الصَّوْتَ وَتُبْلِغِيهَا رِسَالَتِي ؛ قَالَتْ : نَعَمْ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . فَأَتَتْهَا فَرَحَّبَتْ بِهَا ، وَأَعْلَمَتْهَا الرِّسَالََةَ ، فَحَبِّتْ وَأَكْرَمَتْ ، ثُمَّ غَنَّتْهَا فَكَادَتْ أَنْ تَمُوتَ فَرَحًا وَسُرُورًا لِحَسَنِ الْغِنَاءِ وَالشَّعْرِ .

[حج سُبَيْعَةَ ثَانِيَةً وَسَأَلَهَا جَمِيلَةَ أَنْ تُغْنِيَهَا بِشَعْرِ عَمَرَ فِيهَا]

ثُمَّ عَادَتْ رَسُولُ عَمَرَ فَأَعْلَمَتْهُ مَا كَانَ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهَا خَارِجَةٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . فَلَمَّا كَانَ أَوَّلُ الْحَجِّ اسْتَأْذَنْتْ سُبَيْعَةَ أَبَاهَا فِي الْحَجِّ ، فَأَبَى عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا : قَدْ حَجَجْتَ حِجَّةَ الْإِسْلَامِ . قَالَتْ لَهُ : تِلْكَ الْحِجَّةُ هِيَ الَّتِي أَسْهَرْتَ لَيْلِي وَأَطَالَتْ نَهَارِي وَتَوَقَّعْتَنِي إِلَى أَنْ أَعُودَ وَأَزُورَ الْبَيْتَ وَذَلِكَ الْقَبْرَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْذَنْ لِي مَتًى كَمَدًا وَغَمًّا ؛ وَذَلِكَ أَنْ بَقَائِي إِنَّمَا كَانَ لِحُضُورِ الْوَقْتِ ، فَإِنْ يَمَسْتُ فَاِلْمُوتُ لَا شَكَّ نَازِلٌ بِي . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهَا رَقَّ لَهَا وَقَالَ : لَيْسَ يَسْغُنِي مَنَعُهَا مَعَ مَا أَرَى بِهَا ، فَأَذِنَ لَهَا . وَوَفَّى عَمَرُ الْمَدِينَةَ لِيَعْرِفَ خَبْرَهَا ؛ فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلِمَ بِذَلِكَ . وَسَأَلَهَا أَنْ تَأْتِيَ مَنْزَلَ جَمِيلَةَ ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ عَمَرُ ، فَأَكْرَمَتْهَا جَمِيلَةُ وَسَرَّتْ بِمَكَانِهَا . فَقَالَتْ لَهَا سُبَيْعَةُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! أَقْلَقْنِي وَأَسْهَرْنِي صَوْتُكَ بِشَعْرِ عَمَرَ فِي ، فَأَسْمَعِينِي إِيَّاهُ . قَالَتْ جَمِيلَةُ : وَعِزَّازَةُ لَوْجِهَكَ الْجَمِيلِ ؛ فَغَنَّتْهَا الصَّوْتَ ، فَأَغْنَمِي عَلَيْهَا سَاعَةً حَتَّى رُشَّ عَلَى وَجْهِهَا الْمَاءُ وَثَابَ إِلَيْهَا عَقْلُهَا . ثُمَّ قَالَتْ : أُعِيدِي عَلِيَّ ، فَأَعَادَتْ الصَّوْتَ مَرَارًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُغْشَى عَلَيْهَا . ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ وَخَرَجَ مَعَهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مَرَّتْ بِالْمَدِينَةِ وَعَمَرُ مَعَهَا ، فَأَتَتْ جَمِيلَةَ فَقَالَتْ لَهَا : أُعِيدِي عَلِيَّ الصَّوْتَ فَفَعَلَتْ ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهَا ثَلَاثًا تَسْأَلُهَا أَنْ تُعِيدَ الصَّوْتَ . فَقَالَتْ لَهَا جَمِيلَةُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْنِيكَ صَوْتًا فَاسْمِعِيهِ . قَالَتْ : هَاتِيهِ يَا سَيِّدَتِي ؛ فَغَنَّتْهَا :

[من الكامل]

وَأُظِنُّ أَنْتِي زَائِرٌ رَمْسِي

مَا لَمْ تُوَافِقْ نَفْسُهَا نَفْسِي

كَالْبَدْرِ أَوْ قَرْنٍ مِنَ الشَّمْسِ

أَبَتْ الْمَلِيحَةَ أَنْ تُوَاصِلَنِي

لَا تَحْزَنُ فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا

لَا صَبَرَ لِي عَنْهَا إِذَا حَسَرَتْ

ورمت فؤادك عند نظرتها بملاحية الإيثار والأنس

قالت سبيعة : لولا أن الأول شعر عمر لقدمت هذا على كل شيء سمعته . فقال عمر : فإنه والله أحسن من ذلك ، فأما الشعر فلا . قالت جميلة : صدقت والله . قالت عمتي قال لها أبي : لعمرى إن ذلك على ما قالا .

ولابن سريج في هذا الشعر لحن عن جميلة وربما حكى بزيادة أو نقصان أو مثلاً بمثل .

[جمعت الناس في دارها وقصّت عليهم رؤياها واعتزماها ترك الغناء]

أخبرني من يفهم الغناء قال : بلغني أن جميلة قعدت يوماً على كرسي لها وقالت لآذنتها : لا تحببي عنا أحداً اليوم ، واقعدي الباب ، فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي ؛ ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس ؛ فقالت جميلة : اصعدوا إلى العلالي ؛ فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح . فجاءتها بعض جواربها فقالت لها : يا سيدي ، إن تماذى أمرك على ما أرى لم يبق في دارك حائط إلا سقط ، فأظهري ما تريدين . قالت : اجلسي . فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسويق ، فشرب من أراد ؛ فقالت : أقسمت على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلا شرب ، فلم يبق في سفل الدار ولا علوها أحد إلا شرب ، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار ، وأمرت جواربها فقمن على كرسي صغار فيما بين كل عشرة نفر جارية تروح . ثم قالت لهم : إني قد رأيت في منامي شيئاً أفرعني وأرعني ، ولست أعرف ما سبب ذلك ، وقد خفت أن يكون قرب أجلي ، وليس ينفعني إلا صالح عملي ، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربّي . فقال قوم منهم : وفقك الله وثبت عزمك ؛ وقال آخرون : بل لا حرج عليك في الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة : قد تكلمت الجماعة ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شركتهم في رأيهم ، فاستمعوا الآن لقولي وأنصتوا ولا تشغبوا إلى وقت انقضاء كلامي ؛ فمن قبل قولي فإله موفقه ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنت في طاعة ربّي . فسكت القوم جميعاً . فتكلم الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي ﷺ ثم قال : يا معشر أهل الحجاز ، إنكم متى تخاذلتُم فشيئتم ووثب عليكم عدوكم وظفّر بكم ولا تفلحوا بعدها أبداً . إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لا يزال يُنكر عليكم ما هو وارثه عنكم ، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابداكم بشهادة شريفكم ووضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم . فأكثر ما يكون عند عابداكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدي في الدنيا ؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأسوأ للنفوس من جميع الشهوات ، يُخني القلب ويزيد في العقل ويسر النفس ويفسح في

الرأي ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبرى المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضاً باستماعه فيعزفون عن طلب الأموال . من تمسك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً ؛ لأنه لا منزلة أرفع ولا شيء أحسن منه ؛ فكيف يستصوب تركه ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل . وكلام كثير غير هذا ذهب عن المحدث به ، فما رد عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بشر ، وكل عاد بالخطأ على نفسه وأقر بالحق له . ثم قال لجميلة : أوعيت ما قلت ووقع من نفسك ما ذكرت ؟ قالت : أجل وأنا أستغفر الله . قال لها : فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط ؛ فغنت :

أني رسم دار دمعك المترقِّقُ سفاهاً ! وما استنطاق ما ليس ينطق
بحيث التقى جمعٌ وأقصى مُحسِّرُ مغانيه قد كادت عن العهد تخلُّق¹
مقام لنا بعد العشاء ومنزل به لم يكدره علينا معوق
فأحسن شيء كان أول ليلنا وآخره حزن إذا تنفرق

فقال الشيخ : حسن والله ؛ أمثل هذا يترك ؟ فيم تشاهد الرجال ؟ لا والله ولا كرامة لمن خالف الحق . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته ، وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة .

[وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا]

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوماً وليست برؤساً طويلاً ، وألبست من كان عندها يرانس دون ذلك ، وكان في القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلح قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه ، وأجبت جميلة أن ترى صلته . فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت علي ورب الكعبة ! وكشف صلته ووضع القلنسية على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلته ؛ ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها برودة يمانية وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ؛ فغنت وغنى القوم على غنائها : [من الكامل]

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مغرب²

1 جمع : علم للمزدلفة . وادي محسر : موضع بين منى والمزدلفة .

2 مغرب : أبيض .

والغانياتُ يُرِدْنَ غيرَكَ صاحباً وَيَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعدَ تقَرُّبِ
إِنِّي أَقولُ مقالةً بتجارِبِ حقاً ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مجرَّبِ
صافِ الكريمِ وَكُنْ لِعَرْضِكَ صائناً وعن اللّئيمِ ومِثْلِهِ فَتَنَكِّبِ

ثم دعتُ بثيابِ مُصَبَّغَةٍ ووَفرةَ شعرٍ مثلِ وفرةِ ابنِ سُرُيجٍ فوضعتها على رأسها ، ودعت
للقومِ بمثلِ ذلكِ فلبسوا ، ثم ضربتُ بالعودِ وتمشَّتْ وتمشَّى القومُ خَلْفَها ، وغَنَّتْ وغنَّوا
بغنائها بصوتٍ واحدٍ : [من الطويل]

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تَأوُداً قُبَّ البطونِ رواجِحَ الأكفالِ
فِيهِنَّ أَنسَةُ الحديثِ حَيَّةٌ ليستُ بفاحشةٍ ولا مُتْفالِ¹
وتكونُ ريقَتُها إِذا نَبَّهَتْها كالمسكِ فوقَ سُلالةِ الجُرَيالِ²

ثم نَعَرْتُ ونَعَرَ القومُ طرباً ، ثم جلستُ وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زِيَّهم ، وأذِنْتُ
لَمَن كان يبابها فدخلوا ؛ وانصرف المغنُّون وبقي عندها من يُطارحها من الجوّاري .

[استازرت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيَّأته له فزارها]

وحَدَّثتني عَمَّتِي قالت : سمعتُ سياتاً يحدِّثُ أَباك يوماً بأحاديثٍ جميلةً فقال : بنفسِي
هي وأُمِّي ! فما كان أحسنَ وجهها وخَلَقَها وغناءها ! ما خَلَفَتِ النساءُ مثلَها شبيهاً ؛
فأعجبني ذلك . ثم قال سيات : جلستُ جميلةً يوماً للوفادةِ عليها ، وجعلتُ على رؤوسِ
جوارِها شعوراً مُسَدَّلةً كالعناقيدِ إلى أعجازهنَّ ، وألبستهنَّ أنواعَ الثيابِ المُصَبَّغَةِ ووضعتُ
فوقَ الشعورِ التيجانَ ، وزَيَّتُهنَّ بأنواعِ الحليِّ ، ووجَّهْتُ إلى عبدِ الله بنِ جعفرِ تَستزيره ،
وقالت لكَاتبِ أُمِلْتُ عليه : «بأبي أنت وأُمِّي ! قَدَّرَكَ يَجِلُّ عن رسالتي وَكَرَّمَكَ يَحْتَمِلُ
زَلَّتِي ؛ وذَنبِي لا تُقال عَثَرَتُهُ ولا تُغْفَرُ حَوْبَتُهُ . فَإِنْ صَفَّحْتَ فالصَفْحُ لَكُمْ مَعَشَرُ أَهْلِ البَيْتِ
يُؤَثِّرُ ، والخَيْرُ والفضلُ كُلُّهُ فيكم مُدَّخَرٌ ، ونحنُ العبيدُ وأنتمُ المَوالِي . فَطُوبَى لِمَن كان لَكُمْ
مُقارِباً وإلى وجوهكم ناظراً ! وطُوبَى لِمَن كان لَكُمْ مُجاوراً ، وبِعِزِّكم قاهراً ، وبِضِيائِكم
مبصراً ! والويلُ لِمَن جَهِلَ قَدْرَكم ولم يَعْرِفْ ما أوجبهُ اللهُ على هذا الخَلْقِ لَكُمْ ! فصَغِيرُكُمْ كَبِيرُ
بَل لا صَغِيرُ فيكم ، وكَبِيرُكُمْ جَلِيلٌ بَل الجلالةُ التي وَهَبَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للخَلْقِ هي لَكُمْ
ومَقْصُورَةٌ عليكم . وبِالكَتابِ نَسأَلُكَ وبحَقِّ الرِسالِ ندعوكُ إِنْ كُنْتَ نَشِيطاً لِمَجالِسِ هَيَّأَتِهِ
لَكَ لا يَحْسُنُ إِلَّا بِكَ ولا يَتِمُّ إِلَّا مَعَكَ ، ولا يَصْلُحُ أَنْ يُنْقَلَ عن مَوضِعِهِ ، ولا يُسَلَّكَ بِهِ غَيْرُ

1 المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب والادّهان .

2 الجريال : من أسماء الخمر .

طريقه». فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : إِنَّا نَعْرِفُ تَعْظِيمَهَا لَنَا وَإِكْرَامَهَا لَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا . وقد علمتُ أَنهَا قَدْ آلَتْ أَلِيَّةً أَلَّا تَغْنِي أَحَدًا إِلَّا فِي مَنْزِلِهَا . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عِزْمِي المَرُورُ بِهَا . فَأَمَّا إِذْ وَافَقَ ذَلِكَ مُرَادَهَا فَإِنِّي جَاعِلٌ بَعْدَ رَجُوعِي طَرِيقِي عَلَيْهَا . فلما صار إلى بابها أدخل بعض مَنْ كان معه إليها وصرف بعضهم . فنظر إلى ذلك الحُسْنِ البارِعِ والهَيْئَةِ الْبَادَةِ¹ ، فَأَعْجَبَهُ وَوَقَعَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَقَالَ : يَا جَمِيلَةُ ؛ لَقَدْ أُوتِيتِ خَيْرًا كَثِيرًا ، مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ ! . فقالت : يَا سَيِّدِي ، إِنَّ الْجَمِيلَ لِلْجَمِيلِ يَصْلُحُ ، وَلَكَ هَيَّاتُ هَذَا الْمَجْلِسِ . فجلس عبد الله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجَوَارِي صَفَيْنِ ؛ فَأَقْسَمَ عَلَيْهَا فَجَلَسْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ . ثم قالت : يَا سَيِّدِي ، أَلَا أَغْنِيكَ ؟ قال : بلى ! فَعَنَّتْ :

[من الطويل]

بَنِي شَيْبَةَ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ	يُضِيءُ ظِلَامَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ ²
كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ	كَنَسَلِ الْمُلُوكِ لَا يُورُ وَلَا يَحْرِي ³
أَبُو عُتْبَةَ الْمُلقِي إِلَيْكَ جَمَالَهُ	أَغْرُ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرِ زُهْرٍ
لساقي الحجيح ثم للخير هاشم	وعبد منافٍ ذلك السيد الغمر ⁴
أَبُوكُمْ قَصِيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا	به جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فُهْرٍ

فقال عبد الله : أَحْسَنْتِ يَا جَمِيلَةُ وَأَحْسَنَ حُذَافَةُ مَا قَالَ ! بِاللَّهِ أُعِيدِيهِ عَلَيَّ فَأَعَادَتِهِ ، فَجَاءَ الصَّوْتُ أَحْسَنَ مِنَ الْارْتِجَالِ . ثم دعت لكلَّ جاريةٍ بَعْدَ وَأَمَرْتَهُنَّ بِالْجُلُوسِ عَلَى كِرَاسِي صِغَارٍ قَدْ أَعَدَّتْهَا لِهِنَّ ، فَضَرَبْنَ وَغَنَّتْ عَلَيْهِنَّ هَذَا الصَّوْتُ وَغَنَّى جَوَارِيهَا عَلَى غِنَائِهَا . فلما ضَرَبْنَ جَمِيعًا قَالَ عبد الله : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ ! وَإِنَّهُ لَمَّا يَفْتَنُ الْقَلْبَ ؛ وَلِذَلِكَ كَرِهَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِمَا عَلِمُوا فِيهِ . ثم دعا بِبَغْلَتِهِ فَرَكِبَهَا وَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وقد كانت جَمِيلَةُ أَعَدَّتْ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَكَانَ أَرَادَ الْمَقَامَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : تَخَلَّفُوا لِلْغَدَاءِ ، فَتَغَدَّوْا وَانصَرَفُوا مَسْرُورِينَ . وهذا الشعر لحُذَافَةَ بْنِ غَانِمٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُويْجٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ كَعْبٍ يَمْدَحُ بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ .

[أَرَادَ الْعَرَجِيَّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهَا حِينَ فَرَّ مِنْ مَكَّةَ]

قال وحدثني بعض المكئين قال : كَانَ الْعَرَجِيُّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً

1 الهَيْئَةُ الْبَادَةُ : الْغَالِيَةُ الْفَائِقَةُ .

2 شَيْبَةُ الْحَمْدِ : لَقَبُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ .

3 يور : يهلك . يحري : ينقص .

4 ساقِي الْحَجِيحِ : عَبْدُ الْمُطَّلَبِ الَّذِي حَفَرَ زَمْزَمَ .

سَخِيًّا أَدِيًّا ظَرِيفًا . وَيَشْبَهُ شَعْرُهُ بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ بْنِ هِشَامٍ وَإِنْ كَانَا قَدُمَا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ نُسِبَ كَثِيرٌ مِنْ شَعْرِهِ إِلَى شَعْرِهِمَا ، وَكَانَ صَاحِبَ صَيْدٍ . فَخَرَجَ يَوْمًا مَتْنَزَهَا مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِهِ وَمَوَالِيهِ وَمَعَهُ كِلَابُهُ وَفُهُودُهُ وَصُقُورُهُ وَبَوَازِيهِ نَحْوَ الطَائِفِ إِلَى مَالٍ لَهُ بِالْعَرَجِ ، وَبِهَذَا الْمَوْضِعِ سُمِّيَ الْعَرَجِيُّ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَى لَبْنِي أُمَيَّةَ كَلَامٌ ، فَأَمَضَهُ الْمَوْلَى فَكَفَّ عَنْهُ الْعَرَجِيُّ حَتَّى أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ هَجَمَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ غِلْمَانُهُ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُوثِقُوهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوا امْرَأَتَهُ وَهُوَ يَرَاهُمْ فَفَعَلُوا ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ فَقَتَلَهُ . فَبَلَغَ أَمِيرَ مَكَّةَ مَا فَعَلَ فِطْلَبُهُ ، فَخَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ وَأَخْرَجَ مَعَهُ غِلْمَانَهُ وَمَوَالِيَهُ وَآلَةَ الصَّيْدِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ رَكِبَ أَفْرَاسَهُ وَأَعَدَّ عُدَّتَهُ . فَلَمْ يَزَلْ يَتَصَيَّدُ وَيَقْصِفُ فِي طَرِيقِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ لَيْلًا ، وَأَرَادَ الْمَقَامَ فِي مَنْزِلٍ جَمِيلَةٍ ، وَكَانَتْ آلتُ الْأَتَغْنِيِّ بِشَعْرِهِ ، وَلَا تُدْخِلُهُ مَنْزِلَهَا لِكثَرَةِ عِبَتِهِ وَسَفَهِهِ وَخِدَائَتِهِ سَيِّئِهِ . فَلَمَّا أُعْلِمَتْ بِمَكَانِهِ لَيْلًا قَالَتْ : طَارِقُ ! إِنْ لَهُ لَشَأْنًا ! فَاسْتَخْبِرَتْ خَبِيرَهُ فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ قَدِيمٌ مُسْتَخْفِيٌّ ، وَلَمْ يَرِ بِالْمَدِينَةِ مَوْضِعًا هُوَ أَطْيَبُ لَهُ مِنْ مَنْزِلِكَ ، وَالْإِيمَانُ تَكْفَرُ ، وَالْأَشْرَافُ لَا يُرَدُّونَ . فَقَالَتْ لِرَسُولِهَا إِلَيْهِ : مَنْزِلِي مَنْزِلُ جَوَارٍ ، وَلَا يُمْكِنُ مِثْلُكَ الْإِسْتِخْفَاءُ فِيهِ ، فَعَلَيْكَ بِالْأُحُوصِ ، وَكَانَ الْأُحُوصُ مُجَابِبًا لَهُ لِشَيْءٍ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي مَنْزِلٍ جَمِيلَةٍ ، فَقَالَ : أَتُنِي لِي بِالْأُحُوصِ مَعَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ؟ قَالَتْ : أَتَيْتُهُ عَنِّي وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ غَنَيْنَا بِذَلِكَ الشَّعْرَ ؛ فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَظْهَرَ وَتَبْقَى مَوَدَّتَنَا لَكَ ، فَأُصْلِحْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، إِذْ أُصْلِحَ مَا بَيْنَنَا ، وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَكَ . قَالَ لَهَا : لَيْسَ هَذَا بِمُقْنَعِي ؛ أَمَّا إِذْ أُبَيِّتَ أَنْ أُقِيمَ بِمَنْزِلِكَ فَوَجَّهَنِي مَعِي رَسُولًا إِلَى الْأُحُوصِ ؛ فَإِنَّ مَنْزِلَهُ أَحَبُّ الْمَنَازِلِ إِلَيَّ بَعْدَ مَنْزِلِكَ . فَوَجَّهَتْ مَعَهُ إِلَى الْأُحُوصِ بَعْضَ مَوَلِيَّاتِهَا ؛ فَأَنْزَلَهُ الْأُحُوصَ وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ جَوَارَهُ وَسَتَرَ أَمْرَهُ . فَقَالَ شَعْرًا وَوَجَّهَهُ بِهِ إِلَى جَمِيلَةٍ :

[من الطويل]

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهَوَى كَيْفَ أَخْلَقَا . فَلَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَشُوبًا مُمَدَّقًا¹
 وَمَا مِنْ حَبِيبٍ يَسْتَزِيرُ حَبِيبَهُ . يُعَاتِبُهُ فِي الْوَدِّ إِلَّا تَفَرَّقَا
 أَمَرَ وَصَالَ الْغَايَاتِ فَأَصْبَحَتْ . مَضَاضَتُهُ يَسْجَى بِهَا مَنْ تَمَطَّقَا²
 تَعَلَّقَ هَذَا الْقَلْبُ لِلْحَيْنِ مَعْلَقًا . غَزَالًا تَحْلَى عَقْدَ دُرٍّ وَبَارَقَا³
 إِذَا قَلْتُ مَهْلًا لِلْفَوَادِ عَنْ التِّي . دَعْنِكَ إِلَيْهَا الْعَيْنُ أَغْضَى وَأَطْرَقَا

1 ممدَّقًا : مخلوطًا .

2 تمَطَّقَ : تَذَوَّقَ وَتَمَضَّغَ .

3 البارِق : السَّوَارِ .

دعانا فلم نَسْتَبِقِ حُبًّا بِمَا نَرَى فما منك هذا العذلُ إِلَّا تَحَرُّقًا
فقد سنَّ هذا الحبَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وقاد الصَّبَا المرءَ الكريمَ فَأَعْنَقَا

فلَمَّا قرأتُ شعره رَقَّتْ له وقالت : كيف لي بإيلائي أَلَّا يدخل منزلي ولا أُغَيِّيه
بشعره ؟! فقليل لها : يدخل منزلك وتغني وتكفرين عن يمينك . فوجَّهَتْ إليه أَنْ صِرَ إلينا
والأُحوصَ في تلك الليلة فجاءها ؛ وعَرَفَتْ الأُحوصَ تكفير اليمين ؛ فقال لها : وأنا والله
شفيعه إليك ؛ ففرَّجني ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحب ويهوى ، فتوَسَّسني وتسرَّينيه وتغنيه
بشعره . فغَنَّت :

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الهَوَى كَيْفَ أَخْلَقَا فلم تُلْفِهْ إِلَّا مشوباً مُمَدَّقَا

[كان الأُحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة]

وحدَّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمَّد : كان الأُحوصُ مُعْجَباً بجميلة ، ولم يكن
يكاد يُفارق منزلها إذا جلست . فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتن مَنْ رآه ، فشغَلَ أَهْلَ
المجلس ، وذهبت اللحنُ عن الجواري وخلطن في غنائهن . فأشارت جميلة إلى الأُحوص
أن أَخْرِجَ الغلام ؛ فالخَلَلُ قد عمَّ مجلسي وأفسد عليَّ أمري . فأبى الأُحوصُ وتغافل ، وكان
بالغلام مُعْجَباً ، فأثر لَذَّتْهُ بالنظر إلى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحسان من
الجواري ونظرن إليه ، وكان مجلساً عاماً . فلَمَّا خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أَمَرَتْ
بعض مَنْ حضر بإخراج الغلام فأَخْرِجَ ؛ وغضب الأُحوصُ وخرج مع الغلام ولم يقل شيئاً ؛
فأحمد أَهْلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنُّ بك ، أَكْرَمَكَ اللهُ !
فقالت : إِيَّاهُ والله ما استأذنتني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري ، ولا رأيْتُ له
وجهاً قبل ذلك ؛ وإِنَّه لَيَعِزُّ عليَّ غضبُ الأُحوص ، ولكن الحقُّ أَوَّلَى ، وكان ينبغي له أَلَّا
يُعْرِضَ نفسه وإِيَّايَ لما نَكَرَه مثله . فلَمَّا تفرَّق أَهْلُ المجلس بعثتُ إليه : الذنبُ لك ونحن منه
برءاء ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي ، فَلِمَ عَرَضْتَنِي للذي كان ؟ فقد ساءني ذلك وبلغ مني ؛
ولكن لم أَجِدْ بُدًّا من الذي رأيْتُ ما إِمَّا حياءً وإِمَّا تصنعاً . فردَّ عليها : ليس هذا لك بعذر إن لم
تجعل لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمَحِّينَ به ما كان منك . قالت : أَفَعَلْتُ ذلك سرّاً ؛ قال
الأُحوص : قد رَضِيتُ . فجاءها ليلاً فأكرمتها ، ولم تُظْهر واحدةً من جواريها على ذلك إِلَّا
عجائزَ من موالِها . وسأَلَهَا الأُحوص وأقسم عليها أَنْ تغنيه من شعره :

[من الطويل]

وبالقَفْرِ دارٌ من جميلة هيجتُ سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ

وكانت إذا تنأى نوى أو تفرقت
شِدادُ الهوى لم تدرِ ما قولُ مشغَبٍ¹
أسيلةٌ مجرى الدمعِ خُمُصانةُ الحشا
برودُ الثنايا ذاتُ خلقٍ مشرَعَبٍ²
ترى العينُ ما تهوى وفيها زيادةٌ
من الحسنِ إذ تبدو وملهى الملعبِ³

قال يونس : ما لها صوتٌ أحسنُ منه ، وابنُ مُحَرِّزٍ يغنيه وعنها أخذها ، وأنا أغنيهِ فتعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتيه . وقال المحدث لي بهذا الحديث عن يونس : إن هذا للأحوص في جميلة . والذي عندي أنه لطُفَيْلُ الغنويّ قاله في ابن زيد الخيل ، وهو زيد بن المهلهل بن المختلس بن عبد رضاء أحد بني نَبْهان ، ونَبْهان لقب له ، ولكنه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيس ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب ، واستحرّ القتل في غنيّ بن أعصر ومالك بن أعصر ؛ وأعصر هو الدخان ، ولذلك قيل لهما ابنا دخان ، وأخوهما الحارث وهو الطفاوة وهو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، وغطفان بن سعد عمهم . وكانت غنيّ مع بني عامر في دارهم موالٍ لنمير ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء . ثم إن غنيّاً أغارت على طيسٍ وعليهم سيار بن هريم ؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة :

وبالقفر دارٌ من جميلة هيجتُ
سوالف شوقٍ في فؤادك مُنصِبِ

[لحنت قصيدة لعمر بن أحمَر بن العمد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً]

وحَدَّثني أيوب بن عَبَّابة قال : كان عمرو بن أحمَر بن العمد بن عامر بن عبد شمس بن فَرَّاص بن مَعْن بن مالك بن أعصر بن قيس بن عيلان بن مُضَر من شعراء الجاهلية المعدودين ، وكان ينزل الشام ، وقد أدرك الإسلام وأسلم ، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان ، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً إلى الشام ؛ ولم يأتِ أباً بكر . وقال في خالد رحمه الله :

إذا قال سيفُ الله كُروا عليهم
كَرَرْتُ بقلبٍ رابطٍ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة :

أدركتُ آلَ أبي حَفْصٍ وأسرته
وقبل ذاك ودهراً بعده كَلِبا
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُولٌ
بين الهناتين لا جدّاً ولا لَعِبا

1 المشغَب : المشاغِب والمعاذ عن الحق .

2 المشرَعَب : الطويل .

3 ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به .

الله يعلم ما قلتي وقولهم¹ إذ يركبون جنائنا مُسَهَباً² ورِباً³
 وقال في عثمان بن عفان رضي الله عنه :
 حُشي فليس إلى عثمان مُرتَجَع⁴ إلاَّ العداء وإلاَّ مُكْنِع⁵ ضرر⁶
 إخالها سمعت عَزْفاً فتحسبه إهابة القسر ليلاً حين تنتشر⁷
 وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

مَنْ مُبْلَغُ مَالِكَا عَنِّي أَبَا حَسَنِ فارتَحَ لِحَصْنِ هَذَاكَ اللهُ مظلوم
 فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب ، قالت : والله لأعملن فيها لحناً لا يسمعه
 أحدٌ أبداً إلاَّ بكى . قال إبراهيم : وصدقت ؛ والله ما سمعته قط إلاَّ أبكاني ؛ لأنني أجِد حين أسمعُه
 شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقُه فلا أملك عيني ، وما رأيتُ أحداً قط سمعه إلاَّ كانت هذه حاله .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

يا دارَ عَبلَةٍ من مَشَارِقِ مَاسَلٍ دَرَسَ الشَّوْنُ وعَهدُها لم يَنجَلِ
 فاستبدلت عُفَرَ الطُّبَاءِ كَأَنَّمَا أَعَارُها في الصَّيْفِ حَبُّ الْفُلْفُلِ
 تمشي النَّعَامُ به خِلاءَ حوْلِهِ مَشَى النَّصَارَى حَوْلَ بيتِ الهَيْكَلِ
 احذَر مَحَلَّ السَّوِّءِ لا تَحُلْ به وإذا نَبَا بكَ منزلٌ فَتَحَوَّلِ
 الشعر ، فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق ، لعنترة بن شداد العبسي . وما رأيت هذا
 الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ، ولعله من رواية لم تقع إلينا ؛ فذكر غير أبي أحمد أنَّ
 الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي ، إلاَّ أنَّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشكَّ فيه .
 والغناء لأبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي ، ولحنه المختار ، على ما ذكره أبو أحمد ، من
 الثقيل الأوَّل . وذكر ابن خرداذبه أنَّ لحن أبي دُلف خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى . وذكر إسحاق أنَّ
 فيه لمبعد لحناً من الثقيل الأوَّل المطلق في مجرى الوسطى ، وأن فيه لأبي دُلف لحناً ولم
 يجنسه . وذكر حبش أنَّ فيه لابن مُحرز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأن لابن سُرَّيج في البيت الثاني
 ثقيلاً أوَّل ، وذكر ابن خرداذبه أنَّ خفيف الثقيل للمالك ، وليس مَن يعتمد على قوله . وقد ذكر
 يونس أيضاً أنَّ فيه غناء للمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

1 الجنان : الأمر الخفي . الورب : الفاسد .

2 المكنع : الدليل الحقيق .

3 العزف : الصوت . القسر : اسم راعي لابن أحر .

[115] - ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره¹

[نسبه]

هو عَنَتْرَةُ بن شَدَّاد ، وقيل : ابن عمرو بن شَدَّاد ، وقيل : عنترة بن شَدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قُرَاد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلَان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلَحَاء ؛ وذلك لتشقق شفتيه .

[أُمّه أُمّة حبشية ، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه]

وأُمّه أُمّة حبشية يقال لها زَبِيبة ، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شَدَّاد ، وكانوا إخوته لأُمّه . وقد كان شَدَّاد نفاه مرةً ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بني الإماء ، فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبداً .

[حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً]

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيبانيّ ، قالوا : كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه حرّشت عليه امرأة أبيه وقالت : إنه يُراودني عن نفسي ؛ فغضب من ذلك شَدَّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرحاً وضربه بالسيف ؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه . فلما رأت ما به من الجراح بكّت ، وكان اسمها سُمَيّة وقيل : سُهَيّة ، فقال عنترة :

صوت

أَمِنْ سُمَيّة دمع العين مذكور ²	لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف ²
كانّها يوم صدّت ما تكلمني	ظنّني بعُصفانَ ساجي العين مطروف ³
تجلّلتني إذ أهوى العصا قبلي	كانّها صنمٌ يُعتاد معكوف
العبد عبدكُم والمال مالكُم	فهل عذابك عني اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارة لحقت	تخرج منها الطوالُ السَّرايف

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 250-254 والخزانة 1 : 59-62 .

2 مذكور في الديوان : تذييف 270 .

3 عصفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . مطروف في الديوان : الطرف 270 .

يخرُجن منها وقد بُلَّتْ رَحائِلُها بالماء تركبُها الشُّمُّ الغطاريفُ¹
 قد أَطْعَنَ الطَّعْنَةُ النَّجْلَاءُ عن عُرضٍ تَصَفَّرُ كَفُّ أَخِيها وهو منزوفُ
 غنى في البيت الأول والثاني علويه ، ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر ،
 وقيل : إنه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنه لابن سُرَيْج ، وهو من منحول ابن
 المكِّي .

قوله «مذروف» : من ذَرَفَ عينه ، يقال : ذَرَفْتُ ذَرِيفاً وَذَرَفاً ، وهو قَطْرٌ يكاد
 يتصل . وقوله : «لو أن ذا منك قيل اليوم معروف» . أي قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك ،
 لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره . «ساجي العين» : ساكنها . والساجي : الساكن من كل
 شيء . «مطروف» : أصابت عينه طَرْفَةً ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . «تجللتني» :
 أَلَقْتُ نفسها عليّ . و«أهوى» : اعتمد . «صنم يعتاد» أي يُوثى مرةً بعد مرة . و«معكوف» :
 يُعَكِّفُ عليه . و«السَّرايعف» : السُّراع ، واحداً سرعوفة . و«الطُّوالات» : الخيل .
 والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع في الأنف . و«الغطاريف» : الكرام والسادة أيضاً .
 والغطرفة : ضرب من السير والمشى يُختال فيه . و«النجلاء» : الواسعة ، يقال : سِنَانٌ مَنجَلٌ :
 واسع الطعنة : «عن عُرض» أي عن شِقِّ وَحَرْفٍ . وقال غيره : اعْتَرَضَهُ اعتراضاً حين أَقْتَلَهُ .
 [سبب ادعاء أبيه إياه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثني عَمِّي عن ابن الكلبي ، وأخبرني إبراهيم بن
 أيوب عن ابن قُتَيْبَةَ قال قال ابن الكلبي : شَدَّادٌ جَدُّ عَتْرَةٍ غَلَبَ على نَسَبِهِ ، وهو عترة بن
 عمرو بن شَدَّاد ؛ وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنَّ شَدَّاداً عَمُّهُ ، كان نشأً في حِجْرِهِ فَنُسِبَ إليه دون
 أبيه . قال : وإِنَّمَا ادَّعَاهُ أبوه بعد الكِبَرِ ؛ وذلك لأنَّ أُمَّهُ كانت أُمَّةً سوداء يقال لها زَيْبَةُ . وكانت
 العربُ في الجاهليَّةِ إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أُمَّةٍ استعبده . وكان لعترة إخوةٌ من أُمِّهِ عبيدٌ .
 وكان سببُ ادِّعاء أبي عترة إياه أنَّ بعضَ أحياء العرب أغاروا على بني عَبَسَ فاصابوا منهم
 واستاقوا إِيَّاهُ ، فتبعهم العَبَسِيُّونَ فلَحِقُوهم فقاتلوهم عمَّا معهم وعترة يومئذٍ فيهم ؛ فقال له
 أبوه : كَرِّ يا عترة . فقال عترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرَّ ، إِنَّمَا يُحْسِنُ الحِلَابَ والصَّرَّ . فقال : كَرِّ
 وأنت حرٌّ . فكَّرَ وهو يقول :

أنا الهجينُ عَتْرَةُ كلُّ امرئٍ يحمي حرَّةَ
 أسودَه وأحمرَه والشَّعْرَاتِ [المُشْعَرَه]

الوارداتِ مِشْفَره

وقَاتِلَ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا حَسَنًا ، فَادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَلْحَقَ بِهِ نَسَبَهُ .
 وَحَكَى غَيْرُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ السَّبَبَ فِي هَذَا أَنَّ عَبْسًا أَغَارُوا عَلَى طَيْيءَ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا ،
 فَلَمَّا أَرَادُوا الْقِسْمَةَ قَالُوا لَعْنَتُهُ : لَا نَقْسِمُ لَكَ نَصِيًّا مِثْلَ أَنْصَابِنَا لِأَنَّكَ عَبْدٌ . فَلَمَّا طَالَ
 الْخَطْبُ بَيْنَهُمْ كَرَّتْ عَلَيْهِمْ طَيْيءَ ؛ فَاعْتَزَلَهُمْ عَنْتَرَةُ وَقَالَ : دُونَكُمْ الْقَوْمَ ، فَإِنَّكُمْ عَدَدُهُمْ .
 وَاسْتَنْقَذَتْ طَيْيءَ الْإِبِلَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : كَرِّ يَا عَنْتَرَةُ . فَقَالَ : أَوْ يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكَرَّ ؟ فَقَالَ
 لَهُ أَبُوهُ : الْعَبْدُ غَيْرُكَ ، فَاعْتَرَفَ بِهِ ، فَكَّرَ وَاسْتَنْقَذَ التَّعَمَّ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : [من الرجز]
 أَنَا الْهَجِينُ عَنْتَرَةُ كُلُّ امْرِئٍ يَحْمِي حِرَّةَ
 الْآبِيَاتِ .

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : وَعَنْتَرَةُ أَحَدُ أَغْرِيَةِ الْعَرَبِ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : عَنْتَرَةُ وَأُمُّهُ زَبِيَّةٌ ، وَخُفَافُ بْنُ
 عُمَيْرٍ الشَّرِيدِيُّ وَأُمُّهُ نُدْبَةُ ، وَالسُّلَيْكُ بْنُ عُمَيْرٍ السَّعْدِيُّ وَأُمُّهُ السُّلْكَةُ ، وَالْيَهْنُ يُنْسَبُونَ . وَفِي
 ذَلِكَ يَقُولُ عَنْتَرَةُ :

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِيًّا شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصُلِ
 وَإِذَا الْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَاخِظَتْ أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمِّ مُخَوِّلِ
 يَقُولُ : إِنَّ أَبِي مِنْ أَكْرَمِ عَبْسٍ بِشَطْرِي ، وَالشَّطْرُ الْآخِرُ يَنْوِبُ عَنْ كَرَمِ أُمِّي فِيهِ ضَرْبِي
 بِالسَّيْفِ ، فَأَنَا خَيْرٌ فِي قَوْمِي مِمَّنْ عَمُّهُ وَخَالُهُ مِنْهُمْ وَهُوَ لَا يُغْنِي غَنَائِي . وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةُ هِيَ الَّتِي يُضَافُ إِلَيْهَا الْبَيْتَانِ اللَّذَانِ يُغْنِي فِيهِمَا ، وَهَذِهِ الْآبِيَاتُ قَالَهَا فِي حَرْبِ دَاخِسٍ
 وَالْغُبَرَاءِ .

[حَامِي عَنْ بَنِي عَبْسٍ حِينَ انْهَزَمَتْ أُمَامُ تَمِيمٍ ، فَسَبَّ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ فَهَجَاهُ]

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : غَزَتْ بَنُو عَبْسٍ بَنِي تَمِيمٍ وَعَلَيْهِمْ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو
 عَبْسٍ وَطَلَبَتْهُمْ بَنُو تَمِيمٍ ، فَوَقَفَ لَهُمْ عَنْتَرَةُ ، وَلَحِقَتْهُمْ كَبْكَبَةٌ مِنَ الْخَيْلِ ، فَحَامَى عَنْتَرَةُ عَنْ
 النَّاسِ فَلَمْ يُصَبِّ مُذْبِرٌ . وَكَانَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ سَيْدَهُمْ ، فَسَاءَ مَا صَنَعَ عَنْتَرَةُ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالَ
 حِينَ رَجَعَ : وَاللَّهِ مَا حَمَى النَّاسَ إِلَّا ابْنُ السُّودَاءِ . وَكَانَ قَيْسٌ أَكُولًا . فَبَلَغَ عَنْتَرَةُ مَا قَالَ ؛
 فَقَالَ يَعْزُضُ بِهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

صوت

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَعَزِلِ
 فَأَجَبْتُهَا أَنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا بَدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ

فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكِ وَأَعْلَمِي أَنِّي أَمْرُؤُ سَأْمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلْ
 إِنْ الْمَنِيَّةُ لَوْ تُمَثَّلُ مُثَلَّتْ مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضْنِكَ الْمَنْزِلِ
 إِنِّي أَمْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَنَسٍ مَنَصِيًّا شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصِلِ
 وَإِذَا الْكَتِيَّةُ أُحْجِمَتْ وَتَلَاخِظَتْ أَلْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمٍّ مُخَوِّلِ
 وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنَّنِي فَرَقْتُ جَمْعَهُمْ بِضَرْبَةٍ فَيَصِلُ¹
 إِذْ لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي أَوْ لَا أُوكِّلُ بِالرَّعِيلِ الْأَوَّلِ
 إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُّ وَإِنْ يُلْفُوا بِضْنِكَ أَنْزِلُ²
 حِينَ النَّزُولُ يَكُونُ غَايَةً مِثْلَنَا وَيَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلٍ³
 وَالْخَيْلُ سَاهِمَةُ الْوَجْهِ كَأَنَّمَا تُسْقَى فَوَارِسُهَا نَقِيعَ الْخَنْظَلِ
 وَلَقَدْ آيَتْ عَلَى الطَّوْىِ وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . غَنَتْ فِي الْأَرْبَعَةِ الْآيَاتِ الْأَوَّلِ وَالْبَيْتِ الثَّانِي غَرِيبٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ الْهَشَامِيِّ وَابْنِ الْمُعْتَزِّ وَأَبِي الْعَبَّاسِ .

«الْحَتُوفُ» : مَا عَرَضَ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَتَالِفِ . «عَنْ عَرَضَ» أَيُّ مَا يَعْضُ مِنْهَا . «بِمَعَزَلٍ» أَيُّ فِي نَاحِيَةٍ مَعْتَزَلَةٍ عَنْ ذَلِكَ . وَ«مَنْهَلٌ» : مُورِدٌ . وَقَوْلُهُ : «فَأَقْنِي حَيَاءَكَ» أَيُّ احْفَظْنِي وَلَا تَضْيَعْنِي . وَ«الضَّنْكَ» : الضِّيقُ . يَقُولُ : إِنْ الْمَنِيَّةُ لَوْ خُلِقَتْ مِثْلًا لَكَانَتْ فِي مِثْلِ صَوْرَتِي . وَ«الْمَنْصِبُ» : الْأَصْلُ . وَ«الْمُنْصِلُ» : السِّيفُ ، وَيُقَالُ مُنْصَلٌ أَيْضًا بَفَتْحِ الصَّادِ . وَأُحْجِمَتْ : كَعَتْ⁴ . وَ«الْكَتِيَّةُ» : الْجَمَاعَةُ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَلَمْ تَنْتَشِرْ . وَ«تَلَاخِظَتْ» : نَظَرَتْ مَنْ يُقَدِّمُ عَلَى الْعَدُوِّ . وَأَصْلُ التَّلَاخِظِ النَّظَرُ مِنَ الْقَوْمِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ . وَ«الْفَيْصِلُ» : الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ . وَقَوْلُهُ : «لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي» أَيُّ لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْهَزِمٍ وَلَكِنِّي أَكُونُ حَامِيَتِهِمْ . وَ«الرَّعِيلُ» : الْقِطْعَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَ«يُسْتَلْحَمُوا» : يُذْرَكُوا . وَالْمُسْتَلْحَمُ : الْمُذْرَكُ ؛ وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

نَجَّيْ عِلَاجًا وَبِشْرًا كُلَّ سَلْهَبَةٍ وَاسْتَلْحَمَ الْمَوْتَ أَصْحَابَ الْبَرَاذِينِ⁵

1 بضربة : في الديوان بطبعة 250 .

2 استلحم : روهق في القتال ، واستلحم الرجل : إذا احتوشه العدو في القتال .

3 المستوهل : الضعيف الفزع .

4 كع : جبن وضعف .

5 السلهبة : الفرس الطويل الذكر والأنثى .

و«سأهمة» : ضامرة متغيرة ، قد كَلَحَ فوارسُها لشدة الحرب وهولها . وقوله : «ولقد أبيت على الطوى وأظله» . قال الأصمعي : أبيت بالليل على الطوى وأظَلَّ بالنهار كذلك حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ أي ما لا عيبَ فيه عليّ ، ومثله قوله : إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقهما طعاماً ولا شرباً أي لا أذوق فيهما . والطوى : خَمَصُ البطن ، يقال : رجل طَيَّان وطاوي البطن .

[أنشد النبي ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال : أنشد النبي ﷺ قولَ عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ

فقال ﷺ : «ما وُصِفَ لي أعرابي قط فأحببتُ أن أراه إلا عنترة» .

[كيف ألحق إخوته لأمه بنسب قومه]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة : أن عنترة كان له إخوة من أمه ، فأحبَّ عنترة أن يدعيهم قومه ؛ فأمر أخوا له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل» ، فقال له : أرؤِ مُهْرَك من اللبن ثم مرِّبه عليّ عشاء . فإذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرَكٍ مُتَخَدِّداً مهزولاً ضامراً ، فاضرب بطنه بالسيف كأنك تُريهم أنك قد غَضِيتَ بما قلتُ . فمرَّ عليهم ، فقال له : يا حنبل ، ما شأنُ مهرَكٍ مُتَخَدِّداً أعجز² من اللبن ؟ فأهوى أخوه بالسيف إلى بطن مُهْرَه فضربه فظهر اللبن . فقال في ذلك عنترة : [من الكامل]

أبني زبيبة ما لمُهْرَكُكُمْ مُتَخَدِّداً ويطونُكم عَجْرُ

الكم بإيغال الوليدِ على أثر الشياهِ بشدةٍ³ خبر

وهي قصيدة . قال : فاستلأه⁴ نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففي ذلك يقول

عنترة :

ألا يا دارَ عُبلةٍ بالطوى كرجعِ الوشمِ في كفِّ الهدْيِ⁵

وهي طويلة يُعَدَّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

1 المتخذ : المهزول .

2 بطن أعجز : ملآن .

3 في الديوان اختلاف كبير في رواية البيت 316 .

4 استلأه قومه : ألصقوه بهم وادعوه .

5 الطوي : موضع ، والهدْي : العروس .

[جوابه حين سئل أنت أشجع العرب]

أخبرني عمي قال أخبرني الكراني عن النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال : قيل لعترة : أنت أشجع العرب وأشدّها ؟ قال لا . قيل : فيما ذا¹ شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنني عليه فأقتله .

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال عمر بن الخطاب للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألف فارس حازم . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه . وكان فارسنا عترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم . وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه . وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتمّ بشعره ، فكنا كما وصفت لك . فقال عمر : صدقت .

[موته واختلاف الروايات في سببه]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبي قالا : أغار عترة على بني نبهان من طيء فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز وهو يطردّها ويقول : [من الرجز]

آثارُ ظُلّمانٍ بقاعٍ مُخرب

قال : وكان زر² بن جابر النّبّهاني في فتوة ، فرماه وقال : خذها وأنا ابن سلمى ، فقطع مطاه³ ؛ فتحامل بالرّمية حتى أتى أهله ؛ فقال وهو مجروح : [من الطويل]

وإنّ ابنَ سلمى عنده فاعلموا دمي	وهيهاتَ لا يُرجى ابن سلمى ولا دمي
يحلُّ بأكفافِ الشّعبِ ويتمي	مكانَ الثّريّا ليس بالمتّهضم ⁴
رماني ولم يدهشْ بأزرقٍ لهذم	عشيّة حلّوا بين نَعفٍ ومخرم ⁵

1 في ل : فيم إذن .

2 في ل : وزر .

3 مطاه : ظهره .

4 يحلُّ بأكفافِ الشعبِ يتمي في ل : إذا ما تمشى بين أجيال طيء .

5 النعف : ما انحدر من السّفح وغلظ . المخرم : منقطع أنف الجبل .

قال ابن الكلبي : وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص¹ . وأما أبو عمرو الشيباني فذكر أنه غزا طيماً مع قومه ، فانهزمت عبس² ، فخر عن فرسه ولم يقدِر من الكير أن يعود فيركب ؛ فدخل دغلاً ، وأبصره ربيعة³ طيء فنزل إليه ، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله . وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسن واحتاج وعجز بكير سنيه عن الغارات ، وكان له على رجل من غطفان بكر³ ، فخرج يتقاضاه إياه ؛ فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شرح³ وناظرة ، فأصابته فقتلته .

[كان أحد الذين يبالغهم عمرو بن معد يكرب]

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراًها وهجيناها . يعني بالحريين عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب ، وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة . هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر .

1 الأسد الرهيص : الذي لا يريح مكانه .

2 الربيعة : الطليعة .

3 شرح وناظرة : ماءان لبني عبس .

116 - [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجمي]

[نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي]

وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجِدْ له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال : قرأت في كتاب لأبي عثمان المازني : كان عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتين مَنْ يحملها عني ، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً ؛ فقدم على حاتم وقال له : إنه قد وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ، وإني حملتها في مالي وأهلي ، فقدمتُ مالي وأخرتُ أهلي ، وكنت أوثق الناس في نفسي . فإن تحملتُها فكُم من حق قضيته وهم كفيته ، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُّ يومك ولم أنسَ غدك ؛ ثم أنشأ يقول :

حملتُ دماءً للبراجِمِ جَمَّةً	فجئتُك لما أسلمتني البراجِمُ
وقالوا سفاهاً لِمَ حملتَ دماءنا	فقلتُ لهم يكفي الحِمالةَ حاتمُ
متى آتاه فيها يَقلُّ لي مرحباً	وأهلاً وسهلاً أخطأتُكَ الأشائمُ
فيحملها عني وإن شئتُ زادني	زيادةً مَنْ حيزتُ إليه المكارمُ
يعيش الندى ما عاش حاتمُ طيءٍ	وإن مات قامت للسَّخاءِ مآئِمُ
يُنَادِين مات الجودُ مَعَكَ فلا نَرَى	مُجيباً له ما حاتمُ في الجودِ حائِمُ
وقال رجال أنهبَ العامَ ماله	فقلتُ لهم إني بذلك عالمُ
ولكنه يُعطي مِن أموال طيءٍ	إذا حَلَقَ المالَ الحقوقُ اللّوازمُ
فيُعطي التي فيها الغنى وكأَنَّهُ	لتصغيره تلك العطيةَ جارِمُ
بذلك أوصاه عديٌّ وحشرجُ	وسعدٌ وعبدُ الله تلكَ القَماقمُ

فقال له حاتم : إني كنتُ لأحبُّ أن يأتيني مثلك من قومك ، وهذا مرباعي¹ من الغارة على بني تميم فخذها وافراً ، فإن وفَى بالحِمالةِ وإلا أكملتُها لك ، وهي مائتا بعير سوى نبيها

1 المربع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة .

وفصالها ، مع أنني لا أحبُّ أن تُؤبَّسَ¹ قومك بأموالهم . فضحك أبو جُبَيْل² وقال : [لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم] ، وأيِّ بعير دفعته إليّ وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائة بعير ، وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم : [من الوافر]

أتاني البرجميُّ أبو جُبَيْلٍ	إهَمُّ في حمالته طويل
فقلتُ له خذِ المِرباعَ منها	فإنِّي لستُ أرضى بالقليل
على حالٍ ولا عودتُ نفسي	على علاقتها عِلَلُ البخيل
فخذها إنها مائتا بعيرٍ	سوى النابِ الرذِيَّةِ والفصيل
ولا مَنْ عليك بها فإني	رأيتُ المَنَّ يُزري بالجميل
فآبَ البرجميُّ وما عليه	مِنَ اعباءِ الحِمالةِ من فتيل
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْفُضُ مِذْرَوِيَهُ	خفيفَ الظهرِ من حملٍ ثَقِيلٍ ³

1 تؤبَّس : تويخ وتوتب .

2 أبو جُبَيْل : كنية عبد قيس بن خفاف .

3 جاء فلان ينفض مِذْرَوِيَهُ : إذا جاء باغياً يتهدّد . المذرى : طرف الألية .

[117] - ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

[نسبه ومكانته]

هو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ومحلّه في الشجاعة وعُلوّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَمُ الغناء في المشاهد وحُسْنُ الأدب وجودة الشعر محلّ ليس لكبير أحد من نُظرائه . وذكرُ ذلك أجمع بما لا معنى له لطوله ؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جيّادٌ ، وصنعةٌ كثيرةٌ حسنة . فمن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله :

صوت

بنفسي يا جنان وأنت مني محلّ الروح من جسد الجبان
ولو أتّي أقول مكان نفسي خَشِيتُ عليكِ بادرة الزمان
لإقدامي إذا ما الخيلُ حامت وهابَ كُماتها حرّ الطعان

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النّظام .

[أخذ معنى من محاوراة إبراهيم النّظام لغلام]

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمّد بن الحسن بن الحرّون قال : لقي إبراهيم النّظام غلاماً حسن الوجه ، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه ، ثم قال له : يا غلام ، إنك لولا ما سبق من قول الحكماء ممّا جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم : لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل ، كما إنّه لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول ، لما أنبت¹ إلى مخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك ، لكنّه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيّها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النّظام : الطبايع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة ؛ وكياني مائل إلى كيائك بكليّتي . ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أعتد به ودّاً ، ولكنّه جوهر جسمي ؛ فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدمه بعدمها ؛ وأقول كما قال الهذلي :

[من الكامل]

فَتَيْقَنِي أَنْ قَدْ كَلَيْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن ؛ ولو علمتُ أنَّ
محلَّك مثلُ محلِّ مَعْمَرٍ¹ وطَبَقْتَهُ في الجَدَلِ لَمَّا تَعَرَّضْتُ لَكَ . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو
دُلْفَ قوله :

أُحِبُّكَ يَا جِنَانُ وَأَنْتِ مِنِّي محلُّ الرُّوحِ من جسد الجبانِ
ومن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله :

صوت

في كلِّ يومٍ أرى بيضاء طالعةً كأنّما أثبتتُ في ناظر البَصْرِ
لئن قَصَصْتُكَ بالمِقْرَاضِ عن بَصْرِي لَمَّا قَطَعْتُكَ عن هَمِّي وعن فِكْرِي

[بلغه طروق الشراة وهو بالسردان مع جارية له]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدّثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دُلْفَ بن أبي
دُلْفَ يقول : حدّثني ظبيّة جارية أبي قالت : إنّي لمعه ليلةً بالسَّرَادِنِ² وهو جالسٌ يشربُ معي
وعليه ثيابٌ ممسّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة أطرافَ عسكره ؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى
فقتل وأسر وانصرف إليّ في آخر الليل وهو يغني ، قالت : والشعر له : [من مجزوء الخفيف]

صوت

ليتي بالسَّرَادِنِ كُلتُ بالمحاسنِ
وجوارٍ أوّانسٍ كالظُّبَاءِ الشَّوَادِنِ
بُدلتُ بالمَمْسَكَا تِ ادِّراعَ الجَوَاشِينِ

الشعر لأبي دُلْفَ . والغناء له رملٌ بالسَّابَةِ في مجرى البنصر .

[خرج مع الإفشين لحرب بابل]

وقال أحمد بن أبي طاهر : كان أبو دُلْفَ القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفشين
خَيْذَرُ بن كاووس لما خرج لمحاربة بابل³ ، ثم تنكّر له ؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقته . وبلغ
المتعصم الخبر ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دُواد وقال له : أدركه ، وما أراك تلحقه ، فاحتلّ في
خَلَاصِهِ منه كيف شئت . قال ابن أبي دُواد : فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيته ، فإذا أبو دُلْفَ
واقفٌ بين يديه وقد أخذ بيديه غلامان له تركيَّان ، فرميتُ بنفسي على البساط ، وكنت إذا

1 هو أبو عبيدة معمر بن المثنى .

2 السردان : موضع ببلاد فارس .

3 هو بابل الحزمي .

جئته دعا لي بمُصَلِّي ، فقال لي : سبحانَ الله ما حملك على هذا ؟ قلت : أنت أجلسني هذا المجلس . ثم كلمته في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يرداد إلا غِلْظَةً . فلَمَّا رَأَيْتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفقِ به فلم ينفع ، وليس إلا أخذُهُ بالرَّهْبَةِ والصدِّق ؛ فقمْتُ فقلت : كم تُراك قَدَرْتَ ! تقتلُ أولياءَ أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالفُ أمره في قائد بعد قائد ؟ قد حملتُ إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ ! . قال : فذلُّ حتى لصيق بالأرض وبأن لي الاضطرابُ فيه . فلَمَّا رَأَيْتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلفَ وأخذتُ بيده ، وقلت له : قد أخذتهُ بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعلْ يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجتُ القاسم فحملتهُ على دابةٍ ووافيتُ المعتصمَ . فلَمَّا بَصُرَ بي قال : بك يا أبا عبد الله وَرَيْتُ زِنَادِي ، ثم ردَّ عليَّ خبري مع الإفشينَ حَدْساً بظَّنه ما أخطأ فيه حرفاً ؛ ثم سألتني عمَّا ذكره لي وهو كما قال ، فأخبرتهُ أَنَّهُ لم يخطيء حرفاً .

[أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء]

وقال علي بن محمد حدثني جدِّي قال : كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمر الغناء إنكاراً شديداً . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلفَ يغني ؛ فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمد بن أبي دواد في موضع وأحضر أبا دُلفَ وأمره أن يغني ، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمد بن أبي دواد عليه من موضعه والكراهة ظاهرة في وجهه . فلَمَّا رآه أحمد قال له : سَوْءَةٌ لهذا من فعل ! بعد هذه السنِّ وهذا المحلِّ تضع نفسك كما أرى ؟ فحجِلَ أبو دُلفَ وتشوَّر¹ ، وقال : إنهم أكرهوني على ذلك . فقال : هَبْهُمْ أكرهوك على الغناء أفاكرهوك على الإحسان والإصابة ! .

[سمع المعتصم غناءه عند الوراق فمدحه]

قال علي وحدثني جدِّي : أن سبب مُنادمته للمعتصم أَنَّهُ كان نديماً للوراق ، وكان أبو دُلفَ قد وُصِفَ للمعتصم فأحبَّ أن يسمعه ، وسأل الوراق عنه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا على الفصد غداً وهم عندي . فقال له المعتصم : أُحِبُّ ألا تُخفي عليَّ شيئاً من خبركم . وفُصِدَ الوراق ، فأتاه أبو دُلفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا ، وأعلمهم الوراق حضورَ أبي دُلفَ عنده ؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون : قد جاء الخليفة . فقام الوراق وكلَّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوه حين برز من الدَّهْلِيز إلى الصَّحْن ؛ فجاء حتى جلس ، وأمر بُندماء الوراق فَرُدُّوا إلى مجالسهم . قال حَمْدُون² : وَخَنَسْتُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحدائثي ؛ فنظر المعتصم

1 تشوَّر : حجل .

2 هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب ، أوَّل مَنْ نادى الخلفاء من أهله .

إلى مكاني خالياً ، فسأل عن صاحبه فسميت له . فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني ، وأمر بأن يؤتني برطلٍ من شرابه فأتي به ؛ فأقبل على أبي دُلف فقال له : يا قاسم ، غنّ أمير المؤمنين صوتاً ؛ فما حصر ولا تناقل وقال : أغني أمير المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته ؟ قال : بل غنّ صنعتك في شعر جرير :

بأن الخليطُ برامتين فودّعوا

فغناه إياه . فقال المعتصم : أحسن ، أحسن ، ثلاثاً ، وشرب الرطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وآلى بين سبعة أرطال ، ثم دعا بحمار فركبه ، وأمر أبا دُلف أن ينصرف معه ، وأمرني بالانصراف معهما ، فخرجت أسعى مع ركابه ، فثبت في ندمائه من ذلك اليوم ، وأمر لأبي دُلف بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذي غناه أبو دلف

صوت

[من الكامل]

بأن الخليطُ برامتين فودّعوا أو كلما اعتزموا لين تجزّع
كيف العزاء ولم أجِدْ مذ غنّتم قلباً يقرّ ولا شراباً ينقّع

عروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لأبي دُلف ثاني ثقل بالنصر عن الهشامي وعمرو بن بانة .

[ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخفّ مطيع بن إياس ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة . فذكر له مطيع بن إياس حماداً الراوية ، وكان مطرحاً مجفّواً في أيامهم . فقال له : دعني ، فإن دولتي كانت في بني أمية وما لي عند هؤلاء خير . فأبى مطيع إلا الذهاب به إليه . فاستعار سواداً وسيفاً ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلم عليه وجلس . فقال له جعفر : أنشدني . فقال : لمن أيها الأمير ؟ قال : لجرير . قال حماد : فسلخ الله شعره أجمع من قلبي إلا قوله :

[من الكامل]

بأن الخليطُ برامتين فودّعوا

فاندفعت أنشده إياه حتى بلغت إلى قوله :

[من الكامل]

وتقول بوزع قد دبت على العصا هلاً هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد فقال لي جعفر : أعِدْ هذا البيت فأعدته ؛ فقال : إيش هو بوزع ؟ قلت : اسم

امرأة . قال : امرأة اسمها بوزع ! هو بري من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان ! تركنتي والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع ! يا غلمان ، قفاه . قال : فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا . ثم قال : جرؤا برجله ، فجرؤوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه وقد تحرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى من ذلك . وكان أغلظ من ذلك علي غرامتي السواد والسيف . فلما انصرف إلي مطيع جعل يتوجع لي . فقلت له : ألم أخبرك أنني لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أمية ! .

رجع الحديث إلى أخبار أبي دلف .

[كان جواداً ممدحاً وشعر علي بن جبلة فيه]

وكان أبو دلف جواداً ممدحاً ؛ وفيه يقول علي بن جبلة :

[من الرمل]

إنما الدنيا أبو دلف بين مغزاه ومختصره
وإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وهي من جيد شعره وحسن مدائحه . وفيها يقول :

ذاذ ورد الغي عن صدره وارعوى واللهم من وطره
ندمي أن الشباب مضى لم أبلغه مدى أشره
حسرت عني بشاشته وذوى المحمود من ثمره
ودم أهدرت من رشاي لم يرد عقلاً على هدره
فأنت دون الصبا هنة قلبت فوقي على وتره
دع جدًا قحطان أو مضر في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلاً عصر الآفاق من عصره
النايا في مقانيه والعطايا في ذرا حجره
ملك تندی أنامله كانبلاج النوء عن مطره
مستهل عن مواهبه كابتسام الرّوض عن زهره
جبل عزت مناكبه أمنت عدنان في نفره

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مَغْرَاهُ وَمُحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ يَبِينُ بِأَدْيِهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةٌ يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَحَرِهِ

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمون على علي بن جبلة حتى سلَّ لسانه من قفاه ، وقوله في أبي دُلْفٍ أيضاً :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مِنْزَلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار علي بن جبلة إن شاء الله تعالى ؛ إذ كان القصد هاهنا أمر أبي دُلْفٍ .

[ذكرت قصة له في الكرم وأخرى لأبي البختری]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : كنّا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنده فتى من ولد أبي البختری وهب بن وهب القاضي أمرّد حسنُ الوجه ، وفتى من ولد أبي دُلْفٍ العجلّي شبيه به في الجمال . فقال المبرّد لابن أبي البختری : أعرف لجدك قصةً ظريفةً من الكرم حسنةً لم يسبق إليها . قال : وما هي ؟ قال : دُعِيَ رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه ؛ فقال فيهم :

نَبِيذَانِ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ لِإِشَارِ مُثَرٍّ عَلَى مُقْتَرٍ
فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ ذَا فِي الطَّعَامِ لَزِمْتَ قِيَاسَكَ فِي الْمُسْكِرِ
وَلَوْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَأَوَ الْكِرَامِ صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ
تَتَّبَعَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ فَأَغْنَى الْقِلَّ عَنْ الْكُثْرِ

فبلغت الأبيات أبا البختری فبعث إليه بثلاثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جدّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أنّ رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترض في الجند ؛ فقال :

إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا حَمَلَ السِّلَاحَ وَقِيلَ الدَّارِعِينَ قِفْ
تَمْشِي الْمَنَابِإَ إِلَى غَيْرِي فَأَكْرَهُهَا فَكَيْفَ أَمْشِي إِلَيْهَا عَارِي الْكَفِّ
حَسِيتَ أَنَّ نَفَادَ الْمَالِ غَيْرُنِي وَأَنَّ رُوحِي فِي جَنَبِي أَبِي دُلْفٍ

فأحضره أبو دلف ثم قال له : كم أملتِ امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم أملتِ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك عليّ على ما أملتِ امرأتك في مالنا دون مال السلطان ؛ وأمر باعطائه إياه . قال : فرأيتُ وجه ابن أبي دلف يتهلّل ، وانكسر ابن أبي البختريّ انكساراً شديداً .

[عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه وردّ عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال : قال عليّ بن جبلة : زرتُ أبا دلفَ بالجبل¹ ، فكان يُظهر من إكرامي وبرّي والتّحفي بي أمراً مُفْرِطاً ، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياً . فبعث إليّ مَعْقِلَ بن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأحسبك استقللتِ برّي بك ، فلا يُغضبنيك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلّا إفراطه في البرّ وكتبته إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يُرتجى نيلُ الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائراً فأفرطت في برّي عجزتُ عن الشكر
فمِ الآن لا آتيك إلّا مُسلماً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
فإن زدّنتي برّاً تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طولَ الحياة إلى الحشر

فلما قرأها مَعْقِلُ استحسناها جدّاً وقال : أحسنتَ والله ؛ أمّا إن الأمير لتُعجبه هذه المعاني . فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله . ما أشعره وأدقّ معانيه ! فأعجبته فأجابني لوقته ، وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب :

ألا رُبُّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطته وأنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجّيني فما حال دونه ودون القرى والعرف من نائي ستر
وجدتُ له فضلاً عليّ بقصده إليّ وبرّاً زاد فيه على برّي
فزودته مالاً يقلّ بقاؤه وزودني مدحاً يدوم على الدهر

قال : وبعث إليّ بالآيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذٍ : إنّما الدنيا أبو دلف . الآيات .

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال : بينا أبو دلف

1 بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

يسير مع مَعْقِل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مرّاً بقَصْر ، فأشرفت منه جارتان ؛ فقالت إحدهما للأخرى : هذا أبو دُكْفَ الذي يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُكْفَ
فقلت الأخرى : أو هذا ؟ قد والله كنتُ أحبُّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فالتفت أبو دُكْفَ إلى مَعْقِل فقال : ما أنصفنا عليّ بن جبلة ولا وفيناه حقّه ، وإنّ ذلك لمن كبير همّي . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من البسيط]

أما القطاة فإنني سوف أنعتها نعتاً يوافق منها بعض ما فيها
سكّاء مخطوبة في ريشها طرّق صُهْبٌ قَوادِمُها كُدّرَ خَوافِها¹

عروضه من البسيط . والشعر مختلف في قائله ، ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيميّ وإلى مزاحم العقيليّ إلى العباس بن يزيد بن الأسود الكنديّ وإلى العجّير السّلويّ وإلى عمرو بن عَقِيل بن الحجاج الهجيميّ وهو أصحّ الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعيّ . وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست ممّا يُغْنى فيه وأبياتاً ليست في الرواية . وقد روي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كلّ واحد منهم بعضاً . وأخبار ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذكر بعد هذا . والغناء في اللحن المختار لمبعد خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى . وفي هذين البيتين مع أبيات أخر من القصيدة اشترك كثيرٌ بين المغنين يتقدّم بعض الأبيات فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيرها . والأبيات تُكْتَب هاهنا ثم تُنسَب صنعة كلِّ صانع في شيء منها إليه ؛ وهي بعد البيتين الأولين ، إذ كانا قد مضيا واستغني عن إعادتهما :

[من البسيط]

لما تبدّى لها طارت وقد علمت أن قد أظّل وأنّ الحيّ غاشيها
تَشْتَقّ في حيث لم تُبْعِدْ مُصْعِدةً ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مهاويها²

1 السّكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس . المخطوبة : التي على لون الخنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق في الریش : أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل .

2 تشقّ : تقطع .

تَنَاشُ صَفراءَ مطروقاً بقيَّتْها قد كاد يَأْزِي عن الدُّعْموصِ آزِيها
ما هاج عينك أَمْ قد كاد يُبْكِيها من رَسْمِ دارِ كَسَحَتِ البرْدِ باقيها¹
فلا غنيمة تُوفِّي بالذي وَعَدَتْ ولا فؤادُك حتى الموتِ ناسيها

لنشاط مولى عبد الله بن جعفر خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أما القطاة» والذي بعده ، و«تناش صفرأ» خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولأبراهيم الموصلي في «لما تبدى لها» و«أما القطاة» خفيف رمل عن الهشامي . ولعمرو الوادي في «أما القطاة» ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع «لما تبدى لها» وبعده «أما القطاة» خفيف رمل . ولسياط في الأول والثاني بعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر ، ومن الناس من ينسب لحنه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه . ولعلوه في «أما القطاة» والذي بعده رملٌ هو من صدور أغانيه ومقدمها . فجميع ما وجدته في هذه الأبيات من الصنعة أخذَ عشرَ لحناً .

[تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة]

فأما خبر هذا الشعر ، فإن ابن الكلبي زعم أن السبب فيه أن العُجَيْرَ السُّلُولِيَّ وأوس بن غلفاء الهُجَيْمِيَّ ومُزاجِمًا العَقِيلِيَّ والعبَّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْدِيَّ وحُمَيْدَ بن ثُورِ الهَلَالِيَّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادَّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه . ومرَّ بهم سِرْبُ قَطَا ؛ فقال أحدهم : تعالوا حتى نصفَ القَطَا ثم نتحاكم إلى مَنْ نتراضى به ، فأثبا كان أحسنَ وصفاً لها غلب أصحابه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي «أما القطاة» . وقال حُمَيْدُ أبياتاً وصف ناقته فيها ، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال :

[من الطويل]

كما انصَلَّتْ كَذراءُ تسقي فِراخَها بِشَمْظَةٍ رِفْهاً والمِياهُ شُعُوبُ²
غدَتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونَها إذا ما علتْ أهْويَّةٌ وصُيُوبُ³
قرينةٌ سَبْعَ إن تَوَاتَرْنَ مَرَّةً ضَرَبْنَ فَصَفَتْ أُرُوسَ وجُنُوبُ⁴
فجاءت وما جاء القطا ثم قلصت بمَفْخَصِها والوارداتُ تَنُوبُ⁴

1 السحق : الثوب البالي .

2 انصلت : أسرع في السير . شمظة : موضع بعكاظ ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار . الرِّه : أقصر الورد ، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم أو متى شاءت . الشعوب : البعيدة .

3 الأهوية : الهاوية . الصبوب : منحدر الوادي .

4 قلصت : انضمت وانزوت . المفحص : مجثم القطاة . الواردات تنوب : أي الواردات للماء ترجع .

وجاءت ومَسْفاها الذي وردت به
تُبادر أطفالاً مساكينَ دونها
إلى الصَّدْرِ مشدودُ العِصامِ كَيْبٌ¹
فَلَا لَا تَخْطَاهُ العيونُ رَعِيبٌ²
وصَفَنَ لها مُزناً بأرضٍ تُنَوِّفِ
فما هي إِلَّا نَهْلَةٌ وتَوُوبُ

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ، هكذا ذكر ابن الكلبي ، وغيره يرويها لبعض بني
مُرَّة : [من البسيط]

حَذَائِ مُدْبِرَةٍ سَكَّاءٍ مَقْبَلَةٍ
تسقي أَرْيَغَ تَرْوِيهِ مُجَاجَتِهَا
للماء في النحر منها نَوْطَةٌ عَجَبٌ³
وذاك من ظَمَأَةٍ من ظَمْئِهَا شَرَبٌ⁴
في حاجب العين من تسبيده زَبٌ⁵
قُدَّامَ مَنَحَرِها ريشٌ ولا زَغَبٌ
يا صِدْقَها حين تدعو وتنتسب
تدعو القَطَا بقصير الخطو ليس له
تدعى إذا انتسبت

وقال مُزَاجِمُ العُقَيْلِي : [من الطويل]

أذلك أم كُذْرِيَّةٌ هَاجَ ورْدَها
غدت كَنَواةَ القَسْبِ لا مُضْمَحِلَّةٌ
من القيظ يومٌ وإِقْدٌ وَسَمُومٌ
وَنَاةٌ ولا عَجَلَى الفُتُورِ سَئُومٌ⁶
إلى كَلْكَلٍ ، للهادياتِ قَدُومٌ⁷
وفي الضُّحَى قد مال فهو ذَمِيمٌ
بها شَرَكٌ للوارداتِ مُقِيمٌ⁸
عَلاجِيمٌ تَجْري مَرَّةً وتَدُومٌ⁹
عن النفس منها لَوْحَةٌ وهُمُومٌ¹⁰
تواشِكُ رَجَعَ المَنَكِينِ وترتمي
فما انخفضت حتى رأت ما يسرُّها
أباطِجٍ وانتصت على حيث تستقي
سَقَتْها سيولُ المُلْدَجِنَاتِ فأصبحت
فلما استقت من بارد الماء وانجلى

1 العصام : جبل تشد به القرية . كتيب : مخروز .

2 رغب : واسع .

3 الحذاء : القصيرة الذنب . النوطة : الحوصلة .

4 الظم : ما بين الشرين والوردتين .

5 التسبيد : أول ظهور ريش الفرخ . الزيب : كثرة الرغب .

6 القسب : تمر يابس يتفتت في الفم صلب ونواه شديد قوي . الوناة : البطيخة القيام والعود .

7 الهادية : المتقدمة .

8 انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى .

9 العلاجيم : جمع علجوم وهو الماء القمر الكثير . وتدوم : تسكن .

10 اللوحة : العطشة .

دَعَتْ بِاسْمِهَا حِينَ اسْتَقَتْ فَاسْتَقَلَّهَا قَوَادِمُ حُجْنٍ رِيْشُهُنَّ مِلِيمٌ¹
 بِحُوزٍ كَحَقِّ الْهَاجِرِيَّةِ زَانَهُ بِأَطْرَافِ عُودِ الْفَارْسِيِّ وَشُومٌ²
 يَعْنِي حَقَّ الطَّيِّبِ . شَبَّ حَوْصَلَتُهَا بِهِ . وَالْوَشُومُ يَعْنِي الشَّيْءَ الَّتِي فِي صَدْرِهَا :

لَتَسْقَى زُغْبًا بِالتَّنَوُّفِ لَمْ يَكُنْ خِلَافَ مَوْلَاهَا لَهْنٌ حَمِيمٌ
 تَرَاثَكَ بِالْأَرْضِ الْفَلَاةِ وَمَنْ يَدْعُ بِمَنْزِلِهَا الْأَوْلَادَ فَهُوَ مُلِيمٌ
 إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الرِّيحُ طَمَّتْ رَفِيقَةً وَهْنٌ بِمَهْوًى كَالْكُرَاتِ جُثُومٌ³
 يُرَاطِنُ وَقُصَاءَ الْفَقَا وَحِشَةَ الشَّوَى بِدَعْوَى الْقَطَا لَحْنٌ لَهْنٌ قَدِيمٌ⁴
 فَبِتْنِ قَرِيرَاتِ الْعِيُونِ وَقَدْ جَرَى عَلَيْهِنَّ شَرِبٌ فَاسْتَقَيْنَ مُنِيمٌ⁵
 صَبِيبُ سِقَاءٍ نِيْطَ قَدْ بَرَكْتَ بِهِ مُعَاوِدَةً سَقَى الْفِرَاحَ رَوْوُمٌ

وَقَالَ الْعَجَّيْرُ ، فِيمَا رَوَى ابْنُ الْكَلْبِيِّ ، وَقَدْ تَرَوَى لغيره : [من الوافر]

سَأَغْلِبُ وَالسَّمَاءَ وَمَنْ بَنَاهَا قَطَاةَ مُزَاحِمٍ وَمَنْ انْتَحَاهَا
 قَطَاةَ مُزَاحِمٍ وَأَبِي الْمُثَنَّى عَلَى حُوزِيَّةٍ صُلْبٍ شَوَاهَا
 غَدْتُ كَالْقَطْرِ السَّقْوَاءِ تَهْوِي أَمَامَ مُجَلْجَلٍ زَجَلٍ نَفَاهَا⁶
 تَكْفَأُ كَالْجُمَانَةِ لَا تُبَالِي أَبَالُمَوَاةِ أَضَحْتُ أَمْ سِوَاهَا
 نَبْتُ مِنْهَا الْعَجِيزَةُ فَاحْزَلْتُ وَنَبَسَ لِلتَّقْتُلِ مَنْكِهَا⁷
 كَانَ كَعُوبَهَا أَطْرَافُ نَبَلٍ كَسَاهَا الرَّازِقِيَّةَ مَنْ بَرَاهَا⁸

قَالَ : وَاحْتَكَمُوا إِلَى لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ ، فَحَكَمَتْ لِأَوْسَ بْنِ غُلَفَاءَ .

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ عَنْ قَعْنَبِ بْنِ مُحَرَّرٍ

1 حجن : عوج .

2 الهاجرية : المرأة الحضرية .

3 طمَّت : أسرع . وَهْنٌ بِمَهْوًى كَالْكُرَاتِ جُثُومٌ فِي ل : وَإِنْ نَكَبَتْهَا الرِّيحُ فَهِيَ سَقُومٌ .

4 الوقصاء : القصيرة . وحشة فِي ل : حمشة .

5 فِي ل :

دَعَتْنِ عَجَلًا فَاتَّحَيْنَ لَصَوْتِهَا وَهْنٌ بِمَهْوًى كَالْكُرَاتِ جُثُومٌ

6 السقواء فِي ل : السجواء . والسقواء : السريعة . المججلجل من السحاب : الذي فِيهِ صَوْتُ الرِّعْدِ . وَغِيْثُ زَجَلٍ : لِرَعْدِهِ صَوْتُ .

7 احزالت : ارتفعت . نبس : تحرك . التقتل : التثني والتبختر .

8 الرازقية : ثياب كنان أبيض .

الباهلي قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حميد بن ثور والعجبر السلولي ومزاحم العقيلي وأوس بن غلفاء الهجيمي أنهم تحاكموا إلى ليلي الأخيلية لما وصفوا القطاة أيهم أحسن وصفاً لها : فقالت :

ألا كل ما قال الرؤاة وأنشدوا بها غير ما قال السلولي بهرج

وحكمت له . فقال حميد بن ثور يهجوها : [من الطويل]

كانك وزهاء العنانين بغلة رأت حصناً فعارضتهن تشحج
ووجدت هذه الحكاية عن أبي عبيدة مذكورة عن دماذ عنه وأنه سأله عن أبيات العجبر فأنشده :

تجوب الدجى سكا من دون فرخها بمطلى أريك نفنف¹ وسهوب¹
فجاءت وقرن الشمس باد كانه هجان² بصحراء الخبيب شوب²
لنسقي أفرأخا لها قد تبللت حلاقيم³ أسماط لها وقلوب³
قصار الخطا زغب الرؤوس كانها كرات تلطى مرة وتلوب⁴

فأما ما ذكرت من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعي أن أبا الحضير أنشده لعمر بن عقييل بن الحجاج الهجيمي :

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها
صفراء مطروقة في ريشها خطب صفراء قوادمها سود² خوافيها
منقارها كنواة القسب قلمها بميرد حاذق الكفين يبريها
تمشي كمشي فتاة الحي مسرعة حذار قوم إلى ستر يواريها

قال الأصمعي : مطروقة يعني أن ريشها بعضه فوق بعض . والخطب : لون الرماد ، يقال للمشبّه به أخطب :

تنشأ صفراء مطروقا بقيتها قد كاد يازي عن الدغوص آريها

1 المَطْلَى : مسيل ضيق من الأرض . أريك : واد بديار بني مرة . النفنف : المفازة . السهوب : الفلوات .
2 هجان : أبيض . الخبيب : موضع . وشوب : تجاوز رجلاه يديه في العدو .
3 حلاقيم : أسماط أي لا سمة فيها .
4 تلوب : تعطش .

تتناش : تتناول بقية من الماء . والمطروق : الماء الذي قد خالطه البول . وقوله : يأزي أي
يَقِيلُ عن الدِّعموص فيخرج منه لقلته . والدِّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص :

تسقي رَذِيَّينَ بِالْمُؤَاةِ قُوْتَهُمَا فِي ثَغْرَةِ النَّحْرِ مِنْ أَعْلَى تَرَاقِيهَا
الرذِيَّ : الساقط من الضعف . يعني فرخيها .

كَأَنَّ هَيْدَبَةً مِنْ فَوْقِ جُوجِئِهَا أَوْ جِرْوُ حَنْظَلَةٍ لَمْ يَعْدُ رَامِيهَا¹
جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعد من العداء ، أي لم يعد عليها فيكسرها .
تَشْتَقُّ مِنْ حَيْثُ لَمْ تُبْعِدْ مُصْعَدَةً وَلَمْ تُصَوَّبْ إِلَى أَدْنَى مَهَاوِيهَا
حتى إذا استأنسا للوقت واحتضرت تَوَجَّسَا الْوَحْيَ مِنْهَا عِنْدَ غَاشِيهَا²
ويروى : حتى إذا استأنسا للصوت . وتوجَّسا : تسمعا . وخيها أي سرعة طيرانها .
وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما .

تَرْفَعَا عَنْ شُؤْنٍ غَيْرِ ذَاكِيَةٍ عَلَى لَدِيدَيْ أَعَالِي الْمَهْدِ أَذْجِيهَا³
الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أفحوصها . ولديدها : جانباه .

مَدًّا إِلَيْهَا بِأَفْوَاهِ مُزَيَّنَةٍ صُعْدًا لِيَسْتَنْزِلَا الْأَرْزَاقَ مِنْ فِيهَا
كَأَنَّهُمَا حِينَ مَدَّاهَا لَجَنَاتِهَا طَلَى بِوَاطِنِهَا بِالْوَرَسِ طَالِيهَا
جَنَاتُهَا أَي جَنَاتُ عَلَيْهِمَا بِصَدْرِهَا لَتَرْقُوهَا .

جِثْلَيْنِ رَضًا رُفَاضَ الْبَيْضِ عَنْ زَغَبٍ وَرُقًا أَسَافُلُهَا بَيْضًا أَعَالِيهَا⁴
جِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضًا : كسرا . والرُفَاض : ما ارفض وتفرق .
تَرَادَا حِينَ قَامَا ثُمَّتَ احْتَطَبَا عَلَى نَحَائِفَ مُنَادٍ مَحَانِيهَا
تَرَادَا : تَنَيَّا . واحتطبا . دَنَوَا . والمَنَاد : المنعطف . ومَحَانِيهَا : حيث انحنى .
تَكَادَ مِنْ لَيْنِهَا تَنَادَ أَسَوْقُهَا تَأَوَّدَ الرَّئِلَ لَمْ تَعْرِمْ نَوَامِيهَا⁵

1 الهيدبة : خمل الثوب .

2 احتضرت : حضرت .

3 الأدحي : موضع البيض الذي يفرخ فيه .

4 الورقة : سواد في غيرة .

5 الريل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تَفَطَّرَتْ بورق أخضر من غير مطر .

تعزم : تشتدّ . ونواميها : أعاليها :

لا أشتكي نَوْشَةَ الأَيَّامِ من وَرَقٍ إلاّ إلى مَنْ أرى أن سوف يُشْكِيها
لِدِلِّهِمْ مَائِرَاتٌ قد عُذِدْنَ له إن المَائِرَ معدودٌ مَسَاعِيها
تَنحِي به في بني لَأَيٍّ دَعَائِمُها ومن جُمَانة لم تخضَعُ سَوَارِيها
بَنَى له في بيوت المجد والدّه وليس مَنْ ليس يَنِينُها كِبَانِيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضبيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال : وجدتها بخطّ محمد بن داود بن الجراح عن إسماعيل بن يونس الشيعيّ شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محمّل مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محمّل : جُمَانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم ، وهم أخوال دِلِّهِمْ هذا الممدوح . ودلهم من بني لأيّ ثم من بني يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم ، وكان أحد الشجعان ، وهو قتل الضحّاك¹ بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا² .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

أيُّها القلبُ لا أراك تُفَيِّقُ طالما قد تعلّقْتَ العُلُوقُ³
مَنْ يكن من هوى حبيبٍ قريباً فأنّا النازحُ البعيدُ السُّحُوقُ
قَدَّرَ الحبُّ بيننا فالتقينا وكلّنا إلى اللقاء مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضاً لمُخَارِق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممّن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أعلم له خبراً فأذكره⁴ .

1 أي الضحّاك بن قيس الشيباني .

2 كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة .

3 العلق : الهوى والحبّ .

4 في ل : ولا مرّبي في ما أحفظ له خبر فأذكره .

صوت من المائة المختارة

[من الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ أَضْحَى بِكُمْ مُسْتَهَامَا خَائِفًا لِلْوُشَاةِ يُخْفِي الْكَلَامَا
إِنَّ طَرْفِي رَسُولُ نَفْسِي وَنَفْسِي عَنْ فَوَادِي تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَا

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره . والغناء لرياض جارية أبي حماد خفيف ثقیل بالوسطى . وكان أبو حماد هذا أحد القواد الخراسانية ومن أولاد الدعاة ، وكان يُعَاشِر إسحاق ويبرّه ويهاديه ، فأخذت رياضُ عنه غناءً كثيراً ؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية ؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفعَ من شأنها ، فذكر صنعتهما في هذا الصوت فيما اختاره للوائح قضاء لحقّ مولاهما . وليس فيما قلته في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره ؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصّب له مثل مُتِمِّم وفريدة وأبي دُلف وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكة لمولاهما لم تخرج من يده ولا شهّرت ولا روي لها خبر .

صوت من المائة المختارة عن علي بن يحيى

[من الخفيف]

راح صبحي وعاود القلب داءً من حبيبٍ طَلَّأه لي عَناءٍ
حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُلْ فَفَى لشيءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءٍ
مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَا حَبِيبُ عَنْهُ عَزَاءٍ
أَمْ عِثْمَانُ قَدْ قَتَلْتَ قَتِيلًا عَمْدَ عَيْنٍ قَتَلْتَهُ لَا خَطَاءٍ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره . والغناء لنافع بن طنبورة ، ولحنه المختار خفيف ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقیل من جيّد صنعته ، وكان نسبه إلى كَمِيسَ جاريته ، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا .

[نبذة عن نافع بن طنبورة]

وكان نافع بن طنبورة يُكْنَى أبا عبد الله ، مُعَنَّ محسنٌ من أهل المدينة ، حسن الوجه نظيف الثوب ، يلقب نقش الغضار لحسن وجهه . وجعلته جميلة في المرتبة ، لما اجتمع المغنون إليها ، بعد نافع وبُدَيْح وقبل مالك بن أبي السّمح . وغناها يومئذ :
[من مجزوء البسيط]

يا طُولَ ليلي وبِتُّ لم أنمِ وساديَّ الهَمِّ مُبِطِنٌ سَقَمِي
أَنْ قَمْتُ يوماً على البلاطِ وأبِ صرتُ رَقاشاً فليْتَ لم أقمِ

فقالَت جميلة : أحسنت والله يا نَقْش الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان ! . ولم يفارق ابن طنبُورة الحجاز ولا خدَم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

عَتَقَ الفؤادُ من الصُّبا ومن السُّفاهةِ والعَلاقِ
وحطَّطْتُ رجلي عن قُلُو صِ الغيِّ في قُلُصِ عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزارِي الـ حَجَرور عن قَدَمي وساقِي
وكَفَفْتُ غَرَبَ النفسِ حَتـ سى ما تنوِّقُ إلى مَناقِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . والغناء لابن عبَّاد الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيفٌ ثقيل ، وقيل : إنَّه لغيره .

[118] - أخبار سعيد بن عبد الرحمن

[سعيد بن عبد الرحمن ومنزله في الشعر]

وقد مضى نسبه في نسب جدّه حسان بن ثابت متقدماً . وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية . متوسط في طبقة ليس معدوداً في الفحول . وقد وفد إلى الخلفاء من بني أمية فمدحهم ووصلوه . ولم تكن له نباهة أبيه وجدّه .

[وفد على هشام فلم يزل منه ودعاه الوليد فأكرمه]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال حدثني أبو عمرو الخَصَّاف عن العُتْبِيِّ قال : خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسألهم معاونته ، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً . وكان الوليد بن يزيد قد طلق امرأته العثمانية ليتزوج أختها ، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباه أن يزوجه . فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب ؛ فلما رآه وقف ؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه ؛ فلما جاءه قال : أنت ابن عبد الرحمن بن حسان ؟ قال : نعم أيها الأمير . فقال له : ما أقدمك ؟ قال : وفدت على أمير المؤمنين متجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحتهم من أهله ، فلم أنل منه حظوة ولا قبولاً . قال : لكنك تجد عندي ما تُحب ، فأقم حتى أعود . فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام . وخرج من عنده ؛ فنزل ودعا بسعيد ، فدخل إليه ، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه ؛ ثم قال له : أنشدني قصيدة بلغتني لك فشوقتني إليك ، وغنيت في بعضها ، فلم أزل أتمنى لقاءك . فقال : أي قصيدة أيها الأمير ؟ قال قولك :

أبائنة سَعْدَى ولم تُوفِ بالعهدِ ولم تشفِ قلباً تيمنه على عمَدِ
نعم أقمود أنت إن شطت النوى بسعدى وما من فرقة الدهر من ردِّ
كأن قد رأيت البين لا شيء دونه فم الآن أعلن ما تُسر من الوجدِ
لعلك منها بعد أن تشحط النوى ملق كما لاقى ابن عجلان من هند¹
فويل أم سلمى خلّة غير أنها تبلى مني وهي مازحة جددي

1 ابن عجلان : هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، جاهلي يضرب به المثل في العشق . وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدي .

وتدنو لنا في القول وهي بعيدة
ومهما أكنّ جلدأ عليه فإنني
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطِعَتْ به
كأنّي أرى في هجرها ، أيّ ساعة
ومن أجْلِها صافيتُ مَنْ لا تَرُدُّني
وأغضيتُ عيني من رجال على القَدَى
وأقصيتُ مَنْ قد كنتُ أُذني مكانه
فإن يكُ أُمسى وصلُ سَلَمَى خِلابةً
فأصبحَ ما مَنَّتْكَ دِيناً مُسَوِّفاً
تجوّدُ بتقريبِ الذي هو آجلُ
وقد قلتُ إذْ أهدتُ إلينا تحيةً
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتُ به

فما إن بَسَلَمَى من دُنُو ولا بُعْدِ
على هَجْرِها غيرُ الصَّبورِ ولا الجَلْدِ
فجانبته فيما أُسِرَّ وما أُبْدِي¹
هَمَمْتُ به ، موتي وفي وصلها خُلْدِي
عليه له قُرْبَى ولا نعمةً عندي
يقولون أقوالاً أَمْضُوا بها جِلْدِي
وأدْنيتُ مَنْ قد كنتُ أَقصيته جَهْدِي
فما أنا بالمفتونِ في مثْلِها وحدي
لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ
من الوعد مَطُولٌ وتبخلُ بالنَقْدِ
عليها سلامُ الله من نازح مُهْدِي
ونجداً إذا صارت نواها إلى نجدِ

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَيْهِ حتى فرَغَ منها . ثم قال له : لن
تحتاجُ إلى رِفْدِ أحدٍ ولا معونته ما بَقِيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال : ابْعَثْ بها إلى
أهلك وأقم عندي ، فلن تعدَمَ ما تُحِبُّه ما بَقِيت . فلم يزل معه زماناً ، ثم استأذنه وانصرف .
وفي بعض هذه الأبيات غناءً نُسِبَتْه :

صوت

أَبائتُ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعهدِ
ومهما أكنّ جلدأ عليه فإنني
ولم تَشْفِ قلباً أَقصَدته على عَمْدِ
على هجرها غيرُ الصَّبورِ ولا الجَلْدِ
الغناء للمالك خفيف ثَقِيلٌ أوَّلُ بالوسطى عن الهشامي . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

وأغضيتُ عيني من رجال على القَدَى
[وَمِنْ أَجْلِها صافيتُ مَنْ لا تَرُدُّني
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطِعَتْ به
الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثاني ثَقِيلٍ بالبصرة عن عمرو .

[قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحّاك بن عثمان قالا : وقد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه ؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراد على نفسه ، وكان لوطياً زنديقاً ؛ فدخل سعيد على هشام مغضباً وهو يقول :

إنّه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد
فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنّه قد رام مني خطّة لم يرّمها قبله مني أحد
فقال : وما هي ؟ قال :

رام جهلاً بي وجهلاً بأبي يُدخل الأفعى إلى خيس الأسد
قال : فضحك هشام وقال له : لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك .

[سأل أبا بكر بن عماد حجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني عمر بن شبة قال أخبرنا ابن عائشة : لا أعلمه إلا عن أبيه وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : سألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان صديقاً له حاجة ، وقال هاشم بن محمد في خبره : سألت سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة ، يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له ، ففرّغ فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال : [من الطويل]

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتي تولّى سواكم حمداً واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأيي مقصّر ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا ما أرادته على الخير مرّة عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً .

[مدح عدي بن الرقاع شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي عن ابن عائشة قال : قال رجل من الأنصار لعديّ بن الرقاع : أكثّني شيئاً من شعرك . قال : ومن أيّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجل من الأنصار . قال : ومن منكم القائل :

[من الكامل]

إِنَّ الْحَمَامَ إِلَى الْحِجَازِ يَهِيْجُ لِي طَرِباً تَرْتُمُهُ إِذَا يَتَرَنَّمُ
وَالْبَرْقُ حِينَ أَشِيْمُهُ مُتِيَامِناً وَجَنَائِبُ الْأَرْوَاحِ حِينَ تَنْسَمُ
فَقَالَ لَهُ : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتب
شعره ، فلست تحتاج معه إلى غيره .
وفي أول هذه القصيدة غناء نُسِبَتْهُ :

[من الكامل]

صوت

بِرَحِّ الْخَفَاءِ فَأَيَّ مَا بَكَ تَكْتُمُ وَالشَّوْقُ يُظْهِرُ مَا تُسِرُّ فَيُعْلَمُ¹
وَحَمَلَتْ سُقْمًا مِنْ عِلَاقٍ حَبَّهَا وَالْحَبُّ يَغْلُقُهُ الصَّحِيحُ فَيَسْقَمُ
الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي ، وذكره إبراهيم له ولم يحنسه . وفي هذه
القصيدة يقول :

عُلُوِيَّةٌ أُمِسْتُ وَدُونَ وَصَالِهَا مَضْمَارُ مَصْرَ وَعَابِدٌ وَالْقَلَزَمُ²
خَوْدٌ تُطِيفُ بِهَا نَوَاعِمُ كَالدُمَى مِمَّا اصْطَفَى ذُو النِّيْقَةِ الْمُتَوَسِّمُ³
حُلَيْنَ مَرْجَانَ الْبَحْرِ وَجَوْهَرًا كَالْجَمْرِ فِيهِ عَلَى النُّحُورِ يُنْظَمُ
قَالَتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ يَغْسِلُ كَحَلِّهَا عِنْدَ الْفِرَاقِ بِمُسْتَهْلٍ يَسْجُمُ
يَا لَيْتَ أَتَيْتُكَ يَا سَعِيدُ بِأَرْضِنَا تُلْقِي الْمَرَاثِي ثَاوِيًا وَتُخَيِّمُ
فَتُصِيبُ لَذَّةَ عَيْشِنَا وَرِخَاءَهُ فَتَكُونُ أَجْوَارًا فَمَاذَا تَنْقِمُ
لَا تَرْجِعَنَّ إِلَى الْحِجَازِ فَإِنَّهُ بِلَدِّ بِهِ عَيْشُ الْكَرِيمِ مَذْمَمُ
وَهَلُمَّ جَاوِرْنَا فَقُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي عَيْشٌ بِطَيِّبَةٍ وَبِحِمْزٍ غَيْرِكِ أَنْعَمُ
أَيْفَارَقُ الْوَطْنَ الْحَبِيبُ لِمَنْزِلِ نَاءٍ وَيُشْرَى بِالْحَدِيثِ الْأَقْدَمُ
إِنَّ الْحَمَامَ إِلَى الْحِجَازِ يَهِيْجُ لِي طَرِباً تَرْتُمُهُ إِذَا يَتَرَنَّمُ
وَالْبَرْقُ حِينَ أَشِيْمُهُ مُتِيَامِناً وَجَنَائِبُ الْأَرْوَاحِ حِينَ تَنْسَمُ
لَوْ لَجَّ ذُو قَسَمٍ عَلَى أَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ مُشَبِّهًا لَبَرِّ الْمُقْسَمِ
مَنْ أَجْلَهَا تَرَكِي الْقَرَارَ وَخَفَضَهُ وَتَجَشَّمِي مَا لَمْ أَكُنْ أَتَجَشَّمُ

1 والشوق في ل : ولسوف .

2 عابد : جبل بمصر ، وقيل : موضع أو صقع بها .

3 النيقة : اسم للتفوق أي التخير .

ولقد كُتِمَتْ غَدَاةٌ بَانَتْ حَاجَةً فِي الصَّدْرِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا مِتْكَمُ
تَشْفِي بِرُؤْيَيْهَا السَّقِيمَ وَتَرْتَمِي حَبَّ الْقُلُوبِ ، رَمِيْهَا لَا يَسْلَمُ
رَقْرَاقَةً فِي غُنْفَوَانٍ شَبَابِهَا فِيهَا عَنِ الْخُلُقِ الدَّنِيِّ تَكْرُمُ
ضَنْنَتْ عَلَى مُغْرَى بِطُولِ سَوَالِهَا صَبُّ كَمَا يَسْلُ الْغَنِيِّ الْمُعْدِمُ

[سأل عنبسة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرقت متاعه فقال شعر]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرمازي قال : خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك ، فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي ، وكان أبوه صديقاً لأبيه ، فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة ؛ فوعده أن يفعل ؛ فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرّقه لصٌ فسرق متاعه وكل شيء كان معه ؛ فأتى عنبسة فتنجزه ما وعده ؛ فاعتل عليه ودافعه ؛ فرجع سعيد من عنده فارتاباً وقال : [من المتقارب]

أَعْبَسُ قَدْ كُنْتُ لَا تَعْتَرِي إِلَى عِدَّةٍ مِنْكَ كَانَتْ ضَلَالاً¹
وَعَدْتُ عِدَاتٍ لَوْ أَنْجَزْتَهَا إِذَا لَحِمِدْتُ وَلَمْ تُرْزَ مَا²
وَمَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ قَدْ شَفَعَتْ فَأَعْطَى الْخَلِيفَةُ عَفْوَاً نَوَالاً
وَقَدْ يُنْجِزُ الْحَرْ مَوْعِدَهُ وَيَفْعَلُ مَا كَانَ بِالْأَمْسِ قَالاً
فِيَالَيْتَنِي وَالنَّاسُ كَأَسْمِهَا وَقَدْ يَصْرِفُ الدَّهْرُ حَالاً فَحَالاً
قَعَدْتُ وَلَمْ أَلْتَمِسْ مَا وَعَدْتُ وَيَا لَيْتَ وَعْدِكَ كَانَ اعْتِلَالاً
وَكُنْتُ نَعَمُ مِنْكَ مَخْزُونَةً وَقُلْتُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَلَا
أَرَى كَذِبَ الْقَوْلِ مِنْ شَرِّ مَا يُعَدُّ إِذَا النَّاسُ عَدُّوا الْخِصَالاً
فَأَبْقَيْتَ لِي عَنْكَ مَدْوَحَةً وَنَفْساً عَزُوفاً تُقِلُّ السُّوَالاً
فَإِنْ عَدْتُ أَرْجُوكُمْ بَعْدَهَا فَبَدَّلْتُ بَعْدَ الْعَلَاءِ السُّفَالاً
أَرْجُوكَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ عَزَفَتْ لَعَمْرِي لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً عُضَالاً

[لقي الوليد لما حج فاستأنس به الوليد]

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يثره عن أبيه قال : كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد ، فأحسن نزله وأعطاه وكساه

1 تعزي : تنتسب .

2 تُرْزَ : أصلها ترزأ .

وشفع له . فلما حجَّ الوليد لقيه سعيد بن عبد الرحمن في أول مَنْ لقيه ، فسلم عليه ، فردَّ الوليد عليه السلام وحيَّاه وقرَّبه وأمر بإنزاله معه وبسطه ، ولم يأنس بأحد أنسه به . وأنشده سعيد قولَه فيه :

يا لَقَوْمِي لِلهَجْرِ بعدَ التَّصافي وتَنائيَ الجميعِ بعدَ ائتلافِ
ما شجا القلبَ بعدَ طولِ اندمالِ غيرُ هابٍ كالفرخِ بينَ أثافي¹
ونعيبِ الغرابِ في عَرَصَةِ الدَّا رٍ ونُويِّ تَسْفِي عليه السَّوافي
وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال : رأى عَلِيَّ ابنُ عمرٍ أَوْضاحاً² فقال :
ألَهِها عنكَ فقد كَبِرتَ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظَةَ

[من الخفيف]

ما جرتْ خَطَرَةٌ على القلبِ مِنِّي فيكَ إلَّا استترتُ عن أصحابي
من دموعٍ تجري فإن كنتُ وحدي خالياً أسعدتُ دموعي انتحابي
إنَّ حَبِّي إِيَّاكَ قد سَلَّ جِسْمِي ورَماني بالشيبِ قبلَ الشَّبابِ
ارْحَمِي عاشقاً لك اليومَ صَباً هائمَ العقلِ قد ثوى في التُّرابِ
الشعر للسيد الحميري ، والغناء لمحمد نَعْجَة خفيفُ رملٍ أيضاً . ولم أجد لهذا المغني خبراً
ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيد متقدماً .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أُكْرِغُ الكَرْعَةَ الرُّوِيَّةَ منها ثم أصحو وما شَفَيْتُ غَلِيلِي
كم أتى دونَ عهدٍ أمَّ جميلٍ من إني حاجةٍ ولُبِّ طویلٍ³
وصياحِ الغرابِ أن سِرَّ فأسرِعْ سوفَ تحظى بنائلي وقبولِ
الشعر للأحوص . والغناء للبردان خفيفُ ثَقِيلٍ مطلق في مجرى البنصر .

1 الهابي : الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجو كالهباء .

2 الأَوْضاح : حلَى من الفضة .

3 إني حاجة : إدراكها . وإلاني : التأخير وهو المراد .

[119] - أخبار البردان

[كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزة الميلاء]

البردانُ لقب غلبَ عليه . ومنَ الناس مَنْ يقول : بُردان من أهل المدينة ، وأخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء . وكان مُعدِّلاً مقبولَ الشهادة ، وكان متولِّي السَّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيات حدثني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال : هو بُردان بضم الباء وتسكين الراء .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر وحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خردادبه قال قال إسحاق : كان بُردانُ متولِّي السوق بالمدينة . فقَدَّم إليه رجل خَصْماً يدَّعي عليه حقاً ؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدَّ ؛ فقال : لعلك تعني الغناء ! إني والله به لعارف ؛ ولو سمعتُ شيئاً جاء البارحة لازددت علماً بأنِّي عارف ، ومهما جهلتُ فلاني بوجوب الحق عليك عالم ؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه .

[رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً]

قال وحدثني أبو أيوب عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال : رأيتُ البردانَ بالمدينة يتولَّى سوقها وقد أَسَنَّ ؛ فقلت له : يا عم ، إني رويت لك صوتاً صنعته ، وأحببتُ أن تصحِّحه لي . فضحك ثم قال : نَعَمْ يا بُنَيَّ وحباً وكرامةً . لعله : [من الخفيف]

كم أتى دون عهدٍ أم جميل

فقلت نعم . قال : مل بنا إلى هاهنا ؛ فمال بي إلى دار في السوق ، ثم قال : غنَّه ؛ فقلت : بل تتم إحسانك يا عم وتغنيني به فإنه أطيب لنفسِي ؛ فإن سمعته كما أقول غنَّيته وأنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُستَصْلَحٌ استعدته . فضحك ثم قال : أنت لست تريد أن تصحِّح غناءك ، إنما تريد أن تقول سمعني وأنا شيخ وقد انقطعت وأنت شاب . فقلت للجماعة : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعني¹ فيما طلبتُ منه ! فسألوه ، فاندفع فغناه فأعاد ثلاث مرَّات ؛ فما رأيْتُ أحسنَ من غنائه على كبر سنِّه ونقصان صوته . ثم قال : غنَّه

الآن فغنّيته ؛ فطرب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنيّ ، فأنت أحسن الناس غناءً ،
ولئن عشتَ ليكوننَّ لك شأن . قال : وكان بُردانُ خفيفَ الروح طيّبَ الحديثِ مليحَ
النادرة مقبولَ الشهادة قد لقي الناسَ ، فكان بعد ذلك إذا رأيَ يدعوني فيأخذني معه إلى
منزله ويسألني أن أغنّيه فأفعل ؛ فإذا طابت نفسه سأله أن يطرح عليّ شيئاً من أغاني
القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عدّة أصوات .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بِحائِلِ فُوعالِ	دَرَسْتُ وَغَيْرَهَا سُنُونُ خَوالي
دَرَجَ البُوارِحُ فوقها فَتَنَكَّرْتُ	بَعْدَ الأُنَيْسِ مَعَارِفُ الأَطْلالِ ¹
دِمْنٌ تُذَعِّدُهَا الرِّياحُ وتارةً	تَعْفُو بِمُرْتَجِزِ السَّحابِ ثِقَالِ ²
فَكَأَنَّمَا هِيَ مِنْ تَقادُمِ عَهْدِهَا	وَرَقٌ نُشِيرُنَ مِنَ الكِتابِ بَوالي

الشعر للأخطل ، والغناء لسائب خاثر ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالنصر من
أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانه أن في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً
أوّل . وذكر حبش أن لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنه أحد السبعة ، وأن لإسحاق فيه
ثاني ثقیل ، وذكر الهشامي أن لحن الأبجر خفيف ثقیل .

1 البوارح : الرياح الحارّة الشديدة .

2 تذعدها : تحرّكها .

[120] - ذكر الأخطل وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو غِيَاثُ بنِ غَوْثِ بنِ الصَّلْتِ بنِ الطَّارِقَةِ ، ويقال ابن سَيْحَانَ بنِ عَمْرُو بنِ الْفَدَوْكَسِ بنِ عمرو بنِ مالِكِ بنِ جُشَمِ بنِ بَكْرِ بنِ حَبِيبِ بنِ عمرو بنِ غُنَمِ بنِ تَغْلِبِ .
ويكنى أبا مالِك . وقال المدائني : هو غِيَاثُ بنِ غَوْثِ بنِ سَلَمَةَ بنِ طَارِقَةِ ، قال : ويقال
لِسَلَمَةَ سَلَمَةُ اللَّحَامِ² . قال : وَبَعَثَ النُّعْمَانُ بنِ الْمُنْذِرِ بِأَرْبَعَةِ أَرْمَاحٍ لِفُرْسَانِ الْعَرَبِ ، فَأَخَذَ
أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بنِ مَالِكِ رُمَحًا ، وَسَلَمَةُ بنِ طَارِقَةِ اللَّحَامُ رُمَحًا وَهُوَ جَدُّ الْأَخْطَلِ ، وَأَنْسُ بنِ
مُدْرِكٍ رُمَحًا ، وَعَمْرُو بنِ مَعْدِيكَرِبٍ رُمَحًا .

[سبب تلقيه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب بن جعيل]

وَالْأَخْطَلُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ . ذَكَرَ هَارُونَ بنُ الزُّيَّاتِ عَنْ ابْنِ النَّطَّاحِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ
السَّبَبَ فِيهِ أَنَّهُ هَجَا رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا غَلَامُ ، إِنَّكَ لِأَخْطَلٍ ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ . وَذَكَرَ
يَعْقُوبُ بنُ السَّكِّيتِ أَنَّ عُتْبَةَ بنَ الزُّعَلِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ حَبِيبِ بنِ الْهَجْرَسِ بنِ
تَيْمِ بنِ سَعْدِ بنِ جُشَمِ بنِ بَكْرِ بنِ حَبِيبِ بنِ عمرو بنِ غُنَمِ بنِ تَغْلِبِ حَمَالَةً ، فَأَتَى قَوْمَهُ
يَسْأَلُ فِيهَا ؛ فَجَعَلَ الْأَخْطَلُ يَتَكَلَّمُ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ غَلَامٌ . فَقَالَ عُتْبَةُ : مَنْ هَذَا الْغَلَامُ الْأَخْطَلُ ؟
فَلَقَّبَ بِهِ .

قال يعقوب وقال غير أبي عُبَيْدَةَ : إِنَّ كَعْبَ بنَ جُعَيْلٍ كَانَ شَاعِرَ تَغْلِبِ ، وَكَانَ لَا
يَأْتِي مِنْهُمْ قَوْمًا إِلَّا أَكْرَمُوهُ وَضَرَبُوا لَهُ قُبَّةً ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ تُمَدُّ لَهُ حِبَالٌ بَيْنَ وَتَدَيْنِ فُتْمَلًا لَهُ
غَنَمًا . فَأَتَى فِي مَالِكِ بنِ جُشَمٍ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ؛ فَجَاءَ الْأَخْطَلُ وَهُوَ غَلَامٌ فَأَخْرَجَ الْغَنَمَ
وَطَرَدَهَا ؛ فَسَبَّهَ عُتْبَةُ وَرَدَّ الْغَنَمَ إِلَى مَوَاضِعِهَا ؛ فَعَادَ وَأَخْرَجَهَا وَكَعْبٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ :
إِنَّ غَلَامَكُمْ هَذَا لِأَخْطَلُ ، وَالْأَخْطَلُ : السَّفِيهِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ . وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ
الْأَخْطَلُ فِيهِ :

[من المتقارب]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 483/1 ، وطبقات فحول الشعراء 451/2 ، 502 ، ونقائض جرير
والأخطل : 207 ، 223 والاشتقاق : 180 ، 203 ، وأنساب الأشراف 5 : 319 ، وسمط الآلئ : 617 ،
والموشح : 132-134 ، والجمهرة : 265 ، والمؤتلف والمختلف : 76 ، وشرح شواهد المغني : 46 ،
وتفسير البطري : 84/15 ، 96/20 (بولاق) ، تكملة شعر الأخطل : 34 ، 35 ، والمخصص 65/14 .

2 في ل : اللجام .

سُمِّيَتْ كَعْباً بِشَرِّ الْعِظَامِ [وكان أبوك يُسَمَّى الْجُعْلُ

وإنَّ مَحَلَّكَ مِنْ وائِلٍ محلُّ القُرَادِ مِنْ استِ الجمل]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكرٌ وثَبَّأٌ ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأنَّ أهجى بهما منذ كذا وكذا ، فغلب عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة بن معاوية المهلبی قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القحذمي قال : وقع بين ابني جُعيل وأمهما ذرٌّ¹ من كلام ، فأدخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَابْنِي جُعِيلٌ وَأُمُّهُمَا لِاسْتَارٍ لَثِيمٌ²

فقال ابن جُعيل : يا غلام ، إن هذا لأخطلٌ من رأيك ؛ ولولا أنَّ أُمِّي سَمِيَّةٌ أُمُّكَ لتركْتُ أُمُّكَ يحدو بها الرُّكبان ؛ فسُمِّيَ الأخطلُ بذلك . وكان اسمُ أمَّهما وأُمُّ الأخطل ليلي .

وقال هارون حدثني إسماعيل بن مُجمَّع عن ابن الكلبي عن قومٍ من تغلبٍ في قصَّة كعب بن جُعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عبيدة مَن لم يسمَّه ، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذٍ يُقرِّزم ، والقرزمة : الابتداء بقول الشعر ؛ فقال له أبوه : أبقرزمتك تُريد أن تُقاوم ابن جُعيل ؟ وضربه . قال وجاء ابن جُعيل على تَفِئَةٍ³ ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تحفل به فإنَّه غلامٌ أخطل . فقال له كعب :

شاهدُ هذا الوجه غِبُّ الحُمَّة

فقال الأخطل :

فناك كعبُ بن جُعيلٍ أُمَّةٌ

فقال كعب : ما اسمُ أُمِّكَ ؟ قال : ليلي . قال : أردتُ أن تُعيذها باسمِ أُمِّي . قال : لا أعاذها الله إذا . وكان اسمُ أُمِّ الأخطل ليلي ، وهي امرأةٌ من إباد ؛ فسُمِّيَ الأخطل يومئذٍ ، وقال :

هجا الناسُ ليلي أُمَّ كَعْبٍ فمزَّقَتْ فلم يبقَ إلَّا نَفَنَفٌ أنا رافعة⁴

وقال فيه أيضاً :

1 الذرَّة : الشيء اليسير من القول .

2 إستار : أربعة .

3 على تَفِئَةٍ : أي على حينه وزمانه .

4 النفنف : الشيء اليسير .

هَجَانِي الْمُتَنِّانِ ابْنَا جُعِيلٍ وَأَيُّ النَّاسِ يَقْتُلُهُ الْهَجَاءُ¹
وُلِدْتُمْ بَعْدَ إِخْوَتِكُمْ مَنْ آسَتْ فَهَلَّا جِئْتُمْ مِنْ حَيْثُ جَاؤُوا
فَانصَرَفَ كَعَبٌ ، وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا .

[طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق]

وكان نصرانياً من أهل الجزيرة . ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف . وهو
وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على
أحدهم أنه أفضل ، ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن الجماعة .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم
عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى يونس فقال له : مَنْ أَسْعُرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل . قلنا : من
الثلاثة ؟ قال : أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عَمَنْ تروي هذا ؟ قال : عن عيسى بن
عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعنيسة الفيل وميمون الأقرن الذين
ماشوا² الكلام وطرقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس ، فذكر مثله
وزاد فيه . لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون . فقلت للرجل : سلّه وبأي شيء
فضّلوه ؟ قال : بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياذ ليس فيها سقط ولا فحش وأشدّهم تهديبا
للشعر . فقال أبو وهب الدقاق : أما إن حمّادا³ وجنادا كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حمّاد
وجناد ! لا نحويان ولا بدويان ولا يُصِرّان الكسور ولا يُفصّحان ، وأنا أحدثك عن أبناء تسعين
أو أكثر أدّوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيتهم فلم تشدّ عنهم زنة كلمة ،
والحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتل بالمعتل والأجوف بالأجوف وبنات الياء
بالياء وبنات الواو بالواو ، فلم تخف عليهم كلمة عريّة ، وما علم حمّاد وجناد ! .

قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي : أن الأخطل كان يقول تسعين بيتا
ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا محمد بن سلام قال سمعت سلمة بن عياش
وذكر أهل المجلس جريرا والفرزدق والأخطل ففضله سلمة عليهما . قال : وكان إذا ذكر
الأخطل يقول : وَمَنْ مِثْلُ الْأَخْطَلِ وَلَهُ فِي كُلِّ [بَيْتٍ] شَعْرَ بَيْتَانِ ؛ ثُمَّ يُنْشِدُ قَوْلَهُ : [من الكامل]

1 المتنان في الديوان : الألمان ابنا جعيل 328 .

2 ماش الكلام : خلطه ، وطرقه : إذا ضربه وخلطه ليستخرج أحسنه .

3 يعني حمّادا الراوية .

ولقد علمتُ إذا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهُنَّ شَمَالاً¹
أَنَا نَعَجَلُ بِالْعَيْطِ لَضِيفِنَا قبل العِيَالِ ونَضْرِبُ الْأَبْطَالَ²

ثم يقول ولو قال :

ولقد علمتُ إذا العِشَا رُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ
كان شعراً ، وإذا زدتَ فيه تكبهنَّ شمالاً ، كان أيضاً شعراً من رويٍّ آخر .
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال : كعبُ بن
جُعيل لَقَبَهُ الْأَخْطَلُ ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنَّكَ لَا أَخْطَلُ اللِّسَانُ ؛ فلزمته .
[سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية
قال حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعْد قال : كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلِّ شجرة ،
فقلت له : قَبَحَكَ اللَّهُ وَقَبَحَ أَبَاكَ ! أَمَا أَبُوكَ فَأَفَنِي عَمْرَهُ فِي مَدِيحِ عَبْدِ ثَقِيفٍ (يعني الْحَجَّاج) . وَأَمَّا
أَنْتَ فَاْمْتَدَحْتَ قَتْمَ بْنَ الْعَبَّاسِ فَلَمْ تَهْتَدِ لِمَنَاقِبِهِ وَمَنَاقِبِ آبَائِهِ حَتَّى اْمْتَدَحْتَهُ بِقَصْرِ بَنَاهُ . فقال :
وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ سُوْتُنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَقَدْ سُوتُ فِيهِ أَبِي : بَيْنَا أَنَا أَكُلُ مَعَهُ يَوْمًا وَفِي فِيهِ لَقْمَةٌ وَفِي
يَدِهِ أُخْرَى ، فقلت : يَا أَبَتِ ، أَنْتَ أَشْعَرُ أُمِّ الْأَخْطَلِ ؟ فَجَرِضُ³ بِاللُّقْمَةِ الَّتِي فِي فِيهِ وَرَمَى بِالَّتِي
فِي يَدِهِ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ سَرَرْتَنِي وَسُوْتُنِي . فَأَمَّا سُرُورُكَ إِيَّاي فَلِتَعْهَدُكَ لِي مِثْلَ هَذَا وَسُؤَالِكَ
عَنْهُ . وَأَمَّا مَا سُوْتَنِي بِهِ فَلِذِكْرِكَ رَجُلًا قَدْ مَاتَ . يَا بُنَيَّ أَدْرَكْتُ الْأَخْطَلُ وَلَهُ نَابٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْ
أَدْرَكْتُهُ وَلَهُ نَابٌ آخَرٌ لَا كَلَنِي بِهِ ، وَلَكِنِّي أَعَانْتَنِي عَلَيْهِ خَصْلَتَانِ : كَبِيرُ سِنَّ ، وَخُبْتُ دِينَ .
[آراء الأئمة والشعراء فيه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال : سُئِلَ حَمَادُ الرَّاوِيَةِ عَنِ الْأَخْطَلِ ، فَقَالَ : مَا
تَسْأَلُونِي عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرُهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ ! .
قال إسحاق وحدثني أبو عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ
الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا .
قال إسحاق وحدثني الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو أَنشَدَ بَيْتَ شَعْرٍ ، فَاسْتَجَادَهُ وَقَالَ : لَوْ كَانَ
لِلْأَخْطَلِ مَا زَادَ .

وذكر يعقوب بن السُّكَيْتِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو : أَنَّ جَرِيرًا سُئِلَ أَيُّ الثَّلَاثَةِ

1 تَرَوَّحَتْ : ذهبت في الرواح . والرثال : أولاد النعام . والهدج : غزو متقارب .

2 العييط من اللحم : الطري غير النضيج . ونضرب في الديوان : ونقتل 43 .

3 جرّض : غصّ .

أشعر ؟ فقال : أَمَا الفرزدق فتكلّف مِنِّي ما لا يُطيق . وَأَمَّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرماناً للفرائص . وَأَمَّا أَنَا فمدينة الشعر .

وقال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال : إِنَّمَا أدرك جريرُ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطّم . وكان الأخطلُ أَسَنَ من جرير ، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُ له نابين لأكلني . قال : وكان أبو عمرو يقول : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضلتُ عليه أحداً .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قال العلاء بن جرير : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً [ولا سُكَيْتاً ، وجرير يجيء سابقاً] ومُصَلِّياً وسُكَيْتاً .

وقال يعقوب بن السُّكَيْت قال الأصمعيّ : قيل لجرير : ما تقول في الأخطل ؟ قال : كان أَشدُّنا اجتراءً بالقليل وأنعتنا للحُمُر والخمر .

وروى إسماعيل بن عبيد الله عن مؤرّج عن شعبة عن سيمّك بن حرب : أَنَّ الفرزدق دخل الكوفة ، فلقبه ضوئ بن اللّجلاج¹ ؛ فقال له : مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد إلى ذلك ؟ قال : تَمَارِينَا فيه . قال : الأخطلُ أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيات حدّثني هارون بن مسلم عن حفص بن عمر قال : سَمِعْتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفص ، فحدّثه أَنَّهُ سأل جريراً عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسَ لكريمٍ وأوصفهُ للخمر . قال : وكان أبو عبيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبّه الأخطلَ بالنابغة لصحة شعره .

وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الله بن روية بن العجاج قال : كان أبو عمرو يفضل الأخطل . وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الرحمن بن بَرَزَخ قال : كان حماد يفضل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إِنَّمَا تفضّله لأنّه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلته بالفسق لفضّلتك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مرّار الشَّيبَانِي : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إِنَّهُ أمدَحُهُمْ ؛ فقال : لا والله ! ولكن أهجَاهُمْ . مَنْ مِنْهُمَا يُحْسِنُ أن يقول : [من الوافر]

ونحن رفعنا عن سلُولِ رماحنا وَعَمْداً رَغِينَا عن دماء بني نصرٍ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

قال الأخطل : أشعرُ الناس قبيلةً بنو قيس بن ثعلبة ، وأشعرُ الناس بيتاً آل أبي سلمى وأشعرُ الناس رجل في قميصي .

[أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه]

أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن حماد . هكذا قال ؛ وأظنه علي بن مجاهد قال : قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك : [من البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فراحوا مِنْكَ أو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كُلَّ ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسْمِعْنَاهَا يا أخطل ؛ فأنشده إياها ؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتناول لها ؛ ثم قال : وَيَحْك يا أخطل ! أتريد أن أكسب إلى الآفاق أنك أشعرُ العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئتُ دراهم وألقي عليه خلعاً ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

[أنشد عبد الملك شعرأ له وازنه بشعر لكثير]

وقال ابن الزيات حدثني جعفر بن محمد بن عيينة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال : أنشد عبد الملك قول كثير فيه :

فما تركوها عَنوةً عن مودّةٍ ولكن بحدّ المَشْرِفِي استقلّاهَا
فأعجب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتُ ؟ قال قلت :

أهلُّوا من الشهر الحرام فأصبحوا مَوالِي مُلْكٍ لا طَريفٍ ولا غَضَبٍ¹
جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غصباً ؛ قال : صدقت .

[حلف باللات أنه أشعر من جرير والفرزدق]

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو دُقَاقَة² الشامي مولى قريش عن شيخ من قريش قال : رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ؛ فلما انحدر دنوت منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللاتِ أشعرُ منهما . قال : فحلف باللاتِ هزواً واستخفافاً بدينه .

1 أهلُّوا من الشهر الحرام : خرجوا في استهلاله . وموالي ملك أي يتولونه .

2 في ل : دُقَاقَة .

وروى هذا الخبر أبو أيوب المديني عن المدائني عن عاصم بن شبل الجرهمي أنه سأل الأخطل عن هذا ، فذكر نحوه ، وقال : واللأت والعزى .
[نصح له شيباني بالآ يهجو جريراً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحرزماني : أن رجلاً من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له : يا أبا مالك ، إنا ، وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعة ، وإن لك عندي نصحاً . فقال : هاته ، فما كذبت . فقلت : إنك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ولا سيما أنه يسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة سباً لا تقدير على سب مضر بمثله والمُلكُ فيهم والنبوة قبله ؛ فلو شئت أمسكت عن مشارته ومهارته . فقال : صدقت في نصحك وعرفت مرادك ، وصلتك رَحِمَ ؛ فوالصليب والقربان لأتخلصن إلى كليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره . ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يُبالي وحق الصليب إذا مر به البيت المعابر¹ السائر الجيد ، أُسْلِمَ قاله أم نصراني .

[أنشد عبد الملك من شعره وتخيّله في حانوت بدمشق]

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني عن أبي الحسن المدائني قال : أصبح عبد الملك يوماً في غداة باردة ، فتمثل قول الأخطل :

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مَشَى قرشيّة لا شكّ فيها وأرخصى من مآزره الفضولا

ثم قال : كأنني أنظر إليه الساعة مُجَلَّلَ الإزار مستقبلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشق ؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره .
[قال أبو عمر لأبي حية وقد أنشده معجباً بنفسه]

وقال هارون بن الزيات حدثني طائع عن الأصمعي قال : أنشد أبو حية الثُميري يوماً أبا عمرو :

يا لَمَعْدُ ويا للناسِ كلّهم ويا لغائبهم يوماً ومن شهدا
كانه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنك الأخطل .

[عرض عليه عبد الملك الإسلام]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان

المخزومي : أَنَّ الأخطل قديم على عبد الملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلت ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله ؛ ما أَعْلَمَكَ بصلاح المنازل ! فما تريد أَنْ يُنْزَلَ¹ ؟ قال : دَرَمَكَ² من دَرَمَكُم هذا ولحم وخمر من بيت رأس³ . فضحك عبد الملك ثم قال له : وَتِلْكَ ؛ وعلى أَيِّ شيء اقتلنا إلا على هذا ؟ . ثم قال : أَلَا تُسَلِّمُ فَنَفَرِضَ لك في الفَيء ونُعْطِيكَ عشرة آلاف ؟ قال : فكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها وإنَّ أَوْلَهَا لَمَرٌّ وإنَّ آخِرَهَا لَسُكْرٌ ؛ فقال : أَمَّا إِذْ قُلْتَ ذَلِكَ فَإِنْ فيما بين هاتين لَمَنْزِلَةٌ ما مُلْكُكَ فيها إلا كَعُلْمَةِ ماء من الفرات بالإصبع . فضحك ثم قال . أَلَا تَزور الحَجَّاجَ ؟ فَإِنَّه كتب يستزيك . فقال : أَطَائِعٌ أَمْ كَارِهٌ ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نواله على نوالك ولا قُرْبَه على قربك ؛ إِنِّي إِذَا لَكَمَا قال الشاعر :

كَمْتَبَاعٍ لِيرَكِبَهُ حِمَاراً تَخَيَّرَهُ مِنَ الْفَرَسِ الْكَبِيرِ
فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرْهَمٍ وَأَمَرَهُ بِمَدْحِ الْحَجَّاجِ ؛ فمدحه بقوله :

صَرَمْتَ حَيْالَكَ زَيْنَبَ وَرَعُومَ وَبَدَا الْمُجَمِّعُ مِنْهُمَا الْمَكْتُومُ⁴
وَوَجَّهَ بِالْقَصِيدَةِ مَعَ ابْنِهِ إِلَيْهِ وَلَيْسَتْ مِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ .

[حاج أبو غسان بن خاقان بيتين من شعره]

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسان قال : ذكروا الفرزدقَ وجربراً في حَلَقَةِ المدائني ؛ فقلت لصباح بن خاقان : أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجربير والفرزدق بمثلهما ؟ قال : هات ؛ فأنشدته :

أَلَمْ يَأْتِهَا أَنَّ الْأَرَاقِمَ فَلَقْتُ جَمَاجِمَ قَيْسٍ بَيْنَ رَاذَانَ وَالْحَضِرِ⁵
جَمَاجِمَ قَوْمٍ لَمْ يَعَافُوا ظُلَامَةً وَلَمْ يَعْرِفُوا أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنَ الْغَدْرِ
قال : فسكت .

[حديث يونس النحوي عن الأخطل وسبقه جربراً والفرزدق]

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أَنَّ يونس سئل عن جربير والفرزدق والأخطل : أُنْهَمَ

1 . أي يقدم لله النزل ، وهو ما يهين للضيف من طعام وغيره .

2 . الدرملك : دقيق الحواري .

3 . بيت رأس : اسم قرية مشهورة بالخمر موقعها الآن في شمالي الأردن . وقيل هما قريتان .

4 . رعووم : اسم امرأة .

5 . يأتيها في الديوان يخبرنا 135 . الأرقام : حي من تغلب . فلقت في الديوان : فلقوا 135 . الحضر : مدينة بازاء تكريت . وراذان : قرية بنواحي نسا .

أشعر؟ قال : أجمعت العلماء على الأخطل . فقلت لرجل إلى جنبه : سلّه ومن هم ؟ فقال : من شئت ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعنّسة الفيل وميمون الأقرن ، هؤلاء طرقوا الكلامَ وماشوه لا كمن تحكّمون عنه لا بدويين ولا نحويين . فقلت للرجل : سلّه . وبأي شيء فضّل على هؤلاء ؟ قال : بأنّه كان أكثرهم عددَ قصائد طوال جياذ ليس فيها فحش ولا سقط . قال أبو عبيدة : فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشراً بهذه الصفة وإلى جانبها عشراً إن لم تكن مثلها فليست بدونها ؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً . قال إسحاق : فسألت أبا عبيدة عن الشعر فقال :

عفا واسيطٌ من آل رَضَوَى فَنَبْتُ¹
و تَأَبَّدَ الرَّبْعُ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارِ² [من البسيط]
و خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ وَابْتَكَرُوا [من البسيط]
و كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ [من الكامل]
و دَعِ الْمَعْمَرُ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ [من البسيط]
و لِمَنْ الدِّيارُ بِحَائِلِ فَوْعَالِ [من الكامل]
قال إسحاق : ولم أحفظ بقية العشر . قال : وقصائد جرير :

حَيِّ الْمُهْدَمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ
و أَلَا طَرَقْتُكَ وَأَهْلِي هُجُودُ [من المتقارب]
و أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَقُودَا [من الكامل]
قال وقال أبو عبيدة : الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدّهم أسراً شعرٍ وأقلهم سقطاً . وأخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة مثله .
وفي بعض هذه القصائد التي ذُكرت للأخطل أغاني هذا موضع ذكرها .
منها :

صوت

تَأَبَّدَ الرَّبْعُ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارِ وَأَقْفَرْتُ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ

1 واسط : في عدة مواضع ، ومنها واسط الجزيرة ، وهي التي يعينها الأخطل منازل تغلب قبيلته . رضوى : اسم امرأته . نبتل : موضع بنجد .
2 أحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

وقد تحلُّ بها سلمى تُجاذِبني تَساقطَ الحَلْي حاجاتي وأسراري
غناه عمر الوادي هزجاً بالسَّيَّابة في مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار
عبد الرحمن بن حسان لما هجاه الأخطل وهجا الأنصار ، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك .
ومنها :

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوى في صرْفها غيرُ
كأنني شاربٌ يوم استبدَّ بهم من قهوة ضُمَّتْها حِمَصُ أو جَدْر¹
جادت بها من ذواتِ القارِ مُتَرَعَّةً كلفاء يَنَحْتُ عن خرطومها المَدْرُ²
غناه إبراهيم خفيف ثقيل بالنصر . ولابن سُرَيْج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل
آخر يقال : إنه لعلويه ، ويقال : إنه لإبراهيم . وفيه لعلويه خفيف ثقيل آخر لا يُشكَّ فيه .
[سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه]

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشَّيباني عن رجل من كَلْب
يقال له مهوش عن أبيه : أنَّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس ؛
قال : الذي كان إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع . قال : ومن هو ؟ قال : الأعشى . قال :
ثم من ؟ قال : ابن العشرين (يعني طرفه) . قال : ثم من ؟ قال : أنا .
[آخر الراعي في حضرة بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا أبو بكر العَلَيْمي
قال حدثنا أبو قُحافة المُرِّي عن أبيه قال : دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي ؛
فقال له بشر : أنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم . فقال للراعي : ما تقول ! قال :
أما أشعر مني فعسى ، وأما أكرم فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم . فلمَّا خرج
الأخطل قال له رجل : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ . قال : ويَلْكَ ؛ إن أبا نسطوس
وضع في رأسي أكوساً ثلاثاً ، فوالله ما أعقل معها .

[استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمرًا ثم أنشده]

قال : ودخل الأخطل على عبد الملك بن مروان ، فاستنشده ؛ فقال : قد يَس حَلْقِي ،
فمرُّ من يَسقيني . فقال : اسقوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فاسقوه

1 جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الكلف : حمرة كدرة .

لبناً . قال : عن اللبن فُطِمْتُ . قال : اسقوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتريد ماذا ؟ قال : خمرأ يا أمير المؤمنين . قال : أوعهدتني أسقي الخمر لا أم لك ! لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت . فخرج فلقي قرأشاً لعبد الملك فقال : ويْلَكَ إنَّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحَّل¹ صوتي ، فاسقني شربة خمر فسقاه ؛ فقال : اعدله بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتهما يعتركان في بطني ، اسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً . فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدِلْ مِثْلِي برابع فسقاه رابعاً ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده :

خَفَ القطيْنُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غيرُ
فقال عبد الملك : خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألقي عليه من الخَلْع ما يغمره ، وأحسين جائزته ، وقال : إنَّ لكلِّ قوم شاعراً وإنَّ شاعر بني أمية الأخطل .

[حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني سيمك بن حرب عن ضوء بن اللُّجلاج قال : دخلتُ حماماً بالكوفة وفيه الأخطل ؛ قال فقال : مَنْ الرجل ؟ قلت : من بني ذهل . أتروي للفرزدق شيئاً ؟ قلت نعم . قال : ما أشعر خليلي ! على أنه ما أسرع ما رجع في هَيْبته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله :

أبني غُدَانَةَ إِنِّي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالٍ²
لولا عَطِيَّةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين أَلَمِ آنَفٍ وَسِيَالٍ³

وهبهم في الأول ورجع في الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلت : هجوت زُفراً⁴ بن الحارث ثم خَوَّفْتَ الخليفة منه فقلت : [من البسيط]

بني أُمَيَّةَ إِنِّي ناصحٌ لكم فلا يَيتَنُ فيكم آمناً زُفراً
مفترشاً كافتراش اللَّيْثِ كُلِّكَه لوقعة كائنٍ فيها له جَزَرٌ⁵

مدحت عِكْرَمَةَ بن رِيعِي فقلت :
قد كنتُ أحسبه قَيْناً وأخبره فاليوم طَيْرَ عن أثوابه الشرُّ

[من البسيط]

1 صحل صوته : بح .

2 بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم .

3 اسبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .

4 هو زفر بن الحارث العامري الكلابي .

5 جزر : قتل .

قال : لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا . [فقال له الأخطل] : والله لولا أنك من قوم سبقَ لي منهم ما سبقَ لهجوتُك هجاءَ يدخلُ معك قبرك . ثم قال : [من البسيط] ما كنتَ هاجيَ قومٍ بعد مدحِهِمْ ولا تُكَدِّرُ نَعْمَى بعد ما تُجِبُ اخْرِجْ عَنِّي .

[هو وزفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان]

وقال هارون بن الرِّيات حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَهْرِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ مَعْنُ بْنِ خَلَادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا اسْتَزَلَّ عَبْدُ الْمَلِكِ زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكَلَابِيَّ مِنْ قَرْقِيسِيَا¹ ، أَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ ذِي الْكَلَّاعِ² . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى السَّرِيرِ بَكَى . فَقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ لَا أَبْكِي وَسَيْفُ هَذَا يَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قَوْمِي فِي طَاعَتِهِمْ لَكَ وَخِلَافِهِ عَلَيَّ ، ثُمَّ هُوَ مَعَكَ عَلَى السَّرِيرِ وَأَنَا عَلَى الْأَرْضِ ! قَالَ : إِنِّي لَمْ أَجْلِسْهُ مَعِيَ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ وَلَكِنْ لِسَانَهُ لِسَانِي وَحَدِيثَهُ يُعْجِبُنِي . فَبَلَغْتَ الْأَخْطَلَ وَهُوَ يَشْرَبُ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لِأَقْوَمَنَّ فِي ذَلِكَ مَقَامًا لَمْ يَقْمَهُ ابْنُ ذِي الْكَلَّاعِ ! ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا مَلَأَ عَيْنَهُ مِنْهُ قَالَ :

وَكَأْسٍ مِثْلَ عَيْنِ الدِّيكِ صِرْفٍ تَنْسِي الشَّارِينَ لَهَا الْعُقُولَا
إِذَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْهَا ثَلَاثًا بَغِيرِ الْمَاءِ حَاوِلٌ أَنْ يَطُولَا
مَشَى قُرْشِيَّةً لَا شَكَّ فِيهَا وَأَرْخَى مِنْ مَازَرِهِ الْفُضُولَا

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا أَخْرَجَ هَذَا مِنْكَ يَا أَبَا مَالِكٍ إِلَّا خُطَّةً فِي رَأْسِكَ . قَالَ : أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ تُجْلِسُ عَدُوَّ اللَّهِ هَذَا مَعَكَ عَلَى السَّرِيرِ وَهُوَ الْقَاتِلُ بِالْأَمْسِ : [من الطويل]

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْغَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ

قال : فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدرَ زُفرَ فقلبه عن السرير وقال : أَذْهَبَ اللَّهُ حَزَازَاتِ تِلْكَ الصُّدُورِ . فَقَالَ : أَنْشُدْكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَهْدَ الَّذِي أُعْطَيْتَنِي ! . فَكَانَ زُفَرُ يَقُولُ : مَا أَقْنَتُ بِالْمَوْتِ قَطُّ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ حِينَ قَالَ الْأَخْطَلُ مَا قَالَ .

[قال إِنِّي فَضَّلْتُ الشُّعْرَاءَ وَأَنْشَدُ مِنْ عَيُونِ شِعْرِهِ]

وقال هارون بن الرِّيات حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ حَنْظَلَةَ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : قَالَ الْأَخْطَلُ : فَضَّلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ وَالنَّسِيبِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي

1 قرقيسيا : بلدة على الفرات قرب رجة مالك بن طوق .

2 هو ابن ذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِي ، شَهِدَ صَفِينَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مِنْ رَجَالِهِ .

فيه . فَأَمَّا النَّسِيبُ فَقَوْلِي : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَذْرِ
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ أَمَّا وَشَاحُهَا
تَمُوتُ وَتَحْيَا بِالضَّجِيعِ وَتَلْتَوِي
وَأَمَّا النَّسِيبُ فَقَوْلِي :

وَقَوْلِي فِي الْمَدِيحِ : [من البسيط]

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
الْخَائِضُ الْغَمْرَةُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
أَبْدَى النَّوَاجِذَ يَوْمًا عَارِمٌ ذَكَرُ²
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ : [من الوافر]

وَكُنْتَ إِذَا لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا
وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمْ الْعَبِيدُ
وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وَصَدَقَ لَعَمْرِي ، لَقَدْ فَضَّلَهُمْ .

[تَرْجُومُ مَطْلَقَةً أَعْرَابِيٌّ فَذَكَرْتَهُ ، وَكَانَ هُوَ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ وَشَعَرَهُ فِي ذَلِكَ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ دَاوُدَ قَالَ : طَلَّقَ أَعْرَابِيٌّ امْرَأَتَهُ فَتَزَوَّجَهَا الْأَخْطَلُ ؛ وَكَانَ الْأَخْطَلُ قَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ . فَبَيْنَا هِيَ مَعَهُ إِذْ ذَكَرْتُ زَوْجَهَا الْأَوَّلَ فَتَنَفَّسْتُ ؛ فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

[من الطويل]

كَلَانَا عَلَى هَمٍّ بَيْتٌ كَأَنَّمَا
عَلَى زَوْجِهَا الْمَاضِي تَنُوحُ وَإِنِّي
بِجَنَّتِيهِ مِنْ مَسِّ الْفِرَاشِ قُرُوحُ
عَلَى زَوْجَتِي الْأُخْرَى كَذَاكَ أَنْوَحُ

[حَدِيثُهُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ حَرْبٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ : أَنَّ الْأَخْطَلُ قَالَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : مَا نَازَعْتَنِي نَفْسِي قَطُّ إِلَى مَدْحِ أَحَدٍ مَا نَازَعْتَنِي إِلَى مَدْحِكُمْ ؛ فَأَعْطَنِي عَطِيَّةً تَبْسُطُ بِهَا لِسَانِي ؛ فَوَاللَّهِ لَأُرْدِيَنَّكُمْ أُرْدِيَةً لَا يَذْهَبُ صِقَالُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ : أَعْلَمُ وَاللَّهِ يَا أَبَا مَالِكٍ أَنَّكَ بِذَلِكَ مَلِيءٌ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يُلْغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أَسْأَلُ فِي غُرْمٍ وَأَعْطِي الشُّعْرَاءَ فَأَهْلِكَ وَيُظَنَّ ذَلِكَ مِنِّي حِيلَةً . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى إِخْوَتِهِ لَأَمُوهُ كُلِّ لَوْمٍ فِيمَا فَعَلَهُ . فَقَالَ : قَدْ أَخْبَرْتُهُ بِعُذْرِي .

1 القلب : السوار .

2 العارم : الشديد الشرس .

[حديث جرير عنه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطاب حدثني نوح بن جرير قال : قلت لأبي : أنت أشعر أم الأخطل ؟ فنهرني وقال : بغس ما قلت ! وما أنت وذاك لا أم لك ! فقلت : وما أنا وغيره ! قال : لقد أعنت عليه بكفر وكبر سين ، وما رأيته إلا خشيت أن يتلعي .

[حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل]

أخبرني عمي عن الكراني عن دماذ عن أبي عبيدة قال : قال رجل لأبي عمرو : يا عجباً للأخطل ! نصراني كافر يهجو المسلمين ! . فقال أبو عمرو : يا لكع ؛ لقد كان الأخطل يجيء وعليه جبة خز وجرز خز ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن .

[رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق]

وقال هارون حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد الله بن علي الدؤسي عن معقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال : كنا بباب مسلمة بن عبد الملك ، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة ؛ فقال أصحابي : حكمناك وتراضينا بك . فقلت : نعم ، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رهان ، فأحدها سابق الدهر كله ، وأحدها مصل ، وأحدها يجيء أحياناً سابق الريح وأحياناً سكيناً وأحياناً متخلفاً . فأما السابق في كل حالته فالأخطل . وأما المصلي في كل حالته فالفرزدق . وأما الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلف أحياناً فجرير ؛ ثم أنشد له : [من الطويل]

سرى لهم ليل كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المقتل

وقال : أحسن في هذا وسبق . ثم أنشد : [من الكامل]

التغليبة مهرها فلسان والتغليبة جنازة الشيطان

وقال : تخلف في هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

[حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة]

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن عمرو الجرجاني عن أبيه : أن الفرزدق والأخطل ، بينا هما يشربان وقد اجتماعا بالكوفة في إمارة بشر بن مروان إذ دخل عليهما فتى من أهل اليمامة ؛ فقالا له : هل ترؤي لجرير شيئاً ؟ فأنشدهما : [من الكامل]

لو قد بعثت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث لقد نكحت الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال : يا أبا مالك ، أترأه إن وسمني يتوركك على كبر سنك ! ففرع الفتى فقام وقال : أنا عائد بالله من شركا . فقالا : اجلس لا بأس عليك ؛ ونادماه بقاء يومهما .

[الفرزدق في ضيافته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو يعلى قال حدثني عبد السلام بن حرب قال : نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه ، فجاءه بعشاء ثم قال له : إني نصراني وأنت حنيف ، فأبي الشراب أحب إليك ؟ قال : شراؤك . ثم جعل الأخطل لا يُشيد بيتاً إلا أتم الفرزدق القصيدة . فقال الأخطل : لقد نزل بي الليلة شر ، من أنت : قال : الفرزدق بن غالب . قال : فسجد لي وسجدت له . فقيل للفرزدق في ذلك ، فقال : كرهت أن يفضلني . فنادى الأخطل : يا بني تغلب هذا الفرزدق . فجمعوا له إبلاً كثيرة . فلما أصبح فرّقها ثم شخص .

[كان خبيث الهجاء في عفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان مما يُقدّم به الأخطل أنه كان أحبّهم هجاء في عفافٍ عن الفحش . وقال الأخطل : ما هجوت أحداً قط بما تستحيي العذراء أن تُنثيه أباه .

[أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية]

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عباد الموصلي قال : خرج يزيد بن معاوية معه عام حجّ بالأخطل . فاشتاق يزيد أهله فقال : [من الطويل]

بكي كل ذي شجرٍ من الشام شاقه تهام فأنسى يلتقي الشجيان
أجز يا أخطل ؛ فقال : [من الطويل]

يغور الذي بالشام أو يُنجد الذي بغور تهامات فيلتقيان

[مدح أبو العباس شعراً له في بني أمية]

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قيل لأبي العباس أمير المؤمنين : إن رجلاً شاعراً قد مدحك ، فسمع شعره ؟ قال : وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النضرانية في بني أمية :

شمسُ العداوة حتى يُستقَادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ بمثله .

[حادثه له مع أمه]

قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التميمي عن أبي بردة الفراري عن رجل من تغلب قال : لاحظ الأخطل شكوة¹ لأمه فيها لبن وجرباً فيه تمر وزبيب ، وكان

جائعاً وكان يُضَيِّقُ عليه ؛ فقال لها : يا أمه ، آل فلان يزورونك ويقضون حَقَّكِ وأنتِ لا تأتيهم وعندهم عليلٌ ، فلو أتيتهم لكان أجملَ وأولى بكِ . قالت : جُزيتَ خيراً يا بُنيَّ ! لقد نَبَّهتَ على مَكْرُمَةٍ . وقامت فليست ثيابها ومضت إليهم . فمضى الأخطلُ إلى الشَّكوة ففرَّغَ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كله . وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً ، فعلمت أنه قد دهاها ، وعمدت إلى خَشَبَةٍ لتضرِّبه بها ؛ فهرَّب وقال : [من المتقارب]

أَلَمَّ عَلَى عَيْنَاتِ الْعَجُوزِ وَشَكَّوَتْهَا مِنْ غِيَاثٍ لَمَمَ
فَظَلَّتْ تُنَادِي أَلَا وَيْلَهَا وَتَلَعَنَ وَاللَّعْنُ مِنْهَا أُمَمَ¹

وذكر يعقوب بن السَّكِّيتِ هذه القِصَّةَ ، فحكى أنَّها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون ، فكانت تُؤثِّرهم باللَّبنِ والتمر والزبيب وتبعث به يرعى أغزاً لها . وسائرُ القِصَّةِ والشعر متفق . وقال في خبره : وهذا أوَّلُ شعر قاله الأخطل .

[نسب بأمة ورعوم ابنتي سعيد بن إياس]

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن ابن مَهْرويه عن عليٍّ بن فيروز عن الأصمعيِّ عن أُمَامَةَ وَرَعُومَ اللَّتَيْنِ قال فيهما الأخطل :

صَرَمْتُ أُمَامَةَ حَبْلَهَا وَرَعُومَ

وَرَعُومُ وَأُمَامَةُ بنتا سعيد بن إياس بن هانيء بن قَبِيصَةَ ، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمرًا وخرجتا وهما جُوَيْرِيتان فخدمته . ثم نزل عليه ثانية وقد كَبُرتا فحُجِبتا عنه ؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ ابنتاي ؟ فأخبر بأكبرهما ، فنسب بهما . قال : والرَّعُومُ هي التي كانت عند قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ وكان يقال لها أُمُّ الْأُخْمَاسِ ، تزوجت في أخماس² البَصْرَةِ مُحَمَّدَ بن المهَلَّبِ وعامر بن مِسْمَعٍ وَعَبَّادَ بن الحُصَيْنِ وقُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ ؛ وكان يقال لها الجارود . [كان حكم بكر بن وائل]

أخبرنا مُحَمَّدُ بن العَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قال حَدَّثَنَا الْخَرَّازُ عن المدائنيِّ قال قال أبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رَضِيَتْ بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيَقْدَمُون إليه . قال : فرأيتُه بالجزيرة وقد شَكِيَ إلى الْقَسِّ وقد أخذ يَلِحِيته وضربه بعصاه وهو يَصِيءُ³ كما يَصِيءُ الْفَرَّخُ . فقلت له : أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أخي ، إذا جاء الدِّينُ ذَلَّلْنَا .

1 أم : قريب يسير .

2 أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوَّلُ العالية ، والثاني بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزْد .

3 يَصِيء : يصيح .

[استنشد داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشعر الناس فأجابه]

وقال يعقوب بن السكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المساور قال : دخلتُ إلى الأخطل فسلمتُ عليه ، فنسبني فانتسبت ، واستنشدته فقال : أنشدك حبة قلبي ، ثم أنشدني :

لَعَمْرِي لَقَدْ أُسْرِيْتُ لَا لَيْلَ عَاجِزَ بِسَلْهَبَةِ الْخَدَّيْنِ ضَاوِيَةِ الْقُرْبِ¹
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلَتْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
فَقُلْتُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الْأَعْمَى . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنَا .

[أعطاه هشام فاستقل عطاءه وفرقه في الصبيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه عن أبي أيوب المدينيّ عن المدائنيّ قال : امتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسمائة درهم ، فلم يرضها وخرج فاشتري بها تُفَاحاً وفرقه على الصبيان . فبلغ ذلك هشاماً فقال : قُبِّحَ اللَّهُ ؛ مَا ضَرَّ إِلَّا نَفْسَهُ .

[تمثل هشام بشرط بيت في ناقة ، فأنتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها]

وقال يعقوب بن السكيت حدثني سلمة النُمَيْرِيّ ، وتُوَفِّي وله مائة وأربعون سنة ، أنه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسع عشرة سنة وحضر جرير والفرزدق والأخطل عنده ؛ فَأَحْضَرَ هِشَامٌ نَاقَةً فَقَالَ مَتَمَثِّلاً :

أُنِيخَهَا مَا بَدَالِي ثُمَّ أَرْحَلُهَا

ثم قال : أَيُكُمُ أْتَمُّ الْبَيْتِ كَمَا أُرِيدُ فَهِيَ لَهُ . فقال جرير :

كَأَنَّهَا نَقْنَقٌ يَعْذُو بِصَحْرَاءَ²

فقال : لم تصنع شيئاً . فقال الفرزدق :

كَأَنَّهَا كَاسِرٌ بِالْدَّوِّ فَتَخَاءَ³

فقال : لم تُغْنِ شيئاً . فقال الأخطل :

تُرْخِي الْمَشَافِرَ وَاللَّحْيَيْنِ إِرْخَاءَ

فقال : اركبها لا حملك الله .

1 بسلهبة في الديوان : بساهمة 17 . القرب : الخاصة .

2 النقنق : الظلّيم وهو ذكر النعام .

3 الكاسر : العقاب . الفتخاء : اللينة الجناح لأنها إذا انططت كسرت جناحيها وغمزتها .

[هجته جارية من قومه فحذر أباهما ثم هجاها]

وقال هارون بن الزيات حدثني الخزاز عن المدائني قال : هجت الأخطل جارية من قومه ؛ فقال لأبيها : يا أبا الدلماء ، إن ابنتك تعرضت لي فاكفّفها . فقال له : هي امرأة مالكة لأمرها . فقال الأخطل :

ألاً أبْلُغْ أبا الدلماء عني بأن سينان شاعركم قصيرُ
فإن يطعن فليس بذئ غناء وإن يطعن فمطعنه يسيرُ
متى ما ألقه ومعى سلاحي يخِرُّ على قفاه فلا يُجيرُ
فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه ؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

[وصيته عند موته]

أخبرنا أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال : لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا مالك ، ألا توصي ؟ فقال :

أوصي الفرزدق عند الممات بأُم جرير وأعيارها
وزار القبور أبو مالك برغم العداة وأوتارها

[رأي ابن سلام في شعر له وشعر لجرير]

أخبرنا أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء : أيّ البيتين عندك أجود : قول جرير :

ألستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأندى العالمين بطنون راح
أم قول الأخطل :

شمسُ العداوة حتى يُستَقَادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا
فقلت : بيت جرير أحلى وأسّير ، وبيت الأخطل أجزل وأرزن . فقال : صدقت ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة .

[رأي حماد الراوية في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الحلبي وجعفر بن سعيد أن رجلاً سأل حماداً الراوية عن الأخطل فقال : ويحكم ؛ ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حَبَبَ إليّ شعره النصرانية ! .

[فضله كثير من العلماء على صاحبيه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن أبي عُبَيْدة قال :
كان يونس بن حَبِيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرٍو يفضلون الأخطل على الثلاثة .
[فضله عمر بن عبد العزيز على جرير]

وقال هارون بن الزِّيَات حدثني أبو عثمان المازني عن العُتْبِيِّ عن أبيه : أن سليمان بن عبد
الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريز أشعر أم الأخطل ؟ فقال له : أعفني . قال : لا والله لا
أعفيك . قال : إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله ؛ وقد
بلغ الأخطل منه حيث رأيت . فقال له سليمان : فضلت والله الأخطل .
[أثنى عليه الفرزدق]

قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعي عن خالد بن كلثوم قال : قال عبد الملك
للفرزدق : من أشعر الناس في الإسلام ؟ قال : كفك بابه النصرانية إذا مدح .
[مهاجاته جريراً في حضرة عبد الملك وقصة أبي سواج]

أخبرنا أحمد وحبيب قالوا حدثنا عمر بن شبة قال : حدثت أن الحجاج بن يوسف أوفد
وفداً إلى عبد الملك وفيهم جرير . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له ؛ فلما دخل عليه قال
له : يا أخطل ، هذا سبك ، يعني جريراً ، وجرير جالس ، فأقبل عليه جرير فقال : أين تركت
خنازير أمك ؟ قال : راعية مع أعيار أمك ؛ وإن أتيتنا قريناك منها . فأقبل جرير على عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رائحة الخمر لتفوح منه . قال : صدق يا أمير المؤمنين ، وما
اعتذارني من ذلك ! .
[من الوافر]

تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرَى ويشرب قومك العَجَبَ العجيباً¹
مَنِيَّ العبد عبد أبي سواج أَحَقُّ مِنَ المدامة أن تعيبا
فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنشدني يا جرير ، فأنشده ثلاث قصائد كلها في الحجاج
يمدحه بها ، فأحفظ عبد الملك ، وقال له : يا جرير ، إن الله لم ينصر الحجاج وإنما نصر
خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال :
[من البسيط]

شُمَشُ العداوة حتى يُستفادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدرُوا
فقال عبد الملك : هذه المزمرة² ؛ والله لو وُضِعَتْ على زُبُر³ الحديد لأذابتها . ثم أمر له

1 في الديوان : الشطر الأول : تعيرني شراب الشيخ كسرى 155 .

2 في ل : المذمرة .

3 الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

بِخَلْعٍ فَخُلِعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى غَابَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ شَاعِرًا ، وَإِنَّ الْأَخْطَلَ شَاعِرُ بَنِي أُمَيَّةَ .
فَأَمَّا قَوْلُ الْأَخْطَلَ :

[من الوافر]

مَنِّي الْعَبْدُ عَبْدُ أَبِي سُوَّاجٍ

فَأَخْبِرْنِي بِخَيْرِ أَبِي سُوَّاجٍ عَلِيَّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ وَمُحَمَّدَ بْنِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيَّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَأَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى أَنَّ أَبَا سُوَّاجٍ وَهُوَ عَبَّادُ بْنُ خَلْفِ الضَّبِّيِّ جَاوَرَ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَتْ لَهُ فَرَسٌ يُقَالُ لَهَا بَذْوَةٌ¹ ، وَكَانَ لِصُرْدُ بْنُ جَمْرَةَ الْيَرْبُوعِيِّ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْقَضِيبُ ، فَتَرَاهُنَا عَشْرِينَ بَعَشْرِينَ ، فَسَبَقَتْ بَذْوَةٌ فَظَلَمَهُ ابْنُ جَمْرَةَ حَقَّهُ وَمَنَعَهُ سَبَقَهُ² ، وَجَعَلَ يَفْجُرُ بِأَمْرَاتِهِ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا سُوَّاجٍ ذَهَبَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَمْتَارُ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ رَاجِعًا ، وَكَانَ رَجُلًا شَدِيدًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ ، جَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ يَحْدُو : [من الرجز]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَعَثَ مِنْ بَعْدِي

[من الرجز]

فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ مِنْ خَلْقِهِ :

نَعَمْ بِمَكْوِيٍّ قَفَّاهُ جَعْدِي

فَعَادَ إِلَى قَوْلِهِ فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَقَدِمَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَقَامَ بِهِ مَدَّةً ، فَتَغَاضَبَ صُرْدُ عَلَى امْرَأَةٍ أَبِي سُوَّاجٍ وَقَالَ : لَا أَرْضَى أَوْ تَقْدِيَّ مِنْ أَسْتِ أَبِي سُوَّاجٍ سِيرًا . فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا بِذَلِكَ فَقَامَ إِلَى نَعِجَةٍ لَهُ فَذَبَحَهَا وَقَدَّ مِنْ بَاطِنِ الْبَيْتِهَا سِيرًا فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا ؛ فَجَعَلَهُ صُرْدُ بْنُ جَمْرَةَ فِي نَعْلِهِ ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَقْبَلْتُ وَفِيكُمْ أَبُو سُوَّاجٍ فَسَلُّونِي مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ فَفَعَلُوا ، فَقَالَ : مِنْ ذِي بِلْيَانَ³ وَأُرِيدُ ذَا بِلْيَانَ ، وَفِي نَعْلِي شِيرَاكَانَ ، مِنْ أَسْتِ إِنْسَانٍ . فَقَامَ أَبُو سُوَّاجٍ : فَطَرَحَ ثَوْبَهُ وَقَالَ : أَنْشُدْ كَمَا اللَّهُ ! هَلْ تَرَوْنَ بَأْسًا ؟ ثُمَّ أَمَرَ أَبُو سُوَّاجٍ غُلَامَيْنِ لَهُ رَاعِيَيْنِ أَنْ يَأْخُذَا أُمَةً لَهُ فَيَتَرَاوَحَا ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِمَا عُسًا وَقَالَ : لَعْنُ قَطْرَتِ مَنْكُمَا قَطْرَةٌ فِي غَيْرِ الْعُسِّ لِأَقْتَلَنَّكُمَا . فَبَاتَا يَتَرَاوَحَانِهَا وَيَصُبَّانِ مَا جَاءَ مِنْهُمَا فِي الْعُسِّ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَحْلُبَا عَلَيْهِ فَحَلَبَا حَتَّى مَلَأَاهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَامْرَأَتِهِ : وَاللَّهِ لَتَسْقِنَهُ صُرْدُ أَوْ لِأَقْتَلَنَّكَ ؛ وَاخْتَبَأَ وَقَالَ : ابْعَثِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ فَفَعَلَتْ . وَأَتَاهَا لَعَادَتَهَا كَمَا كَانَ يَأْتِيهَا ، فَرَحَبَتْ بِهِ وَاسْتَبْطَأَتْهُ ثُمَّ قَامَتْ إِلَى الْعُسِّ فَنَاولَتْهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا ذَاقَهُ رَأَى طَعْمًا خَبِيثًا وَجَعَلَ يَتَمَطَّقُ⁴ مِنَ اللَّبَنِ الَّذِي يَشْرَبُ وَقَالَ : إِنِّي أَرَى لِبَنِكُمْ خَائِرًا ، أَحْسَبُ إِلَيْكُمْ رَغَتِ

1 في ل : ندوة .

2 السَّقِي : الخطي الذي يوضع بين أهل السباق .

3 ذو بليان : موضع وراء اليمن وقال آخرون : من أعمال هجر .

4 يَتَمَطَّقُ : يَتَذَوَّقُ .

السَّعْدَان . فقالت : إِنَّ هذا من طُول مُكْنَه في الإِنَاء ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا شَرَبْتَهُ . فَلَمَّا وَقَعَ فِي بَطْنِهِ وَجَدَ الْمَوْتَ ، فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا يَعْلَمُ أَصْحَابُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَى أَبِي سُوَّاجِ اللَّيْلِ أَتَى أَهْلَهُ وَغِلْمَانَهُ فَانْصَرَفُوا إِلَى قَوْمِهِ وَخَلَّفَ الْفَرَسَ وَكَلْبَهُ فِي الدَّارِ ؛ فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَنْبِجُ وَالْفَرَسُ يَصْهَلُ ؛ وَذَلِكَ لِيُظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَحِلْ . فَسَارُوا لِيَلْتَهُمُ وَالِدَارُ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُهُ وَكَلْبُهُ وَفَرَسُهُ وَعُصَّةُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ فَرَسَهُ وَأَخَذَ الْعُسَّ فَأَتَى مَجْلِسَ بَنِي يَرْبُوعَ فَقَالَ : جَزَاكَمُ اللَّهُ مِنْ جِيرَانٍ خَيْرًا ! فَقَدْ أَحْسَسْتُمُ الْجَوَارَ ، وَفَعَلْتُمْ مَا كُنْتُمْ لَهُ أَهْلًا . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سُوَّاجِ ، مَا بَدَأَ لَكَ فِي الْانْصِرَافِ عَنَّا ؟ قَالَ : إِنَّ صُرْدَ بْنَ جَمْرَةَ لَمْ يَكُنْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحْسِنًا ، وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ :

إِنَّ الْمَنِيَّ إِذَا سَرَى فِي الْعَبْدِ أَصْبَحَ مُسْمَعِدًا¹
أَتَنَالُ سَلَمَى بَاطِلًا وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
صُرْدَ بْنَ جَمْرَةَ هَلْ لَقِيْدَ سَتَ رَثِيئَةً لَبْنًا وَعَصْدًا²

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقَدَحَ قَدْ أَحْبَلَ مِنْكُمْ رَجُلًا وَهُوَ صُرْدُ بْنُ جَمْرَةَ . ثُمَّ رَمَى بِالْعُسِّ عَلَى صَخْرَةٍ فَانْكَسَرَ وَرَكَضَ فَرَسُهُ . وَتَنَادَوْا : عَلَيْكُمُ الرَّجُلَ ، فَأَعْجَزَهُمْ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَمْرُ بْنُ لَجَأِ التَّيْمِيِّ :

تُمْسَحُ يَرْبُوعٌ سِبَالًا لَيْمَةً بِهَا مِنْ مَنِيٍّ الْعَبْدِ رَطْبٌ وَيَابِسُ
وَيَأْيَاهُ عَنَى الْأَخْطَلُ بِقَوْلِهِ :

[من الوافر]

وَيَشْرَبُ قَوْمُكَ الْعَجَبَ الْعَجِيْبَا

[حسبه القسّ ثم أطلقه بشفاعه هاشمي]

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ زَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَائِشَةَ التَّيْمِيَّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ مَعَ أَبِي ، فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا ؛ فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ ، وَإِذَا الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ . فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبِرَ بِنَسَبِي ، فَقَالَ : يَا فَنِي ، إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ : حَاجَتُكَ مُقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ الْقَسَّ حَبَسَنِي هَاهُنَا فَتَكَلَّمُهُ لِيُخْلِيَ عَنِّي . فَأَتَيْتُ الْقَسَّ فَانْتَسَبْتُ لَهُ ، فَرَحَّبَ وَعَظَّمْ ، قُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : الْأَخْطَلُ تُخْلِي عَنْهُ . قَالَ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا ؛ مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ

1 مُسْمَعِدًا : مَرْتَوِيًّا مِنَ اللَّبَنِ .

2 رَثِيئَةً : اللَّبَنُ الْحَامِضُ ، وَالْعَصْدُ : تَحْرِيكُ الْعَصِيدَةِ بِالْمَسْوَاكِ فَتَنْقَلِبُ فَلَا يَبْقَى فِي الْإِنَاءِ شَيْءٌ إِلَّا انْقَلَبَ .

2 سويد بن منجوف : من أشرف البصرة .

فقال : هذا أبو مالك قد أتاكم يسألکم أن تجمعوا له ، وهو الذي يقول : [من الوافر]

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكَراً أبى البَغْضاءِ والنَّسبُ البعيدُ
وأيَّامٌ لنا ولَهُمْ طِوالٌ يَعْضُ الهامَ فيهنَّ الحديدُ
ومُهْرَاقُ الدماءِ بوارِداتٍ تَبِيدُ المَخْزِياتُ ولا تَبِيدُ¹
هُما أخوانِ يَصْطَلبانِ ناراً رداً الحربِ بينهما جديداً²

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئاً . فقال الأخطلُ : [من الوافر]

فإن تَبَخَّلَ سَدُوسُ بديرِهمَينِها فإن الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ³
تَوَاكَلَنِي بنو العَلاتِ منهم وغالت مالكاً ويزيدَ غُولُ⁴
صَرِيحاً وائلٍ هَلْكَا جميعاً كأنَّ الأرضَ بعدهما مُحُولُ

وقال في سُويد بن مُنْجُوف ، وكان رجلاً ليس بذِي منظر : [من الطويل]

وما جَذَعُ سَوْءِ خَرَبِ السُّوسِ أَصلَه لِمَا حَمَلْتُهُ وائلٌ بِمُطِيقِ

[كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً]

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلام : كان الأخطلُ مع مهارته وشعره يسقط أحياناً : كان مدح سيماك الأسدي ، وهو سيماك الهالكِي من بني عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقبون القُيُون ، ومسجد سيماك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيامَ عليٍّ هارباً فلحق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال :

نعم المُجِيرُ سيماكٌ من بني أسدٍ بالقاعِ إذ قتلْتَ جيرانها مَضْرُ
قد كنتُ أحسبه قَيْناً وأخبرُهُ فاليومَ طِيرَ عن أثوابه الشَّرُّ
إنَّ سيماكاً بنى مجدداً لأسرته حتى المماتِ وفعلُ الخيرِ يُتَدَرُّ

فقال سيماك : يا أخطلُ ، أردتَ مدحي فهجوتني ، كان الناس يقولون قولاً فحققته . فلما هجا سُويداً قال له سُويد : والله يا أبا مالك ، ما تُحسِن تهجو ولا تمدح ؛ لقد أردتَ مدح الأسديِّ فهجوتهُ ، يعني قوله : [من البسيط]

1 يريد يوم واردات وكان بين بكر وتغلب . المَخْزِيات في الديوان : المخرنات 283 .

2 الحرب في الديوان : الموت 283 .

3 القبول : ريح الصبا .

4 يريد مالك بن شيان بن الجحدري من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني صاحب شرطة الحجاج .

قد كنتُ أحسبه قيناً وأثبوه فاليوم طير عن أثوابه الشرُّ
 إنَّ سماكاً بنى مجدداً لأسرته حتى المماتِ وفعلُ الخير يُتدرُّ
 وأردتُ هجائي فمدحتني ، جعلتُ وائلاً حَمَلتني أمورُها ، وما طَمِعْتُ في بني تغلب
 فضلاً عن بكر .

[أبي الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجام]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبانُ البجلي قال : مرَّ الأخطل بالكوفة
 في بني رؤاس¹ وموذنهم يُنادي بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألا تدخل يا أبا مالك
 فصلِّي ؟ فقال :

أصلي حيثُ تدركني صلاتي وليس البرُّ عند بني رؤاس
 [خلا في نزعة مع صديق له فطراً عليهما ثقل فهجاه]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو الحصين الأموي قال : بينا الأخطلُ
 قد خلا بخُميرة له في نزعة مع صاحب له ، وطراً عليهما طاريء لا يعرفانه ولا يستخفانه ،
 فشرب شربهما وثقل عليهما . فقال الأخطل في ذلك :

صوت

وليس القذى بالعود يسقط في إلنا ولا بذباب خطبه أيسرُ الأمرِ
 ولكنَّ شخصاً لا نُسِرُ بقربه رمتنا به الغيطانُ من حيث لا ندرى
 ويروى :

ولكن قذاها زائرٌ لا نُجيه

وهو الجيد . الغناء لإبراهيم خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر
 محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمري قال حدثنا الهيثم بن
 عدي عن ابن عيَّاش قال : بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه ، وكان أهلُ البدو إذ ذاك
 يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً ، وبين يديه باطيةُ شرابٍ والمرأةُ تُحدثه وهو
 يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فتقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياء منه . وأطال
 الرجلُ الجلوسَ إلى أن أقبل ذبابٌ فوقه في الباطية في شربه ؛ فقال الرجل : يا أبا مالك ،
 الذبابُ في شرابك . فقال :

[من الطويل]

1 بنو رؤاس : حي من بني عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وليس القَدَى بالعودِ يسْقَطُ في الخمر
ولكن قَذَاهَا زَائِرٌ لَا نُحِيَهُ
ولا بِذُبَابٍ نَزَعَهُ أَيْسَرُ الْأَمْرِ
رَمْتَنَا بِهِ الْغِيْطَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَذْرِي

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأخبرني عمِّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرَائي عن الزِيَادِي عن عَلِيٍّ بن الحَفَّار
أخي أَبِي الحَجَّاج : أَنَّ الْأَخْطَلَ جَاءَ إِلَى مَعْبَدٍ فِي قَدَمَةٍ قَدِمَهَا إِلَى الشَّامِ . فَقَالَ لَهُ مَعْبَدُ :
إِنِّي أُحِبُّ مُحَادَثَتَكَ . فَقَالَ لَهُ : وَأَنَا أُحِبُّ ذَلِكَ . وَقَامَا يَتَصَبَّحَانِ الْغُدْرَانَ حَتَّى وَقَفَا عَلَى
غَدِيرٍ فَتَزَلَا وَأَكَلَا ؛ فَتَبِعَهُمَا أَعْرَابِيٌّ فَجَلَسَ مَعَهُمَا . وَذَكَرَ الْخَبَرَ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .

[لَبَّى دَعْوَةَ شَابٍّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ]

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامٍ قَالَ قَالَ أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : دَعَا الْأَخْطَلَ
شَابٌّ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَنْتَ لَا تَحْتَمِلُ الْمُؤَنَةَ وَلَيْسَ
عِنْدَكَ مُعْتَمَدٌ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اتَّبَعَهُ ، فَأَتَى الْبَابَ فَقَالَ : يَا شَقْرَاءُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَ
لَأُمِّهِ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ قَدْ أَتَانِي ؛ فَبَاعَتْ غَزْلًا لَهَا وَاشْتَرَتْ لَهُ لَحْمًا وَنَبِيذًا وَرِيحَانًا . فَدَخَلَ خُصًّا
لَهَا فَأَكَلَ مَعَهُ وَشَرِبَ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
[مِنْ الطَّوِيلِ]

وَبَيْتٍ كَظْهَرِ الْفِيلِ جُلُّ مَتَاعِهِ أَبَارِيقُهُ وَالشَّارِبُ الْمُتَقَطِّرُ¹
تَرَى فِيهِ أَثْلَامَ الْأَصِيصِ كَأَنَّهَا إِذَا بَالَ فِيهَا الشَّيْخُ جَفَرٌ مُعَوَّرُ²
لَعَمْرُكَ مَا لَاقَيْتُ يَوْمَ مَعِيشَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمَ شَقْرَاءٍ أَقْصَرُ
حَوَارِيَّةٍ لَا يَدْخُلُ الذَّمُّ بَيْتَهَا مُطَهَّرَةٌ يَاوِي إِلَيْهَا مُطَهَّرُ

وَذَكَرَ هَارُونَ بْنُ الزِّيَّاتِ هَذَا الْخَبَرَ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ نَازِلًا عَلَى عِكْرِمَةَ الْفَيَّاضِ
وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ يَوْمًا ، فَمَرَّ بِفَتَيَانٍ يَشْرَبُونَ وَمَعَهُمْ قَيْنَةٌ يَقَالُ لَهَا شَقْرَاءُ . وَذَكَرَ الْخَبَرَ مِثْلَ
مَا قَبْلَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَظَنَّ عِكْرِمَةُ أَنَّهُ غَضِبَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ . فَلَمَّا أَتَاهُ
أَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى الْفَتَيَانِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ آلَافٍ ، فَمَضَى بِهَا إِلَيْهِمْ وَقَالَ :
اسْتَعِينُوا بِهِذِهِ عَلَى أَمْرِكُمْ . وَلَمْ يَزَلْ يَنَادِمُهُمْ حَتَّى رَحَلَ .

[حَكَمَ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ بِأَمْرِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الضَّيِّي قَالَ : اجْتَمَعَ الْفَرَزْدَقُ
وَجَرِيرٌ وَالْأَخْطَلَ عِنْدَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ بَشَرٌ يُغْرِي بَيْنَ الشَّعْرَاءِ . فَقَالَ لِلْأَخْطَلَ : احْكُمْ

1 المتقَطِّرُ : المصروع .

2 الأصيصُ : أسفل الدن كان يوضع ليلال فيه . المعوَّرُ : المكبوس بالتراب .

بين الفرزدق وجريـر . فقال : أَعَفِنِي أَيُّهَا الأَمِير . قال : احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده فأبى إلا أن يقول ؛ فقال : هذا حكمٌ مشوومٌ ؛ ثم قال : الفرزدق يَنْحِتُ من صَخَرٍ ، وجريـرٌ يَغْرِفُ من بحر . فلم يرضَ بذلك جريـر ، وكان سببَ الهِجاءِ بينهما . فقال جريـر في حُكومتِه : [من الكامل]

يا ذا العباءةِ إنَّ بِشْراً قد قَضَى ألاَّ تجوزَ حُكومتُ النُّشوانِ
فدَعُوا الحُكومتَ لِسُتَمٍ من أهْلِها إنَّ الحُكومتَ في بني شَيْبانِ
قَتَلُوا كُلَّيْكُمْ بِلَقْحَةٍ جارِهِمْ يا خُزَرَ تَغْلِبَ لِسُتَمُ بِهِجانِ¹

فقال الأخطل يردّ على جريـر :

ولقد تَناسَبْتُم إلى أحسابكم وجعلتُم حَكَمًا من السُّلطانِ
فاذا كُلِّبٌ لا تُساوي دارِمًا حتّى يُساوَى حَزْرَمٌ بأَبانِ²
وإذا جعلتَ أباك في ميزانهم رَجَحُوا وشال أبوك في المِيزانِ
وإذا وردتَ الماءَ كان لدارِمٍ عِفْواتُه وسهولَةُ الأعْطانِ³

ثم استطارا في الهِجاءِ .

[مناقضة بينه وبين جريـر]

أخبرني أبو خَلِيفَةَ قال حدَّثنا مُحَمَّد بن سَلَام قال حدَّثنا أبو الغَرَّاف قال : لما قال جريـر :

إذا أَخذتَ قَيْسٌ عَلَيْكَ وَخِنْذِفٌ بأَقطارِها لم تَدْرِ من أين تَسْرَحُ
قال الأخطل . لا أين ؛ سَدَّ واللهِ عَلَيَّ الدُّنيا . فلما أُنشد قولَه :

فما لك في نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها وما لك من غَوَرِيٍّ تَهامَةُ أَبْطَحُ
قال الأخطل : لا أبالي واللهِ ألاَّ يَكُونَ فَتُح لي والصِّلِيبُ القولُ ؛ ثم قال :

ولكنَّ لَنَا بَرُّ العِراقِ وَيَحْرُهُ وَحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماءِ يَسْبَحُ⁴

[استشهد تغلبي بشعر لجريـر في محاوره بينه وبين تميمي]

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ عن مُحَمَّد بن سَلَام قال حدَّثني مُحَمَّد بن الحَجَّاج الأَسَدِيُّ قال :

1 يشير إلى حادثة كليب وجساس بن مرة الشهيرة . واللحقة : الناقة الحلوب .

2 حزم : جبل فوق الهضبة في ديار بني أسد . وأبان : جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء ، ويُعرف بالأبيض ، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود .

3 عفوة كل شيء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

4 القرقور : السفينة العظيمة .

خرجتُ إلى الصائفة فنزلتُ منزلاً بيني تغلب فلم أجِدْ به طعاماً ولا شرباً ولا علفاً لدوابي شري ولا قري ولا أجِدْ ظلاً ؛ فقلتُ لرجلي منهم : ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : مَن أنت ؟ قلت : من بني تميم . قال : ما كنتُ أرى عمك جريراً إلا قد أخبرك حين قال :

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى في آل تغلبَ مسجداً معموراً

[لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتشاددا وتعارفا]

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلام قال حدثني شيخ من ضبيعة قال : خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً بيني تغلبَ فخرج مثلثاً عليه ثياب سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : مَن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أما سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم ؟ فأنشده مما قال لجرير . فقال : أما سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم ؟! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نقضه حتى كثر ذلك بينهما . فقال التغلبي : مَن أنت ؟ لا حيّاك الله ؛ والله لكأنك جرير . قال : فانا جرير . قال : وأنا الأخطل .

[دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده]

أخبرني عمي قال أنبأنا الكُراني قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائني قال : دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب ، فكلّمه فخلط في كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال : [من الوافر]

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطوّل
مشى قرشيّة لا عيبَ فيها وأرخى من مآزره الفضولا

[نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتشاددا وتعارفا]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال أخبرني أبو محمد اليزيدي قال : خرج الفرزدق يوماً بعض الملوك من بني أمية ، فرفع له في طريقه بيت أحمر من آدم ، فدنا منه وسأل فقبل له : [بيت] الأخطل . فأتاه فقال : انزل . فلما نزل قام إليه الأخطل وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف ؛ فقعدا يتحدثان . فقال له الأخطل : مَن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : فإنك إذا من رهط أخي الفرزدق . فقال : تحفظ من شعره شيئاً ؟ قال : نعم كثيراً . فما زالا يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خفض قليلاً وهات من شرابك فأسقنا . فلما عملت الرّاح في أبي فراس قال : أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده . فقام إليه الأخطل فقبل رأسه وقال : لا جزاك الله عني خيراً ! لم كمتني نفسك منذ اليوم ؟ وأخذنا في شرابهما

وَتَنَاشُدُهُمَا ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ الْأَخْطَلُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ وَإِيَّايَ لِأَشْعُرُ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ أُوتِيَ مِنْ سَيْرِ الشَّعْرِ مَا لَمْ نُوتِهِ ؛ قُلْتُ أَنَا بَيْتاً مَا أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا قَالَ أَهْجَى مِنْهُ ، قُلْتُ :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْجَحَ الْأَضْيَافُ كُلَّهُمْ قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُؤْيِي عَلَى النَّارِ

فَلَمْ يَرَوْهُ إِلَّا حُكَمَاءُ أَهْلِ الشَّعْرِ . وَقَالَ هُوَ :

وَالْتَغْلِبِي إِذَا تَنَحَّجَ لِلْقَرَى حَكَ اسْتَهَ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

فَلَمْ تَبَقْ سَقَاةً وَلَا أَمْثَالُهَا إِلَّا رَوَّهَ . فَقَضَيَا لَهُ أَنَّهُ أُسِيرُ شَعْرًا مِنْهُمَا .

[كَانَ لَهُ دَارٌ ضَيَافَةٌ فَمَرَّ بِهِ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَأَكْرَمَهُ]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ لِلْأَخْطَلِ الشَّاعِرِ دَارُ ضَيَافَةٍ ، فَمَرَّ بِهِ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا رَجُلٌ شَرِيفٌ قَدْ نَزَلَ بِنَا . فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ إِلَيْهِ فَتَعَشَّى مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتُصِيبُ مِنَ الشَّرَابِ شَيْئًا ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَيُّهُ ؟ قَالَ : كُلُّهُ إِلَّا شَرَابَكَ . فَدَعَا لَهُ بِشَرَابٍ يُوَافِقُهُ ، وَإِذَا عِنْدَهُ قَيِّتَانِ هُمَا خَلْفُهُ وَبَيْنَهُمَا سَيْتَرٌ ، وَإِذَا الْأَخْطَلُ أَشْهَبَ اللَّحْيَةِ لَهُ ضَفِيرَتَانِ ؛ فَغَمَزَ السِّتَرَ بِقُضَيْبٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ : غِنْيَانِي بِأَرْدِيَةِ الشَّعْرِ ، فَغَنَّتَاهُ بِقَوْلِ عَمْرِو بْنِ شَاسٍ :

وَيَبِضُّ تَطْلَى بِالْعَبِيرِ كَأَنَّمَا يَطَّانَ وَإِنْ أَعْنَقَنَ فِي جُدَدٍ وَحَلَا¹

لَهَوْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا بِشَارِبٍ إِذَا قُلْتُ مَغْلُوبًا وَجَدْتُ لَهُ عَقْلًا

[السَّبَبُ فِي مَدْحِ عِكْرَمَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْفَيَاضِ]

فَأَمَّا السَّبَبُ فِي مَدْحِ الْأَخْطَلِ عِكْرَمَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْفَيَاضِ فَأَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : قَدِمَ الْأَخْطَلُ الْكُوفَةَ فَاتَى حَوْشَبَ بْنَ رُوَيْمٍ الشَّيْبَانِيَّ ، فَقَالَ : إِنِّي تَحَمَّلْتُ حَمَالَتَيْنِ لِأَحِقِّنَ بِهِمَا دِمَاءَ قَوْمِي فَتَهَرَّهَ ، فَاتَى سَيَّارَ بْنَ الْبَرْيَعَةِ ، فَسَأَلَهُ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَاتَى عِكْرَمَةَ الْفَيَاضِ ، وَكَانَ كَاتِبًا لِبِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ الرِّجْلَانِ ؛ فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي لَا أَنْهَرُكَ وَلَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ ، وَلَكِنِّي أَعْطَيْكَ إِحْدَاهُمَا عَيْنًا وَالْأُخْرَى عَرَضًا . قَالَ : وَحَدَّثَ أَمْرًا بِالْكُوفَةِ فَاجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكْفِيَ عِكْرَمَةَ يَوْمًا فَالْيَوْمَ . فَلَبِسَ جُبَّةً خَزَّ وَرَكِبَ فَرَسًا وَتَقَلَّدَ صُلْبِيًّا مِنْ ذَهَبٍ وَاتَى بَابَ الْمَسْجِدِ وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ . فَلَمَّا رَأَى حَوْشَبَ وَسَيَّارَ نَفِيسًا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : يَا أَبَا مَالِكٍ ، فَجَاءَ فَوْقَ وَابْتَدَأَ يَنْشُدُ قَصِيدَتَهُ : [مِنَ الْكَامِلِ]

لِمَنْ الدِّيَارُ بِحَائِلِ فَوْعَالٍ

حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ ابْنَ رَبِيعِي كَفَانِي سَيِّبُهُ ضِغْنُ الْعَدُوِّ وَغَدْرَةُ الْمُحْتَالِ¹
 أَغْلَيْتَ حِينَ تَوَاكَلْتَنِي وَائِلٌ إِنَّ الْمَكَارِمَ عِنْدَ ذَاكَ غَوَالٍ
 وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى رَبِيعَةَ كُلِّهَا وَكَفَيْتَ كُلَّ مُوَائِلِي خَذَالٍ
 كَابِنِ الْبَرْبِيعَةِ أَوْ كَأَخَرِ مِثْلِهِ أَوْلَى لَكَ ابْنُ مُسَيْمَةَ الْأَجْمَالِ²
 إِنَّ اللَّئِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بَهْرَتَهُ وَتَرَى الْكَرِيمَ يَرَاهُ كَالْمُخْتَالِ³
 وَإِذَا عَدَلْتَ بِهِ رَجَالًا لَمْ تَجِدْ فِضَّ الْفُرَاتِ كِرَاشِحِ الْأَوْشَالِ
 قَالَ : فَجَعَلَ عِكْرِمَةَ يَيْتَهَجُ وَيَقُولُ : هَذِهِ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .
 وَمَا فِي شَعْرِ الْأَخْطَلِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَارَةِ :

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَرَاكَ بِالْخَابُورِ نَوْقٌ وَأَجْمَالٌ وَدَارٌ عَقَّتْهَا الرِّيحُ بَعْدِي بِأَذْيَالٍ⁴
 وَمَبْنَى قِيَابِ الْمَالِكِيَّةِ حَوْلَنَا وَجُرْدٌ تَعَادَى بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالٍ

عروضه من الطويل . الشعر للأخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف
 الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه
 يحيى المكِّي إلى ابن محرز ، وذكر الهشامي أنه منحول . وفيه لحنين الحيري ثقيلٌ أولٌ عن
 الهشامي .

1 وغدرة المحتال في الديوان : ونوة البخال ، 159 .

2 كابن البربيعة في الديوان : مثل ابن بزعة ، 159 .

3 راح الإنسان إلى الشيء : إذا نشط له وسر به .

4 الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضاً واد بالجزيرة .

[121] - ذكر سائب خاثر ونسبه

[نسبه]

كان سائب خاثر مولى بني ليث . وأصله من فَيْءِ كِسْرَى ، واشترى عبدُ الله بن جعفر ولأه من مواليه ، وقيل : بل اشتراه فأعتقه ، وقيل : بل كان على ولأه لبني ليث ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث «يشا» .

[هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به وأخذ عنه المغنون الأولون]

قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما : هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به . وقال ابن خردادبه : كان عبد الله بن عامر اشترى إماء صَنَاجَاتٍ¹ وأتى بهنَّ المدينة ، فكان لهنَّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه ، وسمي الناسُ منهنَّ ، فأخذ عنهنَّ . ثم قديم رجل فارسي يسمي بِنَشِيطٍ ، فغنى فأعجب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثلَ غناء هذا الفارسي بالعربية ، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع : [من الكامل]

لَمَنْ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ

قال ابن الكلبي : وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المثقن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك ، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي وأخذ عنه ابنُ سُرَيْجٍ وجميلة ومَعْبُدٌ وعَزَّةُ المِلاءُ وغيرهم .

[قتل يوم الحرّة]

قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال : كان سائب خاثر يُكنى أبا جعفر ، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرَعُ بِقَضِيبٍ وَيَغْنِي مرتجلاً ، ولم يزل يغني . وقُتل يوم الحرّة . ومراً به بعض القُرَشِيِّينَ وهو قَتِيلٌ ، فضربه برجله وقال : إِنَّ هَاهُنَا لَخَنْجَرَةٌ حَسَنَةٌ . وكان سائب من ساكني المدينة .

قال ابن الكلبي : وكان سائب تاجراً مُوسِيراً يبيع الطعام ، وكان تحته أربع نسوة ، وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وكان مع ذلك يُخالط سَرَوَاتِ الناسِ وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألا يغني أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلا أن يكون

1 الصناجات : اللاعات بالصنج . وفي ل : ناثحات .

خليفةً أو وليَّ عهد أو ابنَ خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل . قال : وأخذَ معبد عنه غناءً كثيراً فنحلَّ الناسُ بعضَه إليه ، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ابن خرداذبه أن أمَّ محمد بن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .
[هو أولُ من غنى بالعربية الغناء الثقيل]

وقال ابن الكلبي : سائب خاثر أولُ من غنى بالعربية الغناء الثقيل ؛ وأولُ لحنٍ صنعه منه :

لِمَن الدِّيارُ رُسومُها قَفْرُ
قال : فالقْتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدثني محمد بن يزيد أن أولَ صوت صنعه في شعر امرئ القيس : [من الكامل]
أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هذا التَّدْلُلِ
وَأَنَّ مَعْبَدًا أَخَذَ لَحْنَهُ فِيهِ فَغَنَّى عَلَيْهِ :

[من الطويل]
أَمِنْ آلِ لَيْلى بِاللَّوَى مُتَرَبِّعُ
[وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن لقيط قال : وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه ، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر ؛ فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة لَيْثِيٌّ يَرْوِي الشعر . قال : أَوَكُلُّ مَنْ رَوَى الشعر أراد أن نصليه ؟ قال : إِنَّهُ حَسَنٌ . قال : وَإِنْ حَسَنُهُ ! قال : أَفَأَدْخِلُهُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال نعم . قال : فَالْبَسْتُهُ مُمَصَّرَتَيْنِ¹ إِزَارًا وَرِدَاءً . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى :

لِمَن الدِّيارُ رُسومُها قَفْرُ

فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال : أَشْهَدُ لَقَدْ حَسَنُهُ ؛ فقضى حوائجه وأحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

[من الكامل]

لِمَن الدِّيارُ رُسومُها قَفْرُ لَعِبَتْ بِهَا الْأَرْواحُ وَالْقَطَرُ

1 المصَّر من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة .

وَحَلَا لَهَا مِنْ بَعْدِ سَاكِنِهَا حَجَجَ مَضَيْنَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ
وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِقَ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ¹

الشعر يُنسب إلى أبي بكر بن المسور بن مَخْرَمَةَ الزُّهْرِيّ ، وإلى الحارث بن خالد المخزومي ، وإلى بعض القرشيين من السبعة المعدادين من شعراء العرب . والغناء لسائب خاثر ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ عن المَكِّيِّ وَحَبَشَ ، وذكر أَنَّ لحن سائب خاثر ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى ، ووافق إسحاق في ذلك ، وذكر أَنَّ الثَّقِيلَ الأَوَّلَ لنشيط . وذكر يونس أَنَّ فيه لحنًا لمعبد ولم يجنسه ، وذكر الهشاميَّ أَنَّ لحن معبد خفيفٌ ثَقِيلٌ ، وَأَنَّ فيه لابن سُرَيْجٍ خفيفَ رَمَلٍ .

[سَمِعَهُ مَعَاوِيَةُ عِنْدَ ابْنِهِ يَزِيدَ فَأَعْجَبَهُ وَأَمَرَ يَزِيدَ بِصَلَاتِهِ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالُوا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي قَبِيصَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ عَنْ رَجُلٍ حَدَّثَهُ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ لَقِيْطٍ قَالَ : أَشْرَفَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ لَيْلًا عَلَى مَنْزِلِ يَزِيدَ ابْنِهِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا أَعْجَبَهُ ، وَاسْتَخَفَّهُ السَّمَاعُ فَاسْتَمَعَ قَائِمًا حَتَّى مَلَ ، ثُمَّ دَعَا بِكَرْسِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَهَى الْإِسْتِزَادَةَ فَاسْتَمَعَ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِ حَتَّى مَلَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ يَزِيدُ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ! مَنْ كَانَ جَلِيسَكَ الْبَارِحَةَ ؟ قَالَ : أَيُّ جَلِيسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ . قَالَ : عَرَفْتَنِي فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : سَائِبُ خَاثِرٍ . قَالَ : فَأَخْبِرْ² لَهُ يَا بُنَيَّ مِنْ بَرِّكَ وَصِلَتِكَ ، فَمَا رَأَيْتُ بِمَجَالِسَتِهِ بَأْسًا .

[سَمِعَهُ مَعَاوِيَةُ عِنْدَ ابْنِ جَعْفَرٍ فَأَعْجَبَ بِهِ]

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : قَدِمَ مَعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَقْدَمُ ؛ فَأَمَرَ حَاجِبَهُ بِالْإِذْنِ لِلنَّاسِ ؛ فَخَرَجَ الْإِذْنُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : مَا بِالْبَابِ أَحَدٌ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَأَيْنَ النَّاسُ ؟ قَالَ : عِنْدَ ابْنِ جَعْفَرٍ . فَدَعَا بِبَغْلَتِهِ فَرَكِبَهَا ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ لِسَائِبِ خَاثِرٍ : مُطَرِّفِي هَذَا لَكَ ، وَكَانَ مِنْ خَزٍّ ، إِنْ أَنْتَ أَنْدَفَعْتَ تُغْنِي وَمَشَيْتَ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ وَأَنْتَ تُغْنِي . فَقَامَ وَمَشَى بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ وَغَنَى :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
فَسَمِعَ مِنْهُ مَعَاوِيَةُ وَطَرِبَ وَأَصْغَى إِلَيْهِ حَتَّى سَكَتَ وَهُوَ مُسْتَحْسِنٌ لَذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَأَخَذَ سَائِبُ خَاثِرَ الْمُطَرِّفَ .

1 شرق الجسد بالطيب : إذا امتلأ .

2 أخثر : أكثر .

[قتل يوم الحرّة وكلام يزيد فيه]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الزُّبَيْرِيّ ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شُئْبَةَ الْبَزَّاز قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال : قُتِلَ سائب خاثر يومَ الحرّة ، وكان خَشِيّ على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول : أنا مُغْنٌ ، ومن حالي وقصّتي كيت وكيت ؛ وقد خدّمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبله . قالوا : فغنّ لنا ، فجعل يغني ؛ فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنتَ والله ؛ ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيدَ خبره ومرَّ به اسمه في أسماء من قُتِلَ يومئذٍ فلم يعرفه وقال : مَنْ سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغني . فعرفه فقال : ويْلَه ؛ ماله ولنا ؟ أَلَمْ نُحَسِّنْ إليه ونُصِلْهُ ونُخْلِطْهُ بأنفسنا ! فما الذي حمّله على عداوتنا ! لا جَرَمَ أَنْ بَغَيْه صرعه . وقال المدائنيّ في خبره : فقال إنا لله ؛ أو بلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ؟ ما أرى أنّه بقي بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قَبِّحكم الله يا أهلَ الشام ؛ تَجِدْهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شُئْبَةَ قال حدثني قَبِيصَةُ بن عمرو قال حدثني حاتم بن قَبِيصَةَ قال حدثني ابن جُعْدَبَةَ قال حدثني مُوَيْلِكَ عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحرّة : هل سمعتَ شيئاً صنعته ؟ فغنّاني صوتاً : [من الطويل]

صوت

لِمَنْ طَلَّلَ بَيْنَ الْكُرَاعِ إِلَى الْقَصْرِ يُغَيِّبُ عَنَّا آيَهُ سَبَلُ الْقَطْرِ¹
إِلَى خَالِدَاتٍ مَا تَرِيْمُ وَهَامِدٍ وَأَشْعَثَ تَرْسِيهِ الْوَلِيدَةُ بِالْفَهْرِ²

قال : فسمعتُ عجباً مُعْجِياً ، ثم ذكر أهلَه وولده فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم ؟ فقال : أَمَا بَعْدَ شَيْءٍ سمعته ورأيتُه من يزيدَ بن معاوية فلا ؛ ثم تقدّم حتى قُتِلَ .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

أَقْقِرْ مِنْ أَهْلِهِ مَصِيفُ قِبْطُنْ نَخْلَةَ فَالْعَرِيفُ³

1 كراع الأرض : ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرّة . وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .

2 الأشعث : الوند . الفهر : حجر يملأ الكفّ .

3 بطن نخلة : موضع بين مكّة والطائف . مصيف والعريف : يبدو أنهما اسمان لموضعين .

هل تُبْلِغُنِي دِيَارَ قَوْمِي مَهْرِيَّةً سَيَّرَهَا زَفِيفٌ¹
 يَا أُمَّ نُعْمَانَ نَوَّلِينَا قد يَنْفَعُ النَّائِلُ الطَّفِيفُ
 أَعْمَامُهَا الصَّيْدُ مِنْ لُؤْيٍ حَقًّا وَأَنْحَوَالُهَا ثَقِيفُ
 الشعر لأبي فَرَعَةَ الْكِنَانِيِّ ، والغناء لجَرَادَتِي عبد الله بن جُدْعَانَ ، ولحنه من خفيف
 الثقيل . وفيه في الثالث والرابع أَوَّلُ مطلق .

[122] - ذكر جرادتني عبد الله بن جدعان وخبرهما

وشيء من أخبار ابن جدعان

[نسبه]

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

[كان جواداً فوهب لأمية بن أبي الصلت أمته الجرادين]

قال ابن الكلبي : كانت لابن جدعان أمتان تسميان الجرادتين تتغنيان في الجاهلية . سماهما بجرادتني عاد . ووهبهما عبد الله بن جدعان لأمية بن أبي الصلت الثقفي ، وقد كان امتدحه . وكان ابن جدعان سيّداً جواداً ، فرأى أمية ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إياهما .

[سؤال عائشة للنبي ﷺ عنه]

وأخبرني أبو الليث نصر بن القاسم الفرائضي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرّجيم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال « لا لم يقل يوماً اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

[قدم عليه أمية وهو عليل فضمنه قضاء دينه ، فمدحه]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني إبراهيم بن أحمد قال : قديم أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان ؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله : أمر ما أتى بك ! فقال أمية : كلاب غرماء نبحتني ونهشتني . فقال له عبد الله : قديم علي وأنا عليل من حقوق لزممتني ونهشتني ، فانظري قليلاً ، ما في يدي ، وقد ضممتك قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه . قال : فأقام أمية أياماً ، فأتاه فقال : [من الوافر]

أذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرّم	لك الحسب المهدب والسناء
كريم لا يغيره صباح	عن الخلق السيي ولا مساء
تباري الرّيح مكرمة وجوداً	إذا ما الكلب أجحره الشتاء
إذا أثنى عليك المرء يوماً	كفاه من تعرّضه الثناء

إذا خلّفتَ عبد الله فاعلم بأنّ القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كلُّ مكرّمة بناها بنو تيمٍ وأنت لهم سماء
فأبرز فضله حقاً عليهم كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصيرٍ وهل بالشمس طالعة خفاء

فلما أنشده أُمّية هذا الشعر كانت عنده قيتان فقال : خذ أَيْتَهُمَا شئتَ ؛ فأخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد لقيته غليلاً ، فلو رددتها عليه ، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كلِّ حقٍّ ضمّنه لك ، فوقع الكلام من أُمّية موقعاً ونديم ، ورجع إليه ليردّها عليه . فلما أتاه بها قال له ابن جُدعان : لعلك إنّما رددتها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأُمّية ما قال له القوم . فقال أُمّية : والله ما أخطأت يا أبا زهير . فقال عبد الله بن جُدعان : فما الذي قلتَ في ذلك ؟ فقال أُمّية :

صوت

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إن حَبَوته ببذلٍ وما كلُّ العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لامرئٍ بذلٌ وجهه إليك كما بعضُ السؤال يشينُ

غنتَ فيه جرادتاً عبد الله بن جُدعان . فقال عبد الله لأُمّية : خذ الأُخرى ؛ فأخذها جميعاً وخرج . فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ، وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شُبّة وفيها زيادة :

وما لي لا أحْييه وعندي مواهبٌ يطْلَعْنَ من النجادِ
لأبيض من بني تيمٍ بن كعبٍ وهم كالمشْرِفَاتِ الحِدادِ
لكلِّ قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ وأنت الرأسُ تقدّم كلُّ هادي¹
له بالخيفِ قد علمتْ معدُّ وإنّ البيت يُرْفَع بالعمادِ
له داعٍ بمكّة مُشمعلٌ وآخرٌ فوق دارته يُنادي²
إلى رُدْحٍ من الشّيزي ملاء لبابِ البرِّ يُلبّك بالشّهادِ³

1 الهادي : العنق لأنها تتقدّم على البدن .

2 اشمعل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرّقوا .

3 ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . الشيزي : خشب أسود تتخذ منه القصاع .

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ذُكِرَ ابْنُ جُدْعَانَ بِخَيْرٍ بِرِ كَلِّمَا ذُكِرَ الْكَرَامُ
مَنْ لَا يَخُونُ وَلَا يَغُفُّ وَلَا تَغْيِرُهُ اللَّكَامُ¹
نَجَبُ النَّجِيَّةِ وَالنَّجِيبِ بَ لَه الرَّحَالَةُ وَالزَّمَامُ²

[وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة ودعا الناس إليه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال : كان ابن جُدْعَانَ سَيِّدًا من قريش ؛ فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ ، فسأل عنه ف قيل له : هذا الفالوذ . قال : وما الفالوذ ؟ قالوا : لُبَابُ الْبِرِّ يُلَبَّكُ مع غسل النحل . قال : ابغوني غلاماً يصنعه ؛ فَأَتَوْهُ بَغْلَامٌ يصنعه فابتاعه ثم قديم به مكة معه ، ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة ، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى مُنَادِيهِ : أَلَا مَنْ أَرَادَ الْفَالُوذَ فَلْيَحْضُرْ فحضر الناس ؛ فكان فيمن حضر أُمِيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ ؛ فقال فيه : [من الوافر]

وما لي لا أُحْيِيهِ وعندي مواهبُ يَطْلَعْنَ من التجادِ
إليَّ وإنه للناس نهْيٌ ولا يَغْتَلُّ بِالْكَلِمِ الصَّوَادِي³
وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدماً .

[استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأمية فيه]

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن عمران الجرجاني ، وليس بصاحب إسحاق الموصلي ؛ قال : وهو شيخ لقيته بجرجان ، قال حدثنا الحسين بن الحسن المرزوي قال : سألت سفيان بن عيينة فقلت : يا أبا محمد ، ما تفسير قول النبي ﷺ وعلى آله : « كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وإنما هو ذُكِرَ وليس فيه من الدعاء شيء ؟ فقال لي : أعرفت حديث مالك بن الحارث : يقول الله جل ثناؤه : « إذا شغل عبيدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » ؟ قلت : نعم أنت حدثتني عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أما علمت ما قال أُمِيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ حين خرج إلى ابن جُدْعَانَ يطلب نائله وفضله . قلت : لا أدري ؟ قال قال : [من الوافر]

1 تغيره في ل : تبخله .

2 النجيب : السخي الكريم كالنجيب . نجب في ل : يهب .

3 النهي : الغدير ، وهو أيضاً كل موضع يجتمع فيه الماء . الصوادي : العطاش .

أَذْكُرُ حاجتي أم قد كَفَانِي حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أَثْنَى عليك المرء يوماً كفاه من تعرُّضه الثناء

ثم قال سفيان : فهذا مخلوق يُنسب إلى الجود فقليل له : يكفيننا من مسألتك أن نُثنيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .
[زاره أُمَيَّة في احتضاره وقال فيه شعراً]

أخبرني الحرزمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بن حُمَيْدٍ قال حَدَّثَنِي جَبَّارُ بن جابر قال : دخل أُمَيَّةُ بن أَبِي الصَّلْتِ على عبد الله بن جُدْعَانَ وهو يجود بنفسه ؛ فقال له أُمَيَّةُ : كيف تَجِدُكَ أبا زهير ؟ قال : إِنِّي لِمُدَايِرٍ (أي ذاهب) . فقال أُمَيَّةُ : [من الوافر]

عِلِمَ ابنُ جُدْعَانَ بنَ عم	سرو أَنَّهُ يوماً مُدَايِرُ
ومسافرٌ سفرًا بعيـ	سداً لا يؤوب به المُسَافِرُ
فَقُدُورُهُ بِفِنَائِهِ	للضيف مُتَرَعَّةٌ زَوَاخِرُ
تبدو الكسورُ من أنضرا	ج الغلي فيها والكرَاكِزُ ¹
فكأنهنَّ بما حَمِيـ	نَ وما شَجِنَ بها ضرائِرُ
بَذَّ المَعاشِرَ كُلَّهَا	بالفضل قد عِلِمَ المَعاشِرُ
وعلا غُلُوَّ الشمس حـ	تَيَّ ما يُفَاخِرُهُ مُفَاخِرُ
دانت له أبناءُ فَهـ	رٍ من بني كعبٍ وعامرُ
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا	دِ بكم يُنَافِرُ مَنْ يُنَافِرُ

[ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَشُ قال حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ قال أَخْبَرَنِي أَبُو عبد الرحمن الغلابي عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال : ما مات أحد من كبراء قُرَيْشٍ في الجاهلية إلا ترك الخمرَ استحياءً ممَّا فيها من الدُّنَسِ ، ولقد علَّها ابنُ جُدْعَانَ قبل موته فقال :

شَرِبْتُ الخمرَ حتى قال قومي أَلَسْتُ عن السَّفَاهِ بِمُسْتَفِيْقٍ
وحتى ما أَوْسَدُ في مَبِيتٍ أَنام به سوى التُّرْبِ السَّحِيقِ

1 الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . الانضراج : الانفراج . الكركرة : كالتقهقهة : ويعني بها صوت الماء في غليانه .

وحتى أَغْلَقَ الحانوتُ رَهْنِي وَأَتَسْتُ الهَوَانَ مِنَ الصديقِ¹
 قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أَنَّ أُمَيَّةَ بنَ أَبِي الصَّلْتِ شَرِبَ معه فَأَصْبَحَتْ عَيْنُ أُمَيَّةَ
 مُخْضِرَةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فلَمَّا أَلَحَّ عليه قال له :
 أنت صاحبُها أَصْبَتْها البارحة . فقال : أَوْ بَلَغَ مِنِّي الشَّرَابُ الَّذِي أَبْلُغَ معه من جليسي هذا ؟ لا
 جَرَمَ لأَدِينَهَا لك دِيَّتَيْنِ ؛ فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ درهم ، وقال : الخمرُ عليَّ حرامٌ أَذوقها أَبَدًا ،
 وتركها من يومئذٍ .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

كَأَخِي الداءِ الْوَجيعِ	قَدْ لَعَمْرِي بِتُ لَيْلِي
بَاتَ أَذْنَى مِنْ ضَجِيعِي	وَنَجِيُّ الْهَمِّ مَنِي
خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي	كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رُبْعًا
أَوْ هَمَمْنَا بِالْخُشُوعِ	لَا تَلَمُّنَا إِنْ خَشَعْنَا
نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ	إِذْ فَقَدْنَا سَيِّدًا كَا

الشعر للأحوص . والغناء لسلامة القس . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل
 الأول بالوسطى في مجراها . وقد قيل : إِنَّ الشعر والغناء جميعاً لها ، وقد قيل : إِنَّ الغناء لمبعد
 وإنها أَخَذَتْهُ عنه .

1 أغلق الرهن : استحققه . والحانوت : الخمار .

[123] - ذكر سلامة القس وخبرها

[نشأة سلامة القس ومن أخذت عنه الغناء ، وسبب تسميتها بذلك]

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت . وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السَّمْح وذويهم فمهرت . وإنما سُميت سلامة القس لأن رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَمي من قراء أهل مكة ، وكان يُلقب بالقس لعبادته ، شَغِفَ بها وشَهِرَ ، فغَلَبَ عليه لقبه . واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان ، وعاشت بعده ، وكانت إحدى من أتهم به الوليد من جوارِي أبيه حين قال له قَتَلْتَهُ : نَنَقِمُ عَلَيْكَ أَنَّكَ تَطَأُ جَوَارِيَّ أَيْلِكَ . وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال : كانت حَبَابَةُ وسلامة القس من قِيان أهل المدينة ، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين ؛ وكانت سلامة أحسنهما غناءً ، وحَبَابَةُ أحسنهما وجهاً ، وكانت سلامة تقول الشعر ، وكانت حَبَابَةُ تتعاطاه فلا تُحَسِّن . وأخبرني بذلك المدائني عن جَرِير .

وحَدَّثَنِي الزُّبَيْرِيُّ قال حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى سلامة قال : ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عَجُوزاً أحسنَ غناءً من سلامة . وعن جميلة أخذت الغناء .

[كانت لسهيل بن عبد الرحمن ، وشعر ابن قيس الرقيات فيها]

حَدَّثَنِي أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار وإسماعيل بن يونس قالَا حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي المدائني قال : كانت حَبَابَةُ وسلامة قَتْنَتَيْنِ بالمدينة ؛ أَمَّا سلامة فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَاتِ :

لقد قَتْنَتْ رِيًّا وسلامةً القَسَا فلم تتركا للقسَّ عقلاً ولا نَفْسَا

فتاتانِ أَمَّا منهما فشبَّهة الـ هلالٍ وأخرى منهما تُشَبِّه الشمسَا

وغَنَّاها مالكُ بنُ أبي السَّمْح . وفيها يقول ابن قيس الرقيات :

أختانِ إحداهما كالشمس طالعةً في يوم دَجَنٍ وأخرى تشبه القمرَا

قال : وَفَتِنَ القسُّ بسلامة ، وفيها يقول :

أهابُكُ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولو أني أطيع القلبَ قالَا

حياءُ منكِ حتى سُلَّ جسمي وشَقَّ عليَّ كَماني وطلا

[من الوافر]

[سبب افتتان عبد الرحمن بن أبي عمّار القسّ بها وشعره فيها]

قال : والقسّ هو عبد الرحمن بن أبي عمّار من بني جُشَمَ بن معاوية ، وكان منزله بمكة . وكان سببُ افتتانه بها فيما حدثني خَلاد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون : كان القسّ من أعبد أهل مكة ، وكان يُشَبَّهُ بَعطاء بن أبي رباح ، وأنه سمع غناء سلامة القسّ على غير تعمد منه لذلك . فبلغ غناؤها منه كلّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أُخرجها إليك أو تدخل فتسمع ؟ فأبى . فقال مولاها : أنا أقعدها في موضع تسمع غناها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فاستمعه غناءها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أُخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أُخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنت فشغف بها وشغفت به ، وعرف ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبّك . قال : وأنا والله أُحبّك . قالت : وأحبّ أن أضع فمي على فمك . قال : وأنا والله أُحبّ ذاك . قالت : فما يمنعك ! فوالله إن الموضع لخال . قال : إني سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ وأنا أكره أن تكون خلّة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُسك ؛ وقال من قوره فيها :

إن التي طرقتك بين ركائب	تمشي بمزهرها وأنت حرام
لِتَصِيدَ قَلْبِكَ أَوْ جِزَاءَ مَوَدَّةٍ	إن الرفيق له عليك ذمام
باتت تعللنا وتحسب أننا	في ذاك أيقاظ ونحن نيام
حتى إذا سطع الضياء لناظر	فإذا وذلك بيننا أحلام
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها	فاعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذّرهم وأعلم أننا	سبل الضلالة والهذى أقسام

ومن قوله فيها :

ألم ترها لا يُبعد الله دارها	إذا رجعت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم تردّه	إلى صلصل في صوتها يترجع

وفيه يقول :

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر	وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
ألا ليت أني حين صارت بها النوى	جليس لسلمى كلما عجّ مزهر

وقال في قصيدة له :

سلام ويحك هل تحين من مانا	أو ترجعين على المحزون ما فاتا
---------------------------	-------------------------------

[من البسيط]

وقال أيضاً :

[من السريع]

سَلَامٌ هل لي منكم ناصرٌ أم هل لقلبي عنكم زاجرٌ
قد سميع الناسُ بوجدِي بكم فمنهمُ اللائمُ والعاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها .

[غنت هي وأختها رباً في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدثني الجُمَحِيّ قال : كانت سَلَامَةُ ورَبّاً
أختين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهنّ غناءً . فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما ؛
فقال لهما ابن قيس الرقيات : إني أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فإن أنتما
غنيتماني بذلك وإلا هجوتكما ولا أقربكما . قالتا : فما قلت ؟ قال قلت : [من الطويل]

لقد فتنت ربّاً وسَلَامَةَ القَسَا فلم تتركا للقسّ عقلاً ولا نفساً
فتاتانِ أمّا منهما فشيبةُ ال هلالٍ وأخرى منهما تُشبهُ الشمساً
تَكُنّانِ أبشاراً رِقاقاً وأوجهاً عِتاقاً وأطرافاً مُخَضَّبَةً مُلْساً¹

فغنته سَلَامَةُ واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أبا الأنصار ؟ قال

قلت :

صوت

أَسْلَامٌ هل لمتيّم تنويلُ أم هل صرمتِ وغالٍ ودكّ غولُ
لا تصرّفي عني دلالِكِ إنّه حسنٌ لديّ وإن بخلتِ جميلُ
أزعمتِ أنّ صبابتي أكَذوبةٌ يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ

الغناء لسَلَامَةَ القَسّ خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بالبصر عن الهشاميّ وحمّاد . وفيه لإبراهيم لحنان ،
أحدهما خفيفٌ ثقيلٌ بالبصر في مجراها عن إسحاق وعمرو ، والآخر ثقيلٌ أوّل استهلال عن
الهشاميّ ؛ فغنت الأبيات . فقال ابن قيس الرقيات : يا سَلَامَةُ ! أحسنتِ والله ! وأظنك عاشقة
لهذا الحلقى² ! فقال له الأحوص : ما الذي أخرجك إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غِنائها بشعرِك ، فلو لا
أنّ لك في قلبها محبةً مُفْرِطَةً ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة . فقال له الأحوص : على قدر
حُسْنِ شعري على شعرك هكذا حُسْنُ الغناء به ، وما هذا منك إلا حسد ، وتبين لك الآن ما

1 عتاقا : في الديوان : حسناً 35 .

2 أتان حلقية : إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحها .

حسدت عليه . فقالت سلامة : لولا أنَّ الدخول بينكما يُوجب بغضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ . قال الأحوص : فانت من ذلك آمنة . قال ابن قيس الرقيات : كلاً ؛ قد أمنت أن تكون الحكومة عليك ، فلذلك سبقت بالأمان لها . قال الأحوص : فرأيتك يدلك على أن معرفتك بأنَّ المحكوم عليه أنت ؛ وتفرّقا . فلمّا صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيات ففرّع بابه ، فأذن له وسلّم عليه واعتذر .

ومما قاله الأحوص في سلامة القسّ وغني به :

[من الكامل]

صوت

أسلام إنك قد ملكت فأسجحي	قد يملك الحرّ الكريم فيُسجحُ
مُنّي على عاني أطلتْ غناؤه	في الغلّ عندك والعناء تُسرّحُ
إنّي لأنصَحُكم وأعلمُ أنّه	سيّان عندك من يغشّ وينصحُ
وإذا شكوتُ إلى سلامة حُبّها	قالت أجِدْ منك ذا أم تمزحُ

الشعر للأحوص . والغناء لابن مِسْجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو . ولدَحْمان في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّلٌ بالبصر فيه استهلال . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ يقال : إنّه لمالك ، ويقال : إنّه لسلامة القسّ .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَباة : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَم بن معاوية ، وكان فقيهاً عابداً من عبّاد مكّة ، يسمّى القسّ لعبادته ؛ وكانت سلامة بمكّة لسُهَيْل ، وكان يدخل عليها الشعراء فينشّدونها وتُنشّدهم وتغني من أحبّ الغناء ؛ ففتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القسّ ؛ فشاع ذاك وظهر ، فسُميت سلامة القسّ بذلك .

[سأها القسّ أن تغنيه بشعرٍ له]

قال إسحاق وحدثني أيّوب بن عَباة قال : سأها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القسّ أن تغنيه بشعر مدّحها به ففعلت ، وهو :

[من الكامل]

ما بال قلبك لا يزال يُهيمهُ	ذَكَرَ عَوَاقِبُ غِيْهِنَ سَقَامُ
إنّ التي طرقتك بين ركائبٍ	تمشي بيزهرها وأنت حرامُ
لتصيد قلبك أو جزاء مودّةٍ	إنّ الرفيق له عليك ذمامُ
باتت تعللنا وتحسب أننا	في ذاك أيقاظٌ ونحن نيامُ
حتى إذا سطّع الصباح لناظرٍ	فإذا وذلك بيتنا أحلامُ

قد كنتُ أَعْدِلُ في السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا فاعْجَبْ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْإِيَّامُ
فَالْيَوْمَ أَعْذِرُهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّمَا سَبُلُ الْغَوَايَةِ وَالْهُدَى أَقْسَامُ

[أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكة فأمراها أن تغني]

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال : لما قديم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه ، أمرها أن تغنيه ؛ فكان أول صوت غنته : [من الكامل]

إِنَّ التِّي طَرَقَتْ بَيْنَ رِكَائِبِ تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامُ
وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالدُّمَى وَنَوَائِمُ يَمْشِينَ فِي الْأَرْقَامِ
لِتَصِيدَ قَلْبَكَ أَوْ جِزَاءَ مَوَدَّةٍ إِنَّ الرِّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أول صوت غنته لما اشتراها : [من الطويل]

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مَبْصُرُ وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقْصِرُ
أَلَا لَيْتَ أَنِّي حِينَ صَارَ بِهَا النَّوَى جَلِيسٌ لَسَلِمَى حَيْثُ مَا عَجَّ مِزْهَرُ
وَأَنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ زَالَ بِنَفْسِهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَهَا حِينَ تُقْبَرُ
إِذَا أَخَذْتُ فِي الصَّوْتِ كَادَ جَلِيسُهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا قَلْبُهُ حِينَ يَنْظُرُ
كَأَنَّ حَمَامًا رَاعِيًّا مُوَدِّيًّا إِذَا نَطَقْتُ مِنْ صَدْرِهَا يَتَغَشَّمُ¹

فقال لها يزيد : يا حبيبتي ، مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ فقصت عليه القصّة ، فرّق له وقال : أحسن وأحسن ! .

[قال الأصوص شعراً وبعث به إليها]

قال إسحاق وحدثني المدائني قال : لما اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة ، وكان الأصوص معجباً بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها ؛ فلما أراد يزيد الرحلة ، قال أبياتاً وبعث بها إلى سلامة . فلما جاءها الشعر غنت به يزيد وأخبرته الخبر ، وهو : [من الخفيف]

صوت

عاوَدَ الْقَلْبَ مِنْ سَلَامَةِ نَصْبُ فَلَعِينِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ غَرْبُ²
وَلَقَدْ قُلْتُ أَيُّهَا الْقَلْبُ ذُو الشَّو قِ ، الَّذِي لَا يُحِبُّ حُبَّكَ حِبُّ

1 حمام راعي : جنس من الحمام ، والترعيب : شدة الصوت . يتغشم : يصوت .

2 النصب : الداء والبلاء .

إِنَّه قَدْ دَنَا فِرَاقُ سُلَيْمَى وَغَدَا مَطْلَبٌ عَنِ الْوَصْلِ صَعْبُ

غَنَاهُ ابْنُ مُخَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَابْنُ مِسْجَحٍ خَفِيفُ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَابْنُ عَبَّادٍ وَعَلَوِيهِ رَمْلَانُ . وَفِيهِ لَدَحْمَانُ خَفِيفُ رَمَلٍ . هَذِهِ الْحِكَايَاتُ الثَّلَاثُ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِسَلَامَةَ الْقَسِّ فِيهِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى . [عَاتَبَتْ حَبَابَةَ حِينَ اسْتَخَفَّتْ بِهَا لِأَثَرِهَا عِنْدَ يَزِيدَ]

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي أَيُّوبُ عَنْ عَبَّابَةَ قَالَ : كَانَتْ سَلَامَةُ وَرَبًّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَتْ حَبَابَةُ لِرَجُلٍ ، وَكَانَتْ الْمَقْدَمَةُ مِنْهُنَّ سَلَامَةُ ، حَتَّى صَارَتَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَانَتْ حَبَابَةُ تَنْظُرُ إِلَى سَلَامَةَ بِتِلْكَ الْعَيْنِ الْجَلِيلَةِ الْمَتَّقِمَةِ وَتَعْرِفُ فَضْلَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا رَأَتْ أَثَرَهَا عِنْدَ يَزِيدَ وَحِبَّةَ يَزِيدَ لَهَا اسْتَخَفَّتْ بِهَا . فَقَالَتْ لَهَا سَلَامَةُ : أَيُّ أَخِيهِ ؟ نَسِيتَ لِي فَضْلِي عَلَيْكَ ؟ وَيِلَّكَ ؛ أَيْنَ تَأْدِيبُ الْغِنَاءِ وَأَيْنَ حَقُّ التَّعْلِيمِ ! أَنْسِيتَ قَوْلَ جَمِيلَةٍ يَوْمًا وَهِيَ تُطَارِحُنَا وَهِيَ تَقُولُ لَكَ : خُذِي إِحْكَامَ مَا أَطَارِحُكَ مِنْ أَخِيكَ سَلَامَةَ ، وَلَنْ تَزَالِي بِخَيْرٍ مَا بَقِيتَ لَكَ وَكَانَ أَمْرُكَا مُؤْتَلَفًا . قَالَتْ : صَدَقَتْ خَلِيلَتِي وَاللَّهِ لَا عُدْتُ إِلَى شَيْءٍ تَكَرَّهْنِيهِ ؛ فَمَا عَادَتْ لَهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَمَاتَتْ حَبَابَةُ وَعَاشَتْ سَلَامَةُ بَعْدَهَا دَهْرًا .

[اِحْتَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ عَلَى وَالِي الْمَدِينَةِ حَتَّى جَعَلَهُ يَسْمَعُ مِنْهَا]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْحِرَامِيِّ الْأَكْبَرِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عِثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ الْمُرِّيَّ الْمَدِينَةَ وَالْيَا عَلَيْهَا ، قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ : إِنَّكَ قَدْ وَلَيْتَ عَلَى كَثْرَةِ مِنَ الْفَسَادِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصْلِحَ فَطَهِّرْهَا مِنَ الْغِنَاءِ وَالزُّنَا . فَصَاحَ فِي ذَلِكَ وَأَجَّلَ أَهْلَهَا ثَلَاثًا يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ غَائِبًا ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ . فَلَمَّا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنَ الْأَجَلِ قَدِمَ فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ مَنْزِلِي حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى سَلَامَةَ الْقَسِّ . فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : مَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي حَتَّى جُعْتُكُمْ أَسْلَمَ عَلَيْكُمْ . قَالُوا : مَا أَغْفَلَكَ عَنْ أَمْرِنَا ! وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : اصْبِرُوا عَلَيَّ اللَّيْلَةَ . فَقَالُوا : نَخَافُ إِلَّا يُمَكِّنَكَ شَيْءٌ وَنُنْكَظُ . قَالَ : إِنْ خِفْتُمْ شَيْئًا فَاخْرُجُوا فِي السَّحَرِ . ثُمَّ خَرَجَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عِثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ فَأُذِنَ لَهُ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَذَكَرَ لَهُ غَيْبَتَهُ وَأَنَّهُ جَاءَهُ لِيَقْضِيَ حَقَّهُ ، ثُمَّ جَزَاهُ خَيْرًا عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ إِخْرَاجِ أَهْلِ الْغِنَاءِ وَالزُّنَا ، وَقَالَ : أَرْجُو إِلَّا تَكُونَ عَمِلْتَ عَمَلًا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ عِثْمَانُ : قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ وَأَشَارَ بِهِ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ . فَقَالَ : قَدْ أَصَبْتَ ، وَلَكِنْ مَا تَقُولُ ، أَمَتَعَ اللَّهُ بِكَ ، فِي امْرَأَةٍ كَانَتْ هَذِهِ صِنَاعَتُهَا وَكَانَتْ تُكْرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ وَأَقْبَلْتَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْخَيْرِ ، وَأَتَى رَسُولُهَا إِلَيْكَ تَقُولُ : أَتَوَجَّهْ إِلَيْكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ

جِوَار رسول الله ﷺ ومسجده ؟ قال : فَإِنِّي أَدْعُهَا لَكَ وَلِكَلَامِكَ . قال ابن أبي عتيق : لا يَدْعُكَ النَّاسُ ، وَلَكِنْ تَأْتِيكَ وَتَسْمَعُ مِنْ كَلَامِهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ مِثْلَهَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ تَرْكُهَا ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : اجعلي معك سُبْحَةً وَتَخَشَّعِي ففعلت . فلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى عَثْمَانَ حَدَّثْتُهُ ، وَإِذَا هِيَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالنَّاسِ وَأَعْجَبَ بِهَا ، وَحَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ وَأُمُورِهِمْ فَفَكَرْتُ لَذَلِكَ . فقال لها ابن أبي عتيق : اقْرئي لِلْأَمِيرِ فَقَرَأَتْ لَهُ ؛ فقال لها احْدِثِي لَهُ ففعلت ، فَكَثُرَ تَعَجُّبُهُ . فقال : كَيْفَ لَوْ سَمِعْتَهَا فِي صِنَاعَتِهَا ؟ فلم يزل يُنْزِلُهُ شَيْئاً شَيْئاً حَتَّى أَمَرَهَا بِالْغِنَاءِ . فقال لها ابن أبي عتيق : غَنِّي ، فغَنَّتْ : [من الطويل]

سَدَدَنْ خَصَاصَ الْخَيْمِ لَمَّا دَخَلْنَهُ بِكَلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجِينِ

فغَنَّتْ ؛ فقام عثمان من مجلسه فقعده بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج ؛ . قال ابن أبي عتيق : لا يَدْعُكَ النَّاسُ ، يَقُولُونَ : أَقْرَ سَلَامَةً وَأَخْرَجَ غَيْرَهَا . قال : فدَعَوْهُمْ جَمِيعاً ؛ فتركوهم جميعاً .

[لَمَّا اشْتَرَاهَا رَسَلَ يَزِيدَ وَرَحَلُوا بِهَا غَنَّتْ مَشِيعِهَا عِنْدَ سِقَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ]

أَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَرُوةَ قَالَ : قَدِمْتُ رَسُلُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ فَاشْتَرَوْا سَلَامَةَ الْمَغْنِيَةِ مِنْ آلِ رُمَانَةَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَلِكِ أَهْلِهَا طَلَبُوا إِلَى الرَّسْلِ أَنْ يَتْرُكُوهَا عَنْدهُمْ أَيَّاماً لِيَجْهَزُوهَا بِمَا يُشَبِّهُهَا مِنْ حُلِيِّ وَثِيَابٍ وَطِيبٍ وَصِبْغٍ . فَقَالَتْ لَهُمُ الرِّسْلُ : هَذَا كُلُّهُ مَعْنَا لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، وَأَمَرُوهَا بِالرَّحِيلِ . فَخَرَجْتُ حَتَّى نَزَلْتُ سِقَايَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَشِيعَها الْخَلْقُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا بَلَغُوا السَّقَايَةَ قَالَتْ لِلرِّسْلِ : قَوْمٌ كَانُوا يَغْشَوْنَنِي وَيَسْلُمُونَ عَلَيَّ ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ وَدَاعِهِمْ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ ، فَأَذِنَ لِلنَّاسِ عَلَيْهَا فَانْقَضُوا حَتَّى مَلَوْا رَحْبَةَ الْقَصْرِ¹ وَوَرَاءَ ذَلِكَ ؛ فَوَقَفْتُ بَيْنَهُمْ وَمَعَهَا الْعُودُ ، فَغَنَّتْهُمْ :

فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً	مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي	مَوْلَعاً مُورِعاً بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَايَا	مَا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ ²
سَكَنُوا الْجِرْعَ جِرْعَ بَيْتِ أَبِي مُو	سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفْيَى السَّبَابِ ³

1 لَعَلَّهُ يَرِيدُ قَصْرَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ بِجَوَارِ الْمَدِينَةِ .

2 تَتَابَعُوا : تَهَافَتُوا .

3 صُفْيَى السَّبَابِ : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ .

كَمْ بِذَاكَ الْحَجَّونَ مِنْ حَيٍّ صِدْقٍ وَكُھُولٍ أَعْفَى وَشَبَابٍ¹

قال عيسى : وكنتُ في الناس ، فلم تزل تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكياً إلا رأيته .

[كلفت الأحوص أن يخال لدخول الغريص على يزيد حين قدم معه إلى دمشق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال : وجَّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه ، وكان الغريص معه ، فقال له : اخرجْ معي حتى آخذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنيه ؛ فإنِّي لا أحمل إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك ، فخرجنا . فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائح فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتُ إليه سلاماً جاريةً يزيدَ بلطفٍ . فأرسل إليها : إنَّ الغريص عندي قدِمْتُ به هديةً إليك . فلما جاءها الجوابُ اشتاقتُ إلى الغريصِ وإلى الاستماع منه . فلما دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتُ وبعثتُ إلى الأحوص : إذا دعاكَ أميرُ المؤمنين فاحتلَّ له في أن تذكر له الغريص . فلما دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : ويحك يا أحوص ؛ هل سمِعتَ شيئاً في طريقك تُطِرُّنا به ؟ قال : نعم أمير المؤمنين ، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنه وجودة شعره ؛ فوقفتُ حتى استقصيتُ خبره ، فإذا هو الغريص ، وإذا هو يغني بأحسن صوتٍ وأشجاء :

أَلَا هَاجَ التَّذَكُّرُ لِي سَقَامَا	وَنُكْسَ الدَّاءَ وَالْوَجَعَ الْغَرَامَا ²
سَلَامَةٌ إِنَّهَا هَمِّي وَدَائِي	وَشَرُّ الدَّاءِ مَا بَطَّنَ الْعِظَامَا
فَقُلْتُ لَهُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي	عَلَى الْخَدَّيْنِ أَرْبَعَةٌ سِجَامَا ³
عَلَيْكَ لَهَا السَّلَامُ فَمَنْ لَصَبٌ	يَبِيتُ اللَّيْلَ يَهْذِي مُسْتَهَامَا

قال يزيد : ويحك يا أحوص ؛ أنا ذاك في هوى خليلتي ؛ وما كنتُ أحسبُ مثل هذا يتفق ، وإنَّ ذاك لمَّا يزيد لها في قلبي . فما صنعتُ يا أحوصُ حين سمعتَ ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صبرتُ حتى أخرجتُ الغريصَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنَّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيْتُ في طريقي . فقال له يزيد : ائتيني بالغريص ليلاً وأخفِ أمره . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سلامة بالخبر . فقالت للرسول : قل له جُزيت خيراً ، قد

1 الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها .

2 الغرام : الملازم الشديد .

3 أربعة سجام : يريد بها اللحاظين والموقنين للعينين .

انتهى إليّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلَطَّفْتَ وأحسنتَ . فلَمَّا وارى الليلُ أهله بعث إلى الأُحوص أن عَجَلُ المجيء إليّ مع ضيفك . فجاء الأُحوصُ مع الغريض فدخلنا عليه . فقال غَنَّنِي الصوت الذي أخبرني الأُحوصُ أنه سِيعه منك ، وكان الأُحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنما ذلك شعر قاله الأُحوص يُريدُ يحركه به على سَلَامَةٍ ويحتال للغريض في الدخول عليه ، فقال : غَنَّنِي الصوتَ الذي أخبرني الأُحوصُ . فلَمَّا غَنَّا الغريضُ دمعتُ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيَحْك ! . هل يمكن أن تصير إلى مجلسي ؟ قيل له : هي صالحة . فأرسل إليها فأقبلت . فقيل ليزيد : قد جاءت ؛ فغَضِبَ لها حجابٌ فجلستُ ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ ؛ فقالت : أَحَسَنَ وَاللَّهِ يا أمير المؤمنين ، فاسمعه مِنِّي ؛ فأخذتِ العودَ فغَضِبَتْه وغَنَّتِ الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أُحوصُ ، إِنَّكَ لمباركٌ ؛ يا غريضُ غَنَّنِي في ليلتي هذا الصوتَ ؛ فلم يزل يغنيه حتى قام يزيدُ وأمر لهما بمال ، وقال : لا يُصبح الغريضُ في شيء من دِمَشق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأقام الأُحوص بعده أياماً ثم لَحِقَ به ؛ وبعثت سَلَامَةً إليهما بكسوة ولُطْفٍ كثير .

[رثت يزيد وناحت عليه حين مات]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بن مُحَمَّدٍ النُّوفَلِيُّ قال حَدَّثَنِي رجل من أهلي من بني نُوْفَلٍ قال : قَدِمْتُ في جماعية من قريش على يزيد بن عبد الملك ، فألفيناه في عِلَّتِهِ التي مات فيها بعد وفاة حَبَابَةَ ، فنزلنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد ، فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره ، وربما أتينا البابَ فسألنا ؛ فكان يَثْقُلُ في كلِّ يوم . فإننا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سَمِعْنَا صوتَ سَلَامَةِ القَسِّ وهي رافعةً صوتها تنوح وتقول :

[من مجزوء الرمل]

لا تَلَمْنَا إِنْ خَشَعْنَا	أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
قد لَعَمْرِي بِتُّ ليلي	كأُخِي الدَّاءِ الوجيع
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رُبْعاً	خَالِياً فاضتُ دموعي
قد خلا من سَيِّدٍ كا	نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعٍ

ثم صاحت وا أمير المؤمنين ! فعلمنا وفاته ، فأصبحنا فغدونا في جنازته .

أخبرني الحِزْمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن أَبِي أُوَيْسٍ عن أبيه قال : قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أَشْتَرِي سَلَامَةً جاريةً مُصَنَّبَ بن سُهَيْلِ الزُّهْرِيِّ وحَبَابَةَ جاريةً آل لاجِجِ المَكِّيَّةِ ؛ فأرسل فاشترينا له . فلَمَّا اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال الشاعر :

[من الطويل]

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ
فَلَمَّا تُوفِّيَ يَزِيدَ رِثْتَهُ سَلَامَةٌ فَقَالَتْ وَهِيَ تَنُوحُ عَلَيْهِ هَذَا الشَّعْرُ : [من مجزوء الرمل]

لَا تَلَمُّنَا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
إِذْ فَقَدْنَا سَيِّدًا كَا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعٍ
وَهُوَ كَاللَّيْلِ إِذَا مَا عُذُّ أَصْحَابِ الدَّرُوعِ
يَقْنَصُ الْأَبْطَالَ ضَرْبًا فِي مُضِيِّ وَرَجُوعٍ¹

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ وَالدَّائِنِيُّ أَنَّ سَلَامَةَ كَانَتْ لِسُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَاشْتَرَاهَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَتْ مَغْنِيَةً حَازِقَةً جَمِيلَةً ظَرِيفَةً تَقُولُ الشَّعْرَ ، فَمَا رَأَيْتُ خِصَالًا أَرْبَعًا اجْتَمَعْنَ فِي امْرَأَةٍ مِثْلِهَا : حُسْنٌ وَجْهَهَا وَحُسْنُ غَنَائِهَا وَحُسْنُ شِعْرِهَا . قَالَ : وَالشَّعْرَ الَّذِي كَانَتْ تَغْنِي بِهِ : [من مجزوء الرمل]

لَا تَلَمُّنَا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعٍ
لِلَّذِي حَلَّ بَنَا الْيَوْمَ مَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ

وَذَكَرَ بَاقِيَ الْآيَاتِ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ .

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي الْجُمَحِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَنْ رَأَى سَلَامَةَ تَنْدُبُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَرْثِيَةٍ رِثْتَهُ بِهَا ، فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَشْجَى ؛ وَلَقَدْ أَبْكَتَ الْعَيُونَ وَأَحْرَقَتِ الْقُلُوبَ وَأَفْتَنَتِ الْأَسْمَاعَ ، وَهِيَ : [من مجزوء الكامل]

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ بِالشَّامِ فِي طَرْفِ الْكُثِيبِ
بِالشَّامِ بَيْنَ صَفَائِحِ صُمٌّ تُرْصَفُ بِالْجُبُوبِ²
لَمَّا سَمِعْتُ أَنَيْنَهُ وَبَكَاءَهُ عِنْدَ الْمَغِيبِ
أَقْبَلْتُ أَطْلُبُ طَيْبَهُ وَالِدَاءُ يُفْضِلُ بِالطَّيِّبِ

الشَّعْرَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ خَرَجَ بَابِنَ لَهُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ هَوَاهَا وَخَافَ أَنْ يَفْسُدَ بِحَبِّهَا ، فَلَمَّا فَقَدَهَا مَرِضَ بِالشَّامِ وَضَنِي فَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا . كَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ، وَخَبَرَهُ يُكْتَبُ عَقَبَ أَخْبَارِ سَلَامَةِ الْقَسِّ . وَالْغَنَاءُ لِسَلَامَةَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ . وَفِيهِ لِحَكَمِ رَمَلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَفِيهِ لِحْنُ لَابِنِ غَزْوَانَ

1 يقنص في ل : يقنص .

2 الجيوب : المدر المفتت .

الدَّمَشَقِيّ من كتاب ابن خُرْداذبَه غيرُ معجَّنَس .

[سأله الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجُمَحِيّ قال :
حدثني مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسألُ سَلَامَةً أن تغنيه شعرها في يزيد وهي تنغص
من ذلك وتدمع عيناها ؛ فأقسم عليها فغنته ؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك . فقال لها
الوليد : رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سَلَامَةُ ! . بِمَ كان أبي يقدمُ
عليك حَبَابَةً ؟ قالت : لا أدري والله ؛ قال لها ، لكنني والله أدري ؛ ذلك بما قسم الله
لها . قالت : يا سيدي أجَلْ .

[انتحل إسحاق الموصلي ما ناحت به على يزيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهَدَادِيّ عن
بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا
الشعر :

قَدْ لَعَمْرِي بِتْ لَيْلِي كَأَخِي الدَّاءَ الْوَجِيعَ
وَنَجِيّهُ الْهَمَّ مِنْنِي بات أدنى من ضلوعي
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رَبْعاً دارساً فاضت دموعي
مُقْفِراً مِنْ سَيِّدِ كَا ن لنا غير مُضِيعِ

والشعر للأحوص . والنّوح لمبعد ؛ وكان صنعه لسَلَامَةً وناحت به سَلَامَةُ على يزيد .
فلما سمعته منها استحسنته واشتهيته ولهجتُ به ، فكنتُ أترنمُ به كثيراً . فسمع ذلك مني
أبي فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرُ قاله الأحوصُ وصنعه معبدٌ لسَلَامَةً وناحت به
سَلَامَةُ على يزيد . ثم ضربَ الدَّهْرُ ؛ فلما مات الرشيدُ إذا رسولُ أمّ جعفر قد وافاني
فأمرني بالحضور . فسرتُ إليها ؛ فبعثتُ إليّ : إني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبناتِ هاشم
لننوحَ على الرشيد في ليلتنا هذه ؛ فقلُ الساعةَ أبياتاً رقيقةً واصنعنَّ صنعةً حسنةً حتى
أنوحَ بهن . فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضرني وجعلتُ ترسلُ إليّ تحثني ،
فذكرتُ هذا النّوحَ فأريتُني أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضرني القولُ وقد صنعتُ فيه
ما أمرتُ ؛ فبعثتُ إليّ بكُنِيزَةَ وقالت : طارحها حتى تطارحنيهِ . فأخذتُ كُنِيزَةَ العود
وردّدته عليها حتى أخذته ، ثم دخلتُ فطارحته أمّ جعفر ؛ فبعثتُ إليّ بمائة ألف درهم
ومائة ثوب .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات صوت

[من الطويل]

لقد فتنَ ربّا وسلامةُ القسا فلم تتركاً للقسّ عقلاً ولا نفساً
فتانٍ أمّا منهما فشيبههُ الـ هلالٍ وأخرى منهما تُشبه الشمساً
الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات . والغناء لملك خفيفٌ ثقیلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى
البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثقیلٌ أولٌ عن الهشامي . وزعم عمرو بن بانه أن خفيف
الثقیل الحنين الحيري . وقيل : إن الثقیل الأول لدحمان .
ومنها الشعر الذي أوله :

[من الوافر]

أهأبك أن أقول بذلت نفسي

صوت

أثله جرّ جيرتك الزیالا وعاد ضميرٌ ودكم خبالاً¹
فأني مستقیلك أثلٌ لبّي ولُبُّ المرء أفضلٌ ما استقلا
أهأبك أن أقول بذلت نفسي ولو أني أطيع القلبَ قالا
حياءٌ منك حتى سلّ جسمي وشقّ عليّ كتمانٍ وطالا
الشعر للقسّ . والغناء لمعبد خفيفٌ ثقیلٌ أولٌ مطلق في مجرى البنصر . وفيه لمعبد ثقیلٌ
أولٌ بالوسطى ، أوله :

[من الوافر]

أهأبك أن أقول بذلت نفسي

[كيف تعلق القس بها وقصة لها معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا
الزبير بن بكار قال حدثنا بكار بن رباح قال : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار
من بني جشّم بن معاوية ، وقد كانت أصابت جدّه منّة من صفوان بن أميّة ، وكان ينزل
مكة ، وكان من عبّاد أهلها ، فسُمّي القسّ من عبادته . فمرّ ذات يوم بسلامة وهي تغني
فوقف فتسمع غناءها . فرآه مولاه فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمع منها ، فأبى عليه .
فقال له : فأني أقعدك في مكانٍ تسمع منها ولا تراها . فقال : أمّا هذا فنعم . فأدخله داره

وأجلسه حيث يسمع غناءها ؛ ثم أمرها فخرجت إليه . فلما رآها عُلِقَتْ بقلبه فهامَ بها ، واشتَهَر وشاع خبرُه بالمدينة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاهم مدّةً طويلة . ثم إنّ مولاهم خرج يوماً لبعض شأنه وخلفه مقيماً عندها ؛ فقالت له : أنا والله أُحِبُّكِ ! فقال لها : وأنا والله الذي لا إله إلا هو . قالت : وأنا والله أَشْتَهِي أَنْ أُعَانِقَكَ وَأُقَبِّلَكَ ؛ قال : وأنا والله . قالت : وَأَشْتَهِي والله أَنْ أَضَاجِعَكَ . وأَجْعَلَ بطني على بطنك وصَدْرِي على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخال ؛ قال : يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فأكره أنْ تَحُولَ مودَّتِي لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكي ؛ فما عاد إليها بعد ذلك .

[لما ملكها يزيد وملك حبابه صار لا يبالي بهما شيئاً]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال : لما ملك يزيدُ بن عبد الملك حبابةً وسلامةَ القسّ تمثّل :

[من الطويل]

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليفتني .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وإني ليرضيني قليلُ نوالكم وإن كنتُ لا أرضى لكم بقليل

بخرمةٍ ما قد كان بيني وبينكم من الوصلِ إلّا عدتُم بجميل

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليمان الفزاري . ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّلُه الثاني ثم الأوّل ، ينسب إلى حكّم الواديّ وإلى سليمان أيضاً . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنّه لمُخَارِق ، وذكر حبّش أنّ لحن مُخَارِق ثاني ثقيل .

[124] - أخبار العباس بن الأحنف ونسبه¹

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن النطاح ، العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جدان بن كلدة من بني عدي بن حنيفة .

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول : العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هيمان بن بني هفان بن الحارث بن الذهل بن الدول بن حنيفة . قال : وكان حاجب بن قدامة عم العباس من رجال الدولة .

قال محمد بن يحيى وحدثني أبو عبد الله الكندي قال حدثني محمد بن بكر الحنفي الشاعر قال حدثني أبي قال : سمعت العباس بن الأحنف يذكر أن هودة بن علي الحنفي قد ولده من قبل بعض أمهاته .

[هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح]

وكان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً ، من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب حسن ، ولدياجة شعره رونق ، ولمعانيه غدوبة ولطف . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني . وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه ، وأطنب في وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه . قال : وكان العباس من الظرفاء ، ولم يكن من الخلعاء ؛ وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً ؛ وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد الترف ، وذلك بين في شعره . وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلواً مقبولاً غزلاً غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مداحاً .

[كان حلو الحديث]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال : سمعت إبراهيم بن العباس يصف

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 2 : 827-831 والآلي 313 وطبقات ابن المعتز : 269 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 وابن خلكان 3 : 20 وعبر الذهبي 1 : 312 وسير الذهبي : 98 والوافي 16 : 638 والبداية والنهاية 10 : 209 والشذرات 1 : 334 ومعاهد التنقيص 1 : 54 ومعجم الأدباء 4 : 1481-1482 .

العبّاس بن الأحنف ، فقال : كان والله مَن إذا تكَلَّمَ لم يُجِبْ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت .

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : رأيتُ نسخاً من شعر العبّاس بن الأحنف بخراسان ، وكان عليها مكتوب : «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس» .

[هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهاب : أن العبّاس بن الأحنف كان من عرب خراسان ، ومنشؤه ببغداد ؛ ولم تزل العلماء تقدّمه على كثير من المُحدّثين ، ولا تزال قد ترى له الشيء البارِع جداً حتى تلجّقه بالمحسين .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المزرع قال : سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول : لولا أن العبّاس بن الأحنف أخذقُ الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرّف ؛ وما نعلم شاعراً لَرم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه وأكثر .

حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال : أنشد الحِرْمَازِيّ أبو علي وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف :

صوت

لا جَزَى الله دمعَ عينيَ خيراً وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نَمَّ دمعِي فليس يَكْتُم شيئاً ورأيتُ اللسانَ ذا كَيْمانٍ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيُّ فاستدلّوا عليه بالعنوانِ

الغناء العَرِيبَ رَمَلٌ . ثم قال الحِرْمَازِيّ : هذا والله طِرَازٌ يَطْلُبُ الشعراءُ مثله فلا يقدِّرون عليه .

[لغته أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه]

أخبرني محمد بن الحسين بن فَهْم قال سمعتُ العَطَوِيّ يقول : كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غَزْلاً ، وكان أبو الهذيل العلاف يَغِيْضُه ويلغنه لقوله : [من البسيط]

إذا أردتُ سُلوّاً كان ناصرُكم قلبي ، وما أنا من قلبي بمنتصرٍ
فأكثروا أو أقِلُّوا من إساءتكم فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهذيل يلغنه لهذا ويقول : يعقِدُ الكفرَ والفجورَ في شعره .

قال محمد بن يحيى : وأنشدني محمد بن العبّاس اليزيديّ شعراً للعبّاس أظنّه يهجو به أبا

الهدّيل ، وما سمعتُ للعبّاسِ هجاءَ غيره : [من البسيط]

يا مَنْ يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تذرُ
كذبتُ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أذاك مني بما لا تشتهي القدرُ

[سئل الأصمعي عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره]

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد عن الرّياشيّ قال : قيل للأصمعيّ ، أو قلتُ له ، ما أحسنُ ما تحفظ للمُحدثين ؟ قال : قول العباس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

لو كنتِ عاتبةً لسكّنتِ روعتي أُملي رضاك وزرتُ غيرَ مُراقبِ
لكن مِلّتِ فلم تكن لي حيلةً صدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ
الغناء للعبّاس أخِي بحرَ رَمَلٍ .

[معايشه الأصمعيّ في مجلس الرشيد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن العباس التيزيديّ قالا ، واللفظ لهاشم ، قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال : دخل عمّي على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العباس للرشيد : دَعْنِي أُعَبِّثُ بالأصمعيّ . قال له الرشيد : إنّه ليس ممّن يحتمل العبثَ . فقال : لستُ أُعَبِّثُ به عبثاً يَشُقُّ عليه . قال : أنت أعلم . فلما دخل عمّي قال له : يا أبا سعيد ، مَنْ الذي يقول :

إذا أُحِبِّتَ أَنْ تصنِّعَ عَ شَيْئاً يُعْجِبُ النَّاسَ
فصَوِّرْ هاهنا فوزاً وصَوِّرْ ثُمَّ عَبَّاساً
فإن لم يَدْنُوا حتّى ترى رَأْسَهُمَا راساً
فكذِّبْها بما قاستُ وكذِّبْه بما قاسى

فقال له عمّي يعرضُ بأنّه نَبْطِيٌّ : قاله الذي يقول : [من الهزج]

إذا أُحِبِّتَ أَنْ تُبْصِرَ رَ شَيْئاً يُعْجِبُ الْخَلْقَ
فصَوِّرْ هاهنا دوراً وصَوِّرْ هاهنا فلماً
فإن لم يَدْنُوا حتّى ترى خَلْقَهُمَا خَلْقاً

فَكَذَّبَهَا بِمَا لَاقَتْ وَكَذَّبَهُ بِمَا يَلْقَى

قال : فحجّل العباس ، وقال له الرشيد : قد نهيتك فلم تقبل .

[حديث إبراهيم بن العباس مع ابن مَهْرويه عن شعره]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العباس للعباس بن الأحنف :

[من الكامل]

صوت

قالت ظلّومُ سَمِيّةُ الظّلمِ ما لي رأيْتُكَ ناحِلَ الجسمِ

يا مَنْ رَمَى قلبي فأقصده أنت العليمُ بموضع السّهمِ¹

فقلت له : إنّ أبا حاتم السّجستانيّ حكى عن الأصمعيّ أنّه أنشد للعباس بن الأحنف :

[من البسيط]

صوت

أَتَأَذْنُونَ لَصَبٍ في زيارتكم فعندكم شَهَوَاتُ السَّمْعِ والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ : ما زال هذا الفتى يُدْخِلُ يده في جِرابه فلا يُخْرِجُ شيئاً ، حتى أدخلها فأخرج هذا ؛ وَمَنْ أَدْمَنَ طلب شيء ظفير ببعضه . فقال إبراهيم بن العباس : أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ ، ولكن أنشدك للعباس ما لا تدفع أنت ولا غيرك فضله ، ثم أنشدني قوله :

[من الكامل]

والله لو أنّ القلوبَ كقلبها ما رَقَّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ²

وقوله :

[من الكامل]

لكن مَلِلْتُ فلم تكن لي حيلةً صَدُّ المُلُولِ خِلافُ صَدِّ العائبِ

وقوله :

[من الكامل]

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى جاءتُ أمورٌ لا تُطَاقُ كِبَارُ

ثم قال : هذا والله ما لا يقدر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً .

[طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتنارت عليه]

حدّثني عمي قال حدّثني ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لبنان :

1 بموضع في الديوان : بموقع 240 .

2 الضعيف في الديوان : الصغير 81 .

غَنِينِي :

[من البسيط]

أَتَأَذْنُونُ لِحَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ
قَالَ : فَضَحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيهِ إِنْ كَانَ كَذَا أَوْ أَيُّ مَعْنَى ؟ فَخَجَلَ الْحَسَنُ مِنْ
نَادِرَتِهَا عَلَيْهِ ، وَعَجَبْنَا مِنْ حِدَّةِ جَوَابِهَا وَفُطْنَتِهَا .

[مدح سعيد بن جنيده شعره في إخفاء أمره]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّصَّيْبِيُّ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُنَيْدٍ
يَقُولُ : مَا أَعْرِفُ أَحْسَنَ مِنْ شَعْرِ الْعَبَّاسِ فِي إِخْفَاءِ أَمْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ : [من الوافر]

أُرِيدُكَ بِالسَّلَامِ فَاتَّقِيهِمْ فَأَعِمِدُ بِالسَّلَامِ إِلَى سِوَاكَ¹
وَأَكْثَرُ فِيهِمْ ضَحِكِي لِيَخْفَى فَسِنِّي ضَاحِكٌ وَالْقَلْبُ بِكَ

[تمثل الواثق بشعره إذ كان غضباناً على بعض جواريه]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نَصْرِ قَالَ حَدَّثَنِي خَالِي أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونٍ قَالَ :
كَانَ بَيْنَ الْوَاثِقِ وَبَيْنَ بَعْضِ جَوَارِيهِ شَرٌّ فَخَرَجَ كَسْلَانًا ؛ فَلَمْ أَزَلْ أَنَا وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ نَحْتَالُ
لِنَشَاطِهِ ؛ فَرَأَى أَصَاحِبُ الْفَتْحِ فَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ : [من البسيط]

عَذَلُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكَهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلٌ كُلُّ مَا صَنَعَا²
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدُبُهُ قَلْبٌ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَعَا

فَقَالَ الْفَتْحُ : أَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَضْعِ التَّمَثُّلِ مَوْضِعَهُ أَشْعَرُ مِنْهُ وَأَعْلَمُ وَأَظْرَفُ .

[تمثل بشعره في عتاب جارية له]

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَتْ لِلْوَاثِقِ جَارِيَةٌ لَهُ كَانَ
يَهْوَاهَا وَقَدْ جَرَى بَيْنَهُمَا عَتَبٌ : إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيلُ بَعَزَ الْخِلَافَةِ فَأَنَا أَدَلُّ بِعَزِّ الْحُبِّ . أَتُرَاكَ لَمْ
تَسْمَعْ بِخَلِيفَةِ عِشْقٍ قَبْلَكَ قَطُّ فَاسْتَوْفَى مِنْ مَعْشُوقِهِ حَقَّهُ ؛ وَلَكِنِّي لَا أَرَى لِي نَظِيرًا فِي طَاعَتِكَ .
فَقَالَ الْوَاثِقُ : اللَّهُ دُرُّ ابْنِ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ : [من المتقارب]

أَمَّا تَحْسَبِنِي أَرَى الْعَاشِقِينَ بَلَى ، ثُمَّ لَسْتُ أَرَى لِي نَظِيرًا
لَعَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ سَيَجْعَلُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا

1 بالسَّلام في الديوان : بالكلام 357 .

2 وأضحكها في الديوان : وأضحككم 174 .

[مدح الزبير بن بكار شعره]

حدَّثني الصُّوفيُّ قال حدَّثني المغيرةُ بن محمد المَهَلَّبِيَّ قال : سمعتُ الزُّبير يقول : ابن الأحنف أشعرُ الناسِ في قوله :

تَعْتَلُّ بالشُّغلِّ عَنَّا ما تكلِّمنا الشُّغلُّ للقلب ليس الشُّغلُّ للبدنِ
ويقول : لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يُتمتَلَ فيه بهذا النصف الأخير .

[استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم]

حدَّثني الصُّوفيُّ قال حدَّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال : كان أبي يقول : لقد ظُرف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنُّوم :

قِفَا خَيْراني أَيُّها الرجلانِ عن النوم إنَّ الهجرَ عنه نَهاني
وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُهُ صيفا النَّومُ لي إن كنتما تَصِفانِ
قال : على قلةِ إعجابه بمثل هذه الأشعار .

[كان سلمة بن عاصم معجبا بشعره حتى كان يحمله معه]

حدَّثني الصُّوفيُّ قال حدَّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدَّثنا أحمد بن إبراهيم قال : رأيتُ سلمةَ بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، فعَجِبْتُ منه وقلتُ : مثلك ، أعزُّك الله ، يحْمِلُ هذا ؟ فقال : ألا أُحْمِلُ شعرَ مَنْ يقول :

صوت

أَسأتُ أن أحسنتُ ظنِّي بكم والحَزْمُ سوءُ الظنِّ بالنَّاسِ
يُقلِّقُنِي الشَّوقُ فَاتِيكُمُ والقلبُ مملوءٌ مِنَ الياسِ
غَنَى هذين البيتين حسين بن مُحرز خفيف رملٍ بالوسطى . وأوَّلُ الصوت : [من السريع]

يا فوزُ يا مُنيَّةَ عَبَّاسٍ واحربا من قلبك القاسي

[أعجب أعرابي بشعره]

وروى أحمد بن إبراهيم قال : أتاني أعرابيٌّ فصيحٌ ظريف ، فجعلتُ أكتب عنه أشياء حسنا ؛ ثم قال : أنشِدْني لأصحابكم الحَضَرِيِّين . فأنشدته للعباس بن الأحنف : [من الطويل]

ذكرتُك بالتَّفاحِ لَمَّا شَمِمتُهُ وبالرَّاحِ لَمَّا قابِلتُ أَوَّجَةَ الشَّرْبِ
تذكَّرتُ بالتَّفاحِ منك سَوالِفاً وبالرَّاحِ طعماً من مُقَبَّلِكَ العَذْبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عني ! لا أنشيدك حرفاً بعد هذا .

[فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق]

وحدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل يقول : ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف : [من البسيط]

سبحان ربِّ العلا ما كان أغفلني عمّا رمتني به الأيام والزمن¹
مَنْ لم يَذُقْ فُرْقَةَ الأحبابِ ثم يرى آثارهم بعدهم لم يَذُرْ ما الحزنُ
قال أبو بكر : وقد غنى عبد الله بن العباس فيه صوتاً خفيفاً رملِي .

[مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده]

حدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضحاك يقول : لو جاء العباس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لُعَيْر ، وهو قوله : [من المتقارب]

لَعَمْرُكَ ما يستريحُ المُجِبُّ حتى يَبُوحَ بأسراره
فقد يَكْتُمُ المرءُ أسرارَه فتظهرُ في بعض أشعاره

ثم قال : أمّا قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو : [من الكامل]

الحُبُّ أَمَلُكَ للفؤاد بقهره من أن يُرى للستر فيه نصيب²
وإذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنه لم يَبْدُ إلاّ والفتى مغلوبُ

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني الغلابيُّ قال حدَّثني الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال قال أبو العتاهية : ما حسدتُ أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله : [من الوافر]

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنّي كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبهه شعرك .

[استجاد الكندي ضروب شعره]

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني أبو الحسن الأنصاريُّ قال : سمعتُ الكِنْدِيَّ يقول : العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيمٌ جَزَلٌ في شعره ، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ . فكان يُنشد له كثيراً : [من المتقارب]

1 رمتني في الديوان : دهنتي 273 .

2 للستر في الديوان : الستر 60 .

صوت

أَلَا تَعَجَّبُونَ كَمَا أَعْجَبُ حَبِيبٌ يُسِيءُ وَلَا يُعْتَبُ
وَأُبْغِي رِضَاهُ عَلَى سُخْطِهِ فَيَأْبَى عَلَيَّ وَيَسْتَعِيبُ¹
فِيَالَيْتَ حَظِّي إِذَا مَا أَسَأُ تَأْتِكَ تَرْضَى وَلَا تَغْضَبُ

[كان إبراهيم الموصلي مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه]

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثني حماد بن إسحاق قال : كان جدي إبراهيم مشغوفاً بشعر العباس ، فتغنى في كثير من شعره ، فذكر أشعاراً كثيرة حفظت منها :

صوت

وَقَدْ مُلِئْتُ مَاءَ الشَّبَابِ كَأَنَّمَا قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ رَيَّانٌ أُخْضَرُ²
هُمْ كَمُونِي سَيَرَهُمْ حِينَ أَزْمَعُوا وَقَالُوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكَّرُوا
ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ اللَّحْنَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَعَلَوِيَّةٌ رَمَلٌ ، وَفِي كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّي أَنَّهُ لَا بِنَ سُرْنَجٍ وَهُوَ غَلَطٌ .

[قول المأمون لما أنشد بيتاً له]

وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَهْمٍ قَالَ : أَنْشِدَ الْمَأْمُونُ قَوْلَ عَبَّاسٍ بِنِ الْأَحْنَفِ :

هُمْ كَمُونِي سَيَرَهُمْ حِينَ أَزْمَعُوا وَقَالُوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكَّرُوا
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : سَخَرُوا بِأَيِّ الْفَضْلِ .
قَالَ : وَحَفِظْتُ مِنْهَا :

[من الطويل]

صوت

تَمَنَّى رَجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْكَ وَتَسْمَعَا
أَرَى كُلَّ مَعْشُوقَيْنِ غَيْرِي وَغَيْرَهَا قَدْ اسْتَعَذَبَا طَوْلَ الْهَوَى وَتَمَتَّعَا
الْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى يُنْسَبُ إِلَى يَزِيدَ حَوْرَاءَ وَإِلَى سَلِيمَ بْنِ سَلَامٍ .

1 على سخطه في الديوان : على جوره 23 .

2 ماء في الديوان : لين 123 .

قال وحفظت منها : [من الهزج]

بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع
وأنتي كل يوم عند دكم يحظى بي الساعي
أعيش الدهر إن عشت بقلب منك مرتاع
وإن حل بي البعد سينعاني لك الناعي

الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفي كتاب إبراهيم بن المهدي الذي رواه الهشامي عنه أن لإبراهيم بن المهدي فيه لحنين : ثقيلاً أول وماخورياً . وفيه هزجٌ مُحدث .

[غنى إبراهيم الموصلي في شعره وشعر ذي الرمة أكثر مما غنى في شعر غيرهما]

أخبرني الصولي قال حدثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حماد بن إسحاق قال : ما غنى جدِّي في شعر أحد من الشعراء أكثر مما غنى في شعر ذي الرمة وعباس بن الأحنف .

[مدح ابن الأعرابي شعراً له غنى به في حضرة أحد أولاد الرشيد]

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي قال : كنا في مجلس ابن الأعرابي ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابي ، وكان يحبه ويأنس به ، فقال له : ما أخرجك عني ؟ فاعتذر بأشياء ثم قال : كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه به ، فاستكثر ذلك ابن الأعرابي واستهاله وعجب منه ، وقال : ما هو ؟ قال : غناه بشعر عباس بن الأحنف : [من الهزج]

بكت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع
وأنتي كل يوم عند دكم يحظى بي الساعي

فقال ابن الأعرابي : أما الغناء فما أذري ما هو ، ولكن هذا والله كلام قريب مليح .

[نوه الواصل بشعره]

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن الهيثم قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال : كنا عند الواصل فقال : أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كائناً من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه ، فهل تعرفون في هذا شيئاً ؟ فأنشدنا ضرباً من الأشعار ؛ فقال : ما جئتم بشيء مثل قول عباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يُكثير أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
أسلمني للحب أشياعي لما سعى بي عندها الساعي¹
لقمما أبقي على كل ذا يوشك أن ينعاني الناعي

قال : فَعَمِلَ فِيهِ الْوَائِقُ لِحَنِهِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلُ ، النَّشِيدَ بِالْوَسْطَى .

[قصة للمتوكل وعلى ابن الجهم في صدد شعره]

حَدَّثَنِي الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى أَوْ حَدَّثْتُ بِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ :
انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل ، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسوله يطلبني ، فراعني ذلك وقلت :
بلاءٌ تَبَعْتُ بِهِ بَعْدَ انصرافي ، فرجعتُ إليه وَجِلًا ، فَأَدْخِلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَرْقَدِهِ . فلما رآني
ضحك ، فَأَيَقَنْتُ بِالسَّلامَةِ ؛ فَقَالَ : يَا عَلِيَّ ، أَنَا مُذْ فَارَقْتُكَ سَاهِرٌ ؛ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي هَذَا الشَّعْرُ
الَّذِي يُغْنِي فِيهِ أَخِي ، قَوْلُ الشَّاعِرِ :
[من السريع]

قلبي إلى ما ضرني داعي

الْأَيَّاتُ . فَحَرَصْتُ أَنْ أَعْمَلَ مِثْلَ هَذَا فَلَمْ يَجْعَنْي ، أَوْ أَنْ أَعْمَلَ مِثْلَ اللَّحْنِ فَمَا أُمَكِّنِي ؛
فوجدتُ في نفسي نقصاً ، فقلت : يَا سَيِّدِي ، كَانَ أَخَوُكَ خَلِيفَةً يُغْنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ لَا تَغْنِي ؛
فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ أَهْدَيْتَ إِلَى عَيْنِي نَوْمًا ، أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَخَذْتُهَا وَانصرفتُ .

[أُشْدُ أَبُو الْحَارِثِ جَمِيزٌ مِنْ شِعْرِهِ فَقَالَ : إِنَّهُ قَالَهُ فِي طَبَاحَةٍ]

وجدتُ في كتاب الشَّاهِنِيِّ بغير إسناد : أُشْدُ أَبُو الْحَارِثِ جُمَيْنٌ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ
الْأَحْنَفِ .
[من السريع]

قلبي إلى ما ضرني داعي

الْأَيَّاتُ . فبَكَى ثُمَّ قَالَ : هَذَا شَعْرُ رَجُلٍ جَائِعٍ فِي جَارِيَةِ طَبَاحَةٍ مَلِيحَةٍ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ
قُلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ بَدَأَ فَقَالَ :
[من السريع]

قلبي إلى ما ضرني داعي

وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَدْعُوهُ قَلْبُهُ وَشَهْوَتُهُ إِلَى مَا يَضُرُّهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَيَأْكُلُهُ ، فَتَكْثُرُ
عِلَلُهُ وَأَوْجَاعُهُ ، وَهَذَا تَعْرِيزٌ ؛ ثُمَّ صَرَّحَ فَقَالَ :
[من السريع]

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ يَنْ أَضْلَاعَهُ إِلَّا مَعِدَتُهُ ، فَهِيَ تُتْلِفُ مَالَهُ ، وَهِيَ سَبَبُ أَسْقَامِهِ ، وَهِيَ
مِفْتَاحُ كُلِّ بَلَاءٍ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
[من السريع]

إِنْ دَامَ لِي هَجْرُكَ يَا مَالِكِي أَوْشَكَ أَنْ يَنْعَانِي النَّاعِي
فَعَلِمْتُ أَنَّ الطَّبَاخَةَ كَانَتْ صَدِيقَتَهُ ، وَأَنَّهَا هَجَرَتْهُ فَقَفَدَهَا وَفَقَدَ الطَّعَامَ ، فَلَوْ دَامَ ذَلِكَ
عَلَيْهِ لَمَاتَ جَوْعاً وَنَعَاهُ النَّاعِي .

[تمثل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان]

وَحَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ
الرَّبِيعِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ، وَعِنْدَهُ بَنَانٌ جَارِيَةٌ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ ، وَهِيَ نَائِمَةٌ سَكْرَى وَهُوَ يَبْكِي
عِنْدَهَا . فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : قَدْ كُنْتُ نَائِماً فَجَاءَتْنِي فَأَنْبَهَتْنِي وَقَالَتْ : اجْلِسْ حَتَّى تَشْرَبَ
فَجَلَسْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا غَنَّتْ عَشْرَةُ أَصْوَاتٍ حَتَّى نَامْتُ وَمَا شَرِبْتُ إِلَّا قَلِيلاً ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَشْعَرِ
النَّاسِ وَأَظْرَفِهِمْ ، الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْقَظُونِي لِلْهُوَى رَقَدُوا
فَأَنَا أَبْكِي وَأُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ .

[كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وأنشاده له]

وَحَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ يَقُولُ :
مَا رَأَيْتُ كَلَاماً مُحَدَّثاً أَجْزَلَ فِي رَقَةٍ ، وَلَا أَصْعَبَ فِي سَهْوَةٍ ، وَلَا أَبْلَغَ فِي إِيجَازٍ ، مِنْ قَوْلِ
الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعَالَى نَجْدُ دَارِسِ الْعَهْدِ بَيْنَنَا كَلَانَا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ¹
قَالَ الصَّوْلِيُّ : وَوَجَدْتُ بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ : أَنْشَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ :
أَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

صوت

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ وَإِنْ عَوِيبَ لَمْ يُعْتَبَرْ
صَبٌّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ
إِلَيْكَ أَشْكُو رَبُّ مَا حَلُّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْمَذْنِبِ الْمُغْضَبِ²

غَنَّى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ أَحْمَدُ بْنُ صَدَقَةَ هَزْجاً بِالْوَسْطَى . وَفِيهَا لَحْنٌ آخَرٌ لَغَيْرِهِ . قَالَ
الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ : ثُمَّ قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ : هَذَا وَاللَّهِ الْكَلَامُ الْحَسَنُ الْمَعْنَى ، السَّهْلُ

1 العهد في الديوان : الوصل 252 .

2 من صد هذا المذنب في الديوان : من ظلم هذا الظالم 22 .

المُورِد ، القريبُ المتناول ، المليحُ اللفظ ، العذبُ المستمع .

[مدح علي بن يحيى شعره وقال على رويه شعراً]

حدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلبِي قال : سمعتُ عليَّ بن يحيى يقول : من الشعر المرزوق من المغنِّين خاصَّة [شعر] العباس بن الأحنف ، وخاصَّة قوله : [من المديد]

نامَ من أهدى لي الأرقا مستريحاً سامني قلِّقا

فإنه غنى فيه جماعة من المغنِّين ، منهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يستحسن هذا الشعر ، وأظنَّ استحسانه إياه حمَّله على أن قال في رويِّه وقافيته : [من المديد]

بأبي والله من طرِّقا كابتناسم البرق إذ خفِّقا

وعمل فيه لحناً من خفيف الثقليل في الإصبع الوسطى . هكذا رواه الصُّوليُّ . وأخبرني جَحْظَةُ قال حدَّثني حماد بن إسحاق قال : قال أبي : هذا الصوت . [من المديد]

نامَ من أهدى لي الأرقا

[مدح إسحاق شعره وقال إنه معظوظ من المغنِّين]

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصنعة واشتراك المغنِّين في ألحانه . وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمَّدون أنه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

[من المديد]

نامَ من أهدى لي الأرقا مستريحاً زادني قلِّقا

لو ييتُ الناسُ كلُّهم بسهادي بيض الحدِّقا

كان لي قلبٌ أعيش به فاصطلي بالحبِّ فاحترقا

أنا لم أرزقُ مودَّتكم إنما للبعد ما رزِّقا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفٌ ثقيل آخر . ولابن جامع فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى في الأوَّل والثالث ، وخفيفٌ رملٍ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلّها . وفيه لسُليم هزَجٌ ، وفيه لعلويه ثقيلٌ أوَّل .

نسبة صوت علي بن يحيى صوت

[من المديد]

بأبي والله مَنْ طَرَقَا كابتسام البرق إِذْ خَفَقَا
زادني شوقاً بزورته وملا قلبي به حُرَقَا
مَنْ لقلب هائم دَنَفِي كَلَمَّا سَلَيْتُهُ قَلَقَا
زارني طيفُ الحبيب فما زاد أَنْ أَغْرَى بِي الْأَرْقَا

الشعر لعلي بن يحيى ؛ وذكر الصَّوْلِي أَنَّ الغناء له خفيفٌ ثقيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وذكر أبو العَنَبَسِ ابن حمدون أَنَّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صناعته . وفيه لَعَرِيبٌ ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً .
[مدح عبد الله بن المعتز شعره]

حدثني الصَّوْلِي قال : سمعتُ عبد الله بن المعتز يقول : لو قيل : ما أحسنُ شيءٍ تعرفه ؟
لقلتُ : شعرُ العباس بن الأحنف :
[من البسيط]

صوت

قد سَحَبَ الناسُ أَذْيَالَ الظنُونِ بنا وفرقَ الناسُ فينا قولهم فِرَقَا
فكاذِبٌ قد رَمَى بالحَبِّ غيرَكم وصادقٌ ليس يَذْري أَنَّهُ صَدَقَا¹

قال : وللمَسْدُود² في هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنَّ الْمَسْدُودُ أَحْسَنَ من غنائه في شعر العباس بن الأحنف . هكذا ذكر الصَّوْلِي ، ولم يأت بغير هذا . وإِسْحاقُ في هذين البيتين ثقيلٌ أَوَّلٌ بالنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن الهشامي . وليزيد حَوَراءُ خفيفٌ ثقيلٌ عنه . وللمَسْدُودُ رَمَلٌ . ولعبد الله بن العباس الرِّبَيعِيّ خفيفٌ رَمَلٌ .

[شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصلي فأحاله على شعره]

وأخبرني الصَّوْلِي قال حدثني مُحَمَّدُ بن سعيد قال حدثني حَمَادُ بن إِسْحاق عن أبيه قال : غَضِبَ الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أَحَبَّ الناسِ إليه ، فتَأَخَّرَتْ عن استرضائه ، فغَمَّهُ ذلك ، فوجَّه إلى أبي يُعْلِمُهُ ويشكوها إليه . فكتب إليه أبي : لك الْعِزَّةُ والشرف ، ولأعدائك الدَّلُّ والرَّغْمُ . استَعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف :
[من الطويل]

1 فكاذب في الديوان : فجاهل 200 .

2 المسدود : اسمه الحسن ، وكنيته أبو علي ، وكان أبوه قصاباً ، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر .

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرَ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يُفَارِقُكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ
فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهَا فِتْرَضَاهَا .

[دافع مصعب الزبيري عن شعره]

أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ : قِيلَ لِمُصْعَبِ الزَّبِيرِيِّ : إِنَّ النَّاسَ
يَسْتَبْرِدُونَ شَعَرَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ . فَقَالَ : لَقَدْ ظَلَمُوهُ ، أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ : [من الكامل]

صوت

قَالَتْ ظُلُومُ سَمِيَةِ الظُّلَمِ مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْجِ السَّهْمِ
الْغَنَاءَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ أَوْ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ ، مَاخُورِي .

[قال شعراً في البكاء فأجازته أم جعفر]

أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ الْحَسَنُ بْنُ
أَحْمَدَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ بَانَةَ قَالَ : كُنَّا فِي دَارِ أُمِّ جَعْفَرٍ جَمَاعَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُغَنِّينَ ؛
فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ لَهَا وَكُمُهَا مَمْلُوءٌ دَارَهُمْ ، فَقَالَتْ : أَيُّكُمْ الْقَائِلُ : [من الكامل]

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ
فَأَوْمِئْتُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ؛ فَتَنَزَّتَ الدَّرَاهِمَ فِي حَجَرِهِ فَنَفَضَهَا فَلَقَطَهَا الْفَرَّاشُونَ ؛ ثُمَّ
دَخَلَتْ وَمَعَهَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْفَرَّاشِينَ عَلَى عُنُقِ كُلِّ فَرَّاشٍ بَذْرَةٌ فِيهَا دَرَاهِمٌ ، فَمَضَوْا بِهَا إِلَى مَنْزِلِ
الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ .

[أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه وسخط]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ : أَنْشَدَ الرَّشِيدُ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ
الْأَحْنَفِ :

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا

فَقَالَ : مَنْ لَا صَحْبِيَهُ اللَّهُ وَلَا حَاطَهُ .

[سرق مخلد الموصلي من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقي]

حَدَّثَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ : كُنَّا مَعَ مَخْلَدِ الْمَوْصِلِيِّ فِي مَجْلِسٍ
وَكَانَ مَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ الرَّقِّيُّ ؛ فَأَنْشَدَ مَخْلَدُ الْمَوْصِلِيُّ قَصِيدَةً لَهُ يَقُولُ فِيهَا : [من الخفيف]

كُلُّ شَيْءٍ أَقْوَى عَلَيْهِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي بِالْفِرَاقِ مِنْكَ يَدَانِ

فجعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبدُ الله : أنتَ الفداءَ لمنَ ابتدأَ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سلبتني من السرور ثيابا وكستني من الهموم ثيابا
كلما أغلقت من الوصل بابا فتحت لي إلى المنية بابا
عذبتني بكل شيء سوى الصدا فما ذقت كالصدود عذابا
قال : فضحك الموصلي . والشعرُ للعباس بن الأحنف .

[مدح الرياشي شعره]

وأخبرني الصوفي قال حدثني أبو الحسن الأسدي قال : سمعت الرياشي يقول ، وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفياً : [من المنسرح]

صوت

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كآني ذبالة نصيت تضيء للناس وهي تحترق
وفي هذين البيتين لحن لعبد الله بن العباس من الثقيل الثاني بالبصرة . وفيه لخزرج رمل أول عن عبد الله بن العباس :

أنت لا تعلمين ما الهم والحز ن ولا تعلمين ما الأرق

[اختلف الرشيد وإسحاق الموصلي في مدحه ومدح أبي العتاهية]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدثني بعض مشايخ الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه ، وكنت أقدم العباس بن الأحنف ؛ فاعتابني بعض الناس عند الرشيد وعابني عنده ، وقال عقب ذلك : وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنه وقلة حذقه وتجريه ، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه . وبلغني الخبر فدخلت على الرشيد ؛ فقال لي ابتداء : أيما أشعر عندك : العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية ؟ فعلمت الذي يريد ، فاطرقت كآني مستثبتة ثم قلت : أبو العتاهية أشعر . قال : أنشدني لهذا ولهذا ؛ قلت : فبأيهما أبدا ؟ قال : بالعباس . قال : فأنشدته أجود ما أرويه للعباس ، وهو قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

فقال لي : أَحْسَن ، فأنشدني لأبي العتاهية ، فأنشدته أضعفَ ما أقدِرُ عليه ، وهو قوله :

كَأَنَّ عُتْبَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُمِيَّةٌ قَسٌ فَنَنْتَ قَسَهَا
يَا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتِيهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ لَمْ أَنْسَهَا
إِنِّي إِذَا مِثْلُ الَّتِي لَمْ تَزَلْ دَائِبَةً فِي طَحْنِهَا كُنْسَهَا¹
حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سَوَى حَفْنَةٍ بُرٍّ قَتَلْتُ نَفْسَهَا

قال : أتعيره هذا ؟ فأين أنت عن قوله ؟ [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي أَحَبُّ الْغَدَاةِ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا أَجْرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا

ويحك ، أتعرف لأحدٍ مثلاً هذا ، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله : «فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ كَذَا وكَذَا» ! اذهب ويحك فاحفظها ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتها . قال إسحاق : وما أشكُّ أنِّي كنتُ أحفظُ لها حينئذٍ من أبي العتاهية ، ولكنِّي إنما أنشدتُ ما أنشدتُ تعصباً .

[صحب الرشيد إلى خراسان وعرض للرجوع بشعر فأذن له]

وحدثتُ من غير وجهٍ أَنَّ الرَّشِيدَ أَلْفَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى خُرَّاسَانَ طَالَ مَقَامُهُ بِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَرْمِينَةَ وَالْعَبَّاسُ مَعَهُ مَاشِياً إِلَى بَغْدَادَ ، فَعَارَضَهُ فِي طَرِيقِهِ فأنشده :

قالوا خُرَّاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَّاسَانَا
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحَطَ سَكَانَ دَجَلَةَ مِنْ سُكَّانِ جَيْحَانَا²
مَتَى الَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ وَأَمْلُهُ أَمَّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا³
عَيْنُ الزَّمَانِ أَصَابَتْنَا فَلَا نَنْظُرُ وَعَذِيبُ بَصْنُوفِ الْمَهْجَرِ أَلْوَانَا

في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَبُ إلى مخارق وإلى غيره . قال فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباسُ وأذنتُ لك خاصةً ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

1 الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك .

2 في الديوان اختلاف 279 . جيحان : اسم نهر .

3 متى الذي كنتُ في الديوان : متى يكون الذي 279 .

[لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة]

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن القاسم قال : سمعتُ مُصْعَبَ الزُّبَيْرِيَّ يقول : العباسُ بن الأحنف وعمرو العراف ما ابتذلا شعرهما في رغبة ولا رهبة ، ولكن فيما أحباه ، فلزما فناً واحداً لو لزمه غيرهما ممن يُكثر إكتارهما لضعف فيه .

ذكر الأصوات التي تجمع النغم العشر

منها :

صوت

[من المتقارب]

توهَّمْتُ بالخَيْفِ رسماً مُجِيلاً لَعَزَّةٌ تَعْرِفُ مِنْهُ الطُّلُولُ
تَبَدَّلَ بالْحَيِّ صوتَ الصَّدَى ونوحَ الحمامة تدعو هَدِيلاً

عروضه من المتقارب . الخيفُ الذي عناهُ كثيرٌ ليس بخيفٍ مِنِّي ، بل هو موضع آخر في بلاد ضَمْرَةٍ . والطلول : جمع طللٍ ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار . والرسم : ما لم يكن له شخص [وجسم] . والصدى هاهنا : طائر ، وفي موضع آخر : العطش . ويزعم أهل الجاهلية أنَّ الصَّدَى طائر يخرج من راس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني] حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرْفَةُ :

كَرِيمٌ يَرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا صَدَى أَيْنَا الصَّدَى

والحمام : القماري ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيرٍ والغناء لعبيدِ الله بن عبد الله بن طاهر ، ونسبه إلى جاريته وكنتى عنها ، فذكر أنَّ الصَّنْعَةَ لبعض من كثرت دُرَيْتُهُ بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت ، وذكر أنَّ طريقتَه من الثقيل الأول ، وأنه ليس يجوز أن ينسبَه إلى موضع إصبع مُفْرَدَةٍ ؛ لأنَّ ابتداءه على المثنى مُطْلَقاً ، ثم بسبابة المثنى ، ثم وَسْطَى المثنى ، ثم بنصر المثنى ، ثم خنصر المثنى ، ثم سبابة الزَّيْرِ ، ثم وَسْطَاهُ ، ثم بنصره ، ثم خنصره ، ثم النغمة الحادَّةُ ، وهي العاشرة . وفيه لابن مُحَرِّزٍ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البَنْصَرِ . وفيه لابن الهَرَيْذِ رَمَلٌ بالوُسْطَى عن عمرو ، وهذا الصوت من الثقيل الثاني ، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النغم وعلَّيْهَا أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانياً من النغم العشر ، وأنه لا يعرف صوتاً يجمعها غيره ، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتي في صوتٍ واحدٍ بالنغم العشر ، بعد تعبٍ طويلٍ ومُعَانَاةٍ شديدة . وذكر عُبَيْدُ الله أنَّ صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك

وتلطف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليّة من أوّلها إلى آخرها ، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توالٍ إلّا أنّها كلّها فيه ، وذكر أنّ ذلك الصوت أحسن مسموعاً وأحلى . وحكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النغم . وإذا فرغت من حكاية ما ذكره وحكاة عبّيد الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألاّ أجري الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاة . والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليّة في صوت واحد محال لا حقيقة له ، ولا يمكن أحداً بتة أن يفعله . وأنا أبين العلة في ذلك على تقريب ، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً . وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم ، وشرحت هناك العلة في أنّ قسّم الغناء قسمين وجعل على مجريّين : الوسطى والبصر دون غيرهما ، حتى لا يُدخِل واحدة منهما على صاحبتهما في مجراها قُرب مخرج الصوت ، إذا كان على الوسطى منه [أو] إذا كان على البصر وشبهه به . فإذا أراد مُريد إلحاق هذا بهذا لم يُمكنه بتة على وجه ولا سبب ؛ ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى . وإذا اتّبع إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفصّلت إحداهما من الأخرى . وإنّما قلّت النغم في غناء الأوائل لأنّهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصبعين ، فوجدوها إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلّا بعد أن يُفصل بينهما بنغم أخرى للسبابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحاة ولا طيباً للمضادة في المجريّين ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحّ لعبّيد الله عمل في النغم العشر في صوت ، فلعله صحّ له في الصوت الذي ذكر أنّه فرّقها فيه ؛ فأما المتواليّة ، على ما ذكره هاهنا ، فمحال ، ولست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا ، وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح .

الفهرس

- [111] - نسب جرير وأخباره 5
- [112] - نسب جميل وأخباره 66
- [113] - ذكر يزيد بن الطثريّة وأخباره ونسبه 113
- [114] - ذكر جميلة وأخبارها 134
- [115] - ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره 168
- [116] - [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجمي] 175
- [117] - ذكر أبي ذؤلف ونسبه وأخباره 177
- [118] - أخبار سعيد بن عبد الرحمن 193
- [119] - أخبار البردان 199
- [120] - ذكر الأخطل وأخباره ونسبه 201
- [121] - ذكر سائب خاثر ونسبه 230
- [122] - ذكر جرّاد بن عبد الله بن جُدعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدعان 235
- [123] - ذكر سلامة القسّ وخبرها 240
- [124] - أخبار العباس بن الأحنف ونسبه 253

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 8

DAR SADER
Beirut

کتابُ الإِغَارِیِّ

9

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد التاسع

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

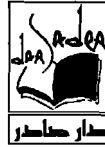
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستائية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠHĀNĪ 1/25
(*Abu al-Faraj al-Isfahānī*)

ISBN 9953-13-045-0

[125] - ذكر أخبار كثير ونسبه¹

[نسبه]

هو ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس البزدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مَخْلَد بن سعيد بن سُبَيْع بن جَعْنَمَة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو خُزَاعَة بن ربيعة وهو يَحْيَى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيْقِيَا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الْفَطْرِيف بن امرئ القيس الْبَطْرِيق بن ثعلبة الْبُهْلُول [ابن مازن] بن الْأَزْد وهو ذِرْء ، وقيل ذِرَاء ممدودا ، بن الْغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الْحَرَمِيّ قال حدثنا الزبير بن بَكَّار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزُّعْرَاء الْخُزَاعِي عن أمه ليلي بنت كَثِير قالت : هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخْلَد بن سُبَيْع بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وأمه جُمُعَة بنت الْأَشِيم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشَّر بن رِيَّاح بن سيالة بن عامر بن جَعْنَمَة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الْأَشِيم جدّه أبي أمه أبا جُمُعَة ؛ ولذلك قيل له ابن أبي جُمُعَة .

وكان له ابن يقال له ثَوَاب من أشعر أهل زمانه ، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلي . ولليلي بنته ابنٌ يكنى أبا سلمة شاعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

وكان عزيزاً أن تبتني وبيننا حجابٌ فقد أمسيتُ مني على شهرٍ
ففي القربِ تعذيبٌ وفي النَّأيِ حَسْرَةٌ فيا ويح نفسي كيف أصنعُ بالدهرِ

في هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقل الأول بالخنصر عن حَبَش .

1 أنظر أخباره في الجمحي 121-125 والاشتقاق 280 والمؤتلف 169 والمرزباني 35 والآلي ص 61-62 وابن خلكان : 1 : 475-550 والمعاهد 241-248 والخزاعة 2 : 376-383 والشعر والشعراء 503/1 .

[كنيته وطبقته في الشعراء ونخلته]

ويكنى كثيرٌ أبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سَلَام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالباً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ، ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّماً مشهوراً بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهـم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم . وكان من أتية الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد .

[الحديث عنه وعلى شعره]

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثني هارون بن عبد الله الزُّهري قال حدثني سليمان بن قُلَيْب قال : سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدة ولا نعت الملوك مثل كثير .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزُّبير بن بَكَار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال : إني لأروي لكثيرٌ ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق .

أخبرني الحرّمي قال حدثني الزُّبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال : كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس ، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدّثنا .

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عُبَيْدة قال : من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره . قال الزُّبير قال المؤملي : وكان ابن أبي عُبَيْدة يُملئ شعر كثير ثلاثين ديناراً . قال وسئل عمي مصعب : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : كثير بن أبي جُمعة ، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم (يعني الشعراء) ، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب إجازة قال حدثنا محمد بن سَلَام الجُمحي قال : كان كثيرٌ شاعر أهل الحجاز ، وهو شاعر فحل ، ولكنه منقوصٌ حظّه بالعراق .

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سَلَام قال سمعت يونس النحوي يقول : كثيرٌ أشعر أهل الإسلام . قال ابن سلام : وسمعت ابن أبي حفصة يُعجبه مذهبه في المديح جداً ، ويقول : كان يستقصي المديح ، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعُجب .

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال : سمعت المسور بن عبد الملك يقول : ما ضرَّ مَنْ يروي شعرَ كثيرٍ وجميلٍ ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الواقصي قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذب به ؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأطئ رأسك لا يُصيبه السقف .

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جد أبيه عبد العزيز وأمه جُمعة بنت كثير قال : قال [جرير] لكثير : أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمَامَتُكَ ! فقال كثير : [من الطويل]
 إن أك قصداً في الرجالِ فإنني إذا حلُّ أمرٌ ساحتي لطويل¹

[ما كان بينه وبين الحزين الدلي]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الواقصي قال ، وأخبرنا الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الديليين قال : التقى كثير والحزين² الديلي بالمدينة في دار ابن أزهري في سوق الغنم ، فضمهما المجلس . فقال كثير للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين ، إنما توصل الشيء إلى الشيء . فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوَّك ؟ قال نعم . وكان كثير قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة :

أليس أبي بالنضرٍ أو ليس إخوتي بكل هجانٍ من بني الصلت أزهراً³
 فإن لم تكونوا من بني الصلت فاتركوا أراكاً بأذيال الخمائل أخضراً⁴

قال : فلما أذن كثير للحزين أن يهجوّه قال الحزين :

لقد علقت زُبَّ الذبابِ كثيراً أساودُ لا يُطينيه وأراقمُ⁵

1 القصد : الرقة من الرجال ، وفي الديوان قصراً أي القصير ص 332 .

2 اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ، والحزين لقبه ، حجازي من شعراء الدولة الأموية .

3 البيت في الديوان :

أليس أبي بالصلت أم ليس أسرتي لكل هجانٍ من بني النضر أزهرا

4 البيت في الديوان :

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكاً بأذيال الفوائج أخضرا

والخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، وهي مكربة للرمل .

5 الأساود : الحيات ، ولا يطينه : لا يبقين عليه . والأرقم : أحبث الحيات وأطلبها للناس .

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ يَعْصُ الْقُرَادُ بَاسْتَهُ وَهُوَ قَائِمٌ
وَمَا أَنْتُمْ مِنَّا وَلَكِنكُمْ لَنَا عَبِيدُ الْعَصَا مَا ابْتَلَّ فِي الْبَحْرِ عَائِمٌ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ بَنِي اسْتِهَا خَزَاعَةَ أَذْنَابٍ وَأَنَا الْقَوَادِمُ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ ضِرَائِنَا بِأَسْيَافِنَا دَارَتْ عَلَيْهَا الْمَقَاسِمُ
وَلَوْلَا بَنُو بَكْرٍ لَذَلَّتْ وَأَهْلِكْتَ بَطْعَنٍ وَأَفْتَنَتْهَا السِّيُوفُ انْصَوَارِمُ

[تهده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي]

قال : فقام كثير فحمل عليه فلكره . وكان الحزين طويلاً أيّداً . فقال له الحزين : أنت عن هذا أعجز ، واحتمله فكان في يده مثل الكرة ، فضرب به الأرض ، فخلّصه منه الأزهريون . فبلغ ذلك [أبا] الطفيل عامر بن وائلة وهو بالكوفة ؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثير ليضربه بالسيف أو ليَطْعُنَهُ بالرمح . وكان خندف الأسدي صديقاً لأبي الطفيل ؛ فطلب إلى أبي الطفيل في كثيراً واستوهبه إياه فوهبه له . والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب ، فقال : أما والله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوَفَيْتُ لك . فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفاً :

يَنَالُ رَجَالاً نَفْعُهُ وَهُوَ مِنْهُمْ بَعِيدٌ كَعَيُوقِ الثَّرِيَا الْمُحَلَّقِ

[أنكر على الأحوص ضراسته في الاستجداء]

أنخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً حدثنا عمر بن شبة قال : قال كثير : في أي شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار ؟ قالوا : في قوله فيهم :

وَمَا كَانَ مَالِي طَارِفاً مِنْ تِجَارَةٍ وَمَا كَانَ مِيراثاً مِنْ الْمَالِ مُتَلَدَا
وَلَكِنْ عَطَايَا مِنْ إِمَامٍ مُبَارَكٍ مَلَا الْأَرْضَ مَعْرُوفاً وَجُوداً وَسُودَدَا

فقال كثير : إنه لأضرع قبحه الله ! ألا قال كما قلتُ :

[من المنسرح]

صوت

دَعْ عَنْكَ سَلَمَى إِذْ فَاتَ مَطْلَبُهَا وَادْكُرْ خَلِيلِيكَ مِنْ بَنِي الْحَكَمِ
مَا أُعْطِيَاني وَلَا سَأَلْتُهُمَا إِلَّا وَإِنِّي لِحَاجِرِي كَرَمِي
إِنِّي مَتَى لَا يَكُنْ نَوَالُهُمَا عِنْدِي بِمَا قَدْ فَعَلْتُ أَحْتَشِمِ

مُبْدِي الرُّضَا عَنْهُمَا وَمُنْصَرِفٌ عَنْ بَعْضِ مَا لَوْ فَعَلْتُ لَمْ أَلَمْ
لَا أَنْزُرَ النَّائِلَ الْخَلِيلَ إِذَا مَا اعْتَلَّ نَزَرَ الظُّوُورُ لَمْ تَرَمْ¹

عروضه من المنسرح . غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنى فيه الغريض ثاني ثقیل بالبصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه . وفيه لحن من الثقیل الأول يُنسب إلى معبد ، وليس بصحيح له . قال الزبير بن بكار في تفسير قوله : « لا أنزر النائل الخليل » يقول : لا ألح عليه بالمسألة ؛ يقال : نزرته أنزره إذا ألححت عليه . والظُّوُور : المتعطفة على [غير] أولادها .

[حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له]

أخبرني الحرّميّ قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤمليّ عن أبي عبيدة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أرضاً لك يقال لها غُرْبٌ² ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراء مرة وطعمه مرة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعمرّنيها فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة ، فهلاًّ سألت الأرض قطيعةً ! . فأتى الوليد فقال : إن لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلسني قريباً من البرذون . فلما استوى عليه عبد الملك قال له : إيه ! وعلم أن له إليه حاجةً . فقال كثير : [من الطويل]

جَزَتِكَ الْجَوَازِي عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً وَأَدْنَاكَ رُبِّي فِي الرَّفِيقِ الْمُقَرَّبِ
فَإِنَّكَ لَا يُعْطَى عَلَيْكَ ظُلَامَةٌ عَدُوٌّ وَلَا تَنَأَى عَنْ الْمُتَقَرَّبِ
وَإِنَّكَ مَا تَمْنَعُ فَإِنَّكَ مَانِعٌ بِحَقٍّ ، وَمَا أُعْطِيَ لَمْ تَتَعَقَّبِ

فقال له : أترغب غُرْباً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : اكتبوها له ، ففعلوا .

[هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق]

أخبرني الحرّميّ قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمليّ قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : كان الحزين الكِنَانِي قد ضرب على كل رجل من قریش درهمين في كل شهر ، منهم ابنُ أبي عتيق . فجاءه لأخذ درهماً على حمارٍ له أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبي عتيق : من هذا معك ؟ قال : هذا

1 ترم : نحن وتعطف . وأصله « ترم » سهلت الهمة .

2 غُرْب : ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير . وهو جبل دون الشام في ديار بني كلب .

أبو صخر كثير بن أبي جمعة ، قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوه بيت من شعر ؟ قال : لا ! لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسي ، ولكنني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدّ من هجائه بيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كثير : إيذن له ، ما عسى أن يقول في بيت ! فأذن له ابن أبي عتيق . فقال :

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يعرضُ القُرادُ باستيه وهو قائمٌ

قال : فوثب كثير إليه فلكرهه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما ، وقال لكثير قبحك الله ؛ أتأذن له وتسفه عليه ! فقال كثير : أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد ! .

[ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزوه ، وأخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كعب أبيه التي فيها شعر كثير : أن عبد الملك ابن مروان قال له : ويحك ! الحق بقومك من خزاعة ؛ فأخبر أنه من كنانة قريش ، وأنشد كثير قوله :

أليس أبي بالصِّلْتِ أم ليس إخوتي بكل هيجانٍ من بني النضر أزهراً¹
فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراك بأذناب القوايل أخضراً²
أبيت التي قد سمتني ونكرتها ولو سمتها قبلي قبصة أنكرها
لبسنا ثياب العصب فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخضراً³

فقال له عبد الملك : لا بدّ أن تُنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة ، وحمله وكتب إلى العراق في أمره . قال عمر بن شبة في خبره خاصة : فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك . وقال فيه الأحوص ، ويقال : بل قاله سُراقَة البارقي :

لعمري لقد جاء العراق كثيرٌ بأحدوثٍ من وحيه المتكذبِ

1 إخوتي في الديوان : أُسرتي .

2 القوايل في الديوان : الفوائج

3 العصب : برود يمنية . الحضرمي : النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين .

أَزْعَمُ أَنِّي مِنْ كِنَانَةَ أُولَى وَمَا لِي مِنْ أُمِّ هُنَاكَ وَلَا أَبٍ
فَإِنْ كُنْتَ حُرّاً أَوْ تَخَافُ مَعْرَةَ فَخُذْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمِيرِكَ وَادْهَبْ

فقال كثيرٌ يجيبه ، وفي خبر الزبير : قال هذا لأبي علقمة الخزاعي : [من الطويل]

أَيَا خُبْتُ أَكْرِمَ كِنَانَةَ إِنْهُمْ مَوَالِيكَ إِنْ أَمَرْتُ سَمَا بِكَ مَعْلَقُ
وفي رواية الزبير : «أَبَا عَلْقَمَ» .

بَنُو النَّضْرِ تَرْمِي مِنْ وَرَائِكَ بِالْحَصَى يُفِيدُونَكَ الْمَالَ الْكَثِيرَ وَلَمْ تَجِدْ
إِذَا رَكِبُوا ثَارَتْ عَلَيْكَ عَجَاجَةٌ

فأجابه الأحوص بقوله : [من الطويل]

دَعِ الْقَوْمَ مَا حَلُّوا بِبَطْنِ قَرَاظِمٍ وَحَيْثُ تَفَشَى يَبِضُّهُ الْمُتَفَلِّقُ²
فَإِنَّكَ لَوْ قَارِبْتَ أَوْ قُلْتَ شُبُهَةً لَذِي الْحَقُّ فِيهَا وَالْمَخَاصِمُ مَعْلَقُ
عَذْرُنَاكَ أَوْ قُلْنَا صَدَقْتَ وَإِنَّمَا يُصَدِّقُ بِالْأَقْوَالِ مَنْ كَانَ يَصْدُقُ
سَتَأْتِي بَنُو عَمْرِو عَلَيْكَ وَيَنْتَمِي لَهُمْ حَسَبٌ فِي جِذْمِ غَسَّانٍ مُعْرِقُ³
فَإِنَّكَ لَا عَمْرَأَ أَبَاكَ حَقِظْتَهُ وَلَا النَّضْرَ إِنْ ضَمِيعَتَ شَيْخَكَ تَلْحَقُ
وَلَمْ تُدْرِكِ الْقَوْمَ الَّذِينَ طَلَبْتَهُمْ فَكُنْتَ كَمَا كَانَ السَّقَاءُ الْمَعْلَقُ
بِجِذْمَةِ سَاقٍ لَيْسَ مِنْهُ لِحَاوُهَا وَلَمْ يَكُ عَنْهَا قَلْبُهُ يَتَعْلَقُ
فَأَصْبَحْتَ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلُهُ مَائِهِ لِبَادِي سَرَابٍ بِالْمَلَا يَتَرَقَّقُ⁴

قال : فخرج كثيرٌ فأتى الكوفة ، فرُمي به إلى مسجد بَارِقٍ . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال نعم . قالوا : فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زناً يُدعى كثيراً . قال : سبحان الله ؛ أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسَلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان ، فطَّيَرَهُ عَلَى الْبَرِيدِ . وقال عمر بن شبة في خبره : إن سُرَاقَةَ الْبَارِقِيِّ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لَهُ بِهَذِهِ الشَّتِيْمَةِ وَإِنَّهُ عَرَفَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ قُلْتَ هَذَا عَلَى الْمَنِيرِ قَتَلْتُكَ

1 الأولق : الجنون .

2 قراضم : موضع بالمدينة .

3 الجذم : الأصل .

4 الملا : الصحراء .

قحطان وأنا أولهم ؛ فانصرف إلى منزله ولم يعد إلى عبد الملك .

[نبذة عن سراقه البارقي وقصته مع المختار حين أُسر]

وكان سُرَاقَةُ هذا شاعراً ظريفاً . فأخبرني عَمِّي قال حدثني الكُراني عن النضر بن عمر عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال : كان سُرَاقَةُ البارقي من ظُرَفَاءِ أهل العراق ، فأُسِرَ المختار يومَ جَبَانَةِ¹ السَّيِّع ؛ وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنكرة ، فجاء به الذي أُسِرَ إلى المختار فقال له : إني أُسِرْتُ هذا . فقال له سُرَاقَةُ : كَذَبَ ؛ ما هو الذي أُسِرَني ، إنما أُسِرَني غلامٌ أسود على بِرْدَوْنٍ أبلَقَ عليه ثيابٌ خضراءُ ، ما أراه في عسكرِكَ الآن ، وسلمني إليه . فقال المختار : أما إن الرجل قد عاين الملائكةَ ؛ خَلُّوا سبيلَه فخلُّوه ؛ فهرب فأنشأ يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنني رأيتُ البلقَ دُهماً مُصمَّاتٍ²
أري عينيَّ ما لم تبصره كلانا عالمٌ بالثرهاتِ
كفرتُ بدينكم وجعلتُ نذراً عليَّ قتالكم حتى الماتِ

[يرى رأي السيّد في أنّ ابن الحنفية لم يمت]

أخبرنا الحرّميّ قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا : كان كثيرٌ يتشيع تشيعاً قبيحاً ، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت . قال : وكان ذلك رأيَ السيّد ؛ وقد قال فيه (يعني السيّد) شعراً كثيراً ، منه :

ألا قلّ للوصي فدتك نفسي أطلتَ بذلك الجبلَ المقاما
أضرَّ بمعشرٍ والوكَ منّا وسَمَّوكَ الخليفةَ والإماما
وعادوا فيك أهلَ الأرض طُرّاً مقامُك عنهمُ ستينَ عاما
وما ذاق ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ولا وارتَ له أرضٌ عظاما³
لقد أوفى بمُورِقِ شِعْبِ رَضْوَى تُراجِعُه الملائكةُ الكلاما
وإنَّ له به لِمَقِيلٍ صدقٍ وأنديّةً تحدّثه كراما

1 جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع وهي قبيلة ؛ وكانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتل الحسين بن علي بن أبي طالب .

2 مصمت : لا يخالط لونه لون آخر .

3 خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

هدانا الله إذ جُرْتُم لأمرٍ به ولديه نلتَمِسُ التَّماما
تمامَ مَوَدَّةِ المهديِّ حتى تَرَوْا رايَاتِنَا تَتَرى نِظاما

وقال كثيرٌ في ذلك¹ : [من الوافر]

ألا إِنَّ الأئمَّةَ من قُرَيْشٍ وُلَاةَ الحقِّ أربعةٌ سواءٍ
عليٍّ والثلاثة من بَنيهِ هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ²
فسيطٌ سيَّطٌ إيمانٍ وبرٍّ وسيطٌ لا تراه العينُ حتَّى
يقوِّدُ الخيلَ يَقدِّمُها اللِّواءُ³ تَغِيَّبُ لا يُرى عنهم زماناً
برَضَوَى عنده عسلٌ وماءٌ

[شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال :
كان عبد الله بن الزبير قد أغري بيني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغري بهم ويخطب بهم
على المنابر ويصرِّح ويعرض بذكرهم . فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم
فحبس ابن الحنفية في سجن عارم⁴ ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم ،
فجعلهم في مَحْبِسٍ وملاءه خطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر
شيعة ابن الحنفية قد وافوا نُصْرته ومحاربة ابن الزبير ؛ فكان ذلك سببَ إيقاعه به . وبلغ أبا
عبد الله الخيرُ فوافى ساعةً أُضْرمَت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم ، وأخرج ابن الحنفية عن
جِوار ابن الزبير منذ يومئذٍ . فأنشدنا محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب
لكثيرٍ يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم : [من الطويل]

مَنْ يَرِ هذا الشَّيْخَ بالخَيْفِ من مَنِىِّ من الناسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غيرُ ظالمٍ⁵
سَمِيَّ النَّبِيِّ المصطفى وابنُ عمِّهِ وفَكَأكَ أَغْلالٍ ونَفَّاعُ غارمٍ⁶

1 تنسب أيضاً إلى السيد الحميري انظر الديوان ص 521 ، وقد وردت في المجلد 7 ، ص 188 .

2 رواية الشطر الثاني في الديوان ص 521 ، هم أسباطه والأوصياء .

3 وير في الديوان : وحلم .

4 الشطر الأول في الديوان : وسيط لا يذوق الموت حتى .

5 سجن عارم : سجن بمكة .

6 مَنْ في الديوان : ومن .

7 سَمِيَّ في الديوان : وصي . ونفّاع غارم في الديوان : وقاضي مغارم .

أبى فهو لا يَشْرِي هدىً بضلالةٍ ولا يَتَّقِي في الله لومةَ لائمٍ
ونحنُ بحمدِ الله نتلو كتابه حلّولاً بهذا الخيفِ خيفِ المحارمِ
بحيث الحمامُ آمِنُ الرُّوعِ ساكنٌ وحيث العدو كالصديقِ المُسلمِ
فما فَرَحُ الدُّنيا بباقي لأهلِهِ ولا شِدَّةُ البَلوى بضربةٍ لازِمٍ¹
تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائدٌ بل العائدُ المظلومُ في سجنِ عارمٍ²

[أنشد علي بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه]

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا
الزبير بن بكار ، وأخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن
سعيد عن عقبة الجهنّي عن أبيه قال : سمعت كثيراً يُنشد علي بن عبد الله بن جعفر قوله في
محمد بن الحنفية³ :

أَقَرَّ اللهُ عينيَ إذ دعاني أَمِينُ اللهُ يَلطُفُ في السُّؤالِ
وأثنى في هوايَ عليّ خيراً وساءلَ عن بنيّ وكيف حالي
وكيف ذكرتَ حالَ أبي خُبيبٍ وزلّةَ فعلِهِ عندَ السُّؤالِ
هو المَهديّ خَبَرناه كَعَبٌ أخو الأَحبارِ في الحِقَبِ الخوالي⁴

فقال له علي بن عبد الله : يا أبا صخر ، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلا مَنْ كان على
مثل مذهبك . قال : أَجَلُ بأبي أنت وأمي ! . قال : وكان كثيرٌ كيسانياً⁵ يرى الرّجعة .
قال الزبير : أبو خبيب عبد الله بن الزبير ، كناه بابنه خُبيب وهو أكبر ولده ، وكان كثيرٌ
سَيِّءِ الرَّأي فيه . قال الزبير : فأخبرني عمّي قال : لما قال كثيرٌ :

هو المَهديّ خَبَرناه كَعَبٌ أخو الأَحبارِ في الحِقَبِ الخوالي

فقليل له : أَلقيتَ كعباً ؟ قال : لا . قيل : فَلِمَ قلتَ «خَبَرناه كَعَبٌ» ؟ قال : بالتَّوهُمِ .

[غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك]

قال : وكان كثيرٌ شيعياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ ، ويحتج بقول الله تعالى : ﴿ في أيّ

1 فما فرح في الديوان : فما ورق .

2 يريد عبد الله بن الزبير .

3 وردت في الديوان ص 232 .

4 هو كعب الأحبار .

5 ل : خشبياً ، والخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق .

صورة ما شاء رَبُّكَ ﴿١﴾ ويقول : ألا ترى أَنَّهُ حَوَّلَ مِنْ صُورَةٍ فِي صُورَةٍ ؟ .

قال : فحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال : خِنْدِفُ الْأَسَدِي الذي أَدخل كَثِيرًا فِي الْخَشَنِيَّةِ .

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن مَعْن الغفاري قال : كُنَّا بِالسَّيَالَةِ¹ فِي مَشِيخَةٍ نَتَحَدَّثُ ، إِذَا بِكَثِيرٍ قَدْ طَلَعَ عَلَيْنَا مُتَّكِمًا عَلَى عَصَا . فَقَالَ : كُنَّا بَبِيدَاءَ² بِأَشْرَافِ السَّيَالَةِ وَبِهَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فَمَا بَقِيَ مَوْضِعٌ بِبِيدَاءَ إِلَّا وَقَدْ جُمِعَتْ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ مَا تَغَيَّرَ وَمَا تَغَيَّرَتِ الْجِبَالُ وَلَا الْمَوْضِعُ الَّذِي كُنَّا نَطُوفُ فِيهِ ، وَهَذَا يَكُونُ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ . وَكَانَ يُؤْمِنُ بِالرُّجْعَةِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني يحيى بن محمد قال : دخل عبد الله بن حسن على كَثِيرٍ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ : أَبَشِيرُ ! فَكَأَنَّكَ بِي بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً قَدْ طَلَعْتُ عَلَيْكَ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ : مَا لَكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ مِتَّ لَا أَشْهَدُكَ وَلَا أَعُودُكَ وَلَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا .

[كان أبو هاشم يتجسس أخباره]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أَحَسَبَهُ عَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ قال : وَكَانَ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ قَدْ وَضَعَ الْأَرْصَادَ عَلَى كَثِيرٍ فَلَا يَزَالُ يُوْتِي بِالْخَبَرِ مِنْ خَبَرِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ إِذَا لَقِيَهِ : كُنْتَ فِي كَذَا وَكُنْتَ فِي كَذَا ؛ إِلَى أَنْ جَرَى يَنْ كَثِيرٍ وَيَنْ رَجُلٍ كَلَامٌ فَأَتَانِي بِهِ أَبُو هَاشِمٍ . فَأَقْبَلَ بِهِ عَلَى أَدْرَاجِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو هَاشِمٍ : كُنْتَ السَّاعَةَ مَعَ فُلَانٍ فَقُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا وَقَالَ لَكَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

[كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ قال حدثنا محمد ، وَأَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أَحَسَبَ قال : نَظَرَ كَثِيرٌ إِلَى بَنِي حَسَنَ بْنِ حَسَنٍ وَهُمْ صَغَارٌ فَقَالَ : يَا أَبَيَّ أَنْتُمْ ! هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الصَّغَارُ . وَكَانَ يَرَى الرَّجْعَةَ . وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ بَشَرَ بْنُ سَعِيدِ الرَّازِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَغْرَاءِ الدُّوسِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ قال : مَرَّ كَثِيرٌ بِمَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهُوَ فِي الْمَكْتَبِ ، فَأَكْبَّ عَلَيْهِ يَقْبَلُهُ وَقَالَ : أَنْتَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الصَّغَارِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! .

1 السيالة : موضع بجوار المدينة .

2 ببيداء : يريد موضعاً بعينه .

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قَعْنَب بن المحرّز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال : كان كثيرٌ شيعياً ، وكان يأتي ولدٌ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول : وأبائي الأنبياء الصغار ! . وكان يؤمن بالرجعة . فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخوهم لأُمّهم ، : يا عم هَب لي ؛ فيقول : لا ؛ لست من الشجرة .

[كان عمر بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم وفسادهم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسّادهم بحبٍ كثيرٍ : من أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ؛ لأنه كان خَشِيئاً يقول بالرجعة .

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسّادهم حُبٌ كثيرٌ ، ثم ذكر مثله .

[قال لعمته إنه يونس بن متى]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال : كان كثيرٌ يدخل على عمّة له برزّة¹ فتكرمه وتطرح له وسادةً يجلس عليها . فقال لها يوماً : لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حقّ كرامتي ؛ قالت : بلى والله إني لأعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه . فقال : قد عرفتُ أنك لا تعرفيني . قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى .

[كان عاقاً لأبيه]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال : كان كثيرٌ عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قُرحةٌ في إصبع من أصابع يده . فقال له كثيرٌ : أتدري لِمَ أصابتك هذه القرحة في إصبعك ؟ قال : لا أدري . قال : مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة .

[ضافه مزني وذمه بأنّه لم يقيم لصلاة الصبح]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزيّنة قال : ضيفتُ كثيراً ليلةً وبثُّ عنده ثم تحدثنا ونمنا . فلما طلع الفجر تضرّع ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثيرٌ راقد في لحافه . فلما طلع قرن الشمس

1 برزة : المرأة الكهلة التي لا تحتجب وهي عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس وتحدثهم .

تضوّر ثم قال : يا جارية اسجّري لي ماء . قال قلتُ : تَبّا لك سائرَ اليوم ؛ أو هذه الساعة هذا !
وركبتُ راحلتي وتركته . قال الزبير : أسخّني لي ماء .
[كان يهزأ به ويصدّق ما يسمع عن نفسه]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران
عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال : ما رأيتُ قطُّ أحقَّ من
كثير . دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به ، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً .
فقلت له : كيف تجدك يا أبا صخر ؟ وهو مريض ؛ فقال : أجدني ذاهباً . فقلت : كلاً ؛
فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ؛ يتحدثون أنك الدجال . قال : أما لئن
قلتَ ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .
[كان تهاها ويستحمقه فتیان المدينة لذلك]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن
عمران : أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع : إن كثيراً لا
يلتفت من تيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ ردائه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في
قميص .
[سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب]

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال : بلغني أن
كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان ، فسأله عن شيء فأخبره به . فقال : وحقّ علي بن أبي
طالب إنه كما ذكرت ؟ قال كثير : يا أمير المؤمنين ، لو سألتني بحقّك لصدقتك . قال : لا
أسألك إلا بحقّ أبي تراب¹ . فحلف له به فرضي .
[تمثل عبد الملك بشعر له حين منعه عاتكة من الخروج لحرب مصعب]

أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد
الرحمن ، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال ، وأخبرنا أحمد بن
عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا : حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا الحرّميّ قال
حدثنا الزبير قال حدثنا المؤمليّ عن ابن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : لما أراد عبد الملك الخروج إلى
مُصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أم ابنه يزيد ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، لا
تخرج السنة لحرب مُصعب ، فإن آل الزبير ذكروا خروجك ، وابعث إليه الجيوش ، وبكت
وبكى جواريتها معها . وجلس وقال : قاتل الله ابن أبي جُمعة ؛ فأين قوله : [من الطويل]

1 أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

إذا ما أراد الغزوَ لم تثنِ همَّهُ حصانٌ عليها عِقْدٌ دُرٌّ يَزِينُهَا¹
 نهته فلما لم تَرَ النهيَ عاقه بكت فبكى مما شجهاها قَطينها²

غناه ابنُ سُرَيْجٍ ثاني ثَقِيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله لكانه يراني ويراك يا عاتكة ؛ ثم خرج . قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ، ووافقه عليه عمر بن شبة : فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيرٍ في ناحية عسكره يسير مُطَرِّقاً ؛ فدعا به وقال : لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بئكَ ؛ فإن أخبرتك عنه أتصدقني ؟ قال نعم ! قال : قل وحق أبي تراب لتصدقني ؛ قال : والله لأصدقنك . قال : لا أو تحلف به ، فحلف به . فقال تقول : رجлан من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربهُ ، القاتل والمقتول في النار ، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عاتراً لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما ! قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت . قال : فارجع من قريب ؛ وأمر له بجائزة .

[بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه]

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطاء بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشَق قال حدثني حفص الأموي قال : كنت أختلف إلى كثيرٍ أتروى شعره . قال : فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قُتِلَ آلُ الْمُهَلَّبِ بالعقر³ . فقال : ما أَجَلُ الخطبِ ! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطَّفِّ ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ؛ ثم انتضحت عيناه باكياً . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به . فلما دخل عليه قال : عليك لعنة⁴ الله ! أترابية⁵ وعصبية ؟ وجعل يضحك منه .

[سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه]

أخبرنا الجرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال : قال عبد الملك بن مروان لكثير : مَنْ أشعرُ الناس اليوم يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروي أميرُ المؤمنين شعره . فقال عبد الملك : أما إنك لمنهم .

1 عقد في الديوان : نظم .

2 القطين : الخدم والأتباع والحشم .

3 العقر : عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة .

4 ل : بهلة .

5 يعني أنه من شيعة أبي تراب .

[جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره]

أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي عوف عن عوانة قال : قال كثير لعبد الملك : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

[كان عبد الملك يروي أولاده شعره]

أخبرنا عمي عن الكُراني عن النضر بن عمر قال : كان عبد الملك بن مروان يُخرج شعر كثير إلى مؤدّب ولده مختوماً يروّيهم إياه ويردّه .

[نزل مرعى لإبله فضيق عليه أهله فدم جوارهم]

أخبرنا الحرّميّ قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجهني : أن كثيراً شب في حجر عم له صالح ، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسه ، وكان غير جيّد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور . فاشتري له عمه قطعاً من الإبل وأنزله فرش¹ ملل فكان به ، ثم ارتفع فنزل فرغ المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف من جبل جهينة الأصغر ، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفضى ، فضيقوا على كثير وأسأوا جواره ؛ فانتقل عنهم وقال :

أبتِ إبلي ماء الرّداة وشفّها بنو العَمِّ يحمون النّضيج المبرّد²
وما يمنعون الماء إلا ضنّانة بأصلاّب عسري شوّكها قد تخذد³
فعادت فلم تجهدْ على فضل مائه رياحاً ولا سقيا ابن طلقِ بن أسعدا
قال : ويروى أنه أوّل شعر قاله .

[روايته عن بدء قوله الشعر]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال : قال كثير : ما قلت الشعر حتى قولته . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعير لي بالغميم⁴ أو بقاع حمدان⁵ ، إذا راكبٌ قد دنا منّي حتى صار إلى جنبي ؛ فتأملتُه فإذا هو من صُفر وهو يجر نفسه في الأرض جرّاً . فقال لي : قل الشعر وألقاه عليّ . قلت : من أنت ؟ قال : أنا

1 واد قرب المدينة .

2 الرداة : الصخرة . النضيج : الحوض .

3 العسرى : (يفتح العين وضمها) : البقلة إذا يست .

4 الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

5 قاع حمدان : موضع بعينه .

قَرِينِكَ مِنَ الْجَنِّ . فَقُلْتُ الشَّعْر .

[عزة عشيقته وأول عشقه لها]

وَنُسِبَ كَثِيرٌ لَكثْرَةِ تَشْبِيهِهِ بِعَزَّةِ الضَّمْرِيَّةِ إِلَيْهَا ، وَعُرِفَ بِهَا فَقِيلَ كَثِيرٌ عَزَّةٌ . وَهِيَ عَزَّةُ بِنْتِ حُمَيْلِ بْنِ وَقَاصٍ . أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ الْمَحْدَثُ وَاسْمُهُ حُمَيْلٌ¹ بْنُ وَقَاصٍ هُوَ أَبُو عَزَّةَ الَّتِي كَانَ يُنْسَبُ بِهَا كَثِيرٌ . وَكَانَ ابْتِدَاءَ عَشْقِهِ إِيَّاهَا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ كَاذِبًا وَلَمْ يَكُنْ بَعَاشِقُ ، وَذَلِكَ يُذَكَّرُ بَعْدَ خَبَرِهِ مَعَهَا ، فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبرَاهِيمَ السَّعْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ جَمِيعِ الْخَزَاعِيِّ : أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ عَشَقٍ كَثِيرٌ عَزَّةَ أَنْ كَثِيرًا مَرًّا بِنِسْوَةِ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ وَمَعَهُ جَلْبُ غَنَمٍ ، فَأَرْسَلَنَ إِلَيْهِ عَزَّةَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ ؛ فَقَالَتْ : يَقْلَنُ لَكَ نِسْوَةٌ : بَعِنَا كِبَشًا مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ وَأَنْسَيْنَا بِشْمَنِهِ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ ؛ فَأَعْطَاهَا كِبَشًا وَأَعْجَبَتْهُ . فَلَمَّا رَجَعَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ بِدِرَاهِمِهِ ؛ فَقَالَ : وَأَيْنَ الصَّبِيَّةُ الَّتِي أَخَذْتَ مِنِّي الْكِبَشَ ؟ قَالَتْ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا ! هَذِهِ دِرَاهِمُكَ . قَالَ : لَا آخِذُ دِرَاهِمِي إِلَّا مَنْ دَفَعَتْ الْكِبَشَ إِلَيْهَا . وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمِهِ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمُهَا

قال : فكان أولَ لقائه إياها .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْخَضِرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي جَنْدَلٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَزَاعِيِّ ، وَأُمُّهُ جُمُعَةُ بِنْتُ كَثِيرٍ ، عَنْ أُمِّهِ جُمُعَةَ عَنْ أَبِيهَا كَثِيرٍ : أَنَّ أَوَّلَ عِلَاقَتِهِ بِعَزَّةَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يَسُوقُ خَلْفَ غَنَمٍ إِلَى الْجَارِ² ؛ فَلَمَّا كَانَ بِالْخَبْتِ وَقَفَ عَلَى نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ فَسَأَلَهُنَّ عَنِ الْمَاءِ ، فَقُلْنَ لِعَزَّةَ وَهِيَ جَارِيَةٌ حِينَ كَعَبَ ثَدْيَاهَا : أُرْسِدِيهِ إِلَى الْمَاءِ ، فَأُرْسِدَتْهُ وَأَعْجَبَتْهُ . فَبَيْنَا هُوَ يَسْقِي غَنَمَهُ إِذْ جَاءَتْهُ عَزَّةُ بِدِرَاهِمٍ ، فَقَالَتْ : يَقْلَنُ لَكَ النِّسْوَةُ : بَعِنَا بِهَذِهِ الدِّرَاهِمِ كِبَشًا مِنْ ضَأْنِكَ : فَأَمَرَ الْغَلَامَ دَفْعَ إِلَيْهَا كِبَشًا ، وَقَالَ : رُدِّي الدِّرَاهِمَ وَقُولِي لِهِنَّ : إِذَا رَحْتُ بِكُنَّ اقْتَضَيْتُ حَقِّي . فَلَمَّا رَاحَ مَرَّ بِهِنَ ؛ فَقُلْنَ لَهُ : هَذَا حَقُّكَ فَخُذْهُ . فَقَالَ : عَزَّةٌ غَرِيمِي ، وَلَسْتُ أَقْضِي حَقِّي إِلَّا مِنْهَا . فَمَزَحْنَ مَعَهُ وَقُلْنَ : وَيْحَكَ ؛ عَزَّةٌ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَيْسَ فِيهَا وَفَاءٌ لِحَقِّكَ فَأَجَلَّهِ عَلَى إِحْدَانَا فَإِنَّهَا أَمْلَأُ بِهِ مِنْهَا وَأَسْرَعُ لَهُ أَدَاءً . فَقَالَ : مَا أَنَا بِمُحِيلٍ حَقِّي عَنْهَا . وَمَضَى لَوَجْهِهِ ،

1 ل : حميد .

2 الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر .

ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدن فيها :

[من الطويل]

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شَبْتُ وبانَ نهودها
وقد دَرَعُوها وهي ذاتُ مُوصِدٍ مَجُوبٍ ولَمَّا يَلَسَ الدَّرَعُ رِيْدُها¹
مِنَ الخَفَرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيْسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثُ لو تُعيدُها

في هذا البيت وأبياتٍ آخر معه غناء يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه .

[من الطويل]

وأنشدن أيضاً :

قَصَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوْقِي غَرِيْمَه وَعَزَهْ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيْمِها

فقلن له : أبيتَ إلا عَزَهْ ! وأبرزنها إليه وهي كارهة . ثم أحبته عزة بعد ذلك أشدَّ من حبه إياها . قال الزبير : فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدثني عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها .

[سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها]

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المِعيطي ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلحي ، وأخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره ، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عَجَزَتْ ؛ فقال لها أنتِ عزة كثير ! فقالت : أنا عزة بنت حُمَيل . قال : أنت التي يقول لك كثير :

[من الطويل]

لِعَزَةٍ نَارٌ مَا تَبُوخُ كَأَنَّها إذا ما رَمَقْنَاهَا مِنَ البَعْدِ كَوَكْبُ²

فما الذي أعجبه منك؟ قالت : كلاً يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القرة . وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي : فقالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صبروك خليفة . قال : وكانت له سِنَّ سوداء يخفيها ؛ فضحك حتى بدت . فقالت له : هذا الذي أردتُ أن أبديه . فقال لها : هل تروين قول كثير فيك :

[من الطويل]

1 المؤصد : صدار تلبسه الجارية فإذا أدركت درعت . المجوب : مقوّر الجيب . وريدها : تربها أي القرين في السن والند .

2 تبوخ : تسكن .

وقد زعمتُ أني تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي يا عزُّ لا يتغيّرُ
تغيّرَ جسمي والخلقةُ كالتي عهدتِ ولم يُخبّرْ بسرِّك مُخبّرٌ¹
قالت [لا] ولكني أروي قوله :

كانني أنادي صخرةً حين أعرضتُ من الصّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زلتِ
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن ملّ منها ذلك الوصلَ ملّتُ²
فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد ، وفي غير هذه الرواية : أنها أدخلت على أم البنين
بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت لها : رأيتِ قول كثير :

قضى كل ذي دينٍ فوقى غريمه وعزةٌ مطولٌ معنيٌ غريمها
ما هذا الذي ذكره ؟ قالت : قبله وعدته إياها . قالت : أنجزها وعليّ إثمها .

[قصة غلام له مع عزة واعتاقه بسبب ذلك]

أخبرنا الحسن بن الطيّب البجلي الشجاعى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر
المهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة قال روى ابن جُعْدُبَة عن أشياخه ، وأخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء
قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جُعْدُبَة عن أبيه : أن كثيراً كان
له غلام تاجر ؛ فباع من عزة بعض سلّعه ومطلته مُدّة وهو لا يعرفها . فقال لها يوماً : أنت والله كما
قال مولاي :

قضى كل ذي دينٍ فوقى غريمه وعزةٌ مطولٌ معنيٌ غريمها

فانصرفت عنه خجلة . فقالت له امرأة : أتعرف عزة ؟ قال : لا والله ؛ قالت فهذه والله عزة .
فقال : لا جرّم والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها . ورجع إلى كثير فأخبره بذلك ؛ فأعتقه
ووهب له المال الذي كان في يده .

[لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حَكيم السُّلَمي عن قسيمة
بنت عياض بن سعيد الأسلمية ؛ وكنيتها أم البنين ، قالت : سارت علينا عزة في جماعة من
قومها بين يدي يربوع وجّهينة ، فسمعنا بها ؛ فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ؛
فجئناها فرأينا امرأة حلوة حَمِيرَاء نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضلٌ من
الجمال والخلق ، إلى أن تحدثت ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً ، فما فارقتها إلا ولها

1 كالتي في الديوان ص 328 : كالذي .

2 صفوح : معرصة صادة هاجرة وفي الديوان ص 98 : صفوح بتوين الضم .

علينا الفضلُ في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأةً تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة .

[سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة]

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عدي : أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة ؛ فقال : حججتُ سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحد منا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها باتباع سمن تصلح به طعاماً لأهل رُفقتَه ؛ فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت أبري أسهماً لي . فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى برتُ عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري . فلما تبينت ذلك دخلتُ إليّ فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها ؛ وكان عندي نحي¹ من سمن ، فحلفتُ لتأخذنه ، فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن . فلما رأى الدم سألتها عن خبره فكاتمته ، حتى حلف لتصدقنه فصدقته ؛ فضربها وحلف لتشتمني في وجهي ، فوفقت عليّ وهو معها فقالت لي : يا ابن الزانية وهي تبكي ، ثم انصرفا . فذلك حين أقول :

يُكلّفها الخنزيرُ شتمي وما بها هَوائي ولكن للمليك استدلّت

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

خليلي هذا رسمُ عَزَةٍ فاعقلا	قُلُوصَيْكُما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتْ ²
وما كنتُ أدري قبل عَزَةٍ ما البكا	ولا مُوجِعَاتِ القلبِ حتى تَوَلَّتْ
فليتَ قُلُوصي عند عَزَةٍ قُبِدَتْ	بجِلِّ ضَعِيفٍ بَانَ منها فَضَلَّتْ ³
وأصبحَ في القومِ المقيمينَ رحلُها	وكان لها باغٌ سيوأيَ قَبَلَتْ ⁴
فقلتُ لها يا عَزَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ	إذا وُطِنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ
أسيئي بنا أو أحسني ، لا ملومةٌ	لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتْ
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ	لِعَزَةٍ من أعراضنا ما استَحَلَّتْ

1 نحي : زق للسمن .

2 رسم في الديوان ص 95 : ربع .

3 بان في الديوان ص 98 : عَز .

4 وأصبح في القوم في الديوان ص 98 : وغُودر في الحي . بلت مطيته : إذا ذهبت في الأرض ضالة .

تَمَيَّنْتُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهَا رَأَيْتُ الْمَنَابِيا شُرْعاً قَدْ أَظْلَتِ¹
 كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرَضْتُ مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلْتُ
 صَفْوَحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلُ مَلَّتْ
 أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكَ الرَّدَى وَجُنُّ اللَّوَاتِي قَلْنَ عَزَّةً جُنْتُ¹

عروضه من الطويل . غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلاً أول بالوسطى . وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالنصر عن عمرو ، وغنى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيف رمل بالوسطى . وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل . وذكر الهشامي أن لابن سريج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالنصر . وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في «كأني أنادي» والذي بعده وفي «أسعني بنا أو أحسنني» هزجاً بالسبابة في مجرى النصر ؛ ولإسحاق فيه هزج آخر به . ولعريب في «كأني أنادي» أيضاً رمل . ولإسحاق في «وما كنت أدري» ثقيل أول . وله في «أصاب الردى» ثقيل أول آخر ، وقيل : إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عز» خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سباط .

[صديق يصف اجتماعهما ذات ليلة]

أخبرني الحرّميّ وحبيب بن نصر قالاً حدثنا الزبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَنّي عن أبيه قال : سارت علينا عزة في جماعة من قومها ، فنزلت حيلنا . فجاءني كثير ذات يوم فقال لي : أريد أن أكون عندك اليوم فأذهب إلى عزة ؛ فصرْتُ به إلى منزلي . فأقام عندي حتى كان العشاء ، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال : إذا سلّمتْ فسَتَخْرِجْ إليك جارية ، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني . فجئتُ بيتها فسلمتُ فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتم . فقالت : أين الموعد ؟ قلت : صَخْرَاتُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّيْلَةِ ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ إليه فأعلمته . فلما أمسى قال لي : انهَضْ بنا ؛ فنهَضنا فجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثنا فأطالا ، فذهبت لأقوم . فقال لي : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتُمان . فقال لي : اجلس ؛ فوالله ما كان بيننا شيء قط . فجلستُ وهما يتحدثان وإن بينهما لثُمَامَةٌ عَظِيمَةٌ هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ؛ فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق .

[سامته سكية بهمله فلما رأى عزة معها تركه لهم]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن

أبان بن سعيد بن العاصي قال : خرج كثيرٌ في الحاجِّ بجمل له يبيعه ، فمر بسُكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها . فقالت سُكينة : هذا كثيرٌ فسُوِّمُوهُ بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت : ضَعْ عِنا فأبى . فدعت له بتمر وزُبد فأكل ؛ ثم قالت له : ضَعْ عِنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى . فقالوا:- قد أَكَلْتَ يا كثيرٌ بأكثر مما نسألك . فقال : ما أنا بواضع شيئاً . فقالت سُكينة : اكشِفُوا ، فكشفوا عنها وعن عزة . فلما رآهما استحميا وانصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم ! .

[قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه]

مَنْ ذَكَرَ أَنَّ كَثِيرًا كَانَ يَكْذِبُ فِي عَشْقِهِ

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال : كان كثيرٌ مدَّعيًا ولم يكن عاشقًا ، وكان جميلٌ صادقٌ الصُّبابة والعشق . أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول : كان جميل يصدِّق في حبه ، وكان كثيرٌ يكذب . ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تَمِيس في مِشيتها ؛ فلم يعرفها كثير ، فاتبعها وقال : يا سيدتي ؛ قِفي حتى أَكَلِمَكَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ مثلك قط ، فَمَنْ أَنْتِ ويحك ؟ قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ قال : بأبي أَنْتِ والله لو أَنَّ عزة أُمَّةً لي لوْهبتها لك . قالت : فهل لك في المُخَالَلة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : أَنْتَى وكيف بما قلتَ في عزة ؟! قال : أَقبله فَأُحوِّله إليك . فسفرت عن وجهها ثم قالت : أَغْدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلس¹ ولم ينطق وبُهِت . فلما مضت أنشأ يقول :

[من الطويل]

ألا ليتني قبل الذي قلتُ شيبَ لي	من السِّمِّ جَدَحَاتٌ بماء الذَّرَارِحِ ²
فمتٌ ولم تعلم عليَّ خيانة	وكم طالبٌ للريح ليس برابح ³
أبوءُ بذنبي إني قد ظلمتها	وإني بياقي سِرُّها غيرُ بائع

[لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعتابا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوِّم قال أخبرني سائب راوية كثيرٌ قال : خرجتُ معه نريد مصر ، فمررنا بالماء الذي فيه

1 أبلس : سكت وتغير .

2 جدحات في الديوان ص 527 : خضخاض .

3 في ابن عساكر (ترجمة كثير) ألا ربَّ باغي الريح .

عزة فإذا هي في خياء ؛ فسلمنا جميعاً ؛ فقالت عزة : وعليك السلام يا سائب . ثم أقبلت على كثير فقالت : ويحك ! ألا تتقي الله ؟ أرايتَ قولك : [من الوافر]

بآية ما أتيتك أم عمرو فقمتم لحاجتي والبيت خالي
أخلوت معك في بيت أو غير بيت قط ؟ قال : لم أقله ، ولكنني قلت : [من الوافر]
فأقسم لو أتيت البحر يوماً لأشرب ما سقتني من بلال
وأقسم إن حبك أم عمرو لداي عند منقطع السعال¹
قالت : أما هذا فنعم . فأتينا عبد العزيز ثم عُدنا ؛ فقال كثير : عليك السلام يا عزة قالت :
عليك السلام يا جمل . فقال كثير : [من البسيط]

صوت

حيثك عزة بعد الهجر فانصرفت فحيي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حيثها ما زلت ذابقة عندي وما مسك الإدلاج والعمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها مكان يا جمل حييت يا رجل
ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناء لمعبد . وذكر الهشامي أن فيها لبثينة² خفيف رمل
بالبنصر . وذكر حبش أن فيها للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وإبراهيم ثاني ثقيل
بالوسطى .

[قصته مع أم الحويث الخزاعية وحدث عشقه لها]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال
حدثني إبراهيم بن المهدي قال : قدم علي هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوماً
فحدثني قال : تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويث فنسب بها ، وكبرهت أن
يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة ؛ فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك ؛ فابتغ مالا يعفي³
عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام . قال : فاحلفي لي ووئقي أنك لا تتزوجين حتى
أقدم عليك ؛ فحلفت ووئقت له . فمدح عبد الرحمن بن إريق الأزدي ، فخرج إليه ، فلقيته
طلباً سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه ؛ فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب⁴

1 عند منقطع في الديوان ص 230 : لدى جنبي .

2 ل : لنبه .

3 يعفي عليك : أي يصلحك ويغنيك .

4 لهب : قبيلة يمنية معروفة بالعيافة وزجر الطير .

فقال : أَيْكُمْ يَزْجُر ؟ فقالوا : كُلُّنَا ، فَمَنْ تَرِيد ؟ قال : أَعْلَمُكُمْ بِذَاكَ . قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصُّلْب . فَأَتَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ؛ فَكَرِهَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ لَهُ : قَدْ تَوَفَّيْتُ أَوْ تَزَوَّجْتَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهَا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

صوت

تَيَمَّمْتُ لِهَيْأَ أَتَغْيِي الْعِلْمَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ رُدُّ عِلْمُ الْعَائِفِينَ إِلَى لَهَبٍ
تَيَمَّمْتُ شَيْخًا مِنْهُمْ ذَا بَجَالَةٍ بصيراً بزجر الطير منحني الصُّلْبِ¹
فَقُلْتُ لَهُ مَاذَا تَرَى فِي سَوَاحِجِ وصوتِ غُرَابٍ يَفْحَصُ الْوَجَةَ بِالتُّرْبِ
فَقَالَ جَرَى الطَّيْرُ السَّنِيحُ بَيْنَهَا وقال غُرَابٌ جَدًّا مِنْهُمْ السَّكْبِ
فَالَا تَكُنْ مَاتَتْ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا سَوَاكَ خَلِيلٌ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبِ
غناه مالك من رواية يونس ولم يجنسه ، قال : فمدح الرجل الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً ، ثم قديم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب ، فأخذه الهلاس² ، فكشَّح³ جنباه بالنار . فلما اندمل⁴ من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكشَّح بالنار فكشَّحت بالنار . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

صوت

عفا الله عن أُمِّ الْحَوِيرِثِ ذَنْبَهَا علامٌ تُعَنِّيَنِي وَتَكْمِي دَوَائِي⁵
فلو آذَنُونِي قَبْلَ أَنْ يَرْقُمُوا بِهَا لَقُلْتُ لَهُمْ أُمُّ الْحَوِيرِثِ دَائِي
في هذين البيتين لمالك ثقیلٌ أول بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالنصر كلاهما عن عمرو والهشامي . وقيل : إن فيهما لمعبد لحناً ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبی قالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزَاهُ بِالرَّوَايَةِ فَذَكَرْنا نَحْوَ هَذَا وَقَالَ فِيهِ : إِنَّهُ قَصَدَ ابْنَ الْأَزْرَقِ بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِي الَّذِي كَانَ بِالْيَمَنِ ، وَإِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ عِزَّةَ . وَسَاطِرُ الْخَبَرِ مُتَقَارِبٌ .

1 ذا بجالاة : يبجله الناس ويعظمونه .

2 الهلاس : داء يصيب الجسم بالهزال وقد يكون السل .

3 الكشَّح : الكي بالنار .

4 اندمل : تماثل للشفاء .

5 تكمي : تستر .

[سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه]

وأخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان ، أنا شككت ، عن أبيه عن جده قال : جاء كثير إلى عبد الله بن جعفر وقد نجّل وتغير . فقال له عبد الله : ما لي أراك متغيراً يا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملت بي أم الحوirth ، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القش وإذا به آثار من كي¹ ؛ ثم أنشده :

عفا الله عن أم الحوirth ذنبها

الآيات .

[أغرت عزة به بثينة لتبين حاله]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي قال حدثني الحرزمي عن حدثه من أهل قديد¹ : أن عزة قالت لبثينة : تصدّي لكثير وأطعميه في نفسك حتى أسمع ما يجيئك به . فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مخفية ؛ فعرضت عليه الوصل ؛ فقاربها ثم قال :

رمتني على عميد² بثينة بعدما تولى شبلي وارججن² شبابها²
وذكر أبياتاً أخر سقط من الكتاب ذكرها . فكشفت عزة عن وجهها ؛ فبادرها الكلام ثم قال :

ولكنما ترمين نفساً مريضةً لعزة منها صفوها ولبابها

فضحكك ثم قالت : أولى لك بها قد نجوت ؛ وانصرفتا تتضحكان .

[قال لأهله إذ بكوا في مرضه سارجع بعد أيام]

أخبرنا الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال : بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت . فقال له كثير : لا تبك ، فكأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليكم .

[مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة 105]

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدة وأبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال : مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاجتمعت قريش في جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله .

أخبرنا الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مصعب قال حدثني الواقدي قال

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ارججن شبابها : اهتز نضارة وحسناً .

حدثني خالد بن القاسم البياضي قال : مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحبُ عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتُهما جميعاً صُلِّيَ عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليوم أفعى الناس وأشعرُ الناس .

[ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيق]

وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغانى قال حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثني المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال : مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد ، فأخرجت جنازتهما ، فما علمتُ تخلفَ امرأةً بالمدينة ولا رجلاً عن جنازتهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس . قال : وغلبَ النساء على جنازة كثير يَكِينُهُ ويذكرن عزة في نُدبتهن له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكُمه ويقول : تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِبَاتِ يَوْسُفَ . فانتدبت له امرأةً منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقتُ ، إنا لصَوَاحِبَاتِ يَوْسُفَ وقد كنا له خيراً منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا . قال : فلما انصرف أبي بتلك المرأة كأنها شرارة النار . فقال لها محمد بن علي : أنت القائلة إنكن ليوسف خيرٌ منا ؟ قالت : نعم . تُوَمِّنُنِي غضبك يا ابن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من غضبي فأبينى . قالت : نحن يا ابن رسول الله دعواناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعُّم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الحب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السُّجُن . فأئنا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟! فقال محمد : لله دَرَكُ ! ولن تغالبَ امرأةً إلا غلبتُ . ثم قال لها : ألكِ بعلٌ ؟ قالت : لي من الرجال مَنْ أنا بعله . قال : فقال أبو جعفر : صدقتِ مثلكِ من تَمْلِكُ بعلها¹ ولا يملكها . قال : فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه زينب بنت معيق² .

نسبة ما في هذه الأخبار³ من الغناء

صوت

[من الطويل]

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شَبَّتْ وبانَ نُهودُها

1 ل : زوجها .

2 ل : معيقب .

3 ل : الأبيات .

نظرتُ إليها نظرة ما يُسرُّني بها حُمُرُ أُنعامِ البلادِ وسودُها
 وكنتُ إذا ما جئتُ سَعْدَى بأرضِها أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها¹
 من الخَفَرَاتِ البَيضِ ودَّ جَلِيسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثُها لو تُعيدُها
 عروضه من الطويل . البيت الأول لكثير ، والثاني والثالث لَنصِيب من قصيدته التي
 أولها :

لقد هجرت سَعْدَى وطالَ صدودُها

غنى في البيت الثاني والثالث جَحَدَرُ الراعي خفيفَ رمل بالبنصر . وغنى فيهما الهذلي
 رملاً بالوسطى . وغنى في الثالث والرابع دِعامَة ثَقِيلًا أول بالبنصر .
 [عمر الوادي يأخذ صوتاً عن راعي غنم في شعر له]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال عمر الوادي ، وأخبرني الحرّميّ بن
 أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مَكِينُ العُدْري قال : سمعت عمر الواديّ
 يقول : بينا أنا أُسيرُ بين الرُّوحَاء والعَرَج إذ سمعتُ إنساناً يغني غناء لم أسمع قطُّ مثله في بيتي
 كثير :

وكنتُ إذا ما جئتُ سَعْدَى بأرضِها أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها²
 من الخَفَرَاتِ البَيضِ ودَّ جَلِيسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثُها لو تُعيدُها

قال : فكِدتُ أُسقط عن راحلتي طرباً ، وقلت : والله لألتمسن الوصولَ إلى هذا
 الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي ، فتيَمَمْتُ سَمَتَهُ³ فإذا راعٍ في غنم ، فسألته
 إعادته علي . قال : نعم ! ولو حضرني قَرِيٌّ أَقْرَبُكَ ما أعدتُه ، ولكنني أجعله قِرَاك ، فرِما
 تَرَكْتُ به وأنا غَرَثَانُ فَأَشْبَع ، وعطشان فأروى ، ومستوحشٌ فَأَنَسُ ، وكسلانٌ فَأَنشَط .
 قال : فأعادهما عليّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادي حتى ولَجْتُ المدينةَ غيرَهما .

1 جئتُ في الديوان ص 200 : زُرْتُ .

2 جئتُ في الديوان : زُرْتُ .

3 سمته : ناحيته وجهته .

[126] - أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر¹

[كان عالماً ومغنياً ونسب غناءه لجاريته شاجي ترفعاً]

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا أحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجِلُّ عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجبية تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كُلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضد بالله ، رحمة الله عليه ، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنين مثل القاسم بن زرُّور وأحمد بن المكي ومن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم ، فيعيل عنهم إليه فيصنع فيها أحسنَ صنعة ، ويرتفع عن إظهار نفسه بذلك ، ويؤمىء إلى أنه من صنعة جاريته شاجي ، وكانت إحدى المحسنات المبرِّزات المُقدِّمات ؛ وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها مُعجباً ولها مُقدِّماً .

[كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له]

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : لما اختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقده بالصلوات الفينة بعد الفينة . واتفق يوماً كان فيه مصطبوحاً أن غني بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله ؛ فكتب إليه كتاباً يُقسم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال : فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت : دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحُلِيِّ والحُلل وهي في أثواب ليست كثيابنا ، فاحتقرناها ؛ فلما غنت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء . قال : ولما انصرفت أمرها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاهما فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت . فقالت : ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغرته من غناء ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفته . قال جحظة : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً ؟ .

1 انظر أخباره في الأغاني المجلد 12 : 68-75 والفهرست لابن النديم ص 117 وتاريخ بغداد للخطيب 10 : 340 ، والمنظوم 6 : 117-118 ، ووفيات الأعيان 1 : 386-388 .

[كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر]

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النوشجاني قال : كان المعتضد إذا استحسّن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنى فيه . قال : وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار .

[ماتت شاجي فرثاها]

قال محمد بن الحسن : وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً ، فقال يرثيها ، وله فيه صنعة من خفيف الثقيل الأول بالوسطى : [من الطويل]

يميناً يقيناً لو بُليتُ بفقدِها وبى نبضٍ عِرْقٍ للحياة أو النكسِ
لأوشكتُ قتلَ النفسِ قبل فراقها ولكنها ماتتْ وقد ذهبَتْ نفسي

[له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء]

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيد شعره قوله ، وله فيه لحنان ثقيل أول وهزج ، والثقل الأول أجودهما :

أنفقَ إذا أيسرتَ غيرَ مقتَرٍ وأنفقَ على ما خَيَّلتُ حين تُعسِرُ
فلا الجودُ يُفني المَالَ والمالُ مَقْبَلٌ ولا البخلُ يُقيي المَالَ والجَدَّ مُدِيرُ

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار . وكتابه في النغم وعِلَل الأغاني المسمى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلفه .

[قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال]

أخبرني جحظة قال حدثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون ، فيما أرى ، قال : كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكل أو المعتز ، وأراه المعتز ، بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزبير بن بكار : قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء ! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سيكّين ! فقال له : فتلحق بأمر المؤمنين بسر من رأى ، فقال له : أفعل . فأمر له بمال ينفقه ، ويظهر يحملته ويحمل ثقله . ثم قال له . إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال : نعم . انصرف من عمرة الحرم ؛ فبينما أنا بأثاية¹ العرج ، إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الطباء وقد وقع ظبي في حبالته فذبجه ، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشِب القرن فيه فمات . وأقبلت

فتاة كأنها المَهَاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت : [من البسيط]

يا حُسْنُ لو بَطَلْ لكنّه أَجَلٌ على الأثاية ما أودى به البطلُ
يا حسنُ جَمْعُ أحشائي وأقلقها وذاك يا حسن لولا غيرُهُ جَلَلُ
أضحت فتاةُ بني نَهْدٍ عِلَانِيَةً وبعُلها بين أيدي القوم محتمَلُ

قال : ثم شهقت فماتت . فما رأيْتُ أعجبَ من الثلاثة : الطيبي مذبح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة [حَرَى] . فأمر له عبيد الله بمال آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزبير فقال : أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسْن وفي قولها : [من البسيط]

أضحت فتاةُ بني نَهْدٍ عِلَانِيَةً

تريد ظاهرة ، أكثرُ عندي مما أعطيتناه من الحياء والصَّلَة . وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقي عن الزبير بخبر حُسْن فقط ، ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً .
[لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر]

ومن الأصوات التي تجمع النغم العشر

صوت

وهو يجمع النغم العشر كلها على غير توالٍ : [من الطويل]

وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كف حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة . والغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتداء الصوت .

[أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجري]

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال :
شاعران قالوا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه . فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيتُ ذاك فجعل مع هذا لصار متفقاً معني وتشبيهاً . فقلت له :
أتى ذلك ؟ فقال : قول جرير للفرزدق : [من الطويل]

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي تبابين قيس أو سُحوق العمائم¹

1 تبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير . والسحوق : جمع سحق ، وهو الثوب الخلق البالي .

كُمُهْرِيقي ماءً بالفلاةِ وَغَرَّةُ سرابٌ أذاعته رِياحُ السَّمائمِ
وقول ابن هرمة :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدَحِي بِكَفِّي زَنْدًا شَحاحًا¹
كَتَارَكِي بِيضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسِي بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا
فلو قال جرير :

فإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَمِيمًا وَتَرْتَشِي تَبَايِينَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقِ الْعَمَائِمِ
كَتَارَكِي بِيضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسِي بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا
لكان أشبه منه ببيته . ولو قال ابن هرمة مع بيته :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدَحِي بِكَفِّي زَنْدًا شَحاحًا
كُمُهْرِيقي ماءً بالفلاةِ وَغَرَّةُ سرابٌ أذاعته رِياحُ السَّمائمِ
كان أشبه به . ثم قال : ولكن ابن هرمة قد تلافي ذلك بعدُ فقال :

وَإِنَّكَ إِذْ أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرِّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ
كَمَمَكْنِي مِنْ ضَرْعِهَا كَفٌّ حَالِبٌ وَدَافِقَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا حَلَبُ
وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة» . وإنما أخذه من أبي نواس على ما رُوي عنه .

[وما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب]

ووجدتُ في كتابٍ مؤلَّفٍ في النِّغمِ غَيْرِ مَسْمُومِ الصَّانِعِ : أن من الأصوات التي تجمع
النِّغمَ العشرَ صوتَ ابن أبي مطر المكي في شعر نُصَيْبٍ وهو :

صوت

أَلَا أَيُّهَا الرِّبْعُ الْمُقِيمُ بَعُتْبُ سَقَتَكَ السَّوَاقِي مِنْ مَرَّاحٍ وَمَعَزَبٍ²
بِذِي هَيْدَبٍ أَمَّا الرُّبَى تَحْتَ وَدَقِهِ فَتَرَوِي وَأَمَّا كُلُّ وَادٍ فَيَزَعِبُ³
عروضه من الطويل . ويروى «الربيع الخلاء بعُتْبُ» أي الخالي . وعُتْبُ : موضع ،
ويروى «سقتك الغواصي من مراد» والمراد : الموضع الذي يُرتاد فيُرى فيه الكَلَأُ . والمَرَّاحُ :

1 وزند شحاح : لا يورى .

2 عُتْبُ : موضع .

3 زعب الوادي أو رعب : إذا امتلأ .

الموضع الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه . وفي الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم ونهى عنها في أعطان الإبل . والمعزب : الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنازل . وأصل العزوب : البعد يقال عزب عنه رأيه وحلمه أي بعد ، والعزب مأخوذ من ذلك . وهيدب السماء أطراف تراه في أذنايه كأنه معلق به . قال أوس بن حجر : [من البسيط]

داني مُسِفٌ فَوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ يكاد يدفعه مَنْ قام بالراح

ويزعَب : يطفح ، يقال : زعبه السيل إذا ملأه . الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان .

[وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه]

أخبرنا الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي النميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَجَّن بن النصيب ، قال الزبير وكتب إلي بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النصيب قالت : وقد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر ، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له . فأرسل إليه حاجبه فقال : استنشد ، فإن كان شعره رديئاً فاردده ، وإن كان جيداً فأدخله . فقال نصيب : قد جلبنا شيئاً للأمير ، فإن قبله نشرناه عليه وإلا طويناها ورجعنا به . فقال عبد العزيز : إن هذا لكلام رجلٍ ذهبن ، فأدخله . فلما واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها :

ألا هل أتى الصقرَ بنَ مروان أنني أَرَدْتُ لَدَى الأبوابِ عنه وأُحَجِّبُ
وأنِّي ثَوَيْتُ اليومَ والأمرَ قبلَه على البابِ حتى كادت الشمسُ تغربُ
وأنِّي إذا رمتُ الدخولَ تَرُدُّني مهابةً قيسٍ والرَّجاجُ المُضَيَّبُ¹

قال : وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قيساً . قال : وتشبيب هذه القصيدة : [من الطويل]

ألا أيها الرِّبعُ المقيمُ بعُنب سقتك السواقي من مراحٍ ومعزبٍ

قال : فلما دخل على عبد العزيز أعجب بشعره وأوجهه² ، وقال للفرزدق : كيف تسمع هذا الشعر ؟ قال : حسنٌ إلا من لغته . قال : هذا والله أشعرُ منك ! . قال : وقال نصيب فيها أيضاً :

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهم بها كاسبٌ غيري ولا مُتَقَلِّبُ

1 رتاج مضيب : مجعولة له ضبة .

2 أوجهه : جملة وجهها وشرفه .

فَهَلْ تُلَحِّقْنِيهِمْ بِغَلِّ مُوَاشِكٍ¹ عَلَى الْأَيْنِ مِنْ نُجْبِ ابْنِ مَرَوَانَ أَصْهَبٍ¹
أَبُو بَكْرَاتٍ إِنْ أَرَدْتُ افْتِحَالَهُ وَذُو ثَبَاتٍ بِالرُّدَيْفَيْنِ مُتَعَبٌ
فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : ادْخُلْ عَلَى الْمَهَارِيِّ فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ ، فَلَوْ كُنْتُ سَأَلْتُ غَيْرَهُ
لَأَعْطَيْتَهُ . فَدَخَلَ فَرَدَهُ الْجَمَّالُ . فَقَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ : دَعَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ الَّذِي نَعْتُ ، فَأَخَذَهُ .

قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : نَزَلَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ
الْوَهَّابِ عَلَى الْمَهْدِيِّ بِعُتُبٍ مِنْ وَادِي السَّرَاةِ الَّذِي عَنَى نَصِيبَ بَقُولِهِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَلَا أَيُّهَا الرَّبْعُ الْخَلَاءُ بِعُتُبٍ

وَالْمَهْدِيِّ² هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ : [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ]

اسْلَمِي يَا دَارُ مِنْ هِنْدٍ بِالسُّوَيْقَاتِ إِلَى الْمَهْدِيِّ³

[صَوْتُ لَهُ يَجْمَعُ ثَمَانِي نَغَمٍ وَقَدْ مَدَحَهُ إِسْحَاقُ]

صوت

وَهُوَ يَجْمَعُ مِنَ النَّغَمِ ثَمَانِيًا : [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ تَرَكَ الْمُنَى لِفَوَاتِهَا
وَتَظَلَّلَ الْنَفْسَ الَّتِي قَدْ كَانَ مِنْ حَاجَاتِهَا
وِطْلَابُكَ الْحَاجَاتِ مِنْ سَلَمِي وَمِنْ جَارَاتِهَا
كَتَطَرْدُ الْعَنَسِ الذَّمُّ لِي الْفَضْلَ مِنْ مَثْنَاتِهَا

قَوْلُهُ : « يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ » تَأْسُفٌ عَلَى شَبَابِهِ ؛ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

وَتَظَلَّلَ الْنَفْسَ الَّتِي قَدْ كَانَ مِنْ حَاجَاتِهَا

يُقَالُ : أَظْلَفَ نَفْسَكَ عَنْ كَذَا أَيِ امْنَعَهَا مِنْهُ لِئَلَّا يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ فِيهِ . وَهُوَ مَا تُخَذُ مِنْ ظَلْفِ
الْأَرْضِ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي لَا أَثَرَ فِيهِ . قَالَ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ : [مِنْ الْوَافِرِ]

أَلَمْ أَظْلِفْ عَنِ الشَّعْرَاءِ عِرْضِي كَمَا ظَلِفَ الْوَسِيقَةُ⁴ بِالْكَرَاعِ⁴

الْوَسِيقَةُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ الْإِبِلِ . يَعْنِي أَنَّهَا تُسَاقُ فَلَا يَوْجَدُ لَهَا أَثَرٌ فِي الْكَرَاعِ ، وَهُوَ مُنْقَطَعٌ

1 المواشك : السريع .

2 الظاهر أنه اسم موضع .

3 السويقات : موضع بعينه .

4 أظلف : أي عميت عليهم أثري .

الجبيل . قال الشاعر :

[من السريع]

أُمِسْتُ كُرَاعُ الْغَمِيمِ مُوحِشَةً بعد الذي قد خلا ، من الْعَجَبِ¹

وقوله :

[من مجزوء الكامل]

كَتَطَرْدُ الْعَنْسِ الذَّمُّو لِ الْفَضْلَ مِنْ مَثَنَاتِهَا

يقول : طِلَابُكَ هَذِهِ الْحَاجَاتِ ضَلَالٌ وَتَتَابَعُ كَتَطَرْدُ الْعَنْسِ (وهي الناقة المذكورة الخلق)

الفضلَ من مَثَنَاتِهَا . والتَطَرْدُ : التَّبَعُ ؛ ومثله قول الشاعر :

[من الطويل]

خَبَطْتُ الصَّبَا خَبَطَ الْبَعِيرِ خِطَامَهُ فلم أَتَيْهِ لِلشَّيْبِ حَتَّى عَلَانِيَا

الشعر لمُسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ . والغناء لابن مُحَرِّزِ ثَانِي ثَقِيلٍ

مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغَمِ ثَمَانِيَا ، وكذلك

ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما

جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تَلَطَّفَ متلَطَّفٌ لَأَن يجمع النَّغَمَ العشر في صوت

واحد لَأَمْكَنَهُ ذلك ، بعد أن يكون فهِمًا بالصناعة طَوِيلَ المَعَانَاةِ لها وبعد أن يُتْعَبَ نَفْسَهُ في

ذلك حتى يصح له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا .

[127] - ذكر مُسافر ونسبه

[نسه]

مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، ويكنى أبا أمية . وقد تقدم نسبه وأنساب أهله . وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهي أم أبي مُعيط أبان بن عمرو بن أمية . وأبو مُعيط ومُسافر أخوان لأب وأم ، وهما أخوا عُمومتها أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة ؛ لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه . وكان سيّداً جَواداً ، وهو أحد أزواد¹ الركب ؛ وإنما سُموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا ماراً طريق ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن .

[مناقضاته عمارة بن الوليد]

وهو أحد شعراء قريش ؛ وكان يُناقض عُمارة بن الوليد الذي أمر النجاشي السواحر فسحرتة . فمن ذلك قول عُمارة :

خُلِقَ الْبَيْضُ الْحِسَانُ لَنَا	وَجِيَادُ الرِّيطِ وَالْأَزْرُ
كَبِيراً كُنَّا أَحَقُّ بِهِ	حِينَ صَبَغَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وقال مسافر يرد عليه :

[من الرمل]

أَعْمَارَ بَنِ الْوَلِيدِ وَقَدْ	يَذْكُرُ الشَّاعِرُ مَنْ ذَكَرَهُ
هَلْ أَخُو كَأْسٍ مُحَقَّقُهَا	وَمَوْقٌ صَحْبَهُ سُكْرَهُ
وَمُحَيِّهِمْ إِذَا شَرَبُوا	وَمَقِلٌ فِيهِمْ هَذَرَهُ
خُلِقَ الْبَيْضُ الْحِسَانُ لَنَا	وَجِيَادُ الرِّيطِ وَالْحَيْرَةِ
كَبِيراً كُنَّا أَحَقُّ بِهِ	كُلُّ حَيٍّ تَابَعَ أَثَرَهُ

[خطب هنداً بنت عتبة]

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان يهواها . فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكية بن المغيرة ، فلم ترضَ ثروته

1 أزواد الركب : ثلاثة من نفر من قريش : مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . سوا بذلك لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد .

ومالّه . فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد ؛ فكان أولَ مَنْ لقيه أبو سُفيان ، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبي سَلَمَة عن هشام ، قال ابن عمار وقد حدثناه ابنُ أبي سَعْد عن علي بن الصباح عن هشام ، قال ابن عمار وحدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه ، دخل حديثُ بعضهم في بعض : أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء . قالوا : فعشيقُ هنداً بنت عُتبة بن ربيعة وعشيقته ؛ فأتهم بها وحملت منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خربوذ : فلما بانَ حملُها أو كاد قالت له : اخرج ؛ فخرج حتى أتى الحيرة ، فأتى عمرو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ، فلقي مُسافراً ، فسأله عن حال قريش والناس ؛ فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هنداً بنت عُتبة . فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه . قال ابن خربوذ : فقال مُسافرٌ في ذلك :

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُموتها حماً
وأصبحت كالمقموِر جفنَ سلاحه يقلّب بالكفّين قوساً وأسهما
فدعا له عمرو بن هند الأطباء ، فقالوا : لا دواء له إلا الكيّ . فقال له : ما ترى ؟ قال :
افعل . فدعا له الذي يُعالجه فأحمى مكاويّه ؛ فلما صارت كالنار قال : ادعُ أقواماً يُمسكونه .
فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فجعل يضع المكاوي عليه . فلما رأى صبره ضَرَطَ
الطبيب ؛ فقال مسافر :

قد يضبطُ العَيْرُ والمِكْوَةُ في النارِ

[لما مات رثاه أبو طالب]

فجرت مثلاً ، فلم يَزِدْهُ إِلَّا ثِقَلًا . فخرج يُريد مكة . فلما انتهى إلى موضع يقال له هُبالة¹
مات فدُفِنَ بها ، ونُعي إلى قريش . فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه :

ليت شعري مُسافر بن أبي عم
رجع الركبُ سالمين جميعاً
وخليلي في مَرَمَسٍ مدفون²
رك نَضِر الرِّيحانِ والزيتون
ليتُ صديقٍ على هُبالةٍ قد حا
لت فيافي من دونه وحزون

1 هباله : موضع لبني عقيل .

2 المرمس : القبر .

مِدْرَةٌ يَدْفَعُ الْخَصُومَ بِأَيْدٍ وَبُوجِهِ يَزِينُهُ الْعَرِينُ

صوت

[من الخفيف]

كَمْ خَلِيلٍ رُزْتُهِ وَابْنِ عَمٍّ وَحَمِيمٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الْمَنُونُ
فَتَعَزَّيْتُ بِالتَّاسِيِّ وَبِالْصَّبِّ سِرٍّ وَإِنِّي بِصَاحِبِي لَضَنِينُ

غنى في هذين البيتين يحيى المكي ثاني ثقليل بالوسطى من رواية ابنه والهشامي .
وأنشدنا الحريري قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي

عمرو : [من الطويل]

أَلَا إِنْ خَيْرَ النَّاسِ غَيْرَ مُدَافِعٍ بَسَرُو سُحَيْمٍ غَيْثُهُ الْمَقَابِرُ¹
تُبْكِي أَبَاهَا أُمٌّ وَهَبٍ وَقَدْ نَأَى وَرِيسَانُ أُمْسَى دُونَهُ وَيُحَابِرُ
عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ إِذَا الْخَيْرُ يُرْجَى أَوْ إِذَا الشَّرُّ حَاضِرُ
تَنَادَوْا وَلَا أَبُو أُمَيَّةَ فِيهِمْ لَقَدْ بُلِغَتْ كَظُّ النُّفُوسِ الْحَنَاجِرُ²

قال وقال النوفلي : إن البيتين :

أَلَا إِنْ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا

والذي بعده لهشام بن المغيرة ، وكانت عنده أسماء بنت مخزومة النّهشلية ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ، ثم غضب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمه ، وكان أولَ ظهار كان ، فجعلته قريش طلاقا . فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها ؛ فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لها ابنها : أقيمِي معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها : أما والله لأزوجنكِ غلاماً ليس بدون هشام ؛ فزوجها أبا ربيعة ولده الآخر ؛ فولدت له عياشاً وعبد الله . فذلك قول هشام :

[من الطويل]

تُحَدِّثُنَا أَسْمَاءُ أَنْ سَوْفَ نَلْتَقِي أَحَادِيثَ طَسَمٍ ، إِنَّمَا أَنْتَ حَالُمُ

وقوله : [من الطويل]

أَلَا أَصْبَحْتَ أَسْمَاءُ حُجْرًا مُحْرَمًا وَأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمَا

قال النوفلي في خبره وحدثني أبي : أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض

1 سر وسحيم : موضع .

2 كظ النفوس : كربها .

لإصابة مال ينكح به هنداً ، فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبةً من آدم حراء . وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدره منه ومكانه عنده . وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته ؛ فسأله مسافر عن حال الناس بمكة ؛ فذكر له أنه تزوج هنداً ؛ فاضطرب مسافر حتى مات . وقال بعض الناس : إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب . قال النوفلي : فهو أحد من قتلته العشق .

[خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة]

فأما خبر هند وطلاق الفاكه بن المغيرة إياها ، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السكين زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حصن بن حميد بن حارثة الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة بارز من البيوت يغشاه الناس من غير إذن . فخلا البيت ذات يوم ، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته . وأقبل رجلٌ ممن كان يغشى البيت فولجّه ؛ فلما رآها رجع هارباً ؛ وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال : من هذا الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحداً ولا انتهت حتى أنبهتني . فقال لها : ارجعي إلى أمك . وتكلم الناس فيها ، وقال لها أبوها : يا بُنية ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئي نباك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهّان اليمن . فقالت : لا والله ما هو عليّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنك قد رميت بتي بأمرٍ عظيم ، فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن . فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة . فلما شارفوا البلاد وقالوا غداً نرد على الرجل تنكرت حال هند . فقال لها عتبة : إنني أرى ما حلّ بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك . قالت : لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه ، ولكنني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب ، ولا آمنه أن يسميني ميسماً يكون عليّ سبةً . فقال لها : إني سوف أختبره لك ؛ فصفر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبةً بر وأوكأ عليها بسير . فلما أصبحوا قديموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم . فلما قعدوا قال له عتبة : جئناك في أمرٍ وقد خبات لك خبئاً أختبرك به فانظر ما هو ؟ قال : ثمرة في كمرّة . قال : إني أريد أئين من هذا . قال : حبة بر في إحليل مهر . قال : صدقت ؛ أنظر في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من إحداهن فيضرب يده على كتفها ويقول : انهضي ، حتى دنا من هند فقال لها : انهضي غير رسحاء¹ ولا

زانية ، وَلَتَلِدَنَّ مَلِكًا يقال له معاوية . فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها ؛ فنثرت يدها من يده وقالت : إِلَيْكَ عَنِّي ؛ فوالله لأحرصُ أن يكون ذلك من غيرك ؛ فتزوجها أبو سُفْيَان .

وقد قيل : إن بَيْتِي مسافر بن أبي عمرو أعني :

[من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً

لابن عجلان¹ .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكَيْع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال :

[من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدني حُمُورِهَا حَمَا
فأصبحت كالمقمورِ جَفَنَ سَلاحِهِ يُقَلِّبُ بالكَفَّينِ قوساً وأَسْهُمَا

[شعر مسافر في الفخر]

ثم مدّ بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا . وما يَغْنَى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيد شعره قوله يفتخر :

[من الوافر]

صوت

ألم نَسْقِ الحَجِيجَ وَنَدَّ حَرِ المِذْلَاقَةَ الرُّفْدَا²
وزمزمُ من أرومتنا ونفقاً عَيْنَ مَنْ حَسَدَا
وإنَّ مناقبَ الخيرِ تِ لم نُسَبِّقْ بها عَدَدَا
فإنَّ نَهْلَكَ فلم نَمْلِكْ وهل من خالِدٍ خَلَدَا

غَنَاهُ ابنُ سُرَيْجٍ رَمَلًا بِالْخِنْصَرِ في مجرى البِنْصَرِ عن إِسْحَاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حَمَاد . وفيه للزُّفْ ثَقِيلٌ بالوسطى .

1 هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، شاعر جاهلي وهو أحد المتيمين من الشعراء ممن قتلهم الحب

2 المذلاقة : النوق السريعة السير . الرغد : جمع رفود وهي التي تملأ الرغد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة .

[128] - فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته

[ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي]

فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن¹ أبي عون قال : كان عمارة بن الوليد المخزومي بعد ما مشيت قريش بعمارة إلى² أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وكانا كلاهما تاجرين ، إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً ، وكلاهما مُشركٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليتهما ؛ وكان عمارة مُعجباً بالنساء صاحبَ محادثة ؛ فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما . فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قبّليني . فقال لها عمرو : قبّلي ابن عمك فقبلته . وحذّر عمرو على زوجته فرصدها ورصده ، فجعل إذا شرب معه أقل عمرو من الشراب وأرقّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله . وجعل عمارة يُراودها³ على نفسها فامتنعت منه . ثم إن عمرواً جلس إلى ناحية السفينة يبول ؛ فدفعه عمارة في البحر . فلما وقع فيه حتى أخذ بالقلس⁴ فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السباحة ما فعلتُ . فاضطغنهما عمرو وعلم أنه أراد قتله . فمضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرضَ الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد . فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنْبِه ابنا الحجاج⁵ إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شر ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون . وإني أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُ . فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم : أنت تخاف عمرواً على عمارة ! وقد خلعنا نحن عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، فخلّ بين الرجلين . فقال السهميون⁶ : قد قبلنا ، فابعثوا منادياً بمكة أنا قد خلعناهما .

1 ل : عن .

2 ل : إلى آل .

3 ل : يريد .

4 القلس : جبل غليظ من جبال السفن .

5 هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سهم ، ماتا على الشرك في غزوة بدر .

6 السهميون : قوم عمرو بن العاص .

وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جر عليهم ، فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك . فقال الأسود بن المطَّلَب : بَطَلُ والله دُمُ عُمارة بن الوليد آخر الدهر ؛ فلما اطمأنَّا بأرض الحبشة لم يلبث عُمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها . فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أَصَدَّقَكَ أنك قَدَرْتَ على هذا الشأن ، إن المرأة أرفع من ذلك . فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره ، وقد كان صدقه ولكن أحبَّ التَّثَبُّت ، وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السَّحَر ، وكان في منزلٍ واحدٍ معه ؛ وجعل عُمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول : إن هذا يشغلك عن مَدْحِكَ ، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفْعَهُ إن هو رَفَعَهُ إلى النجاشي فقال له في بعض ما يُذكر له من أمرها : إن كنتَ صادقاً فقل لها تَدُهْنُكَ من دُهْنِ النجاشي الذي لا يَدُهْنُ به غيره فإني أعرفه ، لو أَتَيْتَنِي به لصدَّقْتُكَ . ففعل عُمارة [فجاء] بقارورة من دُهْنه ؛ فلما شَمَّه عَرَفَهُ . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادقٌ ! لقد أَصَبْتَ شيئاً ما أَصاب أحدٌ مثله قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ، وكانوا أهلَ جاهلية ، ثم سكت عنه ؛ حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابن عمِّي سفيهٌ ، وقد خَشِيتُ أن يَعَرِّيَنِي¹ عندك أمره ، وقد أردتُ أن أُعَلِّمَكَ شأنه . [ولم أفعل] حتى استثبتُ أنه قد دخل على بعض نساءك فأكثر وهذا من دُهْنِكَ قد أُعْطِيَهُ ودَهْنَتِي منه . فلما شمَّ النجاشي الدُهْنَ قال : صدَّقْتَ ، هذا دُهْنِي الذي لا يكون إلا عند نسائي . ثم دعا بعُمارة ودعا بالسواحر ، فجردوه من ثيابه فنَفَخْنَ في إحليله ، ثم خلَّي سبيلَه فخرج هارباً . فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمر بن الخطاب . فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اسمه قبل أن يسلم بَحِيرًا فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُهُ مع الوحش ، فورد ؛ فلما وجد رِيحَ الإنس هَرَبَ ؛ حتى إذا أَجْهَدَ العطشُ وَرَدَ فشَرِبَ حتى تَمَلَأَ ، وخرجوا في طلبه . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : فسعيت إليه فالتزمته ، فجعل يقول لي : يا بَحِيرُ أُرْسِلْنِي ! يا بَحِيرُ أُرْسِلْنِي ! إني أموت إن أمسكتموني . قال عبد الله : وضغطته² فمات في يدي مكانه . فواراه ثم انصرف . وكان شعره قد غطَّى على كل شيء منه .

قال الواقدي عن ابن أبي الزناد : وقال عمرو لعُمارة : يا فائد ، إن كنتَ تحب أن أَصَدَّقَكَ بهذا أو أَقْبَلَهُ منك فأتني بثوين أصفرين . فلما رأى النجاشي الثوين قال له عمرو : أتعرف الثوين ؟ قال نعم .

1 عره : لطحه بعب .

2 ل : وضبطته .

وقال الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه ، قال النجاشي لعمارة : إني أكره أن أقتل قرشياً ، ولو قتلتُ قرشياً لقتلتك ، فدعا بالسواحر .

[شعر عمرو بن العاص في عمارة]

فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة وما صنع به ، قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجده :

[من الطويل]

تَعَلَّمْ عُمَارُ أَنْ مِنْ شَرِّ شَيْمَةٍ	لمثلِكَ أَنْ يُدْعَى ابْنُ عَمٍّ لَهُ ابْنَمَا
وَأَنْ كُنْتَ ذَا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرْجَلًا	فَلَسْتَ بِرَاعٍ لِابْنِ عَمِّكَ مَحْرَمًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ	وَلَمْ يَنْهَ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَمَّمَا
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ يَسِيرًا وَأَصْبَحَتْ	إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلَأُ الْفَمَا
فَلَيْسَ الْفَتَى وَلَوْ أَتَمَّتْ عِرْوَقُهُ	بِذِي كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمًا ¹
صَحِبَتْ مِنَ الْأَمْرِ الرِّفِيقِ طَرِيقَهُ	وَوَلَّيْتُ غَيَّ الْأَمْرِ مَنْ قَدْ تَلَوَّمَا
مِنْ الْآنَ فَانْزِعْ عَنْ مَطَاعِمِ جَمَةٍ	وَعَالِجْ أُمُورَ الْمَجْدِ لَا تَتَنَدَّمَا

[شعر خولة بنت ثابت في عمارة]

قال إسحاق وحدثني الأصمعي : أن خولة بنت ثابت أخت حسان قالت في عمارة لما

[من المنسرح]

سُحِرَ :

يَا لَيْلَتِي لَمْ أَنْتُمْ وَلَمْ أَكْدِ	أَقْطَعُهَا بِالْبُكَاءِ وَالسَّهْدِ
أُبْكِي عَلَى فِتْيَةٍ رَزَتْهُمْ	كَانُوا جِبَالِي فَأَوْهَنُوا عَضْدِي
كَانُوا جَمَالِي وَنُصْرَتِي وَبِهِمْ	أَمْنَعُ ضَيْمِي وَكُلُّ مُضْطَهْدِ
فَبَعْدَهُمْ أَرْقُبُ النُّجُومَ وَأَذِ	رِي الدَّمْعَ وَالْحُزْنَ وَالْجَّ كَيْدِي

قال الأصمعي واجتاز ابن سريج بطويس ومعه فتية من قريش وهو يغنيهم في هذا الصوت ، فوقف حتى سمعه ، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيّد من غناه .

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنغم العشر والثماني النغم منها هي المشهورة المعروفة عند الرواة وفي روايات الرواة وعند المغنين .

[كان عبيد الله يرسل المعتضد على لسان جواريه]

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يرسل المعتضد بالله إذا استزار جواريه على ألسنتهن

ومع ذوي الأنس عنده من رُسله : مع أحمد بن الطَّيِّب وثابت بن قُرَّة الطائي ، يذكر النِّغم وتفصيلَ مجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحناً يجمعُ النِّغم العشر في قول دريد بن الصُّمَّة :

يا ليتني فيها جَذَعُ أَخْبُ فيها وَأَضَعُ

[كان المكتفي يرسله في الغناء]

وصنع صنعةً مُتَقَنَةً جيدة ، منها ما سمعناه من المُحَسِّنِينَ والمُحَسِّنَات ومنها ما لم نسمعه ، يكون مبلغُها نحو خمسين صوتاً . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح في أغاني الخلفاء . ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسخُها : «قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في :

يَوْمُ تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةً عَنْ جِيٍّ يَدِ تَلِيْعٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَأُ
وَشَيْتٍ كَالْأَقْحَوَانِ جَلَاهُ الطُّ لُ فِيهِ عَذْوَةٌ وَاتَّسَأُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفحْتُ غناء العرب كله ، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من :

عَاذَكَ اِهْمُ لَيْلَةَ الْإِيْجَافِ مِنْ غَزَالٍ مُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ
ولحنه خفيفٌ ثَقِيلٌ لابن مُحَرِّزٍ ؛ فَإِنْ إِيْقَاعُهُ سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ دَوْرًا . ثم لحن معبد :

هُرَيْرَةٌ وَدَعَّهَا وَإِنْ لَمْ لَائِمُ غَدَاةً غَدِ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ
وهو أحد سَبْعَةٍ¹ . ولحنه خفيفٌ ثَقِيلٌ ، ودور إيقاعه سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ دَوْرًا ، إلا أن صوت ابن مُحَرِّزٍ سُدَّاسِيٌّ في العروض من الخفيف ، وصوت معبد ثَمَانِيٌّ من الطويل ؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر . وما زلنا حتى تهيأ لنا شعرٌ رباعيٌّ في سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، دور إيقاعه سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ دَوْرًا ، وهو يجمع من النِّغم العَشِيرَ ثَمَانِيًّا ؛ وهذا ظريفٌ جداً بديعٌ لم يكن مثله . وأما الصوت الذي في تهنئة النُّوروز فَلَا تُنْفَسْنَا عَمِلْنَاهُ ، إذ لم يكن لنا مَنْ يَدَبِّرُ مثل هذا معه غيره . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر ، وإيقاعُ كل واحد منهما خفيفٌ ثَقِيلٌ ، والصنعة فيهما تُسْتَظَرَفُ :

[من الكامل]

1 أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة .

جُمِعَ الخلائفُ كلهم لجميع ما بلَغُوا وأعطُوا في الإمام المكتفي
 وله الهدايا ألفُ نوروزٍ وهـ لَذا الشعرُ منها لَحْنُه لم يُعرَفِ
 والآخر :

دولَةُ المكتفي الخليف فة تُفني مَدَى الدُّولِ
 يومُ عِيدٍ ويومُ عُر سِ فما بعدها أَمَلُ

الصنعةُ في البيت الأول خاصة تدور على ستة وخمسين إيقاعاً .
 هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله . وما سمعتُ أحداً يغني هذين الصوتين . وقد
 عرضتهما على غير واحد من المتقدمين ومن مغنيات القصور فما عرفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما
 في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرهما .

[129] - الأرمال الثلاثة المختارة

[الأرمال المختارة والكلام عنها]

أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي ، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق ، وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خرداذبه قال قال إسحاق : أجمع العلماء بالغناء أن أحسنَ رَمَلٍ غُنِّيَ رَمَلٌ :

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ

[من الطويل]

ثم رمل :

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

[من الطويل]

ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل :

لعلَّكَ إن طالت حياتُكَ أن تَرَى

لاستحيَا أن يصنع بعده شيئاً . وفي روايتي وكيع وعلي بن يحيى «ولعلم أني نعم الشاهد له» .

[الصوت الأوَّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة]

نسبة الأصوات وأخبارها
صوت

[من الطويل]

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتنَ ذا هوى

فكم من قتيلٍ ما يُبَاءُ به دمٌ ومن غلتي رهناً إذا لفه مني¹

ومن مالىء عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحوَ الجمرَةِ البيضِ كالدمى

يُسجِّبنَ أذيالَ المروطِ بأسوقٍ خِجالٍ وأعجازٍ مآكمها رِوَا²

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رملٌ بالبصرة . وقد كان غلويه فيما بلغنا صنع فيه رملًا ، وفي «أفاطم مهلاً» خفيفَ رملٍ ، وفي «لعلَّكَ إن طالت حياتُكَ» رملًا آخر ، ولم يصنع شيئاً وسقطت أَلحانُه فيها فما تكادُ تُعرف . وهذه الأبيات

1 أباء فلان القتل بالقاتل : قتله به . وغلقت الرهن في يد المرتهن : لم يقدر الرهن على افشاكه في الوقت المشروط .

2 الأسوق : جمع ساق . المأكمة : العجيزة .

يقولها عمرُ بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم .

[ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عياش قال : حجّبتُ أمّ عمرو بنت مروان ، فلما قضت نُسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء معها ، فحادثته ثم انصرفت ، وعادت إليه مُنصرَفاً من عرفات وقد أثبتها . فقالت له : لا تذكرني في شعرك . وبعثت إليه بألف دينار . فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردته . فقال : إذا والله أنهيه الناس فيكون مشهوراً ؛ فقبلته . وقال فيها :

أيُّها الرائحُ المُجدُّ ابتكاراً قد قضى من زهامة الأوطار
مَنْ يكن قلبه الغداة خلياً ففؤادي بالخيفِ أُمسى مطاراً
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلُّ يومين حِجَّةً واعتماراً

قال ابن كُناسة قال ابن عياش : فلما وَجَّهت منصرفاً قال فيها :

فكم من قَتيلٍ ما يُبَاء به دَمٌ ومن غَلِقٍ رهناً إذا لَفَّه مِنِي
قال : ويروى «ومن غَلِقٍ رهني» كأنه قال ومن رهني غَلِقِي ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رهناً ؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدَنَفٍ ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ .
قال الزبير وحدثني مُسلم بن عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب عن أبيه قال : أنشده ابنُ أبي عتيق فقال : إن في نفس الجميل ما ليس في نفس الجمال .

قال : وقال عبد الله بن عمر ، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا : يا ابن أخي ! أما اتَّقيتَ اللهَ حيث تقول :

ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلُّ يومين حِجَّةً واعتماراً

فقال له عمر بن أبي ربيعة : بأبي أنت وأمي ! إني وضعت لَيْتاً حيث لا تُغني .

[أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مُصعب بن عثمان : أن عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافة لم تكن له همة إلا عمرَ بن أبي ربيعة والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر . فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُدهما واحمِلهما إليّ» . فلما أتاه الكتاب حملهما إليه . فأقبل على عمر فقال له هيه ! :

[من الطويل]

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليلالي الحجِّ أَفْلَتَنَ ذا هوى
وكم مالى عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحوَ الجمرَةِ البيضاء كالدمى

[نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك]

فإذا لم يُفَلتِ الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفَلتون ! أما والله لو اهتممتَ بأمر حَجَك لم تنظر إلى شيءٍ غيرك ! ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أو خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أعاهد الله ألا أعودَ إلى مثل هذا الشعر ولا أذكرَ النساء في شعرٍ أبداً وأجددَ توبةً على يدك . قال : أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلأه . ثم دعا بالأحوص فقال هيه ! :

الله بيني وبين قَيمِها يهربُ مني بها وأتبعُ

بل الله بين قَيمِها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى بيش¹ ، وقيل إلى دَهْلَك وهو الصحيح ، فنفي إليها ، فلم يزل بها . فرحل إلى عمرَ عدةٍ من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يُقدّمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقَدَمَهُ² وموضعه وقد أُخرج إلى بلاد الشرك ، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه . فقال لهم عمر : من الذي يقول : [من الطويل]

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهتَ حتى ما أكاد أُحيرُ

وفي رواية الزبير «أجيب» مكان «أحير» ، قالوا : الأحوص³ . قال : فمن الذي يقول :

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جَعْفَرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بدُّ أن سيزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

كأن لُبْنَى صَبِيرُ غادِيَةٍ أو دُمِيَّةٌ زُيْنَتُهَا البَيْعُ⁴
الله بيني وبين قَيمِها يهربُ مني بها وأتبعُ⁵

قالوا : الأحوص : قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أردّه ما كان لي سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلأه . قال : وكب إلى

1 بيش : من بلاد اليمن قرب دهلَك .

2 ل : وقديمه .

3 نسب هذا البيت لعروة بن حزام .

4 الصبير : السحابة البيضاء .

5 يهرب في الديوان : يفر .

عمر بن عبد العزيز من موضعه ، قال الزبير : أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات : [من الطويل]

أيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبَلَّغْنِ هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي
وَقُلْ لِأَبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفْعاً قَلِيلَ الْغَوَائِلِ
أَفِي اللَّهِ أَنْ تُدْنُوا ابْنَ حَزْمٍ وَتَقْطَعُوا قُوَى حُرُمَاتِ بَيْنِنَا وَوَصَائِلِ¹
فَكَيْفَ تَرَى لِلْعَيْشِ طَيِّباً وَلَذَّةً وَخَالِكَ أَمْسَى مُوثِقاً فِي الْحَبَائِلِ
وَمَا طَمِعَ الْحَزْمِيُّ فِي الْجَاهِ قَبْلَهَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ عَادِلِ
وَشَى وَأَطَاعُوهُ بِنَا وَأَعَانَهُ عَلَى أَمْرِنَا مَنْ لَيْسَ عِنَّا بِغَافِلِ
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الْقَرَابَةَ لَمْ تَدْعُ وَلَا الْحُرُمَاتِ فِي الْعَصْرِ الْأَوَائِلِ
إِلَى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ذِي حِجْيٍ بِأَمْرِ كَرِهْنَاهُ مَقَالاً لِقَائِلِ
يُسَرِّ بِمَا أَنْهَى الْعَدُوَّ وَإِنَّهُ كَنَافِلَةٍ لِي مِنْ خِيَارِ النَّوَائِلِ
فَهَلْ يَنْقُصَنِي الْقَوْمُ أَنْ كُنْتُ مُسْلِماً بَرِيئاً بِلَائِي فِي لَيْالٍ قَلَائِلِ
أَلَا رَبُّ مَسْرُورٍ بِنَا سَيَعِظُهُ لَدَى غَيْبٍ أَمْرُ عَضُّهُ بِالْأَنَامِلِ
رَجَا الصُّلْحَ مِنِّي أَلْ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي عَلَى دِينِهِمْ جَهْلًا وَلَسْتُ بِفَاعِلِ
أَلَا قَدْ يُرْجُونَ الْهَوَانَ فَإِنَّهُمْ بَنُو حَبَقٍ نَاءٍ عَنِ الْخَيْرِ فَائِلِ²
عَلَى حِينَ حَلَّ الْقَوْلِ بِي وَتَنْظَرْتُ عَقَوَتَهُمْ مِنِّي رُؤُوسُ الْقَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلاً بِشِمَاتِي بِمَا حَلَّ بِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ
فَقَدْ عَجِمْتُ مِنِّي الْعَوَاجِمُ مَا جَدَا صَبوراً عَلَى عَضَاتِ تِلْكَ التَّلَائِلِ³
إِذَا نَالَ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ

قال الزبير : وقال الأحوص أيضاً :

هَلْ أَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي [من الطويل]
مَتَمُّمٌ أَجْرٍ قَدْ مَضَى وَصَنِيعَةٍ
فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ سَائِلٍ ذِي كَشَاحَةٍ بَوْدُكَ مِنْ وَدِّ الْعِبَادِ لِقَانِعُ
لَكُمْ عِنْدَنَا أَوْ مَا تُعَدُّ الصَّنَائِعُ لَكُمْ عِنْدَنَا أَوْ مَا تُعَدُّ الصَّنَائِعُ
وَمُنْتَظَرٍ بِالْغَيْبِ مَا أَنْتَ صَانِعُ وَمُنْتَظَرٍ بِالْغَيْبِ مَا أَنْتَ صَانِعُ

1 ووصائل في ل : ووسائل .

2 الحبق : الضراط .

3 التلائل : الشدائد .

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخل سبيله عمرُ ؛ حتى ولي يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حَبَابَةٌ بصوت في شعره .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن حسان : كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنته يوماً : [من الطويل]

كريمُ قريشٍ حين يُنسبُ والذي أقسرتُ له بالملكِ كهلاً وأمرداً

فطرب يزيد وقال : ويحك ! من كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك ! قال : ومن قائل هذا الشعر في ؟ قالت : الأحوص وهو منفي . فكتب برده وحمله إليه وأنفذ إليه صلاتٍ سنية . فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه . وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تمت إلينا بحق ولا صهرٍ ولا رَجِمَ إلا بقولك : [من الطويل]

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمعٌ

لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات . وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحة في أول ما مضى من ذكره وأخباره ؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز وأشخصا من أجلهما .

[سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف]

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال : قال مصعب بن عبد الله قال : حج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له : ألسن القائل :

فكم من قتيلٍ ما يُبَاء به دمٌ ومن غلّتي رهناً إذا لفه مني

ومن مالى عينية من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يسجبن أذيال المروط بأسوقٍ خِذالٍ وأعجاز مآكمها رِوَا

أوانسُ يسلبن الحليم فؤاده فيا طول ما شوقٍ ويا طول مُجتلى

قال نعم . قال : لا جرم والله لا تحضر الحج العام مع الناس ! فأخرجه إلى الطائف .

[ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال : قديم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج : [من الطويل]

فلم أر كالتجمير منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

فقال : ما سمعت كالיום قط ، وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة ، وأمر له بمال وحدره

معه إلى المدينة ، وقال : لأَصْغُرَنَّ¹ إلى معبد نفسه ولأُهدين إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثله حسناً وظرفاً وطيب مجلس ودمائه خلُق ورقة منظر ومِقةً عند كل أحد . فقدم به المدينة وجمع بينه وبين معبد . فقال لابن سريج : ما تقول فيه ؟ قال : إن عاش كان مغني بلاد .

[أبو السائب وابن سريج]

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال : قال لي أبو السائب يوماً : ما معك من مرقصات ابن سريج ؟ فغنيته :

[من الطويل]

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ

فقال : كما أنت حتى أتحرّم لهذا بركتين .

[الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج]

حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزُّبيري قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج . فورد الرسول إلى الوالي ، فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قرني بئر وهو يغني :

[من الطويل]

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كالיום قطُّ ولا رأيتُ أحقَّ ممن يتركك ويبعث إلى غيرك . فقال له ابن سريج : أما والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق ، ولكنه بِقَسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب ، وبعث الوالي إلى ابن سريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك .

[عبد الله بن الزُّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي قال رَقِيَ عبد الله بن الزُّبير أبا قُبَيْس² ليلاً ، فسمع غناء فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال : لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب ، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً . فأتبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنى في شعر عمر :

[من الطويل]

فلم أرَ كالتجمير منظرَ ناظرٍ

[ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرئ القيس]

[من الطويل]

ومن هذه الأرمال الثلاثة :

1 ل : لأَصْغُرَنَّ .

2 أبو قُبَيْس : جبل بمكة .

صوت

أفأطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّ
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي .
أغرِّكُ منِّي أنْ حبَّكَ قاتلي وأنتِ مهما تأمري القلبَ يفعل
الشعر لامرئ القيس . والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبصرة .

[شيء من معلقته وشرحه]

وفي هذين البيتين مع أبيات أخر من هذه القصيدة ألحان شتى لجماعة نذكرها هاهنا
ومن غنى فيها ، ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنى فيه من
القصيدة معه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
فتوضِّحْ فالقِراءَ لم يعفَ رسمها
أفأطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّ
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي
فسلِّي ثيابي من ثيابك تنسل
وأنتِ مهما تأمري القلبَ يفعل
بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتل
وليس فؤادي عن هواك بمنسلي
بصبح وما الإصباحُ فيك بأمثل
تمتعتُ من هو بها غير مُعجل
عليّ حراساً لو يُسرُّون مقتلي
ولا سيما يومَ بدارة جُلجل
فَواعجبي من رَحَلها المتحمِّل
بمنجريد قِيدِ الأوابِدِ هيكل
كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عل
ولا تُبعدينا من جنَّاك المُعلِّل
فَقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
فتوضِّحْ فالقِراءَ لم يعفَ رسمها
أفأطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّ
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي
فسلِّي ثيابي من ثيابك تنسل
وأنتِ مهما تأمري القلبَ يفعل
بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتل
وليس فؤادي عن هواك بمنسلي
بصبح وما الإصباحُ فيك بأمثل
تمتعتُ من هو بها غير مُعجل
عليّ حراساً لو يُسرُّون مقتلي
ولا سيما يومَ بدارة جُلجل
فَواعجبي من رَحَلها المتحمِّل
بمنجريد قِيدِ الأوابِدِ هيكل
كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عل
ولا تُبعدينا من جنَّاك المُعلِّل

عروضه من الطويل . وسقط اللوى مُنْقَطَعَه . واللوى : المستدق من الرمل حيث يستدق
فيخرج منه إلى اللوى . والدُّخولُ وحومَلٌ وتوضِّحُ والقِراءُ : مواضع ما بين إمرة إلى أسود¹

1 إمرة : منزل في طريق مكة من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة ، وبعد رامة وهي منهل . وأسود العين : جبل
ينجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة .

العين . وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سقط وسقط وسقط ثلاث لغات . وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَرْن والرمل فصلاً بينهما . وقال الأصمعي : قوله « بين الدَّخُول فحومل » خطأ ولا يجوز إلا بواو « وحومل » ؛ لأنه لا يجوز أن يقال : رأيت فلاناً بين زيد فعمرو ، إنما يقال وعمرو ؛ ويقال : رأيتُ زيداً فعمراً إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز « فحومل » كما يقال : مُطَرْنَا بين الكوفة والبصرة ، كأنه قال : من الكوفة إلى البصرة ، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين ؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو . وَيَعْفُ رُسْمُهَا : يدرُس . ونسجتها : ضربتها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمال فتكشفه . وقال غير أبي عبيدة : المقرأة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء . والرسم : الأثر الذي لا شخص له . ويروى « لما نسجته » يعني الرسم . ويقال عفا يعفو عُفْواً وَعَفَاءً ؛ قال الشاعر : [من الوافر]

على آثار من ذهب العَفَاء

يعني نحو الأثر . وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلاً» بنت العُبَيْد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كِنانة بن عوف بن عُذرة ، وهي التي يقول فيها : [من المتقارب]

لا وأبيك ابنة العامري¹

وَأَزْمَعَتِ صُرْمِي ، يقال أَزْمَعَتِ وَأَجْمَعَتِ وعزمت وكله سواء . يقول : إن كنتِ عزمتِ على الهجر فأجملِي . ويقول الأسير : أَجْمِلُوا في قتلي ، قتلة أحسن من هذه ، أي على رفيق وجميل . والصُّرْم : القطيعة ، والصُّرْم المصْدَر ؛ يقال : صرمته أَصْرِمَهُ صَرماً مفتوحاً إذا قطعته ، ومنه سيف صارم أي قاطع ، ومنه الصُّرَام² ، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه . وقوله : «سُلِّي ثيابي من ثيابك» كناية ، أي اقطعي أمري من أمرك . وقوله تَنْسَلُ : تَبِنُ عنها . ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنَّصْل إذا سقط : نَسَل ينسل ، وهو النسيل والنسال . وقال قوم : الثياب : القلب . وقوله : «وما ذرفت عيناك» أي ما بكيت إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مُقْتَل . قال الأصمعي : يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً مُعَشَّراً ، أي مُكْسَراً ؛ شبهه بالبرمة إذا كانت قِطْعاً ، ويقال : برمة أعشار . قال : ولم أسمع للأعشار واحداً . يقول :

1 يريد قوله :

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر

في قصيدته التي مطلعها :

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما ياتمر

2 الصرام : جذاذ النخل أي أوان إدراكه .

لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلني قلبى مخرقاً فاسداً كما يُخرق الجابر أعشار البرمة ؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرجت وأصلحت ، زال القلب لا ينجبر . قال : ومثله قوله : [من الطويل]

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة

أي نظرت إليك فأقرحت قلبك . وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين : إنما هذا مثل أعشار الجزور ، وهي تنقسم على عشرة أنصياء ، فضربت فيها بسهميك المَعْلَى وله سبعة أنصياء والرقب وله ثلاثة أنصياء ؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كله . مقتل أي مذل ؛ يقال بعير مقتل أي مذل . تسلت : ذهبت . يقال : سلوت عنه وسليت إذا طابت نفسك بتركه . قال رؤبة :

لو أشرب السلوان ما سليت

والعمایات : الجهالات . عدّ الجهل عمي . والصبا : اللعب . قال ابن السكيت : صبا يصبو صبواً وصبواً وصباءً وصياً . انجل : انكشف . والأمر الجلي : المنكشف . وقوله : أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور ؛ ومنه جلاء العروس وجلاء السيف . وقوله «فيك بأمثل» يقول : إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل ؛ لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد . يقول : ليس الصبح بأمثل وهو فيك ، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه . ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال : منك بأمثل . ومثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء الصبح والليل باق :

فلما تجلّى الصبح عنها وأبصرت وفي غبش الليل الشخصوص الأبعاد

غبش الليل : بقيته . هذا قول يعقوب بن السكيت . «وبيضة حدر» شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها . «غير معجل» أي لم يجعلني أحدّ عما أريده منها . والخياء : ما كان على عمودين أو ثلاثة . والبيت : ما كان ستة أعمدة إلى تسعة . والخيمة : من الشعر . وقوله : «يسرون مقتلي» ، قال الأصمعي : يسرونه ؛ وروى غيره : يسرون بالشين المعجمة أي يظهرونه . وقال الشاعر :

فما برحوا حتى أتى الله نصره وحتى أشيرت بالأكف الأصابع

أي أظهرت . وقال غيرهما : لو يسرونه : من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني . قال أبو عبيدة : «دائرة جُلجل» في الحِمَى ؛ وقال ابن الكلبي : هي عند عين كندة . ويروى سيمًا مخففة وسيمًا مشددة . ويقال : رُبَّ رجل ورُبَّ رجل ورُبَّت رجل . ومن القراء من يقرأ «رُبما يودّ الذين كفروا» مخففة . وقرأ عليه رجل «رُبما» فقال له :

أَظُنُّكَ يُعْجِبُكَ الرَّبُّ¹ .

ويروى :

[من الطويل]

فيا عجباً من رحلها المُتَحَمِّلِ

أي يا عجباً لسفهي وشبابي يومئذٍ . ويروى :

[من الطويل]

وقد أغتدي والطير في وكراتها

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنَاتُ في الجبال كالتماريد² في السهل ، والواحدة أُكَنَةٌ وهي الوُقُنَات ، والواحدة أَقَنَةٌ ، وقد وَقَنَ يَقِنُ . وقال الأصمعي : إذا أوى الطيرُ إلى وكره قيل وَكَرَّ يَكِرُ وَوَكَنَ يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وَكُنَّ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشعرة ، وذلك من العتق . والأوبد : الوحش ، وتأبدت : توحَّشت ، وتأبد الموضع إذا توحش . وقيد الأوبد : يعني الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ؛ ومنه سُمِّيَ بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عبيدة : يقال : قيد الأوبد وقيد الرهان ، وهو الذي كأن طريدته في قيدٍ له إذا طلبها ، وكأن مُسَابِقَه في الرهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأول من قيدها امرؤ القيس . والمنجرد : القصير الشعرة الصافي الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكله ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العبل الكثيف اللين . وقوله «مِكْرٌ مِفْرٌ» يقول : إذا شئتُ أن أكر عليه وجدته ، وكذلك إذا أردتُ أن أفر عليه أو أقبلَ أو أدبر . والجلمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل حطَّها من علٍّ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها . «من علٍّ» : من فوق . ويقال من علٍّ ومن علٍّ ومن علٍّ ومن علٍّ ومن علٍّ . ومن علٍّ ومن مُعالٍ . وقوله «سيري وأرخي زمامه» أي هَوِّنِي عليك الأمرَ ولا تُبالي أَتَعِيرُ أم سَلِمَ . «وجناك» كل شيء اجتنيته من قُبلة وما أشبه : ذلك هو الجنى ، وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتني من ثمره . والمُعَلَّل : المُلَهَّي .

غنى في «قفا نبك» و«أفاطم مهلاً» و«أغرك» و«وما ذرفت عيناك» معبد لحناً من الثقيل الأول بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى . وغنى معبد أيضاً في الأول والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى . وغنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملًا . وغنَّت عَرِيبُ في :

[من الطويل]

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي

1 الرَّبُّ : ما يطبخ من التمر .

2 التماريد : جمع تِمْراد وهو برج صغير للحمام .

وبعده شعر ليس منه وهو : [من الطويل]

فلا تَحَرَّجِي من سفك مهجة عاشقٍ بلى فاقِلي ثم اِقْلي ثم فاقِلي
فلا تَدْعِي أن تفعلِي ما أَرَدْتِه بنا ، ما أراك الله من ذاك فافْعَلِي

ولحنها فيها خفيفُ رمل . وغنى ابن محرز في «تسلت عَمَايات الرجال» وبعده «ألا أيها الليل الطويل» ثاني ثَقِيل بالوسطى . وغنى فيهما عبد الله بن العباس الرِّبَيعي ثاني ثَقِيل آخر بالسَّبَّابة في مجرى البنصر . وغنت جميلة في «تسلت عَمَايات الرجال» وبعده «ألا رب يوم لك» لحناً من الثَقِيل الأول عن الهشامي . وغنت عَزَّة الميلاء في «تسلت عَمَايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثَقِيلاً أول آخر عن الهشامي . وغنت حُميدة جارية ابن تَفَاحة في «وبيضه خدر» وتجاوزت أحراساً لحناً من الثَقِيل الأول بالوسطى . ولطويس في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» ثَقِيل أول آخر . وفي «أفاطم مهلاً» وأغرك مني أن حبك قاتلي» ليزيد بن الرِّحَّال هزج . ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدى» و«مكر مفر» ثَقِيل أول . ولفلح في «قفا نبك» وبعده «أغرك مني» رمل . وقيل : إن لمبعد في «وبيضه خدر» لحناً من الثَقِيل الأول ، وقيل : هو لحن حُميدة . ولعريب في هذين البيتين خفيف ثَقِيل من رواية أبي العنَّس . وغنى سلام بن الغَسَّال ، وقيل بل عبدة أخوه ، في «وإن كنت قد ساءت لك مني» وأغرك مني» رمل بالوسطى . وغنى في «فقلت لها سيري وأرخي زمامه» سعدويه بن نصر ثاني ثَقِيل . وغنى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصلي ثَقِيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكي . وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثَقِيلاً . وغنى في «أغرك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرَّيج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكي ، وقيل : بل هو من منحوله . وغنى بُدَيْح مولى بن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثَقِيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكي . فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً : منها في الثَقِيل الأول تسعة أصوات ، وفي الثَقِيل الثاني ثلاثة أصوات ، وفي الرمل أربعة أصوات ، وفي خفيف الرمل صوتان ، وفي الهزج صوت ، وفي خفيف الثَقِيل ثلاثة أصوات .

[130] - ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره¹

[نسبه من قبل أبيه]

قال الأصمعي : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة . وقال ابن الأعرابي : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة . وقال محمد بن حبيب : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثور بن مُرتع بن معاوية بن كندة . وقال بعض الرواة : هو امرؤ القيس بن السَّمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة . وقالوا جميعاً : كندة هو كندة بن عُفَيْر بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وقال ابن الأعرابي : ثور هو كندة بن مُرتع بن عُفَيْر بن الحارث بن مرة بن عدي بن أدد بن زيد بن عمرو بن مِسَمَع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

وأم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومُهَلِّيل ابني ربيعة التغلبيين . وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السَّمط . أمه تَمَلِك بنت عمرو بن زيد بن مَدْحِج رَهْط عمرو بن معد يكرب . قال من ذكر هذا وأن أمه تملك : قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال² :

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمَّةً بأن امرأ القيس بن تَمَلِكَ يَقَرَا
يَقَرُّ أَي جاء العراق والحَضَر . ويقال : يقرر الرجل إذا هاجر . وقال يعقوب بن السُّكَيْت :
أم حُجْر أبي امرئ القيس أم قَطَام بنت سَلَمَة امرأة من عَنَزَة .
[كنيته ولقبه]

ويكنى امرؤ القيس ، على ما ذكره أبو عبيدة ، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أبا وهب .
وكان يقال له الملك الضِّلِيل ، وقيل له أيضاً ذو القُرُوح . وإياه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]
وَهَبَ القصائدُ لي النوايغُ إذ مَضَوْا وأبو يزيد وذو القروح وجَرُولُ
يعني بأبي يزيد المخَبَّل السَّعْدِي ، وجَرُولُ الحُطَيْئَة .

1 له ترجمة قصيرة جداً في الشعر والشعراء 105/1 .

2 ورد هذا البيت في ما زاده الطوسي والسكري وابن النحاس وأبو سهل الديوان ص 392 .

[مولده ومنزله سبب تسمية آباءه بأسمائهم]

قال : ووُلد ببلاد بني أسد . وقال ابن حبيب : كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل في حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرواة : إنما سُمِّي كِنْدَةَ لأنه كَنَدَ أباه أي عَقَهُ . وسُمِّي مُرْتَعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشيته . وسُمِّي حُجْرَ آكلُ المُرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلَةَ كان نائماً في حِجَرِ امرأته هند وهي تَقْلِيه جعل يأكل المُرار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألتها : ما تَرَيْنَ حُجْرًا فاعلاً ؟ قالت : كَأَنَّكَ به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المُرار . قال : وسُمِّي عمرو المقصور لأنه قد قُصِرَ على مُلْك أبيه أي أقعد فيه كَرهاً .

[قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنوشروان]

أخبرني بخبره ، على ما قد سَقَّته ونَظَّمْتُهُ ، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزوه ، وروى بعضه عن علي بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبي ، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عِقَال بن حبيب الغَسَّاني أحدُ ولد السَّمْوَل بن عادياء عن أشياخه ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل ، وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمع من أحد ورواية الهيثم بن عدي ويعقوب بن السَّكِّيت والأثرم وغيرهم ، لما في ذلك من الاختلاف ، ونسبتُ رواية كل راوٍ إذا خالف رواية غيره إليه ، قالوا : كان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه ، وكان أخوه معاوية وهو الجَوْن على اليمامة ، وأُمُّهُمَا شَعْبَةُ بنت أبي مُعَاهِر بن حسان بن عمرو بن تَبَع . ولما مات مَلِك بعده ابنه الحارث ، وكان شديد المَلِك بعيد الصَّبِيَّة . ولما ملك قُباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحُرْم وألا يمنع أحد منهم أخاه ما يريد من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحيرة ونواحيها . فدعاه قُباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارث بن عمرو فأجابه ؛ فشَدَّ له مَلَكه وأطرد المنذر عن مملكته وغَلَب على ملكه . وكانت أمُّ أنوشروان بين يدي قُباذ يوماً ، فدخل عليه مَزْدَك . فلما رأى أمُّ أنوشروان قال لقباذ : ادفعها لي لأقضي حاجتي منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله وَيَضْرَعُ إليه أن يَهَبَ له أُمُّه حتى قَبِلَ رجله فتركها له ؛ فكانت تلك في نفسه . فهَلَك قُباذ على تلك الحال ، وملك أنوشروان فجلس في مجلس المُلْك . وبلغ المنذر هلال قُباذ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذن أنوشروان للناس ، فدخل عليه مَزْدَك ثم دخل عليه المنذر .

فقال أنوشروان : إني كنت تمنيت أمنيّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي . فقال مزّك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أمّلك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزّك : أوتستطيع أن تقتل الناس كلّهم ؟! قال : إنك لها هنا يا ابن الزانية ! والله ما ذهب تننُ ربحَ جَوْرَبِك من أنفي منذ قُبِلْتُ رجلكَ إلى يومي هذا ! وأمر به فقتل وصلب ، وأمر يقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر¹ إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم ؛ وسُمّي يومئذٍ أنوشروان . وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو ؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، وكان بها منزله ، وإنما سميت الأنبارُ لأنه كان يكون بها أهراء² الطعام وهي الأنابير ، فخرج هارباً في هجائه وماله وولده فمرَّ بالثوية³ ؛ وتبعه المنذرُ بالخيَل من تغلب وبهراء⁴ وإيادٍ ، فلحق بأرض كلب فنجا ، وانهبوا ماله وهجائه . وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفَر الأملاك في ديار بني مَرِينا العباديين بين دِير هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

فأَبُوا بالنُّهابِ وبالسَّبَايا وأَبَا بالملوكِ مُصَفِّدِينَا

وفيهـم يقول امرؤ القيس :

[من الوافر]

ملوكٌ من بني حُجْر بن عمرو يُساقون العَشِيَّةَ يُقْتَلُونَا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديارِ بني مَرِينَا
ولم تُغسلْ جماجمُهم بغسلٍ ولكن في الدماءِ مُرْمَلِينَا⁵
تَظَلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم وتنتزعُ الحواجبَ والعيونا

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كلب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كِنْدَةَ تزعم أنه خرج إلى الصيد فالتَّظُّهُ بئيسٍ من الطُّبَاء فأعجزه ، فآلى أَلِيَّةً ألا يأكل أولاً إلا من كبده . فطلبته الخيل ثلاثاً فأتى بعد ثالثة وقد هلك جوعاً ، فشوي له بطنه ، فتناول فِلْدَةً من كبده فأكلها حارة فمات . وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكِنْدِي في أحد بني بَجِيلَة : [من الكامل]

فَشَوُوا فكان شِوَاؤُهُم خَبَطاً له إن المنيَّةَ لا تُجِلُّ جَلِيلَا

1 جازر : قرية من نواحي النهروان .

2 الأهراء : الأكوام .

3 الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة .

4 بهراء : قبيلة باليمن .

5 مرملين : ملطخين .

6 أَلْظَ به : لزمه وألح عليه ليصطاده .

وزعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباذ بن فيروز لم يُملك الحارث بن عمرو وأن تبعاً الأخير هو الذي ملكه . قال : ولما أقبل المنذر إلى الحيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهيت . وصار الحارث إلى مُسحِلان¹ فقتلته كلب . وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه .

[الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب]

وقال الهيثم بن عدي حدثني حماد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية² بن عريض من يهود تيماء قال : لما قتل الحارث بن أبي شير الغساني عمرو بن حُجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عوف بن مُحَلَّم بن ذهل بن شيان ونزل الحيرة . فلما تفاسدت القبائل من يزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنا في دينك ونحن نخاف أن تتفاني فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض . ففرق ولده في قبائل العرب ، فملك ابنه حُجراً على بني أسدٍ وعطفان وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب³ على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرياب . وملك ابنه معديكرب وهو غلفاء (سُمي بذلك لأنه كان يُغلف رأسه) على بني تغلب والنمير بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم [بن مالك] بن حنظلة والصنائع وهم بنو ربيعة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب . وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس .

[مقتل حجر أبي امرئ القيس]

وقال ابن الكلبي حدثني أبي : أن حُجراً كان في بني أسد ، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة موثقة ؛ ففتر⁴ ذلك دهرأ . ثم بعث إليهم جاييه الذي كان يجيهم ، فمنعوه ذلك ، وحُجراً يومئذٍ بتهماته ، وضربوا رأسه وخرجوهم ضرباً شديداً قبيحاً . فبلغ ذلك حُجراً ؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من أخيه من قيس وكثانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ، فجعل يقتلهم بالعصا ، فسموا عبيد العصا ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يُساكنوهم في بلد أبداً ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي وكان سيّداً ، وعبيد بن الأبرص الشاعر . فسارت بنو أسد ثلاثاً . ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال : أيها الملك اسمع مقالتي :

[من مجزوء الكامل]

1 مُسحِلان : موضع .

2 سعية : أخو السمّول .

3 الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

4 غير : لبث وبقي .

يا عَيْنُ فابكي ما بني
أهل القبابِ الحمرِ والنَّد
وذوي الجيادِ الجردِ والأُ
جلاً أبيتَ اللعنَ جـ
في كلِّ وادٍ بين يثـ
تطريبُ عانٍ أو صيا
ومنعتهم نجداً فقد
برمتُ بنو أسدٍ كما
جعلتُ لها عُودين من
إمّا تركتُ تركتَ عَفـ
أنتَ المليكُ عليهمُ
ذُلُّوا لسوطك مثلَ ما
أسدٍ فهم أهلُ الندامة
عَمِ المؤئل والمدامة¹
سَلِ المثقفةُ المقامة
سلاً إن فيما قلتَ آمة²
رَبِّ فالقصورِ إلى اليمامة
ح مُحَرَّقٍ أو صوتُ هامة
حَلُّوا على وَجَلٍ تِهامة
برمتُ ببيضتها الحمامة
نَشَمَ وآخر من ثمامة³
سواً أو قتلتَ فلا ملامة
وهمُ العبيدُ إلى القيامة
ذلُّ الأشيقرِ ذو الخِزامة⁴

قال : فرَّقَ لهم حُجر حين سمع قوله ، فبعث في أثرهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة بن سودة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، فقال لبني أسد : يا عبادي ! قالوا : لبيك ربنا . قال : مَنْ الملكُ الأصهب ، الغلابُ غير المغلب ، في الإبل كأنها الرُّبْر ، لا يعلق رأسه الصُّخْب ، هذا دمه يشعب ، وهذا غداً أول من يُسَلَب . قالوا : مَنْ هو يا ربنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفسٌ جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية . فركبوا كل صعبٍ وذلول ؛ فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجْر فهجموا على قَبْته . وكان حُجابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خَدَّان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورُقبة ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حُجْر قد قتل أباه ، فطعنه من خللهم فأصاب نساءه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخواننا وبنو عَمِّنا ، والرجل بعيدُ النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم فشدُّوا على

1 المؤئل : المقتنى .

2 حلاً : أي تحل من يمينك . والآمة : العيب .

3 النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي .

4 الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب .

هجائنه فمزقوها ولقوه في رِبطه ييضاء وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رآته قيس وكِنانة انتهبوا أسلابه . ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال : أنا لهم جَارٌ .

قال ابن الكلبي : وعدة قبائل من بني أسد يدعون قتلَ حُجر ويقولون : إن عِلباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ولم يقتله هو .

قال ابن حبيب : خَدَّان في بني أسد وخَدَّان في بني تميم وفي بني جَدِيلَة بالخاء مفتوحة ، وخَدَّان مضمومة في الأزْد ، وليس في العرب غير هؤلاء .

قال أبو عمرو الشيباني : بل كان حُجْرٌ لما خاف من بني أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنَة أحد بني عَطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حُجر وعياله . وقال لبني أسد لما كَثُرُوا : أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحلٌ عنكم ومُخْلِيكم وشأنكم ؛ فواعدوه¹ على ذلك . ومال على خالد بن خَدَّان أحد بني سَعْد بن ثعلبة . فأدركه عِلباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال : يا خالد اقتلْ صاحبك لا يُفْلِتْ فِعْرُك² وإيانا بشرٌ ، فامتنع خالد . ومر عِلباء بقصدة³ رُحْ مكسورة فيها سِنانها ، فطعن بها في خاصرة حُجر وهو غافل فقتله . ففي ذلك يقول الأسدي :

وقصدة عِلباء بن قيس بن كاهل مَنِيَّة حُجْرٍ في جوارِ ابن خَدَّانِ

وذكر الهيثم بن عدي أن حُجْرًا لما استجار عُوَيْر بن شَجْنَة لبنيه وقَطِينه تحول عنهم فأقام في قومه مدة ، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلًّا بمن معه من الجنود . فتأمرت بنو أسد بينها وقالوا : والله لئن قهرَكم هذا لَيَحْكُمَنَّ عليكم حكمَ الصبي ، فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب ؛ فموتوا كراماً . فساروا إلى حُجر وقد ارتحل نحوهم فلَقَوْه فاقتتلوا قتالاً شديداً . وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث ؛ فحمل على حُجر فطعن فقتله ، وانهزمت كِنْدَة وفيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرسٍ له شقراء وأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا وملؤوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جوارِي حُجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم .

وقال يعقوب بن السكيت حدثني خالد الكِلَابي قال : كان سببُ قتل حُجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساءِ وأساء ولايتهم ، وكان يُقدِّم بعضُ ثقله أمامه ويُهَيِّئُ نَزْلَه ثم

1 ل : فواعدوه .

2 عرٌ فلان فلاناً بشر : أصابه به .

3 القصدة : القطعة .

يجيء وقد هبى له من ذلك ما يعجبه فينزل ، ويُقدّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزلة الأخرى . فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمِعوا فيه . فلما أظلمهم وضربت قبابه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان ؛ فقال : يا بني أسد ! مَنْ يتلقَى هذا الرجل منكم فيقتطعه ؟ فإنّي قد أجمعتُ على الفتك به . فقال له القوم : ما لذلك أحدٌ غيرك . فخرج نوفل في خيله على وجهين من قومه حتى أغار على الثقل فقتل مَنْ وجد فيه ، وساق الثقل وأصاب جارتين قيتين لحجر ، ثم أقبل حتى أتى قومه . فلما رأوا ما قد حدث وأنهم به عرفوا أن حَجراً يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجراً أمرهم ، فأقبل نحوهم . فلما غشيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبرقَيْن من الرمل في بلادهم يُدعيان اليوم أبرقي حُجر ، فلم يُلِثوا حُجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه . وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم : أي قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله . فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله ؛ فدعا غلاماً من بني كاهل ، وكان ابن أخته وكان حُجراً قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بُني ، أعندك خيرٌ فتأثر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك !؟ . فلم يزل بالغلام حتى حرّبه¹ ، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجر في قُبته التي حبس فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفي أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي ، فخلّوا عنه . وأقبل كاهنهم المزدرج فقال : أي قوم ! قتلتموه ! مُلكُ شهر ، وذُلُّ دهر . أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً .

[وصيته لبيه عند موته]

قال ابن السكيت : ولما طعن الأسدي حُجراً ولم يُجهز عليه ، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع ، وكان أكبرَ ولده ، فإن بكى وجزع فأله عنه ، واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ، وكان أصغرهم ، فأيتهم لهم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقُدوري ووصيتي . وقد كان بين في وصيته مَنْ قتله وكيف كان خبره . فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه .

[امرؤ القيس يثار بأبيه]

ثم استقراهم واحداً واحداً فكلهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالترد ؛ فقال له : قُتل حُجر . فلم يلتفت إلى قوله ؛ وأمسك نديمه . فقال له امرؤ

1 حرّبه : حرشه .

القيس : اضرب فضرِب . حتى إذا فرغ قال : ما كنت لأفسد عليك دَسْتَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره . فقال : الخمر علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجزّ نواصي مائة . وفي ذلك يقول :

أَرَقْتُ ولم يَأْرَقْ لِمَا بَسَى نَافِعٌ وَهَاجَ لِي الشَّوْقَ الْهَمُومُ الرُّوَادِعُ

وقال ابن الكلبي : حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي : أن حُجْرًا كان طرد امرأ القيس وإلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شدّاذ العرب من طييء وكَلْب وَبَكْر بن وائل ؛ فإذا صادف غديرًا أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ؛ وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقامهم وغتته قِيَانُهُ . ولا يزال كذلك حتى يَنقَد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدْمُون من أرض اليمن ، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصّاف . فلما أتاه بذلك قال :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَى دَمُونٍ دَمُونُ إِنَّا مَعَشَرٌ يَمَانُونُ

وَأَنَّا لِأَهْلِهَا مُجِئُونَ¹

ثم قال : ضِيعَنِي صَغِيرًا وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا . لا صَحَوَ الْيَوْمَ وَلَا سُكَّرَ غَدًا . «اليوم خمر ، وغدا أمر» فذهبت مثلاً . ثم قال :

خَلِيلِي لَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لَشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ إِذَا ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ

ثم شرب سبعا . فلما صحا إلى ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمرًا ، ولا يَدَهْن بَدَهْن ، ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه من جنابة ، حتى يُدْرِكَ بثأره . فلما جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ بَلِيلٍ أَهْلٌ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ²

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقَلَلُ³

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَهْمٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ⁴

فَأَيْنَ رَيْعَةٍ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَمِيمٍ وَأَيْنَ الْخَوْلُ⁵

1 لأهلها في الديوان ص 341 : لأهلنا .

2 أَرَقْتُ في الديوان ص 260 : عَجِبْتُ .

3 بِأَمْرِ في الديوان ص 260 : وَأَمْرٌ .

4 بَقَتْلُ في الديوان ص 260 : لَقَتْلُ . رَهْمٌ في الديوان ص 260 : رَهَا .

5 رَهَا في الديوان ص 260 : رَهْمٌ . تَمِيمٌ في الديوان ص 260 : تَمِيمٌ .

ألاً يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما أكل
وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قُتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني
حنظلة مقيماً لأن ظمّره كانت امرأة منهم . فلما بلغه ذلك قال : [من الرجز]

يا لَهْفَ هَندٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلًا القاتلين المَلِكَ الحَلاَجِلَا
تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا يَا خَيْرَ شَيْخٍ حَسَبًا وَنَائِلًا
وَخَيْرَهُمْ ، قَدْ عَلِمُوا ، فَوَاضِلًا يَحْمِلُنَا وَالْأَسَلَ النَوَاهِلَا
وَحَيٍّ صَعْبٍ وَالْوَشِيحَ الذَابِلَا مُسْتَشْفِرَاتٍ بِالْحَصَى جَوَافِلَا¹

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل . معنى قوله «مستشفرات بالحصى» : يريد أنها
أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها² فكأنها استشفرت به .
[هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة]

وقال الهيثم بن عدي : لما قُتل حُجْرُ انْحَازَتْ بَنْتُهُ وَقَطِينُهُ إِلَى عُوَيْرِ بْنِ شَجْنَةَ . فقال له قومه :
كُلُّ أَمْوَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ مَأْكُولُونَ ، فَأَبَى . فلما كان الليلُ حملَ هَنداً وَقَطِينَهَا وَأَخَذَ بِخَطَامِ جَمَلِهَا
وَأَشَامَ بِهِمْ فِي لَيْلَةٍ طَخِيَاءَ مُدْلَاهِمَةً . فلما أضاء البرقُ أبْدَى عَنْ سَاقِيهِ وَكَانَتْا حَمَشَتَيْنِ³ . فقالت
هند : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ سَاقِيَّ وَافٍ . فسمِعَهَا فَقَالَ يَا هَند : هُمَا سَاقَا غَادِرٍ شَرٌّ . فرمى بها النُّجَادَ
حَتَّى أَطْلَعَهَا نَجْرَانَ ، وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَسْتُ أَغْنِي عَنْكَ شَيْئاً وَرَاءَ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمُكَ ،
وَقَدْ بَرِثْتَ خَفَارَتِي . فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد ، منها قوله في قصيدة له : [من الطويل]

أَلَا إِنَّ قَوْمًا كَتُمُوا أَسْرَ دُونَهُمْ هُم مَنَعُوا جَارَاتِكُمْ آلَ غُدْرَانٍ⁴
عُوَيْرٌ وَمَنْ مِثْلُ الْعُوَيْرِ وَرَهْطُهُ أَبْرٌ بِمِشَاقٍ وَأَوْفَى بِجِيرَانٍ
هُم أَبْلَغُوا الْحَيَّ الْمُضَيِّعَ أَهْلَهُ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَنَجْرَانٍ
وقوله :

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يَرْبُوعاً وَعَفَّرَ دَارِمَا
فَمَا فَعَلُوا فَعَلَ الْعُوَيْرُ وَرَهْطُهُ لَدَى بَابِ حُجْرٍ إِذْ تَجَرَّدَ قَائِمًا⁵

1 الجوافل : المسرعات .

2 الأثفار : جمع ثُفْر وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة .

3 حمشتين : دقيقتين .

4 آل غدران : بطن من العرب .

5 ورد في الديوان ص 130 :

وما فعلوا فعل العُوَيْرِ بجاره لدى باب هَندٍ إِذْ تَجَرَّدَ قَائِمًا

وقال ابن قُتيبة في خبره : إنّ القصة المذكورة عن عُويّر كانت مع أبي حنبل وجارية ابن مُرّ . قال ويقال : بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجر وعياله ؛ فقام ودخل الوادي ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدّي مثل قوله ؛ فقال ما أقبح هذا من قول ! ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جُوَيْن وَفَى ، فأجابه الصّدّي بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا ! ثم دعا ابنته بجَذْعَةٍ من غنم فاحتلبها وشرب واستلقَى على قفاه وقال : والله لا أُغدرُ ما أجزأتني جَذْعَةٌ . ثم نهض وكانت ساقاه حَمَشَتَيْن ؛ فقالت ابنته : والله ما رأيتُ كالיום ساقِيْ وافٍ . فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقِيْ غادرٍ ! هما والله حيثُذا أقبح .

[امرؤ القيس يستعدي بكرًا وتغلب على بني أسد]

وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السُّكَيْت عن خالد الكلابي : إن امرؤ القيس ارتحل حتى نزل بَكْرًا وَتَغْلِبَ ، فسألهم النصرَ على بني أسد . فبعث العيون على بني أسد فنذروا¹ بالعيون ولجؤوا إلى بني كِنانة . وكان الذي أُنذِرهم بهم عِلْبَاءُ بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلْبَاءُ : يا معشر بني أسد تعلمون ! والله إنّ عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعتُ إليه بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تُعْلِمُوا بني كِنانة ، ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كِنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السِّلَاحَ فيهم وقال : يا لئارات الملك ! يا لئارات الهُمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كِنانة فقالت : أَيْتَ اللَّعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كِنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك ، فقال في ذلك :

ألا يا لَهْفَ هَندٍ إثرَ قومٍ همُ كانوا الشفاء فلم يُصابوا
وقاهم جدُّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقابُ
وأفلتهنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً ولو أدركته صَفِيرُ الوطاب²

يعني ببني أبيهم بني كِنانة ؛ لأن أسداً وكنانة ابني خزيمة أخوان .

أخبرني أبو خَلِيفَة عن محمد بن سَلَام قال : سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صَفِيرُ الوطاب» ، فقال : سألنا رُوَيْبَةَ عنه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إليه فصَفِيرُ وطابه من اللّبن . وقال غيره : صَفِيرُ الوطابُ أي إنه كان يُقْتَل فيكون جسمه صَفِيراً من دمه كما يكون الوطاب صَفِيراً من اللّبن .

1 نذروا : علموا فحذروا .

2 أفلتهن جريضاً : أي بعد جهد ومشقة . صفر الوطاب أي هلك وهي في ل : مثل .

قالوا : فلما أصبح امرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين ، فأتبع الأثر فأدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامئون بينهم على الماء ، فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت نارك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم . وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه . ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير .

[يلجأ إلى عمرو بن المنذر]

وقال ابن السكيت حدثني خالد الكلابي : أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر ، وأمه هند بنت عمرو بن حُجر بن آكل المُرار ، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر بيقّة وهي بين الأنبار وهيّة ، فمدحه وذكر صهره¹ ورجمه وأنه قد تعلق بجباله ولجأ إليه . فأجاره ، ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه ، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير .

[يستنصر أزدشنوءة]

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عديّ وعمر بن شبة وابن قتيبة : فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من قوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة ؛ فأبوا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيراننا .

[ومرثد الخير الحميري]

فنزّل بقيل يُدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير ؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم .

[وقرمل بن الحميم]

وقام بالملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء ، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى همّ بالانصراف وقال :

[من الطويل]

وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْتَدَ الْخَيْرِ رَبَّنَا وَإِذْ نَحْنُ لَا نَدْعَى عَيْبِداً لِقَرْمَلٍ

فأنفذ له ذلك الجيش ؛ وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد . ومرّ بتبالة² وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو

1 ل : عهده .

2 تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة .

الْخَلَصَةُ¹ ؛ فَاسْتَقْسِمَ عِنْدَهُ بِقِدَاحِهِ وَهِيَ ثَلَاثَةُ الْأَمْرِ وَالنَّاهِي وَالتَّرْبُصِ ، فَأَجَالَهَا فَخَرَجَ النَّاهِي ، ثُمَّ أَجَالَهَا فَخَرَجَ النَّاهِي ، ثُمَّ أَجَالَهَا فَخَرَجَ النَّاهِي ؛ فَجَمَعَهَا وَكَسَرَهَا وَضَرَبَ بِهَا وَجَةَ الصَّنَمِ وَقَالَ : مَصْرُصَتْ بَطَرٌ أَمَلَك ! لَوْ أَبُوكَ قُتِلَ مَا عَقَّتَنِي . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفِرَ بَيْنِي أَسَدُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَا اسْتَقْسِمَ عِنْدَ ذِي الْخَلَصَةِ بَعْدَ ذَلِكَ بِقِدْحٍ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَمَهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ .

[طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث بن شهاب]

قالوا : وَأُلْحِ الْمُنْذِرَ فِي طَلَبِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَوَجَّهَ الْجِيُوشَ فِي طَلَبِهِ مِنْ إِيَادٍ وَبَهْرَاءَ وَتَنُوحَ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ ، وَأَمَدَهُ أَنْوَشِيرَوَانُ بِجَيْشٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَتْ حِمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ . فَجَاءَ فِي عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي آكَلَ الْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَمَعَ امْرِئِ الْقَيْسِ أَدْرَاعُ خَمْسٍ : الْفَضْفَاضَةُ وَالضَّافِيَّةُ وَالْحَصْنَةُ وَالْخَرِيقُ وَأُمُّ الذَّيُولِ كُنَّ لِبَنِي آكَلَ الْمُرَارِ يَتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَّمَا لَبِثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي آكَلَ الْمُرَارِ فَأَسْلَمَهُمْ ؛ وَجَاءَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَنَتُهُ هِنْدُ (بِنْتُ امْرِئِ الْقَيْسِ) وَالْأَذْرُعُ وَالسَّلَاحُ وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ مَعَهُ ؛ فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى وَقَعَ فِي أَرْضِ طَبِيعٍ .

[ثم نزل على سعد بن الضُّبَابِ الْإِيَادِي]

وقيل : بَلْ نَزَلَ قَبْلَهُمْ عَلَى سَعْدِ بْنِ الضُّبَابِ الْإِيَادِي سَيِّدُ قَوْمِهِ فَأَجَارَهُ .

قال ابن الكلبي : وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ الضُّبَابِ تَحْتَ حُجْرٍ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ فَطَلَّقَهَا وَكَانَتْ حَامِلًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ، فَتَرَوَّجَهَا الضُّبَابُ فَوَلَدَتْ سَعْدًا عَلَى فَرَّاشِهِ ، فَلَحِقَ نَسَبُهُ بِهِ . فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ يَذْكُرُ ذَلِكَ :

[من الطويل]

يُفَاكِهِنَا سَعْدٌ وَيُنْعِمُ بَالَنَا وَيَغْدُو عَلَيْنَا بِالْجِفَانِ² وَبِالْجُرُزِ
وَنَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شِمَائِلًا وَمَنْ خَالَه وَمَنْ يَزِيدَ وَمَنْ حُجْرُ
سِمَاحَةً ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

[والمعل بن تميم]

ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهُ فَوْقَ فِي أَرْضِ طَبِيعٍ فَتَنَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي جَدِيدَلَةَ يُقَالُ لَهُ الْمَعْلَى بْنُ تَيْمٍ . فَقَفِيَ

1 ذو الخلصة : مروءة بيضاء منقوش عليها كهية الناج ، وكان سديتها بني أمانة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خشم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .

2 البيت في الديوان : 94 .

يُفَاكِهِنَا سَعْدٌ وَيَغْدُو لَجْمَعَنَا بِمَشَى الرِّقَاقِ الْمَتَرَعَاتِ وَبِالْجُرُزِ

ذلك يقول :

[من الوافر]

كأنني إذ نزلتُ على المُعلَى نزلتُ علي البواذخِ من شَمَامٍ¹
 فما مَلِكُ العراقِ على المُعلَى بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشَّامِ
 أقرَّ حَشَى امرئ القيس بن حُجْرٍ بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ

قالوا : فلبث عنده واتخذ إبلاً هناك . فعدا قومٌ من بني جَدِيلَةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرئ القيس رواحِل مُقَيَّدَةٌ عند البيوت خوفاً من أن يَذْهَبَهُمُ أمرٌ ليسبق عليهم .

[ثم بني نبهان]

فخرج حيثئذ فنزل ببني نبهان من طَيِّء ، فخرج نفرٌ منهم فركبوا الرواحِل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلَةُ ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال في ذلك :

[من الطويل]

وأعجبني مَشْيُ الحُرْقَةِ خالِدٍ كمشي أتانٍ حُلَّتْ بالمناهل²
 فدع عنك نَهْماً صَبِيحَ في حَجَرَاتِهِ ولكن حديثاً ما حديثُ الرِّواحِل³

ففرقت عليه بنو نبهان فرقاً⁴ من مِعْزَى يحلبها . فأنشأ يقول :

[من الوافر]

إذا ما لم تجدِ إبلاً فمِعْزَى⁵ كأن قُرُون جِلَّتْها العِصِي⁶
 إذا ما قام حالبها أرنت⁷ كأن القومَ صَبَّحهم نَعْي⁸
 فتملاً بيتنا أقطاً وسَمناً وحسبك من غِنَى شَيْعٍ وري⁹

[ثم نزل بعامر بن جوين]

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْنٍ واتخذ عنده إبلاً ، وعامرٌ يومئذ أحد الخُلَعاءِ الفُتَّاك قد تبرأ قومه من جرائره ، فكان عنده ما شاء الله ، ثم همَّ أن يغلبه على أهله وماله ؛ ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله :

[من الطويل]

1 شَمَام : اسم جبل لباهلة .

2 الحُرْقَةُ : القصير . وحلَّت : منعت من الماء وطردت مرة بعد مرة .

3 الحجرات : النواحي .

4 الفرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء .

5 إذا ما لم تجدِ في الديوان ص 163 : «ألا إلا تكن» .

6 البيت في الديوان ص 136 :

7 إذا مُشَّتْ حوالبها أرنت كأن الحَيَّ صَبَّحهم نَعْي

8 فتملاً بيتنا في الديوان ص 137 : «فتوسع أهلها» .

فكم بالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مَوْئِلَةٍ تَسِيرُ صِيحَا حَا ذَاتَ قَيْدٍ وَمُرْسَلَةٍ
أُردْتُ بِهَا فَتْكَأَ فَلَمْ أُرْتَمِضْ لَهُ وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كَدْتُ أَفْعَلَهُ¹

وكان عامر أيضاً يقول يعرض بهند بنت امرئ القيس :

أَلَا حَيٍّ هِنْدًا وَأَطْلَالَهَا وَتَظْعَانَ هِنْدٍ وَتَخْلَا لَهَا
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا
سَاحِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ فَأَمَّا عَلَيْهَا وَأَمَّا لَهَا²

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال . ومن الناس من يزوي هذه الأبيات للخنساء

في قصيدتها :

أَلَا مَا لِعَيْنِي أَلَا مَا لَهَا لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا

[ثم نزل بحارثة بن مر]

قالوا : فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله ، تغفله وانتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجار به . ف وقعت الحرب بين عامر وبين الثعلبي ، فكانت في ذلك أمور كثيرة .

[نزل عمرو بن جابر فذله على السموء]

قال دارم بن عقال في خبره : فلما وقعت الحرب بين طييء من أجله . خرج من عندهم فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن ، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبه³ . فقال له الفزاري : يا ابن حَجَر ، إني أراك في خللي من قومك وأنا أنفس⁴ بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدت بالأمس توكل في دار طييء ، وأهل البادية أهل بر لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذوبان من قيس ، أفلا أدلك على بلد فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضييف نازل ولا لمجتدي مثله ولا مثل صاحبه . قال : من هو وأين منزله ؟ قال : السموءل بتيماء ، وسوف أضرب لك مثله ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك ، وهو في حصن حصين وحسب كبير . فقال له امرؤ القيس وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه ؛ فصحبته إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبغ الفزاري ممن يأتي السموءل فيحمله ويعطيه . فلما صار إليه قال له الفزاري : إن السموءل يعجبه الشعر .

1 أرتمض : أحزن .

2 آلة : حالة .

3 ينظر في أمره ويصلح من شأنه .

4 أنفس به : أضن به .

فَتَعَالَ تَنَاشِدُ لَهُ أَشْعَاراً . فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : قُلْ حَتَّى أَقُولَ . فَقَالَ الرَّبِيعُ : [من الكامل]

قُلْ لِلْمَنِيَةِ أَيَّ حِينٍ نَلْتَقَى بِنِجْنَاءِ بَيْتِكَ فِي الْحَضِيضِ الْمَرْقُ
وهي طويلة يقول فيها :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاخِرًا وَإِلَى السَّمُوعِلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرْهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس :

طَرَقْتُكَ هُنْدٌ بَعْدَ طَوِيلٍ تَجُنَّبُ وَهَنَا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بين ، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات ؛ وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموعل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا . قال فوفد الفزاري بامرئ القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية . فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكروها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنّاصين من بني ثعل¹ . فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموعل فانصرفوا جميعاً . وقال امرؤ القيس : [من المديد]

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجُ كَفِّهِ مِنْ قُتْرَةٍ²
عَارِضِ زَوْرَاءَ مِنْ نَشْمٍ مَعَ بَانَاةٍ عَلَى وَتَرَةٍ

هكذا في رواية ابن دارم . ويروى «غير باناة» و«تحت باناة» .

إِذْ أَتَتْهُ الْوَحْشُ وَارِدَةً فَتَنَشَّى النِّزْعَ فِي يَسْرَةٍ³
فَرَمَاهَا فِي فَرَائِصِهَا بِإِزَاءِ الْحَوْضِ أَوْ عُقْرَةٍ
بِرَهَيْشٍ مِنْ كِنَانَتِهِ كَتَلَطَّى الْجَمْرِ فِي شَرَرَةٍ⁴
رَاشَتَهُ مِنْ رِيَشٍ نَاهِضَةٍ ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرَةٍ⁵
فَهُوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَا لَهُ لَا عُدٌّ مِنْ نَفَرَةٍ

1 ثعل : قبيلة من طيء .

2 مخرج في الديوان ص 123 : «مُتَلَجٍّ» . القتر : جمع قتره وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتتفر منه .

3 إذ أتته في الديوان ص 124 : «قد أتته» . فتشئ في الديوان ص 124 : «فتنشى» .

4 الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

5 الناهض : الذي وفر جناحه ونهض للطيران .

[طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر]

قال : ثم مضى القوم حتى قدِموا على السَّمَوَل ، فأنشده الشعرَ ، وعرف لهم حقَّهم ، فأنزل المرأةَ في قَبَّةِ أَدَمَ وأنزل القومَ في مجلس له بِرَاحٍ ؛ فكان عنده ما شاء الله . ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِير الغَسَّانِي بالشام ليوصله إلى قيصر ؛ فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمال ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه .

[لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعهما عليه]

فمضى حتى انتهى إلى قيصر ؛ فقبله وأكرمه وكان له عنده منزلة . فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح ، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد ، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً . ثم إن قيصر ضمَّ إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قومٌ غُدُرٌ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه . وقال ابن الكلبي : بل قال له الطماح : إن امرأ القيس غويٌّ عاهرٌ وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرأسل ابتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له : إني أرسلت إليك بمخلتي التي كنت ألبسها تَكْرِمةً لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب إلي بخبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلت إليه لبسها واشتدَّ سروره بها ؛ فأسرع فيه السمَّ وسقط جلده ؛ فلذلك سمي ذا القُروح ، وقال في ذلك : [من الطويل]

لقد طمَحَ الطماحُ من بُعد أرضه لِيَلْبِسَنِي مِمَّا يَلْبَسُ أبوساً¹
فلو أنها نفسٌ تموتُ سَوِيَّةً ولكنّها نفسٌ تساقطُ أنفُساً²

قال : فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدعى أنقرة احتضِر بها ؛ فقال : [من منهوك الكامل]

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسَحَنَفَةٍ وَطَعْنَةٍ مُثَعْنَجَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَةٍ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ³

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفِنَتْ في سفح جبل يقال له عَسِيب ؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال :

أجارَتْنَا إِنَّ المَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

1 الشطر الثاني في الديوان ص 108 : «لِيلِيسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلِيسَا» .

2 سوية في الديوان ص 107 : جميعه .

3 في الديوان ص 349 : رَبَّ طَعْنَةٍ مُثَعْنَجَةٍ وَجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَةٍ

وقصيدة مُحَبَّرَةٍ تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةٍ

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ
ثُمَّ مَاتَ فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ الْمَرْأَةِ ، فَقَبْرُهُ هُنَاكَ .

[عبد الملك بن عمر يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسره به ويحيزه]

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُوفَةِ فَسَمَرُوا عِنْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لِيَحْدِثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَحَدُوتهُ وَأَبْدَأْ أَنْتَ يَا أَبَا عُمَرَ . فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَحْدِثَ الْحَقُّ أَمْ حَدِيثَ الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلْ حَدِيثَ الْحَقِّ . قُلْتُ : إِنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ آتَى بِأَلْيَةٍ أَلَّا يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً حَتَّى يَسْأَلَهَا عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَثْنَتَيْنِ ؛ فَجَعَلَ يَخْطُبُ النِّسَاءَ ، فَإِذَا سَأَلَهُنَّ عَنْ هَذَا قُلْنَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ ابْنَةً لَهُ صَغِيرَةً كَأَنَّهَا الْبَدْرُ لَيْلَةً تَمَامُهُ ، فَأَعْجَبَتْهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : يَا جَارِيَّةُ ! مَا ثَمَانِيَّةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَاثْنَتَانِ ؟ ، فَقَالَتْ : أَمَّا ثَمَانِيَّةٌ فَأَطْبَاءُ الْكَلْبَةِ . وَأَمَّا أَرْبَعَةٌ فَأَخْلَافُ النَّاقَةِ . وَأَمَّا اثْنَتَانِ فَتُدَيَّا الْمَرْأَةَ . فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا فزَوَّجَهَا بِهَا . وَشَرَطَتْ هِيَ عَلَيْهِ أَنْ تَسْأَلَهُ لَيْلَةً بَنَاتِهَا عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ ، فَجَعَلَ لَهَا ذَلِكَ ، وَأَنْ يَسْأَلَ إِلَيْهَا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَعَشْرَةَ أَغْبَدٍ وَعَشْرَ وَصَائِفٍ وَثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ فَفَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ بَعَثَ عَبْدًا لَهُ إِلَى الْمَرْأَةِ وَأَهْدَى إِلَيْهَا نِخْيًا مِنْ سَمْنٍ وَنِخْيًا مِنْ عَسَلٍ وَحُلَّةً مِنْ عَصَبٍ . فَزَلَّ الْعَبْدُ بِيَعُضِ الْمِيَاهِ فَنَشَرَ الْحُلَّةَ وَلَبِسَهَا فَتَعَلَّقَتْ بِعَشْرَةِ فَنَاشَقَتْ ، وَفَتَحَ النَّحْنِينَ فَطَعَمَ أَهْلُ الْمَاءِ مِنْهُمَا فَفَقَصَا . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى حَيٍّ الْمَرْأَةِ وَهُمْ خُلُوفٌ . فَسَأَلَهَا عَنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا وَأَخِيهَا وَدَفَعَ إِلَيْهَا هَدِيَّتَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : أَعْلِمُ مَوْلَاكَ أَنَّ أَبِي ذَهَبَ يُقَرِّبُ بَعِيدًا وَيُبْعِدُ قَرِيبًا ، وَأَنَّ أُمِّي ذَهَبَتْ تَشَقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْنِ ، وَأَنَّ أَخِي يَرَاعِي الشَّمْسَ ، وَأَنَّ سَمَاءَ كَمْ انْشَقَّتْ ، وَأَنَّ وَعَاءَ يَكُمُ نَضْبًا ، فَقَدِمَ الْغَلَامُ عَلَى مَوْلَاهُ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُهَا إِنَّ أَبِي ذَهَبَ يُقَرِّبُ بَعِيدًا وَيُبْعِدُ قَرِيبًا ، فَإِنَّ أَبَاهَا ذَهَبَ يُحَالِفُ قَوْمًا عَلَى قَوْمِهِ . وَأَمَّا قَوْلُهَا ذَهَبَتْ أُمِّي تَشَقُّ النَّفْسَ نَفْسَيْنِ ، فَإِنَّ أُمَّهَا ذَهَبَتْ تَقْبِلُ امْرَأَةً نَفْسَاءَ . وَأَمَّا قَوْلُهَا : إِنَّ أَخِي يَرَاعِي الشَّمْسَ ، فَإِنَّ أَخَاهَا فِي سَرَحٍ لَهُ يِرْعَاهُ فَهُوَ يَنْتَظِرُ وَجُوبَ الشَّمْسِ لِيُرْوَحَ بِهِ . وَأَمَّا قَوْلُهَا : إِنَّ سَمَاءَ كَمْ انْشَقَّتْ ، فَإِنَّ الْبَرْدَ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ انْشَقَّ . وَأَمَّا قَوْلُهَا إِنَّ وَعَاءَ يَكُمُ نَضْبًا ، فَإِنَّ النَّحْنِينَ اللَّذَيْنِ بَعَثْتُ بِهِمَا نَقَصًا ، فَاصْدُقْنِي فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ، إِنِّي نَزَلْتُ بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ ، فَسَأَلُونِي عَنْ نَسَبِي فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنَّ ابْنَ عَمِّكَ ، وَنَشَرْتُ الْحُلَّةَ فَنَاشَقَتْ ، وَفَتَحْتُ النَّحْنِينَ فَطَعَمْتُ مِنْهُمَا أَهْلَ الْمَاءِ . فَقَالَ : أَوَّلَى لَكَ ! . ثُمَّ سَاقَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَخَرَجَ نَحْوَهَا وَمَعَهُ الْغَلَامُ ، فَزَلَّ مِنْزَلًا . فَخَرَجَ الْغَلَامُ يَسْقِي الْإِبِلَ فَعَجَزَ ؛ فَأَعَانَهُ امْرَأَةُ الْقَيْسِ ؛ فَرَمَى بِهِ الْغَلَامُ فِي الْبُئْرِ ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَرْأَةَ بِالْإِبِلِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ زَوَّجَهَا . فَقِيلَ لَهَا : قَدْ جَاءَ زَوْجُكَ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَزَوْجِي هُوَ أَمْ لَا ؟ وَلَكِنْ انْحَرَوْا لَهُ جَزْرًا وَأَطْعِمُوهُ مِنْ كَرِشِهَا وَذَنْبِهَا

ففعّلوا ، فقالت : اسقوه لبناً حازراً (وهو الحامض) فسقّوه فشرب . فقالت : أفرشوا له عند الفَرث والدم ، ففرشوا له فنام . فلما أصبحت أرسلتُ إليه : إني أريد أن أسألك . فقال : سَلِي عَمَّا شئتَ . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتَاكَ ؟ قال : لتقبيلي إِيَّاكَ . قالت : فِمِمَّ يختلج كَشْحَاكَ ؟ قال : لالتزامي إِيَّاكَ . قالت : فِمِمَّ يختلج فَخِذَاكَ ؟ قال : لتوركي إِيَّاكَ . قالت : عليكم العبدُ فشُدُّوا أيديكم به ، ففعّلوا . قال : ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ؛ فرجع إلى حيّه ، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقبل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ؟ ولكن انحروا له جِزوراً فأطعموه من كَرشِها وذنبها ففعّلوا . فلما أثوّه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء¹ ! فأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً حازراً . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصَّريف² والرثيئة³ ! . فقالت : افرشوا له عند الفَرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوق التَّلعة الحمراء ، واضربوا عليها خبَاء . ثم أرسلتُ إليه : هلُمَّ شَريطتي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سَلِي عَمَّا شئتَ . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتَاكَ قال : لشربي المُشعَّشات . قالت : فِمِمَّ يختلج كَشْحَاكَ ، قال : لِلْبُسي الحِبرات . قالت : فِمِمَّ تختلج فَخِذَاكَ ؟ قال : لِرَكْضِي المُطهَّمات . فقالت : هذا زوجي لعَمري فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبيرة : حَسْبُكُمْ ! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ؛ ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لي بجائزة .

[مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر]

نسخت من كتاب جدِّي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال أخبرني سيبويه النحوي أن الخليل بن أحمد أخبره قال : قدِم على امرئ القيس بن حُجر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسد كهولٌ وشبان ، فيهم المهاجر بن خِدَاش ابن عمِّ عبيد بن الأبرص ، وقبيصة بن نعيم ، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورذاً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمر بإنزاهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من حضرهم من رجال كِنْدَة ، فقال : هو في شُغلٍ بإخراج ما في خزائن حُجر من السِّلَاح والعدَّة . فقالوا : اللهم غَفراً ، إنما قدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سَلَفَ ونستدرك به ما فَرَطَ ، فليبلغ ذلك عنا . فخرج عليهم في قَبَاء وخُفٍّ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ

1 الملحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير .

2 الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف من الضرع . والرثيئة : الحليب يصبّ عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

بالسَّوادِ إلا في التُّرات . فلمَّا نظروا إليه قاموا له ، وبَدَر إليه قَبِيصَةُ : إنك في المَحَلِّ والقَدَرِ المعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحدِثه أَيامه وتتنقَّل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكرة مجرَّب . ولك من سوَّد منْصِيك وشَرَّف أعراقك وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يحتمل ما حُمِّل عليه من إقالة العَثرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهِمَم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عَمَّت رَزِيَّتُهُ زَرَاراً واليمن ، ولم تخصَّصْ كِنْدَةَ بذلك دوننا للشرف البار . كان لَحْجَرِ التاجُ والعِمَّة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيبُ الشِّيم . ولو كان يُفدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلَتْ كرائتنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يَرْجع أولاه على أخراه ولا يَلْحَقُ أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال : إمَّا أن اخترتَ من بني أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المَكْرُمات صَوْتاً ، فقدناه إليك بنسبه تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِك قَصْدَتُهُ¹ فيقول رجلٌ : أمتحنُ بهلكَ عزيز فلم تُسَلِّ سَخِيمَتُهُ إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يروِّح من بني أسد من نَعْمِها فهي ألوفٌ تتجاوز الحِسبة فكان ذلك فداء رجعت به القُضْب إلى أجفانها لم يَرُدُّه تسليط الإحْن على البرءاء ؛ وإما أن تُوَادِعَنَا حتى تضع الحواملُ فَنَسْدُلُ الأزرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال : لقد علمتُ العربُ أن لا كُفءَ لَحْجَرِ في دم ، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةً الأبد وفَتَّ العَضْد . وأمَّا النظرة فقد أوجبتُها الأجنَّة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لَعَطْبَها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقاً وفوق الأسِنَّة عَلَقاً² :

إذا جالتِ الخيلُ في مَازِقٍ تُصافِحُ فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذية ،
وحرب وبليَّة . ثم نهضوا عنه ، وقَبِيصَةُ يقول متمثلاً :
لعلك أن تستوخمَ الموتَ إن غدتْ كَثائِباً في مَازِقِ الموتِ تَمْطُرُ³

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ؛ فرويداً ينكشفُ لك دُجَاهَا عن فُرسان كِنْدَةَ وكتائب جَمِير . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتُ نازلاً برنعي ؛ ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبِيصَةُ : ما تتوقَّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

1 القصدة : العنق .

2 العلق : الدم .

3 استوخم الشيء : لم يستمر .

[131] - أصوات معبد المعروفة بألقابها

وهي خمسة

[أصوات معبد الخمسة وألقابها]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن ¹ أَبِي الأزهر قال حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبِيه ، وأخبرني إِسماعیل بن یونس الشَّيْعِيّ قال حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة عن إِسحاق ، وأخبرني الحسين بن یحیی عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبِيه ، وأخبرني عَلِيّ بن عبد العزيز عن ابن خُرَدَّاذِبَه عن إِسحاق : أَنَّ مَعْبُدًا كَانَ یُسَمَّى صَوْتَهُ :

هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَامَ لَاثِمٌ

الدَّوَامَةُ لكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ التَّرْجِيعِ . وَيُسَمَّى صَوْتَهُ :

[من الخفيف]

عَاوَدَ الْقَلْبَ مَنْ تَذَكَّرَ جُمْلُ

الْمُنْمَنَمَ . وَيُسَمَّى صَوْتَهُ :

[من الطويل]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِالْمَلَأِ مُتَرَعٌ

مَعْقَصَاتِ الْقُرُونِ أَيْ يَحْرُكُ خُصَلَ الشَّعْرِ . وَيُسَمَّى صَوْتَهُ :

[من الخفيف]

[جَعَلَ اللَّهُ جَعْفَرًا لَكَ بَعْلًا]

الْمُتَبَخَّرَ . وَيُسَمَّى صَوْتَهُ :

[من الخفيف]

ضَوْءٌ بَرَقَ بِدَا لَعِينِكَ أَمْ شَبَّ

سَتْ بَذَى الْأَثْلَ مِنْ سَلَامَةٍ نَارُ

[مَقْطَعُ الْأَثْفَارِ] .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

[من الطويل]

هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَامَ لَاثِمٌ غَدَاةٌ غَدِ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ
لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوَيْتِهِ تَقْضَى لُبَانَاتٍ وَيَسَامُ سَائِمٌ

مُبْتَلَةٌ هَيْفَاءُ رُودٌ شَبَابُهَا لَهَا مَقْلَتَا رِيمٍ وَأَسْوَدٌ فَاحِمٌ
وَوَجْهٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ مَعَ الْحَلِيِّ لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمٌ

الواجم : الساكت المطرق من الحزن ، يقال : وَجَمَ يَجِمُ وَجُومًا . وقوله : «لقد كان في حول ثواء ثويته» : قال الكوفيون : أراد لقد كان ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلا من حول . وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى :

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته

جدًّا ويقول : ما أعرف له معنى ولا وجهًا يصحُّ . قال أبو خليفة : وأمّا أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان في ثواء حول ثويته . واللبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتلة : الحسنه الخلق . والهيفاء : اللطيفة الخضر . والرئم : الظبي . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لَبَّاتٌ لَهَا وَإِنَّمَا لَهَا لَبَّةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ ذَلِكَ كَثِيرًا ؛ يقال : لَهَا لَبَّاتٌ حِسَانٌ ، يراد اللَّبَّةُ وما حولها . والمعاصم : موضع الأسورة ، وواحدها مِعْصَمٌ . الشعر للأعشى . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوامة خفيفٌ ثقيلٌ أوَّلُ بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، وَالْآخِرُ ثَقِيلٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ وَابْنِ خُرْدَاذْبِهِ .

[132] - أخبار الأعشى ونسبه¹

[نسبه وكنيته]

الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ويكنى أبا بصير .
[لقب أبيه قتيل الجوع]

وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع ؛ سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر ، ف وقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً . فقال فيه جهنم واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوهم وكانا يتهاجيان : [من الطويل]
أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبد من خماعة راضع²
وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم ؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره .

[أشعر الناس إذا طرب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي : من أشعر الناس ؟ قال : لا أومى إلى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غضب ، والناقة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

أخبرني ابن عمار عن ابن مَهْرُوَيْه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلام بمثله .

[قبيلته أشعر القبائل عند حسان]

أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سَعْد قال حدثنا علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين .

أن حساناً سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة ؟ قالوا : بل قبيلة . قال : الزُّرْق من بني قيس بن ثعلبة . وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسان .

[فاخر ابن شفيح بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدثنا عبدة بن عِصْمَة عن

1 أنظر أخباره في المزياني 401-402 والمؤتلف 12 واللائلي 83 والخزانة 1 : 83-86 وشعراء الجاهلية 357-399 ، انظر ترجمته في الأغاني 12 : 5 .

2 خماعة : بطن من العرب . الراضع : اللقيم .

فِرَاسُ بْنُ خَنْدِفٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ شَفِيعٍ قَالَ : إِنِّي لَوَاقِفٌ بِسُوقِ حَجْرٍ¹ إِذْ أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ هَيْئَتِهِ وَحَالِهِ عَلَيْهِ مَقْطَعَاتُ خَزٍّ وَهُوَ عَلَى نَجِيبٍ مَهْرِيٍّ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَمْ أَرْ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ يُفَاجِرُنِي مِنْ يُنَافِرُنِي بَيْنِي عَامِرُ بْنُ صَعْصَعَةَ فُرْسَانًا وَشِعْرَاءَ وَعَدَدًا وَفَعَالًا ؟ قُلْتُ : أَنَا . قَالَ : بَمَنْ ؟ قُلْتُ : بَيْنِي ثُعْلَبَةُ بْنُ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ . فَقَالَ : أَمَّا بَلْعُكُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمَنَافَرَةِ ؟ ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ جَزْءِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ .

[هو صناجة العرب]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : مَنْ قَدَّمَ الْأَعْشَى يَحْتَجُّ بِكَثْرَةِ طَوَالِهِ الْجِيَادِ وَتَصْرِفِهِ فِي الْمَدِجِ وَالْهَبَاءِ وَسَائِرِ فَنُونِ الشَّعْرِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لغيره . وَيُقَالُ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ بِشَعْرِهِ ، وَاتَّجَعَ بِهِ أَقَاصَى الْبِلَادِ . وَكَانَ يُغْنَى فِي شَعْرِهِ ؛ فَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ صَنَاجَةَ الْعَرَبِ .

أَخْبَرَنِي الْمُهَلَّبِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : سَمِعْتُ خَلَادًا الْأَرْقَطَ يَقُولُ سَمِعْتُ خَلَفًا الْأَحْمَرَ يَقُولُ : لَا يُعْرَفُ مِنْ أَشْعَرُ النَّاسِ كَمَا لَا يُعْرَفُ مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ وَلَا مِنْ كَذَا وَلَا مِنْ كَذَا ، لِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا خَلَفٌ وَنَسِيْتُهَا أَنَا . أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ يَقُولُ هَذَا .

[كَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ يَقْدُمُهُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي يَوْسُفُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ يَقْدُمُ الْأَعْشَى .

[سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره]

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ أَخْبَرَنِي أَبُو قَبِيصَةَ الْمَجَاشِعِيُّ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ سئل : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

كِلَا أَبُويَكُم كَانَ فَرَعٌ دِعَامِيَّةٌ وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِصًا²

يعني الأعشى .

[قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ قَالَ سَلَمَةُ بْنُ نَجَّاحٍ أَخْبَرَنِي بِحَبِيٍّ بْنِ سُلَيْمٍ الْكَاتِبِ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكُوفَةِ إِلَى حَمَّادِ الرَّائِيَةِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ . قَالَ : فَاتَيْتُ بَابَ حَمَّادٍ فَاسْتَأْذَنْتُ وَقُلْتُ : يَا غَلَامُ ! فَأَجَابَنِي إِنْسَانٌ مِنْ أَقْصَى بَيْتٍ فِي

1 حجر : مدينة باليمامة .

2 فرع في الديوان ص 110 : فرعا .

الدار فقال : من أنت ؟ فقلت : يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين . قال : أدخل رَحِمَكَ الله ؛ فدخلتُ أَسَمْتُ¹ الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت ، فإذا حَمَادٌ غُرَيَانٌ على فَرْجِه دَسْتَجَةٌ² شاهِسُفْرَم . فقلت : إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس . فقال : نعم ؛ ذلك الأعشى صَنَاجُهَا .

[أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبَيْدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : عليكم بشعر الأعشى ؛ فَإِنِّي شَبَّهْتُهُ بِالْبَازِي يَصِيدُ مَا بَيْنَ الْعَنْدَلِيبِ إِلَى الْكَرْكِيِّ .

[وضعه حتى في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس وطرفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبَيْدة يقول : بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرَةِ حجَّ ، وروى هذا الحديثُ ابنُ الكلبي عن شُعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحوي عن رجل من أهل البَصْرَةِ أنه حجَّ ، قال فَإِنِّي لَأَسِيرُ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانَةٍ³ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ شَابٍ رَاكِبٍ عَلَى ظَلِيمٍ قَدْ زَمَّهُ بِخِطَامِهِ وَهُوَ يَذْهَبُ عَلَيْهِ وَيَجِيءُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

هَلْ يُبَلِّغُنِيهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ هَقْلٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ جُمَاحٌ⁴

الجُمَاح : أطراف النبت الذي يسمى الحَلِيٌّ وهو سُنْبُلُهُ ، إلا أنه ليس بخَشْنٍ يُشَبِّهُ أَذْنَابَ الثَعَالِبِ⁵ . قال : والجُمَاحُ أيضاً سُهَيْمٌ يلعب به الصَّبِيَّانِ يجعلون مكان زُجْهِ طِيناً ، قال : فعلمتُ أنه ليس بإنسي ، فاستوحشتُ منه . فترددتُ عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أُنِسْتُ بِهِ ؛ فقلت : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ يَا هَذَا ؟ قال : الذي يقول :

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ

قلت : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس . قلت : فمن الثاني ؟ قال : الذي يقول :

تَطَرَّدُ الْقُرَّ بِحَرٍّ سَاخِنٍ وَعَكِيكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ⁶

1 تَسَمَّتُ الشَّيْءَ : قصد نحوه .

2 الدَسْتَجَةُ : الخزمة . والشاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السُلْطَانِي .

3 إِضْحِيَانَةٌ : مضيفة .

4 الهَقْلُ : الفتى من النعام .

5 ذنب الثعلب : نبات على هيئة أذنان الثعلب .

6 العَكِيكَ : صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر في سكون الريح .

قلت : ومن يقوله ؟ قال : طَرَفَةٌ . قلت : ومن الثالث ؟ قال : الذي يقول : [من المتقارب]
وتبردُ بردَ رداءِ العَرُو سِ بالصَّيفِ رَقَرْتُ فيه العَبِيرَا¹
قلت : ومن يقوله ؟ قال : الأعشى ؛ ثم ذهب به .

[هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجريرو أستاذهم في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني أبو عَدْنان قال وقال لي يحيى بن الجَوْن
العَبْدِيُّ راويةُ بشار : نحن حاكَةُ الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به ، أعشى بني
قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية . وجريرو بن الخطفى أستاذهم في الإسلام .
[حديث الشيعي عنه]

أخبرني محمد بن العَبَّاس اليزيديُّ قال حدثنا الرياشيُّ قال : قال الشَّعْبِيُّ² : الأعشى
أغزلُ الناس في بيت ، وأخنثُ الناس في بيت ، وأشجعُ الناس في بيت . فأما أغزلُ بيتٍ
فقوله :

غَرَاءُ فَرَعَاءِ مصقولٌ عوارضُها تَمشي الهَوْنِي كَمَا يمشي الوَجِي الوَحْلُ
وأما أخنثُ بيت فقوله :

قالت هُرَيْرَةُ لَمَّا جئتُ زائرَها وَيَلِي عليك وَيَلِي منك يا رجل
وأما أشجعُ بيت فقوله :

قالوا الطَّرَادُ فقلنا تلك عادتُنا أَوْ تنزلون فإننا مَعَشَرٌ نُزُلُ³
[حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجب من شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهَيْثَم بن عديٍّ
أن حماداً الراوية سئل عن أشعر العرب ، قال الذي يقول :

نازعتُهم قَضُبَ الرِّيحانِ مُتَكَمِّاً وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِيلُ⁴
[كان قدرباً وكان لبيد منبأ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا أبو عليٍّ العَنَزِيُّ قال حدثني محمد بن
معاوية الأَسَدِيُّ قال حدثني رجلٌ عن أَبَان بن تَغْلِب عن سِيَمَاك بن حَرْب قال قال لي
يحيى بن مَتَى راويةُ الأعشى وكان نصرانياً عبادياً وكان مُعَمِّراً قال : كان الأعشى

1 بالصيف رقرت في الديوان ص 69 : رقرت بالصيف .

2 ل : الشيعي .

3 قالوا الطراد في الديوان ص 48 : قالوا الركوب .

4 الراووق : الباطية .

قَدْرِيًّا¹ وكان لَبِيدٌ مُثْنِيًّا . قال لبيد :
 مَنْ هَذَا سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
 وقال الأعشى :
 [من المجرؤ البسيط]

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْـ عَذَلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا
 قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قِبَلِ الْعِبَادِيِّينَ نَصَارَى الْحَيِرةِ ، كان
 يَأْتِيهِمْ يَشْتَرِي مِنْهُمْ الْخَمْرَ فَلَقَّنُوهُ ذَلِكَ .
 [مريرة عشيقته]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سُرَاعَةَ فِي مَجْلِسِ الرِّيَاشِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا مَشَايخُ
 بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالُوا : كَانَتْ هُرَيْرَةُ الَّتِي يَشَبُّ بِهَا الْأَعْشَى أُمَةً سَوْدَاءَ لِحْسَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
 مَرْثَدٍ .

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ فِرَاسِ بْنِ
 الْخَنْدِيفِ قَالَ : كَانَتْ هُرَيْرَةُ وَخَلِيدَةُ أُخْتَيْنِ قَيْتَيْنِ كَانَتَا لِبِشْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ ، وَكَانَتَا
 تَغْنِيَانِهِ النَّصْبُ² ، وَقَدِمَ بِهِمَا الْيَمَامَةُ لَمَّا هَرَبَ مِنَ النُّعْمَانِ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ
 ابْنِ الْكَلْبِيِّ بِمِثْلِ ذَلِكَ .

[مدح المخلق الكلابي وذكر بناته فتزوجن]

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرِّيَاشِيِّ مَا أَجَازَهُ لَهُ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَيْسِ
 عِيلَانَ قَالَ : كَانَ الْأَعْشَى يُوَافِي سُوقَ عَكَازٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَكَانَ الْمُحَلَّقُ الْكِلَابِيُّ مِثْنًا³ مُمْلِقًا .
 فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : يَا أَبَا كِلَابٍ ، مَا يَمْنَعُكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِهَذَا الشَّاعِرِ ! فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا اقْتَطَعَهُ إِلَى
 نَفْسِهِ إِلَّا وَأَكْسَبَهُ خَيْرًا . قَالَ : وَيَحَلِّكَ ! مَا عِنْدِي إِلَّا نَاقَتِي وَعَلَيْهَا الْحِمْلُ ! . قَالَتْ : اللَّهُ يُخْلِفُهَا
 عَلَيْكَ . قَالَ : فَهَلْ لَهُ بُدٌّ مِنَ الشَّرَابِ وَالْمُسُوحِ ؟ قَالَتْ : إِنَّ عِنْدِي ذَخِيرَةً لِي وَلَعَلِّي أَنْ أَجْمَعَهَا .
 قَالَ : فَتَلْقَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَابْنُهُ يَقُودُهُ فَأَخْذَ الْخِطَامِ ؛ فَقَالَ الْأَعْشَى : مِنْ هَذَا الَّذِي غَلَبَنَا
 عَلَى خِطَامِنَا ؟ قَالَ : الْمُحَلَّقُ . قَالَ : شَرِيفٌ كَرِيمٌ ، ثُمَّ سَلَّمَهُ إِلَيْهِ فَأَنَاحَهُ ؛ فَفَحَرَ لِنَاقَتِهِ وَكَشَطَ لَهُ عَنْ
 سَنَامِهَا وَكَبِدِهَا ، ثُمَّ سَقَاهُ وَأَحَاطَتْ بَنَاتُهُ بِهِ يَغْفِرُزُهُ وَيَمْسَحُهُ . فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْجَوَارِي حَوْلِي ؟
 قَالَ : بَنَاتُ أَخِيكَ وَهِنَّ ثَمَانٍ شَرِيدَتُهُنَّ قَلِيلَةٌ . قَالَ : وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ شَيْئًا . فَلَمَّا وَافَى
 سُوقَ عَكَازٍ إِذَا هُوَ بِسَرْحَةٍ قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَإِذَا الْأَعْشَى يُنْشِدُهُمْ :
 [من الطويل]

1 القدريّة : الذين يمجّدون القدر أي أن الله لم يقدر الشر على عباده .

2 النَّصْب : ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء .

3 المِثْنَات : الذي اعتاد أن يلد الإناث .

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تُشبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
رضيحي لبان ندي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا تتفرق¹

فسلم عليه المخلق ؛ فقال له : مَرَحَبَا يَا سَيِّدِي بِسَيِّدِ قَوْمِهِ . ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكر² يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟ قال : فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا وقد زوجها . وفي أول القصيدة غناء وهو :

صوت

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بي من سُقمٍ وما بي مَعَشَقُ
ولكن أُراني لا أزالُ بحادثٍ أَغَادَى بما لم يُمِسَّ عِنْدِي وَأُطْرَقُ

غناه ابن مُحَرِّزٍ خفيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه لحنٌ لِيُونُسَ مِنْ كِتَابِهِ غَيْرُ مَجْنَسٍ . وفيه لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو .

[اسم المخلق الكلبي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى]

أخبرني أبو العباس اليزيديُّ قال حَدَّثَنِي عُمِّي عَبْدُ اللَّهِ عَنْ ابْنِ حَبِيبَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ الْمُفَضَّلِ قَالَ : اسْمُ الْمَخْلُقِ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بْنِ حَتَمٍ³ بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ كِلَابٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْقَةَ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُخْلَقًا لِأَنَّهُ حِصَانًا لَهُ عَضَهُ فِي وَجْتِهِ فَخَلَقَ فِيهِ خَلْقَةً .

قال : وأنشد الأعشى قصيدته هذه [كِسْرَى] ففُسِّرَتْ لَهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ : إِنَّ كَانَ هَذَا سَهْرٌ لَغَيْرِ سُقْمٍ وَلَا عِشْقٍ فَمَا هُوَ إِلَّا لَصٌّ .

وذكر علي بن محمد النوفليُّ في خبر المخلق مع الأعشى غير هذه الحكايات ، وزعم أن أباه حَدَّثَهُ عَنْ بَعْضِ الْكِلَابِيِّينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ قَالَ : كَانَ لِأَبِي الْمَخْلُقِ شَرَفٌ فَمَاتَ وَقَدْ أَتْلَفَ مَالَهُ ، وَبَقِيَ الْمَخْلُقُ وَثَلَاثُ أَخَوَاتٍ لَهُ وَلَمْ يَتْرِكْ لَهُمْ إِلَّا نَاقَةً وَاحِدَةً وَخَلَّتِي بُرُودٌ حَبِيرَةٌ كَانَ يَشْهَدُ فِيهِمَا الْحَقُّوقَ . فَأَقْبَلَ الْأَعْشَى مِنْ بَعْضِ أَصْفَارِهِ يَرِيدُ مَنْزِلَهُ بِالْيَمَامَةِ ، فَنَزَلَ الْمَاءَ الَّذِي بِهِ الْمَخْلُقُ ، فَقَرَاهُ أَهْلُ الْمَاءِ فَأَحْسَنُوا قِرَاهَ . فَأَقْبَلَتْ عَمَّةُ الْمَخْلُقِ فَقَالَتْ : يَا ابْنَ أَخِي ! هَذَا الْأَعْشَى قَدْ نَزَلَ بِمَائِنَا وَقَدْ

1 أسحم داج : الليل أو سواد حلمة الثدي وقيل الرحم . وعوض : أبدأ .

2 المذكر : الذي اعتاد أن يلد الذكور .

3 ل : خثيم .

قراه أهل الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلا رفعهم ، ولم يهيج قوماً إلا وضعهم ؛ فانظر ما أقول لك واحتل في زق من خمر من عند بعض التجار فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردي أبليك ؛ فوالله لمن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين ، ليقولن فيك شعراً يرفعك به . قال : ما أمليك غير هذه الناقة ، وأنا أتوقع رسلها¹ . فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل ؛ فكلما دخل على عمته حضته ؛ حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجل ومضى . قالت : الآن والله أحسن ما كان القري ! تتبعه ذلك مع غلام أبليك ، مولى له أسود شيخ ، فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إياه ، وأنت لما وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه ؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده . فلم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلّمه أن يقرضه ثمن زق خمر وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه ؛ فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه ؛ فكلما مرّ بماء قيل : ارتحل أميس عنه ، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصبّ لهم فضيخاً² فهم يشربون منه ، إذ قرع الباب فقال : أنظروا من هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول الملق يقول كذا وكذا ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول الملق الكلابي أتاك بكيك وكيك . فقال : ويحكم ! أعرابي والذي أرسل إلي لا قدر له ! والله لمن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لأقولن فيه شعراً لم أقل قط مثله . فوابه الفتيان وقالوا : غبت عنا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحماً وسقينا الفضيف واللحم والخمر ببابك ، لا نرضى أبداً منك . فقال : ائذنوا له ؛ فدخل فأذى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه . قال : أقره السلام وقل له : وصلتك رحم ، سيأتيك ثاؤنا . وقام الفتيان إلى الجزور فحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاؤا بهما ، فأقبلوا يشؤون ، وصبوا الخمر فشربوها ، وأكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

حتى انتهى إلى قوله :

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم فأنجد أقوام به ثم أعرقوا³

[من الطويل]

- 1 الرسل : اللبن .
- 2 الفضيف : شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب عليه الماء الحار حتى تستخرج حلاوته .
- 3 فعلتم في الديوان ص 149 : صنعتم . الشطر الثاني في الديوان ص 148 : فأنجد أقوام بذاك وأعرقوا ، وأعرق : أني العراق .

به تُعَقَّدُ الأحمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعَقَّدُ أطرافُ الجبالِ وتُطَلَّقُ¹
قال : فسار الشعرُ وشاع في العرب . فما أتت على المخلَق سنةً حتى زَوَّج أخواته الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة ، فأيسر وشرف .

وذكر الهيثم بن عديٍّ عن حماد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلالِي قال : خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيسَ بن معد يكرب ، فمرَّ ببني كلاب ، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلماء ، فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب ، فبصر به المخلَق وهو [عبد الغزى بن] حَتَم² بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابة ، فأتى أمه فقال : يا أمه ! رأيت رجلاً أخلق به أن يكسيتنا مجدأ قالت : وما تريد يا بني ؟ قال : نضيفه الليلة . فأعطته جلبابها فاشترى به عشييراً³ من جزور وخمراً ، فأتى الأعشى ، فأخذه إليه ، فطعم وشرب وأصطفى ، ثم اصطحب فقال فيه :

أَرِقْتُ وما هذا السُّهَادُ المورِقُ

والرواية الأولى أصح .

[سأله امرأة أن يشيب بيناتها فشيب بهن فزوجن]

أخبرني أحمد بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا قنعب بن المحرز عن الأصمعي قال حدثني رجلٌ قال : جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : إن لي بناتٍ قد كسدن علي ، فشيب بواحدة منهن لعلها أن تنفق . فشيب بواحدة منهن ، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بُعث به إليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوجت فلانة . فشيب بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : زُوجت . فما زال يُشيب بواحدة فواحدة منهن حتى زُوجن جميعاً .

[أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموع]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدثنا يحيى بن أبي سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال :

بنو الشهرِ الحرامِ فلست منهم ولست من الكرامِ بني عبِيد⁴
ولا من رَهْطِ جَبَّارِ بن قُرْطِ ولا من رَهْطِ حارثةِ بن زيدِ

1 الشطر الأول في الديوان ص 149 : به تُنفَضُ الأحلاس في كل منزل .

2 ل : خثيم .

3 العشير : العُشْر .

4 بني عبيد في الديوان ص 125 : بني العبيد .

قال : وهؤلاء كلهم من كلب ، فقال الكلبي : لا أبا لك : أنا أشرف من هؤلاء . قال :
فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إياه ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار على قوم قد بات فيهم
الأعشى فأسر منهم نفرأ وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ، ثم جاء حتى نزل بشرّيج بن
السموئل بن عادِياء الغَسَّانيّ صاحب تيماء يحصنه الذي يقال له الأبلق . فمرّ شرّيج
بالأعشى ؛ فناداه الأعشى :

شرّيجُ لا تترُكني بعد ما علقتُ حبالك اليومَ بعد القدّ أظفاري
قد جئتُ ما بين بانقيا إلى عَدَنٍ وطال في العُجْمِ ترْدادي وتَسْيارِي¹
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم مجدداً أبوك يعرف غير إنكارِ²
كالغيث ما استمطروه جاذ وابله وفي الشدائد كالمُستأيد الضاري³
كُنْ كالسموئل إذ طاف الهمامُ به في جَحْفَلٍ كهزيع الليل جرّارِ⁴
إذ سامه خُطْتي خَسَفٍ فقال له قل ما تشاء فإني سامعٌ حارِ⁵
فقال غَدَرٌ وتُكَلُّ أنتَ بينهما فاخترَ وما فيهما حَظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري⁶
وسوف يُعْقِبِيه إن ظَفِرْتَ به ربُّ كريمٍ وبِضٍّ ذاتُ أظفارِ
لا سيرهنَّ لدينا ذاهبٌ هَدراً وحافظاتٌ إذا استودِعنَ أسراري⁷
فاختار أذراعه كي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعده فيها بختارِ⁸

قال : وكان امرؤ القيس بن حُجْر أودع السموئل بن عادِياء أذراعاً مائةً ، فأتاه الحارث بن
ظالم ، ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ ، ليأخذها منه ، فتحصن منه السموئل ؛ فأخذ
الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد ، فقال : إِمّا أَنْ سَلَمْتَ الأذراعَ إليّ وإِمّا أَنْ قَتَلْتَ ابْنَكَ .
فأبى السموئل أَنْ يُسَلِّمَ إليه الأذراع ؛ فضرب الحارثُ وَسَطَ الغلام بالسيف فقطعه قطعتين ،

1 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . تردادي في الديوان ص 126 : ترحالي .

2 فكان أكرمهم مجدداً في الديوان ص 126 : فكان أوفاهم عهداً وأمنهم جاراً .

3 وفي الشدائد في الديوان ص 126 : وعند ذمته .

4 إذ طاف الهمامُ به في الديوان ص 126 : إذ سار الهمام له . كهزيع في الديوان ص 126 : كسواد .

5 خسف في الديوان ص 127 : خشف . قل ما تشاء في الديوان ص 127 : مهما نقله .

6 طويل في الديوان ص 127 : قليل . اقتل أسيرك في الديوان ص 127 : اذبح هديك .

7 هَدراً في الديوان ص 127 : ضائع مذق . وحافظات في الديوان ص 127 : وكائنات .

8 الشطر الأول في الديوان ص 127 : واختار أذراعه أَنْ لا يُسَبَّ بها .

فيقال : إن جريراً حين قال للفرزدق :

[من الطويل]

بسيف أبي رَغَوَانَ سيف مُجَاشِعٍ ضربت ولم تَضْرِبْ بسيف ابن ظالم¹

إنما عنى هذه الضربة . فقال السموءل في ذلك :

[من الوافر]

وَقَيْتُ بِذِمَّةِ الْكِئْسِدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا ذُمُّ أَقْوَامٌ وَقَيْتُ

وأوصي عَادِيَا يوماً بأن لا تُهْدَمُ يا سموءل ما بَنَيْتُ

بَنَى لِي عَادِيَا حِصْنًا حَصِينًا وماء كلما شئتُ استقيتُ

قال : فجاء شُرَيْحٌ إلى الكلبي فقال له : هَبْ لِي هذا الأسيرَ المضروب . فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال : أقم عندي حتى أَكْرِمَكَ وَأُحِبُّوكَ . فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نَجِيَّةً² وتُخَلِّينِي الساعة . قال : فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشُرَيْحٍ هو الأعشى . فأرسل إلى شُرَيْحٍ : ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أُحِبُّوه وأُعْطِيه . قال : قد مضى . فأرسل الكلبي في أثره فلم يَلْحَقْه .

[مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة]

حدثنا ابن علاثة عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيْخٍ قال حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموي عن محمد بن السائب قال : أتى الأعشى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزته . فقال الأسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نُعْطِيكَ عَرَضاً ، فأعطاه خمسمائة مثقال ذهناً³ وبخمسماية حُللاً وَعَنْبِراً . فلما مرَّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى عُلْقَمَةُ بن علاثة فقال له : أَجِرْنِي ؛ فقال : قد أَجَرْتُكَ . قال : من الجنِّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال لا . فأتى عامر بن الطُّفَيْلِ فقال : أَجِرْنِي ؛ قال : قد أَجَرْتُكَ . قال : من الجنِّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال نعم . قال : وكيف تُجِيرُنِي من الموت ؟ قال : إن متُّ وأنت في جوارِي بعثتُ إلى أهلِكَ الدِّيةَ . فقال : الآن علمتُ أنك قد أَجَرْتَنِي من الموت . فمدح عامراً وهجا عُلْقَمَةَ . فقال علقمة : لو علمتُ الذي أراد كنتُ أعطيتُهُ إِيَّاه .

قال الكلبي : ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله :

[من الطويل]

تَبَيُّتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلاءَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتِكُمْ غَرَّسِي يَبْتَنَ خَمَائِصاً⁴

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله ؛ إن كان كاذباً . أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! وأخبار

1 أبو رَغَوَانَ : لقب مجاشع .

2 ل : ناجية .

3 ل : ذهباً .

4 غرثي في الديوان ص 109 : جوعى .

الأعشى وعَلَقَمَة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنافرتِهما إن شاء الله تعالى .
[تزوج امرأة من عترة ثم طلقها وقال فيها شعراً]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيْدُ الله قال حدَّثني محمد بن حبيب
عن ابن الأعرابيِّ عن المفضلِّ وغيره من أصحابه : أنَّ الأعشى تزوّج امرأة من عترة ثم من
هزان ، قال : وعترة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، فلم يرَضَها ولم يستحسن خُلفها ؛
فطَلَّقها وقال فيها :

بينني حصانَ الفرجِ غيرَ ذَمِيمَةٍ	وموموقَةٍ فينا كذاك وواقمَةٍ
وذوقي فتى قومٍ فإنِّي ذائقٌ	فتاةً أناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائِقَةٌ
لقد كان في فتيانٍ قومكُ منكَحٌ	وشبانٍ هزانَ الطوالِ الغرائِقَةُ
فبينني فإنَّ البينَ خيرٌ من العصا	وإلا تَرَيَ لي فوقَ رأسِكِ بارِقَةٌ
وما ذاك عِندي أن تكوني دنيعةً	ولا أن تكوني جثتٍ عِندي بياقعةً ¹
ويا جارتا بيني فإنَّك طالقُه	كذاك أمورُ الناسِ غادٍ وطارقُه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا الحسين بن
إبراهيم بن الحرِّ قال حدَّثنا المبارك بن سَعِيد عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قال : طلاقُ الجاهلية طلاقٌ .
كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضرَبوه وقالوا : طَلَّقها فقال :
[من الطويل]

أيا جارتا بيني فإنَّك طالقَةٌ كذاك أمورُ الناسِ غادٍ وطارقُه
وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدَّم .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا عبد الصَّمَد بن عبد الوارث قال حدَّثنا عثمان
البرقيُّ في إسناد له قال : أخذ قومُ الأعشى فقالوا له : طَلِّقِ امرأتك ؛ فقال :
[من الطويل]
أيا جارتا بيني فإنَّك طالقَةٌ كذاك أمورُ الناسِ غادٍ وطارقُه
ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدَّمناه .
في هذه الأبيات غناء نسبته :

[من الطويل]

صوت

فبينني فإنَّ البينَ خيرٌ من العصا وإلا تَرَيَ لي فوقَ رأسِكِ بارِقَةٌ²

1 في الديوان ص 183 :

وما ذاك من جرم عظيم جنيته

2 وإلا ترى في الديوان ص 183 : وإلا تزال .

وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئت عندي بيائقةً
ويا جارتا بيني فإنك طالقةً كذاك أمور الناس غايد وطارقةً
الشعر للأعشى . والغناء للهذلي خفيفٌ ثقيلٌ مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه
لابن جامع ثاني ثقيلٌ بالبصر عن الهشامي . قال الهشامي : وفيه لفليح خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى لا
يُشكّ فيه من غنائهِ . وذكر حبش أن الثقيل الثاني لابن سريج . وذكر عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر أن الخفيف الثاني المنسوب إلى فليح لأبيه عبد الله بن طاهر . وهذا الصوت يُغنى في هذا
الزمان على ما سمعناه :

أيا جارتا دومي فإنك صادقةٌ وموموقةٌ فينا كذاك وواقيةٌ
ولم نفترق أن كنت فينا دنيئةً ولا أن تكوني جئت عندي بيائقةً
وأحسبه غير في دور الطاهرية على هذا .

[فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره]

أخبرني علي بن سليمان الأخطل قال حدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني أبي عن
مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمرًا
وتضمخ بلخالخ¹ وخلوق وعنده الشعبي . فلما رآه قال : يا شعبي ، ناك الأخطل أمهات
الشعراء جميعاً . فقال له الشعبي : بأي شيء ؟ قال حين يقول :

ونظل تنصفنا بها قرويةً إبريقها برقاعه ملثوم²
فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم³
فقال الأخطل : سمعت بمثل هذا يا شعبي ؟ قال : إن أمتك قلت لك . قال : أنت آمن .
فقلت له : أشعر والله منك الذي يقول :

وأدكن عاتقي حجل ربحل وأدكن عاتقي حجل ربحل
من اللائي حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما⁴
فقال الأخطل : ويحك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة .
فقال : قدوس قدوس ! ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعاً وحق الصليب ! .

1 لخالخ : ضرب من الطيب .

2 تنصفنا : تخدمنا .

3 العاتق : القديم . الحجل : السقاء الواسع . الربح : الضخم ، وفي الديوان ص 135 : سيحل .

4 من اللائي حملن على المطايا في الديوان ص 135 : من اللائي حملن على الروايا .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عُبيدة والهيثم بن عدي ،
وحدثني الصُّوليُّ قال حدثني الغلابيُّ عن العُتبيِّ عن أبيه ، وذكر هارون بن الزيات عن حماد عن
أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضبيِّ ، قالوا جميعاً : قدِم الأخطل الكوفة ، فأتاه
الشعبيُّ يسمع من شعره . قال : فوجدته يتغذى ، فدعاني أتغذى فأتيته ، فوضع الشراب فدعاني
إليه فأتيته . فقال ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك ؛ فأنشدني قوله : [من الكامل]
صَرَمْتُ أَمَامَةَ حَبْلَنَا وَرَعُومُ

حتى انتهى إلى قوله :

فإذا تعاورتْ الأَكْفُ خِتَامَهَا نَفَحَتْ فَشْمٌ رِيَاخَهَا الْمَرْكُومُ¹
قال : يا شعبيُّ ، ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى أشعر منك يا
أبا مالك . قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال :
من خمرِ عانةٍ قد أتى لختامها حَوْلٌ تَسْلُ غَمَامَةَ الْمَرْكُومِ
فضرب بالكأس الأرض وقال : هو والمسيح أشعر مني ! ناك والله الأعشى أمهات
الشعراء إلا أنا .

[مدح سلامة ذا فائش فأجازه]

حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المَعُوليُّ عن إسحاق الموصليِّ عن الهيثم
ابن عديِّ عن حماد الراوية عن سيماك بن حرب قال : قال الأعشى : أتيتُ سلامةَ ذا
فائش فأطلت المقامَ ببابه حتى وصلت إليه ، فأنشدته :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مِنْ مَضَى مَهَلًّا²
استأثرَ اللهَ بالوفاء وبال عَدَلٍ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرِّجْلَا
الشعرُ قَلَدَتْهُ سَلَامَةٌ ذَا فائشَ والشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا³
فقال : صدقت ، الشيء حيث ما جعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللاً وأعطاني
كَرْشاً مدبوغَةً مملوءةً عنبراً وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعثها بثلاثمائة ناقة
حمراء .

[أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته فريش بجائزة فعثر به بعيره فمات]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِيَّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قالا حدثنا عمر بن شبة

1 فشتم في ل : فنال .

2 من مضى في الديوان ص 155 : إذ مضى .

3 الشعر فائش في الديوان ص 157 : قلدتك الشعر يا سلامة ذا التفضال .

قال قال هشام بن القاسم الغنوي وكان علامةً بأمر الأعشى : إنه وفد إلى النبي ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها :

ألم تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا وعادَكَ ما عَادَ السَّليْمَ المُسَهَّدَا
وما ذاكَ من عَشَقِ النِّساءِ وإنما تناسيتَ قبلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْدَدَا¹
وفيها يقول لناقته :

قَالَيْتُ لا أُرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ولا مِنْ حَفَا حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا
نَبِيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا
مَتَى ما تُنَاخِي عِنْدَ بابِ ابْنِ هاشِمٍ تُراحي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا²

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صنّاجُ العرب ، ما مدح أحداً قط إلا رَفَعَ في قدره : فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردتُ صاحبكم هذا لأسلم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق ولك موافق . قال : وما هن ؟ فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركني الزنا وما تركته ؛ ثم ماذا ؟ قال : القمار . قال : لعلي إن لقيته أن أصيبَ منه عَوْضاً من القمار ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبَا . قال : ما دِنْتُ ولا ادْنُتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوّه ! أرجع إلى صُبابَةٍ قد بقيت لي في المِهْرَاسِ³ فأشربها . فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَتَتَكَ هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنتَ قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيتَه . فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً وآتبعه لِيُضْرَمَنَّ عليكم نيرانُ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع منفوحة⁴ رمى به بغيره فقتله .

[قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال :
قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته ؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشرّبوا عنده

1 مهدد : معشوقة الأعشى .

2 يدا في الديوان ص 103 : ندا .

3 المهراس : حجر منقور يسع كثيراً من الماء .

4 منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة .

وصبّوا عنده فضلات الأقداح .

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان التّوّليّ قال حدّثنا أبي قال : أتيت اليمامة والياً عليها ، فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها : [من السريع]
بشَطْ مَنْفُوحَةٌ فَالْحَاجِرِ

فقلت : أهذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا إليه . قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته . فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطبٌ . فقلت : ما لي أراه رطباً ؟ فقالوا : إن الفتيان ينادمونهم فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه لقوله :
«أرجعُ إلى اليمامة فأشبع من الأطيين الزنا والخمر» .

[صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره]

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه : أن ابن عائشة غنى يوماً : [من الطويل]
هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ

فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه . فقيل له : لقد أصبحت اليوم تائهاً ! فقال : وما ينعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها : [من الطويل]
هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ

وأبو عبّاد مغني أهل المدينة وإمامهم ! .

قال : وكان معبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدر أن يغنيه شعبانٌ ممثليّ ، ولا يقدر متكّيّ على أن يغنيه حتى يجثو ، ولا قائم حتى يقعد . قيل : وما هو يا أبا عبّاد ؟ قال إسحاق فأخبرني بذلك محمد بن سلام الجُمحيّ أنه بلغه أن معبدًا قاله . وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : قال معبد : والله لأغنين صوتاً لا يغنيه مهموم ولا شعبان ولا حاملٌ جمل ، ثم غنى : [من المجزوء الخفيف]
وَلَقَدْ قُلْتُ وَالْضُمُّ رُكُوتُ الْبَلَابِلِ
لَيْتَ شِعْرِي تَمَنَّى وَالْمُنَى غَيْرُ طَائِلِ
هَلْ رَسُولٌ مَبْلَغُ فَيُودِّي رَسَائِلِي

لحن معبد هذا خفيفٌ ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إليه أيضاً ، ويقال : إنه لأهل مكة .

[صوت معبد المسمى بالمنعم]

ومنها الصوت المسمى بالمنعم .

صوت

[من الخفيف]

هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّرِ جُمْلٍ ما يَهيجُ المتيَّمُ المحزونا
إذ تراءتْ على البَلاطِ فلَمَّا واجهتْنا كالشمسِ تُعْشي العيونا
ليلةَ السبتِ إذ نظرتُ إليها نظرةً زادت الفؤادَ جنونا
الشعر لإسماعيلَ بنِ يسارَ . والغناء لمُعَدِّ ثَقِيلِ أَوَّلِ بالوسطى . وفيه لدَحْمَانِ ثاني ثَقِيلِ
بالبنصر ، ذكر الهشاميَّ أَنَّهُ لَا يَشْكُ فِيهِ مِنْ غَنَائِهِ . وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة
المختارة فاستغني عن إعادتها ها هنا .
[صوت معبد المسمى بمعقصات القرون]

صوت

[من الطويل]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِالْمَلَا مُتَرَبِّعُ كَمَا لَاحَ وَشَمٌ فِي الذَّرَاعِ مُرْجَعُ
سَاتِبُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَخِيَمَتْ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعُ
الشعر لعمر بن سعيد بن زيد ، وقيل : إنه للمجنون وإن مع هذين البيتين آخر وهي :
وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بَعْدَ عَشْرِينَ حِجَّةً بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَلْمَعُ
فَأَمْرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَطِلَابُهَا فَيَا آلَ لَيْلَى دَعْوَةٌ كَيْفَ أَصْنَعُ
سَاتِبُ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ وَخِيَمَتْ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعُ
كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مَعْلَقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ وَأَتَبَعُ
والغناء لمعبد خفيف ثَقِيلِ أَوَّلِ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقد ذكر حماد بن إسحاق
عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشَبِّه غَنَاءَهُ . وذكر ابن الكلبي عن محمد بن
يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في :
[من الطويل]

أَفَاطُمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ

[من الطويل]

فغنى فيه :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِالْمَلَا مُتَرَبِّعُ

[133] - نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره

[نسبه ، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد]

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِي بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب . وسعيد بن زيد يُكنى أبا الأعور ، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِراء فرجف بهم ، فقال : « اثبت حِراء فليس عليك إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيد » .

134 - [بعض أخبار لمغنين وشعراء]

[معبد وابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد]

أخبرني ابن أبي الأزهري قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال : جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنين وكانوا متوافرين عنده وفيهم معبد وابن عائشة ؛ فقال لابن عائشة : يا محمد . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : إني قد قلت شعراً فغنّ فيه . قال وما هو ؟ فأنشده إياه ، وترنم به محمد ثم غناه فأحسن ، وهو :

صوت

عَلَّانِي وَاسْقِيَانِي	مَنْ شَرَابٍ أَصْبِهَانِي
مَنْ شَرَابِ الشَّيْخِ كَسْرِي	أَوْ شَرَابِ الْقَيْرَوَانِ
إِنْ فِي الْكَأْسِ لِمَسْكَأ	أَوْ بِكَفِّي مَنْ سَقَانِي
أَوْ لَقَدْ غَوِرَ فِيهَا	حِينَ صُبَّتْ فِي الدُّنَانِ
كَلَّانِي تَوَجَّانِي	وَبَشْعَرِي غَنِّيَانِي
أَطْلِقَانِي بَوْنَاقِي	وَاشْدُدَانِي بَعْنَانِي
إِنَّمَا الْكَأْسُ رِبْعٌ	يَتَعَاطَى بِالْبَنَانِ
وَحُمِيَّ الْكَأْسِ دَبْتُ	بَيْنَ رِجْلِي وَلِسَانِي

الغناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبصير من رواية حبش ، قال : فأجاد ابن عائشة واستحسن غناؤه مَنْ حضر ؛ فالتفت إلى معبد فقال : كيف ترى يا أبا عباد ؟ فقال له معبد : شئتَ غناءك بصلفك . قال ابن عائشة : يا أحو ، والله لولا أنك شيخنا وأنتك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنْ الشائنُ لغناؤه أنا بصلفي أم أنت بقبح وجهك . وفطن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هذا ؟ فقال : خيرٌ يا أمير المؤمنين ، لحنٌ كان معبد طارحيه فأنسيته فسألته عنه لأغنيَ فيه أمير المؤمنين . فقال وما هو ؟ قال :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِالْمَلَا مُتَرَبِّعٌ كَمَا لَاحَ وَشَمٌّ فِي الذِّرَاعِ مُرْجِعٌ

فقال : هاتِ يا معبد ، فغناه إياه ؛ فاستحسنه الوليد وقال : أنت والله سيدٌ مَنْ غني . وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حماد من أن هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له .

[أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه]

أخبرني محمد بن إبراهيم قريظ قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغني قال : غنيتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد :
[من مجزوء الرمل]

كلّاني توجاني وبشعري غنياني

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المترفون ، وهكذا يطربون ، ويمثل هذا يُشيرون ، وإليه يرتاحون ! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال ، وأحسنتَ الغناء ، أعد ؛ فأعدته ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدته ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستّ مرّات وشرب ستّة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وقال مرةً أخرى بستمائة دينار ، ثم سكر . وما رُئي قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنياً هذه العطية . وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلح له .

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل التوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء وقد غنى المعتضدَ هذا الصوتَ في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصة كما شرحها أحمد .

[صوت معبد المسمى بالمتبختر]

ومنها صوت وهو المتبختر

[من الخفيف]

جعل الله جعفرأ لك بعلأ وشفاء من حادث الأوصاب
إذ تقولين للوليدة قومي فانظري من ترين بالأبواب

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ أول بالبنصر . وذكر حماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكرّدم .

[صوت معبد المسمى مقطّع الأنفار]

صوت

وهو المسمى مُقَطَّعُ الْأَنْفَارِ

[من الخفيف]

ضوء نار بدا لعينك أم شبّ ت بذى الأثر من سلامة نار
تلك بين الرياض والأثر والبا نات منّا ومن سلامة دار

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا سرٍ وتبقى الرسومُ والآثارُ¹

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .
وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لمعبد الله بن العباس
خفيفٌ رمل بالوسطى .

[الأحوص وموسى شهوات]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال : مدح موسى شهوات
أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها : [من الخفيف]

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا سرٍ وتبقى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها
بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوص مثلك ! قلتُ
قصيدة مدحتُ فيها الأمير فسرتُ أجودَ بيت فيها وجعلته في قصيدتك . فقال له
الأحوص : ليس الأمر كما ذكرت ، ولا البيت لي ولا لك ، هو للبيد سرقناه جميعاً منه ، إنما
ذكر لبيد قومه فقال :

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم فعلى آخرِ الزمانِ الدُّبارُ²

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا سرٍ وتبقى الرسومُ والآثارُ

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُجز جواباً كأنما ألقمه حجراً .

[حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبر الأحوص مع سلامة التي ذكرها في
هذا الشعر وهو موضوع لا أشك فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا
يشبه نمطَ الأحوص ، والتوليدُ بين فيه يشهد على أنه مُحدث . والقصة أيضاً باطلة لا أصل
لها ؛ ولكني ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة . قال حدثنا الزبير بن بكار قال
حدثني أبو محمد الجزري قال : كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجهاً وأتمهن عقلاً
وأحسنهن حديثاً قد قرأت القرآن وروت الأشعارَ وقالت الشعر ، وكان عبد الرحمن بن حسان
والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعرَ ويُناشِدانها إياه . فعَلَقَت الأحوصَ وصَدَّت
عن عبد الرحمن . فقال لها عبد الرحمن يعرضُ لها بما ظنّه من ذلك :

1 الآثار في الديوان ص 125 : الدِّيار .

2 الدِّبار : الهلاك .

أرى الإقبالَ منكِ على خليلي وما لي في حديثكم نصيبُ

فأجابه : [من الوافر]

لأن الله علَّقه فؤادي فحاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

فقال الأحوص : [من الوافر]

خليلي لا تلمها في هواها ألدَّ العيش ما تهوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابنُ حسانٍ وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه . فلما أراد الانصراف قال له : يا أمير المؤمنين ، عندي نصيحة . قال : وما هي ؟ قال : جارية خلقتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلحُ أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِهِ . فأرسل إليها يزيدُ فاشتريته له وحملتُ إليه ؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضلها على جميع من عنده . وقدمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرَّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم ، فأراد أن يزيدَه إلى ما به فقال :

يا مُبتلىً بالحبِّ مفدوحا لاقى من الحبِّ تباريحاً

ألجمه الحبُّ فما يَنْثني إلا بكأسِ الشوقِ مَصبوحا

وصار ما يُعجبه مُغلَقاً عنه وما يكره مفتوحا

قد حازها من أصبحتُ عنده ينالُ منها الشَّمُّ والرَّيحُ

خليفةُ الله فسَلَّ الهوى وعزَّ قلباً منك مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شأئين من بني أمية أرادا الوفاةَ إلى يزيدَ ، فاتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا . فكتب إليها معهما :

[من الكامل]

سَلامُ ذِكْرِكَ مُلصَقٌ بلساني وعلى هوائِكَ تَعُودُنِي أحزاني

ما لي رأيْتُكَ في المنامِ مطيعةً وإذا انتبهتُ لَجَجْتِ في العصيانِ

أبدأُ مُحِبُّكَ مُمَسِكٌ بفؤاده يخشى اللِّجاجةَ منكِ في الهِجرانِ

إن كنتِ عاتبةً فإني مُعتَبٌ بعد الإساءةِ فاقبلي إحساني

لا تَقْتُلِي رجلاً يَراكِ لما به مثلَ الشرابِ لَغْلَةٌ الظمآنِ

ولقد أقولُ لقاطنينَ مِنَ آهلنا كانا على خُلُقِي من الإخوانِ

يا صاحبيَّ على فؤادي جمرَةٌ وبرى الهوى جسمي كما تَرَيانِ

أَمْرُقِيَانِ إِلَى سَلَامَةٍ أَتَمَّا مَا قَدْ لَقِيتُ بِهَا وَتَحَسَّيَانِ¹
 لَا أَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهَا إِنَّهَا مِنْ مَهْجَتِي نَزَلْتُ بِكُلِّ مَكَانٍ
 قَالَ : ثُمَّ غَلَبَهُ جَزَعُهُ فَخَرَجَ إِلَى يَزِيدٍ مَمْتَدِحاً لَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَبَلَغَ لَدَيْهِ كُلَّ
 مَبْلَغٍ . فَدَسَّتْ إِلَيْهِ سَلَامَةٌ خَادِماً وَأَعْطَتْهُ مَالاً عَلَى أَنْ يُدْخِلَهُ إِلَيْهَا . فَأَخْبَرَ الْخَادِمُ يَزِيدَ بِذَلِكَ ؛
 فَقَالَ : امْضِ بِرِسَالَتِهَا . فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَأَدْخَلَ الْأُحْوصَ ، وَجَلَسَ يَزِيدُ بِحَيْثُ يَرَاهُمَا . فَلَمَّا
 بَصُرَتْ الْجَارِيَةُ بِالْأُحْوصِ بَكَتْ إِلَيْهِ وَبَكَى إِلَيْهَا ، وَأَمَرَتْ فَالْقَى لَهُ كُرْسِيٌّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ،
 وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَشْكُو إِلَى صَاحِبِهِ شِدَّةَ الشَّوْقِ . فَلَمْ يَزَالَا يَتَحَدَّثَانِ إِلَى السَّحَرِ وَيَزِيدُ
 يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا رِيَّةٌ . حَتَّى إِذَا هَمَّ بِالْخُرُوجِ قَالَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَمْسَى فَوَادِي فِي هَمٍّ وَبِلْبَالٍ مِنْ حَبٍّ مَنْ أَزَلَّ مِنْهُ عَلَى بَالٍ
 فَقَالَتْ :

صَحَا الْحُبُّونَ بَعْدَ النَّأْيِ إِذْ يَمْسُوا وَقَدْ يَثْسُتُ وَمَا أَصْحُو عَلَى حَالٍ
 فَقَالَ :

مَنْ كَانَ يَسْلُو بِأَسْرِ عَنْ أَخِي ثِقَةً فَعِنَ سَلَامَةً مَا أَمْسَيْتُ بِالسَّالِي
 فَقَالَتْ :

وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَا أَنْسَاكَ يَا سَكَنِي حَتَّى يُفَارِقَ مِنِّي الرُّوحُ أَوْصَالِي
 فَقَالَ :

وَاللَّهُ مَا خَابَ مَنْ أَمْسَى وَأَنْتَ لَهُ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِي وَفِي مَالٍ
 ثُمَّ وَدَّعَهَا وَخَرَجَ . فَأَخَذَهُ يَزِيدُ وَدَعَا بِهَا فَقَالَ : أَخْبِرَانِي عَمَّا كَانَ جَرَى بَيْنَكُمَا فِي
 لَيْلَتِكُمَا وَاصْذُقَانِي . فَأَخْبَرَاهُ وَأَنْشَدَاهُ مَا قَالَاهُ ، فَلَمْ يَخْرِمًا حَرْفًا وَلَا غَيْرًا شَيْئاً مِمَّا سَمِعَهُ . فَقَالَ
 لَهُ يَزِيدُ : أَتُحِبُّهَا يَا أُحْوصُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

حُبًّا شَدِيداً تَلِيداً غَيْرَ مُطَّرَفٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِثْلَ النَّارِ يَضْطَرِمُّ
 فَقَالَ لَهَا : أَتُحِبُّنِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

حُبًّا شَدِيداً جَرَى كَالرُّوحِ فِي جَسَدِي فَهَلْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 فَقَالَ يَزِيدُ : إِنَّكُمْ لَتَصِفَانِ حُبًّا شَدِيداً ، خُذْهَا يَا أُحْوصُ فَهِيَ لَكَ ؛ وَوَصَلْهُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ ،
 وَانصَرَفَ بِهَا وَبِالْجَارِيَةِ إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مِنْ أَقَرِّ النَّاسِ عَيْنًا . مَضَى الْحَدِيثُ .

135 - [مدن معبد]

[مدن معبد أو حصونه]

أصوات

معبد المسماة مُدُنْ معبد وتسمى أيضاً حصون معبد

أخبرني ابنُ أبي الأَزهَر والحسين بن يحيى عن حماد بن إِسحاق عن أبيه ، قال حسين في خبره ، واللفظ له ، عن إِسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال : قال معبد وقد سمع رجلاً يقول : إن قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ فتح سبعةَ حصون أو سبعِ مُدُنْ بِخُرَاسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى والمسالك لم يُوصَلْ إليها قطُّ . فقال : والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلُّ لحنٍ منها أَشد من فتح تلك الحصون . فسئل عنها فقال :

- لَعَمْرِي لئن شَطَطَتْ بَعَثَةٌ دارُها
و : هُرَيْرَةٌ ودَّعْها وإن لام لائمُ [من الطويل]
و : رأيتُ عَرابَةَ الأَوْسِيِّ يَسْمُو [من الوافر]
و : كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدْقِ [من الخفيف]
و : لو تعلمينَ الغَيْبَ أيقنتُ أَنني [من الطويل]
و : يا دارَ عَبَلَةٍ بالجِواءِ تكلِّمي [من الكامل]
و : ودَّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرتَحِلُ [من البسيط]
ومن الناس من يروي مُدُنْ معبد :

- تَقَطَّعَ من ظَلَامَةِ الوصلِ أَجمعُ
و : خَمَصَانَةٌ قَلِقَ مُوشَحُها [من الكامل]
و : يومَ تُبْدي لَنَا قُتَيْلَةً
مكان و : كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدْقِ [من الخفيف]
و : لو تعلمينَ الغَيْبَ أيقنتُ أَنني [من الطويل]
و : يا دارَ عَبَلَةٍ بالجِواءِ تكلِّمي [من الكامل]

نسبة هذه الأصوات وأخبارها صوت

[من الطويل]

لَعَمْرِي لئن شَطَّتْ بَعَثَمَ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ إِلَيْحُ
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحَسِّبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ

عروضه من الطويل . شَطَّتْ : بَعُدَتْ . وَشَكِ الْفِرَاقِ : دَنُوهُ وَسْرَعَتِهِ . وَأَلَيْحُ : أَشْفَقُ
وَأَجْزَعُ . الشَّعْرُ لَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ الْفَقِيهِ . وَالْغِنَاءُ لِمَعْبَدٍ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ
فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ يُونُسَ وَإِسْحَاقَ وَعَمْرٍو وَغَيْرِهِمْ . وَفِيهِ رَمْلٌ يُقَالُ : إِنَّهُ لَا بِنَ
سُرُيْجَ .

[136] - ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

[نسبه]

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فآر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وهو في حلفاء بني زهرة من قريش وعِدَّاهُ فيهم .

وعتبة بن مسعود وعبد الله بن مسعود البدرى صاحب رسول الله ﷺ أخوان ، ولعبة صحبة بالنبي ﷺ وليس من البدرين .

وكان عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً ، واستعمله عمر بن الخطاب فأحمده .

[أخواه عون وعبد الرحمن وشيء عنهما]

ولعبيد الله بن عبد الله أخوان عون وعبد الرحمن .

وكان عون من أهل الفقه والأدب ، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه . وقال ، وكان شاعراً :

فأول ما أفارق غير شك أفارق ما يقول المرجثونا
وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنيننا

وخرج مع ابن الأشعث ، فلما هزم هرب : وطلبه الحجاج ، فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمته وألزمه ابنه مروان بن محمد وعبد الرحمن بن محمد . فقال له : كيف رأيت ابني أخيك ؟ قال : أما عبد الرحمن فطفل ، وأما مروان فإني إن أتيتُه حبب ، وإن قعدتُ عنه عتب ، وإن عاتبتُه صخب ، وإن صاحبتُه غضب . ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه . ذكر ذلك كله ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه . ولعون يقول جرير :

[من البسيط]

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لأقيه أني لدى الباب كالمصفود في قرني

وخبره يأتي في أخبار جرير .

وأما عبد الرحمن فلم تكن له نَبَاهَةٌ أخويه وفضلُهما فسَقَطَ ذكره .
[كان فقيهاً وهو أحد السبعة بالمدينة]

وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين رُوي عنهم الفقه والحديث . وهو أحد السبعة من أهل المدينة ، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن المسيَّب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . وكان عبيد الله ضريراً . وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة . وروى عنه الزُّهري وابنُ أبي الزناد وغيرهما من نُظَرائِهما .
[كان يؤثره ابن عباس]

وكان عبد الله بن عباس يقدمه ويُؤثره .
أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا حَمَادُ بن زيد عن معمر عن الزُّهري قال : كان عبيد الله بن عبد الله يَلُطِفُ لابن عباس فكان يُعِزُّهُ عِزًّا .
[حديث الزهري عنه وكان كثير الاتصال به]

أخبرني الحِرْمِيُّ بن أبي العَلَاءِ قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزُّهري قال : كنتُ أُحَدِّثُ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنتُ لأَسْتَقِي الماءَ المِلْحَ وإن كان ليسأل جاريته فتقول : غلامُك الأعْمَشُ .
أخبرني وَكَيْعٌ قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زَنْجَوِيهِ قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهري قال : أدركت أربعة بُحُورَ ، عبيد الله بن عبد الله ، عبيد الله بن عتبة ، عبيد الله بن عتبة ، عبيد الله بن عتبة .
أخبرني وَكَيْعٌ قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَيْنَةَ عن الزُّهري قال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كَأَنِّي كنتُ في شِعبٍ من الشُّعَابِ فوقعتُ في الوادي ؛ وقال مرّةً : صيرتُ كَأَنِّي لم أسمع من العلم شيئاً .
أخبرني وَكَيْعٌ قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحَمِيدِيُّ عن ابن عُيَيْنَةَ عن علي بن زيد بن جُدعان قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بِدِيَةٍ .
[أثنى عليه عمر بن عبد العزيز]

أخبرني وَكَيْعٌ قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْبٍ قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهري عن حمزة بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حياً ما صدرتُ إلا عن رأيه ، ولوددتُ أن لي بيوم من

عُبَيْدُ اللَّهِ غُرْمًا . قَالَ ذَلِكَ فِي خِلَافَتِهِ .

[ما جرى بين عمر بن عبد العزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزبير]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ وَعُمُّ أَبِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبَزْزِيُّ وَالطُّوسِيُّ وَوَكَيْعٌ وَالْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَطَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ ، قَالُوا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ جَمِيعًا عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُوسَى عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : دَخَلَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ عُرْوَةُ لشيءٍ حَدَّثَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ : مَا أَحْبَبْتُ أَحَدًا حَبِيبِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَا أَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَبُوي . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكُمْ لَتَتَحَلَّوْنَ عَائِشَةَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ اتِّحَالَ مَنْ لَا يَرَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ مَعَهُ فِيهَا نَصِييًّا . فَقَالَ عُرْوَةُ : بَرَكَةُ عَائِشَةَ كَانَتْ أَوْسَعَ مَنْ أَلَّا يُرَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِيهَا حَقٌّ ، وَلَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا بِحَيْثُ وَضَعْتَهُ الرَّجِمُ وَالْمُودَةُ الَّتِي لَا يَشْرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ أَحَدٌ . فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبْتَ . فَقَالَ عُرْوَةُ : هَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنُ مَسْعُودٍ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ كَاذِبٍ ، وَإِنْ مِنْ أَكْذَابِ الْكَاذِبِينَ مِنْ كَذَّبَ الصَّادِقِينَ . فَسَكَتَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَهُمَا فِي شَيْءٍ . فَأَقْفَفَ بِهِمَا عُمَرُ وَقَالَ : اخْرُجَا عَنِّي . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَعَثَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولًا يَدْعُو لِبَعْضِ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ :

[من الطويل]

لَمَرُّوْا ابْنَ لَيْلَى وَابْنَ عَائِشَةَ الَّتِي
لَوْ أَنَّهُمْ عَمَّا وَجَدُوا وَوَالِدًا
عَذَرْتُ أَبَا حَقِصٍ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا
وَلَكِنَّهُمْ فَاتُوا وَجِئْتُ مُضَلِّيًا
وَعُمْتُ فَإِنْ تَسْبِقُ فَضْنِي مَبْرَرٌ
فَمَا لَكَ بِالسُّلْطَانِ أَنْ تَحْمِلَ الْقَدَى
وَمَا الْحَقُّ أَنْ تَهْوَى فَتُسَعَفَ بِالَّذِي
لَمَرُّوْا أَدْتُهُ ، أَبٌ غَيْرُ زُمْلٍ¹
تَأَسَّوْا فَسَنُوا سُنَّةَ الْمُتَعَطِّلِ
مِنَ الْقَوْمِ يَهْدِي هَدْيَهُمْ لَيْسَ يَأْتَلِي
تَقَرَّبَ إِثْرَ السَّابِقِ الْمُتَمَهِّلِ²
جَوَادٍ وَإِنْ تُسْبِقُ فَنَفْسُكَ فَاعْدِلِ³
جَفَوْنَ عَيُونٍ بِالْقَدَى لَمْ تُكْحَلِ
هَوَيْتَ إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِأَعْدِلِ

لَمَرُّوْا ابْنَ لَيْلَى وَابْنَ عَائِشَةَ الَّتِي
لَوْ أَنَّهُمْ عَمَّا وَجَدُوا وَوَالِدًا
عَذَرْتُ أَبَا حَقِصٍ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا
وَلَكِنَّهُمْ فَاتُوا وَجِئْتُ مُضَلِّيًا
وَعُمْتُ فَإِنْ تَسْبِقُ فَضْنِي مَبْرَرٌ
فَمَا لَكَ بِالسُّلْطَانِ أَنْ تَحْمِلَ الْقَدَى
وَمَا الْحَقُّ أَنْ تَهْوَى فَتُسَعَفَ بِالَّذِي

1 ابن ليلى : عبد العزيز بن مروان ، وابن عائشة : عبد الملك بن مروان . الزمل : الضعيف الساقط .

2 التقريب : عدو دون الإسراع .

3 عُمْتُ : سرت .

أَبِي اللَّهِ وَالْأَحْسَابُ أَنْ تَرَامُ الْخَنَى نفوسٌ كرامٌ بِالْخَنَا لَمْ تُوَكَّلْ¹
قال الزبير في خبره وحده : الضنء والضنء : الولد . قال : وأنشد الخليل بن أسد قال
أنشدني دهمم :

ابنُ عَجُوزٍ ضَنَوُهَا غَيْرُ أَمْرٍ لو نَحَرْتُ فِي بَيْتِهَا عَشَرَ جُزْ²
لَأَصْبَحْتُ مِنَ لَحْمِهِنَّ تَعْتَذِرُ تغدو على الحيي يعود من سمر
حتى يَفِرَّ أَهْلُهَا كُلُّ مَفَرٍّ

[حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعراً ثم اعتذر فعذره]

أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير ، وأخبرناه
الحريمي بن أبي العلاء إجازة قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أويس عن بكار بن حارثة عن
عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة : أن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن
عبد العزيز فاستأذن عليه ، فردّه الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن
عفان وهو مُخْتَلٍ به ، فانصرف غضبان . وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات ، فقال
لعمر :

أَبْنِ لِي فَكُنْ مِثْلِي أَوْ ابْتَغِ صَاحِباً كَمِثْلِكَ إِنِّي تَابِعُ صَاحِباً مِثْلِي
عَزِيزٌ إِخَائِي لَا يَنَالُ مَوَدَّتِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُسْلِمٌ كَامِلُ الْعَقْلِ
وَمَا يَلْبَثُ الْفَتَيَانُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا إِذَا لَمْ يُؤَلَّفْ رَوْحُ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ

قال : فأخبر عمر بأبياته ؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعيراك بن مالك
يعذّرانه عنده ويقولان : إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك³ ولا برد الحاجب إليك ، فعذّره .
قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مُحَرِّزُ بْنُ جَعْفَرٍ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ وَزَادَ فِيهَا وَهِيَ أَوْلَاهَا :

وَأَنِّي أَمْرٌ مِنْ يُصَفِّنِي الْوَدُّ يَلْفَنِي وَإِنْ نَزَحْتُ دَارٌ بِهِ دَائِمُ الْوَصْلِ
عَزِيزٌ إِخَائِي لَا يَنَالُ مَوَدَّتِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُسْلِمٌ كَامِلُ الْعَقْلِ
وَلَوْ لَا اتَّقَايَ اللَّهُ قَلْتُ قَصِيدَةً تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ أَبْرَدُهَا يَغْلِي

1 ترَامُ الخنى : ترضاه .

2 أمر : الكثير .

3 ل : بإتيانك .

بها تُنْقَضُ الأحلاسُ في كُلِّ منزل
كفاني يسيراً إذ أراكُ بمحاجتي
تُلاوِذُ بالأبوابِ مني مخافةَ الـ
وذكر الأبياتِ الأولَ بعد هذه .

[شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلمّا]

أخبرني وكيع قال حدثني علي بن حرب الموصلي قال حدثنا إسماعيل بن رِيَّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول : كان عراكُ بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً . ثم أن ابن حزم ولي إمرتها وولي عِرَاكُ القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريباً فأخبر بذلك ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أبلغا عني عِرَاكَ بنَ مالك
فقد جعلتُ تبدو شواكلُ منكما
كأنكما بي مُوقِران من الصَّخِرِ
لعمري لقد أزرى وما مثله يُزري³
ولا تدعَا أن تثنيا بأبي بكرٍ
ولولا اتِّقائي ثم بُقياي فيكما
للمتَّكُمَا لوماً أحرَّ من الجمرِ

صوت

[من الطويل]

فَمَسَا ترَابَ الأرضِ منها خُلِقْتُمَا
ولا تأنفَا أن تسألَا وتسَلِمَا
ومنها المَعَاذُ والمَصِيرُ إلى الحَشَرِ
فلو شئتُ أن أُلقي عدواً وطاعناً
فما خشي الإنسانُ شراً من الكبيرِ
فإن أنا آمُرُ ولم أَنهَ عنكما
لأَلْفَيْتُهُ أو قال عندي في السرِّ
ضحكتُ له حتى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِي

عروضه من الطويل . غنِّيَ في :

[من الطويل]

فَمَسَا ترَابَ الأرضِ منها خُلِقْتُمَا

والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالبصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكي ويونس وغيرهم . وزعم ابن شهاب الزهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز

1 ما تمر وما تحلي : ما تضر وما تنفع .

2 تُلَاوِذُ : تراوِغ

3 الداك : الأحق ، والمعاكة : الحق .

وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، يعني [أن] الأبيات الأولى ليست منها في شيء وإنما أدخلت فيها لاتفاق الروي والقافية .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال : جئت عبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفخ وهو مغتاظ ؛ فقلت له : مالك ؟ قال : جئت أميركم آنفاً ، يعني عمر بن عبد العزيز ، فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلم يرداً عليّ ، فقلت :

فمَسَّا ترابَ الأرضِ منها خلقتما

وذكر الأبيات الأربعة . قال فقلتُ له : رحمك الله ، أتقول الشعر في فضلك ونسكك ! قال : إن المصدور إذا نفث برأ .

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر ، وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو ، وزاد فيها :

وكيف يُريدانِ ابنَ تسعينَ حِجَّةً على ما أتى وهو ابنَ عشرينَ أو عشرينَ

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحلٌ جيدٌ ليس بالكثير . منه قوله : [من الطويل]

إذا كان لي سرٌّ فحدثته العدا وضاق به صدري فللناسُ أعذرُ

وسرُّك ما استودعته وكمتمه وليس بسرٌّ حين يفضو ويظهرُ

وقوله لابن شهاب الزهري :

إذا قلتُ أمّا بعدُ لم يُثنَ منطقي فحاذِر إذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتُ أن تلقى خليلاً مصافياً لقيتُ وإخوانَ الثقاتِ قليلُ

[استحسن جامع ابن مريحة شعره فأجازه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحقي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : أنشد عبيد الله بن عبد الله جامعَ بن مُرْخِيَةَ الكلابي لنفسه :

لعمُرُ أبي المُحصينَ أيامَ نلتقي لَمَّا لا نُلَاقِها من الدهرِ أكثرُ

يَعُدُّونَ يوماً واحداً إن أُتِيَتْها وَيَنسُونَ ما كانت على الدهرِ تهجُرُ

وإن أولعَ الواشونَ عمداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصرُ

قال : فأعجبت أبياته هذه جامعاً ، فسرّ ذلك عبيد الله فكساه وحمله .

جامع بن مُرخيّة هذا من شعراء الحجاز ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

سألتُ سعيدَ بن المسيّب مفتيَ الـ حدينة هل في حبّ ظمياء من وزيرٍ
فقال سعيدُ بن المسيّب إنما تلام على ما تستطيعُ من الأمرِ
فبلغ قوله سعيداً ، فقال : كَذَبَ والله ؛ ما سألتني ولا أفتيته بما قال . أخبرني بذلك
الحِرْميُّ بن أبي العلاء عن الزُّبير .

[مختارات من شعره]

ومن جيّد شعر عبيد الله وسهله : [من المتقارب]

أعاذَلْ عاجِلُ ما أَشتهي أحبُّ من الآجلِ الرائي¹
سأنفقُ مالي على لذتي وأؤثر نفسي على الوارثِ
أبادِرُ إهلاكَ مستهلكِ لمالي أو عبثَ العابثِ

وقوله يفتخر في أبيات : [من الطويل]

إذا هي حَلَّتْ وَسَطَ عُوذِ ابنِ غالبٍ فذلك ودُّ نازحٍ لا أَطالعه²
شدتُ حَيَازيمي على قلبِ حازِمٍ كَومٍ لما ضُمَّتْ عليه أَضالعه³
أُداجي رجالاً لستُ مُطَّلِعٌ بعضهم على سرِّ بعضٍ إن صدري واسعُه
بنى لي عبدُ الله في ذِروة العلا وعُتْبَةُ مجدداً لا تُنال مصانعه⁴

وقوله وفيه غناء : [من المنسرح]

صوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قد أَضربنا من غيرِ دَحْلٍ فربّما نفعا⁴
أُبكي على ذلك الزمانِ ولا أَحسبُ شيئاً قد فات مُرتَجعا
إذ نحن في ظلِّ نعمةٍ سَلَفَتْ كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبعا

عروضه من المنسرح . غنت فيها عَرِيبٌ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشامي .

1 الراث : البطيء .

2 عوذ : جمع عائد وهي الحديثة التاج من الإبل وغيرها .

3 الحيزوم : وسط الصدر .

4 الدحل : الثَّار .

[قدمت المدينة مكة ففتنت الناس فشبيب بها]

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحريزي بن أبي العلاء ووکیع قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : قَدِمَتِ المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل ، وكانت جميلة فخطبها الناس ، وكادت تذهب بعقول أكثرهم . فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

[من الطويل]

أَحْبَبْتُ حَباً لَوْ عَلِمْتُ بِيَعْضِهِ	لَجَدْتُ وَلَمْ يَصْغُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحُبُّكَ يَا أُمَّ الصَّبِيِّ مُذْلَلِي	شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ وَأَيُّ شَهِيدِ
وَيَعْلَمُ وَجَدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ	وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سَلِيمَانُ عِلْمَهُ	وِخَارِجَةُ يُبِيدِي لَنَا وَيُعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتُخْبِرِي	فَللْحَبِّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب ، فقال : والله لقد أَمِنَ أَنْ تَسْأَلَنَا وَعِلْمُ أَنَّهَا لَوْ اسْتَشْهَدَتْ بِنَا لَمْ نَشْهَدْ لَهُ بِالْبَاطِلِ عِنْدَهَا .

وقال الزبير : أبو بكر الذي ذَكَرَ وَالتَّفَرُّ الْمَسْمُونُ معه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة .

[عُتِبَ عَلَى زَوْجَتِهِ عَثْمَةَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فطَلَّقَهَا ، وَشَعَرَ فِيهَا]

أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون : أَنَّ أَيْيَاتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ الَّتِي أُولَاهَا :

لَعَمْرِي لَنْ شَطَطَتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ الْيَحْ
قَالَهَا فِي زَوْجَةٍ لَهُ كَانَتْ تَسْمَى عَثْمَةَ ، فَعَتَبَ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فطَلَّقَهَا . وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارُ
كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَذْكُرُ نَدَمَهُ عَلَى طَلَاقِهَا :

[من الطويل]

كُتِمَ الْهَوَى حَتَّى أَضْرَبَكَ الْكَتَمُ وَلَا مَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْ مُهْمُ ظَلَمُ

وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ قَالَ لِي عَمِّي : لَقِينِي عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ فَأَنْشِدْنِي بَيْتاً وَسَلَّطْنِي مَنْ قَائِلُهُ ؟ وَهَلْ فِيهِ زِيَادَةٌ ؟ فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي ، وَقَدْ قَدِمَ ابْنُ أَخِي ، أَعْنِيكَ ، وَقَلِمَا فَاتَنِي شَيْءٌ غَلَا وَجَدْتُهُ عِنْدَهُ . قَالَ الزُّبَيْرُ : فَأَنْشِدْنِي عَمِّي الْبَيْتَ وَهُوَ :

[من الطويل]

غُرَابٌ وَظَبْيٌ أَعْضَبُ الْقَرْنَ نَادِيَا بَصُرْمٍ وَصِرْدَانُ الْعَشْيِ تَصِيحُ¹
 فقلت له : قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وتمامها :
 لَعَمْرِي لِمَنْ شَطَّتْ بَعْثَمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ إِلَيْحُ
 أُرُوحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحَسِّبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ
 فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه .

صوت

[من الطويل]

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنَاهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
 أَتَرَكُ إِيْتَانَ الْحَبِيبِ تَأْتِمًا أَلَا إِنْ هِجْرَانُ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
 فَذُقْ هِجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رِيْمَا كَذَبَ الزَّعْمُ
 عروضه من الطويل . غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً مأخوذاً وهو خفيف الثقيل
 الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكي وغيرهم . وغنت عريبُ في : [من الطويل]
 أَتَرَكُ إِيْتَانَ الْحَبِيبِ تَأْتِمًا

لحناً من الثقيل الأول ، وأضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر
 وهما : [من الطويل]

وَأَقْبَلَ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ تَجَرُّمًا أَلَا إِنْ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ هِيَ الْجُرْمُ
 وَأَشْتَاقُ لِي إِلْفًا عَلَى قُرْبِ دَارِهِ لِأَنَّ مُلَاقَاةَ الْحَبِيبِ هِيَ الْغَنَمُ
 ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغنى فيه : [من الوافر]

صوت

عَقَّتْ أَطْلَالَ عَثْمَةَ بِالْغَمِيمِ فَأُضَحَّتْ وَهِيَ مُوَحِّشَةُ الرُّسُومِ
 وَقَدْ كُنَّا نَحُلُّ بِهَا وَفِيهَا هَضِيمُ الْكَشْحِ جَائِلَةُ الْبَرِيمِ
 عروضه من الوافر . عَقَّتْ : درست . والأطلال : ما شخص من آثار الديار . والرُّسُوم : ما
 لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر . والهضيم الكشح الخميص الحشى والبطن .

1 الأعضب القرن : المكسور القرن . الصردان : جمع صرد وهو طائر أبيض البطن يتشاءم به .

والبريم : الخَلخال ، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلِي في اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول في موضعه لا يستقر . غنى في هذين البيتين قفا النَجَّار ، ولحنه من القدر الأوسط من الثَّقِيل الأول بالخِصر في مجرى البِنصر .

ومما قاله في زوجته عثمة وفيها غناء :

[من الوافر]

صوت

تغلغل حُبُّ عَثْمَةَ في فؤادي	فباده مع الخافي يسيرُ
تغلغل حيث لم يَبْلُغْ شرابٌ	ولا حُزنٌ ولم يَبْلُغْ سرورُ
صدعتِ القلبَ ثم دَرَّتِ فيه	هواكِ فليسمِ والتأمِ الفُطورُ ¹
أكاد إذا ذكرتُ العهد منها	أطير لَوَ أَن إنساناً يطيرُ
غَنِيَّ النفسِ أن أزدادَ حُباً	ولكني إلى صِلَةِ فقيرُ
وأنفذ جارِحاكِ سوادَ قلبي	فأنت عليّ ما عشنا أُميرُ

لمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزج بالنصر عن حبش ، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكي . وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرُّشيد رملٌ .

قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكره عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عثمة وغيرها . فقل له : أتقول في مثل هذا ؟! قال : في اللُّدود راحةُ المَفقود² .

[بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه]

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال : كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه . فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ . فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله . وكان الرجل شديد العقل ، فقال له : يا أبا محمد ، إن لك لشأناً ، فإن رأيتَ لي عذراً فاقبل عذري . فقال له : أنتهم الله في علمه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : أنتهم رسول الله ﷺ في حديثه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : يقول الله عز وجل : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخِطَ عليه بعد أن رضي عنه ؟! قال : والله لا أعوذ أبداً . قال : والرجل عمر بن عبد العزيز .

1 الفطور : الشقوق .

2 اللدود : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم .

[صوته]

أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال : مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة سنة اثنتين ومائة ، ويقال سنة تسع وتسعين .

أخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث¹ عن ابن سعد عن معن² عن محمد بن هلال : أن عبيد الله توفي بالمدينة سنة ثمان وتسعين .

[صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن]

[من البسيط]

ومنها :

صوت

ودّع هُريرة إن الركب مُرتَجِلُ وهل تُطِيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ
غَرَاءُ فَرَعَاءُ مصقُولٌ عوارِضُها تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَجِلُ
تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفتُ كما استعان برج عِشْرِقٍ زَجِلُ
عُلِقَتْها عَرَضاً وعُلِقْتُ رجُلاً غيري وعُلِقَ أُخرى غيرَها الرَّجُلُ
قالت هُريرة لما جئتُ زائرَها ويلى عليك وويلي منك يا رجلُ
لم تمشِ ميلاً ولم تركبْ على جملٍ ولم تَرَ الشمس إلا دونها الكِلَلُ
أقول للركب في دُرْنى وقد تَمَلَّوا شيمُوا وكيف يَشِيمُ الشاربُ الثَّمَلُ³
كناطحِ صخرةً يوماً لِيَفْلِقَها فلم يَضِرْها وأوهى قَرْنَه الوَعْلُ
أبلغ يَزِيدَ بني شَيْبانَ مَالِكَةَ أبا ثُبَيْتٍ أما تَنفَكُ تَأْتِكِلُ
إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا أو تنزلون فإننا معشرُ نُزْلُ⁴
وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يَتَبَعُنِي شايٍ نَشُولُ مِثْلُ شُلْشُلٍ شَوْلُ
في فِتيةِ كسيوفِ الهندِ قد علموا أن ليس يدفع عن ذي الحيلةِ الحِيلُ
نازعتْهم قُضْبُ الرِّيحانِ مُتَكِباً وقهوةٌ مُزَّةٌ راووقْها خَضِلُ
غَنَى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور من مُدُنٍ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل

1 الحارث بن أبي أسامة وابن سعد هو سليمان بن سعد .

2 معن بن عيسى القزاز .

3 للركب في ل : للشرب وفي الديوان ص 44 : فقلت للشرب . درنى : موضع بنواحي البمامة ، وقيل : بنواحي العراق .

4 الشطر الأول في الديوان ص 48 : قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا .

الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكرت ذنانير أن فيهما لابن سريج أيضاً صنعة . ولمبعد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولٌ ، ذكره حبشٌ ، وقيل : بل هو لحن ابن سريج ، وذلك الصحيح . ولابن مُحَرز في الثقل في «إن تركبوا» وفي «كناطح صخرة» ثاني ثقيلٍ مُطْلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولحنين الحيري في «أبلغ يزيد بني شيان» و«إن تركبوا» ثاني ثقيلٍ آخر . وذكر أحمد بن المكِّي أن لابن مُحَرز في «ودَّع هريرة» و«تسمع للحلي» ثاني ثقيلٍ بالخصر في مجرى البنصر . وفي «وقد غدوت» وما بعده رملٌ لابن سريج ومخارق عن الهشامي . ولابن سريج في «تسمع للحلي» وقبله «ودَّع هريرة» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض في «قالت هريرة» و«عُلقتها عَرَضاً» رمل . وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره . وفي «تسمع للحلي» و«قالت هريرة» هَزَجٌ لمحمد بن حسن بن مصعب . وفي «لم تمش ميلاً» و«أقول للركب»¹ لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش . وفي «قالت هريرة» و«تسمع للحلي» لحن لابن سريج . وإن لحنين في البيتين الآخرين لحناً آخر . وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في : [من الطويل]

هَرِيرَةٌ ودَّعها وإن لأمَ لائِمٌ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية : ما الغراء ؟ قالت : التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قَصُوتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفَنٌ² . وقال أبو عبيدة : الفرعاء : الكثيرة الشعر . والعوارض : الأسنان . والهوينى تصغير الهونى ، والهونى : مؤنث الأهون . والوَجِي : الظالع وهو الذي قد حَفِي فليس يكاد يستقلُّ على رجله . والوَجِلُّ : الذي قد وقع في الوَحْل . والعِشْرُق : نبت يَسَّ فتحرُّكه الريح ؛ شبه صوتَ حَلِيها بصوته . الزَجَلُّ : المصوَّت من العِشْرُق . وعُلقتها : أحببتها . وعرضا : على غير موعد . والوَعِلُّ : التيسُ الجبلي ، والجمع أوعال . مَأْلُكَةٌ : رسالة ، والجمع مَالِك . ما تنفكُ : ما تزال . وتأتكل : تتحرق . وقال أبو عبيدة : الشاوي : الذي يشوي اللحم : والنَشُولُ : الذي ينشُل اللحم من القدر . ومِشَلٌ : سَوَّاقٌ سريع يسوق به . وشَلْشُلٌ : خفيف . وشَوَلٌ : طَيِّبُ الرِّيح .

[ما وقع بين بني كعب وبني همام ، وقصيدة الأعشى في ذلك]

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيد بن مُسهر أبي ثابت الشيباني . قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن

1 ل : الشرب .

2 النفف : المهوى بين الشيعين .

مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضُبَيْع ، قتل رجلاً من بني هَمَام يقال له زاهر بن سَيَّار بن أسعد بن هَمَام بن مرة بن ذهل بن شيان ، وكان ضُبَيْع مطروقاً¹ ضعيف العقل . فنهاهم يزيد بن مُسَهَّر أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر وقال : اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة ، فحَضُّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سَيَّار وبني كَعْب ولا يُعِين بني سَيَّار ؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب ، وحذرهم أن تلقى شيان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلم² بهجر .

[يوم عين محلم]

قال أبو عبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم ، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة ، أن يزيد بن مُسَهَّر كان خالغاً أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف والضَّيعة له وهي قرية باليمامة . فلما خلغ يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنه أفلت وشيهاً ابني أصرم ، وأُمهما فُطَيْمة بنت شَرْحِبِيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس ، وأن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنه رهينة ؛ فأبت أمهما وأبى يزيد إلا أخذهما . فنادت قومها ، فحضر الناس للحرب ، فاشتملت فُطَيْمة على ابنها بثوبها ، وفكَّ قومها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى :

[من البسيط]

نحن الفوارسُ يوم العينِ ضاحيةً جنبي فُطَيْمةَ لا ميلٌ ولا عُرُلُ³

قال : فانهزمت بنو شيان ؛ فحذر الأعشى أن يلقي مُسَهَّر مثل تلك الحال .

قال أبو عبيدة : وذكر عامر ومِسْمَعٌ عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث ، فجردا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قديم إلى الكوفة فسأل فأخبر أن فُطَيْمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيان ، وكانت له زوجة أخرى من بني شيان ، فتعايرتا فعمدت الشَّيبانية فحلَّت⁴ ذوائب فُطَيْمة ، فاهتاج الحيان فاقتلوا ، فهزمت بنو شيان يومئذ .

[مسحل رثى الأعشى]

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يَشْكُر بن وائل اليشكري ، وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مُسَيْلِمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعمي ، قال

1 المطروق : الذي به هوج وجنون .

2 عين مُحَلِّم : عين فوارة بالبحرين .

3 يوم العين في الديوان ص 48 : يوم الحنو . ضاحية : علانية .

4 ل : فحلقت .

جويرية فحدثني يَشْكُرُ هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البجلي قال : سافرت في الجاهلية فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيه ، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم ، فتقدمت فدنوت من الماء وعَقَلْتَهُ ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت . فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف ؟ فأنشد :

ودّع هريرةً إن الركبَ مرتحلُ

فلا والله ما خرّم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت :

[من البسيط]

تسمع للحليّ وسواساً إذا انصرفتُ كما استعان بريحٍ عَشِيقَ زَجَلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتكَ أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عامَ أوّلَ بنجرانَ . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحلّ صاحبه ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس : [من الوافر]

صوت

رأيتُ عرابةَ الأوسيّ يسمو إلى الخيراتِ مُنْقَطِعَ القَرينِ

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقّاها عرابةٌ باليمنِ

عروضه من الوافر . الشعر للشماخ . والغناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى . وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر ابن المكي أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شُبّة عن محمد بن يحيى أبي غسان قال غنى أبو نؤي :

رأيتُ عرابةَ الأوسيّ يسمو إلى الخيراتِ مُنْقَطِعَ القَرينِ

فنسبه الناس إلى معبد . ولعله يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي . وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أخبرني حماد عن ابن أبي جَنَاح قال : الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد .

[137] - ذكر الشماخ ونسبه وخبره¹

[نسبه من قبل أبويه]

هو ، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سلام ، الشَّمَاخ بن ضيرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جِحاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذُبَيان . وذكر الموفيون أنه الشماخ بن ضيرار بن حرملة بن صَيْفِيٍّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذُبَيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان . وأمُّ الشماخ أنمارية من بنات الخُرْشُب ويقال : إنهن أنجب نساء العرب ، واسمها مُعَاذَة بنت بُجَيْر بن خالد بن إياس .

[مخضرم ، هو أحد من هجا عشيرته]

والشماخ مُخَضْرَمٌ ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وقد قال للنبي ﷺ : [من الطويل]

تَعَلَّمْ رَسولَ اللَّهِ أَنَا كَأَنَّا أَفَانَا بِأَنمارٍ ثَعْلَبَ ذِي غِسلٍ²

يعني أنمار بن بغيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومن عليهم بالقرى . والشماخ : لقب واسمه مَعْقِل ، وقيل الهَيْثَم ، والصحيح معقل . قال جَبَل بن جَوَال له في قصة كانت بينهما :

لَعَمري لعل الخير لو تعلمانيه يَمَنَّ علينا مَعْقِلٌ وَيَزِيدُ
مَنِيحَةً عَنِّي أَوْ عَطَاءَ فَطِيمَةٍ أَلَا أَنَّ نَيْلَ الثُّعْلَبِيِّ زَهِيدٌ³

[له أخوان جزء ومزرد]

وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران ، أحدهما مُزَرَّد وهو مشهور ، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرَّدًا لقوله :

فَقُلْتُ تَزَرَّدُهَا عُبَيْدٌ فَإِنِّي لُدُّرِدُ الشُّيُوخِ فِي السَّنِينَ مُزَرَّدٌ⁴

والآخر جزء بن ضيرار ، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : [من الطويل]

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 315/1-319 وكتب الصحابة والاشتقاق 174 والجمحي 21 والمؤتلف 138 والآلئ 58-59 والخزانة 1 : 526 .

2 ذو غسل : موضع ، والبيت منسوب في الشعر والشعراء 315/1 لأخيه مزرد ولم يرد في أصل الديوان وإنما وردا في الملحق وبين محقق الديوان اعتماداً على الصادر أنه لمزرد . الديوان / 454 .

3 المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك .

4 الشيوخ في ل : الموالي . وقد ورد البيت في الشعر والشعراء 310/1 وورد في الاشتقاق 174 والإصابة 6 : 85 والخزانة 2 : 117 وفي المؤتلف 190 .

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتَ يدُ الله في ذاك الأديم الممزق¹
فمن يسعُ أو يركبُ جناحي نعامية ليُدرك ما حاولت بالأمس يُسبقي

[ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه]

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبد الله عن عروة عن عائشة قالت : ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقلت : [من الطويل]

أبعد قَتيلٍ بالمدينة أَظلمت له الأرضُ تهتزُّ العِضاهُ بأسوق²
جزى الله خيراً من إمامٍ وباركتَ يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسعُ أو يركبُ جناحي نعامية ليُدرك ما حاولت بالأمس يُسبقي
قضيتُ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائِقَ في أكامها لم تفتقِ
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته بكفِّي سبَّتي أزرَقِ العين مُطرق³

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق : أن عائشة حدثتها أن عمر أذن لأزواج النبي ﷺ أن يخرججنَّ في آخر حِجَّةٍ حجَّها عمر . قال : فلما ارتحل عمر من المحصب أقبل رجل مثلثم فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله ، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتغنَّى :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتَ يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يجرُّ أو يركبُ جناحي نعامية ليُدرك ما قدَّمت بالأمس يُسبقي
قضيتُ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائِقَ في أكامها لم تفتقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلي : اعلّموا لي علماً هذا الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً . قالت عائشة : فوالله إني لأحسبه من الجنِّ . فلما قُتل عمر نخل الناسُ هذه الأبيات للشماخ بن ضيرار أو جماع بن ضيرار . هكذا في الخبر ، وهو جزء بن ضرار .

[وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرنه بالنابغة ولييد وأبي ذؤيب الهذلي ،

1 هذا البيت في الشعر والشعراء 319/1 .

2 العِضاهُ : الشجر العظيم الذي له شوك . والأسوق : جمع ساق .

3 السبتي : هنا الجريء ، وأزرَقِ العين : يريد به الأعجمي . والمطرق : المسترخي العين .

ووصفه فقال : كان شديد متون الشعر أشدَّ كلاماً من لبيد ، وفيه كَرَازَةٌ ، ولبيدٌ أسهلُّ منه منطقاً . أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه .

[قال الخطيئة إنه أشعر غطفان]

وقد قال الخطيئة في وصيته : أبلغوا الشماخ أنه أشعرُ غطفان ، قد كُتِبَ ذلك في شعر الخطيئة .

[هو أوصف الناس للحمير]

وهو أوصف الناس للحمير . أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال : أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً¹ من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمراً .

أخبرني إبراهيم بن عبد الملك قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمنُّ عليه بقره . وهو أوصف الناس للقوس والعمار وأرجز الناس على البديهة . [حديث الشماخ ومزرد مع أمهما]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال : قال مُزَرَّدُ لأمه : كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليوم يهابني . فقالت : يا بُني نَعَمْ ! إنه يرى جرَّو الهراش مؤثقاً ببابك . تعني أخاه الشماخ . وقد ذكر محمد بن الحسن الأحوال هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل قال : قالت مُعَاذَةُ بنت بُجَيْر بن خَلْفٍ للشماخ ومُزَرَّدُ : عرضتُما لي لشعراء العرب الخطيئة وكعب بن زهير . فقال : كَلَّا ! لا تخافي . قالت : فما يؤمنني ؟ قالا : إنك رَبطتِ بباب بيتك جرَّوي هراشٍ لا يجترئ أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسهما .

[منازحته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال : كانت عند الشماخ امرأة من بني سُلَيْمٍ أحد بني حَرَام بن سِمَاك ، فنازحته وادَّعته طلاقاً وحضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن الصَّلْت ، وكان عثمان بن عفان أعمده للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِنْدَةَ وعِدَادُهُ في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح] ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم ، فرأى كثيرٌ عليهم يمينا ، فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها ، ثم حلف وقال : [من الطويل] أتنسي سُلَيْمٌ قَضُها وقَضِيضُها تمسح حولي بالبقيع سيالها²

1 ل : شعراً .

2 أتنني في الديوان ص 290 : وجاءت .

يقولون لي آحلفُ ولستُ بحالفٍ أُخَاتِلَهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَا¹
 ففرجتُ همَّ النفسِ عني بحلفةٍ كما شَقَّتِ الشُّقْرَاءُ عَنْهَا جَلَالَهَا²
 أخبرني الحرَميُّ قال حدثنا الزبير بن بكار قال : قديم ناسٌ من بهز المدينة يستعدون على
 الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم ، فجحد ذلك الشماخ . فأمر عثمان كثير بن الصلت أن
 يستحلفه على منبر النبي ﷺ : ما هجاهم . فانطلق به كثير إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بهز ،
 وبهز : اسمه تيم بن سليم بن منصور ، فقال له : ويلك يا شماخ ! إنك لتحلف على منبر رسول
 الله ﷺ ، ومن حلف به آثماً يتبوا مقعده من النار ؛ قال : فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي ؟! قال :
 إني سوف أحلفك ما هجوتهم ، فأقلب الكلام علي وعلى ناحيتي فقل : والله ما هجوتكم ،
 فأردني وناحيتي بذلك ، وإني سأدفع عنك . فلما وقف حلف كما قال له وأقبل على كثير فقال : ما
 هجوتكم . فقالت بهز : ما عنى غيركم ، فأعد اليمين عليه . فقال : ما لي أناوله ! هل استحلفته
 إلا لكم ! وما اليمين إلا مرة واحدة ! انصرف يا شماخ . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]
 أتتني سليم قضها وقضيضها تمسح حولي بالبقيع سيالها
 يقولون لي آحلفُ ولستُ بحالفٍ أخادعهم عنها لكيما أنا³
 فلو لا كثير نعم الله باله أزلت بأعلى حجتك نعالها³
 ففرجتُ همَّ الموت عني بحلفةٍ كما شَقَّتِ الشُّقْرَاءُ عَنْهَا جَلَالَهَا

[سأته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجته ، وشعره في ذلك]

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب
 المصلّى قال قال القاسم بن معن : كان الشماخ تزوج امرأة من بني سليم ، فأساء إليها وضربها
 وكسر يدها . فعرضت امرأة من قومها ، يقال لها أسماء ، ذات يوم للطريق تسال عن صاحببتها .
 فاجتاز الشماخ وهي لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شماخ ؟ فقال لها : وما تريدن منه ؟
 قالت : إنه فعل بصاحبة لنا كيت وكيت . فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبراً ، ومضى
 وتركها وهو يقول :
 تُعارضُ أسماءَ الرفاقَ عشيّةً تسائل عن ضيغِ النساءِ النواكح⁴

1 في الديوان ص 292 : ورد البيت :

يقولون لي : آحلف فلست بحالفٍ أخادعهم عنها لكيما أناها

2 هم في الديوان ص 294 : أكرّب .

3 أزلت : أزلت . البيت غير مثبت في متن القصيدة .

4 النواكح في الديوان ص 104 : الطوايح .

وماذا عليها إن قُلُوصٌ تَمَرَّغَتْ بَعْدِلِينَ أَوْ أَلْقَتَهُمَا بِالصَّحَاصِيحِ¹
 فَإِنَّكَ لَوْ أَنْكِحْتَ دَارَتْ بِكَ الرِّحَا وَأَلْقَيْتَ رَحْلِي سَمَحَةً غَيْرَ طَامِحِ
 أَسْمَاءُ إِنِّي قَدْ أَتَانِي مَخْبِرٌ بِفَيْقَةٍ يُنْبِي مَنْطِقاً غَيْرَ صَالِحِ²
 بَعَجْتُ إِلَيْهِ الْبَطْنَ ثُمَّ اتَّصَحْتُهُ وَمَا كُلُّ مَنْ يُفْشَى إِلَيْهِ نَاصِحِ
 وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَنْ ذَمَّتْهُمْ إِذَا أَوْلَمُوا لَمْ يُؤْلَمِ³ نَافِحِ³
 وَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ تَحِزْنَ نَسَاؤُهُمْ إِلَى الْجَانِبِ الْأَقْصِ الْمَنَافِحِ

ثم دخل المدينة في بعض حوائجه ، فتعلقت به بنو سليم ملامة صاحبتهم ،
 فأنكر . فقالوا : احلف . فجعل يطلب إليهم ويغلظ عليهم أهـ . وشدتها عليه ليرضوا
 بها منه حتى رضوا ، فحلف لهم وقال :
 [من الطويل]

أَلَا أَصْبَحْتُ عِرْسِي مِنَ الْبَيْتِ جَاعِماً بَغِيرِ بَلَاءٍ أَيُّ أَمْرِ بَدَا لَهَا⁴
 عَلَى خَيْرَةٍ كَانَتْ أُمُّ الْعِرْسِ جَاعِخٌ فَكَيْفَ وَقَدْ سَقْنَا إِلَى الْحَيِّ مَا لَهَا
 سَتَرَجِعَ غَضَبِي رَنَّةَ الْحَالِ عِنْدَنَا كَمَا قَطَعْتَ مِنَّا بَلِيلَ وَصَالِهَا⁵

فذكر بعد هذه الأبيات قوله :
 [من الطويل]

أَتُنْتِي سَلِيمَ قَضُّهَا وَقَضِيضُهَا⁶

إلى آخر الأبيات .

[خطب امرأة فتزوجها أخوه جزء فماتا منهاجرين]

وقال ابن الكلبي : كان الشماخ يهوى امرأة من قومه يقال لها كلبه بنت جوال أخت
 جبل بن جوال الشاعر ابن صفوان بن لبال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن
 بجاله بن مازن بن ثعلبة ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ؛ فخطبها فأجابته وهمت أن
 تتزوجه . ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار ، فآلى الشماخ ألا يكلمه أبداً ،
 وهجاه بقصيدته التي يقول فيها :
 [من الطويل]

1 بعدلين في الديوان ص 104 : بمحكمين .

2 بفيقة ينبي في الديوان بضيقة ينشو . وفيقة الضحى : أولها وارتفاعها .

3 ذمتمهم في ل : قصبتمهم . الأنافح : جمع إنفحة وهي كرش الحمل والجدي ما لم يأكلا ، فإذا أكلا فهي كرش .

4 بخير في الديوان ص 287 : على غير شيء .

5 في الديوان جاء البيت ص 288 :

سترجع نلمي حسة الحظ عندنا كما صرمت نسا بليل وصالها

6 أتننتي في الديوان ص 290 : وجاءت .

لنا صاحبٌ قد خانَ من أجل نظرةٍ سقيمُ الفؤادِ حبُّ كَلْبَةٍ شاغلُهُ
فماتاً متهاجرين .

[استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت للعرب فأنشده من شعره]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني
أحمد بن محمد بن بكر الزُّبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي
غُزَيَّة الأنصاري قال : كنتُ على باب المهدي يوماً ، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دأب ؟
فقال : هأنذا . فقال : ادخل ؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يا ابن دأب ، ما جرى بينك
وبين أمير المؤمنين ؟ قال قال لي : أنشيدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب ؛ فأردت أن أنشده
قولَ صاحبك أبي صيرمة الأنصاري التي يقول فيها :

لنا صُورٌ يؤول الحقُّ فيها وأخلاقٌ يسُود بها الفقيرُ
ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا ملئت من الغشِّ الصدورُ
وحِلْمٌ لا يَصُوبُ الجهلُ فيه وإطعامٌ إذا قَحَطَ الصَّيِّرُ¹
بذات يدٍ على ما كان فيها نجودٌ به قليلٌ أو كثيرُ
فتركتها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ :

وأشعثٌ قد قَدَّ السُّقارُ قميصَه يجرُّ شِواءَ بالعصا غيرَ مُنْضَجٍ²
دعوتُ إلى ما نابني فأجابني كريم من الفتيان غيرَ مُزَلَّجٍ³
فتى يملأُ الشَّيزى ويروي سِنانه ويضرب في رأس الكميِّ المُدَجَّجِ⁴
فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة ولا في بيوت الحسي بالمتولِّجِ⁵
فقال : أحسنت ! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال : هذه صفتك يا أبا العباس .
فأكبَّ عليه عبد الله فقبل رأسه وقال : ذكرك الله بخير الذكر يا أمير المؤمنين . قال أبو غُزَيَّة
فقلت له : الأبيات التي تركتَ والله أشعرُ من التي ذكرت .

1 الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .

2 يجرُّ شِواءَ في الديوان ص 80 : وجَرَّ الشِواءَ .

3 الشطر الأول في الديوان ص 81 : دعوت فلباني على ما ينوبني . المزلاج : الملتصق بالقوم وليس منهم ، والرجل
الناقص المروءة .

4 الشيزي : خشب تتخذ منه القصاع .

5 فتى ليس بالراضي في الديوان ص 82 : أَيْلٌ فلا يرضى .

[عربة الذي مدحه ونسبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : عَرَابَةُ الذي عَنَاه الشَّمَاخُ بمدحه هو أحد أصحاب النبي ﷺ وهو عربة بن أوس بن قَيْطِي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزَرَج . وإنما قال له الشماخ : عربة الأوسي ، وهو من الخَزَرَج ، نسبةً إلى أبيه أوس بن قَيْطِي . ولم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً . عربة من الأوس لا من الخَزَرَج ؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزَرَج ليس هذا هو الجدُّ الذي ينتهي إليه الخَزَرَجِيون الذي هو أخو الأوس ، هذا الخَزَرَج بن النُّبَيْت بن مالك بن الأوس ، وهكذا نسبه النسَّابون .

[أتى عربة النبي في غزاة أحد مع غلطة فردَّهم]

وأخبرني به الحرَّميُّ بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصْعَب عن جده مصعب الزُّبيري عن ابن القَداح : وأتى النبي ﷺ في غزاة أُحُد ليغزو معه ؛ فردّه في غِلْمة استصغروهم : منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيْد بن حُضَيْر والبراء بن عازب وعربة بن أوس وأبو سعيد الخُدري .

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حُمَيْد عن سلمة عن ابن إسحاق .

[قصة أبي عربة وعمه مع النبي]

وأوس بن قَيْطِي أبو عربة من المنافقين الذين شهدوا أُحُدًا مع النبي ﷺ وهو الذي قال له : ﴿إِنْ يَبُوتْنَا عَوْرَةً﴾ . وأخوه مِرْبَع بن قَيْطِي الأعمى الذي حَتَا في وجه رسول الله ﷺ التراب لما خرج إلى أُحُدٍ وقد مرَّ في حائطه وقال له : إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَمَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَائِطِي . فضربه سعد بن زيد الأشْهَلِي بِقَوْسِهِ فَشَجَّه وقال : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْتَلْهُ فَإِنَّهُ مُنَافِقٌ . فقال ﷺ : «دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ» . فقال أخوه أوس بن قَيْطِي أبو عربة : لا والله ولكنها عداوتكم يا بني عبد الأشْهَل . فقال رسول الله ﷺ : «لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قَيْطِي» .

[كان عربة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين]

أخبرنا بذلك الحرَّميُّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبيري عن جده مصعب عن ابن القَداح : أن عربة كان سيداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم ، وكان أبوه أوس بن قَيْطِي من وجوه المنافقين .

[لقى الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جُعْدَبَة ، وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم : أن

الشماخ خرج يريد المدينة ، فلقيه عَرَابَةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتارَ لأهلي . وكان معه بَعِيرَان فأوقرهما له بُرّاً وتمراً وكساه وبرّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها :

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ

[سألَه معاوية بأي شيء سدت فأجابه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قال معاوية لعَرَابَةُ بن أوس : بأي شيء سُدَّتْ قَوْمُكَ ؟ فقال : أعفو عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي ، ومن قصّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومن زاد فهو خيرٌ مني . قال الأصمعي : وقد انقضى عَقِبُ عَرَابَةَ فلم يبق منهم أحد .

[اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر]

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال ابن دأب وسمع قولَ الشماخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : [من الرجز]

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ نَعِمَ الْفَتَى وَنَعِمَ مَاوَى طَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَجَارُ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً مَا اشْتَهَى

إِنْ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقِرَى

فقال ابن دأب : الْعَجَبُ لِلشَّماخ ! يقول مثلاً هذا لابن جعفر ويقول لعَرَابَةَ : [من الوافر]

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
ابن جعفر كان أحقُّ بهذا من عَرَابَةَ ! .

[نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق]

أخبرني محمد بن محمد بن خَلْفٍ وَكَيْع قال حدثني الكُراني محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكَيْس قال قال لي أبو نواس : ما أحسن الشماخ في قوله : [من الوافر]

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةُ فَاشْرَقِي بَدَمَ الْوَيْتَيْنِ¹

ألا قال كما قال الفرزدق :

عَلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلُّهُمْ أَمَامِي

1 وحملت في الديوان ص 323 : حططت . الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

فَتِي تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالذَّبَرِ الدَّوَامِي¹
 قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قَتَمَ بن العباس
 فأحسن فقال :

نَجُوتٍ مِنْ حِلِّي وَمِنْ رِحْلَتِي يَا نَاقُ إِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْ قَتَمٍ
 إِنَّكَ إِنْ أَدْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا حَالَفْنَا الْيُسْرُ وَمَاتَ الْعَدَمُ
 فِي كَفِّهِ بِحَرٍّ وَفِي وَجْهِهِ بَدَرٌ وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
 أَصَمُّ عَنْ قِيلِ الْخَنَّا سَمْعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
 لَمْ يَدْرِ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى فَعَافَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا «نَعَمٌ»

[نقد عبد الملك بن مروان شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال : أنشد عبد الملك قولَ الشماخ
 في عَرَابَةِ بن أَوْس :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلَتْ رِحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
 فقال : بِمَسَّتِ الْمَكَافَأَةُ كَافَأَهَا ! حَمَلَتْ رِحْلَهُ وَبَلَغَتْهُ بُغَيْتَهُ فَجَعَلَ مَكَافَأَتَهَا نَحْرَهَا ! .

[المهلب والشعراء]

قال الخراز : ومثل هذا ما حدثناه المدائني عن ابن ذأب أن رجلاً لقي المهلبَ فنحَرَ ناقته
 في وجهه ؛ فتطيرَ من ذلك وقال له : ما قصتك ؟ فقال :

إِنِّي نَذَرْتُ لَعْنِ لَقِيَّتِكَ سَالِمًا أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهَا شِفَارُ الْجَازِرِ
 فقال المهلبُ : فَأَطْعَمُونَا مِنْ كَيْدِ هَذِهِ الْمَظْلُومَةِ ، وَوَصَّلَهُ .
 قال المدائني : وَلَقِيَّتَهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَزْدِ وَقَدْ قَدِيمٌ مِنْ حَرْبٍ كَانَ نَهَضَ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
 إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ وَافَيْتَكَ سَالِمًا أَنْ أُقْبَلَ بِدُكِّكَ وَأَصُومَ يَوْمًا وَتَهَبَ لِي جَارِيَةٌ صُغْدِيَّةٌ وَثَلَاثُمِائَةُ دَرَاهِمٍ .
 فضحك المهلبُ وقال : قَدْ وَفَيْنَا لَكَ بِنَذْرِكَ فَلَا تَعَاوِدِي مِثْلَهُ ، فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهِ .

[المهدي وأبو دلالة]

وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القَحْظَمِيِّ :
 أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ لَقِيَ الْمَهْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ ، فَقَالَ لَهُ :

إِنِّي نَذَرْتُ لَعْنِ رَأَيْتِكَ وَارِدًا أَرْضَ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ

لَتَصْلَيْنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلْتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي

فقال له : أما النبي فصلى الله على النبي محمد وآله وسلّم ، وأما الدراهم فلا سبيل إليها .
فقال له : أنت أكرم من أن تُعطيني أسهلّهما عليك وتمنعني الأخرى . فضحك وأمر له
بما سأل . وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله .

[لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن
عيسى العبدي قال حدثني أحمد بن طالب الكناي (كنانة تغلب) ، وأخبرني به محمد بن أحمد بن
الطّلاس عن الخراز عن المدائني لم يتجاوز به قال : نصّب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعم
الناس ؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ،
فقال له : أعراقي أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا . قال : بلى . قال : ويحك !
دعني أتحدثك بزاز أمير المؤمنين ولا تنغصني به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَنْ
القائل :

إذا الأرطى توسّد أبرديّه خدودُ جوازىء بالرّمْل عين¹

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزائه ، والخادم يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحب أن
أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرّمسي .
فقال ذلك الخادم . فضحك عبد الله حتى سقط . فقال له الخادم : أخطأت أم أصبت ؟
فقال : بل أخطأت . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيّه . فقال : أيّ
الرجال هو ؟ فأراه إياه . فعاد إليه عبد الملك وقال : أنت لقننته هذا ؟ قال : نعم . قال : أخطأ
لقننته أم صواباً ؟ قال : بل خطأ . قال : ولم ؟ قال : لأنني كنت متحرّماً بمائدتك فقال لي
كيت وكيت ، فأردت أن أكفّه عني وأضحكك . قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله
الشماخ بن ضيرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جَزأت بالرّطب عن الماء . قال :
صدقت وأجازه ، ثم قال له : حاجتك ؟ قال : تنحّي هذا عن بابل فإنه يَشِيئُهُ .

[سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له نسبه]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم
الموصلّي أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة : أن يزيد بن عبد الملك لما قدِم عليه
الأحوص وصله بمائة ألف درهم . فأقبل إليه كثيرٌ يرجو أكثر من ذلك ، وكان قد عوده مَنْ

1 الأرطى : شجر من أشجار البادية تدنخ به الجلود . الأبردان : الظل والفيء . الجوازىء : الطباء وبقر الوحش .

العين : جمع عيناء ، واسعة العين .

كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلقِي عليهم بيوتَ الشعر ويسألهم عن المعاني . فآلَقِي على يزيد بيتاً وقال : يا أمير المؤمنين ، ما يَعْنِي الشَّمَاخُ بقوله : [من الوافر]

فَمَا أَرَوَى وَإِنْ كَرُمْتُ عَلَيْنَا بِأَدْنَى مِنْ مَوْقِفَةِ حَرُونٍ¹
تُطِيفُ عَلَى الرُّمَاءِ فَتَقِيهِمْ بِأَوْعَالٍ مُعْطَفَةِ الْقُرُونِ²

فقال يزيد : وما يضرُّ يا ماصراً بَظَرِ أُمِّهْ أَلَا يَعْلَمُ أمير المؤمنين هذا ؟ وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلك عنه . فنديم كثيرٌ وسكته من حضر من أهل بيته ، وقالوا له : إنه قد عوده من كان قبلك من الخلفاء أن يُلقِي عليه أشباهَ هذا ، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه ؛ فطَفِئَ عنه غضبه . وكانت جائزته ثلاثين ألفاً ، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحرص . وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ :

وَقَدْ عَرِقَتْ مَغَابِنُهَا وَجَادَتْ بِدِرَّتِهَا قِرَى حَجَجٍ قَتِينٍ³
فَسَكَتَ عَنْهُ يَزِيدُ ، فَقَالَ يَزِيدُ : وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك أَلَا يَعْرِفَ هذا ! هو القَرَادُ أشبهُ الدوابِّ بك ! .

[تمثل ابن الزبير بيت له في حوار له معاوية]

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المصلي قال حدثنا ابن ذأب قال : قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس : يا ابن الزبير ، أَلَا تَعَذِّرُنِي فِي حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ ؟ مَا رَأَيْتُهُ مُذْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ إِلَّا مَرَّةً . قال : دع عنك حسناً ، فَأَنْتَ وَاللَّهِ وَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّمَاخُ :

أَجَايِلُ أَقْوَاماً حَيَاءٌ وَقَدْ أَرَى صَدُورَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا
وَاللَّهِ لَوْ يَشَاءُ حَسَنٌ أَنْ يَضْرِبَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ ضَرْبِكَ ؛ وَاللَّهِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ أَرْأَمُ لَهُ مِنْ أُمِّ الْحَوَارِ لِحَوَارِهَا . فقال معاوية رحمه الله : أَرَدْتُ أَنْ تُغَرِّبَنِي بِهِ ! وَاللَّهِ لِأَصْلِحِنَ رَحِمَهُ وَلَأَقْبَلِنَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَنَا أَلَا اقْتُلْ أَخَاكَ لَسْتُ قَاتِلُ أَرِيدُ

1 موقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلاخال . والحرون : التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح .

2 على في الديوان ص 320 : بها .

3 المغابن : الآباط ، والقَتِين : مثل الحجن .

أبى قُربُه مني وحسنُ بلائِه وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غدٍ
والشعر لُعروة بن قيس ، فقال ابن الزبير : أما والله إني وإياه كيدٌ عليك بحلف الفضول .
فقال معاوية : من أنت ؟ لا أعرض لك وحلف الفضول ! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهينة
تُتخَن معنا وتردى هزِيلاً ، كما قال أخو همدان :

إذا ما بعيرٌ قام علَّقَ رحله وإن هو أبقي بالحياة مُقطَّعا

[صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب]

صوت من مُدُن معبد

وهو الذي أوله : [من الخفيف]

أُسعداني بعبرة أسراب من شؤون كثيرة التَّسكابِ
إن أهل الحِصَاب قد تركوني مُوزِعاً مُولِعاً بأهل الحِصَابِ
كم بذاك الحُجُون من حيِّ صِدْقٍ وكهولٍ أَعْفَى وشبابِ
سَكَنوا الجِرْعَ جِرْعَ بيت أبي مو سى إلى النخل من صُفْي السَّبَابِ
فَارَقُونِي وقد علمتُ يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إيابِ
فَلِيَ الويلُ بعدهم وعليهم صرتُ فرداً وملّني أصحابي

عروضه من الخفيف . الشؤون : الشَّعَب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس ،
واحدها شأن مهموزاً . والجِرْع : منعطف الوادي . وصُفْي السَّبَاب : جمع صَفَا وهي
الحجارة . ولُقِّبَت صُفْي السَّبَاب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشَّيات
يتشائمون ويذكرون المعاييب والمثالب التي يُرمون بها ؛ فسمَّيت تلك الحجارة صُفْي السَّبَاب .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال يقال : صفا
السَّبَاب وصُفْي السَّبَاب بفتح الفاء وكسرها جميعاً ، وهو شِعَبٌ من شِعَاب مكة فيها صفاً أي
صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشائمون وذلك
في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال ؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سُديف
مولى عُتبة بن أبي سُديف وشبيبٌ مولى بني أمية ، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في
موالي بني أمية ، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُّدَيْفِيَّة
والشُّبَيْبِيَّة . وكان أهل مكة مقتسمين بينهما في العصبية ؛ ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة
بين الجزارين والحناطين ، فهي بينهم إلى اليوم ، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره .

الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وقيل : بل هو لكثير غزّة . وقد روي في ذلك خبر نذكره . والغناء لمعبد ثقیل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقیلاً أول بالخنصر للغريض ولحناً آخر لابن عبّاد ولم يحنسه . ولابن جامع في الخامس والسادس رمل بالوسطى . ولابن سريج في الأربعة الأول ثقیل أول بالسبابة في معجى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبي دباكل الخراعي فيها ثاني ثقیل بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوب المدني وحبش . فمن روى هذا الشعر لكثير غزّة يرويه : [من الخفيف]

إن أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيراً قاله في خضاب خضبت غزّة به .

[ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير غزّة فيغني بشعره]

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوز ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبره أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب ، قال الزبيري حدثني أبي قال : خرجت إلى ناحية فيد¹ متنزهاً ، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا ، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها . فلما رأيتهم دنوت فسلمت وكنت أحدث القوم شيئاً ، فاشتبهت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع . وكان ابن عائشة إذا هيّجته تحرك . فقلت : رحم الله كثيراً وعزّة ؛ ما كان أوفاهما وأكرمهما وأصونهما لأنفسهما ! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر غزّة حين خضبت كثيراً . فقال ابن عائشة : وكيف كان حديث ذلك ؟ قلت : حدثني من حضره بذلك ، ومن هاهنا تتفق رواية عمر بن شبة والزبيري ، قال : خرج كثيراً يريد غزّة وهي منتجة بالصوّاري وهي الأودية بناحية فدك ، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرايياً فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر ، قال إسحاق : المبالطة : أن تشد أول الشعر وآخره ، فإذا رأيتها فناد : من رأى الجمل الأحمر ؟ مراراً . ففعل . فقالت له : ويحك قد أسمعت فأنصرف ، فأنصرف إليه فأخبره . فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طست وتور² وقربة ماء حتى انتهت إليه ، ثم جاءت بعد ذلك غزّة فرأته جالساً محبباً قريباً من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارتك ! . فركب راحلته وهي باركة وقامت إلى لحيته

1 فيد : منزل بطريق مكة .

2 تور : إناء صغير .

فَأَخَذَتِ التُّورَ فَخَضَبَتْهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ جَمَلِهِ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ خِضَابِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ حَتَّى عَلِقَ الْخِضَابُ ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَيْهِ فَغَسَلَتْ لِحْيَتَهُ وَدَهْنَتَهُ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكِبَ وَقَالَ : [من الوافر]

إِنْ أَهْلَ الْخِضَابِ قَدْ تَرَكَوْنِي مُوزِعًا مُوَلَّعًا بِأَهْلِ الْخِضَابِ

وذكر باقي الأبيات كلها . وإلى هاهنا رواية عمر بن شبة . فقال ابن عائشة : فَأَنَا وَاللَّهِ أَغْنِيَهُ وَأُجِيدُهُ ، فَهَلْ لَكُمْ فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْنَا : وَهَلْ لَنَا عَنْهُ مَدْفَعٌ ؟ فاندفع يَغْنِي بِالْأَبْيَاتِ ، فَخِيلَ إِلَيَّ أَنَّ الْأَوْدِيَةَ تَنْطِقُ مَعَهُ حَسَنًا . فَلَمَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَصَصْتُ الْقِصَّةَ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّ ذَلِكَ أَحْسَنَ صَوْتٍ يَغْنِيهِ ابْنُ عَائِشَةَ ؟ فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ شَيْئًا وَافِقَ مُحِبَّتِي .

[معبد وابن سريج يكيان أهل مكة بغنائهما]

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصَّبَّاحِ عن هشام بن محمد عن أبيه قال : زَارَ مَعْبِدُ ابْنِ سَرِيحٍ وَالْغَرِيضُ بِمَكَّةَ ؛ فَخَرَجَا بِهِ إِلَى التَّنْعِيمِ ثُمَّ صَارُوا إِلَى الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا ثُمَّ قَالُوا : تَعَالَوْا حَتَّى نُبْكِيَ أَهْلَ مَكَّةَ ؛ فاندفع ابن سُرَيْحٍ فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السَّهْمِي : [من الخفيف]

أُسْعِدْنِي بِعَبْرَةِ أُسْرَابٍ مِنْ دُمُوعِ كَثِيرَةِ التُّسْكَابِ

فَأَخَذَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي الْبُكَاءِ وَأَتَوْا حَتَّى سَمِعَ أَصْوَعَهُمْ . ثُمَّ غَنَى مَعْبِدُ : [من الكامل]

صوت

يَا رَاكِبًا نَحْوَ الْمَدِينَةِ جَسْرَةً أَجْدًا تَلَاعِبَ حَلَقَةٍ وَزَمَامَا

اقْرَأْ عَلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ مِنْ أَمْرٍ كَمِيدٍ عَلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ سَلَامَا

كَمْ غَيَّبُوا فِيهِ كَرِيمًا مَاجِدًا شَهْمًا وَمُقْتَبِلَ الشَّبَابِ غَلَامَا

وَنَفِيسَةً فِي أَهْلِهَا مَرْجُوةً جَمَعَتْ صَبَاحَةَ صُورَةٍ وَتَمَامَا

فَنَادَوْا مِنَ الدُّرُوبِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ وَالسَّلْبِ ، وَبَقِيَ الْغَرِيضُ لَا يَقْدِرُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ أَنْ يَغْنِي .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد ثقیل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أنه ليحيى المكي ، وقد غلط . وذكر حبش أن لعلويه فيه ثقیلاً أول آخر .

[صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح]

ومن مدُن معبد :

صوت

وقد أضيف إليه غيره من القصيدة :

سلي هل قلاني من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ
 وهل يَجْتَوِي القَوْمُ الكِرَامَ صَحَابَتِي
 ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني
 تكادُ بلادُ الله يا أمَّ مَعْمَرٍ
 أذودُ سَوَامَ الطَّرَفِ عنكَ وهل لها
 وحدتني يا قلبُ أنك صابِرٌ
 فمَتَ كَمَدًا أو عِش سَقِيمًا فإنما
 بلبنى أناديَ عند أولِ غَشِيَةٍ
 إذا ذُكِرْتَ لبنى تجلَّتْكَ زَفَرَةٌ

وهل دَمَّ رَحلي في الرِّفاقِ رَفِيقُ
 إذا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاجِ عَمِيقُ
 لكم والهدايا المُشْعَرَاتِ صديقُ
 بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ
 إلى أحدي إلا إليكَ طريقُ
 على اليّن من لبني فسوف تذوقُ
 تكلفني مالاً أراك تُطِيقُ
 ولو كنتُ بين العائِلاتِ أفِيقُ
 ويثني لك الدّاعي بها فتُفِيقُ

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذريح . والغناء لمعبد في اللحن المختار المذكور ثقيل
 أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث . وذكر في موضع آخر
 وافقته دنائير أن لمعبد ثقيلاً أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله : [من الطويل]

صوت

أتجمعُ قلباً بالعراقِ فَرِيقُهُ
 فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النوى
 ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني
 لكم والهدايا المُشْعَرَاتِ صديقُ

ومنه بأطلالِ الأراكِ فَرِيقُ
 ولا أنت يوماً عن هواك تُفِيقُ

البيتان الأولان يُرويان لجبرير وغيره ، والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد . وذكر
 عمرو ويونس أن لحن معبد الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر . وذكر عمرو بن بانه أن لَبْدَل
 الكبيرة خفيف رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده : [من الطويل]

دَعَوْنَ الهوى ثم ارتَمَيْنَ قلوبنا بأعينِ أعداءِ وهنَّ صديقِ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أذود سَوَامَ الطَّرَفِ» . وزعم حبش أن في لحن معبد الثاني
 الذي أوله : «أتجمع قلباً» لابن سريج خفيف رَمَلٍ بالبنصر . وذكر أيضاً أن للغريض في الأول
 والثاني والسابع ثاني ثَقِيلٍ بالبنصر ، ولابن مِسْجَح خفيف رَمَلٍ بالبنصر . وفي السادس وما بعده
 لحكم الوادي ثَقِيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن للغريض فيها
 ثَقِيلًا أول بالوسطى .

[138] - ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره¹

[نسبه]

هو ، فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما ، قيس بن ذريح بن سُنَّة بن حُذافة بن طَرِيف بن عَتُورَة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَنَاة وهو علي بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وذكر أبو شُرَاعَة القَيْسي انه قيس بن ذريح بن الحُباب بن سُنَّة ؛ وسائر النسب متفق . واحتج بقول قيس :

فإن يك تهامي بلبنى غَوَايَة فقد يا ذَرِيحُ بَنَ الحُبابِ غَوَيْتُ
وذكر القحذمي أن أمه بنتُ سُنَّة بن الذاهل بن عامر الخُزاعي ، وهذا هو الصحيح ؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر ، وهو الذي يقول :

ضربوا الفيلَ بالمغمس حتى ظلَّ يجبو كأنه محموم²
وفيه يقول قيس :

أُنبئتُ أن لخالِي هَجَمَةً حُبْساً كأنَّهنَّ بَجَبَ المَشْعَرِ النُّصْلُ³
قد كنتَ فيما مضى قَدَمًا تَجاورُنَا لا ناقةً لك ترعاها ولا جملُ
ما ضَرَّ خالِيَ عمرًا لو تَقَسَّمها بعضُ الحياضِ وجَمُّ البئرِ مُحْتَفِلُ

[هو رضيع الحسين بن علي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جَزء بن قَطَن قال حدثنا جَسَّاس بن محمد بن عمرو أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السَّري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين : أن قيس بن ذريح كان رضيعَ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أرضعته أم قيس .

[أول عشقه لبني ثم زواجه بها]

أخبرني بخبر قيس ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة ، فألفت ذلك أجمع ليتسق حديثه إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجُه عن جملة

1 انظر أخباره في : المؤلف 120 والآلء 739 ، 710-711 .

2 المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف .

3 الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى ما زادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة . النصل : جمع نصيل ، وهو حجر طويل رقيق كهيفة الصفيحة المحددة .

النظم فذكرته على حدة . فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزوه إلى غيره ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة ، والحسن بن علي عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعول . ونسخت أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله ، وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه ، وخالد بن جمل وتنفأ حكاها اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي . وحكيث كل متفق فيه متصلاً ، وكل مختلف في معانيه منسوباً إلى روايه . قالوا جميعاً : كان منزل قومه في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف¹ ؛ واحتج بقوله : [من البسيط]

الحمد لله قد أمتست مجاورة أهل العقيق وأمسينا على سرف

قالوا : فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة ، فوقف على خيمة منها والحبي خلوف والخمية خيمة لبني بنت الحباب الكعبية ، فاستسقى ماء ، فسقته وخرجت إليه به ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء² حلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتتبرّد عندنا ؟ قال : نعم . فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حرّ لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورؤي . ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها . فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به ؛ فشكا إليها ما يجد بها وما يلقي من حبها ، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت ، وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه . فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني ، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك . وكان ذريح كثير المال موسيراً ، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة . فانصرف قيس وقد ساء ما خاطبه أبوه به . فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب . فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين : أنا أكفيك . فمشى معه إلى أبي لبني . فلما بصر به أعظمه ووثب إليه ، وقال له : يا ابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثت إلي فأتيتك ؟ قال : إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً ابتك لبني لقيس بن ذريح . فقال : يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا .

1 سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

2 الشهلاء : التي يخالط سواد عينها زرقة .

فَأَتَى الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَرِيحاً وَقَوْمَهُ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ إعْظَاماً لَهُ وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ قَوْلِ الْخُزَاعِيِّينَ . فَقَالَ لَذَرِيحٍ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا خَطَبْتَ بُنَى لَابْنِكَ قَيْسَ . قَالَ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَأَمْرِكَ . فَخَرَجَ مَعَهُ فِي وَجْهِهِ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْا بُنَى فَخَطَبَهَا ذَرِيحٌ عَلَى ابْنِهِ إِلَى أَبِيهَا فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ . فَأَقَامَتْ مَعَهُ مَدَّةً لَا يُنْكَرُ أَحَدٌ مِنْ صَاحِبِهِ شَيْئاً .

[أَبَوَاهُ يَغْرِيَانِهِ بِطَلَاقِهَا وَيَأْنِي هُوَ]

وَكَانَ أَكْبَرَ النَّاسِ بَأْمَهُ ، فَأَهْمَتْهُ بُنَى وَعَكُوفُهُ عَلَيْهَا عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ ، فَوَجَدَتْ أُمُّهُ فِي نَفْسِهَا وَقَالَتْ : لَقَدْ شَغَلَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ابْنِي عَنْ بَرِيٍّ ؛ وَلَمْ تَرَ لِلْكَلامِ فِي ذَلِكَ مَوْضِعاً حَتَّى مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً . فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ قَالَتْ أُمُّهُ لِأَبِيهِ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ قَيْسٌ وَمَا يَتْرَكُ خَلْفَهُ وَقَدْ حُرِّمَ الْوَلَدُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَأَنْتَ ذُو مَالٍ فَيَصِيرُ مَالُكَ إِلَى الْكَلَالَةِ ، فَزَوَّجْهُ بَغِيرِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ وَلِذَا ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَأَمْهَلَ قَيْساً حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ قَوْمُهُ دَعَاهُ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ، إِنَّكَ اعْتَلَلْتَ هَذِهِ الْعِلَّةَ فَخِيفْتُ عَلَيْكَ وَلَا وَلَدَ لَكَ وَلَا لِي سِوَاكَ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ بِوَلُودٍ ؛ فَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَكَ وَلِداً تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ وَأَعَيْنَا . فَقَالَ قَيْسٌ : لَسْتُ مُتَزَوِّجاً غَيْرِهَا أَبَداً . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : فَإِنْ فِي مَالِي سَعَةً فَتَسَرَّ بِالْأَمَاءِ . قَالَ : وَلَا أَسُوءُهَا بِشَيْءٍ أَبَداً وَاللَّهِ . قَالَ أَبُوهُ : فَإِنْ أَقْسِمَ عَلَيْكَ إِلَّا طَلَقْتُهَا . فَأَبَى وَقَالَ : الْمَوْتُ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي أُخِيرُكَ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَتَزَوَّجُ أَنْتَ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُرْزَقَكَ وَلِداً غَيْرِي . قَالَ : فَمَا فِي فَضْلَةٍ لِذَلِكَ . قَالَ : فَدَعْنِي أُرْتَحِلَ عَنْكَ بِأَهْلِي وَاصْنَعْ مَا كُنْتَ صَانِعاً لَوْ مِتُّ فِي عِلَّتِي هَذِهِ . قَالَ : وَلَا هَذِهِ . قَالَ : فَأَدْعُ بُنَى عِنْدَكَ وَأُرْتَحِلْ عَنْكَ فَلَعَلِّي أَسْلُوها فَإِنِّي مَا أَحَبُّ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ نَفْسِي طَيِّبَةً أَنَّهَا فِي خِيَالِي . قَالَ : لَا أَرْضَى أَوْ تَطَلَّقْهَا ، وَحَلَفَ لَا يَكُنْهُ سَقْفُ بَيْتٍ أَبَداً حَتَّى يَطْلُقَ بُنَى ، فَكَانَ يَخْرُجُ فَيَقِفُ فِي حَرِّ الشَّمْسِ ، وَيَجِيءُ قَيْسٌ فَيَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ فَيُظِلُّهُ بِرِدَائِهِ وَيَصَلِّيَ هُوَ بِحَرِّ الشَّمْسِ حَتَّى يَقِيءَ الْفَيْءَ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُ ، وَيَدْخُلُ إِلَى بُنَى فَيَعَانِقُهَا وَتَعَانِقُهُ وَيَكِي وَتَكِي مَعَهُ وَتَقُولُ لَهُ : يَا قَيْسُ ، لَا تُطْعِمَ أَبَاكَ فَتَهْلِكَ وَتَهْلِكُنِي . فَيَقُولُ : مَا كُنْتُ لِأَطْعِمَ أَحَداً فَيْكَ أَبَداً . فَيَقَالُ : إِنَّهُ مَكَثَ كَذَلِكَ سَنَةً . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ كُلْثُومٍ : ذَكَرَ ابْنُ عَائِشَةَ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ طَلَقَهَا . وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ .

[طَلَاقُهَا لَبِنَى ثُمَّ نَدِمَهُ عَلَى فِرَاقِهَا ، وَشَعَرَهُ فِي ذَلِكَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ لَيْثِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ سَمِعَ قَيْسَ بْنَ ذَرِيحٍ يَقُولُ لِزَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ : هَجَرَنِي أَبُوَايَ فِي بُنَى عَشْرَ سَنِينَ أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمَا فَيَرُدَّانِي حَتَّى طَلَقْتُهَا . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَأَخْبَرْتُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ الطَّوِيلَ لَقِيَ ذَرِيحاً أَبَا

قيس فقال له : ما حملك على أن فرقتَ بينهما ؟ أما علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أبالي أفرقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف . وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزمادي عن سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سَنة أبي قيس : أحلَّ لك أن فرقتَ بين قيس ولُبنى ؟! أما إني سمعتَ عمر بن الخطاب يقول : ما أبالي أفرقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف . قالوا : فلما بانَتْ لُبنى بطلاقه إياها وفرغ من الكلام ، لم يلبث حتى استطير عقله وذُهب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكر لُبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحرَّ نشيج . وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليحتملها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهودج على ناقه وبإبل تحمل أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وسل لُبنى . فذهب ليلِمَ بخيائها فيسألها ، فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ؟ هذه لُبنى ترحل الليلة أو غداً . فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :

[من الطويل]

وراني لمُفني دمعَ عيني بالبكا
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي
بحببك إلا أن ما حان حائن

في هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون . قال وقال قيس : [من الطويل]

يقولون لُبنى فتنة كنت قبلها
فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي
وددتُ وبيتَ الله أني عصيتهم
وكلفتُ خوضَ البحر والبحر زاحراً
كأنني أرى الناسَ المحبين بعدها
فتنكرُ عيني بعدها كلَّ منظرٍ
بخير فلا تندم عليها وطلقي
وأقررتُ عين الشامت المتخلقي¹
وحملتُ في رضوانها كلَّ موبقٍ²
أبيتُ على أثباج موجٍ مُغرقي
عُصارة ماء الخنظل المتفلق
ويكره سمعي بعدها كلَّ منطقٍ

قال : وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل ينعق مراراً ، فتطير منه وقال :

[من الوافر]

لقد نادى الغرابُ بيِّن لُبنى
فطار القلب من حذرِ الغرابِ

1 المتخلق : الذي يتكلف ما ليس في خلقته .

2 الموبق : المهلك .

وقال غداً تَبَاعَدُ دارُ بُنَيَّ وتَنَأَى بعدُ ودٌّ واقتراب
فقلتُ تَعِسَتْ وَيَحْكُ من غراب وكان الدهرَ سَعِيكَ في تَبَابِ
وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها :
[من الطويل]

صوت

ألا يا غرابَ الْيَنِّ وَيَحْكُ نَبِيَّ بعلمك في بُنَيَّ وأنتَ خَيْرُ
فإنَّ أنتَ لم تُخَيِّرْ بما قد علمته فلا طِرْتَ إلا والجنَّاحَ كَسِيرُ
ودُرتَ بأعداءِ حَبِيْبِكَ فيهِمُ كما قد تَرَانِي بالحبيبِ أَدُورُ
غَنَى سليمانَ أخو حَجَبَةٍ رملًا بالوسطى .

قالوا : وقال أيضاً وقد أُدْخِلْتَ هودجها ورحلتُ وهي تَبْكِي وتَبْعُها : [من الطويل]

ألا يا غرابَ الْيَنِّ هل أنتَ مُخْبِرِي بخيرٍ كما خَبَرْتَ بالنَّأْيِ والشرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زالَ فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بَاقٍ على الدهرِ
غَنَى فيهما ابنُ جامعٍ ثاني ثَقِيلٍ بالنصرِ عن الهشامي . وذكر حبش أن لَقَفَا النجارَ فيهما
ثَقِيلاً أولَ بالوسطى . قالوا : فلما ارتحل قومُها اتَّبَعَهَا مَلِيّاً ، ثم علم أن أباهَا سَيَمْنَعُهُ من
المسيرِ معها ، فوقفَ ينظرُ إِلَيْهِمْ وَيَكِي حتى غابوا عن عينه فَكَّرَ راجعاً . ونظرَ إلى أثرِ خُفِّ
بَعِيرِها فَأَكَبَّ عليه يَقْبَلُهُ ورجعَ يَقْبُلُ موضعَ مجلسِها وأثرَ قَدَمِها . فليَمَ على ذلك وعنفه قومه
على تَقْيِيلِ الترابِ ؛ فقال :

وما أُحِبُّتُ أَرْضَكُمْ ولكن أَقْبَلُ إِثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرابِ
لقد لاقيتُ من كَلْفِي بُلْبُنِي بلاءَ ما أُسَيِّغُ به الشُّرابِ
إذا نادى المَنادي باسمِ بُنَيَّ عَيَّيتُ فما أَطِيقُ له جوابِ
وقال وقد نظرَ إلى آثارها :

[من الوافر]

صوت

ألا يا رَبَعَ بُنَيَّ ما تقولُ أَيْنَ لي اليَوْمَ ما فعلَ الحُلُولُ
فلو أن الدِّيارَ تُجِيبُ صَبّاً لردَ جِوَابِي الرَّبْعَ المُحِيلُ
ولو أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاةً قالتُ غَدَرْتُ وماءُ مُقْلَتِها يَسِيلُ
نَحَرْتُ النَّفْسَ حينَ سَمِعْتُ منها مَقَاتِلَها وذاك لها قَلِيلُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ نَفْسِي من فِعالي ولم أَغْبِرْ بَلا عَقْلِي أَجُولُ

غَنَى فِيهِ حَسِينُ بْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مِنْ رَوَائِي بَذَلَ وَقَرِيضٌ . وَتَمَامُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

كَأَنِّي وَالِئْهَ بِفِرَاقِ لُبْنَى تَهَيَّمُ بِفَقْدِ وَاحِدِهَا تُكُولُ¹
أَلَا يَا قَلْبُ وَيَحْكَ كَنْ جَلِيداً فَقَدْ رَحَلَتْ وَفَاتَ بِهَا الذَّمِيلُ²
فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ رَجُوعَ لُبْنَى إِذَا رَحَلَتْ وَإِنْ كَثُرَ الْعَوِيلُ³
وَكَمْ قَدْ عِشْتَ كَمْ بِالْقَرَبِ مِنْهَا وَلَكِنْ الْفِرَاقَ هُوَ السَّبِيلُ⁴
فَصَبِراً كُلُّ مُؤْتَلِفَيْنِ يَوْماً مِنْ الْأَيَّامِ عَيْشُهُمَا يَزُولُ

قال : فلما جَنَّ عليه الليلُ وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تمللم السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خيائها ، فجعل يتمرغ فيه ويكي ويقول : [من الخفيف]

صوت

بِتْ وَالْهَمْ يَا لُبْنَى ضَجِيعِي وَجَرَتْ مُذْ نَأَيْتِ عَنِّي دَمُوعِي
وَتَنَفَّسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى زَالَتْ الْيَوْمَ عَنْ فَوَادِي ضُلُوعِي
أَتَنَاسَاكِ كَي يُرِيغَ فَوَادِي ثُمَّ يَشْتَدُّ عِنْدَ ذَاكَ وَلُوعِي³
يَا لُبْنَى فَذَتْكَ نَفْسِي وَأَهْلِي هَلْ لَدَهْرٍ مَضَى لَنَا مِنْ رَجُوعٍ

غنت في البيتَيْن الأولَيْن شارية خفيف رمل بالوسطى . وغنى فيهما حسين بن محرز ثاني ثَقِيل ، هَكَذَا ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ ؛ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَهَا شَمُ بْنُ سَلِيمَانَ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَكَعْبٌ قَالَ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدٍ الْمُسَاحِقِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنٍ الْغِفَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَجُوزٍ لَهُمْ يَقَالُ لَهَا حَمَادَةُ بِنْتُ أَبِي مُسَافِرٍ قَالَتْ : جَاوَرْتُ آلَ ذَرِيحٍ يَقْطِيعُ لِي فِيهِ الرَّائِمَةُ⁴ وَذَاتُ الْبَوِّ وَالْحَائِلُ⁵ وَالْمُتَبِعُ . قَالَتْ : فَكَانَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ إِلَى شَرْفٍ فِي ذَلِكَ الْقَطِيعِ يَنْظُرُ إِلَى مَا يَلْقَيْنَ فَيَتَعَجَّبُ . فَقَلَمَا لَبِثَ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُوهُ بِطَلَاقِ لُبْنَى فَكَادَ يَمُوتُ ، ثُمَّ آلَى أَبُوهُ لَعَنَ أَقَامَتْ لَا يُسَاكِنُ قَيْساً . فَظَعَنْتُ فَقَالَ : [من الطويل]

أَيَا كَبِداً طَارَتْ صُدُوعاً نَوَافِداً وَيَا حَسْرَتَا مَاذَا تَغْلَغَلْ فِي الْقَلْبِ

1 نكول في ل : عجول .

2 الذميل : السير اللين .

3 يريغ : يحيد .

4 الرائمة : العاطفة على غير ولدها . والبو : جلد الحوار يحشى ثاماً أو تيناً أو غيرها فيقرب من أم الفصيل فتعطف

عليه فتدر .

فَأَقْسِمُ مَا عُمَشُ الْعَيُونُ شَوَارِفُ رَوَائِمَ بَوِّ حَائِمَاتٍ عَلَى سَقَبٍ¹
تَشْمَمَنَّهُ لَوْ يَسْتَطِيعُنَ ارْتَشَفَنَّهُ إِذَا سُفْنُهُ يَزِدُّدَنَّ نَكْبًا عَلَى نَكَبٍ²
رَيْمَنْ فَمَا تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفُ وَحَالَقَنَّ حَبْسًا فِي الْمُحُولِ وَفِي الْجَدْبِ
بَأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُهَا وَقَدْ طَلَعْتُ أَوَّلَى الرُّكَّابِ مِنَ النَّقَبِ
وَكُلُّ مُلِمَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ
أَخْبَرَنِي عَمِي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَائِشَةَ يَقُولُ : قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ
الْهَاشِمِيُّ : لَمْ يَقُلِ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِثْلَ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخَطْبِ
[خَرَجَ فِي فِتْيَةٍ إِلَى بِلَادِهَا حَتَّى رَأَاهَا ، وَشَعَرَهُ فِي ذَلِكَ]

قَالَ وَقَالَ ابْنُ النُّطَاحِ قَالَ أَبُو دِعَامَةَ : خَرَجَ قَيْسٌ فِي فِتْيَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَاعْتَلَّ عَلَى أَبِيهِ بِالصَّيْدِ ،
فَأَتَى بِلَادَ لُبْنَى ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَرَاهَا أَوْ يَرَى مِنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا . فَاشْتَغَلَ الْفَتَيَانُ بِالصَّيْدِ ؛ فَلَمَّا
قَضَوْا وَطَرَهُمْ مِنْهُ رَجَعُوا إِلَيْهِ وَهُوَ وَاقِفٌ ، فَقَالُوا لَهُ : قَدْ عَرَفْنَا مَا أُرَدْتَ بِإِخْرَاجِنَا مَعَكَ وَأَنْتَ لَمْ
تُرِدِ الصَّيْدَ وَأَنْمَا أُرَدْتَ لِقَاءَ لُبْنَى ، وَقَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْكَ فَانصَرِفْ الْآنَ . فَقَالَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
وَمَا حَائِمَاتٌ حُمْنَ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَغْشَيْنِ الْعَصِيَّ حَوَانِ
عَوَافِي لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لُوجْهَةٌ وَلَا هَنْ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِ³
يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتَ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِ
بَأَجْهَدَ مِنِّي حَرَّ شَوْقٍ وَلَوْعَةٍ عَلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي
خَلِيلِي إِنِّي مَيِّتٌ أَوْ مُكَلَّمٌ لُبَيْنِي بِسَرِّي فَاْمُضِيَا وَذَرَانِي
أَنْلُ حَاجَتِي وَحَلْدِي وَيَا رَبُّ حَاجَةٌ قَضَيْتُ عَلَى هَوْلٍ وَخَوْفٍ جَنَانِ
فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَلَا تُجَاوِزَا وَتَطَّرِحَا مَنْ لَوْ يَشَاءُ شِفَانِي
وَمَنْ قَادَنِي لِلْمَوْتِ حَتَّى إِذَا صَفَّتْ مِشَارِبُهُ السَّمَاءِ الدُّعَافَ سَقَانِي
قَالَ : فَأَقَامُوا مَعَهُ حَتَّى لَقِيَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ مَتَعَرِّضٌ لِنَفْسِكَ وَفَاضِحِي .
فَقَالَ لَهَا :

1 الشوارف : جمع شارفة وهي الناقة المسنة . السقب : ولد الناقة .

2 ساف الشيء : شمه . والنكب : ظلع البعير .

3 العواني : جمع عافية وهي التي ترد الماء .

صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرَتْ فِيهِ هَوَاكِ فَلَيْمَ فَالتَّامَ الْفُطُورُ¹
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

[أبو السائب المخزومي وشعر قيس]

وقال القحذمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال : أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس :

صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرَتْ فِيهِ هَوَاكِ فَلَيْمَ فَالتَّامَ الْفُطُورُ
فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة ، فقال : أي زبدة عجلي . فقالت : أنا أعجنُ .
فقال : ويحك ! تعالي ودعي العجين . فجاءت فقال لي : أنشد بيتي قيس ، فأعدتهما . فقال
لها : يا زبدة ، أحسن قيس وإلا فأنت حرة ! ارجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرُد .
[حسرتة على فراقها وتأنيبه نفسه]

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه طلاقه لُبْنَى ويقول : فألا رحلتُ بها عن
بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَيَّ ؟ فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدته لم أخرج من فعله ؛
وما كان عليّ لو اعتزلته وأقمته في حيّها أو في بعض بَوَادِي العرب ، أو عَصَيْتَهُ فلم أطعه ! هذه
جنائتي على نفسي فلا لومَ على أحد ! وهأنذا ميّتٌ مما فعلته ، فمن يرُدُّ رُوحِي إليّ ! وهل لي
سبيل إلى لبني بعد الطلاق ؟! وكلما قرّع نفسه وأنبّها بلونٍ من التقرّيع والتأنيب بكى أحرَّ
بكاء وألصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال :

صوت

وَيْلِي وَعَوْلِي وَمَالِي حِينَ تُفْلِتُنِي مِنْ بَعْدِ مَا أَحْرَزْتُ كَفِي بِهَا الظَّفَرَا
قَدْ قَالَ قَلْبِي لَطَرْفِي وَهُوَ يَعِذُّهُ هَذَا جَزَاؤُكَ مِنِّي فَاكْلِمِ الْحَجْرَا
قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْهَا لَوْ تُطَاوَعُنِي فَاصْبِرْ فَمَا لَكَ فِيهَا أَجْرٌ مِنْ صَبْرَا
غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى
عن حبش . وفي الثالث والأول خفيف رَمَلٍ يقال إنه لابن الهريذ .

قالوا وقال أيضاً :

بَانَتْ لُبْنَى فَانْتِ الْيَوْمَ مَتَبُولٌ وَالرَّأْيِ عِنْدَكَ بَعْدَ الْحَزْمِ مَخْبُولٌ
أُسْتَوْدِعَ اللَّهُ لُبْنَى إِذْ تَفَارَقْنِي بِالرَّغْمِ مِنِّي وَقَوْلُ الشَّيْخِ مَفْعُولٌ

وقد أراني بلبني حقً مقتنع
قال خالد بن كلثوم وقال :

[من الطويل]

ألا ليت لبني في خلاء تزورني
صحا كل ذي لب وكل متيم
فيا من لقلب ما يفيق من الهوى
قالوا وقال في ليلته تلك :

[من البسيط]

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها
حتى تكتنفي الواشون فافتلتت
هيهات هيهات قد أمست مجاورة
قال : وسرف على ستة أميال من مكة . والعقيق : واد باليمامة² .

حي يمانون والبطحاء منزلنا
[من شعره في لبني وقد سحت له ظبية]

قالوا : فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسم روائحها ، فسحت له
ظبية فقصدها فهربت منه فقال :

[من الوافر]

ألا يا شبة لبني لا تراعي
وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فوا كبدي وعادني رداعي
تكتنفي الوشاة فازعجوني
فأصبحت الغداة ألوم نفسي
كمغبون يعض على يديه
بدار مضيعة تركك لبني
وقد عشنا نلذ العيش حيناً
وكان فراق لبني كالخداع³
فيالله للواشي المطاع
على شيء وليس بمستطاع
تبيين غبه بعد البيع
كذاك الحين يهدي للمضاع
لو أن الدهر للإنسان داع

1 افلتت : أخذت بغته .

2 ل : بالمدينة .

3 الرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله .

ولكنَّ الجميعَ إلى افتراق وأسبابُ الحُوفِ لها دواع
غناه الغريض من القَدَر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن
إسحاق . وفيه لمبعد خفيفٌ ثَقِيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو والهشامي . ولشارية في البيتَين الأولين
ثَقِيلٌ أولٌ آخر بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي في : [من الوافر]
بدارٍ مَضِيعَةٍ تركتكُ لُبنِي

وقبله :

فواكبدي وعادوني رُداعي

ولسياطٍ في البيتَين الأولين خفيفٌ رمل بالبنصر عن حبش .

[أُغرتُ أمه فتيات الحى بأن يعن عنده لُبنِي ليسلوا فلم يسل]

حدثني عمِّي عن الكراني عن العُتبي عن أبيه قال : بعثتُ أمَّ قيس ذَرِيجَ بفتيات من قومه إليه
يَعِينُ إليه لُبنِي وَيَعِينُهُ بِجَزَعِهِ وبكائه ويتعرَّضُنَ لوصاله ، فَأَتَيْنَهُ فَاجْتَمَعَنَ حِوَالِيَهُ وجعلن يمازجنه
وَيَعِينُ لُبنِي عنده وَيَعِينُهُ ما يفعله . فلما أَطْلُنَ أَقْبَلَ عليهن وقال : [من الطويل]

صوت

يَقَرُّ بعيني قُرْبُها وَيَزِيدُنِي بها كَلْفاً مَنْ كان عندي يَعْيبُها

وكم قائلٍ قد قال تُبُ فَعَصِيَّتُهُ وتلك لَعَمْرِي توبَةٌ لا أَتُوبُها

فيا نفسُ صَبِراً لستِ واللهِ فاعلمي بأوَّلِ نفسٍ غابَ عنها حَبِيبُها

غناه دَحْمان ثَقِيلاً أولٌ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبنصر لسُليم ، وذكر حبش أنه لإسحاق ،
قال : فانصرفن عنه إلى أمه فَأَيَّاسْنَهَا من سَلَوته . وقال سائر الرُواة الذين ذكروهم : اجتمع إليه
النِّسوة فأُطْلُنَ الجُلوسَ عنده ومُحَادَثَتَهُ وهو ساهٍ عنهن ، ثم نادى : يا لُبنِي ! فقلن له : ما لك
ويحك ! فقال : خَدِرتُ رجلي ، ويقال : إن دعاء الإنسان باسم أحبِّ الناس إليه يُذهب عنه
خَدَرُ الرَّجُلِ فنَادَيْتُها لذلك . فقممن عنه ، وقال : [من الطويل]

إذا خَدِرتُ رجلي تَذَكَّرْتُ مَنْ لها فنَادَيْتُ لُبنِي باسمِها ودَعَوْتُ

دَعَوْتُ التي لو أن نفسي تُطِيعُنِي لفارَقْتُها من حَبِيبِها وَقَضَيْتُ

بَرَّتْ نَبَلُها لِلصِّيدِ لُبنِي وَرَبَّيْتُ وَأَخْطَأْتُها بِالسَّهْمِ حينَ رَمَيْتُ

فلما رَمَتْنِي أَقْصَدْتَنِي بِسَهْمِها وَفَارَقْتُ لُبنِي ضَلَّةً فَكَأَنَّنِي

قَرَنْتُ إلى العَيُوقِ ثم هَوَيْتُ

فيا ليت أني مُتُّ قبل فراقها
فصرتُ وشيخي كالذي عثرتُ به
فقامتُ ولم تُضررْ هناك سَوِيَّةُ
فإن يك تهيامي بلبني غَوَايَةُ
فلا أنت ما أملتُ في رأيته
فوطنُ لهلْكي منك نفساً فإنني
وهل تَرْجِعُنْ فَوْتَ القضية لَيْتُ
غَدَاةَ الوَغَى بين العُدَاة كُمَيْتُ
وفارسُها تحتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ
فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ
ولا أنا لُبْنَى والحياةَ حَوَيْتُ
كأنك بي قد يا ذَرِيحُ قَضَيْتُ

[حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبني]

وقال خالد بن كلثوم : مريض قيس ، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدْنَهُ ويَحْدِثْنَ لَهُ لَعْلَهُ أَنْ يتَسَلَّى أو يعلّقَ بعضهن ، ففعلن ذلك . ودخل إليه طبيب ليداويه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال :

صوت

عَيْدَ قَيْسٍ من حبِّ لُبْنَى ولُبْنَى
وإذا عادني العوائِدُ يوماً
ليت لُبْنَى تَعُودَني ثم أَقْضِي
وَيَحْ قَيْسٍ لَقَدْ تَضَمَّنْ منها
دَاءُ قَيْسٍ والحُبُّ دَاءٌ شَدِيدُ
قالت العينُ لا أرى من أريدُ
إنها لا تعود فيمن يعودُ
دَاءُ حَبْلِ فالقلبُ منه عَمِيدُ

غناه ابن سُرَيْجٍ خفيف رملٍ عن الهشامي . وفيه للحَجَبِي ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وفيه ليحيى المكي رمل ، قالوا : فقال له الطبيب : منذُ كم هذه العلة ؟ ومنذُ كم وجدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ ؟ فقال :

صوت

تعلّق رُوحِي روحَهَا قبل خَلَقِنَا
فزَادَ كما زِدْنَا فأصْبَحَ نَامِيَا
ولكنّه باقٍ على كُلِّ حَادِثٍ
ومن بعدِ ما كُنَّا نَطَافَا وفي المهدِ
وليس إذا مُتْنَا بِمُنْصَرِمِ الْعَهْدِ
وزائرنا في ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ

غناه الغريض ثَقِيلًا أَوَّلٌ بالوسطى من رواية حَبَش ، قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسْلِكُ عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعائب وما تعافه النفس من أقدار بني آدم ، فإن النفس تنبو حيثئذٍ وتسلو ويخف ما بها . فقال :

إذا عَيْتُهَا شَبَّهْتُهَا البَدْرَ طَالِعَا
وحَسْبُكَ من عَيْبٍ لها شَبَّهُ البَدْرِ

لقد فضّلتُ لبني على الناس مثل ما على ألف شهر فضّلتُ ليلة القدرِ

صوت

[من الطويل]

إذا ما مشيت شبراً من الأرض أرجفت من البهر حتى ما تزيدُ على شبرٍ
لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها إذا مشتُ ومنتنٌ كخَصَنِ البانِ مُضْطَمِرُ الْخَصْرِ

غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى . وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُرَيْج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي ، قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبه ولامه وقال له : يا بني ! الله الله في نفسك ! فإنك ميتٌ إن دمتَ على هذا ! فقال : [من الطويل]

وفي عُروَةِ العُدْرِي إن متُّ أُسوةٌ وعمرو بن عجلان الذي قتلت هندُ
وبي مثلُ ما ماتا به غير أنني إلى أجلٍ لم يأتني وقته بعدُ

صوت

[من الطويل]

هل الحبُّ إلا عِبرةٌ بعد زَفرةٍ وحرٌّ على الأحشاء ليس له برْدُ
وفيضُ دموعٍ تَسْتَهْلُ إذا بدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر ، وقيل : إنه مولى سليمان بن علي ، ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي .
[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعره]

وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير ، وأخبرنا يزيد بن ثعلب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال : جلستُ أنا وأبو السائب في النبأين ، فأنشدني قولَ قيس بن ذريح :

عِيدَ قيسٍ من حبِّ لبني ولبني داءُ قيسٍ والحب داءٌ شديدُ
ليت لبني تعودني ثم أقضي إنها لا تعود فيمن يعودُ

[من الطويل]

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلّق رُوحِي رُوحَهَا قبل خَلَقْنَا ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهدِ
فزاد كما زدنا وأصبح نامياً وليس إذا متنا بمتنقِضِ العهدِ
ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ وزائرنا في ظلمةِ القبرِ واللحدِ

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويهما . فدخل زقاق النبّالين وجعلتُ أرّدها عليه
ويقوم ويقعد حتى رواها .

رجع الخبر إلى سياقه .

[زوجه أبوه غيرها ليسلوا فتزوجت لبني]

وقال خالد بن جَمَل : فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة
جميلة فلعلّه أن يسلبوها عن لبني . فدعاه إلى ذلك فأباه وقال : [من الطويل]

لقد خِفْتُ ألا تَقْنَع النفسُ بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مَقْنَعَا
وأزجر عنها النفسَ إذ حيل دونها وتأبى إليها النفسُ إلا تَطْلُعَا

فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه . قالوا : فمرّه بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلّ عينه
أن تقع على امرأة تُعجبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحميّ من فزارة ، فرأى
جارية حسناء قد حسرت بُرُقعَ خَز عن وجهها وهي كالبدرة ليلة يَمّة ، فقال لها : ما اسمك يا
جارية ؟ قالت : لبني . فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لِمَا
عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسَ بن ذريح إنه لمجنون ! فأفاق فنسّبتَه فانتسب . فقالت :
قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نَشَدْتُكَ بالله وبحق لبني إلا أصبتَ من طعامنا . وقَدِّمْتَ إليه
طعاماً ، فأصاب منه بإصبعه . وركب فأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقته ،
فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى رده إلى منزله ، وحلف عليه ليُقيمَنَّ عنده شهراً . فقال
له : لقد شَقَقْتَ عليّ ، ولكنني سأتابع هواك ، والفزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ،
فعرض عليه الصَّهْر . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً ، ولكنني في شغل لا يُتَفَع بي معه . فلم
يزل يعاوده والحيّ يُلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبّة . فقال :
دعوني ، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصَّهْر بينه وبينه
على أخته المسماة لبني ، وقال له : أنا أسوق عنك صداقها . فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي
مالاً ، فما حاجتك إلى تكلف هذا ؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر . ففعل وأعلم أباه
الذي كان منه ، فسره وساق المهرَ عنه . ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم
يَرَوْه هَشٍ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم
أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه إلى المدينة . وكان له
صديق من الأنصار بها ؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبني فغمّها وقالت : إنه
لغَدَّار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم ، وقد كان أبوها شكا
قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرّضه لها بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهْدِر دمه إن

تعرض لها ، وأمر أباهما أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان ، ويقال : بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش ، فزوجها أبوها منه . قال : فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها : [من الهزج]

لُبْنَى زَوْجُهَا أَصْبَحَ ح لَا حَرَّ بَوَادِيهِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ بِمَا بَاتَتْ تُنَاجِيهِ
وَقَيْسٌ مَيِّتٌ حَيٌّ صَرِيحٌ فِي بَوَاكِيهِ
فَلَا يُبْعِدُهُ اللَّهُ وَبُعْدًا لِنَوَاعِيهِ

قال : فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرَّ ويكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فوره حتى أتى محلَّة قومها ، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ؟ قد نُقِلت لُبْنَى إلى زوجها ! . وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمكك¹ في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويكي أحرَّ بكاء . ثم قال :

صوت

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ لُبْنَى كَمَا شَكَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمُ
يَتِيمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فَجَسَمُهُ نَحِيلٌ وَعَهْدُ الْوَالِدَيْنِ قَدِيمُ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَاذِبِينَ أَلُومُ
أُمُتْعِبَرًا يِكِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى أَمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ

لابن جامع في البيتَيْن الأولين ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِي . وَلَعَرِيبَ فِيهِمَا ثَانِي ثَقِيلٌ . وَفِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ لَمَيَّاسَةٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَجَبَشَ وَالْهَشَامِي . وَتَمَامُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَلَيْسَتْ فِيهَا صَنْعَةٌ ، قَوْلُهُ :

تَهَيَّضَنِي مِنْ حَبٍّ لُبْنَى عِلَاقٌ وَأَصْنَافُ حَبٍّ هَوْنٌ عَظِيمُ
وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَبٍّ لُبْنَى فَوَادُهُ يَمُتْ أَوْ يَعِشْ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيمُ
فَإِنِّي وَإِنْ أَجْمَعْتُ عَنْكَ تَجَلُّدًا عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا مُقِيمُ
وَإِنْ زَمَانًا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَا لَمَشُومُ

أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ صحيحٌ وقلبي في هواك سقيمٌ
وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره ، ولكنها في هذه الرواية
منسوبة إليه .

قال : وقال أيضاً في رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في
حيها :

صوت

بانت لُبنى فهاج القلبَ مَنْ بانا وكان ما وعدتُ مطلاً وليّانا¹
وأخلفتك مني قد كنت تأملها فأصبح القلبُ بعدَ البين حيرانا
اللهُ يدري وما يدري به أحدٌ ماذا أجمعُ من ذكراك أحياناً
يا أكملَ الناسِ من قرّن إلى قدمٍ وأحسنَ الناسِ ذا ثوبٍ وعُرانا
نعم الضَّجيجُ بُعيدَ النومِ تجلبه إليك ممتكاً نوماً ويقظانا
للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقبلي مطلق في مجرى البصر عن إسحاق وعمرو . وذكر
الهشامي أن فيه لابن مُحَرِّز ثاني ثقبلي آخر . وقال أحمد بن عبيد : فيه لحنانٍ ليحيى المكي
وعُلوّيه . وتمام هذه القصيدة :

لا بارك الله فيمن كان يحسبكم إلا على العهدِ حتى كان ما كانا
حتى استفتتُ أخيراً بعد ما نكحت كأنما كان ذاك القلب حيرانا
قد زارني طيفكم ليلاً فأرقني فبتُ للشوقِ أذري الدمعَ تهتاناً
إن تصرّمي الحبلُ أو تمسي مفارقةً فالدهرُ يُحدثُ للإنسان ألواناً
وما أرى مثلكم في الناس من بشرٍ فقد رأيتُ به حياً ونسواناً
[شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه ، وشعره في ذلك]

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عدي ، ورواه عمر بن شُبّة أيضاً : أن أبا لُبنى
شخص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرّضه لابنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية إلى مروان
أو سعيد بن العاص يُهدر دمه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدّ في ذلك . فكتب مروان أو سعيد في ذلك
إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبنى كتاباً وكيداً . ووجهت لُبنى رسولاً قاصداً إلى قيس
تُعلمه ما جرى وتحذّره . وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهّمه وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يُهدر

السلطان دمك ؟ فقال :

[من الطويل]

صوت

فإن يحجبوها أو يحلّ دون وصلها
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى
ومن حرقٍ للحب في باطن الحشى
سأبكي على نفسي بعين غزيرة
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى
فما برح الواشون حتى بدت لهم
لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا
مقالّة واشٍ أو وعيد أمير
ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري
ومن حرقٍ تعتادني وزفير
وليلٍ طويل الحزن غير قصير¹
بكاء حزين في الوثاق أسير
بأنعم حالي غبطة وسرور
بطون الهوى مقلوبة لظهور
ولكنما الدنيا متاع غرور

هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح . وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبد الله بن مضعب ، غنى يزيد حوراء في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى . وغنى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غير مجنس . وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى . وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيل أول ابتداؤه نشيد . وقال ابن الكلبي في خبره : قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها : [من الطويل]

إن تك بُني قد أتى دون قربها
فإن نسيم الجو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا
إلى أن يعود الدهر سلماً وتفضي
حجاب منيع ما إليه سبيل
وبُصر قرن الشمس حين تزول
ونعلم أنا بالنهار نقي
سماء نرى فيها النجوم تجول
ترات بغاها عندنا وذحول

[شعره فيها حين صادفها في موسم الحج]

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتبي حدثني أبي قال : حج قيس بن ذريح ، واتفق أن حجّت بُني في تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فذهش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلام وتسأله عن خبره فألفته جالساً وحده يُنشد ويكي :

[من الطويل]

ويومَ مِنِّي أَعْرَضْتَ عَنِّي فلم أَقْلُ بِحاجةِ نفسٍ عندَ لُبْنَى مقالها
وفي اليأسِ للنفسِ المريضةِ راحةً إذا النفسُ رامتْ خُطَّةً لا تنالها
فدخلتْ خبائه وجعلتْ تحدّثه عن لُبْنَى ويحدثها عن نفسه مَلِيّاً ، ولم تُعلمه أن لُبْنَى أرسلتها
إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الطويل]

إذا طلعتْ شمسُ النهارِ فسَلِّمي فَإِنَّهُ تسليمي عليكِ طلوعُها
بعشرِ تحيّاتٍ إذا الشمسُ أُشْرِقتْ وعشرٍ إذا اصْفَرَّتْ وحنَّ رجوعُها
ولو أبلغتها جارةٌ قولِي أسَلِّمي بكتٍ جَزَعاً وارفَضُ منها دموعُها
وبأنَ الذي تُخفي من الوجدِ في الحَشَى إذا جاءها عني حديثُ يرُوعها
غَنَى في البيتينِ الأولينِ علويه خفيف رمل بالوسطى ، قال : وقضى الناسُ حجَّهم
وانصرفوا . فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أَشْفَى منه على الموت ، فلم يأتِه رسولها
عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به ؛ فقال : [من الطويل]

أَلْبَنَى لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ مَصِيتِي غَدَاةً غَدٍ إِذْ حَلَّ مَا أَتَوَّقُعُ
تُمنِّينِي نَيْلاً وتَلوِّينِي بِهِ فَنفسي شوقاً كلَّ يومٍ تَقَطَّعُ
وقلبكِ قَطُ ما يَلِينُ لما يرى فوا كبدي قد طال هذا التَضَرُّعُ¹
أَلومكِ في شَأْنِي وَأَنْتِ مُلِيمةٌ لَعَمْرِي وَأَجْفَى للمحبِّ وأَقْطَعُ
أُخْبِرْتِ أَنِّي فيكَ مَيِّتٌ حَسَرْتِي فما فاض من عينيكِ للوَجْدِ مَدَمْعُ
ولكن لَعَمْرِي قد بَكَيْتُكِ جَاهِداً وَإِنْ كان دائي كُلُّهُ منك أَجْمَعُ
صَبِيحَةَ جَاءَ العائِداتُ يَعدُنَنِي فَظَلَّتْ عَلَيَّ العائِداتُ تَفْجَعُ
فَقائِلَةٌ جئنا إليه وقد قضى وقائلةٌ لا ، بل تركناه يَنْزِعُ
وروى القَحْظَمي هاهنا : [من الطويل]

فما غَشِيَتْ عَيْنُكَ مِنْ ذاكِ عَبرَةً وعيني على ما بي بِذِكْرِكَ تَدْمَعُ
إذا أَنْتِ لم تَبْكِي عَلَيَّ جَنَازَةً لَدَيْكَ فلا تَبْكِي غَدَاً حينَ أُرْفَعُ²
قال : فبلغتها الأبيات ، فجزعت جزعاً شديداً ، وبكت بكاءً كثيراً . ثم خرجت إليه ليلاً
على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقى عليك وأخشى أن تُقتل ، فأنا أحماك لذلك ، ولولا

1 قط في ل : فظ .

2 الجنازة (بالكسر والفتح) الميت . والمراد هنا المريض المشرف على الموت .

هذا لما افترقنا . وودعته وانصرفت .

[شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه]

وقال خالد بن كلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا . فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراه إلا كاذباً فيما يدعي ومتعللاً لا غليلاً . فبلغه ذلك فقال :

[من الطويل]

بما رُحِبْتُ يوماً عليّ تَضَيُّقُ
تُكَلِّفُ مِنِّي مِثْلَهُ فَتَذُوقُ
لَكُمْ وَالْهَدَايَا الْمُسْعِرَاتِ صَدِيقُ
حَيَاءٍ وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ
عَلَيْكَ مِنْ أَحْدَاثِ الرَّدَى لَشَفِيقُ
مَرَرْنَا عَلَيْنَا وَالزَّمَانُ أُنِيقُ
بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ
عَلَى الْبَيْنِ مِنْ لُبْنَى فَسُوفَ نَذُوقُ
تُكَلِّفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطْلِقُ
خَلِيلٌ وَلَا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
بِهَا مُغْرَمٌ صَبُّ الْفَوَادِ مَشُوقُ
وَيَتَنِي بِهَا الدَّاعِي لَهَا فَأَفِيقُ
رَدَاخٌ وَأَنْ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقُ¹
وَلَا أَنَا لِلْمُهْجَرَانِ مِنْكَ مُطِيقُ
رَهِينٌ وَنَصَفٌ فِي الْحَبَالِ وَثِيقُ
وَلِي ذِكْرُكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ عُبُوقُ
أَتَتْ عَبْرَاتٌ بِالْدمُوعِ تَسُوقُ
وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَافِ حَرِيقُ

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ
تُكَذِّبُنِي بِالوَدِّ لُبْنَى وَلَيْتَهَا
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي
تَتَوَقُّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا
أَذُودُ سِوَاكَ النَّفْسِ عَنْكَ وَمَا لَه
فَإِنِّي وَإِنْ حَاوَلْتُ صُرْمِي وَهَجْرَتِي
وَلَمْ أَرِ أَيَّاماً كَأَيَّامِنَا الَّتِي
وَوَعْدُكَ إِيَّانَا وَلَوْ قُلْتَ عَاجِلٌ ،
وَحَدَّثْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ
فَمَتَ كَمَدًا أَوْ عِشَ سَقِيمًا فَإِنَّمَا
أَطَعْتَ وَشَاءَ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمْ
فَإِنْ تَكْ لَمَّا تَسَلُّ عَنْهَا فَإِنِّي
بَلْبْنَى أَنَادِي عِنْدَ أَوَّلِ غَشِيَةٍ
شَهِدْتُ عَلَى نَفْسِي بِأَنَّكَ غَادَةٌ
وَأَنَّكَ لَا تَجْزِينَنِي بِصَحَابَةٍ
وَأَنَّكَ قَسَمْتَ الْفَوَادَ فَنَصْفُهُ
صَبُوحِي إِذَا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذِكْرُكُمْ
إِذَا أَنَا عَزَّيْتُ الْهَوَى أَوْ تَرَكْتُهُ
كَأَنَّ الْهَوَى بَيْنَ الْحَيَازِيمِ وَالْحَشَى

فإن كنت لما تعلمي العلم فاسألني فبعضٌ لبعضٍ في الفعال فووقُ
سلي هل قلاني من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ وهل ملَّ رَحلي في الرِّفاق رقيقُ
وهل يَجْتَوِي القومُ الكِرَامُ صِحابتي إذا اغْبَرَّ مَخْشِي الفِجَاجِ عَمِيقُ
وأكنم أسرارَ الهوى فأميتها إذا باحَ مَزاحُ بهنَّ بَرُوقُ
سعى الدهرُ والواشون بيني وبينها ففُطِعَ حبلُ الوصل وهو وثيقُ
هل الصبرُ إلا أن أُصَدَّ فلا أرى بأرضيك إلا أن يكونَ طريقُ

[قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه]

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعهها ويمتارَ لأهله بشمنها . فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقدم بها المدينة . فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوجُ لبنى بِنَاقَةٍ منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : إذا كان غَدًا فأتني في دار كثير بن الصَّلْتِ فاقبض الثمن ؛ قال : نعم . ومضى زوج لبنى إليها فقال لها : إني ابتعتُ ناقةً من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها ، فأعِدِّي له طعاماً ، ففعلت . فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم : قولي لسيدك : صاحب الناقة بالباب . فعرفت لبنى نَعْمَتَه فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل ، فدخل فجلس . فقالت لبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، ما لي أراك أشعثَ أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَنْ فارَقَ الأحبةَ واختار الموتَ على الحياة ، وبكى . فقالت لها لبنى : قولي له : حدِّثنا حديثك . فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجابَ وقالت : حسبك ؛ قد عرفنا حديثك ! وأسبَلَتِ الحجابَ . فبُهِتَ ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها : ويحك ؟ ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ؛ وإن شئتَ زدناك . فلم يكلمه وخرج فاغترز¹ في رَحله ومضى . وقالت لبنى لزوجها : ويحك ؛ هذا قيس بن ذريح . فما حملك على ما فعلتَ به ؟ قال : ما عرفته . وجعل قيس يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبخها على ما فعله ثم قال :

صوت

أتبكي على لبنى وأنتَ تركتها وأنتَ عليها بالملأ أنتَ أقدرُ
فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت عليَّ فللدينيا بطونٌ وأظهرُ

1 اغترز : أي ركب ، والغرز للجمال مثل الركاب للبعل .

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ وللکف مُرتادٌ وللعين منظرٌ
وللحائم العطشانِ ريٌّ بريقها وللمرح المختالِ خمرٌ ومسكرٌ
كأنِّي لها أرجوحةٌ بين أحبلٍ إذا ذُكرتْ منها على القلبِ تخطرُ
للغريض في البيتین الأولین ثقیلاً أولٌ بالوسطی عن عمرو والهشامي وفيهما لَعِيبٌ رُمْلٌ .
ولشاريةٌ خفيفٌ رملٍ من رواية أبي العنْبَس .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد
العزیز قال : تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو ذُرّة امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من
أهل المدينة يقال له أبو بَطِينَة ؛ فلقية زوجها الأول فضربه ضربة شلت يده منها . فلقية أبو
السائب المخزومي فقال له : يا أبا ذُرّة ! أضربك أبو بَطِينَة في زوجته ؟ قال : نعم . قال : أما
إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته بُنَى : [من الطويل]

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ وللکف مُرتادٌ وللعين منظرٌ
وللحائم العطشانِ ريٌّ بريقها وللمرح المختالِ خمرٌ ومسكرٌ
قال : وكانت زوجة أبي ذُرّة هذه سوداء كأنها خنفساء .

[مرضه بعد هذه الحادثة]

قال : وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفسه وأسيف ولحقه أمر عظيم ؛ فأنكروه
وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت . فدخل إليه أبوه
ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : وَيَحْكُم ! أتروني أمرضت نفسي أو
وجدت لها سلوةً بعد اليأس فاخترتُ الهَمَّ والبلاء ، أو لي في ذلك صنْع ! هذا ما اختاره لي أبوي
وقتلاني به . فجعل أبوه يكي ويدعو له بالفرج والسلوة . فقال قيس : [من الوافر]

لقد عذبتني يا حبّ بُنَى فقَعَّ إما بموتٍ أو حياةٍ
فإن الموتَ أروحُ من حياةٍ تدومُ على التباعِدِ والشّتاتِ
وقال الأقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم إذا حانت وفاتي

[دست إليه رسولا يسأله لِمَ تزوّجَ حتّى تزوّجتَ مي ؟]

قال : ودست إليه بُنَى بعد خروجه رسولا وقالت له : استنشدته ، فإن سألك عن نسبك
فانتسب له خزاعياً ؛ فإذا أنشدك فقل له : لِمَ تزوّجتَ بعدها حتّى أجابت إلى أن تزوّجَ بعدك ؟
واحفظ ما يقول لك حتّى تردّه عليّ . فأتاه الرسول فسلم وانتسب خزاعياً ، وذكر أنه من أهل
الشام واستنشدته ؛ فأنشدته قوله : [من الطويل]

فَأَقْسِمَ مَا عُمَشُ الْعَيُونُ شَوَارِفُ رَوَائِمُ بَوِّ حَانِيَاتٍ عَلَى سَقَبِ

وقد مضت هذه الأبيات ، فقال له الرجل : فلم تزوجتَ بعدها ؟ فَأخبره الخبر ، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها ، وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرجل : فإني جارٌّ لها وإنها من الوَجْدِ بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلحَ حالها بك ؛ فحملني إليها ما شئت أودّه إليها . قال : تعود إلي إذا أردت الرحيل ، فعاد إليه لما أراد الرحيل . فقال تقول لها :

أَلَا حَيُّ بُنَيَّ الْيَوْمَ إِنْ كُنْتَ غَادِيَا وَأَهْدٍ لَهَا مِنْكَ النَّصِيحَةَ إِنَّهَا وَقَلْ إِنَّنِي وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى أَصَوْنُكَ عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ مَضْنَةً تَسَاقُطُ نَفْسِي حِينَ أَلْقَاكِ أَنْفُسًا فَإِنْ أَحْيَا أَوْ أَهْلِكَ فَلَسْتُ بِزَائِلٍ أَقُولُ إِذَا نَفْسِي مِنَ الْوَجْدِ أَصْعَدْتُ وَبَيْنَ الْحَشَى وَالنَّحْرِ مِنِّي حَرَارَةٌ أَلَا لَيْتَ بُنَيَّ لَمْ تَكُنْ لِي خُلَّةً سَكَى النَّاسَ هَلْ خَبِرْتُ سَرَّكَ مِنْهُمْ يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ لَمَّا تَظَاهَرُوا لَعَمْرِي لِقَبْلِ الْيَوْمِ حُمِلْتَ مَا تَرَى خَلِيلِي مَا لِي قَدْ بَلَيْتُ وَلَا أَرَى أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كَلَّمَا أَعْنَدَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ أَمْ لَسْتَ مُخْبِرِي جَزَعْتَ عَلَيْهَا لَوْ أَرَى لِي مَجْزَعًا حَيَاتِكَ لَا تُغَلِّبُ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ

وَأَلِمَ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا تَلَايَا قَلِيلٌ وَلَا تَخْشَى الْوُشَاةَ الْأَدَانِيَا بِأَجْبُلٍ جَمْعٍ يَنْتَظِرُونَ الْمُنَادِيَا¹ وَأَخْشَى عَلَيْكَ الْكَاشِحِينَ الْأَعَادِيَا يَرِدْنَ فَمَا يَصْدُرْنَ إِلَّا صَوَادِيَا لَكُمْ حَافِظًا مَا بَلَّ رَيْقٌ لِسَانِيَا بِهَا زَفْرَةٌ تَعْتَادُنِي هِيَ مَا هِيَ وَلَوْعَةٌ وَجَدٍ تَتْرِكُ الْقَلْبَ سَاهِيَا : وَلَمْ تَرْنِي بُنَيَّ وَلَمْ أُدْرِ مَا هِيَ² أَخَا ثَقَةٍ أَوْ ظَاهَرَ الْغَيْشِ بَادِيَا عَلَيْكَ وَأَضْحَى الْحَبْلُ لِلْبَيْنِ وَاهِيَا : وَأَنْذِرْتَ مِنْ بُنَيَّ الَّذِي كُنْتَ لَاقِيَا لُبْنَى عَلَى الْهَجْرَانِ إِلَّا كَمَا هِيَ ذَكَرْتُ لُبْنَى طَرْتُ لِي عَنْ شِمَالِيَا عَنْ الْحَيِّ إِلَّا بِالَّذِي قَدْ بَدَا لِيَا وَأَفْنَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَوْ كَانَ فَانِيَا كَفَى بِالَّذِي تَلْقَى لِنَفْسِكَ نَاهِيَا

1 جمع : المزدلفة .

2 خُلَّة : صديقة .

تَمُرُّ اللَّيَالِي والشُّهُورُ وَلَا أَرَى وَلَوْ عَيَّ بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
فَمَا عَنْ نَوَالٍ مِنْ لُبْنَى زِيَارَتِي وَلَا قِلَّةُ الْإِلَامِ أَنْ كُنْتُ قَالِيَا
وَلَكِنَّهَا صَدَّتْ وَحُمِلْتُ مِنْ هَوًى لَهَا مَا يَوُودُ الشَّامَخَاتِ الرُّوَاسِيَا
وهذه القصيدة تُخَلِّطُ بِقَصِيدَةِ الْمَجْنُونِ الَّتِي فِي وَزْنِهَا وَعَلَى قَافِيَتِهَا لِتَشَابِهَهُمَا ، فَقَلَّمَا
يَتَمَيَّزَان .

غَنَّى الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَرَّرٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ثَقِيلًا أَوَّلَ
بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رَوَايَتِي بِذَلِكَ وَالْهِشَامِي .
[أَتَبَ لَبْنَى زَوْجَهَا لِاتِّضَاحِ أَمْرِ بَشَرِ قَيْسٍ فَغَضِبَتْ]

حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَوَانَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْكِنَانِيِّ قَالَ : شَهِرَ أَمْرُ قَيْسٍ بِالْمَدِينَةِ وَغَنَّى فِي
شَعْرِهِ الْغَرِيضَ وَمَعْبِدَ وَمَالِكَ وَذَووهِمَ ، فَلَمْ يِقْ شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ إِلَّا سَمِعَ بِذَلِكَ فَأَطْرَبَهُ وَحَزِنَ
لَقَيْسٍ مِمَّا بِهِ . وَجَاءَهَا زَوْجُهَا فَأَتَبَهَا عَلَى ذَلِكَ وَعَاتَبَهَا وَقَالَ : قَدْ فَضَحْتَنِي بِذِكْرِكَ . فَغَضِبَتْ
وَقَالَتْ : يَا هَذَا ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجْتُكَ رَغْبَةً فَيْكَ وَلَا فِيمَا عِنْدَكَ وَلَا دُلْسَ أَمْرِي عَلَيْكَ ، وَلَقَدْ
عَلِمْتُ أَنِّي كُنْتُ زَوْجَتَهُ قَبْلَكَ وَأَنَّهُ أَكْرَهَ عَلَى طَلَاقِي . وَاللَّهِ مَا قَبِلْتُ التَّزْوِيجَ حَتَّى أَهْدِرَ دَمَهُ إِنْ
أَلَمَّ بِحَيِّنَا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَحْمِلَهُ مَا يَجِدُ عَلَى الْمَخَاطَرَةِ فَيَقْتُلَ ، فَتَزَوَّجْتُكَ . وَأَمْرُكَ الْآنَ إِلَيْكَ ،
فَفَارِقْنِي فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَيْكَ . فَأَمْسَكَ عَنْ جَوَابِهَا وَجَعَلَ يَأْتِيهَا بِجَوَارِي الْمَدِينَةِ يَغْنِيْنَهَا بِشَعْرِ
قَيْسٍ كَمَا يَسْتَصْلِحُهَا بِذَلِكَ ؛ فَلَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيًا وَبُعْدًا ، وَلَا تَزَالُ تَبْكِي كُلَّمَا سَمِعَتْ شَيْئًا مِنْ
ذَلِكَ أَحْرَبَ بَكَاءٍ وَأَشْجَاهُ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى سِيَاقَتِهِ .

[وَسَطَ بَرِيكَةً فِي لِقَائِهَا ، وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ]

وَقَالَ الْحِرْمَازِيُّ وَخَالِدُ بْنُ جَمَلٍ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي زُهْرَةَ يُقَالُ لَهَا بُرَيْكَةُ مِنْ
أَطْرَفِ النِّسَاءِ وَأَكْرَمِهِنَّ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ مِنْ قَرِيشٍ لَهُ دَارُ ضِيَاةٍ . فَلَمَّا طَالَتْ عِلَّةُ قَيْسٍ قَالَ لَهُ
أَبُوهُ : إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ شِفَاءَكَ فِي الْقَرَبِ مِنْ لُبْنَى فَارْحَلْ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَرَحَلَ إِلَيْهَا حَتَّى أَتَى دَارَ
الضِّيَاةِ الَّتِي لَزَوْجِ بُرَيْكَةَ . فَوُتِبَ غِلْمَانُهُ إِلَى رَحْلِ قَيْسٍ لِيَحْطُوهُ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلُوا فَلَسْتُ
نَازِلًا أَوْ أَلْقَى بُرَيْكَةَ فَإِنِّي قَصَدْتُهَا فِي حَاجَةٍ ؛ فَإِنْ وَجَدْتُهَا عِنْدَهَا مَوْضِعًا نَزَلْتُ بِكُمْ وَإِلَّا
رَحَلْتُ . فَأَتَوْهَا فَأَخْبَرُوهَا . فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَالَتْ : حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ
كَائِنَةً مَا كَانَتْ ، فَانْزِلْ . فَانْزَلَ وَدَنَا مِنْهَا فَقَالَ : أَذْكَرُ حَاجَتِي ؟ قَالَتْ : إِنْ شِئْتَ . قَالَ : أَنَا
قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ . قَالَتْ : حَيَّاكَ اللَّهُ وَقَرَّبَكَ ! إِنْ ذَكَرَكَ لَجَدِيدٌ عِنْدَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ . قَالَ :
وَحَاجَتِي أَنْ أَرَى لُبْنَى نَظْرَةً وَاحِدَةً كَيْفَ شِئْتَ . قَالَتْ : ذَلِكَ لَكَ عَلَيَّ . فَانْزَلَ بِهِمْ وَأَقَامَ

عندها وأخفت أمره ، ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال : لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك . ففعلت وزارتها مراراً ، ثم قالت لزوجها : أخبرني عنك : أنت خيرٌ من زوجي ؟ قال : لا . قالت : فلبنى خير مني ؟ قال : لا . قالت : فما بالي أزورها ولا تزورني ؟ قال : ذلك إليها . فأتتها وسألته الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها . فتسارعت إلى ذلك وأتتها . فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعلمته فيخبرها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشدني ما قلت في علك ؛ فأنشدها قوله :

أعالجُ من نفسي بقايا حُشاشةٍ على رَمَقِ والعائداتُ تعودُ¹
فإن ذُكرتُ لبني هَشِيشَتُ لذكرها كما هَشَّ للثدي الدُرُورُ وليدُ
أجيبُ بلبني مَنْ دعاني تجلداً وبني زَفَرَاتُ تنجلي وتعودُ
تُعِيدُ إلى روحي الحياة وإنني بنفسِي لو عايتنسي لأجودُ
قال : وفي هذه القصيدة يقول :

صوت

ألا ليت أياماً مَضَيْنَ تعودُ فإن عُدْنَ يوماً إنني لسعيدُ
سقى دارُ لبني حيثُ حَلَّتْ وخِيَمَتْ من الأرضِ مُنْهَلُ الغمامِ رَعُودُ
في هذين البيتين لعَرِيبٌ خفيفٌ ثَقِيلٌ أولُ مطلق في مجرى الوسطى ، وقيل : إنه لغيرها .
وتمام هذه القصيدة :

على كُلِّ حالٍ إن دَنَّتْ أو تَبَاعَدَتْ فإن تَدَنَّ مِنَّا فالدنوُّ مَزِيدُ²
فلا اليأسُ يُسَلِّبُنِي ولا القربُ نَافِعِي ولبني مُنَوَّعٌ ما تكاد تجودُ
كَأَنِّي مِنْ لُبْنَى سَلِيمٌ مُسَهَّدُ يَظَلُّ على أيدي الرجالِ يَعِيدُ
رَمَتْنِي لُبْنَى فِي الفؤَادِ بِسَهْمِهَا وسهمُ لُبْنَى للفؤَادِ صَبُودُ
سَلَا كُلُّ ذِي شَجْوٍ عِلْمَتْ مَكَانَهُ وقلبي للبنى ما حَيَّيْتُ وَدُودُ
وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ أَوْ هُوَ مَيِّتٌ وللنفسِ مِنِّي أن تَفِيضَ رَصِيدُ
أعالجُ من نفسي بقايا حشاشةٍ على رَمَقِ والعائداتُ تعودُ
وقال الجرمازي في خبره خاصة : وعاتبته على تزوجه ؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه

1 الحشاشة : بقية الروح في المريض والجرع .

2 مزيد في ل : بعيد .

ولا دنا منها ، فصدقته . وقال :

[من الطويل]

صوت

ولقد أردتُ الصبرَ عنكَ فعاقني علَّقَ بقلبي من هواكِ قديمُ
يبقى على حَدَثِ الزمانِ وربِّه وعلى جَفائِكَ ، إنه لكريمُ
فصرَّمته وصَحَّحت وهو بدائه شَتَّانَ بين مُصَحِّحٍ وسَقِيمِ
واربِّته زمناً فعادَ بحلمه إن المحبَّ عن الحبيبِ حلِيمِ

لَعَرِبَ في هذه الأبيات خفيفٌ ثَقِيلٌ ، وللدَّارِمِيَّ خفيفٌ رملٍ من رواية الهشامي . ومن الناس من يَنْسُبُ خفيفَ الثَّقِيلِ إليه وخفيفَ الرملِ إليها ، قالوا : فلم يزل يومه معها يحدثها ويشكو إليها أعفً شَكْوَى وأكرمَ حديثٍ حتى أَمسى ؛ فانصرفت ووعده الرجوعَ إليه من غَدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل إليه رسولاً . فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيْكة وسألها أن تُوصلها إليها ، ورحل متوجَّهاً إلى معاوية . والأبياتُ : [من الطويل]

صوت

بنفسي مَن قلبي له الدَّهرَ ذاكرُ ومَن هو عني مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزدادُ عندي جدَّةً وحبي لديه مُخلِّقُ العهدِ دائِرُ

[شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه]

غَنَّت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل ، قالوا : ثم ارتحل إلى معاوية ، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه ؛ ففرَّقَ له وقال : سل ما شئت ، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلتُ . قال : لا أريد ذلك ، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد ، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي . قال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَمَا وجب أن تمنعه ، فأقم حيث شئت ؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبُّ ولا يعترض عليه أحد ، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه ؛ فقدم إلى بلده . وبلغ الفزاريين خبره وإمامه بلُبنى ، فكتبوه في ذلك وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى (يعني أبا الجارية التي تزوجها) : يا أخي ما غررتك من نفسي ، ولقد أعلمتك أنني مشغول عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أختك إليك فأمرض فيه من حكمك ما رأيت . فتكرَّم الفتى عن أن يُفرِّقَ بينهما ، فمكثت في حباله مدةً ثم مات .

[لقيه عياش السعدي ذاهلاً شارداً اللب وأنشده من شعره فيها]

أخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدثني سليمان بن عَياش

السَّعْدِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَقْبَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْغَابَةِ¹ ؛ فَلَمَّا كُنْتُ بِالْمَذَادِ² ، إِذَا رَيْعٌ حَدِيثُ الْعَهْدِ بِالسَّكَنِ ، وَإِذَا رَجُلٌ مُجْتَمِعٌ فِي جَانِبِ ذَلِكَ الرَّيْعِ يَكِي وَيَحْدُثُ نَفْسَهُ . فَسَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدْ عَلَيَّ سَلاماً . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : رَجُلٌ مُلْتَبَسٌ بِهِ فَوَلَّيْتُ عَنْهُ . فَصَاحَ بِي بَعْدَ سَاعَةٍ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، هَلُمَّ هَلُمَّ إِلَيَّ يَا صَاحِبَ السَّلَامِ ! فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ فَهَمْتُ سَلامَكَ وَلَكِنِّي رَجُلٌ مُشْتَرِكُ اللَّبِّ يَضِلُّ عَنِّي أحياناً ثُمَّ يَعُودُ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : قَيْسُ بْنُ ذَرِيحِ اللَّيْثِيِّ . قُلْتُ : صَاحِبُ لُبْنَى ؟ قَالَ : صَاحِبُ لُبْنَى لَعَمْرِي وَقَتِيلُهَا ! . ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنِيهِ كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَانِ ؛ فَمَا أَنْسَى حَسَنَ قَوْلِهِ :

[من الطويل]

أَبَائَتُهُ لُبْنَى وَلَمْ تَقْطِعِ الْمَدَى	بِوَصْلِ وَلَا صُرْمٍ فَيَأْسَ طَامِعٌ
نَهَارِي نَهَارُ الْوَالِهَيْنِ صَبَابَةٌ	وَلَيْلِي تَبْوُ فِيهِ عَنِّي الْمُضَاجِعُ
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خِلَواً وَإِنَّمَا	تُقَسِّمُ بَيْنَ الْهَالِكِينَ الْمَصَارِعُ
فَلَوْلَا رَجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تُسَعِفَ النَّوَى	لَمَّا حَبَسْتَهُ بَيْنَهُنَّ الْأَضَالِعُ
لَهُ وَجَبَاتٌ إِثْرَ لُبْنَى كَأَنَّهَا	شَقَائِقُ بَرْقٍ فِي السَّمَاءِ لَوَامِعُ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَلْقَى الرِّشَادَ مُتِمِّمٌ	أَلَّا كُلُّ أَمْرٍ حُمٌّ لَا بُدَّ وَاقِعُ
هِيَ بَرَحًا بِي مُعُولَيْنِ كِلَاهُمَا	فَوَازٌ وَعَيْنٌ جَفْنُهَا الدَّهْرَ دَامِعُ

[عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ وَكِيعٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ ، قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي طَبِيبَةٌ قَالَتْ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ بْنُ جُنْدَبٍ يُنْشِدُ زَوْجِي قَوْلَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

[من الطويل]

إِذَا ذُكِرْتَ لُبْنَى تَأَوَّهَ وَاشْتَكَى	تَأَوَّهَ مَحْمُومٌ عَلَيْهِ الْبَلَابِلُ
يَبِيتُ وَيُضْحِي تَحْتَ ظِلِّ مَنِيَّةٍ	بِهِ رَمَقٌ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ
قَتِيلٌ لِلْبُنَى صَدَّعَ الْحُبُّ قَلْبَهُ	وَفِي الْحُبِّ شَغْلٌ لِلْمَحِيئِينَ شَاغِلُ

فَصَاحَ زَوْجِي : أَوَّهَ ! وَاحْرَبَاهُ وَاسْلَبَاهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ابْنُ جُنْدَبٍ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! أَنْشُدْ هَذَا كَذَا ! قَالَ : فَكَيْفَ أَنْشِدُهُ ؟ قَالَ : لَمْ لَا تَتَأَوَّهْ كَمَا يَتَأَوَّهُ وَتَشْتَكِي كَمَا يَشْتَكِي ! .

[استنشد ابن أبي عتيق أحرماً قال في لبني]

وَقَالَ الْقَحْظَمِيُّ : قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لَقَيْسَ يَوْمًا : أَنْشِدْنِي أَحْرَمًا مَا قُلْتَ فِي لُبْنَى . فَأَنْشَدَهُ

1 الغابة : يريد من المدينة على طريق الشام .

2 المذاد : موضع بالمدينة . وقيل هو وادي بين سلع وحنديق المدينة .

قوله :

[من الطويل]

وإني لأهوى النَوْمَ في غيرِ حينه لعلَّ لقاءَ في المنام يكونُ
تُحدِّثُني الأحلامُ أني أراكم فيا ليتَ أحلامَ المنام يقينُ
شهدتُ بأنِّي لم أحُلْ عن مَوَدَّةِ وأنِّي بكم لو تعلمين ضنينُ
وأن فؤادي لا يَلِينُ إلى هوى سواكِ وإن قالوا بلى سِيلِينُ

فقال له ابن أبي عتيق : لَقَلَّ ما رَضِيتَ به منها يا قيس . قال : ذلك جُهدُ المُقِلِّ . غَنَى في البيتَيْن الأولَيْن قفا النَجَّارِ ثانيَ ثَقِيلٍ بالوسطى عن حَبَش .
[أُتشدُّ ثعلب من شعره وكان يستحسنه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَبَ لقيس بن ذَرَجَ وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره :

[من الطويل]

سَقَى طَلَّلَ الدارِ التي أُنْتَمُ بها حَيًّا ثم وَبَلَ صَيِّفٌ وَرَبِيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل لي إلى بُنَى الغَداءِ شَتِيعُ
سَأَصْرِمُ بُنَى حَبْلِكَ اليومَ مُجْمِلًا وإن كان صَرْمُ الحبلِ منك يَرُوعُ
وسوف أُسَلِّي النفسَ عنكَ كما سَلَا عن البلدِ النَّائِسِي البعيدِ نَزِيعُ¹
وإن مَسْنِي للضُرِّ منك كَأَبَّةُ وإن نال جسمي للفراقِ خُشُوعُ
يقولون صَبَّ بالنساء موكَّلُ وما ذاك من فعلِ الرجالِ بَدِيعُ
نَدِمْتُ على ما كان مني ندامةً كما نَدِمَ المَغْبُونُ حينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ من نفسٍ شَاعَ أَلَمُ أَكُنْ نَهَيْتُكَ عن هذا وأنتَ جَمِيعُ
فَقَرَبْتُ لي غيرَ القريبِ وأشرفتُ هناكَ ثَنائًا ما لَهْنٌ طُلُوعُ
إلى الله أَشْكُو نِيَّةَ شَقَّتِ العصا هي اليومَ شَتَّى وهي أَمَسَ جَمِيعُ
فيا حَجَرَاتِ الدارِ حيثُ تَحْمَلُوا بذِي سَلَمٍ لا جادِكنَّ ربيعُ

صوت

[من الطويل]

فلو لم يَهْجِنِي الظاعنون لَهَجَنِي حمائمُ وَرَقٍ في الدِّيارِ وَقُوعُ

تَدَاعَيْنَ فَاسْتَبَكَيْنَ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَاحٍ لَمْ تَقْطُرْ لهن دُمُوعُ
غْنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ سُرَيْجٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ عَنِ الْهِشَامِيِّ .

صوت

[من الطويل]

إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَاذِلَاتُ بِهَجْرِهَا أَبْتُ كَبِدٌ عَمَّا يَقْلُنْ صَدِيعُ
وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتُ وَذَكَرُهَا يُورِّقُنِي وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ
غْنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمُ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

[فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره وفي سيرته]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :
أَنْشَدْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِي قَوْلَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيعٍ :

[من الطويل]

صوت

أُحِبُّكَ أَصْنَافًا مِنَ الْحَبِّ لَمْ أَجِدْ لَهَا مَثَلًا فِي سَائِرِ النَّاسِ يُوصَفُ
فَمَنْهُمْ حُبٌّ لِلْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ بِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ
وَمَنْهُمْ أَلَا يَعْرِضُ الدَّهْرَ ذَكَرُهَا عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كَادَتْ النَّفْسُ تَتَلَفُ
وَحُبٌّ بَدَأَ بِالْجِسْمِ وَاللَّوْنِ ظَاهِرٌ وَحُبٌّ لَدَى نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ الْطَفُ
قَالَ أَبُو السَّائِبِ : لَا جَزَمَ وَاللَّهِ لِأَخْلِصَنَ لَهُ الصُّفَاءَ وَلَا غَضَبَيْنَ لَغَضْبِهِ وَلَا رَضَيْنَ لِرِضَاهِ .
غْنَى فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ عَنِ الْهِشَامِيِّ وَبَذَلَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي السَّائِبِ
الْمَخْزُومِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ فِي سَقِيفَةِ دَارِ كَثِيرٍ ، إِذْ مَرَّ
بِجَنَازَةٍ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا السَّائِبِ ، جَارُكَ ابْنُ كَلْدَةَ ، أَلَا تَقُومُ بِنَا فَنُصَلِّيَ عَلَيْهِ ! قَالَ : قُلْتُ :
بَلَى وَاللَّهِ فَدَيْتُكَ ! . فَقَمْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا عِنْدَ دَارِ أُوَيْسٍ إِذْ ذَكَرْتُ أَنَّ جَدَّهُ كَانَ تَزُوجُ بُنَى وَنَزَلَ
بِهَا الْمَدِينَةَ ، فَرَجَعْتُ فَطَرَحْتُ نَفْسِي فِي السَّقِيفَةِ وَقُلْتُ : لَا يَرَانِي اللَّهُ أَصْلِي عَلَيْهِ . فَرَجَعَ
الْكَثِيرِيُّ فَقَالَ : أَكُنْتُ جُنْبًا ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ فَعَلَى غَيْرِ وَضْوءٍ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ :
فَمَا لَكَ ؟ قُلْتُ : ذَكَرْتُ أَنَّ جَدَّهُ كَانَ تَزُوجُ بُنَى وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيعٍ لَمَّا ظَنَّنَ بِهَا
مِنْ بِلَادِهَا ، فَمَا كُنْتُ لِأُصَلِّيَ عَلَيْهِ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ
حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْفَرَوِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا الْخَلِيلُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : مَرَرْتُ بِسُوقِ الطَّيْرِ ، فَإِذَا

الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً ، فاطلعتُ فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطرف رداءه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح : [من الطويل]
 ألا يا غرابَ البين قد طيرتَ بالذي أحاذرُ من بُنى فهل أنت واقعٌ
 لِم لا تقع ! ويضربه بردائه والغراب يصيح . قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ؛
 ليس هذا ذاك الغراب . فقال : قد علمت ، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء¹ .
 [آلت لبني ألا ترى غراباً إلا قتلته لبيت قاله من قصيدة ، وذكر المختار منها]

وقال الحرمازي في خبره : لما بلغ بُنى قول قيس : [من الطويل]
 ألا يا غرابَ البين قد طيرتَ بالذي أحاذرُ من لبني فهل أنت واقعٌ
 آلت ألا ترى غراباً إلا قتلته ؛ فكانت كلما رآته أو رآته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه
 وذبحته .

وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيد شعر قيس . والمختارُ منها قوله : [من الطويل]
 أتبكي على بُنى وأنت تركتها وكنتِ كآتٍ حتفه وهو طائعُ
 فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى ويا حبَّها قَع بالذي أنت واقعٌ²
 ويا قلبُ خبرني إذا شطبتِ النوى بلُبنى وبانت عنك ما أنت صانعُ
 أتصبرُ للبين المُشيتُ مع الجوى أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازعُ
 كأنك يدعُ لم ترَ الناسَ قبلها ولم يَطْلِعك الدهرُ فيمن يُطالعُ³
 ألا يا غرابَ البين قد طيرتَ بالذي أحاذرُ من بُنى فهل أنت واقعُ
 فليسَ محبُّ دائماً لحبيبه ولا ثقةً إلا له الدهرَ فاجعُ
 كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الناسُ قفرٌ بلاقعُ⁴
 فما أنت إذ بانت لبُنى بهاجعُ إذا ما اطمأنت بالنيام المضاجعُ

صوت

أُقضي نهارِي بالحديثِ وبالمُنَى ويَجْمعني والهمُّ بالليلِ جامعُ
 نهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا دجا ليَ الليلُ هزَّتني إليك المضاجعُ

1 ل : النطف وهو المريب .

2 لما ترى في ل : مجها .

3 البدع : الغمر من الرجال ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

4 قفر في ل : وحش .

لقد رَسَخْتُ في القلبِ منك مَوَدَّةٌ كما رَسَخْتُ في الراحتين الأصابعُ
أَحَالَ عَلَيَّ اَلْهَمُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ودامت فلم تبرحْ عَلَيَّ الفِوَاجِعُ
أَلَا إِنَّمَا أَبْكِي لِمَا هُوَ وَاقِعٌ فهل جَزَعَنِي مِنْ وَشْكِ ذَلِكَ نَافِعُ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالتَّوَى مَطْمَئِنَّةٌ بنا وبكم من عِلْمٍ مَا الْبَيْنُ صَانِعُ
وَأَهْجُرْكُمْ هَجَرَ الْبَغِيضِ وَحُبِّكُمْ على كبدي منه كلوم صَوَادِعُ¹
وَأَعِمِدْ لِلْأَرْضِ الَّتِي لَا أُرِيدُهَا لِتَرْجِعَنِي يَوْمًا إِلَيْكَ الرَّوَاجِعُ
وَأَشْفِقْ مِنْ هِجْرَانِكُمْ وَتَرَوْعَنِي مَخَافَةُ وَشْكِ الْبَيْنِ وَالشُّمْلُ جَامِعُ
فَمَا كُلُّ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِيًا تُلَاقِي وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعُ
لَعَمْرِي لَمَنْ أَمْسَى وَلُبْنَى ضَجِيعُهُ مِنَ النَّاسِ مَا اخْتِيرَتْ عَلَيْهِ الْمُضَاجِعُ
فَتَلِكِ لُبْنَى قَدْ تَرَاحَى مَزَارُهَا وَتَلِكِ نَوَاهَا غُرْبَةً مَا تُطَاوَعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَاوِلِ اللَّهِ جَمْعُهُ مُشِيتٌ وَلَا مَا فَرَّقَ اللَّهُ جَامِعُ
فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِ لُبْنَى نَدَامَةً وَقَدْ نَزَعْتَهَا مِنْ يَدَيْكَ التَّوَاوَعُ

غنى الغريضة في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو «لعمري لمن أَمْسَى وَلُبْنَى ضَجِيعُهُ» ثقبلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو : «أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهي : «أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى» [والبيتان اللذان بعده] لابن الدُّمَيْنَةِ الْخَثْعَمِي ؛ وهو الصحيح ؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها .

[مآل قيس ولبنى]

وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى ؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل مات قبله ومات بعدها أسفاً عليها ؛ ومن ذكر ذلك اليوسُفِي عن علي بن صالح صاحب المُصَلَّى ؛ قال قال لي أبو عمرو المَدَنِي : ماتت لُبْنَى ، فخرج قيسٌ ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال : [من مجزوء البسيط]

ماتت لُبْنَى فموتُها مَوْتِي هل تنفعن حَسْرَتِي على الفَوْتِ

وسوف أبكي بكاء مكثب قضى حياةً وجداً على ميت
ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه ؛ فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل
عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها .

وذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين
ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش ، فقال لهم : إن
لي حاجة إلى رجل أخشى أن يرُدني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا :
ذلك لك مُبتدَل منا . فاجتمعوا ليوم وعندهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لُبني . فلما رآهم
أعظم مصيرهم إليه وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق . قال : هي
مقضية كائنة ما كانت . قال ابن أبي عتيق . قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو
أهل ؟ قال نعم . قال : تهَب لهم ولي لُبني زوجتك وتطلقها . قال : فإني أشهدكم أنها طالق
ثلاثاً . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك
إياها . وقال ابن عائشة : فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه .
فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها . فسأل القوم أباه فزوجها قيساً ، فلم تزل معه حتى ماتا .
قالوا : فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق :

جزى الرحمن أفضل ما يُجازي	على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربتُ إخواني جميعاً	فما ألفتُ كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملِي بعد صدع	ورأيي جدتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي	أغصنتني حرارتها برريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي أمسيك عن هذا المديح ؛ فما يسمعه أحد إلا ظنني
قواداً . مضى الحديث .

139 - [من مدن معبد]

[صوت من مدن معبد في شمر عترة]

ومن مُدُن معبد وهو الذي أوله :

يا دارَ عَبلَة بالجِواءِ تكلّمي

وقد جُمِعَ معه سائرُ ما يَغْنَى فيه من القصيدة .

منها :

[من الكامل]

صوت

هل غادرَ الشعراءُ من مُترَدِّمٍ أم هل عَرَفَتِ الدارَ بعد توهمِ
 يا دارَ عَبلَة بالجِواءِ تكلّمي وعِمي صَباحاً دارَ عَبلَة واسلمي
 وَتَحُلَّ عَبلَة بالجِواءِ وأهلنا بالحزنِ فالصَّمانِ فالْمُثلَمِ¹
 كيف القَرارُ وقد ترَبَّعَ أهلها بعُنِيزَتَيْنِ وأهلنا بالغَيلِمِ²
 حَيَّيتَ من طَلَلٍ تَقادِمَ عَهْدِهِ أَقوى وأَقفَرَ بعدُ أم الهَيْثِمِ
 ولقد نزلتِ فلا تَظُنِّي غَيرَهُ مَنِّي بِمَنزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ
 ولقد خَشِيتُ بأن أُموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائِرَةً على ابْنِي ضَمَضِمِ
 الشَّائِمِي عِرْضِي ولم أَشْتُمْهُما والنَّاذِرِينَ إِذا لَمَ القَهْمَا دَمِي
 ولقد شَقَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَها قِيلَ الفُوارِسِ وَيَكُ عَتَرُ فاقْدُمِ
 ما زِلْتُ أُرْمِيهِم بِغُفْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ³
 هَلَّا سَأَلَتِ الْخَيْلَ يا ابْنَةَ مالِكِ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بما لَمْ تَعْلَمِي⁴
 يُخِيرُكَ مَن شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنِّي أَغْشى الوَغَى وأَعْفُ عندَ المَغْنَمِ

1 الصمان : موضع . والجواء بنجد ، والحزن لبني يربوع ، والصمان لبني تميم . والمثلَم : مكان .

2 كيف القرار في المعلقات العشر ص 238 : كيف المزار .

3 بغرة نحره في ل : بغرة وجهه .

4 الخيل في ل : القوم .

يَدْعُونَ عَتَرَ وَالرَّمَا حُ كَانَهَا أَشْطَانُ بَعْرِ فِي لَبَانِ الْأُدْهَمِ
فَشَكَّكَتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرَمِي

الشعر لعنترة بن شداد العبسي ، وقد تقدّمت أخباره ونسبه . وغنى في البيت الأول ، على ما ذكره ابن المكّي ، إسحاق خفيفٌ ثَقِيلٌ أول بالوسطى ، وما وجدتُ هذا في رواية غيره . وغنى معبد في البيت الثاني والثالث خفيفٌ ثَقِيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وهو الصوت المَعْدُود في مُدُن معبد . وغنى سَلَامُ الغَسَالِ في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلًا بالسَّبَاة في مجرى البَنْصَر ، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثانيٌ ثَقِيلٌ أيضاً ، وذكر عمرو بن بَاثَة أن هذا الثَقِيل الثاني بالوسطى لمعبد ووافقه يونس ، وذكر ابن المكّي أن هذا الثَقِيل الثاني للهِذَلِي ، وذكر غيره أنه لابن مُحَرِّز . وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثَقِيلًا أول للهِزَلِي ، ووافقه حَبَش . وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثَقِيلًا أول ، وأن لابن سُرَيْج فيه رَمَلًا آخر غير رمل ابن الغَسَال ، وأن لابن مِسْجَح أيضاً فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى . وفي كتاب أبي العَنَبَس : له في الثالث لحن . وفي كتاب أبي أيوب المَدِينِي : لابن جامع في هذه الأبيات لحن . ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفٌ ثَقِيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً . ولعلويه في السادس والرابع ثانيٌ ثَقِيلٌ ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ . وفي كتاب هارون بن الزُّيَات لمعبد آل في الخامس ثَقِيلٌ أول ؛ وقد نَسَب الثَقِيل الثاني المَخْتَلَف فيه لابن مُحَرِّز . وفي كتاب هارون : لأحمد النَّصْبِي في الرابع والخامس لحن .

«هل غادر الشعراء» البيت ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة ؛ ومن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي . وأول القصيدة عندهما «يا دارَ عِبَلَة» . فذكر أبو عمرو الشَّيْبَانِي أنه لم يكن يرويه حتى سمع أبا حِزَام العُكْلِي يرويه له .

قوله : «هل غادر الشعراء من متردّم» يقول : هل تركوا شيئاً يُنْظَرُ فيه لم ينظروا فيه ؟ . والمتردّم : المتعطف ، وهو مصدر . يقول : هل تركوا شيئاً يُتردّم عليه أي يتعطف ؛ ويقال : تردّمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه ، وثوبٌ مردّم وملدّم إذا سُدت خروقه بالرِّقَاع . والرَّيْع : المنزل ، سُمِّيَ رَيْعاً لارتباعهم فيه ؛ والرَّيْعَة : الصخرة . حكى أبو نصر أنه يقول : هل ترك الشعراء من خَرَقٍ لم يرقعوه وفَتَقٍ لم يرتقوه ؟ وهو أشبه بقوله من متردّم . وقال غيره : يعني بقوله من متردّم البناء وهو الرُّدَم ، أي لم يتركوا بناءً إلا بنوه ؛ قال الله عز وجل :

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ يعني بناء ؛ وردَمَ فلان حائطَه أي بناه . والجِواء : بلد بعينه ؛ والجِواء أيضاً : جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض . عِمِي صباحاً ، وانعِمِي صباحاً : تحيةٌ . تَرَبَّعَ أهلُها : نزلوا في الرَّبِيع . وَغَنِيَزَتَيْنِ : أَكْمَةُ سوداء بين البصرة ومكة . والغنيم : موضع . والطلل : ما كان له شخص من الدار مثل أثنية¹ أو وتيد أو نوي ؛ وتقول العرب : حيا الله طللك ، أي شخصك . وابنا ضَمَضَم : حُصَيْن وهَرَم المُرَيَّان . وتُغرة نحره : موضع لَبته . واللِّبان : مجرى لَبِّه من صدره وهو الصدر نفسه . ويروى «بُغرة وجهه» . وتَسْرِبَل ، أي صار له سريال من الدم . وقوله : «هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ» يريد فرسان الخيل ؛ كما قال الله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ . والوقِعة : الوقعة . والوَغَى والوَحي : أصواتُ الناس وجَلَبَتُهُم في الحرب ؛ وقال الشاعر :

وليلٍ كَسَاجِ الحِمَيْرِيٍّ اذْرَعْتُهُ كَأَنَّ وَغَى حَافَاتِهِ لَغَطُ العُجَمِ²

والأشطان : الحبال ، واحدها شَطَن . شَبَّه اختلافَ الرِّمَاح في صدر فرسه بالأشطان . وشككتُ بالرمح : نظمت . وقال أبو عمرو : يعني بشيابه قلبه . والعِرَضُ : موضعُ المدح والذم من الرجل ؛ يقال : طَيَّبَ العِرَضُ أي طيب ريح الجسم . والكُلُوم : الجراح . والوافر : التام . وشمائي : أخلاقي ، واحدها شِمال . يقال : فلان حَلُو الشَّمَائِل والنَّحَائِل والضَّرَاب والغَرَائِر .

[عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وغيره سواده]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِي قال قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي : قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عَبَس سَأَبَه فذكر سواده وسوادَ أمه وإخوته وغيره ذلك . فقال عنترة : والله إن الناس لَيَتَرَاْفُدُونَ³ بالطَّعْمَةِ ، فوالله ما حضرت مَرَفَدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جدُّك قط . وإن الناس لَيَدْعُونَ في الفزع فما رأيتك في خيلٍ قط ، ولا كنت في أول النساء . وإن اللبس (يعني الاختلاط) لَيَكُونُ بيننا فما حضرت أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطَايَةِ فَيَصِلُ قط ، وكنتَ فَقَعًا بِقَرَقَةٍ⁴ . ولو كنتَ في مَرْتَبَتِكَ وَمَغْرِسِكَ الذي أنت فيه ثم ماجدتك لَمَجْدَتِكَ ، أو طاولتُك لَطُلْتُكَ . ولو سألتَ أُمَّكَ وَأَبَاكَ عن هذا لأخبراك بصحته⁵ . وإني لأحتضِرُ الوَغَى ، وأُوفِي المَغْنَم ، وأُعِفُّ عن المسألة ، وأُجُود بما ملكتُ ، وأفصلُ الخُطَّةَ

1 الأثنية : الحجر توضع عليه القدر .

2 الساج : الطيلسان الأسود .

3 يترافدون : يتعاونون .

4 هذا مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضيئه .

5 ل : أن نصحا لك .

الصَّمْعَاءُ¹ . فقال له الآخر : أنا أشعرُ منك . فقال : ستعلم ! . وكان عنتره لا يقول من الشعر إلا البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة ويزعمون أنها أول قصيدة قالها . وكانت العرب تسميها المَذْهَبَةَ .

[صوت من بقية مدن معبد في شعر كثير عزة]

نسبة الأصوات التي جُعِلَتْ مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد ، وهن : [من الطويل]

صوت

تَقَطُّعٌ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخِيرًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطُّعُ²
وَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَعْتُ ظَلَامَةَ الَّتِي تَضُرُّ وَمَا كَانَتْ مَعَ الضَّرِّ تَنْفَعُ

الشعر لكثير . والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالينصر عن عمرو ويونس .

أخبرني الحرَّمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السَّعْدِيُّ قال قال السائبُ راويةٌ كثير ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المَقُوم قال حدثني سائب راوية كثير قال : كنتُ مع كثير عند ظلامَةٍ فأقمنا أياماً . فلما أردنا الانصرافَ عقدت له في علاقة سوطه عَقْدًا وقالت : احفظها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمْرَة ، فقال : إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال ، فهل لك أن تستبرزها ؟ فقلت : ذاك إليك . قال : فمِلْنَا إِلَيْهِمْ فخرجت إلينا جاريتهما فأخرجتهما إلينا ، فإذا هي عَزَة ، فجلس معها يحادثها ، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه . وأقبلت عَزَة على تلك العَقْد تحلُّها واحدةً واحدةً . فلما استيقظ انصرفنا . فنظر إلى علاقة سوطه فقال : أحلتها ؟ قلت : نعم ، فلا وصلها الله ، والله إنك لمجنون . قال : فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسطة رَحله وأنشأ يقول :

[من الطويل]

تَقَطُّعٌ مِنْ ظَلَامَةِ الْوَصْلِ أَجْمَعُ أَخِيرًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطُّعُ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَعْتُ ظَلَامَةَ الَّتِي تَضُرُّ وَمَا كَانَتْ مَعَ الضَّرِّ تَنْفَعُ
وَقَدْ سُدَّ مِنْ أَبْوَابِ ظَلَامَةِ الَّتِي لَنَا خَلْفٌ لِلنَّفْسِ مِنْهَا وَمَقْنَعُ

ثم وصل عَزَة بعد ذلك وقطع ظلامه .

ومنها : وهو الذي أوله : «خَمَصَانَةٌ قَلِقٌ مُوشِحُهَا» .

[صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد]

صوت

[من الكامل]

أَقْوَى مِنْ آلِ ظُلَيْمَةَ الْحَزْمُ	فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ ¹
فَجَنُوبُ أَثْبَرَةٍ فَمُلْحَدُهَا	فَالسُّدْرَتَانِ فَمَا حَوَى دَسَمُ ²
وَبِمَا أَرَى شَخْصًا بِهِ حَسَنًا	فِي الْقَوْمِ إِذْ حَيَّتْكُمْ نَعَمُ
إِذْ وَدَّهَا صَافٍ وَرَوَيْتُهَا	أُمْنِيَّةً وَكَلَامُهَا غُفْمُ
لَفَاءٍ مَمْلُوءٍ مُخْلَخَلُهَا	عَجْزَاءٍ لَيْسَ لِعَظْمِهَا حَجْمُ ³
خَمَصَانَةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُهَا	رُودُ الشَّبَابِ عَلَا بِهَا عَظْمُ
وَكَأَنَّ غَالِيَةً تُبَاشِرُهَا	تَحْتَ الثِّيَابِ إِذَا صَبَا النُّجْمُ ⁴
أَظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجَلًا	أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةَ ظُلْمُ
أَقْصَيْتُهُ وَأَرَادَ سَلَمَكُمْ	فَلْيَهْنِهِ إِذْ جَاءَكَ السَّلْمُ

عروضه من الكامل . الشعر للحارث بن خالد المخزومي . والغناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر . قال : ولحن معبد : [من الكامل]

خَمَصَانَةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُهَا

[من الكامل]

وأول لحن مالك :

أَقْوَى مِنْ آلِ ظُلَيْمَةَ الْحَزْمُ

- 1 أقوى : خلا ، والحزم : موضع أمام خطم الحجل . والغمرة : منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها .
- 2 أثبرة : عدة جبال بمكة ، واحدها ثبير . والسدرتان : موضع . ودسم : موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني .
- 3 مملوء في ل : ممكور .
- 4 الغالية : ضرب من الطيب : صفا النجم : مال للغروب .

[140] - ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛
وقد تقدّم ذكره وأخبره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له
وهو : [من السريع]

إِنْ امْرَأً تَعْتَاذُهُ ذِكْرُ

[تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال : بلغني أن الحارث بن
خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة ، ويقال : بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن
المغيرة ، كان تزوج حُمَيْدَةَ بنت النعمان بن بشير بدمشق لما قلدِم على عبد الملك بن
مروان . فقالت فيه :

نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي فَيَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَةٍ
كَهَوْلُ دِمَشْقٍ وَشُبَّانُهَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ
صُنَانٌ لَهُمْ كَصُنَانِ الثِّيَوِ سِرَ أَعْيَا عَلَى الْمَسْكِ وَالْغَالِيَةِ

فقال الحارث يجيبها :

صوت

أُسْنَا ضَوْءَ نَارِ ضَمْرَةٍ بِالْقَفِّ رة أَبْصَرْتَ أَمْ سَنَا ضَوْءَ بَرَقِ
قَاطِنَاتُ الْحَجُّونِ أَشْهَى إِلَى قَلْدِ سِيٍّ مِنْ سَاكِنَاتِ دُورِ دِمَشْقِ
يَتَضَوَّعْنَ لَوْ تَضَمَّنْنَ بِالْمَسِّ لَكَ صُنَانًا كَأَنَّهُ رِيحُ مَرَقٍ¹

غَنَاهُ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ إِسْحَاقَ .
وفيه لابن مُحَرِّزٍ² لَحْنٌ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى .

[رجعت الرواية إلى خبر الحارث]

قال : وطلّقها الحارث ؛ فخلف عليها رُوح بن زِنْبَاع . قال : وكان الحارث خطب أُمَّةً
لِمَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وخطبها عبد الله بن مُطِيع . فتزوجها عبد الله ثم طلقها

1 المرق : صفوف العجاف والمرضى وهو متن ، أو هو الجلد المتن .

2 ل : مسجح .

أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج : [من الكامل]
أَقْوَى مِنْ آلِ ظُلَيْمَةَ الْحَزْمُ فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ
الآيات التي فيها الغناء .

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عَوانة بهذا الخبر فذكر مثله ، ولم يذكر أن الحارث هو المتزوجها ، وفسر قولها :

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ

وقال : الجالية أهل الحجاز ، كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يَجْلُونَ عن بلادهم إلى الشام . وقال في الحديث : فبلغ عبدَ الملك قولها فقال : لولا أنها قدمت الكهولَ على الشبان لعاقبتها .

[قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار]

قال عَوانة : وكانت لَحْمِيْدَةً أُخْتُ يُقَالُ لَهَا عَمْرَةٌ ، وكانت تحت المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فأخذها مُصْعَبٌ بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ ، فأمرهما بالبراءة من المختار . أما بنت سَمُرَةَ فبرئت منه ، وأبَت ذلك عَمْرَةٌ . فكتب به مُصْعَبُ إلى أخيه عبد الله . فكتب إليه : إن أبَت أن تَبْرَأَ مِنْهُ فاقْتُلْهَا . فَأَبَتَ فَحَفَرَ لَهَا حَفِيرَةً وَأَقِيَمَتْ فِيهَا فُقُتِلَتْ . فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك :

إِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولُ¹
قُتِلَتْ حُرَّةٌ عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنْ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذَّبُولِ

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة

قال أبو زيد وحدثنى ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه ، وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه :

نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي فَيَا لَكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَةٍ

[تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زباع]

وذكر الأبيات المتقدمة . وقال عمر بن شبة فيه : وتزوجها رَوحُ بنِ زَبَاعٍ ؛ فنظر إليها

يوماً تنظر إلى قومه جُذامَ ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذامَ ؟ فوالله ما
أحبُّ الحلالَ منهم فكيف بالحرام ! . وقالت تهجوه :

[من الطويل]

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه وعَجَّت عَجيجاً من جُذامَ المَطَارِفُ
وقال العبا قد كنتُ حيناً لباسكم وأكسيَّة كُرديَّة وقَطَائِفُ

[من الطويل]

فقال رَوْح :

إِنْ تَبَكَّ مِنَّا تَبَكُّ مِمَّنْ يُهَيِّنُهَا وَإِنْ تَهَوَّكُم تَهَوَّ اللَّثَامُ الْمَقَارِفَا¹

[من الكامل]

وقال رَوْح :

أَنتَ عَلِيٌّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي مُثْنٍ عَلَيْكَ لِبَيْسَ حَشْوِ الْمِنْطَقِ²

[من الكامل]

فقالت :

أَنتَ عَلِيٌّ عَلَيْكَ بَأْنُ بَاعَكَ ضَيْقٌ وَبَأْنُ أَصْلَكَ فِي جُذَامٍ مُلْصَقٌ

[من الكامل]

فقال رَوْح :

أَنتَ عَلِيٌّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِ الْجَوْرَبِ

[من الكامل]

فقالت :

فَشَاوْنَا شُرَّ الشَّاءِ عَلَيْكُمْ أَسَوَا وَأَتَنُّ مِنْ سُلَاحِ الثَّعْلَبِ

[من الطويل]

وقالت :

وهل أنا إلا مُهَرَّةٌ عربيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلُهَا بَغْلُ
فإن تُنِجَتْ مُهَرّاً كَرِيماً فَالْبَحْرَى وَإِنْ يَكْ إِقْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ الْفَحْلُ³

[من الطويل]

فقال رَوْح :

فما بالُ مُهَرٍ رَائِعٍ عَرَضَتْ لَهُ أَتَانٌ فَبَالَتْ عِنْدَ جَحْفَلَةِ الْبَغْلِ⁴
إذا هو وَلَّى جَانِباً رِبَخَتْ لَهُ كَمَا رِبَخَتْ قَمَرَاءُ فِي دَمَسٍ سَهْلٍ⁵

[من الوافر]

وقالت عمرة لأخيها أبان بن النعمان :

1 المقارف : الأنذال .

2 المنطق والنطاق : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به .

3 المقرف : الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، ضد الهجين والمقرف أيضاً : النذل .

4 الجحفلة : لذي الحافر كالشفة للإنسان .

5 ربخت : استرخت . قمرء : بيضاء . دمس : دمث .

أَطَالَ اللَّهُ شَأْوَكَ مِنْ غُلَامٍ مَتَى كَانَتْ مَنَاكَحَنَا جُذَامُ
أَتَرْضَى بِالْأَكَارِعِ وَالذُّنَابَى وَقَدْ كُنَّا يَقِرُّ بِنَا السَّنَامُ¹

وقال ابن عمُّ لروح : [من الوافر]

رَضِيَ الْأَشْيَاخُ بِالْفِطْيُونِ فَحَلَا وَتَرَعَبُ لِلْحِمَاقَةِ عَنْ جُذَامِ²
يَهُودِيٌّ لَهُ بُضْعُ الْعَذَارَى فَقَبِحَاً لِلْكَهُولِ وَلِلْغَلَامِ
تُزَفُّ إِلَيْهِ قَبْلَ الزَّوْجِ خَوْدُ كَأَنَّ شَمْساً تَدُلُّتُ مِنْ غَمَامِ
فَأَبْقَى ذَلِكُمْ عَاراً وَخِزْيَاً بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي صُمِّ السَّلَامِ³
يَهُودٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَلَيْسُوا بِالْفُطَارِيفِ الْكَرَامِ

وقالت : [من الوافر]

سُمِّيتَ رَوْحاً وَأَنْتَ الْغَمُّ قَدْ عَلِمُوا لَا رَوْحَ اللَّهُ عَنْ رَوْحِ بْنِ زِنَاعِ

فقال رَوْح : [من البسيط]

لَا رَوْحَ اللَّهُ عَمَّنْ لَيْسَ يَمْنَعُنَا مَا لَ رَغِيبٌ وَيَعْلُ غَيْرَ مِمْنَعِ
كَشَافِعِ جَوْنَةٍ تُجَلِّي مَخَاصِرُهَا دَبَابَةِ شَتْنَةِ الْكَفَّينِ جُبَاعِ⁴

قال : والجُبَاعُ : القصيرة . والجُبَاعُ من السهام : الذي لا نصل له . والجُبَاعُ : الرِّصْفُ⁵ .

وقالت : [من المتقارب]

تُكْحَلُ عَيْنِيكَ بَرْدَ الْعَشْيِ كَأَنَّكَ مُوسِمَةٌ زَانِيَةٌ
وَأَيَّةُ ذَلِكَ بَعْدَ الْخُفُوقِ تَغْلُفُ رَأْسِيكَ بِالْغَالِيَةِ
وَأَنْ يَبِيكَ لَرِيبِ الزَّمَا نَ أَمْسَتْ رِقَابَهُمْ حَالِيَةً
فَلَوْ كَانَ أَوْسٌ لَهُمْ حَاضِراً لَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ذَا مَالِيَةٍ

1 بالأَكَارِعِ في ل : بالفواسق .

2 الفطيون : رجل فاجر من اليهود كانت اليهود تدين له .

3 الوحي : الكتابة . السَّلام : الحجارة .

4 الشافع من النوق والشاة : التي في بطنها ولد ويتبعها آخر . ونجل : جمع أنجل ونجلاء . والنجل : عظم البطن وسعته . شتة الكفين : غليظتهما .

5 الرصف : جمع رصفة وهي العصب الذي تصنع منه الأوتار .

وأوس رجل من جذام يقال : إنه استودع رَوْحاً مالا فلم يرده عليه . فقال لها رَوْح :

إن يكن الخُلْعُ من بالكم	فليس الخلاعةُ من بالية
وإن كان مَنْ قد مضى مثلكم	فأفُّ وتُفُّ على الماضية
وما إنْ بَرَا اللهُ فاستيقني	هـ من ذات بعلٍ ومن جارية
شبيهاً بلكِ اليوم فيمن بقي	ولا كان في الأعصر الخالية
فبعداً لمحيالكِ إذ ما حَيَّتْ	وبعداً لأعظمك البالية

[تزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم]

وقال رَوْح في بعض ما يتنازعان فيه : اللهم إن بقيت بعدي فابتليها ببعلي يلطم وجهها ويملاً حِجرها قَيْئاً . فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل وكان شاباً جميلاً يُصيب من الشراب فأحبته . فكان ربما أصاب من الشراب مُسكرًا فيلطم وجهها وبقي في حِجرها ؛ فتقول : يرحم الله أبا زُرعة ، قد أُجيبَت دعوته في . وقالت لفيض : [من البسيط]

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفِيضُ به	إلا سُلَّاحَكَ بَيْنَ البابِ والدارِ
فتلكَ دعوةُ رَوْحِ الخيرِ أعرِفُها	سَقَى إلَّاهُ صَدَاهُ الأوطَفَ السَّارِي ¹

وقالت لفيض أيضاً :

ألا يا فيضُ كنتُ أراكَ فيضاً	فلا فيضاً أصبتُ ولا فُرَاتاً
------------------------------	------------------------------

وقالت :

وليس فيضٌ بفياضِ العطاء لنا	لكن فيضاً لنا بالقِيءِ فياضُ
ليثُ اللُّيْثِ علينا باسلُ شَرَسٍ	وفي الحروبِ هَيُوبُ الصدرِ جَيَّاسُ ²

[تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف]

فولدت من الفيض ابنة فتزوجها الحجاج بن يوسف ؛ وقد كانت قبلها عند الحجاج أمَّ أبانِ بنت النُّعمان بن بشير . فقالت حُميدة للحجاج :

[من الرجز]

إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحجاجِ	من النَّهارِ أو من اللَّيْلِ الداجِ
----------------------------	-------------------------------------

1 الأوطف : السحاب الداني من الأرض .

2 الجيَّاس : الرواغ .

فاضت له العينُ بدمعٍ نَجَّاجٍ وأشعلَ القلبُ بوجدٍ وهَّاجٍ
لو كان نُعمانُ قتيلاً الأعلاجُ مُستويَ الشَّخصِ صحيحَ الأوداجِ
لكنْتُ منها بمكانِ النَّسَّاجِ قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجِ
أن تنكِحيه مَلِكاً أو ذا تاجٍ

فقدِمْتُ حُميدةَ على ابنتها زائرةً . فقال لها الحَجَّاجُ : يا حُميدة ، إني كنتُ أحتملُ مُراحلكِ مرَّةً ، وأما اليومُ فإني بالعراقِ وهم قومٌ سوءُ فَيَالِكِ ! . فقالت : سأكُفُّ حتى أرحلُ .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مَسْلَمَةَ بن مُحاربٍ قال : قالت حُميدة بنت النُّعمان لزوجها رُوح بن زُبَاع ، وكان أسودَّ ضخماً : كيف تَسُودُ وفيكِ ثلاثُ خِصالٍ : أنت من جُذام ، وأنت جَبَانٌ ، وأنت غَيُورٌ . فقال : أما جُذامُ فأنا في أرومتها ، وبحسبِ الرجلِ أن يكونَ في أرومةِ قومه . وأما الجُبْنُ فإنما لي نفسٌ واحدةٌ ، ولو كان لي نفسانِ لجُدْتُ بإحدهما . وأما الغيرةُ فهو أمرٌ لا أُحِبُّ أن أُشَارَكَ فيه ، وإن المرءَ لحقيقٌ بالغيرةِ على المرأةِ مثلكِ الحمقاء الورهاء لا يَأْمَنُ أن تأتيَ بولدٍ من غيره فتَقْذِفَه في حِجره . ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدم ، وقال فيه : فخلُفَ بعده عليها الفَيْضُ بن محمد عمُ يوسف بن عمر ، فكان يشرب ويلطِّمها ويقي في حِجرها ؛ فقالت :

سُمِّيتَ فَيْضاً وما شيءٌ تَفْيِضُ به إلا سُلَّاحَكَ بينَ البابِ والدارِ
قال المدائني : وتمثَّلَ فيضٌ يوماً بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ صَفَوِ المُدَامَةِ فاسقيها بني قَطَنٍ
ثم تحرك ففَضَّرَطَ . فقالت : واسقِ هذه أيضاً بني قَطَنٍ ! .
[أبو عثمان المازني والواثق]

وهذا الصوتُ أعني :

أَقْوَى مِن آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ
هو الصوت الذي أَشْخَصَ الواثقُ له أبا عثمان المازني بسببِ بيتٍ منه اِخْتَلَفَ في إعرابه بحضرته ، وهو قوله :

أُظْلِمُ إن مُصَابِكُم رجلاً أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةَ ظُلْمٍ
وقال آخرون : «رجلٌ» . حدثني بذلك عليُّ بن سليمان الأَخْفَشُ عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعَوْنُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطَّيِّبُ بن محمد الباهلي ،

يزيد بعضهم على بعض ، قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال : كان سبب طلب الواصل لي أن
مُخَارِقاً غَنِيَّ في مجلسه :

أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامِ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فغناه مخارق «رجل» ، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواصل عَمَّنْ بقي من
رؤساء النحويين فذكرت له ، فأمر بِحَمَلِي . فلما وصلتُ إليه قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من بني
مازِن . قال : أَمِنْ مازن تَمِيم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن ؟ . قلت : من مازن
ربيعة . فقال لي باسمك ؟ (يريد ما اسمك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس : مَكْرَرُ
(أي بكر) . فضحك فقال : اجلس واطمئن (يريد : واطمئن) فجلست . فسألني عن البيت .
فقلت : «إن مصابكم رجلاً» فقال : أين خبرُ «إن» ؟ قلت : «ظلم» وهو الحرف الذي في
آخر البيت . وقال الأخفش في خبره : وقلتُ له : إن معنى «مصابكم» إصابَتكم ، مثل ما
تقول : إن قتلكم رجلاً حياً كم ظلم . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن البيت كله معلق لا معنى
له حتى يتم بقوله «ظلم» . ألا ترى أنه لو قال : أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامِ تَحِيَّةً ،
لما احتيجَ إلى «ظلم» ولا كان له معنى ، إلا أن يجعل التحية بالسَّلام ظلاماً ، وذلك محال ،
ويجب حينئذ أن يقول :

أُظْلِمُ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامِ تَحِيَّةً ظُلْمًا

ولا معنى لذلك : ولا هو ، لو كان له وجهٌ ، معنى قول الشاعر في شعره . فقال :
صدقت ، ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنْيَّةٌ لا غيرُ . قال : فما قالت حين ودَّعَها ؟ قال قلتُ : أنشدت
شعرَ الأعشى :

تقول ابنتي حين جدَّ الرِّجِيلُ أَرَانَا سِوَاهُ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ
أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمُّ
أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتُكَ الْبَلَا دُ نَجْفَى وَتُقَطَّعُ مَنَا الرِّجِمُ

قال : فما قلتُ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير :

يُثْقَى بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

فقال : يُثْقَى بالنجاح إن شاء الله تعالى . إن هاهنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم ،
فَمَنْ كان منهم عالماً يُتَّفَعُ به أَلزَمْنَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَمَنْ كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم .
فَأَمْرُ فَجَّعُوا إِلَيَّ فَامْتَحَنْتُهُمْ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ طَائِلًا ؛ وَحَذَرُوا نَاحِيَّتِي ، فَقُلْتُ : لَا بَأْسَ
عَلَى أَحَدٍ . فلما رجعتُ إليه قال : كيف رأيْتَهُمْ ؟ قلت : يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي عُلُومٍ ،

[من الوافر]

ويفضلُ الباقون في غيرها ، وكلُّ يُحتاج إليه . فقال لي الواصل : إني خاطبتُ منهم أحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثرُ من تقدّم منهم بهذه الصفة ؛ ولقد أنشدتُ فيهم :

إنَّ المَعْلَمَ لا يزال مُضَعَّفاً ولو ابتنى فوقَ السماء بناءً
من علّم الصبيانَ أضنوا عقله مما يلاقي غُدوةً ومساءً

مضى الحديث .

[صوت من مدن معبد في شعر الأعشى]

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

يومَ تُبدي لنا قتيلاً عن جيـ يدُ أسيلٍ تزيّنه الأطواقُ
وشيتٍ كالأقحوانِ جلّاه الطُّ لُ فيه غُدوةً وأتساقُ

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد . وذكر إسحاق أن لحنه خفيفٌ ثقيلٌ من أصواتٍ قليلاتٍ الأشياء ، وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالنصر . ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارض فيه معبداً فانتصف منه ، ومن أوائل أغانيه وصدورها .

[قتيلات معبد]

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللّهي المعروف بفورك قال : قال لي الوليد بن يزيد : أريد الحج ، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقتيلات معبد ويقصره ونخله فأفتضح به طرباً . يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيّلة هذه ، ونسبتها تأتي بعد . ويعني بقصره ونخله لحنه : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجماء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هلال : وبلغني أن قتيّة من قریش دخلوا إلى قينة ومعهم روح بن حاتم المهلبی ، فتماروا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أغني لكم صوتاً يُزيل الاختلاف ويُوقع بينكم الاجتماع ، فرضوا بها . فغنت : [من الخفيف]

يومَ تُبدي لنا قتيلاً عن جيـ يدُ أسيلٍ تزيّنه الأطواقُ

فرضوا به واففقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه ، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون

غيره .

[141] - نسبة أصوات معبد في قتيلة

[الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى]

منها :

[من الكامل]

[صوت]

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةَ لِيُزَوِّدَا فَمَضَى وَأُخْلِفَ مِنْ قُتَيْلَةٍ مَوْعِدَا
يَجْحَدَنَّ دَيْنِي بِالنَّهَارِ وَأَقْتَضِي دَيْنِي إِذَا وَقَدَ النَّعَاسُ الرُّقْدَا¹
وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الْأَمْرَدَا
الشعر للأعشى . والغناء لمعبد خفيفٌ ثَقِيلٌ أول بالوسطى .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شُرَاعَةَ في مجلس الرِّياشي قال :
حَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا نَظَرَ إِلَى الْأَعْشَى يَدُورُ بَيْنَ الْبُيُوتِ لَيْلًا ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا بَصِيرَ ، إِلَى أَيْنَ
فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَقَالَ :

[من الكامل]

يَجْحَدَنَّ دَيْنِي بِالنَّهَارِ وَأَقْتَضِي دَيْنِي إِذَا وَقَدَ النَّعَاسُ الرُّقْدَا
أخبرني أحمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَمَّارٍ قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن
القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال : غَنَيْتُ بَيْنَ
يَدَيِ الرَّشِيدِ وَسِتَارَتُهُ مَنْصُوبَةٌ :

[من الكامل]

وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الْأَمْرَدَا
فَطَرِبَ وَاسْتَعَادَهُ وَأَمْرِي بِمَالٍ . فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ قَالَ لِي : يَا عَاضُ كَذَا وَكَذَا ! أَتَغْنِي
بِهَذَا الصَّوْتِ وَجَوَارِي مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ يَسْمَعُنَهُ ! لَوْلَا حُرْمَتُكَ لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ ! . فَتَرَكْتُهُ وَاللَّهِ
حَتَّى أَنْسِيَتْهُ .

[من الطويل]

ومنها :

صوت

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةٍ بَعْدَمَا وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا
فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةٌ حَمْرَاءُ تُحَسَّبُ عِنْدَمَا²

1 وقده النعاس : غلبه .

2 خمر سخام وسخامية : لينة سلسة .

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لابن مُحَرِّز ثاني
ثقيلٌ بالوسطى عنه وعن ابن المكي .
[سبعة ابن سريج]

فأما السبعة التي جعلت لابن سُرَيْج بإزاء سبعة معبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن
الحسن ، قال حدثني الحسين بن أحمد الأَكْثَمِي عن أبيه قال : ذكرنا عند إسحاق يوماً أصوات
معبد السبعة فقال : والله ما سبعة ابن سُرَيْج بدونهن . فقلنا له : وأيُّ سبعة ؟ فقال : إن مُغْنِي
المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غيرة ، فاجتمعوا فاختاروا من غناء ابن
سُرَيْج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد ، ثم خايروا¹ أهل المدينة فانتصفوا منهم . فسألوا إسحاق
عن السبعة السُّرَيْجِيَّة ؛ فقال : منها :

تَشْكِي الكُمَيْتِ الجَرِي لما جَهِدَتْهُ

وقد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة :

و : لقد حَبَّبْتُ نَعَمٌ إلينا بوجهها
و : قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ
و : أَرِقْتُ وما هذا السُّهاد المورقُ
وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد .

و : بَيْنَا كَذَاكَ إِذَا عَجَاجَةٌ مَوَكِبٍ
و : فلم أَر كالتَّجْمِير منظرَ ناظِرٍ
[من الكامل]
[من الطويل]

وقد مضى في الأرمال المختارة .

و : تَضَوَّعَ مِسْكَاً بطنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
وقد ذُكِر في المائة مع غيره في شعر النُمَيْرِي .
و : إِنْ جَاءَ فَيَأْتِ عَلَى بَغْلَةٍ
[من الطويل]
[من السريع]

[142] - نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات

إذ كان بعضها قد مضى متقدماً

[الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبعة]

[من الطويل]

فمنها :

صوت

لقد حَبَبْتُ نَعْمَ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر فالنقع¹
ومن أجل ذاتِ الخالِ أعملتُ ناقتي أكلفها سِيرَ الكلالِ مع الظلَعِ
عروضه من الطويل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيلٍ بالبِصْر .
وذاتُ الخالِ التي غناها هاهنا عمر امرأة من ولد أبي سُفْيَان بنِ حَرْب ، كان عمر يَكْنِي عنها
بذلك .

[عمر بن أبي ربيعة وذات الخال]

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هِفْثَان عن إِسْحَاق بن إبراهيم الموصلي
عن الزُّبَيْري والمُسَيَّبِي ومحمد بن سَلَام والمَدَائِنِي ، وأخبرنا به الحِزْمِيُّ بن أبي الغلاء قال
حدثنا الزُّبَيْر قال حدثني عُمِّي ولم يتجاوزهُ : أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا
جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سُفْيَان ، فدعا عمرُ بِكَيْفٍ فكتب
إليها وكَنَّى عن اسمها :

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فاستطليعا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرُّما
وقولا لها إن النوى أجنبيةٌ بنا وبكم قد خِفْتُ أن تَتِمُّما

غناه ابن سُرَيْج خفيف ثَقِيلٍ أولَ بالسبابة في مجرى البِصْر عن إِسْحَاق ، قال فقال له ابن
أبي عتيق : سبحانَ الله ! ما تريد إلى امرأة مُسْلِمَةٍ مُحَرِّمَةٍ أن تكتب إليها مثل هذا ! قال :
فكيف قد سِيرْتُهُ في الناس من قولي :

[من الطويل]

لقد حَبَبْتُ نَعْمَ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر والنقع

1 الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة في جنبات الطائف .

ومن أجل ذات الخال أعملتُ ناقتي أُكَلِّفُهَا سِيرَ الْكَلَالِ مَعَ الظَّلْعِ
ومن أجل ذات الخال يومَ لقيتُها بِمُنْدَفَعِ الْأَجْنَابِ أُحْضِلْنِي دُمْعِي¹
ومن أجل ذات الخال آلفُ منزلاً أَحُلُّ بِهِ لَا ذَا صَدِيقِي وَلَا زَرْعِ
ومن أجل ذات الخال عُدْتُ كَأَنَّنِي مُخَامَرُ سَقَمٍ دَاخِلٍ أَوْ أَخُو رَيْعِ²
أَلَمَّا بَذَاتِ الْخَالِ إِنْ مَقَامَهَا لَدَى الْبَابِ زَادَ الْقَلْبَ صَدْعاً عَلَى صَدْعِ
وَأُخْرَى لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ نَظَرْتُهَا إِلَيْهَا تَمَشَّتْ فِي عِظَامِي وَفِي سَمْعِي

وقال الحرّميّ في خبره : أما ترى ما سار لي من الشعر ! ما علم الله أنّي اطلعتُ حراماً قط ! ثم انصرفنا . فلما كان من الغد التقينا . فقال عمر : أشعرت أن ذلك الإنسان قد ردّ الجواب ؟ قال : وما كان من رده ؟ قال : كتب :

صوت

أُمسَى قَرِيضُكَ بِالْهَوَى نَمَامَا فَارْبَعٌ هُدَيْتَ وَكُنْ لَهُ كَتَامَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْخَالَ حِينَ وَصَفْتَهُ قَعْدَ الْعَدُوِّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا
لَا تَحْسِنُ الْكَاشِحِينَ عَدِمَتَهُمْ عَمَّا يَسُوءُكَ غَافِلِينَ نِيَامَا
لَا تَمَكِّنُ مِنَ الدُّفِينَةِ كَاشِحاً يَتْلُو بِهَا حَفْظاً عَلَيْكَ إِمَامَا

غنى فيه سلّيم خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . قال : وفيه لفريدة وإبراهيم لحنان . وفي بعض النسخ : لإسحاق فيه ثقیل أول غير منسوب . وذكر حبّش أن خفيف الرمل لفريدة . أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام ، قال وأخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال : سألتُ عمر بن أبي خليفة العبدى ، وكان عابداً وكان يُعجبه الغناء ، أيُّ القوم كان أحسنَ غناء ؟ قال : ابن سُرَّيج إذا تَمَعَبَدَ ، يريد : إذا غنى في مذهب مَعَبَدٍ من الثقيل ، قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته :

صوت

لَقَدْ حَبَّيْتُ نَعَمَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا مَسَاكِنَ مَا بَيْنَ الْوَنَائِرِ فَالْنَقْعِ

وقال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامري قال : جلس مَعَبَدُ وَالْأَبَجَرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ فَتَذَاكَرُوا ابْنَ سُرَّيجَ وَمَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ مِنْ غِنَائِهِ ، فَقَالُوا : مَا هُوَ

1 الأجناب : موضع قرب مكة .

2 الربيع : النعش ، ويكنى به عن الموت .

إلا من غناء الزُفَّافِ والمُخَنَّثِينَ . فَنُصِّحِي الحديث إلى ابن سُرَيْج فغَنَّى :
 [من الطويل]
 لَقَدْ حَبِيبَتْ نَعْمَ إِلَيْنَا بَوَّجْهَهَا
 فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غَنَّاهُمْ إِيَّاهُ . فلما سمعوه قاموا هَارِينَ ، وجعل ابن سُرَيْج
 يَصْفُقُ خَلْفَهُمْ ويقول : إلى أين ؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اخْتَمَرَ ! . قال فقال معبد : دَعُوهُ
 مع طَرَائِقِهِ الْأَوَّلِ وَلَا تَهَيِّجُوهُ عَلَى طَرَائِقِكُمْ ، وَإِلَّا لَمْ يَدَعْ لَكُمْ وَاللَّهِ خَبِيراً تَأْكُلُونَهُ .
 قال الزُّبَيْرُ في خبره عن عمه : وَعَلِقَ نَعْمًا هَذِهِ فَقَالَ فِيهَا شِعْرًا كَثِيرًا . ونحن نذكر هاهنا
 ما فيه غِنَاءٌ مِنْ ذَلِكَ . فَمِنْهُ قَوْلُهُ :
 [من الكامل]

صوت

خَطَرْتُ لَذَاتَ الْخَالِ ذِكْرِي بَعْدَ مَا سَلَكَ الْمَطْيُ بِنَا عَلَى الْأَنْصَابِ¹
 أَنْصَابِ عَمْرَةٍ وَالْمَطْيُ كَأَنَّهَا قِطْعُ الْقَطَا صَدَرَتْ عَنِ الْأَجْبَابِ²
 فَانْهَلْ دَمْعِي فِي الرَّدَاءِ صَبَابَةً فَسْتَرْتُهُ بِالْبُرْدِ عَنْ أَصْحَابِي
 فَرَأَى سَوَابِقَ دَمْعَةٍ مَسْكُونَةٍ بَكَرٌ فَقَالَ بَكَى أَبُو الْخَطَّابِ
 عَرَضَهُ مِنَ الْكَامِلِ . «بَكَر» الَّذِي ذَكَرَهُ هَاهُنَا عَمْرٌ هُوَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَهُوَ يُسَمَّى فِي
 شِعْرِهِ بِبَكَرٍ وَبَعْتِيقَ ، وَإِيَّاهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ :
 [من الخفيف]

لَا تَلْمِئِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إِنْ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
 الْغِنَاءُ فِي «خَطَرْتُ لَذَاتَ الْخَالِ» لِلْغَرِيضِ ، وَلِحَنِهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ
 عَنْ إِسْحَاقَ . وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ لِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدَ .
 وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي : أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ وَافَقَهَا وَهِيَ
 تَسْتَلِمُ الرُّكْنَ ، فَقَرُبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتْهُ تَأَخَّرَتْ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : تَقُولُ لَكَ ابْنَةُ
 عَمِّكَ : إِنْ هَذَا مَقَامٌ لَا بَدْءَ مِنْهُ كَمَا تَرَى ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَقُولُ فِي مَوْقِفِنَا هَذَا فَلَا تَقُولَنَّ
 هُجْرًا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : لَسْتُ أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا . ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهَا وَهِيَ تَرْمِي الْجِمَارَ ، فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ
 وَاسْتَرَتْ ؛ فَقَالَ :

صوت

دَيْنَ هَذَا الْقَلْبُ مِنْ نَعْمٍ بِسَقَامٍ لَيْسَ كَالسُّقَامِ

1 الأنصاب : موضع .

2 الأجباب : جمع جب وهو البئر الذي لم تطو أي لم تُبَن .

إِنْ نَعْمًا أَقْصَدْتُ رَجُلًا آمِنًا بِالْخَيْفِ إِذْ تَرْمِي
اسْمَعِي مِنَّا تَخَاوَرْنَا وَاحْكُمِي رُضِيتُ بِالْحُكْمِ
بَشِيتِ نَبْتُهُ رَزَلِ طَيِّبِ الْأَنْيَابِ وَالطَّعْمِ¹
يَأْتِكُمْ مِنْهُ بِحُجَّتِهِ فَلَهُ الْعُتْبَى وَلَا أَحْيِي

عروضه من المديد . الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقل أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيْج رمل بالنصر عن حبش . وفيه لابن مَسْنَج ثقل أول بالوسطى عن حبش أيضاً . وذكر الهشامي أن هذا الصوت مما يُشك فيه أنه لمعبد أو غيره .

قال : وقال فيها أيضاً :

[من الهزج]

صوت

أَيِّنِي الْيَوْمَ أَيُّ نَعْمٍ أَوْصَلْ مِنْكَ أَمْ صُرْمٍ
فَإِنْ يَكْ صُرْمٌ عَاتِبَةٌ فَقَدْ نَغَى وَهُوَ سَلْمٌ
تَلُومَكَ فِي الْهَوَى نَعْمٌ وَلَيْسَ لَهَا بِهِ عِلْمٌ
صَحِيحٌ لَوْ رَأَى نَعْمًا لَخَالَطَ جِسْمَهُ سَقْمٌ

عروضه من الهزج . غناه مالك ولحنه ثقل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمتيم خفيف رمل بالنصر عن إسحاق² ، وذكر أن فيه أيضاً صنعة لابن سُرَيْج .
ومما يُغنى فيه مما قاله فيها ، وهو من قصيدة طويلة :

[من الطويل]

صوت

فَقُلْتُ لَجَنَادٍ خُذِ السَّيْفَ وَاشْتَمِلْ عَلَيْهِ بِحِزْمٍ وَانْظُرْ الشَّمْسَ تَغْرُبْ
وَأَسْرِجْ لَنَا الدَّهْمَاءَ وَاعْجَلْ بِمِطْرِي وَلَا تَعْلَمَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي³

عروضه من الطويل . غناه زُرُور غلام المارقي خفيف ثقل بالنصر .
أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال : قيل لعمر بن أبي ربيعة : ما أحب شيء أصبته إليك ؟ قال : بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقتني رسول مُصَعَّب بن الزبير بكتابه

1 الشيت : المتفرق . والرتل : يياض الأسنان وحسن تناسقها .

2 ل : حبش .

3 المِطر : ما يلبس للوقاية من المطر .

يقول : إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشبهك ، وقد بعثتُ بها إليك وبدنانيرَ ومسكٍ وطيبٍ وبغلة . قال : فإذا بثياب من وشيٍّ وخزٍّ العراق لم أرَ مثلها قط وأربعمئة دينارٍ ومسكٍ وطيبٍ كثيرٍ وبغلة . فلما أصبحتُ لستُ بعضَ تلك الثياب وتطيبتُ وأحرزتُ الدنانيرَ وركبتُ البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ ستي ؛ فما أددتُ فائدةً كانت أحبَّ إليَّ منها . وقلت في ذلك :

ألا أرسلتُ نعمً إلينا أني اثبتنا فأرسلتُ أن لا أستطيعُ فأرسلتُ
فقلتُ لجنادٍ خذِ السيفَ واشتمِلْ وأسرجِ لي الدِّهْماءَ واعجلْ بِمِطْرِي
وموعذكُ البطحاءِ أو بطنُ ياججٍ فلما التقينا سلَّمتُ وتبسَّمتُ
أمنَ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ قطعتُ وصالَ الجبلِ منّا ومن يُطيعُ
فباتٍ وسادي ثنيَ كفٍ مُخضَّبٍ إذا ملتُ مالتُ كالكتيبِ رخيمةُ
أخبرني الحرَّميُّ قال حدثنا الزبيرُ قال حدثني عمِّي قال : بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أن نِعْمًا
اغتسلت في غديرٍ ؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نَضَبَ .
قال الزبيرُ قال عمِّي : وقال فيها أيضًا :

صوت

طال ليلي وعادني اليومَ سقمُ وأصابتُ مقاتليَ بسهامِ
وأصابتُ مقاتليَ بسهامِ حرَّةُ الوجه والشمائلِ والجو
هرِّ تكليمها لمن نال غنمُ ليس لي بالذي تغيبَ علمُ
في يفاعٍ يزِين ذلكَ جسمُ هكذا وصفُ ما بدا لي منها
غيرَ أني أرى الثيابَ ملاء

وحديثٍ بمثله تنزل العَصْدُ سَمُ رَخِيمٍ يشوبُ ذلكَ حِلْمُ عروضة من الخفيف . غنى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المديني في جامع غنائه ولم يجنسه ، وذكر حبش أنه خفيف رمل بالبنصر .
[مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج]

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عمرو بن بانة قال : كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بن المهدي . فتفاوضنا حديثَ المغنين ، حتى انتهوا إلى أن حكى إسحاق قولَ عمر بن أبي خليفة : «إذا تمعبد ابن سريج كان أحسن الناس غناء» . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك يا أبا محمد أن تقول هذا ! فقد رفع الله علمك وقدّر ابن سريج عن مثل هذا القول ، وأغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له تمعبد ؛ وما كان معبد يضع نفسه هذا الموضع ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول : أصبحتُ اليوم سريجياً . وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول ؛ لأن معبداً وإن كان يعظم ابن سريج ويوفيه حقه فليس بدونه ولا هو بمردول عنده . وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سريج لما قَدِمَ المدينة مع الغريض ليستمنحاً أهلها ، فسمعاها وهو يصيد الطير يغني لحنه :

القَصْرُ فالنخل فالجماء بينهما

فرجع ابن سريج وردّ الغريض وقال : لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير ، فكيف بمن داخل الجونة ! .
[تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه]

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ابن سريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النوفلي ، قال حدثني أبي قال : التقى ابن سريج ومعبد ليلة بعد افتراق طويل وبُعِدَ عهد ؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما ؛ فتغنى هذا وتغنى هذا ؛ ثم تغنى ابن سريج لحنه في :

أنا الهالكُ المسلوبُ مهجة نفسه إذا جاوزت مرّاً وعُسفانَ غيرها¹
فغنّاه مُرسلاً لا صبيحة فيه . فقال له معبد : أفلا حسنته بصيحة ! قال : فأين أضعها ؟
قال : في :

غدتُ سافراً والشمسُ قد ذرّ قرنها

1 مرّاً الظهران : موضع على مرحلة من مكة . وعسفان على مرحلتين منها .

قال : فصيح أنت فيه حتى أسمع منك . قال : فصاح فيه معبدٌ الصَّيِّحة التي يُغنى بها فيه اليوم . فاستعاده ابن سُرَّيج حتى أخذه فغنى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جداً . وفي هذا دليل يبين فيه التحاملُ على معبد في الحكاية :

صوت

غَدَتْ سَافِراً وَالشَّمْسُ قَدْ ذَرَّ قَرْنُهَا فَأَغَشَى شُعَاعَ الشَّمْسِ مِنْهَا سَفُورُهَا
وَقَدْ عَلِمْتُ شَمْسُ النَّهَارِ بِأَنْهَا إِذَا مَا بَدَتْ يَوْماً سَيَذْهَبُ نُورُهَا
أَنَا الْهَالِكُ الْمَسْلُوبُ مَهْجَةً نَفْسِهِ إِذَا جَاوَزْتَ مَرّاً وَعُسْفَانَ عَيْرُهَا
أَهَاجَتِكَ سَلَمَى إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا وَهَجَّرَ يَوْماً لِلرَّوَّاحِ بَعِيرُهَا

الشعر يقال : إنه لطريف العنبري . والغناء لابن سُرَّيج خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها عن ابن المكي ، وذكر عمرو أنه لِسَيَّاط . ولِإِبْرَاهِيمَ في الثالث والأول والرابع خفيفٌ رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إِسْحَاقَ وعمرو . وفيه لِبَسَابِسةٍ ثقيلٌ أولٌ بِالْبِنْصَرِ عن حَبَش . وفيه لابن جَامِعٍ لَحْنٌ عن حَبَش من رواية أَبِي أَيُّوبَ المَدِينِي .

[أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة]

ومن سبعة ابن سريج :

[من المنسرح]

صوت

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأُضْحَوَا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوَشَلِكُ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدَاةَ قَدْ طَلَعُوا
عَلَى مِصْكَيْنِ مِنْ جِمَالِهِمْ وَعَتَرَيْسَيْنِ فِيهِمَا شَجَعٌ¹
يَا نَفْسُ صَبْرًا فَإِنَّهُ سَفَةٌ بِالْحُرِّ أَنْ يَسْتَفْزَهُ الْجَزَعُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَّيج ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حَبَش أن فيه للغريض ثقيلًا أولٌ بِالْبِنْصَرِ . وذكر ابن أبي حَسَّان أن هِبَةَ اللَّهِ بن إِبْرَاهِيمَ بن المهدي حَدَّثَهُ عن أبيه عن ابن جَامِعٍ قال : عِيبَ عَلَى ابْنِ سُرَّيجِ خِفَّةُ غِنَائِهِ ، فَأَخَذَ آيَاتَ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

[من المنسرح]

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ

فغنى فيها في كل إيقاع لحناً . فجميع ما فيها من الألحان له .

1 المصك : القوي . والعتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والشجع في الإبل : سرعة نقل القوادم .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مزاحم قال حدثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال : قال لي إسماعيل بن عبد الله : يا أبا قيس ، أي رجل أنت لولا أنك تحب السماع ! . قلت : أصلحك الله ! أما والله لو سمعت فلانة تُغنيك :

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضْحَوْا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا
لَعَذَرْتَنِي . فَقَالَ : يَا أبا قيس ، لا عاتبتك بعد هذا أبداً .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

يَبْنَا كَذَلِكَ إِذْ عَجَاجَةٌ مَوَكِبٍ رَفَعُوا ذَمِيلَ الْعَيْسِ فِي الصَّحْرَاءِ
قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ أَعْرِفْ زَيْهَ وَلِبَاسَهُ لَا شَكَّ غَيْرَ خَفَاءِ
الشعر لابن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، وذكر الهشامي وأبو العَبَّاسِ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ ؛ وليس الأمر كما ذكرنا .
ومنها :

صوت

وهو الذي أقوله :

[من السريع]

إِنْ جَاءَ فَلَيَاتِ عَلَى بَغْلَةٍ
سَلَمَى عَيْدِيهِ سَرَحَتِي مَالِكٍ أَوْ الرُّبَا دُونَهُمَا مَتَزَلَا
إِنْ جَاءَ فَلَيَاتِ عَلَى بَغْلَةٍ إِنِّي أَخَافُ الْمُهْرَ أَنْ يَصْهَلَا
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيْجٍ من رواية يحيى بن المكيّ والهشامي ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، وذكر يونس أَنَّهُ لِلْغَرِيضِ ، وذكره إسحاق في أغاني الغريضة ولم يجنسه .

[143] - أغاني الخلفاء وأولادهم وأولادهم

[من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك]

قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوبُ إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلٌ لجُلِّه ولا حقيقةً لأكثره ، لاسيَّما ما حكاه ابن خُرْداذبَةَ فإنه بدأ بعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنَّى في هذا البيت :

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غَصْنٌ بِمَرْوَحَةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كَانَ ذَلِكَ عنده ميراث من موارِيثِ الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا مَعْدِلُ عنه ، يَخِيطُ خَبَطَ الْعَشْوَاءِ ويجمع جمع حاطب الليل . فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُروى عن كل أحد لبعُدَ عنه ؛ وإنما رُوِيَ أَنَّهُ تَمَثَّلَ بهذا البيت وقد ركب ناقَةً فاستوطأها ، لا أَنَّهُ غَنَّى بِهِ ، ولا كان الغناء العربيُّ أيضاً عُرفَ في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النُصْبِ¹ والحُدَاءِ ، وذلك جارٍ مَجْرَى الإنشاد إلا أَنَّهُ يَقَعُ بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . والذي صَحَّ من ذلك عن رِوَاةِ هذا الشأنُ فَأَنَا ذَاكِرٌ مِنْهُ مَا كَانَ مَتَقَنَّ الصَّنْعَةَ لاحقاً بجيد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيلاً : وجامعٌ مِنْهُ مَا اتَّصَلَ بِهِ خَبَرٌ لَهُ يُسْتَحْسَنُ ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه .

فَأُولَ مَنْ دُوِّنَتْ لَهُ صَنَعَةٌ مِنْهُمْ عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ صَنَعَ فِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ عَلَى الْحِجَازِ سَبْعَةَ أَلْحَانٍ يَذْكُرُ سَعَادَ فِيهَا كُلِّهَا ؛ فبَعْضُهَا عَرَفْتُ الشَّاعِرَ الْقَائِلَ لَهُ فَذَكَرْتُ خَبْرَهُ ، وَبَعْضُهَا لَمْ أَعْرِفْ قَائِلَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ كَمَا وَقَعَ إِلَيَّ . فَإِنْ مَرَّ بِي بَعْدَ وَقْتِي هَذَا أَثْبَتُهُ فِي مَوْضِعِهِ وَشَرَحْتُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا اتَّصَلَ بِي ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ لِي وَوَقَعَ إِلَى بَعْضٍ مِنْ كَتَبَ هَذَا الْكِتَابَ فَمِنْ أَقْلٍ الْحَقُّوقُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّفَ إِثْبَاتَهُ وَلَا يَسْتَتَقِلَّ تَجَشُّمُ هَذَا الْقَلِيلِ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى فَوَائِدِ جَمَّةٍ تَجَشَّمْنَاهَا لَهُ وَلِنُظَرَاتِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَحَظِي بِهَا مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ وَلَا كَدَحٍ ؛ فَإِنْ جَمَالَ ذَلِكَ مَوْفَرٌ عَلَيْهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَعَيْيَهُ عَنَا سَاقِطٌ مَعَ اعْتِدَارِنَا عَنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن الناس من يُنْكَرُ أَنْ تَكُونَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذِهِ الصَّنْعَةُ ويقول : إِنَّهَا أَصَوَاتٌ مُحْكَمَةُ الْعَمَلِ لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا مَنْ طَالَتْ دُرْبَتُهُ بِالصَّنْعَةِ وَحِذَقَ الْغِنَاءُ وَمَهَّرَ فِيهِ وَتَمَكَّنَ

1 النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله ، ولا جالس من يُنقل ذلك عنه ويؤدّيه ؛ وإنما هو شيء يحسن المغنون نسبته إليه . ورؤي من غير وجه خلافاً لذلك وإثباتاً لصنعة إياها ، وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من هذا الظن والدعوى ، ومخالفتهم قد أيدتهم أخباراً رويت .

[عمر بن عبد العزيز والغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكَيْع والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سباط عن يونس الكاتب عن شُهدة أم عاتكة بنت شُهدة عن كَرْدَم بن معبد عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في : [من الوافر]

أَلِمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يعلى زُرْقَانُ غلامُ أبي المُذَيْل وصاحبُ أحمد بن أبي دواد قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتِفُ أراه قال أم ولد المعتصم قالت حدثني عُليّة بنت المهدي قالت حدثني عاتكة بنت شُهدة عن أمها شُهدة عن كَرْدَم قال :

طرح عليّ عمر بن عبد العزيز لحنه :

[من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ سَعَادَا عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كَلَّمَا عَوَّتَبَ فِيهَا أَوْ نُهِى عَنْهَا تَمَادَى
وهو مشغوفٌ بسُعدَى قد عَصَى فِيهَا وَزَادَا

قال كَرْدَم : وكان عمر أحسن خلقِ الله صوتاً ، وكان حسنَ القراءة للقرآن .

ونسختُ من كتاب ابن الكَرْنَبِي بخطه حدثني أحمد بن الفَتْح الحَجَاجِي في مجلس حماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال : رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عِمَامَةٌ ورأيت الشَّجَّةَ في وجهه تدل على أنها ضربةُ حافرٍ ، فسمعتَه يقول : قال عمر بن الخطَّاب : لا تَعْلَمُوا نِسَاءَ كَم الْخُلَع . قال حدثني محمد بن الحسين : فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له : يا أمير المؤمنين ، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه في شعر جرير : [من الوافر]

أَلِمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا لَوْشَكَ فِرَاقَهَا وَذَرَا الْبِعَادَا
لَعَمْرُكَ إِنْ نَفَعَ سَعَادَ عُنِي لِمَصْرُوفٍ وَنَفَعِي عَنْ سَعَادَا
إِلَى الْفَارُوقِ يَتَنَسَّبُ ابْنُ لَيْلَى وَمِرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا

فتبسّم عمر ولم يردّ عليّ شيئاً .

نسبة هذين الصوتين :

[من الوافر]

صوت

أَلَمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سُعَادَا لَوْشَكَ فِرَاقَهَا وَذَرَا الْبِعَادَا
لَعَمْرُكَ إِنَّ نَفَعَ سَعَادَ عُنِّي لِمَصْرُوفٍ وَنَفَعِي عَنْ سَعَادَا
إِلَى الْفَارُوقِ يَنْتَسِبُ ابْنُ كَيْلٍ وَمِرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا

الشعر لجريّر يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أولٌ مطلقٌ في مجرى البِنْصَر . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ يُنسب إلى معبد .

صوت

[من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ سُعَادَا عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كُلَّمَا عَوْتَبَ فِيهَا أَوْ نُهِى عَنْهَا تَمَادَى
وَهُوَ مَشْغُوفٌ بِسُعْدَى قَدْ عَصَى فِيهَا وَزَادَا
الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفٌ ثقيلٌ . وفيه ثانيٌ ثقيلٌ يُنسب إلى الهذليّ .

[144] - ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

[هو أشج بن مروان]

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى أبا حفص . وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يقال له أشج قريش ؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر . فذكر يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه أن عبد الله بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق عليه ويُدنيه . وإذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد . فعاتبه بعض بنيّه على ذلك ، فقال له : أو ما تعلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سبيل الخلافة يوماً وهو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً ، فما لي لا أحبه وأدنيه ! .

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا سالم بن عجلان قال : خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمته بغلة على جبينه . فبلغ الخبر أمّه أم عاصم ، فخرجت في خدمتها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت : أما الكبير فيخدم ، وأما الصغير فيكرم ، وأما الوسط فيضيع ! لِمَ لا تتخذ لابني حاضناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه ، ثم نظر إليها وقال لها : ويحك ! إن كان أشج بني مروان ، أو أشج بني أمية ، إنه لسعيد ! .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المقدمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال : دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبل أبيه ، فضربه فرس على وجهه ، فأتني به أبوه يُحمل . فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول : لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد .

[أمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب]

حدثنا محمد بن العباس الزبيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مُصعب الزبيري قال : كانت بنت لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النحام فماتت ، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله ، وأخرج إليه ابنته حفصة وأم عاصم ، فقال له : اختر ، فاختر حفصة فزوجها إياه . فقيل له : تركت أم عاصم وهي أجملهما ! فقال : رأيت جارية رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت : عليهم أن يُصيخوا من دنياهن . فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده . وقُتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرة . وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان ؛ فتزوج أختها حفصة بعدها ، فحملت إليه بمصر ؛ فمرت بأيلة وبها مخنث أو معتوه وقد كان أهدي لأم عاصم حين مرت به فأنابته . فلما مرت

به حفصةً أهدى لها فلم تُبَيِّه . فقال : «ليست حفصةً من رجال أم عاصم» فذهبت مثلاً .
[لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرَّمادي وسليمان بن أبي شيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثني الليث قال : لما وليَ عمرُ بن عبد العزيز ، بدأ بلُحْمته وأهل بيته ، فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم . ففرَّعت بنو أمية إلى فاطمة بنت مروان عمته . فأرسلت إليه : إنه قد عانني أمرٌ لا بد من لقائك فيه . فأتته ليلاً فأنزلها عن دابتها . فلما أخذت مجلسها قال : يا عَمَّة ، أنتِ أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي . قالت : تكلم يا أمير المؤمنين . فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً ، لم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده فقَبَضه إليه ، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النهْرَ على حاله . ثم وليَ عمرُ فعمل على عمل صاحبه . فلما وليَ عثمان اشتق من ذلك النهْرَ نهراً . ثم وليَ معاوية فشق منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهْرُ يشقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمرُ إلي ، وقد يَسَّ النَّهرُ الأعظم ولن يَروى أصحابُ النهْر حتى يعود إليهم النهْرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامك ومُذاكرتك . فأما إذ كانت هذه مقالاتك فلستُ بذاكرة لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه .

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره : فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم : ذُوقُوا مَعْبَةَ أَمْرِكُمْ في تزويجكم آلَ عمرَ بن الخطاب .

[كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيْل عن حماد الراوية ، وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيبُ القادسية قال حدثنا الرياشي قال حدثنا شيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدري عن حماد الراوية ، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرياشي ، قال : دخلتُ المدينة أُلتمس العلم ، فكان أولُ مَنْ لقيتُ كثيرُ عَزَّة . فقلت : يا أبا صَخْر ، ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ونصيب . قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له : إنا لم نَحِثْ المَطْيَ نَحْوَكُمْ شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلٌّ مَنْ يفعل ذلك ؛ فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثاً أخذه عنك . فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمْتُ أنا ونُصَيْبُ والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان أولُ من لقينا مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتي العرب ، وكلُّ واحدٍ منا ينظر في عِطْفِيهِ لا يَشْكُ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسنَ ضيافتنا

وأكرم مَثُونَا ، ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطي الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه لنا في هذا الأمر وجهاً . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد وليَ الخلافة فقد بقي من ذري دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصلُ إليه ، وجعل مَسْلَمَةٌ يستأذن لنا فلا يُؤذن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفظتُ من كلام عمرَ شيئاً ! . فأتيتُ المسجدَ فأنأ أول من حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : لكل سفرٍ زادٌ لا محالة ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التَّقوى ، وكونوا كمن عاتين ما أعدَّ الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يطولن عليكم الأمدُ فتفسد قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم . واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق النجاة من عذاب الله في الآخرة . فأما من لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرحٌ من ناحيةٍ أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمرُكم بما أنهى نفسي عنه فتحسرَ صفقتي ، وتبدؤ عيَلتي ، وتظهرَ مسكنتي يوم لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصدق . فارتجَّ المسجدُ بالبكاء . وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبه ، حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه . فبلغتُ إلى صاحبي فقلت : جدداً لعمر من الشعر غير ما أعددناه ، فليس الرجلُ بدنيوي . ثم إن مَسْلَمَةَ استأذن لنا يومَ جُمعة بعد ما أُذن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلتُ الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كثير ، أما سمعتَ إلى قول الله عز وجل في كتابه : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيلٍ ومُنْقَطَعٌ به . قال : أولستَ ضيفَ أبي سعيد ؟ قلت بلى . قال : ما أحسب من كان ضيفَ أبي سعيد ابن سبيلٍ ولا مُنْقَطَعاً به . ثم استأذنته في الإنشاد ، فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن الله سائلك . فقلت :

[من الطويل]

وَلَيْتَ فَلَم تَشْتُمَ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفْ	بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
وَقَلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي	فَعَلْتَ ، فَأُضْحِي رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ	مِنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ
لَقَدْ لَيْسَتْ لَيْسَ الْهَلُوكِ ثِيَابُهَا	وَأَبْدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمٍ ¹
وَتَوْمَضُ أَحْيَاناً بَعِينَ مَرِيضَةٍ	وَتَبَسُّمٌ عَنِ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنْظَمِ

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما
وقد كنت من أجبالها في مُنْعٍ
وما زلت سباقاً إلى كل غاية
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن
تركت الذي يفنى وإن كان مؤنقاً
فأضرت بالفاني وشمّرت للذي
وما لك أن كنت الخليفة مانع
سما لك هم في الفؤاد مؤرق
فما بين شرق الأرض والغرب كلها
يقول : أمير المؤمنين ظلمتني
ولا بسط كف لأمريء ظالم له
فلو يستطيع المسلمون تقسموا
فعيشت به ما حجّ الله راكب
فأربح بها من صفقة لمبايع

سَقَتِكَ مَدُوفاً من سِمامٍ وَعَلَقَمٍ¹
ومن بحرهما في مُزِيدِ الموج مُفَعَمٍ
صَعِدْتَ بها أعلى البناء المُقَدَّمِ
لطالِبِ دُنْيَا بعده مِن تَكَلُّمٍ
وَأَثَرَتْ ما يَبْقَى برَأْيٍ مُصَمِّمٍ
أَمَامَكَ في يَوْمٍ من الهول مُظْلَمٍ
سوى الله من مالٍ رَغِيبٍ ولا دمٍ
صَعِدْتَ به أعلى المعالي بِسَلَمٍ
مُنَادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمٍ
بأخْذٍ لَدِينَارٍ ولا أَخْذٍ دَرَهَمٍ
ولا السفلَى منه ظالماً ملءٍ مِحْجَمٍ
لك الشُّطْرَ من أعمارِهِم غيرَ نُدَمٍ
مُغِذُّ مُطِيفٍ بِالْمَقَامِ وَزَمَرٍ
وأعْظِمُ بها أعْظِمُ بها ثم أعْظِمُ

فقال لي : يا كثير ، إن الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه الأحوص فاستأذنه فقال :
قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن الله سائلك . فأنشده :

وما الشعرُ إلا خطبةٌ من مؤلفٍ
فلا تَقْبَلَنَّ إلا الذي وافق الرُّضَا
رَأْيُناكَ لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمَنَةً
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهْدَكَ كُلَّهُ
فقلنا ولم نَكْذِبْ بما قد بدا لنا
ومَن ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بعد مروقِهِ
ولولا الذي قد عودتنا خلائِفُ
لما وخذتَ شهراً بِرَحْلِي جَسَرَةً

بمنطِقٍ حقٍّ أو بمنطِقٍ باطلٍ
ولا تَرَجِعْنَا كالنساء الأراذلِ
ولا يَسِرَّةً فعلَ الظُّلومِ المُجادِلِ
وتَقَفُوا مثالَ الصالحين الأوائِلِ
ومَن ذا يُرُدُّ الحقُّ من قولٍ عاذِلِ
على فُوقِهِ إن عارَ من نَزَعِ نابِلِ²
غَطَارِيفُ كانت كالليوث البواسِلِ
تَقْلُ مُتَوْنِ البِيدِ بين الرُّواحِلِ

1 مدوفاً : مخلوطاً . والسمام : السم .

2 مرقه في ل : صدوفه . السهم العائر : الذي لا يدرى من أين أتى .

ولكن رجونا منك مثل الذي به
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ
وكان مُصِيباً صادقاً لا يعيبه
فإن لنا قُربى ومَحَضَ مَوَدَّةٍ
فذاذوا عدوَّ السَّلم عن عُقر دارهم
فقبلك ما أعطى الهَنيدةَ جَلَّةٌ
رسولُ الإله المصطفى بُنبُوءَ
فكل الذي عددتُ يكفيك بعضه
صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضل
وإن كان مثل الدُّر من قول قائلٍ
سوى أَنه يُبنى بناء المنازلِ
وميراثُ آباءٍ مَشُوا بالمناصلِ
وأرسوا عَمُودَ الدِّين بعد تَمَائِلِ
على الشعرِ كعباً من سَدِيسٍ وبازلٍ¹
عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
ونيلك خيرٌ من بحورِ السوائلِ

فقال له عمر : يا أحوص ، إن الله سألُك عن كلِّ ما قلت . ثم تقدَّم إليه نُصِيب فاستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له وغضِب غضباً شديداً ، وأمره باللاحاق بدابق² . وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهماً .

وقال الرياشي في خبره : فقال لنا : ما عندي ما أُعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظم بركة من الثلاثِ المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها وصيفةً فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار .

[خبر دكين الراجز معه]

أخبرني عمي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني : قال : قال دكين الراجز : امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، فأمر لي بخمسة عشرة ناقةً كرائم ، فكرهتُ أن أرمي بهن الفجاج ، ولم تطب نفسي ببيعهن . فقديمت علينا رُفقة من مصر ، فسألتهن الصُّحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة . فأتيته فودعته وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا دكين ، إن لي نفساً تواقه ، فإن صيرتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان . قلت : أشهد لي بذلك . قال : أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد استسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير . فخرجتُ إلى بلدي بهن ، فرمى الله في أذناهن بالبركة حتى اعتقدت³ منهن الإبل والعبيد . فإني لبصحراء

1 هنيذة : اسم المائة من الإبل خاصة .

2 دابق : قرية قرب حلب .

3 اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

فَلَجَّ¹ إِذَا نَاعَ يَنْعَى سُلَيْمَانَ . قُلْتُ : فَمَنْ الْقَائِمُ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . فَتَوَجَّهْتُ
نَحْوَهُ ، فَلَقِيتُنِي جَرِيرٌ مَنْصَرَفًا مِنْ عِنْدِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَرْزَةَ ، مَنْ أَتَيْنَ ؟ فَقَالَ : مَنْ عِنْدَ مَنْ يُعْطَى
الْفُقَرَاءَ ، وَيَمْنَعُ الشُّعْرَاءَ . فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هُوَ فِي عَرَضَةِ دَارٍ وَقَدْ أَحَاطَ النَّاسُ بِهِ ، فَلَمْ أُحْصِ إِلَيْهِ
فَنَادَيْتُ :

يَا عُمَرَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَكَارِمِ وَعُمَرَ الدَّسَائِعِ الْعِظَامِ²
إِنِّي أَمْرٌ مِنْ قَطَنِ بْنِ دَارِمٍ طَلَبْتُ دِينِي مِنْ أَخِي مَكَارِمِ
إِذْ تَتَحَجَّى وَاللَّيْلُ غَيْرُ نَائِمٍ عَبْدُ أَبِي يَحْيَى وَعِنْدَ سَالِمِ

فَقَامَ أَبُو يَحْيَى فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا الْبُدُويُّ عِنْدِي شَهَادَةٌ عَلَيْكَ . فَقَالَ : أَعْرِفُهَا ؛
أَدْنُ يَا دُكَيْنَ ، أَنَا كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ ، إِنْ نَفْسِي لَمْ تَنْلِ شَيْئًا قَطْ إِلَّا تَأَقَّتْ لَهَا هُوَ فَوْقَهُ ، وَقَدْ نَلْتُ
غَايَةَ الدُّنْيَا فَنَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَاللَّهِ مَا رَزَأْتُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ شَيْئًا ، وَلَا عِنْدِي إِلَّا أَلْفَا
دِرْهَمٍ ، فَخَذْتُ نَصْفَهَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَلْفًا كَانَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ . قَالَ : وَدُكَيْنَ الَّذِي
يَقُولُ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرَضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْفَعْ عَلَى اللَّوْمِ نَفْسَهُ فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الشَّيْءِ سَبِيلُ

[زهد بعد أن ولي الخلافة]

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ عَنْ الزُّبَيْرِ عَنْ هَارُونَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا نَعْطِي الْغَسَّالَ الدِّرَاهِمَ
الْكَثِيرَةَ حَتَّى يَغْسِلَ ثِيَابَنَا فِي أَثَرِ ثِيَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ كَثَرَةِ الطَّيِّبِ فِيهَا يَعْنِي الْمِسْكَ .
قَالَ : ثُمَّ رَأَيْتُ ثِيَابَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَرَأَيْتُ غَيْرَ مَا كُنتُ أَعْرِفُ .
[حبه آل البيت]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبَزْزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَّاشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي
نُعَيْمٍ قَالَ : قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُغْنِمُ أَهْلَكَ شَيْئًا
خَيْرًا مِنْ نَفْسِكَ فَارْجِعْ ، وَأَتَّبِعْهُ حَوَائِجَهُ .

قَالَ الرَّيَّاشِيُّ وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
أَبَانَ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ آخِذًا بِسُرَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَقَالَ : أَذْكَرُهَا عِنْدَكَ تَشْفَعُ لِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ الصُّيرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَصْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ

1 فلج : واد بين البصرة وحى ضربة .

2 الدسائع : الشوائب أو العطايا .

الْقَوَارِيرِي قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبَانَ الْقُرَشِيِّ قَالَ : دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ حَدِيثُ السِّنِّ وَلَهُ وَفْرَةٌ¹ ، فَرَفَعَ مَجْلِسَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ عُكَّةً مِنْ عُكَّتَيْهِ فَعَمَزَهَا حَتَّى أَوْجَعَهُ وَقَالَ لَهُ : اذْكُرْهَا عِنْدَكَ لِلشُّفَاعَةِ . فَلَمَّا خَرَجَ لَأَمِّهِ أَهْلَهُ وَقَالُوا : فَعَلْتَ هَذَا بِغِلَامِ حَدِيثِ السِّنِّ ! فَقَالَ : إِنْ الثَّقَةُ حَدَّثَنِي حَتَّى كَانَتْ أَسْمَعُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّْي يَسْرُني مَا يَسْرُهَا» وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ فَاطِمَةَ لَوْ كَانَتْ حَيَّةً لَسَرَّهَا مَا فَعَلْتُ بِابْنِهَا . قَالُوا : فَمَا مَعْنَى عَمَزَكَ بِطَنِّهِ وَقَوْلِكَ مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا وَلَهُ شِفَاعَةٌ ، فَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ فِي شِفَاعَةِ هَذَا .

[أَكْرَمَ يَزِيدُ بْنُ عِيسَى لِأَنَّهُ مَوْلَى عَلِيٍّ]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عِيسَى بْنِ مُورِقٍ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ زَمَنَ وَلِيِّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ بِخُنَاصِرَةَ² ، وَكَانَ يُعْطِي الْغُرَبَاءَ مِائَتِي دِرْهَمٍ . قَالَ : فَجِئْتُهُ فَأَجَدُهُ مُتَكَبِّراً عَلَى إِزَارٍ وَكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ . فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ . قَالَ : مَنْ أَيُّهُمْ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . قَالَ : مَنْ أَيُّهُمْ ؟ قُلْتُ : مِنْ قُرَيْشٍ . قَالَ : مَنْ أَيُّ قُرَيْشٍ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . قَالَ : مَنْ أَيُّ بَنِي هَاشِمٍ ؟ قُلْتُ : مَوْلَى عَلِيٍّ . قَالَ : مَنْ عَلِيٌّ ؟ فَسَكَتُ . قَالَ : مَنْ ؟ ! فَقُلْتُ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ . فَجَلَسَ وَطَرَحَ الْكِسَاءَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ مَوْلَى عَلِيٍّ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى عَدَدٍ مِمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» . أَيْنَ مُزَاحِمٍ³ ؟ كَمْ تُعْطِي مِثْلَهُ ؟ قَالَ : مِائَتِي دِرْهَمٍ . قَالَ : أَعْطَاهُ خَمْسِينَ دِينَاراً لَوْلَا أَنَّهُ مِنْ عَلِيٍّ . ثُمَّ قَالَ : أَفِي فَرَضِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : وَافِرْضِ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَقُّ بِلَاذِكْ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَأْتِي غَيْرَكَ .

قَالَ أَبُو يَزِيدٍ فَحَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَبِي : وُلِدَ لِي غِلَامٌ يَوْمَ قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ غِلَامٌ . فَقَالَ لِي : مَنْ ؟ قُلْتُ : مِنَ التَّغْلِبِيَّةِ . قَالَ : فَهَبْ لِي اسْمَهُ . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : قَدْ سَمِيتُهُ اسْمِي وَتَحَلَّيْتُهُ غِلَامِي مُورِقاً ، وَكَانَ نُوبِيّاً فَأَعْتَقَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَوَلَدَهُ الْيَوْمَ مَوَالِينَا .

[كَانَ يَكْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرَانِي إِذَا كَانَتْ لِي حَاجَةٌ أَتَرَدَّدُ إِلَى بَابِهِ .

1 الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

2 خناصرة : بليدة من أعمال حلب .

3 هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

فقال لي : ألم أقل لك : إذا كانت لك حاجة فارع بها إلي ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي .

[لم يقد من ولايته شيئاً وخلف ولده فقراء]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن العتبي عن أبيه قال : لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبي وأمي من خلفتهم بعدي فقراء ! . فقال له مسلمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، فتعقب فعلك وأغنهم ، فما يمنعك أحد في حياتك ولا يرتجع الوالي بعدك . فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال : يا مسلمة ، منعهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين : إما مطيع لله فوالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه ، أو عاص له فما كنت لأعينه على معصيته . يا مسلمة ، إني حضرت أباك لما دُفن فحملتني عيني عند قبره فرأيت قد أفضى إلى أمر من أمر الله راعني وهألني ، فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليت ؛ وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي ، وأرجو أن أفضي إلى عفو من الله وغفران . قال مسلمة : فلما دُفن حضرت دفنه ، فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني ، فرأيت فيما يرى النائم وهو في روضة خضراء نضرة فيحاء وأنهار مطردة وعليه ثياب بيض ؛ فأقبل علي فقال : يا مسلمة ، لمثل هذا فليعمل العاملون . هذا أو نحوه ، فإن الحكاية تزيد أو تنقص .

[رثاه مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال : لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ؛ فقد أورثت صالحينا بك اقتداءً وهُدًى ، وملأت قلوبنا بمواعظك وذكرك خشيةً وتقًى ، وأثلت لنا بفضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكراً .

[كتابه إلى أسارى قسطنطينية]

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد ، فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى . معاذ الله ! أنتم الحبساء في سبيل الله . واعلموا أنني لست أقسم شيئاً بين ريعتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه . وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ، خمسة دنانير . ولولا أنني خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدتكم . وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يُفادي صغيركم وكبيركم ، ذكركم وأنثاكم ، حرركم ومملوككم بما يسأل ، فأبشروا ثم أبشروا .

[كتاب الحسن البصري له ورد عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة

قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال : كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاثبه ، فلما استُخلف كتب إليه : «من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز» . فقبل له : إن الرجل قد وَلِيَ وتغيَّر . فقال : لو علمتُ أن غير ذلك أَحَبُّ إليه لَاتَّبَعْتُ محبته . ثم كتب : «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزَلْ» . قال : فمضيتُ إليه بالكتاب فقدمت عليه به . فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم الجمعة حتى صعد المنبر واجتمع الناس . فلما كثروا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم في أسلاب الماضين ، وسيرتكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين . كلُّ يوم تجهِّزون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد حضر أجله ، وطُوي عمله ، وعان الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب ، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمهَّد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِيّاً ثم رفعهما فقال : يا أيها الناس ، مَنْ وصل إلينا منكم بحاجته لم نأله خيراً ، وَمَنْ عَجَزَ فوالله لَوَدِدْتُ أَنَّهُ وآلَ عمر في العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إلي فدخلتُ إليه ؛ فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنك لست بأوَّل مَنْ كُتِبَ عليه الموت ، وقد مات . والسلام» .

[آخر خطبة له]

أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مُطَرِّف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز خطب بخصاصرة خطبة لم يخطب بعدها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخَلِّقُوا عبثاً ولم تُتْرَكُوا سُدًى ؛ وإن لكم معاداً يتولَّى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وَسَّعَتْ كُلَّ شيء ، وحُرِمَ الجنة التي عرضها السماوات والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن حَذِرَ الله وخافه ، وباع قليلاً بكثير ، وناهداً بياق ، وخوفاً بأمان . ألا تَرَوْنَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيُخَلِّفها من بعدكم الباقون ، وكذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين . ثم إنكم في كلِّ يوم وليلة تُشَيِّعُونَ غادياً إلى الله ورائحاً ، قد قضى نَحْبَهُ ، وانقضى أَجَلُهُ ، ثم تضعونه في صدعٍ من الأرض في بطن لَحْدٍ ، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمهَّد ، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووجه للحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدَّم . وإيَّمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثرُ مما عندي ، وأستغفر الله لي ولكم . وما يُلَفِّغنا أحدٌ منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سَدَدْنَا من حاجته ما قَدَرْنَا عليه ، ولا أحدٌ يتسع له ما عندنا إلا وَدِدْتُ أَنَّهُ بُدِئَ بي وبلُحْمَتِي الذين يُلُونَنِي حتى يستوي عيشنا وعيشكم . وإيَّمُ الله لو أردتُ غير هذا من عيش أو غَضَارَةٍ لَكَانَ اللِّسَانُ به مني ناطقاً ذلولاً

عالمًا بأسبابه ، ولكنه من الله عز وجل كتابٌ ناطقٌ ، وسُنَّةٌ عادلةٌ ، دَلَّ فيهما على طاعته ونَهَى فيهما عن معصيته . ثم بكى فتلقَّى دموعه بطَرْفِ ردائه ؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبضه الله إليه . رحمة الله عليه .

[اشترى موضع قبره بعشرة دنانير]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني أبو سلمة المديني عن إبراهيم بن ميسرة : أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .

[وفاته]

أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال : كنا عند عمر في اليوم الذي تُوفِّي فيه وأنا وفاطمة بنت عبد الملك ؛ فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنا نرى أننا قد منعناك النوم ، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام ! قال : ما أبالي لو فعلتما . قال : فتنحَّيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر . قال : فما نَشِينَا أن سمعناه يقول : حَيَّ الوجوه حَيَّ الوجوه . فابتدرناه أنا وهي فحجَّناه وقد أُغْمِضَ مِيتاً ، فإذا هاتفٌ يهتِفُ في البيت لا نراه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

[من أصواته في سعاد]

ومن أصوات عمر في سعاد :

[من الوافر]

صوت

ألا يا دينَ قلبك من سُلَيْمَى	كما قد دينَ قلبك من سُعَادَا
هما سَبَّتا الفَوَادَ وَأَصْبَتَاه	ولم يُدْرِكْ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا
قِفَا نَعْرِفْ مَنَازِلَ من سُلَيْمَى	دَوَارِسَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عُرَادَا ¹
ذَكَرْتُ بِهَا الشَّبَابَ وَآلَ لَيْلَى	فلم يَرُدِّ الشَّبَابُ بِهَا مَرَادَا
فإن تَشَبَّ الذُّوَابَةُ أُمُّ زَيْدٍ	فقد لاقِيتُ أَيَّاماً شِدَادَا

عروضه من الوافر . الشعر لأشهب بن رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشَّيباني . وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضَبَّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيْلة الضَّبِّي . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمَلَ بالوسطى عن الهشامي وحشٍ وغيرهما . وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية : لَحْزَرَجَ رَمَلَ بالبصرة .

[145] - نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره

[نسبه]

رُميلة أمُّه ، وهي أُمّة لخالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم . وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم في النسب .

[إخوته وعزهم في الجاهلية والإسلام]

قال أبو عمرو : وولدها يزعمون أنها كانت سيّبة من سبايا العرب ، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر ، وهم رباب ، وحجناء ، والأشهب ، وسويد . فكانوا من أشدّ إخوة في العرب لساناً ويداً ، وأمنعهم جانباً . وكثرت أموالهم في الإسلام . وكان أبوهم ثور ابتاع رُميلة في الجاهلية ، وولدتهم في الجاهلية ، فعزّوا عزّاً عظيماً ، حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصّمان¹ حظّروا على الناس ما يريدون منه . وكانت لرميلة قُطيفة حمراء ، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء ، أي قد سبقنا إلى هذا ، فلا يرده أحد لعزهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه .

[يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم]

فوردوا في بعض السنين ماء من مياه الصّمان وورد معهم ناس من بني قطن بن نهشل . وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مناف بن دارم حلفاء . وكانت الأعجاز حلفاء عليهم ، وهم جندل وجروّل وصخر بنو نهشل . فأورد بعضهم بعيره فأشرعه حوضاً قد حظّروا عليه . وبلغهم ذلك بغضبوا منه واجتمعوا وأحلافهم ، واجتمعت الأحلاف عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فضرب رباب بن رُميلة رأس نُسَير بن صبيح المعروف بأبي بدّال ، وأمّه بنت أبي الحمام بن قُراد بن مخزوم . وقال رباب في ذلك : [من الرجز]

ضربته عشيّة الهلال أوّل يوم عُدّ من شوال
ضرباً على رأس أبي بدّال تُمتّ ما أبت ولا أبالي
ألا يؤوبَ آخر الليالي

فجمع كل واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قطن : يا بني جروّل يا بني صخر يا بني

1 الصمان : جبل في أرض تميم .

مَناف ، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربةً لا ندري أيموتُ منها أم يعيش ، فأنصِفُونَا ؛ فأبى القوم أن يفعلوا ؛ فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل . وكان أبيّ بن أشيمَ أخو بني جرّول وهو سيدهم خرج في حاجة له ، فلقى به بعض بني قُطَن فأسره وأتى به أصحابه . فقال نهشل¹ بن حَرِيٍّ : يا بني قُطَن ، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً . قالوا : نعم ، فقل . فقال : إن هذا لم يشهد شَرَكُم ولا حربكم ، ولا يحِلُّ لكم دمه ، وإن قومه أحرُّ من يقاتلكم وشوكُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلّوا سبيله . قالوا : افعل ما رأيتَ . فأناه نهشل بن حَرِيٍّ فقال له : يا أبا أسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا الله منك ، وأنت والله أوفى دماً عندنا من بني رُمَيْلة ، فوالله لأقتلنك أو تُعطيني ما أسألك . قال : سل . قال : تجعل أن تصرفَ بني جرّول جميعاً ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببني أشيمَ ، فإن لم يطيعوك أتيتنا . قال نعم . فخلّي سبيله تحت الليل . فأناهم وهم بحيث يرى بعضهم بعضاً فقال : يا بني جرّول انصرفوا ؛ أنتعرضون على قوم يريدون حقهم ! ألا تتقون الله ! والله لقد أسرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وفاءٌ بحقهم ، ولكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم . فانصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلاً . فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جرّول قالوا : والله إنا لنظلم قوماً إن قاتلناهم ؛ وانصرفوا ، وتخاذل القوم . فلما رأى ذلك الأشهب بن رَميلة قال : ويلكم ! أفي ضربةٍ من عصاً لم تصنع شيئاً تسفكون دماءكم ! والله ما به من بأس ، فأعطوا قومكم حقهم . فقال حجناء ورباب : والله لننصرفن فلنلحقن بغيركم ولا نُعطي ما بأيدينا . فجعل الأشهب بن رَميلة يقول : ويلكم ! أتخربون دار قومكم في ضربةٍ عصاً لم تبلغ شيئاً ؟ . فلم يزل بهم حتى جاؤوا برَبابٍ فدفعوه إلى بني قُطَن ، وأخذوا منهم أبا بدّال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم ؛ فكنّموه ، وأرسلوا إلى عباد بن مسعود ، ومالك بن رِبيعي ، ومالك بن عوف ، والقَعقاع بن معبد ، فعرضوا عليهم الدية . فقالوا : وما الدية وصاحبنا حي ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحي . فأمسكوا وقالوا : ننظر . ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا : أوصنا بما بدا لك . قال : دَعُونِي أَصْلِي . قالوا : صَلِّ . فصلّى ركعتين ثم قال : أما والله إني إلى ربي لذو حاجة ، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تروا أن ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديد السيف . فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نُسَير المكني بأبي بدّال فضرب عنقه ، فدفعوه ؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان . فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب :

أَعِينِي قَلْتُ عِبْرَةً مِنْ أُخِيكَمَا
 وَبَاكِئِ تَبْكِي الرِّبَابَ وَقَائِلِ
 وَأُضْرَبَ فِي الْهَيْجَا إِذَا حَمِسَ الْوَعْيُ
 إِذَا مَا اعْتَرَضْنَا مِنْ أُخِينَا أَخَاهُمْ
 قَرَوْنَا دَمًا وَالضَّيْفَ مُنْتَظِرُ الْقِرَى
 مَرَدْنَا وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ حُلُومِنَا
 وَقَدْ لَامَنِي قَوْمِي وَنَفْسِي تَلُومُنِي
 فَلَوْ كَانَ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ أَذَابَهُ
 مَضَى الْحَدِيثُ .

بأن تسهرا ليلَ التَّمامِ وَتَجَزَعَا
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَا أَعْفَى وَأَمْنَا
 وَأَطْعَمَ إِذْ أَمْسَى الْمَرَضِيُّعُ جُوعَا
 رَوَيْنَا وَلَمْ نَشْفِ الْغَلِيلَ فَيَنْقَعَا
 وَدَعْوَةَ دَاعٍ قَدْ دَعَانَا فَأَسْمَعَا
 بَثْدِي إِلَى أَوْلَادِ ضَمْرَةٍ أَقْطَعَا¹
 بِمَا قَالَ رَأْيِي فِي رِبَابٍ وَضِيْعَا
 وَلَوْ كَانَ مِنْ صُمِّ الصَّفَا لِتَصَدَّعَا

146 - [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز]

[أصوات عمر في سعاد]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن
أبيه قال : لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان .

منها : [من الخفيف]

يا سعادُ التي سَبَّيْنِي فَوَّادِي ورُقَادِي هَبِي لِعَيْنِي رُقَادِي
ولحنه رملٌ مطلق .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

حَظُّ عَيْنِي مِنْ سَعَاد أَبْدَأُ طَوْلُ السُّبَّادِ
ولحنه رمل بالسبابة في مجرى البينصر .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

سَبْحَانَ رَبِّي بَرَا سَعَادَا لَا تَعْرِفُ الْوَصْلَ وَالْوَدَادِ
ولحنه خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كَانَتْ سَعَادُ هِيَ الْمُنَى وَجَنَّةُ خُلْدٍ لَا يُمَلُّ خُلُودُهَا
ولحنه ثقيل أول :

ومنها : [من الكامل]

أَسْعَادُ جُودِي لَا شَقِيقَتِ سَعَادَا وَاجْزِي مُحِبِّكَ رَأْفَةً وَوَدَادَا
ولحنه خفيف رمل .

ومنها : [من الوافر]

أَلِمَّا صَاحِبِي نَزَرُ سَعَادَا

ومنها : [من الوافر]

أَلَا يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ سُلَيْمِي

وقد ذكرتُ طريقتَهُمَا .

وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وُفِّقَ ، وَجَمَلَ عَنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ .

[كان محدثاً وفقهها ورواها]

أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالوا حدثنا العنزي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السُّكَّرِي عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ » .

[غناء يزيد بن عبد الملك]

ومن حُكِي عنه أنه صَنَعَ في شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك ، ولم يأت ذلك برواية عمَّن يحصلُ قوله كما حُكِي عن عمر بن عبد العزيز ، وإنما وُجِدَ في الكتب أنه صَنَعَ لحناً في شعره ، وذكره من لا يُوثق به ، ولم نَرَوْه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحة ، وأتيت بها في أخباره مع حَبَابَةٍ بحيث يصلح . وأما اللحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو : [من البسيط]

صوت

أُبْلَغُ حَبَابَةً أَسْقَى رَبْعَهَا المَطَرُ ما للنفود سوى ذكراكم وطَرُ
إن سار صَحْبِي لم أَمَلَلْ بِذِكْرِكُمْ أو عَرَّسُوا فهِمُومُ النفسِ والفِكْرُ

في هذين البيتين ثَقِيلٌ أولُ يقال غنه ليزيد بن عبد الملك . وذكر ابن المَكِّي أنه لِحَابَةٌ . وحُكِي عن الهيثم بن عدي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حَبَابَةً تعلقها ولم يقدر على ابتلاعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز ، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز ، وغناه فيهما مَعْبَد ، فوصله بعد ذلك بما كان يُغْنِيهِ ، وأخذته حَبَابَةٌ غيرها عنه . وذكر الهشامي أنه مما لا يُشَكُّ فيه من غناء معبد . وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبَابَةٌ في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا .

147 - [غناء الوليد بن يزيد]

[غناء الوليد بن يزيد]

ومن غنى منهم الوليد بن يزيد .
وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ويوقع بالطلل ويمشي بالدُّف على مذهب أهل الحجاز .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن القطراني عن محمد بن جَبَر قال حدثني مَنْ سَمِعَ خالد صامة يقول : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أُغنيهِ :

أَرَانِي اللَّهُ يَا سَلْمَى حَيَاتِي
وهو يشرب حتى سَكِر . ثم قال لي : هات العودَ ، فدفعته إليه ، فغناه أحسنَ غناء ؛
فَنَفَسْتُ عليه إحسانه ، ودعوت بطلل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العودَ وأخذ
الطلل فجعل يُوقع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍ فأخذه ومشى به وجعل يغني أهراج طويس
حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر . فقلت : يا سيدي ، كنت أرى أنك تأخذ عنا
ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ منك ! فقال : اسكت وبلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما
دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيتُه عنه حتى قُتل .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى
مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنى :

أزرى بنا أننا شالتُ نَعامتُنا
كان مقيماً بمكة . فلما قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناءً وحكايةً لابن
سُرَيْج ؛ فقبل له : فيل . فدعاه وقال له : امشِ لي بالدُّف ، ففعل . ثم قال له الوليد : هاته
حتى أمشي به ، فإن أخطأتُ فقومني . فمشى به أحسنَ من مشية فيل . فقال له يحيى :
جُعِلَ فداءك ! ائذن لي حتى أختلفَ إليك لأتعلّم منك .

فمن مشهور صنعته في شعره :

وصَفراءُ في الكأس كالزعران سبها التَّجِييُّ من عَسَقَلانٍ
تُرِيكَ القذاةَ وعَرَضُ الإناء سترٌ لها دون لمسِ البَنانِ
لحنه فيه خفيفٌ رمل . وفيه لأبي كامل ثاني ثَقِيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
ويونس . ولعمَرَ الوادي فيه ثَقِيلٌ أول بالوسطى عن يونس والهشامي . وقد مضت أخباره
مشروحة في المائة الصوت المختارة .

[من التقارب]

148 - [غناء الواصل]

[غناء الواصل]

ومن دُوِّت صنْعته من خلفاء بني العباس الواصل بالله .

ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدّمنا سوء العهد فيه عن ابن خُرْداذبه ؛ فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثّة لا يحسنُ لمُحْصِل ذكرها .

[غنى الواصل في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله]

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً دار الواصل بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً . فسمعت صوت عود من بيت وترنماً لم أسمع أحسن منه قط ، فأطلع خادماً رأسه ثم رده وصاح بي فدخلت فإذا الواصل . فقال أي شيء سمعت ؟ فقلت : الطلاق لازم لي وكل مملوك لي حرُّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثله قط حسناً ! فضحك فقال : وما هو ! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ ورَجِمهم والتابعون بعدهم وكثر في حَرَم الله ومُهاجر رسول الله . أتحب أن تسمعه مني ؟ قلت : إي والذي شرَّفني بخطابك وجميل رأيك . فقال : يا غلام ، هاتِ العود وأعطِ إسحاق رطلاً . فدفع الرُّطل إليّ وضرب وغنى في شعرٍ لأبي العتاهية يلحنُ صنعه فيه :

أضحتُ قبورهم من بعد عزهم تسفي عليها الصبا والحر جف الشمل
لا يدفعون هوماً عن وجوههم كأنهم خشب بالقاع مُجَدِّل

فشرِبتُ الرُّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له ؛ فأجلستني وقال : أئتشتي أن تسمعه ثانية ؟ فقلت : إي والله ، فغنّانيه ودعا لي برطل ، ففعلت كما فعلت ثانية ثم ثالثة . وصاح ببعض خدّمه وقال له : احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم . ثم قال : يا إسحاق ، قد سمعتُ ثلاثة أصوات وشرِبتُ ثلاثة أرطال وأخذتُ ثلاثمائة ألف درهم ، فانصرف إلى أهلك لئسروا بسرورك ؛ فانصرفت بالدرهم .

[صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط]

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول : صنع الواصل مائة صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر :

[من البسيط]

هل تعلمين وراء الحب منزلة تُدني إليك فإن الحب أقصاني

هذا كتابُ فتى طالت بِلَيْتُهُ يقولُ يا مُشتكى بَيْتي وأحزاني
لحناً من الرمل تشبّه فيه بصنعة الأوائل .

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرّبعي المخزومي . والغناء للواثق رمل بالوسطى من رواية
المشامي .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحُرْمِيُّ بن أبي العلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا
حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الزبير بن بَكَار : كتب ابن أبي مَسْرَّةَ المَكِّي إلى أهل المدينة
بيتين وهما :

هذا كتابُ فتى طالت بِلَيْتُهُ يقولُ يا مُشتكى بَيْتي وأحزاني
هل تعلمين وراء الحبّ منزلةً . تُدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني
قال الزبير : وكنت غائباً ، فلما قَدِمْتُ قال لي أهل المدينة ذلك . فقلت لهم : أَيْكُتَبُ
إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه ! .
[شعر يعقوب بن إسحاق الرّبعي]

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرّبعي المخزومي لنفسه :

قال الوُشاةُ لهندي عن تصارُمنّا ولستُ أنسى هوى هندي وتنساني
يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِفٍ وَجَّ الوُشاةُ فإنّ الداء أضناني
ما بي سوى الحبّ من هندي وإنْ بَخِلْتُ حُبِّي لهندي بَرى جسمي وأبلاني¹
قد قلتُ حين بدا لي بُخلُ سيّدتي وقد تتابع بي بَيْتي وأحزاني
هل تعلمين وراء الحبّ منزلةً تُدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني
قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيّدتي وطاعةُ الحبّ تنفي كلَّ عَصيانٍ
قالت فدعنا بلا صُرمٍ ولا صِلَةٍ ولا صدودٍ ولا في حال هجرانٍ
حتى يَشُكَّ وُشاةٌ قد رَمُوكَ بنا وأعلنوا بك فينا أيّ إعلانٍ

[غناؤه في شعر لذي الرمة]

ومن غناء الواثق بالله :

[من الطويل]

صوت

خليلي عوجاً من صدور الرّواجلِ بَجَرعاء حُرّوى وابكيا في المنازلِ

لعلَّ انحدارَ الدمع يُعقِب راحةً من الوجدِ أو يشفي نجيَّ البلابل
الشعر لذي الرُمة .. والغناء للوائق بالله رَمَل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي .
ولإسحاق فيهما رملٌ بالسبابة في مجرى البصر . ولحنُ الوائق منهما الذي أوَّلُه البيت الثاني
وهو اللحن المَحْثُوثُ المُسَجَّح وله رَدَّةٌ في «لعلَّ» : ولحنُ إسحاق أوَّلُه البيت الأول ثم الثاني
وهو أشدهما إمساكاً وفيه ضياح .

[غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شجاً فأجازه]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن
عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي : أنه دخل على إسحاق بن
إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم
تُحِط به أمنية ولم تَبْلُغه رغبة . قال : فاشتهدى هذا الكلام فاستعاده فأعدته . قال : ثم مكثنا ما
شاء الله ؛ وأرسل الوائق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن
أُتَغْنَى فيه وهو :

لقد بَخِلْتُ حتى لو آتَيْتُ سألْتُها

فأمر لي بمائة ألف درهم . فأَقْبِيتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنيهم يقدر على أن يأخذ هذا
الصوت مني . فلما طال مُقَامِي قلت : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنين يقدر على أن
يأخذ هذا الغناء مني . فقال لي : ولمَ ويحك ؟ قلت : لأني لا أَصَحِّحه ولا تسخو نفسي لهم به . فما
فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها مني ؟ (يعني شجاً ، وهي التي كان أهداها إلى الوائق
وعَمِل لها المُصَنَّف الذي في أيدي الناس لإسحاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنها تأخذني مني
وأطيبُ به لها نفساً ، وهم يأخذونه منها . قال : فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان . فأمر لي
بمائة ألف درهم أخرى ، وأذن لي في الانصراف . وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً
عنده ، فقلت له عند وداعي إياه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط به أمنية ولم تَبْلُغه رغبة .
فالتفت إليَّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ويحك يا إسحاق ، تعبد الدعاء ! فقلت : إي والله أعيده
قاصُّ أنا أو مُغْنٍ . فأنصرفتُ إلى بغداد وأَقِمْتُ ، حتى قَدِمَ إسحاقُ فجئته مسلماً . فقال : ويلَكَ
يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا ، أيها الأمير . قال : قال
لي : ويحك ! كنا أغنى الناس عن أن نَبْعَثَ إسحاقَ على لحننا فيُقْسِدَهُ علينا . هذه رواية أبي أيوب .

[تقدير إسحاق لغناء الوائق]

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال : لما صنعتُ

[من الطويل]

لحني في :

خليليَّ عوجًا من صدور الرواحل

غنيته الواصل فاستحسنه وعجِب من صحة قسمته ، ومكث صوته أياماً ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعتُ لحناً في صوتك وفي إيقاعه ، وأمرُ فُغْنِيْتُ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، بَغَضْتُ إليَّ لحنِي وسَمَّجَتَه عندي . وقد كنتُ استأذنته مرَّاتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن أَلْقَيْتُ اللحنَ الذي كان أمرني بصنعه في : [من الطويل]

لقد بَخِلْتُ حتى لو آني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك . فلما صنع لحنه الرَّمْل في : [من الطويل]

خليليَّ عوجًا من صدور الرواحل

قلت له : يا أمير المؤمنين ، قد والله اقتصصتَ وزدتَ ؛ فأذِن لي بعد ذلك . قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق : فأَيُّهما أجود الآن لحنك فيه أو لحنه ؟ فقال : لحنِي أجود قسمةً وأكثر عملاً ، ولحنه أظرف ، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته ، فليس يقدر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواصل أعلمُ منه بالغناء .

فأما نسبة هذين الصوتين ، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته . والآخر : [من الطويل]

صوت

أيا مُنْشِرَ الموتى أَقْدَنِي من التي بها نَهَلْتُ نفسي سَقاماً وَعَلْتُ
لقد بَخِلْتُ حتى لو آني سألتها قَذَى العين من ضاحي التُّرابِ لَضَنْتُ
الشعر لأعرابيٍّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمه ، والناس يَغْلَطُون فينسُبونه إلى كثيرٍ
ويظنُّونه من قصيدته التي أولها : [من الطويل]

خليليَّ هذا رَسْمُ عَزَةٍ فاعقِلا قَلُوصَيْكَمَا ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ
وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواصل ثاني ثقلٍ بالوسطى . وإسحاق في البيت الثاني
وبعد البيت ألحقه به ليس من الشعر ثقلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . والبيت الذي
ألحقه إسحاق به من شعره : [من الطويل]

فإن بَخِلْتُ فالْبَخْلُ منها سَجِيَّةٌ وإن بَذَلْتُ أعطتُ قليلاً وأكذتِ

[كان يعرض غناءه على إسحاق فيدل فيه برأيه]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال : كان الواصل إذا أراد أن يعرض صنعه على إسحاق نسبها إلى غيره وقال : وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ ، ويأمر من يغنيه إياه . وكان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشدُّ أخذٍ ،

فإن كان جيِّداً من صناعته قرَّظه ووصفه واستحسنه ، وإن كان مُطَرِّحاً أو فاسداً أو متوسطاً ذكر ما فيه . فربما كان للواصل فيه هوىً فيسأله عن تقويمه وإصلاح فساده ، وربما اطَّرحه بقول إسحاق فيه ؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر :

لقد بَخِلْتُ حتى لَوَّ آني سألتها قَدَى العينِ من ضاحي الترابِ لَضَنْتِ

[كاد عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة]

فأعجِبَ به واستحسنه ، وأمر المغنِّين فغنَّوا فيه ، وأمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه . فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق شيطانٌ خبيثٌ داهية ، وإن قولك له فيما تصنعه : هذا صوت وقع إلينا ، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صَنَعْتَكَ ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم ، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك ، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدُّ ذلك . فأحفظُ الواصل قولُه وغازله ، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلاً . قال : أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر . فلما قُدم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواصل :

لقد بَخِلْتُ حتى لَوَّ آني سألتها

فزاد فيه زوائد أفسدت قِسْمَتَه فساداً شديداً وخفيت على الواصل لكثرة زوائد مُخَارِقٍ في غنائه . فسأله الواصل عنه ؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مرضي عندي . فغضب الواصل وأمر بإسحاق فسُجِبَ حتى أُخْرِجَ من المجلس . فلما كان من الغد قالت فريدة للواصل : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سرَّته ، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً ؛ وما لك منه عوض . وقد كاده مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعْرِفُ ، وتركه في المِصْرَاعِ الثاني على حاله ، ونقص من البيت الثاني ، وقد تبينَتْ ذلك . وأنا أعرضه على إسحاق وأُغْنِيَه إياه على صيحتة ، واسمع ما يقول . وما زالت تَلَطَّفُ للواصل حتى رضي عنه وأمر بإحضاره . فغَنَّتْه إياه فريدة كما صنعه الواصل . فلما سمعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعَةِ والقِسْمَةِ والتجزئة ، وما هكذا سمعته في المرة الأولى . ثم أخبر الواصل عن مواضع فساده حينئذٍ ، وأبان ذلك له بما فهمه . وغَنَّتْه فريدة عدَّةً أصوات من القديم والحديث كلها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فاستحسن الواصل ذلك وأجازه يومئذٍ وحبَّاه ، وجفا مُخَارِقاً مدَّةً لما فعله به .

أخبرني جَحْظَةُ قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال : كان الواصل إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهره .

وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلب بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته هاهنا وفي ألفاظه اختلاف . وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق . والأبيات الثانية التي غنى فيها الواثق وإسحاق أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابي ، وأنشدناها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب : [من الطويل]

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً علي الغصن ماذا هيّجت حين غنت
فغنت بصوت أعجمي فهيجت هوأي الذي كانت ضلوعي أكنت
فلو قطرت عين امرئ من صباية دماً قطرت عيني دماً وآلمت
فما سكنت حتى أويت لصوتها وقلت أرى هذي الحمامة جنت
ولي زفرات لو يدمن قتلني بشوق إلى نادي التي قد تولت
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى في غدٍ قد أظلت
أيا مُشِيرَ الموتى أعني على التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت
لقد بخلت حتى لو آني سألها قذى العين من سافي التراب لضنت
فقلت ارحلاً يا صاحبي فليتني أرى كل نفس أُعطيت ما تمت
حلقت لها بالله ما أم واحدٍ إذا ذكرته آخر الليل أنت
وما وجد أعرابية قدفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العضاء وطيبه وبطن الحصى من بطن خبت أرت¹
بأعظم من وجدي بها غير أنني

[غناه إسحاق فوصله وشعره فيه]

أخبرني جحظة وابن أبي الأزهر ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، وقد جمعت روايتهم في هذا الخبر وزدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه ، قال : ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ، وما كان أحد منهم يكرمني إكرامه . ولقد غنيتُه لحني : [من الطويل]

لعلك إن طالت حياتك أن ترى بلاداً بها مبدئ لليلي ومحضر
فاستعاده مني ليلة لا يشرب على غيره ، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم . ولقد قديمته عليه في بعض قداماتي ، فقال لي : ويحك يا إسحاق ! أما اشتقت إلي ! فقلت : بلى والله يا

سَيِّدِي ! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتني أنشدتها . قال : هاتِ ؛ فأنشدته : [من البسيط]
 أشكو إلى الله بُعْدِي عن خليفته وما أقاسيه من همٍّ ومن كِبَرٍ
 لا أستطيع رَحِيلاً إن هَمَمْتُ به يوماً إليه ولا أقوى على السفرِ
 أنوي الرحيلَ إليه ثم يمنعي ما أُحدثَ الدهرُ والأيامُ في بصري
 ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول
 فيها :

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هوى قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
 ثم اعتزمتُ فلم أحفلَ بينهم وطابت النفسُ عن فضلٍ وحمادٍ
 كم نعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردني بها وخصَّ بأخرى بعد إفرادي
 فلو شكرتُ أياديكم وأنعمكم لَمَا أحاطَ بها وصفي وتعدادي
 لأشكرنك ما غارَ النجومُ وما حَدا على الصُّبحِ في إثر الدُّجى حادٍ
 قال علي بن يحيى خاصةً في خبره : فقال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، أخبرني لو
 قال الخليفة لإسحاق : أحضِر لي فضلاً وحماداً أليس كان يفتضح إسحاق ! (يعني من دَمامة
 خلقتهما وتخلّف شاهدهما) .

[خرج معه إسحاق إلى النَجَف ، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده]

قال إسحاق : ثم انحدرتُ مع الواثق إلى النَجَف ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في
 النَجَف قصيدة . فقال : هاتِها ؛ فأنشدته قولي : [من البسيط]

يا راكبَ العيسِ لا تعَجَلْ بنا وقِفْ نُحَيِّ داراً لسُعدى ثم ننصرفِ
 لم يَنْزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ أَصْفى هواءٍ ولا أَغذى من النَجَفِ
 حُقَّتْ بئرٌ وبحرٌ في جوانبها فالْبُرُّ في طَرْفِ والبحرُ في طَرْفِ
 ما إن يزالَ نسيمٌ من يَمَانِيَةٍ يَأْتِيكَ منها بَرِئاً رَوْضَةٌ أَنْفِ

حتى انتهيت إلى مدبحه فقلت وقد انتهيتُ إلى قولي فيه :

لا يَحَسَبُ الجودَ يُفْنِي ماله أبداً ولا يرى بَذْلَ ما يَحوي من السَّرَفِ
 فقال لي : أحسنتَ يا أبا محمد ! فكناني ، وأمر لي بألف درهم . وانحدرنا إلى الصالحية
 التي يقول فيها أبو نُواس :

فالصالحية من أكناف كلواذا

[من الطويل]

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت :

أَتَبَكِّي عَلَى بَغْدَادَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَا ازْدَدْتَ مِنْهَا غَدًا بُعْدَا
لَعَمْرُكَ مَا فَارَقْتُ بَغْدَادَ عَنْ قَلِيٍّ لَوْ أَنَا وَجَدْنَا مِنْ فِرَاقٍ لَهَا بُدَا
إِذَا ذَكَرْتُ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ مِنْ الشَّوْقِ أَوْ كَادَتْ تَمُوتُ بِهَا وَجْدَا
كَفَى حَزَنًا أَن رُحْتَ لَمْ تَسْتَطِعْ لَهَا وَدَاعًا وَلَمْ تُحْدِثْ لَسَاكِنِهَا عَهْدَا
فَقَالَ لِي : يَا مَوْصِلِي ، لَقَدْ اشْتَقْتُ إِلَى بَغْدَادَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي
اشْتَقْتُ إِلَى الصَّبِيانِ ، وَقَدْ حَضَرَنِي بَيْتَانِ . فَقَالَ هَاتَهُمَا . فَقُلْتُ : [مَنْ الْوَافِرُ]
حَنَنْتَ إِلَى الْأَصْبِيَّةِ الصُّغَارِ وَشَاكَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَكُلُّ مُفَارِقٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ
فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقَ ، صِرْ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقِمْ شَهْرًا مَعَ صَبِيانِكَ ثُمَّ عُدْ إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه]

أَخْبَرَنِي جَحْظَةُ عَنْ ابْنِ حَمْدُونَ : أَنَّ إِسْحَاقَ كَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْخُلَفَاءِ إِذَا جَلَسُوا
لِلشُّرْبِ فِي جَمَلَةِ الْمَغْنِيِّينَ وَعَوْدُهُ مَعَهُ إِلَى أَيَّامِ الْوَاقِعِ ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ يَحْضُرُ مَعَ الْجُلَسَاءِ
بِغَيْرِ عَوْدٍ ، وَيُدْنِيهِ الْوَاقِعِ وَلَا يُغْنِي حَتَّى يَقُولَ لَهُ : غَنِّ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ غَنِّ جَاوَوْهُ بِعَوْدٍ فَغَنَّى بِهِ ،
وَإِذَا فَرَغَ رُفِعَ الْعَوْدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِكْرَامًا مِنَ الْوَاقِعِ لَهُ .
[بَرَزَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ فِي لَحْنٍ اشْتَرَكَاهُ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ وَسْوَاسَةَ بْنِ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : كَتَبَ
حَمْدُونَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى أَبِي : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاقِعِ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصْنَعَ لَحْنًا فِي هَذَا
الشَّعْرِ :

لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ آتَى سَأَلْتُهَا
وَقَدْ كَانَ الْوَاقِعُ غَنَّى فِيهِ غِنَاءٌ أَعْجَبُهُ ؛ فَغَنَّى فِيهِ أَبِي . فَلَمَّا سَمِعَهُ الْوَاقِعُ قَالَ : أَفْسَدَ عَلَيْنَا
إِسْحَاقُ مَا كُنَّا أَعْجَبْنَا بِهِ مِنْ غِنَائِنَا . قَالَ حَمَادُ : ثُمَّ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّ أَبِي صَنَعَ بَعْدَهُ غِنَاءً حَتَّى مَاتَ .
وَمِنْ مَشْهُورِ أَغَانِي الْوَاقِعِ :

صوت

سَقَى الْعَلَمَ الْفَرْدَ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ غَزَالَانِ مَكْحُولَانِ مُؤْتَلِفَانِ
أَرْغَطُهُمَا خَتَلًا فَلَمْ أَسْتَطِعْهُمَا وَرَمِيًا فَفَاتَانِي وَقَدْ رَمَيَانِي
وَلَحْنُهُ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ . وَلَا إِسْحَاقَ فِيهِ رَمَلٌ .

[قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عَلِيَّة القُرشي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال : لَقِيتُ أعرابياً بالسُّمَيَّة¹ فصيحاً ، فاستخففته وتأمّلتُه فإذا هو مُصَفَّرٌ شاحب ناحل الجسم ، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراه مني له . فقلت له : ما بآلك ؟ فوالله إنك لفصيح ! فقال : أما ترى الجبلين ؟ قلت بلى . قال : في ظلالهما والله ما يمنعني من إنشادك ويشغلني ويذهلني عن الناس . قلت : وما ذاك ؟ قال : بنتٌ عمٌ لي قد تيمنتني وذهبت بعقلي ، والله إنه لتأتي عليَّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض ، ولا أزال ثابت العقل ما لم يُخامر ذكرها قلبي ، فإذا خامره بطلت حواسي وعزب عني لبي . قلت : فما يمنعك منها ؟ أقله ما في يدك ؟ قال : والله ما يمنعني منها غير ذلك . قلت : وكم مهرها ؟ قال : مائة ناقة . قلت : فأنا أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم . قال : والله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس عليّ منةً . فوعدته بذلك واستنشدته ما قال فيها ، فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله :

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غَزَالانٍ مكحولانٍ مؤتلفانٍ

البيتان . فقلت له : يا أعرابي ، والله لقد قتلتنِي بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريء² من العباس إن لم أقم بأمرك . ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ ، فصرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي وموالي حتى زوجته إياها وتممتُ عنه الصِّداق واشترت له مائة ناقة فسقّتها عنه ؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحرتُ لهم ثلاثين جَزُوراً ، ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم وللجارية مثلها ، وقلت : استعينا بهذا على اتصالكما وانصرف . فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة وامرأته معه فأهَبُ له وأصيله وينصرف .

[غناؤه في شعر حسان]

ومن أغانيه ، أخبرني به ذُكاء وجه الرُّزّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مُحَارِقٍ وأنه أخذه عنه :

صوت

إن التي عاطيتها فرددتها قُتِلَتْ قُتِلَتْ فهانها لم تُقْتَلْ
كلتاها حَلَبُ العَصِيرِ فعاطيني بزجاجة أرخاها للمفصل

يروى : «كلتاها جَلَبُ العَصِيرِ» و«حَلَبُ العَصِيرِ» . ويروى : «للمفصل» و«للمفصل» .

1 السمية : جبل .

2 ل : نقي .

والمفصل : الواحد من المفاصل ، والمفصل هو اللسان . ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي .

الشعر لحسان بن ثابت . والغناء للوائق خفيف رمل بالنصر . وفيه لإبراهيم الموصلي رمل مطلق في مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حسان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة ، وأولها :
[من الكامل]

أَسَأَلْتَ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ

وهي من فاخر المديح ، منها قوله : [من الكامل]

أولادُ جَفْنَةَ عندَ قبرِ أبيهم قبرِ ابنِ ماريَةَ الكَريمِ المُفضِّلِ
يَسْقُونُ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ بَرْدَى يُصْفِقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ¹
يَبِيضُ الوجوهُ كَرِيمَةً أَنسابِهِم شَمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأولِ
يُغَشَّوْنَ حَتَّى ما تَهَرُّ كِلابُهُم لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

[تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر]

نسخت من كتاب الشاهيني : حدثني ابن عُليّ العنزي قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السَّمال السَّعْدِي قال حدثني أبو ظَبْيَانَ الحِمَّاني قال اجتمعت جماعة من الحي على شراب لهم ، فتغنّى رجل منهم بشعر حسان :
[من الكامل]

إِن التّي عَاطِيَتَنِي فَرَدَدْتُهَا قَتَلْتَ قَتَلْتَ فِهَاتَهَا لَمْ تُقَتِّلِ
كَلْتَاهَا حَلَبُ العَصِيرِ فَعَاطَنِي بَزْجَاجِيَةِ أَرْخَاهَا لِلْمُفَصِّلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله : «إِن التّي عاطيتني» فجعلها واحدة ، ثم قال : «كلتاها حلب العصور» فجعلها تنتين ؟ فلم يعلم أحد منا بالجواب . فقال رجل من القوم : امرأته طالق ثلاثاً إن بات أو يسأل القاضي عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أبو ظبيان : فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتيناها وهو في مسجده يصلي بين العشاءين . فلما سمع حسناً أوجز في صلاته ، ثم أقبل علينا وقال : ما حاجتكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسننا بَقِيَّةً² فقال : نحن ، أعز الله القاضي ، قوم نزعنا إليك من طَرْفِ البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء . فإن أذنت لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمين الرجل والشعر . فقال : أما قوله : «إِن التّي ناولتني» هي الخمرة . وقوله : «قَتَلْتَ» يعني مُرِجَت بالماء . وقوله : «كلتاها حلب

1 البريص : اسم غوطة دمشق . بردى في ل : كُأَسَ .

2 أي أحسننا رأياً وفضلاً .

العصير» يعني به الخمرَ ومزاجها ، فالخمر عصير العنب ، والماء عصير السحاب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ انصرفوا إذا شتتم .
[غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه قال : غنى مُخَارِقُ يوماً بحضرة الواثق :

حتى إذا الليلُ خَبَا ضوءه وغابتِ الجِوزاءُ والمرزَمُ¹
خرجتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ينسابُ من مَكَمَنه الأرقمُ
فاستملح الواثق الشعر واللحن ، فصنع في نحوه :

قالت إذا الليلُ دَجَا فَأَتَانَا فجئْتُها حين دجا الليلُ
خَفِيٌّ وطاء الرُّجُل من حارسٍ ولو درى حلَّ بِي الويلُ
ولحنه فيه من الرمل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منها لَعَرِيبٌ خفيفٌ رَمَلٌ ، ومنها ثَقِيلٌ أول لا أعلم لمن هو ؛ وسمعت ذكاءً ومحمد بن إبراهيم قُرَيْضاً يغنيانه وذكراً أنهما أخذهما عن أحمد بن أبي العلاء ، ولا أدري لمن هو .
[تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابي عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابي]

حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال : سرتُ إلى سُرٍّ مَنْ رأى بعد قدومي من الحج ، فدخلتُ إلى الواثق فقال : بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين جالس إلي فتى من الأعراب في بعض المنازل ، فحدثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرًا وحديثًا وأدبًا . فاستنشدته فأنشدني :

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان
إذا أمنا التفا بجيدتي تواصلٍ وطرفاهما للرَّيب مُسترقان²
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلا

ثم تنفَّس تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حَيَازِيَمَه . فقلت : ما لك بأبي أنت ؟ فقال : إن لي وراء هذين الجبلين شَجَنًا ، وقد حِيل بيني وبين المرور به ونذروا دمي ، وأنا أمتنع بالنظر إلى الجبلين تعللاً بهما إذا قدِم الحاجُّ ، ثم يُحال بيني وبين ذلك . فقلت له : زدني مما قلت في

1 غابت في ل : جارت . المرزمان : نجمان مع الشعريين .

2 الاستراق : اختلاس النظر والسمع .

ذلك . فأنشدني :

[من الطويل]
 إذا ما وردت الماء في بعض أهله حَضُورُ فَعَرَضُ بِي كَأَنَّكَ مَازَحُ
 فَإِنْ سَأَلْتُ عَنِّي حَضُورُ فَقُلْ لَهَا بِهِ غُبْرٌ مِنْ دَائِهِ وَهُوَ صَالِحٌ¹
 فأمرني الوائق فكتبت له الشعرين . فلما كان بعد أيام دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاسمعه ، فإن ارتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته . فغني لنا من وراء الستار ، فكان في نهاية الجودة ، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً . فقلت له : أحسن والله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء ! . فقال : بحياتي ؟ فقلت : وحياتك ، وحلفت له بما وثق به ، وأمر لي برطلٍ فشربته ، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات ، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعد أيام دعاني فقال : قد صنع أيضاً عندنا في الشعر الآخر ، وأمر فغني به ؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول . فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات ، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . ثم قال لي : هل قضيت حق هديتك ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فأطال الله بقاءك ، وتمم نعمتك ، ولا أفقديها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي ولا سألتني معونته على أمره ، وقد سبقت مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره ، وخطبت المرأة وحُمل صداقها إلى قومها عنه من مالي . فقبلت يده وقلت : السبق إلى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة :

صوت

حتى إذا الليلُ خبا ضوءه وغابتِ الجوزاءُ والمرزُ
 أقبلتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ينسابُ من مَكَمَتِهِ الأرقمُ
 ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات]

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال : اصطحب شيخٌ مع شباب في سفينة

في الفُرات ومعهم مغنية . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنية ، فأحببنا أن نسمع غناها فهبناك ، فإن أذنت لنا فعلنا . قال : أنا أصعد إلى طَلَل¹ السفينة ، فاصنعوا أنتم ما شئتم . فصعد ، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنت : [من السريع]

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءه وغابت الجوزاءُ والمِرزمُ
أقبلتُ والوطءُ خفيُّ كما ينسابُ من مَكَمَنه الأرقمُ

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بشيابه في الفُرات ، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقمُ ! فآلقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأيٍ ما استخرجوه ، وقالوا له : يا شيخ ، ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : إليكم عنِّي ! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون . وقال إسماعيل في خبره : فقلت له : ما أصابك ؟ فقال : دبَّ شيء من قدمي إلى رأسي كذييب النمل ونزل في رأسي مثله ، فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملتُ .

وأما ما في الخبر من الصنعة في : «قالت إذا الليل دجا» فإن لحن الواصل هو المشهور ، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيره ، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقرئض وذُكاء وجه الرزة يغنيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم ، فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه ، وذكرنا جميعاً أنهما أخذهما عن أحمد بن أبي العلاء .

[علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها]

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن إسحاق قال : كان الواصل أعلم الخلفاء بالغناء ، وبلغت صنعة مائة صوت ، وكان أحذق من غنى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعُدَّ منها :

يفرح الناسُ بالسَّماعِ وأبكي أنا حزناً إذا سمعتُ السَّماعا
ولها في الفؤادِ صدعٌ مُقيمٌ مثلُ صدع الزُّجاجِ أعياء الصَّنَعا

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء للواصل خفيفٌ ثقيلٌ . وفيه لأيٍ ذلْفَ خفيفٍ رملٍ .

ومنها : [من الطويل]

ألا أيُّها النفسُ التي كادها الهوى أفأنتِ إذا رمتُ السُّلُوَ غريمي
أفيقي فقد أفنيتِ صبري أو اصبري لما قد لقيتيه عليَّ ودومي

الشعر والغناء للواصل خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

1 ل : ظلال . وطلل السفينة غطاءً تغشى به كالسقف للبيت .

سَقَى الْعَلَمَ الْفَرْدَ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ غَزَالَانِ مَكْحُولَانِ مُؤْتَلِفَانِ
أَرْغَتْهُمَا خِتْلًا فَلَمْ أُسْتَطِعْهُمَا وَرَمِيَا فَفَاتَانِي وَقَدْ قَتَلَانِي
الغناء للوائق ثَقِيلٌ أَوَّلُ . وفيه لِإِسْحَاقَ رَمَلٍ وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ صِنْعَتِهِ ، يُقَالُ إِنَّهُ صَنَعَهُ بِالرُّقَّةِ .

ومنها : [من الخفيف]

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابُ يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غَضَابُ
لَيْتَ شَعْرِي أَنَا خُصِمْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ
فَاصْبِرِ النَّفْسَ لَا تَكُونَنَّ جَزُوعًا إِنَّمَا الْحُبُّ حَسْرَةٌ وَعَذَابُ
فيه للوائق رَمَلٍ ، وَلِزُرُورٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، وَلَعَرِيبٌ هَزَجٌ .

ومنها : [من الطويل]

وَلَمْ أَرْ لَيْلٍ بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفٍ مِنِّي تَرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ¹
وَيُؤَيِّدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مَغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرَتْ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
الصنعة في هذا الشعر ثَقِيلٌ أَوَّلُ وَهُوَ لَحْنُ الْوَائِقِ فِيمَا أَرَى . وَنَسَبُهُ حَيْشٌ ، وَهُوَ قَلِيلُ
التَّحْصِيلِ ، إِلَى ابْنِ مُحَرِّزٍ فِي مَوْضِعٍ ، وَإِلَى سُلَيْمٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَإِلَى مَعْبِدٍ فِي مَوْضِعٍ ثَالِثٍ .

ومنها : [من البسيط]

أُمِسْتُ وَشَاتَكُ قَدْ دَبَّتْ عَقَارُهَا وَقَدْ رَمَوْكَ بَعَيْنُ الْغِشِّ وَابْتَدَرُوا
تُرِيكَ أَعْيُنُهُمْ مَا فِي صَدُورِهِمْ إِنَّ الصَّدُورَ يُوْذِي غِيَبَهَا النَّظْرُ
الشعر للمجنون . والغناء للوائق ثَانِي ثَقِيلٌ . وفيه لِمَتَيْمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . وَقَدْ نُسِبَ لَحْنُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخَرِ .

ومنها : [من الطويل]

عَجِبْتُ لَسْعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى وَزِدْتَ عَلَيَّ مَا لَمْ يَكُنْ بَلْغَ الْهَجْرِ
الغناء للوائق رَمَلٍ . وفيه لِمَعْبِدٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى ، وَلِابْنِ سَرِيحٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ ،
وَلَعَرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخَرُ .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

كَأَنَّ شَخْصِي وَشَخْصَهُ حَكِيًّا نَظَامَ نِسْرِيَّتَيْنِ فِي غُصْنٍ
فَلَيْتَ لَيْلِي وَلَيْلَهُ أَبَدًا دَامَ وَدُمْنَا بِهِ فَلَمْ نَبْنِ
الشعر أظنه لعلي بن هشام أو لمُراد¹ . ولحن الواصل فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ . وفيه لعريب ثَقِيلٌ أَوَّلُ
آخر . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولتَيْمٌ لحنان لم يقع إلي جنسهما .

ومنها : [من الطويل]

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قَدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مَلَأَ عَيْنَ حَبِيئِهَا
وَمَا فَارَقْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلُ أَنَهَا قَلَّتْكَ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيئِهَا
لحن الواصل فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وفيه لعريب لحن .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

فِي فَمِي مَاءٌ وَهَلْ يَدُ طَلِقَ مَنْ فِي فِيهِ مَاءٌ !
أَنَا مَمْلُوكٌ لِمَلُوكِ لِي عَلَيْهِ الرُّقْبَاءُ
كَنتُ حُرًّا هَاشِمِيًّا فَاسْتَرْقَتْنِي الْإِمَاءُ
وَسَبَانِي مَنْ لَهُ كَا نَ عَلَى الْكُورِ السَّبَاءُ
أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا سَاقَهُ نَحْوِي الْقَضَاءُ
مَا بَعَيْنِي دَمُوعٌ أَنْفَدَ الدَّمْعَ الْبَكَاءُ
الغناء للواصل رمل .

ومنها : [من الخفيف]

أَيُّ عَوْنٍ عَلَى الْهَمُومِ ثَلَاثُ مُتَرَعَاتٍ مِنْ بَعْدَهُنَّ ثَلَاثُ
بَعْدَهَا أَرْبَعٌ تَتِمَّةُ عَشْرِ لَا بَطَاءَ لَكُنْهِنَّ حِثَّاتُ
فيه رمل يُنسب إلى الواصل وإلى مَتِيم .

ومنها : [من الطويل]

أَيَا عِبْرَةَ الْعَيْنَيْنِ قَدْ ظَمِئَ الْخَدُّ فَمَا لَكُمَا مِنْ أَنْ تُلِمَّا بِهِ بُدُّ
وَيَا مُقَلَّةً قَدْ صَارَ يُغْضِضُهَا الْكَرَى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ بَيْنَهُمَا وَدُّ
لَنْ كَانَ طُولُ الْعَهْدِ أَحْدَثَ سَلَوَةً فَمَوْعِدُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْعِبْرَةِ الْوُجْدُ²

1 مراد : شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون

2 الوجد : اللقاء .

وما أنا إلا كالذين تُخَرَّمُوا على أن قلبي من قلوبهم فَرَدُّ^١
الشعر والغناء للوائق رمل . وفيه لأبي حشيشة هزج ، ذكر ذلك الهشامي الملقَّب بالمسك ،
وأخبرني جحظة أنه للمسدود . وأخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر اللوائق
خفيف رمل وهو :

سَأَلْتُهُ حُويجَةً فَأَعْرَضَا وَعَلِقَ الْقَلْبُ بِهِ وَمَرَضَا
فَاسْتَلَّ مِنِّي سَيْفَ عَزْمٍ مُنْتَضِي فَكَانَ مَا كَانَ وَكَابَرْنَا الْقَضَا

قال : وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للوائق رمل ، ولَقَلَّم الصالحية فيه هزج . وقد غِلِط
جحظة في هذا الشعر ، وهو لسعيد بن حميد مشهور ، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .
[غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه]

أخبرني عمِّي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل
قال : كان اللوائق يحب خادماً له كان أهديَ إليه من مصر ، فغاضبه يوماً وهجره ، فسمع
الخادم يحدث صاحباً له بمحدث أغضبه عليه ، إلى أن قال له : والله إنه ليجهد منذ أمس على أن
أصلحه فما أفعل . فقال اللوائق في ذلك :

يَا ذَا الَّذِي بَعْدَابِي ظَلُّ مُفْتَخِرَا هَلْ أَنْتَ إِلَّا مَلِيكَ جَارٍ إِذْ قَدَّرَا
لَوْلَا الْهَوَى لَتَجَازَيْنَا عَلَى قَدَرٍ وَإِنْ أَفُقَ مَرَّةً مِنْهُ فَسَوْفَ تَرَى

قال : وغنى اللوائق وعلويه فيه لحنين ، ذكر الهشامي أن لحن اللوائق خفيف ثقيل ، وفي أغاني
علويه : لحنه في هذا الشعر خفيف رمل .
[غنى لي شعر لعلبي بن الجهم]

حدثني الصُّوْلِي قال حدثني ابن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل
قال : كنا وقوفاً على رأس اللوائق في أول مجالسه التي جلسها لما وَلِيَ الخِلافة ، فقال : مَنْ
يُنْشِدُنَا شعراً قصيراً مليحاً ؟ فَحَرِصْتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني ، فأنشدته لعلبي بن
الجهم :

لَوْ تَنْصَلَّتْ إِلَيْنَا لَوَهَبْنَا لَكَ ذَنْبَكَ
لِيتَنِي أَمْلِكَ قَلْبِي مِثْلَمَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أَيُّهَا الْوَائِقُ بِاللَّـ لَقَدْ نَاصَحْتَ رَبَّكَ
سَيِّدِي مَا أَبْغَضَ الْعِي شَ إِذَا فَارَقْتَ قُرْبَكَ
أَصْبَحْتَ حُجَّتَكَ الْعُلَّ يَا وَحِزْبُ اللَّهِ حِزْبَكَ

[من مجزوء الرمل]

فاستحسنها وقال : لمن هذه ؟ فقلت : لعبدك علي بن الجهم . فقال : خذ ألف دينار لك وله ؛ وصنع فيها لحناً كنا نغني به بعد ذلك .

[يوم له مع المغنين بسر من رأى]

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال : لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواصل بسر من رأى ، فكانت أموره كلها كأمر أبيه . فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يذكروا إليه يوماً حُدد لهم ، ووجه إلى إسحاق ، فحضر الجميع . فقال لهم الواصل : إني عزمْتُ على الصُّبوح ، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكون كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حلقَةً ، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواصل : أنا أبدأ ؛ فأخذ عوداً فغنني وشربوا وغنني من بعده ، حتى انتهيَ إلى إسحاق فأعطيَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوهُ . ثم غنوا دوراً آخر . فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يُغنْ ، وفعل هذا ثلاث مرات . فوثب الواصل فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلس . ثم قال : علي يا إسحاق ! . فلما رآه قال : يا خوزيُّ يا كلب ! أتتزلُّ لك وأغني وترتفع عني ! أترى لو أتي قتلُك كان المعتصم يُقيدني بك ! ابطحوه ! فبطح فضرِب ثلاثين مِرْعةً ضرباً خفيفاً ، وحلف ألا يُغنِّي سائرَ يومه سواه . فاعتذر وتكلّمت الجماعة فيه ، فأخذ العودَ وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم ، وعاد الواصل إلى مجلسه .

[شعره في خادم يهواه]

وجدتُ في بعض الكتب عن ابن المعتز قال : كان الواصل يهوى خادماً له فقال

[من الطويل]

فيه :

سأمنع قلبي من مودّةٍ غادر تعبّدني خُبشاً بمكرٍ مُكاشيرِ

خطبتُ إليه الوصلَ خطبةً راغبٍ فلا حظّني زهواً بطرفٍ مُهاجرِ

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : وللواصل في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول .

[ألقي على غلمانته صوتاً فأخذوه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عبدُ أم غلام الواصل قال : دعا بنا الواصل مع صلاة الغداة وهو يستاك فقال : خذوا هذا الصوت ، ونحن عشرون غلاماً كلنا يُغنِّي ويضرب ، ثم ألقي علينا :

[من البسيط]

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمدِ حسبي برِّي فلا أشكو إلى أحدٍ

فما زال يردّده حتى أخذناه عنه .

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكَمَدِ حَسْبِي بَرِّي فلا أشكو إلى أحدٍ
 أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً مهلةً بدُنُوي منك يا سَنَدِي
 واسألُ الله يوماً منك يُفرِّحني فقد كَحَلتِ جُفُونُ العين بالسَّهَدِ
 شوقاً إليك وما تدرين ما لقيت نفسي عليك وما بالقلب من كَمَدِ
 الغناء للوائق ثَقِيلٌ أولُ بالبِصَرِ . وفيه لَعَرِيبٌ أيضاً ثَقِيلٌ أولُ بالوَسْطَى .

[كان إسحاق يصحح له غناء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثني محمد بن أحمد المَكِّي قال حدثني أبي قال : كان
 الواصل يَعْرض صَبعته على إسحاق ، فيُصلِح الشيء بعد الشيء مما يخفى على الواصل ؛ فإذا صحَّحه
 أخرجه إلينا وسمعناه .
 [أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له]

حدثنا جَحْظَةُ قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني مُخَارِقُ قال : لما صنع الواصل
 لحنه في :

حَوراءِ مَمْكُورَةٌ مُنْعَمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ¹
 وصنع لحنه في «سأذكر سيراً طال ما كنت فيهم» أمرني وعلويه وعريب أن نعارض
 صنعته فيهما ؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنيناها . فضحك فقال : أمينا معكم أن نجد من يبغض إلينا
 صنعتنا كما يبغض إسحاق إلينا «أيا مُنْشِيرَ المَوْتَى» . قال حماد : هذا آخر لحن صنعته أبي . يعني
 الذي عارض به لحن الواصل في «أيا مُنْشِيرَ المَوْتَى» .
 [غناه إسحاق صوتاً فطير به]

أخبرني جَحْظَةُ قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الواصل وهو
 مُصْطَبِحٌ ، فقال لي : غَنِّي يا إسحاق بحياتي عليك صوتاً غريباً لم أسمعك منك حتى أُسرَّ به بقيَّةُ
 يومي . فكان الله أنساني الغناء كلَّه إلا هذا الصوت :
 [من السريع]

يا دارُ إن كان البلى قد مَحَاكَ فَإِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَرَاكَ
 أبكي الذي قد كان لي مَأْلَفاً فيكَ فَاتِي الدارَ من أجل ذاك

والغناء في هذا اللحن للأبجر رمل بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب ، وذكر عمرو بن
 بانة أنه لُسْلِيمٌ ، قال فتبينت الكراهية في وجهه ، ونَدِمْتُ على ما فرط مني . وتجلد فشرب رطلاً
 كان في يده ، وعدلتُ عن الصوت إلى غيره . فكان والله ذلك اليوم آخر جلوسي معه .

149 - [غناء المنتصر]

ومن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر

فإني ذكرتُ ما رُوي عنه أنه غنّى فيه على سوء المُهددة في ذلك وضعف الصنعة ، لئلا يَشُدَّ
عن الكتاب شيءٌ قد رُوي وقد تداوله الناس . فمما ذُكر عنه أنه غنّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

سُقِيتُ كأساً كَشِيفَتْ عن ناظريَّ الخُمراً
فَنَشَطَّتْني ولقد كنتُ حزيناً خائِراً
الشعر للمنتصر ، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكِيكٌ إلا أنه يُغني فيه .

[كان متخلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة]

وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه قال : كان طبع المنتصر متخلفاً في قول
الشعر وكان متقدماً في كل شيء غيره ؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره ، وكان
حسن العلم بالغناء . فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه . من ذلك صنْعته في
شعره وهو من الثقيل الأول المذموم :

سُقِيتُ كأساً كَشِيفَتْ عن ناظريَّ الخُمراً
قال : ومن شعره الذي غنّى فيه ولحنه ثاني ثقيل : [من الطويل]

صوت

متى تَرَفَعُ الأيامُ من قد وضعه وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَموحُ
أُعَلِّلُ نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على ما ساءني وأروحُ
قال : وكان أبي يَسْتَجِيدُ هذين البيتين ويستحسنهما .. ونذكر هاهنا شيئاً من أخبار
المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوةً ما فعلنا في نظرائه .

[أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً ففرقوا]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال :
أراد المنتصر أن يشرب في الرقاق ، فوافى الناس من كل وجه ليرّوه ويخدّموه ؛ فوقف على
شاطيء دجلة وأقبل على الناس فقال :

[من المتقارب]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلُنَا بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمَلْعَبِ
والشعر «بأكناف دجلة للمصعب» ولكنه غيره لأنه تطير من ذكر المصعب .

فَمَنْ يَكُ مِنْنا يَبْتَ آمِنًا وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ
قال : فعلم الناس أنه يريد الخلوة بالندماء والمغنين ، فانصرفوا ، فلم يبق معه إلا من يصلح
للأنس والخدمة .

[جفا يزيد المهلبى لاختصاصه بالتوكل ثم عفا عنه وأكرمه]

حدثني الصُّوْلِي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبى قال : كان أبى أخص الناس بالمتنصر ،
وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل . فدخل المتوكل يوماً على المتنصر على غفلة ، فسمع
كلامه فاستحسنه ، فأخذه إليه وجعله في جلسائه . وكان المتنصر يريد منه أن يلازمه كما كان ،
فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه ؛ فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به . فلما أفضت
إليه الخلافة استأذن عليه ؛ فحجبه وأمر بأن يعتقل في الدار فحس أكثر يومه . ثم أذن له
فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده ، فأمره بالجلوس ؛ ثم التفت إلى بنان بن
عمرو وقال له : غن ، وكان العود في يده :

غَدَرْتَ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتَ وَلَمْ أَخُنْ وَرُمْتَ بَدِيلًا بِي وَلَمْ أَتَبَدَّلْ
قال : والشعر للمتنصر ، فغناه بنان . وعلم أبى أنه أراد بذلك فقام فقال : والله ما اخترت
خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت ؛ إنما قلت هذا مازحاً ؛ أترانى
أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا
تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ . ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده : [من الوافر]

أَلَا يَا قَوْمِ قَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ	وَيَا صَبْرُ مَنْي وَالْعَزَاءُ
تَعَجَّبَ صَاحِبِي لَضِياعِ مِثْلِي	وَلَيْسَ لِدَاءٍ مُحْرُومِ دَوَاءُ
جَفَانِي سَيِّدٌ قَدْ كَانَ بَرًّا	وَلَمْ أَذِنْبُ فَمَا هَذَا الْجَفَاءُ
حَلَلْتُ بَدَارِهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي	بِدَارٍ لَا يَخِيبُ بِهَا الرِّجَاءُ
فَلَمَّا شَابَ رَأْسِي فِي ذَرَاهِ	حُجِبْتُ بِعُقْبٍ مَا بَعْدَ اللَّقَاءِ
فَإِنْ تَنَأَى سُتُورُ الْإِذْنِ عَنَّا	فَمَا نَأَتْ الْحَبَّةُ وَالْثَنَاءُ
وَإِنْ يَكُ كَادَنِي ظِلْمًا عَدُوٌّ	فَعِنْدَ الْبَحْثِ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ بِالْآفَاقِ مِنَّا	جَمَاجِمَ حَشَوُ أَقْبَرِهَا الْوَفَاءُ

وقد وصف الزمان لنا زياداً
ألا يا ربَّ مغمومٍ سيحظى
أمنتصر الخلائف جُدتَ فينا
وسِعتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا
وليس يفوتنا ما عِشتَ خيرٌ
كفانا أن يطولَ لك البقاء

قال : فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري ، ولك عندي الزلفى ، فطبَّ نفساً . قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار .
[شعر الحسين بن الضحاك فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني عَوْن بن محمد الكِندي قال : لما وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحَّاك فهناه بالخلافة وأنشده :
[من الطويل]

تجددت الدنيا بملك محمدٍ
هي الدولة الغراء راحت وبكرت
لعمري لقد شدت غرا الدين بيعةً
هتلك أمير المؤمنين خلافةً
فأهلاً وسهلاً بالزمان المجددِ
مُشَهَّرةً بالرُشدِ في كلِّ مشهدٍ
أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحدٍ
جمعتَ بها أهواءَ أمة أحمدٍ

قال : فأظهر إكرامه والسرورَ به ، وقال له : إن في بقائك بهاءً للملك ، وقد ضَعُفَتْ عن الحركة ، فكأني بحاجاتك ولا تحمِلْ على نفسك بكثرة الحركة . ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه .

قال : وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءه الناسُ ، وهو آخر شعر
قاله :

ألا ليت شعري أبدرُ بدا
إمامٌ تَضَمَّنْ أثوابه
حمى الله دولةً سلطانه
فلا زال ما بقيت مدةً
نهاراً أم الملك المنتصرُ
على سَرَجِه قمرأ من بشرُ
بجُندِ القضاء وجُندِ القَدَرِ
يروحُ بها الدهرُ أو يَتَكَيَّرُ
قال : وغنَّى فيه بَنانٌ وعَرِيبٌ .

[شعر يزيد المهلبى فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبى قال : أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ :
[من الطويل]

لِيَهْنِكَ مُلْكُ بالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِيْ فَلَمْ نَحْبِ كَمَا يُرْتَجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
بِمَنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ

فَأَمَرَ الْمَنْتَصِرُ عَرِيبَ أَنْ تَغْنِيَ نَشِيداً فِي أَوَّلِ الْآيَاتِ وَتَجْعَلَ الْبَسِيطَ فِي الْبَيْتِ الْآخِيرِ ؛
فَعَمِلَتْهُ وَغَنَّتْهُ بِهِ .

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : صَلَّى الْمَنْتَصِرُ بِالنَّاسِ فِي الْأَضْحَى سَنَةَ
سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ؛ فَأَنْشَدَهُ أَبِي لَمَّا انْصَرَفَ :
[مِنْ الْبَسِيطِ]

مَا اسْتَشَرَفَ النَّاسُ عِيداً مِثْلَ عِيدِهِمْ مَعَ الْإِمَامِ الَّذِي بِاللَّهِ يَنْتَصِرُ
غَدَاً بِجَمْعٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَقْدُمُهُ وَجْهٌ أَغْرُ كَمَا يَجْلُو الدُّجَى الْقَمَرُ
يَوْمُهُمْ صَادَقَ بِالْحَقِّ أَحْكَمَهُ حَزْمٌ وَعِلْمٌ بِمَا يَأْتِي وَمَا يَنْزُرُ
لَوْ خَيْرُ النَّاسِ فَاخْتَارُوا لَأَنْفُسَهُمْ أَحْظَ مِنْكَ لِمَا نَالُوهُ مَا قَدَرُوا

قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى ابْنِ الْمَكِيِّ أَنْ يُغْنِيَ فِي الْآيَاتِ .

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي بَنَانُ بْنُ عَمْرٍو الْمَغْنِيُّ قَالَ :
غَنِّيَتْ يَوْمَاً بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْتَصِرِ :
[مِنْ الْكَامِلِ]

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْوَمَهَا بِأَكْفُكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا
فَقَالَ لِي : إِيَّاكَ وَأَنْ تَغْنِيَ بِمَحْضَرَتِي هَذَا الصَّوْتَ وَأَشْبَاهَهُ ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أُغْنِيَ فِي أَشْعَارِ آلِ
أَبِي حَفْصَةَ خَاصَةً .

150 - [غناء المعتز بالله]

وممن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتز بالله : فإني لم أجِدْ له منها شيئاً إلا ما ذكره الصولي في أخباره ؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التي قدمتها من أني كرهتُ أن يُحِلَّ الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه . فمما ذكر أنه غنّى فيه : [من المتقارب]

صوت

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا بأكنافٍ دجلةَ للمُصعبِ
فمَنْ يَكُ مِنَّا يَبْتَ آمناً ومن يَكُ من غيرنا يَهْرُبُ
الشعر لعدي بن الرقاع . والغناء للمعتز خفيفٌ رمل . وهذه الأبيات من قصيدة لعدي¹ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان والمُصعب بن الزبير بطسوج² مَسْكِين ، فقتل فيها مصعبٌ بقرية من مَسْكِين يقال لها دَيْرُ الجاثليق³ ، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات :

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا بأكنافٍ دجلةَ للمُصعبِ
يهزون كلُّ طويل القنا قَدْنٍ ومعتدلِ الثعلبِ³
فداؤك أُمِّي وأبناؤُها وإن شئتُ زدتُ عليها أُمِّي
وما قتلها رهبةٌ إنما يحلُّ العقابُ على المُنْذِبِ
إذا شئتُ نازلتُ مُستَقْبِلاً أَرَا حِمُّ كالجملِ الأَجْرِبِ
فمَنْ يَكُ مِنَّا يَبْتَ آمناً ومن يَكُ من غيرنا يَهْرِبِ

1 الطسوج : القرية أو الناحية . وطسوج : مسكن بالعراق .

2 ودير الجاثليق يقع في طسوج غربي دجلة قرب بغداد .

3 الثعلب : رأس الرمح .

[151] - أخبار عدي بن الرقاع ونسبه¹

[نسبه]

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد . وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وداعة من قضاة ، وبها سُموا عاملة . ونسبه الناس إلى الرقاع ، وهو جدُّ جدّه ، لشهرته ؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام .

وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مدّاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ، ذكر ذلك ابن النطاح .

[جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ، ثم لم تتمّ بينهما مُهاجاة ، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته : [من البسيط]

حَيُّ الْهَدْمَلَةِ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ²

ولم يصرّح لأن الوليد حلّف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره ، فلم يصرّح بهجائه .

[ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال : دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدي بن الرقاع العاملي . فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد : هذا عدي بن الرقاع . فقال جرير : فشرّ الثياب الرقاع ، قال : من هو ؟ قال : العاملي . فقال جرير : هي التي يقول [فيها] الله عز وجل ﴿عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ تَصْلِي نَاراً حَامِيَةً﴾ . ثم قال : [من الطويل]

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 618/2-619 والجمحي 88-89 ، 142 ، والاشتقاق 225 ، والمؤتلف 116 ، والمرزباني 253 والآلي 309 .

2 الهدملة والمواعيس : موضعان .

يُقَصِّرُ باعُ العامليِّ عن الندى ولكنَّ أَيْرَ العامليِّ طويلُ

فقال له عدي بن الرقاع : [من الطويل]

أَأُمُّكَ كَانَتْ أَخْبَرْتُكَ بِطُولِهِ أَمْ أَنْتَ امْرُؤٌ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَقُولُ

فقال لا ! بل أدري كيف أقول . فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال : أجرتني منه . فقال الوليد لجريز : لئن شتمته لأسرجنك ولألجمنك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك . فكنى جريز عن اسمه فقال :

[من البسيط]

إني إذا الشاعرُ المغرورُ حرَّني جازَّ لقبرٍ على مَرَّانٍ مَرْمُوسٍ¹
قد كان أشوسَ آباء فورثنا شغباً على الناس في أبناؤه الشُّوس²
أَقْصِرْ فَإِنَّ نِزَاراً لَنْ يَفَاضِلَهَا فرغَ لثيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس³
وابن اللُّبُونِ إذا ما لُزَّ في قَرْنٍ لم يَسْتَطِيعَ صَوْلَةَ البُرْلِ القَنَاعِيسِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة : دخل جريز على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي . فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا ابن الرقاع . قال : فشرُّ الثياب الرقاع ، فمن هو ؟ قال : من عاملة . قال : أمن التي قال الله تعالى فيها : ﴿عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ تَصْلِي نَاراً حَامِيَةً﴾ ! . فقال الوليد : والله ليركبكن ! لشاعرنا وما دحنا والرائي لأمواتنا تقول هذه المقالة ؟ يا غلام علي بكاف⁴ ولجام . فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعْفِيَهُ فأعفاه . فقال : والله لئن هجوته لأفعلن⁵ ولأفعلن . فلم يصرح بهجائه وعرض ، فقال قصيدته التي أولها :

[من البسيط]

حَيَّيْهِ الْهِدْمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ

وقال فيها يعرض به :

[من البسيط]

قد جَرَّبْتُ عَرَكَيَّ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ غُلِبُ الْأَسْوَدِ فَمَا بَالُ الضُّغَايِيسِ⁵

[فضل جريز عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش

1 أراد قبر تميم بن مر بمران على أربع مراحل من مكة إلى البصرة . وحرني : أغضبني .

2 أبناؤه في ل : أيامه . الشوس : التكبر والنظر بمؤخر العين .

3 يفاضلها في ل : يفاخرها .

4 الإكاف : برذعة الحمار .

5 الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقة . الضغاييس : جمع ضغوب وهو الضعيف .

السَّعْدِي قال : ذُكِرَ كَثِيرٌ وَعَدِي بن الرُّقَاعِ العاملي في مجلس بعض خُلَفَاءِ بني أُمَيَّة ، فامْتَرَوْا فيهما أَيُّهما أشعر وفي المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كَثِيرٌ بيتاً هو أشعر وأعرَف في الناس من عَدِي بن الرُّقَاعِ نفسه ؛ ثم أنشد قول كَثِير :

أَنْ زُمْ أَجْمَالٌ وفارق جيرةً وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

قال : فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرُّقَاعِ أعرَفَ في الناس من بيت كَثِيرٍ لِيُسرِجَنَّ جريراً وَلِيُلْجِمَنَّهُ وَلِيُركِبَنَّ عَدِيُّ بن الرُّقَاعِ على ظهره . فكتب إلى واليه بالمدينة : إذا فرغت من خطبتك فسل الناسَ من الذي يقول :

أَنْ زُمْ أَجْمَالٌ وفارق جيرةً وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

وعن نسب ابن الرُّقَاعِ . فلما فرغ الوالي من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أسألكم من الذي يقول :

أَنْ زُمْ أَجْمَالٌ وفارق جيرةً

قال : فابتدروا من كل وجه يقولون : كَثِيرٌ كَثِيرٌ . ثم قال : وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرُّقَاعِ ؛ فقالوا : لا ندري ؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال : هو من عاملة .

[نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم : ما أخذَ ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصفعه إلا عَدِيَّ بن الرُّقَاعِ . قلت ولم ذلك ؟ قال : لقوله : [من الكامل]

وعلمتُ حتى ما أسائل عالماً عن علمٍ واحدةٍ لكي أزدادها

فكنتُ أعرضُ عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

[جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم]

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال حدثنا عبد الله بن مُسلم قال : كان عديُّ بن الرُّقَاعِ ينزل بالشام ، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس من الشعراء ليُماتنوه¹ وكان غائباً ؛ فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دَوْرَ وَعِيدِهِمْ ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول : [من الطويل]

تجمعتُم من كلِّ أوبٍ وبلدةٍ على واحدٍ لا زلتمُ قرنَ واحدٍ

فأفحمتهم :

[كان من أوصاف الشعراء للمطية]

وقال عبد الله بن مُسلم : ومما ينفرد به ويقدم فيه وصفُ المطية ؛ فإنه كان من أوصاف الشعراء لها .

[استحسن أبو عمرو شعره]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال : كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عدي بن الرقاع ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات :

لولا الحياءُ وأن رأسي قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم¹
وكأنَّها وسطَ النساءِ أعارها عينيه أحورُ من جاذِرِ جاسمِ
وسنانُ أقصدهُ النعاسُ فرنَّقتُ في عينه سِنَّةٌ وليس بنائمِ
فقال أبو عمرو : أحسنَ واللهُ ! . فقال رجل كان يحضرُ مجلسه أعرابيٌّ كأنَّه مدني : أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقضبانِ الدفلي تأخذه لكنَّتُ أشدَّ له استحساناً . يعني إذا كان يُغنى به على العودِ .

[استحسن أبو عبيدة بيتاً له]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال : كان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي بن الرقاع : [من الكامل]

وسنانُ أقصدهُ النعاسُ فرنَّقتُ في عينه سِنَّةٌ وليس بنائمِ
جداً ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر . وفي هذا الشعر غناء ، نسبته :

صوت

لولا الحياءُ وأن رأسي قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ
وكأنَّها وسطَ النساءِ أعارها عينيه أحورُ من جاذِرِ جاسمِ
وسنانُ أقصدهُ النعاسُ فرنَّقتُ في عينه سِنَّةٌ وليس بنائمِ
المِمْ على طَلَلٍ عفا مُتقادِمِ بين الدُّوبِ وبين غَيْبِ النَّاعِمِ²

1 عسا : اشتد .

2 الدُّوب : ماء بنجد لبني دهمان بن نضر بن معاوية وفي ل : الركيك .

عروضه من الكامل . الجاذِر : جمع جُوْذُر وهي أولاد البقر الوحشية . وجاسِم : موضع . ويُروى في هذا الشعر «عاسِم» مكان «جاسِم» . والوَسْنانُ : النائم ، والوَسْنُ النوم ، الواحدة منه سِنَةٌ . والترنيق : الدنوُّ من الشيء يريد أن يفعله ، يقال : رَنَقَتِ الْعُقَابُ لصيدها إذا دَنَتْ منه ، وترنيقُها أيضاً أن تُقَصِّرَ عن الخَفَقانِ بجناحيها . ويقال : طيرٌ مرْنَقَةٌ إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّتْ أجنحتها فلم تَخْفِقْ وترجَّحت . ويقال للقوم إذا قَصَّروا في سيرهم ، وللسابح إذا قَصَّرَ في الخَفَقِ يديه ورجليه : قد رَنَقُوا ترنيقاً . الشعر لعديِّ بن الرَّقاع . والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيفٌ ثقيلٌ أول بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه ثَقِيلٌ أولٌ بِالْبِنْصَرِ يُنسب إليه أيضاً ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى بن المكي إليه .

[استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدني الغناء به]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالخَزَنَبَل عن عمرو بن أبي عمرو قال : كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِي بن الرَّقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها :

لولا الحياءُ وأن رأسي قد عَسَا فيه المَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

قال أبي : أحسن والله عَدِيُّ بن الرَّقاع ! . قال : وعنده شيخ مدني جالس ، فقال الشيخ : والله لئن كان عَدِيُّ أحسنَ كما أساء أبو عباد . قال أبي : ومن هو أبو عباد ؟ قال : مَعْبَدٌ . والله لو سمعتُ لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشدَّ واستحسنائك له أكثرَ . فجعل أبي يضحك .

[مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه]

أخبرني محمد بن خَلْفِ بن المَرْزبان قال حدثنا أحمد بن جَرِير عن محمد بن سَلَام قال : عزل الوليدُ بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأَرْدُنِّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به : من أتاه متوجِّعاً وأثنى عليه فأتوني به . فأتى عَدِيُّ بن الرَّقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سَبَّاقاً جَوَادا
وكنْتَ أخي وما ولدتك أُمِّي وَصُولاً باذلاً لي مسترادا
وقد هيضتُ لِنَكبتك القُدَامِي كذلك الله يفعلُ ما أَرادَا

فوثب المتوكلون به إليه ، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى . فتغيظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ ! . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إليَّ مُحْسِناً ، ولي مؤثراً ، وبني برّاً ؛ ففي أي وقت كنتُ أكافئه بعد هذا اليوم ! . فقال : صدقتُ وكَرُمْتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخذْه وانصِرِف . فانصَرَفَ به إلى منزله .

[عده جرير أنسب الشعراء لشعر له]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : قال نوح بن جرير لأبيه : يا أبت ، من أنسب الشعراء ؟ قال له : أتعني ما قلت ؟ قال : إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك . قال : ابن الرقاع في قوله : [من الكامل]

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

الثلاثة الأبيات . ثم قال لي : ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً .

[عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق]

أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : قال جرير : سمعت عدي بن الرقاع يُنشد : [من الكامل]

تُرجي أغنَّ كأنَّ أبرة روقه¹

فرجته من هذا التشبيه فقلت : بأي شيء يُشبهه ترى ! فلما قال : [من الكامل]

قلم أصاب من الدواة مداها

رجمت نفسي منه .

[تابع روح بن زباع ثم خالفه وتابع ناثل بن قيس في نسبهم]

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : مال روح بن زباع الجذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألحقنا بإخوتنا من معدٍّ فإننا معدُّيون ، والله ما نحن من قصب الشام ولا من زعاف اليمن . فقال يزيد : إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت . فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال : [من البسيط]

إننا رضينا وإن غابت جماعتنا ما قال سيّدنا روح بن زباع

يرعى ثمانين ألفاً كان مثلهم ممّا يُخالف أحياناً على الراعي

قال : فبلغ ذلك ناثل بن قيس الجذامي ، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية . فلما قام يزيد على المنبر ، وثب فقال : أين الغادر الكاذب روح بن زباع ؟ فأشاروا إلى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني ما قال لك هذا ، وما نعرف شيئاً منه نُقرُّ به ، ولكننا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم . فأمسك روح ورجع عن رأيه . فقال عدي بن الرقاع في ذلك : [من الكامل]

أضلالٌ ليلٍ ساقطٍ أكنافه في الناسِ أعذرُ أم ضلالٌ نهارٍ
قحطانٌ والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمةَ خنْدِفُ بنِ زرارٍ
أنبيعٌ والدنا الذي ندعى له بأبي معاشيرَ غائبٍ متواري
تلكَ التجارةُ لا زكاءَ لمثلها ذهبٌ يباعُ بأنثكِ وإبارٍ¹

فقال له يزيد : غَيَّرْتَ يا ابنَ الرِّقَاعِ . قال : إن نائلاً والله عليَّ أعزُّهما سُخْطاً ، وأنصحُهما لي ولعشيرتي . قال أبو عبيدة : الإبار : جمع إبرة .

[ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدِّه إبراهيم : أن الأحوص وابن سُرَيْجَ قَدِمَا المدينة ، فنزلا في بعض الخانات ليُصْلِحَا من شأنهما ، وقد قَدِمَ عَدِيُّ بنُ الرِّقَاعِ وكانت هذه حاله ، فنزل عليهما . فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث ؛ فقال عَدِيُّ بنُ الرِّقَاعِ لابن سُرَيْجَ : والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أجدى علينا من المُقامِ معك يا مولى بني نَوْفَلٍ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك تُوشِكُ أن تُلهِيَنَا فتشغَلُنَا عما قصدنا له . فقال له ابن سُرَيْجَ : أَوْ قَلَّةُ شُكْرِ أَيْضاً ! . فغَضِبَ عَدِيُّ وقال : إنك لَتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك ؛ وإني أَعَاهِدُ اللهَ ألا يُظَلِّلَنِي وإياكَ سَقْفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين . وخرج من عندهما . وقَدِمَ الوليد من باديته فأذِنَ لهما فدخلَا² . وبلغه خبر ابن الرِّقَاعِ وما جرى بينه وبين ابن سُرَيْجَ ؛ فَأَمَرَ بابن سُرَيْجَ فَأُخْفِيَ في بيت ودعا بَعْدِيَّ فَأَدْخَلَهُ ؛ فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً امتدحه بها . فلما فرغ ، أومأ إلى بعض الخَدَمِ فَأَمَرَ ابْنَ سُرَيْجَ فغَنَى في شعر عَدِيَّ بنِ الرِّقَاعِ يمدح الوليد : [من الكامل]

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُماً فاعتادها من بعدِ ما شَمِلَ البِلَى أبلادها³

فطَرِبَ عَدِيُّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننتُ أن يكون مثله طيباً وحَسَناً . ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائِفٌ من الجن . أَيَأْذَنُ لي أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سُرَيْجَ يتخطى به قبائلَ العرب فيقال : ابنُ سُرَيْجَ المغنِّي مولى بني نَوْفَلٍ بعث أمير المؤمنين إليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أَخْرِجْهُ فخرج . فلما رآه عَدِيُّ أَطْرَقَ حَجَلاً ثم قال : المَعْدَرَةُ إلى الله وإليك يا أخي ، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، وإنك لحَقِيقٌ أن تُخْتَمَلَ على كل

1 الآثك : الرصاص .

2 ل : فأدخل .

3 الأبلاد : الآثار .

هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سَوَّى بينهم فيه ، ونادهم يومئذٍ إلى الليل .
نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار
التي فيها غناء :

صوت

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فاعتادها من بعد ما شمل اليلى أبلادها
إلا رَوَاكِدَ كُلِّهِنَّ قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادها¹
عروضه من الكامل . الشعر لعدي بن الرقاع . والغناء لابن مُحَرِّزٍ خفيف ثقيل أول
بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .
[أفحسه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني عيسى بن الحسين الوزَّاق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري
عن الهيثم بن عدي قال : أنشد عديُّ بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :
عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فاعتادها

وعنده كثير وقد كان يُلغِّه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازيٍّ مَقْرُورٌ
إذا أصابه قُرُّ الشَّامِ جَمَدٌ وهَلَكَ . فأنشده إياها حتى أتى على قوله :

وقصيدة قد بَتَّ أَجْمَعُ بينها حتى أقومَ مِيلَهَا وسِنَادُهَا
فقال له كثير : لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتَ فيها بميلٍ ولا سِنَادٍ فتحتاج
إلى أن تقومَها . ثم أنشد :

نَظَرَ الْمُثَقَّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَاً
فقال له كثير : لا جَرَمَ أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن تكونَ مستقيمة
لا تحتاج إلى ثِقَافٍ أجودُ لها . ثم أنشد :

وعلمتُ حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدٍ لكي أزدادها
فقال كثير : كَذَبْتَ وَرَبُّ البيت الحرامِ ؛ فليمتحنك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار
الأُمُور دون كبارها حتى يتبينَ جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيثَ تظنُ هذا
بنفسك . فضحك الوليد ومن حضر ، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق .

[152] - أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين

وما جرى هذا المجرى

[شعره في جارية يهواها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدِّي
حمَّدون بن إسماعيل قال : اصطبح المعتزُّ في يوم ثُلُثاء ونَحْنُ بين يديه ثم وثَبَ فدخل ،
واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبلها وخرج ؛ فحدثني بما كان
وأنشدني لنفسه في ذلك :

صوت

إِنِّي قَمَرْتُكَ يَا سَوَّلِي وَيَا أَمَلِي أَمْرًا مُطَاعًا بِلَا مَطَلٍ وَلَا عِلَلٍ
حَتَّى مَتَى يَا حَبِيبَ النَّفْسِ تَمَطُّلُنِي وَقَدْ قَمَرْتُكَ مَرَّاتٍ فَلَمْ تَفْ لِي
يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ يَوْمٌ سَوْفَ اشْكُرُهُ إِذْ زَارَنِي فِيهِ مَنْ أَهْوَى عَلَى عَجَلٍ
فَلَمْ أَتَلَّ مِنْهُ شَيْعًا غَيْرَ قُبْلَتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدِي أَعْظَمَ النَّفْلِ
قال : وعُمِلَ فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء في هذه الأبيات لَعَرِيبَ رَمْلٍ
عن الهشامي . ولأبي العَنَبَسِ في الثالث والرابع هَزَجٌ .
[طارحه بنان المغني في بيت من الشعر وتغنى فيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبِّي قال حدثني أبي قال : كان
المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمَامِ¹ وبين النَّمام شقائق النعمان ، فدخل إليه يونس بن بُعَا
وعليه قَبَاءٌ أخضر ؛ فقال المعتزُّ :

صوت

شَبَّهْتُ حُمْرَةَ خَدِّهِ فِي ثَوْبِهِ بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ فِي النَّمَامِ
ثم قال : أَجِيزُوا . فابتَدَرَ بَنَانُ الْمَغْنِيِّ ، وكان ربما عِثَّ بالبيت بعد البيت ،
فقال :
وَالْقَدُّ مِنْهُ إِذَا بَدَأَ فِي قَرَطَقٍ كَالْغَصَنِ فِي لَيْنٍ وَحَسَنٍ قَوَامٍ²

1 النمام : نبت ورقه كالسذاب عطري قوي الرائحة .

2 القرطق : قباء ذو طاق واحد .

فقال له المعتز : فغن فيه الآن ، فعمل فيه لحناً . لحنُ بنانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقل
الثاني وهو الماخوري .

[أخبر ب وفاة أم يونس بن بُغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني عمر بن
محمد بن عبد الملك قال : شرب المعتز ويونس بن بُغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون
بين يديه وقد أعد الخَلَع والجوائز ، إذ دخل بُغا فقال : يا أمير المؤمنين ، والددة عبدك
يونس في الموت وهي تُحِب أن تراه ؛ فأذن له فخرج . وفتر المعتز ونَعَس بعده ، وقام
الجلساء وتفرق المغنون ، إلى أن صليت المغرب ، وعاد المعتز إلى مجلسه ، ودخل يونس ،
وبين يديه الشموع . فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقى يونس رطلاً وغناه المغنون ،
وعاد المجلس أحسن ما كان ؛ فقال المعتز :

صوت

تَغِيبُ فلا أَفْرَحُ فليَتَكَ ما تَبْرَحُ
وإنْ جِئْتَ عَذَبْتَنِي بَأْتِكَ لا تَسْمَحُ
فأَصْبَحْتُ ما بينَ ذِي من لي كَبَدٌ تُجْرَحُ
على ذاك يا سيدي دُنُوكَ لي أَصْلَحُ

ثم قال : غنوا فيه ، فجعلوا يفكرون . فقال المعتز لسليمان بن القَصَّار الطَّنُورِي : وَيْلَكَ !
أَلحانُ الطَّنُورِ أَمْلَحُ وأخفُ فغنَّ فيه أنت ؛ فغنَّي فيه لحناً ؛ فدفع إليه دنانير الخريطة وهي مائة
دينار مكية ومائتان مكتوبٌ على كلِّ دينار منها «ضُرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة أمير
المؤمنين المعتز بالله» ثم دعا بالخَلَع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلس من أحسن
المجالس .

لحنُ سليمان بن القَصَّار في هذه الأبيات رمل مطلق .

[لما قتل بُغا هنأه الناس بالظفر]

حدثني الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد السَّمِيع الهاشمي قال حدثني أبي قال : لما قُتِل بُغا
دخلنا فهنأنا المعتز بالظفر ، فاصطبَح ومعه يونس بن بُغا ، وما رأينا قطُّ وجهين اجتمعا أحسن من
وجهيهما . فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكر ، ثم خرج علينا المعتز فقال : [من البسيط]

ما إنْ تَرَى مَنظَراً إنْ شِئْتَهُ حسناً إلا صَريعاً يُهادى بين سُكْرَيْن¹

سُكِرَ الشراب وسُكِرَ من هَوَى رَشِيٍّ
تخاله والذي يهواه عُصْنَيْنِ
ثم أمر فتغنى فيه بعضُ المغنين .

[قصة المعتز ويونس بن بُغا مع ديراني]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال : كنت مع المعتز في الصيد ، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بُغا معه ، ونحن بقرب قنطرة وصيف ، وكان هناك دَيْرٌ فيه دِيرَانِي يعرفني وأعرفه ، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ . فشكا المعتزُ العطشَ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، في هذا الدير دِيرَانِي أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد ، أَفَتَرَى أن نميلَ إليه ؟ قال نعم . فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألني عن المعتز ويونس فقلت : قَتَيَانِ من أبناء الجُند ؛ فقال : بل مُقْلَتَانِ من حُورِ الجنة . فقلت له : هذا ليس في دينك . فقال : هو الآن في ديني . فضحك المعتز . فقال لي الديراني : أَتَأْكُلُونَ شيئاً ؟ قلت نعم . فأخرج شطيرات وخبزاً وإداماً نظيفاً ، فأكلنا أطيبَ أكل ، وجاءنا بأطراف أشنانٍ . فاستظرفه المعتز وقال لي : قل له فيما بينك وبينه : مَنْ تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك . فقلت له ، فقال : « كلاهما وتمرا »¹ . فضحك المعتز حتى مال على حائط الدَّير . فقلت للديراني : لا بد من أن تختار . فقال : الاختيار والله في هذا دَمار ، وما خلق الله عقلاً يميز بين هذين . ولحقهما الموكب ، فارتاع الديراني . فقال له المعتز : بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه ، فَإِنِّي لِمَنْ تَمَّ مَوْلَى وَلَمِنْ هَاهُنَا صديق . فَمَرَحْنَا ساعة ؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم . فقال : والله ما أقبلها إلا على شرط . قال : وما هو ؟ قال : يجيب أمير المؤمنين دَعَوَتِي مع مَنْ أَرَادَ . قال : ذلك لك . فأتعذنا ليوم جئناه فيه ، فلم يُبْقِي غايَةً ، وأقام للموكب كُلَّهُ ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصاري يَخْدُمُونَا . ووصله المعتز يومئذٍ صلَّةً سنية ؛ ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

[ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة]

حدثني الصُّولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : بُويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة كاملة وأشهر . فلما انقضت البيعة قال :

تَوَحَّدَنِي الرَّحْمَنُ بِالْعِزِّ وَالْعُلَا
فَأَصْبَحْتُ فَوْقَ الْعَالَمِينَ أَمِيرَا
هكذا ذكر الصُّولي في قافية الشعر . ووجدته في أغاني بَنَانٍ مرفوعَ القافية ، وله فيه صنعة . ولعل المعتز قال البيت ، فأضاف بَنَانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز

فقال :

[من الطويل]

صوت

تَوَحَّدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْعَزِّ وَالْعَلَا فَأَنْتَ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ أَمِيرُ
تُقَاتِلُ عَنْكَ التُّرْكُ وَالْخُزُرُ كُلُّهَا كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ لَهْنٌ زَثِيرُ

الغناء لبَنَانٍ [لَحْنَانٍ] خَفِيفٌ ثَقِيلٌ وَخَفِيفٌ رَمَلٍ . وَمَا قَالَهُ الْمُعْتَزُ وَغْنَى فِيهِ قَوْلُهُ ، ذَكَرَ الصُّوْلِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعْتَزِ أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ لِأَبِيهِ :

[من الوافر]

صوت

أَلَا حَيُّ الْحَبِيبِ فَدَتَهُ نَفْسِي بِكَأْسٍ مِنْ مُدَامَةِ خَانِقِينَا¹
فَإِنِّي قَدْ بَقِيتُ مَعَ اللَّيَالِي أَقَاسِي الْهَمَّ فِي يَدِهِ سَيْنِيَا
الغناء فِيهِ لِعَرِيبٍ خَفِيفٌ رَمَلٍ ، وَلَبَنَانٍ هَزَجٌ .

153- [غناء المعتمد]

[غناء المعتمد]

وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ لَهُ صِنْعَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمُعْتَمِدِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ أُلْقَى عَلَيْهِ لَحْنًا صَنَعَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ وَهُوَ :

[من البسيط]

لَيْسَ الشُّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِرًا مِثْلَ الشُّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرِيَانَا

الشَّعْرُ لِلْفَرَزْدَقِ . وَالْغِنَاءُ لِلْمُعْتَمِدِ ، وَلَحْنُهُ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . هَذِهِ حِكَايَةُ الصُّوْلِيِّ . وَفِي غِنَاءِ عَرِيبٍ : لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَلَا أَعْلَمُ لِمَنْ هُوَ مِنْهُمَا عَلَى صِحَّةٍ ، إِلَّا أَنَّ الْمَشْهُورَ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَنَّهُ لِعَرِيبٍ . وَلَمْ أَسْمَعْ لِلْمُعْتَمِدِ غِنَاءً إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا .

[154] - ذكر بعض أخبار الفرزدق

في هذا الشعر خاصة دون غيره¹

لأن أخباره كثيرة جداً ، فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه ، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة ، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه .
[نسبه]

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشيع بن دارم بن مالك [بن حنظلة بن مالك] بن زيد مناة بن تميم .
[هو وجريرو والأخطل أشهر طبقات الإسلاميين]

وهو وجريرو والأخطل أشهر طبقات الإسلاميين والمقدم في الطبقة الأولى منهم . وأخباره تذكر مفردة في موضع آخر يتسع لها ، ونذكر هاهنا خبره في هذا المعنى . فأخبرني خبره في ذلك جماعة . فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي ، قال عمر بن شبة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي :

[حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير]

أن عبد الله بن الزبير تزوج ثماضير بنت منظور بن زيان ، وأمها مليكة بنت خارجة بن سينان بن أبي حارثة ، فخاصم الفرزدق امرأته النوار إلى ابن الزبير . هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السبب في الخصومة ، وذكرها عمر بن شبة ولم يروها عن أحد ، وذكرها ابن حبيب عن أصحابه ، وذكرها أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة : أن رجلاً من بني أمية خطب النوار بنت أعين المجاشعية ، فرضيته وجعلت أمرها إلى الفرزدق . فقال لها : أشهدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت ، واجتمع الناس لذلك . فتكلم الفرزدق ثم قال : أشهدوا أنني قد تزوجتها وأصدقته

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 471/1 وطبقات ابن سلام : 299-379 والموشح : 156 ، والسمط : 44 وابن خلكان : 86/6 والخزانة : 105/1 والشذرات : 141/1 والشرشي : 142/1 وشواهد المعنى : 4 وأمالى المرتضى : 43/1 ومراة الجنان : 234/1 وعبر الذهبي : 236/1 وسير الذهبي : 590/4 ومعاهد التنصيص : 45/1 والنجوم الزاهرة : 268/1 وسرح العيون : 389 ، 464 والبداية والنهاية : 265/9 ومعجم الأدباء : 2785/6-2788 .

كذا وكذا ، فأنا ابن عمها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النُّوارَ فأبته واستترت من الفرزدق وجزعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المِنقرِي . فقال فيها : [من الطويل]

بني عاصمٍ لا تلجئوها فإنكم مَلَجِيٌّ لِلسَّوَاتِ دُسْمُ الْعَمَائِمِ¹
بني عاصمٍ لو كان حياً أبوكُم لَلَامَ بَيْنَهُ الْيَوْمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ

فقالوا : والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلَنَّكِ غيلةً . فنافرته إلى عبد الله بن الزُّبَيْرِ وأرادت الخروج إليه ؛ فتحامى الناسُ كِرَاءَهَا . ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَيْرُ بْنُ ثعلبة وقوماً يُعرَفون ببني أُمِّ النُّسَيْرِ أَكروها ؛ فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن تقولَ بنو عَدِيٍّ أَلَيْسَتْ أُمُّ حَنْظَلَةَ النُّوَارِ
أَتَتَكُم يَا بَنِي مِلْكَانَ عَنِّي قَوَافٍ لَا تَقْسِمُهَا التُّجَارُ²

يعني بالنُّوَارِ هاهنا بنت جُلٍّ بن عَدِيٍّ بن عبد مَنَاة وهي أُمُّ حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَنَاة وهي إحدى جَدَّاته . وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

سَرَى بِالنُّوَارِ عَوْهَجِيٍّ يَسُوقُهُ عُبَيْدٌ قَصِيرُ الشُّبْرِ نَائِي الْأَقَارِبِ³
تَوْمٌ بِلَادَ الْأَمْنِ دَائِبَةُ السُّرَى إِلَى خَيْرِ وَالٍ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ
فَدُونُكَ عِرْسِي تَبْتَغِي نَقْضَ عَقْدَتِي وَابْطَالَ حَقِّي بِالْيَمِينِ الْكَوَاذِبِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

ولولا أن أُمِّي مِنْ عَدِيٍّ وَأَنِي كَارَةٌ سُخْطَ الرَّبَابِ
إِذَا لَأَتَى الدَّوَاهِي مِنْ قَرِيبٍ جِزَاءٌ غَيْرَ مُتَصَرِّفِ الْعِقَابِ
وَصُلْتُ عَلَى بَنِي مِلْكَانَ مَنِّي بِجَيْشٍ غَيْرِ مُتَنْظَرٍ إِلَّا يَابِ

وقال لزُهَيْرِ أيضاً : [من الوافر]

لبئسَ الْعِبَاءُ يَحْمِلُهُ زُهَيْرٌ عَلَى أَعْجَازِ صِرْمَتِهِ نَوَارُ⁴
لَقَدْ أَهَدْتُ وَلِيدَتُنَا إِلَيْكُمْ عَوَائِرَ لَا تَقْسِمُهَا التُّجَارُ⁵

1 دسمت عمائمهم : أي وسخت وقذرت .

2 البيت في الديوان 273/1 :

إِذَا لَأَتَى بَنِي مِلْكَانَ قَوْلٌ إِذَا مَا قِيلَ أَنْجَدَ ثُمَّ غَارَا

3 عَوْهَجِي : طويل العنق ، يريد جملاً . قصير الشبر : متقارب الخطو . نائي الأقارب : غريب بعيد عن أهله .

4 الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

5 عوائر : سوائر يعني قصائده .

وقال لبني أم النُسَيْر :
لَعَمْرِي لَقَدْ أَرَدَى النَّوَارَ وَسَاقَهَا
أَطَاعَتِ بَنِي أُمِّ النَّسِيرِ فَأَصْبَحَتْ
وَقَدْ سَخِطَتْ مِنِّي النَّوَارُ الَّذِي ارْتَضَى
وَإِنْ امْرَأً أَمْسَى تَحَبَّبَ زَوْجَتِي
وَمَنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأَسْوَدِ بَسَالَةً
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَالَمٍ
فَدُونَكُهَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا

[استشفعت النوار إلى ابن الزبير بامرأته فاستشفع هو بابنه حمزة]

فلما قَدِمَتْ مَكَّةَ نَزَلَتْ عَلَى بِنْتِ مَنْظُورِ بْنِ زَيْنَانَ ، وَاسْتَشْفَعَتْ بِهَا إِلَى زَوْجِهَا
عَبْدِ اللَّهِ . وَانْضَمَّ الْفَرَزْدَقُ إِلَى حِمْزَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأُمُّهُ بِنْتُ مَنْظُورٍ هَذِهِ ،
وَمَدَحَهُ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ قَدْ نَزَلْتَ بِحِمْزَةٍ حَاجَتِي
الْأَبْيَاتِ . وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

يَا حَمَزُ هَلْ لَكَ فِي ذِي حَاجَةٍ غَرِضْتُ
فَأَنْتَ أُخْرَى قَرِيشٍ أَنْ تَكُونَ لَهَا
بَيْنَ الْخَوَارِيِّ وَالصَّدِّيقِ فِي شُعْبٍ
هَذِهِ الْأَبْيَاتُ كُلُّهَا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي زَيْدٍ خَاصَّةً . قَالُوا جَمِيعاً : وَقَالَ فِي النَّوَارِ : [مَنْ الْوَافِرُ]
هَلُمِّي لِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِي
كَمَخْتَارٍ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارِ

وقال فيها أيضاً :

تُخَاصِمُنِي النَّوَارُ وَغَابَ فِيهَا
قَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَبْرِهِ خَاصَّةً : فَجَعَلَ أَمْرُ الْفَرَزْدَقِ يَضْعَفُ وَأَمْرُ النَّوَارِ يَقْوَى .

1 خفاف في الديوان ص 60/2 : قليل . النوار في الديوان 60/2 : نوار .

2 الشطر الثاني في الديوان 61/2 : على شارف ورقاء صعب ذلولها

3 ارتضى في الديوان 61/2 : ارتضت .

4 تحبب في الديوان 61/2 : يُحَبِّبُ . كاش في الديوان 61/2 : كساع .

5 وبسطة في الديوان 61/2 : وصولة .

6 غرض بالمكان : ملّ وضجر .

وقال الفرزدق :

[من البسيط]

أَمَا بَنُوهُ فَلَمْ تُقَبَّلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بْنِ زَيْنَا

صوت

ليس الشُّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَرِّراً مِثْلَ الشُّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُريَانَا

غنت في هذا البيت عَرِيبُ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ ، فبلغ ابنُ الزُّبَيْرِ هذا فدَعَا النُّوَارَ فقال : إِنْ شِئْتَ فَرَّقْتُ بَيْنَكُمَا وَقَتْلُهُ فَلَا يَهْجُونَا أَبَدًا ، وَإِنْ شِئْتَ سَيَّرْتَهُ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ . فقالت : مَا أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا . قال : فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكَ وَهُوَ فَيْلُكَ رَاغِبٌ ، أَفَأَزْوَجُهُ إِيَّاكَ ؟ قالت نعم . فزَوَّجَهُ إِيَّاهَا . فكان الفرزدق يقول : خَرَجْنَا مِتْبَاغَضَيْنِ وَرَجَعْنَا مِتْحَائَيْنِ .

[هدده ابن الزُّبَيْرِ وعيره جلاء قومه]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال قال عثمان بن سليمان : شَهِدْتُ الْفَرَزْدَقَ يَوْمَ نَازَعَ النُّوَارَ فَتَوَجَّهَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ ، فَاشْفَقَ مِنْ ذَلِكَ وَتَعَرَّضَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ ، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَدِيدًا . فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ : أَيَا أَلَامَ النَّاسِ ! ؟ وَهَلْ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا جَالِيَةُ الْعَرَبِ ! وَأَمَرَ بِهِ فَأُقِيمَ . وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : إِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانُوا وَثَبُوا عَلَى الْبَيْتِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فَاسْتَلَبُوهُ ؛ وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَيْهَا لَمَّا اتَّهَكَتْ مَا لَمْ يَنْتَهِكْهُ أَحَدٌ قَطُّ فَأَجْلَتْهَا مِنْ أَرْضِ تَهَامَةٍ . فَلَمَّا كَانَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَقِينِي الْفَرَزْدَقَ فَقَالَ : هَيْه ! أَيَعْبُرُنَا ابْنُ الزُّبَيْرِ جَلَاءَنَا عَنِ الْبَيْتِ ! اسْمَعْ ! ثُمَّ قَالَ :

[من الوافر]

فَإِنْ تَغَضَّبَ قَرِيشٌ ثُمَّ تَغَضَّبَ	فَإِنْ الْأَرْضُ تَرَعَاهَا تَمِيمٌ
هُمْ عَدَدُ النُّجُومِ وَكُلُّ حَيٍّ	سِوَاهُمْ لَا تُعَدُّ لَهُمْ نَجُومٌ
فَلَوْلَا بِنْتُ مُرٍّ مِنْ يَزَارٍ	لَمَّا صَحَّ الْمَنَابِتُ وَالْأَدِيمُ
بِهَا كَثُرَ الْعَدِيدُ وَطَابَ مِنْكُمْ	وَعَبْرَكُمْ أَحَدُ الرِّيشِ هِيمٌ ¹
فَمَهْلًا عَنْ تَذَلُّلٍ مَنْ عَزَزْتُمْ	بِخُولِيَّتِهِ وَعَزَّ بِهِ الْحَمِيمُ
أَعْبَدَ اللَّهُ مَهْلًا عَنْ أَذَاتِي	فَإِنِّي لَا الضَّعِيفَ وَلَا السَّوْؤُومُ
وَلَكِنِّي صَفَاةٌ لَمْ تُؤَيَّسْ	تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْهَا وَالْعَصُومُ ²

1 أخذ الریش : قصيره . والحيم : العطاش .

2 تؤیس : تكسر . قد يكون جمع عصم وهو جمع عصماء . والعصم الظباء .

أنا ابن العاقِرِ الخُورِ الصَّفَايا بصَوَّءَرَ حَيْثُ فَتَحَتْ الْعُكُومُ¹

وذكر الزُّبَيْرُ بن بَكَار عن عمه أن عبد الله بن الزُّبَيْرِ لما حكم على الفرزدق قال : إنما حكمتُ عليَّ بهذا لأفارقها فتشَبَّ عليها ؛ وأمرَ به فأقيم ، وقال له ما قال في بني تَمِيم . قال : ثم خرج عبد الله بن الزُّبَيْرِ إلى المسجد فرأى الفرزدقَ في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها ، فقبض ابن الزُّبَيْرِ على عنقه فكاد يَدُقُّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أصبحتُ عِرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو رضيتُ رَحِمَ اسْتِه لاستقرتِ
قال الزُّبَيْرُ : وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَيْرِ .

[ما كان بينه وبين ابن الزُّبَيْرِ]

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبِيب الشَّهِيد قال : قال ابن الزُّبَيْرِ للفرزدق : ما حاجتكُ بها وقد كرهتكَ ! كُنْ لها أكرهٌ وخلٌّ سبيلاً . فخرج وهو يقول . ما أمرني بطلاقها إلا لَيْشَبَ عليها . فبلغ ذلك ابنَ الزُّبَيْرِ فخرج وقد استهلَّ هلال ذي الحِجَّة وليس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحرام ، فألقى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة ، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحتُ عِرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو رضيتُ رَحِمَ اسْتِه لاستقرتِ
قال الزُّبَيْرُ : وهذا البيت لجعفر بن الزُّبَيْرِ .

[هجاه جعفر بن الزُّبَيْرِ فنهاه أخوه عن ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شُبَّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال : لما قال الفرزدق في ابن الزُّبَيْرِ :

أما بنوه فلم تُقبلْ شفاعتُهم وشُفِّعتْ بنتُ منظورٍ بن زَبَّانٍ
قال جعفر بن الزُّبَيْرِ :

ألا تِلْكُمُ عِرسُ الفرزدقِ جامعاً ولو رضيتُ رَحِمَ اسْتِه لاستقرتِ
فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أتُجزِئنا² كلباً من كلاب بني تَمِيم ! لئن عُدْتُ لم أَكَلِّمُكَ أبداً . قال : وتُماضِرُ التي عَناها الفرزدقُ أمْ خُبِيب وثابتُ ابني عبد الله بن الزُّبَيْرِ . وماتت عند عبد الله ، فتزوج أختها أمْ هاشم فولدت له هاشماً وحَمْزة وَعَبَّاداً .

1 الخور : جمع خوارة ، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء ، والجرول : الجماعة من الإبل . صَوَّءَرَ : ماء لكلب فوق الكوفة . العكوم : جمع عكمة وهو العِذل أو الكارة وهي وعاء الثياب أو الطعام .

2 أَجْزَرَتِ القوم : إذا أعطيتهم شاة يذبحونه .

قال : وفي أم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير ويشكو طول مقامه : [من الطويل]

تروحتِ الرُّكبانُ يا أمَّ هاشم وهنَّ مُناخاتٌ هنَّ حَينٌ
وخيسن حتى ليس فيهنَّ نافعٌ لبيعٍ ولا مَرَكُوبهنَّ سَمِينٌ¹

قال : وهذا يدل على أن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضير .

[لما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه]

فلما أذنت النوار لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم . فسأل : هل بمكة أحد يُعِينه ؟ فدُلَّ على سلم بن زياد . وكان ابنُ الزبير حَبسه ، فقال فيه :

[من الطويل]

دعي مُغَلِّقي الأبوابِ دونَ فعالمهم ومُرِّي تَمَشِّي بي ، هَبِلتِ ، إلى سلمٍ²
إلى من يرى المعروفَ سهلاً سبيله ويفعل أفعالَ الكرامِ التي تَنمي³

ثم دخل على سالم فأنشده . فقال له : هي لك ومثلها نفقتك ، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضها . فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفية : أعطني عشرين ألفاً وأنت محبوس ! فقال :

[من الطويل]

ألا بَكَرتِ عِرسي تَلومُ سَفاهةً على ما مضى مِنِّي وتَأمرُ بالبخلِ
فقلتُ لها والجودُ مِنِّي سَجِيَّةٌ وهل يَمنعُ المعروفَ سُوأله مثلي
ذَريني فَإني غيرُ تَارِكٍ شِيعتي ولا مُقَصِّرٍ عن السَّماحةِ والبذلِ
ولا طَارِدٍ ضِيفي إذا جاء طارِقاً فقد طَرَقَ الأضيافُ شِيعي من قبلي
أَبْخَل ! إن البخلَ ليس بمُخِلِدٍ ولا الجودُ يُدْنيني إلى الموتِ والقتلِ
أَبِيعَ بني حَرْبٍ بآلِ خُوَيْلِدٍ وما ذاكَ عِنْدَ اللَّهِ في البِيعِ بالعدلِ
وأشْري ابنَ مروانِ الخليفةَ طائِعاً بَنَجْلِ بني العَوَّامِ ! قُبْحٌ من نَجْلِ
فإن تُظْهِروا لي البخلَ آلَ خُوَيْلِدٍ فما دُلُّكم دَلِّي ولا شكُّكم شكلي
وإن تَقْهَرُوني حيث غابت عَشيرتي فمن عَجَبِ الأيامِ أن تَقْهَرُوا مثلي

1 خيسن : لم يسرحن .

2 ومري تمشي بي في الديوان 221/2 : ولكن تمضي لي .

3 وفي الصفحة نفسها من الديوان يكون الشطر الثاني : ويعقل أخلاق الرجال التي تنمي .

[لم تحسن النوار عشرته فتزوج عليها حدراء بنت زيق]

قال دَمَازٌ في خبره : ثم اصطالحا ورضيت به ، وساق إليها مهرها ودخل بها وأحبها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان في محمل . فكانت لا تزال تُشارُهُ وتخالفه ، لأنها كانت سالحةً حسنة الدين وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النوارُ : وَيْلَكَ ! تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بواله على عقيبها على مائة بعير ! . فقال الفرزدق يفضلها عليها ويُعيرها أنها كانت تربيها أمةً :

لَجَارِيَةٍ بَيْنَ السَّلِيلِ عُرُوقُهَا وَبَيْنَ أَبِي الصَّهْبَاءِ مِنْ آلِ خَالِدٍ¹
أَحَقُّ بِإِغْلَاءِ الْمُهَوَّرِ مِنَ الَّتِي رَبَّتْ وَهِيَ تَنْزُو فِي حُجُورِ الْوَلَائِدِ
ومدحها أيضاً فقال :

عَقِيلَةٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ تَرْفَعُهَا دَعَائِمٌ لِلْعُلَا مِنْ آلِ هَمَامٍ
مِنْ آلِ مُرَّةٍ بَيْنَ الْمُسْتَضَاءِ بِهِمْ مِنْ رَهْطِ صَيْدِ مَصَالِيَتٍ وَحُكَامٍ
بَيْنَ الْأَحَاوِصِ مِنْ كَلْبٍ مُرَكَّبُهَا وَبَيْنَ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِسْطَامٍ²
وقال أيضاً يمدحها ويعرض بالنوار :

لَعَمْرِي لِأَعْرَابِيَّةٍ فِي مِظَلَّةٍ تَظَلُّ بِأَعْلَى بَيْتِهَا الرِّيحُ تَخْفِقُ³
كَأَمْ غَزَالٍ أَوْ كَدَرَّةٍ غَائِصٍ إِذَا مَا أَتَتْ مِثْلَ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضِنَاكِ ضِفْنَةٍ إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْمِرَاوِحُ تَعْرِقُ⁴
فقال بعض باهلة يُجيبه :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غُولٍ مُغَوَّلَةٍ كَانَ حَافِرَهَا فِي الْحَدِّ ظَنْبُوبٌ⁵
تَسْتَرُوحُ الشَّاةَ مِنْ مِيلٍ إِذَا ذُبِحَتْ حُبُّ اللَّحَامِ كَمَا يَسْتَرُوحُ الذِّيبُ

1 أبو الصهباء : بسطام بن قيس . والسليل : السليل بن قيس أخو البسطام .

2 الأحاوِص : عوف وعمرو وشرح وربيعة أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .

3 مظلة : الخباء الكبير . بأعلى في ل : بروقي وكذلك في الديوان 55/2 .

4 الضناك : الضخمة من النساء . والصفنة : الحمقاء مع عظم خلق .

5 الظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم .

[هاجاه جرير باغراء النوار]

وأغضب الفرزدقُ النّوَارَ بمدحه إياها ، فقالت : والله لأخزيَنَّكَ يا فاسق ! وبعثت إلى جرير فجاءها ؛ فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكت إليه . فقال : [من الطويل]

فلا أنا مُعْطِي الحُكْمِ عَنْ شَيْفٍ مُنْصِبٍ ولا عن بنات الحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبٌ¹
وهنَّ كِأَنَّ الْمُزْنَ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وكانت مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ
لقد كنتُ أَهْلاً أَنْ تَسُوقَ دِيَاتِكُمْ إلى آلِ زَيْقٍ أَنْ يَعْيِيكَ عَائِبُ
وما عَدَلْتُ ذَاتُ الصَّلِيبِ ظَعِينَةً عَتِيَّةٌ وَالرَّدْفَانِ مِنْهَا وَحَاجِبُ²
أَلَا رُبَّمَا لَمْ نُعْطِ زَيْقاً بِحُكْمِهِ وأدَّى إلينا الحُكْمَ وَالْفُلُ لا زِبُ
حَوَيْنَا أَبَا زَيْقٍ وَزَيْقاً وَعَمَّهُ وَجَدَّةُ زَيْقٍ قَدْ حَوَتْهَا الْمَقَانِبُ³

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها :

أَلَسْتُ إِذِ الْقَعَسَاءُ أَنْسَلَ ظَهْرُهَا إلى آلِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بِخَاطِبِ⁴
فَنَلَّ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لُمَهُمْ بملكك من مَالٍ مُرَاحٍ وَعَارِزِ
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَكْفَاءِ حَدَرَاءٍ لَمْ تَلَمْ على دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
وإني لأخشى إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عليك التي لاقى يَسَارُ الكَوَاعِبِ

يَسَارٌ كَانَ عَبْدًا لِبَنِي غُدَانَةَ ، فَأَرَادَ مَوْلَاتُهُ عَلَى نَفْسِهَا ، فَهَتَتْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَأَلَحَّ فَوَعِدَتْهُ ، فَجَاءَ فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْخُزَكَ فَإِنْ رَائِحَتُكَ مَتَغَيَّرَتْ ؛ فَوَضَعَتْ تَحْتَهُ مِجْمَرَةً وَقَدْ أُعِدَّتْ لَهُ حَدِيدَةٌ حَادَّةٌ ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فَقَبِضَتْ عَلَى ذِكْرِهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ لَشَيْءٍ ، فَقَطَعَتْهُ بِالْمَوْسَى ؛ فَقَالَ : «صَبْرًا عَلَى مِجَامِرِ الْكِرَامِ»⁵ فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، عَادَ الشَّعْرُ : [من الطويل]

وَلَوْ قَبِلُوا مِنِّي عَطِيَّةَ سُقْتِهِ إلى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبِ⁶
هُمْ زَوَّجُوا قَبْلِي ضِرَارًا وَأَنْكَحُوا لَقَيْطًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمُنَاسِبِ

1 الشِّف : النقصان .

2 ذات الصليب : يريد بها حدراء . ظعينة : امرأة .

3 المقانب : جمع قنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

4 القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن .

5 مثل ، مجمع الأمثال 2/255 (طبعة صادر) .

6 عطية : هو أبو جرير . والمقارب : الدون .

ولو تُنكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها إذاً لنكحناهنَّ قبل الكواكبِ

وقال جرير :

يا زَيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْنًا بِاسْتِهِ حَمَمٌ
غاب المثنى فلم يَشْهَدْ نَجِيكُما
أَيْنَ الْأُلَى أَنْزَلُوا النعمانِ مُقْتَسِرًا
يا رَبُّ قَائِلَةٍ بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهَا
يا زَيْقُ وَيَحْكُ مَنْ أَنْكَحْتَ يا زَيْقُ
وَالْخَوْفَازُ وَلَمْ يَشْهَدْ مَفْرُوقُ
أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءِ شَيْبَانَ الْغَرانِقُ
لَا الصُّهْرُ راضٍ وَلَا ابْنُ الْقَيْنِ مَعْشُوقُ

وقال الفرزدق لجرير في هذا :

إِنْ كَانَ أَنْفُكَ قَدْ أَعْيَاكَ مَحْمَلُهُ
فَارْكَبْ أَتَانَكَ ثُمَّ اخْطُبْ إِلَى زَيْقِ

[رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبحاً فشاء بموتها]

قال : ولامه الحجاج وقال : أَتَزَوَّجَتِ ابْنَةُ نَصْرَانِي عَلَى مَائَةِ نَاقَةٍ ؟ قال : وما هي في جُودِ
الأمير ! قال : فاشتري الإبلَ وساقها . فلما كان في بعض الطريق ومعه أوفى بن خنزير أخذُ بني
التَّيْمِ بن شَيْبَانَ بن ثعلبة دليلاً رأى كبشاً مذبحاً ، فقال : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ! . قال :
مالك بذلك من علم ! . فلما بلغ قال له بعض قومها : هذا البيتُ فانزل ، وأما حدراء فهلكت .
وقد عرفنا الذي يُصيّبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا
أَرْزَأُ مِنْهُ قَطْمِيرًا ، وهذه صَدَقَّتْهَا¹ فاقْبِضُوهَا . فقال : يا بني دارم ! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم .
قال : وفي هذه القصة يقول الفرزدق :

عَجِبْتُ لِحَادِيْنَا الْمُقَحَّمِ سِيرِهِ
لِيَدْنِينَا مِمَّنْ إِلَيْنَا لِقَاؤُهُ
ولو يعلم الغيبُ الذي مِنْ أَمَانِنَا
يقولون زُرْ حَدْرَاءَ وَالثَّرْبُ دُونَهَا
وما مات عند ابنِ المِراغة مثْلُها
يقول ابنُ خَنْزِيرٍ بِكَيْتٍ وَلَمْ تَكُنْ
وَأَهْوَنُ رُزْءٍ لِامْرِئٍ غَيْرِ جَازِعٍ
بنا مُوجَفَاتٍ مِنْ كَلَالٍ وَظُلُمَا
حَبِيبٌ وَمِنْ دَارٍ أَرَدْنَا لَتَجْمَعَا
لَكَرَّ بِنَا حَادِيِ الْمَطِيِّ فَأَسْرَعَا
وكيف بشيء وصله قد تقطعا
ولا تَبِعْتَهُ ظَاعِنًا حَيْثُ وَدَّعَا
على امْرَأَةٍ عَيْنَا أَخِيكَ لَتُدْمَعَا
رَزِيَّةً مُرْتَجٍ الرُّوَادِفِ أَفْرَعَا

[استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله]

وقال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خَلِيفَةَ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنِي حَاجِبُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو الْغَرَّافِ قَالَا :

تزوج الفرزدق حَدرَاء بنت زَيْق بن بِسْطَام بن قَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجَدَيْن وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمَام بن مُرَّة بن ذُهَل بن شَيْبَان على حكم أبيها ، فاحتكم مائة من الإبل . فدخل على الحَجَّاج فعذله فقال : أتزوجتها على حكمها وحكم أبيها مائة بعير وهي نصرانية وجئتنا متعزّضاً أن نسوقها عنك ! اخرج ما لك عندنا شيء ! . فقال عَنبَسَة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعه : أيها الأمير ، إنها من حواشي إبل الصدقة ؛ فأمر له بها . فوثب عليه جرير فقال :

يا زَيْقُ قد كنتَ من شَيْبَانَ في حَسَبٍ يا زَيْقُ وَيَحْكُ مَنْ أَنْكَحْتَ يا زَيْقُ
أَنْكَحْتَ وَيَحْكُ قَيْنًا بِاسْتِهِ حَمَمٌ يا زَيْقُ وَيَحْكُ هل بارتُ بكِ السُّوقُ

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دَماذ .

[أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك]

قال ابن سَلَام : وأراد الفرزدق أن تُحْمَلَ ؛ فاعتلوا عليه وقالوا : ماتت ، كراهة أن يَهْتِكَ جريرُ أعراضهم . فقال جرير :

[من الطويل]

وأقسِم ما ماتت ولكنه التوى بخدرَاء قومٌ لم يَرَوْك لها أهلاً
رأوا أن صهرَ القَيْن عارٌ عليهمُ وأن لبِسطامٍ على غالبٍ فضلاً
إذا هي حَلَّتْ مُسْحَلَانٍ وحاربتُ بشَيْبَانَ لاقى القومُ من دونها شُغلاً¹

وحدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره . ومن ذلك قوله :

[من الطويل]

صوت

عَزَفَتْ بأعشاشٍ وما كِدَتْ تَعْرِفُ وأنكرت من حدرَاء ما كنتَ تعرفُ²
ولَجَّ بك الهجرانُ حتى كأنَّما ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألفُ
عروضه من الطويل . عزفت عن الشيء انصرفت عنه ، عزف يَعْرِفُ عَزُوفاً . الشعر للفرزدق . والغناء لسلسل ، ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لحنٌ للغريض من الثقيل الأول بالبنصر من رواية حَبَش .

[قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالاً حدثنا أبو سعيد السُّكْرِي قال حدثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال قال اليربوعي : قال إبراهيم بن

1 مسحلان : موضع في بلاد بني يربوع .

2 أعشاش : موضع في بلاد بني تميم .

محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري : قدِمَ الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان . قال : فإني والفرزدق وكثيراً لجلوسٍ في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلامٌ شخت¹ آدم في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصفرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومن أنت لا أم لك ؟ قال : رجل من بني الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم . بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعم مضر ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسان شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة ؛ فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذاب مُنتحل . ثم أنشده قول حسان : [من الطويل]

لنا الجفّناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيفُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
مَتَى مَا تَزُرْنَا مِنْ مَعَدٍّ عِصَابَةٍ وغسانَ نَمْنَعُ حَوْضَنَا أَنْ يُهْدِمًا
قيل إن قوله : «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معَدٍ :
أَبَى فَعَلْنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَا وقائلنا بِالْعُرْفِ إِلَّا تَكَلَّمَا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرِمِ بَنَّا خَالًا وَأَكْرِمِ بَنَّا ابْنَمَا
فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له : إني قد أجلتك فيها حولاً ، ثم انصرف . وانصرف
الفرزدقُ مُغَضَّباً يسحب رداءه ما يدري أيَّ طريق يسلكُ ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيرٌ عليّ فقال : قاتل الله الأنصاري ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! . قال : فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقيةً يومنا . حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيرٌ فجلس معي . فإنا لتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعري ما فعل ، إذ طلع علينا في حلة أفواف² يمانيةٍ موشاةٍ ، له غدِيرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاري ؟ قال : فإلنا منه وشتمناه . فقال : قاتله الله ! ما رُميتُ بمثله ولا سمعتُ بمثل شعره ! فارتكبا فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أصدُ وأصوبُ في كل فنٍ من الشعر ، فلكنائي مُفَحِّمٌ أو لم أقل قطُّ شعراً حتى نادى المنادي بالفجر ، فرحلتُ ناقتي ثم أخذتُ بزمامها فقدتها حتى أتيتُ ذيباً³ ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أخاكم أبا لبني ، وقال سعدان : أبا ليلى ! ، فجاش صدري كما يجيش المِرْجَل ، ثم عَقَلْتُ ناقتي وتوسدتُ ذراعها ؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً . فبينما هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا

1 الشخت : الدقيق الضامر أصلاً لا هزلاً .

2 الأفواف : جمع فُوف وهو القطن .

3 ذيباب : جبل بالمدينة .

فسلم ثم قال : أما إني لم آتِك لأعجلكَ عن الأجل الذي وقَّته لك ، ولكنِّي أحبيتُ ألا أراك إلا سألتُك عما صنعتُ . فقال : اجلس ، ثم أنشده :
[من الطويل]

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْرِفُ

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً . فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مَشِيخَةٍ من الأنصار ، فسلموا علينا وقالوا : يا أبا فِرَاس ، قد عرفتَ حللنا ومكاننا من رسول الله ﷺ ووصيته بنا . وقد بلغنا أن سفيهاً من سُفَهائنا تعرَّض لك ، فنسألك بالله لِمَا حَفِظْتَ فينا وصية النبي ﷺ ووهبتنا له ولم تفضَحنا . قال إبراهيم بن محمد : فأقبلتُ أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي .

قال : وقد كان جرير قال :
[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّرُوبُ الْمُكَلَّفُ أَفِقْ رُبَّمَا يَنَاقُ هَوَاكَ وَيُسَعِّفُ
ظَلَلْتَ وَقَدْ خَبَّرْتَ أَنَّ لَسْتَ جَازِعاً لِرَبْعِ بَسْلَمَانَيْنِ عَيْنُكَ تَذَرِفُ¹
فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نقيضة لها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

منها :
[من الطويل]

صوت

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَتَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرِمْ بَنَا خَالاً وَأَكْرِمْ بَنَا ابْنَمَا
عروضه من الطويل . الشعر لحسان بن ثابت . والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه .

[ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكُراني عن أبي عبد الرحمن الثَّقَفي ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة : أن نابغة بني ذبيان كان تُضرب له قُبَّة من آدم بِسُوقِ عَكَاظٍ يجتمع إليه فيها الشعراء ؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها :

قَدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ

[من البسيط]

حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخراً لتأتُم الهداة به كأنه علم في رأسه نارٌ
وإن صخراً لمولانا وسيّدنا وإن صخراً إذا نشئوا لنحارٌ
فقال : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس ! أنت والله أشعر من كل
ذات مثانة¹ . قالت : والله ومن كل ذي خُصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها .
قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفّنات الغرّ يلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
ولَدنا بنِي العَنْقاءِ وابْنِي محرّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنِما
فقال : إنك لشاعر لولا أنك قللتَ عدد جفّانك وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخرَ بمن
ولّدك . وفي رواية أخرى : فقال له : إنك قلت «الجفّنات» فقللتَ العدد ولو قلت «الجفان»
لكان أكثر . وقلت «يلمعن في الضُّحَى» ولو قلت «يبرقن بالدُّجَى» لكان أبلغ في المديح لأن
الضيف بالليل أكثر طُروقاً . وقلتُ «يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا» فدللتَ على قلة القتل ولو قلت
«يَجْرَيْنَ» لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخرَ بمن ولّدك . فقام
حسان منكسراً منقطعاً .

ومما يغنى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله :

صوت

ترى الناسَ ما سيرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
فيه رمل بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُرّيج ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .
أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن
رشيد الكلابي قال : وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو يُنشد : [من الطويل]
ترى الناسَ ما سيرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
فيه رَمَلٌ بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُرّيج ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي .
[اتصل بيتاً لجميل]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن
رشيد الكلابي قال : وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو يُنشد : [من الطويل]

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا
فَأُشْرِعَ إِلَيْهِ رَأْسُهُ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْبَيْتِ مِنْكَ . قَالَ : أَتَشُدُّكَ اللَّهُ يَا أَبَا
فِرَاسٍ ! . فَمَضَى الْفَرَزْدَقُ وَانْتَحَلَهُ .

[عَرَضَ هُوَ وَكَثِيرٌ كُلُّ مِنْهُمَا لِلْآخِرَةِ سَرَقَ بَيْتًا مِنْ جَمِيلٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي : أَنَّ الْفَرَزْدَقَ
لَقِيَ كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ : مَا أَشْعُرُكَ يَا كَثِيرُ فِي قَوْلِكَ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكُنَّا
تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
فَعَرَّضَ لَهُ بِسَرَقَتِهِ إِيَّاهُ مِنْ جَمِيلٍ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكُنَّا
تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ
فَقَالَ لَهُ كَثِيرُ : أَنْتَ يَا فَرَزْدَقُ أَشْعُرُ مِنِّي فِي قَوْلِكَ :

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا
قَالَ : وَهَذَا الْبَيْتُ لَجَمِيلٍ سَرَقَهُ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لِكَثِيرٍ : هَلْ كَانَتْ أُمُّكَ تَرُدُّ
الْبَصْرَةَ ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنْ أَبِي كَانَ نَزِيلًا لِأُمِّكَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : لَقِيَ الْفَرَزْدَقَ
كَثِيرًا بِقَارِعَةِ الْبَلَّاطِ وَأَنَا وَهُوَ نَمْشِي ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : يَا أَبَا صَخْرَ ! أَنْتَ أَنْسَبُ الْعَرَبِ
حَيْثُ تَقُولُ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكُنَّا
تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
قَالَ : وَأَنْتَ يَا أَبَا فِرَاسٍ أَفْخَرُ الْعَرَبِ حَيْثُ تَقُولُ :

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا
قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ جَمِيعًا لَجَمِيلٍ ، سَرَقَ أَحَدُهُمَا الْفَرَزْدَقُ ، وَسَرَقَ الْآخَرُ
كَثِيرُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : يَا أَبَا صَخْرَ ، هَلْ كَانَتْ أُمُّكَ تَرُدُّ الْبَصْرَةَ ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنْ أَبِي
كَانَ كَثِيرًا يَرُدُّهَا . قَالَ طَلْحَةُ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَعَجَّبْتُ مِنْ كَثِيرٍ وَجَوَابِهِ ، وَمَا رَأَيْتُ
أَحَدًا قَطُّ أَحَقَّ مِنْهُ ؛ لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشَ ، وَكُنَّا كَثِيرًا نَهْزَأُ بِهِ ، وَكَانَ
يَتَشَبَّهُ تَشَبُّهًا قَبِيحًا ، فَقُلْنَا لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا صَخْرَ ؟ فَقَالَ : بِخَيْرٍ . هَلْ سَمِعْتُمْ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ الدَّجَالُ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنِّي لِأَجِدُ فِي
عَيْنِي هَذِهِ ضَعْفًا مِنْذُ أَيَّامٍ ! .

ولجرير قصيدة يُناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبه : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الطُّرُوبُ الْمَكْلُفُ أَفَقُ رُبَّمَا يَنَائِي هَوَاكَ وَيُسَعِفُ
ظَلَّلْتَ وَقَدْ خَبَّرْتَ أَنَّ لَسْتَ جَازِعًا لَرَبْعِ بَسْلَمَانَيْنِ عَيْنُكَ تَذْرِفُ

الشعر لجرير . والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانه .
وقال حبش : فيه ثقيل أول بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث إلى سياقة حديث الفرزدق والنوار .

[تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعية]

قال دماذ : وتزوج الفرزدق على النوار امرأة من اليرابيع ، وهم بطن من النمر بن قاسط
حلفاء لبني الحارث بن عباد القيني ، وقد انتسبوا فيهم . فقالت له النوار : وما عسى أن تكون
القينية ؟ فقال : [من الطويل]

أَرْتَكْ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ زِحَامُ بَنَاتِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ
نَسَاءِ أَبُوهِنَّ الْأَغْرُ وَلَمْ تَكُنْ مِنْ أَلْحَتْ فِي أَجْبَاهَا وَهَدَادٍ
وَلَمْ يَكُنِ الْجَوْفُ الْغَمُوضُ مَحَلًّا وَلَا فِي الْمِجَارِيِّينَ رَهْطُ زِيَادٍ
أَبُوهَا الَّذِي أَدْنَى النُّعَامَةِ بَعْدَمَا أَبَتْ وَائِلٌ فِي الْحَرْبِ غَيْرَ تَمَادٍ

يعني بأبيها الذي أدنى النعامة الحارث بن عباد ، وأراد قوله :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النُّعَامَةِ مِنِّي

عَدَلْتُ بِهَا مَيْلَ النَّوَارِ فَأَصْبَحْتُ مُقَارِبَةً لِي بَعْدَ طَوْلِ بَعَادٍ
وَلَيْسَتْ وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي أُحِبُّهَا إِلَى دَارِمِيَّاتِ النَّجَارِ جِيَادٍ

وقال أبو عبيدة حدثني أعين بن لبطة قال : تزوج الفرزدق ، مضارة للنوار ، امرأة يقال لها
رُهَيْمَةُ بِنْتُ غَنِيمِ بْنِ دِرْهَمٍ مِنَ الْيَرَابِيعِ ، قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد .
وأما الحميضة من بني الحارث . فنافرتة الحميضة فاستعدت عليه . فأنكرها الفرزدق وقال :
أنا منها بريء ؛ وطلق ابنتها وقال : [من البسيط]

إِنْ الْحَمِيْضَةُ كَانَتْ لِي وَلَا بِنْتَهَا مِثْلَ الْهَرَاثَةِ بَيْنَ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ
إِذَا أَتَتْ أَهْلَهَا مِنِّي مُطْلَقَةً فَلَنْ أَرُدَّ عَلَيْهَا زَفْرَةَ النَّدَمِ

155- [غناء المعتضد]

مضى الحديث . ولم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكرتهم والذين لم أذكرهم . بعد
الوائق ، صنعة يُعتدُّ بها إلا المعتضد ، فإنه صنع صنعة متقنة عجيبة ، أبرت على صنعة سائر الخلفاء
سوى الواائق ، وفضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه . وإنما ذكرت صنعة من بينهما ، لأنها
قد رُويت ، فأما حقيقة الغناء الجيد فليس بينهما مثلهما . وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
صنعة المعتضد فقرطها ، وقال : لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن مُحَرِّز في
شعر مُسَافِر بن أبي عمرو وهو :

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ تَرَكَ الْمُنَى لِفَوَاتِهَا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانية ، ولحن ابن مُحَرِّز أيضاً في شعر كثير : [من المتقارب]

تَوَهَّمْتُ بِالْخَيْفِ رَسْمًا مُجِيزًا لِعِزَّةٍ تَعْرِفُ مِنْهُ الطُّلُولَا

وهو أيضاً يجمع ثمانية من النغم . وقد تلطف بعض من له دُرَّةٌ وحِذْقٌ بهذه الصناعة
حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت الأخير متواليه ، وجمعها في صوت آخر غير متواليه ،
وهو في شعر ابن هَرَمَةَ :

فَإِنَّكَ إِذْ أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ بِالرُّضَا وَأَيَّاسْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ

وأعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله ؛ فإنه صنع في رَجَزٍ دُرَيْدٍ بن الصُّمَّةِ
« يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ » لحناً من الثقيل الأول يجمع النغم العشر ، فأتى به مستوفى الصنعة
مُحَكَّمُ البناء ، صحيح الأجزاء والقسمه ، مُشَبَّعُ المقاصِل ، كثير الأدوار ، لاحقاً بجيد صنعة
الأوائل . وإنما زاد فضله على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جداً ، واستوفى
فيه الصنعة كلها على ضيق الوزن ، فصار أعجب مما تقدمه ، إذ تلك عُمِلَتْ في أوزان تامة
وأعاريض طوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقندر على كثرة التصرف ؛ وليس هذا الوزن
في تمكُّنه من ذلك فيه مثل تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من مجزوء الرجز]

يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَحْبُّ فِيهَا وَأَضَعُ¹

أَقْوَدُ وَطَفَاءُ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ²

الشعر لدُرَيْدٍ بن الصُّمَّةِ . والغناء للمعتضد ، ولحنه ثقيل أول يجمع النغم العشر .

* * * *

1 الجذع : الصغير السن . الخبب والوضع : نوعان من السير .

2 الزمع : شبه أظفار الغنم في الرسخ . وطفاء : كثيرة الشعر سابغة ، يريد فرساً . الصدع : من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتي الشاب القوي منها .

الفهرس

- [125] - ذكر أخبار كثير ونسبه 5
- [126] - أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر 31
- [127] - ذكر مُسافر ونسبه 38
- [128] - فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته 43
- [129] - الأرمال الثلاثة المختارة 48
- [130] - ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره 59
- [131] - أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة 78
- [132] - أخبار الأعشى ونسبه 80
- [133] - نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره 96
- 134 - [بعض أخبار لمغنين وشعراء] 97
- 135 - [مدن معبد] 102
- [136] - ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه 104
- [137] - ذكر الشماخ ونسبه وخبره 118
- [138] - ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره 133
- 139 - [من مدن معبد] 163
- [140] - ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر 168
- [141] - نسبة أصوات معبد في قتيلة 176
- [142] - نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدماً 178
- [143] - أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم 186
- [144] - ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره 189
- [145] - نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره 199
- 146 - [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز] 202
- 147 - [غناء الوليد بن يزيد] 204
- 148 - [غناء الواقف] 205
- 149 - [غناء المنتصر] ومن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر 223
- 150 - [غناء المعتز بالله] 227
- [151] - أخبار عدي بن الرقاع ونسبه 228
- [152] - أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جرى هذا المجرى 236
- 153 - [غناء المعتمد] 239
- [154] - ذكر بعض أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 240
- 155 - [غناء المعتضد] 255

كتاب العلاج

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعائين الأستاذ بكرة عباس

دار طائر

بيروت

کتابُ الْإِعْزَازِ

10

كتاب الغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد العاشر

دار طائر

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

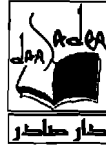
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[156] - أخبار دريد بن الصمة ونسبه¹

[نسبه]

هو دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ . واسم الصَّمَّةِ ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خزاعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دريد بن الصَّمَّةِ ، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سلام : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

[صفاته]

ودريد بن الصَّمَّةِ فارسٌ شجاعٌ شاعرٌ فحل ، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطولَ الفُرسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظُفراً ، وأيمنهم نقيية عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصَّمَّةِ .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصَّمَّةِ سيد بني جُشم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيية ، وغزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يُسلم ، وخرج مع قومه في يوم حُنين مُظاهراً للمُشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالكُ بن عوف من قبول مشورته .

وخالفه لئلا يكون له ذِكر ، فقتل دريد يومئذٍ على شريكه . وخبره يأتي بعد هذا .

[إخوته]

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفان ، وعبد يغوث قتله بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، أمهم جميعاً ربحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصَّمَّةُ سبها ثم تزوجها فأولدها بنيه . وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره² :

1 ترجمة دريد بن الصمة في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 635-638 والخزانة 11 : 118-121 والسمط : 39 والمعرين : 20 وأسماء المتالين : 223 وانظر شرح الحماسة للمرزوقي (أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 812 ومواضع متفرقة من أيام العرب في الجاهلية . وقد جمع شعره محمد خير البقاعي في ديوان صدر عن دار قتيبة (دمشق) .

2 سترد ترجمة عمرو بن معد يكرب فيما بعد ، قالوا : إن ربحانة كانت أخته أو زوجته ، وقيل بل هي موضع (الخزانة 8 : 182) .

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوْرُقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْعاً فَدَعْهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ¹

[ابنه وبنته شاعران]

وكان لدريد ابنٌ يقال له سَلَمَة ، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال :

[من الرجز]

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَرَسَّمَةٌ²
أَضْرِبَ بِالسِّيفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمَةِ

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمْرَة وكانت شاعرة ، ولها فيه مراثٍ كثيرة .

[شعره في الصبر]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزازي قال : حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خَلْف بن المَرْزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد يئنت³ رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصَّمَّة حيث يقول⁴ :

[من الطويل]

تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ! وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبَكَاءِ لَكِنْ يُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ
لِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ وَهَالِكِ الَّذِي عَلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى قَتِيلِ أَبِي بَكْرٍ⁵
وَعَبْدٍ يَغُوثُ أَوْ خَلِيلِي خَالِدِ وَعَزَّ مُصَاباً حَتُّوْ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ
أَبَى الْقَتْلِ إِلَّا آلُ صِمَّةٍ إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرِهِ وَالْقَدَرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
فَإِمَّا تَرَيْنَا مَا تَزَالُ دِمَاوَتَا لَدَى وَاتِرٍ يَشْقَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَإِنَّا لِلْحَمِّ السِّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنَلْحَمُهُ حِيناً وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ⁶

1 شيئاً في ل : أمراً .

2 سمادير : اسم أم سلمة امرأة دريد .

3 ل : أثبت .

4 ديوانه : القطعة 22 وشرح الحماسة (المزوقي) : 2 : 822-827 وفي روايته اختلاف .

5 قتيل بني أبي بكر هو قيس أخو دريد كما ذكر من قبل .

6 حيناً في ل : طورا . ونلحمه : نطعمه اللحم .

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرَيْنَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصِينَا ، أَوْ نُغَيِّرَ عَلَى وَتِرِ
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم
الأسدي عن صاعد مولى الكُميت بن زيد يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول
دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

[يوم اللوى ومقتل عبد الله بن الصمة]

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غطفان ومعه بنو
جُشَمَ وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى¹ ومضى بها .
ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دريد : يا أبا فرعان ، وكانت لعبد الله
ثلاث كنى : أبو فرعان ، وأبو ذُفافة ، وأبو أوفى ، وكلها قد ذكرها دريد في شعره : نشدتك الله
ألا تنزل فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها ، فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه² وينقع نقيعه³ ،
فيأكل ويُطعم ويُقسِم البقية بين أصحابه ، فبينما هم في ذلك وقد سطعت الدواخن ، إذا بغبار قد
ارتفع أشد من دخانهم ، وإذا عبس⁴ وفزارة وأشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم⁴ : انظر ماذا ترى ؟
فقال أرى قوماً جعاداً كأن سرايلهم قد غُمست في الجادي⁵ قال : تلك أشجع ، ليست
بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أستمهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة .
ثم نظر فقال : أرى قوماً أدماناً⁶ كأنما يحملون الجبل⁷ بسوادهم ، يخذون⁸ الأرض بأقدامهم
خدأً ، وَيَجْرُونَ رماحهم جَرّاً ، قال : تلك عبس⁹ والموت معهم ! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة
اللوى فاقتتلوا فقتل رجل من بني قارب وهم من بني عبس عبد الله بن الصمة فنادوا : قُتِلَ أَبُو
ذُفافة ! فعطف دريد فذب عنه فلم يُغْنِ شيئاً . وجرح دريد فسقط فكفوا عنه وهم يرون أنه
قُتِلَ ، واستنقذوا المال ونجا من هرب . فمر الزهدمان وهما من بني عبس ، وهما زهدم¹⁰ وقيس
ابنا حزن بن وهب بن رواحة وإنما قيل لهما الزهدمان تغليياً لأشهر الاسمين عليهما ، كما قيل

1 اللوى : واد لبني سليم .

2 المرباع : ربع الغنيمة وهو حظ الرئيس في الجاهلية .

3 النقع : ما ينقع في الماء وينصرف إلى النبيذ . والنقعة : جزور تنحر للأضياف .

4 الربيعة : الطليعة .

5 الجادي : الزعفران .

6 أدمان : جمع آدم وهو الأسمر .

7 ل : الأرض .

8 يخذون : يشقون .

العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والقمران للشمس والقمر . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسي يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انزل فانظر إلى سيته¹ هل ترمز² ؟ قال دريد : فسددت من حنارها³ أي من شرجها ، قال فنظر فقال : هيهات ، أي قد مات ، فولئني عني ، قال ومال بالزج في شرج دريد فطعنه فيه فسأل دمّ كان قد احتقن في جوفه ، قال دريد فعرفت الخيفة حينئذ فأمهلت ، حتى إذا كان الليل مشيت وأنا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما أكاد أبصر ، فجزت بجماعة تسير فدنلت فيهم ، فوقعت بين عرقوبي بعير ظمينة ، فنفر البعير فنادت : نعوذ بالله منك ، فانتسبت لها فأعلمت الحي بمكاني ، فغسل عني الدم وزودت زاداً وسقاء فنجوت . وزعم بعض الغطفانيين أن المرأة كانت فزارية وأن الحي كانوا علموا بمكانه فتركوه ، فداوته المرأة حتى برأ ولحق بقومه . قال : ثم حج كرم بعد ذلك في نفر من بني عبس ، فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفاً ، ومرّ بهم فأنكرهم ، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم ؟ فقال له كرم . عمّن تسأل ؟ فدفعه دريد ، وقال : أما عنك وعمّن معك فلا أسأل أبداً ، وعانقه ، وأهدى إليه فرساً وسلاحاً ، وقال له : هذا بما فعلت بي يوم اللوى .

وقال دريد يرثي أخاه عبد الله⁴ :

أرث جديداً الجبل من أمّ معبد
وبانت ولم أحمّد إليك جوارها
بعاقبة وأخلفت كل موعدي⁵
ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

وهي طويلة وفيها يقول :

أعاذلني كل امرئ وابن أمّه
أعاذل إن الرزء أمثال خالد
متاع كزاد الراكب المتزود
ولا رزء مما أهلك المرء عن يدي⁶
نصحت لعارض وأصحاب عارض
ورھط بني السوداء والقوم شهدي⁷

1 سيته : استه .

2 وترمز : تضطرب .

3 الحنار : ما أحاط بالشيء .

4 ديوانه : القصيدة 15 ، وفيه تخريج كاف لها .

5 بعاقبة : أي بآخرة .

6 ذكر أبو الفرج إخوة دريد ومنهم خالد وعبد الله . وقد روى التبريزي في شرح الحماسة أن عبد الله وعارضاً وخالداً ثلاثة أسماء لعبد الله (انظر حاشية محققي شرح المزدوقي ص 812) .

7 رھط بني السوداء : أصحاب عبد الله .

فقلتُ لهم ظنُّوا بألْفِي مدجَّجٌ
أمرتهمُ أمري بمنعرجِ اللوى
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى
وهل أنا إلا من غزيرةٍ إن غوتُ
دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه
تناذوا فقالوا أردتِ الخيلُ فارساً
فإن يكُ عبدُ الله خلَى مكانه
ولا برماً إذا الرياحُ تناوحتُ
نظرتُ إليه والرماحُ تنوشه
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبددتُ
فما رمتُ حتى خرقتني رماحهم
قتالُ امرئٍ وأسَى أخاه بنفسه
صبورٌ على وقعِ المصائبِ حافظٌ
في بعض هذه الأبيات غناء وهو :

سراتهمُ في الفارسيِّ المسردِ¹
فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى الغدِ
غوايتهم وأتني غيرُ مهتدِ
غويتُ ، وإن ترشدُ غزيرةً أرشدِ
فلما دعاني لم يجدني بقعدِ²
فقلتُ أعبدُ الله ذلكمُ الردي
فلم يكُ وقافاً ولا طائشَ اليدِ³
برطبِ العضاهِ والهشيمِ المعصدِ⁴
كوقعِ الصياصي في النسيجِ الممددِ⁵
وحتى علاني أشقرُ اللونِ مزبدِ⁶
وغودرتُ أكبو في القنا المتقصدي⁷
وأيقن أن المرءَ غيرُ مخلدِ
من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

[من الطويل]

صوت

[علي يمثّل بشعره]

أمرتهمُ أمري بمنعرجِ اللوى
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى
وهل أنا إلا من غزيرةٍ إن غوتُ

فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى الغدِ
غوايتهم وأتني غيرُ مهتدِ
غويتُ وإن ترشدُ غزيرةً أرشدِ

1 ظنوا : أيقنوا .

2 القعد : الجبان اللئيم الذي يقعد عن المكارم .

3 خلّى في ل : يخلّى .

4 البرم : الضجر . تناوحت الرياح : هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة ، وذلك آية الجذب .

5 الصياصي : جمع صيصية وهي شوكة الحائك .

6 في هذا البيت إقواء . ورواية الحماسة :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست وحتى علاني حالك اللون أسودي

7 المتقصّد : المتكسر .

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنصرفه من صفين .

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي قال حدثنا حسين بن نصر بن مزاحم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له ارجع عن أمر الحكمين وتب واعترف بأنك كفرت إذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه وفارقوه تمثل بقول دريد :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
الأبيات .

[عبد الله وأسماء وكناه]

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصمة ثلاثة أسماء وثلاث كنى : عبد الله ومعبد وخالد . ويكنى أبا ذفافة وأبا فرعان وأبا أوفى . وقال دريد¹ :

أبا ذفافة من للخيل إذ طردت فاضطرها الطعن في وعث وإيجاف²
يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شغلته كلتا اليدين دروراً غير وقاف³
[أفضل بيت في الصبر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة : [من الطويل]

قليل التشككي للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

[طلق زوجته لأنها عاتبه على بكائه أخاه]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء عن الزبير عن أبي المهاجر ، وذكر مثله أبو عمرو الشيباني ، أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها ، لأنها رأته شديد الجزع على أخيه ، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته ، فطلقها وقال فيها :

أرث جديداً الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعيد

1 ديوانه : القطعة 44 .

2 الوعث : الطريق الخشن . الإيجاف : سرعة السير .

3 دروراً في الديوان : كروراً .

وبانت ولم أحمَد إليك جوارها ولم ترجُ منا رِدَّةَ اليومِ أو غدٍ
 فقالت له أُمُّ معبد : بئسَ والله ما أثْنيتَ عليَّ : يا أبا قُرَّة ! لقد أطعمتُكَ مَأْدُومي ، وبَنَتُكَ
 مكثومي ، وأتيتُكَ بأهلاً¹ غيرَ ذاتِ صرار وما استقرمتُ قبلك إلا من حيص .
 وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبَّت أخاه فطلقها وألحقها
 بأهلها وقال في ذلك² :

أعبد الله إن سببتك عرسي تقدّم بعض لحمي قبل بعض
 إذا عرسُ امرئ شتمت أخاه فليس فؤادُ شاتئه بحمض³
 معاذ الله أن يشتمن رهطي وأن يملكن إيرامي ونقضي

[حارب يوم الغدير طلباً بثأر أخيه]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : أغار دريد بن
 الصّمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه ، فاستقراهم⁴ حياً حياً ، وقتل من
 بني عيس ساعداً بن مُرّ ، وأسّر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ، أسره مرةً بن
 عوف الجُشمي . فقالت بنو جُشم : لو فادينا⁵ ! فأبى ذلك دريد عليهم ، وقتله بأخيه
 عبد الله ، وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حيزام وإخوة له ، وأصاب جماعةً من بني
 مرةً ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي
 من قُتل فيه منهم يقول⁶ :

تأبّد من أهله معشرُ فجؤ سويقةً فالأصفر⁷
 فجزعُ الحليف إلى واسطٍ فذلك مبدئٌ وذا محضرُ
 فأبلغ سليمى وألفافها وقد يعطفُ النسبُ الأكبر⁸

- 1 الباهل : الناقة يصير ضرعها لثلاً يرضعها ولدها . والفرم : حشية الحيض أو ما تضيق به المرأة متاعها .
- 2 ديوانه : القطعة 38 .
- 3 فؤاد حامض : فاسد متغير .
- 4 استقراهم : تتبعهم .
- 5 فاداه : أطلقه مقابل فدية .
- 6 ديوانه : القطعة 30 .
- 7 تأبّد : أقفر .
- 8 ألفاف : قومها المجتمعون حولها ، مفردها إلف .

بأنّي ثأرتُ بإخوانكم وكنْتُ كَأَنّي بهم مُخْفِرٌ¹
صَبَحْنَا فَرَارَةً سُمِرَ الْقَنَا فَمَهْلًا فَرَارَةً لَا تَضْجَرُوا
وَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَازِنٍ فَكَيْفَ الْوَعِيدُ وَلَمْ تَقْرُرُوا
فَإِنْ تَقْتُلُوا فِتْيَةً أَفْرِدُوا أَصَابَهُمُ الْحَيْنُ أَوْ تَظْفَرُوا
فَإِنْ حِزَامًا لَدَى مَعْرَكٍ وَإِخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أَنْسُرُ
وَيَوْمَ يَزِيدُ بَنِي نَاشِبٍ وَقَبْلُ يَزِيدُكُمْ الْأَكْبَرُ
أَتَرْنَا صَرِيخَ بَنِي نَاشِبٍ وَرَهْطَ لَقِيْطٍ فَلَا تَفْخَرُوا
تَجُرُّ الضَّبَاعُ بِأَوْصَالِهِمْ وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا²

ويقول في ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى³ :

جَزَيْنَا بَنِي عَبَسٍ جَزَاءَ مَوْفَرًا بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ
وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَا بِذِي الرُّمَثِ وَالْأَرطَى عِيَاضَ بَنِ نَاشِبٍ⁴
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذَوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بَنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ

قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد دريد أن ينسب ذوآبَ بنِ أسماءَ إلى آدم . فلما بلغ المنشيد قوله :

وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَا بِذِي الرُّمَثِ وَالْأَرطَى عِيَاضَ بَنِ نَاشِبٍ
قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يُدْرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الواقعة⁵ :

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْ ضُمَّ أَجْمَعَا
ذَوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بَنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ مَنِئْثُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا⁶

1 مخفر : نقض عهده وغدره .

2 إشارة إلى قولهم إن الضبع إذا لقيت قتيلًا قد ورم ركبته غرموله ثم أكلته .

3 ديوانه : القطعة 1 والترتيب فيه مختلف .

4 الشطر الثاني في رواية الديوان : وعبساً قتلناهم بحر بلادهم . سواد الليل في الديوان : جنان الليل . والرُمث والأرطى : نباتان ، وذو الأرطى : موضع .

5 ديوانه : القطعة 40 .

6 أجرى إليها : قصد إليها . أوضع : إلباض ، ضرب من السير .

فتى مثلَ متنِ السيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرَّذِينِيَّ أَرْوَعاً¹

وقال ابن الكلبي : قالت ربحانة بنت معد يكرّب لدريد بن الصّمة بعد حولٍ من مقتل أخيه : يا بني إنّ كنتَ عجزتَ عن طلب الثّار بأخيك فاستغنِ بخالك وعشيرته من زبيد ، فأنيّف من ذلك وحلّف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمسّ طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمرأ حتى يُدرِكَ ثاره ، فغزا هذه الغزاة وجاءها بدؤاب بن أسماء فقتله بغنائها ، وقال : هل بلغتُ ما في نفسك ! قالت : نعم مُتعتُ بك ! ورويّ عن ابن الكلبي لربحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تحضُرني وقد كتبتُ خبرها .

[مقتل أخيه قيس بن الصّمة]

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصّمة ، قتله بنو أبي بكر بن كلاب . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دماذ عن أبي عبيدة ، أنه غزا في قومه بني خزاعة من بني جُشَم ، فأغاروا على إبلٍ لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب ، فانطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كلاب في طلبها حتى إذا دنوا منهم قال عمرو بن سُفيان الكلابي ، وكان حازماً عاقلاً ، امكثوا ، ومضى هو متكرراً حتى لقيَ رجلاً من بني خزاعة فسلم عليه واستسقاها فسقاها وانتسب له هلالياً ، فسأله عن قومه وأين مرعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم ، فخبّره الرجل بكل ما أراد ، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغيته ، فصيح القوم فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصّمة ، وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا إبلهم . وكان يقال لعمرو بن سُفيان ذو السّيفين ، لأنه كان يلقي الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدهما . وإياه عني دريد بن الصّمة بقوله² :

[من البسيط]

إن امرأً باتَ عمرو بين صيرمته	عمرو بن سُفيان ذو السّيفين مغرور ³
يا آلَ سُفيانَ ما بالي والكُمُو	هل تنتهون وباقي القولِ مأثور ⁴ ؟
يا آلَ سُفيانَ ما بالي والكُمُو	أنتم كبيرٌ وفي الأحلامِ عُصفورُ

1 متن في ل : نصل .

2 الديوان : القصيدة 29 وفيه اختلاف كبير في الترتيب والرواية .

3 الصرمة : القطيع من الإبل أو الغنم .

4 في الديوان بيت غير هذا :

يا آل سُفيان إني قد شهدتكُم أيام أمكم حمراء مشيرُ

والمشير : البطرة .

هَلَّا نَهَيْتُمْ أَهْلَكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ إِذْ تَشْرَبُونَ وَغَاوِي الْخَمْرِ مَدْحُورٌ ؟
 لَا أَعْرِفَنَّ لِمَةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةٍ تَدْعُو كِلَاباً وَفِيهَا الرِّيحُ مَكْسُورٌ
 لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتَكُمْ شَرْفًا عُقْبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُحْجُ الْمَخَاصِيرُ¹

[الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان]

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس الزبيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : أغارت بنو عامر بن صعصعة وبني جُشَمَ بن معاوية على أسدٍ وغطفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللّحية مُتَسَانِدِينَ ، فدريد على بني جُشَمَ بن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بني عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه : إني غير مُعْطِيكَ الرِّيَاسَةَ ، ولكن لي في هذا اليوم شأنًا . ثم اشترك عبدُ الله وشراحيلُ بن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نَعَمَ بني أسدٍ ستين وأصاب القوم ما شأوا . وأدرك رجلٌ من بني جَزِيمَةَ عبدَ الله بن الصِّمَّةَ فقال له عبد الله بن الصِّمَّةَ : ارجع فإني كنتُ شاركتُ شراحيلَ بن سفيان ، فإن استطاع دريد فليأتِه وليأخذ مالي منه . وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو : ارتحل بالناس قبل أن يأتِيكَ الصُّرَاخُ² ، فقال : إني أنتظر أخي عبدَ الله . حتى إذا أطل عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارسَ من الحُلَيْفِيِّينَ يسوقون بَطْعَهُمْ فقتلوه . فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل : إن عبد الله أنبأني ولم يكنيني قَطُّ أن له شِرْكََةً مع شراحيلَ فأدوا إلينا شِرْكَته . فقالوا له : ما شاركناه قط . فقال دريد : ما أنا بتارككم حتى أستحلفكم عند ذي الخَلَصَةِ (وثن من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبدُ الله بغنيمة عظيمة فجاءوه ينشدونه الشُّرْكَ . فقال لهم دريد : أَلَمْ أَحْلِفْكُمْ حين ظننتم أن عبد الله قد قُتِلَ . فقالوا : ما حلفنا وجعلوا يُنَاشِدُونَ عبدَ الله أن يُعْطِيَهُمْ ، فقال : لا ، حتى يرضى دريدٌ ، فأبى أن يرضى فتوعَّدوه أن يسرقوا إبله . فقال دريد في ذلك :

[من البسيط]

هَلْ مِثْلُ قَلْبِكَ فِي الْأَهْوَاءِ مَعْدُورٌ وَالْحَبُّ بَعْدَ مَشْيِبِ الْمَرْءِ مَغْرُورٌ
 وَذَكَرَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي الْخَبَرِ قَبْلَ هَذَا وَزَادَ فِيهَا :

[من البسيط]

إِذَا غَلَبْتُمْ صَدِيقًا تَبْطِشُونَ بِهِ كَمَا تَهْدِمُ فِي الْمَاءِ الْجَمَاهِيرُ³

1 الفحج : جمع أفحج أو فحجاء ، والفحج : تباعد ما بين أوساط السائقين في الإنسان والدواب . والمخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره . وفي الديوان : المخاصر .

2 الصراخ : الاستغاثة وفي ل : الصرخاء .

3 الجماهير : الرمال الكثيرة التراكمه .

وَأَنْتُمْ مَعَشَرٌ فِي عِرْقِكُمْ شَنْجٌ بُرْخُ الظُّهُورِ فِي الْأَسْتَاوِ تَأْخِيرٌ¹
 قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمْ إِذَا تَقَبَّضَ فِي الْبَطْنِ الْمَذَاكِيرُ²
 وَقَدْ أُرْوَعُ سَوَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً بِالْجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشُّعْتُ الْمَغَاوِرُ
 يَحْمِلُنْ كُلُّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ وَتَحْتَهُمْ شُرْبٌ قُبٌّ مَضَامِيرُ³
 أَوْعَدْتُمُو إِبِلِي كَلًّا سَيَمْنَعُهَا بَنُو غَزِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ⁴

[مقتل أخيه عبد يغوث]

وأما عبد يغوث بن الصمة وخبر مقتله فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصّادر فقتلوه .
 قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمِّعٌ بن مُزَاحِمٍ أخو شَجَنَةَ بن مُزَاحِمٍ وهو من بني
 يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دريد بن الصّمة⁵ :

[من البسيط]

أَبْلِغْ نُعِيمًا وَأَوْفَى إِنْ لَقَيْتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌّ
 فَمَا أَخِي بِأَخِي سَوْءٌ فَيَنْقُصُهُ إِذَا تَقَارَبَ بَابِنِ الصَّادِرِ الْقِسْمُ
 وَلَنْ يَزَالَ شِهَابًا يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي الْمَقَانِبَ مَا لَمْ تَهْلِكِ الصَّمُّ⁶
 عَارِي الْأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ أَمْرُ الزُّعَامَةِ ، فِي عِرْنِيهِ شَمٌّ⁷

[مقتل أخيه خالد بن الصّمة]

قال أبو عبيدة : أما قوله «أَوْ نَدِيمِي خَالِد» ، فإنه يعني خالد بن الصّمة ؛ فإن بني
 الحارث بن كعب غَزَت بني جُشَم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوه فقتلت بنو الحارث
 خالد بن الصّمة ، وإياه عنى . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث⁸ الذي عناه دريد

- 1 العرق : الأصل . الشنج : التقلص والتقبض . برخ الظهر : تقاعس الظهر وبروز أسفل البطن . أي هم مشوهو الأجسام .
- 2 أي من الخوف .
- 3 الهجان : الكريم . الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس . والقب : جمع أقب وهم من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .
- 4 ميل : جمع أميل وهو الجبان أو الذي لا رح له . الصور : جمع أصور وهو المائل العنق . وفي الديوان : ولا عور .
- 5 ديوانه : القطعة 62 .
- 6 المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة وفي عددها خلاف : (30-40 ، دون 100 ، نحو 300) . الصمم : جمع صمة وهو الشجاع .
- 7 الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، واحدها أشجع .
- 8 كان أولى أن يقول «خالد الذي عناه دريد . . .» .

هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس¹ (بطن من شنوءة) وكان دريد بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلهم وأموالهم وسبى نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه ، رماه رجل² منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه³ :

يا خالداً خالد الأيسار والنادي وخالد الرّيح إذ هبّت بصرّاد⁴
وخالد القول والفعل المعيش به وخالد الحرب إذ عَضَّتْ بأزّاد⁵
وخالد الرّكب إذ جدّ السّفار بهم وخالد الحيّ لما ضنّ بالزاد
وقال أبو عبيدة : قال دريد يرثي أخاه خالداً⁶ :

أميم أجدي عافي الرّزء واجشمي وشدي على رزء ضلوعك وأباسي
حرام عليها أن ترى في حياتها كمثل أيّ جعدٍ فعودي أو اجلسي
أعف وأجدي نائلاً لَعَشيرة وأكرم مخلوّد لدى كلّ مجلس
والين منه صفحة لَعَشيرة وخيراً أبا ضيف وخيراً لمجلس
تقول هلالاً خارج من غمامة إذا جاء يجري في شليل وقونس⁷
يشدّ متون الأقربين بهاؤه ويخبط نفس الشانئ المتعبس
وليس بمكباب إذا الليل جئته نووم إذا ما أدلجوا في المعرس⁸
ولكنه مدلاج ليل إذا سرى يُندّ سراه كلّ هادٍ ممّلس⁹
هذه رواية أبي عبيدة .

[يوم ثيل]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قُتل في غارة أغارتها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم

1 ديوانه : القطعة 18 .

2 الصراد : غيم رقيق لا ماء فيه .

3 الأزراد : الدروع . وفي رواية «غصت بأوراد» جمع ورد . وهو القطيع من الطير والجيش على التشبيه .

4 ديوانه : القطعة 35 .

5 الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . القونس : أعلى بيضة الحديد وقيل مقدمها .

6 مكباب : كثير النظر إلى الأرض .

7 في الديوان : عملس وهو القوي الشديد على السفر .

ثيل¹ ، فأصابوا ناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جُشَمَ فلحقوهم ، ورئيس بني جُشَمَ يومئذ مالك بن حَزَن ، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر ، فأصابوا ذا القرن الحارثي أسيراً وفقوا عينَ شهاب بن أبان الحارثي بسهم ، وقتل يومئذ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن ، وأصاب بنو جُشَمَ منهم ناساً ، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذ شهاب بن أبان ، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم ؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة ، ولما قُدِّمَ لَتَضْرِبَ عُنُقَهُ ، صاح بأوس بن الصمة ، وكان له صديقاً ، ولم يكن أوس حاضراً ، فلم ينفعه ذلك ، وقتل . فلما قَدِمَ أوسٌ غضِبَ وقال : أقتلتم رجلاً استجار باسمي ؟ فقال عوف بن معاوية في ذلك :

نُبِّئْتُ أَوْسًا بَكى ذَا الْقَرْنِ إِذْ شَرِبَا عَلَى عُكَاظٍ بَكَاءَ غَالٍ مَجْهُودِي
إِنِّي حَلَفْتُ بِمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ وَمَا ذَبَحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ السُّودِ
لَتَبْكِينَ قَبِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا إِنِّي رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

[خدع بالزواج بامرأة ثيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة ، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيباً ، وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها (أي حَزَّهما ولم يقطعهما) فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال² :

أَقْرَ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدِيهَا وَمَا إِنْ تُعَصَّبَانِ عَلَى خِيضَابٍ
فَأُبْقَاهُنَّ أَنْ لَهْنٌ جَدًّا وَوَأَقِيَّةٌ كَوَاقِيَةِ الْكَلَابِ³

قالوا : يريد أن الكلب يُصَيِّه الجُرْحَ فَيَلْحَسَ نفسه فيبرأ .

[بينه وبين عياض الثعلبي]

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أَسَرَّ دريد بن الصمة عِيَاضَ الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيه . فقال له :

1 لعلها يوم ثيل وهو ماء قرب النباح كانت به وقعة مشهورة « ياقوت » .

2 ديوانه : القطعة 8 .

3 المثل واقية كواقية الكلاب في مجمع الميداني 2 : 364 (المثل 4364) وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 166 . قال الميداني : «واقية كواقية الكلاب على أولادها ، وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها» . وقال الثعالبي (ثمار القلوب رقم 632) يضرب مثلاً للخصيس إذا كان موقى واستشهد بييتي دريد هذين .

إِيَّتِ رَحْلَكَ حَتَّى أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِثَوَابِكَ ؛ فَانصَرَفَ دَرِيدٌ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِوَطْبٍ¹ نَصْفَهُ لَبَنٍ وَنَصْفَهُ بُولٍ . فَغَضِبَ دَرِيدٌ وَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَغَارَ عَلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَأَقَ إِبِلَ عِيَاضٍ ، وَأَفْلَتَ عِيَاضٌ مِنْهُ جَرِيحًا ؛ فَقَالَ دَرِيدٌ فِي ذَلِكَ مِنْ قَصِيدَةٍ² :

[من الطويل]

فَإِنْ تَنْجُ يَدْمَى عَارِضَاكَ فَإِنَّا تَرَكْنَا بَنِيكَ لِلضُّبَاعِ وَلِلرُّحَمِ
جَزَيْتُ عِيَاضًا كَفَرَهُ وَعُقُوقَهُ وَأَخْرَجْتُهُ مِنَ الْمُدْفَأَةِ الدُّهْمِ³
أَلَا هَلْ أَتَاهُ مَا رَكَبْنَا سَرَاتَهُم وَمَا قَدْ عَقَرْنَا مِنْ صَفِيِّ⁴ وَمِنْ قَرَمِ⁴

[هجا عبد الله بن جُدعان ثم مدحه]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : هَجَا دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ التَّيْمِيَّ تَيْمَ قَرِيشٍ فَقَالَ⁵ :

[من البسيط]

هَلْ بِالْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ أَمْ بَابِنِ جُدْعَانَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ كَلْبٍ
اسْتُحِمَتْ وَهِيَ فِي عَيْكِمِ رَبَّتِهِ فِي يَوْمٍ حَرٌّ شَدِيدُ الشَّرِّ وَالْهَرَبِ⁶
إِذَا لَقِيتَ بَنِي حَرْبٍ وَإِخْوَتَهُم لَا يَأْكُلُونَ عَطِيقَ الْجِلْدِ وَالْأَهْبِ⁷
لَا يَنْكَلُونَ وَلَا تُشْوِي رِمَاحُهُم مِنْ الْكُمَاةِ ذَوِي الْأَبْدَانِ وَالْجُجَبِ⁸
فَاقْعُدْ بَطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرَصَّدُنِي إِذَا تَلَبَّسَ مِنْكَ الْعَرَضُ بِالْحَقَبِ⁹
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقْرِ ظَلٍّ يَرِصُدُهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا بِجَنْبِ الْمَرْجِ مِنْ خَرَبِ¹⁰

قَالَ : فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ بِعُكَاظٍ فَحْيَاهُ وَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي يَا دَرِيدُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ :

1 وطب : وعاء للبن من جلد .

2 ديوانه : القطعة 58 .

3 المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم .

4 الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . القرم : الفعل .

5 ديوانه : القطعة 3 .

6 حمت : متين . عكم : عدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالجلال . الشر في ل : الشل .

7 العطين : الجلد المدبوغ .

8 تشوي : تصيب الشوى (الأطراف) ولا تقتل . الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . الجب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .

9 وسط في ل : حول . العرض هنا : الجسد ، والحقب : شيء تعلق به المرأة حليها وتجعله في وسطها .

10 المرج : لعلها المرخ وهو شجر سريع الوري يقتدح به . خرب : ذكر الحبارى أو الحبارى كلها .

فَلِمَ هَجَوْتَنِي ؟ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ . قَالَ : هَجَوْتُكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ امْرَأً كَرِيماً ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضْعَ شَعْرِي مَوْضِعَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لِمَنْ كُنْتَ هَجَوْتَ لَقَدْ مَدَحْتَ ؛ وَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ عَلَى نَاقَةٍ بَرَحِلِهَا . فَقَالَ دَرِيدٌ يَمْدَحُهُ ¹ :

[من المتقارب]

إِلَيْكَ ابْنَ جُدْعَانَ أَعْمَلْتُهَا	مَخْفُفَةً لِلسُّرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تُلَاقِيَ امْرَأً	جَوَادَ الرُّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ	يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْحَطَبِ
وَجَلَسْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى	شَبِيهَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سَوْى مَلِكٍ شَامِخٍ مَلِكُهُ	لَهُ الْبَحْرُ يَجْرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

[تهاجيه الخنساء]

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ لَمْ يَتَجَاوِزْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَحَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَةَ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمَغِيرَةِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ الْمَرْزِيَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ نَوْبَةَ عَنْ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا ثَعْلَبُ بْنُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَقَدْ جَمَعْتُ أَخْبَارَهُمْ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، أَنَّ دَرِيدَ بْنَ الصَّمَةِ مَرَّ بِالْخَنْسَاءِ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ، وَهِيَ تَهْنَأُ بَعِيراً لَهَا وَقَدْ تَبَذَّلَتْ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ نَضَّتْ عَنْهَا ثِيَابَهَا فَاغْتَسَلَتْ وَدَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ يَرَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِهِ فَأَعْجَبَتْهُ ؛ فَانْصَرَفَ إِلَى رَحْلِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ ² :

[من الكامل]

حَيُّوا تُمَاضِيرَ وَارْبِعُوا صَحْبِي	وَقِفُّوا فَإِنْ وَقُوفُكُمْ حَسْبِي
أَخْنَأَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ	وَأَصَابَهُ تَبَلُّ مِنْ الْحُبِّ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ	كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنُقِي جُرْبِ
مَتَبَذَّلًا تَبَدُّو مُحَاسِنُهُ	يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ ³
مَتَحَسَّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ	نَضَحَ الْعَبِيرِ بِرِيطَةِ الْعَصَبِ

1 ديوانه : القطعة 4 .

2 ديوانه : القطعة 5 .

3 الهناء : القطران . النقب : المواضع المتفرقة من الجرب .

فَسَلِيهِمْ عَنِّي خَنَاسُ إِذَا عَضَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي
 قالوا : وتُماضِرُ اسمُها . والخنساء لقبٌ غلبَ عليها ، فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها
 إليه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قرّة ! إنك للكريم لا يُطعن في حسبه ، والسيد لا يُردُّ عن
 حاجته ، والفحل لا يُقرع أنفه . وقال أبو عبيدة خاصة مكان «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن
 في عيبه» ، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة . ثم دخل
 إليها وقال لها : يا خنساء ، أذاك فارسُ هوازن وسيد بني جُشم دريد بن الصمة يخطبك وهو
 من تعلمين ، ودريد يسمع قولهما . فقالت : يا أبت ، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي
 الرماح وناكحة شيخ بني جُشم هامة اليوم أو غدٍ ! . فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد
 امتنعت ، ولعلها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولكما ، وانصرف . هذه رواية من
 ذكرتُ . وقال ابن الكلبي : قالت لأبيها : أنظرنني حتى أثار نفسي ، ثم بعثت خلفَ دريد
 وليدةً فقالت لها : انظري دريداً إذا بال ، فإن وجدت بولّه قد خرق الأرض فقيه بقيه ، وإن
 وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فأتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت : وجدت
 بولّه قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاد دريد أباه فعاودها فقالت له هذه المقالة
 المذكورة ، ثم أنشأت تقول² :

أَتخطُبني ، هُبِلَتْ ، على دُرَيْدٍ وقد أَطَرَدَتْ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ³
 مَعَاذَ اللَّهِ يَنْكِحُنِي حَبْرَكِي يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بَكْرِ⁴
 ولو أُمْسِيتُ في جُشَمٍ هَدِيّاً لقد أُمْسِيتُ في دَنَسٍ وَفَقْرٍ⁵
 فغَضِبَ دريد من قولها وقال يهجوها⁶ :

وقالَ اللَّهُ يا ابْنَةَ آلِ عَمْرٍو من الْفَتَيَانِ أُمثَالِي وَنَفْسِي
 فلا تَلِدِي ولا يَنْكِحْكُ مثلي إذا ما لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بَنَحْسِ

1 المثل في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري : 389 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 77 وفيه أن المخاطب هو أخوها معاوية بن عمرو كما يدل البيت الأول من القطعة
 فيه ، وهو أقرب إلى الصواب إذ يستبعد أن تخاطب أباه بالدعاء عليه . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر في ترجمة
 الخنساء فيما بعد .

3 أطردت : أمرت بطرد . الشطر الثاني في الديوان : أتكهنني . . . وقد أحرمت .

4 الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين .

5 الهدى : العروس .

6 ديوانه : القصيدة 34 .

لقد عَلِمَ الْمَرَضِيُّ فِي جُمَادَى إِذَا اسْتَعَجَلْنَ عَنْ حَزْءِ بَنَهْسٍ¹
بَأْنِي لَا أُبَيْتُ بِغَيْرِ لَحْمٍ وَأَبْدَأُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أُمْسِي
وَأُنِي لَا يَنَالُ الْحَيُّ ضَيْفِي وَلَا جَارِي يَبِيْتُ خَيْثَ نَفْسٍ²
إِذَا عَقَبُ الْقُدُورِ تَكُنَّ مَالاً تَحْتُ حَلَائِلَ الْأَبْرَامِ عِرْسِي³
وَأَصْفَرَ مِنْ قِدَاحِ النَّبَعِ صُلْبٍ خَفِيَّ الْوَسْمِ فِي ضَرْسٍ وَلَمْسٍ⁴
دَفَعْتُ إِلَى الْمُفِيضِ إِذَا اسْتَقْلُوا عَلَى الرُّكَبَاتِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ⁵
فَإِنْ أَكْدَى فَتَامِكَةً تُؤَدِّي وَإِنْ أَرَسِي فَإِنِّي غَيْرُ نِكْسٍ⁶
وَتَزْعُمُ أَنَّنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهَلْ خَبَّرْتُهَا أَنِّي ابْنُ أُمْسٍ
تَرِيدُ شَرَبَتْ الْقَدَمِينَ شُشْنًا يُيَادِرُ بِالْجَدَائِرِ كُلِّ كِرْسٍ⁷
وَمَا قَصُرْتُ يَدِي عَنْ عَظْمٍ أُهُمُّ بِهِ وَلَا سَهْمِي بِنِكْسٍ
وَمَا أَنَا بِالْمَرْجِيِّ حِينَ يَسْمُو عَظِيمٌ فِي الْأُمُورِ وَلَا بُوَهْسٍ⁸
قال : فقيل للخنساء : ألا تجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه .

[آخر أبياته]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما أسنّ دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أمةً تخدمه ، فكانت إذا أرادت أن تبعد في حاجة قيّده بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يا دريد ؟ فأنشأ يقول⁹ : [من البسيط]
أصبحتُ أقذفُ أهدافَ المنون كما يرمي الدريئة أدنى فوقَ الوترِ¹⁰

1 الحز : القطع . النهس : انتزاع اللحم عن العظم بمقدم الأسنان .

2 ينال في ل : يشاوي . وفي الأمالي : وأني لا يمر الضيف كلي .

3 عقب القدور : ما التصق بها من الطعام . تحث : تعجل . الأبرام : جمع برم وهو اللثيم أو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .

4 ضرس السهم : عجمه .

5 المفيض : الضارب بالقداح .

6 أكدي : أخفق ولم يصب . تامكة : ناقة عظيمة السنام أو السنام نفسه . نكس : ضعيف لا خير فيه .

7 الشرنيت والششن : الغليظ . الجدائر : جمع جديرة وهي الخطيرة . كرس : متراكب .

8 المزعجي : الملتصق بالقوم وليس منهم ، الناقص المروءة ، البخيل . الوهس : الدليل .

9 ديوانه : القطعة 23 .

10 الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي . والفوقة : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

فِي مَنْصَفٍ مِنْ مَدَى تَسْعِينَ مِنْ مِائَةٍ كَرَمِيَةِ الْكَاعِبِ الْعَذْرَاءِ بِالْحَجَرِ¹
 فِي مَنْزِلٍ نَازِحٍ مِ الْحَيِّ مُتَبَذِّ كَمَرَبَطِ الْعَيْرِ لَا أَدْعَى إِلَى خَبَرِ
 كَأَنَّنِي خَرَبٌ قُصَّتْ قَوَادِمُهُ أَوْ جُئْتُ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِيرِ²
 يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا مَنِّي عَزِيمَةً أَمْرٍ مَا خَلَا كَيْبَرِي
 وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَعْتُ وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوِي وَمِنْ عُمْرِي
 وَأَنْتِي رَابِنِي قَيْدٌ حَيْسْتُ بِهِ وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشِّي عَلَى أَثَرِي
 إِنْ السَّيْنِ إِذَا قَرَيْنَ مِنْ مِائَةٍ لَوَيْنَ مِرَّةً أَحْوَالٍ عَلَى مِرَرِ³

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أَسَنَنْتَ وضعف جسمك وقتل أهلك وفني شبابك ، ولا مال لك ولا عُدَّة ، فعلى أي شيء تعول إن طال بك العمر أو على أي شيء تُخَلِّفُ أهلك إن قُتِلْتَ ؟ فقال دريد⁴ : [من الوافر]

صوت

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي رَكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
 مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلَّ جَسْمِي وَأَفْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النُّجَادِ
 أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِ تِلَادِ
 أَعَاذَلُ عُذَّتِي بَدَنِي وَرُحْمِي وَكُلُّ مُقْلَصٍ شَكِسَ الْقِيَادِ⁵
 وَيَقْبِي بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمر بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ في مجرى البِنْصَرِ عن إسحاق . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّ لَابْنَ سُرَيْجٍ فِيهَا ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ . وَخَلَطَ الْمَغْنُونُ بِهَذَا الشَّعْرَ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرْبَ فِي هَذَيْنِ اللَّحْنَيْنِ :

أَرِيدُ حَيَاتَهُ وَيَرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

1 منصف الشيء : وسطه .

2 قصت في ل : حُصَّتْ . والخرب : ذكر الحباري . خصر في الديوان : هصر : أي حيوان مفترس .

3 المرة : طاقة الحبل .

4 ديوانه : القطعة 19 .

5 البدنة : الدرع . والمقلص : الفرس الطويل القوائم الضامر البطن .

ولو لاقيتني ومعى سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد

[قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم]

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه : قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غدرًا ،
وأسروا ابن عم له ؛ فغزاهم دريد بيني نصر فأوقع بيني يربوع وبني سعد جميعاً ، فقتل
فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب ؛ وقال فيهم¹ : [من الوافر]

دعوت الحى نصرأ فاستهلوا	بشبان ذوي كرم وشيب
على جريد كأمثال السعالي	ورجل مثل أهمية الكيب ²
فما جنبوا ولكننا نصبنا	صدور الشرعية للقلوب ³
فكم غادرن من كاب صريع	يمج نجيع جائف ذنوب ⁴
وتلكم عادة لبني رباب	إذا ما كان موت من قريب
فأجلوا والسؤام لنا مباح	وكل كريمة خود عروب
وقد ترك ابن كعب في مكر	حيساً بين ضيعان وذيب

[أبو شاعر]

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعراً ، وهو الذي يقول في حرب الفجار التي
كانت بينهم وبين قريش :

لاقت قريش غداة العقيد	ق أمراً لها وجدته وبيل
وجئنا إليهم كموج الأتي	يعلو النجاد ويملا المسيل ⁵
وأعددت للحرب خيفانة	ورحاً طويلاً وسيفاً صقيلا ⁶
ومحكممة من دروع القيرو	ن تسمع للسير فيها صليلا

[أخوه مالك شاعر]

قال : وكان أخوه مالك بن الصمة شاعراً ؛ وهو القائل يرثي أخاه خالدًا : [من الكامل]

1 ديوانه : القطعة 6 .

2 أهمية في ل : أهيلة .

3 الشرعية : هنا الرماح الطويلة .

4 الجائفة : الطعنة التي تنفذ إلى الجوف . الذنوب : طويلة الشر والأذى .

5 الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى .

6 الخيفانة : الفرس .

أُبْنِي غَزِيَّةً إِنْ شِلُوْا مَا جِداً وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعٌ كَرَكْرَكٌ¹
لَا تَسْقِنِي يَدَيْكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمِسْ بِالْخَيْلِ بَيْنَ هُبُولَةٍ فَالْقَرَقَرِ²

[تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال : تحالف دريد بن الصَّمة ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتوثقا إِنْ هَلَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ يَرِثِيهِ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يَطْلُبَ بَثَّارَهُ³ . فَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ، قَتَلَهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّي . فَرثَاهُ دَرِيدٌ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَاهَا⁴ :

أَلَا هَبْتُ تَلُومُ بَغِيرَ قَدَرٍ وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
وَلَا تَتْرُكِي لَوَيْي سَفَاهاً تَلُمُكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصْرِ
وفيهما يقول :

فَإِنَّ الرُّزْءَ يَوْمٌ وَقَفْتُ أَدْعُو فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لِأَتَاكَ يَسْعَى حَيْثُ السَّعْيِ أَوْ لِأَتَاكَ يَجْرِي⁵
بَشِيقَةٍ حَازِمٍ لَا غَمَزَ فِيهِ إِذَا لَيْسَ الْكُمَاةُ جُلُودَ نِمِرٍ⁶
عَرَفْتُ مَكَانَهُ فَعَطَفْتُ زَوْرًا وَأَيْنَ مَكَانُ زَوْرٍ يَا ابْنَ بَكْرِ⁷
عَلَى إِرْمٍ وَأَحْجَارٍ ثِقَالٍ وَأَغْصَانٍ مِنَ السَّلَامَاتِ سُمرٍ⁸
وَبُنْيَانٍ الْقُبُورِ أَتَى عَلَيْهَا طَوَالَ الدَّهْرِ شَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ

[خرفه]

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقف عارضُ الجُشَمِيِّ عَلَى دَرِيدٍ وَقَدْ خَرِفَ وَهُوَ عُرْيَانٌ وَهُوَ يَكُومُ كُومَ بَطْطَحَاءٍ⁹ بَيْنَ رِجْلَيْهِ يَلْعَبُ

1 الشلو هنا : الجسد . كركر : موضع .

2 هبولة والقرقر : موضعان .

3 ل : بدمه .

4 ديوانه : القصيدة 25 وهناك اختلاف في الترتيب والرواية كبير .

5 يسعى في ل : ركضاً .

6 الشكة : السلاح . المثل «لبست (لبس) له جلد النمر» في مجمع الميداني 2 : 180 ومستقصى الزمخشري 28

7 : 178 وفصل المقال : 480 .

8 الزور : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جملة .

9 إرم : حجارة تنصب علماً في المفازة .

البطحاء هنا : الحجارة الصغيرة .

بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه دريد إليه وقال : [من الرجز]

كَأَنَّنِي رَأْسُ حَصْنٍ فِي يَوْمٍ غَيِمٍ وَدُجْنٍ¹
يَا لَيْتَنِي عَهْدَ زَمَنْ أَنْفَضُ رَأْسِي وَذَقَنْ
كَأَنَّنِي فَحْلُ حُصْنٍ أُرْسِلَ فِي حَبْلٍ عَنْنٍ
أُرْسِلَ كَالطَّبْيِ الْأَرْنِ الصَّقَ أَذْنًا بِأَذْنٍ

قال : ثم سَقَطَ ؛ فقال له عارضٌ : انهض دريد ! فقال :

لَا نَهْضَ فِي مِثْلِ زَمَانِي الْأَوَّلِ مُحَنَّبَ السَّاقِ شَدِيدَ الْأَعْصَلِ²
ضَخَمَ الْكَرَادِيسَ خَمِيصَ الْأَشْكَالِ ذِي حَنْجَرٍ رَحْبٍ وَصُلْبٍ أَعْدَلِ³

[خروجه في حرب حنين]

حدثنا محمد بن جرير الطَّبْرِي قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهري عن عبيد الله بن عبد الله قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أقام بها خمسَ عشرة ليلةً يقصُر الصلاة ، وكان فتحها في عشر ليالٍ بَقِيْنَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو⁴ بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازنُ جَمَعَهَا مالِك بن عمرو بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمعت إليه ثَقِيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بني هلال ، وغابت عنها كعبٌ وِكْلَاب ، فجمعت نصرٌ وجُشَم وسعدٌ وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جُشَم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فإنَّ ليس فيه شيءٌ إلا التَّيْمُنُ برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف في الأحلاف قاربٌ بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ، وجماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالكُ المسيرَ حَطَّ مع الناس أُمُوالَهُمْ وأبناءَهُمْ ونساءَهُمْ . فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصمة في شجارٍ⁵ له يُقَاد به . فقال لهم دريد : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نَعَمْ مجالُ الخيل ، ليس بِالْحَزْنِ الضَّرْس ولا السَّهْلِ الدَّهْس⁶ . ما لي أسمع رُغَاءَ الإبل ونَهيقَ الحمير وبكاءَ الصغير

1 حَضْن : اسم جبل . ودُجْن : جمع دَجَنَة وهي الظلمة .

2 مُحَنَّب السَّاق : معوجها ، وهو أشدُّ لها . والأَعْصَل : المعوج الصلْب من كل شيء . يقال ناب أَعْصَل .

3 الْكَرَادِيس : جمع كَرْدوس وهو كل عظم تام ضخم . خَمِيص الأشْكَال : رقيق الخاصرة .

4 ل : أبو عمرو .

5 شجار : مركب أصغر من المودج .

6 الضَّرْس : الصعب . والدَّهْس : اللين .

وَتُغَاءُ الشَّاءُ ؟ ! قَالُوا : سَاقُ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أُنْبَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأُمُورَهُمْ . فَقَالَ :
 أَيْنَ مَالِكُ ؟ فَدُعِيَ لَهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا الْيَوْمُ
 كَاتِنٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ ! . مَا لِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ وَنَهْيَ الْحَمِيرِ وَبَكَاءَ الصَّبِيَّانِ وَتُغَاءَ
 الشَّاءِ ؟ ! قَالَ : سَقَتْ مَعَ النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَأُنْبَاءَهُمْ وَأُمُورَهُمْ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ
 أَجْعَلَ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ . قَالَ : فَانْقَضَ بِهِ وَبِخَهُ وَلامَهُ ، ثُمَّ قَالَ : رَاعِي
 ضَاْنٍ وَاللَّهِ (أَيُّ أَحْمَقَ) ¹ ! وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ ! إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ
 وَرِجْمِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فَضِيحَتٌ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ . ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلْتَ كَعَبٌ وَكِلاَبٌ ؟
 قَالَ : لَمْ يَشْهَدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ . قَالَ : غَابَ الْحَدُّ وَالْجِدُّ ! لَوْ كَانَ يَوْمٌ عِلَاءٌ وَرَفْعَةٌ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ
 كَعَبٌ وَكِلاَبٌ ! وَلَوْ دِدْتُ أَنْكُمْ فَعَلْتُمْ مِثْلَ مَا فَعَلُوا . فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْهُمْ ؟ قَالُوا : بَنُو عَمْرِو بْنِ
 عَامِرٍ وَبَنُو عَوْفٍ بْنِ عَامِرٍ . قَالَ : ذَانِكَ الْجَدْعَانِ ² مِنْ عَامِرٍ لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَّانِ . ثُمَّ قَالَ :
 يَا مَالِكُ إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ ³ بِيَضَّةِ هَوَازِنَ إِلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئاً . أَرَفَعَهُمْ إِلَى أَعْلَى
 بِلَادِهِمْ وَعَلِيَاءِ قَوْمِهِمْ ثُمَّ اتَّقَى الْقَوْمُ بِالرِّجَالِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِيقُ بَكٍ مِّنْ
 وَرَاءِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ وَلَمْ تُفْضَحْ فِي حَرِيمِكَ . قَالَ : لَا
 وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَداً ! إِنَّكَ قَدْ خَرَفْتَ وَخَرَفَ رَأْيُكَ وَعِلْمُكَ . وَاللَّهِ لَتُطِيعَنِي يَا مَعْشَرَ
 هَوَازِنَ أَوْ لَا تُكَيِّنَنَّ عَلَيَّ هَذَا السَّيْفَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي ، فَنفِيسٌ عَلَى دَرِيدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 فِي ذَلِكَ ذِكْرٌ وَرَأْيٌ ، فَقَالُوا لَهُ : أَطْعَمَكَ وَخَالَفْنَا دَرِيداً . فَقَالَ دَرِيدٌ : هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ
 أَغِبْ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ ⁴ :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعٌ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ ⁵
 أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ ⁶

قَالَ : فَلَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَتَاوا الطَّائِفَ وَمَعَهُم مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ،
 وَعَسْكَرُ بَعْضِهِمْ بِأَوْطَاسٍ وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةٍ ⁷ ، وَتَبَعَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَلَكَ

1 المثل [أجهل من] راعي ضأن في مجمع الميداني 1 : 189 والدرة الفاخرة : 1 : 107 .

2 الجدع : الشاب الحدث .

3 بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .

4 ديوانه : القطعة 42 .

5 يعني يسير كالخيل الشابة في عدوها الخفيف والسريع .

6 وطفاء الزمع : كناية عن فرس طويلة شعر الرسخ كأنها شاة قوية فتية . والصدع : الفتى الشاب القوي من
 الأوعال والظباء والإبل والحرمر .

7 نخلة : المراد نخلة اليمانية ، وهي واد .

نخلة ، فأدرك ربيعة بن رُفيع السُّلَمي أحد بني يربوع بن سمال¹ بن عوف دريد بن الصِّمَّة فأخذ
بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شجار له ، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير
ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أَقْتُلْكَ . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا
ربيعة بن رُفيع السُّلَمي . فأنشأ دريد يقول² :

وَيْحَ ابْنِ أَكْمَةَ مَاذَا يُرِيدُ مِنْ الْمُرْعَشِ الذَّاهِبِ الْأَدْرَدِ³
فَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّ بِي قُوَّةٌ لَوَلَّتْ فِرَائِصُهُ تُرْعَدُ
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي أَلَا تَكُونُ مَعِيَ قُوَّةُ الشَّارِخِ الْأَمْرَدِ⁴

ثم ضربه السُّلَمي بسيفه فلم يُغنِ شيئاً . فقال له : بقس ما سلَّحتك أمك ! خذ سيفي هذا
من مؤخر رحلي في القِرَابِ فاضرب به وارفع عن العظام واخفِض عن الدُّمَاغِ ، فإنني كذلك
كنتُ أفعل بالرجال⁵ ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصِّمَّة ، فربُّ يومٍ قد
منعتُ فيه نساءك ! . فزعمت بنو سُلَيم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقط فانكشف ،
فإذا عجائنه وبطن فخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعة إلى أمه
أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له : لقد أعتق قتيْلُك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله ﷺ في
آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمهم الله جلَّ
وعزَّ وفتح عليه . فیزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله
(يعني أبا عامر) .

فقال عمره بنت دريد تراثه :

جَزَى عَنَّا إِلَاهُ بَنِي سُلَيمٍ وَأَعْقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقِ⁶
وَأَسْقَانَا إِذَا سَرْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِهِمْ يَوْمَ التَّلَاقِ
فَرُبُّ مُنَوِّهِ بِكَ مِنْ سُلَيمٍ أُجِيبَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقِ⁷
وَرُبُّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتَ مِنَ الْوُثَاقِ

1 ل : سماك .

2 ديوانه : القطعة 20 .

3 ابن أكمة : في سيرة ابن هشام (2 : 852) أن ربيعة ابن رفيع يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، ويقال ابن لدغة .

4 الشارخ في ل : الشامخ . والشارخ : الشاب .

5 ل : أضرب الرجال .

6 عقاق : مبني على الكسر ، العقوق .

7 الرماق : ما يمسك الرمح .

وقالت عمرة ترثيه أيضاً :

[من البسيط]

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدقوا
لولا الذي قهر الأقوامَ كلهم
إذاً لصبّحهم غيماً وظاهرة
وظلّ دمعِي على الخدينِ يَبتدرُ
رأتُ سُلَيْمَ وكَعْبَ كيفَ تَأْتِمِرُ
حيثُ استقرَّ نواهم جَحْفَلُ ذِفَرُ¹

[قوله في بني الحارث وجواب عبدالله بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب مترجمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يَأْثُرُه عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي : كان دريد بن الصّمة يوماً يشرب مع نفرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفافة ، وكان يُكنى بأبي ذُفافة وبأبي قرة ، أينجو بنو الحارث بن كعبٍ منك وقد قتلوا أحاك خالداً ؟! فقال لهم : إن القوم جَمرةٌ² مَذْجِج ، وهم أكفَاء جُشَم ، ولا يَجْمَل بي هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه ، فقال³ :

[من الرمل]

يا بنسي الحارثِ أنتم مَعشَرٌ
ولكم خيلٌ عليها فتيةٌ
ليس في الأرضِ قَبِيلٌ مثلكم
لستُ للصّمةِ إن لم آتكم
فَنَقَرُ العينِ منكم مرةً
وتُرى نَجْرانُ منكم بَلَقَعاً
فانظروها كالسّعالِي شُزْباً
زَنَدُكم وارٍ وفي الحربِ بُهَمٌ⁴
كأسودِ الغابِ يَحْمِينُ الأَجَمُ
حينَ يَرَفُضُ العِدا غَيْرَ جُشَمٍ
بالخناذِذِ تبارى في اللّجَمِ⁵
بانبعاثِ الحُرِّ نوحاً تَلْتَدِمُ⁶
غَيْرَ شَمِطاءٍ وطفلي قد يَتِمُ
قَبْلَ رأسِ الحَوْلِ إن لم أُخْتَرَمُ

قال : فَنَحْيِ قولُهُ إلى عبد الله بن عبد المدان ، فقال يُجيبه :

[من البسيط]

تُبَيِّتُ أن دُرَيْداً ظِلٌّ مُعْتَرِضاً
كالكلبِ يَعْوِي إلى بِيءاءٍ مُقْفِرَةٍ
يُهْدِي الوَعِيدَ إلى نَجْرانٍ من حَضَنٍ⁷
من ذا يُوَاعِدُنَا بالحربِ لم يَجِنِ⁸

1 الذفر : متغير الرائحة .

2 جمره : أهل منعة وشدة يصيرون للقتال دون أن يحالفوا غيرهم .

3 ديوانه : القطعة 64 .

4 بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .

5 الخناذِذ : جِياذ الخيل ، واحداً خنذِذ .

6 تلتدم : تضرب صدرها في النياحة .

7 حضن : جبل بنجد .

8 لم يَجِن : لم يهلك .

إِن تَلَقَى حَيَّ بَنِي الدِّيَّانِ تَلَقَهُمْ
 وَما كان في الناس للدِّيَّانِ من شَبِيهِ
 أَغْضَضُ جَفَوْنَكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ
 نَحْنُ الَّذِينَ تَرَكْنَا خَالِدًا عَطِيًّا
 إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ أَنْجَادًا شَرَامِحَةً
 أَوْزَى زِيَادًا لَنَا زَنْدًا وَوَالِدُنَا
 شَمُّ الْأَنْوَفِ إِلَيْهِمْ عِزَّةُ الْيَمَنِ
 إِلَّا رُعَيْنٌ وَإِلَّا آلُ ذِي يَزَنِ
 نَحْنُ الَّذِينَ سَبَقْنَا النَّاسَ بِالْأَمَنِ
 وَسَطَ الْعَجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
 بِيضَ الْوَجْوِ مَرَايِدًا عَلَى الزَّمَنِ¹
 عَبْدُ الْمَدَانِ وَأَوْزَى زَنْدَهُ قَطَنُ²

[حمى أسماء بن زنباع ظليته منه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال : أغار دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه ظليته زينب ، فأحاطوا به ليتزعموها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ، ثم اختلف هو ودريد طعتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ، وانهزم دريد ولحق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك³ :

شَلْتُ يَمِينِي وَلَا أَشْرَبُ مَعْتَقَةً
 إِذْ أَخْطَأُ الْمَوْتَ أَسْمَاءُ بِنُ زَنْبَاعِ

قال : وهي قصيدة .

[قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي وي زيد بن عبد المدان]

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يآثره عن محمد بن السائب الكلبي قال : جاور رجل من ثُمالة عبد الله بن الصِّمَّةِ ، فهلك عبد الله وأقام الرجل في جوار دريد . وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جُشَمَ ، فأصاب مالَ الثُمالي وأصاب ناساً من ثُمالة كانوا جيранاً لدُرَيْدٍ ؛ فكفَّ دريدٌ عن طلب القوم وشغل بحرب من يليه ، وقال لجاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال الثُمالي : قد أمهلتك عامين .

وخرج دريدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُمالي ، فسمعه يقول : [من الطويل]

كَسَاكَ دُرَيْدُ الدَّهْرَ ثَوْبَ خَزَايَةٍ
 وَجَدَّعَكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنْسُ
 دَعِ الْخَيْلَ وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ لَخْثَمِ
 فَمَا أَنْتَ وَالرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ

1 الشراعة : جمع شرح وهو القوي والطويل .

2 في هذا البيت إقواء .

3 هذا البيت في الديوان : رقم 39 .

وما أنت والغزو المتابع للعدا
وهمك سوق العود والدلو والمرس¹
فلو كان عبد الله حياً لردها
وما أصبحت عرسي بأشقى معيشة
ولا أصبحت عرسي بأشقى معيشة
يراعي نجوم الليل من بعد هجعة
وكنْتُ وعبدُ الله حيٌّ وما أرى
فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده
إلى الصبح محزوناً يطاوله النفس
أبالي من الأعداء من قام أو جلس
وهل من نكير بعد حولين تلتَمِسُ

قال : فضاق دريدٌ ذرعاً بقوله ، وشاور أولي الرأي من قومه ؛ فقالوا له : ارحل إلى يزيد بن عبد المدان ؛ فإن أنساً قد خلف المالَ والعيالَ بنجرانَ للحرب التي وقعت بين خثعم ، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دريد : بل أقدمُ إليه قبل ذلك مِدْحَةً ثم أنظر ما موقعي من الرجل ، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها إلى يزيد² :

بني الدِّيَّانِ رُدُّوا مالَ جاري
ورُدُّوا السَّيِّ إن شتُمَ بمنَّ³
فأنتم أهلُ عائِدةٍ وفضلٍ
متى ما تمنعوا شيئاً فليست
وحربُكمُ بني الدِّيَّانِ حربٌ
وجارتكم بني الدِّيَّانِ بسلٍّ³
حذا عبدُ المدانِ لكم حِذاء
بني الدِّيَّانِ إن بني زيادٍ
فأولوني بني الدِّيَّانِ خيراً

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حقُّ الرجل ! فبعث إليه أن أقدم علينا . فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إني رأيتُ منكم خِصالاً لم أرها من أحد من قومكم : إني رأيتُ أبنيتكم متفرقة ، ونتاجَ خيلكم قليلاً ، وسرْحَكم يجيء مُعْتَمًا ، وصبيانكم يَتَضَاعُونَ من غير جوع . قال : أجل ! أما قلةُ نتاجنا فيتاجُ هوازِنَ يكفيننا وأما تفرُّقُ

1 العود : المسنن من الإبل . والمرس : الحبل .

2 ديوانه : القطعة 49 .

3 بسل : حرام .

أبنتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء صبياننا فإننا نبدأ بالخيل قبل العيال . وأما تمسنا بالنعم فإن
 فينا الغرائب والأرامل ، تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على
 يزيد ، فقال شيخ منهم :

أَتَتِكَ السَّلامَةُ فَارْعَ النُّعْمَ وَلَا تَقْلِرِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
 وَسَرَّحْ دُرَيْدًا بُنِعِمَى جُشَمَ وَإِنْ سَأَلَكَ الْمَرْءُ إِحْدَى الْقُعْمِ

فقال له دُرَيْد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا نَسْرَحُ ولا نَصْطَبِحُ حتى
 يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمره مَذْجَج . ورد يزيد عليه الأسارى من
 قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلِّني ما شئت ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال دريد في
 ذلك¹ :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ	فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ فِتْنَى مُمْتَدَحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ فِتْنَى مَعْشَرٍ	فَإِنَّ يَزِيدَ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ	فَأُورَى زِنَادِي لِمَا قَدْحُ
وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا	وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدٍ فَضَحُ
وَفَكَ الرِّجَالَ وَكُلَّ أَمْرٍ	إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا صَلَحُ
وَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ عِتْقِ النِّسَاءِ	وَفَكَ الرِّجَالَ وَرَدَّ اللَّقْحُ
أَجِرَ فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ	فَأَكْرِمَ بِنَفْحَتِهِ إِذْ نَفَحُ
وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ	بِكُرِّي السُّوَالِ ظُهُورَ الْفَرْحِ
رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ فِي مَذْجَجٍ	بِمَنْزِلَةِ الْفَجْرِ حِينَ اتَّضَعُ
إِذَا قَارَعُوا عَنْهُ لَمْ يُقَرَّعُوا	وَإِنْ قَدَّمُوهُ لَكَبْشٍ نَطَحُ
وَإِنْ حَضَرَ النَّاسَ لَمْ يُخْزِهِمْ	وَإِنْ وَازَنُوهُ بِقَرْنٍ رَجَحُ
فَذَلِكَ فَتَاهَا وَذُو فَضْلُهَا	وَإِنْ نَابَحُ بِفَخَارٍ نَبَحُ

[مع مسهر بن يزيد الحارثي]

قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصمة في فوارس من قومه في غزاة له ، فلقية
 مسهر بن يزيد الحارثي ، الذي فقاً عين عامر بن الطفيل ، يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية .
 فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة ، هذا فارس واحد يقود طعينة ، وخليق أن يكون الرجل قرشياً .
 فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالطعينة ؟ فانتدب إليه رجل من القوم

فحمل عليه ، فلقية مُسْهِر فاختلفا طعنتين بينهما ، فقتله مُسْهِر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ؛ حتى قتل منهم أربعة نفر . وبقي دريد وحده فأقبل إليه ، فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة وقال : خذي خطامك ؛ فقد أقبل إلي فارس ليس كالفُرسان الذين تقدّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول :

أما ترى الفارسَ بعد الفارسِ أرواهمُ عاملٌ ربحِ يابسٍ

فقال له دريد : من أنت لله أبوك ؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنت الحصين ؟ قال لا . قال : فالمحجل هوذة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسْهِر بن يزيد . قال : فانصرف عنه دريد وهو يقول¹ :

أمن ذكر سلمي ماء عينيك يهملُ كما انهلُ خرزٌ من شُعبٍ مُشَلِّلٍ²
وماذا تُرجّي بالسلامة بعد ما نأتُ حِقَبٌ وابيضٌ منك المُرْجَلُ
وحالت عَوادي الحرب بيني وبينها وحربٌ تعلُّ الموتَ صِرْفاً وتنهلُ
قراها إذا باتت لذي مُفاضةً وذو خُصلٍ نهْدُ المراكِلِ هَيْكَلُ³
كَمِيشٍ كَمِيشِ الرُّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ ضَرِيبُ الْخَلَايا وَالنَّقِيعُ الْمَعْجَلُ⁴
عَتِيدٌ لأيامِ الحروبِ كأنه إذا انجابَ رِيعانُ الْعَاجِاجَةِ أَجْدَلُ⁵
يُجاوِبُ جُرْداً كالسَّراحينِ ضِعْراً تَرُودُ بِأَبْوابِ الْبُيُوتِ وَتَصْهَلُ
على كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بَغَارَهُ ولا مثلُ ما لاقى الْحِمَاسُ وَزَعَبَلُ

الْحِمَاسُ وَزَعَبَلُ : قبيلتان من بني الحارث بن كعب .

غَدَاةٌ رَأَوْنَا بِالْغَرِيفِ كَأَنَّا حَيٍّ أَذْرَتْهُ الصَّبَا مَتَهَلُّ⁶
بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُو هَوَازَنَ ، فَوْقَهَا نَسِيجٌ مِنَ الْمَاضِي لَأَمِّ مُرْقَلُ⁷
لدى مَعْرَكٍ فِيهَا تَرَكْنَا سَرَاتَهُم يُنَادُونَ ، مِنْهُمْ مُوثِقٌ وَمُجَدَّلُ

1 ديوانه : القصيدة 52 .

2 شلّل الماء : قطر .

3 المُفاضة : الدرع . ذو خُصل : يعني فرساً . نهْد المراكِل : واسع الجوف . هَيْكَل : ضخم .

4 كَمِيش : سريع . ضَرِيب الخَلَايا : لبن النوق المخلاة للحلب .

5 الأجدل : الصقر .

6 الحبي : السحاب المتراكم .

7 المَاضِي : الدروع اللينة . اللَّام : الدروع ، واحدها لَامة . المِرْقَل : المسبغ .

نَجُذُّ جِهَاراً بِالسَّيْفِ رُؤُوسَهُمْ وَأَرْمَاحُنَا مِنْهُمْ تَعْلُ وَتَنْهَلُ
تَرَى كُلَّ مَسُودٍ الْعِذَارَيْنِ فَارِسٍ يُطِيفُ بِهِ نَسْرٌ وَعَرْفَاءٌ جَيَّالٌ¹

قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلها ، والتوليدُ بينَ فيها وفي أشعارها ، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات . وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ ؛ فإنه ذكرَ فيه ما لحقَ دريداً من الهُجَّةِ والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِلَ معه وانصرافه منفرداً ، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفِرَ بيني الحارث وقتلَ أمثالهم ؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي . وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتداولوه .

1 العرفاء : الضبع . والجَيَّالُ : من أسماء الضبع أيضاً .

[157] - أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

- دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب -
وشيء من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

[لحن يجمع النغم العشر]

حدثني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر ، بظبي وحبيب جاريتي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتا به إليه وألقاه على جواريه . قال : ولم يزل يُراسِلُنِي مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيداً وجمعها في صوتٍ صنعه في شعر دُرَيْد بن الصمة : [من منهوك الرجز]

يا ليتني فيها جَذَعٌ أخْبُ فيها وأَضَعُ

وألقاه عليهما حتى أدّاه إليّ مستعلماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا ، فعرفته صحته ودلته على ذلك حتى تيقّنه فسُرُّ بذلك ؛ وهو لَعَمْرِي من جيّد الصنعة ونادرها . وقد صنع المعتضد ألحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحدّثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في :

أماً القِطَاةُ فإني سوفَ أنعتها نعتاً يوافقُ نعتي بعضَ ما فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرُور يُغنيهِ ، فكان من أحسن ما صنُع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشترك القدماء والمُحدّثين في صنعته مثل معبد ونشيط ومالك وابن مُحَرِّز وسِنَانٍ وعُمَر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع في :

تَشَكَّى الكَمِيتُ الجَرِي لَمَّا جَهِدَتْهُ وَبَيَّنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

لحناً من الثقيل الأول¹ بالوسطى ، وقد صنع قبله ابن سريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كله ، فما قصر في صنعه ولا عجز عن بلوغ الغاية فيها ؛ هذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابن سريج به في لحنه ، فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَهما في القدماء والمحدثين ، ثم جود غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أصوات له صنعها تراهي المائة صوت ، ما فيها ساقطٌ ولا مردؤل ، وسأذكر منها ما يصلح ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

ومن نادر صناعة المعتضد :

[من الطويل]

صوت

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

الشعر لإبراهيم بن العباس ، والغناء للمعتضد ثقیلٌ أول . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر ، وإنما كتب به في رسالة عن المعتضد إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه : «وإن عند أمير المؤمنين في أمرِك أَنَاةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ» . فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره .

[158] - أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه¹

[نسبه]

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول ، وكان صُول رجلاً من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلب بلدَه وأسلم على يديه ، فهم موالى يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صُول لينصره فصادفه قد قُتل . وكان يقاتل كلَّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : ولي على ابن الغلفاء ! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟ ولعله لا يَفقه صلاتَه ! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعاتها . وقد كان بعضُ أهلهم ادعوا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالهم . وأما صول فإن خالد بن خِدَاش ذكر عن أهله قالوا : كان صُول وفيروز أخوين ملكا على جُرجان ، وكانا تركيين تمجسا وتشبهاً بالفرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرجان أُمتهما ، فأسلم صُول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العقر² . وكان محمد بن صول يُكنى أبا عُمارة ، أحد الدُّعاة ، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مُقاتل بن حكيم العُكي³ وعِدَّة آخرين . وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكتاب ، وكان عبد الله أَسْنَهُما وأشدَّهُما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدبَهُما وأحسنَهُما شعراً ، وكان يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذله ، ثم يُسقط الوسطَ ، ثم يسقط ما يُسبق إليه ، فلا يَدَع من القصيدة إلا اليسيرَ ، وربما لم يَدَع منها إلا بيتاً أو بيتين ؛ فمن ذلك قوله⁴ :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ وفيَّ العهدِ مأمونُ المغيَّبِ

وهذا ابتداء يدل على أن قبله غيره ؛ وقوله في أخيه⁵ :

1 ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في معجم الأدباء لياقوت (عباس) 1 : 70-86 والفهرست : 136 وتاريخ بغداد 6 : 117 ومروج الذهب : 23-28 وابن خلكان 1 : 44 وإعتاب الكتاب : 746 والوافي 6 : 24 والنجوم الزاهرة 2 : 315 وله أخبار متثرة في كتب الأدب ، وديوانه مضمن في الطرائف الأدبية 126-194 بعناية عبد العزيز الميمني .

2 يوم العقر : مكان بين واسط وبغداد قتل فيه يزيد بن المهلب سنة 102 هـ .

3 أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

4 الطرائف الأدبية : 184 .

5 الطرائف الأدبية : 136 .

[من الطويل]

ولكنَّ عبدَ اللَّهِ لما حَوَى الغنى وصارَ له من بين إخوته مالٌ

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرِّاستين ، اتصلاً به فرفع منهما . وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسراً من رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دُعِيلاً يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركتنا في غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ، وكان يستحسن ذلك من قوله ¹ :

إنَّ امرأً ضنَّ بمعروفه عني لمبذولٍ له عذري
ما أنا بالراغبِ في عُرْفِهِ إن كان لا يرغبُ في شكري

[هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات]

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوهُ ؛ فمن قوله فيه ² : [من الطويل]

أبا جعفرٍ خَفَّ خَفْضَةً بعد رِفْعَةٍ وقصَّرَ قليلاً عن مَدَى غُلُوْائِكا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَهُ فإن رجائي في غدٍ كرجائك

وله فيه أيضاً ³ :

دعوتك في بَلَوَى أَلَمْتُ صرُوفُها فأوقدتَ من ضِغْنٍ عليَّ سَعِيرَها
فإنِّي إذا أدعوكَ عندَ مُلِمَّةٍ كداعيةٍ عندَ القبورِ نَصِيرَها

وقال فيه لما مات ⁴ :

لما أتاني خَبَرُ الزيات وأنه قد صار في الأمواتِ
أيقنتُ أن موتَه حياتي

[صديق منافق]

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما انخرط محمد بن عبد الملك الزيات

1 الطرائف الأدبية : 185 .

2 الطرائف الأدبية : 161 .

3 الطرائف الأدبية : 184 .

4 الطرائف الأدبية : 182 .

عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بُسخنر صديقاً له مصافياً ، فهجره في
من هجره من إخوانه ؛ فكتب إليه ¹ :

تَغَيَّرَ لي في مَنْ تَغَيَّرَ حارثُ وكم من أخٍ قد غَيَّرَته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركُ فيك فطالما غَنينا وما بيني وبينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيّد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء ² :

[من مجزوء الكامل]

صوت

حلُّ النِّفاقِ لأهله وعليك فالتمس الطُّريقا
واذهبْ بنفسك أن تُرى إلا عدواً أو صديقاً ³

الغناء لأبي العَنَس بن حمدون ، ثَقِيلٌ أول .

[هوي قينة فنغصه تأخرها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : كان إبراهيم بن
العباس يهوى قينة بَسْرَ مَنْ رَأى ، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوماً للشرب ومعه
إخوان له ، ودعا جماعةً من جوارى القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتغصص عليهم يومهم لِمَا
رَأوا من شغل قلبه بتأخرها ، ثم وافت فسُرِّي عنه وطابت نفسه وشرب وطرب ، ثم دعا
بدواة فكتب ⁴ :

[من المتقارب]

ألم تَرَنَا يومَنا إِذْ نَأَتْ فلم تَأْتِ من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرور بإشعالها وإلهابها
ومَدَّتْ علينا سماء النعيم وكلُّ المني تحت أظنابها
ونحنُ قُصورٌ إلى أن بدت وبدرُ الدُّجى بين أثوابها
فلما نأَتْ كيفَ كُنَّا لها ولما دَنَتْ كيفَ صيرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات ، فتجنّت ⁵ وقالت : ما القصة كما وصفت ، وقد كنتم في

1 الطرائف الأدبية : 182 .

2 الطرائف الأدبية : 161 .

3 واذهب في الطرائف الأدبية : وارغب .

4 الطرائف الأدبية : 140 .

5 معجم الأدباء : فتغضبت .

قَصَفَكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ ، وَإِنَّمَا تَجَمَّلْتُمْ لِي لَمَّا حَضَرْتُ . فَأَنْشَأُ يَقُولُ¹ :

[من المجتث]

يَا مَنْ حَنِينِي إِلَيْهِ وَمَنْ فَوَادِي لَدَيْهِ
وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ بَيْدِ سَنَهِمْ أَسِفْتُ عَلَيْهِ
إِذَا حَضَرْتُ فَمَا مِنْدِ هُمْ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
مَنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ²

قال : فرضيت عنه ، وأتممتنا يومنا على أحسن حال .

[أجازه دعبل في شعر]

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس ، قال حدثني به دِعِيلٌ أيضاً فكانا متفقين في الرواية ، قال : كنا نطلبُ جميعاً بالشعر ، فخرجنا وكنا في مَحْمِلٍ ، فابتدأتُ أقول في المَطْلَبِ بن عبد الله بن مالك :

أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبُ

[من المتقارب]

فقال دِعِيلُ :

لَسَمُ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتَلِ

فقلت :

فَإِنْ أَشْفَرَ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً

فقال دِعِيلُ :

وَإِنْ أَعْفُ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ

[الأخفش يستحسن أبياتاً له]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلُها ويستجيدها³ :

[من الوافر]

أَمِيلُ مَعَ الذَّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَخُذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

[جوابه لمعتذر]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البَغَل قال حدثني عمي قال : اجتاز محمد بن علي

1 الطرائف الأدبية : 152 .

2 فأمره في الطرائف الأدبية : فإذنه .

3 الطرائف الأدبية : 154 .

برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولي ديار مُضَر فلم يلقه ، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يبره ، وخرج عنها فلم يشيعه . فلامه إخوانه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلية . فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه¹ : [من الرمل]

أبدأ مُعتَذِرٌ لا يُعَذَّرُ ورُكُوبٌ للتي لا تُغْفَرُ
ومُلَقَّى بمساوٍ كُلِّها منه تبدو وإليه تصدرُ
هي من كلِّ الورى مُنْكَرَةٌ وهي منه وحده لا تُنْكَرُ

[الجارية «سامر» تهدي له جارتين]

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنين بسرٍّ مَنْ رأى يقال لها سامر² ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءت ومعهما جارتان لمولاتها . وقالت له : قد أهديتُ صاحبتِي إليك عَوْضاً من مغيبِي عنك ؛ فأنشأ يقول³ : [من البسيط]

صوت

أقبلنَ يَحْفَظْنَ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً قَدْ حَسَنَ اللَّهُ أَوَّلَاهَا وَأَخْرَاهَا
مَا كُنْتُ فِيهِنَّ إِلَّا كُنْتُ وَاسِطَةً وَكُنْتُ دُونَكِ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا

الغناء لسلسل مولى بني هاشم ، ثاني ثقيل بالوسطى مطلق . وليس لسلسل خبر يُدَوِّن ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دَوَّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي . وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وكانت لبعض المغنين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشَّقها ولم تكن مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعِي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قينة يقال لها سلسل ، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالي وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقَفِي فقال⁴ : [من الرمل]

فَنَنْتُ سَلْسَلُ قَلْبِ ابْنِ قَطَنٍ ثُمَّ نَنْتُ بَابِنِ صَخْرٍ فَافْتَنُ
فَأَتَيْتُ الْيَوْمَ كَيْ أَنْقَذَهُم فَإِذَا نَحْنُ جَمِيعاً فِي قَرْنٍ

فَأُظُنُّ الْعَلَطَ وَقَعَ عَلَى حَبَشٍ مِنْ هَاهُنَا أَوْ سَمِعَ هَذَا الْخَيْرَ فَتَوَهَّمُ أَنَّهَا مَوْلَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ .

1 الطرائف الأدبية : القطعة 111 . وفيه اختلاف .

2 معجم الأدباء : سامر .

3 معجم الأدباء : 75 .

4 الطرائف الأدبية : القطعة 39 .

[يركب مع دعبل حمير أهل الشوك]

أخبرني عمي ووكيع قالاً حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العَنَزِي قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال : خرج إبراهيم بن العباس ودَعْبِل بن علي وأخوه رَزِين في نُظُرَائِهِمْ من أهل الأدب رَجَالَةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون ، فلقِيَهُمْ قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك ، فأعطوهم شيئاً وركبوا تلك الحمير ؛ فأنشأ إبراهيم يقول¹ :

أَعْيَضَتْ بَعْدَ حَمَلِ الشَّوِّ لِي أَحْمَالاً مِنْ الْحَرْفِ
نَشَاوَى لَا مِنْ الصَّهْبَا بَلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فقال رزين :

[من الهزج]

فَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى ذَاكَ تَوَوَّلُونَ إِلَى قَصْفِ
تَسَاوَتْ حَالُكُمْ فِيهِ وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى خَسْفِ

فقال دعبل :

[من الهزج]

وَإِذَا فَاتَ الَّذِي فَاتَ فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُّوا نَقْصِيفُ الْيَوْمِ فَإِنِّي بَائِعٌ خُفْيِ
فَانصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُفَّهُ وَأَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

[رثاؤه لابنه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوبِهِ قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي : كان لإبراهيم ابنٌ قد يَفْعُ وترعرع ، وكان مُعْجَباً به فاعتلَّ عِلَّةً لم تَطُلْ ومات ؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة ، وجزع عليه جَزَعاً شديداً . فَمِمَّا رثاه به قوله² :

[من مجزوء الكامل]

كُنْتَ السَّوَادَ لَمُقَلَّتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاضِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيِّمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

فيه رمل لابن القصار . ومن مراثيه إياه قوله³ :

[من المتقارب]

1 ديوان دعبل (نجم) : 110 .

2 الطرائف الأدبية : 169 والبيت :

أنت السواد لمقلة تبكي عليك وناظر

وفي رواية أخرى :

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر

3 الطرائف الأدبية : 179 .

وما زلتُ مُذْ لَدُ أُعْطِيتُهُ أَدَافِعُ عَنْهُ جِمَامَ الْأَجَلِ
أَعُوذُهُ دَائِباً بِالْقُرَانِ وَأُرْمِي بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَأَضْحَتُ يَدِي قَصْدَهَا وَاحِدٌ إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

[عابته أبو وائلة على العهد]

وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو وائلة قال : قلت لإبراهيم بن العباس : قد أحملت نفسك ورضيت أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القصف واللعب ؛ فأنشأ يقول : [من مجزوء الخفيف]

إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكَ كُنْتُ فِي التَّصَرُّ فَبِ لِي حَالُ سَاعَتِي

[أخوه عبد الله يقاسمه وأخته ماله]

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السخري قال : وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله ، وهب لأخته الثلث الآخر ، فسار مساوياً لهما في الحال ؛ فقال إبراهيم :

وَلَكِنْ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى حَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِمُ الْحَالُ
وهذا مما عيبَ على إبراهيم قوله ابتداء «ولكن عبد الله» . وقد كرره في شعره فقال :

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هَاشِمٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يرضه منه .

[عزله عن الأهواز]

وقرأت في بعض الكتب : لما عُزِلَ إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتُقِلَ بها وأُوذِيَ ، وكان محمد قبل الوزارة صديقه ، وكان يؤمل منه أن يُساعده ويُطَلِّقه ، فكتب إليه ¹ :

فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبٌ وَسُلِّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنْجَوَةٍ وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ

وإني لأرجو بعدَ هذا محمداً لأفضل ما يُرجى أخ وزيرُ
فأقام محمد على قصده وتكشّفه والإساءة إليه حتى بلغ منه كلّ مكروه ، وانفجرت الحال
بينهما على ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاء كثيراً .
[تحامل ابن الزيات عليه]

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو عبد الله الباقراني أو الطالقاني قال حدثني
علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال : وجّه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى
الأهواز ليكشف إبراهيم بن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن
عبد الملك يُعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُيالي ما عمل ، وهو القائل
لما مات غلامه يخاطب مَلِك الموت :
[من المتقارب]

وأقبلتَ تسعى إلى واحدٍ ضيراً كأنّي قتلتُ الرسولا
تركْتَ عَيْدَ بني طاهرٍ وقد ملثوا الأرضَ عَرْضاً وطولا
فسوفَ أدينُ بتركِ الصلاة وأصطيحُ الخمرَ صرفاً شمولاً
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما
إبراهيم قاله ونسبه إليه .
[مدح المتوكل بيتين]

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد
مدحتُ أمير المؤمنين المتوكلَ بيتين ، فغنّ فيهما وأشيعهما ، ودعا لي بطيب كثير فأعطانيه ،
وخلع عليّ خِلعة سريّة ، فغنّيتُ فيهما . والبيتان :
[من مجزوء الكامل]

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ أولى بفضلٍ أو مُروّة
مَنْ أبوه وجَدُّه بين الخلافةِ والنُّبوّة
وأشعُتهما وغنّي فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صِلّة سنية .
لحنُ جعفر بن رفة في هذين البيتين رَمَلٌ بالينصر .
[مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي : أن إبراهيم بن العباس الصُّولي دخل
على الرضا لما عقد له المأمون وولاه العهد ، فأنشده قوله¹ :
[من الطويل]

أَزَالَتْ عَزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

عليه السلام ، فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه . فلم تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مُهور نِسائه ، وخَلَّفَ بَعْضَهَا لِكَفْنِهِ وَجْهَازَهُ إِلَى قَبْرِهِ .

[أذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدده]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو العباس بن الفُرات والباقراني قالا : كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه شعره في مدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع ، فعزله عن ضياع كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسحاق لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يَكْفُفْ عما يفعله في لأُخرجن قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من ارتجع القصيدة منه وجعله على ثقة من أنه لا يُظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

[نادرته في ثقيل]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المُدَبِّر قال : راكبت إبراهيم بن العباس ، فَلَقِينَا رَجُلًا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْبِلُهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا مَضَى قَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّهُ جَرَمِي . فَقُلْتُ : مَا كَانَ عِنْدِي إِلَّا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ¹ :

تُسَائِلُ عَنْ أَخِي جَرَمٍ ثَقِيلٌ وَالَّذِي خَلَقَهُ

[كتابته في شفاعه]

أخبرني الصُّولي قال حدثني محمد بن السَّخِّي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصُّولي قال : كتب عمي إبراهيم بن العباس شفاعه لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممن يزكو شكره ، ويحسن ذكره ، ويعينني أمره ، والصنيعه عنده واقعة موقعها ، وسالكة طريقها² . [من الطويل]

وَأَفْضَلُ مَا يَأْتِيهِ ذُو الدِّينِ وَالْحِجَا إِصَابَةُ شَكْرِ لَمْ يَضِيعْ مَعَهُ أَجْرُ

[مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل]

أخبرني عمي عن أبي العيناء قال : كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس فضيلة خبأها الله لك ، وذخيرة³ ذخرها لدولتك .

1 معجم-الأدباء : 77 .

2 معجم-الأدباء : 77 .

3 ل : وحسنة .

[وصف القدور الإبراهيمية]

وذكر عن علي بن يحيى : أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدور الإبراهيمية ، وكان ابتدعها ؛ فكتب له صفتها ، وكتب في آخرها في ذكر الأباير : «ووزن دائق» ونسي أن يكتب من أي شيء . فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى : احلف بحياتي أن تقول له ما أمرك به ، ففعل . فقال له : قل وزن دائق من أي شيء ؟ أمين بظُر أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني جئتُك في رسالة عزيز علي أن أوذيها ؛ فقال : هاتها ، فأديتها . قال : فارجع إليه وقل له عني : يا سيدي ، إن علي بن يحيى أخِي وصديقي وقد أدّى الرسالة ؛ فإن رأيت . أن تجعل وزن الدائق من بَظُر أُمِّي وبَظُر أُمِّهِ جميعاً تفضلت بذلك . فقلت : قَبَحَ اللهُ ! وأنا أئيش ذنبي ! قال : قد أديتَ الرسالة وهذا جوابها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إيه ما قال لك ؟ فقلت : قَبَحَ اللهُ ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى فَحَصَ برجله وجعل يَشْرَبُ عليه بقيَّةَ يومه . وإذا لَقِيْتُهُ قال لي : يا علي ، وزن دائق أئيش ! فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

[مداعبته الحسن بن وهب]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أَرْكَبُ وأَجِيعُك عشيّاً فلا تنتظرنِي بِالْغَدَاةِ . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكير ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب¹ :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ وَأَسْرَعَتْ فَيْكَ أَوْتَارُ وَأَقْدَاحُ
قال : وحدثني محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمورٌ فقال له² :

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَّنَا مَيِّبَ تَكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا
وَلَرُبَّ عَيْنٍ قَدْ أَرَتْ لَكَ مَيِّبَتَ صَاحِبِهَا عَيْنَانَا
فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً . وأبيات إبراهيم³ :

[من الكامل]

1 الطرائف الأدبية : القطعة 171 .

2 الطرائف الأدبية : 175 .

3 الطرائف الأدبية : القطعة 166 .

أَبَا عَلِيٍّ خَيْرُ قَوْلِكَ مَا حَصَلَتْ أَنْجَعَهُ وَمُخْتَصَرَهُ
 مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْعِ مِنْ عَيْنٍ لِلْمُسْتَقِيلِ بِوَاحِدٍ عَشْرَهُ
 أَنَا أَهْلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ أَرْضَى الْقَدِيمَ وَأَقْتَفِي أَثَرَهُ
 هَا نَحْنُ وَفِينَاكَ أَرْبَعَةٌ وَالْأَرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُنْتَظَرُهُ

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعتُ إبراهيمَ بن العباسِ وقد ليس
 سواده يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلكَ السيفَ الذي ما ضرَّ اللهَ به أحدٌ قطُّ غيري .
 [استثقاله ابن أخيه]

قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس ف قيل له : هو
 مشغول بطبيب ومُنْجَم عنده ، وكان يستثقله ، فقال قل له يا غلام : والله ما لك في الناس
 طَبْعٌ ؛ ولا في السماء نجم ، فما لك تَكَلَّفُ هذا التكلف .

أخبرني الصُّولي قال حدثني أحمد بن السَّخِي قال : أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَعَ
 كلُّ أَعْوَرٍ يَمُرُّ فِي الطَّرِيقِ ، فجمعوهم ووقفوهم وخرج معه طماس ، فلما رأى العُورَ
 مجتمعين قال لطماس : كلُّهم مثلك ، فاترك هذا الصِّلَفَ فإنه داعية إلى التَّلَف .

أخبرني الصُّولي قال حدثني ميمون بن موسى قال : قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن
 العباس : تعالَ حتى نَعُدَّ البُعْضَاءَ ؛ قال : ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم نُنْ بَمَنْ
 شِئْتَ .

[أمر الحسن بن مخلد بأمر فاطمًا]

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود : رَكِبْتُ بَيْنَ يَدَيِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ . فَأَمَرَ
 الْحَسَنَ بْنَ مُخَلَّدٍ بِأَمْرِ فَاسْتَبْطَأَهُ فِيهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ¹ :

[مَنْ مَجْزُوءُ الْخَفِيفِ]

مُعْجَبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ وَهُوَ لِي غَيْرُ مُعْجَبٍ
 إِنْ أَقْلٌ لَا يَقْلُ نَعَمْ عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبٍ
 مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ لِي عَامِداً وَالتَّجَنُّبِ
 قَلْتُ فِيهِ بَضْدٌ مَا قِيلَ فِي أَمٍّ جُنْدُبِ

يريد قول امرئ القيس :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

«خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى أَمٍّ جُنْدُبِ

أَيُّ فَنَاءٍ لَا أُرِيدُ أَنْ أَمُرَّ بِكَ .

1 البيت الأول فقط في الطرائف الأدبية : القطعة 150 ومعه بيت ليس مما هنا .

[تنادر بابن الكلبي عند المتوكل]

قال وأخبرني الصُّولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبِي عن أبيه قال¹ : كان المتوكل قد ولَّى ابنَ الكلبي البريدَ ، وأحلفه بالطلاق ألا يَكْتُمَهُ شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حَبَّتِها في نَزْهَةٍ ، وأن حُبَّتِها عَرَبِدَتْ عليها فجرحتُها في صُدْغِها . فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحَّفَ ابنُ الكلبي ، إنما هو : «جرحتُها في صدعها» ، فضحك المتوكل وقال : صدقت . ما أظن القصة إلا هكذا . قال : ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يُلقَّب «كَلْبَ الرُّحْل» فقليل له الكلبي .

[استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثنا ميمون بن هارون قال : كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد بلغت المَدْيَةَ المَحْزَّةَ ، وَعَدَّتِ الأيامُ بك عليّ ، بعد عَذْوِي بك عليها ، وكان أسوأ ظني وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حركتها ، وتكفُ عند أذاها ، فصرتَ عليّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن نُصرتي خوفاً منك ، وبادر إليّ العدوُّ تقريباً إليك . وكتب تحت ذلك² :

أخَّ بيني وبين الدهر	ر صاحبَ أيَّنا غلبا
صديقي ما استقام فإن	نبا دهرٌ عليّ نبا
وثبتُ على الزمان به	فعادَ به وقد وثبا
ولو عادَ الزمان لنا	لعادَ به أخا حبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عتبا لا تُنصِفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي . وما قد قدَّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدوثة . وما استبدلت بحالة كنتُ فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروهاها وآلمها أشدَّ علي من أني فرعت إلى ناصري عند ظلمي لِجِئني ، فوجدتُ من يظلمني أخفَّ نية في ظلمي منه ، وأحمدُ الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها³ :

وكنْتَ أخِي بإخفاء الزمانِ فلما نبا صرتَ حرباً عوانا

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذه الحكاية .

2 الطرائف الأدبية : القطعة 101 وفيه اختلاف .

3 الطرائف الأدبية : 166 .

وكنْتُ أذُمُّ إِلَيْكَ الزَّمَانَ فأصبحتُ فيكَ أذُمُّ الزَّمَانَ
وكنْتُ أَعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ فأصبحتُ أطلبُ منك الأمانا

[هجاؤه محمد بن عبد الملك]

أخبرني الصُّولي قال أخبرني الحسين بن فَهْم قال : كان محمد بن عبد الملك قد أغرى
الوائقَ بإبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامله
عليه فرفع يده عنه وأمر أن يُقبل منه ما رفعه ، وردّه إلى الحضرة مَصُونًا ، فلما أحسَّ إبراهيمُ
بذلك بسطَ لسانه في محمد ، وحسُن ما بينه وبين ابن أبي ذؤاد . وهجا محمد بن عبد الملك
هَجاءً كثيراً ؛ منه قوله ¹ :

[من الطويل]

قدَرتَ فلم تَضُرُّزْ عدواً بقدرِة وسُمتَ بها إخوانك الذلَّ والرُّغما
وكنْتَ مليئاً بالتّي قد يَعافها من الناسِ من يَأبى الدَّنيئةَ والذِّمّا

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصُّولي قال حدثنا ابن السَّخِي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال : سمعتُ
إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراءُ
الكلام رعيةٌ لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك لأني أستضيء بك وأردُ شريعَتكَ .

[اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال سمعت إبراهيم بن المُدَبَّر يقول : جرى بين إبراهيم بن
العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودُّني دون أخي ؛ فَلَقِيْتُهُ فاعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال
لي : يا أبا إسحاق :

[من مجزوء الكامل]

صوت

حلَّ النِّفاقَ لأهلِهِ وعليكَ فالتِّمسَ الطَّرِيقا
واذهبْ بنفسك أن تُرى إلا عدواً أو صديقا

الغناء لأبي العَنَبَس .

[احتال على المتوكل لينجي بعض عماله]

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من
دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٍ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال :
كان أحمد بن المُدَبَّر رَفَعَ إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمالي اقتطع مالاً ، وصدّق في الذي قاله ،

وكنْتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوتُ له ، وضجك إليّ فقال لي : إن أحمد قد رَفَعَ على عاملك كذا وكذا فاصدُقني عنه ؛ فضاقت عليّ الحُجة ، وخِفْتُ أن أحقّق قوله إن اعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليّ الغُرم ، فعذلتُ عن الحُجة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك¹ :

صوت

رَدُّ قولي وصدِّق الأقوالا وأطاعَ الوُشاةَ والعُدالا
أُترَاهُ يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهللا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوَّ هذا الشعرَ بنائاً حتى يُغنيَنِي فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يُطلَبَ صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه في المال . فسُرتُ بالظفر ، واغتممتُ لبطلان هذا المال وذهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعب شديد .

[سرق ابن دريد وابن الرومي شعره]

أنشدتُ عمي رحمه الله أبياتاً لابن دُرَيْدٍ يمدح رجلاً من أهل البصرة : [من الكامل]

يا مَنْ يُقْبَلُ كَفٌّ كُلُّ مُخْرَقٍ هذا ابنُ يحيى ليس بالمخرقِ
قَبْلَ أناملِهِ فلسنَ أناملاً لكنهنَّ مَفاتِحُ الأرزاقِ

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقة هو وابنُ الرُّومي جميعاً من إبراهيم بن العباس ؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضلَ بنَ سَهْلٍ² :

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ تقاصرَ عنها الأملُ
فباطنُها للنَّدَى وظاهرُها للقبُلِ
وَسَطُتُهَا للغنى وسطوتُها للأجلِ

وسرقه ابن الرومي فقال : [من الكامل]

أصبحتُ بين خصاصةٍ ومَذَلَةٍ والحرُّ بينهما يموت هزِلاً
فامدُدْ إليّ يداً تعودُ بطنُها بذلَ النَّدَى وظهورُها التَّقْيِيلَ

1 الطرائف الأدبية : القطعة 77 .

2 الطرائف الأدبية : 153 .

[رأى ثعلب في شعره]

أخبرني الصُّولي قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثعلباً يقول : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحدثين .
قال : وما روى ثعلبُ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال : وكان يستحسنُ كثيراً قوله¹ : [من الطويل]

لنا إبلٌ كَوْمٌ يضيقُ بها الفضا ويفترُّ عنها أرضُها وسماؤها
فمن دونها أن تُستباحَ دماؤها ومن دوننا أن تُستباحَ دماؤها²
حِمى وقرى فالموتُ دون مراميها وأيسرُ خطبٍ يومَ حقِّ فناؤها
ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائِل لاستُجيدَ له .

[مدح الحسن بن سهل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رجاء يقول : كنا بقمِ الصُّلح³ أيامَ بَنى المأمونَ ببورانَ بنتِ الحسن بن سهل ؛ فقدم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده : [من الطويل]

ليَهَيْتَكَ أَصهاراً أَذَلَّتْ بعزُّها خدوداً وجذعتْ الأنوفَ الرِّواغِما
جمعتَ بها الشمْلينِ من آلِ هاشمٍ وحُزرتَ بها للأكرمينَ الأكارِما
بُنوكَ عَدَوْا آلَ النبي ووارثو الـ خلافةَ والحاوونَ كِسرى وهاشِما

فقال له الحسن : «شِنْشِنَة أعرفها من أخزم»⁴ أي إنك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسنَ الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء ليسير من حقِّك .

[سامر غضبت عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قَيِّنة اسمها سامر كان يهواها فغضبتُ عليه⁵ : [من الطويل]

وعَلَّمَتْنِي كيف الهوى وجَهَلَتِهِ وعَلَّمَكُم صبري على ظُلْمِكُم ظُلْمِي
وأَعْلَمَ ما لي عندكم فيردِّني هوايَ إلى جهل فأقصر عن عِلْمِي

1 الطرائف الأدبية : القطعة 92 .

2 تستباح في ل : تستدم .

3 قم الصلح : نهر كبير فوق واسط .

4 المثل في مجمع الميداني 1 : 361 ومستقصى الزمخشري 2 : 134 وفصل المقال : 219 وغيرها .

5 الطرائف الأدبية : 150 واسم القينة : ساهر .

[شعره في قصر الليل]

أخبرني الصُّولي قال : سمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعَلِّمُ لقديم ولا مُحدثٍ في قِصرِ الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس¹ :

[من الرجز]

وليلة من الليالي الزُّهرِ قابلتُ فيها بدرَها بيدِ
لم تكُ غيرُ شَفَقٍ وفجرٍ حتى تولَّتْ وهي بِكرُ الدَّهرِ

[تكرر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني أحمد بن بِشْرِ المَرْثَدِي قال : كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دُواد ، فلما خرج من عنده أَلَقِيَهُ محمد بنُ عبد الملك الزيات وهو خارج من داره ؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم يخاطبه في العاجل بشيء . فلما انصرف إلى منزله كتب إليه² :

[من مجزوء الكامل]

دَغْنِي أَوَصِلْ مَنْ قَطَع تَ يراك بي إذ لا يَراك
إِنِّي مَتَى أَهْجُرْ هَجْج رَك لا أَضُرُّ به سَواكَ
وَإِذَا قَطَعْتُكَ فِي أَخِي لَكَ قَطَعْتُ فَيَكْ غَدًا أَخَاكَ
حَتَّى أَرَى مُتَقَسِّمًا يَوْمِي لَذا وَغَدِي لَذاكَ

[المال فرع والقلم أصل]

أخبرني الصُّولي ، قال حدثني أَبُو العَيْناء قال : كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنَقَطَ من القلم نقطةً مُفْسِدةً فَمَسَحَها بِكُمه ، فتعجَّبتُ من ذلك ؛ فقال : لا تَعَجَّبْ ، المال فرع والقلم أصل ، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المُرَاعاة من الفرع . ثم فكر قليلاً وقال³ :

[من الوافر]

إِذَا ما الفَكرُ وَلَدَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَسْلَمَ الوجودُ إِلَى العِيانِ
وَوَشَّاهُ فَمَنَّمْهُ مُسِيْدٌ فَصِيحٌ فِي المَقالِ بَلا لَسانِ
تَرى حُلَلَ البَيانِ مُنْشَرَاتٍ تَجَلَّى بَينَها صُورُ المَعاني⁴

1 الطرائف الأدبية : 145 .

2 الطرائف الأدبية : 188 .

3 الطرائف : القطعة 210 .

4 تجلَّى في الطرائف : حلى . منشرات في ل : مرحلات .

[اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل]

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطّاح قال : لما عَزَمَ المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران الطائي ، ومُونَساً البصري ، وخلفاً المصري وعلي بن أبي سَعْدَ ذا القلمين ، وسراجاً الخادم ، نُعمي الخبرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتِلَ الفضلُ وقَتَلَ المأمون قَتَلَتَهُ ، سأل من أين سَقَطَ الخبر إلى الفضل ؟ فعُرِفَ أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه فاستتر . وكان إبراهيم عَرَفَ هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون ، وجرد في أمره هشاماً الخطيبَ المعروف بالعبّاسي وكان جريماً على المأمون لأنه ربّاه ، وشخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يُجِبْهُ المأمون إلى ما سأل . فليقَهِ إبراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني في أمرك بما تُحبُّ . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟ قال : محلك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يعدّلك شيئاً فترضى بتأخيرهِ ، وهو أكرم من أن يعدّ مثلك شيئاً فيؤخّره ، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغمّني به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجّب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس¹ :

مَنْ كَانَتِ الْأُمُوالُ ذُخْراً لَهُ فَإِنْ ذُخِرِي أَمَلِي فِي هِشَامٍ
فَتَى يَبْقَى اللَّامَةُ عَنْ عِرْضِهِ وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ الذِّمَامِ²

[مدح الفضل بن سهل]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال : دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال هاتِ فأنشده³ :

يُمَضِّي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهَتِهِ وَتُرِيهِ فَكْرَتَهُ عَوَاقِبَهَا
فَيَظِلُّ يُصَدِّرُهَا وَيُورِدُهَا فَيَعُمُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَّتْ صَعْبَةً عَظُمَتْ فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا

1 الطرائف الأدبية : القطعة 36 .

2 بقي في الطرائف : نفى .

3 الطرائف الأدبية : 128 وانظر معجم الأدباء : 79 .

المستقيل بها وقد رَسَبَتْ ولوتُ على الأيام جانبها
وعدلتها بالحق فاعتدلتُ ووسعت راعبها وراهبها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها رأيا تفلُّ به كئابها
رأيا إذا نَبَتِ السيوفُ مضى عزمُ بها فشفى مضارِبها
أجرى إلى فِئةٍ بدولتها وأقام في أخرى نوادِبها¹
وإذا الخطوبُ تائلتُ ورستُ هدَّتْ فواصله نوائِبها
وإذا جرتْ بضميره يَدُهُ أبدتْ به الدنيا مناقِبها

وأشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء² : [من المتقارب]

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يَبيِّن إذا ما تأملته الناظرُ
لثَلَّثُهُ لَكَ حَتَّى تَراه فتعلم أني امرؤ شاكرُ

الغناء لأبي العَنَبَسِ ثَقِيلُ أَوَّل . وفيه لَرَذَاذُ ثَانِي ثَقِيل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُوبَخْتِي قال حدثني جماعة من عُمومتي وأهلنا أن رَذَاذًا صنع في هذين البيتين لحنًا أعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كَثُرَ ذلك صنع فيه أبو العَنَبَسِ لحنًا آخر ، فسقط لحنُ رَذَاذٍ واختار الناس لحنَ أبي العَنَبَسِ .

[مدح المتوكل ولاة العهد]

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما عَقَدَ المتوكلُ لولاية العهد من وَلَدِهِ رَكِيبَ بَسْرٍ مَنْ رَأَى رَكْبَةً لَمْ يُرَ أَحْسَنُ مِنْهَا ، وَرَكِبَ وِلَاةُ الْعَهْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْأَتْرَافُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبْرِزِينَاتُ³ الْمُحَلَّاتُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ فَجَلَسَ فِيهِ وَالْجَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ⁴ وَسَائِرِ السُّفُنِ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصَّفِيْنِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ لَهُ ، فَقَالَ⁵ : [من المتقارب]

1 نواديبها في ل : مناديبها .

2 الطرائف الأدبية : القطعة 192 .

3 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .

4 الجوانحيات : نوع من السفن .

5 الطرائف الأدبية : القطعة 24 .

ولما بدا جعفرٌ في الخميم
س بين المطلِّ وبين العروسِ
بدا لابساً بهما حُلَّةً
أزيلتْ بها طالعَاتُ الثُّحوسِ
ولما بدا بين أحبابه
وَلَاةَ العهودِ وعزَّ النفوسِ
غدا قمرًا بين أقماره
وشمسًا مُكَلَّلَةً بالشُّموسِ
لإيقاد نارٍ وإطفائها
ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عبوسِ

ثم أقبل على ولاة العهود فقال¹ :

أضحتْ عُرَى الإسلام وهي منوطةٌ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ
قمرٌ توافتْ حوله أقماره
فحَفَفْنَ مطلعَ سعده بسعودِ
رفعتهمُ الأيامُ وارتفعوا به
فسَعَوْا بأكرمِ أنفُسٍ وجدودِ

قال : فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم ، وأمر له ولاة العهود بمثلها .

[رأى ابن برد الخيار في شعره]

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العباس² : [من الرمل]

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ
وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا
يعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا
يعْرِفُ الْأَذْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

أو مثلُ قوله³ :

تليج السنون بيوتهم وترى لهم
عن جار بيتهم ازورارَ مَنَاكِبِ
وتراهمُ بسيوفهم وشفارهم
مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبِ
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيَتَهُمُ
نَهَبَ الْعُقَاةِ وَنُهُزَةَ لِلرَّاهِبِ

فأذكرُه وافخرَ به ، وإلا فأقلل من الافتخار والتطاول بما لا طائل فيه ؛ فجعل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْرِي ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ، (يعني عمه

1 الطرائف الأدبية : القطعة 13 .

2 الطرائف الأدبية : القطعة 20 .

3 الطرائف الأدبية : القطعة 6 .

الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كتّابه بكتّاب المقطوعتين اللتين أنشدتهما ابن برد الخيار .
[هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يُهنئ الحسن بن سهل بصهره
المأمون¹ :

هَتَكَ أَكْرَوْمَةً جُلَلَتْ نَعْمَتَهَا أَعْلَتْ وَلِيَّكَ واجْتَثَتْ أَعَادِيكَ
مَا كَانَ يَحِيَا بِهَا إِلَّا الْإِمَامُ وَمَا كَانَتْ إِذَا قُرُنْتَ بِالْحَقِّ تَعْدُوكَ

[هجا محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن بن
مخلد قال : أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرأ نفيسا ، وقد رأى تغيرا
من الوائق فخافه وفرق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومُعَامِلِيهِ مِنَ التَّجَارِ . وكان
إبراهيم بن العباس يُعَادِيهِ وَيَرْصُدُ لَهُ بِالْمَكَارِهِ لِإِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ أُبَيَّاتًا وَأَشَاعَهَا حَتَّى بَلَغَتْ
الوَائِقَ يُغْرِيه به² :

نَصِيحَةٌ شَانَهَا وَزِيرُ مُسْتَحْفَظٌ سَارِقٌ مُغِيرُ³
وَدَائِعُ جَمَّةٍ عِظَامُ قَدْ أُسْبِلَتْ دُونَهَا السُّتُورُ
تَسْعَةُ آلَافٍ أَلْفِ أَلْفِ خِلَالَهَا جَوْهَرٌ خَطِيرُ
بِجَانِبِ الْكَرْخِ عِنْدَ قَوْمِ أَنْتَ بِمَا عِنْدَهُمْ خَبِيرُ
وَالْمَلِكُ الْيَوْمَ فِي أُمُورِ تَحْدُثُ مِنْ بَعْدِهَا أُمُورُ
قَدْ شَغَلَتْهُ مُحَقَّرَاتُ وَصَاحِبُ الْكَارَةِ الْوَزِيرُ

[مدح المعتر]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتر وفيه غناء⁴ :

[من مجزوء الوافر]

سَحُورُ مَحَاجِرِ الْحَدَقَةِ مَلِيحٌ وَالَّذِي خَلَقَهُ
سِوَاءَ فِي رِعَايَتِهِ مُجَانِبُهُ وَمَنْ عَشِيقَهُ

1 الطرائف الأدبية : القطعة 28 .

2 الطرائف الأدبية : القطعة 108 .

3 شَانَهَا فِي الطَّرَائِفِ : أَيْهَا الْوَزِيرِ .

4 الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ : الْقِطْعَةُ 26 .

لعيني في محاسنه رياض محاسن أنقة
فأحياناً أنزهها وطوراً في دم غرقه
يقول فيها في مدح المعتز بالله :

فيا قمراً أضاء لنا يلاًلىء نوره أفقه
يُشَبِّهه سنا المعتز ذو مقلة إذا رمقه
أمير قلد الرحـ من أمر عباده عنقه
وفضله وطيبه وطهر في الوري خلقه

في الأربعة الأبيات الأول رمل ذكر الهشامي أنه لابن القصّار ، ووجدته في بعض الكتب
لغير .
[هنا أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه]

أنشدني الأنخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصه من
النكبة مهتئاً ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعده عنه ، وبلغه أنه كان يحرض عليه ابن
الزيات¹ :

وكننت أخى بالدهر حتى إذا نبا
فلا يوم إقبال عددتك طائلاً
وما كنت إلا مثل أحلام نائم
نبوت فلما عاد عدت مع الدهر
ولا يوم إديار عددتك في وتر
كلا حلتك من وفاء ومن غدر

[رده على عتاب ابن المدبر له]

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه
فقال² :

هب الزمان رماني هب الزمان رماني
فيمن رماني لما رأى الزمان رماني
ومن ذخرت لنفسي فصار ذخّر الزمان
لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحداث
لما أخذت أماناً إلا من الإخوان

1 الطرائف الأدبية : 158 .

2 الطرائف الأدبية : 166 .

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مَجْرَى هذا الكتاب

[المعتضد وغلّامه بدر]

حدثني عمي عن جدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان ، وكان يأنس بي أنساً شديداً لقديم الصُّحبة وائتلاف المنشأ : دعاني المعتضد يوماً فقال : ألا تُعاتب بدرأً على ما لا يزال يستعمله من التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصلّات ! وجعل يؤكّد القول عليّ في ذلك ؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مُسْرِفة ونفقات واسعة وصيلات سنّية وهو يأذن له في ذلك كلّهُ . فلما خرج رأي في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بيني وبينه ؛ فقال لي : يا عبيد الله قد عرفتُ ما في نفسك ، وأنا وإياه كما قال الشاعر :

صوت

في وجهه شافعٌ يمحو إساءته من القلوب مطاعٌ حيثما شفعاً
مُستقبلٌ بالذي يَهْوَى وإن كثرتُ منه الإساءةُ مغفورٌ لما صنَعاً¹
وفي هذين البيتين خفيف رمل .

[المعتضد يطرب لغناء في شعر الوليد بن يزيد]

حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال : غنّيتُ المعتضد :

كلّ لاني توجّاني وبشعري غنياني
أطلقاني من وثاقي واشدّداني بعناني
فاستحسنه جداً ، ثم قال لي : ويحك يا أحمد ! أما ترى زهوَ الملّك في شعره وقوله :

كلّ لاني توجّاني وبشعري غنياني
واستعاده مراراً ، ثم وصلّني كلّ مرّة استعاده بعشرة آلاف درهم ، وما وصل بها مغنيّاً قبلي ولا بعدي . قال : واستعاده منّي ستّ مرّاتٍ ووهب لي ستّين ألفاً . وقال النوشجاني : بل وصلّه بعشرة آلاف درهم مرّة واحدة .

1 مغفور لما في ل : معذور بما .

[159] - صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

فأولهم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي¹ ؛ فإنه كان يتحقق به تحقّقاً² شديداً ويتبدّل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصوّن عنه وترفع ، إلا أن يدعوّه إليه الرشيد في خلوة والأمين بعده . فلما أئنه المأمون تهتّك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنين ، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها . وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً . وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة ؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية : ابن جامع وعمرو بن أبي الكنتات وإبراهيم بن المهدي ومُخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدّم . وكان إبراهيم مع علمه وطبعه ومعرفته مُقصرّاً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته ، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويُخفّفها على قدر ما يصلح له وبقي بأدائه . فإذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملكّ وابن ملك ، أغني كما أشتهي وعلى ما ألتذ . فهو أول من أفسد الغناء القديم ، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره . فالناس إلى الآن صنفان : من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعظّم الإقدام عليه ويعيب من فعله ، فهو يُغني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها . ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارية وريق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يقرب عليه مأخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره ، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته بقصر معرفته . وهذا إذا طرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ ذلك

1 أخبار إبراهيم المهدي في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث 201-210) وأشعار أولاد الخلفاء :

17-49 وابن خلكان 1 : 39-43 و385-390 .

2 لعلها يتحفى به تحفياً . . .

أيضاً عمن غيره ، حتى يَمْضِي على هذا خمسُ طبقات أو نحوها ، لم يتأدَّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتَّة . ومن أفسد هذا الجنسَ خاصَّةً بنو حَمْدُون بن إِسْمَاعِيل فإن أصلهم فيه مُخَارِق ، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه ، وزرِيَابُ الوائِثِيَّة فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّرُ الغِناء كما تريد ، وجواري شارية ورِيْق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومن عداهم من الدُّورِ مثل دُورِ غَرِيب ودُورِ جوارِها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذَل الكبري ومن أخذ عنها ، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعَاذ ودُورِ آل الرُّبِيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقي من أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير على أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد انقضى في عصرنا هذا .

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهدي :

[من الكامل]

صوت

هل تَطْمِسُون من السماء نجومَها	بأَكْفُكُم أو تَسْتُرُون هلالَها
أو تدفعونَ مقالةً من ربِّكم	جَبْرِيلُ بَلَّغها النبيُّ فقالَها
طرقتك زائرةٌ فحيَّ خيالَها	زهراءُ تخلِطُ بالدُّلالِ جمالَها

الشعر لمروان بن أبي حَفْصَة . والغِناء لإبراهيم بن المهدي ، ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبنصر ، وذكر حَبَش أن فيه لابن جامعٍ لحناً ماخورياً .

[160] - أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه¹

[نسبه]

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السُّمَط . واسم أبي حفصة يزيد . وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيِّ مروان بن الحكم . وأهله يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَنِي إصْطَخَر ، وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهد أبو حفصة الدار² مع مولاه مروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أَسْلَمَ يقال له بَنان . وجرح مروان يومئذٍ ، أصابته ضربةً قطعت عِلْبَاهُ³ فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله ، فجعل يحمله مرّةً على عنه ومرةً يجزّه ، فيتأوه ؛ فيقول له : اسكتْ واصْبِر ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلْتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنَزَة فداواه فيها حتى برىء ؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أم ولد له يقال لها سُكَّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصَة ؛ فحضرها ، فكُنِيَ أبا حفصة ؛ فحفصة بنت مروان . قال : وكان مروان إذا وليَ المدينة وجه أبا حفصة إلى اليمامة ، وكانت مُضافةً إلى المدينة ، ليجمع ما فيها من المال ويحمّله إليه . قال : فمر أبو حفصة بقرية من قُرى اليمامة يقال لها العِرْضُ ، فوقف على باب فاستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية معصير⁴ فسَقَتْه فأعجبته ؛ فسأل عنها ليشتريها ؛ فقيل له : هي حرة وهي مولاة لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حُجْرًا⁵ ، ثم تبعها نفسه فتزوجها ، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلَتْ يحيى بن أبي حفصة ، ثم حَمَلَتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وَقَعَتْ فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنوب يقول : أم يحيى بن

1 ترجمة مروان بن أبي حفصة في الشعر والشعراء 2 : 649-651 ومعجم الرزباني : 396 والموشع : 251 وطيقات ابن المعتز : 42-54 وابن خلكان 5 : 189-193 وتاريخ بغداد 13 : 142 وشذرات الذهب وانظر بروكلمان 2 : 21 . وقد جمع شعره قحطان رشيد التميمي (مطبعة النعمان ، النجف ، 1972) .

2 يعني دار عثمان بن عفان ، سمي يوم مقتله يوم الدار لأنه لزم داره فقتل فيها .

3 العلباء عصابة في صفحة العنق ، وفي ل : علباويه .

4 معصير : بلغت عصر شبابها وأدركت .

5 حجر : حاضرة اليمامة .

أبي حفصة لحناء¹ بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي ، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجَمَل وقاتل قتالاً شديداً . فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لجأ مروان إلى مالك بن مِسْمَع فدخل داره ومعه أبو حفصة ، فقال للمالك : أغلق بابك . فقال له مالك : إن لم أمتنعك والباب مفتوح لم أمتنعك والباب مغلق . فطلب علي رضي الله عنه مروان منه ، فلم يدفعه إليه إلا برهينة ، فدفعت مالك الرهينة إلى أبي حفصة ، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حدثتُ حَدَثَ بصاحبك فعليك بالرَّهينة . فلما أتى مروان علياً كساه كُسُوَّةً ، فكساها مروانُ أبا حفصة ، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب وقال : كسوته كُسُوَّةً فكساها عبداً ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مَرَجَ راهط ، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعراً .

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السَّمْط مروان بن أبي الجنوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار :

وما قلتُ يومَ الدَّارِ للقومِ صالحُوا أَجَلٌ لا ، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنني قد قلتُ للقومِ جالِدُوا بأسيا فكم لا يُخَلِّصَنَّ إلى الكهلِ

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضاً :

لستُ على الزحامِ بالأصر² إني لَوَرَّادٌ حياضَ الشرِّ
معاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال : عُكْلٌ تدعى أن أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن طابخة بن إلياس بن مُضَر ، وقد كانوا استعدوا عليه مروان بن الحكم ، وقالوا : إنما باعته عَمَّتُه لمجاعة ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضاً ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْي فارس ، نشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدَ السَّمْوَالُ بن عادياء يدعونه ، والسَمْوَالُ من غسان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثة نفرٍ أتوا مروان بن الحكم وهو أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم ، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم ، فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ أنه إنما أتى

1 في وفيات الأعيان 5 : 193 : تحيا .

2 يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدرس إليه مروان من قتله . فلما رأى ذلك الآخرون
تَبَتَا على أَنهما مَوْلِيان لمروان .

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : زعم المدائني أَنه
كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سماه مروان بن الحكم باسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه
كان شجاعاً مجرباً ، وأمدَّ به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي
ابن أبي حفصة وهو يَعْدِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأشعث ، فأبلى بلاءً حسناً
وعُقِرَتْ تحته عدَّةٌ خيول ، فاحتسب بها الحجاج عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك
وذمَّ الحجاجَ عنده ؛ فعوضه مكان ما أغرمه الحجاج .
وكان يحيى جدَّ مروان بن سليمان جواداً مُمدَّحاً .

[جرير يودعه ابنه]

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِي عن محمد بن حبيب عن ابن
الأعرابي قال : أراد جرير أن يوجِّه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن
أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفْتَ
هذا القرشي أمري ! فقال له جرير¹ :

أزاداً سوى يحيى تريدُ وصاحباً ألا إنَّ يحيى نِعَمَ زادُ المسافرِ
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه إذا أنفضُوا أو قلَّ ما في الغرائر²

[زواجه من بنت زياد بن هوزة]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عَلِيل العنزي قال : تزوج يحيى بن
أبي حفصة بنتَ زياد بن هوزة بن شماس بن لَأي بن أنف الناقة ؛ فاستعدى عليه عمَّاه
عبد الملك بن مروان وقالوا : أينكح إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك وإليك بنتها ،
وينكح هذا العبدُ هذه ؟! فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي ،
وكان مغمور النسب في الإسلام ، والله لهذا أشرفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام
ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أحبُّ أن لي يحيى ألفاً منكما . والله لو تزوج بنت
قيس بن عاصم ما نزعَتْها منه . ومنَّ زوجه فقد زوج ابني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان .
فخرجا وتخلَّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنضَيَا رِكَبَهما ، وأُحِلَّقا

1 ديوان جرير (صادر) : 183 .

2 الوجناء : الناقة الشديدة . أنفض القوم : فني زادهم .

ثيابهما ، والتزما مؤونةً في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قالاً فيك !! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألتَهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصله وحمله . فخرج يحیی إلیهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان بنتَ أحدهما ، وولدت بنتُ زياد منه أولاداً .
[يهنئ الوليد بن عبد الملك ويعزيه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُويِع له بالخلافة بعد أبيه ، فهناه وعزاه وأنشده :
[من الكامل]

إن المنايا لا تغادرُ واحداً	يمشي بِبِزْرِهِ ولا ذا جنة
لو كان خلقٌ للمنايا مُفْلِتاً	كان الخليفةُ مُفْلِتاً منهنة
بكتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما	بكتِ المنابرُ فَقَدَ فارسُهنة
لَمَّا علاهُنَّ الوليدُ خليفةً	قلنَ ابنُه ونظيرُه فسكنه
لو غيرُه قَرَعَ المنابرَ بعده	لَنَكِرَته فطَرَحَته عنهنه

[زوج بنيه من بنت مقاتل المنقري وأختيه فهجاه القلاح]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال : خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ابنته وأختيه ، فأنعمَ له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأَتَوْه بالجَفر فزوجهن بَنِيه ثلاثَهم ، ودخلوا بهنَّ ثم حملوهن إلى حَجَر . فقال القلاح بن حَزَن المنقري في ذلك :
[من الطويل]

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ	وإن كُنَّ رَمْساً في الترابِ بَواليا
أضَيَّعتموا خيلاً عِراباً فأصبحت	كواسدَ لا يَنكِحُن إلا المَواليا
فلم أرَ أبراداً أَجَرَ لَحْزِيه	والأمَ مَكْسُوءاً والأمَ كاسيا
من الحَزِّ واللأثي بِحَجَرٍ عليكمُ	نُشِرْنَ فكنَّ المُخْزِياتِ البواقيا

فقال يحيى يرد عليه :

ألا قَبَحَ اللهُ القلاحَ ونسوة	على البئرِ يعطِشْنَ الكلابَ من التَّن
نَكَحْنَا بناتِ القَرَمِ قيسَ بن عاصم	وعمداً رَغَبنا عن بناتِ بني حَزَن
أباً كان خيراً من أهلكَ أرومة	وأوسطَ في سَعْدٍ وأرجعَ في الوَزَن

[من الطويل]

لَيْسَ بَنِي حَزَنٍ مِنَ الذَّلِّ وَهْنٌ كَوْهْنَةُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَبْنِي
وَلَمْ تَرَ حَزِينًا ، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا وَأُبْرَزَ ، فِي فَرْجٍ يَعِفُّ وَلَا بَطْنَ¹
وَضِيفُ بَنِي حَزَنٍ يَجُوعُ وَجَارُهُمْ إِذَا أَمِنَ الْجِيرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

[شعره في ابن المهلب وقومه]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أُنْشِدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ لِيَحْيَى يَذْكُرُ خُرُوجَ يُزَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ
وَيَتَأَسَّفُ عَلَى الْحَجَّاجِ :

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السِّيفُ إِذْ فُتِنُوا لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَا حَجَّاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكثُوا لَمْ يُخْصِرْ قَتْلَاهُمْ حَسَابُ دِيرِينَ
لَمْ تَأْتِهِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ مِثْلَ الْجَرَادِ تَنْزَى فِي التَّبَابِينِ²
مَنْ كُلُّ أَفْحَجٍ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةٌ أُرْفَتْ بِهِ السُّفْنُ عِلْجًا غَيْرَ مَجْنُونِ³

[شعره في والي اليمامة]

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : وَأُنْشِدَنِي لِيَحْيَى فِي سَفِيَانِ بْنِ عَمْرٍو وَالِي الْيَمَامَةِ :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ وَلَوْ أَطْعَمْتُ لِمَا زَلْتُ بِهِ الْقَدَمُ
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخَ فِي فَحْمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَا لَهُ حَمَمُ

[بخل مروان بن أبي حفصة]

وَلِيَحْيَى أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَاهُنَا مِنْهَا مَا ذَكَرْنَا لِنَعْرِفَ أَعْرَاقَ مَرْوَانَ فِي الشَّعْرِ .
وَكَانَ مَرْوَانُ أَبْخَلَ النَّاسِ عَلَى يَسَارِهِ وَكَثْرَةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، لَا سِوَمَا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ،
فَإِنَّهُ كَانَ رَسْمُهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِكُلِّ بَيْتٍ يَمْدَحُهُمْ بِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِمَارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كَانَ الْمَهْدِيُّ
يُعْطِي مَرْوَانَ وَسَلَمًا الْخَاسِرَ عَطِيَّةً وَاحِدَةً ، وَكَانَ سَلَمٌ يَأْتِي بَابَ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْبِرْدُونِ قِيمَتُهُ
عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَالسَّرْجُ وَاللِّجَامُ الْمَقْدُودَيْنِ⁴ ؛ وَلِبَاسُهُ الْخَزُّ وَالْوَشْيُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ
الثِّيَابِ الْغَالِيَةِ الْأَثْمَانِ ، وَرَائِحَةُ الْمَسْكِ وَالْغَالِيَةِ وَالطِّيبِ تَفُوحُ مِنْهُ ، وَيَجِيءُ مَرْوَانَ بْنُ أَبِي

1 أُبْرَزَ : اتَّخَذَ الْإِبْرِيزَ وَهُوَ الذَّهَبُ الْخَالِصُ ، كِتَابَةً عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ .

2 تَرْبُصُهُ : تَنْتَظَرُهُ . التَّبَابِينُ : جَمْعُ تَبَانٍ وَهُوَ سِرَاوِيلٌ صَغِيرٌ .

3 الْفَحْجُ : تَدَانِي صُدُورِ الْقَدَمَيْنِ وَتَبَاعُدِ الْعَقِيْنِ . الْحَنْفُ : اعْوَجَاجُ الرَّجْلِ إِلَى الدَّخْلِ . أُرْفَتْ السَّفِينَةُ : دَنَتْ مِنَ الشَّاطِئِ . وَغَيْرُ مَجْنُونٍ : غَيْرُ مَغْطَى .

4 الْمَقْدُودُ : الْمَزِينُ .

حفصة وعليه فرؤ كيش¹ ، وقميص كرايس¹ وعمامة كرايس ، وخفأ كبل² وكساء غليظ³ مُتَنُّ الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه ، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرووس⁴ في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستطيع الغلام أن يغيبني فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدير أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذن أو خد أو قفت عليه ، فأكل منه ألواناً ، آكل عينيه لوناً ، وأذنيه لوناً ، وغصمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأكفى مؤونة طبخه ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قال حدثني موسى بن يحيى قال : أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالاً حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد . قال : فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علي أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال ففضب يحيى ثم قال : علي بمروان ، فأتني به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله كما يرى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقري عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله البخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إليه ، فلا تبخل . أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتها فزادت درهماً فاشتريت به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعمنا تمرأ ، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خنتني ! قال : من فلس كيف أحونك ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزي عنه قال : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد منى بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاه أربعة دنانير .

1 الكرايس : جمع كرايس وهو الثوب الخشن .

2 الكبل : الكثير الصرف .

3 . كتاب الأغاني - ج 10

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : اشترى مروان لحماً بنصف درهم ، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضج ، دعاه صديق له ، فردّه على القَصَاب بنقصان دائق . فشكاه القصابُ وجعل ينادي : هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : أكره الإسراف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : أنشِدْتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروانٍ على العرسِ غَيْرَةٌ ولكنَّ مرواناً يَغَارُ على القِدْرِ

[قصته مع أبي الشمقم]

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفْآن قال حدثني يحيى بن الجَوْن العبدي قال : فرّق المهديُّ على الشعراء جوائزَ ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً . فجاءه أبو الشمقم فقال له : أجزني من الجائزة . فقال له : أنا وأنت تأخذ ولا تُعطي . قال : فاسمع مني بيتين . قال : هات . فقال أبو الشمقم :

لِحْيَةُ مروانَ تَقْبِي غَيْرًا خالطَ مسكاً خالصاً أَذْفَرًا
فما يُقِيمَانِ بها ساعةً إلا يَعُودَانِ جميعاً خَرًا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخير أحمد بن جعفر جَحَظَة عن أبي هِفْآن فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه . فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان .

[الهادي يداعبه في المعجل والمؤجل]

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مُصْعَب عن جدِّي عبدِ الله بن مصعب قال : دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :

تَشَابَهَ يوماً بِأَسِيهِ ونوَالِهِ فما أَحَدٌ يدري لأَيُّهُما الفضلُ

فقال له الهادي : أيما أحب إليك : أثلثون ألفاً مُعَجَّلَةً أم مائة ألف تدوّن في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيته ، أفأذن لي أن أذكرك ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّل لي الثلاثين ألفاً وتدوّن المائة الألف في الدواوين . فضحك وقال : بل يعجلان جميعاً ؛ فحُمِلَ المالُ إليه أجمع .

[بينه وبين الزبيدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال : اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو

محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان يُنشد :

[من الكامل]

طَرَقْتُكَ زَائِرَةً فَحِيَّ خِيَالَهَا

فقال اليزيدي : لَحن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم

[من الكامل]

قال :

بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا

فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أَيْتَكُنِّي في مجلسك ! (يعني اليزيدي) فقال :

اعذروا شيخنا ، فإن له حُرْمَةً .

[سؤال الرشيد عن الوليد بن يزيد]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي

قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلت على الوليد بن يزيد ؟

فقلت : نعم دخلت مع عمومي إليه . قال : فَأَخْبِرْنِي عنه . قال : فذهبتُ أَتَرْحُزُح . فقال

لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كان من

أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع عمومي ولي لِمَّةٍ فَيَنَانَةٍ ، فجعل

يغمر القضيْبَ فيها ويقول لي : يا غلام وَلَدْتُكَ سَكْرٌ ؟ ، وهي أُمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحكم فوهبها

لجدي أبي حفصة فولدت منه ، فقلت له : نعم . قال لي الرشيد : فهل تحفظ من شعره شيئاً ؟

قلت : نعم ، سمعته يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وَتَحَامَلَهُ عليه وما كان يريد من نَقْضِ أمره

وولايته¹ :

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِكَتَلَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَتْرَعَا

كَلِمًا لَهُ الصَّاعَ الَّتِي كَالَهَا وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهَا أَصْوَعَا

وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بَذْعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

فقال الرشيد : يا غلامُ ، الدَّوَاةُ وَالْقِرْطَاسُ ، فَأَتَيْتَ بِهِمَا ، فَأَمَرَ بِالْأَبْيَاتِ فَكُتِبَتْ .

[رأى خلف الأحمر في شعره]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال

حدثني خَلَادُ الْأَرْقُطِ قال : جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلَقَةِ يُونُسَ ، فأخذ بيد خَلْفَ

الأحمر فأقامه ، وأخذ خَلْفَ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمَيْرٍ² فجلسنا في الدهليز . فقال مروان

1 في هذه الأبيات روايات مختلفة (انظر شعر الوليد بن يزيد - عطوان ، مكتبة الأقبسى ، عمان) ولكنها لا تخرج عن مدلولها هنا .

2 ل : ابني عمير .

لخَلْفٍ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَرِّزٍ إِلَّا نَصَحْتَنِي فِي شِعْرِي فَإِنَّ النَّاسَ يُخَدِّعُونَ فِي أَشْعَارِهِمْ ،
وَأُنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
[من الكامل]

طَرَقْتُكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خَيَالَهَا بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَشْعَرُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ :

رَحَلْتُ سُمَيَّةَ غُدُوَّةَ أَجْمَالِهَا

فَقَالَ لَهُ مِرْوَانُ : أَتَبْلُغُ بِيَ الْأَعْشَى هَكَذَا ! وَلَا كُلُّ ذَا ! قَالَ : وَيْحَكَ ! إِنْ الْأَعْشَى قَالَ فِي
قَصِيدَتِهِ هَذِهِ :

فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

وَالطُّحَالُ مَا دَخَلَ قَطُّ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ ، وَأَنْتَ قَصِيدَتُكَ سَلِيمَةً كُلَّهَا . فَقَالَ لَهُ
مِرْوَانُ : إِنِّي إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ الْقَصِيدَةَ رَفَعْتُهَا فِي حَوْلٍ ، أَقُولُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَأَتَخْلَعُهَا
فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَأَعْرِضُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .
[رَأَى يُونُسُ فِي شِعْرِهِ]

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبِيرِ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِي قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ أَبُو دَلْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ الرَّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : جَاءَ
مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ إِلَى حَلَقَةِ يُونُسَ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَنَا : أَيُّكُمْ يُونُسُ ؟ فَأَوْمَأْنَا إِلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنِّي أَرَى قَوْمًا يَقُولُونَ الشَّعْرَ ، لِأَنَّهُ يَكْشِفُ أَحَدَهُمْ سُوءَتَهُ ثُمَّ
يَمْشِي كَذَلِكَ فِي الطَّرِيقِ أَحْسَنُ لَهُ مِنْ أَنْ يُظْهَرَ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّعْرَ . وَقَدْ قَلْتُ شِعْرًا أَعْرِضُهُ
عَلَيْكَ ، فَإِنْ كَانَ جَيِّدًا أَظْهَرْتُهُ ، وَإِنْ كَانَ رَدِيقًا سَتَرْتُهُ . فَأُنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
[من الكامل]

طَرَقْتُكَ زَائِرَةً فَحَيَّ خَيَالَهَا

فَقَالَ لَهُ يُونُسُ : يَا هَذَا اذْهَبْ فَأُظْهِرْ هَذَا الشَّعْرَ فَأَنْتَ وَاللَّهُ فِيهِ أَشْعَرُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ :

رَحَلْتُ سُمَيَّةَ غُدُوَّةَ أَجْمَالِهَا

فَقَالَ لَهُ مِرْوَانُ : سِرْرَتَنِي وَسَوْتَنِي . فَأَمَّا الَّذِي سِرْرَتَنِي بِهِ فَارْتِضَاؤُكَ الشَّعْرَ . وَأَمَّا الَّذِي
سَاءَنِي فَتَقْدِيمُكَ إِيَّايَ عَلَى الْأَعْشَى وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَحَلَّهُ . فَقَالَ : إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ
الْقَصِيدَةِ لَا فِي شِعْرِهِ كُلِّهِ لِأَنَّهُ قَالَ فِيهَا :

فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

وَالطُّحَالُ لَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدَهُ . وَقَصِيدَتُكَ سَلِيمَةٌ مِنْ هَذَا وَشَبِيهِهِ .

[رأى الأصمعي فيه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال : سمعتُ الأصمعي ذكرَ مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له علم باللغة .

[من شعر الناس]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العُتبي قال حدثني بعض أصحابنا قال : أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناسُ واللهُ أشعرُ الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى يُنتقل إلى شعر غيره .

[اشترى من أعرابي شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال : اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إياه ، أوله : [من الكامل]

مَروانُ يا ابنَ محمدٍ أنتَ الذي زِيدَتْ به شَرَفاً بنو مروانٍ

فأعجبته القصيدة ، فأهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعتُ قصيدتك وأعجبتني ، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رُمته عنده ؛ أتبعني القصيدة حتى أنتحلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم . قال : بكم ؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد ابتعتها ؛ فأعطاه الدراهم وحلّقه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا يُنشدَها ، وانصرف بها إلى منزله ، فغيرَ منها أبياتاً وزاد فيها ، وجعلها في مَعْن ، وقال في ذلك البيت :

مَعْنُ بن زائدة الذي زِيدَتْ به شَرَفاً إلى شرف بنو شيبانٍ

ووفد بها إلى مَعْن بن زائدة فملاً يديه ، وأقام عنده مدة حتى أثرى واتسعت حاله . فكان مَعْنُ أوَّلَ من رفع ذكره ونوّه به . قال : وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراثٍ حسنة .

[معن والعبد الذي أطلقه تكرماً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالا ؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطرّ لشدة الطلب إلى أن قام في الشمس حتى لوحت وجهه ، وخفف عارضيه وليخته ، ولبس جبّة صوف

غليظة ، وركب جملاً من الجمال الثقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة¹ بلاء حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه . قال معن : فلما خرجت من باب حرب² تبعني أسود متقلداً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض عليّ ؛ فقلت له : ما لك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال : معن بن زائدة . فقلت : يا هذا اتق الله وأين أنا من معن ! قال : دغ هذا عنك فأنا والله أعرف به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي يقبي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذهُ ولا تسفك دمي . قال : هاتيه فأخرجته إليه ؛ فنظر إليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت لا . قال : فنصفه ؟ قلت لا . قال : فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا والله راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنائير ، وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حجري وخلّى خطام البعير وانصرف . فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك فأني غني عنه . فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامي هذا ، والله لا أخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكان الأرض ابتلعه .

[بلاء معن يوم الهاشمية]

قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتيراً حتى كان يوم الهاشمية ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً ، وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعد ، ثم جاء والمنصور راكباً على بغلة ولجامها بيد الربيع ؛ فقال له : تنح فأني أحق باللجام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناء . فقال له المنصور : صدق فادفعه إليه ؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال . فقال له المنصور : من أنت لله أبوك ؟ قال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . قال : قد

1 هو أحد رجالات بني أمية وولاتهم قتله أبو جعفر المنصور سنة 132 (انظر ترجمته في ابن خلكان 6 : 313-321) .

2 موضع ببغداد ينسب إلى حرب البلخي : أحد قواد المنصور .

أَمَّنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَمِثْلَكَ يُصْطَنَعُ . ثُمَّ أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيْنَهُ . ثُمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ أَمَّلْتُكَ لِأَمْرٍ ، فَكَيْفَ تَكُونُ فِيهِ ؟ قَالَ : كَمَا يَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : قَدْ وَلَّيْتُكَ الْيَمْنَ ، فَابْسُطِ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى يُنْقَضَ حِلْفُ رِبْعَةِ الْيَمَنِ ، قَالَ : أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَوَلَّاهُ الْيَمْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَبَسَطَ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ . [معن يكرمه لمدحه المنصور]

قال مروان : وقديم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْلا مَكَائِكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فِيكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ ، قَالَ : إِعْطَاؤُكَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ أَلْفَ دِينَارٍ لِقَوْلِهِ فِيكَ¹ :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرْفًا إِلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
 إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَعَانُ
 فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَعْطَيْتَهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ ، وَإِنَّمَا أَعْطَيْتَهُ لِقَوْلِهِ : [من الكامل]
 مَا زِلْتُ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
 فَمَنْعَتْ حَوَزَتَهُ وَكُنْتُ وَقَاهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانٍ
 فَاسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ وَقَالَ : إِنَّمَا أَعْطَيْتَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ لِهَذَا الْقَوْلِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
 وَاللَّهِ لَوْلا مَخَافَةُ النِّقْمَةِ² عِنْدَكَ لِأَمْكُنَّتْهُ مِنْ مِفْتَاحِ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَأَجَحَتْهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ لَهُ
 الْمَنْصُورُ : اللَّهُ دَرُكٌ مِنْ أَعْرَابِي ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَعْزُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلُ الْحَزَمِ !
 [مدح المهدي فرده لمدحه معنًا]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الربيع قال : رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَبْدُكَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ³ :

[من الوافر]
 أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالًا⁴

1 ديوانه : 281 .

2 في ل : الشفعة .

3 ديوانه : 270-275 .

4 باليمامة في ل : المدينة .

وَقُلْنَا أَيْنَ نَرَحُلُ بَعْدَ مَعْنٍ وقد ذهبَ النَّوَالُ فلا نوالا
قد ذهب النَّوَالُ فيما زعمتَ ، فلم جئتَ تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُوا
برجله ؛ فَجَرُوا برجله حتى أُخْرِجَ . قال : فلما كان من العام المقبل تَلَطَّفَ حتى دخل مع
الشعراء ، وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثل بين يديه وأنشده
بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء¹ :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خيالها بيضاء تَخِلِطُ بالجمالِ دلالها²
قادتُ فَوادِكَ فاستقَادَ ومثلها قَادَ القلوبَ إلى الصَّبَا فأمالها
قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله :

هلْ تَطْمَسُونَ من السماء نجومها بأَكْفُكُمْ أو تَسْتَرُونَ هلالها
أو تَجْحَدُونَ مقالةً عن ربكم جبريلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فقَالها
شَهِدْتُ من الأنفالِ آخِرُ آيةٍ بُرَائِهِمْ فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَها
قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصَلَّاهُ حتى صار على البساطِ إعجاباً بما سمع ،
ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائة ألف درهم
أعطيتها شاعرٌ في أيام بني العباس .
[مدح الرشيد فردّه لمدحه معناً]

قال : ومضت الأيام ووليَ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيته واقفاً مع
الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُكَ وعبدُكَ يا أمير المؤمنين
مروانُ بن أبي حفصة . قال له : ألسْتَ القائل في مَعْنِ بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذين أنشده
إياهما المهدي ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأخرج . فلما كان بعد ذلك
بأيام تَلَطَّفَ حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها³ :

لَعَمْرُكَ ما أنسى غَدَاةَ الْمُحَضَّبِ إشارةً سَلَمَى بالبنانِ الْمُحَضَّبِ
وقد صَدَرَ الحُجَّاجُ إِلَّا أَقْلَهُم مصادِرَ شَتَّى مَوْكِباً بَعْدَ مَوْكِبِ
قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتُكَ من بيتٍ ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها
الوفاء . فكان ذلك رَسَمَ مروانَ عندهم حتى مات .

1 ديوانه : 264-267 .

2 بالجمال في ل : بالحياء .

3 ديوانه : 217 .

[مدح المهدي في الرصافة]

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد الزبيدي عن إسحاق قال : دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قَدِمَ عليه . قال : فدخلتُ عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه ¹ :

أمرٌ وأحلى ما بلا الناسُ طعمه عذابُ أمير المؤمنين ونائله
فإن طليقَ الله مَنْ أنتَ مُطْلِقٌ وإن قَتيلَ الله مَنْ أنتَ قَاتِلُهُ
كَأَنَّ أميرَ المؤمنينَ محمداً أبو جعفر في كلِّ أمرٍ يحاوله

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلة أولَ صلة سنيّة وصلتُ إليَّ في أيام بني هاشم .

[مدح المهدي وذم يعقوب ابن داود]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحّاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلتُ على المهدي في قصر السلام ، فلما سلّمتُ عليه ، وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود ، قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضي وإنه سمعني أقول في الوراثّة ² :

أنّى يكونَ وليس ذاكَ بكائنٍ لبني البناتِ وراثّةُ الأعمامِ
فذلك الذي حَمَلَه على عداوتي . ثم أنشدته :

[من الطويل]

كَأَنَّ أميرَ المؤمنينَ محمداً لرأفته بالناسِ للناسِ والدُّ
على أَنه مَنْ خَالَفَ الحقَّ منهمُ سَقَتَهُ يَدَ الموتِ الحُتُوفُ الرّواصدُ

ثم أنشدته :

[من الكامل]

أحيا أميرُ المؤمنينَ محمداً بسُنَنِ النبيِّ حرامها وحلالها

قال فقال لي المهدي : والله ما أعطيك إلا من صُلِّبَ مالي فاغذّرني ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . وكساني جُبّةً ومُطَرَفاً ، وفَرَضَ لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى .

1 ديوانه : 262 .

2 ديوانه : 279 .

[رأى ابن الأعرابي في شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وقد على معن بن زائدة فأنشده قوله¹ : [من الطويل]

بنو مطير يوم اللقاء كأنهم أسود لها في بطن خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
لهايم ، في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيعُ الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في الناثبات وأجملوا

قال : فأمر لي بصلة سنية وخلع عليّ وحملني وزودني . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي : لو أعطاه كل ما يملك كما وفاه حقّه . قال : وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء ، وما دون لأحد بعده شعراً .

[رأيه في شعر جرير والفرزدق]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال : رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زائدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فقال لي : قد سئلتُ عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلتُ فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدني² : [من الكامل]

ذهب الفرزدق بالهجاء وإنما خلّو القريض ومُرّه لجرير³
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى النهى بيانه المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جرّبتُ ففت غير مهلل بجراء لا قرف ولا مبهور⁴
إني لأنف أن أحبر مدحة أبداً لغير خليفة ووزير

1 ديوانه : 257-258 .

2 ديوانه : 230-231 .

3 بالهجاء في الديوان : بالفخار .

4 رواية هذا البيت والذي يليه في الديوان :

ولقد جرّيت مع الجياد ففتها
معان لا شيم ولا مبهور
إلا لصاحب منبر وسرير
ما زلت أنف أن أحبر مدحة

ما ضربني حسدُ اللثامِ ولم يَزَلْ ذُو الفضل يحسُّهُ ذُو التقصيرِ
قال : فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها . وكتبُ الأبيات عن فيه .
[معن يحكمه في عطائه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السَّجِسْتَانِي قال حدثني
العَنْسِيَّ قال : لما قَدِمَ مَعْنُ بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس
غاصُّ بأهله ، فأخذ بَعْضَادَتِي الباب وأنشأ يقول¹ :
[من الطويل]

وما أَحْجَمَ الأعداءُ عنكَ بَقِيَّةٌ عليك ولكن لم يَرَوْا فيكَ مَطْمَعاً
له راحتانِ الجودُ والحنفُ فيهما أبى الله إلا أن تَضُرَّاً وتَنْفَعاً
قال فقال له مَعْنُ : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال مَعْنُ : ربِّحنا عليك تسعين
ألفاً . قال : أَقْلَنِي . قال : لا أقال الله من يُقِيلُكَ .
[رد معن على محرز]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال : لما قَدِمَ مَعْنُ بن زائدة
من اليمن استقبله الناس ، وتلقاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدة يهته فيها بقدمه
وبرأي المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم مُحَرِّزٌ² فجعل يقول له : سفكتَ الدماء ،
وظلمتَ الناسَ ، وتعدَّيتَ طَوْرَكَ بذلك . فلما أكثر على مَعْنُ التفت إليه ثم قال له : يا مُحَرِّزُ
أخبرني بأي خُفْيِكَ تضرب اليوم : أبالسُّباعي أم بالثُّماني ؟ قال : فانقطع وسكت خَجَلاً .
[حكاية الهاشمية مرة أخرى]

ودخل مَعْنُ على المنصور ، فلما سلَّم عليه وسأله قال له : يا مَعْنُ ، أعطيت ابن حفصة
مائة ألف درهم عن قوله فيك :

مَعْنُ بن زائدة الذي زِيدَتْ به شرفاً إلى شرفِ بنو شَيْبَانٍ
فقال له : كلاً يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله :

ما زِلْتُ يومَ الهاشمية مُعْلِماً بالسيفِ دونَ خليفةِ الرحمنِ
فاستحيا المنصورُ من تهجينه إِيَّاه فتبسَّم وقال : أحسنتَ يا معن في فعلك .
[يحيى بن منصور عاد إلى الشعر لما سمع بكرم معن]

أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 245-247 .

2 أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

ثُورٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَدَوِيُّ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ الشَّعْرَ . فَلَمَّا بَلَغَتْهُ أَفْعَالُ مَعْنُ وَقَدْ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ ، فَقَالَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ¹ :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنٍ فَإِنِّهِمَا بِالْجُودِ أَفْتَنَّا يَحْيَى بْنَ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنٍ تَدَفَّقَتَا بَنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَنُورٍ
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا وَظِلُّ الشَّعْرِ ذَا رَصْفٍ وَتَحْبِيرٍ

[لم يرَضَ زواج امرأة من أهل في بني مطر]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : وَجَدَ عَلَى مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ كِتَابَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِهِ تَزَوَّجَتْ فِي قَوْمٍ لَمْ يَرْضَ صِيْهَرَهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو مَطَرٍ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ لِأَخِيهَا² :

لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاجِحِهِ لَمَّا تَنَقَّيْتُ فَحْلًا جَدُّهُ مَطَرٌ
لِلَّهِ دَرٌّ جِيَادٍ كُنْتُ سَائِسَهَا ضِيَعْتُهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرُّ
نُبِئْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارُ أَنْتَظِرُ

[نهكهم بالجني الشاعر فهجاه]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَقَّافُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِحَدَّانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَيْهَمِ الْحَنْفِيِّ قَالَ : مَرَّ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بِرَجُلٍ مِنْ تَبِيمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يُعْرَفُ بِالْجَنِيِّ ؛ فَقَالَ لَهُ مِرْوَانُ : زَعَمُوا أَنَّكَ تَقُولُ الشَّعْرَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ عَرَّفْتُكَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ مِرْوَانُ : مَا أَنْتَ وَالشَّعْرَ ، مَا أَرَى ذَلِكَ مِنْ طَرِيقَتِكَ وَلَا مَذْهَبِكَ وَلَا تَقُولُهُ ! فَقَالَ الْجَنِيُّ : اجْلِسْ وَاسْمَعْ فَجَلِسَ ؛ فَقَالَ الْجَنِيُّ يَهْجُوهُ :

ثَوَى اللُّؤْمُ فِي الْعَجَلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَفِي دَارِ مِرْوَانَ ثَوَى آخَرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطَرَحًا لِرِحَالِهِ فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مِرْوَانَ خَيْمَ عِنْدَهُ وَقَالَ رَضِينَا بِالْمُقَامِ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمِرْوَانَ عَلَى الْعِرْسِ غَيْرَةٌ وَلَكِنَّ مِرْوَانَ يَغَارُ عَلَى الْقِدْرِ

فَقَالَ لَهُ مِرْوَانُ : نَاشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . فَحَلَفَ الْجَنِيُّ بِالطَّلَاقِ

1 ديوانه : 229-230 .

2 ديوانه : 235 وهذه الأبيات تشبه أبياتاً للقلاح بن حزن المنقري يهجو بها مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم عندما زوج ابنته خولة من ابن يحيى بن أبي حفصة (انظر طبقات ابن المعتز : 44) .

ثلاثاً أنه لا يكفُّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم : قاق في استي بيضة . فجلبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدي يحيى بن الأئهم ، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله .
[تعريته للمهدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدؤسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة بن مخرق الهلالي قال : لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهتونه بالخلافة ويعزونه عن المهدي ؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب ثم قال¹ : [من الطويل]
لقد أصبحت تخال في كل بلدة بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكن بابه في مكانه لما برحت تبكي عليه المناير
قال فخرج الناس بالبيتين .
[مدح عمرو بن مسعدة في مرضه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال : مرّ عمرو بن مسعدة ، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول² :

صحَّ الجسمُ يا عمرو لك التَّمحيصُ والأجرُ³
ولله علينا الحمـ دُ والمنَّةُ والشكرُ
فقد كان شكا شوقاً إليك النَّهيُّ والأمرُ

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال⁴ :
قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم نفسي الفداء له من كلٍّ محذورٍ
يا ليت علته بي غير أن له أجَرَ العليلِ وأتني غيرُ مأجورٍ
[رؤيته الغول في بعض سفراته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حذيفة قال

1 ديوانه : 234 .

2 ديوانه : 238 عن الأغاني .

3 صح في ل : صحيح .

4 ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف) : 323 .

حدثني رجل من بني سليم في مسجد الرصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال : وفدت في ركب إلى الرشيد فصرنا في أرض موحشية قفر ، وجن علينا الليل فسيرنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحذو في آثارنا ، فإذا هي الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرساً وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني فلست من صبح وليس مني
قال : فما أذكر أنني فزعت من شيء قط فزعي ليلئذ .
[معارضة التغلي له في وراثة الأعمام]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلي قال : مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله ، فسلمت عليه ، فقال لي : مرحباً يا أخا تغلب ، اجلس فجلست ، فقال لي : أما تعجب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول : [من الكامل]

أتى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام
فقلت بلى والله إني لأتعجب منه وأكثير اللعن له ، فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت :
[من الكامل]

لم لا يكون وإن ذاك لكائن لبني البنات وراثة الأعمام
للبنت نصف كامل من ماله والعلم متروك بغير سهام
ما للطلليق وللثراث وإنما صلي الطليق مخافة الصمصام

[صالح بن عطية الأضجم يقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال : لما قال مروان :

أتى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام
لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك ، وما زلت ألافه وأبره وأكتب أشعاره ، حتى خصصت به ، فأنس بي جداً ، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي ، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه والألمه والأطفه ، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقه حتى مات ، فخرجت وتركة ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ، وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن ، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به .

161 - [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي]

[نشأته ونسب أمه]

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأُمُّه شَكْلَة . ويكنى أبا إسحاق . وشَكْلَة أُمُّه مولدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له شاه أفرند¹ ، فقُتِلَ مع المازيار وسُيِّتَ بنته شَكْلَة ، فحُمِلَتْ إلى المنصور ، فوهبها لمُحَيَّة أُمُّ ولده فربَّتْها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفحصت ؛ فلما كبرت رُدَّت إليها . فرآها المهدي عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً فهماً ذِئناً أديباً شاعراً راوية للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس : رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . ف قيل له : مع ما تبدّل له من الغناء ؟ فقال : وهل تمّ فضله إلا بذلك ! .

[كان ينسب ما يصنع لشارية وريّ جاريتيه]

حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه . وكان أشدَّ خلق الله إعظاماً للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدّهم منافسةً فيه . وكانت صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبّه إلى شارية وريّ ، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع ، فقلّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء قال : إنما أصنع تطريباً لا تكسباً ، وأغني لنفسي لا للناس ، فأعمل ما أشتهي . وكان حُسْنُ صوته يستر عوار ذلك كله . وكان الناس يقولون لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُليّة ؟ .

[مناظراته مع إسحاق الموصلي]

وكان يُماظ² إسحاق ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يقي به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويُغصُّه بريقه ويُغضُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبينه من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر هاهنا منها ما لم أذكرُ هناك .

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقيلان وخفيفهما ؛ فإنه

1 ل : إفريز .

2 يُماظ : ينازع .

سَمَّى الثَّقِيلَ الأولَ وخَفِيفَهُ الثَّقِيلَ الثانيَ وخَفِيفَهُ ، وَسَمَّى الثَّقِيلَ الثانيَ وخَفِيفَهُ الثَّقِيلَ الأولَ وخَفِيفَهُ ؛ وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ مَنَظَرَاتٌ وَمَجَادِلَاتٌ وَمِرَاسِلَةٌ وَمَكَاتِبَةٌ وَمَشَافَهَةٌ ، وَحَضَرَهُمَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَفْقِي بِفَصْلِ مَا بَيْنَهُمَا وَالْحُكْمَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى صَاحِبِهِ . وَوَضَعَ لِذَلِكَ مَكَائِلَ لَتُعَرَفَ بِهَا أَقْدَارُ الطَّرَاقِ ، وَأُمْسَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى آخِرِ أَقْدَارِهِ ، فَلَمْ يَصِحْ شَيْءٌ يُعْمَلُ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ اضْمَحِلْ وَبَطَلْ وَتَرَكْ ، وَعَمِلَ النَّاسُ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَشْهَرَهُمَا . وَأَوْضَحَ إِسْحَاقُ أَيْضًا لِذَلِكَ وَجُوهًا فَقَالَ : إِنَّ الثَّقِيلَ الأولَ يَجِيءُ مِنْهُ قَدْرَانِ ، الثَّقِيلُ الأولُ التَّامُ ، وَالْقَدْرُ الأَوْسَطُ مِنَ الثَّقِيلِ الأولِ ، وَجَمِيعًا طَرِيقَتُهُ وَاحِدَةٌ لِاتِّسَاعِهِ وَالتَّمَكُّنِ مِنْهُ ، وَالثَّقِيلُ لَا يَجِيءُ هَذَا فِيهِ وَلَا يَقَارِبُهُ . وَالثَّقِيلُ الأولُ يُمْكِنُ الإِدْرَاجُ فِي ضَرْبِهِ لِثِقَلِهِ ، وَالثَّقِيلُ الثانيَ لَا يَنْدَرِجُ لِنَقْصِهِ عَنْ ذَلِكَ . وَلَهُمَا فِي هَذَا كَلَامٌ كَثِيرٌ وَمَخَاطِبَاتٌ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي أَخْبَارِهِمَا ، وَشَرَحْتُ الْعِلَالَ مَبْسُوطَةً فِي كِتَابِ أَلْفَتِهِ فِي النَّعْمِ شَرْحًا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ وَلَا يَصْلُحُ فِيهِ . وَأَمَّا التَّجْزِئَةُ وَالْقَسْمُ فَإِنَّهُمَا أَفْنِيَا أَعْمَارَهُمَا فِي تَنَازُعِهِمَا فِيهِمَا ، حَتَّى كَانَ يَمْضِي لُهُمَا الزَّمَانُ الطَّوِيلُ لَا تَنْقَطِعُ مَنَظَرَتُهُمَا وَمَكَاتِبَتُهُمَا فِي قِسْمَةٍ وَتَجْزِئَةٍ صَوْتٍ وَاحِدٍ فِيهِ ، وَحَتَّى كَانَا يَخْرُجَانِ إِلَى كُلِّ قَبِيحٍ ، وَحَتَّى إِنَّهُمَا مَا تَا جَمِيعًا وَبَيْنَهُمَا مَنَازَعَةٌ فِي هَذَا الصَّوْتِ وَقِسْمَتِهِ :

[من مجزوء الخفيف]

حَيًّا أُمَّ يَغْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

لَمْ يُفْصَلْ¹ بَيْنَهُمَا فِيهَا إِلَى أَنْ افْتَرَقَا . وَلَوْ ذَهَبْتُ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ وَشَرَحْتُ سَائِرَ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَقِصَصِهِ لَمَا وَلِيَّ الْخِلَافَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهِ بِفَصَاحَةِ اللِّسَانِ ، وَحَسَنِ الْبَيَانِ ، وَجَوْدَةِ الشَّعْرِ ، وَرَوَايَةِ الْعِلْمِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْجَدَلِ ، وَجَزَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفَقْهِ وَاللُّغَةِ ، وَسَائِرِ الْآدَابِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعُلُومِ النَّفِيسَةِ ، وَالْأَدَوَاتِ الرَّفِيعَةِ ، لِأَطَلْتُ . وَإِنَّمَا الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْأَغَانِي أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهَا ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَثُرَتْ الرِّوَايَاتُ وَالْحِكَايَاتُ عَنْهُ ؛ فَلِذَلِكَ اقْتَصَرْتُ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ أَخْبَارِهِ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ التَّفْضِيلِ وَالتَّبْجِيلِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ .

[اعتراف إبراهيم بن المهدي بقدرته على الغناء]

أَخْبَرَنِي عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَكْرٍ عَنْ جَدِّهِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : لَوْلَا أَنِّي أَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَأُظْهِرْتُ فِيهَا مَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَعَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا قَبْلِي مِثْلِي .

[رأى ابن جامع في غنائه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غنني . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغنيتُ : [من الكامل]

أُسرى بخالدة الخيالُ ولا أرى شيئاً ألدُّ من الخيالِ الطارقِ

فسمعتُ إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلبُ لما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقتُ . فلما فرغتُ من غنائي وضعتُ العودَ ثم قلت : خذا في حقكما ودعاً باطلنا .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من الكامل]

أُسرى بخالدة الخيالُ ولا أرى	شيئاً ألدُّ من الخيالِ الطارقِ ²
إنَّ البليَّةَ مَنْ تَمَلُّ حديثه	فانقَعْ فؤادك من حديثِ الوامقِ ³
أهواك فوق هوى النفوسِ ولم يزلْ	مُدُّ بِنْتِ قلبي كالجنَّاحِ الخافقِ
طرباً إليك ولم تُبالي حاجتي	ليس المكاذِبُ كالخليلِ الصادقِ ⁴

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمَل بالوسطى عن عمرو .

[غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى]

أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي ، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله ، ولم يذكر عن أبيه ، قال : كان الرشيد يحب أن يسمعَ أبي . وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب⁵ أن يسمعني ، فخلا

1 ديوان جرير (صادر) : 314 .

2 أُسرى بخالدة في الديوان : أُسرى لخالدة .

3 الديوان : يمل بالبناء للمجهول . فانقَع في الديوان : فانشح أي اسق .

4 هذه الرواية موافقة لما في الديوان ، ورواية البيت في ل :

شوقاً إليك ولم تجازَ مودتي ليس المكذب بالحبيب الصادق

5 ل : يريد .

بي مرات إلى أن سمعني . ثم حَضَرْتُهُ مرة وعنده سليمان بن أبي جعفر ؛ فقال لي : عَمَّكَ وَسَيْدُ
ولَدِ المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يَسْمَعَكَ ؛ فلم يتركني حتى غَنَيْتُ بين يديه : [من البسيط]

إِذَا أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةً وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَأَمَرُ لِي بِأَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَتَّقْ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى : أَنَا أُحِبُّ أَنْ
تَشْرُفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا . فَغَنَيْتُهُ لَحْنًا صَنَعْتُهُ فِي شَعْرِ الدَّارِمِيِّ : [من البسيط]

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفَتْ دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَةِ الْعُتْقِي¹

نسبة هذين الصوتين ، [الأول] منهما :

صوت²

[من البسيط]

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَنْعٍ بِذِي سَلَمٍ وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنٍ

إِذَا أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةً وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي³

الشعر للأحوص . والغناء لابن سريج ثقیل أول بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال : أَنَشَدَ مُنْشِدٌ وَابْنُ أَبِي
عبيدة عندنا قول الأحوص :

إِذَا أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكِ عَاصِيَةً وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي
فَوَثَبَ قَائِمًا وَأَلْقَى طَرَفَ رِدَائِهِ وَجَعَلَ يَخْطُو إِلَى طَرَفِ الْمَجْلِسِ وَيَجْرُهُ . ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى
عَادَ إِلَيْنَا . فَقُلْنَا لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ مَرَّةً فَأَطْرَبَنِي ،
فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَسْمَعَهُ أَبَدًا إِلَّا جَرَرْتُ رَسَنِي .

والآخر من الصوتين :

صوت

[من البسيط]

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفَتْ دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَةِ الْعُتْقِي⁴

1 المصربة في ل : المضروبة .

2 شعر الأحوص : 209 عن الأغاني .

3 ينهاك في ل : يلحاك .

4 المصربة في ل : المضروبة .

أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ الْغَوَاصَ فِي صَدَفٍ أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوَاغُ فِي وَرَقٍ
 الشعر للدارمي¹ . والغناء لمرزوق الصواف رمل بالنصر عن ابن المكي . وذكر عمرو أن
 هذا اللحن للدارمي أيضاً . وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن
 المهدي . وفيه خفيف رمل يقال إنه لحن مرزوق الصواف ، ويقال إنه لمثيم ثاني ثقيل عن
 الهشامي وابن المعتز .
 [غنى صوتاً على أربع طبقات]

أخبرني يحيى بن المنجّم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن
 بزيع قال : كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً¹ ذكره فغناه على أربع طبقات ، على
 الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضِعْفِهَا ، وعلى إِسْجَاحِهَا ، وعلى إِسْجَاحِ الإِسْجَاحِ . قال أبو
 أحمد قال عبيد الله : وهذا شيءٌ ما حُكِيَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَدْ تَعَاطَاهُ بَعْضُ الْحَذَّاقِ
 بهذا الشأن ، فوجده صعباً متعذراً لا يُبْلَغُ إِلَّا بِالصَّوْتِ الْقَوِي وَأَشَدَّ مَا فِيهِ إِسْجَاحُ الإِسْجَاحِ ؛
 لِأَنَّ الضَّعْفَ لَا يُبْلَغُ إِلَّا بِصَوْتِ قَوِي مَائِلٍ إِلَى الدَّقَّةِ ، وَلَا يَكَادُ مَا اتَّسَعَ مَخْرَجُهُ يَبْلُغُ ذَلِكَ . فَإِذَا
 دَقَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْإِضْعَافَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِسْجَاحِ فَضْلاً عَنْ إِسْجَاحِ الإِسْجَاحِ . فَإِذَا غَلَّظَ حَتَّى
 يَتِمَّكَنَ مِنْ هَذَيْنِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الضَّعْفِ .
 [غنى صوتاً لمعبد]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن
 سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي² قال : دعاني إبراهيم بن
 المهدي يوماً فصرت³ إليه ، وغنى صوتاً لمعبد :

أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَتَنِي بِكَ مُوَلِّعُ وَأَنْ فَوَادِي نَحْوِكَ الدَّهْرَ نَازِعُ
 فقال لي : لمن هذا الغناء ؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد ، ولا غنى والله معبد . كذا قط ،
 ولا سمعتُ أحداً يقول كذا ، لا والله ما في الدنيا كذا . قال : فضحك ثم قال : والله يا بُنَيَّ مَا
 قَمْتُ بِنَصْفِ مَا كَانَ يَقُومُ بِهِ مَعْبَدُ .

نسبة هذا الصوت

أمَّا اللحن فمن الثقيل الثاني ، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد ، وما وجدته في شيء من
 الكتب له . وذكر الهشامي أنه لابن المكي .

1 ل : ضريباً .

2 ل : الهمداني .

3 ل : فضربت عليه .

[عاب مخارقاً عند المأمون]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسنخر قال : لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغنٍ بالمدينة مدينة السلام غيري ، فكنتُ أئامه سرّاً ، ولم يظهر للندماء أربع سنين ، حتى ظفّر إبراهيم بن المهدي . فلما ظفّر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا ؛ ووجهٌ إلى إبراهيم فحضر في ثياب مُبتذلة¹ . فلما رآه المأمون قال : ألقى عمي رداء الكبر عن منكبيه ، ثم أمر له بخلع فاخرة وقال : يا فتّح غداً عمي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً ، فغنى مخارق :

[من الكامل]

هذا وربُّ مُسوّفين صَبَحْتَهُمْ من خمرٍ بابلَ لذةً للشاربِ

فقال له إبراهيم : أسأتَ فأعدْ ؛ فأعاده ، فقال : قارِئتَ ولم تُصِيبْ . فقال له المأمون : إن كان أساء فأحسنِ أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق : أعدّه فأعاده ، فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمخارق : إنما مثلكَ كمثّل الثوب الفاخر إذا غفلَ عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . ثم غنى إبراهيم :

[من الكامل]

يا صاح يا ذا الضامِرِ العنَسِ والرخلِ ذي الأقتادِ والجلَسِ
أما النهارُ فما تُقصره رتكَاً يزيدكَ كلّما تُنسي²

[ضنّ على مخارق بصوت]

قال : وكانت لي جائزة قد خرجتُ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليّ منها . فقال : يا عم ألقِ هذا الصوتَ على مخارق ، فألقاه عليّ ، حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهبْ فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فاغْدُ عليّ . فغدتُ عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُ الخليفة ، تجود بالرغائب وتبخل عليّ بصوت ! فقال : ما أحققك ! إن المأمون لم يَسْتَبِقْنِي محبةً في ولا صلةٍ لرحمي ولا رياءٍ للمعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الجرم³ ما لم يسمع من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون مقالته ؛ فقال : إنا لا

1 ل : منزله .

2 الرتك : سير سريع للإبل . وفي ل : دركاً .

3 الجرم : هنا الحلق .

نكدر على أبي إسحاق عَفَوْنَا عنه ، فدَعَه . فلما كانت أيام المعتصم نَشِطَ للصُّبُوح يوماً فقال :
أحضروا عمي . فجاء في دُرَاعَةٍ من غير طيلسان . فأعلمتُ المعتصم خبير الصوت سراً . فقال : يا
عم غنّني :

يا صاح يا ذا الضَّامِرِ العَنَسِ
فغناه ؛ فقال : ألقه على مُخَارِق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق مني قولٌ أَلَا أُعيدَه عليه .
ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضره .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

هذا ورُبُّ مُسَوِّفِينَ صَبَحَتْهُمْ مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِ
بَكُرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ بِنَاءِ ذِي كَرَمٍ كَقَعْبِ الحَالِبِ
بِزُجَاجَةٍ مِلءِ اليدين كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ فِضْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبٍ
الشعرُ لعدي بن زيد . والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن
إسحاق .

صوت

[من الكامل]

يا صاح يا ذا الضَّامِرِ العَنَسِ والرُّحْلُ ذِي الْأَقْتَادِ والحِلْسِ
أُمَّا النَّهَارُ فَمَا تُقَصِّرُهُ رَتَكَا يَزِيدُكَ كُلَّمَا تُمَسِّي
الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

[يلبس علمه النقر والنغم]

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدي عن ذُؤَابَةِ مولاته أيضاً قالت
قالت لي أسماء بنت المهدي : قلت لأخي إبراهيم : يا أخي أَشْتَهِي والله أن أسمع من غنائك
شيئاً . فقال : إِذَا والله يا أُختي لَا تَسْمَعِينَ مثله ، عليّ وعليّ ، وغلظ في اليمين ، إن لم يكن
إبليسُ ظهرَ لي وعَلَّمَنِي النُّقَرَ والنَّغَمَ وصافحني وقال لي : اذهب فأنت مني وأنا منك .
[غضب عليه الأمين]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن
المهدي عن أبيه قال : غَضِبَ عليّ محمد الأمين في بعض هَنَاتِهِ ، فسَلَّمَنِي إلى كُوَثَرٍ¹ ،

فحبسني في سِرْدَابٍ وأغلقه عليّ فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السِرْدَابِ ، ودفع إلي وسطاً¹ وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِينَةَ شراب فقال : اشربْ فشربت ، ثم قال لي : غَنِّ :

لي مُدَّةٌ لا بُدَّ أبلغها معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ
لو ساورتني الأسدُّ ضاريةً لغلَبْتُها ما لم يَجِ الوقتُ

فغَنَّيته . وسمعتني كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمك وهو جالس يغني بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرتُ وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعمئة ألف درهم ورضي عني .

[مطارحه أخته عليه بسمع من المأمون]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو يحدث عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسرٍ وأدخله فسارهُ بشيءٍ ومضى وعاد . فقام المأمون وقال لي : قم ، فدخل دار الحَرَمِ ودخلتُ معه ، فسمعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر . وفطين المأمون لما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك عُلَيَّةٌ تطارح عمك إبراهيم² :

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيةً

نسبة هذا الصوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيةً لم تَلْتَفِتْ مِنِّي إلى ناحيةٍ
لا ينظرُ الناسُ إلى المُبتلى وإنَّما الناسُ مع العافيةِ
وقد جفاني ظالماً سيدي فأدْمَعِي مِنْهُلَةً هاميةً³
صَحْبِي سَلُّوا رَبِّكُمْ العافيةِ فقد دهنسي بعدكم داهيةً

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذكاء وجه الرُّزَّة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مَزْموراً ، وأن لحن عُلَيَّة مطلق .

1 لعلها سَفْطاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 679-680 عن الأغاني .

3 هامية في ل : واهية .

[يعني صوتاً من غير أن يسمعه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم بن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت¹ صَنَعَهُ وإصْبَعَهُ وَمَجْرَاهُ وَأَجْزَاءَ لَحْنِهِ ؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه . والصوت :

حَيِّياً أَمْ يَغْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى
قَلْتَ لَا تُعْجِلُوا الرُّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى
أَجْمَعَ الْحَيُّ رِحْلَةً ففَوَادِي كَذِي الْأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه من القَدَر الأوسط من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أنه لمالك . وفيه للهُذلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن ابن المكي ، وزعم الهشامي أنه لحن مالك . وفيه لحنان من الثقيل الثاني أحدهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي . والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم . وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن مُحَرِّز .
أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجُمَان : أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صَوْتَهُ :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِباً

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إليه يسأله عنه ؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه ، فغناه . قال : ثم لَقِيتُني فغنانيه ، ففضلني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِباً وَنَأَى عَنْكَ جَانِباً
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِباً

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها . وفيه لغيره ألحان .

[أحمد بن أبي دواد والغناء]

أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال : سمعت أحمد بن أبي دواد يقول : كنت أعيبُ الغناء وأطعن على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّماسية في حَراقةٍ يشرب ، ووجه في طلبِي فصرت إليه ؛ فلما قُرِبتُ منه سمعتُ غناء حيرني وشغلني عن كل شيء ، فسقط سَوَطي من يدي ؛ فالتفتُ إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطه ، فقال لي : قد والله سقط سوطي . فقلت له : فأَي شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته شغلني عن كل شيء فسقط سوطي من يدي ؛ فإذا قصته قصتي . قال : وكنت أنكر أمر الطَّرب على الغناء وما يستفزُّ الناسَ منه ويغلب على عقولهم ، وأناظر المعتصم فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر ؛ فضحك وقال : هذا عمي كان يغنيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ أنشَرَ المجدَ بعدما كان ماتا
فإن تَبَّتْ مما كنتَ تناظرنا عليه في ذَمِّ الغناء سألتُهُ أن يُعيدَهُ . ففعلتُ وفعل ، وبلغ بي الطَّربُ أكثرَ مما يُلْغيني عن غيري فأنكره ؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم .

وقد أخبرني بهذا الخير أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونقصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم :

طَرَقَكَ زائِرَةٌ فحيَّ خيالها بيضاء تَخْلِطُ بالحِياء دلالها
هل تَطْمِسُونَ من السماء نجومها بأَكْفُكُمْ أو تَسْتُرُونَ هلالها

[يخاطب أبناءه من عرض دجلة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عَلَيل العنزي قال : سمعتُ هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حَراقةً فأمر بشدها في الجانب الغربي بِحذاء داره ، فمضيتُ إليها ليلةً فكان أبي يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيهِ ، فنسمعه وبَيْننا عَرْض دجلة وما أجهَدَ نفسَهُ .

[يتنحنح فيطرب]

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة يقول حدثني ابن أبي ظَبْيَةَ قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطربُ .

[بينه وبين مخارق]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المَغْنِي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنا

عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطربٍ مُحسِنٍ من المغنين يومئذٍ وهو جالس يُلاعب أحدهم بالشُّطرنج . فترنم بصوت فريدة :
[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدِرِ ما بي أُنَجِبُ الغداةَ عُتْبَةً حَقًّا

وهو مُتَكَيِّء . فلما فرَغَ منه ترنم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَقَى على غناء مُخارق . فلما فرَغَ رده مخارق وغنى فيه بصوته كُلَّهُ وتحفَّظ فيه ، فكِدنا نظير سروراً . واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كُلَّهُ ووفاه نغمه وشُدُورَه ، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه ، ومخارق شاخصٌ نحوه يُرْعَد وقد انتفِجَ لونه وأصابه تَخَلُّج ؛ فخيّل لي والله أن الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبّل يده وقال : جعلني الله فداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدِرِ ما بي أُنَجِبُ الغداةَ عُتْبَةً حَقًّا

فتنفستُ ثم قلتُ نعم جدّ أ جري في العروقِ عِرْقاً فِعْرَقاً

ما لدمعي عَدِمْتُهُ ليس يَرَقاً إِنَّمَا يَسْتَهْلِلُ غَسَقاً فَغَسَقاً¹

طَرِباً نَحْوَ ظَبِيَةٍ تركتُ قد جبي من الوجدِ قَرَحَةً ما تَفَقَّأ

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر . ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي :

قد لَعَمَرِي ملّ الطيبُ وملّ الـ أهلُ مني مما أداوى وأزقى

ليتني مُتٌ فاسترحتُ فإني أبداً ما حَيَّيتُ منها مُلَقَى

[غنى الأمين فأطربه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهدي : أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لحمد الأمين ، فتشاغل أبي بالشُّرب في بيته ولم يَمُضْ ، وأرسل إليه عِدَّةَ رُسُلٍ فتأخر . قال منصور : فلما كان

من غَدٍ قال : ينبغي أن تَعْمَلَ على الرُّواحِ إليّ لِنَمْضِي إلى أمير المؤمنين فترضاه ؛ فما أَشْكُ في غضبه عليّ . ففعلتُ وَمَضَيْتُ . فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حَيْرٍ¹ الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخُمار . فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي . فقال لي أخي : اذهب فاخترَ منها عوداً تَرْضاه ، وأصْلِحْهُ غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره ألبتة عند الضرب ؛ ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بَصُرْنَا به من بعيد قال : أَخْرِجْ عودك فأخرجته ، واندفع يغني² : [من المتقارب]

وكأسٍ شَرِبْتُ على لَذَةٍ وأخرى تداويتُ منها بها
لكي يعلمَ الناسُ أَنِي امرؤٌ أتيتُ الفتوةَ من بابها
وشاهدنا الجُلَّ والياسمِيَّ مِنِ الْمُسَمِّعَاتِ بِقُصَابِهَا³
وبربطنا دائِمٌ مُعْمَلٌ فأَيُّ الثَلَاثَةِ أَرَى بها⁴

فاستوى الأمين جالساً وطرب طرباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا عمّ وأحييتَ لي طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرِّيقِ وامتد في شربه . قال منصور : وغني إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يُتناهى إليها في العود ، وما سمعتُ مثل غِنائه يومئذٍ قط . ولقد رأيتُ منه شيئاً عجيباً لو حَدَّثْتُ به ما صَدَّقْتُ ، كان إذا ابتدأ يغني أَصغَتِ الوحشُ إليه ومدت أعناقها ، ولم تزل تَدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدُّكان الذي كنا عليه ، فإذا سكَّتْ نَفَرَتْ وبعُدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا ، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك ، وانصرفنا من الجوائز بما لم نصرف بمثله قط .

[يغني صوتاً كتب له به إسحاق]

أخبرني عمي والصُّولي قالَا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو :

قلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِيَا ونأى عنكَ جَانِيَا
قد بلغتَ الذي أَرَدْتُ تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِيَا

ويُنَّ له شعره وإيقاعه وبساطه ومَجْرَاه وإصبعه وتجزئته وقسمته ومخارج نغمه

1 ل : حائر .

2 ديوان الأعشى : طبعة دار صادر ، ص 24 .

3 الجل : الورد بمختلف ألوانه .

4 البربط : العود .

ومواضع مقاطعه ومقادير أوزانه ، فغناه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرم منه شذرة ولا نعمة . قال : وفاقني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قل لمن صدّ عاتباً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعباً
واعترفنا بما ادّعى وإن كنت كاذباً
فافعل الآن ما أردت فقد جئت تائباً

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجده في مجموع شعره¹ . ووجدت فيه لحناً لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقيل الثاني بالبصر . وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي ؛ ويُشبه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبصر في مجراها . وفيه ثقيل أول مطلق في مجرى البصر لم يقع إليّ نسبته إلى صانعه ، وأظنه² لحن حَكَم .

[غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية]

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال : كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم الجمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعليّ أقبية ومنطقة . فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صعدنا إليه اندفع فغنى :

حيّا كما الله خليليا إن ميّناً كنت وإن حيّا
إن قلتما خيراً فأهلّ له أو قلتما غياً فلا غيا

ثم ناول كلاهما³ كأساً وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : اشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعة وغنياه ؛ وضرب

1 نسبه من قبل إلى إسحاق دون تشكك في النسبة .

2 ل : وأصله .

3 ل : كل واحد .

وضربا معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنتِ مراراً . فقال له : إن كانتِ أحسنتُ فخذها إليك ، فما أخرجتُها إلا إليك .
[إطراؤه مخارق]

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العنْبُس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتّابي :

أَخِضْنِي الْمَقَامَ الْغَمْرَ إِنْ كَانَ غَرْنِي سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
غناه إبراهيم بن المهدي ؛ فقال له : أحسنتَ وحياتي ما شئت ! فسجد مُخَارِق سروراً
بقول إبراهيم ذلك له .
[عمرو بن بانة يأخذ لحناً عنه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانة قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً¹ :

أَدَاراً بِحُرُوى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهوى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ
فاستحسنته وسألته إعادته عليّ حتى آخذه عنه ففعل . ثم قال لي : إن حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزك الله ؟ قال : غنّانيه ابنُ جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذته عنه غنّيته إياه ليسمعه مني ، فاستحسنته جداً وقال : كأني والله ما سمعته قط إلا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .
[مع ابن بُسْخَر وشارية ومخارق وعلويه]

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخَر قال : وجه إليّ إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني ، وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحده وشارية جاريتته خلف الستارة ، فقال : إني قلتُ شعراً وغنيت فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني ، وأنا أقول إني أحذق به منها ، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة ، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرات . فقلت نعم . فاندفع يغني بهذا الصوت : [من الطويل]

أُضِنُّ بَلِيلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَةٍ وَتَبْخَلُ لِيلى بِالْهوى وَأَجُودُ
فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغْنِيْ ، فغنته فَبَرَزَتْ فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد ، ونظر إليّ فَعَرَفَ أَنِّي قد عرفتُ فضلها عليه ، فقال : على رِسْلِكَ ! وتحدثنا ساعةً وشربنا . ثم

اندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنت فبرعت وزادت أضعاف زيادته ، وكذتُ أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تَكْبِتُ ولا تَعَجَل . ثم غناه ثالثة فلم يُبْنَق غايَةً في الأحكام ، ثم أمرها فغنت ، فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصبت ، فكم تُساوي عندك الآن ؟ فحَمَلَنِي الحسدُ له عليها والنَّفاسَةُ بمثلها أن قلتُ : تُساوي مائة ألف درهم . فقال : أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قَبِحَ اللهُ رأيك ! والله ما أُجِدُ شيئاً أبلغَ في عقوبتك من أن أَصْرِفَكَ ، قم فانصرفي إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك اخرجي من منزلي جواب ، وقمت وانصرفتُ ، وقد أحفظني كلامه وأرْمَضَنِي . فلما خطوت خطواتِ التفتُ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدُنِي من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريَتُك شيئاً . وضربَ الدهرُ ضربانه ، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل¹ ، فدخلتُ أنا ومخارق وعلويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامٌ فضة مملوءةٌ دنائيرَ جُدُداً ، وجامٌ ذهب مملوءةٌ دراهم جُدُداً ، وجامٌ قوارير مملوءةٌ عنبراً ، فظننا أنها لنا بل لم نَشْكُ في ذلك ، فغَنِيناه وأجهدنا أنفسنا ، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقال : إبراهيم بن المهدي . فأذن له فدخل ، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غناه بصوت من صنعته وهو :

ما بالُ شَمْسِ أُمِّي الخُطَّابِ قد غَرَبَتْ يا صاحبي أَظُنُّ السَّاعَةَ اقْتَرَبَتْ
فاستحسنه المعتصمُ وطربَ له ، وقال : أحسنتُ والله ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فَهَبْ لي إحدى هذه الجامات ؛ فقال : خذ أيتها شئت ، فأخذ التي فيها الدنانير ؛ فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو :

فما مُزَّةُ قهوةٍ قَرَقَفَتْ شَمُولُ تَرَوْقُ بِرَاوِقِهَا²
فقال : أحسنتُ والله يا عمَّ وسررتُ . فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فَهَبْ لي جاماً أخرى ؛ فقال : خذ أيتها شئت ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة :

ألا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلْقَى من الهوى عَشِيرَ الذي أَلْقَى فَيَلْتَصِمَ الحُبُ³
فارتج بنا المجلسُ الذي كنا فيه ، وطربَ المعتصمُ واستخفه الطربُ فقام على رجله ، ثم

1 ل : قصر الليل .

2 الراوق : باطية الخمر .

3 ألقى في ل : تلقى . والعشير : جزء من عشرة ، ويعني القدر القليل .

جلس فقال : أحسنتَ والله يا عمّ ما شئتَ ؛ قال : فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي
الجام الثالثة ؛ فقال : خُذْها فأخذها . وقام أمير المؤمنين ، ودعا إبراهيمُ بمندبل فَنَناه طاقَتَيْنِ
ووضع الجامات فيه وشدّه ، ودعا بطين فختّمه ودفعه إلى غلامه ، ونهضنا إلى الانصراف ،
وقدُمتُ دوابنا . فلما ركب إبراهيم التفت إليّ فقال : يا محمد بن الحارث ، زعمتُ أني لا أحسن
أنا وجاريتي شيئاً ، وقد رأيتُ ثمرة الإحسان . فقلتُ في نفسي : قد رأيتُ ، فخذُها لا بارك الله
لك فيها ؛ ولم أجِبْه بشيء .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من البسيط]

ما بال شمس أبي الخطاب قد غرَبَتْ يا صاحبي أظنُّ الساعة اقترَبَتْ
أم لا فما بال ربح كنت أملُها غدت عليّ بصيرٌ بعد ما خُبَيْتُ¹
أشكو إليك أبا الخطاب جاريةً غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبَتْ
رأيتُ قِيَمَها يوماً يحدُّثُها يا ليتها قرَبَتْ مني وما بَعُدَتْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالنصر . وفيه هَزَجٌ بالنصر ، ذكر عمرو بن بانه
أنّه لإبراهيم الموصلي ، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت²

[من الطويل]

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عَشِيرَ الذي ألقى فيلْتَمِ الحبُّ
وصالِكُمْ صَدُّ وقربُكُمْ قَلَى وعطفُكُمْ سُخْطٌ وسِلْمُكُمْ حَرْبُ
الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

[شعره في باقة نرجس]

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعتُ أبي يقول : كانت في يد المعتصم
باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عمّ قل فيها أبياتاً وغنّ فيها . فنكّت في الأرض
بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال :

[من المتقارب]

1 ربح صر : شديدة الصوت والبرد .

2 ديوان العباس بن الأحنف : 34 .

صوت

ثَلَاثُ عَيُونٍ مِنَ النَّرْجِسِ عَلَى قَائِمٍ أَخْضَرَ أَمْلَسَ
يُذَكِّرُنِي طَيْبَ رِيَا الْحَبِيبِ فَيَمْنَعُنِي لَذَّةَ الْمَجْلَسِ

وصنع فيه لحناً وغناه به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيفاً رمل بالنصر ، ذكر لي ذكاءً وغيره ذلك .

[استعطافه المأمون]

أخبرني علي بن سليمان الأحمش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يموت بن المزرع عن الجاحظ قال : أرسل إلي ثمامة¹ يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجاء إبراهيم ، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال : لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رؤوس الناس . قال : فجاء إبراهيم يحجل في قيوده ، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين ؛ فلقد أصبحت ولياً ثارياً ، والقدرة تذهب الحفيظة ، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف . وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل عفو ، وقال الحسن بن عليل في خبره : وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب ، كما أصبح كل ذي عفو دونك ، فإن تعاقب فبحقك ، وإن تغف فبفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال : إن هذين أشارا علي بقتلك . فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو ، فكفك الله . فتبسم المأمون وأقبل على ثمامة ثم قال : إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا عن عمي حديثه² وردوه إلي مكرماً . فلما رد إليه قال : يا عم صبر إلى المندامة وارجع إلى الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدرج³ فيه :

[من الكامل]

1 المقصود هو ثمامة بن أشرس أحد معتزلي البصرة .

2 ل : قيوده .

3 الدرج : ما يكتب فيه .

يا خَيْرَ مَنْ ذَمَلْتُ يَمَانِيَّةً بِهِ
وَأَبْرَ مَنْ عَبْدَ إِلَالَةٍ عَلَى الْهَدَى
عَسَلُ الْفَوَارِعِ مَا أَطِغَتْ فَإِنْ تَهَجَّ
مَتِيقُظًا حَذِيراً وَمَا يَخْشَى الْعَدَا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا
قَسَمًا وَمَا أَدُلِّي إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغَوَاةُ تَمُدُّنِي
حَتَّى إِذَا عَلِقْتُ حَبَائِلُ شِقْوَتِي
لَمْ أَدْرِ أَنَّ لِمَثَلِ ذَنْبِي غَافِرًا
رَدَّ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا
أَحْيَاكَ مَنْ وَلَاكَ أَطْوَلَ مَدَّةٍ
إِنْ الَّذِي قَسَمَ الْفَضَائِلَ حَازَهَا
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تَحْدِثُنِي بِهَا
أَسْدَيْتَهَا عَفْوًا إِلَيَّ هَنِيئَةً
وَرَجِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا
وَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ
إِلَّا الْعُلُوَّ عَنِ الْعَقُوبَةِ بَعْدَ مَا

بَعْدَ الرُّسُولِ لَآيِسٍ أَوْ طَامِعٍ
نَفْسًا وَأَحْكَمَهُ بِحَقٍّ صَادِعٍ¹
فَالْمَوْتُ فِي جُرْعِ السَّمَامِ النَّاقِعِ²
نَبْهَانٍ مِنْ وَسَنَاتِ لَيْلٍ الْهَاجِعِ
جَهْدُ الْأَلِيَّةِ مِنْ حَنِينٍ رَاكِعِ
إِلَّا التَّضَرُّعَ مِنْ مَحَبٍّ خَاشِعِ
أَسْبَابُهَا إِلَّا بَنِيَّةَ طَائِعِ
يَبْرُدَى عَلَى حُفْرِ الْمَهَالِكِ هَائِعِ³
فَأَقَمْتُ أَرْقُبَ أَيِّ حَتَفٍ صَارِعِي
وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَاهِرِ الْمُتَوَاضِعِ
وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الزَّوْتَيْنِ بَقَاطِعِ
فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
نَفْسِي إِذَا آلَتْ إِلَيَّ مَطَامِعِي
فَشَكَرْتُ مُضْطَنَعًا لِأَكْرَمِ صَانِعِ
وَعَوِيلَ عَائِسَةٍ كَقُوسِ النَّازِعِ
عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
ظَفِيرَتِ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعِ

قال : فبكى المأمون ثم قال : عليُّ به ، فأتني به فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ودعا بالفراش فقال له : إذا رأيت عمي مُقْبِلًا فاطرخ له تُكَاةً ، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً . وروى بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه : لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالده الأَحْوَلُ⁴ وقال : هو صديقك فخذهُ إِلَيْكَ . فقال : وما تُغْنِي صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه ! أمّا إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه . فقال له : قُلْ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَتَّهِمٍ . قال وهو يُريد التسلُّقَ عَلَى الْعَفْوِ عَنْهُ : إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ قَتَلْتَ

1 نفساً في ل : غيباً .

2 الشطر الثاني في رواية الطبري : « فالصاب يمزج بالسمام الناقع » .

3 الهائع : هنا المنتشر .

4 هو أحمد بن أبي خالده الأَحْوَل ، كان المأمون يثق به .

الملوكُ قبلكَ أقلُّ جرماً منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمن لم يُعَفَّ قبلكَ عن مثله . فسكتَ المأمونُ ساعةً ثم تمثَّل¹ :

فلن عفوتُ لأَعْفُونَ جَللاً ولكن سطوتُ لأَوْهِنَ عَظْمي
قومي هُم قتلوا أُميماً أخي فإذا رميتُ أصابني سَهْمي
خُذْهُ يا أحمد إليك مُكرماً ، فانصرفَ به . ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية . فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله وردَّ ما قبضَ منه من أمواله وأملاكه . وفي خبر عمي عن الحسن بن عَلَّيل قال : حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود : أن المأمون تقدم إلى محمد بن يزيد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه داري الخاصة والعامة ، ويوكل به رجلاً من قبيلة يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به . فكتب إليه الموكل به أن إبراهيم لما بلغه منعه من داري الخاصة والعامة تمثَّل :

يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أما إليك طريقٌ غيرُ مَسْدُودٍ
لِحائِمٍ حَامٍ حتى لا حَيَامٌ له مُحالٌ عن طريقِ الماءِ مَطْرُودٍ
فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته ؛ فصار إليه محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قَبْلَ البِساطِ ثم قال : [من البسيط]
البرُّ بي منك وَطأ العُدْرَ عندكَ لي دونَ اعتذاري فلم تَعْدِلْ ولم تَلَمْ
وقام علمُكَ بي فاحتج عندكَ لي مقامَ شاهدٍ عَدِلَ غيرَ مُتَّهِمٍ
رددتَ مالي ولم تَمْنُنْ عليَّ به وقبلَ رَدِّكَ مالي قد حَقَنْتَ دمي
تعفو بَعْدِلٍ وتسطو إن سطوتَ به فلا عِدْمَانِكَ مِن عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ
فبؤتُ منك وقد كافأتها بيد هي الحياتانِ من موتٍ ومن عَدَمٍ
فقال له : اجلس يا عَمِّ آمناً مطمئناً ، فلن ترى أبداً مني ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغير عن طاعة ؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .
[بِراعته في المحاضرة]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال : كنت أُحِبُّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّمِ أحمد وعَلْبِيَةِ الناسِ جميعاً بحِفْظِهِ وبلاغته وأدبه في كل مَحْضَرٍ ومَجْلِسٍ . فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهدي

1 ل : «فكت المأمون ساعة بيده» . والبيتان اللذان تمثل بهما للحارث بن وعكة الذهلي (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : 204) .

وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخزري ، فجعل إبراهيم يحدثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء ، مرةً يُضحكننا ومرةً يَعِظُنَا ومرةً يُنْشِدُنَا ومرةً يُذَكِّرُنَا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ أن أحاطب أحمد ، فسبَقَنِي إليه أبو العالية فقال : [من الرجز]

ما لك لا تَنْبَحَ يا كلبَ الدَّوْمِ قد كنتَ نَبَاحاً فما لك اليوم¹

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيَني في يد جعفر بن يحيى لَرَجِمْتَنِي كما رَجِمْتَ أحمدَ مني .
[ثناء إسحاق عليه]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق : ليس فيمن يدّعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهدي وأبي ذُلف القاسم بن عيسى العجلي . فقليل له : فأين محمد بن الحسن بن مُصْعَب منهما ؟ فقال : لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول : وكيف يُبصر الغناء من نشأ بخُرَاسان لا يسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه ! .
[إقرار ابن بائة له وإسحاق]

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العَنَبَس بن حَمْدُون عن عمرو بن بائة قال : رأيتُ إسحاق الموصلي يُناظر إبراهيم بن المهدي في الغناء ، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً . فقلت لهما : لكن كان ما أُنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .
[تفضيل المأمون غناءه على غناء إسحاق]

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حَمْدُون : أن المأمون قال لإسحاق : غنّني لحنَكَ في شعر الأخطل :

يا قَلَّ خَيْرُ الْغَوَانِي كَيْفَ رَغْنَ بِهِ فَشِيرُهُ وَشَلَّ مِنْهُنَّ تَصْرِيدُ²

فغناه إياه فاستحسنه ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : هل صنعتَ في هذا الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهاته ؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق ، ولم يدفع إسحاق ذلك .
[علمه إسحاق لحناً طرب له الأمين]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة ، فرأيتُ عليه مُطَرَفَ خَزَّ أَسود ما رأيتُ قطُّ أحسن منه ؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المُطَرَف فقال : لقد كانت لكم أيام حسنة ودولةٌ عجيبةٌ ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثله . فقال : إن قيمته مائة ألف

1 نباحاً في ل : هراً .

2 الوشل : القليل . والتصريد : السقي دون الري .

درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له : ما أقومُه إلا نحواً من مائة دينار . فقال إسحاق : اسمع حديثه : شربنا يوماً من الأيام ، فبتُّ وأنا مُثخَن ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علي فقال لي : يقول لك أمير المؤمنين عجلٌ إليّ ، وكان بخيلاً على الطعام فكنْتُ أَكُلُ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ ، فقمْتُ فتسوّكْتُ وأصلحتُ أمري ، وأعجَلَنِي الرسول عن الغداء . فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خبز ذُكْنَاء . فقال لي محمد : يا إسحاق تغدّيت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال : إنك لَنَهَمٌ ، أهذا وقت غداء ؟ فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبني خُمار ، فكان ذلك مما حَدَّثاني على الأكل . فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : اسقوه مثلاً . فقلت : إن رأيتَ أَنْ تفرّقها عليّ ؛ فقال : تُسْقَى رطلين ورطلاً . فدفع إليّ رطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما ، ثم دفع إليّ رطل آخر فشربته فكان شيئاً انجلي عني . فقال غنّني : [من الطويل]

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً
وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرَجٌ بِالْذَّمِّ

فغنّيته ؛ فقال : أحسنت وطرب ، ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخل إلى النساء ويدعُنَا . فقمْتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت : اذهب إلى منزلي وجنني بيزماوردتين¹ ولقهما في منديل واذهب ركضاً وعجل . فمضى الغلام فجاءني بهما . فلما وافى الباب ونزل عن الدابة انقطع البرذونُ فنَفَقَ من شدة ما ركضه ، فأدخل إليّ البزماوردتين فأكلتهما ورجعتُ إليّ نفسي وعُدْتُ إلى مجلسي . فقال لي إبراهيم : إن لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي . فقلت : إنما أنا عبدك وابن عبدك ، قل ما شئت . قال : ترُد عليّ : [من الطويل]

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً

وهذا المطرفُ لك . فقلت : أنا لا آخذُ منك مطرفاً على هذا ، ولكني أصير إليك إلى منزلك فألقيه على الجوّاري وأرده عليك مراراً . فقال : أحب أن ترده عليّ الساعة وأن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوت مراراً حتى أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا ، فشرب وتحدثنا . فغناه إبراهيم : [من الطويل]

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً

فكأنني والله لم أسمعُه قبل ذلك حسناً ، وطرب محمد طرباً عجبياً وقال : أحسنت والله يا عم ؛ أعطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمي الساعة ، فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته الساعة منه لما

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقل بالزبد والبيض .

قمتَ . فقلت له : ولم ؟ أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشركك فيما تُعطاه ؟ قال :
أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني
هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم وهي قيمته .

[قصته مع جارية في المدينة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن الرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن
المهدي : حَجَجْتُ مع الرشيد ؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عَرَصاتها ، فانتهيت إلى بئر
وقد عَطِشْتُ وجارية تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، امتُحي لي دُلُوءاً . فقالت : أنا والله عنك في
شغل بضريبة مَوَالِيٍّ عليَّ . فنَقَرْتُ بسوطي على سَرَجِي وغنيتُ¹ : [من البسيط]

صوت

رامَ قلبي السُّلُوُّ عن أسماء وتَعَزَّى وما به من عَزَاءٍ
سُخْنَةٌ في الشتاء باردة الصبغِ في سِراجٍ في الليلةِ الظلماءِ
كفَّناني إن مُتُّ في دِرْعٍ أَرَوَى وامْتَحَا لي من بئرِ عُرْوَةٍ مائي
الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطْلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وتمام هذه
الآيات :

إِنِّي وَالَّذِي تَحُجُّ قَرِيشُ بَيْتَهُ سَالِكِينَ نَقَبَ كَدَاءُ²
لَمْلِمٌ بِهَا وَإِنْ أُبْتُ مِنْهَا صَادِرًا كَالَّذِي وَرَدْتُ بَدَاءِ
وَلَهَا مَرَبْعٌ بِرُقَّةٍ خَاخٍ وَمَصِيفٌ بِالْقَصْرِ قَصْرٍ قُبَاءِ³
قَلْبَتُ لِي ظَهَرَ الْمِجَنِّ فَأَمَسْتُ قَدْ أَطَاعَتْ مَقَالَةَ الْأَعْدَاءِ
ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الآيات ثم الأول والثاني خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشامي .
ولابن سُرَيْجٍ في :

وَلَهَا مَرَبْعٌ بِرُقَّةٍ خَاخٍ

و

كَفَّنَانِي إِنْ مِتُّ فِي دِرْعٍ أَرَوَى

رمل عن الهشامي أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٌ عن حَبِش ، قال

1 شعر الأحوص : 122 .

2 كداء : موضع بأعلى مكة .

3 برقة خاخ وقباء موضعان قرب المدينة .

إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعت الجارية رأسها إليّ فقالت : أتعرفُ بئرَ عُرْوَةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئر عُرْوَةَ ، ثم سَقَتْنِي حَتَّى رَوَيْتُ ، وقالت : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُعِيدَهُ ففعلتُ ، فطَرَيْتُ وقالت : والله لأَحْمِلَنَّ قَرْبَةً إِلَى رَحْلِكَ ! . فقلت : افعلِي ، ففعلتُ وجاءت معي تحملها . فلما رَأَتْ الْجَيْشَ وَالْخَدَمَ فَرَعَتْ . فقلت لها : لا بأسَ عَلَيْكِ ! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندي ، ثم صيرت إلى الرشيد فحدثته حديثها ؛ فأمرَ بِابْتِيعِهَا وَعَتَقَهَا ؛ فما بَرَحْتُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ وَأَعْتَقْتُ ؛ وَأَخَذْتُهَا مِنْهُ صَلاَةً وَافْتَرَقْنَا .

[استعطافه المأمون بكلام سعيد بن العاص لمعاوية]

حدثني علي بن سليمان الأنخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرْزَبَانِ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ قَالَ : لَمَّا أُذْخِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ ، كَلَّمَهُ إِبْرَاهِيمُ بِكَلَامٍ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ كَلَّمَهُ بِهِ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي سَخَطِهِ سَخَطُهَا عَلَيْهِ وَاسْتَعْطَفَهُ بِهِ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَحْفَظُ الْكَلَامَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : هِيَاهُ يَا إِبْرَاهِيمُ ! هَذَا كَلَامٌ سَبَقَكَ بِهِ فَحَلُّ بَنِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ وَقَارِحُهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَخَاطَبَ بِهِ مَعَاوِيَةَ . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَنْتَ أَيْضاً إِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ سَبَقَكَ فَحَلُّ بَنِي حَرْبٍ وَقَارِحُهُمْ إِلَى الْعَفْوِ ؛ فَلَا تَكُنْ حَالِي عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ أَبْعَدَ مِنْ حَالِ سَعِيدٍ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّكَ أَشْرَفُ مِنْهُ ، وَأَنَا أَشْرَفُ مِنْ سَعِيدٍ ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ سَعِيدٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، وَإِنْ أَعْظَمَ الْهَجْنَةُ أَنْ تَسْبِقَ أُمَيَّةُ هَاشِمًا إِلَى مَكْرُمَةٍ . فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا عَمَّ ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ .

[استعطافه الأمين]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزَبَانِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَرَى بَيْنَ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَلَامٌ عَلَى النَّبِيذِ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَعَثَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بِالْطَّافِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَصِيفَةً مَلِيحَةً مَغْنِيَةً مَعَهَا عَوْدٌ مَعْمُولٌ مِنْ عَوْدٍ هِنْدِيٍّ ، وَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَغَنَّى فِيهَا وَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذَتِ الصَّنْعَةَ وَأَحْكَمَتَهَا ، ثُمَّ وَجَّهَ بِهَا إِلَيْهِ . فَوَقَفَتِ الْجَارِيَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : عَمَكَ وَعَبْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ ، وَانْدَفَعْتُ تَغْنِي بِالشَّعْرِ وَهُوَ :

هَتَكْتَ الضَّمِيرَ بَرْدُ اللَّطَفِ وَكَشَفْتَ هَجْرَكَ لِي فَانْكَشَفَ

وإِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ شَيْئاً جَرَى فَهَبْ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفَ

وَجُدْ لِي بِصَفْحِكَ عَنْ زَلَّتِي فَالْبِفَضْلِ يَأْخُذُ أَهْلُ الشَّرَفِ

قال : فسرَّ محمدٌ بها ، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمم يومه معه .

[صالح جاريته صدوف]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدام إبراهيم بن المهدي قال : كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف ، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جواريه على محلها منه ، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها أياماً ؛ ثم شق ذلك عليه واغتم به ، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها . فدخل عليه الأعرابي أخو مُعللة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسن الشعر حُلَو اللفظ فصيحاً ، وكان إبراهيم يأتس به ، فقال له : ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حال الأمير وقلتُ في أمره أحياناً إن أُذن لي أنشدته إياها . فتبسم وقال : هاتِ ؛ فأنشده¹ :

[من الكامل]

أَعْتَبْتُ أَمْ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعَتَابُ مِثْلِكَ مِثْلَهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومُ نَفْسَكَ دَائِباً فِيهَا وَأَنْتَ بِجَبْهَا مَشْغُوفُ
إِنَّ الصَّرِيمَةَ لَا يَنْوُءُ بِحَمْلِهَا إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صدوف فخرجت إليه ورضي عنها ، وبعثت إليه صدوف بمائة دينار .

[رَقِي تحفظ كل غنائها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حُميدة قال حدثني رَقِي قالت : مرض إبراهيم بن المهدي مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ ، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَيَتَذَكَّرُ عَلَيْهِ . فقال له بعض مَنْ حَضَرَ : قَتُبْ وَأَحْرِقْ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فَهَبْنِي أَحْرِقْتُ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَقِي أَيْشِ أَعْمَلُ بِهَا ؟ أَأَقْتُلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

[رأى علياً في النوم]

أخبرني جعفر بن قدامة والحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المُرْد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال : رأيتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم ، فقلت له : إن الناس قد أَكثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ، فما عندك في ذلك ؟ فقال لي : إِنْ خَسَأَ ! ولم يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . وأخبرني الكوكبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كان إبراهيم شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فَحَدَّثَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ ، فقال له : من

1 مَرَّتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ وَالشَّعْرُ (أَرْبَعَةُ أَيْيَاتٍ) فِي أَخْبَارِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَيْهِ وَكَانَ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلًا قَرَشِيًّا مِنَ الْمَدِينَةِ ، 7 : 37 .

أنت ؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب . قال : فمشيتنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها ؛ فأمسكته وقلت له : إنما أنت رجلٌ تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ؛ فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال : وأي شيء قال لك ؟ فقال : ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوب مثلك ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . فخرجل إبراهيم وقال : ليتني لم أحدثك بهذا الحديث .

[تمنى له الأمين طول العمر]

أخبرني الكوكبي قال حدثني المفضل بن سلمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : قلت للأمين يوماً : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك ! فقال : بل جعلني الله فداءك ؛ فأعظمتُ ذلك . فقال : يا عم لا تُعظمه فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص ؛ فحياتي مع الأحبة أطيبُ من تجرّعي فقلهم ، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم .

[طرب الأمين لغنائه]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال : كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيته ؛ فغنّيته :

[من مجزوء الكامل]

صوت

أَقْوَتْ مَنَازِلُ بِالْهَضَابِ مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّيَابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا وَإِذَا وَتَتْ ذُلُّ الرِّكَابِ
تَرْمِي الْحَصَا بِمَنَاسِمٍ صُمُّ صِلَادِمَةٍ صِلَابِ

قال : فاستحسن اللحنَ وسألني عن صانعه ؛ فعرّفته أن ابن جامع حدثني عن سباط أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزهُ ، ثم انصرفنا ليلتنا تلك . ووافاني رسوله حين انتهت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي يا عم لا تشتغلُ بعد الصلاة بشيء غير الركوبِ إليّ . فصليتُ وتناولتُ طعاماً خفيفاً وأنا ألبسُ ثيابي خوفاً من رجوع رسوله ، ورَكِيتُ إليه . فلما رأيَ من بعيد صاح بي : يا عم بحياتي :

خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنّيته ؛ فأمر بإحضار صبيّة كان يتحطاها ، فأخرجتُ إليّ صبيّةً كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عم ألّقه عليها ! فأعدته مراراً وهو يشرب ؛ حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنّته ؛ فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان

صعباً جداً ، فجَهِدْتُ جَهْدِي أَنْ يَقَعَ لَهَا طَلَباً لَمَسَرَّتِهِ ، وَكَانَ حَقِيقاً مِنِّي بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَقَعْ لَهَا أَلْبَتَهُ .
وَرَأَى جَهْدِي فِي أَمْرهَا وَتَعَذَّرَهُ عَلَيْهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا وَقَدْ سَكِرَ ثُمَّ قَالَ : نَفِيتُ مِنَ الرِّشِيدِ وَكُلُّ
أُمَّةٍ لِي حُرَّةٌ وَعَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ لَنْ لَمْ تَأْخُذِيهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ لِأَمْرِنَ بِالْقَائِلِكِ فِي دِجْلَةٍ ! قَالَ : وَدِجْلَةُ
تَطْفَحُ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا نَحْوُ ذِرَاعَيْنِ وَذَلِكَ فِي الرَّبِيعِ ، فَتَأْمَلْتُ الْقِصَّةَ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ سَكِرَ ، وَإِذَا الْجَارِيَةُ
لَا تَقُولُهُ كَمَا أَقُولُهُ أَبَداً . فَقُلْتُ : هَذِهِ وَاللَّهِ دَاهِيَةٌ ، وَيَتَنَصَّصُ عَلَيْهِ يَوْمُهُ وَأَشْرَكَ فِي دِمَهِهَا ، فَعَدَلْتُ
عَمَّا كُنْتُ أَغْنِيهِ عَلَيْهِ وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ أَقُولُهُ ، وَغَنَيْتُهُ كَمَا كَانَتْ هِيَ تَقُولُهُ ، وَجَعَلْتُ أُرَدِّدُهُ حَتَّى
انْقَضَتْ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ أُعِيدَهُ فِيهَا عَلَى مَا كَانَتْ هِيَ تَقُولُهُ ، وَأَرَيْتُهُ أَنِّي أَجْتَهِدُ . فَلَمَّا انْقَضَتْ
الثَّلَاثُ الْمَرَّاتِ قُلْتُ لَهَا : هَاتِيهِ الْآنَ ، فَغَنَنْتُهُ عَلَى مَا كَانَ وَقَعَ لَهَا . فَقُلْتُ : أَحَسَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَرَدَدْتُهُ مَعَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَسَكَنَ ، وَأَمَرَنِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

[حدث مائل لجحظة مع طرخان]

قال جحظة : وقد لَحِقَنِي مِثْلُ هَذَا ؛ فَإِنَّ طَرْخَانَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ كَنْدَاجِيْقِ
اسْتَحْسَنَ صَوْتاً غَنَيْتُهُ وَهُوَ :

أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّيْبُ أَكْتُبُ أَشْكَو فَلَا يُجِيبُ
مِنْ أَيْنَ أَبْغِي شِفَاءً دَائِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

وَلَحْنُهُ رَمْلٌ ، فَقَالَ : أُحِبُّ أَنْ تَطْرَحَهُ عَلَى زُهْرَةَ جَارِيَتِي ، فَمَكَّنْتُ أُرَدِّدُ إِلَيْهَا شَهْراً
وَأَكْثَرَ وَأُرَدِّدُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَصِلُنِي وَيَخْلَعُ عَلَيَّ وَيُعْطِينِي كُلَّ شَيْءٍ حَسَنٍ يَكُونُ فِي مَجْلِسِهِ ،
فَلَا تَأْخُذُهُ مِنِّي وَلَا يَقَعُ لَهَا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ
مِنْ كَثْرَةِ مَا تُعْطِينِي بِسَبَبِ هَذَا الصَّوْتِ ، وَقَدْ أَعْيَانِي أَنْ تَأْخُذَهُ زُهْرَةُ ؛ ثُمَّ حَدَّثَنِي حَدِيثَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَقُلْتُ لَهُ : لَوْلَا أَنِّي آمَنْتُكَ عَلَيْهَا لَقَلْتُ أَنَا كَمَا تَقُولُهُ هِيَ حَتَّى نَتَخَلَّصَ
جَمِيعاً . وَلَيْسَ وَحَيَاتِكَ تَأْخُذُهُ أَبَداً كَمَا أَقُولُهُ وَلَا فِيهِ حِيلَةٌ . فَقَالَ لِي : فَدَعْنِي إِذَا .

[يَبْخُلُ عَلَى ابْنِ بُسْخَرٍ بَلْحَنَ]

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَرٍ
قَالَ : غَنَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَوْماً بِمَحْضَرَةِ الْمَأْمُونِ¹ :

[من الكامل]

صوت

يَا صَاحِرْ يَا ذَا الضَّامِرِ الْعَنَسِ وَالرَّحْلُ ذِي الْأَنْسَاعِ وَالْجِلْسِ

1 مَرٌّ مِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ مَنْسُوباً إِلَى مَخَارِقِ .

أَمَّا النَّهَارُ فَأَنْتَ تَقْطَعُهُ رَتَكًا وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُمَسِّي
 فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِحْنُ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ ثَقِيلِي عَنْ يُونُسَ وَالْهَشَامِي . قَالَ : وَلَمَعْدَ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ،
 وَقَدْ نَسَبَ قَوْمٌ لِحْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخَرِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ بُسْخَرٍ فِي الْخَبَرِ :
 وَاللِّحْنُ لِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ وَهُوَ مِنْ قِصَارِهِ . هَكَذَا فِي الْخَبَرِ ، قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهُ الْمَأْمُونُ ،
 وَذَهَبَتْ أَخَذَهُ ، فَقَطَّنَ لِي إِبْرَاهِيمُ فَجَعَلَ يَزِيدُ فِيهِ مَرَّةً وَيَنْقُصُ مِنْهُ أُخْرَى بِزَوَائِدِهِ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا
 فِي الْغِنَاءِ ، وَعَلِمْتُ مَا هُوَ يَصْنَعُ فَتَرَكْتُهُ . فَلَمَّا قَامَ قُلْتُ لِلْمَأْمُونِ : يَا سَيِّدِي إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ
 إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُقْلِيَ عَلَيَّ :

يَا صَاحِبَ يَا ذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ
 قَالَ : أَفْعَلُ . فَلَمَّا عَادَ قَالَ لَهُ : يَا إِبْرَاهِيمَ أَلْتَوَى عَلَى مُحَمَّدٍ :

يَا صَاحِبَ يَا ذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ
 فَأَلْقَاهُ عَلَيَّ كَمَا كَانَ يَغْنِيهِ مُغَيَّرًا ، ثُمَّ انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَسَكِرَ الْمَأْمُونُ . فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : قُمْ الْآنَ
 فَأَنْتَ أَحَدُ الْقَوْمِ النَّاسِ بِهِ ، فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ . ثُمَّ جِئْتُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقُلْتُ لَهُ : مَا فِي الْأَرْضِ أَعْجَبُ
 مِنْكَ ؛ أَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ وَأَخُو الْخَلِيفَةِ وَعَمُّ الْخَلِيفَةِ تَبْخُلُ عَلَى وَلِيِّكَ مِثْلِي لَا يُفَاخِرُكَ بِالْغِنَاءِ
 وَلَا يَكَاثُرُكَ بِصَوْتٍ ؛ فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ مَا فِي الدُّنْيَا أَضْعَفُ عَقْلًا مِنْكَ ! وَاللَّهِ مَا اسْتَبَقَانِي الْمَأْمُونُ
 حُبَّةً لِي وَلَا صِلَةً لِرَحْمِي ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ مِنْ هَذَا الْجَرِمِ شَيْئًا فَقَدَهُ مِنْ سِوَاهُ فَاسْتَبَقَانِي لِذَلِكَ .
 فغَاظَنِي فَعَلُهُ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ حَدَّثْتُهُ بِمَا قَالَ لِي . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا مُحَمَّدُ هَذَا أَكْفَرُ النَّاسِ
 لِنِعْمَةٍ ! وَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : لَا نَكْدُرُ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ عَقْفُونًا عَنْهُ وَلَا نَقْطَعُ رَجَمَهُ ، فَدَعُ هَذَا
 الصَّوْتَ الَّذِي ضَنَّ بِهِ عَلَيْكَ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ .

[يَكِيدُ لِدَعْلٍ]

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
 قَالَ : قُلْتُ لِدَعْلٍ : بِاللَّهِ أَسْأَلُكَ أَنْتَ الْقَائِلُ :

كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ إِذَا حُسِبُوا يَوْمًا وَثَامَنَهُمْ كَلْبُ
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ! فَقُلْتُ : مَنْ قَالَه ؟ قَالَ : مَنْ حَشَا اللَّهُ قَبْرَهُ نَارًا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ،
 كَأَنِّي بِذَلِكَ عَنْ هِجَائِي إِيَّاهُ لِيُشَيِّطَ بَدْمِي .

[خَطًّا مَخَارِقًا فِي لِحْنٍ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ بُسْخَرٍ
 قَالَ : لَمَّا رَضِيَ الْمَأْمُونُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَنَادَمَهُ ، دَخَلَ عَلَيْهِ مُتَبَدِّلًا فِي ثِيَابِ الْمَغْنِيِّينَ وَزِيَّهِمْ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ ضَحَكَ وَقَالَ : نَزَعَ عَمِّي ثِيَابَ الْكِبَرِ عَنْ مَنَكِبَيْهِ . فَدَخَلَ وَجَلَسَ ، وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِأَنْ

يُخْلَعُ عَلَيْهِ فَأَلْبَسَ الْخِلْعَ . ثُمَّ ابْتَدَأَ مُخَارِقَ فَغَنَى :

[من الطويل]

صوت

خَلِيلِي مِنْ كَعْبٍ أَلَمَّا هُدَيْتُمَا بَزِينَبَ لَا يَفْقِدُكُمَا أَبَدًا كَعْبُ
مِنْ الْيَوْمِ زُورَاهَا فَإِنَّ مَطِيئَنَا غَدَاةً غَدِ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا نُكَبٌ¹

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَسَأَتْ وَأَخْطَأَتْ . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا عَمَّ إِنْ كَانَ أَسَاءَ وَأَخْطَأَ فَأَحْسِنَ أَنْتَ . فَغَنَى إِبْرَاهِيمُ الصَّوْتِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَالَ لِمَخَارِقَ : أَعِدْهُ الْآنَ ، فَأَعَادَهُ فَأَحْسَنَ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ بَيْنَ الصَّوْتِ الْآنَ وَبَيْنَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ؟ قَالَ : مَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَهُمَا ! فَالْتَفَتَ إِلَى مَخَارِقَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا مِثْلُكَ يَا مَخَارِقَ مِثْلُ الثَّوْبِ الْوَشْيِ الْفَاخِرِ ، إِذَا تَغَافَلَ عَنْهُ أَهْلُهُ سَقَطَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ فَحَالَ لَوْنُهُ ، فَإِذَا نَفِضَ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ .

[أَحْسَنَ الْأَسْمَاءَ وَأَسَمَحَهَا]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي شَارِيَةُ الْكُبْرَى مَوْلَاةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَتْ : سَمِعْتُ مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ يَحْدُثُ قَالَ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ جَالِسًا عَلَى طَرَفِ حَرَّاقَةٍ مِنْ حَرَّاقَاتِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْمَوْصِلَ وَقَدْ بَلَّغْنَا إِلَى السُّودْقَانِيَّةِ ، وَالْمَدَّادُونَ يَمْدُدُونَ السُّفْنَ ، وَالشُّطْرُنُجُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَالْدَّسْتُ مُتَوَجِّةٌ لَهُ ، إِذْ أَطْرَقَ هُنَيْهَةٌ ثُمَّ قَالَ لِي : يَا ابْنَ أُمِّ ، مَا أَحْسَنُ الْأَسْمَاءَ عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : مُحَمَّدٌ اسْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : هَارُونَ اسْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا أَسْمَحُ الْأَسْمَاءَ ؟ قُلْتُ : إِبْرَاهِيمُ . فَزَجَرَنِي ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ ! أَتَقُولُ هَذَا ! أَلَيْسَ هُوَ اسْمُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : بِشَوْثُومَ هَذَا الْاسْمَ لَقِيَ مِنْ نَمْرُودَ مَا لَقِيَ وَطَرِحَ فِي النَّارِ . قَالَ : فَأَبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قُلْتُ : لَا جَرَمَ أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ مِنْ أَجَلِهِ . قَالَ : فَأَبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ ؟ قُلْتُ بِحَرَفَةٍ اسْمُهُ قُتْلُهُ مَرْوَانَ فِي حَرَانَ² . وَأَزِيدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ خُلِيعٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ قُتِلَ ، وَعُمُّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَنٍ سَقَطَ عَلَيْهِ السَّجَنُ فَمَاتَ ، وَمَا رَأَيْتُ وَاللَّهِ أَحَدًا يُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ إِلَّا قُتِلَ أَوْ نَكِبَ أَوْ رَأَيْتُهُ مَضْرُوبًا أَوْ مَقْدُوفًا أَوْ مَظْلُومًا . ثُمَّ مَا انْقَضَى الْكَلَامُ حَتَّى سَمِعْتُ مَلَأْحًا يَصِيحُ بَأَخَرٍ : مُدَّ يَا إِبْرَاهِيمَ مُدَّ وَيْلَكَ ، ثُمَّ أَعَادَ وَيْلَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ مُدَّ ، ثُمَّ أَعَادَ يَا إِبْرَاهِيمَ مُدَّ ، ثُمَّ أَعَادَ يَا إِبْرَاهِيمَ يَا عَاضَ بَظَرِ أُمِّهِ مُدَّ . فَقُلْتُ لَهُ : أَبْقِيَ لَكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا ! لَيْسَ وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا اسْمُ أَشْأَمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَالسَّلَامِ . فَضَحِكَ وَاللَّهِ حَتَّى أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ .

1 نَكِبَ : مَاتَ .

2 ل : جَرَابِ النُّورَةِ .

[عرض في غناؤه بالحسن بن سهل]

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب ؛ فقال له : بحياتي وبحقي عليك يا أبا محمد إلا شربتَ معي قَدْحاً ، وصَبَّ له من نبيذه قَدْحاً . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُجِبُ أَنْ يُغْنِيكَ ؟ فأَوْماً إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غَنَّهُ يا عم ؛ فغناه :

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاساً إِذَا انصرفتْ

يعرِّضُ به لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّوءِ وَالِاخْتِلَافِ . فغَضِبَ المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أَنَّهُ سَيُوقَعُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أُبَيِّتَ إِلَّا كُفْراً يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِيَعْمِيَ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ دَمَكَ غَيْرُهُ ؛ وَلَقَدْ أُرِدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتُ فَعْلاً لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَفَحَقُّهُ أَنْ تَعْرِضَ بِهِ وَلَا تَدَّعِ كَيْدَكَ وَلَا دَغْلَكَ ! أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَائِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ؟ . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ ؛ فَأَعْرِضْ عَنْهُ .

[جعل أحمد بن أبي دواد لا يلوم على الغناء]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دُودٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ أَبِي قَالَ¹ : كُنْتُ أَتَجَنَّبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَذُمُّ لَهُجَهُمْ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : الْحَقُّ بِي ؛ فَلَحِقْتُ بِهِ بِيَابِ الشَّمَاسِيَّةِ وَمَعِيَ غِلَامِي زَنْقُطَةُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْهُ صَوْتاً أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي وَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ ، ثُمَّ احْتَجْتُ وَقَدْ أَغْتَقَ بِي بِرِذْوَنِي أَنْ أَكُفَّهُ بِسَوْطِي . فَقُلْتُ لِغِلَامِي : هَاتِ سَوْطَكَ ؛ فَقَالَ : سَقَطَ وَاللَّهِ مِنْ يَدِي لَمَا سَمِعْتُ هَذَا الْغِنَاءَ . فغَلَبَنِي الضَّحْكَ حَتَّى بَانَ فِي وَجْهِهِ . وَدَخَلْتُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ بِتِلْكَ الْحَالِ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : مَا يُضْحِكُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ : أَتَتُوبُ الْآنَ مِنَ الطَّعْنِ عَلَيْنَا فِي السَّمَاعِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَبْلَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ يُغْنِيكَ ؟ قَالَ : عَمِي إِبْرَاهِيمُ ، كَانَ يُغْنِيَنِي :

[من الخفيف]

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ أَنْشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا

ثُمَّ قَالَ : أَعِدَّه يَا عَمَ لِيَسْمَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَدْعُ مَذْهَبَهُ . فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ لَأَدْعُهُ فِي هَذَا وَلَا لُمْتُكَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : أَمَا إِذْ كَانَتْ تَوْبَتُهُ عَلَى يَدَيْكَ يَا عَمَ فَلَقَدْ فَرْتَ بِفَخْرِهَا وَغَدَلْتَ بِرَجْلِ ضَخْمٍ عَنْ رَأْيِهِ إِلَى شَأْنِنَا .

[رأي مخارق في غنائه]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطَّلحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال : كنت أسأل مخارقاً : أيُّ الناس أحسنُ غناءً ؟ فُجِيبني جواباً معجلاً حتى حَفَفْتُ عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلي أحسنَ غناءً من ابن جامع بعشر طبقات ، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ غناءً مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسنُ الناس غناءً أحسنُهم صوتاً ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجن والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبك هذا .

[إسحاق الموصلي يطرب لصوت من لحنه وشعره]

حدثني علي بن هارون المنجّم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجرائي قال : انتهت يوماً مُغَلَّساً ، فدخل إلي الغلامُ فقال لي : إسحاق الموصلي بالباب قبل أن أُصَلِّي الغداة . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل فقال : حملني الشوقُ إليك على أن بَكَرْتُ هذا البُكور ، وقد حملتُ معي نبيذِي وعَمِلْتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخي فسألته عما في المطبخ ، فذكر أشياءً يَسِيرَةً ، منها قطعةٌ جَدِي وطَباهِجٌ ودُرَّاجٌ معلق . فقال : ما أريد غيرَ ذلك ، هاتِ الساعة . فقلت للطباخ : عَجِّل بإحضاره ، وعَمِلْتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجبي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب ، وإذا فُرَاتٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل لِيُخَضِّرَهُ . قال فقال لي إسحاق : قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجَّل . قال : فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضع النِّبَذ بين يديه ، ولبستُ ثيابي وخرجت وركبت . فلما سَيرْتُ قليلاً قلت في نفسي : أنا أحسُّرُ الناسَ صَفْقَةً إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم الموصلي في منزلي ومَضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبِي ، ولا أدري ما يريد مني . فقلت للفُرَاتِ : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فنقول : إنك وجدتنِي شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له خَتْماً ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعَ الكُرَّةَ ، فأخبرته بما صنعتُ ؛ فقال وَفَّقَتْ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجواري إليه يغنين حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو :

[من معزوء الرمل]

جَدَّدَ الحُبُّ بَلَايَا أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرَا

ولحنه من الثقيل الثاني ، قال : فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طَرِبَ مثله قط ، وعجب من إحسانه في صنعته وجودة قسمته ، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغني غيره حتى شرب

إسحاق قَطْرَمِيزَه¹ ، وفيه من الشمس الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً ، وكلّما حضرت صلاة قام إسحاق يصلي بنا ، فصلّى بنا العَتَمَة وقد فني قَطْرَمِيزَه فشرب من نبيذي رطلين على الصوت . قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي . وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الرمل]

جَدَّدَ الحُبُّ بِلَايَا أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرَا
كَبِيرَ الحُبِّ وَقَدَمًا كَانَ إِذْ حَلَّ صَغِيرَا
ذَلَّلَ الحُبُّ رِقَابًا كَانَ أَذْنَاهَا عَسِيرَا
لَيْسَ لِي مِنْ حُبِّ الْفَيِّ غَيْرُ حَرْمَانِي السَّرِيرَا

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقل .

[أحب جارية عند بعض أهله]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال : استتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء ، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت لها : إن أردك لشيء فطاويعه وأعلميه ذلك حتى يتسع له ، فكانت تُوفيه حقه في الخدمة والإعظام ولا تُعلمه بما قالت لها ؛ فجعل مقدارها في نفسه إلى أن قبل يوماً يدها ، فقَبِلَتِ الأرضَ بين يديه . فقال :

[من مجزوء الرمل]

يَا غَزَالًا لِي إِلَيْهِ شَافِعٌ مِنْ مُقَلَّتَيْهِ
وَالَّذِي أَجَلَلْتُ خَدَّ بِهِ فَقَبِلْتُ يَدَيْهِ
بَأَبِي وَجْهَهُ مَا أَكْ ثَرَّ حُسَادِي عَلَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الضَّيِّ فَرَّ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحنًا في طريقة الهَزَج .

[غنى المأمون فرق له وأمنه]

وقال أحمد بن أبي طاهر : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه ويلغفه عنه تنكُّره :

[من الطويل]

ذَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ مَنِّي هَوَى الدَّهْرِ بِي عَنْهَا وَوَلَّى بِهَا عَنِّي

1 قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فرق له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فطَبَّ نفساً ، فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحدِثَ حَدَثًا يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكونَ منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مني هوى الدهرُ بي عنها وولَّى بها غَنِّي
فإن أبلُكُ نفسي أبلُكُ نفساً نفيسةً وإن أحتسبَها أحتسبَها على ضَنِّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقليل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخي خالد من الحبس ، وله في ذلك خبر طويل ، وقد شَرَطْنَا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء . وفي هذه القصيدة يقول :

وأفلتَنِي عيسى وكانت خديعةً حلَّلتُ بها مُلكي وفلَّتُ بها سِنِي

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن ، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكنى أبا زيد ، فطَرِبَ حتى وثب فأخذ طَرَفَ ثوب إبراهيم فقبَّله . فنظر إليه المأمون مُنْكِراً لفعله . فقال ما تنظر ؟ أقبَّله والله ولو قَتَلْتُ عليه ! فتبسم المأمون وقال : أَيْتَ إلا ظَرْفًا .

[يعرض لحسن بن سهل]

قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول : اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون ؛ فأراد الحسن أن يَضَعَ من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنيه العرب أحسن ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّرَ إبراهيم بالغناء والعلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاساً إِذَا انصرفت

أي إنك مُوسَّوس ، وكان بالحسن شيء من هذا .

[غنت مغنية بحضرته فداعبها]

أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجَم قال : غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر :

[من الخفيف]

مَنْ رَأَى نُوقاً غَدَتْ سَحَرًا

فقال إبراهيم : أنا رأيتُ هذا . قيل له : وأين رأيته أيها الأمير ؟ قال : رأيتُ ولد علي بن رَيطَةَ يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّيْدِ .
[بكاء رومية أعجمية تأثراً من صوته]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُثَيْل العَنَزِي قال حدثني بعض الكتاب عن رَيْثُ قال : خرجتُ يوماً إلى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في :

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ

وجاريةٌ لنا رومية أعجمية لا تُفْصِحُ فِي أَقْصَى الدَّارِ تَكْشُ ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكي أحرَّ بكاء سمعته قط ، فجعلتُ أعجبُ من بكائها وأنظر إليها حتى سَكَتَ ، فلما سَكَتَ قَطَعَتِ الْبُكَاءَ ، فعلمتُ أن هذا من غَلَبَتِهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ لِكُلِّ طَبْعٍ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ .
[إجازة الأمين له على غنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزرع عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أَرْضَهُ فِي شَعْرِ لَأْمِي نُوَاسَ وَهُوَ : [من الرمل]

يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةً فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنِ
ظَنُّ يِي مِنْ قَدْ كَلِفْتُ بِهِ فَهُوَ يَجْفُونِي عَلَى الظَّنِّ
رَشَاءً لَوْلَا مَلَا حُتُّهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتَنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ بَعَثَرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فقال : هل هي إِلَّا خَرَاஜُ بَعْضِ الْكُؤُورِ ؟ هَكَذَا ذَكَرَ إِسْحَاقُ . وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَرٍ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : لَمَّا أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ قَالَ : أَوْقِرُوا زُورِقَ عَمِي دَنَانِيرَ ، فَانْصَرَفْتُ بِمَالٍ جَلِيلٍ .
[يحسن الإيقاع على الطبل والناي]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدي ، وقد خرج إلى ذكر الطُّبَلِ وَالْإِيْقَاعِ بِهِ ، فقال إبراهيم : هو من

الآلات التي لا يجوز أن تُبلَّغ نهايتها . فقليل له : وكيف خُصَّ الطُّبْلُ بذلك ؟ فقال : لأنَّ عمل اليدين فيه عملٌ واحد ، ولا يُدَّ من أن يلحق اليسار فيه نقصٌ عن اليمين ، ودعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون ، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خلواته : يا عم أشتهي أن أسمعك تزمر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي نايًا قط ولا أضعه ، ولكن يدعوا أمير المؤمنين بفلانة ، من موالى المهدي ، حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه . فأحضرت ووضعت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مرَّ الهواء أمرَّ أصابعه ، فسمع زمراً أجمع سائر من حضر على أنه لم يسمع مثله قط .

[حسن ترجمته]

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا : كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه : [من الكامل]

هل تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفُكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَالَهَا

فبلغ إلى قوله : [من الكامل]

جبريلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

هَزَّ حَلْقَهُ فِيهِ وَرَجَّعَهُ تَرْجِيعاً تَتَزَلْزَلُ مِنْهُ الْأَرْضُ .

[اختلس لحناً من متيم الهشامية]

أخبرني محمد بن إبراهيم قريظ قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال : كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر ، فتغنت متيم في الثقل الأول :

لَزَيْنَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيدَه . فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذَه . فقال لها : لا تُعيدِه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيم غائبةً عنه ، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظره لها مُشْرِفةٌ على الطريق وهي تطرح هذا الصوت على بعض جَوَارِي بني هاشم ، فتقدم إلى المنظره على دابته وتطاول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب بابَ المنظره بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكَ .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

لرَيْسَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ هُدُوءاً إِذَا النَّجْمُ ارْجَحَّتْ لَوَاحِقُهُ¹
 سَيِّبُكَ مِرْنَانُ الْعَشِيِّ يُجِيبُهُ لطيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرٌّ مَرَّافِقُهُ²
 إِذَا مَا بِسَاطُ اللَّهِوِ مُدٌّ وَقُرْبَتْ لِلذَّائِرِ أَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ

الشعر للنميري . والغناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه للمالك خفيف ثقيل أول بالنصر عن يونس والهشامي .

[حكم محمد بن موسى المنجم على غنائه]

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان محمد بن موسى المنجم يقول : حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناء ببرهان ، وذلك أني كنت أراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتمد يغني المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار أحد إلا ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مصغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يغني ، حتى إذا أمسك وتغنى غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون . ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطباع ، مع اختلافها وتشعب طرقها ، على الميل إليه والانقياد له .

[كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : قلت للمعتصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت : شارية وزايرتها معمعة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزامرة ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أطرف منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة كانت تحمل رطباً طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : جمرتها³ بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قدح الصحضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله حجمني فيه أبو حرملة فسألته أن يهبه

1 ارجحت : مالت نحو الغروب .

2 مرنان : كثير الرنين . درم : ضئيل العظام .

3 جمّر النخلة : قطع جمارها .

لي ففعل ، ووجهتُ به إلى منزلي فغسلَ ونظفَ وأعيدَ إلى خزانتي ، فرأيتُ أبي فيما يرى
النائمُ في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أَيْتَرُعُ ضَخْضَاحِي دَمًا بَعْدَ مَا غَدَتُ عَلَيَّ بِهِ مَكْنُونَةٌ مُتَرَعًا خَمْرًا
فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي أَوْ تَحِبُّ مَسَرَّتِي فَلَا تُغْفِلَنَّ قَبْلَ الصَّبَاحِ لَهُ كَسْرًا
فَانْتَبَهْتُ فَرَعًا وَمَا فَرَقَ الصَّبْحُ حَتَّى كَسَرْتُهُ .

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

فأما المماظة¹ التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ .
ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له ، وعذره فيما
عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن
أحمد بن ثوابة رحمه الله بخط إسحاق في قِرطاس ، وأنا أعرف خطَّهُ ، وجواب إبراهيم بن
المهدي في ظهره بخطٍ ضعيف وأظنه خطُّه ؛ لأنه لو كان خط كاتب لكان أجود من ذلك
الخط ، وقد ذهب أولُ الكتاب فذهب منه أولُ الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيته ؛ فكان ما
وجدته من ابتداء إسحاق : وكنتُ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، كتبتُ في كتابك إلى محمد بن واضح
تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعتُ ذلك ؟ وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ علي وعلى أبي
رحمه الله من قبلي نعمة سواكم ؟ . وأحبُّ ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يَتَلَيَّنِي اللهُ
بذلك إن شاء الله . فأما ذِكْرُكَ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، الصنعة فقد أجلَّ الله قدرَكَ عن الحاجة إلى
دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكينَ فأنت تعلم أنني لم أَتَّخِذْ ما نحن فيه صنعةً قط ، وأنا لم
أُرِدْهَا إِلَّا لَكُمْ شكرًا لنعمتكم وحبًّا للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يعينيني ذلك
عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعني من علويه
ومُخَارِقِ بَحِثٍ وَضَعْتَنِي إِلَّا لَغَضَبٍ أُخَوِّجُكَ² إلى ذلك ، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا
مملوكَيْنِ لي لآثرتُ تعجيلَ الرَّاحَةِ مِنْهُمَا بَعْتَهُمَا أَوْ تَخَلَّيَ سَبِيلَهُمَا عَلَى ثَمَنِ أَصِيهِ بِيَعَهُمَا أَوْ
حَمَدِي أَكْتَسِبَهُ بِثَمَنِهِمَا ، فكيف أظن أنني عندك مثلَهُمَا ، أو أنك تَقْرُنُنِي إِلَيْهِمَا وتذكرني
معهما ! . أو تلومني الآن على أن أُخْرَسَ فلا أُنْطِقَ بِحَرْفٍ ، وأن أُفْرَّ من الغناء فِرَارَكَ مِنَ الْخَطَا
فيه ، وأمتعضَ منه امتعاضَكَ مَنْ يُخْفِي عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ عُلُومِهِ ؟ . كيف ترى ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ،
الآن سيأتي وأنت ترى أن أحدا لا يُحَسِّنُ السَّبَّ غَيْرُكَ ! . قد أحدثتُ لي ، جعلتُ فِدَاكَ ، أدبًا

1 المماظة : المخاصمة .

2 ل : أخرجك .

وَزِدْتَنِي بِصِيرَةٍ فِيمَا أُحِبُّ مِنْ تَرْكِهِ وَتَرَكِ الْكَلَامَ فِيهِ . فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحِجَّةِ وَتَعْرِيدٌ¹ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ ، كَمَا قُلْتَ ، فَقَدْ ظَفِرْتَ وَصَرْتَ إِلَى مَا أُحِبُّ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْحَرِّ أَنْ يَتْلَهَّى بِمَا لَا تَقُومُ لِدُثِّهِ بِمَعْرِثِهِ ، وَلَا لِعَاقِلٍ أَنْ يَبْذُلَ مَا عِنْدَهُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُهُ ، وَلَعَلَّهُ لَا يَقْلِبُ الْعَيْنَ فِيهِ حَتَّى يَلْحَقَهُ مَا يَكْرَهُ مِنْهُ . وَأَمَّا مَا قَالَهُ أَبِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَتِمَعْنِي أَنْ يَرَى مِنْ سَادَتِهِ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهُ حَقُّ مَعْرِفَتِهِ وَيَبْلُغُ عِلْمُهُ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْغَايَةَ الْعَظِيمَى حَتَّى رَأَى ، فَقَدْ صَدَّقَ ، مَا زَالَ يَتِمَعْنِي ذَلِكَ وَمَا زَلْتُ أَتَمَنَّا . فَهَلْ رَأَيْتَ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، حَظِّي مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ سَاوَيْتَ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَسَاوِي شَيْئَهُ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَرْضَى فِي بَعْضِ الْقَوْمِ حَتَّى تَفْضُلَهُ عَلَيْهِ ، لَا تَنْفَعُهُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةُ بِهِ ، وَلَا رِعَايَةُ لَطُولِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ ، وَلَا حِفْظُ لَأَثَارٍ عَمُودِيَّةٍ بَاقِيَةٍ نَذَكْرَهَا وَنَحْتِجُ بِهَا . ثُمَّ هَا أَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَضَعْنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعْنِي بِهِ ، وَتَنْسُبْنِي إِلَى مَا تَنْسُبْنِي إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصَّوَابَ وَاجْتَهَدْتُ فِي الْبَذْلِ وَالْمُنَاصَحَةِ ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لِسَلَفِي ، وَلَا صِيَانَةُ لَخَلْفِي ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ ، وَلَا وَمَا أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَهُ . فَمَا أَرَى ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، مِنْ مَعْرِفَتِكَ بِمَا فِي أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرُّعُ الْحَسَرَاتِ ، وَتَطْلُبُكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . كَيْفَ أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي ، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَبْتَنِي ، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَفَرْتَ بِي ، وَإِنْ مَزَحْتُ لِأَطْرِبِكَ وَأَضْحَكُكَ وَأَقْرُبُ مِنْ أُنْسِكَ وَآخُذُ بِنَصِيصِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِيبَتَ وَسَبَبْتَ ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيباً مِنْكَ لَضَرَبْتُ ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ . ثُمَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ عِنْدِي أَمْرُكَ إِيَّايَ أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ وَاضِحٍ عَنْ قَوْلِ قَلْتَهُ فِيَّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ بَاثَةَ . فَوَاللَّهِ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنِّي لَأُبَشِّعُ² بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أُحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذْكَرَ لَهُ ! . وَإِنِّي لِأُرْثِي لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَأَعْجِبُ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنِّي ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، لَوْ رَغِبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكَفَيْتُكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بِأَنْ أَكْسُوهُ ثَوْبَيْنِ ، أَوْ أَهْبَ لَهُ دِينَارَيْنِ ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرَ مِمَّا أُرِدْتُ لِي أَوْ أُرِيدَهُ لِنَفْسِي . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ حَظِّي مِنْكَ هَذَا ! وَمِثْلَهُ غَيْرَ مُسْتَصْغِرٍ لَشَأْنِكَ وَلَا مُسْتَقِلٍّ لِقَلِيلٍ حَسَنَ رَأْيِكَ . وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَطِيلَ بَقَاءُكَ ، وَيَحْسَنَ جَزَاءُكَ ، وَيَجْعَلَنِي فِدَاكَ . قَدْ طَالَ الْكِتَابُ ، وَكَثُرَ الْعِتَابُ . وَجُمْلَةُ مَا عِنْدِي مِنَ الْإِعْظَامِ وَالْإِجْلَالِ اللَّذَيْنِ لَا أَخَافُ أَنْ أَجْعَلَهُمَا عِنْدَكَ ، وَالْحِجَّةُ الَّتِي لَا أُمْتَنِعُ مِنْهَا وَلَا أَعْرِفُ سِوَاهَا ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي تَسْلِيمِ مَا تَحِبُّ تَسْلِيمُهُ وَالْإِقْرَارُ بِمَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرُبَ بِهِ ، وَسَأَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاضِحٍ وَأَشْهَدُ لَكَ بِهِ مِنْ أُحِبُّ وَأُؤَدِّي الْخَرَجَ . وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ فَائِدَةٍ وَإِلَّا أَنْكَسِرَ ، فَهَاتِ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، وَأَوْفِ وَاسْتَوْفِ فَإِنَّكَ وَاجِدٌ صَحَّةً وَاسْتِقَامَةً إِنْ

1 التعرید : الفرار .

2 بشع بالأمر : ضاق به .

شاء الله . مد الله في عمرك ، وصبرني عليك ، وقدمني قبلك ، وجعلني من كل سوء فداءك .
[نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه]

. . وأية سلامة أقدير لك عليها إلا أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك . فأما أن أتكلّم من ورائك بشيء تستثقله متعمداً ؛ فما أنا إذا بحر ولا كريم ، معاذ الله من ذلك ؛ . ولن جمعني وإياك وعليّ بن هشام مجلس لأستشهدنه على أشياء لم أذكرها لك ، ولم أكتب بها إليك ، إجلالاً لقدر حالك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني ، وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تجيبك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكرًا . وأما الفوائد التي وعدت ورودها علينا فإني لوائق أنك لا تفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدته في فطناً أجيد تفتيشه وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ، فأما غيرك فالهباء المنثور . ويا رأس المشتعين تقول إني غيرتك بالصناعة ثم تحتج بحذقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج ، لتفجم خصمك ، وتعلي حجتك ، فكيف أعيبك بحاجتي إليك ، وما أنا داخل فيه معك ؟ لا ؛ ولكني قلت لك : إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك ، إنما أنا رجل من مواليك متوسّل إليك بما يسرّك ، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه ، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصيبته أو أخطأته ، لا بالحمية والأنفة والحيلة لترد الحق بالباطل . هذا معنى قولي ؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر ، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي . والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرده عليّ ، فتبّع ما فيه وحذني به . فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عيت غير رأيي ، ولا جهلت غير نفسي . ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه ، وإنما تريد أن تخصمني¹ بلا حجة ، فيكفيني علمك بما عندي ، وإلا فأنت إذا بي أجهل مني بك . وقلت : «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النار مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإيليس مع آدم ، فلم يهن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإيليس ، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي ، واستمتع بي وأمنعني بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيت واحداً مستوحشاً ، ولم تجد غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك ، وإن علم أكثر منك لم يشنك ، وإن أفهمته كافاك ، وإن استفهمته شفاك . لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك ، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك ؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هي لك دوني ، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيمهما ، ولا أراهما حتى أراهما ميتين ، وما في هذا غيرك والإعظام لك

والإكرام . وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما نِدَّين تقول فيهما ويقولان فيك ، وإنما هما صَنِيعَتَاكَ وخِرْيَجَا تَأْدِيبِكَ وإن كانا غير طائل . فلو أَعْرَضْتَ عن انتقاصهما ورفعت ما رفع الله من قَدْرِكَ عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأَجْمَلَ بِمَحَلِّكَ ووَخَطَرِكَ ومَكَانِكَ . وكذلك الذي تَرْتَنِي له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أَحَبُّ لَكَ في أدبِكَ وفضلك ودينِكَ ومحَلِّكَ أَنْ تُشَهِّرَ نَفْسَكَ لهما بهذا ومِثْلِهِ ، وَأَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِمَا ذَلِكَ عَنْكَ . أَقُولُ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ لَا لهما . وَإِنْ ذَلِكَ ، لو صرْتَ إِلَيْهِ ، لأَجْمَلَ بِكَ وَأَجْلُّ لِقَدْرِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَتَتَخَوَّلَهُمَا بِهِ . ولو أَرَدْتَ ذَلِكَ ، وَإِنْ زَهَدْتَ فِيهِ ، لم تَضَعْ نَفْسَكَ ومحَلِّكَ مع غُلَمَانِ أَحْدَاثٍ يَسْطُونُ أَلْسِنَتَهُمْ فِيكَ بما بَسْطَتَهُ مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِكَ ، ولو لم تفعل لَكُنْتَ أَعْظَمَ فِي عَيْنِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَوَالِيهِمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْتَهُمْ . هذا رأيي لك بما هو أَكْبَرُ لِأَمْرِكَ وَأَشْبَهُ بِمَحَلِّكَ . ووالله ما غَشَّشْتُكَ وَلَا أَوْطَأْتُكَ عَشَوَاءَ ، فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا رَأَيْتُ . وَلَا وَاللَّهِ لَا سَمِعَا بِهَذَا أَبَدًا وَلَا بِمَا قُلْتَهُ فِي إِلا خَرِيَا حَتَّى يَمُوتَا ، وَلَا أَرَدْتُ ، يَشْهَدَ اللَّهُ ، بِهَذَا غَيْرِكَ . وَأَمَّا مَنْ ذَكَرْتَ أَنَّي أَسْوِيهِ بِأَيِّ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لَا يَسَاوِي شَيْعَهُ فَإِنَّكَ عَنَيْتَ ابْنَ جَامِعٍ . وَأَنْتَ لَا تَدْخُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَيِّ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَا أَظُنُّكَ وَاللَّهُ أَشَدَّ حَبًّا لِي مِنْي ، وَلَا كَانَ لَكَ أَشَدَّ حَبًّا مِنْهُ لِي ، فَقَدْ تَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ لِي ، وَلَكِنْ لَا أَظْلَمُ ابْنَ جَامِعٍ كَمَا تَظْلِمُهُ أَنْتَ يَا أَظْلَمَ الْبَشَرِ . وَلَنْ ضَمَنْتَ أَنْ تُنْصِفَنِي لِأَكْلَمَنَّا فِيهِ بِمَا لَا تَدْفَعُهُ ، وَلَكِنِّي لَا أَكْلَمُكَ فِي شَيْءٍ حَتَّى أَثِقَ بِهَذِهِ مِنْكَ ، وَإِلَّا وَسِعَنِي مِنَ السَّكُوتِ مَا وَسَعَكَ . وَمِنَ الْعَجَبِ الَّذِي لَمْ أَرْ مِثْلَهُ وَالْمُكَابِرَةَ الَّتِي لَا يَشْبِهُهَا شَيْءٌ اعْتَدَاؤُكَ عَلَيَّ فِي التَّجَزُّؤَةِ حَيْثُ تَقُولُ :

حَيِّيًا أُمَّ يَعْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب ؟ قولك : «ييا» ليكون مثل «شَحْطٍ» في الوزن ، أَيْكُونُ مِثْلُ هَذَا فِي الْكَلَامِ ! وَقَوْلُكَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي «حَيَّ» حَتَّى يَكُونَ مِثْلُ «قَبْلَ» هَلْ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا ؟ أَوْ لَيْسَ فِي «ييا» الْمَشْدُودَةُ أَرْبَعُ يَاءَاتٍ ، وَفِي «حَيَّ» الَّتِي عَطَفْتَ بِهَا ثَلَاثُ فَتْصِيرُ سَبْعَ يَاءَاتٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ ثَلَاثُ فِي الْأَصْلِ : الْيَاءُ الْمَشْدُودَةُ وَيَاءُ الْاِثْنَيْنِ حَيْثُ تَقُولُ «حَيَّيَا» ! . وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِهَاتِمٍ ، فَمَنْ أَسْتَعْدِي عَلَيْكَ ؟ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ فِي :

حَيِّيًا أُمَّ يَعْمَرَا

غَيْرُ مَا جَزَّاتُ أَنَا إِلَّا بِهَذَا الْغَلَطِ الَّذِي لَا يَحُولُ مِنْ تَحْرِيكِ سَاكِنٍ تَجْعَلُهُ أَوَّلَ الْكَلَامِ فَقَدْ زِدْتَ قَبْلَهُ حَرْفًا ، أَوْ تَسْكِينًا مُتَحَرِّكًا فَتَزِيدُ بَعْدَهُ حَرْفًا ؛ كَقَوْلِكَ «أُمَّ يَعْمَرَا قَابِلُ شَحْطَيْنِ» حَيْثُ جَعَلْتَ قَبْلَ الْبَاءِ أَلْفًا ، وَكَقَوْلِكَ «أُمَّ يَعْمَرْنَ قَبْلًا» فَزِدْتَ الْأَلْفَ لَتَسْكُنَ عَلَيْهَا لِأَنَّ

السكوت على متحرك لا يمكن . فأية حُجَّة هذه ؟ أو مَنْ يصبر لك على هذا ؟ وإنما أردتُ أنا ما يجوز فجئني بتجزئة واحدة ، لا أريد غير ذلك منك . ما لك يا أخي تنفَس عليَّ الصوابَ فيما لا نقيصة عليك فيه ولا عيب ، ثم اتخذتَ تحمُّدي إليك ، بما قلتُ لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف ؛ حتى كأني أعلمتك أن أحداً تنقِّصك فحَمِيتَ لذلك ، ولم يكن غيرُ الرد عليه . والله ما مثلي يَمُنُّ بهذا ، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خالياً كلَّمته بمثل ما أكلِّمك به من الردِّ والجَدَل ، فلما كان عندنا مَنْ يُحْتَشِمُ كان كلامي بما يجب أن أتكلَّم به من الإكرام والتقديم ، فقال لي : أيُّ شيء هذا الذي أرى ؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنني لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يزيغ عما تعرف مني ، وأني أذكرك بما يُشبهك في موضعه . فلو اتقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لما كنتَ تحرِّف هذا بشيء ، وهو جميل أرضاه من نفسي ، فتصيرُه قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخراج والإشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبته مني ظالماً لي . وذلك لأني لم أنازعك إلا منازعةً مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فحصه وثاقبَ نظره . وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليَّ ؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذِّذ . فلا تظلمني ولا نفسك لي .

ومن بعدُ فإني أُحبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني ، لا غمك الله ولا غمَّني بك . ولو شئتُ أرسلتُ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخي عُبيد الله فإنه رفيقٌ مباركٌ عليم ، وهو منك قريب في دار الرُّوم ، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهبَ الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

وإنما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابه على طولهما ، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما ، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما¹ في المنازعة والمجادلة ، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخُنعَ برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات ، وينحو إبراهيم نحو ما فعله به ؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه من المبينة مثلاً ما استعمله ، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعد كل واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما ، فوجدتُ كلامهما مرصوفاً رصفاً إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظماً منطبقاً ، فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ ، وحكاياتٌ يُنسبُ مَنْ نَقَلَهَا إلى جهلٍ بصناعته . كان إسحاق

بعيداً من مثله ، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألّفه وأمرَ يوسفَ بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذِكْرُ له يفضلُ به . وذلك بعيدٌ وقوعه ، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل الخطأ الصواب ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَنْ نَضَحَ عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُروى منها إلا اليسير ، وأن كلامه في تجنيس الطرائق اطرَح ، وعُمِل على مذهب إسحاق ، وانقضى الصُّنْع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته ، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار ؛ لا لأنها لم تَقَع إليّ ، ولكنها أخبار يتيين فيها التحامل والحنق ، وتتضمن من السبِّ لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ، فاستبردتُ ذلك واطرَحْتُهُ ، واعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح ، وما جرى مَجْرَى هذا الكتاب¹ من خيرٍ مستحسنٍ وحكاية ظريفةٍ دون ما يجري مَجْرَى التحامل ؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاصِ إسحاق إياه بريقه وتجريعه أَمْرٌ من الصبر ما ينبىء عن بطلان غيره .

ومن صنع من أولاد الخلفاء عُليّة بنت المهدي ، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها . وكان يقال : ما اجتمع في الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وعُليّة أخته . وأخبارها تُذكر بعد هذا تاليةً لما أذكره من غنائها . فمن صنعتها :

صوت

تضحكُ عما لو سَقَتْ منه شفا	من أقحوانٍ بَلَّه قطر الندى ²
أغرَّ يجلو عن غشا العين العشا	حُلُو بعيني كل كَهْلٍ وفَتى
إن فوادي لا تسليّه الرقى	لو كان عنها صاحباً لقد صَحَا

الشعر لأبي النجم العجلي . والغناء لعُليّة بنت المهدي رملٌ بالوسطى .

1 ل : الجواب .

2 قطر الندى في ل : طلل الثرى .

[162] - أخبار أبي النجم ونسبه¹

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه المفضل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن عجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الأولى منهم .

[كان أبلغ في النعت من العجاج]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحِي إجازةً عن محمد بن سلام وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قال أبو عمرو بن العلاء : كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج .
[انتصاف الرجاز من الشعراء]

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِي قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال : ما زالت الشعراء تغلب حتى قال أبو النجم :
[من الرجز]

الحمدُ لله الوهُوبِ المُجَزَلِ

وقال العجاج :
[من الرجز]

قد جبر الدينَ إلهه فَجَبَرُ

وقال رؤبة :
[من الرجز]

وقاتمُ الأعماقِ خاوي المُخترَقِ

فانتصفوا منهم .

[أعظمه رؤبة]

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال : قال له فتیان من عجل : هذا رؤبة بالمرید يجلس فيسمع شعره ويُشيد الناس ويجتمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أو تُحبُّون هذا ؟ قالوا نعم . قال : فأتوني بعُسٍّ من نبيذ فأتوه

1 لأبي النجم ترجمة في طبقات ابن سلام 745-753 والشعر والشعراء : 502-507 والخزانة 1 : 161 ومعاهد التنصيص 1 : 19 ومعجم المرزباني : 310 والسمط : 327 والموشح : 213 .

به ، فشربه ثم نهض وقال :

إذا اصطبحتُ أربعاً عرفتني ثم تجشمتُ الذي جشمتني
فلما رآه رؤية أعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رجّاز العرب . وسأله أن يُشدهم
فأنشدهم :

الحمد لله الوهوب المجلل

وكان إذا أنشد أزيد ووحش بشيابه (أي رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشاداً . فلما
فرغ منها قال رؤية : هذه أم الرّجّز . ثم قال : يا أبا النّجم ، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين
رجل وابنه . يُوهِم عليه رؤية أنه حيث قال :

تبقلّت من أول التّقل بين رماحي مالك ونهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مائة بن تميم . فقال له أبو النجم : هيهات !
الكمّر تشابه . أي إني إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن
علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصّمان وعرض الدهناء . قال
أبو عمرو : وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماء كانت بين بني
دارم وبني نهشل وحروباً في بلادهم ، فتحامى جميعهم الرّعي فيما بين فلج¹ والصّمان مخافة
أن يُعروا بشرّ حتى عفا² كلّوه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزّها إلى ذلك
الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحيّين ، ففخر به أبو النجم . قال : ويدل على ذلك قول
الفرزدق³ :

أترتع بالأحياء سعد بن مالك وقد قتلوا مثنى بظنة واحد⁴

فلم يبق بين الحي سعد بن مالك ولا نهشل إلا دماء الأسود⁵

[ترتيب الرجاز]

وقال الأصمعي : قيل لبعض رواة العرب : من أرجزُ الناس ؟ قال : بنو عجل ثم بنو سعد
ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النّجم ثم رؤية) .

1 ل : فليج .

2 عفا : كثر .

3 ديوان الفرزدق 1 : 152 .

4 ظنة : تهمة .

5 الأسود : شيوخ القتلى .

[تسرع إلى رؤية]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي : كان رؤية وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤية حتى أكفّه عنه .

[مناجزته العجاج]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرثُدي ، قال وكان عالماً راويةً ، قال : خرج العجاج متحفاً عليه جبّة خزّ وعمامة خزّ على ناقيّة له قد أجاد رَحَلها حتى وقف بالمريّد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله : [من الرجز]

قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرُ

فذكر فيها ربعة وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهيجونا بالمريّد قد اجتمع عليه الناس ؟! قال : صِفْ لي حاله وزِيّه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغيني جَمَلاً طَحَناً قد أُكثِر عليه من الهناء ، فجاء بالجمل إليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها وأتَزَرَ بالأخرى وركب الجمل ودفع خِطامه إلى مَنْ يقوده ، فانطلق حتى أتى المَريّد . فلما دنا من العجاج قال : اخلعْ خِطامه فخلّعه ، وأنشد :

تَذَكَّرُ القلبُ وجَهلاً ما ذَكَرُ

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسِد ثيابه ورحلَه بالقَطِيران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

شيطانهُ أنشَى وشيطاني ذَكَرُ

تعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

[غلب الشعراء عند الخليفة]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النّجْم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان ، ويقال عند سليمان بن عبد الملك ، يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدقُ ، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تَذُب عنه ، فقال : من صَبَحني بقصيدة يفتخر فيها وصدّق في فخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يَغْلِبنا بمقطّعاته (يعنون بالرّجز) ، قال : فإنّي لا أقول إلا قصيدةً . فقال من ليلته قصيدته التي فخرَ فيها وهي :

[من الكامل]

عَلِقَ الهوى بجائل الشَّعْثَاءِ¹

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

منا الذي رُبَّعَ الجيوشَ لظهره عشرونَ وهو يُعَدُّ في الأحياء²

فقال له عبد الملك : قِفْ ، إن كنتَ صدَقْتَ في هذا البيت فلا نريد ما وراءه . فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر ، ومن وَلَدَ وَلَدِهِ أربعة كلُّهم قد رُبَّعَ . فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَدَ وَلَدِهِ هم وَلَدُهُ ، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال : فغلبهم يومئذ .

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة ، ودفعَ إليه الجارية ، فقدم بها البادية ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها .

[فوزه بجارية خالد بن عبد الله القسري]

وقال أبو عمرو : بعث الجعيد بن عبد الرحمن المرِّي إلى خالد بن عبد الله القسري بسبي من الهند بيض ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه الناس ، حتى بقيت جاريةً منهن جميلةً كان يَدُخِرُها وعليها ثيابُ أرضِها فوطتان . فقال لأبي النجم : هل عندك فيها شيء حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم أصلحك الله ؛ فقال العُريان بن الهيثم النخعي وكان على شرط خالد بن عبد الله : كَذَبَ والله ما يقدر على ذلك . فقال أبو النجم : [من الرجز]

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ	ذَاتَ جَهَازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ
رَأَيْتُ الْمَجْسُ جَيْدَ الْمَحَطِّ	كَأَنَّمَا قُطَّ عَلَى مَقَطِّ
إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي	كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِ ³
شَطًّا رَمَيْتَ فَوْقَهُ بِشَطِّ	لَمْ يَنْزُ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَنْحَطِّ ⁴
فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَذَى التَّمْطِي	كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الثُّطِّ ⁵

[أغضب هشاماً في وصفه الشمس]

وأوماً بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضحك خالد وقال للعُريان : كيف ترى ؟ أحتاج إلى أن يُروِّيَ فيها يا عُريان ؟ ! قال : لا والله ! ولكنه ملعون ابن ملعون : وقال أبو عمرو في هذه

1 الهوى بجائل في ل : الفؤاد حياثل .

2 ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة .

3 الثوب المنعط : المشقوق .

4 لم ينز : في ل : لم يعمل . الشط : جانب السنام .

5 الثط : الخفيف اللحية .

الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن المغيرة بن محمد عن الزبير بن بكار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لي إبلاً فَقَطَّروها وأَوْرِدوها وأَصْدِرُوها حتى كأني أنظر إليها . فأنشدوه وأنشده أبو النجم : [من الرجز]

الحمدُ لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأفق كعين . . .» وأراد أن يقول «الأحول» ثم ذكر حولة هشام فلم يُتِمَّ البيت وأرتج عليه . فقال هشام : أَجِزِ البيت . فقال «كعين الأحول» وأتم القصيدة . فأمر هشام فُوجِيءَ عُنُقُه وأُخْرِجَ من الرُّصَافَةِ . وقال لصاحب شُرْطَتِه : يا رَبِيعِ إياك وأن أرى هذا ! . فكلم وجوه الناس صاحب الشُرْطَةِ أن يقروه ففعل ، فكان يُصِيب من فضول أطعمة الناس ويأوي إلى المساجد . وقال الزبير في خبره قال أبو النجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصَافَةِ يُضِيفُ إلا سُلَيْم بن كَيْسَانَ الكلبي وعمرو بن إسْطام التَّغْلَبِي . فكنتُ آتي سُلَيْمًا فَأَتَغَدَّى عنده ، وآتي عمراً فَأَتَعَشَى عنده ، وآتي المسجد فَأَبِيتُ فيه . قال : فاهتم هشام ليلةً وأمسى لَقَسَ النَّفْسَ وأراد مُحَدَّثًا مُحَدَّثَه ، فقال لخدام له : أَبْغِي مُحَدَّثًا أَعْرَابِيًّا أَهْوَجَ شاعراً يَرْوِي الشعر . فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضرِبَه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أَبْغِي ، فهل تَرْوِي الشعر ؟ قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب ، قال : فَأَيَّقَنَ بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَرُ . فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُكَ . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنتَ تَأْوِي ومن كان يُنْزِلُكَ ؟ فأخبره الخبر . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنتُ أَتَغَدَّى عند هذا وأَتَعَشَى عند هذا . قال : وأين كنتَ تَبِيتُ ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لك من الولدِ والمال ؟ قال : أما المالُ فلا مالَ لي ، وأما الولدُ فلي ثلاثُ بناتٍ وبُنَيٌّ يقال له شَيْبَان . فقال : هل زَوَّجْتَ¹ من بناتك أحداً ؟ قال : نعم زَوَّجْتُ اثنتين ، وَبَقِيَتْ واحدةٌ تَجْمِزُ² في أبياتنا كأنها نعامة . قال : وما وَصَّيْتَ به الأولى ؟ ، وكانت تسمى «بَرَّة» بالراء ، فقال : [من الرجز]

أَوْصَيْتُ من بَرَّةٍ قلباً حُرّاً بالكلبِ خيراً والحماقِ شَرّاً

1 ل : أخرجت .

2 تجمز : تعدو .

لا تَسْأَمِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حَلَوَ الْحَيَاةِ مُرًّا
وإن كَسْتَكِ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيَّ عُمَيْيَهُمْ بَشَرٌ طُرًّا

فَضَحِكَ هِشَامُ وَقَالَ : فَمَا قُلْتَ لِلْأُخْرَى ؟ قَالَ قُلْتَ :

[من الرجز]

سُبِّي الْحَمَاءَ وَابْهَتِي عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَنْتَ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا
وَأَوْجِعِي بِالْفَهْرِ رَكْبَتَيْهَا وَمِرْقَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْبَيْهَا¹
وِظَاهِرِي النُّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تُخْبِرِي الدُّهْرَ بِهِ ابْنَتَيْهَا

قَالَ : فَضَحِكَ هِشَامُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَسَقَطَ عَلَى قَفَاهُ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ؛ مَا هَذِهِ
وَصِيَّةُ يَعْقُوبَ وَلَدَهُ ؛ فَقَالَ : وَمَا أَنَا كِيَعْقُوبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا قُلْتَ لِلثَّلَاثَةِ ؟
قَالَ قُلْتَ :

[من الرجز]

أَوْصِيكِ يَا بِنْتِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ أَوْصِيكِ أَنْ تَحْمَدَكِ الْقَرَائِبُ
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يُرْجَعُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ
وَلَا تَنِي أَظْفَارُكِ السَّلَاحِبُ مِنْهُنَّ فِي وَجْهِ الْحَمَاءِ كَاتِبُ²
وَالزَّوْجَ إِنَّ الزَّوْجَ بئْسَ الصَّاحِبُ

قَالَ : فَكَيْفَ قُلْتَ لَهَا هَذَا وَلَمْ تَتَزَوَّجِ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ فِي تَأْخِيرِ تَزْوِيجِهَا ؟ قَالَ قُلْتَ
فِيهَا :

[من الرجز]

كَأَنَّ ظِلَامَةَ أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّأْسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصِفَانُ وَلَيْسَ فِي السَّاقَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
تِلْكَ الَّتِي يَفْزَعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

قَالَ : فَضَحِكَ هِشَامُ حَتَّى ضَحِكَ النِّسَاءُ لَضَحِكِهِ ، وَقَالَ لِلْخَصْمِيِّ : كَمْ بَقِيَ مِنْ
نَفَقَتِكَ ؟ قَالَ : ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : أَعْطِهِ إِيَّاهَا لِيَجْعَلَهَا فِي رِجْلِ ظِلَامَةٍ مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ .
[سرعة بديته]

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَخْبَرَنِي عَمِّي وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ ابْنُ بِنْتِ أَبِي النَّجْمِ أَنَّ أَبَا
النَّجْمِ قَالَ :

[من الرجز]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ

1 الفهر : الحجر .

2 السلاهب : الطويلة .

في قَدْر ما يَمْشِي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما غَلوة¹ أو نحوها . قال : وكان أَسْرَعُ الناس بَدِيهَةً .
[رأي الأصمعي في رجزه]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكَيْع قال حدثنا أبو أيوب المَدِينِي قال حدثنا أبو الأسود النَوْشَجَانِي² قال : مرَّ أبِي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أي الرِّجَز أحسن وأجود ؟ قال : رَجَزُ أبِي النُّجْم .
[رأيه في النساء]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال حدثنا المدائني قال : دخل أبو النُّجْم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شَرّاً وينظرن إليَّ خَرّاً . فوهب له جارية وقال له : اغدُ عليَّ فأغْلِمْنِي ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قَدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . ثم أنشده :

نظرتُ فأعْجَبها الذي في دِرْعِها	من حُسْنِه ونظرتُ في سِرْبِها
فَرَأْتُ لها كَفَلاً يَمِيلُ بِخَصْرِها	وَعَشاً رَوادِفُه وأجْثَمَ جاثِيا ³
ورَأيتُ مُتَشِيرَ العِجَانِ مُقْلَصاً	رِخَواً مفاصِلُه وجِلْدُها بالِيا
أُذِنِي له الرُّكْبَ الحَلِيقَ كأنما	أُذِنِي إليه عَقارِياً وأفاعِيا
إنَّ النَّدَامَةَ والسَّدَامَةَ فأغْلَمَنَ	لو قد صَبَرْتُكَ للمَواسِي خالِيا
ما بالُ رأسِكَ من ورائِي طالِعاً	أظننتُ أَنَّ جِرَ الفتاةِ ورائِيا
فأذهَبَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لا تُرْتَجى	أَبَدَ الأبيدِ ولو عَمِرْتَ لِيالِيا
أنتَ الغُرُورُ إذا خُبِرْتَ وربما	كان الغُرُورُ لِمَن رجاها شافِيا
لكن أَيْرِي لا يُرْجى نفعُه	حتى أعودَ أخوا فتاءِ ناشِيا
فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى .	

[يضحك هشام بن عبد الملك]

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي قال ابن كُنَاسة : قال هشام بن عبد الملك لأبي النُّجْم : يا أبا النُّجْم

1 الغلوة : رمية السهم .

2 لعلها النوشجاني نسبة إلى نوشجان بفارس .

3 الوعث : اللين .

حدثني . قال : عني أو عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كبرتُ عرض لي البُولُ ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه . فقمْتُ من الليل أبول ، فخرج مني صوتٌ فتشددت ، ثم عُدْتُ فخرج مني صوتٌ آخر ، فأوَيْتُ إلى فراشي ، فقلت : يا أم الخيار هل سمعتَ شيئاً ؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما ؛ فضحك . قال : وأم الخيار التي يعني بقوله : [من الرجز]

قد أصبحتُ أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع
وهي أرجوزة طويلة .

[ذكر فتاة في شعره فتزوجت]

وقال أبو عمرو الشيباني : أتت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النجم فذكرت له أن بنتاً لها أدركت منذ ستين ، وهي من أجمل النساء وأمدن قامة ولم يخطبها أحد ، فلو ذكرتها في الشعر ! فقال : أفعل ، فما اسمها ؟ قالت : نفيسة . فقال : [من الرجز]

نفيس يا قتالة الأقوام أقصدت قلبي منك بالسَّهام
وما يُصيب القلب إلا رام لو يعلم العلم أبو هشام
ساق إليها حاصل الشام وجزية الأهواز كل عام
وما سقى النيل من الطعام إذ ضاق منها موضع الإذغام
أجتم جاث مستدير حام يعض في كمين له ثؤام
عض النجاري على اللجام

فقالت : حسبك حسبك ؛ ووفد إلى الشام ، فلما رجع سمع الزمر والجلبة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نفيسة تزوجت .

[فهود عبد الملك بن بشر بن مروان]

قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم : أن عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم : صِف لي فهودي هذه . فقال : [من الرجز]

إننا نزلنا خير منازل بين الحميرات المباركات
في لحم وخش وحباريات وإن أردنا الصيد ذا اللذات
جاء مطيعاً لمطاوعات علّمن أو قد كن عالِمات
فسكن الطرف بمطرفات تربك آماقاً مخططات

[أقطعه الحجاج وادياً في بلاده]

ونسختُ من كتاب الخراز عن المدائني عن عثمان بن حَفْص أن أبا النُّجُم مدَح الحجاجَ
برجزٍ يقول فيه :

وَيْلُ أُمِّ دُورٍ عِزَّةٌ وَمَجْدُ دُورٍ ثَقِيفٌ بِسَوَاءِ نَجْدٍ
أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْخِيُولِ الْجُرْدِ

فأعجبَ الحجاجَ رَجَزُهُ وقال : ما حاجتك ؟ قال تُقَطِّعُنِي ذا الجبنين . فوجَمَ لها وسكت ،
ثم دعا كاتبه فقال : انظر ذا الجبنين ما هو ؛ فإن ذا الأعرابي سألتني لعله نهر من أنهار العراق .
فسألوا عنه فقبل : واد في بلاد بني عِجْلٍ أعلاه حَشَقَةٌ وأسفله سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عم له .
فقال : اكتبوا له به . قال : فأهله به إلى اليوم .

[ما أخذ عليه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المَدِينِي قال قال الأصمعي : أخطأ أبو النُّجُم في
أشياء أُخِذَتْ عليه ، منها قوله :

وهي على عَذْبٍ رَوِيٍّ الْمَنَهْلِ دَخَلَ أَبِي الْمِرْقَالِ خَيْرِ الْأَذْخُلِ
مَنْ نَحَتَ عَادٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

قال الأصمعي : الدَّخْلُ لا تُورَدُه إلا بِلُ إِنْما تُورَدُ الرَّكَايَا¹ . وقد عِيبَ بهذا وعِيبَ بقوله
في البيت الذي يَلِيهِ : إِنْ هذا الدَّخْلُ مَنْ نَحَتَ عاد . قال : والدَّخْلان لا تُحْفَرُ ولا تُنْحَتُ ،
إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصَيِّبُها الشمسُ ، فتَبْقَى فيها المياه ؛ وهي هُوةٌ
في الأرض يَضِيقُ فَمُها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء .

قال الأصمعي : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلْبَةٍ :

تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُقُو أَوْلَهُ

قال الأصمعي : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سَبَحَ أخراه كان جِمارُ الكُساحِ أسرعَ منه . قال
الأصمعي : وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقَوَّمَهُ بسبعين درهماً . وإنما يُوصَفُ الجواد بأنه
تَسْبَحُ أولاه وتَلْحَقُ رجلاه . قال : وخيرُ عَدُوِّ الذكور أن تُشْرِفَ ، وخيرُ عَدُوِّ الإناث أن تَنْبَسِطَ
وتَصْنَعِي² كَعَدُوِّ الذئبِ .

1 الركايا : جمع ركية وهي البئر .

2 تصغى : تميل .

[163] - أخبار عليّة بنت المهدي ونسبها ونُتف من أحاديثها¹

[أمها أم ولد]

عُليّة بنت المهدي أمها أم ولد مُغنية يُقال لها مَكْنُونَة ، كانت من جوارى المروانية المغنية . نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدّاح حدثه قال : كانت مكنونة جارية المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، مغنية ، وكانت أحسنَ جاريةً بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسْحاء² ، وكان بعض من يمازحها يعبثُ بها فيصيح : طَسَّتْ طَسَّتْ . وكانت حَسَنَة الصدر والبطن ، فكانت تُوضح بهما وتقول : ولكن هذا ! فاشترَيْتُ للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغَلَبْتُ عليه ، حتى كانت الخيزران تقول : ما مَلِك امرأةٌ أغلَظَ عليّ منها . واستتر أمرها عن المنصور حتى مات ، فولدتُ له عُليّة بنت المهدي .

[بعض صفاتها]

أخبرني عمِّي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمّه قال : كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشّعَرُ الجيّدُ وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلٌ سَعَة حتى تسمع ، فاتخذت العصائب المكلّلة بالجواهر لتسترُ بها جبينها ، فأحدثتُ والله شيئاً ما رأيتُ فيما ابتدَعته النساء وأحدثته أحسن منه .

[كانت حسنة الدين]

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكيع قال حدثنا حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول : كانت عُليّة حَسَنَة الدِّين ، وكانت لا تَغْنِي ولا تشربُ النِّبذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فإذا طَهَرَتْ أَقْبَلْتُ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان ، إلا أن يدعُوها الخليفةُ إلى شيءٍ فلا تَقْدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حَلَّلَ منه عَوْضاً ، فبأي شيءٍ يحتجُّ عاصيه والمُتَنَهِكُ لِحُرْماته ! . وكانت تقول : لا غفرَ الله لي فاحشةً ارتكبتها قط ، ولا أقول في شعري إلا عبثاً .

1 لعليّة بنت المهدي ترجمة في فوات الوفيات 3 : 123-126 والنجوم الزاهرة 2 : 191 والدر المنثور : 349 وشذرات الذهب 1 : 311 ونزهة الجلساء : 80 وانظر أعلام الزركلي .

2 رَسْحاء : قليلة لحم العجز والرجلين .

[غناؤها]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكِندي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول : ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة ، وكانت تُقدِّم عليه .

[شعرها في طَل]

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكِندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عُلَيَّة تحب أن ترأسل بالأشعار مَنْ تختصُّه ، فاختصَّت خادماً يقال له «طَل» من خَدَم الرشيد ، فكانت ترأسله بالشعر ، فلم تره أياماً ، فمَشَتْ على ميزابٍ وحدثته وقالت في ذلك : [من الكامل]

قد كان ما كُلِّفْتَه زمناً يا طَل من وَجَدٍ بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عَجِلاً أمشي على حَتَفٍ إلى حَتَفٍ

فحلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه ، فضمِنَتْ له ذلك . واستمع عليها يوماً وهي تَدْرُس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿فَإِنْ لَمْ يُلَاحِظْهَا رَبُّهُ لَفِئَتْ فِيهَا نَفَسًا﴾ وأرادت أن تقول : «فَطَلٌ» فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل فقَبَّل رأسها وقال : قد وهبت لك طلاً ، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه . ولها في طَل هذا عِدَّة أشعار فيها لها صنعة . منها :

صوت

يا ربِّ إني قد غَرَضْتُ بهجرها فإليك أشكو ذاك يا ربَّاه¹
مولاةٌ سَوَاءٌ تستهين بعِداها نَعَمَ الغلامُ وبِئْسَتِ المولاةُ
«طَلٌ» ولكنني حُرِمْتُ نعيمه ووصاله إن لم يُغْنِنِي الله
يا ربِّ إن كانت حياتي هكذا ضراً عليَّ فما أريدُ حياةً

الشعر والغناء لها خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابن خُرْداذبَه أن الشعر والغناء لِنُبَيْه الكوفي ، وأنه هَوِيَ جارية تُغَنِّي ، فتعلَّم الغناء من أجلها وقال الشعر ، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مُقدِّماً في المغنِّين ، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمير عن

أبيه قال : حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عَلِيَّةٍ فَقَالَتْ وَصَحَّفَتْ اسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ :

[من الطويل]

أَيَا سَرَّوَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشَوْفِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَبِيلُ
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
عَسَى اللَّهُ أَنْ نَرْتَاخَ مِنْ كُرْبِيَّةٍ لَنَا فَيَلْقَى اغْتِبَاطاً خُلَّةً وَخَلِيلُ

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . كذا ذكر ميمون بن هارون ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسلسلة خفيف رمل بالوسطى . وأول الصوت :

مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ

وذكر حبش أنه للمهدي خفيف رمل بالنصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال : قالت عليّة في طلٍّ وصحفت اسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلِّمْ عَلَى ذَاكَ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ الْحَسَنِ الدَّلَالِ
سَلِّمْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ يَا غُلُّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ
خَلَيْتَ جِسْمِي ضَاحِيًا وَسَكَنْتَ فِي ظِلِّ الْحِجَالِ
وَبَلَغْتَ مِنِّي غَايَةً لَمْ أَدْرِ فِيهَا مَا احْتِيَالِ

الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . وذكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

[شعرها في خادمها رشاً]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشطرنجي : أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشاً» وتكني عنه . فمن شعرها فيه وَكَنْتُ عَنْهُ بَرِينَبَ :

[من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَدَ الْفَوَادُ بَرِينَبَا وَجَدَا شَدِيدَا مُتْعَبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِي بِهَا أَدْعَى سَقِيمَا مُنْصَبَا¹

ولقد كَنَيْتُ عَنْ اسمِهَا عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
 وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةً وَكَمْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا
 قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الوَصَا لُ وَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
 وَاللَّهِ لَا نَلْتَ المَوَدَّ ةَ أَوْ تَنَالَ الكُوكْبَا

هكذا ذكر ميمون بن هارون ، وروايته فيه عن المعروف بالشُّطْرُنْجِي ولم يحصل ما رواه .
 وهذا الصوت شعره لابن رُهَيْمَةَ المدني . والغناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق
 الوتر في مجرى البنصر ، وهو من زَيْنَب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن
 عَلِيَّةَ غَنَّتْ فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه ، وأخبرني به ذكاء
 عن القاسم بن زُرُور .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال حدثني عبيدالله بن
 العباس الرِّبَيعي قال : لما عَلِمَ من عَلِيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رِشَاءِ بَزِينِةٍ قَالَتْ : [من السريع]

صوت

القلبُ مشتاقٌ إِلَى رَبِّبِ يَا رَبِّ مَا هَذَا مِنَ العِيبِ
 قَدْ تَيَمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا الْبَكَاءَ يَا عَالِمَ الغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شِعْرِي إِسْمَ الَّذِي أَرَدْتُهُ كَالْخَبَاءِ فِي الْجِيبِ
 قَالَ : وَغَنَّتْ فِيه لَحْنًا مِنْ طَرِيقَةِ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ فَصَحَّفَتْ اسْمَهَا فِي رَبِّبِ .

[هجت طغيان جارية أم جعفر]

قال : وكانت لأُم جعفر جارية يقال لها طغيان ، فوشتْ بِعَلِيَّةَ إِلَى رِشَاءٍ وَحَكَّتْ عَنْهَا مَا لَمْ
 تَقُلْ ، فَقَالَتْ عَلِيَّةُ : [من الطويل]

لَطُغْيَانُ خُفٌّ مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَخَرَّقُ¹
 وَكَيْفَ بَلَى خُفٌّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الهَوَاءِ مُعَلَّقُ
 فَمَا خَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرِيًّا وَأُمًّا سَرَاوِيلَاتُهَا فَتَمَزَقُ

قال : وَحَلَفَ رِشَاءً أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيدَ سَنَةً ، فَقَالَتْ : [من السريع]

صوت

قَدْ ثَبَتَ الْخَاتَمُ فِي خِنْصَرِي إِذَا جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنُّيْكَ

حَرَمْتُ شَرْبَ الرِّاحِ إِذْ عَفَيْتُهَا فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أَعَاصِيكَ
 فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوَّضَتْنِي مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فَيْكِ
 فَيَالَهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ لَسْتُ بِهَا مَا عَشْتُ أَجْزِيكَ
 يَا زَيْنَبًا قَدْ أُرَقْتُ مُقْلَتِي أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِحَبِيْبِكَ
 غَنَّتْ فِيهِ عَلِيَّةٌ هَرْجًا .

[غضب المعتصم من نسبة الشعر لها]

أخبرني جحظة ومحمد بن يحيى قالا حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رباح قال : قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي : كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعقيد ، فتغنّى عقيد وكنت أضرب عليه : [من الرمل]

صوت

نَامَ عُدَالِي وَلَمْ أَنْمِ وَاشْتَفَى الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
 وَإِذَا مَا قُلْتُ بِي أَلَمٌ شَكُّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي أَلَمِي
 فطرب المعتصم وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأمسكوا . فقلت : لعلية ، فأعرض عني ، فعرفت غلطي وأن القوم أمسكوا عمدًا ، فقطع بي . وتبين حالي ، فقال : لا ترع يا محمد ؛ فإن نصيبك فيها مثل نصيبي . الغناء لعلية خفيف رمل . وقد قال قوم : إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة ، وإن الشعر لخالد الكاتب .
 [غنى بنان المنتصر بلحن لها في شعر الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال : كنا عند المنتصر ، فغناه بنان لحنًا من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل :

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَنْزَلِ بِالْبِرْكِ وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ¹
 تَخْرُجِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلَانَا لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالتُّرْكِ
 فضحكت . فقال لي : ممّ ضحكت ؟ قلت : من شرف قاتل هذا الشعر ، وشرف من عمل اللحن فيه ، وشرف مستمعيه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعر فيه للرشيد ، والغناء لعلية بنت المهدي . وأمير المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

[تنتحل لحناً لإسحاق]

حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظتُ عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه ، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : عَمِلْتُ في أيام الرشيد لحناً وهو :

صوت

سَقِيًّا لأَرْضٍ إِذَا مَا نِمْتُ نَبَّهَنِي بَعْدَ الْهَدُوءِ بِهَا قَرَعُ النَوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

قال : فأعجبني وَعَمِلْتُ على أن أباكر به الرشيد . فلقيني في طريقي خادم لعلية بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواربها غناء أخذته عن أبيك وشككت فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت مُعدة ، فجلستُ ، وقدم لي طعامٌ وشرابٌ فبليت حاجتي منهما ، ثم خرج إليّ خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدتِ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحَدَّثٌ ، فأسمعيه ولك جائزة سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيتَ ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغنيتهُ إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إليّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم تزل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غناء ما خرَقَ سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبداً أتغني به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطاني الله عهداً لئن نطقت أن لك فيه صنعةٌ لأقتلنك ؛ هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إليّ . فخرجتُ من عندها ووالله إني لكالموثق بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلسٍ جلس له للهو بعدها ، فبدأتُ به أول ما غنيت . فتغير لون المأمون وقال : من أين لك وملك هذا ؟ ! قلت : ولي الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدثته الحديث . فقال : يا بغيض ؛ فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرته وذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ؛ وهجنتي فيه هُجْنةٌ وددتُ معها أني لم أذكره . فآليتُ ألا أغنيه بعدها أبداً . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي ، وقيل : إنه لإسحاق ، والغناء لإسحاق لا شك فيه ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذلي ، ولم يحصل ما قاله .

[طارحت أُنحاهما إبراهيم الغناء]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عَلِيل العنزي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي يَنْشُو المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عَمَّاي ، فجاء ياسر دخلة فسارَّ المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فانهض ، فنهض . فنظرتُ إلى ستر قد رُفِعَ ممَّا يلي دار الحَرَم ، فما كان بأسرع من أن سمعتُ شيئاً أقلقني . فنظر إليَّ المأمون وأنا أُميل فقال لي : يا أبا أحمد ما لك تميل ؟ فقلت : إني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمَّتكَ عليّة تطارح عمك إبراهيم : [من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافية

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافية	لم تلتفتْ مِنِّي إلى ناحية
لا ينظرُ الناسُ إلى المُتَلَي	وإنما الناسُ مع العافية
صَحْبِي سَلُوا رَبُّكُمْ العافية	فقد دهنتي بعدكم داهية
صارَ مِنِّي بعدكم سيّدي	فالعينُ من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزموّم .

[هديتها للرشيد وأخيه منصور]

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بِشراً المرثدي قال قالت لي رَيْقُ : كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتُ إليه خَلُوب (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما قائمة والكأسان في أيديهما والتحيّتان بين أيديهما :

صوت

حيّاكُمَا اللهُ خَلِيلَيَا	إن مَيِّتاً كنتُ وإن حيّا
إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم	أو قلتما غيًّا فلا غيّا

فشربا . ثم دفعتُ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتُ يا سيدي أُختكما هذا اللّحنَ اليوم ، وألقته على الجوّاري ، واصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبعثتُ من شرابي إليكما ومن تحياتي وأخذتُ جواري لتغنيكما . هنا كما الله وسركا وأطاب عيشكما وعيشي بكما» .

[إبراهيم بن المهدي يعني لحناً لها]

أخبرني عمي قال حدثني بنحوٍ من هذا أبو عبد الله بن المربان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال¹ : كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حرّاقته بالجانب الغربي ، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حرّاقتهما بالجانب الشرقي . فدعاهما في يوم جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، عليّ أقبيةٌ ومنطقةٌ . فلما دنونا من حرّاقة إبراهيم فرأنا نهض ونهضتُ بنهوضه صبية له يقال لها «غَضَّة» وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس . فلما صعدا إليه اندفع فغنى :

حَيَّاكَ اللهُ خَلِيلًا إِنْ مَيِّتًا كُنْتُ وَإِنْ حَيًّا
إِنْ قَلْتُمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ أَوْ قَلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيًّا

ثم ناول كل واحدٍ منهما كأساً ، وأخذ هو الكأسَ الثالث الذي في يد الجارية وقال : هلمّ نشرب على ريقنا قدحاً . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، ووُضِعَ النبيذُ فشرَبنا ، وغناها وضربا معه وضرب معها ، وغنّت الصبية ، فطرب أبي وقال لها : أحسنتِ أحسنت . فقال له إبراهيم : إن كانت أحسنتُ فخذها ، فما أخرجتها إلا لك .

[استرضاؤها الرشيد لأُم جعفر]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هيفان قال : أُهديتُ إلى الرشيد جاريةً في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كل قينة في داره واصططح ، فكان جميع من حضره من جواريه المغنيات والخدّمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيٍّ من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر . واتصل الخبر بأُم جعفر فغلظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّة : لا يهولنك هذا ، فوالله لأردنه إليك ، قد عزمْتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواري ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إليّ والبسيهنّ ألوان الثياب ليأخذن الصوتَ مع جواري ، ففعلتُ أم جعفر ما أمرتها به عليّة . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعليّة قد خرجت عليه من حُجرتها ، وأم جعفر من حُجرتها معها زهاء ألفي جارية من

جواربها وسائر جوارب القصر ، عليهن غرائب اللباس ، وكلهن في لحن واحد هَزَجَ
صَنَعَتْهُ عَلِيَّةٌ :

صوت

منفصلٌ عَنِّي وما قلبي عنه منفصلٌ
يا قاطعي اليومِ لَمَنْ نويتَ بعدي أنْ تَصِلَ

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ، وقال :
لم أَرْ كالיום قط . يا مسرور لا تُبْقِيَنَّ في بيت المال درهماً إلا نثرته . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة
آلاف ألف درهم ، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم قط .
[تحب لحن الرمل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال : كانت عليّة تقول :
من لم يُطْرِبه الرمل لم يُطْرِبه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طباهجة باردة ولم يصطبج
فعليه لعنة الله .
[طرب الإخوة]

حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم
قال قالت لي غريبٌ : أحسنُ يومٍ رأيته وأطيبه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدي عند
أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنتهم من
صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنْ الْحُبِّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
وغنى إبراهيم في صنعه وزمر عليه يعقوب :

صوت

يا واحدَ الْحُبِّ مالي منك إذ كَلِفْتُ نفسي بِحُبِّكَ إِلَّا الْهَمُّ وَالْحَزَنُ¹
لم يُنْسِنِكَ سرورٌ لا ولا حَزَنٌ وكيفَ لا كيفَ يُنْسِي وجهُكَ الْحَسَنُ
ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدِي كُلِّي بِكُلِّكَ مشغولٌ ومُرْتَهَنُ
نورٌ تولدَ مِنْ شمسٍ وَمِنْ قَمَرٍ حتى تكاملَ منه الرُّوحُ وَالْبَدَنُ
فما سمعتُ مثلاً ما سمعته منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .

[عدد أصواتها]

قال ميمون بن هارون قلت لعريب : رأيتُ في النوم كأنني سألت عليّة بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي نيفٌ وخمسون صوتاً . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخير عبد الله بن الربيع الرّبيعي قال حدثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني خشف الواضحة أنها تمارت هي وعريب في غناء عليّة بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتاً . فقالت عريب : هي اثنتان وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنياً غناءها ، فلم تزالا تغنيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتاً ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فقطع بها واستولت عريب عليها واتكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عليّة فيما يرى النائم فقالت : يا خشفُ خالفتك عريبُ في غنائي ! قلت : نعم يا سيدتي . قالت : الصواب معلق ، أفترين ما الصوت الذي أنسيته ؟ قلت : لا والله ! ولوددتُ أني فدّيت ما جرى بكل ما أملك . قالت هو :

[من الرمل]

صوت

بُنِيَ الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فَلَوْ
أَنْصَفَ المَعشوقُ فِيهِ لَسَمِعُ
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي حَكَمِ الهوى
عَاشِقٌ يُحَسِّنُ تَأْلِيفَ الحُجَجِ
لَا تَعِينُ مِنْ حُبِّ ذِلَّةٍ
ذِلَّةُ العَاشِقِ مِفْتَاحُ الفَرَجِ
وَقَلِيلُ الحُبِّ صِرْفاً خَالِصاً
لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُرَجِ

وكأنها قد اندفعت تغنيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّته ، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها . فانتبهتُ وأنا لا أعقلُ فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرْتُ له القصة . فقالت عريب : هذا شيء صنعته أنتَ لما جرى بالأمس ، وأما الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بما رضي به أن القصة كما حكّيتُ . فقال : رؤياك والله أعجب ، ورحم الله عليّة ! فما تركت ظرفها حيّة وميّتة ، وأجازني جائزة سنية . ولعليّة في هذا الصوت أعنى :

[من الرمل]

بُنِيَ الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فَلَوْ

لحنان : خفيف ثقيلٍ وهزج . وقيل إن الهزج لغيرها .

[الرشيذ يمدح لحنين لها]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني

بعض خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير ، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان ، وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركب حماراً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسَّ به استقبله وقبَّلَ رجله . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرةً ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلك ! اصدَّقني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما . فقال الرشيد لإحدهما : غني ، فغنت ، وهذا كله من رواية محمد بن طاهر : [من الرمل]

بُنِيَ الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فَلَوْ أَنْصَفَ المَعشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجُ
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي حَكْمِ الهَوَى عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الحُجَجِ
لَا تَعَيَّبَنَّ مِنْ حُبِّ ذِلَّةٍ ذِلَّةُ العَاشِقِ مِفْتَاحُ الفَرَجِ
وَقَلِيلُ الحُبِّ صَرَفاً خَالِصاً لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُزِجُ

فأحسنتُ جداً . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن هذا الشعر ؟ ما أمله ! ولن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا أعلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لستِي . قال : وَمَنْ سَيِّئُكَ ؟ قالت : عليّة أختُ أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غني ؛ فغنت :

صوت

تَحَبَّبُ فَإِنَّ الحُبَّ دَاعِيَةُ الحُبِّ وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ القَرَبِ
تَبَصَّرَ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنْ أَخَا هَوَى نَجَا سَالِماً فَارِجُ النَّجَاةِ مِنَ الحُبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضاً فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكَتَبِ

الغناء لعلية خفيف ثقيل . وفي كتاب علويه : الغناء له ، فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر ؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستِي . قال : وَمَنْ سَيِّئُكَ ؟ فقالت : عليّة أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركب حماره وانصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال : هاتوا حِمَارِي فَأَتَيْتُ بِحِمَارٍ كَانَ لَهُ أَسْوَدُ يركبه في

القصر قريب من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَّاعَةٍ وشي مثلاً بعمامة وشي مُتَحِفًا برداء وشي ، وخرج بين يديه أربعمائة خادِم أبيض سوى الفراشين . وكان مسرور الفَرَّغاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلي . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقاه وقبّل حافرَ حِمَارِهِ وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ؟! قال : نعم شوق طرّق بي . ثم نزل فجلس في طَرَفِ الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : يا سيدي أتنشّط لشيءٍ تأكله ؟ قال : نعم ، وما هو ، قال : خاميز¹ طيب . فأتي به كأنما كان مُعَدًّا له فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشرابٍ كان حُيِّلَ معه . فقال له إبراهيم الموصلي : أوغنيك يا سيدي أم يغنيك إماءك ؟ فقال : بل الجواري . فخرج جواري إبراهيم فأخذنَ صَدَرَ الإيوان وجانيبه . فقال : أَيْضُرِّينَ كُلَّهِنَّ أم واحدة واحدة ؟ فقال : بل تُضْرِبُ اثنتان اثنتان وتغني واحدة فواحدة . ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانيبه والرشد يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غنائهن ، إلى أن غنّت صبيةً من حاشية الصف :

صوت

يا مُورِي الزُّنْدِ قد أعيّت قوادحُه أقبسُ إذا شئتَ من قلبي بِمِقْيَاسِ
ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجهم إذا نظرتُ فلم أَبْصِرْكَ في الناسِ

فطرب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت ، فاستدناها فتقاعست . فأمر بها فأقيمت إليه ، فأخبرته بشيءٍ أسرته إليه . فدعا بحماره فانصرف والتفت إلى إبراهيم فقال : ما عليك ألا تكونَ خليفةً ! فكادت نفسه تخرُج ، حتى دعا به بعدُ وأدناه . هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن في خبره . وقال محمد بن طاهر في خبره : فقال للموصلي : احتفظ بالجاريّتين ، وركب من ساعته إلى عليّة فقال : قد أحبيتُ أن أشربَ عندك اليوم . فتقدّمتُ فيما تُصَلِّحُه ، وأخذنا في شأنهما . فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العودَ من حجر جارية فدفعه إليها ، فأكبرت ذلك . فقال : وَتُربَةُ المهدي لَتُغْنِيَّ ! . قالت : وما أغني ؟ قال : غني :

يُنَيِّ الحُبُّ على الجَوْرِ فلو

فعلّمت أنّه قد وقف على القصّة فغَنَّتْه . فلما أتت عليه قال لها غَنِّي : [من الطويل]

تَحَبَّبُ فَإِنْ الْحَبِّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ

فَلَجَلَجَتْ ثُمَّ غَنَتْه . فقام وقَبِلَ رَأْسَهَا وقال : يا سَيِّدَتِي هذا عندك ولا أعلم ! وتَمَمَ يَوْمَهُ معها .

[تذلل جاريتهما أخاهما إبراهيم]

حدثني جحظة قال حدثني أبو العَنَبَسِ بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي : ما خَجَلْتُ قَطُّ خَجَلْتِي مِنْ عَلِيَّةِ أُخْتِي . دخلتُ عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وكيف حالُّك وجسمُك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعت عيني على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبني وطال جلوسي ، ثم استحييتُ من عليّة فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنت يا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وكيف حالُّك وجسمُك ؟ فرفعتُ رَأْسَهَا إلى حاضنة لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه ؟ فخجلتُ خَجَلًا ما خَجَلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وقمتُ وانصرفتُ .

[جعفر يسمع غناها عند الرشيد]

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شهدتُ أبي جعفرًا وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خلّواته مع الرشيد ، قال : يا أبت ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حُجْرة يخرقها حتى انتهى إلى حُجْرة مغلقة ففَتَحَتْ له ، ثم رجع مَنْ كان معنا من الخَدَمِ ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحتها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخل بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعَدَ على باب المجلس ، فنَقَرَ هارون الباب بيده نَقَرَاتٍ فسمِعنا حساً ، ثم أعاد النَقْرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَقْرَ ثالثةً فغَنَّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أن الله خلقَ مِثْلَهَا في حُسْنِ الغِنَاءِ وجودة الضَرْبِ . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غَنَّتْ أصواتاً : غَنِّي صوتي ، فغَنَّتْ صوتَه ، وهو :

[من الكامل]

صوت

وَمُخَنِّثٍ شَهِدَ الزُّفَافَ وَقَبْلَهُ	غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِراً وَمُنْقَباً
لِبَسِ الدَّلَالِ وَقَامَ يَنْقُرُ دُفَّهُ	نَقَرًا أَقْرَبَ بِهِ الْعِيُونَ وَأَطْرَباً
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْنَ	فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بِهِنَّ فَأَكْذَباً

في هذا اللحن خفيفٌ رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه خفيف ثقيل
في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لرقيق . واللحن مأخوذ
من : [من الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ

وهو خفيف ثقيلٌ للهندي ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر ، قال :
فطربتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائط . ثم قال غني : [من المديد]

طال تكذبي وتصدقي

فغنت : [من المديد]

صوت

طال تكذبي وتصدقي لم أجِدْ عهداً لمخلوق
إِنَّ ناساً في الهوى غَدَرُوا أَحَدُوا نَقْضَ المَوَائِقِ
لا تَرَانِي بعدهم أبداً أَشْتَكِي عِشْقاً لمعشوق

لحنٌ عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه
لحنٌ خفيف ثقيل . ولعريب فيه ثقيلٌ أول وخفيفٌ ثقيل آخر ، قال : فرقص الرشيد
ورقصتُ معه ، ثم قال : أمض بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فمضينا .
فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا
أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك ، وأنا أخبرك أنها عليّة
بنتُ المهدي . والله لئن لفظتَ به بين يديّ أحيد وبلغني لأقتلك . قال : فسمعتُ جدي
يقول له : فقد والله لفظتَ به ، والله ليقتلك ! فاصنع ما أنت صانع .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

[من الكامل]

وَمُخِّنَتْ شَهْدَ الرِّفَافِ وَقَبْلَهُ

صوت

[من الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
وَأَنَا امْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي غَنَوَةٌ
إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
أُقَرِّنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَابِ وَأُجْنَبُ

ويكون مركبك القعود وحيدجّه وابن النعمامة يوم ذلك مركبي¹
 الناس يزوون هذه الأبيات لعنترة بن شداد العبسي ، وذكر الجاحظ أنها لخزّ بن لؤذان ،
 وهو الصحيح . وخزّ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرئ القيس . وقد اختلف في معنى قوله «ابن
 النعمامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي : النعمامة فرسه وابنها ظلّها . يقول : أقاد في الهاجرة إلى جنبها
 فيكون ظلّي كالراكب لظلّها . وقال أبو عمرو الشيباني : ابن النعمامة مُقدّم رجله مما يلي الأصابع .
 يقول : فلا يكون لي مركبٌ إلا رجلي . وقال خالد بن كلثوم : ابن النعمامة الخشبة التي يُصلّب
 عليها . يقول : أقتل وأصلّب فتكون الخشبة مركبي . واحتجّ من ذكر أنه يعني ظلّ فرسه وأنه
 يكون كالراكب له بقول الشاعر² :

إذ ظلّ يحسب كل شيء فارساً ويرى نعاماً ظلّه فيحول
 قال : وابن النعمامة : ظلّ كل شيء . وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع
 آخر .

[مزيد من غنائها للرشد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبّي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :
 زار الرشد عليّة فقال لها : بالله يا أختي غنيّني . فقالت : وحياتك لأعملنّ فيك شعراً
 ولأعملنّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :
 [من الكامل]

صوت

تفديك أختك قد حبّوت بنعمة لسنا نعدّ لها الزمان عديلا
 إلّا الخلود ، وذاك قرّبك سيدي لا زال قرّبك والبقاء طويلا
 وحمدت ربّي في إجابة دعوتي فرأيت حمدي عند ذاك قليلا
 وعملت فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرمل ، فأطرب الرشد وشرب عليه بقيّة
 يومه .

قال : وقالت للرشد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها .

صوت

[من البسيط]

ما لي نسيّت وقد نوّدي بأصحابي وكنت والذكرُ عندي رائح غادي

1 القعود : ما يخص للركوب من الإبل . الحدج : من مراكب النساء .

2 البيت لجبر ، ص 382 (طبعة دار صادر) .

أنا التي لا أطيقُ الدهرَ فَرَقْتُكم فَرَقَّ لي يا أخِي من طولِ إبعادِ

قال : وغنَّت فيه لحناً من الثقيل الثاني ، وبعثت من غناه للرشيد ، فبعث فأحضرها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرَّور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي : أن عليّة حجّت في أيام الرشيد ، فلما انصرفت أقامت بطيزناباذ¹ أياماً ، فأنتهى ذلك إلى الرشيد فغضب . فقالت عليّة :

صوت

أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطِيزَنَابَاذَ يَوْمًا بَعْدَهُ لَيْلَةً عَلَى غَيْرِ شَرْبِ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا تَفْتِنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُصْنِي
قَرَقَنًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا ذَاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَةً كُلَّ كَرْبِ

قال : وصنعت في البيت الأولين لحناً من خفيف الثقيل ، وفي البيت الأخيرين لحناً من الرمل . فلما جاءت وسميع الشعر واللحن رضي عنها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمتي عليّة بالرقة ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها :

صوت

اشْرَبْ وَغَنِّ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا ابْنُ مَنْصُورِ
لَوْلَا الرِّجَاءُ لِمَنْ أُمَلْتُ رُؤْيَتَهُ مَا جُزْتُ بَغْدَادَ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرِ

وعملت فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهشامي أبو عبد الله قال : لما خرج الرشيد إلى الرّي أخذ أخته عليّة معه . فلما صار بالمَرْج عملت شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به ، وهو :

صوت

وَمُتَّغِرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ

1 طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

إذا ما أتاه الرُّكْبُ من نحو أرضه تنشقّ يستشفي برائحة الرُّكْبِ

فلما سَمِعَ الصَّوْتِ عِلِمَ أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردّها .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعضُ موالِي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى : أن عليّة غنّت الرشيد في يوم فطر : [من البسيط]

صوت

طالتُ عليّ ليالي الصَّوْمِ واتصلتُ حتى لقد خِلْتُها زادتُ على الأبدِ

شوقاً إلى مجلس يُزهِى بصاحبه أُعيّذه بجلالِ الواحدِ الصّمدِ

الغناء لعلية ثاني ثقیل لا يُشكّ فيه ، وذكر بعضُ الناس أنه للوائق ، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الریعی . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعرب ثقیلٌ أولُ غنّته المعتمد يوم فطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

[ضربت وكيّلها وحبسته لخيانته]

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال : كان لعلية وکیل يقال له سباعٌ ، فوقفتُ على خيانتِهِ فضرَبته وحبسته ، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميلَ مذهبه وكثرة صدقه¹ ، وكتبوا بذلك رقعةً ، فوقفتُ فيها : [من الطويل]

ألا أيُّهَذَا الراكِبُ العيسَ بَلَّغَنُ سباعاً وَقُلْ إِن صَمَّ دَارَكُمُ السُّفْرُ

أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ رَقَقْتَ لَهُ أَنْ حَطَّه نَحْوُكَ الْفَقْرُ

كشافية المَرْضَى بعائِدَةِ الزُّنَا تَوُمِّلُ أَجْراً حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ

[تركت الغناء لموت الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني عَلَمُ السَّمَاءِ جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شَهِدَتْ عَلِيّةَ غنّت الأَمِينَ في شعر لها ، وهو آخر شعر قالت فيه ، وطريقته من الثقیل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ جَزَعاً شديداً وتركت النَبِيذَ والغناء . فلم يزل بها الأَمِينُ حتى عادت فيهما على كره . والشعر : [من البسيط]

صوت

أُطْلِتِ عَاذِلَتِي لَوْمِي وَتَفْنِيدِي وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ بَيْنَ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ ظَبْيًا غَرِيرًا نَقِيَّ الْخَدِّ وَالْجِيدِ
 قَدْ رَنَحَتْهُ شَمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ يَحْكِي بِوَجْنَتِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
 قَامَ الْأَمِينُ فَأَغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ

لحن عليّة في هذا الشعر ثاني ثقيل . ولعريب فيه هزج ، وقيل إنّ الهزج لإبراهيم بن المهدي .

[شعرها في لبانة بنت أخيها]

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عريب أن عليّة قالت في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي شعراً وغنّت فيه من الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

وحدثني عن مجلسٍ كُنْتُ زَيْنَهُ رَسُولُ أَمِينٍ وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
 فَقُلْتُ لَهُ كُرَّ الْحَدِيثَ الَّذِي مَضَى وَذِكْرُكَ مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
 وَقَدْ ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرُّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

[أذهلت إسماعيل بن الهادي بغنائها]

أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد . ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فَسَمِعَ غِنَاءً أَذْهَلَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَا أَذْهَلَنِي ، وَكُنْتُ أَكْذِبُ بَأْنَ الْأَرْغَنِ الرَّومِيَّ يَقْتُلُ طَرِبًا ، وَقَدْ صَدَقْتُ الْآنَ بِذَلِكَ . قَالَ : أَوْ لَا تَذَرِي مَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : هَذِهِ عَمَّتُكَ عَلِيَّةٌ تُلْقِي عَلَى عَمِّكَ إِبْرَاهِيمَ صَوْتًا مِنْ غِنَائِهَا . إِلَى هَاهُنَا رَوَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى . وَفِي رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ : هَذِهِ عَمَّتُكَ تُلْقِي عَلَى عَمِّكَ إِبْرَاهِيمَ صَوْتًا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ غِنَائِهَا . فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هِيَ تُلْقِي عَلَيْهِ :

صوت

لَيْسَ خَطْبُ الْهَوَى بِخَطْبِ يَسِيرٍ لَيْسَ يُنْبِئُكَ عَنْهُ مِثْلُ خَبِيرٍ
 لَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى يُدَبَّرُ بِالرَّأْيِ يَ وَلَا بِالْقِيَاسِ وَالتَّفَكِيرِ

اللَّحْنُ فِي هَذَا لَعَلِيَّةٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . وَفِيهِ لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل عن الهشامي .

[وفاتها]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه : أن عليّة بنت المهدي وُلدت سنة ستين ومائة ، وتُوفيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال : ماتت عليّة سنة تسع ومائتين ، وصلى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمّها إليه وجعل يقبل رأسها ، وكان وجهها مُغطى ، فشَرقت من ذلك وسعلت ثم حُمّت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت .

ومن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

[من مجزوء الرجز]

فمن صنعته :

صوت

قام بقلبي وقَعَدُ	ظيّي نفى عني الجَلَدُ
خلفني مُدَلِّها	أهيمُ في كلِّ بَلَدُ
أسهرني ثم رَقَدُ	وما رثي لي من كَمَدُ
ظيّي إذا ازددتُ له	تذُلُّاً تاه وصدّ
واعطشنا إلى فَمٍ	يَمُجُّ خمرأ من بَرَدُ

عروضه من مجزوء الرّجَز . والشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد ، ولحنه فيه ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي . وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقیل الرمل ، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن مُحَرِّز . وفيه لأبي العَبَّس بن حمدون خفيف ثقیل .

[164] - أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

[شيء من أوصافه]

اسمه أحمد ، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد . وهذا النسب أشهر من أن يُشرح¹ . وأمه أم ولدٍ بربرية . وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة ، وأمجَنهم وأحدَهم نادرةً وأشدَّهم عبثاً . وكان يقول شعراً لئناً طيباً من مثله .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أبيه يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمؤمنون : أنت تعلم أنك أحبُّ الناس إليّ ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيِّح بن حاتم العُكْلِي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال : كان يقال : انتهى جمالُ وَلَدِ الخلافةِ إلى أولاد الرشيد ، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عَزَمَ على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوْه أكثر مما يجلسون للخلفاء .

[مدحت عريب حسنه وغناه]

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بَنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال : كنتُ عند أبي الصَّقَرِ إسماعيلَ بن بُلْبُلٍ وعنده عَرِيبٌ ، فسمعتها تقول : انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى الناس مثلَهما ، وكان المعتز في طرازهما . قال : وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غناء أبي عيسى بن الرشيد ! وما سمعتُ قطُّ غناءً أحسنَ من غنائه ، ولا رأيت وجهاً أحسنَ من وجهه .

[عجب الرشيد له في صباه]

أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال : قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المؤمن) . فقال له : على أن حظُّه منك لي . فعجِب من جوابه على صباه وضمِّه إليه وقبَّله .

[سخط من رؤية هلال شهر رمضان]

وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال : حدثني مَنْ شَهِدَ المأمونَ ليلةَ وهم يترأؤنَ هلالَ شهرِ رمضانَ وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فرأوه وجعلوا يَدْعُونَ . فقال أبو عيسى قولاً أنكرَ عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :

دهاني شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرٍ وما صُمتُ شهراً بعده آخرَ الدهرِ
فلو كان يُعَدِّني الإمامُ بقُدْرَةٍ على الشهرِ لاستعدتُ جهدي على الشهرِ
فناله بعقب قوله هذا الشعرَ صرَّعٌ ، فكان يُصرَّع في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهراً آخر .

[رأى إبراهيم بن المهدي في غنائه]

وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي : مَنْ أحسن الناس غناءً ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : مُخارق .

[عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدِي¹ قال : كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِنْدَبَاءً فغمَّسها في الخلَّ وضرب بها عينَ طاهر الصحيحة . فغضب طاهرُ وشقَّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عينيَّ ذاهبةً ، والأخرى على يَدَيَّ عَدْلٌ ، يُفَعِّلُ هذا بي بين يديك ؟! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّبِ إنه والله لَيَعْبَثُ بي أكثر من هذا العبَث .

[يُضحك المأمون وهو يخطب يوم الجمعة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال : بينا المأمونُ يخطُبُ يومَ الجمعة على المنبر

بالرصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقَاءَ وجهه في المقصورة ، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك . فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمَّهُ على أنفه ، وفَهِمَ المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحك . فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له : والله لهما مَتُّ أن أبطلحك فأضربك مائة دِرة ! وإِلَـك ! أردت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر ؟ إياك أن تعود لمثل هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يُمسك الفُساء إذ جاءه . فاتخذت له دابةً مثْلَةً وطَيَّتها وتنوَّقت فيها . فلما وضعتها تحته فسا ، فقال : هذه ليست بطيِّبة . فقالت له الدابة : فديتك ؛ هذه قد كانت طيِّبة وهي مثْلثة ، فلما ربعتها فسدت . قال : وكان يعقوب هذا مُحَمِّقاً ، كان يخطرُ بباله الشيء فيشتهيه فيُثَبِّتُه في إحصاء خزائنه . فضجَّ خازنُه من ذلك ، فكان يُثَبِّتُ الشيء ثم يثبُّ تحته أنه ليس عنده ، وإنما أثبتُه ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملكه . فوجِد في دفتر له فيه ثَبَّتُ ثياب : « ثَبَّتُ ما في الخزانة من الثياب المثقَّلة الإسكندرانية والإشامية ، لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها زرحية كانت للمهدي . الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها دُرُجٌ كان فيه للمهدي خاتمٌ هذه صفته » . فحُمِلَ ذلك الدفتر إلى المأمون ، فضحك لما قرأه حتى فحَصَ برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط ! .

[كان المأمون يحبه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلب قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعده ، وتذاكرنا ذلك كثيراً . وسمعتُه يقول يوماً : إنه لَيْسَ يَسْهُلُ عليَّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلْك ، وما يسهل شيء منهما على أحد ، وذلك لمحبيتي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدة حُبِّي إياه .

[محبه صيد الخنازير]

أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع عن دابَّته فلم يَسَلِّمْ دماغه ، فكان يتخبط في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات .

[تعزية محمد بن عباد المأمون فيه]

حدثني محمد قال حدثنا أبو العيَّان قال حدثنا محمد بن عباد المهلب قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وِعِمَّامتي عليَّ ، فخلعت عِمَّامتي ونبذتها وراء ظهري ، والخلفاء لا تُعَزَّى في العمام ، ودنوت . فقال لي : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر¹ .

1 قريب من المثل «حال الأجل دون الأمل» في مجمع المياداني 1 : 204 .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مصيبةٍ أخطأتك تهنون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .
[وفاته]

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يضُرَّ ذلك به .
[حزن المأمون عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيناء قال سمعت محمد بن عباد يقول : لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجدَ المأمون عليه وَجْداً شديداً ، وكان له مُجِياً وإليه مائلاً . فركب إلى داره حتى حضر أمره وصلى عليه ، وحضره الناس ، وكنتُ فيمن حضر ، فما رأيتُ مُصاباً حزناً قط أجمل أمراً في مُصيبةٍ ولا أحرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعه على خديه من غير كلج ولا استنثار¹ .
[بكاء المأمون عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي ذؤاد : دخلتُ على المأمون في أول صبحتي إياه وقد تُوفي أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يكي ويمسح عينيه بمِندِيل ، فقعدتُ إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلتُ قول الشاعر :

نقصٌ من الدنيا وأسبابها نقصُ المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يكي ، ثم مسح عينيه وتمثل : [من الطويل]

سأبكيك ما فاضتُ دموعي فإن تغضُ فحسبك مني ما تجنُّ الجوانحُ
كأن لم يمُتْ حيَّ سيواك ولم تقمُ على أحدٍ إلا عليك النوائحُ

ثم التفت إلي فقال : هيه يا أحمد ! فتمثلتُ قولَ عبدة بن الطيب : [من الطويل]

عليك سلامُ الله قيسُ بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحمًا
تحيةً من أوليته منك نعمةً إذا زارَ عن شخطِ بلادك سلماً
وما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٍ ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدماً

فبكي ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين :

1 كلج : يقال : كلج وجه الرجل أي تكشر في عبوس . والاستنثار : إخراج ما في الأنف .

بَكُّوا حَذِيفَةَ لَمْ تَبْكُوا مِثْلَهُ حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخَلِّقِ

فإذا عريبٌ وجوارٍ معها يسمعونَ ما يدور بيننا ، فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً .
فقال لها المأمون : قولي ، فَرُبُّ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٌ . فقالت ¹ : [من الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخُطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ
كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءِ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فبكى وبكى . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فناحت ورد عليها الجواري . فبكى المأمون حتى قلت : قد خرجتَ نفسك ، وبكىنا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكت . فقال لها المأمون : اصنعي فيه لحناً وغني به . فصنعت فيه لحناً على مذهب النُّوحِ وغنته إياه على العود . فوالذي لا يُخْلَفُ بأجل منه لقد بكينا عليه غناءً أكثرَ مما بكينا عليه نُوحاً .

[طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطبيب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجدَّ عليه المأمون وجداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم يطعم شيئاً . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حدثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أفرخ ثيابه ومسَّ أطيب طيبه وركب أفرَّة خيله وتقدم إلى جميع من معه أن يركب في مثل زيه وأكمل سلاحه ، ونظر في مِرَّاته فأعجبته هيئته وحسنه ، فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت : [من الخفيف]

أَنْتَ نَعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
أَنْتَ خِلْوٌ مِنَ الْعُيُوبِ وَمَا يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْتَ فَاثِي

فأعرض بوجهه ، فلم تدرُ عليه الجمعة إلا وهو في قبره . قال : فبكى المأمون والناس ، فما رأيت باكياً أكثرَ من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

[بعض أصواته]

ومن غناء أبي عيسى وجيّد صنعته ، والشعرُ له ، وطريقته من الثقليل الثاني مطلق في مجرى البنصر . وذكر حبش أن فيه لحسين بن مُحَرِّزٍ أيضاً صنعةً من خفيف الرمل : [من مجزوء الخفيف]

1 هذان البيتان لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي الذي قتل سنة 214هـ ، وقد تقدم أن أبا عيسى توفي سنة 209هـ . وقد تغيرت «كأن بني نيهان . . .» إلى «كأن بني العباس . . .» .

صوت

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوَتِي والهوى ليس يَرْقُدُ
وأَطَارَ السُّهَادُ نَوِي مي فنومي مُشَرَّدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْهَدُ
وفؤادي بِحُسْنِ وَجْهِ هَكَ يَشْقَى وَيَكْمَدُ

ومن غنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل ، ولحنه من الثقيل الأول :

صوت

إذا ما زيادٌ عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثلاث زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرُ
خرجتُ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّنِي عليك أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
ولإسحاق في هذا الشعر رمل بالبصرة عن عمرو .

[165] - ومن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي

فمن صنعته :

صوت

[من المتقارب]

تقاضاك دهرُك ما أسلفا وكدرَ عيشك بعد الصفا
فلا تجزَعَنَّ فإنَّ الزمان رهينٌ بتشتيت ما ألفا
وما زالَ قلبُك مأوى السرور كثيرَ الهوى ناعماً مُتَرَفّاً
ألحَّ عليك برّوعاته وأقبلَ يرمىكَ مُستهدِفاً

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه ماخوِري وهو خفيفُ الثقل الثاني

بالوسطى .

[ضرب ثقيفاً الخادم رأسه بالعود فحلم عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال : كان عبد الله بن موسى الهادي أُضْرِبَ الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له قلَمٌ ، فعَلَّمَهُ الصوت وحذَّقه . فاشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثَقِيفُ الخادمِ الأسودِ مولى الفضل بن الربيع نُضاربِ مولاي عبد الله بن موسى وقد أخذ النَبِيدُ من الجماعة . فضرب عبدُ الله وثَقِيفُ صوتاً فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زَلَزَل . وقال ثَقِيفُ : كذا أخذته منه ، وطال تشاجرُهما فيه . وكان ثَقِيفُ مُعْرِبِداً يَذْهَبُ عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضاً مُعْرِبِداً . فغضب ثَقِيفُ ورفع العودَ وهو لا يعقل ، فضرب به رأسَ عبدِ الله بن موسى فطوقه إِيَّاه . وابتدر خَدَمُ عبدِ الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمْسُوهُ وأخرجوا العودَ من عُنُقِي فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرِيدَةً أيضاً ، فَرَزِقَ في ذلك اليوم حِلْماً لم يُرَ مثله ، وقال لخدمته : إن قتلته قتلْتُ كلباً وتحدث الناسُ بذلك ، ولكن اخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

[الحفصي المعزني يؤثر عليه أخاه إسماعيل]

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعزني قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فآثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريضة . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذونٍ أشهب متقلداً سيفاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : يا سيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلي . قال : دعني من هذا ، من عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعة من كان عنده . قال له : هاتهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنَا فَرَعاً . فأقبل علي من بينهم فقال لي : يا حفصي ! أبعثُ إليك ثلاثة أيامٍ تبعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجِئْنِي وَيَدْعُكَ ؛ لأنه لا يَنْصَرِفُ من عندك إلا بِشَجَّةٍ أو عَرَبْدَةٍ مع جرمان ، ولا ينصرف من عندي إلا ببرٍّ مع خِلْعَةٍ ووعدٍ مُحْصَلٍ ، أَقتلوه على ذلك ؟ . فكفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العريضة وقام وانصرف .

[شعره في خادم لصالح بن الرشيد]

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدِي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ، وكان يكتب لأبي جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي ، فمر به خادمٌ لصالح بن الرشيد . فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : اسمي «لا تَسَلْ» . فأعجبه حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فقال لي : قُمْ بنا حتى نَسِرَ اليوم بذكر هذا البدر ، فقمْتُ معه . فأنشدني في ذلك اليوم :

وشادين مَرَّ بنا	يجرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقَلَّ
مظلومٌ خَصِرَ ظالمٍ	منه إذا يمشي الكَفَلُ
اعتدلتُ قامَتُهُ	واللحْظُ منه ما عَدَلُ
بدرٌ تراه أبداً	طالعٌ سعيد ما أَقَلُ
سألتُه عن اسمه	فقال لي اسمي «لا تَسَلْ»
وأُطْلِعْتُ في وجنتي	هـ وَرَدَتان من خَجَلُ
فقلتُ ما أخطأ مَنْ	سَمَّاكَ بل قال المَثَلُ
لا تسألن عن شادين	فاقَ جَمالاً وَكَمَلُ

قال : وقال فيه ، وقد قيل إنه من هذه الأبيات :

عزُّ الذي نَهَوَى وَذَلَّ صَبُّ الفَوادِ مُخْتَبَلُ

[من مجزوء الرجز]

لَجَّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا ال هَجْرٌ إِذَا لَجَّ قَتْلُ
 مِنْ شَادِنٍ مُتَطِيقٍ فاقَ جَمَالاً وَكَمَلُ
 تَنَاصَفَ الْحُسْنُ بِهِ فَلَا تَسْلَ عَنْ «لَا تَسْلَ»

[كان له ابن جيد الضرب]

وقال العتابي حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أَتَقُومُ غَلاماً ضارباً مُغْنِياً قِيَمَةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إليَّ ابنه القاسمَ وكنْتُ قد عَرَفْتُهُ ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأَكْبَبْتُ على يديه أَقْبَلَهُمَا . فقال لي عبد الله : أَتَقْبِلُ يَدَ غَلامٍ مملوك ؟ ! قلت : بأبي وأمي هو من مملوك ! وَقَبَّلْتُ رِجْلَهُ أيضاً . فقال : أما إِذْ عَرَفْتَهُ فَأُحِبُّ أَنْ تَضَارِبَهُ ؛ ففعلت . فلما رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضَرْبِ اغْتَمَّ وَأَقْبَلَ على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أَنَا مُتَلَذِّذٌ وَهَذَا مُتَكَسِّبٌ . فضَحِكْتُ وقلت : هو ذاك يا سيدي . وعَجِبْتُ من حِدَّةِ جوابه معتذراً على صَغَرِ سَنِهِ .

[كريم مدح]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً ، وفيه يقول الشاعر ، وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقيل الأول بالنصر : [من الوافر]

أَعْبَدَ اللَّهُ أَنْتَ لَنَا أَمِيرُ وَأَنْتَ مِنَ الزَّمَانِ لَنَا مُجِيرُ
 حَكَيْتَ أَبَاكَ مُوسَى فِي الْعَطَايَا إِمَامُ النَّاسِ وَالْمَلِكُ الْكَبِيرُ

[غنى بشر لعمر بن أبي ربيعة]

قال محمد بن يحيى والعتابي : ولعبد الله بن موسى غِنَاءٌ في قول عمر بن أبي ربيعة :

صوت

إِنَّ أَسْمَاءَ أُرْسِلَتْ وَأَخُو الشَّوْقِ مُرْسِلُ
 أُرْسِلَتْ تَسْتَرِيرُنِي وَتُفْلِدِي وَتَعْدِلُ
 وَلَحْنُهُ فِيهِ رَمَلٌ . قال : وفيه لابن سُرَيْجٍ والغَرِيضُ ومالكُ الْحَنَّانُ .

[وفاته]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد السُّكْرِي عن محمد بن حبيب قال : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعْرِبِداً ، وكان قد أَعْضَلَ بِالْمَأْمُونِ مما

يُعَرِّدُ عَلَيْهِ إِذَا شَرِبَ مَعَهُ . فَأَمَرَ بَأْنَ يُحْبَسَ فِي مَنْزِلِهِ فَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ ؛ وَأَقْعَدَ عَلَى بَابِهِ حَرَسًا .
 ثُمَّ تَذَمُّعٌ مِنْ ذَلِكَ فَأَظْهَرَ لَهُ الرُّضَا وَصَرَفَ الْحَرَسَ عَنْ بَابِهِ ، ثُمَّ نَادَمَهُ فَعَرِّدَ عَلَيْهِ أَيْضًا وَكَلَّمَهُ
 بِكَلَامٍ أَحْفَظُهُ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مُغْرَمًا بِالصَّيْدِ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ خَادِمًا مِنْ خَوَاصِّ خِدْمَتِهِ يَقَالَ لَهُ
 «حَسِينَ» فَسَمَّاهُ فِي دُرَّاجٍ وَهُوَ بِمَوْسَى أَبَاد ، فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِالْعِشَاءِ ، فَأَتَاهُ حَسِينٌ بِذَلِكَ
 الدُّرَّاجِ فَأَكَلَهُ . فَلَمَّا أَحْسَسُ بِالسَّمِّ رَكِبَ فِي اللَّيْلِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هُوَ آخِرُ مَا تَرَوْنِي . قَالَ :
 وَأَكَلَ مَعَهُ مِنَ الدُّرَّاجِ خَادِمَانِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَمَاتَ مِنْ وَقْتِهِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَبَقِيَ مَدَّةً ثُمَّ مَاتَ ،
 وَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ أَيَّامٍ .

وَمِنْ رَوَيْتَ لَهُ صِنْعَةً مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ

فَمِنْ مَشْهُورِ صِنْعَتِهِ :

أَلَا يَا ذَيْرَ حَنْظَلَةَ الْمُفْدَى لَقَدْ أَوْرَثَنِي سَقَمًا وَكَدًّا
 أَزِفُ مِنَ الْعَقَارِ إِلَيْكَ زَقَاً وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ الْوَرَقَ الْمُنْدَى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوْلِي عن عبد الله بن
 المعتز وله فيه لحنان خفيفٌ رملٍ وخفيفٌ ثَقِيلٌ . وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل . وفيه ثاني
 ثَقِيلٌ ، وذكر حبش ، وهو ممن لَا يُحْصَلُ قَوْلُهُ ، أَنَّهُ لَحْنَيْنِ ، وَلَمْ يَصِيحْ عِنْدَنَا مَنْ صَانِعُهُ .

[166] - أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

[نسبه]

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأمُّ عبد الله بن محمد أمُّ ولد . وكان ظريفاً غزلاً يقول شعراً كثيراً ويصنع صنعةً صالحةً . وأمُّ محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور . وزبيدة لقبٌ غلب عليها ، واسمها أمة العزيز . وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة ، وكانت سمينة حسنة البدن ، فيقول لها : يا زبيدة يا زبيدة ، فغلب عليها ذلك . [أبو نهشل يحث أخاه على النزول عن جاريته له]

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم ، فتركها ليكسرهم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد . فتبعها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

يا ابنَ حُمَيْدٍ يا أبا نهشل	مِفْتَاحَ بابِ الحَدَثِ المُقْفَلِ
يا أكرمَ الناسِ وِدَاداً وأر	عاهمَ لحقَّ ضائعٍ مُهْمَلٍ
أحسنَتَ في ودي وأجمَلتَ بل	جُرَّتْ فِعْالِ المُحْسِنِ المُجْمَلِ
يَبْتَكَ في ذي يَمَنِ شامِخٌ	تَقْصُرُ عنه قَتْنَا يَذْبُلُ
خَلَفْتَ فينا حاتِماً ذا النَّدَى	وَجَدْتَ جُودَ العارِضِ المُسْبِلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِذِي وَحْدَةٍ	تَرْكَهُ بِالْعِزِّ في جَحْفِلِ
نَجُومُ حَظِّي مِنْكَ مَسْعُودَةٌ	فِيما أَرْجِي لَسَنَ بِالْأَقْلِ
فَصَدَّقِ الظنَّ بما قَلَّتْ	وَسَهَّلِ الأَمْرَ به يَسْهَلُ
لا تَحْرِمْنِي وَلَدَيْكَ المُنَى	بِاللهِ صَيِّدَ الرِّشَاءِ الأَكْمَلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسِهَامِ الهَوَى	وما دَرَى بالرُّمِي في مَقْتَلِ
أَدْنَيْتَنِي بِالوَعْدِ في صَيِّدِهِ	إِذْ ناءَ عَطْشانٍ مِنَ المَنْهَلِ

ثم تناسيت وأسلمتني إلى مطال موحش المنزل
تركتني في لجة عائم لا أعرف المنبر من مقبل
صرح بأمر واضح بيّن لا خير في ذي لبس مشكل
قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها .

[مكاتبة بينه وبين أبي نهشل]

وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد ، ووجدتُ هذا الخبر في كتابٍ لمحمد بن الحسن
الكاتب يرويه عن أبي حسان الفزاري قال : كان أبو نهشل بن حميد صديقاً لعبد الله بن
محمد الأمين ونديماً . وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تُعرف بالعمرية ، فخرج إليها وأقام بها
أياماً . فكتب إليه أبو نهشل :

سقى الله بالعمرية الغيث منزلاً
فأنت الذي لا يخلق الدهر ذكره
حللت به يا مؤتسي وأميري
وأنت أخي حقاً وأنت سروري

فأجابه عبد الله :

لئن كنت بالعمرية اليوم لاهياً
فإن هوامك حيث كنت ضميري
فلا تحسبني في هوامك مقصراً
وكن شافعي من سخطكم ومجير
قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً ، وصنع فيها
سليم بن سلام لحناً آخر .

[نادم الواصل والخلفاء من بعده إلى المعتمد]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن محمد الأمين
ينادِم الواصل ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد . قال : وأنشدني له في المعتمد : [من المتقارب]

رأيت الهلال على وجهها
فما زلت أدعو إلهي لكا
فلا زلت تحيا وأحيا معاً
وآمني الله من فقدكا

قال : ومن شعره ، وله فيه لحنٌ من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل :

صوت

يا مَنْ به كلُّ خلقٍ
وما ترأى مُتيم
ومن تجالَلَ تيهاً
فما ترأى يُكَلِّم
لا شيء أعجبُ عندي
ممن يراك فيسَلِّم

[من المجث]

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته متقدماً ، فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو ذُلفَ الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المحلّم لحنظلة بن أبي عَفراء أحد بني حَيّة الطائيين وهم رَهْطُ أبي زيد ورهط إياس بن قبيصة :

أرى قمرَ الليلِ المُغربَ كالفتى	ومهما يكن رَيْبُ الزمانِ فإنني
وصورته حتى إذا ما هو استوى	يَهْلُ صغيراً ثم يعظمُ ضَوْؤه
وَيَمْصَحُ حتى يَسْتَسِرُّ فلا يُرى ¹	تقارب يخبو ضَوْؤه وشعاعه
وتكرّره في دهره بعد ما مضى	كذلك زَيْدُ المرء ثم انتقاصه
وتأتي الجبال من شَماريخها العُلا	تُصْبِحُ أهلَ الدَّارِ والدَّارِ زِينَةً
وإن قال أخْرُني وخُذْ رِشوةً أباي	فلا ذا غنى يُرْجِئَن عن فضلِ مالِه
فتنفعه الشكوى إلبهنَّ إن شكا	ولا عن فقيرٍ يأتخِزنَ لفقرِه

قال : وكان حنظلة هذا قد تعبد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وبنى ديراً بالجزيرة ؛ فهو الآن يُعرَف به ويقال له دير حنظلة . وفيه يقول الشاعر : [من الكامل]

يا دَيْرَ حَنْظَلَةَ المِهْيِجِ لي الهوى قد تستطيعُ دواءَ عشقِ العاشِقِ

[167] - ومن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت ، منها الجيد الصنعة ومنها المتوسط ، قد سمعنا كثيراً منها ؛ إلا أنني أذكر من ذلك ما عرفتُ شاعره وكان له خبرٌ يتصل به حسَب ما شَرَطناه في هذا الكتاب وضمَّناه إياه من الأخبار ، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك .

قال ابن المعتز حدثني النُميري قال سمعتُ أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممتُ صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركتُ الصنعة ، فلما صنعها ترك الصنعة . فمنها ، وهو لعمرى من جيد الغناء وفاخر الصنعة ، ولو لم يصنع غيره لكفاه ، في شعر أبي العتاهية :

صوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا حركَ موسى القضيْبَ أو فكَرَ
ولحنه من الثقيل الأول . والشعر لأبي العتاهية ، وقد مَضَّتْ أخباره ؛ وإنما قدمتُ ذكره لجودة صنعه وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحكَمَ أغاني الأوائل .
ومنها :

صوت

هي النفسُ ما حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ وللدهرِ أيامٌ تَجورُ وتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبْرِ الجميلُ جميلةٌ وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّجَمُّلُ
الشعر لعلي بن الجهم . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ثاني ثقلٍ بالوسطى .

[168] - أخبار علي بن الجهم ونسبه¹

[نسبه]

هو علي بن الجهم بن بذر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرزاز بن كعب بن مالك² بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بني ناجية ، ينسبونهم إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج إلى ناحية البحرين مغاضياً لأخيه كعب بن لؤي في مُماظة³ كانت بينهما ، فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكته به ، فذب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه⁴ :

عينُ جُودي لسامةَ بنِ لؤيٍ علقتُ ساقَ سامةَ العَلاقة⁵
رُبُّ كاسٍ هَرَقَها ابنُ لؤيٍ حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهْرَاقَ

وقال من يدفع بني سامة من نسائي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرف كعب أمه وظنه صادقاً في دعواه فقبله ومكث عنده مدة ، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين ، فأروا الحارث فسلموا عليه وحادثوه ساعة . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعب ونفى أمه ، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث

1 ترجمة علي بن الجهم في معجم المرزباني : 286 وابن خلكان 3 : 355 وطبقات ابن المعتز : 319-322 وانظر مقدمة محقق ديوان (صادر ، بيروت) .

2 في ابن خلكان : بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحرم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة . . . وفي ل : عتبة بدلاً من عيينة .

3 ممأظة : مخاصمة .

4 انظر حكاية سامة بن لؤي وبقية الأبيات في اللسان (مادة فوق) . وفيه أن الذي قال هذا الشعر يرثيه به امرأة الأزدي الذي نزل عليه في عمان فأعجبها ، ولما رحل لدغته حية كما جاء هنا .

5 العلاقة المنية ويريد بها هنا الحية .

وأعقب هذا العقب . ورؤي عن النبي ﷺ أنه قال : «عَمِّي سَامَةٌ لَمْ يُعَقَّبْ» . وكان بنو ناجية ارتدوا عن الإسلام . ولما وليَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأَسْلَمَ بعضهم وأقام الباقون على الردة فسباهم واسترقهم ؛ فاشتراهم مَصْقَلَةٌ بن هبيرة منه وأدى ثلثَ ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزِمَ الثمنُ ، فشَعَثَ¹ علي بن أبي طالب شيئاً من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مَصْقَلَةَ الكوفة حتى قُتِلَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامة بن لؤي وَلَدَ غالب بن سامة وأُمُّه ناجية ، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعْقِبَا ، وأن قوماً من بني ناجية بنت جَرَم بن رَبَّانٍ عِلَاف ادَّعَوْا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أهمهم ناجية هذه ونَسَبُها هذا النسب ، واتَّصَمُوا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةَ . قال : ودليلُ ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرَم قولُ علقمة الخصي التميمي أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجيَ بنتِ جَرَم عجزوا بعد ما بَلَ السَّنامُ
فإن كانت كذاكَ فآلِيسوها فإنَّ الحليَّ للأُنثى تمامُ

وهذا أيضاً قولُ الهيثم بن عدي . فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريشُ العازية . وإنما سُمُوا العازية لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنَسَبُوا إلى أمهم ناجية بنت جَرَم بن رَبَّانٍ وهو عِلَاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحالَ العِلَافِيَّةَ فَنَسَبَتْ إليه . واسم ناجية ليلي ؛ وإنما سُمِّيَتْ ناجية لأنها سارت في مَفَازَةٍ معه فَعَطِشَتْ فاستسقت ماء ، فقال لها : الماء بين يديكَ ، وهو يريها السَّرَابُ ، حتى جاءت الماء فشربت وسُمِّيَتْ ناجية . وللزبير في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخَالَفَةٌ فَعَلَّ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ومِثْلُهُ إليهم لإجماعهم على بُغْضِهِ رضي الله عنه ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

[شاعر فصيح خص بالتوكل]

وكان علي بن الجهم شاعراً فصيحاً مطبوعاً ؛ وخصَّ بالتوكل حتى صار من جُلُسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السَّعاية إليه بُندُمائه والذِّكر لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عَرَفَهُ أنهم يَعيبونه ويثلبونه ويتقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حَسَنَ مدة . وأخباره تذكر على شرح بعد هذا . وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب

وذمهم وإلغراء بهم وهجاء الشيعة ، وهو القائل ¹ :

ورافضةٌ تقولُ بشيغبِ رَضَوِي إمامٌ ، خابَ ذلك من إمامٍ
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفاً من الأتراكِ مُشْرِعَةُ السَّهَامِ ²

وفيه يقول البحري ³ :

إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَا قُرَيْشٍ فلا في العيرِ أَنْتَ ولا النَّفِيرِ ⁴
وما رُغْثَاوُكَ الْجَهْمُ بِنُ بَذْرِ من الأقمارِ ثُمَّ ولا البدورِ ⁵
ولو أعطاك ربُّكَ ما تَمَنَّى لَزَادَ الخلقَ في عِظَمِ الأيُورِ
عَلَامَ هَجَوْتَ مجتهداً عَلِيّاً بِمَا لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وَزُورِ
أَمَّا لَكَ في اسْتِكَ الوجعَاءِ شُغْلٌ يَكْفُكُ عن أذى أهلِ القبورِ

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : أنا أدري لِمَ تطعن على علي أمير المؤمنين . فقال له : أتعني قصة يئعه أهلي من مَصْقَلَةِ بن هُبَيْرَة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فَعَلَ قوم لوطٍ والمفعول به ، وأنت أسفلُهما .

[هجاء بخيشوع فحبه المتوكل]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال ⁶ : كان علي بن الجهم قد هجا بخيشوع ، فسبّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك إلى خراسان . فقال أولَ ما حُبِسَ قصيدةٌ كتب بها إلى أخيه ، أولها قوله :

توكلُّنا على رَبِّ السماء وسلَّمنا لأسبابِ القضاء
ووطنًا على غَيْرِ الليالي نفوساً ساحتْ بعدَ الإباءِ
وأفنيةُ الملوكِ محجَّباتٌ وبابُ الله مبدولُ الفناءِ

1 ديوان علي بن الجهم : 210-211 .

2 إمام في الديوان : إمامي . عشرون في الديوان : سبعون .

3 ديوان البحري : 1038 .

4 المثل : « لا في العير ولا في النفير » في مجمع الميداني 2 : 221 ومستقصى الرمخشري 2 : 376 .

5 الرغشاء : عرق في الثور يدر اللبن . وكنى به عن الأب .

6 ديوانه : 58-61 .

هي الأيامُ تكلُّمُنَا وتأسُو
وما يُجذِي الثَّراءُ على غَنِيٍّ¹
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَمَرَّتْ
وجرَّبْنَا وجربَ أوَّلُونَا
ولم نَدْعِ الحياءَ لِمُسِّ ضَرٍّ²
ولم نَحْزَنَ على دُنْيَا تَوَلَّتْ
تَوَقَّ النَّاسَ يَا ابْنَ أَبِي وَأُمِّي
ولا يَغُرُّكَ مَنْ وَغَدٍ إِخَاءُ
أَلَمْ تَرَ مُظْهِرِينَ عَلِيٍّ عَيْنًا³
فلما أن بُلِيَتْ غَدَا وَرَاحُوا
أَبَتْ أَنْحَاطَهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي
وخافُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ
تضافرتِ الرُّوافِضُ والنصارى

يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له :

وعابوني وما ذنبي إليهم
فَبَخِيشُوعُ يَشْهَدُ لابْنِ عَمْرٍو
وما الجذماءُ بنتُ أَبِي سُمَيْرٍ
إذا ما عُدَّ مِثْلُكُمْ رَجَالًا³
عليكم لعنةُ اللَّهِ ابتداءً
إذا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا
أنا المتوكِّلُ هَوَى وَرَأْيَا
وما حَسْبُ الخليفةِ لي بَعَارٍ

سوى عِلْمِي بأولادِ الزَّناءِ
وَعَزُوزُ هَارُونَ المِرائِي
بجذماء اللِّسانِ عن الحِفاءِ
فما فَضْلُ الرِّجالِ على النِّساءِ³
وَعَوْدًا في الصَّبَّاحِ وفي المِساءِ
أُولَئِكَ شَرُّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ
وما بالوَاقِعِيَّةِ مِنْ خَفَاءِ
وليس بمُؤَيِّسِي مِنْهُ التَّنَائِي

1 غني في الديوان : بخيل .

2 عيباً في الديوان : غشاً .

3 مثلكم في الديوان : مثلهم .

[يقدرّون شعره في الحبس بشعر عدي بن زيد]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّيْبَلُ البُرْجُمِي : ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد .

[حبسه المتوكل بسعاية جلسائه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال : كان سبب حبس المتوكل علي بن الجهم أن جماعة من الجلّساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمَّشُ الخَدَمُ وَيُعْمِزُهُمْ ، وإنه كثيرُ الطعن عليك والعيب لك والإزراء على أخلاقك ؛ ولم يزلوا به يُوغِرُونَ صدره عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يَصْلَبَ إذا وَرَدَهَا يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذيخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخْرِجَ فَصْلِبَ يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُتِرِلَ . فقال في ذلك ¹ :

لم يَنْصَبُوا بالشَّاذِيخِ عَشِيَّةً	الإثنين مسبوقةً ولا مجهولةً
نصّبوا بحمدِ اللهِ مِلءَ قلوبهم	شرفاً ومِلءَ صدورهم تَبْجِيلاً ³
ما ازدادَ إلا رفعةً بِنُكُولِهِ	وازدادت الأعداءُ عنه نُكُولاً ⁴
هل كان إلا الليثُ فارقَ غِيْلِهِ	فرايته في مَحْمَلٍ محمولا
لا يَأْمَنُ الأعداءُ من شدّاته	شدّاً يفصلُ هامهم تفصيلاً
ما عابه أن بُزَّ عنه لباسه	فالسيفُ أهولُ ما يرى مسلولا
إن يُتَنَذَلَ فالبدرُ لا يُزْري به	أن كان ليلةً تَمّه مبذولا
أو يَسْتَلْبُوهُ المَالُ يُحْزِنُ فَقْدُهُ	ضيفاً أَلَمٌ وطارقاً ونزِيلاً
أو يَحْبِسُوهُ فليس يُحبَسَ سائرٌ	من شعره يَدْعُ العزیز ذليلاً
إنَّ المصائبَ ما تعدّت دِينَهُ	نِعَمَ وإن صعبت عليه قليلاً
واللهُ ليس بغافلٍ عن أمره	وكفى برُّك ناصراً ووكيلاً
ولتَعْلَمَنَّ إذا القلوبُ تكشّفتْ	عنها الأَكِنَّةُ مَنْ أَضَلَّ سبيلاً

1 ديوانه : 185-187 .

2 عشية في الديوان : صبيحة . مسبوقة في الديوان : مغموراً .

3 قلوبهم في الديوان : عيونهم .

4 نكوله : التنكيل به . ونكولا : الفرار منه والاحجام عنه .

[المتوكل يأمر بإطلاقه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال ¹ :

[من الطويل]

أطاهرُ إني عن خراسان راحلُ ومُسْتَخْبِرٌ عنها فما أنا قائلُ
أصدق أم أكني عن الصدق أيما تَخَيَّرَ أدته إليك المحافلُ
وسارت به الرُكبانُ واصْطَفَقَتْ به أكفُ قيانٍ واجتنبه القبائلُ
وإني بغالي الحمد والذمِّ عالم بما فيهما نامي الرميّة ناضلُ
وحقاً أقول الصدقُ إني لائلُ إليك وإن لم يحظْ بالودِّ مائلُ
ألا حرمة تُرعى ألا عقدُ ذمة لجارٍ ألا فعلٌ لقولٍ مُشاكلُ
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجدْ متفضلاً علينا ألا قاضٍ من الناسِ عادلُ
فلا تَقْطَعَنَّ غيظاً عليّ أنا ملأ فقبلك ما عُضت عليّ الأناملُ
أطاهرُ إن تحسِنَ فإنِّي مُحْسِنٌ إليك وإن تبخلَ فإنِّي باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب فوصله وحمله وكساه .

[جمش جارية فباعته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال : كان علي بن الجهم في مجلس فيه قينة ، فعايشها وجمّشها ، فباعته وأعرضت عنه ، فقال فيها ² :

[من الطويل]

خَفِيَ اللهُ فيمن قد تَبَلَّتْ فؤاده وغادرته نضواً كأن به وقرا
دعي البخل لا أسمع به منك إنما سألتك أمراً ليس يُعْري لكم ظهراً
فقال له : صدقت يا أبا الحسن ، ليس يُعْري لنا ظهراً ، ولكنه يملأ لنا بطناً !!

[تشاؤمه من الحارثي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجهم قال : كان الحارثي يعجيء إلى حلوان وأنا أتولاهما ، وكان علي بن الجهم على مظالمهما ، فإذا وردها وقع الإرجاف ³ بي ، فلم يزل متصلاً حتى يخرج ، فإذا خرج سكن الإرجاف ، فأتاني مرة وظهر كوكب الذنب في تلك الليلة ،

1 ديوانه : 175-176 .

2 ديوانه : 134 .

3 الأرجاف هنا : الزلازل .

فقلت¹ :

[من الكامل]

لَمَّا بَدَا أُيَقِنْتُ بِالْعَطَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعَا إِلَّا لِآبِدَةٍ الْحَارِثِيُّ وَكَوْكَبُ الذُّنْبِ²

قال ابن المدبر : وكان الحارثي أعور مُقَبَّحَ الوجه ، وفيه يقول أبو علي البصير : [من الكامل]

يَا مَعْشَرَ الْبُصَرَاءِ لَا تَتَطَرَّفُوا جِيْشِي وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَذِكِيرِي
رُدُّوْا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ أَعْمَى يُدْلِسُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ

[ادعاهُ شعراً لإبراهيم بن العباس]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر
أن علياً أنشده إياه لنفسه : [من الوافر]

أُمِيلْ مَعَ الذِّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَخْذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وإنْ أَلْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

فقال إبراهيم : كَذَبَ اللَّهُ عَلَيَّ بِنَ الْجَهْمِ وَأَيْم . والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العباس
من إبراهيم بالعباس أبيه .

[أثبت المتوكل كنهه]

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل :
علي بن الجهم أكذبُ خلقِ الله . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِخُرَّاسَانَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأَنْسِيَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالثُّغُورِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ
مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأَنْسِيَ الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعاً ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ
مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَى
هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَإِنَّمَا يُزَاهِي سَنَةُ الْخَمْسِينَ سَنَةً . فليت شعري أيُّ
فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه !! .

[هجاؤه ولد علي بن هشام]

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز ، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن
سعد قال : اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه

1 ديوانه : 74-75 .

2 الآبدة : الأمر العظيم .

بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، واتصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه . فقال يهجوهم¹ :

[من البسيط]

بني مُتَيْمَ هل تَدْرُونَ ما الخَيْرُ
حاجيتكم : مَنْ أبوكم يا بني عَصَبُ
قد كان شَيْخُكُمْ شَيْخاً له خَطَرٌ
ولم تكن أُمُّكُمْ ، والله يَكْلُوها ،
كانت مَغْنِيَةَ الْفَتِيانِ إِنْ شَرَبُوا
وكان إخوانه غُرّاً غَطَارِفَةً
قومٌ أَعْفَاءُ إِلَّا في بيوتكمُ
فأصبحت كَمَراحِ الشُّولِ حافِلَةً
فجئتم عَصَباً من كُلِّ ناحِيَةٍ
فواجِدٌ كِسْرَوِيٌّ في قَرِاطِقِهِ
ما عِلْمُ أُمُّكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَها
قوم إذا نُسيوا فالأَمُّ واحدةٌ
لم تَعْرِفُوا الطَّعْنَ إِلَّا في أسافلكم
أُحِبُّتُ إِعلامَكُمْ إِنِّي بأمرِكُم
تَفَكَّهُونَ بأعراضِ الكرامِ وما
هذا الهجاءُ الَّذي تَبْقَى مِياسِمُهُ

وكَيْفَ يُسْتَرُ أَمْرٌ لَيْسَ يُسْتَرُ
شَتَّى وَلَكِنَّمَا لِلْعاهِرِ الْحَجَرُ
لكن أُمُّكُمْ في أَمْرِها نَظَرُ
مَحْجُوبَةٌ دُونِها الحُرَّاسُ والسُّتُرُ
وغيرَ مَمْنُوعَةٍ مِنْهم إذا سَكروا
لا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعْصِي إذا أَمَّروا
فإنَّ في مِثْلِها قد تُخْلَعُ العُدْرُ
من كُلِّ لاقِحَةٍ في بَطْنِها دَرَرٌ²
نوعاً مَخانِثٌ في أَعناقِها الكَبَرُ³
وآخِرُ قُرَشِيٍّ حينَ يُخْبِرُ⁴
وَمَنْ رماها بكم يأيُّها القَدْرُ
واللهُ أَعْلَمُ بِالآباءِ إِذْ كَثُرُوا
وأنتُمْ في المَخازِي فِتْنَةٌ صَبْرُ
وأمرٍ غَيْرِكُمْ من أَهْلِكُمْ خَبْرُ
أَنتُمْ وَذِكْرُكُمْ السَّادَاتِ يا عَرَرٌ⁵
على جِباهِكُمْ ما أُورِقَ الشَّجَرُ

[حسه المتوكل لسعيه بجلساته وهجائه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال : كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا . وكان يسعى

1 ديوانه : 121-122 .

2 كمرح في ل : كمرج . الشول من النوق : التي قل لبنها .

3 الكبير : الطبل .

4 القراطق : جمع قرطق وهو القباء .

5 عرر : جمع عرة وهو شين القوم .

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه . وأحسن شعر
قاله في الحبس قصيدته التي أولها¹ :

قالت حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُعْمَدُ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كِبَرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرْدُدُ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالْبَدْرُ يُذَرِّكُهُ السَّرَّارُ فَتَنْجَلِي أَيَّامُهُ وَكَأَنَّاهُ مُتَجَدِّدُ²
وَالْغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يَرْوَعُ وَيَرْعُدُ
وَالزَّاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُحُوبَهَا إِلَّا الثَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ³
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تُصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنَدُ
وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لَدَنِيَّةٌ شِعَاءُ نِعَمِ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدُ⁴
بَيْتٌ يَجْدُدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْمَدُ⁵
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَذِلُّكَ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخْطَاهُ الرَّدَى فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ
يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَدُونَهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَافُ لَا تَنْفَدُ
أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ كَرُمْتَ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمُحْتَدُ⁶
أَمِينَ السُّوَيْيَّةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ خَصَمٌ تُقَرِّبُهُ وَآخِرُ تَبْعِدُ
إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ حُسَّادُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
شَهِدُوا وَغَيَّنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَنْ يَشْهَدُ

1 ديوانه : 88-93 .

2 السرار : آخر أيام الشهر .

3 الزاعية : رماح منسوبة إلى رجل اسمه زاعب .

4 المتورد الذي يورد ويزار .

5 ويحمد في الديوان : يحقد أي يخدم .

6 كرم في الديوان : حسن .

لو يجمعُ الخُصَمَاءُ عندَكَ مجلسٌ يوماً لبان لك الطريقُ الأَقْصَدُ
فبأيِّ جُرمٍ أَصْبَحْتَ أَعْرَاضُنَا نَهْياً تَقَسَّمُها اللثيمُ الأَوْغَدُ¹

[قوله في علة المتوكل وغضبه من جاريته قبيحة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرُّيعي قال قال لي علي بن الجهم : دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كَلَّمَ قَبِيحَةً جاريته فأجابته بشيء أغضبه ، فرماها بِمِخْدَةٍ فأصابت عينها فأثرت فيها ، فتأوَّهَتْ وَبَكَتْ وَبَكَى المعتز لبكائها ؛ فخرج المتوكل وقد حُمَّ من الغم والغضب . فلما بَصُرَ بي دعاني وإذا الفتح² يُري بِخَيْشَوَعِ القارورة ويشاوره فيها . فقال لي : قل يا علي في عِلَتي هذه شيئاً وصف أن الطبيب ليس يَدري ما بي ؛ فقلت³ :

تَنَكَّرَ حَالِ عِلَّتِي الطَّيِّبُ وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ
جَسَسْتُ العِرْقَ مِنْكَ فَذَلَّ جَسِّي على أَلَمٍ لَهُ خَيْرٌ عَجِيبُ
فما هذا الذي بك هاتِ قُلْ لي فكان جوابه مِنِّي النَّعِيبُ
وقلت أيا طبيباً الهجرُ دائي وقلبي يا طبيبُ هُوَ الكَيْبُ
فحرَّكَ رأسه عَجَباً لِقولي وقال الحبُّ ليس له طيبُ
فأعجبني الذي قد قال جِداً وقلتُ بلى إذا رضي الحبيبُ
فقال هو الشفاء فلا تُقَصِّرْ فقلتُ أَجَلٌ ولكن لا يُجِيبُ
ألا هل مُسْعِدٌ يبكي لشَجْوِي فَإِنِّي هائمٌ فَرَدُّ غَرِيبُ

فقال : أحسنت وحياتي ؛ يا غلام اسقني قَدْحاً ؛ فجاءه بِقَدَحٍ فَشَرِبَ وَسَقَيْتَ الجماعة مثله . وخرجت إليه فَضَلُّ الشاعرة بأبيات أمرتها قَبِيحَةً أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هي :

لَأَكْتُمَنَّ الذي في القلبِ من حُرْقٍ حتى أَمُوتَ ولم يَعْلَمْ به الناسُ
ولا يقالُ شكا مَنْ كان يَعِشْهُ إِنَّ الشُّكَاةَ لمن تَهْوَى هي الياسُ
ولا أبوحُ بشيء كنتُ أَكْتُمُهُ عندَ الجلوسِ إذا ما دارت الكاسُ

1 تقسمها في الديوان : يشيد بها أي يُفشون المكروه والقيبح عنها .

2 أي الفتح بن خاقان وزير المتوكل .

3 ديوانه : 68-69 .

فقال المتوكل : أحسنت يا فضل . وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم ، ودخل إلى قبيحة فترضّاها .

[قاله أعراباً قطعوا على قافلتهم الطريق في الشام]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة ، فخرجت عليهم الأعراب في خُساف فهرّب من كان في القافلة من المُقاتلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحطوا بشيء . فقال في ذلك ¹ :

صَبَرْتُ ومثلي صَبْرُهُ ليس يُنْكَرُ	وليس على تَرْكِ التَّفَحُّمِ يُعْذَرُ
غَرِيْزَةُ حَرٍّ لا اختلاقُ تَكْلُفِ	إذا خَامَ في يومِ الوَغَى المُتَصَبِّرُ ²
ولَمَّا رَأَيْتُ الموتَ تَهْفُو بُنُوهُ	وبانتَ علاماتُ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلِّ جانبٍ	وشارَ عجاجُ أسودُ اللَّونِ أَكْذَرُ
بكلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشْمَرٍ	يَجُولُ به طِرفٌ أَقْبُ مُشْمَرُ ³
بأرضِ خُسافٍ حينَ لم يكُ دافعٌ	ولا مانعٌ إلا الصَّفِيحُ المُذْكَرُ ⁴
فقلَّلَ في عَيْنِي عَظَمَ جموعِهِم	عزيمَةُ قلبٍ فيه ما جلَّ يَصْغُرُ
بمُعْتَرِكٍ فيه المنايا حواسِرُ	ونارُ الوَغَى بالمَشْرِقَةِ تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهي عن ظُباتِ سُيوفِهِم	ولا انْحَزْتُ عنهم والقنا تَتَكَسَّرُ
ولم أَكُ في حَرِّ الكَرِيهَةِ مُحْجِماً	إذا لم يكن في الحربِ للورْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعدَ الطَّرْفُ الفتى وجنانهُ	وأَسْمَرُ خَطَّيْ وأبيضُ مَبْتَرُ
فذاك ، وإن كان الكَرِيمُ بنفسِهِ ،	إذا اصطكَّتِ الأبطالُ في النُّقعِ عَسْكَرُ
مَنَعْتُهُمُ من أن ينالوا قُلامَةً	وكنْتُ شَجاهمِ والأسنةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً	بها عُرِفَ الماضي وعَزَّ المؤخَّرُ
أَبَتْ لي قُرومٌ أنْجِبتني أن أرى	وإنْ جَلَّ خَطْبُ خاشعاً أتضَجَّرُ

1 ديوانه : 119-120 .

2 خام : نكص وجبن .

3 المشيح : المقبل مانعاً ما وراء ظهره . والطرف : الكريم من الخيل .

4 الصفيح : السيف العريض .

أولئك آل الله فهُرُ بن مالك بهم يُجَبِّرُ العَظْمُ الكَسِيرُ وَيُكْسِرُ
هم المُنْكَبُ العَالي على كلِّ مَنْكِبٍ سيوفُهُمُ تُفْنِي وتُغْنِي وتُفْقِرُ

[حبسه أبوه في الكاب وهو صبي]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي¹ :

يا أُمُّنا أَفَدَيْكَ مِنْ أُمٍّ أَشْكو إِلَيْكَ فَظَاظَةَ الْجَهْمِ
قد سَرَّحَ الصَّبِيَّانُ كُلَّهُم وَبَقِيَتْ مُحْصُوراً بلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تُطْلِقْهُ لأُخْرِجَنَّ حَاسِرَةً حَتَّى أَطْلِقَهُ . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : علي بن الجهم كَذَّابٌ ، وما يمنعه من أن يكون وَلَدُ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

[تشفعه بأحمد بن أبي دواد وهو في الحبس ثم هجاؤه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان أحمد بن أبي دواد منحرفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية . فلما حُبِسَ علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دواد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره وَيَشْفَعَ فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله² :

يا أَحْمَدُ بنَ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يا أَحْمَدُ³
أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَاوِفُ لَا تَنْفَدُ
أَنْتُمْ بنو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوَّلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

قالت حُبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي

فلما نفى المتوكلُ أحمد بن أبي دواد شَمِتَ به علي بن الجهم وهجاه فقال⁴ : [من الكامل]

1 ديوانه : 212 .

2 ديوانه : 92 .

3 عظيمة في ل : شديدة .

4 ديوانه : 99-100 .

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ دعوةً بعثتُ إليكَ جنادلاً وحديداً
ما هذه البِدْعُ التي سَمَّيْتَهَا بالجهلِ منكَ العدلَ والتَّوْحِيداً
أفسدتَ أمرَ الدِّينِ حينَ وَلِيْتَهُ ورَمَيْتَهُ بأبي الوليدِ وليداً¹
لا مُحْكَمًا جَزَلاً ، ولا مُسْتَظَرًّا كَهَلاً ، ولا مُسْتَحْدَثًا مَعْموداً²
شَرَّها ، إذا ذُكِرَ المكارمُ والعُلا ذَكَرَ القَلايا مُبَدِّئًا ومُعِيداً
ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ رِبيعةٌ كُلُّها وينو إِيادِ صَحْفَةٍ وثَرِيداً
وإذا تَرَبَّعَ في المِجالسِ خِلَّتُهُ ضَبْعاً وخِلَّتَ بني أبيه قُروداً
وإذا تَبَسَّمَ ضاحِكاً شَبَّهَتْهُ شَرِفاً تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدوداً
لا أَصْبَحْتَ بالخيرِ عَيْنٌ أَبْصَرَتْ تلكَ المَنَاجِرَ والثَّنَايا السُّوداً

[كتابه لطاهر بن عبد الله بن طاهر من الحبس]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد قال : كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس³ : [من السريع]

إِنْ كان لي ذَنْبٌ فلي حُرْمَةٌ والحقُّ لا يدفعه الباطلُ
وحُرْمَتِي أعْظَمُ من زَلَّتِي لو نالني من عَذْلِكُم نائلُ
ولي حَقوقٌ غيرُ مِجهولَةٍ يعرفُها العاقلُ والجاهلُ
وكلُّ إنسانٍ له مِذهبٌ وأهلُ ما يفعله الفاعلُ
وسيرةُ الأملاكِ منقولةٌ لا جائِرٌ يَخْفِي ولا عادِلُ
وقد تَعَجَّلْتَ الذي خِفْتُه منكَ ولم يَأْتِ الذي آمَلُ

[شعره في مقين كان ينزل عنده بالكرخ]

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال : كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطْلِقَ من حبسه ورُدَّ من النفي ، وكانوا يتقانون⁴ ببغداد ، ويلزمون منزلَ مُقَيِّنٍ بالكَرْخِ يقال له المفضَّلُ . فقال فيه علي بن الجهم⁵ :

[من الطويل]

نزلنا بِيابِ الكَرْخِ أَطْيَبَ مَنْزِلٍ على مُحْسِناتٍ من قِيانِ المُفَضَّلِ

1 أبو الوليد : محمد بن أحمد بن أبي دواد كان يتولى المظالم بسامراء .

2 معمودا في الديوان : محمودة .

3 الديوان 177-178 .

4 المقين : صاحب القيان . ويتقانون : يجالسون القيان .

5 ديوانه : 188-191 .

فلا بن سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضِ وَمَعْبِدٍ
 أَوَانِسُ مَا لِلضَّيْفِ مِنْهُمْ حِشْمَةٌ
 يُسَرُّ إِذَا مَا الضَّيْفُ قَلَّ حَيَاؤُهُ
 وَيُكْثِرُ مَنْ ذَمُّ الْوَقَارِ وَأَهْلِهِ
 وَلَا يَدْفَعُ الْأَيْدِي الْمُرِيبَةَ غَيْرَةً
 وَيُطْرِقُ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ مَهَابَةً
 أَشْرَ بِيَدٍ وَاعْغِزْ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفْ
 وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَصْبَاحِ وَالْهَجِّ بِمَثَلِهِ
 وَسَلَّ غَيْرَ مَنُوعٍ وَقُلْ غَيْرَ مُسَكَّتٍ
 لَكَ الْبَيْتُ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً
 فَبَادِرْ بِأَيَّامِ الشُّبَابِ فَإِنَّهَا
 وَدَعْ عَنْكَ قَوْلَ النَّاسِ أَتَلَفَ مَالَهُ
 هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ طَرَحَتْ بِنَا
 سَقَى اللَّهُ بَابَ الْكَرْخِ مِنْ مُتَنَزِّهِ
 مَسَاجِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسْرَحِ الدَّ
 لَوْ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بِنَ حُجْرٍ يَحُلُّهَا
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ

بدائعُ في أَسْمَاعِنَا لَمْ تُبَدِّلِ
 وَلَا رَيْهْنٌ بِالْجَلِيلِ الْمُبْجَلِ
 وَيَغْفُلُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلٍ
 إِذَا الضَّيْفُ لَمْ يَأْنَسْ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
 إِذَا نَالَ حَظًّا مِنْ كَبُوسٍ وَمَأْكَلِ
 لِيُطْلِقَ طَرْفَ النَّاضِرِ الْمُتأملِ
 رَقِيًّا إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبْغَلٍ
 فَإِنْ خَمَدَ الْمَصْبَاحُ فَاذْنُ وَقَبْلِ
 وَنَمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ وَقُمْ غَيْرَ مُعْجَلِ
 وَكُنْ مَلِيًّا بِالنَّبِيذِ الْمُعَسَّلِ
 تَقْضَى وَتَفْنَى وَالْغَوَايَةُ تَنْجَلِي
 فَلَا فَاَضْحَى مُنْبِرًا غَيْرَ مُقْبَلِ
 أَوَاخِرُهَا فِي يَوْمٍ لَهْوٍ مُعْجَلِ
 إِلَى قَصْرِ وَضَاحٍ فَبِرَكَّةٍ زَلْزَلِ¹
 حِسَانٍ وَمَثْوَى كُلِّ خِرْقٍ مُعْدَلِ²
 لِأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوَمَلِ
 مَقْصَرٍ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُسْبِلِ
 عَقَرَتْ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

[إبراهيم بن المدبر يثمه بانتحال شعر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني
 علي بن الجهم لنفسه³ :

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ امْرَأً بِفِعَالِهِ فَجَزَى أَخَا لِي مَاجِدًا سَمَحًا

1 قصر وضاح : قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد وتولى الاتفاق عليه رجل اسمه وضاح فنسب إليه . وبركة زلزل : بركة حفرها زلزل الضارب ووقفها على المسلمين .

2 الخرق : الرجل الواسع الكرم . والمعدل : الذي يعذله الناس على اسرافه في الكرم .

3 قال محقق ديوانه : البيتان موجودان في ديوان الصولي .

ناديته عن كربة فكأنما أطلعت عن ليل به صبحا

فقلت له : ويْلَكَ ؛ هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات !
فجحدني وكابر . فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما رآني قال :
اجتمع الإبراهيمان . فركبته ساعة ثم أنشدت البيتين ، وقلت لإبراهيم بن العباس : إن هذا
يزعم أن هذين البيتين له . فقال : كَذَب ، هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيات . فقال له
علي بن الجهم بقمحة : ألم أنهك أن تتجمل شعري ؟ ففضب إبراهيم وجعل يقول له بيده :
سوءة عليك سوءة لك ! . ما أوقحك ! وهو لا يُنكر¹ في ذلك ولا يخجل . ثم التقينا بعد
مدة فقال : أرايت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس ؟! فجعلت أعجب من صلابه وجهه .
[شعره في الفراق]

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء² : [من الخفيف]

اعلمي يا أحب شيء إلينا أن شوقي إليك قاض عليا
إن قضى الله لي رجوعاً إليكم لا ذكرت الفراق ما دمت حياً³
إن حرَّ الفراق أنحل جسمي وكوى القلب منك بالشوق كياً

[كان الزيات يسبه عند الخليفة فهجاه]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً
عن علي بن الجهم وكان يسبه⁴ عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح . فقال فيه علي بن
الجهم :

لعائن الله متابعات على ابن عبد الملك الزيات
عرض شمل الملك للشئات وأنفذ الأحكام جائرات
على كتاب الله ذاريات وعن عقول الناس خارجات
يرمي الدواوين بتوقعات معقدات كرقى الحيات
سبحان من جلَّ عن الصفات

1 ل : لا يفكر .

2 ديوانه : 224 .

3 إليكم في ل : إليك .

4 ل : يشنعه .

5 ذاريات : تذرو التراب .

بعد ركوب الطوف في الفراتِ وبعدَ يَنعِ الزَّيْتِ بِالْحَبَّاتِ¹
صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ هارونُ يا ابنَ سَيِّدِ السَّاداتِ²
أما ترى الأمورَ مُهْمَلاتٍ تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ³
فعاجلِ العِلْجَ بِمُرْهَفَاتٍ من بعد ألفِ صُحْبِ الأصواتِ⁴
بمُثْمِرَاتٍ غيرِ مُورِقَاتٍ تُرى بِمَتْنِيهِ مُرْصَفَاتٍ⁴
تَراصَّفَ الأسنانُ في اللُّثاتِ

[شماثته بعمر بن الفرج عندما قبض عليه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج
الرُّخْجِيَّ⁵ معاونته ، واستَرْفَدَه في نكبته فلم يُعاوَنه ولم يُرْفَدَه ، ثم قُبِضَ على عمر بن الفرج
وَأُسْلِمَ إلى نَجَاح ليصادره . فقال علي بن الجهم له⁶ :

أُبْلِغَ نَجَاحاً فِى الْفِتْيَانِ مَالِكَةً تَمْضِي بِهَا الرِّيحُ إِصْدَاراً وَإِرَاداً
لن يَخْرَجَ الْمَالُ عَفْواً مِنْ يَدَيِ عُمَرَ أَوْ يُغَمَدَ السَّيْفُ فِي فَوْذِيهِ إِعْمالاً
الرُّخْجِيُّونَ لَا يُوفُونَ مَا وَعَدُوا وَالرُّخْجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَاداً
قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً⁷ :

جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَرَمُ بَيْنَهُمَا تِيَةَ الْمُلُوكِ وَأَفْعَالَ الْمَمَالِكِ
أَرَدْتَ شُكْراً بَلَا بَرٍّ وَمَرْزِيَّةٍ لَقَدْ سَلَكْتَ طَرِيقاً غَيْرَ مَسْلُوكِ
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارَعَةٍ وَمَا أَرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمَتْرُوكِ

[تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال : كان لسليمان بن
وهب نديمٌ يَأْنَسُ بِهِ وَيَأْلَفُهُ ، فَعَرِدَ عَلَيْهِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عَرِيدَةً قَبِيحَةً ، فَاطَّرَحَهُ وَجْهَهُ مَدَّةً .

1 الطوف : قرب ينفخ فيها فتطفو على الماء فيركب عليها .

2 يقصد الواقع الخليفة العباسي .

3 يقصد ألف سوط .

4 مثيرات : أي لها عقد في أطرافها .

5 هو وأبوه من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى المتوكل الذي نكبه عند توليه الخلافة .

6 ديوانه : 98 .

7 ديوانه : 169 .

فوقف له على الطريق . فلما مرَّ به وثَّب إليه فقال له : أيها الوزير ، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم¹ :

القومُ إخوانٌ صِدِّقٍ بينهم نَسَبُ من المودةِ لم يُعَدِّلْ بها نَسَبُ
تراضَعُوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بينهمُ فأوجبوا لرضيعِ الكأسِ ما يَجِبُ
لا تَحْفَظُنَّ على السُّكْرانِ زَلَّتَهُ ولا تَرِيْبُنْكَ من أخلاقِهِ رِيْبُ

فقال له سليمان : قد رَضِيتُ عنك رضاً صحيحاً ، فعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتي .
يأول هذه الآيات :

الوَرْدُ يضحكُ والأوتارُ تصطخبُ والنَّاي يندُبُ أشجاناً ويتَّحِبُ
والرَّاحُ تُعَرِّضُ في نَوْرِ الرَّيِّعِ كما تُجلى العَروسُ عليها الدُّرُّ والذَّهَبُ²
واللَّهُو يُلْحِقُ مَغْبوقاً بمُصْطَبِحِ والدورُ سَيانِ محثوثٍ ومُتَّخِبُ
وكَلِّما انسَكَبَتْ في الكأسِ آوَنَةُ أقسَمْتُ أن شُعاعَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ

[يسري عن عبد الله بن طاهر بشعره]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال : دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدْوَةٍ من غُدَوَاتِ الرَّيِّعِ وفي السماء غَيَمٌ رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عَزَمَ على الصُّبُوحِ . فغاضبته حَظِيَّةٌ له ، فتغنَّصَ عليه عَزْمُهُ وفتر . فخبَّرَ علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قُلْ في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشط للصُّبُوحِ . فدخل عليه فأنشده³ :

صوت

أما ترى اليومَ ما أحلَى شمائله صَخَوٌ وغَيَمٌ وإِراقٌ وإِزَعادُ
كأنَّه أنتَ يا مَنْ لا شبيهَ له وَصَلٌ وهَجَرٌ وتَقَرِّيبٌ وإِبعادُ
فباكِيرِ الرَّاحِ واشربها مُعْتَقَةً لم يَدَخِرْ مثَلها كِسرى ولا عَادُ
واشربْ على الرُّوضِ إذ لاحت زخارفه زَهْرٌ ونَوْرٌ وأوراقٌ وأورادُ⁴

1 ديوانه : 67-68 .

2 نور في ل : ثوب وفي شرح المقامات للشريشي : يوم .

3 ديوانه : 96-97 .

4 لاحت في الديوان :وشى . وأوراق في الديوان : توراق .

كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فِعْلُ الْحَبِيبِ بِنَا بَذَلٌ وَبُخْلٌ وَإِعَادٌ وَمِيعَادٌ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فَعْلِكُمْ غَيٌّ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادٌ
فَاسْتَحْسَنَ الْآيَاتِ وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ ؛ وَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُغْنَى فِي الْآيَاتِ .
الْغَنَاءُ لِبَذَلِ الطَّاهِرَةِ ، خَفِيفُ رَمْلٍ . وَفِيهِ لَغِيرُهَا هَزَجٌ .
[جَلَسَ فِي الْمَقَابِرِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السِّجْنِ]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ قَالَ :
رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ بَعْدَ مَا أُطْلِقَ مِنْ حَبْسِهِ جَالِسًا فِي الْمَقَابِرِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ؛ مَا
يُجْلِسُكَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ ¹ :

يَشْتَاقُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالْوَطَنَ
وَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُرُهُ إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ صَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا
حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ أُنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ
غَنَاءٌ ² :

لَوْ تَنَصَّلْتَ إِلَيْنَا لَوَهَبْنَا لَكَ ذَنْبَكَ
بِأَبِي مَا أَبْغَضَ الْعَبْدَ شَرَّ إِذَا فَارَقَتْ قُرْبَكَ
لِيَتَنِي أَمْلِكُ قَلْبِي مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أَيُّهَا الْوَائِقُ بِاللَّ لَقَدْ نَاصَحْتَ رَبُّكَ
مَا رَأَى النَّاسُ إِمَامًا أَنْهَبَ الْأَمْوَالَ نَهَبَكَ
أَصْبَحْتَ حُجَّتَكَ الْعُلَا يَا وَحْزَبُ اللَّهِ حِزْبَكَ

الْغَنَاءُ لِعَرِيبِ رَمْلٍ . وَفِيهِ لَغِيرُهَا هَزَجٌ .

[مُجَاوِزُهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ الرَّشِيدِ]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَدْ مَدَحَ أَبُو أَحْمَدُ بْنُ
الرَّشِيدِ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ؛ فَقَالَ يَهْجُوهُ ³ :

يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا يُدْ حِجِّي مِنَ الشَّعْرِ الْفِرَارُ

1 ديوانه : 216 .

2 لم ترد هذه الآيات في ديوانه .

3 ديوانه : 125-126 .

لبنّي العباس أحلا ثمّ عظام ووقار
 ولهم في الحرب إقدا ثمّ ورأي واصطبار
 ولهم السينة تب ري كما تبّري الشفّار
 ووجوه كنجوم ال ليل تهدي من يحار
 ونسيم كنسيم ال روض جادته القطار
 ولعطفك عن المج سد شماس وأزورار
 إن تكن منهم بلا شك فللعود قنار¹

[رثاؤه عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة وعمي قالا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : دخل إلينا علي بن الجهم بعقب موت أبي والمجلس حافل بالمعزّين ، فمثل قائماً وأنشدنا يرثيه² : [من الخفيف]

أي ركن وهى من الإسلام أي يوم أخنى على الأيام
 جلّ رزء الأمير عن كل رزء أدركته خواطر الأوهام
 سلّبتنا الأيام ظلاً ظليلاً وأباححت حمى عزيز المرام
 يا بني مضعّب حلّتم من النا سر محلّ الأرواح في الأجسام
 فإذا رابكم من الدهر ربّ عمّ ما خصّكم جميع الأنام
 انظروا هل ترون إلّا دموعاً شاهدات على قلوب دوامي
 من يداوي الدنيا ومن يكلاً المذ لك لدى فادح الخطوب العظام³
 نحن متنا بموته وأجلّ ال خطب موت السادات والأعلام
 لم يمّت والأمير طاهر حيّ دائم الانتقام والإنعام
 وهو من بعده نظام المعالي وقوام الدنيا وسيف الإمام
 قال : فما أذكر أني بكيت أو رأيت في دورنا باكياً أكثر من يومئذ .

[عرب تغني بشعره المعتر]

حدثني عمي قال حدثنا أبو الدهقانة النديم قال : دخلنا يوماً إلى المعتر وهو مصطبّح على

1 القنار : ربح العود المحرق .

2 ديوانه : 214 .

3 فادح في ل : قادح .

صوت اختاره واقترحه على عريب ، وأظن الصنعة لها ، فلم يزل يشرب عليه بقية يومه ، فلما سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم ، وفرق على الجلساء كلهم الجوائز والطيب والخلع . والصوت¹ :

العينُ بعدك لم تنظرُ إلى حسنِ والنفسُ بعدك لم تسكنُ إلى سكنِ
كانَ نفسي إذا ما غبتَ غائبةً حتى إذا عُدتَ لي عادتَ إلى بدني

والشعر لعلي بن الجهم .

[مع عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة ومحمد بن خلف وكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لما أطلق أبي طاهر علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة . فخرجوا يوماً إلى الصيد ، واتفق لهم مَرَجٌ كثير الطير والوحش ، وكانت أيام الزعفران ، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزعفران . فقال علي بن الجهم يصف ذلك² : [من الطويل]

وطيننا رياضَ الزعفرانِ وأمسكتُ علينا البراةَ البيضُ حُمَرَ الدَّراجِ³
ولم تحمِها الأدغالُ منّا وإنما أبحنا حماها بالكلابِ النواجِ⁴
بمُسْتَرَوحاتٍ سابحاتٍ بطونها على الأرضِ أمثالَ السَّهامِ الزَّوالِجِ⁵
ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهوادي كأنها وما عَقَفَتْ منها رؤوسُ الصَّوالِجِ⁶
ومِنْ دالِعاتٍ ألسناً فكأنها لِحى من رجالٍ خاضعين كواسِجِ⁷
فلينا بها الغيطانَ فلياً كأنها أناملُ إحدى الغانياتِ الحوالِجِ⁸
فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هل من مُفَاخِرِ بصيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخارجِ
قَرْنَا بُزاةً بالصُّقُورِ وَحَوَّمتُ شواهيننا من بعد صيْدِ الزَّمامِجِ⁹

1 ديوانه : 219 .

2 ديوانه : 84 .

3 الدراج في ل : التدارج .

4 النواج : كالنواج وفي ل : البوارج .

5 استروح الشيء : تشممه . الزوالج : السريعات .

6 الهوادي : الأعناق . وعقفت وعوجت . الصوالج : جمع صولجان .

7 الكوسج : الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

8 حوالج : جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه .

9 الزمامج : جمع زمج وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب .

[كتاب من حبسه إلى المتوكل]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس¹ :

صوت

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ وَيَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
وَيَغْذُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِغَاتِ وَلِيَدًا وَذَا مَيْعَةٍ أَمْرَدَا
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
وَيُعْلِيكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ تُنَالُ لَجَاوَزَتْهَا مُصْعَدَا²
فَمَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلًّا اسْمُهُ وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيُّ الْهُدَى
فَشَكَرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ إِذَا شَكِرْتَ نِعْمَةً جَدَّدَا
وَعَفْوِكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ قَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُودُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعَدَا³
لَنْ جَلُّ ذَنْبٍ وَلَمْ أَعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدَ أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرَ تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا⁴
وَالَا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو مُبِيعِ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا⁵
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صَبِيَانَهُ يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حُسَدَا⁶

1 ديوانه : 100-103 وفيه اختلاف في الترتيب .

2 ويعليك في الديوان : وأعلاك .

3 بفضلك في الديوان : بعفوك .

4 في الديوان : بعد أمرت : به أو أرى في الثرى ملحدًا .

5 مبيع في الديوان : مباح .

6 رواية الديوان :

[شمايته بأحمد بن أبي دواد حين فليج]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : لما فليج ابن أبي دواد شمت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه ¹ :

لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعاً لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعاً
فَرَحَتْ بِمَصْرَعِكَ البريئةُ كُلُّهَا فَرَحَتْ بِمَصْرَعِكَ البريئةُ كُلُّهَا
كم مجلسٍ لله قَدْ عَطَلْتَهُ كم مجلسٍ لله قَدْ عَطَلْتَهُ
ولَكُمْ مصابيحٌ لنا أطفأتها ولكم مصابيحٌ لنا أطفأتها
ولَكُمْ كريمةٌ مَغْشَرٍ أَرْمَلَتْهَا ولكم كريمةٌ مَغْشَرٍ أَرْمَلَتْهَا
إِنَّ الأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا إِنَّ الأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا
وغدا لمصرعك الطيبُ فلم يجدْ وغدا لمصرعك الطيبُ فلم يجدْ
فَذُقِ الهوانَ مُعْجَلاً ومُوجَلاً فَذُقِ الهوانَ مُعْجَلاً ومُوجَلاً
لا زال فالجُك الذي بك دائماً لا زال فالجُك الذي بك دائماً

[شعر له غنت فيه عرب]

أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب ² :

[من الكامل]

نَطَقَ الهوى بِجَوَى هو الحقُّ نَطَقَ الهوى بِجَوَى هو الحقُّ
رَفَقاً بقلبي يا معنَّبه رَفَقاً بقلبي يا معنَّبه
وملكتني فليهنك الرُّقُّ وملكتني فليهنك الرُّقُّ
رفقاً وليس لظالمٍ رَفَقُ رفقاً وليس لظالمٍ رَفَقُ
وإذا رأيتك لا تكلمني وإذا رأيتك لا تكلمني
ضاقَتْ عليَّ الأرضُ والأفْقُ ضاقَتْ عليَّ الأرضُ والأفْقُ

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً ، ويقال إنه آخر شعر قاله ³ :

[من المنسرح]

يا رحمةً للغريبِ بالبلدِ النـ يا رحمةً للغريبِ بالبلدِ النـ
فارقَ أحبَّبه فما انتفعوا فارقَ أحبَّبه فما انتفعوا
أزح ماذا بنفسه صنعا أزح ماذا بنفسه صنعا
بالعيشِ من بعده وما انتفعا بالعيشِ من بعده وما انتفعا

[هجاؤه مضمياً]

وقال لمغنٌ حضر معه مجلساً وكان غير طيب ⁴ :

[من الخفيف]

1 ديوانه : 106-107 .

2 ديوانه : 164 مع بعض الاختلاف .

3 ديوانه : 159 .

4 ديوانه : 57-58 .

كنتُ في مجلسٍ فقال مُعْنِي الـ قَوْمٌ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّتَاءِ
فَذَرَعْتُ الْبِساطَ مِنِّي إِلَيْهِ قلتُ هذا المقدارُ قبل الغِناءِ
فإذا ما عَزَمْتَ أَنْ تَتَغْنَى آذَنَ الحَرُّ كُلَّهُ بِانْقِضاءِ

[استشفع بقبيحة إلى المتوكل]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : لما حبس أمير المؤمنين المتوكلُ علي بن الجهم ، وأجمع الجلّساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلّ مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه ، وهي : [من المتقارب]

عفا الله عنكَ أَلَا حُرْمَةً تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا

ووجهٌ بها إلى يَدُونِ الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن علي بن الجهم قد لاذ بك وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بُني إلى سيّدك وأوصلها إليه ، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه . فقال له : ما معك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفعتها إليّ أُمّي . فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله ، فديته ، خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقبل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يُردّ ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

فلا عُدْتُ أَعْصِيكَ فيما أَمَرْتَ إلى أَنْ أَحُلَّ الشَّرَى مُلْحَدَا
وإلا فخالفتُ رَبَّ السماءِ وخُنتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وكنْتُ كَعَزُونَ أو كابن عمرو مُبِيحَ العِيَالِ لِمَنْ أُولَدَا

وَتَبَّ ابن حمدون وقال للمعتز : يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال يَدُونِ الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنت ! تُعادينا وتوصل رُقعةً عدونا في هجائنا ! ! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلب ابن حمدون قوله : [من المتقارب]

وكنْتُ كَعَزُونَ أو كابن عمرو مُبِيحَ العِيَالِ لِمَنْ أُولَدَا

فجعل يُنشدهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويَضِجُونَ والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقع بإطلاقه ونسيه . فقالوا لابن حمدون : ويلك ؛ تُعيد هجاءنا وشتمنا ؟ فقال : يا حَمَقِي والله لو لم أفعَل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوَقَعَ في إطلاقه ووقعنا معه في كل ما نكره .

[هنا المتوكل بفتح أرمينية]

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال : لما افتتحت أرمينية وقُتل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يُهنئ فيها بالفتح ويمدحه ، فقال فيها وأوماً بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاق بن إسماعيل¹ :

أهلاً وسهلاً بك من رسولٍ جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تُغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
قَهراً بلا ختلٍ ولا تطويل

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتدأه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ، وتمم القصيدة . وفيها يقول :

جاوز نَهَرَ الكُرِّ بالخيولِ تَرْدِي بفتيانٍ كأسدِ الغِيلِ²
مَعَوْدَاتٍ طَلَبَ الذُّحُولِ خَزُرَ العيونِ طيبي النُّصُولِ³
شَعْتُ على شَعْتُ من الفحولِ جيشٌ يَلْفُ الحَزْنَ بالسُّهولِ
كَأَنَّهُ مُعْتَلِجُ السُّيُولِ يَسُوسُهُ كَهْلٌ من الكُهولِ⁴
لَا يَنْتَشِي لِلصَّغْبِ والذُّلُولِ على أَغْرٍ واضحٍ الحُجُولِ
حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ للمَخْذُولِ نَاجَزَهُ بصارمٍ صَقِيلِ⁵
ضَرْباً طَلَحَفاً ليس بالقليلِ وَمَنْجَبِيقٍ مثلَ خَلْقِ الفِيلِ⁶
تَرْفُضُ عن خُرطومِهِ الطويلِ صَوَاعِقُ من حَجَرِ السَّجِيلِ
تَتْرِكُ كَيْدَ القومِ في تَضَلِيلِ مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ رَجْعِ القِيلِ
حَتَّى أَنْجَلَتْ عن حَزْبِهِ المَقْلُولِ وَعَن نِسَاءٍ حُسِرَ ذُهُولِ
صَوَارِخٍ يَعْثُرْنَ في الذُّيُولِ نَوَاكِلِ الأولَادِ والبُعُولِ

1 ديوانه : 191-192 .

2 الكر : نهر بأرمينية يشق مدينة تفليس . وتردي : ترجم الحصى بخوافرها .

3 الذحول : جمع ذحل وهو الثَّار . خزر العيون : ضيق العيون . وطبي النصول في ل : صيتي النصول .

4 معتلج السيول : متلاطم .

5 اصحر : برز .

6 طلحف : شديد .

لا والذي يُعْرِفُ بالعقولِ مِنْ غيرِ تحديّدٍ ولا تمثيلٍ
ما قامَ لله وللرسولِ بالدينِ والدُّنيا وبالتَّزِيلِ
خليفةُ كجعفرِ المأمولِ

[يرسل مديحاً إلى المتوكل من حبسه]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال : رأيتُ مع علي بن يحيى المنجّم قصيدةَ علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف الهاروني¹ ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال : قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عَرَضَهَا على أمير المؤمنين فعَرَضْتُهَا . فلما سمع قوله² :

وُقْبَةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا³
تَخِرُّ الْوُفُودُ لَهَا سُجُوداً إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَفَوَارَةُ ثَارُهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ ثَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْمُرْنِ مَا أَنْزَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا

تهلل وجهه واستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله :

تَبَوَّاتُ بَعْدَكَ قَعَرَ السُّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أُرْثِي لَزَوَارِهَا
غَضِبَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَقَالَ : هَذَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ تِمَامَ الْقَصِيدَةِ .

[مقتله في الطريق إلى حلب]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال : لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشُرِّه وذِكْرُهُ كُلُّ أَحَدٍ بِسَوْءٍ مِنْ صَدِيقِهِ وَعَدُوِّهِ تَحَامَاهُ النَّاسُ ، فَخَرَجَ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى الشَّامِ ، فَاتَّفَقْنَا فِي قَافِلَةٍ إِلَى حَلَبَ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَتَسَرَّعَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَخَرَجَ فِيهِمْ فَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً وَهَزَمَ الْأَعْرَابَ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَتَسَرَّعَتْ إِلَيْهِمُ الْمُقَاتِلَةُ وَخَرَجَ فِيهِمْ فَأَصَابَتْهُ طَعْنَةٌ قَتَلَتْهُ ، فَجِئْنَا بِهِ وَاحْتِمَلْنَاهُ وَهُوَ يَنْزِفُ دَمُهُ . فَلَمَّا رَأَى بَكَى وَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِمَا يَرِيدُ . فَقُلْتُ لَهُ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ . فَلَمَّا أَمْسَيْنَا قَلِقَ قَلَقاً شَدِيداً وَأَحْسَّ بِالْمَوْتِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ⁴ : [من المجتث]

1 الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله .

2 من قصيدة طويلة في ديوانه : 146-149 .

3 الديوان : تفضي .

4 ديوانه : 183 .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّْي دُجَيْلُ

فأبكى كل من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَر ، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب .

[ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل .]

صوت

[من الطويل]

إِن النَّاسُ غَطُّونِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ وَإِنْ يَجْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحُ
وَإِنْ حَفَرُوا بِثَرِي حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُثِيرُ النَّبَاطُ¹
الشعر لأبي دُلَامة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ولحنه ثَقِيلٌ أولٌ عن المعتز .

1 النبائط : جمع نبیثة وهو تراب البحر .

[169] - أخبار أبي دُلّامة ونسبه¹

[نسبه]

أبو دُلّامة زَند بن الجَوْن . وأكثرُ الناس يُصَحِّفُ اسمَه فيقول «زيد» بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَند بالنون . وهو كوفيٌّ أَسودُ ، مولى لبني أَسَد . كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فاعتقه . وأدرك آخرَ أيامِ بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدّمونه ويصِلونه ويستطيّبون مجالسته ونوادره . وقد كان انقطع إلى رُوح بن حاتم المُهلبي أيضاً في بعض أيامه . ولم يصل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دُلّامة من المنصور خاصة . وكان فاسدَ الدّين ، رديء المذهب ، مرتكباً للمحارم ، مُضَيِّعاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعَلِّمُ هذا منه ويُعرِّف به ، فيتجافى عنه لِلطُّفْرِ مَحَلّه .

[أول شعر عرف به]

وكان أولُ ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائزُ له به قصيدةٌ مدح بها أبا جعفر المنصور وذكرَ قتلَه أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَار قال حدثني محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال : لما قال أبو دُلّامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها :

أبا مُسلمٍ خَوَفَتَنِي القَتْلَ فَانْتَحَى عليك بما خَوَفَتَنِي الأَسَدُ الْوَرْدُ

أبا مسلمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نَعْمَةً على عبْدِه حتى يَغَيِّرَها العَبْدُ

أنشدّها المنصورُ في محفلٍ من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها . فلما خلا به قال له : إيه ، أما والله لو تَعَدَّيْتُهَا لَقَتَلْتُكَ .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال : سَمِيَ لي أبو

1 لأبي دُلّامة ترجمة في الشعر والشعراء : 660 وطبقات ابن المعتز : 54 وتاريخ بغداد 8 : 488 وابن خلكان 2 : 320 وسير الذهبي 7 : 374 والوافي 14 : 216 والمؤتلف والمختلف 231 والبداية والنهاية 10 : 134 ومعاهد التنقيص 2 : 211 والدميري 1 : 163 والشذرات 1 : 249 وطرائفه مشورة في كتب الأدب ، وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية طائفة منها ، وقد جمع ديوانه الدكتور رشدي علي حسن (بيروت 1985) .

دلامة نفسه زُنداً (بالتون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضاً شعر ، وكان في الصحابة .

[أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبّي قال : كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السّواد وقلانسٍ طوالٍ تُدعَمُ بعيدانٍ من داخلها ، وأن يعلقوا السيوفَ في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي . فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرُّ حالٍ ، وجهي في نصفي ، وسيفي في استي ، وكتابُ الله وراءَ ظهري ، وقد صبغت بالسّواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمعَ هذا منك أحد .

ونسختُ من كتاب لابن النطّاح فذكر مثلاً هذه القصة سواءً وزاد فيها : [من الطويل]

وكنا نرجّي من إمامٍ زيادةً فجاذَ بطولٍ زاده في القلانسِ
تراها على هامِ الرجالِ كأنّها دنانُ يهودٍ جُلّتْ بالبرانسِ
فضحك منه وأعفاه .

[طلبه كلب صيد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال : كان أبو دلامة بين يديّ المنصور واقفاً ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتيبة أنه كان واقفاً بين يديّ السّفّاح¹ ، فقال له : سلني حاجتك . قال أبو دلامة : كلبٌ أتصيّدُ به . قال : أعطوه إياه . قال : ودأبةٌ أتصيّدُ عليها . قال : أعطوه . قال : وغلّامٌ يصيّد بالكلب ويقوده . قال : أعطوه غلاماً . قال : وجاريةٌ تُصلّح لنا الصّيد وتُطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضيّعةٌ فمن أين يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائةَ جَرِيبٍ عامرةٍ ومائةَ جَرِيبٍ غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه . فقال : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيبٍ غامرةٍ من فيافي بني أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلّها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبلَ يدك . قال : أمّا هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ² : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتداءً بكلب فسهلّ القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على

1 انظر الشعر والشعراء : 660 .

2 الحيوان 2 : 170-171 وفيه أيضاً أن الطلب كان من السفاح ولم يذكر تعليق الجاحظ على لطف أبي دلامة في المسألة .

ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأله بديهة كما وصل إليه .
[تكنيته باسم جبل بمكة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني الشُّكْرِي عن محمد بن حبيب قال : اسم أبي
دلامة زَنْدٌ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِّيَ أبا دُلَامَةَ باسم جبل بمكة يقال له أبو
دُلَامَةَ ، كانت قريش تَعِدُّ فيه البنات في الجاهلية ؛ وهو بأعلى مكة .
[مدحه الغريب للمنصور]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمي قال
حدثني الكُرَّاني عن العُمَرِي عن الهيثم قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي
يقول فيها :

إِن الْخَلِيطَ أَجَدُّ الْبَيْنِ فَاتَّجَعُوا وَزَوَّدُوكَ خَبَالًا بَثْسَ مَا صَنَعُوا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كَادَتْ لِيَيْنَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ
عَجِبْتُ مِنْ صَيِّتِي يَوْمًا وَأُمُّهُمْ أُمُّ الدُّلَامَةِ لِمَا هَاجَهَا الْجَزَعُ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ هَبَّتْ تَلُومُ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا
وَنَحْنُ مُشْتَبِهَوُ الْأَلْوَانِ أَوْجَهُنَا سُودٌ قِيَاحٌ وَفِي أَسْمَانِنَا شَنَعُ
إِذَا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الْجُوعُ قَلْتُ لَهَا مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
وَيُرَوِّى وَهُوَ الْجِيدُ :

أَذَابَكَ الْجُوعُ مَذَّ صَارَتْ عِيَالُنَا عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرُّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلِصُهَا كَسْبِي فَتَأْكَلُهُ دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءَ مَشْنَأَةً فِي بَطْنِهَا نَجَلٌ وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ¹
ذَكَرْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتِنَا وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
فَاخْرُتْ طَمَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ أَنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لُكْعُ
اخْرُجْ لَتَبِغَ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً كَمَا لَجِيرَانِنَا مَالٌ وَمُزْدَرَعُ²
وَاخْذَعْ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

1 الشجل : عظم البطن واسترخاؤه . الفدع : الاعوجاج .

2 لتبغ في ل : تبغ .

فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عني واكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة ، وقال الهيثم : بستمائة جريب عامرة وغامرة ، فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنَّجَف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

[ابن أبي ليلى يمضي شهادته]

حدثني محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني قال : شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن أبي ليلى على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال : اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أقض ما شئت . قال : هات ؛ فأنشده :

إن الناس غَطُّوني تَغَطَّيتُ عنهمُ وإن يحشوا عني ففيهم مَبَاحِثُ
وإن حَفَرُوا بِحِري حَفَرْتُ بِئَارَهُم لِيُعلمَ يوماً كيفَ تلكَ النَّبَاطِثُ

ثم أقبل على المرأة فقال : أتبيعينني الأتان ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتها لك ، وقال لأبي دلامة : قد أمضيتُ شهادتك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ من شهدتَ له ، ووهبتُ ملكي لمن رأيتُ . أَرْضَيْتَ ؟ قال نعم ، وانصرف .

[ذمه لابتته]

أخبرني الحسن بن علي الخفَّاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال حدثنا محمد بن سَلَامٍ عن علي بن إسماعيل قال : كنتُ أسقي أبا دلامة والسندي¹ ، إذ خرجت بنت لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة :

فما ولدتك مريمُ أم عيسى ولا ربَّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

أَجِزْ يا أبا هاشم . فقال السندي :

ولكن قد تَضُمُّكِ أمَّ سَوءٍ إلى لَبَّاتِها وأبَّ لئيمُ

فضحك لذلك . ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فألقاه في الرَّحْبة يُصلِّح فيها شيئاً يريد ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما :

[من البسيط]

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ قومٌ لَقِيلَ اقعدوا يا آلَ عباسٍ

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أطهر الناس
وقدّموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان في الراس
فاستحسنها ، وقال له : بأي شيء تحب أن أعيذك على قبح ابتك هذه ؟ فأخرج خريطة
قد كان خاطها من الليل فقال : تملأ لي هذه دارهم ، فمليت فوسعت أربعة آلاف درهم .
وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن
عدي قال : دخل أبو عطاء السندي يوماً إلى أبي دلامة فاحتبسه عنده ، ودعا بطعام فأكلا
وشبعا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبيّة له فحملها على كتفه ، فبالت عليه فنبتّها عن
كتفه ، ثم قال :

بللت عليّ ، لا حييت ، ثوبي فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم
ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجز . فقال :

صدقت أبا دلامة لم تلدها مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء إلى لباتها وأب لئيم
فقال له أبو دلامة : عليك لعنة الله ؛ ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ! والله لا أنزعك
بيت شعري أبداً . فقال أبو عطاء : لأن يكون الهرب من جهتك أحب إليّ .
[رئى السفاح فغضب عليه المنصور]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد
قال حدثني أبي قال : لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده
يُعرّونه ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد
ونلي عليك ووئل أهلي كلهم
فلتبكّين لك النساء بعبرة
مات الندى إذ ميت يا ابن محمد
إني سألت الناس بعدك كلهم
لم تستطع عن عقرها تحويلا
ويلاً وعولاً في الحياق طويلا
وليبيكين لك الرجال عويلا
فجعلته لك في الثراء عديلا¹
فوجدت أسمع من سألت بخيلا

1 الثراء : لغة في الثرى . وسيرد البيت برواية أخرى .

أَلِشِقُوتِي أَخَرْتُ بَعْدَكَ لِلَّتِي تَدَعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا
فَلَا خَلْفَنَ يَمِينَ حَقٌّ بَرَّةً بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُولًا

قال : فأبكى الناسَ قوله . فغضب المنصورُ غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تُنشدُ هذه القصيدة لأقطعن لسانك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فسرِّي عن المنصور . وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسأل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر . فوثب سليمان بن مجالد وأبو جهنم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيب : يا سليمان ادفعها إليه وسيّره إلى هذه الطاغية (يعني عبد الله بن علي¹ ، وقد كان خرج بناحية الشام ، وأظهر الخلاف) . فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أعيدك بالله أن أخرج معهم ، فوالله إني لمشؤوم . فقال المنصور : امض فإن يُعني يغلب شوئك فاخرج . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر ؛ فإنني لا أدري أيُّهما يغلب : أئمنك أم شؤمي ، إلا أنني بنفسِي أوثق وأعرف وأطولُ تجربةً . قال : دغني من هذا فما لك من الخروج بد . فقال : إني أصدقك الآن ، شهدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكرياً كلّها هُزمتُ ؛ وكنتُ سببها . فإن شئتُ الآن على بصيرة أن يكون عسكريك العشرين فافعل . فاستغرب أبو جعفر ضحكاً ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

[أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمري عن الهيثم بن عدي قال : لما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له أبو جعفر : ألسْتَ القاتل لأبي العباس :

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا لِوَاءِ الْأَمْرِ فَانْتَقَضَ لِوَاءُ
فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكْتَ ضِياعاً تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءِ
قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتُ والله ؛ أَفَلَسْتَ القاتل : [من الكامل]

1 هو عم المنصور خرج بالشام وغلبه أبو مسلم .

هَلَكَ النَّدى إِذِ بِنْتَ يا ابنَ مُحَمَّدٍ فجعلته لك في الترابِ عَدِيلاً
ولقد سألتُ الناسَ بعدَكَ كلَّهم فوجدتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيلاً
ولقد حَلَفْتُ على يَمِينِ بَرَّةٍ بالله ما أُعْطِيتُ بعدَكَ سَوْلاً

فقال أبو دلامة : إن أخاك صَلَّى اللهُ عليه غلبني على صبري ، وسلبني عزيمتي ، وعزني بإحسانه إليَّ وجزعي عليه ، فقلت ما لم أتأملهُ ، وإني أرغب في الثمن ، فاستقرَّ السِّلعةَ حياً وميتاً . فإن أُعْطِيتَ ما أُعْطِيَ ، أخذتُ ما أخذ . فأمر به فحُيس ثلاثاً ثم خُلِيَ سبيلهُ ودعاه إليه فوصلهُ ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

[خروجه في الحرب ومنازلته خارجياً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني أبو دلامة قال : أتني بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحلف ليُخْرِجَنِي في بَعْثِ حرب ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلبِي لقتال الشُّراة¹ . فلما التقى الجمعان قلت لرَوْح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعِي سلاحك لأثَّرتُ في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليَّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصلَ ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إني استجرتُكَ أن أقدمَ في الوغى لِنِطْأَعْنِ وتَنَازِلِ وضِرَابِ
فَهَبِ السُّيُوفَ رأيتها مشهورةً فتركها ومضيتُ في الهُرَابِ
ماذا تقولُ لما يجيء وما يُرى من واردات الموتِ في النُّشَابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أنشدك الله أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لتُخْرِجَن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبَعَتْ مِنِّي جراحةٌ من الجوع ، فمر لي بشيءٍ آكله ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصف . فلما رأيَ الشاري أقبل نحوي عليه فرَّو وقد أصابه المطرُ فابتل ، وأصابته الشمس فاقفَعَل² وعيناه تَقِدَان ، فأسرع إليَّ . فقلت له : على رِسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت :

1 الشراة : الخوارج .

2 اقفعل : تقبض .

أَتَقْتَل مَرَّ لَا يِقَاتِلَكَ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : أَتَقْتَل رَجُلًا عَلَى دِينِكَ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : أَتُسْتَحِلُّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُو مَنْ تَقَاتِلُهُ إِلَى دِينِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَاهْذَبْ عَنِّي إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ . قُلْتُ : لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعُ مِنِّي . قَالَ : قُل . قُلْتُ : هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا قَطُّ عِدَاوَةٌ أَوْ تَرَّةٌ ، أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالٍ تُحْفِظُكَ عَلَيَّ ، أَوْ تَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِي وَأَهْلِكَ وَتَرًّا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَلَا أَنَا وَاللَّهِ لَكَ إِلَّا جَمِيلُ الرَّأْيِ ، وَإِنِّي لِأَهْوَاكَ وَأَتَحِلُّ مَذْهَبَكَ وَأُدِينُ دِينَكَ وَأُرِيدُ السُّوءَ لِمَنْ أَرَادَهُ لَكَ . قَالَ : يَا هَذَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَانصِرْفْ . قُلْتُ : إِنْ مَعِيَ زَادًا أُحِبُّ أَنْ آكُلَهُ مَعَكَ ، وَأُحِبُّ مُوَاطَأَتَكَ لِتَتَوَكَّدَ الْمُدَّةُ بَيْنَنَا ، وَيَرَى أَهْلُ الْعَسْكَرِ هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا . قَالَ : فَافْعَلْ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَعْنَاقُ دَوَابِّنَا وَجَمَعْنَا أَرْجُلَنَا عَلَى مَعَارِفِهَا وَالنَّاسُ قَدْ غُلِبُوا ضَحِكًا . فَلَمَّا اسْتَوْفَيْنَا وَدَعَنْي . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا الْجَاهِلُ إِنْ أَقَمْتُ عَلَى طَلَبِ الْمُبَارَاةِ نَدَبْنِي إِلَيْكَ فَتَتَّبِعْنِي وَتَتَّعِبُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَبْرُزَ الْيَوْمَ فَافْعَلْ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، ثُمَّ انصِرْفْ وَانصِرْفْ . فَقُلْتُ لِرَوْحَ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قِرْنِي فَقُلْ لَغَيْرِي أَنْ يَكْفِيكَ قِرْنَهُ كَمَا كَفَيْتُكَ ، فَأَمْسِكْ . وَخَرَجَ آخِرُ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَالَ لِي : أَخْرَجْ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ :

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يَقْدِمَنِي إِلَى الْبِرَازِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ
إِنَّ الْبِرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
قَدْ حَالَفْتُكَ الْمَنَايَا إِذْ صَمَدَتْ لَهَا وَأَصْبَحْتُ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالرُّصْدِ
إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى لَجِدْتُ بِهَا لَكِنَّهَا خُلِقَتْ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ

فَضَحِكُ وَأَعْفَانِي .

[يُفَرِّقُ مِنْ مَبَارَاةٍ خَارِجِي أَيَّامَ مِرْوَانَ بْنِ عَمْدٍ]

أَخْبَرَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قَتِيْبَةَ قَالَ قَالَ أَبُو دَلَامَةَ : كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مِرْوَانَ أَيَّامَ زَحْفِ إِلَى سَيْنَانَ الْخَارِجِيِّ . فَلَمَّا اتَّقَى الزُّحُفَانُ خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَنَادَى : مَنْ يَبَارِزُ ؟ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَعْجَلَهُ وَلَمْ يُنْهَهِهِ¹ . فَغَازَا ذَلِكَ مِرْوَانَ وَجَعَلَ يَنْدُبُ النَّاسَ عَلَى خَمْسِمَائَةٍ ، فَقُتِلَ أَصْحَابُ الْخَمْسِمَائَةِ ، فَزَادَ مِرْوَانُ وَنَلَبَهُمْ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ . وَكَانَ تَحْتِي فَرَسٌ لَا أَخَافُ خَوْنَهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعْتُ بِالْخَمْسَةِ آلَافِ تَرْقَبَتِهِ² وَاقْتَحَمْتُ الصَّفَّ . فَلَمَّا نَظَرْتُ الْخَارِجِيَّ عِلِمَ أَنِّي خَرَجْتُ لِلطَّمْعِ ؛ فَأَقْبَلَ إِلَيَّ مُتَهَيِّئًا وَإِذَا عَلَيْهِ فَرَسٌ قَدْ أَصَابَهُ

1 نههه : كفه وزجره .

2 ترقبه : رصده .

المطر فابتل ، ثم أصابته الشمسُ فافْقَعَلْ ، وإذا عيناه تَقْدَانِ كأنَّهما من غَوْرهما في وَقَيْنِ¹ .
فلما دنا مني أنشأ يقول :

وخارج أخرجهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنْ الموتِ وفي الموتِ وَقَعِ
مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ

فلما وَقَرْتُ في أُذُنِي انصرفتُ عنه هارباً . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ ؟ إيتوني
به ، فدخلتُ في غِمارِ الناسِ فنَجَوْتُ .
[يسكر بالمال الذي أعطيه ليحج]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن
الحسين اللّهي قال : عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة :
احجُّجْ معي ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هايتها ؛ فدَفَعْتُ إليه ، فأخذها وهرب إلى
السَّوَادِ ، فجعل يُنْفِقُها هناك وَيَشْرَبُ بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخشي فَوَتَ
الحج فخرج . فلما شارف القادسيَّةَ إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو
سكرانُ ، فأمر بأخذه وتَقْيِيدَهُ وطَرَحَهُ في مَحْمِلٍ بين يديه ففَعِلَ ذلك به . فلما سار غير بعيد
أقبل على موسى وناداه :

يا أيُّها الناسُ قولوا أجمعون معاً صَلَّى الإلهُ على موسى بن داودِ
كَأَن دِيابِجَتِي خديهِ من ذهبٍ إذا بدا لكَ في أثوابهِ السُّودِ
إني أعوذُ بـداوِدِ وأعْظِمُهُ من أن أُكَلِّفَ حَجَّاً يا ابن داودِ
خَبَرْتُ أن طريقَ الحجِّ مَعْطِشَةٌ من الشرابِ وما شَرِبِي بَتَصْرِيدٍ²
والله ما في من أجِرٍ فتطلبُهُ ولا الثناء على ديني بمحمودِ

فقال موسى : ألقوه لَعَنَهُ اللهُ عن المَحْمِلِ ودَعُوهُ ينصرفُ ، فالتقي وعاد إلى قَصْفِهِ
بالسَّوَادِ ، حتى نَفِدَتِ العشرةُ آلافِ درهم .

[استغفاره المنصور من ملازمة الجماعة في المسجد]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي ، وأخبرني
عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال : قال أبو أيوب المُرَياني لأبي جعفر ،
وكان يَشْنَأُ أبا دلامةَ ، : إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجداً ، وقد

1 الوقب : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

2 صرد شربه : قطعه .

أفسد فتیانَ العسكر . فلو أمرته بالصلاة معك لأجرتَ فيه وفي غيره من فتیان عسكرك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : يا ابنَ اللّٰخناء ، ما هذا المجون الذي يبلّغني عنك ! . قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفتُ بابَ قبري ؛ . قال : دَعْنِي من استكانتك وتَضَرُّعِكَ ، وإياك أن تفوتَكَ صلاةُ الظهر والعصرِ في مسجدي . فلتن فاتتاك لأحسِنَ أدبَكَ ولأطيلنَّ حَبْسَكَ . فوقع في شرٍّ ولَزِمَ المسجدَ أياماً ، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تَعَلَّمَا أن الخليفةَ لَزَنِي	بمسجده والقصرِ ما لي وللقصرِ ! ¹
أصَلِّي به الأولى جميعاً وعصرها	فَوَيْلِي من الأولى وَوَيْلِي من العصرِ ²
أصَلِّيَهما بالكُره في غيرِ مسجدي	فما لي في الأولى ولا العصرِ من أجرِ
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّةٌ	سواه ولكن كان قَدْرًا من القدرِ
يكلّفني من بعدِ ما شئتُ خُطَّةً	يَحُطُّ بها عَنِّي الثَقِيلَ من الوزرِ
وما ضَرَّهُ والله يغفرُ ذنبه	لَوْ أَن ذنوبَ العالمينَ على ظَهري

قال : فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأعفاه من الحضور معه ، وأخلفه أن يصلّي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه ، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عدي ورواؤه بعضُ من روى عن الزبير .

أن أبا جعفر كان يُحِبُّ الْعَبَثَ بأبي دلامة ، وقال الآخر : إن أبا العباس السَّقَّاح كان يحب ذلك ، فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخُمَّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّنِي . فعلم أنه يُحَاجِرُهُ³ . فأمر الربيع أن يوكل به من يُحْضِرُهُ الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال ذلك عليه قال :

ألم تَرَيَا أن الخليفةَ لَزَنِي	بمسجده والقصرِ ما لي وللقصرِ !
فقد صدَّنِي عن مسجدي أَسْتَلِدُّهُ	أَعْلَلُ فيه بالسَّمَاعِ وبالخمرِ

1 لزني : ألزمني .

2 وويلي في ل : وعولي .

3 يحاجره : يتحلل المعاذير للتخلص منه .

وكَلَّفَنِي الأولى جميعاً وعَصَرَهَا
أَصْلِيهِمَا بِالكَرْهِ فِي غيرِ مَسْجِدِي
يَكْلَفُنِي مَنْ بَعْدَ مَا شِئْتُ تَوْبَةً
لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَمَّةٌ
وَوَاللَّهِ مَا لِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِ
وَمَا ضَرَّهُ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ
فَوَيْلِي مِنَ الأولى وَعَوَّلِي مِنَ الْعَصْرِ
فَمَا لِي مِنَ الأولى وَلَا الْعَصْرِ مِنْ أَجْرِ
يَحْطُ بِهَا عَنِي الثَّقِيلُ مِنْ وَزْرِي
وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِعَشْيَانَهَا صَدْرِي
وَلَا الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي
لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

فبلغته الأبيات فقال : صدق ؛ ما يضرُّني ذلك ، والله لا يصلُح هذا أبداً ، فدَعُوهُ يَعمَلُ ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر¹ : قد أعفيناك من هذه الحال ، ولكن على ألا تدعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظَل . فقال : أَفْعَلُ . قال : إنك إن تأخَّرتَ لشرب الخمر عَلمتَ ذلك . ووالله لئن فعلتَ لأُحدِّثَكَ . فقال أبو دلامة : البليَّة في شهر أصلح منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة . فلما حضر² شهر رمضان لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ؛ فشقَّ ذلك عليه ، وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد وكلَّ مَنْ كان يلوذ بالمهدي ليشفَعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يُجِهم . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُكَ ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك بريطة³ فإنه لا يخالفها . قال : صدقتَ والله ، ثم رفع إليها رُفعة يقول فيها :

أَبْلَغَا رَيْطَةَ أَنِي كُنْتُ عَبْدًا لِأَيِّهَا
فَمَضَى يَرْحِمُهُ اللَّهُ هُوَ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا
وَأَرَاهَا نَسِيتَنِي مِثْلَ نَسْيَانِ أُخِيهَا
جَاءَ شَهْرُ الصَّوْمِ يَمْشِي مِشْيَةً مَا أَشْتَهِيهَا
قَائِدًا لِي لَيْلَةَ الْقَدِّ رِ كَأَنِّي أَبْتَغِيهَا
تَنْطَحُ الْقِبْلَةَ شَهْرًا جَبْهَتِي لَا تَأْتِيهَا
وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا فِي فَيَافٍ وَجِيهَا
فِي لَيَالٍ مِنْ شَتَاءٍ كُنْتُ شَيْخًا أَصْطَلِيهَا

1 يبدو من السياق أن الذي ألزمه هو المهدي لا أبو جعفر المنصور .

2 ل : دخل .

3 هي ابنة السفاح وزوجة المهدي .

قاعداً أوقدُ ناراً لضيابٍ اشتويها
وصبوحٍ وغبوقٍ في عِلابٍ أحتسيها¹
ما أبالي ليلةَ القَدْرِ ولا تُسمِعُنيها
فاطلي لي فرجاً من ها وأجرِي لك فيها

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت إليه : اصبر حتى تمضي ليلة القدر . فكتب إليها :
إني لم أسألك أن تكلمني في إعفائي عاماً قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر . وكتب
تحتها أبياتاً :

خافي إهلك في نفسٍ قد احتضرت قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلةُ القدرِ من همٍّ فاطلبها إني أخافُ المنايا قبلَ عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كسرتِ أرجلنا يا ليلةَ القدرِ حقاً ما تُمنينا ؟
لا باركَ اللهُ في خيرٍ أو مُلِّه في ليلةٍ بعدَ ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكت ، ودخلت إلى المهدي فشفت له إليه ، وأنشدته
الشعرين ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به ورِيطةً معه في الحِجَلَة فدخل ؛ فأخرج رأسه
إليه وقال : وقد شفّعنا رِيطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعةُ
سيدتي فيّ حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبنني ما فعلته ؛
إما أن تيمّمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإني
لا أحسنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة . قال : أعيدك بالله أن تختار أدنى
الحالين وأنت أنت . فعبث به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه رِيطة فأتّمها له عشرة آلاف
درهم .

[شعره في نخاس]

أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال : مرّ أبو دلالة بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده
منهنّ من كل شيء حسن . فأنصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده : [من الكامل]

إن كنت تبغي العيشَ حلواً صافياً فالشعرَ أعزبه وكن نخاساً
تنل الطرائفَ من ظراف نهدي يُخذلنَ كلَّ عشيّةٍ أغراساً
والربحُ فيما بينَ ذلك راهنٌ سَمحاً ببيعك كنت أو مكّاساً

دارتْ على الشعراء حِرْفَةً نَوِيَّةً ففجرعوا من بعد كأسٍ كاسا
وتَسَرَّبَلُوا قَمُصَ الكَسَادِ فحاولُوا بالنَّخَسِ كَسْباً يُذْهِبُ الإِفلاسَا
فجعل المهدي يضحك منه .

[رؤياه]

نسختُ من كتاب ابن النطّاح قال : دخل أبو دلّامة على المنصور فأنشده : [من الوافر]
رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَاباً جَمَّةً وَقَضَيْتَ دَنِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الخَزُّ فِيهَا وَسَاجُ نَاعِمٍ فَاتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقْ يَا فَذْتُكَ النَّفْسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي
فأمر له بذلك وقال له : لَا تُعْذِرْ أَنْ تَتَحَلَّمَ عَلَيَّ ثَانِيَةً ، فَأَجْعَلَ حُلْمَكَ أَضْغَاثًا وَلَا أَحَقُّقَهُ .

[حبسه المنصور لسكره]

ثم خرج من عنده ومضى فشرّب في بعض الحانات فسكّر وانصرف وهو يميل . فلقّبه
العَسَسُ فأخذه ، وقيل له : من أنت وما دينك ؟ فقال :

[من الرجز]

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَاسِ مَا خَتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ
إِنِّي اصْطَبَحْتُ أُرْبَعًا بِالكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي
فهلّ بما قلتُ لكم من باسٍ

فأخذه ومَضَوْا ، وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَسَاجَهُ وَأَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَكَانَ يُؤْتَى بِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ
العَسَسُ ، فَحَبَسَهُ مَعَ الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غَلَامَهُ مَرَّةً وَجَارِيَتَهُ أُخْرَى فَلَا
يَجِيبُهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّجَاجِ وَزُقَاءَ الدُّيُوكِ . فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَانُ :
مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ : فِي الْحَبْسِ ، وَأَنَا فُلَانُ السَّجَانِ . قَالَ : وَمَنْ
حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَمَنْ خَرَقَ طَبَاسَانِي ؟ قَالَ : الْحَرَسُ . فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ
بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ففعل ، فَكُتِبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

[من الوافر]

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَذْتُكَ نَفْسِي عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَمِنْ صَفَرَاءِ صَافِيَةِ الْمِرَاجِ كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النُّطْفَةِ النَّضَاجِ¹

تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الرَّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بغيرِ جُرْمٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُبْسْتُ يَا أَبَا دَلَامَةَ ؟ قَالَ : مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَقُوقِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ « وَقَدْ طَبَخْتُ بَنَارَ اللَّهِ » (يعني الشمس) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَبِيثَ ، شَرِبْتَ الْخَمْرَ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ « طَبَخْتُ بَنَارَ اللَّهِ » تَعْنِي الشَّمْسُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعَ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعْرُضَ .
[لَقِيَ رُؤْيَا لِنَمَارِ]

قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ : وَمَرَّ أَبُو دَلَامَةَ بِتَمَّارٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :

رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي الْمَنَامِ قَوَاصِرَ مَنْ تَمَرِكَ الْبَارِحَةِ¹
فَأُمُّ الْعِيَالِ وَصِيبَانُهَا إِلَى الْبَابِ أَعَيْنُهُمْ طَامِحَةٌ
فَأَعْطَاهُ جُلَّتَنِي² تَمَرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصَحَّ تَفْسِيرُهَا . فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ .

[هَذَا الْمَهْدِيُّ بِقُدُومِهِ مِنَ الرِّيِّ]

وَقَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ : لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرِّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دَلَامَةَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنَ الْكَامِلِ]

إِنِّي نَذَرْتُ لَكُنْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
لِتُصَلِّينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فَقَالَ : ﷺ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْهَلَهُمَا . فَأَمَرَ بِأَنْ يَمْلَأَ حِجْرَهُ دِرَاهِمَ .
[حِكَايَةٌ مِثْلَةٌ لِلْمَهْلَبِ مَعَ عَجُوزٍ أَزْدِيَّةٍ]

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ

1 قَوَاصِرَ : جَمْعُ قَوْصِرَةٍ وَهِيَ وَعَاءٌ يُوَضَعُ فِيهِ التَّمَرُ .

2 الْجِلَّةُ : قِفَّةُ التَّمَرِ .

قال : قديم المهلب من بعض غزواته ، فلقيته عجوزاً من الأزد فقالت : أيها الأمير ، أسألك بالله والرحيم إلا وقفت فوقف ، فذنت وقبلى يده وقالت : هذا نذرٌ كان عليّ ، إني نذرتُ عليّ الله أن أقبل يذك إن قدمت سالماً وتهب لي أربعمئة درهم وجارية صُغديةٌ تخدمني . فضحك وقال : أما نحن فقد وقينا بنذرِك ؛ ادفعوا إليها ذلك ، وإياكِ يا أمّاه وهذه النذورُ ؛ فليس كلُّ أحد يقى لك بها وينشط لتحليلك منها .

[ضجر من الصوم والحرف فكتب للمهدي شعراً]

قال ابن النطاح : وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجزُ جائزة أمر له المهدي بها . فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحرِّ والصوم وهي :

أدعوك بالرحيم التي جمعت	في القرب بين قريتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى	من مُنشدٍ يرجو جزاء المُنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً	أرجو رجاء الصائم المتعبداً
ولقيت من أمر الصيام وحره	أمرين قيسا بالعذاب المؤصداً ¹
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة	مما يُنطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطلك بالذي	أسلفتني من البلاء المرصداً

فلما قرأ المهدي رُقعته غضب وقال : يا عاض كذا من أمه أي قرابة بيني وبينك ؟! قال : رَجِمُ آدَمَ وَحَوَّاءَ ، أُنْسِيَتَهُمَا يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ؛ وأمر بتعجيل ما أجاز به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخُزاعي عن² المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذمِّ الصوم :

هل في البلاد لرزق الله مُفترشُ أم لا فقي جلده من خُشنه برشُ
يعني أن جلد الرزق خشن الملمس فهو يُخترش كما يُخترش الضبُّ ، الشعر :

أضحى الصيام مُنيحاً وسَطَ عَرَصَتِنا	ليت الصيام بأرض دونها حرشُ
إن صُمتُ أوجعني بطني وأقلقني	بين الجوانح مسُّ الجوع والعطشُ
وإن خرجتُ بليل نحو مسجدهم	أضرني بصرٌ قد خاناه العَمَشُ

1 المؤصد : المطبق .

2 ل : عن الخراز .

[عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ، ونسخت من كتاب ابن النطّاح قال اليزيدي في خبره : دخل أبو دلامة على ربطة بعد وفاة المهدي ، وقال ابن النطّاح : دخل على أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس ، وهو الصحيح ، فعزّأها به وبكى وبكت معه ، ثم أنشدتها :

مَنْ مُجْمِلٌ فِي الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَمْ يَكُنْ صَبْرِي عَلَيْكَ غَدَاةً بِنْتَ جَمِيلًا
يَجِدُونَ أَبْدَالًا بِهِ وَأَنَا امْرُؤٌ لَوْ مِتُّ وَجَدْتُ مَا وَجَدْتُ بَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَجُودَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلًا

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمْ أَرِ أَحَدًا أَصِيبَ بِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ . فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَكَ مِنْهُ وَلَدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ . فَضَحِكْتُ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْذُ مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَحِكْتُ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتُ ، وَقَالَتْ لَهُ : لَوْ حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لِأَضْحَكْتَهُ .

[خداعه وزوجه المهدي والخيزران]

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحّاك قال : دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي . فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : مَاتَتْ أُمُّ دَلَامَةَ ، وَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ فِيهَا :

وَكُنَّا كَزَوْجٍ مِنْ قَطَأٍ فِي مَفَازَةٍ لَدَى خَفْضِ غَبْشٍ نَاعِمٍ مُؤْتَقٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فَأَمَرَ لَهُ بِثِيَابٍ وَطِيبٍ وَذَنَانِيرَ ، وَخَرَجَ . فَدَخَلْتُ أُمُّ دَلَامَةَ عَلَى الْخِيزْرَانِ فَأَعْلَمَتْهَا أَنَّ أَبَا دَلَامَةَ قَدْ مَاتَ ، فَأَعْطَتْهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَتْ . فَلَمَّا التَقَى الْمَهْدِيُّ وَالْخِيزْرَانُ عَرَفَا حِيلَتَهُمَا فَجَعَلَا يَضْحَكَانِ لِذَلِكَ وَيَعْجَبَانِ مِنْهُ .

[يذم العباس بن محمد لأنه أنقص من عطائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة ، ونسخت أنا من كتاب ابن النطّاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

أَمَّا وَرَبُّ الْعَادِيَاتِ ضَبْحَا حَقًّا وَرَبُّ الْمُورِيَاتِ قَدْحَا
إِنَّ الْمُغِيرَاتِ عَلَيَّ صُبْحَا وَالنَّاكثَاتِ مِنْ فَوَادِي قَرْحَا
عَشْرُ لَيَالٍ بَيْنَهُنَّ ضَبْحَا يَجْلُفْنَ مَالِي كُلَّ عَامٍ صَبْحَا

فقال له أبو جعفر : وكم تذهب يا أبا دلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباس بن محمد في عشر الأضحى يتنجّزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات ابنك ؟ قال بلى . قال : انقصوه دينارين . قال : أصلح الله الأمير لا تفعل ، فإنه ترك عليّ ولدين . فأبى إلا أن ينقصه . فخرج وهو يقول : [من البسيط]

أخطأك ما كنتَ ترجوه وتأمّله فاغسلْ يديك من العباس بالياس
واغسلْ يديك بأشنانٍ فأنقهما مما تؤمّل من معروفٍ عباس
جزاك ربك يا عباس عن فرج جنّاتِ عدنٍ وعني جرّزتي¹ آس

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك ، واعتاظ على العباس ، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابنُ النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين علي بن صالح وقال له : إنما نقصتُك دينارين لموت ابنك دلامة . فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغضباً ؛ فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : أولى له . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمّنه . وقد كان قال فيه : [من الخفيف]

لعليّ بن صالح بن عليّ نسبٌ لو يُعينه بسمّاح
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن ما لنا في بقائهم من فلاح
غير فضلٍ فإن للفضل فضلًا مستبينًا على قرّيش البطاح

[مخاصمته رجلاً إلى عافية القاضي]

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : خاصم رجلٌ أبا دلامة في داره ، فارتفعا إلى عافية القاضي ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتني دُهاة الرجال وخاصمتها سنةٌ وافية
فما أدحض الله لي حجةً ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جورِهِ في القضاء فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني . قال : إذا يعزلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرف المدح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

[مجاوزه نفسه]

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أعطى الله عهداً لكن لم تَهْجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك ، ويقال إنه قال : لأضربن عُقْكَ ، فنظر إليه القوم ، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه . قال أبو دلامة : فعلمتُ أني قد وقعتُ وأنها عَزَمَةٌ من عَزَمَاتِهِ لا بدُّ منها ، فلم أرَ أحداً أحقُّ بالهَجاءِ مني ، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هَجاءِ نفسي ، فقلت : [من الوافر]

ألا أُبْلِغُ إِلَيْكَ أبا دِلَامَةَ فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لِسِ العِمَامَةِ كان قِرْداً وخِزيراً إذا نَزَعَ العِمَامَةَ
جَمَعَتْ دِمَامَةً وَجَمَعَتْ لَوْمَةً كذاكَ اللُّؤْمُ تَتَبَعُهُ الدِّمَامَةُ
فإنْ تَكْ قد أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيَا فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتْ القِيَامَةُ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه .

[كل امرئ يأكل زاده]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمّه قال : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصّيد ، فسَنَحَ لهما قَطِيعٌ من ظِباء ، فَأُرْسِلَتِ الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديُّ ظِبيّاً بسهم فصرّعه ، ورمى عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدي ظِبيّاً شَكُّ بالسهم فَوَاذَةُ
وعليّ بن سليما نَ رَمَى كَلْباً فِصَادَةُ
فهنيئاً لهما ك لُ امرئ يأكلُ زَادَةُ

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سُرْجِه ، وقال : صدّق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سنيّة . أخبرني بهذا الخبر عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فَلَقِبَ عليّ بن سليمان «صائد الكلب» وعلّق به .

[أعطاه المنصور داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها]

قال ابن النطّاح : وأنشد أبو دلامة المنصور يوماً :

هاتيك والدتي عجوزٌ هَمَّةٌ مثلُ البليّةِ دِرْعُها في المشجَبِ¹

مهزولة اللحيين من يرها يقل
 ما إن تركت لها ولا لابن لها
 ودجائباً خمساً يرخن إليهم
 كتبوا إلي صحيفة مطبوعة
 فعلمت أن الشر عند فكاكها
 وإذا شية بالأفاعي رقت
 يشكون أن الجوع أهلك بعضهم
 لا يسألونك غير ظل سحابة
 يا باذل الخيرات يا ابن بدولها
 أنتم بنو العباس تعلم أنكم
 أحلاس خيل الله وهي مغيرة
 أبصرت غولاً أو خيال القطرب¹
 مالاً يؤمل غير بكر أجرب²
 لما يبضن وغير غير مغرب²
 جعلوا عليها طينة كالعقرب³
 ففككتها عن مثل ربح الجورب
 يؤعدني بتلطي وتثوب
 لزباً فهل لك في عيال لزب⁴
 تغشاهم من سيلك المتحلب
 وابن الكرام وكل قرم منجب
 قذماً فوارس كل يوم أشهب
 يخرجن من خلل الغبار الأكهب⁵

قال : فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودرهم . وكانت الدار قرية من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعت إليها . فدخل عليه أبو دلالة فأنشده قوله : [من الخفيف]

يا ابن عم النبي دعوة شيخ
 فهو كالماخض التي اعتادها الطل
 إن تحز عسره بكفئك يوماً
 أو تدغنه فلبوار ، وأتى
 هل يخاف الهلاك شاعر قوم
 لكم الأرض كلها فأعبروا
 فكان قد مضى وخلف فيكم
 قد دنا هدم داره ودماره
 قى فقرت وما يقر قراره
 فكفئك عسره ويساره
 ولماذا وأنت حي بواره
 قدمت في مديهم أشعاره
 شيخكم ما احتوى عليه جداره
 ما أعرتم وأقمرت منه داره

فاستعبر المنصور ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

1 اللحي : الحنك . القطرب : ذكر الغيلان أو الجني الصغير .

2 المغرب : شديد البياض .

3 مطبوعة : مختومة .

4 اللزب : ضيق العيش .

5 أحلاس الخيل : هنا الملازمون ظهورها . الأكهب : المشوب بالسواد .

[عليه عند المهدي حمز ومقاتل ابنا ذوال]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلالة على المهدي وعنده حمز ومقاتل ابنا ذوال يعاتبانه على تقريه أبا دلالة ويعيبانه عنده . فقال أبو دلالة : [من الطويل]

ألا أيُّها المهدي هل أنت مُخْبِرِي وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم تَرْحَمْ اللَّحْيَيْنِ مِنْ لِحْيَتَيْهِمَا وكتلتاهما في طولها غير طائل
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمِي بَحْلَقِيهِمَا مِنْ مُخْرِزِ وَمُقَاتِلِ
فإنْ يَأْذَنِ المَهْدِيُّ لي فِيهِمَا أَقْلُ مقالاً كوقع السيف بين المفاصل
وإلا تَدَعْنِي والهمومُ تنُونِي وقلبي من العِلْجَيْنِ جَمُّ البَلابلِ

فقال : أو آخذُ لك منهما عشرة آلاف درهم يُقْدِيَانِ بها أَعْرَاضَهُمَا مِنْكَ ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما . [مدحه سعيد بن دعلج]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج¹ مولى بني تميم فقال : [من الوافر]

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريمٌ من الأعرابِ قُبْحُ من غريم
غريمٌ لازمٌ بفناء بيتي لزومَ الكلبِ أصحابَ الرقيم
له مائةٌ عليّ ونصفُ أخرى ونصفُ النصفِ في صكِّ قديم
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن وصلتُ بها شيوخَ بني تميم
أتُونِي بالعَشِيرَةِ يسألوني ولم أكنُ في العَشِيرَةِ بالثيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزدتك مائة .

[يضحك المنصور في جنازة بنت عمه]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللهي عن عمه مصعب : أن حمّادة بنت عيسى تُوفيت وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلالة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه .

1 كان أميراً على شرطة البصرة للمنصور ثم ولي له البحرين . وولي للمهدي طبرستان .

[قصة زوجه وابنه مع الجارية التي منحه إياها الخيزران]

أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمري حدثنا الهيثم قال : حَاجَت الخيزران ، فلما خرجتُ صاح بها أبو دلامة . قالت : سَلُوهُ ما أمرُهُ . فقالوا له : ما أمرُك ؟ فقال : أَذُنُونِي من مَحْمِلِهَا . قالت : أَذْنُوهُ ، فَأُذِّنِي . فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأَجْرُك في عَظِيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَيَّئِي لي جاريةً من جواريكِ تَوَسِّنِي وترْفُق بي وترْجِني من عَجُوزٍ عندي ، قد أَكَلْتُ رِفْدي ، وَأَطَالَتْ كَدِّي ، وقد عافَ جلدي جلدَها ، وتمنيتُ بَعْدَها ، وتشوّقتُ فَعْدَها . فضحكتِ الخيزران وقالت : سوف أمرُ لك بما سَأَلْتَ . فلما رجعتُ تَلَقَّاهَا وذَكَرَها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرَضُ¹ . ثم دخل على أُمِّ عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أُبْلِغِي سَيِّدَتِي بِالذِّ	هـ يَا أُمُّ عَبِيدَةَ
أَنَّهَا أُرْشِدُهَا إِلَـ	هـ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةَ
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخـ	رَجَّ لِلْحَجِّ وَلِيدَةَ
فَتَأَنِّتُ وَأَرْسَلـ	تُ بَعِثْرِينَ قَصِيدَةَ
كَلِمَا أَخْلَقْنَ أَخْلَفـ	تُ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَةَ
لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتْمَهِـ	سِد فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةَ
غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ	سَاقُهَا مِثْلُ الْقَدِيدَةَ
وَجْهُهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو	تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةَ
مَا حَيَاةً مَعَ أَثْنِي	مِثْلَ عِرْسِي بِسَعِيدَةَ

فلما قُرِئتُ عليها الأبياتُ ضَحِكْتُ واستعادتُها منه لقوله «حُوت طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةَ» وجعلتُ تضحك ، ودعت بجارية من جواريتها فأتته فقالت لها : خُذِي كل ما لَكَ في قصري ففعلتُ ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلّمها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رَجَعَ فادفعيها إليه ، وقولي له : تقول لك السيِّدة : أَحْسِنُ صُحْبَةَ هذه الجارية فقد آثرتُك بها ؛ فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنُها دلامة فوجد أُمّه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردتَ أَنْ تَبَرِّئَنِي يوماً من الدهر فاليوم . فقال :

1 غرض : ضجر وملّ .

قولي ما شئت فإني أفعله . قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالِكها وتطوؤها فتحرم عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفأك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلالة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت . فدخل إليها شيخ عظمٌ ذاهبٌ ، فمدَّ يده إليها وذهب ليقبلها . فقالت له : ما لك وتلك ! تنحّ وإلا لطمتك لطمَةً دَقَقْتُ منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصتك السيِّدة ؟ . فقالت : إنها قد بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ، ونال مني حاجته . فَعِلِمَ أنه قد دُهِيَ من أم دلالة وابنها . فخرج إليه أبو دلالة فلطمه ولَّيْهِ¹ وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به مُلَبِّياً حتى وقف على باب المهدي . فعرف خبره وإنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك وتلك ؟ قال : عميل بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه ، ولا تُرضيني إلا أن تقتله . فقال له : وتلك فما فعل ؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى ثم جلس . فقال له أبو دلالة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال : عليّ بالسيف والنَّطْع . فقال له دلالة : قد سمعتُ حُجَّتَهُ يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجَّتِي . قال : هات . قال : هذا الشيخُ أَصْفَقُ الناسَ وجهاً ، يَنِيكَ أُمِّي منذ أربعين سنة ما غَضِيتُ ، ونكتُ جاريته مرة واحدة ففضيب وصنع بي ما ترى ؛ فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعُها له يا أبا دلالة وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن تخبأها لي بين السماء والأرض ، وإلا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدم إلى دلالة ألا يُعاود بمثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ووهب له جاريةً أخرى كما وعده .

[يطري شاعراً عند المهدي فأجازه لحسن محضره]

وقال ابن النطاح : دخل أبو دلالة على المهدي وعنده شاعرٌ يُنْشِده . فقال له : ما ترى فيه ؟ قال : إنه قد جَهِدَ نفسه لك فاجْهَدْ نفسك له . فقال المهدي : وأبيك إنها لكَلِمَةٌ عَذْرَاءُ منك ، أَحْسَبُكَ تعرفه ؟ قال : لا والله ما عرفته ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبي دلالة بمثلها لحسن مَحْضَرِهِ .

[خلع عليه العقيلي من ثيابه]

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العقيلي قال : رأيتُ على أبي دلالة فَرَوَةً في الصيف ، فقلتُ له : ألا تَمَلُّ هذه الفروة ؟ قال : بلى ، ورب مملولٍ لا يستطيع فِرَاقَهُ² . فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعْتُها إليه .

1 لبيه : أخذ بتلابيب أي جمع ثيابه عند نحره وجره .

2 المثل «رب مملول لا يستطيع فراقه» في مجمع المبداني 1 : 306 وفصل المقال : 367 .

[فزع من رؤية الفيل]

قال : وأَهْدِيَ للمهدي فيلٌ ، فرآه أبو دلامة فوَلَّى هارباً وقال : [من البسيط]

يا قوم إني رأيتُ الفيلَ بعدكم لا باركَ اللهُ لي في رؤية الفيل
أبصرتُ قصراً له عينٌ يَقلُّها فكِدْتُ أرمي بسلحي في سَراويلي

[شعره في بغلته]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته
[المشهورة :

أتاني بَغْلَةٌ يَسْتامُ مِنِّي عريقٌ في الخَسارة والضَّلَالِ¹
فقال تبيعها ؟ قلتُ ارتَبَطْها بحكمك إن بيعي غيرُ غالي
فأقبلَ ضاحكاً نحوي سروراً وقال أراك سَمَحاً ذا جَمالِ
هَلُمَّ إِلَيَّ يخلو بي خداعاً وما يَذري الشَّقِيُّ بمن يُخالِي
فقلتُ بأربعين فقال أحسنُ إليَّ فإن مثلك ذو سِجالِ²
فأتَرُكُ خمسةَ منها لعلمي بما فيه يصير من الخَبالِ

فقال المهدي : لقد أَفَلَّتْ من بلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهراً
أتوقع صاحبها أن يَرُدَّها . قال : ثم أنشده : [من الوافر]

فأبْدِنِي بها يا ربَّ طِرْفاً يكونُ جَمالُ مَرَكِبِهِ جَمالي

فقال لصاحب دوابه : خيِّره من الإصْطَبَلِ مَرَكِبَيْن . قال : يا أمير المؤمنين إن كان
الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مرَّةً أن يختار لي ، فقال : اختر له . وأخبرني به
عمي عن الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

[رهانه مع المهدي على العباس بن محمد]

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخل
أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقي أحدٌ من أهلي لم
يَصِلْكَ ؟ قال : إن أَمَتْنِي أخبرْتُكَ ، وإن أَعَفَيْتَنِي فهو أحبُّ إليَّ . قال : بل تُخبرني وأنت
آمين . قال : كلُّهم قد وَصَلَنِي إلا حاتمَ بني العباس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العباس بن

1 بغلة في ل : خائب .

2 ذو سجال : هنا لا يماكس في الثمن .

محمد . فالتفت إلى خادَم على رأسه وقال : جاً¹ عَنَّقَ العاضُ بَظَرَ أُمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دلالة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخَنِّثَ مولاكَ وَتَنَكُّثَ عَهْدَهُ وَأَمَانَهُ . فضجَّكَ المهدي وأمر الخادَمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دلالة : وَيَلَّكَ ! والله عَمِي أَبْخُلُ الناسَ . فقال أبو دلالة : بل هو أَسْخَى الناسِ . فقال له المهدي : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيتُه فأجازني ؟ قال : لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثة دراهم . فانصرف أبو دلالة فحجَّبر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده :

[من البسيط]

على المنازلِ بين الظَّهْرِ والنَّجْفِ
لولا الذي استدرجتُ من قلبِكَ الكَافِ
فلا ورَّيْتُكَ لا تَشْفِيكَ من شَعَفِ
بالمَكْرُماتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرَفٍ²
يُهْدِي السَّلامَ إلى العباسِ في الصُّحُفِ
قد طالما ضَرَبْتُ في اللامِ والأَلِفِ
إلى معلِّمها بالألُّوحِ والكِيفِ
منها وخيفْتُ على الإِسرَافِ والقرَفِ
كما يصونُ تِجاراً دُرَّةَ الصَّدَفِ
مبادراً لصلاةِ الصُّبحِ بالسَّدَفِ³
مُطِلَّةً بين سَجَفَينِها من الغُرَفِ
أَخَرٌ مُنْكَشِفٌ أَمْ غيرَ مُنْكَشِفِ
ليغسلوا الرجلَ المَغْشِيَّ بالتَّطَفِ
مَخافَةً الجِئْنَ والإِنسانَ لم يَخَفِ
أَمسى وأصبحَ موقوفاً على التَّلَفِ
تطلَّعتُ من أعالي القَصْرِ ذي الشُّرَفِ
يُعِين قُوَّتَهُ فيها على ضَعْفِ

قِفْ بالديارِ وأَيَّ الدهرِ لم تَقِفْ
وما وُقُوفُكَ في أَطلالِ مَنزِلَةٍ
إن كنتَ أَصِبتَ مشغوقاً بساكنها
دَعْ ذا وَقْلٍ في الذي قد فاز من مُضَرٍ
هذي رسالةُ شيخٍ من بني أُسَدِ
تَخطُّها من جَواري المِصْرِ كاتِبَةٌ
وطالما اختلفت صَيِّفاً وشاتِيةً
حتى إذا نَهَدَ الثَّدْيَانِ وامتلآ
صينَتْ ثلاثَ سِنينَ ما تَرى أحداً
فبينما الشيخُ يَهْوي نحوَ مَجْلِسِهِ
حانتَ لَهُ لَمَحَةٌ منها فأبصرها
فخَرَّ والله ما يَدْرِي غَدَاتِذِ
وجاءه الناسُ أَفواجاً بمائِهِمُ
ووسَّوسوا بِقُرآنٍ في مِسامِعِهِ
شيئاً ولكِنَّه من حُبِّ جاريةٍ
قالوا : لك الويلُ ما أَبْصرتَ ؟ قلتُ لهم
فقلتُ أَيُّكُمْ والله يَأْجُرُهُ

1 جاً : اضرب .

2 مقترف : مكتسب .

3 السدف : الظلمة .

فقام شيخٌ بهيٍّ من رجالهم قد طالما خدع الأقوامَ بالحَلِفِ
فابتاعها لي بألفي درهمٍ فأتى بها إليَّ فألقاها على كَفِي
فبتُ أَلَمُها طَوْرًا وألَزَمُها طوراً وأصنعُ بعضَ الشيءِ في اللُّحْفِ
فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبُها يَبْغِي الدراهمَ بالميزانِ ذي الكِفِّ
وذكرَ حقَّ على زَنَدٍ وصاحبه والحقُّ في طَرَفٍ والطينُ في طَرَفِ
وبينَ ذاكَ شهودٌ لا يَضُرُّهم أَكُنْتُ معترفاً أم غيرَ معترفِ
فإن يكن منك شيءٌ فهو حقُّهم أولاً فإنِّي مدفوعٌ إلى التَّلَفِ

قال : فضحك العباس وقال : وَيَحْكُ أصادقُ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه أَلْفِي درهم ثمنها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما احتال له به . فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال : لأني مُعْذِرٌ لا شيء عندي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد شاركني في هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطة . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكَةُ لا تكون إلا مفاوضة¹ ، فاشترِ معها أخرى ، ليعتَ كُلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلة . فقال له العباس : قَبَحَ اللهُ وَقَبَحَ ما جئتَ به ! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف .

[يضحك أبا مسلم فيعفيه من المبالزة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العباسي قال : كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلاً إلى البراز ؛ فقال له أبو مسلم : ابرُزْ إليه . فأنشأ يقول :

ألا لا تَلْمِني إن فَرَزْتُ فإنني أخاف على فُخَّارتي أن تَحَطَّما
فلو أنني في السُّوقِ أبتاع مِثْلَها وجَدْتُك ما باليتُ أن أُنْقَدَّما
فضحك وأعفاه .

[يستنجز ربطة جارية وعده بها]

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح² : أن ربطة وعدت أبا دلامة جارية فمطلته حتى امتدحها بعدة قصائد ، كلُّ ذلك لا تفي له ، ثم خرجت إلى مكة ورجعت . وكانت لها جارية

1 شركة المفاوضة هي الشركة العامة في كل ما يملك الشريكان .

2 مرَّ الخبر عن الخيزران وفي الشعر اختلاف .

يقال لها أم عبيدة تخرج وتكلم الرجال وتبلغ عنها الرسائل . فقال أبو دلامة لأم عبيدة حين عيل صبره :

أبلغني سيدي إن شئت يا أم عبيدة
أنها أرشدها الد وإن كانت رشيدة
وعدتني قبل أن تخ رج للحج وليدة
فتنظرت وأرسل ت بعشرين قصيدة
كلما تخلق أولى بدلت أخرى جديدة
إنني شيخ كبير ليس في بيتي قعيدة
غير مثل الغول عندي ذات أوصال مديدة
وجها أسمع من حو ت طري في عصيدة
ذات رجل ويد كل تاهما مثل القديدة

فدخلت على ربطة فأنشدتها الشعر ، فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

[اشترى نبيذاً ولم يدفع الثمن]

أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي¹ : أن أبا دلامة نزل بالكوفة ، فأثاه أضياف فغداهم ، ثم بعث إلى سندية تباذة يقال لها دومة ؛ فبعث إليهم جرّة من نبيذ فشربوها ، ثم أعاد فبعث إليهم بأخرى ، ثم جاءت تتقاضى الثمن . فقال : ليس عندي الثمن ، ولكني أمدحك بما هو خير من نبيذك . فقال :

ألا يا دؤم دام لك النعيم وأحمر ملء كفل مستقيم
شديد الأصل ينبذ حاليه ين كانه رجل سقيم²

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً .

[ذم الجنيد النخاس ومدح جارية له]

قال إسحاق وحدثني أبي : أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجنيد النخاس ، وكان يتعشق جارية له ويغضبه . فجاءه يوماً فقال : أخرج لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشتري !! قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخ يمدح ويطري . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو

1 من المستبعد أن يكون الخبر عن أبي إبراهيم الموصلي وهو ماهان بن بهمن الذي توفي وابنه طفل صغير . وسيرد هذا الخبر والشعر في ترجمة الأقيشر عن أبي عبيدة .

2 ينبذ : ينبض .

تَقُولُ فِيهَا شِعْراً . قَالَ : فَاحْلِفْ بِعَقْفِهَا أَنْ تَرَوِيَهَا إِيَّاهُ وَتَأْمُرَهَا بِإِنْشَادِهِ مَنْ أَتَاكَ يَعْتَرِضُهَا وَلَا تَحْجِبُهَا . فَحَلَفَ لَا يَحْجِبُهَا . فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ :

[من الكامل المرفل]

إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنْ سَأُمْسِي مَيِّتاً أَوْ سَوْفَ أَصْبَحُ ثُمَّ لَا أُمْسِي
مَنْ حَبٌّ جَارِيَةِ الْجَنِيدِ وَيُغْضِيهِ وَكِلَاهُمَا قَاضٍ عَلَى نَفْسِي
فَكَلاُمُهَا يُشْفِي بِهِ سَقَمِي فَإِذَا تَكَلَّمْتُ عَادَ لِي نَكْسِي

[نصح إسحاق الأزرق بمجانبة الطبيب]

أَخْبَرَنِي عَمِي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرْنَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَمْرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِي قَالَ : دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ يَعُودُهُ ، وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً ، ثُمَّ تَعَاْفَى مِنْهُ وَأَفَاقَ ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفاً ، وَعِنْدَ إِسْحَاقَ طَبِيبٌ¹ يَصِفُ لَهُ أَدْوِيَةً تَقْوِي بَدَنَهُ . فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ لِلطَّبِيبِ : يَا ابْنَ الْكَافِرَةِ ؛ أَتَصِفُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ لِرَجُلٍ أَضْعَفُهُ الْمَرَضُ ؟ مَا أَرَدْتَ وَاللَّهِ إِلَّا قَتْلَهُ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى إِسْحَاقَ فَقَالَ : اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنِّي . قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ . فَأَنشَأَ يَقُولُ :

[من الخفيف]

نَحَّ عَنْكَ الطَّبِيبَ وَاسْمَعْ لِنَعْتِي إِنْسِي نَاصِحٌ مِنَ النَّصَاحِ
ذُو تَجَارِيِبَ قَدْ تَقَلَّبْتُ فِي الصَّحْـ دِهْراً وَفِي السَّقَامِ الْمُتَاحِ
غَادٍ هَذَا الْكَبَابَ كُلُّ صَبَاحٍ مِنْ مُتُونِ الْفَتَيَّةِ السُّحَاحِ²
فَإِذَا مَا عَطِشْتُ فَاشْرَبْ ثَلَاثاً مِنْ عَتِيقِي فِي الشَّمِّ كَالْتَفَاحِ
ثُمَّ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَاعْكُفْ عَلَى ذَا وَعَلَى ذَا بِأَعْظَمِ الْأَقْدَاحِ
فَتَقَوِّي ذَا الضَّعْفَ مِنْكَ وَتُلْفَى عَنْ لِيَالٍ أَصَحَّ هَذَا الصُّحَاحِ
ذَا شَفَاءٍ وَدَغٍ مَقَالَةٍ هَذَا نَاكَ ذَا أُمَّهُ بِأَيْرِ رَبَاحٍ³

فَضَحِكَ إِسْحَاقُ وَعَوَّادَهُ ، وَأَمَرَ لِأَيِّ دَلَامَةَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَكَانَ الطَّبِيبُ نَصْرَانِيّاً فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَكُلَ (يُرِيدُ يَا رَجُلَ) . وَقَالَ الطَّبِيبُ : أَقْبَلْ مِنِّي أَصْلِحَكَ اللَّهُ وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قَدَامَهُ . فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ : أَمَا وَقَدْ أَخَذْتُ أَجْرَةَ صَفَّقَتِي⁴ وَقَضَيْتُ الْحَقَّ فِي نَصْحِ صَدِيقِي ، فَانْعَتْ لَهُ الْآنَ أَنْتَ مَا أَحْبَبْتَ .

1 ل : متطبب .

2 السحاح : السمان .

3 رباح : القرد .

4 لعلها صنعتني .

[تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشَّيْبَلِ عاصم بن وهب البرُّجُمي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً ، فقال : إني أهديتُ إليك يا أمير المؤمنين مهراً ليس لأحد مثله . فإن رأيتَ أن تُشرِّفني بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فإذا به برذونٌ مُحَطَّمٌ أُعْجِفُ هَرَمٌ . فقال له المهدي : أيُّ شيء هذا ويَلِك ! ألم تزعم أنه مهر ؟ . فقال له : أو ليس هذا سَلَمَةُ الوصيفَ بين يديك قائماً تسميه الوصيفَ وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيفٌ ؟ فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مُهَرٌّ . فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويَلِك ، إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في مَحْفِلٍ فَضَحَكَ . فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصلاني غيره ، فإني ما شربت له الماء قط . قال : فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك . قال : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال له : ما ترى ؟ قال : أفعلُ ، فلولا أنني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلتُ¹ معه مثلَ هذه . فمضى سلمة فحملها إليه .

[أراد ابنه أن يخصيه فحكم زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال : جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفِلٍ من جيرانه وعشيرته جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي ، كما ترون ، قد كَبِرَتْ سِنُهُ ، وَرَقَّ جِلْدُهُ ، وَدَقَّ عَظْمُهُ ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشيء يُمَسِّك رَقَقَهُ وَيُثَبِّت قُوَّتَهُ ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحٌ لجسمه ، وبقاءٌ لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعلُ حُباً وكرامةً . ثم أقبلوا على أبي دلامة بالسُّتْهُمْ وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا بلبية . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع ، فتعاونوني عليه حتى أَخْصِيَه ، فلن يقطععه عن ذلك غيرُ الخِصاء ، فيكون أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره . فعَجِبُوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبثَ بأبيه ويخجله حتى يَشِيْعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر ، فضحكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : قد سمعتُ فأجِب . قال : قد سمعتُ أنتم وعرفتكم أنه لن يأتي بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمه حَكَمًا بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقصُّ

أبو دلامة القصة عليها ، وقال لها : قد حَكَمْتُكِ . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن ابني ، أصلحه الله ، قد نصح أباه وبرّه ولم يألُ جهداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأخوَجَ مني إلى بقائه ، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا ، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا ، وما أشكُ في معرفته بذلك . فليبدأ بنفسه فليخصيها ؛ فإذا عُوْفِيَ ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنعر أبوه وجعل يضحك به ، وخجل ابنه ، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خُبثهم جميعاً واتفاقهم في ذلك المذهب .

[نبو السيف في يد المرواني]

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلّم عليه . فأتى المهدي بعِلَجٍ فأمر المرواني بضرب عنقه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنبأ السيفُ عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نبأ . فسمع المهدي الكلام فغاضه حتى تغيّر لونه وبأن فيه . فقام يَقْطِئُ فأخذ السيفَ وحسّر عن ذراعيه ثم ضرب العِلَجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيُّ هذا الإمامُ سيفُك ماضٍ وبكفّ الولي غيرُ كهام¹

فإذا ما نبأ بكفّ علّمنا أتّها كفّ مبغضٍ للإمام

قال : فسُرِّي عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حُجابه بقتل الرجل المرواني فقتل .

170 - [أخبار عبد الله بن المعتز]¹

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله .
[دفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب]

وأمره ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ في أكثر فضائله الخاصِّ والعامِّ . وشعره إن كان فيه رِقةٌ الملوكية وغزلُ الظُّرفاء وهلهلةُ المُحدِّثين² ، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدِين ولا تقصُرُ عن مدى السابقين ، وأشياءٌ ظريفةٌ من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لَصَبُوح في مجلس شَكَلٍ ظريف ، بين نَدَامَى وِقْيَان ، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات ، ورقة الخَدَم ، أن يَغْدِلَ بذلك عما يُشَبِّهُه من الكلام السَّبَطِ³ الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَنْ حضر ، إلى جَعْدِ الكلام وَوَحْشِيهِ ، وإلى وصف الْبَيْدِ وَالْمَهَامِهِ وَالظُّبْيِ وَالظُّلَيْمِ وَالنَّاقَةِ وَالْجَمَلِ وَالْدِيَارِ وَالْقِفَارِ وَالْمَنَازِلِ الْخَالِيَةِ الْمَهْجُورَةِ ؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيءٌ ، ولا أن يَغْمَطَ حَقُّهُ كُلُّهُ إذا أحسن الكثير وتوسَّطَ في البعض وقصَّرَ في اليسير ، ويُنسَبُ إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطَيِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أَحَدٍ بمن تقدم لوجد مَسَاغاً . ولو أن قائلًا أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ، وهو أَحَدُ مَنْ يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء ، بقوله : «فأصاب حبة قلبه وطحَّالها» . ويقوله :

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَقَتْ وَتَعْلِيْقِي فَقَدْ كَادَ يَسْتَقُ⁴

1 ترجمة عبد الله بن المعتز في أشعار أولاد الخلفاء : 107 والفهرست : 129 وتاريخ بغداد : 10 : 895 ونزهة الألباء : 160 ومعجم الأدباء (عباس) : 1519 وابن خلكان : 3 : 76 وعبر الذهبي : 2 : 104 والوافي : 17 : 447 ومرآة الجنان : 2 : 225 والبداية والنهاية : 11 : 108 والفوات : 2 : 239 وشذرات الذهب : 2 : 221 وكتب التاريخ في حوادث سنة 296 .

2 ل : المحدث .

3 السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

4 اليعحوم : اسم فرسه . ويسنق : يصيبه البشم . وانظر دفاع ابن قتيبة عن هذا البيت في الشعر والشعراء :

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويُلغي ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقَدَح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِلَ أسوأ قِتْلَةٍ ، ودَرَج فلم يَبْقَ له خَلْفٌ يقرظه ولا عَقِبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحُسْنِ أخباره ، وتصرفه في كل فنٍّ من العلوم إلا رِفْعَةً وعُلُوًّا . ولا نُظِرَ إلى أضداده كلِّما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مثْلهم في ثَلْبِه والطعن عليه ؛ زادوها سقوطاً وضَعَةً ، وكلِّما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم ، زادوا بها ثِقَلًا ومَقْتًا . فإذا وقع عليهم المُحَصِّلُ الموافق ، عدلوا عن ثَلْبِه في الآداب ، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب ، وهو أول من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفِي حتى نهاهم عنه ، فعدلوا عن عَيْبِ أنفسهم بذلك إلى عييه ، وارتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله ، مُصَرِّحاً به على شرح إن شاء الله تعالى .

[علمه بصناعة الموسيقى]

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى ، والكلام على النغم وعِلْمُها . وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورة ، ومراسلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم ، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه .

[كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له]

ولقد قرأتُ بخطَّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعةً إليه بخطه ، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوز ولا يُنْكَرُ أن يغيّر الإنسان بعضَ نَغَمِ الغناء القديم ، ويعدِّلَ بها إلى ما يحسُنُ في حَلْقِهِ ومذهبِهِ . وهي رسالةٌ طويلةٌ ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ ، أيدك الله ، الرسالة الفاضلة البارعة الموقفة . فأنا والله أقرؤها إلى آخرها ، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً ، وأتأمل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها ، عِلْمُ الله ، النعمةُ المعدومة المثل . ولقد تمثلت وأنا أكرّر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبد الله بن العباس :

كَفَى وَشَفَى ما في النفوس ولم يَدَعْ لذي إِرْيَةٍ في القول جِدًّا ولا هَزْلًا

ولا والله ما رأيتُ جِدًّا في هَزَلٍ ، ولا هَزْلًا في جِدٍّ يُشْبِهُ هذا الكلامَ في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه . ولقد خُيِّلَ إليَّ أن لسان جَدِّكَ العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء ، فلك ، أعزك الله ، نصفُها ، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور

والمأمون رحمة الله عليهما . ولو أن هذه الرسالة جَهِتَ الإبراهيميّين إبراهيمَ بن المهدي وإبراهيمَ الموصلِي وابنه إسحاق وهم مجتمعون بُهِتَ منهم الناظر ، وأُخْرِسَ الناطق ، ولأُقْرُوا لك بالفضل في السُّبْق ، وظهور حُجَّةِ الصِّدْقِ ، ثم كان قولك لهم فَرَقاً بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب . ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون ، إلا بَرَزْتَ فيه تبريز الجواد الرائع ، المُفَعِّر في وجه كل حِصان تابع . عَضَّدَ الله الشرفَ ببقائك ، وأحيا الأدبَ بحياتك ، وجَمَّلَ الدنيا وأهلها بطول عمرك» .

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مثله ، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل . والإطالة في هذا المعنى مُسْتَغْنَى عنها . والمشهورُ عنه وعن أصداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك فني معنى ما شَرَطْتُهُ من جنس ما هو المَقْصِدُ في كتابي هذا .

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها : [من البسيط]

أصوات له في أشعار مختلفة

صوت

هل تَرَجِعَنَّ لِيَالٍ قد مَضَيْنَ لنا والدارُ جامعةُ أزمانَ أزمانا
صنَعْتُهُ في بيتٍ واحدٍ ، ولحنُهُ ثَقِيلٌ أول .
ومن صنَعْتُهُ في الثَقِيلِ الأولِ أيضاً ، وفيه لعلويه رمل قديم ، وما لحنه بدون لحن علويه :

صوت

سَقَى جانبَ القَصْرَيْنِ فالدَيْرَ فالْحِمَى إلى الشجرِ المحفوفِ بالطَّيْنِ والمَدَرِ
ومن صنَعْتُهُ الظَّرِيفَةَ الشَّكِلَةَ مع جودتها :

صوت

وابلائي من مَحْضَرٍ ومَغِيبٍ وحبيبٍ مِنِّي بعيدٍ قريبٍ
لم تَرِدْ ماءً وجهه العينُ إلا شَرَقَتْ قبلَ رِيْها بِرَقِيبٍ
خفيف ثَقِيل ، ابتداؤُهُ نشيد .
[زارته زرياب في يوم السَّعَانين]

ومن صنَعْتُهُ ، وله خير أخبرني به علي بن هارون بن المنجَم عن زَريابَ قالت : زَرْتُ عبدَ الله بن المعتز في يوم السَّعَانين ، فسرَّ بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الرِّيعِي الذي له فيه هَزَجٌ وهو :

[من مجزوء الرمل]

صوت

أنا في قلبي من الظبي كلوم فدع اللوم فإنَّ اللوم لوم
حبذا يومُ السَّعائين وما نلتُ فيه من سرورٍ لو يدوم

الشعرُ لعبد الله بن العباس ، ولحنه فيه هزج ، قالت : فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني ، وبعده بيتٌ أضافه إليه ، هزجاً وهو :
[من مجزوء الرمل]

زارني مولاي في ساعة ليتَه والله ما عشتُ يُقيم

ولحنُ ابن المعتز «حبذا يوم السعائين» وهذا البيت خفيف رمل ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعتها التي تظارف فيها وملح :
[من الرمل]

زاحمَ كُمي كُمه فالتويا وافقَ قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكثويا يا قُرَّةَ العينِ ويا همي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح ، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا ، وكذلك ضده لِيستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هزج .
[شعره في نشر]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجتُ علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالةٌ مُعَصْفَرَةٌ وفي يديها جنابي¹ باكورة باقلاً . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جنابي ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غير متوقِّفٍ ولا مفكرٍ :
[من البسيط]

فدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشي في مُعَصْفَرَةٍ عَشِيَّةً فسقاني ثم حيانِي
وقال تلعبُ جنابي فقلتُ له مَنْ جَادَ بالوصلِ لم يلعبْ بهِجرانٍ²

وأمر فغنيَ فيه . غنَّتْ فيما أرى فيه هزأُ لحناً ، وهو رملٌ مُطلق .

[فرحه عندما شغى خادمه نشوان من الجدري]

حدثني جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه ، وكان يغني غناءً صالحاً ، يقال

1 جنابي : لعلها وعاء يحمل على الجنب . والجنابي لعبة للصبيان .

2 مَنْ جَادَ في ديوانه : من جدَّ .

له «نشوان». فجُلِدَ وجَزِعَ عبد الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوْفِيَ ولم يؤثر الجُدري في وجهه أثراً قبيحاً . فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لي : يا أبا القاسم ، قد عُوْفِيَ فلانٌ بعدَكَ ، وخرج أحسنَ مما كان ، وقلتُ فيه بيتين وغنّتُ زُرْيَابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً ، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً . فقلت : يتفضل الأميرُ ، أيده الله تعالى ، بإنشادي إياهما . فأنشدني :

لي قمرٌ جُدِرَ لما استوى فزاده حُسناً فزادتْ همومُ
أظنه غَنَى لشمس الضُّحَى فنَقَطَتْهُ طَرَباً بالنجومِ

فقلت : أحسنتَ والله أيها الأمير . فقال لي : لو سمعته من زُرْيَابَ كنتَ أشدَّ استحساناً له . وخرجتُ زُرْيَابُ فغنّته لنا في طريقة الرمل في أحسن غناء ، فشربنا عليه عامة يومنا .
[غضب عليه غلامه نشوان]

حدثني جعفر قال : غضِبَ هذا الغلام على عبد الله بن المعتز ؛ فجهَدَ في أن يرضاه ، فلم تكن له فيه حيلة . فدخلتُ إليه فأنشدني فيه :

بأبي أنتَ قد تما ديتَ في الهجر والغضبِ
واصطباري على صدو دِكْ يوماً من العَجَبِ
ليس لي إن فَقَدْتُ وج هَكَ في العيش من أَرْبِ
رَجِمَ اللهُ مَنْ أَعَا نَ على الصلح واحتَسَبِ

قال : فمضيتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أداريه وأرفقُ به حتى ترضيته وجئتُ به ، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ وأحسنه ، وغنّتنا هزأُ في هذا الشعر رَمَلاً عجيباً .
[شعره في كره البنات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال : دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل عليّ بن محمد بن أبي الشوارب القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهضَ إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى : قد احتجتُ إلى معونتك في أمر دُفِعْتُ إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة . قال : وما هو ؟ قال : زَوَّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مذهبنا ، وأساء عِشْرَةَ أهله ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مظانّه وأوطانه ، ويهدّدنا ويوعِدنا بشرّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطَ ليدِه ولسانِه فينا بالقبيح والقول السيء ، وكثرة معاوته له على ما يُزري بدينه ونسبه . وقد

توعدنا بأنه يكشف وجهه لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا ، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلا أنني أستعينك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أوجه إليه بعد انصرافك ، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بألا يعود إلى عشرته ، والضامن أن أردد هذا الصهر إلى حيث تحب ويقع بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا ترون إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السري الشريف يدفع إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبد الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعة ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاته فذاك عمك . فأنشده لنفسه :

وبكرٍ قلتُ موتى قبل بعلٍ وإن أثري وعُدَّ من الصميم
أأمزجُ باللُكَّامِ دمي ولحمي فما عُذري إلى النَّسبِ الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمتع الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك ، وجملهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شراً فيك .
[شعره في دار يعمرها]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقات من الصنّاع ، وهو يبني داره ويبيضها . فقلت : ما هذه الغرامة الحادثة ؟ فقال : ذلك السيل الذي جاء مذ ليالٍ أخذت في داري ما أحوَجَ إلى الغرامة والكلفة ، وقال :

ألا مَنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا وَدَارٍ تَدَاعَى بِحِيطَانِهَا
أظَلُّ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا شَقِيّاً مُعْنَى بَيْنَانِهَا
أَسْوَدُ وَجْهِي بِتَبْيِضِهَا وَأَهْلِمُ كَيْسِي بِعُمَرَانِهَا

[صلاة النميري]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري ، وحضرت الصلاة ، فقام النميري فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جداً ، حتى استقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال :

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةٌ كَمَا اخْتَلَسَ الْجَرَعَةُ الْوَالِغُ

وتسجدُ من بعدها سجدةً كما خُتِمَ المزودُ الفارغُ¹

[شعره في بنت الكراعة]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال : كانت بنت الكراعة تآلف عبد الله بن المعتز ، وكان يحب غناها ويستظرفها ويحبها ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال :

ليتَ شعري بمن تشاغلَتِ بعدي وهو لا شك جاهلٌ مغرورٌ
هكذا كنتُ مثله في سرورٍ وغداً في الهمومِ مثلي يصيرُ

[يرحم القبح فيهواه]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنين تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية² من القبح ، فجعل عبد الله يُجَمِّسُها ويتعلَّقُ بها . فلما قامت قال له النميري : أيها الأمير ، سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيتُ قط أقبحَ منها ؟ فقال عبد الله وهو يضحك :

قلبي وثَّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهِيمُ بالحسن كما ينبغي ويرحمُ القبحَ فيهواه

[شعره في خزامي]

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كانت خزامي جارية الضبط المغني تُنادمني وأنا حَدِّثُ ثم تركتِ النبيذَ . وكانت مُعْنِيَةً مُحْسِنَةً شاعرةً ظريفةً . فراسلتها مراراً فتأخرت عني ، فكتبتُ إليها : [من الطويل]

رأيتُكِ قد أظهرتِ زهداً وتوبَةً فقد سَمَجَتْ من بعد توبتِكَ الخمرُ
فأهديتُ وَرْداً كي يذكُرَ عيشَةً لمن لم يُمتَعْنَا بيهجتها الدهرُ
فأجابت :

[من الطويل]

أتاني قريضٌ يا أميري مُحَبَّرٌ حكى لي نظمَ الدرِّ فَصَّلَ بالشَّدَرِ³
أتكرتَ يا ابنَ الأكرمينَ إنايتي وقد أفصحتُ لي ألسنُ الدهرِ بالزَّجْرِ

1 المزود : وعاء الزاد .

2 ل : نهاية .

3 الشدر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وَأَذَنِي شَرَحُ الشَّبَابِ بَيْنَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا عُدْرِي
[شعره في الربيع]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الربيع .
بالعباسية¹ والدنيا كالجنة المزخرقة . فقال عبد الله : [من مجزوء الرمل]

حَبَّذَا آذَارُ شَهْرًا فِيهِ لِلنُّورِ انْتِشَارُ
يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا جَا وَيَمْتَدُّ النَّهَارُ
وَعَلَى الْأَرْضِ اخْضِرَارُ وَاصْفَرَارُ وَاحْمَرَارُ
فَكَأَنَّ الرُّوْضَ وَشْيً بِالْغَتِّ فِيهِ التَّجَارُ
نَقَشُهُ آسٌ وَنَسْرِـ نَ وَوَرْدٌ وَبَهَارُ

[هنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه شرطة بغداد]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد : [من الطويل]

فَرِحْتُ بِمَا أضعَافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرَجِعُ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً كَمَا بَدَأَتْ ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا بَدَأَ مِنْ يُسِرُّ إِذَا مَا انْتَهَى الْعُسْرُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبِيدَ اللَّهِ قَصِيدَةً فِيهَا :

[من الطويل]

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسُّ جَفْوَةٍ فَمِنَّا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وَإِنْ رَجَعْتُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً إِلَيْنَا فَمِنَّا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرًا لتهنئته ، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب
إليه عبد الله بن المعتز : [من المنسرح]

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدِ وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعِدِ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا فَاطْلُبْ وَجَرَّبْ وَاسْتَقْصِرْ وَاجْتَهِدِ
نَاوَلْنِي حَبْلَ وَصْلِهِ يَدِي وَهَجَرَهُ جَاذِبًا لَهُ بِيَدِي
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدِ

[آيات من معلقة زهير]

صوت

[من الطويل]

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَّمِ
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَأَطْلَاوْهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ¹
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمْ
 وَمَنْ يَنْصُرُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتُ كُلِّ لَهْدَمِ
 وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَةِ يَلْقَاهَا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بُسْلَمِ

عروضه من الطويل . الحَوْمَانَةُ ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها حَوَامِينُ . وقال غيره : الحَوْمَانَةُ : ما كان دون الرمل . والدَّرَاجُ والمُتَلَّمُ : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير «الدَّرَاج» مضمومة الدال . والعَيْنُ : البَقْرُ . والآرامُ تسكن الجبال . خَلْفَةً : يذهب فَوْجٌ ويجيء فَوْجٌ يخلفه مكانه . ويُروى : مَجْتَمٌ وَمَجْتَمٌ . فمن قال مَجْتَمٌ قال : جَثَمٌ يَجْتَمُ جُثُومًا ، وَمَنْ قال مَجْتَمٌ قال : جَثَمٌ يَجْتَمُ جُثْمًا ، واللَّائِي : البطء . الزَّجَاجُ : جمع زُجٍّ . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قَلَبُوا زِجَاجَ الرِّمَاحِ إِلَى فَوْقٍ ، فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الْحَرْبَ قَلَبُوا الْأَسِنَّةَ ، وَاللَّهْدَمُ : السُّنَّانُ المَحْدَّدُ ؛ يقال رَمَحَ لَهْدَمٌ وَسِنَانٌ لَهْدَمٌ : حَادٌ . وَأُمٌّ أَوْفَى : امرأةٌ كانت لزُهَيْرٍ فَطَلَّقَهَا . وله في ذلك خبرٌ يُذَكَّرُ بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سُلمى . والغناء للغريض ، ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَرِ عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لَبْدَلٌ الكبيرة ثَقِيلٌ أولُ بالبِنْصَرِ . ولعلويه في الثالث والرابع ثَقِيلٌ أولُ . ولأبراهيم ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس . وفيهما ثَقِيلٌ أولُ يقال إنه ليزيد حَوْرَاءُ .

1 الآرام : جمع رَمَمَ وهو الظبي الخالص البياض . أطلأ : جمع طلا وهو ولد البقرة .

[171] - نسب زهير¹ وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن أبي سُلمى . واسم أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قُرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار . ومُزَيْنَةُ أمُّ عمرو بن أد هي بنت كلب بن وبرة .
[هو أحد الثلاثة المقدمين]

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمِينَ على سائر الشعراء ، وإنما اِخْتُلِفَ في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . فأما الثلاثة فلا اختلافَ فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابعة الذُبْيَانِي .
[رأي جرير فيه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي قيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال :
شاعرُ أهلِ الجاهلية زهير .
[رأي عمر فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سُويد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله الليثي عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ليلةَ مَسِيرِهِ إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ فأتيته ؛ فشكا تخلفَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقلت : أَوَلَمْ يعتذر إليك ؟ قال بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أولَ مَنْ رِئِثَكُمْ عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوةَ ، ثم ذكر قصةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركها² أنا ، ثم قال : هل تَرَوِي لشاعر الشعراء ؟ قلت : وَمَنْ هو ؟ قال : الذي يقول³ :

ولو أنَّ حمداً يُخِلِّدُ الناسَ أُخِلِّدُوا ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخِلِّدٍ

1 لزهير ترجمة في طبقات ابن سلام : 52 وشرح شواهد المغني : 48 والخزانة 2 : 332 والشعر والشعراء : 76 وقد نشر ديوانه بشرح ثعلب وطبع بدار الكتب المصرية (1944) وإليه نشير كما نشر شرح الأعلام الششمري (القاهرة 1323) وانظر شرح المعلقات للتبريزي .
2 انظر القصة مفصلة في تاريخ الطبري .
3 ديوانه : 236 وفيه بدلاً من «أخلدوا» «لم يمت» وفي رواية «لم تمت» وسيرد البيت فيما بعد بهذه الرواية .

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعَاظِلُ في الكلام وكان يتجنبُ وَخْشِيَّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاظِلُ بين الكلام : يداخِلُ فيه . ويقال : يتبع حُوشِيَّ الكلام ، ووَخْشِيَّ الكلام ، والمعنى واحد .

[قُدّامة بن موسى يقدمه على الشعراء]

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحِي عن أخيه قُدّامة بن موسى ، وكان من أهل العلم : أنه كان يقدمُ زهيراً . قلت : فأَيُّ شيء كان أعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه ¹ :

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ من هَرَمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقاً
[رأى جرير في شعره مرة أخرى]

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري ، ولم أرَ بدوياً يَفِي به ، عن عِكْرَمَةَ بن جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتَ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرتُ الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهيرٌ أشعرُ أهلها . قلت : فألإسلام ؟ قال : الفرزدقُ تبعُ الشعر . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مدحَ الملوك ويُصيب وصفَ الخمر . قلت : فما تركتُ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .
[رأى الأحنف بن قيس فيه]

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال : سأل معاوية الأحنفَ بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثْلَ ماذا ؟ قال : مِثْلَ قوله :
[من الطويل]

فما يَكُ من خيرٍ أتوه فإنما توارثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ

[مدح عمر بن الخطاب شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أتمُّ من حديثه ، قال قال ابن عباس : خرجتُ مع عمر في أول غَزَاةٍ غَزَاهَا . فقال لي ذاتَ ليلةٍ : يا ابنَ عباس أنشدني لشاعر الشعراء . قلتُ : وَمَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابنُ أبي سُلَمَى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع

حوشي انكلام ، ولا يعاظم من المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول¹ :

[من الطويل]

إذا ابتدرت قيسُ بنُ عَيْلانَ غايَةً من المَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إليها يُسَوِّدُ
سبقتَ إليها كلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ سُبُوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ مُزْنَدٍ²
كفعل جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ سِرَاعٌ وإن يَجْهَدُ وَيَجْهَدَنَّ يَبْعُدُ³
ولو كان حَمْدٌ يُخْلِدُ الناسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حَمْدَ الناسِ ليس بمُخْلِدٍ

أنشدني له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفجرُ . فقال : حَسْبُكَ الآنَ ، اقرأ القرآن . قلت : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتها ونزل فأذن وصلى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ، ثم ذكر الحديث نحو هذا .

[استأذ منه النبي فما قال شعراً حتى مات]

وجدتُ في بعض الكتب عند عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حُمَيد بن محمد ابن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه : أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال : «اللهم أعِزَّنِي من شيطانه» فما لأك بيتاً حتى مات .

[خرج أبوه مع خاله وابن خاله لغزو طيء فمنعاه حقه في المغنم]

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني : كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مَزِينَةٍ ، وكان بنو عبد الله بن غَطَفَانَ جيرانهم ، وَقَدْماً ولدتهم بنو مُرَّة . وكان من أمر أبي سلمى أنه خرج وخاله أُسْعَدُ بْنُ الْغَدِيرِ بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض وابنه كعب بن أسعد في ناسٍ من بني مُرَّة يُغَيِّرُونَ على طيء ، فأصابوا نَعْماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم . فقال أبو سلمى لخاله أسعد وابن خاله كعب : أفردا لي سَهْمِي ، فَأَتَيَا عليه ومنعاه حَقَّهُ ، فكفَّ عنهما ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمُّهُ فقال : والذي أحلف به لَتَقُومَنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فلتَقْعُدَنَّ عليه أو لأضربنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكَ . فقامت أمُّهُ إلى

1 ديوانه : 234-236 .

2 الطلق : طلق اليمين بالعطاء . مزند : بخيل . وفي الديوان : غير مجلد وهو الحصان الذي لا يضرب للوصول إلى الغاية .

3 رواية الديوان :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ الـ سِرَاعٌ وإن يَجْهَدَنَّ يَجْهَدُ وَيُبْعِدُ .

بعير منها فاعتنقت سَنامه ، وساق بها أبو سُلمى وهو يرتجز ويقول :
 وَيْلٌ لِأَجْمَالِ الْعَجُوزِ مِنِّي إِذَا دَنُوتُ وَدَنُونَ مِنِّي
 كَأَنَّنِي سَمَعَمَعٌ مِنْ جَنْ

سَمَعَمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم ، وساقُ الإبلِ وأُمُّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَةً . فذلك
 حيث يقول :

وَلَتَغْدُرَنَّ إِيْلٌ مَجْنَبَةٌ مَنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَإِنِّهِ كَعْبُ
 مُجْنَبَةٌ : مجنوبة .

الْأَكْلَيْنِ صَرِيحٌ قَوْمَهُمَا أَكَلَ الْحُبَارَى بُرْعُمَ الرُّطْبِ
 الْبُرْعُمُ : شجرة ولها نَوْرٌ . قال : فليث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمُزَيْنَةٍ مُغِيرَةً عَلَى بَنِي ذُبْيَانَ .
 حتى إذا مُزَيْنَةٌ أَسْهَلَتْ وَخَلَّفَتْ بِلَادَهَا وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِ غَطَفَانَ ، تطايروا عنه راجعين ،
 وتركوه وحده . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِي فِرْسًا لَخِيرٍ غَزَوْهَا وَأَبَتْ عَشِيرَةٌ رَبَّهَا أَنْ تُسَهِّلَا
 يعني أن تنزل السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنَةٍ حتى دخل في أخواله بني
 مُرَّة . فلم يزل هو وولده في بني عبد الله بن غَطَفَانَ إلى اليوم .
 [معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف]

وقصيدة زهير هذه أَعْنِي :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ
 قالها زهير في قَتْلِ وَرْدِ بْنِ حَابِسِ الْعَبْسِيِّ هَرَمَ بْنَ ضَمْضَمِ الْمُزِّي الذي يقول فيه عَنَتْرُهُ
 وفي أخيه¹ :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى ابْنِي ضَمْضَمِ
 ويمدح بها هَرَمَ بْنَ سِنَانَ وَالْحَارِثَ بْنَ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ الْمُزِّيَّ لِأَنَّهُمَا احْتَمَلَا
 دَيْتَهُ فِي مَالِهِمَا ؛ وذلك قول زهير :

سَعَى سَاعِيًا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ²
 يعني بني غيظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَانَ .

1 من معلقته .

2 تبذل بالدم : تشقق بسفك الدم .

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال : كان وَرْدُ بْنُ حَابِسٍ العَبْسِيُّ قَتَلَ هَرَمَ بْنَ ضَمْضَمَ الْمُرِّي ، فَتَشَاجَرَ عَبْسٌ وَذُبْيَانٌ قَبْلَ الصَّلَاحِ ، وَحَلَفَ حَصِينُ بْنُ ضَمْضَمَ أَلَّا يَغْسِيلَ رَأْسَهُ حَتَّى يَقْتُلَ وَرْدَ بْنَ حَابِسٍ أَوْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي غَالِبٍ ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا ، وَقَدْ حَمَلَ الْحَمَالَةَ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ابْنُ أَبِي حَارِثَةَ ، وَقِيلَ بَلْ أَخُوهُ حَارِثَةُ بْنُ سِنَانَ . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَخْزُومٍ ، حَتَّى نَزَلَ بِحُصَيْنِ بْنِ ضَمْضَمَ . فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ قَالَ : عَبْسِيٌّ . قَالَ : مِنْ أَيِّ عَبْسٍ ؟ فَلَمْ يَزَلْ يَنْتَسِبُ حَتَّى انْتَسَبَ إِلَى بَنِي غَالِبٍ ، فَقَتَلَهُ حُصَيْنٌ . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ وَهَرَمَ بْنُ سِنَانَ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا ، وَبَلَغَ بَنِي عَبْسٍ فَرَكِبُوا نَحْوَ الْحَارِثِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ رُكُوبُهُمْ إِلَيْهِ وَمَا قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ صَاحِبِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَ الْحَارِثِ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ بِمَائَةِ مِنَ الْإِبِلِ مَعَهَا ابْنُهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُمْ : الْإِبِلُ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَنْفُسُكُمْ ؟ فَأَقْبَلَ الرَّسُولُ حَتَّى قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمُ الرِّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ : يَا قَوْمُ إِنْ أَخَاكُمْ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ : «الْإِبِلُ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ مَكَانَ قَتِيلِكُمْ» . فَقَالُوا نَأْخُذُ الْإِبِلَ وَنَصَالِحُ قَوْمَنَا ، وَنُتِمُّ الصَّلَاحَ . فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ زَهِيرٌ يَمْدَحُ الْحَارِثَ وَهَرِمًا :

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ

وهي أول قصيدة مدح بها هَرَمًا ، ثُمَّ تَابَعَ ذَلِكَ بَعْدُ .

[قصة تحمل الحارث بن عوف]

وقد أخبرني الحسين بن علي بهذه القصة ، وروايتها أتم من هذه ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة : أتراني أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال نعم . قال : ومن ذاك ؟ قال : أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمِ الطَّائِي . فقال الحارث لغلामه : ارجل بنا ، ففعل . فركبا حتى أتيا أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ فِي بِلَادِهِ فَوَجَدَاهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنَ عَوْفٍ قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا حَارِ . قَالَ : وَبِكَ . قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا حَارِ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ خَاطِبًا . قَالَ : لَسْتُ هُنَاكَ . فَانصرفت ولم يكلمه . ودخل أَوْسٌ عَلَى امْرَأَتِهِ مُغْضَبًا وَكَانَتْ مِنْ عَبْسٍ . فَقَالَتْ : مَنْ رَجُلٌ وَقَفَ عَلَيْكَ فَلَمْ يُطِيلْ وَلَمْ تَكَلِّمْهُ ؟ قَالَ : ذَاكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ابْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي . قَالَتْ : فَمَا لَكَ لَمْ تَسْتَنْزِلْهُ ؟ قَالَ : إِنَّهُ اسْتَحَقَّ . قَالَتْ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : جَاءَنِي

خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيّد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم¹ فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل . فركب في أثرهما . قال خارجه بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيت ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ؟ امض ! . فلما رأنا لا نقي عليه صاح : يا حار أربع علي ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لأكبر بناته) فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيّد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأني امرأة في وجهي ردة² ، وفي خلقي بعض العهدة³ ، ولست بابة عمه فيرعى رجلي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى) ؛ فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقّي ، ولا جارك في بلدك فيستحيك . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي بهيسة (يعني الصغرى) ، فأتني بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيك فأتاه . فقالت ، ولم يذكر لها مقالتيهما ، لكنني والله الجميلة وجهاً ، الصنائع يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس . قال : قد قبلت . فأمر أمها أن تهئها وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضرّب له ، وأنزله إليها . فلما هيئت بعث بها إليه . فلما أدخلت إليه لبث هنيئة ثم خرج إلي . فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مددت يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدم فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بي . فقلت :

1 ل : تقدر .

2 ردة : قبح مع شيء من الجمال .

3 العهدة : الضعف .

أَفَرَعْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكلما يُفَعَّلُ بِالْأَمَةِ الْجَلِيلَةِ أَوْ السَّيِّئَةِ
الْأَخِيذَةِ ! لا والله حتى تَنَحَرَ الْجُزْرَ ، وتذبح الغنمَ ، وتدعوُ العربَ ، وتعملَ ما يُعملُ لمثلي .
قلتُ : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فرحلنا حتى
جئنا بلادنا ، فأحضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إلي . فقلت : أَفَرَعْتَ ؟ قال لا .
قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرنا من المال ما قد تَرَيْنَ ،
فقال : والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرغ
لنكاح النساء والعربُ تقتل بعضها ؟ (وذلك في أيام حرب عَيسٍ وَذُبْيَانَ) . قلت : فيكون
ماذا ؟ قالت : اخرجُ إلى هؤلاء القوم فأصلِحْ بينهم ، ثم ارجعُ إلى أهلِكَ فلن يفوتكَ .
فقلت : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . قال : فاخرجُ بنا . فخرجنا حتى
أتينا القومَ فمَشِينَا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فبوِئُخَذَ الْفَضْلُ
مَنْ هُوَ عَلَيْهِ ، فحملنا عنهم الدِّيَّاتِ ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا
بأَجْمَلِ الذُّكْرِ . قال محمد بن عبد العزيز : فمُدِّحُوا بِذَلِكَ ، وقال فيه زهير بن أبي سُلمى
قصيدته :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ

فذكرهما فيها فقال : [من الطويل]

تداركهما عَيْساً وَذُبْيَانَ بعدما	تفانوا وَدَقُوا بينهم عِطَرَ مَنْشَمٍ ¹
فأصبحَ يَجْرِي فيهمُ من تِلَادِكُم	مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمَزْنَمِ ²
يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً	ولم يُهَرِّيقُوا بينهم مِلءَ مِحْجَمٍ ³

وذكر قيامهم في ذلك فقال : [من الطويل]

«صحا القلبُ عن سَلَمَى وقد كاد لا يسلو»

وهي قصيدة يقول فيها⁴ : [من الطويل]

1 المثل «دقوا بينهم عطر منشم» في الدرة الفاخرة وفصل المقال وجمهرة العسكري . ومنشم يقال : إنها امرأة من خزاعة كانت تباع العطر كانوا إذا تقاتلوا اشتروا منها الكافور لموتاهم فشاءوا منها . ويقال : أشأم من منشم . وهذه الأبيات من معلقة زهير .

2 إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل . والمزمن فحل بعينه .

3 ينجمها : يقسطها .

4 ديوانه : 109 .

تداركُهما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُيَّانَ قد زُلَّتْ بأقدامِها النُّعْلُ¹
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
[مدح هرمًا وأباه وإخوته]

ومما مدح به هرمًا وأباه وإخوته وغني فيه قوله² :
صوت

إن الخليطَ أَجَدَّ البينَ فانفرقا وعَلِقَ القلبُ من أسماء ما عَلِقا
وأخلفتك ابنةُ البَكْرِى ما وعدتُ فأصبحَ الحبلُ منها واهناً خَلَقاً³
قامت تَبْدَى بذى ضالٍ لِحَزْنَتِي ولا محالة أن يشتاقَ مَنْ عَشِيقا
بجيدٍ مُغْزَلَةٍ أذماء خاذلةٍ من الظباء تُراعى شادناً خَرِقا

انفرق : انفعل ، من الفُرْقَة . وأَجَدَّ وَجَدَّ بمعنى واحد ، من الجَدَّ خلاف اللعب .
والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ في المودَّة . والضال : السَّدْرُ الصَّغَارُ ، واحدتها
ضالَّة . والجيد : العُنُق . والمُغْزَلَةُ : الظبية التي لها غزال . والأذماء : البيضاء . والخاذلة :
المقيمة على ولدها ولا تتبع الظباء . والشَّادِن : الذي قد شَدَن أي تحرك ولم يَقَو بعد .
والخَرِق : الدَّهْشُ .

غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيفَ رملٍ بالوسطى ، وقيل إنه لابن جامع ،
وقيل بل لحن ابن جامع بالبصرة . وفي الثالث والرابع لابن المكِّي رملٌ صحيحٌ من روايتي بَذَل
والهشامي .

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هرمًا⁴ :

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرَمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على عِلاتِه هَرَمًا يَلْقَى السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقاً
ليثٌ بعَثَرٌ يصطادُ اللَّيْثَ إذا ما اللَّيْثُ كَذَبَ عن أَقرانه صَدَقاً⁵

1 الأحلاف : أسد وغطفان وطيء . وثُلَّ عرشها : مثل معناه هدم عرشها . انظر مجمع الميداني 1 : 153
وجمهرة العسكري 1 : 287 ومستقصى الزمخشري 2 : 34 . وزلت به النعل مثل آخر ، انظر مجمع الميداني
1 : 322 .

2 ديوانه : 32-35 .

3 واهناً في الديوان : واهياً .

4 الديوان : 49-54 .

5 الليوث في ل والديوان : الرجال . كذب : لم يصدق الحملة وتراجع .

يطعنُهُم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضاربٌ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
[رناؤه سنان بن أبي حارثة]

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هَرَمَ سِنانَ بن أبي حارثة . وذكر ابن الكلبي أنه هوي امرأةً فاستُهِيم بها ؛ وتفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرَف له خبر . فترعَمُ بنو مُرَّة أن الجنَّ استطارتَه فأدخلته بلادها ، واستعجلته لكرمه . وذكر أبو عبيدة أنه قد كان هَرَم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ؛ فهام على وجهه خرقاً ففُقِد . قال : فرعَم لي شيخٌ من علماء بني مُرَّة أنه خرج لحاجته بالليل فأبْعَد ، فلما رجع ضَلَّ فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً . فرثاه زهير بقوله¹ :

إن الرِّزْيَةَ لا رَزْيَةَ مِثلُها ما تبتغي غَطَفانَ يومَ أَضَلَّتْ
إن الرُّكَّابَ لَتَبْتَغِي ذا مُرَّة بجنُوبِ نَجْدٍ إذا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ²
يُنْعِنُنَ خَيْرَ الناسِ عندَ شديدةِ عَظُمَتِ مصيئتهُ هناكَ وَجَلَّتْ
ومُدْفَعٍ ذاقَ الهَوَانَ مُلْعَنِ راحيتَ عُقْدَةَ حَبْلِهِ فانْحَلَّتْ³
ولنعمَ حشَوُ الدَّرْعِ كان إذا سَطَا نَهَلْتُ مِنَ العَلَقِ الرِّمَاحُ وَغَلَّتْ⁴

[أشعار له غنى فيها]

والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله⁵ :

[من المتقارب]

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَلَمَى عَرَفَتِ الطُّلُولَا بذي حُرْضٍ مائِلاتٍ مُثُولَا⁶
يَلِينُ وَتَحَسَّبُ آيَاتُهُنَّ على فَرَطٍ حَوْلَيْنِ رَقَا مُجِيلَا⁷

المائل هاهنا : اللاطيء بالأرض ، وفي موضع آخر : المنتصب القائم . وذو حُرْضٍ : موضع . والحرض : الأشنان . وآياتهن : علاماتهن . وفَرَطُ حَوْلَيْنِ : تَقَدُّمُ حَوْلَيْنِ ،

1 ديوانه : 334-335 .

2 نجد في الديوان : نخل . ذو مرة : ذو عقل ورأي مبرم . وإذا الشهور أحلت : دخلت الأشهر التي يحل فيها الغزو .

3 حبله في ل والديوان : كبله .

4 الشطر الأول في الديوان : «ولنعم حشو الدرع كان لها إذا» .

5 ديوانه : 193-194 .

6 أم سلمى في الديوان : آل ليلي . ذو حرص : موضع .

7 المحيل : الذي أتى عليه الحول .

والفارط : المتقدم .

غنى في هذين البيتين إسحاق ، وله فيهما لحنان : أحدهما ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البصر ، من كتابه . والآخر مأخوڑ من مجموع غنائه ، وروايته عن الهشامي . وفيهما للزبير بن دحمان خفيف ثقل أول بالبصر عن عمرو . يقول فيها : [من المتقارب]
إليك سنان الغداة الرحي — ل أعصي النهاة وأمضي القولا
جمع فال ، أي لا أظير .

فلا تأمني غزو أفراسه بني وائل واحذريه جديلا
وكيف اتقاء امرئ لا يؤو ب بالقوم في الغزو حتى يطبلا
ومن الغناء في مدائح هريم قوله¹ :

صوت

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم
كأن عيني وقد سال السليل بهم وعبرة ما هم لو أنهم أمم
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق في السلك خان به رباته النظم

الديم : جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السليل بهم : أي ساروا فيه سيراً سريعاً . والسليل : واد . وقوله وعبرة ما هم أي هم عبرة ، وما هاهنا صلة . لو أنهم أمم أي قصدت أزوهم . والأمم : بين القريب والبعيد . والقلق : الذي لم يستقر لما انقطع الخيط . والنظم : جمع واحدها نظام ، شبه دموعه بلؤلؤ انقطع سلكه ، وبماء سال من الغرب .

الغناء في هذه الأبيات رمل لابن المكي بالوسطى عن عمرو . وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت²

[من الكامل المرفل]

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر³

1 ديوانه : 145-148 .

2 ديوانه : 86-95 .

3 الحجر : موضع .

لَعَبُ الرِّيحِ بِهَا وَغَيْرَهَا بَعْدِي سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ¹
 دَغْ ذَا وَعَدُّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُھُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
 لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ²

الفئة : الجبل الذي ليس بمنتشر . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . والسَّوَافِي : ما تَسْفِي الرِّيحُ . قال :
 والقَطْرُ مخفوضةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ ، والقَطْرُ لَا سَوَافِي لَهُ . وهذا تفعله العرب في المجاورة ،
 وهو مثل قولهم : حُجِرَ ضَبٌّ خَرِبَ .

غَنَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ سَائِبُ خَاطِرٍ مِنْ رَوَايَةِ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَجْنِسْهُ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
 أَوَّلُ بِالْبِنَصْرِ نَسَبَهُ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبَهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ مِمَّا ذَكَرَ
 حَبِشٌ . قَالَ : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقَدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ .
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَمْدَحُ سَيَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ³ :

[من الطويل]

صوت

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرُ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيقُ فَالْثَقْلُ⁴
 وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا عَلَى صَبِيرٍ أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحُلُو
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِلْحَاجَةِ مَضَّتْ وَأَجَمْتُ حَاجَةَ الْغَدِ مَا تَحُلُو
 وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحْدَثَ النَّأْيُ عِنْدَهُ سُلُو فَوَادٍ غَيْرِ حُبِّكَ مَا يَسْلُو
 تَأَوَّبَتْنِي ذِكْرُ الْأَحْيَةِ بَعْدَ مَا هَجَعْتُ وَدُونِي قَلَّةُ الْحَزَنِ فَالرَّمْلُ
 فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيٍّ وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمْلُ
 لَأُرْتَحِلَنَّ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَذَابَنَّ إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعْرِجَنِي طِفْلُ
 وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطْطَى إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

التَّعَانِيقُ وَالثَّقْلُ : مَوْضِعَان . وَيُرْوَى : فَالْنَّخْلُ . وَقَوْلُهُ عَلَى صَبِيرٍ أَمْرٍ : أَيِ عَلَى شَرَفٍ
 أَمْرٍ . وَأَجَمْتُ : ذَنْتُ . وَتَأَوَّبَتْنِي : أَتَانِي لَيْلًا . وَالتَّأَوَّبُ : سَيَّرُ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . سُحِفَتْ :
 حُلِقَتْ ، يُقَالُ سَحَفَ رَأْسَهُ وَسَبَّتَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ «يُعْرِجَنِي طِفْلٌ» قَالَ يُقَالُ
 الْطِفْلُ : اللَّيْلُ ، وَيُقَالُ الطِّفْلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطِّفْلُ : الْحَزَنُ ،

1 الرِّيحُ فِي الدِّيَوَانِ : الْمَوْرُ وَهُوَ التَّرَابُ .

2 الْمَوْرُ فِي الدِّيَوَانِ : الْمَنِيرُ لِلَّيْلَةِ .

3 الدِّيَوَانُ : 96-115 .

4 التَّعَانِيقُ وَالْثَقْلُ : أَوْدِيَةٌ .

وإيقاده نَارَ التَّحْيِيرِ . وَالْخَطِيئُ : رِمَاحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةِ الْبَحْرَيْنِ تُرْفَأُ إِلَيْهَا سَفْنُ الرَّمَاحِ . وَالْوَشِيجُ : الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوَشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ .

غُنِيَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ الْهَشَامِيِّ وَعَمَرُو . وَغُنِيَ إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبِدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَلَعَلَّوْهُ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ لَحْنًا مَآخُورِيًّا .

وَمِنَ الْغَنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ ¹ :

صوت

لِمَنْ طَلَّلَ بِرَامَةً لَا يَرِيمُ عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ
تَطَالَعُنِي خِيَالَاتٌ لَسَلِمَى كَمَا يَتَطَالَعُ الدَّيْنُ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دِحْمَانٌ ثَانِيٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمَرُو . وَعَفَا : دَرَسَ هَاهُنَا ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : كَثُرَ ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ . وَخِيَالَاتٌ : جَمْعُ خِيَالٍ .

[مَدَحَ عَمْرُ شِعْرَهُ فِي هَرَمٍ بَنَ سَنَانُ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ . وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ فِي خَبَرٍ لَهُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أُنْشِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زَهِيرٍ فِي هَرَمٍ بَنَ سَنَانُ يَمْدَحُهُ :

دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكَهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ لِشَوَابِكِ الْأَرْحَامِ وَالصُّهْرِ
وَلَنْعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
أَتْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا أُسْلِفْتَ فِي النَّجْدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسُّرَّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

فَقَالَ عَمْرُ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

1 ديوانه : 306-308 .

2 الشطر الثاني في الديوان : «عفا وخلا له عهد قديم» .

[خلد ذكر هرم بشعره]

قال وقال عمر لبعض وَلَدِ هَرَمٍ : أَنشِدْنِي بَعْضَ مَدَحِ زُهَيْرِ أَبَاكَ ، فَأَنشَدَهُ . فقال عمر : إِنْ كَانَ لِيُحْسِنَ فِيكُمْ الْقَوْلَ . قال : وَنَحْنُ وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُحْسِنُ لَهُ الْعِطَاءَ . فقال : قَدْ ذَهَبَ مَا أُعْطِيتُمُوهُ وَبَقِيَ مَا أُعْطَاكُمْ .

[حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه]

قال : وَبَلَّغَنِي أَنَّ هَرَمًا كَانَ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَمْدَحُهُ زُهَيْرٌ إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَا يَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا أَعْطَاهُ : عَبْدًا أَوْ وَلِيدَةً أَوْ فَرَسًا . فَاسْتَحْيَا زُهَيْرٌ مِمَّا كَانَ يَقْبَلُ مِنْهُ ، فَكَانَ إِذَا رَأَاهُ فِي مَلَأَ قَالَ : عُمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرَمٍ ، وَخَيْرَ كَمِ اسْتَشَيْتُ . وَرَوَى الْمَهْلَبِيُّ : وَخَيْرَ كَمِ تَرَكْتُ .

[عمر يسأل عن الحلل التي كساه إياها هرم]

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمَهْلَبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ لَابْنِ زُهَيْرٍ : مَا فَعَلْتَ الْحُلُلُ الَّتِي كَسَاهَا هَرَمٌ أَبَاكَ ؟ قَالَ : أَبْلَاهَا الدَّهْرُ . قَالَ : لَكِنَّ الْحُلُلَ الَّتِي كَسَاهَا أَبُوكَ هَرَمًا لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ . وَقَدْ ذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّ عَائِشَةَ خَاطَبَتْ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ بَعْضَ بَنَاتِ زُهَيْرٍ .

[مدح لم يسبق إليه]

وقال أبو زيد عمر بن شبة : وَمَا سَبَقَ فِيهِ زُهَيْرٌ فِي مَدَحِ هَرَمٍ وَلَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَوْلُهُ :

وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا	قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ مِنْ هَرَمٍ
يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا	مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
بَذَا الْمُلُوكَ وَبَذَا هَذِهِ السُّوقَا	يَطْلُبُ شَأْوًا أَمْرَيْنِ قَدَمًا حَسْبًا
عَلَى تَكَالُيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا	هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا
فَمِثْلُ مَا قَدَمَا مِنْ صَالِحِ سَبَقَا	أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ

[مدح عبد الملك بن مروان شعره في آل أبي حارثة]

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمَهْلَبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : مَا يَضُرُّ مَنْ مَدَحَ بِمَا مَدَحَ بِهِ زُهَيْرٌ آلَ أَبِي حَارِثَةَ مِنْ قَوْلِهِ :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ رِزْقُ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْقَلْبَيْنِ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ¹

أَلَا يَمْلِكُ أُمُورَ النَّاسِ (يعني الخلافة) . قَالَ ثُمَّ قَالَ : مَا تَرَكَ مِنْهُمْ زُهَيْرٌ غَنِيًّا وَلَا فَقِيرًا إِلَّا وَصَفَهُ وَمَدَحَهُ .

[مدح عثمان بن عفان شعراً له]

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قول زهير : [من الطويل]
ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمُ
فقال : أحسن زهيراً وصدق ، ولو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .
قال وقال النبي ﷺ : « لا تَعْمَلْ عَمَلًا تَكْرَهُ أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْكَ بِهِ » .
[تمثل عروة بن الزبير بيت له]

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه : أن عروة بن الزبير لحقَّ بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن الزبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفَّ به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور أنت ؛ تُكْرِمُ ضيفك في الخلا ، وتُهَيِّنُهُ في الملا ، وقال : لله در زهير حيث يقول¹ : [من الوافر]

فَقَرِّي في بلادك إن قوماً متى يَدْعُوا بلادَهُمْ يَهُونُوا
ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة ، فقضى حوائجَه وأذن له . وهذا البيت من قصيدة
لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفَان ؛ أولها : [من الوافر]
أَلَا أبلغُ لديك بني تميمٍ وقد يأتيك بالخبرِ الظُّنونُ
الظُّنون : الذي لستَ منه على ثقة . والظنين : المتهَم .

[شعره في الحارث بن ورقاء عندما أخذ إبله وغلّامه]

وقال ابن الأعرابي : كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق² إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير³ : [من البسيط]
بان الخَلِيطُ ولم يَأوُوا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أيّةً سَلَكُوا⁴
وهي طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجَوْ في بني أسدٍ في دين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ⁵
لِيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنْطِقٌ قَدْ ذَعُ بَاقٍ كما دَنَسَ القُبْطِيَّةَ الْوَدَكُ⁶

1 ديوانه : 192 وفيه «فحلي» .

2 فاستاق في ل : فاستخف .

3 ديوانه : 164-183 .

4 لم يَأوُوا : لم يرحموا .

5 جو : واد . وفي دين عمرو : أي في طاعته .

6 قذع : قبيح . والقبطية : ثياب كنان بيض . الودك : الدسم .

فَارْدُدْ يَسْرًا وَلَا تَعْنَفْ عَلَيْهِ وَلَا تَمَعَكَ بِعَرَضِكَ إِنَّ الْغَادِرَ الْمَعَكُ¹
 وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْسَامِ عِلْمَتِهِمْ يَلُوءُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نَهَكُوا²
 طَابَتْ نَفْسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ مَخَافَةَ الشَّرِّ وَارْتَدُّوا لَمَّا تَرَكُوا

وفي هذه القصيدة مما يغني فيه : [من البسيط]

صوت

أَهْوَى لَهَا أَسْفَعُ الْخَذَّيْنِ مُطَّرَقٌ رِيَشَ الْقَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ³
 وَقَدْ أَكُونُ أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمِلُنِي جَرْدَاءُ لَا فَحَجَّ فِيهَا وَلَا صَكَكَ⁴

أهوى لها ، يعني القطاة تقدم وصفه إياها ، صقر . ورواه الأصمعي : «هوى لها»
 وقال : هوى : انقض ، وأهوى : أوفى . ومُطَّرَقٌ : ريشه بعضه على بعض ليس بمنتشر ،
 وهو أعتق له . وقوله لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكٌ : أي لَمْ يُصْطَلَدْ وَلَمْ يُذَلَّلْ . والقوادِم : العشرُ
 المتقدمات . والفَحَجُ : تباعدُ ما بين الفخذين . والصَّكَّكُ : اصطكاك العرقوين في
 الدواب ، وفي الناس الركبتين . قال : فلما أنشد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى
 زهير . وقيل : بل أنشد قولَ زهير⁴ :

تَعَلَّمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارُ⁵
 وَلَوْلا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُموه وَشَرُّ مَنِيعَةٍ أَيْرُ مُعَارُ⁶
 إِذَا جَمَحَتْ نَسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ أَشْطُ كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ⁷
 يُبْرِئُ حِينَ يَعْدُو مِنْ بَعِيدِ إِلَيْهَا وَهُوَ قُبْقَابٌ قَطَارُ⁸

فرده عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند
 ذلك⁹ :

1 الملوك : المطلق .

2 نهكوا : شتموا .

3 مطرق : ريشه ليس منتشرًا .

4 ديوانه : 301-300 .

5 الشعار : علامة القوم في سفرهم .

6 منيحة : عارية .

7 المسد : الحبل . والمغار : الشديد القتل . وأشط : أنعظ .

8 يربر : يصوت . القبقاب : من القبقبة وهي هدير الفحل . وقطار : صفة من القطر أي يسيل .

9 ديوانه : 308 .

أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي الصُّيْدَاءِ كُلَّهُمْ أَنْ يَسَاراً أَتَانَا غَيْرَ مَقُولِ
وَلَا مُهَانٍ وَلَكِنْ عِنْدَ ذِي كَرَمٍ وَفِي حِبَالٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُولِ
وهي قصيدة . فقال الحارث لقومه : أَيُّمَا أَصْلَحُ : مَا فَعَلْتُ أَوْ مَا أَرَدْتُمْ ؟ قالوا : بَلْ مَا
فَعَلْتَ .

[يمدح بني غطفان وبني مرة]

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلّابي : أَنَّ زهيراً وأباه وولده كانوا في بني عبد الله بن
عَظْفَانَ ، ومنزلهم اليوم بالحاجر ، وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من
بني فَهْرٍ بن مرة بن عَوْفٍ بن سعد بن ذُبْيَانَ يقال له الغدير - والغدير هو أبو بشامة الشاعر ،
فولدت له زهيراً وأوساً ، وولدت لزهير من امرأة من بني سُحَيْمٍ . وكان زهير يذكر في شعره بني
مرة وعَظْفَانَ ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيِّداً كثيراً المال حليماً معروفاً بالورع .

[هجاء بني عليم ثم ندم]

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
زهيراً هَجَا آلَ بَيْتٍ مِنْ كَلْبٍ مِنْ بَنِي عَلِيمٍ بْنِ جَنَابٍ ، وَكَانَ بَلَغَهُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ وَرَاءِ
وَرَاءِ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَظْفَانَ أَتَى بَنِي عَلِيمٍ ، وَأَكْرَمُوهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ
وَأَحْسَنُوا جِوَارَهُ ، وَكَانَ رَجُلًا مُوَلَّعًا بِالْقَمَارِ فَنَهَوْهُ عَنْهُ ، فَأَبَى إِلَّا الْمَقَامَةَ . قُمِرَ مَرَّةً
فَرَدُّوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُمِرَ أُخْرَى فَرَدُّوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُمِرَ الثَّالِثَةَ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ ، فَتَرَحَّلَ عَنْهُمْ
وَشَكَا مَا صُنِعَ بِهِ إِلَى زَهِيرٍ ، وَالْعَرَبُ حِينَئِذٍ يَتَّقُونَ الشُّعْرَاءَ اتِّقَاءً شَدِيدًا . فَقَالَ : مَا
خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ إِلَّا خِفْتُ أَنْ يُصَيِّبَنِي اللَّهُ بِعَقُوبَةٍ لَهْجَائِي قَوْمًا ظَلَمْتُهُمْ . قَالَ :
وَالَّذِي هَجَاهُمْ بِهِ قَوْلُهُ ¹ :

[من الوافر]

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجِوَاءِ	فِيْمَنْ فَاَلْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءِ ²
فَذُو هَاشٍ فَمِثْ عُرَيْتَاتٍ	عَفَتْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ وَالسَّمَاءُ
جَرَتْ سُنْحًا فَقَلْتُ لَهَا أَجِيزِي	نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللَّقَاءُ
كَأَنَّ أَوَابِدَ الثَّيْرَانِ فِيهَا	هَجَائِنْ فِي مَغَانِبِهَا الطَّلَاءُ
لَقَدْ طَالَبْتُهَا وَلِكُلِّ شَيْءٍ	وَأِنْ طَالَتْ لَجَاجَتُهُ انْتِهَاءُ

1 ديوانه : 56-72 .

2 هذا موضع وكذلك ذو هاش وعريتات في البيت التالي .

وقد أغدو على شربٍ كرامٍ نشاوى واجدين لما نشاء
لهم طاسٌ وراووقٌ ومِسْكٌ تُعلُّ به جلودُهُم وماءٌ¹

الجواث : أرض . ويُمنّ والقوادمُ : في بلاد غَطَفَانَ . والميثُ : جمع مَيْثاء . قال أبو عمرو : إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيْهِ فهي مَيْثاء . والسماء هاهنا : المطر . والسائحُ : ما أَقْبَلَ من شِمَالِك يريد يمينك . والبارحُ : ضَيْدُهُ . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤية عن السائح والبارح فقال : السائح : ما ولأَك مِيَامِنِهِ . والبارح : ما ولأَك مشائمه . وأجيزي : أنْفِذِي . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادي إذ قطعته وخلّفته ، وجزته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأوابدُ : الوحشية . والهجائن : إيلٌ بِيضٌ . والمغابن : الأرفاغ ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأجرى ذلك مُجْرَى الذَّمِّ ، فهذه السُّنَح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقل . وذكر حبش أن فيه للهُذلي ثاني ثقل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيّف إلى الشعر وهو : [من الوافر]

بنفسي مَنْ تذكّره سَقَامٌ أعالجه ومَطْلَبُهُ عَناء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقل أول بالوسطى في مجراها ، وذكر إسحاق أنه للغريض ، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يُشك فيه من غِنائه .

[خاله أورثه الشعر]

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد ، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال : وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سُلمى ، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مُقْعِداً ولم يكن له ولد ، وكان مُكثِراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفَانَ لَحُوثِهِمْ . وكان بشامة أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدّروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قَسَمُوا له مِثْلَ ما يَقْسِمُونَ لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثر ماله . وكان أسعد غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يَقْسِمُ ماله في أهل بيته وبين بني إخوته . فأتاه زهير فقال : يا خاله لو

قسمت لي من مالك ! فقال : والله يابن أختي لقد قسمتُ لك أفضل ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أول ما قال . فقال له زهير : الشعر شيء ما قلتَه فكيف تعتد به علي ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى أنك جئت به من مزيئة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحلي من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويته عني . وأحذاه¹ نصيباً من ماله ومات .
[شعر بشامة بن الغدير]

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول :

[من البسيط]

صوت

ألا ترينَ وقد قطعَني قطعاً ماذا من الفوتِ بين البخلِ والجودِ
إلا يكن ورقٌ يوماً أراحُ به للخابطينَ فإني لئِنُ العودِ²

الغناء لإسحاق ثقیلٌ أول بالبنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

[طلق زوجته أم أوفى ثم ندم]

قال ابن الأعرابي : أم أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته ، فولدت منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى ، وهي أم ابنيهِ كعبٌ وبُجَيْرٌ ؛ فغارت من ذلك وآذته ، فطلقها ثم ندم فقال فيها³ :

[من الوافر]

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُعَيَّرَاتُ وفي طولِ المعاشرةِ التَّقَالِي
لقد باليتُ مظعنٌ أم أوفى ولكن أم أوفى ما تُبَالِي
فأما إذ نأيتِ فلا تقولي لذي صِهْرٍ أذِلْتُ ولم تُذَالِي⁴
أصبتُ بنيَّ منكِ ونلتِ مني من اللذاتِ والحُللِ الغوالي

[رثاء ابنه سالم]

وقال ابن الأعرابي : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشعر . فأهدى رجلاً إلى زهير بُردَيْن ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له ، فمرَّ بامرأة من العرب بماء يقال له التَّاءة ، فقالت : ما رأيتُ كالיום قط رجلاً ولا بُردَيْن ولا فرساً . فعثر به الفرسُ فاندقتُ عنقه

1 أحذاه : أعطاه .

2 يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : ضبطت الشجرة إذا شدها ونقض ورقها .

3 ديوانه : 342 .

4 أذالها : هزلها وأهانها .

وَعُنُقُ الْفَرَسِ وَانْشَقُّ الْبَرْدَانِ . فَقَالَ زَهِيرٌ يَرِثِيهِ¹ :

[من الطويل]

رَأَتْ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتَوْبَعَتْ سَلَامَةً أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَجْبُورًا يُنْظَرُ حَوْلَهُ يَغِيطُهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ²
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فَقُلْتُ تَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ الثَّأَةِ سَالِمُ

[هو وقومه شعراء]

قال ابن الأعرابي : كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعبٌ وبُخَيْرٌ شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهي القائلة ترثيه :

[من الوافر]

وَمَا يُغْنِي تَوَقِّيَ الْمَوْتِ شَيْئًا وَلَا عَقْدُ التَّيْمِيمِ وَلَا الْغَضَارُ³
وَالْغَضَارُ : كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ يَعْلُقُ فِي عُنُقِهِ خَزَفًا أَخْضَرَ .

[من الوافر]

إِذَا لَاقَى مَنِيَّتَهُ فَأَمْسَى يُسَاقُ بِهِ وَقَدْ حَقَّ الْحِذَارُ
وَلَا قَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمٌ كَمَا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَخْلُدْ قُدَارُ⁴

وابن ابنه الْمُضَرَّبُ⁵ بن كعب بن زهير شاعرٌ ، وهو القائل :

[من البسيط]

إِنِّي لِأَحْبَسُ نَفْسِي وَهِيَ صَادِيَةٌ عَنْ مَصْعَبٍ وَلَقَدْ بَانَ لِي الطَّرْقُ
رُعُوى عَلَيْهِ كَمَا أُرْعَى عَلَى هَرَمٍ جَدِّي زَهِيرٌ وَفِينَا ذَلِكَ الْخُلُقُ⁶
مَذْحُ الْمُلُوكِ وَسَعْيِي فِي مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الْغِنَى وَيَدُ الْمَمْدُوحِ تَنْطَلِقُ

1 ديوانه : 341 .

2 مجبور : منعم .

3 الموت في ل : المرء .

4 قدار : عاقر الناقة .

5 لقب المضرب لأنه شبيب بامرأة من بني أسد فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ولم يمض وأخذ الدية (الشعر والشعراء 80-81) .

6 رعى عليه : بقيا عليه .

[سبب تقديمه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا احتج بأنه كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سُخْفٍ ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ¹ ، وأشدّهم مبالغةً في المدح ، وأكثرهم أمثالاً في شعره .

[مرثية ابنه سالم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، وكان من أمِّ كعب بن زهير ؛ فمات أو قُتل ، فجزع عليه كعب² جزعاً شديداً ، فلامته امرأته وقالت : كأنه لم يُصَبَّ غيرُك من الناس ! فقال :

رَأْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً	وَأَخْطَأَهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَسَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوْبِعَتْ	سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَجْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ	بَغْبِطَتِهِ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ	فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ	كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ النَّتَاءِ سَالِمُ

صوت

[من الطويل]

عَزَفْتَ وَلَمْ تَصْرِمِ وَأَنْتَ صَرُومُ	وَكَيْفَ تَصَابِي مِنْ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتَ فَأَطَوَّلْتَ الصَّدُودَ وَلَا أَرَى	وِصَالًا عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ

عروضه من الطويل . عزفت عن الشيء : إذا تركته وأبته نفسك . قال ابن الأعرابي : يقول لم تَصْرِمِ صُرْمَ بَنَاتٍ . ولكن صرمتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وأطوَلتَ الصَّدُودَ أي أطلته . وإنما قال هذا ضرورةً . الشعر للمرّار بن سعيد الفقعسي . والغناء لإسحاق رمل .

1 ل : المنطق .

2 تقدم آنفاً أن الشعر لزهير وهو في ديوانه .

[172] - ذكر المَرَّار وخبره ونسبه¹

[نسبه]

هو المَرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَةَ بن الأَشِيم بن جَحْوَان بن قَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلَبَةَ بن ذُودَان بن أُسَد بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار . وأمُّ المَرَّار بنتُ مَرَوَان بن مُنْقِذ الذي أغار على بني عامر بَثْهَلَان فقتل منهم مائةً بحبيب بن مُنْقِذ عمه ، وكانوا قتلوه .

وكان المَرَّار قصيراً مُفْرِطَ القَصْرِ ضَعِيلَ الجسم . وفي ذلك يقول : [من الرجز]

عَدُونِي الثَّعْلَبَ عِنْدَ الْعَدِ حَتَّى اسْتَارُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدِ²
لَيْثاً هَزَبَراً ذَا سِلَاحٍ مُعْتَدِي يَرْمِي بَطَرْفٍ كَالْحَرِيقِ الْمُوقَدِ

[يهاجي المَساوِر بن هند]

وكان يُهَاجِي المَساوِر بن هند بن قيس بن زهير بن جَذِيمة العبسي . وفيه يقول المَرَّار :

شَقِيتَ بَنُو سَعْدٍ بِشِعْرِ مُسَاوِرٍ إِنْ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ³
والمساوِر القائل فيه :

مَا سَرَّنِي أَنْ أُمِّي مِنْ بَنِي أُسَدٍ وَأَنْ رُبِّيَ يُنْجِنِي مِنَ النَّارِ
أَوْ أَنْتَهُمْ زَوْجَوْنِي مِنْ بَنَاتِهِمْ وَأَنْ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ
والمَرَّار من مخضرمي الدولتين . وقد قيل : إنه لم يُدْرِك الدولة العباسية .

[من مخضرمي الدولتين]

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل والكوفيين : أَنَّ المَرَّار بن سعيد كان أتی حُصَيْنَ بن بَرَّاق من بني عيس ، فوقف على

1 للمَرَّار الققعسي ترجمة في الخزنة 4 : 288 والسمط : 231 والمؤتلف : 176 ومعجم المزياني : 408 والشعر والشعراء : 588 .

2 إحدى الإحد : الأمر العظيم .

3 المثل «إِنْ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ» في جمهرة العسكري 1 : 137 .

بيوتهم فجعل يحدث نساءهم ويُشِيدُهُنَّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا أنه يَعِظُهُنَّ . ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يا مَرَّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُشدُّ النساءَ الشعرَ ؟ فقال : إنما كنتُ أسألُهن . فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ ، فوثبوا عليه وضربوه وعَقَرُوا بعيره ؛ فانصرف من عندهم إلى بني قَقْعَسَ فأخبرهم الخبرَ ، فركبوا معه حتى أَتَوْا بني عَبَسَ فقاتلوهم فهزموهم ، وفَقَّتْ بنو قَقْعَسَ من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا . فحمل أبو شداد النصري لبني عباس مائتي بعير وغلظوا عليهم في الدية . ثم إن بدر بن سعيد أخا المَرَّار قال : قد استوفتُ عبسَ حقَّها ، فعلامَ أتركُ ضَرْبَ أَخِي وعَقْرَ جَمَلِهِ ! فخرج حتى أتى جَمالاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف . فقال للمَرَّار : إنه والله ما يُقْنَعُ بهذا ولكن اخرج بنا . فخرجا حتى أغار على إبلٍ لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تيماء . فلما كانا في بعض الطريق انقطع بِطَانُ راحلة بدر فَنَدَرَ¹ عن رَحْلِهِ . فقال له المَرَّار : يا أَخِي أَطْعِنِي وانصرف ودَعْ هذه الإبلَ في النار . فأبى عليه . ثم سارا ، فلما كانا في بعض الطريق عَرَضَ لهما ظيبيٌّ² أَغْضَبَ² أحدَ القرنين . فقال المَرَّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر ، ولا والله ما نرجع من هذا السَّفر أبداً ، فأبى عليه بدرٌ . فتفرقت عبسُ فرقتين في طلب الإبل ، فعمدت فرقة إلى وادي القُرى ، وفرقة إلى تيماء ؛ فصادفوا الإبلَ بَيماءَ بُباع ، فأخذوا المَرَّار وبَدْرًا فرفعوهما إلى الوالي . وعُرِفَت سِمَاتُ عبسٍ على الإبلِ فدَفِعتَ إليهم ، ورفِعَ المَرَّار وأخوه إلى المدينة فَضْرِبًا وَحِيسًا ، فمات بدرٌ في الحبس . فكلَّمْتُ عِدَّةً من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرِي في المَرَّار فخلاه . وقال في حبسه :

صَرَمْتُ ولم تَصْرِمِ وَأَنْتَ صَرُومٌ

وهي طويلة .

[مات أخوه بدر في الحبس فرثاه]

وقال يرثي أخاه بدرًا :

[من الطويل]

وللقدَّرِ الساري إليك وما تَذْري
وللشيء لا تنساه إلا على ذِكْرِ
وما لكما في أمر عثمان من أمرٍ

ألا يا لَقُومِي لِلتَّجَلْدِ والصبرِ
وللشيء تنساه وتذكُرُ غيره
وما لكما بالغيبِ عِلْمٌ فتُخْبِرا

1 ندر عن رحله : سقط .

2 أَغْضَبَ : مكسور .

وهي طويلة يقول فيها :

[من الطويل]

ألا قاتل الله المقاديرَ والمنى وطيراً جَرَتْ بين السُّعافات والخير¹
وقاتلَ تكذِبي العِيافةَ بعدما زجرتُ فما أغنى اعتيافي ولا زَجْري
تَرْوُحُ فقد طالَ الثَّواءُ وقُضِيَتْ مشارِيطُ كانتَ نحوَ غايتها تجري
المشارِيط : العلامات والأمارات .

وما لَقُفُولٍ بعد بدرٍ بشاشة ولا الحيَّ آتيهم ولا أوبةَ السَّفْرِ²
تُذَكِّرني بدرأ زعازعُ حَجْرة إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ
الزعازعُ : الشديدة الهبوب . والحَجْرة : السنة الشديدة .

إذا شَوَّلنا لم نُوتَ منها بِمِخْلَبٍ قرى الضَّيْفَ منها بالمهند ذي الأَثْرِ³
وأضِيافُنا إن نَبَّهونا ذَكَرْتَه فكيف إذا أنساه غابرةَ الدهرِ
إذا سَلَّم الساري تهلَّلَ وجهُه على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ
تذَكَّرْتُ بدرأ بعدَ ما قيل عارفُ لما نابَه يا لَهْفَ نفسي على بدرٍ⁴
إذا خَطَرْتُ منه على النفسِ خَطَرَةً مَرَّتْ دمعَ عيني فاستَهَلَّ على نَحْري⁵
وما كنتُ بكاءً ولكن يَهيجُ لي على ذِكره طيبُ الخلائقِ والخَبْرِ⁶
أعيني إني شاكرٌ ما فعلتما وحُقَّ لما أُلَيْتُماني بالشكرِ
سألتكما أن تُسْعِداني فجدُّتما عَوائِنَ بالتَّسْجَامِ باقِيَتِي قَطْرِ⁷
فلما شَفاني اليأسُ عنه بسلوة وأَعذَرْتما لا بل أَجَلٌ من العذْرِ
نَهَيْتُكما أن تُسَهِّراني فكنْتما صَبُورَيْنَ بعد اليأسِ طاوِيَتِي غُبْرِ

يقول : طويتما أَعْبَارَ دمعكما . والأَعْبَار : البقايا كأعْبار اللُّبن .

1 الخبر في ل : الحجر .

2 لقفول في ل : لقفولي .

3 الشول : النوق التي قل لبنها . واحدتها شائلة .

4 عارف : صابر .

5 مرت دمعُه : أسالته . واستهال : سال .

6 يهيج في ل : يهيجني .

7 عوائن : أي تسعدانه بمواصلة البكاء .

[أضافه قرشي بالأبطح]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال : خرجتُ حاجاً فَأَنْخْتُ بناحية الأبطح ، فجاء قوم فَنَحَوْنِي عن موضعي وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قریش . فلما جاء وجلس أُتِيَتْهُ فقلتُ : [من الرجز]

هذا قَعُودِي بَارِكاً بِالْأَبْطَحِ عَلَيْهِ عِكْمًا أَكْمُرُ لَمْ تُفْتَحْ¹

فقال : وما قصتكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فقال : والله لا تفتَحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ ، فَأَقِمْ معنا ، يَدُكَ مع أَيْدِينَا ، وَقَعُودُكَ مع أَبَاعِرِنَا . فوالله ما فتحتُ الْعِدْلَيْنِ حتى انصرفتُ بهما إلى أهلي . فما هَجَانِي أَحَدٌ قطُّ هِجَاءَهُ .

[شعره في الحبس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو مَوْهَبٍ رُتَيْلُ الزُّبَيْرِي أَحَدُ بَنِي زُبَيْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قال : كان المَرَارُ بن سعيد وأخوه بدرٌ لَصَيْنَ ، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسَّرقة وأكثرَ غاراتٍ على الناس . فَأَغَارَ بدرٌ على ذُوْدٍ لبعض بني غَنَمِ بن ذُودان فطَرَدَهَا ، فَأُخِذَ وَرُفِعَ إلى عثمانَ بن حَيَّانِ المُرِّي ، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه . وطرَدَ المَرَارُ طَرِيْدَةً فَأُخِذَ معها وهو يَبِيعُهَا بوادي القُرَى أو بِيَرْمَةَ ، فَرُفِعَ إلى عثمانَ بن حَيَّانِ فحبسه . قال : فاجتمعا ومكثا في السجن مدةً ؛ ثم أَفْلَتَ المَرَارُ وبقيَ بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مَقِيداً . فقال المَرَارُ وهو في الحبس : [من الطويل]

عَشِيَّةٌ حَلَّ الْحَيِّ بِالْجَرَعِ الْعُفْرِ	أَنَارَ بَدَتْ مِنْ كُوَّةِ السَّجْنِ ضَوْوَهَا
يَطِيبُ بِهَا مَسُّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ ²	عَشِيَّةٌ حَلَّ الْحَيِّ أَرْضاً خَصِيْبَةً
أَسِيرَ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِي ³	فَيَاوِيلَتَا سَجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا
بَأْتِكُمَا لَا يَنْبَغِي لَكُمَا شُكْرِي	فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَدُكُمَا وَلَقَدْ أَرَى
رَفِيقاً بَنَصَّ الْعَيْسِ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ	وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلِي الْقَيْوُدُ وَجَدْتُني
بِتَقْوِيَمِهَا حَتَّى يُرَى وَضَحُ الْفَجْرِ	جَدِيراً إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ

1 العكم : العدل . والأكمر : تمر لم ينضج على النخل .

2 الجنائب : جمع جنوب وهي الرِيع .

3 يفري : البرق يشق الظلام .

[شعره في خصومه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان بين المَرَار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحاء¹ ، فتقاذفا¹ وتسابا ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا² ؛ فقال في ذلك :
[من الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرَبِّعْ فَتُخَيِّرَكَ الْمَغَانِي فَكَيْفَ وَهْنٌ مُذْ حَبَّجَ ثَمَانِ
بَرِئْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بَلَّوْا أَبَانِ
إِلَاسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِيِّ .
[أخوه بدر شاعر]

وكان بدر بن سعيد أخو المَرَار شاعراً وهو الذي يقول³ :
[من البسيط]

صوت

يَا حَبْدًا حِينَ تُنْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشْيٍ وَفَيَّانٌ بِهِ هُضُمٌ⁴
مُخَدَّمُونَ كِرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي الرِّحَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَدَمٌ
وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
الْغَنَاءُ لَابْنِ مَحْرَزٍ ثَانِي ثَقِيلَ بِالْخَنْصَرِ وَالْبَنْصَرِ عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ . وفيه لَمْتِيْمٌ خَفِيفٌ رَمَلٍ .
وذكر حبش⁵ ، أن الثَّقِيلَ لِلْهَذَلِ . وفيه لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَنَرٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ
الْمُشَامِيِّ .

[صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة]

صوت

[من الطويل]

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِيَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

1 ل : تقاذعا .

2 ل : بالحصى .

3 تنسب هذه الأبيات إلى زياد بن منقذ ولغيره (لسان العرب مادة «هضم» وشرح الحماسة للتبريزي) .

4 هضم : جمع هضوم ، أي يبددون المال بالإنفاق .

فإن كنتَ لا ذا الضَّغْنِ عني مَكْذِبًا ولا حَلْفِي عند البراءةِ نافعُ
فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُذِرْكي وإن خِلْتُ أن المتَّأَى عنكَ واسعُ
عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتِكَ متى شئتَ قَدَرْتَ عليَّ كأني في خطاطيفَ
تَجذِبُنِي إليك ولا أَقْدِرُ على الهرب منك . ويُروى «وإن خِلْتُ أن المتَّأَى» أي الموضع الذي
أنتوي قصده . والمتَّأَى : المُفْتَعَل من النَّأَى . والحُجْن : المُعْجَةُ . والنوازِع : الجواذِب .
والضَّغْن : الحقد .
الشعر للناطقة الذبياني . والغناء لابن صاحبِ الضوء من رواية إسحاق وعمرو مائخوري
بالنصير .

* * * *

الفهرس

- [156] - أخبار دريد بن الصمة ونسبه 5
- [157] - أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني 34
- [158] - أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه 36
- [159] - صنعة أولاد الخلفاء المذكور منهم والإناث 58
- [160] - أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه 60
- 161 - [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي] 79
- [162] - أخبار أبي النجم ونسبه 120
- [163] - أخبار علي بن بنت المهدي ونسبها وتنف من أحاديثها 129
- [164] - أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه 148
- [165] - ومن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي 154
- [166] - أخبار عبد الله بن محمد ونسبه 158
- [167] - ومن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل 161
- [168] - أخبار علي بن الجهم ونسبه 162
- [169] - أخبار أبي دلامة ونسبه 188
- 170 - [أخبار عبد الله بن المعتز] 217
- [171] - نسب زهير وأخباره 226
- [172] - ذكر المرار وخبره ونسبه 246

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by
ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by
Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 10

DAR SADER
Beirut

کتاب الایمانی

11

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

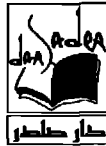
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[173] - أخبار النابغة ونسبه¹

[نسبه]

النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضيابة بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا أمامة . وذكر أهل الرواية أنه إنما لقّب النابغة لقوله :

فقد نبغت لهم منا شؤون

[من الطبقة الأولى]

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

[سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا أبو نُعَيْم قال حَدَّثَنَا شريك عن مُجَاهِد عن الشَّعْبِي عن رِيعِي بن حِرَاش قال : قال : عمر : يا معشر غطفان ، مَنْ الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا عُبَيْد بن جَنَاد قال حَدَّثَنَا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمِي عن جَدِّه عن الشَّعْبِي قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ النَّاس ؟ قالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين . قال : مَنْ الذي يقول : [من البسيط]

إِلَّا سَلِيمَانَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ²

وَحَيْسَ الْجِنَّ أَتَيْتُ قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَنْوُنُ تَدْمُرُ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ³

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 157/1-173 وفي طبقات فحول الشعراء 1 : 51 والمؤتلف : 191 ، والخزانة 1 : 287 والكمال 2 : 67 وجمهرة ابن حزم : 241 ومختصر الجمهرة : 119 والموشح : 38 ، 39 وشرح نهج البلاغة 4 : 503 والزهر 2 : 483 .

2 فاحدها : فامعها . والفند : الخطأ .

3 الصفاح : حجارة دقاق عراض ، واحدها : صفاحة .

قالوا : النابغة . قال : فَمَنْ الذي يقول :
 حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ
 لكن كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً لمُبلغك الواشي أغشُ وأكذبُ
 ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمُهُ¹ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا
 عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال : ذُكر الشعرُ عند عمر ؛ ثم ذُكر مثله .
 [سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائني عن عبد الله بن الحسن
 عن عمر بن الحباب عن أبي المؤمل قال : قام رجلٌ إلى ابن عباس فقال : أيُّ الناس أشعر ؟
 فقال ابن عباس : أخبره يا أبا الأسود الدؤلي ؛ قال الذي يقول :
 فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ

[تذاكروا شعره في مجلس الجنيد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن جرير بن شريك بن جرير بن
 عبد الله البجلي قال : كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه من
 الناس ، فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا² قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ
 فقال شيخٌ من بني مرة : ما الذي رأى في النعمان حيث يقول له هذا ! وهل كان النعمان
 إلا على منظرٍ من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية فأكثروا . فنظر إلي الجنيد وقال : يا أبا
 خالد ؛ لا يهولنك قول هؤلاء الأعراب ! فأقسم بالله أن لو عاينوا من النعمان ما عاين
 صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .
 [يحكم بين الشعراء في عكاظ]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر
 العليمي قال حدثني عبد الملك بن قُريب³ قال : كان يُضرب للنابغة قُبّة من آدم بسوق عكاظ ،
 فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . قال : وأول من أنشدته الأعشى ثم حسّان بن ثابت ثم

1 لم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث : انتشار الأمر وفساده .

2 ل : أنشدوه .

3 اسم الأصمعي

أنشدته الشعراء ، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد :
 وإن صخرًا لتأتُم الهدأة به كآته عَلمٌ في رأسه نارٌ
 فقال : والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفًا لقلتُ إنك أشعر الجن والإنس . فقام حسان
 فقال : والله لأنّا أشعرُ منكَ ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا ابن أخي ، أنت لا تحسن أن
 تقول :

فإنك كالليل الذي هو مُذكركي وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعٌ
 خطاطيفُ حُجنٍ في جبالٍ مَينَةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوازعٌ¹
 قال : فخنس² حسان لقوله .

[جني يرى أن النابغة أشعر الناس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة
 قال حَدَّثَنَا الأصمعيّ قال حَدَّثَنَا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيته : بينا
 نحن نسير بين أنقاء³ من الأرض تذاكرنا الشعرَ ، فإذا راكبٌ أَطيلس⁴ يقول : أشعرُ الناسِ
 زياد بن معاوية ؛ ثم تملّس⁵ فلم نره .
 [فضله أبو عمرو على زهير]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عمر قال حَدَّثَنَا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان
 ينبغي للنابغة إلا أن يكون زهيرٌ أجيرًا له .
 [تفضيل عبد الملك له]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عمر قال عمرو بن المُنتشير المُراذي : وفَدْنَا على عبد الملك بن مروان
 فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ما كنتَ حرّياً أن تفعل
 ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروي من اعتذار النابغة إلى النعمان : [من الطويل]
 حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبَةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
 فلم يجد فيهم من يرويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أترويه ؟ قلت نعم ؛ فأنشدته القصيدة كلّها ؛
 فقال : هذا أشعر العرب .

- 1 الخطاطيف : جمع خُطاف . خطاف البئر : حديدة ، تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .
- 2 خنس : انقبض ، أو رجع وتنحى .
- 3 الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودة .
- 4 أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد .
- 5 تملّس : تملّص وأفلت .

[رأي حماد في شعره]

أخبرنا حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماد الراوية : بِمَ تَقْدِّمُ النابغة ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترك لنفesk ريةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ
[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : «أي الرجال المهذب» ربيع بيت يُغنيك عن غيره] .

وهذه القصيدة العينية يقولها في النعمان بن المنذر يعتذر إليه بها وبعدة قصائد قالها فيه تُذكرُ في مواضعها . ولقد اختلفت الرواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك . [وصفه لزوجة النعمان]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة وغيره من علمائهم : إن النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه ؛ فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيتها تشبيهاً بالفجاءة ، فسقط نصيفها واستترت يدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لبعالتها وغلظها ؛ فقال قصيدته التي أولها : [من الكامل]

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدِي	عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوِّدٍ
زَعَمَ البوارحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا	ويذاك تَنعَابُ الغُرَابِ الأسودِ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بِهِ	إن كان تَفْرِيقُ الأَحْيَةِ في غَدٍ
أَزَفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكْلَنَا	لَمَّا تَزَلُّ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدٍ
في إثرِ غَانِيَةٍ رَمَتَكَ بِسَهْمِهَا	فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنَّ لَمْ تُقْصِدِ ¹
بالدُرِّ والياقوتِ زَيْنَ نَحْرُهَا	وَمُقْصِلٍ مِنْ لَوْلُو وَزَيْرَجِدٍ

عروضه من الكامل . وغناه أبو كامل من رواية حبش ثقيلاً أول بالنصر . وغناه الغريض من روايته ثنائي ثقليل بالوسطى . وغناه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى .

قوله : أَمِنْ آلِ مَيَّةَ : يخاطب نفسه كالمُسْتَشَبِّت . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . والزاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم ورد تحية . والبوارح : ما جاء من ميامينك إلى مياسيرك فولاك مياسيره . والسائح ما جاء من مياسيرك فولاك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح ، وغيرهم من العرب تتشاءم بالسائح

1 تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

وتتيمّن بالبارح ؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً ؛ قال بعضهم :

[من مجزوء الكامل]

ولقد غدوتُ وكنْتُ لا أَغْدُو على وَاقي وَحَاتِمٍ¹

فإذا الأشائمُ كالأيامِ من والأيامينُ كالأشائمِ

وتنعبُ الغراب : صياحه ؛ يقال : نَعَبَ الغرابُ² يَنْعَبُ نَعْباً وَنَعْبَاناً ، والتنعبُ تَفَعَالٌ من

هذا . وكان النابغة قال في هذا البيت : «وبذاك خَبَرْنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعَهُ يُغْنِي فِيهِ ، فبان له الإقواء³ ، فغَيَّرَهُ في مواضع من شعره .

[إقواء النابغة]

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي : قال أبو عبيدة : كان فَحْلَانِ من الشعراء يُقَوِّيان : النابغة وبِشْرُ بن أبي خازم . فأَمَّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهاجَّوه أن يقولوا له لَحْنَتْ وَأَكْفَأَتْ³ ، فَدَعَوْا قَيْنَةً وَأَمَرُوها أن تغني في شعره ففعلت . فلَمَّا سَمِعَ الغناء و«غير مزوّد» و«الغرابُ الْأَسْوَدُ» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ . وأَمَّا بِشْرُ بن أبي خازمِ فقال له أخوه سَوَادَةُ : إِنَّكَ تُقَوِّي . قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك : [من الوافر]

وَيُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُذَامُ⁴

ثم قلت بعده «إلى البلد الشام» . ففطن فلم يَعُدْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا : كان النابغة يقول : إن في شعري لعاهة ما أَقِفُ عليها . فلَمَّا قَدِمَ المدينة غَنِيَ في شعره ؛ فلَمَّا سَمِعَ قوله : «وَأَتَقَتْنَا بِالْيَدِ» و«يَكاد من اللَّطَافَةِ يُعَقِّدُ» تَبَيَّنَ له لَمَّا مُدَّتْ «باليَدِ» فصارت الكسرة ياء ومُدَّتْ «يُعَقِّدُ» فصارت الضمة كالواو ؛ ففطن فغَيَّرَهُ وجعله : [من الكامل]

عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعَقِّدِ

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة⁵ ، فصَدَرْتُ عنها وأنا أَشْعَرُ النَّاسِ .

وقوله لا مَرَحَباً : لا سعة ؛ ونصبه هاهنا شبيهُ بالمصدر ؛ كأنه قال لا رَحْبَ رَحْباً ولا أَهْلَ أَهْلاً . وَأَزِفَ : قَرَبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرّدة وسرّها وجهها

1 الواقى هنا : الصُرد وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تنطير بصوته . والخاتم هنا : الغراب الأسود .

2 ل : الغداف .

3 الإكفاء والإقواء من عيوب القافية .

4 وصدر البيت : أَلَمْ تَرَأْنِ طول الدهر يسلي .

5 ل : الفهدة .

بذراعها :

[من الكامل]

صوت

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَه
عَنَمٌ على أَغْصَانِه لَمْ يُعْقَدِ
ويفاحم رَجُلِي أَثِثَ نَبْتُه
كَالكَرْمِ مالَ على الدَّعَامِ المُسَدِّ
نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجُوهِ العُودِ

غناه ابن سُرَيْج ، ولحنه من خَفِيفِ الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالوسطى عن عمرو . والنَّصِيفُ :
الخِمار ، والجمع أَنْصِفَةٌ ونُصُفٌ . والعَنَمُ ، فيما ذكر أبو عُبيدة ، يَسَارِيعٌ¹ حُمْرٌ تكون في
البقل في الربيع . وقال الأصمعي : العَنَمُ : شجرٌ يَحْمَرُّ وَيَنْعَمُ² نَبْتُه . والفاحم : الشديد
السود . والرَّجُلُ : الذي ليس بجعد . والأثِثُ : المتكاثف ؛ قال امرؤ القيس : [من الطويل]
أَثِثٌ كَقَنُو النخلة الْمُتَعَنِّكِلِ³

ويقال : شَعَرٌ رَجُلٌ وَرَجُلٌ . ويُروى :

ورنت إليَّ بمقلتي مكحولة

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تقضيها : يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة
أهلها ، فهي كالسقيم الذي ينظر إلى مَنْ يعودُه .

غناه ابن سُرَيْج خفيف ثَقِيلِ أوَّلِ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه .

[قال صالح بن حسان إنه كان مخنثاً]

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمري قال :
قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حسان : كان والله النابغة مُخْنَثًا . قلت : وما عَلِمُكَ
به ؟ أَرَأَيْتَهُ قَطُّ ؟ قال : لا والله ! . قلت : أَفَأُخْبِرْتَ عنه ؟ قال لا .

قلت : فما عَلِمُكَ به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولته واتقنتنا باليدِ

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ولا هذا القولَ إِلَّا مُخْنَثٌ .

[هرويه من النعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرواة في سببه]

قال : فأنشدنا النابغة مُرَّةَ بنَ سعد القريني ، فأنشدنا مُرَّةَ النعمان ، فامتلاً غضباً فأوعد

1 اليساري : جمع يُسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل .

2 نَعِمَ العود : اخضر ونضر .

3 القنو : العنق . والمتعنكل : ذو العناكيل (الشماريخ) .

النَّابِغَةُ وتهدده ؛ فَهَرَبَ مِنْهُ فَأَتَى قَوْمَهُ ، ثُمَّ شَخَّصَ إِلَى مَلُوكِ عَسَّانَ بِالشَّامِ فَاْمْتَدَحَهُمْ . وَقِيلَ :
 إِنَّ عِصَامَ بْنَ شَهْبَرٍ الْجَرَمِيَّ حَاجِبَ النُّعْمَانِ أَنْذَرَهُ¹ وَعَرَفَهُ مَا يُرِيدُهُ النُّعْمَانُ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ ،
 فَهَرَبَ . وَعِصَامُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الرَّاجِزُ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا²
 وَجَعَلَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا

وَقَالَ مَنْ رَوَيْتُ عَنْهُ خَبَرَ النَّابِغَةِ : إِنَّ السَّبَبَ فِي هَرَبِهِ مِنَ النُّعْمَانِ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ بْنَ
 خُفَافِ التَّمِيمِيِّ وَامْرَأَةَ بْنَ سَعْدِ بْنِ قُرَيْعٍ السَّعْدِيَّ عَمِلَا هَجَاءٍ فِي النُّعْمَانِ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنْشَدَا
 النُّعْمَانُ مِنْهُ أُبَيَاتًا يُقَالُ فِيهَا :

مَلِكٌ يُلَاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ رِخْوُ الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالْمِرْوَدِ

ومنه :

قَبَّحَ اللَّهُ ثُمَّ تَنَّى بِلَعْنٍ وَارِثَ الصَّائِغِ الْجَبَانَ الْجَهُولَا
 مَنْ يَضُرُّ الْأَدْنَى وَيَعْجِزُ عَنْ ضَدِّ رِّ الْأَقَاصِي وَمَنْ يَخُونُ الْخَلِيلَا
 يَجْمَعُ الْجَبِشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ قَتِيلَا

يعني بوارث الصائغ النعمان ؛ وكان جدُّه لأمِّه صائغاً بفدك³ يقال له عطية . وأمُّ النعمان
 سلمى بنت عطية .

فأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن
 الأعرابي عن المفضل : أن مرة بن سعد القريعي الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له
 ذو الريقة من كثرة فرنده وجوهره ، فذكره النابغة للنعمان ، فأخذه . فاضطغن ذلك القريعي
 حتى وشى به إلى النعمان وحرَّضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب عن
 أبي عمرو بن العلاء ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز
 عن عمر بن شبة ، قالوا جميعاً : إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان
 والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالساً عنده ، وكان النعمان دميماً أبرش⁴ قبيح

1 أنذره : أعلمه .

2 مثل يضرب في نباحة الذكر من غير قديم كما في سيرة عصام هذا فكل من ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له
 عصامي ؛ فصل المقال : 137 .

3 فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

4 الأبرش : الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

الْمَنْظَرُ ، وكان المنخلُ بن عُبَيْدٍ من أجمل العرب ، وكان يُرمي بالمتجرّدة زوجة النعمان ،
ويتحدّث العربُ أنّ ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقال النعمان للنابعة : يا أبا أمامة ،
صِفِ المتجرّدة في شرك ؛ فقال قصيدته التي وَصَفَهَا فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها .
فلجّحت المنخلُ من ذلك غيرةً ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا مَنْ جرّبه .
فوقر ذلك في نفس النعمان . وبلغ النابعة فخافه فهربَ فصار في غَسَّان .

[كان المنخلُ يشكركَ يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغرّل فيها فقتله]

قالوا : وكان المنخلُ يهوى هنداً بنت عمرو بن هند ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

ولقد دخلتُ على الفتا	ة الخدرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعب الحسناء تر	قلُ في الدّمقس وفي الحريرِ
فدفعْتُها فتدافعت	مَشَى القِطَاقَ إلى الغديرِ
ولثمتُها فتنفّست	كنفُسُ الظُّبَى البَهِيرِ ¹

غناه إبراهيم الموصليّ من رواية عمرو بن بانه ثانيّ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق :

وبدتُ وقالت يا مُنخً	لُ ما بجسمك من فتورٍ؟ ²
ما مَسَّ جِسمي غيرُ حَبٍّ	لُ فاهذئي عني وسيري ³
ولقد شربتُ من المدا	مةً بالكبير وبالصغير ⁴
فإذا سكرتُ فإنني	رَبُّ الخورنقِ والسدير ⁵
وإذا صحتُ فإنني	رَبُّ الشؤنيّةِ والبعيرِ
يا هندُ هل من نائلٍ	يا هندُ للعاني الأسيرِ
وأحيها وتحيي	ويُحبّ ناقتها بعيري

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مِسَجَح : في هذا الصوت لمالك
ومعبدٍ وابن سُرَيْج وابن مُحَرِّز والغريّض وابن مِسَجَح لكلهم فيه ألحان . قال : فبلغ عمراً

1 البهير : الذي يتابع نفسه من الإعياء ، والتعب ؛ وفي الشعر والشعراء 404/1 :
وعطفها فتعطفت كعطف الظبي الغري

2 وبدت : في الشعر والشعراء : 404/1 فترت .

3 مس : في الشعر والشعراء : 404/1 ما شَفَّ .

4 في الشعر والشعراء : 405/1 بالصغير والكبير .

5 الخورنق والسدير : قصران ، وقيل هما نهران .

خيرُ المنخل فآخذه فقتله . وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضُّ قومه على طلب الثأر به :

طُلَّ وَسَطَ الْعِرَاقِ قَتْلِي بِلا جُرْمٍ وَقَوْمِي يَتَّبِعُونَ السُّخَالَا

رجع الخير إلى سياقه . قالوا جميعاً : فلما صار النابغة إلى غَسَّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِير ، وأمَّ الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكِنْدِيَّة وهي ذات القُرْطَيْن اللّذين يُضْرَبُ بهما المثل فيقال لما يُغْلَى به الثمن « [خُذْهُ وَلَوْ] ¹ بِقُرْطَي مَارِيَّة » . وأختها هند هندود امرأة حُجْرٍ آكِلٍ المُرَّار . وإياها عَنَى حَسَّان بقوله في جَبَلَة بن الأَيَّهم :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَّةَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ

[مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني]

ولذلك خير يأتي في موضعه ، فمدحه النابغة ومدح أخاه النعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أخوه النعمان ؛ فصار معه إلى أن استطلعه ² النعمان فعاد إليه . فميماً مدح بع عمراً قوله :

صوت

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ بِآثِبِ
عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةً بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَا لَدَهُ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ

عروضه من الطويل . غنى في البيتين الأولين ابن مُحَرِّزٍ خفيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَصْرِ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو . وغنى فيه الأَبَجَرُ مِنْ رِوَايَةِ حَبْشٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى . وغنى مَالِكٌ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَايَ . وغنى فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَبْيَاتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرُّبَيْعِيُّ مَآخُورِيّاً عَنْ حَبْشٍ ، وغنى فِيهَا طُوَيْسٌ رَمَلاً بِالْوَسْطَى بِحَاكِيَتَيْنِ عَنْ حَبْشٍ .

هكذا رُويَ قَوْلُهُ « يَا أُمَيْمَةَ » مَفْتُوحَ الْهَاءِ . قَالَ الْخَلِيلُ : مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ تَنَادِيَ الْمُؤْتَّ

1 مثل : فِي بَابِ الْجَدِّ فِي طَلَبِ الْحَاجَةِ وَتَرَكَ التَّفْرِيطَ فِيهَا . هِيَ مَارِيَّةُ بِنْتُ الْأَرْقَمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جَفْنَةَ ، أَوْ هِيَ مَارِيَّةُ بِنْتُ ظَالِمٍ وَهِيَ أُمُّ مَلِكِ غَسَّانِ الْحَارِثِ بْنِ الْأَعْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَكْبَرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَجْرٍ .
فصل المقال : 335 .

2 استطلعه : طَلَبَ طُلُوعَهُ إِلَيْهِ .

بالترخيم فتقول يا أُمَيِّمَ ويا عَزَّ ويا سَلَمَ ؛ فلَمَّا لم يُرَخِّمَ لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مُرَحِّمَةً وَأَتَى بها بالفتح . وِكَلِينِي أَي دَعِينِي . ووَكَلْتُهُ إِلَى كَذَا أَكَلُهُ وَكَالَةٌ¹ . وناصب : مُتَعِيب . وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تَغُور . أَرَا ح : رَدَّ . يقال أَرَا حَ الرَّجُلُ إِبْلَهُ أَي رَدَّهَا : فيقول : رَدَّ هَذَا اللَّيْلُ إِلَيَّ مَا عَزَبَ مِنْ هَمِّي بِالنَّهَارِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّلُ نَهَاراً بِمَحَادَثَةِ النَّاسِ وَالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِ الْفِكْرِ ، فَإِذَا خَلَا بِاللَّيْلِ رَاحَ إِلَيْهِ هُمُّهُ . وَتَقَاعَسَ تَأَخَّرَ ؛ وَأَصْلُ التَّقَاعَسِ الرَّجُوعُ إِلَى خَلْفِ الْقَهْقَرَى ، فَشَبَّهَ اللَّيْلَ فِي طَوْلِهِ بِالتَّقَاعَسِ . وَالَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ أَوَّلُهَا ، شَبَّهَهَا بِهَوَادِيهَا² . وَقَوْلُهُ «لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ» أَي لَا يَكْذُرُهَا وَلَا يَمْنُهَا .

وَمَا يَغْنَى فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي بِصَاحِبِ³
لَكِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ بِجِلْقِي وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءِ الَّذِي عِنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدٍ قَوْمِهِ لَيْلَتُمَسِّنَ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ⁴
غَنَاهُ إِسْحَاقُ خَفِيفٌ ثَقِيلُ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَلَى مَذْهَبِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ عَنْهُ وَمِنْ رِوَايَةِ حَبَشَ . وَغَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلُ بِالْبَنْصَرِ . يَقُولُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَا يَكُونُ مِنْ صَاحِبِي إِلَّا أَنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ . وَقَوْلُهُ «لَكِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ» يَعْنِي لَكِنْ كَانَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ لِلْمَدْفُونَيْنِ فِي هَذَيْنِ الْقَبْرِينِ ، يَعْنِي قَبْرَ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَهُمَا الْحَارِثُ الْأَكْبَرُ وَالْحَارِثُ الْأَعْرَجُ ، لَيْلَتُمَسِّنَ جَيْشُهُ دَارَ الْمُحَارِبِ لَهُ ؛ يَحْرُضُهُ بِذَلِكَ . وَيُرْوَى «أَرْضَ الْحَارِبِ» : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالِ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبِ

صوت

[مِنْ الطَّوِيلِ]

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنْ النَّاسِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسِ بِهِنَّ كَلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ

1 الوكالة : اسم من التوكيل .

2 إن الذي يهدي النجوم ما يتقدمها ؛ إذ هادي كل شيء ما يتقدمه . فقليل المراد به أول النجوم ، ومعنى كونه غير آتب : غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادي النجوم الشمس .

3 غير ذي مثنوية : لم أشتن فيها . في الديوان : حُسْنُ ظَنِّي بِصَاحِبِ .

4 الحارث الجفني : هو الحارث بن أبي شمر الجفني الفسافي .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ
إذا استنزلوا عنهنّ للطعنِ أَرَقَلُوا إلى الموتِ إِرْقَالَ الجمالِ المصاعبِ
حَبَوْتُ بها غَسَّانَ إذ كنتُ لاحقاً بقومي وإذ أُعيتُ عليّ مَذاهبي

وجدتُ في كتابِ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المكّي . الشّيمة : الطيّعة ، وجمعها شَيْمٌ . غير عواذب أي لا تعزّب أحلامهم فتنفذ عنهم . وعارفات للطعان أي صابرات عليه قد عودت أن يُحاربَ عليها . وعوابس كوالح . وجالب أي عليه جُلْبَةٌ وهي قِشْرَةٌ تكون على الجرح ؛ يقال جَلَبَ الجرحُ يَجْلِبُ جلوباً وأجلب إجلاباً . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمْسَسْه الحبل وإنما يُقْتَنَى للفيحلة ، ويقال له قَرَمٌ ومُقرَّمٌ . وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة . وروى أبو عبيدة «إذ كنت لاحقاً بقوم» وقال : يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين ، فكنتم أحقّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال : [من السريع]

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُقْتَبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمَامِ
للحارث الأكبر والحارث الـ أصغرٍ والحارث خيرُ الأَنَامِ
ثم لهندي ولهندي فقد أسرع في الخيراتِ منه إمامٌ¹
خمسةُ آباءٍ وهُم ما هُم هُم خيرٌ من يشرب صوبَ الغمامِ²

غناه حنينٌ خفيف رملٍ بالنصر عن حبش .

[فضله الشعبي على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عبد الله الزبيري قال حدثنا شيخ يُكنى أبا داود عن الشعبي قال : دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلت حين دخلت : عامرُ بن شراحيل الشعبي . فقال : على علمٍ ما أذنّا لك . فقلت في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطل : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خذها ثنتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول :

[من السريع]

1 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : يُنَجع في الرّوضات ماء الغمام .

2 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : هم خير من يشرب صفو المدام .

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُستَقْبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمَامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ أصغرِ والحارثِ خيرُ الأَنَامِ
خمسةُ آبَاءٍ وَهُمُ ما هُم هم خيرُ مَنْ يشربُ ماءَ الغمامِ

والشعر للنابعة ، فقال الأخطل : إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنتُ حَرِيًّا أن أقول كما قلتُ أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنه أخطأ ثلاث مرّات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز ولم أسمع من أحد ، ووجدته أتمّ ممّا رأيتُ في كلِّ موضع ، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصِّ خبر النابعة لأنه أليقُّ به . قال أحمد بن الحارث الخراز حدّثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال : كتب عبدُ الملك إلى الحجاج : إنّه ليس شيءٌ من لَذَّةِ الدُّنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يبقَ عندي شيءٌ إلّا مناقلةُ الإخوان للحديث . وقيلَ لك عامرُ الشَّعبيّ ، فابعثْ به إليّ يحدّثني . فدعا الحجاج الشعبيّ فجّهزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبيّ . قال : حيّاك الله ؛ ثم نهض فأجلسني على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخلْ يرحمك الله . فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللّحية على كرسيّ ، فسلمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم أوماً إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبيّ : فأظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ، فلم أصبر أن قلتُ : ومنّ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنّه أشعرُ النَّاسِ ؟! قال : فعجب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالِي . قال : هذا الأخطل . فقلت . يا أخطل ! أشعرُ والله منك الذي يقول : [من السريع]

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُستَقْبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمَامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ أصغرِ والحارثِ خيرُ الأَنَامِ
ثم لهندي ولهندي فقد أسرع في الخيرات منه إمام
خمسةُ آبَاءٍ وَهُمُ ما هُم هُم خيرُ مَنْ يشربُ صوبَ الغمامِ

فردّتها حتى حفظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ . قال فقال : صدقَ والله يا أمير المؤمنين ، النابعة والله أشعرُ مني . فقال الشعبيّ : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنت يا شعبيّ ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتُ به . ثم ذهبتُ لأضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فقال : مه !

إِنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْمُنْطَقِ وَلَا تَرَاهُ مِنَّا فِي قَوْلٍ وَلَا فَعْلٍ حَتَّى تُفَارِقَنَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ قَالَ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ فَضَّلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَجْمَعِينَ ، وَبِإِبَاهِ وَفْدُ غَطَفَانَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ ، أَيُّ شُعْرَائِكُمُ الَّذِي يَقُولُ : [من الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَاكْذَبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبْتَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأتيكم الذي يقول : [من الطويل]

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وإن خلتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
خَطَّاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ

قالوا : النابغة . قال : فأتيكم الذي يقول : [من الوافر]

إِلَى ابْنِ مُحَرَّرٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلي وقد هَدَّتِ الْعَيُونُ¹
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْنُهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : أَتُحِبُّ أَنَّ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شَعْرَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ تُحِبُّ أَنَّكَ قَلْتَهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنَّ كُنْتُ قُلْتُ أُبَيَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا ، كَانَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مُغْدَفٌ² الْقِنَاعَ قَلِيلَ السَّمَاعِ قَصِيرَ الذَّرَاعِ . قال : وما قال ؟ فَأَنشَدَ قَصِيدَتَهُ : [من البسيط]

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّلُ وإن بَلَيْتَ وإن طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ³
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خَلَةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
إِنْ تَرْجِعِي مِنْ أَبِي عِثْمَانَ مُنْجِحَةً فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِعِ الْعَمَلُ⁴
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مُمْ مَخْطِئُ الْهَبَلُ

1 هدت ، أصله : (هدأت) بالهمز .

2 إغداق القناع : إرساله على الوجه .

3 الطَّلِيل : جمع طيلة وهو الدهر .

4 منجحة : ظافرة . والمستنجع : طالب النجاة .

قد يُذِرْكُ الْمُتَأَنِّيَ بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزَّلُّ
حتى أتى على آخرها . قال الشعبي : فقلت : قد قال القطاميُّ أَفْضَلَ من هذا قال : وما
قال ؟ قلت قال :

طَرَقَتْ جُنُوبُ رِحَالِنَا من مَطَرَقٍ ¹	ما كنت أَحْسِبُهَا قَرِيبَ الْمُعْنَقِ ¹
قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِدَايَةِ ²	حَسَنٍ مُعْلَقُ تَوَمَتِيهِ مُطَوَّقٍ ²
وَمُضَرَّعِينَ مِنَ الْكَلَالِ كَأَنَّمَا ³	شَرَبُوا الْغُبُوقَ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُعَرَّقِ ³
مَتَوَسِّدِينَ ذِرَاعَ كُلِّ نَجِيَّةٍ ⁴	وَمُفَرَّجٍ عُرْقِ الْمَقْدُ مَنُوقٍ ⁴
وَجَثَتْ عَلَى رُكْبٍ تَهْدُ بِهَا الصُّفَا ⁵	وعلى كَلَاكِيلَ كَالنَّقِيلِ الْمَطْرَقِ ⁵
وَإِذَا سَمِعْنَ إِلَى هَمَاهِمِ رُقْفَةٍ ⁶	ومن النجومِ غَوَايِرَ لَمْ تَخْفِ ⁶
جَعَلَتْ تُمِيلُ خَدُودَهَا آذَانَهَا	طَرَبًا بَهَنَ إِلَى حُدَاءِ السُّوقِ
كَالْمُنْصِتَاتِ إِلَى الْغِنَاءِ سَمِعْنَهُ	من رَائِعٍ لِقُلُوبِهِنَّ مُشَوِّقِ
وَإِذَا نَظَرْنَ إِلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ	لَهَقًا كَشَاكِلَةِ الْحِصَانِ الْأَبْقَى ⁷
وَإِذَا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجَةٍ	حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لَمْ يَلْحَقِ ⁸
وَإِذَا يَصِيكُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً	حَدَّثَ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ
لِئِنْ الِهِمُومُ عَنِ الْفَوَادِ تَفَرَّقَتْ	وَحَلَا التَّكَلُّمُ لِلَّسَانِ الْمُطْلَقِ ⁹

قال : فقال عبد الملك : هذا والله أشعرُ ، ثَكَلَتِ الْقَطَامِيَّ أُمُّهُ ! . قال : فالتفت إليَّ
الأخطل فقال : يا شعبي ، إِنَّ لَكَ فَنُونًا فِي الْأَحَادِيثِ ، وَإِنَّمَا لَنَا فَنٌ وَاحِدٌ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ إِلَّا

- 1 المعنق : المكان الذي أعنقت منه . العنق : ضرب من السير سريع .
- 2 الجداية : الغزال . التومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة .
- 3 شربوا في ل : سمروا . الرحيق في الديوان : الطلا . المعرق : القليل الماء .
- 4 المفرج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقد : ما خلف الأذن . بعير منوق : مذل كانه ناقة ، أو هو الذي اختير وتنوق فيه .
- 5 النقييل : رقاد النعل والخف ، واحدها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .
- 6 غواير في ل : غواير أي بواق .
- 7 لهقاً في ل : كهفأ . واللهق : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبقى من الخيل : الذي ارتفع تحجيلة إلى فخذيه .
- 8 الشسع : أحد سيور النعل .
- 9 لئن في ل : ليت . تفرقت في ل : تفرجت .

تحمليني على أكتاف قومك فأدعهم حَرَضاً¹ ! . فقلت : لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأقْلِنِي في هذه المرة . قال : مَنْ يَتَكْفَلُ بِكَ ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليّ ألاّ يعرض لك أبداً ؛ ثم قال : يا شعبيّ ، أيّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلت : خنساء . قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنَّعْشُ قد فات خطوها لتُذِرْكه يا لهْفَ نفسي على صَخْرٍ
ألا تَكِلْتِ أُمّ الذين غَدَوْا بِهِ إلى القبر ماذا يحملون إلى القبرِ

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التي تقول :

مُهَفِّهُفُ الكَشْحِ والسربالِ منخرقٍ عنه القميصُ لسير الليلِ محترقٍ²
لا يَأْمَنُ الناسُ مُنْسَاهُ ومُصْبَحُهُ في كلِّ فَجٍّ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبيّ ، لعلك شقّ عليك ما سمعت . قلت : إي والله يا أمير المؤمنين أشدّ المشقّة . إنني أحدثك منذ شهرين لم أفدك إلاّ أبيات النابغة في الغلام . قال : يا شعبيّ ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إنّ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهل الشام أعلم بعلم العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها ، ولم أزل عنده ؛ فكنْتُ أَوَّلَ داخلٍ وآخر خارج . قال : فمكثْتُ كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين ؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه : يا أخي ، إنني قد بعثت إليك الشعبيّ ، فانظر هل رأيت مثله قط ؟ ثم أذن لي فانصرف .

[حديث حسان عنه حين قدم على النعمان]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبة عن أبي بكر الهذليّ قال : قال حسان بن ثابت : قدِمْتُ على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأتيته حاجبه عصام بن شَهْبَرٍ فجلستُ إليه ؛ فقال : إنني لأرى عربياً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكنْ قحطانيّاً . فقلت : فأنا قحطانيّ . قال : فكنْ يَثْرِيّاً قلتُ : فأنا يثربيّ . قال : فكنْ خَزْرَجِيّاً . قلت : فأنا خزرجيّ . قال : فكنْ حسان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجبْتِ بمدحَ الملك ؟ قلت نعم . قال : فإنني أرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنه يسألك عن جَبَلَةِ بن الأيهم ويسبّه ، فيأياك أن تساعد على ذلك ،

1 الحرض : الرديء ، من الناس .

2 مهفّف الكشح : ضامره ، وهفّفة السربال رفته وخفته .

ولكن أَمِرْ ذكره إمراراً لا تُوافق فيه ولا تُخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ . وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكله ؛ فإن أقسم عليك فأصِيبَ منه اليسير إصابةً باراً قَسَمَهُ مُتَشَرِّفٍ بمؤاكلته لا أكل جائعٍ سَغِبَ ، ولا تُطِلْ محادثته ، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تُطِلْ الإقامة في مجلسه . فقلت : أحسن الله رِفْدَكَ ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لي : ادخل . فدخلتُ فسَلِمْتُ وحييتُ تحية الملوك . فجاراني من أمر جبلة ما قاله عصامُ كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عصامُ به ، وبالشراب ففعلتُ مثل ذلك . فأمر لي بجائزة سنّة وخرجت . فقال لي عصام : بقيت عليّ واحدة لم أوصيك بها ؛ قد بلغني أن النابغة النُبَياني قدِمَ عليه ، وإذا قدِمَ فليس لأحد منه حظٌ سواه ؛ فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرماً خيراً من أن تنصرف مجفوفاً ؛ فأقمتُ ببابه شهراً . ثم قدِمَ عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دُخْلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألها مسألة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من آدم ، ولم يشعر بأن النابغة معهما . ودسّ النابغة قَيْنَةً تغنيه بشعره :

يا دارميّة بالعلياء فالسند

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنّه لشعر النابغة ! وسأل عنه فأخبر أنّه مع الفزاريين ؛ فكلّماه فيه فأمنه .

وقال أبو زيد عمر بن شُبّة في خبره : لما صار معهما إلى النعمان كان يُرسل إليهما بطيبٍ ولطاف مع قَيْنَةٍ من إماءه ، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان ، فعلم أنّه النابغة . ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تغنيه به إذا أخذت فيه الخمر ؛ ففعلتُ فأطربته ، فقال : هذا شعر علوي¹ ، هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج في غِبٍّ سماء ، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خُضِبَ بجناء فأقنأ خِضابُه² ، فلما رآه النعمان قال : هي بدمٍ كان أحرى أن تُخَضَّب . فقال الفزاريان : أبيت اللعن ! لا تثريب³ ، قد أجرناه ، والعفو أجمل . فأمنه واستنشد أشعاره . فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدري على أيّتهن كنتُ له أشدَّ حسداً : على إدناء النعمان له بعد المباحدة ومسامرته⁴ له

1 علوي : نسبة إلى العالية غير القياس ، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

2 قنوء الخضاب : اشتداد حمرة .

3 التريب : اللوم والتعير بالذنب والتذكير به .

4 في ل : ومسامرته .

وإصغائه إليه ، أم على جَوْدَة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره¹ أمر له بها .
قال أبو عُبَيْدة : قيل لأبي عمرو : أَفَمِنْ مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبِه منه أم لغير ذلك ؟
فقال : لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ، إن كان لَأَمِناً من أن يوجّه النُّعْمان له جيشاً ، وما كانت
عشيرته لِتُسَلِّمَهُ لأوّل وهلة ، ولكنه رَغِبَ في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في
آنية الفِضَّة والذهب من عطايا النُّعْمان وأبيه وجَدّه ، لا يستعمل غير ذلك . وقيل : إنَّ السبب في
رجوعه إلى النُّعْمان بعد هَرَبِه منه أنّه بلغه أنّه عليلٌ لا يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على
البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنْقَل
ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شُهَيْرٍ حاجبه ، فيما أخبرنا به اليزيديّ عن عمّه
عُبَيْد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل : [من الوافر]

صوت

أَلَمْ أَقْسِمَ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِي أَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهَمَامُ
فَأِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دَخُولِي ولكن ما وراءك يا عِصَامُ²
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الْحَرَامُ³
وَنُصَيْبِكَ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبُ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ⁴
غَنَاهُ حَيْنٌ ثَقِيلاً أَوَّلَ بِالْبَصْرِ عَنْ حَبَشٍ .

قال أبو عُبَيْدة : كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه ،
فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .
وقوله :

فَأِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دَخُولِي

أي لَا أَلُومُكَ فِي تَرْكِ الْإِذْنِ لِي فِي الدَّخُولِ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي بِكُنْهٍ أَمْرِهِ . وقوله : [من الوافر]
ربيع الناس والشهر الحرام

1 العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

2 لَا أَلُومُكَ فِي ل : لَا أَلَام . و«ما وراءك يا عصام» مثل . انظر مجمع الأمثال للميداني : 262/22 وكتاب
الأمثال لأبي فيد : 184 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري : 225/2 وكتاب المستقصى في الأمثال
للزمخشري : 334/2 .

3 أبو قابوس : كنية النُّعْمان بن المنذر .

4 ذِنَاب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأَجَب الظهر : مقطوع السنام .

يريد أنه كالربيع في الخصب مُجْتَدِيهِ ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصل إلى مَنْ أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد .
[مما يغنى فيه من شعره]

صوت

[من الطويل]

رَأَيْتُكَ تَرْعَانِي بَعِينَ بِصِيرَةٍ وَتَبِعْتَ حُرَّاساً عَلِيَّ وَنَاطِرًا¹
قَالَيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرَماً وَلَا أَتْبَغِي جَاراً سِوَاكَ مَجَاوِرًا²
وَأَهْلِي فِدَاءٍ لَأَمْرِي إِنْ أَتَيْتَهُ تَقْبَلُ مَعْرُوفِي وَسَدُّ الْمَفَاقِرَا³
أَلَا أَبْلُغُ النُّعْمَانَ حَيْثُ لَقَيْتَهُ وَأَهْدَى لَهُ اللَّهُ الْغِيُوثَ الْبَوَاكِرَا
غَنَاهُ خُلَيْدٌ⁴ الْوَادِيَّ رَملاً بِالْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ حَبَشٍ .

وَمَا يُغْنِي فِيهِ مِنْ قِصَائِدِ النَّابِغَةِ الَّتِي يَعْتَذِرُ فِيهَا إِلَى النُّعْمَانِ :

[من البسيط]

صوت

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَانًا أُسَائِلُهَا أَعَيْتَ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَايَأْ مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّوْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأْدِ⁵
خَلَّتْ سَبِيلَ أَتْيٍ كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعْتَهُ إِلَى السَّجْنَيْنِ فَالْنُّضْدِ
أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ
الْغَنَاءُ لِمُعْبَدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَجَمِيلَةٌ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ
عَنْ عَمْرِو وَحَبَشٍ .

قال الأصمعي : وقوله « يا دار مَيَّة » يريد يأهلَ دارِ مَيَّةَ ، كلِّما قال امرؤ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُلُ الْبَالِي

يريد أهلَ الطلل . وقال الفراء . إنما نادى الدَّارَ لَا أَهْلَهَا أَسْفَاً عَلَيْهَا وتشوَّقاً إِلَى أَهْلَهَا

1 ترعاني : تحرسني وتحفظني .

2 آليت : أقسمت ، ومجرماً : مذنباً .

3 يقال : سدَّ الله مفارقة أي أغناه وسدَّ وجوه فقره .

4 هو خليلد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى .

5 موضع الثَّأْدِ التراب الندي المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق ببعضه ببعض وانخفض .

وَتَمَنِّيهِ أَنْ تَكُونَ أَهْلًا . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلَا يَعْلُو وَعَلَى يَعْلَى ، مثلُ حَلَا يَحْلُو وَحَلَى يَحْلَى ، وَسَلَا يَسْلُو وَسَلَى يَسْلَى . والسُّنْد : سَنَدُ الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَدُ فيه أي يُصْعَد . أَقَوْتُ : أَقْفَرْتُ وَخَلْتُ من أَهْلِهَا . وقال أَبُو عُبَيْدَةَ في قوله يا دار مَيَّةَ ثم قال أَقَوْتُ ولم يقل أَقَوَيْتَ : إِنَّ من شَأْنِ العرب أَنْ يَخَاطِبُوا الشَّيْءَ ثم يَتْرَكُوهُ وَيَكْفُوهُ عنه . وروى الأصمعيّ «أَصِيلَانًا» وهو تصغيرُ أَصْلَانٍ¹ . ويروى «عَيْتٌ جواباً» أي عَيْتٌ بالجواب . والأَوَارِي : جمع آري² . ولأَيًّا : بَطْطًا . والمظلومة : التي لم يكن فيها أثرٌ فحفر أَهْلُهَا فيها حوضاً ؛ وظَلَّمَهُمْ إِيَّاهَا إِحْدَانَهُمْ فيها ما لم يكن فيها . شَبَّهَ النُّوْيَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلْد : الأرض الصُّلْبَةُ الغليظة من غير حجارة . وَإِنَّمَا جعلها جَلْدًا لِأَنَّ الحفر فيها لا يسهل . وقوله «رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ» يعني أُمَّةً فعلتُ ذلك ، أَضْمَرَهَا ولم يكن جرى لها ذكر . وَأَقَاصِيهِ : يعني أَقَاصِي النُّوْيِ على أَدْنَاهُ ليرتفع . وَلَبَدَهُ : طَأْمَنَهُ³ . والوليدة : الأُمَّةُ الشَّابَّةُ . والثَّاد : التَّدَى . والسَّيْل : الطريق . والأَتْي : النهر المحفور ، والأَتْي : السيل من حيث كان . يقول : لَمَّا أَفْسَدْتُ طَرِيقُ الأَتْيِ سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقًا حَتَّى جَرَى . ورفَعته أي قَدَمْتُ الحفر إلى موضع السُّجْفَيْن ، وليس رَفَعْتَهُ هَاهُنَا من ارتفاع العُلُو . والسُّجْفَان : سِتْرَانِ رَقِيقَانِ يَكُونَانِ في مُقَدِّمِ البيت . والنَّصْد : ما نُصِّدُ من المتاع . وَأَخْنَى : أَفْسَدَ . وَلُبَّدَ : آخَرَ نَسورَ لُقْمَانَ التي اختار أن يُعَمَّرَ مثلَ أَعْمَارِهَا وله حديث ليس هذا موضعه .

صوت

[من البسيط]

أُسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ
فَارْتَاغَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوَّعُ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
قَبْنُهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمُعُ الْكُعُوبِ بَرِيَّاتٌ مِنَ الْحَرْدِ⁴
وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ طَعَنَ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُخْجَرِ النَّجْدِ⁵
شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمَذْرَى فَأَنْفَذَهَا طَعَنَ الْمُبْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدِ
غَنَى فِيهِ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيَّ هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ . وفيه لحن للمالك . يعني

1 أصلان : جمع أصيل وهو القسي .

2 آري : الأخية التي تشدُّ بها الدابة .

3 طأمنه : خفضه وسكنه .

4 بث : فرق .

5 ضمران : اسم كلب . يوزعه : يغريه .

أَنَّ سَحَابَةً مَرَّتْ عَلَيْهِ لَيْلًا وَأَنَّ أَنْوَاءَ الْجَوَازِ أُسْرَتْ عَلَيْهِ بِهَا . وَتَزَجِي : تَسْوِقُ وَتَدْفَعُ . عَلَيْهِ أَي عَلَى الثَّوْرِ . وَالْكَلَّابُ : صَاحِبُ الْكِلَابِ . وَقَوْلُهُ «بَاتَ لَهُ طَوْرُ الشَّوَامَتِ» أَي بَاتَ لَهُ مَا يَسُرُّ الشَّوَامَتَ¹ اللَّوَاتِي شَعَتْنَ بِهِ . وَصُمْعُ الْكَعُوبِ : يَعْنِي قَوَائِمَهُ أَنَّهَا لَازِقَةٌ مُحَدَّدَةٌ الْأَطْرَافِ لَيْسَتْ بِرَهْلَاتٍ . وَأَصْلُ الصَّمْعِ رِقَّةُ الشَّيْءِ وَلَطَافَتُهُ . وَالْحَرْدُ² : دَاءٌ يَعْيبُهُ ؛ يُقَالُ بَعِيرٌ أَحْرَدٌ ، وَنَاقَةٌ حَرْدَاءٌ . وَالْمُخَجَّرُ : الْمُلْجَأُ . وَالتَّجْدُ³ : الشَّجَاعُ . وَالْفَرِيصَةُ : مَرْجِعُ الْكَتِيفِ إِلَى الْخَاصِرَةِ . وَالْمِدْرَى : الْقَرْنُ . وَالْمَيْيَطِرُ : الْبَيْطَارُ . وَالْعَضْدُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْعَضْدِ .

وفي لحن إبراهيم الموصلي بعد «فارتاع من صوت كلاب» :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَخَدٍ⁴
مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ

قال الأصمعي : زال النهار بنا أي انتصف . و«بنا» هاهنا في موضع «علينا» . وَمَنْ رَوَى «مُسْتَوْجِسٍ» فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ أُوجِسَ شَيْئًا خَافَهُ فَهُوَ يَسْتَوْجِسُ . وَالْجَلِيلُ : الثَّمَامُ ، وَاحِدَتُهُ جَلِيلَةٌ . وَوَجَرَّةٌ : طَرْفُ السَّيِّ⁵ وَهِيَ فَلَاحَةٌ بَيْنَ مَرَّانٍ وَذَاتُ عِرْقٍ وَهِيَ سَتُونٌ مِيلًا يَجْتَمِعُ فِيهَا الْوَحْشُ . وَمَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ أَي إِنَّهُ أَبْيَضُ فِي قَوَائِمِهِ نَقَطٌ سُودٌ وَفِي وَجْهِهِ سُفْعَةٌ⁶ . وَطَاوَى الْمَصِيرِ : ضَامِرٌ . وَالْمَصِيرُ الْمَعْنَى ، وَجَمْعُهُ الْمَصْرَانُ . وَالْفَرْدُ : الْمُنْقَطِعُ الْقَرِينِ ؛ يُقَالُ : فَرْدٌ وَفَرْدٌ وَفَرْدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : غنى مخارق يوماً بين يدي الرشيد :

[من البسيط]

سرت عليه من الجوزاء سارية

فلما بلغ إلى قوله :

[من البسيط]

فارتاع من صوت كلاب فبات له

قال : فارتاع (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أرَدَ عليه خطأه ، ثُمَّ خِفْتُ أَنْ يَغْضَبَ الرَّشِيدُ وَيَظُنَّ أَنِّي حَسَدْتُهُ عَلَى مَنَزَلَتِهِ مِنْهُ وَأَرْدَتُ إِسْقَاطَهُ . فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ ، أَظَنَّهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الرُّومِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا مَخَارِقُ ! أَتَغْنِي بِمِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْقَبِيحِ لِسُوقَةِ

1 الشوامت : جمع شامنة وهي القوائم .

2 الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربما كان خلقه .

3 التجد : وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره .

4 الاستئناس هنا : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنسان كما قال ابن الأعرابي .

5 السّي : موضع .

6 السفعة : السواد ؛ وهي سواد مشرب بحمرة .

فضلاً على الملوك ! وملك ! لو قلت : «فارتاع» كان أخفَّ على اللسان وأسهل من قولك «فارتاع». فحجل مخارق ، وكُفيت ما أردته بغيري . قال : وكان مخارق لَحَنًا .
ومنها :

صوت

قالت ألا لَيْتَما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا ونصفه فقدِ
يَحْفُه جانباً يَبْقَى وتُتبعه مثل الزُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمْدِ
فحسبوه فالْفَوْه كما حَسِيتْ تسعاً وتسعين ولم تنقص ولم تزد
فكملتُ مائةً فيها حمامتها وأسرعتُ حِسْبَةً في ذلك العددِ
غناه ابن سُرَيْج خفيف ثَقِيلٍ عن الهشامي . هذا خبرٌ رُوِيَ عن زَرْقَاء اليمامة ، ويُروى عن بنت الخُس¹ .
[أخذ معنى لِرِقاء اليمامة]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا
أخذه النابغة من زرقاء اليمامة ، قالت :

ليت الحمامَ ليَ ونصفه قَدِيه²
إلى حَمَامَتِي تَمَّ الحمامُ مِيه
فسلخه النابغة . وقال الأصمعي : سمعت أناساً من أهل البادية يتحدثون أن بنت الخُس
كانت قاعدةً في جَوَارٍ ، فمرَّ بها قطاً وارداً في مَضِيقٍ من الجبل ، فقالت : [من مجزوء الرجز]
يا ليتَ ذا القَطَا ليَ ومثلَ نَصْفِ مَعِيه
إلى قَطَا أهْلِيه إذاً لنا قَطَا مِيه
وَأَتَبَعْتُ فَعُدْتُ على الماء فإذا هي ستٌ وستون . وقوله : «فَقَدْ» أي فَحَسَبُ . وَيَحْفُه أي
يكون من ناحية هذا الثَّمَد ؛ يقال : حَفَّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيق : الجبل . ومثل
الزُّجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزُّجاجة . الحِسْبَةُ : الهيئة التي تُحَسَّب ؛ يقال : ما أَحْسَنَ
حِسْبَتَه ، مثل الجلِسة واللبسة والرُّكبة .
ومنها :

صوت

نُبْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أُوْعِدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ

1 بنت الخُس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة اسمها هند ، وقيل : جمعة .

2 قديه : حسي ، والهاء الساكنة للسكت .

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلَّهُمْ وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
 إِنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا إِذَا فَلَا رَفْعَتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي
 هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعُ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعْرَضْ أَتَيْتُ اللَّعْنَ بِالصَّفْدِ

غَنَاهُ الْهُذَلِيُّ ، وَلَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ عَنْ الْهَشَامِيِّ . أَثْمَرُ : أَصْلَحَ وَأَجْمَعَ . وَالزَّارُ :
 صِيَاغُ الْأَسَدِ ؛ يُقَالُ : زَارَ زَيْثًا وَهُوَ الزَّارُ . وَالصَّفْدُ : الْعَطِيَّةُ ؛ يُقَالُ : أَصْفَدَهُ يُصْفِدُهُ
 إِصْفَادًا إِذَا أَعْطَاهُ ، وَصَفْدَهُ يُصْفِدُهُ صَفْدًا إِذَا أَوْثَقَهُ .
 [رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي الصُّلْتُ بْنُ
 مَسْعُودٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شَبَّوْثٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ
 سُلَيْمَانَ عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَاهُ عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ أَبِيهِ
 عَنْ مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
 عُمِّي يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَمِّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ قَالَ
 حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَقَدْ جُمِعَتْ رَوَايَاتُهُمْ وَذَكَرْتُ اخْتِلَافَهُمْ فِيهَا ، وَأَكْثَرُ اللَّفْظِ لِلْجَوْهَرِيِّ ،
 قَالَ : خَرَجْتُ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، فَلَقَيْتُ رَجُلًا ، وَقَالَ الْيَزِيدِيُّ فِي خَبَرِهِ : فَلَقَيْتُ صَائِغًا
 مِنْ أَهْلِ قَدَاحٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتِي قَالَ : كُنْ يَثْرِيًّا ؛ فَقُلْتُ : الْأَمْرُ كَذَلِكَ . قَالَ : كُنْ خَزْرَجِيًّا ؛
 قُلْتُ : أَنَا خَزْرَجِي . قَالَ : كُنْ نَجَّارِيًّا ؛ قُلْتُ : أَنَا نَجَّارِي . قَالَ : كُنْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ ؛
 قُلْتُ : أَنَا هُوَ . فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قُلْتُ : إِلَى هَذَا الْمَلِكِ . قَالَ : تَرِيدُ أَنْ أُسَدِّدَكَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ
 وَمَنْ تَرِيدُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنْ لِي بِهِ عِلْمًا وَخُبْرًا . قُلْتُ : فَأَعْلِمْنِي ذَلِكَ . قَالَ : فَإِنَّكَ إِذَا
 جِئْتَهُ مَتْرُوكٌ شَهْرًا قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْكَ ثُمَّ عَسَى أَنْ يُسْأَلَ عَنْكَ رَأْسَ الشَّهْرِ ، ثُمَّ إِنَّكَ مَتْرُوكٌ
 آخَرَ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ ثُمَّ عَسَى أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ . فَإِنْ أَنْتَ خَلَوْتَ بِهِ وَأَعْجَبْتَهُ فَأَنْتَ مُصِيبٌ مِنْهُ خَيْرًا ؛
 فَأَقِمْ مَا أَقَمْتَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَبَا أَمَامَةَ فَاظْعَنْ ، فَلَا شَيْءَ لَكَ عِنْدَهُ . قَالَ : فَقَدِمْتُ فَفَعَلَ بِي مَا
 قَالَ الرَّجُلُ ثُمَّ أَذِنَ لِي وَأَصَبْتُ مِنْهُ مَالًا كَثِيرًا وَنَادَمْتُهُ وَأَكَلْتُ مَعَهُ . فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ وَأَنَا مَعَهُ
 فِي قُبَّةٍ لَهُ إِذَا رَجُلٌ يَرْتَجِزُ حَوْلَهَا :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ الْقُبَّةِ يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعَنْسٍ صُلْبَةٍ¹
 ضَرَابَةٍ بِالْمِشْفَرِ الْأَذْبَةِ ذَاتِ هِيَابٍ فِي يَدَيْهَا جُلْبَةٍ²

1 العنس : الناقة القوية .

2 الأذبة : جمع قلة لذباب . الهياب : النشاط والسرعة .

في لاجِبِ كَأَنَّهُ الْأُطِيَّةُ¹

وفي رواية الزبيدي «في يديها خُدْبَةٌ» أي طول واضطراب . والأُطِيَّة : جمع طياب وهو الشراك يجمع فيه بين الأديمين في الخرز . وقال عمر بن شُبَّة في خبره : قال فُلَيْح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن ذأب ، قال فقال : أليس بأبي أمانة ؟ قالوا بلى . قال : فأَذَنُوا له . ودخل فحَيَّاه وشرب معه . ثم وردت النَعْمُ السُّودُ ، ولم يكن لأحد من العرب بغير أسود يُعرَف مكانه ولا يفتحل أحدٌ بغيراً أسود غير النعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأذن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها :

فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهم كوكبٌ

ووردت عليه مائة من الإبل السود الكَلْبِيَّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبها ، فقال : شأنك بها يا أبا أمانة ، فهي لك بما فيها . قال حسان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ ، وما أدري أيما كنتُ أحسدُ له عليه : ألما أسمع من فضل شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرَامِيزِي² وركبتُ إلى بلادِي . وقد روى الواقدي عن محمد بن صالح الخبر فذكر أنَّ حسان قديم على جَبَلَة بن أبي شَمِير ؛ ولعلَّه غلط . أخبرنا به محمد بن العباس الزبيدي قال حدثني عمِّي يوسف قال حدثني عمِّي إسماعيل عن الواقدي عن محمد بن صالح قال : كان حسان بن ثابت يقدِّم على جَبَلَة بن الأَيَّهم سنةً ويُقيم سنةً في أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورحماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس لمعروف ، وقد يئس منِّي أن أقدم عليه لِمَا يعرف من انقطاعي إلى جَبَلَة . فخرجتُ في السنة التي كنتُ أقيم فيها بالمدينة حتى قدِمتُ على الحارث وقد هيأتُ مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إنَّ الملك قد سرَّ بقدمك عليه ، وهو لا يدعُكَ حتى تذكرَ جَبَلَة . فإياك أن تقع فيه فإنَّه يختبرك ؛ فإنَّك إن وقعتَ فيه زهد فيك ، وإن ذكرتَ محاسنه ثقل عليه ، فلا تبدئْ بذكره ؛ فإنَّ سألَكَ عنه فلا تُطِيب في الثناء عليه ولا تغيِّبه ، امسحْ ذكره مسحاً وجاوزْه . وإنه سوف يدعوكَ إلى الطعام وهو يُثقل عليه أن يؤكَل طعامه أو يُشربَ شرابه ، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوكَ إليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس عن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكلَّ ذلك أخبره ، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلَة فقال : كيف تجِدُ جَبَلَة ، فقد انقطعتُ إليه وتركتنا ؟ فقلتُ له : إنما جَبَلَة منك وأنت منه ؛ فلم أجِرْ معه في مدح ولا ذمٍّ ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي

1 اللاحب : الطريق الواضح .

2 جمع فلان إليه جراميزه : إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

الحاجب . قال : ثم قال لي الحاجب : قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وأنسُ به ، وهو قبيحٌ أن يجفوك بعد البرِّ ، فاستأذِنه من الآن فهو أحسن . فاستأذنته فأذن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكُسا وحُمِّلان ، فقبضتها وانصرفتُ إلى أهلي .

صوت

[من الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لقيتُهُمُ أَحَكَّمُ في أموالهم وأقربُ
ولكنني كنتُ امرءاً لي جانبٌ من الأرض فيه مُستَردٌ ومطلبُ
الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أولُ . الجانب هنا : المتسع من الأرض . والمسترد : المُخْتَلَف يذهب فيه ويجيء ؛ ويقال : راد الرجلُ لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مسترده فقال : «ملوكٌ وإخوانٌ» .

[من الطويل]

ومن القصيدة العينية :

صوت

عفا ذو حساً من قَرَتنا فالفوارعُ فَجَنَّا أريكِ فالتلاعُ الدوافعُ¹
فمُجْتَمَعُ الأشراجِ غَيْرَ رَسَمِها مَصَافٍ مَرَّتْ بعدنا ومَرابعُ²
توهمتُ آياتِها فعرفتُها لِسَتَة أعوامٍ وذا العامِ سابعُ
رَمَادٌ ككُحْلِ العينِ ما إن أُبينه ونُوِّي كجِذَمِ الحوضِ أثْلَمَ خاشعُ³
غناه معبدٌ من رواية حبشٍ رملأ بالنصر .

[من الخفيف]

صوت

آذنتنا بينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثواءُ
بعد عَهْدٍ لها ببرقة شَمًا ء فاذني ديارها الخَلْصاءُ
عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبينُ : الفُرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثوى ثواءً . والبرقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمَاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن جِلْزَةَ اليَشْكُريِّ . والغناء لمعبد ، ثقیلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس مَنْ ينسبه إلى حُنين .

- 1 ذو حساً وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسائل . والتلاع : جمع تلعة ، وهي هنا : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . والدوافع : التي تدفع بالماء إلى الوادي .
- 2 الأشراج : جمع شرج وهو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة .
- 3 إن أُبينه في الديوان : «لأياً أُبينه» . النوي : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شيء : أصله .

[174] - أخبار الحارث بن حِزْرة ونسبه¹

[نسبه]

هو الحارث بن حِزْرة بن مَكْرُوْه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد بن جُشَم بن عاصم بن ذُبْيَان بن كِنَانَة بن يَشْكُر بن بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أُسَد بن ربيعة بن نزار .

[السبب في قول قصيدته المعلقة]

قال أبو عمرو الشيباني : كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك ، وكان جباراً عظيم الشأن والمُلْك ، لَمَّا جمع بَكراً وتَغْلِبَ ابْنَيْ وائل وأصلح بينهم ، أخذ من الحَيِّين رُهْناً من كلِّ حيٍّ مائة غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُهْنُ يكونون معه في مسيره ويغزُون معه ؛ فأصابَتْهم سَمُومٌ في بعض مَسِيرِهِمْ فَهَلَكَ عَامَةُ التَّغْلِبِيِّينَ وَسَلِمَ الْبَكْرِيُّونَ . فقالت تَغْلِبُ لبكر : أعطونا دِيَارَ آبَائِنَا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فلبَّتْ بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِبُ إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتغلب : يَمَنْ ترون بَكراً تَغْضِبُ أَمْرَهَا اليوم ؟ قالوا : بَمَنْ عسى إلا برجل من أولاد تَغْلِبَة . قال عمرو] : أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصْلَجٍ² أصَمَّ من بني يَشْكُر . فجاءت بكرٌ بالنُعْمان بن هَرَمٍ أحد بني ثعلبة بن غنم بن يَشْكُر ، وجاءت تَغْلِبُ بعمر بن كلثوم . فلَمَّا اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنُعْمان بن هَرَم : يا أَصَمَّ ! جاءت بك أولاد ثعلبة تُناضل عنهم وهم يَفْخَرُونَ عليك ! فقال النُعْمان : وعلى مَنْ أَظَلَّتِ السَّمَاءُ كُلَّهَا يَفْخَرُونَ ثم لا يُكْرَ ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أَمَا والله لو لَطَمْتُكَ لَطْمَةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُعْمان : والله لو فعلتَ ما أَفَلَتَ بها قَيْسَ أُمِّرِ أَيْيَك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فقال : يا جارية أعْطِيهِ لَحِيّاً بِلِسَانِ أُنْثَى (أي سَبِيهِ بِلِسَانِكَ) . فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْطِ ذَلِكَ أَحَبَّ أَهْلِكَ إِلَيْكَ . فقال : يا نُعْمان أَيْسُرُكَ أَنِّي أَبُوكَ ؟ قال : لا ! ولكن وِدَدْتُ أَنَّكَ أُمِّي . فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هَمَّ بالنُعْمان . وقام الحارث بن حِزْرة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً ، تَوَكَّأَ على قوسه وأنشدَها وانتظم³ كَفَّهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي : أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 1/ 197-198 ، والخزانة 1/ 158 ، ومعاهد التنقيص 138-139 .

2 الأصْلَجُ : الأصم ، والأصلح في لغة بعض قيس : الأصْلَع .

3 انتظم هنا : طعن .

وَصَحَّ¹ ، فقيـل لعـمـرو بن هـند : إنَّ به وضـحاً ؛ فأمـر أن يُجـعـل بـيـنـه وبـيـنـه سـيـرٌ . فلـمَّا تـكـلـم أعـجـب بـمـنـطـقـه ؛ فـلـم يـزـل عـمـرو يـقـول : أـذْـنـوه أـذْـنـوه حـتـى أـمر بـطـرـح السـيـر وأقـعـده مـعـه قـريـاً مـنـه لإعـجـابـه بـه . هـذه رـواية أبي عـمـرو . وذكـر الأصـمـعيُّ نـحواً مـن ذلـك وقـال : أخـذ مـنـهـم ثـمـانـيـن غـلاماً مـن كـلِّ حـيٍّ وأصـلـح بـيـنـهـم بـذي المـجـاز² ، وذكـر أن الغـلـمـان مـن بـني تـغـلـب كـانـوا مـعـه فـي حـرب فـأصـيـبـوا . وقـال فـي خـبره : إنَّ الحـارث بن حـيـزة لـمَّا ارـتـجـل هـذه القـصـيدة بـيـن يـدي عـمـرو قام عـمـرو بـن كـلثـوم فـارـتـجـل قـصـيدته :

قـفـي قـبـل التـفـرُّق يا ظـلـيـنا

وغـيـرُ الأصـمـعيِّ يُنـكـر ذلـك ويُنـكـر أنه السـبـب فـي قـول عـمـرو بـن كـلثـوم .

وذكـر ابن الكـلـبيِّ عـن أبيه أن الصـلـح كان بـيـن بـكر وتـغـلـب عـند المـنـذر بـن مـاء السـمـاء ، و كان قـد شـرط : أيُّ رـجـلٍ وُجِدَ قـتـيلاً فـي دار قـومٍ فـهـم ضـامـنـون لـدمـه ، وإن وُجِدَ بـيـن مـَحَلَّتـيـن قـيـسَ ما بـيـنـهـما فـيُنظَرُ أَقـربـهـما إـلـيـه فتـضـمَّن ذلـك القـتـيـل . و كان الذـي وُليَ ذلـك واحـتمى لـبـني تـغـلـب قـيـس بـن شـرا حـيـل بـن مُـرة بـن هـمَّام . ثم إنَّ المـنـذر أخـذ مـن الحـيـيـن أشـرافـهـم وأعلامـهـم فـبعـث بـهـم إـلى مـكـة ؛ فـشـرطَ بـعضـهـم عـلى بـعض وتـوائـقـوا عـلى ألا يُقـيـي واحـد مـنـهـم لـصـاحـبه غـائـلةً ولا يـطـلـبه بشـيء مـمَّا كان مـن الآخـر مـن الدـمـاء . وبعـث المـنـذر مـعـهـم رـجـلاً مـن بـني تـمـيم يـقال لـه الغـلـاق . وفـي ذلـك يـقـول الحـارث بـن حـيـزة :

فـهـلاً سـَعَيْتَ لـصـلـح الصـديـقِ	كـصـلـح ابن مـاريـة الأـقـصـم ³
وقـيـسٌ تـداركُ بـكـرَ العـراقِ	وتـغـلـبَ مـن شـرِّها الأـعـظـم
وبيـتُ شـرا حـيـلَ فـي وائـلِ	مـكانَ الثـرَيَّا مـن الأـنـجـم
فـأصـلـحَ ما أفسـدوا بـيـنـهـم	كـذلـك فـعـلُ الفـتـى الأـكـرم

ابن مـاريـة هو قـيـس بـن شـرا حـيـل . ومـاريـة أمـه بـنت الصـبـاح بـن شـيـبان مـن بـني هـند . فـلبثـوا كـذلـك ما شـاء الله ، وقـد أخـذ المـنـذر مـن الفـريـقـيـن رُهنًا بأحـداثـهـم ؛ فـمـتى التـوى أحـد مـنـهـم بـحقِّ صـاحـبه أقـاد مـن الرُّهـن . فـسـرَّحَ النُّعـمان بـن المـنـذر رـكـباً مـن بـني تـغـلـب إـلى جـبـل طـيِّء فـي أـمر مـن أـمره ، فـزـلـوا بـالطـرفـة وهـي لـبـني شـيـبان وتـيـم اللات . فـذكـروا أنـهـم أجـلـوهم عـن المـاء وحـمـلـوهم عـلى المـفاـزة ، فـمات القـوم عطـشاً . فلـمَّا بـلـغ ذلـك بـني تـغـلـب غـضـيـوا وآتـوا عـمـرو بـن هـند فـاسـتـعـذـوه عـلى

1 الوضـح هـنا : البرص .

2 ذو المـجـاز : مـوضـع سـوق مـن أسـواق العـرب بـعـرفة .

3 الأـقـصـم : المـكـسـور الثـبـتـة مـن النـصـف .

بكر ، وقالوا : غَدَرْتُمْ ونقضْتُمْ العهد وانتَهَكْتُمْ الحُرْمَةَ وسَفَكْتُمْ الدماء . وقال بكر : أُنْتُمْ الَّذِينَ فعلْتُمْ ذلك ، قَذَفْتُمُونَا بِالْعُضْيَةِ¹ وسَمِعْتُمْ النَّاسَ بِهَا ، وهَتَكْتُمْ الحِجَابَ والسِّرَّ بِأَدْعَائِكُمُ الْبَاطِلَ عَلَيْنَا . قد سَقَيْنَاهُمْ إِذْ وَرَدُوا ، وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ إِذْ خَرَجُوا ، فَهَلْ عَلَيْنَا إِذْ حَارَ الْقَوْمُ وَضَلُّوا ! وَيَصْدُقُ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ حِزْزَةَ :

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُورًا وَلَكِنْ يَرْفَعُ الْآلُ جِرْمَهُمُ وَالضُّحَاءُ

[كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد]

وقال يعقوب بن السَّكَيْتِ : كَانَ أَبُو عَمْرِو الشَّيْبَانِيُّ يَعْجَبُ لَارْتِجَالِ الْحَارِثِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ وَيَقُولُ : لَوْ قَالَهَا فِي حَوْلٍ لَمْ يُلَمَّ . قَالَ : وَقَدْ جَمَعَ فِيهَا ذِكْرَ عِدَّةٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ عَيْرٍ بَعْضُهَا بَنِي تَغْلِبٍ تَصْرِيحًا ، وَعَرَضَ بَعْضُهَا لِعَمْرٍو بْنِ هَنْدٍ ؛ فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : [من الخفيف]

أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْ سَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَا الْجَزَاءُ

قَالَ : وَكَانَتْ كِنْدَةُ قَدْ كَسَرَتْ الْخِرَاجَ عَلَى الْمَلِكِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَجَالًا مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ يَطَالِبُونَهُمْ بِذَلِكَ ، فَقَتَلُوا وَلَمْ يُدْرِكْ بَثْرَهُمْ ؛ فَعَيَّرَهُمْ بِذَلِكَ . هَكَذَا ذِكْرُ الْأَصْمَعِيِّ . وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ كِنْدَةَ غَزَتْهُمْ فَقَتَلَتْ وَسَبَّتْ وَاسْتَاقَتْ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْءٌ² وَلَا أَدْرَكُوا ثَارًا . قَالَ : وَهَكَذَا الْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ وَهُوَ :

أُمُّ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةَ أُمِّ لَيْسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أُنْدَاءُ³

فَإِنَّهُ عَيْرُهُ بِأَنَّ قُضَاعَةَ كَانَتْ غَزَتْ بَنِي تَغْلِبٍ فَفَعَلَتْ بِهِمْ فِعْلَ كِنْدَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ وَلَا أَدْرَكُوا مِنْهُمْ ثَارًا . قَالَ : وَقَوْلُهُ :

أُمُّ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةَ أُمِّ مَا جَمَعْتُ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ⁴

قَالَ : وَكَانَتْ حَنِيفَةُ مُحَالِفَةً لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرِ ، فَأَذَكَرَ الْحَارِثُ عَمْرٍو بْنَ هَنْدٍ بِهَذَا الْبَيْتِ قَتَلَ شِمْرَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْحَنْفِيِّ أَحَدَ بَنِي سُحَيْمِ الْمَنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ غِيلَةً لَمَّا حَارَبَ الْحَارِثُ بْنُ جَبَلَةَ الْغَسَّانِيَّ ، وَبَعَثَ الْحَارِثُ إِلَى الْمَنْذَرِ بِمِائَةِ غَلَامٍ تَحْتَ لَوَاءِ شِمْرٍ هَذَا يَسْأَلُهُ الْأَمَانُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ لَهُ عَنْ مُلْكِهِ وَيَكُونَ مِنْ قَبْلِهِ ؛ فَرَكَنَ الْمَنْذَرُ إِلَى ذَلِكَ وَأَقَامَ الْغُلَامُ مَعَهُ ، فَاعْتَالَهُ شِمْرُ بْنُ عَمْرِو الْحَنْفِيِّ فَقَتَلَهُ غِيلَةً ، وَتَفَرَّقَ مَنْ كَانَ مَعَ الْمَنْذَرِ ، وَانْتَهَبُوا عَسْكَرَهُ . فَحَرَّضَهُ بِذَلِكَ عَلَى حُلَفَاءِ بَنِي تَغْلِبِ بْنِ حَنِيفَةَ . قَالَ وَقَوْلُهُ :

1 العضية : الإفاك والبهتان والقالة القبيحة .

2 ل : تغيير .

3 الجرى : الجناية . الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يلحق بالإنسان من شر .

4 غبراء : أي جماعة غبراء ، يريد الفقراء الصعاليك . والغبراء أيضاً : الأرض .

وثمانون من تميم بأيديهم رماح صدورهم القضاء¹
يعني عمراً أحد بني سعد [بن زيد] مائة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم
من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنطاع قرية من
البحرين ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يدرك منه بثأر . قال : وقوله : [من الخفيف]
ثم خيل من بعد ذاك مع الغلا ق لا رافة ولا إقلاء
قال : الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مائة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان ؛ فامتنعوا
وقالوا : لا نطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظن ابن هند أننا له رعاء ! . فغضب عمرو بن هند
وجمع جمعاً كثيرة من العرب ؛ فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحداً ؛ فغزاهم فقتل
منهم قوماً ، ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم ، فأمسك عن بقيتهم ، وطلت دماء
القتلى . فذلك قول الحارث :

من أصابوا من تغلي فمطلو ل عليه إذا تولى العفاء

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكرٍ عنده فقال : [من الخفيف]

من لنا عنده من الخير آيا ت ثلاث في كلهن القضاء
آية شارق الشقيقة إذ جا عوا جميعاً لكل حي لواء²
حول قيس مستلتمين بكبش قرظي كأنه عبلاء³
فردذناهم بضرب كما يخ رُج من خربة المزاد الماء⁴
ثم حُجراً أعني ابن أم قطام وله فارسية خضراء⁵
أسد في اللقاء ذو أشبال وربيع إن شئعت غبراء⁶

1 القضاء هنا : الموت .

2 شارق : جاء من قبل المشرق .

3 المستلتم : لايس الامة وهي الدرع . وقرظي : نسبة إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .

4 خربة المزادة : يريد القرية وهي مسيل الماء منها .

5 فارسية : أي كنية سلاحها من فارس . ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح .

6 ذو أشبال في الديوان ص 51 : ورد هموس ، والمعلقات العشر ص 363 ؛ الهموس : الخفي الوطء . شئعت : جاءت بأمر شئع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

فرددناهُمُ بطعن كما تُنـ هَزُّ في جُمَّة الطَّوِيِّ الدَّلَاءُ¹
 وفككنا غُلَّ امرئ القيس عنه بعد ما طال حَبْسُهُ والعناء
 وأَقْدَنَاه رَبَّ غَسَّانَ بالند نَزِرَ كَرْهًا وما تُكَال الدَّمَاءُ²
 وفديناهُمُ بتسعة أملا لِ كرام أسلابهم أَغْلَاءُ³
 [ومع الجَوْنِ جَوْنِ آل بني الأَوْ عُنودٌ كَانَهَا دَفْواءُ]⁴

يعني بهذه الأيام أيَّاماً كانت كلَّها لبكر مع المنذر ؛ فمِنها يوم الشَّقِيقَة وهم قوم من شيان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيكَرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُعَيرون على إبل لعمر بن هند ، فردَّتْهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند . ومنها يومُ غَزَا حُجْر الكِنْدِيِّ ، وهو حُجْر بن أُمِّ قَطَام ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ، لقيَه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كِنْدَة ، وكانت بكر مع امرئ القيس ، فخرجت إلى حُجْر فردَّتْه وقتلت جنودَه . وقوله :

فككنا غُلَّ امرئ القيس عنه

وكانت غَسَّان أَسْرَتْه يوم قَتَلَ المنذرُ أبيه ، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوَادِي الشام فقتلوا مَلِكاً من ملوك غَسَّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُون . وقوله : « وفديناهُمُ بتسعة . . . » يعني بني حُجْر آكِل المُرَار . وكان المنذر وجَّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر ، فظفِرت بهم بكر بن وائل فَأَتَوْا المنذرَ بهم وهم تسعة ، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْرُ الأَمْلَاك . قال : والجون جون آل بني الأَوْس : ملكٌ من ملوك كِنْدَة وهو ابن عمِّ قيس بن مَعْدِيكَرِب . وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرَار ومعه كَنِيَّةٌ خَشَناء ، فحاربتَه بَكْرٌ فهزَمُوهُ ، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم .

قال : فلَمَّا فَرَّغَ الحارث من هذه القصيدة حَكَّمَ عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكْر بن وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ ؛ ففترقوا على هذه الحال . ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتَّى همَّ باستخدام أُمِّ عمرو بن كلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً ؛ فقتله عمرو بن كلثوم . وخبره يُذَكِّرُ هناك .

1 نهز الدلاء : تحريكها لتمتلي .

2 وما تكال في ل : وما تطل .

3 أغلاء : غالية .

4 عنود هنا : الكنيّة . الدفواء : المائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها .

[قصيدته الدالية]

قال يعقوب بن السُّكَيْت أنشدني النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِزَّة ، وكان يستحسنها ويستجدها ويقول : لله دَرُه ما أشعره :

[من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَي-	ن الدَّهْر مَالَ عَلِيٍّ عَمْدَا
أودى بسادتنا وقد	تركوا لنا حَلَقًا وَجُرْدًا ¹
خيلي وفارسها ورَ	بٌ أَبِيكَ كَانَ أَعَزُّ فَقْدَا
فَلَوْ أَنَّ مَا يَأْوِي إ-	لِي أَصَابَ مِنْ ثَهْلَانِ هَذَا ²
فَضَعِي قِنَاعَكَ إِنْ رَيَ	بَ الدَّهْرِ قَدْ أَفْنَى مَعْدَا
فَلَكُمْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا	قَدْ جَمَعُوا مَالًا وَوُلْدَا
وَهُمْ زَابٌ حَائِرٌ	لَا تَسْمَعُ الْآذَانَ رَعْدًا ³
فَعِشْ بَجْدٌ لَا يَضِرُّ	كَ الثُّوكَ مَا لَا قِيَتَ جَدَا
وَالْعِشُّ خَيْرٌ فِي ظِلَا	لِ الثُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَا

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى لعبد الله بن العباس الرِّبَيعِي ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت

[من الوافر]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خَمُورَ الْأَنْدَرِينَا⁴
 مُشَعَّشَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا⁵

عروضه من الوافر . الشعر لعمر بن كلثوم التَّغْلِبِي . والغناء لإسحاق ثَقِيلٌ أولٌ بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو .

1 الخلق هنا : الدروع .

2 ثهلان : جبل .

3 الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .

4 أندرين : قرية كانت جنوبي حلب شهيرة بالخمير .

5 مشعشة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . الحُص : الورس أو هو الزعفران .

[175] - نسب عمرو بن كلثوم وخبره¹

[نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه]

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم [بن بكر] بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زرار بن معدّ بن عدنان . وأمّ عمرو بن كلثوم ليلي بنت مُهلِل أخِي كُليب ، وأمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنِي الْعُكْلِيُّ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خِرَاشِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَتَّابٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَخْذَرَّ ، وَكَانَ نِسَابَهُ ، يَقُولُ : لَمَّا تَزَوَّجَ مُهْلِلُ بِنْتِ بَعَجَ بْنِ عَتْبَةَ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ لَيْلَى بِنْتَ مُهْلِلٍ . فَقَالَ مُهْلِلٌ لَامْرَأَتِهِ هِنْدُ : اقْتُلِيهَا . فَأَمَرْتُ خَادِمًا لَهَا أَنْ تُغَيِّبَهَا عَنْهَا . فَلَمَّا نَامَ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ يَقُولُ :

كَمْ مِنْ فَتَى يُؤْمَلُ وَسَيِّدٍ شَمَرْدَلُ²
وَعُدَّةٌ لَا تُجْهَلُ فِي بَطْنِ بِنْتِ مُهْلِلٍ

وَاسْتَيْقِظَ فَقَالَ : يَا هِنْدُ أَيْنَ بِنْتِي ؟ قَالَتْ : قَتَلْتُهَا . قَالَ : كَلَّا وَالْهِ رِيْعَةُ ! ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَلَفَ بِهَا ، فَاصْدُقِينِي ، فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : أَحْسِنِي غِذَاءَهَا . فَتَزَوَّجَهَا كِلْثُومُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَتَّابٍ .
[أُمُّهُ تَرَى مَنَامًا فِي حَمْلِهَا بِهِ]

فَلَمَّا حَمَلَتْ بِعَمْرِو بْنِ كِلْثُومٍ قَالَتْ : إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ :
يَا لَكَ لَيْلَى مِنْ وَلَدٍ يُقَدِّمُ إِقْدَامَ الْأَسَدِ
مِنْ جُشَمٍ فِيهِ الْعَدَدُ أَقُولُ قِيْلًا لَا فَنَدُ
فَوَلَدَتْ غَلَامًا فَسَمَّاهُ عَمْرًا . فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَتْ أَتَانِي ذَلِكَ الْآتِي فِي اللَّيْلِ أَعْرِفُهُ ،
فَأَشَارَ إِلَى الصَّبِيِّ وَقَالَ :
إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمُّ عَمْرِو بِمَا جَدِ الْجَدِّ كَرِيمِ النَّجْرِ
[مِنْ الرَّجَزِ]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/234-236 ، والخزانة 1 : 517-521 . وشواهد المغني 44-45 .

2 الشمردل : القويّ الفتيّ الحسن الخلق .

أَشْجَعَ مَنْ ذِي لَيْدٍ هَزَبٍ وَقَاصِرِ أَقْرَانٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ¹
يسودُّهم في خمسةٍ وعشرٍ

قال الأخذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة .

[قصة قله لعمر بن هند]

قال أبو عمرو حدثني أسد بن عمر الحنفي وكرد بن السمعاني وغيرهما ، وقال ابن الكلبي حدثني أبي وشرقي بن القطامي ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة : أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم ! أم عمرو بن كلثوم . قال : ولم ؟ قالوا : لأن أباهم مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب ، ويعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ويساله أن يزيّر أمه أمه . فأقبل عمرو بن الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغلب ، وأقبلت ليلي بنت مهلهل في طعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلي وهند في قبة من جانب الرواق . وكانت هند عمّة امرئ القيس بن حُجر الشاعر ، وكانت أم ليلي بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحّي الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدّم ليلي . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني يا ليلي ذلك الطبق . فقالت ليلي : لتقمّ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألحت . فصاحت ليلي : واذلّاه ! يا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّم في وجهه ؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمر بن هند معلّق بالرواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

[من الوافر]

ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا

[تعظيم تغلب قصيدته المعلقة]

وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظمها جداً ويرونها صغارهم وكبارهم ، حتى هُجّوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل : [من البسيط]

1 الوقص : الكسر والدق . شديد الأسر : معسوب الخلق غير مسترخ .

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يزؤونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشيعر غير مستوم
 [فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند]

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل : [من الكامل]

ما ضرّ تغلبً وائلٍ أهجوتها أم بُلّت حيث تناطَحَ البحران
 قومٌ هم قتلوا ابنَ هندٍ عنوةً عمراً وهم قَسَطُوا على النُّعمان¹
 وقال أفنون² صريمٌ التغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له : [من الطويل]
 لعمرُك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا لتخدمَ ليلي أمّه بموق³
 فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيف مُصليّاً فأمسك من نَدْمَانِه بالمُخَنّي⁴
 وجلّله عمرو على الرأس ضربةً بذِي شُطْبٍ صافي الحديدِ رَوْنَقِ
 [إخوته وعقبه]

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرة بن كلثوم ، فقتل المنذر بن النعمان وأخاه . وإياه عني الأخطل بقوله لجرير : [من الكامل]

أبني كليب إن عمي اللذا قتل الملوك وفككا الأغلالا
 وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد ، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس . ولعمرو بن كلثوم عقبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر صاحب الرسائل .
 [أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأصره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأخول عن ابن الأعرابي قال : أغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم ثم مرّ من غزوه ذلك على حيّ من بني قيس بن ثعلبة ، فملاً يديه منهم وأصاب أسارى وسبائا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي ، ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل ، فسمع به أهل حَجْر⁵ ؛ فكان أول من أتاه من بني حنيفة بنو سُحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رآهم

1 قسطوا : جاروا .

2 أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تميم بن عمرو بن تغلب .

3 ليلي في ل : أُمّي .

4 أصلت السيف : جرّده من غمده . المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

5 حَجْر : عاصمة اليمامة .

عمرو بن كلثوم ارتجز فقال : [من الرجز]

مَنْ عَادَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا اجْتَبَرُ وَلَا سَقَى الْمَاءَ وَلَا أَرعى الشَّجَرُ
بنو لُجَيْمٍ وجعاسيسُ مُضَرٌّ بجانب الدَّوِّ يُدْهَدُونُ الْعَكْرُ¹
فانتهى إليه يزيد بن عمرو قطعته فصرعه عن فرسه وأسره . وكان يزيد شديداً جسيماً ،
فشده في القيد وقال له : أنت الذي تقول :

متى نُعَقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ تَجْذُ الحَبْلَ أَوْ تَقْصِرِ القَرِينَا²
أما إني سأقربك إلى ناقتي هذه فأطردُ كما جميعاً . فنادى عمرو بن كلثوم يا لربيعة ! أمثلة ! .
قال : فاجتمعت بنو لُجَيْمٍ فَهَوَّهْ ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قَصْرًا بِحَجَرٍ من
قصورهم ، وضرب عليه قَبَّةً وَنَحَرَ له وكساه وحمله على نجييه وسقاه الخمر . فلما أخذت
برأسه تغنى :

أَجْمَعَ صُحْبَتِي السَّحَرَ ارتحالا ولم أَشْعُرْ بِبَيْنٍ مِنْكَ هالاً³
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَالَةٍ فِي مَعَدٍّ أَشَبَّهُ حَسَنَهَا إِلَّا الْهَلَالَا
أَلَا أُلْبِغُ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ كُلَّمَا أَتَا جِلَالَا⁴
بأنَّ المَاجِدَ القَرَمَ ابنَ عمرو غَدَاةَ نَطَاعٍ قَدْ صَدَقَ القِتَالَا⁵
كَيْبُتُهُ مُلَمَلَمَةٌ رَدَاخٌ إِذَا يَرْمُونَهَا تُفْنِي النُّبَالَا⁶
جزى الله الأغرَّ يزيدَ خيراً وَلَقَاهُ المَسْرَةَ والجَمَالَا
بمأخذه ابنَ كلثوم بن عمرو يَزِيدُ الخَيْرِ نازِلَهُ زَالَا
بجمعٍ من بني قُرَّانَ صَيِّدٍ يَجِيلُونَ الطَّعَانَ إِذَا أَجَالَا⁷
يزيد يقدم السفراء حتى يُرَوِّي صَدْرَهَا الأَسَلَ النَّهَالَا

1 هو لُجَيْم بن صعب ؛ وحنيفة أبو القبييلة أحد أولاده . الجعاسيس : اللثام الخلق والخلق . واحداً جمسوس .
يدهدون : يدرجون ويقلبون .

2 في الديوان ص 65 والمعلقات العشر ص 312 : متى نُعَقِدُ . . . نَجْدَ .

3 أي هالة .

4 جلال : جمع حِلَّة وهي البيوت ومجتمع القوم .

5 نَطَاع : أرض .

6 ململمة : مجتمعة . ورداخ : ثقيلة جرارة .

7 قُرَّان : حصن باليمامة .

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ به فلم يكرموا]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأخول عن ابن الأعرابي قال : زعموا أنّ بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه . فمرّ بهم عمرو بن أبي حجر الغساني ، فتلّقاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عمرو ، ما منع قومك أن يتلقّوني ؟! فقال له : يا عمرو يا خير الفتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قط إلاّ علّا فيها أمرهم واشتدّ شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نومة ليس فيها حلم ، أجتث فيها أصولهم ، وأنفي فلهم¹ إلى اليباس الجرّد ، والنازح الثمّد² . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول : [من الوافر]

ألا فاعلم أيّنت اللعن أنا على عمدي سنأتي ما نريد
تعلم أنّ محملنا ثقیل وأنّ زناد كبتنا شديد³
وأنا ليس حيّ من معدّ يوازننا إذا لبس الحديد

[مجاؤه للنعمان بن المنذر]

قال : وقال ابن الأعرابي : بلغ عمرو بن كلثوم أنّ النعمان بن المنذر يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه :

ألا أبلغ النعمان عنّي رسالة فمدحك حولي وذمك قاريح⁴
متى تلقني في تغلب ابنه وائل وأشياعها ترقى إليك المسالحي⁵

وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيراً ، منه قوله يعيره بأمة سليمي : [من البسيط]

حلّت سليمي بخبث بعد فرتاج وقد تكون قديماً في بني ناج⁶
إذ لا ترجي سليمي أن يكون لها من بالخوزنق من قين ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس كما تلف فني بديباج
تمشي بعدلين من لوم ومنقصة مشي المقيد في اليئوت والحاج⁷

قال وقال في النعمان :

- 1 الفل : القوم المنهزمون . والجرّد : من الأرض ما لا يثبت .
- 2 النازح : الذي نفذ ماؤه . والتمد : الماء القليل الذي لا مادّ له .
- 3 الكبة : الحملة في الحرب والدفعة في القتال .
- 4 الحولي : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شقّ نابه .
- 5 المسالحي : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .
- 6 الخبت من الأرض : المطمئن . وفرتاج : موضع . وبني ناج : بطن من عدوان .
- 7 الحاج : الشوك أو ضرب منه .

لحَا اللهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَالْأَمْنَا خَالاً وَأَعْجَزَنَا أَبَا¹
وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكَبِيرُ خَالَهُ يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ يَبْثِرَا
[وفاته ونصيحته لابنيه]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عليّ بن المغيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النمر بن قاسط قال : لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة ، جمع بنيه فقال : يا بنيّ ، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما عيّرت أحدا بشيء إلا عيّرت بمثله ، إن كان حقاً فحقاً ، وإن كان باطلاً فباطلاً . ومن سبّ سبّاً ؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، وامنعوا من ضيم الغريب ؛ فرب رجل خير من ألف ، وردّ خير من خلف ، وإذا حدثتم فعوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهدار² . وأشجع القوم العطوف بعد الكرّ ، كما أنّ أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رويّة له عند الغضب ، ولا من إذا عوتب لم يعتب³ . ومن الناس من لا يرجي خيره ، ولا يخاف شرّه ؛ فبكوه⁴ خير من درّه ، وعقوفه خير من برّه . ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدّي إلى قبيح البغض .

صوت

[من الكامل]

لَمَنْ الدِّيَارُ يَبْرُقَةُ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعَ زَمَانًا بَزْمَانٍ⁵
صَدَعَ الْغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فَوَادَهُ صَدَعَ الزُّجَاجَةُ مَا لَذَاكَ تَدَانِي
إِنْ زَرْتُ أَهْلَكَ لَمْ أَتَوَّلْ حَاجَةً وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَنِي هِجْرَانِي

الشعر لجبرير يهجو الأخطل ويردّ عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه . والغناء ، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجّم في كتابه الذي لقّبه بالحدث ، لمعبد ثقيّل أوّل بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه لحنين ، قال ويقال : إنه لمعبد . وفيه ليزيد حوراء لحنّ ذكره عبد الملك بن موسى عنه ، وقال : لا أدري أهو الثقيّل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حبش أنّ الثقيّل الأوّل للغريص وأنّ خفيف الرمل بالبصر للدلال .

1 الزلفة : القرية والدرجة والمنزلة .

2 الأهدار : جمع هذر وهو سقط الكلام .

3 الإعتاب : إرضاء العاتب والاسم منه : العتبي .

4 أصل البكاء : قلة اللبن أو انقطاعه .

5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[176] - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء

بين جرير والأخطل

[سبب التهاجي بين جرير والأخطل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا حدثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة ، وأخبرنا الصوّليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، وقد جمعت رواياتهم . قال أبو عبيدة حدثني عامر بن مالك المسمعيّ قال : كان الذي هاجّ التهاجي بين جرير والأخطل أنّه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك ، وهو أكبر ولده وبه كان يُكنى : انحذِرْ إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما . فأنحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه . فقال له : كيف وجدتهما ؟ قال : وجدتُ جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر . فقال الأخطلُ : الذي يغرف من بحرٍ أشعرهما ؛ وقال يفضّل جريراً على الفرزدق :

إني قضيتُ قضاء غير ذي جَنَفٍ لَمَّا سمعتُ ولما جاءني الخبرُ
أنّ الفرزدق قد شالت نعامته وعضّه حيّة من قومه ذَكَرُ

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُراتُ به» . قال أبو عبيدة : ثم إنَّ بشرَ بن مروان دخل الكوفة ، فقدم عليه الأخطلُ ، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زُرارة بألف درهم وكُسوة وبَغلة وخَمَر ، وقال له : لا تُعِنْ على شاعرنا ، واهجُ هذا الكلب الذي يهجو بني دارم ؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقلْ أبياتاً . واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل :

أجريرُ إنك والذي تسمو له كأسيفه فَخَرَتْ بِجَدَجِ حَصَانٍ¹
عَمِلَتْ لربّها فلماً عُوليت نَسَلَتْ تعارضها مع الرُكبانِ²

1 الأسيفه : الأمة . والحيدج : مركب من مراكب النساء يشبه الخفة . والحصان : العفيفة أي الحرة التي تقابل الأمة .

2 عملت في الديوان : «حملت» . وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت . ونسلت : أسرع في المشي .

أَتَعُدُّ مَأْتِرَةً لَفِيرِكَ فَخَرُّهَا وَثَنَّاوَهَا فِي سَالَفِ الْأَزْمَانِ
تَاجُ الْمُلُوكِ وَفَخَرُهُمْ فِي دَارِمٍ أَيَّامَ يَرْبُوعٍ مَعَ الرَّعِيَانِ¹
وهي طويلة يقول فيها :

فَاخْسَأْ إِلَيْكَ كَلِّيبُ إِنَّ مُجَاشِعاً وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخَوَانِ
سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ أَعْلَى تَلْعَةٍ فِي الْمَجْدِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الرُّكْبَانِ²
قَوْمٌ إِذَا خَطَرْتُ عَلَيْكَ قُرُومَهُمْ أَلْقَتَكَ بَيْنَ كَلَاكِيلٍ وَجِرَانِ³
وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ⁴
وقال جرير يرد حكومة الأخطل :

لِمَنْ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانَنَا بِزَمَانِ⁵
وهي طويلة يقول فيها :

يَا ذَا الْغَاوَةِ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةَ النَّشَوَانِ
فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شِيَّانِ
قَتَلُوا كَلِيْبَكُمْ بِلَفْحَةٍ جَارِهِمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُمْ بِبِهْجَانِ⁶
[قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها]

وَمَا غَنِي فِيهِ مِنْ نَقَائِضِ جَرِيرٍ وَالْأَخْطَلِ :

[من الطويل]

صوت

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَانَتْهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبُوا
فَقُلْتُ أَصْبِحُونِي لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا⁷
تَمَرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا وَبَارِحًا وَتُرْفَعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُنْزَلُ
الشَّاصِيَاتُ : الشَّائِلَاتُ الْقَوَائِمُ مِنْ امْتِلَائِهَا . وَعَنَى بِالشَّاصِيَاتِ هَاهُنَا الرُّقَاقُ ، لِأَنَّهَا إِذَا

1 صدر البيت في الديوان : في دارم تاج الملوك وصهرها . يربوع : جد لجرير .

2 أعلى تلعة في الديوان : مجمع تلعة .

3 الجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره .

4 شَوْلَان الميزان : ارتفاع إحدى كفتيه .

5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

6 اللقحة : الناقة الحلوب . والخُزَرُ : جمع أخزر ؛ والخَزَرُ : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام .

7 الأثقال : الأمتعة ، واحدها ثَقْل .

امتلاّت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصا برجلِهِ إذا رفعها ، وشَصا ببيصره إذا شَخَص ؛ قال
الراجز يصف الشاخصَ :

وَبَقِرْ خَمَاصٍ يَنْظُرْنَ مِنْ خَصَاصٍ¹
بِأَعْيُنٍ شَوَاصِي كَفَلَقَ الرِّصَاصِ

والساخ والسنيع : ما جاء عن يمينك يريد شمالك . والبارح : ما جاء عن شمالك
يريد يمينك . والجابهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقعيدُ والخفيفُ : ما جاء من
ورائك . شبه دَوْرَ الكأس واختلافها بينهم بالسواخ والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء
لمالك ، فيه لحنان كلاهما له : أحدهما رَمَلَ بالنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء
من رواية إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو .
وذكر عمرو أن الرملَ أيضاً لابن سُرَيْج وأَنَّهُ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالنصر في
الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو . وفيه لابن مُحَرِّز خفيفٌ ثَقِيلٌ أوّلُ بالنصر عن عمرو
والهشاميّ .

[من البسيط]

ومنها :

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا منك أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرَفِهَا غَيْرُ
كَائِنِي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ مِنْ قَرَقَفٍ ضُمَّتَتْهَا حِمَضٌ أَوْ جَدَرُ²
جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ القَارِ مُتَرَعَّةً كَلَفَاءُ يَنْحَتُّ مِنْ خُرْطُومِهَا الْمَدْرُ
يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَصَلَ الغَانِيَاتِ إِذَا أَبَقْنَ أَنَّكَ مِمَّنْ قَدْ زَهَا الْكَبِيرُ
أَعْرَضْنَ لِمَا حَنِى قَوْسِي مُوتَرُهَا وَابْيَضَ بَعْدَ سَوَادِ اللَّمَّةِ الشَّعْرُ

اسْتَبَدَّ بِهِمْ أَيِ عُلِيَ عَلَيْهِمْ . والقَرَقَفُ : التي تأخذ شاربها رعدة لشدتها . والكَلَفَاءُ :
الخابيةُ في لونها كَلَفٌ³ . وقوله «زَهَا الْكَبِيرُ» يعني استخفه وأضعفه ؛ يقال : زَهَا
وَزَدَهَا . وقال أبو عُبَيْدة : الأصلُ فِي زَهَا رَفَعَهُ ؛ فكأنه أراد أَنَّهُ رَفَعَهُ فِي عُلُوِّ سِنِّهِ عَمَّا
يُرْدَنَ مِنْهُ . واللَّمةُ : الشعرُ المجتمع .

1 خماص : ضامرات البطون ، الواحد خَمَصَان للذكر ، وخمصانة للمؤنث . الخصاص : الخروق ، واحدا
خصاصة .

2 قرقف : في ل : قهوة .

3 الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبني كليب ، ويقول فيها :

أما كليب بن يربوع فليس لها عند التفاخر إيراد ولا صدر¹
مُخَلَّفون ويقضي الناس أمرهم وهم بقيب وفي عَمِياء ما شعروا
مُلَطَّمون بأعقار الحياض فما ينفك من دارمي فيهم أثر²
بمس الصُّحاة وبس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر
قوم تناهت إليهم كلُّ مخزبة وكلُّ فاحشة سبت بها مضر
الآكلون خبيث الزاد وحدهم والسائلون بظهر الغيب ما الخير

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدمه ومما غلب فيه على جرير . وقد احتاج جرير إلى سلخ بيته هذا الأخير فردّه عليه بعينه في تقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه بيتين من شعره فقال :

الآكلون خبيث الزاد وحدهم والنّازلون إذا واراهاهم الخمر³
والظاعنون على العمياء إن رَحَلُوا والسائلون بظهر الغيب ما الخير

وفي هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك :

إلى امرئ لا تُعَرِّينا نوافله أظفره الله فليهنئ له الظفر⁴
الخائض الغمر والميمون طائرته خليفة الله يُستسقى به المطر
والهم بعد نجى النفس ينعته بالحرّم والأصمعان القلب والحدّر⁵
وما الفرات إذا جاشت غواربه في حاقته وفي أوساطه العُسر⁶
وزعزعت رباح الصيف واضطربت فوق الجأجيء من آذيه عُدر

1 عند التفاخر في الديوان سند التفارط : التقدم في الماء .

2 الأعقار : جمع عُقر وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

3 الخمر : وارك من شجر وغيره .

4 الأصمعان : القلب والحدّر .

5 جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعالیه ، وفي الديوان : حواله . والعشر : الشجر .

6 زعزعت : حركته ، وفي الديوان : ذعذعته . الجأجيء : الصدور ، واحدهما جوجو . والآذي : الموج . والعُدر : جمع غدير .

مُسْتَحْفَرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ مِنْهَا أَكْفَيْفُ فِيهَا دُونُهُ زَوْرُ¹
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ²
فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِيُونَ بِهَا مَا إِنْ يُوَارَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ³
حُشْدٌ عَلَى الْخَيْرِ عَيَّافُو الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الْأَضْغَانِ حَرَبَهُمْ وَلَا يُيَسِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرُ⁴
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا⁵

[مدح الرشيد بيتاً للأخطل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصباح عن أبيه : أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه : أي بيت مديح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك :

شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

[مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهبويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال : قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهات والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل :

شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

قال : فغضب المهدي حتى استشاط وقال : كذب والله ابن النصرانية العاض بظُر أمه وكذبت يا عاض بظُر أمك ! والله لولا أن يقال : إني خفرت⁵ بك لعرفت⁶ك من أكثر شعراً !

1 مسحفر : سريع الجري . جبال في ل : بلاد . أكافيف الجبل : حيوده أو حروفه الناتئة في أعرضه . والزور : الميل .

2 النبع : نوع من الشجر . يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .

3 استقل الشيء : حمله .

4 شمس : جمع شمس ، وهو من الرجال العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .

5 ل : خرفت . وخفرت فلاناً وخفرت به إذا أجزته وأمنته .

خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عني ! فأخرجوه على تلك الحال ، وجعل يشتمه وهو يُجرُّ ويقول : يا ابن الفاعلة ! أراها في رؤوسكم وأنفسكم !

صوت

[من البسيط]

إِنِّي أَرَقْتُ وَلَمْ يَأْرَقْ مَعِيَ صَاحٍ لِمُسْتَكْفٍ بُعِدَ النَّوْمِ لَوَاحٍ
دَانٍ مُسِيفٌ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

عروضه من البسيط . الشعر لأوس بن حجر ، وهكذا رواه الأصمعي ، أخبرنا بذلك اليزيدي عن الرياشي عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولحسين بن محرز لحن في البيت الثاني وبعده :

إِنْ أَشْرَبِ الْخَمْرَ أَوْ أُغْلَى بِهَا ثَمْنًا فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنْتِي صَاحٍ
وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله : مُسْتَكْفٍ : يعني مستديراً ؛ وكلُّ طُرَّة كِفَّة . أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شجاعاً¹ عرض له في طريقه : تبني شجاع من هذه الشجعان ، فمرّ خلفي كأنه سهم زالج ، فحدث عنه ، واستكف كأنه كُفَّة حابل ، فرمته فنظرت ثلاثة أثنا² . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفَّة الميزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولَوَاح : من قولهم لاح يلوح إذا ظهر . ومسف : قد أسف على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أسف الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهَيْدَبُهُ : الذي تراه كالتعلق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

1 الشجاع : الحية الذكر ، أو الحية مطلقاً ، أو هو ضرب من الحيات .

2 أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتشتت ، واحدها إني . ويقال أيضاً مثاني الحية ، جمع مثناة .

[177] - ذكر أوس بن حجر¹ وشيء من أخباره

[نسبه]

وقد اختلف في نسبه ، فقال الأصمعي ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي عنه : هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيّل بن خلف بن نمير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكري عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها .

[منزله في الشعر]

وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالخطيئة ونابعة بني جعدة . فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا يونس عن أبي عمرو قال : كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أوس بن حجر فحل الشعراء ؛ فلما نشأ النابغة طأطا منه . وأما الكلبي فإنه زعم أن من هذه الطبقة لبيد بن ربيعة والشماخ بن ضرار . قال : وتميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس . قال : ومنهم من يقول بتقديم عدي ، وأنشد لحارثة بن بدر الغداني : [من الكامل]

والشعر كان مبيتة ومطله عند العبادي الذي لا يُجهل

وقال يعقوب بن سليمان قال حماد : أدركت رجلاً من بني تميم لا يفضلون على عدي في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيدي عن الرياشي عن الأصمعي قال : تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد ، وذلك غلط ؛ ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشابههما .

[تمثل فتاة أعرابية بشعر له في السحاب]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري قال حدثنا علي بن الصباح قال حدثني عبيد الله بن الحسين بن المسود بن وردان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : خرج أعرابي مكفوف ومعه ابنة عم له لرعي غنم لهما . فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . فقالت : أراها كأنها رب رب معزى هزلى . قال :

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 1/202-209 ، والخزانة 2 : 235-236 ومعاهد التنصيص : 61-65 .

ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم قال لها بعد ساعة : إِنِّي أَجِد رِيحَ النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . قالت : أراها كأنها يَغَالُ دُهمٌ تَجَرَّ جِلَالُها . قال : ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم مكث ساعة ثم قال : إِنِّي لأَجِد رِيحَ النسيم قد دنا ، فانظري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أَصَحَرَ . فقال : ارْعَيْ واحْذَرِي . ثم مكث ساعة فقال : إِنِّي لأَجِد رِيحَ النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر :

دَانِ مُسِيفٌ فَوْقَ الْأَرْضِ هَيْدُبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ رَيْطٌ مُنْشَرَّةٌ أَوْ ضَوْءٌ مَصْبَاحِ
فَمَنْ بِمَحْفَلِهِ كَمَنْ بَنَجْوَتِهِ وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ

فقال : انْجِي لا أبا لك ! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي .

معنى قول الجارية « كأنها بطن حمار أصحَرَ » : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : « فَمَنْ بِمَحْفَلِهِ كَمَنْ بَنَجْوَتِهِ » : يعني مَنْ هو بحيث احتفل السيلُ ، واحتفال كل شيءٍ مُعْظَمُهُ ، كمن في نجوته . وقد روي « بِمَحْفَشِهِ » ، وهما واحد ، ومعناها مجرى معظم السيل . يقول : فَمَنْ هو في هذا الموضع منه كَمَنْ بَنَجْوَتِهِ (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرْوَاكِ : الفضاء ؛ يقال قِرْوَاكِ وقِرْيَاكِ . ويقال في معنى المحفَشِ . حَفَشَتِ الْأُودِيَةُ إِذَا سَالَتْ ، وَتَحَفَّشَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى وَلَدِهَا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ .

[كان يسير ليلاً فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة بن كعدة ، فمدحه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني علي بن أبي عامر السَّهْمِيُّ المصريُّ قال حدثني أبو يوسف الأصبهانيُّ قال حدثني أبو محمد الباهليُّ عن الأصمعيِّ ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوْزِيُّ عن أبي عبيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا : كان أَوْسُ بن حجر غَزْلاً مُغْرَماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأَرْضِ بَنِي أُسْدٍ بَيْنَ شَرْجٍ وَنَاطِظَةٍ¹ ، فبينما هو يسير ظلماً إذ جالت به ناقته فَصْرَعَتْه فاندَقَتْ فخذه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غداً جَوَارِي الحَيِّ يجتنبن الكُمَّةَ وَغَيْرَهَا من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينما هنَّ كذلك إذ بَصُرْنَ بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقَى ، ففرعن فَهَرَبْنَ . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أَنْتِ ؟ قالت : أَنَا حَلِيمَةُ بِنْتُ فَضَالَةَ بن كَلْدَةَ ، وكانت أَصْغَرَهُنَّ ؛ فَأَعْطَاهَا حَجَراً وقال لها : اذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقْرِئُكَ السلام . فأخبرته فقال : يَا بُنَيَّةُ ،

لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ ؛ وكانت حليلة تقوم عليه حتى استقل . فقال أوس بن حجر في ذلك :

جُدِلْتُ على ليلةٍ ساهره بصحراء شَرَجَ إلى ناظره¹
تُزاد ليالي في طولها فليست بطلقٍ ولا ساكره²
أنوءُ برجل بها ذَهْنها وأعيت بها أختها الغابره³

وقال في حليلة :

لَعَمْرُكَ ما ملّت ثَواءً ثَوِيها حليلةٌ إذ ألقى مراسي مُقَعَدٍ⁴
ولكن تَلَقَّتْ باليدينِ ضَمائتي وحلٌّ بشرجٍ مِ القبائلِ عَوْدِي⁵
ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنْها كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرُدٍ⁶
سأجزيك أو يَجْزِيكَ عني مُثَوَّبٌ وقصركُ أن يُثنى عليك وتُحمدي⁷

[رثى فضالة بن كعدة حين مات]

قالا : ثم مات فضالة بن كعدة ، وكان يكنى أبا ذُليجة ، فقال فيه أوس بن حجر يرثيه :

يا عينُ لا بدّ من سَكَبٍ وتَهْمَالٍ على فضالة جَلَّ الرُّزْءُ والعالِي
ويروى «عَيْنِي» . العالِي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جداً . وفيها مما يغنى فيه :

صوت

أبا ذُليجة مَنْ تُوصِي بأرملةٍ أم مَنْ لَأَشَعْتَ ذي طِمْرَيْنِ مِنْحالٍ⁸
أبا ذُليجة مَنْ يكفي العشيرةَ إذ أمسوا من الأمر في لبسٍ ولبالٍ

1 الجدل : الصرع ، وفي ل : خذلت .

2 ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حر فيها ولا برد ولا مطر ولا قر ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح .

3 الذهن : القوة . والغابرة : الباقية .

4 الثواء : الإقامة . والثوي هنا : الضيف . المقعد : الذي به داء يقعه ، وفي الديوان : مقعدي .

5 الضماتة : الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك .

6 التخرُد : الحياء والخفر .

7 المثوَّب : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل . قصرك : غايتك وكفايتك .

8 الطمر : الثوب الخلق . ومحال : مجذب . أي فقير .

لا زال مِسْكٌ وَرِيحَانٌ لَهُ أَرْجٌ عَلَى صَدَاكَ بَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٍ¹
 غَنَى فِيهِ دَحْمَانٌ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبَشَ أَنَّ فِيهِ لَابِنَ عَائِشَةَ رَمَلًا
 بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبَشَ أَنَّ فِيهِ لَابِنَ عَائِشَةَ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ ، وَلِدَاوُدَ بْنَ الْعَبَّاسِ ثَانِي
 ثَقِيلَ ، وَلَابِنَ جَامِعٍ خَفِيفَ ثَقِيلَ .

وَمَنْ فَاضِلٌ مَرَاتِيهِ إِيَّاهُ وَنَادِرُهَا قَوْلُهُ :

[مَنْ الْمُنْسَرَحُ]

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِينَ قَدْ وَقَعَا
 إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالْ
 الْمُخْلِيفَ الْمُتَلِيفَ الْمُرْزَأَ لَمْ يُمْتَعْ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبِيعًا²
 أَوْدَى وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ شَيْءٍ لَمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ الْبِدْعَا³

وَهِيَ قَصِيدَةٌ أَيْضًا يَمْدَحُهَا بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَيَرِثِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَهُ فِيهِ قَصَائِدٌ غَيْرُ هَذِهِ .

صوت

[مَنْ الطَّوِيلُ]

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ
 فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبْتُ خَالِدًا وَيَمْنَعُهُ مَنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهَرُ

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لَوْرَقَاءَ بْنِ زُهَيْرٍ . وَالْغَنَاءُ لَكَرْدَمٍ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
 بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ عَمْرٍو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لِمَعْبَدٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ يَنْسِبُهُ
 إِلَى مَعْبَدٍ مِنْ لَا يَعْلَمُ ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيِّاطٍ عَنْ يُونُسَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ كَرْدَمٍ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ
 الصَّنْعَةَ فِيهِ لَهُ .

1 الصدى هنا : جثة الميت في قبره .

2 المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرمًا ، ويخلفه نجدة . المرزأ : الذي تناله الرزايا في ماله بسبب العطاء .
 والإمتاع : الإقامة . والطبع : الدنس .

3 الإشاحة : الحذر .

[178] - خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

[نسبه]

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْعَة بن عَبَس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان ، يقوله لما قُتِل خالد بن جعفر بن كِلَاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة ، أباه زهير بن جذيمة . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شُبَّة ، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم ورواية ابن الكلبي ، وأضفت بعض الروايات إلى بعض إلا ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عبيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عبد بن جُلهمة بن حذاق بن يربوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعْد بن عَوْف بن جِلَان بن غَنَم بن أَعْصَر ، قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمن أدرك شأس بن زهير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبي ﷺ ، وكان عاصم جاهلياً . قال : وقال عبد الحميد حدثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلَان بن غَنَم . قال أبو عبيدة : وكان أعلم غني ، عن شيوخمهم .

[مقتل شأس بن زهير أخيه]

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك ، قال أبو عبيدة : أراه النعمان ، وكان بينه وبين زهير صهر ، قال أبو عبيدة : ثم حدثني مرة أخرى قال : كان ابنه زهير عنده ، فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوّة مسكاً وكُساءً وقُطُفًا وطَنَافِسَ ، فأناخ ناقته في يوم شمالٍ وقرّ على رَذْهَةٍ¹ في جبلٍ ورياحُ بن الأسك أحد بني رباح بن عبيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلَان على الرَذْهَةِ ليس غيرُ بيته بالجبل ؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فاستدبره رياحٌ فأهوى له بسهم فتر به صُلْبُهُ . قال أبو عبيدة وحدثني رجل يُخَيَّل إليّ أنه أبو يحيى الغنوي قال : ورد شأس وقد حباه الملك بحبوّة فيها قطيفة حمراء ذات هُذْبٍ وطِيبٍ ، فورد منعجاً² وعليه خِباءٌ ملقَى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظّهيرة ؛ فالقى ثيابه بفنائها ثم قعد يُهْرِيقُ عليه الماء ، والمرأة قريبة منه (يعني امرأة رياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته :

1 الرذهة : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

2 منعج : موضع .

أَنْطَلِينِي قَوْسِي : فَمَدَّتْ إِلَيْهِ قَوْسَهُ وَسَهْمًا ، وَانْتَزَعَتْ الْمَرْأَةَ نَصْلَهُ لَثَلًا يَقْتُلُهُ ؛ فَأَهْوَى عَجَلَانًا إِلَيْهِ . فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي مُسْتَدَقِّ الصُّلْبِ بَيْنَ فِقَارَتَيْنِ فَفَصَلَهُمَا ، وَخَرَّ سَاقِطًا ؛ وَحَفَرَ لَهُ حَقْرًا فَهَدَمَهُ عَلَيْهِ ، وَنَحَرَ جَمْلَهُ وَأَكَلَهُ . قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : أَكَلِ رَكُوبَتَهُ وَأُولَجِ مَتَاعَهُ بَيْتَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : وَقَفِدَ شَأْسٌ وَقُصَّ أَثَرُهُ وَنُشِيدٌ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : حَبِوتُهُ وَسِرَّحَتُهُ . فَقَالُوا : وَمَا مَتَعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكٌ وَكُسَاٌ وَنُطُوعٌ وَقُطْفٌ . فَأَقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثَرَهُ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ . فَمَكَّثُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا أَدْرِي كَمْ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً رِيَّاحٌ بَاعَتْ بِعُكَاظٍ قَطِيفَةً حُمْرَاءَ أَوْ بَعْضَ مَا كَانَ مِنْ حَبَاءِ الْمَلِكِ ، فَعَرِفَتْ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيَّاحًا ثَارَهُمْ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَزَعَمَ الْآخَرُ قَالَ : نَشَدَ¹ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمَةَ النَّاسَ ، فَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ عَلَى مَنْعَجٍ وَسَطَ غَنِيٍّ ، ثُمَّ أَصَابَتْ النَّاسَ جَائِحَةٌ وَجُوعٌ ، فَنَحَرَ زُهَيْرٌ نَاقَةً ، فَأَعْطَى امْرَأَةً شَطِيفَهَا² فَقَالَ : اشْتَرِي لِي الْهُدْبَ وَالطَّيِّبَ . فَمَخَّرَجَتْ بِذَلِكَ الشَّحْمَ وَالسَّامَ تَبِيعَهُ حَتَّى دَفَعَتْ³ إِلَى امْرَأَةٍ رِيَّاحٌ ، فَقَالَتْ : إِنَّ مَعِيَ شَحْمًا أُبِيعَ فِي الْهُدْبِ وَالطَّيِّبِ ؛ فَاشْتَرَتْ الْمَرْأَةُ مِنْهَا . فَأَتَتْ الْمَرْأَةَ زُهَيْرًا بِذَلِكَ ، فَعَرَفَ الْهُدْبَ . فَأَتَى زُهَيْرٌ غَنِيًّا ، فَقَالُوا : نَعَمْ ! قَتَلَهُ رِيَّاحُ بْنُ الْأَسْكَ ، وَنَحْنُ بُرَاءٌ مِنْهُ . وَقَدْ لَحِقَ بِخَالِهِ مِنْ بَنِي الطَّمَّاحِ وَبَنِي أُسْدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، فَكَانَ يَكُونُ اللَّيْلَ عِنْدَهُ وَيُظْهِرُ فِي أَبَانٍ⁴ إِذَا أَحَسَّ الصَّبْحَ ، يَرْمِي الْأَرُوزَ⁵ ؛ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدَهُ وَعَبْسٌ تُرِيقُهُ . فَرَكِبَ خَالَهُ جَمَلًا وَجَعَلَهُ عَلَى كِفَلٍ⁶ وَرَاءَهُ . فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَنَتْ ، فَقَالُوا : هَذِهِ خَيْلُ عَبْسٍ تَطْلُبُكَ . فَطَمَرَتْ⁷ فِي قَاعِ شَجَرٍ فَحَفَرَ فِي أَصْلِ سُوقِهِ . وَلَقِيتُ الْخَيْلَ خَالَهُ فَقَالُوا : هَلْ كَانَ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ لَا . فَقَالُوا : مَا هَذَا الْمَرْكَبُ وَرَاءَكَ ؟ لَتُخَيِّرَنَا أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ : لَا كَذِبَ ، هُوَ رِيَّاحٌ فِي ذَلِكَ الْقَاعِ . فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ قَالَ الْحُصَيْنَانِ : يَا بَنِي عَبْسٍ دَعُونَا وَثَارَنَا ، فَخَنَسُوا⁸ عَنْهُمَا . فَأَخَذَ رِيَّاحٌ نَعْلَيْنِ مِنْ سَيْتٍ⁹ فَصَيَّرَهُمَا عَلَى صَدْرِهِ حِيَالَ كَبَدِهِ ، وَنَادَى : هَذَا غَزَاكُمَا الَّذِي تَبْغِيَانِ . فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَحَدَهُمَا فَطَعَنَهُ ، فَأَزَالَتِ النَّعْلُ الرِّيحَ إِلَى حَيْثُ شَاكَلَتْهُ ، وَرَمَاهُ رِيَّاحٌ مُوَلِّيًا فَجَذَمَ

1 نشد : سأل .

2 شطوها : جانبي سنامها .

3 دفعت : انتهت .

4 أبان : جبل .

5 الأروى : أنشئ الوعل .

6 الكفل : شيء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

7 طمر : استخفى .

8 خنسوا : تأخروا وتنحوا .

9 السبت : الجلد المدبوغ .

صَلْبَهُ . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئاً ، ورمأه مُؤَلِّياً فصرعه . فقالت عبس¹ : أين تذهبون إلى هذا ! والله ليقتلن منكم عَدَدَ مَرامِيهِ ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمَحَيْهِمَا وَسَلْبَيْهِمَا وخرج حتى سَنَدَ إلى أَبَان . فَأَتَتْهُ عَجُوزٌ وَهُوَ يَسْتَنْدِي¹ عَلَى الْحَوْضِ لِيَشْرَبَ مِنْهُ وَقَالَتْ : اسْتَأْذِنِي تَحِيَّ ؛ فقال : جَنِّبْنِي² حتى أَشْرَب . قال : فَأَبَتْ ولم تَنْتِهِ . فَلَمَّا غَلَبَتْهُ أَخَذَ مِشْقَصاً³ وَكَنَعَ⁴ بِهِ كُرْسُوعِي يَدَيْهَا .

[رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس]

قال فقال عبد الحميد : فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحاً ثارهُ قال يرثي شأساً :

بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ	بَكَيْتُ لَشَاسٍ حِينَ خَبِرْتُ أَنَّهُ
وَمَا كَانَ لَوْلَا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُغْلِبُ	لَقَدْ كَانَ مَاتَاهُ الرِّدَاةُ لِحَتْفِهِ
كَذَاكَ لَعَمْرِي الْحَيْنُ لِلْمَرْءِ يُجَلِّبُ	قَتِيلُ غَنِيٍّ لَيْسَ شَكْلٌ كَشَكْلِهِ
وَحَقُّ لَشَاسٍ غَبْرَةٌ حِينَ تُسَكِّبُ	سَابِكِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيْتُ بَعْبَرَةٍ
عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ هُوَ أَعْجَبُ	وَحَزَنٌ عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُ وَعَوْلَةً
وَكَانَ لَدَى الْهِجَاءِ يُخْشَى وَيُرْهَبُ ⁵	إِذَا سِيَمٌ ضَمِيماً كَانَ لِلضَّمِيمِ مَنَكراً
أَجَابَ لِمَا يَدْعُو لَهُ حِينَ يُكْرَبُ	وَإِنْ صَوْتُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً
فَقَلْبِي عَلَيْهِ لَوْ بَدَا الْقَلْبُ مُلْهَبُ	فَفَرَّجَ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ وَلِيَّهِ

وقال زهير بن جذيمة حين قُتِلَ شَاسُ : شَاسُ وَمَا شَاسُ ! وَالْبَاسُ وَمَا الْبَاسُ ! لَوْلَا مَقْتَلُ شَاسُ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا بَاسٌ . قال : ثم انصرف إلى قومه ، فكان لا يَقْدِرُ عَلَى غَنَوِيٍّ إِلَّا قَتَلَهُ .

قال عبد الحميد : فغزت بنو عَبْسٍ غَنِيّاً قَبْلَ أَنْ يَطْلُبُوا قَوْداً أَوْ دِيَةً مَعَ أَخِي شَاسِ الْحَصَنِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ وَالْحَصَنِ بْنِ أُسَيْدٍ بْنِ جَذِيمَةَ ابْنِ أَخِي زُهَيْرٍ . فَقِيلَ ذَلِكَ لَغَنِيٍّ ؛ فَقَالَتْ لِرِيَّاحٍ : ائْجِي ، لَعَلَّنَا نَصَالِحُ عَلَى شَيْءٍ أَوْ نُرْضِيهِمْ بَدِيَةً وَفِدَاءً . فَخَرَجَ رِيَّاحٌ رَدِيفاً لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي كَلَّابٍ ، وَزَعَمَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ أَنَّهُ مِنْ بَنِي جَعْدٍ ، وَكَانَ مَعَهُمَا صُحَيْفَةٌ فِيهَا آرَابُ⁶ لَحْمٍ ، لَا يَزَيَّانُ إِلَّا

1 يستندي : يطأطأ رأسه يقطر منه الدم .

2 جنبيني : ابعدني عني .

3 المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .

4 كَنَعَ : قطع .

5 سامه الأمر : كلَّفه إياه .

6 آراب اللحم : قطع اللحم .

أنهما قد خالفا وجهة القوم ، فأوجفا أيديهما في الصُّحيفة فأخذ كل واحد منهما وَذْرَةً¹ ليأكلها ، مترادفين لا يقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرْدٌ² فصرصر ، فألقيا اللحم وأمسكا بأيديهما وقالوا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُرْدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالوا : ما هذا ! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُرْدُ فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فإذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ (وأدنى ظَلَمٍ أي أدنى شيء) وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذهبْ فَإِنِّي آتِي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تُعْجِزَهُمْ ثم ماضٍ إن تركوني . فأنحدر رياحٌ عن عَجْزِ الجمل فأخذ أدراجهُ³ وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفَّةً⁴ فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نَعْلَيْهِ فجعل إحداهما على سُرَّتِهِ والأخرى على صَفْنِهِ ثم شدَّ عليهما العِمَامَةَ ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدثهم وقال : هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وخلّوا سَرَّهُ⁵ . فلَمَّا وُلَّى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : مَنْ الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُوبَةٌ ! ذلك رياح في الأوّل من السَّمُرَاتِ . فقال الحُصَيْنَانِ لَمَنْ معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَهُ فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكَهُمَا فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فإذا هما ينقلان فرسيهما ، فما زالا يُريغاني ، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلْبَهُ ، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرَّة فأصاب الرِّبْلَةَ⁶ ، ومرّ الفرس يَهْوِي به ، فاستدبرته بسهم فرشقت به صُلْبَهُ فانفقر مُنْحَنِي الأوصال ، وقد بترتْ صُلْبَيْهِمَا . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرته بسهم وقد خرجتُ قدمه فقطعتُها ، فكأنما نُشِرتْ بِمِنْشَارٍ . قال عبد الحميد : وندّ فرساها فلحقا بالقوم . قال رياح : فأخذت رجليهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملَةً فسندتُ فغرزتُ الرّحمن فيها ثم انحدرت . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرّحمان لم يَقْرَبُوهُمَا عَليمُ الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدْهَةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريان منها وجمالٌ لها راتع في

- 1 الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .
- 2 الصُرْد : طائر أبيض ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود .
- 3 الأدراج : الطرق .
- 4 الضِفَّة : جانب النهر والوادي .
- 5 السَّرْب : الطريق .
- 6 الرِبْلَة : باطن الفخذ .

الجبل ، وقد مات رياح عطشاً . فلما رآته يستدمني طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابنها ، فقالت له : استأسِرْ . فقال لها : دَعِينِي ويحكْ أشرب ، فأبَت . فأخذ حديدة إِمَا سِكِّيناً وإِمَا مِشْقَصاً فجذم به رَوَاهِشَهَا¹ فماتت ، وعَبَّ في الماء حتى نَهَلَ ثم توجَّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفي الحَصِينين :

قالت لِي استأسِرْ لِتَكْتِفَنِي حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو مني غداة وقفت للخليل
إذا الحَصِينُ لدى الحَصِينِ كما عدل الرِّجَازةُ جانبَ المِئَلِ

قال الأثرم : الرِّجَازةُ شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عبيدة : يعني حَصِينَ بنَ زُهَيْرِ بنِ جَذِيمَةَ ، وحَصِينَ بنِ أُسَيْدِ بنِ جَذِيمَةَ وهو ابن عمه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد : والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة . قال عبد الحميد : وما سمعتُ أن بني عَبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أُنذروا ، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتُك . وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه ، ولا والله ما قتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بنِ جَذِيمَةَ في حربنا ، غير أن الكُمَيْتَ بنَ زَيْدِ الأَسَدِيِّ ، وكانت له أُمَانٌ من غَنِيٍّ ، ذكر من مقتل أخواله من غَنِيٍّ في بني عَبْسٍ ومَنْ قتلوا من بني نُمَيْرِ بنِ عامرٍ في كلمة له واحدة ؛ فلعله لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتهم وذكر قتلَ شَيْبِ بنِ سالمِ النُّمَيْرِيِّ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أنا ابنُ غَنِيٍّ والدائي كلاهما لأُمَيْنِ فيهم في الفروع وفي الأصل
هم استودعوا هوى شيبَ بنِ سالمٍ وهم عدلوا بين الحَصِينين بالنبَلِ
وهم قتلوا شَأْسَ الملوِكِ ورَعَمُوا أباه زُهَيْراً بالمدْلَةِ والشُّكْلِ
فما أدركتُ فيهم جَذِيمَةَ وترَّها بما قَوَدَ يوماً لديها ولا عقل

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هنيئة من الدهر لا أدري كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شَأْسٍ . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هنيئة من الدهر وهنيئة وبرهة وحقة بمعنى الدهر .

1 الرواهش : العصب الذي في ظاهر الذراع ، وقيل : هي عصب وعروق في باطن الذراع ، واحداها راهشة وراهش .

[179] - مقتل زهير بن جذيمة العبسي

[قله خالد بن جعفر]

قله خالد بن جعفر بن كلاب . قال أبو عبيدة قال أبو حية النميري : كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة إلى الثلاثين سنة .

[تعظيم هوازن له]

قال أبو عبيدة : وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلا رباً¹ . قال : وهوازن يومئذ لا خير فيها ؛ ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رجم² ، وإنما هم رعاء الشاء في الجبال . قال : وكان زهير يعشرهم³ ، وكان إذا كان أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن باللاتاة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم ، وذلك بعد ما خلغ ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفرا⁴ .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حية النميري قالوا : فأتته عجوز رهيش⁵ من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقال أبو حية : بل أته عجوز من هوازن ، بسمن في رخي ، واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها بقوس في يده عطل⁶ في صدرها ، فاستلقت خلالة⁷ القفا فبدت عورتها ، فغضب من ذلك هوازن وحقدت⁸ عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن⁹ وأوحرها¹⁰ من الحسك¹¹ .

1 الرب هنا : الملك والسيد .

2 مثل يضرب في الضعف والهوان ، وقيل : يعني يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقى أن يصيب يده شيئاً . مجمع الأمثال للميداني 17/2 .

3 يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .

4 يبدو أنه اسم مكان .

5 عجوز رهيش : ضعيفة أو مهزولة .

6 قوس عطل : لا وتر عليها .

7 خلالة القفا : وسطه .

8 ل : وأصمدت .

9 الدمن : الأحقاد .

10 أوحرها : جعلها توحز أي تغضب وتحقد .

11 الحسك هنا : العداوة والحقد .

[حلف خالد بن جعفر أن يقتله]

قال : وقد أمرت¹ عامر بن صعصعة يومئذ ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يُقتل . قال : وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

أديروني إدارتكم فإنني	وحذفة كالشجا تحت الوريد
مقرّبة أسويها بجزء	والحفها ردائي في الجليل
وأوصي الراعين ليؤثراها	ها كبن الخلية والصعود ²
تراها في الغزاة وهن شعث	كقلب العاج في الرسغ الجديد ³
بيت رباطها بالليل كفي	على عود الحشيش وغير عود
لعل الله يُمكنني عليها	جهاراً من زهير أو أسيد ⁴
فإما تثقفوني فاقتلوني	فمن أثقف فليس إلى خلود
وقيس في المعارك غادرته	قناتي في فوارس كالأسود
ويرثوع بن غيظ يوم ساق	تركانهم كجارية ويد
تركت بها نساء بني عصيم	أرامل ما تحن إلى وليد
يلذن بحارث جزعاً عليه	يقلن لحارث لولا تسود ⁵
ومني بالظولم قارعات	بيد المخزيات ولا تبيد
وحكت بركها بيني جحاش	وقد أجروا إليها من بعيد ⁶
تركت ابني جذيمة في مكر	ونصراً قد تركت لها شهودي

[وصف مقتله وما كان قبله من حوادث]

قال أبو عبيدة وحديثي أبو سرار الغنوي قال : كان زهير رجلاً عدوساً⁷ ، فانتقل من قومه

1 أمرت : كثر .

2 الخلية : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخل هي للحلب . والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدر عليه .

3 القلب : السوار .

4 يمكنني في ل : يفرديني .

5 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

6 البرك : الصدر .

7 عدوس : قوي على سير الليل .

بينه وبني أخويه زنباع وأسيد بركة يُريغ الغيث في عشاوات¹ له وشول² . قال : وبني عامر قريب منهم ولا يُشعرُ بهم . قال عبد الحميد وأبو حية : بل بنو عامر بدْمَخ³ وزهير بالنفقات وبينهم ليلتان أو ثلاث . قال فقال أبو سرار : فأتى الحارث بني عامر ، والله ما تغير طعم اللبني الذي زوّدَه الحارث بن عمرو بن الشريد السلمي حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفقات ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي أم ولده . فمر بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زهير لبنيه : إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه . فقالت أخته لبنيها : أيزورك خالك فتوثقوه وتحرموه ! فخلّوه . فقالت تماضر لأخيها الحارث : إنه ليريني [اكبتناك⁴ وقرويك⁵ ، فلا يأخذن فيك] ما قال زهير ؛ فإنه رجل يئذارة⁶ غيذارة⁷ شنوءة⁸ . قال : ثم حلبوا له وطبأ وأخذوا منه يمينا ألا يخبر عنهم ولا يُنذرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حية النميري أنه لما أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به إلى جيبه فيصبه بين سرباله وصدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حلب له الوطب وقراه الحارث بن زهير ، وبه سمي . قال : فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى حاذة⁹ أو شجرة غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال : أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه . فقال أهل المجلس : هذا رجل مأخوذ عليه [عهد] وهو يخبركم خبراً . فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو خلّو لم يقرص بعد ، فقالوا : إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب . فركب معه ستة فوارس لينظروا ما الخبر ، وهم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة ، وحندج بن البكاء ، ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهزار وهو الأخيل جد ليلى الأخيلية ، قال : والأخيل هو معاوية ، قال : وهو يومئذ غلام

1 العشاء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشاء أيضاً .

2 والشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخفت لبنيها .

3 دمخ : جبل .

4 الاكبتناك هنا : الغم .

5 القروب : السكوت .

6 البيذارة : الكثير الكلام .

7 الغيذارة : السوء الخلق .

8 الشنوءة : المبغض .

9 الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

له ذؤابتان ، وكان أصغرَ مَنْ رَكِبَ ، وثلاثة فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصوا أثر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني جَذِيمَة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنا لَنرى حَرَجَةً¹ مِنْ عِضَاءِ² أو غابة رِمَاح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةً أُسَيْدُ بن جَذِيمَة أُسَيْدًا بمثل ذلك ؛ فَأَتَى أُسَيْدُ أَخَاهُ زُهَيْرًا فَأَخْبَرَهُ مِمَّا أَخْبَرَتْهُ بِهِ الرَّاعِيَة وقال : إِنَّمَا رَأَتْ خَيْلَ بني عامر ورمَاحَها . فقال زهير : « كلُّ أَرْبٍ³ نَفَّورٌ » ، فذهبت مثلاً ؛ وكان أُسَيْدُ كثير الشعر خناسيا ، وأمين بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتها تركتك ، وإن وطّنتها عَضَّتْكَ . وأمّا بنو كَعْبٍ فَإِنَّهُمْ يَصِيدُونَ اللَّأْمَى (يريد الثور الوحشي) . وأمّا بنو نُمَيْرٍ فَإِنَّهُمْ يَرْعَوْنَ إِبِلَهُمْ⁴ في رؤوس الجبال . وأمّا بنو هِلَالٍ فَيَبِيعُونَ الْعَطَر . قال : فتحمّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح . وتحمّل مَنْ كان معه غير ابنه وِرْقَاء والحارث . قال : وكان لزهير رَبيقة⁵ من الجنّ فحدثه ببعض أمرهم حتى أصبح ، وكانت له مظلةٌ دَوْحٌ يربطُ فيها أفراسه لا تَريمُه حَذراً من الحوادث . قال : فلَمّا أصبح صهلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها ؟ فقال رَبيقته : أحسّت الخيل فصهلت إليهن . فلم تُؤدِّنْهُنَّ بِهِمْ إِلَّا والخيلُ دَوَائِسُ⁶ مُحَاضِرٌ⁷ بالقوم غديّة . فقال زهير وظنّ أنّهم أهلُ اليمن : يا أُسَيْدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثهم منذُ الليلة . قال : وركب أُسَيْدُ فمضى ناجياً . قال : ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً⁸ فتدَثَّرَ⁹ القعساء فرسه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذٍ عَفُوقٌ مُتَهَمٌ ، واعرَورَى¹⁰ ورقاء والحارثُ ابناه فرسيهما ، ثم

1 الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير الملتف .

2 العضاء من الشجر كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .

3 الرّب : كثرة الشعر وطوله . والبعر الأرب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضرب الريح شعرات حاجبيه . وهنا مثل قاله زهير بن جذيمة لأخيه أُسَيْد ، وكان أَرْبٌ جباناً ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤُها ومعه أخوه أُسَيْد ، فرأى أُسَيْدُ خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه ، فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له زهير « كلُّ أَرْبٍ نفور » وإمّا قال هذا لأن أُسَيْدًا كان أشعر . مجمع الأمثال للميداني 7/3 .

4 ل : البهم .

5 ربيقة : طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .

6 أُنْتَهَم الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً .

7 المحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحضر أي العدو .

8 نبيلاً هنا : جسيماً .

9 تدَثَّرَ فرسه : وثب عليها فركبها ، أو ركبها من خلفها .

10 اعرورى فلان فرسه : ركبته عرياناً أي ليس له سرج .

خالفوا جهةً مألهم ليُعْمُوا على بني عامر مكان مألهم فلا يأخذوه . فهتَفَ هاتفٌ من بني عامر :
يا لَيْحَايِر ، يريد يحامر وهو شِعَارٌ لأهل اليمن ، لأنَّ يُعْمِي على الجَذَمِيِّين من القوم . فقال زهير :
هذه اليمن ، قد علمتُ أنها لأهل اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظرْ يا ورقاء ما ترى ؟ قال ورقاء :
أرى فارساً على شقراء يَجْهدها وَيَكْدها بالسوط قد ألحَّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير :
« شيئاً ما يريد السَّوْطُ إلى الشقراء »¹ فذهبت مثلاً ، وقال في المرَّة الثانية : « شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ
إلى الشقراء » وهي حَذْفُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن جعفر . قال : وكانت
الشقراء من خيل غنيٍّ . قال : وتمردت القعساء بزهير ؛ وجعل خالد يقول : لا نجوتُ إن نجا
مُجَدَّعٌ (يعني زهيراً) . فلما تَمَعَّطت² القعساء بزهير ولم تعلق بها حَذْفُ ، قال خالد لمعاوية
الأخيل بن عبادة وكان على الهَرَّار (حصان أعوج)³ : أدرك معاوي ، فأدرك معاوية زهيراً ،
وجعل ابنه ورقاء والحارثُ يُوطَّشان عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطعنْ يا معاوية في
نَساها ، فطعن في إحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخِذال وهي في ذلك تَمَعَّطُ . فقال
زهير : اطعنْ الأخرى ، يَكْيده بذلك لكي تستوي رجلها فتَحَامَلَ . فناداه خالد : يا معاوية أِفْذُ
طَعْنَتِكَ (أي اطعنْ مكاناً واحداً) فشعشع الرُّمَح في رجلها فانخذلت .

قال : ولحقه خالدٌ على حَذْفٍ فجعل يده وراء عُتْق زهير ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى
قلبه ، وخرَّ خالدٌ فوقه فوقه ، ورفع المغفر عن رأس زهير وقال : يا لَعَايِرِ اقتلوننا معاً ! فعرفوا
أنهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا آنقطاع ظَهْرَاه ! إنها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره :
فقال بعضُ بني جَذِيمة : وا آنقطاع ظَهْرِي ! . قال : ولحق حُنْدُج بن البكاء وقد حسر خالدٌ
المغفرة عن رأس زهير فقال : نَحْ رَأْسِكَ يا أبا جَزْء ، لم يَحِنْ يومُكَ . قال : فنحى خالدٌ رأسه
وضرب حُنْدُج رأسَ زهير ، وضرب ورقاء بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه درعان ،
وكان أسَجَرٌ⁴ العينين ، أَرْبٌ أَمَرٌ⁵ ، مثل الفالَج⁶ ، فلم يُغْنِ شيئاً . قال : وأجهض⁷ ابنا زهير

1 مثل . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . أصله رجلاً ركب فرساً له شقراء ،
فجعل كلما ضربها زادته جرياً . يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها ، مجمع الأمثال
للميداني 164/2 .

2 التمتعط : ضرب من العدو .

3 الأعوج من الخيل : ما اعوجت قوائمه ، ويستحب ذلك فيها .

4 سجرة العين : أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر .

5 القمر : لون إلى الخضرة ، أو هي بياض فيه كدرة .

6 الفالَج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين .

7 أجهض القوم : أي نحياهم عنه وغلباهم عليه .

القوم عن زهير فانتزعاه مُرْتَثًا¹ . فقال خالد حين استنقذ زهيراً ابنه : وا لهفتاه ! قد كنت أظن أن هذا المخرج سَيَسْعُكُمْ ! ولام حُنْدُجاً . فقال حُنْدُج وكان لجلالته غصة إذا تكلم : السيف حديد ، والساعد شديد ، وقد ضربته ورجلاي متمكّتان في الركابين وسمعتُ السيف قال قَبْ حين وقع برأسه . ورأيتُ على ظنبه مثلَ ثَمَرِ المُرار ، وذقته فكان حُلُواً . فقال خالد : قتله بأبي أنت ! . ونظرَ بنو زهير فإذا الضربة قد بلغتُ الدماغ . ونهَى بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء ، فاستسقامهم فمنعوه حتى نهك عَطْشاً . قال : وذلك أن المأموم² يُخاف عليه الماء ، حتى بلغ منه العطشُ ، فجعل يَهْتِفُ : أُمِيتْ أنا عَطْشاً ، وينادي : يا ورقاء ، قال أبو حَيَّة : فجعل ينادي يا شأس ، فلما رأوا ذلك سَقَوْه فمات لثالثة .

[شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده]

فقال ورقاء بن زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كلِّ خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أبادر³
إلى بَطْلَيْنِ يَهْضَانِ كلاهما يُرِيغانِ نَصَلَ السِّيفِ والسِّيفُ نادر⁴
فشلتُ يميني إذ ضربتُ ابنَ جَعْفَرٍ وأحرزه مني الحديدُ المَظَاهِرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العلاء يُنشد هذا البيت فيها :

وشلتُ يميني يوم أضربُ خالداً وشلَّ بَنانُها وشلَّ الخَنَاصِرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدني أبو سَرَّار أيضاً فيها :

فيا ليتني من قبل أيامِ خالدٍ ويومِ زهيرٍ لم تَلِدْني تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يَقْظَةَ بن عُصَيَّة بن خُفَاف السُّلَمِيّ امرأة زهير بن

جذيمة . قال أبو عبيدة : أنشدني أبو سَرَّار فيها :

لَعَمْرِي لقد بُشِّرْتُ بي إذ وَلَدْتَنِي فماذا الذي رَدَّتْ عليكِ البَشائرُ

[شعر لخالد بن جعفر يمين على هوازن بقتله زهيراً]

وقال خالد بن جعفر يمين على هوازن بقتله زهيراً ويصدق الحديث ، قال أبو عبيدة

أنشدني مالك بن عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر مُلَاعِبِ الأَسِنَّة : [من الكامل]

1 المرتث : الذي يحمل من المعركة وبه رمق .

2 المأموم : الذي أصيب في أم الرأس . وأم الرأس : الدماغ .

3 العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها الثكلي لعجلتها في جيتها وذهابها جزعاً .

4 نادر : ساقط .

بل كيف تكفّرني هوازنُ بعدما أعتقتهم فتوّالدوا أحرارا
وقلتُ ربّهم زهيراً بعد ما جدد الأثوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حزنَ بلادهم وجبالهم أرضاً فضاء سهلةً وعشارا
وجعلتُ مهرَ بناتهم ودمائهم عقلَ الملوك هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة : ألا ترى أنه ذكر في شعره أن زهيراً كان ربّهم وقد كان جدّهم ، وأنّه قتله من أجلهم لا من أجل غنيّ ، وأنّ غنيّاً ليسوا من ذلك في ذكر ولا لهم فيه معنى .

قال : وقال ورقاء بن زهير :

أما كلابٌ فإنّا لا نسالمُها حتى يُسلمَ ذئبُ الثلّةِ الرّاعي¹
بنو جدّيمةٍ حاموا حول سيّدهم إلّا أسيداً نجا إذ ثوب الدّاعي

[شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً]

قال : ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربة ورقاء خالداً ، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال :

إنّ يك سيفُ خانٍ أو قدّر أبي لتأخير نفسٍ حتفها غيرُ شاهدٍ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبا يديّ ورقاء عن رأس خالِدٍ
كذاك سيوفُ الهنْدِ تنبو طُباتها وتقطعُ أحياناً مناطَ القلائدِ
ولو شئتُ قدّ السيفُ ما بين عنقهِ إلى علقي تحت الشّراسيفِ جامدٍ²

قال : وكان ضيلعُ بني عبسٍ مع جرير ، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبي عبيدة .

[رواية الأصمعي لمقتل زهير وابنه شأس]

وأما الأصمعيّ فإنّه ذكر ، فيما رواه الأثرم عنه ، قال حدثني غير واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زهير العسّي أنّ ابنه شأس بن زهير وقد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حياء³ قد حُبّي به ، فمرّ بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيات من بني غنيّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ، الشك من الأصمعيّ . قال : فاغتسل ، فناده الغنويّ : استبرّ ، فلم يحفل بما قال . فقال : استبرّ ويحك ! البيوت بين يديك ، فلم يحفل . فرماه الغنويّ رياح بن الأسك بسهم . أو ضربه فقتله

1 الثلّة : الجماعة من الغنم وبضمّ الثاء الجماعة من الناس .

2 العلق : الدم ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ . والشراسيف : أطراف الأضلاع ، واحدها شرسوف .

3 الحياء : العطاء .

والْحَيُّ خُلُوفٌ ، فَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُ شَأْسٍ وَهُمْ فِي عِدَّةٍ ، فَرَكِبَ الْفَلَائِدَ وَاتَّبَعُوهُ فَرَهَقُوهُ¹ ، فَقَتَلَ حُصَيْنًا وَأَخَاهُ حُصَيْنًا ، ثُمَّ نَجَا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَلَجَأَ إِلَى مَنْزِلٍ عَجُوزٍ مِنْ بَنِي إِنْسَانَ (وَبَنُو إِنْسَانَ حَيٌّ مِنْ بَنِي جُثَمٍ) . فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ : لَا تَبْرُخْ حَتَّى يَأْتِيَ بَنِي فَيَأْسِرُوكَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأَخْبَرَنِي مُخْبِرَانِ اخْتَلَفَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّهُ أَخَذَ سِكِّينًا فَقَطَعَ عَصَبَتَيْ يَدَيْهَا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَخَذَ حِجْرًا فَشَدَّخَ بِهِ رَأْسَهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنْ الْكَامِلِ]

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةَ أَوْ مِنيْ غَدَاةٍ وَقَفْتُ لِلْحَيْلِ
إِذَا الْحَصِينُ لَدَى الْحَصِينِ كَمَا عَدَلَ الرَّجَازَةُ جَانِبَ الْمَيْلِ²
وَإِذَا أَنْهَضَتْهَا لِأَفْتِلَهَا جَاشَتْ لِيَغْلِبَ قَوْلُهَا قَوْلِي³

قال : فضرب الزمانُ ضَرْبَانَهُ⁴ ، فَالتَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ وَزُهَيْرُ بْنُ جَذِيمَةَ الْعَبْسِيَّ . فَقَالَ خَالِدٌ لَزُهَيْرٍ : أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَشْتَفِي وَتَكُفَّ ؟ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَعْنِي مِمَّا قَتَلَ بِشَأْسٍ ، قَالَ : فَأَغْلَظَ لَهُ زُهَيْرٌ وَحَقَّرَهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَأَخْبَرَنِي طَلْحَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ بَيْنَهُمَا كَانَ بِعُكَازٍ عِنْدَ قَرِيشٍ . فَلَمَّا حَقَّرَهُ زُهَيْرٌ وَسَبَّهُ قَالَ خَالِدٌ : عَسَى إِنْ كَانَ ! يَتَهَدَّدُهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَمْكِنْ يَدِي هَذِهِ الشَّقْرَاءَ الْقَصِيرَةَ مِنْ عُنُقِ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ ثُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِ . فَقَالَ زُهَيْرٌ : اللَّهُمَّ أَمْكِنْ يَدِي هَذِهِ الْبِيضَاءَ الطَّوِيلَةَ مِنْ عُنُقِ خَالِدٍ ثُمَّ خَلَّ بَيْنَنَا . فَقَالَتْ قَرِيشٌ : هَلَكْتَ وَاللَّهِ يَا زُهَيْرُ ! . فَقَالَ : إِنَّكُمْ وَاللَّهِ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَكُمْ .

قال الْأَصْمَعِيُّ : ثُمَّ نَرَجِعُ إِلَى حَدِيثِ الْعَبْسِيِّينَ وَالْعَامِرِيِّينَ ، وَبَعْضُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ . قَالَ : فَجَاءَ أَخُو امْرَأَةِ زُهَيْرٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الشَّرِيدِ السُّلَمِيَّةِ ، وَهِيَ أُمُّ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ ، فَجَاءَ أَخُوها إِلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ فِي زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ يَنْتِجُ إِلَيْهِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرَ أَخِيهِ أَسِيدِ بْنِ جَذِيمَةَ وَعَبْدِ رَاعٍ لِإِبْلِهِ ! وَجِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَهَذَا لَبَنٌ حَلْبُوهُ لِي . فذَاقُوهُ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِحَازِرٍ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ . فَخَرَجَ حُنْدُجُ بْنُ الْبَكَّاءِ وَخَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُقَيْلٍ ، لَيْسَ عَلَى أَحَدِهِمْ دِرْعٌ غَيْرَ خَالِدٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ أَعَارَهُ إِيَّاهَا عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعٍ الْغَنَوِيُّ ، وَكَانَتْ دِرْعُ ابْنِ الْأَجْلَحِ الْمُرَادِيِّ كَانَتْ قَتْلَهُ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الْأَرْمَةِ . وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ لَهَا عَرَى تُعَلَّقُ فَضُولُهَا بِهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْمُرَهَا . قَالَ : فَطَلَعُوا . فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ

1 رهقوه : غشوه ولحقوه .

2 إِذَا الْحَصِينُ فِي ل : عَدَلَ الْحَصِينُ .

3 نههه : زجره وكفّه .

4 أي إذا ذهب بعضه .

جَزِيمَةً ، قال الأصمعيّ : وكان أُسَيْدٌ شَيْخاً كَبِيراً ، وكان كَثِيرَ شَعْرِ الْوَجْهِ والجَسَدِ : أَتَيْتَ
 وَرَبَّ الْكَعْبَةِ . فقال زهير : « كُلُّ أَزْبٍ نَفُورٌ ¹ فَذَهَبَتْ مِثْلًا . فلم يشعر بهم زهير إلا في
 سَوَادِ اللَّيْلِ ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ وَجَّهَهَا ، فَلَحِقَهُ قَوْمٌ أَحَدُهُمْ حُنْدُجٌ أَوْ الْعُقَيْلِيُّ ، واخْتَلَفُوا
 فِيهِمَا ، فَطَعَنَ فَخِذَ الْفَرَسِ طَعْنَةً خَفِيفَةً ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَطْعَنَ الرَّجُلَ الصَّحِيحَةَ ، فَنَادَاهُ
 خَالِدٌ : يَا فَلَانُ لَا تَفْعَلْ فَيَسْتَوِيَا ، أَقْبِلْ عَلَى السَّقِيمَةِ . قال : فَطَعَنَهَا فَانْخَذَلَتْ الْفَرَسُ
 فَأَدْرَكَوهُ . فلمّا أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقْتُلُونِي وَمُجَدِّعًا ! . فجاء حُنْدُجٌ ،
 وكان أَعْجَمَ اللُّسَانِ ، فقال لخالد وهو فوق زهير : نَحْ رَأْسِكَ يَا أَبَا جَزْءٍ ، فَنَحَّى رَأْسَهُ ،
 فَضْرَبَ حُنْدُجٌ زَهِيرًا ضَرْبَةً عَلَى دَهَشٍ ، ثُمَّ رَكَبُوا وَتَرَكُوهُ . قال فقال خالد : وَيَحْكُ يَا حُنْدُجُ
 مَا صَنَعْتَ ؟ فقال : سَاعِدِي شَدِيدٌ ، وَسَيْفِي حَدِيدٌ ، وَضَرْبَتُهُ ضَرْبَةٌ فَقَالَ السَّيْفُ قَبْ ،
 وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِثْلُ ثَمَرَةِ الْمُرَارِ ، فَطَعَمَتْهُ فَوَجَدَتْهُ حُلُوءًا (يعني دِمَاغَهُ) . قال : إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ
 فَقَدْ قَتَلْتَهُ . قال : فجاء قَوْمُ زَهِيرٍ فَاحْتَمَلُوهُ وَمَنَعُوهُ الْمَاءَ كَرَاهَةً أَنْ يَيْتَلَّ دِمَاغُهُ فَيَمُوتَ .
 فقال : يَا آلَ غَطَفَانَ أَمُوتْ عَطَشًا ! فَسُقِيَ فَمَاتَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ . ففي ذلك يقول
 وَرَقَاءُ بْنُ زَهِيرٍ وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ خَالِدًا ضَرْبَةً فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فقال : [من الطويل]

رَأَيْتُ زَهِيرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ

إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا يُرِيدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ نَادِرُ

قال الأصمعيّ : فَضْرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَانِهِ إِلَى أَنْ التَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ

ظَالِم .

[180] - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

[مقتل خالد بن جعفر وسببه]

قتله الحارث بن ظالم المُرِّي . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غِيْظ بن مرة وهم في وادٍ يقال له خُراضٌ ، فقتل الرجال حتى أسرع ، والحارث يومئذ غلام ، وبقيت النساء . وزعموا أن ظالماً هلك في تلك الواقعة من جراحة أصابته يومئذ . وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم ، فلما بقين بغير رجال طَفِقْنَ يدعون الحارث ، فیشدَّ عَصَابُ¹ الناقة ثم يحلبنها ، ويكيّن رجالهن ويكيي الحارث معهن ، فنشأ على بغض خالد . وأردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة ؛ فاستحقَّ العداوة في غَطَفَان . فقال خالد بن جعفر في تلك الواقعة : [من الوافر]

تركتُ نساءً يَرَبُّوعُ بنِ غِيْظٍ	أرامِلَ يشتَكِين إلى وِلِيدٍ
يَقْلَنَ لحارثٍ جَرَعاً عليه	لك الخيراتُ ما لك لا تسودُ
تركتُ بنيَ جَذِيْمَةٍ في مَكْرٍ	ونصرأُ قد تركتُ لدى الشهودِ
ومني سوف تَأْتِي قارعاتُ	تَبِيدُ المخزياتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المَعاركِ غادرته	قناتِي في فوارِسَ كالأسودِ
وحلَّتْ بَرَكْها بيني جِحاشٍ	وقد مَدُّوا إليها من بَعِيدٍ
وحَيَّ بني سبيعٍ يومَ ساقٍ	تركتُهم كجارية وبِيدٍ ²

قال أبو عبيدة . فمكث خالد بن جعفر بُرْهَةً من دهره ، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان ، وخالد يومئذ رأسُ هَوَازِنَ . فلما استحقَّ عداوةَ عَيْسٍ وذُبْيَانِ أتى النُعمان بن المنذر³ مَلِكَ الحيرة لينظر ما قَدَرَهُ عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألقى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرساً فقال : أُنِيَتْ اللَّعْنُ ، نَعِمَ صباحُك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني مرة ، فلن تُوتِي بفرسٍ يَشْتَقُّ غُبَارَهُ ، إن لم تَنْسِبْهُ انتسب ، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلما

1 عصاب الناقة : ما تشدُّ به لتدر .

2 وبید فی ل : وئید .

3 ورد في الكامل لابن الأثير 351/1 : أن الملك هو النُعمان ابن امرئ القيس ملك الحيرة . وورد أيضاً أن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر .

أكرمتَ خالداً أهديته إليك . وقام الربيع بن زياد العبسي فقال : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ! نَعِمَ صَبَاحُكَ ، وأهلي فداؤُكَ ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتْ أباه عشرين سنةً لم يُخَفِّقْ في غَزْوَةٍ ولم يعتَلِكْ في سَفَرٍ ، وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . قال : فغَضِبَ النُّعْمَانُ عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قَيْسٍ ، أرى خَيْلَكُمْ أَشْبَاهاً ! أين اللواتي كَأَنَّ أذُنَابَهُنَّ شِقَاقٌ¹ أَعْلَامٌ ، وَكَأَنَّ مَنَاجِرَهُنَّ وَجَارٌ² الضُّبَاعِ ، وَكَأَنَّ عَيُونَهُنَّ بَغَايا النساءِ ، رِقَاقُ الْمُسْتَطْعَمِ³ ، تُعَالِكُ اللَّجْمَ في أَشْدَاقِهَا ، تدورُ على مَذَاوِدِهَا⁴ كَأَنَّمَا يَفْضُضْنَ⁵ حَصَى . قال خالد : زَعَمَ الحارثُ ، أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ، أَنَّ تِلْكَ الْخَيْلَ خَيْلُهُ وَخَيْلُ آبَائِهِ . فغَضِبَ النُّعْمَانُ عند ذلك على الحارث بن ظالم . فَلَمَّا أُمْسُوا اجتمعوا عند قَيْنَةٍ من أَهْلِ الْحَيْرَةِ يقال لها بِنْتُ عَفْزَرٍ يشربون . فقال خَالِدٌ : تَغْنِي : [من الكامل]

دارٌ لَهْدٍ والرَّبابِ وفَرَّتَنِي وَلَمِيسَ قَبْلَ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ

وهنَّ خالات الحارث بن ظالم . فغَضِبَ الحارث بن ظالم حتى امتلأَ غَيْظاً وَغَضَباً ، وقال : ما تَزَالُ تُتْبِعُ أَوَّلِي بِآخِرَةٍ ! . قال أبو عبيدة : ثم إنَّ النُّعْمَانَ بنَ المُنْدَرِ دَعَاهُمْ بعد ذلك وَقَدَّمَ لَهُمْ تَمْرًا ؛ فطَفِقَ خَالِدُ بنُ جَعْفَرٍ يَأْكُلُ وَيُلْقِي نَوَى ما يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ بَيْنَ يَدَيِ الحارثِ . فَلَمَّا فَرَّغَ الْقَوْمُ قال خالد بن جعفر : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ! انْظُرْ إِلَى ما بَيْنَ يَدَيِ الحارثِ بنِ ظالِمٍ مِنَ النَّوَى ! ما تَرَكَ لَنَا تَمْرًا إِلَّا أَكَلَهُ . فقال الحارث : أَمَّا أَنَا فَأَكَلْتُ التَّمْرَ وَالْقَيْتُ النَّوَى ، وَأَمَّا أَنْتَ فَأَكَلْتَهُ بَنَوَاهُ . فغَضِبَ خَالِدٌ وَكَانَ لَا يُنَازِعُ ، فقال : أَتُنَازِعُنِي يا حارثُ وَقَدْ قَتَلْتُ حاضِرَتَكَ وَتَرَكْتُكَ يَتِيمًا في حُجُورِ النِّسَاءِ ! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أَشْهَدْهُ ، وَأَنَا مُغْنٍ الْيَوْمَ بِمَكَانِي . قال خالد : فَهَلَّا تَشْكُرُ لِي إِذْ قَتَلْتُ زَهِيرَ بنَ جَذِيمَةَ وَجَعَلْتُكَ سَيِّدَ غَطَفَانَ ! . قال : بلى أَشْكُرُكَ على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بِنْتِ عَفْزَرٍ ، فَشَرِبَ عِنْدَهَا وقال لها تَغْنِي :

تَعَلَّمْتُ أُبَيَّتَ اللَّعْنِ أَنْيَّ فَاتَكَ من الْيَوْمِ أَوْ مِنْ بَعْدِهِ بَلِينَ جَعْفَرٍ
أَخَالِدٌ قَدْ نَبَهْتَنِي غَيْرَ نَائِمٍ فلا تَأْمَنَنَّ فَتُكَيِّدَ الدَّهْرَ وَاحْذَرِ
أَعْيَرْتَنِي أَنْ نِلْتَ مِنَّا فَوَارِسًا غَدَاةَ حُرَاضٍ مِثْلَ جِنَانِ عُبَيْرٍ⁶

1 شقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه إذا شقَّ .

2 الوجار : جحر الضبع وغيرها .

3 مستطعم الفرس : جحفلته وما حوَّها .

4 المذاود : جمع مِذْوَدٍ وهو معتلف الدابة .

5 القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .

6 عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الْخُتُورُ بِخُتْرِهِ وَمَنْ لَا يَقِي اللَّهُ الْحَوَادِثَ يَنْتَرُ¹
 فَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَنْوِيَ بِضَرْبَةٍ بكفَّ قَتَى مِنْ قَوْمِهِ غَيْرَ جَيْدَرٍ²
 يُغَصِّرُ بِهَا عَلِيًّا هَوَازِنَ وَالْمُنَى لِقَاءَ أَبِي جَزْءٍ بِأَبْيَضَ مَيْتَرٍ³

قال : فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يخفِ به . فقال عبد الله بن جَعْدَةَ ، وهو ابن أخت خالد ، وكان رجلَ قيسٍ رَأْيًا ، لابنه : يا بُنَيَّ ائْتِ أَبَا جَزْءٍ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ سَفِيهٌ مَوْتُورٌ ، فَأَخْفِ مَيْتَكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ غَلَبَهُ الشَّرَابُ . فَإِنْ أَبَيْتَ فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَجُلًا لِيُخْرِسَكَ . فوضعوا رجلاً بإزائه ، ونام ابن جَعْدَةَ دون الرجل ، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أن ابن عُتْبَةَ وابن جَعْدَةَ يَحْرُسَانِ خَالِدًا . فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ فَانْتَهَى إِلَى ابْنِ جَعْدَةَ فَتَعَدَّاهُ ، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالدًا فعَجَنَهُ بِكُلِّكَلِهِ حَتَّى كَسَرَهُ وجعل يكدمه⁴ لا يعقل ، فخلَّى عنه والرجل تحته ، ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . فقال لعروة⁵ : أَخْبِرِ النَّاسَ أَنِّي قَتَلْتُ خَالِدًا . وقال في ذلك : [من الطويل]

أَلَا سَائِلُ النُّعْمَانِ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا وَحَيَّ كِلَابٍ هَلْ فَتَكْتُ بِخَالِدٍ
 عَشَوْتُ عَلَيْهِ وَابْنُ جَعْدَةَ دُونَهُ وَعُرْوَةُ يَكْلَا عَمَّهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
 وَقَدْ نَصَبَا رَجُلًا فَبَاشَرْتُ جَوْزَهُ بِكُلِّكَلٍ مَخْشِيٍّ الْعَدَاوَةَ حَارِدٍ⁶
 فَأَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ يَأْفُوحَ رَأْسِهِ فَصَمَّ حَتَّى نَالَ نُوطَ الْقَلَائِدِ⁷
 وَأَقْلَتَ عَبْدُ اللَّهِ مَنِيَّ بِذُعْرِهِ وَعُرْوَةُ مِنْ بَعْدِ ابْنِ جَعْدَةَ شَاهِدِي

[شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدًا]

فَلَمَّا أَبَتْ عَطْفَانُ أَنْ تُجِيرَهُ غَضِبَتْ لذلِكَ بَنُو عَبْسٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِنَ جَذِيمَةٍ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

[من الوافر]

1 الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .

2 غير جيدر : غير قصير .

3 أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر : سيف قاطع .

4 الكدم : العض والتأثير بجديدة ونحوها .

5 هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر .

6 الرَّجُلُ : لغة في الرَّجُل . وجوز كل شيء : وسطه . وحارِد : غاضب .

7 الْيَأْفُوحُ : ملتحق عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، ونياط كل شيء معلقه .

جزاك الله خيراً مِنْ خَلِيلٍ شفى من ذي تُبُولته الخليلاً¹
 أزحتَ بها جوىً ودخيلَ حُزنٍ تَمَخَّخَ أعظمي زمناً طويلاً²
 كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيٍّ ولم تَحْفِلْ به سيفاً صَيِّلاً
 أبأتَ به زُهَيْرَ بني بغيصٍ وكنتَ لِمِثْلِها ولها حَمُولاً³
 كشفتَ له القناعَ وكنتَ مِمَّنْ يُجَلِّي العارَ والأمرَ الجليلاً

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتاني عن قُيسِ بني زُهَيْرٍ مقالةٌ كاذبٍ ذكر التُّبُولَا
 فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتل ثأركم حِرْزاً أُصِيلاً
 ولكن قلتم جاورُ سِوانا فقد جَلَلْتنا حَدَثاً جليلاً
 ولو كانوا هم قتلوا أحاكم لما طردوا الذي قتل القَتِيلَا

[غطفان تأبى جوار الحارث]

قال أبو عبيدة : فلما منعه غطفان لحق بحاجب بن زُرارة ، فأجاره ووعدته أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في غُلْيَا هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غنِيٍّ ببعض البَوادي ، فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حَنْظَلَة تجتني الكَمأة ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصْرته ومنعه . فانطلق بها الغنويّ إلى رَحْلِه ؛ فانسلّت في وسطٍ من الليل ، فأتى الغنويّ الأخوصَ بن جعفر ، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبت وقال : هي مُنْذِرَةٌ عليك . فقال له الأخوصُ : ومتى عهدكُ بها ؟ قال : عهدِي بها والمِنيّ يقطرُ من فرجها . قال : وأبيك إنّ عهدكُ بها لقريبٌ . وتبع المرأة عامراً بن مالك يقصّ أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : أخبريني أيّ قومٍ أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يقبلون بوجوه الظُّباء ، ويُدْبِرُون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني مَنْ في القوم ؟ قالت : رأيْتهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمأقبيهِ⁴ حتى يرفعوا له من حاجبيهِ . قال : ذلك الأخوص بن جعفر . قالت : ورأيت شاباً شديداً الخلق ،

1 التبولة : جمع تَبَل وهو هنا الثأر .

2 تمخخ العظم : أخرج مخّه .

3 أبأت القاتل بالقتيل : قتله به .

4 الماقي : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدمها .

كَأَنَّ شَعْرَ سَاعِدِيهِ حَلَقَ الدَّرْعَ يَعْزِمُ¹ الْقَوْمَ بِلِسَانِهِ عَذَمَ الْفَرَسَ الْعَضُوضُ . قَالَ : ذَلِكَ عُتْبَةُ بْنُ بَشِيرٍ بْنِ خَالِدٍ . قَالَتْ : وَرَأَيْتُ كَهْلًا إِذَا أَقْبَلَ مَعَهُ فَتَيَانِ ، يُشْرِفُ الْقَوْمُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا نَطَقَ أَنْصَتُوا . قَالَ : ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْفَتَيَانِ ابْنَاهُ زُرْعَةُ وَيَزِيدُ . قَالَتْ : وَرَأَيْتُ شَابًا طَوِيلًا حَسَنًا² ، إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَنْصَتُوا لَهَا ثُمَّ يَوَلُّونَ³ إِلَيْهِ كَمَا تَوَلَّى الشَّوْلُ⁴ إِلَى فَحْلِهَا . قَالَ : ذَلِكَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فِدَعَا حَاجِبُ الْحَارِثِ بَنَ ظَالِمٍ فَأَخْبَرَهُ بِرَأْيِهِ وَخَبَرَ الْقَوْمَ وَقَالَ : يَا ابْنَ ظَالِمٍ ، هَؤُلَاءِ بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَتَوْكَ ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ الْحَارِثُ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، إِنْ شِئْتَ أَقَمْتُ فَقَاتَلْتُ الْقَوْمَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتُ . قَالَ حَاجِبُ : تَنَحَّ عَنِّي غَيْرَ مَلُومٍ .

[شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي]

فغضب الحارث من ذلك وقال :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ وَائِلٍ
فَأَصْبَحْتُ فِي حَيٍّ الْأَرَاقِمُ لَمْ يَقُلْ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي إِذْ عَقَلْتُ إِلَيْكُمْ
غَدَاةً أَتَاهُمْ تَبَعٌ فِي جُنُودِهِ
فَإِنْ تَكُ فِي عَلِيَا هَوَايَنْ شَوْكَةً
وَإِنْ يَمْنَعُ الْمَرْءُ الزَّرَارِيَّ جَارَهُ

وَمِنْ وَائِلٍ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ تَغْلِبِ
لِي الْقَوْمُ يَا حَارِ بْنَ ظَالِمٍ اذْهَبِ
بَنِي عُدُسٍ ظَنِّي بِأَصْحَابٍ يَثْرِبِ
فَلَمْ يُسَلِّمُوا الْمَرِينَ مِنْ حَيٍّ يَحْضُبِ
تُخَافُ فَفِيكُمْ حَدٌّ نَابٍ وَمِخْلَبٍ⁵
فَأَعْجَبَ بِهَا مِنْ حَاجِبٍ ثُمَّ أَعْجَبَ

فغضب حاجب فقال :

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا حَارِ إِنِّي
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمَعْدِي أَنَّنَا
وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارَ ظُلَامَةٍ
وَأَنْ تَمِيمًا لَمْ تُحَارِبْ قَبِيلَةً
وَلَوْ حَارَبْنَا عَامِرًا يَا ابْنَ ظَالِمٍ

لَأَمْنَعُ جَارًا مِنْ كُلِّبِ بْنِ وَائِلٍ
عَلَى ذَاكَ كُنَّا فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
لَيْسَنَا لَهُ ثَوْبَتِي وَفَاءُ وَنَائِلِ
مَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَعْتُ بِالْكَوَاهِلِ
لَعَضْتُ عَلَيْنَا عَامِرًا بِالْأَنَامِلِ

1 العزم : العض .

2 ل : طووالاً حسناً .

3 يَوَلُّونَ من الأُل : السرعة .

4 الشول : جمع شائلة وهي التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها .

5 في الأصل محلب ولكنها لا تستقيم .

ولا سَتَيْقَنْتْ عَلَيَا هَوَا زَنَ أَتْنَا سَنُوطِيهَا فِي دَارِهَا بِالْقَنَابِلِ¹
ولكنني لا أبعث الحربَ ظالماً ولو هِجْتُهَا لم أَلَفَ شَحْمَةَ آكلِ

قال : فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زُرارة فُلحِقَ بِعَرُوضِ اليمامة . ودعا مَعْبِداً وَلَقِيْطاً
أَبْنَى زُرارة فقال : سيرا في الظُّعْنِ ، فمِوَعْدُكُمْ رَحْرَحَان ؛ فَإِنَّا مَقِيمُونَ فِي حَامِيَةِ الْخَيْلِ حَتَّى
تَأْتِيَنَا بَنُو عَامِر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أَن نَدْعَهُمْ
بِمَكَانِهِمْ وَنَسْبِقَهُمْ إِلَى الظُّعْنِ . قال : فَلَقُوْهُمَا بِرَحْرَحَان ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً فَأَصَابُوهَا ،
وَأَسِيرَ مَعْبِدٌ وَجُرِحَ لَقِيْطٌ . فَبِعَثُوا بِمَعْبِدٍ إِلَى رَجُلٍ بِالطَّائِفِ كَانَ يَعْذُبُ الْأَسْرَى ، فَقَطَّعَهُ إِرْباً
إِرْباً حَتَّى قَتَلَهُ .

[شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب]

وقال عامر بن مالك يَرِدُّ عَلَى حاجب قوله : [من الطويل]

أَلْكُنِي إِلَى الْمَرَاءِ الزُّرَارِيَّ حَاجِبِ رَئِيسَ تَمِيمٍ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ²
وَفَارِسِيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَخَيْرَ تَمِيمٍ بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ عَنْ حَيِّ مَالِكِ شَايِبٍ مِنْ حَرْبٍ تَلَقَّحَ حَائِلِ³
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ السَّرَاةَ طِجْرَةَ وَأَجْرَدَ خَوَارِ الْعِنَانِ مُنَاقِلِ⁴
نَصَحْتُ لَهُ إِذْ قُلْتُ إِنَّ كُنْتَ لَاحِقاً بِقَوْمٍ فَلَا تَعْدِلْ بِأَبْنَاءِ وَائِلِ
وَلَوْ أَلْجَأَتْهُ عَضْبَةٌ تَغْلِيْبِيَّةٌ لَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ⁵
وَلَوْ رُمْتُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُ رَأَيْتُمْ هُنَاكَ أُمُوراً غَيْهَا غَيْرُ طَائِلِ
لِشَابٍ وَلَيْدٍ الْحَيِّ قَبْلَ مَشِيْبِهِ وَعَضَّتْ تَمِيمٌ كُلُّهَا بِالْأَنَامِلِ
وَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْكُمْ خِنْدِفِيَّةٌ يُنَادُونَ جَهراً لَيْتَنَا لَمْ نُقَاتِلِ

- 1 القنابل : الجماعات من الخيل والناس ، الواحدة قنبلة وقنبيل .
- 2 أَلْكُنِي إِلَى فُلَان : أَي كُنْ رَسُوْلِي إِلَيْهِ . وَالْأَسْمُ مِنْ أَلَك : الْأَلُوكُ وَالْأُلُوكَةُ وَالْمَالُوكَةُ وَالْمَالُوكُ بِمَعْنَى الرِّسَالَةِ .
- 3 الشَّايِب : جَمْعُ شَوْبُوب ، وَشَوْبُوبُ كُلِّ شَيْءٍ : حِدَّةٌ ، أَوْ الدَّفْعَةُ مِنْهُ . تَلَقَّحَتِ النَّاقَةُ : إِذَا شَالَتْ بِذَنْبِهَا لَتَرَى أَنَّهَا لَاقِحٌ وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ . وَحَائِلٌ : غَيْرُ حَامِلٍ .
- 4 الْأَجْرَدُ مِنَ الْخَيْلِ : الْقَصِيرُ الشَّعْرَ . وَالسَّرَاةُ : الظَّهْرُ . وَالطَّمْرَةُ : أَنْثَى الطَّمْرِ وَهِيَ الْفَرَسُ الْجَوَادُ ، أَوْ الْمَشْمَرُ الْخَلْقُ ، أَوْ الْمُسْتَفْرِزُ لِلوُثْبِ وَالْعَدُوِّ ، أَوْ الطَّوِيلُ الْقَوَائِمُ الْخَفِيفُ . وَفَرَسُ خَوَارِ الْعِنَانِ : سَهْلُ الْمَعْطَفِ . وَالْمُنَاقِلُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّذِي يَتَّقِي فِي عَدُوِّهِ الْحِجَارَةَ .
- 5 أَلْجَأَتْهُ هُنَا : عَصَمَتْهُ . الْقَنَابِلُ : الْجَمَاعَاتُ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْخَيْلِ الْوَاحِدَةُ قَنْبَلَةٌ وَقَنْبِيلٌ .

[قتل الحارث لابن النعمان]

قال : فخرج الحارث بن ظالم من قوره ذلك حتى أتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن النعمان ، فقال لها : إنه لن يُجِيرَنِي مِنَ النُّعْمَانِ إِلَّا تَحَرُّمِي بَابَهُ ، فاذَّعِيهِ إِلَيَّ . وقد كان النُّعْمَانُ بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهن ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

[اعتذار عمّ الحارث للنعمان]

فوثب النُّعْمَانُ عَلَى عَمِّ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ فَقَالَ لَهُ : لَأَقْتُلَنَّكَ أَوْ لَتَأْتِيَنِي بِابْنِ أَخِيكَ . فاعتذر إليه فخلّى عنه . فَأَقْبَلَ يَنْطَلِقُ فَقَالَ :

[من البسيط]

يَا حَارًّا إِنِّي أَخِيَا مِنْ مُخْبَاةٍ
قَدْ كَانَ بَيْتِي فِيكُمْ بِالْعَلَاءِ فَقَدْ
مَهَّمَا أَخْفَكَ عَلَى شَيْءٍ تَجِيءُ بِهِ
وَلَمْ أَخْفَكَ عَلَى لَيْثٍ تُخَاتِلُهُ
وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي لَنْ يُنَجِّيَنِي
فَقَدْ عَدَوْتُ عَلَى النُّعْمَانِ ظَالِمَهُ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مِنْهُ غَيْرُ مُنْقَلَبٍ

[شعر للحارث في قتله ابن النعمان]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك :

[من الطويل]

قِفَا فَاسْمَعَا أُخْبِرُكُمَا إِذْ سَأَلْتُمَا
حَسِبْتِ أَبَا قَابُوسَ أَنَّكَ سَابِقِي
أَخْصِيَّتِي حِمَارًا بَاتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً
تَمَنِّيَتْهُ جَهْرًا عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ
فَإِنْ تَكُ أَذْوَادًا أَصَبْتَ وَنَسُوهُ

مُحَارِبُ مَوْلَاهُ ، وَتُكْلَانُ نَادِمُ
وَلَمَّا تَدُقْ فَتُكِّي وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ²
أَتَوْكُلُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمٌ³
أَحَادِيثُ طَسَمَ ، إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ
فَهَذَا ابْنُ سَلْمَى أَمْرُهُ مُتَفَاقِمٌ⁴

1 شاري : وصف من شرى يشرى : إذا غضب وليج في الأمر .

2 في المفضليات 312 : ولما تصب ذلاً وأنفك راغم .

3 يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدها النجم وهو

ضرب من النبات يقال له الثيل . وفي المفضليات : أتاكل جيرانى وجارك سالم .

4 في المفضليات 312 :

فإن تك أذواداً أصيبن ونسوة فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

والذود : القطع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر .

علوتُ بذِي الحَيَاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ وكان سِلَاحِي تجتويه الجمَاجِمُ¹
 فَتَكْتُ بِهِ فَتْكَأَ كَفَتَكِي بِخَالِدٍ وهل يركب المَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمُ²
 بَدَأْتُ بِهِذِي ثُمَّ أَتْنِي بِمِثْلِهَا وثَالِثَةٌ تَبِيضُ مِنْهَا الْمَقَادِمُ³
 شَفَقْتُ غَلِيلَ الصَّدْرِ مِنْهُ بِضْرِيَّةٍ كذلك يَأْبَى الْمُغَضَّبُونَ الْقِمَاقِمُ⁴

[شعر للحارث يخاطب به النعمان]

فقال النعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سينان بن أبي حارثة المرِّي ، وهو يومئذٍ رأسُ غَطَفَانَ : أُيِّنَتِ اللَّعْنُ ! والله ما ذِمَّةُ الحارث لنا بذمة ، ولا جاره لنا بجار ، ولو أمنت ما أمناه . فبلغ ابنُ ظالمٍ قولَ سينانِ بن أبي حارثة ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَلَا أَبْلِغُ النُّعْمَانَ عُنِّي رِسَالَةً فكيف بِخُطَّابِ الخُطُوبِ الأعَاضِمِ
 وَأَنْتَ طَوِيلُ الْبَغْيِ أَبْلَغُ مُعَوَّرٍ فزُورِعْ إِذَا مَا خِيفَ إِحْدَى الْعِظَائِمِ⁵
 فَمَا غَرَّهُ وَالْمَرْءُ يُذْرِكُ وَتَرَهُ بَارُورِعَ مَاضِي الهمِّ مِنْ آلِ ظَلَمِ
 أَخِي ثَقَّةَ مَاضِي الْجَنَانِ مُشْتَعٍ كَمِيشِ التَّوَالِي عِنْدَ صِدْقِ الْعَزَائِمِ⁶
 فَأَقْسِمَ لَوْلا مَنْ تَعَرَّضَ دُونَهُ لَعُولِي بِهِنْدِي الحَديدِ صَارِمِ
 فَأَقْتُلْ أَقْوَاماً لِثَاماً أَذْلَةً يَعْصُونَ مِنْ غَيْظِ أَصُولِ الْأَبَاهِمِ
 تَمْنَى سِنَانٌ ضَلَّةً أَنْ يُخِيفَنِي وَيَأْمَنَ ، مَا هَذَا بِفَعْلِ الْمُسَالِمِ
 تَمَنَيْتَ جَهْداً أَنْ تَضِيْعَ ظُلَامَتِي كَذِبَتْ وَرَبُّ الرَاقِصَاتِ الرُّوَاسِمِ⁷

1 ذو الحَيَاتِ : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .

2 ثم اختلاف في رواية هذا البيت والبيت الذي سبقه في المفضليات 312 ، إذ يتبادلان الشطر الأول في كلٍّ منهما :

علوتُ بذِي الحَيَاتِ مفرق رأسِهِ وهل يركب المَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمِ
 فَتَكْتُ بِهِ كَمَا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ وكان سِلَاحِي تجتويه الجمَاجِمِ

وثمة اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما ترى .

3 صدر البيت في المفضليات : بدأت بهذي ثم أتني بهذه .

4 القماقم : جمع قماقم ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

5 الأبلخ : المتكبر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

6 المشيع : الشجاع . كميّش التوالي : يريد أنه مشمر جاد . وتوالي كل شيء : أواخره .

7 رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل : سير لين .

يمين امرئ لم يرْضَعِ اللُّؤْمُ ثَدْيَهُ وَلَمْ تَكْنُفْهُ عُرُوقُ الْأَلَامِ

[الحارث يرد إبلاً لامرأة استجارت به]

قال : فَأَمَنَهُ النُّعْمَانُ ، وَأَقَامَ حِينًا . ثُمَّ إِنَّ مَصَدَّقًا لِلنُّعْمَانِ أَخَذَ إِبِلًا لَامرأةً مِنْ بَنِي مُرَّةٍ يَقَالُ لَهَا دَيْهَتْ ؛ فَأَتَتْ الْحَارِثَ فَعَلَّقَتْ ذُلُوهَا بِدَلْوِهِ وَمَعَهَا بُنْيٌ لَهَا ، فَقَالَتْ : أَبَا لَيْلَى ! إِنِّي أَتَيْتُكَ مُضَافَةً¹ . فَقَالَ الْحَارِثُ : إِذَا أُوْرِدَ الْقَوْمُ النَّعَمَ فَنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِكَ : [من الرجز]

دَعَوْتُ بِاللَّهِ وَلَمْ تُرَاعِي ذَلِكَ رَاعِيكَ فَنِعَمَ الرَّاعِي

وَتَلَكْ ذُوْدُ الْحَارِثِ الْكَسَاعِ يَمْشِي لَهَا بِصَارِمٍ قَطَاعٍ²

يَشْفِي بِهِ مَجَامِعَ الصَّدَاعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول :

أَنَا أَبُو لَيْلَى وَسَيِّفِي الْمَغْلُوبُ كَمْ قَدْ أَجْرْنَا مِنْ حَرِيْبٍ مَحْرُوبٍ³

وَكَمْ رَدَدْنَا مِنْ سَلِيْبٍ مَسْلُوبٍ وَطَعْنَةٍ طَعْنُهَا بِالْمَنْصُوبِ

ذَاكَ جَهِيْزُ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَكْرُوبِ⁴

ثم قال لها : لَا تَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاقَةً وَلَا بَعِيْرٌ تَعْرِفِيْهِ إِلَّا أَخَذْتِيْهِ ففعلت ؛ فَأَتَتْ عَلَى لُقُوحٍ لَهَا يَحْلِيْهَا حَبَشِيٌّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا لَيْلَى ! هَذِهِ لِي . فَقَالَ الْحَبَشِيُّ : كَذَبْتَ . فَقَالَ الْحَارِثُ : أَرْسَلْتُهَا لَا أُمٌّ لَكَ ! فَضَرَطَ الْحَبَشِيُّ . فَقَالَ الْحَارِثُ : «اسْتُ الْحَالِبُ⁵ أَعْلَمُ» ، فَسَارَتْ مَثَلًا . قَالَ أَبُو عبيدة : فففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدق :

كَمَا كَانَ أَوْفَى إِذْ يُنَادِي ابْنَ دَيْهَتْ

وَصِرْمَتُهُ كَالْمَغْنَمِ الْمُتَنَهَّبِ⁶

وَكَانَ مَتَى مَا يَسْأَلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ

بِحَبْلَيْنِ فِي مُسْتَحْصِدِ الْقِدِّ مُكْرَبٍ⁷

فَقَامَ أَبُو لَيْلَى إِلَيْهِ ابْنُ ظَالِمٍ

وَمَا كَانَ جَارًا غَيْرَ ذُلُوٍ تَعَلَّقَتْ

1 مضافة : ملجأة .

2 الكسع : الضرب على الدبر .

3 المغلوب : اسم سيف له .

4 والمكرب : المشدود بالكرب وهو جبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ويثلث .

5 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 104/2 «است البائن أعلم» ، يضرب لمن ولي أمرأ وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وأصل المثل أن الحارث بن ظالم وجد اثنين يحلبان ناقة له فأهوى إليهما بالسيف ، فضرط البائن ، فقال المعلى والله ما هي لك ، فقال الحارث : «است البائن أعلم» .

6 الصرمة هنا : القطعة من الإبل .

7 المستحصد : الذي أحكم قتله .

[خروج الحارث إلى صديق له من كندة]

قال أبو عبيدة حدثني أبو محمد عصام العجلي قال : فلما قتل الحارث بن ظالم خالده بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كندة يحلّ شعبي ، قال : شعبي غير ممدود ، فلما ألح الأسود في طلب الحارث قال له الكندي : ما أرى لك نجاة إلا أن الحَقَّك بحَضْرَمَوْتَ ببلاد اليمن فلا يوصلَ إليك . فسار معه يوماً وليلة ، فلما غرّبه قال : إنني أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد برئت منك خفارتني . فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل ، فلجأ إلى بني عجل بن لجيم ، فنزل على زبّان فأجاره وضرب عليه قبة . وفي ذلك يقول العجلي :

ونحن منعنا بالرّماح ابنَ ظالمٍ فظلّ يغني آمناً في خيائنا

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : أخرج هذا المشثوم من بين أظهرنا ، لا نعرّثنا بشرٌ ؛ فإنّا لا طاقة لنا بالملحاء (والملحاء كتيبة الأسود) فأبّت عجل أن تخفّره¹ ، فقاتلوه فامتنعت بنو عجل . فقال الحارث بن ظالم في الكندي وفيهم :

يُكلّفني الكندي سِرَّ تنوفةٍ أكابدُ فيها كلَّ ذي صُبةٍ مثري
الصُبة : قطعة من الغنم أو بقية منها .

وأقبلَ دوني جَمْعُ ذُهَلٍ كأنني خلاةٌ لِدُهَلٍ والرّعانف من عمرو²
ودوني ركبٌ من لجيمٍ مُصمّمٌ وزبّان جارٍ والخفير على بكرٍ
لعمري لا أخشى ظلاماً ظالمٌ وسعد بن عجلٍ مُجمعون على نصري

[لحوقه بطيء]

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارث : إنني قد اشتهر أمرِي فيكم ومكاني ، وأنا راحلٌ عنكم . فارتحل فلحق بطيء . فقال الحارث في ذلك :

لعمري لقد حلّت بي اليوم ناقتي إلى ناصرٍ من طيءٍ غير خاذلٍ
فأصبحتُ جاراً للمجرّة منهم على باذخٍ يعلو على المتطاوِلِ

1 الإخفار : الغدر ونقض العهد .

2 الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

[أخذ الأسود أموال جارات له فردّها هو إليهن]

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حية أن الأسود حين قتل الحارث خالداً سأل عن أمره يُبلغ منه . فقال له عروة بن عتبة : إن له جارات من بلي بن عمرو ، ولا أراك تنال منه شيئاً أعيظ له من أخذهن وأخذ أموالهن ، فبعث الأسود فأخذهن واستاق أموالهن . فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الحين فانساب في غمار الناس حتى عَرَفَ موضع جاراته ومرعى إيلهن ، فأتى الإبل فوجد حالين يحلبان ناقةً لهنّ يقال لها اللقاع ، وكانت لبونا كأغزر الإبل ، إذا حُلِبَتْ اجترّت ، ودمعت عينها ، وأصغت برأسها ، وتَفَاجَتْ¹ تَفَاجَ البائل ، وهجمت في الحلب هجماً حتى تُسَنِّمَ² ، وتجاوبت أحاليها³ بالشخب هتاً⁴ وهشما حتى تَصُفَّ بين ثلاثة محالب . فصاح الحارث بهما ورجز فقال : [من الرجز]

إذا سَمِعْتَ حَنَّةَ اللقاعِ فاذعبي أبا ليلى ولا تُراعي
ذلك راعيلك فنعِمَ الراعي يُجِبُّكَ رَحَبَ الباعِ والذراعِ
مُنْطَقاً بصارمٍ قَطَاعِ⁵

خلياً عنها ! فعرفاه فضرط البائن . فقال الحارث : «استُ الضارطُ أَعْلَمُ»⁶ فذهبت مثلاً ، قال الأثرم : البائن الحالب الأيمن ، والمستعلي الحالب الأيسر ، ثم عمد إلى أموال جاراته وإلى جاراته فجمعهن وردّ أموالهن وسار معهن حتى اشتلهن (أي أنقذهن) .

[رواية أخرى في قتله ابن الملك]

قال أبو عبيدة : ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً . وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري . قال أبو عبيدة : وكان الأسود بن المنذر قد تبني سنان بن أبي حارثة المري ابنه شرخيل ، فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان بن أبي حارثة المري ترضعه وهي أم هريم ، وكان هريم غنياً يقدر على ما يُعطي سائليه . فجاء الحارث ، وقد كان اندس في بلاد غطفان ، فاستعار سرج سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشرية ، فأتى به سلمى ابنة ظالم فقال : يقول لك بعلك : ابعتي بابن الملك مع الحارث

1 تفاجت : باعدت بين رجلها .

2 تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .

3 الأحاليل : جمع إحليل ، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع .

4 الهت : اختلاط الصوت في حرب أو صخب .

5 منطفاً : مشدوداً في وسطه .

6 مثل مرّ في صفحة 73 .

حتى أَسْتَأْمِنَ له وَيَتَخَفَّرَ به ، وهذا سرُّه آية إليك . فزَيْتته ثم دفعته إلى الحارث ، فَأَتَى بالغلام ناحية من الشَّرْبَةِ فقتله ، ثم أَنشأ يقول :

قِفَا فَاسْمَعَا أَخْبِرَكَا إِذْ سَأَلْتُمَا مُحَارِبُ مَوْلَاهُ ، وَتُكْلَانُ نَادِمُ
تُكْلَانُ نَادِمُ : يَعْنِي الْأَسْوَدَ لِأَنَّهُ قُتِلَ ابْنُهُ شُرْحَبِيلُ . مُحَارِبُ مَوْلَاهُ : يَعْنِي الْحَارِثَ نَفْسَهُ .
ومولاه : سِنَانٌ .

أَخْضَيْتُ جِمَارَ بَاتٍ يَكْدُمُ نَجْمَةً أَتَوَكَّلُ جَارَاتِي وَجَارِكَ سَالِمُ
حَسِيتُ أَيْتَ اللَّعْنِ أَتَكَ فَائِتُ وَلَمَّا تَذُقْ تُكْلَانُ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
فَإِنْ تَكُ أَذْوَاداً أَصِيتَ وَنَسْوَةٌ فَهَذَا ابْنُ سَلَمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمُ
عَلَوْتُ بِذِي الْحَيَاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ وَكَانَ سِلَاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَمَاجِمُ
فَتَكْتُ بِهِ كَمَا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ وَلَا يَرْكَبُ الْمَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمُ
بَدَأْتُ بِتِلْكَ وَانْتَيْتُ بِهِذِهِ وَثَالِثَةٌ تَبِضُّ مِنْهَا الْمَقَادِمُ

قال : ففي ذلك يقول عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ فِي الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ بْنِ غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ لَمَّا هَاجَى شَيْبَ بْنَ الْبَرْصَاءِ ، وَأَبُوهُ يَزِيدُ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي نُشْبَةَ بْنِ غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ ابْنُ عَمِّ سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، فَعَيَّرَهُ بِقَتْلِ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ شُرْحَبِيلَ لِأَنَّهُ رَيْبُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ نُشْبَةَ بْنِ غَيْظِ رَهْطِ شَيْبِ ، ففي ذلك يقول عَقِيلُ :

قَتَلْنَا شُرْحَبِيلًا رَيْبَ أَيْكُمُ بِنَاصِيَةِ الْمَعْلُوبِ ضَاحِيَةِ غَضْبَا¹
فَلَمْ تُنْكِرُوا أَنْ يَغْمِزَ الْقَوْمُ جَارَكُمْ بِإِخْدَى الدَّوَاهِي ثُمَّ لَمْ تَطْلُعُوا نَقْبًا²
قال أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهَرَبَ الْحَارِثُ ، فَغَزَا الْأَسْوَدُ بَنِي ذُبْيَانَ إِذْ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَبَنِي أَسَدٍ بِشَطِّ أَرِيكِ . قال أَبُو عُبَيْدَةَ : وَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ : هُمَا أَرِيكَانِ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ ، وَلَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا كَانَتْ الْوَقْعَةُ . قال أَبُو عُبَيْدَةَ وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّ سَلَمَى امْرَأَةَ سِنَانِ الَّتِي أَخَذَ الْحَارِثُ شُرْحَبِيلَ مِنْ عِنْدِهَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ . قال : فَإِنَّمَا غَزَا الْأَسْوَدُ بَنِي أَسَدٍ لِدَفْعِ الْأَسَدِيَّةِ سَلَمَى ابْنَهُ إِلَى الْحَارِثِ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا وَسَبَى وَاسْتَأَقَ³ أَمْوَالَهُمْ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ [الْأَعَشَى مَيْمُونُ] : [مِنْ الْخَفِيفِ]

وَشِوْخُ صَرْعَى بِشَطِّ أَرِيكِ وَنِسَاءُ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي

1 المَعْلُوبُ : سَيْفُ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ . وَضَاحِيَةُ : عِلَانِيَةُ وَجْهِهِ .

2 النَّقْبُ : الطَّرِيقُ ، أَوْ الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ فِي الْجَبَلِ .

3 فِي ل : وَاسْتَخَفَّ .

من نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ نَقَضُوا الْعَهْدَ لَدَّ وَذُبْيَانَ وَالْهَجَانَ الْغَوَالِي
رُبُّ رَفْدٍ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالٍ¹
هَوْلًا ثُمَّ هَوْلًا كَلًّا اخْذَى سَتَ نِعَالًا مَخْذُوءَةً بِمِثَالِ
وَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُ لَأَ وَكَعْبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَلِي

[وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب]

قال : ووجد نعل شرحبيل عند أضاح . وهو من الشريرة في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان . قال : فأحمي لهم الأسود الصفا التي بصحراء أضاح وقال لهم : إني أحذيكم نعالاً ، فأمشاهم على الصفا المخمى فتساقط لحم أقدامهم . فلما كان الإسلام قتل جوشن الكندي رجلاً من بني محارب فأقيد به جوشن بالمدينة . وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي ، فهجا بني محارب فغيرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال : [من الطويل]

على عَهْدِ كِسْرَى نَعَلْتَكُمْ مَلُوكُنَا صَفَاً مِنْ أَضَاحٍ حَامِيَا يَتَلَهَّبُ

قال أبو عبيدة : وصار ذلك مثلاً يتوعد به الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك . ومن ذلك أن ابن عتاب الكلبي ورد على بني النوس من جديلة طيء ، فسرقوا سهاماً له ؛ فقال يحذروهم :

بني النوس رُدُّوا أَسْهُمِي إِنْ أَسْهُمِي كَنَعْلُ شُرْحَبِيلَ الَّتِي فِي مُحَارِبِ

وقال في الجاهلية ابن أم كهف الطائي في مدحه للملك بن جمار الشمخي ، فذكر نعل شرحبيل فقال :

ومولك الذي قتل ابن سلمى علانية شرحبيل ابن نعل

لأنه لولا النعل لم يُعرف ، وإتما عُرف بما صنع أبوه بيني محارب من أجل نعله التي وجدت في بني محارب .

[أخذ الأسود لسان بن أبي حارثة]

قال أبو عبيدة : وأخذ الأسود سينان بن أبي حارثة ؛ فأتاه الحارث بن سفيان أحد بني الصارِدِ ، وهو الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه ، فاعتذر إلى الأسود أن يكون سينان بن أبي حارثة عليم أو أطلع ، ولقد كان أطرَدَ الحارث من بلاد غطفان ، وقال : علي دية ابنك ألف بغير دية الملوك ؛ فحملها إياه وخلّى عن سينان ؛ فأدى إلى الأسود منها ثمانمائة بغير ثم مات . فقال سيار بن عمرو

أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهَنه سَيَّارٌ قَوْسَه ، فأدّى البقيّة . فلَمّا مدح قُرّادُ بن حَنْشٍ الصارِديُّ بني فَرَارة جَعَلَ الحَمالَةَ كُلَّها لَسَيَّار بن عمرو فقال :

ونحنَ رَهْنَا القَوْسَ ثُمّتَ فُودِيتَ بألفٍ على ظَهْرِ الفَزاريِّ أَقرعاً¹
بَعَثَ مِيعِينَ للملوكِ سَعى بها ليُوفِيَ سَيَّارُ بن عمرو فأسرّعاً
رَمَيْنَا صَفاهُ بالمِيعِينَ فأصبحتُ ثَناياهُ للساعين في المَجْدِ مَهيعاً²

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعْنَبٍ ، فردّ عليه قُرّادُ فقال :

ما كان ثَعْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ولا الفَزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانٍ³
لكن تَضَمَّنْها أَلْفاً فأخرجها على تَكاليِفها حارُّ بن سُفيانٍ⁴

وقال عُوَيْفُ القَوافي بن عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدرٍ في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبريّ حين هاجاه أحد بني وَبَرٍ بن كِلابٍ :

فهل وجدتُم حاملاً كَحاملي إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كامل
بديّةِ ابنِ الملكِ الحُلالِ فافتكّها من قبلِ عامٍ قابل
سَيَّارُ المُوفى بها ذو السائل

[لحق الحارث ببني دارم]

قال أبو عبيدة : فلَمّا قتل الحارث شُرَحْبِيلُ لحق ببني دارمٍ فلجأ إلى بني ضَمْرَةَ . قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَدُ بن زُرارة فأجاره ، فجرّ جُوارُهُ يومَ رَحْرَحانَ ، وجرّ يومَ رحرحان يومَ جَبَلَةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرَتِهِ⁵ فلَمّا بلغه نزولُهُ ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسَلِّمُوهُ فَأَبَوْا . فقال يَمَنُّ على بني قَطَنٍ بن نَهْشَلٍ بن دارمٍ بما كان من النُعمانِ بن المُنْذِرِ في أمرِ بني رَشِيَّةٍ وهي رُمَيْلَةُ حين طلبهم من لَقِيظٍ بن زُرارة حتى استنقذهم . ورشيّةُ أُمّةٍ كانت لَزُرارة بن عُدُسٍ بن زيدِ المُجاشِعيِّ ، فوطئها رجلٌ من بني نَهْشَلٍ فأولدها ؛ وكان زُرارةُ يأتي بني نَهْشَلٍ يطلبُ العِلْمَةَ التي ولدت ، وولدتِ الأشْهَبَ بن رُمَيْلَةَ والرَّبابَ بن رُمَيْلَةَ وغيرَهما ،

1 بألف أقرع أي تام .

2 الثنايا : جمع ثنية وهي طريق العقبة . والمعيع : الطريق الواسع الواضح .

3 ذو عاج : واد في بلاد قيس . الجُوفان : أير الحمار .

4 يريد حارث بن سُفيان .

5 الخفرة : الذمة .

وكانوا يُسمِعونه ما يكره ، فيرجع إلى ولده فيقول : أَسْمَعْنِي بنو عَمِّي خيراً وقالوا : سنبعث بهم إليك عاجلاً ، حتى مات زُرَّارَةُ . فقام لَقِيطُ ابْنُهُ بأمرهم ؛ فلمَّا أتاهم أسمعوه ما كره ، ووقع بينهم شرٌّ ، فذهب النهشلي إلى الملك فقال : أثبت اللعن ! لا تصلني وتصل قومي بأفضل من طلبتك إلى لَقِيطِ الغُلَمَةِ ليَكْفَ عني . فدعاه فشرب معه ، ثم استوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأسود بن المنذر في ذلك :

كَأَنَّ لَنَا مِنْ نِعْمَةٍ فِي رِقَابِكُمْ بَنِي قَطَنٍ فَضْلاً عَلَيْكُمْ وَأَنْعُمًا
وَكَمْ مِنْهُ كَانَتْ لَنَا فِي يُبُوتِكُمْ وَقَتْلِ كَرِيمٍ لَمْ تَعُدُّوه مَغْرَمًا
فَأَنْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ ابْنَ ظَالِمٍ وَلَمْ يَمَسْ بِالْأَيْدِي الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمًا¹
فَأَجَابَهُ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ فَقَالَ :

سَمَنْعَ جَاراً عَائِذاً فِي يَبُوتِكُمْ بِأَسِيفِنَا حَتَّى يَوْوبَ مُسْلَمًا
إِذَا مَا دَعَوْنَا دَارِماً حَالَ دُونَهُ عَوَاسُ يَعْطُكُنَ الشَّكِيمَ الْمُعْجَمًا²
وَلَوْ كُنْتَ حَرْباً مَا وَرَدْتَ طَوِيلِعًا وَلَا خَوْفَهُ إِلَّا خَمِيسًا عَرْمَرَمًا³
تَرَكْتَ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ وَفَعَلَهُمْ وَأَشْبَهْتَ تَيْسًا بِالْحِجَازِ مُزْنَمًا⁴
وَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَيْنَا وَأَنْعُمًا⁵

قال : وبلغ ذلك بني عامر ، فخرج الأحوصُ غازياً لبني دارِمٍ طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطَوَّأ على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتَقَوْا بِرَحْرَحَانَ ، فهزمت بنو دارِمٍ ، وأسيرَ مَعْبُدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد . [أسر بني قيس وبني هزان للحارث]

ثم أسر بنو هزان الحارث بنَ ظالم . وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ، ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثرٌ ونام ، فمرَّ به نَقَرٌّ من بني قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بني هزان من عَزْرَةَ وهو نائمٌ ،

1 الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصله .

2 الشكيمة من اللجام : الحديد المعلقة في الفم . والمعجم : المعوض .

3 حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدو المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمم : الكثير .

4 المزمن من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز ، والمزمن أيضاً : الذي تقطع أذنه وترك له زنمة .

5 رواية الشطر الثاني من البيت في اللسان (مادة زنم) : فإن له عندي يدياً وأنعمًا .

فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه ، فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم من هو فلم يفعل . فاشتره القيسيون من الهزائين بزق خمر وشاة ، ويقال : اشتراه رجل من بني سعد بإغلاق¹ بكره وعشرين من الشاء ، ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : من أنت ؟ وما حالك ؟ فلم يخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال : وهو قريب من اليمامة . قال : فبينما هم على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مرة وتهتدداً أخرى وليناً مرة ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى ملوه ، فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً ، فتوجه نحو اليمامة وهي قريب منه ، فلقى غلمة يلعبون ، فنظر إلى غلام منهم أخلقهم للخير عنده فقال : من أنت ؟ قال : أنا بُجَيْر بن أَبَجَر العجلي ، وله ذؤابة يومئذ وأمه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي . فأثاه وأخذ بحقوقه والتزمه وقال : أنا لك جار . فيقال : إن عجلأ أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأول الذي ذكرناه في أول الحديث . فأبى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال : أئت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فأخبره ؛ فأبى قتادة فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة : وأما فراس² فزعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شداً حتى أتى اليمامة ، وأتبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة وفيه قتادة بن مسلمة . فلما رأوه يهوي نحوهم قال : إن هذا لخائف ، وبصر بالقوم خلفه فصاح به : الحصن الحصن ! فأقبل حتى ولج الحصن . وجاءت بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم ، فأما إذ تحرم بي فلا سبيل إليه . قال فقالوا : أسيرنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجار ولا تعرفه ، وإنما أتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومك وجيرتك . قال : أما أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا مني : إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني ، وإن شئتم أعطيته سلاحاً كاملاً وحملته على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دونكموه . فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : إن أفلتكم فردد إليّ الفرس والسلاح لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الوادي ، ثم أتبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير ، وهو قريب من اليمامة أيضاً بينهما أقل من يوم . فلما صار إلى بلاد بني قشير يسوا منه فرجعوا عنه . وعرفه بنو قشير فانطووا عليه وأكرموه . ورد إلى قتادة بن مسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل ، لا أدري أعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت له ، لم يُفسر أبو عبيدة أمرها ولا سألت عنها .

1 أغلاق الرهن : إيجابه للرهن إذا لم يفك .

2 فراس هنا : أبو المختار فراس بن خندق القيسي .

فقال الحارثُ بن ظالم في ابنيْ حُلَاكَةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيَّينَ وفيما كان من أمره . قال أبو عبيدة : ويقال أسره راعيان من بني هِزَّانَ يقال لهما ابنا حُلَاكَةَ : [من البسيط]

أَبْلُغْ لَدَيْكَ بَنِي قَيْسٍ مُغْلَغَلَةً أَنِّي أَقْسَمُ فِي هِزَّانَ أَرْبَاعَا
ابْنَا حُلَاكَةَ بَاعَانِي بِلَا ثَمَنِ وَبَاعَ ذُو آلِ هِزَّانِ بِمَا بَاعَا
يَابَنِيْ حُلَاكَةَ لَمَّا تَأْخُذَا ثَمَنِي حَتَّى أَقْسَمَ أَفْرَاسًا وَأَدْرَاعَا
قَادَةُ الْخَيْرِ نَالَتْنِي حَدِيثُهُ وَكَانَ قَدَمًا إِلَى الْخَيْرَاتِ طَلَّاعًا¹

وقال في ذلك أيضاً : [من الكامل]

هَمَّتْ عُكَابَةٌ أَنْ تَصِيْمَ لَجِيْمَا فَأَبَتْ لُجَيْمَ مَا تَقُولُ عُكَابَةٌ²
فَاسْقِي بُجَيْرًا مِنْ رَحِيْقِ مُدَامَةٍ وَاسْقِي الْخَفِيْرَ وَطَهْرِيْ أَثْوَابَهُ
جَاءَتْ حَئِيْفَةً قَبْلَ جَيْئَةٍ يَشْكُرُ كُلًّا وَجَدْنَا أَوْفِيَاءَ ذُوَابَهُ

[مروره برجل من بني أسد]

وزعم أبو عبيدة أنَّ الحارثَ لَمَّا هُزِمَتْ بنو تميم يوم رَحْرَحَانَ مرَّ برجلٍ من بني أُسْدٍ بن خُزَيْمَةَ ؛ فقال : يا حَارِ إِنَّكَ مَشْعُوْمٌ وقد فعلتَ ما فعلتَ ، فانظُرْ إِذَا كُنْتَ بِمَكَانٍ كَذَا وكَذَا مِنْ بَرْقَةِ رَحْرَحَانَ فَإِنَّ لِي بِهِ جَمَلًا أَحْمَرَ فَلَا تَعْرِضْ لَهُ . وَإِنَّمَا يَعْرِضُ لَهُ وَيَكْرَهُ أَنْ يَصْرَحَ فَيُبْلَغَ الْأَسْوَدَ فَيَأْخُذَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْحَارِثُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَذَ الْجَمَلَ فَجَا عَلَيْهِ ، وَإِذَا هُوَ لَا يُسَايِرُ مِنْ أَمَامِهِ وَلَا يُسَبِّقُ مِنْ وَرَائِهِ . فَبْلَغَ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ ، فَأَخَذَ الْأَسْوَدُ الْأَسَدِيَّ وَنَاسًا مِنْ قَوْمِهِ . وَبْلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ فَقَالَ كَأَنَّهُ يَهْجُوهُمْ لَعْلًا يَتَّهِمُهُمُ الْأَسْوَدُ : [من الوافر]

أَرَانِي اللَّهَ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى بِبَرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي³
لِحَيِّ الْأَنْكَدِينَ وَحَيِّ عَبْسٍ وَحَيِّ نَعَامَةٍ وَبَنِي غُدَّانٍ

[لحوقه بمكة واتماؤه إلى قريش]

قال : فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ الْأَسْوَدَ خَلَّى عَنْهُمْ . وَلَحِقَ الْحَارِثُ بِمَكَّةَ وَانْتَمَى إِلَى قَرِيْشٍ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

[من الوافر]

1 الحذية : العطية .

2 لُجَيْمٌ : اسم القبيلة .

3 الْمُنْدَى فِي ل : الْمَبْدَى ، وَتَنْدِيَةُ الْإِبِلِ : أَنْ يُوْرِدَهَا الرَّجُلُ الْمَاءَ حَتَّى تَشْرَبَ قَلِيْلًا ثُمَّ يَجِيءُ بِهَا حَتَّى تَرعى سَاعَةً ثُمَّ يُوْرِدُهَا إِلَى الْمَاءِ . وَأَبْدَيْتُ الْإِبِلَ : إِذَا أُبْرِزَتْهَا إِلَى مَوْضِعِ الْكَلَاءِ .

وما قَوْمِي بِثَغْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ ولا بفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرُّقَابَا¹
وقَوْمِي إِنْ سَأَلْتَ بنو لُؤَيٍّ بمَكَّةَ عَلمُوا مُضَرَ الضُّرْبَا

قال : فزوده وحمله رَواحة الجُمَحِيِّ على ناقة ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

وهَشْ رَواحةُ الجُمَحِيِّ رَحْلِي بناجِيَةٍ ولم يَطْلُبْ ثَوَابَا
كَأَنَّ الرَّحْلَ والأنساعَ منها وميثرَتِي كُسَيْنَ أَقْبَ جَابَا²

[لحق الحارث بالشام بملك من الغساسنة]

يروى «حَشْ» و«هَشْ» وهما لغتان . وحَشْ سَوَى . قال : فلحق الحارثُ بالشام بملك من ملوك غَسَّانَ ، يقال [هو] النُّعْمان ، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغَسَّانِي ، فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحَمَّاةٌ في عُنُقِها مُدْبِيَةٌ وزِنَادٌ وَصْرَةٌ مِلْحٌ ، وإنما يختير³ بذلك رعيته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان ، فَوَحَمَتْ إحدى امرأتيه ، قال أبو عبيدة : وأصابَت الناسَ سَنَةً شَدِيدَةً ، فطلبت الشَّحْمَ إليه . قال : ويحلُّ ! وأنَّى لي بالشحم والودك ؛ فألحَّت عليه ؛ فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فَلَبَّ في سَبَلَتِهَا⁴ (أي طعن)⁵ . فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عُنُقِهَا . قال : وفَقِدَتِ الناقة فَوُجِدَتْ نَجِيرًا لم يُؤَخَذْ منها إِلَّا السَّنامُ ، فأعلموا ذلك الملك ، وخفي عليهم مَنْ فعله . فأرسل إلى الخُمُسِ الثَّغْلَبِيِّ ، وكان كاهنًا ، فقال : مَنْ نحر الناقة ؟ فذكر أن الحارث نحرها . فتذمَّم⁶ الملك وكذَّبَ عنه . فقال : إن أردت أن تعلم عِلْمَ ذلك فذسُّ امرأة تطلب إلى امرأته شحماً ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلَمَّا فُقِدَتِ المرأة قال الخُمُسُ : غَالَهَا ما غَالَ الناقة⁷ ، فَإِنْ كَرِهَ الملك أن يفتشهُ عن ذلك فليأْمُرْ بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِثَ بيته ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارث فقتله ؛ فأخِذَ الحارثُ فَحُيسَ . فاستسقى ماء

1 الشعر : جمع أشعر .

2 الأنساع : جمع نسع وهو سير مضفور تشد به الرجال . والميثرة : وطاء محشو يوضع على رجل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر . والجاب والجأب : القوي الغليظ .

3 ل : يبور .

4 سبلة البعير : ثغرة نحره .

5 يقال لب البعير إذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره .

6 تذم : استنكف .

7 أي غال المرأة من غال الناقة ، وهي تضرب في تحري بيان الحقيقة ومعرفة خفاياها ، ورد في تمثال الأمثال للعبدي الشيبى 481/23 نقلاً عن الأغاني .

فأتاه رجلٌ بماء فقال : أَتَشْرَبُ ؟ فَأَنْشَأَ الْحَارِثُ يَقُولُ :

[من الطويل]
لَقَدْ قَالَ لِي عِنْدَ الْمَجَاهِدِ صَاحِبِي وَقَدْ حِيلَ دُونَ الْعَيْشِ هَلْ أَنْتَ شَارِبٌ¹
وَوَدِدْتُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ لَوْ أَتَنِي بِذِي أُرْوَنَى تَرْمِي وَرَائِي الثُّعَالِبُ
الثُّعَالِبُ : مِنْ مُرَّةٍ وَهِيَ رُمَاءٌ . أُرْوَنَى : مَكَانٌ . وَقَالَ مُرَّةٌ أُخْرَى : الثُّعَالِبُ بَنُو ثُعَلْبَةَ .
يَقُولُ : كَانُوا يَرْمُونَ عَنِّي وَيَقُومُونَ بِأَمْرِي . قَالَ : فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَجْرَتَنِي فَلَا
تَغْدِرْنِي . فَقَالَ : لَا ضَيْرَ ؛ إِنْ غَدَرْتُ بِكَ مُرَّةٌ فَقَدْ غَدَرْتَ بِي مِرَارًا² . فَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ الْخَيْمَسِ
التَّغْلِبِيَّ أَنْ يَقْتُلَهُ بِأَبْيِهِ . فَقَالَ : يَا ابْنَ شَرِّ الْأَطْمَاءِ أَنْتَ تَقْتُلَنِي ! فَقَتَلَهُ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : لَمَّا قَامَ
ابْنُ الْخَيْمَسِ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْتُلَهُ قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ الْخَيْمَسِ . قَالَ : أَنْتَ ابْنُ شَرِّ الْأَطْمَاءِ .
قَالَ : وَأَنْتَ ابْنُ شَرِّ الْأَسْمَاءِ ؛ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ ضُرَيْيَ ، وَهُمْ حَيٌّ مِنْ جُرْهُمَ ، يَرِثِي
الْحَارِثَ بَنَ ظَالِمٍ :

يَا حَارِ حَنِيًا حُرًّا قُطَامِيًا³
مَا كُنْتَ تَرْعِيَا فِي الْبَيْتِ ضِجْجِيًا⁴
أَدْعَى لُبَاخِيَا مُمَلَأَ عِيَا⁵

وَأَخَذَ ابْنُ الْخَيْمَسِ سَيْفَ الْحَارِثِ بَنَ ظَالِمِ الْمَعْلُوبِ ، فَأَتَى بِهِ سُوقَ عُكَازٍ فِي الْحَرَمِ ،
فَجَعَلَ يَعْزِضُهُ عَلَى الْبَيْعِ وَيَقُولُ : هَذَا سَيْفُ الْحَارِثِ بَنَ ظَالِمِ . فَاسْتَرَاهُ⁶ إِيَّاهُ قَيْسُ بْنُ
زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ فَأَرَاهُ إِيَّاهُ ، فَعَلَاهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَرَمِ . فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ⁷ يَرِثِي
الْحَارِثَ بَنَ ظَالِمِ :

مَا قَصَرْتُ مِنْ حَاضِنٍ سِتْرَ بَيْتِهَا أَبْرَّ وَأَوْفَى مِنْكَ حَارِ بَنَ ظَالِمٍ⁸
أَعَزَّ وَأَحْمَى عِنْدَ جَارٍ وَذِمَّةٍ وَأَضْرَبَ فِي كَابٍ مِنَ النَّقْعِ قَاتِمٍ

1 المجاهد : الشدائد .

2 مثل .

3 حنياً : لعله منسوب إلى الحنّ وهو حي أو ضرب من الجن . والقطامي : الصقر .

4 الترعي والترعية : الذي يجيد رعية الإبل . والضجعي : الذي يلزم البيت لا يكاد يرح منزله ولا ينهض
للمكرمة .

5 لبأخي : ضخم كثير اللحم .

6 استراه إياه : طلب إليه أن يريه إياه .

7 ل : قيس بن زحل .

8 قصر الستر : أرحاه .

هذه رواية أبي عبيدة والبصريين . وأما الكوفيون فإنهم يذكرون أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله . أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال : لما هرب الحارث إلى مكة أسف النعمان بن المنذر على قوته إياه ، فلطف له وراسله وأعطاه الأمان ، وأشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن أنه لا يطلبه بدخل ولا يسوءه في حال ، وأرسل به مع جماعة ليسكن الحارث إليهم ، وأمرهم أن يتكلفوا له بالوفاء ويضمنوا له عنه أنه لا يهيجه ، ففعلوا ذلك . وسكن إليه الحارث ، فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل ، فقال للحاجب : استأذن لي ، والناس يومئذ -ند النعمان متوافرون ، فاستأذن له ، فقال النعمان : ائذن له وخذ سيفه . فقال له : ضع سيفك وادخل . فقال الحارث : ولم أضعه ؟ قال : ضعه ، فلا بأس عليك . فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان . فلما دخل قال : انعم صباحاً أبنت اللعن . قال : لا أنعم الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النعمان : كتابي والله ما أنكره ، أنا كتبت لك ، وقد غدرت وفتكت مراراً ، فلا ضير أن غدرت بك مرة . ثم نادى : من يقتل هذا ؟ فقام ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث فتك بأبيه ، فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس [مثل] ما ذكر أبو عبيدة .

[181] - خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذكر هاهنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر ، ولأن فيما تناقضاه من الأشعار أغاني صالح ذكرها في هذا الموضع .

[غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً]

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز ، ولما بلغه قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر ، وكان خالد مصافياً له ، غضب لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لقي الحارث خالداً وهو يقظان لما نظر إليه ، ولكنه قتله نائماً ، ولو أتاني لعرف قدره ؛ ثم دعا بشرا به ووضع التاج على رأسه ودعا بقيائه ، فتغنن له :

عَلَّانِي وَعَلَّا صَاحِبِيَا	وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا ¹
إِنِّ فِينَا الْقِيَانَ يَغْرِفَنَ بِالْدُّ	فَ لِفَتِيَانِنَا وَعِشَا رَحِيَا
يَبَارَيْنَ فِي النَّعِيمِ وَيَصْبِي	نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَاً ذَكِيَا
إِنَّمَا هُمُ هُنَّ أَنْ يَحَلِّي	نَ سُمُوطاً وَسُنْبُلَا فَارِسِيَا
مَنْ سُمُوطِ الْمَرْجَانِ فَصَلَّ بِالشَّدِّ	رِ فَأَحْسِنَ بِحَلِيهِنَّ حَلِيَا
وَفَتًى يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسَّيِّ	فَ إِذَا كَانَتْ السُّيُوفُ عَصِيَا
إِنَّمَا لَا نُسْرُ فِي غَيْرِ نَجْدِ	إِنِّ فِينَا بِهَا فَتًى خَزْرَجِيَا
يُدْفَعُ الضِّيمَ وَالظُّلَامَةَ عَنْهَا	فَتَجَافِي عَنْهُ لَنَا يَا مَنِيَا
أُبْلِغُ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمِ الرُّعِ	دِيدَ وَالنَّاذِرَ النُّذُورَ عَلِيَا
أَتَمَّا يَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا يَقْدِرُ	تُلُ يَقْظَانُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَا
وَمَعِي شِكْتِي مَعَابِلُ كَالْجَمِّ	رِ وَأَعْدَدْتُ صَارِمًا مَشْرِقِيَا ²
لَوْ هَبَطَتِ الْبِلَادُ أَنْسَيْتُكَ الْقَتْدَ	لَ كَمَا يُنْسِيءُ النَّسِيءُ النَّسِيَا

[مسير الحارث إلى عمرو واتخاذ عمرو عنه]

قال : فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديار بني الخزرج ،

1 المروق : المصفى .

2 الشكة : السلاح . والمعابل جمع مبعلة وهي نصل طويل عريض .

ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيها الملك أغثني فإنني جارٌ مكثور¹ وخذُ سلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برز له عطف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو ليلى ! فاعتركا ملياً من الليل . وخشي عمرو أن يقتله الحارثُ فقال له : يا حارٍ ، إني شيخٌ كبيرٌ وإنني تعتريني سنةٌ ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهات ؛ ومن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمرو الرُمحَ من يده وقال : يا حارٍ ألم أخبرك أن النعاسَ قد يغلبني ؛ قد سقط رمحي فاكفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظرني إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدعني آخذُ رُمحي . قال : خذْه . قال : أخشى أن تُعجلني عنه أو تفنيك بي إذا أردتُ أخذه . قال : وذمةٌ ظالمٍ لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكتُ بك حتى تأخذه . قال : وذمةُ الإطنابة لا آخذُه ولا أقاتلك . فأنصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له :

[من الخفيف]

اعزِّفْ لي بلذةً قِيتِيَا	قَبْلَ أَنْ يُبَكِّرَ المنونُ عَلَيَا
قَبْلَ أَنْ يُنَكِّرَ العواذلُ إِنِّي	كُنْتُ قَدَمًا لَأَمْرِهِنَّ عَصِيَا
مَا أَبَالِي أَرَاشِدًا فَاصْبِحَانِي	حَسِيتَنِي عَوَاذِلِي أَمْ غَوِيَا
بَعْدَ أَلَّا أَصِرَّ لَهِ إِيْمَا	فِي حَيَاتِي وَلَا أُخَوِّنَ صَفِيَا
مَنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا دُمُ ظَنِّي	فِي زُجَاجٍ تَخَالُهُ رَازِقِيَا
بَلَعْتُنَا مَقَالَةً المراءِ عمرو	فَأَنفَنَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيَا
قَدْ هَمَمْنَا بِقَتْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا	وَلَقِينَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَا
غَيْرَ مَا نَائِمٍ تَعَلَّلَ بِالْحُدِّ	مِمَّ مُعِدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيَا
فَمَنَّنَا عَلَيْهِ بَعْدَ عُلُوِّ	بُوفَاءٍ وَكُنْتُ قَدَمًا وَفِيَا
وَرَجَعْنَا بِالصَّفْقِ عَنْهُ وَكَانَ الـ	مَنْ مَنَا عَلَيْهِ بَعْدُ تَلِيَا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الفناء في شعر عمرو والحارث]

منها في شعر عمرو بن الإطنابة :

[من الخفيف]

صوت

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا وَاسْقِيَانِي مِنَ المُرُوقِ رِيَا

إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِفْنَ بِالذِّفِّ فَ لِفَتْنَانَا وَعِيشًا رَحِيًّا
 غَنَّتْهُ عَزَّةُ الْمَيْلَاءِ مِنْ رَوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى . قَالَ حَمَّادٌ أَخْبَرَنِي أَبِي
 قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ مَعْبُدًا قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى جَمِيلَةٍ وَعِنْدَهَا عَزَّةُ الْمَيْلَاءِ تَغْنِيهَا لَحْنَهَا فِي شِعْرِ
 عَمْرِو بْنِ الْإِطْنَابَةِ الْخَزْرَجِيِّ :

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا

عَلَى مِعْرِفَةٍ¹ لَهَا وَقَدْ أُسْنَتْ ، فَمَا سَمِعْتُ قَطُّ مِثْلَهَا وَذَهَبَتْ بَعْقَلِي وَفَتَنْتَنِي ، فَقُلْتُ : هَذَا
 وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُسِنَّةٌ ! فَكَيْفَ بِهَا لَوْ أَدْرَكْتُهَا وَهِيَ شَابَّةٌ ؟ وَجَعَلْتُ أَعْجَبَ مِنْهَا .
 وَمِنْهَا فِي شِعْرِ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ :

صوت

مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا أَرْشِيدًا حَسِيَّتَنِي أَمْ غَوِيًّا
 مِنْ سُلَافٍ كَانَتْهَا دُمٌّ ظَلَبِي فِي زُجَاجٍ تَخَالُهُ رَازِقِيَا²
 غَنَّاهُ فَلْيُحِبِّ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ رَمْلًا بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ . وَغَنَّاهُ ابْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفَ ثَقِيلٍ
 أَوَّلَ بِالْخَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ حَبَشٍ .
 وَمِنْهَا :

صوت

بَلَّغْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرِو فَأَنْفَنَّا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا
 قَدْ هَمَمْنَا بِقَتْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا وَلَقِينَاهُ ذَا سَلَاخٍ كَمِيًّا
 غَنَّاهُ مَالِكٌ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالْبَنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ حَبَشٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ فِي مُجَرَّدِهِ أَنَّ الْغَنَاءَ فِي
 هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُونُسَ الْكَاتِبِ ، وَلَمْ يَنْسُبِ الطَّرِيقَةَ وَلَا جَنْسَهَا .

1 المعرفة : آلة العزف .

2 الرازقي : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطوائف أبيض طويل الحب .

182 - [خبر يوم رحرحان]

ونذكر هاهنا خبر رَحْرَحَانَ ويومَ قتله إذ كان مقتل الحارث وخبره خبرهما

[يوم رحرحان الثاني والسب فيه]

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن العباس اليزيدي في كتاب النقائض قالوا قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب عن أبي عُبَيْدة قال : كان من خبر رَحْرَحَانَ¹ الثاني أَنَّ الحارث بن ظالمِ المُرِّي لما قتل خالد بن جعفر بن كلابٍ غَدْرًا عند النُّعْمان بن المنذر بالحيرة هَرَبَ فَاتَى زُرَّارَةَ بنَ عُدُسٍ فكان عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه ، وكره أن يكون لقومه زَعَمٌ عليه و - الزعم المنة - فلم يَزَلْ في بني تميم عند زُرَّارة حتى لحق بقريش . وكان يقال : إن مَرَّةَ بن عوفٍ من لُؤَيٍّ بن غالبٍ ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قریش :

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشُ وَيَبْتَ الشَّمَائِلَ والقيابا

فما قَوْمِي بَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ ولا بفَزارةِ الشُّعْرِ الرُّقَابا

وَأَتَاهُمْ لذلك النَّسَبُ ، فكان عند عبد الله بن جُدعان . فخرجتُ بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرَّارة وعليهم الأحوص بن جعفر ، فأصابوا امرأةً من بني تميم وجدوها تَحْتَطِبُ ، وكان [في] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شَرِيحٌ بن الأحوص ، وأصابوا غِلْمَانًا يجتنون الكُمأة . وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غَنِيٍّ ، فأرادت بنو عامر أخذها منه ، فقال الأحوص : لا تأخذوا أُخِيذَةَ خالي . وكانت أُمُّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبِيَّةَ بنتَ رِياحٍ [الغَنَوِيَّة] وهي إحدى المُنْجَبات . ويقال : أتى شَرِيحٌ بن الأحوص بتلك المرأة [إليه] ، فسألها عن بني تميم ، فأخبرتهم أَنَّهُمْ لَحِقُوا [بقومهم] حين بلغهم مجيئكم . فدفعها الأحوصُ إلى الغنويِّ فقال : اغْفِجْهَا² الليلة واحذر أن تنفلت . فوطئها الغنويُّ ثم نام ، فذهبت على وجهها . فلما أصبح دَعَا بها فوجدوها قد ذهبت . فسألوه عنها فقال : هذا حِرِّي رَطْبًا من زُيْها . وكانت المرأة يقال لها حنظلة ، وهي بنت أخي زُرَّارة بن عُدُسٍ . فأتت قومها ، فسألها عمُّها زُرَّارة عما رأت ، فلم تستطع أن تنطق . فقال بعضهم : اسقوها ماءً حارًّا فإن قلبها قد بردَ

1 يوم رحرحان الأول كان بين دارم وعامر بن صعصعة .

2 العفج : الجماع .

من الفرق ، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنت . فقالت : يا عم ! أأخذني القوم أمسر وهم فيما أرى يريدونكم ، فاحذر أنت وقومك . فقال : لا بأس عليك يا بنت أخي ، فلا تدعري قومك ولا ترؤيعهم ، وأخبريني ما هيئة [القوم وما] نعتهم . قالت : أأخذني قوم يقبلون بوجوه الطباء ، ويذنبون بأعجاز النساء . قال زرارة : أولئك بنو عامر ، فمن رأيت فيهم ؟ قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه ، صغير العينين ، عن أمره يصندرون . قال : ذاك الأحوص بن جعفر . قالت : ورأيت رجلاً قليل المنطق ، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها ، وهو من أحسن الناس وجهاً ، ومعه ابنان له لا يُذنب أبداً إلا وهما يتبعانه ، ولا يقبل إلا وهما بين يديه . قال : ذلك مالك بن جعفر ، وابناه عامر وطُفيل . قالت : ورأيت رجلاً أبيض هلقامة جسيماً ، والهلقامة الأفوه . قال : ذلك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . [قالت : ورأيت رجلاً أسوداً أحسن قصيراً ، إذا تكلم عذم¹ القوم عذم المنخوس . قال : ذلك ربيعة بن قُرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] . قالت : ورأيت رجلاً صغير العينين ، أقرن الحاجبين ، كثير شعر السبلة ، يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم . قال : ذلك خندج بن البكاء . قالت : ورأيت رجلاً صغير العينين ، ضيق الجبهة طويلاً ، يقود فرساً له ، معه جفير لا يجاوز يده . قال : ذلك ربيعة بن عقيل . قالت : ورأيت رجلاً آدم ، معه ابنان له حسننا الوجه أصهبان ، إذا أقبلَا نظر القوم إليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِد بن نُفَيْل بن عمرو بن كلاب ، وابناه يزيد وزُرْعَة . ويقال قالت : ورأيت فيهم رجلين آخرين جسيمين ذَوِي غداثر لا يفترقان في ممشي ولا مجلس ، فإذا أدبرا اتبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلَا لم يزلوا ينظرون إليهما حتى يجلسا . قال : ذاك خُوَيْلِد وخالد ابنا نُفَيْل . قالت : ورأيت رجلاً آدم جسيماً كأن رأسه مَجَزَّ غَضُورَة ، والغضورة : حشيش دُقاق خشن قائم يكون بمكة . تريد أن شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جَزَّ . قال : ذلك عَوْفُ بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلاً كأن شعره فخذيه حلق الدروع . قال : ذلك شُرَيْح بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلاً أَمْر طويلاً يجول في القوم كأنه غريب . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَة . ويقال قالت : ورأيت رجلاً كثير شعر الرأس ، صَخَاباً لا يدع طائفة من القوم إلا أصحبها] . قال : ذلك عبد الله بن جَعْدَة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[أسر معبد بن زرارة ومقتله]

فسارت بنو عامر نحوهم ، والتقوا برحرحان ، وأسير يومئذ معبد بن زرارة ، أسره

عامرُ بن مالكٍ ، واشترك في أسرِهِ طُفَيْلُ بن مالكٍ ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أبو عُمَيْلَةَ وهو عِصْمَةُ بن وَهَبٍ وكان أَخَا طُفَيْلِ بن مالكٍ من الرُّضَاعَةِ . وكان معبدٌ بن زُرَّارَةَ [رجلاً كثير المال . فوفدَ لَقِيْطُ بن زُرَّارَةَ] على عامر بن مالكٍ في الشهر الحرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُّ تدعوهُ الأصَمُّ ؛ لأنهم كانوا لا يَتَنَادَوْنَ فيه يا لَفْلَانِ ويا لَفْلَانِ ، ولا يَتَغَاوِرُونَ ولا يَتَنَادَوْنَ فيه بالشُّعَارَاتِ¹ ، وهو أيضاً مُنْصَلُ الأَلِّ . والأَلُّ : الأَسِنَّةُ ، كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنْصَلُوا² الأَسِنَّةَ من الرِّمَاحِ حتى يخرج الشهر . وسأل لَقِيْطُ عامراً أن يُطْلِقَ أَخَاهُ . فقال : أَمَّا حِصَّتِي فقد وهبْتُها لك ، ولكن أرضِ أَخِي وَخَلِيفِي اللَّذِينَ اشتركا فيه . فجعل لَقِيْطُ لكل واحدٍ مائةً من الإبل ، فَرَضِيَا وَأَتَيَا عامراً فَأَخْبَرَاهُ . فقال عامرٌ لِلْقِيْطِ : دونك أخاك ، فأطلق عنه . فلَمَّا أُطْلِقَ فَكَّرَ لَقِيْطُ في نفسه فقال : أعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك ؛ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنَّ أَبِي زُرَّارَةَ نهاني أن أزيد على مائةٍ دِيَةَ مُضَرٍّ ، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا في ذلك ؛ فانصرف لَقِيْطُ . فقال له معبدٌ : مالي يُخْرِجُنِي من أيديهم . فأبى ذلك عليه فقال : إذا يَقتَسِمُ العربُ بني زُرَّارَةَ . فقال معبدٌ لعامر بن مالكٍ : يا عامر ! أُنشِدُكَ اللهَ لَمَّا خَلَّيْتَ سَبِيلِي ، فَإِنَّمَا يريد ابن الحمراء أن يأكلَ كلُّ مَالِي ، ولم تكن أُمُّهُ أُمُّ لَقِيْطِ . فقال له عامر : أبعدك الله ؛ إنَّ لم يُشْفِقْ عليك أخوك فأنا أَحَقُّ أَلَّا أُشْفِقَ عليك . فعمدوا إلى معبد فشدُّوا عليه القِدَّةَ وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يَزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيْحِ بن الأَحْوَصِ :

لَقِيْطُ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ وَلَكِنْ جَلَمَكَ لَا يَهْتَدِي
وَلَمَّا أُمِنْتَ وَسَاغَ الشُّرَا بٌ وَاحْتَلَّ بَيْتُكَ فِي تَهْمَدٍ³
رَفَعْتَ بِرَجُلَيْكَ فَوْقَ الْفِرَا شَرُّ تَهْدِي الْقَصَائِدِ فِي مَعْبَدٍ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَالِ وَتَبَخَّلَ بِالْمَالِ أَنْ تَفْتَدِي

[شمر لعوف بن عطية بعير لقيطاً]

وقال في ذلك عوف بن عطية بن الخَرَجِ التِّيمِيُّ يعيِّرُ لَقِيْطُ بن زُرَّارَةَ :

هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عَشْرًا تَنَاحُحُ فِي سَرَارَةٍ وَادٍ⁴

1 أشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي ينادون به في الحرب .

2 أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

3 تهمد : جبل أحمر فارد بديار غني .

4 العُشْرُ : من العضاء ، وهو من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه وهي أفضل موضع فيه .

لا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغَرَاثُ نَبَاتَهُ ما إن يقوم عِمَادُهُ بِعِمَادٍ¹
هَلَا كَرَزَتْ عَلَى أُخْيِكَ مَعْبِدٍ والعامريُّ يقوده بصِفَادٍ
وذكرت من لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرِبَةً والخيْلُ تعدو بالصِّفَاحِ بَدَادٍ
بَدَادٍ : متفرقة . والصِّفَاحُ : موضع . والمحَلَّقُ : موسومة بِحَلْقٍ على وجوهها . يقول ذكرت
لبنها ، يعني إبله .

لو كنت إذ لا تستطيعُ فديته بهجانٍ أذم طارف وتلادٍ
لكن تَرَكَهُ فِي عَمِيقِ قَعْرِهَا جَزَرًا لَخَامِعَةٍ وَطِيرَ عَوَادٍ²
لو كنت مُسْتَحْيَا لِعَرْضِكَ مَرَّةً قاتلت أو لَفَدَيْتَ بِالْأَذْوَادِ³
وفيهما يقول نابغة بني جعدة :

هَلَا سَأَلْتَ بِيَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتَ هَوَازِنَ أَنَّ الْعِزَّ قَدْ زَالَا
[عما قاله الشعراء في وقعة رحرحان]

وفيهما يقول مقدمٌ أخو [بني] عُدُسَ بن زيد في الإسلام ، وقتلت بنو طُهَيْةَ ابناً
لِلْقَعْقَاعِ بن مَعْبِدٍ ، فتَوَادَوْا⁴ فَأَخَذَتْ بنو طُهَيْةَ مِنْهُمْ الْفَضْلَ :

وَأَنْتُمْ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ زَعَمْتُمْ ومات أبوكم يا بني مَعْبِدٍ هَزْلاً
وَقَالَ الْمُخَبِّلُ السَّعْدِيُّ يَذْكُرُ مَعْبِدًا : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُنَّا نَالَتْنَا كُلِّيًّا بِقِرَّةٍ فيومك فيهم بالمصيفةِ أَبْرَدُ
هَمْ قَتَلُوا يَوْمَ الْمَصِيفَةِ مَالِكًا وشاط بأيديهم لَقِيطًا وَمَعْبِدًا⁵
وفيهما يقول عياض بن مَرْثَدٍ بن أُسَيْدٍ بن قُرَيْطٍ بن لَبِيدٍ في الإسلام :

نَحْنُ أَسْرُنَا مَعْبِدًا يَوْمَ مَعْبِدٍ فما أَفْتُكُ حَتَّى مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْأَسْرِ
وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالصِّفَا بَعْدَ مَعْبِدٍ أخاه بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
[من الطويل]

* * *

- 1 الغراث : الجياح .
- 2 الخامعة : الضبع ، لأنها تخمع إذا مشت .
- 3 مستحياً : مستبقياً . الذود : القطيع من الإبل من الإناث .
- 4 توادوا : دفع كل من الفريقين ديات قتل الآخر .
- 5 شاط : هلك .

[183] - وهذا يوم شعب جيلة

[السبب في يوم جيلة]

قال أبو عبيدة : وأما يوم جبلة ، وكان من عظام أيام العرب ؛ وكان عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة أن بني عيس بن بغيض حين خرجوا هارين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلذذين¹ . فقال الربيع بن زياد العبسي : أما والله لأرمين العرب بحجرها ، أقصيدوا لبني عامر ؛ فخرج حتى نزل مضييقاً من وادي بني عامر ثم قال : امكثوا . فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحارث بن خليف حتى نزلوا على ربيعة بن شكلم بن كعب بن الحريش ، وكان العقدة من بني عامر إلى [بني] كعب بن ربيعة [وكانت الرئاسة في بني كلاب بن ربيعة] . فقال ربيعة بن شكلم : يا بني عيس ، شأنكم جليل ، وذحلكم الذي يطلب منكم عظيم ، وأنا أعلم والله أن هذه الحرب أعز حرب حاربتها العرب قط . ولا والله ما بُد من بني كلاب ، فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي . فخرج في قوم من بني كعب حتى جاءوا بني كلاب ، فلقاهم عوف بن الأحوص فقال : يا قوم ، أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقتلوهم² واغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبداً . ووالله إن تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء . فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم . فقال لربيعة بن شكلم : أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجرت القوم . . فانزلوا القوم وسطهم بحبوة دارهم .

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي أن عيساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب ؛ فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا إلى الأحوص [جالسا قدام بيته] . فقال قيس للربيع : إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ . فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام العائذ بك ؛ قتلتهم أبي فما أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌّ مما أجبر منه نفسي ، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفر فقال : يا معشر بني جعفر ،

1 التلذذ : التلفت يميناً وشمالاً تحيراً .

2 ل : فاقتلعوهم .

أُطِيعُونِي الْيَوْمَ وَاعْصُونِي أَبَدًا ، وَإِنْ كُنْتُ وَاللَّهِ فِيكُمْ مَعْصِيًّا . إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَوْ لَقُوا بَنِي ذُيَّانَ لَوَلَّوْكُمْ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ إِذَا نَكَّهُوا فِي أَفْوَاهِهِمْ بِكَلَامٍ . فَأَبْدَعُوا بِهِمْ فَأَقْتَلُوهُمْ وَأَجْعَلُوهُمْ مِثْلَ الْبُرْغُوثِ دِمَاغِهِ [فِي] دَمِهِ . فَأَتَوْا عَلَيْهِ وَحَالِقُوهُمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ فِي هَذَا الْحَلِيفِ ؛ قَالَ : وَسَمِعْتُ بِهِمْ حَيْثُ قَرَّرَ قَرَارُهُمْ بَنُو ذُيَّانَ ، فَحَشِدُوا وَاسْتَعَدُّوا وَخَرَجُوا وَعَلَيْهِمْ حِصْنٌ بِنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ وَمَعَهُ الْحَلِيفَانِ أَسَدٌ وَذُيَّانُ يَطْلُبُونَ بَدْمَ حَذَيْفَةَ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُمُ شُرْحَبِيلُ بْنُ أَخْضَرَ بْنِ الْجَوْنِ ، وَالْجَوْنُ هُوَ مَعَاوِيَةُ ؛ سَمِيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ سَوَادِهِ ، ابْنُ آكِلِ الْمُرَارِ الْكِنْدِيِّ فِي جَمْعٍ مِنْ كِنْدَةَ ، وَأَقْبَلَتْ بَنُو حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ وَالرَّيَّابُ عَلَيْهِمْ [لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ] يَطْلُبُونَ بَدْمَ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَيَثْرِيَّ بْنَ عُذْسٍ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُمْ حَسَانُ¹ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَوْنِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ كِنْدَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ بِوَضَائِعٍ² كَانَتْ تَكُونُ بِالْحَيْرَةِ مَعَ الْمُلُوكِ وَهُمْ الرَّابِطَةُ . وَكَانَ فِي الرَّيَّابِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ يُقَالُ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ قَهْوَسٍ التَّيْمِيُّ ، وَكَانَ مَعَهُ لَوَاءٌ مِنْ سَارٍ إِلَى جَبَلَةٍ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ . وَلَهُ تَقُولُ دَخَنْتُوسُ بِنْتُ لَقِيَطِ بْنِ زُرَّارَةَ يَوْمَئِذٍ :

[شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس]

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسٍ الشُّجَا عٌ بِكَفِّهِ رُمَحٌ مِثْلُ
يَعْدُو بِهِ خَاطِطِي الْبُضِيْعِ عِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أَزَلُّ³
إِنَّكَ مِنْ تَيْمٍ فَدَعْ غَطَفَانَ إِنْ سَارُوا وَحَلُّوا

مِثْلُ : مُسْتَقِيمٌ ، يُثَلُّ⁴ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ . الْخَاطِطِي : الشَّيْءُ الْمُكْتَنِزُ . وَالسَّمْعُ : وَلَدُ الضَّبْعِ [مِنَ الذُّئْبِ] . وَالْعِسْبَارُ : وَلَدُ الذُّئْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ .

لَا مِنْكَ عُدْهُمُ وَلَا أَبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا
فَخَرَّ الْبَغْيِيُّ بِحِذَجٍ رَدٍّ تَهَا إِذَا النَّاسُ اسْتَقْلُوا⁵
لَا حِذَجَهَا رَكِيَتْ وَلَا لِرَغَالٍ فِيهِ مُسْتَظَلُّ⁶

1 ل : كيسان .

2 الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .

3 البضيع : اللحم . أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .

4 يتل : يصرع .

5 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني : 17/3 « كالفأخرة بحدج ربتها » ، يضرب لمن يفتخر بما ليس له منه شيء ، يحكي أبو عبيدة أنه أجريت الخيل للرهان يوماً ، فجاء فرس فسبق ، فجعل رجل من النظارة يكبر ويشب من الفرح ، فقيل له : كان الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لي .

6 رغال : الأمة .

ولقد رأيتُ أباكَ وسَدَّ طَ القَوْمِ يَرِيقُ¹ أو يَجُلُ²
مُتَقَلِّدًا رِيقَ الفُرا رِ كَأَنَّهُ فِي الجِيدِ غُلٌّ

يَجُلُ : يُلْقَطُ البَعَرُ . والفُرا : أولادُ الغنم ، واحداً فُراة . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجِبُ بن زُرارة وَلَقِيطُ بن زُرارة وعَمْرُو بن عمرو وَعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب ، وتبعهم غُثاءٌ من غُثاءِ الناس يريدون الغنيمة ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثر كثرةً ، فلم تَشْكُ العرب في هلاك بني عامر . [فجاءوا] حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيد مَناة ، فقالوا لهم : سيرُوا معنا إلى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعْدِ : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعِمُ أنَّ عامر بن صعصعة بنُ سَعْدِ [بن زيد مَناة] . فقالوا : أمّا إذ أُيِّتِم أن تسيروا معنا فاكتموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنعم . [تشارور بني عامر في أمرهم]

فلَمّا سَمِعَتْ بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزو غير أنه يُدَبِّرُ أمرَ الناس ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميموناً النّقيية ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كَبُرْتُ ، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي مني ، ولكنني إذا سمعتُ عرفتُ ، فأجمعوا آراءكم ثم يتيوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليّ فأعرضوا عليّ آراءكم ، ففعلوا . فلَمّا أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوَضِعَتْ له عِباءةٌ بفِئائه فجلس عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابةٍ ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيس بن زهير العبسيُّ : باتَ في كِئانتِي الليلةَ مائةَ رأيٍ . فقال له الأحوص : يكفيني منها رأيٌ واحدٌ حازم صليبٌ مُصيبٌ ، هاتِ فأنثر كِئانتَكَ . فجعل يعرض كلَّ رأيٍ رآه حتى أنفد . فقال له الأحوص : ما أرى باتَ في كِئانتَكَ الليلةَ رأيٌ واحدٌ ! . وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صيرتم إليّ ، احمِلُوا² أثقالكم وضُفءكم ففعلوا ، ثم قال : احمِلُوا ظُعنكم فحملوها ، ثم قال : اركبوا فركبوا ، وجعلوه في مِحْفَةٍ ، وقال : انطلقوا حتى تُغْلُوا في اليمن ، فإن أدرككم أحدٌ كرّرتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتوا واديَ بِحارٍ³ ضحوةً ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرو بن عبدِ الله بن جَعْدَةَ في فِتْيَانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرُونَ بَمَنَ أجاز بهم

1 يريق من الريق : يشد البهيمة بالريقة وهي عروة في جبل تشد بها البهيمة .

2 ل : اجمعوا .

3 ل : وادي نجار . ورد موضع «ذو بحار» في معجم البلدان أنه ماء لغنيّ أو وادٍ في بلاد اليمن ، وورد اللفظ في أشعار أخرى بياء مثله .

ويقطعون بالنساء حواياهن¹. فقال الأحوص : قدّموني ، فقدّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟ قال عمرو : أردت أن تفضحننا وتخرجنا هارين من بلادنا ونحن أعز العرب ، وأكثرهم عدداً وجلداً وأحدّهم شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً ! . قال : فكيف أفعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجع إلى شعب جبلة فنحرز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثمل (أي خصب وماء) . فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم ، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنت في حِرْز وكانوا في غير حِرْز ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ، فأين كان هذا عنك حين استشرت الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن . قال الأحوص للناس : ارجعوا فرجعوا . ففي ذلك يقول نابغة بني جعدة :

[من الطويل]

ونحن حبسنا الحيّ عبساً وعامراً لحسان وابن الجون إذ قيل أقبل
وقد صعدت وادي بحار نسائهم كإصعاد نسر لا يرومون منزلا
عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا من الهضبة الحمراء عزاً ومغفلاً²

[دخولهم شعب جبلة]

الضروس : الناقة العضوض ، فدخلوا شعب جبلة . وجبلة : هضبة حمراء بين الشرف والشرف . والشرف : ماء لبني نُمير . والشرف : ماء لبني كلاب . وجبلة : جبل عظيم له شعب عظيم واسع ، لا يؤتى الجبل إلا من قبل الشعب ، والشعب متقارب [المدخل] وداخله متسع ، وبه اليوم عريضة من بجيلة . فدخلت بنو عامر شعباً منه يقال له مُسلح ، فحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل ، وحلّثوا الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقِداح فأقرع بين القبائل في شظاياه³ ، فخرجت بنو تميم ومعهم بارق (حي من الأزد خلفاء يومئذ لبني نُمير . وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء . وسُمي مزيقياء لأنه كان يمزق عليه كل يوم حلة) فولجوا الخليف (والخليف : الطريق بين الشُعَيْن شيه الزقاق) لأن سَهْمهم تخلف . وفيه يقول مُعقر بن أوس بن جمار البارقِي :

[من الوافر]

1 الحوايا : جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .

2 الضروس : الناقة الحديفة التاج . سميت بذلك لأنه يعثرها عند نتاجها عضاض أياً ما حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها .

3 الشظايا : القطع من رؤوس الجبال ، الواحدة شظية .

ونحن الأيمنون بنو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنا أُمَامَهُمُ الْخَلِيفُ

قال : وكان مُعَقَّرُ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنة له تقود به جملاً . [فجعل يقول لها :] من أسهلّ من الناس ؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهبطي ، لا يزال هذا الشعبُ منيعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كبشة بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَالِ بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطفيل ، فقالت : ويلكم يا بني عامر ارفعوني ! فوالله إن في بطني لعزّ بني عامر . فصنّفوا القسيّ على عَوَاتِقِهِمْ ثم حملوها حتى أثووها بالقنّة (يقال قنّة وقنّان) . فزعموا أنّها ولدت عامراً يوم فرغ الناسُ من القتال .

[من شهد الواقعة من القبائل]

فشهدت بنو عامر كلّها جيلةً إلا هلالَ بن عامرٍ وعامرَ بن ربيعة بن عامر ، وشهدا مع بني عامرٍ من العرب بنو عبس بن رفاعَةَ بن الحارث بن بُهثة بن سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحزمٌ وعليهم مرداسُ بن أبي عامرٍ ، وهو أبو العباس بن مرداسٍ . وكانت بنو عبس بن رفاعَةَ حلفاء بني عمرو بن كلاب . وزعم بعضُ بني عامر أن مرداساً كان مع أخواله [غني] ، و [كانت] أمّه فاطمة بنتُ جَلْهَمَةَ الْغَنَوِيَّةِ . وشهدتها غنيّ وباهلة وناسٌ من بني سعدٍ بن بكرٍ وقبائلُ بجيلةٍ كلّها إلا قسراً لحربٍ كانت بين قسِرٍ وقومها .

[تفرق بجيلة في بطون بني عامر]

فارتحلت بجيلةً فتفرّقت في بطون بني عامرٍ ، فكانت عادية بن عامرٍ بن قُدادٍ من بجيلةٍ في بني عامرٍ بن ربيعة ، وكانت سُحْمَةُ من بجيلةٍ في بني جعفرٍ بن كلابٍ ، ويقال : عمرو بن كلاب ، وكانت عُرَيْنَةُ من بجيلةٍ في عمرو بن كلابٍ ، وكانت بنو قيس كُبّة (لقرس يقال لها كُبّة) من بجيلةٍ في بني عامر بن ربيعة ، وكانت فتيان في بني عامر بن ربيعة ، وبنو قُطَيْعَةَ من بجيلةٍ في بني أبي بكر بن كلابٍ ، ونصيبُ بن عبد الله من بجيلةٍ [في بني نُمَيْرٍ ، وكانت ثعلبة والخطام من بجيلة] في بني عامر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلةٍ في بني أبي بكر بن كلابٍ معهم يومئذٍ نَفِيرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جَمْعُهُمْ ثلاثين ألفاً . وعمي على بني عامر الخيرُ ، فجعلوا لا يدرون ما قُربُ القوم من بُعْدِهِمْ .

[ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد]

وأقبلت تميمٌ وأسدٌ ودُبَيّان ولقّهم نحو جيلةٍ ، فلَقُوا كَرَبَ بن صفوان بن شِجْنَةَ بن عَطَارِدِ بن عَوْفٍ بن كَعْبٍ بن سعدٍ بن زيد مناة ، فقالوا له : أين تذهب ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامر ؟ قال لا . قالوا : فأعطنا عهداً وموثقاً ألا تفعل ؛ فأعطاهم فخلّوا سبيله . فمضى

مُسْرِعاً على فرس له عُزْرِي ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوصُ نزل تحت شجرة حيث يرونه ؛ فأرسلوا إليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأتوا منزلي فإن الخبر فيه . فلما جاءوا منزله إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشوكٌ قد كسر رؤوسه وفرق جهته ، وإذا حنظلة موضوعة . وإذا وطْبٌ معلق فيه لبنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخذ عليه الموائيقُ ألا يتكلَّم ، وهو يُخبركم أنَّ القومَ مثلُ التُّرابِ كثرةٌ ، وأنَّ شوكتهم كليلَةٌ [وهم متفرقون] ، وجاءتكم بنو حنظلة . أنظروا ما في الوطْب ، فاصطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَر (قَرَص) . فقال : القومُ منكم على قَدَرِ حِلَابِ اللَّيْنِ إلى أن يَحْزُرَ . فقال رجلٌ من بني يَرْبُوعٍ . ويقال قالته دَخَنُوس بنتُ لَقِيْطِ بن زُرارة :

كَرْبُ بن صَفْوَانَ بن شَيْجَنَةَ لم يَدْعُ مِنْ دَارِمٍ أَحَدًا وَلَا مِنْ نَهْشَلِ
أَجَعَلْتَ يَرْبُوعاً كَقَوْرَةٍ دَائِرٍ وَلْتَحْلِفَنَّ بِاللَّهِ أَنْ لَمْ تَفْعَلْ

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بحين :

أَلَا أُبَلِّغُ لَدَيْكَ جُمُوعَ سَعْدٍ فَيَبْتَغُوا لَنْ نَهِيَجَكُمُ نِيَامًا¹
نَصَحْتُمْ بِالْمَغِيبِ وَلَمْ تُعِينُوا عَلَيْنَا إِنْكُمْ كَتَمْتُمْ كِرَامًا
وَلَوْ كَتَمْتُمْ مَعَ ابْنِ الْجَوْنِ كَتَمْتُمْ كَمَنْ أَوْدَى وَأَصْبَحَ قَدْ أَلَامَا

[صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم]

فلما استيقنت² بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشعبَ ، وأمر الأحوصُ بالإبل التي ظمئت قبل ذلك فقال : اعقلوها كلٌّ بعيرٍ بعقلين [في] يديه جميعاً . وأصبح لقيطٌ والناسُ نزولٌ به ، وكانت مشورتهم إلى لقيطٍ ؛ فاستقبلهم جملٌ عَوْدٌ³ أجربٌ أخذُ أعْصَلٍ⁴ كاشرٌ عن أنيابه ؛ فقال الحزاةُ من بني أسدٍ ، والحازي العائف⁵ ، اغفروه . فقال لقيطٌ ؟ : والله لا يُعْفَرُ حتى يكونَ فحلٌ إيلي غداً . وكان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قرّةُ بن هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قُشَيْرٍ . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب . ثم استقبلهم معاويةُ بن عباد بن عُقَيْلٍ وكان أعسرَ فقال :

[من مجزوء الرجز]

1 سعد في ل : تيم .

2 ل : استبثت .

3 العود : المسن من الإبل ، والأخذ هنا : خفيف شعر الذنب ، أو قصير الذنب .

4 الأعصل : الملتوي الذنب .

5 العائف الذي يزرع الطير وفي ل : القائف ، وهو من يحسن معرفة الأثر ويتبعه .

أنا الغلام الأعسر الخير في الشر والشر في أكثر¹

فتشاءمت بنو أسد وقالوا : ارجعوا عنهم وأطيعونا . فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيراً يسيراً ، منهم شأس بن أبي بلي² أبو عمرو بن شأس الشاعر ، ومعقل بن عامر بن مؤلة المالكى . وقال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم . فقال شأس : لا تدخلوا على بني عامر ؛ فإني أعلم الناس بهم ، قد قاتلتهم وقتلوني وهزمتهم وهزموني ، فما رأيت قوماً قط أقلق بمنزل من بني عامر ؛ والله ما وجدت لهم مثلاً إلا الشجاع ؛ فإنه لا يقرب جحره قللاً . وسيخرجون إليكم . والله لئن بتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحديرون عليكم . فقال لقيط . والله لندخلن عليهم .

[صعود بني نعيم الجبل ودفع بني عامر لهم]

فاتوهم وقد أخذوا جذرهم . وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تبعثة الناس . فأقبل لقيط وأصحابه مديلين فأسندوا³ إلى الجبل حتى ذرت الشمس . فصعد لقيط في الناس وأخذ بحافتي الشجن⁴ . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك . فقال : دعوهم . حتى إذا نصفوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : خلوا عقل الإبل ثم احذروها واتبعوا آثارها ، وليتبّع كل رجل منكم بعيه حجرين أو ثلاثة ، ففعلوا ثم صاحوا بها ، فلم يفجأ الناس إلا بالإبل تريد الماء والمرعى ، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل ؛ وأقبلت الإبل تحطيم كل شيء مرت به ، وجعل البعير يدهدي بيديه⁵ كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيط وأصحابه سخيروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجل من بني أسد :

زعمت أن العير لا تُقاتل بلى إذا تقفّع الرحائل⁶
واختلف الهندي والذوابل وقالت الأبطال من ينازل
بلى وفيها حسب ونائل

1 الشر في ل : والضّر .

2 ل : أبي ليلى .

3 أسندوا إلى الجبل : اعتمدوا عليه .

4 الشجن : أعلى الوادي .

5 ل : بصدرة .

6 تقفّع الشيء : اضطرب وتحرك . والرحائل : جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد .

[شعر لبعض بني عامر في الوقعة]

فاحتطَّ الناسُ مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْل . فلَمَّا بلغ الناس السَّهْلَ لم يكن لأحدٍ منهم
هِمَّةٌ إِلَّا أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ،
فانهزموا شرَّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بني عامر يومئذ يرتجز ويقول : [من الرجز]

لم أر يوماً مثلَ يومِ جَبَلَةٍ يوم أتننا أسدَّ وحَنَظَلَةٍ
وغَطَفَانُ والملوكُ أَزْفَلَةٍ نَضْرِبُهُم بِقُضْبٍ مُتَخَلَةٍ¹
لم تَعُدْ أن أفرش عنها الصَّقَلَةَ حتى حَدَوْنَاهُم حُدَاءَ الزُّومَلَةِ²

وجعل مَعْقِل بن عامر يرتجز ويقول :

نحن حُمَاةُ الشَّعْبِ يومَ جبلة بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَةٍ³
وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَةٍ⁴
المِعْبَلَةُ : السهمُ إذا كان نصلُهُ عريضاً فهو مِعْبَلَةٌ ، والريقُ : القُطْبَةُ .

[صد بني تميم لبني عامر]

وخرجت بنو تميم من الخَليْفِ على الخَليْفِ فَكَرَّكُرُوا الناسَ (يعني ردَّوهم) وانقطع
شُرَيْح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديداً هناك ، وجعل
لقيط يومئذ وهو على بِرْدَوْنٍ له مُجَقَّفٌ⁵ بدياج أعطاه إِيَّاه كِسْرَى ، وكان أولُ عربيٍّ
جَقَّفَ ، يقول :

عَرَفْتَكُمْ والدمعُ مِ العَيْنِ يَكِفُ لفارسٍ أتلفتتموه ما خَلِفُ
إِنَّ النِّشِيلَ والشَّوَاءَ والرُّغْفُ والْقَيْنَةَ الحَسَاءَ والكَأْسَ الأنْفُ⁶

1 الأزفلة : الجماعة . متخلة : مختارة .

2 أفرش عنه : أفلح . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف إذا جللاه . يريد أنها حديثة الجلاء . الزوملة : الإبل .

3 حماة الشعب في ل : سماء الخيل .

4 هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .

5 مجفف : عليه تجفاف وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقبه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

6 النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشواء : ما شوي من اللحم أو غيره . والكأس الأنف : التي لم يشرب منها من قبل .

وصَفْوَةَ الْقِدْرِ وَتَعَجِيلَ اللَّقْفِ¹ للطاعنين الخيلَ والخيلُ قُطِفَ¹
وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلا قال [له] : أنت والله قتلتنا وشتَمْتَنَا . فجعل
يقول :

يا قَوْمٍ قَدْ أَحْرَقْتُمُونِي بِاللُّؤْمِ وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامِراً قَبْلَ الْيَوْمِ
فَالْيَوْمَ إِذْ قَاتَلْتُهُمْ فَلَا لَوْمَ تَقَدَّمُوا وَقَدَّمُونِي لِلْقَوْمِ
شَتَانَ هَذَا وَالْعَنَاقُ وَالنَّوْمُ وَالْمَضْجَعُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه :

لكن أنا قاتلتها قبلَ الْيَوْمِ إِذْ كُنْتُ لَا تُعْصِي أُمُورِي فِي الْقَوْمِ
وجعل لقيطٌ يقول : مَنْ كَرَّ فَلَهُ خَمْسُونَ نَاقَةً ، وجعل يقول :
أَكُلْكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ تَرَوْهُ الدَّهْرَ إِلَّا مُقْبِلاً²
يَحْمِلُ زَغَفًا وَرَيْسًا حَجَفَلًا وَسَائِلًا فِي أَهْلِهِ مَا فَعَلًا³
وجعل يقول أيضاً :

أَشْقَرُ إِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ تُنَحَّرْ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ هِيَاجٍ تُعْقَرُ⁴
ثم عاد يقول :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّعْفَ

فأجابه شُرَيْحُ بْنُ الْأَحْوَصِ :

إِنْ كُنْتُ ذَا صِدْقٍ فَأَقْجِمُهُ الْجُرْفُ وَقَرِّبِ الْأَشْقَرَ حَتَّى تَعْتَرِفَ
وجوهنا إِنَّا بنو الْبَيْضِ الْعُطْفُ

[سقوط لقيط في الموقعة]

وبينه وبينه جُرْفٌ مُنْكَرٌ ، فَضْرَبَ لَقِيطٌ فَرْسَهُ وَأَقْجَمَهُ عَلَيْهِ الْجُرْفُ ؛ فَطَعَنَهُ شُرَيْحُ

1 اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام . قطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب ، وفي ل : جنف .

2 ارحب وهلا : مما تزجر به الخيل .

3 الزغف والزغفة : الدرع المحكمة أو اللينة .

4 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 19/3 : « كالأشقر إن تقدم نحر » ، وإن تأخر عُقْر ، والعرب تشاءم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جيلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تقدمت تُنَحَّرْ ، وإن تأخرت تُعْقَرْ ، وذلك أن العرب تقول : شقر الخيل سراعها ، يطلب من فرسه أن يثبت ويلزم الوقار .

[فسَقَطَ] . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أَنَّ الذي طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفر ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أَنَّ عَوْفَ بنَ الْمُتَنَفِّقِ العُقَيْلِيِّ قتلَه يومئذٍ وأنشأ يقول : [من الكامل]

ظَلَّتْ تَلُومُ لِمَا بِهَا عِرْسِي جَهْلًا وَأَنْتِ حَلِيمَةٌ أُمْسِ
إِنْ تَقْتُلُوا بِكَرِيٍّ وَصَاحِبِهِ فَلَقَدْ شَفَيْتُ بِسَيْفِهِ نَفْسِي
فَقَتَلْتُهُ فِي الشُّعْبِ أَوَّلَ فَارِسٍ فِي الشَّرْقِ قَبْلَ تَرَحُّلِ الشَّمْسِ
فَزَعَمُوا أَنَّ عَوْفًا هَذَا قَتَلَ يَوْمئِذٍ سِتَّةَ نَفَرٍ ، وَقُتِلَ ابْنُ لَهُ وَابْنُ أَخٍ لَهُ . وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَلَا يَشْكُونَ أَنَّ شُرَيْحًا قَتَلَهُ ، وَارْتُتْ وَبِهِ طَعَنَاتٌ ، وَالْأَرْتَاثُ أَنْ يُحْمَلَ وَهُوَ مَجْرُوحٌ ، فَإِنْ حُجِلَ مَيِّتًا فَلَيْسَ بِمَرْتٍ ، فَبَقِيَ يَوْمًا ثُمَّ مَاتَ . فَجَعَلَ لَقِيْطٌ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ : [من الرجز]

يَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْكَ دَخْتَنُوسُ إِذَا أَتَاكَ الْخَيْرُ الْمَرْسُوسُ¹
أَتَحْلِقُ الْقُرُونَ أَمْ تَمِيسُ لَا بَلْ تَمِيسُ إِنَّهَا عَرُوسُ

[شعر لدختنوس في أبيها]

دَخْتَنُوسُ بِنْتُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عُدُسٍ . وَجَعَلَتْ بَنُو عَبْسٍ² يَضْرِبُونَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَقَالَتْ دَخْتَنُوسُ : [من الطويل]

أَلَا يَا لَهَا الْوَيْلَاتُ وَبِلَاتُ مَنْ بَكَى لَضَرْبِ بَنِي عَبْسٍ لَقِيْطًا وَقَدْ قَضَى
لَقَدْ ضَرَبُوا وَجْهًا عَلَيْهِ مَهَابَةً وَمَا تَحْفِلُ الصُّمُّ الْجِنَادُلُ مَنْ رَدَى
فَلَوْ أَنَّكُمْ كَتَمْتُمْ غَدَاةَ لَقِيْتُمْ لَقِيْطًا صَبَرْتُمْ لِلْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا
غَدَرْتُمْ وَلَكِنْ كَتَمْتُمْ مِثْلَ خُضْبٍ أَصَابَ لَهَا الْقَنَاصُ مِنْ جَانِبِ الشَّرَى³
فَمَا ثَارَهُ فَيْكَمْ وَلَكِنْ ثَارَهُ شَرِيحٌ وَأَرْدَتْهُ الْأَسِنَّةُ أَوْ هَوَى
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ مِنْ عَامِرٍ يَكُنْ عَلَيْهِمْ حَرِيقًا لَا يُرَامُ إِذَا سَمَا⁴
لِيَجْزِيَهُمْ بِالْقَتْلِ قَلًا مُضْعَفًا وَمَا فِي دِمَاءِ الْحُمْسِ يَا مَالُ مِنْ بَوَا⁵

1 المرسوس : اسم مفعول من قوهم : رس له الخبر إذا ذكره له .

2 ل : بنو عامر .

3 الخضب : النعام . والظلميم الخاضب : الذي احمرت ساقاه من أكل الربيع . أصاب : سقط ونزل ضد أصدع . والشري : موضع .

4 من عامر يكن في ل : من فارس تكن .

5 البواء : السواء والتكافؤ .

ولو قتلنا غالباً كان قتلها
لقد صبرت للموت كعباً وحافظت
وقالت دختنوس أيضاً :
علينا من العار المجذع للعلا
كِلابٌ وما أنتم هناك لمن رأى
[من الطويل]

لعمري لمن لاقت من الشر دارم
فما جبنوا بالشعب إذ صبرت لهم
عصوا بسيف الهند واعتكرت لهم
براكاء : مباركة القتال وهو الجد في القتال . يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير
غرابه . وقالت دختنوس :
عناء لقد آبت حميداً ضرابها¹
ربيعةٌ يُدعى كعبها وكلاهما
براكاء موت لا يطير غرابها²
[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ حِينٍ
وَبَخِيرَهَا نَسَباً إِذَا
فَرَّتْ بَنُو أُسْدٍ حُرُوبُ
لَمْ يَخْفَلُوا نَسَباً وَلَمْ
دَفَّ كَهْلُهَا وَشَبَابُهَا
عُدَّتْ إِلَى أَنْسَابِهَا
ذَ الطَّيْرِ عَنْ أَرْيَابِهَا³
يَلُوبُوا لَفِي عَقَابِهَا

[من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبرهم]

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ قَرِيطُ بْنُ مَعِيدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْسٍ قَتْلَهُ الْحَارِثُ بْنُ
الْأَبْرَصِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَقُتِلَ الْفَلْتَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ [بْنِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلٍ ،
وَقُتِلَ أَبُو إِيَّاسَ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ الْعَجْلَانِ] بِنِ حَشَوْرَةَ بْنِ عَجَبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ
ذُبْيَانَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَقْدِمُ قَطِينُ إِنَّهُمْ بَنُو عَيْسَ
الْحَلَّةُ : لَمْ يَكُونُوا يَتَشَدَّدُونَ فِي دِينِهِمْ . قَالَ : وَاسْتَلْحَمُ⁴ [عَمْرِو بْنُ] حَسَنَاحِ بْنِ
وَهْبِ بْنِ أَعْيَاءَ بْنِ طَرِيفِ الْأَسَدِيِّ ، فَاسْتَنْقَذَهُ [مَعْقِلُ بْنُ] عَامِرِ بْنِ مَوْءَلَةَ فَدَاوَاهُ
وَكَسَاهُ . فَقَالَ مَعْقِلُ فِي ذَلِكَ :

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسَنَاحِ بْنِ وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجِذَاءِ يَدُ الْكَرِيمِ⁵

1 صدر البيت في ل : لعمري لقد لاقت من الشق .

2 عصا بالسيف : إذا أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه بها .

3 الحرود : التَّحْيِي .

4 استلحم الرجل : روهق في القتال واحتوشه العدو .

5 يديت : اتخذت عنده يداً ، وذو الجذاة : موضع .

قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ مَنْ لَهُ مِنْ حَمِيمٍ
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ
 أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومٍ¹
 يقول : إن الجرح الذي بك شوى لم يُصب منك مقتلاً .

ذَكَرْتُ تَعْلَةَ الْفَتَيَانِ يَوْمًا وَالْحَاقَ الْمَلَامَةَ بِالْمَلِيمِ

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشِير ، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عَقِيل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالك على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر ، إنيهم يموتون ، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح : يا آل كِنْدَةَ ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأَحْوَص ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له حَوْشَبٌ ، فضربه شُرَيْح بن الأَحْوَص في رأسه فانكسر السيف فيه ، فخرج يعدو ينصف السيف وكان ممّا رَعِبَ النَّاسَ مكانه . وشدَّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدَّ عوف بن الأَحْوَص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقينته بنو عَبْس ، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فَأَحْيُوهُ أَوْ اتُّوْنِي بِمِلْكٍ مِثْلِهِ . فتخوّف بنو عبس شره وكان مهيباً ، فقالوا : أمهلنا . فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دُونَكُمْ سَلَمَى بن مالك فإنه نديمه وصديقه ، وكانا مشتهيين أَحْمَرَيْنِ أَشْقَرَيْنِ ضَخْمَةً أَتَوْفَهُمَا ، وكان في سَلَمَى حياء ، [فَأَتَوْهُ] فقال : سَأَكَلُمَ لَكُمْ طُفَيْلاً حتى يأخذ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك ، وإيّمُ الله لَيَأْتِنِ شَجِيحاً² . فانطلقوا إليه ، فقال طفيّل : قد أتوني بك ، ما أعرفني بما جئتم له ؛ أتيتموني تريدون مني ابن الجَوْن تُقِيدُون به من عَوْف ، خذوه ، فأعطاهم إياه ؛ فَأَتَوْا به عَوْفاً فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ ؛ فَسُمِّيَ الْجَزَّازَ . فذلك قول نافع بن الخَنْجَر بن الحَكَم بن عَقِيل بن طُفَيْل بن مالك في الإسلام : [من الوافر]

قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَبْسٍ وَكَانَتْ مَنِيَّةٌ مَعْبِدٍ فِينَا هُزَالَا

قال : وشهدها لَبِيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ، ويقال : كان ابن بَضْعَ عشرة سنة ، وعامر بن مالك يقول له : اليوم يَمُتَ من أبيك إن قُتِلَ أَعْمَامُكَ . وقُتِلَ يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية ، وَجِدَ مقتولاً بين ظَهْرَانِي صفوف بني عامر حيث لم يبلغ

1 العجلزة : الشديدة الخلق القوية . والجموم من الخيل : الذي إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار .

2 ل : سجيحاً .

الْقِتَال ؛ وهو معاوية الضَّبَاب بنُ كِلَابٍ . فقال أخوه حُصَيْنٌ للذي قتله : [من الرجز]

يا ضُبُعاً عثواء لا تَسْتَأْسِي	تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرُّذِي ¹
أقسم بالله وما حَجَّتْ بَلِي	[وما على العُزَى تُعِزُهُ غني ²
وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهَدْيِ]	أُعْطِيكُمْ غيرَ صُدُورِ المَشْرِفِي
فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بَغْنِي	هو الشُّجَاعُ والخطيبُ اللُّؤْدَعِي
والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي	والحاملُ الثَّقَلُ إذا ينزلُ بِسِي

وذكروا أَنَّ طُفَيْلَ بن مالك لما رأى القتال يوم جَبَلَةَ قال : وَيَلَكُمْ ! وأين نَعَم هؤلاء ؟ فأغار على نَعَمِ عَمْرِو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غطفان ثم من بني الثُرَمَاء ، فاستاق ألفَ بعير . فلقية عُبيدة بن مالك فاستجداه . فأعطاه مائة بعير ، وقال : كَأَنِّي بك قد لَقِيتَ ظَبْيَانِ بن مُرَّة بن خالد فقال لك : أعطاك من أَلْفِهِ مائة ! فجمتُ مُغْضَبَا . فلقية عُبيدة ظَبْيَان ؛ فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أَمائة من أَلْفٍ ؟ فغضِبَ عُبيدة . قال : وَذِكْرُ أَنَّ عُبيدة تسرَّع يومئذٍ إلى القتال ، فنهاه أخواه عامر وطُفَيْل أن يفعل حتى يرى مُقَاتَلَاً ، فعصاهما وتقدَّم ، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السِّنَانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان . فأتى طُفَيْلًا فقال له : دونك السِّنَانُ فانزعه ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً ، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً ، فأتى سلمى بن مالك فانتزعه منه ؛ وألقى جريحاً مع النساء حتى فرَّغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل³ . وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً ، وتبعه الزُهْدَمَانِ زَهْدَمٌ وقَيْسُ ابنا حَزْنِ بن وَهْب بن عُوَيْرِ بن رواحة العَبْسِيَّان ، فجعلا يطردان حاجباً ويقولان له : استأسر وقد قَدَرَا عليه ، فيقول : مَنْ أَنْتَما ؟ فيقولان : الزُهْدَمَانِ ، فيقول : لا أَسْتَأْسِرُ اليومَ لموليكَيْنِ . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكُ ذُو الرُّقِيبَةِ بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ ، فقال لحاجب : استأسر . قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا مالكُ ذُو الرُّقِيبَةِ . فقال : أَفْعَلُ ، فلعمري ما أدركتني حتى كدتُ أن أكون عبداً . فألقى إليه رمحه ؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوَاة . [وندر السيف] ، وجعل زهدمٌ يُرِيغُ⁴ قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقطع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : أخذ مالكٌ أسيرنا من أيدينا .

1 الضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون إلى السواد مع كثرة شعر . لا تستأسي في ل : لاستها فسي . الهبر :

قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذي : المهزول الهالك ، والردي : الهالك .

2 بلي : قبيلة من العرب . تعزه غني في ل : الهدي ، وهو ما يهدي لمكة من النعم . وغني قبيلة من غطفان .

3 أغرل : أُلْفٌ لم تقطع غرلته .

4 يريغ : يطلب .

قال : وَمَنْ أُسِيرُكُمْ ؟ قالوا : حاجبُ بن زُرارة . فخرج قيس يتمثل قولَ حنظلة بن الشرقيّ القينيّ أبي الطَّمَحان رافعاً صوته يقول :

أَجْدُ بنِي الشَّرْقِيّ أُولَعَ أَتْنِي مَتَى أُسْتَحِرَّ جَاراً وَإِنْ عَزَّ يَغْدُرُ
إِذَا قُلْتُ أَوْفَى أَدْرَكْتَهُ دُرُوكَهُ فَيَا مُوزِعَ الْجِيرَانِ بِالْغَيِّ أَقْصِرُ

حتى وقف على بني عامر فقال : إِنَّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقِيّة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمِينَ . فجاءهم مالك فقال : لم أخذه منهما ، ولكنه استأسر لي وتركهما . فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقِيّة ، فقالوا : مَنْ أَسْرَكَ يا حاجب ؟ فقال : أَمَّا مَنْ رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي ومنعني أن أنجو ورأى مني عورةً فتركها فالزهدمان . وأما الذي استأسرت له فمالك ؛ فحكموني في نفسي . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحكم في نفسك . فقال : أَمَّا مالكُ فله أَلْفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائة . فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مُغاضبةٌ [بعد ذلك] ؛ فقال قيس : [من الوافر]

جَرَانِي الزَّهْدَمَانُ جَزَاءَ سَوْءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالْكَرَامَةِ
وَقَدْ دَافَعْتُ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ بَنِي قُرْطٍ وَعَمَّهُمْ قَدَامَةُ
رَكِبْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ حَتَّى أَثْبَتَهُمْ بِهَا مَائَةَ ظُلَامَةِ

وقال جرير في ذلك :

وَيَوْمَ الشُّعْبِ قَدْ تَرَكُوا لَقِيْطاً كَأَنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجُوَانٍ
وَكَبَّلَ حَاجِبٌ بِشِمَامٍ حَوْلًا فَحَكَّمَ ذَا الرُّقِيّةِ وَهُوَ عَانِي¹

وأما عمرو بن [عمرو بن] عُدُسٍ فأفلت يومئذٍ . فرعمت بنو سُلَيْمٍ أَنَّ الْخَيْلَ عُرِضَتْ عَلَى مِرْدَاسِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يَوْمَ جَبَلَةِ ، وَكَانَ أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْخَيْلِ ، فَعُرِضَتْ عَلَيْهِ فَرَسٌ لَغْلَامٍ مِنْ بَنِي كِلَابٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُعْجِزُهَا وَلَا أَدْرِكُهَا ذَكَرٌ وَلَا أَتْنَى ؛ فَبَهِدَا رِدَائِي بِهَا وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ نَاقَةً . فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ يَوْمَ جَبَلَةَ خَرَجَ الْكِلَابِيُّ عَلَى فَرَسِهِ تِلْكَ يَطْلُبُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو . قَالَ الْكِلَابِيُّ : فَرَكَضْتُهُ نَهَاراً عَلَى السَّوَاءِ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ سَبَقَنِي بِمِقْدَارِ أَعْرَفِهِ ، ثُمَّ زَادَ مَكَانَهُ وَتَقَصَّصَتْ . فَقُلْتُ : قُمِرَ وَاللَّهِ مِرْدَاسٌ ، وَهُوَ إِلَى فَرَسِهِ فَضْرِبُهَا بِالسُّوْطِ فَانْكَشَفَتْ ، فَإِذَا هِيَ خَنْثَى ، لَا ذَكَرٌ وَلَا أَتْنَى ، فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي سُبِقْتُ . فَقَالُوا : قُمِرَ السُّلَيْمِيُّ . فَقُلْتُ لَا . ثُمَّ أَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ . فَقَالَ مِرْدَاسُ :

[من الطويل]

تَمَطَّطَتْ كُمَيْتٌ كَالْهَرَاوَةِ ضَامِرٌ لَعَمْرُو بن عمرو بعد ما مُسَّ بِالْيَدِ
فلولا مَدَى الْخَنْثَى وَيُعَدُّ جِرَائِهَا لَقَاطُ ضَعِيفِ النَّهْضِ حَقٌّ مُقَيَّدِ
تَذَكَّرَ رُبْطاً بِالْعِرَاقِ وَرَاحَةً وَقَدْ خَفَقَ الْأَسْيَافُ فَوْقَ الْمُقَلَّدِ¹

وزعم علماء بني عامر أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ، فلحق قيسُ بن المنتفق بن عامر [بن طُفَيْل] بن عُقَيْلِ عمرو بن عمرو فأَسْرَهُ . فأقبل الحارثُ بن الأبرص بن ربيعة بن عُقَيْلِ في سَرَاعِ الْخَيْلِ ، فَرَأَاهُ عمرو مقبلاً فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتبس عندي ، فهل أنت محسن إلي وإلى نفسك ؟ تَجَزَّ نَاصِيَتِي فتجعلها في كِنَانَتِكَ ، ولك العَهْدُ لأَقِينَنَّ لَكَ ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول : اقْتُلْ اقْتُلْ . فلحق عمرو بقومه . فلما كان الشهر الحرام خرج قيسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبعه الحارثُ بن الأبرص حتى قَدِمَا على عمرو بن عمرو ؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه أَمَنَةَ بنت زيد بن عمرو فقال : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القُبَّة . وقد كان الحارثُ قَتَلَ أَبَاهَا زَيْدًا يوم جَبَلَةَ . فجاءت بالقُبَّةِ فَرَأَتْ الحارثَ أَهْيَاهُمَا وَأَجْمَلَهُمَا ، فَظَنَّتْهُ قَيْسًا فَضَرَبَتْ القُبَّةَ على رأسه وهي تقول : هذا والله رجلٌ لم يُطْلَعْ الدَّهْرُ عليه بما أُطْلِعَ به علي . فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا ابنة أخي ، عَلَى مَنْ ضَرَبْتَ القُبَّةَ ؟ فنعتت له نَعَتَ الحارثِ . فقال : ضَرَبْتُهَا والله على رجلٍ قَتَلَ أَبَاكَ وأمر بقتل عمك . فجَزِعَتْ مما قال لها عمُّها . فقال الحارثُ بن الأبرص :

أَمَا تَدْرِينَ يَا ابْنَةَ آلِ زَيْدٍ أَمِينٌ بِمَا أَجَنُّ الْيَوْمَ صَدْرِي²
فَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَمْ تُرْزِئِهِ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي عَيْصِرٍ وَقَصْرِ
رَأَيْتُ مَكَانَهُ فَصَدَدْتُ عَنْهُ فَأَعْيَا أَمْرَهُ وَشَدَدْتُ أَرْزِي
لَقَدْ آمَرْتُهُ فَعَصَى إِمَارِي بِأُمِّ عَزِيمَةٍ فِي جَنْبِ عَمْرُو³
أَمَرْتُ بِهِ لَتَخْمُشَ حَنْتَاهُ فَضَيَّعَ أَمْرَهُ قَيْسٌ وَأَمْرِي⁴

الحَنَّةُ : الزوجة . يُقَالُ حَنْتُهُ ، وَطَلَّتُهُ . ثم إن عمرًا قال : يا حار ، ما الذي جاء بك ؟ فوالله ما لك عندي نعمة ، ولقد كنت سيء الرأي في ، قتلتي أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل

1 الرُّبْطُ : جماعات الخيل ، والواحد رِبِيط . خَفَقَ السَّيْفُ : اضطرابه . وَالْمُقَلَّدُ : موضع القلادة من العنق .

2 أَمِينٌ : مصغر أَمَنَةٍ تصغير ترخيم .

3 عَزِيمَةٌ فِي ل : غوية .

4 الْخَمْشُ : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد .

كففتُ [عنك] ، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتُك . قال : ما لك عندي من يد ، ثم تَدَمِّمُ منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلَمَّا جاءَ عمرًا قيسٌ أعطاه إبلًا كثيرةً ، فخرج قيسٌ بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلَمَّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلًا ! لا تقاتلوا إخوانكم ؛ فإنه يُوشِكُ أن يرجع وأن يؤول إلى الحقِّ فإنه رجل حَسُودٌ . فلَمَّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كَفَّ عنه ردَّ إليه ما أخذ منه .

وأما عُنَيْبَةُ بن الحارث بن شِهَابٍ فإنه أُسِرَ يومئذٍ فقيّد في القِدِّ ، وكان يؤول على قَدِّه حتى عَفِنَ . فلَمَّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وَعَنِمَ مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة ، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعْقِ ، وكان له خليلاً ، فانتهى إليه مرداس وهو يقول :

لعمرك ما ترجو مَعَدَّ ربيعها رجائي يزيداً بل رجائي أكثر
يزيد بن عمرو خير من شدَّ ناقةً بأقتادها إذا الرياحُ تُصَرِّصُ¹
تداعت بنو بكر عليّ كأنما تداعت عليّ بالأحزّة بربر²
تداعوا عليّ أن رأوني بخلوة وأنتم بأخذان الفوارس أبصر³

ويروى «بؤخذان» . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه . فطَرَقَه البكريون فسَقَوْه الخمر حتى سَكِرَ ، ثم سأله الإبلُ فأعطاهم إياها . فلَمَّا أصبح ندِمَ ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : أصاح أنت أم سكران ؟ !

فانصرف فاطَّردَ إبلًا من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول :

أَجُنَّ بَلَيْلى قلبه أم تَذَكَّرَا منازل منها حول قُرَى ومَحْضَرَا⁴
تَخِرُّ الهدالُ فوق خِيَمَاتِ أَهْلِهَا وَيُرْسُونَ حِسًّا بِالْعِقَالِ مُوْطَرَا⁵
الحِسُّ : الفرس الخفيفة . والمُوْطَرُ : المعطوف .

1 الأقتاد : جمع قَدِّ وهو خشب الرجل ؛ أو كل أداة الرجل .

2 الأحزّة : جمع حَزِيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد ، وفي ل : بالأخرة : جمع خَرِير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد .

3 أخذان : جمع واحد كراكب وركبان .

4 قُرَى ومَحْضَر : موضعان .

5 الهدال هنا ضرب من الشجر .

سأبى وأستغني كما قد أمرتني وأصبرُ عنك العُسرَ لستُ بأفقرا
وإنْ سُلِّمًا والحجازُ مكانها متى آتاهم أجِدْ لبيتي مهجرا
المهجرُ : الموضع الصالح ؛ يقال : هذا أهجر من هذا إذا كان أجود [منه] وأصلح .

يُفرِّج عني حَدْهم وعديدهم وأسرج ليدي خارجيًا مُصدِّرا¹
قَصَرْتُ عليه الحالين فَجَوَّدَهُ إذا ما عدا بلّ الحِزامَ وأمطرا²
الحالين : الراعين . يقول احتبستهما .

فخذْ إيلًا إنَّ العِتَابَ كما ترى على خَدَمٍ ثمَّ ارمِ للنصر جعفرًا³
فإنَّ بأكناف البحارِ إلى المِلا وذِي النَّخلِ مَصْحَى إنَّ صَحَوْتَ وَمَسْكُرًا⁴
وأزعى من الأظلاف أثلاً وَحَمْضَةً وترعى من الأطواء أثلاً وَغَرَعًا⁵

وانصرف يومئذِ سنانُ بن أبي حارثة المرِّي في بني ذبيان على حاميته ، فلحق بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل⁶ الكلبيّ ، وكان يسمّى الأسد المجذَّع ، ومعه حرْملةُ العُكْلِيّ ونفرٌ من النَّاس ، فلحق بسنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاريّ في سبعين فارساً من بني ذبيان . فقال سنانُ : يا مالكُ كُفُّ واحْمِنَا ولكِ خَوْلَةٌ بنت سنانِ ابنتي أزوَّجُكِها . ففكرَ مالكٌ فقتل معاوية ، ثم اتّبعه حرْملة العُكْلِيّ وهو يقول : [من الرجز]

لأيّ يومٍ يَخْبَأُ المرءُ السَّعةَ مُودَّعٌ ولا تَرى فيه الدَّعةَ⁷

فكرَ عليه مالكٌ فقتله ، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب ، فكرَّ عليه مالكٌ فقتله ، ثم اتّبعه رجلان من قيس كُبةَ من بَجِيلَةَ ، فكرَّ عليهما فقتلهما ، ومضى مالكٌ وأصحابه . فقال مالكٌ في ذلك :

- 1 الحد هنا : الشوكة والقوة . المصدر من الخيل : السابق .
- 2 الجود هنا : العرق .
- 3 الخدم : السرعة في السير .
- 4 البحار : جمع بحرة وهي الفجوة من الأرض تتسع ، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة ، أو هي الأرض العظيمة مع سعة . والملا : الأرض الواسعة أو الفلاة . صحوت في ل : سمعت .
- 5 الأظلاف : جمع ظلف وهو ما غلظ من الأرض وصلب . الحمض من النبات : كل نبت مالخ أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .
- 6 ل : الكاهن .
- 7 المودَّع : الترف المتعم .

ولقد صدّدتُ عن الغنِمة حرَملاً ولقيته لَدَدًا وخيلي تطرُدُ¹
أقبلته صدرَ الأغرِّ وصارماً ذكراً فخرّ على اليدين الأبعدُ²
وابنَ الصموت تركتُ حين لقيته في صدر مارنة يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة في الغبارِ كلاهما وابنا غنيٍّ عامرٌ والأسودُ
حتى تنفّس بعد نكظٍ مُجحراً أذهبتُ عنه والفرائصُ تُرعدُ³
النكظُ الجهد . قال :

يعدو يَبْزِي سابعٌ ذو مِئعة نهْدُ المراكِلِ ذو تَلِيلٍ أقودُ⁴
فخطب إليه مالكٌ خولةً فأبى أن يزوجه .

وأما بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر وجد سينان بن أبي حارثة وابنَيْه
هرماً ويزيد على غديرٍ قد كاد العطش أن يهلِكَهم ، فجزّ نواصيهم وأعتقهم . ثم إن عروة أتى
سيناناً بعد ذلك يَسْتِثِيهِ ثواباً يرضاه [فلم يثبه شيئاً] . فقال عروة في ذلك : [من الوافر]

ألا مَنْ مبلغٌ عني سناناً ألوكاً لا أريد بها عتاباً
أفي الخضراء تقسيمُ هجمتِكُم وعروة لم يثب إلا الترابُ⁵
فلو كان الجعافُ طاعوني غداة الشعب لم تذق الشرابا
أتجزّي القَيْنَ نِعْمَتَها عليكم ولا تجزّي بنعمتها كلابا

وأما بنو عامر فيزعمون أن سيناناً انصرف ذات يوم هو وناسٌ من طييء وغيرهم قبل
الوقعة ، فبلغه أن بني عامر يقولون : متناً عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

والله ما منُوا ولكن شِكِّي منّت وحادرة المناكبِ صِلْدُمُ⁶
بخير شول يومٌ يُدعى عامرٌ لا عاجزٌ ورعٌ ولا مستسلمُ⁷

1 اللدّ : مصدر لددت فلاناً أُلده إذا خصمته وجادلته .

2 أقبلت الشيء الشيء : جعلته قبالة .

3 المحجر : المضطر الملجأ .

4 السابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . ومِئعة كل شيء : أوله وأُنشطه . والنهد : الجسم المرتفع .
ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفاً لنهد
فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل .

5 الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل .

6 الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها .

7 الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

وأما بارق فتدعي أسر سنان يومئذ على الثواب ، ثم أتوه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقر بن
أوس بن حمار البارقي :

متى تَكُ في ذُبيان منكَ صنيعةٌ فلا تحمدنّها الدهر بعد سنانٍ
يُظَلّ يُمنّينا بحسن ثوابه لكم مائةٌ يحذو بها فرسانٍ
مخاضٌ أوْديها وجلّ لقائح وأكرمُ مثوى منكم من اتاني
فجئناه للنعْمى فكان ثوابه رغوْثٌ ووطباً حازرٍ مَدَقانٍ¹
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى يُؤامرهم فينا له أَمَلانٍ²
فإن كنتَ هذا الدهر لا بدّ شاكرًا فلا تنقن بالشكر في غَطَفانٍ

[تاريخ يوم جيلة]

قال : وكان جيلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي ﷺ بتسع عشرة سنة .
وولد النبي ﷺ عام الفيل ، ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستين
سنة ، وقديم عليه عامر بن الطفيل في السنة التي قبض فيها ﷺ ، قال : وهو ابن ثمانين سنة .

[ما قيل في هذا اليوم من الشعر]

وقال المعقر بن أوس بن حمار البارقي حليف بني نَمير بن عامر :

[من الطويل]

أمن آل شُعْثاء الحُمولُ البواكرُ مع اللَّيلِ أم زالت قُبيلُ الأباغرُ
وحلّت سُلَيْمى في هضابٍ وأيكةٍ فليس عليها يومٌ ذلك قادرُ
وألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ³
وصبّحها أملاكُها بكتيبةٍ عليها إذا أمست من الله ناظرُ
معاوية بنُ الجون ذُبيان حوله وحَسَّانُ في جَمع الرّبابِ مُكائِرُ⁴
فمروا بأطناب البيوت فردّهم رجالٌ بأطراف الرّماحِ مساعِرُ⁴
وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه جرّادٌ هوى في هبوةٍ منتايرُ⁵

1 الرغوْث : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .

2 يؤامرهم : يُشاورهم .

3 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني : 99/22 «قد ألقى عصاه» .

4 مساعر : جمع مسعر . ومسعر الحرب الذي يؤرثها فتحمل به الحرب .

5 الهبوة : الغبار الناتج .

فباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمة
ولم نقرهم شيئاً ولكن قصدهم
صَبَحْنَاهُمْ عند الشُّرُوقِ كَتَائِباً
كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ
لَنَا مُسَمِّعَاتٌ بِالْدُّفُوفِ وَسَامِرُ
صَبُوحٍ لَدَيْنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ حَازِرُ¹
كَأَركَانَ سَلَمَى شَبْرُهَا مُتَوَاتِرُ²
وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الْحَبِيكِ جَوَاحِرُ³
الْحَبِيكِ فِي الْبَيْضِ إِحْكَامَ عَمَلِهَا وَطَرَائِقِهَا .

من الضارين الكَبَشَ يمشون مقدماً
وظنَّ سَرَاةَ القومِ أَلَّا يُقْتَلُوا
ضربنا حَبِيكَ الْبَيْضِ فِي غَمْرِ لُجَّةٍ
ولم يَنْجُ إِلَّا مَنْ يَكُونُ طِمِيرَهُ
هَوًى زَهْدَمَ تَحْتَ الْغُبَارِ لِحَاجِبِ
هَما بَطْلَانِ يَعْثُرَانِ كِلَاهِمَا
ولا فَضْلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَرَاءَةً
يَنُوءُ وَكَفَا زَهْدَمَ مِنْ وَرَائِهِ
يَفْرُجُ عَنَّا كُلَّ ثَغِيرٍ نَخَافُهُ
القَصِيمة من الرمل : مَا أَتَيْتَ الْغَضَى وَالرَّمْثَ .

وَكُلَّ طَمُوحٍ فِي الْعِزَانِ كَأَنَّهَا
إِذَا اغْتَمَسَتْ فِي الْمَاءِ فَتَخَاكِ كَاسِرُ¹⁰

1 قصدهم في ل : قصرهم . لدينا في ل : لنا من .

2 سلمى : جبل في بلاد طيء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع .

3 جواهر : غائرات .

4 كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .

5 بالسفح في ل : بالصفح .

6 الطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر إلى ملجأ لينجو .
النهد : القويم الضخم .

7 القنا : تنوء في وسط قصبة الأنف وإشراف .

8 رئاس السيف : مقبضه . ونادر : ساقط .

9 المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صباً . والسرхан : الذئب .

10 الفتخاء الكاسر : العقاب .

لها ناهض في المهد قد مهّدت له كما مهّدت للبعل حسناء عاقر¹
وبهذا البيت سمي معقراً واسمه سُفيان بن أوس . وإنما خصّ العاقر لأنها أقلُّ ذلاً² على
الزوج من الولود فهي تصنع له وتداريه .

تخاف نساء يتدرن حليها مُحَرَّدةٌ قد حرَّدتها الضرائر³
وقال عامر بن الطفيل بعد ذلك بدهرٍ : [من الوافر]

ويومَ الجَمْعِ لاقينا لَقِيْطاً كَسَوْنَا رَأْسَهُ عَضْباً حُسَاماً
أُسْرُنَا حَاجِباً فَتَوَى بِقَدْ وَلَمْ نَتْرِكْ لِنَسْوَتِهِ سَوَاماً⁴
وَجَمْعُ الْجَوْنِ إِذْ ذَلَفُوا إِلَيْنَا صَبَحْنَا جَمْعَهُمْ جَيْشاً لُهُمَا⁵

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك : [من الكامل]

وَهُمْ حُمَاةُ الشَّعْبِ يَوْمَ تَوَاكَلْتُ أَسَدٌ وَذُبْيَانُ الصِّفَا وَتَمِيمٌ
فَارَتْ كَلَمَاهُمْ عَشِيَّةَ هَزَمَهُمْ حَيٌّ بِمُنْعَرَجِ الْمَسِيلِ مُقِيمٌ⁶
تمَّ اليومَ والحمد لله والمنّ .

* * *

صوت

[من الطويل]

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فِتْيَانِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ
فَلَوْ أَنَّ كُنَّا رِجَالاً وَكُنْتُمْ نِسَاءً حِجَالٍ لَمْ نُقِرُّ بِذَا الْفَعْلِ

الشعر لعقيرة بنت عِفَارٍ ، وقيل بنت عَبَاد ، الجَدِيسِيَّةُ التي يقال لها الشَّمُوسُ . والغناء
لِعَرِيبٍ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلُ مَطْلُوقٍ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ . وفيه لحنٌ من الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ قَدِيمٌ .

1 الناهض : الفرخ الذي وفر جناحه حتى استقلّ للنهوض .

2 ل : دالة .

3 التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .

4 القِدْ : سير يقدر من جلد غير ملبوغ . والسوام : الإبل الراعية .

5 وجمع الجون في ل : وجمع الحزم . اللهم : الكثير .

6 الارتثاء : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أُنْخِثَتْه الجراح .

[184 - مقتل عمليق وسببه]

[عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله]

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قِيلَ عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكْرِيِّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن الْمُفَضَّلِ أَنَّ عَمَلِيْقًا مَلِكَ طَسْمِ بْنِ لَأَوْدَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَدِيْسَ بْنِ لَأَوْدَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ فِي مَوْضِعِ الْيَمَامَةِ .

[احتكام امرأة من جديس وزوجها إليه]

كَانَ فِي أَوَّلِ مَمْلَكَتِهِ قَدْ تَمَادَى فِي الظُّلْمِ وَالغَشْمِ وَالسَّيْرَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَدِيْسٍ كَانَ يُقَالُ لَهَا هُزَيْلَةُ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ يُقَالُ لَهُ قَرَقَسٌ ، فَطَلَّقَهَا وَأَرَادَ أَخَذَ وَلَدَهَا مِنْهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى عَمَلِيْقٍ ، فَقَالَتْ : « يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي حَمَلْتُهُ تِسْعًا ، وَوَضَعْتُهُ دَفْعًا ، وَأَرْضَعْتُهُ شَفْعًا ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ ، وَدَنَا فَصَالُهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي كَرْهَا ، وَيَتْرُكْنِي مِنْ بَعْدِهِ وَرْهَا¹ . فَقَالَ لَزَوْجِهَا : مَا حُجَّتُكَ ؟ قَالَ : « حُجَّتِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنِّي قَدْ أُعْطِيتُهَا الْمَهْرَ كَامِلًا ، وَلَمْ أَصِْبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيدًا خَامِلًا ، فَافْعَلْ مَا كُنْتَ فَاعِلًا » . فَأَمَرَ بِالْغُلَامِ أَنْ يُنَزَعَ مِنْهُمَا جَمِيعًا وَيُجْعَلَ فِي غِلْمَانِهِ ، وَقَالَ لهُزَيْلَةَ : « ابْنِيهِ وَلَدًا ، وَلَا تُنْكِحِي أَحَدًا ، وَاجْزِيهِ صَفْدًا² » . فَقَالَتْ هُزَيْلَةُ : « أَمَّا النِّكَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَهْرِ ، وَأَمَّا السَّقَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَهْرِ ، وَمَا لِي فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ » . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَمَلِيْقٌ أَمَرَ بِأَنْ تَبَاعَ هِيَ وَزَوْجُهَا ، فَيُعْطَى زَوْجُهَا خُمْسَ ثَمَنِهَا . وَتُعْطَى هُزَيْلَةُ عَشْرَ ثَمَنِ زَوْجِهَا . فَانْشَأَتْ تَقُولُ :

[من الطويل]

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمَ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا	فَأَنْفَذَ حُكْمًا فِي هُزَيْلَةَ ظَالِمًا
لَعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مُتَوَرِّعًا	وَلَا كُنْتَ فِيمَا تُبْرَمُ الْحُكْمَ عَالِمًا
نَدِمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ وَأَنْتَى بَعَثْتَنِي	وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

[أَمَرَ لَا تَزُوجَ بِكَرٍ مِنْ جَدِيْسٍ حَتَّى يَفْتَرِعَهَا]

فَلَمَّا سَمِعَ عَمَلِيْقٌ قَوْلَهَا أَمَرَ لَا تَزُوجَ بِكَرٍ مِنْ جَدِيْسٍ وَتُهْدَى إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى يَفْتَرِعَهَا هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا ، فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ بَلَاءً وَجَهْدًا وَذُلًّا . فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَذَا حَتَّى زُوجَتْ

1 الورهاء : الخرقاء . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب .

2 الصفد : العطاء .

الشَّمُوسُ وهي عَفِيرَةُ بنت عَبَّادِ أُختِ الأَسودِ الذي وقعَ إلى جِبلِ طَيِّءٍ فقتلته طَيِّءٌ
وسكنوا الجبلَ من بعده . فلمَّا أرادوا حَمَلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عَمِليقٍ . لينالها
قبله ، ومعها القِيانُ يتغنَّينَ :

ابديْ بِعَمِليقٍ وَقُومِي فارَكِيي وبادِرِي الصُّبْحَ لِأَمْرِ مُعْجِبِ
فسوف تَلْقَيْنَ الذي لم تَطْلُبِي وما لِيَكُرِ عنده من مَهْرَبِ

[تغريض عفيرة بنت عباد قومها عليه]

فلمَّا أنْ دخلتْ عليه افترعها وخلَّى سبيلها . فخرجتْ إلى قومها في دِمَائِها شاقَّةَ درْعِها
من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدُمُ يسيلُ¹ وهي في أقبحِ منظرٍ ، وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلَّ من جَدِيسِ أَمْكِذا يُفْعَلُ بالعُرُوسِ
يرضى بهذا يا لَقُومِي حُرٌّ أَهْدَى وقد أُعْطِيَ وسِيْقَ المَهْرِ
لأُخْذَةِ المَوْتِ كذا لنفسه خَيْرٌ مِنْ أنْ يُفْعَلَ ذا بِعُرْسِهِ
وقالت تحرَّضُ قومها فيما أَتَى إليها :

أَيَجْمَلُ ما يُؤْتَى إلى فَتَيَاتِكُمْ وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
وتُصْبِحُ تَمْشِي في الدِّمَاءِ عَفِيرَةٌ جِهَاراً وزُفَّتْ في النساءِ إلى بعلِ
ولو أَنَّا كُنَّا رِجالاً وكُنْتُمْ نساءً لَكُنَّا لا نُقَرُّ بِذا الفَعْلِ
فموتُوا كِراماً أو أُمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وديبوا لنارِ الحربِ بِالْحَطَبِ الجَزْلِ
والآ فَخَلُّوا بطنَها وتَحَمَّلُوا إلى بَلَدٍ قَفَرٍ ومُوتُوا من الهُزْلِ
فللِيبُنِ خَيْرٌ من مَقامٍ على أَدَى وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ من مَقامٍ على الذَّلِّ
وإنْ أنْتُمْ لم تَغْضَبُوا بعدَ هذه فكونوا نساءً لا تُعَابُ من الكُخْلِ
ودونَكُمْ طِيبَ العُرُوسِ فإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأُثُوبِ العُرُوسِ ولِلْغِسْلِ²
فَبُعْداً وسُحْقاً للذي ليس دافعاً ويختال يَمْشِي بيننا مِشْيَةَ الفَحْلِ

[اتِّمار جديس للغدر به ويقومه]

فلمَّا سمعَ الأَسودُ أخوها ذلك وكان سَيِّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشرَ جَدِيسِ ! إنْ هؤلاء
القومَ ليسوا بأَعَزَّ مِنْكُمْ في دارِكُمْ إلَّا بما كان من مُلْكٍ صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزنا

1 ل : يَتِينَ .

2 الغِسلُ : ما يَغْتَسِلُ به .

وإدهاننا¹ ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصْفُ² . فَأُطِيعُونِي فيما أُمِرُكم به ، فإنه عزُّ الدَّهرِ ، وذهابُ ذلِّ العمرِ ، واقتبلوا رأيي . قال : وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطِيعُكَ ، ولكنَّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فَإِنِّي أَصْنَعُ لِلْمَلِكِ طَعَاماً ثُمَّ أَدْعُوهُمْ لَهُ جَمِيعاً . فإذا جاءوا يِرْفُلُون فِي الْحُلَلِ ثَرْنَا إِلَى سِیُوفِنَا وَهُمْ غَارُونَ فَأَهْمَدْنَاهُمْ³ بِهَا . قالوا : نفعل . فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يِرْفُلُون فِي الْحِلْيِ وَالْحُلَلِ ، حتَّى إِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ وَمَدَّوْا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ ، أَخَذُوا سِیُوفَهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ ، فَشَدَّ الْأَسْوَدُ عَلَى عَمَلِيقَ فَقَتَلَهُ ، وَكُلَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَلِيسِهِ حَتَّى أَمَاتُوهُمْ . فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْأَشْرَافِ شَدَّوْا عَلَى السَّفَلَةِ فَلَمْ يَدْعُوا مِنْهُمْ أَحَدًا . فَقَالَ الْأَسْوَدُ فِي ذَلِكَ : [من البسيط]

ذُوقِي بِيغِيكَ يَا طَسَمٌ مَجَلَّةٌ فَقَدْ أَتَيْتِ لَعْمَرِي أَعْجَبَ الْعَجَبِ
إِنَّا أَبِينَا فَلَمْ تَنْفَكْ نَقْتُلُهُمْ وَالْبَغْيُ هِجَ مَنَا سَوْرَةَ الْغَضَبِ
وَلَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا بِغْيُهُمْ أَبَدًا وَلَنْ يَكُونُوا كَذِي أَنْفٍ وَلَا ذَنْبِ
وَإِنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤَكَّدَةً كُنَّا الْأَقَارِبَ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسَبِ

[غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيء له]

ثُمَّ إِنَّ بَقِيَّةَ طَسَمٍ لَجُّوْا إِلَى حَسَانَ بْنِ تَبَعٍ ، فَغَزَا جَدِيسًا فَقَتَلَهَا وَأَخْرَبَ بِلَادَهَا . فَهَرَبَ الْأَسْوَدُ قَاتِلَ عَمَلِيقَ ، فَأَقَامَ بِجَبَلِي طَيْءٍ قَبْلَ نَزُولِ طَيْءٍ إِيَّاهَا . وَكَانَتْ طَيْءٌ تَسْكُنُ الْجُرْفَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ . وَهُوَ الْيَوْمَ مَحَلَّةُ مُرَادٍ وَهَمْدَانَ ، وَكَانَ سَيِّدُهُمْ يَوْمَئِذٍ أُسَامَةُ بْنُ لُؤْيٍ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ طَيْءٍ ، وَكَانَ الْوَادِي مَسْبَعَةً ، وَهُمْ قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ ، وَقَدْ كَانَ يَنْتَابُهُمْ بَعِيرٌ فِي أَزْمَانِ الْخَرِيفِ وَلَمْ يُدْرَأْ أَيْنَ يَذْهَبُ وَلَمْ يَرَوْهُ إِلَى قَابِلٍ ، وَكَانَتْ الْأَزْدُ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْيَمَنِ أَيَّامَ الْعَرَمِ ، فَاسْتَوْحِشَتْ طَيْءٌ لَذَلِكَ وَقَالَتْ : قَدْ ظَعَنَ إِخْوَانُنَا فَصَارُوا إِلَى الْأَرْيَافِ . فَلَمَّا هَمُّوا بِالظُّعْنِ قَالُوا لِأُسَامَةَ : إِنَّ هَذَا الْبَعِيرَ يَأْتِينَا مِنْ بَلَدٍ رِيفٍ وَخِصْبٍ ، وَإِنَّا لَنَرِي فِي بَعْرِهِ النَّوَى . فَلَوْ أَنَّا نَتَعَهَّدُهُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ فَشَخَصْنَا مَعَهُ لَكُنَّا نَضِيبُ مَكَانًا خَيْرًا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا . فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا كَانَ الْخَرِيفُ جَاءَ الْبَعِيرُ فَضْرَبَ فِي إِبْلِهِمْ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ احْتَمَلُوا وَاتَّبَعُوهُ يَسِيرُونَ بِسِيرِهِ وَيَبْتَيتُونَ حَيْثُ يَبِيتُ حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْجَبَلَيْنِ . فَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ لُؤْيٍ : [من الرجز]

1 الإدهان : المصانة واللين مثل المداينة .

2 النصف : إعطاء الحق .

3 أهدناهم : أمتناهم .

اجْعَلْ طَرِيباً كَحَبِيبٍ يُنْسَى لِكُلِّ قَوْمٍ مُضْبَحٍ وَمُنْسَى

قال : وطَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به . فهجمت طييء على النخل في الشُّعَابِ وعلى مواشٍ كثيرة ، وإذا هم برجلٍ في شَعْبٍ من تلك الشُّعَابِ وهو الأسود بن عَبَّاد ، فهالَهم ما رَأَوْا من عِظَمِ خَلْقِهِ وتَخَوَّفُوهُ ، وقد نزلوا نَاحِيَةً من الأرض واستَبَرُّوها هل يرون بها أحداً غَيْرَهُ فلم يَرَوْا . فقال أُسامَةُ بن لُؤَيٍّ لابن له يقال له الغوث : أَي بُنَيَّ ! إِنَّ قَوْمَكَ قد عَرَفُوا فَضْلَكَ عَلَيْهِم في الجَلَدِ والبَأسِ والرَّمي ، فَإِنْ كَفَيْتَنَا هذا الرجل سُدَّتْ قَوْمَكَ آخِرَ الدَّهْرِ ، وَكُنْتَ الذي أَنزَلْتَنَا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أَتَى الرجلَ فَكَلَّمَهُ وساءَ له . نَعَجِبُ الأَسودَ من صِغَرِ خَلْقِ الغوث فقال له : من أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ ؟ قال : من اليَمَنِ ، وأخبره خَبَرَ البعيرِ ومَجِيئِهِم معه ، وأنهم رَهَبُوا ما رَأَوْا من عِظَمِ خَلْقِهِ وصِغَرِهِم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغوثُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَأقامت طييء بالجبلين بعده ، فهم هنالك إلى اليوم .

185 - [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]

صوت

[من الطويل]

إذا قَبِلَ الإنسانُ آخَرَ يشتَهي ثناياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا
الشعر لرجل من عُذرة . والغناء لعريب ثقیلٌ أول بالوسطى .

[حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري]

نسخت هذا الخير من كتاب محمد بن موسى بن حماد قال ذكر الرياشي قال قال حماد الراوية . أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة ، فتذاكروا من العذريين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديق من عُذرة يقال له الجعد بن مهجع ، وكان أحد بني سلامان ، وكان يلقي مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة ، وكان يوافي الموسم في كل سنة ؛ فإذا راث¹ عن وقته ترجمت² عنه الأخبار ، وتوكت³ له الأسفار⁴ حتى يقدم . فغممني ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حجاج عُذرة ، فأتيت القوم أنشد صاحبي ، وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال : أعن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإياه أردت . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو المسهر لا مؤسسا فيهم ولا مرجوا فيعمل ، أصبح والله كما قال القائل :

لَعَمْرُكَ ما حُبِّي لأسماء تاركِي أعيش ولا أقضي بِه فأموت
قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهوؤ كما في الضلال ، وجرك كما أذبال الخسار ، فكأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أما والله يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنك وأخاك كالبرد والجاذ لا ترقعه ولا يرقعك ، ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

1 راث : أبطأ .

2 ترجمته : تظننت ، من الرجم .

3 وتوكت : توقعت وانتظرت .

4 الأسفار : جماعة المسافرين .

أرائحة حُجَّاجٍ عُذْرَةَ وَجْهَةٍ ولما يَرُوحُ في القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعٍ
خِلِيلانٍ نَشْكُو ما نُلَاقِي من الهوى متى ما يَقُلُ أَسْمَعُ وإن قلتُ يَسْمَعُ
ألا ليت شعري أَيُّ شيءٍ أَصابه فلي زَفَرَاتُ هِجْنٍ ما بين أَضْلَعِي
فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ خِلالاً فَإِنِّي سألقى كما لاقيتُ في كُلِّ مَصْرَعٍ

ثم انطلقتُ حتى وقفتُ موقفِي من عرفات . فبينما أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وساءت هيئته ، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقتني وبكى حتى اشتدَّ بكأوه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرَحَ الْعَذْلُ ، وطُولُ الْمَطْلُ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

لئن كانت عُذْيَةُ ذاتَ لبٍّ لقد علمتُ بأنَّ الحبَّ داءٌ
ألم تنظُرْ إلى تَغْيِيرِ جِسمِي وأنِّي لا يفارقُنِي البكاءُ
ولو أنِّي تكَلَّفْتُ الذي بي لَقَفَّ الكَلَمُ وانكشفَ الغطاءُ¹
فإنَّ معاشرِي ورجالَ قومي حُتُوفُهُم الصَّبَابَةُ واللقاءُ
إذا العُذْرِيُّ ماتَ خَلِيٍّ ذَرَعٍ فذاك العبدُ يَبْكِيهِ الرَّشَاءُ

فقلت : يا أبا المُسَهَّرِ إنها ساعة تُضْرَبُ إليها أَكبادُ الإبلِ من شَرْقِ الأرضِ وغَرْبِها . فلو دعوتُ اللهَ كُنْتَ قَمِيناً أن تظفَرَ بِحاجتِكَ وأن تُنَصِّرَ على عَدُوِّكَ . قال فتركني وأقبل على الدَّعاء . فلما نزلت الشمسُ للغروبِ وهمَّ الناسُ أن يُفِيضُوا سمعته يتكلَّمُ بشيءٍ ، فأصغيتُ إليه ، فإذا هو يقول :

يا رَبَّ كُلِّ غَدْوَةٍ وَرَوْحَةٍ من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى وَلَوْحَةٍ
أنتَ حَسِيبُ الْخَلْقِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ

[الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه وسمى عمر في زواجه من عشقها]

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأخبرنَّكَ ولو لم تسألني . فيمَّنا نحو مُزْدَلِفَةَ ، فأقبل عليَّ وقال : إنِّي رجلٌ ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ ، وذو المال لا يُصْذِرُهُ ولا يُزْوِيهِ الثَّمَادُ² . وقَطَرَ الغَيْثُ أرضَ كَلْبٍ ، فانتجعتُ أَخْوَالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْنِي جُمَّةً³ الماء ، وكنتُ فيهم في خيرِ أحوال . ثم إنِّي عزمْتُ على موافقةِ إِبِلِي بماءٍ لهم يقال له الحَوْذَان ، فركبتُ فرسي وَسَمَطْتُ⁴ خَلْفِي شِراباً كان أَهداه إليَّ بعضهم ثم مضيت ،

1 قف : يس .

2 الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا ماء له .

3 جُمَّةُ الماء : معظمه .

4 سمط هنا : علق .

حتى إذا كنت بين الحيّ ومرعى النعم رفعت¹ لي دوحة عظيمة ، فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلست في ظلها . فبينما أنا كذلك إذ سطم غبارٌ من ناحية الحيّ ورفعت لي شخصٌ ثلاثة ، ثم تبينت فإذا فارس يطرد مسحلاً² وأتانا³ ، فتأملته فإذا عليه درعٌ أصفر وعمامةٌ خزر سوداء ، وإذا فروع شعره تضرب خصره ، فقلت : غلامٌ حديثٌ عهدٍ بعُرسٍ أعجلته لذّة الصيد فترك ثوبه وليس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلا يسيراً حتى طعن المسحّل وثني طعنةً للأتان فصرعهما ، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول : [من الرجز]

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَكًا لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ⁴

فقلت : إنك قد تعبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلت ! فثنى رجله فنزل فشدّ قَرَسَهُ بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرتُ به قول أبي ذؤيب :

وَإِنَّ حَدِيثاً مِنْكَ لَوْ تَبَذَّلْتَهُ جَنَى النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوْذٍ مَطَافِلٍ⁵

فقمْتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حَسَرَ العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأن وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانك اللهم ! ما أعظمَ قُدْرَتَكَ وأحسنَ صَنَعَتَكَ ! فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : ممّا راعني من جمالك وبهرني من نورك . قال : وما الذي يروغك من حبيس التراب ، وأكيل الدواب ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس . قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً . ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : وما هذا الذي أرى قد سَمَطْتَ في سَرَجِكَ ؟ قلت : شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلِكَ ، فهل لك فيه من أَرَبٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيت به ، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسُّوط على ثناياه ، فجعل والله يتبين لي ظلُّ السوط فيهن . فقلت : مهلاً فإنّي خائفٌ أن تكسرهن . فقال : ولمَ ؟ قلت : لأنهن رِقَاقٌ وهنّ عذابٌ . قال : ثم رَفَعَ عقيرته يتغنّى :

إِذَا قَبِلَ الْإِنْسَانُ آخِرَ يَشْتَهِي ثَنَايَاهُ لَمْ يَأْتُمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا

فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللَّهُ عَنْهَا الْوِزْرَا

1 رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .

2 المسحّل : الحمار الوحشي .

3 الأتان : الحمارة الوحشية .

4 السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . اللأم : السهم عليه ريش

لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذّة منه يلي ظهر الأخرى .

5 عوذ : جمع عائذة وهي الحديثة التاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فَبَرَقْتُ لي بَارِقَةٌ تَحْتَ الدَّرْعِ . فَإِذَا تَدْنِي كَأَنَّهُ حَقٌّ عَاجٍ . فَقُلْتُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أُمْرًا ؟ قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ الْعَشِيرَ وَأُحِبُّ الْغَزَلَ . ثُمَّ جَلَسْتُ فَجَعَلْتُ تَشْرَبُ مَعِيَ مَا أَفْقَدُ مِنْ أُنْسِهَا شَيْئًا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى عَيْنَيْهَا كَأَنَّهُمَا عَيْنَا مَهَاةٍ مَذْعُورَةٍ . فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنِي إِلَّا مِثْلُهَا عَلَى الدَّوْحَةِ سَكْرَى . فزَيْنُ لي وَاللَّهُ الْغَدْرُ وَحَسَنُ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَصَمَنِي مِنْهُ ، فَجَلَسْتُ حَجْرَةً مِنْهَا . فَمَا لَبِثْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْتَبَهْتُ فَرِعَةً ، فَلَاثَتْ عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، وَقَالَتْ : جِرَاكَ اللَّهُ عَنِ الصُّحْبَةِ خَيْرًا . قُلْتُ : أَوْ مَا تَزُوْدِيَنِي مِنْكَ زَادًا ؟ فَنَاوَلْتَنِي يَدَهَا ، فَقَبَّلْتُهَا فَشَمِمْتُ وَاللَّهُ مِنْهَا رِيحُ الْمَسْكِ الْمَفْتُوتِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

كَأَنَّهَا إِذْ تَقْضَى النُّومَ وَانْتَبَهَتْ سَحَابَةٌ مَا لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
قُلْتُ : وَأَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةً شُرُسًا وَأَبَا غَيُورًا . وَوَاللَّهِ لَأَنْ أُسْرَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضُرَّكَ ، ثُمَّ انصرفت . فَجَعَلْتُ أَتْبِعُهَا بَصَرِي حَتَّى غَابَتْ ، فَهِيَ وَاللَّهُ يَا ابْنَ أَبِي رِبْعَةَ أَهْلَتْنِي هَذَا الْمَحَلَّ وَأَبْلَعْتَنِي . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْمُسَهَّرِ إِنَّ الْغَدْرَ بِكَ مَعَ مَا تَذَكَّرُ لِلْمَلِيحِ . فَبَكَى وَاشْتَدَّ بِكَأَوِّهِ . فَقُلْتُ : لَا تَبْكُ ؛ فَمَا قُلْتُ لَكَ مَا قُلْتُ إِلَّا مَازِحًا ، وَلَوْ لَمْ أَبْلُغْ فِي حَاجَتِكَ بِمَا لِي لَسَعَيْتُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَقْدَرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : خَيْرًا . فَلَمَّا انْقَضَى الْمَوْسِمُ شَدَدْتُ عَلَى نَاقَتِي وَشَدْتُ عَلَى نَاقَتِهِ ، وَدَعَوْتُ غَلَامِي فَشَدَّ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ قَبَةَ حِمْرَاءٍ مِنْ أَدَمٍ كَانَتْ لِأَبِي رِبْعَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَحَمَلْتُ مَعِيَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِطْرَفَ خَزٍّ ، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بِلَادَ كَلْبٍ ، فَنَشَدُّنَا عَنْ أَبِي الْجَارِيَةِ فَوَجَدْنَاهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ ، وَإِذَا هُوَ سَيِّدُ الْحَيِّ وَإِذَا النَّاسُ حَوَّلَهُ ، فَوَقَفْتُ عَلَى الْقَوْمِ فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ الشَّيْخُ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : عَمْرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ . فَقَالَ : الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ ، فَمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : خَاطِبًا . قَالَ : الْكُفَّاءُ ، وَالرُّغْبَةُ . قُلْتُ : إِنِّي لَمْ آتِ ذَلِكَ لِنَفْسِي عَنْ غَيْرِ زَهَادَةٍ فِيكَ وَلَا جِهَالَةٍ بِشَرِّكَ ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُ فِي حَاجَةِ ابْنِ أُخْتِكُمِ الْعُدْرِيِّ ، وَهَاهُو ذَاكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَكَفَى الْحَسْبَ رَفِيعُ الْبَيْتِ ، غَيْرَ أَنَّ بَنَاتِي لَمْ يَقَعْنَ إِلَّا فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ . فَوَجَمْتُ لِذَلِكَ ، وَعَرَفْتُ التَّغْيِيرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : أَمَا إِنِّي صَانِعٌ بِكَ مَا لَمْ أَصْنَعْهُ بِغَيْرِكَ . قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ فَمَثَلِي مَنْ شَكَرَ ؟ قَالَ : أَخْبَرَهَا فَهِيَ وَمَا اخْتَارَتْ . قُلْتُ : مَا أَنْصَفْتَنِي إِذْ تَخْتَارُ لَغَيْرِي وَتُوَلِّي الْخِيَارَ غَيْرَكَ . فَأَشَارَ إِلَيَّ الْعُدْرِيُّ أَنْ دَعَا يَخْبِرُهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنَّ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : مَا كُنْتُ لِأَسْتَبْدَّ بِرَأْيِ دُونَ الْقَرَشِيِّ ، فَالْخِيَارُ فِي قَوْلِهِ ، حَكْمُهُ . فَقَالَ لِي : إِنَّهَا قَدْ وَلَّتْكَ أَمْرَهَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ . فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ

وقلت : اشهدوا أنني قد زوجتها من الجعد بن مهبج وأصدقتهما هذا الألف الدينار ، وجعلتُ تَكْرِمَتها العبدَ والبعيرَ والقبةَ ، وكسوتُ الشيخَ المطرفَ ، وسألتُه أن ينيَ بها عليه في ليلته . فأرسل إلى أمها ، فقالت : أخرج ابنتي كما تخرج الأمة ! . فقال الشيخ : هَجَرِي¹ في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبةَ في وسط الحريم ، ثم أُهديتُ إليه ليلاً ، وبِتُ أنا عند الشيخ . فلما أصبحتُ أتيت القبةَ فصِخْتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدت لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها . فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كملتُ الهوى لما رأيته جازعاً وقلتُ فتى بعض الصديق يرئدُ
وأن تطرحني أو تقول فتيةً يضرب بها برح الهوى فتعودُ
فوريتُ عما بي وفي داخل الحشى من الوجد برح فاعلمن شديداً

فقلت : أقوم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول : [من الطويل]

كفيتُ أخي العذري ما كان نابه وإنني لأعباء النوائب حمالُ
أما استحسننت مني المكارم والعلا إذا طرحت ! إني للمالي بدالُ

وقال العذري :

إذا ما أبو الخطّاب خلّى مكانه فافٌ لِدُنْيا ليس من أهلها عُمرُ
فلا حيّ فتیان الحجازين بعده ولا سقيت أرض الحجازين بالمطرُ

صوت

[من الكامل]

إنّ الخليط قد ازْمَعوا تَرْكِي فوقفتُ في عَرَصاتهم أبكي
جنّةً برزت لتقتلني مطليّة الأصداغ بالمسك
عجباً لمثلك لا يكون له خرج العراق ومبئر الملك

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقیلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذكر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

[186] - أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[نسب عائشة بنت طلحة]

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .
وأُمها أُم كلثوم بنت أبي بكر الصديق . أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال
مُصعب :

[كانت لا تستر وجهها]

كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد . فعاتبها مُصعب في ذلك ، فقالت : إن
الله تبارك وتعالى وَسَمَنِي بِمَيْسَمِ جَمَالٍ أَحَبُّهُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، فَمَا كُنْتُ
لَأَسْتُرَهُ ، وَوَاللَّهِ مَا فِي وَصْمَةٍ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ . وطالت مُرَادُهُ مُصْعَبُ إِيَّاهَا فِي
ذَلِكَ ، وَكَانَتْ شَرِيسَةَ الْخَلْقِ . قال : وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظاه عند
أزواجهن . وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أُم إسحاق بنت طلحة ، فكان
يقول : والله لَرُبَّمَا حَمَلْتُ وَوَضَعْتُ وَهِيَ مُصَارِمَةٌ لِي لَا تَكَلِّمُنِي .

[غضبها على مصعب]

قال : نالت عائشة من مُصْعَبٍ وَقَالَتْ : عَلَيَّ كَظْهَرُ أُمِّي ، وَقَعَدْتُ فِي غُرْفَةٍ وَهِيَائَتْ
فِيهَا مَا يُصْلِحُهَا . فَجْهَدَ مُصْعَبٌ أَنْ تَكَلِّمَهُ فَأَبَتْ . فَبَعَثَ إِلَيْهَا ابْنَ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، فَسَأَلَهَا
كَلَامَهُ ، فَقَالَتْ : كَيْفَ بِيَمِينِي ؟ فَقَالَ : هَاهُنَا الشَّعْبِيُّ فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَاسْتَفْتِيهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ . فَقَالَتْ : أَتُجْلِنِي وَتَخْرُجُ خَائِبًا ؟ فَأَمَرْتُ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
آلَافٍ دَرَاهِمٍ . وَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ لَمَّا رَأَاهَا :

جَنِيَّةٌ بَرَزَتْ لَتَقْتُلُنَا مَطْلِيَّةُ الْأَقْرَابِ بِالْمِسْكِ¹

وذكر باقي الأبيات .

[غضبت على مصعب فاسترضاه أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البعقوبي قال حدثنا
سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال : كان أشعب يألف مصعباً ، فغضبت عليه
عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أشعب . فقال : مالي
إن رَضِيتُ ؟ قال : حُكْمُكَ . قال : عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى

1 الأقرباب : جمع قُرْب وهو الخاصرة .

عائشة فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قد علمتِ حُبِّي لك ومِلي قديماً وحديثاً إليك من غير مَنَالَةٍ ولا فائدة . وهذه حاجة قد عَرَضَتْ تقضين بها حَقِّي وترتهنين بها شُكْرِي . قالت : وما عَنَّاكَ ؟ قال : قد جعل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إن رَضِيت عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فارَضَني عنه حتى يُعْطِني ثم عُودِي إلى ما عَوَّدَكَ اللهُ من سوء الخُلُق . فضَحِكْتُ منه ورَضِيتُ عن مصعب . وقد ذكر المدائني أَنَّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأنَّ الرسول إليها والمخاطِب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عَتِيق . [وصف عزة الميلاء لها ولامرأتين]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي حَدَّثْتُ عن صالح بن حَسَّان قال : كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمَّى عَزَّةَ المِیلاء يألُفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فَأَتَاهَا مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص ، فقالوا : إِنَّا خَطَبْنَا فانظري لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله وَمَنْ خَطَبْتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فَأَنْتِ يا ابن أبي أُحِيحَةَ ؟ قال : عائشة بنت عثمان . قالت : فَأَنْتِ يا ابن الصَّدِّيقِ ؟ قال : أُمُّ القاسم بنت زكريَّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتِي مَنَقَلِي (تعني خُفِيها) فَلِيسَتْهُمَا وخرجت ومعهما خادمٌ لها ، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً ، فقالت : يا جارية انظري ما هذا . فنظرت ثم رجعت فقالت : امرأة أُخِذَتْ مع رجل . فقالت : داءٌ قديم ، امضِ ويلك . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتك ! كُنَّا في مأذبة أو مأتم لقريش ، فتذاكروا جمالَ النساء وخلقهن فذكروك ، فلم أدر كيف أَصِفُكَ فديتك . فَأَلْقِي ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت فارتجَّ كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزَّة : خُذِي ثوبَكَ فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتكِ وَبَقِيتُ حاجتي . قالت عَزَّة : وما هي بنفسي أنت ؟ قالت : تُغْنِيني صوتاً . فاندفعت تغني لحنها : [من الطويل]

صوت

خَلِيلِي عُوْجَا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمْلٍ	وَأَتَرَاهَا بَيْنَ الْأَصْيَفِرِ وَالْحَبْلِ
نَقَفَ بِمَغَانٍ قَدْ حَا رَسْمَهَا الْبَلِي	تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصَّغَارُ بِجِلْدِهَا	لَأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ ¹
وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ جِيداً وَمَقَلَةً	تُشَبَّهُ فِي النِّسْوَانِ بِالشَّادَنِ الطُّفْلِ ²

1 أُنْدَبَ على جلدها : ترك فيه ندوباً . والندب : أثر الجرح .

2 الشادن : من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والطفل : الناعم الرخص .

الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العُدَريّ . والغناء لعزّة الميلاء ثَقِيلٌ أوّل بالوسطى . فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك ، فدفعته إلى مولاتها فحملته . وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك هن ، حتى أتت القوم في السقيفة . فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أمّا عائشة فلا والله إنّ رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً ، محطوطة المتنين¹ ، عظيمة العجيزة . ممتلئة الترائب² ، نقيّة الثغر وشفحة الوجه ، فرعاء الشعر³ ، لفاء الفخذين⁴ ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن⁵ ، ذات عُكَنٍ⁶ ، ضخمة السرة ، مسرولة الساق ، يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخفّ : عِظَمُ القدم والأذن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يا ابن أبي أحيدة فإنّي والله ما رأيتُ مثلَ خلقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب . والله لكأنما أفرغت إفراغاً ، ولكن في الوجه ردّة⁷ ، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنس به . وأمّا أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيتُ مثل أمّ القاسم ، كأنها خوط⁸ بانة تنشي ، وكأنّها جدلُ عِنان ، أو كأنها جان⁹ يتشّى على رمل ، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت . ولكنها شخنة الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملا كل شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجن .

[تُشبه خالتها أم المؤمنين]

أخبرني الطوسيّ وحريّ عن الزبير عن عمّه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك ، قالوا جميعاً : إنّ أمّ عائشة بنت طلحة أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وأمّها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنت طلحة تُشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها . فزوّجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن

1 محطوطة المتنين : ممدودتها . والمتنان : جنبتا الظهر .

2 الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .

3 فرعاء الشعر : طويلته .

4 واللف في الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

5 خميصة البطن : ضامرته .

6 العكن : الأطواء في البطن ، الواحدة عكنة .

7 الردّة : القبح مع شيء من الجمال .

8 الخوط : الفصن الناعم .

9 الجان : حية كحلأ العين لا تؤذي . الخشف : ولد الظبية .

أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرَها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدت له عمران وبه كانت تُكْنَى ، وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة وتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ولكل هؤلاء عَقَبٌ . وكان ابنها طلحة من أجواد قریش ، وله يقول الحزين الدَّيْلِيُّ :

فإن تك يا طَلْحُ أعطيتني عُذافرةً تَسْتَحِفُّ الضُّفَّاراً¹
فما كان نَفْعُكَ لي مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولكن مرارا
أبوك الذي صدَّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّك بيضاء تيمية إذا نُسِبَ الناسُ كانوا نُصارا

[مصارمتها لزوجها]

قال : فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غَضْبَى ، فمرت في المسجد وعليها مِلْحَفَةٌ تريد عائشة أم المؤمنين ، فرأها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنها من الحور العين . فمكثت عند عائشة أربعة أشهر . وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة : إني أخاف عليك الإيلاء² ، فضمَّها إليه . وكان مؤلياً منها فقيل له : طَلَّقْها ، فقال : [من الطويل]

يقولون طَلَّقْها لأصبحَ ثاوياً مُقيماً عليَّ الهمُّ ، أحلامُ نائمٍ
وإن فراقِي أهلَ بيتٍ أُحِبُّهم لهم زُلْفَةٌ عندي لإحدى العظائم

فتوفِّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فما فتحتُ فاها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا في ذنوبها التي تعددها . ثم تزوجها بعده مُصْعَبُ بن الزبير ، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وبلغ ذلك أخاه فقال : إن مصعباً قدَّم أئيرَه ، وأخرَ خَيْرَه . فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال : لكنَّه أخرَ أئيرَه وخَيْرَه . وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤثبه على ذلك ويُقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء ، وقال له : إني لأرجو أن تكون الذي يُخسِفُ به بالبيداء ، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا . وصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

[عاسرت مُصْعَباً ثم يأسرته]

قال وحدثني المدائني عن سُحَيْمِ بن حَفْص قال : كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا

1 العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . الضُّفَّار : ما يُشَدُّ به البعير من الشعر المضفور .

2 الإيلاء : اليمين ، وهو أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته ، وحكمه أن يترص به أربعة أشهر ثم يوقف ، فإنما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

بِتَلَّاحٍ يَنَالُهَا مِنْهُ وَبِضَرْبِهَا . فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ أَبِي فَرَوَةَ كَاتِبِهِ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَكْفِيكَ هَذَا إِنْ أَدْنَتْ لِي . قَالَ : نَعَمْ ! أَفَعَلْ ! مَا شِئْتَ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ شَيْءٍ نِلْتَهُ مِنَ الدُّنْيَا . فَأَتَاهَا لَيْلًا وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : أَفِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَأَدْخَلَتْهُ . فَقَالَ لِلْأَسْوَدَيْنِ : احْفَرَا هَاهُنَا بَرًّا . فَقَالَتْ لَهُ جَارِيَتُهَا : وَمَا تَصْنَعُ بِالْبَرِّ ؟ قَالَ : شَوْمُ مَوْلَانِكَ ، أَمَرَنِي هَذَا الْفَاجِرُ أَنْ أَدْفِنَهَا حَيَّةً وَهُوَ أَسْفَكَ خُلُقِيَ لِلدَّمِ حَرَامٍ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَنْظِرْنِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ . قَالَ : هِيَاهُ ! لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ لِلْأَسْوَدَيْنِ : احْفَرَا . فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُ بَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : يَا ابْنَ أَبِي فَرَوَةَ إِنَّكَ لَقَاتِلِي مَا مِنْهُ بَدٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِ بَعْدَكَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ غَضِبَ وَهُوَ كَافِرُ الْغَضَبِ . قَالَتْ : وَفِي أَيِّ شَيْءٍ غَضِبَهُ . قَالَ : فِي امْتِنَاعِكَ عَنْهُ ، وَقَدْ ظَنَنْتُكَ تُبْغِضِيهِ وَتَتَطَلَّعِينَ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ جُنَّ . فَقَالَتْ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَّا عَاوَدْتَهُ . قَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي . فَبَكَتْ وَبَكَى جَوَارِيهَا . فَقَالَ : قَدْ رَقَقْتُ لَكَ ، وَحَلَفْتُ أَنَّهُ يَغُرُّ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : فَمَا أَقُولُ ؟ قَالَتْ : تَضْمَنْ عَنِّي أَلَّا أَعُودَ أَبَدًا . قَالَ : فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ : قِيَامٌ بِحَقِّكَ مَا عَشْتُ . قَالَ : فَأَعْطِنِي الْمَوَاقِيقَ ، فَأَعْطَتْهُ . فَقَالَ لِلْأَسْوَدَيْنِ : مَكَانَكُمَا ، وَأَتَى مُصْعَبًا فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ : اسْتَوْثِقْ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ ، فَفَعَلْتُ وَصَلَحْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُصْعَبِ .

[أخبار لما مع مصعب]

قال : ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبحة¹ ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت أحبَّ إليَّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرةً ، فطالت مصارمتها له وشقَّ ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفر ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها . فقالت : الآن يصلح أن تُخرجني إليه . فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إِنِّي أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ رَائِحَةِ الْحَدِيدِ . فقالت : هُوَ وَاللَّهِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ .

أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال : كان مصعب من أشدَّ الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة ، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودمائةً وجمالاً وهيئةً ومثانةً وعِفَّةً ، وإنَّها دعت يوماً نسوةً من قريش فلما جئنَّها أجلستهنَّ في مجلسٍ قد نُضِدَ فِيهِ الرِّيحَانِ وَالْفَوَاكِهُ وَالطَّيِّبُ [و] الْمِجْمَرُ² ، وخلعت على كلِّ امرأةٍ منهنَّ ، خِلْعَةً تَامَةً مِنَ الْوَشْيِ وَالْخَزِّ

1 التصحيح : نوم الغداة .

2 المجرم : العود الذي يتبخر به .

ونحوهما ، ودعت عَزَّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزَّة ، هاتي يا عَزَّةَ فغنيئا ، فغنتهن في شعر امرئ القيس :

وَتَغَرَّ أَغَرَّ شَتِيَّتِ النَّبَاتِ لَذِيذِ الْمُبْلِّلِ وَالْمُبْتَسِمِ
وما ذقته غيرَ ظَنٍّ به وبالظنِّ يقضي عليك الحكمُ

وكان مصعبٌ قريباَ منهنَّ ومعه إخوانٌ له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسَبَّلَةٌ ، فصاح : يا هذه إنا قد دُفِّقناه فوجدناه على وصفتِ ، فبارك الله فيك يا عَزَّةَ ! ثم أرسل إلى عائشة : أَمَا أَنْتِ فَلَ سَبِيلٍ لَنَا إِلَيْكَ مَعَ مَنْ عِنْدَكَ ، وَأَمَّا عَزَّةُ فَتَأْذِنِينَ لَهَا أَنْ تَغْنِيَنَا هَذَا الصَّوْتُ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْكَ ، ففعلتْ . وخرجت عَزَّةُ إليه فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عَزَّةَ إِنَّكَ لَتُحْسِنِينَ الْقَوْلَ وَالْوَصْفَ ، وَأَمْرَهَا بِالْعُودِ إِلَى مَجْلِسِهَا ، وَتَحَدَّثَتْ سَاعَةً مَعَ الْقَوْمِ ثُمَّ تَفَرَّقُوا .

[خطبها بشر بن مروان فتزوّجت عمر بن عبد الله]

وقال المدائني ، وذكره القَحْذَمِيُّ أيضاً في خبره ، : فَلَمَّا قُتِلَ مَصْعَبٌ عَنْ عَائِشَةَ خَطَبَهَا بِشَرُّ بْنُ مَرْوَانَ ، وَقَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيُّ مِنَ الشَّامِ فَنَزَلَ الْكَوْفَةَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ بِشَرَّ بْنَ مَرْوَانَ خَطَبَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا جَارِيَةً لَهَا وَقَالَ : قَوْلِي لِابْنَةِ عَمِّي يَقْرُثُكَ السَّلَامُ ابْنُ عَمِّكَ وَيَقُولُ لَكَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْمَبْسُورِ الْمُطْحُولِ ، وَأَنَا ابْنُ عَمِّكَ وَأَحَقُّ بِكَ ، وَإِنْ تَزَوَّجْتُ بِكَ مَلَأْتُ بَيْتَكَ خَيْرًا ، وَحَرَكْتُ أَيْرًا . فَتَزَوَّجْتَهُ فَبَنَى بِهَا بِالْحِجْرَةِ وَمَهَّدَتْ لَهُ سَبْعَةَ أَفْرِشَةٍ عَرَضُهَا أَرْبَعُ أَذْرُعَ ، فَأَصْبَحَ لَيْلَةً بَنَى بِهَا عَنْ تِسْعٍ . قَالَ : فَلَقِيَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهَا فَقَالَتْ : أَبَا حَفْصٍ فَدَيْتُكَ ! قَدْ كَمَلْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا .

وقال مصعب في خبره إنَّ بشرًا بعث إليها عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ يَخْطُبُهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا مِصْرَاعُ قَلَّةُ ! أَمَّا وَجَدَ بِشَرُّ رَسُولًا إِلَى ابْنَةِ عَمِّكَ غَيْرَكَ ! فَأَيْنَ بِكَ عَنْ نَفْسِكَ ؟! قَالَ : أَوْ تَفْعَلِينَ ؟ قَالَتْ نَعَمْ ، فَتَزَوَّجْهَا . وَقَالَ مَصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ فِي خَبَرِهِ : لَمَّا بَنَى بِهَا عُمَرُ قَالَ لَهَا : لِأَقْتُلَنَّكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَمْ يَصْنَعْ إِلَّا وَاحِدَةً . فَقَالَتْ لَهُ لَمَّا أَصْبَحَ : قُمْ يَا قَتْلُ . قَالَ : وَقَالَتْ لَهُ حَيْثَنِي :

قَدْ رَأَيْتُكَ فَلَمْ تَحُلْ لَنَا وَبَلُونَاكَ فَلَمْ نَرْضَ الْخَيْرَ

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزُّبَيْرِيِّ وعصبية . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق .

[ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبد الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مَهْرُويه عن ابن أبي سعد عن القَحْذَمِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ

عبيد الله لما قَدِمَ الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل إليها ألف ألف درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية ، وقال لمولاتها : لك علي ألف دينارٍ إن دخلتُ بها الليلة . وأمر بالمال فحُمِلَ فألقي في الدار وغطّي بالثياب . وخرجت عائشة فقالت لمولاتها . أهذا فرشٌ أم ثياب ؟ قالت : انظري إليه ، فنظرت فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزأ من حمل هذا أن يبيت عزباً ؟ قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ؟ فوجهك والله أحسن من كل زينة ، وما تمُدّين يذك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمْتُ عليك أن تأذني له . قالت : افعلي . فذهبت إليه فقالت له : بت بنا الليلة . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأذني إليه طعاماً فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان ، وغسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضأ ، وقام يصلي حتى ضاق صدري ونمتُ ، ثم قال : أعلّيكم إذن ؟ قلت : نعم ، فادخل ، فأدخلته وأسبلت الستر عليهما . فعددت له في بقيّة الليل على قلّتها سبع عشرة مرّة دخل المتوضأ فيها . فلما أصبحنا وقفْتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ والله ما رأيتُ مثلك ، أكلتُ أكلَ سبعة ، وصليت صلاةَ سبعة ، ونكّنتُ نيكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على منكِبِ عائشة ، فضجّكت وغطّت وجهها وقالت :

قد رأيناك فلم تحل لنا ويلوناك فم نرضَ الخبر
ويدل أيضاً على بطلان خبره أنه لما مات ندبته قائمة ، ولم تندب أحداً من أزواجها إلا جالسةً فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمهم عليّ وأمسهم رجماً بي ، وأردتُ ألا أتزوّج بعده . وكانت تُدبُّ المرأةَ زوجها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تزوّج بعد زوجها . أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلام . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها

[في خلوتها مع عمر]

قال المدائني في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحيت ، ودخل عمر بن عبيد الله ، وكنتُ بحيثُ أسمع كلامهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا ننشهي لهذه الفحول بكل ما حرّكها وكل ما قدرنا عليه .

[ندم ضررتها بعد أن رأتها متجردة]

قال المدائني : وحدثني مسلمة بن مُحارب قال : قالت رَمْلَةٌ بنت عبد الله بن خَلَفٍ -

وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنة طلحة الجود - لمولاة لعائشة بنت طلحة : أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم . فأخبرت عائشة بذلك . قالت : فإنني أتجرد ، فأعلميها ولا تعرفيها أنني أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومديرة ، فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم ، وقالت : لوددت أنني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها . قال : وكانت رملة قد أسنت ، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف . وفيها وفي عائشة يقول الشاعر :

انعم بعائش عيشاً غير ذي رنق وإن بد رملة نبذ الجورب الخلق
ويقال : إن رملة قد أسنت عند عمر بن عبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيام إقرائها ثم تغتسل ، تربيه أنها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حيضها . فقال في ذلك بعض الشعراء : [من الخفيف]

جعل الله كل قطرة حيض
قطرت منك في حماليق عيني

[أخبار لها مع عمر بن عبيد الله]

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة . وذكر هارون بن الزيات عن أبي محلم عن أبي بكر بن عياش قال : قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفس : ما مر بي مثل يوم أبي فديك¹ . فقالت له : اعدد أيامك واذكر أفضلها ، فعدت يوم سجستان ويوم قطري بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه . قال : وأي يوم ؟ قالت : يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر . تريد قبح وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانين سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين ، فتأيمت بعده ، فخطبها جماعة فردتهم ، ولم تتزوج بعده أحداً .

قال المدائني : كان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرة ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها : انفضي التراب عني . فأخذت مندبلاً تنفض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حماد بن جميل حدثني القحطمي قال : كانت عائشة بنت طلحة من أشد الناس مغايظة لأزواجها ، وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء

1 أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، قُتل في معركة مع جيش عبد الملك بن مروان سنة 73 هـ .

الأمير ضُمَّتْ عليها مِطْرَفُهَا وَقَطَّبَتْ . وكانت كثيراً ما تَصِفُ لعمر بن عبيد الله مصعباً وجماله ، تَغِيظُهُ بِذَلِكَ فيكاد يموت .
[طلبت من الوليد بن عبد الملك أَعُوْناً حين حَجَّتْ]

وقال المدائني حَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بن مُحَارِبٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بن فائِدٍ ، وأخبرنا به جَرْمِيٌّ عن الزبير عن عمِّه ومحمد بن الضحَّاك ، قالوا : دخلتُ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بِمَكَّةَ ، فقالت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُرِّي بِأَعُوْانٍ . فَضَمَّ إِلَيْهَا قَوْماً يَكُونُونَ مَعَهَا ، فَحَجَّتْ وَمَعَهَا سِتُّونَ بَغْلاً عَلَيْهَا الْهُوَادِجُ وَالرَّحَائِلُ . فَعَرَضَ لَهَا عُرْوَةُ بن الزبير فقال : [من الرجز]
عائشُ يا ذاتَ البغالِ السَّيِّئِ أَكُلُّ عامٍ هَكَذَا تَحْجِيْنِ
فأرسلت إليه : نَعَمْ يا عُرْيَةَ ، فَتَقَدَّمَ إِنْ شِئْتَ ؛ فَكَفَّ عَنْهَا . ولم تتزوَّجَ حتى مات .
[حَجَّتْ مع سَكِينَةَ بنتِ الحِسينِ]

وقال غير المدائني : إِنَّ عَائِشَةَ بنتَ طلحةَ حَجَّتْ وَسُكِّنَتْ بِنتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَعاً ، وكانت عائشةُ أَحْسَنَ آلَةٍ وَثَقْلًا¹ . فقال حادِيها : [من الرجز]
عائشُ يا ذاتَ البغالِ السَّيِّئِ لَا زِلْتَ مَا عِشْتَ كَذَا تَحْجِيْنِ
فَشَقَّ ذَلِكَ على سَكِينَةَ . ونزل حادِيها فقال : [من الرجز]
عائشُ هَذِي ضَرَّةٌ تَشْكُوكِ لَوْلَا أَبُوهَا مَا اهْتَدَى أَبُوكِ
فَأَمَرْتُ عَائِشَةَ حَادِيَهَا أَنْ يَكْفَ فَكَفَّ .
[بهر موكبها في الحج عاتكة بنت يزيد]

وقال : إِسْحَاقُ بن إِبراهيمَ في خبره حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن سَلَّامٍ عن يزيد بن عِيَّاض قال : استأذنتُ عاتكةَ بنتَ يزيد بن معاويةَ عبدَ الملكِ في الحجِّ ، فَأَذِنَ لَهَا وقال : ارفعي حوائجك واستظهري ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ بنتَ طلحةَ تَحْجُجُ ، ففعلتُ فجاءتُ بِهَيْئَةٍ جَهْدَتْ فِيهَا . فَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِذَا مَوْكِبٌ قد جاء فضغطها وفرَّقَ جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنتَ طلحةَ ، فسألتُ عنها فقالوا : هذه خازنتُها . ثم جاء موكبٌ آخرُ أعظمُ من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغطهم ، فسألتُ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها الْقِيَابُ وَالْهُوَادِجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .
[كبر عجيزتها مثار العجب]

وقال هارون بن الزيات حَدَّثَنِي قَبِيصَةُ عن ابن عائشة عن أمِّه عن سلامة مولاة جدِّته أَثِيلَةَ

بنت المغيرة بن عبد الله بن معمر قالت :

زُرْتُ مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفة¹ ، فرأيتُ عجيزتها من خلفها وهي جالسةٌ كأنها غيرها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلم ما هي ، فلمّا وجدتُ مسَّ أصبعي قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلْتُ فداءك ! لم أدِر ما هو ، فجئتُ لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مِنّا عَجِبْتَ منه .

[إعجاب أبي هريرة بجمالها]

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُربنة عن أبيه عن جدّه : أنّ عائشة نازعتُ زوجها إلى أبي هريرة ، فوقع خمارها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحَانَ اللَّهِ ؛ ما أحسنَ ما غَدَاكَ أَهْلُكَ ! لكأنّما خرجتِ من الجنة !!

[إعجاب مَنْ بمجلس هشام بعلمها]

قال ابن عائشة وحدثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحة وَفَدَتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفَدَكَ ؟ قالت : حَبَسَتِ السماءُ المطرَ² ، وَمَنَعَ السلطانُ الحقَّ . قال : فَإِنِّي أَبُلُّ رَحِمَكَ وَأَعْرِفُ حَقَّكَ ، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمروا عندي الليلة فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلّا أفاضتُ معهم فيه ، وما طلعَ نجمٌ ولا غارَ إلّا سَمَّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أَيْنَ لك ؟ قالت : أخذتها عن خالتي عائشة . فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة .

[مرّ بها النُميري الشاعر فاستنشدته وخيره معها]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن المغيرة بن محمد المهلبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزّازيّ قال : لما تَأَيَّمَتِ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتتناضل بين الرّماة . فمرّ بها النُميريّ الشاعر ، فسألتُ عنه فنُسب لها ، فقالت : اتُّوْنِي به . فقالت له لما اتُّوْها به : أُشِدُّنِي ممّا قلتُ في زينب³ . فامتنع وقال : ابنةُ عمّي وقد صارتُ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لمّا فعلت . فأنشدّها قوله : [من الطويل]

نزلنَ بفَخٍّ ثمَّ رُحْنَ عشيّةً يُلَبِّينَ للرحمنِ مُعْتِمِرَاتٍ⁴

1 وصيفة : جارية شابة .

2 ل : القطر .

3 هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

4 فخ : وادٍ بمكة . الاعتمار : القصد والزيارة .

يخبُّن أطرافَ الأكُفِّ من التَّقَى ويخرجن شَطْرَ الليل مُعْتَجِرَاتٍ¹
ولمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيَّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
تَضَوِّعُ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قَلْتُ إِلَّا جَمِيلاً ، وَلَا وَصَفْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطِيئًا وَتَقَى وَدِينًا ، أَعْطَوْهُ أَلْفَ
دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى تَعَرَّضَ لَهَا ، فَقَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ فَجَاءَ . فَقَالَتْ : أَنْشِدْنِي مِنْ
شَعْرِكَ فِي زَيْنَبٍ . فَقَالَ : أَوْ أَنْشِدُكَ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ فَيْكَ ؟ فَوَثَبَ مَوَالِيهَا ، فَقَالَتْ : دَعُوهُ ؛
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ لَابْنَةَ عَمِّهِ ، هَاتِ . فَأَنْشَدَهَا :

ظَلَعَن الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بَلْبُكَ مَطْلَعِ الشَّرْقِ
وَتَنُوهُ تَثْقِلُهَا عَجِيزُتُهَا نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنُوءُ بِالْوَسْقِ
مَا صَبَّحَتْ زَوْجًا بَطَّلَعَتْهَا إِلَّا غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ²
قُرْشِيَّةٌ عَبَقَ الْعَبِيرُ بِهَا عَبَقَ الدُّهَانُ بِجَانِبِ الْحُقِّ
يِيضَاءُ مِنْ تَيْمٍ كَلِفَتْ بِهَا هَذَا الْجَنُونُ وَلَيْسَ بِالْعَشَقِ

قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا جَمِيلاً ، ذَكَرْتُ أَنِّي إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجًا بِوَجْهِهِ غَدَا بِكَوَاكِبِ
الطَّلَقِ ، وَأَنِّي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ . أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاكْسُوهُ
حُلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعْدُ لِأَتِيَانَا يَا نَمِيرِي .

[أَخْرَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الصَّلَاةَ لِنَتَمِّ طَوَافِهَا]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
وَلَّى الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ عَلَى مَكَّةَ . فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، وَخَرَجَ لِلصَّلَاةِ ، فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ بِنْتُ
طَلْحَةَ : قَدْ بَقِيَ مِنْ طَوَافِي شَيْءٍ لَمْ آتِهِ ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُهَا ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَكَفَّ عَنْ الْإِقَامَةِ ،
فَفَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَغَزَلَهُ . فَقَالَ : مَا أَهْوَنَ وَاللَّهِ غَضَبُهُ وَغَزَلُهُ إِذَا
عَلِيَ عِنْدَ رِضَاهَا عَنِّي .

[كَانَتْ مَعَانَا بِعَجِيزَتِهَا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : قَالَ سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : رَأَيْتُ عَائِشَةَ
بِنْتَ طَلْحَةَ بَعْنَى أَوْ مَسْجِدَ الْخَيْفِ ، فَسَأَلْتَنِي مَنْ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ . فَقَالَتْ : رَحِمَ اللَّهُ
مَصْعَبًا ؛ ثُمَّ ذَهَبَتْ تَقُومُ وَمَعَهَا امْرَأَتَانِ تَنْهَضَانِهَا ، فَأَعْجَزَتْهَا أَلْيَتَاهَا مِنْ عَظَمَتِهَا ، فَقَالَتْ : إِنِّي

1 الاعتجار : لِي الثَّوبِ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدَارَ تَحْتَ الْحَنْكِ .

2 زَوْجًا فِي ل : وَجْهًا .

بكما لمُعْنَةً ، فذكرتُ قولَ الحارث : [من الكامل]

وتنوء تُثْقِلُهَا عَجِيزُهَا نَهَضَ الضعيفُ ينوء بالوسقِ

وروى هذا الخبرَ هارون بن الزيات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عمرو بن خلاد عن المدائني قال : قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منك إلا معاوية أولَ يومٍ خطبَ على منبرِ رسول الله ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار في الليلة القُرَّة في عين المَقْرور .

[ردت أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال : كتب أبان بن سعيدٍ إلى أخيه يحيى يخطبُ عليه عائشة بنتَ طلحة . ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أيلة ؟ قال : أراد العزلة . قالت : اكتبُ إلى أخيك : [من الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُوًّا وَلَا مُسْتَنْفَعٌ بِكَ نَافِعٌ

صوت

[من الطويل]

إذا المَالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءه صَنِيعَةٌ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُهُ
مَنْعَتْ وبعضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِتْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ¹

عروضه من الطويل . توامقه : تفاعله من المواقة ، أي تَوَدَّه ويودُّك ؛ يقال وَمَقَّتْهُ أُمُّهُ أي أَحَبَّتْهُ . ويفتلتك أي يُخْرِجُهُ من يدك وَقَبْضَتِكَ . الشعر لكثير . والغناء للمالك بن أبي السَّمْح ، ويقال إنه للهذلي ، خفيفٌ ثقيلٌ أولُ بالبصرة .

[عمران الطلحي يمثل بيتين لكثير]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا طلحة بن عبد الله قال حدثني أبو معمرٍ عافية بن شيبَةَ قال حدثني العُتْبِيُّ قال : أفلس صَبْرَفِيٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمروا بابنِ عِمْرانِ الطَّلْحِيِّ وقد فتح بابُه واجتمع له أصحابه ، فسألوه ، ففرغَ بِمِخْصَرَتِهِ² ثم رفع رأسَه إليهم فقال :

[من الطويل]

إذا المَالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءه صَنِيعَةٌ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُهُ

1 حقائقه : أي حقوقه .

2 المِخْصَرَةُ : ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه .

بَخِلْتَ وبعضُ البُخلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ
 إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا نَتَدَقَّقُ فِي الْبَاطِلِ ، وَإِنْ لَنَا لِحَقُوقًا تَشْغَلُ فَضُولَ أَمْوَالِنَا ،
 وَمَا كُلُّ مَنْ أَفْلَسَ مِنْ صَيَارِفَةِ الْمَدِينَةِ قَدَرْنَا أَنْ نَجْبِرَهُ ؛ قَوْمُوا . قَالَ : فَقُمْنَا نَسْتَبِقُ الْبَابَ .
 [الأبرش يتمثل أمام هشام ببتي كثير]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلمة¹ المديني
 قال أخبرني أبي قال : كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مُمْلِقاً ليس في ديوانٍ ولا عطاء ،
 وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوماً : إن أمير المؤمنين مسابقٌ غدًا بين
 الخيل ، وقد أمرتُ الحرسَ ألاَّ يَغْرِضُوا لك حتى تكَلِّمه . قال : فسبقَ هشاماً يومئذٍ ابنٌ له ،
 وكان السبقُ يشتدُّ عليه . فعرضَ له الأنصاريُّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤٌ من الأنصار ،
 وقد بلغتُ هذه السنَّ ولستُ في ديوانٍ . فإن رأى أمير المؤمنين أن يَغْرِضَ لي فَعَلَ . قال : فأقبل
 عليه هشامٌ فقال : والله لا أَفْرِضُ لك حتَّى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ، ثم أقبل على
 الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جمعة
 يقول :

إذا المَالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءه صنيعةٌ تقوى أو خليلٌ تواقفه
 منعتَ وبعضُ المنعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فلم يفتلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ

* * *

[من شعر عمرو بن شاس]

صوت

[من الطويل]

فَوَانَدَمِي عَلَى الشَّبَابِ وَوَانَدَمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مِنِّي بَغِيرُ ذَمٍّ
 وَإِذْ إِخْوَتِي حَوْلِي وَإِذْ أَنَا شَامِخٌ وَإِذْ لَا أَجِيبُ الْعَاذِلَاتِ مِنَ الصَّمَمِ
 أَرَادَتْ عِرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدُّ عِرَاراً لِعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
 فَإِنْ كُنْتُ مِنِّي أَوْ تَرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبْتُ لَهُ الْأَدَمَ
 وَإِلَّا فَبَيْنِي مِثْلُ مَا بَانَ رَاكِبٌ تَيْمَمَ خِمْساً لَيْسَ فِي وَرْدِهِ يَتَمُّ²

1 ل : أبو سلمة .

2 فيج ديهان الحماسة :

فَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تَعَايَنَهَا مِنْهُ فَمَا أُمْلِكُ الشَّيْمَ
وَأَنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمُنْكَبِ الْعَمَمِ
وَأَنِّي لِأَعْطِيَ غَنَّتَهَا وَسَمِينَهَا وَأُسْرِي إِذَا مَا اللَّيْلُ ذُو الظُّلَمِ أَذْلَهُمُ
حِذَاراً عَلَى مَا كَانَ قَدَمٌ وَالِدِي إِذَا رَوَّحْتَهُمْ حَرَجَفْتُ تَطَرَّدَ الصَّرَمُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن شاس الأسدي . والغناء في الأول والثاني من الأبيات لمبعد ، ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق . وذكر عمرو أن فيهما لملك خفيف رمل بالنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هزج بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوري بالنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالنصر عن حبش ، وفيهما رمل مجهول وقيل : إنه لسليم . الشامخ : الذي يشمخ بأنفه زهواً وكبراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمة : الطبيعة . رُبْتُ¹ له : يعني للسمن فلا تفسده . والأدم جمع واحد أديم وجمعها أدم ، كما يقال أفيق وأفق² . واليتم³ : الغفلة والضبيعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختلج عن أمه . والعرب تقول : « لا تخلج الفصيل عن أمه ، فإن الذئب عالم بمكان الفصيل [اليتيم] » . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ، ومنه شكيمة اللجام ، وجمعها شكائم . قال عوفي القوافي :

أَقُولُ لِفَتَيَانِ كَرَامٍ تَرَوَّحُوا عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِنِ الشَّكَائِمُ

والواضح : الأبيض . والجون : الأسود والأبيض أيضاً ؛ وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجل عَمَمٌ ، وامرأة عَمَمٌ ، ورجل عَمِيمٌ ، وامرأة عَمِيمَةٌ ، ونخل عَمِيمٌ ، ونبت عَمِيمٌ . والسرى : السير ليلاً . وادلهم : اشتد سواده . والحرَجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصَّرَمُ : جمع صريمة وهي القطعة من الإبل يعني أن هذه الريح إذا هبت طرد الرعاء الإبل إلى مراحها وأعطائها فتسكن فيها .

1 الرب : خلاصة التمر بعد طبعه وعصره .

2 الأفق والأديم : الجلد المدبوغ .

3 قيل معنى اليتيم هنا : الإبطاء .

[187] - نسب عمرو بن شأس¹ وأخباره

في هذا الشعر وغيره

[نسبه]

هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسان وابنه عرار بن عمرو ، وكانت تؤذيه وتعيّره بسواده .

[شعر يخاطب به امرأته التي تؤذي ابنه عراراً]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابي : كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه ، ويقال لها أم حسان ، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عرار من أمة له سوداء ، وكانت تعيّرهُ وتؤذي عراراً وتشتّمهُ ويشتمها . فلما أُعيتْ عمراً قال فيها :

ديار ابنة السَّعْدِيِّ هِيَه تَكَلَّمِي	بدافقة الحومان فالسَّفَح من رَمَم ²
لَعَمْرُ ابنة السَّعْدِيِّ إِنِّي لَأَتَّقِي	خلاتق تُوْبِي في الثَّراء وفي العَدَم
وقفتُ بها ولم أكن قبلُ أرتجي	إذا الحبلُ من إحدى حَبائبي انصرم
وإني لُمزِرُ بِالْمَطِيِّ تَنَقُّلِي	عليه وإيقاعي المَهْدُ بالعِصَم ³
وإني لأُعْطِي غُثَّهَا وَسَمِينَهَا	وأُسْرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادلهم
إذا الثلجُ أضْحى في الديار كأنه	مَنائِرُ مِلْحٍ في السُّهول وفي الأَكَم ⁴
جِداراً على ما كان قدّم والدي	إذا رَوَّحتهم حَرَجَفَ تطرُد الصَّرَم
وأترك نَدْماني يَجُرُّ ثِيَابَهُ	وأوصالهُ من غير جُرْح ولا سَقَم ⁵
ولكنّها من رِيّة بعد رِيّة	مُعْتَقّة صهباء راووقها رَذَم ⁶

1 انظر أخباره في : ابن سلام الجمحي 46-47 والشعر والشعراء 425/1-426 والمرزباني 212-213 واللالي 750-751 .

2 هيه : للاستزادة . والحومان ورم : موضعان .

3 مزر : مستخف متهاون . العصم : القلائد ، واحدها عصمة .

4 منائر جمع منثر وهو اسم مكان من نثر .

5 الأوصال : المفاصل ، واحدها وصل .

6 راووق الخمر : ناجودها الذي تروّق فيه . الرذم : ممتلئ .

من العانيات من مُدامٍ كأنها مَذابِجُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بها الشَّمَمُ¹
 وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أُجيب العاذلات من الصممِ
 أَلَمْ يَأْتِهَا أَنِّي صَحَوْتُ وَأَنْتِي تحالمتُ حتى ما أعارِمُ من عَرَمٍ²
 وأطرقتُ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يرى مَساعِياً لِإِنْيِهِ الشُّجاعُ لقد أَرَمَ³
 وقد علمتُ سعداً بأنِّي عميدُها قديماً وأنِّي لستُ أَهْضِمُ من هَضَمِ
 يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهَضَّمُ فيطلبني بمثل ذلك ، أي أرفع نفسي عن هذا .
 خُزَيْمَةُ رَدَّانِي الْفَعَّالَ وَمَعَشَرَ⁴ قديماً بنوا لي سورةَ المَجْدِ والكَرَمِ⁵
 إذا ما وَرَدْنَا الماءَ كانت حُماتُه بنو أَسَدٍ يوماً على رَعَمٍ من رَعَمِ
 أرادت عِراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ عِراراً لَعَمْرِي بالهوانِ فقد ظَلَمَ
 [طَلَّقَ امرأته ثم ندم وقال شعراً]

وذكر باقيَ الأبيات . قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشَّيباني : فجهد عمرو بن شأس أن
 يُصلح بين ابنه وامرأته أمَّ حَسَّانَ فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلما رأى ذلك
 طَلَّقَها ، ثم نَدِمَ ولام نفسه ؛ فقال في ذلك :
 [من الطويل]

تَذَكَّرَ ذِكْرِي أُمِّ حَسَّانَ فاقشَعَرَّ على دُبُرٍ لَمَّا تَبَيَّنَ ما ائْتَمَرُ⁵
 فكِدْتُ أَذوقُ الموتَ لو أَنَّ عاشقاً أَمَرَ بِمُوساهِ الشَّوارِبِ فانتَحَرُ⁶
 تَذَكَّرْتُهَا وَهناَ وقد حال دونها رِيعانٌ وَقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشَّجَرُ⁷
 فكنتُ كذاتِ البَوِّ لما تَذَكَّرْتُ لها رُبْعاً حَتَّى لِمَعْهَدِهِ سَحَرُ⁸
 حِفَاضاً ولم تَنْزِعْ هَوايَ أَثِيمَةً كذلك شَأُو المَرءِ يَخْلِجُهُ القَدَرُ

- 1 العانيات : الأسيرات .
- 2 عرم عرامة وعراماً : إذا اشتدَّ .
- 3 الشُّجاع : الحيَّة الذَّكَر . وأزم : عضَّ .
- 4 رَدَّانِي : أَلْبَسَنِي . سورة المجد : منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .
- 5 ائتمر : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطيء أخرى .
- 6 الشَّوارب : عروق في الحلق .
- 7 الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر الليل . ورعان : جمع رَعَن وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل .
- 8 البَوِّ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والرَّيْع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول التاج .

قال ابن الأعرابي: الأئيمة الفعيلة من الإاثم ، وهي مرفوعة بفعلها ، كأنه قال : [لم] تنزع الأئيمة هواي . تَخْلِجُه : تَصْرِفُه . شَأُوهُ : هَمُّهُ وَنَيْتُهُ . قال وقال فيها أيضاً : [من الطويل]
 أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَخَلَّتْ¹
 رَجَعْتُ إِلَى صَدْرٍ كَجَرَّةٍ حَتَّمِ إِذَا قُرِعَتْ صِفْراً مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ²
 [خبر ابنه عرار مع عبد الملك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَلَّامٍ ، وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ قَالَ ابْنُ سَلَّامٍ : لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَشْعَثِ بَعَثَ بِرَأْسِهِ مَعَ عِرَارِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شَأْسِ الْأَسَدِيِّ ، فَلَمَّا وَرَدَ بِهِ وَأَوْصَلَ كِتَابَ الْحَجَّاجِ ، جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَعْجَبُ مِنْ بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ مَعَ سَوَادِهِ ، فَقَالَ مَتَمَثِّلاً : [من الطويل]
 وَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمُنْكَبِ الْعَمَمِ
 فَضَحِكَ عِرَارٌ مِنْ قَوْلِهِ ضَحِكاً غَاظَ عَبْدَ الْمَلِكِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مِمَّ ضَحِجْتَ وَيْحَكَ ؟! قَالَ :
 أَتَعْرِفُ عِرَاراً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ هُوَ . فَضَحِكَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ قَالَ : حَظٌّ وَافِقٌ كَلِمَةً ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَسَرَّحَهُ .
 [شعره في قتل ملك من غسان]

وقال الطوسي: أغار ملكٌ من ملوك غسان يقال له عديٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمير الغساني على بني أسدٍ ، فلقيته بنو سعدٍ بن ثعلبة بن دودان بالفُرات ورئيسهم ربيعة بن حُذَارٍ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعدٍ عديّاً ، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذَارٍ أخوا ربيعة ، وأُمُّهُمَا امْرَأَةٌ مِنْ كِنَانَةَ يُقَالُ لَهَا تُمَاضِيرُ إِحْدَى بَنِي قَرَّاسِ بْنِ غَنَمٍ وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَقِيدَةُ الْحَمَارِ . فَقَالَتْ فَاخْتَهَ بِنْتُ عَدِيٍّ :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى عَدِيٍّ رِمَاحَ بَنِي مُقَيْدَةِ الْحَمَارِ
 وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى عَدِيٍّ رِمَاحَ الْجِنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ
 تعني الحارث بن أبي شمير خاله .

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ ابْنِي حُذَارٍ بَعِيدُ الْهَمِّ طَلَّاعُ النَّجَارِ
 ويروى : «جواب الصحاري» . فقال عمرو بن شأس في ذلك : [من الطويل]

1 نهنتها : كفتها .

2 كجرة في ل : كطسة . والختتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة . وصلت : صوتت .

صوت

متى تَعْرِفِ العَيْنَانِ أَطْلَالَ دِمْنَةٍ ليلى بأعلى ذي مَعَارِكِ تَدْمَعَا¹
 على النحرِ والسُرْبَالِ حَتَّى تَبْلُغَ سَجُومٌ وَلَمْ تَجْزَعْ عَلَى الدَّارِ مَجْرَعَا
 خَلِيلِي عَوْجَا الْيَوْمِ نَقْضَ لُبَانَةٍ وَإِلَّا تَعُوجَا الْيَوْمَ لَا نَنْطَلِقُ مَعَا
 وَإِنْ تَنْظُرَانِي الْيَوْمَ أَتَبْعُكُمَا غَدَاً قِيَادَ الْجَنِيبِ أَوْ أَذِلَّ وَأَطْوَعَا

وهي قصيدة . غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سودوا ، وهي في غير هذا الموضع الحقد ؛ يقال : في صدره عُلْيٌّ إْحْنَةٌ ، وَتَرَةٌ ، وَضَبٌّ وَحَسِيكَةٌ ، وَدِمْنَةٌ . وَعُوجَا : احبسا وتلبثا ، عاج يَعُوجُ عِياجاً . وما أُعِيجُ بكلامك أي ما ألفت إليه . واللُبَانَةُ : الحاجة ؛ يقال : لي في كذا لُبَانَةٌ ولُبُونَةٌ وَلُمَاسَةٌ ، وَوَطَرٌ ، وَحَوْجَاءٌ ممدودةٌ . وقوله « لا ننتلق معاً » ، يقول إن لم تَقِفَا تأخرت عنكما ففترقنا . وتَنْظُرَانِي تَنْظِرَانِي ، يقال نظرتَه أَنْظُرُهُ ، وَأَنْظَرْتَهُ أَنْظِرُهُ ، إِنْظَاراً وَنَظِيرَةً أيضاً إذا أُخْرِجَتْ ؛ قال الله عز وجل : ﴿ فَنَظَرُوا إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ . والجَنِيبُ : المجنوب من فرس وغيره ، والجَنِيبُ أيضاً الذي يشتكى رِثْتَهُ من شدة العطش .

[شعره في خطبة ابنة مجاوره]

وقال الطوسي قال الأصمعي : جاور رجلٌ من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطبها عمرو إلى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لأنّي أكره أن يقول الناس غصبه أمره ، ولكن إذا أتيتُ قومي فاخطبها إليّ أزوِّجَكها . فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً إلا أن يُصِيبَهَا مَسِيَّةٌ . فلما ارتحل أبوها همّ عمرو بغزو قومها ، فسار في أثر أبيها . فلما وقعت عينه عليه وظفر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه . فلما رآها رجع مُسْتَحْيِياً متدُمماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ؛ فقال في ذلك :

صوت

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أماننا كَفَى لِمَطَايَانَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
 أليس يزيدُ العيسَ خِفَةً أَذْرُعُ وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى أَنْ تَكُونِي أَمَامِيَا²

1 ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .

2 الحسرى : جمع حسير وهي الدابة المتعبة .

ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى مَنِيَّته مني أبوك اللِّاليَا
ونحن بنو خير السَّبَّاع أَكِيْلَةً وأَحْرَبِه إِذَا تَنَفَّسَ عَادِيَا¹
بنو أَسَدٍ وَرَدٍ يَشُقُّ بِنَابِه عِظَامَ الرِّجَالِ لَا يُجِيبُ الرِّوَايَا
مَتَى تَدْعُ قَيْسًا أَدْعُ خِنْدِفَ إِنْهُمْ إِذَا مَا دُعُوا أَسْمَعَتْ ثَمَّ الدَّوَايَا
لَنَا خَاضِرٌ لَمْ يَخْضُرِ النَّاسُ مِثْلَهُ وَبَادٍ إِذَا عَدُّوا عَلَيْنَا الْبَوَادِيَا
الغناء لإسحاق الموصلي ثاني ثقيل في الأول والثاني من الأبيات ، وفيه لحن قديم .

[ابن سيرين ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُوبَه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا
الحِزَامِي قال حدثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أَبِي رُهم قال : قلت لابن سيرين :
ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ . حَسَنُهُ حَسَنٌ ، وَقِيحُهُ قَبِيحٌ . قلتُ : فما تقول في
النَّسِيب ؟ قال : لعلك تريد مثل قول الشاعر :

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعَيْسَ خِفَّةً أَذْرُعُ وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى أَنْ تَكُونِي أَمَامِيَا
قال : وأراد بإنشاده إِيَّاهَا أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَنِي أَخْفَظُ هَذَا الْجَنْسَ وَأُرْوِيهِ وَأَنْشَدْتُكَ إِيَّاهُ ، فَلَوْ
كَانَ بِهِ بَأْسٌ مَا أَنْشَدْتَهُ .

صوت

[من الطويل]

فَإِنْ تَكُنْ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بن عامرٍ
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ كَيْثٍ بِخَفَّانٍ خَادِرٍ
عروضه من الطويل . البواء بالبء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ بِيَوَاءٍ ، أي ما هو له
بكفء أن يُقْتَلَ به . و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة . وآل عوف نداء . وخَفَّانٌ : موضع
مشهور . وخادر : مقيم في مَكْمَنِهِ وَغِيْلِهِ ، وهو مأخوذ من الخدر² .

الشعر لليلي الأَخِيلِيَّة تَرثِي تَوْبَةَ بن الْحُمَيْرِ . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، رملٌ
بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ . وفي هذه
القصيدَة عِدَّةُ أَغَانٍ تُذَكَّرُ مع سائر ما قاله تَوْبَةُ في ليلي وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر
في مَقْتَلِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

1 أحره : أي أحرب السباع ، أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفترس الناس .

2 من معاني الخدر : أجمة الأسد .

[188] - ذكر ليلي ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها¹

وخبر مقتله

[نسب ليلي الأخيلية]

هي ليلي بنت عبد الله بن الرِّحَال ، وقيل ابن الرحالة ، بن شداد بن كعب بن معاوية ، وهو الأخيل وهو فارس الهَرَّار ، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحمير يهاوها .
[كان توبة بن الحمير يهاوها ونسبه]

وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل .
أخبرني بعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب بن نصر المهلب قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن عليّ أبو المغيرة قال حدثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدثني أنيس بن عمرو العامري قال : كان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية ، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث ، وكان يتعشق ليلي بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر ، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم ير منها إليه بشاشة ، فعلم أن ذلك لأمر ما كان ، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بني الأدلع أنه أتاها فتبعوه فقاتهم . فقال توبة في ذلك : [من الطويل]
نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها²
وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلي تبرقتُ فقد رأيتُ منها الغداة سُفورها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلي الأخيلية خرجت إليه في بُرقع . فلما شهِر أمره شكَّوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاها . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه . فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رُصد ، وأنها سَفرَت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجأ . وذلك قوله :

1 وردت ترجمتها في الشعر والشعراء 1/448-451 ، وثمة ذكر لها في ترجمة توبة بن الحمير 1/445-447 وفي الأمالي 1/86-89 .

2 النوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر ، ومثله النية . واستمر : استحکم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة .

وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلي تبرّعتُ فقد رابني منها الغداة سفورها
قال أبو عبيدة وحَدَّثني غيرُ أنيسَ أنه كان يُكثرُ زيارتها ، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْجَب¹ ،
وشكَّوه إلى قومه فلم يُقْلِع ، فتظلموا منه إلى السلطان فأهدر دمَه إن أتاها . وعلمتُ ليلي بذلك ،
وجاءها زوجها وكان غيورا فحلف لئن لم تُعلِّمه بمجيئه لَيَقْتُلنها ، ولئن أنذرتَه بذلك لَيَقْتُلنها .
قالت ليلي : وكنْتُ أعْرِفُ الوجهَ الذي يجيئني منه ، فرصدوه بموضعٍ ورصدته بآخر ، فلما أقبل
لم أقدر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسي . فلما رأى ذلك أنكره فركب
راحلته ومضى ففاتهم .

[ضافها رجل من بني كلاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثني أحمد بن معاوية بن
بكر قال حَدَّثني أبو زياد الكلابيُّ قال : خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي
إبلًا له حتى أَوْحَشَ² وأرْمَلَ² ، ثم أَمسى بأرض فنظر إلى بيتٍ بُوادٍ ، فأقبل حتى نزل حيث
ينزل الضيفُ ، فأبصر امرأةً وصبيانا يدورون بالخِباء فلم يكلمه أحدٌ . فلما كان بعد هذاةٍ من
الليل سمع جَرَجَرَةَ إبلٍ رائحةً ، وسمع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت ، ثم
تقدَّم فسمع الرجلُ يُناجي المرأةَ ويقول : ما هذا السَّوادُ حِذاءك ؟ قالت : راكبٌ أناخ بنا حين
غابتِ الشمسُ ولم أَكَلْهُ . فقال لها : كذبتِ ، ما هو إلا بعضُ خلأناك ، ونهض يضربها وهي
تناشده . قال الرجل : فسمعتُه يقول : والله لا أترك ضَرْبَكَ حتى يَأْتِيَ ضيفُك هذا فَيُغِيثَكَ .
فلما عِيلَ صبرُها قالت : يا صاحبَ البعير يا رَجُلُ ؛ وأخذ الصحميُّ هراوته ثم أقبل يُحْضِرُ³
حتى أتاها وهو يضربها ، فضربه ثلاثَ ضَرْباتٍ أو أربعاً ، ثم أدركته المرأةُ فقالت : يا عبد
الله ، ما لك ولنا ؟ نَحْ عَنَّا نَفْسُكَ ، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كُلَّها وقد ظنَّ أنه
قتل الرجل وهو لا يدري مِنَ الحيِّ بعدُ ، حتى أصبح في أخبيةٍ من الناس ، ورأى غنماً فيها أُمَّةٌ
مولَّدةٌ ، فسألها عن أشياء حتى بلغَ به الذكر ، فقال : أخبريني عن أناسٍ وجدتهم بشعْبٍ
كذا . فضجَّكت وقالت : إنَّكَ لتسألني عن شيء وأنت به عالمٌ . فقال : وما ذاك اللهُ بلادُك ؟
فوالله ما أنا به عالمٌ . قالت : ذاك خِباء ليلي الأخيلىَّة ، وهي أحسنُ الناس وجهاً ، وزوجها
رجلٌ غَيورٌ فهو يعزب بها عن الناس فلا يَحُلُّ بها معهم ، والله ما يَقْرُبُها أحدٌ ولا يَضِيفُها ،
فكيف نزلتَ أنتُ بها ؟ قال : إنَّما مررتُ فنظرتُ إلى الخِباء ولم أَقْرَبْهُ ، وكنمها الأمر .

1 ل : لم يرضهم .

2 أَوْحَشَ هنا : جاع . وأرْمَلَ : نفذ زاده .

3 الإحضار : العدو .

وتحدّث الناس عن رجل نزل بها فضرّ بها زوجها فضرّ به الرجل ولم يُدرَ مَنْ هو . فلما أُخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال :
[من الوافر]

ألا يا ليلَ أُختَ بني عُقيلٍ أنا الصّحفيُّ إن لم تعرّفيني
دعّني دعوةً فحجّرتُ عنها بصكّاتٍ رفعتُ بها يميني¹
فإنّ تكُ غيرةُ أُبرئك منها وإنّ تكُ قد جُننتَ فذا جُنوني

[سألهما الحجاج عن توبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا رشد بن حاتم الهلاليّ قال حدّثني أيّوب بن عمرو عن رجل يقال له ورّاء قال : سمعتُ الحجاج يقول لليلي الأخيلىة : إنّ شبّاك قد ذهب ، واضمحلّ أمرُك وأمرُ توبة ؛ فأقسم عليك إلّا صدّقني ، هل كانت بينكما ريةً قطُّ أو خاطبك في ذلك قطُّ ؟ فقالت : لا والله أيّها الأمير إلّا أنّه قال لي ليلةً وقد خلّونا كلمةً ظننتُ أنّه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلتُ له :

وذِي حاجةٍ قلنا له لا تبخ بها فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغٌ وحليلُ

فلا والله ما سمعت منه ريةً بعدها حتى فرّق بيننا الموت . قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عبادة بن عُقيل فاعلُ شرفاً ثم اهتِف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً من الدهر لا يسري إليّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له :

وعنه عفا ربّي وأحسنَ حفظه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع في قصيدة توبة :

نأتك بليلي دارها لا تزورها

صوت

حمامة بطن الواديّين ترنمي سقّاك من الغرّ العوّادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء داني بريرها²

1 حجت : دفعت وكففت .

2 البرير : ثمر الأراك .

وَأَشْرَفُ بِالْقَوْزِ الْيَفَاعَ لَعْنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا¹
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرَّقْتُ فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الْغَدَاةُ سَفُورُهَا
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ بَعْلُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا²
وَأَتَى إِذَا مَا زَرْتُهَا قَلْتُ يَا اسْلَمِي وَمَا كَانَ فِي قَوْلِي اسْلَمِي مَا يَضِيرُهَا
وَغَيَّرَنِي إِنْ كُنْتُ لَمَّا تَغَيَّرِي هَوَاجِرُ تَكْتَنِينَهَا وَأَسِيرُهَا
وَأَدْمَاءُ مَنْ سِيرَ الْمَهَارِي كَأَنَّهَا مَهَاءُ صُورٍ غَيْرَ مَا مَسَّ كُورُهَا³
قَطَعْتُ بِهَا أَجَوَازَ كُلِّ تَنُوفَةٍ مَخُوفٍ رَدَاهَا كَلَّمَا اسْتَنَّ مَوْرُهَا⁴
تَرَى ضَعْفَاءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ دَعَامِيصُ مَاءٍ نَشَّ عَنْهَا غَدِيرُهَا⁵

غَنَى فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَيَّاتِ الْأَوَّلَ فَلْيَحُجْ بِنَ أَبِي الْعَوْرَاءِ ثَانِيًا ثَقِيلًا بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .
وَعَنَى فِي الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ ابْنَ سُرَيْجٍ رَمَلًا بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَعَلَى بِنَ يَحْيَى الْمَنْجَمِ ،
وَذَكَرَ غَيْرُهُمَا أَنَّهُ لِحَمْدِ بِنِ إِسْحَاقَ بِنِ عَمْرٍو بِنَ بَرِّيعَ . وَعَنَى فِيهَا الْهَذْلُ ثَقِيلًا أَوَّلَ
بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ . وَعَنَى ابْنُ مُحْرَزٍ فِي «عَلَى دِمَاءِ الْبُذْنِ» وَالَّذِي بَعْدَهُ خَفِيفَ رَمَلٍ
بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وَعَنْ ابْنِ مِسْجَحٍ فِي :

وَغَيَّرَنِي إِنْ كُنْتُ لَمَّا تَغَيَّرِي

وَمَا بَعْدَهُ لَحْنٌ ذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ رَوَاهُ الْأَيَّاتُ وَأَمْرُهُ أَنْ يُغْنِيَ بِهَا ، أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ عَنْ عَمْرِ بْنِ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ الْمُوَصِّلِيِّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ فِي خَبَرٍ قَدْ
ذَكَرْتُهُ فِي أَخْبَارِ ابْنِ مِسْجَحٍ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ اللَّحْنَ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى .
[رَأَى الْأَصْمَعِيُّ فِي شَرْحِهِ]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بِالْأَنْبَارِ قَالَ حَدَّثَنِي مَنْ
أَتَشَدُّ الْأَصْمَعِيُّ :

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا

- 1 القوز : الكتيب من الرمل . واليفاع : المشرف .
- 2 البذن : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة .
- 3 الأدمة في الإبل : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والمهاري : جمع مهريّة وهي إبل منسوبة إلى مهرة أو إلى بلد . وسرها : محضها وأفضلها . المهاة : البقرة الوحشية . والصّوار : قطع البقر .
- 4 أجواز : جمع جوز ، وجوز كل شيء وسطه . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . واستنّ : هاج وثار . والمور : الغبار التي تثيره الرياح .
- 5 الدعاميص : دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت . نش : يبس ونضب .

وَأَتَيْتُ إِذَا مَا زَرْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمَى فَهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي اسْلَمَى مَا يَضِيرُهَا
فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : شَكْوَى مَظْلُومٍ ، وَفَعْلٌ ظَالِمٌ .

[مقتل توبة وسببه وكيف كان]

أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دُرَيْدَ إِجَازَةً عن أَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ عن أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَفَّافِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَرَوَاةُ أَبِي عُبَيْدَةَ أَتَمُّ وَاللَّفْظُ لَهُ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ الَّذِي هَاجَ مَقْتَلَ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ بْنِ حَزْمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ خَفَاجَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَقِيلٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَقِيلٍ لِحَاةٍ¹ ، ثُمَّ إِنَّ تَوْبَةَ شَهِدَ بَنِي خَفَاجَةَ وَبَنِي عَوْفٍ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ عِنْدَ هَمَّامِ بْنِ مُطَرَفٍ الْعُقَيْلِيِّ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ . قَالَ : وَكَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَئِذٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي عَامِرٍ . قَالَ : فَوُتِبَ ثَوْرُ بْنُ أَبِي سِمْعَانَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَقِيلٍ عَلَى تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ فَضَرِبَهُ بِجُرْزٍ² وَعَلَى تَوْبَةَ الدَّرْعُ وَالْبَيْضَةُ ، فَجَرَحَ أَنْفُ الْبَيْضَةِ وَجَهَ تَوْبَةَ . فَأَمَرَ هَمَّامُ بِثَوْرِ ابْنِ أَبِي سِمْعَانَ فَأَقْعَدَ بَيْنَ يَدَيْ تَوْبَةَ ، فَقَالَ : خُذْ بِحَقْلِكَ يَا تَوْبَةَ . فَقَالَ لَهُ تَوْبَةُ : مَا كَانَ هَذَا إِلَّا عَنْ أَمْرِكَ ، مَا كَانَ لِيَجْتَرِيَ عَلَيَّ عِنْدَ غَيْرِكَ . وَأَمَّ هَمَّامُ صُوبَانَةَ بِنْتَ جَوْنَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَقِيلٍ ، فَاتَّهَمَهُ تَوْبَةُ لَذَلِكَ ، فَانْصَرَفَ وَلَمْ يَقْتَصْ مِنْهُ . فَمَكَثُوا غَيْرَ كَثِيرٍ ، وَإِنَّ تَوْبَةَ بَلَغَهُ أَنَّ ثَوْرَ بْنَ أَبِي سِمْعَانَ خَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ رَهْطِهِ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ قُوبَاءُ يَرِيدُونَ مَا لَهُمْ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُرَيْرٌ بِبَثْلَيْثٍ ، قَالَ : وَبَيْنَهُمَا فَلَاةٌ ، فَاتَّبَعَهُ تَوْبَةُ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ وَبَحَثَ حَتَّى ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ عَقِيلٍ يُقَالُ لَهُ سَارِيَةُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَكَانَ صَدِيقًا لِتَوْبَةَ . فَقَالَ تَوْبَةُ : وَاللَّهِ لَا نَظَرُ لَهُمْ عِنْدَ سَارِيَةَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْهُ . فَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا حِينَ يُصْبِحُونَ . فَقَالَ لَهُمْ سَارِيَةُ : اذْرِعُوا³ اللَّيْلَ ؛ فَإِنِّي لَا أَمْنُ تَوْبَةَ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ فَإِنَّهُ لَا يَنَامُ عَنْ طَلَبِكُمْ . قَالَ : فَلَمَّا تَعَشَّوْا اذْرِعُوا اللَّيْلَ فِي الْفَلَاةِ . وَأَقْعَدَ لَهُ تَوْبَةُ رَجُلَيْنِ فَغَفَلَ صَاحِبَا تَوْبَةَ . فَلَمَّا ذَهَبَ اللَّيْلُ فَرِعَ تَوْبَةَ وَقَالَ : لَقَدْ اغْتَرَرْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ مَا صَنَعَا شَيْئًا ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَتَّهَمُ لَمْ يُصْبِحُوا بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، فَاقْتَصْ أَثَارَهُمْ ، فَإِذَا هُوَ بِأَثَرِ الْقَوْمِ قَدْ خَرَجُوا ، فَبَعَثَ إِلَى صَاحِبِيهِ فَأَتِيَاهُ ، فَقَالَ : دُونَكُمَا هَذَا الْجَمَلَ فَأَوْقِرَاهُ مِنَ الْمَاءِ فِي مَرَادَتَيْهِ ثُمَّ اتَّبِعَا أَثَرِي ، فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمَا أَنْ تُذَرَّ كَانِي فَإِنِّي سَأُنَوِّرُ لَكُمَا

1 الحاه : مصدر لاحاه ملاحاة ولحاه إذا نازعه .

2 الجرْز : عمود من حديد .

3 يقال : اذرع الليل وتدرعه إذا دخل فيه يسري ، كأنه لبس ظلمته .

إن أمسيتما دوني . وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى إذا انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل ترون سمراتٍ إلى جنب قرون بقرٍ ؟ ، وقرون بقر مكان هنالك ، فإن ذلك مقيّلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظلٌ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْرَةِ ، وذلك من أرمى من رُمى . فمن له يختلجه¹ دون القوم فلا يَنذرون² بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فاحذَرْ لا يَضُرَّكَ ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبين أصحابه فافعلْ . فخلّى طريقَ فرسه في غمضٍ³ من الأرض ، ثم دنا منه فحمل عليه ، فرماه ابن الحَبْرَةِ ، قال : وبنو الحَبْرَةِ ناسٌ من مذحجٍ في بني عَمَيْلٍ ، فعقرَ فرسَ عبد الله أخي توبة واختل⁴ السهمُ ساقَ عبد الله ، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذروهم ، فجمعوا ركبهم وكانت متفرقةً . قال وغشّيهُم توبة ومن معه ، فلما رأوا ذلك صَفَوْا رِحَالَهُمْ وجعلوا السَّمَرَاتِ في نحورهم وأخذوا سلاحهم وذرَقَهُمْ ، وزحف إليهم توبة ، فارتَمَى القومُ لا يُعْنِي أحدٌ منهم شيئاً في أحد . ثم إن توبةَ وكان يُتْرَسُ⁵ له أخوه عبد الله ، قال : يا أخي لا تُتْرَسْ لي ؛ فَإِنِّي رأيتُ ثوراً كثيراً ما يرفعُ التُّرْسَ ، عسى أن أوافق منه عند رَفْعِهِ مَرْمًى فأرميه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمَةٍ ثديه فصرعه . وجالَ القومُ فغشّيهُم توبةُ وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفرٍ . ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهمَ عني . قال توبة : ما وضعناه لنتزعه . فقال أصحابُ توبة : انجُ بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا ، فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد مُنَّا عَطْشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القوم الذين لا يَمْنَعُونَ ولا يَمْتَنَعُونَ ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبة : ما أنا بفاعلٍ وما هم إلا عَشِيرَتُكُمْ ، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماءً وأغسلُ عنهم دماءهم وأُخِيلُ⁶ عليهم من السَّبَاعِ والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومهم بهم بعمقٍ⁷ . فأقام توبةَ حتى أتته الراوية قبل الليل ، فسقاها من الماء وغسلَ عنهم الدماء ، وجعل في أساقِيهم⁸ ماءً ، ثم خيّلَ لهم بالثياب على الشجر ، ثم مضى حتى

1 يختلجه : ينتزعه .

2 فلا يَنذرون بنا : فلا يعلمون .

3 الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض .

4 اختله السهم : أصابه ونفذه .

5 يترس له : يستتره بالترس .

6 التخيل هنا : وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع .

7 عمق : موضع .

8 الأساقِي : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سقاء وهو وعاء الماء وفي مختار الأغاني «وجعل لهم في أشنانهم

ماء» والأشنان : جمع شن ، وهو القرية الخلق .

طَرَقَ من الليل ساريةَ بنِ عُوَيْرِ بنِ أَبِي عَدِيٍّ الْعُقَيْلِيَّ فقال : إِنَّا قد تركنا رهطاً من قومكم بِسَمَرَاتٍ من قُرُونِ بقر ، فَأَدْرِكُوهم ، فَمَنْ كان حياً فداووه ، وَمَنْ كان مَيِّتاً فادْفِنوه ، ثم انصرف فلحق بقومه . وصَبَحَ ساريةَ القَوْمَ فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يَمُتْ غيره . فلم يزل توبةَ خائفاً . وكان السَّلِيلُ بنُ ثَوْرِ المَقْتُولِ راعياً كَثِيراً الْبَغْيِ والشرِّ ، فأخبر بغرةَ من توبة وهو بَقْنَةُ من قِنانِ الشَّرَفِ يقال لها قُنَّةُ بني الحُمَيْرِ ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طَرَقَهُ ؛ فترقى توبةَ ورجلٌ من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو في الجبل : هأنذا مَنْ تَبْغُونُ فَاجْتَنِبُوا البيوت . فقالوا : إِنَّكُمْ لَنْ تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خذوا ما استدف¹ لكم من ماله ، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا . ثم إن توبة غزاهم ، فمرَّ على أَفْلَتَ بنِ حَزَنَ بنِ معاوية بن خفاجة بَيْطُنَ بَيْشَةَ . فقال : يا توبة أين تريد ؟ قال : أريد الصبيان من بني عَوْفِ بنِ عُقَيْلٍ . قال : لا تفعلْ فَإِنَّ القومَ قَاتِلُوكَ ، فمَهْلًا . قال : لا أفلح عنهم ما عشتُ ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرَّ به يُحْضِرُ و[هو] يرتجز ويقول : [من الرجز]

تَنْجُو إِذَا قِيلَ لَهَا يَعاطِرُ تنجو بهم من خَلَلِ الْأَمْشَاطِ²

حتى انتهى إلى مكانٍ ، يقال له حَجَرُ الرَّاشِدةِ ، ظليلٌ ، أَسْفَلُهُ كالعمود ، وأَعْلَاهُ منتشرٌ ، فاستظلَّ فيه [هو] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مَرَّتْ عليه إِبِلُ هُبَيْرَةَ بنِ السَّعِينِ أَخِي بني عَوْفِ بنِ عُقَيْلٍ واردةٌ ماءً لهم يقال له طَلُوبٌ ، فأخذها وخلقى طريقَ راعيها ، وقال له : إذا أَتَيْتَ صُدْعَ البقرة مولاك فَأَخْبِرْهُ أَنَّ توبةَ أَخَذَ الْإِبِلَ ، ثم انصرف توبةَ [يَطْرُدُ الْإِبِلَ] . قال : فلَمَّا ورد العبدُ على مولاة فأخبره نادى في بني عَوْفٍ وقال : حَتَّامَ هذا ؟ . فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه . ونهضت امرأةٌ من بني خَثْعَمٍ مِنْ بني الهِزَّةِ كانت في بني عَوْفٍ وكانت تُؤَخِّذُ³ لهم ، فقالت : أَرُونِي أَثَرَهُ ، فخرجوا بها فَأَرَوْهَا أَثَرَهُ ، فأخذتُ من تُرابِهِ فسافته فقالت : اطلُبوه فَإِنَّهُ [سَيُحْبِسُ] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلَاوَمُوا [بينهم] وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إِلَّا وقد سبقكم . قال : وخرج توبةَ حتى إذا كان بالمضجع من أرضِ بني كِلابِ جعل نِذارَتَهُ⁴ وحبس أصحابه . حتى إذا كان بِشِغْبٍ من هَضْبَةٍ يقال لها هِنْدٌ من كِبِدِ الْمَضْجَعِ جعل ابن عمُّ له يقال له قابضُ بن عبد الله رِيئَةً [له] على رأسِ الهضبة فقال : انظُرْ فَإِنَّ شَخْصَ لك شيء فأَعْلِمْنَا .

1 استدف : تهيأ وأمكن .

2 يَعاطِرُ : زجر للإبل ، ويزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

3 تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

4 النذارة : الإنذار .

فقال عبد الله بن الحمير: يا توبة إنك حائن¹، أذكرك الله، فوالله ما رأيت يوماً أشبهَ بِسَمَرَاتِ بني عوف يومَ أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه، فأنج إن كان بك نجاة. قال: دَعْنِي، فقد جعلتُ ربيئةً ينظرُ لنا. قال: ويرجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلاً من غنِي، فقالوا له: هل أحسستَ في مجيئك أثر خيلٍ أو أثر إبلٍ؟ قال: لا والله. قالوا: كذبتَ وضربوه. فقال: يا قوم لا تضربوني، فإنِّي لم أجِدْ أثراً، ولقد رأيتُ زُهاءَ كذا وكذا إبلاً شُخصاً في هاتيك الهَضبة، وما أدري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن رُويّة لينظر ما في الهَضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا، فحمل أولهم على القوم حتى غشي توبة، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا وقفت له، فخلّى طريقها، وغشي² الرجل فاعتنقه، فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُويّة فانتقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيد يناشده رَجِمَ صَفِيّةً، وصفية أم له من بني خفاجة. وغشي القوم توبة من ورائه فضربوه فقتلوه، وعَلَقَهُم عبدُ الله بن الحمير يَطْعَنُهُم بالرمح حتى انكسر. قال: فلما فرغوا من توبة لَوُوا على عبد الله بن الحمير فضربوا رجله فقطعوها. فلما وقع بالأرض أسرع سيفه وحده ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول: هَلُمُّوا، ولم يشعر القوم بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عُقيل، وولّى قابضٌ منهزماً حتى لحق بعبد العزيز بن زُرارة الكلابي فأخبره الخبر. قال: فركب عبدُ العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضمّ أخاه. ثم ترفع القوم إلى مروان بن الحكم، فكافأ بين الدّمين وحملت الجراحات. ونزل بنو عوف بن عُقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام.

[رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة: وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاة وخُتَم ومُهَرّة وبني الحارث بن كعب. وكانت بينهم وبين بني عُقيل مُغاورات، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يومٍ منها؛ فيصيب ما قدرَ عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبه القوم، فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حيناً. ثم إنه أغار في المرّة الأولى التي قُتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمير ورجلٌ يقال له قابض بن أبي عُقيل، فوجد القوم قد حنّروا فانصرف توبة مُحَقِّقاً لم يُصب شيئاً. فمرّ برجل من بني عوف بن عامر بن عُقيل مُتَنَحِّياً عن قومه، فقتله توبة وقتل رجلاً كان معه من

1 الحائن: الهالك.

2 غشيته هنا: لحقه وأدركه.

رَهْطِهِ وَاطَرَدَ إِلَيْهِمَا ، ثم خرج عامداً يريد عبد العزيز بن زُرارة بن جَزْءٍ بن سُفْيَان بن عَوْف بن كِلَاب ، وخرج ابنُ عَمِّ لُثُور بن أبي سِمْعَانَ المقتول ، فقال له خَزِيمَةُ : صِرْ إلى بني عَوْف بن عامر بن عَقِيلٍ فَأَخْبِرْهُمْ الخبرَ . فركبوا في طلب توبة فَأَدْرَكُوهُ في أرض بني خَفَاجَةَ ، وقد أَمِنَ في نفسه فنزل ، وقد كان أُسْرَى يومه وليته ، فاستظلَّ بِبُرْدِيهِ وألقى عنه دِرْعَهُ وخلَّى عن فرسه الخوصاء تتردّد قريباً منه ، وجعل قابضاً ربيّةً له ونام ، فأقبلت بنو عوف بن عامر مُتَقَاتِرِينَ لئلاَّ يَفْطِنَ لهم أحدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فَأَنْبَهَهُ . فقال توبة : ما رأيت ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد ، فنام ولم يكثر له ، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلّبتُه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُرْ بهم قابضٌ حتى غَشَوْهُ ، فلَمَّا رَأَاهُم طار على فرسه . وأقبل القومُ إلى توبة ، وكان أوّل مَنْ تقدّم غلامٌ أَمْرُدٌ على فرس عُرْيٍ¹ يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْب بن عَوْف بن عامر بن عَقِيلٍ ؛ ثم تلاه ابن عمّه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا . فلَمَّا سمع توبة وَقَعَ الخيل نهضَ وهو وَسْنَانٌ فلبس دِرْعَهُ على سيفه ثم صَوّت بفرسه الخوصاء فَأَتَتْهُ ، فلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَهَا أَهَوَتْ تَرَمَحَهُ² ، ثلاث مرّات ، فلَمَّا رَأَى ذلك لطمَ وجهها فأدبرت ، وحال القومُ بينه وبينها . فأخذ رُمَحَهُ وشدَّ على يزيد بن رُوَيْبَةَ فطعنهُ فَأَنْقَضَ فخذيه جميعاً . وشدَّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنهُ فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلَمَّا رَجَعَ عبد الله بعد ذلك إلى قومه لأموه وقالوا له : فَرَزْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحمير في ذلك . قال أبو عُبَيْدَةَ وَحَدَّثَنِي أَيْضاً مُزْرَع بن عبد الله بن هَمَام بن مُطَرِّف بن الأَعْلَم قال : كان أهلُ دارٍ من بني جُثَم بن بكر بن هوازِن يقال لهم بنو الشريد حلفاء لبني عداد بن خَفَاجَةَ في الإسلام ، فكان بينهم وبين خميس بن ربيعة رَهْطٌ قَوْمُهُ قتالٌ على مائةٍ تُدْعَى الحُلَيْفَةُ وعامتها لَجْدٌ بن هَمَام . قال وشهد عبد الله بن الحمير ذلك وهو أَعْرَج ، عَرَجَ يوم قُتِلَ توبة فلم يُغْنِ كثيرُ غَنَاءٍ . فقالت بنو عَقِيل : لو توبةُ تَلَقَّاهُمْ لَبُلُّوا [منه] بغيرِ أَفُوقِ ناضل³ .

[قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه]

[من الوافر]

فقال عبد الله بن الحمير يعتذر إليهم :

تَأَوَّنِي بِعَارِمَةِ الْهَمُومِ كما يعتادُ ذا الدِّينِ الْغَرِيمِ⁴

1 الفرس العربي : الذي لا سرج عليه .

2 ترمحه : ترفسه .

3 الأفوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناضل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط نصله . ونصل السهم : الحديدية التي في رأسه .

4 تأوَّني الشيء : رجع إليّ ليلاً . عارمة : موضع .

كأنَّ الهمَّ ليس يُريدُ غيري ولو أمسى له نَبْطٌ ورؤمٌ
 عَلامٌ تقومُ عاذلتني تلومُ تؤرّقني وما انجاب الصَّريمُ¹
 فقلتُ لها رويداً كي تجلّي غواشي النّومِ والليلُ البهيمُ
 ألما تعلّمي أنّي قديماً إذا ما شئتُ أعصي مَنْ يلومُ
 وأنّ المرءَ لا يذري إذا ما يهْمٌ عَلامٌ تحمله الهمومُ
 وقد تُعدي على الحاجاتِ حَرْفٌ كركنِ الرّغنِ ذِعلبةٌ عقيمُ²
 مُداخلَةُ الفقارِ وذاتُ لَوثٍ على الحُزَنِ مُقحمةٌ غشومُ³
 كأنَّ الرّحلَ منها فوق جأبٍ بذاتِ الحاذِ مَعْقِلُهُ الصَّريمُ⁴
 طباه يَرجلُهُ البقارِ برقٌ فبات الليلَ مُتصيّاً يَشِيمُ⁵
 فينا ذاك إذ هَبَطْتُ عليه دُلوحُ المَزنِ واهيةٌ هَزِيمُ⁶
 تهبُّ لها الشّمالُ فتمترىها ويَعْقُبُها بنافحةٌ نسيمُ⁷
 يُكَبُّ إذا الرّذاذُ جرى عليه كما يُصغِي إلى الآسي الأَمِيمُ⁸
 إذا ما قال أقشعُ جانباهُ نَشَتُ من كلّ ناحيةٍ غيومُ⁹
 فأشعرَ ليله أرقاً وقرأً يُسَهِّره كما أرقَ السَّليمُ
 ألا مَنْ يشتري رجلاً يَرجلُ تخونُها السَّلاحُ فما تَسمُومُ¹⁰

- 1 الصريم : الليل والصبح ، من الأضداد . وانجاب : انشق .
- 2 تعدي : تعين . والحرف هنا : النافقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل في الصلاة . الرغن : الجبل الطويل ، وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة .
- 3 اللوث هنا : القوة . الحزان : جمع خزين وهو المكان الغليظ المنقاد . ومن معاني المقحم : البعير الذي يسير في المفازة من غير راع ولا سائق . وغشوم : يريد أنها جريمة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يشيها شيء عن هواها .
- 4 الجأب : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ : موضع بنجد . والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل .
- 5 طباه : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع .
- 6 الدلوح من السحاب : كثير الماء . والواهية من السحاب : التي تنبت بالماء انبثاقاً شديداً . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك .
- 7 تمرتريها : تحتليها . والنافحة : وصف من نفحت الريح ، إذا هبت .
- 8 يكب في ل : يث ، ويكب : يريد أنه يطأ رأسه . يصغي : يميل . والأميم : المشجوج في أم رأسه أي دماغه .
- 9 نشت : أصله نشأت .
- 10 تخونها : تنقصها وغير حالها . والسوم هنا : سرعة المرء .

تَلُومُكَ فِي الْقِتَالِ بَنُو عُقَيْلٍ وَكَيْفَ قِتَالُ أَعْرَجٍ لَا يَقُومُ
وَلَوْ كُنْتُ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَقَاتَلَ لَا أَلْفٌ وَلَا سِتُومٌ¹
وَلَا جَثَامَةٌ وَرَعَ هَيُوبٌ وَلَا ضَرَعٌ إِذَا يُمْسِي جَثُومٌ²

قال : ثم إنَّ خَفَاجَةَ رَهْطَ تَوْبَةَ جَمَعُوا لِبَنِي عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ الَّذِينَ قَتَلُوا تَوْبَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبْرُ لَحِقُوا بِبَنِي الْحَارِثِ بِمِ كَعْبٍ ، ثُمَّ افْتَرَقَتْ بَنُو خَفَاجَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَوْفٍ رَجَعُوا ، فَجَمَعَتْ لَهُمْ بَنُو خَفَاجَةَ أَيْضاً قِبَائِلَ عُقَيْلٍ . فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ لَحِقُوا بِالْحَزِيرَةِ فَنَزَلُوهَا ؛ وَهُمْ رَهْطُ إِسْحَاقَ بْنِ مُسَافِرِ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ . ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ صَارُوا فِي أَمْرِهِمْ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالُوا : نَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَفَرِّقَ جَمَاعَتَنَا ، فَعَقَلَ³ تَوْبَةَ وَعَقَلَ الْآخَرِينَ مَعَاقِلَ الْعَرَبِ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَأَذْنَتْهَا بَنُو عَامِرٍ . قَالَ : فَخَرَجْتُ بَنُو عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ قَتَلُوا تَوْبَةَ فَلَحِقُوا بِالْحَزِيرَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ بِالْعَالِيَةِ⁴ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأَقَامَتْ بَنُو رِبِيعَةَ بْنِ عُقَيْلٍ وَعُرُوةُ بْنُ عُقَيْلٍ وَعُبَادَةُ بْنُ عُقَيْلٍ بِمَكَانِهِمْ بِالْبَادِيَةِ .

[رواية أبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة وحدثنا مُزَرَّعُ بْنُ عَمْرِو بْنِ هَتَّامٍ ، قَالَ أَبُو عبيدة : وَكَانَ مَعِيَ أَبُو الْخَطَّابِ وَغَيْرُهُ ، قَالَ : تَوْبَةُ بْنُ حُمَيْرٍ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ خَفَاجَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُقَيْلٍ ، وَأُمُّهُ زُبَيْدَةُ . فَهَاجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّلِيلِ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ أَبِي سَمْعَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقَيْلٍ كَلَامٌ ، وَكَانَ شَرِيحاً وَنَظِيرَ تَوْبَةَ فِي الْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ ، فَبَلَغَ الْحَوْرُ⁵ (وَهُوَ الْكَلَامُ) إِلَى أَنْ أَوْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَالْتَقَى بَعْدَ ذَلِكَ تَوْبَةُ وَالسَّلِيلُ عَلَى غَدِيرٍ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ ، فَرَمَى تَوْبَةُ السَّلِيلَ فَقَتَلَتْهُ . ثُمَّ إِنَّ تَوْبَةَ أَغَارَ ثَانِيَةً عَلَى إِبِلِ بَنِي السَّمِينِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقَيْلٍ وَارْدَةً مَاءَهُمْ فَاطْرَدَهَا . وَاتَّبَعُوهُ وَهُمْ سَبْعَةٌ نَفَرٌ : يَزِيدُ بْنُ رُوَيْبَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ أَبُو عبيدة : وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ هَؤُلَاءِ ، فَانْصَرَفُوا يَجْنُبُونَ⁶ الْخَيْلَ يَحْمِلُونَ الْمَزَادَ ، فَقَصَّوْا أَثَرَ تَوْبَةَ وَأَصْحَابِهِ فَوَجَدُوهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا فِي الْمَضْجَعِ مِنْ أَرْضِ بَنِي كِلَابٍ فِي أَرْضِ

1 الألف هنا : الرجل الثقيل الكثير اللحم . وهو أيضاً المقرون الحاجين . وسثوم : ملول .

2 الجثامة هنا : النّوم الذي لا ينهض للمكّارم أو البليد . والورع : الجبان والضعيف الضعيف لا غناء عنده .

والضرع : الضعيف الجبان . والجثوم الذي يلزم مكانه فلا يبرح ، والذي يتلبذ بالأرض .

3 عقل فلاناً : وداه أي دفع ديته .

4 العالوية : اسم لكلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرهما إلى تهامة .

5 الحور : الاسم من المحاوراة .

6 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

دَمِيَّةٌ¹ تَرِيَّةٌ ، فَضَلَّتْ فَرَسُ تَوْبَةَ الْخَوَصَاءِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَقَامَ وَاضْطَجَعَ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَسَاقَ أَصْحَابُ الْإِبِلِ ، وَهَمَّ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ سِوَى تَوْبَةَ : الْمُحَرِّزُ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ كِلَابٍ ، وَقَابِضُ بْنُ أَبِي عَقِيلٍ أَحَدُ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْرٍ أَخُو تَوْبَةَ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ تَوْبَةُ إِذَا فَرَسُهُ الْخَوَصَاءُ رَاتِعَةٌ أَذْنَى ظَلَمَ² قَرْيَةً مِنْهُ لَيْسَ دُونَهَا وَجَاحٌ³ فَأَشْلَاهَا⁴ حَتَّى أَتَتْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَعدُّو حَتَّى لَحِقَ بِأَصْحَابِهِ ، فَانْتَهَوْا إِلَى هَضْبَةٍ بِكَيْدِ الْمُضْجَعِ ، فَارْتَقَى تَوْبَةُ فَوْقَهَا يَنْظُرُ الطَّلَبُ⁵ ، فَرَأَاهُ الْقَوْمُ وَلَمْ يَرَوْهُمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَبَالَتِ الْخَوَصَاءُ حِينَ انْتَهَتْ إِلَى الْهَضْبَةِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : إِنَّهُ لَطَائِرٌ أَوْ إِنْسَانٌ . فَرَكِبَ يَزِيدُ بْنُ رُوَيْبَةَ وَكَانَ أَحَدُ الْقَوْمِ سَيِّئًا ، وَأُمُّهُ بِنْتُ عَمِّ تَوْبَةَ ، فَأَغَارَ رَكْضًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْهَضْبَةِ ، فَإِذَا بُولُ الْفَرَسِ وَعَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ رَعْوَتِهِ ، وَإِذَا أَثَرُ تَوْبَةَ يَعْرِفُونَهُ ، فَجَرَعَ فَخَبَّرَ أَصْحَابَهُ . وَانْدَفَعَ تَوْبَةُ وَأَصْحَابُهَا حَتَّى نَزَلُوا إِلَى طَرْفِ هَضْبَةٍ يُقَالُ لَهَا الشَّجَرُ مِنْ أَرْضِ بَنِي كِلَابٍ ، فَقَالُوا بِالْظُّهْرِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ شَيْعَرُهُ إِلَّا وَالْإِبِلُ قَدْ نَفَرَتْ ، وَكَانَتْ بَرَكًا⁶ بِالْهَاجِرَةِ ، مِنْ وَثِدٍ⁷ الْخَيْلِ . فَوَثَبَ تَوْبَةُ ، وَكَانَ لَا يَضَعُ السَّيْفَ ، فَصَبَّ الدَّرْعُ عَلَى السَّيْفِ مَتَقَلَّدَهُ وَهَلَا ، وَدَاجَتِ الْقَوْمُ ، فَطَلَبَ قَائِمَ السَّيْفِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ تَحْتَ الدَّرْعِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ سَلَّهُ ، فَطَارَ إِلَى الرُّمْحِ فَأَخَذَهُ ، فَأَهْوَى بِهِ طَعْنًا إِلَى يَزِيدَ بْنِ رُوَيْبَةَ ، وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ عَاهِدَ اللَّهِ لَيَقْتُلَنَّهُ أَوْ لَيَأْخُذَنَّهُ ، فَأَنْفَذَ فَخَذَ يَزِيدَ ، وَاعْتَنَقَهُ يَزِيدُ فَعَضَّ بَوَجَّتَيْهِ ، وَاسْتَدْبَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بِالسَّيْفِ فَفَلَقَ رَأْسَ تَوْبَةَ . وَهَيَّتَ⁸ تَوْبَةُ حِينَ اعْتَوَرَهُ الرَّجُلَانِ بِقَابِضٍ : يَا قَابِضُ فَلَمْ يَلَوْ عَلَيْهِ ، وَفَرَّ قَابِضٌ [و] الْكِلَابِيُّ ، وَذَبَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْرٍ عَنْ أَخِيهِ ؛ فَأَهْوَى لَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ فَاخْتَلَعَتْ (أَيَّ سَقَطَتْ) . فَأَتَى قَابِضٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَلِكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَّارَةَ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ فَقَالَ : قُتِلَ تَوْبَةُ . فَنَادَى فِي قَوْمِهِ ، فَجَاءَهُ أَبُوهُ زُرَّارَةُ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : قُتِلَ تَوْبَةُ . فَقَالَ أَبُوهُ طُوطُ سُخْقًا لَكَ ! أَتَطْلُبُ بَدْمَ تَوْبَةَ أَنْ قَتَلْتَهُ بَنُو عَقِيلٍ ظَالِمًا لَهَا بِأَغْيَا عَادِيًا عَلَيْهَا ! قَالَ لَكُنِّي أَجْنَهُ إِذَا . قَالَ أَبُوهُ : أَمَّا هَذِهِ فَتَنَعَم . فَأَلْقَى السَّلَاحَ وَانْطَلَقَ حَتَّى أَجْنَهُ ، وَحَمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُمَيْرٍ . قَالَ : فَاهْلُ الْبَادِيَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَرِّزًا سَجِرَ فَأَخِذَ عَنْ سَيْفِهِ .

1 الأرض الديمة : السهلة اللينة .

2 أذنى ظلم : أي أذنى شيء .

3 الوجاح : الستر .

4 أشلى الدابة : دعاها إليه .

5 الطلب هنا : جمع لطالب .

6 البرك هنا : جماعة الإبل المباركة .

7 الوثيد هنا : الصوت العالي الشديد .

8 هيت بفلان : صاح به ودعاه .

[رثت ليلي توبة بعدة قصائد]

فقلت ليلي الأخيلية بنت عبد الله بن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية فارس الهزار بن عبادة بن عقيل :

نظرتُ ورُكُنُ من ذِقَانَيْنِ دُونَهُ مَقَاوِزُ حَوْضِي أَيَّ نَظْرَةٍ نَاطِرٍ¹
لَأَوْسَ إِنِّ لَمْ يَقْصُرِ الطَّرْفُ عَنْهُمْ فلم تَقْصُرِ الْأَخْبَارُ وَالطَّرْفُ قَاصِرِي
فَوَارِسَ أَجْلَى شَأُوهَا عَنْ عَقِيرَةٍ لِعَاقِرِهَا فِيهَا عَقِيرَةٌ عَاقِرٍ
شَأُوهَا : سُرْعَتُهَا وَهُوَ الطَّلُقُ وَجَرِيهَا ، وَقَالَ غَيْرُهُ : غَايَتُهَا . عَقِيرَةٌ : تَعْنِي تَوْبَةً . لِعَاقِرِهَا : تَعْنِي لِعَاقِرِ تَوْبَةٍ ، تُرِيدُ يَزِيدَ بْنِ رُوَيْبَةَ . وَوَجْهٌ آخَرُ : فِي عَقِيرَةٍ عَاقِرٍ مَعْنَى مَدَحٍ أَيَّ عَقِيرَةٍ كَرِيمَةٍ لِعَاقِرِهَا . وَوَجْهٌ آخَرُ : عَقِيرَةٌ لِعَاقِرِهَا : فِيهَا الْهَلَاكُ بَعْقَرِهَا .

فَانَسْتُ خَيْلًا بِالرُّقْيِ مُغِيرَةً سَوَابِقُهَا مِثْلُ الْقَطَا الْمُتَوَاتِرِ²
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ وَأَبْصَرُ دُونَهُ قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ قَتِيلُ يُحَابِرِ³
تَوَارِدَهُ أَسْيَافُهُمْ فَكَأَنَّمَا تَصَادَرْنَ عَنْ أَقْطَاعِ أَبْيَضَ بَاتِرٍ⁴
مِنَ الْهِنْدُوَانِيَّاتِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ دَمٌ زَلَّ عَنْ أَثَرٍ مِنَ السَّيْفِ ظَاهِرٍ⁵
أَتَتْهُ الْمَنَايَا دُونَ زَغْفٍ حَصِينَةٍ وَأَسْمَرُ خَطُّيْ وَخَوْصَاءُ ضَامِرٍ⁶
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءِ السَّرَاةِ وَسَابِحٍ دَرَّانَ بِشُبَّاكِ الْحَدِيدِ زَوَافِرٍ⁷
عَوَابِسَ تَعْدُو الثَّغْلِيَّةَ ضُمْرًا وَهُنَّ شَوَاحٍ بِالشَّكِيمِ الشَّوَاغِرِ⁸
فَلَا يُعْدِنُكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا لِقَاءَ الْمَنَايَا دَارِعًا مِثْلُ حَاسِرٍ

- 1 ذِقَان : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب . وحوضي هنا : نجد من منازل بني عقيل ، وهو أيضاً : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة ينتهي إلى ابن كلاب .
- 2 الرقي : موضع . المتواتر : الذي يجيء بعضه إثر بعض .
- 3 أبصر : موضع ببلاد بني عقيل .
- 4 الأقطاع : جمع قطع وهو ما قطع من حديد أو غيره .
- 5 الأثر : فرند السيف وروقه .
- 6 الزغف : الدروع المحكمة . والخوصاء الضامر : الفرس .
- 7 الجرداء من الخيل : القصير الشعر ، وهو مدح في الخيل . السراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجري .
- 8 الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فائحات أفواهها . والشكيم : واحده شكيمة وهي الحديدية المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة .

فإِلَّا تَكُ الْقَتْلَى بَوَاءٌ فَإِنَّكُمْ
وإنَّ السَّيْلَ إِذْ يَبَاوِي قَتِيلَكُمْ
فإن تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءٌ فَإِنَّكُمْ
فَتَى لَا تَخْطَاهُ الرَّفَاقُ وَلَا يَرَى
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ رِمَاحَهَا
إِذَا مَا رَأَتْهُ قَائِمًا بِسِلَاحِهِ
إِذَا لَمْ يَجُذْ مِنْهَا بِرِسْلٍ فَقَصْرُهُ
قَرَى سَيْفَهُ مِنْهَا مُشَاشًا وَضَيْفَهُ
وَتَوْبَةُ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
وَنَعَمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا
فَتَى يُنْهَلُ الْحَاجَاتِ ثُمَّ يَعْلُهَا

سَتَلْقَوْنَ يَوْمًا وَرْدَهُ غَيْرُ صَادِرٍ¹
كَمُوحَمَةٍ مِنْ عَرَكِهَا غَيْرِ طَاهِرٍ²
فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بَنَ عَامِرٍ
لِقَدْرِ عِيَالٍ دُونَ جَارٍ مُجَاوِرٍ
لِتَوْبَةٍ فِي نَحْسِ الشَّتَاءِ الصَّنَابِرِ³
تَقْتَهُ الْخِيفَةُ بِالثَّقَالِ الْبَهَازِرِ⁴
ذُرَى الْمُرْهَقَاتِ وَالْقِلَاصِ التَّوَاجِرِ⁵
سَنَامَ الْمَهَارِسِ السَّبَاطِ الْمَشَافِرِ⁶
وَأَجْرًا مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانٍ خَادِرٍ⁷
وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ⁸
فِيُطْلِعُهَا عَنْهُ ثَنِيَا الْمَصَادِرِ⁹

صوت

[من الطويل]

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخِ
وَلَمْ يَنْ أَبْرَادًا عِتَاقًا لِفَتِيَةٍ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَرِيضٍ وَهُوَ مِنْ خَاصِّ صُنْعَتِهِ وَغَنَائِهِ .

1 يباوي : يساوي .

2 ومرحومة : بها داء الرحم . والعرك : الحيض .

3 الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السنام من الإبل . والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . يقال : أخذت الإبل رماحها : إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها . ونحس الشتاء : ريجه الباردة . وصنابر الشتاء : شدة برده .

4 البهازر من الإبل : العظام ، واحدها بهزرة .

5 الرسل : اللبن . والمرهقات : الدقيقات والتواجر هنا : الإبل النافقة في التجارة وفي السوق .

6 المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهريس من الإبل : الجسم الثقيل . ورباط المشافر : طوليتها .

7 خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر : مقيم .

8 صدر البيت في ل : ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجراً .

9 الكراكر : جمع كركرة وهي هنا رعى زور البعير أو صدره .

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عَنْهُ وَبَطْنُهُ
 فَتَى كَانَ لِلْمَوْلَى سَنَاءً وَرَفْعَةً
 وَلَمْ يُذْغْ يَوْمًا لِلْحِفَاطِ وَلِلنَّادَا
 وَلِلْبَازِلِ الْكُومَاءِ يَرْغُو حُورَاهَا
 كَأَنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ فَلَائَةً وَلَمْ تُنْخِ
 وَتُصْنِخْ بِمَوْمَاءٍ كَأَنَّ صَرِيفَهَا
 طَوَتْ نَفْعَهَا عَنَّا كِلَابٌ وَأَسَدَتْ
 وَقَدْ كَانَ حَقًّا أَنْ تَقُولَ سَرَاتُهُمْ
 وَدَوِيَّةٌ قَفَرٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
 فَاللَّهُ تَبَيَّنِي بَيْتَهَا أُمُّ عَاصِمٍ
 فَلَيْسَ شِهَابُ الْحَرْبِ تَوْبَةً بَعْدَهَا
 وَقَدْ كَانَ طَلَّاعُ النَّجَادِ وَيِّنُ الدِّ
 وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْحَادِثَاتِ إِذَا انْتَحَى
 وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظُلَامَةً

لَطِيفٌ كَطَيِّ السَّبِّ لَيْسَ بِحَادِرٍ¹
 وَلِلطَّارِقِ السَّارِي قَرَى غَيْرَ بَاسِرٍ²
 وَلِلْحَرْبِ يَرْمِي نَارَهَا بِالشَّرَائِرِ
 وَلِلخَيْلِ تَعْدُو بِالْكَوْمَاءِ الْمَسَاعِرِ³
 قِلَاصًا لَدَى فَأُو مِنْ الْأَرْضِ غَاثِرٍ⁴
 صَرِيفُ خَطَاطِيفِ الصَّرَى فِي الْمَحَاوِرِ⁵
 بِنَا أَجْهَلِيهَا بَيْنَ غَاوٍ وَشَاعِرٍ⁶
 لَعَا لِأَخِينَا عَالِيًا غَيْرَ عَاثِرٍ⁷
 تَخَطَّيْتَهَا بِالنَّاعِجَاتِ الضَّوَامِرِ⁸
 عَلَى مِثْلِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ⁹
 بَغَازٍ وَلَا غَادٍ بِرَكْبٍ مُسَافِرٍ
 سَانَ وَمِذْلَاجِ السَّرَى غَيْرَ فَاتِرٍ
 وَسَائِقٍ أَوْ مَعْبُوطَةٍ لَمْ يُغَادِرِ¹⁰
 دَعَاكَ وَلَمْ يَهْتَفْ سِوَاكَ بِنَاصِرٍ¹¹

1 السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

2 المولى هنا : ابن العم أو الحليف . وباسر : عابس .

3 البازل : الناقة التي انشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار : ولد الناقة . والمساعر : جمع مسعر وهو الذي يوقد نار الحرب .

4 الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

5 الموماء : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خطاف ، وهو حديدية جحنا تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور ، والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغير . والمحاور : جمع محور وهو الحديدية التي تجمع بين الخطاف والبكرة .

6 آسدت : هيجت وأغرث .

7 لعاً : كلمة يدعى بها للعائر أن يتعش يقال : لعاً لفلان عالياً إذا دعي له .

8 الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الإبل ، البيض الكريمة أو هي التي يصاد بها نجاج الوحش من الظباء والبقر . والتعج : ضرب من سير الإبل سريع .

9 الغوابر هنا : الباقيات .

10 انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الإبل ونحوها كالرفقة من الناس . والمعبولة : المنبوحة من غير داء ولا كسر .

11 ولم يهتف في ل : ولم يعدل

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ آسَى ابْنَ أُمِّهِ وَآبَ بِأَسْلَابِ الْكَمِيِّ الْمَآوِرِ¹
وَكَانَ كَذَاتِ الْبَوِّ تَضْرِبُ عَنْده سِياعاً وَقَدْ أَلْقَيْنَهُ فِي الْجَرَّاجِرِ²
فَإِنَّكَ قَدْ فَارَقْتَهُ لَكَ عَازِراً وَأَتَى لِحَيٍّ عُذْرُ مَنْ فِي الْمَقَابِرِ
فَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكاً وَأَحْفِلُ مَنْ نَالَتْ صُرُوفُ الْمَقَادِرِ
عَلَى مَثَلِ هَمَامٍ وَابْنِ مُطَرِّفٍ لِيَتَلَكَّ الْبَوَاكِي أَوْ لِيُشْرِ بْنِ عَامِرٍ
غُلَامَانِ كَانَا اسْتَوْرَدَا كُلَّ سَوْرَةٍ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ اسْتَوْثَقَا فِي الْمَصَادِرِ³
رَبِيعِي حَيّاً كَانَا يَفِيضُ نَدَاهُمَا عَلَى كُلِّ مَغْمُورٍ نَدَاهُ وَغَامِرٍ
كَأَنَّ سَنَا نَارِيَهُمَا كُلَّ شَتْوَةٍ سَنَا الْبَرْقِ يَبْدُو لِلْعَيُونِ النَّوَاطِرِ
وَقَالَتْ أَيْضاً تَرِثِي تَوْبَةً ، عَنْ أُمِّ حُمَيْرٍ ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ أَخِي تَوْبَةً ، عَنْ أُمِّهَا . قَالَ أَبُو
عَبِيدَةَ : أُمُّ حُمَيْرٍ أُخْتُ أَبِي الْجَرَّاحِ الْعَقِيلِيِّ . قَالَ : وَأُمُّهَا بِنْتُ أَخِي تَوْبَةٍ بِنْتُ حُمَيْرٍ . قَالَ :
وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُعْجَبُ بِهَا :

[من الطويل]

أَيَا عَيْنُ بَكِّي تَوْبَةَ ابْنِ حُمَيْرٍ بَسَحَ كَفِيضُ الْجَذُولِ الْمُتَفَجِّرِ
لِيَتَلَكَّ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةٍ نَسْوَةٍ بِمَاءِ شَوْوَنِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ⁴
سَمِعْنِ بَهِنْجَا أُرْهَقْتُ فَذَكَرْنَهُ وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ⁵
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يَسِرْ بَنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ التُّغُورِ⁶
وَلَمْ يَرِدِ الْمَاءِ السَّدَامَ إِذَا بَدَا سَنَا الصُّبْحِ فِي بَادِي الْخَوَاشِي مُنَوَّرِ⁷
وَلَمْ يَغْلِبِ الْخَصَمَ الضُّجَاجَ وَيَمْلَأُ الـ حِجْفَانَ سَدِيفاً يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرَصَرِ⁸

1 آسَاهُ هُنَا : شَارَكَهُ أَوْ أَصَابَهُ بِخَيْرٍ . وَالْمَآوِرُ : الْمَقَاتِلُ الْكَثِيرُ الْغَارَاتِ .

2 الْجَرَّاجِرُ : الْخُلُوقُ .

3 السَّوْرَةُ مِنَ الْمَجْدِ : أَثَرُهُ وَعَلَامَتُهُ وَارْتِفَاعُهُ .

4 خَفَاجَةٌ : رَهْطُ تَوْبَةٍ وَهُوَ جَدُّ لَهُ .

5 أُرْهَقْتُ : أَدْرَكْتُ ، أَوْ أَلْحَقْتُ وَأَغَشْتُ .

6 الْمُتَغُورُ : الَّذِي يَأْتِي الْغُورَ .

7 الْمَاءُ السَّدَامُ : الْقَدِيمُ الْمُنْدَفِنُ . وَفِي رِوَايَةِ الْكَامِلِ : « فِي أَعْقَابِ أَخْضَرَ مَدِيرٍ » ، الْأَخْضَرُ هُنَا اللَّيْلُ . وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَسْوَدَ أَخْضَرَ .

8 الضُّجَاجُ : الْمَجَادِلَةُ وَالْمَشَارَكَةُ وَالْمَشَاغِبَةُ . وَالسَدِيفُ : قَطْعُ السَّنَامِ . وَالنَّكْبَاءُ : الرِّيحُ الَّتِي تَنْحَرِفُ فِي مَهَبِهَا فَتُجِيءُ ، يَنْ رَجِيْن . وَالصَّرَصَرُ : الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ أَوْ الْبَرْدُ .

ولم يَعْلُ بالجُرْدِ الجيادِ يَقُودُهَا
وصحراء مَوَاقٍ يَحَارُ بها القَطَا
يقودون قَبَا كالسَّراحينَ لَاحَهَا
فلَمَّا بَدَتْ أرضُ العدوِّ سَقَيْتَهَا
ولَمَّا أَهَابُوا بالنَّهَابِ حَوَيْتَهَا
مَمَرٌ كَكَرُّ الأَنْدَرِيِّ مُثَابِرٍ
فَأَلَوْتُ بِأَعْنَاقِ طِوَالٍ وِراءَهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَبْدَ يَقْتُلُ رَبَّهُ
قَتَلْتُمْ فَتَى لَا يُسْقِطُ الرُّوْعُ رُمَحَهُ
فِيَا تَوْبُ لِلْهَيْجَا وَيَا تَوْبُ لِلنَّدَى
أَلَا رَبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَنَائِلٍ
وقالت تربيته :

[من الطويل]

وَأَحْفَلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
إِذَا لَمْ تُصَيِّهْ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
بِأَخْلَدٍ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُرَى وَهُوَ صَابِرُ
وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ غَابِرُ
وَلَا الْمَيِّتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْحَيُّ نَاشِرُ

- 1 أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وسرة وأيصر : موضعان .
- 2 المُنَسَّر : قطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير ، والجماعة من الخيل .
- 3 القلب : الدقاق الخصور . والسراحين : الذئاب . ولاحها : غيرها . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة .
- 4 المِجَاج : اسم لما تَمَجَّه من فيك . والمزاد : الأسقية .
- 5 النهاب : جمع منهب وهو الغنيمة . والخابي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم .
- 6 الممر : الحبل الذي أجيد فله . والكَّر هنا : الحبل الغليظ . والأندري : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام .
- ونين : فترن وضعفن . إلهاب الفرس للشد : متابعته للجري . إحضار القرس : ارتفاعه في عدوه .
- 7 صلاصل البيض : أصواتها . والسنور : جملة السلاج .
- 8 المتنور : الذي يبصر النار من بعيد .
- 9 مقصر : محيد أو مصرف . غابر هنا : باق .

وكلُّ شِبابٍ أو جَدِيدٍ إلى بَلَى
وكلُّ قَرِينِي أَلْفَةٍ لَتَفَرُّقُ
فلا يُعِدُّنَكَ اللهُ حَيًّا وَمَيِّتًا
وَيُرَوِّى :

(فلا يُعِدُّنَكَ اللهُ يا تَوْبُ هالِكًا
قَالِيْتُ لا أَنْفَكَ أَبْكِيكِ ما دَعَتْ
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ فِيا لَهْفَتَا لَه
ولَكِنَّمَا أَحْشَى عَلَيْهِ قَبِيلَهُ
وقالت تَرثِيهِ :

[من البسيط]

كَمْ هَاتَفِ بَكَ مِنْ بَالِكٍ وَبَاكِيَةٍ
وَتَوْبُ لِلْخَصْمِ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا
إِنْ يُصْدِرُوا الأَمْرَ تُطْلِعُهُ مَوَارِدَهُ
وقالت تَرثِيهِ :

[من الطويل]

هَرَاقَتْ بَنُو عَوْفٍ دَمًا غَيْرَ وَاحِدٍ
تَدَاعَتْ لَهُ أَفْنَاءُ عَوْفٍ وَلَمْ يَكُنْ
وقالت تَرثِيهِ :

[من البسيط]

يَا عَيْنُ بَكِّي بِدَمْعٍ دَائِمٍ السَّجَمِ
عَلَى قَتَى مِنْ بَنِي سَعْدٍ فُجِعَتْ بِهِ
مِنْ كُلِّ صَافِيَةٍ صِرْفٍ وَقَافِيَةٍ
وَمُصْدِرٍ حِينَ يُعْيِي الْقَوْمَ مُصْدِرُهُمْ
وقالت تَعْبِيرٌ قَابِضًا :

[من الطويل]

جَزَى اللهُ شَرًّا قَابِضًا بِصَنِيعِهِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ سَاعِيَا

1 عدلوا في ل : عندوا .

2 أفناء الناس : أخلاطهم .

3 البهم هنا : مشكلات الأمور ، واحداً منها بَهِيمَةٌ .

4 الرجم هنا : القبر .

5 الشبم : البارد . ونخس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

دعا قابضاً والمرهفاتُ يردُّنه فقُبِّحتْ مدعوّاً ولَبَّيْكَ داعِياً
وقالت لقابض وتَعَذِّرْ عبدَ الله أخوا توبة : [من الطويل]
دعا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلُّهُ وما قابضٌ إذ لم يُجِبْ بِنَجِيبِ
وآسى عبيدُ الله ثمَّ ابنُ أمِّه ولو شاء نَجَّى يومَ ذاكَ حَبِيبِي
[توبة وزنجي في الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو الجراح العُقَيْلِيُّ عن أمِّه دِينَار بنت خَيْرِي بن الحُمَيْرِ عن توبة بن الحمير قال : خرجتُ إلى الشام ، فبينما أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُرْجِحَ ، وأخذتُ تُرْسِي فألقَيْته فوقِي ، وألقَيْتُ نفسي بين المُضْطَجِعِ والبارك . فلَمَّا وجدتُ طَعَمَ النَّوْمِ إذا شيءٌ قد تجلَّلني عظيمٌ ثَقِيلٌ قد بَرَكَ عليّ ، ونشزتُ عنه ثم قَمَصْتُ¹ منه قُمَاصاً فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحتي فانتَضِيتُ السيفَ ، ونهضَ نحوِي فضربتُهُ ضربةً انخزلَ منها ، وعدتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو الإنسان أم سَبْعٌ ؛ فلَمَّا أصبحتُ إذا هو أسودُ زنجيٍّ يضربُ برجليه وقد قطعَ وَسَطَهُ حتى كُدتُ أُبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخيةٍ موقرةٍ ثياباً من سَلْبِهِ ، وإذا جاريةٌ شابةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أَنَّهُ قَتَلَ مولاها وأخذها منه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلي . قال أبو الجراح قالت أمِّي : وأنا أدركتها في الحيِّ تخدمُ أهلنا .
[حديث معاوية مع ليلي في توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عطاء بن مُصْعَبِ القُرَشِيّ عن عاصم اللَيْثِيّ عن يونس بن حبيب الضَّبِّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال : سأل معاوية بن أبي سفيان ليلي الأَخِيلِيَّةَ عن توبة بن الحُمَيْرِ فقال : ويحك يا ليلي ؛ أَمَا يَقولُ الناسُ كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقولُ الناسُ حقّاً ، والناسُ شجرةٌ بَغْيٍ يحسُدون أهلَ النِّعَمِ حيثُ كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبَطَ الْبَنَانِ ، حديدَ اللِّسَانِ ، شَجّاً للأقران ، كريمَ المخبر ، عفيفَ المنزَر ، جميلَ المنظر . وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتُ له ؟ قالت قلت ولم أتعد الحقَّ وعلمي فيه : [من الطويل]

بَعِيدُ الثَّرَى لا يبلغُ القومُ قَعْرَهُ أَلَدٌ مُلِدٌ يَغْلِبُ الحقُّ باطِلُهُ²

1 القمّاص : الوثب .

2 أَلَدٌ : الكثير الجدول والخصومة . وملتد : وصف من ألدت بفلان ، إذا عسرت عليه في الخصومة .

إِذَا حَلَّ رَكْبٌ فِي ذَرَاهِ وَظِلَّهُ لِيَمْنَعَهُمْ مِمَّا تُخَافُ نَوَازِلُهُ
حَمَاهُمْ بَنَصْلِ السَّيْفِ مِنْ كُلِّ قَادِحٍ يَخَافُونَهُ حَتَّى تَمُوتَ خَصَائِلُهُ¹
فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : وَيَحْكُ ؛ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَاهراً خَارِباً² . فَقَالَتْ مِنْ سَاعَتِهَا :

مَعَاذَ إِلَهِي كَانَ وَاللَّهِ سَيِّداً جَوَاداً عَلَى الْعِلَاقِ جَمّاً نَوَافِلُهُ
أَغْرَ خَفَاجِيّاً يَرَى الْبُخْلَ سَبَّةً تَحَلَّبُ كَفَّاهُ النَّدى وَأَنَامِلُهُ
عَفِيفاً بَعِيدَ الْهَمِّ صُلْباً قَنَاتُهُ جَمِيلاً مُحْيَاهُ قَلِيلاً غَوَائِلُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْجَوْعُ الَّذِي بَاتَ سَارِياً عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ
وَأَنَّكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَا تَوْبُ بِالْقِرَى إِذَا مَا لَيْمُ الْقَوْمِ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ
يَبِيتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ مَنْ بَاتَ جَارَهُ وَيُضْجِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمَنَازِلُهُ

فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : وَيَحْكُ يَا لَيْلِي ؛ لَقَدْ جُزَّتْ بَنُوَّةٌ قَلْبَرَهُ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ
رَأَيْتَهُ وَخَبِرْتَهُ لَعَرَفْتَ أَنِّي مَقْصُورَةٌ فِي نَعْتِهِ وَأَنِّي لَا أَبْلُغُ كُنْهَ مَا هُوَ أَهْلُهُ . فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : مِنْ
أَيِّ الرِّجَالِ كَانَ ؟ قَالَتْ :

أَتَتْهُ الْمَنَاقِبُ حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُهُ
وَكَانَ كَلِيتَ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَتَرْضَى بِهِ أَشْبَالَهُ وَحَلَائِلُهُ
غَضُوبٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطْلَبُ حِلْمُهُ وَسُمْ زُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

قَالَ : فَأَمَرَ لَهَا بِجَائِزَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَالَ لَهَا : خَبِّرْنِي بِأَجْوَدِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ . قَالَتْ : يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا قُلْتُ فِيهِ شَيْئاً إِلَّا وَالَّذِي فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَلَقَدْ أَجَدْتُ حِينَ
قُلْتُ :

جَزَى اللَّهُ خَيْراً وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ فَتَى مِنْ عَقِيلٍ سَادَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ
فَتَى كَانَتْ الدُّنْيَا تَهْوُنُ بِأَسْرِهَا عَلَيْهِ وَلَا يَنْفَكُ جَمُّ التَّصَرُّفِ
يَنَالُ عَلَيَّاتِ الْأُمُورِ بِهَوْنَةٍ إِذَا هِيَ أَعْيَتْ كُلَّ خَرِقٍ مُشْرِفٍ³

1 القادح هنا : الخطب من خطوب الدهر وفي ل : قادح . الخصائل : جمع خصلة ، وهي كل لحمية فيها عصب .

2 خارب : لص .

3 الهونة : الرفق والسهولة . والخرق : السخي أو الظريف في سخاوة . ومشرف : جعله له شرف .

هو الذُّوبُ بَلْ أَرَى الْخَلَايا شَبِيهَهُ بِدِرْيَاقَةٍ مِنْ خمرِ بَيْسانَ قَرَفَ¹
 فِيا تَوْبُ ما فِي العِيشِ خَيْرٌ وَلَا نَدَى يُعَدُّ وَقَدْ أُمْسِيتَ فِي تَرْبٍ نَقَفَ²
 وَمَا نِلْتُ مِنْكَ النُّصَفَ حَتَّى ارْتَمَتْ بِكَ الـ حَنَايا بِسَهْمٍ صَائِبِ الْوَقْعِ أَعْجَفَ³
 فِيا أَلْفَ أَلْفٍ كُنْتَ حَيًّا مُسَلِّمًا لِأَلْفَاكَ مِثْلَ الْقَسُورِ الْمُتَطَرَفِ⁴
 كَمَا كُنْتَ إِذْ كُنْتَ الْمُنْحَى مِنَ الرَّدَى إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ⁵
 وَكَمْ مِنْ لَهْفٍ مُحَجَّرٍ قَدْ أَجَبْتَهُ بِأَبْيَضِ قِطَاعِ الضَّرْبَةِ مُرْهَفِ⁶
 فَأَنْقَذْتَهُ وَالْمَوْتُ يَخْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يُطْعَنْ وَلَمْ يُتَسَفَّ⁶

[ما كان بين توبة وجميل أمام بئنة]

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهيويه عن ابن أبي سعد قال حدثت عن القحذمي عن
 مُحارِبِ بْنِ غُصَيْنِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ : كَانَ تَوْبَةُ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَمَرَّ بِبَنِي عُذْرَةَ ، فَرَأَتْهُ بِئِنَةُ¹
 فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى جَمِيلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُظْهَرَ حَبُّهُ لَهَا . فَقَالَ لَهُ جَمِيلُ : مَنْ
 أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ . قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاعِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَشَدَّتْ عَلَيْهِ
 بِئِنَةُ مَلْحَقَةً مُورَّسَةً⁷ فَأَتَزَرَّ بِهَا ، ثُمَّ صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ جَمِيلٌ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي النُّضَالِ ؟
 قَالَ نَعَمْ ، فَنَاضِلُهُ⁸ فَنَضَلَهُ جَمِيلٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي السِّبَاقِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ ، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ
 جَمِيلٌ . فَقَالَ لَهُ تَوْبَةُ : يَا هَذَا إِنَّمَا تَفْعَلُ هَذَا بِرِيحِ هَذِهِ الْجَالِسَةِ ، وَلَكِنْ اهْبِطْ بَنَا الْوَادِي ،
 فَصَرَّعَهُ تَوْبَةُ وَنَضَلَهُ وَسَبَقَهُ .

[عبد الملك يسألها عن سبب حب توبة لها]

أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال : بلغني أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ دَخَلَتْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 ابْنِ مَرْوَانَ وَقَدْ أَسْنَتْ وَعَجَزَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا رَأَى تَوْبَةُ فَيْكَ حِينَ هَوَيْكَ ؟ قَالَتْ : مَا رَأَى
 النَّاسُ فَيْكَ حِينَ وَلَّوْكَ . فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ سِنَّ سَوْدَاءَ كَانَ يُخْفِيهَا .

1 الذُّوبُ : العسل . الأري : العسل أيضاً . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر .

2 النغف : المغازة .

3 وما نلت في ل : وما يتل . السهم الأعجف : الرقيق .

4 القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .

5 المحجر : المضيق عليه .

6 حرق الأناب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيط . وتسف في الصراع : قبض يده على خصمه ثم عرض له رجله فغثره .

7 مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .

8 النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

[وفود ليل على الحجاج وحديثه معها]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلاليّ عن أيوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرْقاء قال : كنتُ عند الحجاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأةٌ تهدير كما يهدير البعيرُ النادِ¹ . قال أَدْخِلْها . فلمّا دخلت نسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليل ؟ قالت : إخلافُ النجوم² ، [وقلةُ الغيوم] ، وكَلَبُ البردِ³ ، وشِدّةُ الجَهْدِ ، وكنتُ لنا بعدَ الله الرّدّ⁴ . قال : فأخبرني عن الأرض . قالت : الأرضُ مُقْشَعْرَةٌ⁵ ، والفجاجُ مُغْبَرَةٌ ، وذو الغنى مُخْتَلٌّ⁶ ، وذو الحدِّ مُنْقَلٌّ . قال : وما سببُ ذلك ؟ قالت أصابتنا سينون⁷ مُجْجِفَةٌ⁸ مُظْلَمَةٌ ، لم تَدَعْ لنا فصلاً⁹ ولا رُبْعاً ، ولم تُبْقِ عافطةً¹⁰ ولا نافطةً¹¹ ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتَقَدِّماً . وقال في الخبر : قال الحجاج . هذه التي تقول :

نحنُ الأَحْيَالُ لا يَزَالُ غَلَامُنَا حتى يَدِبُّ على العصا مشهورا
تَبْكِي الرِّمَاحُ إذا فَقَدْنَ أَكْفَنَّا جَزَعاً وَتَعْرِفُنَا الرِّفَاقُ بُحُورَا

ثم قال لها : يا ليلي ، أنشدتنا بعض شعركِ في توبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصَيِّه في الحياةِ المَعَايِرُ
وما أَحَدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً بأَحْلَدَ مَمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
فلا الحَيَّ ممّا أحدث الدهرُ مُعْتَبٌ ولا المَيِّتُ إن لم يَصْبِرِ الحَيُّ نَاشِرُ

1 النّاد : الشارد .

2 إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .

3 كلب البرد : شدته .

4 الرد : الكهف والمقل .

5 اقشعرار الأرض : تقبضها من الخل .

6 مختل : محتاج .

7 السنون : القحوط .

8 مجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفي الأمالي «مبلطة» بدل «مظلمة» . والمبلطة : المنقرة .

9 الفصل : ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه للقطام .

10 العافطة : الضائقة .

11 النافطة : الماعزة .

وكلٌ جديدٍ أو شبابٍ إلى بلى وكلٌ امرئٌ يوماً إلى الموت صائرٌ
قتيلٌ بني عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا له وما كنتُ إِيَّاهم عليه أحاذرٌ
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدروب الشام بادٍ وحاضرٌ

فقال الحجاج لحاجبه : اذهب فاقطع لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطع لسانها ، فقالت : ويلك ! إنما قال لك الأميرُ اقطع لسانها بالصلة والعطاء ، فارجعْ إليه واستأذنه . فرجع إليه فاستأمره¹ ، فاستشاط عليه وهمّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأدخلت عليه ، فقالت : كاذ وعهيد الله يقطع مقولي ، وأنشدته :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي لَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاجُ أَنْتَ سِنَانُ الْحَرْبِ إِنْ نُهَجْتُ وَأَنْتَ لِلنَّاسِ فِي الدَّاجِي لَنَا تَقْدُ²

أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمداني قال : كان جدي عند الحجاج ، فدخلت عليه امرأة برزة³ ، فانتسبت له فإذا هي ليلي الأخيلىة . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : كنتُ عند الحجاج . وأخبرني وكيع عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جويرية عن بشر بن عبد الله بن أبي بكر : أن ليلي دخلت على الحجاج ، ثم ذكر مثل الخبر الأول ، وزاد فيه : فلما قالت :

غَلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ سَقَاهَا

قال لها : لا تقولي «غلام» ، قولي «هُمام» . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زدني ، فقال : اجعلوها ثلاثمائة . فقال بعض جلسائه : إنها غنم . فقالت : الأميرُ أكرم من ذلك وأعظمُ قدرًا من أن يأمر لي إلا بالإبل . قال . فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنما كان أمر لها بغنم لا إبل .

وأخبرنا [به] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلت مكان غلام همام ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدنا ما قلت في توبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

1 استأمره : استشاره .

2 نهجت : سلكت .

3 المرأة البرزة : المتجاهرة الكهولة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون وهي غفيرة . والبرزة أيضاً : البارزة المحاسن .

إِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءَ فَإِنَّكُمْ قَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بن عامرٍ
قَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانٍ خَادِرٍ¹
أَتَمَّ الْمَنَايَا دُونَ دِرْعِ حَصِينَةٍ وَأَسَمَرَ خَطْيً وَجَرْدَاءَ ضَامِرٍ
فَنِعْمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
كَأَنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنَخْ فَلَا تُصْصَنَ الْحَصَا بِالْكَرَاكِيرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه .
فقالت : أيتها الرجل هل رأيت توبة قط ؟ قال لا . فقالت : أما والله لو رأيته لوددت أن كل
عاتق² في بيتك حامل منه ؛ فكأنما فقيء في وجه أسماء حب الرمان . فقال له الحجاج : وما
كان لك ولها ! .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المغيرة قال سمعت أبي
يقول سمعت الأصمعيّ يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لك من
حاجة ؟ قالت : نعم أصلح الله الأمير ، تحملني إلى ابن عمي قتيبة بن مسلم ، وهو على
خراسان يومئذ ، فحملها إليه ، فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية ، فلما كانت بالريّ
ماتت ، فقبرها هناك . هكذا ذكر الأصمعيّ في وفاتها وهو غلط . وقد أخبرني عمي عن
الحزنبل الأصبهاني عمّن أخبره عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهديّ عن ابن
أبي سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النخعيّ عن ابن الخصب الكاتب . واللفظ في الخبر للحزنبل ،
وروايته أتم : أن ليلى الأخيلىة أقبلت من سفر ، فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج
لها . فقالت : والله لا أبرح حتى أسلم على توبة ، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن
تسلم به . فلما كثر ذلك منها تركها ، فصعدت أكمة عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا
توبة ، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت : ما عرفتُ له كذبة قط قبل هذا . قالوا : وكيف ؟
قالت : أليس القائل :

صوت

ولو أن ليلى الأخيلىة سلّمت عليّ ودوني توبة وصفائح³

1 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 208/2 أشجع «من أسامة» و «من ليث عريسة» . وورد في المصدر
نفسه 337/1 «أجرأ من ليث بخفان» وذكر بيت الشعر الوارد هنا .

2 العاتق : الشابة .

3 ودوني في ل : وفوقي .

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَّيْ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحٌ¹
وَأَغْبَطُ مَنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ

فما بأله لم يُسَلِّم عليَّ كما قال . . وكانت إلى جانب القبر بومةً كامنةً ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارَت في وجه الجمل ، ففَرَّ فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفِنَتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غَنَى فِي الْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ آتِفًا حَكَمَ الْوَادِي لَحْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، وَالْآخَرُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشَ ، وَقَالَ حَبَشَ : وَفِيهَا لَحْنَانٌ لَجْمِيلَةٌ وَالْمَيْلَاءُ رَمْلَانِ بِالْبَنْصَرِ ، وَذَكَرَ أَبُو الْعَنْبَسِ بْنُ حَمْدُونَ أَنَّ الرَّمْلَ لَعَمَرَ الْوَادِي .
[كان توبة شريراً كثير الغارات]

قال أبو عبيدة : كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخنعم وهمدان ، فكان يزور نساء منهن يتحدَّث إليهن ، وقال :

أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ غَرَائِرَ مَنْ هَمْدَانَ بَيْضاً نُحُورُهَا

قال أبو عبيدة : وكان توبة ربّما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيُغَيِّر عليهم ، وبين بلاد مَهْرَة وبلاد عُقَيْلٍ مَفَازَةٌ مُنْكَرَةٌ لَا يَقْطَعُهَا الطَّيْرُ ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَزَادَ الْمَاءِ فَيَدْفِنُ مِنْهُ عَلَى مَسِيرَةٍ كُلِّ يَوْمٍ مَزَادَةً ثُمَّ يُغَيِّر عَلَيْهِمْ فَيُطْلِبُونَهُ فَيَرْكَبُ بِهَا الْمَفَازَةَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَعَمَّدُ حَمَارَةً الْقَيْظِ وَشِدَّةَ الْحَرِّ ، فَإِذَا رَكِبَ الْمَفَازَةَ رَجَعُوا عَنْهُ .

[ليلى عند عاتكة زوجة عبد الملك]

أَخْبَرَنِي جَرِيْمِيٌّ عَنْ الزَّيْبِرِ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمَقْدَامِ الرَّبْعِيِّ عَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ : دَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى زَوْجَتِهِ عَاتِكَةَ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَرَأَى عِنْدَهَا امْرَأَةً بَدْوِيَّةً أَنْكَرَهَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا الْوَالِهُةُ الْحُرَّى لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةُ . قَالَ : أَنْتِ الَّتِي تَقُولِينَ :

أَرِيقَتْ جِفَانُ ابْنِ الْخَلِيعِ فَأَصْبَحَتْ حِيَاضُ النَّدَى زَالَتْ بِهِنَ الْمَرَاتِبُ²

فَعَفَاتِهِ لَهْفَى يَطُوفُونَ حَوْلَهُ كَمَا انْقَضَ عَرْشُ الْبُثْرِ وَالْوَرْدِ عَاصِبُ³

1 زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصبح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

2 ابن الخليع : من آباء توبة . زالت في ل : زلت .

3 العفاة : طالبو المعروف . واللهف : الحزن والتحسر . عاصب : جامع .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أَبْقَيْتِ لنا ؟ قالت : الذي أَبْقَاهُ الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نَسْباً قُرْشِيّاً ، وعيشاً رَحِيّاً ، وإمرة مَطَاعَةً . قال : أَفَرَدْتَهُ بِالكَرَمِ ! قالت : أَفَرَدْتُهُ بما أَفَرَدَهُ اللهُ به . فقالت عاتكة : إِنَّهَا قد جاءت تستعين بنا عليك في عينِ تَسْقِيهَا وتَحْمِيهَا لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَعْتُهَا في شيء من حاجاتها . لتَقْدِيمِهَا أَعْرَابِيّاً جِلْفاً على أمير المؤمنين . قال : فَوَبَّيْتُ لَيْلٍ فقامتُ على رَجُلِهَا واندَفَعْتُ تقول : [من الوافر]

سَتَحْمِلُنِي وَرَحْلِي ذَاتُ وَخْدٍ	عليها بنتُ آبَاءِ كَرَامٍ ¹
إِذَا جَعَلْتُ سَوَادَ الشَّامِ جَنْباً	وغلَّقَ دُونَهَا بَابُ اللُّثَامِ
فليس بعائدٍ أبداً إليهم	ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظَّلَامِ
أَعَاتِرْتُ لَوْ رَأَيْتُ غَدَاةَ بِنَا	عَزَاءَ النَّفْسِ عَنْكُمْ واعتزامي
إِذَا لَعَلِمْتُ وَاسْتَيْقَنْتُ أَنِّي	مُشِيعَةٌ وَلَمْ تَرْعَني ذِمَامِي
أَجْعَلُ مِثْلَ تَوْبَةٍ فِي نَدَاهُ	أَبَا الذَّبَانِ فَوهُ الدَّهْرُ دَامِي ²
مَعَاذَ اللَّهِ مَا عَسَفْتُ بِرَحْلِي	تَغْذَ السَّيْرِ لِلْبَلَدِ التَّهَامِي ³
أَقْلَتِ خَلِيفَةٌ فَسَوَاهُ أَخْجَى	يَا مَرَّتَهُ وَأَوْلَى بِاللُّثَامِ
إِشَامِ الْمَلِكِ حِينَ تُعَدُّ كَعْبٌ	ذوو الأخطارِ والخُطَطِ الْجِسَامِ ⁴

فَقِيلَ لَهَا : أَيُّ الْكَعْبَيْنِ غَنِيَتْ ؟ قالت : مَا أَخَالُ كَعْباً كَكَعْبِي .

[رواية أخرى في وفودها على الحجاج]

أخبرنا اليزيدي عن الخليل بن أسدٍ عن العُمريِّ عن الهيثم بن عديٍّ عن أبي يعقوب الثَّقفيِّ عن عبد الملك بن عُمير عن محمد بن الحَجَّاج بن يوسف قال : بينا الأميرُ جالسٌ إذ استَوْدِنَ لِلَّيْلِ . فقال الحَجَّاج : وَمَنْ لَيْلِي ؟ قيل : الأَخِيلِيَّةُ صاحبةُ تَوْبَةٍ . قال : أَذْخِلُوهَا . فدخلتْ امرأةٌ طَوِيلَةً دَعَجَاءَ الْعَيْنَيْنِ حَسَنَةً الْمِشْيَةِ إِلَى الْفَوِّهِ⁵ مَا هِيَ ، حَسَنَةُ الثَّغْرِ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ الْحَجَّاجُ عَلَيْهَا وَرَحَّبَ بِهَا فَدَنَّتْ ، فقال الحَجَّاج : ذَرَاكِ ضَعْ لَهَا وَسَادَةً يَا غَلَامَ ، فَجَلَسْتُ . فقال : مَا أَعْمَلُكَ إِلَيْنَا ؟ قالت : السَّلَامُ عَلَى الْأَمِيرِ ، والقضاءُ لحَقِّهِ ، والتعرُّضُ لمعروفِهِ . قال : وَكَيْفَ خَلَفْتَ قَوْمَكَ ؟

1 الوخد : ضرب من السير .

2 أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدة بخره .

3 عسفت : سارت وخبطت .

4 كعب : من آباء ليلي .

5 الفوه : سعة الفم .

قالت : تركتهم في حال خِصْبٍ وأمنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكَلا . وأمّا الأمنُ فقد أمنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أنشدك ؟ فقال : إذا شئتِ فقلت :

[أَحْجَاجُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ غَايَةَ	يُقَصِّرُ عَنْهَا مَنْ أَرَادَ مَدَاهَا]
أَحْجَاجُ لَا يُقَلِّلُ سِلَاحَكَ إِنَّمَا الـ	حَنَايَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً	تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا	غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا دِمَاءَ الْمَارِقِينَ وَعَلَّهَا	إِذَا جَمَحَتْ يَوْماً وَخِيفَ أَذَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزًّا كَتِيبَةً	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا ¹
أَعَدَّ لَهَا مَصْقُولَةً فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا ²
أَحْجَاجُ لَا تُعْطِرُ الْعُصَاةَ مِنْهُمْ	وَلَا اللَّهُ يُعْطِي الْعُصَاةَ مُنَاهَا
وَلَا كُلَّ حَلَّافٍ تَقَلَّدَ بَيْعَةً	فَأَعْظَمَ عَهْدَ اللَّهِ ثُمَّ شَرَاهَا

فقال الحجّاج ليعحي بن مُنْقِذٍ : لله بلادها ما أشعرها ! . فقال : ما لي بشعرها علم . فقال : عليّ بعبّدة بن موهب وكان حاجبه ، فقال : أنشديهِ فأنشدته : فقال : عبّدة : هذه الشاعرة الكريمة ، قد وجب حقّها . قال : ما أغناها عن شفاعتك ! يا غلام مرّها بخمسمائة درهم ؛ واكسّها خمسة أثواب أحدها كساء خزّ ، وأدخلها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقلّ لها : حلّيتها . فقالت : أصلح الله الأمير . أضّرّ بنا العريف في الصدقة ، وقد خربت بلادنا ، وانكسرت قلوبنا ، فأخذ خيار المال . قال : اكتبوا لها إلى الحكّم بن أيّوب فليبتّع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً³ ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته . فقال ابن موهب : أصلح الله الأمير ، أصلّها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتها [هند] بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجصاص فكتبه عني ، ثم حدثني عن حمّاد الراوية قال : لما فرغت ليلي من شعرها أقبل الحجّاج على جلسائه فقال لهم : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا ؛ والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً . قال : هذه ليلي

1 الرز : الصوت تسمعه من بعيد .

2 الصرى هنا : بقية اللبن . والصرى : اللبن يبقى فيتغيّر طعمه . يحلبون صراها في ل : يحسون غذاها .

3 النجيب : الكريم .

صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلي أرايت من توبة أمراً تَكْرَهينه أو سألك شَيْئاً يُعَاب ؟ قالت : لا والله الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط . فقال : إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شَبَّة عن عبد الله بن محمد بن حَكيم الطائي عن خالد بن سَعِيد عن أبيه قال : كنت عند الحجاج فدخلت عليه ليلي الأخيلىة ، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلما قالت :

غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي همامٌ .

صوت

[من الخفيف]

سألني الناسُ أينَ يَعمِدُ هذا قلتُ آتي في الدارِ قرماً سرّاً

ما قطعْتُ البلادَ أسري ولا يَمُّ منْتُ إلّا إياكَ يا زكريّا

كم عطاءٍ ونائلٍ وجزيلٍ كان لي منكم هنيئاً مرّاً

عروضه من الخفيف ، الشعْرُ للأقيسر الأسدي . والغناء لدَحْمان ، وله فيه لحنان ، أحدهما خفيفٌ ثَقِيلٌ من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثَقِيلٌ أوّلُ بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشامي أن لحن الأبجر خفيفٌ ثَقِيلٌ ، وأن لحن ابن بلوع في الثالث ثاني ثَقِيلٌ . وليحيى بن واصل ثَقِيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[189] - ذكر الأقيشر¹ وأخباره

[نسبه]

الأقيشرُ : لَقَبٌ [غلب عليه]² ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرُ³ ، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان يُكنى أبا مُعْرِض ، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدّة ، منها قوله : [من المتقارب]

فإنّ أبا مُعْرِضٍ إذ حسا من الرّاح كُاساً على المنبر

خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِضٍ فإنّ ليمٍ في الخمرِ لم يصبر

وعُمَرُ عُمراً طويلاً ، فكان أقعدَ بني أسدٍ نسباً ، وما أخلقه بأن يكون وُلد في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام ؛ لأنّ سيماك بن مخرمة الأسديّ صاحبَ مسجدِ سيماكٍ بالكوفة بناه في أيام عمر ، وكان عُثمانيّاً ، وأهلُ تلك المَحَلّة إلى اليوم كذلك . فيروي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب ، صلواتُ الله عليه ، لم يُصلِّ فيه ، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . وسيماكُ الذي بناه هو سيماكُ بن مخرمة بن حُمَيْن بن ثَلث بن عمرو بن مُعْرِض بن عمرو بن أسدٍ ، والأقيشر أقعدُ⁴ نسباً منه . وقال الأقيشر في ذكر مسجد سيماكٍ شعراً .

أخبرني محمد بن الحسن الكِنديّ الكوفيّ قال أخبرني الحسن بن عُثَيل العَنَزِيّ عن محمد بن معاوية ، وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية . قال : الأقيشرُ من رَهْطِ خُرَيم بن فاتكٍ⁵ الأسديّ . وخُرَيم إنّما نُسِبَ إلى جدِّ أبيه فاتكٍ ، وهو خُرَيم بن الأحرم [ابن شدّاد] ابن عمرو بن فاتكٍ الأسديّ ، وفاتكُ ابن قُليبٍ بن عمرو بن أسدٍ .

[شعره في بني دودان]

والأقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد . قال : وهو القاتلُ لَمّا بنى سيماكُ بن مخرمةَ مسجده الذي بالكوفة ، وهو أكبرُ مسجدٍ لبني أسدٍ ، وهو في خِطّة بني نَصْر بن قُعَيْنٍ :

[من الرمل]

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 559/2-562 والخزانة 2 : 279-282 والإصابة 6 : 180 والمؤتلف

56 والمرزباني 369-370 . وقد صنع ديوانه الدكتور محمد علي دقه ، بيروت 1997 .

2 ل : به .

3 الأقيشر : وصف من القشر وهو شدة الحمرة .

4 ل : أبعد .

5 خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدرًا .

غَضِيتْ دُودَانُ مِنْ مَسْجِدِنَا وَبِهِ يَغْرِفُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ
 لَوْ هَدَمْنَا غُدُوَّةَ بُنْيَانِهِ لَأَنَمَحَتْ أَسْمَاؤُهُمْ طُولَ الْأَبَدِ
 أَسْمُهُمْ فِيهِ وَهُمْ جِيرَانُهُ وَاسْمُهُ الدَّهْرَ لَعَمَرُو بْنُ أَسَدٍ
 كُلَّمَا صَلَّوْا قَسَمْنَا أَجْرَهُ فَلَمَّا النِّصْفُ عَلَيَّ كُلِّ جَسَدٍ¹
 فَحَلَفَ بَنُو دُودَانَ لِيُضْرِبْنَهُ . فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : قَدْ قُلْتُ بَيْتًا مَحُوتٌ بِهِ كُلُّ مَا قُلْتُ . قَالُوا :
 وَمَا هُوَ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ قُلْتُ :

وَبَنُو دُودَانَ حَيٌّ سَادَةٌ حَلَّ بَيْتُ الْمَجْدِ فِيهِمْ وَالْعَدَدُ

فَتَرَكُوهُ .

[كَانَ خَلِيعًا مَاجِنًا مَدْمَنًا]

أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَمِّعٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : كَانَ الْأَقِشِيرُ كُوفِيًّا خَلِيعًا مَاجِنًا مَدْمَنًا لَشَرْبِ الْخَمْرِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ
 لِنَفْسِهِ :

فَإِنَّ أَبَا مُعْرُضٍ إِذْ حَسَا مِنَ الرَّاحِ كَأَسَا عَلَى الْمِنْبَرِ
 خَطِيبٌ لَيْبٌ أَبُو مُعْرُضٍ فَصَارَ خَلِيعًا عَلَى الْمَكْبَرِ²
 أَحَلَّ الْحَرَامَ أَبُو مُعْرُضٍ فَإِنَّ لَيْمَ فِي الْخَمْرِ لَمْ يَصْبِرِ
 يُجِلُّ اللَّئَامَ وَيُلْحِي الْكَرَامَ وَإِنْ أَقْصَرُوا عَنْهُ لَمْ يُقْصِرِ³

[يَهْجُو عَبَسِيًّا لِمَنَادَاتِهِ بَلَقِيهِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ
 عُبَيْدِ الصَّحَّافِ الْكُوفِيُّ عَنْ قَعْنَبِ بْنِ مُخْرِزٍ الْبَاهِلِيِّ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : أَنَّ الْأَقِشِيرَ مَرَّ يُرِيدُ الْحَيْرَةَ ،
 فَاجْتَاَزَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبَسٍ ، فَنَادَاهُ أَحَدُهُمْ : يَا أَقِشِيرُ ، وَكَانَ يَغْضَبُ مِنْهَا ، فَزَجَّرَهُ الْأَشْيَاخُ ،
 وَمَضَى الْأَقِشِيرُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ : قَفْ مَعِيَ ، فَإِذَا أُنْشِدْتَ بَيْتًا فَقُلْ لِي : وَلَمْ
 ذَلِكَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَخَذَ هَذَيْنِ الدَّرَاهِمِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَصِيرُ مَعَكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتَ يَا أَبَا مُعْرُضٍ
 وَلَا أَرْزُوكَ شَيْئًا ، قَالَ : فَاثْبَتْ . فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ الْقَوْمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ تَأَمَّلَهُمْ وَقَدْ
 عَرَفَ الشَّابَّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ :

أَتَدْعُونِي الْأَقِشِيرَ ذَلِكَ اسْمِي وَأَدْعُوكَ ابْنَ مُطَفَّةٍ السَّرَاجِ

1 فلنا في ل : فلها .

2 المَكْبَرُ : الكبير في السن .

3 يُجِلُّ فِي ل : يَجِبُ .

فقال له الرجل : ولمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجِي خِدْنَهَا بِاللَّيْلِ سِرًّا وَرَبُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا تُنَاجِي
قال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ : فَلَقَبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ابْنَ مُطَفِّئَةِ السَّرَاحِ .

[تهاجيه مع أبي الضحاك التميمي]

وقال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ أَخْبَرَنَا بِهِ الْيَزِيدِيُّ عَنِ الْخَزَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ
الْجَوَابَاتِ ، وَلَمْ يَرَوْهُ الْبَاقُونَ : كَانَ الْأَقِشِيرُ يَكْتَرِي بَغْلَةً أَبِي الْمَضَاءِ الْمُكَارِي فِيرْكِبُهَا إِلَى
الْخَمَّارِينَ بِالْحِيرَةِ . فَرَكِبَهَا يَوْمًا وَمَضَى لِحَاجَتِهِ ، وَعِنْدَ أَبِي الْمَضَاءِ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ يُكْنَى أَبَا
الضَّحَّاكِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : الْأَقِشِيرُ . فَأَخَذَ طَبَقَ الْمِيزَانِ وَكَتَبَ فِيهِ : [من الوافر]

عَجِبْتُ لَشَاعِرٍ مِنْ حَيٍّ سَوَّاهُ ضَعِيلِ الْجِسْمِ مِبْطَانِ هَجِينِ
وقال لأبي المضاء : إِذَا جَاءَ فَأَقْرِئْهُ هَذَا . فَلَمَّا جَاءَ أَقْرَأَهُ . فَقَالَ لَهُ الْأَقِشِيرُ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . فَكَتَبَ الْأَقِشِيرُ تَحْتَ كِتَابِهِ : [من الوافر]

فَلَا أَسَدًا أَسْبُ وَلَا تَمِيمًا وَكَيْفَ يَجُوزُ سَبُّ الْأَكْرَمِينَ
وَلَكِنَّ التَّمِيمِيُّ حَالُ بَنِي وَيَنُوكَ يَا ابْنَ مُضْرَطَّةِ الْعَجِينِ¹
فَهَرَبَ إِلَى الْكَوْفَةِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا .

وقال قَعْنَبٌ فِي خَبْرِهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : فَجَاءَ التَّمِيمِيُّ فَقَرَأَ مَا كَتَبَ ، فَكَتَبَ تَحْتَهُ : [من البسيط]
يَا أَيُّهَا الْمُتَبَغِّي حُشًّا لِحَاجَتِهِ وَجْهُ الْأَقِشِيرِ حَشٌّ غَيْرُ مَمْنُوعٍ²
فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ تَحْتَهُ : [من الوافر]

إِنِّي أَتَانِي مَقَالٌ كُنْتُ آمَنُهُ فَجَاءَ مِنْ فَاخِشٍ فِي النَّاسِ مَخْلُوعٍ
عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو الضَّحَّاكِ كُنَيْتُهُ فِيهِ مِنَ اللَّوْمِ وَهِيَ غَيْرُ مَمْنُوعٍ
وَلَمْ تَبْتَ أُمُّهُ إِلَّا مُطَاحَنَةً وَأَنْ تُوَجَّرَ فِي سَوَاقِ الْمَرَضِيعِ
يَنْسَابُ مَاءُ الْبَرَايَا فِي اسْتِهَا سَرِيًّا كَأَنَّمَا أَنْسَابُ فِي بَعْضِ الْبَلَالِيعِ³
مَنْ ثُمَّ جَاءَتْ بِهِ وَالْبَظَرُ حَنَّكَهَ كَأَنَّهُ فِي اسْتِهَا يَمْتَالُ يُسْرِعُ⁴
فَلَمَّا جَاءَهُ جَزَعٌ وَمَشَى إِلَيْهِ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَطَلَبُوا أَنْ يُكْفَّ فَعَلَّ . وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ

1 مضرطة العجين : كناية عن أنها خادم .

2 الحش : بيت الخلا .

3 سرى : سائل .

4 حنكه : أحكمه . واليسروع : دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد .

خَلَفَ فذكر عن أبي عمرو الشيباني أَنَّ الأقيشر قال هذا في مِسْكِين .
والشعر الذي فيه الغناء يقوله الأقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفَيَاض ، وكان
مَذَاحاً له .

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن [محمد بن] معاوية قال : غَنَّتْ جاريةٌ عند عبد
الملك بن مروانَ بشعرِ الأقيشر :

قَرَّبَ اللهُ بِالسَّلامِ وَحَيَّا زَكْرِيَّا بْنَ طَلْحَةَ الْفَيَّاضِ
مَعْدُنُ الضَّيْفِ إِنْ أَنَاخُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَيِّنِ الطَّلَاحِ الْأَنْقَاضِ¹
سَاهِمَاتُ الْعَيُونِ خَوْصٌ رَذَايَا قَدْ بَرَاها الْكَلَالُ بَعْدَ أَيَّاضِ²
زَادَهُ خَالِدُ ابْنِ عَمِّ أَبِيهِ مَنْصِباً كَانَ فِي الْعُلَا ذَا انْتِقَاضِ
فَرَعُ تَيْمٍ مِنْ تَيْمٍ مُرَّةً حَقّاً قَدْ قَضَى ذَاكَ لَابِنِ طَلْحَةَ قَاضِ
فقال عبد الملك للجارية : وَيَحْلِكُ ! لِمَنْ هَذَا ؟ قالت : لِلأقيشر . قال : هذا المدحُ لا على
طَمَعٍ وَلَا فَرْقٍ ، وَأَشْعُرُ النَّاسِ الْأَقْيَشِر .

[الكميت يثنى على شعره]

وذكر عبد الله بن خلفٍ أَنَّ أبا عمرو الشيباني أخبره أَنَّ الْكُمَيْتَ بْنَ زَيْدٍ لَقِيَ الْأَقْيَشِرَ فِي
سَفَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيَّنَ تَقْصِدُ يَا أبا مُعْرُضٍ ؟ فقال :

سَالَنِي النَّاسُ أَيَّنَ يَقْصِدُ هَذَا قَلْتُ آتِي فِي الدَّارِ قَرَمًا سَرِيًّا
وذكر باقيَ الأبيات التي فيها الغناء ، فلم يزل الكميت يستعيده إياها مراراً ، ثم قال :

ما كَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّكَ أَشْعُرُ النَّاسِ .

[كان عنيماً وزعم الفحولة]

أخبرني عَمِّي عن الْكُرَائيّ عن ابن سلام قال : كَانَ الْأَقْيَشِرُ عَيْنِيًّا ، وَكَانَ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ،
وَكَانَ كَثِيرًا مَا كَانَ يَصِفُ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ . فَجَلَسَ إِلَيْهِ يَوْمًا رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَنَشَدَهُ
الْأَقْيَشِرُ :

1 معدن : اسم من عدن بالمكان إذا أقام به . الأين : التعب . والطلائح : جمع طليح وطليحة ، وهو الذي أعياه
السير . والأنقاض : جمع نقض وهو المهزول من السير .

2 ساهمات العيون : متغيراتها . وخوص : غائرات العيون ، الواحد : أخوص وخوصاء . ورذايا : مهزولات ،
والواحد رذي ورذية .

ولقد أروحُ بِمُشْرِفٍ ذِي شَعْرَةٍ عَسِرِ الْمَكْرَةِ مَاوُهُ يَتَفَصَّدُ¹
 مَرِحَ يَطِيرُ مِنَ الْمِرَاحِ لُعَابُهُ وَتَكَادَ جِلْدَتُهُ بِهِ تَتَقَدَّدُ
 ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ : أَتُبْصِرُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَمَا وَصَفْتُ . قَالَ : فِرْسًا . قَالَ : أَفَكُنْتَ
 لَوْ رَأَيْتَهُ رَكَبْتَهُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ وَأَتْنِي عِطْفَهُ . فَكَشَفَ عَنْ أُيْرِهِ وَقَالَ : هَذَا وَصَفْتُ ، فَقُمْ
 فَارْكَبْهُ . فَوَثَبَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : قَبْحَكَ اللَّهُ مِنْ جَلِيسٍ ؛ سَائِرَ الْيَوْمِ .
 [يشرب بعد خروجه في جنازة]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : مَاتَتْ بِنْتُ زِيَادِ
 الْعُصْفَرِيِّ ، فَخَرَجَ الْأَقِيشَرُ فِي جَنَازَتِهَا ، فَلَمَّا دَفَنُوهَا انْصَرَفَ . فَلَقِيَهُ عَابِسُ مَوْلَى عَائِذِ اللَّهِ ،
 فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي غَدَاءٍ وَطَلَاءٍ² أَتَيْتُ بِهِ مِنْ طَيْرِنَابَازٍ³ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ
 فَعَدَّاهُ وَسَقَاهُ ، فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ :

فَلَيْتَ زِيَادًا لَا يَزَلْنَ بَنَاتُهُ يَمْتَنَنَّ وَأَلْقَى كُلَّمَا عِشْتُ عَابِسًا
 فَذَلِكَ يَوْمٌ غَابَ عَنِّي شَرُّهُ وَأَنْجَحْتُ فِيهِ بَعْدَ مَا كُنْتُ آيِسًا

[أخذ الشرط من حانة فرشاهم]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِهِ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو قَالَ : شَرِبَ الْأَقِيشَرُ فِي بَيْتِ خَمَّارٍ بِالْحَيْرَةِ ،
 فَجَاءَهُ الشُّرْطُ لِيَأْخُذْهُ ، فَتَحَرَّرَ مِنْهُمْ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ : لَسْتُ أَشْرَبَ ، فَمَا سَيَلُوكُمْ عَلَيَّ !
 قَالُوا : قَدْ رَأَيْنَا الْعُسَّ⁴ فِي كَفِّكَ وَأَنْتَ تَشْرَبُ . قَالَ : إِنَّمَا شَرِبْتُ مِنْ لَبَنٍ لِقُحَّةٍ لِمُصَاحِبِ
 الدَّارِ ، فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى أَخَذُوا مِنْهُ دَرَاهِمِينَ . فَقَالَ :

إِنَّمَا لِقُحَّتْنَا بِاطِيَّةٍ فَإِذَا مَا مُزِجَتْ كَانَتْ عَجَبٌ⁵
 لَبَنٌ أَصْفَرُ صَافٍ لَوْنُهُ يَنْزِعُ الْبَاسُورَ مِنْ عَجَبِ الذَّنْبِ
 إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أُمُورِنَا فَسَلُّوا الشُّرْطِيَّ مَا هَذَا الْغَضَبُ

1 ديوانه ص 61 رقم 15 وفي ديوان الحماسة لأبي تمام 356/4 :

ولقد غدوت بمشرفي يافوخه عسر المكرة ماؤه يتفصد
 مريح يمج من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقدد

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

4 العس : القدح العظيم .

5 اللقحة : الناقة الحلوب .

[عبد الملك يقول إنه شاعر بني أسد]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال : دخل وفد بني أسد على عبد الملك ابن مروان ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بني أسد ؟ قالوا : إنّ فينا شعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحداً . قال لهم : فما فعل الأقيشير ؟ قالوا : مات . قال : لم يمُت ، ولكنه مشغول بعيشه ، وما أبعد أن يكون شاعرُكم إلاّ أنّه يُضيع¹ نفسه . أليس هو القائل : [من السريع]

يا أيّها السائل عمّا مضى من علم هذا الزمن الذهاب
إن كنت تبغي العلم أو أهله أو شاهداً يُخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

[قال في جار طحان لم يقرضه]

وذكر عبد الله بن خلف عن أبي عمرو الشيباني أنّ جاراً للأقيشير طحاناً كان يُنسى² الناس يُكنى أبا عائشة . فأتاه الأقيشير يسأله فلم يُعطه ، فقال له : [من المتقارب]
يُريدُ النساء ويأبى الرجال فما لي وما لأبي عائشة
أدام له الله كدّ الرجال وأكله ابتته عائشة
فأعطاه ما أراد واستغفاه من أن يزيد شيئاً .

[يهجو بني هجيم ثم يكف]

نسختُ من كتاب عبّيد الله بن محمد اليزيدي بخطه : قال الهيثم بن عديّ حدثني عطاء بن عاصم بن الحذّان قال : مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأقيشير ، فقال له : [من الطويل]
أبا مُعرض كن أنت إن مُتْ دافني إلى جنب قبر فيه شِلو المُضلل
فعليّ أن أنجو من النار إنّها تُضرم للعبد اللّيم المُبعّل
بذلك أوصاها إله ولم تزل تُحش بأوصال وتُرب وجندل³
وأنت بحمد الله إن شئت مُفلتي بحزمك فاحزم يا أقيشير واعجل
فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميم ثم أحد بني الهُجيم بن عمرو بن تميم . فقال الأقيشير :

تميم بن مرّ كفكفوا عن تعمّدي بذلّ فإنّي لست بالمتذلّل

1 ل : يضع .

2 ينسى الناس : يريد ينسى الناس الدين أي يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

3 حشّ النار : أوقدها . الأوصال : المفاصل ، والجندل : الحجارة .

أيهزاً بي العبدُ الهُجيمُ ضَلَّةً ومثلي رمى ذا التَّدْرَا المتضَلُّ¹
 بداهيةٍ ذَهِيَاءَ لَا يَسْتَطِيعُهَا شماريخُ من أركانِ سَلْمَى وَيَذْبُلُ²
 وباللهِ لولا أَنَّ حِلْمِي زاجِرِي تركتُ تَمِيماً ضُحْكَةً كُلِّ مَحْفِلِ
 فكُفُّوا رماكم ذو الجلالِ بِخَزِيَّةٍ تُصَبِّحُكم في كُلِّ جَمْعٍ وَمَنْزِلِ
 فَأَنْتُمْ لِنَاسٍ لَا تَنْكِرُونَهُ والأُمُكم طُرّاً حُرَيْثُ بن جَنْدَلِ
 فصار إليه شيوخُ من بني الهُجيمِ واعتذروا إليه واستكفوه فكَفَّ .

[شرب على غناء مع مقعد وأعمى]

أخبرني الأَخْفَشُ قال حَدَّثَنِي أَبُو الْفَيَاضِ بن أَبِي شُرَاعَةَ عن أبيه قال : شَرِبَ الأُقيشرُ بِالْحِيرَةِ
 فِي بَيْتٍ فِيهِ خِيَاطٌ مُقْعَدٌ وَرَجُلٌ أَعْمَى ، وَعِنْدَهُمْ مُغْنٌ مُطْرِبٌ ، فَطَرِبَ الأُقيشرُ ، فَسَقَاهُمْ مِنْ
 شَرِبِهِ ، فَلَمَّا اتَّشَوْا وَثَبَ الْأَعْمَى يَسْعَى فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَقَفَزَ الْخِيَاطُ الْمُقْعَدُ يَرْقُصُ عَلَى ظَلْعِهِ³ .
 يَجْهَدُ فِي ذَلِكَ كُلِّ جَهْدٍ . فَقَالَ الأُقيشرُ :

وَمُقْعَدٌ قَوْمٍ قَدْ مَشَى مِنْ شَرَابِنَا وَأَعْمَى سَقَيْنَاهُ ثَلَاثًا فَأَبْصَرَا
 شَرَاباً كَرِيحِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ رِيحُهُ وَمَسْحُوقِ هِنْدِيٍّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا⁴
 مِنَ الْفَتَيَاتِ الْغُرِّ مِنْ أَرْضِ بَابِلِ إِذَا شَفَّهَا الْحَانِي مِنَ الدَّنِّ كَبِيراً⁵
 لَهَا مِنْ زُجَاجِ الشَّامِ عُنُقٌ غَرِيبةٌ تَأْتِقُ فِيهَا صَانِعٌ وَتَخِيرَا
 ذَخَائِرُ فَوْعُونَ الَّتِي جُيِّتَ لَهُ وَكُلٌّ يُسَمَّى بِالْعَتِيقِ مَشْهُرَا
 إِذَا مَا رَأَاهَا بَعْدَ إِنْقَاءِ غَسْلِهَا تَدُورُ عَلَيْنَا صَائِمُ الْقَوْمِ أَفْطَرَا

[قال في تفرق الندامي]

أخبرنا عَلِيُّ بن سَلِيمَانَ قال حَدَّثَنِي سَوَّارٌ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : كَانَ الأُقيشرُ صَاحِبَ
 شَرَابٍ وَنَدَامَى ، فَأَشْخَصَ الْحَجَّاجُ بَعْضَ نُدَمَائِهِ إِلَى بَعْضِ [النَّوَاحِي] ، وَمَاتَ بَعْضُهُمْ ،
 وَنَسَكَ بَعْضُهُمْ ، وَهَرَبَ بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

غَلَبَ الصَّبْرُ فَاعْتَرَتْنِي هُمُومٌ لِفِرَاقِ الثُّقَاتِ مِنْ إِخْوَانِي

1 ذو تَدْرَا : أي ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافة .

2 الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل : جيلان .

3 الظَّلَع : العرج .

4 المسك الأذفر : البالغ الغاية في الجودة .

5 الحاني : بائع الخمر .

مات هذا وغاب هذا وهذا دائبٌ في تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
ولقد كان قبل إظهاره النَّسَبِ لك قديماً من أَظرفِ الْفَتِيَانِ

[شعر له في بغل أبي المضاء]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن العنزي قال قال ابن الكلبى حدثني سلمة بن عبد سواع عن أبيه قال : كان الأقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة ، ودرهمين للشراب ، ودرهماً للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المضاء له بغلٌ يُكرِّيه ، وكان يُعطيه درهمين يأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة ، حتى يأتي بيت الخمار فينزل عنده ويربطه بلبجامة وسرجه ، فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء ، ثم يجلس فيشرب حتى يمسي ، ثم يركبه وينصرف . فقال في ذلك :

يا بَغْلُ بَغْلَ أَبِي الْمَضَاءِ تَعْلَمَنْ أَنِّي حَلَفْتُ وَلِلْيَمِينِ نَذُورُ
لَتُعَسِّفَنَّ وَإِنْ كَرِهَتْ مَهَامِهَا فِيمَا أُحِبُّ وَكُلُّ ذَاكَ يَسِيرُ¹
بالرغم يا وَلَدَ الْخَمَارِ قَطَعْتَهَا عَمْدًا وَأَنْتَ مُذَكَّلٌ مَصْبُورُ
حتى تَزُورَ مُسَمِّعًا فِي دَارِهِ وَتَرَى الْمُدَامَةَ بِالْأَكُفِّ تَدُورُ
لَا يَرْفَعُونَ بِمَا يَسُوءُكَ نَعْرَةً وَإِذَا سَخِطْتَ فَخَطْبُ ذَاكَ صَغِيرُ

[خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار]

قال : فأتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يُصادفه فجعل ينتظره ، ودخلت الدار امرأة عبادية² ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجة وأنا امرأته ، فما تريد ؟ قال : نبيذاً . قالت بكم ؟ قال : بدرهمين . قالت : هلُمَّ دِرْهَمَيْكَ وانتظرني . قال لا . قالت : فذلك إليك ، ومضت وتبعها ، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلما طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار ، قالوا : وما يُجْلِسُكَ ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأة محتالة يقال لها أم حنين من العباديين . فعلم أنه قد خُدِعَ ، فانصرف إلى خماره فأخبره بالقصة وقال له : أَنَسَيْتَنِي الْيَوْمَ³ فَاسْقِنِي ففعل . وأنشأ الأقيشر يقول :

لَمْ يُغَرَّرْ بِذَاتِ خُفِّ سِوَانَا بَعْدَ أُخْتِ الْعِبَادِ أُمِّ حَنِينِ
وَعَدْتُنَا بِدِرْهَمَيْنِ نَبِيذًا أَوْ طِلَاءٍ مُعْجَلًا غَيْرَ دَنِينِ

1 عسف المفازة : أي قطعها بغير قصد ولا هداية .

2 عبادية : نسبة إلى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

3 الإنساء والنسيء : التأخير في الدين وفي العمر .

ثم أَلَوْتُ بالدرهمين جميعاً يا قَوْمِي لِضَيْعَةِ الدرهمين
وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلْفٍ عن أبي عمرو الشَّيبَانِي وزاد فيه : أَنَّ الخَمَارَ كان يسمَّى
بِحَنْينٍ ، وَأَنَّ المرأةَ المحتالةَ قالت له : إِنَّهَا أُمُّ حَنْينٍ الخَمَارِ الذي كان يُعامله حتى أخذتِ
الدرهمين ثم هربتُ منه ، وذكر الأبيات الثلاثة التي تقدَّمتُ ، وبعدها : [من الخفيف]

عاهدتُ زَوْجَهَا وقد قال إِنِّي	سوف أَغْدُو لحاجتي ولذَنِّي
فَدَعَتْ كالْحِصَانِ أَيْضَ جَلْدًا	وافرَ الأيْرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ
قال ما أَجْرُ ذَا هُدَيْتٍ فقالت	سوف أُعْطيك أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ
فأَبْدِ الْآنَ بالسَّحاحِ فلَمَّا	سافَحْتَهُ أَرْضَتَهُ بِالْأُخْرَيْنِ
تَلَّهَا لِلجَبِينِ ثُمَّ امْتَطَاهَا	عَالِمُ الأيْرِ أَفْحَجُ الحَالَيْنِ ¹
بينما ذاكَ منهما وهي تحوي	ظَهَرَ بالْبَنانِ والمِغْصَمَيْنِ
جاءَها زَوْجُهَا وقد شامَ فيها	ذا انتصابٍ مُوثَّقَ الأُخْدَعَيْنِ ²
فَتَأَسَّى وقال وَيَلَّ طَوِيلٌ	لِحَنْينٍ من عارٍ أُمُّ حَنْينٍ

قال : فجاء حَنْينُ الخَمَارِ فقال له : يا هذا ما أَرَدْتُ بهِجائي وهِجاءُ أُمِّي ؟! . قال : أَخَذْتُ
مَنِّي درهمين ولم تُعْطِنِي شَراباً . قال : والله ما تُعْرِفُك أُمِّي ولا أَخَذْتُ منك شيئاً قطُّ ، فانظُرْ إلى
أُمِّي فَإِن كانت هي صاحِبَتُكَ غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرفُ غيرَ أُمِّ حَنْينٍ ، ما
قالت لي إِلَّا ذلكَ ، ولا أَهْجُو إِلَّا أُمَّ حَنْينٍ وابنها ، فَإِن كانت أُمُّكَ فَإِيَّاها أَعْنِي . وَإِن كانت أُمُّ
حَنْينٍ أُخْرَى فَإِيَّاها أَعْنِي . فقال : إِذَا لا يَفْرقُ الناسُ بينهما . قال : فما عَلَيَّ إِذَا ! أَتُرَى دِرْهَمِيَّ
يَضِيْعانِ ! فقال له : هَلُمَّ إِذَا أَغْرَمَهُما لك وأَقِمَّ ما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، لا بَارَكَ اللهُ لك ؛ ففعل .

[استكبه العريان بن الهيثم من ملحه]

قال عبد الله وحَدَّثَنِي أَبُو عمرو قال : كان العُريان بن الهيثم النَّخَعِيَّ صديقاً للأقيشر ، فقال
له : يا أقيشر إِنِّي أريدُ أَنْ أمتدَّ إلى الشام فأُكَيِّبُنِي³ من مُلْحِكٍ فأُكْتَبِه . فخرج إلى الشام فأصاب
مالاً ، فبعث إلى الأقيشر بخمسين درهماً ، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أَنْ تهْجُوهُ إِذ
وَضَعَ منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأقيشر : [من الكامل]

وسألتني يومَ الرَّحِيلِ قصائدًا فَمَلَأْتُهُنَّ قصائدًا وكتابًا

1 تَلَّهَا للجَبِينِ : صرعها . أَفْحَجُ الحَالَيْنِ : متباعد ما بينهما .

2 الأُخْدَعانِ : عرقان في جانبي العنق .

3 الإكتاب : الإملاء .

إِنِّي صَدَقْتُكَ إِذْ وَجَدْتُكَ صَادِقًا وَكَذَّبْتَنِي فَوَجَدْتَنِي كَذَّابًا
وَفَتَحْتُ بَابًا لِلْخِيَانَةِ عَامِدًا لَمَّا فَتَحْتَ مِنَ الْخِيَانَةِ بَابًا

وكان أبو العريان على الشرطة ، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه . وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكف عن ابنه وألا يُشهره ، فأخذها وفعل .
[يهجو رجلاً من حضرموت]

قال أبو عمرو : وخطب رجلٌ من حضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن
حسبها وأمهاتها ، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها . فقال له : من [أين] أنت ؟ قال : من
حضرموت . فأنشأ يقول :

حَضْرَمَوْتُ فَتَشَتْ أَحْسَابَنَا وَإِلَيْنَا حَضْرَمَوْتُ تَنْسِبُ
إِخْوَةُ الْقِرْدِ وَهُمْ أَعْمَامُهُ بَرِثْتُ مِنْكُمْ إِلَى اللَّهِ الْعَرَبُ

[يقول لعمته إما الصلاة أو الوضوء]

أخبرني الحسن بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال أبو طالب الشاعر حدثني رجلٌ من بني
أسدٍ قال : سمعتُ عمّة الأقيشر تقول له يوماً : اتق الله وقم فصلٌ ، فقال : لا أصلي . فأكثر
عليه ، فقال : قد أبرمتني ، فاختراري خصلةً من خصلتين : إما أن أصلي ولا أتطهر ، وإما أن
أتطهر ولا أصلي . قالت : قبحك الله ! فإن لم يكن غير هذا فصلٌ بلا وضوء .
[خاف شرطياً فسقاه من ثقب الباب]

قال أبو أيوب : وحدثت أنه شرب يوماً في بيت خمار بالحيرة ، فجاء شرطياً من
شرط الأمير ليدخل عليه ، فغلق الباب دونه . فناداه الشرطي اسقني نبيذاً وأنت آمن .
فقال : والله ما آمنك ، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع
له أنبوبةً من قصب في الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب
حتى سكر . فقال الأقيشر :

سَأَلَ الشَّرْطِيُّ أَنْ نَسْقِيَهُ فَسَقَيْنَاهُ بِأَنْبُوبِ الْقَصَبِ
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أُمُورِنَا فَسَلُّوا الشَّرْطِيَّ مَا هَذَا الْغَضَبُ

[أعطاه قيس بن محمد مالا مراراً ثم منعه فهاجاه]

أخبرني عمي عن الكرائي عن قعنب بن المحرز ، وحدثنا محمد بن خلف عن أبي أيوب المديني
عن قعنب بن الهيثم بن عدي قال : كان قيس بن محمد بن الأشعث ضريّر البصر ، فأثاه الأقيشر
فسأله ، فأمر قهرمانه¹ فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أريدها جملةً ، ولكن مِر القهرمان أن

يُعْطِينِي فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ حَتَّى تَنْفَدَ . فَكَانَ يَأْخُذُهَا مِنْهُ ، فَيَجْعَلُ دَرَاهِمًا لَطْعَامِهِ ، وَدَرَاهِمًا لَشْرَابِهِ ، وَدَرَاهِمًا لِدَابَّةٍ تَحْمِلُهُ إِلَى بِيوتِ الْخَمَّارِينَ . فَلَمَّا نَفِدَتِ الدَّرَاهِمُ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَأَعْطَاهُ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَتَاهُ الرَّابِعَةَ فَسَأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : لَا أَبَا لَكَ ! كَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ هَذَا خَرَجًا عَلَيْنَا . فَانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ قَيْسَ الْأَكْمَةِ ابْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ وَلَا تَلْقَاهُ لِلْخَيْرِ يَفْعَلُ
رَأَيْتُكَ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مُمَسِّكًا وَمَا خَيْرُ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ يَبْخَلُ
فَلَوْ صَمٌّ تَمَّتْ لَعْنَةُ اللَّهِ كُلِّهَا عَلَيْهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ أَفْضَلُ

فَقَالَ قَيْسٌ : لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنَ الْأَقْيِشِرِّ لَنَجَوْتُ مِنْهُ .

[كَانَ سَكَرَانٌ فَحَكَمُوهُ فِي الصُّحَابَةِ فَقَالَ شَعْرًا]

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ عَنْ الْعَنْزِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ : اخْتَصِمَ قَوْمٌ بِالْكُوفَةِ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، فَقَالُوا : نَجْعَلُ بَيْنَنَا أَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْنَا . فَطُلِعَ الْأَقْيِشِرُّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ سَكَرَانٌ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انظُرُوا مَنْ حَكَمْنَا . فَقَالُوا : يَا أَبَا مُعْرِضٍ قَدْ حَكَمْنَاكَ . قَالَ : فِيمَاذَا ؟ فَأَخْبِرُوهُ . فَمَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا صَلَّيْتُ خَمْسًا كُلَّ يَوْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِي فَسُوقِي
وَلَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّ النَّاسِ شَيْئًا فَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْحَبْلِ الْوَثِيقِ
وَهَذَا الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ وَدَعْنِي مِنْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ¹

[مَدَحَ غَرِيبٌ لِمَجُوسِيٍّ أَعْطَاهُ مَهْرَ زَوْجَتِهِ]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : وَتَزَوَّجَ الْأَقْيِشِرُّ ابْنَةَ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهَا الرَّبَابُ ، عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَيُقَالُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَسَأَلَهُمْ فَلَمْ يُعْطَوْهُ شَيْئًا ؛ فَأَتَى ابْنَ رَأْسِ الْبَغْلِ وَهُوَ دُهْقَانُ الصُّيْنِ وَكَانَ مَجُوسِيًّا ، فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ الصَّدَاقَ . فَقَالَ الْأَقْيِشِرُّ :

كَفَانِي الْمَجُوسِيَّ مَهْرَ الرَّبَابِ فِدَى لِمَجُوسِيٍّ خَالِي وَعَمِّ
شَهِدْتُ بِأَنَّكَ رَطْبُ الْمَشَاشِ وَأَنْ أَبَاكَ الْجَوَادُ الْخِضَمُّ²
وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ
تُجَاوِرُ قَارُونََ فِي قَعْرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالْمَكْتَنَى بِالْحَكَمِ

1 بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . وهي مثل : أي عليك بمعظم الأمر ودع الروغان مجمع الأمثال للميداني 473/1 .

2 فلان لين المشاش : إذا كان طيب التحيزة عفيفاً عن الطمع .

فقال له المجوسي: وَيَحْك ! سَأَلْتَ قَوْمَكَ فَلَمْ يُعْطُوكَ وَجَعْتَنِي فَأَعْطَيْتَكَ ، فَجَزَيْتَنِي ، هذا القولَ ولم أَفْلِتْ من شِعْرِكَ وَشَرِّكَ ! قال : أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ جَعَلْتِكَ مع الملوك وفوق أبي جَهْلٍ ! .
[ذهب إلى عكرمة بن ربعي فلم يعطه فهجاه]

ثم جاء إلى عِكْرَمَةَ بن رِبعِي التميمي فلم يُعْطِهِ ، فقال فيه :
[من المتقارب]
سَأَلْتُ رَيْعَةً مَن شَرُّهَا أَبَا ثَمٍّ أُمًّا فَقَالُوا لِمَهُ
فَقُلْتُ لِأَعْلَمَ مَن شَرُّكُمْ وَأَجْعَلَ بالسَّبِّ فِيهِ سِمَةً
فَقَالُوا لِعِكْرَمَةَ الْمُخْزِيَاتُ وَمَاذَا يَرَى النَّاسُ فِي عِكْرَمَةَ
فَإِنْ يَكُ عَبْدًا زَكَ مَالُهُ فَمَا غَيْرُ ذَا فِيهِ مِنْ مَكْرَمَةٍ
[شرب بما معه وثنياه]

قال ابن الكلبي: وشرب الأقيشر في حانة¹ خَمَّارٍ حتى أنْفَدَ ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقَتْ² فلم يَبْقَ عليه شيء ، وجلس في تَبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِهِ مستدفئاً به . فمرَّ رجلٌ به يَنْشُدُ ضالَّةً ، فقال : اللهمَّ ارْجُدْهُ عَلِيهِ واحْفَظْ عَلَيْنَا . فقال له الخَمَّارُ : تُخِثُ عَيْنُكَ ؛ أَيَّ شيءٍ يحْفَظُ عليك ربُّكَ ؟ قال : هذا التَّبْنُ لا تأخذه فَأَمُوتُ من البَرْدِ . فضحك الخَمَّارُ وردَّ عليه ثيابه وقال : اذْهَبْ فَاطْلُبْ ما تشرب به ، ولا تجعني بثيابك فَإِنِّي لا أَشْتَرِيها بعد ذلك .
[حواره مع شرطى وهو سكران]

قال ابن الكلبي: واجتاز الأقيشر برجلٍ يقال له هِشَامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْثٍ وهو سكرانٌ ، فدعا به فقال له : أَنْتَ سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أَكَلْتُ سَفَرَجَلًا ، ثم قال :

يقولون لي انْكَه شَرِبْتَ مُدَامَةً فَقُلْتُ كُنْتُمْ بَلْ أَكَلْتُ سَفَرَجَلًا³
فضحك منه ثم قال : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سكرانَ فَأَخْبِرْنِي كَمْ تَصَلِّي في كلِّ يوم . فقال : [من الوافر]
يسألني هِشَامٌ عَنْ صَلَاتِي صَلَاةَ الْمُسْلِمِينَ فَقُلْتُ خَمْسُ
صَلَاةٍ الْعَصْرِ وَالْأُولَى ثَمَانٍ مُوَاتِرَةً فَمَا فِيهِنَّ لَبْسُ
وَعِنْدَ مَغِيبِ قَرْنِ الشَّمْسِ وَتَرٌّ وَشَفَعٌ بَعْدَهَا فِيهِنَّ حَبْسُ
وَعُدُودُهُ اثْنَتَانِ مَعًا جَمِيعًا وَلَمَّا تَبَدُّ لِلرَّائِينَ شَمْسُ

1 ل : حانوت .

2 الغلق هنا : ضد الفك .

3 نكه فلان : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه واستككه : شم ريح فمه .

وبعدهما لوقتئها صلاةً لِنُسْكٍ بالضَّحَاءِ إِذَا نَبَسٌ¹
 أَاحْصَيْتُ الصَّلَاةَ أَيَا هَشَاماً فذاك مُكَدَّرُ الأخلاقِ جَبَسٌ²
 تَعَوَّدُ أَنْ يُلَامَ فليس يوماً بِحامده من الأَقْوَامِ إِنْسٌ
 قال : فضحك هشام وقال : بلى قد أخبرتنا يا أبا مُعْرِضٍ ، فَأَنْصَرِفْ راشداً .

[استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أَبِي عبيدة قال : قَدِمَ رجلٌ من بني سُلُولٍ على قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ بكتاب عامله على الريِّ وهو المُعَلَّى بن عمرو المُحَارِبِيَّ . فرآه على الباب قُدَّامَةُ بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميِّ وكان صديقاً لَقُتَيْبَةَ ، فدخل عليه فقال له : يَا بَيْتُك أَلُمُّ العَرَبِ ، سَلُولِي رَسُولُ مُحَارِبِيٍّ إِلَى باهلي . فتبسَّم قُتَيْبَةُ تَبَسُّماً فِيهِ غَيْظٌ . وكان قُدَّامَةُ بن جعدة يُتَّهَمُ بِشَرْبِ الخمر ، وكان الأقيشر يُنادمه . فقال قُتَيْبَةُ : ادعوا لي مُرداس بن جُذَامِ الأَسَدِيَّ فدُعِيَ . فقال له : أَنشِدْنِي ما قال الأقيشر في قُدَّامَةَ بن جعدة وهو بالحيرة . فَأَنشده [قوله] :

رُبُّ نَدَمَانٍ كَرِيمٍ ماجِدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرَعِي مُضَرٍّ
 قد سَقَيْتُ الكَأْسَ حَتَّى هَرَّهَا لم يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَذَرٌ³
 قُلْتُ قُمْ صَلِّ فَصَلَّى قَاعِداً تَتَغَشَّاهُ سَمَادِيرُ السَّكْرِ⁴
 قَرْنَ الظُّهَرَ مع العَصْرِ كما تُقَرَّنُ الحِقَّةُ بِالْحِقِّ الذِّكْرُ⁵
 تَرَكَ الفَجَرَ فما يَقْرُوهَا وقرأ الكَوَثَرَ من بين السُّورِ

قال : فتَغَيَّرَ لونُ وجهِ القُرَشِيِّ وخَجَل . فقال له قُتَيْبَةُ : هذه بتلك ، والباديء أظلم⁶ .

[استنشد عبد الملك أبياته في الخمر]

أخبرني الأَخْفَشُ عن محمد بن الحسن بن الحُرُون قال حَدَّثَنَا الكَسْرَوِيُّ عن الأصمعيِّ قال : قال عبد الملك للأقيشر : أَنشِدْنِي أبياتَكَ في الخمر ، فَأَنشده قوله : [من الطويل]
 تُرِيكَ القَدَى من دونها وهي دونه لَوَجْهِه أَخِيها في الإِنَاءِ قُطُوبُ

1 نَبَسَ : من معانيها دعوة الناقة للحلب ، ومنها ما يفيد العمل ، ومنها صوت الزجر للدابة للسوق . أو عند سوق الغنم إلى الماء .

2 الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللقيم .

3 هرها : كرهها .

4 السمادير هنا : شيء يترأى للإنسان من ضعف بصره عند السكر ، جمع سمطور .

5 الحقة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .

6 مثل ورد في مجمع الأمثال 496/3 «هذه بكل والبادي أظلم ، قاله الفرزدق حين سمع إجابة جرير على هجائه له قاله أولاً» .

كُمَيْتٌ إِذَا فُضَّتْ فِي الْكَاسِ وَرَدَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ
فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا مُعْرُضٍ ؛ وَلَقَدْ أُجِدْتَ وَصَفَهَا ، وَأَظْنُكَ قَدْ شَرَبْتَهَا . فَقَالَ : وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَيَرِينِي مِنْكَ مَعْرِفَتَكَ بِهَذَا .
[قصة له مع بعض ندمائه في حانة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ :
كَانَ الْأُقَيْشِرُ يَأْتِي إِخْوَانًا لَهُ يَسْأَلُهُمْ فَيُعْطُونَهُ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ ،
فَأَخَذَهَا وَتَوَجَّهَ إِلَى الْحَانَةِ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِهَا وَقَالَ لَهُ : أَقِمْ لِي مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ،
وَانْضَمَّ إِلَيْهِ رُفَقَاءُ لَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُمْ حَتَّى نَفِدَتِ الدَّرَاهِمُ ، فَأَتَاهُمْ بَعْدَ انْفِاقِهَا يَوْمَ ثُمَّ أَتَاهُمْ
مِنْ غَدٍ فَاحْتَمَلُوهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَقَالُوا لَصَاحِبِ
الْحَانَةِ : أَصْعَدْنَا إِلَى غُرْفَتِكَ هَذِهِ وَأَعْلِمِ الْأُقَيْشِرَ أَنَا لَمْ نَأْتِ الْيَوْمَ . فَلَمَّا جَاءَ الْأُقَيْشِرَ أَعْلَمَهُ مَا
قَالُوهُ لَهُ . فَعَلِمَ الْأُقَيْشِرُ أَنَّهُ لَا فَرَجَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِ الْحَانَةِ إِلَّا بَرَهَنَ ، فَطَرَحَ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَقَالَ لَهُ :
أَقِمْ لِي مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَفَعَلَ . فَلَمَّا أَخَذَ فِيهِ الشَّرَابُ أُنْشَأَ يَقُولُ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

يَا خَلِيلِي اسْقِيَانِي كَاسَا ثُمَّ كَأْسًا حَتَّى أُخَيَّرَ نُعَاسَا
إِنَّ فِي الْغُرْفَةِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِي لَأَنَاسًا يَخَادِعُونَ أَنَاسَا
يَشْرَبُونَ الْمُعْتَقَ الرَّاحَ صِرْفًا ثُمَّ لَا يَرْفَعُونَ بِالزُّورِ رَاسَا
فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ هَذَا الشَّعْرَ فَدَّوهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ثُمَّ قَالُوا لَهُ : إِمَّا أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْنَا أَوْ
نَنْزَلَ إِلَيْكَ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ .

[قصته مع عمه بعدما أعطاه بشر بن مروان]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مُسْلِمٍ الْمُسْتَمْلِي عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :
مَدَحَ الْأُقَيْشِرُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ وَدَخَلَ إِلَيْهِ فَأَنَشَدَهُ الْقَصِيدَةَ وَعِنْدَهُ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ بْنُ فَاتِكِ
الْأَسَدِيِّ ، فَقَالَ أَيْمَنُ : هَذَا وَاللَّهِ كَلَامٌ حَسَنٌ مِنْ جَوْفِ خَرِبٍ . فَأَجَابَهُ بِالْبَيْتِ الْمَذْكُورِ .
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا فِي خَبَرِهِ : فَلَمَّا صَارَ الْأُقَيْشِرُ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ عَمَّهُ فَأَخَذَ مِنْهُ الْأَلْفَ الدَّرْهَمَ
وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُخَلِّيكَ تُفْسِدُهَا وَتَشْرَبُ بِهَا الْخَمْرَ . قَالَ : فَتَصْنَعُ بِهَا مَاذَا ؟ قَالَ : أَكْسُوكَ
وَأكْسُو عِيَالَكَ وَأَعِدُّ لَكَ قُوْتَ عَامِكَ . فَتَرَكَهُ وَدَخَلَ عَلَى بَشْرِ فَقَالَ لَهُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَبْلَغُ أَبَا مَرْوَانَ أَنَّ عَطَاءَهُ أَرَاغَ بِهِ مَنْ لَيْسَ لِي بَعِيَالٍ
قَالَ : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَيْرَ . فَأَمَرَ صَاحِبَ شَرْطَنِهِ أَنْ يُحْضِرَ عَمَّهُ وَيَنْتَزِعَ مِنْهُ الْأَلْفَ
الدَّرْهَمَ وَيُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : خُذْهَا وَنَحْنُ نَقُومُ لِعِيَالِكَ بِمَا يُصْلِحُهُمْ .

[مدح خمارة بشر داعر فسرت به]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : مَرَّ الْأُقَيْشِرُ بِخَمَّارَةٍ بِالْحَيْرَةِ

يقال لها دومة ، فنزل عندها فاشترى منها نبيداً ، ثم قال لها جودي لي الشراب حتى أجد لك المدح ففعلت . فأنشأ يقول :

ألا يا دَوْمَ دَامَ لك النعيمُ وأسمرُ مِلءِ كَفْكِ مستقيمُ
شديدُ الأسْرِ يَنْبِضُ حالباه يُجَمُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سقيمُ¹
يُرْوِيهِ الشرابُ فيزدهيه وينفخُ فيه شيطانٌ رجيُمُ
قال : فسرت به الخمارة وقالت : ما قيل في أحسن من هذا ولا أسر لي منه .

[مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان فاتك بن فضالة بن شريك الأسدي كريماً على بني أمية ، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزبير ، فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه ، وأن يُسلموا مُصعباً إذا لقيه ويتفرقوا عنه . وله يقول الأقيشر في هذه الوفاة :

وَقَدِ الْوَفُودُ فَكَنْتَ أَفْضَلَ وَافِدٍ يَا فَاتِكُ بْنُ فَضَالَةَ بْنِ شَرِيكِ

[اتكسر المنبر من تحت الولي التميمي فهجا قومه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السُّكَّرِيِّ قال حدثني ابن حبيب قال : ولي الكوفة رجل من بني تميم يقال له مطر² ؛ فلما علا المنبر انكسرت الدرجة من تحته فسقط عنها ؛ فقال الأقيشر :

أَبْنِي تَمِيمٍ مَا لِمَنْبَرٍ مُلْكُكُمْ مَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ يَتَمَرَّمُ³
إِنَّ الْمُنَابَرَ أَنْكَرْتُ أَسْتَاهَكُمْ فَادْعُوا خَزِيمَةَ يَسْتَقِرُّ الْمَنْبَرُ

[يتهاجى مع قريظة بن قرظة]

أخبرني محمد بن مزني عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذثان قال : مر رجل من محارب يقال له قريظة بن قريظة بالأقيشر الأسدي وهو في مجلس من مجالس بني أسد ، فسلم على الأقيشر وكان به عارفاً . فقال له القوم : من هذا يا أبا معرض ؟ وكان مخموراً ، فقال :

وَمَنْ لِي بَأْنٍ أَطِيعَ أَنْ أَذْكَرَ اسْمَهُ وَأَعْيَا عِقَالاً أَنْ يُطِيقَ لَهُ ذِكْرَا

قال : فضحك القوم وقالوا : سبحان الله ؛ أي شيء تقول ؟ فقال : اسمه ونسبه أعظم من

1 الأسر : شدة الخلق .

2 وهو مطر بن ناجية اليربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري وقد ورد هذا الاسم في شعر للأقيشر ، الشعر والشعراء : 560/2 . انظر ديوانه ص 71 رقم 23 .

3 ديوانه ص 71 رقم 23 وفي الشعر والشعراء 560/2 : لا يستقر قعوده يتمرمر . ويتمرمر : يهتز ويضطرب .

أَنْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِهِمَا فِي يَوْمٍ ، فَإِنْ شِئْتُمْ سَمَيْتَهُ الْيَوْمَ وَنَسَبْتُهُ غَدًا ، وَإِنْ شِئْتُمْ نَسَبْتُهُ الْيَوْمَ وَسَمَيْتُهُ غَدًا . قالوا : هَاتِ اسْمَهُ الْيَوْمَ . فقال : قُرَيْظَةُ . فقال رجل منهم : ينبغي أَنْ يَكُونَ ابْنُ يَفْظَةٍ . فقال الأقيشر : صدقتَ والله وأصبتَ ، ولقد أثقلني اسمه حين ذكركته أَنْ أَقُولَ نَعَمْ . فبلغ قُرَيْظَةَ قَوْلُهُ وَكَانَ شَاعِرًا فَقَالَ :

لِسَانُكَ مِنْ سُكَّرٍ ثَقِيلٍ عَنِ الثَّقَى وَلَكِنَّهُ بِالْمُخْزِيَّاتِ طَلِيقٌ
وَأَنْتَ حَقِيقٌ يَا أَقْيَشِيرُ أَنْ تَرَى كَذَلِكَ إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُفِيقٍ¹
تَسْفُ مِنَ الصَّهْبَاءِ صِرْفًا تَخَالُهَا جَنَى النَّحْلِ يُهْدِيهِ إِلَيْكَ صَدِيقُ
فبلغ الأقيشر قولَ المُحَارِبِيِّ وَكَانَ يُكْنَى أَبُو الذِّيَالِ ، فَأَجَابَهُ فَقَالَ :

عَدِمْتُ أَبَا الذِّيَالِ مِنْ ذِي نَوَالَةٍ لَهُ فِي بِيوتِ الْعَاهِرَاتِ طَرِيقُ
أَبَا الْخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرَأَةً لَيْسَ مُقْلِعًا وَذَلِكَ رَأْيِي لَوْ عَلِمْتَ وَثِيقُ
سَأَشْرِبُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِنْ أُمْتُ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا زَفْرَةٌ وَشَهِيقُ
[أعجب الرشيد بشعره في التوبة]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الرَّشِيدَ سَمِعَ لَيْلَةً رَجُلًا يَغْنِي² :

إِنْ كَانَتْ الْخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ وَقَدْ مُنِعَتْ وَحَالَ مِنْ دُونِهَا الْإِسْلَامُ وَالْحَرْجُ
فَقَدْ أَبَاكَرُهَا صِرْفًا وَأَشْرَبُهَا أَشْفَى بِهَا غُلَّتِي صِرْفًا وَأُمْتَرَجُ³
وَقَدْ تَقَوُّمٌ عَلَى رَأْسِي مُغْنِيَةٌ لَهَا إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا غُنْجُ
وَتَرْفَعُ الصَّوْتَ أحيانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْهَزْجُ

قال : فَوَجَّهَ فِي أَثَرِ الصَّوْتِ مَنْ جَاءَهُ بِالرَّجْلِ وَهُوَ يُرْعَدُ ، فَقَالَ : لَا تُرْعَغُ فَإِنَّمَا أَعْجَبَنِي حُسْنُ صَوْتِكَ . فقال : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَغْنَيْتَ بِهَذَا الشَّعْرَ إِلَّا وَأَنَا قَدْ ثَبْتُ مِنْ شَرْبِ النَّبِيذِ ، وَهَذَا شَعْرٌ يَقُولُهُ الْأَقْيَشِيرُ فِي تَوْبَتِهِ مِنَ النَّبِيذِ . فقال له الرشيد : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِهِ ؟ قال : خَشْيَةُ اللَّهِ . وَإِنِّي فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ ظَبْيَانَ :

جَاءُوا بِقَاقِرَّةٍ صَفْرَاءَ مُتْرَعَةٍ هَلْ بَيْنَ ذِي كِبَرَةٍ وَالْخَمْرِ مَنْ نَسَبِ⁴

1 في هذا البيت إقواء .

2 ديوانه ص 58 رقم 12 عن الأغاني .

3 في ديوان أبي محجن :

فقد أبأكرها ريًا وأشربها صرْفًا وأطرب أحيانًا فأمترج

4 القاقرة : الصغيرة من القوارير .

بئس الشرابُ شراباً حينَ تَشْرَبُهُ يُوْهي العِظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ
 إِنِّي أَحَافُ مَلِيكِي أَنْ يُعَذِّبَنِي وفي العَشِيرَةِ أَنْ يُزْرِيَ عَلَى حَسْبِي
 فقال له الرشيد : أنتَ وما اخترتَ أَعْلَمُ ، فَأَعِدِ الصَوْتَ ، فأَعَادَهُ . وأمر بإحضار المغنين
 واستعادَهُ ، وأمرهم بِأَخْذِهِ عنه فَأَخْذُوهُ ، ووصله وانصرفت ، وكان صوتَ الرشيدَ أَيْاماً .
 هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عُثْمَر بن شُبَّة في هذا الخبر أَنَّ الأبياتَ للأقيشر ، ووجدتها
 في شعر أبي مِخْجَنٍ الثَّقَفِيِّ له لما تاب من الشراب .
 [خرج لغزو الشام فاتفق ثمن حماره في الفجر]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب قال : كان القُبَاعُ ، وهو
 الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، قد أخرج الأقيشرَ مع قومه لقتال أهل الشام ، ولم يكن
 عند الأقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ ، فلما عبرَ جسرَ سَورَا¹ فوصل لقرية يقال لها قَيْن تَوَارَى
 عند حِمَارٍ نَبْطِيٍّ يُرِزُ زوجته للفُجُور ، فباع حِمَارَهُ وجعل يُنفقه هناك ويشرب بَشْمَنه ويفجُر
 إلى أن قفل الجيش ، وقال في ذلك :

خرجتُ من المِصْرِ الحَوَارِيَّ أَهْلُهُ	بلا نَذْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعَلُ
إلى جيشِ أهلِ الشَّامِ أَغْزَيْتُ كَارَهَا	سَفَاهَا بلا سيفٍ حديدٍ ولا نَبَلٍ ²
ولكنْ بِتَرْسٍ ليس فيه حِمَالَةٌ	ورُحْمٍ ضَعِيفِ الزُّجْ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ
حَبَانِي به ظَلَمَ القُبَاعُ ولم أَجِدْ	سوى أمرِهِ والسَّيْرِ شَيْئاً من الفِعْلِ
فَأَزْمَعْتُ أَمْرِي ثم أَصْبَحْتُ غَازِيَا	وَسَلَّمْتُ تسليمَ الغَزَاةِ على أَهْلِي
وقلتُ لَعَلِّي أَنْ أَرَى ثَمَّ رَاكِباً	على فرسٍ أو ذا مَتَاعٍ على بَعْلِ
جَوَادِي حِمَارٌ كان حيناً لِيظْهَرِهِ	إِكافٌ وإِشْناقُ المَزَادَةِ والحِبلِ
وقد خان عينيه بياضٌ وخانَهُ	قوائِمُ سَوَاهٍ حينَ يُزَجَّرُ في الوَحْلِ
إذا ما انتَحَى في الماءِ والوَحْلِ لم تَرَمْ	قوائِمُهُ حَتَّى يُؤْخَرَ بِالْحِمْلِ
أُنَادِي الرِّفَاقَ بَارَكَ اللهُ فيكُمْ	رُؤْيَدُكُمْ حَتَّى أَجُوزَ إِلَى السَّهْلِ
فسيرنا إلى قَيْن يوماً وَلِيلَةً	كأنَّا بَغَايَا ما يَسِيرُنَّ إِلَى بَعْلِ
إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ سَاحَةِ	سوى يابسِ الأنهارِ أو سَعْفِ النَّخْلِ

1 سورا : قرية بالعراق من أرض بابل ، وقد نسبوا إليها الخمر . وسوراء : موضع قرب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها .

2 أغزاه : حمله على الغزو .

مَرَرْنَا عَلَى سُرَّاءَ نَسْمَعُ جَسْرَهَا يَطُتْ نَقِيضاً عَنْ سَفَائِنِهِ الْفَضْلُ¹
 فَلَمَّا بَدَأَ جَسْرُ السَّرَّاءِ وَأَعْرَضَتْ لَنَا سَوْقُ فُرَاغِ الْحَدِيثِ إِلَى شُغْلِ
 نَزَلْنَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَبَاءِ حَلَالٍ بَرِغَمِ الْقَلْطَمَانِ وَمَا نَفْلُ²
 يُشَارِطُهُ مَنْ شَاءَ كَانَ بِدَرَاهِمِ عَرُوساً بِمَا بَيْنَ السَّبِيئَةِ وَالنَّسْلِ
 فَاتَّبَعْتُ رُمَحَ السَّوءِ سَمِيَةَ نَصْلِهِ وَبَعْتُ حِمَارِي وَاسْتَرَحْتُ مِنَ الثَّقْلِ
 تَقُولُ ظَبَايَا قُلِّ قَلِيلاً أَلَا لِيَا فَقُلْتُ لَهَا إِصْوِي فَإِنِّي عَلَى رَسْلِ
 مَهْرَتِ لَهَا جَرْدِيْقَةٍ فَتَرَكْتُهَا بِمَرَهَا كَطَرْفِ الْعَيْنِ شَائِلَةَ الرَّجْلِ
 وَمَا يُغْنِي فِيهِ مِنْ شِعْرِ الْأَقْيَشِيرِ :

صوت

لَا أَشْرَبُنْ أَبَدًا رَاحًا مُسَارَقَةً إِلَّا مَعَ الْغُرِّ أَبْنَاءَ الْبَطَارِيْقِ
 أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرَعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهُ الْأَبَارِيْقِ³
 الْغَنَاءُ لِحْنَيْنٍ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَعَمْرُ الْوَادِي رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ هِشَامِي . وَفِيهِ
 ثَقِيلٌ أَوَّلُ يُنْسَبُ إِلَى حُنَيْنٍ وَعُمَرُ وَحَكَمٌ جَمِيعاً . وَهَذَا الْغَنَاءُ الْمَذْكُورُ مِنْ قَصِيدَةِ لِلْأَقْيَشِيرِ
 طَوِيلَةٌ ، أَوَّلُهَا :
 إِنِّي يَذْكُرْنِي هَنَدًا وَجَارَتَهَا بِالطَّفِّ صَوْتُ حَمَامَاتٍ عَلَى نَبَقِ⁴

صوت

دَعَانِي دَعْوَةٌ وَالْخَيْلُ تَرْدِي فَلَا أُدْرِي أَبَاسْمِي أَمْ كَنَانِي
 وَكَانَ إِيْجَابَتِي إِيَّاهُ أَنِّي عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِي
 الشَّعْرَ لَابِنِ الْغَرِيْزَةِ النَّهْشَلِي . وَالْغَنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّي رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِي . وَقَدْ جَعَلَ
 الْمُغَنُّونَ مَعَهُ هَذَا الْبَيْتَ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي قَصِيدَتِهِ ، وَلَا أُدْرِي أَهْوَلُهُ أَمْ لَغِيْرُهُ :
 أَلَا يَا مَنْ لَذَا الْبَرْقِ الْيَمَانِي يَلُوحُ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانٍ⁵

1 يَطُتْ : يَصَوْتُ . وَالنَّقِيضُ : الصَّوْتُ .

2 الْبَاءَةُ : النِّكَاحُ .

3 التَّلَادُ : الْمَالُ الْقَدِيمُ مِنْ تَرَاثٍ وَغَيْرِهِ . وَالنَّشَبُ : الْمَالُ الثَّابِتُ كَالدَّارِ وَغَوْهَا . أَوْ هُوَ الْمَالُ الْأَصِيلُ مِنَ النَّاطِقِ

وَالصَّامِتِ . الْقَوَاقِيزُ : ضَرْبٌ مِنَ الرِّوَاطِيمِ وَهُوَ الْكُوْثُوسُ الصَّغِيرَةُ .

4 الطَّفُ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ . النَّبَقُ : حَرْفٌ مِنَ حُرُوفِ الْجِبَلِ ، وَأَرْفَعُ مَوْضِعٍ فِيهِ .

5 الْبَانِي هُنَا : الدَّخَالُ بِأَهْلِهِ . وَكَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانٍ مِثْلُ : يَضْرِبُ فِيمَا يَبْقَى لَيْلَهُ وَلَا يَزُولُ .

[190] - أخبار ابن الغريزة ونسبه

[نسبه]

كثيرُ بن الغريزة التميميُّ أحدُ بني نهشلٍ . والغريزةُ أمه . وهو مخضرمٌ ، أدرك الجاهليَّة والإسلام ، وقال الشعرُ فيهما . وهذا الشعرُ يقوله ابنُ الغريزة في غزاة غزاها الأقرعُ بن حابسٍ وأخوه بالطَّالقان¹ وجوزجان² وتلك البلادُ ، فأصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالقانِ فرثاهم ابنُ الغريزة .

[قصيدته التي يرثي فيها قتل يوم الطالقان]

أخبرني الصُّوليُّ عن الحزَنبَلِ عن ابن أبي عمرو الشَّيبانيِّ عن أبيه قال : بعثَ عُمَرُ بن الخطَّابِ الأقرعُ بن حابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطَّالقانِ وجوزجانِ وتلك البلادُ ، فأصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالقانِ ، فقال ابن الغريزة النهشليُّ وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم :

سَقَى مُزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ	مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزْجَانِ
إِلَى الْقَصْرَيْنِ مِنْ رُسْتَقِ خُوطٍ	أَبَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ ³
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ جَزَعْتُ إِلَّا	حَنِينَ الْقَلْبِ لِلْبَرْقِ الْيَمَانِي
وَمَحْجُورٍ بِرُؤُوتِنَا يُرْجِّي الـ	لِقَاءَ وَلَنْ أَرَاهُ وَلَنْ يَرَانِي
وَرُبَّ أَخٍ أَصَابَ الْمَوْتَ قَبْلِي	بَكَيْتُ وَلَوْ نُعِيتُ لَهُ بَكَائِي
دَعَانِي دَعْوَةً وَالْخَيْلُ تَرْدِي	فَمَا أَذْرِي أَبَاسِمِي أَمْ كَنَانِي ⁴
فَكَانَ إِجَابَتِي إِبَاهُ أَنْتِي	عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِ ⁵
وَأَيَّ فَتًى دَعَوْتَ وَقَدْ تَوَلَّتْ	بِهِنَّ الْخَيْلُ ذَاتُ الْعَنْظُولَانِ ⁶

1 الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

2 جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

3 القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقرها . يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

4 ردت الفرس تردى : رجعت الأرض بمخاوفها ، أو هو ضرب من السير بين العدو والمشى .

5 خوار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .

6 يقال : طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه .

وَأَيَّ فَتَى إِذَا مَا مُتْ تَدْعُو يُطَرِّفُ عَنْكَ غَاشِيَةَ السَّانِ
فَإِنْ أَهْلِكَ فَلَمْ أَكُ ذَا صُدُوفٍ عَنِ الْأُقْرَانِ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ¹
وَلَمْ أَذْلِجْ لِأَطْرَقَ عِرْسَ جَارِي وَلَمْ أَجْعَلْ عَلَى قَوْمِي لِسَانِي²
وَلَكِنِّي إِذَا مَا هَاجُونِي مَنِيحُ الْجَارِ مُرْتَفِعُ الْبَنَانِ
وَيَكْرَهُنِي إِذَا اسْتَبَسَلْتُ قِرْنِي وَأَقْضِي وَاحِداً مَا قَدْ قَضَانِي
فَلَا تَسْتَبْعِدَا يَوْمِي فَإِنِّي سَأُوشِكُ مَرَّةً أَنْ تَفْقِدَانِي
وَيَذِرْكُنِي الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَإِنْ أَشْفَقْتُ مِنْ خَوْفِ الْجَنَانِ
وَتَبْكِينِي نَوَاحٍ مُغُولَاتٍ تُرْكَنَ بَدَارِ مُعْتَرِكِ الزَّمَانِ³
حَبَائِسُ بِالْعِرَاقِ مُنْهِنَهَاتٍ سَوَاجِي الطَّرْفِ كَالْبَقْرِ الْهِيَجَانِ⁴
أَعَاذَلْتَنِي مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي وَلِلرُّشْدِ الْمُبِينِ فَاهْدِيَانِي
وَعَاذَلْتَنِي صَوْتُكُمَا قَرِيبٌ وَتَفْعُكُمَا بَعِيدُ الْخَيْرِ وَاثِي
فَرُدَّا الْمَوْتَ عَنِّي إِنْ أَتَانِي وَلَا وَأَيُّكُمَا لَا تَفْعَلَانِ

صوت

[من الكامل]

دَارٌ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ مَا بِهَا غَيْرُ الْوُحُوشِ خَلَتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا⁵
ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَيْمِ مَا بِهِ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا
الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويعين
الأخطل عليه . ويروى «رُبْعٌ لِقَانِصَةِ الْغَرَائِقِ» وهو الصحيح هكذا ، ويُغْنَى «دَارٌ لِقَاتِلَةِ» لَأَنَّهُ
يقول في آخر البيت «خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا» . والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقلب بالبصرة عن
عمرو بن بانة وابن المكِّي . وفيه لمخارق رمل من جميع أغانيه .

1 الصَّدُوف : الإعراض .

2 الإدلاج : السير من أول الليل .

3 معترك : في ل : مغولة .

4 نهنة فلان دمه : كفه . وسواحي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .

5 الغرائق والغرائق : جمع غُرُنُوقٍ وَغُرُنُوقٍ وَغُرُنُوقٍ وهو الشاب الناعم .

[191] - أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني: اسمه ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية، أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَيٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنوحي الموصل وديار ربيعة. وكان نصرانياً، وعلى ذلك مات.

[قصته مع الحر بن يوسف]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال: كان أعشى بني تغلب يُنادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم. فشربا يوماً في بُستانٍ له بالموصل، فسكير الأعشى فنام في البستان. ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه فَبَتِه. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه، فلطمه خصي منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحر. فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن أبي سعد، فافتحما الحائط¹ وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

كأنِّي وابن أدعج إذ دخلنا على قرشيكَ الورع الجبان²
هزبراً غابةً وقصاً جماراً فظلاً حوله يتناهشان³
أنا الجشمي من جشم بن بكر عشيّة رعت طرفك بالبنان
أي لطمتك. وقوله «أنا الجشمي» أي مثلي يفعل ذلك بمثلك.

فما يستطيع ذو ملِكٍ عِقابي إذا اجترمت يدي وجنى لِساني
عشيّة غاب عنك بنو هاشم وعثمان أسُها وبنو أبان
تروحُ إلى منازلها قریشُ وأنت مُخيّم بالزرقان

1 الحائط: البستان.

2 الورع: الضعيف الجبان.

3 وقص عتقها: كسرهما ودقها.

والزَّرْقَان : قرية كانت للحُرِّ بسِنْجَار¹ .

[مدح مدركا الكِنَانِي فأساء ثوابه فهجاه]

قال ابن حبيب : مدح أَعْشَى بني تَغْلِبَ مُذْرِكَ بن عبد الله الكِنَانِي أحد بني أَقْيَشِيرَ بن جَذِيمَةَ بن كَعْبَ فأساء ثوابه ؛ فقال الأَعْشَى :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أُمْدَحُ مُذْرِكًا لَكَالْمُبْتَنِي حَوْضًا عَلَى غَيْرِ مَنْهَلٍ
أَمْرُ الْهَوَى دُونِي وَفِيلَ مِدْحَتِي وَلَوْ لَكَرِيمٍ قَلْتَهَا لَمْ تُفِيلَ²

[شعره في شمعة بن عامر]

قال ابن حبيب : كان شَمْعَلَةُ بن عامر بن عمرو بن بكرٍ أَخُو بني فائِدٍ وهم رَهْطُ الفرس نصرانيًّا وكان ظريفًا ، فدخل على بعض خلفاء بني أُمَيَّة ، فقال : أَسْلِمَ يا شَمْعَلَةُ . قال : لا والله أَسْلِمَ كارهًا أَبَدًا ، ولا أَسْلِمَ إِلَّا طَائِعًا إِذَا شِئْتُ . فغَضِبَ فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ بَضْعَةٌ مِنْ فَخْذِهِ وَشَوِيَتْ بِالنَّارِ وَأُطْعِمَهَا . فقال الأَعْشَى بني تَغْلِبَ في ذلك :

[من الطويل]

أَمِنْ حُدَّةٍ بِالْفَخْذِ مِنْكَ تَبَاشَرْتُ عُدَاكَ فَلَا عَارَ عَلَيْكَ وَلَا وَرَرْ³
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَرَحَهُ لَكَالدَّهْرُ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

[قال حين منعه عمر بن عبد العزيز]

وقال ابن حبيب قال أبو عمرو : كان الوليد بن عبد الملك محسنًا إلى أَعْشَى بني تَغْلِبَ ، فلَمَّا وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وَفَدَ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، وقال : مَا أَرَى لِلشُّعْرَاءِ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقًّا ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ فِيهِ لَهُمْ حَقٌّ لَمَا كَانَ لَكَ ؛ لِأَنَّكَ أَمْرُو نَصْرَانِيٍّ . فَانصَرَفَ الأَعْشَى وَهُوَ يَقُولُ :

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ عَاشَ الْوَلِيدُ حَيَاتَهُ إِمَامَ هُدًى لَا مُسْتَزَادَ وَلَا نَزْرَ
كَأَنَّ بَنِي مَسْرُوَانَ بَعْدَ وَفَاتِهِ جَلَامِيدُ لَا تَنْدَى وَإِنْ بَلَّهَا الْقَطَرُ

[شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان]

وقال ابن حبيب عن أبي عمرو : كانت بين بني شَيْبَانَ وبين تَغْلِبَ حُرُوبٌ ، فَعَاوَنَ مَالِكُ بن مَسْمَعٍ بني شَيْبَانَ فِي بَعْضِهَا ثُمَّ قَعَدَ عَنْهُمْ . فقال أَعْشَى بني تَغْلِبَ في ذلك :

[من الطويل]

1 سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .

2 فيله : قبحه وخطأه .

3 الحُدَّة : القطعة من اللحم .

بني أمنا مهلاً فإن نفوسنا
وترعى بلا جهل قرابة بيننا
جزى الله شيباناً وتيماً ملامه
أبا مسمع من تنكير الحق نفسه
أوقدت نار الحرب حتى إذا بدا
نزعته وقد جرّدتها ذات منظر
ألّسنا إذا ما الحرب شبّ سعيها
أجارتنا حلّ لكم أن تناولوا
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا
وحتى ترى عين الذي كان شامتا
تُبيت عليكم عتبتها ومصالها
وبينكم لما قطعتم وصالها
جزاء المسيء سعيها وفعلها
وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها
لنفسك ما تجني الحروب فهاها
قبيح مهن حيث ألفت حلالها¹
وكان صفيح المشرقي صلالها²
محارمها وأن تميزوا حلالها
صدور العوالي بيننا ونصالها³
مزاحف عقرى بيننا ومجالها⁴

صوت

[من الطويل]

ويفرح بالمولود من آل برمك
وتنبسط الآمال فيه لفضله
بغاة الندى والرمح والسيف والنصل
ولا سيما إن كان من ولد الفضل
الشعر لأبي النضير . والغناء لإسحاق ، ثقیل¹ أول بالنصر عن عمرو بن بانه من
مجموع إسحاق . وقال حبش² : فيه لإبراهيم الموصلي ثقیل³ أول بالنصر عن عمرو بن بانه
من مجموع إسحاق . وقال حبش⁴ : فيه لإبراهيم الموصلي ثقیل⁵ آخر بالوسطى ولقضيّب
وبراقش جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

1 الحلال هنا : متاع الرجل .

2 الصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرقي : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران ، وذكر أنها في أماكن أخرى .

3 تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح . الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح .

4 المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف . وعقرى : جمع عقير .

[192] - أخبار أبي النضير ونسبه

أبو النضير اسمه عُمَرُ بن عبد الملك ، بصريٌّ ، مولى لبني جُمَحَ .
 أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مَهْرُويه عن إسحاق بن محمد النخعي عن إسحاق بن خلف
 الشاعر قال : قلت لأبي النضير بن أبي إلياس : لمن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيى
 اللّاحقي أن اسمه الفضل بن عبد الملك .
 [انقطع إلى البرامكة فأغنوه]

شاعرٌ من شعراء البصريين ، صالحُ المذهب ، ليس من المعدودين المتقدمين ولا من
 المولّدين الساقطين . وكان يغني بالبصرة على جوارٍ له مولّدات ، ويظهرُ الخلاعة والمجون
 والفيسق . ويعاشر جماعةً ممن يُعرف بذلك الشأن . وكان أبانُ اللّاحقيّ يعاشره ثم تصارَما ،
 وهجا وجاريه واقتربا على قلبي ، ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات .
 [قال إسحاق الموصليّ إنه أظرف الناس]

أخبرنا ابن أبي الأزر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قيل لي من أظرفُ
 من رأيته قطُّ أو عاشرته ، لقلتُ : أبو النضير .
 [دخل على الفضل بن يحيى فهنّاه بمولود ارتجالاً]

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مزّيد عن حمّاد
 عن أبيه قال : وُلِدَ للفضل بن يحيى مولودٌ ، فوَدَّ عليه أبو النضير ولم يكن عرف الخبر فيعدُّ له
 تهنئةً ، فلمّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنّونه ثرّاً ونظماً قال ارتجالاً : [من الطويل]

ويَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَرْمَكٍ بُغَاةُ النَّدَى والسَّيْفِ والرُّمَحِ والنَّصْلِ
 وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِهِ

ثم أرتجّ عليه فلم يدرِ ما يقول . فقال الفضل يلقّنه :

ولا سِيّما إن كان من وَلَدِ الْفَضْلِ

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا ، وأمر لأبي النضير بصلية .

[نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه]

وأخبرني حبيب بن نصر عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني بعض الموالى
 قال : حضرت الفضل بن يحيى وقد قال لأبي النضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا : [من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدَادَ في رَأْسِ فَرَسَخٍ وجدتُ نَسِيمَ الجُودِ من آلِ بَرْمَكٍ
لقد ضَيِّقَتْ عَلَيْنَا جِدًّا . قال : أَفَلَا جَلَّ ذلِكَ أَيْهَا الأَمِيرُ ضَاقَتْ عَلَيَّ صِلَتُكَ وَضَاقَتْ عَنِّي
مَكَافَأَتُكَ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :
[من السريع]

تَشَاغَلَ النَّاسُ بِنُبْيَانِهِم والفضلُ في بُنْيَانِهِ جَاهِدُ
كُلُّ ذَوِي الفضلِ وأهلِ النُّهَى للفضلِ في تَدْبِيرِهِ حَامِدُ
وعلى ذلكُ فما قلتُ البيتَ الأوَّلَ كما بلغَ الأَمِيرُ ، وإِنَّمَا قلتُ :
[من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدَادَ مُنْقَطِعَ الثَّرَى وجدتُ نَسِيمَ الجُودِ من آلِ بَرْمَكٍ
فقال الفضلُ : إِنَّمَا أَخْرَجْتُ عَنْكَ لِأَمَارِحِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
[كسب إلى عنان وكان يهواها فأجابه]

أخبرني ابن عَمَّارٍ عن أَبِي إِسْحَاقَ الطَّلْحِيِّ عن أَبِي سَهْلٍ قال : كان أَبُو النَضِيرِ يَهُوَى
عِنَانَ جَارِيَةَ النَّاطِفِيِّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهَا :
[من الخفيف]

إِنَّ لِي حَاجَةً فَرَأَيْتُكَ فِيهَا لَكَ نَفْسِي الْفِدَا مِنْ الْأَوْصَابِ
وَهِيَ لَيْسَتْ مِمَّا يُتَلَفُّ غَيْرُ رِي وَلَا أُسْتَطِيعُهُ بِكِتَابِ
غَيْرِ أَنِّي أَقُولُهَا حِينَ أَلْقَا لِي رُوَيْدًا أُسِيرُهَا مِنْ ثِيَابِي
فأجابه وقالت :

أَنَا مَشْغُولَةٌ بِمَنْ لَسْتُ أَهْوَا هُوَ وَقَلْبِي مِنْ دُونِهِ فِي حِجَابِ
فَإِذَا مَا أَرَدْتُ أَمْرًا فَاسْرِرْ هُوَ وَلَا تَجْعَلْنَاهُ فِي كِتَابِ

قال : وقال أَبُو النَضِيرِ فِيهَا :
[من الهزج]

صوت

أَنَا وَاللَّهُ أَهْوَاكِ وَأَهْوَاكِ وَأَهْوَاكِ
وَأَهْوَى قُبْلَةَ مِنْكَ عَلَى بَرْدِ ثَنَائِكَ
وَأَهْوَى لَكَ مَا أَهْوَى لِنَفْسِي وَكَفَى ذَاكَ
فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلْ لَكَ يَوْمًا حِينَ أَلْقَاكَ
أَنَا وَاللَّهُ أَهْوَاكِ وَمَا يَشْعُرُ مَوْلَاكَ
فَإِيَّاكَ بَأَنَّ يَعْلَدَ مِمَّ إِيَّاكَ وَإِيَّاكَ

فيه لعلِّي بن المارقِي رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ .

[عابت مكتومة المغنية حين طلبت منه صوتاً]

حدَّثنا ابن عمَّار عن الطَّلْحِيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النُّضَيْر يُغَنِّي غناءً صالحاً ، فغَنَّى ذاتَ يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَيْنَةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومة : اطْرَحْ عَلَيَّ هذا الصوتَ يا أبا النُّضَيْر . فقال : لا تَطْيِبُ نفسي به مُحَابِيَاً ، ولكِنِّي أُبِيعُك إِيَّاه . قالت : بِكُمْ ؟ قال : برأس ماله . قالت : وما رأسُ ماله ؟ قال : ناكِني فيه الذي أخذته منه . فغَطَّتْ وجهها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدُّمارُ .

[شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام]

أخبرني ابن عمَّار عن الطَّلْحِيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : قال أبو النُّضَيْر ، وفيه غناءٌ لإبراهيم :

صوت

أَيَصْحُو فُؤَادُكَ أَمْ يَطْرَبُ وكيف وقد شَحَطْتُ زَيْنَبُ
جَرَى النَّاسُ قَبْلَ أَبِي جَعْفَرٍ زماناً فلم يُدِرْ مَنْ غَلَبُوا
فَلَمَّا جَرَى بِأَبِي جَعْفَرٍ بنو تَغْلِبَ سَبَقَتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفر الذي عناه أبو النُّضَيْر هو عبدُ اللهِ بن هشام بن عمرو التَّغْلَبِيّ الذي يذكره العَتَّابِيُّ في شعره ورسائله ، وكان جواداً سَخِيّاً . وكان ابنُ هشامٍ وَلِي السُّنْدِ ، وفيه يقول أبو النُّضَيْر :

أَلَا أَيُّهَا الْغَيْثُ الَّذِي سَحَّ وَبُلَّه كَأَنَّكَ تَحْكِي راحَةَ ابنِ هشامٍ
كَأَنَّكَ تَحْكِيهَا وَلَكِنْ جُودَه يدومُ وقد تَأْتِي بغيرِ دوامٍ
وَفِيكَ جَهَامٌ رُبَّمَا كَانَ مُخْلِفاً وراحته تَغْدُو بغيرِ جَهَامٍ¹

[كان يرى أنَّ الغناء على تقطيع العروض]

أخبرني ابن عمَّار عن الطَّلْحِيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النُّضَيْر يزعمُ أنَّ الغناء على تقطيع العروض ، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أَنْ يُغَنِّي ، وكان إبراهيم الموصليُّ يُخالفه في ذلك ويقول : العروض مُخَدَّتٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه :

سَكَتُ عَنْ الْغِنَاءِ فَلَا أُمَارِي بَصِيرًا لَا وَلَا غَيْرَ الْبَصِيرِ

1 الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذي هراق ماءه .

مخافة أن أُجَنَّنَ فيه نفسي كما قد جُنَّ فيه أبو النضير

[قاطعه أباں اللاحق وقال شعراً يهجو]

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُوبٍ قال حدثني أبو طَلْحَةَ الخُزَاعِي عن اللّاحِقِي قال : كان جدِّي أَبَانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطئ دجلة بعد مُصَارَمَتِهِ أبا النُّضِيرِ ، وكان القوم أصدقاء له ولأبي النضير ، فذكروهم . فقال جدِّي : إن حَضَرَ انصرفتُ ، فأمسكوا جدِّي فيه :

رُبَّ يَوْمٍ بِشَطِّ دِجْلَةٍ لَذُّ	وَلَيَالٍ نَعِمْتُ فِيهَا لِذَاذِ
غَيَّةٍ لَمْ تَطُلْ عَلَيَّ وَمَاذَا	خَيْرُ قُرْبِ الْمَطْرَمِذِ الْمَلَاذِ ¹
تَرَكَ الْأَشْرِيَاتِ لَيْسَ بَعَاطِ	لِرَسَاطُونِهَا وَلَا الرَّاقِيَاذِ ²
وَحَكَى الْأَحْمَقَ الَّذِي لَيْسَ يَذْهَبُ	أَنَّ خَيْرَ الشَّرَابِ هَذَا اللَّذَاذِ ³
ضَلَّ رَأْيِي أَرَاهُ ذَاكَ كَمَا ضَدَّ	لَّ غُوَاةً لَاذُوا بِشَرِّ مَلَاذِ
أَنْتَ أَعْمَى فِيمَا ادَّعَيْتَ كَمَا لَسْتُ	تَ لِيَصَوِّغَ الْأَلْحَانِ بِالْأُسْتَاذِ
كَانَ ذَنْباً أَتُوبُ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ	هَ اخْتِيَارِيكَ صَاحِباً وَاتِّخَاذِي
إِنَّ لِلَّهِ صَوْمَ شَهْرَيْنِ شُكْرًا	أَنَّ قَضَى مِنْكَ عَاجِلاً إِنْقَاذِي
لَا لِدِينِي وَلَا لِلدُّنْيَا وَلَا يَصُدُّ	لُحْ فِي عِلْمٍ مَا ادَّعَى بِنَفَاذِ

[يسأل حماد عجرد عن مجلس شرابه]

حدثني ابن عَمَّار عن الطَّلْحِي عن أَبِي سُهَيْلٍ قال : كتب أبو النُّضِيرِ إلى حَمَادٍ عَجْرَدٍ يسأل عن حاله في الشراب وشربه إِيَّاهُ وَمَنْ يَعاشِرُ عَلَيْهِ . فكَتَبَ إِلَيْهِ حَمَادٌ :

[من السريع]

أَبَا النُّضِيرِ اسْمَعْ كَلَامِي وَلَا	تَجْعَلْ سِوَى الْإِنْصَافِ مِنْ بَالِكَا
سَأَلْتَ عَنْ حَالِي ، وَمَا حَالُ مَنْ	لَمْ يَلْقَ إِلَّا عَابِداً نَاسِكَا
يَظْهَرُ لِي ذَا فَمَتَى يَفْتَرِصُ	شَيْئاً تَجِدُهُ عَادِيّاً فَاتِكَا ⁴

يعني حُرَيْثُ بن عمرو . وكان حَمَادٌ نَزَلَ عَلَيْهِ ، وكان حُرَيْثُ هذا مشهوراً بِالزُّنْدَقَةِ ، وكذلك حَمَادٌ هذا كان مشهوراً بِهَا ، فَتَزَلَّ عَلَيْهِ لَذَلِكَ .

1 المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنع الذي لا تصح مودته .

2 العاطي : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل .

3 اللذاذ : مصدر لذت الشيء لذاعة أي وجدته لذيداً .

4 افترض الشيء : انتهزه وأصابه واعتنمه .

[كتب إلى حمدان اللاحقي يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجو]

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُوزٍ عن أبي طَلْحَةَ الخُزَاعِي عن أبي يحيى اللاحقي قال :
كَتَبَ أَبُو النَضِيرِ إِلَى عَمِّي حَمْدَانَ بْنَ أَبَانَ . وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ، يَشْكُو إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ يَحْيَى الزِّيَادِيُّ
وَكَانَ عَرَبَدَ عَلَيْهِ وَشَتَمَهُ :

أَقْرَ حَمْدَانَ سَلَامَ الـ	لَهُ مِنْ فَضْلٍ وَقُلْ لَهُ
يَا فَتَى لَسْتُ بِحَمْدِ الـ	لَهُ أَخْشَى أَنْ أَمْلَهُ
ذَاكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْتَ	هَلَهُ الظَّرْفَ وَعَلَهُ
وَذُرَا بَيْتَ رَقَاشٍ	وَعَلَاهَا قَدْ أَحَلَّهُ ¹
إِنَّ شَتَمَ السُّفْلَةَ الْكَشَّ	خَانَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ضَلَّهُ ²
وَلَوْ أَنَّ الْقَلْبَ هَاجَى	عُمَرَا يَوْمًا لَغَلَّهُ ³
ذَاكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ	زَى ابْنَ يَحْيَى وَأَذَلَّهُ
مَنْ يُهَاجِي رَجُلًا يَسُ	تَوَعَّبُ الْجُرْدَانَ كُلَّهُ ⁴
مَا يَسِيلُ الْأَيْرُ إِلَّا	أَدْخَلَ الْأَيْرَ وَيَلَّهُ
وَإِذَا عَايَنَ أَيْرًا	وَإِذَا فِي الْفَيْشَةِ غَلَّهُ
هَذِهِ قِصَّةٌ مَنْ قَدْ	جَعَلَ الْمُرْدَانَ شُعْلَةً

[أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها]

حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ عَنْ أَبِي النَّضِيرِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ :
هَلْ أَحْدَثْتَ بَعْدِي شَيْئًا . قُلْتُ : نَعَمْ ، قُلْتُ أُبَيَاتًا فِي امْرَأَةٍ تَزَوَّجْتُهَا وَطَلَّقْتُهَا لِغَيْرِ عِلَّةٍ إِلَّا
بُغْضِي لَهَا ، وَإِنَّهَا لِيَبْضَأُ بَضَّةً ، كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ فِضَّةً . فَقَالَ لِي : وَمَا قُلْتَ فِيهَا ؟ فَقُلْتُ
قُلْتُ :

رَحَلْتُ سَكِينَةً بِالطَّلَاقِ فَارَحْتُ مِنْ غُلِّ الْوَثَاقِ⁵

1 جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبني رقاش ، ونسبه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عقر مولى بني رقاش .

2 الكشخان : الديوث الذي لا غيرة له على أهله .

3 غلة هنا : وضع الغل في عنقه أو يده .

4 الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام .

5 أراح فلان : وجد راحة .

رحلتُ فَلَمْ تَأْلَمْ لها نَفْسِي ولم تَدْمَعْ مَاقِي
لو لَمْ تَيْنِ بَطْلَانِهَا لأَبْنَتْ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ
وَشِفَاءِ مَا لَا تَشْتَهِي هِ النَّفْسُ تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ

فقال : يا غُلامُ ، الدَّوَاءُ وَالْقِرْطَاسَ ، فَأُتِيَ بِهِمَا ، فَأَمَرَنِي فَكَتَبْتُ لَهُ الْأَيَّاتَ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ تُبْغِضُ بَنْتَ أَبِي الْعَبَّاسِ الطُّوسِيِّ . فَقَالَ : اسْكُتْ أَخْزَاكَ اللَّهُ ! ثُمَّ مَا لَيْثُ أَنْ طَلَّقَهَا .

صوت

[من الكامل]

مَا بِأَلْ عَيْنِكَ جَائِلًا أَقْذَاؤُهَا شَرِقتُ بِعَبْرَتِهَا وَطَالَ بُكَاءُهَا
ذَكَرْتُ عَشِيرَتَهَا وَفُرْقَةَ بَيْنِهَا فَطَوْتُ لَذَلِكَ غُلَّةَ أَحْشَاؤُهَا

الشعر لعبد الله بن عُمَرَ الْعَبْلِيِّ . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائِدٍ ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجْرَى الوُسْطَى عن ابنِ المَكِّيِّ ، وذكره إِسْحَاقُ في هذه الطَّرِيقَةِ ولم يَنْسُبْهُ إِلَى أَحَدٍ ، وقيل إِنَّهُ من مَنْحُولٍ يَحْيَى إِلَى أَبِي سَعِيدٍ .

[193] - أخبار العبلي ونسبه

[من مخضرمي الدولتين]

اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عدي ، شاعرٌ مجيدٌ من شعراء قريش ، ومن مخضرمي الدولتين ، وله أخبارٌ مع بني أمية وبني هاشمٍ تُذكر في غير هذا الموضع .

[سبب نسبه إلى العلات]

ويقال له عبد الله بن عمر العبلي ، وليس منهم ؛ لأنّ العلات من ولد أمية الأصغر ابن عبد شمس . سُموا بذلك لأنّ أمهم عبلة بنت عبيد بن حارث بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهؤلاء يقال لهم براجم بني تميم ، ولدت لعبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر ، وعبد أمية ونوفلاً ، وأمه من بني عبد شمس ، فهؤلاء يقال لهم العلات ، ولهم جميعاً عقب . أمّا أمية الأصغر فإنهم بالحجاز ، وهم بنو الحارث بن أمية ، منهم علي بن عبد الله بن الحارث ، ومنهم الثريا صاحبة ابن أبي ربيعة . وأمّا بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثير . وعبد العزى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء . وإنما أدخلهم الناس في العلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والإسلام وكثر أشrafهم ، فجعل سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة ، فسَمَوْهم أمية الصغرى ، ثم قيل لهم العلات لشهرة الاسم .

وعلي بن عدي جدُّ هذا الشاعر شهد مع عائشة يومَ الجمل . وله يقول شاعر بني ضبة لعنة الله عليه :

[من الرجز]

يا رَبِّ اكْتُبْ بِعَلِيٍّ جَمَلَةً ولا تُبَارِكْ في بعيرِ حَمَلَةٍ
إِلَّا عَلِيٌّ بنَ عَدِيٍّ ليس لَهُ

[مال إلى بني هاشم أيام المؤمنين ثم خرج على المنصور]

فأمّا عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ويدّم بني أمية ، ولم يكن منهم إليه صنّع جميل ، فسَلِمَ بذلك في أيام بني العباس ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

[لم يعطه هشام فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيري قال : العبلي عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ، ويكنى أبا عدي ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أمية . وقسم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز ،

فلم يُعطِه شيئاً . فقال : [من الطويل]

حَسَّ حَظِّي أَن كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
فَأَفُوزَ الْغَدَاةَ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ وَأَبِيعَ الْأَبَ الشَّرِيفَ بُلُومٍ

[استقدمه المنصور واستنشدته فغضب عليه]

فلَمَّا اسْتُخْلِفَ المنصور كتب إلى السَّريِّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ففعل . فلَمَّا قَدِمَ عليه قال له : أَنَشِدْنِي مَا قُلْتَ فِي قَوْمِكَ ، فاستعفاه . فقال : لَا أُعْفِيكَ . فقال : أَعْطِنِي الْأَمَانَ فَأَعْطَاهُ ، فَأَنَشَدَهُ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ جَائِلًا أَقْدَاوَهَا شَرِقتُ بِعَبْرَتِهَا فَطَالَ بُكَاءُهَا
حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

فَبَنُو أُمِّيَةِ خَيْرٌ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى شَرَفًا وَأَفْضَلُ سَاسَةِ أَمْرَاوَهَا

فقال له : أَخْرِجْ عَنِّي لَا قَرَبَ اللَّهِ دَارَكَ ! فخرج حتى قَدِمَ المدينة ، فَأَلْفَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ قَدْ خَرَجَ فَبَايَعَهُ .

[أَكْرَمَهُ السَّفَاحَ وَرَدَّ حَرَمَهُ وَأَمْوَالَهُ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنِ الْعُمَرِيِّ عَنِ الْعُتْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَدِيٍّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَبْلِيُّ مَجْفُورًا فِي أَيَّامِ بَنِي مَرْوَانَ وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الدَّوْلَةُ إِلَيْهِمْ لَمْ يُتَّقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمِّيَةِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ فِي قَتْلِهِمْ جِدًّا إِلَّا مَنْ هَرَبَ وَطَارَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَخَافَ أَبُو عَدِيٍّ أَنْ يَقَعَ بِهِ مَكْرُوهٌ فِي تِلْكَ الْفَوْرَةِ فَتَوَارَى ؛ وَأَخَذَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حُرْمَهُ وَمَالَهُ ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى أَبَا الْعَبَّاسَ السَّفَاحَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي غُمَارِ النَّاسِ مُتَنَكِّرًا وَجَلَسَ حَجْرَةً¹ حَتَّى تَقَوَّضَ² الْقَوْمُ وَتَفَرَّقُوا ، وَبَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مَعَ خَاصَّتِهِ . فَوُثِبَ إِلَيْهِ أَبُو عَدِيٍّ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : [من الوافر]

أَلَا قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالسَّتَارِ سَقِيتِ الْغَيْثَ مِنْ دِمَنِ قِفَارِ³
فَهَلْ لَكَ بَعْدُنَا عِلْمٌ بِسَلْمِي وَأَتْرَابُهَا شَبَهُ الصُّوَارِ⁴
أَوَانِسُ لَا عَوَاسُ جَافِيَاتُ عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا عَوَارِي
وَفِيهِنَّ ابْنَةُ الْقَصَوِيِّ سَلْمَى كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمَةُ الْإِزَارِ⁵

1 حجرة : ناحية .

2 تقوَّضَ القوم إذا أنفضوا وانصرفوا .

3 الستار : اسم لعدة مواضع .

4 الصُّوَار : القطيع من البقر .

5 القصوي : نسبة إلى قصي .

تَلُوْثُ خِيَمَارِهَا بِأَحْمَ جَعْدٍ
 بَرَهْرَهَةً مُنْعَمَةً نَمَتْهَا
 فَدَعَّ ذِكْرَ الشَّبَابِ وَعَهْدَ سَلَمَى
 وَأَهْدٍ لَهَا شِمٍ غُرَزَ الْقَوَافِي
 لَعَمْرُكَ إِنِّي وَلُزُومَ نَجْدٍ
 لِكَالْبَادِي لِأَبْرَدَ مُسْتَهْلٍ
 سَأَرْحَلُ رِحْلَةً فِيهَا اعْتِرَافٌ
 إِلَى أَهْلِ الرُّسُولِ غَدَتْ بِرَحْلِي
 تَوْمُ الْمَعَشَرَ الْأَبْرَارَ تَبْغِي
 أَبَا أَهْلِ الرُّسُولِ وَصِيْدَ فِهْرِ
 أَتَوُخِّذُ نِسْوَتِي وَيُحَازُ مَالِي
 وَأَذَعُرُ أَنْ دُعِيْتُ لَعِبْدِ شَمْسٍ
 بِنَصْرَةٍ هَاشِمٍ شَهْرَتْ نَفْسِي
 بِقُرْبِي هَاشِمٍ وَبِحَقِّ صِهْرٍ
 وَمَنْزَلِ هَاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ

تُضِلُّ الْفَالِيَاتُ بِهِ الْمَدَارِي¹
 أَبَوْتُهَا إِلَى الْحَسْبِ النَّضَارِ²
 فَمَا لَكَ مِنْهُمَا غَيْرُ ادِّكَارٍ
 تَنْخُلُهَا بِعِلْمٍ وَاخْتِيَارٍ³
 وَلَا أَلْقَى حِيَاءَ بَنِي الْخِيَارِ⁴
 بِحَوْبَاءِ كِبَطْنِ الْعَيْرِ عَارٍ⁵
 وَجِدُّ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارٍ
 عُذَافِرَةٌ تَرَامِي بِالصَّحَارِي⁶
 فَكَأَنَّ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْإِسَارِ
 وَخَيْرَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْجِمَارِ
 وَقَدْ جَاهَرْتُ لَوْ أَغْنَى جِهَارِي
 وَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْحَرَمِ الصَّوَارِي⁷
 بَدَارِي لِلْعِدَا وَبَغِيرِ دَارِي
 لِأَحْمَدَ لَفَّه طَيْبُ النَّجَارِ
 مَكَانَ الْجِيْدِ مِنْ عُليا الْفَقَارِ

فقال له السفاح : مَنْ أَنْتَ ؟ فانتسب له . فقال له : حَقٌّ لَعَمْرِي أَعْرِفُهُ قَدِيمًا وَمَوَدَّةً لَا
 أَجْحَدُهَا ، وَكَبِّ لَهُ إِلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ بِإِطْلَاقِ مَنْ حَبَسَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَرَدَّ أَمْوَالَهُ عَلَيْهِ وَإِكْرَامِهِ ،
 وَأَمَرَ لَهُ بِنَفَقَةٍ تُبَلِّغُهُ الْمَدِينَةَ .

[وَقَدْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ وَأَجَازَهُ هُوَ وَابْنَاهُ وَزَوْجُهُ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ عَنْ مُوسَى بْنِ

- 1 تلوث : تلف . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : وهو ما فيه التواء وتقضب . والفاليات : من فلا الرأس .
- 2 البرهرة : البيضاء ، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذي لم يشبه ما يدينسه .
- 3 تنخلها : تخيرها .
- 4 الحياء : العطاء .
- 5 البادي : الخارج إلى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير .
- 6 العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .
- 7 الصواري : جمع صائرة وهي العاطفة أو الميلة .

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال : قال سعيد بن عُقبة الجُهَنِيّ :
 إِنِّي لَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ إِذْ أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ : هَذَا رَجُلٌ يَدْعُوكَ ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي
 عَدِيٍّ الْأُمَوِيِّ الشَّاعِرِ ، فَقَالَ : أَعْلِمُ أَبَا مُحَمَّدٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ وَابْنَاهُ وَقَدْ
 ظَهَرَتِ الْمُسَوَّدَةُ وَهُمْ خَائِفُونَ ، فَأَمَرَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ وَابْنَاهُ بَيْنَهُمَا
 بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَهَنُودُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدَةَ أُمُّهُمَا بِمِائَتِي دِينَارٍ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ .
 [استنشد عبد الله بن حسن تماً رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله]

وَأَخْبَرَنِي حَرِيمِيٌّ عَنْ الزُّبَيْرِ ، وَأَخْبَرَنِي الْأَخْفَشُ عَنْ الْمُبَرِّدِ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهَلَّبِيِّ عَنْ
 الزُّبَيْرِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِيَّاشٍ السَّعْدِيِّ قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَيْلِيُّ إِلَى سُؤْيَقَةَ¹
 وَهُوَ طَرِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَذَلِكَ بِعَقَبِ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَابْتِدَاءِ خُرُوجِ مُلْكِهِمْ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ،
 فَقَصَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَالْحَسَنُ ابْنَا الْحَسَنِ بِسُؤْيَقَةَ ، فَاسْتَنَشَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ فَأَنشَدَهُ . فَقَالَ
 لَهُ : أَرِيدُ أَنْ تُنْشِدَنِي شَيْئاً مِمَّا رَثَيْتَ بِهِ قَوْمَكَ ، فَأَنشَدَهُ :

تَقُولُ أُمَامَةً لَمَّا رَأَتْ	نُشُوزِي عَنِ الْمَضْجَعِ الْأَنْفَسِ
وَقَلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي	لَدَى هَجْعَةِ الْأَعْيُنِ النَّعْسِ
أَبِي مَا عَرَاكَ ؟ فَقُلْتُ الْهَمُومُ	عَرَوْنَ أَبَاكَ فَلَا تُبْلِسِي ²
عَعْرَوْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَهُ	مِنَ الذَّلِّ فِي شَرِّ مَا مَخِيسِ
لَفَقَدِ الْعَشِيرَةَ إِذْ نَالَهَا	سِيْهَامٌ مِنَ الْحَدَثِ الْمُبْسِ
رَمَتْهَا الْمَنُونُ بِلَا نُصْلٍ	وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا نُكْسٍ ³
بِأَسْهُمِهَا الْخَالِسَاتِ النَّفُوسَ	مَتَى مَا اقْتَضَتْ مُهْجَةً تُخْلِسِ
فَصَرَعَاهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَا	دِ تُلْقَى بِأَرْضٍ وَلَمْ تُرْمَسِ
كَرِيْمٌ أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ	مِنَ الْعَارِ وَالذَّامِ لَمْ تَدْنَسِ
وَأَخَرٌ قَدْ طَارَ خَوْفَ الرَّدَى	وَكَانَ الْهُمَامُ فَلَمْ يُخْسَسِ
فَكَمْ غَادَرُوا مِنْ بَوَاكِي الْعِيُو	نِ مَرَضَى وَمِنْ صَنِيعَةِ بُؤْسِ
إِذَا مَا ذَكَرْنَهُمْ لَمْ تَنْمِ	لَحَرَ الْهَتَمُومِ وَلَمْ تَجْلِسِ

1 سويقَة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

2 عرون في ل : منعن . الإبلّاس : اليأس والتّحير ، والسكوت من الغم والحزن .

3 النُّصْلُ : جمع ناصل ، وهو هنا السهم الذي سقط فصله ، والناصل أيضاً : ذو النصل . سهم نكس : هو الذي ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس .

يُرْجَعْنَ مِثْلَ بُكَاءِ الْحَمَا مِ فِي مَا تَمَّ قَلْبِي الْمَجْلِسُ¹
 فِذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَاعْلَمِي وَلَا تَسْأَلِينِي فَتَسْتَحْسِي²
 وَأَشْيَاءُ قَدْ ضِفْنِي بِالْبِلَادِ وَلَسْتُ لَهْنًا بِمُسْتَحْلِسِ³
 أَفَاضَ الْمَدَامِيعَ قَتْلَى كُدَى وَقَتْلَى بِكُثُوفَةٍ لَمْ تُرْمَسِ⁴
 وَقَتْلَى بِوَجْهِ وَبِاللَّابَتِ مِنْ مَنْ يَنْزِبُ خَيْرُ مَا أَنْفَسِ
 وَبِالزَّائِبِينَ نَفُوسٌ ثَوَتْ وَقَتْلَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ
 أَوْلَكَ قَوْمٌ تَدَاعَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مَنْ زَمَنَ مُتَعِسِ
 أَذَلْتُ قِيَادِي لِمَنْ رَامَنِي وَالزَّرَقَتِ الرَّغَمَ بِالْمَعْطَسِ⁵
 فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

قال : فلما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام : أتبكي على بني أمية وأنت تريد بني العباس ما تريد ! . فقال : والله يا عم لقد كنا نَقَمْنَا على بني أمية ما نَقَمْنَا ، فما بنو العباس إلا أَقَلُّ خَوْفًا لله منهم ، وإنَّ الحُجَّةَ على بني العباس لأوجبُ منها عليهم . ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذ بالله من شرك ، وبعث إلى أبي عدي بخمسين ديناراً ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كل واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين ، وبعثت إليهما هُند بخمسين ديناراً ، وكانت منفعة بها كثيرة . فقال أبو عدي في ذلك : [من الوافر]

أَقَامَ نَوِيَّيْتُ بَيْتَ أَبِي عَدِيٍّ بِخَيْرِ مَنَازِلِ الْجِيرَانِ جَاراً⁶
 تَقَوَّضَ بَيْتُهُ وَجَلَا طَرِيداً فَصَادَفَ خَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَاراً⁷
 وَإِنِّي إِنْ نَزَلْتُ بَدَارَ قَوْمٍ ذَكَرْتُهُمْ وَلَمْ أَذُمَّمْ جَوَاراً

فَقَالَتْ هُندُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَابْنَيْهَا مِنْهُ : أَقَسَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا أُعْطِيتُمُوهُ خَمْسِينَ دِينَاراً أُخْرَى فَقَدْ أَشْرَكْتَنِي مَعَكُمْ فِي الْمَدْحِ ، فَأَعْطَوْهُ خَمْسِينَ دِينَاراً أُخْرَى عَنْ هُند .

1 قلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .

2 استنحس فلان الأخبار : طلبها وتبعها بالاستخبار .

3 ضفنتي : نزلن بي . والمستحلس للشيء : الملازم له .

4 بكثوة في ل : بيكة .

5 الرغم : التراب . والمعطس : الأنف .

6 النوي : الضيف .

7 جلا عن بلاده : خرج .

[ولايته الطائف ثم فراره إلى اليمن]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن أبي أيوب المديني قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال : قدم أبو عدي العبلي الطائف والياً من قبل محمد بن عبد الله بن حسن¹ أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعراب من مزينة وجهينة وأسلم فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العمري حتى بايع ، وكان مع أبي عدي أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر الصديق ، فقدمها بين أذان الصبح والإقامة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة ، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج ، فركب [الحسن] البحر ، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه إلى اليمن . فذلك حين يقول : [من الكامل]

هَيَّجَتْ لِلأَجْزَاعِ حَوْلِ عَرَابٍ	واعتاد قلبك عائد الأطراب
وذكرت عهدَ معالمٍ يَلُوى الثرى	هيئات تلك معالمُ الأحباب ²
هيئات تلك معالمٍ من ذاهبٍ	أمسى بخوضي أو بحقلِ قباب ³
قد حلَّ بين أبارقٍ ما إن له	فيها من إخوانٍ ولا أصحاب ⁴
شطت نواهٍ عن الأليف وساقه	لقرى يمانية حمامٍ كتاب ⁵
يا أخت آل أبي عدي أقصري	وذري الخضاب فما أوأن خضاب
أتخضين وقد تخرم غالباً	دهرٌ أضربها حديدُ الناب
والحربُ تعرك غالباً بجرانها	وتعصُ وهي حديدةُ الأناب ⁶
أم كيف نفسك تستلذ معيشة	أو تنقعين لها الكدُ شراب

[أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكي]

وذكر العباس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن عقبة الجهنّي قال : حضرت عبد الله بن عمر المكني أبا عدي الأموي يُنشد عبد الله بن حسن قوله :

أفاض المدامع قتلى كدّى وقَتلى بكثوة لم تُرَمَس⁷

1 ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور .

2 الثرى في ل : السرى .

3 حوضي وحقل قباب : موضعان .

4 الأبارق : جمع أبرق ، وهو غليظ فيه حجارة وطن ورمل مختلفة .

5 حمام كتاب : قدره وقضاؤه .

6 عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحة إلى منحرة .

7 بكثوة في ل : بمكة .

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خدّه .

[قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاها قتل بني أمية]

وقد أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أبي سعيد مولى فائد قال : لما أتانا قتل عبد الله بن علي من قتل من بني أمية كنت أنا وفتى من ولد عثمان وأبو عدي العيلي متوارين في موضع واحد ، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته ، ولحق صاحبي كما لحقني ، فبكينا طويلاً ، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا ، فقال كل واحد منا بعضها غير مُحصلٍ [ما] لكل واحد منا فيها ، قال : ثم أنشدنيها ، فأخذتها من فيه : [من المتقارب] تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع الأنفس

[كره سب بني أمية علياً]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال : كان أبو عدي الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبّه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه ، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك :

شردوا بي عند امتداحي علياً	ورأوا ذاك في داء دويّا
فوربّي لا أبرح الدهر حتى	تختل مهجتي بحبي علياً ¹
وبنيه لحب أحمد إني	كنت أحببتهم بحبي النيا
حب دين لا حب دُنيا وشراً	حب حب يكون دُنياوياً
صاغني الله في الذؤابة منهم	لا زيماً ولا سنيداً دعيّاً ²
عدوياً خالي صريحاً وجدّي	عبد شمس وهاشم أبويّا
فسواء علي لست أبالي	عشيمياً دعيّاً أم هاشمياً

[فضل هشام بن مخزوم عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُتي عن أبيه قال : وقد أبو عدي الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
والقربات بيننا واشجات مُحكمات القوى بحبل شديد
فأنشده إياها ، وأقام بيابه مدة حتى حضر بابه وفود قريش فدخل فيهم ، وأمر لهم بمال

1 تختل : تقطع .

2 الزنيم : الدعي بالملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيذ .

فَضَّلَ فِيهِ بَنِي مَخْزُومٍ أَحْوَالَهُ ، وَأَعْطَى أَبَا عَدِيَّ عَطِيَّةً لَمْ يَرْضَهَا ، فَانصَرَفَ وَقَالَ : [من الخفيف]
 خَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ لِيَتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ
 فَأَفُوزَ الْغَدَاةَ فِيهِمْ بِسَهْمٍ وَأَيْعَ الْأَبَ الْكَرِيمَ بُلُومٍ
 غَنَى فِي الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ الَّذِينَ أَوْلَهُمَا :

عبدُ شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع ، ولحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وأول هذه القصيدة التي قالها في هشام :

[من الخفيف]

لِيتِي مِنْ كَنُودَ بِالْغُورِ عُودِي	بَصَفَاءِ الْهَوَى مِنْ أُمِّ أُسَيْدٍ
مَا سَمِعْنَا ذَاكَ الْهَوَى وَنَسِينَا	عَهْدَةَ فَارِجِي بِهِ ثُمَّ زَيْدِي
قَدْ تَوَلَّى عَصْرُ الشَّبَابِ فَقِيداً	رُبَّ جَارٍ يَبِينُ غَيْرَ فَقِيدٍ
خَلَقَ الثُّوبُ مِنْ شَبَابٍ وَلَيْسَ	وَجْدِيدُ الشَّبَابِ غَيْرُ جَدِيدٍ
فَاسِرٍ عَنْكَ الْهَمُومَ حِينَ تَدَاعَتْ	بَعْلَاةٌ مِثْلَ الْفَنِيقِ وَخُودٍ ¹
عَتَرِيْسٍ تُوفِي الزَّمَامَ بِفَعْمٍ	مِثْلَ جِذْعِ الْأَشْأَةِ الْمَجْرُودِ ²
وَارِمَ جَوْزَ الْفَلَا بِهَا ثُمَّ سُمِّهَا	عَجْرَتِي النَّجَاءِ بِالتَّوْخِيدِ ³
وَهِشَاماً خَلِيفَةَ اللَّهِ فَاغْمِذْ	وَاصْرِمْ مِرَّةً الْقَوَى الْجَلِيدِ ⁴
تَلَقَّهُ مُحَكَّمُ الْقَوَى أَرِيحِيَا	ذَا قَرَى عَاجِلٍ وَسَيْبٍ عَتِيدِ ⁵
مَلِكاً يَشْمَلُ الرِّعْيَةَ مِنْهُ	بَأْيَادٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ خُمُودٍ
أَخْضَرَ الرَّبْعَ وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ	أَفِيحُ الْمُسْتَرَادِ لِلْمُسْتَرِيدِ ⁶

- 1 أسر عنك الهموم : ألقها عنك . سرور الثوب : إذا ألقته عنك ونفضته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب . العلاء هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثير الوخد وهو السرعة في السير .
- 2 العتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة اللحم الجواد الجريفة . الأشاء : النخلة الصغيرة . والمجروح : المقشور .
- 3 جوز كل شيء وسطه . والفلا : واحدة فلاة . والنجاء : السرعة والعجرفة والعجرفة في السير : السرعة . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد .
- 4 المرة : قوة الخلق وشدته .
- 5 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . العتيد : الحاضر المهيأ .
- 6 أفيح السترد للمستريد : واسع المطلب للطالب . وفيح المستراد : يراد به الكرم واتساع الجود .

ذَكَرْتُ نَاقَتِي الْبِطَاحَ فَحَنْتُ
 قَلْتُ بَعْضَ الْحَنِينِ يَا نَاقُ سِيرِي
 فَأَغَذْتُ فِي السَّيْرِ حَتَّى أَتَكُم
 قَدْ بَرَاها السُّرَى إِلَيْكَ وَسِيرِي
 وَطَوَى طَائِدَ الْعَرَاثِكُ مِنْهَا
 وَأَتَكُم حُذْبَ الظُّهُورِ وَكَانَتْ
 وَاطْمَأْنَنْتُ أَرْضَ الرِّصَافَةِ بِالْخَصْدِ
 نَزَلْتُ بِأَمْرِي يَرَى الْحَمْدُ غَنَمًا
 بِذِلِّ الْعَدْلِ فِي الْقِصَاصِ فَأَضْحَى
 مِنْ بَنِي النَّضْرِ مِنْ ذُرَا مَنِيَّتِ النَّضْدِ
 فَهُوَ كَالْقَلْبِ فِي الْجَوَانِحِ مِنْهَا
 بَيْنَ مَرْوَانَ وَالْوَلِيدِ قَبْخَ يَخْ
 لَوْ جَرَى النَّاسُ نَحْوَ غَايَةِ مَجْدِ
 لَعَلَّاهُمْ بِسَابِغِينَ مِنْ الْمَجْدِ
 إِنَّكُمْ مَعْشَرُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا
 لَمْ يَرَ اللَّهُ مَعْشَرًا مِنْ بَنِي مَرْ
 قَادَةً سَادَةً مَلُوكَ بِحَارَ
 أَرْيَحِيُونِ مَاجِدُونَ خِصْمُو

حِينَ أَنْ وَرَكَتْ قُبُورَ ثُمُودٍ¹
 نَحْوَ بَرْقٍ دَعَا لَغِيثٍ عَمِيدِ
 وَهِيَ قُودَاءُ فِي سَوَاهِمَ قُودٍ²
 تَحْتَ حَرِّ الظَّهِيرَةِ الصَّيْحُودِ³
 غَوْلُ يَبِيدُ تَجْتَابُهَا بَعْدَ يَبِيدِ⁴
 مُسْنَمَاتٍ مَمَرَّهَا بِالْكَدِيدِ⁵
 بِ لَمْ تُلْقِ رَحْلَهَا بِالصَّعِيدِ
 بِأَذِلِّ مُتْلِفٍ مُفِيدٍ مُعِيدِ
 لَا يَخَافُ الضَّعِيفُ ظُلْمَ الشَّدِيدِ
 بِ بِأَوْرَى زَنْدٍ وَأَكْرَمِ عُودِ
 وَاسْطُ سِرٍّ جِذْمُهَا وَالْعَدِيدِ⁶
 لِلْكَرِيمِ الْمَجِيدِ غَيْرِ الزَّهِيدِ
 لِرَهَانٍ فِي الْمَحْفِلِ الْمَشْهُودِ
 بِ عَلَى النَّاسِ طَارِفٍ وَتَلِيدِ⁷
 أَنْ تَفُوزُوا بِدَرْهَاهَا الْمَحْشُودِ
 وَأَنْ أَوْلَى بِالْمُلُوكِ وَالتَّسْوِيدِ
 وَبِهَالِيلِ الْقُرُومِ الصَّيْدِ⁸
 نَ حُمَاةً عِنْدَ أَرْدَادِ الْجُلُودِ⁹

1 يقال وَرَكَتْ الجبل : إذا جاوزته . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام .

2 القوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة في السير .

3 الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .

4 الطائد : الثابت ، وفي ل : صائد . والعراثك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغَوْلُ البيد : بعدها .

5 الحذب : جمع حذباء وهي من الدواب التي بدت حراققتها . المسنمات : التي أعظم الكلاً أسنمتها . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

6 الجِذْمُ : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصة .

7 بسابغين في ل : بسامقين .

8 البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قَرَمَ وهو هنا السيد العظيم .

9 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء . أريداد الجلود : تغير لونها من القضب والشدة .

يَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالرَّأْيِ وَالْحَزْ
أَهْلُ رِفْدٍ وَسُودٍ وَحَيَاءٍ
وَيَرَوْنَ الْجَوَارَ مِنْ حُرْمِ الدِّ
لَوْ بِمَجْدٍ نَالَ الْخُلُودَ قَبِيلٌ
يَا ابْنَ خَيْرِ الْأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ
عَبْدُ شَمْسٍ أَبُوكَ وَهُوَ أَبُونَا
ثُمَّ جَدِّي الْأَذْنَى وَعَمُّكَ شَيْخِي
فَالْقَرَابَاتُ بَيْنَنَا وَاشْجَاتُ
فَأَتْبَنِي ثَوَابَ مِثْلِكَ مِثْلِي
إِنَّ ذَا الْجَدِّ مَنْ حَبَّوتَ بُوْدُ
وَبِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الْخَيْرِ يُرْجَى

[يندب فرقة بني أمية]

[من الكامل]

وَأَمَّا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

مَا بَالُ غَيْنِكَ جَائِلًا أَقْدَاؤُهَا

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع

[من الكامل]

الفتنة بينهم ، يندب بينهم¹ ، وفيها يقول :

وَاعْتَادَهَا ذِكْرُ الْعَشِيرَةِ بِالْأَسَى
شَرِكُوا الْعِدَا فِي أَمْرِهِمْ فَتَفَاقَمَتْ
ظَلَّتْ هُنَاكَ وَمَا يُعَاتَبُ بَعْضُهَا
إِلَّا بِمُرْهَفَةِ الظُّبَاتِ كَأَنَّهَا
وَبِعُسْلٍ زُرْقٍ يَكُونُ خِضَابُهَا
فَبِذَاكُمْ أُمْسَتْ تَعَاتَبُ بَيْنَهَا

فَصَبَّاحُهَا نَابَ بِهَا وَمَسَاوُهَا
مِنْهَا الْفُتُونُ وَفُرُقَتْ أَهْوَاؤُهَا
بَعْضًا فَيَنْفَعُ ذَا الرَّجَاءِ رَجَاؤُهَا
شُهْبٌ تَقِيلُ ، إِذَا هَوَتْ ، أَخْطَاوُهَا²
عَلَّقَ النُّحُورُ إِذَا تَفَيْضُ دِمَاؤُهَا³
فَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ يُحَمِّ فَنَاوُهَا⁴

1 أي يندب فرقتهم .

2 مرهفة الظببات : السيوف .

3 العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازة . والزرقة في النصال شدة صفائها .

4 يحم : يقضي .

ماذا أوملُ إن أُمِّيَّةٌ ودَّعتْ
 أهلُ الرِّياسَةِ والسِّياسَةِ والنَّدَى
 غيثُ البلادِ هُمُ وهُمُ أُمراؤها
 فلكنْ أُمِّيَّةٌ ودَّعتْ وتَتابعَتْ
 لَيُودِّعَنَّ مِنَ البرِّيةِ عِزُّها
 ومن البليَّةِ أنْ بَقِيَتْ خِلافَهُمْ
 لَهْفِي على حربِ العَشيرةِ بَيْنَها
 هَلَّا نُهَيَّيْ تَنْهَى العَوِيَّ عن التي
 وتُقَيَّ وأحلامُها مُضَرِّيَّةٌ
 لما رأيتُ الحربَ تُوقَدُ بَيْنَها
 نوَهْتُ بِالْمَلِكِ المُهَيِّمِ دعوةً
 لِيَرُدَّ أَلْفَتَها ويَجْمَعَ أَمْرَها
 فأجاب ربي في أُمِّيَّةٍ دَعَوَتِي
 وَحَبَا أُمِّيَّةٌ بالخِلافةِ إِنْهُمْ
 فَبَنُوا أُمِّيَّةٌ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
 وبَقَاءُ سُكَّانِ البلادِ بِقاؤها
 وَأَسْوَدُ حَرْبٍ لا يَخِيْمُ لِقاؤها¹
 سُرُجٌ يُضِيءُ دُجَى الظَّلامِ ضِياؤها
 لَعَوَايَةِ حَمِيَّتِ لها خُلُفاؤها²
 ومن البلادِ جَمالُها ورجاؤها
 فَرَدًّا تَهَيِّجُكَ دُورُهم وخلاؤها
 هَلَّا نَهَى جُهاَلُها حُلَماءُها
 يُخَشَى على سُلطانِها غَوَاؤها
 فيها إذا تَدَمَّى الكَلومُ دِواؤها
 وَيَشْبُ نَارَ وَقودِها إِذْكاؤها
 وَرَواحُ نَفْسِي في البلاءِ دُعاؤها³
 بِخِيارِها فِخْيارُها رُحَماءُها
 وَحَمَى أُمِّيَّةٌ أَنْ يُهَدَّ بِناءُها
 نُورُ البلادِ وزِينُها وبِهاؤها
 شَرَفًا وَأَفْضَلُ ساسَةٍ أُمراؤها⁴
 وهي قصيدة طويلة اقتصرْتُ منها على ما ذَكَرْتُهُ .

صوت

[من البسيط]

مَهْلًا ذَرِينِي فَإِنِّي غَالَتِي خُلُقِي وَقَدْ أَرَى فِي بِلادِ اللَّهِ مُتَسَعًا
 ما عَضَّنِي الدَّهْرُ إِلَّا زَادَنِي كَرَمًا ولا اسْتَكْنْتُ لَهُ إِنْ خانَ أَوْ خَدَعَا
 الشعر لأبي جَلْدَةَ اليَشْكُريِّ من قصيدة يمدح بها مِسْمَعُ بن مالِك بن مِسْمَعٍ ، والغناء
 لَعْلُوِيَّةٌ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو .

1 خام : نكص وجبن وضعف .

2 التابع : التهافت والإسراع إلى الشيء ولا يكون التابع إلا في الشر .

3 الرواح هنا : الارتياح والاستراحة .

4 الثرى في ل : الحصى .

[194] - أخبار أبي جلدَة ونسبه

[نسبه]

أبو جلدَة بن عبيد بن مُنْقِذ بن حُجْر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، ومن ساكني الكوفة . وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

[كان مع الحجاج ثم صار حرباً عليه]

أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العباس اليزيدي وقرأته عليه قال حدثني عمي عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب ، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال : كان أبو جلدَة اليشكري من أخص الناس بالحجاج ، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج . فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيته به مقطوعاً . فلما كان يوم الزاوية¹ خرج أبو جلدَة بين الصفيين ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدتهم قصيدته التي يقول فيها :

[من الطويل]

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَكِينٌ غَيْرَنَا	وَلَا تَبْكِينَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ ²
بَكَيْنَ إِلَيْنَا خَشْيَةٌ أَنْ تُبَيِّحَهَا	رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسِّيُوفُ الْجَوَارِحُ
بَكَيْنَ لَكَيْمَا يَمْنَعُوهُنَّ مِنْهُمْ	وَتَأْبَى قُلُوبُ أَضْمَرْتَهَا الْجَوَانِحُ
وَنَادَيْنَا : أَيْنَ الْفِرَارُ وَكُنْتُمْ	تَغَارُونَ أَنْ تَبْدُو الْبَرَى وَالْوَشَائِحُ ³
أَسْلَمْتُمُونَا لِلْعَدُوِّ عَلَى الْقَنَا	إِذَا انْتَرَعَتْ مِنْهَا الْقُرُونُ النَّوَاطِحُ
فَمَا غَارَ مِنْكُمْ غَائِرٌ لَحْلِيلَةٍ	وَلَا عَزَبَ عَزَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاحِخُ

قال : فلما أنشدتهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشذوا شدة تضعض لهم عسكر الحجاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرة له ، فجعل يقتل الناس

1 الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

2 الحواريات : نساء الأمصار .

3 البرى هنا : الخلاخيل . واحدها برة . والوشائح جمع لوشاح .

بقيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب كما أحسنت في العفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته . فقال له : وكيف ويليّك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِئَامًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ وقد قتلت فائختن حتى تجاوزت الحدّ ، فأسير ولا تقتل ، ثم قال : أو آمننّ : فقال : أولى لك¹ ! ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمرنّ الناس جميعاً . قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي : فبلغني أنّ الحجاج قال يوماً لجلسائه ما حرّض عليّ أحدٌ كما حرّض أبو جلدّة ؛ فإنّه نزل على سرحية في وسط عسكري لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلّح فوقه والناس ينظرون إليه . فقالوا له : ما لك ويليّك أجبنّت ؟ ما هذا الفعل ! قال : كلّكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته . فشتّموه وحملوا عليّ ، فما أنساهم وهو يقدّمهم ويرتجز : [من الرجز]

نحن جَلَيْنَا الْخَيْلَ مِنْ زَرْئِجَا ما لك يا حجاجُ مِنَّا مَنْجِي²
لَتُبْعَجَنَّ بِالسَّيُوفِ بَعْجَا أو لَتَفَرََّنَّ فِذَاكَ أَحْجِي³

فوالله لقد كاد أهل الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره .

قال وقال أبو جلدّة يومئذٍ : [من الوافر]

أَيَا لَهْفِي وَيَا حَزَنِي جَمِيعاً وَيَا غَمَّ الْفُؤَادِ لِمَا لَقِينَا
تَرَكْنَا الدِّينَ وَالْدُّنْيَا جَمِيعاً وَخَلَّيْنَا الْخِلاَئِلَ وَالْبَيْنَا
فَمَا كُنَّا أَنَا سِوَا أَهْلِ دِينٍ فَنَصَبِرَ لِلْبَلَاءِ إِذَا يُلِينَا
وَلَا كُنَّا أَنَا سِوَا أَهْلِ دُنْيَا فَنَمْنَعُهَا وَإِنْ لَمْ نَرْجُ دِينَا
تَرَكْنَا دُورَنَا لَطَافِ عَكْ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا⁴

[ذم القعقاع بن سويد]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدّة مع القعقاع بن سويد المنقرّي بسجستان ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه :

[من الوافر]

سَتَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ رَأْيُ سَوْءٍ إِذَا ظَلُّ الْإِمَارَةِ عَنْكَ زَالَا

1 أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .

2 زَرْئِج : قصبة سجستان .

3 البعج : الشق . أحجى : أجدر وأخلف .

4 عك : قبيلة . وطغام : أوغاد . الأشعرون : جمع أشعري نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة في اليمن .

وراح بنو أهلكَ ولستَ فيهم بذِي ذِكْرٍ يَزِيدُهُمْ جَمالاً¹
 هناك تَذَكَّرُ الأَسلافَ منهم إذا اللَّيْلُ القَصرُ عليك طالا
 فقال له القَعَقاعُ : ومتى يطول عليَّ اللَّيْلُ القَصر ؟ قال : إذا نظرتَ إلى السَّماءِ مُرَبَّعَةً . فلمَّا
 عَزَلْ وَحَسَّ أخرج رأسه ليلَةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السَّماءَ إلَّا بِقَدَرِ تَربيعِ السَّجَن ، فقال : هذا
 والله الَّذي حَذَرَنِيه أبو جلدَة .
 [مدح مسع بن مالك ورثاه]

قال : ووَلِيَّ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتان ، وكان مُكْثُ أبي جلدَة بها ، فخرج إليه فتلَقاه
 ومدحه بقصيدته التي أوَّلها :

بانتُ سَعادُ وأمسى حَبْلُها انْقَطَعَا	وَلَيْتَ وَصلاً لها من حَبْلِها رَجَعَا
شَطَطُ بها غُرْبَةً زوراءَ نازحةً	فطارَتِ النَّفْسُ من وَجَدٍ بها قِطْعاً ²
ما قَرَّتِ العَيْنُ إذ زالتْ فينفعها	طعمُ الرُّقادِ إذا ما هاجعٌ هَجَعاً ³
منعتُ نفسيَ من رَوْحِ تَعيشَ به	وقد أكونُ صَحيحَ الصَّدْرِ فانصدعا
غدَتُ تَلومُ على ما فاتَ عاذلتي	وقبلَ لَوْمِكَ ما أَغْنيتَ مَن مَنَعَا
مَهلاً ذَريني فَإني غالني خُلقي	وقد أرى في بلادِ اللهِ مُتَسَعاً ⁴
فَخِرِّي تليدٌ وما أنفقتُ أَخلفه	سِيبُ إلهٍ وخيرُ المالِ ما نَفَعَا
ما عَضَنِي الدَّهْرُ إلَّا زادني كَرَمًا	ولا استكنتُ له إنْ خانَ أو خَدَعَا
ولا تَلِينُ على العِلاتِ مَعْجَمتي	في النَّائباتِ إذا ما مَسَّنِي طَبَعاً ⁵
ولا تَلِينُ من عَوْدِي غَمائزِهِ	إذا المُغَمَّرُ منها لَانَ أو خَضَعَا ⁶
ولا أَخاتِلُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَهُ	ولا أقولُ لشيءٍ فاتَ ما صَنَعَا
إني لأمدحُ أقواماً ذوي حَسَبٍ	لم يجعلَ اللهُ في أقوالِهِم قَدْعاً ⁷
الطَّيِّبينَ على العِلاتِ مَعْجَمَةً	لو يُعَصَّرُ المِسْكُ من أَطرافِهِم نَبَعَا

1 بذِي ذَكر في ل : بذِي ذَخر .

2 غربة زوراء : بعيدة .

3 زالت : فارقت .

4 غالني هنا : حبسني .

5 المعجمة : القوة والصلابة ؛ الطبع : الضعف والخور .

6 الغمائر : جمع غميرة من الغمز ، والغميزة : العيب .

7 القذع : الفحش في الكلام .

بني شهاب بها أعني وإنهم لأكرمُ الناس أخلاقاً ومُصْطَنَعاً
قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم
توفي مِسْمَعُ بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلْدَةَ يرثيه : [من البسيط]

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزياً قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلْفُ
يا مِسْمَعُ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ إحدَى النَّوَابِ بالأقوامِ واختلفوا
يا مِسْمَعاً لِعِراقٍ لا زعيمَ لها بمن تُرى يُؤمِّنُ المُستَشْرِفُ النُّطْفُ¹
تلكَ العيونُ بحيثِ المصرِ سادمة تبكيك إذ غالك الأكَفانُ والجُرْفُ
قد وسدوك يميناً غيرِ موسدة وبذل جود لما أودى بك التلفُ
كنتَ الشَّهابَ الذي يُرمى العدو به والبحرُ منه سيجالُ الجُودُ تغترفُ

[كان ينادم شقيق بن سليط واستقل أخاه ثعلبة فهجاه]

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان أبو جِلْدَةَ يُنادم شقيقَ بن سَلِيطَ بن بُدَيْلِ
السَّدُوسِيَّ أَخَا سِنْطامِ بن سَلِيطَ ، وكان لها أخٌ يقال له ثعلبةُ بن سَلِيطَ وكان ثقيلاً بخيلاً
مُبَغْضاً وكان يُطْفَلُ عليهم ويُؤذِيهم . فقال فيه أبو جِلْدَةَ : [من الوافر]

أحبُّ على لَذاذتنا شقيقاً وأبغضُ مثلَ ثعلبةِ الثَّقِيلِ
له غَمٌّ على الجُلُساءِ مُؤذٍ نوافِلُهُ إذا شربوا قليلُ

[قال شعراً في مسمع حين خصَّ عشيرته بالمال]

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي : وفرَّقَ مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة
عطايا كثيرةً وقربهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلْدَةَ : [من الطويل]

إذا نلتَ مالاً قلتَ قيسٌ عَشيرَتِي تجورُ علينا عامداً في قَضائِكا
وإنْ كانتِ الأخرى فبكرُ بن وائلٍ بزَعْمِكَ يُخشى داؤها بدوائِكا
هُنالِكَ لا نَمشي الضُّراءَ إليكمُ بني مِسْمَعٍ إنا هُناكَ أولُكَا²
عسى دولةُ الدُّهالينِ يوماً وَيَشْكُرُ تَكُرُّ علينا سَبْغَةٌ من عطائِكا³

قال : فبعث إليه مِسْمَعُ فترضَّاهُ ووصله وفرَّقَ في سائرِ بطون بكر بن وائلٍ على جِذْمَينَ ،

1 المستشرف : الظالم . والنطف : المريب .

2 الضراء : الشجر الملتف .

3 الدولة : العقبة في الحرب .

جذم يقال له الذهلان ، وجذم يقال له اللهازم . فالذهلان : بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل ، وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم : قيس بن ثعلبة ، وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنز بن أسد بن ربيعة . قال الفرزدق :
[من الطويل]

وأرضى بحكم الحمي بكر بن وائل إذا كان في الدهلين أو في اللهازم
قال : وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة . وأما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر ، وكانوا لا ينصرون بكرًا ولا يستنصرونهم . فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جذي بن مالك بن صعب بن علي ، فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحنفي السحيمي بعد ذلك في الإسلام :
[من الطويل]

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفرز²
فلما نأت عنا العشيرة كلها أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا بعد في يوم وقعة ولا نحن أغمدنا السيوف على وتر

[كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه]

وقال ابن جبيب عن ابن الأعرابي قال : كان لأبي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد ، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبي جلدة ، فقال يهجو :
[من الطويل]

قل لذوي سيف سيف الستم أقل بني سعيد حصاداً ومزراً
كانكم جعلان دار مقامة على عذرات الحمي أصبحن وقعا³
لقد نال سيف في سجستان نهزة تطاول منها فوق ما كان أصبعا
أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت له سرّة تسقى الشراب المشعشعا⁴
فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها ولا سقت إريقاً بكفك مترعا⁵
كما لم يذقها أن تكون عزيزة أبوك ولم يغرّض عليها فيطمعا
وكان مكان الكلب أو من ورائه إذا ما المغني للذاذة أسمعاً

1 ل : مصعب .

2 يقال : مكان سوي . وسواء : إذا كان وسطاً بين الفريقين .

3 العذرة : الغائط .

4 الشراب المشعشع : المزوج بالماء .

5 ورد في تكملة شعر الأخطل : سقت : والسوف : الشم .

[القعقاع يتهدهد بالمرز حين أرجف به]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولّى سجستان على بُسْت¹ والرُخج² ، فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم ، وكتب القعقاع إليه يتهدهد ؛ فكتب إليه أبو جلدة :

يُهْدِدُنِي الْقَعْقَاعُ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ فقلتُ له بَكَرٌ إِذَا رُمْتَنِي تُرْسِي
كَأَنَّا وَإِيَّاكُمْ إِذَا الْحَرْبُ بَيْنَنَا أُسَوِّدُ عَلَيْهَا الرُّعْفَانُ مَعَ الْوَرَسِ³
تُرى كَمَصَابِيحِ الدِّيَاجِي وَجُوهُنَا إِذَا مَا لُقَيْنَا وَالْهَرْقَلِيَّةِ الْمُلْسِ⁴
هناك السُّعُودُ السَّانِحَاتُ جَرَتْ لَنَا وَتَجْرِي لَكُمْ طَيْرُ الْبَوَارِحِ بِالنُّحْسِ
وَمَا أَنْتَ يَا قَعْقَاعُ إِلَّا كَمَنْ مَضَى كَأَنَّكَ يَوْمًا قَدْ نُقِلْتَ إِلَى الرُّمْسِ
أَظَنَّ بِغَالِ الثَّرْدِ تَسْرِي إِلَيْكُمْ بِهِ غَطَفَانِيًّا وَإِلَّا فَعَيْنُ غَيْسِ
وَالْأَفْبَالِيسَالُ يَا لَكَ إِنْ سَرَتْ بِهِ غَيْرَ مَعْمُوزِ الْقَنَاةِ وَلَا نِكْسِ⁵
فَعَمَلْنَا أَوْفَى وَخَيْرَ بَقِيَّةٍ وَعَمَّا لَكُمْ أَهْلُ الْخِيَانَةِ وَاللُّبْسِ
وَمَا لِبْنِي عَمَرُو عَلِيَّ هَوَادَةً وَلَا لِلرَّبَابِ غَيْرُ تَعْسٍ مِنَ التَّعْسِ

قال : فلمّا انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجّه برسولٍ إلى أبي جلدة ، وقال : انظر ، فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله ، وإن كان كتبه بالليل فأقرره على عمله ولا تعزله ولا تضربه . وكان أبو جلدة صاحب شراب ، فقال للرسول : والله ما كتبه إلا بالعشي . فسأله البيّنة على ذلك فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال ، فأقرره على عمله وانصرف عنه . [شيب بينت دمعان فأهدى ليترك ذكرها]

قال ابن حبيب : ومرّ أبو جلدة بقصرٍ من قُصور بُسْتَ ينزله رجلٌ من الدهاقين ، فرأى ابنته تُشْرِف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول :

إِنَّ فِي الْقَصْرِ ذِي الْخِيَا بَذَرَ تَمًّا حَسَنَ الدَّلِّ لِلْفُؤَادِ مُصِيبًا
وَلَعَا بِالْخُلُوقِ يَارْجُ مِنْهُ رِيحُ رَنْدٍ إِذَا اسْتَقَلَّ مُنِيبًا⁶

1 بُسْت : مدينة بين سجستان وغزني وهرارة من نواحي كابل .

2 الرخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .

3 الورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب .

4 الهرقالية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل .

5 غمز القناة : عصرها وتلينها ، وهي كناية عن عدم الانقياد .

6 الخلق : ضرب من الطيب . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

يَلْبَسُ الْخَزَّ وَالْمَطَارِفَ وَالْقَزَّ وَعَصْباً مِنَ الْيَمَانِي قَشِيْبَا
وَرَأَيْتُ الْحَبِيْبَ يَبْرُزُ كَفّاً مَا رَأَاهُ الْمُحِبُّ إِلَّا خَضِيْبَا
فبلغ ذلك من قوله الدُّهْقَانُ ، فأهدى له وبره وسأله ألا يذكر ابنته في شعرٍ بعد ذلك .
[هتف بمسمع بن مالك حين لم يمنعه قومه في ضميم]

قال ابن حبيب : وَلَجِقَ أَبُو جَلْدَةَ ضَمِيمٌ مِنْ بَعْضِ الْوَلَاةِ ، فَهَتَفَ بِقَوْمِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مَنَعِهِ
مِنْهُ وَلَا مَعُونَتِهِ رَهْبَةً لِلسُّلْطَانِ ، فَهَتَفَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مِسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ ، يَا أَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ ، ثُمَّ
أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ سَرَاةَ قَوْمِي سُكُوتاً لَا يَثُوبُ لَهُمْ زَعِيمٌ
هَتَفْتُ بِمِسْمَعٍ وَصَدَى أَمِيرٍ وَقَبْرِ مُعَمَّرٍ تِلْكَ الْقُرُومُ¹
قال : فَأَبْكِي جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ ، وَقَامُوا جَمِيعاً إِلَى الْوَالِي فَسَأَلُوهُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى كَفَّ عَنْهُ . قال :
وَأَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ، وَكَانَ سَيِّداً جَوَاداً ، وَفِيهِ يَقُولُ زِيَادُ الْأَعْجَمُ : [من السريع]
لَوْلَا أَمِيرٌ هَلَكْتُ يَشْكُرُ وَيَشْكُرُ هَلَكَيْ عَلَى كُلِّ حَالٍ
قال ابن الأعرابي : كَانَ أَمِيرُ بْنُ أَحْمَرَ وَالْيَا عَلَى خُرَّاسَانَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ .
وَمُعَمَّرُ الَّذِي عَنْهُ أَبُو جَلْدَةَ مُعَمَّرُ بْنُ شُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ نَاعِبِ بْنِ صُرَيْمٍ ، وَكَانَ
أَمِيرَ سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ سَيِّداً شَرِيفاً .

[خطب خليعة بنت صعب فابت وتزوجت غيره فقال شعراً]

وقال : خَطَبَ أَبُو جَلْدَةَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي عِجْلٍ يُقَالُ لَهَا خَلِيعَةُ² بِنْتُ صَعْبٍ ، فَأَبَتْ أَنْ
تَتَزَوَّجَهُ وَقَالَتْ : أَنْتَ صُعْلُوكٌ فَقِيرٌ لَا تَحْفَظُ مَالَكَ وَلَا تَلْفِي شَيْئاً إِلَّا أَنْفَقْتَهُ فِي الْخَمْرِ ،
وَتَزَوَّجْتَ غَيْرَهُ . فَقَالَ أَبُو جَلْدَةَ فِي ذَلِكَ :

صوت

لَمَّا خَطَبْتُ إِلَى خَلِيعَةَ نَفْسَهَا قَالَتْ خَلِيعَةُ مَا أَرَى لَكَ مَالاً
أَوْدَى بِمَالِي يَا خَلِيعُ تَكْرُمِي وَتَحْرُقِي وَتَحْمُلِي الْأَثْقَالَ
إِنِّي وَجَدْتُكَ لَوْ شَهِدْتَ مَوَاقِفِي بِالسُّفْحِ يَوْمَ أُجْلِلُ الْأَبْطَالَ
سَيْفِي ، لَسَرَّكَ أَنْ تَكُونِي خَادِماً عِنْدِي إِذَا كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالاً
الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقليل بالوسطى عن الهشامي من كتاب علي بن يحيى .
[ضرب بين قوم فضحكوا فأكرمهم على أن يضربوا]

قال أبو سعيد السُّكْرِيُّ وَعُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ صَاحِبُ الْوَاقِدِيِّ : إِنَّ أَبَا جَلْدَةَ كَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ

1 الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

2 ل : خليعة .

قُرِي يُسْتُ يقال لها الخَيْرَانُ ومعهم عمرو بن صُوحَانَ أَخُو صَنْعَةَ فِي جَمَاعَةٍ يَتَحَدَّثُونَ وَيَشْرَبُونَ ، إِذْ قَامَ أَبُو جِلْدَةَ لِيَبُولَ فَضَرَطَ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْبَطْنِ ، فَتَضَاكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ : لِأَضْرِبَنَّ مَنْ لَا يَضْطَرُّ فِي مَجْلِسِهِ هَذَا ضَرْبَةً بِسَيْفِي ، أَمْنِي تَضَحَّكُونَ لَا أُمَّ لَكُمْ ! فَمَا زَالَ حَتَّى ضَرَطُوا جَمِيعاً غَيْرَ عَمْرِو بْنِ صُوحَانَ . فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ لَا تَضْطَرُّ وَلَكَ بِذَلِكَ عَشْرُ فَسَوَاتٍ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ أَوْ تُفْصِحَ بِهَا ! فَجَعَلَ عَمْرُو يَجْثِي وَيَنْحِنِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا ، فَتَرَكَهُ . وَقَالَ أَبُو جِلْدَةَ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

أَمِنْ ضَرْطَةِ الْخَيْرَانِ ضَرَطَتْهَا تَشَدَّدَ مِنِّي دَارَةٌ وَتَلَيْنُ¹
فَمَا هُوَ إِلَّا السَّيْفُ أَوْ ضَرْطَةُهَا يَشُورُ دُخَانَ سَاطِعٍ وَطَيْنُ
قَالَ : وَلِعَمْرُو بْنِ صُوحَانَ يَقُولُ أَبُو جِلْدَةَ الْيَشْكُرِيَّ وَطَالَتْ صُحْبَتُهُ إِيَّاهُ فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ : [من البسيط]

صَاحِبْتُ عَمراً زَمَاناً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ الْحَقُّ بِقَوْمِكَ يَا عَمْرُو بْنَ صُوحَانَ
فَإِنْ صَبَّرْتَ فَإِنَّ الصَّبْرَ مَكْرُمَةٌ وَإِنْ جَزِعْتَ فَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا
[هجا زياداً الأعجم لهجو بني يشكر]

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ قَالَ : بَلَغَ أَبَا جِلْدَةَ أَنَّ زِيَاداً الْأَعْجَمَ هَجَا بَنِي يَشْكُرَ ، فَقَالَ فِيهِ : [من الكامل]

لَا تَهْجُ يَشْكُرُ يَا زِيَادُ وَلَا تَكُنْ غَرَضاً وَأَنْتَ عَنِ الْأَذَى فِي مَعَزِلِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا مَا حُصِّلُوا خَيْرٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَيْكَ الْأَغْزِلِ
لَوْلَا زَعِيمُ بَنِي الْمُعَلَّى لَمْ نَبْتَ حَتَّى نُصَبِّحَكَ بِجَيْشِ جَحْفَلِ
تَمْشِي الضَّرَاءَ رِجَالَهُمْ وَكَانَهُمْ أَسَدُ الْعَرِينِ بِكُلِّ عَضْبٍ مُنْصَلِ²
فَاحْذَرْ زِيَادُ وَلَا تَكُنْ ذَا تُدْرَأُ عِنْدَ الرِّجَالِ وَنُهُزَةً لِلْخُلِّ³

[مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقاً له]

وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدِ الْبَكْرِيِّ صَدِيقاً لِأَبِي جِلْدَةَ ، وَكَانَ فَارِساً شُجَاعاً ، وَقَتْلَهُ ابْنُ خَازِمٍ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ فَأَنْكَرَهُ ؛ وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو جِلْدَةَ : [من الطويل]
إِذَا كُنْتَ مَرْتَاداً نَدِيماً مُكْرَرًا نَمَاهُ سَرَاةٌ مِنْ سَرَاةِ بَنِي بَكْرِ

1 بالخيزران في ل : الجبروان .

2 العضب : السيف القاطع . والمنصل : اسم للسيف .

3 ذو تدراً : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . النهضة : الفرصة . والختل : جمع خاتل .

فلا تَعُدْ ذا العَلْيَا سُلَيْمَانَ عَامِداً
كَرِيماً عَلَى عِلَاتِهِ يَبْذُلُ النَّدى
مُعْتَقَةً كَالسُّكْرِ يَذْهَبُ رِيحُهَا الـ
وَتَتْرَكَ حَاسِي الكَأْسِ مِنْهَا مُرْتَحاً
تَلُوحُ كَعَيْنِ الدِّيكِ يَنْزُو حَبَابُهَا
فَتِلْكَ إِذَا نَادَمْتُ مِنْ آلِ مَرْثِدٍ
يُغْنِيكَ تَارَاتٍ وَطَوْرًا يَكْرُهَا
تَعَوَّدُ أَلَّا يَجْهَلَ الذَّهْرَ عِنْدَهَا
وَإِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثِدٍ
فَهَمَّتْهُ بَذْلُ النَّدى وَابْتِنَا الْعَلَا
وَفِي الْأَمْنِ لَا يَنْفَكُ يَخْسُو مُدَامَةً
تَجِدُ مَا جَدَّ بِالْجُودِ مُنْشِرِخَ الصِّدْرِ
وَيَشْرِبُهَا صَهْبَاءَ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
زُكَّامٌ وَتَدْعُو المَرْءَ لِلْجُودِ بِالْوَفْرِ
يَعْمِدُ كَمَا مَادَ الْأَثِيمُ مِنَ السُّكْرِ
إِذَا مُزِجَتْ بِالْمَاءِ مِثْلَ لَطَى الْجَمْرِ
عَلَيْهَا نَدِيماً ظِلٌّ يَهْرِفُ بِالشَّعْرِ¹
عَلَيْكَ بِحَيَّاكَ الْإِلَهَ وَلَا يَدْرِي
وَأَنْ يَبْذُلَ الْمَعْرُوفَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَأْتِي يَمِيناً أَنْ يَرِيشَ وَلَا يَبْرِي²
وَضَرَبُ طَلَى الْأَبْطَالِ فِي الْحَرْبِ بِالْبَتْرِ³
إِذَا مَا دَجَا لَيْلٌ إِلَى وَضَحِ الْفَجْرِ

قال : فلما بلغت سليمان هذه الأبيات قال : هجاني أخي وما تعمّد ، لكنه يرى أن الناس جميعاً يؤثرون الصّهباء كما يؤثرها هو ، ويشربونها كما يشربها . وبلغ قوله أبا جلدة فأثاه فاعتذر إليه ، وحلف أنه لم يتعمّد بذلك ما يكرهه ويُنكره . قال : قد عَلِمْتُ بذلك وشهدتُ لك به قبل أن تعتذر ، وقَبِلَ عَذْرَهُ .

[سأل الحَضَيْنِ بن المنذر شيئاً فلم يعطه إِيَّاهُ فهِجَاهُ]

وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدة الحَضَيْنِ بن المنذر الرِّقَاشِيَّ شيئاً فلم يُعْطِهِ إِيَّاهُ ، وقال : لا أُعْطِيهِ مَا يَشْرَبُ بِهِ الْخَمْرُ . فقال أبو جلدة يهجوهُ :

[من السريع]

يَا يَوْمَ بُوسٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ
بِالنَّحْسِ لَا فَارَقَتْ رَأْسَ الْحَضَيْنِ
إِنَّ حَضَيْناً لَمْ يَزَلْ بَاخِلاً
مُذْ كَانَ بِالْمَعْرُوفِ كَرَّ الْبِدَيْنِ

[من السريع]

فبلغ الحَضَيْنِ قولُ أبي جلدة ، فقال يُجِيبُهُ :

عَضَّ أَبُو جِلْدَةَ مِنْ أُمِّهِ
بَظْراً طَوِيلاً غَاشِياً رَأْسَهُ
مُعْتَرِضاً مَا جَاوَزَ الْأُسْكَيْنِ⁴
أَعْقَفَ كَالْمِنْجَلِ ذَا شُعْبَيْنِ

1 الهرف : الهذيان ، والهرف : مجاوزة القدر في المدح والثناء .

2 تألَّى : حلف . يقال رشّت فلاناً ، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه . وبراہ : هزله وأضعفه . وهو مثل .

3 الطلّ : الأعناق . والبتر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع .

4 الأسكان : جانب الفرج وهما قذاته .

وقال أبو جِلْدَة في حُضَيْنٍ أيضاً :

[من الطويل]

إِلَيْكَ أبا ساسانَ غيرُ مُسَدِّدٍ¹
ولا خائِفٌ بَثَّ الأحاديثِ في غَدٍ
فلم أَطْلُبِ المعروفَ عندَ المُصَرِّدِ²
لَقُمْتُ بِحاجاتِي وَلَمْ تَتَبَلَّدِ
وَكُنْتَ قَصِيرَ الباعِ غيرَ المُقَلِّدِ
من اللُّومِ يا ابنَ المُسْتَذَلِّ المُعْبَدِ

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أُسَيِّدُ حاجَتِي
فلا عَالِمٌ بِالْغَيْبِ مِنْ أَيْنَ ضُرُّهُ
فليتَ المَنايا حَلَقَتْ بِي صُرُوفُها
فلو كنتَ حُرّاً يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ
تَجَهَّمَتْنِي خُوفَ القِرَى واطَّرَحَتْنِي
ولم تَعُدْ ما قد كنتَ أَهلاً لِمِثْلِهِ

[تهدده بنو رقاش لهجائه الحُضَيْنَ فقال شعراً]

قال : فبلغ أبا جِلْدَة أَنَّ بني رَقاشِ³ تهَدَّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْنَ بنَ مُنْذِرٍ ،

[من الطويل]

فقال :

وكلَّ رَقاشِيٍّ على الأرضِ في الحَبْلِ
فبِئْسَ مَحَلٌّ الضَّيْفِ في الزَّمنِ المَحَلِّ
أَذَلَّ على وَطءِ المَوانِ من النُّعلِ
سَبِيلاً ولا وُقِّقْتُ للخيرِ والفضلِ
مَبَاحِيلُ بالأزْوَاجِ في الخِصْبِ والأزْلِ⁴
عِظالِ الكِلابِ في الدُّجْنَةِ والوَبْلِ⁵
فَأَخَوَرُ عِيداناً من المَرْخِ والأَثْلِ⁶
إذا خَطَرَتْ حَرْبٌ مَراجِلُها تَغْلِي

تَهَدَّدُنِي جَهلاً رَقاشِ وَلِيَتَنِي
فَبِأَسْتِ حُضَيْنٍ واسْتِ أُمُّ رَمَتْ بِهِ
وإنَّ أَنَا لَمْ أَتْرَكَ رَقاشِ وَجَمْعَهُمْ
فشَلَّتْ يَداي وَاتَّبَعْتُ سَوى الهُدَى
عِظامُ الخُصْيِ نُطُّ اللَّحْيِ مَعْدِنُ الخِنا
إذا أَمِنُوا ضُرّاً دَهْرٌ تَعَاظَلُوا
وإنَّ عَضَّهُمْ دَهْرٌ بَنَكْبَةٍ حادِثِ
أُسُودُ شَرِيٍّ وَسَطُ النَّدِيِّ تَعَالِبِ

[شعره في دهقانة كان يختلف إليها]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله الأصبهانيُّ المعروف بالحَزَنيلُ
عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيِّ عن أبيه قال : عَشِقَ أبو جِلْدَة اليَشْكُريُّ دِهْقانَةَ يُسْتَوِّدُ وكان
يختلف إليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها :

[من الطويل]

1 أبو ساسان : كنية الحُضَيْنِ بنِ المنذر .

2 التصريد : قلة العطاء .

3 رقاش : مبنية على الكسر .

4 نط جمع أنط وهو القليل شعر اللحية . المعدن اسم مكان من عدن أي أقام . الأزل : الضيق والشدة .

5 التعاظل : الملازمة في السفاد .

6 المَرْخ والأَثْل : ضربان من الشجر .

وَكَأْسٍ كَانَ الْمِسْكَ فِيهَا حَسَوْتُهَا وَنَازَعْنِيهَا صَاحِبٌ لِي مُلَوَّمٌ¹
 أَغْرُ كَانَ الْبَدْرَ سُنَّةً وَجْهِهِ لَهُ كَفَلٌ وَافٍ وَفَرَعٌ وَمَبْسِمٌ²
 يُضِيءُ دُجَى الظُّلُمَاءِ رَوْنُقُ خَدِّهِ وَيَنْجِبُ عَنْهُ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ مَظْلُمٌ
 وَتَذْيَانٍ كَالْحَقِيقَيْنِ وَالْمَتْنُ مُدْمَجٌ وَجِيذٌ عَلَيْهِ نَسَقُ دُرٍّ مُنْظَمٌ
 وَبَطْنٌ طَوَاهِ اللَّهُ طَيِّبًا وَمَنْطِقٌ رَحِيمٌ وَرِذْفٌ نَيْطَ بِالْحَقْوِ مُقَامٌ³
 بِهِ تَبَلَّتْنِي وَاسْتَبْتَنِي وَغَادَرْتُ لَطَى فِي فَوَادِي نَارُهَا تَضَرَّمُ
 أُبَيْتُ بِهَا أَهْذِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتِي وَأُصْبِحُ مَبْهُوتًا فَمَا أَتَكَلَّمُ
 فَمَنْ مُبْلِغٌ قَوْمِي الدُّنَا أَنْ مُهْجَتِي تَبِينُ ، لَكِنْ بَانَتْ أَلَا تَتَلَوَّمُ⁴
 وَعَهْدِي بِهَا ، وَاللَّهُ يُصْلِحُ بِأَلْهَا ، تَجُودُ عَلَى مَنْ يَشْتَهِيهَا وَتُنْعَمُ
 فَمَا بِأَلْهَا ضَنْتُ عَلَيَّ بِوُدِّهَا وَقَلْبِي لَهَا يَا قَوْمَ عَانِ مُتِمِّمٌ

قال : فلما بلغها الشعرُ سألتُ عن تفسيره ففسر لها . فلما انتهى المُفسرُ إلى هذين البيتين الأخيرين غَضِبَتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زعم ؟ إن كلمته كلمةٌ أبداً . أو كلما اشتَهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحِي إذا ! أي أنا إذا زانية . فصرمته ، فلم يقدر عليها وعذَّب بها زماناً ، ثم قال فيها لما يعس منها :

صَحَا قَلْبِي وَأَقْصَرَ بَعْدَ غَيٍّ طَوِيلٍ كَانَ فِيهِ مِنَ الْغَوَانِي
 بِأَنْ قَصَدَ السَّبِيلَ فَبَاعَ جَهْلًا بَرُّشْدٍ وَارْتَجَى عُقْبَى الزَّمَانِ
 وَخَافَ الْمَوْتَ وَاعْتَصَمَ ابْنُ حُجْرٍ مِنْ الْحُبِّ الْمَبْرُحِ بِالْجَنَانِ⁵
 وَقَدِّمًا كَانَ مُعْتَرِمًا جَمُوحًا إِلَى لَذَاتِهِ سَلَسَ الْعِنَانِ⁶
 وَأَقْلَعَ بَعْدَ صَبَوْتِهِ وَأَضْحَى طَوِيلَ اللَّيْلِ يَهْرَفُ بِالْقُرَانِ
 وَيَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا لِكَيْمَا يَنَالَ الْفَوْزَ مِنْ غُرَفِ الْجِنَانِ

[قال شعراً في يزيد بن المهلب ثم اتصل منه]

قال ابن حبيب قال أبو عُبَيْدَةَ : كان يزيد بن المهلب يُتَهَمُ بالنِّسَاءِ . فقال فيه أبو

1 ملوَّم : يلومه الناس كثيراً .

2 سنة الوجه : دائرته أو صورة أو الجبهة والجبينان . المبسم : الثغر .

3 نيط بالحقو : علق به . والحقو : الكشح . وردف مقام : سمين .

4 القوم الدنيا : الأقربون . التلوم : التلبث والانتظار .

5 حجر : من آباء الشاعر .

6 الاعترام هنا الشراسة والبطر .

جلدة :

[من الطويل]

إذا اعتكرت ظلماء ليلي ونومت
 عيون رجال واستلذوا المضاجعا¹
 سما نحو جار البيت يستام عرسه
 يزيد ديباً للمعانة قابعا²
 وإن أمكنته جارة البيت أو رنت
 إليه أتاها بعد ذلك طاعما
 فشاعت الأبيات ورواها الناس لقتادة بن معرب . فقال أبو جلدة :

أبا خالد ركني ومن أنا عبده
 لقد غالني الأعداء عمداً لتغضبنا
 فإن كنت قلت اللذ أناك به العدا
 فشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا³
 ولا زلت محمولا على بليّة
 وأمست شلواً للسباع متربا⁴
 فلا تسمعن قول العدا وتبينن
 أبا خالد عذراً وإن كنت مغضبا
 [سئل عنه البيت فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجو به]

وقال ابن حبيب : قال رجل للبيث : أي رجل هو أبو جلدة ؟ فقال : قتادة بن معرب
 أعرف به حيث يقول :

[من السريع]

إن أبا جلدة من سكره
 لا يعرف الحق من الباطل
 يزداذ غيياً وانهماكاً ولا
 يسمع قول الناصح العادل
 أعيا أبوه وبنو عمه
 وكان في الذروة من وائل
 فليته لم يك من يشكر
 فبمس خذل الرجل العاقل
 أغمى عن الحق بصير بما
 يعرفه كل فتى جاهل
 يصبح سكران ويمنسي كما
 أصبح ، لا أسقي من الوابل
 شد ركاب الغي ثم اغتدى
 إلى التي تجلب من بابل
 فالسجن إن عاش له منزل
 والسجن دار العاجز الخامل
 [شعره يناقض به قتادة بن معرب]

[من السريع]

وقال أبو جلدة يجيبه :

قُبِحت لو كنت امرأة صالحاً
 تعرف ما الحق من الباطل

1 اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .

2 يستام عرسه : يطلب زوجته . القيع : تغطية الرأس بالليل لرية .

3 الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .

4 المترب : الملطخ بالتراب .

كَفَفْتَ عَنْ شُغْمِي بِلَا إِحْنَةٍ
لَكِنْ أَبْتَ نَفْسُكَ فَعَلَ النَّهْيُ
فَتَحَتْ لِي بِالشُّغْمِ حَتَّى بَدَا
فَاجْهَدْ وَقُلْ لَا تَتْرِكْ جَاهِدًا
تَعَذَّلْنِي فِي قَهْوَةٍ مُزَّةٍ
وَلَوْ رَأَاهَا خَرَّ مِنْ حُبِّهَا
يَا شَرًّا بِكَرِّ كُلِّهَا مَحْتَدًا
عَرَضَكَ وَفَرَّهُ وَدَعْنِي وَمَا

وَلَمْ تَوَرِّطْ كَفَّةَ الْحَابِلِ¹
وَالْحَزْمِ وَالنَّجْدَةِ وَالنَّائِلِ
مَكْنُونُ غِشٍّ فِي الْحَشَا دَاخِلِ
شَتَمَ امْرَأَةٍ ذِي نَجْدَةٍ عَاقِلِ
دِرْيَاقَةٍ تُجَلِّبُ مِنْ بَابِلِ
يَسْجُدُ لِلشَّيْطَانِ بِالْبَاطِلِ
وَنُهْزَةِ الْمُخْتَلِسِ الْآكِلِ
أَهْوَاهُ يَا أَحْمَقَ مِنْ بَاقِلِ²

[عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعراً]

قال ابن حبيب : كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل ، فسكير نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

أَبَى لِي أَنْ أَلْحَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَى
وَقَارِي وَعِلْمِي بِالشَّرَابِ وَأَهْلِيهِ
فَلَسْتُ بِبَلَّاحٍ لِي نَدِيمًا بِزَلَّةٍ
عَرَكْتُ بِجَنِّي قَوْلَ خِدْنِي وَصَاحِبِي
فَلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ خُذْهَا عَرِيقَةً
فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلَ مَا
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ السُّكَّرَ طَارَ بَلْبِي
وَلَاكَ إِنْ سَأَاكَ كَانَ إِذْ كَانَ صَاحِبًا

وَقَالَ كَلَامًا سِيَّئًا لِي عَلَى السُّكَّرِ
وَمَا نَادَمَ الْقَوْمَ الْكَرَامَ كَذِي الْحَجَرِ³
وَلَا هَفْوَةٍ كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى الْخَمْرِ
وَنَحْنُ عَلَى صَهْبَاءٍ طَيِّبَةِ النَّشْرِ⁴
فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ جَحَاجِحَةٍ زُهْرٍ
سَقَيْتُ أَخِي حَتَّى بَدَا وَضَحُ الْفَجْرِ⁵
فَأَغْرَقَ فِي شُغْمِي وَقَالَ وَمَا يَذْرِي
يَقْلُبُهُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الشُّعْرِ

[شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشرب فأبى]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذثاني قال : كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تستر⁶ في بعث ، فشرب بها في حانة مع رجل من قومه

1 كفة الحابل : حالته التي يصيد بها .

2 إشارة إلى مثل «أعياء من باقل» .

3 ذو الحجر : ذو العقل .

4 عركت ذنبه بجني إذا احتملته . والخذن : الصديق .

5 وضح الفجر : يياض الصبح .

6 تستر : مدينة بخوزستان .

كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتِ والرُّخْج وكان مكتبه هناك ، فأقام بها مدة ، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي ناداه بُسْتَر ذات يوم ، فسَلِمَ عليه ودعاه إلى منزله ، فأكلَا ، ثم دعا بالشراب ليشربا ، فامتنع الرجل وقال : إني قد تركتها لله . فقال أبو جِلْدَة وهو يشرب :

[من الطويل]

ألا رُبَّ يومٍ لي يُبْسِتَ وِلِيلَة
غَنِيْتُ بها أسْقِي سُلَافَ مُدَامَة
نُبَادِرُ شَرْبِ الرَّاحِ حَتَّى نَهْرُهَا
فذلك دَهْرٌ قد تَوَلَّى نَعِيمُهُ
فراجَعَنِي حِلْمِي وَأَصْبَحْتُ مِنْهَجِ الـ
وَكَلَّ أَوَانِ الْحَقِّ أَبْصَرْتُ قَصْدَهُ
سَارَكُضُ فِي التَّقْوَى وَفِي الْعِلْمِ بَعْدَمَا
وَبِاللَّهِ حَوْلِي وَاحْتِيَالي وَقُوَّتِي
ولا مِثْلَ أَيَّامِي الْمَوَاضِي بُسْتَرِ
كَرِيمِ الْمُحْيَا مِنْ غَرَانِيدِ يَشْكُرِ
وَتَرَكْنَا مِثْلَ الصَّرِيعِ الْمُغْفَرِ¹
فأَصْبَحْتُ قد بُدِّلَتْ طَوَلَ التَّوَقُّرِ
شَرَابٍ وَقَدْ مَأْ كُنْتُ كَالْمُتَحِيرِ
فَلَسْتُ وَإِنْ نُبِهُتُ عَنْهُ بِمُقْصِرِ
رَكَضْتُ إِلَى أَمْرِ الْغَوِيِّ الْمُشْهَرِ
وَمَنْ عِنْدَهُ عُرْفِي الْكَثِيرُ وَمُنْكَرِي

[مرّبه سمع بن مالك فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدَة ، فوثب إليه وأنشأ يقول :

[من الرجز]

يا مِسْمَعُ بنَ مالِكٍ يا مِسْمَعُ
أنتَ الجَوَادُ والخطيبُ المِصْنَعُ

فاصْنَعْ كما كان أبوك يَصْنَعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إن قبل منك والله يا أبا جِلْدَة ناكٌ أمّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع .

[مدح مقاتل بن مسمع طمعا فلما رده هجاه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعْطِي [أبا جِلْدَة ، فقال فيه] : [من البسيط]

يسعى أناسٌ لَكَيْمًا يُدْرِكوكَ وَلَوْ
خَاضُوا بِحَارِكَ أَوْ ضَحَضَاحَهَا غَرِقُوا²
وأنتَ في الحربِ لا رَثُ الْقَوَى بَرِمَ
عِندَ اللَّقَاءِ ولا رِغْدِيدَةٌ فَرِقُ³
كُلِّ الْخِلَالِ التي يسعى الكرامُ لَهَا
إِنْ يَمْدَحُوكَ بِهَا يَوْمًا فَقَدْ صَدَقُوا

1 هَرَه : كرهه .

2 الضحضاح : الماء القليل القعر .

3 رث القوى : ضعيفها . اليرم : الضجر الملول . الرعيدة : الجبان .

ساد العراقَ فحالُ الناسِ صالحةٌ وسادَهم وزمانُ الناسِ مُنْخَرَقٌ
 لا خارجيٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفًا بل مجدُّ آلِ شِهَابٍ كان مذ خُلِقُوا
 قال : ثم مدح مُقَاتِلَ بنِ مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعْطِيهِ ، فلم يَلْتَفِتْ إليه وأمر
 أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرّضتَ للسان أبي جلدة وخُبَيْثته . فقال : وَمَنْ هو الكلبُ ؟ وما
 عسى أن يقول قبحه الله وقبح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَهُ . فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة
 فقال يهجوهُ :

[من الطويل]

وكان لثيماً جاره يَتَذَلُّ
 لديه تولّى هارباً يَتَعَلُّ
 ألا كُلُّ مَنْ يَرَجُو قِرَاكُم مُّضَلُّ
 ربيعةُ أُمسَى ضيفُكم يتحولُ
 زماناً بِكُمْ يَحْيَا الضَّرِيكَ الْمُعِيلُ¹
 وقصّرتُم والضيفُ يُقْرِى ويُزَلُّ
 يقول إذا ولّى جميلاً فيُجَمَلُ²
 ورأيَهُم لا يَسْبِقُ الخيلُ مُحْتَلُّ³
 عليهم وواسوهُم فذلك أجملُ
 به يضربُ الأمثالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ
 بني مِسْمَعٍ حتّى يُحْمُوا وَيَتَقَلُّوا
 وضيفَهُم سيّانٍ أنّى تَوسَلُوا
 وما فيهِم إلا لثيمٌ مُبْخَلُّ
 لكان قِراهُم راهناً حين أنزلُ
 وأجدرُ يوماً أن يُواسُوا ويُفْضَلُوا
 ولا زال واديكم من الماء يُمَجَلُ
 إذا جعلتُ نارُ الحُرُوبِ تَأْكُلُ

قَرى ضَيْفَهُ الماءَ القَرَّاحَ ابنُ مِسْمَعٍ
 فلمّا رأى الضيفُ القِرَى غيرَ رَاهِنٍ
 يُنادِي بأعلى الصوتِ بَكَرَ بْنَ وائِلٍ
 عَمِيدُكُمْ هَرَّ الضيُوفُ فما لَكُمْ
 وخفّتُمْ بأنْ تَقْرُوا الضيُوفَ وَكُنْتُمْ
 فما بِالْكُمْ باللهِ أنْتُمْ بَخِلْتُمْ
 ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرى حين يُقْتَرى
 فمَهْلًا بني بَكَرٍ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ
 ودُونَكُمْ أَضْيَافُكُمْ فَتَحَلُّبُوا
 ولا تُصْبِحُوا أَحَدُوثةً مثلَ قائلٍ
 إذا ما التقى الرُّكبانُ يوماً تذاكروا
 فلا تَقْرُوا أَيْتَهُم إنَّ جارَهُم
 هُمُ القَوْمُ غَرَّ الضيفَ مِنْهُمْ رُواوَهُم
 فَلَوْ بَيْنِي شَيْئانَ حَلَّتْ رِكاثِي
 أولئك أَوْلَى بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا
 بني مِسْمَعٍ لا قَرَبَ اللهِ دارُكُمْ
 فلم تَرَدُّعُوا الأبطالَ بِالْبَيْضِ والقَنَا

1 المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .

2 يقتري في الأولى : تتبع وفي الأخرى : أضاف .

3 المحتل : الضاوي والدقيق السيء الغذاء .

[195] - أخبار علوية ونسبه

[نسبه]

هو عليّ بن عبد الله بن سيف . وكان جدّه من السُّعْد¹ الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عَفَّان واسترقّ منهم جماعة اختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضهم ، ولم يُعْتَقِ الباقيين فقتلوه . وذكر ابن خُرْداذبِه . وهو ممّن لا يحصّل قوله ولا يُعْتَمَد عليه ، أنّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أميّة ، والقول الأوّل أصحّ .

[مهارته في الغناء والضرب وسبب وفاته]

ويُكنّى علويّة أبا الحسن . وكان مغنيّاً حاذقاً ، ومؤدّباً محسناً ، وصانعاً متفنّناً ، وضارباً متقدّماً ، مع خِفّة رُوح ، وطيبِ مُجالسة ، وملاحةِ نَوادر . وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرّجه وغنّى به جدّاً ، فبرّع وغنّى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيّام المتوكّل ، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيِّدةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه ، فبعث إليه بدواء مُسهلٍ وطلاء ، فشرب الطلاء واطلى بالدواء المُسهل ، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخارق . فأما التقدّم والوصف فلم يكن إسحاق يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المهديّ ، فلا يضرّه ذلك مع تقدّمه وفضله .

[رأى إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق]

أخبرني محمد بن مَزَيْدٍ قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال : قلت لأبي : أيّما أفضلُ عندك مُخارقٌ أو علويّ ؟ فقال : يا بُنَيّ علويّ أعرفُهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلّمُهما بما يغنيّه ويؤدّيّه ، ولو خيّرْتُ بينهما مَنْ يُطارح جَواريّ أو شاورني مَنْ يَسْتَنْصِحُنِي لَمَّا أَشَرْتُ إِلَّا بعلويّ ؛ لأنّه كان يؤدّي الغناء ، وصنّع صنعةً مُحَكَّمةً . ومُخارقٌ بتمكُّنِهِ من حلقه وكثرة نغمِهِ لا يُقْنَعُ بالأخذ منه ؛ لأنّه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغني مرّتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنّهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سوقٍ غلب مخارقٌ على المجلس والجائزة لطيبِ صوته وكثرة نغمِهِ .

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثني أبي قال : اجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضر علويّ فغنّى أصواتاً ، ثم غنّى من صنّعه : [من الطويل]

1 السُّعْد : ناحية كثيرة المياه واليساتين والأشجار بين بخارى وسمرقند .

صوت

وَنَبِئْتُ لَيْلَى أُرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِبْلِى فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

ولحنه ثاني ثقيل . فقال له إسحاق : أحسنت والله يا أبا الحسن ! أحسنت ما شئت ! فقام علوية من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسرّ بقوله سروراً شديداً ، ثم قال : أنت سيدي وابن سيدي ، وأستاذي وابن أستاذي ، ولي إليك حاجة . قال : قل ، فوالله إنني أبلغ فيها ما تحب . قال : أيما أفضل عندك أنا أو مخارق ؟ فإني أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر ويحكيه عنك من حضر ، فتشرفني به . فقال إسحاق : ما منكم إلا محسن مجمل ، فلا ترد أن ترى في هذا شيئاً . قال : سألتك بحقي عليك وبترية أهلك وبكل حق تعظمه إلا حكمت . فقال : ويحك ؛ والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلت فيما تحب ، فأما إذ أبيت إلا ما ذكرت فهالك ما عندي : فلو خيرت أنا من يطارح جوازي أو يغنيني لما اخترت غيرك ، ولكنما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه واستبد عليك بجائزته . فغضب علويه وقام وقال : أف من رضاك ومن غضبك ! .

[شاع له صوت كان الناس يظنونهم لإسحاق]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : قدمت من سر من رأى قدمة إلى بغداد ، فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء ، فقال : أي شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني ، فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صنعتك . فقال : أي شيء هو . فقلت : [من الطويل]

صوت

ألا يا حمامي قصر دوران هيجتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا¹
وأبكيتماني وسط صبحي ولم أكن أباي دموع العين لو كنت خاليا
فضحك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعلويه ، ولقد لعمري أحسن فيه وجود ما شاء .
لحن علويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطى .

[أطعم أصحابه وغنام]

حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبراري

1 دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة .
(معجم البلدان 480/2) .

قال : أُتيتُ علّويه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بنَ حامِدٍ وعبدُ الله بنَ صالحٍ صاحبُ المصلّى ، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجٍ كسكريّة¹ مُسمّنةٍ وجرايبيّ دقيقٍ سَمِيذٍ² ، فسلمتهُ إلى غلامه ، وبعثُ إلى بشرِ بنِ حارثة : أطعمنا ما عندك ، فلم يزل يُطعمنا فضلاتٍ حتى أدرك طعامه ، ثم بعثُ إلى عبد الوهّاب بن الخَصِيب بن عمرو فحضر ، وقُدِّمَ الطعامُ فأكلَ وأكَلْنَا أَكْلَ مُعَدَّرِينَ³ ، ثم قال : إني صنعتُ البارحةَ لحناً أعجبني ، فاسمعه وقلوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال :

صوت

هَزَيْتُ عُمَيْرَةً أَنْ رَأَتْ ظَهْرِي أَنْحَى وَذَوَابَتِي عُلَّتْ بِمَاءِ خِضَابِ
لَا تَهْزَيْ مَنِّي عُمَيْرُ فَإِنِّي مَحْضُ كَرِيمٍ شَيْبَتِي وَشَبَابِي
لحنُ علّويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطي . فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشريناً عليه أقداحاً . ثم استَوذِنَ لَعْنَتُ غلامِ أحمد بن يحيى بن مُعَاذٍ ، فَأَذِنَ له ، ومع عَثْثَ كتابٍ من مولاة أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصم) ، فأجِبْ أن تتفضّل وتطرّحه على عبدك عثث . وهو :

صوت

فَوَاحَسَرَتَا لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالْجَوَارِ وَبِالْقُرْبِ
يَقُولُونَ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْهُمْ فَقُلْتُ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي
لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقدّم أغانيه وصدورها . وأوّل هذا الصوت :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ شَيْبَ مُورِقٍ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَيْبِ
قال : وإذا مع حُسَيْنِ رُقْعَةٍ مِنْ مَوْلَاهُ : سَمِعْتُكَ يَا سَيِّدِي تُغْنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٍ دُورَانَ هِجْتُمَا بِقَلْبِي الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
أُحِبُّ أَنْ تَطْرَحَهُ عَلَى عَبْدِكَ حُسَيْنٍ . قال : فدعا بغلامٍ له يُسَمَّى عَبْدَ آلِ فطرحة عليهما حتى أحكماه ثم عرّضاه عليه حتّى صحّ لهما . فما أعلمُ أنّه مرّ لنا يومَ يقاربُ طيّبَ ذلك اليومِ وحُسْنُهُ .

1 الفراريج الكسكرية : منسوبة إلى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة . وكانت قصبتها «واسط» .
2 السميز : الحواريّ ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة .
3 المعذورون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل .

[وصف الواثق له]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول : علَّوِيه أَصَحُّ النَّاسِ صَنْعَةً بعد إِسْحَاقَ ، وأَطْيَبُ النَّاسِ صَوْتاً بعد مُخَارِقَ . وأَضْرَبُ النَّاسَ بعد رَبْرَبٍ ومُلاحِظَ ، فهو مُصَلِّي كُلِّ سَابِقٍ قَادِرٍ ، وثَانِي كُلِّ أَوَّلٍ وَاصِلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال : وكان الواثقُ يقول : غِنَاءُ علَّوِيه مثلُ نَقْرِ الطُّسْتِ يَبْقَى سَاعَةً في السَّمْعِ بعد سُكُوتِهِ .
[خطأُ إِسْحَاقَ لِحَنَاءِ غِنَاءِهِ عند المعتصم فردّه هو عليه]

نسختُ من كتاب أبي العبّاس بن ثَوَابَةِ بخطّه : حدَّثني أحمد بن إِسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرّبيعيّ قال : اجتمعتُ يوماً بين يَدَيِ المعتصم وحضر إِسْحَاقُ الموصلي ، فغَنَى علَّوِيه :
[من الطويل]

لِعَبْدَةِ دَارٍ مَا تَكَلَّمْنَا الدَّارُ تلوح مَغَانِيهَا كَمَا لَاحَ أُسْطَارُ¹
فقال إِسْحَاقُ : أخطأتُ فيه ، ليس هو هكذا . فغَضِبَ علَّوِيه وقال : أُمُّ مَنْ أَخَذْنَا عَنْهُ هَكَذَا زَانِيَةً . فقال إِسْحَاقُ : وَشَتَمْنَا قَبْحَهُ الله ، وسكت وبَانَ ذَلِكَ فيه . قال : وكان علَّوِيه أَخَذَهُ مِنْ أَبِيهِ .

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا هارون بن مُخَارِقٍ قال : كان علَّوِيه أعسرَ وكان عُوْدُهُ مقلوبَ الأوتارِ : البَمُّ أسفل الأوتار كلّها ، ثم المثلثُ فوقه ، ثم المثنى ، ثم الزَّيْرُ ، وكان عُوْدُهُ إِذَا كَانَ في يَدِ غَيْرِهِ مقلوباً على هذه الصّفة ، وَإِذَا كَانَ معه أَخَذَهُ باليمنى وضرب باليسرى ، فيكونُ مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

[غنى بشعر ابن أخته القاضي الخلنجي فعزله المأمون]

أخبرنا محمد بن خَلْفٍ وكيِّعٌ قال كان الخَلْنَجِيُّ القاضي ، واسمه عبد الله [بن محمد] ، ابنَ أختِ علَّوِيه المَغْنِي ، وكان تَيَّاهَاً صَلِيفاً ، فتقلَّد في خلافة الأَمِين قضاءَ الشَّرْقِيَّةِ² ، فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَدِهِ ولا يتحرَّك ، فإذا تقدَّم إليه الخَصْمَانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمد بعض المُجَانِّ إلى رُقْعَةٍ من الرُّقَاعِ التي يُكْتَبُ فيها الدَّعَاوِي فَأَلْصَقَهَا في موضع دَنِيَّتِهِ بالدَّبْنِقِ ومَكَّنَ منها الدَّبْنِقَ . فلَمَّا تقدَّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل

1 الأسطار : جمع سطر يشير إلى الكتابة .

2 الشرقية هنا : حلة بالجانب الغربي من بغداد .

انكشف رأسه وبقيت الدنية¹ موضعها مصلوبة ملتصقة ، فقام الخَلنجي مُغَضَّباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه ، وقام فانصرف وتركها مكانها ، حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات : [من مخلع البسيط]

إِنَّ الْخَلْنَجِيَّ مِنْ تَتَائِهِ أَثْقَلُ بَادٍ لَنَا بَطْلَانِيهِ
مَا إِنَّ لِدِي نَخْوَةً مُنَاسِبَةً بَيْنَ أَخَاوِينِهِ وَقَصْعَتِهِ
يُصَالِحُ الْخَصْمَ مَنْ يُخَاصِمُهُ خَوْفاً مِنَ الْجَوْرِ فِي قَضِيَّتِهِ
لَوْ لَمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قَانِصِهِ لَطَارَ تَيْهاً عَلَى رَعِيَّتِهِ²

قال : وشهرت الأبيات والقصة ببغداد ، وعمل له علويه حكاية أعطاها للزفانين³ والمُخْتَنين فأخرجوه فيها ، وكان علويه يُعاديهِ لِمَنَازِعَةٍ كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخَلنجي من القضاء ببغداد وسأل أن يُؤلَّى بعض الكُور البعيدة ، فؤلَّى جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمَصَ . فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخَلنجي فقال : [من الطويل]

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَاشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ غَرِيَّةً بِهِجْرِي تَوَاصَوْا بِالنَّمِيمَةِ وَاحْتَالُوا⁴
فَقَدْ صِرْتُ أَذْنًا لِلْوُشَاةِ سَمِيعَةً يَنَالُونَ مِنْ عِزِّي وَإِنْ شِئْتَ مَا نَالُوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضي دِمَشْقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكتب إلى صاحب دِمَشْقَ بإشخاصه فأشخص وجلس المأمون للشرب وأحضر علويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أنشدني قولك :

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَاشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة وأنا صبي ، والذي أكرمك بالخلافة وورثك ميراث النبوة ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق . فقال له : اجلس فجلس ، فناوله قَدَحَ نبيذ كان في يده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما غيرت الماء بشيء قط مما يختلف في تحليله ، فقال لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب . فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها . فأخذ القَدَحَ من يده وقال : أما والله لو شربت شيئاً

1 الدنية : غطاء الرأس .

2 البق : الغراء . التدبيق : صيد الطائر بالديق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاده .

3 الزفانون : الرقاصون .

4 غرية : مولعة .

من هذا لضربتُ عنقك . وقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كله ، ولكن لا يتولّى لي القضاء رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، أنصرف إلى منزلك . وأمر علويه بغير الكلمة وجعل مكانها «حُرِّمْتُ منأي منك» .
[ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان علويه يغني بين يدي الأمين ، فغني في بعض غنائه :

ليتَ هندا أنجزتنا ما تعدّ وشفتَ أنفسنا بما تعدّ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعن عليه ، فقال للأمين : إنما يُعرض بك ويستبطن المأمون في محاربتك ؛ فأمر به فضربَ خمسين سوطاً وجرّ برجله ، وجفاه مدّة ، حتى ألقى نفسه على كوثِرٍ فترضاّه له وردّ إلى خدمته ، وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلما قديم المأمون تقرب إليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُجبّ . وقال له : إنّ الملكَ بمنزلة الأسد أو النار ، فلا تتعرض لِمَا يُغضبه ، فإنّه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه ، ولم يُعطه شيئاً .

[غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته]

ومثل هذا من فعل الأمين ، ما حدّثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : دخلتُ على الأمين فرأيتُه مُغضباً كالحأ ، فقلتُ له : ما لأمر المؤمنين ، تمّم الله سروره ولا نغصه ، أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله ! والله لو كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبشتُ الساعة قبره وأحرقتُ عظامه . فقمْتُ على رجلي وقلت : أعوذُ بالله من سُخطك يا أمير المؤمنين ! ومن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمه إياه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيه ، وغنّيته الساعة فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطّ ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله :

أبو المأمونِ فينا والأمينُ له كنفانٍ من كرمٍ ولين

فقلتُ له : يا أمير المؤمنين لم يُقدّم المأمون في الشعر لتقديمه إياه في الموالاة ، ولكن الشعر لم يصحّ وزنه إلا هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يصحّ الشعر إلا هكذا أن يدّعه إلى لعنة الله . فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكّن . فلما قديم المأمون سألتني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحك ويعجب منه .

[مدحه عبد الله بن طاهر]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول : لو خُيرتُ لوناً من الطعام لا أزيد عليه غيره لاخترتُ الدُّرَّاجَةَ¹ ؛ لأنِّي إن زِدْتُ في حلِّها صارتْ سِكْبَاجَةً² ، وإن زِدْتُ في مائها صارتْ إسْفِيدْبَاجَةً³ ، وإن زِدْتُ في تَصْبِيرِها بل في تَشْيِيطِها صارتْ مُطَبَّجَةً⁴ . ولو اقتصرْتُ على رجل واحد لما اخترتُ سِرَى عُلُوِيَه ؛ لأنَّه إن حدَّثني أُلْهاني ، وإن غَنَّاني أشْجاني ، وإن رجعتُ إلى رأيه كَفاني .

[حضر عند سعيد بن عفيف فأكرمه ثم طلبه عفيف]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني محمد بن محمد الأبراري قال : كنتُ عند سعيد بن عُجَيْفٍ أنا وعبدُ الوهَّاب بن الخَصِيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى ، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : عُلُوِيَه بالباب ، فأذن له فدخل . فقال له : لا تَحْمَدُنِي فَإِنِّي لم يَجْنِنِي رسولُ رجلٍ اليومَ ، فعرضتُ إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُكَ . فدعا له بِبِرْذَوْنٍ اذْهَمَ بِسَرِّجِه ولِجَامِه فأهداه إليه ، وجلسنا نشرب وعُلُوِيَه يغني . فلَمَّا تَوَسَّطْنَا أَمَرْنَا جاء رسولُ عُجَيْفٍ⁵ يطلبُه في منزله ، فقالوا له : هو عند ابنه سعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أَجِبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شيءٌ ليس فيه حيلةٌ . وقد جاء الرسول وهو يغني : [من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوْ سَوِيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةٌ مَالِيَا⁶
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبَكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا

لَحْنُ عُلُوِيَه في هذا رَمْلٌ . والشعر للفرزدق . قال : فقام عُلُوِيَه ثم قال : هُوَ ذَا ، أَمْضِي إِلَى الأميرِ فَأَحْدِثْهُ بِحَدِيثِنَا وَأَسْتَأْذِنْهُ فِي الانْصِرَافِ بوقتٍ يكون فيه فَضْلٌ لَكُمْ . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مِسْكٌ وعَشْرَةُ آلاف درهمٍ وَمَنِيَانٍ⁷ فِيهِمَا رَمَاطُونٌ⁸ ، فقال : جِئْتُ أَشْرَبَ عِنْدَكُمْ ، وَآخُذْهُ وَأَنْصَرِفْ إِلَى إِنْسَانٍ لَهُ عِنْدِي أَيَادٍ (يعني علي بن مُعَاذٍ أَخَا يَحْيَى بن

1 الدُّرَّاج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغير .

2 السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

3 الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى .

4 مطبجة : مقلوة بالطاجن .

5 هو عفيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قواد المتحسم .

6 جَوْ سَوِيْقَةٍ : من جواء الصَّمَّان .

7 المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره .

8 قد يكون صوابه (الراساطون) والراساطون : ضرب من الشراب يتخذ من الخمر والعسل .

مُعَاذٌ . فلم يَزَلْ عندنا حتَّى همَّ بالانصراف . فلَمَّا رَأَيْتُ ذلك فيه قمتُ قبلَه فَأَتَيْتُ منزلَ عليّ بن مُعَاذٍ ، فقليل له : ابن الأَبراريّ بالباب : فبعث إليّ : إن أردتَ مَضَاءَ فخذَه (يعني غلاماً كان يغني) ، فقلتُ له : لست أريده ، إِنَّمَا أريدك أنت ، فَأَذِنَ لي فَدَخَلْتُ . فقال : ألك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علويه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدّثته بالحديث . ودخل علويه ، فقال لي : ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ : ما كنتُ لأَدْعَ بَقِيَّةَ ليلتي هذه تَضِيح ، فما زال يُغَنِّيَنَا ونشربُ حتى نام الناس ثم انصرفنا .
[فضله عمرو بن بانة على نفسه]

حدّثني جعفر بن قُدَّامَةَ قال حدّثنا هارون بن مُخَارِقٍ قال حدّثني أبي قال : قلت لعمرو بن بانة : أيما أجودُ صَنَعْتُكَ أم صَنَعَةُ علويّة ؟ فقال : صَنَعَةُ علويه ، لأنّه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أَكْذِبُكَ يا أبا المهنأ والله ما أَحْسِنُ أن أصنعَ مثلَ صَنَعَةِ علويّة : [من الطويل]
فواحسرتا لم أقصر منك لبانةً ولم أتمتعَ بالجوارِ وبالقُربِ
ولا مثلَ صَنَعَتِهِ :

هزئتُ أُمَيْمَةً أن رأتُ ظهري انحنى وذؤابتني علّت بماء خضابٍ
ولا مثلَ صَنَعَتِهِ : [من الطويل]

ألا يا حَمَامِي قصرِ دُورانَ هِجْتما لقلبي الهوى لَمَّا تَغَنَّيْتُما ليا
وقد مضتُ نسبة هذه الأصوات .

[غنى في شعر هجاء فضربه الأمين]

حدّثني جَعْفَرُ بْنُ جَعْفَرٍ قال حدّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال : كان بين علويّه وبين عليّ بن الهيثم جَوْنَقاً شَرٌّ في عَرَبِيَّةٍ وقعتَ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشرّ بينهما ، فغنى علويّه في شعرٍ هجاء به أبو يعقوب¹ في حاجةٍ ، فهجاه وذكر أنّه دَعِيَ . وكان جَوْنَقاً يَدْعِي أنّه من بني تَغْلِب ، فقال فيه أبو يعقوب :

يا عليّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوْنَقاً أنت عندي من الأراقمِ حقاً²
عربيّ وجَدُّهُ نَبْطِيّ ! فَلَئِنَّا لَإِذَا الْحَدِيثُ دَبْنَقاً
قد أصابك في التقرُّبِ عينٌ فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا
وَإِذَا قالَ إِنّني عربيّ فاتتهرَه وقل له أنت شفقا

1 هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخرمي .

2 الأراقم هنا : حيّ من تغلب .

وللخُرَيْمِيِّ فِيهِ أَهَاجٌ كَثِيرَةٌ نَبْطِيَّةٌ . فغَنَّى عَلَوِيَهُ لِحَنًا صَنَعَهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِحَضْرَةِ الْأَمِينِ ،
وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ حَاضِرًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ كَابِنِي ، وَإِذَا اسْتَخَفَّ بِهِ
فَإِنَّمَا اسْتَخَفَّ بِي . فَقَالَ الْأَمِينُ : خُذُوهُ ، فَأَخَذُوهُ وَضَرَبُوا ثَلَاثِينَ دِرَّةً ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .
فَطَرَحَ عَلَوِيَهُ نَفْسَهُ عَلَى كَوْتَرٍ فَاسْتَصْلَحَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَتَرْضَى لَهُ الْأَمِينُ حَتَّى رَضِيَ
عَنْهُ وَوَهَبَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارٍ :

[أَدْعَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ جَعَلَ الْغِنَاءَ كَالْجُوزِ فَرَدَّ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ بِمَا أَخْجَلَهُ]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُخَارِقٌ قَالَ :
غَنَّى عَلَوِيَهُ يَوْمًا بِحَضْرَةِ الْوَائِقِ هَذَا الصَّوْتُ :

مَنْ صَاحَبَ الدَّهْرَ لَمْ يَحْمَدْ تَصَرُّفَهُ عَنَّا وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ
وَلِحَنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، فَاسْتَحْسَنَهُ الْوَائِقُ وَطَرِبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ عَلَوِيَهُ : وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَجَعَلْتُ الْغِنَاءَ
فِي أَيْدِي النَّاسِ أَكْثَرَ مِنَ الْجُوزِ ، وَإِسْحَاقُ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيِ الْوَائِقِ ، فَتَضَاحَكَ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا
الْحَسَنِ ، إِذَا تَكُونُ قِيمَتُهُ مِثْلَ قِيمَةِ الْجُوزِ ، لَيْتَكَ إِذْ قَلَّلْتَهُ صَنَعْتَ شَيْئًا ، فَكَيْفَ إِذَا كَثَّرْتَهُ ؟ .
فَخَجَلَ عَلَوِيَهُ حَتَّى كَانَتْ أَلْقَمُهُ إِسْحَاقُ حَجْرًا ، وَمَا انْتَفَعَ بِنَفْسِهِ يَوْمَئِذٍ .

[تَرَكَ مَوْعِدَ الْمَأْمُونِ لِيَذْهَبَ إِلَى عَرَبٍ]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ
قَالَ : قَالَ لِي عَلَوِيَهُ : أَمَرْنَا الْمَأْمُونُ أَنْ نُبَاكَرَهُ لِنُصْطَبِحَ ، فَلَقِينِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَرَاكِبِيَّ
مَوْلَى عَرَبٍ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُعْتَدِي أَمَا تَرْحَمُ وَلَا تَرْقُ ، عَرِيبُ هَائِمَةٌ مِنَ الشُّوقِ إِلَيْكَ
تَدْعُو اللَّهَ وَتَسْتَحْكِمُهُ عَلَيْكَ وَتَحْلُمُ بِكَ فِي نَوْمِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ عَلَوِيَهُ : فَقُلْتُ
أُمُّ الْخِلَافَةِ زَانِيَةٌ ، وَمَضِيَتْ مَعَهُ . فَحِينَ دَخَلْتُ قُلْتُ : اسْتَوَيْتُ مِنَ الْبَابِ ، فَأَنَا أَعْرِفُ النَّاسَ
بِفَضُولِ الْحُجَّابِ ، فَإِذَا عَرِيبُ جَالِسَةٌ عَلَى كُرْسِيٍّ تَطْبُخُ ثَلَاثَ قُدُورٍ مِنْ دَجَاجٍ . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي
قَامَتْ فَعَانَقَتْنِي وَقَبَّلَتْنِي وَقَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي ؟ فَقُلْتُ : قِدْرًا مِنْ هَذِهِ الْقُدُورِ ، فَأَفْرَغَتْ
قِدْرًا بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَأَكَلْنَا ، وَدَعَتْ بِالنَّبِيذِ فَصَبَّتْ رَطْلًا فَشَرِبْتُ نِصْفَهُ وَسَقَتْنِي نِصْفَهُ ، فَمَا
زِلْتُ أَشْرَبُ حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَسْكُرَ . ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، غَنَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي شَعْرِ لَأْبِي
الْعَتَاهِيَةِ أَعْجَبَنِي ، أَفَتَسْمَعُهُ مِنِّي وَتُصَلِّحُهُ ؟ فَغَنَّتْ :

صوت

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَأِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ
فَصَبَّرَنَاهُ مَجْلِسًا . وَقَالَتْ : قَدْ بَقِيَ فِيهِ شَيْءٌ ، فَلَمْ أَزَلْ أَنَا وَهِيَ حَتَّى أَصْلَحَنَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ :

وَأَحِبَّ أَنْ تَغْنِيْ أَنْتِ فِيهِ أَيْضاً لَحْناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشربَ على اللَّحْنَيْنِ مَلِيّاً . ثم جاء الحُجَّابُ فكَسَرُوا البابَ واستخرجوني ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أَرْقُصُ من أَقْصَى الإِيوانِ وَأَصْفَقُ وَأُغْنِي بالصوت ، فسمع المأمون والمغنُّون ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : اذْنُ يا عَلْوِيَّةَ ورُدَّةٌ¹ ، فرددته عليه سبعَ مرَّاتٍ . فقال لي في آخرها عند قولِي :

يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ

يا عَلْوِيَّةَ خُذِي الْخِلَافَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاحِبَ .

[سمع منه إبراهيم بن المهديّ صوتين فحسده]

لَحْنٌ غَرِيبٌ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثاني ثَقِيلٍ ، وماخُورِي . وقال العَتَّابِيّ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونٍ قَالَ : غَابَ مِنَّا عَلْوِيَّةَ مَدَّةً ثُمَّ صَارَ إِلَيْنَا . فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما الذي أَحدثتَ بعدي من الصَّنْعَةِ يا أبا الحسن ؟ قال : صَنَعْتُ صَوْتَيْنِ . قال : فهاتيهما إِذَا ؛ فغناه :

[من الطويل]

صوت

أَلَا إِنْ لِي نَفْسَيْنِ نَفْساً تَقُولُ لِي تَمَتَّعْ بِلَيْلى ما بدا لك لِيْنِها
ونفساً تقول اسْتَبْقِي وُدَّكَ وَاتَّمُذْ وَنَفْسَكَ لَا تَطْرَحْ عَلَى مَنْ يُهِينُها

لَحْنٌ عَلْوِيَّةَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنّه لم يجذ في الصوت مَطْعِناً ، فعَدَلَ عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يذُلُّ على أَنْ لَيْلى هذه كانت من لِيْنِها مثلَ المُوَمَّ² بِالْبَنْفَسَجِ ، فسَكَتَ عَلْوِيَّةَ . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغناه :

[من الطويل]

صوت

إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يا أُمَّ مالِكٍ فَإِنَّ لِجَارِي مِنْهُمَا ما تَخَيَّرَا
وفي واحدٍ إِنْ لم يَكُنْ غَيْرُ واحدٍ أَرَاهُ لَهُ أَهْلاً إِذَا كَانَ مُقْتَرَا

والشعر لحاتم الطائيّ . لَحْنٌ عَلْوِيَّةَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَيْضاً خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وقد رُوِيَ أَنَّ إبراهيم الموصليّ صَنَعَهُ ونَحَلَهُ إِيَّاهُ ، وَأَنَا أَذْكَرُ خَبْرَهُ بِعَقِبِ هَذَا الْخَبَرِ . قال أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونٍ : فَأَتَى وَاللهُ بما بَرَزَ على الأوَّلِ وَأَوْفَى عَلَيْهِ ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنْعَةِ وعجزه عنها . فقال له : وَإِنْ كَانَتْ لَكَ امْرَأَتَانِ يا أبا الحسن حَبَوْتَ جَارَكَ مِنْهُمَا واحِدَةً ؟ فخرَجَ عَلْوِيَّةَ

1 يقال : ردّ القول تردداً إِذَا كَرَّرَهُ ، مثل ردّده .

2 الموم هنا : الشمع .

وما نطق بصوت بقيّة يومه . وحدّثني عمّي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر . ولفظه أقلّ من هذا .

[نحله إبراهيم الموصليّ صوتاً فلم يظهره إلا أيام المأمون]

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أن إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت فحدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المرتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال : قال إبراهيم الموصليّ يوماً : إني قد صنعتُ صوتاً وما سَمِعَهُ مِنِّي أحدٌ بعد ، وقد أُحِبِبْتُ أَنْ أَنْفَعَكَ وَأَرْفَعَ مِنْكَ بَأْنَ الْقِيَةِ عَلَيْكَ وَأَهْبَهُ لَكَ ، ووالله ما فعلتُ هذا بإسحاق قطّ وقد خصصتُك به ، فانتجّله وادّعه . فليستُ أَنَسِبُهُ إِلَى نَفْسِي وَتَسْكُيْبُ بِهِ مَالاً . فَالْقَى عَلَيَّ قَوْلَهُ : [من الطويل]

إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَإِنَّ لِحَارِي مِنْهُمَا مَا تَخِيرَا

فأخذته وادّعيته وسرّته طولَ أيام الرشيد خوفاً من أن أُتَهَمَ فِيهِ وَطُولَ أَيَّام الأَمِينِ حَتَّى حَدَّثَ عَلَيْهِ مَا حَدَّثَ . وَقَدِيمُ الْمَأْمُونِ مِنْ خُرَاسَانَ وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى الشَّمَاسِيَةِ¹ دَائِماً يَتَنَزَّهُ ، فَرَكِبْتُ فِي زَلَّالٍ² وَجِئْتُ أَتْبَعُهُ ، فَرَأَيْتُ حَرَّاقَةَ عَلِيٍّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : اطْرَحْ زَلَّالِي عَلَى الْحَرَّاقَةِ ففعل ، واستَوْدِنَ لِي فَدَخَلْتُ وَهُوَ يَشْرَبُ مَعَ الْجَوَارِي ، وَمَا كَانُوا يَحْجُبُونَ جَوَارِيَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا لَمْ يَلِدْنَ ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ مَتَيِّمٌ وَيَذُلٌّ [من] جَوَارِيهِ ، فَغَنَيْتُهُ الصَّوْتَ فَاسْتَحْسَنَهُ جِدّاً وَطَرِبَ عَلَيْهِ وَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : هَذَا صَوْتُ صَنَعْتُهُ وَأَهْدَيْتُهُ لَكَ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، فَازْدَادَ بِهِ عَجَباً وَطَرَباً وَقَالَ لَهَا : خُذِيهِ عَنْهُ ، فَالْقَيْتُهُ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذَتْهُ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ وَطَرِبَ ، وَقَالَ لِي : مَا أَجِدُ لَكَ مُكَافَأَةً عَلَى هَذِهِ الْهَدِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَتَحَوَّلَ عَنْ هَذِهِ الْحَرَّاقَةِ بِمَا فِيهَا وَأُسَلِّمَهُ إِلَيْكَ أَجْمَعٌ . فَتَحَوَّلَ إِلَى أُخْرَى ، وَسُلِّمَتْ الْحَرَّاقَةُ بِخَزَائِنِهَا وَجَمِيعِ آلَاتِهَا إِلَيَّ وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا ، فَبِعْتُ ذَلِكَ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاشْتَرَيْتُ بِهَا ضَيْعَتِي الصَّالِحِيَّةَ .

[غنى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد]

حدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حُمَيْدٍ كَاتِبِ أَبِي الرَّازِيِّ وَحدّثني به عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حُمَيْدٍ كَاتِبِ أَبِي الرَّازِيِّ قَالَ : غَنَى عَلَّوِيهِ الْأَعْسَرُ يَوْمَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ : [من الطويل]

تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عُوْدَ أَرَاكِهَ لَهْنِدٍ فَمَنْ هَذَا يُبْلَغُهُ هِنْدَا

فقال المأمون : أطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعَرَفْ ، وسأل كلَّ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ

1 الشماسية هنا : من ضواحي بغداد .

2 الزلال : ضرب من الزوارق .

الأدب والرواة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال إسحاق بن حميد : لما رأيتُ ذلك عُنيتُ بهذا الشعر وجهدتُ في المسألة وطلبتُهُ ببغدادَ عند كلِّ متأدِّبٍ وذِي معرفةٍ فلم يَعْرِفه . وقد المأمون أبا الرازي كَوَزَ دِجْلَةَ وأنا أَكُتِبُ له ، ثم نقله إلى اليمامة والبَحْرَيْنِ . قال إسحاق بن حميد : فلما خرجنا رَكِبْتُ مع أبي الرازي في بعض الليالي على حِمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذي كنتُ أطلبُهُ ، فسألتُهُ عنها فذكر أنَّها للمرُقش الأكبر ، فحفظتُ منها هذه الأبيات : [من الطويل]

خليليَّ عوجا بَارَكَ اللهُ فيكما	وإن لم تكنْ هندٌ لأرضيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلالُ أجازنا	ولكننا جُزنا لِنَلْقَاكُمُ عمدا
تَخَيَّرْتُ من نَعْمَانٍ عودَ أراكِ	لهندٍ فَمَنْ هذا يبلغه هنداً
وأنطيتُه سيفي لكيما أُقيمه	فلا أوداً فيه استبنتُ ولا خَصْداً ¹
ستبْلُغُ هنداً إن سَلِمْنَا قلائصُ	مَهَارِي يُقَطِّعْنَ الفَلَاةَ بنا وَحدا
فلما أَنَحْنَا العيسَ قد طار سيرُها	إليهم وجدناهم لنا بالقري حَشدا
فناولتها المسواكَ والقلبُ خائفٌ	وقلتُ لها يا هندُ أَهْلَكِنَا وَجدا
فمدتْ يداً في حُسْنٍ ذلٌ تناوَلَا	إليه وقالتْ ما أرى مثلاً ذا يُهدى
وأقبلتُ كالمُجْتَازِ أدَى رسالةٍ	وقامتْ تَجُرُّ المَيْسِنَانِيَّ والبُرْدَا ²
تَعَرَّضُ للحيِّ الذين أريدُهم	وما التمسْتُ إلا لِنَقْتُلَنِي عَمدا
فما شِئْهُ هندٍ غيرُ أدماءٍ خاذلٍ	من الوَحْشِ مُرتاعٍ مُراعٍ طَلاً فرداً ³

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ ورُوِيَتْ ، وأمر علويه فصنع في البيتَيْن الأولَيْن منها غناءً يُشبه [. . .]

أغاني علويه في هذه الأبيات : اللحن الأول في قوله :

تَخَيَّرْتُ من نَعْمَانٍ عودَ أراكِ

غَنَاهُ علُوِيَه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفٌ ثَقِيلٌ بالبِنْصر . ولحنه الثاني الذي أمره أَنْ يصنعه في :

1 أنطى : لغة في أعطى . الخضد : كسر العود من غير أن يبين .

2 الميسناني : ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان .

3 الأدمة في الظباء والنوق : لون مشرب بياضاً . والخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد ، أو أقامت على ولدها . والطلا هنا : ولد الظبية .

خَلِيلِي عُوْجَا بَارِكَ اللهُ فِيْكُمَْا

رملٌ .

[دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : عَرَضَ عَلَويهِ عَلَى المعتصم رُقْعَةً فِي أمر رِزْقِهِ وإِقْطَاعِهِ وَهُوَ يَشْرَبُ دَفْعَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ ، فَلَمَّا أَخَذَهَا اندَفَعَ عَلَويهِ يَغْتَنِي :

صوت

إِنِّي اسْتَحْيَيْتُكَ أَنْ أَفُوءَ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمْ
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ خَبَّرْتَهُ أَحَدًا وَلَا أَظْهَرْتَهُ بِتَكَلُّمِ

فقرأ المعتصم الرقعة وهو يضحك ، ثم وقَّعَ له فيها بما أراد .

الشعر لابن هرمة كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ يُطَلِّبُ مِنْهُ نَبِيذًا وَقَدْ خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى السَّيَالَةِ¹ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ ، وَالثَّانِي غَيْرَهُ الْمَغْنُونُ ، وَهُوَ :

وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَعْلَمْتُهُ أَهْلَ السَّيَالَةِ إِنْ فَعَلْتَ وَإِنْ لَمْ
فَلَمَّا قَرَأَ الرُقْعَةَ قَالَ : عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ لَمْ أُعْلِمْ بِهِ عَامِلَ السَّيَالَةِ . [وكتب إلى عامل السَّيَالَةِ] : إِنَّ ابْنَ هَرْمَةَ وَأَصْحَابًا لَهُ سَفَهَاءَ يَشْرَبُونَ بِالسَّيَالَةِ ، فَارْكَبْ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى تَأْخُذَهُمْ ، فَارْكَبْ إِلَيْهِمْ وَنَذِرُوا بِهِ² ، فَهَرَبَ ، وَقَالَ يَهْجُو إِبْرَاهِيمَ :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَسْتَهْدِي نَبِيذًا وَأَذِلِّي بِالْمُودَةِ وَالْحَقُوقِ
فَخَبَّرْتُ الْأَمِيرَ بِذَلِكَ جَهْلًا وَكُنْتُ أَخَا مُفَاضِحَةٍ وَمُوقٍ³
حدَّثني بذلك الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ . وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي أَخْبَارِ ابْنِ هَرْمَةَ . وَالْغَنَاءُ لِعَبَادِلَ .

[غنى هو ومخارق معرّضين بفرس كميث للمعتصم فأعطاهما غيره]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني موسى بن هَارُونَ الْهَاشِمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى حَيْرِ الْوَحْشِ وَالْخَيْلِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَشْرَبُ وَيَنْ يَدِيهِ عَلَويهِ وَمُخَارِقِ يَغْنِيَانِ ، فَعَرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ كُمَيْتٌ أَحْمَرٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَتَغَامَزُ

1 السَّيَالَةُ : أَرْضٌ فِي طَرِيقِ الْحَاجِ ، قِيلَ هِيَ أَوَّلُ مَرَحَلَةٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَرَادُوا مَكَّةَ .

2 نَذَرَ بِهِ : عَلِمَ بِهِ .

3 الْمُوقُ هُنَا : الْحَمَقُ فِي غَبَاوَةٍ .

عَلَوِيَه وَمُخَارِق ، وَغَنَاهُ عَلَوِيَه :

[من الرمل]

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَاتَّشَوْا وَهَبُوا كُلَّ جَوَادٍ وَطَيْرٍ¹

فَتَغَافِلُ عَنْهُ . وَغَنَاهُ مُخَارِقٌ :

[من الخفيف]

يَهَبُ الْبَيْضَ كَالظُّبَاءِ وَجُرْدًا نَحْتَ أَجْلَالِهَا وَعَيْسَ الرُّكَّابِ²

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : اسْكُنَا يَا ابْنَي الزَّائِتَيْنِ ، فَلَيْسَ يَمْلِكُهُ وَاللَّهِ وَاحِدٌ مِنْكُمَا . قَالَ : ثُمَّ دَارَ الدَّوْرُ ، فَغَنَى عَلَوِيَه :

[من الرمل]

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَاتَّشَوْا وَهَبُوا كُلَّ بَغَالٍ وَحُمُرٍ

فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَتَنَعَمْ ، وَأَمْرٌ لِأَحَدِهِمَا بَيِّغُلٍ وَالْآخَرِ بِحِمَارٍ .

[اجتمع مع أصحاب له عند زليهرة]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَبْرَارِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ زَلِيهْرَةِ النَّخَّاسِ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا خِشْفٌ ابْتِاعَهَا مِنْ عَلَوِيَه ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَمَعَنَا رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَهْبُونَ وَكَانَ يُحِبُّهَا ، فَأَعْطَى بِهَا زَلِيهْرَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ فَلَمْ يَعْطِهَا مِنْهُ ، وَبَقِيََتْ مَعَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ ، فَغَنَيْنَا أَصْوَاتًا كَانَتْ فِيهَا :

[من الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مُحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ

فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ

وَأَبْرَزْتُ طَرْفِي نَحْوَهَا لِأَجِيبَهَا وَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ امْرِئٍ غَيْرِ مُعْجِمٍ

هَنِيئًا لَكُمْ قَتْلِي وَصَفْوُ مَوَدَّتِي وَقَدْ سَيْطَ فِي لَحْمِي هَوَاكُ وَفِي دَمِي³

الْغَنَاءُ لِابْنِ عَائِشَةَ ثَقِيلٌ أَوَّلَ عَنِ الْمَشَامِيِّ . قَالَ : فَلَمَّا وَثَبْنَا لِلانْتَصِرَافِ قَالَ لَنَا وَقَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ : أَقِيمُوا عِنْدِي . فَوَجَّهْتُ غَلَامًا مَعِيَ وَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَقُلْتُ لَهُ ابْتَغِ فَرَارِيحَ بَعْشَرَةِ دِرَاهِمٍ وَثَلَاثًا بِخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ وَعَجِّلْ ، فَجَاءَ بِذَلِكَ فَدَفَعَهُ إِلَى زَلِيهْرَةَ وَأَمَرَهُ بِإِصْلَاحِ الْفَرَارِيحِ أَلْوَانًا ، وَكَبَبْتُ إِلَى عَلَوِيَه فَعَرَفْتَهُ خَبِيرًا ، فَجَاءَنَا وَأَقَامَ ، وَأَفْطَرْنَا عِنْدَ زَلِيهْرَةَ ، وَشَرَبْنَا مِنْهَا مَنْ كَانَ يَسْتَجِيزُ الشَّرَابَ ، وَغَنَى عَلَوِيَه لِحْنًا ذَكَرَ أَنَّهُ لِابْنِ سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلَ ، فَاسْتَغْرَبَهُ الْجَمَاعَةُ ، وَهُوَ :

[من السريع]

1 الطَّيْرُ : الْجَوَادُ .

2 الجرد من الخيل : القصيرات الشعر . وعيس الركاب : النوق البيض .

3 سيط : خلط ومزج .

صوت

يا هندُ إنَّ الناسَ قد أفسدوا ودُّكِ حتى عَزَّيَ المَطْلَبُ
يا ليتَ مَنْ يَسْعَى بنا كاذباً عاشَ مُهاناً في أذى يَتَعَبُ
هَيْبِهِ ذنباً كنتُ أذنبته قد يَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجاني وجرتُ دَمْعِي أنْ أرسلتُ هندُ وهي تَعْتَبُ
ما هكذا عاهدتُنا في مَنِي ما أنتِ إلَّا ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفتُ لي بالله لا نَبْتَغِي غيرَكَ ما عشتِ ولا نَطْلُبُ

قال : وقام عبدُ الصمد الهاشمي ليول . فقال علويه : كلُّ شيء قد عرفتُ معناه : أمَّا أنتَ فصديقُ الجماعةِ ، وهذا يتعشَّقُ هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربَّيتها وعلمتها ، وهذا الهاشميُّ أَيْشٍ معناه ! . فقلتُ لهم : دُعُونِي أَحْكُهُ¹ وأخذ زلْهزةً منه شيئاً . فقال : لا والله ما أريد . فقلتُ له : أنتَ أحقُّ ، أنا أخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه . فقال : إنَّ كان هكذا فنعم . فقلتُ له : إذا جاء عبدُ الصمد فقلْ لي : ما فعلَ الأجرُ الذي وعدتني به . فإنَّ حائطي قد مال وأخاف أن يَقَعَ ، ودعني والقِصَّةَ .

فلما جاء الهاشميُّ قال لي زلْهزةً ما أمرتهُ به ، فقلتُ : ليس عندي أجرٌ ، ولكن اصبر حتى أطلبُ لك من بعض أصدقائي ، وجعلتُ أنظرُ إلى الهاشميِّ نَظَرٌ مُتَعَرِّضٌ به . قال الهاشميُّ : يا غلامُ دواةٌ ورُقعةٌ ، فأحضر ذلك . فكتبَ له بعشرة آلاف آجِرَةٍ إلى عاملٍ له ، وشربنا حتى السَّحَرِ وانصرفنا . فجئتُ برُقعتِهِ إلى الأجرِّي . ثم قلتُ : بكم تبيعه الأجرُّ ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهماً الألف . قلتُ : فيكم تشتريه مني ؟ قال : بنقصان ثلاثة دراهم في الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً ، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيتُ زلْهزةً مائتي درهمٍ وعرفتهُ الخبر ، ودعونا علويه والهاشميُّ ، وأقمنا عند زلْهزةٍ ليلتنا الثانية . فقال علويه : نعم ! الآن صار للهاشميِّ عندكم موضعٌ ومعنى .

[هو مصل كل سابق في الصنعة]

أخبرني جمحظة قال حدَّثني أحمد بن حمدون قال حدَّثني أبي قال : قال لنا الواثق يوماً : مَنْ أَحَدَقَ الناسَ بالصَّنعة ؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علويه . قال : فمَنْ أَضْرَبُ الناسَ ؟ قلنا : ثَقِيفٌ . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علويه . قال : فمَنْ أَطْيَبُ الناسَ صوتاً ؟ قلنا : مُخَارِقُ . قال ثم مَنْ ؟ قلنا : علويه . قال : اعترفتم له بأنَّه مُصَلِّي كلِّ سابقٍ ، وقد جمع

1 أحكه ، يريد أحتك به وأعرض له .

الفضائل كلها وهي متفرقة فيهم ، فما ثمَّ ثانٍ لهذا الثالث .
[غنى المأمون في دمشق بما أغضبه]

وحدثني جَحْظَةُ قال حدثني محمد بن أحمد المكيّ المَرْجِلِيّ قال حدثني أبي قال : دخلتُ إلى علويه أعوده من علة اعتلها ثم عوفي منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لي : كذبتُ ، عليم الله ، أذهب دَفْعَةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أن الله تعالى سلمني ووهب لي حِلْمَهُ . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطُفْنَا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أُمَيَّةٍ وَيَتَّبِعُ آثارَهُمْ ، فدخل صَحْنًا من صُحُونِهِمْ ، فإذا هو مفروشٌ بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبُّ إليها . وفي البركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه أربعُ سُرُواتٍ كأنها قُصَّتْ بمقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السُرُوقِ قَطُّ قَدًّا وَقَدْرًا . فاستحسن ذلك ، وعزم على الصُّبُوح ، وقال : هاتوا لي الساعة طعماً خفيفاً ، فَأَتَيْتُ بِبَزْمَاوَزِدٍ¹ فَأَكَلْتُ ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل عليّ وقال : غَنَّنِي وَنَشْطِنِي ، فَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت : [من السريع]

لو كان حَوَلِي بنو أُمَيَّةٍ لَمْ تَنْطِقْ رجالٌ أَرَاهُمْ نَطَقُوا

فنظر إليّ مُغَضَّباً وقال : عليك وعلى بني أُمَيَّةٍ لعنةُ الله ، ويلك ! أَقُلْتُ لَكَ سُوءِي أَوْ سُرِّي ! أَلَمْ يَكُنْ لَكَ وَقْتُ تَذَكُّرُ فِيهِ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا هَذَا الْوَقْتُ تَعَرَّضُ بِي ! . فَتَحِيلْتُ عَلَيْهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ ، فقلت : أَتَلُمُنِي عَلَى أَنْ أَذْكَرَ بَنِي أُمَيَّةٍ ! هَذَا مَوْلَاكُمْ زُرِيَابٌ عِنْدَهُمْ يَرْكَبُ فِي مَائِي غُلَامٌ مَمْلُوكٌ لَهُ ، وَيَمْلِكُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَهَبُوهَا لَهُ سَوَى الْخَيْلِ وَالضِّيَاعِ وَالرَّقِيقِ ، وَأَنَا عِنْدَكُمْ أَمُوتُ جَوْعاً . فقال : أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْءٌ تَذَكَّرُنِي بِهِ نَفْسَكَ غَيْرَ هَذَا ! فقلتُ : هَكَذَا حَضَرَنِي حِينَ ذَكَرْتُهُمْ . فقال : اعْدِلْ عَنْ هَذَا وَتَبَّهْ عَلَى إِرَادَتِي . فَأَنَسَانِي اللهُ كُلَّ شَيْءٍ أَحْسَنِهِ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ :

الْحَيْنُ سَاقٍ إِلَى دِمَشْقَ وَلَمْ أَكُنْ أَرْضَى دِمَشْقَ لِأَهْلِنَا بَلَدًا

فرماني بِالْقَدَحِ فَأَخْطَأَنِي فَانْكَسَرَ الْقَدَحُ ، وقال : قُمْ عَنِّي إِلَى لَعْنَةِ اللهِ وَحَرِّ سَقَرٍ ، وَقَامَ فَرَكِيبٌ . فَكَانَتْ وَاللهُ تِلْكَ الْحَالُ آخِرَ عَهْدِي بِهِ ، حَتَّى مَرَضَ وَمَاتَ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا جَعْفَرٍ كَمْ تُرَانِي أَحْسَنَ ! أَغْنِي ثَلَاثَةَ آلَافِ صَوْتٍ ، أَرْبَعَةَ آلَافِ صَوْتٍ ، خَمْسَةَ آلَافِ صَوْتٍ ، أَنَا وَاللهُ أَغْنِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، ذَهَبَ عَلِمَ اللهُ كُلَّهُ حَتَّى كَانَتِي لَمْ أَعْرِفْ غَيْرَ مَا غَنَيْتُ . وَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي أَلْفُ رُوحٍ مَا نَجَتْ مِنْهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا حَلِيمًا ، وَكَانَ فِي الْعُمَرِ بَقِيَّةً .

1 البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

[من السريع]

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجال أراهم نطقوا
من كل قزم محض ضرائبه عن منكبيه القميص ينخرق¹

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات . والغناء لمعبد ، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر ابن خرداذبه أن فيه لدكين بن عبد الله بن عتبة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقیل الأول ، وأن دكناً مدني كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت

[من الكامل]

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فاستقدت لها وأريست أمر غواية رشدا

لعمرو الوادي في هذا الشعر ثقیل أول بالوسطى عن ابن المكي . قال : وفيه ليعقوب الوادي رمل بالينصر .

[اعترض على خطابه فأجاب]

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال سمعت الحسن بن وهب الكاتب يحدث : أن علويه كان يصطحب في يوم خضابه مع جواريه وحرمه ، ويقول : أجعل صبحي في أحسن ما يكون عند جوارِي . فقیل له : إن ابن سيرين كان يقول : لا بأس بالخضاب ما لم تُعزَّز به امرأة مسلمة . فقال : إنما كره لئلا يتصنع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوجها على أنه شاب وهو شيخ ، فأما الإماء فهن ملكي ، وما أريد أن أغرهن .

قال الحسن : فتعالل علويه على المعتصم ثلاثة أيام متوالية واصطحب فيها ، فدعاني ، وكان صوته على جواريه في شعر الأخطل :

[من البسيط]

كان عطارة باتت تطيف به حتى تسربل مثل الورس وانتعلا²

فقال لي : كيف رويته ؟ فقلت له : قرأت شعر الأخطل وكان أعلم الناس به ، كان يختار

1 انخرق القميص : إشارة إلى جذب العفاة ، أو إلى إثارة غيره بشابه .

2 مثل في ل : ماء .

«تَسْرُولَ» ويقول : إِنَّمَا وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نَوَّارٌ أَصْفَرُ فَأَثَّرَ في قوائمه وبطنه فكان كالسَّراويل ، لا أَنَّهُ صارَ له سِرْبَالٌ . ولو قال : «تَسْرِبِلَ» أيضاً لم يكن فاسداً ، ولكنَّ الوجة «تَسْرُولَ» .

[مدح إسحاق لحناً له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجّم قال : قَدِمْتُ من سُرٍّ مَنْ رَأَى قَدَمَةً بعد طُولِ غَيَّةٍ ، فدخلتُ إلى إسحاق الموصلي ، فسَلَّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهينا إلى ذكر الغناء ، فسألني عما يتشاكل الناس من الأصوات المُستجادة¹ . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلَّهم مُغرَمين بصوتٍ لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

أَلا يا حَمَامِي قَصِرَ دُورَانِ هِجْتُمَا

فقال : ليس ذلك لي . ذاك لعلّويه . وقد لَعَمْرِي أَحسنَ فيه وجُودَ ما شاء .

[قال المأمون أحياناً فغناه فيها فوصله]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني علّويه قال : خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقعة بخطه ، وهي : [من الطويل]

صوت

خرجنا إلى صَيْدِ الطَّبَاءِ فصادني هناك غَزَالٌ أَدْعَجُ العَيْنِ أَخْوَرُ
غَزَالٌ كَانَ البدرَ حَلًّا جِيبَنهُ وفي خَدِهِ الشُّعْرَى النَمِيرَةُ تَزْهَرُ
فصاد فُؤادي إِذْ رَماني بِسَهْمِهِ وسهمُ غزالِ الإنسِ طَرَفٌ ومِخْجَرُ
فيا مَنْ رَأى ظَبِيًّا يَصِيدُ وَمَنْ رَأى أَخا قَنْصٍ يُضْطادُّ قَهْرًا وَيُقَسِّرُ

قال : فغَنِيته [فيها] ، فَأَمَرَ لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة : لحن علّويه في هذا الشعر ثَقِيلٌ أَوَّلَ ابتدأوه نشيد .

[غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه]

أخبرني محمد بن مزَيْدٍ قال حدثني حماد عن أبيه قال : غَنَيْتُ الرشيدَ يوماً : [من البسيط]

ها فَتَاتانِ لَمَّا يَعْرِفا خُلُقِي وبالشَّبَابِ على شَيْبِي يُدِلَّانِ

فطَرِبَ وأمر لي بِألفِ دينار . فقال له ابنُ جامع ، وكان أَحسَدَ الناس : اسمعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وكنتُ أَخَذْتُ هذا الصوتَ من مجنونٍ بالمدينة كان يُجيدُه . ثم غَنَى قولُه :

[من الرمل]

ولقد قالت لأتراب لها كالمها يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لا يَتَّبِعُنِي وغدت تسعى إلى قُبَّتِها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنى وَجْهَ الْقَرَعَةِ : [من المنسرح]

يَمْشُونَ فِيهَا بِكُلِّ سَابِغَةٍ أَحْكِمَ فِيهَا الْقَتِيرُ وَالْخَلْقُ¹

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار . ثم تغنى عَلَوِيَّة : [من الكامل]

وَأَرَى الْغَوَايَ لَا يُوَصِّلْنَ امْرَأً فَقَدَّ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الْأُمُرَادُ

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَطْرُ أمَّه ! تَغْنِي في مدح المُرْدِ وذمَّ الشَّيْبِ وستارتي منصوبة وقد شئتُ ؛ كَأَنَّكَ إِنَّمَا عَرَضْتَ بِي ! ثم دعا بِمَسْرُورٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ فَيُخْرِجَهُ فَيَضْرِبَهُ ثَلَاثِينَ دِرَّةً وَلَا يَرُدَّهُ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقية يومنا ، وجفا عَلَوِيَّةَ شهراً فلم يَأْذَنْ لَهُ حَتَّى سَأَلْنَاهُ فَأَذِنَ لَهُ .

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صوت

[من البسيط]

هُمَا فَتَاتَانِ لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي وَبِالشَّبَابِ عَلَى شَيْبِي يُدِلَّانِ
كُلُّ الْفَعَالِ الَّذِي يَفْعَلْنَهُ حَسَنٌ يُضْنِي فَوَادِي وَيُنْدِي سِرّاً أَشْجَانِي
بَلْ احْذَرَا صَوْلَةً مِنْ صَوْلِ شَيْخِكَمَا مَهْلاً عَنِ الشَّيْخِ مَهْلاً يَا فَتَاتَانِ

لم يَقَعْ إِلَيَّ شَاعِرُهُ . فِيهِ لَابِنٌ سُرَيْجٌ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَابِنٌ سُرَيْجٌ رَمْلٌ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرُو . وَفِيهِ لِسُلَيْمَانَ الْمُصَابِ رَمْلٌ كَانَ يَغْنِيهِ . فَدَسَّ الرَّشِيدُ إِلَيْهِ إِسْحَاقَ حَتَّى أَخَذَهُ مِنْهُ ، وَقِيلَ : بَلْ دَسَّ عَلَيْهِ ابْنُ جَامِعَ .

[خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَعَانِي الرَّشِيدُ لَمَّا حَجَّ ، فَقَالَ : صِرْ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ فَإِنَّ هُنَاكَ غُلَاماً مَجْنُوناً يَغْنِي صَوْتاً حَسَناً ، وَهُوَ :

هُمَا فَتَاتَانِ لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي وَبِالشَّبَابِ عَلَى شَيْبِي يُدِلَّانِ
وَلَهُ أُمٌّ ، فَصِرَ إِلَيْهَا وَأَقِمَّ عِنْدَهَا وَاحْتَلَّ حَتَّى تَأْخُذَهُ . فَجِئْتُ أُسْتَدَلُّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى بَيْتِهَا ،

1 الدرع السَّابِغَةُ : التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطلوها وسعتها . والقدير : مسامير الدرع .

فخرجت إليّ فوهبت لها مائتي درهم ، وقلت لها : أريد أن تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلاني . فقالت : نعم ، وأدخلتني دارها ، وأمرتني فصعدت إلى عليّة لها ، فما لبثت أن جاء ابنها فدخل . فقالت له : يا سليمان فدتك نفسي ؛ أمك قد أصبحت اليوم خائرة¹ مُغرمة² ، فاحب أن تغني ذلك الصوت :

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

فقال لها : ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت : ما طربت ولكنني أحببت أن أفرج من همّ قد لحقني . فاندفع فغناه ، فما سمعت أحسن من غنائه . فقالت له أمه : أحسنت ! فديتك ! فقد والله كشفت عني قطعة من همّي ، فأسألك أن تعيده . قال : والله ما لي نشاط ، ولا أشتري غمّي بفرحك . فقالت : أعدّه مرتين ولك درهم صحيح تشتري به ناطقاً³ . قال : ومن أين لك درهم ؟ ومتى حدث لك هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضول لا تحتاج إليه ، وأخرجت إليه درهماً فأعطته إياه ، فأخذه وغناه مرتين ، فدار لي وكاد يستوي . فأومأت إليها من فوق أن تستزيده . فقالت : يا بنيّ بحقي عليك إلا أعدته . فقال أظنّ أنك تريد أن تأخذه فتصيري مغنية . فقالت : نعم ! كذا هو . قال : لا ؛ وحقّ القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر . فأخرجت له درهماً آخر ، فأخذه وقال : أظنك والله تزندقت وعبدت الكبش فهو ينقد لك هذه الدراهم ، أو قد وجدت كنزاً . فغناه مرتين ، وأخذته واستوى لي . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئت إلى الرشيد فغنّيته به وأخبرته بالقصة ، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بدل مائتي الدرهم .

صوت

[من الرمل]

ولقد قالت لأترب لها كالمها بلعن في حُجرتها
خذن عني الظل لا يتبني وعدت سعياً إلى قبتها
لم يصيها نكد فيما مضى ظبية تختال في مشيتها

في هذه الأبيات رمل بالبصرة ذكر الهشامي أنه لابن جامع المكّي ، وذكر ابن المكّي أنه لابن سريج ، وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غير مُجنّس .

- 1 خائرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة .
- 2 المغرمة هنا : المصابة بألم يلزمها ويلج عليها .
- 3 الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبطي .

صوت

[من مخّلع البسيط]

يمشون فيها بكلّ سابعةٍ أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ
تعرف إنصافَهُمْ إذا شهدوا وصبرَهُم حين تشخّصُ الحَدَقُ¹
الغناء لابن مُحَرِّز ، خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

صوت

[من الكامل]

يَجْحَدُنِي دَنِيّ النهارَ وأقتضي دَنِيّ إذا وَقَدَ النُّعَاسُ الرُّقْدَا
وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرءاً فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأُمُرْدَا
الشعر للأعشى . والغناء لمعبد ، خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من السريع]

أَيُّهَ حَالٍ يا ابن رامين حَالُ المُحِجِّينَ المَساكينَ
تركهم موتى وما مَوّتوا قد جُرّعُوا منك الأَمْرَيْنِ²
وسيرتَ في رَكْبٍ على طَيِّبَةٍ رَكْبٍ تَهَامٍ وَيَمَانِينِ
يا راعي الدَّوْدَ لقد رُعْتَهُمْ وَبَلَّكَ من رَوْعِ المُحِجِّينَ
الشعر لإسماعيل بن عَمَّارِ الأَسَدِيِّ . والغناء لمحمد بن الأَشْعَثِ بن فجوة الزُّهْرِيِّ الكوفي ،
ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ مطلق في مجرى الوسطى ، عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ .

1 يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخص الحلق كناية عن الفزع وشدة الخوف في الحرب .

2 لقي منه الأمرين : أي الدواهي .

[196] - نسب إسماعيل بن عمار وأخباره

[نسبه]

هو إسماعيل بن عمار بن عُيَينة بن الطُفَيل بن جَذِيمة بن عمرو بن خَلَف بن زَبان بن كَعْب بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد بن خَزِيمة . أخبرني بذلك علي بن سليمان الأَخَفَش عن السَّكْرِيِّ عن ابن حبيب .

[من مخضرمي الدولتين وكان ينزل الكوفة]

وإسماعيل بن عمار شاعرٌ ، مُقِلٌّ ، مخضرمٌ من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية . وكان ينزل الكوفة .

[كان ممن يختلف إلى ابن رامين وجواره]

قال ابن حبيب : كان في الكوفة صاحب قِيَانٍ يقال له ابن رامين ، قَدِمْها من الحجاز ؛ فكان مَنْ يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده : مثل يحيى بن زياد الحارثي ، وشُرَاعَة بن الزَنْدَبُود ، ومُطِيع بن إِيَّاس ، وعبد الله بن العباس المفتون ، وعَوْنُ العبادي الحيري ، ومحمد بن الأشعث الزهري المغني . وكان نازلاً في بني أَسَدٍ في جيران إسماعيل بن عمار ، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده . ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ [الله]¹ ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقَّةٍ لُبَد ما بينهما . وكان لابن رامين جوارٍ يقال له نَسْلَمَةُ الزرقاء ، وسَعْدَةُ ، ورُبَيْحَة ، وكنَّ من أحسن الناس غناءً ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث :

صَدَعُ مُقِيمٌ طَوَالَ الدَّهْرِ والأَبَدِ
وكيف يُشْعَبُ صَدَعُ الحُبِّ في كَبِدِ

أَمْسَى لِسَلَامَةَ الزرقاء في كَبِدِي
لا يَسْتَطِيعُ صِنَاعُ القَوْمِ يَشْعَبُهُ
[قصيدة له في جوارى ابن رامين]

[من البسيط]

صَبَا وَصَبَّ إِلَى رُئْمِ ابن رامين
بُحْسِنِهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانِينَ²
وَلَثَغَةُ بَعْدُ [في] زَايٍ وفي سِينِ
وَأَنْتِ تَأْتِينَ لَوْمًا أَنْ تُطِيعَنِي

وفي جواره يقول إسماعيل بن عمار :

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَجَّ مَحْزُونٍ
إِلَى رُبَيْحَةٍ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا
وَهَاجَ قَلْبِي مِنْهَا مَضْحَكٌ حَسَنٌ
نَفْسِي تَأْبَى لَكُمْ إِلَّا طَوَاعِيَةً

1 عائذ الله : حي من العرب .

2 السماع : الغناء .

وتلك قِسْمَةٌ ضِيْزَى قد سمعتُ بها
 إن تُسْعِفِينِي بِذاك الشيء أرضَ به
 أنتِ الطَّيِّبُ لداءٍ قد تلبَّسَ بي
 نَعَمْ شِفَاؤُكَ مِنْهَا أن تقولَ لها
 يا ربُّ إنَّ ابنَ رامينٍ له بَقَرٌ
 لو شئتُ أعطيتَه مَالاً على قَدَرٍ
 لا أنسَ سَعْدَةَ والزَّرْقَاءَ يومَ هُما
 يُغْنِيَانِ ابنَ رامينٍ على طَرَبٍ
 أذاك أنعمَ أم يومَ ظَلَلْتُ به
 يَشُوِي لَنَا الشَّيْخُ شُورِينَ دَوَاجِنَه
 نُسْقِي طِلَاءَ لِعَمْرَانٍ يُعَتِّقُه
 يُزِلُّ أَقْدَامَنَا مِنْ بَعْدِ صِبْحَتِهَا
 نَمْشِي وَأَرْجُلُنَا مَطْوِيَّةٌ شَلَالاً
 أَوْ مَشْيَ عُمَيَّانٍ دَيْرٍ لَا دَلِيلَ لَهُمْ
 فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ لَهَوْتُ بِهِمْ
 حُمُرُ الْوُجُوهِ كَأَنَّا مِنْ تَحَشُّمِنَا
 مَا عَائِذُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْتِ مِنْ شَجَنِي
 فِي عَائِذِ اللَّهِ بَيْتُ مَا مَرَرْتُ بِهِ
 يَا سَعْدَةُ الْقَيْنَةُ الْخَضْرَاءُ أَنْتِ لَنَا
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْأُسْدَ تُؤْنِسُنِي
 لَوْلَا رَيْيْحَةُ مَا اسْتَأْنَسْتُ مَا عَمَدْتُ

وَأَنْتِ تَتْلِينَهَا مَا ذَاكَ فِي الدِّينِ
 وَإِنْ ضَنْنَتْ بِهِ عَنِّي فَرَّيْنِي
 مِنَ الْجَوَى فَانْفُثِي فِي فِيَّ وَارْقِيْنِي
 أَضْنَيْتَنِي يَوْمَ دَيْرِ اللَّجِّ فَاشْفِيْنِي¹
 عَيْنٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْبَرَادِينِ
 يَرْضَى بِهِ مِنْكَ غَيْرَ الرَّثَرَبِ الْعَيْنِ²
 بِاللَّجِّ شَرْفِيَّةُ فَوْقَ الدَّكَاكِينِ³
 بِالْمِسْجَحِيِّ وَتَشْبِيبِ الْحَمِينِ⁴
 فِرَاشِي الْوَرْدُ فِي بُسْتَانِ شُورِينَ
 بِالْجَرْدَنَاجِ وَسَحَاجِ الشَّقَابِينِ⁵
 يَمْشِي الْأَصْحَاءُ مِنْهُ كَالْمَجَانِينِ
 كَأَنَّهَا ثِقَلًا يُقْلَعْنَ مِنْ طِينِ
 مَشْيَ الْإَوَزِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الصَّيْنِ
 سَيُورِ الْعِصَى إِلَى يَوْمِ السَّعَانِينِ
 تَيْمٌ بَنُ مَرَّةٍ لَا تَيْمَ الْعَدِيَّيْنِ
 حَسَنَاءُ شَمْطَاءَ وَافَتْ مِنْ فِلَسْطِينِ
 وَلَا ابْنُ رَامِينَ لَوْلَا مَا يُعْنِيْنِي
 إِلَّا وَجَعْتُ عَلَى قَلْبِي بِسَكِينِ⁶
 أَنْسَ لَأَنَّكَ فِي دَارِ ابْنِ رَامِينَ⁷
 حَتَّى رَأَيْتُ إِلَيْكَ الْقَلْبَ يَدْعُونِي
 نَفْسِي إِلَيْكَ وَلَوْ مُثِّلَتْ مِنْ طِينِ

1 دير اللج : بالحيرة .

2 الربرب : القطيع من حمر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدها عينا .

3 الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .

4 المسجحي : الغناء المنسوب لابن مسجح .

5 الجرنداج : من أنواع الشواء . الشقابين : جمع شقبان وهو طير نبطي .

6 وجعت : ضربت .

7 الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

[باع ابن رامين سلامة في حجه فقال هو شعراً]

قال : وحجّ ابن رامين وحجّ بجواريه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز ، فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم . فقال إسماعيل بن عمّار : [من السريع]

أية حال يا ابن رامين	حال المحين المساكين
تركهم موتى وما مؤثوا	قد جرّعوا منك الأمرين
وسرت في ركب على طية	ركب تهام ويمانين
حججت بيت الله تبغي به الـ	سِر ولم تثر لحزون
يا راعي الذود لقد رعتهم	ونلك من روع المحين
فرقت قوما لا يرى مثلهم	ما بين كوفان إلى الصين ¹

[مات له ابن فرثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش قال حدثنا السكريّ عن محمد قال : كان لإسماعيل بن عمّار ابن يقال له معن فمات ، فقال يرثيه :

يا موت ما لك مولعاً بضيراري	إني عليك وإن صبرت لزارى ²
تعدو عليّ كأنني لك وائر	وأزول منك كما يؤول فراري
نفس البعيد إذا أردت قريبة	ليست بناجية مع الأقدار
والمرء سوف وإن تطاول عمره	يوماً يصير لحفرة الحفار
لما غلا عظم به فكأنه	من حسن بنيته قضيب نضار ³
فجعتني بأعز أهلي كلهم	تعدو عليه غدوة الجبار
هلاً بنفسي أو ببعض قرابتي	أوقعت أو ما كنت للمختار
وتركت ريتي التي من أجلها	عفت الجهاد وصيرت في الأمصار

[رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدثني السكريّ عن محمد بن حبيب قال : قال رجل من بني أسد كان وجهاً ، لإسماعيل بن عمّار : هلم أركب معك إلى يوسف بن عمر ، فإنه صديق ، حتى أكلّمه فيك يستعملك على عملي تنتفع به . فقال له إسماعيل : دعني حتى يحول الحول . فنظر إسماعيل إلى عمّال يوسف يُعذبون ، فقال في ذلك : [من الوافر]

1 كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .

2 يقال : فلان زار على فلان إذا كان عاتياً ساخطاً غير راض .

3 النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّيْرُوزِ أَمْرًا
فَرَرْتُ مِنَ الْعِمَالَةِ بَعْدَ يَحْيَى
وبعد الزور وابن أبي كثير
فحباب بها أبا عثمان غيري
أَحَاذِرُ أَنْ أَقْصَرَ فِي خَرَايِ
أَعَجِّلْ إِنْ أَتَى أَجَلِي بَوَيْتِ
فَمَا عُذْرِي إِذَا عَرَضَتْ ظَهْرِي
تُعَدُّ لِيُوسُفٍ عَدًّا صَحِيحًا
وَأُسْحَبُ فِي سَرَاوِيلِي بِقَيْدِي
فَمِنْهُمْ قَائِلٌ بَعْدًا وَسُخْقًا
كَفَانِي مَنْ إِمَارَتِهِمْ عَطَائِي
كَفَانِي ذَاكَ مِنْهُمْ مَا بَقِينَا

[شعره في بوية وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه : إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنية يؤدبها ، ويصنعها¹ ليُهدِيها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمار :

بُوبَ حَيِّتَ عَنْ جَلِيسِكَ بُوبَا
مَا رَأَيْنَا قَتِيلَ حَيٍّ حَبَا الْقَا
غَيْرَ مَا قَدْ رُزِقْتَ يَا بُوبَ مَنِّي
غَيْرَ مَنْ بِهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كُذِّ
بَنْتُ عَشْرَ أَدِيبَةٍ فِي قُرَيْشٍ
أُدْبِتُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى

قال : ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام . فقال إسماعيل بن عمار :

أَلَا حَيِّتَ عَنَّا
مَّ سَقِيًّا لَكَ يَا بُوبَةَ

[من الهزج]

1 المجرحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع الجلد .

2 الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .

3 أحذيت : أعطيت . والسبق : ما يجعل من المال رهناً على المسابقة وغيرها .

4 صنع الجارية : ربّاه وأحسن تغذيتها .

وَأَكْرِمَ بِكَ مُهْدَاةً	وَأُحِبَّ بِكَ مَطْلُوبَةً
وَوَاهَاً لَكَ مِنْ بَكْرٍ	وَوَاهَاً لَكَ مَثْقُوبَةً
وَوَاهَاً لَكَ مُلْقَاةً	وَوَاهَاً لَكَ مَكْبُوبَةً
لَقَدْ عَايَنَ مَنْ يَلْقَا	لَكَ مِنْ حُسْنِكَ أَعْجُوبَةً
وَيَا وَيْلِي وَيَا عَوَّلِي	فَنَفْسِي الدَّهْرَ مَكْرُوبَةً
عَلَى هَيْفَاءَ حَوْرَاءَ	عَلَى جَيْدَاءَ رُغْبُوبَةٍ ¹
إِذَا ضَاغَعَهَا الْمَوْلَى	فَقَدْ أَدْرَكَ مَحْبُوبَةً

[مجاوزه لجارية له كان يبغضها]

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بن عمار جارية قد ولدت منه ، وكانت سيئة الخلق قبيحة المنظر ، وكان يُبغضها وتُبغضه ، فقال فيها : [من المتقارب]

بُلَيْتُ بَزْمَرْدَةَ كَالْعَصَا	أَلَصَّ وَأُحِبْتُ مِنْ كَنْدُشٍ ²
تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ	وَتَمْشِي مَعَ الْأَسْفَهِ الْأَطْيَشِ
لَهَا وَجْهٌ قَرْدٍ إِذَا أَرِيَتْ	وَلَوْنٌ كَيِّضِ الْقَطَا الْأُبْرَشِ ³
وَمِنْ فَوْقِهِ لِمَّةٌ جَثْلَةٌ	كَمَثَلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمَرْعَشِ ⁴
وَبَطْنٌ خَوَاصِرُهُ كَالْوِطَا	بَ زَادَ عَلَى كَرَشِ الْأَكْرَشِ ⁵
وَإِنْ نَكَهَتْ كِدْتُ مِنْ نَتْنِهَا	أُحِرُّ عَلَى جَانِبِ الْمَفْرَشِ ⁶
وَوَيْدِي تَدْلِي عَلَى بَطْنِهَا	كَقَرْبَةِ ذِي الثَّلَّةِ الْمُغَطِّشِ ⁷
وَفَخْذَانِ بَيْنَهُمَا بَسْطَةٌ	إِذَا مَا مَشَتْ مِشْيَةَ الْمُتَشِّشِ ⁸
وَسَاقٌ يُخَلِّلُهَا خَاتَمٌ	كَسَاقِ الدَّجَاجَةِ أَوْ أَحْمَشٍ ⁹

1 رعبوبة : بيضاء ناعمة .

2 الزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خلقاً وخلُقاً . كندش : لقب لص معروف وقيل إنه العقق . والعقق : طائر ، تضرب العرب به المثل في الخباثت وسوء الخلق .

3 البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

4 الجثلة : الكثيرة الملتفة . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء .

5 الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . والأكرش : عظيم البطن .

6 نكه : تنفس على أنف آخر .

7 الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ويروي الشطر الأول في الحماسة (وئدي يجول على نحرها) .

8 يروي الشطر الأول في الحماسة : (وفخذان بينهما نفنف) أي مهواة بينهما .

9 أحمش : أي دقيق .

وفي كل ضيرس لها أكلة¹ أصل من القبر ذي المنبش¹
ولما رأيت خوا أنفها وفيها وإصلال ما تحشي²
إلى ضامر مثل ظلف الغزال أشد اصفراً من المشمش³
فررت من البيت من أجلها فرار الهجين من الأعمش⁴
وأبرد من تلج سائيدما إذا راح كالعطب المنفش³
وأرسح من ضفدع عثة تزيق على الشط من مرعش⁴
وأوسع من باب جسر الأمير تمر المحامل لم تخدش⁵
فهذي صفاتي فلا تأتها فقد قلت طرداً لها كشكشي⁵

[هجا جاراً له مسجد قرب داره]

وقال ابن حبيب: كان في جوار إسماعيل بن عمار رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله، وكان إسماعيل له مغضباً. فبني ذلك الرجل مسجداً يلاصق دار إسماعيل وحسنه وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحد ممن كان يألفه من مغن ومغنية أو غيرهما من أهل الرؤية. فقال إسماعيل يهجو. وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة: [من الطويل]

بنى مسجداً بُنيانه من خيانة لعمري لقدماً كنت غير موفّي⁶
كصاحبة الرمان لما تصدقت جرت مثلاً للخائن المتصدق
يقول لها أهل الصلاح نصيحة لك الويل لا تزني ولا تتصدق

[استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف]

وقال ابن حبيب: ولّي العسس⁶ رجل غاضري، فأخذ بني مالك وهم رهط إسماعيل بن عمار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغداة. فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضري. فقال له الوالي، وكان رجلاً من همدان: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول: [من السريع]

عس بنا ليلته كلها ما نحن في دنيا ولا آخرة
يأمر أشياخ بني مالك أن يحرسوا دون بني غاضرة

1 الأكلة: داء يقع في العضو.

2 أصل: أتن. الخواء: الهواء بين الشيئين.

3 سائيدما: جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند. العطب: القطن.

4 الرشح: قلة لحم الفخذين والعجز. العثة: المحقورة والضئيلة الجسم. مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.

5 الكشكشة هنا: الهرب.

6 العسس: الحراس.

والله لا يرضى بهذا كائناً من حُكمِ همدانَ إلى الساهرة¹
قال فقال له الوالي : قدْ لعمري صدقتَ ، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب
العسس في عشائهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنوائب² بينهم .
[كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه]

وقال ابن حبيب : كان إسماعيل بن عمار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عتبة بن أبي
مُعيطٍ ، وكان إليه مُحسناً ، وكان يُنادمه . فولّي خالد بن خالد عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك
فخرج إليه ، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه ، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله ، فورد نعيه
الكوفة في يوم فطرٍ . فقال إسماعيل بن عمار يرثيه :

ما لِعَيْنِي تَفِيضٌ غَيْرَ جُمُودٍ ليس تَرَقَا ولا لها من هُجُودٍ
فإذا قَرَّتِ العيونُ استهلَّتْ فإذا نَمِنَ أولعتْ بالسُّهُودِ
أَلْنَعِي ابنُ خَالِدٍ خَالِدِ الْخَيْ رات في يومِ زِينَةِ مشهودٍ
سَنَحْتُ لِي يومَ الخُميسِ غَدَاةَ الـ فِطْرٍ طَيْرٌ بِالنَّخْسِ لا بالسُّعُودِ
فَتَعَيَّفْتُ أَنَّهُنَّ لِأَمْرِ مُنْقَطِعٍ مَا جَرَيْنِ في يومِ عِيدِ³
فَنَعْتُ خَالِدَ بْنَ أَرْوَى وَجَلَّ الـ خَطْبُ فَقْدَانِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
[سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه]

وقال ابن حبيب : كان لإسماعيل بن عمار جارٌّ يقال له عثمان بن درباس ، فكان يؤذيه
ويسعى به إلى السلطان في كلِّ حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشُّراة⁴ ، فأخذ وحبس .
فقال يهجوهُ :

مَنْ كَانَ يَحْسُدُنِي جَارِي وَيَغِيْطُنِي مِنَ الْأَنَامِ بَعَثَانُ بْنُ دِرْبَاسِ
فَقَرَّبَ اللَّهُ مِنْهُ مِثْلَهُ أَبَدًا جَارًا وَأَبْعَدَ مِنْهُ صَالِحُ النَّاسِ
جَارٌ لَهُ بَابٌ سَاجٍ مُغْلَقٌ أَبَدًا عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلِ حُرَّاسٍ أُخْرَاسِ⁵
عَبْدٌ وَعَبْدٌ وَبَنَاتُهُ وَخَادِمُهُ يَدْعُونَ مِثْلَهُمْ مَا لَيْسَ مِنْ نَاسِ
صَفَرُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ السُّلَّ خَامَرَهُمْ وَمَا بِهِمْ غَيْرَ جَهْدِ الْجَوْعِ مِنْ بَاسِ

1 الساهرة : الأرض أو الفلاة .

2 نواب : جمع نيابة بمعنى نوبة .

3 عياقة الطير : زجرها .

4 الشراة : الخوارج .

5 الساج : ضرب من الشجر ينبت في الهند .

له بُنُونٌ كأطباءٍ مُعلَّقةٍ
 إن يُفْتَحَ البابُ عنهم بعدَ عشرةٍ
 فليت دارَ ابنِ دِرْباسٍ مُعلَّقةٌ
 فكان آخِرَ عَهْدِي منهم أبداً

في بطن خِزْرِيةٍ في دارِ كُنَّاسٍ¹
 تظنُّهم خرجوا من قَعْرِ أُرْماسٍ²
 بالنَّجْمِ بين سَلالِمٍ وأُمْرَاسٍ³
 وابتعتُ داراً بِغِلْمانِي وأُفْراسِي

قال : وقال فيه أيضاً :

[من مجزوء الرمل]

لَيْتَ بِرِذْوَنِي وَيَغْلِي
 كُنَّ في النَّاسِ وأُبْدَلُ
 جَارَ صِدْقٍ بَابِنِ دِرْبا
 فَتَبَدَّلْتُ بِهِ مِنْ
 بَدَلًا يَعْرِفُ ما اللِّدُ
 لو تَبَدَّلْتُ سِوَاهُ
 واسْتَرَحْنَا مِنْ بَلَايا
 لو جَزَيْنَاهُ بِها كُنْتُ
 أو سَكُنَّا كان دُلًّا

وَجَوادِي وَجَمَارِي
 سَتْ غَدًا جَارًا بِجارِ
 سِ وَالْأَيْتُ دَارِي
 يَمَنْ أو مِنْ نِزارِ
 هُ وما حَقُّ الجِوارِ
 طاب ليلي ونَهاري
 هُ صِغارٍ أو كِبَارِ
 سنا جَمِيعاً في فَجارٍ⁴
 داخِلاً تَحْتَ الشُّعارِ⁵

قال : فلمَّا قال فيه الشعرَ استعدي عليه السلطان ، وذكرَ أَنَّهُ من الشُّرَّة ، وأنَّهم مجتمعون عنده ، وأنَّه من دُعاة عبد الله⁶ بن يحيى وأبي حَمزة المُختار . فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له مُعان :

[من السريع]

أُبلغُ مُعاناً عَنِّي وإخوتَه
 بأنَّنِي والمُصَبِّحاتِ مِنِّي
 لخائفٌ أَنْ يَكُونَ وَدُكُمُ
 أَنَّنْ عَرانِي دَهْرِي بنائِبِي

قولاً وما عالِمٌ كَمَنْ جَهلاً
 يعدُّونَ طَوْرًا وتارةً رَمَلاً
 إِيَّايَ بعدَ الصِّفاءِ قد أَفْلاً
 أَصْبَحَ منها الفِؤادُ مُشتعلاً

1 الأطباء : جمع طبي ، وهي حلمات الضرع .

2 ل : ديماس .

3 أُرْماس : واحدها مرس وهي الجبال .

4 فجار : اسم للفجور .

5 الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .

6 هو عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضرموت ، خرج في أيام مروان بن محمد وآخرين ، فغلبوا على اليمن والحجاز ، ثم قتلوا أخيراً .

حاولتُم الصُّرَمَ أَوْ لَعَلَّكُمْ
لا تُغفلونا بني أَخِي فَلَقَدْ
تَمسَّكُوا بِالذِّي امْتَسَكَتُ بِهِ
قال : فكتب إليه ابنُ أخيه :

[من السريع]

يا عَمَّ عُوِفِيَتْ مِنْ عَذَابِهِمُ النَّدَّ
كَبِيتَ تَشْكُو بَنِي أَخِيكَ وَقَدْ
«أَبْدَأَهُمْ بِالصُّرَاخِ يَنْهَزَمُوا»
زَعَمْتَ أَنَا نَرَى بَلَاءَكَ فِي
يَا عَمَّ بِمَسِ الْفَتَيَانِ نَحْنُ إِذَا
عَلِيٌّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا حَجَجَ
بُعْدَ عَنْكَ الِهْمُومُ فَارْجُ مِنْ الِ
[أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل]

قال : وثمَّ وَلِيَّ الْحَكَمِ بْنِ الصَّلْتِ فَأَظْلَقَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْكُرُهُ وَيَمْدَحُهُ . ثمَّ

[من المنسرح]

عَزَلَ الْحَكَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ فِيهِ :
تَبَارَكَ اللَّهُ كَيْفَ أَوْحَشَتْ الـ
الْحَكَمُ الْعَذْلُ فِي رَعِيَّتِهِ الـ
فَأَصْبَحَ الْقَصْرُ وَالسَّرِيرَانِ وَالـ
يُذْرِي عَلَيْهِ السَّرِيرُ عَثْرَتَهُ
وَالنَّاسُ مِنْ حُسْنِ سِيرَةِ الْحَكَمِ بـ
مِثْلُ السَّكَارَى فِي فَرْطٍ وَجْدِهِمْ
يَوْمَ جَرَى طَائِرُ النُّحُوسِ لَهُمْ
فَارْغَمَ اللَّهُ حَاسِدِيهِ كَمَا

كُوفَةٌ أَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا الْحَكَمُ
كَامِلٌ فِيهِ الْعَفَافُ وَالْفَهْمُ
حَنِيرٌ كَالْكَلِّ مِنْ أَبٍ يَتَمُّ²
وَالْمَيْتَرُ الْمَشْرِفِيُّ يَلْتَدِمُ³
بِالصَّلْتِ يَبْكُونُ كُلَّمَا ظَلَمُوا
إِلَّا عَدَوْا عَلَيْهِ يُتَهَمُ
يُنَزَّعُ مِنْهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
أَرْغَمَ هُوَذَا الْقُرُودُ إِذْ رَغِمُوا⁴

1 أصل هذا المثل «أبدأهم بالصراخ يفروا» . ذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجني ليرضى من الآخر بالسكوت . يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه . مجمع الأمثال للميداني 178/1 .

2 القصر في ل : القبر .

3 اللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

4 اليهود : اليهود . وهود القروود : هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، كان محرماً عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت .

فِي سَيِّئِهِمْ يَوْمَ نَابَ خَطْبُهُمْ وَاللَّهُ مِمَّنْ عَصَاهُ يَنْتَقِمُ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ أَمَّا لِلنَّاسِ عَهْدٌ يُوفَى وَلَا ذِمَّةٌ
 حَوْلَ عَلَيْنَا ، وَلِيَلْتَأْنِ لَنَا مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ ، بِسَمَا حَكَمُوا
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُظْهِرُهُ يَقْضِي لِضَرَائِهَا الَّتِي قَسَمُوا
 مَاذَا تُرْجِي مِنْ عَيْشِهَا مُضَرَّ إِنْ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا الَّذِي زَعَمُوا

[ذم ولاية خالد القسري]

وقال ابن حبيب : سمع إسماعيل بن عمار رجلاً يُشِيدُ أَيْبَاتًا للفرزدق يهجو بها عُمَرَ بن
 هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ وَيُعْجَبُ مِنْ وَلَايَتِهِ إِيَّاهَا ، وَكَانَ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ قَدْ وَلِيَ فِي
 تِلْكَ الْأَيَّامِ الْعِرَاقَ ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ : أَعْجَبُ وَاللَّهِ تَمَّا عَجِبُ مِنْهُ الْفَرَزْدَقُ مِنْ وَلَايَةِ ابْنِ
 هُبَيْرَةَ ، [وهو] مَا لَسْتُ أَرَاهُ يُعْجَبُ مِنْهُ ، وَلَايَةُ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ مُخْنَثٌ دَعَى ابْنَ
 دَعْيٍ ، ثُمَّ قَالَ :

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فَرَارَةٍ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمَيَّةً بِالْمَشَارِقِ تَنْزَعُ
 فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرٌ تَطِيرُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْرَعُ
 بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَارَةٍ شَجَّوْهَا فَالآنَ مِنْ قَسْرِ تَضِجُ وَتَجَزَعُ
 فَمَلُوكُ خِنْدِفٍ أَضْرَعُونَا لِلْعِدَا لِلَّهِ دَرُّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ¹
 كَانُوا كَقَاذِفَةٍ بَيْنَهَا ضَلَّةٌ سَفَهَا وَغَيْرُهُمْ تَرْبُ وَتَرْضِعُ

[شعره في عينه وقلبه]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 سَعِيدِ بْنِ أُسَيْدٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمَّارٍ ،
 وَإِذَا هُوَ يَفْتِلُ أَصَابِعَهُ مَتَأَسِّفًا ، فَقُلْتُ : عَلَامَ هَذَا التَّأْسُفِ وَالتَّلَهُفِ ؟ فَقَالَ : [من مخلع البسيط]

عَيْنَايَ مَشْوُومَتَانِ وَيَحْهَمَا وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُمْتَلَى بِهِمَا
 عَرَّفْتَاهُ الْهَوَى لِظْلُمِهَا يَا لَيْتَنِي قَبْلَ ذَا عَدِمْتُهُمَا
 هُمَا إِلَى الْحَيْنِ ذَلَّتَا وَهَمَا ذَلَّ عَلَى مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهُمَا²
 سَأَعْذِرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ وَمَا سَبَبَ كُلَّ الْبَلَاءِ غَيْرُهُمَا

1 أَضْرَعُونَا : أَذْلُونَا وَأَخْضَعُونَا .

2 ذَلَّ الدَّمْعُ : هَانَ .

صوت

[من المتقارب]

[شعر للأعشى وشرحه]

فَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَّمْ عَلَيَّ
نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ
وَشَاهِدُنَا الْجُلَّ وَالْيَاسَمِيَّ
وَبَرِّطُنَا دَائِمَ مُعْمَلٍ
إِذَا الْحَبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ
فَلَمَّا التَّقِينَا عَلَى آيَةٍ
لَكَ حَتَّى تُنَاجِي بَابِهَا
وَقَيْسًا هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا
مِنَ الْمُسْمِعَاتِ بِقُصَابِهَا¹
فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا²
وَجَرُّوا أَسْفَلَ هُدَايَا³
وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا⁴

عروضه من المتقارب . الشعر للأعشى يمدح بني عبد المدان الحارثيين من بني الحارث بن كعب . والغناء لحنين ، خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لحناً مالمالك . وزعم عمرو بن بانه أنه خفيف ثقيل . وزعم أبو عبد الله الهشامي أن فيه لابن المكّي خفيف رمل بالوسطى أوله :

تَنَازَعَنِي إِذْ خَلْتُ بُرْدَهَا⁵

ومعه باقي الأبيات مخلطة مقدّمة ومؤخّرة . والكعبة التي عنها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، سموها كعبة نجران ، وكان فيها أساقفة يقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ﷺ ودعاهم إلى المبالغة ، وقيل : بل هي قبة من آدم سموها الكعبة . وكان إذا نزل بها مستجير أجير ، أو خائف أمين ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترقد أعطي ما يريده . والمُسْمِعَاتُ : القيّان . والقُصَابُ : أوتار العيدان . وقال الأصمعي : قلت لبعض الأعراب : أنشدني شيئاً من شعرك . قال : كنت أقول الشعر وتركته . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنني قلت شعراً وغنّي فيه حكّم الوادي وسمعته فكاد يذهل عقلي . فآليت ألا أقول شعراً ، وما حرّك حكّم قصّابه إلا توهّمت أن الله عز وجل مخلّدي بها في النار .

* * * *

1 في ديوان الأعشى : « وشاهدنا الورد » . والجلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . قُصَابُ : جمع قاصب وهو الزامر . والقُصَابُ : الأوتار كما قال أبو عبيدة .

2 البريط : العود . والمزهر : العود أيضاً .

3 الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .

4 آية في ل : آلة .

5 تمام البيت : مفضلة غير جلبابها .

الفهرس

- [173] - أخبار النابغة ونسبه 5
- [174] - أخبار الحارث بن حلزة ونسبه 29
- [175] - نسب عمرو بن كلثوم وخبره 35
- [176] - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل 41
- [177] - ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره 47
- [178] - خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا 51
- [179] - مقتل زهير بن جذيمة العبسي 56
- [180] - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب 65
- [181] - خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة 85
- 182 - [خبر يوم رحرحان] 88
- [183] - وهذا يوم شعب جبلة 92
- 184 - [مقتل عمليق وسبيه] 113
- 185 - [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري] 117
- [186] - أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها 122
- [187] - نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره 136
- [188] - ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله 141
- [189] - ذكر الأقيشر وأخباره 169
- [190] - أخبار ابن الغريزة ونسبه 187
- [191] - أخبار أعشى بني تغلب ونسبه 189
- [192] - أخبار أبي النضير ونسبه 192
- [193] - أخبار العبلي ونسبه 198
- [194] - أخبار أبي جلدة ونسبه 209
- [195] - أخبار علويه ونسبه 224
- [196] - نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره 245

کتابُ الْإِعْزَازِ

12

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

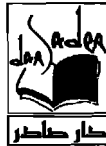
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-ĀGHĀNĪ 1/25

(*Abu al-Faraj al-Isphahānī*)

ISBN 9953-13-045-0

[197] - أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره¹

[كان الأعشى مثبناً وليد مجبراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الراوية عن سيماء بن حرب عن يونس بن مَتَى راوية الأعشى قال : كان ليبد مُجَبِّراً² حيث يقول :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وكان الأعشى مثبناً³ حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالألـ عدلٍ وولّى الملامةَ الرّجلاً
فقلت له : من أين [أخذ] هذا ؟ فقال : أخذه من أساقفة نجران . وكان يعود⁴ في كل سنة إلى بني عبد المدان ، فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادهم ، ويسمع من أساقفة نجران قولهم ؛ فكلُّ شيء في شعره منه هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ

فأما خبر مباہلتهم⁵ النبي ﷺ ، فأخبرني به عليّ بن العباس بن الوليد البجليّ المعروف باللقائعيّ الكوفيّ قال : أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليّسع الهمدانيّ قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب . قال بكّار وحدثنا إسماعيل بن أبان العامريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام ، وحدثه أتمّ الأحاديث . وحدثني [به] جماعة آخرون بأسانيد مختلفة وألفاظٍ تزيد وتنقص : فممنّ حدثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 257/1-266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401-402 والمؤتلف 12 واللائلي 83 والخزانة 1 : 83-86 وشعراء الجاهلية 357-399 والتذكرة الحمدونية 8 : 356-360 .

2 المجبر : الذي يقول بالمجير . وتقول الجبرية : إنه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسية ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

3 مثبناً : من يثبت القدر .

4 ل : يفد .

5 المباہلة : الملاعة .

حَيَّانُ بْنُ عَلِيٍّ [عن] الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن جده عن أبي رافع . وأخبرني علي بن موسى الحميمي في كتابه قال حدثنا جندل بن واثق قال حدثنا محمد بن عمر عن عباد الكلبي عن كامل [أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازة قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخرق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس . قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ، قال : وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام . قال حصين وحدثني سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس . وممن حدثني [أيضاً] بهذا الحديث علي بن العباس عن بكر عن إسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشثاني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي ، واللفظ للحديث الأول . قالوا : قديم وفد نصراني نجران وفيهم الأسقف ، والعاقب وأبو حبش ، والسيد ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حوشب في حديثه : وهم أربعون جبراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المدراس ، فصاحوا بهم : يا ابن صوريا يا كعب بن الأشراف ، انزلوا يا إخوة القُرود والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة [قد غلبكم !] أحضروا الممتحنة [لنمتحنه] غداً . فلما صلى النبي ﷺ الصبح ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدمهم الأسقف فقال : يا أبا القاسم ، موسى من أبوه ؟ قال : عمران . قال : فيوسف من أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فانت من أبوك ؟ قال : أبي عبد الله بن عبد المطلب . قال : فعيسى من أبوه ؟ فسكت رسول الله ﷺ وآله ؛ فانقضَّ عليه جبريل عليه السلام فقال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ فتلاها رسول الله ﷺ ؛ فنزأ الأسقف ثم دير به مغشياً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبي ﷺ فقال [له] : أتزعم أن الله جل وعلا أوحى إليك أن عيسى خلق من تراب ! ما نجد هذا فيما أوحى إليك ، ولا نجد فيما أوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أوحى إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَّهْلُ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ . فقال : أَنْصَفْتَنَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَمَتَى نُبَاهِلُكَ ؟ فقال : بِالْعِدَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وانصرف النصارى ، وانصرفت اليهودُ وهي تقول : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَتَيْهِمَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْحَنِيفِيَّةُ أَوْ النَّصْرَانِيَّةُ . فَلَمَّا صَارَتِ النَّصْرَانِيُّ إِلَى بَيْتِهَا قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَلَعَنَ بَاهِلُنَا إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ نَهْلِكَ ، وَلَكِنْ اسْتَقِيلُوهُ لَعَلَّهُ يُقِيلُنَا . وَغَدَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصُّبْحِ وَغَدَا مَعَهُ بَعْلِي وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثُمَّ بَرَكَ بَارِكًا ، وَجَاءَ بَعْلِي فَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَاءَ بِفَاطِمَةَ فَأَقَامَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَجَاءَ بِحُسَيْنٍ فَأَقَامَهُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَجَاءَ بِحُسَيْنٍ فَأَقَامَهُ عَنْ يَسَارِهِ . فَأَقْبَلُوا يَسْتَرُونَ بِالْخَشَبِ وَالْمَسْجِدِ فَرَقًا أَنْ يَبْدَأَهُمُ بِالْمُبَاهَلَةِ إِذَا رَأَوْهُمْ ، حَتَّى يَبْرُكُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ صَاحُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، أَقْلِنَا أَقْلَكَ اللَّهُ عَثْرَتَكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَعَمْ ، قَالَ : وَلَمْ يُسَأَلِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَعْطَاهُ ، فَقَالَ : قَدْ أَقْلَتَكُمْ [فَوَلُّوا] . فَلَمَّا وَلَّوْا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمَّا وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ بَاهَلْتُهُمْ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْرَانِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ إِلَّا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى» . وَفِي حَدِيثٍ شَهْرٍ بَنِ حَوْشَبَ أَنَّ الْعَاقِبَ وَثَبَ فَقَالَ : أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ أَنْ نُلَاعِنَ هَذَا الرَّجُلَ ! فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَاذِبًا مَا لَكُمْ فِي مُلَاعِنَتِهِ خَيْرٌ ، وَلَوْ كَانَ صَادِقًا لَا يَحُولُ الْحَوْلُ وَمِنْكُمْ نَافِعُ ضَرْمَةٍ¹ . فَصَالَحُوهُ وَرَجَعُوا .

[خبر قبة نجران]

وَأَمَّا خَبَرُ الْقَبَةِ الْأَدَمِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْأَعْشَى فَأَخْبَرَنِي بِخَبَرِهَا عَمِّي وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ دَارِسٍ بَنِ عَرَبِيِّ بْنِ مُعَيْقِرٍ² مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَكَانَتْ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ جِلْدٍ أَدِيمٍ ، وَكَانَ عَلَى نَهْرِ بَنِجْرَانَ يُقَالُ النَّحِيرِدَانُ . قَالَ : وَلَمْ يَأْتِ الْقَبَةَ خَائِفًا إِلَّا أَمِينٌ ، وَلَا جَائِعٌ إِلَّا شَبَعٌ ؛ وَكَانَ يَسْتَغْلِلُ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، [وَكَانَتْ الْقَبَةُ تَسْتَغْرِقُ ذَلِكَ كُلَّهُ] . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانَ [ابْنُ الدِّيَّانِ] . وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنَ دَارِسٍ زَوَّجَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانَ ابْنَتَهُ رُهَيْمَةَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدٍ ؛ فَهَمَّ بِالْكُوفَةِ . وَمَاتَ عَبْدُ الْمَسِيحِ ، فَاتَّقَلَ مَالَهُ إِلَى يَزِيدٍ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ حَارِثِيٍّ حَلَّ فِي نَجْرَانَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَعْشَى قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]

فَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلَيْهِ لَوْ حَتَّى تُنَاخِي بَابُوبَهَا

1 الضرمه : الجمره ؛ يقال : مَا فِي الدَّارِ نَافِعُ ضَرْمَةٍ ، أَيِ مَا فِيهَا أَحَدٌ وَهَذَا مِثْلُ وَرَدٍ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ 269/3 «مَا بِهَا نَافِعُ ضَرْمَةٍ» يَعْنِي بِالمِثْلِ مَا فِي الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ .

2 ل : مُعَيْقِرٍ .

نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحَ وقيساً هُمُ خيرُ أربابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أمية بن الأسكر فزوجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنِي عُمَيُّ عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حَدَّثَنِي بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عُمَيُّ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي سعد] قال حَدَّثَنِي عبد الله بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بمؤسِّم عكاظ ، وقَدِمَ أمية بن الأسكر الكِنَاني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيد وعامر . فقالت أمّ كلاب امرأة أمية بن الأسكر : مَنْ هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان ، وهذا عامر بن الطفيل . فقالت : أعرِف بني الديان ولا أعرِف عامراً . فقال : هل سَمِعْتَ بملاعب الأُسنة¹ ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أمية ، أنا ابن الديان صاحبُ الكَيْسِبِ ، ورئيس مَدْحِجٍ ، ومُكَلِّمُ العُقَابِ ، وَمَنْ كَانَ يُصَوِّبُ أَصَابِعَهُ فَتَنْطِفُ² دماً ، وَيَذُلُّكَ راحتيه فَتُخْرِجَانِ ذَهَباً ، فقال أمية : بَخْ بَخْ . [فقال عامر : جَدِّي الأَخْرَمُ ، وعُمَيُّ مُلَاعِبُ الأُسنة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أمية : بَخْ بَخْ] مرعى ولا كالسعدان³ . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رَحَلَ بمدحٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهم لا . قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُردٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول :

أُمَيُّ يَا ابْنَ الأَسْكَرِ بِنِ مُدْلِجٍ لَا تَجْعَلَنَّ هَوَازِنَا كَمَدْحِجٍ
إِنَّكَ إِنْ تَلَهَجَ بِأَمْرِ تَلْجَجَ مَا النِّبْعُ فِي مَغْرِسِهِ كَالْعَوْسَجِ⁴
وَلَا الصَّرِيحُ الْمَخْضُ كَالْمَزْجِ⁵

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سَمِيَ بملاعب الأُسنة لقول أوس بن حجر فيه :

فلاعب أطراف الأُسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مثلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريح : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرة بن دودان الثفيلي وكان عدواً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شِعْري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامرٍ تريدُ
لِكُلِّ قومٍ فخرُكم عتيْدُ أمْطَلَقُونْ نحنُ أمْ عبيدُ
لا بل عبيدٌ زادنا الهبيد¹

قال : فروج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا لكرجالٍ لطارقٍ الأحرانِ ولعامرٍ بنِ طُفَيْلٍ الوَسنانِ
كانت إتاوة قومِهِ لمُحرِّقٍ زمناً وصارتُ بعدُ للنعمانِ²
عدُّ الفوارِسِ من هوازِنَ كُلِّها فخرأً عليّ وجئتُ بالديانِ
فإذا ليَ الشَّرَفُ المتينِ بوالِدِ ضَخَمَ الدَّسِيعَةُ زانِي ونَماني³
يا عامُ إِنَّكَ فارسٌ ذو مِيعَةٍ غَضُّ الشَّبَابِ أخو نَدَى وقِيانِ⁴
واعلمْ بأنَّكَ بابلُ فارسٍ قُرْزُلِ دون الذي تسعى له وتُداني
ليست فوارِسُ عامرٍ بِمُقَرَّةٍ لك بالفضيلةِ في بني عِيْلانِ
فإذا لَقِيتُ بني الحَماصِ ومالكِ وبني الضُّبابِ وحَيَّ آلِ قَنانِ⁵
فاسأَلْ عن الرُّجُلِ المُنوَّهِ بِاسمِهِ والدَّافِعِ الأعداءِ عن نَجْرانِ
يُعْطِي المَقادَةَ في فوارِسِ قومِهِ كَرَمًا لَعَمْرُكَ والكَريمُ يَماني

فقال عامر بن الطُفَيْلِ : [من الكامل]

عجباً لوأصِفُ طارقِ الأحرانِ ولما يَجِيءُ به بنو الدِّيَّانِ
فَخَرُّوا عليَّ بِجَبْوَةٍ لِمُحرِّقٍ وإتاوةٍ سِيقتُ إلى النُّعمانِ⁶
ما أَنْتَ وابنُ مُحَرِّقٍ وقَبِيلِهِ وإتاوةُ اللَّحْمِيِّ في عِيْلانِ
فاقصِدْ بِفَخْرِكَ قَصْدَ قومِكَ قُصْرَةَ ودَعِ القَبائِلَ من بني قَحْطانِ

1 الهبيد : حب الحنظل .

2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

3 الدسيعة هنا : العطية .

4 ميعة كل شيء : أوله .

5 الحماص ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .

6 الحيوه (مثلثة الحاء) : العطية .

إِنْ كَانَ سَالِفَةُ الْإِتَاوَةِ فِيكُمْ أَوْلَا فَفَخْرُكَ فَخْرُ كُلِّ يَمَانِي
وَأَفْخَرُ بَرَهْطِ بَنِي الْحِمَاسِ وَمَالِكِ وَبَنِي الضُّبَابِ وَزَعْبَلِ وَقَنَانِ
فَأَنَا الْمُعْظَمُ وَابْنُ فَارِسِ قُرْزُلِ وَأَبُو بَرَاءِ زَانَنِي وَنَمَانِي
وَأَبُو جَزْيٍ ذُو الْفَعَالِ وَمَالِكِ مَنَعَا الدَّمَارَ صَبَاحَ كُلِّ طِعَانِ
وَإِذَا تَعَاظَمَتِ الْأُمُورَ هَوَازِنُ كُنْتُ الْمُنَوَّةَ بِاسْمِهِ وَالْبَانِي

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديان فأنى]

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى بَنِي عَامِرَ ، وَثَبُّوا عَلَى مُرَّةَ بْنِ دُودَانَ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ مِنْ بَنِي عَامِرَ ،
وَأَنْتَ شَاعِرٌ ، وَلَمْ تَهْجُ بَنِي الدِّيَّانِ ؛ فَقَالَ مُرَّةُ :
[من الوافر]

تُكَلِّفُنِي هَوَازِنُ فَخْرَ قَوْمِ يَقُولُونَ : الْأَنَامُ لَنَا عَبِيدُ
أَبُونَا مَذْجِجٌ وَبَنُو أَبِيهِ إِذَا مَا عُدَّتِ الْآبَاءُ هُودُ¹
وَهَلْ لِي إِنْ فَخَرْتُ بِغَيْرِ حَقٍّ مَقَالٌ وَالْأَنَامُ لَهُمْ شُهُودُ
فَأَنْتِ تَضْرِبُ الْأَعْلَامَ صَفْحًا عَنِ الْعَلِيَاءِ أَمْ مَنْ ذَا يَكِيدُ
فَقُولُوا يَا بَنِي عَيْلَانَ كُنَّا لَهُمْ قِنًا ، فَمَا عَنْهَا مَحِيدُ

[معاودة في مجلس ابن جفنة]

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ : قَدِيمُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ وَعَمَرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرُبُ وَمَكْشُوحُ
الْمُرَادِيِّ عَلَى ابْنِ جَفْنَةَ زُورًا ، وَعِنْدَهُ وَجْهٌ قَيِّسٌ : مُلَاعِبُ الْأُسَيْنَةِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَمْرُو بْنِ الصَّبْعِيِّ ، وَدُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ : مَاذَا كَانَ يَقُولُ الدِّيَّانُ
إِذَا أَصْبَحَ فَإِنَّهُ كَانَ دِيَّانًا² . فَقَالَ : كَانَ يَقُولُ : آمَنْتُ بِالَّذِي رَفَعَ هَذِهِ (يَعْنِي السَّمَاءَ) ، وَوَضَعَ
هَذِهِ (يَعْنِي الْأَرْضَ) ، وَشَقَّ هَذِهِ (يَعْنِي أَصَابِعَهُ) ، ثُمَّ يَخِرُّ سَاجِدًا وَيَقُولُ : سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي
خَلَقَهُ وَهُوَ عَاشِمٌ³ ، وَمَا جَشَمَنِي مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي جَاشِمٌ . فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ : [من الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ : إِنَّ هَذَا لَذُو دِينٍ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْقَيْسِيِّينَ وَقَالَ : أَلَا تَحْدُثُونِي عَنْ هَذِهِ
الرِّيَاحِ : الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ وَالذَّبُورِ وَالصَّبَا وَالنَّكْبَاءِ ، لِمَ سُمِّيتَ بِهِذِهِ الْأَسْمَاءُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَعْيَانِي
عِلْمُهَا ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذِهِ أَسْمَاءُ وَجَدْنَا الْعَرَبَ عَلَيْهَا لَا نَعْلَمُ غَيْرَ هَذَا فِيهَا . فَضَحِكَ يَزِيدُ بْنُ

1 هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .

2 الدِّيَّانُ هُنَا : الْحَاكِمُ وَالسَّائِسُ وَالْقَاضِي .

3 العَاشِمُ : الطَّامِعُ .

عبد المدان ثم قال : يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أَحْسِبُ أنَّ هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر . إنَّ العرب تضرب أبياتها في القيلة مَطْلَعِ الشمس ، لِتُدْفِقَهُمْ في الشتاء وتزولَ عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شماله فهي الشمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصِّبا ، وما هَبَّ من خلفه فهي الدُّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكباء . فقال ابن جفنة : إنَّ هذا لِلْعِلْمِ يا ابنَ عبد المدان .

[سأل ابن جفنة القيسين عن النعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسين يسألهم عن النعمان بن المنذر . فعابوه وصغروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفتيان . ليس صغيراً مَنْ منعك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له : أبيتَ اللعن ، وقيل لك : يا خيرَ الفتيان ، وألقى أباه ملكاً كما ألفتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسرك مَنْ يغرِّك ، فإنَّ هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه . وإيمُ الله ما فيهم رجلٌ إلَّا ونعمةُ النعمان عنده عظيمة ! فغضب عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديان ، أما والله لتحتلبن بها دماً ! فقال له : ولم ؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تعرَّف . فضحك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فتك مُراد . ولا بأسُ زَيْد ، ولا كَيْدُ جُعْفَى ، ولا مُغارُ طَيْء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قطُّ ، ولا اشتهدنا حرَّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نبيء¹ به . وإنَّ هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم ، حتى يُقتلَ السَّميُّ بالسَّميِّ . والكنيُّ بالكنيِّ ، والجارُّ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً غدا به على ابن جفنة :

[من الطويل]

تَمالاً على النعمانِ قومٌ إليهم	مَواردُهُ في مُلكِهِ ومَصادِرُهُ
على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهم	سيوى أَنَّهُ جادتْ عليهم مَواطِرُهُ
فباعَدَهُمْ من كلِّ شرٍّ يَخافُهُ	وقَرَّبَهُمْ من كلِّ خيرٍ يُبادِرُهُ
فظنُّوا ، وأعراضُ الظنون كثيرة ،	بأنَّ الذي قالوا من الأمر ضائرة ²
فلم يَنقُصوه بالذي قيلَ شَعْرَةً	ولا فُلِّلَتْ أُنْيابُهُ وأُظافِرُهُ
وللحارثِ الجُفْنِيُّ أَعْلَمُ بالذي	يَنوِّه به النُّعمانُ إن خَفَّ طائِرُهُ ³
فيا حارٍ كَمْ فيهم لِنُعمانِ نِعْمَةٌ	من الفضلِ والمنِّ الذي أنا ذاكِرُهُ

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خَفَّ طائر فلان إذا استخفَّ واستغف ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُنُوباً عَفَا عَنْهَا وَمَالاً أَفَادَهُ وَعَظْماً كَسِيراً قَوَّمْتَهُ جَوَابِرُهُ
ولو سألَ عنكَ العائِبِينَ ابنُ مُنْذِرٍ لَقَالُوا لَهُ الْقَوْلَ الَّذِي لَا يُحَاوِرُهُ

قال : فلمّا سمعَ ابنُ جَفْنَةَ هذا القولَ عَظُمَ يَزِيدُ فِي عَيْنِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَسَقَاهُ
بِيَدِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا مِمَّنْ وَفَدَ عَلَيْهِ قَطُّ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فَلَمَّا قَرَّبَ يَزِيدُ رَكَائِبَهُ لِيَرْتَحَلَ سَمِعَ صَوْتًا إِلَى جَانِبِهِ ، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ يَقُولُ : [من المتقارب]

أَمَّا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الثَّنَا زَنْدُهُ ثاقِبٌ¹
يُرِيدُ ابْنُ جَفْنَةَ إِكْرَامَهُ وَقَدْ يَمْسَحُ الضَّرَّةَ الْحَالِبُ
فَيُنْقِذُنِي مِنْ أَظَافِيرِهِ وَالْأَفَائِي غَدًا ذَاهِبُ
فَقَدْ قَلْتُ يَوْمًا عَلَى كُرْبِيَةِ وَفِي الشَّرْبِ فِي يَثْرِبٍ غَالِبُ
أَلَا لَيْتَ غَسَّانَ فِي مُلْكِهَا كَلْخَمٍ ، وَقَدْ يُخْطِئُ الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَفْنَةَ مِنْ سُبَّةٍ وَقَدْ خَفَّ حُلْمِي بِهَا الْعَازِبُ
كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنَ الْأَبْعَدِينَ وَفِي الْحَلْقِ مَنِي شَجَا نَاشِبُ

فَقَالَ يَزِيدُ : عَلَيَّ بِالرَّجُلِ ، فَأَتَيْتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا خَطْبُكَ ؟ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟
قَالَ : لَا ! بَلْ قَالَه رَجُلٌ مِنْ جُذَامَ جَفَاهُ ابْنُ جَفْنَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ النُّعْمَانِ مَنَزَلَةٌ ،
فَشَرِبَ فَقَالَ عَلَى شَرَابِهِ شَيْئًا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ابْنُ جَفْنَةَ فَحَبَسَهُ ، وَهُوَ مُخْرَجُهُ غَدًا فَقَاتِلْهُ .
فَقَالَ [لَهُ] يَزِيدُ : أَنَا أُغْنِيكَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْرِفَكَ ؟ فَقَالَ : أَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَدَانِ . فَقَالَ : أَنْتَ لَهَا وَأَبِيكَ ؟ قَالَ : أَجَلُ ! قَدْ كَفَيْتُكَ أَمْرَ صَاحِبِكَ ، فَلَا يَسْمَعَنَّكَ
أَحَدٌ تُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ . وَغَدَا يَزِيدُ عَلَى ابْنِ جَفْنَةَ لِيُودِّعَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا ابْنَ
الدِّيَّانِ ! حَاجَتَكَ . قَالَ : تُلْحِقُ قُضَاعَةَ الشَّامِ [بَغَسَّانَ] ، وَتُوَثِّرُ مَنْ أَتَاكَ مِنْ وَفُودِ
مَذْحِجٍ ، وَتَهَبُ لِي الْجُذَامِيَّ الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . أَمَّا إِنِّي
حَبَسْتُهُ لِأَهْبَهُ لِسَيْدِ أَهْلِ نَاحِيَتِكَ ، فَكَنْتُ ذَلِكَ السَّيِّدَ ، وَوَهَبَهُ لَهُ . فَاحْتَمَلَهُ يَزِيدُ مَعَهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ مُجَاوِرًا لَهُ بَنَجْرَانَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ . وَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ لِأَصْحَابِهِ : مَا كَانَتْ
يَمِينِي لَتَفِيي إِلَّا بِقَتْلِهِ أَوْ هَيْبَتِهِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي الدِّيَّانِ ؛ فَإِنَّ يَمِينِي كَانَتْ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ .
فَعَظُمَ بِذَلِكَ يَزِيدُ فِي عَيْنِ أَهْلِ الشَّامِ وَنَبَهُ ذَكَرُهُ وَشَرُفَ .

[استغاث هوازي يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه : جاور رجلان من هوازن ، يقال لهما عمرو وعامر ، في بني مرة بن عوف بن ذبيان ، وكنا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المنقرّي أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عدة أسارى كانوا عند بني مرة ، ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازي ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة : سينان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يُغيثوه ، فركب إلى موسم عكاظ ، فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سيناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً	وعاليتُ دَعْوَى بالحصين وهاشمٍ
أغيّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ	بترك أسيرٍ عند قيس بن عاصمٍ
خليفهم الأذنَى وجارِ بيوتهم	ومن كان عما سرهم غير نائمٍ
فصموا وأحدث الزمان كثيرة	وكم في بني العلات من متصامٍ ¹
فيا ليت شعري من لإطلاق غله	ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

قال : فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيهذا الذي لم يُجب	عليك بحَيٍّ يُجَلِّي الكُرب
عليك بذا الحي من مذحج	فإنهم للرضا والغضب
فناد يزيد بن عبد المدان	وقيساً وعمرو بن مغديكرب
يفكوا أخاك بأموالهم	وأقلل بمثلهم في العرب
أولاك الرؤوس فلا تغدهم	ومن يجعل الرأس مثل الذنب

قال : فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمه قيس بن عبد يعوث المرادي ، فقال له : إني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا ، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذ أسيراً ، فاستغث بسينان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يفك أخي ، فانتهيت إلى منازل مذحج ، فناديت بكذا وكذا ، فسمعت من الوادي صوتاً أجنبي بكذا وكذا ، وقد بدأت بك لتفك أخي . فقال له المكشوح : والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قط ولا هو لي بجار ، ولكن اشتر أخاك منه وعلي

1 بنو العلات : بنو أمهات شتى من أب واحد .

الثلث ، ولا يَمْنَعُكَ غَلَاؤُهُ . ثم أتى عمرو بن مَعْدِيكَرْب فقال له مثل ذلك ؛ فقال : هل بدأت بأحد قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليك بمن بدأت به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إن من قِصَّتِي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرته ، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيَنِي بِأَخِيكَ ، فإن نِلْتُهَا وإلا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بَنَجْرَان فاشتريتُ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات : [من البسيط]

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسِيرًا مِنْ بَنِي جُشَمٍ إِنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَأْتِي بِهِ جَازِي
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَنْ تَشْجِيَ بَغْضَتِهِ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِحْمَادِي وَإِعْزَازِي
فَأَفْكَكَ أَخَا مَنَقَرٍ عَنْهُ وَقُلْ حَسَنًا فِيمَا سُئِلْتَ وَعَقْبُهُ بِإِنْجَازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولا إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال [له] : يا أبا علي ، إن يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إن المعروف قروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطلق لي هذا الجُشَمِي ؛ فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرة وبعمرو بن مَعْدِيكَرْب وبمكشوح مُراد فلم يُصِبْ عندهم حاجته فاستجار بي . ولو أرسلت إلي في جميع أسارى مُضَرَّ بَنَجْرَان لقضيتُ حقك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيّد مدحيج وابن سيّدها ومَنْ لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصة لكم ، فما تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى أن نُغَلِّبَهُ عليه ونَحْكُمَ فيه شَطَطًا ؛ فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجَالَ الحروب ودَوَلَ الأيام ومجازاة القروض ! فلما أبوا عليه قال : يَبْعُونِيهِ ، فأغلّوه عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في بني مَنَقَرٍ لأخذه وبعث به ، ولكنه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعدي أن سير إليّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُكَ . فأتى به السعديُّ يزيد بن عبد المَدان ؛ فقال له : احتكم . فقال : مائة ناقة ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أما والله لقد غبتك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلِّ أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قومٌ قصار الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بَنَجْرَان .

[أغار عبد المَدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبي : أغار عبدُ المَدان على هوازن يوم السِّلَف¹ في جماعة من بني الحارث بن

1 السِّلَف : مخلاف باليمن .

كعب ، وكانت حُمته¹ على بني عامر خاصة . فلما التقى القوم حَمَلَ على وُبر بن معاوية النُميريّ فصرَّعه ، وثْنى بطفيل بن مالك فأجره² الرمح ، وطار به فرسه قُرْزُلُ فنجأ ، واستحرَّ القتلُ في بني عامر ، وتَبِعَت خيلُ بني الحارث من انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُميرٌ ومَعْقِلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزلوا بقيّة يومهم لا يُبْقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المدان :

عفا من سُلَيْمى بطنُ غُولٍ فَيَذْبُلُ فَعَمْرُةُ فَيَفِرُ الرِّيحُ فَاَلْمُنْخَلُ³
ديارُ التي صاد الفؤادُ ذَلالُها وأغرَّت بها يوم النوى حين تَرَحَّلُ
فإن تَكُ صَدَّتْ عن هَوَايَ وراعاها نَوَازِلُ أَحْداثٍ وشيبٌ مُجَلَّلُ
فيا رَبُّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ يُعَارِضُهَا عَبلُ الْجَزَارَةِ هَيْكَلُ⁴
سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزَامُ كأنه إذا انجَابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أَجْدَلُ
يُواغِلُ جُرْداً كالقنَا حارثيةً عليها قَنانٌ والحِماسُ وزَعْبِلُ⁵
مَعاقِلُهُمْ في كلِّ يومٍ كريهةً صدورُ العوالي والصَّفِيفُ المَصْقَلُ
وزَغَفٌ من الماضي بيضٌ كأنها نِهاءٌ مَرْتِها بالعَشِيَّاتِ شَمالُ⁶
فما ذَرَّ قَرْنَ الشمسِ حتى تلاحقتُ فَوارسُ يَهْدِيها عُميرٌ ومَعْقِلُ
فجالتُ على الحَيِّ الكِلَابِيَّ جولةً فباكَرَهُمْ وَرْدٌ من الموتِ مُعْجَلُ
فَغَادَرْنَ وَبَرّاً تَحْجُلُ الطيرُ حوله ونَجَّى طُفَيْلاً في العَجاجةِ قُرْزُلُ
فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا فَارِسٌ من رِجالهم يُخَفِّفُ رَكْضاً خَشيةَ الموتِ أَعْزَلُ

وليزيد بن عبد المدان أخباراً مع دُرَيْد بن الصَّمَّة قد ذكرتُ مع أخبار دُرَيْد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء ، فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع .

1 الحمة : الشدة .

2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه بجره .

3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيه الرمح ، والمنخل : مواضع .

4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزيرة : ضخم الأطراف .

5 يواغل جرداً : يداخلها . الحماس ، وقنان ، وزعل : قبائل .

6 الزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسلاسل والمادي هنا : السلاح من الحديد . ونهاء جمع نهي : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأستة وأخيه فلماً مات رثته أختهما]

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكْرِيّ قال حدَّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بني عامر ، فأسر عامر بن مالك مُلاعِبَ الأستة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما . فلماً مات يزيد بن عبد المدان ، واسمُ عبدِ المدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت مُلاعِبِ الأستة ترثي يزيد بن عبد المدان :

بكيتُ يزيدَ بن عبد المدا نِ حَلَّتْ به الأرضُ أنقاها
شريكُ الملوكِ ومنَ فضله يَفْضُلُ في المجدِ أفضالها
فككتُ أسارى بني جعفر وكندة إذ نلتُ أقوالها¹
ورَهطُ المُجالِدِ قد جَلَّتْ فواضلُ نِعَماك أجمالها

وقالت أيضاً ترثيه :

سأبكي يزيدَ بنَ عبد المدان على أنه الأخلَمُ الأكرمُ
رِماحُ من العزمِ مركوزة ملوكُ إذا برزتَ تحكُمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكى يزيد ؛ فقالت زينب :

ألا أيُّها الزاري عليّ بأنني زارئةٌ أبكي كريماً يمانيا
وما لي لا أبكي يزيدَ وردني أجرُ جديداً مذرعي وريثيا

صوت

[من الطويل]

أطيلَ حَمَلَ الشَّناءِ لي وبُغْضِي وعِشْ ما شِئتَ فانظُرْ مَنْ تَضييرُ
إذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنَّ الشمسَ من قبلي تدورُ

الشعر لعبد الله بن الحشرَج الجعدي . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالبنصر عن الهشامي .

1 أقوال : جمع قَيْل ، وهو الملك عند أهل اليمن .

[198] - أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحَشْرَج بن الأشْهَب بن وَرْد بن عَمْرُو بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازِن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من ساداتِ قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِي أكثر أعمالِ خُرَاسان ، ومن أعمال فارس ، وَكَرْمَان . وكان جواداً مُمدِّحاً . وفيه يقول زيادُ الأعجم :

[إِنَّ السَّمَاةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى
فِي قُبَّةِ ضُرَيْتٍ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
وله يقول أيضاً] :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ السَّمَاةِ وَالنَّدَى فَسَائِلُ تَحَبَّرَ عَنْ دِيَارِ الْأَشَاهِبِ
نسبه إلى الأشْهَب جدّه . وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة : [من المتقارب]
أَبْعَدَ فَوَارِسِ يَوْمِ الشُّرَيْدِ فَرِ آسَى وَبَعْدَ بَنِي الْأَشْهَبِ¹

[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيِّداً شاعراً وأميراً كبيراً . وكان غَلَبَ على قُهِسْتَان² في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازم المُسَيَّب بن أَوْفَى القُشَيْرِيّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتَان . وكان عمُّه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيِّداً ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُؤَلِّيه الشام فلم يُجِبْهِ . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية :

وَقَامَ زِيَادٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ يُرِيدُ صَلاَحاً بَيْنَكُمْ وَيُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن الهيثم بن فِرَاسٍ قال : حَدَّثَنَا العُمَرِيُّ عن عَطَاء بن مُصْعَبٍ عن عاصم بن الحَدَّثَان قال : جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتَان رجلٌ من قُشَيْرٍ يقال له قُدَامَةُ بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

1 الشريف : ماء لبني نعيم . ويوم الشريف من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأكثر ما تستعمل : قوهستان .

أَخْ وابْنُ عَمٍّ جَاءَ كَمْ مُتَحَرِّمًا بِكُمْ فَارَبُّوا خَلَائِيَهُ يَا ابْنَ حَشْرَجٍ
فَأَنْتَ ابْنُ وَرْدٍ سُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ مَعْدًا عَلَى رَغَمِ الْمُنُوطِ الْمُعْلَهَجِ¹
فَبَرَزْتَ غَفْوًا إِذْ جَرَيْتَ ابْنَ حَشْرَجٍ وَجَاءَ سُكَيْتًا كُلُّ أَعْقَدٍ أَفْحَجٍ²
سَبَقْتَ ابْنَ وَرْدٍ كُلَّ حَافٍ وَنَاعِلٍ بِجَدٍّ إِذَا حَارَ الْأَضَامِيمُ مِمَّعٍ³
بِوَرْدٍ بَنَ عَمْرٍ فَتُهُمْ إِنَّ مِثْلَهُ قَلِيلٌ وَمَنْ يَشِرَ الْمَحَامِدَ يَفْلُجُ⁴
هُوَ الْوَاهِبُ الْأَمْوَالِ وَالْمُشْتَرِي اللَّهَى وَضَرَّابُ رَأْسِ الْمُسْتَمِيتِ الْمُدْجِجِ⁵

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذرني يا ابن عمي ؛ فإنني في حالة الله بها عليهم من كثرة الطلاب ، وأنت أحق من عذرني . قال : والله لو لم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك ، فكيف وقد أجزلت العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يَكْذِبُكَ وَيَمْلُذُكَ⁶ . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال :

[من الوافر]

أَطْلُ حَمَلَ الشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَاَنْظُرْ مَنْ تَضَيَّرُ
فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْحَرْبُ الْكَبِيرُ
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وَكَيْفَ تَعِيبُ مَنْ تُمْسِي فَقِيرًا إِلَيْهِ حِينَ تَحْزُبُكَ الْأُمُورُ
وَمَنْ إِنْ بَغَتْ مَنَزَلَةً بَأْخَرَى حَلَلْتَ بِأَمْرِهِ وَبِهِ تَسِيرُ
أَتَزْعَمُ أَنَّنِي مَلِذٌّ كَذُوبٌ وَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيَّ بُورُ
وَكَيْفَ أَكُونُ كَذَّابًا مَلُودًا وَعِنْدِي يَطْلُبُ الْفَرَجَ الضَّرِيرُ

1 المنوط : الدعي الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحق الهذر اللثيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .

2 السكيت : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .

3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المر .

4 يفلج : يظفر .

5 اللهأ : جمع لهأ .

6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

أواسي في النوائب من أتاني ويَجْبُرُ بي أخو الضرَّ الفقيرُ

[كان يعطى كثيراً فلامته زوجته وأيدها صديق له]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحَدَثَان قال : أعطى عبدُ الله بن الحشرج بخراسان حتى أعطى مِنْشَقَةً [كانت] عليه وأعطى فراشه ولحافه . فقالت له امرأته : لَشَدُّ ما تَلَاعَبَ بك الشيطان ، وصيرتَ من إخوانه مُبَذَّراً ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لِرفاعه بن زويِّ النَّهْدِيِّ وكان أخاً له وصديقاً : يا رفاعه ، ألا تسمعُ إلى ما قالتْ هذه الِورَهاءُ¹ وما تتكلَّم به ؟ فقال : صدقتُ والله وبرَّت ! إنك لمبذِّر ، وإنَّ المبذِّرِينَ لإخوانُ الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك :

مَتَى يَأْتِنَا الْغَيْثُ الْمَغِيثُ تَجِدُنَا مَكَارِمَ ما تَغَيَّا بِأَمْوَالِنَا التُّلْدِ²
مَكَارِمَ ما جُدْنَا بِهِ إِذْ تَمَنَعْتُ رِجَالٌ وَضُنْتُ فِي الرِّخَاءِ وَفِي الْجَهْدِ
أَرَدْنَا بِمَا جُدْنَا بِهِ مِنْ تِلَادِنَا خِلَافَ الَّذِي يَأْتِي خِيَارُ بَنِي نَهْدِ
تَلَوُّمٌ عَلَى اتِّلَافِي الْمَالِ طَلَّتِي وَيُسْعِدُهَا نَهْدُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الزُّهْدِ³
أَنَهْدُ بْنُ زَيْدٍ لَسْتُ مِنْكُمْ فَتُشْفِقُوا عَلَيَّ وَلَا مِنْكُمْ غَوَاتِي وَلَا رُشْدِي⁴
أَرَادَ « غَوَاتِي » فحذف الياء ضرورة .

أَبَيْتُ صَغِيرًا نَاشِئًا مَا أَرَدْتُ وَكَهْلًا وَحَتَّى تُبْصِرُونِي فِي اللَّحْدِ
سَأَبْذُلُ مَالِي إِنْ مَالِي ذَخِيرَةٌ لِعَقْبِي وَمَا أُجْنِي بِهِ ثَمَرَ الْخُلْدِ
وَلَسْتُ بِمَيْكَاةٍ عَلَى الزَّادِ بِاسِلٍ يَهْرُ عَلَى الْأَزْوَادِ كَالْأَسَدِ الْوَرْدِ⁵
وَلَكِنِّي سَمَحْتُ بِمَا حَزْتُ بِإِذْلٍ لِمَا كُفَلْتُ كَفَائِي فِي الزَّمَنِ الْجَحْدِ
بِذَلِكَ أَوْصَانِي الرَّقَادُ وَقَبْلَهُ أَبَوْهُ بَأْنُ أُعْطِي وَأَوْفِي بِالْعَهْدِ

الرَّقَادُ : ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته ، وكان شجاعاً سيِّداً جَوَاداً .
قال عطاء بن مُصعب : وقال عبد الله بن الحشرج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة .

1 الورهاء : الجمعاء .

2 التلد : المال القديم .

3 طلة الرجل : زوجته .

4 نهدي بن زيد : القبيلة التي ينتسب إليها رفاعه بن زوي .

5 باسل هنا : بمعنى غاضب .

وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيد في كتابيهما المصنفين ونسبا [ها] إليه :

سأجعل مالي دونَ عِرْضي وقايةً
ويُقي لي الجودُ اصطناعَ عَشيرتي
ومتُخذ ذنباً عليّ سَماحتي
يبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ
ولا شيءٌ يقي للفتى غيرُ جوده
ولا ئمةً في الجودِ نهَتْ غَربها
فلما أَلَحَّت في الملامةِ واعتَرَتْ
[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتي
فلجَّتْ وقالت أنتَ غايِ مُبَدَّرٌ
فقلتُ لها بيني فما فيكِ رغبةٌ
وعيشٌ أُنِيقُ والنساءُ مَعادِنُ
لها كلُّ يومٍ فوق رأسي عارِضٌ
وأخرى يَلدُ العيشُ منها ، ضَجِيعُها
فيا رجلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ واتركِ الدَّ
فِعْشَ ناعماً واتركِ مَقالةَ عاذِلٍ
وجُدْ باللُّها إنَّ السَّماحةَ والنَّدَى
وحَسْبُ الفتى مجداً سَماحةُ كَفِّه

من الدَّم ؛ إنَّ المالَ يَفْنَى وَيَفْدُ
وغيرِهِم والجودُ عِزٌّ مُؤَيَّدُ
بمالي ، ونارُ البُخلِ بالدَّمِ تُوقَدُ
ولكنَّه للمرءِ فضلٌ مُؤَكَّدُ
بما مَلَكتُ كَفَّاهُ والقومُ شُهَدُ
وقلتُ لها بَنِي المَكارِمِ أَحْمَدُ¹
بذلك غَيَّظِي واعتراها التَّبَلُّدُ
وتَطْلِقَها والكَفُّ عَنِّي أَرشُدُ
قَرِينُكَ شيطانٌ مَرِيدٌ مُفْنَدُ
ولي عنكِ في النِّسوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
فَمِنْهُنَّ غُلٌّ شَرُّها يَتمَرْدُ²
من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يَدُ الدَّهْرِ يُرْعَدُ
كَرِيمٌ يُغادِيهِ مِنَ الطَّيْرِ أُسْعَدُ
بَلالِيا فَإِنَّ المَوْتَ لِلنَّاسِ مَوْعَدُ
يلومُكَ في بَذلِ النَّدَى وَيُفْنَدُ
هي الغايةُ القُصوى وفيها التَّعَجُّدُ³
وذو المَجْدِ محمودُ الفِعالِ مُحَسَّدُ

[طلق امرأته لعلها إياه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَقَفَكَ اللهُ لِحَظِّكَ ! أَنْهَيْتَ مالَكَ وبَذَرْتَهُ وأَعْطَيْتَهُ هَيَّانَ بنَ بَيَّانَ⁴ ، وَمَنْ لا تَدْرِي مَنْ أَيُّ هَافِيَةٍ⁵ هو ! قال : فغَضِبَ فطَلَّقَها ، وكان لها حَبًّا وبها مُعْجَبًا .

1 نهنت غربها : كفكت حداثتها وزجرتها .

2 يتمرد : يتجاوز الحد .

3 اللها : العطايا مفردا هوة .

4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .

5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فَعَنَّهُ فِيهَا ابْنُ عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةٌ بِنُ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ ، وَقَالَ لَهُ : نَصَحْتُكَ فَكَافَأَتْهَا بِالطَّلَاقِ ! فَوَاللَّهِ مَا وَفَّقْتَ لِرُشْدِكَ ، وَلَا نِلْتَ حَظَّكَ ، وَلَقَدْ خَابَ سَعْيُكَ بَعْدَهَا عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . فَهَلَّا مَضَيْتَ لِطَيْبَتِكَ ، وَجَرَيْتَ عَلَى مَيْدَانِكَ ، وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالطَّيْشِ لَمْ تُخَلِّقْ لِلْمَشُورَةِ وَلَا مِثْلَ رَأْيِهَا يُقْتَدَى بِهِ . فَقَالَ ابْنُ الْحَشْرِجِ لِحَنْظَلَةَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحْظَلْ دَغْ عَنْكَ الَّذِي نَالَ مَالَهُ
فَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَائِسٍ قَدْ جَبَّرْتُهُ
وَمِنْ مُتَرَفٍ عَنِ مَنَهِجِ الْحَقِّ جَائِرٍ
وَزَارَ عَلَيَّ الْجُودَ وَالْجُودُ شِمْتِي
فَعِمْلُكَ قَدْ عَاصَيْتُ دَهْرًا وَلَمْ أَكُنْ
أَبَى لِيَّ جَدِّي الْبُخْلَ مَذْكَتُ يَافِعًا
وَيَسْتَعْنِ عَنْهُ النَّاسُ ، فَارْكَبْ مَحَجَّةَ الْ
فَانِّي أَمْرًا لَا أَصْحَبُ الدَّهْرَ بَاخِلًا
وَمُسْتَحْمَقٍ غَاوٍ أَتَتْهُ نَذِيرَتِي
نَفَحْتُ بَيْتِي يَمْلَأُ الْفَمَ شَارِدٍ
فَكَفَّ ، وَلَوْ لَمْ أَرْمِهِ شَاعَ قَوْلُهُ ،
وَلَيْلِي دَجُوجِي سَرَيْتُ ظِلَامَهُ
إِلَى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَاجِدٍ
يَجُودُ إِذَا ضَنْتُ قَرِيشُ بَرَفْدَهَا
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ
وَقَوْرٌ إِذَا هَاجَتْ بِهِ الْحَرْبُ مَرْجَمٌ

لِيَحْمَدَهُ الْأَقْوَامُ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ
وَمِنْ عَائِلٍ أَغْنَيْتُ بَعْدَ التَّعْيِلِ
عَلَوْتُ بِعَضْبٍ ذِي غِرَارَيْنِ مِقْصَلٍ¹
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَكُنْ غَيْرَ مُفْضِلٍ
لَأَسْمَعَ أَقْوَالَ اللَّيْمِ الْمُبْخَلِ
صَغِيرًا وَمَنْ يَبْخُلُ يَلْمُ وَيُضَلَّلُ
كِرَامٍ وَدَغٍ مَا أَنْتَ عَنْهُ بِمَعُولٍ
لَقِيمًا وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّ مُعَدِّلٍ
فَلَجَّ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلِي²
لَهُ حَبْرٌ كَأَنَّهُ حَبْرُ مِغْوَلٍ³
وَصَارَ كَدِرْيَاقٍ الدُّعَافِ الْمُثْمَلِ⁴
بَنَاجِيَةٍ كَالْبُرْجِ وَجَنَاءٍ عَيْهَلٍ⁵
كَرِيمٍ الْمُحْيَا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلٍ
وَيَسْبِقُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَفَضُّلٍ
مَرَاهَا بِمَسْنُونِ الْغِرَارَيْنِ مِنْجَلٍ⁶
صَبُورٌ عَلَيْهَا غَيْرُ نِكْسٍ مُهْلَلٍ⁷

1 السيف المقصل : القطاع .

2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .

3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .

4 المثل : السم الناقع .

5 البرج : الحصن . الناجية : النافعة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .

6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .

7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أقامَ لأهل الأرضِ دينَ محمدٍ وقد أدبرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلٍ
فما زالَ حتَّى قَوْمَ الدِّينِ سَيْفُهُ وعَزَّ بِحَزْمٍ كُلِّ قَرْمٍ مُحَجَّلٍ
وغادرَ أهلَ الشُّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمْ قَبِيلٌ وناجٍ فوقَ أَجْرَدَ هَيْكَلٍ
نَجَا من رماحِ القومِ قُدْماً وقد بَدَا تَباشِيرُهُ في العارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المذح محمد بن مروان لما قتل مُصْعَب بن الزُّبَيْر بِذِي الْجَائِلِيْق¹ .
وكان محمد بن مروان يقوم بأمره ، ويؤكِّيه الأعمال ، ويشفع له إلى أخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أخبرني محمد بن خلفٍ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الهيثم قال حَدَّثَنَا العُمَرِيُّ عن عطاء بن مُصْعَب
عن عاصم بن الحَدَّثَان قال : قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إتهاب ماله وتبذيره
إِيَّاه ، وقال له فيما يقول : امرأتك كانت أعلم بك ، نصحتك فكافأتها بالطلاق . فقال له : يا
ابن عمٍّ ، إن المرأة لم تخلقْ للمشورة ، وإنما خلقتْ وثاراً للباءة² . ووالله إن الرشد واليمنَ لفي
خِلاف المرأة . يا ابن عمٍّ ، إِيَّاكَ واستماعَ كلامِ النساء والأخذَ به ؛ فإنك إن أخذتَ به
نَدِمْتَ . فقال له ابن عمِّه : والله لَيُوشِكَنَّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تقديرَ عليه ولا
يُخْلِفُهُ عليك هَنٌ وهَنٌ³ . فقال ابن الحَشْرَج :

[من الطويل]

وعاذِلِي هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلُومُنِي وتَعَذَّلْنِي فيما أُفِيدُ وأُتْلَفُ
تَلُومُهَا حتَّى إذا هِيَ أَكْثَرُ أَتَيْتُ الَّذِي كَانَتْ لَدَيَّ تَوَكَّفُ⁴
وقلتُ عليكِ الفَجَّ أَكْثَرُ في النَّدَى ومِثْلِي تَحَامَاهُ الأَلَدُ المُغْطَرُ⁵
أَبِي لِي ما قد سَمِيتَنِي غيرُ واحدٍ أَبٌ وَجُدودٌ مَجْدُهَا ليس يُوصَفُ
كَهولٌ وشَبَّانٌ مَضُوا لِسَبِيلِهِمْ إذا ذُكِرُوا فالعينُ مِنِّي تَذْرِفُ
هُمُ الغَيْثُ إن ضَنْتُ سماءَ بَقَطْرِهَا وعندهمُ يرجو الحيا مُتَلَهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عَرِّهَا تَظَلُّ بأنواعِ النِّيَّةِ تَصْرِفُ⁶

1 دبر الجائليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السواد وأرض تكريت .

2 الوثار : الفراش الوطيء .

3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .

4 تلومتها : أمهلتها . توكف : توقع .

5 المغطرف : المتكبر المختال .

6 العر : الشر والأذى . تصرف : تصوت .

حَمَوَهَا وَقَامُوا بِالسُّيُوفِ لِحَمِيهَا
فَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا طِمَاحاً تَنَمَّرُوا
فَذَلَّتْ وَأَعْطَتْ بِالْقِيَادِ وَأَذَعَتْ
وَكُنْتُ طَمُوحَ الرَّأْسِ يَصْرِفُ نَابُهَا
[فَلَمَّا امْتَرَيْنَا بِالسُّيُوفِ خُلُوفَهَا
فَذَرْتُ طِبَاقاً وَارَعُونَ بَعْدَ جَهْلِهَا

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زُوي النهدي فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود :

[من الطويل]

بِيَذْلِي وَجُودِي جُرْتُ عَنْ مَنْهَجِ الْقَصْدِ
سَابِئُلُ مَالِي فِي الرِّخَاءِ وَفِي الْجَهْدِ
وَلَا شَيْءَ خَيْرٍ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْحَمْدِ
أَصِيرُ جَارِي بَيْنَ أَحْشَائِي وَالْكِدِ
عَلَيَّ وَآتِي مَا أَتَيْتُ عَلَى عَمْدِ
وَصِيرَنِي دَهْرِي إِلَى مَائِقٍ وَغَدٍ⁴
وَيَعْدُو عَلَى الْجِيرَانِ كَالْأَسَدِ الْوَرْدِ
وَيَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى مَنْهَجِ الرُّشْدِ
لَهُ : النَّهَجُ فَارَكَبُ يَا عَسِيفَ بَنِي نَهْدٍ⁵

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أخبرني هاشم بن محمد الخُرَاعِي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن عائشة قال : وقد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور⁶ أمير عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروى فيه .

2 قفقف : ارتعد .

3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رمة وهي قطعة يشد بها الأسير ويقلد بها البعير .

4 المائق : الأحمق .

5 العَسِيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فَأَمْرُ بَانِزَالِهِ وَالطَّفَهَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ زِيَادٌ فَأَنَشَدَهُ : [من الكامل]

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ¹
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمُنَابِرَ بِالتُّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِعاً لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ

قال : فَأَمْرُ لَهُ بَعَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ .

وقد قيل : إِنَّ الْأَيَّاتَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِيهَا الْغِنَاءُ وَنَسَبْتُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرِجِ لَغَيْرِهِ . وَالْقَوْلُ الْأَصَحُّ هُوَ الْأَوَّلُ . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبِزْزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَاسِلٍ الطَّائِيَّ يُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : لِعُمِّي عَتْرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ ؟ قَالَ : وَكَانَ جَدِّي أَخْرَسَ ، فَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ كُلُّهُمْ شَاعِرٌ أَوْ خَطِيبٌ . وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ أَكَاذِيبِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، أَوْ حَكَاهُ عَنْ رَجُلٍ ادَّعَى فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُ .

صوت

[من الطويل]

أَصَاحَ أَلَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَجْدٍ وَرِيحِ الْخُرَامَى غَضَّةً مِنْ ثَرَى جَعْدٍ
وَهَلْ لِّلْيَالِينَا بِذِي الرُّمَثِ مَرْجِعٌ فَتَشْفِي جَوَى الْأَحْزَانِ مِنْ لَاعِجِ الْوَجْدِ²
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لِلطَّرِمَّاحِ بْنِ حَكِيمٍ . وَالْغِنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّيِّ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
بِالْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِهِ .

1 شَنَجَتْ يَدَهُ : تَقَبَّضَتْ ، كِتَابَةٌ عَنِ الْبَخْلِ .

2 ذُو الرَّمْثِ : وَادٍ لِبَنِي أَسَدٍ .

[199] - أخبار الطرمّاح ونسبه¹

[نسبه]

هو الطرمّاح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدَر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرّول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء . ويُكنى أبا نفر ، وأبا ضيّنة . والطرمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنه [كان] يُلقَّب الطّراح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطرمّاح بن حكيم يُلقَّب الطّراح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا ارتحِ بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأرواح²
بلى إنَّ للعنين في الصُّبحِ راحةً بطرحيهما طَرَفَيْهِمَا كلَّ مطرَح³

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقیلٌ أولٌ بالوسطى من كتابه .

والطرمّاح من فحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَنْ وَرَدَهَا من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّرة الأزارقة . [كيف دخل في مذهب الشُّرة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شُبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قدّم الطرمّاح بن حكيم الكوفة ، فنزل في تيم اللات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّرة له سَمْتُ وهيمة ، وكان الطرمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطرمّاح والكُميت يصيرانِ إليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، فأراه بعدُ في أشعارهما . [غريب شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألتُ ابنَ الأعرابيِّ

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276-278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7-12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402-403 .

2 ألا ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبح في الديوان 96 : بيم ، ويم : مدينة بكرمان .

3 بلى إن في الديوان 96 : على أن .

عن ثمانين عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صدقة الطرمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة ، قالا : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرمّاح ، لا يكادان يفترقان في حال من أحوالهما . فقليل للكميت : لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شاميّ قحطانيّ شاريّ ، وأنت كوفيّ يزاريّ شيعيّ ، فكيف اتّفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال : اتّفقتما على بغض العامة .

قال : وأنشد الكميت قول الطرمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطرمّاحِ أخلقتُ عرى المجدِ واسترختي عِنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعِنانُ الخطابةِ والروايةِ والفصاحةِ والشجاعةِ . وقال عمر بن شبة : «والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسختُ من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة ، رحمه الله تعالى ، بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقد الطرمّاح بن حكيم والكميت بن زيد عليّ مَخْلَدُ بن يزيد المهلبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدّم الطرمّاح ليُنشِدَ ؛ فقال له : أنشدنا قائماً . فقال : كلاً والله ، ما قدّر الشعرُ أن أقوم له فيحطّ مني بقيامي وأخطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمّاثر العرب . قيل له : فتَنَحَّ . ودُعِيَ بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكميت شاطرهما الطرمّاح ، وقال له : أنت أبا ضَبَّيْنة أبعدُ هِمّةً وأنا ألطفُ حيلةً . وكان الطرمّاح يُكنى أبا نَفَرٍ وأبا ضَبَّيْنة .

[هو والكميت وذو الرمة في مسجد الكوفة]

ونسختُ من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن عَلاق قال أخبرني شيخٌ لنا أنَّ خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرمّاح والكميت وهما جالسان بقُرب باب¹ الفيل ، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً² له ، حتى إذا توسّط المسجد خرّ ساجداً ، ثم رمى بيصره فرأى الكميت والطرمّاح فقصدتهما .

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .

2 الأهدام : جمع هدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَنْ هذا الحائن¹ الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعَجِبْتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغير وقت صلاة . فقصدته ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفت إلى الكُميت فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المُستهلّ ؟ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبت هذه النفسُ إلّا أدّكاراً

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنت والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عَقْدِها . ثم التفت إلى الطرمّاح فقال : أسمعني شيئاً يا أبا ضَبِينَة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

أساءك تقويضُ الخليطِ المبينِ نعم والنوى قَطَاعَةٌ للقرائن²

فقال : لله دَرُّ هذا الكلام ! ما أحسنَ إجابته لِرَوَيْتِكَ ! إِنْ كِدْتُ لأُطِيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابي : والله لقد قلتُ بعدك ثلثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أُطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكِدْتُ أدّعي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استقرّني به الجدَلُ حتّى أتيتُ عليه . قالوا : فهات ؛ فأنشدهم [قوله] :

أَنْ تَوْهَمْتَ مِنْ خَرَقَاءِ مَنْزَلَةٍ ماء الصَّبَابَةِ من عينيك مسجون³

حتى إذا بلغ قوله :

تَنْجُو إِذَا جَعَلْتَ تَدْمَى أُخِشْتُهَا وَابْتَلَّ بِالزُّبْدِ الْجَعْدِ الْخَرَاتِيمُ⁴

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنة ، فما ظفّرتُ به إلّا آتِفاً ، وأُحْسِيكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

ما بالُ عينك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها :

إِذَا اللَّيْلُ عَنْ نَشْرِ تَجَلَّى رَمَيْنُهُ بِأَمْثَالِ أَبْصَارِ النِّسَاءِ الْفَوَارِكِ

قال : فضرب الكُميت بيده على صدر الطرمّاح ، ثم قال : هذه والله الدِّياجُ لا نَسْجِي ونسجك الكرايس⁵ . فقال الطرمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته . فغضب ذو الرُّمة

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجون : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأخشّة : جمه خيشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الشخين الغليظ .

5 الكرايس : جمع كرباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طرِمَاح ! أَأَنْتَ تُحَسِّنُ أَنْ تَقُولَ : [من الطويل]

وَكَأَنَّ تَخَطُّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ إِلَيْكَ وَمِنْ أَحْوَاضِ مَاءٍ مُسَدَّمٍ¹
بَأَعْقَارِهِ الْقِرْدَانُ هَزَلَى كَأَنَّهَا نَوَادِرُ صَيْصَاءِ الْمُهَيْدِ الْمُحَطَّمِ²

فَأَصْغَى الطَّرِمَاحُ إِلَى الْكَمِيْتِ وَقَالَ لَهُ : فَانْظُرْ مَا أَخَذَ مِنْ ثَوَابِ هَذَا الشَّعْرِ ؛ قَالَ : وَهَذِهِ قَصِيْدَةٌ مَدَحَ بِهَا ذُو الرُّمَّةَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَمْدَحْهُ فِيهَا وَلَا ذَكَرَهُ إِلَّا بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَسَائِرُهَا فِي نَاقَتِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِهَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا . فَقَالَ لَهُ : مَا مَدَحْتَ بِهِذِهِ الْقَصِيْدَةَ إِلَّا نَاقَتَكَ ، فَخَذَ مِنْهَا الثَّوَابَ . وَكَانَ ذُو الرُّمَّةَ غَيْرَ مُحْظُوظٍ مِنَ الْمَدِيحِ ، قَالَ : فَلَمْ يَفْهَمْ ذُو الرُّمَّةَ قَوْلَ الطَّرِمَاحِ لِلْكَمِيْتِ . فَقَالَ لَهُ الْكَمِيْتُ : إِنَّهُ ذُو الرُّمَّةَ وَلَهُ فَضْلُهُ ، فَأَعْتَبَهُ³ . فَقَالَ لَهُ الطَّرِمَاحُ : مَعْذَرَةٌ إِلَيْكَ ؛ إِنَّ عِيْنَ الشَّعْرِ لَفِي كَفِّكَ ، فَارْجِعْ مُعْتَبًا ، وَأَقُولُ فِيكَ كَمَا قَالَ أَبُو الْمُسْتَهْلِ .

[مَرَّ الطَّرِمَاحُ بِمَسْجِدِ الْبَصْرَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ رَجُلٌ فَأَنْشَدَ هُوَ شِعْرًا]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُثَيْلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ قَالَ : مَرَّ الطَّرِمَاحُ بِحَكِيمٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ وَهُوَ يَخْطُرُ فِي مَشْيِهِ . فَقَالَ رَجُلٌ : مَنْ هَذَا الْخَطَّارُ ؟ فَسَمِعَهُ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ : [من الطويل]

صوت

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْتَنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ⁴
وَأَنْتَنِي شَقِيٌّ بِاللُّئَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطْعَ اللَّحْظِ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الصُّبْحِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَائِلٍ⁵

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِأَبِي الْعَنْبَسِ بْنِ حَمْدُونَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ .

[قَصَّتْهُ مَعَ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ بِمَدَحٍ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمِّعٍ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ

- 1 الماء المسدَّم : المتغير لطول العهد .
- 2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه .
- 3 أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .
- 4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
- 5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمَرَةَ الكِنْدِيّ قال : مدَح الطَّرِمَّاح خالد بن عبد الله القسريّ ، فأقبلَ على العُريان¹ بن الهيثم فقال : إنيّ قد مدحتُ الأميرَ فأحبّ أن تُدخِلَنِي عليه . قال : فدخَلَ إليه فقال له : إنّ الطَّرِمَّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجة . فقال العُريان للطَّرِمَّاح : تراءَ له . فخرج معه ، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعدَ المُسَنَّةَ² إذا شيءٌ قد ارتفع له ، فقال : يا عُريان انظرْ ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلحَ الله الأمير ، هذا شيءٌ بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجِسْتان ؛ فإذا حُمُرٌ وبغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : يا عريان ، أين طِرِمَّاحُك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أعطِه كلَّ ما قُدمَ به . فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنشِده . قال هشام : والطَّرِمَّاح : الطويل .

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم قال حدَّثني الحَجَّاجِيّ قال : بلغني أنّ الطَّرِمَّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبَس ، فأنشد العَبْسِيّ قولَ كُثَيِّرٍ في عبد الملك رحمه الله :

فَكَنتَ الْمُعَلَّى إِذ أُجِيلَتْ قِداحُهُمْ وَجَالِ الْمَنِيعُ وَسَطَهَا يَتَقَلَّلُ³
فقال الطَّرِمَّاح : أما إنّه ما أراد به أنّه أعلاهم كعباً ، ولكنّه موّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخلفاء الذين كان كثيرٌ لا يقول بإمامتهم ؛ لأنّه أخرج عليّاً عليه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعَلَّى السابع من القِداح ؛ فلذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو لِ اللَّهِ كُلُّهُمْ تَابِعَا
شَهِيدَانِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ وَكَانَ ابْنُ حَرْبٍ لَهُمْ رَابِعَا
وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسَا مُطِيعَا لَمَنْ قَبْلَهُ سَامِعَا
وَمَرْوَانُ سَادِسُ مَنْ قَدْ مَضَى وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعَا

قال : فعَجِنَا من تنبّه الطَّرِمَّاح لمعنى قولِ كُثَيِّرٍ ، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً .

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ بيتين له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسَّان دَمَاز قال : كان أبو عبيدة والأصمعيّ

- 1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسريّ أميراً على العراق .
- 2 المسناة : الأحباس تبنى في وجه السَّيْل .
- 3 المعل من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر ، وهي عشرة . والمنيع : قدح منها لا نصيب له .

يفضِّلَان الطَّرِمَاحَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَيَزْعُمَانِ أَنَّهُ فِيهِمَا أَشْعَرُ الْخَلْقِ : [من الكامل]
 مُجْتَابُ حُلَّةٍ بُرْجَدٍ لِسِرَاتِهِ قَدَدَا وَأَخْلَفَ مَا سَوَاهِ الْبُرْجُدُ¹
 يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ
 [أثنى أبو نواس على بيت له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا دَمَازُ قَالَ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ : أَشْعَرُ بَيْتٍ قِيلَ بَيْتُ
 الطَّرِمَاحِ : [من الطويل]
 إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ
 [مناقضة بينه وبين حميد الشكري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فَضَّلَ الطَّرِمَاحُ بَنِي شَمْخٍ²
 فِي شِعْرِهِ عَلَى بَنِي يَشْكُرَ ؛ فَقَالَ حُمَيْدُ الْيَشْكِرِيِّ : [من الوافر]
 أَتَجْعَلُنَا إِلَى شَمْخِ بْنِ جَرْمٍ وَنَبْهَانٍ فَأَفْ لَذَا زَمَانَا
 وَيَوْمَ الطَّالِقَانِ حَمَاكَ قَوْمِي وَلَمْ تَخْضِبْ بِهَا طِيَّ سِنَانَا³
 فقال الطَّرِمَاحُ يُجِيبُهُ : [من الوافر]

لَقَدْ عَلِمَ الْمَعْذُلُ يَوْمَ يَدْعُو بِرِمَّةٍ يَوْمَ رِمَّةٍ إِذْ دَعَانَا⁴
 فَوَارِسُ طِيٍّ مَنَعُوهُ لَمَّا بَكَى جَزَعًا وَلَوْلَاهُمْ لَحَانَا⁵
 فقال رجلٌ من بني يَشْكُرَ : [من البسيط]

لَأَقْضِيَنَّ قَضَاءَ غَيْرِ ذِي جَنْفٍ بِالْحَقِّ بَيْنَ حُمَيْدٍ وَطَّرِمَاحٍ
 جَرَى الطَّرِمَاحُ حَتَّى دَقَّ مِسْحَلُهُ وَغَوِذَرَ الْعَبْدُ مَقْرُونًا بَوْضَاحٍ⁶
 يَعْنِي رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانَ يُهَاجِي الْيَشْكِرِيَّ .

[شعر له في الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَلَفٌ : كَانَ

- 1 مجتاب حلة : لابسها . والسراة : الظهر . والبرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطط ضخم .
 والتدد جمع قدة وهي القطعة من الشيء .
- 2 شمش ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .
- 3 الطالقان : اسم بلدين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .
- 4 رمة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .
- 5 حان : هلك .
- 6 المسحل : اللجام .

الطَّرْمَاح يَرى رَأْيَ الشُّرَاة ، ثمَّ أنشد له : [من المنسرح]

للهِ دُرُّ الشُّرَاةِ إنَّهُمُ إذا الكَرى مالَ بالطلّى أَرِقُوا¹
يُرْجَعُونَ الحَزِينَ آوِنَةً وإنَّ عَلا سَاعَةً بِهِمْ شَهَقُوا
خَوْفًا تَبِيتُ القُلُوبُ واجِفَةً تكاد عنها الصدورُ تَنفَلِقُ
كيف أَرَجِّي الحَيَاةَ بَعْدَهُمُ وقد مضى مُؤَنَسِي فَانطَلَقُوا
قَوْمٌ شِجَاحٌ على اعتقادِهِمُ بالفَوْزِ مِمَّا يُخَافُ قَدَ وَتَقُوا

[أنشد خالدًا القسريَّ شعرًا في الشكوى فأجازه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوْزِيَّ عن أبي عبيدة عن
يونس قال : دخل الطَّرْمَاح على عبد الله القَسْرِيِّ فأنشده قوله : [من الطويل]

وشِيبَتِي ما لا أزالُ مُناهِضًا بغيرِ غِنَى أَسْمُو به وأَبُوعُ²
وأنَّ رجالَ المالِ أَضْحَوْا ومالَهُمُ لهم عند أبوابِ الملوكِ شَفِيعُ
أُمُخْتَرَمِي رَبِّبُ المُنُونِ وَلَمْ أَنَلْ منَ المالِ ما أَعْصِي به وأُطِيعُ
فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال : امضِ الآنَ فاعصِر بها وأطِيع .

[قال المفضل : كأنه يوحى إليه ، في الهجاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ بن
محمد الكوفيّ قال قال المُفَضَّلُ : إذا رَكِبَ الطَّرْمَاح الهِجَاءَ فَكَأَنَّمَا يُوحى إليه ، ثمَّ أنشد له
قوله : [من البسيط]

لو حانَ وَرْدُ تَمِيمٍ ثم قيل لها حوضُ الرِّسُولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أو أنزلَ اللهَ وحيًا أنْ يُعَذِّبَهَا إن لم تَعُدْ لِقِتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
لا عَزَّ نَصْرُ امرئٍ أَضْحَى له فرسٌ على تَمِيمٍ يُريدُ النَّصْرَ من أَحَدِ
لو كانَ يَخْفَى على الرحمنِ خافيةٌ من خَلْقِهِ خَفِيتَ عنه بنو أَسَدِ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعههم إلا نعه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمَرُ بن شُبَّة قال حَدَّثَنِي المَدائِنِيُّ قال حَدَّثَنِي ابنُ
دأبٍ عن ابنِ شُبْرَمَةَ ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أَخْبَرَنِي أبي قال حَدَّثَنِي

1 الطلى : الأعناق ، واحد طَلْيَةٍ .

2 في الديوان 314 : «أن لا أزال» . أبوع : يوع : يمد باعه .

الحسن بن عبد الرحمن الرُّبَيعي قال حَدَّثَنِي محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن سَوار الضُّبِّي قال حَدَّثَنِي محمد بن زياد القُرشي عن ابن شُبْرَمَةَ قال : كان الطَّرِمَاح لنا جليساً فَقَقَدْنَاهُ أَيَّاماً كثيرة ، فَقُمْنَا بِأَجْمَعِنَا لِنَنْظُرَ مَا فَعَلَ وما دَهاه . فَلَمَّا كُنَّا قَرِيباً مِنْ مَنْزِلِهِ إِذَا نَحْنُ بِنَعَشٍ عَلَيْهِ مُطَرَفٌ أَخْضَرٌ ، فَقُلْنَا : لِمَنْ هَذَا النَعَش ؟ فَقِيلَ : هَذَا نَعَشُ الطَّرِمَاح . فَقُلْنَا : وَاللَّهِ مَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ حَيْثُ يَقُول :

[من الطويل]

وَأَنِّي لَمُقْتَادٌ جَوَادِي وَقَاذِفٌ	به وَبَنَفْسِي الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَاذِفِ
لَأَكْسِبَ مَالاً أَوْ أَوُولَ إِلَى غَنَى	مَنْ اللَّهُ يَكْفِينِي عِدَاتِ الْخَلَائِفِ
فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ	عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بِخَضِرِ الْمَطَارِفِ ¹
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلُهُ	بِجَوِّ السَّمَاءِ فِي نُسُورٍ عَوَاكِفِ ²
وَأَمْسِي شَهِيداً ثَاوِيّاً فِي عِصَابَةِ	يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ ³
فَوَارِسُ مَنْ شَيْئَانِ أَلْفَ بَيْنَهُمْ	تَقَى اللَّهُ نَزَالُونَ عِنْدَ التَّرَاخِفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى	وَصَارُوا إِلَى مِيعَادِ مَا فِي الْمَصَاحِفِ ⁴

صوت

[من البسيط]

هل بالدَّيَّارِ التي بالقاع مِنْ أَحَدٍ باقٍ فَيَسْمَعُ صَوْتَ الْمَذْلُجِ السَّارِي
تلك المنازلُ مِنْ صَفَرَاءَ لَيْسَ بِهَا حَيٌّ يُجِيبُ وَلَا أَصَوَاتُ سُمَارٍ

الشعر لِيَبْهَسَ الْجَرْمِي . والغناء لابن محرز ثاني ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَر ، عَنْ عَمْرٍو وَقَالَ : ذَكَرَ ذَلِكَ يَحْيَى الْمَكِّي ، وَأَظَنَّهُ مِنَ الْمَنْحُول . وفيه لَطِيَابُ بَنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ لَحْنِ ابْنِ صَاحِبِ الْوَضُوءِ :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزُ بِكَ ضَعْفُهُ

1 شرح : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدكن .

2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .

3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أجن يومى شهيداً وعصبته» .

4 في الديوان 334 : موعود .

[200] - أخبار يهس ونسبه

[نسبه]

هو يهس بن صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبَيْد بن عُلْقَمَة بن سَعْد بن كَثِير بن غَالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طُرُود بن قُدَامَة بن جَرْم بن رَبَّان بن حُلُوان بن عِمْران بن إلخاف بن قُضَاعَة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأموية . وكان يدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكَلْب وعُدْرَة ، ويحضر إذا حضرُوا فيكون بأجناد الشام .

[أثم يقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيباني : لما هدأت الفتنة بعد وقعة مرج [راهط] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جَرْم وعُدْرَة وكَلْب ، وكانوا متجاوزين على ماء هناك لهم . فيقال : إن بعض أحداثهم نخس به ناقته فألقته ، فاندقت عنقه فمات . واستعدى قومه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهرَّب يهس بن صُهَيْب الجرَمي ، وكان قد أتهم بأنه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجار به ، فأجاره إلا من حدٍّ توجبه عليه شهادة ، فَرَضِي بذلك .

صوت

[من الطويل]

فَأَنسِي إِلَى أَصَوَاتِكُنَّ حَرِينُ	أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُدْنَ عَوْدَةً
وَكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أَيْنُ	فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدَنْ يُمَتِّنِي
شَرِينٌ حُمَيَّا أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ	دَعَوْنَ بِأَصَوَاتِ الْهَدِيدِ كَأَنَّمَا
بَكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ شَوْوُنُ	فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا

الشعر لأعرابي ، هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسَخْرٍ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي . وقد قيل : إن الشعر لابن الدُمَيْنَة .

[201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بسخر ، ويكنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، موالى المنصور . وأحسبه ولاء خذمة لا ولاء عتق . وأصلهم من الرّي . وكان محمد يزعم أنّه من ولد بهرام جوين¹ . ووُلد محمد بالحيرة . وكان يُغني مُرتجلاً ، إلّا أنّ أصل ما غنى عليه المعزفة ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي معزفة محمد بن الحارث . فحلف يومئذ بالطلاق والعِتاق إلّا يُغني بمعزفة أبداً أنفةً من أن تشبه آلة يُغني بها بمصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداءً وأسرعهُ أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بسخر جوار مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يَطْرَحْنَ على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنى مُخارق بين يديه صوتاً فالتأت² غناؤه فيه وجاء به مُضطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤه في غنائه ، فمرّه بملازمة جوّاري الحارث بن بسخر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : سمعتُ إسحاق³ بن إبراهيم بن مُصعب يقول للوائق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : ما قدّر أحدٌ قطُّ أن يأخذ منّي صوتاً مستويّاً إلّا محمد بن الحارث بن بسخر ؛ فإنّه أخذ منّي عدّة أصوات كما أغنيها . ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيء أخذت من صنعته أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعم أنّه لم يأخذ منه أحدٌ قطّ هذا الصوت كما أخذته منه :

[من الطويل]

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التأت هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

صوت

إذا المرء قاسى الدهرَ وَابيضَ رأسه وثُلِمَ تَلْيِمَ الإناءِ جَوَانِبُهُ
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى على العيشِ أو رَجَى الذي هو كاذِبُهُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواصل بأن يُغنيهِ ، فغناه [إياه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواصل وأمره بأن يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواصل وأخذه جَوَارِيهِ والمُغَنُّونَ . قال جحظة قال الهشاميّ فحدثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال : ما خلَقَ الله تعالى أحداً يُغني هذا الصوت كما يُغنيهِ هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنيهِ ، فاستمعه من محمد ثم احْكُم . فلَقَيْتَنِي بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلتُ ، قد سمعته من محمد فسمعتُ منه الإحسان كله .

[ردد صوتاً لجارية كان يحبها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال : كنتُ يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بسخر مُسَلِّماً وعائداً من عليّة كنتُ وجدتُها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حضّر فأكلنا وشربنا ، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أمن ذِكْرِ خَوْذِ عَيْنِكَ اليومَ تَدْمَعُ وقلبك مشغولٌ بخَوْذِكَ مُوَلَعُ
وقائلتي لي يومَ ولّيتُ مُعْرِصاً أهذا فراقُ الحبِّ أم كيف تصنعُ
فقلتُ كذاك الدهرُ يا خَوْذُ فاعلمي يُفرِّقُ بين الناسِ طرّاً ويجمعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لَفْلِيحٌ ثاني ثقيل ، ولاسحاق خفيف رمل . قال علي بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغناه أشجى غناءً : إن لك في هذا الصوت معنى ، وقد كرّرتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جارية من القيّان كنتُ أُحبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلم لا تُواصلها ؟ فقال : [من السريع]

لو لم أنكها دام لي حبُّها لكِنِّي نكتُ فلا نكتُ

فأجبتُه فقلت :

أكثرَ من نيكها والنَّيْكَ مَقْطَعَةٌ فارُقْ بَيْنِكَ إنَّ الرُّفْقَ محمودُ

[أخذ جوازي الواصل منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواصل لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرُبُ¹ وَتَسْنَحُ²
 مِنَ الْمُؤَلِّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةً شَعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ²

والشعر لذي الرُّمة . ولحن إسحاق فيه ثقیلٌ أَوَّلُ ، فأمره الوائق أن يُعيدَه على الجوّاري ، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه . فقال : لا يستطيع الجوّاري أن يأخذَه مِنِّي ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذَه مِنِّي وتأخذَه الجوّاري منه ؛ [فأحضِر وألقاه عليه ، فأخذَه منه ، وأخذَه الجوّاري منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسوسة الموصلی قال حدثني حماد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بُسْنَخَر : أخذت جاريةً للوائق مِنِّي صوتاً أخذته من أيبك ، وهو :

صوت

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاکْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشْيِبٍ قِنَاعَا
 وَتَوَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى الْقَلِيلُ إِلَّا وَدَاعَا

الشعر والغناء لإسحاق ثقیلٌ أَوَّلُ . قال : فسَمِعَه اللوائق منها ، فاستحسنه وقال لعلوَيه ومُخَارِق : أتعرفانه ؟ فقال مخارق : أظنه لمحمد بن الحارث . فقال علوَيه : هيهات ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمد ، هو يُشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له اللوائق : ما أبعدت . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصة ؛ فقلت : صدق علوَيه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذته .

[غَنَت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءني محمد بن الحارث بن بُسْنَخَر يوماً فقال لي : قُمْ حَتَّى أَطْفُلَ بِكَ عَلَى صَدِيقِي لِي حُرٌّ ، وله جارية أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغناءً . فقلتُ له : أنت طُفْلِي وتُطْفِلُ بي ؟ هذه والله أخسُّ حال . فقال لي : دَعِ المَجُونِ وقم بنا ؛ فهو مكانٌ لا يستحي حُرٌّ أن يتطفّل عليه . فقمتُ معه ، فقصد بي دار رجل من فتيان أهل «سُرٍّ مَنْ رَأَى» كان لي صديقاً يُكْنَى أبا صالح ، وقد غُيِّرَت كنيته على سبيل اللقب فكُنِيَ أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المروءة ، [يضرب بالعود على مذهب الفُرس ضرباً حسناً] ، وله رِزْقٌ سَنِي فِي الْمَوَالِي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْدِ أخواته منزله . فلَمَّا طَرَقَ بابُه قلتُ له : فَرَجَّتْ عَنِّي ،

1 أم شادن : ظبية . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .

2 الأدم من الظباء : البيض تعلوهم جدد فيها غيرة .

[هذا صديقي] وأنا طفليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدّم إلينا طعامٌ عتيّدٌ طيبٌ نظيفٌ فأكلنا ، واحضرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتارةٍ ، فغنتْ غناءً حسناً شكلاً ظريفاً ، ثم غنّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه - وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيينة :

صوت

ضَيَعْتَ عَهْدَ قَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظٍ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَادِهِ فَبِحُسْنِ وَجْهِكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِكَ

فطرب محمد بن الحارث ونقّطها بدنانير مُسَيِّفة¹ كانت معه في خريطته ، ووجّه غلامه فجاءه ببرنيّةٍ غاليةٍ كبيرةٍ ، فغلّفها² منها ووهب لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طيبٌ ظريفٌ يكنى أبا هارون ، فطرب ونعّر ونعّر ، وقال لأخيه : أريد أن أقول لك شيئاً في السرّ . قال : قلّه علانيّةً . قال : لا يصلح . قال : والله ما بيني وبينك شيءٌ أبالي أن تقوله جهراً ، فقلّه . فقال : أشتهي عِلْمَ الله أن تسأل أبا الصّالحات أن يبيّنكني ، فعسى صوتي أن يفتّح ويطيّب غنائي . فضحك أبو الصّالحات وخجلت الجارية وغطّت وجهها وقالت : سخنتْ عينك ! فإن حديثك يشبه وجهك .

صوت

[من الطويل]

وَأَيُّ أَخٍ تَبْلُو فَتَحَمَدَ أَمْرَهُ إِذَا لَجَّ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزَلُ³
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْمَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
سَقَطَ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدِّلُ
إِذَا انصرفتْ نفسي عن الشّيءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقِيلُ
الشعر لمعن بن أوس المزنيّ . والغناء لعريب [خفيف] رمل بالوسطى .

1 دينار مسيّف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .

2 غلّفها : ضمخها وطيّها .

3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :

وَأَيُّ أَخَاكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَخُنْ إِنْ أَبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنَزَلُ

[202] - أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسحيم بن زياد بن أسعد بن أسحيم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عذاء بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ونُسبوا إلى مزينة وهي امرأة: مزينة بنت كلب بن وبرة، وأبوه عمرو بن أد بن طابخة.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعي عن المدائني قال: مزينة بنت كلب بن وبرة، تزوجها عمرو بن أد بن طابخة، فولدت له عثمان وأوساً، فغلبت أمهما على نسبهما. فعلى هذا القول عذاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة.

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومعن شاعرٌ مُجيدٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ﷺ ورحمهم، منهم عبد الله بن جحش، وعمرو بن أبي سلمة المخزومي. ووفد إلى عمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أولها:

تَأَوَّبَهُ طَيْفٌ بِذَاتِ الْجَرَاثِمِ فَنَامَ رَفِيقَاهُ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ¹

وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم.

[رأي معاوية في شعر مزينة]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجن الخزاعي عن أبيه قال: كان معاوية يُفَضِّلُ مزينة في الشعر، ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب، ومعن بن أوس.

[هو مثنى وله شعر في تفضيل البنات]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني العتبي قال: كان معن بن أوس مثنياً²، وكان يُحْسِنُ صُحْبَةَ بَنَاتِهِ وتريتهن؛ فولد لبعض عشيرته بنت

1 ذات الجراثيم: موضع.

2 رجل مثنى: الذي يلد الإناث، وكذلك المرأة.

فَكَرِهَهَا وَأَظْهَرَ جَزَعًا مِنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ مَعْنٌ :

[من الطويل]

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيهِنَّ ، لَا تُكْذَبُ ، نِسَاءُ صَوَالِحُ
وَفِيهِنَّ ، وَالْأَيَّامُ تَعْتُرُ بِالْفَتَى ، نَوَادِبُ لَا يَمْلِكُنَّهْ وَنَوَائِحُ

[مرَّبه عبيد الله بن العباس ، وقد كفَّ بصره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّمِيرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ (يعني الحسن بن عَلِيل) قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ مَنجُوفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ
الْمَطَّلِبِ بِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمُزَنِيِّ وَقَدْ كَفَّ بَصْرَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : ضَعْفُ
بَصَرِي وَكَثْرُ عِيَالِي وَغَلْبَنِي الدِّينُ . قَالَ : وَكَمْ دَيْنُكَ ؟ قَالَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ
ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنَ الْغَدِّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مَعْنُ ؟ فَقَالَ :

[من الطويل]

أَخَذْتُ بَعْضَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى وَرَدَّ فُلَانٌ حَاجَتِي وَفُلَانُ .

فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْأَمْسِ لُقْمَةً فَمَا لُكِّهَآ حَتَّى انْتَرَعْتَ مِنْ
يَدِكَ ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ ؟ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ أُخْرَى . فَقَالَ مَعْنٌ
يَمْدَحُهُ :

[من الطويل]

إِنَّكَ فَرْعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا تَمُجُّ النَّدَى مِنْهَا الْبُحُورُ الْفَوَارُغُ
ثَوْرًا قَادَةً لِلنَّاسِ بِطُحَاءِ مَكَّةَ لَهُمْ وَسِقَايَاتُ الْحَجِيجِ الدَّوَاغُ
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكُ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعَيُونُ الدَّوَامُغُ

[أعرابي زوجته حَضْرِيَّة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : كَانَ لِمَعْنِ بْنِ أَوْسٍ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا ثَوْرٌ وَكَانَ لَهَا مُجَبًّا ، وَكَانَتْ حَضْرِيَّةً
نَشَأَتْ بِالشَّامِ ، وَكَانَتْ فِي مَعْنٍ أَعْرَابِيَّةً وَلَوْثَةً ، فَكَانَتْ تَضْحَكُ مِنْ عَجْفَرِيَّتِهِ . فَسَافَرَ إِلَى الشَّامِ فِي
بَعْضِ أَعْوَامِهِ ، فَضَلَّتْ الرُّفْقَةَ عَنِ الطَّرِيقِ وَعَدَلُوا عَنِ الْمَاءِ ، فَطَوَرُوا مَنَزِلَهُمْ وَسَارُوا يَوْمَهُمْ
وَلَيْلَتَهُمْ ، فَسَقَطَ فَرَسُ مَعْنٍ فِي وَجَارٍ ضَبَّ دَخَلَتْ يَدُهُ فِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَرَسُ أَنْ يَقُومَ مِنْ شِدَّةِ
الْعَطَشِ حَتَّى حَمَلَهُ أَهْلُ الرُّفْقَةِ حَمَلًا فَأَنَهَضُوهُ ، وَجَعَلَ مَعْنٌ يَقُودُهُ وَيَقُولُ :

[من الرجز]

لَوْ شَهِدْتَنِي وَجَوَادِي نَوْرُ وَالرَّأْسُ فِيهِ مَيْلٌ وَمَوْرُ

لَضَحِكْتُ حَتَّى يَمِيلَ الْكَوْرُ¹

[قدومه على ابن الزبير بمكة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْكُرَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :
 قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ مَكَّةَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ فَأَنْزَلَهُ دَارَ الضَّيْفَانِ ، وَكَانَ يَنْزِلُهَا الْغُرَبَاءُ وَأَبْنَاءُ
 السَّبِيلِ وَالضَّيْفَانِ ، فَأَقَامَ يَوْمَهُ لَمْ يُطْعَمَ شَيْئاً ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَهُمُ ابْنُ الزَّبِيرِ بَتِيسٍ
 هَرِمٍ هَزِيلٍ فَقَالَ : كُلُّوْا مِنْ هَذَا ، وَهُمْ نَيْفٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ؛ فَغَضِبَ مَعْنٌ وَخَرَجَ مِنْ
 عِنْدِهِ ، فَأَتَى عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَقَرَأَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ، ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَحَدَّثَهُ
 حَدِيثَهُ ، فَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ رَحَلَ . فَقَالَ يَهْجُو ابْنَ الزَّبِيرِ وَيَمْدَحُ
 ابْنَ جَعْفَرٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ : [من الطويل]

ظَلَّلْنَا بِمُسْتَنَّ الرِّيحِ غُدِيَّةً	إِلَى أَنْ تَعَالَى الْيَوْمُ فِي شَرِّ مَحْضَرٍ ²
لَدَى ابْنِ الزَّبِيرِ حَابِسِينَ بِمَنْزِلٍ	مِنْ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَالرُّفْدِ مُقْفِرٍ ³
رَمَانَا أَبُو بَكْرٍ وَقَدْ طَالَ يَوْمُنَا	بَتِيسٍ مِنَ الشَّاءِ الْحِجَازِيِّ أَغْفَرٍ ⁴
وَقَالَ اطْعَمُوا مِنْهُ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ	وَسَبْعُونَ إِنْسَانًا فَيَالِ لَوْمْ مَخْبِرٍ
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَقْرِنَا فَأَمَامَنَا	جِفَانُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْعَلَا وَابْنُ جَعْفَرٍ
وَكُنْ آمِنًا وَانْعَقْ بِتَيْسِكَ إِنَّهُ	لَهُ أَعَزُّ يَنْزُو عَلَيْهَا وَأَبْشَرٍ ⁵

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الصَّيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْأَسَدِيُّ قَالَ : قَدِيمٌ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزْنِيُّ الْبَصْرِيُّ ، فَقَعَدَ يُنْشِدُ فِي الْمَرْبَدِ ، فَوَقَفَ
 عَلَيْهِ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ : يَا مَعْنُ مَنْ الَّذِي يَقُولُ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا مُزِينَةٌ رَهْطُ مَعْنٍ بِأَخْفَافٍ يَطَّانَ وَلَا سَبَامٍ

فَقَالَ مَعْنٌ : أَتَعْرِفُ يَا فَرَزْدَقُ الَّذِي يَقُولُ : [من الوافر]

1 الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلف به رأسها .

2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

3 حابسين : أي محبوسون هنا .

4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ مَا تَمِيمٌ أَهْلٌ فَلَجٍ بِأَرْدافِ الْمُلُوكِ وَلَا كِرَامٍ¹

فقال الفرزدق : حَسْبُكَ ؛ إِنَّمَا جَرَيْتُكَ . قال : قد جَرَيْتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ أَبُو دُلْفَ قال حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قال حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قال :
دَخَلْتُ خَضْرَاءَ رَوْحٍ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِهِ عَلَى فاحِشَةٍ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ! هَذَا
مَوْضِعٌ كَانَ أَبُوكَ يَضْرِبُ فِيهِ الْأَعْنَاقَ وَيُعْطِي اللَّهُمَّ وَأَنْتَ تَفْعَلُ [فيه] مَا أُرَى ! فَالْتَفَتَ إِلَيَّ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهَا وَقَالَ :

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا

إِذَا الْحَسَبُ الرَّفِيعُ تَوَاكَلَتْهُ بُنَاةُ السَّوِّ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا

قال : وَالشَّعْرُ لِمَعْنِ بْنِ أَوْسٍ الْمَرْزِيِّ .

[سافر إلى الشام وخلف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهر الْمُبَرَّدِ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَبُو عَصِيدَةَ عَنْ
الْحِرْمَازِيِّ قَالَ : سَافَرَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ إِلَى الشَّامِ وَخَلَّفَ ابْنَتَهُ لَيْلَى فِي جِوَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي
سَلَمَةَ ، وَأُمُّهُ أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، وَفِي جِوَارِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ عَشِيرَتِهِ : عَلَى مَنْ خَلَفْتَ ابْنَتَكَ لَيْلَى بِالْحِجَازِ
وَهِيَ صَبِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَكْفُلُهَا ؟ فَقَالَ مَعْنٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

لَعَمْرُكَ مَا لَيْلَى بِدَارٍ مَضِيعَةٍ وَمَا شَيْخُهَا أَنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفٍ

وَأَنَّ لَهَا جَارَيْنِ لَنْ يَغْدُرَا بِهَا رَيْبَ النَّبِيِّ وَابْنَ خَيْرِ الْخَلَائِفِ

[رأى عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قال حَدَّثَنِي
مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا وَعِنْدَهُ
عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ : لَيَقُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْسَنَ شَيْءٍ سَمِعَ بِهِ ؛ فَذَكَرُوا لَامِرِيَّ
الْقَيْسَ وَالْأَعَشَى وَطَرَفَةَ فَأَكْثَرُوا حَتَّى أَتَوْا عَلَى مَحَاسِنِ مَا قَالُوا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :
أَشْعَرُهُمُ وَاللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

1 فلج هنا : واد بين البصرة وحى ضربة من منازل عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع ردف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا .

وَذِي رَجَمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامَنِي قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكَيْ أَتْنِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَنْبِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَلِمَتِي عِنْدِي أَنْ يَنَالَ لَهُ رَغْمٌ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنَ حَتَّى سَلَّتْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْمُ

قالوا : وَمَنْ قَاتِلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزْنِيَّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلي ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ حُسَيْنٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عِيَّاشٍ السَّعْدِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزْنِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ لِيَمْتَارَ مِنْهَا وَيَبِيعَ إِبِلًا لَهُ ؛ فَلَمَّا قَدِمَهَا نَزَلَ بِقَوْمٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَتَوَلَّى ضِيَاغَتَهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ يَقَالُ لَهَا لَيْلِي ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَيَسَارٍ ، فَخَطَبَهَا فَأَجَابَتْهُ فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَقَامَ عِنْدَهَا حَوْلًا فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ . فَقَالَ لَهَا بَعْدَ حَوْلٍ : يَا ابْنَتُ عَمِّ ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ ضَيْعَةً لِي ضَائِعَةً ، فَلَوْ أَذْنَبْتُ لِي فَاطِلَعْتُ¹ [طَلَعُ] أَهْلِي وَرَمَمْتُ² مِنْ مَالِي ! فَقَالَتْ : كَمْ تُقِيمُ ؟ قَالَ : سَنَةً ، فَأَذْنَبْتُ لَهُ . فَأَتَى أَهْلَهُ فَأَقَامَ فِيهِمْ وَأَزْمَنَ عَنْهَا (أَيَ طَالَ مُقَامَهُ) . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهَا رَحَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَأَلَتْ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ بَعَثَنِي (وَهُوَ مَا) لِمُزَيْنَةَ) . فَخَرَجْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ قَرْيَةً مِنْ عَمَقٍ نَزَلْتُ مَنْزَلًا كَرِيمًا . وَأَقْبَلَ مَعْنُ فِي طَلَبِ ذَوْدٍ لَهُ قَدْ أَضَلَّهَا وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَبَتٌّ مِنْ صُوفٍ أَخْضَرَ ، قَالَ : وَابَتُّ : الطَّيْلَسَانُ ، وَعِمَامَةٌ غَلِيظَةٌ . فَلَمَّا رُفِعَ³ لَهُ الْقَوْمُ مَالَ إِلَيْهِمْ لَيْسَتْ سَقِي ، وَمَعَ لَيْلِي ابْنُ أَخِي لَهَا وَمَوْلَى مِنْ مَوَالِيهَا جَالِسٌ أَمَامَ خِيَابِهَا . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ شِئْتَ سَوِيْقًا ، وَإِنْ شِئْتَ لَبَنًا ؛ فَأَنَاخَ . وَصَاحَ مَوْلَى لَيْلِي : يَا مُنْهَلَةَ ، وَكَانَتْ مُنْهَلَةُ الْوَصِيفَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى مَعْنٍ عِنْدَهُمْ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالْقَدَحِ وَعَرَفَهَا وَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ لِيَشْرَبَ عَرَفَتْهُ وَأَثْبَتَتْهُ ، فَتَرَكْتُ الْقَدَحَ فِي يَدِهِ وَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَى مَوَلَاتِهَا فَقَالَتْ : يَا مَوَلَاتِي ، هَذَا وَاللَّهِ مَعْنٌ إِلَّا أَنَّهُ فِي جَبَّةِ صُوفٍ وَبَتٍّ صُوفٍ . فَقَالَتْ : هُوَ وَاللَّهِ عَيْشُهُمْ ، الْحَقِّي مَوْلَايَ فَقُولِي لَهُ : هَذَا مَعْنٌ ، فَاحْبِسْهُ . فَخَرَجَتْ الْوَصِيفَةُ مُسْرِعَةً فَأَخْبَرَتْ . فَوَضَعَ مَعْنُ الْقَدَحَ وَقَالَ لَهُ : دَعْنِي حَتَّى أَلْقَاهَا فِي غَيْرِ هَذَا الزَّيِّ . فَقَالَ :

1 اطلع طلعه : عرف أمره .

2 رمت من مالي : أصلحت .

3 رفع له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رآته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنة عم ! أما إنك لو أقمتَ إلى أيام الربيع حتى يُنبِتَ البلد الخُزامى والرُخامى¹ والسَّخِير² والكمأة³ ، لأصبتَ عيشاً طيباً . فغسلتَ رأسه وجسده ، وألبسته ثياباً ليّنة ، وطيبته ، وأقام معها ليلته أجمع يهرجها⁴ ، ثم غدا متقدماً إلى عمّي حتى أعدّ لها طعاماً ونحر ناقه وغنماً ، وقدمتَ على الحيّ ، فلم تبق [فيهم] امرأة إلا أتتها وسلمتَ عليها ، فلم تدعَ منهن امرأة حتى وصلتَها . وكانت لمعن امرأة بعَمّي يقال لها أم حَقّة . فقالت لمعن : هذه والله خير لك مني ، فطلّقني ، وكانت قد حملتَ فدخله من ذلك وقام . ثم إن ليلى رحلتَ إلى مكة حاجّةً ومعن معها . فلما فرغا من حجّهما انصرفا ، فلما حاذيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عمّي قال معن : يا ليلى ، كأن فؤادي ينعرجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتَ سنتنا هذه حتى نَحْجَ من قَابِلٍ ثم نَرْحَلَ إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا بيارحية مكاني حتى تَرْحَلَ معي إلى البصرة أو تطلّقني . فقال : أما إذ ذكرتَ الطلاق فانتِ طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عمّي . فلما فارقه نديم وتبعتهَا نفسه ؛ فقال في ذلك :

تَوَهَّمْتُ رُبْعاً بِالْمُعْبَرِ وَاضِحاً أَتَيْتُ قَرْنَاهُ الْيَوْمَ إِلَّا تَرَاوَحاً⁴
أَرَيْتُ عَلَيْهِ رَادَّةً حَضْرَمِيَّةً وَمُرْتَجِزٌ كَأَنَّ فِيهِ الْمَصَابِحَا⁵
إِذَا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلَاءَ فَلَعْلَعاً فَجَوَزَ الْعُذَيْبِ بَعْدَهَا فَالْوَابِحَا⁶
وَبَانَتْ نَوَاهَا مِنْ نَوَاكٍ وَطَاوَعَتْ مَعَ الشَّائِنَيْنِ الشَّامِتَاتِ الْكَوَاشِحَا
فَقُولَا لِلَّيْلِ هَلْ تُعَوِّضُ نَادِماً لَهُ رَجْعَةٌ قَالَ الطَّلَاقَ مُمَارِحَا
فَإِنْ هِيَ قَالَتْ لَا فَقُولَا لَهَا بَلَى أَلَا تَتَّقِينَ الْجَارِيَاتِ الذُّوَابِحَا

وهي قصيدة طويلة . فلما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حَقّة : ما فعلتَ ليلى ؟ قال : طَلّقْتُهَا . قالت : والله لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطلّقني أنا أيضاً . فقال لها معن :

[من الوافر]

- 1 الرُخَامِي : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تخفره الحمر بحوافرها .
- 2 السَّخِير : يشبه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكرات في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .
- 3 يهرجها : يُجامعها .
- 4 المعبر : موضع تلقاء الودعات من البقيع . قَرْنَاه : الغداة والعشي .
- 5 أَرَيْتُ : أَقَامْتُ .
- 6 لعلع والعديب والنوايح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أَعَاذِلُ أَقْصِرِي وَدَعِي بِيَاثِي
فَإِنَّ الصُّبْحَ مُتَظَرٌّ قَرِيبٌ
نَأَتْ لَيْلِي فَلَيْلِي لَا تُوَاتِي
وَحَلَّتْ دَارُهَا سَفَوَانَ بَعْدِي
تُرَاعِي الرِّيفَ دَانِيَةً عَلَيْهَا
فَدَعَهَا أَوْ تَنَاوَلَهَا بَعْسٌ
فَإِنَّكَ ذَاتُ لَوَمَاتٍ حُمَاتٍ¹
وَأَنَّكَ بِالْمَلَامَةِ لَنْ تُفَاتِي
وَضَنْتُ بِالْمَوَدَّةِ وَالْبَتَاتِ
فَذَا قَارَ فَمُنْخَرَقَ الْفُرَاتِ²
ظِلَالُ أَلْفٍ مُخْتَلِطِ النَّبَاتِ
مِنَ الْعِيدِي فِي قُلُوصِ شِخَاتِ³

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لَأَمْ حِقَّةٌ فِي مُطَالِبَتِهَا إِيَّاهُ بِالطَّلَاقِ : [من الطويل]

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَا أُمَّ حِقَّةَ قَبْلَ ذَا
وَإِذْ نَحْنُ فِي غُصْنِ الشَّبَابِ وَقَدْ عَسَا
فَقَدْ أَنْكَرْتَهُ أُمَّ حِقَّةَ حَادِثًا
وَلَوْ آذَنْتُنَا أُمَّ حِقَّةَ إِذْ بَنَا
لَقُلْنَا لَهَا بَيْنِي بَلِيلٍ حَمِيدَةٌ
بِمِيطَانَ مُصْطَافٍ لَنَا وَمَرَابِعٍ⁴
بِنَا الْآنَ إِلَّا أَنْ يُعَوِّضَ جَارِعُ⁵
وَأَنْكَرَهَا مَا شِئْتَ وَالْوُدَّ خَادِعُ
شَبَابٌ وَإِذْ لَمَّا تَرَعْنَا الرِّوَائِعُ
كَذَاكَ بَلَا ذِمٍّ تُودِي الصَّنَائِعُ

صوت

[من الطويل]

أَعَابِدُ حَيِّتُمْ عَلَى النَّأْيِ عَابِدَا
أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ
سَقَاكَ إِلَهُ الْمُنْشَاتِ الرِّوَاعِدَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ عَيْنَيْكَ عَابِدَا

ويروى :

أَعَابِدَ مَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ لَنَا

ويروى :

أَعَابِدُ مَا الشَّمْسُ الَّتِي بَرَزَتْ لَنَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا بَيْنَ ثَوْبَيْكَ عَابِدَا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . والغناء لِعَطْرَدَ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس .

1 دعي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .

2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .

3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . الشخات : جمع شخنة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .

4 ميطان : من جبال المدينة .

5 عسا النبات : غلظ ويس .

[203] - أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فتيان بني هاشم
وظرفاتهم وشعرائهم . وقد روى الحديث وحمل عنه ، وله شعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها
في زوجته عابدة بنت شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أخت عمرو بن
شُعيب الذي يُروى عنه الحديث . وفيها يقول قبل أن يتزوجها : [من الطويل]

صوت

أعابدُ إنّ الحبّ لا شكّ قاتلي لئن لم تُقارِضني هوى النفسِ عابدةً
أعابدُ خافي الله في قَل مُسلمٍ وجُودي عليه مرّةً قطّ واحدةً
فإنّ لم تُريدي في أجراً ولا هوى لكم غيرَ قتلي يا عبيدُ فراشدةً
فكمّ ليلةٍ قد بتْ أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقدةً
الغناء لحكم الوادي ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البُصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فيمّا حمل عنه من الحديث ما حدّثني به أحمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد الله
[ابن] المنادي قال حدّثني يونس بن محمد قال حدّثنا أبو أويس عن حسين بن عبد الله بن
عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : مرّ النبي ﷺ على حسن بن ثابت وهو
في ظلّ فارغ¹ وحوله أصحابه وجاريتُه سيرين تغنيّه بمزهرها : [من مجزوء الخفيف]

هَلْ عليّ ويحكّما إنّ لهوْتُ من حرج

فضحك النبي ﷺ ثم قال : « لا حرج إن شاء الله » .

وكانت أمّ عابدة هذه عمّة حسين بن عبد الله بن عبيد الله ، أمّها عمرة بنت عبيد الله بن
العبّاس ، تزوّجها شُعيب فولدت له محمداً وشُعيباً ابني شُعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة
الحسن ، وعابدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْبَ بَكَارَ بن عبد الملك وَحُسَيْنَ بن عبد الله ، فامتنت على بَكَارَ وتزوَّجت الحسين . فقال له بَكَارُ : كيف تزوَّجتك العابدة واختارتك مع فَقْرِكَ ؟ فقال له الحسين : أَتَعَيَّرْنَا بِالْفَقْرِ وقد نَحَلْنَا الله تعالى الْكَوْثَرَ !

أخبرني الحرّميّ والطُّوسيّ قالَا حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَارَ عن عَمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أُمُّهُ أُمٌ وَلِدٌ ، وكان يقول شيئاً من الشعر ، وتزوَّج عابدة بنت شُعَيْبَ وولدت منه ، وبسببها رُدَّتْ على وَلِدِ عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العبّاس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكَّرا ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية :

إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ وَابْنَ أُمِّ	كَ مُعَلِّمٌ شَاكِي السِّلَاحِ
يَقْصُ الْعَدُوَّ وَلَيْسَ يَرُ	ضَى حِينَ يَنْطِشُ بِالْجِرَاحِ ¹
لَا تَحْسَبَنَّ أَذَى ابْنَ عَمِّ	كَ شَرْبُ أَلْبَانِ اللَّقَاحِ
بَلْ كَالشَّجَاعَةِ وَرَا اللَّهَا	ةِ إِذَا تُسَوَّغُ بِالْقَرَّاحِ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَنْ يُجِي	بُكَ تَحْتَ أَطْرَافِ الرَّمَّاحِ
مَنْ لَا يَزَالُ يَسُوؤُهُ	بِالْغَيْبِ أَنْ يَلْحَاكَ لَاحِي

فقال حسين له :

أَبْرَقَ لِمَنْ يَخْشَى وَأَوْ	عِذْ غَيْرَ قَوْمِكَ بِالسِّلَاحِ
لَسْنَا نَقْرُ لِقَائِي	إِلَّا الْمُقَرَّطَ بِالصَّلَاحِ ²

قال : ولحسين يقول ابن معاوية :

قُلْ لِذِي الْوُدِّ وَالصَّفَاءِ حُسَيْنِ	أَقْدِرُ الْوُدَّ بَيْنَنَا قَدْرَهُ
لَيْسَ لِلدَّابِغِ الْمُحْلَمِ بُدٌّ	مِنْ عِتَابِ الْأَدِيمِ ذِي الْبَشَرَةِ ³
لَسْتُ إِنْ رَاغَ ذُو إِخَاءِ وَوُدٌّ	عَنْ طَرِيقِي بِتَابِعِ أَثَرِهِ
بَلْ أَقِيمُ الْقَنَاءَ وَالْوُدَّ حَتَّى	يَتَّبَعَ الْحَقُّ بَعْدُ أَوْ يَذَرَهُ

[كان صديقاً لابن أبي السمع ومدحه]

أخبرني محمد بن مَرْزِدَ قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن إِسْحَاقَ عن أبيه عن محمد بن سلام قال :

1 وقص : كسر .

2 المقرط بالصلاح : الموسوم به .

3 المحلم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» .

كان مالك بن أبي السَّمَح الطائِي المَغْنِي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ونديماً له ، وكان يتغنى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمَدِ حَ فلا تَلَحْنِي ولا تَلَمَّ
أَبْيَضُ كَالسَيْفِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْـ بَارِقُ فِي حِنْدَسٍ مِنَ الظُّلَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الْكَرِيمِ ولا يَهْتِكُ حَقَّ الْإِسْلَامِ وَالْحُرَمِ
يَا رَبُّ لَيْلٍ لَنَا كَحَاشِيَةِ الْـ بُرْدٍ وَيَوْمٍ كَذَاكَ لَمْ يَدْمِ
قَدْ كُنْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمَدِ حَ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
مَنْ لَيْسَ يَعْصِيكَ إِنْ رَشِدْتَ ولا يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ فِي اللَّيْمِ

قال : فقال له مالك : ولا إِنْ غَوَيْتَ وَاللَّهِ بِأَبِي [أنت] وَأُمِّي أَعْصِيكَ . قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتِكَ ، إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ :

أَحْوَلُ كَالْقِرْدِ أَوْ كَمَا يَخْرُجُ الْـ سَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

[الحسين بن يحيى وجه للغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صَلَّى العصر دخل منزله وَسَمِعَ الْغِنَاءَ عَشِيَّتَهُ . فَأَتَاهُ قَوْمٌ ذَاتَ عَشِيَّةٍ فِي حَاجَةٍ لَهُمْ فَقَضَاهَا ، ثُمَّ جَلَسُوا يَحْدُثُونَهُ . فَلَمَّا أَطَالُوا قَالَ لَهُمْ : أَتَأْذَنُونَ ؟ فَقَالُوا نَعَمْ . فَقَامَ فِي أَصْحَابِ لَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَوْمُوا بِنَا نُذْرِكُ مِنَ الْعَيْشِ لَذَّةً ولا إِيَّاهُ فِيهَا لِلتَّقْيِ ولا عَارًا]

صوت

[من الخفيف]

إِنَّ حَرْباً وَإِنَّ صَخْرًا أَبَا سُفٍّ بَيَانَ حَازَا مَجْدًا وَعِزًّا تَلِيدَا
فَهُمَا وَارِثَا الْعِلَا عَنْ جُدُودٍ وَرِثُوهَا آبَاءَهُمُ وَالْجُدُودَا
الشعر لفصالة بن شريك الأسدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وَحَوَى إِرْثَهَا مُعَاوِيَةُ الْقَرَّ مُ وَأَعْطَى صَفْوَةَ التَّرَاثِ يَزِيدَا
والغناء لإبراهيم بن خالد المَعِطِي ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَصْرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

[204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فضالة بن شريك بن سلمان¹ بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار بن الحريش بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان [بن أسد] بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نَقَيْتَ² ودَبَّرْتَ ؛ فقال له : ارقعها بجلدٍ واخصفها بهُلْبٍ³ وسِرْ بها البردَيْنِ⁴ .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إني قد جئتُكَ مُسْتَحِمًّا لا مُسْتَشِيرًا ، فَلَعَنَ اللهُ ناقةَ حملتني إليك . فقال له ابن الزبير : إن وراكبها . فانصرف من عنده وهو يقول :

[من الوافر]

أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ	أَقُولُ لِعِلْمَتِي شَدُّوا رِكَابِي
إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادٍ ⁵	فَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ
وَتَغْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ ⁶	سَيَّعِدُ بَيْنَنَا نَصْرُ الْمَطَايَا
مَنَاسِمُهُنَّ طَلَّاعِ النَّجَادِ	وَكُلُّ مُعْبِدٍ قَدْ أَعْلَمْتُهُ
نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِالْبِلَادِ ⁷	أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ
أَغْرُ كَفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ	مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني .
فأمَّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّدًا جَوَادًا . وله يقول الأقيشر يمدحه :

[من الكامل]

1 ل : سليمان .

2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقت أخفافه ، والدَّيرُ : جرح يكون في ظهر الدابة .

3 الهلب : الشعر .

4 البردان : الغداة والعشي .

5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزبير .

6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأدوية جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .

7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسرن .

وَقَدْ الْوَفُودُ فَكُنْتَ أَوَّلَ وَافِدٍ يَا فَاتِكُ بْنُ فَضَالَةَ بْنِ شَرِيكِ

[مرّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكر من أخباره ها هنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذته . قال ابن حبيب : مرّ فضالة بن شريك بعاصم بن عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو متبذّر بناحية المدينة ، فنزل به فلم يقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء ، وقد عرفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالة إلى مولى لعاصم فقال له : قل له : أما والله لأطوّقنك طوقاً لا يبلى . وقال يهجو :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقَرَى لَسْتَ وَاحِداً
إِذَا جِئْتَهُ تَبَغَّى الْقَرَى بَاتَ نَائِماً
فَدَغَ عَاصِماً أَفْ لَأَفْعَالِ عَاصِمٍ
فَتَى مِنْ قَرِيشٍ لَا يَجُودُ بِنَائِلٍ
وَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ قَلَّدْتُ عَاصِماً
فَلَيْتَكَ مِنْ جَرَمِ بْنِ زَيْنَانَ أَوْ بَنِي
أَنَاسٍ إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ يُيَوِّتُهُمْ
قِرَاكَ إِذَا مَا بَتَّ فِي دَارِ عَاصِمٍ
بَطِيناً وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمٍ
إِذَا حُصِّلَ الْأَقْوَامُ أَهْلُ الْمَكَارِمِ
وَيَحْسَبُ أَنَّ الْبُخْلَ ضَرْبُهُ لَازِمٍ
مُطَوَّقَةً يُحْدِي بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ
فُقَيْمٍ أَوْ التَّوَكْسِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ
غَدَا جَائِعاً عَيْمَانَ لَيْسَ بِغَانِمٍ¹

[قال] : فلما بلغت أبياته عاصماً استعدي عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذ بالمدينة أميرٌ ، فهرب فضالة بن شريك فلاحق بالشام ، وعاذ يزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوف من عاصم ؛ فأعاده ، وكتب إلى عاصم يخبره أنّ فضالة أتاه مستجيراً به ، وأنه يحب أن يهبه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويضمن له ألا يعود لهجائه ؛ فقبل ذلك عاصم وشفع يزيد بن معاوية . فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية :

إِذَا مَا قُرَيْشٌ فَاخَرَتْ بِقَدِيمِهَا
بِمَجْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَزَلْ
بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الْأَنَامَ مِنَ الرَّدَى
وَمَجْدِ أَبِي سَفْيَانَ ذِي الْبَاعِ وَالنَّدَى
فَخَرَّتْ بِمَجْدِ يَا زَيْدُ تَلِيدٍ
أَبُوكَ أَمِينُ اللَّهِ غَيْرَ بَلِيدٍ
وَأَدْرَكَ تَبْلَأُ مِنْ مَعَاشِيرِ صَبِيدٍ²
وَحَرْبٍ وَمَا حَرْبُ الْعُلَا بَرْهِيدٍ

1 عيمان : عطشان .

2 التبل : الثار .

فَمَنْ ذَا الَّذِي إِنْ عَدَّدَ النَّاسُ مَجْدَهُمْ يَجِيءُ بِمَجْدٍ مِثْلَ مَجْدِ يَزِيدٍ
وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصّة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن الزبير قد ولّى عبد الله بن مطيع بن الأسود بن نضلة بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عبيد حين ظهر ؛ فقال فضالة بن شريك يهجو ابن مطيع :

دعا ابنُ مطيعٍ لِلْبِيعِ فجئتُه
فَقَرَّبَ لِي خَشْنَاءَ لَمَسْتُهَا
مُعَوَّدَةً حَمَلَ الْهَرَاوِي لِقَوْمِهَا
من الشَّتَاتِ الْكَرْمُ أَنْكَرْتُ لَمَسَهَا
وَلَمْ يُسَمِّرْ إِذْ بَايَعْتُهُ مِنْ خَلِيفَتِي
مَتَى تَلَقَّ أَهْلَ الشَّامِ فِي الْخَيْلِ تَلَقَّنِي
مُمَرٌّ كَبْنِيَانِ الْعِبَادِي مُخْطَفٍ
إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي بِهَا غَيْرُ عَارِفٍ
بِكُفِّي لَمْ تُشْبِهْ أَكْفَ الْخَلَائِفِ
فَرُوراً إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ التَّسَايِفِ¹
وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ السَّيَاطِ اللَّطَائِفِ
وَلَمْ يَشْتَرِطْ إِلَّا اشْتَرَاطَ الْمُجَازِفِ
عَلَى مُقَرَّبٍ لَا يُزْدَهِي بِالْمَجَازِفِ²
من الضَّارِيَاتِ بِالْذَّمِّ الْخَوَاطِفِ³

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسول في جمع صداق زوجه]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجُمَحِيِّ امرأة من بني نصر بن معاوية ، وسأل في صداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كل رجلٍ سألَهُ دِرْهَمَيْنِ درهمين . فقال له فضالة بن شريك يهجو بقوله :

أَنْكَحْتُمْ يَا بَنِي نَصْرٍ فَنَاتَكُمُ
أَنْكَحْتُمْ لَا فَتَى دُنْيَا يُعَاشُ بِهِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَبَا حَفْصٍ وَسُنَّتُهُ
وَجْهًا يَشِينُ وَجْهَ الرَّبِّ الْعَيْنِ
وَلَا شُجَاعاً إِذَا أَنْشَقَّتْ عَصَا الدِّينِ
حَتَّى نَكَحْتَ بِأَرْزَاقِ الْمَسَاكِينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أودع فضالة بن شريك رجلاً من بني سليم يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفرٍ ، فلما عاد طلبها منه ، فذكر أنها سُرِقَتْ . فقال

1 التَّسَايِفُ : التضارب بالسيوف .

2 الْمُقَرَّبُ من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهي : لا يستخف .

3 مُمَرٌّ : موقى الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيه] :

[من المتقارب]

وَلَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَطْنِ الْعَقِيقِ ذَكَرْتُ وَذُو اللَّبِّ يَنْسَى كَثِيرًا
 مُصَابَ سُلَيْمٍ لِقَاحَ النَّبِيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فِيهِمْ بَعِيرًا¹
 وَقَدْ فَاتَ قَيْسٌ بَعِيرَانِي إِذَا الظِّلُّ كَانَ مَدَاهُ قَصِيرًا
 مِنْ اللَّاعِيَاتِ بِفَضْلِ الزَّمَامِ إِذَا أَقْلَقَ السَّيْرُ فِيهِ الضُّفُورًا²
 وَمَنْ يَبْكُ مِنْكُمْ بَنِي مُوقِدٍ وَلَمْ يَرَهُمْ يَبْكُ شَجْوًا كَبِيرًا
 هُمْ الْعَاسِفُونَ صِلَابُ الْقَنَا إِذَا الْخَيْلُ كَانَتْ مِنَ الطَّعْنِ زُورًا³
 وَأَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذْ أُمِجُّوا وَعِزٌّ لِمَنْ جَاءَهُمْ مُسْتَجِيرًا⁴
 فَإِنَّا لَمْ يُقْضَ لِي الْقَهْمُ قَرَأْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنَّ القصيدة التي ذَكَرْتُهَا عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريك مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه ، وذكر الأبيات وزاد فيها :

[من الوافر]

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ نَقِيتُ قُلُوصِي فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصَّفَادِ⁵
 يَضِيحُ بِنَاقَةٍ وَيَرُومُ مُلْكًا مُحَالٌ ذَلِكَمُ غَيْرُ السَّدَادِ
 وَلَيْتَ إِمَارَةً فَبَخِلْتَ لَهَا وَلَيْتَهُمْ بِمُلْكٍ مُسْتَفَادِ
 فَإِنْ وَلَيْتَ أُمِّيَّةً أَبْدَلُوكُمُ بِكُلِّ سَمِيدَعٍ وَارِي الزُّنَادِ
 مِنَ الْأَغْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
 إِذَا لَمْ أَلْقَهُمْ بِمَنْى فَإِنِّي بَيْتٌ لَا يَهْشُ لَهُ فَوَادِي
 سَيِّدِنِي لَهُمْ نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ
 وَظَهَرُ مُعَبَّدٍ قَدْ أَعْمَلْتَهُ مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعَ النَّجَادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحداثها لقوح ولقحة .

2 الضففور : جمع ضَفَر ما يشد به البعير من الشعر المضفور .

3 زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .

4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .

5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قَدَأ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمَضَ حَمَضَ خَنَاصِرَاتٍ وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوَادِي¹
 فَهِنَّ خَوَاضِعُ الأَبْدَانِ قُودٌ كَأَنَّ رُؤُوسَهُنَّ قُبُورُ عَادٍ²
 كَأَنَّ مَوَاقِعَ الغُرَبَانِ مِنْهَا مَنَارَاتٌ يُنِينَ عَلَى عِمَادٍ³

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال]: فلما ولي عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلبه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وقرها بُرّاً وتمراً . [قال]: والكاهلية التي ذكرها زهرة بنتُ خنسر امرأةٌ من بني كاهل بن أسدٍ ، وهي أمُ خوَيْلد بن أسدٍ بن عبد العزى .

صوت

[من الطويل]

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ وما كنتُ أخشى أن يطولَ به عهدي
 فَأَصْبَحْتُ ذَا بُعْدٍ وَدَارِي قَرْيَةً فَوَاعَجَبًا مِنْ قُرْبِ دَارِي وَمِنْ بُعْدِي
 فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَيْدَ لِي عَادَ يَوْمُهُ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْعَيْدَ وَجْهَكَ لِي يُبْدِي
 رَأَيْتُكَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ كَبَدْرِ الدُّجَى بَيْنَ الْعِمَامَةِ وَالْبُرْدِ
 الشعر لأبي السَّمُطِ مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة .
 والغناء لِيُنَانٍ خَفِيفُ رَمَلٍ مَطْلُوقٌ ابْتَدَأُوهُ نَشِيدٌ . وذكر الصُّوْلِيُّ أَنَّ هَذَا الشعرَ لِيَحْيَى بْنِ
 مروان . وهذا غلطٌ قبيحٌ .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .

2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعنق .

3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : قذال الرأس .

[205] - أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتَقَدِّمًا . وكان مروان هذا آخِرَ مَنْ بَقِيَ منهم يُعَدُّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَجِّجٌ . وكان ساقطاً بارد الشعر . فذُكِرَ لي عن أبي هِفَانٍ أَنَّهُ قَالَ : شِعْرُ آلِ أَبِي حَفْصَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الْحَارِّ . ابتدأوه في نهاية الحرارة ثم تَلَيْنَ حرارته ، ثم يَفْتَرُّ ثم يَبْرُدُ ، وكذا كانت أشعارهم ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى مُتَوَجِّجٍ جَمَدٍ .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلَافاً لأبيه في سائر مَذَاهِبِهِ حَتَّى فِي التَّشْيِيعِ ، فَطَرَدَ مِرْوَانَ لِنَصْبِهِ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جُلُوسَائِهِ . فَقَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَسَأَلُ بَنَانَ بْنِ عَمْرٍو فَعَنَّى فِيهَا الْمُنْتَصِرَ لِيَسْتَعِظَ . وَخَبِرَهُ فِي ذَلِكَ يُذَكِّرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْكِتَابِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو السَّمُطِ مِرْوَانَ الْأَصْغَرَ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ مَدَحْتُهُ وَمَدَحْتُ وِلَاةَ الْعُهُودِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَنْشَدْتُهُ :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبِّدَا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَغْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهِيَهَاتَ مِنْ نَجْدٍ
وَنَجْدٌ بِهَا قَوْمٌ هَوَاهُمْ زِيَارَتِي وَلَا شَيْءَ أَحْلَى مِنْ زِيَارَتِهِمْ عِنْدِي
قَالَ : فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْهَا أَمْرَ لِي بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا وَثَلَاثَةَ مِنَ الظَّهْرِ
فَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ ، وَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى قُلْتُ قَصِيدَتِي الَّتِي أَشْكُرُهُ فِيهَا وَأَقُولُ : [من الطويل]

تَخَيَّرَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ جَعْفَرًا وَمَلَكَهَ أَمْرَ الْعِيَادِ تَخِيرًا
فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ : [من الطويل]

فَأَمْسِكَ نَدَى كَفِّكَ عَنِّي وَلَا تَزِدْ فَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَطْفِئَ وَأَنْ أَتَجَبَّرَا
قَالَ لِي : لَا وَاللَّهِ لَا أُمْسِكُ حَتَّى أُغَرِّكَ بِجُودِي .

وحدَّثني عمِّي بهذا الخبر قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدَّثني مروان بن أبي الجنوب ، فذكر مثل هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتى أغرقك » : سألني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ، ذكر ابن المدبر أنها وقف المعتصم على وكده ، فقال : قد قبّلتك¹ إياها مائة سنة بمائة درهم . فقلت : لا يحسن أن تُضمن ضيعة بدرهم في السنة . فقال ابن المدبر : فبالدرهم في كل سنة . فقلت نعم . فأمر ابن المدبر أن يُفقد ذلك لي ، وقال : ليست هذه حاجة ، هذه قبالة ، فسألني حاجتك . فقلت : ضيعة يقال لها السيوح أمر الواثق بإقطاعي إياها ، فمتنعينها ابن الزيات ؟ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني علي بن يحيى المنجم قال : كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسداً له على موضعه من المتوكل . فقال له المتوكل [يوماً] : يا علي ، أيما أشعر أنت أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعت ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعر مني يا أمير المؤمنين ، وما أصف نفسي ولا أزكيها . وإذا رضييني أمير المؤمنين فما أبالي من زيّني . فقال له : قد صدقتك ، علي يزعم سراً وجهراً أنه أشعر منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا علي ! أنت أشعر مني ؟ فقال : أو تشك في ذاك ؟ قال : نعم ؛ أشك وأشك ، وهذا أمير المؤمنين بيننا . فقال له علي : إن أمير المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكل : هذا عيٌّ منك يا علي ؛ ثم قال لابن حمدون : احكم بينهما . فقال : طرختني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين . قال : والله لتحكم بينهما . فقال له : أمّا إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر . فقال له المتوكل : قد سمعت يا علي . قال : قد عَرَفَ مَيْلَكَ إليه فمال معه . فقال : دَعْنَا منك ، هذا كله عيٌّ ، فإن كنت صادقاً فاهج مروان . قال : [قد] سكرت ولا فضل في . فقال المتوكل لمروان : اهجه أنت ، وبحياتي لا تُبقي غاية . فقال مروان : [من الطويل]

إن ابن جهم في المغيب يعيبي	ويقول لي حسناً إذا لاقاني
صغرت مهابته وعظم بطنه	فكأنما في بطنه ولدان
ويح ابن جهم ليس يرحم أمه	لو كان يرحمها لما عاداني
فإذا التقينا ناك شعري شعره	ونزا على شيطانه شيطاني

1 قبّلتك إياها أي ضممتها لك والتمت بذلك .

قال : فضحك المتوكل والجلساء منه ، وانخزل¹ ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَعَ حيلةَ الرجالِ وحيلةَ النساءِ . فقال له المتوكل : هذا أيضاً من عَيْكَ وَرِدِكَ ، إن كان عندك شيءٌ فهاهنا ؛ فلم يأت بشيء . فقال لمروان : بحياتي إن حَضَرَكَ شيءٌ فهاهنا ، ولا تُقَصِّرَ في شَتْمِكَ . فقال مروان :

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَذْرٍ بشاعرٍ وهذا عليٌّ بعده يدعي الشعرَ
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّه فلما ادعى الأشعارُ أوهمني أمراً

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زدْه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَذْرٍ يا عَليَّةُ قُلْتُ إِنِّي قَرَشِيَّةُ
قلتِ ما ليس بحقٍّ فاسْكُنِي يا نَبْطِيَّةُ
أَسْكُنِي يا بِنْتَ جَهْمٍ أَسْكُنِي يا حَلَقِيَّةُ²

فأخذ عبادةُ هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه مَنْ كان يغني ، والمتوكلُ يضحك ويضرب يديه ورجليه ، وعليٌّ مُطَرِّقٌ كأنه ميّت ، ثم قال : عليٌّ بالدواةِ فَأَتَيْ بِهَا ، فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشَبِّهُهُ بَلاءٌ عداوةٌ غيرُ ذي حَسَبٍ ودينٍ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصْنُهُ ويرتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونٍ

[قال عليٌّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقه]

أخبرني عليٌّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد بن السري قال : لما مدح عليٌّ بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنَا على رَبِّ السماءِ وسلمنا لأسباب القضاءِ

وذكرَ فيها جميع النَّدَماءِ وسَبَّعَهُمْ³ وهجَّاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكل رَقاً له ، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتَوَرَتْهُ أَلْسِنَةُ الجلساء فثَلَبُوهُ واغتَابُوهُ وضربوا عليه ، فتركه في مَحْبِسِهِ . والقصيدة :

أَلَمْ تَعْلَمْ بأنَّكَ يا ابنَ جَهْمٍ دَعِيٌّ في أناسٍ أدعياءِ

1 انخزل في كلامه : انقطع .

2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألا تشيع الأتان من السَّفاد .

3 سبَّعَهُ : شتمه ووقع فيه .

أَعْبَدَ اللَّهُ تَهْجُوَ وَابْنَ عَمْرِ
هَجُوتَ الْأَكْرَمِينَ وَأَنْتَ كَلْبٌ
أَتَرَمِي بِالزَّنَاءِ بَنِي حَلَالٍ
أُسَامَةُ مِنْ جُدُودِكَ يَا ابْنَ جَهْمِ!
وَبَخْتِيشُوعَ أَصْحَابَ الْوَفَاءِ
حَقِيقٌ بِالشَّيْثَةِ وَالْهَيْجَاءِ
وَأَنْتَ زَيْنُ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ
كَذَبْتَ وَمَا بِذَلِكَ مِنْ خَفَاءِ

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ
قال : لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَعُجَيْفٌ مَا كَانَ ، أَتَشَدُّ مِرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنْبِ
المعتصم قصيدة أولها :

أَلَا يَا دَوْلَةَ الْمَعْصُومِ دُومِي فَإِنَّكَ قُلْتَ لِلدُّنْيَا اسْتَقِيمِي
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

هَوَى الْعَبَّاسُ حِينَ أَرَادَ غَدْرًا فَوَافِي إِذْ هَوَى قَعَرَ الْجَحِيمِ
كَذَاكَ هَوَى كَمَهْوَاهُ عُجَيْفٌ فَأَصْبَحَ فِي سَوَاءٍ لَظَى الْحَمِيمِ

[قال المعتصم : أبعده الله !]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ : دَخَلَ مِرْوَانُ الْأَصْغَرُ بْنُ أَبِي الْجَنْبِ عَلَى
أَشْناسٍ وَقَدْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَجَعَلَ أَشْناسٌ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ وَيَوْمِيءُ بِيَدَيْهِ وَيُظْهِرُ طَرِبًا
وَسُرُورًا ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةٍ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : رَأَيْتُ الْأَمِيرَ قَدْ طَرِبَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ لِمَا
كَانَ يَسْمَعُهُ ، فَقَدْ فَهَمَهُ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَقُولُ ؟ قَالَ : مَا زَالَ يَقُولُ عَلَيَّ رُقِيَّةَ
الْخُبَيْرِ حَتَّى حَصَلَ مَا أَرَادَ وَانْصَرَفَ .

[هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُعَاشِي كَثِيرًا ،
فَقَالَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لِمِرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنْبِ : أَهْجُ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى ؛ فَقَالَ مِرْوَانُ : [من الطويل]

أَلَا إِنَّ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي وَعَرِضُ ابْنِ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى عَرِضِي
وَهِيَ أَيْبَاتُ تَرَكْتُ ذِكْرَهَا صِبَاةً لِعَلِيَّ بْنِ يَحْيَى . قَالَ : فَأَجَبْتُهُ عَنْهَا فَقُلْتُ : [من الطويل]

صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي أَبُوكَ ، وَمَنْ قَاسَ الشَّوَاهِقَ بِالْخَفْضِ
وَهَلْ لَكَ عَرِضٌ طَاهِرٌ فَتَقْيِسُهُ إِذَا قَيَسْتَ الْأَعْرَاضُ يَوْمًا إِلَى عَرِضِي

أَلَسْتُمْ مَوَالِي لِلْعَيْنِ وَرَهْطِهِ أَعَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ ذِي الْحَسْبِ الْمَخْضِ
تَوَالُونَ مَنْ عَادَى النَّبِيَّ وَرَهْطَهُ فَتَرْمُونَ مَنْ وَالى أُولَى الْفَضْلِ بِالرُّفْضِ
وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَرَى لَكَ مُبْغِضاً لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ

[نقد أبو العنيس الصيمري شعراً له فتهاجراً]

حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال : أنشد مروان بن أبي الجنوب المتوكل ذات يوم :

إِنِّي نَزَلْتُ بِسَاحَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَنَزَلْتُ فِي أَقْصَى دِيَارِ الْمُوَصِّلِ
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فَكَيْفَ الْإِتِّصَالُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَالْمُرَاسِلَةِ ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ
الصَّيْمَرِيُّ : كَانَ لَهُ حَمَامٌ¹ هَدَى يَبْعَثُ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَوْصِلِ حَتَّى يُكَاتِبَهُ عَلَى أَجْنَحَتِهَا .
فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَخَجَلَ مَرْوَانُ وَخَلَفَ بِالطَّلَاقِ لَا يَكْلُمُ أَبَا الْعَنْبَسِ أَبَداً ،
فَمَاتَا مَتَهَاجِرَيْنِ . كَذَا أَكْبَرُ حَفْظِي أَنَّ جَحْظَةَ حَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ؛ فَإِنِّي كَتَبْتُهُ عَنْ
حِفْظِي .

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة ، فقال علي بن الجهم إن بعضها متحل]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه قال حدثني إبراهيم بن المَدْبَرِ
قال قرأت في كتاب قديم : قال عوف بن مُحَلَّم لعبد الله بن طاهر في عِلَّةِ اعْتَلَّهَا : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ حُمَّى الرَّبْعِ شَفَكَ وَرَدُّهَا فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطُولَ لَكَ الْعُمُرُ²
وَقَيْنَاكَ لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فَيْكَ وَالْهَوَى لَكَانَ بِنَا الشُّكُوى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

قال : ثم حُمَّ الْمُتَوَكِّلُ حُمَّى الرَّبْعِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي الْجَنْوَبِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي
حَفْصَةَ ، فَأَنَشَدَهُ قَصِيدَةً لَهُ عَلَى هَذَا الرَّوْيِ ، وَأَدْخَلَ الْبَيْتَيْنِ فِيهَا ، فَسَرَّ بِهَا الْمُتَوَكِّلُ . فَقَالَ لَهُ
عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا شَعْرٌ مَقُولٌ ، وَالتَفْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا يَعْلَمُ . فَالتَفْتُ إِلَيْهِ
[المتوكل] وَقَالَ : أَتَعْرِفُهُ ؟ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُهُ قَبْلُ الْيَوْمِ . فَشَتَّمَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَقَالَ لَهُ : هَذَا
مِنْ حَسَدِكَ وَشُرِّكَ وَكَذْبِكَ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : وَيْحَكَ ؟ مَا لَكَ قَدْ جُنِنْتَ ؟ أَمَا
تَعْرِفُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ وَأَنَشَدْتُهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ مِنْ غَدٍ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ اعْتَرَفَ لِي بِالشَّعْرِ وَأَنَشَدَنِيهِ . فَقَالَ لِي : أَكْذَاكَ هُوَ ؟ فَقُلْتُ : كَذَبٌ [يا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ] ! مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ ، فَازْدَادَ عَلَيْهِ غِيظاً وَلَهُ شَتْمٌ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ لِي : مَا فِي الْأَرْضِ

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرَّب على السفر من مكان إلى مكان .

2 حمى الربيع : التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع .

شَرُّ مَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَحَقُّ ، تَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَجِيءَ إِلَى شِعْرِ قَدْ قَالَ فِيهِ شَاعِرٌ يُحِبُّهُ وَيُعْجِبُهُ
شَعْرُهُ فَأَقُولُ لَهُ : إِنِّي أَعْرِفُهُ فَأَوْقِعْ نَفْسِي وَعِرْضِي فِي لِسَانِ الشَّاعِرِ لَتَرْتَفِعَ أَنْتَ عِنْدَهُ ، وَيَسْقُطَ
ذَلِكَ وَيُغَضِّنِي أَنَا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِذِّ	سم بهذا الشَّانِ ثَانِ
إِنَّمَا عُمَرُ أَبِي إِسْ	حَقَّ زَيْنٌ لِلزَّمانِ
فَإِذَا غَنَّى أَبُو آسْحَا	قَ أَجَابَتْهُ الْمَثَانِ
مِنْهُ يُجْنَى ثَمَرُ اللّٰهِ	وِوَرِيحَانُ الْجِنَانِ
جَنَّةُ الدُّنْيَا أَبُو إِسْ	حَقَّ فِي كُلِّ مَكَانِ

عَرَوْضُهُ مِنَ الرَّمْلِ . الشَّعْرُ لِابْنِ سَيَّابَةَ . وَالْغَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ خَفِيفَ ثَقِيلَ بِإِطْلَاقِ
الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ .

[206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جده حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . وكان يقال : إِنَّ جَدَّهُ حَجَّامُ أَعْتَقَهُ بَعْضُ الْهَاشِمِيِّينَ . وهو من مُقَارِبِي شُعْرَاءِ وَقْتِهِ ، ليست له نباهة ولا شعرٌ شريف ، وإنما كان يميل بمودته ومُدَّحِهِ إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، فغنياً في شعره ورفعاً منه ، وكانا يذكُرانه للخلفاء والوزراء ويذكُرانهم به إذا غنياً في شعره ، فينفعانه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طَيِّبَ النادرة ، وكان يُرْمَى بالأبنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهلها]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زياد قال : عَشِقَ ابْنُ سَيَابَةَ جَارِيَةَ سَوْدَاءَ ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه ؛ فقال :

يَكُونُ الْخَالُ فِي وَجْهِ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ الْمَلَا حَةَ وَالْجَمَالَ
فَكَيْفَ يُلَامُ مَعْشُوقٌ عَلَى مَنْ يَرَاهَا كُلُّهَا فِي الْعَيْنِ خَالَا

[قصته مع ابن سوار القاضي ودابته رُحاص]

أخبرني محمد بن مزيّد وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِيَ¹ إبراهيم بن سيابة وهو سكرانُ ابْنِا لِسَوَّارِ بن عبد الله القاضي أَمْرَدَ ، فعانقه وقبله ، وكانت معه دابة يقال لها رُحاص ، فقبل لها : إِنَّهُ لَمْ يُقْبَلْهُ تَقْبِيلَ السَّلامِ ، إِنَّمَا قَبْلَهُ قُبْلَةُ شَهْوَةٍ . فَلَحِجَّتْهُ الدَّابَّةُ فَشْتَمَتْهُ وَأَسْمَعَتْهُ كُلَّ مَا يَكْرَهُ ، وَهَجَرَهُ الْغَلَامُ بعد ذلك . فقال له :

قُلْ لِلَّذِي لَيْسَ لِي مِنْ يَدَيَّ هَوَاهُ خَلَاصُ
أَنَّ لَثَمْتُكَ سِرّاً فَأَبْصَرْتَنِي رُحَاصُ
وَقَالَ فِي ذَاكَ قَوْمٌ عَلَى انْتِقَاصِي حِرَاصُ
هَجَرْتَنِي وَأَتَتَنِي شَتِيمَةٌ وَانْتِقَاصُ
فَهَاكَ فَاقْتَصْ مِنِّْي إِنَّ الْجُرُوحَ قِصَاصُ

وَيُرَوَّى أَنَّ رُحَاصَ هَذِهِ مَغْنِيَّةَ كَانَ الْغَلَامُ يُحِبُّهَا ، وَآثَهُ سَكِرَ وَنَامَ ؛ فَقَبَّلَهُ ابْنُ سَيَابَةَ . فَلَمَّا انْتَبَهَ قَالَ لِلجَّارِيَةِ : لَيْتَ شِعْرِي مَا كَانَ خَبْرُكَ مَعَ ابْنِ سَيَابَةَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : سَلْ عَنْ خَبْرِكَ أَنْتَ مَعَهُ ، وَحَدِّثْنِي بِالْقِصَّةِ ؛ فَهَجَرَهُ الْغَلَامُ ؛ فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ .
[جوابه لمن عاتبه على مجونه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ : عَاتَبَنَا ابْنُ سَيَابَةَ عَلَى مَجُونِهِ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ؛ لِأَنَّ الْقِيَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ الْمَعَاصِي فَيَرْحَمَنِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ أَتُبَخَّرَ إِدْلَالاً بِحَسَنَاتِي فَيَمَقُّنِي .

قَالَ : وَرَأَيْتُ ابْنَ سَيَابَةَ يَوْمًا وَهُوَ سَكِرَانٌ وَقَدْ حُمِلَ فِي طَبَقٍ يَعْثُرُونَ بِهِ عَلَى الْجَسْرِ ، فَسَأَلَهُمْ إِنْسَانٌ مَا هَذَا ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الطَّبَقِ وَقَالَ : هَذَا بَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ يَا كِشْخَانُ¹ .

[ولع به أبو الحارث جُمَيْنَ حتى أخجله فجهاه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوزٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الشُّبَلِّ الْبُرْجُمِيُّ قَالَ : وَلِعَ [يَوْمًا] أَبُو الْحَارِثِ جُمَيْنَ بِابْنِ سَيَابَةَ حَتَّى أَخْجَلَهُ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنُ سَيَابَةَ يَهْجُوهُ :

بَنَى أَبُو الْحَارِثِ الْجُمَيْنِ فِي وَسْطِ	مَنْ ظَهَرَهُ وَقَرِيبًا مِنْ ذِرَاعَيْنِ
دَيْرًا لِقَسٍّ إِذَا مَا جَاءَ يَدْخُلُهُ	أَلْقَى عَلَى بَابِ دَيْرِ الْقَسِّ خُرْجَيْنِ
يَعْدُو عَلَى بَطْنِهِ شَدًّا عَلَى عَجَلِ	لَا ذُو يَدَيْنِ وَلَا يَمْشِي بِرَجْلَيْنِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ تَيْنَةَ قَالَ : كَتَبَ ابْنُ سَيَابَةَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَقْتَرِضُ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ لَهُ وَيُخْلِفُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا سَأَلَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا ، وَإِنْ كُنْتَ مَلُومًا فَجَعَلَكَ اللَّهُ مَعذُورًا» .
[ضُرِطَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَلَّمَ اسْتَه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ ابْنُ سَيَابَةَ الشَّاعِرَ عِنْدَنَا يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ تَتَحَدَّثُ وَتَتَنَاشَدُ وَهُوَ يُنْشِدُنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، فَتَحَرَّكَ فَضَرَطَ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى اسْتِهِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِمَّا أَنْ تَسْكُنِي حَتَّى أَتُكَلِّمَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتَكَلَّمِي حَتَّى أُسْكُتَ .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال : غمز ابن سيابة غلاماً أمرّد ذات يوم فأجابته ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزنديق ؟ قال نعم . قال : أجب أن تعلّمني الزندقة . قال : أفعل وكرامة . ثم بطّحه على وجهه ، فلما تمكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلام أوة ! أيّش هذا ويحك ! قال سألتني أن أعلمك الزندقة ، وهذا أول باب من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني مخزّز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة ، فسأله أن يرضى عنه فامتنع . فكّتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها :

فأحطُ بجرّمي عقوك المأمولا	إن كان جرّمي قد أحاط بجرّمتي
في مثلها أحد فنلت السؤلا ¹	فكم ارتجيتك في التي لا يرتجى
ووجدت حلمك لي عليك دليلا	وضللت عنك فلم أجد لي مذهباً
يزداد عقوك بعد طوّلك طولا ²	هنيئاً أسأت وما أسأت أقرّ كي
لم يعدم الراجون منه جميلا	فالعفو أجمل والتفضل بامرى

فلما قرأها الفضل دمت عيناه ورضي عن ابن سيابة ، وأوصله إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[حواره المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرزيه قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعت ابن عائشة يقول : جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له : ما رأيت أعمى قط إلا وقد عوّض من بصره إما الحفظ والدكاء وإما حسن الصوت ، فأبي شيء

1 السؤل والسؤلة : ما سأله وترك مزهما .

2 الطؤل : الفضل .

عَوَّضْتَ [أنت] ؟ قال : أَلَا أرى ثَقِيلاً مِثْلَكَ ، ثم قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْك ؟ قال :
إبراهيم بن سيابة . فَضَاحَكَ ثم قال : لو نُكِّحَ الْأَسَدُ فِي اسْتِهِ لَدَلَّ . وكان إبراهيم يُرمى
بذلك . ثم تَمَثَّلَ بِشَّار :
[من مجزوء البسيط]

لو نُكِّحَ اللَّيْثُ فِي اسْتِهِ خَضَعَا ومات جوعاً وَلَمْ يَنْلُ شَيْعَا
كذلك السيفُ عِنْدَ هَزَّتِهِ لو بَصَقَ النَّاسُ فِيهِ مَا قَطَعَا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَبِي نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَحْيَى بْنُ
مُعَاذٍ قَالَ : قَدِيمُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيَابَةَ نَيْسَابُورَ فَانْزَلَتْهُ عَلَيَّ ؛ فَجَاءَنِي لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ
مُهْرَبٌ¹ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِي : يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَشِيَهُ شَيْءٌ يُوْذِيهِ ،
فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ فَقَالَ :

أَعْيَانِي الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فَقُلْتُ بِمَاذَا ؟ فَقَالَ :

أَكْتُبُ أَشْكُو فَلَا يُجِيبُ

قال فَقُلْتُ لَهُ : دَارُهُ وَدَاوَهُ ؛ فَقَالَ :

مِنْ أَيْنَ أُبْغِي شِفَاءَ مَا بِي وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ

فَقُلْتُ : لَا دَوَاءَ إِذَا إِلَّا أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ :

يَا رَبِّ فَرِّجْ إِذَا وَعَجَلُ فَإِنَّكَ السَّامِعُ الْمُجِيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رَمْلٌ طَنْبُورِيٌّ لِحِظَّةٍ .

[من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

1 أهرَبَ فهو مهْرَبٌ : جَدَّ في السير مذعوراً .

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ

الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيل أول بالوسطى ، من رواية ابنه عبيد الله عنه . وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس البيهقي عن أحمد بن يحيى ثعلب :

بَلْ بُنَاثَا رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ	على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُوداً حَاتِماً وَنَائِلاً	وَسُورَةً مِقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفِ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْجُثَا حَيْثُ أَضْمَرْتُ	فَتَى كَانَ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَفِيفِ
فَإِنْ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ	فِيَا رَبِّ خَيْلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفِ
أَلَا يَا لَقَوْمٍ لِلنَّوَابِ وَالرَّدَى	وَدَهْرٍ مِلْحٍ بِالْكَرَامِ عَنِيفِ
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى	وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُصُوفِ
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً	كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى	وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفِ
وَلَا الْخَيْلَ إِلَّا كُلَّ جَزْدَاءِ شَطْبَةٍ	وَكُلَّ حِصَانٍ بِالْيَدَيْنِ غُرُوفِ ¹
فَلَا تَعْزَعَا يَا ابْنِي طَرِيفِ فَإِنِّي	أَرَى الْمَوْتَ نَزْالاً بِكُلِّ شَرِيفِ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ الرَّيِّعِ وَلَيْتَنَا	فَدَنَّاكَ مِنْ دَهْمَانَا بِالْوُفِ

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه ، وكان يزيد بن مزيد قتله .

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرقاً فتذهب الأرض نهياً في سرعتها .

207 - [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال : كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وصولةً وأشجعهم ؛ فكان من الشماسية¹ لا يأمن طروقه [إياه] ، واشتدّت شوكة وطالت أيامه . فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، فجعل يخالطه ويماكره . وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد ، فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعدّه وينتظر ما يكون من أمره . فوجه إليه الرشيد كتاباً مغضب يقول فيه : «لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مدهين متعصب . وأمير المؤمنين يقيم بالله لمن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين» . فلقى الوليد عشية خميس في شهر رمضان . فيقال : إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه ، فجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة فاسترها . وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمي ، إنما هي الخوارج ولهم حمة ، فاثبتوا لهم تحت التراس² ، فإذا انقضت حملتهم فاحملوا ؛ فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حملوا حمة وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حمل عليهم فانكشفوا . ويقال : إن أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدّاً ؛ وكان لا يفصل بينهما إلا المتأمل ، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ومنحرفة على جبهته ؛ فكان أسدّ يتمنى مثلها . فهوت له ضربة فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنه لو خطت على مثال ضربة أبيه ما عدا ، كأنها هي . واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يضطلي بناري
جوركم أخرجني من داري

1 الشماسية : محلة كانت قرية من بغداد .

2 التراس : جمع ترس .

[خرجت أخته لتأثر له فزجرها يزيد بن يزيد]

فلما وقع فيهم السيفُ وأخذ رأسُ الوليدِ ، صَبَحَتْهُمْ أخته ليلي بنت طريفٍ مستعدةً عليها
الدُّرْعُ والجَوْشَنُ ، فجعلتْ تحملُ على الناسِ فَعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوهَا ، ثمَّ خرج إليها
فَضْرَبَ بالرَّمْحِ قِطَاةً¹ فرسها ، ثم قال اغْرُبِي غَرْبَ اللَّهِ عليك ! فقد فَضَحَتْ العَشِيرَةَ ؛
فاسْتَحَيَتْ وانصرفت وهي تقول :

أيا شجرَ الخابورِ ما لك مورقاً كأنك لم تحزنَ على ابنِ طريفٍ
فتى لا يُجِبُّ الزَّادَ إلَّا مِنَ التَّقَى ولا المالَ إلَّا من قَنًا وسُيوفٍ
[ولا الذُّخْرَ إلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ صِلْدِمٍ وكلُّ رقيقِ الشُّفْرَتَيْنِ خفيفٍ²]

فلما انصرف يزيدُ بالظُّفَرِ حُجِبَ بِرَأْيِ البرامكةِ ، وأظهر الرشيد السخَطَ عليه . فقال :
وَحَقُّ أمير المؤمنين لأصيفنَ وأشتونَ على ظهرِ فَرَسِي أو أدخلَ . فارتفع الخبر بذلك فأذن له
فدخلَ . فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسرَّ وأقبل يصيح : مَرْحَبًا بالأعرابيِّ ! حتى دخل
وأجلسَ وأكْرِمَ وعَرِفَ بلاؤه ونقاءَ صدرِهِ .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد]

ومدحه الشعراء بذلك . فكان أحسنهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي
أولها :

أَجْرَزْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي عَذَلِي
هَاجَ الْبُكَاءُ عَلَى الْعَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيعٍ وَمُحْتَمَلٍ³
كَيْفَ السُّلُو لِقَلْبٍ بَاتَ مُخْتَبِلاً يَهْدِي بِصَاحِبِ قَلْبٍ غَيْرِ مُخْتَبِلٍ
وفيها يقول :

يَقْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مِبْتَسِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطَلِ
مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَغْنَى الرُّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعِجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ كَالْبَيْتِ يُفْضِي إِلَيْهِ مُلتَقَى السَّبَلِ

1 قطاة الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .

2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السيف .

3 العين الطمّوح : المرتفعة في النظر إلى الأحبة وهم سائرون .

يَقْرِي الْمَيِّتَةَ أَرْوَاحَ الْعُدَاةِ كَمَا
يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ
إِذَا انْتَضَى سَيْفَهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ
لَا تُكْذِبُنَّ فَإِنَّ الْمَجْدَ مَعْدِنُهُ
إِذَا الشَّرِيكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ
الرَّائِدِيُّونَ قَوْمٌ فِي رِمَاحِهِمْ
كَبِيرُهُمْ لَا تَقُومُ الرَّاسِيَّاتُ لَهُ
اسْلَمَ يَزِيدُ فَمَا فِي الْمُلْكِ مِنْ أَوْدٍ
لَوْلَا دِفَاعُكَ بَأْسَ الرُّومِ إِذْ مَكَرْتُ
وَالْمَارِقُ ابْنُ طَرِيفٍ قَدْ ذَلَفَتْ لَهُ
لَوْ أَنَّ غَيْرَ شَرِيكِي أَطَافَ بِهِ
مَا كَانَ جَمْعُهُمْ ذَلَفَتْ لَهُمْ
كَمْ آمَنَ لَكَ نَائِي الدَّارِ مَمْتَنِعٍ
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ
لَا يَعْبَقُ الطَّيْبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرَقَهُ
يَأْبَى لَكَ الذَّمُّ فِي يَوْمَيْكَ إِنْ ذُكِرَا
فَافْخَرْ فَمَالِكَ فِي شَيْبَانٍ مِنْ مَثَلٍ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ

خبرَ يزيدَ بنَ مَزِيدٍ . وذلك أَنَّ امرأةَ مَعْنِ بنِ زائدةَ عاتبتَ مَعْنًا في يزيدَ وقالت : إِنَّكَ لَتَقْدَمُهُ
وَتُوَخِّرَ بَيْنِكَ ، وتشيدَ بذكره وتُخِيلَ ذِكْرَهُمْ ، ولو نَهَيْتَهُمْ لانتَبَهوا ، ولو رفعتَهُمْ لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحداً كوماً .

2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن يزيد .

3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .

4 الناضل : المصيب ومثله الخصيل .

فقال معن: إن يزيد قريبٌ لم تَبْعُدْ رَحِمُهُ ، وله عليّ حُكْمُ الولدِ إذ كنتُ عمّه . وبعدُ فإنهم ألوط¹ بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبةُ الولادة للأبوة من تقديمهم ، ولكنني لا أجِدُ عندهم ما أجده عنده . ولو كان ما يَضْطَلِعُ به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍّ لصار حبيباً . وسأريك في ليلتي هذه ما يَنْفَسِحُ به اللّومُ عني ويتبيّن به عُذْرِي . يا غلامُ اذْهَبْ فاذْغُ جَسَاساً وزائدةً وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماءَ ولَدَه ؛ فلم يَلْبَثْ أن جاءوا في الغلائلِ المطيَّبةِ والنعالِ السُّنْدِيَّةِ ، وذلك بعد هَذَا من الليل ، فسَلَّمُوا وجلسوا . ثم قال : يا غلامُ اذْغُ لي يزيدَ وقد أُسْبِلَ سِتْرًا بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخلَ عَجَلًا وعليه السِّلَاحُ كُلُّهُ ، فوضع رُمَحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِرُ² . فلَمَّا رآه معه قال : ما هذه الهيئةُ أبا الزبير ؟ ، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد ، فقال : جاءني رسولُ الأميرِ فسَبَقَ إلى نفسي أَنَّهُ يُريدُني لوجهٍ ، فقلت : إن كان مضيتُ ولم أُعْرجْ ، وإن يكن الأمرُ على خلاف ذلك فترعُ هذه الآلةُ أيسرُ الخُطْبِ . فقال لهم : انصرفوا في حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيّن عُذْرُكَ . فأنشد معنُ مَثَلًا³ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَوْدَتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا³
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِي قال حَدَّثَنَا الرِّياشِيُّ قال : أنشدني الأصمعيّ لأخت الوليد بن طريف تَرْثِيهِ :

ذَكَرْتُ الْوَلِيدَ وَأَيَّامَهُ	إِذِ الْأَرْضُ مِنْ شَخْصِهِ بَلَقَعُ
فَأَقْبَلْتُ أَطْلَبُهُ فِي السَّمَاءِ	كَما يَتَغَيُّ أَنْفَهُ الْأَجْدَعُ
أَضَاعَكَ قَوْمُكَ فليطلبوا	إِفَادَةً مِثْلَ الَّذِي ضَيَّعُوا
لَوْ أَنَّ السَّيْفَ التَّيَّ حَدَّهَا	يُصَيِّبُكَ تَعْلَمُ مَا تَصْنَعُ
نَبَتْ عَنْكَ أَوْ جَعَلَتْ هَيْبَةً	وَخَوْفًا لَصَوْلِكَ لَا تَقْطَعُ

1 ألوط بقلبي : ألصق به .

2 يُحْضِرُ : يعدو ويسرع .

3 مثل يقال في نباحة الذكر من غير قديم ، وعصام بن شهر حاسب النعمان ، فكلٌّ مَنْ كان ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي . فصل المقال : 137 .

208 - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأما خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنَّ عبد الله كان بمحلٍّ من علوِّ المنزلة وعِظَم القَدَر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَسْتغني به عن التقريظ له والدلالة عليه . وأمره في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامة ، وله في الأدب مع ذلك المحلِّ الذي لا يُدفع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرٌ أحد .

[فرَّق خراج مصر وقال أبياتاً أَرْضَى بها المأمون]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأحفش عن محمد بن يزيد المُبرِّد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خراجها وضياعها ، فوهبه كُلَّه وفرَّقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاض المأمون فعله . فدخل إليه يوم مَقْدَمِهِ فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسِي فداؤُكَ والأعناقُ خاضعةٌ	للنائبَاتِ أَيْباً غيرَ مُهْتَضَمِ
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضٍ أَقْمَتُ بِهَا	حَوَليَ بِعَدِكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمِ
أَقْفُو مَسَاعِيكَ اللَّاتِي خُصِّصَتْ بِهَا	حَذَوُ الشَّرَاكِ عَلَى مِثْلِ مَنْ الْأَدَمِ
فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَتْنِي تَبَعٌ	لَمَّا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالنَّعَمِ
وَلَوْ وَكَلْتُ إِلَى نَفْسِي غَنِيْتُ بِهَا	لَكِنْ بَدَأْتُ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فَضَحِكَ المأمون وقال : واللَّهِ مَا نَفِسْتُ عَلَيْكَ مَكْرَمَةً يَنْلِهَا وَلَا أُحْدِثُهُ حَسَنَ عَنكَ ذِكْرُهَا ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ إِذَا عَوَّدْتَهُ نَفْسُكَ افْتَقَرْتَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى لَمِّ شَعْنِكَ ، وَإِصْلَاحِ حَالِكَ . وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أخبرني وكيعٌ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أَخْبَرَنِي محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لَمَّا افْتَتَحَ عبد الله بن طاهر مِصرَ وَنَحْنُ مَعَهُ ، سَوَّغَهُ المأمون خَرَايجَهَا . فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا . فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا قَدْ صَنَعَ عبد الله بن طاهر بِالنَّاسِ فِي الْجَوَائِزِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ وَاحِداً ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمِنْبَرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا مُعَلَّى الطَّائِي ، وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ [إِلَيَّ] مِنْ جَفَاءٍ وَغِلَظٍ ، فَلَا يَغْلِظُنَّ عَلَيَّ قَلْبُكَ . وَلَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

[من البسيط]

يا أعظمَ النَّاسِ عَفْوَاً عندَ مَقْدِرَةٍ وأظلمَ النَّاسِ عندَ الجُودِ للمالِ
لو أصبحَ النِّيلُ يجري ماؤه ذهباً لما أُشِرَتْ إلى خَزَنِ بِمِثْقَالِ
تُغْلِي بما فيه رِقِّ الحمدِ تَمْلِكُهُ وليس شيءٌ أعاضَ الحمدَ بالغالي¹
تَفَكُّ باليسرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنِ إذا استطالَ على قومٍ بإقلالِ
لم تَحُلْ كَفْكَ من جُودِ لِمُخْتَبِطِ [أ] وَ مُرْهَفِ قَاتِلِ في رأسِ قَتَالِ²
وما بَثَّتْ رَعِيْلَ الخيلِ في بَلَدِ إلَّا عَصَفْنَ بِأَرْزاقِ وآجالِ
إن كنتُ منك على بالٍ مَنَنْتَ به فإنَّ شُكْرَكَ من قلبي على بالي
ما زِلْتُ منقِضياً لولا مُجاهرةً من ألسُنِ خُضُنَ في صَدْرِي بِأَقوالِ
قال فضحك عبد الله وسرَّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السَّمراءِ أَقْرِضْنِي عشرة آلاف دينار ،
فما أَمْسَيْتُ أَمْلِكُها ؛ فأقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم فجاءه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنَّته «ضعف» جاريته]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مؤثراً مُقَدِّماً ؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنِّية هناك وقبل ذلك . ثم إنَّه وَجَدَ عليه في بعض الأمر ، فجفاه وظَّهَرَ له منه بعضٌ ما لم يُحِبِّه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال :

صوت

إن كان عبدُ الله خَلاناً لا مُبْدِئاً عُرْفاً وإحساناً

فَحَسْبُنَا اللهُ رَضِينا به ثمَّ بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنَّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لَحْناً من الثَّقِيلِ الأوَّل ، وسَمِعَهُ المأمون فاستحسنه ووصله وإيَّاهَا . فبلغَ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاضه ذلك وقال : أَجَلْ ؛ صَنَعْنَا المَعْرُوفَ إلى غير أهلِهِ فضا ع .

وكانتْ ضَعْفُ إحدى المُحْسِنات . ومن أوائل صَنَعَتِها وصدور أغانيها وما بَرَزَتْ فيه وقُدِّمَتْ فاخْتِيرَتْ ، صَنَعَتِها في شعر جَمِيلٍ :

أَمِنْكَ سَرَى يا بَشْنُ طَيْفٍ تَأَوَّباً هُدُوءاً فهاج القلبُ شوقاً وأنصبا

1 تغلي بالشيء : تجعله غالباً .

2 اختبطه وتخططه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربي أو مودة أو معرفة .

عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النُّومِ مَضْجَعِي وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَ أَعْجَبَا
الشعر لجميل ، والغناء لضعف ثقيل أول بالنصر .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثني العباس بن الفضل
الخراساني ، وكان من وجوه قواده طاهر وابنه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال : لما
قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع ،
عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني ، وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك ، فأفرط في
السب وتجاوز الحد في قبح الرد ، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط
والتعصب . فكان مما قال فيه :

يا ابنَ بَيْتِ النَّارِ مَوْقِدُهَا مَا لِحَاذِيهِ سَرَاوِيلُ¹
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ مُضْعَبٌ ؟ غَالَتْكُمْ غُولُ
نَسَبٌ فِي الْفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وَأَبَوَاتُ أَرَاذِيلُ²
قَاتِلُ الْمَخْلُوعِ مَقْتُولُ وَدُمُ الْمَقْتُولِ مَطْلُولُ

وهي قصيدة طويلة . فلما ولي عبد الله مصر ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام ، علم الحصني أنه لا
يُقْبَلُ منه إن هَرَبَ ، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ ؛ فَنَبَتَ في موضعه ، وأَحْرَزَ حُرْمَهُ ، وترك
أمواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه وجلس عليه ، ونحن نتوقع من
عبد الله بن طاهر أن يُوقِعَ به . فلما شَارَفْنَا بَلَدَهُ وَكُنَّا عَلَى أَنْ نُصَبِّحَهُ ، دعاني عبد الله في الليل
فقال لي : بَيْتٌ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، وَلِيَكُنْ فَرَسُكَ مُعَدًّا عِنْدَكَ لَا يُرَدُّ ، ففعلت . فلما كان في السَّحَرِ أَمَرَ
غلمانَه وأَصْحَابَهُ أَلَّا يَرْحَلُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَرَكِبَ فِي السَّحَرِ وَأَنَا وَخَمْسَةٌ مِنْ خَوَاصِّ
غِلْمَانِهِ [معه] ، فسار حتى صَبَحَ الْحِصْنِي ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُسْتَرْسِلاً ، فقصدته
وسلم عليه ونزل عنده وقال له : مَا أَجَلَسَكَ هَاهُنَا وَحَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَتَحْتَ بَابَكَ وَلَمْ تَحْصَنْ مِنْ
هَذَا الْجَيْشِ الْمُقْبِلِ وَلَمْ تَتَنَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ وَمَا بَلَغَهُ عَنْكَ ؟ فقال : إِنَّ
مَا قُلْتُ لَمْ يَذْهَبْ عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي تَأَمَّلْتُ أَمْرِي وَعِلِمْتُ أَنِّي أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً حَمَلَنِي عَلَيْهَا نَزَقُ
الشَّيْبَابِ وَغَرَّةُ الْحِدَاثَةِ ، وَأَنِّي إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ لَمْ أَقْتَهُ ، فَبَاعَدْتُ الْبِنَاتِ وَالْحُرَمَ ، وَاسْتَسَلَمْتُ بِنَفْسِي
وَكُلَّ مَا أَمْلِكُ ؛ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أُسْرِعَ الْقَتْلُ فِينَا ، وَلِي بَمَنْ مَضَى أَسْوَةٌ ؛ فَإِنِّي أَتَّقِي بَأْنَ الرَّجُلِ إِذَا

1 الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذئب من أدبار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيه نأرب ، ولا يوجب جرّمي إليه أكثر ممّا بذلته . قال : فوالله ما اتقاه عبد الله إلّا بدّموعه تجري على لحيته . ثم قال له : أتعرفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد آمن الله تعالى روعتك ، وحقق دّمك ، وصان حرّمك ، وحرّس نعمتك ، وعفا عن ذنّبك . وما تعجّلت إليك وحدي إلّا لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلاّ يخالط عَفْوِي عنك روعة تلحقك . فبكى الحصنيّ وقام فقبل رأسه ؛ وضّمّه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخر بهم لم أظعن فيه على حسّبك ولا ادّعت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القوم الذين ثأرك عندهم ؛ فكان يسعك السكوت ، أو إن لم تسكّت لا تفرّق ولا تُسرف . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوت ، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تريب ، ولا يكدر صفوه تأنيب . قال : قد فعلت ، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتّى نوجب عليك حقّاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشرب في مُستشرفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن ألقاهم فأرحلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلّا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فتزلتُ فرحتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجَه ثلاث سنين ، وقال له : إن نشيطت لنا فالحق بنا ، وإلّا فأقم بمكانك . فقال : فأنا أجهّز وألحق بالأمر . ففعل فلحق بنا بمصر . ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتّى رحّل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنى فيها وأخبارها]

فأمّا الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صناعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدّمها لحنه في شعر أخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأخت مسعود بن شدّاد . فإنه صوت نادر جيد . قال أبو العنيس بن حمدون وقد ذكره ففضّله : جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مُزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء ، وهو :

صوت

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أُسِيرُكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي
الطَاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتْبَعُهَا مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزَابِ

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْم ، وهم بطنٌ من هُذَيْل ، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّا عرفوه قتلوه . وكان قد عطش

فاستسقاهاهم ، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِهِ . وقيل : إنَّ هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شدَّاد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداءً استهلال .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبیب بن نصر المَهَلَّبِيّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : قتلْتُ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيْل ، عمرو بن عاصية السُّلَمِيّ ، وكان رجلاً منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاها ماءً فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته تَرثِيه ، وتذكر ما صنعوا به :

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وَبَهَزَ بَيْنَهَا إِرَّةٌ فلا تَبُوحُ ولا يَرْتَدُّ صَالِيهَا¹

[ويروى : «شبت هذيل وسهم» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شَبَّة] :
[من البسيط]

إِنَّ ابْنَ عَاصِيَةِ الْمَقْتُولِ بَيْنَكُمَا خَلَى عَلَيَّ فِجَاجاً كَانَ يَحْمِيهَا

وقالت أيضاً تَرثِيه :
[من البسيط]

يَا لَهْفَ نَفْسِي لَهْفًا دَائِمًا أَبَدًا على ابن عاصية المقتول بالوادي
هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أُسِيرَكُمُ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

قال : فغزا عَرْعَرَةُ بن عاصية هُذَيْلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفْراً وَسَبَى امرأةً فجرّدها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيْمٍ ؛ فقالت عند ذلك :

أَلَامَتْ سُلَيْمٌ فِي السِّيَاقِ وَأَفْحَشَتْ وَأَفْرَطَ فِي السُّوقِ الْعَنيفُ إِسَارُهَا²
لَعَلَّ فِتَاةَ مِنْهُمْ أَنْ يَسَوْقَهَا فَوَارِسُ مَنْ وَهِيَ بِأَيْدِ شَوَارُهَا³
فَإِنْ سَبَقَتْ عَلَيَا سُلَيْمٌ بِدَحْلِهَا هُذَيْلاً فَقَدْ بَاءَتْ فَكَيْفَ اعْتَدَارُهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى الْخَيْلَ شَرْبًا تُثِيرُ عَجَاجاً مُسْتَطِيرًا غُبَارُهَا⁴
فَفَرَّقَا عَيُونََ بَعْدَ طُولِ بُكَائِهَا وَيُغَسِّلُ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ عَارُهَا⁵

هذه رواية عمر بن شَبَّة . فأما أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .

2 ألامت : فعلت ما تستحق عليه اللوم .

3 الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

4 شرب : ضومر ، الواحد شازب .

5 ترقا : في الأصل ترقا أي تجف .

السُّلَمِيُّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَغَارُوا عَلَى هُذَيْلَ بْنِ مُدْرِكَةَ ، فَصَادَفُوا حَيًّا مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو سَهْمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ هُذَيْلَ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي بَهْزٍ ، فَقَالَتْ لِابْنِهَا مَعَهُ : أَيُّ بُنَيٍّ انْطَلِقَ إِلَى أُخُوَالِكَ فَأَنْذِرْهُمْ بِأَنَّ ابْنَ عَاصِيَةَ السُّلَمِيِّ قَدْ أَمْسَى يَرِيدُهُمْ ، وَذَلِكَ حِينَ عَزَمَ ابْنُ عَاصِيَةَ عَلَى غَزْوِهِمْ وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ . فَنَاطَلُوا الْغَلَامَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَوْا أُخُوَالَهِ فَأَنْذَرَهُمْ ، فَقَالَ : ابْنُ عَاصِيَةَ السُّلَمِيِّ يَرِيدُكُمْ ، فَخَذُوا حِذْرَكُمْ ؛ فَبَدَّرَ الْقَوْمُ وَاسْتَعَدُّوا . وَأَصْبَحَ عَمْرُو بْنُ عَاصِيَةَ قَرِيبًا مِنَ الْحَيِّ ، فَنَزَلَ قَرِيبًا لِأَصْحَابِهِ عَلَى جَبَلٍ [مَشْرِفٍ عَلَى الْقَوْمِ] ، فَإِذَا هُمْ حَذِيرُونَ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَرَى الْقَوْمَ حَذِيرِينَ ، إِنَّ لَهُمْ لَشَأْنًا ، وَلَقَدْ أَنْذَرُوا عَلَيْنَا . فَكَمَنَّ فِي الْجَبَلِ يَطْلُبُ غَفْلَتَهُمْ ، فَأَصَابَهُ وَأَصْحَابُهُ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، فَقَالَ ابْنُ عَاصِيَةَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْتَوِي لِأَصْحَابِهِ ؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : نَخَافُ الْقَوْمَ ، وَأَبَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ : فَخَرَجَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَمَعَهُ قَرْنَتُهُ . وَقَدْ وَضَعَتْ هُذَيْلٌ عَلَى الْمَاءِ رَجُلًا مِنْهُمْ رَصَدًا ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَرِدُوا الْمَاءَ . فَمَرَّبَهُمْ عَمْرُو بْنُ عَاصِيَةَ وَقَدْ كَمَنَّ لَهُ شَيْخٌ وَفَتْيَانٌ مِنْ هُذَيْلَ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ هُمُ الْفَتْيَانِ أَنْ يُثَاوِرَاهُ¹ . فَقَالَ الشَّيْخُ : مَهْلًا ! فَإِنَّهُ لَمْ يَرَكَا ، فَكَفَّا . فَانْتَهَى ابْنُ عَاصِيَةَ إِلَى الْبَيْرِ ، فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا وَالْآخَرُونَ يَرْمُقُونَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ . فَوَثَبَ نَحْوَ قَرْنَتِهِ فَأَخَذَهَا ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْرَ فَطَفَّقَ يَمْلَأُ الْقِرْبَةَ وَيَشْرَبُ . وَأَقْبَلَ الْفَتْيَانِ وَالشَّيْخَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْبَيْرِ ، [فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَأَبْصَرَ الْقَوْمَ] ؛ فَقَالُوا : [قَدْ] أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا ابْنَ عَاصِيَةَ وَأَمَكَنَّ مِنْكَ ؛ قَالَ : وَرَمَى الشَّيْخُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ أَحْمَصَهُ فَأَنْفَذَهُ فَصْرَعَهُ ، وَشَغِلَ الْفَتْيَانِ بِنَزْعِ السَّهْمِ مِنْ قَدَمِ الشَّيْخِ ، وَوَثَبَ ابْنُ عَاصِيَةَ مِنَ الْبَيْرِ شَدًّا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، وَأَدْرَكَ الْفَتْيَانِ قَبْلَ وَصُولِهِ فَأَسْرَاهُ . فَقَالَ لَهَا حِينَ أَخَذَهَا : أَرُوِيَانِي مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ اصْنَعَا مَا بَدَا لَكُمَا . فَلَمْ يَسْقِيَاهُ وَتَعَاوَرَاهُ بِأَسْيَافِهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ . فَقَالَتْ أُخْتُ عَمْرُو بْنِ عَاصِيَةَ تَرْتِي أَخَاهَا : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا لَهْفَ نَفْسِي يَوْمًا ضَلَّهَ جَزَعًا عَلَى ابْنِ عَاصِيَةَ الْمَقْتُولِ بِالْوَادِي

إِذَا جَاءَ يَنْفُضُ عَنْ أَصْحَابِهِ طِفْلًا مَشْيَ السَّبْتِيِّ أَمَامَ الْأَيْكَةِ الْعَادِي²

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَبَ غَزِي³ بَنِي سُلَيْمٍ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ عَاصِيَةَ . قَالَ : فَبَلَغَ أَخَاهُ عَرْعَرَةَ بْنُ عَاصِيَةَ قَتْلُ هُذَيْلٍ أَخَاهُ وَكَيْفَ صُنِعَ بِهِ ، فَجَمَعَ لَهُمْ جَمْعًا مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ فَوَارِسُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْهُمْ عُبَيْدَةُ بْنُ حَكِيمِ الشَّرِيدِيِّ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الشَّرِيدِيِّ وَأَبُو مَالِكِ الْبَهْزِيُّ وَقَيْسُ بْنُ

1 ثَاوَرَهُ : وَابْتَهَ .

2 يَنْفُضُ : يَكْشِفُ الطَّرِيقَ وَيَتَجَسَّسُ . الطِّفْلُ طِفْلَانِ : طِفْلُ الْغَدَاةِ وَطِفْلُ الْعَشِيِّ . السَّبْتِيُّ : النَّمْرُ أَوِ الْأَسَدُ .

3 الْغَزْيُ : اسْمُ جَمْعٍ لَغَاظٍ .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِغْلٍ . قال : فسرى إليهم عرعة ، فالتقوا بموضع يقال له الجُرف فاقتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت بهم بنو سُلَيْم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمة ، وأسروا أسرى ، وأصابوا امرأة من هذيل فعروها من ثيابها واستاقوها مجردة فأفحشوا في ذلك . وقال عرعة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل :

أَلَا أُبْلِغُ هُذَيْلًا حَيْثُ حَلَّتْ مُغْلَغَلَةً تَخْبُ مَعَ الشَّقِيقِ
مُقَامَكُمْ غَدَاةَ الْجُرْفِ لَمَّا تَوَاقَفَتِ الْفَوَارِسُ بِالْمَضِيقِ
غَدَاةَ رَأَيْتُمْ فُرْسَانَ يَهْزِ وَرِغْلٌ أَلْبَدْتُ فَوْقَ الطَّرِيقِ¹
تَرَامَيْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ وَلَّتْ فَوَارِسُكُمْ تَوَقَّلُ كُلُّ نِيقٍ²
بِضَرْبٍ تَسْقُطُ الْهَامَاتُ مِنْهُ وَطَعْنٍ مِثْلَ إِشْعَالِ الْحَرِيقِ

وقال لي : إنَّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شَدَاد يرثي أخاه ، وزعم أنَّ جرماً كانت قتلته وهو عطشان ، فقال :

يَا عَيْنُ جُودِي لِمَسْعُودِ بْنِ شَدَادٍ بِكَلِّ ذِي عِبْرَاتٍ شَجُوهُ بَادِي
هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي جَرْمٍ أَسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لعارعة المريّة أخت مسعود بن شَدَاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده :

يَا مَنْ رَأَى يَارِقًا قَدْ بَتَّ أَرْمُقُهُ جَوْدًا عَلَى الْحَرَّةِ السُّودَاءِ بِالْوَادِي³
أَسْقِي بِهِ قَبْرَ مَنْ أَعْنَى وَحُبَّ بِهِ قَبْرًا إِلَيَّ وَلَوْ لَمْ يَفْذِهِ فَادِي
شَهَادُ أُنْدِيَةِ رَفَّاعُ أُنْبِيَةِ شَدَادُ أَلْوِيَةِ فَتَّاحُ أُسْدَادِ
نَحَارُ رَاغِيَةِ قَتَّالُ طَاغِيَةِ حَلَالُ رَابِيَةِ فَكَّاكُ أَقْيَادِ⁴
قَوَالُ مُحْكَمَةِ نَقَّاضُ مَبْرَمَةِ فَرَّاجُ مَبْهَمَةِ حَبَّاسُ أَوْرَادِ⁵

1 ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .

2 توكل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبال .

3 البارق : هنا السحاب .

4 الراغية : الناقة .

5 أورداد : جمع ورد وهو الجماعة الوردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَلَالٌ مُمْرِغَةٌ حَمَالٌ مُضْلِعَةٌ قَرَأُ مُمْطِعَةٌ طَلَأُ أَنْجَادٍ¹
جَمَاعٌ كُلُّ خِصَالٍ خَيْرٍ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرِينِ وَخَطْمُ الظَّالِمِ الْعَادِي²
أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادٍ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لما صنع أبي هذا الصوت لم يُجِبْ أن يَشِيعَ عنه شيءٌ من هذا ولا يُنسَبَ إليه ؛ لأنه كان يترفع عن الغناء ، وما جسَّ بيده وترأ قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة [وحسن الثقافة] ما لا يعرفه كبيرٌ أحدٍ . وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذنها عنه وغنَّين بها ، وسَمِعَها النَّاسُ منهمنَّ وممن أخذ عنهنَّ . فلما أن صنع هذا الصوت :

هَلَا سَقَيْتُمْ بَنِي جَزْمٍ أَسِيرَكُمُ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها داحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما ندبته المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنُّون عنها وروَّوه لمالك مدة . ثم قَلِمَ عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغنَّى الصوتُ بحضرته ونُسِبَ إلى مالك ؛ فضحك عبدُ الله ضحكاً كثيراً . فسُئِلَ عن القصَّة فصَدَّقَ فيها واعترف بصنعة الصوت . فكشَفَ المأمون عن ذلك ، فلم يَزَلْ كُلُّ مَنْ سُئِلَ عنه يُخْبِرُ عَمَّنْ أَخَذَهُ [عنه] ، فتنتهي القصَّة إلى داحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت داحة وسئلت فأخبرت بقصته ؛ فعَلِمَ أنه من صنعته حيثُ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إن إسحاق لم يَعَجَبْ من شيءٍ عَجَبَهُ من عبد الله وحِذْقِهِ بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضاً :

صوت

راح صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءً مِنْ حَبِيبٍ طَلَّاهُ لِي عَنَاءُ
حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُدْ فَيَ لَشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ
مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يُحِبُّ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ عَنْهُ عَزَاءُ

الغناء لابن طنبورة خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر

ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 - [أخبار متفرقة]

[من الهزج]

ومنها :

فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فغَيْرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يَا خَلِيلِيَّ قَدْ مَلِلْتُ نَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَيْتُ الْبَقِيعَا
بَلْغَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسَلَّمِي وَارْجِعَا بِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرِّجْوَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر حبش أن فيه رملاً بالنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمبعد ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال [أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال] : قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبير والمسيبي ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهري] قال حدثنا عمر بن شبة موقوفاً عليه . وجمعت رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزبير [بن بكار] وخبره أتم : أن عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة ؛ فزعموا أنه قدّمها من أجل امرأة من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله :

يَا خَلِيلِيَّ قَدْ مَلِلْتُ نَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَيْتُ الْبَقِيعَا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكة فمرا بنصيب وكثير ونحاوروا]

قال : ثم خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوص واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثير إنه قال : لما مرّا بالروحاء¹ استلباني² فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .

2 استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .

أَتْلُوهُمَا ، حَتَّى لَحَقْتُهُمَا بِالْعَرَجِ¹ عِنْد رَوَاحِهِمَا . فَخَرَجْنَا جَمِيعاً حَتَّى وَرَدْنَا وَدَّانَ² ، فَجَبَسَهُمَا النُّصَيْبُ وَذَبَحَ لهما وَأَكْرَمَهُمَا ، وَخَرَجْنَا وَخَرَجَ مَعَنَا النُّصَيْبُ . فَلَمَّا جِئْنَا كُلِّيَّةَ³ عَدَلْنَا جَمِيعاً إِلَى مَنْزَلٍ كَثِيرٍ ، فَقِيلَ لَنَا : هَبْطَ قُدَيْدًا⁴ ، فَذُكِّرَ لَنَا أَنَّهُ فِي خِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِهَا . فَقَالَ لِي ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ : اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي . فَقَالَ النُّصَيْبُ : هُوَ أَحَقُّ وَأَشَدُّ كِبَرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيكَ . فَقَالَ لِي عُمَرُ : اذْهَبْ كَمَا أَقُولُ [لَكَ] فَادْعُهُ لِي : فَجِئْتُهُ ، فَهَشَّ لِي وَقَالَ : «اذْكُرْ غَائِبًا تَرَاهُ⁵ ، لَقَدْ جِئْتُ وَأَنَا أَذْكُرُكَ . فَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَةَ عُمَرَ ؛ فَحَدَّدَ إِلَيَّ نَظْرَةً وَقَالَ : أَمَا كَانَ عِنْدَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا تَرَدِّعُكَ عَنْ إِيْتَائِي بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ! قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ؛ وَلَكِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَهْتِكَ سِتْرَكَ . فَقَالَ لِي : إِنَّكَ وَاللَّهِ يَا بَنَ ذَكْوَانَ مَا أَنْتَ مِنْ شَكْلِي ؛ فَقُلْ لابْنِ أَبِي رَيْعَةَ : إِنْ كُنْتَ قَرَشِيًّا فَأَنَا قَرَشِيٌّ . فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَتْرَكَ هَذَا التَّلَصُّقَ وَأَنْتَ تُقَرِّفُ عَنْهُمْ كَمَا تُقَرِّفُ الصَّمْعَةَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنَا أَثَبْتُ فِيهِمْ مِنْكَ فِي سَدُوسٍ . ثُمَّ قَالَ : وَقُلْ لَهُ : إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَأَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ إِلَيْكَ . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ هُوَ وَمَنْ أَوْلَى بِالْحُكْمِ مِنِّي ؟ [وَبَعْدَ هَذَا يَا ابْنَ ذَكْوَانَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى لَوْمِكَ ؛ فَقَدْ مَنَعَكَ مِنِّي] الْيَوْمَ ؟ فَرَجَعْتُ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقُلْتُ : مَا قَالَ نَصَيْبٌ . فَقَالَ : وَإِنْ . فَأَخْبِرْتُهُ فَضَحِكَ وَضَحِكَ صَاحِبَاهُ ظَهْرًا لِبَطْنِي ، ثُمَّ نَهَضُوا مَعِيَ إِلَيْهِ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي خِيَمَةٍ ، فَوَجَدْنَاهُ جَالِسًا عَلَى جِلْدٍ كَبَشٍ ، فَوَاللَّهِ مَا أَوْسَعَ لِلْقُرَشِيِّ . فَلَمَّا تَحَدَّثُوا مَلِيًّا فَأَفَاضُوا فِي ذِكْرِ الشَّعْرِ ، أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَنْعَتَ الْمَرْأَةَ فَتَنْسَبُ بِهَا ثُمَّ تَدَعُهَا وَتَنْسَبُ بِنَفْسِكَ . أَخْبِرْنِي يَا هَذَا عَنْ قَوْلِكَ :

قَالَتْ تَصَدَّقْنِي لَهُ لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرٍ
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتَهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي⁶
وَقَوْلُهَا وَالْدُّمُوعُ تَسْبِقُهَا لِنَفْسِيذَنَ الطَّوَافِ فِي عُمَرِ

أَتَرَكَ لَوْ وَصَفْتَ بِهَذَا هِرَّةً أَهْلِكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ قَبَّحْتَ وَأَسَاءْتَ وَقُلْتَ الْهَجْرَ : إِنَّمَا تُوصَفُ الْحَرَّةُ بِالْحَيَاءِ وَالْإِبَاءِ وَالْأَلْيَاءِ وَالْبُخْلِ وَالْامْتِنَاعِ ، كَمَا قَالَ هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْأَحْوَصِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .

2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع بين مكة والمدينة .

3 كلية : قرية بين مكة والمدينة .

4 قديد : موضع قرب مكة .

5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذ بمكة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .

6 اسبطرت : أسرع .

أدورُ ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أن سيزورُ
لقد منعتُ معروفها أم جعفرٍ وإنِّي إلى معروفها لَفَقِيرُ

قال : فدخلتِ الأحوصُ أبهةً وعُرِفَتِ الخِلاءُ فيه . فلما استبانَ كثيرُ ذلك فيه قال :
أبطل آخِرُك أولَك . أخبرني عن قولك :

فإن تصلي أصيلك وإن تبيني بصُرمك بعد وصيلك لا أبالي
ولا ألفي كمن إن سيم صرماً تعرّض كي يُردَّ إلى الوصالِ
أما والله لو كنتُ فحلاً لباليتُ ولو كسرتُ أنفك . ألا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار
إلى نصيب :

بزئبَ أليم قبل أن يرحلَ الركبُ وقُلْ إن تملّينا فما ملّك القلبُ
قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النصيبُ أبهةً . فلما نظرَ أن الكبرياء قد دخلته ، قال
له : يا ابنَ السوداء ، فأخبرني عن قولك :

أهيمُ بدعدي ما حييتُ فإن أمتُ فوا كيدي من ذا يهيمُ بها بعدي
أهمك من ينيكها بعدك ؟ فقال نصيب : استوتِ القوق¹ ، قال : وهي لُعبة مثل المنقلة .
ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقيين . قال سائب : فلما أمسك كثيرُ أقبل عليه
عمر فقال له : قد أنصتُنا لك فاسمع يا مذبوب² [إلي] ! أخبرني عن تخييرك لنفسك وتخييرك
لمن تُحبّ حيث تقول :

ألا ليتنا يا عزَّ كنا لذي غنى بغيرين نرعى في الخلاء ونعزُبُ
كلانا به عزَّ فمن يرنا يقلُ على حُسْنِها جرباءُ تُعدي وأجربُ
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهلُهُ علينا فما ننكُ نُرمي ونضربُ
وددتُ وبيتَ الله أنك بكرةٌ هجاناً وأنّي مُصعَبٌ ثم نهزُبُ³
نكون بغيري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ

وقال : تمنّيتُ لها ولنفسك الرّقَّ والجرب والرّمي والطردَ والمسخَ ، فأبيّ مكروه لم تمنّ لها

1 في نسخة : الفيق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .

2 المذبوب : المجنون .

3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قولُ القائل : «معادةٌ عاقلٍ خيرٌ من مودةٍ أحمقٍ» . قال : فجعل
يختلج جسده كله . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إليَّ يا ابن استها¹ أخبرك بخبرك وتعرضك
للشر وعجزك عنه وإهدافك لمن² رماك . أخبرني عن قولك : [من الطويل]

وَقُلْنَ ، وَقَدْ يَكْذِبْنَ ، فِيكَ تَعِيفٌ وَشَوْمٌ إِذَا مَا لَمْ تُطْعَ صَاحُ نَاعِقَةٍ
وَأَعْيَتْنَا لَا رَاضِيًا بِكَرَامَةٍ وَلَا تَارِكًا شَكْوَى الَّذِي أَنْتَ صَادِقُهُ
فَأَدْرَكَتْ صَفْوُ الْوَدِّ مِنَّا فَلَمَّتْنَا وَلَيْسَ لَنَا ذَنْبٌ فَحَنَ مَوَازِقُهُ³
وَالْفَيْتَنَا سَلْمًا فَصَدَعَتْ بَيْنَنَا كَمَا صَدَعَتْ بَيْنَ الْأَدِيمِ خَوَالِقُهُ⁴

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُوتَ به على نفسك . قال : فحَفَقَ كما يَحْفِقُ
الطائرُ . ثم أقبل عليه النصيبُ فقال : **مُأَقِلٌ عَلِيٍّ** يَا زُبَّ الذُّبَابِ ! فقد تَمَنَّيْتُ معرفة غائبٍ
عندي عِلْمُهُ فيكَ حيث تقول : [من الطويل]

وَدِدْتُ ، وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ ، أَنْنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمٌ
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّيْ وَعِلْمُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِ اللَّوَامُ

انظر في مرآتك واطلّع في جيبك واغرف صورة وجهك ، تعرّف ما عندها [لك] .
فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القوم يضحكون . وجلست عنده ؛ فلما هدا شأوه قال
لي : أَرْضَيْتُكَ فِيهِمْ ؟ فقلت له : أَمَا فِي نَفْسِكَ فَنَعَمْ ! فقد نَحِسَ يومُكَ معهم ، وقد بَقِيْتُ أَنَا
عليك . فما عُدْرُكَ ، ولا عُدْرَ لَكَ ، في قولك : [من الطويل]

سَقَى دِمْتَيْنِ لَمْ نَجِدْ لَهَا أَهْلًا بِحَقْلٍ لَكُمْ يَا عَزُّ قَدْ رَابْنَا حَقْلًا
نَجَاءُ الثَّرِيَّا كُلِّ آخِرَ لَيْلَةٍ يَجُودُهُمَا جَوْدًا وَيُتْبِعُهُ وَبَلًا

[ثم قلت في آخرها] :

وَمَا حَسِيتْ ضَمِيرِيَّةً حَدَرِيَّةً سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّ لَهَا بَعْلًا

أهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظن أن ذلك قد خفي ولم يعلم به أحدٌ ، فتسبب الرجال
وتعييهم ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ وما علمك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هذا أعجبُ من ذاك .
أتذكر امرأة تنسبُ بها في شِعْرِكَ وتَسْتَغْزِرُ لها الغيثَ في أولِ شِعْرِكَ ، وتَحْمِلُ عليها التَّيْسَ في

1 يقال لابن الأمة عند تحقيقه : «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .

2 أهدف لكذا : تعرض له .

3 مواذك : جمع ماذقة . يقال مذاق الود إذا لم يخلصه .

4 الين هنا : الوصل . خوالق الأديم : اللاتي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فَأَطْرَقَ وَذَلَّ وَسَكَنَ . فَعُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَعْلَمْتُهُمْ مَا كَانَ مِنْ خَبَرِهِ بَعْدَهُمْ . فقالوا : مَا أَنْتَ بِأَهْوَنَ حِجَارَتِهِ الَّتِي رُمِيَ بِهَا الْيَوْمَ مِنَّا . قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَتَرْنِي فَأَطْلَبْهُ بِذَخْلٍ ، وَلَكِنِّي نَصَحْتُهُ لئَلَّا يُخْلَ هذا الإخلال الشديد ، ويركب هذه العروض¹ الَّتِي رَكِبَ فِي الطُّعْنِ عَلَى الْأَحْرَارِ وَالْغَيْبِ لَهُمْ .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيد بن سهل بن بركة² وكان يحمل عود ابن سريج قال : كان على مكة نافع بن علقمة الكِنَاني ، فشدد في الغناء والمغنين والنبيد ، ونادى في المختشين . فخرج فتية من قريش إلى بطن محسر³ وبعثوا برسول لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفي . فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا . فقلت : هو علي لكم . فقال لي بعضهم : دونك تلك البغلة فازكبها وامض إليه . فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه . فقال لي : ويحك ؟ وكيف لي بذلك مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه ؟ فقلت له : أفتردهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ فقلت له : أنا أخبؤه لك فشأنك . فركب وستر العود وأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يا ابن بركة هذا الأمير ؟ فقلت : لا بأس عليك ، أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج ، فقال لي يا ابن بركة : من هذا أمامك ؟ فقلت : ومن ينبغي أن يكون ! هذا ابن سريج . فتبسّم [ابن] علقمة ثم تمثّل : [من الطويل]

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرة نستريح ، فقلت له : غن مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخيّل إليّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغنى : [من الكامل]

صوت

كيف الثواء يطن مكة بعد ما هم الذين تحب بالإنجاد
أم كيف قلبك إذ تويت مخمراً سقماً خلافهم وكرثك بادي³
هل أنت إن طعن الأحيّة غادي أم قبل ذلك مذلج بسواد

1 العروض : الطريق في عرض الجبل .

2 بطن محسر : وادي المزدلفة بالقرب من مكة .

3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجي . وذكر إسحاق في مُجرّده أنّ الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنت والذي فلقَ الحبة وبرأ النسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور من غرّه نافع . ثم قلت : زدني وإن كان القوم متعلّقة قلوبهم بك . فغنى وتناول عُوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خفق بطنون¹ الضّأن على العيدان إذا أخذتها قُضبان الدّفل . قال : والصوت الذي غنى :

صوت

لا تَجْمَعِي هَجْراً عَلَيَّ وَغُرْبَةً فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريعُ
مَنْ ذَا ، فَدَيْتُكَ ، يَسْتَطِيعُ لِحْيَهُ دَفْعاً إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ

فقلت : بنفسي أنت والله من لا يُملُّ ولا يُكْدُ ، والله ما جهل من فهمك ؛ اركب ، فدتك نفسي ، بنا . فقال : أمهلني كما أمهلتك اقض بعض شأني . فقلت : وهل عما تريد مدفع ! فقام فصلّي ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : يا حبيبتني إذا شهدتِ بذلك الشيء فاشهدي بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون . فلما دنونا أحسّت الدوابّ بالبعلة فصهلت ، وشحجت البعلة ، وإذا الغريض يُغنيهم لحنه :

مِنْ خَيْلٍ حَيٍّ مَا تَزَالُ مُغَيَّرَةً سَمِعْتُ عَلَى شَرَفِ صَهِيلِ حِصَانٍ

فبكى ابن سريج حتى ظننت أنّ نفسه قد خرجت ، فقلت : ما يُيكيك يا أبا يحيى ؟ [جعلتُ فداك !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءاً ! قال : أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه وشجا صوته ؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يُغنيَ وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركب . فلما سار هنيهة اندفع الغريض فغناهم لحنه :

يَا خَلِيلِي قَدْ مَلَلْتُ ثَوَائِي بالمُصَلَّى وَقَدْ شَبَّتِ الْبَقِيعَا

قال : ولصوته دويٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويليك يا ابن بركة ! أسمعته أحسنَ من هذا الغناء والشعر قط ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نشاوى يسحبون أعطافهم ، وجعلوا يُقبلون وجه ابن سريج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بحرف [واحد] ، وأخذوا في شرايبهم وقالوا : يا حبيب النفس وشقيقها أعطها بعض منها ؛ فضرب بيده إلى جبيه فأخرج منه مضرباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبة

1 يريد بيطون الضّأن الأوتار التي تتخذ من المعى .

تَخَيَّلْتُ إِلَيَّ أَنَّهَا جَوْهَرَةٌ إِلَّا هِيَ ، ثُمَّ ضَرَبَ فَلَقَدْ سَبَّحَ الْقَوْمُ جَمِيعاً ، ثُمَّ غَنَّى فَكُلُّهُ قَالَ : لَبَّيْكَ
لَبَّيْكَ ! فَكَانَ مِمَّا غَنَّى فِيهِ ، وَاللَّحْنُ لَهُ هَزَجٌ : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْكَ يَا سَيِّدَتِي لَبَّيْكَ أَلْفَا عَدَدَا
لَبَّيْكَ مِنْ ظَالِمَةٍ أَحْبَبْتُهَا مُجْتَهِدَا
قُومُوا إِلَى مَلْعَبِنَا نَحْكُ الْجَوَارِي الْخُرْدَا
وَضَعْ يَدَ فَوْقَ يَدِ تَرَفَّعْهَا يَدَا يَدَا

فَكُلُّهُ قَالَ : نَفْعَلُ ذَاكَ . فَلَقَدْ رَأَيْنَا نَسْتَبِقُ أَتَيْنَا تَقَعُ يَدُهُ عَلَى يَدِهِ . ثُمَّ غَنَّى : [من مخلع البسيط]

مَا هَاجَ شَوْقُكَ بِالصَّرَائِمِ رُبَّ أَحَالٍ لِأُمِّ عَاصِمٍ¹
رُبَّ تَقَادَمَ عَهْدِهِ هَاجَ الْمُحِبُّ عَلَى التَّقَادُمِ
فِيهِ النَّوَاعِمُ وَالشُّبَا بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَاعِمِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الْجَبِيَّةِ مِنْ عَمِيمَةٍ رَيَّا الْمَعَاصِمِ²

ثُمَّ إِنَّهُ غَنَّى : [من الطويل]

صوت

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ
فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَاكَ صَبَابَةً وَفِيهِنَّ خَوْدٌ كَأَلْهَاقٍ غَضِيضُ
وَوَلَّيْتُ مَخْزُونًا الْفَوَادِ مَرُوعًا كَهَيَّا وَدَمْعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرُ لَابِنِ
جُنْدَبٍ . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً طَيْرٍ وَقَعْنَ بِقُرْبِنَا وَمَا نُحِسُّ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهَا شَيْئاً ؛ فَقَالَتْ
الْجَمَاعَةُ : يَا تَمَامَ السُّرُورِ وَكَمَالَ الْمَجْلِسِ ! لَقَدْ سَعِدَ مَنْ أَخَذَ بِحُظَّهِ مِنْكَ ، وَخَابَ مَنْ حُرِمَكَ ، يَا
حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَنَسِيمَ النُّفُوسِ جَعَلْنَا [الله] فِدَاكَ ! غَنَّا ؛ فَغَنَّى وَاللَّحْنُ لَهُ : [من مجزوء الكامل]

صوت

يَا هِنْدُ إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ سِ بَعَاذِلَيْنِ تَتَابَعَا

1 أحال الشيء : مرَّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .

2 امرأة عَمِيمَةٍ : نائمة القوام والمخلوق طويله .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طُولاً ، فبدرتُ من بينهم فقَبَلْتُ بين عينيه ،
 فتهافَّت القوم عليه يَقْبَلُونَهُ ؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعُهم عنه شفقةً عليه .
 [ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغاني]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثيرٌ وعمرٌ ونُصَيْبٌ والأحوصُ أغاني .
 منها :

صوت

أبصرْتُها ليلةً ونسَوْتُها يَمْشِينَ بين المقامِ والحَجَرِ
 ما إنْ طَمَعْنَا بها ولا طَمِعَتْ حَتَّى التَقَيْنَا لَيْلاً على قَدَرِ
 بِيضاً حِسَاناً خَرَّاداً قُطْفاً يَمْشِينَ هَوْناً كَمِشِيَةِ الْبَقَرِ
 الشعر لَعَمْرُ . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميِّ وحَبَش . وذكر عمرو أنَّ
 فيه لابن سُرَيْجٍ خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلٌ بالبصرة . ولأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وقيل : إنَّه
 لِسِنَانٍ الْكَاتِبِ . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أَوَّلُها :
 [من المنسرح]

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَمِيدٍ يَهْزِي بِخَوْدِ مَرِيضَةِ النَّظَرِ
 تَمْشِي رُوَيْدًا إِذَا مَشَتْ قُطْفاً وَهِيَ كَمَثَلِ الْعُسْلُوجِ مِ الْبُسْرِ¹
 مَا زَالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزْتُ حَتَّى عَرَفْتُ النُّقْصَانَ فِي بَصَرِي
 غَنَاءُ ابْنِ حَرَزٍ ، وَلَحْنُهُ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .
 ومنها :
 [من المنسرح]

صوت

قَالَتْ لِيَرْبِهَا تُحَدِّثُهَا لِنَفْسِدَنَّ الطَّوْافَ فِي عُمَرِ
 قَالَتْ تَصَدِّقِي لِي لِيَعْرِفْنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتِ فِي خَفَرِ
 قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْتَطِيرَتْ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي²
 غَنَاءُ يُونُسَ خَفِيفِ ثَقِيلٍ أَوَّلٌ بالبصرة عن حَبَش . وقيل : إنَّ فيه لعبد الله بن العباسَ لَحْنًا
 جَيِّدًا .
 ومنها ما لم يَمُضْ ذِكْرُهُ فِي الْكِتَابِ :
 [من الطويل]

1 قطعاً : بطيئان السير : الواحدة قطوف . العسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : الثمر قبل إرطابه .

2 استطيرت : دُعرت .

صوت

ألا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بَغْضَةٍ بَعِيرَيْنِ نَزْعَى في الخَلَاءِ ونَعْرُبُ
كلانا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ على حُسْنِهَا جَرَاءُ تُعْلِي وَأَجْرُبُ
إذا ما وَرَدْنَا مِنْهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ علينا فما تَنَفَّكُ نَرْمِي وَنُضْرِبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[فضلت عَزَّةُ الأحوص في الشعر على كَثِيرٍ ، فققدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال حَدَّثَنَا حَمَادُ بن إِسْحَاقَ عن أَبِيهِ عن أَبِي عبيدة عن عَوَانة
وعيسى بن يزيد : أَنَّ كَثِيرًا دَخَلَ على عَزَّةَ ذات يومٍ ، فقالت له : ما يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ في
الجلوس . قال : ولم ؟ قالت : لَأَنِّي رَأَيْتُ الأَحْوَصَ أَلَيْنَ جَانِبًا [في شِعْرِهِ] مِنْكَ في شِعْرِكَ
وَأَضْرَعَ خَدًّا للنساء ، وَإِنَّهُ لَأَشْعُرُ مِنْكَ حين يقول :

يا أَيُّهَا اللّائِمِي فيها لأَصْرِمَهَا أَكْثَرْتَ لو كان يُغْنِي مِنْكَ إِكْثَارُ
ارْجِعْ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِذْ وَشَيْتَ بِهَا لا القَلْبُ سَالٍ ولا في حُبِّها عَارُ
وَإِنِّي اسْتَرْقَقْتُ قَوْلَهُ :

[من الطويل]

وما كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الهوى إِذَا لم يُزَرَ لا بُدَّ أَنْ سَيُزَوَّرُ
وَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ :

[من البسيط]

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ ولو صَحَا القَلْبُ عَنْهَا كان لي تَبَعًا¹
وزادني كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الإنسانِ ما مُنِعًا²
وقوله أيضًا :

[من الطويل]

وما العَيْشُ إِلَّا ما تَلَذَّذَ وَتَشْتَهَى وَإِنْ لامَ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَنَدًا³
فقال كَثِيرٌ : قد والله أَجَادَ ؛ فما الذي اسْتَجَفَيْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ قالت : أَحْزَاكَ اللهُ ! أَمَا
اسْتَحْيَيْتَ حين تقول :

[من الطويل]

يُحَاذِرُنْ مُنِي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَهَا لَدَيَّ فما يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسُّمًا
فقال كَثِيرٌ :

[من الطويل]

1 صحا في ل : سلا .

2 مثل .

3 الشان : البغض من الشان .

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْتَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنْتِ مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ
كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرِيَاءُ تُعْذِي وَأَجْرِبُ
نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلِّبُ

[أبيات من شعر أبي زيد وبيان ألحانها]

فَقَالَتْ لِي : وَيَحْك ! لَقَدْ أَرَدْتَ بِي الشَّقَاءَ الطَوِيلَ ، وَمِنَ الْمُنَى مَا هُوَ أَغْفَى مِنْ هَذَا
وَأَطِيبُ :

صوت

قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ وَمُسْتَمْعٍ عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرِ ذِي فَرَسٍ
لَا يَرَّةَ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبُهَا وَلَا هُمْ نُهْزَةٌ لُمُخْتَلِسٍ
بَكْفٌ حَرَّانٌ ثَائِرٌ بِدَمٍ طَلَّابٌ وَتَرٍ فِي الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ
إِمَّا تَقَارِشُ بِكَ الرَّمَّاحُ فَلَا أَبْكِيكِ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ
تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ طَيْرًا عُكُوفًا كَزُورِ الْعُرْسِ
عَمَّا قَلِيلٍ يَصْبَحُنَ مُهْجَتَهُ فَهُنَّ مِنْ وَالِغِ وَمُنْتَهِسِ

الشعر لأبي زَيْد الطائِي . والغناء لابن مُحَرِّزٍ في الأوَّل والثاني خفيفٌ ثقيلٌ الأوَّل بالسبابة
في مجرى البنصر عن إِسْحَاق . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّ فِي الْأَرْبَعَةِ الأوَّلِ خفيفيَّ ثقيلٍ كلاهما
بالبنصر لمُعَبَّدٍ وابن مُحَرِّزٍ ، ووافقهُ الهِشَامِيُّ فِي لَحْنِ مَعْبَدٍ فِي الأوَّلِ والثاني وذكر أَنَّهُ
بالوسطى . وفي كتاب ابنِ مِسْجَحٍ عن حَمَّادٍ لَهُ ؛ فِيهِ لَحْنٌ يُقَالُ إِنَّهُ لابنِ مُحَرِّزٍ . ولابنِ سُرَيْجٍ
فِي الأوَّلِ والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أَنَّ الرَّمْلَ
لمُعَبَّدٍ ، وذكر إِسْحَاقُ أَنَّهُ لابنِ سُرَيْجٍ أَيْضاً ، وَأَوَّلُهُ :

تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَا رَمَقٌ

وفيه لِمَالِكٍ فِي السَّادِسِ والسابع خفيفٌ ثقيلٌ آخر . وفيهِ لابنِ عَائِشَةَ رَمَلٌ . وفيهِ
لِحَنِينٍ ثَانِي ثَقِيلٌ . هذه الحِكَايَاتُ الثَّلَاثُ عَنْ يُونُسَ ، وَطَرَأَتْهَا عَنْ الهِشَامِيِّ . وَلِمُخَارِقٍ
فِي الرَّابِعِ والأوَّلِ خفيفٌ رَمَلٌ . وَلِمُتَيْمٍ فِي الأوَّلِ والثاني خفيفٌ رَمَلٌ آخر . وذكر حبشٌ
أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الأوَّلِ والثاني ثَقِيلٌ بالوسطى ، ولابنِ مِسْجَحٍ خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى .

[210] - أخبار أبي زيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرَمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيكَرِب بن حَنْظَلَةَ بن النُّعْمَان بن حَيَّة بن سَعْنَةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هَنِيء بن عمرو بن العَوَث بن طَيِّء بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أَبُو زَيْدٍ نصرانياً وعلى دينه مات . وهو مِمَّن أدرك الجاهليَّة والإسلام فَعَدَّ في المخضرمين . وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العَجِير السُّلُويّ وذووه¹ . وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه]

أخبرني أَبُو خليفة الفضلُ بن الحُبَاب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدّثني محمد بن سَلَام الجُمَحِيّ قال حدّثني أَبُو الغَرَّاف قال : كان أَبُو زَيْدٍ الطائيّ من زوّار الملوك وخاصةً ملوك العجم ، وكان عالماً بِسَيْرِهِمْ . وكان عثمان بن عَفَّان رضي الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه ، وكان نصرانياً . [فحضّر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها .

[استنشد عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفت عثمان إلى أَبِي زَيْدٍ وقال : يا أَخَا تُبَيْع المسيح أَسْمِعْنَا بعضَ قولك ؛ فقد أنبئتُ أنّك تُجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مَبْلُغٌ قَوْمَنَا النَّائِنِ إِذْ شَحَطُوا أَنْ الْفَوَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ وَلَعُ

ووصفَ [فيها] الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حَبِيت . والله إني لأخسبك جَبَاناً هِدَاناً² . قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكنني رأيتُ منه مَنظَراً وشَهِدتُ منه مَشْهُداً لا يرح ذِكْرُهُ يتجدّد ويتردّد في قلبي ، ومعذور أنا يا أمير

1 هم العجير بن عبد الله السلويّ ، وعبد الله بن همام السلويّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنتى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صُيَّابَةٍ¹ أَشرافٍ من أَفناء² قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارفةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المَهَارِي بِأكسائها³ ، ونحنُ نريدُ الحارث بن أبي شَمِيرَ الغَسَّانِي ملكَ الشام ؛ فَاخْرُوطُ⁴ بنا السيرُ في حَمَارَةٍ القَيْظِ ، حتى إذا عَصَبَتِ⁵ الأفواه ، وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ ، وشالتِ المياهُ⁶ ، وأذُكَّتِ الجَوَازِ الْمُعْزَاءُ⁷ ، وذابَ الصَّيْهَدُ⁸ ، وَصَرَ الجُنْدُبُ ، وضافَ العُصْفُورُ الضُّبَّ وجاوره في حُجْرِهِ ، قال قائل : أَيُّهَا الرُّكْبُ غَوُّرُوا بنا في ضَوْجٍ⁹ هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لما كَثُرَ الدَّغْلُ ، دائمُ الغَلَلِ¹⁰ ؛ شَجَرَاوُهُ مُغِنَّةٌ ، وأطيارُهُ مُرْنَةٌ¹¹ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَيْلَاتٍ¹² ، فَأَصْبَيْنَا مِنْ فَضْلَاتِ الرِّادِ وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطَلَتَهُ¹³ ، إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيَهُ¹⁴ ، وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدِيهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ، ثُمَّ جَمَحَ قَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فِعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعُضَتِ الْخَيْلُ ، وَتَكْعَكَعَتِ¹⁵ الْإِبِلُ ، وَتَقْهَقَرَتِ الْبِغَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ¹⁶ ، وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ ؛ فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أُتِينَا وَأنَّهُ السَّبْعُ ؛ فَفَرَعَ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جُرْبَانِهِ¹⁷ ، ثُمَّ وَقَفْنَا [لَهُ] رَزْدَقًا (أَي صَفًّا) . وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَطَّلَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ¹⁸

- 1 صُيَّابُ الْقَوْمِ : خَيْرَتُهُمْ وَسَادَتُهُمْ .
- 2 مِنْ أَفْنَاءِ الْعَرَبِ : أَي لَا يَدْرِي مِنْ أَيِّ الْقَبَائِلِ هُمْ .
- 3 أَكْسَاءُ : جَمْعُ كَسِي وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْعِجْزِ .
- 4 أَخْرُوطُ : طَالَ .
- 5 عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ : جَفَتِ .
- 6 شَالَتِ الْمِيَاهُ : قَلَّتْ .
- 7 الْمُعْزَاءُ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ كَثِيرَةُ الْحَصَى .
- 8 الصَّيْهَدُ : السَّرَابُ الْجَارِي وَشِدَّةُ الْحَرِّ .
- 9 الضُّوجُ : مُعْطَفُ الْوَادِي .
- 10 الْغَلَلُ : الْمَاءُ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ .
- 11 مُرْنَةٌ : أَي مَغْرَدَةٌ .
- 12 كَنْهَيْلُ : شَجَرُ عِظَامٍ .
- 13 الْمُمَاطَلَةُ : الطُّولُ وَالْإِمْتِدَادُ .
- 14 صَرَ أَذْنِيَهُ : سَوَّاهُمَا وَنَصَبَهُمَا لِلِاسْتِمَاعِ .
- 15 تَكْعَكَعَتِ : تَأَخَّرَتْ إِلَى وَرَاءِ .
- 16 الشِّكَالُ : الْحَبْلُ الَّذِي تَشَدُّ بِهِ قَوَائِمُ الدَّابَّةِ .
- 17 جُرْبَانَةُ السَّيْفِ : غَمْدُهُ .
- 18 ل : بَغْيُهُ .

كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ¹ ، أَوْ فِي هِجَارٍ² [معصوب] ؛ لِصَدْرِهِ نَحِيطٌ³ ، وَلِبَلاَعِهِ غَطِيطٌ ؛ وَلِطَرْفِهِ
وَمِيزُ ، وَلِأَرْسَاغِهِ نَقِيزٌ⁴ ؛ كَأَنَّمَا يَخْطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطُ صَرِيمًا⁵ وَإِذَا هَامَةٌ كَالِجَنِّ ، وَخَدُّ
كَالِيسَنٍ⁶ ، وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ⁷ ، كَأَنَّهُمَا سَرَاجَانِ يَقْدَانِ ، وَقَصْرَةٌ رَيْلَةٌ⁸ ، وَلِهَزِمَةٌ رَهْلَةٌ⁹ ؛
وَكَتَدٌ مُغْبَطٌ¹⁰ ، وَزَوْرٌ مُفْرَطٌ¹¹ ؛ وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ ، وَعَضُدٌ مَفْتُولٌ ؛ وَكَفٌّ شَشْنَةُ
الْبَرَاثِنِ¹² ، إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ¹³ . فَضْرِبَ بِيَدِهِ فَأَرْهَجَ¹⁴ ، وَكَشَّرَ فَأَفْرَجَ ، عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ ، غَيْرِ مَفْلُولَةٍ ؛ وَفَمٌّ أَشْدَقُ ، كَالْغَارِ الْأَجُوفِ ؛ ثُمَّ تَمَطَّى فَاسْرَعَ بِيَدَيْهِ ،
وَحَفَزَ¹⁵ وَرَكِيهَ بَرَجْلِيهِ ، حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ ؛ ثُمَّ أَقْنَى فَاقْشَعَرَ ، ثُمَّ مَثَلَ¹⁶ فَكَفَّهُرَ ، ثُمَّ
تَجَهَّمَ فَازْبَارَ¹⁷ . فَلَا وَدُو بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَوَّلِ أَخٍ لَنَا مِنْ فَزَارَةٍ ، كَانَ
ضَخَمَ الْجَزَارَةَ¹⁸ ، فَوْقَصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَقَضَقَضَ مَتْنِيهِ¹⁹ ، فَجَعَلَ يَلْغُ فِي دَمِهِ .
فَذَمَرْتُ أَصْحَابِي²⁰ ، قَبَعْدَ لَايٍ مَا اسْتَقْدَمُوا . فَهَجَّهَجْنَا بِهِ²¹ ، فَكَّرَ مُقْشَعْرًا بِزُبْرَتِهِ²² ،

- 1 المَجْنُوبُ : المصاب بذات الجنب .
- 2 الهِجَارُ : حبل يُشَدُّ فِي رِسْغِ رَجُلِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يَشْدَهُ إِلَى حَقْوِهِ .
- 3 نَحِيطٌ : زفير .
- 4 النَقِيزُ الْأَرْسَاغُ : صوتها .
- 5 الصَرِيمُ : الحبُّ الْمُقْطُوعُ مِنَ الزَّرْعِ .
- 6 الْمِيسَنُ : الْحَجَرُ الَّذِي يُسَنَّ بِهِ أَوْ يُسَنَّ عَلَيْهِ .
- 7 عَيْنِ سَجَرَاءٍ أَيْ بَيْتَةِ السَّجَرِ ، وَهُوَ أَنْ يَخَالَطَ بِيَاضِهَا حُمْرَةً .
- 8 الْقَصْرَةُ : أَصْلُ الْعُنُقِ إِذَا غَلْظَتْ ، وَالرَّيْلَةُ : كُلُّ لَحْمَةٍ غَلِيظَةٍ .
- 9 اللَّهْزِمَةُ : عَظْمٌ نَاتِيءٌ أَوْ مَضْغَةٌ عَلِيَّةٌ تَحْتَ الْأُذُنِ ، وَرَهْلَةٌ : مُتَفَخِّخَةٌ .
- 10 الْكَتْدُ : مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ . وَمَغْبِيطٌ : مُرْتَفِعٌ .
- 11 الزَّوْرُ : الصَّدْرُ .
- 12 شَشْنُ الْبَرَاثِنِ : خَشْنَتُهَا ، وَالْبَرَاثِنُ : جَمْعُ الْبَرَثْنِ ، وَهُوَ مِنَ السَّبَّاحِ وَالطَّيْرِ بِمَنْزِلَةِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْإِنْسَانِ .
- 13 الْمَحَاجِنُ : الْعَصَا الْمُنْعَطِفَةُ الرَّأْسِ كَالصَّوْلُجَانِ .
- 14 أَرْهَجَ : أَثَارَ الْغَبَارِ .
- 15 حَفَزَ : دَفَعَ .
- 16 مَثَلَ : قَامَ مُتَنَصِّبًا .
- 17 اِزْبَارًا : تَنَفَّسَ حَتَّى ظَهَرَتْ أَصُولُ وَبَرِ شَعْرِهِ .
- 18 ضَخَمَ الْجَزَارَةَ : كَبِيرَ الرَّأْسِ وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ يَرِيدُ أَنَّهُ عَظِيمُ الْجِسْمِ .
- 19 وَقَصَهُ : دَقَّ عُنُقَهُ . قَضَقَضَ مَتْنِيهِ : كَسَرَ مَتْنِي الظَّهْرِ .
- 20 ذَمَرْتُ أَصْحَابَهُ : لَامَهُمْ وَحَضَّيْتُهُمْ وَحَثَّيْتُهُمْ .
- 21 هَجَّهَجْنَا بِهِ : صَحْنَا بِهِ وَزَجَرْنَاهُ لِيَكْفَ .
- 22 الزُّبْرَةُ : الشَّعْرُ الْمُجْتَمِعُ بَيْنَ كَفَيْهِ الْأَسَدِ .

كَأَنَّ بِهِ شَيْهَمًا حَوْلِيًّا¹ ، فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أُعْجَرَ ذَا حَوَايَا² ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ [مِنْهَا] مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَّقَر³ ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَبَر⁴ ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ⁵ ، ثُمَّ لَحَظَ⁶ ، فَوَاللَّهِ لَخِلْتُ الْبَرَقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ ، مِنْ عَنِ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ . فَأُرْعِشَتِ الْأَيْدِي ، وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأُطَّتِ الْأَضْلَاعُ⁷ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَصَتِ الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أُرْعَبَتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ .

[خوفه من الأسد]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي شُعْبَةُ قَالَ : قُلْتُ لِلطَّرِمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ : مَا شَأْنُ أَبِي زَيْدٍ وَشَأْنُ الْأَسَدِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ لَقِيَهُ بِالنُّجَفِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَحَ مِنْ فَرْقِهِ ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : فَسَلَحَهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَصِفُهُ كَمَا رَأَيْتُ .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زيد في ضربة المكاء]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَمَّنْ يَقُولُ بِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ طَيِّئٍ مِنْ بَنِي حِيَةَ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ ذُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَ يَقَالُ لَهُ الْمَكَاءُ ، فَذَبَحَ لَهُ شَاةً وَسَقَاهُ الْخَمْرَ ، فَلَمَّا سَكِرَ الطَّائِيُّ قَالَ : هَلُمُّ أَفَاخِرْكَ : ابْنُو حِيَةَ أَكْرَمُ أَمْ بَنُو شَيْبَانَ ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَانِيُّ : حَدِيثٌ [حَسَنٌ] ، وَمُنَادِمَةٌ كَرِيمَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمَفَاخِرَةِ . فَقَالَ الطَّائِيُّ : وَاللَّهِ مَا مَدَّ رَجُلٌ قَطُّ يَدًا أَطْوَلَ مِنْ يَدِي . فَقَالَ الشَّيْبَانِيُّ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَعَدَّتْهَا لِأَخْضِيئِهَا مِنْ كَوْعِهَا . فَرَفَعَ الطَّائِيُّ يَدَهُ ، [فَضْرِبَهَا الشَّيْبَانِيُّ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهَا] . فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي ذَلِكَ :

وَفَرِحْتُمْ بِضَرْبَةِ الْمَكَاءِ	خَبَرْتَنَا الرُّكْبَانُ أَنْ قَدْ فَخَرْتُمْ
لَكُمْ مِنْ تَقَى وَحَقٍّ وَفَاءٍ	وَلَعَمْرِي لَعَارُهَا كَانَ أَدْنَى
فِي صُبُوحٍ وَنَعْمَةٍ وَشِوَاءٍ	ظَلٌّ ضَيْفًا أَخَوَكُمْ لِأَخِينَا

1 الشيهم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .

2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممتلئ جداً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .

3 نههم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .

4 بربر : صاح .

5 جرجر : ردّد صوته في حنجرتة .

6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .

7 أطت الأضلاع : صوّتت .

ثم لما رآه لانت به الخم سر وأن لا يريبه باتقاء
لم يهب حُرمة النديم وحقت يا لقوم للسوء السوءاء

[ما قاله في كلبه أكرد حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان لأبي زيد كلب يقال له أكرد ، وكان له سلاح يُلبسه أيّاه ، فكان لا يقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه ، فلقى الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفلت منه ، فقال عند ذلك أبو زيد :

أحال أكرد مُختالاً كعادته حتى إذا كان بين البئر والعطن¹
لاقى لدى ثلج الأطواء داهيةً أسرّت وأكدرت تحت الليل في قرن²
حطت به شيمة ورهاء تطرده حتى تناهى إلى الحولات في السنن³
إلى مُقابل خطو الساعدين له فوق السراة كذفرى الفالج القمين⁴
ربال غاب فلا قحم ولا ضرع كالبلغر يحطم العلجين في شطن

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجلبهم]

وهي قصيدة طويلة . فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتم أو لقيكم ما لقي أكرد لما لُتمموني . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثني هارون بن مسلم بن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام ابن الكلبي قال : كان الأجلح الكندي يحدث عن عمارة بن قابوس قال : لقيت أبا زبيد الطائي فقلت له : يا أبا زيد هل أتيت النعمان بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيت وجالسته . قال قلت : فصفه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيسرُك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم ؟ قال : لا والله ولا سودها ؛ فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ، ورأيت ملوك غسان في ملكها ، فما

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .

2 ثلة البئر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطوي . القرن : جبل يجمع به البعيران .

3 الحولات : جمع حولة وهي الداهية .

4 الفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَزًّا مِنْهُ . وَكَانَ ظَهْرُ الْكُوفَةِ يُنْبِتُ الشَّقَائِقَ ، فَحَمَى ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ «شَقَائِقُ النُّعْمَانِ» .

فَجَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ هُنَاكَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَكَانَتْ بَازُ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ؛ أَعْطَنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ . فَتَأَمَّلَهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَذْنِي حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكَنْتَانَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَشَاقِصَ¹ فَجَعَلَ يَجَأُ² بِهَا فِي وَجْهِهِ حَتَّى سَمِعْنَا قَرَعَ الْعِظَامِ ، وَخُضِبَتْ لَحْيَتُهُ وَصَدْرُهُ بِالْدَّمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُحِّجِيَ . وَمَكْنَتُنَا مَلِيًّا .

ثُمَّ نَهَضَ آخِرُ فَقَالَ لَهُ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ؛ أَعْطَنِي . فَتَأَمَّلَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أُعْطُوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ .

ثُمَّ التَفَّتْ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ وَخَلْفِهِ ، فَقَالَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ أَزْرَقَ أَحْمَرَ يُذْبَحُ عَلَى هَذِهِ الْأَكْمَةِ ، أَتَرُونَ دَمَهُ سَائِلًا حَتَّى يَجْرِي فِي هَذَا الْوَادِي ؟ فَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ ، أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ، أَعْلَى بَرَأْيِكَ عَيْنًا . فَدَعَا بِرَجُلٍ عَلَى هَذِهِ الصُّفَّةِ فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي عَمَّا صَنَعْتُ ؟ فَقُلْنَا : وَمَنْ يَسْأَلُكَ ، أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ، عَنْ أَمْرِكَ وَمَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : أُمَّا الْأَوَّلُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مَعَ أَبِي تَنْصِيدًا ، فَمَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ بَفَنَاءِ بَابِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُسٌّ مِنْ شَرَابٍ أَوْ لَبَنٍ ، فَتَنَاوَلْتَهُ لِأَشْرَبَ مِنْهُ ، فَثَارَ إِلَيَّ فَهَرَاقُ الْإِنَاءِ فَمَلَأَ وَجْهِي وَصَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا لَنْ أُمَكِّنِي مِنْهُ لِأَخْضِبَنَّ لَحْيَتَهُ وَصَدْرَهُ مِنْ دَمٍ وَجْهَهُ .

وَأَمَّا الْآخِرُ فَكَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ كَأَفَاتِهِ بِهَا ، وَلَمْ أَكُنْ أَثْبِتُهُ ، فَتَأَمَّلْتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ .

وَأَمَّا الَّذِي ذُبِحَتْهُ فَإِنَّ عَيْنًا لِي بِالشَّامِ كَتَبَ إِلَيَّ : إِنَّ جَبَلَةَ بْنَ الْأَيْهَمِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِرَجُلٍ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا لِيُغْتَالَكَ . فَطَلَبْتُهُ أَيَّامًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمَ .

[مات نديم له في غيبته فرثاه وصَبَّ الخمر على قبره]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِأَبِي زَيْدٍ نَدِيمٌ يَشْرَبُ مَعَهُ بِالْكُوفَةِ ، فَغَابَ أَبُو زَيْدٍ غَيْبَةً ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَ بِوَفَاتِهِ ، فَعَدَّلَ إِلَى قَبْرِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ مَنْزِلَهُ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا هَاجِرِي إِذْ جِئْتُ زَائِرَهُ مَا كَانَ مِنْ عَادَاتِكَ الْهَاجِرُ
يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ حَالَ دُونَ لِقَائِهِ الْقَبْرِ

1 المِشْقَصُ : نِصْلٌ عَرِيضٌ أَوْ سَهْمٌ .

2 الرَّجَاءُ : الضَّرْبُ .

ثم انصرف . وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .
والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلام له قَتَلَتْه تغلب ، وكان مُجاوراً فيهم ،
فذلُّ بهراء على عورتهم وقتلهم معهم فقتل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن
عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كان أحوالُ أبي زيد بني تغلب ، وكان
يقيم فيهم أكثر أيامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزت بهراء بني تغلب ، فمروا بغلامه ، فدفع
إليهم إبل أبي زيد وقال : انطلقوا أدلكم على غورة القوم وأقاتل معكم . ففعلوا ، والتقوا ،
فهزمت بهراء وقيل الغلام ، فقال أبو زيد هذه القصيدة وهي :

هل كنتَ في منظرٍ ومُستَمع	عن نصرٍ بهراء غير ذي فرسٍ
تَسعى إلى فتية الأراقِمِ واسـ	تَعَجَّلْتَ قَبْلَ الجمان والقبسِ ¹
في عارضٍ من جبال بها الأ	لُ مَرَيْنِ الحروب عن دُرسٍ ²
فَنَهْزَةً مَنْ لَقُوا حَسِيَّتُهُمْ	أَحْلَى وَأَشْهَى مِنْ بَارِدِ اللَّبِيسِ
لا تِرة عندهم فتطلبها	ولا هُمُ نَهْزَةَ الْمُخْتَلِسِ
جُودٍ كرام إذا هُم نَدَبُوا	غَيْرُ لُصَامٍ ضُجِرٍ ولا كُسُسٍ ³
صُمْتُ عظام الحُلُوم إن قعدوا	عن غير عِيٍّ بِهِمْ ولا خَرَسِ
تَقُوتُ أفراسُهُمْ نساوُهُمْ	يُزْجُون أَجْمَالَهُمْ مع الغلسِ
صادَقَتْ لَمَّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً	جَهْمَ الْمُحْيَا كِبَاسِلِ شِيرِسِ
تَخَالُ في كَفِّهِ مَثْقَفَةٌ	تَلْمَعُ فِيهَا كَشُعْلَةُ الْقَبْسِ
بكفٍ حَرَّانٍ نَائِرٍ بدمٍ	طَلَّابٍ وَتِرٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إِذَا تَقَارَنَ بِكَ الرُّمَاحُ فلا	أُبْكِيكَ إِلَّا لِلدُّلُو وَالْمَرَسِ
حَمِدْتَ أُمْرِي وَلِمْتَ أَمْرَكَ إِذْ	أَمْسَكَ جَلَزُ السَّنَانِ بِالنَّفْسِ ⁴

1 الجمان والقبس : ناقتان .

2 مرين الحروب : جلبنها . دُرس : جمع دُرسة وهي الرياضة .

3 كُسُس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السقلى على الخنك الأسفل .

4 جلز السنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقد تصليت حراً نارهم كما تصلى المقرر من قرس¹
تذب عنه كف بها رمق طيراً عكوفاً كزور العرس²
عما قليل علون جثته فهن من والغ ومثهن

[أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعراً]

فلما فرغ أبو زيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك :

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً فإنني في مودتكم نفيس
هكذا ذكر ابن سلام في خبره ، والقصيدة لا تدل على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودي غلامه ورد عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب :

ألا أبلغ بني نصر بن عمرو
وقوله أيضاً فيها :

فما أنا بالضعيف فتظلموني ولا جاني اللقاء ولا خسيس
أفي حق مواساتي أحاكم بمالي ثم يظلمني السريس
السريس : الضعيف الذي لا ولد له - وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعل ابن سلام وهم .
[هو أحد المعمرين]

وأبو زيد أحد المعمرين ، ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان طول أبي زيد ثلاثة عشر شبراً .
[كان يدخل مكة متكرراً لجماله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبيدي أبو بكر قال حدثني أبو مسعر الجشمي عن ابن الكلبي قال : كان أبو زيد الطائي ممن إذا دخل مكة دخلها متكرراً لجماله .
[منادته الوليد بن عتبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لما صار الوليد بن عتبة إلى الرقة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .

2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَلُ في كلِّ أحدٍ إلى البيعة مع النصارى . فبينما هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال :
[من الطويل]

إذا جَعَلَ المرءُ الذي كان حازماً يُحَلُّ به حَلُّ الحوَارِ ويَحْمَلُ
فليس له في العيش خيرٌ يريده وتكفينهُ مَيْتاً أعفُ وأَجْمَلُ

[دُفِنَ مع الوليد بن عقبة بوصية منه]

ومات فدفن هناك على البليخ¹ . فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يُدفن إلى جنب أبي زيد . وقد قيل : إنَّ أبا زيد مات بعد الوليد ؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .

[قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه : هرب أبو زيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبله² حلب الجُمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له . فلما كان يوم حابس ، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرَّ أبو زيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة] .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن عليّ الأبوابي³ المدائنيّ قالاً حدَّثنا عقبة المطرفيُّ قال : كنّا في الحمام ومعنا ابن السَّعديّ وأنا أقرأ القرآن ، فدخل سعد الرُّواسيّ فغنى : [من المنسرح]

قد كنت في منظرٍ ومستمع عن نصر بهراء غير ذي فرسٍ

فقال ابن السَّعديّ : اسكت اسكت ؛ فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

[أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخير ولحوم الخنازير]

[أخبرني عمي والحسن بن عليّ قالاً حدَّثني العمريُّ قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجَمَّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطَّاب النحويّ : أنَّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زيد بما يُصلِّحه في فصِّحه وأعياده ، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك . فقال أهله وبنوه لأبي زيد : قد علمتَ أنَّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنَّما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك ، فقدَّرهُ لنفسك ما شئتَ أن تعيش ، وقوِّم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أبو زيد ذلك ، وقبله منهم] .

1 نهر بالركة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قبلت العامل العمل ، أي جعلته في كفالته .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تعرفَ الدار من عامين أو عام دارٌ لهندٍ بجزع الحُرج فالدام¹
 تحنو لأطلائها عينٌ مُلمّعةٌ سَفْعُ الحدود بعيدات من الرامي²
 الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوي .
 وعين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الدام» هو
 الذي يذم .

[الخطبة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق]

الشعر للخطبة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولّاه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه
 العراق . والغناء لما لك ، خفيفٌ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أن فيه
 لابن جامع أيضاً صنعةً .

1 الحرج والدام : موضعان .

2 الملمّعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 - [أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الخطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أن العدة قد تمت ، فمدحه الخطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأولها :
[من البسيط]
هل تعرف الدار من عامين أو عامٍ دار لهند بجِزَعِ الحرج فالدام
وفيها يقول :

وجحفل كسواد الليل منتجعٍ أرض العدو بيوس بعد إنعام
جمعت من عامٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن حاء ومن حام
حاء من مذحج ، وحام من خثعم :
وما رضى لهم حتى رقدتهم
فيه الرماح وفيه كل سابعة
من وائل رهطٍ بسطامٍ بأصرام¹
جدلاء مُحَكِّمةٍ من نسج سلامٍ
يعني سليمان النبي :

وكلُّ أجردٍ كالسرحان أضمره مسح الأكف وسقي بعد إطعام
مستحقاتٍ رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طرفه سام²
الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب³ الخيل إليها فتضع جحافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجر الطير إن مرت به سُحْحاً ولا يُفيض على قذحٍ بأزلامٍ
وقال المدائني : لما مدح الخطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب من أراد وكملت العدة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومه ، فكتب إليه : إني اشتريت منه عِرْضي ، فكتب إليه : أحسنت . قال : وزاد فيه حماد الراوية أنه ، يعني نفسه ، أنشدها بلال بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .
أخبرني القاضي أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قديم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له : ما أطرفني شيئاً يا حماد ، فعاد إليه فأنشده قول الخطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الخطيئة

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقات : من استحقب الشيء : شدّه في مؤخر الرجل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه ؟ أَدْعُهَا تذهب في الناس .
وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألاَّ
يُؤْلُوا عليها إلاَّ مَنْ يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختطفون إلى سعيد بن العاص]

أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال
حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال : كان قوم من وجوه
أهل الكوفة من القراء يختطفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهل
والجبل ، فقال حسان بن محبوب : سهلنا خير من جبلنا : أكثر بُرّاً وشعيراً ، فيه أنهار
مطرّدة ، ونخل باسقات ، وقلّت فاكهة يُنبِتُها الجبل إلاَّ والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد
الرحمن بن حُبَيْش : صدقتم ، وددت أنّه للأمير وأنّ لكم أفضل منه . فقال الأشتر : تمنّ
للأمير أفضل ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضرّك ذلك . والله لو يشاء أن يكون له
لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السواد إلاَّ بستان
لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله
وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي [ومجالد بن
حمزة بن بيز عن الشعبي] قال : بينا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرأ وزُبدًا إذ قال
سعيد : السواد بستان قريش ، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حُبَيْش
وكان على شرطة سعيد : صدق الأمير . فوثب عليه القراء فضربوه ، وقالوا له : يا عدو الله ،
يقول الباطل وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلمّا أصبحوا أتوا المسجد
فداروا على الحلق فقالوا : إنّ أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا ،
فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إنّ قبلي قوماً
يُذَعِّون القراء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطي فضربوه واستخفّوا بي . منهم
عمرو بن زرارة ، وكمَيْل بن [زياد ، والأشتر وخرقوص بن هبيرة ، وشریح بن أوفى ،
وزيد بن [المكفّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُنْدب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان
رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازيهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك
الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتفق الله جلّ وعزّ وأحسين
السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنكم قديمتم بلداً لا
يعرف أهلهم إلاَّ الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم . فقال له الأشتر : إنّ الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس ولا يكتُموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكنمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيد بن صُوحان : إن الذين أشخصونا إليك لم يَعِجْزُوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جوارنا ، وإن كنّا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إني لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببت أن أذن لك فترجع إلى مصرك وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتب إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلمّا أراد زيد الشخص كَلَمَهُ في الأشر وعمر بن زُرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاوية إلى حِمص ، فكانوا بها ، حتى أَجْمَعَ أَهْلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حَدَّثَنِي الْوَقَاصِيّ عَنْ الزَّهْرِيِّ : أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى عِثْمَانَ يَشْكُونَ سَعِيداً قَالَ لَهُمْ : أَكْتُبْ إِلَيْهِ فَأَجْمَعْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . ففعل ، فلم يَحْقُقُوا عَلَيْهِ شَيْئاً إِلَّا قَوْلَهُ : «السَّوَادُ بَسْتَانُ قَرِيشٍ» ، وَأَتْنِي الْآخَرُونَ عَلَيْهِ . فَقَالَ عِثْمَانُ : أَرَى أَصْحَابَكُمْ يَسْأَلُونَ إِقْرَارَهُ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا عَلَيْهِ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً ، لَمْ يَنْتَهِكْ بِهَا لِأَحَدٍ حَرَمَةً . وَلَا أَرَى عَزْلَهُ إِلَّا أَنْ تُثَبِّتُوا عَلَيْهِ مَا لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ تَرْكُهُ مَعَهُ . فَانصَرَفُوا إِلَى مِصْرَ كَمْ . فَرَجَعَ سَعِيدٌ وَالْفَرِيقَانِ مَعَهُ ، وَتَقَدَّمَ هُمْ عَلَى بَنِ الْهَيْثِمِ السَّدُوسِيِّ حَتَّى دَخَلَ رَحْبَةَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِنَّا أَتَيْنَا خَلِيفَتَنَا فَشَكُونَا إِلَيْهِ عَامِلِنَا ، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ سَيَصْرِفُهُ عَنَّا ، فَردّه إِلَيْنَا وَهُوَ يَزْعِمُ أَنَّ السَّوَادَ بَسْتَانٌ لَهُ . وَأَنَا أَمْرٌ مِنْكُمْ أَرْضَى إِذَا رَضِيتُمْ . فَقَالُوا : لَا نَرْضَى .

[الأشتر يخطب عرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَقّاً فَلْيَصْبِحْ بِالْجَرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ لِكُثَيْلِ بْنِ زِيَادٍ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ، فَأَخْرِجْهُ . وَاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ .

[عثمان يخضع لقوة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حَدَّثَنَا عُمَرُ قَالَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مِخْصَنِ قَالَ حَدَّثَنَا حَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنِي جُهَيْمٌ قَالَ : أَنَا شَاهِدٌ لِلأَمْرِ ، قَالُوا لِعِثْمَانَ : إِنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ أَقَارِبَكَ . قَالَ : فَلْيَقِمِ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ فَلْيُسَلِّمُوا صَاحِبَهُمْ . فَقَامَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَالُوا : اعْزِلْ عَنَّا سَعِيداً وَاسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيد : وكان سعيداً قد أبغضه أهل الكوفة لأمر : منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذم سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقاص :

فليت أبا إسحاق كان أميرنا وليت سعيداً كان أول هالك¹
يُحطُّ أشراف النساء ويتقي بأبنائهن مُرهفات النيازك²

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأنت علياً فأخبرته ، فقال : لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ . أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفص القصاب لتراب الودمة . قال أبو جعفر : هذا غلط إنما هو لودام التربة³ .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاة بصلية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن بقيت لأنفضنها نفص القصاب لودام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَقْعَلِي
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظنِّ حَسَنٍ وَأَجْلِي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي
كَلِمَا أُمَلْتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ الْمَكْرُوهُ لِي فِي أَمَلِي
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْزِنِي الَّذِي أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْزِنِي أَجْلِي

عروضه من الرمل ؛ الشعر لمحمد بن أمية ، والغناء لأبي حشيشة ، رمل طنبوري وفيه لحن لحسين بن مخزوم ثاني ثقيل بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

- 1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
- 2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .
- 3 الودام : جمع وذمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية

وما يغني فيه من شعرهما

[نسه]

سألتُ أحمد بن جعفر جَحْظَةَ عن نسبه قُلْتُ له : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ ابْنُ أُمَيَّةَ وَابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ؛ فَقَالَ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ .

[ومنادته لإبراهيم بن المهدي]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيم بن المهدي ، وربما عاشرَ علي بن هشام ، إلا أنَّ انْقِطَاعَهُ كان إلى إبراهيم ، وربما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطِّ والبيان . وكان أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَكْتُبُ لِلْمَهْدِيِّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ . وكان إليه خَتَمُ الْكُتُبِ بِحَضْرَتِهِ ، وكان يَأْتِسُ بِهِ لِأَدَبِهِ وَقُضْلِهِ ، ومكانه من ولأئِهِ ، فزَامَلَهُ أَرْبَعَ دَفْعَاتٍ حَجَّهَا فِي ابْتِدَائِهِ وَرُجُوعِهِ . قال جَحْظَةُ : وحدثني بذلك أَبُو حَشِيشَةَ .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهدي]

وحدثني جَحْظَةُ أيضاً قال حدثني أَبُو حَشِيشَةَ عن محمد بن علي بن أُمَيَّةَ قال حدثني عمي محمد بن أُمَيَّةَ قال : كنتُ جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أَبُو العتاهية وقد تَنَسَّكَ ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلا في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ؛ فقال له أَبُو العتاهية : أَيُّهَا الْأَمِيرُ بَلَّغْنِي خَبْرَ فَتَى فِي نَاحِيَتِكَ وَمِنْ مَوَالِيكَ يُعْرِفُ بَابَنَ أُمَيَّةَ يَقُولُ الشَّعْرَ ، وَأَنْشِدْتُ لَهُ شِعْراً أَعْجِبْنِي ، فما فَعَلَ ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعله أَقْرَبُ الْحَاضِرِينَ مَجْلِساً مِنْكَ . فالتفت إلي فقال لي : أَنْتَ هُوَ فَدَيْتُكَ ؟ فَتَشَوَّرْتُ¹ وَخَجَلْتُ وَقُلْتُ له : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ جُعِلَتْ فِدَاكَ ؛ وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنَّمَا أَنَا شَابٌ أَعْبَثُ بِالْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ كَمَا يَعْبَثُ الشَّابُّ ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زَمَانُ الشَّعْرِ وَإِثَانُهُ ، وما قِيلَ فِيهِ فَهُوَ غَرَرُهُ وَعَيْوَنُهُ ، وما قَصُرَ مِنَ الشَّعْرِ وَقِيلَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي تَوَمَّى إِلَيْهِ أَبْلَغُ وَأَمْلَحُ . وما زال يَنْشَطُنِي وَيُؤْتِسِنِي حَتَّى رَأَى أَنِّي قَدْ أُنْسِتُ بِهِ ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إِنَّ رَأْيَ الْأَمِيرِ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، أَنْ يَأْمُرَهُ بِإِنْشَادِي مَا حَضَرَ مِنَ الشَّعْرِ . فقال لي إبراهيم : بِحَيَاتِي يَا مُحَمَّدُ أَنْشِدْهُ . فَأَنْشَدْتُهُ :

رُبَّ وعد منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعل
 وذكر الأبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل
 يرَدّد البيت الأخير منها وينتحب ، وقام فخرج وهو يرَدّده ويكي حتى خرج إلى الباب .
 [هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية
 قال : كان عمي محمد بن أمية يهوى جارية مغنية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خال
 المعتصم ، فكان يدعوها ، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها أتباعاً لمسرته . وأراد المعتصم
 الخروج والتأهب للغزو ؛ وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب ، فدعاه بعض إخوانه قبل
 خروجهم بيوم ، فلما أضحى النهار جاء من المطر أمر عظيم لم يقدر معه [أحد] أن يُطلع
 رأسه من داره ، فكاد محمد أن يموت غماً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركب
 إليه ثم رجع لشدة المطر] ولم يقدر على لقائه :

تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ	من الإلفين إذ جرت السيولُ
على أنني ركبْتُ إليك شوقاً	ووجهُ الأرض أوديةً تجولُ
وكان الشوقُ يقدّمني دليلاً	وللمشتاق معتزماً دليلاً
فلم أجِد السبيلَ إلى حبيبٍ	أودّعه وقد أفدَ الرحيلُ
وأرسلتُ الرسولَ فغاب عني	فيا لله ما فعل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً :

مجلس يُشفي به الوطرُ	عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لي منهما فهماً	رحمةً عمّت ولي ضررُ
ما على مولاي مَعْتَبَةٌ	عذره بادٍ ومستترُ
شُغِلْتُ عيني بعبرتها	واستمالت قلبي الفكرُ

قال : ثم بيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعض ولد المهدي وكان ينزل شارع الميدان ،
 فحببت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبة ومُرَاسلة .

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها :

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ	هيجن شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبَتْ أن تُرى فلستُ أراها	وأرى أهلها بكلّ سبيلِ

وإذا جاءها الرسولُ رآها
قد أتاكِ الرسولُ يَنْعَتُ ما بي
وقال فيها أيضاً :

بناحية المَيْدانِ دَرْبٌ لو آتني
أخافُ على سَكَانِهِ قولَ حاسِدٍ
وصائفُ أَيْكارٍ وعُونُ نواطِقٍ
يُقَارِنُ أَهْلَ الوُدِّ بالقولِ في الهوى
يزِدُنْ أَخا الدنيا مُجُوناً وَفِتْنَةً
وليلةَ وافيِ النومِ طيفَ سَرى به
فَقاسَمْتُهُ الأشْجانَ نِصْفَيْنِ بيننا
وَنَلْتُ الذي أَمَلْتُ بعدَ تَمَنُّعٍ
فلَمَّا افترَقنا خاسَ بالعهدِ بيننا
فوا ندماً أَلَا أَكُونُ ارْتَهتُهُ

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمِّي قالا حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حَدَّثَنِي حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغني :

أَحْبَبْتُ حُبًّا لو يُفَضُّ يَسِيرُهُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي بعدَ ذاكَ مَقْصَرٌ
على الخَلْقِ ماتَ الخَلْقُ من شِدَّةِ الحُبِّ²
لَأَتْلُو في أَعْلَى المَرَاتِبِ مِنْ قَلْبِي
فَطَرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهنا ؟ قال : فتى من الكُتَّابِ يخدمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهدي . فقال : تَعْنِي محمد بنَ أُمَيَّة ؟ قال : نعم . قال : أَحَسَنَ والله ، وما يزالُ يأتي بالشَّيءِ الملبحِ يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا أحمد بنُ أبي طاهرٍ قال حَدَّثَنِي أحمد بن أُمَيَّة بن أبي أُمَيَّة قال : لَقِيَ أَخِي مُحَمَّدَ بنَ أُمَيَّة مُسْلِمَ بنَ الوليد وهو يَمْشِي وطويلته³ مع بعضِ رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .

2 يفض : يفرق .

3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيء ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : على أنه مزاح لا يُغضبُ منه ، قال : هاتِه ولو أنه شتم . فقال :

مَنْ رَأَى فِيمَا خَلَا رَجُلًا تَبَهُهُ يُرِي عَلَى جِدَّتِهِ
يَتَبَاهَى رَاجِلًا وَلَهُ شَاكِرِي فِي قُلْنَسِيَّتِهِ¹
فَسَكَتَ عَنْهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَضَجَّكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ وَافْتَرَقَا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أمية برذون يركبه ، فلقبه مسلم وهو راجلٌ فقال : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله ، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قُلْ لَابَنِ مِيٍّ لَا تَكُنْ جَازِعًا لَنْ يَرْجِعَ الْبِرْذُونُ بِاللَّيْتِ
طَامَنَ أَحْشَاءُكَ فَقْدَانُهُ وَكُنْتَ فِيهِ عَالِي الصَّوْتِ
وَكَنْتَ لَا تَنْزُلُ عَنْ ظَهْرِهِ وَلَوْ مِنَ الْحُشِّ إِلَى الْبَيْتِ
مَا مَاتَ مِنْ حَتَفٍ وَلَكِنَّهُ مَاتَ مِنَ الشَّقْوِ إِلَى الْمَوْتِ

[تعلقه بإحدى الجوارى وما كان بينهما]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحاک قال : دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل نخاس بالرقعة أيام الرشيد وعنده جارية تغني فوقعت عينها على محمد ، ووقع عينه عليها ، فقال لها : يا جارية ، أتعنين هذا الصوت :

خَبَّرَنِي مَنِ الرَّسُولُ إِلَيْكَ وَاجْعَلِيهِ مِنْ لَا يَنْمُ عَلَيْكَ
وَأَشِيرِي إِلَيَّ مَنْ هُوَ بِاللَّحْ ظٍ لِيخْفِي عَلَى الَّذِينَ لَدَيْكَ
وَأَقْلِي الْمَزَاحَ فِي الْمَجْلَسِ الْيَوْمِ مَ فَإِنَّ الْمَزَاحَ بَيْنَ يَدَيْكَ

فقالت له : ما أعرفه ، وأشارت إلى خادِمٍ كان على رأسها واقفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

[تغنى بشعر له عمرو الغزال فطير إبراهيم بن المهدي]

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض مَنْ كان يختلط بالبرامكة قال : كنتُ عند إبراهيم بن المهدي ، وقد اصططحنا وعنده عمرو بن بانة ، وعبيد الله بن أبي غسان ، ومحمد بن عمرو الرومي ، وعمرو الغزال ، ونحن في أطيب ما

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كُنَّا عَلَيْهِ إِذْ غَنَى عَمْرُو الْغَزَالُ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَسْتَقْلِقُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَخَفُّ يَنْ يَدِيهِ وَيَقْصِدُهُ ، وَيَنْلُغُهُ عَنْهُ تَقْدِيمٌ لَهُ وَعَصِيَّةٌ ، فَكَانَ يَحْتَمِلُ ذَاكَ مِنْهُ ، فَاَنْدَفَعَ عَمْرُو الْغَزَالُ ، فَتَغَنَّى فِي شَعْرِ مُحَمَّدِ بْنِ أُمَيَّةَ :

مَا تَمَّ لِي يَوْمُ سُرُورٍ بِمَنْ أَهْوَاهُ مُذْ كُنْتُ إِلَى اللَّيْلِ
أَغْبَطُ مَا كُنْتُ بِمَا نَلْتَهُ مِنْهُ أَتَنَّى الرِّسْلُ بِالرَّيْلِ
لَا وَالَّذِي يَعْلَمُ كُلُّ الَّذِي أَقُولُ ذِي الْعِزَّةِ وَالطُّوْلِ
مَا رُمْتُ مُذْ كُنْتُ لَكُمْ سَخْطَةً بِالْغَيْبِ فِي فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ

قال : فَتَطَيَّرَ إِبْرَاهِيمُ ، وَوَضَعَ الْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا قُلْتَ . فَوَاللَّهِ مَا سَكَتَ ، وَأَخَذْنَا نَتَلَقَى فِي إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ أَتَى حَاجِبُهُ يَعْدُو فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : خَرَجَ السَّاعَةُ مَسْرُورٌ مِنْ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى دَخَلَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَبْضَ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اَرْفَعْ يَا غَلَامُ اَرْفَعْ . فَرَفَعَ مَا كَانَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَتَفَرَّقْنَا فَمَا رَأَيْتُ عَمْرًا بَعْدَهَا فِي دَارِهِ .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ بُسْخَرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِالرَّقَّةِ وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الشَّرَابِ وَمَعَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي يَوْمٍ مِنْ حَزِيرَانَ ، فَلَمَّا هَمَمْنَا بِذَلِكَ هَبَّتِ الْجَنُوبُ ، وَتَلَطَّخَتِ السَّمَاءُ بَغِيمًا ، وَتَكَثَّرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الشُّرْبَ وَلَحِقَهُ صُدَاعٌ ، وَكَانَ يَنَالُهُ ذَلِكَ مَعَ هُبُوبِ الْجَنُوبِ ، فَافْتَرَقْنَا ؛ فَقَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مَا كَرِهْتُمُوهُ مِنَ الْجَنُوبِ ! فَإِنْ أَنْشَدْتُكَ بَيْتَيْنِ مَلِيحَيْنِ فِي مَعْنَاهُمَا تَسَاعَدَنِي عَلَى الشَّرْبِ الْيَوْمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَأَنْشَدَنِي :

إِنَّ الْجَنُوبَ إِذَا هَبَّتْ وَجَدْتُهَا طَيِّبًا يَذْكُرُنِي الْفِرْدَوْسَ إِنْ نَفَحَا
لَمَّا أَتَتْ بِنَسِيمٍ مِنْكَ أَعْرِفْهُ شَوْقًا تَنْفَسْتُ وَاسْتَقْبَلْتُهَا فَرِحَا

فَانصَرَفْتُ مَعَهُ إِلَى مَنَزَلِهِ ، وَغَنَيْتُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَشَرِبْنَا عَلَيْهِمَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ بَغِيرَ إِسْنَادٍ : أَهْدَتْ جَارِيَةً يَقَالُ لَهَا خِدَاعُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَ يَهْوَاهَا ، تَفَاحَةً مُفْلَجَةً¹ مَنْقُوشَةً طَيِّبَةً حَسَنَةً ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ : [من المنسرح]
خِدَاعُ أَهْدَيْتَ لَنَا خِدْعَةً تَفَاحَةً طَيِّبَةً النَّشْرِ

ما زلتُ أَرْجوكِ وَأَخْشَى الهوى مُعْتَصِماً بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ
حَتَّى أَتْنِي مِنْكَ فِي سَاعَةٍ زَحَزَحَتِ الْأَحْزَانُ عَنْ صَدْرِي
حَشَوْتَهَا مِسْكَاً وَنَقَشْتَهَا وَنَقَشْتُ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ
سَقِيّاً لَهَا تَفَاحَةً أَهْدَيْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حدثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطين قال : كنتُ أسيرُ أنا ومحمد بن أمية في شارع المَيدان ، فاستقبلتنا جارية ، كان محمدٌ يهواها ثم بيعت ، وهي راكبةٌ ، فكلّمها ، فأجابته بجواب أخفّته فلم يفهمه ، فأقبل عليّ وقد تغيّر لونه فقال : [من البسيط]

يَا جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنَ يَقْطِينِ أَلَيْسَ دُونَ الَّذِي لَا قِيَتَ يَكْفِينِي
هَذَا الَّذِي لَمْ تَزَلْ نَفْسِي تَخَوُّفُنِي مِنْهَا فَأَيْسَنَ الَّذِي كَانَتْ تُمْنِينِي
خَاطَرْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوِي وَقَلْتُ لَهَا تَقْدِيرُكَ نَفْسِي فِدَاءٍ غَيْرَ مَمْنُونِ
فَخَاطَبْتَنِي بِمَا أَخَفَّتْهُ فَانصَرَفْتُ نَفْسِي بِظَنِّيْنِ مَخْشِيٍّ وَمَأْمُونِ

[تمثل المنتصر بيت له]

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ قال حدثني أبي قال : كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رُقعة لا أعلمُ ممّن هي ، فقرأها وتبسّم ثم إنه أقبل عليّ وأنشد :

لَطَافَةُ كَاتِبٍ وَخَشُوعُ صَبٍّ وَفِطْنَةُ شَاعِرٍ عِنْدَ الْجَوَابِ

ثم أقبل عليّ فقال : مَنْ يقول هذا يا يزيد ؟ فقلتُ : محمد بن أمية يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : كأنه والله يصفُ ما في هذه الرُقعة .

[عاتبه أخوه وابن قنبر لما لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يهبها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال : كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية بعقب بئع جارية كان يحبّها وقد لحقه عليها وله كالجنون ، فجعل ابن قنبر وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال :

لَوْ كُنْتُ جَرَّبْتُ الهوى يَا ابْنَ قَنْبَرٍ كَوَصَفَكَ إِيَّاهُ لِأَهْلِكَ عَنْ عَذْلِي¹

أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفدا وإن لم نكوناً في مودتها مثلي
 إن حُجبت عني أجود لغيرها بودي وهل يُغري المحبّ سوى البخل
 أسراً بأن قالوا تَضَنّ بودها عليك ومن ذا سرّ بالبخل من قبلي
 قال : فضحك ابن قنبر ، وقال : إذا كان الأمرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك
 أخوك فاتفقاً على ذلك ، وأما أنا فلستُ أنشط لأن أساعدك على هذا . وافترقنا .
 [قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزورَ لمحمد بن أمية
 في جارية كان يهواها ، وقطع الصومَ بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريم
 المريّ :

قفا فابكيا إن كنتما تجدان كوجدي وإن لم تبكيا فدعاني
 قفي الدَّمْعَ ممّا تُضمّر النفسَ راحةً إذا لم أُطِقْ إظهاره بلساني
 أغصّ بأسراري إذا ما لقيتها فأبْهَتُ مشدوهاً أغصّ بناني
 فيا بن خريم يا أخي دون إخوتي ومن هو لي مثلي بكلّ مكان
 تأملْ أحظي من خِداعٍ وحُبّها سوى خُدع تُذكي الهوى وأماني
 وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا فيا لَيْتَ شوالاً أتى بزمانٍ

[شعر له فيها استحسّنه ابن المعتز]

أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي
 لمحمد بن أمية ، وفيه غناء لمتمّم ، قال واستحسّنه عبد الله :

[من الكامل]

صوت

عجَباً عجبتُ لذنوبٍ متغَضِّبٍ لولا قبيحُ فعّاله لم أعجَبِ
 أُخِداً ، طالَ على الفراشِ قلبي وإليك طولُ تشوّقي وتطرّبي
 لهفي عليك وما يردّ تلهّفي قصرت يداي وعزّ وجه المطلبِ

الغناء لمتمّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتز ، وخفيف رمل عن الهشامي . وهذا من شعر
 محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هَزارُ هذا الصوت¹ يومئذ .

[أشعاره فيها إذ فقدوا وحين وجدها]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا أحمد بن محمد الفيزان قال حدَّثني شيبه بن هشام قال : دعانا محمد بن أمية يوماً ووجهه إلى جارية كان يحبها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُخبرها¹ مع رسوله ، فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا مني الدراهم ثم ردوها عليّ ، ورأيتهم مُختلطين ، ولهم قصة لم يُعرفونيها ، وقالوا : ليست هاهنا فإن عادت بعثنا بها إليكم . فتغنص عليه يومه وتغيّر وجهه وتجمّل لنا ؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوجم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حُرقة بكائه وهو ينشدني :

تخطى إليّ الدهر من بين من أرى	وسوء مقادير لهنّ شعور
فشتت شملِي دون كلّ أخي هوى	واقصدني بلّ كلّهم سيبين ²
ومهما تكن من ضحكة بعد فقدّها	فإنّي وإن أظهرتها لحزين
سلام على أيّامنا قبل هذه	إذ الدار دار السرور فنور

قال : ومضت على ذلك مدّة . ثم أخبرني أنّه اجتاز بها ، وهي تنظر من وراء شبّاك ، فسلم عليها فأومأت بالسلام إليه ودخلت ، فقال :

[من الوافر]

تطالّني على وجلٍ خِداغ	من الشبّك التي عملت حديدا
مطالّعتي ، قفي بالله حتى	أزودّ مقلّتي نظراً جديدا
فقلت إن سها الواشون عنا	رجونا أن تعود وأن نعودا

[من مجزوء الكامل]

وأنشدني أيضاً في ذلك :

صوت

يا صاحب الشبّك الذي اسد	تخفي ، مكانك غير خاف
أفما رأيت تلدّدي	بفناء قصرك واختلافي ³
أو ما رحمت تخشعي	وتلفّتي بعد انصرافي ⁴

1 يحدها : يرسلها .

2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .

3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : ترددي .

4 تخشعي : تضرّعي .

صوت

[من الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهْمَ إِلَيْكَ وَسِيلَةً إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَابِ وَأُجْنَبِ
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَجِدْجَه وَابْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي¹

عروضه من الكامل . قال ابن الأعرابي في تفسير قوله :

وابنُ النعمامة يومَ ذلك مَرْكَبِي

[من الكامل]

ابن النعمامة : ظِلُّ الْإِنْسَانِ أَوْ الْفَرَسِ أَوْ غَيْرِهِ . قال جرير :

إِذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كُلُّ شَيْءٍ فَارِسًا وَيَرَى نِعَامَةً ظِلَّهُ فَيَحُولُ

يعني بنعمامة ظله جَسَدُهُ . وقال أبو عمرو الشيباني : النِّعَامَةُ مَا يَلِي الْأَصَابِعَ فِي مُقَدِّمِ الرَّجْلِ . يقول : مَرْكَبِي يَوْمَئِذٍ رِجْلِي . وقال الجاحظ : ذَكَرَ عُلَمَاؤُنَا الْبَصْرِيُّونَ : أَنَّ النِّعَامَةَ اسْمُ فَرَسٍ . يقول : إِنِّي أَشَدُّ عَلَى رِكَابِي السَّرَجِ فَإِذَا صَارَ لِلْفَرَسِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النِّعَامَةَ ، ظِلٌّ وَأَنَا مَقْرُونٌ إِلَيْهِ صَارَ ظِلُّهُ تَحْتِي فَكُنْتُ رَاكِبًا لَهُ . وجعل ظلها هاهنا ابنها .

الشعر للحارث بن لؤذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وقال ابن سلام : لَخُزَزَ بَنُ لَوْذَانَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسِبُ هَذَا الشَّعْرَ إِلَى عَنْتَرَةٍ ، وَذَلِكَ خَطَأً . وَأَحَدٌ مِنْ نَسَبِهِ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيِّ . وَالْغَنَاءُ لَعَزَّةُ الْمَيْلَاءِ . وَأَوَّلُ لَحْنِهَا :

[من الكامل]

لِمَنْ الدِّيارُ عَرَفَتْهَا بِالشُّرْبِ ذَهَبَ الَّذِينَ بِهَا وَلَمَّا تَذَهَبُ²

وبعده «إن الرجال» .

وطريقته من خفيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَصْرِ مِنْ رِوَايَتِي حَمَّادِ بْنِ الْمَكِّيِّ . وفيه للهذيل خفيف ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . وفيه لعريب خفيف رَمَلٌ . وفيه لعزّة المرزوقيّة لَحْنٌ . وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : هذا اللَّحْنُ لَرِيْقٍ ، سَلَخْتُ لَحْنَ «وَمَخْنَثُ شَهْدِ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ» فَجَعَلْتُهُ لِهَذَا ، وَهُوَ لَحْنٌ مُحَرَّكٌ يَشْبَهُ صِنْعَةَ ابْنِ سُرَيْجٍ وَصِنْعَةَ حَكَمٍ فِي مُحَرَكَاتِهِمَا ، فَمِنْ هُنَا يَغْلُطُ فِيهِ وَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدِيمُ الصَّنْعَةِ .

1 الحِجْدَجُ : مَرْكَبٌ مِنْ مَرَائِبِ النِّسَاءِ نَحْوِ الْهُودَجِ .

2 الشُّرْبُ : وَادٌ فِي دِيَارِ بَنِي رِبْعَةَ .

213 - [بعض أخبار لابن أبي عتيق]

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثر الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لَمَن الدِّيار عرَفَها بالشُّرْبِ

فسأَلها يوماً زيارَتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرَّ بها المجلسُ : يا عزة ، أَحَبُّ أن تغنِّيني صوتي الذي أنا له عاشق . فغَنَّتْ هذا الصوت ، فطرب كلَّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعاينة فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعيث بها ؛ فأعلَمتُ [ابن أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أُحِبُّكَ ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولاي يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزة الميلاء] ، وأدخلت الجارية [الرجل] . وقال لعزة : غني فأعادت الصوت . وخرجت الجارية [فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة ، فقال لها : تعالي . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلت¹ ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة² ، فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غير مكترث : يا فساقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنية ؟ فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا سترَ الله تعالى عليك . فقالت له عزة : يا ابن الصديق³ ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعيث بها كلما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاه ، فقال لها : أولم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فهَيِّئِي الرَّحى وهَيِّئِي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أَفَعَلُ يا مولاي . فهَيَّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِّيهِ الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرُّكْلَه ثم اخرجني من البيت واتركيه . ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كَفَتِ الرَّحَى فَإِنَّ مولاي جاءَ إليَّ أو بعض مَنْ وَكَلَهُ بي ، فاطحن حتى نَأْمَنَ أَنْ يَجِيئَنَا أَحَدٌ ، ثم أَصِيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أبي عتيق عدّة من مولاته أن يتراوحن على سهر ليلتهنّ ويتفقّدن أمر الطّحين ويحشّن الفتى عليه كلّما أمسك ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كلّما كفّ : يا فلانة إنّ مولاك مستيقظ ؛ والساعة يعلم أنّك كففت عن الطّحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع مَنْ كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطّحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهّد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعة ينام فأصير إلى ما تحبّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أنّه فقالت : قد أصبحت فأنجُ بنفسك . فقال : أوّقد فعلتها يا عدوّ الله ! فخرج تبعاً نصيباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألاّ يعودَ إلى كلامها ، فلم ترَ منه بعد ذلك شيئاً يُنكر .

صوت

[من الوافر]

أَجَدَّ اليَوْمَ جِيرَتُكَ احتمالاً وحثَّ خُدَاتُهُمْ بِهِمْ عِجالاً
وفي الأظعانِ آئِسَةٌ لعبوب ترى قتلي بغير دمٍ حلالاً

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكّل الليثيّ ، والغناء لابن مُحرز ثاني ثقلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح ثاني ثقلٍ بالخنصر في مجرى البِنْصِر عنه . وذكر حبش أنّ هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاق هزج .

[214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره

[نسبه]

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مُسافِع بن وهب بن عمرو بن لَقِيط بن يَغَمَر بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أبا جهمة . وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قَبِيصة بن والقي ، ويقال عند عكرمة بن رُبَيْع الذي يقال له الفَيَاضُ ، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن رُبَيْع وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ عن الزبير بن بَكَّار عن عمّه .

[تناشد هو والأخطل الشعر]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدّثني حفص بن عمر العُمريّ عن لَقِيط بن بُكَيْر المحاربيّ قال : قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قَبِيصة بن والقي ، فقال المتوكل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشدّه ونسمع من شعره . فأتياه فقالا : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إني لخائر¹ يومي هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل ، فوالله لا تُشِدني قصيدة إلّا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا المتوكل . قال : أنشدني ويحك من شعرك ! فأنشدّه :

[من الكامل]

لِلغَايَاتِ بِذِي الْمَجَازِ رِسُومٌ	فَيَبْطِنُ مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمٌ ²
فَيَمْنَحِرُ الْبُذْنُ الْمُقْلَدُ مِنْ مِئِي	جَلَلٌ تَلُوحُ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ ³

1 يقال خَئِرَتَ نفسه : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

2 ذو المجاز : موضع بسوق عرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

3 الحلل : جمع حلة ، وهي جماعة بيوت القوم .

لا تنه عن خلقي وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ
والهم إن لم تمضيه لسبيله داعٍ تضمّنه الضلوعُ مقيمٌ
غنى في هذه الأبيات سائبٌ خائرٌ من رواية حماد عن أبيه ولم يُجنسه . قال وأنشده
أيضاً :

الشعر لبُّ المرء يعرضه والقول مثلُ مواقع النبل
منها المقصّر عن رميته ونوافذٌ يذهبن بالخصل¹
قال وأنشده أيضاً :

إننا معشرٌ خلقنا صدورا من يسوي الصدور بالأذنان

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال
الطوسي قال الأصمعي : كانت للمتوكل بن عبد الله الكنائي امرأة يقال لها رهيمة ، ويقال
أميمة ، وتكنى أم بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حين طلاق . فأبت
عليه ، فطلقها ، ثم إنها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك :

طربتُ وشاقتني يا أم بكر دعاء حمامة تدعو حماما
فبتُ وبات همّي لي نجياً أعزّي عنك قلباً مُستهما
إذا ذُكرتَ لقلبك أم بكر يبيت كأنما اغتبق المداما
خذلجة ترفُ غروبُ فيها وتكسو المتنّ ذا خصلٍ سُخاما²
أبى قلبي فما يهوى سواها وإن كانت مودّتها غراما
ينام الليل كلُّ خلي همّ [وتأبى العينُ مني أن تناما
أراعبي الثاليات من الثريا] ودمعُ العينِ مُنحدرٌ سيجاما
على حينٍ ارعويت وكان رأسي كأنّ على مفارقه ثغاما³
سعى الواشون حتى أزعجوها ورثُ الحبل فأنجذم أنجذاما
فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حياً مُسيراً من تذكّرها هياما

1 الخصل : الخطر ، وهو السبق الذي يتراهن عليه .

2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسخام : اللين الحسن والأسود .

3 الثغام : نبت ، ويُقال أثعم الرأس إذا صار كالثغامة يابضاً .

تُرْجِيهَا وَقَدْ شَحَطْتَ نَوَاهَا وَمَتَّكَ الْمُنَى عَاماً فَعَامَا
 خَذَلَجَةً لَهَا كَفَلٌ وَثِيرٌ يَنْوِي بِهَا إِذَا قَامَتْ قِيَامَا
 مُخَصَّرَةً تَرَى فِي الْكَشْحِ مِنْهَا عَلَى تَثْقِيلِ أَسْفَلِهَا انْهَضَامَا
 إِذَا ابْتَسَمْتَ تَلَأْلاً ضَوْءُ بَرَقٍ تَهَلَّلَ فِي الدَّجْنَةِ ثُمَّ دَامَا
 وَإِنْ قَامْتَ تَأَمَّلْ رَائِيَاهَا غِمَامَةً صَيِّفٍ وَلَجَتْ غِمَامَا¹
 إِذَا تَمْشِي تَقُولُ دَيْبُ أَيْمٍ تَعْرِجُ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَقَامَا²
 وَإِنْ جَلَسْتَ فَدُمِيَّةُ بَيْتِ عِيدٍ تُصَانُ وَلَا تُرَى إِلَّا لَمَامَا
 فَلَوْ أَشْكُوَ الَّذِي أَشْكُوَ إِلَيْهَا إِلَى حَجَرٍ لِرَاجِعِي الْكَلَامَا
 أَحِبُّ دُنُوهَا وَتُحِبُّ نَائِي وَتَعْتَمُ التَّنَائِي لِي اعْتِيَامَا³
 كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ أَمْ بِكَرٍ جَرِيحُ أَسَنَةٍ يَشْكُو كِلَامَا
 تَسَاقَطُ أَنْفُسَا نَفْسِي عَلَيْهَا إِذَا شَحَطْتَ وَتَغَنَّمْ اغْتِمَامَا⁴
 غَشِيَتْ لَهَا مَنَازِلَ مَقْفِرَاتٍ عَفَتْ إِلَّا الْأَيَاصِرَ وَالْثُمَامَا⁵
 وَنَوِيّاً قَدْ تَهَدَّمْ جَانِبَاهُ وَمِينَاهَا بِذِي سَلَمِ خِيَامَا
 صَلِّبِي وَاعْلَمِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنَّ خَلَاوَتِي خُلِطَتْ غُرَامَا
 وَأَنِّي ذُو مُجَامَحَةٍ صَلِيبٌ خُلِقْتُ لِمَنْ يَمَاكِسُنِي لِحَامَا⁶
 فَلَا وَأَيْبُكَ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى تُجَاوِبَ هَامَتِي فِي الْقَبْرِ هَامَا

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشب الشيباني]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حوشب الشيباني ، ويقول فيها :

[من الوافر]

إِذَا وَعَدْتِكَ مَعْرُوفاً لَوْتَهُ وَعَجَّلْتَ التَّجْرُمَ وَالْمِطَالَ⁷

1 الصَّيْفُ : المطر الذي يجيء صيفاً .

2 الأَيْمُ : الحَيَّةُ .

3 تَعْتَمُ : تَخْتَارُ .

4 شَحَطْتَ : بَعَدْتَ .

5 الْأَيَاصِرُ : جَمْعُ أَبِيصَرٍ ، وَهُوَ وَتَدُ الطَّنْبِ ، أَوْ حَبْلٌ صَغِيرٌ يَشُدُّ بِهِ أَسْفَلَ الْخَبَاءِ . وَالْثُمَامُ : نَبْتٌ .

6 يَمَاكِسُنِي : يُشَاكِسُنِي .

7 تَجْرَمُ عَلَيْهِ : ادَّعَى عَلَيْهِ الْجَرَمَ .

لها بشر نقيّ اللون صافي
إذا تمشي تأوّد جانباها
تنوء بها روادفها إذا ما
فإن تصبح أميمة قد تولّت
فقد تدنو النوى بعد اغتراب
تعبسُ لي أميمة بعد أنس
أيني لي قرباً أخ مضاف
أصرم منك هذا أم دلال
أم استبدلت بي ومللت وصلي
فلا وأبيك ما أهوى خليلاً
وكم من كاشح يا أم بكر
ليست على قناع من أذاه
ومّا يغنى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حدّثت عنه
رأيت الغنات صدفن لما
فلم يُلوا إذا رحلوا ولكن
تولّت غيرهم بهم عجالا
غنى فيه عمر الوادي خفيف رمل عن الهشامي . وذكر حبش أن فيه لابن مُحَرِّز ثاني ثقیل
بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .

[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني : هجا معن بن حمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني
لقيط بن يَعمر المتوكل بن عبد الله الليثي ؛ وبلغ ذلك المتوكل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

1 مخطوطة المتن : ممدودة .

2 ينخزل : ينقطع .

3 الحلال : القوم الذين يحلون موضعاً وفيهم كثرة .

4 الحال : الكيد والمكر .

5 عتاق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوهُ والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدّيل هجاء قَدْعاً استَحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خَلِيلِي عَوْجَا الْيَوْمَ وانتظراني
فإن الهوى والهَمُّ أُمُّ أَبَانِ
هي الشمسُ يَدْنُو لي قَرِيْاً بعيدُها
أَرَى الشمسَ ما أَسْطِيعُهَا وتراني
نأت بعد قَرَبِ دَارُهَا وتبدلت
بنا بَدَلًا والدَّهْرُ ذو حَدَثَانِ
فهاج الهوى والشوقَ لي ذَكَرُ حُرَّةٍ
من المَرْجَحَاتِ الثَّقَالِ حَصَانِ¹

غَنَى في هذه الأبيات ابن مُحَرِّز من كتاب يونس ولم يَجَنِّسه : [من الطويل]

سِيعِلْمَ قَوْمِي أَنَّنِي كُنْتُ سُورَةً
من المجد إن دَاعِي المَنُونِ دَعَانِي
أَلَا رَبَّ مَسْرُورٍ بِمَوْتِي لَوْ أَتَى
وَأَخَرٌ لَوْ أَنَّنِي لَهُ لَبْكَانِي
خَلِيلِي مَا لَمْ أَمْرَأَ مِثْلُ نَفْسِهِ
إِذَا هِيَ لَامَتْ فَارْبَعًا وَدَعَانِي²
نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِي الْعَشِيرَةَ بَعْدَمَا
تَغْنَى بِهَا غَوْرِي وَحَنَّ يَمَانِي
قَلْبَتُ لَهُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَلِيَتْنِي
رَجَعْتُ بِفَضْلِي مِنْ يَدِي وَلِسَانِي
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَرَمِ فِي الشَّعْرِ مُسْلِمًا
وَلَمْ أَهْجُ إِلَّا مِنْ رَوَى وَهْجَانِي
هُمْ بِطَرُوقِ الْحَلَمِ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي
فَبَدَّلْتُ قَوْمِي شِدَّةً بَلِيَانِي³
وَلَوْ شَتَّمْتُ أَوْلَادَ وَهَبٍ نَزَعْتُمْ
وَنَحْنُ جَمِيعٌ شَمَلْنَا أَخَوَانِ
نَهَيْتُمْ أَخَاكَ عَنْ هَجَائِي وَقَدْ مَضَى
لَهُ بَعْدَ حَوْلٍ كَامِلٍ سِتَانِ
فَلَجَّ وَمَنَّا رَجَالٌ رَأَيْتُهُمْ
إِذَا قَارَنُونِي يَكْرَهُونَ قِرَانِي
وَكُنْتُ أَمْرَأَ يَأْبَى لِي الضَّيْمَ أَنَّنِي
صَرُومٌ إِذَا الْأَمْرُ الْمُهْمُ عَنَانِي⁴
وَصُولُ صَرُومٍ لَا أَقُولُ لِلْمَذْبَرِ
هَلُمَّ إِذَا مَا اغْتَشَنِي وَعَصَانِي
خَلِيلِي لَوْ كُنْتُ أَمْرَأَ بِي سَقَطَةً
تَضَعُضْتُ أَوْ زَلْتُ بِي الْقَدَمَانِ
أَعِيشْ عَلَى بَغْيِ الْعُدَاةِ وَرَغْمِهِمْ
وَأَتِي الَّذِي أَهْوَى عَلَى الشَّيْثَانِ
وَلَكِنِّي ثَبْتُ الْمَرِيرَةَ حَازِمٌ
إِذَا صَاحَ طُلَّابِي مَلَأَتْ عِنَانِي

1 مرجحات : جمع مرجحة ، وهي المرأة السمينية .

2 اربعا : توقفا وكفا وارققا .

3 بطروا : كرهوا .

4 عناني في ل : دعاني .

خليلي كم من كاشح قد رميته
فكان كذات الحِيض لم تُبق ماءها
ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت إليك مطّتي
أبا خالدٍ في الأرض نائي ومفسّح
فكيف ينّام الليل حرّاً عطاؤه
تناهت قلوّصي بعد إسّادي السّرى
تري الناس أفواجاً ينوبون بابّه
على بعد متّاب وهولٍ جنانٍ
لذي مرّة يُرمى به الرّجوان¹
ثلاث لرأس الحول أو مائتان
إلى ملكٍ جزلٍ العطاء هيجان²
ليكرٍ من الحاجات أو لعوان³

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه معن بن حمّلٍ فقال :

ندمتَ كذاك العبدُ يندم بعد ما
ولاقيتَ قرماً في أرومةٍ ماجدٍ
أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي
وأغلبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي
فهاهنا إذا يا ابن الأتان كصاحب الـ
فهاهنا كزيدٍ أو كسنيحانٍ لا تجدُ
غلبتَ وسار الشعر كلّ مكانٍ
كريماً عزيزاً دائماً الخطران
أعفُ وتحميني يدي ولساني
إلى معشرٍ بيض الوجوه حسانٍ
ملوك أبيي ، أسيد كمّهان
لهم كفواً أو يُبعث الثقلان

[هو عكرمة بن ربيعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العكليّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال : أتني المتوكلّ الليثيّ عكرمة بن ربيعيّ الذي يقال له الفياض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سرّاً .

[نسيبه بمحسنة وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فبينما المتوكلّ بالحيرة وقد رمدَ رمداً شديداً ، فمرّ به قسٌ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمدتُ .

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين به . ومثّل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرّجوان» .

2 الإسّاد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .

3 أو لعوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذره¹ ، فبينما القسّ عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره ، يفكر في هجاء عكرمة ، وذلك غير مطّردٍ له ولا القول في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسفّرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةٌ حسناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أميّة . قال : فممن أنت ؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتك ؟ قالت : بلغني أنّك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك . فقال : أسفري . ففعلت فكرّ طرفه في وجهها مُصعّداً ومصوّباً ، ثم تلتّمت وولّت عنه ، فاطّرد له القول الذي كان استصعبَ عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسب فقال :

أجدُّ اليومَ جيرتكَ احتمالاً وحثَّ حَدَاتُهُم بِهِمُ الجَمالاً
وفي الأظعانِ آيسَةُ لَعُوبٍ ترى قَتْلِي بغير دمٍ حَلالاً
أُمِيَّةُ يومَ دَيرِ القسِّ ضُنَّتْ علينا أن تُتَوَلَّنا نوالاً
أُيْنِي لي فربُّ أخٍ مصافٍ رُزْتُ وما أحبُّ به بدالاً
وقال فيها يهجو عكرمة :

أقلني يا ابن ربي ثنائي وهبها مدحة ذهبت ضلّالاً
وهبها مدحة لم تُغن شيئاً وقولاً عاد أكثره وبالا
وجدنا العزَّ من أولاد بكرٍ إلى الذهلين يرجع والفعالا
أعكرمَ كنتُ كالمبتاع داراً رأى بَيْعَ الندامة فاستقلا
بنو شيّان أكرمُ آل بكرٍ وأمتنُّهم إذا عقدوا حبالا
رجال أعطيتُ أحلامَ عادٍ إذا نطقوا وأيديها الطوالا
وتيمُّ الله حيُّ حيُّ صديقٍ ولكنَّ الرّحى تعلقو الثّغالا²

صوت

[من الطويل]

سقى دِمتين لم نجد لهما أهلاً بحقلٍ لكم يا عزَّ قد راينى حقلاً
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بيّ عندكم فلا تُكرِّميه أن تقولي له مهلاً

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .

2 الثّغال : ما وقيت به الرّحى من الأرض .

كَمَا نَحْنُ لَوْ وَاشٍ وَشَى بِكَ عِنْدَنَا لَقَلْنَا تَزْحَرْحُ لَا قَرِيباً وَلَا سَهْلاً
أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتْرِكَ الْجَهْلَا وَأَنْ يُحْدِثَ الشَّيْبُ الْمِلْمُ لِي الْعَقْلَا
عَلَى حِينَ صَارَ الرَّأْسُ مِنِّي كَأَنَّمَا عَلَتْ فَوْقَهُ نَدَافَةُ الْعُطْبِ الْغَزْلَا

عروضه من الطويل . الذَّمَن : آثار الديار ، واحدتها دِمْنَة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعُطْبُ هو القطن .

الشعر لكثير كله إلا البيت الأول فإنه انتحله ، وهو للأفوه الأودي . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية . وذكر حبش أنه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقيل أول بالبنصر ؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحكى المكي .

[215] - نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره¹

[نسبه]

الأفوه لقب ، واسمه صلالة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأفوه :

أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدِّ عائرٌ²

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال : كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدّرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّد داليتّه :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا³

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء إنفاً فإنّه من قصيدة يقول فيها⁴ :

نُقاتِلُ أقواماً فنُسبِي نساءهم ولم يَرِ ذو عِزٍّ لِنِسوتنا جِجلاً
نقود ونأبى أن نُقَاد ولا نَرى لقومِ علينا في مُكارمةٍ فضلاً
وإنّا بطاء المشي عند نساءنا كما قِيدَتْ بالصَّيفِ نَجْدِيَّةٌ بُزلاً
نظِّلُ غياري عند كلِّ سَتِيرَةٍ نُقلِّبُ جيذاً واضحاً وشَوًى عُبلاً⁵

- 1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سبط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والزهر 238/2 ، 296 ومتنخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي ، وإليه نشير .
- 2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصرّماء .
- 3 وفي الديوان 64 :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

- 4 ديوانه : ص 100 .

- 5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان .

وَنَّا لِنُعْطِي الْمَالَ دُونَ دِمَائِنَا وَنَأْبَىٰ فَمَا نَسْتَامُ دُونَ دِمْرِ عَقْلًا¹

[سبب هذه الآيات]

قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفوه الأودي: هذه الآيات يفخر بها على قوم من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلاً على قتل قومهم، فقبلوا وصالحوه.

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر: أغارت بنو أود، وقد جمعها الأفوه، على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضاريع، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود، وقد أصابوا منهم رجلين: لا والله حتى نأخذ بطائلتنا². فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلي أو لأنتحين على سيفي. فاقتلت أود وبنو عامر، فظفرت أود وأصاب مغنماً كثيراً. فقال الأفوه في ذلك³: [من الوافر]

صوت

أَلَا يَا لَهْفٍ لَوْ شَهِدْتُ قَنَاتِي	قَبَائِلَ عَامِرٍ يَوْمَ الصَّيْبِ ⁴
غَدَاةٌ تَجَمَّعَتْ كَعَبٍّ إِلَيْنَا	حَلَائِبٌ بَيْنَ أَفْنَاءِ الْحُرُوبِ ⁵
فَلَمَّا أَنْ رَأَوْنَا فِي وَغَاهَا	كَأَسَادِ الْغَرِيفَةِ وَالْحَجِيبِ ⁶
تَدَاعَوْا ثُمَّ مَالُوا عَنْ ذَرَاهَا	كَفَعَلِ الْخَامِعَاتِ مِنَ الْوَجِيبِ ⁷
وَطَارُوا كَالنَّعَامِ بِيْطْنِ قَوْ	مُوءَاَلَةٍ عَلَى حَذَرِ الرَّقِيبِ ⁸

1 العقل: الدية.

2 الطائفة: الثأر والوتر.

3 ديوانه: ص 59.

4 شهدت في ل: شدت.

5 الحلائب: الجماعات. والأفناء: الأخلاط. وأفناء الحروب في ل وفي الديوان: أبناء الحريب.

6 الغريفة: الأجمة وفي الديوان العريضة. الحجيب: موضع.

7 الخامعات: الضباع، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب، والوجب: الخوف.

8 بطن قو: موضع، والموالة: طلب النجاة.

216 - [خبر النشاش اللص]

صوت

[من الطويل]

كَأَن لَمْ تَرَي قَبْلِي أُسِيرًا مُكَبَّلًا وَلَا رَجُلًا يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
كَأَنِّي جَوَادٌ ضَمَّمَهُ الْقَيْدُ بَعْدَمَا جَرَى سَابِقًا فِي حَلَبَةٍ وَرَهَانِ
الشعر لرجل من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النشاش ، والغناء لابن جاعم ثاني ثقلب
بالنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي .

[النشاش واعتراضه القوافل وهره بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبي]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :
كان أبو النشاش من ملاص¹ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شُذاذٍ من العرب بين طريق
الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهربُ
في وقت غرة فهرب ، فمرّ بغرابٍ على بانه يتتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك . ثم مرّ بجي²
من لَهَبٍ فقال لهم : رجل كان في بلاءٍ وشرٍّ وحبسٍ وضيقٍ ففجأ من ذلك ، ثم نظر عن
يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ يتتف ريشه وينعب . فقال له
اللهبي : إن صدقتِ الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال
له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

[من الطويل]

وسائلة أين ارتحالي وسائل ومَن يسأل الصُّعْلوكَ أين مَذهِبةُ
مَذهِبه أن الفِجَاج عريضة إذا ضنَّ عنه بالنَّوَالِ أقارِبهُ
إذا المرءُ لم يسرَّحْ سَوما ولم يُرح سَوما ولم يسطُ له الوجهُ صاحِبهُ
فللموتِ خيرٌ للفتى من قُعودِهِ عديماً ومِن مولى تُعافِ مشارِبهُ²
ودويّة قفرٍ يحارُ بها القطا سرّت بأبي النشاش فيها ركائبه³

1 ملاص : جمع مَلَصَة وهم اسم جمع للصوص .

2 تعاف مشاربه في ل : تدبّ عقابه .

3 دويّة : مفازة .

لِيُدرِكَ ثأراً أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنَمًا أَلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَتَرَى عَجَائِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاغَعَهُ الْفَتَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَائِلُهُ
فَعِشْ مَقْتَرًا أَوْ مُتَّ كَرِيمًا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَبْقَى عَلَى مَنْ يَطَالِبُهُ

صوت

[من الطويل]

أَصَادِرَةٌ حُجَّاجٍ كَعْبٍ وَمَالِكٍ عَلَى كُلِّ فِتْلَةٍ الذَّرَاعِينَ مُحْنِقٍ
أَقَامَ قَنَاةَ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَفَارَقَنِي عَنْ شِيْمَةٍ لَمْ تُرْنَقْ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارد ، وأصله من ورود الماء والصّدْر عنه ، ثم يقال لكلّ مقبِلٍ إلى موضع ومنصرف عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كنانة . وكان كثيرٌ ينتمي وينمي خزاعة إليهم . ومحنيق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنّق : تكدر . والرنق : الكدر .

الشعر لكثير عزة يرثي خنْدَقاً الأَسْدِيَّ ، والغناء للهدليّ ثاني ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ إِسْحَاقَ . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لِسَيَاطِرِ رَمْلٍ بِالْبِنْصَرِ عَنْهُ وَعَنْ الْهَيْشَامِيِّ وَعَمْرُو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه . وفي رواية حمّاد عن أبيه أَنَّ لَحْنَ الْهَدْلِيِّ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَالثَّقِيلُ الثَّانِي لِمَعْبَدَ . وذكر أحمد بن عبيد أَنَّ الَّذِي صَحَّ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ أَوْ ثَانِي ثَقِيلٌ .

[217] - خبر كثير وخندق الأسدي

الذي من أجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيع قال حدَّثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبة عن ابن داحية ، قالوا : كان خندق بن مرة الأسدي ، هكذا قال النوفلي . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثير ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشبيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغضبهم إياهم على حقهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمن كثير عياله ، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيكم ، والحق لهم وهم الأئمة ، ولم يقل إنه سب أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفن خندق بقنوى¹ . فقال إذ ذاك كثير يرثيه : [من الطويل]

أصَادِرُهُ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ	عَلَى كُلِّ عَجَلَى ضَامِرِ الْبَطْنِ مُخْنِقٍ
بِمَرْتِيَةٍ فِيهَا ثَنَاءٌ مُجَبَّرٌ	لَأَزْهَرَ مِنْ أَوْلَادِ مَرَّةٍ مُعْرِقٍ
كَأَنَّ أَخَاهُ فِي النَّوَائِبِ مُلْجَأٌ	إِلَى عِلْمٍ مِنْ رُكْنِ قُدْسِ الْمُنْطَقِ ²
يُنَالُ رَجَالاً نَفْعُهُ وَهُوَ مِنْهُمْ	بَعِيدٌ كَعْيُوقِ الثَّرِيَا الْمُعَلَّقِ ³
تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمَرِيِّ مَا لَكَ شَاخِباً	وَلَوْ نُكَتَ مَصْفَرٌّ وَإِنْ لَمْ تَخْلُقْ ⁴
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي ، مَنْ يَمُتَ لَهُ	أَخٌ كَأَبِي بَدْرِ وَجَدُّكَ يُشْفَقُ
وَأَمْرٍ يُهْمُ النَّاسَ غَيْبُ نِتَاجِهِ	كَفَيْتَ وَكَرْبٍ بِالذَّوَاهِي مَطْرَقِ ⁵

1 قنوى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .

3 العيوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

4 تخلق : تطيب بالخلق .

5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفتُ أبا بدرٍ إذا القومُ أحجموا
وعضتُ ملاقي أمرهم بالمخنق¹
وخصمُ أبا بدرٍ الدُّ أبتَه²
على مثل طعم الخنظل المتفلق²
جزى الله خيراً خندقا من مكافئ
وصاحبِ صديقٍ ذي حفاظٍ ومصدقٍ
أقام قناةَ الودِّ بيني وبينه
وفارقتني عن شيمةٍ لم تُرَقِّ
حلفتُ ، على أن قد أجنتك حفرةً
بطن قنوني ، لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالودِّ بعدك دائماً
على عهدنا إذ نحن لم نفرق
إذا ما غدا يهتزّ للمجدِّ والندى
أشمُ كفصن البانةِ المتورقِ
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا
بني أسدٍ رهط ابن مرةٍ خندقِ

[كثير وإنكار الطفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة : إن كثيراً لما اتهمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الذيلي من الموائبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن وائلة وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصويره خراعة منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيراً ليضره بالسيف أو ليطعنه بالرمح ، فكلمه فيه خندق الأسدي ، وكان صديقاً له ولكثير ، فوجه له ، واجتمعا بمكة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفيت لك يميني ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعه وهو منهم بعيد كعيق الثريا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيه بكرة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتوارة بن جدي قال : كان كثير قد سلطه الله ينسب بكرة بنت عبد الله ، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة ، وكانت عزة من أجمل النساء وأدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط ، إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها . فلقى رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإني لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالين إلى

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

2 أبتَه : الفعل أصله أبات .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فتيةٌ من جُدَيّ ، قال : وكان بنو ضَمْرَةَ كلهم يهونُ عليهم نسيُّه لما يعرفون من براءتها ، إلا ما كان من بني جُدَيّ فَإِنَّهُمْ كانوا صُمُعاً غُيْراً¹ . ففقد له عون ، أحد بني جُدَيّ في تسعة نفر على مَحَالِج² ، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسديّ ، فسمع استغاثته ، وهو خندق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَنْ هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثِيرٌ في ذلك . قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى :

أَصَادِرُهُ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ على كلِّ فِئَاءٍ الذراعين مُحَنِقٍ

وذكر القصيدة كلّها على ما مضت .

أخبرني الحِزْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن أبي عبيدة قال : خندق الأسديّ هو الذي أدخل كُثِيرًا في مذهب الخشبية³ .

[كثير يرثي خندقا حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن حبيب قال : لما قُتِلَ خندق الأسديّ بعرفة رثاه كثير فقال :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي	بغير مشورة عَرَضاً فَوَادِي
أغاضيرُ لَوْ شهدتِ غداةَ بِنْتِمْ	حَنُوُ الْعَائِدَاتِ عَلَى وَسَادِي
أَوَيْتِ لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ	نَوَافِذُهُ تَلَدَّعَ بِالزَّنَادِ ⁴
وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ سَفَرْتَ وَكَفَّتِ	رِدَاءُ الْعَصْبِ عَنْ رَتْلِ بُرَادٍ ⁵

الرَّثَلُ : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاء تَدَمَّعَ في بياضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

1 صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور .

2 المحالج : جمع محلج ، وهو الخفيف من الحمر .

3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم ، وإن القرآن مخلوق .

4 أويت : رثيت وأشفت . لم تشكمي : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .

5 البراد : البارد .

وعن متكوسٍ في العَقَصِ جَثَلٍ أثيثِ النبتِ ذي عَذْرِ جِعَادٍ¹
وغاضِرَةُ الغدَاةِ وإن نَأَتْنَا وأصبح دونها قُطْرُ الْبِلَادِ
أحسبُ ظِعِينَةَ وبناتٍ نَفْسِي إليها لو يَلْلَنُ بها صَوَادِي
ومن دونِ الذي أَمَلْتُ وَدًّا ولو طالبتها خَرَطُ الْقَتَادِ
وقال الناصحون تحلُّ منها ببذل قبل شيمتها الجمادِ

تَحَلَّ : أصِيب . يقال : ما حَلَيْت من فلان بشيء ولا تَحَلَيْت منه بشيء ، ومنه حُلُوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقد وعدتكَ لو أقبلتَ وَدًّا فلعجَّ بك التدلُّلُ في تَعَادٍ²
فأسررتَ الندامةَ يوم نادى بردَ جِمالِ غاضِرَةِ المُنَادِي
تمادى البعدُ دونهم فأمستُ دموعُ العينِ لَجَّ بها التَّمَادِي
لقد مُنِعَ الرقادُ فَبِتُّ لَيْلِي تجافيني الهمومُ عن الوَسَادِ
عَداني أن أزوركَ غيرَ بُغْضٍ مُقَامُكَ بَيْنَ مُصَفِّحَةِ شِدَادٍ³
وإنِّي قائلٌ إن لَم أزره سَقَتْ دِيمُ السَّوَارِي والغَوَادِي
محلٌّ أخِي بني أسدٍ قَتَوْنِي فما والى إلى بَرَكِ الْغِمَادِ⁴
مقيمٌ بالمجازةِ من قَتَوْنِي وأهلكَ بالأَجْيَفِرِ والشَّمَادِ⁵
فلا تَبْعُدْ فكلَّ فِتْيَ سَيَاتِي عليه الموتُ يطْرُقُ أو يُغَادِي
وكلُّ ذَخِيرَةٍ لا بَدَّ يَوْمًا ولو بقيتُ تصيرُ إلى نَفَادِ
يعزُّ عليَّ أن نغدو جميعاً وتصبحَ ثاوياً رَهْنًا بِوَادِ
فلو فُوديتَ من حدثِ المنايا وقيتُك بالطَّرِيفِ وبالتَّلَادِ

في هذه القصيدة عدَّة أصوات هذه نُسبَتها قد جُمِعَت .

- 1 المتكوس : المتراكب . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .
- 2 التعادي : التباعد .
- 3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .
- 4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ ممَّا يلي البحر .
- 5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والشماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضِرَ لو شهدتِ غداةَ يتمُّ حُورُ العائداتِ على وِسادي
رثيتُ لعاشقٍ لَمْ تشكُمِيه نوافِذهُ تَلدُعُ بالزنادِ
عدائي أنْ أزوركَ غيرَ بغضٍ مقامكَ بينَ مُصَفِّحَةِ شِدَادِ
فلا تَبَعُدْ فكلَّ فتى سيأتي عليه الموتُ يطرُقُ أو يُغادي

لمبعد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ
واهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيْد . وفيهما
للغريض ثاني ثَقِيل عن ابن المكيّ . ومن الناس مَنْ ينسُبُ لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً . وفي
الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثَقِيل مطلق في مَجْرَى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما .
ويقال : إن لابن سُرَيْج وابن محرز وابن جامعَ فيهما أَلحاناً .

غاضِرَةُ هذه التي ذكرها كثيرٌ مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِيَ في ذكره إتيانها غير خبرٍ
مختلف .

[أُمّ البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثير]

فأخبرني الحُرْمِيّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي عمر بن أبي بكر المؤمِّلُ قال
حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي عبيدة قال : حَجَّتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيرٌ
ووضّاح : انسُبا بي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيرٌ فنسب بجارياتها غاضِرَةَ حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضِرَةَ الغوادي بغير مشورة عرضاً فوَادي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتلَ وضّاحاً ولم يجد على كثيرٍ سبيلاً .
أخبرني الحُرْمِيّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُهْرِيّ عن
مُحَرِّز بن جعفر عن أبيه عن بُدَيْح قال : قَدِمْتُ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي
عند الوليد بن عبد الملك ، حاجة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيرٍ ووضّاح أن
انسُبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيرٌ بجارياتها غاضِرَةَ في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعانُ غاضِرَةَ الغوادي

قال : وكان معها جَوَارٍ قد فتنَّ الناسَ بالوَضاء .

[لابن قيس الرقيات في أُمّ البنين]

قال بُدَيْح : فلقيت عُبيد الله بن قيسِ الرقياتِ فقلتُ له : بَمَنْ نَسَبْتَ من هذا القطين¹ ؟

فقال لي :

[من المخرج]

ما تصنعُ بالشرِّ إذا لم تكُ مجنوناً
إذا قاسيت ثقل الشدِّ رَّ حَسَاكَ الأمرُنا
وقد هجَّت بما قد قُدَّ ستَ أماً كان مدفوناً

قال بُديح : ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي : يا بُديح ، احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة ؛ وأنشدني :

[من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أمِّ البنية من وذكريها وعنائها
وهجرتها هجرَ امرئٍ لم يقل حلَّ إختائها
من خيفة الأعداء أن يؤهوا أديم صفائها
قُرشيَّة كالشمس أشدَّ رَقَ نورها بيهائها
زادت على البيض الحسا نِ بحسنها ونقائها
لما اسبكرت للشبا ب وقنعت بردائها¹
لم تلتفت ليلداتها ومضت على غلوائها

غنى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي . وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان : أحدهما ثاني ثقيل بالنصر ، والآخر خفيف ثقيل بالنصر عن ابنه وغيره . وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحناً آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن مُحَرِّز .

قال : فقتل الوليد وضاحاً ولم يجد على كثير سبيلاً . قال : وحجَّت بعد ذلك وقد تقدَّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت ولم تكلم أحداً ولم يرها ، فقال لي : يا بُديح :

صوت

بان الخليطُ الذي به نثقُ واشتدَّ دون المليحة القلقُ
من دون صفراء في مفاصلها لينٌ وفي بعض بطشها خرُقُ
إن ختمت جاز طينُ خاتمها كما تجوز العبدية العتقُ²

غنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمْح لحناً من الثقيل الأول بالنصر ، عن عمرو ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحَرِّز ، وهو ممَّا يشبه غناءهما جميعاً وينسب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .

2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالبنصر . والصحيح أَنَّهُ لابن مسجح . وفيها ثاني ثَقِيلٍ لابن محرز عن ابن المَكِّي . وذكر حبش أَنَّ لِسِيَّاطِ فِيهَا لِحْنًا مَآخُورِيًّا بِالْوَسْطَى . وفي هذه الأبيات زيادة يُغْنَى فِيهَا ولم يذكرها الزبير في خبره ، وهي :

إِنِّي لِأَخْلِي لَهَا الْفِرَاشَ إِذَا قَصَّعَ فِي حِضْنِ زَوْجِهِ الْحَمِيقُ¹
 عَنْ غَيْرِ بَغْضٍ لَهَا لَدَيَّ وَلَ كُنْ تِلْكَ مِنِّي سَجِيَّةً خُلِقُ
 قَالَ الزُّبَيْرُ : أَرَادَ بِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ خَتَمْتَ جَازَ طَيْنُ خَاتِمِهَا

أَنَّهُ كَانَتْ عِنْدَ سُلْطَانِ جَائِزِ الْأَمْرِ . وَالْعَبْدِيَّةُ هِيَ الدَّنَائِيرُ ، نَسَبَهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . ثُمَّ وَصَلَ ابْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، يَعْنِي الْهَائِيَّةَ ، بِأَبْيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ :

صوت

اسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لِمْدَحَتِي وَثَنَائِهَا
 أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتَ أَرْوَمَ نَسَائِهَا²
 مَتَعَطَّفَ الْأَعْيَاصِ حَوْ لَ سَرِيرِهَا وَفَنَائِهَا³
 وَلَدْتَ أَغْرَ مُبَارَكًا كَالْبَدْرِ وَسَطَ سَمَائِهَا

غَنَاهُ ابْنُ عَائِشَةَ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَلَمْ يَجْنَسْهُ . وَهَذَا الشَّعْرُ يَقُولُهُ ابْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ لَا الْوَلِيدِ .

[إِصْرَارُ ابْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ عَلَى كَلِمَةِ فِي شَعْرِهِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ وَابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ : أَنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا وَهَبَ لَابْنَ جَعْفَرَ جُرْمَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ وَأَمَّنَهُ ، ثُمَّ تَوَاتَبَ أَهْلُ الشَّامِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَفْعَلُ هَذَا بِي وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

اسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لِمْدَحَتِي وَثَنَائِهَا
 أَنْتَ ابْنُ مُعْتَلَجِ الْبِطَا حَ كُدَّيْهَا وَكَدَائِهَا⁴
 وَلِطْنِ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتَ أَرْوَمَ نَسَائِهَا

1 قَصَّعَ : لَزِمَ الْبَيْتَ وَلَمْ يَبْرَحْهُ .

2 الْأَرْوَمُ : جَمْعُ أَرْوَمَةٍ وَهِيَ الْأَصْلُ .

3 الْأَعْيَاصُ مِنْ قُرَيْشٍ : أَوْلَادُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَكْبَرِ ، وَهُمْ الْعَاصُ وَأَبُو الْعَاصِ وَالْعَيْصُ وَأَبُو الْعَيْصِ .

4 كَدَيَّ وَكَدَاءُ : مَوْضِعَانِ بِمَكَّةَ .

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلا «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسخّفر¹ الآن . قال : وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكار .

وقد حدّثنا به في خبر كثير مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي . قال : حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي راوية كثير قال : والله إنني لأسير يوماً مع كثير ، حتى إذا كنا ببطن جدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالة² متنبّة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جنابني فسلمت ثم قالت : ممن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثير شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أن أرى كثيراً وأسمع شعره ، فهل تروي قصيدته : [من الطويل]

أهاجك برق آخر الليل واصبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إياها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله : [من الطويل]

كأنك لم تسمع ولم ترّ قبلها تفرّق ألف لمن حنين

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أطلال سعدى باللوى تتعهد

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلم أر مثل العين ضنت بمائها علي ولا مثلي على الدمع يحسد

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثير أحدّ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيراً ، أو سمعت منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذاك الراكب أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حيّاك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثير ؟

1 اسخّفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكن .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لك ويليكَ ! فقالت : أنتَ الذي تقول :

إذا حُسرتُ عنه العِمامَةُ راعها جميلُ الحَيَّا أغفلته الدواهن
والله ما رأيتُ عريباً قطَّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألامَ منك . قال : أنتَ والله أقبحَ مني وألامَ .
قالت له : أولستَ القائل :

تراهنَّ إلّا أن يؤدّين نظرةً بمؤخِرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصماً
كواظِمَ ما ينطقن إلّا محوَّرة رجِعةً قولٍ بعد أن يُفَهِّمًا¹
يحاذرن مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلّا تبسُّماً
لعن الله من يفرِّق منك . قال : بل لعنك الله . قالت : أولست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضَمَرِيَّةٌ عطَّستَ فيكها فإن عطَّاسها طَرَفُ الوداقِ²
قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرُّك أن لم تعرِّفني ولا من أنا . قال : والله إنِّي لأراك لثيمة
الأصل والعشيرة . قالت : حيَّاكَ الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجلٌ أحبَّ إليَّ وجهاً ولا
لقاءً منك . قال : لا حيَّاكَ الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغضَ إليَّ وجهاً منك . قالت :
أتعرِّفني ؟ قال : أعرفُ أنَّكَ لثيمة من اللثام . فتعرِّفتُ إليه فإذا هي غاضرةٌ أمٌ وليدٌ لبشر بن
مروان . قال : وسائرَها حتى سنَدنا³ في الجبل من قِبل زُرود⁴ . فقالت له : يا أبا صخر ،
أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قديمَتَ عليه . قال : أفي سبِّكَ إيتاي أو سبي
إيَّاكَ تضمين لي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلمَّا قامت تودَّعه سَفَرَت ،
فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجهاً . فأمرتُ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدَّ ما
قبلها وأمرتُ لي بخمسة آلاف درهم . فلمَّا ولَّوا قال : يا سائبُ أين نُعني أنفسنا إلى عكرمة ،
انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لما فارقتنا : [من الوافر]

شجاً أظعان غاضرة الغوادي بغير مشيئة عرضاً فوادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثير وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكار قال حدَّثني سليمان بن عيَّاش

1 المحورة : الجواب .

2 الوداق في كل ذات حافر : الغلمة .

3 سنَدنا : علونا .

4 زُرود : اسم جبل .

السعدي قال : كان كثيرٌ يلقي حاجُ المدينة من قريش بقديد¹ في كلِّ سنة ، ففعلَ عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قديداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثقالاً² واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قديداً وقد كلَّ وتعب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلَّف فني من قريش معه راحلته حتى يُبرِد³ . قال الفتى القرشي : فجلس كثيرٌ إلى جنبي ولم يسلم عليّ ، فجاءت امرأة وسيمة جميلة ، فجلست إلى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت : أنت كثيرٌ ؟ قال : نعم : قالت : ابن أبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول :
لعزة أطلالٌ أبْت أن تكَلِّما
[من الطويل]

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها :
وكنْتُ إذا ما جِئْتُ أجْلُنن مجلسي وأظهرن مني هَيْبَةً لا تَجْهُما
فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجر وقال : مَنْ أنت ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل المولات اللواتي في الخياء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئاً ، فضجر واختلط . فلما سكن من شأوه⁴ قالت : أنت الذي تقول :

متى تحسروا عني العِمامة تُبْصِروا جميلُ المُحيا أغفلته الدّواهنُ
أهذا الوجه جميلُ المُحيا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فاختلط وقال : والله ما عرفتك ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت . فسكت ، فلما سكن من شأوه قالت : أنت الذي تقول :

يروق العيون الناظرات كأنه هِرْقَلِي وزنٍ أحمرُ التبرِ راجح⁵
أهذا الوجه يروق العيون الناظرات ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء . ثم قام فالتفت في أثره ، ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولاتها بقديد : لك الله عليّ إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حَجِّي ثم أعطيكهما . فقالت : والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ثقالاً : بطيئاً .

3 أبرد : دخل في آخر النهار .

4 الشأو : الحزن .

5 الهرقلي : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أَجْبَرْتُكَ مَنْ هِيَ ؛ هَذَا كَثِيرٌ وَهُوَ مَوْلَايَ قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْهَا فَلَمْ أُخْبِرْهُ . قَالَ الْفَتَى الْقُرَشِيُّ :
فَرُحْتُ وَاللَّهِ وَبِيَ أَشَدُّ مِمَّا بِكَثِيرٍ .
قَالَ سُلَيْمَانُ : وَكَانَ كَثِيرٌ دَمِيمًا قَلِيلًا¹ أَحْمَرُ أَقْيَشِرَ² عَظِيمَ الْهَامَةِ قَبِيحًا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغني به

منها : [من الطويل]

صوت

أَشَاقُكَ بَرْقٌ آخَرَ اللَّيْلِ وَاصِبٌ تَضَمَّنَهُ فَرَشُ الْجَبَا فَاَلْمَسَارِبُ³
كَأَوْمَضَتْ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ خَرِيرٌ بَدَا مِنْهَا جِينٌ وَحَاجِبٌ⁴
وَهَبْتُ لَيْلَى مَاءَهُ وَنَبَاتَهُ كَمَا كُلُّ ذِي وَدٍّ لَمَنْ وَدَّ وَاهِبٌ
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الْوَاصِبُ : الدَّائِمُ ، يَقَالُ وَصَبَ يَصِيبُ وَصُوبًا أَيْ دَامَ . قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِيًا﴾ أَيْ دَائِمًا .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لِعِزَّةٍ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْغُصْنِ شَاقِنِي بِضَاحِي قَرَارِ الرُّوضَتَيْنِ رُسُومُ
هِيَ الدَّارُ وَخَشًا غَيْرَ أَنْ قَدْ يَحُلُّهَا وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلِيٌّ كَرِيمُ
فَمَا بِرِسُومِ الدَّارِ لَوْ كُنْتُ عَالِمًا وَلَا بِالتَّلَاعِ الْمُقَوَّاتِ أَهِيمُ
سَأَلْتُ حَكِيمًا أَيْنَ شَطَطُهَا النُّوَى فَخَبَّرَنِي مَا لَا أَحَبُّ حَكِيمُ
أَجَدُّوا فَأَمَّا آلُ عِزَّةٍ غُدُوهُ فَبَانُوا وَأَمَّا وَاسِطُ فَمَقِيمُ⁵
لِعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفَوَازُ مِنَ الْهَوَى بَغَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمُ
حَكِيمٌ هَذَا هُوَ أَبُو السَّائِبِ بْنِ حَكِيمٍ رَاوِيَةٌ كَثِيرٌ . ذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا الْبُزْيَدِيُّ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ .
فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ لِمُعْبَدِ الْحَنَانِ ، أَحَدُهُمَا فِي الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ
وَابْنِ الْمَكِّيِّ وَحَبَشٍ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْآخِرَةِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .

2 الأقيشر : مصفر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .

3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .

4 الخريع : المرأة الحسناء .

5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطّتها بها النوى

له أيضاً ثقل أول بالنصر عن يونس وحبر. وذكر حبش خاصة أن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر ، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي . وقال أحمد بن عبيد : فيه ثلاثة ألحان : ثقل أول وخفيفه ، وخفيف رمل .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني المؤملي أن ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثير :
[من الطويل]

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قرار الروضتين رسوم
يتحازن حتى نقول : إنه يكي .

[تمثل الحزين الكنائي بشعر لكثير]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال : قال عروة بن أذينة : كان الحزين الكنائي الشاعر صديقاً لأبي ، وكان عشيراً له على النبيذ ، فكان كثيراً ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها ، فبيعت وأخرجت عن المدينة ، فأتمى الحزين أبي ، وهو كتيب حزين كاسيه ، فقال له أبي : يا أبا حكيم ما لك ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى
سألت حكيماً أين شطّتها بها النوى
فقال له أبي : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

[قصيدة كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر ، وذلك قوله فيها : [من الطويل]

ولست براء نحو مصر سحابة
فقد يوجد النكس الذي عن الهوى
وقال خليلي ما لها إذ لقيتها
فقلت له إن المودة بيننا
وإنني وإن أعرضت عنها تجلدا
وإن بعدت إلا قعدت أشيم¹
عزواً ويصبو المرء وهو كريم
غداة الشبا فيها عليك وجوم²
على غير فحش والصفاء قديم
على العهد فيما بيننا لمقيم

1 أشيم : أنظر .

2 الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة .

وإن زماناً فرَّقَ الدهرُ بيننا وبينكم في صرفهِ لمشؤم
أني الحقُّ هذا أنَّ قلبك سالمٌ صحيحٌ وقلبي في هواك سقيمٌ
وأنَّ بجسمي منك داءٌ مخامراً وجسمك موفورٌ عليك سليمٌ
لعمرك ما أنصفتني في مودتي ولكنتي يا عزَّ عنك حليمٌ
فإما تريني اليومَ أبدي جلادةً فإني لعمرى تحت ذاك كليمٌ
ولستُ ابنةَ الضمريِّ منك بناقيمِ ذنوبُ العدا إني إذا لظلومٌ
وإني لذو وجدي إذا عاد وصلها وإني على رأيي إذا لكريمٌ

ومنها :

[من الطويل]

صوت

لعزة أطلالٌ أبَت أن تكلماً تهيجُ مغانيها الفؤادَ المنيماً
وكنتُ إذا ما جئتُ أجلنَ مجلسي وأظهرنَ مني هيبَةً لا تجهُّما
يُحاذرنَ مني غيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكنَ إلا تبسُّما

عروضه من الطويل . غنى فيه مالك بن أبي السَّمْع لحنيد عن يونس . أحدهما ثقیل أول
بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق ، وغيره ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقیل بالوسطى عن
حبش ، وفيه لابن مُحَرِّز خفيف ثقیل أول بالبصر عن عمرو والهشامي . وغيره يقول : إنه لحن
مالك . وفيه لابن سُرَيْج خفيف رمل بالبصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر حجة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أئق به
عن مسرور الخادم : أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطْلِع عليه أحداً بته .
ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاعل اليوم بمن تأنس به
واصطبَحْ فإني مصطبَح مع الحرم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولم يزل برّ
الرشيد والطفاه¹ وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش . فلما كان في الليل دعاني فقال
لي : اذهب فجنني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضمْ إلي جماعة من الغلمان ، فمضيتُ
حتى هجمتُ عليه منزله . وإذا أبو زَكَار الأعشى يغنيه بقوله :

[من الوافر]

فلا تَبْعُدْ فكل فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتكَ فأجِب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللطف ، بالتحريك : واحد الألفاظ ، وهو الهدية .

جعلني الله فداؤك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبَّ على رجلي فقبلها وقال : الله الله ، راجعُ أمير المؤمنين في . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأعْهَدْ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعته ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بقيتُ واحدة . قلت : هايتها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعاوِذه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكّار الأعمى : نشدتك الله إن قتله إلا ألحقتني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغثاني عمّن سواه ، فما أحبّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلما رآني قال : أين رأسه ويلك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنَّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعت بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى ، فلما كان بعد مدّة أمرني بإحضاره ، فأحضرتُه ، فوصله وبرّه وأمر بالجراية عليه .

[شعر في خولة غنّى فيه]

صوت

[من الوافر]

قفا في دار خولة فأسألاها تقادم عهدُها وهجرُتها
بمِخلالٍ يفوح المسكُ منه إذا هُبَّتْ بأبطحِ صباها¹
أترعى حيثُ شاءت من حمانا وتمنّعا فلا نرعى حِماها²
عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فزارة . والغناء ذكر حمّاذ عن أبيه أنّه لمعبد ، وذَكَرَ عنه في موضع آخر أنّه لابن مِسْجَح . وطريقته من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى .

1 المخلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

2 فلا في ل : إذا .

218 - [أخبار منظور بن زيان]

[نسبه]

وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زيان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وكان منظور بن زيان سيد قومه غير مدافع ، أمه قهطيم بنت هاشم بن حرملة ، وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد من طال حمل أمه به . [سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكار أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثنا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي . قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أيضاً إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة ، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالاً جميعاً : حملت قهطيم بنت هاشم بمنظور بن زيان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه فسماه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة :

ما جئت حتى قيل ليس بوارِدِ فسُميتَ منظوراً وجئت على قدرِ
وإنِّي لأرجو أن تكونَ كهاشمٍ وإنِّي لأرجو أن تسودَ بني بذرِ

[تزوج مليكة زوج أبيه ففرق عمر بينهما فبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عيَّاش ، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد : أن منظور بن زيان تزوج امرأة أبيه ، وهي مليكة بنت سينان بن أبي حارثة المري ، فولدت له هاشماً وعبد الجبار وخولة ، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يشرب الخمر أيضاً ، فرفع أمره إلى عمر ، فأحضره وسأله عما قيل ، فاعترف به وقال : ما علمت أنها حرام . فحبسه إلى وقت صلاة العصر ، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله جل وعز حرم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يمينا . فخلّى سبيله ، وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره : إن عمر قال له : أتنيح امرأة أبيك وهي أمك ؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت¹ ! . وفرق بينهما . فتزوجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبي في خبره : فلما طلقها أسف عليها وقال فيها :
 ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهرُ إذا مُنعت مني مُليكةٌ والخمرُ
 فإن تكُ قد أُمستُ بعيداً مزارها فحيّ ابنةَ المرّي ما طلّعَ الفجرُ
 لعمري ما كانت مُليكةً سوءاً ولا ضُمّ في بيتٍ على مثلها سترُ
 وقال أيضاً :

لعمري أبي ، دينٌ يُفرّق بيننا وبينك قسراً إنه لعظيم
 وقال حُجر بن معاوية بن عُيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور :
 لبس ما خلف الآباء بعدهم في الأمهات عجالُ الكلبِ منظورُ
 قد كنتَ تغمزها والشيخ حاضرُها فالآن أنت بطول الغمزِ معذورُ

[تزوجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا . وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها ؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنتَ منظور فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج ، ثم قُتل عنها يوم الجمل ، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال علي عليه السلام ، فقال الحسيني لأُمير المدينة : هذا الظالم الضاليع¹ الظالم ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إني لأُبغضُكَ . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدك ، وناك عمي أمك ؟ ، لا يكني ، فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير .

[لقى مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبي قال : فلما فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظورُ يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مُليكة ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلّمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حِرِّ مُليكة ؟ قال : كما رأيت أثر أير أليك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنتَ منظور فولدت له

إبراهيم وداود وأمّ القاسم بن محمد بن طلحة ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فخلّف عليها الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما . قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزامي عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور ، زوجة إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحتة .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولة أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظور بن زيان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنته ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلّا دخل تحتها ، فقبل لمنظور بن زيان : أين يُذهب بك ؟ تزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقباء جعلت خولة تُندّمه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة . فقال : تلبّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفیر العبّسيّ :

إنّ الندى من بني ذبيان قد علّموا والجود في آل منظور بن سيّار
الماطرين بأيديهم ندّى ديماً وكلّ غيثٍ من الوسميّ مدرار¹
تزوّر جاراتهم وهنّا فواضيلهم وما فتاهم لها سرّاً بزوار²
ترضى قريش بهم صهراً لأنفسهم وهم رضا لبني أخت وأصهار

[لما أسنت خولة بنته برزت للرجال وغناها معبد بشعر قبل فيها فطرت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغني عن معبد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلما أسنت مات عنها أو طلقها ، فكشفت قناعها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتها ذات يوم أطلبها بحاجة ، فغنيتها لحنّي في شعر قاله فيها بعض بني فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكِحها أبوها :

[من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .

2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قفا في دار خولة فاسألاها تقادم عهدُها وهجرُماها
 بمحلال كأنَّ المسك فيه إذا فاحت بأبطحِه صباها
 كأنَّك مُزَنَّةٌ بَرَقْتَ بَلِيلِي لِحِرَّانٍ يُضِيءُ له سَناها
 فلم تُمَطِّرْ عليه وجاوزته وقد أَشْفَى عليها أو رجاها
 وما يَمَلَا قُوادي فاعلميه سَلُّوا النَّفسَ عنك ولا غناها
 وترعى حيث شاءت من حِمانا وتمنعنا فلا نرعى حِماها

قال : فطربت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قطن ، أنا والله يومئذ أحسن من النارِ الموقدة في الليلة القَرَّة .

صوت

[من الكامل]

للهِ درَّ عِصابةٍ صاحبُهم يومَ الرُّصافةِ مثلُهم لم يُوجدِ
 متقلِّدين صَفائِحاً هِنْدِيَّةَ يتركنَ مَنْ ضَرَبُوا كأنَّ لم يُولَدِ
 وغدا الرِّجالُ الثَّائرونَ كأنما أبصارهم قَطَعُ الحَديدِ الموقَدِ

عروضه من الكامل . الشعر للجحافِ السُّلَميِّ الموقَّعِ ببني تغلب في يومِ البِشر . والغناء للابَّجَرِ أوَّلَ بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] - خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن مُحاريب بن فالج بن ذُكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور .
[قصته يوم البشر وسبب ذلك]

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعليُّ بن سليمان الأخفش قالاً حدثنا أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيِّ ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ وحبيب بن نصر المهلبِيُّ قالاً حدثنا عمر بن شُبَّة ، وقد جَمَعْتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب : أنَّ عُميرَ بنَ الحُبَاب لما قَتَلْتُهُ بنو تغلب بالحِشَاك ، وهو إلى جانب الثُّرثَار ، وهو قريبٌ من تَكْرِيت ، أتى تميمُ بنُ الحُبَاب أخوه زُفَرُ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُبَاب بمن تبعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العُقَيْلي . فلما توجَّهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألقُ الشيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظُفِرَ بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا إنه لأشدُّ ؛ قال زفرُ : فاحسب عليَّ القومَ ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحَرَضَهُمْ ، ثم شَخَصَ واستخلف عليهم أخاه أوساً ، وسار حتى انتهى إلى الثُّرثَار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجَّهَ زفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء إلى بني قَدَوْكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدَة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيل إلى بني كَعَب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسَلِّم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأَسْرَعَ في القتل . وبلغ ذلك بني تغلب واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبُورَ دجلة ، فلحقهم زُفَرُ بالكُحَيْل ، وهو نهرٌ أسفل الموصِل ، مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوه من ليلتهم ، ويَقْرَؤُ ما وجدوا من النساء . وذكر أن من غرق في دجلة أكثرُ ممَّن قُتِلَ بالسيف ، وأنَّ الدم كان في دجلة

قريباً من رمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أَنَّ زفرَ دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِلَ ، فتذاَمروا¹ وقالوا : لئن قُتِلَ شيخُنَا لَمَا صَنَعْنَا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس ، وتغلبُ قد رمت بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرْجِيَّةُ لأنَّهم أُحْرِجُوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجَّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُبَاب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاَّ يلقُوا أحداً إلاَّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلُّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة مِنْ أصحابه ، حتَّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ² بالكُحَيْلِ أحداً ، والكُحَيْلُ على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قَيْلُ رأس الأثيل ، فوجد به عسكرياً من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تغلبُ ليلة الحرير . ففي ذلك يقول زُفرُ بنُ الحارث ، وقد ذَكَرَ أنها لغيره :

ولما أن نعى النَّاعي عُميراً حسبْتُ سماءهم ذهيت بليل
دهيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنَّ ليلاً دهاها .

وكان النجمُ يطلعُ في قتَامٍ وخاف الذَّلَّ مِنْ يَمَنٍ سُهَيْلٍ³
وكنْتُ قبيلها يا أُمَّ عمرو أَرْجَلُ لِمَتِي وَأَجْرُ ذَيْلٍ⁴
فلو نُبِشَ المقابرُ عن عمير فيخبرَ مِنْ بلاء أبي الهذيل
غداة يقارعُ الأبطالَ حتَّى جرى منهم دماً مَرَجُ الكُحَيْلِ
قبيلٌ يَنْهَدُون إلى قبيلٍ تساقى الموت كيلاً بعد كيل
وفي ذلك يقول جرير يعيِّرُ الأخطل :

[من الكامل]

أنسيتَ يومَكَ بالجزيرة بعدما كانت عواقبه عليك وبالا !
حملتُ عليك حُماة قيسٍ خيلها شعثاً عوايسَ تحمِلُ الأبطالاً

1 تذاَمروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .

2 ل : يخلف .

3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .

4 اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرر عليكم ورجالا
زفر الرئيس أبو الهذيل أباركم فسبى النساء وأحرز الأموال

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفر إلى الروم]

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتل عبد الله بن الزبير هُدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة ، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يُحكم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله : [من الطويل]

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر يقتل أضييت من سليم وعامر
أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى به البحر ترهاه رياح الصراير¹

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد كسبت قومك شراً . فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكر وتغلب ، وصحبه من قومه نحو من ألف فارس ، فثار بهم حتى بلغ الرصافة ، قال : وبينها وبين شط الفرات ليلة ، وهي في قبلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعر الأخطل ، وقال لهم : إنما هي النار أو العار ، فمن صبر فليقدم ومن كره فليرجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خير وشر ، فارتحلوا فطرقوا صهيئ بعد رؤية² من الليل ، وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صهيئ والبشر ، وهو واد لبني تغلب ، فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوه ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومن كانت غير حامل قتلوها . فقال عمر بن شبة في خبره : سمعت أبي يقول : صعد الجحاف الجبل ، فهو يوم البشر ، ويقال له أيضاً يوم عاجنة الرحوب ، ويوم مخاشين ، وهو جبل إلى جنب البشر ، وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب ، وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياث ، ففي ذلك يقول جرير له :

شربت الخمر بعد أبي غياث فلا نعت لك السوءات بالآ³

قال عمر بن شبة في خبره خاصة : ووقع الأخطل في أيديهم ، وعليه عباءة دينة ، فسأله

1 زهت الريح الشجر ترهاه : هزته وحرّكه .

2 رؤية : قطعة ، وأصلها القطعة يسد بها ثلثة الإناء .

3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَقَّارٍ في ذلك : [من الكامل]

لَمْ تَنْجِ إِلَّا بِالتَّعْبُدِ نَفْسُهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَتَهُمُ قَوْمٌ عِدَا
وتشابهت بُرْقُ العَبَاءِ عَلَيْهِمُ فنجا ولو عرفوا عباءته هوى¹

وجعل يُنادي : مَنْ كانت حاملاً فإليَّ ، فصعدنَ إليه ، فجعل يقرُّ بطونهنَّ . ثم إنَّ الجحَّافَ هرب بعد فعله ، وفرَّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحق الجحَّافَ عبيدَةُ بن همام التغلبيّ دون الدَّربِ ، فكرَّ عليه الجحَّافُ فهزمه ، وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك :

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى من الورْدِ يومٌ في دماء الأرقام²
لذن ذرَّ قرنُ الشمس حتى تلبَّستْ ظلاماً بركض المقرَّبات الصلادم³

[رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثل بشعر الأخطل]

حتَّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلمته القيسية في أن يؤمَّنه ، فلان وتلكا ، فقبل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مقامه بالروم ؛ فأمنه ، فأقبل فلماً قدِم على عبد الملك لقيه الأخطلُ فقال له الجحَّاف :

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إني أطعك في التي حضضت عليها فعلَ حرَّانَ حازمٍ
فإن تدعني أخرى أجبك بمثلها وإني لطبُّ بالوعى جدُّ عالمٍ

قال ابن حبيب : فزعموا أنَّ الأخطلَ قال له : أراك والله شيخَ سوءٍ . وقال فيه جرير :

فإنك والجحَّافَ يوم تحضُّه أردتَ بذاك المكثَ والورْدَ أعجلُ
بكي دَوْبِلٌ لا يُرقى في الله دمعهُ ألا إنما يبكي من الدُّلِّ دَوْبِلُ⁴

1 الأبرق : كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .

2 الأرقام : حي من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سموا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأرقام من الحيات .

3 المقرَّبات من الخيل : التي ضمَّرت للركوب فهي قرية معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

4 رقاً الدمع : جفَّ وسكن . الدويل : الخنزير أو ولده .

رمسا زالت القتلى تمور دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل¹
فقال الأخطل : ما لجريز لعنه الله ! والله ما سمّنتني أمي ذوبلاً إلا وأنا صبي صغير ثم
ذهب ذلك عني لما كبرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة
فسائل بني مروان ما بال ذمة
وحنبل ضعيف لا يزال يوصل
فإلاً تغيّرها قريش بملكها
يكن عن قريش مستراد ومزحل²

[حمله الوليد دية قلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى
لك لو قلت غيرها ؛ قال : ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر
الوليد بن عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحاف
قتلى البشر ، وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الجمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِل ،
فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حُمِل لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج ، فمنعه .
فلقى أسماء بن خارجة ؛ فعصّب حاجته به فقال : إني لا أقدر لك على منفعة ، قد علم الأمير
بمكانك وأبي أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا ألزمها غيرك أتجحت³ أو أكدت⁴ ، فلما بلغ
ذلك الحجاج قال : ما له عندي شيء ، فأبلغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكون أنت الذي
تؤسسه فإنه قد أبى ، فأذن له فلما رآه قال : أعهدتني خائناً لا أباً لك ! قال : أنت سيد
هوازن ، وقد بدأنا بك ، وأنت أمير العراقين⁴ ، وابن عظيم القريتين⁵ ، وعِمالتك في كل سنة
خمسماية ألف درهم ، وما بك بعدها حاجة إلى خيانة ؛ فقال : أشهد أن الله تعالى وفّقك ،
وأنت نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدوا البقية .

[تسك وخرج إلى الحج في زي عجيب]

قال : ثم تألّه⁶ الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحج ، فأذن له ، فخرج في المشيخة
الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبروا أنوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها

1 أمار الدم : جرى ، والأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدره .

2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعّد .

3 أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .

4 العراقان : الكوفة والبصرة .

5 القريتان : مكة والطائف .

6 تألّه : تعبد وتسك .

البرى¹ ، ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ؛ فقال له ابن عمر : يا هذا ، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول ؛ قال : فإنا الجحاف ، فسكت . وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك ! قال عمر بن شبة في خبره : كان مولد الجحاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمته وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحوي : كان الجحاف معي في الكتاب ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولما أمته عبد الملك دخل عليه في جبة صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صبرت سليم للطعان وعامر
وإذا جزعنا لم نجد من يصبر

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر من يصبر ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا
يوم اللقا وإذا علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقت ، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حدثت عن الدمشقي عن الزبير بن بكار ، وأخبرني وكيع عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضر في مجلسه ينشد :

ألا سائل الجحاف هل هو نائر
بقتلى أصيبت من سليم وعامر

قال : فتقبض وجهه في وجه الأخطل ، ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعم سوف نبكيهم بكل مهني
ونبكي عميراً بالرماح الخواطر²

ثم قال : ظننت أنك يا ابن النصرانية لم تكن تجترى علي ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوعده ، فما برح الأخطل حتى حُم ، فقال له عبد الملك : أنا جارك منه ؛ قال : هذا أجرتني منه يظنان ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبد الملك يضحك . قال : فأما قول الأخطل : [من الطويل]

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتز فهو خاطر والجمع خواطر .

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت من سليم وعامر فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل : أن قيساً وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط ، فكانوا يتغاورون¹ . وكانت بنو مالك بن بكر جامعة بالتواذ وما حوله ، وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم . وكانت تغلب يدوا بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاعة وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذريجان ، فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأتهم منهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أيا أخويننا من تميم هديتما ومن أسد هل تسمعان المنايا
ألم تعلمنا مذ جاء بكر بن وائل وتغلب ألفافاً تهز العواليا
إلى قومكم قد تعلمون مكانهم وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائل المجش بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثير من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك : [من الطويل]

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائل بني عمنا فالدهر ذو متغير
فسوف نخيض الماء أو سوف نلتقي فنقتص من أبناء عم المجش²

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمع كبير فشهدوا يوم الثرثار ، فقتل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام ، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعب ، وجمعت تغلب فأكثر ، فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطلهم :

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أُناديهم وقد خَذَلْتُ كلاب
وَحولي من ربيعة كالجبال
أَقَاتِلُهُم بِحَيِّ بَنِي سُلَيْمٍ
وَيَعْصُرُ كَالْمَصَاعِبِ النَّهَالِ¹
فِدَى لِفُوارسِ الثَّرثارِ قومي
وما جَمَعْتُ من أَهلي ومالي
فإِما أُمسِرَ قد حانت وفاتي
فقد فارقت أعصرَ غيرِ قالِ
أُبَعِدَ فُوارسِ الثَّرثارِ أُرجو
ثَرءَ المالِ أو عَدَدَ الرِّجالِ ؟

ثم زحف العسكران ، فأنت قيس وتغلب الثرثار ، بين رأس الأثيل والكحيل ، فشهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بن مُلَيْلٍ وتغلب بن نياطٍ التغلياني قديماً في ألفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لب على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل ، ثم توجهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيب إلى دواخين² قيس ، فقال لتغلب بن نياط : سير بنا إليهم ، فقال له : الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً ، فقال شعيب : والله لا تحدث تغلب أنني نظرت إلى دواخينهم ثم انصرفت عنهم ، فأرسل ناساً من أصحابه قدامه وعمير يقاتل بني تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلب حنظلة بن هوير ، أحد بني كنانة بن تميم ، فجاء رجل من أصحاب عمير إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته ، وأنه قد عدل إليه ، فقال عمير لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوير ، ومضى هو في جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيب ، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قتب بن عبيد ، فقال عمير : يا قتب ، أخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه . وفارق تغلب بن نياط شعباً ، فمضى إلى حنظلة بن هوير ، فقاتل معه القيسية ، فقتل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتلوا قتالاً شديداً ، فما صليت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقطعت رجل شعيب يومئذ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول :

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يفتك وهو أجذم³
فلما قتل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابهم ، ثم قاتلوا حتى قتلوا ، فلما رآه عمير قتيلاً قال : من سره أن ينظر إلى الأسد عقيراً فما هو ذا . وجعلت تغلب يومئذ ترتجز وتقاتل وهي تقول :

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .

2 الدواخين : جمع داخنة ، وهي المدخنة .

3 أجذم : أقطع .

انْعَمُوا إِيَّاساً وَاَنْدَبُوا مُجَاشِعاً كَلَاهِمَا كَانَ كَرِيماً فَاجِعاً
وَيَهُ بَنِي تَغْلِبَ ضَرْباً نَاقِعاً¹

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب ، فحميت على القتال وتدامرت على الصبر ، فقال مِحْصَنُ بْنُ حَصِينِ بْنِ جَنْجُورٍ أَحَدُ الْأَبْنَاءِ : مضيت أنا وَمَنْ أَفَلَتَ مِنْ أَصْحَابِ شُعَيْبٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَأَتَيْنَا رَاهِباً فِي صُومَعَتِهِ ، فَسَأَلْنَا عَنْ حَالِنَا ، فَأَخْبَرَنَا ، فَأَمَرَ تَلْمِيزاً لَهُ ، فَجَاءَهُ بِخِرْقٍ فِدَاوَى جِرَاحِنَا ، وَذَلِكَ غَدَاةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ . فَلَمَّا كَانَ آخِرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَانَا خَبَرُ مَقْتَلِ عَمِيرٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَرَبَ مَنْ أَفَلَتَ مِنْهُمْ :

[من الخفيف]

صوت

إِنَّ جَنْبِي عَلَى الْفَرَّاشِ لِنَابٍ كَتَجَانِي الْأَسْرُ فَوْقَ الظَّرَابِ
مَنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَمَا أَطُ سَعَمُ غُمُضاً وَلَا أَسِيغُ شَرَابِي
لِشُرْحِيْلٍ إِذْ تَعَاوَزَهُ الْأَرُ مَاحُ فِي حَالِ شِدَّةٍ وَشَبَابِ
فَارِسٍ يَطْعَنُ الْكُمَاةَ جَرِيءٍ تَحْتَهُ قَارِحُ كُلُونِ الْغَرَابِ²

عروضه من الخفيف . الْأَسْرُ : البعير الذي يكون به السَّرَرُ ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرَتِهِ ، لَا يَقْدَرُ أَنْ يَبْرُكَ إِلَّا عَلَى مَوْضِعٍ مُسْتَوٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالظَّرَابُ : النشورُ والجبال الصغار ، واحدها ظِرْبٌ . وَالشُّعْرُ لِفُلْفَاءٍ ، وَهُوَ مَعْدِيكِرْبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُجْرٍ آكَلَ الْمُرَارَ الْكِندِيَّ يَرِثِي أَخَاهُ شُرْحِيْلَ قَتِيلَ يَوْمِ الْكَلَابِ الْأَوَّلِ ، وَالْغَنَاءُ لِلْغَرِيضِ ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَعَمْرُو .

1 ويه : إغراء وتحريض .

2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

[قصة يوم الكلاب الأول] 220

وكان السببُ في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالَا حَدَّثَنَا أَبُو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دَمَاز عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكلاب الأول أن قُباد ملك فارسَ لَمَّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيفة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّي ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهما حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولديه ، فانطلقت ربيعة إلى كِنْدَةَ ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْرٍ آكل المرار ، فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العربُ تسكنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قبادُ أن يُمدَّ المنذرَ بجيش . فلَمَّا رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحقَّ مَنْ ضَمَنِي ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوِّله إليه وزوجه ابنته هنداً . ففرَّق الحارثُ بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرَحْبِيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحَنْظَلَةُ بن مالك وبني أُسَيْد ، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرَّبابِ ، وصار معديكربُ بن الحارث ، وهو غُلَفَاء ، في قيس ، وصار سَلَمَةُ بن الحارث في بني تغلب والنَّعير بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناء . فلَمَّا هلك الحارثُ تشتَّت أمرُ بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورَةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحْبِيلُ وَمَنْ معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنَّعير وَمَنْ معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رَقِيَّة ، وهي أُمُّ لهم يتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكلاب . وكان نصحاء شُرَحْبِيلُ وسَلَمَةُ قد نهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذروهما غَثَرَات الحرب وسوء مَقْبِتِها ، فلم يقبلا ولم ييرحا ، وأبيا¹ إلا التتابعُ واللجاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بن حُجْرٍ في ذلك :

[من السريع]

أنتي علي استتب لومكما	ولم تلوما عمراً ولا عُصْماً
كلأ يمين إله يجمعنا	شيء وأخواننا بني جُشْماً
حتى تزور السباع ملحمة	كانتها من ثمود أو إرمَا

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه ، فقتلت بكر بن وائل بنين له ، فيهم مرة بن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيخُ شيخُ ثكلانُ والجوفُ جوفُ حرانُ
والوردُ وردُ عجلانُ أنعى مرةً بنَ سفيانُ

وفي ذلك يقول الفرزدق :

شيوخُ منهمُ عدسُ بنُ زيدٍ وسفيانُ الذي ورد الكلابا
وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبد يغوث بن دوس ، وهو عم الأخطل - دوس والفدوكس أخوان - على فرس له يقال له الحرون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لن تحلوه¹

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائل : بكر وتغلب ليس معهم غيرهم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى منادي سلمة : من أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل ، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففروا عنه ، وعرف مكانه أبو حنش ، وهو عَصَمُ بنُ النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، فصمّد نحوه ، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه . ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل ، فلحقه ذو السنينة - واسمه حبيب بن عتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة - فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته ، فأطن² رجله ، وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه ، أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليب ومهلل ، فقال ذو السنينة : قتلتني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلتني الله إن لم أقتله ، فحمل عليه ، فلما غشيته قال : يا أبا حنش ،

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .

2 أطن رجله : قطعها .

أَمْلِكاً بِسَوْقَةٍ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَلِكِي ، فَطَعَنَهُ أَبُو حَنْشٍ ، فَأَصَابَ رَادِفَةَ¹ السَّرَجِ ، فَوَرَّعَتْ² عَنْهُ ، ثُمَّ تَنَاولَهُ فَأَلْقَاهُ عَنْ فَرْسِهِ ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى سَلْمَةَ مَعَ ابْنِ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو أَجَأَ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ غِيَاثٍ ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ : لَوْ كُنْتُ أَلْقَيْتَهُ إِلقاءَ رَفِيقًا ؛ فَقَالَ : مَا صَنَعْتُ بِي وَهُوَ حَيٌّ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، وَعَرَفَ أَبُو أَجَأَ النَّدَامَةَ فِي وَجْهِهِ وَالْجَزَعَ عَلَى أَخِيهِ ، فَهَرَبَ وَهَرَبَ أَبُو حَنْشٍ فَتَنَحَّى عَنْهُ ، فَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ أَخُو شَرْحَبِيلِ ، وَكَانَ صَاحِبَ سَلَامَةٍ مُعْتَزِلاً عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحُرُوبِ :

فَمَا لَكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ !
 قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكُلَابِ
 وَأَسْلَمَهُ جَعَاسِيْسُ الرِّيبِ³
 تَضَرُّرُ بِهِ صَدِيقُكَ أَوْ تُحَالِي
 فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ مُجِيباً لَهُ :

أَحَازِرُ أَنْ أَجِئَكُمْ فَتَحْبُوا
 فَكَانَتْ غَدْرَةً شَنْعَاءَ تَهْفُو
 حَبَاءُ أَيْكَ يَوْمَ صُنَيْعَاتِ⁴
 تَقْلُدُهَا أَبُوكَ إِلَى الْمَمَاتِ
 وَيُقَالُ : إِنَّ الشَّعْرَ الْأَوَّلَ لَسَلْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ : وَقَالَ مَعْدِيكَرْبُ الْمَعْرُوفُ بِغُلْفَاءَ يَرِثِي أَخَاهُ
 شَرْحَبِيلَ بْنِ الْحَارِثِ :

إِنَّ جَنَبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لِنَابِي
 مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَلَا تَرِ
 مُرَّةً كَالذُّعَافِ أَكْثَمَهَا النَّا
 مِنْ شَرْحَبِيلٍ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرِ
 يَا ابْنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدِ
 لَتَرَكْتُ الْحَسَامَ تَجْرِي ظُبَاهِ
 كَتَجَانِي الْأَسْرُ فَوْقَ الظُّرَابِ
 قَا عَيْنِي وَلَا أَسِيغُ شَرَابِي
 سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٍ كَالشَّهَابِ⁵
 مَاحُ فِي حَالِ لَذَّةٍ وَشَبَابِ
 عَو تَمِيمًا ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابِ
 مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْكُلَابِ

1 رادفة السرج : مؤخرته .

2 ورّعت عنه : منعت .

3 جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .

4 صنيعات : موضع أو ماء .

5 الملة : الرماد الحار .

ثم طاعنتُ من ورائك حتى تبلغ الرّحْبَ أو تُبْزُ ثِيابي¹
يوم ثارت بنو تميم وولّت خيلُهم يتّقين بالأذْناَبِ
وَنَحْكُم يا بني أُسَيْدَ إني ويحكم رُكُومَ رَبِّ الرّبابِ
أين معطيكم الجزيلَ وحايه كم على الفقر بالمئين الكُبابِ²
فارس يضرب الكتيبة بالسيف ف على نحره كَنَضَح المَلابِ³
فارسٌ يطعنُ الكماة جريء تحته قارحٌ كلون الغرابِ

قال : ولما قُتل شرحبيلُ قامت بنو سعدٍ بن زيد مناة بن تميم دون عياله ، فمنعوه وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم وأمنهم . ولي ذلك منهم عوفُ بنُ شَجنَةَ بن الحارث بن عطارِد بن عوف بن سعد بن كعب ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجْر ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]
ألا إن قوماً كتّمُ أُمسِ دونهم هم استنقلوا جاراتكم آلَ غُدرانِ
عُوَيَّرَ وَمَن مثلُ العوير ورهطه وأسعدَ في يوم الهزاهز صَفوانِ⁴
وهي قصيدة معروفة طويلة :

صوت

وعينُ الرّضا عن كلِّ عيب كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السخط تُبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرَضْتَ أيقنتُ أن لا أخا ليا
الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري ، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ؛ هكذا ذكر مصعبُ الزُّبيري . وذكر مؤرِّج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمّه أبي جعفر عن مؤرِّج ، وهو الصحيح ، أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يقال له قُصَيّ بن ذُكوان ، وكان قد عتب عليه . وأول الشعر :
رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلففاً فكشّفه التمحيصُ حتّى بدا ليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجاتِ إلّا تنائيا
والغناء لبنان بن عمرو بن رملٍ بالوسطى . وفيه الثقيلُ الأوّل لَرَبِّ من رواية أبي العنّس وغيره .

1 تبز ثيابي : أي تنزع عني بموتي .

2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللباب .

3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .

4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

[221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمُّ عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنتُ عُمَيْسَ بن مَعْدُ بن تميم بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عِفْرِس بن أَقْتَل ، وهو خُماعَة بن خُثَعَم بن أنمار . وأمُّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأة من جُرَش . هذه الجُرَشِيَّة أَكْرَمُ الناس أحماء ؛ أحماءُها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحَمزةُ والعبَّاسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله ﷺ من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ : ميمونة زوجة رسول الله ﷺ ، وأمُّ الفضل زوجة العباس وأمُّ بنته ، وسلْمى زوجة حمزة بن عبد المطلب ، بناتُ الحارث ، وأسماء بنتُ عُمَيْسَ أختُهنَّ لِأُمَّهنَّ ؛ كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خَلَفَ عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلفَ عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنَّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنَّ : «إِنَّهنَّ مؤمِناتٌ» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بن عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدَّراوردي عن إبراهيم بن عُقبة عن كُريب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمناتُ : ميمونة ، وأمُّ الفضل ، وسلْمى ، وأسماء بنتُ عُمَيْسَ أختُهنَّ لِأُمَّهنَّ» .

حدَّثني أحمدُ قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بنُ العلاء البجليُّ عن عمِّه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سَمُرَةَ بن المسيَّب عن أبيه عن جدِّه عن ابن عباس قال : دخل النبي ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام - ليلةً بَنَى بها - فأبصر خيالاً من وراء السِّتر ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماء ؛ قال : «بنتُ عُمَيْسَ» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحرُسُ بَتَكَ يا رسول الله ؛ فإنَّ الفتاة ليلةً بنائها لا بدَّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإني أسألُ إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِنَ الشَّيطان» .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحمه الله رسول الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فَمِمَّا رَوَى عَنْهُ مَا حَدَّثْنِيهِ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شُعَيْبِ بْنِ الْبَلْخِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجَعْدِ
قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبراهيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ :
رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ الْبُطِيخَ بِالرُّطْبِ .

[رأه النبي يلبس فداعبه]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شُعَيْبٍ
قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ يَحْيَى وَعِثْمَانُ بْنُ أَبِي سَلِيمَانَ قَالَا : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ
بَعْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهُوَ يَصْنَعُ شَيْئاً مِنْ طِينٍ مِنْ لُغَبِ الصَّبِيانِ فَقَالَ : « مَا تَصْنَعُ بِهَذَا ؟ »
قَالَ : أَبِيعُهُ ، قَالَ : « مَا تَصْنَعُ بِثَمَنِهِ ؟ » قَالَ : أَشْتَرِي بِهِ رُطْباً فَأَكُلُهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفَقَةِ يَمِينِهِ » . فَكَانَ يَقَالُ : مَا اشْتَرَى شَيْئاً قَطُّ إِلَّا رِبْحٌ فِيهِ .

[تعرض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَالطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ
عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ : أَنَّ الْحَزِينَ قُمِرَ¹ فِي الْعَقِيقِ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ثِيَابَهُ ، فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ جَعْفَرٍ وَعَلَيْهِ مَقْطَعَاتُ خَزٍّ ؛ فَاسْتَعَارَ الْحَزِينُ مِنْ رَجُلٍ ثَوْباً ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]
أَقُولُ لَهُ حِينَ وَاجَهَتُهُ عَلَيْكَ السَّلَامُ أبا جَعْفَرٍ

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ؛ فَقَالَ :

فَأَنْتَ الْمَهْذَبُ مِنْ غَالِبٍ وَفِي الْبَيْتِ مِنْهَا الَّذِي تُذَكِّرُ

فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ :

فَهَذَا ثِيَابِي قَدْ أَخْلَقْتُ وَقَدْ عَضَّنِي زَمَنٌ مَنَكُرُ

قَالَ : هَاكَ ثِيَابِي ، فَأَعْطَاهُ ثِيَابَهُ .

قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ عَمِّي : أَمَا الْبَيْتُ الثَّانِي فَحَدَّثَنِيهِ عَمِّي عَنْ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي ، وَمَا
بَقِيَ فَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي .

[تعرض له أعرابي هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا وَقَفَ

على مروان بن عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابي ، ما عندنا ما نصلُّك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثَقْلُهُ¹ قد سار نحوَ مكة ، وراحلته بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلقٌ ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيُّ يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نبوة صلاتُهُم للمسلمين طهورٌ
أبا جعفر إن الحجيحَ ترحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرٌ
أبا جعفر ضنَّ الأميرُ بماله وأنت على ما في يدك أميرٌ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها إليك يصيرُ المجدُّ حيث تصيرُ
فقال : يا أعرابي ، سار الثَّقْلُ فدونك الراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدعَ عن السيِّفِ
فإنِّي أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابيُّ يقول :

حبائبي عبدُ الله ، نفسي فداؤُهُ بأعيسَ مَوَارٍ سياطٍ مَشافِرةٍ²
وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنه شهابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكرةٍ³
وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليَمَنِ والبشرِ طائِرةٌ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً وأكرمَه للجارِ حينَ يجاورُهُ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرٌ عُرْفاً كَمَن هو كافرُهُ

[ذكر له شاعرته كساه في المنام ، فكساه جبةً وشي]

وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخَزْ دُرَاعَةً⁴
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستوتى بها الساعةُ
سيكسوكها الماجدُ الجعفريُّ ومَن كَفُّه الدهرَ نفاعَةً
ومَن قال للجودِ لا تَعُدُّني فقال لك السمع والطاعةُ
فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرَاعَتِي الخَزْ ثم قال له : كيف لو ترى جبتي المنسوجة

1 الثَقْلُ : المتاع والحشم .

2 أعيس : واحد العيس ، الموار : النسيط في سيره .

3 عسكر الليل : ظلمته .

4 الدُرَاعَةُ : جبة مشقوقة المقدم .

بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغفأه أخرى فلعلني أرى هذه الجبة في المناء ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبتني الوشي .
[اعترض ابن دأب على شعر الشماخ في مدحه بأنه دون شعره في عرابة]

حدثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأب : وسمع قول الشماخ بن ضيرار الثعلبي في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله :

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحي سرى صاذف زادا وحديشاً يشتهى
إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب : العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن
عبد الله بن جعفر كان أحق بهذا من عرابة .
[جوده على أهل المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول : كان أهل المدينة يدأنون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطائ عبد الله بن جعفر .
[جوده على رجل جلب إلى المدينة سكرأ كسد عليه]

أنخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال : حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال : جلب رجل إلى المدينة سكرأ فكسد عليه فقبل له : لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأخبره ، فأمره بإحضاره وبسط له ، ثم أمر به ففتر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال : جعلت فداك ! أخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يهيل في غرائره ، ثم قال لعبد الله : أعطني الثمن فقال : وكم ثمن سكر ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها .

أنخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي ، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه ، قال : فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى ! لأطلبنه بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمن سكر ، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال : يا غلام ، أعطه أربعة آلاف درهم ؛ فأعطاه إيأها ، فقال الرجل : قد قلت لكم : إن هذا الرجل لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنه بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمن سكر ، فأطرق عبد الله ملياً ، ثم رفع رأسه إلى رجل ، فقال : ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلماً وُلِّيَ ليقبضها قال له ابن جعفر : يا أعرابي ، هذه تمام اثني عشر ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملأً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دَمَاز عن أبي عبيدة : أن أعرابياً باع راحلةً من عبد الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقترض ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه :

لا خير في المُجْتَدَى في الحينِ تسألُهُ فاستمطروا من قريش خيرَ مُخْتَدَعٍ¹

تخال فيه إذا حاورته بَلْهًا من جودِهِ وهوَ وافي العقلِ والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرقيّات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحرّميُّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدّثنا الزبيرُ قال حدّثني مصعبُ بنُ عثمان قال : لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبدُ الله بنُ جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إنك عودتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك ، فتوفّي في الجمعة الأخرى . قال يحيى : توفّي عبد الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عامُ الجُحاف لسيلٍ كان بمكة جَحَفَ الحاجُّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذي صلّى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حدّثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدّثنا الحسينُ بن محمد قال أخبرني محمد بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرني أحمد بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرني الأصمعيُّ عن الجعفريِّ قال : لما مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلّهم ، وإنما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجَابٍ إلّا رأيته مُسْتَعْبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلماً فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال : رحمك الله يا ابنَ جعفر ؛ إن كنتَ لِرَحْمِكَ لواصلاً ، ولأهل الشرِّ لمبغضاً ، ولأهل الرّية لقالياً ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

رعيّتَ الذي كان بيني وبينكم من السُّودِّ حتّى غيّبتك المقابرُ

1 المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فَرَحِمَكَ اللَّهُ ؛ يَوْمَ وَلِدْتَ وَيَوْمَ كُنْتَ رَجُلًا وَيَوْمَ مِتَّ وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيًّا ؛ وَاللَّهِ لَنْ كَانَتْ هَاشِمٌ أَصِيبَتْ بِكَ لَقَدْ عَمَّ قَرِيشًا كُلُّهَا هُلُكُكَ ، فَمَا أَظُنُّ أَنْ يُرَى بِعَدِكَ مِثْلُكَ .
[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فَقَامَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأَشْدُقُ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، مَا كَانَ أَحْلَى الْعَيْشِ بِكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ ! وَمَا أَسْمَحَ مَا أَصْبَحَ بِعَدِكَ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ عَيْنِي دَامِعَةً عَلَى أَحَدٍ لَدَمَعْتُ عَلَيْكَ ، كَانَ وَاللَّهِ حَدِيثُكَ غَيْرَ مَشُوبٍ بِكَذِبٍ ، وَوَدُّكَ غَيْرَ مَمْزُوجٍ بِكَدَرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمه وأسكته]

فَوَثَبَ ابْنُ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ نُوْفَلٍ ، وَلَمْ يُثَبِّتِ الْأَصْمَعِيُّ اسْمَهُ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ، بِمَنْ تَعْرِضُ بِمَزْجِ الْوَدِّ وَشَوْبِ الْحَدِيثِ ؟ أَفَبِإِنِّي فَاطِمَةٌ ؟ فَهَمَّا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْهُ ، فَقَالَ : عَلَى رِسْلِكَ يَا لُكْعُ¹ ! أَرَدْتُ أَنْ أُدْخِلَكَ مَعَهُمْ ؟ هِيَاهُ لَسْتُ هُنَاكَ ، وَاللَّهِ لَوْ مِتُّ أَنْتَ وَمَاتَ أَبُوكَ مَا مُدِّحْتُ وَلَا ذُمْتُ ، فَتَكَلَّمْ بِمَا شِئْتَ فَلَنْ تَجِدَ لَكَ مَجِيبًا .
[شعر ابن قيس الرقيات في علته التي مات فيها]

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعَهُمَا النَّاسُ يَتَكَلَّمَانِ حَتَّى حَجَزُوا بَيْنَهُمَا وَانْصَرَفُوا . قَالَ بِحْيَى : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فِي عِلَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الَّتِي مَاتَ فِيهَا : [من الخفيف]

بَاتَ قَلْبِي تَشْفُهُ الْأَوْجَاعُ	مِنْ هُمُومٍ تُجْنِئُهَا الْأَضْلَاعُ ²
مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مَنَعَ النُّوْ	مَ قَلْبِي مِمَّا سَمِعْتُ يُرَاغُ
إِذْ أَتَانَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو اللَّسَنِ	لَاسٍ ، كَانَتْ بِنَفْسِهِ الْأَوْجَاعُ
قَالَ مَا قَالَ ثُمَّ رَاحَ سَرِيعًا	أَدْرَكَتْ نَفْسَهُ الْمَنَايَا السَّرَاعُ
قَالَ يَشْكُو الصُّدَاغَ وَهُوَ ثَقِيلٌ	بِكَ لَا بِالَّذِي عَنَيْتَ الصُّدَاغُ
ابْنَ أَسْمَاءَ لَا أَبَا لَكَ تَنْعَى	أَنْتَ غَيْرُ هَالِكٍ نَفَاغُ
هَاشِمِيًّا بِكَفِّهِ مِنْ سِجَالِ الْ	مَجْدِ سَجَلٍ يَهْوَنُ فِيهِ الْقُبَاغُ ³
نَشَرَ النَّاسُ كُلَّ ذَلِكَ مِنْهُ	شِيْمَةَ الْمَجْدِ لَيْسَ فِيهِ خِدَاغُ

1 اللكع : اللثيم والأحمق .

2 شفه الحزن : لذعه وأحرقه . أجنه : ستره .

3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : يكيال ضخمة واسع .

لم أجِدْ بعدك الأَخْلَاءُ إِلَّا كَيْمَادٍ بِهِ قَذَى أَوْ نِقَاعٌ¹
 بَيْتُهُ مِنْ بِيوتِ عَبْدِ مَنْافٍ مَدَّ أَطْنَابُهُ الْمَكَانُ الْيَقَاعُ²
 مَتَّهَى الْحَمْدِ وَالنَّبْوَةِ وَالْمَجْدِ إِذَا قَصَرَ اللَّثَامُ الْوِضَاعُ³
 فَسْتَأْتِيكَ مِدْحَةٌ مِنْ كَرِيمٍ نَالَهُ مِنْ نَدَى سِجَالِكَ بَاغٌ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيس في عبد الله بن جعفر بيتان يغنى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

قَدْ أَتَانَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو اللَّسِّ لَاسٌ كَانَتْ بِنَفْسِهِ الْأَوْجَاعُ
 قَالَ يَشْكُو الصَّدَاعَ وَهُوَ ثَقِيلٌ بِكَ لَا بِالَّذِي ذَكَرْتَ الصُّدَاعُ

غَنَّا عَمْرُو بْنُ بَانَةَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، الْأَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ . وَيُقَالُ إِنَّ عَمْرُو بْنَ بَانَةَ صَاغَ هَذَا اللَّحْنَ فِي هَذَا الشَّعْرِ وَغَنَّى بِهِ الْوَاتِقَ بِعَقْبِ عِلَّةٍ نَالَتْهُ وَصُدَاعٌ تَشْكَاهُ ؛ قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأُمُّ مُعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أُمُّ وَلَدٍ . وَكَانَ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ مِثْلُهُ .

[بشروه وهو عند معاوية بولد فسماه باسمه]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلَدَ وَأَبُوهُ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَأَتَاهُ الْبَشِيرُ بِذَلِكَ وَعَرَفَ مُعَاوِيَةَ الْخَبَرَ فَقَالَ : سَمِعَهُ مُعَاوِيَةَ وَلَكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَفَعَلَ فَأَعْطَاهُ الْمَالَ ، وَأَعْطَاهُ عَبْدُ اللَّهِ لِلَّذِي بَشَّرَهُ بِهِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لَا يُؤَدِّبُ وَلَدَهُ ، وَيَقُولُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ جَلًّا وَعِزًّا بِهِمْ خَيْرًا يَتَأَدَّبُوا ، فَلَمْ يَنْجِبْ فِيهِمْ غَيْرَ مُعَاوِيَةَ .

[خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ هَارُونُ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ خَالِدِ بْنِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَكَمِ السَّعِيدِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بَنِي عَنَسَةَ قَالُوا : كَانَ مُعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ عَوَّدَ ابْنَ هَرْمَةَ الْبَرِّ ، فَجَاءَهُ يَوْمًا وَقَدْ ضَاقت يَدُهُ وَأَخَذَ خَمْسِينَ دِينَارًا بَدَنَيْنِ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ مَعَ جَارِيَتِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَدِيحٌ لَهُ يَسْأَلُهُ فِيهِ أَيْضًا بِرًّا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ :

1 الثماد : الماء القليل لا ماذ له . النقاغ : جمع نقع وهو الغبار .

2 اليقاع : ما ارتفع من الأرض .

3 الوضاع : جمع وضيع .

قولي له : أيدينا ضيقة ، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإني ومدحك غير المصير ب كالكلب ينبع ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علم بها أحد ؟ قالت : لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي ؛ قال : فخذني هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاً ، أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمي ابنه باسمه]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي¹ قالاً حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال : سمى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة ، فسمي ابنه بيزيد بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزبير : وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد : أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفاً¹ كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولده من هو أسن منه ، وقال له : إني لم أزل أوأمك لها . فلما توفي احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقسم أموال أبيه بين ولده ، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . ويقال : بنت عياش بن ربيعة . وقد روى عباس عن النبي ﷺ وكان معه يوم حنين ، وهو أحد من ثبت معه يومئذ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجوداتهم وشعراتهم ، ولم يكن محمود المذهب في دينه ، وكان يرمي بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة :

[من الخفيف]

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أَحْبُ مدحاً أباً معاويةَ الما جد لا تلقه حَصُوراً عِيّاً¹
 بل كريماً يرتاح للمجدِ بساً ما إذا هزّه السَّوَالُ حِيّاً
 إن لي عنده وإن رَغِمَ الأع داءُ حظاً من نفسه وقَفِيّاً
 قفياً : أثره ، يقول : إن لي عنده لأثره على غيري ، وقال قوم آخرون : القفي : الكرامة .

إن أمت تَبَقَ مِدحتي وإحائي وثنائي من الحياة مَلِيّاً
 يأخذ سبقَ بالتقدّم في الجر ي إذا ما الندى انتحاه عَلِيّاً
 ذو وفاء عند العِداتِ وأوصا ه أبوه الأ يزالَ وفياً
 فَرعى عقدة الوصاة فأكرم بهما مُوصيًّا وهذا وصيًّا
 يا ابن أسماء فاسقٍ ذلوي فقد أو ردتها منهلًا يُشجُّ رَوِيّاً
 يعني أمه أسماء ، وهي أمّ عون بنتُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وأوّل
 هذه القصيدة :

عَاتِبِ النَّفْسَ والفَوَادِ الغَوِيّاً في طِلَابِ الصِّبَا فِلَسْتَ صَبِيّاً
 قال يحيى بن عليّ فيما أجازه لنا : أخبرني أبو أيوب المدينيُّ وأخبرناه وكيعٌ عن هارونَ بن
 محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالاً : مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن
 أبي طالب فأتاه ، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابهِ . قال ابن هرمة : ورآني بعض خدمه
 فعرفني ، فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال : عامتهم غُرماءُ له ، فقلت : ذاك شرٌّ . واستوْذِنَ
 لي عليه فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك ، قال : لا عليك أنشدني . قلت : أعيدك
 بالله . واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها : [من الطويل]

حَلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فعُشْتُك مأوى يبيضها المتعلّق
 ولم تك بالمُعزى إليها نصابه لصاقاً ولا ذا المركب المتعلّق
 فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفرٍ ومثلُ أبيك الأريحيّ المَرْهَقِ²
 فقال : مَنْ هاهنا من الغرماء ؟ فقل : فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَهما
 وخرجا ، وقال لي : اتبعهما . قال : فأعطيتاني مالاً كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه
 فيه منها قوله :

فإلاً تواتِ اليومَ سلمى فرّما شربنا بحوض اللهو غير المرنّق

1 الحصور : المسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .

2 المرقق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها
ولكن لعبد الله فانطلق بمدحة
أخ قلت للأذنين لما مدحته
شديد الثاني في الأمور مجرب
تري الخير يجري في أسرة وجهه
كريم إذا ما شاء عد له أبا
وأماً لها فضل على كل حرة
ومما يغنى فيه من قصيدة ابن هرمة الياثية التي مدح بها ابن معاوية قوله : [من الخفيف]

صوت

عجبت جارتني لشيب علاني عمرك الله هل رأيت بدياً⁴
إنما يعذر الوليد ولا يعذر من عاش في الزمان عتياً
غنى فيهما فليح رملاً بالنصر من رواية عمرو بن بانه ومن رواية حبش فيهما لابن محرز
خفيف ثقل بالنصر .
[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه عيسى ، قال ابن عمار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري ، قال ابن عمار وأخبرني أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمار وحدثني به سليمان ابن أبي شيخ عن ذكره . قال أبو الفرج الأصفهاني : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معاني ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة : أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستريحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعة الرياحي ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : اخرج فأت أحق بهذا الأمر من غيرك ، واجتمعت له جماعة ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه . قال ابن عمار في خبره : إنه إنما خرج في أيام يزيد بن

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .

2 طبق الشيء : عم .

3 يخلق : يقرر .

4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ وليس الصوف وأظهر سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كلهم وقالوا : ما فينا بقيّة ، قد قُتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاذ المشرق فقيل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي . قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة : إن ابن معاوية قَبَلَ قَصْدِهِ المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، ممّا يلي الحرّة ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفص ، وأخبرني به ابن عَمَّار عن أحمد بن الحارث عن المدائني : أن ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية من وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم ، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرقتِ الظباء على خدائش فما يدري خدائش ما يصيدُ

ثم ولّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه ، حتى صار في عدّة ، فغلب على ماو الكوفة وماو البصرة وهمدان وقم والرّي وقومس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتهم وكرهتهم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرر بن جعفر : أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصطخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه علياً على كرمان ، وأخاه صالحاً على قم ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي . وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب : وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم ، فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان ، فمن أراد منهم عملاً قلده ، ومن أراد منهم صلة وصله .

[وجه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربة بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار ، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التَّناء¹ ذي مروءة ونعمة وجاه ، فسأله معونته ، فقال له : مَنْ أَنْتَ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَنْتَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ الَّذِي يُدْعَى لَهُ بِخَرَّاسَانَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ فَلَا حَاجَةَ لِي فِي نَصْرَتِكَ .

[التجأ إلى أبي مسلم فحبسه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس في الأرض أحقُّ منكم يا أهل خُرَّاسَانَ في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رَضِيتُ الملائكةَ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام ، فقالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . حتى قال لهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[كتبه إلى أبي مسلم وهو في حبسه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنك مستودع ودائع ، وموли صنائع ؛ وإنَّ الودائع مرعية ، وإنَّ الصنائع عارية ؛ فاذا ذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبه للفكر قلبك ، وآتق الله ربك ؛ وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفت ، وغير لاقٍ ما خلّفت ؛ وفقك الله لما ينجيك ، وآتاك شكر ما يُلييك»² .

[قتله أبو مسلم ووجه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلما قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دسَّ إليه سمّاً فمات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحملة إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال : حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الزاب وهو

1 التَّناء : جمع تانيء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإلزام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه ف قيل له : هو الشابُّ المصْفَرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدْرًا مقدوراً﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدثني أحمد بن عبد الله بن عَمَّار قال حدثني النوفليّ عن أبيه عن عمِّه قال : كان عُمارة بن حمزة يُرمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بن إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقيّ وإنما سميّ بذلك لأنّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهرياً¹ لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يَعسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتلَه ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلمّا رآه قال :

إِنَّ قَيْسًا وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْبًا لَخَبِيثٌ الْهَوَى عَلَى شَمْطَةٍ²
ابْنُ تَسْعِينَ مَنْظَرًا وَمَشِييًّا وَابْنُ عَشْرِ يُعَدُّ فِي سَقَطَةٍ
وَأَقْبَلَ عَلَى مَطِيعٍ فَقَالَ : أَجِزْ أَنْتَ ، فَقَالَ :

وَلَهُ شُرْطَةٌ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ لَفَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ شُرْطَةٍ

[قسوته]

قال ابن عَمَّار : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانَ وَشِبَابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ وَحَدَّثَنِي بِهِ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ : أَنَّ ابْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ يَغْضِبُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَأْمُرُ بِضَرْبِهِ بِالسِّيَاطِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ وَيَتَغَافَلُ عَنْهُ حَتَّى يَمُوتَ تَحْتَ السِّيَاطِ ، وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِرَجُلٍ ، فَجَعَلَ يَسْتَغِيثُ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، فَنَادَاهُ : يَا زَنْدِيقُ ، أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ! فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَضَرَبَهُ حَتَّى مَاتَ .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدثني النوفليّ عن أبيه عن عمِّه عيسى قال : كان ابن معاوية أقسى خلقي الله قلباً ، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل ، ففعل ذلك به فتعلق بدرانين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقطعت ومرو الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

1 رجل دهرى : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من التقارب]
 أَلَا تَزَعُ الْقَلْبَ عَنْ جِهَلِهِ وَعَمَّا تُؤْتِبُ مِنْ أَجَلِهِ !
 فُابْدِلْ بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأَقْصَرَ ذُو الْعَذْلِ عَنْ عَذْلِهِ
 فَلَا تَرْكِبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ
 وَلَا يَعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ
 وَلَا تُتَبِعِ الطَّرْفَ مَا لَا تَنَالُ وَلَكِنْ سَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
 فَكَمْ مِنْ مُقِلٍّ يَنَالُ الْغِنَى وَيَحْمَدُ فِي رِزْقِهِ كُلَّهُ

أنشدنا هذا الشعر له ابن عَمَّارٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَيْثَمَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ . وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أحمد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]
 إِذَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي قَصَرْتُ افْتِقَارَهَا عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفِرْ لَهَا أَبَدًا فَقَرِي
 وَإِنْ تَلَقَّنِي فِي الدَّهْرِ مَدُوحَةُ الْغِنَى يَكُنْ لِأَخْلَائِي التَّوَسُّعُ فِي الْيَسْرِ¹
 فَلَا الْعَسْرُ يُزِرُّنِي إِذَا هُوَ نَالَنِي وَلَا الْيَسْرُ يَوْمًا إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ فَخَرِي
 وهذا الشعر الذي غنى به ، أعني قوله :

وعين الرضا عن كل عيب كليله

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .
 [شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يُرْمَيَانِ بِالزُّنْدَقَةِ . فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية :

وإن حسينا كان شيئاً ملففاً فمحصه التكشيف حتى بدا ليا
 وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أنخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
وله في الحسين أشعارٌ كلها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة .
قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن
العبّاس بن عبد المطلّب :

قل لذي الودّ والصفاء حسين
ليس للدّابغ المقرّظ بُدّ
أقدر الودّ بيننا قدره
من عتاب الأديم ذي البشرة¹
قال وقال له أيضاً :

إن ابن عمك وابن أم
يَقصُّ العدو وليس ير
لَكَ مُعلمٌ شاكي السلاح²
ضى حين يَطيشُ بالجنّاح³
لا تحسبن أذى ابن عمّ
لَكَ شربَ ألبان اللّقاح⁴
بل كالشّجا تحت اللّها
قِ إذا يُسوِّغ بالقّراح⁵
[فانظر لنفسك من يجي
بك تحت أطراف الرماح]
مَن لا يزال يسوءه
بالغيب أن يلحاك لاحي⁶

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحرّميّ والطوسيّ قالّا حدّثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنا
يحيى بن الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى : أن عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه
عبد الحميد في مزرعته بصّرام وقد عطش فاستسقاها ، فخاض⁷ له سويق لوز فسقاها إيّاه ، فقال
عبد الله بن معاوية :

شربت طبرزداً بغريض مزن
كذب الثلج خالطه الرضاب⁸
قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كلّ شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

1 قرظ الأديم : ديفه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعادة .

2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .

3 وقصه : كسره ودقه .

4 اللّقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .

5 الشّجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللّهاة : اللحمية المشرقة على الحلق .

6 لحاه : لأمه .

7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .

8 الطبرزد : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله : [من الوافر]

ما إن ماوئنا بغريض مُزَن
ولكنّ المِلاح بكم عذابُ
وما إن بالطيرِزد طاب لكن
بمَسِّكَ لا به طاب الشرابُ
وأنتَ إذا وطئت تراب أرضٍ
يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
لأنّ نذاك يُطفي المحل عنها
وتُحييها أياديكَ الرُّطابُ

[تغنى إبراهيم الموصلي في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال : بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب الستارة لابن جامع : تغنى في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولم يكن ابن جامع يغني في شيء منه ، وفطنت لما أراد من شعره ، وكنت قد تقدمت فيه ، فأرتج على ابن جامع ، فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنيّت : [من المتقارب]

صوت

يهيمُ بجُملي وما إن يرى له من سبيل إلى جُملي
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به ومنهم من اشفى على قلبه

فإذا يد قد رفعت الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أعد ، فأعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه ، فمرّ الغلامُ يسعي فإذا بذرة دنانير قد جاءت يحملها فرّاش ، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكأتك ، قال : فلمّا انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلّا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلمّا كان المجلسُ الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنى في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنيّت :

صوت

يا قوم كيف سواغ عي ش ليس تؤمن فاجعائته

ليست تزالُ مطْلَّةٌ تغدو عليك منْغصاةُ
الموت هولٌ داخلٌ يوماً على كرهٍ أناةُ
لا بدّ للحديرِ النفو رٍ منَ أنْ تَقْنَصَهُ رُماتُهُ
قد أُمْنَح الودَّ الخليـ لَ بغير ما شيء رزاته¹
وله أقيمُ قناةً ودّ ي ما استقامت لي قناته

قال : فأومأ إليّ صاحب الستارة أن أمسك ، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إلى أنه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبّ أمير المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدره الدنانير التي أخذتها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلما اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهم أنسه ذكر ابن جعفر ، قال فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحب الستارة : يابن جامع تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه² ولم يُقبل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغني في شعره :

[من المتقارب]

صوت

سلا ربّة الخديرِ ما شأنها ومن أيّما شأننا تعجبُ
فلستُ بأولَ مَنْ فاته على إربهِ بعضُ ما يَطْلُبُ³
وكائن تعرّضَ من خاطب فزوّج غيرَ التي يخطبُ
وأثكحها بعده غيرُهُ وكانت له قبله تُحجَبُ
وكنا حديثاً صَفِيّينِ لا نخاف الوشاةَ وما سبّوا
فإن شطّطَ الدّارَ عَنّا بها فبانت وفي الناس مُسْتَعْتَبُ⁴
وأصبح صدغُ الذي بيننا كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَبُ⁵

1 أصله رزاته .

2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .

3 الإارب : العقل والدهاء .

4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .

5 يشعب : يصلح .

وكالدَّرْ لست له رجعة إلى الضَّرْع من بعدما يُحَلَبُ

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقیل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رمل غير منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه ، فلما انصرفنا قال : اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا ، فما أشد بغضي له ، لقد بغض إلي جدّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمن يدري ما يقول ؟ إذا لوددت أنني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأني تصدقت بها ، يعني البدة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمتت به امرأته حين تزوج امرأة أخرى]

أخبرني الطوسي والحزمي قالاً حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال : خطب عبد الله بن معاوية ربيعة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان ، فتزوجت بكاراً ، فشمتت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين ، فقال في ذلك :

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجب

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمت ولكنني نفست¹ عليك ، فقال لها : لا جرم ؛ والله لا سوتك أبداً ما حييت :

[من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أم شيبه فاعترى والقوم من سنية نشاوى بالكرى²

طافت بخصوص كالقسي وفتية هجعوا قليلاً بعد ما ملوا السرى³

الشعر لأبي وجزة السعدي ، والغناء لإسحاق ، ثقیل أول بالنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .

2 نشاوى : جمع نشوان .

3 الخصوص : جمع أخصوص وهو الغائر العينين .

[222] - أخبار أبي وجزة¹ ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسولين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنه كان له أخ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم . [سليمي دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدام بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم ؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلما كبر استعدي عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته ، فقال له : إنه لا سياء على عربي ، وهذا الرجل قد امتن عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظار رسول الله ﷺ]

وبنو سعد أظار² رسول الله ﷺ ، كان مسترضعاً فيهم عند امرأة يقال لها حليلة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفْعَ ، ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة ، وجاءته حليلة بعد الهجرة ، فأكرمها وبرّها ووسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن ، وحقيق بكل مكرمة وفخر من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلة .

[آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكرائي عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن ملان بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر بن

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702-703 والتاريخ الكبير للبخاري 348/214 ، والتهذيب 12 :

349 ، والخزانة 2 : 147-150 .

2 أظار : جمع ظفر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنَّ عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقية لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيداً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعداً فلما قديم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سليمٍ ، ثم من بني ظَفَرٍ أصابني سياءٌ في الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجلٌ من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليَّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنه لا سياء في الإسلام ، ولا رِقٌّ على عربيٍّ في الإسلام . فَمَا فَرَّغَ مِنْ كلامه حتى أتى مولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعته بذي المجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربةً والله ما أعلمني ضربته غيرها قط ، وإنَّ الرجل ليضرب ابنه أشدَّ منها فكيف بعبده ، وأنا أشهدك أنه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البينة ، فإن أحببت فأقم معه ، فله عليك مئة ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديِّ وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن ، وتزوج زينب بنتَ عُرْفُطَةَ المُرَيْتِيَّةِ ، فولدت له أبا وجزة وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنَّ أباهما كان يقال له أبو عبيد ، ووافق من ذكرتُ روايته في سائر الخبر ، فلما بلغ ابنه طالباً بأن يَلْحَقَ بأصله وَيَنْتَسِبَ إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا ألحقُ بهم فيعبروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكرِّمونني ويشرفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أَرعى طُمَّةً ، ولا أَرِدُ جَمَّةً ، إلَّا قالوا لي : يا عبدَ بني سعدٍ قال : وطُمَّةٌ : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك :

أَتَمِي فَأَعْقِلُ فِي ضَبِيسٍ مَعْقِلًا ضَخْمًا مَنَاكِهَ تَمِيمٍ الْهَادِي¹
وَالْعَقْدُ فِي مَلَانٍ غَيْرِ مُزْلَجٍ بِقُوَى مَتِينَاتِ الْحَبَالِ شِدَادِ²

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزة من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسند إليه حديثاً ؛ ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبَةَ قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسول الله ﷺ : «ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رَوَاحَةَ شعراً ، ولكنه حكمة» .

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام والشديد .

2 المزْلَجُ : كل ما لم تبلغ فيه ولم تحكمه .

فَأَمَّا خَبْرُ الاستِسْقَاءِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ فَإِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا بِهِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ خَرَجَ بِالنَّاسِ لِيَسْتَسْقِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ ؛ فَقَامَ وَقَامَ النَّاسُ خَلْفَهُ ، فَجَعَلَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَافِعاً صَوْتَهُ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا لَهُ لَا يَأْخُذُ فِيمَا جَاءَ لَهُ ؛ وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ الْاِسْتِغْفَارَ هُوَ الْاِسْتِسْقَاءُ فَمَا بَرَحْنَا حَتَّى نَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَظْلَمْنَا ، فَسَقَى النَّاسَ ، وَقُلْدَتْنَا¹ السَّمَاءَ قَلْدًا ، كُلَّ خَمْسِ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، حَتَّى رَأَيْتُ الْأَرِيْنََةَ² تَأْكُلُهَا صِغَارُ الْإِبِلِ مِنْ وَرَاءِ حِقَاقِ الْعُرْفُطِ³ .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأُسْدِيُّ وَهَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ جَمِيعاً عَنْ الرِّيَاشِيِّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْعُمَرِيِّ عَنْ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ . وَأَخْبَرَنِي بِهِ إِبرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قَتِيْبَةَ ، وَاللَّفْظُ مُتَقَارِبٌ وَزَادَ الرِّيَاشِيُّ فِي خَبْرِهِ : فَقُلْتُ لِأَبِي وَجْزَةَ : مَا حِقَاقُ الْعُرْفُطِ ؟ قَالَ : نَبَاتٌ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَ . وَزَادَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي خَبْرِهِ عَلَيْهِمْ قَالَ : وَمَاتَ أَبُو وَجْزَةَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً .

[هو أحد من شب بعجوز]

وهو أحد من شب بعجوز حيث يقول :

يا أيها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبَا فيم ابنُ سبعينَ المعمرُ من دَدٍ⁴ ؟
 حَتَامَ أَنْتَ مَوْكَلٌ بِقَدِيمَةٍ أُمِسْتُ تَجَدَّدُ كَالْيَمَانِيِّ الْجَيِّدِ
 زَانُ الْجَلَالُ كَمَا هَا وَرَسَا بِهَا عَقْلٌ وَفَاضِلَةٌ وَشِيْمَةٌ سَيِّدٍ⁵
 ضَنْتَ بَنَائِلَهَا عَلَيْكَ وَأَتَمَّا غِرَّانَ فِي طَلَبِ الشَّبَابِ الْأَغِيدِ⁶
 فَالآنَ تَرْجُو أَنْ تُثَبِّكَ نَائِلًا هِيَهَاتَ ؛ نَائِلُهَا مَكَانَ الْفَرَقْدِ⁷

1 قلدتنا : مطرتنا .

2 الأرينة : نبت عريض الورق .

3 العرفط : شجر العضاء ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحقن : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأثنى حقة .

4 الدد : اللهو واللعب .

5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شب .

6 غران : في الشعر والشعراء 703/2 : إلفان .

7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيها .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالوا حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إني قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه ، ثم نزل فتراءى الناس طُرة¹ في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبل ذلك قرعة² سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يقلدنا قلداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأريئة خارجة من حِقاق العُرُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكَار قال حدّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وجزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير ، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلاً والله ، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدما المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرج إلى هذا الأعرابيّ الجلف فاضربه وأخرجه ، فأخرج وضرب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع³ أن يعطى منه ستين وسقاً⁴ من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قُلُوصي رواحاً وهي حامدة	آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقاً في حقيبتها	ما حُمِلت جملها الأدنى ولا السددا ⁵
ذاك القسرى لا كأقوام عهدتهم	يقرون ضيفهم الملوّة الجددا

يعني السياط .

1 الطرة : الطريقة من السحاب .

2 القرعة : القطعة من السحاب .

3 الفرع : قرية من نواحي الريدة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكة .

4 الوسق : حمل البعير .

5 السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة :

[من البسيط]

راحت بستين وسقا في حقيبتها

أَتَتْهَا حَمَلَتْ سَتِينَ وَسَقًا وَلَا تَحْمِلُ نَاقَةً ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُهُ وَلَا نَصْفَهُ ، وَإِنَّمَا عَنِي أَنَّهُ
انصرفت عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في
حقيبتها ، فكانها حاملة بالكتاب ستين وسقا ، لا أنها أطاقت حمل ذلك . وهذا بيت
معنى يُسأل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري
في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنَةَ ، وانتجع بلادهم لصهره فيهم ،
فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكْدَم بن عُقَيْل بن وهب بن عمرو بن مُرَّة بن مازن بن
عوف بن ثور بن هُذَيم بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه ، فقال أبو
وجزة يمدحه :

[من الطويل]

لَمِنْ دِمْنَةٍ بِالْتَعْفْرِ عَافٍ صَعِيدُهَا	تَغَيَّرَ بَاقِيهَا وَمَحَّ جَدِيدُهَا ¹
لِسَعْدَةٍ مِنْ عَامِ الْهَزِيمَةِ إِذْ بَنَا	تَصَافٍ وَإِذْ لَمَّا يَرْعُنَا صُدُودُهَا
وَإِذَا هِيَ أُمَّا نَفْسُهَا فَأَرِيهِ	لِلْهَوِ ، وَأَمَّا عَنْ صَيًّا فَتَذُودُهَا ²
تَصَيِّدُ أَلْبَابِ الرِّجَالِ بِذَلِكَهَا	وَشِمْتُهَا وَخَشِيَّتُهُ لَا نَصِيدُهَا
كَبَاسِقِهِ الْوَسْمِيُّ سَاعَةً أُسْبِلَتْ	تَلَأْلَأَ فِيهَا الْبَرْقُ وَابْيَضَّ جِيدُهَا ³

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ

بَاسِقَاتٍ ﴾ :

كَبِكْرٍ تُرَانِي فَرْقَدَيْنِ بَقْفَرَةٍ	مِنْ الرَّمْلِ أَوْ فَيَحَانَ لَمْ يَعْسُ عُوْدُهَا ⁴
لَعَمْرُو النَّدَى عَمْرُو بَنِ آلِ مَكْدَمٍ	[كَثِيرُ عَلَيَاتِ الْأُمُورِ جَلِيدُهَا]
[فَتَى يَنْ مَسْرُوجٍ وَآلِ مُكْدَمٍ]	وَعَمْرُو فَتَى عَثْمَانَ طُرًّا وَسِيدُهَا ⁵

1 التّعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . مخ : يلي .

2 فأريه : في ل : فأنيّة .

3 الوسمي : مطر الربيع الأول . أسبلت : أمطرت .

4 بقرة بكر : فتية . تراني : من الرنؤ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يس و صلب .

5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النهي
على أمره ، حامى الحصاة شديدها¹
وما زال ينحو فعل مَنْ كان قبله
من آبائه يَجْنِي العلا ويُفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ
وقَرَّبْتَ مِنْ أدماءٍ وارٍ قصيدها²
وذِي كربةٍ فرجتَ كُربةَ همه
وقد ظلَّ مُسْتَدًّا عليه وصيدها³

[تزوج زينب بنت عرفة]

أخبرني عمِّي قال حدثني العَنَزِيَّ قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروق قال : تزوج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطَةَ بن سهل بن مَكْدَمُ المزيَّة فولدت له عُبيدًا وكانت قد عُنست ، وكان أبو وجزة يُبغضها ، وإنَّما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم :

أعطى عُبيدًا وعبيدًا مَقْنَعُ
من عِرمسٍ مَحْزَمُها جَلَنَفَعُ⁴
ذاتِ عِساسٍ ما تكاد تَشْبَعُ
تَجْتَلِدُ الصَّحْنَ وما إِنَّ تَبْضَعُ⁵
تَمَرَّ في الدَّارِ ولا تَوَرَّعُ
كَأَنَّها فيهِم شجاعٌ أَقْرَعُ

[من الرجز]

فقلت زينب أم وجزة تجبيه :

أعطى عُبيدًا من شَيْخِ ذِي عَجَرٍ
لا حَسَنَ الوجه ولا سَمَحَ يَسَرُ⁶
يشرب عُسَّ المَذْقِ في اليوم الخَصِيرِ
كَأَنَّما يَقْذِفُ في ذاتِ السُّعُرِ⁷

تَقَاذِفَ السَّيْلِ من الشَّعْبِ المُضِرِّ⁸

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد :

يا راكِبَ الغُنَسِ كَمِرْدَاةِ العَلَمِ
أصلحك الله وأدنى ورجم⁹

[من الرجز]

- 1 أفرط في ل : أفرد وأفراطه : أعجله ، والحصاة : العقل .
- 2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن .
- 3 الوصيد : فناء الدار .
- 4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .
- 5 عساس : جمع عَس ، وهو القدح الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . يضع من الماء وبه : روي وامتلاً .
- 6 العَجَر : عظم البطن .
- 7 السُّعُر : حر النار .
- 8 المضِر : القريب الداني يقال : سحاب مضِر : مسف .
- 9 المرداة : الحجر الثقيل .

إِنْ أَنْتِ أُبْلَغْتَ وَأُدِّيَتْ الْكَلِمَ عَنِّي عُبَيْدَ بْنَ يَزِيدَ لَوْ عَلِمَ
 قَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَيَنْتَقِمَ مِنْكَ وَمَنْ أُمَّ تَلَقَّتْكَ وَعَمَّ
 رَبُّ يَجَازِي السَّيِّئَاتِ مَنْ ظَلَمَ أَنْذَرْتُكَ الشَّدَّةَ مِنْ لَيْثٍ أَضِمُّ¹
 عَادِ أَبِي شَيْلِينَ فَرَفَارٍ لَحِمٍ فَارْجِعْ إِلَى أُمِّكَ تَفْرِشْكَ وَنَمَّ²
 إِلَى عَجُوزِ رَأْسُهَا مِثْلَ الْإِرَمِ وَاطْعَمَ فَإِنَّ اللَّهَ رَزَقَ الطُّعْمَ³
 فَقَالَ عُبَيْدُ لِأَبِيهِ :

دَعَهَا أَبَا وَجْزَةَ وَاقْعِدْ فِي الْغَنَمِ فَسَوْفَ يَكْفِيكَ غِلَامٌ كَالزَّلَمِ
 مَشْمُرٌ يُرْقِلُ فِي نَعْلِ خَذِمٍ وَفِي قَفَاهُ لَقْمَةٌ مِنَ اللَّقْمِ⁴
 قَدْ وَلَّهَتْ أَلْفَهَا غَيْرَ لَمَمٍ حَتَّى تَنَاهَتْ فِي قَفَا جَعْدٍ أَحَمَّ⁵
 [هَجَاهُ أَبُو الْمَزَاحِمِ وَغَيْرُهُ بِنَسْبِهِ]

قَالَ يَعْقُوبُ : وَقَالَ أَبُو الْمَزَاحِمِ يَهْجُو أَبَا وَجْزَةَ وَيَعْبِرُهُ بِنَسْبِهِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
 [دَعَّتْكَ سُلَيْمٌ عَبْدَهَا فَأَجَبَتْهَا وَسَعْدٌ ، وَمَا نَدَرِي لِأَيِّهِمَا الْعَبْدُ ؟]
 فَأَجَابَهُ أَبُو وَجْزَةَ فَقَالَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَعْيَرْتُمُونِي أَنْ دَعَنْتَنِي أَنَا هُمْ سَلِيمٌ وَأَعْطَيْتَنِي بِأَيْمَانِهَا سَعْدُ
 فَكُنْتُ وَسَيْطاً فِي سُلَيْمٍ مَعَاقِدًا لَسَعْدٍ ، وَسَعْدٌ مَا يُحَلُّ لَهَا عَقْدُ⁶
 [مَدَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ وَإِخْوَتَهُ]

أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نَصْرِ الضُّبَيْعِيِّ إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ الزُّرْقِيِّ
 عَنْ مَسْعُودِ بْنِ الْمُفَضَّلِ مَوْلَى آلِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ قَالَ : قَدِيمُ أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْحَسَنِ وَإِخْوَتِهِ سُوَيْقَةً⁷ ، وَقَدْ أَصَابَتْ قَوْمَهُ سَنَةٌ مُجْدِبَةٌ ، فَأَنَشَدَهُ قَوْلَهُ يَمْدَحُهُ : [مِنْ الْبَسِيطِ]
 أَثْنِي عَلَى ابْنِي رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلَ مَا أَثْنَى بِهِ أَحَدٌ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

1 الشَّدَّةُ : الْحَمْلَةُ . أَضِمَ : غَضُوبٌ .

2 فَرَفَارٌ ، يَفْرَفِرُ كُلُّ شَيْءٍ ، أَيْ يَكْسِرُهُ . أَفْرَشُهُ ، فَرَشَ لَهُ .

3 الْإِرَمُ : الْحِجَارَةُ .

4 خَذِمٌ : مَقْطَعٌ .

5 وَلَهَتْ : أَحْزَنْتُ وَحَيَّرْتُ . اللَّمَمُ : الْجُنُونُ . الْجَعْدُ : الْبَخِيلُ اللَّيْمُ . الْأَحْمُ : الْأَسْوَدُ .

6 الْوَسِيطُ : الْحَسِيبُ فِي قَوْمِهِ .

7 سُوَيْقَةٌ : مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ كَانَ يَسْكُنُهُ آلُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

السيد بن الكريمي كلُّ مُصَرَفٍ من والدين ومن صهرٍ ومن ولدٍ
 ذرية بعضها من بعضها عَمِرَتْ في أصل مجد رفيع السَّمَكِ والعَمَدِ
 ماذا بنى لهم من صالح حسنٌ وحسنٌ وعليّ وابتنوا لغدٍ
 فكرم الله ذاك البيتَ تَكْرِمَةً تَبْقَى وتخلد فيه آخر الأبدِ
 هم السّدى والنّدى ، ما في قناتهم إذا تعوّجت العيدانُ من أودٍ¹
 مهذبون هيجانٌ أمهاتهم إذا نُسين زلالُ البارِقِ البردِ²
 بين الفواطم ماذا ثَمَّ من كرمٍ إلى العواتك مجد غير مُتَقَدِّ³
 ما ينتهي المجد إلّا في بني حسن وما لهم دونه من دارٍ مُلتَحَدٍ⁴

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا⁵ له رواحله بُراً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاءً ونسبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدثنا عمر بن شُبّة قال حدثني أبو غَسَّان والمدائنيّ جميعاً : أنّ عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعديّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزديّ الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث إليه مروان بن محمد بمال ، ففرقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرض [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول :

قُلْ لأبي حمزة هَيْدِ هَيْدِ جئناك بالعاديّة الصُنْدِيدِ
 بالبطل القَرَمِ أبي الوليد فارس قيسٍ نَجْدِها المَعْدُودِ
 في خيل قيسٍ والكُماة الصَّيْدِ كالسيفِ قد سُلَّ من الغُمُودِ
 محضٍ هِجَانٍ ماجدٍ الجَدُودِ في الفَرعِ من قيسٍ وفي العمودِ
 فِدَى لعبد الملك الحميد ما لي من الطارفِ والتلديدِ

1 السّدى : المعروف .

2 هيجان : كرام . البارِق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبي ﷺ .

4 الملتحد : الملتجأ .

5 أوقر الدابة : حملها وقرأ ، وهو الحمل الثقيل .

يَوْمَ تَنَادَى الْخَيْلُ بِالصَّعِيدِ كَأَنَّهُ فِي جُنِّ الْحَدِيدِ¹
 سَيِّدٌ مُدِلٌّ عَزَّ كُلُّ سَيِّدٍ

قال : وسار ابن عطية في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقي أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطية ، إن الله جل وعز قد جعل الليل سكناً ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .
 [كان منقطعاً لابن عطية مداحاً له]

قال : وكان أبو حمزة منقطعاً إلى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفضل عليه ، وكان أبو حمزة مداحاً له ، وفيه يقول :

[من البسيط]

حَنَ الْفَوَادُ إِلَى سَعْدَى وَلَمْ تُثَبِّ فِيمَ الْكَثِيرُ مِنَ التَّخَنُّانِ وَالطَّرِبِ
 قَالَتْ سَعَادُ أَرَى مِنْ شَبِيهِ عَجَباً مَهلاً سَعَادُ فَمَا فِي الشَّيْبِ مِنْ عَجَبِ
 غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِسْحَاقُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا مِنْ كِتَابِهِ :
 إِمَّا تَرْنِي كَسَانِي الدَّهْرُ شَبِيَّتَهُ فَإِنْ مَا مَرَّ مِنْهُ عَنْكَ لَمْ يَغِبِ
 سَقِيّاً لِسَعْدَى عَلَى شَيْبِ أَلَمْ بَنَّا وَقَبْلَ ذَلِكَ حِينَ الرَّأْسُ لَمْ يَشِبِ
 كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكُرَى اغْتَبَقَتْ صَوْبَ الثَّرِيَا بِمَاءِ الْكَرْمِ مِنْ حَلَبِ
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

أَهْدِي قِلَاصاً عَنَاجِيحاً أَضُرَّ بِهَا نَصُّ الْوَجِيفِ وَتَقْهِيمٌ مِنَ الْعُقَبِ²
 يَقْصِدُنْ سَيِّدَ قَيْسٍ وَابْنَ سَيِّدِهَا وَالْفَارِسَ الْعِدَّ مِنْهَا غَيْرَ ذِي الْكَذِبِ³
 مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ وَابْنُهُ صَنَعُوا لَهُ صَنَائِعَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ حَسَبِ
 إِنِّي مَدَحْتَهُمْ لَمَّا رَأَيْتُ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ
 إِلَّا تُثَبِّبْنِي بِهِ لَا يَجْزِينِي أَحَدٌ وَمَنْ يُثَبِّبُ إِذَا مَا أَنْتَ لَمْ تُثَبِّبِ !

والأبيات التي ذكرت فيها الغناء المذكور معه أمر أبي حمزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبد الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

[من الكامل]

- 1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .
- 2 العناجيج هنا : الإبل جمع عُجَوج . نص ناقة : استخرج أقصى ما عندها من السير . العقب : جمع عقبة وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .
- 3 العِدَّة هنا : الذي لا تنفذ شجاعته . من قولهم ماء عِدَّة ، أي دائم لا تنفذ مادته .

حَتَّى إِذَا هَجَدُوا أَلَمَ خِيَالُهَا سَرّاً ، أَلَا يَلِمَامُهُ كَانَ الْمُنَى
طَرَقَتْ بَرِيّاً رَوْضَةً مِنْ عَالِجٍ وَسَمِيَّةٌ عَذْبَتْ وَبَيْتُهَا النَّدَى¹
يَا أُمَّ شَيْبَةٍ أَيْ سَاعَةِ مَطَرٍ تَبَهَّتِنَا ، أَيْنَ الْمَدِينَةُ مِنْ بَدَا²
إِنِّي مَتَى أَقْضِ اللَّبَانَةَ أَجْتَهْدُ عَنَقَ الْعِتَاقِ النَّاجِيَاتِ عَلَى الْوَجَى
حَتَّى أَزُورَكَ إِنْ تيسَّرَ طَائِرِي وَسَلِمْتُ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ وَالرَدَى
وفيهما يقول :

فَلَا مَدْحَنٌ بَنِي عَطِيَّةَ كُلَّهُم مَدْحاً يُوَافِي فِي الْمَوَاسِمِ وَالْقُرَى
الْأَكْرَمِينَ أَوَائِلًا وَأَوَاخِرًا وَالْأَحْلَمِينَ إِذَا تُخُولِجَتْ الْحُبَا³
وَالْمَانَعِينَ مِنَ الْمُضِيْمَةِ جَارَهُم وَالْجَامِعِينَ الرَّاقِعِينَ لِمَا وَهَى⁴
وَالْعَاطِفِينَ عَلَى الضَّرِيكِ بِفَضْلِهِم وَالسَّابِقِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ مَنْ سَعَى⁵
وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ،
ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن ففضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي لأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي
قال : كان أبو إسحاق وجزة السعدي منقطعاً إلى آل الزبير ، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير
خاصةً يُفَضِّلُ عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن
أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن
سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرتاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ، ولا يرجع له عبد
الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

آل الزبير بنسو حُرَّةَ مَرَوْا بِالسُّيُوفِ صُدُوراً خَنَافاً⁶
سَلَّ الْجُرَدَ عَنْهُمْ وَأَيَّامَهَا إِذَا امْتَعَطُوا الْمُرْهَفَاتِ الْخَفَافَا

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأول .

2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .

3 تُخُولِجَتْ : تنوزعت . الحبا : جمع حبة .

4 المضيمية : الظلم والغضب .

5 الضريك : الزمين والضريير والفقير السيء الحال .

6 مرى الدم : استخرجه وأساله . خناف : جمع خائف ، خنف بأنفه : شمع بأنفه من الكبير .

امْتَعَلُوا : سَلُوا ، ومنه ذُئِبٌ أَمْعَطُ ، مُنْسَلٌ من شعره :

[من المتقارب]

يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ وَيَصْلُونَ يَوْمَ السَّيْفِ السَّيَافَا
إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ عَنْ عَيْصِهِمْ أَبِي ذَلِكَ الْعِصُ إِلَّا التَّفَاتَا¹
مَطَاعِيْمُ تُحْمَدُ أُنْيَاتُهُمْ إِذَا قَنَّعَ الشَّاهِقَاتُ الطُّخَافَا²
وَأَجَبْنُ مِنْ صَافِرٍ كُلَّهُمْ إِذَا قَرَعَتْهُ حِصَاةٌ أَضَافَا³

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلَا هَلْ أَسِيرُ الْمَالِكِيَّةَ مُطْلَقُ فَقَدْ كَادَ لَوْ لَمْ يُعْفِهِ اللَّهُ يَغْلُقُ⁴
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فِيهِ الْقَتْلُ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ
الشعر لعقيل بن عُلْفَةَ البيت الأول منه ، والثاني لشبيب بن البرصاء ، والغناء لأحمد بن
المَكِّي ، خفيف ثقیل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن
بَانَةَ ، وأوله :

[من الطويل]

سَلَا أُمَّ عَمْرُو فِيمَ أَضْحَى أَسِيرُهَا يُفَادَى الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مُوثِقُ
وبعده البيت الثاني وهو :

فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ فِيهِ الْقَتْلُ رَاحَةٌ وَلَا مُنْعَمٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمُعْتَقُ
والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء .

1 العيص : الشجر الكثيف الملتف .

2 الطخاف : السحاب المرتفع .

3 الصافر : طائر يتعلّق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته .

وأضاف : خاف وأشفق وحذر .

4 يغلق : من غلق الرهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

[223] - أخبار عقيل بن علفة

[نسبه]

عَقِيل بن عُلْفَة بن الحارث بن معاوية بن ضياب بن جابر بن يربوع بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيْس عَيْلَان بن مُضَر ، ويكنى أبا العَمَلَس وأبا الجَرَاء .

وَأُمُّ عَقِيل بن عُلْفَة العَوْرَاء ، وهي عَمْرَة بنتُ الحارث بن عوف بن أَبِي حارثة بن مُرَّة بن نَشْبَة بن غَيْظ بن مُرَّة . وأُمُّهَا زَيْنُبُ بنتُ حَصْن بن حذيفة . هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائني . وقال ابنُ الأعرابي : كانت عَمْرَة العَوْرَاء أُمُّ عَقِيل بن عُلْفَة والبرصاء أُمُّ شبيب بن البرصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البرصاء قرصافة ، أُمُّهَا بنت نَجْبَة بن ربيعة بن رياح بن مالك بن شَمَخ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافياً شديداً الهَوَج والعَجَرَفَة والبَذَخ¹ بنسبه في بني مُرَّة ، لا يرى أن له كفتاً . وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشُ ترغبُ في مصاهرته . تزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجَرَاء ، وكانت قبله عند ابن عمِّ لعَقِيل يقال له مطيعُ بن قُطْعَة بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنِيّاً دَرَج² . وتزوّج بنته عَمْرَة سَلَمَة بن عبد الله بن المغيرة ، فولدت له يعقوب بن سلمة ، وكان من أشراف قريش وجودائها . وتزوّج أُمُّ عمرو بنته ثلاثة نفر من بني الحَكَم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال : دخل عَقِيل بن عُلْفَة على عثمان بن حَيَّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمانُ : زوّجني ابنتك ، فقال : أبكرُ من إيلي تعني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنون أنت ؟ قال : أي شيء قلت لي ؟ قال : قلتُ لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرَة من إيلي . فأمر به فَوُجِئَتْ³ عُنُقُه . فخرج وهو يقول :

[من الطويل]

1 البَذَخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجَّاه باليد وبالسكين : ضربه .

كُنَّا بني غَيْظَ الرجالِ فَأَصْبَحْتُ بنو مالك غَيْظًا وصرنا كالك
لحى الله دهرًا دَعْدَعُ المَالِ كُلَّهُ وسودَّ أشباه الإماء العوارِك¹

[خطب إليه رجل من بني سلامان فكفّه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال : كان لعَقِيل بن عُلْفَة جَارٌّ من بني سَلَامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيل ، وأخذ السَّلَاماني فَكَفَّه ، ودهن استه بشحم ، وألقاه في قرية² النمل ، فأكلن خُصْمِيه حتى ورم جَسَدُهُ ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجترى أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبت مراعي بني مُرّة ، فانتجع عَقِيل أرض جُذَامَ وقربهم عُذْرَة . قال عَقِيل : فجاءني هَنِيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أم جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قرية من الحيّ ، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتبعني جمعٌ من حُنَّ (بطن عُذْرَة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حذرناك³ وبُعِيرَة من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلينا عنك . فأرسلوا بعيرة فسبقتها ، فخلّوا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيث رغبنا . فقلت فيهم : [من الطويل]

لقد هزئتُ حُنَّ بنا وتلاعبتُ وما لعبت حُنَّ بذي حسب قبلي
رويداً بني حُنَّ تسيحوا وتأمنا وتنتشر الأنعام في بلد سهل
والله لأموتنّ قبل أن أضع كرائمي إلّا في الأكفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجاز به ابنه وابنته]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقِيل بن عُلْفَة وابناه : عُلْفَة وجُثَامَة ، وابنته العجباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً في بني مروان بالشام فآمت⁴ . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقِيل بن عُلْفَة : [من الطويل]

قضتُ وطراً من دير سعدٍ وطالما على عُرضِ ناطخته بالجماجم⁵

1 ذعدع الحال : فرقه وبذده . والعوارك : الحيض .

2 قرية النمل : مجتمع ترائبها .

3 حذرناك ، من الحذر : وهو الخط من علو إلى سفلى .

4 آمت المرأة : فقدت زوجها .

5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطيتهم بالخزائم¹
ثم قال : أنفذ يا علفه ، فقال علفه :

فأصبحن بالمومة يحملن فتية نشاوى من الإدلاج ميل العمائم²
إذا علم غادرته بتؤفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم³
ثم قال : أنفذ يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :
كأن الكرى سقامهم صرخدية⁴ عقاراً تمشى في المطا والقوائم⁵

فقال عقيل : شربتها ورب الكعبة ؛ لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة : وهي أساءت ! إنما أجازت . وليس غيري وغيرك . فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجهاً إلى أهله وقال : لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما قدموا على أهل أبيير (وهم بنو القين) نديم عقيل على فعله بجثامة . فقال لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله الزبيدي بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال : قرىء على علي بن محمد المدائني عن الطرماح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة :

أُعذّر لاهينا ويُلحّين في الصبا وما هنّ والفتيان إلا شقائق
فقال له القوم : إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك إنفاً ، وقد عاودت ما يكرهه ، فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعَرَّ⁵ . فقال : إنما هي خطرة خطرت ، والراكب إذا سار تغنى .

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير لينقاد بها .

2 المومة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير يديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عَرَّ بمكرهه : أصابه وساءه .

[أصابه القونج في المدينة فتعت له الحقنة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : قدّم عقيل بن علفّة المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلّمة المخزوميّ ، فمرّض وأصابه القونج ، فتعت له الحقنة ، فأبى . وقدّم ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال :

لقد سرّني والله وقاك شرّها نجاؤك منها حين جاء يقودها
كفى خزبةً ألاّ تزال مُجَبِّيا على شكوة تُوكى وفي استك عودها¹

[شدّ على ابنه علفّة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا عليّ بن محمد عن زيد بن عيّاش التغلبيّ والربيع بن ثُميل قالا : غدا عقيل بن علفّة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناته وأمههم مجتمعون ، فشدّ على عملّس فحاد عنه ، وتغنّى علفّة فقال :

قفي يا ابنة المرّي أسألك ما الذي تريدان فيما كنتِ مئيتنا قبل
نخبرك إن لم تنجزني الوعد أنّا ذوا خلّة لم يبقَ بينهما وصل
فإن شئتِ كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبدل

فقال عقيل : يابن اللّخناء² ، متى متّك نفسك هذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان عملّس أخاه لأّمّه ، فحال بينه وبينه ، فشدّ على عملّس بالسيف وترك علفّة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبتَه ؛ فسقط عقيل وجعل يتمعك³ في دمه ويقول : [من الرجز]

إنّ بنيّ سرّبُلوني بالدم من يلقَ أبطال الرّجال يُكَلِّم
ومن يَكُن ذا أودٍ يُقوّم شنشنة أعرفها من أخزم⁴

قال المدائنيّ : « شنشنة أعرفها من أخزم » مثلّ ضربه . وأخزم : فحلّ كان لرجل من العرب ، وكان منجباً ، فضرب في إيل رجل آخر ، ولم يعلم صاحبه ، فرأى بعد ذلك من نسله

1 يقال جبى فلان ؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً . الشكوة : القرية الصغيرة .

2 اللّخناء : من اللّخن ، وهو التن .

3 يتمعك في دمه : يتمرّغ .

4 مثل ، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه ، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عبّاس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي . فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2 . الشنشنة : الخليقة . المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ ، قال : « قال ابن برّي : كان أخزم عاقاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك .

جملًا ، فقال : شَيْشِينَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَم .
[عابه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفه : إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كاليء هُنَّ ، والناس ينسبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوجهنَّ إلا الأكفاء . قال : إني أستعين عليهنَّ بختلنَّ تكللنَّهنَّ ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُريُّ والجوعُ .
[رماه ابنه علس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي : قال خالد بن كلثوم : لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة بأطال بكت ابنته جرباء وحتت ناقته ، فقال :
[من الطويل]

ألم تريا أطالاً حَتَّ وشاقها	تفرُّنا يومَ الحبيبِ على ظهر ¹
وأسبل من جرباء دمع كانه	جُمان أضاع السلك أجرتَه في سطر ¹
لعمرك إني يوم أغذو عملسا	لكالمتربي حَتَفَه وهو لا يدري ²
وإني لأسقيه غبوقي وإنني	لغَرثانُ منهوك الذراعين والنحر ³

[خرج ابنه علفه إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علفه أيضاً ، فافترض⁴ بالشام وكتب إلى أبيه :
[من الطويل]

ألا أبلغا عني عقيلاً رسالة	فإنك من حربٍ عليّ كريم
أما تذكر الأيام إذ أنت واحد	وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذميم
وإذ لا يقيك الناسُ شيئاً تخافه	بأنفسهم إلا الذين تَضيم
تناول شأواً الأبعدين ولم يقم	لشأوك بين الأقربين أديم
فأما إذا عضتْ بك الحرب عَضَّةً	فإنك معطوفٌ عليك رحيم
وأما إذا آنستَ أماناً وريحوةً	فإنك للقُربى ألدُّ ظلوم ⁵

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدم عليه .

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .

2 تربيته وترثاه : أحسن القيام عليه ووليه .

3 غرثان : جائع .

4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

5 الألد : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحق .

[سبَّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثَنَا الرياشي عن محمد بن سلام قال حَدَّثَنِي ابن جُعْدَبَةَ قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أمُّهُ أختُ عقيل بن عُلقمة فقال له : قَبَحَكَ اللَّهُ ؛ أَشَبَّهْتَ خَالَكَ فِي الْجَفَاءِ . فَبَلَغْتَ عَقِيلاً فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَمْرِ فَقَالَ لَهُ : مَا وَجَدْتَ لِابْنِ عَمِّكَ شَيْئاً تُعَيِّرُهُ بِهِ إِلَّا خُؤُولَتِي ؟ فَقَبَّحَ اللَّهُ شَرِّكَمَا خَالاً . فَقَالَ لَهُ صُخَيْرُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ (وَأُمُّهُ قُرَشِيَّةٌ) : آمِينَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَبَّحَ اللَّهُ شَرِّكَمَا خَالاً ، وَأَنَا مَعَكُمْ أَيْضاً . فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : إِنَّكَ لِأَعْرَابِيٍّ جِلْفٌ جَافٍ ، أَمَا لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ لِأَدْبَتِكَ . وَاللَّهِ لَا أَرَاكَ تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْئاً ، قَالَ : بَلَى ، إِنِّي لِأَقْرَأُ ، قَالَ : فَاقْرَأْ . ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حَتَّى بَلَغَ إِلَى آخِرِهَا فَقَرَأَ : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَا تَحْسُنُ أَنْ تَقْرَأَ ؟ قَالَ : أَوَلَمْ أَقْرَأْ ؟ قَالَ : لَا ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدَّمَ الْخَيْرَ وَأَتَكَ قَدَّمَ الشَّرَّ . فَقَالَ عَقِيلُ : [من الطويل]

خَذَا بَطْنُ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبِي هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقُ¹

فَجَعَلَ الْقَوْمَ يَضْحَكُونَ مِنْ عَجْرَفَتِهِ .

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائني ، فذكر أنه كان بين عُمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلاماً ، فأغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنَّكَ ابنُ أَعْرَابِيَّةٍ جَافِيَةٍ . فَقَالَ عَقِيلُ لِعَمْرٍ : لَعَنَ اللَّهُ شَرَّ الثَّلَاثَةِ ، مِنِّي وَمِنْكَ وَمِنْهُ ؛ فَغَضِبَ عَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ صُخَيْرُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ : آمِينَ . فَهُوَ وَاللَّهُ أَيْهَا الْأَمِيرُ شَرُّ الثَّلَاثَةِ . فَقَالَ عَمْرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرَاكَ لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا قَرَأَهَا . فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِقَارِئُ لَآيَةٍ وَآيَاتٍ فَقَالَ : فَاقْرَأْ ، فَقَرَأَ : إِنَّا بَعَثْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ . لَيْسَ هَكَذَا قَالَ اللَّهُ ، قَالَ : فَكَيْفَ قَالَ ؟ قَالَ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ فَقَالَ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَرْسَلْنَا وَبَعَثْنَا ! [من الطويل]

خَذَا أَنْفَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبِي هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقُ

[دخل المسجد بخفين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حَدَّثَنَا أحمد بن الحارث الخزاز قال حَدَّثَنِي علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال : قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ عُلقمة المدينة ، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ

1 هَرَشَى : ثِيَابٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْجَحْفَةِ . وَفِي الْبَيْتِ مِثْلُ : يَضْرِبُ فِيمَا سَهْلٌ إِلَيْهِ طَرِيقٌ مِنْ وَجْهَيْنِ . وَهَرَشَى : ثِيَابٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ شَرْقَهَا اللَّهُ تَعَالَى قَرِيبَةٍ مِنَ الْجَحْفَةِ يَرَى مِنْهَا الْبَحْرَ وَلَهَا طَرِيقَانِ فَكُلٌّ مِنْ يَسْلُكُهَا كَانَ مُصِيباً . (معجم الأمثال للميداني 3/31-32) .

غليظان ، فجعل يضربُ برجلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : يضحكون من خُفْيِكَ وضربِكَ برجليك وشدة جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجبُ من خُفْي . فجعل يحيى يضحك .
[خبره مع يحيى بن الحكم أمير المدينة وزواج ابنته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مُصعب قاضي المدينة قال : دخل عقيل بن علفة على يحيى بن الحكم ، وهو يومئذ أمير المدينة . فقال له يحيى : أنكح ابن خالي ، يعني ابن أوفى ، فلانة ابتك ؟ فقال : إن ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكف عنه سن¹ الخيل إذا غشيت سوامه² . فقال يحيى لحريسين بين يديه : أخرجاه . فأخرجاه ، فلما ولي قال : أعيدها إلي ، فأعادها ، فقال عقيل له : ما لك تكرّني إكرار الناضح³ ؟ قال : أما والله إني لأكره أعرج جافيا . فقال عقيل : كذلك قلت :
[من البسيط]

تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأَتْ رَأْسِي تَجَلَّلَهُ من الروائع شيبٌ ليس من كبر⁴
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بَعْدَ جِدَّتِهِ والجفنُ يَخْلُقُ فِيهِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ⁵

فقال له يحيى ، أنشدني قصيدتك هذه كلها . قال : ما انتهيتُ إلا إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنك لتقول فتقصّر ، فقال : إنما يكفي من القلادة⁶ ما أحاط بالرقبة . قال : فأنيحني أنا إحدى بناتك . قال : أما أنت فنعم . قال : أما والله لأملأَنَّك مالا وشرفاً . قال : أما الشرف فقد حملتُ ركائبِي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشُّم ما لم تطيق ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيِّم ورضا الأبي . فزوجَه ثم خرج فهداها إليه ، فلما قَدِمَتْ عليه بعث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها . فرفعت يدها ، فدقت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثني إلى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردتُ أن بعثتُ إليَّ أمة تنظر إلي ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إلي قبل كل ناظر ، فإن رأيت حسناً كنت قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنت أحق من

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

2 السَّوَام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلى يرعى حيث يشاء .

3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .

4 الروائع : في ل : الوقائع .

5 تولى : في ل : تعرى . الذكر والذكير من الحديد : أيسه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .

6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 62/2 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظيت عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أول من رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أول من واره .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمِّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء ، فقال له عقيل : قد زوجتكها ، على أن لا يزفها إليك أعلاجك¹ ؛ أكون أنا الذي أجيء بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هودج قال : أراه والله عقيلاً . قال : فجاء بها حتى أتاه بعيرها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعن ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما ودين² بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه . ثم مات الصبي ، فورثت أمه منه الثلث ، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ ، فهلم فاقبضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إن مصيبي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه ، فلا حاجة لي في ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سبقت عليه الناس ، فأعطني أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرءاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال : رأيتُ رجلاً من قريش يقول له عقيل بن علفة : بالرءاء والبنين والطائر المحمود . فقلت له : يا ابن علفة ؛ إنه يُكره أن يُقال هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أحدث ! إن هذا قولُ أحوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره . قال : فحدثتُ به الزهري فقال : إن عقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أحوالك» ، لأن أم يحيى بن طلحة مريّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه]

قال المدائني وحدثني علي بن بشر الجشمي قال قال الرميح : خطب إلى عقيل رجل من

1 أعلاجك جمع عالج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : وذن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرة كثير المال ، يُعْمَرُ في نسبه ، فقال :
 لَعْمَرِي لئن زَوَّجْتُ من أجل ماله
 أُنكِحُ عبداً بعدد يحيى وخالد
 أبى لي أن أرضى الدنية أنتي
 [خطب إليه رجل من بني مرة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]
 هجيناً لقد حَبَّتْ إليّ الدراهم¹
 أولئك أكفائي الرجال الأكارم
 أمدُّ عناناً لم تخنه الشكائم

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه² يأثره³ عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقته له ، فخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته ، فنظر إليه عقيل ، وإن السيف لا يناله ، فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته ، وشد عليه عقيل فهرب ، وثار عقيل إلى ناقته فنحرها ، وأطعمها قومه وقال :
 [من الرجز]
 أَلَمْ تَقُلْ يا صاحبَ القُلُوصِ داودُ ذا الساج وذا القميص³
 كانت عليه الأرض حيص بيص حتى يُلَفَّ عيصه بعيصي⁴
 وكنت بالشبان ذا تقميص

فقال داود فيه من أبيات :
 فَنسى يَجْعَلُ الأمرَ الحلالَ ببيتِه حراماً وَيَقْرِي الضيفَ عَضْباً مهنداً
 [فرت منه زوجته الأنمارية فردّها إليه عامل فلك]

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال : لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية ، وقد كبر ، فرت منه ، فلقبها جحاف ، أحد بني قتال بن يربوع ، فحملها إلى عامل فذك ، وأصبح عقيل معها ، فقال الأمير لعقيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء ؟ فقال عقيل : كلّ ذكري ، وذهب ذكري⁵ ، وتغايب نفري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشيت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري ، وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوانهم ، فاقتتلوا في أمر يهودي خمار كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جوشن

1 الهجين : العربي ابن الأمة .

2 يأثره : ينقله ويرويه .

3 الساج : الطيلسان الضخم الغليظ .

4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .

5 الذفر : شدة ذكاء الرمح .

من غطفان ، وكانوا متقاربى المنازل وكان عقييل بن علفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهُمْ¹ .

فإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِكُمْ فَأَبْلِغْ أُمَّتِلَ سَهْمٍ رَسُولاً
بان التي سامكُم قومكُم لقد جعلوها عليكم عدولا
هوان الحياة وضيمُ المات وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيروا إلى الموت سيراً جميلاً
ولا تقعدوا وبكم مُنَّةٌ كفى بالحوادث للمرء غولاً²

قال : فلمّا وردت الأبيات عليهم تكفلَ بالحربِ الحُصَيْن بن الحُمام المُرِّي أحد بني سهم ، وقال : إِيَّيْ كَتَبَ وَيِي نَوَّةٌ ، خاطبَ أُمَّتِلَ سهم وأنا من أُمَّتِلهم . فأبلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحُصَيْن بن الحُمام في ذلك من قصيدة طويلة له :

يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَنْهَضُنْ إِلَّا تَقَحُّماً³
عليهن فتيانٌ كساهم محرقٌ وكان إذا يكسو أجاد وأكرماً⁴
صفائحٌ بُصِرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا ومطرُداً من نسج داود محكماً⁵
تأخرت أَسْتَبْقِي الحياة فلم أجِدْ لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائني قال جَرَّاح بن عِصَّام بن بُجَيْر : عدتْ بنو جعفر بن كِلَاب على جارٍ لعقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عقييل على جارٍ لهم فضربه ، وأخذ إبله فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبِل جاره وقال في ذلك :

إِنْ يَشْرِقِ الْكَلْبِيُّ فِيكُمْ بَرِيقُهُ بني جعفر يُعْجَلُ لجاركُم القتلُ
فلا تحسبوا الإسلامَ غَيْرَ بعدكم رماحٌ مواليكُم فذاك بكم جهلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحربَ بيننا نُذِيقْكُمْ كما كنّا نُذِيقْكُمْ قبلُ
بدأتم بجاري فأنشيتُ بجاركُم وما منهما إلّا له عندنا حبلُ

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيت (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .

2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .

3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسرة . الخبر من الأرض : ما لان واسترخى .

4 محرق : لقب عمرو بن هند ، سمي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .

5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القَيْن]

وذكر المدائني أيضاً : أَنَّ عَقِيلًا كَانَ وَحْدَهُ فِي إِيلِهِ ، فَمَرَّ بِهِ نَاسٌ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ فَاسْرَوْهُ ، وَمَرَّوْا بِهِ فِي طَرِيقِهِ عَلَى نَاسٍ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ ، فَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ ، وَخَلَّوْا سَبِيلَهُ . فَقَالَ عَقِيلٌ فِي ذَلِكَ :

أَسْعَدَ هُذَيْمٌ إِنَّ سَعْدًا أَبَاكُمْ أَيْ لَا يُوَافِي غَايَةَ الْقَيْنِ مِنْ كَلْبِ
وَجَاءَ هُذَيْمٌ وَالرَّكَّابُ مُنَاخَةً فَقِيلَ تَأَخَّرَ يَا هُذَيْمُ عَلَى الْعَجَبِ¹
فَقَالَ هُذَيْمٌ إِنَّ فِي الْعَجَبِ مَرَكَبِي وَمَرَكَبُ آبَائِي وَفِي عَجَبِهَا حَسَنِي
قَالَ : وَسَعَدَ هُذَيْمٌ هُمْ عُذْرَةُ وَسَلَامَانُ وَالْحَارِثُ وَضَبَّةٌ .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيْلَةَ قَالَ : مَاتَ عُلْفَةُ بْنُ عَقِيلِ الْأَكْبَرِ بِالشَّامِ ، فَنَعَاهُ مُضَرَّسُ بْنُ سَوَادَةَ لِعَقِيلِ بِأَرْضِ الْجَنَابِ ، فَلَمْ يَصْدَقْهُ وَقَالَ :

قَبِّحَ الْإِلَهِ - وَلَا أَقْبَحَ غَيْرَهُ - ثَفَرَ الْحِمَارُ مُضَرَّسُ بْنُ سَوَادٍ²
تَنَعَّى امْرَأًا لَمْ يَعْلُ أُمُّكَ مِثْلُهُ كَالسِّيفِ بَيْنَ خَضَارِمٍ أَنْجَادٍ³
ثُمَّ تَحَقَّقَ الْخَبَرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ يَرِثِيهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ خَبَرَتْ بِأَمْرِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ثَقِيلُ
وَقَالُوا أَلَا تَبْكِي لِمَصْرَعِ فَارِسٍ نَعْتُهُ جَنُودُ الشَّامِ غَيْرِ ضَعِيلُ
فَأَقْسَمْتُ لَا أَبْكِي عَلَى هَلْكَ هَالِكٍ أَصَابَ سَبِيلَ اللَّهِ خَيْرَ سَبِيلُ
كَأَنَّ الْمَنَايَا تَبْتَغِي فِي خِيَارِنَا لَهَا نَسَبًا أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيلُ
تَحُلُّ الْمَنَايَا حَيْثُ شَاءَتْ فَإِنَّهَا مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الْفَتَى ابْنَ عَقِيلِ
فَتَى كَانَ مَوْلَاهُ يَحُلُّ بِرَبْوَةٍ فَحَلَّ الْمَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلِ

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه علفس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قَالَ : كَانَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ قَدْ أَطْرَدَ بَنِيهِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَبَقِيَ وَحْدَهُ . ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي صِرْمَةَ ، يُقَالُ لَهُ بَجِيلُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْمَاشِيَةِ ، حَطَّمَ بِيوتَ عَقِيلِ بِمَاشِيَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ أَحَدٌ يَقْرُبُ مِنْ بِيوتِ

- 1 العجب : أصل الذنب وهو العصص .
- 2 الثفر : السير الذي في مؤخر السرج تحت ذنب الدابة .
- 3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيلٌ إِلَّا لَقِيَ شَرًّا . فطردت صافئةً (أمةً له) الماشية ، فضربها بَجِيلٍ بعضا كانت معه فشجَّها .
فخرج إليه عَقِيلٌ وحده ، وقد هَرِمَ يومئذٍ وكبرتْ سِنُّهُ ، فزجره فضربه بَجِيلٍ بعضاه ، واحتقره .
فجعل عَقِيلٌ يصيح : يا عُلْفَةُ ، يا عَمَلَسُ ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم ، وهو
يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أُرطاة بن سُهَيْتَةَ :

أَكَلْتَ بَيْنَكَ أَكَلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الْكَلَأِ الْوَيْلِ
وَلَوْ كَانَ الْأَلَى غَابُوا شُهُوداً مَنَعَتْ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ
وبلغ خبر عَقِيلٍ ابْنَهُ الْعَمَلَسَ وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمدَ إلى بَجِيلٍ
فضربه ضرباً مبرحاً ، وعقر عِدَّةً من إبله وأوثقه بجبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ،
ثم ركب راحلته ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطْعَمَ لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شرباً .
[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا الْكَرْنِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : نَزَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى الْمُقْشَعِرِّ بْنِ
عَقِيلٍ بْنِ عُلْفَةَ الْمُرِّيِّ فَشَرِبَا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا ، فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ مُرَوَّعاً فِي اللَّيْلِ وَهُوَ يَهْذِي ،
فَقَالَ لَهُ الْمُقْشَعِرُّ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : هَذَا مَلِكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحِي . فَوَثَبَ ابْنُ عَقِيلٍ فَقَالَ : لَا
وَاللَّهِ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً¹ عَيْنِي لَهُ ! أَبْقِضْ رُوحَكَ وَأَنْتَ ضَيْفِي وَجَارِي ؟ فَقَالَ : بَلَيَّ أَنْتُمْ
وَأُمِّي ! طَالَ وَاللَّهِ مَا مَنَعْتُمُ الضُّيْمَ . وَتَلَفَّفَ وَنَامَ .
تَمَّتْ أَخْبَارُ عَقِيلٍ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

قد مضت أخبار عَقِيلٍ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ
ونسبه ، لِأَنَّ الْمُغْنِيْنَ خَلَطُوا بَعْضَ شِعْرِهِ بِبَعْضِ شِعْرِ عَقِيلٍ فِي الْغَنَاءِ الْمَاضِي ذِكْرُهُ ، وَنَعِيدُ
هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ خَاصَّةً وَهُوَ :

صوت

من المائة المختارة

سَلَا أُمُّ عَمْرٍو فِيمَ أَضْحَى أَسِيرُهَا تُفَادَى الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مَوْثُقُ
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ فِي الْقَتْلِ رَاحَةً وَلَا مَنَعٌ يَوْمًا عَلَيْهِ فَمَطْلُقُ
ويروى :

وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَمَطْلُقُ

الشعرُ لشَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ ، وَالْغَنَاءُ لِدُقَاقٍ جَارِيَةٍ يَحْيَى بْنُ الرَّبِيعِ . رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عَمْرٍو . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ رَمَلاً آخَرَ لَطْوَيْسَ .

1 نعمة عين : قرئها .

[224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرّة ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن ذبيان . والبرصاء أمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلفة ، وأمّ عقيل عمّة بنت الحارث بن عوف ، ولُقبت قِرْصافة البرّصاء لبياضها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجي عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيحٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بدويٌّ لم يَحْضُرْ إلّا وافداً أو متّجِعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلفة ويُعاديهِ لشراسة كانت في عَقِيلٍ وشرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسؤددهم . وكان شبيب أعور ، أصاب عينه رجل من طيء في حَرْبٍ كانت بينهم .

[هاجي أُرطاة بن سهبة]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال حدّثنا أبو حاتم السّجستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أُرطاة بن سهبة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه :

أبي كان خيراً من أيك ولم يزلْ جَنِيْباً لآبائي وأنت جَنِيْبٌ¹
فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسِكَ عاديُّ النّجادِ رَكُوبٌ²

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أُرطاة أفضل من شبيب نفساً ، وكان شبيب أفضل من أُرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الحزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيلَ بن عُلفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوهُ ، ويُعيّره برجلي من طيء كان يأتي أمّه عمّة بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرة :

[من الطويل]

1 الجنيب : المنقاد التّابع .

2 العاديّ : القديم . النّجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

ألسنا بفرعٍ قد علمتم دِعامَةً
وقد علمت سعد بن دُبيان أننا
إذا لم نَسُكِّمْ في الأمور ولم نَكُنْ
فلستم بأهدى في البلاد من التي
دعت جلُّ يربوع عقيلاً لحادثٍ
فقلت له : هلاً أُجبتَ عشيرةً
وكأئن لنا من رثوةٍ لا تناها
فخرتَ بأيامٍ لغيرك فخرها
إذا الناس هابوا سوءةً عمَدَتْ لها
فَهَلَّا بني سعدٍ صَبَّحَتْ بغارةٍ
فَتَدْرِكُ وترأً عند ألامٍ واترٍ

ورابيةٌ تنشقُّ عنها سيولُها¹
رحاها الذي تأوي إليها وجولُها²
لحربٍ عَوانٍ لا قبحَ مَنْ يَتُولُها³
تَرَدَّدُ حَيْرَى حين غاب دليُّها
من الأمر فاستخفى وأعيأ عقيلُها
لطارقٍ ليلٍ حين جاء رسولُها !
مراقبك أو جرثومةٍ لا تطولُها
وغرَّتْها معروفةٌ وحجولُها
بنو جابر شُبَّانُها وكهولُها
مُسومةٌ قد طار عنها نسيْلُها⁴
وتدركُ قتلى لم تَتَمِّمْ عقولُها⁵

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عقيل بن عُلْفَة وشيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شيب بالصُّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زَوْج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شيب يهجوهُ :

ألا أبلغ أبا الجرَّاء عني
فلا تذكرُ أباك العبدَ وافخر
وهبها مُهْرَةً لَقَحَتْ بيغل
إذا طارت نفوسُهُنَّ شِعاةً
بطعنٍ تعثرُ الأبطالُ منه

بآياتِ التباغُضِ والتَّقالي
بأَمٍ لست مُكْرِمُها وخالٍ
فكان جنيْنُها شرُّ البغالِ
حَمَيْنِ المَحْصَناتِ لدى الحِجالِ⁶
وضربَ حيثُ تُقْتَنَصُ العوالي⁷

1 الفرع : علة قرى آهلة على أربعة أيام من المدينة .

2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيِّ فَإِنْ زالت تلك الصخرة تهوّر البئر .

3 يتولها : يسومها .

4 الفارة : الخيل المفجرة . مسومة : فرسلة وعليها ركبائها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف .

5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .

6 الحجال جمع حَجَلَة : وهي الكَلَّة تهيأ للعروس .

7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى البرح .

أَبَى لِي أَنَّ آبَائِي كَرَامٌ بَنَوْا لِي فَوْقَ أَشْرَافٍ طَوَالٍ¹
 بَيُوتَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمُوتُ مِنْهَا إِلَى عَلِيَاءَ مُشْرِفَةَ الْقَصَالِ
 تَزِلُّ حِجَارَةُ الرَّامِينَ عَنْهَا وَتَقْصُرُ دُونَهَا نَبْلُ النَّضَالِ
 أَبَالْحُقَاتٍ شَرُّ النَّاسِ حَيًّا وَأَعْنَاقِ الْأَيُورِ بَنِي قِتَالِ
 رَفَعْتَ مُسَامِيًّا لَتَنَالَ مَجْدًا فَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ فِي سَقَالِ

قال أبو عمرو : بنو قتال إخوة بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمله ؟ قال : كما تُحْمَلُ القربة . فعمد إلى حبل فشده طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحْمَلُ القربة ، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرة ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واره . فلما انصرفا قال له : يا هناء² ، أُنْسِيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناء ، فإن يرد الله به خيراً يحلله .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردة ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنك تبغي أن تردني ، فقال له يزيد : ما أردت ذاك ، ولكن أنظرني هذا العام ، فإذا انصرم فعلي أن أزوجه . فرحل شبيب من عنده مغضباً ، فلما مضى قال ليزيد بعض أهله : والله ما أفلحت ! خطب إليك شبيب سيد قومك فردته ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوجتك ، فإتي أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ غَنِيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيْرُهَا³
 وَلَكِنْ ضَعَفَ الْأَمْرُ إِلَّا تُمِرَّهُ وَلَا خَيْرَ فِي ذِي مِرَّةٍ لَا يُغَيِّرُهَا⁴
 تَبَيَّنَ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهُهَا عَلَيْكَ صَدُورُهَا
 تُرْجِي النُّفُوسُ الشَّيْءَ لَا تَسْتَطِيعُهُ وَتَخْشَى مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يَضِيرُهَا
 إِلَّا إِنَّمَا يَكْفِي النُّفُوسَ إِذَا اتَّقَتْ تُقَى اللَّهُ مِمَّا حَاذَرَتْ فَيُجِيرُهَا

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .

2 هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان .

3 المرير والمريرة : العزيمة . وغنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحوى ضربة .

4 أمر الحبل : أحكم قتله . وأغار الحبل : أحكم قتله .

ولا خيرَ في العيدانِ إلا صلابُها
ومستنجح يدعو وقد حال دونه
رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها
فبات وقد أُسرى من الليل عَقْبَةُ
وقد علم الأضياف أن قِراهمُ
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبْيَان لم يجد
وإنِّي لتَرَاكُ الضغينة قد بدا
مخافة أن تجني عليّ وإنما
إذا قيلت العوراء وليتُ سمعُها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة
حياء وصبراً في المواطنِ إنني
وأحس في الحقِّ الكريمة إنما
أحابي بها الحي الذي لا تُهمُّه
ألم ترَ أنا نورُ قوم وإنما

[تمثل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عمران الصِّيرفي قال حدثنا الحسن بن عُثَيْل العَنَزِي قال حدثني
محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدِي قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس
دياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أُمَيَّة يستعينون بهم في الحِمالة⁷ ، فحملها
محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء : [من الكامل]
ولقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتها والنفسُ حاضرةُ الشعاعِ تطلُّعُ

1 السَّجَف : السَّتر .

2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .

3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العم .

4 العوراء : الكلمة العوراء .

5 الستير : العفيف .

6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .

7 الحِمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وَعَرِمْتُ فِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ غَرَامَةً يَعْيا بِهَا الْحَصِرَ الشَّحِيجُ وَيَطْلَعُ¹
إِنِّي قَتَيْ حَرًّا لِقَدْرِي عَارِفٌ أُعْطِي بِهِ وَعَلَيْهِ مِمَّا أَمْنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعوف القواني على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ . حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ قَالَ . حَدَّثَنِي
الْحِرْمَازِيُّ قَالَ : نَزَلَ شَبِيبُ بْنُ الْبَرِصَاءِ وَأَرْطَاةُ بْنُ زُفَرٍ وَعُوفُ الْقَوَانِي بِرَجُلٍ مِنْ أَشْجَعٍ كَثِيرِ
الْمَالِ يُسَمَّى عُلْقَمَةَ ، فَأَتَاهُمْ بِشْرَبَةٍ لَبَنٍ مَمْذُوقَةٍ وَلَمْ يَذْبَحْ لَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ قَامُوا إِلَى
رَوَاحِلِهِمْ فَرَكَبُوهَا ثُمَّ قَالُوا : تَعَالَوْا حَتَّى نَهْجُوَ هَذَا الْكَلْبَ . فَقَالَ شَبِيبٌ : [من الطويل]

أَفِي حَدَثَانِ الدَّهْرِ أَمْ فِي قَدِيمِهِ تَعَلَّمْتُ أَلَّا تَقْرِي الضَّيْفَ عُلْقَمًا² ؟

وَقَالَ أَرْطَاةُ : [من الطويل]

لَبِثْنَا طَوِيلًا ثُمَّ جَاءَ بِمَذْقَةٍ كَاءِ السَّلَا فِي جَانِبِ الْقَعْبِ أَثْلَمًا³

وَقَالَ عُوفٌ : [من الطويل]

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ شَرَّ مَنْزِلٍ رَمِينَا بِهِنَّ اللَّيْلَ حَتَّى تُخْرَمًا⁴

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فزأهم]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْقَحْظَمِيِّ قَالَ : غَابَ
شَبِيبُ بْنُ الْبَرِصَاءِ عَنْ أَهْلِهِ غَيْبَةً ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ مَدَّةٍ ، وَقَدْ مَاتَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، فَقَالَ شَبِيبٌ
يُرِثُهُمْ : [من البسيط]

تَخْرَمُ الدَّهْرُ إِخْوَانِي وَغَادِرُنِي كَمَا يُغَادِرُ ثَوْرُ الطَّارِدِ الْفَيْدُ⁵

إِنِّي لَبَاقٍ قَلِيلًا ثُمَّ تَابِعُهُمْ وَوَارِدٌ مِنْهُمْ الْقَوْمِ الَّذِي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهية عليه]

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : هَاجَى شَبِيبُ بْنُ الْبَرِصَاءِ رَجُلًا مِنْ غَنِيِّ ، أَوْ قَالَ مِنْ بَاهِلَةٍ ، فَأَعَانَهُ
أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْتَةَ عَلَى شَبِيبٍ ، فَقَالَ شَبِيبٌ : [من الطويل]

لِعَمْرِي لَنْ كَانَتْ سَهْيَةً أَوْضَعَتْ بِأَرْطَاةٍ فِي رَكْبِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ⁶

1 الحصر : البخيل .

2 حدثان : بمعنى حديث .

3 السَّلَا : الجلدَةُ الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إن لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح .

4 تخرم : استوصل وانقضى .

5 الفقد : الذي يشكو فؤاده .

6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطَّرْفِ العَتِيقِ فَيُشْتَرَى لِفِحْلَتِهِ ، ولا الجوادِ إذا يَجْرِي
أَتَنْصُرُّ مِنِّي معشراً لستَ منهم وغيرُكَ أُولَى بالحِياطةِ والنصرِ
ويروى : «وقد كنتُ أُولَى بالحِياطةِ» وهو أجود .

[استعدى عليه رهط أوطاة عثمان بن حيان لهجائه إياهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أوطاةِ بنِ سُهَيْةٍ على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن
حَيَّانِ المرِّي وقالوا له : يَعْْمَنَّا بالهَجاءِ ويشْتُمُّ أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخص ،
ودخل إلى عثمان وقد أتى بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهذَلٌ ومثغورٌ
وهَيْصَمٌ ، فقتل بهذلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم
تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ؛ أَقْسِمُ قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن
لسانك ، فقال شبيب :

سَجَنْتَ لِسَانِي يا ابن حَيَّانَ بعدما تَوَلَّى شبابي ، إنَّ عَقْدَكَ مُحَكَّمٌ
وَعَيْدُكَ أَبْقَى من لِسَانِي قُذَازَةً هَيُوباً ، وَصَمْتاً بعدُ لا يَتَكَلَّمُ¹
رَأَيْتَكَ تَحْلُوْلِي إذا شئتَ لَأَمْرِي ومُراً مُرَّاراً فيه صابٌ وَعَلَقَمٌ²
وَكُلَّ طَرِيدٍ هالِكٌ مُتَحَيِّرٌ كما هلك الحيرانُ والليلُ مَظْلَمٌ
أَصَبْتَ رجالاً بالذَنوبِ فأصبحوا كما كان مثغورٌ عليك وهَيْصَمٌ
خَطاطِيفُكَ اللاتِي تَخْطِفُنَ بِهِذَلًا فَأَوْفَى به الأشرافُ جِدْعٌ مَقُومٌ³
يَدَاكَ يَدَا خَيْرٍ وَشَرٍّ فَمِنْهُمَا تَضُرُّ وللآخرى نَوَالٌ وَأَنْعَمُ

[ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيْجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرهمي إبلَ
شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلمَّا واجهوا بني جَرَمٍ قال
شبيب : اغْتَنِمُوا بني جَرَمٍ ، فقال أصحابه : لسنا طالين إلَّا أهل القَرْحَةِ ، فمضوا حتى أتوا
دُعَيْجاً وهو برأس الجبل ، فناده شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطُّرُفُ حَيَّةً فلك سائر الإبل ،
فقال : يا شبيب ، تبصّرُ رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصرها ، فقال شبيب : شدّوا عليه
واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعَيْجٌ فأصاب عينه ، فذهب

1 القذازة من كل شيء : ما قطع منه .

2 المرار : شجر مرّ .

3 أشراف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيبٌ أعورَ ثم عميَ بعد ما أسنَّ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمّه ، وفاز دعيج بالابل ، فقال شبيب :

أمرتُ بني البرصاء يومَ حُزَابَةٍ بأمرٍ جميعٍ لم تَشْتَتْ مَصَادِرُهُ
بشُولِ ابنِ معروفٍ وحَسَّانَ بعد ما جَرَى لِيَّ يَمْنٌ قد بدا لِيَّ طَائِرُهُ¹
أيرجعُ حُرٌّ دونَ جَرَمٍ ولم يكن طِعَانٌ ولا ضربٌ يُذْعَذَعُ عَاسِرُهُ² ؟
فأَذْهَبَ عيني يومَ سَفِيرَةٍ دُعِيجُ بنُ سيفٍ ، أعوزته معاذِرُهُ
ولما رأيتُ الشُولَ قد حال دونها من الهَضْبِ مُغْبِرٌ عَيفٌ عَمَائِرُهُ³
وأعرض ركنٌ من سَفِيرَةٍ يُتَقَى بِشْمُ الذَّرَى لا يُعْبُدُ اللهَ عَامِرُهُ⁴
أخذتُ بني سيفٍ ومالكَ مَوْقِعٍ بما جَرَّ مولاَهُمُ وجَرَّتْ جَرَائِرُهُ⁵
ولو أنَّ رَجُلِي يومَ فَرَّ ابنُ جَوْشَنِ عَلِقَن ابنَ ظبيِّ أعوزته مَعَاوِرُهُ⁶

[هجاه أرطاة بن سهية ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَائي قال حدثنا العُمري عن عاصم بن الحَدَثان قال : هجا أرطاة بن سهية شبيب بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال :

فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيَّتْ وَأَسْهَلَتْ كُذَّاكَ وَلَكِنَّ المُرِيبَ مُرِيبٌ⁷

قال : فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية ، فكان يقول : ليت ابن سهية حيًّا حتى يعلم أنني عَوْفِيٌّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنَّ الرجل منهم عمي ، وقلَّ مَنْ يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

- 1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لينها أي ارتفع .
- 2 يذعذع : يبدد ويفرق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيء ، وقيل : سهوة لبني جذيمة من طيء يحيط بها الجبل .
- 3 الهضب : جبل ينسط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
- 4 عامرة : يعني به دعيجاً .
- 5 موقع : اسم موضع .
- 6 الرجل : جماعة الرجال .
- 7 الكدي : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَرَ العَوَازِلُ يَتَدِرُّنَ مَلامَتِي والعَاذِلُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي
فِي أَن سَبَقْتُ بِشَرِيَّةٍ مَقْدِيَّةٍ صَرَفٍ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ شُنَانٍ¹

فقال له عبد الملك : شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وَإِنِّي لَسَهْلُ الْوَجْهِ يُعْرِفُ مَجْلِسِي إِذَا أَحْزَنَ الْقَاذُورَةُ الْمُتَعَبِّسُ²
يُضِيئُ سَنَا جُودِي لَمَنْ يَتَغْنَى الْقُرَى وَلَيْلُ بَخِيلِ الْقَوْمِ ظَلَمَاءِ حِنْدِسُ
أَلَيْنَ لَذِي الْقُرْبَى مِرَاراً وَتَلَتَوِي بِأَعْنَاقٍ أَعْدَائِي حِبَالُ تَمَرَسُ³

[كان عبد الملك يتمثل بشعره ويعجب به]

قال : وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب

به : [من الطويل]

دَعَانِي حِصْنٌ لِلْفِرَارِ فِسَاءِنِي مَوَاطِنُ أَنْ يُثْنَى عَلَيَّ فَأَشْتَمَا
فَقُلْتُ لِلْحِصْنِ نَحْ نَفْسِكَ إِنَّمَا يَذُودُ الْفَتَى عَنْ حَوْضِهِ أَنْ يُهْدَمَا
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
سَيَكْفِيكَ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ فَارِسُ إِذَا رِيْعَ نَادَى بِالْجَوَادِ وَبِالْحِمَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْفَشْ الْمَكَارَةَ أَوْ شَكَّتْ حِبَالُ الْهُوْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَجْذَمَا⁴

[سبب مهاجته عقيل بن علفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله البزدي ولم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني نُسَبَة جار من بني سلامان بن سعد ، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرة يتحدث إلى النساء فامتلاً عليه غيظاً ، فبينما هو يوماً جالس وعنده غلمان له وهو يجزّ إبلاً له على الماء ويسمها إذ طلع عليه السّلاماني على راحلته ، فوثب عليه وهو وغلماناه فضرّبه ضرباً مبرحاً ، وعقر راحلته ، وانصرف من عنده بشرّ ، فلم يعد إلى ذلك الموضع ، ولجّ الهجاء بينهما . وكان عقيلُ شرساً سيّء الخلق غيوراً .

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .

2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السيء الخلق .

3 تتمرّس : يشتدّ التواؤها .

4 تجذّم : تقطّع .

[225] - أخبار دقاق

[تزوجت يحيى بن الربيع ثم بعدة من القواد والكتاب فماتوا]

كانت دقاق مغنيةً محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مُغني الدولة العباسية ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعُمّر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغني غناء ليس بمُسْتَطاب ولكنه صحيح . ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعدة ، فماتوا وورثتهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال : كانت دقاق ، أم ولد يحيى ابن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقنة الأداء والصنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقْتُ¹ دقاق فتزوجها بعد مولها ثلاثة من القواد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينب يهجوها :

قلتُ لما رأيتُ دارَ دقاقِ	حسنُها قد أضرَّ بالعشاقِ
حذروا الرابعَ الشقيَّ دقاقاً	لا يكونَنَّ نجمُه في مُحاقِ
ألهُ عن بضْعها فإن دقاقاً	شؤمُ جرِّها قد سار في الآفاقِ ²
لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليماً	بل جريحاً وجرحه غير راقٍ ³

[كتبت إلى حمدون تصف منها فرة عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المهدي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ، ورواية الكوكبي أتم ، قال : كتبت دقاق إلى أبي تصفُ عنها⁴ صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخَنَّثين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابها ، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .

2 البضْع : التزوج ، والبضْع : النكاح .

3 راقٍ : مسهل راقٍ ، من رقا الدم أو الدمع : جف .

4 هن المرأة : فرجها .

القَوْقُ¹ البُوقُ ، الأصْلَعُ المَزْبُوقُ² ، الأَقْرَعُ المَفْرُوقُ ، المَتَفَيْخُ العُرُوقُ ، يَسَدُّ البُثُوقُ³ ، وَيَفْتَقُ
 الْفُتُوقُ ، وَيُرْمُ⁴ الخُرُوقُ ، وَيَقْضِي الحَقُوقُ ، أُسَدُّ يَنْ جَمَلَيْنِ⁵ ، بَغْلٌ يَنْ حَمَلَيْنِ⁶ ، مَنَارَةٌ يَنْ
 صَخْرَتَيْنِ ، رَأْسُهُ رَأْسُ كَلْبٍ ، وَأَصْلُهُ مَتْرَسٌ⁷ دَرْبٌ ، إِذَا دَخَلَ حَفَرَ ، وَإِذَا خَرَجَ قَشَرَ ، لَوْ
 نَطَحَ الْفِيلَ كَوَّرَهُ ، وَلَوْ دَخَلَ الْبَحْرَ كَدَّرَهُ ؛ إِذَا رَقَّ الْكَلَامُ ، وَتَقَارَبَتِ الْأَجْسَامُ ، وَالتَفَتِ
 السَّاقُ بِالسَّاقِ ، وَلُطِخَ بَاطِنُهَا⁸ بِالْبُصَاقِ ، وَقُرِعَ الْبَيْضُ بِالذَّكُورِ⁹ ، وَجَعَلَتِ الرِّمَاحُ تَمُورُ ،
 بَطْعَنَ الْفِقَاحُ¹⁰ ، وَشَقَّ الْأَحْرَاحُ¹¹ ، صَبِرْنَا فَلَمْ نَجْزَعْ ، وَسَلَمْنَا طَائِعِينَ فَلَمْ نُخْدَعْ . قَالَ :
 فَقَطَّعَهَا .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس يعقوبي]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ :
 حَضَرْتُ مَرَّةً مَجْلِساً فِيهِ ابْنُ دِقَاقٍ وَفِيهِ النَّصْرَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْجَامُوسِ الْيَعْقُوبِيُّ الْبَزَازُ
 قَرَابَةُ بِلَالٍ قَالَ : فَعَبَثَ ابْنُ دِقَاقٍ بِأَبِي الْجَامُوسِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ : اسْمَعُوا مِنِّي ، ثُمَّ حَلَفَ
 بِالْحَنِيفِيَةِ أَنَّهُ لَا يَكْذِبُ ، وَحَدَّثَنَا قَالَ : مَضَيْتُ وَأَنَا غَلَامٌ مَعَ أَسْتَاذِي إِلَى بَابِ حَمْدُونَةَ بِنْتِ
 الرَّشِيدِ ، وَمَعَنَا بَرٌّ نَعْرُضُهُ لِلْبَيْعِ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا دِقَاقٌ أُمُّ هَذَا تُقَاوِلُنَا¹² فِي ثَمَنِ الْمَتَاعِ ، وَفِي
 يَدِهَا مِرْزُوحَةٌ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهَا مَنْقُوشٌ : الْحِرُّ إِلَى أُثْرَيْنِ أَحْوَجُ مِنَ الْأَيْرِ إِلَى حَرَيْنِ ، وَعَلَى
 الْوَجْهِ الْآخَرِ : كَمَا أَنَّ الرَّحَا إِلَى بَغْلَيْنِ أَحْوَجُ مِنَ الْبَغْلِ إِلَى رَحَوَيْنِ ، قَالَ : فَأَسْكَنَهُ وَاللَّهِ سَكُونًا
 عَلِمْنَا مَعَهُ أَنَّهُ لَوْ خَرِسَ لَكَانَ الْخَرَسُ أَصَوْنَ لَعَرْضِهِ مِمَّا جَرَى .

1 القوق : الفاحش الطول .

2 المزبوق : المتنوف .

3 البثوق : الشقوق .

4 يرم : يصلح .

5 ل : بين شبلين .

6 ل : بين حمارين .

7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .

8 ل : رأسه .

9 أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كلياً :

فلولا الرِّجْ أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السيوف من حديد غير أنثى .

10 الفقاح : جمع فقة ، وهي حلقة الدُّبُر .

11 الأحراح : جمع جرح وهو الفرج .

12 تقاولنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زنب وكان لها غلامان خِلاسيان¹ يروّحانها في الخيش ، فتحدّث الناس أنّها قالت لواحد منهما أن ينيكها ، فعجّز فقالت له : نكني وأنت حرّ ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زنب : [من السريع]

أحسنُ من غنّى لنا أو شدا دقاقُ في خفضٍ من العيشِ
لها غلامان ينيكانيها بعلة الترويحِ في الخيشِ

[قال فيها إبراهيم بن المهدي شعراً]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسنَ أهل عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابطها² وتزوّجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه :

صوت

عديمتك يا صديقة كلّ خلّني أكل الناس ويحك تعشقين ؟
فكيف إذا خلطت الغث منهم بلحم سمينهم لا تبشمين³
فيه خفيف رمل ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رقيق وإلى شارية .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو هفان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعملت بعده الأوابد⁴ ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيى نعم صبرت على المو ت ولم تخش سهم ريب المنون
كيف قل لي أطقّت ويحك يا يح حي على الضعف منك حمل القرون !
ويح يحيى ما مرّ باست دقاق بعد ما غاب من سياط البطون

1 الخلاسي : الولد بين أبيض وأسود .

2 رابطها : لازمها .

3 بشيم : أتخم .

4 الأوابد : جمع أبدة ، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

صوت من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهاً كَأَنَّكَ ناصحٌ وعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي¹
 لِسَانُكَ لِي حَلَوٌ وعَيْنُكَ عَلَقَمٌ وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُكْتَوِي
 الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقليل أول مطلق في مجرى البنصر عن
 إسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقليل عن الهشامي .

1 كاشره : ضحكك في وجهه وبأسطه . دَوِي : مرض .

[226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي . وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأن عثمان عمه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي وهو ثقيف .

[روى جده عثمان حديثاً]

وعثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكره ، وشط عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان ، سمعه من محمد بن إسحاق ، وسمعه محمد بن سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أَمْ قَوْمَكَ واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذو الحاجة» . قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعب عن الحسن بن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مر به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر ، وأمّها هنيذة بنت صغصعة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربية ركب البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوَج¹ ، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس ، وكان له بنون منهم العباس وعياش .

1 توَج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجاج وقد ولّاه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال : دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي ، فولّاه كورة فارس ، ودفع إليه عهده بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجاج : أنشدني بعض شعرك ، وإنما أراد أن يُشيدّه ، مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً ييضاء تحفّق كالعقاب الطائر
فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيهما خير لك : ما ورثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له :

ورثتُ جدّي مجده وفعله وورثتُ جدك أغزاً بالطائف

[خرج عن الحجاج مغضباً ولحق بسليمان بن جد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها : [من البسيط]
أُمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
يقول فيها :

سُميتَ باسم امرئ أشبهتَ شيمته عدلاً وفضلاً سليمان بن داوداً
أُحمِدُ به في الوري الماضين من ملكٍ وأنت أصبحت في الباقيين محموداً
لا يبرأ الناس من أن يحمدا ملكاً أولاهُم في الأمور الحلم والجوداً

فقال له سليمان : وكَم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمتَ حيّاً . وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته :

صوت

أُمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحورَ من غزلان ذي بقرٍ أهدى لها شبة العينين والجيدا¹
أجرى على موعِدٍ منها فتخلّفني فلا أملٌ ولا تُوفي المواعيدا
كأنني يوم أنسي لا تكلمني ذو بُغية يتغي ما ليس موجوداً
ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقیل أول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنه لمعبد ثقیل أول بالوسطى .
[حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عيَّاش عن أبيه قال : سمعت الحجاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

وما العفو إلا لامرئ ذي حفيظة متى يغف عن ذنب امرئ السوء يلجج
فقال له يزيد بن الحكم : أصلح الله الأمير ، إني قد رثيت ابني عنبساً بيت ، إنه لشبيه بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت :

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله عليه ، ويخشى جهله جهلاؤها
قال : فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إن ابني والله كان أحب إلي من ابني .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكرائي عن الهيثم بن عدي . قال : كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس ، فمات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنِّي عَنبَساً كُلَّ صَالِحٍ إِذَا كَانَتِ الْأَوْلَادُ سَيِّئاً جَزَاؤُهَا
هُوَ ابْنِي وَأَمْسَى أَجْرُهُ لِي وَعَزِّي عَلَى نَفْسِهِ رَبُّ إِلَيْهِ وَلَاؤُهَا
جَهْلٌ إِذَا جَهْلُ الْعَشِيرَةِ يُتَنَى حَلِيمٌ وَيَرْضَى حَلَمَهُ حُلَمَاؤُهَا
وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول .

[شاعر ثقيف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقيـل له : من يعنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول :

فما منك الشبابُ ولست منه إِذَا سَأَلْتُكَ لِحَيْثُكَ الْخِضَابَا
عَقَائِلُ مَنْ عَقَائِلُ أَهْلِ نَجْدٍ وَمَكَّةَ لَمْ يُعَقِّلَنَّ الرُّكَابَا
وَلَمْ يَطْرُدَنَّ أَبْقَعَ يَوْمٍ ظَعْنٍ وَلَا كَلْباً طَرَدَنَّ وَلَا غَرَابَا¹
وقال شاعرهم في الجاهلية :

[من الكامل]

والشيب إن يظهر فإن وراءه عُمراً يكون خلاؤه مُتَنَفِّسُ
لم يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشِيبُ قَلَامَةً وَلَمَّا بَقِيَ مِنْي أَلْبٌ وَأَكَيْسُ¹

[شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرَائي قال حدثنا العُمَري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم
الثَّقَفِيُّ ليزيد بن المهلب حين خَلَعَ يزيد بن عبد الملك : [من الطويل]

أبا خالد قد هِجَّتْ حرباً مريرةً وقد شمِرتْ حربٌ عوانٌ فشمِرُ
فقال يزيد بن المهلب : بالله أُستعين ، ثم أنشده ، فلَمَّا بلغ قوله :

فإن بني مروان قد زال مُلكُهُمْ فإن كنتَ لم تَشْعُرْ بذلك فاشْعُرُ
فقال يزيد بن المهلب : ما شعرت بذلك ، ثم أنشده فلَمَّا بلغ قوله :

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمْتُ وسيفك مشهور بكفِّكَ تُعَذِرُ
قال : هذا ما لا بدُّ منه .

قال العمري : وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش أنَّ يزيد بن المهلب إنَّما كتب
إليه يزيد بن الحكم بهذه الأبيات ، فوَقَّعَ إليه تحت البيت الأول : أُستعين بالله . وتحت
البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمَّا هذه فنعم .
[مدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني الغلابيُّ قال حدثني ابن عائشة قال : دخل
يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يعذَّبُ ، وقد حلَّ عليه نَجْمٌ كان قد
نُجِّمَ² عليه ، وكانت نجومه في كلِّ أسبوعٍ سِتَّةَ عشر ألف درهم فقال له : [من المنسرح]

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاةُ وَالْجَوُ دُ وَفَضِلَ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبُ³
لَا بَطَرٌ إِنْ تَتَابَعْتَ نَعَمٌ وَصَابِرٌ فِي الْبَلَاءِ مُحْتَسِبُ
بَزَزْتَ سَبَقَ الْجِيَادِ فِي مَهَلٍ وَقَصَّرْتَ دُونَ سَعْيِكَ الْعَرَبُ

قال : فالتفت يزيد بن المهلب إلى مولى له ، وقال : أَعْطِيهِ نَجْمَ هَذَا الْأُسْبُوعِ ، وَنَصْبِرُ عَلَى
الْعَذَابِ إِلَى السَّبْتِ الْآخِرِ .

وقد رُوِيَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَالْقِصَّةُ لِحُمَزَةَ بْنِ بَيْضٍ مَعَ يَزِيدٍ .

1 أَلْبٌ وَأَكَيْسٌ : أَكْثَرُ عَقْلاً وَحِزْماً .

2 تَنْجِيمُ الدِّينِ : أَنْ يَقْدِرَ دَفْعُهُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ مُتَابَعَةً مُشَاهِرَةً أَوْ مَسَانَةً .

3 وَفَضِلَ الصَّلَاحِ فِي ل : وَحَمَلَ السَّلَاحِ .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيف بالبصرة : أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشيتني قوم من أهلها ، قال : فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّع في مشيته ، فلما رأيته أقبل إليّ ، فقال القوم : هذا جرير ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السّلام عليك ، ممن أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيف . قال : أعرضت¹ الأديم ، ثم ممن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلا الله ! أمثلك يعرف بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشر ؟ قلت : نعم . قال : أيهم أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال : فمن الذي يقول :

فَنَيَّ الشَّبَابُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَإِنْ
قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول :

[من الوافر]

أَلَا لَا مَرْجَبًا بِفِرَاقِ لَيْلٍ
شَبَابٌ بَانَ مَحْمُودًا وَشَيْبٌ
فَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتَ مِنْهُ

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول :

[من الطويل]

تَعَالَوْا فَعُدُّوا يَعْلَمُ النَّاسُ أَيُّنَا
تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِكُمْ فِي عِدَادِهَا
لصاحبه في أول الدهر تابع
كما زيد في عرض الأديم الأكارع²

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك ، فقال : رحم الله أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنزلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نزل أحدا قبلك قط .

[شعره في جارية مغنية كان يهواها]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال : كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جارية مغنية ، وكانت غير مطاوعة له ، فكان يهيم بها ، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرضه : جعله عريضا أي واسع .

2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

الحكم مع غِلْمة لمولاها وهي راحلة ، فلمّا علِمَ بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]
يا أيّها النازحُ الشُّوعُ ودائعُ القلب لا تَضِيعُ¹
أستودِعُ اللهَ مَنْ إِلَيْهِ قلبي على نأيه نَزُوعُ²
إذا تذكّرته استهلّت شوقاً إلى وجهه الدَمُوعُ
[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينما هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل
فقال له : أنت يزيدُ بنُ الحكم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها إليه
وفيه :

لئن كوى قلبك الشُّوعُ فالقلبُ مِنّي به صُدُوعُ
وبي وربُّ السماء فاعلم إليك يا سيدي نَزُوعُ
أعزّز علينا بما تلاقي فينا وإن شَفْنَا الولُوعُ
فالنفس حرّى عليك ولهى والعين عبّرى لها دمُوعُ
فموتنا في يدِ الثنائي وعيشنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا منايا فالقلبُ مِنّي به خُشُوعُ
ثم عليك السلام مِنّي ما كان من شمسها طلُوعُ

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصّته ؟ فأخبرناه بما بينهما ،
فجعل يستغفر الله من حَمَلِهِ الكتاب إليه ، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا
به ابن أبي الأزر .

[شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دَمَاضُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو
الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفة بن العبد :

تُكاشرني كرهأ كأنك ناصح وعينك تُبدي أن صدرك لي جَوِي
قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إني كنت أرويه ليزيد بن
الحكم الثقفِيّ فأنشدني أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء في سنّ
يزيد بن الحكم ، ويزيد مولّد يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

1 الشُّوعُ : الشَّاعُ البعيد .

2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أظنُّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنَّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابيٌّ لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنَّه ليزيد بن الحكم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنَّه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه ، وهو يزيد أشبه ، وله في معناه عدَّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربَّه بن الحكم وابن عمِّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومن قال إنَّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنَّ عمِّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

وموئلي كذئبِ السَّوء لو يستطيعني	أصاب دمي يوماً بغير قتيل
وأعرضُ عمًّا ساءه وكأنتما	يقاد إلى ما ساءني بدليل
مجاملةً منِّي وإكرامَ غيره	بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلمُ جدعتُ أنفه	بإيعابِ جَدْعٍ بادىءٍ وعليل ¹
حفاظاً على أحلام قوم رزئتهم	رِزاني يَزينون النديَّ كهول

وقال في أخيه عبد ربَّه :

[من البسيط]

أخي يُسرُّ لي الشَّحناء يُضمرها	حتى ورى جوفه من غمره الداء ²
حرَّانُ ذو غصَّة جرَّعتُ غصَّته	وقد تعرَّض دون الغصَّة الماء
حتى إذا ما أساغ الرقيق أنزلني	منه كما ينزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفرُ سعيي ما سعت له	إنِّي كذاك من الإخوان لقاء
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ	يعدهنَّ تِراتٍ وهي آلاء

فأمَّا تمام القصيدة التي نُسيبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها ليعلم أنَّ مردول كلام

طرفة فوقه :

[من الطويل]

تُصافحُ من لاقيت لي ذا عداوة	صفاحاً وعنِّي بين عينيك مُنزوي
أراك إذا لم أهو أمراً هويته	ولست لِمَا أهوى من الأمرِ بالهوي
أراك اجتويت الخير منِّي واجتوي	أذاك ، فكلُّ يجتوي قُرب مجتوي
فليت كفافاً كان خيرك كله	وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .

2 يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغل .

عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت عدوي ، ليس ذاك بمستوي
وكم موطنٍ لولاي طاحت كما هوى بأجرامه من قلة النيقٍ منهوي¹
إذا ما ابتنى المجد ابنُ عمك لم تعين وقلت ألا يا ليت بنيانه خوي²
كأنك إن نال ابنُ عمك مغنماً شجراً أو عميداً أو أخو غلةٍ لوي³
وما برحت نفسٌ حسودٌ حشيتها تذييك حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعت وفحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لست عنهن ترعوي
ويدحو بك الداحي إلى كل سوءة فيا شرّ من يدحو إلى شرّ مُدحوي⁴
بدا منك غشٌ طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أمّ مدوي⁵
وهذا شعرٌ إذا تأمله من له في العلم أدنى سَهْمٍ عَرَفَ أنه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أبى القلب إلا أمّ عوفٍ وحبها عجوزاً ، ومن يعشق عجوزاً يُفند¹
كثوب يمانٍ قد تقادمَ عهده ورُقعته ما شئت في العين واليد
الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلويه ، ثقیل أول بالنصر عن عمرو بن بانه .

1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

2 خوي المنزل : خلا من أهله .

3 شجر : حزين . لوي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .

4 ل :

ويدحو بك الداعي إلى كل سوءة فيا شرّ من يدحو إلى شرّ من دعي

5 أدوى : أكل الدواية ، وهي جليلة رقيقة تعلو اللبن والمرق .

[227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفَيان بن جَنْدَل بن يَعْمُر بن جِلْس بن نُفائَةَ بن عَدِيّ بن الدُّيْل بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهم إخوة قريش ، لأنّ قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت [فيه] مع بني أبيها ، فخصّت بهذا الاسم دونهم ، وأبعدُ مَنْ قال في ذلك مَدَى مَنْ زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسب قريش ؛ فأما النسابون منهم فيقولون إن من لم يُلِدْه فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عبّاس وغيره ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهد بدرّاً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولآه عليّ البصرة بعد ابن عبّاس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مثله .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عبّاس ، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقْدِ أصوله .

[كان أوّل مَنْ وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتَم الطُّبريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازنيّ عن أبي عمر الجرميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ عن عَنَسَة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعْمُر الليثيّ .

أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ ! (رفعتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبَتْ لغة العرب لما خالطت العجم ، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّ لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أول كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويون وفرعوها . قال أبو الفرج الأصفهاني : هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبته من حفظي ، واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه .
[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهرري ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبية فلحب الطريق¹ . ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .
[أخذ النحو عن علي]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزي والمهرري قالوا حدثنا كيّسان بن المعروف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام .
[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاعر العبيري عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤلي ، فردّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتك عنه . فوضع لهم النحو . وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيد بن مهران ، فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .
[أول باب وضعه في النحو باب التعجب]

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العتري عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن

1 صليبية : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبية : كريمة النسب عريقة . لحب الطريق : يئنه .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم ، مأثور عنه الفضل في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدعاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلح الأشراف والبُخْر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي ﷺ ، حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن أبي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فمرت به جنازة فأتني على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وجبت ، ثم مرّ بأخرى فأتني على صاحبها بشر ، فقال عمر : وجبت ، فقال أبو الأسود : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال : إن نبي الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ» .

[حديثه عن علي]

ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية : يُغسل ، وفي بول الغلام : يُنضح ما لم يأكلا الطعام .

[تابع ابن عباس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليرده فلي]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلّى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا : لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليرده ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَشُدُّكُمْ اللهَ أَلَّا تَسْفِكُوا بَيْنَنَا دَمَاءَ تَبْقَىٰ مَعَهَا الْعَدَاوَةُ إِلَى آخِرِ الْأَيْدِ ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه ، فلا تُدْخِلُوا أَنْفُسَكُمْ بَيْنَهُمَا ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى ، فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ .

[كان كاتباً لابن عباس على البصرة قبل أن يتولّاها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ووكيع وعمي قالوا جميعاً حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنِي محمد بن عمران الضبيّ قال حَدَّثَنِي خالد بن عبد الله قال حَدَّثَنِي أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عباس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ إِلَاهَهُ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فِعَالًا
إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ إِلَهِهِ يَقْلُبُ الْأَحْوَالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ لَهْجًا تَضَعُضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ¹

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حَدَّثَنَا الرّياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أَسَنَّ وَكَبِرَ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوقِ وَيُزُورُ أَصْدِقَاءَهُ ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثِرُ الرُّكُوبَ وَقَدْ ضَعُفْتَ عَنِ الْحَرَكَةِ وَكَبِرْتَ ، وَلَوْ لَزِمْتَ مَنْزِلَكَ كَانَ أَوْدَعَ لَكَ . فقال له أبو الأسود : صَدَقْتَ وَلَكِنَّ الرُّكُوبَ يُشَدُّ أَعْضَائِي ، وَأَسْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ مَا لَا أَسْمَعُهُ فِي بَيْتِي ؛ وَأَسْتَنْشِي الرِّيحَ ، وَأَلْقَى إِخْوَانِي ، وَلَوْ جَلَسْتُ فِي بَيْتِي لَا غَنَمَ بِي أَهْلِي ، وَأَنْسَ بِي الصَّبِيَّ ، وَاجْتَرَأَ عَلَيَّ الْخَادِمَ ، وَكَلَّمَنِي مِنْ أَهْلِي مِنْ يَهَابِ كَلَامِي ، لِأَلْفِهِمْ إِيَّايَ ، وَجُلُوسِهِمْ عِنْدِي ؛ حَتَّى لَعَلَّ الْعَنْزَ أَنْ تَبُولَ عَلَيَّ فَلَا يَقُولُ لَهَا أَحَدٌ : هُسُّ² .

[سأله بنو الدليل المعاونة في دية رجل فأبى وعَلَّ امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال حَدَّثَنَا أَبُو عِكْرَمَةَ قال : كان بين بني الدليل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الدليل منهم رجلاً ، ثم اصطَلَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يُوَدُّوا دِيْنَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ يَسْأَلُونَهُ الْمَعَاوَنَةَ عَلَى أَدَائِهَا ، وَأُلْحَ عَلَيْهِ غَلَامٌ مِنْهُمْ ذُو بَيَانٍ وَعَارِضَةٌ ، فقال له : يا أبا الأسود ، أَنْتَ شَيْخُ الْعَشِيرَةِ وَسَيِّدُهُمْ ، وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مَعَاوَنَتِهِمْ قِلَّةَ ذَاتِ يَدٍ وَلَا سُودٍ وَلَا جُودَ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْأَسْوَدِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قد

1 تتضعضض : تخضع وتذلّ .

2 هُسُّ : زجر للغنم .

أكثر يا ابن أخي فاسمع مني : إن الرجل والله ما يعطي ماله إلا لإحدى خلال : إما رجل أعطى ماله رجاءً مكافأةً ممن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة ، أو رجل أحمق خدع عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع هؤلاء ، ولما أدتكم إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الدليل ، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فرد عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تميم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه : كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مر به مرة أخرى ، فقال لهم : كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف قفحة أملك فيهن ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه مما كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله :

وَأَهْوَجَ مِلْجَاجٌ تَصَامَتُ قَبْلَهُ	أَنْ أَسْمَعَهُ وَمَا بِسَمْعِي مِنْ بَاسٍ
وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَعْرَضْتُ حَتَّى أَصِيبَهُ	عَلَى أَنْفِهِ حَدْبَاءٌ تُغْضِلُ بِالْأَسِي ¹
فَإِنْ لِسَانِي لَيْسَ أَهْوَنَ وَقَعَةً	وَأَصْغَرَ آثَاراً مِنَ النَّحْتِ بِالْفَاسِ
وَذِي إِحْنَةٍ لَمْ يُبْدِهَا غَيْرَ أَنَّهُ	كَذِي الْخَبْلِ تَأْبَى نَفْسُهُ غَيْرَ وَسْوَاسِ
صَفَحْتُ لَهُ صَفْحاً جَمِيلاً كَصَفْحِهِ	وَعَيْنِي - وَمَا يَدْرِي - عَلَيْهِ وَأَحْرَاسِي
وَعِنْدِي لَهُ إِنْ فَارَ قَوَارُ صَدْرِهِ	فَحاً جَبَلِي ² لَا يَعَاوَدُهُ الْحَاسِي ²
وَحَبُّ لَحْمٍ النَّاسِ أَكْثَرُ زَادِهِ	كَثِيرِ الْخَنَّا صَغَبِ الْمَحَالَةِ هَمَّاسِ
تَرَكْتُ لَهُ لَحْمِي وَأَبْقَيْتُ لَحْمَهُ	لَمَنْ نَابَهُ مِنْ حَاضِرِ الْجَنِّ وَالنَّاسِ
فَكَرَّ قَلِيلاً ثُمَّ صَدُّ كَأَنَّمَا	يَعْضُ بَصْمٌ مِنْ صَفَا جَبَلٍ رَاسِي

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
 خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد ، فجاءه أعرابيّ فقال له : السلام
 عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مقولة . قال : أدخل ؟ قال : وراؤك أوسع لك . قال : إن
 الرّمضاء قد أحرقت رجلي ، قال : بلّ عليها أو ائت الجبل بقيّ عليك . قال : هل عندك شيء
 تطعمنيّه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ، فإن فضل شيء فأت أحقّ به من الكلب ، فقال الأعرابيّ :
 ما رأيت قطّ الأمّ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رايت ؛ ولكنك قد أنسيّت .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر
 فقال فيه : كان أبو الأسود جالساً في دهلّيزه وبين يديه رطب ، فجاز به رجل من الأعراب
 يقال له ابن أبي الحمامة ، فسلم ثم ذكر باقي الخبر ، مثل الذي تقدّمه ، وزاد عليه فقال : أنا
 ابن أبي الحمامة . قال : كن ابن أبي طاووسة ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلّا أطعمتني ممّا
 تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطببات ، ف وقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها
 يمسحها بثوبه ، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها
 به ، فقال : إنّما كرهت أن أدعها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها .
 [أسرّ إلى صديقه أنّه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّها فزوّجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عمران الضبيّ الصّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُليل قال حدثنا محمد بن
 معاوية الأسديّ قال ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة
 من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له
 الهيثم بن زياد ، فحدث به ابن عمّ لها كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن
 عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن
 يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضاروها حتى تزوّجت لابن
 عمّها ، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك :

لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني	إلى بعضٍ من لم أخشَ سراً مُمنعا
فمزقه مزقَ العمي وهو غافل	ونادى بما أخفيتُ منه فأسمعنا
فقلت ولم أفحشَ لعمّ لك عاثراً	وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعاً ¹
ولستُ بجازيك الملامّة إنني	أرى العفو أذنى للرشاد وأوسعاً

1 لعمّ لك : كلمة يدعى بها للعائر أن يتعش .

ولكن تعلّم أنه عهدٌ بيننا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى
وكنّت إذا ضيّعت سرّك لم تجد
سواك له إلّا أشتّ وأضيّعا

[وقال أيضاً في من أفضى سرّه]

قال : وقال فيه :

[من الطويل]

أمنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازماً
أذاع به في الناس حتى كأنّه
وكنّت متى لم ترّع سرّك تلتبسُ
فما كلّ ذي نصح بمؤتيك نصحه
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ
ولكنّه في النصّح غيرُ مُريبٍ
بعلياء نارٍ أوقدتُ بثقوبٍ²
قوارعه من مخطيء ومُصيبٍ
وما كلّ مؤتٍ نصحه بليبٍ
فحقّ له من طاعة بنصيبٍ

[اشترى جارية حواء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدثني الكرّاني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش
قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حواء ، فعابها أهله عنده بالحوّل ، فقال
في ذلك :

[من الطويل]

يَعْبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنَيْنِ سُوءٌ فَإِنَّهَا
سوى أن في العينين بعضُ التّأخّرِ
مُهْفَهْفَةٌ الْأَعْلَى رَدَاخُ الْمُؤَخَّرِ³

[نحّاهم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه
قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ،
وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ،
فقال له خصم صديقه : إني بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف عليّ في
الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالماً ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له
صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير
الحقّ ، فقال أبو الأسود :

[من الطويل]

1 النجى : المسار .

2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .

3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداخ : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلَفَ راضياً
 وإن كنتَ أنتَ الظالمَ القومَ فاطْرَحْ
 وقاربْ بذِي جهلٍ وباعدْ بعالمٍ
 فإن حبيبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا
 ولا تدعُنِي للجَوْرِ واصبرِ على التي
 فإنِّي امرؤٌ أخشى إلهي وأتَّقِي
 عن القومِ حتى تأخذَ النُصفَ واغضبِ¹
 مقاتلهم واشغِبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
 جَلوبٍ عليكِ الحقُّ من كلِّ مَجْلَبِ
 ليستمكِنُوا ممَّا وراءَكَ فاحذَبِ²
 بها كنتُ أقضي للبعيدِ على أبي
 معادي وقد جربتُ ما لم تجرِبِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحر فرمى كتبه]

كتب إليَّ أبو خليفة يذكر أنَّ محمد بن سلام حدثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليَّ إلى الحصين بن أبي الحرِّ العنبريَّ جدَّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نعيم بن مسعود النَّهشليَّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَرَّاهُ ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرِّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين :

حسيت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً
 وخبرني من كنتُ أرسلتُ أنما
 نظرتَ إلى عنوانه فنبذته
 نعيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى
 يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى
 لسبيك ، لم يذهب رجائي هنالكا
 أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشِمَالِكا
 كنبتك نعلأً أخلقتُ من نِعالِكا
 وأنتَ بما تأتي حقيق بذلكا
 وكيف يكون النُّوكُ إلَّا كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدَّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرِّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثَّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدري ويخطي وما درى
 وكيف يكون النُّوكُ إلَّا كذلكا
 فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنْ ، فقال له :
 إن أحقَّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إني
 أرى فيك مُصْطَنعاً³ فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليَّ ، فغرم له ما كان يطالب به .

1 النصف : الانتصاف .

2 قعس : نقيض الحذب .

3 المصطنع : أي عمل للصنعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي عن ابن عائشة قال : أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً ، فإني أخشى عليك ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

إذا كنت معيّباً بأمرٍ تُريده	فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إن ما	ترادّ به آتيك فاقنع بذئ الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للردى	من الخفض في دار المقامة والنمل ¹
ولا تحسبني يابتي عز مذهبي	بظنك ، إن الظن يكذب ذا العقل
وإنني ملاقي ما قضى الله فاصبري	ولا تجعل العلم المحقق كالجهل
وإنك لا تدريين : هل ما أخافه	أبعدي يأتي في رجلي أو قبلي
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً	أصيب وألفته المنية في الأهل

[خبره مع صديقه نسب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد ، وكان يقشاه في منزله ، ويتحدث إليه في المسجد ، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم أثر عنده منه ؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مستقه² مخملة أصبهاية من صوف ، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال : أريد بيعها ، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك ، فإنها من حاجتي ، قال : لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بشمنها ، فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث إليه أبو الأسود بالدرهم ، فردّها وقال : لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً ، فقال أبو الأسود : [من الكامل]

بغني نسيب ولا تُثني إنني	لا أستيب ولا أثيب الواهبا
إن العطية خير ما وجهتها	وحسيتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامة	وملامة تبقى ومنأ كاذبا
ويلوت أخبار الرجال وفعلهم	فملكت علماً منهم وتجارباً

1 الثمل : الإقامة والمكث .

2 المستقه : فروة طويلة الكم . وثوب مخمل : له خمل : أي هذب كهذب القطيفة .

فَأَخَذْتُ مِنْهُمْ مَا رَضِيتُ بِأَخْذِهِ وَتَرَكْتُ عَمْدًا مَا هُنَالِكَ جَانِبَا
فَإِذَا وَعَدْتُ الْوَعْدَ كُنْتُ كَغَارِمٍ ذِينًا أَقْرَبَ بِهِ وَأَحْضَرَ كَاتِبَا
حَتَّى أَنْفَذَهُ عَلَى مَا قُلْتُهُ وَكَفَى عَلَيَّ بِهِ لِنَفْسِي طَالِبَا
وَإِذَا فَعَلْتُ فَعَلْتُ غَيْرَ مُحَاسِبٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ جَازِيًا وَمَحَاسِبَا
وَإِذَا مَنَعْتُ مَنَعْتُ مَنَعًا بَيْنَا وَأَرْحْتُ مِنْ طَوْلِ الْعَنَاءِ الرَّاعِبَا
لَا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بِقَاوِهِ يَوْمًا بِذِمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبَا¹

[ضُرِطَ فِي مَجْلَسٍ مَعَاوِيَةَ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرَهَا عَلَيْهِ ، فَوَعَدَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيَّ وَعَمِّي قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : زَعَمَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدَ الدُّوَلِيَّ كَانَ يَحْدُثُ مَعَاوِيَةَ يَوْمًا فَتَحَرَّكَ فَضَرَطَ ، فَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ : اسْتَرَهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ حَدَّثَ بِهَا مَعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا غَدَا عَلَيْهِ أَبُو الْأَسْوَدِ قَالَ عَمْرُو : مَا فَعَلْتَ ضَرَطْتُكَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ كَمَا تَذْهَبُ الرِّيحُ مَقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً ، مِنْ شَيْخِ أَلَانَ الدَّهْرِ أَعْصَابِهِ وَلَحْمِهِ عَنْ إِمْسَاكِهَا ، وَكُلَّ أَجُوفٍ ضُرُوطَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَةً ضَعَفَتْ أَمَانَتَهُ وَمَرُوءَتَهُ عَنْ كَيْمَانِ ضَرْطَةِ الْحَقِيقِ بِالْأَيَّامِ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ .

[تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَرَزَةَ زَعَمَتْ أَنَّهَا مَدْبِرَةٌ صَنَاعَ فُوجِدَهَا مَدْبِرَةٌ فَطَلَّقَهَا]

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَجْلِسُ إِلَى فَنَاءِ امْرَأَةٍ بِالْبَصْرَةِ فَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ بَرَزَةً² جَمِيلَةً ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ ؟ فَإِنِّي صَنَاعٌ³ الْكَفِّ ، حَسَنَةُ التَّدْبِيرِ ، قَانِعَةٌ بِالْمَيْسُورِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَجَمَعْتُ أَهْلَهَا فَتَزَوَّجْتَهُ ، فَوُجِدَ عِنْدَهَا خِلَافٌ مَا قَدَّرَهُ ، وَأَسْرَعَتْ فِي مَالِهِ ، وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى خِيَانَتِهِ ، وَأَفْشَتْ سِرَّهُ ، فَعَدَا عَلَى مَنْ كَانَ حَاضِرَ تَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عِنْدَهُ فَفَعَلُوا ، فَقَالَ لَهُمْ :

[مِنْ الْمُتَقَارِبِ]

أَرَيْتَ امْرَأَةً كُنْتُ لَمْ أَبْلُغْ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخِذْنِي خَلِيلًا⁴

1 وَاصِبًا : دَائِمًا .

2 امْرَأَةٌ بَرَزَةٌ : كَهَلَةٌ جَلِيلَةٌ تَبْرُزُ لِلْقَوْمِ فَيَجْلِسُونَ إِلَيْهَا وَيَتَحَدَّثُونَ .

3 امْرَأَةٌ صَنَاعُ الْيَدَيْنِ : حَاقِظَةٌ مَاهِرَةٌ بِعَمَلِ الْيَدَيْنِ .

4 أَرَيْتَ : أَصْلُهُ أَرَأَيْتَ ، يَقُولُونَ : أَرَأَيْتَكَ بِمَعْنَى أَخْبَرَنِي .

فخاللته ثم أكرمه فلم أستفد من لدنه فتिला
والفيتة حين جرته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلاً
فالفيتة غير مستعيب ولا ذاكر الله إلا قليلاً¹
أست حقيقة بتوديعه وإتباع ذلك صرماً طويلاً ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقتموها لكم ، وأنا أحب أن
أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .
[أنكر عليه معاوية بخره فرد عليه]

حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا العمري قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسار
معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال :
لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر .
[عابه زياد عند علي]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا محمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني
عن أبي بكر الهذلي قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يستعمل أبا الأسود على البصرة ،
واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يسبع² أبا الأسود عند علي ويقع
فيه ويغني عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه :
[من الطويل]

رأيت زياداً ينتحيني بشره وأعرض عنه وهو بادٍ مقاتلة
وكل امرئ ، والله بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائله
تعوّدها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كل أمرٍ أوائله
ويُعجبه صفحي له وتجملي وذو الجهل يحذو الجهل من لا يعاجله³
فقلت له دعني وشأني إنا كلانا عليه مَعْمَلٌ هو عامله⁴
فلولا الذي قد يُرتجى من رجائه لجرّبت أني أُمْنَحُ الغي من غوى
لجرّبت أني وأجزى ما جزي وأطاوله

1 استعته : استرضاه .

2 سبعة : شتمه ووقع فيه .

3 حذاه : أعطاه .

4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك :

وَالْقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْعَمَلُ
وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا خَبَّتْ بِهِ الرِّسْلُ¹
عَرَضِي ، وَأَنْتَ إِذَا مَا شِئْتَ مَتَّغِلُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُبْلَى بِهَا الرَّجُلُ
كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لَشِيْمَتِهِ

قال : فلما ادّعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك :

رَأَيْتُ زِيَادًا صَدَّ عَنِّي وَجْهَهُ
يَنْفُذُ حَاجَاتِ الرِّجَالِ ، وَحَاجَتِي
فَلَا أَنَا نَاسٍ مَا نَسِيتُ فَايِسُ
وَفِي الْيَأْسِ حَزْمٌ لِلْبَيْبِ وَرَاحَةٌ
وَلَمْ يَكْ مُرْدُودًا عَنِ الْخَيْرِ سَائِلُهُ
كَدَاءَ الْجَوَى فِي جَوْفِهِ لَا يَزِيلُهُ
وَلَا أَنَا رَأَى مَا رَأَيْتُ فِفَاعِلُهُ
مِنَ الْأَمْرِ لَا يُنْسَى وَلَا الْمَرْءُ نَائِلُهُ

[أكرمهم عبد الرحمن بن أبي بكر]

وقال المدائني : نظر عبد الرحمن بن أبي بكر² إلى أبي الأسود في حال رثّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق³ ، فقال أبو الأسود يمدحه :

أَبُو بَحْرِ أَمَّنُ النَّاسِ طُرًّا
لَقَدْ أَبْقَى لَنَا الْحَدَثَانُ مِنْهُ
قَرِيبَ الْخَيْرِ سَهْلًا غَيْرَ وَعِرٍ
بَصُرْتَ بَأَنَّا أَصْحَابُ حَقٍّ
وَأَهْلُ مَضِيعَةٍ فَوَجَدْتَ خَيْرًا
وَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ وَكُلُّ نَفْسٍ
عَلَيْنَا بَعْدَ حَيٍّ أَبِي الْمَغِيرَةِ
أَخَا ثَقَفَةٍ مَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ
وَبَعْضُ الْخَيْرِ تَمْنَعُهُ الْوُعُورَةُ
نُدِلَ بِهِ وَإِخْوَانٌ وَجِيرَةٌ
مِنَ الْخُلَائِنِ فِينَا وَالْعَشِيرَةُ⁴
تُرَى صَفَحَاتُهَا وَلَهَا سَرِيرَةٌ

1 خبت : سارت .

2 أبو بكر : هو أخو زياد لأمه .

3 أضاق : ذهب ماله .

4 مضيعه : ضياع واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذِي القُرْبَى رحيم وذو عينٍ بما بَلَغَتْ بصيرةُ
لعمرك ما حَبَاكَ اللهُ نفساً بها جَشَعٌ ولا نفساً شَريرةُ¹
ولكن أنْتَ لا شَرَسٌ غليظ ولا هَشَمٌ تُنازِعُهُ خُوْرةُ²
كأنَّا إذ أتيناها نزلنا بجانب رَوْضَةٍ رَيَّا مَطيَرةُ

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أن عليه ديناً لا يجد إلى قضاائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إلي حاجتك فإني أحب قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره، ووَعْدَهُ فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

دعاني أميرِي كي أفوه بحاجتي فقلت فما ردَّ الجواب ولا استمعُ
فقممت ولم أحسُ بشيء ولم أصُنْ كلامي وخير القول ما صينَ أو نفعُ
وأجمعتُ يأساً لا لبانة بعده وللئاس أدنى للعفاف من الطمعُ

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج بيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحت حاتماً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتماً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول: [من الطويل]

أماويّ إمّا مانعٌ فمبيّنٌ وإمّا عطاء لا يُنهئُهُ الزجرُ³

[شعره في جاره له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الأسود داره في بني الدليل، وانتقل إلى هذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لُقحة⁴ أو لُقحتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

[من الطويل]

1 شريعة: ذات شر.

2 هَشَم: هشيم رخو. خُوْرة: ضعف وفتر.

3 نهنه: كفه.

4 اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

إِنَّ امْرَأً نُبِئْتُهُ مِنْ صَدِيقِنَا يسأَل هل أُسْقِي من اللبن الجارا ؟
وَأَنِّي لِأُسْقِي الجارَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ وأَشْرَب ما لا إِثْمَ فِيهِ ولا عارا
شَراباً حَلالاً يَتْرَك المَرءَ صاحِباً ولا يَتَوَلَّى يَقْلِسُ الإِثْمَ والعاراً¹

[قصد صديقه حوثة بن سليم فأعرض عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال : كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثة بن سليم ، فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيٍّ² وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدر ، وجفاه حوثة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه : [من الطويل]

تَرَوِّحَتْ مِنْ رُسْتاقِ جَيٍّ عَشِيَّةً وَخَلَّفَتْ فِي رُسْتاقِ جَيٍّ أَخاً لَكَ
أَخا لَكَ إِنْ طالَ التَّنائِي وَجَدْتَهُ نَسِياً وَإِنْ طالَ التَّعاشُرُ مَلَكاً
وَلَوْ كُنْتَ سَيْفاً يُعْجِبُ النَّاسَ حَدُّهُ وَكُنْتَ لَهُ يَوْماً مِنَ الذَّهَرِ فَلَكاً³
وَلَوْ كُنْتَ أَهْدَى النَّاسِ ثَمَّ صَحْبَتَهُ وَطَاوَعْتَهُ ضِلُّ الهَوَى وَأَضْلَكَ
إِذَا جِئْتَهُ تَبْغِي الهُدَى خالِفَ الهُدَى وَإِنْ جُرْتَ عَنْ بابِ الغَوَايَةِ دَلَكاً

[ساومه جاره له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائني : وكان لأبي الأسود جار ، يقال له وثاق من خزاعة ، وكان يحبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها ؛ فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها : الصّفوف فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتك بأْسٌ لولا عيب كذا وكذا ، فهل لك في بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال : إِنِّي أَغْتَفِرُ ذَلِكَ لَهَا لِمَا أَرْجُوهُ مِنْ عِزَّارَتِهَا ، فقال له أبو الأسود : بمسّت الخلتان فيك ؛ الحِرْصُ والخِداعُ ، أَنَا لِعَيْبِ مالِي أَشَدُّ اغْتِفاراً ؛ وقال أبو الأسود فيه : [من الطويل]

يَرِيدُ وَثاقُ ناقَتِي وَيُعِيْبُها يَخادِعُنِي عَنْها وَثاقُ بْنُ جابِرٍ
فَقُلْتُ تَعْلَمُ يا وَثاقُ بَأَنها عَلَيْكَ جِمْيٌ أُخْرى اللَّيالي العَوابِرِ
بَصُرْتُ بِها كَوِماءَ حَوْساءِ جَلْدَةٍ مِنَ المُولَياتِ الهامِ حَدُّ الظواهرِ⁴

1 أصل يقلس من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجته .

2 جيّ : مدينة ناحية أصبهان .

3 قل السيف : ثلمه .

4 الكوماء : الناقة العظيمة السنام ، والهوساء : الشديدة النفس ، والجلدة : القوية .

فحاولت خدعي والظنون كواذبٌ وكم طامع في خدعتي غير ظافري

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالا قط أحب إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتاني في الطيفاء أوس بن عامر	ليخدعني عنها بجنّ ضراسيها ¹
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز	وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها ²
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله	وضيعاً له لما غدت براسيها
أغرّك منها أن نحرت حوارها	لجيران أم السكن يوم نفاسيها
فولّي ولم يطمع وفي النفس حاجة	يرددها مردودةً بإياسيها

[جوابه لسائل ملحف]

أخبرنا اليزيديّ قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألح عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحف مثل الردّ الجامس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخطبها بما أراد ، فلما خرج لقيه ابن عم لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرساداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدنسوا إليه رجلاً يويّخه في كلّ محفل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخطر وعرض ، وما أرضى لك أن تلم بفلانة ، وليست لك بزوجة ولا قرابة ، فإن أهلها قد أنكروا ذلك وتشكّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تضرب عنها ، فقال له أبو الأسود :

[من الطويل]

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بحدّثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعصّت حالها .

2 أحصره العدد : ضيق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سلمى الشكاة وللذي
يقولون لا تمذل بعرضك واصطنع
وإياك والقوم الغضاب فإنهم
تلام وتلحى كل يوم ولا ترى
أفادتكها العين الطموح وقد ترى
وقال أبو الأسود :

يقولون - لو يدو لك الرشد - أرشد
معاذك إن اليوم يتبعه غد¹
بكل طريق حولهم تترصد
على اللوم إلا حولها تتردد !
لك العين مالا تستطيع لك اليد
[من الطويل]

دعوا آل سلمى ظيتي وتعتي
ولا تهلكوني باللاممة إنما
سأسكت حتى تحسبوني أنني
ألم يكفكم أن قد منعم بيوكم
تصيبون عرضي كل يوم كما علا

وما زل مني ، إن ما فات فائت²
نطقت قليلاً ثم إنني لسأكت
من الجهد في مرضاتكم متماوت
كما منع الغيل الأسود النواهت³ !
نشط بفأس معدن البرم ناحيت⁴

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن
مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان
عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلما ولي ابن عامر جفاه
وأبعده ومنعه جوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو
الأسود :

ذكرت ابن عباس يباب ابن عامر
أميرين كانا صاحبي كلاهما
فإن كان شراً كان شراً جزاؤه
وما مر من عيشي ذكرت وما فضل
فكل جزاه الله عني بما فعل
وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقه له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن
خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا
إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .

2 الظنة : التهمة .

3 النواهت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .

4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهلة يكثّر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه :

أحبّ إذا أحببت حبّاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معدّنا للحلم واصفح عن الخنا فإنّك راء ما عملت وسامعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائني حدّثني أبو بكر الهذلي قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيْس بن يَعْمُر بن نَفَاثة بن عديّ بن الدّيل ، من رهطه دينة ، ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الدّيل ، فأولع جاره برميّه بالحجارة كلّما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنّما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، ف قيل له : يا أبا الأسود ، أبيع دارك ؟ قال : لم أبع داري ، ولكن بيعت جاري¹ ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك :

رمانِي جاري ظالماً برميّة فقلتُ له مهلاً فإنكّر ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبك ، والحوّاتُ تعقب ما ترى²
فقلت له لو أنّ ربي برميّة رمانِي لما أخطأ إلهي ما رمى
جزى الله شراً كلّ من نال سوءة وينحلّ فيها ربه الشرّ والأذى

وقال فيه أيضاً :

لحى الله مولى السوء لا أنت راغب إليه ولا رامٍ به من تحاربه
وما قُربُ مولى السوء إلّا كبعده بل البعدُ خير من عدوّ تصابقه³

وقال فيه أيضاً :

وأتى لثّنيني عن الشتم والخنا وعن سبّ ذي القربى خلائق أربع
حياء وإسلام ولطف وأنّني كريم ، ومثلي قد يضرب وينفعُ

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوية : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها فإن العصا كانت ليثلي تَقْرَعُ¹
 وشتان ما بيني وبينك إنني على كلِّ حال أستقيم وتظلعُ

[قصته مع جار له آذاه]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنية ، وكان شرساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرب بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم نديم على ذلك لأنه أضرب به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

صوت

بليت بصاحب إن أدنُ شيرا يَرِدني في مباعدة ذِراعاً
 وإن أمددُ له في الوصل دَرعي يَرِدني فوق قيس الذرع باعاً²
 أبت نفسي له إلا أتباعاً وتأبى نفسه إلا امتناعاً
 كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقل أول بالنصر ، وفيه لعرب خفيف رملي . ولعلويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك :

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فإن أذكروك السد فالسد أكيس³
 ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزلُّ به سفعُ الخطاطيف أَملس³
 وقال أيضاً في ذلك :

[من مجزوء الكامل]

أعصيت أمر ذوي النهى وأطعت أمر ذوي الضلالة
 أخطأت حين صرمتني والمرء يعجزُ لا محالة

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ومعناه أن الحكيم إذا نبه اتبه ، وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب لما طعن في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا .

2 قيس : قدر .

3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالة¹

[نزل في بني قشير فأذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قشير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أمّ عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيّ جوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك :

يقول الأزدلون بنو قشير	طَوَالَ الدهر لا تنسى عليّ !
فقلت لهم : وكيف يكون تركي	من الأعمال مفروضاً عليّ ؟
أحبّ محمداً حبّاً شديداً	وعباساً وحمزةً والوصيّاً
بني عمّ الرسول وأقريبه	أحبّ الناس كلّهم إليّ
فإن يك حبّهم رشداً أصيه	ولست بمخطيء إن كان غيّا
هم أهل النصيحة غير شكّ	وأهل مودّتي ما دمت حيّاً
هوى أعطيتّه لما استدارت	رحى الإسلام لم يُعدّل سويّاً
أحبّهم لحبّ الله حتّى	أجّيء إذا بُعثت على هويّاً ²
رأيت الله خالق كلّ شيء	هداهم واجتبي منهم نبياً
ولم يخصّص بها أحداً سواهم	هنيئاً ما اصطفاها لهم مريّاً

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فإن يك حبّهم رشداً أصيه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ . أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد روي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :

«العبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»

يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّاً : على هواي .

[تهكّم معاربه به فأجابه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانديّ عن الأحفش عن أبي عمر الجرمي قال : دخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علّقت تميمه تنفي عنك العين ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشباب الذي فارقت جدّته كُرّ الجديدين من آتٍ ومنطلقٍ
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئاً تُخاف عليه لَذْعَةُ الحَدَقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فتى الفتى على طعامه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا المدائنيّ عن عليّ بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دُكان يجلس عليه ، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ به مارٌّ فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفل ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاضاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشبّ به فرسه فسقط عنه فوقص¹ .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلما ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذليّ صديقاً لأبي الأسود ، يهاديه الشعر ، ويجيب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشران ويتزاوران ، فولّي أبو الجارود ولاية ، فجفا أبا الأسود وقطعه ، ولم يدهأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الغادي لرُبْعك أو يغدو
فيخيرنا ما بال صرمك بعد ما رضىيت وما غيّرت من خلقٍ بعدُ
إنّ نلت خيراً سرّني أن تناله تنكّرت حتى قلت ذو ليدٍ ورْدُ ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنّك لا تعدو

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا لقد جعلتُ أشرافُ أوله تبدو¹
فإني إذا ما صاحبٌ رثٌ وصله وأعرضَ عني قلٌ مني له الوجدُ

[خبره مع الحارث بن خليل وشعره فيه]

قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليل، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإن فيه غنى وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ له الحارث بن خليل، فهجره أبو الأسود، ونديم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما، فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد²، فقال أبو الأسود في ذلك:

لنا صاحب لا كليلُ اللسان فصمتُ عنا ولا صارمُ
وشرُّ الرجال على أهله وأصحابه الحمقُ العارمُ

وقال فيه:

إذا كان شيء بيننا قيل إنه حديدٌ فخالِفْ جهله وترقُ
شئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً أدامله دملَ السقاء المخرقِ³

[كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائني: ولَّى عبید الله بن زياد الحصين بن أبي الحر العنبري ميسان، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدى فيه لرفده، فتهاون به ولم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله، فقال فيه:

[من الطويل]

ألا أبلغا عني حصيناً رسالةً فإنك قد قطعتُ أخرى خِلالِكا
فلو كنت إذ أصبحت للخروج عاملاً بميسان تُعطي الناسَ من غير مالِكا⁴
سألتك أو عرضتُ بالود بيننا لقد كان حقاً واجباً بعضُ ذلِكا

1 أشراف: جمع شَرَف، وهو العلامة.

2 حديد: حاد اللسان.

3 دامله: داراه ليصلح ما بينه وبينه.

4 الخرج: الخراج.

وخبّرني مَنْ كنت أرسلت أنما أخذتَ كتابي مُعْرِضاً بشمالِكا
نظرتَ إلى عنوانه ونَبَذته كنبذك نعلأً أخَلَقْتَ من نعالِكا
حسيتَ كتابي إذ أتاك تعرّضاً لسيبك ، لم يذهب رجائي هنالك
يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النُّوك إلاّ كذليكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعّدنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من التقارب]

أبلغ حصيناً إذا جئته نصيحةً ذي الرأي للمجتنبيها
فلا تكُ مثل التي استخرجت بأظلافها مُدبةً أو بفيها¹
فقام إليها بها ذابح ومن تدعُ يوماً شعوبُ يجيها²
فظلّت بأوصالها قِدرها تحشّ الوليدة أو تشتويها³
وإن تأب نصحي ولا تنتهي ولم ترَ قولي بنصح شبيها
أجرعك صاباً وكان المرأ ر والصاب قِدماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقي أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبخله عنه قوارص فيذكرها له فيجحدّها أو يحلف أنّه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك ، فقال فيه أبو الأسود :

ولي صاحب قد رابني أو ظلّمته كذلك ما الخصمان برّ وفاجرُ
وإني امرؤ عندي وعمدا أقوله لآتي ما يأتي امرؤ وهو خابرُ
لسانان معسولٌ عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشرايرُ⁴
فقلّت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقبَ قول تعتريه المعاذرُ
فكم شاعرٍ أراده أنْ قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعرُ

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حنفها بظلفها» ، وأصله أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .

2 شعوب : المنية .

3 حش النار : أوقدها .

4 شرشر السكين : أحدها .

عطفْتُ عليه عطفة فتركته لما كان يرضى قبلها وهو حاقِرٌ
بقافية حذاء سهلٍ رويها وللقول أبوابٌ تُرى ومحاضرٌ¹
تَعَزَّى بها من نومه وهو ناعس - إذ انتصف الليلُ - المكلُّ المسافرُ²
إذا ما قضاها عاد فيها كأنه للذَّته سكران أو متساكِرُ

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشييعه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكرائي قال حدَّثني العمريُّ عن العتبيِّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشييع فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألم ترَ ما بيني وبين ابن عامر من الودِّ قد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقي الودِّ بيني وبينه كأن لم يكن ، والدَّهرُ فيه عجائبُ
إذا المرء لم يُحبِّبك إلَّا تَكْرُهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالبُ
فللنَّائي خير من مُقامٍ على أذى ولا خيرَ فيما يستقلُّ المعائبُ

[قصته مع زوجيه القشيرية والقيسية وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا عبيد الله بن محمد قال حدَّثنا ابن النطاح قال ذكر الحرِّمَازي عن رجل من بني الدَّيل قال : كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشيرة وامرأة من عبد القيس ، فأسنَّ وضعفَ عمَّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسَنهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أمُّ عوف القشيرية التي يقول فيها :

أبى القلب إلَّا أمَّ عوف وجبها عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفندُ
كسَحَقٍ يمانٍ قد تقادم عهده ورُقعته ما شئت في العين واليدِ³
وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعَمي ، وكانت أشبَّهما وأجملهما ، فالتوت عليه لما أسنَّ ، وتنكرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

تعاتبني عرسي على أن أطيعها لقد كذَّبَتْها نفسها ما تمنَّتِ
وظنَّت بآتي كلُّ ما رضىت به رضىتُ به ، يا جهلها كيف ظنَّتِ !

1 حذاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .

2 أكله : أتعبه .

3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبته ما لو صحبتُ بمثله
وقد غرها مني على الشيب واليلي
يقال : جُنَّ وحنَّ ، وهو من الإلتباع كما يقال : حسنَّ بسن .
على ذعرها أروية لاطمأنت¹
جنوني بها ، جنت حياي وحنت

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا
تشككي إلى جاراتها وبناتها
ألم تعلمي أنني إذا خفت جفوة
وأنني إذا شقت علي حليتي
وفيها يقول :

[من الطويل]

أفأطم مهلاً بعض هذا التعيس
تشتتم لي لما رأتني أحبها
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا
فإني ، فلا يغررك مني تجملي ،
وأعلم أن الأرض فيها منادح
وكنت امرأة لا صحبة السوء أرتجي
[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائني : كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت
لأبي الأسود جارية تباع ، فركب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها
لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك :

[من الطويل]

إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً
فإن الفتى خب كذوب وإنه
متى يخل يوماً وحده بأمانة
على أنه أبقى الرجال سمانة
فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
له نفس سوء يجتويها صديقها
تغل جميعاً أو تغل فريقها
كما كل مسمان الكلاب سروقها

1 الأروية : الأنثى من الوعول .

2 تعناه : عناه وأوقعه في العناء .

3 شق عليه ، أوقعه في المشقة . ذله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .

4 تحلس بالمكان : أقام به .

5 منادح : جمع مندوحة : وهي السعة .

6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته : «وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرم به ويمقتله وروحه من روح عرّجت إلى الله تعالى بالبرّ والتقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمر المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً» .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : «وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليته وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزّ وجلّ به ما وهى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا» .

[كتب إليه معاوية بدعوة إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعدّه ويؤمّنه ؛ فقال أبو الأسود :

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فلا قرّت عيون الشاميتنا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُوراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وخيسها ومن ركب السفينا ¹
ومن ليس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينا ²
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلّت	بأنّك خيرها حسباً ودينا

[لزم ابنه المنزل فحثّه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّلها .

2 حذاه نعلأ : أعطاه إياها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتي ، فقال له : [من الوافر]
وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجشك بملئها يوماً ويوماً تجشك بحمأة وقليل ماء¹

[مولاته لطيفة تبني ابن عبدها وتحبه كآته حفيدها]

وقال المدائني : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيداً ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجد الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالك هلك الحباري	إذا هلكت لطيفة أو مُلِم ²
تبنته فقال وأنت أمي	فأنتي بعدها لك زيد أم ³ !
ترم متاعه وتريد فيه	وصاحبها لما يحوي مضم ³
ستلقى بعدها شراً وضراً	وتقصي إن قربت فلا تضم ⁴
وتلقاك الملامة كل وجه	سلكت ويتحي حالئك ذم ⁴

قال : فماتت لطيفة من علتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده .

[اشترى جارية للخدمة فترضت له]

وقال المدائني أيضاً : اشترى أبو الأسود أمة للخدمة ، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشترك للنكاح ، فأقْبلي على خدمتك ، وقال فيها :

أصلاح إني لا أريدك للصبا فدعي التشمّل حولنا وتبدلي⁴

1 الحمأة : الطين الأسود المتين .

2 الحباري : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كمَد الحباري» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيام التحسير فتلقي الريش ثم يطيء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً .

3 مضم : شديد الضم .

4 تبدل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتماد . تشمّل بالشملة : تغطى بها ، وهي كساء دون القטיפعة يلتحف به .

إِنِّي أُرِيدُكَ لِلْعَجِينِ وَلِلرَّحَى وَلِحَمَلِ قَرِينَتَا وَعَلَى الْمِرْجَلِ
وَإِذَا تَرَوَّحَ ضَيْفُ أَهْلِكَ أَوْ غَدَا فُخْذِي لِأَخَرِ أَهْبَةِ الْمُسْتَقْبَلِ

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعى قال حدثنا أبو عُشانة عن ابن عباس قال : كان المنذر بن الجارود العبدى صديقاً لأبي الأسود الدؤلى تعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبي الأسود مَقْطَعَةٌ¹ من برود يكثر لبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاع فراقه² ؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الطويل]
كساك ولم تستكسه فحميدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت حامداً بمحمدك من أعطاك والعرض وافر

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العباس اليزيدى عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصى ابنه ، وفي هذه الأبيات غناء :

صوت

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع ، إذا مضت ، إدراكها
أكرم صديق أبليك حيث لقيته وأحب الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدين نيممة حدثتها وتحفظن من الذي أنباكها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلى اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول :

إنني مجرم وأنت أحقّ الدّاس أن تقبل الغدّة اعتذاري
فاعف عني فقد سَفِهْتُ وأنت الـحرء تعفو عن الهنات الكبار
فتبسّم زياد وقال : أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

1 المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخز وغيره .

2 مثل : يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها ، يقال : دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق ، فقال له : يا أبا الأسود : أما آن لهذا الثوب أن يدلّ ؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدة أثواب . مجمع

الأمثال 2 : 58 فصل المقال 367 .

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمته : أهيسُ أليسُ ، ألدُّ ملْحَسُ¹ ، أن أُعطى انتهر ، وإن سئل أزر² . قال الأصمعي : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل : [من الرجز]

إحدى لياليلك فهيسي هيسي³

قال : ويقال ناقة لَيْسَاء : إذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مِمَّا يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور :

أليسُ عسَن حَوْبائه سخى⁴

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضى حاجة ثم نكت]

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العزري قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو مُحَلَّم عن مَوْرَج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال ، وكان من أفصح أهل زمانه ، قال : أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود :

لعمري لقد أوصيتُ أمسَ بحاجتي فتى غير ذي قصدٍ عليّ ولا رَوْفٍ⁵
ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرِفَ
وما كان ما أمَلْتُ منه ففاتني بأوّل خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرِفَ

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال : كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً ، وكان صديقاً لأبي

1 ألدُّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع .

2 أزرَ : تضام وتقبض من بخله .

3 مثل : في حوول الدهر وتنقله بأهله ، فهذا من أمثاله في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنى ، قاله رجل من طسم حين أوتعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار ، فصل المقال 463/464 .

4 الأليس : الشجاع الذي لا ييالي الحرب . الحوباء : النفس .

5 رَوْف : رؤوف .

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]
أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صرّمك بعد ما رضيت وما غيرت من خلق بعد
أن نلت خيراً سرّني حين نلته تنكرت حتى قلت ذو ليدة ورّد ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لي غير أنك لا تعدو
فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا وقد جعلت أسباب أوله تبدو
فإنني إذا ما صاحب رث وصله وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد
[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وعمره
حيث ذُكر خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنّه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين
بالصواب ، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار¹ بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه .
والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولاً ، عن يحيى بن معين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن
أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن معين :

صوت

لعمرك أيّها الرجل لأبيّ الشّكل تتقلّ
أنهجر آل زينب أم تزورهم فتعدّل ؟
هم ركبّ لقوا ركبا كما قد تجمّع السُّبُل
فذلك دأبنا وبذا ك تجري بيننا الرُّسُل

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، والغناء لمعبد خفيف ثقل أول بالسبابة في مجرى
الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبصرة .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين
مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67 هـ .

[228] - أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَّ بن يحيى بن يعلى بن مُنية ، وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة بن مُنية ، ومُنية أمه ، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جده . قال الزبير : وكان جدِّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأمّه منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان ، وأبوه أُمّية بن عبدة بن همام بن جُشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخط أبي محمّل النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدوية ؛ وهي فُكيهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيّا ويربوعا ، فهم يُدعون بني العدوية .

[بعض أخبار جده يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنية حليفاً لبني أُمّية وعديداً¹ لهم ، وبينه وبينهم صهر ومناسبة ، وقد أدرك النبي ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال : قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مُنية ، أو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى الناس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر الناس مالا يعلى بن منية ، وبأجود قریش عبد الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنّ أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولما الله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكونن كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿ فَسَيَفْقُونَهَا ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ . فسر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال :

[من المتقارب]

أما الزبير فأكفيكـه وطلحة يكفيكـه وخوـه
ويعلى بن منية عند القتال شديد الثاؤب والنحـه

1 العديد : الذي يعد من أهلك وليس منهم .

وعائشُ يكفيكها وإعظ وعائش في الناس مستنصحة
فلا تجزعنَّ فإن الأمور إذا ما أتيناك مستنصحة
وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفحة¹

قال : فسرَّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأما طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرءاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأما ما رواه عن النبي ﷺ فكثير ، ولكنني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

[روى يعلى الحديث عن النبي ﷺ]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكيّ قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ . وقد روى يعلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالا ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال : أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضه إياها .

قال : ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة ، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك :

تبارى الغلامان إذ صلّيا وشحّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بذى الجزع مولاها²
فأمّهما اليوم غرّتهما ويعلى بن منية دلاهما³

[رأى يعلى زوجه حين توفيت بتهامة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية - ويكنى أبا نفيس - وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبين .

2 جزع الوادي : منعطفه .

3 أمّهما : يعني عائشة أم المؤمنين .

وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة ، تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حلف في بني غفار ، وهي من بنات طارق اللاتي يقرن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربُّ ربِّ النَّاسِ لما نَحَبُوا وحين أَقْضُوا من مِني وَحَصَبُوا¹

لا يُسْقَيْنَ مَلَحٌ وَعُليْبٌ والمُسْتَرادُّ لا سقاه الكوكب²

من أَجل حُمَاهن ماتت زينبُ

قال الزبير : وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمي يقول : اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأبيات : [من الرجز]

لا يسقين عُنبٌ وَعُليْبٌ³

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جدّه غسان بن عبد الحميد قال : رأيت عائشة زوج النبي ﷺ بنات طارق اللواتي يقرن : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقال : أخطأ من يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عتبة لمشرقي قريش يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

الدُّرُّ في المَخَانِقِ والمسك في المَفَارِقِ⁴

إن تُقْبِلُوا نُعَانِقِ أو تُدْبِرُوا نَفَارِقِ

فراق غير وامي

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن عبد الملك الهذلي قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متقنع ، فذكر

1 نحبوا : ساروا سيراً سريعاً دائماً .

2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياذ . والكوكب : الماء .

3 عنيب : اسم موضع .

4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارق

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟
فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ .
فقلت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خليليّ قوما في عطالةٍ فانظروا أناراً أرى من نحو يَبْرينَ أم برقاً¹
فإن يكُ برقاً فهو في مُشْمَخِرَةٍ تغادر ماءً لا قليلاً ولا طرُقاً²
وإن تكُ ناراً فهي نار بملتقى من الرّيح تَسْفِيها وتَصْفِقها صَفْقاً³
ويروى : «تَرْهاها⁴ وتَعْفِقها عَفْقاً» .

لأُمّ عليٍّ أوقدتها طماعةٌ لأوبة سَفَر أن تكونَ لهم وَقفاً
الشعر لسويد بن كراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكيّ ،
وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .

2 المشمخر : الجبال العالية . الطروق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطروق .

3 صفقته الرّيح : ضربته وحركته .

4 زهت الرّيح النبات : هزته غبّ الندى . وعفّقها : جمعها وضمّها .

[229] - أخبار سويد بن كراع¹ ونسبه

[نسبه]

سُويد بن كُراع² العُكَلِيّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكَل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحَكِّمًا³ ، وكان رجلَ بني عُكَل وذا الرأي والتقدم فيهم ، وعُكَل وضَبَّة وعديّ وتيمهم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضَبَّة ، ثم من بني السَّيد ، وهم قوم نُكْدٌ⁴ شُرْس ، وهم أحوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى أُلِمَّ أن يكون بينهم شرٌّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة⁵ لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيفان)⁶ حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أَسْأَلُكُمْ إِنِّي لَا إِخَالَكَ سَالِماً	أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَاثِمَا
أَسْأَلُكُمْ إِنْ أَفْلَسْتُ مِنْ شَرِّ هَذِهِ	فَوَائِلُ فِرَاراً إِنَّمَا كُنْتُ حَالِماً ⁷
أَسْأَلُكُمْ مَا أَعْطَى ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا	وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلَا النَّاسُ حَاتِمَا

[قال شعراً يرذِّبه على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :
أَشَاعِرَ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَاثِمًا فَإِنِّي لَمَّا تَأْتَسِي مِنَ الْأَمْرِ لَاثِمٌ

[من الطويل]

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .

2 كراع : اسم أمه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .

3 ل : محدثاً .

4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .

5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .

6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .

7 وائل : طلب النجاة .

تُحَضِّضُ أَفْنَاءَ الرَّيَابِ سَفَاهَةً وَعِزُّكَ مَوْفُورٌ وَلَيْلَكَ نَائِمٌ¹
 وهل عَجَبٌ أَنْ تَدْرِكَ السَّيِّدُ وَتَرَهَا وَتَصْبِرَ لِلْحَقِّ السَّرَاةَ الْأَكَارِمُ²
 رَأَيْتَكَ لَمْ تَمْنَعِ طَهِيَّةَ حَكَمِهَا وَأَعْطَيْتَ يَرْبُوعاً وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ³
 وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَقْبَلُ النَّصْحَ طَائِعاً وَلَكِنْ مَتَى تَقْهَرُ فَإِنَّكَ رَائِمٌ⁴

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتم منه هاهنا وأوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السيد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مناة تَرامٍ على خَبْرَاءَ⁵ بالصَّمَّانِ يقال لها ذات الرُّجَاج ، فرُمي عمرو بن حَشَفَة أخو بني شَيْمٍ فمات ، ورمّت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدويّ فمكث أَيْاماً لم يَمُتْ ، فمرَّ رجلٌ من بني عديّ يقال له مُعَلَّل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذوه فشدّوه وَثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عِصمة بن أُنَيْر التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنّهم نفسك فإن مات مدليج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يَمُتْ حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن جَمِيرٍ أخِي بني شَيْمٍ من بني السيد ، فكان عنده . ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدليج أتوا أخثم لينتزعوا منه سَالِماً ويقتلوه ، ففوّض عليه أخثم بيته ثم قال : يا آل أمي ، وكانت أمّه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إن بني السيد قالوا لأخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الدية فوالله لا نقبلها أبداً . فجعل لهم أجلاً إن لم يَمُت مدليج فيه دفع إليهم سَالِماً فقتلوه به . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدليج ، فقتلوا سَالِماً ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم ، وهو ابن الطيفان :

أَسَالِمُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ بَعْدَمَا أَتَيْتَ بَنِي السَّيِّدِ الْغَوَاةَ الْأَشَائِمَا ؟
 أَسَالِمُ قَدْ مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ أُنَمَا تَكُونُ دِيَاتٌ ثُمَّ تَرْجِعُ سَالِماً
 كَذِبَتْ وَلَكِنْ ثَائِرٌ مَتَبَسِّلٌ يُلْقِيكَ مَصْقُولَ الْحَدِيدَةِ صَارِماً⁶

1 أَفْنَاء : أَخْلَاط .

2 يريد بالحق هنا القصاص .

3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومته .

4 رائم : محبّ ألف .

5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السدر . والصَّمَّان : جبل في أرض تميم .

6 تَبَسَّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أَسَالِمُ مَا أُعْطِيَ ابْنُ مَامَةَ مِثْلَهَا وَلَا حَاتِمٌ فِيمَا بَلََا النَّاسُ حَاتِمَا
 أَسَالِمُ إِنْ أَفْلَتَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ فَوَائِلُ فِرَاراً إِنَّمَا كُنْتَ حَالِمَا
 وَقَدْ أَسْلَمْتَ تَيْمٌ عَدِيّاً فَأُرْبَعَتْ وَدَلْتُ لَأَسْبَابِ الْمَيْتَةِ سَالِمَا¹
 فَأَجَابَهُ سُوَيْدُ بْنُ كِرَاعٍ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ سَلَامٍ ، وَزَادَ فِيهَا أَبُو عَمْرٍو : [من الطويل]
 دَعَوْتُمْ إِلَى أَمْرِ النَّوَاكَةِ دَارِمَا فَقَدْ تَرَكْتَكُمْ وَالنَّوَاكَةَ دَارِمُ
 وَكُنْتَ كَذَاتِ الْبَوِّ شَرَّمْتَ اسْتُهَا فَطَابَقَتْ لِمَا خَرَّمْتَكَ الْغَمَامُ²
 فَلَوْ كُنْتَ مَوْلَى مَسَلْتَ مَا تَجَلَّلْتَ بِهِ ضَبِيعٌ فِي مِلْتَقَى الْقَوْمِ وَاحِمُ³
 وَلَمْ يَدْرِكِ الْمَقْتُولُ إِلَّا مَجْرَهُ وَمَا أُسَارَتْ مِنْهُ النَّسُورُ الْقَشَاعِمُ⁴
 عَلَيْكَ ابْنُ عَوْفٍ لَا تَدْعُهُ فَإِنَّمَا كَفَاكَ مَوَالِينَا الَّذِي جَرَّ سَالِمُ
 أَتَذْكُرُ أَقْوَاماً كَفُوكَ شُئُونَهُمْ وَشَأْنُكَ إِلَّا تَرَكَهُ مَتَفَاقِمُ
 قَالَ : وَقَالَ سُوَيْدُ بْنُ كِرَاعٍ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]
 أَرَى آلَ يَرْبُوعٍ وَأَفْنَاءَ مَالِكِ أَعْضُوكَ فِي الْحَرْبِ الْحَدِيدَ الْمُنْقَبَا⁵
 هُمْ رَفَعُوا فَأَسَّ اللَّجَامَ فَأَدْرَكَتْ لَهَا تَكُ حَتَّى لَمْ تَدْعُ لَكَ مَشْرَبَا⁶
 فَإِنْ عُدْتَ عَادُوا بِالَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا مِنْ الشَّرِّ إِلَّا أَنْ تَبَيْتَ مُحْجَبَا
 وَتَصْبَحُ تُدْرَى الْكُعْكُيَّةَ قَاعِدَا وَيُتْتَفَى مِنْ لَيْتِيكَ مَا كَانَ أَزْغَبَا
 تَدْرَى : تَمْشِطُ بِالْمِدْرَى كَمَا يَفْعَلُ بِالسِّنَاءِ ، وَالْكُعْكُيَّةُ : مِشْطَةٌ مَعْرُوفَةٌ .
 فَهَلْ سَأَلُوا فِينَا سَوَاءَ الَّذِي لَهُمْ وَهَلْ نَحْنُ أَعْطَيْنَا سِوَاهُ فَتَعَجَّبَا⁷

- 1 أَسْلَمْتُ : خَذَلْتُ . أُرْبَعْتُ : اطمأنتت ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَرَبَعَ الْقَوْمَ إِذَا أَقَامُوا فِي الْمَرْبَعِ . دَلْتُ : مِنْ التَّدْلِيَةِ .
وَالْأَسْبَابُ : الْجِبَالُ .
- 2 الْبَوُّ : جِلْدُ الْخَوَارِ يَحْشَى تَبْنًا فَيَقْرُبُ مِنَ النَّاقَةِ فَيَتَعَطَفُ عَلَيْهِ فَتَدْرُ . وَشَرَّمْتُ اسْتُهَا : شَقَقْتُ . وَطَابَقَتْ : أَذْغَنْتِ
وَيَجْعَلُ . الْغَمَامَةُ : خَرَقَةٌ كَالْكُرَةِ تَدْخُلُ فِي أَنْفِ النَّاقَةِ لِئَلَّا تَشَمَّ .
- 3 زَعَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا ضَرَبَتْ عُنُقَهُ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا انْتَفَخَ انْتَفَخَ غَرْمُولُهُ وَعَظَمُ ، فَقَلْبُهُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقَفَا ،
فَإِذَا جَاءَتْ الضَّبِيعُ لِتَأْكُلَهُ ، فَرَأَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ اسْتَدْخَلَتْ غَرْمُولَهُ وَقَضَتْ وَطَرَهَا مِنْهُ ثُمَّ أَكَلَتْهُ . تَجَلَّلَ الْفَحْلُ
النَّاقَةُ : عَلَاهَا . الْوَاحِمُ : الْمُسْتَهْيَةُ لِلضَّرَابِ .
- 4 أُسَارَتْ : أُبْقَتْ . نَسَرَ قَشْعَمٌ : مَسَنَّ .
- 5 الْمُنْقَبُ : الْمُنْقَبُ . أَعْضُوكَ الْحَدِيدَ : جَعَلُوكَ تَعْضَهُ .
- 6 فَأَسَّ اللَّجَامَ : الْحَدِيدَةُ الْقَائِمَةُ فِي الْخَنَكِ .
- 7 سَوَاءٌ وَسَوَى وَاحِدٌ .

ويروى :

فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريًا حتى كُلم فيه ، فأمنه على ألا يعاود ، فقال سويد بن كراع :

[من الطويل]

إلى ابن كراع لا يزال مُفزعًا
رُقادي وعشتني يياضاً تفرعًا
عليّ فجهزت القصيدة المفرعًا
بفاقرة إن هم أن يتشجعًا¹
أصادي بها سيراً من الوحش نزعًا²
يكون سُحيرٌ أو بُعيدٌ فاهجعًا³
ورعيتها صيفاً جديداً ومريعاً
نوافذ لو تردي الصفا لتصدعًا⁴
ولا عظم لحم دون أن يتمزعًا⁵
فأنكرَ مظلوم بأن يؤخذاً معاً
قروناً وأعطوا نائلاً غير أقطعاً⁶

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى
مخافة هذين الأميرين سهدت
على غير ظلم غير أن جار ظالم
وقد هابني الأقوام لما رميتهم
أبيتُ بأبواب القوافي كأنما
أكلتها حتى أعرس بعدما
فجشمتني خوف ابن عثمان ردها
نهاني ابن عثمان الإمام وقد مضت
عوارق ما يتركن لحماً بعظمه
أحقاً هداك الله أن جار ظالم
وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال : انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .

2 صاده : داراه وساتره .

3 أكلها : أراقبها وأراقبها . وسحير في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .

4 رده : رمّاه .

5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأبي بن أنف الناقة بن قُرَيْع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحياناً¹ ، ثم ودّعهم وأتى بغيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حماد : ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي لسويد بن كراع :

[من البسيط]

ارتعتُ للزورِ إذ حيّا وأرقني	ولم يكن دانياً منّا ولا صدّداً ²
ودونه سَنَسَبُ تُنْضِي المطيُّ به	حتى ترى العنَسَ تُلقِي رحلها الأجدّا
إذا ذكركُ فاضت عبرتي دِرْراً	وكاد مكتومٌ قلبي يصدع الكبدّا ³
وذاك مني هوَى قد كان أضمره	قلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
وقد أَرانا وحالُ الناسِ صالحةٌ	نخلُ مربوعةً أَدَمَانُ أو بَرْدَى ⁴
ليت الشباب وذاك العيش راجعنا	فلم نزل كالذي كنّا به أبدا
أيّامُ أعلمُ كمُ أعملتُ نحوكمُ	من عِرمسٍ عاقِدٍ لم تَرَامِ الولدّا ⁵
تُصيخُ عند السُّرى في البید ساميةٌ	سطعاءً تنهضُ في ميثائها صُعداً ⁶
كَأَنَّ رَحْلي على حُمَشٍ قوائمه	برمل عِرْنانٍ أَمسى طاويا وحدّا ⁷
هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ	وطُفَاءٍ تحمِلُ جَوْنًا مُرْدَقًا نَفْداً ⁸
فألجأته إلى أرطاةٍ عانكةٍ	فِيحَاءٍ ينهال منها تُرْبُ ما أَلْبَدَا ⁹
تخال عِطْفِيه من جَوَلِ الرّذاذِ به	منظماً بِيَدَي دَارِيَّةٍ فَرْدَا ¹⁰

1 أحياناً : حسنت حال مواشيه .

2 الزور : الطيف . الصد : القصد والقرب .

3 عبرتي : في ل : أدمعي .

4 أدمان : شعبة بيننا وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .

5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رثمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلك .

7 على حمش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دفاق . عرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحداً : وحيداً منفرداً .

8 مردقاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المترام .

9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : اتعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عاتك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يجبو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .

10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الدارئة : منسوبة إلى دارين . فَرْد : منقطع القرين .

حتى إذا ما انجلت عنه دُجَّتْهُ
غدا كذي التاج حلَّتْهُ أساورُهُ
وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها :

لا يُبعد الله إذ ودَّعت أرضَهُمْ
لا يبعد الله مَنْ يعطي الجزيل وَمَنْ
ومن تلاقيه بالمعروف معترفاً
لاقيته مفضيلاً تَندى أناملُهُ
تجيء عفواً إذا جاءت عطيتُهُ
أولاهُ بالمفخر الأعلى وأعظمُهُ
إذا تكلف أقوامٌ صنائعِهِ
بَحْرٌ إذا نكسَ الأقوامُ أو ضَجِرُوا
لا يحسبُ المدحَ خدعاً حين تمدحه
إنِّي لرافدُهُ وُدِّي ومنصرتي

وكشَّفَ الصبحُ عنه الليلَ فاطردا
كأنما اجتاب في حرِّ الضحى سَداً¹
[من البسيط]

أُخي بغيضاً ولكن غيرهُ بَعْدُ²
يجو الخليل وما أكدى وما صَلاً³
إذا أجرهَدْ صفا المذمومُ أو صَلاً⁴
إن يُعطك اليومَ لا يمنَعك ذاك غدا
ولا تخالطُ ترَنيقاً ولا زهداً⁵
خلقاً وأوسعُهُ خيراً ومُتَفَداً⁶
لاقوا، ولم يُظلموا، من دونها صَعْدُ⁷
لاقيتَ خيرَ يديه دائماً رَغْداً⁸
ولا يرى البخلَ منْهاةً له أبداً
وحافظُ غيبه إن غابَ أو شَهدا

صوت

حَتَنِي حانِياتُ الدهرِ حتَّى
قريبُ الخطوِ يحسبُ مَنْ رآني

كأنِّي خاتِلٌ يدنو لِصَيْدٍ
- ولستُ مقيّداً - أنِّي بَقِيدٍ

[من الوافر]

- 1 السند : ضرب من البرود .
- 2 بعد : هلك .
- 3 أكدى : بخل وقلّ خيرهِ . صلد : بخل .
- 4 اجرهَدَت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوت ولم يور ، ويقال للبخل : صلدت زناده .
- 5 الترنيق : التكرير . والزهد : القلة .
- 6 يقال في ماله متفد ، أي سعة .
- 7 الصعد : المشقة .
- 8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتَقَرَّر¹ للصيد وينحني حتى لا يُرى . ويقال لكلّ مَنْ أراد خِدَاعَ صيْدٍ أو إنسانٍ : ختله ، ورَى أمره فلم يُظهره . ومَنْ رواه : « كَأَنِّي حَابِلٌ » فَإِنَّهُ يعني الذي يَنْصِبُ حِبَالَةً للصيد . الشعر لأبي الطَّمَحان القَيْنِي . والغناء لإبراهيم مَخُورِي وهو خفيف الثَقِيل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أَنَّ هذا الشعر للمسجَّاح بن سِياع الضَبِّي ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَ فَلَأَبِي الطَّمَحان مِمَّا يُغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِهِ وَلَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لَهُ قَوْلُهُ :

[من الطويل]

صوت

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ
الغناء لعريب ثاني ثَقِيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتز أَنَّ خفيف الرمل لها ، وَأَنَّ الثَقِيلَ الثاني لغيرها .

* * * *

1 يتَقَرَّر : يتهَيَّأ .

الفهرس

- [197] - أخبار الأعشى وبنى عبد المدان وأخبارهم مع غيره 5
- [198] - أخبار عبد الله بن الحشرج 17
- [199] - أخبار الطرمّاح ونسبه 25
- [200] - أخبار بيهس ونسبه 33
- [201] - أخبار محمد بن الحارث بن بسختر 34
- [202] - أخبار معن بن أوس ونسبه 38
- [203] - أخبار الحسين بن عبد الله 45
- [204] - أخبار فضالة بن شريك ونسبه 48
- [205] - أخبار مروان الأصغر 53
- [206] - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه 59
- 207 - [خبر مقتل الوليد بن طريف] 64
- 208 - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر] 68
- 209 - [أخبار متفرقة] 76
- [210] - أخبار أبي زيد ونسبه 86
- 211 - [أخبار متفرقة عن الخطيفة وغيره] 96
- [212] - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يُغنى فيه من شعرهما 100
- 213 - [بعض أخبار لابن أبي عتيق] 109
- [214] - نسب المتوكل الليثي وأخباره 111
- [215] - نسب الأوفه الأودي وشيء من أخباره 119
- 216 - [خبر النشاش اللص] 121
- [217] - خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر 123
- 218 - [أخبار منظور بن زيان] 137
- [219] - خبر الجحّاف ونسبه وقصته يوم البشر 141
- 220 - [قصة يوم الكلاب الأول] 150
- [221] - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 154
- [222] - أخبار أبي وجزة ونسبه 172
- [223] - أخبار عقيل بن علفمة 183
- [224] - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 195
- [225] - أخبار دقاق 203
- [226] - نسب يزيد بن الحكم وأخباره 207
- [227] - أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه 215
- [228] - [أخبار أبي نفيس ونسبه] 244
- [229] - أخبار سويد بن كراع ونسبه 248

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 12

DAR SADER
Beirut

کتاب الہامی

13

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث عشر

دار طاهر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

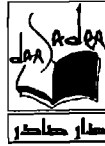
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستانية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الامتساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠHĀNĪ 1/25
(Ahu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[230] - أخبار أبي الطمّحان القيني¹

[نسه]

أبو الطمّحان اسمه حنظلة بن الشرقيّ ، أحد بني القين بن جسر بن شئع الله ، من قضاة .
وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم .

[أدرك الجاهلية والإسلام]

وكان أبو الطمّحان شاعراً فارساً خارباً² صُعلوكاً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية
والإسلام ، فكان خبيث الدّين فيهما كما يُذكر . وكان تزيّاً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية
ونديماً له . أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة .

[حمل خير أسر قبيلة السكوني إلى قومه]

ومّا يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج قيسبة بن كلثوم
السكوني ، وكان ملكاً ، يريد الحجّ ، وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض ،
فمرّ ببني عامر بن عقيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، وألقوه في القدّ ،
فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن أن الجنّ استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيتٍ
عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق³ عليها فقد أضربني القرّ ؟! فقالت له
نعم . وكانت عليه جبة له حبرة⁴ لم يُترك عليه غيرها ، فتمشّى في أغلاله وقبوده حتى صعد
الأكمة ، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتغشاه عبرة فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء
وقال : اللهم ساكن السماء فرّج لي مما أصبحت فيه . فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ،
فأشار إليه أن أقبل ، فأقبل الراكب ، فلمّا وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين
تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو الطمّحان القيني ، فاستعبر باكياً .
فقال له أبو الطمّحان : من أنت ؟ فأنّي أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدارٍ ليس
فيها ملك . قال : أنا قيسبة بن كلثوم السكوني ، خرجتُ عام كذا وكذا أريد الحجّ ، فوثب عليّ

1 أبي الطمّحان ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 304 والمؤتلف والمختلف : 149 والسمط 332 والإصابة 2 :
66 والخزانة 8 : 94-96 والمحاسن والأضداد والاشتقاق : 542 وذكر الآمدي : وجدت نسبه في ديوانه
المفرد : أبو الطمّحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر . وانظر شرح الحماسة للمرزوقي :
1266 .

2 الخارب : سارق الإبل خاصة ثم أصبح يطلق على اللص .

3 تشرق : جلس في موضع تشرق عليه الشمس .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

هذا الحي فصنعوا بي ما ترى ، وكشف عن أغلاله وقيوده ؛ فاستعبر أبو الطمحان ، فقال له قيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك ! قال : فأنخ ، فأناخ . ثم قال له : أمعلك سيكين ؟ قال نعم . قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره ، فكتب عليها قيسبة بالمسند ، وليس يكتب به غير أهل اليمن : [من الخفيف]

بَلَّغَا كِنْدَةَ الْمُلُوكِ جَمِيعاً حَيْثُ سَارَتْ بِالْأَكْرَمِينَ الْجِمَالَ
أَنْ رِدُّوا الْعَيْنَ بِالْخَمِيسِ عِجَالاً وَاصْدُرُوا عَنْهُ وَالرَّوَايَا يُقَالُ¹
هَزَّتْ جَارَتِي وَقَالَتْ عَجِيباً إِذْ رَأَتْنِي فِي جِيدِي الْأَغْلَالَ
إِنْ تَرِنِي عَارِي الْعِظَامِ أُسِيراً قَدْ بَرَانِي تَضَعُّعٌ وَاخْتِلَالُ
فَلَقَدْ أَقْدُمُ الْكُتَيْبَةَ بِالسَّيْرِ فَرَّ عَلَيَّ السِّلَاحُ وَالسَّرْبَالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمحان مائة ناقة . ثم قال له : أقرىء هذا قومي ؛ فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج تسير به ناقته ، حتى أتى حضرموت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرون قيسبة ويكيبن ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجون بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له : يا هذا ، إنني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ، ثم أتى قيس بن معديكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقِيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثارك وأنجدك ، وإلا فامض راشداً . فقال له الجون : مس السماء أيسر من ذلك وأهون عليّ مما خيّرته . وضجت السكون² ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك من هذا ! هو ابن عمك ويطلب لك بثارك ! فأنعم له بذلك . وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه ، وكندة والسكون معه ؛ فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقِيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي : [من الخفيف]

لَا تَشْتُمُونَا إِذْ جَلَبْنَا لَكُمْ أَلْفِي كُمَيْتٍ كُلُّهَا سَلْهَبٌ³
نَحْنُ أَبْلُنَا الْخَيْلَ فِي أَرْضِكُمْ حَتَّى نَأْزِنَا مِنْكُمْ قَيْسَبَةً

1 الروايا : جمع راوية وهي مزادة الماء .

2 السكون : بطن من كندة .

3 السلهب والسهلة : الطويل من الخيل والناس .

واعترضت من دونهم مَذْجٌ فصاذقوا من خيلنا مشعبة

[أدنى ذنوب أبي الطمحان]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : بلغني أن أبا الطمحان القيني قيل له ، وكان فاسقاً خارباً ، ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيْرَانِيَّةٍ فَأَكَلْتُ عندها طَفِيشَلاً بلحم خنزير ، وشربتُ من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ثم انصرفتُ عنها .

[لجوءه إلى فزارة]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحَزْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : جنى أبو الطمحان القيني جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمَخْ ؛ فأواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه . فأقام مدة ، ثم تشوَّق يوماً إلى أهله وقد شرب شراباً ثَمِلَ منه ، فقال للمالك : لولا أن يدي تقصُر عن دية جنائتي لعدتُ إلى أهلي . فقال له : هذه إبلي فخذ منها دية جنائتك واردد¹ ما شئت . فلما أصبح ندِمَ على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالِكاً فأنشده :

سَأَمِدَحُ مَالِكاً فِي كُلِّ رَكْبٍ لَقَيْتُهُمْ وَأَتَرُكُ كُلَّ رَذَلٍ
فَمَا أَنَا وَالْبِكَارَةُ أَوْ مَخَاضٌ عِظَامٌ جَلَّةٌ سُدُسٌ وَبُزْلٌ²
وَقَدْ عَرَفْتُ كَلَابُكُمُ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْكُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي
نَمَتَ بَكَ مِنْ بَنِي شَمَخٍ زِنَادٌ لَهَا مَا شَعْتُ مِنْ فَرَعٍ وَأَصْلٍ

قال فقال مالك : مرحباً ! فَإِنَّكَ حَبِيبُ اَزْدَادٍ حَبّاً ، إِنَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِكَ وَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَحْبِسُكَ عَنْهُمْ مَا تُطَالِبُ بِهِ مِنْ عَقْلِ أَوْ دِيَّةٍ ، فَبَذَلْتُ مَا بَذَلْتُ ، وَهُوَ لَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَأَقِمْ فِي الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

[اعتذر لامرأته لركوبه الأهوال]

قال أبو عمرو في هذه الرواية : وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد ، قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال : عاتبت أبا الطمحان القيني امرأته في غاراته ومخاطراته بنفسه ، وكان لصاً خارباً خبيثاً ، واكثر لومه على ركوب الأهوال ومخاطراته بنفسه في مذهبها ، فقال لها :

[من الطويل]

1 لعلها «وازدد» .

2 البكارة : جمع بكر وهو الفتى من الإبل والأنثى بكرة . المخاض : النوق الحوامل . وجلة الإبل : مسانها . والسدس : جمع سديس وهي ما دخل في السنة الثامنة . والبزل : من الإبل ما دخل في سنته التاسعة .

لو كنتُ في رَيْمانَ تحُرُسُ بابه أراجيلُ أُحبُوشَ وأَعْضَفُ آلف¹
 إِذاً لَأَتَنَبَّيَ حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي يَخُبُّ بها هادٍ بأَمْرِي قَائِفُ
 فَمِنْ رَهْبَةٍ آتِي المَتَالِفَ سادِراً وأَيَّةُ أرضٍ ليس فيها مَتَالِفُ²
 [مدح بجير بن أوس الطائي لاطلاقه إياه من الأسر]

فأما البيت الذي ذكرتُ من شعره أن فيه لعريب صنعةً وهو :

أضاءتْ لهمْ أحسابُهُمْ ووجوهُهُمْ

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان أسيراً في يده .
 فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته ، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد . وأول هذه
 الأبيات :

إِذا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةٌ وأصْبِرُ يوماً لا تَوَارِي كَوَاكِبُ
 فَإِنَّ بَنِي لَأَمِ بْنِ عَمْرِو أُرُومَةٍ عَلَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُنالُ مَرَاقِبُ³
 أضاءتْ لهمْ أحسابُهُمْ ووجوهُهُمْ دُجى الليلِ حَتَّى نَظَّمَ الجَزَعُ نَاقِبُ⁴
 لهمْ مَجْلِسٌ لا يَحْصُرُونَ عَنِ النَّدَى إِذا مَرَكَبُ المَعْرُوفِ أَجْدَبَ رَاكِبُ⁵
 [حرب جديلة والغوث الطائين]

وأما خبر أسره والوقعة التي أُسِرَ فيها فإن علي بن سليمان الأحفش أخبرني بها عن أحمد بن
 يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : كان أبو الطمحان القيني مجاوراً في جديلة من طيء ،
 وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»⁶ وتحزبت حزبين :
 حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث ويوم
 لجديلة . فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصفة» . وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث
 فإنها «يوم قارات حوق»⁷ و«يوم البَيضة»⁸ و«يوم عرنان»⁹ وهو آخرها وأشدّها وكان للغوث ،
 فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحةً ، وهربت فلاحقت بكلب وحالفهم وأقامت فيهم عشرين سنة .

1 ريمان : حصن باليمن . الأغصف : المسترخي الأذن من الكلاب ، والآلف : المستأنس بمن يحرسمه .

2 السادر : الذي لا يبالي .

3 المراقب : جمع مراقبة وهي النظرة في رأس جبل أو حصن .

4 الجزع : الخرز اليماني .

5 أي لا يبخلون .

6 سميت كذلك لما ارتكب فيها من الفظائع والأهوال .

7 حوق : موضع ويعرف هذا اليوم أيضاً بيوم اليحاميم .

8 البيضة : ماء لبني دارم .

9 عرنان : جبل .

[شعر أبي الطمحان في الأسر]

واسير بو الطمحان في هذه الحرب : أسره رجلان من طييء واشتركا فيه ، فاشتراه منهما
بُجير بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله : [من الطويل]

أرقتُ وآبنتي الهمومُ الطَّوارِقُ ولم يلقَ ما لاقيتُ قبليَ عاشقُ
إليكم بني لأمٍ تخبُّ هِجائُها بكلِّ طريقٍ صادفتُه شَبَّارِقُ¹
لكم نائلٌ غمَّرَ وأحلامُ سادةٍ والسَّيئةُ يومَ الخطابِ مَسالِقُ
ولم يدعُ داعٍ مثلكم لعظيمةٍ إذا وزمتُ بالساعدينِ السَّوارِقُ²

السوارق³ : الجوامع ، واحدها سارقة .

قال فابتاعه بُجير من الطائيين بحكمهما ، فجز ناصيته واعتقه .

[تيسه يقتل غلاماً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أبو أيوب المديني قال : حدثني مصعب بن عبد الله الزبيريّ
قال : كان أبو الطمحان القيني مجاوراً لبطن من طييء يقال لهم بنو جديلة ، فنطح تيس له غلاماً
منهم فقتله ، فتعلقوا بأبى الطمحان وأسروه حتى أدّى دينه مائةً من الإبل . وجاءهم نزيله ، وكان
يدعى هشاماً ، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله ؛ فقال له أبو الطمحان : [من الطويل]

أتاني هشامٌ يدفعُ الضَّيْمَ جاهداً يقول ألا ماذا ترى وتقولُ
فقلت له قم يا لك الخيرُ أدّها مُدْلِلَةً إِنَّ العَزِيْزَ ذَلِيلُ
فإن يكُ دُونَ القَيْنِ أغبرُ شامخُ فليس إلى القَيْنِ الغداةَ سبيلُ

[انتعاش المأمون ببين لأبي الطمحان في ساعة اكتابه]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن
إسحاق قال : دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط ، فأخذتُ أحدثه بمُلح
الأحاديث وطُرفها ، أستميله لأن يضحك أو ينشط ، فلم يفعل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته
إياهما . وهما : [من الطويل]

ألا عِلَلاني قبلَ نَوْحِ النّوائِحِ وقبلَ نُشُوزِ النّفسِ بينَ الجَوَانِحِ⁴
وقبلَ غَيِّدٍ ، يا لَهْفِ نفسِي على غَيِّدٍ إذا راح أصحابي ولستُ بِرائِحِ

فنتبه كالمْتَفَرِّعِ ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القيني يا أمير المؤمنين .

1 الشبارق : جمع شبرق وهو نبات شوكي الثمر أحمره .

2 وزمت : عضت .

3 السوارق : الجوامع وهي القيود .

4 أي قبل الموت .

قال : صدق والله ، أعدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظتهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب . وأمر لي بعشرين ألف درهم .
[استشهاد خالد بن يزيد يعتذر بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثني أحمد بن الحارث الخزاز قال : [حدّثني] المدائنيّ قال : عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمك وتزيل عن قلبك ما قد أشرته إياه ؟ أمّا سمعت قول أبي الطمحان القينيّ :

إذا كان في صدرِ ابنِ عمِّكِ إحنةٌ فلا تستثّرْها سوف يَبْدو دَفينُها
وإنْ حَمَاةَ المعروفِ أعطاك صَفْوُها فخذْ عَفْوَه لا يَلْتَبِسْ بك طِينُها

[عند الزبير بن عبد المطلب]

قال المدائنيّ : ونزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مقامه لديه ، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم ، فلم يأذن له . وسأله المقام ، فأقام عنده مدة ، ثم أتاه فقال له :

ألا حَنَّتِ المِرْقَالُ واثْبَتْ رُبُها تَذَكَّرُ أوطاناً وأذْكَرُ مَعْشَرِي¹
ولو عَرَفَتْ صَرَفَ البُيُوعِ لَسَرَّها بمكةَ أن تَبْتَاعَ حَمَضاً بإذْخِرِ²
أَسْرَكُ لو أنا بَجَنِّي عُنِيْةَ وحمضٍ وضُمرانِ الجَنابِ وصَعْتِرِ³
إذا شاء راعِيها استَقَى من وَقِيعةِ كَعَيْنِ الغُرَابِ صَفْوُها لم يُكْدِرِ⁴

فلما أنشدته إياها أذن له فانصرف ، وكان نديماً له .

صوت

[من المنسرح]

لا يَغْتَرِي شَرِبْنَا اللُّحَاءَ وَقَدْ تَوَهَّبُ فِينَا القِيَانُ والحَلَلُ
وفَتِيَّةِ كالسِّيُوفِ نَادِمَتُهُمْ لا حَصَرَ فِيهِمْ ولا بَخْلُ
الشعر للأسود بن يعفر ، والغناء لسليم ، خفيف ثقيل أول بالنصر .

1 ائب : تجهز للمسير . ويروى «تذكر أرماما» ، وهو موضع له يوم .

2 الحمض : كل نبات حامض أو مالح . والإذخر : نبات طيب الرائحة .

3 هذه أسماء مواضع .

4 الوقعة : مكان يمسك الماء .

[231] - أخبار الأسود بن يعفر ونسبه¹

[نسبه]

الأسود بن يعفر - ويقال يُعفر بضم الياء - ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمُّ الأسود بن يعفر رُهم بنت العَبَّاب ، من بني سهم بن عجل . شاعر متقدِّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ليس بالكثير . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خدّاش بن زهير ، والمخَبَّل السعديّ . والنَّمِر بن تولب العُكْلِيّ . وهو من العُشَيّ - ويقال العُشُوْ بالواو - المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة² : [من الكامل]

نَامَ الْخَلْيُ وَمَا أُجِسُّ رُقَادِي وَاهْمٌ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي
معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكْمِهَا ، مفضّلية مأثورة .

[دارمي لا يعرف شعر الأسود بن يعفر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأُسْدِيّ قالا : حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سَوَّار بن عبد الله ليُقيم عنده شهادةً ، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يعفر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ³
إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْخُتُوفَ كِلَاهُمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْمِيَانِ سَوَادِي⁴
مَاذَا أُؤْمَلُ بَعْدَ آلٍ مُحَرَّقٍ تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ⁵
أَهْلَ الْخَوَزَنْقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ⁶

1 للأسود ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 176 وطبقات ابن سلام : 123 وشرح المفضليات : 445 وهو المعروف بأعشى نهشل . وقد جمع غويار شعره في ديوان الأعشين 293-310 وإليه نشير . وتختلف رواية بعض الأبيات في المفضليات والديوان عما هنا .

2 هي المفضلية 44 وانظر ديوانه القطعة 17 .

3 ذو الأعواد : من أجداد أكرم بن صيفي حكيم تميم كان له سرير يحمل عليه لما أُنس .

4 يوفي : يعلو . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل . سواد المرء : شخصه .

5 آل محرق : ملوك الحيرة ، ويطلق أيضاً على ملوك الغساسنة . وإياد : هي من معد بن عدنان .

6 الخوزنق والسدير : القصران المشهوران بالحيرة . بارق : ماء أو نهر بالعراق من أعمال الكوفة . سنداد : منزل لأياد ، وهو سواد الكوفة .

نزلوا بأنقرة يفيض عليهم ماء النورات يفيض من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
ثم أقبل على الدارمي فقال له : أتروي هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أتعرف من يقوله ؟ قال :
لا . قال : رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويه ولا تعرفه ! يا
مزاحم ، أثبت شهادته عندك ، فإنني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه ، فإنني أظنه ضعيفاً .
أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله .
[الرشد يعرض جائزة لمن يروي دالية الأسود]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي
قال حدثني أبي قال : بينا نحن بالرافقة¹ على باب الرشيد وقوف ، وما أفقد أحداً من
وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وصيف كانه درة فقال : يا
معشر الصحابة ، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : من كان منكم يروي
قصيدة الأسود بن يعفر :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضّر لديّ وسادي

فليدخل فينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم . فنظر بعضنا إلى بعض ، ولم يكن
فيها أحد يرويها . قال : فكأنما سقطت والله البدره عن قربوسي . قال الحكم : فأمرني أبي
فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن
المدائني قال : حدثنا [أبو] أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال : حدثنا محمد بن يزيد بن
سنان قال : حدثني جدّي سينان بن يزيد قال : كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو
يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول :

يا فرسي سيرني وأمّي الشاما وخلفي الأخوال والأعماما

وقطعي الأجواز والأعلاما وقاتلي من خالف الإماما

إني لأرجو إن لقينا العاما جمع بني أمية الطغاما

أن نقتل العاصي والهماما وأن نزيل من رجال هاما

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علي عليه السلام ووقفنا ، فتمثل مولاي قول
الأسود بن يعفر :

[من الكامل]

جَرَتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ فَكَانَ مَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ
فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَلِمَ لَمْ تَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ .
ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ هَؤُلَاءِ كَفَرُوا النِّعْمَةَ ، فَحَلَّتْ بِهِمُ النِّقْمَةُ ، فَإِيَّاكُمْ وَكُفَرِ النِّعْمَةِ فَتَحِلُّ
بِكُمُ النِّقْمَةُ .

[عند قصر لآل جفنة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ
قَالَ : مرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ مَزَاحِمُ مَوْلَاهُ يَوْمًا بِقَصْرِ مِنْ قُصُورِ آلِ جَفْنَةَ ، وَقَدْ خَرِبَ ،
فَتَمَثَّلَ مَزَاحِمُ بِقَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ :

جَرَتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَانَ مَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ
وَلَقَدْ غَنُّوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النِّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادٍ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَلَّا قَرَأْتَ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ :
﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ .
[يقامر بابلَه ويخسر]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ : كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ
يَعْفَرٍ مُجَاوِرًا فِي بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ثُمَّ فِي بَنِي مَرْةَ بْنِ عَبَادٍ بِالْقَاعَةِ¹ ، فَقَامَرَهُمْ فَقَمَرُوهُ ، حَتَّى
حَصَلَ عَلَيْهِ تِسْعَةُ عَشْرِ بَكْرًا ، فَقَالَتْ لَهُمْ أُمُّهُ وَهِيَ رُحْمُ بِنْتُ الْعَبَّابِ : يَا قَوْمَ ، أَتَسْلُبُونَ ابْنَ
أَخِيكُمْ مَالَهُ ؟ قَالُوا : فَمَاذَا نَصْنَعُ ؟ قَالَتْ : احْبِسُوا قِدَاحَهُ .

فَلَمَّا رَاحَ الْقَوْمُ قَالُوا لَهُ : أُمْسِكْ . فَدَخَلَ لِيُقَامِرَهُمْ فَرَدُّوا قِدَاحَهُ . فَقَالَ : لَا أَقِيمُ بَيْنَ قَوْمٍ لَا
أَضْرِبُ فِيهِمْ بِقَدَحٍ ؛ فَاحْتَمَلَ قَبْلَ دُخُولِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ، فَأَخَذَتْ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ؛
فَاسْتَسْعَى الْأَسْوَدُ بَنِي مَرْةَ بْنِ عَبَادٍ وَذَكَرَهُمُ الْجَوَارِ وَقَالَ لَهُمْ² :

يَا لَ عُبَادٍ دَعْوَةٌ بَعْدَ هَجْمَةٍ فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَزَمَاعٍ³
فَتَسْعَوْا لَجَارٍ حَلًّا وَسَطًا يُبَيِّتَكُمْ غَرِيبٍ وَجَارَاتٍ تُرْكَنَ جِيعًا

1 القاعة : موضع .

2 ديوانه 37 .

3 الزماع : العزم على الأمر والمضاء فيه .

وهي قصيدة طويلة ، فلم يصنعوا شيئاً . فادّعى جِوَارَ بنِي مُحَلِّم بن دُهل بن شيان ، فقال¹ :

قلْ لِبْنِي مُحَلِّمٍ يَسِيرُوا بِذِمَّةِ يَسْعَى بِهَا خَفِيرُ
لَا قَدْحَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَتَّى تُورُوا

ويروى «إن لم تُورُوا» . فسعوا معه حتى استنقذوا إبله ، فمدحهم بقصيدته التي أولها² :

أَجَارَتَنَا غُضِّي مِنَ السَّيْرِ أَوْ قَفِي وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ بِالْبَيْنِ فَاصْرِفِي³
أَسْأَلُكَ أَوْ أَخْبِرْكَ عَنْ ذِي لُبَانَةٍ سَقِيمِ الْفُؤَادِ بِالْحِسَانِ مُكَلَّفِ⁴
يقول فيها :

تَدَارَكْنِي أَسْبَابُ آلِ مُحَلِّمٍ وَقَدْ كَذْتُ أَهْوِي بَيْنَ نَيْقَيْنِ نَفْنَفِ⁵
هَمُّ الْقَوْمِ يُمَسِّي جَارَهُمْ فِي غَضَارَةٍ سَوِيّاً سَلِيمَ اللَّحْمِ لَمْ يُتَحَوِّفِ⁶
فلما بلغتهم أبياتهم ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم .
[طلب منه شخص أن يسعى له في إبله]

قال المفضل : كان رجلٌ من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة ، جاراً لبني ربيعة بن عجل بن لجيم ، فأكلوا⁷ إبله ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لستُ جامعهما لك ، ولكن اخترتُ أيَّهما شئتُ . قال : أختار أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عجل⁸ :

يَا جَارَ طَلْحَةَ هَلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ فَتَكُونَ أَدْنَى لِلْوَفَاءِ وَأَكْرَمَا
تَاللَّهِ لَوْ جَاوَرْتُمُوهُ بِأَرْضِهِ حَتَّى يُفَارِقَكُمْ إِذَا مَا أَخْرَمَا

وهي قصيدة طويلة . فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا :

1 ديوانه : 26 .

2 ديوانه : 39 .

3 اصرفي : اعدلي .

4 مكلف : مولع .

5 النيق : حرف الجبل . والنفنف : المهواة بين جبلين .

6 الغضارة : سعة العيش . لم يتحوف : لم ينتقص .

7 أكلوا إبله : أخذوها .

8 ديوانه : 53 .

أَمَا إِذْ كُنْتَ شَفِيعَهُ فَخُذْهَا ، وَتَوَلَّ رَدَّهَا لِتُحَرِّزَ الْمَكْرَمَةَ عِنْدَهُ دُونَ غَيْرِكَ .
[النعمان يحرص على طلب الثأر فيتولاه الأسود]

وقال ابن الأعرابي : قتل رجلان من بني سعد بن عجلٍ يُقال لهما وائلٌ وسليطٌ ابنا عبد الله ، عمًّا لخالد بن مالك بن ربيعةٍ النهشليِّ يقال له عامر بن ربيعةٍ ، وكان خالد بن مالكٍ عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يعفر . فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالكٍ فقال له : أيُّ فارسين في العرب تعرفُ هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل ؟ فقال له : أَيْتُ اللعن ! أنت أعلم . فقال : خالا ابن عمِّك الأسود بن يعفر وقَاتِلَا عمِّك عامر بن ربيعةٍ (يعني العَجَلِيَّينِ وائلاً وسليطاً) . فتغيَّر لون خالد بن مالك . وإِنَّمَا أراد النعمان أن يَحْتِثَهُ على الطلب بثأر عمِّه . فوثب الأسود فقال : أَيْتُ اللعن ! عضُّ بهن أمِّه مَنْ رَأَى حَقَّ أَوْحَالِهِ فَوْقَ حَقِّ أَعْمَامِهِ . ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال : يا ابن عمِّ ، الخمر عليَّ حرامٌّ حتى أثار لك بعمِّك . قال : وعليَّ مثل ذلك . ونهضاً يطلبان القوم ، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارمٍ يقال له عبيد يتجسَّس لهم الخبر ، فرجع إليهم فقال : جوفُ كاظمة ملآن من حجاجٍ وتجار ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ متساندان في الجيش . فركبتُ بنو نهشل حتى أتوهم ، فنادوا : مَنْ كَانَ حَاجِبًا فَلْيَمِضْ لِحِجَّتِهِ ، وَمَنْ كَانَ تَاجِرًا فَلْيَمِضْ لِتِجَارَتِهِ . فَلَمَّا خَلَصَ لَهُمُ وائلٌ وسليطٌ في جيشهما اقتتلا ، فقتل وائلٌ وسليطٌ ، قتلهما هِزَانُ بن زهير بن جندل بن نهشل ، عَادَى¹ بينهما . وادَّعى الأسود بن يعفرُ أَنَّهُ قَتَلَ وائلاً .

[مرضه عند النعمان]

ثم عاد إلى النعمان فلَمَّا رآه تبسَّم وقال : وفي نَذْرِكَ يا أسود ؟ قال : نعم أَيْتُ اللعن ! ثم أقام عنده مدَّةً ينادمه ويؤاكله ، ثم مرض مرضاً شديداً ، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به ؛ فقال² :

نَفْعٌ قَلِيلٌ إِذَا نَادَى الصَّدَى أَصْلًا	وَحَانَ مِنْهُ لِبَرْدِ الْمَاءِ تَغْرِيدُ
وَوَدَّعُونِي فَقَالُوا سَاعَةً انْطَلَقُوا	أَوْدَى فَأَوْدَى النَّدى وَالْحَزْمُ وَالْجُودُ
فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا مِتُّ مَا صَنَعُوا	كُلُّ أَمْرٍءٍ بِسَبِيلِ الْمَوْتِ مَرْصُودُ

[ابنه يأخذ فرساً ثم يضطر إلى رَدِّهَا فيهجو الذي أعان عليه]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيبانيِّ يَأْثُرُهُ عَنْ أَبِيهِ ، قال : وكان أبو جُعَلٍ

1 عادى بينهما : طعنهما طعنتين متواليتين .

2 ديوانه : 10 .

أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شذاذ أسد وتميم وغيرهم ، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة ، فنذروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قَضُوا جمعهم . فلجق رجلٌ من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر . والحُر بن شَمِر بن هِزَّان بن زهير بن جندل ، ورافع بن صُهَيْب بن حارثة بن جندل ، وعمرو والحارث ابنا حُرَيْر بن سلمى بن جندل ، فقال لهم الحارثي : هَلُمَّ إِلَيَّ طَلْقَاء ؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم ، وأنا خيرٌ لكم من العطش . قالوا نعم . فنزل لِيُجِزَ نواصيهم . فنظر الجراح بن الأسود إلى فرسٍ من خيلهم فإذا هي أجود فرسٍ في الأرض ، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها . فقال الحارثي للذين بقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم نحن لك عليه خُفْرَاء . فلَمَّا أتى جراحُ أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها : العَصماء . فلَمَّا رجع النَّفَرُ النَّهْشَلِيُّونَ إلى قومهم قالوا إِنَّا خُفْرَاء فارس العصماء ، فوالله لناخذنها ، فأوعدوه . وقال حُرَيْر ورافع : نحن الخفييران بها . وكان بنو جُرُولٍ حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل ، فأعانه على ذلك التَّيْحَان بن بلج بن جرول بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجهو¹ :

أتاني ولم أخشَ الذي ابتعثا به	خَفِيرَا بنِي سَلْمَى حُرَيْرَ ورافِعَ
هُمَّ خَيَّبُونِي يَوْمَ كُلِّ غَنِيمَةٍ	وأَهْلَكْتُهُمْ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
فلا أَنَا مُعْطِيهِمْ عَلَيَّ ظُلَامَةٌ	ولا الحقُّ مَعْرُوفًا لَهُم أَنَا مانِعُ
وَأَتَيْ لَأَقْرِي الضَّيْفَ وَصَّى بِهِ أَبِي	وجارُ أَبِي التَّيْحَانِ ظَمَانُ جَائِعُ
فَقُولَا لَتَيْحَانَ ابْنِ عَاقِرَةٍ اسْتَيْهَا	أَمْجِرْ فَلَا قِيَّ الْغِيَّ أَمْ أَنْتَ نَازِعُ ²
وَلَوْ أَنَّ تَيْحَانَ بْنَ بَلْجٍ أَطَاعَنِي	لَأَرْشَدْتُهُ وَالْأُمُورَ مَطَالِعُ
وإِنْ يَكُ مَدْلُولًا عَلَيَّ فَإِنِّي	أخو الحَرْبِ لَا قَحْمٌ وَلَا مَتَجَادِعُ ³
ولكنَّ تَيْحَانَ ابْنَ عَاقِرَةٍ اسْتَيْهَا	لَهُ ذَنْبٌ مِنْ أَمْرِهِ وَتَوَابِعُ ⁴

قال : فلَمَّا رأى الأسود أنهم لا يُقْلِعُونَ عن الفرس أو يردّوها ، أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خُفْرَاء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس إلى صاحبها . ثم أظهر

1 ديوانه : 35 .

2 مجر : قاصد الشر . نازع : كافٍ منه .

3 مدلول علي : أي مجترىء علي . القحم : الكبير السن . والمتجادع : الصغير السن .

4 له ذنب من أمره : عواقب .

الأمهار بعد ذلك ، فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود¹ :

[من الطويل]

أَحَقًّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ وَعِيدُكُمْ إِيَّايَ وَسَطُ الْمَجَالِسِ
فَهَلَّا جَعَلْتُمْ نَحْوَهُ مِنْ وَعِيدِكُمْ عَلَى رَهْطِ قَعْقَاعٍ وَرَهْطِ ابْنِ حَابِسِ
هُمْ مَنَعُوا مِنْكُمْ تَرَاثَ أَبِيكُمْ فَصَارَ التَّرَاثُ لِلْكَرَامِ الْأَكَابِسِ
هُمْ أَوْرَدُواكُمْ صَفَّةَ الْبَحْرِ طَامِيًّا وَهُمْ تَرَكَوكم بَيْنَ خَازٍ وَنَاكِسٍ²

[رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي]

وقال أبو عمرو : كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيِّداً جواداً ، وكان مؤثراً للأسود بن يعفر ، كثير الرِّفْد له والبرِّ به . فمات مسروق واقتسم أهله ماله ، وبان فقدّه على الأسود بن يعفر فقال يرثيه³ :

[من البسيط]

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي هُلُكُ سَيِّدِنَا لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ مَسْرُوقَا
مَنْ لَا يَشِيعُهُ عَجْزٌ وَلَا بَخْلٌ وَلَا يَبِيتُ لَدَيْهِ اللَّحْمُ مَوْشُوقًا⁴
مِرْدَى حُرُوبٍ إِذَا مَا الْخَيْلُ ضَرَجَهَا نَضَخَ الدَّمَاءَ وَقَدْ كَانَتْ أَفَارِيقَا
وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ تَحْسِبُهَا شَنًّا هَزِيمًا يُمُجُّ الْمَاءُ مَخْرُوقَا
وَجَفَنَةِ كَنْضِيحِ الْبِئْرِ مُتَاقِيَةً تَرَى جَوَانِبَهَا بِاللَّحْمِ مَفْتُوقَا
يَسْرَتَهَا لَيْتَامِي أَوْ لِأَرْمَلَةٍ وَكُنْتُ بِالْبَائِسِ الْمَتْرُوكِ مَحْفُوقَا
يَا لَهْفَ أُمِّي إِذْ أَوْدَى وَفَارَقَنِي أَوْدَى ابْنُ سَلْمَى نَقِيَّ الْعِرْضِ مَرْمُوقَا

[عتاب ابنته له على جوده]

وقال أبو عمرو : عاتبت سلمى بنت الأسود بن يعفر أباهما على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حالة وما يمنحه فقراءهم ويُعين به مُستمنحهم ، فقال لها⁵ :

[من الوافر]

وَقَالَتْ لَا أَرَاكَ تُلِيْقُ شَيْئًا أَتَهْلِكُ مَا جَمَعْتَ وَتَسْتَفِيدُ⁶
فَقُلْتُ بِحَسْبِهَا يَسْرٌ وَعَارٌ وَمُرْتَجِلٌ إِذَا رَحَلَ الْوَفُودُ⁷

1 ديوانه : 31 .

2 البخاري : من الخزي إذا ذل وهان . والناكس : المطأطأ الرأس .

3 ديوانه : 41 .

4 يشيعه : يتبعه أو يصحبه . الموشوق : المقدد .

5 ديوانه : 11 .

6 لا تليق شيئاً : لا تمسك شيئاً .

7 اليسر : القوم المجتمعون على اليسر . والعارى : الذي يعرض للقوم ملتصقاً المعروف . والمرتل : الذي يركب البعير بالقتب .

فلومي إن بدا لك أو أفيقي فقبلك فاتني وهو الحميد
أبو العوراء لم أكمذ عليه وقيس فاتني وأخي يزيد
مضوا لسبيلهم وبقيت وحدي وقد يغني رباعته الوحيد¹
فلولا الشامتون أخذت حقي وإن كانت بمطلبه كؤود
ويروى : وإن كانت له عندي كؤود

[ما قاله في ابنه جراح]

قال أبو عمرو : وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً ، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبيّاً من الحيّ ، وقد صرعه الصبيّ ، والصبيان يهزؤون منه ، فقال² : [من الطويل]
سبحرح جراح وأعقل ضيمه إذا كان مخشياً من الضلع الميدي³
فأبأ جراح ذؤابة دارم وأحوال جراح سراة بني نهد
قال : وكانت أم الجراح أخيدة ، أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم .
[أسن وكف بصره]

وقال أبو عمرو : لما أسن الأسود بن يعفر كُفّ بصره . فكان يُقاد إذا أراد مذهباً . وقال في ذلك⁴ : [من البسيط]

قد كنت أهدي ولا أهدي فعلمني حسن المقادة أني أفقد البصر
أمشي وأتبع جناباً ليهديني إن الجنبة مما تجشم الغدرا
الجناب : الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجنبة . الجشم : المشي ببطء . والغدر : مكان ليس مستوياً .
[شعر لأخيه حطائط]

وذكر محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، عن المفضل : أن الأسود كان له أخ يُقال له حطائط بن يعفر شاعر ، وأن ابنه الجراح كان شاعراً أيضاً . قال : وأخوه حطائط الذي قال لأُمهما رُهم بنت العباب ، وعاتبته على جوده فقال : [من الطويل]

1 الرباعة : الشأن والأمر وتعني أيضاً القبيلة .

2 ديوانه : 13 .

3 أعقل : أتحمل . والضلع : الاعوجاج .

4 ديوانه : 20 .

تقول ابنة العباب رُهم حَرَبْتَنِي	حُطَّائِطُ لَمْ تَتْرُكْ لِنَفْسِكَ مَقْعَدًا ¹
إِذَا مَا جَمَعْنَا صِرْمَةً بَعْدَ هَجْمَةٍ	تَكُونُ عَلَيْنَا كَابِنٌ أَمُّكَ أَسُودَا
فَقُلْتُ وَلَمْ أُغَيِّ الْجَوَابَ : تَأْمَلِي	أَكَا ن هُزَالًا حَتَفُ زَيْدٍ وَأُرَيْدَا
أُرِينِي جَوَادًا مَاتَ هُزَلًا لَعَلَّنِي	أَرَى مَا تَرَيْنِ أَوْ بِخِيَلَا مُخْلَدَا
ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ	لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِيَّهَ غَدَا
ذَرِينِي فَلَا أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي	أَسُودُ فَأُكْفَى أَوْ أُطِيعُ الْمُسُودَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وَقَايَةً	يَقِي الْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَجَارَةَ أَهْلِي بِالْقَصِيمَةِ لَا يَكُنْ	عَلَيَّ ، وَلَمْ أَظْلِمْ ، لِسَانُكَ مِيرَدَا

صوت

[من الوافر]

أَعَاذَلْتَنِي أَلَا لَا تَعْذُلِينَا	أَقْلَى اللُّومِ إِنْ لَمْ تَنْفَعِينَا
فَقَدْ أَكْثَرْتَ لَوْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا	وَلَسْتُ بِقَابِلٍ مَا تَأْمُرِينَا

الشعر لأرطاة بن سُهَيْة ، والغناء لمحمد بن الأشعث ، خفيف رملٍ بالبِئصر ، من نسخة عمرو بن بانه .

1 في الحماسة 1732 : ابنة العتاب . حررتني : أخذت مالي .

[232] - أخبار أرطاة بن سهية ونسبه¹

[نسبه]

هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عَقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن
نُشْبة بن غَيْظ بن مُرّة [بن عوف] بن سعد بن ذبيان . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع
من هذا الكتاب . وسُهيّة أمّه ؛ وهي بنتُ زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حُديج بن أبي
جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، سَيِّئَةٌ من كلب ، وكانت لضرار بن الأزور
ثم صارت إلى زُفر وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضرارٍ على فراش زُفر ؛ فلَمّا ترعرع أرطاة
جاء ضرارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له :

يا حارثُ افكُكْ لي بَنِيَّ من زُفرٍ

ويروى : « يا حارٍ اُطْلِقْ لي » :

في بعض مَنْ تَطْلِقُ مِنْ أَسْرَى مُضَرٍّ إِنَّ أَبَاهُ امْرُؤٌ سَوِيٌّ إِنْ كُفِرَ²
فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ إِيَّاهُ وَقَالَ : انْطَلِقْ بَابِنِكَ ، فَأَدْرَكَهُ نَهْشَلُ بْنُ حَرْيٍ بِنَ غَطَفَانَ فَانْتَزَعَهُ مِنْهُ
وَرَدَّهُ إِلَى زُفَرٍ . وَفِي تَصَدِّاقِ ذَلِكَ يَقُولُ أَرطَاةٌ لِبَعْضِ أَوْلَادِ زُفَرٍ :

فَإِذَا خَمَصْتُمْ قَلْتُمْ يَا عَمَّنَا وَإِذَا بَطِئْتُمْ قَلْتُمْ ابْنَ الْأَزُورِ
قال : ولهذا غلبتُ أمّه سُهَيْةٌ على نَسَبِهِ فَنُسِبَ إِلَيْهَا . وَضَرَّارُ بْنُ الْأَزُورِ هَذَا قَاتِلُ مَالِكِ بْنِ
نُويرَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَخُوهُ مُتَمِّمٌ :

نَعَمْ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ تَحْتَ الْبُيُوتِ ، قَتَلْتَ يَا ابْنَ الْأَزُورِ

[منزله في الشعر]

وأرطاة شاعرٌ فصيحٌ ، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدادين من شعراء الإسلام في دولة
بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها . وكان أَمْرًا صِدِّيقٍ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ جَوَادًا .

[مناقضته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان رُفَيْعُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَلَقَبُ بِدَمَازٍ ، قال :

1 ترجمة أرطاة بن سهية في الشعر والشعراء 1 : 427 والإصابة 1 : 104 والسمط : 299 ، 630 وألقاب
الشعراء : 308 ، 359 .

2 كُفِرَ : جحد حقّه .

حدّثنا أبو عبيدة قال : دخل أوطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان ، فاستنشه شيئا مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فأنشده : [من الطويل]

أبي كان خيراً من أهلك ولم يزل جَنِيّاً لآبائي وأنت جنيب¹
فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، شبيب خير منك أباً . ثم أنشده : [من الطويل]
وما زلتُ خيراً منك مذ عَضُّ كَارِهاً برأسك عادي النُّجاد رَسوب²
[معرفة عبد الملك مقادير الناس]

فقال له عبد الملك : صدقت ، أنت في نفسك خير من شبيب . فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قال : كان شبيب أشرف أباً من أوطاة ، وكان أوطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب . [وصفه حاله عندما أَسَنَ وضعف]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودَمَاز أبو غسان ، قالاً جميعاً ، قال أبو عبيدة : دخل أوطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أوطاة ؟ ، وقد كان أَسَنَ ، فقال : ضعفت أوصالي ، وضاع مالي ، وقلّ مني ما كنت أُحِبُّ كثرته ، وكثر مني ما كنت أُحِبُّ قِلَّتْهُ . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع ، وعلى أي القائل :

رأيتُ المرءَ تَأْكُلُهُ اللَّيالي كَأَكْلِ الأَرْضِ ساقِطَةَ الحديدِ
وما تَبْغِي المَنِيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ ابنِ آدَمَ من مَزِيدِ
وأَعْلَمُ أَنَّها سَتَكُرُّ حَتَّى تُوفِّي نَذَرها بِأبي الوليدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بَلْ تُوفِّي نَذَرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال : لا تُرْعَ يا أمير المؤمنين ، فإنما عَنَيْتُ نفسي ، وكان أوطاة يُكْنَى أبا الوليد فسكّن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لتلُمنَّ بي .

أخبرني به حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُجِيل³ معني .

1 جنيب : طائع منقاد .

2 رسوب في ل : ركوب . عادي النجاد : قديم يرجع إلى زمن عاد .

3 يحيل : يغير ويفسد .

[تهنئته مروان لما ولي الخلافة]

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشامي بأنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن
أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة ، وفرغ من أمر
الحروب التي كان بها متشاعلاً ، وصمد¹ لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربتة ، فهنأه
وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده : [من المتقارب]

تَشَكَّى قُلُوصِي إِلَى الْوَجِي	تَجَرُّ السَّرِيحِ وَتُبْلِي الْخِدَامَا ²
تَزُورُ كَرِيماً لَهُ عِنْدَهَا	يَدُّ لَا تُعَدُّ وَتُهْدِي السَّلَامَا
وَقَلُّ ثَوَاباً لَهُ أَنَّهَا	تُجِيدُ الْقَوَافِي عَاماً فَعَامَا
وَسَادَتْ مَعْدَاً عَلَى رَعْمَهَا	قُرَيْشٌ وَسُدَّتْ قَرِيشاً غُلَامَا
جُعِلَتْ عَلَى الْأَمْرِ فِيهِ صَغَاً	فَمَا زَالِ غَمَزُكَ حَتَّى اسْتَقَامَا ³
لَقِيَتْ الرُّحُوفَ فَقَاتَلَتْهَا	فَجَرَّدَتْ فِيْهِنَّ عَضْباً حُسَامَا
تَشَقُّ الْقَوَانِسَ حَتَّى تَنَّا	لَ مَا تَحْتَهَا ثُمَّ تَبْرِي الْعِظَامَا ⁴
نَزَعَتْ عَلَى مَهْلٍ سَابِقاً	فَمَا زَادَكَ النَّزْعُ إِلَّا تَمَامَا ⁵
فَزَادَ لَكَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ	وَزَادَ لَكَ الْخَيْرَ مِنْهُ فَدَامَا

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهن له برأً وزيباً وشعيراً .

[هجاؤه شبيب بن البرصاء]

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكل واحد منهما في صاحبه هجاء كثير ،
وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ،
وكانت بنو مرة تألفه وتتبعه لصهره فيهم . فلما افترقا سبَّه⁶ شبيب عند يحيى بن الحكم ؛ فقال
أرطاة له : [من الطويل]

1 صمد : قصد .

2 الوجي : الحفاء . السريح : القيد الذي تشد به الخدمة فوق الرسغ . الخدام : جمع خدمة وهي السير من
الجلد .

3 صفا : ميل .

4 القوانس : جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد .

5 نزعت : جريت .

6 سبَّه : شتمه وقال فيه قولاً قبيحاً .

رَمَتَكَ فَلَمْ تُشَوِ الْفَوَادَ جَنُوبُ¹ وما كُلُّ مَنْ يَزْمِي الْفَوَادَ يُصِيبُ¹
وما زَوَّدْنَا غَيْرَ أَنْ خَلَطْتُ لَنَا أَحَادِيثَ مِنْهَا صَادِقٌ وَكَذُوبُ²
أَلَا مُبْلِغٌ فَنِيَانِ قَوْمِي أَنْتَنِي هَجَانِي ابْنُ بَرِصَاءِ الْيَدَيْنِ شَيْبُ³
وَفِي آلِ عَوْفٍ مِنْ يَهُودَ قَبِيلَةٍ تَشَابَهَ مِنْهَا نَاشِئُونَ وَشَيْبُ⁴
أَبِي كَانَ خَيْرًا مِنْ أَبِيكَ وَلَمْ يَزَلْ جَنِيًّا لَأَبَائِي وَأَنْتَ جَنِيْبُ⁵
وَمَا زِلْتُ خَيْرًا مِنْكَ مَذْعُورًا كَارِهًا بِرَأْسِكَ عَادِي النَّجَادِ رَسُوبُ²
فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ أُمُّ حَمْرَةَ جَاوَرَتْ يَثْرِبَ أَنْيَاسًا لَهْنٌ نَيْبُ³
وَإِنْ رَجَالًا بَيْنَ سَلْعٍ وَوَأَقِمِ لَأَيِّرَ أَيْبِهِمْ فِي أَيْبِكَ نَصِيبُ⁴
فَلَوْ كُنْتُ عَوْفِيًّا عَمِيَّتَ وَأَسْهَلْتُ كُذَّاكَ وَلَكِنَّ الْمُرِيبَ مُرِيبُ⁵

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتيبي قال : لما قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كل شيخ من بني عوف يتمنى أن يعمي ، وكان العمى شائعاً في بني عوف كلما أسن منهم رجل عمي ، فعمر أرطاة ولم يعم ، فكان شبيب يعيره بذلك . ثم مات أرطاة وعمي شبيب ، فكان يقول بعد ذلك : ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنني عوفي .

[ردّه على شبيب حين تمنى لقاءه في قتال]

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال : كان شبيب بن البرصاء يقول :
وددت أنني جمعني وابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفي منه غيظي . فبلغ ذلك أرطاة فقال له :

إِنْ تَلَفَنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جِهَةَ الْأَسَدِ
مَاذَا تَطْنُكَ تُغْنِي فِي أَخِي رَصَدَ مِنْ أَسَدٍ خَفَانَ جَانِبِي الْعَيْنِ ذِي لَبَدِ
جانبِي العين وجائب العين : شديد النظر .

1 فلم تشو في ل : فلن تشفر . ولم تشو : لم تصب مقتلاً .

2 رسوب في ل : ركوب .

3 النيب : صياح التيوس عند هياجها .

4 سلع : جبل متصل بالمدينة ، وواقم أطم من أطامها .

5 كدى : جمع كدية وهي الأرض الغليظة .

أبي ضراغمة غُبر يُعوّدها
يا أيّها المتمني أن يُلاقيني
تَقْضُ اللَّبانة من مُرٍ شرائعه
متى تَرُدُنِي لا تَصْدُرْ لِمَصْدَرِهِ
لا تحسبني كَفَقَعَ القاع يَنْقُرُهُ
أنا ابن عَقْفان معروفٌ له نسبي
لاقي الملوك فائِئاً في دمائهم
من عُصبة يَطْعُنون الخيلَ ضاحيةً
وَيَمْنَعون نساءَ الحَيِّ إن عَلِمْتَ
أنا ابن صِرْمَة إن تسأل خيَارَهُمْ
وفي بني مالك أمٌ وزافرةٌ
ضربتَ فيهم بأعراقي كما ضربت
جَدْيَ قُضاعة معروف ويعرفني

أكلَ الرجال متى يَبْدَأُ لها يَعدُ
إن تَسَأْ آتِكَ أو إن تَبْغِي تَجِدُ
صَعِبَ المَقَادَة تَخْشَاه فلا تَعْدُ¹
فيها نَجاةٌ وإن أُصْدِرَكَ لا تَرِدُ
جانٍ بإصبعه أو يَبْضِعُ البَلَدُ
إلا بما شاركت أمٌ على وَلَدٍ
ثم استقرَّ بلا عَقْل ولا قَوْدٍ²
حتى تَبَدَّدَ كالزُّودة الشُّردِ³
ويكشفون قَتَامَ الغارة العمدِ
أضربَ برجلي في ساداتهم ويدي
لا يدفع المجد من قَيْسٍ إلى أَحَدٍ⁴
عُروُقُ ناعمة في أَبْطَحِ تَيْدٍ⁵
جَبَا رَفيدة أهل السُّرو والعَدَدِ⁶

[حبه لوجزة]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : كان أوطاة بن سُهَيْة يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة ، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أوطاة ، ثم اجتمعت غني وبنو مرة في دار ، فمر أوطاة بوجزة وقد هربت وتغيرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها وتحدث معها وهي تشكو إليه أمرها ، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال :

[من الطويل]

1 الشرائع : جمع شريعة وهي مورد الماء .

2 أثأى : طعن وجرح .

3 الضاحية : البارزة . المزودة : المذعورة . والشرد : النافرة .

4 زافرة : عشير وأنصار .

5 الأبطح : المسيل الواسع . والشد : الندي .

6 الجبا : الخوض وما حول البئر ، يعني به جمع القبيلة . ورفيده : الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أمه .

مررتُ على حَدثي بِرَمَّان بعدما تَقَطَّعَ أَقْرَانُ الصُّبَا وَالْوَسَائِلُ¹
فَكُنْتُ كَطُيِّئٍ مَفْلِتٍ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ الْحَيْنُ حَتَّى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ²
قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد ذكر أُرطاة بن سهية وجزء هذه ، ونسب بها في مواضع
من شعره ، فقال في قصيدة :

وداوية نازعُها الليلَ زائرا لَوْجَزَةَ تَهْدِينِي النجومِ الطوامِسُ³
أَعُوْجُ بِأَصْحَابِي عَنِ الْقَصْدِ تَعَلَّى بَنَا عُرْضُ كِسْرِيهَا الْمُطَيُّ الْعَرَامِسُ⁴
فَقَدْ تَرَكْنِي لَا أَعِيجُ بِمَشْرَبٍ فَأَرَوِي وَلَا أَلْهُو إِلَى مَنْ أَجَالِسُ⁵
وَمَنْ عَجِبَ الْأَيَّامُ أَنَّ كُلَّ مَنْزِلٍ لَوْجَزَةَ مِنْ أَكْنَفِ رَمَّانِ دَارِسُ⁶
وَقَدْ جَاوَرْتُ قَصَرَ الْعُذَيْبِ فَمَا يُرَى بِرَمَّانَ إِلَّا سَاخِطُ الْعَيْشِ بَائِسُ⁷
طِلَابٌ بَعِيدٌ وَاخْتِلَافٌ مِنَ النُّوَى إِذَا مَا أَتَى مِنْ دُونِ وَجَزَةِ قَادِسُ⁸
لَقِنْ أَنْجَحَ الْوَاشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَطَالَ التَّنَائِي وَالنَّفُوسُ الْنَوَافِسُ⁹
لَقَدْ طَالَمَا عِشْنَا جَمِيعاً وَوُدُّنَا جَمِيعٌ إِذَا مَا يَتَغَيُّ الْأُنْسَ آتِسُ¹⁰
كَذَلِكَ صَرَفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِتَارِكٍ حَيِّباً وَيَبْقَى عَمْرُهُ الْمُتَقَاعِسُ¹¹

[مهاجاته حباشة الأسد]

وقال ابن الأعرابي : كانت بين أُرطاة بن سهية وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيان
مهاجاة ، فاعترض بينهما حباشة الأسد فهاجا أُرطاة فقال فيه أُرطاة : [من البسيط]

أَبْلِغْ حُبَاشَةَ أَنْتِي غَيْرُ تَارِكِهِ حَتَّى أَذْلُكُهُ إِذْ كَانَ مَا كَانَ
الْبَاعِثُ الْقَوْلِ يُسَدِّدُهُ وَيُلْحِمُهُ كَالْمُجْتَدِي الثُّكُلَ إِذْ حَاوَرْتُ حَيَانَا
إِنْ تَدْعُ خَنْدِفَ بَغِيًّا أَوْ مَكَاثِرَةً أَدْعُ الْقَبَائِلَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَا
قَدْ نَحَبَسَ الْحَقُّ حَتَّى مَا يَجَاوِزُنَا وَالْحَقُّ يَجْبَسُنَا فِي حَيْثُ يَلْقَانَا

1 الحديث : المحدث والمسامر . ورمّان : جبل في بلاد طيء .

2 الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . النجوم الطوامس : التي خبا نورها .

3 كسريها : جانبها . العرامس : جمع عرّمس وهي الناقة الصلبة القوية .

4 لا أعيج : لا أكرّث .

5 منزل في ل : مجلس .

6 قادس : القادسية .

7 النوافس : جمع نافس وهو الحاسد .

نَبِي لآخِرِنَا مَجْدًا نُشِيدُهُ إِنَّا كَذَاكَ وَرِثْنَا الْمَجْدَ أَوْلَانَا
[أعداؤه يرجفون بموته]

وقال ابن الأعرابي : وَفَدَّ أَرْطَاةَ بَن سُهَيْةَ إِلَى الشَّامِ زَائِرًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بَن مَرْوَانَ عَامَ الْجَمَاعَةِ ، وَقَدْ هُنَاكَ بِالظَّفَرِ ، وَمَدَحَهُ فَأُطَالُ الْمَقَامَ عِنْدَهُ ، وَأَرْجَفَ أَعْدَاؤُهُ بِمَوْتِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ ، وَقَدْ مَلَأَ يَدِيهِ ، بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ فِيهِمْ :

إِذَا مَا طَلَعْنَا مِنْ ثِيَّةٍ لَفَلَفٍ فَخَبَّرَ رَجَالًا يَكْرَهُونَ إِيَّايَ
وَحَبَّرَهُمْ أَنِّي رَجَعْتُ بِغِبْطَةٍ أَحَدُّ أَظْفَارِي وَيَصْرُفُ نَابِي
وَإِنِّي ابْنُ حَرْبٍ لَا تَزَالُ تَهْرُئِي كَلَابُ عَدُوِّي أَوْ تَهْرُ كَلَابِي

[تلاحيه مع زميل قاتل ابن دارة]

وقال أبو عمرو الشيباني : وَقَعَ بَيْنَ زَمِيلِي قَاتِلِ ابْنِ دَارَةَ وَبَيْنَ أَرْطَاةَ بَن سُهَيْةَ لِحَاءٍ ؛ فَتَوَعَدَهُ زَمِيلٌ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَحْسِبُكَ سَتَجِرْعُ مِثْلَ كَأْسِ ابْنِ دَارَةَ . فَقَالَ لَهُ أَرْطَاةُ : [من الكامل]

يَا زَمِلُ إِنِّي إِنْ أَكُنْ لَكَ سَائِقًا تَرَكُضُ بِرِجْلَيْكَ النِّجَاةَ وَالْحَيَّ
لَا تَحْسَبْنِي كَامِرِي صَادِقَةٍ بِمَضِيعَةٍ فَخَدَشَتْهُ بِالْمِرْفَقِ
إِنِّي أَمْرُوٌّ أَوْفِي إِذَا قَارَعْتَكُمْ قَصَبَ الرَّهَانِ وَمَا أَشَأُ أَتَعَرَّقُ¹

فَقَالَ لَهُ زَمِيلٌ :

يَا أَرْطُ إِنْ تَكُ فَاعِلًا مَا قَلْتَهُ وَالْمَرْءُ يَسْتَحْيِي إِذَا لَمْ يَصْنُقِ
فَافْعَلْ كَمَا فَعَلَ ابْنُ دَارَةَ سَالِمٌ ثُمَّ امشِ هَوْنَكَ سَادِرًا لَا تَتَّقِ
وَإِذَا جَعَلْتِكَ بَيْنَ لَحْيَيْ شَابِلِكِ الـ أَنْيَابِ فَارْعُدْ مَا بَدَا لَكَ وَالْبُرْقِ

[عنه بالربيع بن قعنّب]

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَرْطَاةُ بَن سُهَيْةَ لِلرَّبِيعِ بَن قَعْنَبٍ :

لَقَدْ رَأَيْتُكَ عُرْيَانًا وَمُوْتِرًا فَمَا عَرَفْتُ أَتَيْتِي أَنْتِ أَمْ ذَكَرْتُ ؟
فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : لَكِنْ سُهَيْةٌ قَدْ عَرَفْتَنِي . فَغَلِبَهُ وَانْقَطَعَ أَرْطَاةُ .

[عبد الرحمن بن سهيل وأم هشام وعمر بن عبد العزيز]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بَن عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بَن الْحَرَّزِ عَنْ

الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال : تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يجد بها وجداً شديداً ، فمرض مرضته التي هلك فيها ، فجعل يُديم النظر إليها وهي عند رأسه ، فقالت له : إنك لتنظر إليّ نظر رجلٍ له حاجة . قال : إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرتُ بها لهان عليّ ما أنا فيه . قالت : وما هي ؟ قال : أخاف أن تتزوجي بعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثقي لي بالأيمان المغلظة . فحلفتُ له بكلِّ يمينٍ سكنتُ إليها نفسه ثم هلك . فلما قضت عِدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فأرسلت إليه : ما أراك إلا وقد بلغتكَ يميني . فأرسل إليها : لك مكان كلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكان كلِّ علقٍ علقان ، ومكان كلِّ شيءٍ ضيعفه . فتزوجته ، فدخل عليها بطلًا بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلاً من مشيخة قريش مغفلًا ، فلما رآها مع عمر جالسة قال : [من الطويل]

تبدلت بعد الخيزران جريدةً وبعد ثياب الخز أحلام نائم

فقال له عمر : جعلتني وملك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أم هشام : ليس كما قلت ، ولكن كما قال أوطاة بن سهية :

وكائن ترى من ذات بث وعولة¹ بكت شجوها بعد الحنين المرجع¹
فكانت كذات البو لما تعطفت على قطع من شلوه المتزعزع²
متى لا تجده تنصرف لطياتها من الأرض أو تعمد لآلف فترجع²
عن الدهر فاصفح إنه غير مُعْتَبٍ وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع²
وهذه الأيات من قصيدة يرثي بها أوطاة ابنه عمراً .

[أوطاة يقيم عند قبر ابنه حولا]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثنا الحسن بن عَلِيلٍ ، قال : حدثنا قعنب بن الحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأوطاة بن سهية ابن يُقال له : عمرو ، فمات فجزع عليه أوطاة حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولا . ثم إن الحيَّ أراد الرحيل بعد حولٍ لنجعةٍ بغوها ، فغدا على قبره ، فجلس عنده حتى إذا حان الرواح ناداه : رُحْ يا ابن سلمى معنا ! فقال له قومه : ننشدك الله في نفسك وعقلك ، ودينك ، كيف يروح معك من مات مُدَّ حولٍ ؟ فقال : أنظروني الليلة إلى الغد . فأقاموا عليه ، فلما أصبح ناداه : اغدُ يا ابن

1 بث في ل : شجو .

2 طياتها : مخففة الباء ضرورة . والطفية : الوجهة المقصودة .

سلمى معنا ، فلم يزل الناس يُذكرونه الله ويناشدونه ، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره ، وقال : والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا . فرقوا له ورحموه ، فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم . وقال أرتاة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه : [من الطويل]

وقفتُ على قبرِ ابنِ سلمى فلم يكنْ وقوفي عليه غير مبكى ومَجْرَع
هل أنتَ ابنِ سلمى إن نظرتُكَ رائحٌ مع الركبِ أو غادِ غداةً غدٍ معي
أنسى ابنَ سلمى وهو لم يأتِ دونه من الدهرِ إلّا بعضُ صيفٍ ومربَع
وقفتُ على جثمانِ عمرو فلم أجد سوى جدتِ عافٍ بيضاء بلقع
ضربتُ عمودَي بانه سَمَوَا معاً فخرتُ ولم أتبع قُلوصي بدَعْدَع¹
ولو أنها حادت عن الرمسِ نلتها ببادرةٍ من سيفٍ أشهب مَوْع²
تركتك إن تحيى تكوسي وإن تنو على الجُهدِ تخذلها توالٍ فتُصرع³
فدع ذكر مَنْ قد حالت الأرضُ دونه وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمع

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، فذكر أن أرتاة كان يجيء إلى قبر ابنه عشيّاً فيقول : هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى ؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً ، ثم تمثّل قول لبيد : [من الطويل]

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ومن يلكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر⁴

[مهاجاته الربيع بن قنبل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال : قال أرتاة بن سهية يوماً للربيع بن قنبل كالعابث به :

لقد رأيتك عرياناً وموتراً فما دريتُ أننى أنت أم ذكرُ

فقال له الربيع :

لكن سهيةٌ تدري إذ أتيتكم على عريجاء لما احتلت الأزر⁴

فغلبه الربيع ، ولجّ الهجاء بينهما ، فقال الربيع بن قنبل يهجو أرتاة :

وما عاشت بنو عَقْفان إلّا بأحلامٍ كأحلامِ الجوّاري

1 شبه ناقته في ارتفاعها بشجرة البان . ددع : كلمة تقال للعائر .

2 موقع : الوقيع ، وهو من السيوف الذي شحذ بالحجر .

3 تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .

4 عريجاء : موضع .

وما عَقْفَانُ مِنْ غَطْفَانِ إِلَّا تَلَمَّسُ مُظْلَمٌ بِاللَّيْلِ سَارِي
إِذَا نَحَرَتْ بَنُو غَيْظٍ جَزُوراً دَعَوْهُمْ بِالْمَرَاجِلِ وَالشُّقَارِ
طُهَاءَ اللَّحْمِ حَتَّى يُضْجِبُوهُ وَطَاهِي اللَّحْمِ فِي شُغْلٍ وَعَارٍ

فقال أوطاة يُجيبه ويعيره بأن أمه من عبد القيس :

[من الوافر]

وهذا الفَسُوْ قد شاركتَ فيه فَمَنْ شاركتَ في أَيْرِ الحِمَارِ
وَأَيُّ النَّاسِ أَخْبَثُ مِنْ هِبَلٍ فزاريُّ وَأَخْبَثُ رِيحُ دَارٍ¹

[هجاؤه مسرف بن عقبة]

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، قال : حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي ، قال : قدم مُسرف² بن عقبة المريّ المدينة ، وأوقع بأهل الحرة ، فأثاه قومه من بني مرة وفيهم أوطاة فهشّوه بالظفر واسترفدوه فطردهم ونهّتهم ، وقام أوطاة بن سهيّة ليمدحه فتجهمه بأقبح قولٍ وطرده . وكان في جيش مسرف رجلٌ من أهل الشام من عذرة ، يقال له عمارة ، قد كان رأى أوطاة عند معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف إقبال معاوية عليه ، ورفده له ، فأومأ إلى أوطاة فأثاه ، فقال له : لا يغررك ما بدا لك من الأمير ، فإنه عليلٌ ضجرٌ ، ولو قد صحَّ واستقامت الأمور لزال عما رأيتَ من قوله وفعله ، وأنا بك عارفٌ ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين ، يعني معاوية ، ولن تعد مني ما تُحِبُّ . ووصله وكساه وحمله على ناقية ، فقال أوطاة يمدحه ويهجو مُسرفاً :

[من الطويل]

لَحَا اللَّهُ فَوْدِي مُسْرَفٌ وَابْنُ عَمِّهِ وَآثَارَ نَعْلِيْ مُسْرَفٍ حَيْثُ أَثَرَا
مَرَرْتُ عَلَى رَيْعِيْهِمَا فَكَأَنَّنِي مَرَرْتُ بِجَبَّارَيْنِ مِنْ سَرُوْ جَمِيْرَا³
ويروى : «تَصَيَّفْتُ جَبَّارَيْنِ» .

على أَنْ ذَا الْعَلْيَا عُمَارَةً لَمْ أُجِدْ على الْبُعْدِ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنْهُ تَغْيَرَا
جَبَانِي بِيُرْدِيهِ وَعَنْسٍ كَأَنَّمَا بَنِي فَوْقَ مَتْنِيْهَا الْوَلِيدَانِ قَعَقَرَا⁴

[أوطاة يسب ويضرب امرأة تطاولت على أمه]

وقال أبو عمرو الشيباني : خاصمت امرأة من بني مرة سهيّة أم أوطاة بن سهيّة ، وكانت

- 1 الهبل : الثقل المسن من الناس والإبل .
- 2 اسمه مسلم ولقب مسرفاً لإسرافه في القتل يوم الحرة .
- 3 سرو حمير : محلّتهم .
- 4 القهقر : بناء طويل من الحجارة يقيمه الصبيان .

من غيرهم أخيدة أخذها أبوه ، فاستطالت عليها المرأة وسبّتها ، فخرج أرطاة إليها فسبّها وضربها ، فجاء قومه ، ولاموه ، وقالوا له : ما لك تُدخِل نفسك في خصومات النساء ! فقال لهم :

يُعَيِّرُنِي قَوْمِي الْمَجَاهِلِ وَالْخَنَا
هل الجهلُ فيكم أن أعاقبَ بعدما
تُجَوِّزُ سَيِّئِي وَاسْتَحِلُّ حَرِيمِي
إذا أنا لم أُمْنَعْ عَجْوزِي مِنْكُمْ
وقد عَلِمْتَ أَفْنَاءَ مُرَّةٍ أَنَا
حماةٌ لأحسابِ العشيرة كلها
عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليمٍ
فكانت كأخرى في النساء عقيمٍ
إذا ما اجتدانا الشرَّ كلُّ حميمٍ¹
إذا دُمَّ يَوْمَ الرُّوعِ كلُّ مُليمٍ²

وتمام الأبيات التي فيها الغناء ، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهبة ، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلوا يوم بناتِ قين³ ، هو :

فَلَا وَأَيْبُكَ لَا تَنْفَكُ نَبْكِ
على قَتْلِي هُنَاكَ أَوْ جَعَنْتَا
سَبَّكِ بِالرُّمَاحِ إِذَا التَّقِينَا
بطعنِ تَرَعْدَ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ
كَأَنَّ الْخَيْلَ إِذْ آتَسْنَ كَلْبًا
على قَتْلِي هُنَاكَ ، مَا بَقِينَا
وَأَسْتَسَا رِجَالًا آخَرِينَا
على إِخْوَانِنَا وَعَلَى بَنِينَا
يَرُدُّ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانُ جُونًا⁴
يَرَيْنَ وَرَاءَهُمْ مَا يَتَغِينَا

صوت

[من الطويل]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخْلَصْتُ
أَلَمْتُ فَحَيْتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ
إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ بِالْقِفْلِ مُغْلَقٍ⁵
فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي ، والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالسَّابَةِ في مجرى البِنْصَرِ عن إِسْحَاقَ . وذكر عمرو بنُ بَازَةَ أَنَّ فِيهِ خَفِيفًا ثَقِيلًا أَوَّلَ بالوَسْطَى لابن سَرِيحَ . وذكر حماد بن إِسْحَاقَ أَنَّ فِيهِ خَفِيفَ الثَّقِيلِ لِلْهُذَلِيِّ .

1 اجتدانا الشر : طلب إلينا الشر ، أي طلب معونتنا لدفع الشر .

2 المليم : الذي يأتي ذنباً يلام عليه .

3 بنات القين : آكام في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب .

4 الأبدان : الدروع القصيرة . الجون هنا : الحمر من الدم .

5 مغلق في ل : دوني .

[233] - أخبار جعفر بن عتبة الحارثي ونسبه¹

[نسبه]

هو جعفر بن عتبة بن ربيعة ، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب ، بن معاوية بن صلاء بن المعقل بن كعب بن الحارث بن كعب . ويكنى أبا عارم ، وعارم ابن له قد ذكره في شعره . وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه . وكان أبوه عتبة بن ربيعة شاعراً أيضاً . وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغaira عليها . وقيل : بل في غارة أغارها عليهم . وقيل : بل كان يُحدث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه . وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتُنسب إلى من رواها .

[سكر فحس]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي ، قال : حدثنا أبو مالك اليماني ، قال : شرب جعفر بن عتبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحبسه ، فأنشأ يقول في حبسه :

لقد زعموا أنني سكرتُ وربما يكون الفتى سكران وهو حليمٌ
لعمرك ما بالسكر عارٌ على الفتى ولكن عاراً أن يُقال لثيمٌ
وإن فتى دامت موثيقُ عهده على دون ما لاقيته لكريمٌ²

قال : ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس ، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر :

إذا بابُ دورانٍ ترنم في الدجى وشدُّ بأغلاقٍ علينا وأقفالٍ
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بجُلجلٍ يدورُ به حتى الصباح بإعمالٍ³
وحراسُ سؤى ما ينامون حوَّله فكيفَ لمظلومٍ بحيلةٍ مُحْتالٍ

1 ترجمة جعفر بن عتبة الحارثي في الخزائن 10 : 310-312 ، وحماة التبريزي 1 : 28 ومعاهد التنصيص 120 : 1 وفي التذكرة الحمدونية بعض أخباره .

2 فتى في ل : امراً . دون في ل : مثل .

3 العلج هنا : الرجل الشديد الغليظ . الجلجل : الجرس الصغير .

ويصبرُ فيه ذو الشجاعة والندى على الذلِّ للمأمورِ والعِجْر والوالي

[إغارة جعفر على بني عقيل]

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر وقتله في غارة أغارها على بني عقيل ، فإنني نسختُ خبره في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه ، قال : خرج جعفر بن علبة وعليُّ بن جُعْدَب الحارثيَّ القنانيَّ والنضر بن مُضارب المَعَاوِيَّ ، فأغاروا على بني عُقيل ، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصَاد على المضايق ، فكانوا كلُّما أفلتوا من عصابةٍ لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهدي ، فرجعت عنهم بنو عُقيل ، وقد كانوا قتلوا فيهم ، ففي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

ألا لا أبالي بعدَ يومٍ سَحَبِلٍ إذا لم أُعَذَّبْ أن يجيء حِمَامِيَا¹
تركت بأعلى سَحَبِلٍ ومُضِيْقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لا ييرح الدَّهْرُ ثَاوِيَا
شَفِيتُ بِهِ غِيْظِي وَجُرْبُ مَوْطِنِي وَكَانَ سَنَاءُ آخِرِ الدَّهْرِ بَاقِيَا²
أَرَادُوا لِيَسْتَوْفِي فَقُلْتُ تَجَنَّبُوا طَرِيقِي فَمَا لِي حَاجَةٌ مِنْ وَرَاقِيَا
فِدَى لَبْنِي عَمُّ أَجَابُوا لِدَعْوَتِي شَفَوْا مِنْ بَنِي الْقِرْعَاءِ عَمِّي وَخَالِيَا
كَانَ بَنِي الْقِرْعَاءِ يَوْمَ لَقِيْتَهُمْ فِرَاحُ الْقَطَا لَا قَيْنَ صَقْرًا يَمَانِيَا
تَرْكَنَاهُمْ صَرَعَى كَأَنَّ ضَجِيجَهُمْ ضَجِيجُ دَبَارَى النَّيْبِ لَا قَتَ مُدَاوِيَا³
أَقُولُ وَقَدْ أَجَلْتُ مِنَ الْيَوْمِ عَرَكَةَ لَيْلِكَ الْعُقَيْلِيِّينَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
فَلِإِنَّ بُقْرَى سَحَبِلٍ لِأَمَارَةٍ وَنَضَحَ دِمَاءُ مِنْهُمْ وَمَحَايَا

المحامي : آثارهم ، حبوا من الضعف للجراح التي بهم .

ولم أترك لي ربةً غير أنني وددتُ مُعَاذًا كَانَ فِيمَنْ أَتَانِيَا
أَرَادَ : وددتُ أَنَّ مُعَاذًا كَانَ أَتَانِيَا مَعَهُمْ فَأَقْتَلَهُ .

شَفِيتُ غَلِيلِي مِنْ خُشْيَنَةٍ بَعْدَمَا كَسَوْتُ الْهَذِيلَ الْمَشْرِفِيَّ الْيَمَانِيَا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَاقِيَا صَحَارِيَّ نَجْدٍ وَالرَّيَاحَ الدَّوَارِيَا
وَلَا زَائِرًا شَمَّ الْعَرَانِينَ أَتَمَى إِلَى عَامِرٍ يَحْلُلْنَ رَمْلًا مُعَالِيَا

1 سحبل : موضع .

2 موطني : موقفي .

3 دباري النيب : النوق المسنة التي أصابها الدبر .

إذا ما أتيت الحارثيات فأنعني
وقود قلوصي بينهن فإنها
أوصيكم إن مت يوماً بعارم
لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
ليغني شيئاً أو يكون مكانياً¹

ويروى :

وعطل قلوصي في الركاب فإنها
وهذا البيت بعينه يروى للملك بن الرئب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه . وقال
في ذلك جعفر أيضاً :

وسائلة عنا بغيب وسائل
عشية قرى سحبل إذ تعطفت
ففرج عنا الله مرعى عدونا
إذا ما قرى هام الرؤوس اعترامها
إذا ما رصيدنا مرصداً فرجت لنا
ولما أبوا إلا المضي وقد رأوا
حلفت يميناً برة لم أرذ بها
ليختصمن الهندواني منهم
وقالوا لنا إثنان لا بدّ منهما
فقلنا لهم تلكم إذا بعد كرة
وقتل نفوس في الحياة زهيدة
نراجعهم في قالة بدأوا بها
لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل
بمصدقنا في الحرب كيف نحاول
علينا السرايا والعدو المبائل²
وضرب بيض المشرفية خابل³
تعاورها منهم أكف وكاهل⁴
بأيماننا بيض جلتها الصياقل
بأن ليس منا خشية الموت ناكل
مقالة تسميع ولا قول باطل⁵
معاقد يخشاها الطبيب المزاو⁶
صدور رماح أشرعت أو سلاسل
تغادر صرعى نهضها متخاذل
إذا اشتجر الخطي والموت نازل
كما راجع الخصم البذي المناقل⁷
ولي منه ما ضمت عليه الأنامل

1 أو يكون مكانياً في ل : أو يقوم مقامياً . وعارم : ابنه .

2 المبائل : المصاويل .

3 المرحى : الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب .

4 قرى هام الرؤوس اعترامها : أكثر فيها الضرب الشديد .

5 تسميع : تشهير وتشنيع . وفي البيت إقواء .

6 يختصم : يقطع .

7 المناقل : الذي يتحدث مع غيره ويراجعه .

[مقتل جعفر بن علبه بحق بني عقيل]

قال : فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه علبه بن ربيعة فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقيده منه بجراحة¹ ، وأما علي بن جعذب فأفلت من الحبس ، وأما جعفر بن علبه فأقامت عليه بنو عقيل قسامة² أنه قتل صاحبهم فقتل به . هذه رواية أبي عمرو .

وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبه وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحر العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي ، وهي في إبل لمولاهما في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحارث ، فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي ، فدخلتهما مؤاسفة³ حتى تخانقا بالعمائم . فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه ، ثم تفرقا . وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم . ثم بلغهم بيت قيل ، وهو : [من الطويل]

ألم تسأل العبد الزيادي ما رأى بصمعر والعبد الزيادي قائم

فغضب إياس من ذلك فلقني هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي ، وهو إسماعيل بن أحر ، فشجّه شجّتين وخنقه ؛ فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم . ثم لقي العقيليون جعفر بن علبه الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه . وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجّع لجعفر : [من الطويل]

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن تُغرّ إذا ما كان أمرٌ تحاذرة
فلا صلح حتى يخفق السيف خفقة بكف فتى جرّت عليه جرائرة

ثم إن جعفر بن علبه تبعهم ومعه ابن أخيه جعذب ، والنضر بن مضارب ، وإياس بن يزيد ، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بحير ، وهو موضع بالقاعة ، فضربوهما ضرباً مُبرحاً ، ثم انصرفوا فضّلوا عن الطريق . فوجدوا العقيليين وهم تسعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعاً آخر بسجل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل جعفر بن علبه رجلاً من عقيل يقال له خشينة ، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة ، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ؛ ثم أفلت منه رجل فخرج هارباً ، فأحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم . فأقاده إبراهيم بن هشام .

قال وقال جعفر بن علبه قبل أن يُقتل وهو محبوس :

[من الطويل]

1 أي أقتص منه بضربة أو طعنة .

2 القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

3 مؤاسفة : مغاضبة . رفيعهم : أرسلهم إلى الوالي .

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَتَيْتُ تَخَلَّصْتُ
 أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ
 فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ
 وَكَيْفَ وَفِي كَفِّي حَسَامٌ مُدَلَّقٌ²
 وَلَا أَن قَلْبِي يَزِدُّهُمُ وَعِيدُهُمْ
 وَلَكِنْ عَرَنْتِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ
 فَأَمَّا الْهَوَى وَالْوَدُّ مِنِّي فَطَائِحٌ
 إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ بِالْقِفْلِ مَغْلُوقٌ¹
 فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ³
 لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ⁴
 يَعْصُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ وَيَعْلَقُ⁵
 وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أُحْرَقُ⁶
 كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقٌ
 إِلَيْكَ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقٌ

وقال جعفر بن عتبة لأخيه [ماعز] يحرّضه : [من الطويل]

وقل لأبي عون إذا ما لقيته
 في نسخة ابن الأعرابي :

ودونه من عرض الفلاة مُحُولٌ
 إذا ما لقيته

بالميم ، ويشتم الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها ، وهي لغتهم خاصة .

تَعَلَّمُ وَعَدُّ الشُّكِّ أَنَّنِي يَشْفُنِي
 إِذَا رُمْتُ مَشِيًّا أَوْ تَبَوَّاتُ مَضْنَجًا⁴
 وَلَوْ بِكَ كَانَتْ لَا بَتَعَثْتُ مَطِيَّتِي
 إِلَى الْعَدْلِ حَتَّى يَصُدِّرَ الْأَمْرَ مَصْنَدًا⁵
 ثَلَاثَةُ أَحْرَاسٍ مَعًا وَكُبُولُ⁶
 يَبِيتُ لَهَا فَوْقَ الْكِعَابِ صَلِيلُ⁷
 يَعُودُ الْحَفَا أَخْفَافَهَا وَتَجُولُ⁸
 وَتَبْرَأُ مِنْكُمْ قَالَةً وَعُدُولُ⁹

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد ، فخالف هاتين الروایتين ، وقال فيه : كان

جعفر بت عتبة يزور نساء من عقيل بن كعب ، وكانوا متجاوزين هم وبنو الخارث بن كعب ، فأخذته عقيل ، فكشفوا دُبُرَ قميصه ، وربطوه إلى جُمُته ، وضربوه بالسياط ، وكثفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن ، ويفضحوه عندهن ؛ فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثَلَّةٌ ، وأنا أحلف لكم بما يُثَلِّجُ صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ، ولا أَلِجَهَا . فلم يقبلوا منه . فقال لهم : فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ، ومثوا علي بالكف عني فإنني أعدّه نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ،

1 بالقفل في ل : دوني وكذلك في الحماسة .

2 مدلق : محدد .

3 أُنحرق هنا : الدهش فزعاً .

4 يشفه : يهزله ويذهب بعقله . والكبول : القيود واحدها كبل .

5 ل : منزلاً .

فأكون آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغرون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه ، ثم خَلَوْا سبيله . فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلما كان في نُقْرةٍ من الرمل أناخ هو وصاحبه ، وكانت عقيلٌ أَقْفَى خلقِ الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، والعُقَيْلِيُّونَ مُغْتَرَوْنَ ليس مع أحديهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحبه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر واقتروا ، فاستعدت عليهم عَقِيلٌ السريُّ بن عبد الله الهاشميَّ عامل المنصور على مَكَّة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأفاد من الجراح ، ودافع عن جعفر بن علبة ، وكان يُحِبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخِزْوَلَةِ أَبِي العباس السِّفَّاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفرٍ كانت تحت السريِّ بن عبد الله ، وكانت حظيَّةً عنده ، إلى أن أقاموا عليه قسامةً ، أنه قتل صاحبهم . وتوعَّدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه . فحيثُذِ دعا بجعفر فأفاد منه ، وأفلت عليُّ بن جُعْدُبٍ من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة . فلما أُخْرِجَ جعفرٌ للقود قال له غلامٌ من قومه : أسقيك شربةً من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت لا أُمُّ لك ، إني إذا لمهيأ¹ . وانقطع شِسْعُ نعله² فوقف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشدَّ قِبَالَ نَعْلِي أَنْ يراني عدوِّي للحوادث مُسْتَكِينا³

قال : وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نخبةً بن كليبٍ أخو المجنون ، وهو أحدُ بني عامر بن عقيلٍ ، فقال في ذلك :

شفى النفس ما قال ابن عُلْبَةَ جعفر وقَوْلِي له اصْبِرْ ليس يَنْفَعَكَ الصَّبْرُ
هَوَى رأسه من حيث كان كما هو عُقَابٌ تَدَلَّى طَالِباً جَانِبَ الْوَكْرِ⁴
أبا عارم ، فينا عُرَامٌ وشِدَّة وَبَسْطَةُ أَيْمَانٍ سَوَاعِدَهَا شَعْرٌ⁵
هُمْ ضَرَبُوا بالسيف هَامَةً جعفر ولم يُنْجِهِ بَرٌّ عَرِيضٌ ولا بَحْرٌ
وقَدْ نَاهَ قَوْدَ الْبَكْرِ قَسراً وَعَنَوَةً إلى القبرِ حتى ضَمَّ أَثْوَابَهُ الْقَبْرُ

وقال علبة يرثي ابنه جعفرأ :

1 المهياف : الذي لا يصبر على العطش .

2 شسع النعل : أحد سيورها ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين .

3 قبال النعل : شسعها .

4 في البيت إقواء .

5 عرام : شدة وقوة وشراسة .

لعمركَ إني يوم أسلمتُ جعفرًا وأصحابه للموت لما أقاتِل
لمجتنب حبّ المنايا وإنما يهيج المنايا كلُّ حقٍّ وباطِل
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مُغلَّلةٌ أيديهم في السلاسل
ورب أخٍ لي غاب لو كان شاهداً رآه التبايئون لي غيرَ خاذلٍ¹

وقال عتبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يُقتل جعفر :

[من الطويل]

لعمركَ إنَّ الليلَ يا أمَّ جعفرٍ عليَّ وإنَّ علَّتني لطويلُ
أحاذِرُ أخباراً من القوم قد دنت ورجعةً أنقاضٍ لهنَّ دليلُ

فأجابته فقالت :

[من الطويل]

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقومِ جعفرًا فمُت كمدًا أو عش وأنت ذليلُ

[بنت يحيى بن زياد تكيه وترثيه بأبياته]

قال أبو عمرو في روايته : وذكر شداد بن إبراهيم أنَّ بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قُتل فكفته واستجادت له الكفن ، وبكته وجميع من كان معها من جواريتها ، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله :

[من الطويل]

أحقاً عبادَ الله أن لستُ رائياً صحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذَّواريَّ
وقد تقدّمت في صدر أخباره . وفي هذه القصيدة يقول جعفرُ :

وددت مُعَاذاً كان فيمن أتانياً

فقال معاذٌ يُجيبه عنها بعد قتله ، ويخاطب أباه ، ويُعرِّض له أنَّه قُتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلاَّ أنَّ غيظهم على جعفرٍ حملهم على أن ادَّعوا القتل عليه :

[من الطويل]

أبا جعفر سلبٌ بنجرانٍ واحتسب أبا عارمٍ والمُسَمَّناتِ العوالي²
وقودٌ قُلوصاً أتلَفَ السَّيفُ ربهَا بغير دمٍ في القوم إلاَّ تَمَارِيَا³
إذا ذكْرتهُ مُعْصِر حارثِيَّةَ جرى دمُعُ عَيْنَيْهَا على الخدِّ صافِيَا⁴

1 التبايئون : المنسوبون إلى تباله ، بلد باليمن .

2 سلب : أليس ثياب الحداد السود . المسمنات : السمينات .

3 قود : اجعلها تقاد ولا تركب . تماريا : تكذبا .

4 المعصر : التي بلغت عصر شبابها وأدركت .

فلا تحسبنّ الدينَ يا غلبَ مُنْسا ولا الثائرَ الحرانَ ينسى التقاضيا
سنقتلُ منكم بالقتيل ثلاثة ونُعْلِي وإن كانت دماء غواليا
تمنيت أن تلقى مُعَاذاً سفاهة ستلقى مُعَاذاً والقضيبَ اليمانيا
وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيةَ التي فيها الغناءُ في نسخة النَّضْرِ بن حديدٍ أتمَّ ممَّا ذكره أبو عمرو
الشيْباني . وأولها :

ألا هلْ إلى فتیانٍ هوٍ ولذّةٍ سبيلٌ وتَهْتَافِ الحمرِ المطوقِ
وشربةٍ ماءٍ من خَدُوراءٍ باردٍ جرى تحتَ أَظلالِ الأراكِ المُسَوِّقِ¹
وسيري مع الفتیانِ كلُّ عشيّةٍ ابتَارِي نداماهم بصهباءِ سَيْلِ
إذا كَلَحَتْ عن نابهاً مَجَّ شِدْقُهَا لُغاماً كَمَحُ البيضةِ المُتَرَفِّقِ²
وأصهبَ جَوْنِي كَأَن بُغَامَهُ تَبْعُمُ مطرودٍ من الوحشِ مُرْهَقِ
برى لحمَ دَفْيِهِ وأدمى أَظْلَهُ اجـ تيايبي الفيافي سَمَلَقاً بعدَ سَمَلَقِ³
وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهمٌ من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية
وهذه مخفوضة . فأتيت بكلّ واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك .

[علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسِيُّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لما قُتِلَ
جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يكيّن عليه ، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادها ، وألقاها
بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ! فما زالت النوقُ ترغو والشاةُ تثغو والنساءُ يصحن
ويكيّن وهو يكيّ معهنّ ؛ فما رُئي يومَ كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ .

صوت

[من الرمل]

عَلَلَانِي إِنَّمَا الدنِيا عَلَلٌ واسقِياي عَلا بعد نَهَلٍ
أَصْحَبُ الصّاحِبِ ما صاحِبني وأكفُ اللومِ عنه والعذلُ
الشعر للُجَير السلولي . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن حبّيش . وذكر
الهُشامِيُّ أَنَّهُ من منحول يحيى المَكِّي .

1 خدوراء : موضع .

2 كلحت : كشرت في عبوس . اللغام : زيد أفواه الإبل .

3 دفا البعير : جنباه . السملق : الأرض المستوية الجرداء .

[234] - أخبار العجير السلوي ونسبه¹

[نسبه]

هو ، فيما ذكر محمد بن سلام ، العجير بن عبد الله بن عبدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابر بن عبد الله بن سلول . ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال : هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبدة بن جابر بن عمرو بن سلول² بن مرة بن صعصعة ، أخي عامر بن صعصعة . شاعرٌ مقلٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زيد الطائي ؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام . [ماء مطلوب]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدثنا محمد بن سلام الجُمحيّ ، قال : حدثنا أبو الغراف قال : كان العجير السلويّ دلّ عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب ، وكان لناس من خثعم ، فأنشأ يقول :

لا نَوْمَ إِلَّا غِرَارُ الْعَيْنِ سَاهِرَةٌ إِنْ لَمْ أُرَوْغْ بَغِيظِ أَهْلِ مَطْلُوبِ
إِنْ تَشْتُمُونِي فَقَدْ بَدَلْتُ أَيْكَتَكُمْ ذَرَقَ الدَّجَاجِ بِحَفَّانِ الْيَعَاقِبِ³
وَكُنْتُ أَخْبِرْكُمْ أَنْ سَوْفَ يَعْمُرُهَا بُنُو أُمَيَّةٍ وَعَدَا غَيْرَ مَكْدُوبِ

قال : فركب رجلٌ من خثعم يقال له أمية إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما أراد العجير أن يصلّ إليك وهو شوير سأل . وحرّبه⁴ عليه . فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد . فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتّى أتى عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا عندك فاحتسبني وابعث من يبصر الأرضين والضياح ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حلٌّ وبلٌّ⁵ ، فبعث فاتخذ ذلك الماء ، فهو اليوم من خيار ضياح بني أمية .

[هجا بني حنيفة فأباح الولي حذّه]

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : هجا

1 ترجمة العجير السلوي في طبقات الشعراء : 615-625 والسمط : 92 وحماسة التبريزي : 2 : 193

و79-80 والمؤتلف والمختلف : 166 . والخزانة : 5 : 35-36 .

2 في الخزانة والأمدى ومعارف ابن قتيبة أنّ سلول أسهم .

3 حفان اليعاقب : فراخ الحجل .

4 حرّبه : حرّضه .

5 حلّ : حلال ، وبلّ : صباح .

العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم ، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكناني ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدّ ، وقال لهم : إن وجدتموه أتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملاً يشهدون به لثلاث يدّعي عليكم تجاوز الحقّ . فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ، ثم تعلّق بثوبه وقال : [من الطويل]

إليك سبقنا السوطَ والسجنَ ، تحتنا حيالُ يُسامين الظلالَ ولُقحُ
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا تحومُ علينا السانحات وتبرحُ
فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي وإن أك مذبوحاً فكن أنت تذبحُ

فسأله عن المطر وكيف كان أثره ، فقال له : [من الرجز]

يا نافع يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشيّة
إنّا لقينا سنةً قسيه ثم مُطرنا مطرةً رويّة¹

فنبت البقل ولا رعيّة²

يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل . فقال له : انجُ بنفسك فإني سأرضي خصوصك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم . [شعره في ابن عمّه]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمر بن إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد السعديّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلويّ : أصدقت فيما قلته لابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إلّا أنّي قلت : [من الطويل]

فتى قد قدّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لبّاته وبأدله³

هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطّريّة تربيته به . [من الطويل]

جميلٌ إذا استقبلته من أمامه وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافله⁴
طويلٌ سطبيُّ الساعدين عدوّرٌ على الحيّ حتى تستقلّ مراجله⁵

1 سنة قسيّة : سنة قاسية .

2 رعيّة : الماشية الراعية .

3 الرهل : المسترخي لحمه من غير داء . البّادل : جمع بأدلة وهي اللحمية بين العنق والترقوة .

4 جافل هنا : كثير الشعر .

5 سطبي الساعدين : ذو بطش . العدوّر : السيء الخلق والمعنى أنه يشتدّ على الحيّ إلى أن تغضب المراحل ويطمئن على قرى الأضياف .

ترى جازريه يُرعدان وناره
يجران ثنياً خيرها عظم جاره
تركنا أبا الأضياف في كل شتوة
مقيماً سلبناه دريسي مفاضة
فقال هشام : هلك والله الرجل .

[شعره حين منعه العامري العطاء]

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي : اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام ، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامري العجير شيئاً ، فقال العجير :

يا ليتني يوم حزمت القلوص له
محض النجار من البيت الذي جعلت
لا يُمنسك الخير إلا ريث يُسأله
ولا يلاطم عند اللحم في السوق⁶

فبلغت أبياته الحسن ، فبعث إليه بصلة إلى محلة قومه وقال له : قد أتاك حظك وإن لم تنصد

له .

[سكر العجير فأمر بنحر جملة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحول قال : حدثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مرّ بقوم يشربون فسقوه . فلمّا انتشى قال : انحروا جملي وأطعمونا منه . فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قاله يومئذ ، وهو :

عللاني إتما الدنيا علل
واسقياني عللا بعد نهل
وانشأ ما اغبر من قدركما
وأصبحاني أبعد الله الجمل

- 1 عداميل : جمع عدمل وهو الضخم القديم من الشجر ، وفي ل : عدولي : نسبة إلى موضع . والصال : اليايس .
- 2 الثني : الناقة التي ولدت بطنين ، وابنها الثاني يسمى ثنياً . لم تعد عنها : لم تنصرف .
- 3 في كل شتوة في ل والحماصة : في ليلة الصبا .
- 4 الدريس : الخلق من الثياب . وهنا يعني الدرع القديمة . المفاضة : الواسعة .
- 5 المذق : الخلط ، أي أنه خالص النسب .
- 6 يعني أنه لا يشتري اللحم من السوق وإنما يذبح لأضيافه .

أصحبُ الصاحب ما صاحيني وأكفُ النَّوم عنه والعذلُ
 وإذا أتلف شيئاً لم أقلُ أبداً يا صاح ما كان فعلُ
 قال : فلماً صحا سأل عن جملة فقيل له : نحرته البارحة . فجعل ييكي ويصيح :
 واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيراً فارتحلوه وانصرف إلى أهله .
 [حج بامرأته فنظرت إلى غيره]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حجَّ العجير السلوليَّ فنظر
 إلى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلمه فقال فيها : [من الطويل]
 أيَا ربَّ لا تغفر لعُثمة ذنبها وإن لم يعاقبها العجير فعاقبِ
 أشارت وعقدُ الله بيني وبينها إلى راكب من دونه ألف راكب
 حرامٌ عليك الحجُّ لا تقرِّنه إذا حان حجُّ المسلمات التواب¹
 [فسخ زواج ابنته من مولى بني هلال]

وقال ابن الأعرابي : غاب العجير غيبةً إلى الشام ، وجعل أمر ابنته إلى خالها ، وأمره أن
 يزوجه بكفاء . فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال ، فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية
 الموصى إليه بأمرها أن يزوجه منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ،
 وبرجال من قومها ، وبابن عم لها يقال له قَيْل ، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه
 ساعد أمها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق . فلماً قديم العجير أخبر بما جرى ففسخ
 النكاح وخلع ابنته من المولى وقال : [من الطويل]

ألا هل لبعجان الهلالي زاجرٌ وبعجان مأدوم الطعام سمينٌ
 أليس أمير المؤمنين ابن عمها وبالحنو آساد لها وعرين²
 وعاذت بحقوقي عامر وابن عامر ولله قد بتت علي يمينٌ
 تنالونها أو يخضب الأرض منكم دم خر عنه حاجب وجين³
 وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أتيت الخاضبات أكفها عليهن مقصورُ الحجال المروق⁴

1 المسلمات في ل : المحصنات .

2 الحنو : حنو ذي قار قرب الكوفة .

3 تنالونها : لا تنالونها .

4 المروق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف .

فلا تدعون القيل إلا لمشرب
هو ابن ليضاء الجين نجية
تداعى إليه أكرم الحي نسوة
فجاءت بعريان اليدين كأنه
رؤاء ولكن الشجاع الفرزدق
تلقت بطهر لم يجيء وهو أحمق¹
أطفن بكسرى بيتها حين تطلق
من الطير باز ينفض الطل أزرق
[قول العجير في رفيقه أصبح]

وقال ابن الأعرابي: كان للعجير رفيق يقال له أصبح، وكانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجير:

ومنخرق عن منكبيه قميصه
إذا طال بالقوم المطا في تنوفة²
دعوت وقد دب الكرى في عظامه
كما دب صافى الخمر في مخ شارب
فلبى ليشني يثني لسانه
فقلت له قم فارتحل ليس هاهنا
فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه
وعن ساعديه، للأخلاء واصل
وطول السرى ألفيته غير ناكل³
وفي رأسه حتى جرى في المفاصل
يميل بعطفه، عن اللب ذاهل
ثقلين من نوم غلوب الغياطل⁴
سيوى وقفة الساري مناخ لنازل
ويحسر عن عاري الذراعين ناكل⁵
[امرأة العجير تمنعه من مالها]

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين ومدّ يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول وقد غالبتها أم خالد
أبى القصر من يأوي إذا الليل جئنني
أيا موقدي ناري أرفعها لعلها
على مالها أغرقت ديناً فأقصر
إلى ضوء ناري من فقير ومقتر
تشب لمقو آخر الليل مقفر⁵

1 تلقت: عقلت به.

2 المطا: التمطي وهو السير الممتد. الناكل: الضعيف الجبان.

3 الغياطل: جمع غيطة وهي هنا غلبة الناس.

4 يسرو قميصه: يلقيه عنه.

5 المقوي: الذي لا زاد معه.

أَمِين رَاكِبٍ أَمْسَى بظَهْرٍ تَنُوفَةٍ أُوَارِيكَ أُمٌّ مِنْ جَارِي الْمُتَنَظِّرِ
وَلَا قِدْرَ دُونَ الْجَارِ إِلَّا ذَمِيمَةً وَهَذَا الْمُقَاسِي لَيْلَةً ذَاتَ مَنْكَرٍ
تَكَادُ الصَّبَا تَبْتَرُهُ مِنْ ثِيَابِهِ عَلَى الرَّحْلِ إِلَّا مِنْ قَمِيصٍ وَمُزْرٍ
وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يَخَالِسَ ضَوْءُهَا كَرِيمٌ نَفَاهُ شَاكِبُ الْمُتَحَسِّرِ
الْمُتَحَسِّرُ : مَا انْكَشَفَ وَتَجَرَّدَ مِنْ جِسْمِهِ ¹ .

فِيخْبِرُنَا عَمَّا قَلِيلَ وَلَوْ خَلَّتْ لَهُ الْقِدْرُ لَمْ نَعَجِبْ وَلَمْ نَتَخَبَّرِ

صوت

[من الطويل]

سَلِي الطَّارِقِ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزَرِي ²
أَبْسُطْ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
فَلَا قَصْرَ حَتَّى يَفْرَجَ الْغَيْثُ مِنْ أَوَى إِلَى جَنْبِ رَحْلِي كُلِّ أَشْعَثِ أَغْبَرِ
أَقْبِي الْعِرْضَ بِالْمَالِ التَّلَادِ وَمَا عَسَى أَخُوكَ إِذَا مَا ضَيَّعَ الْعِرْضَ يَشْتَرِي
يُؤَدِّي إِلَيَّ النِّيلَ قُنْيَانًا مَاجِدٍ كَرِيمٌ وَمَالِي سَارِحًا مَالِ مُقْتَرِ
الْقُنْيَانُ : مَا اقْتَنَى مِنَ الْمَالِ . يَقُولُ : إِنَّهُ لَبَذَلَهُ الْقَرَى كَأَنَّهُ مُوسِرٌ ، وَإِذَا سَرَحَ مَالُهُ عَلِمَ أَنَّهُ مُقْتَرٌ .

إِذَا مِتُّ يَوْمًا فَاحْضُرِي أُمَّ خَالِدٍ تُرَائِكُ مِنْ طَرَفٍ وَسَيْفٍ وَأَقْدَرِ ³
قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرُوي هَذِهِ الْأَيَّاتِ الْأَخِيرَةَ الَّتِي أَوَّلَهَا :
سَلِي الطَّارِقَ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكِ

لَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ، وَهِيَ لِلْعُجَيْرِ .

[العجير يقيم شهراً بباب عبد الملك]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : وَفَدَ الْعَجِيرُ السَّلُولِيَّ ، وَسَلُولُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ صَعْبَعَةَ ، عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَأَقَامَ بِيَابَهُ شَهْرًا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ لَشَغْلِهِ عَرَضَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَيْهِ

1 ل : جلده .

2 المعتز : قاصد المعروف سأل أو لم يسأل .

3 الأقدَر : من الخيل هو الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافري قدميه .

فلماً مثلاً بين يديه أنشد :

[من الطويل]

ألا تلك أم الهيرزي تبيئت
عظامي ومنها ناحل وكسير¹
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن
فتى قبل عام الماء فهو كبير²
فقلت لها إن العجير تقلبت
به أبطن أبلينه وظهور
فمنهن إدلاجي على كل كوكب
له من عماري النجوم نظير
وقرعي بكفي باب ملك كأنما
به القوم يرجون الأذين نسور³
ويوم تبارى السن القوم فيهم
وللموت ارحاء بهن تدور
لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها
لعدن وقد بانث بهن فطور
فرحت جواداً والجواد مثابر
على جريه ، ذو علة ويسير

فقال له : يا عجير ما مدحت إلا نفسك ، ولكننا نعطيك لطول مقامك . وأمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بني عامر ، فكتب له بها .

[المروءة خير لباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال : حدثنا العمري عن العتبي قال : نظر أبي فتى من بني العباس يسحب مطرف خز عليه وهو سكران ، وكان فتى متهتكاً ، فحرك راسه ملياً ثم قال : لله در العجير السلوي حيث يقول : [من المتقارب]

وما لبس الناس من حلة
جديد ولا خلقاً يرتدى
كمثل المروءة للآسين
فدعني من المطرف المستدى⁴
فليس يغير فضل الكريم
خلوقه أثوابه والبلى
وليس يغير طبع اللئيم
مطارف خز رفاق السدى
يجود الكريم على كل حال
ويكبو اللئيم إذا ما جرى

[قوله لابنه الفرزدق]

أخبرني عمي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو القاسم اللهي عن أبي عبيدة قال : كان العجير السلوي له ابن يقال له الفرزدق ، وفيه يقول العجير : [من الكامل]

1 أم الهيرزي : الحمى .

2 عام الماء : العام الخصيب .

3 الأذين : الحاجب .

4 المستدى : المنسوج .

ولقد وضعتك غير مُتركٍ من جابر في بيتها الضخم
واخترت أملك من نسائهم وأبوك كل عذورٍ شهم¹
فلئن كذبت المنح من مائة فلتقبلن بسائغٍ وخم
إن الندى والفضل غايتنا ونجاتنا وطريقُ مَنْ يحمي

[يستجد بأمر لوفاء دينه]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكرائي قال : قال الحرمازي : وقف العجير السلوي لبعض
الأمرء ، وقد علق به غريم له من باهلة فقال له :

[من الطويل]

أتيتك إن الباهلي يسوقني بدين ومطلوبُ الديون رقيقُ
ثلاثتنا إن يسر الله : فائز بأجر ، ومُعطى حقّه ، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه .

[خطب بنت عمه ففضلت عليه العامري ليساره]

وقال ابن الأعرابي : كانت للعجير بنت عمّ وكان يهواها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها
فوعده وقاربته . ثم خطبها رجل من بني عامرٍ موسر ، فخيرها أبوها بينه وبين العجير ،
فاختارت العامري ليساره ، فقال العجير في ذلك :

[من الطويل]

ألمّا على دارٍ لزنبٍ قد أتى لها يلوى ذي المَرخ صيفٌ ومربّع²
وقولا لها قد طالما لم تكلمي وراعاك بالعين الفؤادُ المروّعُ
وقولا لها قال العجير وخصني إليك ، وإرسال الخليلين ينفعُ
أأنت التي استودعتك السرّ فانتحي لي الخونَ مَرّاحٍ من القومِ أفرع³
إذا متُّ كان الناس نصفين : شامتٌ ومثني بما قد كنت أسدي وأصنع⁴
ولكن سبكي خُطوب ومجلسٌ وشعثُ أهينوا في المجالسِ جوعُ
ومستلحمٌ قد صكّه القومُ صكّةً بعيدِ الموالي نيل ما كان يمنع⁵
رددتُ له ما أفرط القتل بالضحي وبالأمسِ حتى اقتاله فهو أصلع⁶

1 العذور : السيء الخلق ، القليل الصبر .

2 اللوى : منقطع الرمل . ذو المَرخ : دار كثير الشجر قريب من فلك .

3 انتحي : قصد : الخون : الخيانة . أفرع : شخص له جمّة .

4 الناس في ل : القوم .

5 المستلحم : الذي أُرهِق في القتال . صكة القوم : ضربه ضرباً شديداً .

6 اقتاله في ل : اقتاده .

ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

[علق امرأة من عامر فانتهبوا ماله]

وقال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فآلفها وعَلَقَهَا. ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين، فتتبعها نفسه. فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً، ثم رآوه منازلًا مُلازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أُمرك فإِذَا أَنْقَطَعَتْ عنها أو ارتحلت عَنَّا، أو فَاذَنْ بحرب. فقال: ما بيني وبينها ما يُنكر، وإنما كنتُ أَتَحَدَّثُ إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة، فأَمَّا الرِّية فحاش لله منها. ثم عاود محادثتها؛ فانتهبوا ماله وطرده. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولّى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأثاه مُستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله: [من الطويل]

عفا يافع من أهله فطَلوبُ وأقفر لو كان الفؤاد يثوبُ¹
وقفتُ بها من بعد ما حلَّ أهلها نصيبين والراقي الدموع طيبُ
وقد لاح معروفُ القتير وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان ندوبُ²
وسألتُ روحي المطيِّ وأحدثت مناسم منها تشتكي وصلوبُ
وما القلب أم ما ذكره أم صينية أريكة منها مسكن فهروبُ³
حصان الحمى حرة حال دونها حليل لها شاكي السلاح غضوبُ
شموسٌ، دُئو الفرقدن اقترأها، لغني مقاريف الرجال سبوبُ
أحقاً عباد الله أن لستُ ناظراً إلى وجهها إلا علي رقيبُ
عدتني العدا عنها بُعيدَ تساعفٍ وما أرتجي منها إلي قريبُ
لقد أحسنت جُمْلٌ لو أن تبيعها إذا ما أرادت أن تُثيب يثيبُ⁴
تصدّين حتى يذهب اليأسُ بالمني وحتى تكاذ النفسُ عنك تطيبُ

هذا البيت يروى لابن الدُمينة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنّه تشكّى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصّدّ منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي:

1 يافع: موضع. طلّوب: ماء.

2 معروف القتير: الشيب.

3 أريكة: جبل بالبادية. هروب: من قرى صنعاء باليمن.

4 التبيع: المولى والناصر.

وَأَنْتِ الْمُنَى لَوْ كُنْتَ تَسْتَأْنِفِينَا بخير وَلَكِنْ مُعْتَفَاكَ جَدِيدٌ¹
 أَيُؤْكَلُ مَالِي وَابْنُ مِرْوَانَ شَاهِدٌ ولم يَقْضِ لِي وَابْنُ الْحُسَامِ قَرِيبٌ
 فَتَى مَحْضُ أَطْرَافِ الْعُرُوقِ مَسَاوِرٌ جبالُ الْعَلَا طَلَقَ الْيَدَيْنِ وَهَوْبٌ²

فَأَمْرُ مُحَمَّدُ بْنُ مِرْوَانَ بِإِحْضَارِ ابْنِ الْحُسَامِ الْكَلَابِيِّ فَاحْضِرْ ، فَحَبَسَهُ حَتَّى رَدَّ مَالَ الْعَجِيرِ كُلَّهُ ، وَأَمَرَ الْعَجِيرَ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى حَيَّهِ وَتَرَكَ النُّزُولَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَوْ فِي قَوْمِهَا . قَالَ : وَقَالَ الْعَجِيرُ فِيهَا أَيْضاً ، وَيَصِفُ بَعِيرًا :

[من البسيط]

هَاتِيكَ جُمْلٌ بِأَرْضٍ لَا يُقَرِّبُهَا إِلَّا هَبْلٌ مِنَ الْعِيْدِي مُعْتَقِدٌ³
 وَدَوْنَهَا مَعَشَرَ خَزَرٍ عِيُونُهُمْ لَوْ تُخَمِّدُ النَّارَ مِنْ حَرٍّ لَمَّا خَمَدُوا⁴
 عَدُّوا عَلَيْنَا ذُنُوبًا فِي زِيَارَتِهَا لِيَحْجِبُوهَا وَفِي أَخْلَاقِهِمْ نَكَدٌ
 وَحَالَ مِنْ دُونِهَا شَكْسٌ خَلَّائِقُهُ كَأَنَّهُ يَمُرُّ فِي جِلْدِهِ الرُّبْدُ⁵
 فَلَيْسَ إِلَّا عَوِيلٌ كُلَّمَا ذُكِرَتْ أَوْ زَفْرَةٌ طَالَمَا أَنْتَ بِهَا الْكَبْدُ
 وَتِيَمَّنِّي جُمْلٌ فَاسْتَمَرَّ بِهَا شَحَطٌ مِنَ الدَّارِ لَا أُمٌّ وَلَا صَدَدُ
 قَالُوا غَدَاةً اسْتَقَلَّتْ : مَا لَمَقَلَّتْهُ أَمِنْ قَذَى هَمَلَتْ أَمْ عَارَهَا رَمَدُ⁶
 فَقُلْتُ لَا بَلْ غَدَتْ سَلْمَى لِطَيْتِهَا فَلَيْتَهُمْ مِثْلَ وَجْدِي بُكْرَةً وَجَدُوا
 إِنْ كَانَ وَصْلُكَ أَبْلَى الدَّهْرِ جِدَّتْهُ وَكُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٍ هَالِكٌ نَفْدُ
 فَقَدْ أَرَانِي وَوَجْدِي إِذْ تَفَارَقْنِي يَوْمًا كَوَجْدِ عَجُوزٍ دَرَعُهَا قَدُ
 تَبْكِي عَلَى بَطْلٍ حُمَّتْ مَنِيَّتُهُ وَكَانَ وَاتَرَ أَعْدَاءُ بِهِ ابْتَرَدُوا⁷
 وَقَدْ خَلَا زَمَنٌ لَوْ تَصَرِّمِينَ لَهُ وَصَلِّي لِأَيَقُنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ كَمِيدُ
 أَرْمَانَ تَعَجَّبْنِي جَمْلٌ وَأَكْتُمُهُ جُمْلًا حَيَاءً ، وَمَا وَجَدَ كَمَا أَجَدُ

1 تستأنفيننا : تعودين إلينا .

2 محض أطراف العروق : خالص الأصول طاهرها . المساور : المواب .

3 يقربها في ل : يبلغها . الهبل : الضخم الطويل . العيدي : النسب إلى فعل معروف . المعتقد : الصبور الشديد الصلب .

4 خزر العين : ضيقها ، كناية عن العداوة .

5 الشكس : الصعب . الربد : جمع ربة ، وهو السواد المتقطع فيه احمرار ، أو الغبرة .

6 عارها : أصابها .

7 ابتردوا : أثلجت صدورهم لموته .

فقد برئتُ على آتي إذا ذُكرتُ
من عهد سلمى التي هام الفؤادُ بها
قد قلت للكاشح المبدئي عداوته
ألا تُبين لي لا زلت تبغضني
وقد ترى غير ذي شك ومعلمه

[عبد الملك يوصي مؤدب ولده أن يرويه مثل قول العجير]

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي :

بين الجار حين بين عني
وتظعن جارتني من جنب بيتي
وتأمن أن أطلع حين آتي
كذلك هذي آبائي قديماً
فهديني هديهم وهم أفتلوني

[رواية أخرى عن نحره جملة]

وقال ابن حبيب أيضاً : نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه ، فلما سكر قام إلى جملة فقعه ، وأخرج كبده وجب سنامه ، فجعل يشوي ويأكل ويطعم ويغني : [من الطويل]

عللاني إنما الدنيا علل
واسقياني عللا بعد نهل
وانشأ لي اللحم من قذريكما
واصبحاني أبعد الله الجمل

فلما أفاق سأل عن جملة فأخبر ما صنع به ، فجعل ييكي ويصيح : واغريته ! وهم يضحكون منه . ثم أعطوه جملاً وزودوه ، فانصرف حتى لحق بقومه .

أخبرني عمي بهذا الخبر قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال : حدثني أبي عن عمه فقال فيه : مرّ العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرّب معهم ، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب ، ولم يقل فيها : فلما أصبح جعل ييكي ويصيح : واغريته ! - ولكنه قال : فلما أصبح ساق قومه إليه ألفَ بعير مكان بعيره .

1 تلد : لغة في التلاد ، وهو القديم .

2 رؤد : شابة حسنة .

3 ضمد : حاقد .

4 افتلاه : فطمه . وهنا فطموني عن جهل الصبا .

[سليمان بن عبد الله يعجب بشعر العجير]

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبى قالاً : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولى قال : حدثني أبي عن عمه قال : عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف ، وعلى العجير بُردان يساويان مائة وخمسين ديناراً ، فانقطع شيسع نعله فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال : [من الطويل]

ودلّيتُ دلوي في دلاء كثيرة إليك فكان الماء ريان معلما

فوقف سليمان ثم قال : لله درّه ما أفصحه ، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما ، والله إنه ليخيلُ إليّ أنه العجير ، وما رأيته قطّ إلّا عند عبد الملك . فقيل له : هو العجير . فأرسل إليه : أن صير إلينا إذا حللنا . فصار إليه ، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

[رثاء العجير لابن عمه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدثني هارون بن موسى الفروي قال : كان ابن عمّ للعجير السلولى إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعمهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في كبّتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير¹ ، ثم يصبحون على ذلك ، فلما مات ، قال العجير يرثيه :

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبّا بمرّ ومردى كلّ خصم يجادلُهُ²
وأرعيه سمعي كلّما ذكر الأسي وفي الصّدْرِ منّي لوعة ما تزايلُهُ
وكنّت أعيّرُ الدّمعَ قبلك من بكى فأنت على منّ مات بعدك شاغلُهُ

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر ، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشّمر دلّ بن شريك لا يشكّ فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته في أخباره .

صوت

[من المتقارب]

فتاة كأن رضابَ العبير فيها يُعلّ به الزنجبيل³
قتلتُ أباهَا على حبّها فتبخّل إن بخلت أو تُنيل
الشعر لحزيمة بن نهدي ، والغناء لطويس ، خفيف رمل بالبصرة عن يحيى المكيّ .

1 قدّر : ما يطبخ في القدر .

2 مر : ماء لبني أسد . مردى الخصم : الصبور على الخصم .

3 يعل هنا : يخلط .

[235] - أخبار خزيمه بن نهـد ونسبه

[نسبه]

هو خُزَيْمَةُ بن نهـد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . شاعر مقلّ من قدماء الشعراء في الجاهلية . وفاطمة التي عنها في شعره هذا : فاطمة بنت يذكر بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها ، فقتله غيلة . وإياها عنى بقوله :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

أخبرني بخبره محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيريّ قال : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي ، أظنّه عن الزهريّ ، قال : كان بدءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أنّه كان أوّل من ظعن عنها وأخرج منها قضاة بن معدّ . وكان سبب خروجهم أنّ خزيمه بن نهـد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة بن معدّ كان مشوّماً فاسداً ، متعرّضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عترة ، واسم يذكر عامر ، فشَبّب بها وقال فيها :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخرِجُ الشجن الدّفينَا
أرى ابنة يذكرٍ ظنعت ، فحلّت جنوبَ الحزنِ يا شحطاً مبينا

[مقتل يذكر بن عترة]

قال : فمكث كذلك زماناً ، ثم إنّ خزيمه بن نهـد قال ليذكر بن عترة : أحبّ أن تخرج معي حتى تأتي بقرظ . فخرجا جميعاً ، فلمّا خلا خزيمه بن نهـد بيذكر بن عترة قتله ، فلمّا رجع ، وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : لست أدري ، فارقني وما أدري أين سلك . فكان في ذلك شرٌّ بين قضاة ونزار ابني معدّ ، وتكلّموا فيه فأكثروا ، ولم يصحّ على خزيمه عندهم شيء يطالبون به ، حتى قال خزيمه بن نهـد :

فتاة كأنّ رضابَ العبير فيها يُعلّ به الزنجبيلُ
قتلت أباهَا على حبّها فتبخلُ إنْ بخلت أو تنيلُ

فلمّا قال هذين البيتين تناور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نزار بن معدّ وكندة

وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد . وحاءٍ وهم يومئذٍ يتمون فيقولون حاءٍ بن عمرو بن أَدِّ بن أَدِّ . وكانت قضاة تنتسب إلى معد ، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول : عك عدنان بن أَدِّ ، والأشعريون يتمون إلى الأشعر بن أَدِّ . وكانوا يتبدُّون¹ من تهامة إلى الشام ، وكانت منازلهم بالصُّفَّاح ، وكان مَرَّ وَعُسْفَان لربيعة بن نزار ، وكانت قضاة بين مكَّة والطائف ، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق ، فهو إلى اليوم يسمَّى غمر كندة . وإيَّاه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله² :

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصدًا لها الفرقدُ
هنا لك إمَّا تُعزَّى الفؤاد وإمَّا على إثرهم تكمدُ

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أَدِّ ، والأشعر بن أَدِّ ، وعك بن عدنان بن أَدِّ ، فيما بين جُدَّة إلى البحر .

[القارطان]

قال : فيذكر بن عنزة أحد القارظين³ اللذين قال فيهما الهذلي :

[من الطويل]

وحَتَّى يُووب القارطان كلاهما ويُنْشَر في القتلَى كليبٌ لوائِل

والآخر من عنزة ، يقال له أبو رُهم ، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر .

[انهزم قضاة وقتل خزيمة بن نهد]

قال : فلمَّا ظهرت نزارٌ على أنَّ خزيمة بن نهد قَتَلَ يذكر بن عنزة قاتلوا قضاة أشدَّ قتالٍ ، فهزمت قضاة وقُتِل خزيمة بن نهدٍ وخرجت قضاة متفرِّقين ، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حِلوان بن عمران بن الخاف بن قضاة ، وفرقة من بني رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحو البحرين حتى وردوا هجر ، وبها يومئذٍ قوم من النبط ، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلَّتْهم ، فقال في ذلك مالك بن زهير :

[من الوافر]

نَزَعْنَا مِنْ تهامةٍ أيَّ حيٍّ فلم تحفِل بذاك بنو نزارٍ
ولم أكن من أنيسكم ولكن شرينا دارَ آنسةٍ بدارٍ

[كهانة الزرقاء بنت زهير]

فلمَّا نزلوا هَجَرَ قالوا للزرقاء بنت زهير ، وكانت كاهنة ، ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت :

1 يتبدون : ينزلون البادية .

2 ديوان عمر : 90 .

3 القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

«سَعَفٌ وإهان¹ ، وتمر وألبان ، خيرٌ من الهوان». ثم أنشأت تقول : [من الكامل]

ودّع تهامة لا وداعٌ مُخالِقٌ بذِمامه لكن قلى وملام
لا تُنْكِرِي هَجْراً مُقامٌ غريبةٌ لن تعدمي من ظاعنين تهام

فقالوا لها : فما ترين يا زرقاء ؟ فقالت : «مُقامٌ وتُنوخ ، ما وُلِدَ مولودٌ وانْقَفَتْ فروخ² إلى أن يجيء غراب أبقع ، أصمغ أنزع³ ، عليه خلخالاً ذهب ، فطار فألهب⁴ ، ونَعَقَ فنَعَبَ ، يقع على النخلة السَّحُوق⁵ ، بين الدُّور والطريق ، فسيروا على وتيرة ، ثم الحيرة الحيرة ! ». فسُمِّيت تلك القبائل تَنُوخَ لقول الزرقاء : «مقام وتُنوخ». ولحق بهم قوم من الأزْد فصاروا إلى الآن في تنوخ ، ولحق سائر قضاة وبهرة موتٌ ذريع ؛ وخرجت فرقة من بني حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة يقال لهم : بنو تَزِيد ، فنزلوا عُبْقَر من أرض الجزيرة ، فنَسَجَ نسائهم الصُّوفَ وعَمِلُوا منه الزرابي ؛ فهي التي يقال لها العبقريّة ، وعَمِلُوا البرود التي يقال لها التزديدية . وأغارت عليهم الترك ، فأصابتهم ، وسَبَّتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك :

ألا لله ليلٌ لَمْ نَنَمْهُ على ذات الخِضابِ مُجَنِّيناً⁶
وليلتنا بآمِدٍ لَمْ نَنَمْهَا كليتنا بميفارقينا

[بهاء تلحق بالترك وتهزمهم]

وأقبل الحارثُ بن قُرَادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلوان ، فعرض له أباغُ بن سُلَيْحٍ صاحبُ العين ، فاقتتلا ، فقتِلَ أباغُ ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك ، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تَزِيد . فقال الحارثُ بن قُرَادٍ في ذلك :

كَانَ الدهرُ جُمِعَ في ليالٍ ثلاثٍ بِتَهْنٍ بشَهْرُزُورٍ
صَفَفْنَا للأعاجِمِ من مَعَدٍّ صفوفاً بالجزيرة كالسَّعِيرِ

[سليح بن عمرو نزلت ناحية فلسطين]

وسارت سُلَيْحُ بنُ عمرو الحاف بن قُضاعة يَقُودُهَا الحدرجانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أُذَيْنَةَ بن السَّمِيدَع من عاملة . وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذْرَةٌ ونَهْدٌ

1 إهان : عرجون .

2 أنقفت فروخ : ثقت البيض وخرجت .

3 الأصمغ : صغير الأذن . الأنزع : منحسر الشعر من جانبي الجبهة .

4 ألهب : اشتد في طيراته .

5 السحوق : الطويلة .

6 المجنب : الذي انقطعت ألبان إبله .

وحَوْتُكَة وجُهَيْنَة والحارث بن سعد ، حتى نزلوا من الحِجْر إلى وادي القُرَى ، ونزلت تنوخ بالبحرين ستين . ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلَقَتَا ذهبٍ وهم في مجلسهم ، فسقط على نخلة في الطريق ، فنَعَقَ نَعَقَات ثم طار ؛ فذكروا قول الزرقاء ، فارتحلوا حتى نزلوا الحيرة . فهُم أَوَّل مَنْ اختَطَّهَا : منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لما أبتنوا بها المنازل ناسٌ كثير من سقَّاط القرى ، فأقاموا بها زماناً ؛ ثم أغار عليهم سابور الأكبر ، فقاتلوه ، فكان شعارهم يومئذٍ : يا آل عباد الله ! فسَمُّوا العباد ، وهزمهم سابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيِّز بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحَضْر ، وهو بناء بناه الساطرون الجرُمَقاني ، فأقاموا به ، وأغارَت حِميرٌ على بقية قضاة ، فخيروهم بين أن يُقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا ، وهم كلبٌ ، وجَرَّم والعلاف ، وهم بنو زَبان بن تغلب بن حلوان ، وهو أَوَّل مَنْ عمل الرحال العلافية ، وعلافٌ لقب زَبان ، فلاحقوا بالشام ، فأغارَت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانهزموا فلاحقوا بالسماوة ، فهي منازلهم إلى اليوم .

صوت

[من البسيط]

إني امرؤ كَفَّنِي رَبِّي ونَزَّهَنِي عن الأمور التي في غِبِّهَا ونَحْمُ
وإنما أنا إنسانٌ أعيش كما عاش الرجالُ وعاشت قبلي الأُمُ

الشعر للمغيرة بن حبياء ، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة ، والغناء لأبي العَبَس بن حمدون ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصر ، وهو من مشهور أغانيه وجيِّدها .

[236] - نسب المغيرة بن حنناء وأخباره¹

[نسبه]

المغيرة بن حنناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحنناء لقبٌ غلب على أبيه واسمه جُبَيْر بن عمرو ، ولُقِّبَ بذلك لحين² كان أصابه . وهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وأبوه حنناء بن عمرو شاعرٌ ، وأخوه صخر بن حنناء شاعر ، وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ ، سأذكر منها طرفاً . وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كل واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه ، كانا متكافئين في مهاجتهما ينتصف كل واحدٍ منهما من صاحبه .

[مديحه لطلحة الطلحات]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثني الحسن بن جَهْوَرٍ عن الحرمازي قال : قديم المغيرة بن حنناء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم المُلَيْحِي ، أحد بني مُلَيْح ، فأنشده قوله فيه³ : [من الطويل]

لقد كنتُ أسعى في هواك وأبتغي	رضاك وأرجو منك ما لست لأقيا
وأبدل نفسي في مواطن غيرها	أحبُّ ، وأعصي في هواك الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا	لِجَزَيَّي ما لا إخالُكَ جازياً ⁴
رأيتُك ما تنفكُ منك رَغِيَّةٌ	تقصّر دوني أو تحلُّ ورائيا
أراني إذا استمطرتُ منك رَغِيَّةٌ	لِثُمَطِرَني عادتُ عَجاجا وسافياً ⁵
وأذليتُ دُلوي في دِلاء كثيرة	فأبُن مِلاء غير دُلوي كما هيا

1 ترجمة المغيرة بن حنناء في الشعر والشعراء : 319 والمؤتلف : 105 . ومعجم المرزباني : 369 والسمط : 715 . وقد جمع شعره نوري القيسي في «شعراء أمويون» .

2 الحين : ورم في البطن .

3 شعر المغيرة بن حنناء : 107-108 .

4 التمسك : الصيانة .

5 رغبة في ل : سحابة .

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجْدَةٍ من القوم حُرّاً بالخسيصة راضياً
 فإنِ تدن مِنِّي تدنُ منك مودَّتِي وإنِ تنأ عَنِّي تُلفِنِي عنك نائياً
 قال : فلماً أنشدته هذا الشعر ، قال له : أما كُنَّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . فأمر طلحة خازنَه
 فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت ، فقال له : اختر حجرتين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ
 درهم . فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألفَ درهم ! فأمر له بالمال . فلماً قبضه سأله
 حجراً منها ، فوهبه له ، فباعه بعشرين ألفَ درهم . ثم مدحه ، فقال¹ : [من الطويل]

أرى الناس قد ملُّوا الفَعَال ولا أرى بني خلف إلا رِواء الموارد
 إذا نفَعوا عادوا لَمَن ينفَعونه وكائن ترى مِن نافع غيرِ عائِد
 إذا ما انجلت عنهم غمامةُ غمرة من الموت أجلت عن كرامِ مَدَاوِد
 تسود غطاريَفَ الملوك ملوكُهُم وماجدُهُم يعلو على كلِّ ماجِد

[مدحه للمهلب بن أبي صفرة]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حَدَّثنا المغيرة بن محمد المهلبِي عن رِواة باهلة ، أن المهلبَ بن
 أبي صفرة لما هَزَمَ قطريُّ بن الفجاءة بسابور² جلس للناس ، فدخل إليه وجوههم يهتفونه
 وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قامَ المغيرة بن حنناء في أخرياتهم
 فأنشده³ : [من البسيط]

حال الشَّجا دونَ طَعِمْ العيش والسهرُ واعتاد عينك مِن إدمانها الدُّرُ
 واستَحَقَّتْكَ أمورٌ كنتَ تكرهها لو كان ينفعُ منها النَّأيُ والحذرُ⁴
 وفي الموارد للأقوام تَهْلُكَةٌ إذا المواردُ لم يُعلم لها صَدْرُ⁵
 ليس العزيزُ بِمَن تُغشى محارِمُه ولا الكريمُ بِمَن يُجفَى ويُحتَقَرُ

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العبادُ بشرٌ لا غِيَاثَ لهم إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ

1 شعر المغيرة بن حنناء : 85-86 .

2 سابور : كورة ببلاد فارس .

3 شعر المغيرة بن حنناء : 86-88 .

4 النَّأي في ل : الرأي . استحقبتك : ادخرتك .

5 تهلكة في ل : مصلحة .

كلاهما طيبٌ تُرجى نوافله
لا يجمدان عليهم عند جهدهم
هذا يذود ويحمي عن ذمارهم
واستسلم الناس إذ حلّ العدو بهم
وأنت رأسٌ لأهل الدّين متخبٌ
إن المهلب في الأيام فضله
حزمٌ وجود وأيامٌ له سلفت
ماضٍ على الهول ما ينفك مرتحلاً
سهلُ الخلائق يعفو عند قدرته
شهابُ حربٍ إذا حلت بساحته
تزيده الحرب والأهوال إن حضرت
ما إن يزال على أرجاء مظلمة
سهلٌ إليهم حلیم عن مجاهلهم
كهفٌ يلوذون من ذلّ الحياة به
أمنٌ لحائفهم فيضٌ لسائلهم

مباركٌ سيّهُ يرجى ويُنتظرُ
كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا¹
وذا يعيش به الأنعام والشجر²
فلا ربيعتهم تُرجى ولا مضر³
والرأسُ فيه يكون السمع والبصرُ
على منازلٍ أقوام إذا ذكروا
فيها يُعدُّ جسيمُ الأمر والخطرُ
أسبابٌ معضلةٌ يعيا بها البشرُ
منه الحياءُ ومن أخلاقه الخفرُ
يُخزي به الله أقواماً إذا غدروا
حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفرُ
لولا يكفكفها عن مصرهم دَمروا⁴
كأنما بينهم عثمانٌ أو عمرُ
إذا تكتفهم من هوها ضررُ
ينتاب نائله البادون والحضرُ

فلما أتى على آخرها قال المهلب : هذا والله الشعرُ ، لا ما نُعَلِّلُ به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ ، وزاده في عطائه خمسمائة درهمٍ .

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبارُ المغيرة ، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً . وأولها⁵ :

[من البسيط]

أمن رسومٍ ديارٍ هاجك القدم
أقوتُ وأقفر منها الطّف والعلم⁶

1 لا يجمدان : لا يبخلان .

2 يذود في ل : يجود .

3 العدو في ل : البلاء .

4 يكفكفها : يمنعا . دمروا : هلكوا .

5 شعر المغيرة بن حنساء : 99-102 .

6 الطف والعلم : موضعان .

وما يَهيجُكَ من أَطلالٍ منزلة
نعم الخليفةُ من جارٍ تَضُنُّ به
دارُ التي كاد قلبي أن يُجَنَّ بها
إذا تذكروها قلبي تَضيقُه
والبينُ حين يروغُ القلبَ طائِفُه
إني امرؤُ كَفَنِي رَبِّي وأَكْرَمَنِي
وإنما أنا إنسانٌ أعيش كما
عَفَى مَعَالِمَها الأرواحَ والذِّمُّ
إذا طربتَ أثافي القدرِ والحُمُّ
إذا ألمَ به من ذِكْرِها لَمَّ¹
همُّ تَضيقُ به الأحشاءَ والكَظْمُ²
ييدي ويظهرُ منهم بعضَ ما كتموا
عن الأمورِ التي في غَبْها وخمُّ
عاش الرجالَ وعاشت قبلي الأمُّ

[سبب قوله القصيدة]

وهي قصيدة طويلة ، وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيهِ في جيشٍ لقتال الأزارقة ، وقد شدّت منهم طائفةٌ تُغيّر على نواحي الأهواز ، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور ، وكان فيهم المغيرة بن حنّاء ، فلما طال مُقامه واستقرّ الجيش لحق بأهله ، فألّم بهم وأقام عندهم شهراً ، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقبل له : إنّ الكتابَ خطّوا على اسمه ، وكُتِبَ إلى المهلب أنّه عصي وفارق مكتبه بغير إذن ، فمضى إلى المهلب ، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره ، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه ، وفيها يقول يذكر قدمه إلى أهله بغير إذن :

[من البسيط]

ما عاقني عن قُقولِ الجندِ إذ قفلوا
ولو أردتُ قُقولاً ما تَجَهَّمَنِي
إني ليعرفني راعي سريهم
والطالبون إلى السلطان حاجتهم
فسوف تُبَلِّغُكَ الأنباء إن سلمت
إنّ المهلب إنْ أَشْتَق لرويته
إنّ الكريم من الأقوام قد علموا
عَيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
إذن الأمير ولا الكتابُ إذ رَقَمُوا
والمُحْدِجُونَ إذا ما ابتَلَّت الحُزْمُ
إذا جفا عنهم السلطان أو كَرَمُوا³
لك الشواحيج والأنفاسُ والأُدُمُ⁴
أو امتدّحه فإن الناس قد عِلِمُوا
أبو سعيدٍ إذا ما عُذَّت النعمُ

1 اللّم : الجنون .

2 الكظم : مخرج النفس .

3 كرموا : هابوا .

4 الشواحيج : البغال . الأدماء : الناقة التي أشرب لونها سواداً أو بياضاً .

والقائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرهُ
 كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه
 أيّامَ أيّامٍ إذ عضَّ الزمانُ بهم
 وإذا يقولون : ليت الله يُهلكهم
 أيّامَ سابور إذ ضاعت رباعتهم
 إذ ليس شيء من الدنيا نصول به
 وعاترات من الخطيِّ مُحصدة
 أبو سعيد وإن أعداؤه رَعَموا
 ليست بغيب ولا تقواهم زعموا
 وإذا تمنى رجال أنهم هُزموا
 والله يعلم لو زلت بهم قدمُ
 لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا¹
 إلّا المغافر والأبدان واللجمُ
 نفضي بهن إليهم ثم ندّع²

[مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حنناء]

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة ، ونسخت من كتابه .
 وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حنناء ، أن زياداً
 الأعجم والمغيرة بن حنناء وكعباً الأشقرى ، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه ، فأمر لهم
 بجوائز وفضل زياداً عليهم ، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شعره ، لأن زياداً كان أكن لا
 يُفصح ، فكان راويته يُنشد عنه ما يقوله ، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته ،
 فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب ، فوهبه له ،
 فنفسوا عليه ما فضل به ؛ فانتدب له المغيرة من بينهم ، فقال للمهلب : أصلح الله الأمير ، ما
 السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يُغني غنائنا في الحرب ، ولا هو بأفضلنا شعراً ،
 ولا أصدقنا ودّاً ، ولا أشرفنا أباً ، ولا أفصحنا لساناً ! فقال له المهلب : أما إني والله ما جهلتُ
 شيئاً مما قلت ، وإن الأمر فيكم عندي لمتساوٍ ، ولكن زياداً يُكرّم لِسِنه وشعره وموضعه من
 قومه ، وكلّكم كذلك عندي ، وما فضله بما يُنفُسُ به³ ، وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد
 على ما فضّلته به . فانصرف ، وبلغ زياداً ما كان منه ، فقال يهجوهُ⁴ : [من الطويل]

أرى كلّ قوم ينسل اللؤم عندهم ولؤم بني حنناء ليس بناسيل⁵
 يشبُّ مع المولود مثل شبابه ويلقاه مولوداً بأيدي القوايل

1 رباعتهم : الأمر الذي كانوا عليه .

2 العاترة : المضطربة . ندّعم : نتكىء .

3 بنفس به : يحسد عليه .

4 شعر زياد الأعجم : 52 .

5 ينسل : يسقط كما يسقط ريش الطائر .

وَيُرْضَعُهُ مِنْ ثَدْيِ أُمِّ لَيْمَةٍ وَيُخَلِّقُ مِنْ مَاءِ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ
تَعَالَوْا فَعَدُّوا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى ، وَكُلَّ أَنْاسٍ مَجْدُهُمْ بِالْأَوَائِلِ
لَكُمْ بِفَعَالٍ يَعْرِفُ النَّاسَ فَضْلَهُ إِذَا ذُكِرَ الْأَمْلَاءُ عِنْدَ الْفَضَائِلِ¹
فَغَازِيَكُمْ فِي الْجَيْشِ الْأُمُّ مَنْ غَزَا وَقَافِلَكُمْ فِي النَّاسِ الْأُمُّ قَافِلُ
وَمَا أَنْتُمْ مِنْ مَالِكٍ غَيْرِ أَنْتُمْ كَمَغْرُورَةٍ بِالْبُؤِّ فِي ظِلِّ بَاطِلٍ
بَنُو مَالِكٍ زَهَرُ الْوُجُوهِ وَأَنْتُمْ تَبَيَّنَ ضَاحِي لَوْيَكُمْ فِي الْجَحَافِلِ²
يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثني المدائني قال : عيّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص ، فقال له المغيرة : إِنَّ عِتَاقَ الْخَيْلِ لَا تَشِينُهَا الْأَوْضَاحُ³ ، وَلَا تَعِيرُ بِالْغَرْرِ وَالْحِجُولِ ، وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بُلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ لِرَجُلٍ غَيْرِهِ بِالْبَرْصِ : «إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَاهُ وَاسْتَلَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ» فَهَلْ تُغْنِي يَا ابْنَ الْعَجَمَاءِ غَنَائِي ، أَوْ تَقُومُ مَقَامِي ؟ ثُمَّ نَشِبَ الْهِجَاءُ بَيْنَهُمَا .

نسختُ من نسخة ابن الأعرابي ، قال : كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُفَضَّلُ :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْخَنْظَلِيِّ وَلَوْنِهِ أَكِيلَ كَرَامٍ أَوْ جَلِيسَ أُمَيْرٍ
فَرَفَعَ الْمَغِيرَةَ يَدَهُ وَقَامَ مَغْضَبًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ⁴ : [من البسيط]
إِنِّي امْرُؤٌ خَنْظَلِيٌّ حِينَ تَنْسُبُنِي لَامِ الْعَتِيكِ وَلَا أَخُوَالِي الْعَوَقُ⁵
الْعَوَقُ مِنْ يَشْكُرُ ، وَكَانُوا أَخُوَالَ الْمُفَضَّلِ .

لَا تَحْسَبَنَّ بِيَاضًا فِي مَنْقَصَةٍ إِنَّ اللَّهَامِيمَ فِي أُلُوَانِهَا بَلَقُ
وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ مَا جَرَى ، فَتَنَاولَ الْمُفَضَّلُ بِلِسَانِهِ وَشْتَمَهُ ، وَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ يَتَمَضَّغَ هَذَا أَعْرَاضُنَا ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَسْمَعْتَهُ مَا كَرِهَ بَعْدَ مَوَاطَلَتِكَ إِيَّاهُ ؟ أَمَّا إِنْ كُنْتَ تَعَافُهُ فَاجْتَنِبْهُ أَوْ لَا تُؤْذِهِ . ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَاسْتَصَفَحَهُ عَنِ الْمُفَضَّلِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ عَنْهُ ، فَقَبِلَ

1 الأملاء : جمع ملاء .

2 الجحافل : الشفاه .

3 الأوضح : جمع وضع ، وهو التحجيل في القوائم .

4 شعر المغيرة بن حبناء : 96 .

5 لام العتيك : لا من العتيك . والعتيك والعوق : قبيلتان .

رَفَدَهُ وَعَذَرَهُ ، وَاِنْقَطَعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مُوَاطَلَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ .

رَجَعَ الْخَبِيرُ إِلَى سِيَاقَتِهِ مَعَ زِيَادٍ وَالْمَغِيرَةِ ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ يَجِيبُ زِيَادًا¹ : [مِنَ الْكَامِلِ]

أَزِيَادُ إِنَّكَ وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ	مَا دُونَ آدَمَ مِنْ أَبٍ لَكَ يُعْلَمُ
فَالْحَقُّ بِأَرْضِكَ يَا زِيَادُ وَلَا تَرُمُ	مَا لَا تَطِيقُ وَأَنْتَ عِلْجٌ أَعْجَمُ
أُظَنَنْتَ لَوْمَكَ يَا زِيَادُ يَسُدُّهُ	قَوْسٌ سَتَرَتْ بِهَا قَفَاكَ وَأَسْهَمُ
عِلْجٌ تَعْصَبُ ثُمَّ رَاقٍ بِقَوْسِهِ	وَالْعِلْجُ تَعْرِفُهُ إِذَا يَتَعَمَّمُ
أَلْقَى الْعَصَابَةَ يَا زِيَادُ فَإِنَّمَا	أَخْزَاكَ رَبِّي إِذْ غَدَوْتَ تَرَنُّمُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَسْتَ مِنِّي نَاجِيَا	إِلَّا وَأَنْتَ يَبْظُرُ أَمَّكَ مَلْجَمُ
تَهْجُو الْكَرَامَ وَأَنْتَ أَلَأَمُّ مِنْ مَشَى	حَسْبًا وَأَنْتَ الْعِلْجُ حِينَ تَكَلَّمُ
وَلَقَدْ سَأَلْتُ بَنِي نَزَارٍ كُلَّهُم	وَالْعَالَمِينَ مِنَ الْكُهُولِ فَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ مَا لَكَ فِي مَعْدُ كُلِّهَا	حَسْبُ وَإِنَّكَ يَا زِيَادُ مُوَدَّمُ

الْمُوذَمِّ مِثْلُ تَوْذِمَةِ الدَّلُو ، فَأُجَابَهُ زِيَادُ فَقَالَ : [مِنَ الْوَافِرِ]

أَلَمْ تَرَ أَنَّي وَتَرْتَ قَوْسِي	لَأُبْقَعَ مِنْ كِلَابِ بَنِي تَمِيمٍ
عَوَى فَرَمِيته بِسَهَامٍ مَوْتٍ	كَذَاكَ يُرَدُّ ذُو الْحَمَقِ اللَّثِيمُ
وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاقَةَ قَوْمٍ	كَسَرْتُ كَعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمُ
هَمَّ الْحَشْوُ الْقَلِيلُ لِكُلِّ حَيٍّ	وَهُمْ تَبَعَ كَزَائِدَةِ الظَّلِيمِ
فَلَسْتُ بِسَابِقِي هَرَمًا وَلَمَّا	يَمُرُّ عَلَى نَوَاجِذِكَ الْقَدُومُ
فَحَاوَلُ كَيْفَ تَنْجُو مِنْ وَقَاعِي	فَإِنَّكَ بَعْدَ ثَالِثَةِ رَمِيمٍ
سَرَاتُكُمْ الْكِلَابُ الْبُقْعُ فِيكُمْ	لِلْوَيْكُمُ وَلَيْسَ لَكُمْ كَرِيمُ
فَقَدْ قَدَّمْتُ عَبْدُوتَكُمْ وَدُتُّمُ	عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالطَّبَعِ اللَّثِيمِ

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ :
قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمُ يَهْجُو الْمَغِيرَةَ بْنَ حَبِيَاءَ² :

[مِنَ الْوَافِرِ]

عَجِبْتُ لِأَبْيَضِ الْخُصِيِّينَ عَبْدٍ
كَأَنَّ عِجَانَهُ الشَّعْرَى الْعَبُورُ

1 شعر المغيرة بن حبياء : 102 .

2 شعر زياد الأعجم : 22 .

فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا أَمَامَةَ ، لَقَدْ شَرَفْتَهُ إِذْ قُلْتَ فِيهِ :

كَأَنَّ عِجَانَهُ الشَّعْرَى الْعَبُورُ

وَرَفَعْتَ مِنْهُ . فَقَالَ : سَأَزِيدُهُ رَفْعَةً وَشَرَفًا ، ثُمَّ قَالَ ¹ :

لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ خَارِيٌّ أَبَدًا إِلَّا حَسِبْتَ عَلَى بَابِ اسْتِهِ الْقَمَرَا
قَالَ ، وَتَقَاوَلَا فِي مَجْلِسِ الْمَهْلَبِ يَوْمًا ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لَزِيَادَ ² :

أَقُولُ لَهُ وَأُنْكَرُ بَعْضَ شَأْنِي أَلَمْ تَعْرِفْ رِقَابَ بَنِي تَمِيمٍ
فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ³ :

بَلَى فَعَرَفْتُهُنَّ مَقْصُرَاتٍ جِبَاةَ مَذْلُغَةٍ وَسِيَالِ لُومٍ

[الْمَغِيرَةُ يَهْجُو زِيَادًا بِتَحْرِيزٍ مِنْ رَبِيعَةَ]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : كَانَتْ رَبِيعَةُ تَقُولُ لَزِيَادِ الْأَعْجَمِ : يَا
زِيَادَ ، أَنْتَ لِسَانَنَا ، فَادْبَبَ عَنْ أَعْرَاضِنَا بِشَعْرِكَ ، فَإِنَّ سِيوفَنَا مَعَكَ . فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بَنِ حَبْنَاءَ فِيهِ ،
وَقَدْ بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ رَبِيعَةَ لَهُ :

يَقُولُونَ ذُبُّ يَا زِيَادَ وَلَمْ يَكُنْ	لِيُوقِظَ فِي الْحَرْبِ الْمَلَمَّةَ نَائِمًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِهِ ذَا حَفِظَةٍ	فَيَمْنَعُهُمْ أَوْ مَا جَدًّا أَوْ مَرَاغِمَا
وَلَكِنَّهُمْ جَاءُوا بِأَقْلَفٍ قَدْ مَضَتْ	لَهُ حِجَجٌ سَبْعُونَ يُصْبِحُ رَازِمًا ⁴
لَيْمًا ذَمِيمًا أَعْجَمِيًّا لِسَانُهُ	إِذَا نَالَ دَنًّا لَمْ يَبَالِ الْمَكَارِمَا
وَمَا خَلْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ إِلَّا نَفَايَةَ	إِذَا ذَكَرَ النَّاسُ الْعُلَا وَالْعِظَائِمَا
إِذَا كُنْتُ لِلْعَبْدِيِّ جَارًا فَلَا تَزُلْ	عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ إِذَا كَانَ طَاعِمَا
أَنَاسًا يُعْدُونَ الْفَسَاءَ لَجَارِهِمْ	إِذَا شَبِعُوا عِنْدَ الْجُبَاةِ الدَّرَاهِمَا
مَنْ الْفُسُو يَقْضُونَ الْحَقُوقَ عَلَيْهِمْ	وَيَعْطُونَ مَوْلَاهُمْ إِذَا كَانَ غَارِمَا
لَهُمْ زَجَلٌ فِيهِ إِذَا مَا تَجَاوَبُوا	سَمِعَتْ زَفِيرًا فِيهِمْ وَهَمَاهِمَا
لِعَمْرِكَ مَا نَجَّى ابْنَ زُرْوَانَ إِذْ عَوَى	رَبِيعَةُ مِنْ يَوْمِ ذَلِكَ سَالِمَا

1 شعر زياد الأعجم : 70 .

2 شعر المغيرة بن حبناء : 104 .

3 شعر المغيرة بن حبناء : 103-104 .

4 الرازم : الذي لا يقدر على النهوض من الهزال .

أَطَنَّ الخبيث ابنُ الخبيثين أنني أسلم عرضي أو أهابُ المقاوما
لعمرك لا تهدي ربيعةً للحجا إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

[عبد القيس تعتذر إلى المغيرة]

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، ما لنا ولك ، تعمنا بالهجاء لأن نبيحك
منا كلب ، فقال وقلت ، قد تبرأنا إليك منه ، فإن هجأك فاهجئه ، وخلّ عنا ودّعنا ، وأنت
وصاحبك أعلم ، فليس منا له عليك ناصر . فقال ¹ :

لعمرك إني لابن زروان إذ عوى لحتقر في دعوة الودّ زاهد
وما لك أصل يا زياد تعدّه وما لك في الأرض العريضة والد
ألم تر عبد القيس منك تبرأت فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت لكيز بن أفضى منك والجند حاشد
ولا غاب قرن الشمس حتى تحدثت بنفيك سكان القرى والمساجد

رفع «المساجد» ، لأنه جعل الفعل لها ، كأنه قال : وأهل المسجد ، كما قال الله عز وجل :
﴿واسأل القرية﴾ . وتحدثت المساجد ، وإنما يريد من يصلي فيها : [من الطويل]

فأصبحت علجاً من يزرك ومن يزر بناتك يعلم أنهن ولائد²
وأصبحن قلفاً يغترلن بأجرة حوالبك لم تجرح بهن الحدائد³
نقرن من موسى وأقررن بالتي يقر عليها المقرفات الكواسد⁴
ياصطرخ لم يلبسن من طول فاقة جديداً ولا تلقى هن الوسائد⁵
وما أنت بالمنسوب في آل عامر ولا ولدتك الحنظلية إذ غدت
ولكن غذاك المشركون وزاحمت قفاك وخديك البظور العوارد⁵
ولم أر مثلي يا زياد يعرضه وعرضك يستبان والسيف شاهد

1 شعر المغيرة بن حنناء : 84-85 .

2 ولائد : من الجواري .

3 قلفاً : أي لم يخن .

4 المقرفات : الهجيات .

5 ولا جيت : ولا وضعت .

ولو أنّني غشيتك السيفَ لم يقل
إذا متّ إلّا مات عِلجٌ معاهِدُ¹
[تلاحي المغيرة مع أخيه صخر]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو بن أبي عمرو أيضاً ، قال : رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله وقد ملأ كَفِّه بجوائز المهلبِ وصلاته والفوائد منه ، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه ، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكر مثله ، ولا يزال يتعَبّ عليه في الشيء بعد الشيء ممّا ينكره عليه ، فقال فيه صخر بن حبناء :

رأيتُك لما نلت مالاً وعَضُنَا زمانُ نرى في حدٍّ أنيابه شُعبَا
تجنّى عليّ الدهرُ أنك موسرٌ فأمسكُ ولا تجعل غناك لنا ذنبَا
فقال المغيرة يجيبه² :

لحا الله أنانا عن الضيفر بالقرى وأقصرنا عن عرض والده ذبَا
وأجدرنا أن يدخل البيت باسته إذا القفّ دلى من مخارمه ركبا³
أتباك الأفاك عني أنتي أحرك عرضي إن لعبت به لعبَا
[أخت المغيرة تشكو إليه صخرًا]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو بن أبي عمرو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخرًا ، وتذكر أنّه أسرع في مالها وأتلفه ، وإنّها منعتة شيئاً يسيراً بقي لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنفاً⁴ :

ألا من مبلغ صخر بن ليلى فإني قد أتاني من نثاكا⁵
رسالة ناصح لك مستجيب إذا لم ترع حرمة رعاكا
وصول لو يراك وأنت رهنٌ تباع ، بماله يوماً فداكا
يرى خيراً إذا ما نلت خيراً ويشجى في الأمور بما شجاكا
فإنك لا ترى أسماء أختاً ولا ترينني أبداً أخواكا

1 غشيتك في ل : قنعتك .

2 شعر المغيرة بن حبناء : 80 .

3 القف : الأرض الغليظة المرتفعة . المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الجبل .

4 شعر المغيرة بن حبناء : 97 .

5 نثاك : أخبارك .

فَإِنْ تَعَنَّفَ بِهَا أَوْ لَا تَصِلْهَا
يَرُّ وَيَسْتَجِيبُ إِذَا دَعْتَهُ
وَكُنْتُ أَرَى بِهَا شَرْفًا وَفَضْلًا
جَزَانِي اللَّهُ مِنْكَ وَقَدْ جَزَانِي
وَأَعْقَبَ أَصْدَقَ الْخَصْمِينَ قَوْلًا
فَلَا وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَعَصِرْ أَمْرِي

قال : فأجابه أخوه صخر بن حنبل فقال :

أَتَانِي عَنْ مُغِيرَةَ ذَرُّوْ قَوْلٍ
يَعْمُ بِهِ بَنِي لَيْلٍ جَمِيعًا
فَإِنْ تَكُ قَدْ قَطَعْتَ الْوَصْلَ مِنِّي
تُؤْمِنُنِي إِذَا مَا غَبْتَ عَنِّي
وَتُوْلِيْنِي مَلَامَةً أَهْلِي بَيْتِي
فَإِنْ تَكُ أَخْتُنَا عَتَبْتُ عَلَيْنَا
فَإِنْ هَا إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْنَا
وَإِنْ تَكُ قَدْ عَتَبْتَ عَلِيَّ جَهْلًا
فَقَدْ أَعْلَنْتُ قَوْلَكَ إِذْ أَتَانِي
سُيْغْنِي عَنْكَ صَخْرًا رَبُّ صَخْرٍ
وَيَغْنِيْنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي
أَلَمْ تَرَنِي أَجُودُ لَكُمْ بِمَالِي
وَأَنْتِي لَا أَقُودُ إِلَيْكَ حَرْبًا
وَلَكْنِي وَرَاءَكَ شِمْمَرِيٌّ
وَأُدْفَعُ أَلْسَنَ الْأَعْدَاءِ عَنْكُمْ

[من الوافر]

تَعَمَّدَهُ فَقُلْتُ لَهُ كَذَاكَ¹
فَوَلُّ هَجَاءَهُمْ رَجُلًا سِوَاكَ
فَهَذَا حِينَ أَخْلَفَنِي مُنَاكَ
وَتُخْلِفَنِي مَنَائِي إِذَا أَرَاكَ
وَلَا تَعْطِي الْأَقْرَابَ غَيْرَ ذَاكَ
فَلَا تَصْرِمِ لِظِلَّتِهَا أَخَاكَ
رِضَاهَا صَابِرِينَ هَا بِذَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَبْغِي رِضَاكَ
فَاعْلَيْنَ مِنْ مَقَالِي مَا أَتَاكَ
كَمَا أَغْنَاكَ عَنْ صَخْرٍ غَنَاكَ
وَيَكْفِينِي إِلَّا إِلَهُ كَمَا كَفَاكَ
وَأُرْمِي بِالنَّوَاقِرِ مِنْ رَمَاكَ²
وَلَا أَعْصِيكَ إِنْ رَجُلٌ عَصَاكَ
أَحَامِي ، قَدْ عَلِمْتُ ، عَلَى جِمَاكَ³
وَيَعْنِينِي الْعَدُوُّ إِذَا عَنَاكَ

1 ذرو قول : طرف قول .

2 النواقر : جمع ناقرة ، وهي الداهية .

3 الشمرى : الماضي في الأمور .

وقد كانت قُرْبِيَّةُ ذاتِ حقٍّ عليكَ فلمَ تطالُغُها بذاكا
رَأَيْتُ الخَيْرَ يُقَصِّرُ منكِ دُونِي وتبُلُغُني القوارِصُ مِنْ أذاكا

[انتقال حبناء بن عمرو إلى نجران]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال : كان حبناءُ بن عمرو قد غضِبَ على قومه في بعض الأمر ، فانتقل إلى نجران ، وحمل معه أهله وولده ، فنظرت امرأته سلمى إلى غلامٍ من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة ، وهو يومئذٍ غلام ، فقالت لحبناء : قد كنت غنياً عن هذا الدَّلِّ ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزُّ لك ! فقال حبناء في ذلك :

تقول سُلَيْمى الحنظليَّةُ لابنها غلامٌ بنجران الغداةَ غريبٌ
رَأَتْ غِلْمَةً ثاروا إليه بأرضهم كما هَرَّ كلبُ الدَّارِ بين كَلِيبٍ¹
فقالَت لقد أَجْرَى أبوكِ لِمَا تَرى وأنتِ عزيزٌ بالعراق مَهيبٌ

وقال أيضاً :

لعمركَ ما تدري أشيئاً تريده يليكَ أمرُ الشَّيْءِ الذي لا تحاولُهُ
متى ما يَشَأُ مستقيسُ الشرِّ يَلْقَهُ سريعاً وتجمعه إليه أناملُهُ

[هجاء زياد الأعجم أسرة المغيرة]

أخبرني عيسى بن الحسن الورَّاق ، قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو الشَّيْبَلِ النَّضْرِي ، قال : كان المغيرة بن حبناء أبرص ، وأخوه صخرٌ أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً ، وكان بأبيهم حين ، فلَقِبَ حبناء ، واسمه جبير بن عمرو ، فقال زيادُ الأعجم يهجوهم² :

إنَّ حبناءَ كان يدعى جُبِيراً فدَعَوْه من لؤمِه حبناءُ
ولَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجَدَّ مى ، وذو الداءِ يُنتِجُ الأدواءَ

فيقال : إنَّ هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به ؛ لأنَّ المغيرة قال ، وقد بلغه هذا الشعر : ما ذُنُبنا فيما ذكره ، هذه أدواءُ ابتلانا الله عزَّ وجلَّ بها ، وإنما يُعير المرء بما كسبَ وإني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها ! فبلغ ذلك زياداً من قوله ، وإنَّه لم يهجِهْ بعقب

1 كليب : جماعة الكلاب . في هذا البيت إقواء .

2 شعر زياد الأعجم : 43 .

هذه الأبيات ، ولا أجابه بشيء ، فأمسك عنه ، وتكافأ .

[تفاضل الأخوين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مَهْرُؤَيْه عن أبيه عن الأصمعي ، قال : لم يقل أحد في تفضيل أخٍ على أخيه وهما لأب وأم ، مثل قول المغيرة بن حنناء لأخيه صخر¹ : [من الوافر]

أبوك أباي وأنت أخي ولكن تفاضلتِ الطَّبائعُ والظُرُوفُ²

وأُمُّك حين تُنسَبُ أُمُّ صدقٍ ولكنَّ ابنها طَبِيعٌ سَخِيفٌ³

قال : وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ، وكان ضعيفاً ، يتمثل بهذين البيتين .

[الحجاج يتمثل بشعر المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن جُدَّان ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلب ، قال : نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته ، فقال : لعن الله المغيرة بن حنناء حيث يقول⁴ :

جَمِيلُ الْحَيَا بَخْرِيٌّ إِذَا مَشَى فِي الدَّرْعِ ضَخْمُ الْمَنَكِينَ شِنَاقُ⁵

فالتفت إليه يزيد ، فقال : إنَّه يقول فيها :

شَدِيدُ الْقَوَى مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ إِذَا وَهَى مِنْ الدِّينِ فَتَقَّ حُمُلُوا فَأَطَاقُوا

مَرَاجِيحُ فِي اللَّأْوَاءِ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ مَيَامِينُ قَدْ قَادُوا الْجِيُوشَ وَسَاقُوا⁶

[مصرع المغيرة]

أخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدثني مَنْ حضر ابن حنناء لما قُتِلَ ، وهو يجود بنفسه ، فأخذ بيده من دمه ، وكبب بيده على صدره : «أنا المغيرة بن حنناء» . ثم مات .

1 شعر المغيرة بن حنناء : 94 .

2 تفاضلت في ل : تباينت .

3 الطَّبِيع : دنيء الخلق لثيمه .

4 شعر المغيرة بن حنناء : 95 .

5 بخري : حسن المشي . الشناق : الطويل .

6 مراجيح : ذوو أحلام وبصر بالأمور .

صوت

[من الرمل]

بسطت رابعةً الحبلَ لنا فوصلنا الحبلَ منها ما اتسع¹
 كيف ترجون سِقَاطِي بَعْدَما جَلَلُ الرأسِ بياضٌ وصلع²
 رُبٌّ مَنْ أنضجتُ غيظاً صدره قد تمنى لي موتاً لم يُطعْ
 ويحييني إذا لاقيتُـه وإذا أمكن من لحمي رَنعْ
 ويراني كالشُّجَا في حلقه عسراً مخرجُه ما ينتزعْ
 وأبيتُ الليلَ ما أهجعه وبعيني إذا النّجم طَلَعْ

الحبل هاهنا : الوصل ؛ والحبل أيضاً : السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه ، يقال :
 علقتُ من فلانٍ بحبل ؛ والحبل : العهد ، والميثاق ، والعقد يكون بين القوم ؛ وهذه المعاني
 كلّها تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض . والشُّجَا : كلُّ ما اغتصَّ به من لُقمة أو عظم أو
 غيرها .

الشعر لسويد بن أبي كاهلٍ اليشكري³ ، والغناء لعلويه ، ثاني ثقليل بالبنصر ، عن
 عمرو بن بانة في الأوّل والثاني من الأبيات ، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني
 ماخوري بالوسطى ، عن علي بن يحيى ، والهشامي . ولمالكٍ فيها ثقليل بالبنصر ، عن
 الهشامي أيضاً ، ولابن سريج فيها خفيف ثقليل ، عن علي بن يحيى .

1 اتسع في ل : انقطع .

2 بياض في ل : مشيب .

3 انظر المفضلية الأربعين .

[237] - أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه¹

[نسبه]

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ حِجْلٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ سَعْدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ يَشْكُرَ . وَذَكَرَ خَالِدُ بْنُ كَثُومٍ أَنَّ اسْمَ أَبِي كَاهِلٍ شَيْبِيبٌ ، وَيَكْنَى سُوَيْدُ أَبُو سَعْدٍ .
أُنْشِدَنِي وَكِيعٌ عَنْ حَمَادٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، لِسُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ شَاهِدًا بِذَلِكَ : [مَنْ الرَجَزُ]
أَنَا أَبُو سَعْدٍ إِذَا اللَّيْلُ دَجَا دَخَلْتُ فِي سِرْبَالِهِ ثُمَّ النَّجَا
[طبقة بين الشعراء]

وَجَعَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ السَّادِسَةِ ، وَقَرَنَهُ بِعَتْرَةِ الْعَبْسِيِّ وَطَبَقْتَهُ .
وَسُوَيْدُ شَاعِرٌ مُتَقَدِّمٌ مِنْ مَخْضَرَمِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، كَذَلِكَ ذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ . وَكَانَ
أَبُوهُ أَبُو كَاهِلٍ شَاعِرًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

كَأَنَّ رَحْلِي عَلَى صَقْعَاءَ حَادِرَةٍ طَيًّا قَدْ ابْتَلَّ مِنْ طَلٍّ خَوَافِيهَا²
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْبَغَوِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرِ بْنِ صَاحِبِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَرَأَ شِعْرَ سُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَلَمَّا
قَرَأَ قَصِيدَتَهُ : [مَنْ الرَّمْلُ]

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوْصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
فَضَّلَهَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَقَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْضُلُهَا وَتَقَدِّمُهَا وَتَعُدُّهَا مِنْ حِكْمِهَا . ثُمَّ قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ : حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عُمَرَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْمَى : «الْيَتِيمَةُ» .
[يُنَافِئُ سُوَيْدُ وَزِيَادُ الْأَعْجَمِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكِيعٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ يَهْجُو بَنِي يَشْكُرَ³ : [مَنْ الطَّوِيلُ]

1 ترجمة سويد بن أبي كاهل في طبقات ابن سلام : 152-153 والشعر والشعراء : 334-335 والسمط
313 والإصابة 3 : 173 والخزانة 6 : 125-127 . وانظر شرح الفضليات .

2 الصقعاء : التي لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير . طيا : جائعة .

3 شعر زياد الأعجم : 69 .

إذا يشْكُرِيْ مسَّ ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حتَّى تطهراً
 فلو أن من لؤمٍ تموتُ قبيلةً إذا لأمات اللؤم لا شك يشْكُرَا
 قال : فأتت بنو يشْكُرَ سويد بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً ، فأبى عليهم ، فقال
 زياد¹ :

وأنبتهم يستصرخون ابن كاهلٍ وللؤم فيهم كاهلٌ وسنامُ
 فإن يأتنا يرجع سويدٌ ووجهه عليه الخزايا غيرةً وقتامُ
 دعني إلى ذبيان طوراً ، وتارة إلى يشْكُرٍ ما في الجميع كرامُ
 فقال لهم سويد : هذا ما طلبتم لي ! وكان سويد مغلباً . وأما قوله :
 دَعِيْ إلى ذبيان طوراً وتارة إلى يشْكُر

[خبر أم سويد]

فإن أم سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر ، وكانت قبل أبي كاهلٍ عند رجلٍ من
 بني ذبيان بن قيس بن عيلان ، فمات عنها ، فتزوجها أبو كاهلٍ ، وكانت فيما يقال حاملاً ،
 فاستلاط² أبو كاهل ابنها لما ولدته ، وسماه سويداً ، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني
 يشْكُر ادّعى إلى بني ذبيان ، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم .
 وذكر علان الشعوبي ، أنه ولد في بني ذبيان ، وتزوجت أمه أبا كاهل ، وهو غلام يَفَعَة ،
 فاستلحقه أبو كاهل وادّعاه ، فلحق به .

[سويد ينتمي إلى قيس]

ولسويد بن أبي كاهلٍ قصيدةٌ ينتمي فيها إلى قيس ، ويفتخر بذلك ، وهي التي
 أولها :

أبى قلبه إلا عميرة إن دنت وإن حضرت دار العدا فهو حاضرُ
 شمسٌ حصانُ السرِّ رياءُ كأنها مُرببةٌ مما تضمّن حائرُ³
 ويقول فيها أيضاً :

[من الطويل]

أنا العطفاني زينُ ذبيان فابعدوا فللزنج أدنى منكم ويحابرُ

1 شعر زياد : 96 .

2 استلاطه : ادعاه .

3 مرببة : درة يعملها الصدف في الماء . والخائر : مجتمع ماء البحر .

أبت لي عبس أن أسامَ دَنِيَّةً وسعدٌ وذبيانُ الهيجانُ وعامرُ
وحيُّ كرامٍ سادةٌ من هَوازٍ لهم في المِلَمَاتِ الأنثوفُ الفواخرُ

[هجاؤه بني شيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي ، أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيان ، فأساءوا جواره ، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً ، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر ، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم ، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة :

حَشَرَ إلَـه مع القُرودِ محلِّماً وأبا ربيعةَ ألامَ الأقوامِ
فلاهُدينَ مع الرِّياحِ قصيدة مني مُغلغلةٌ إلى هَمَامٍ¹
الظاعنين على العمى قدامهم والنازلين بِشَرِّ دار مُقامِ
والواردين إذا المياه تُقسِّمُ نَزَحَ الرِّكيِّ وعَـيَمَ الأسدِ²

وقال يهجو بني شيان :

لعمري لبئس الحيُّ شيانُ إنْ علا عُنيزةَ يومٍ ذو أهابيٍّ أغبرٍ³
فلَمَّا التَّقوا بالمشرفِ ذُبِبت مولِـةُ أستاذِ شيانٍ تقطُرُ

يعني يوم عُنيزة ، وكان لبني تغلب على بني شيان ، وفيه يقول مهلهل :

كَأنا غُدوةٌ وبني أبينا بجانب عُنيزةَ رَحِيحاً مُديرِ

وقال أيضاً :

فأدُّوا إلى بهراء فيكم بناتِهِ وأبناءه إنَّ القضاعيَّ أحمرُ

[يعبر بني شيان بأن نساءهم ردت من الأسر حبلى]

كانت بهراء أغارات على بني شيان ، فأخذوا منهم نساء ، واستاقوا نَعَمًا ، ثم إنهم اشتروا منهم النساء ، وردَّوهنَّ ، فغيرهم سويد بأنهم رُددنَّ حبلى ، فقال :

ظَلَلن يُنازَعنَ العضاريطَ أزرَها وشييانُ وسطَ القطقطانةِ حُضْرُ⁴

1 مغلغلة : سائرة في البلاد .

2 نزح : آبار نقد ماؤها . الركي : جمع ركية ، وهي البئر . العاتم : المحتبس . الأسدام : جمع سدم ، وهو الماء المتدفن .

3 ذو إهابي : ذو تراب مثار .

4 العضاريط : الأتباع والأجداء . القطقطانة : موضع كان سجن النعمان بن المنذر .

فمنا يزيدُ إذ تحدَّى جموعكم فلم تُفرِّحوه ، المرزبان المسور¹
يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذي قارٍ إلى أسوارٍ ، وحمل على بني شيان ، فأنكشفوا
من بين يديه .

فاعترضه الإشكريُّ دونهم ، فقتله ، وعادت شيان إلى موقفها ، ففخر بذلك عليهم ،
فقال : [من الطويل]

وأحجمتم حتى علاه بصارمٍ حسامٍ إذا مسَّ الضريبةَ يتر²
ومنا الذي أوصى بثلاثٍ تراثه على كلِّ ذي باعٍ يقلُّ ويكثرُ
ليالي قُلتُم يا ابن حِلْزَة ارتحلُ فزأبن لنا الأعداء واسمَع وأبصر³
فأدَّى إليكم رهنكم وسطاً وائل حباه بها ذو الباع عمرو بن منذرٍ
يعني الحارث بن حلزة ، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائهم . وقد ذكر
خبره في ذلك في موضعه .
[بنو شيان تستعدي عليه والي الكوفة]

قال : فاستعدت بنو شيان عليه عامر بن مسعود الجمحي ، وكان والي الكوفة ، فدعا به ،
فتوعَّده ، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسهم ، فتعصَّبت له قيس ، وقامت بأمره حتى
تخلَّصته ، فقال في ذلك :

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنما يكفُّ لساناً فيه صابٌ وعلقمُ
أتركُ أولادَ البغايا وغيتي وتحبسني عنهم ولا أتكلّمُ
ألم تعلموا أني سويدٌ وأنني إذا لم أجد مُستأخراً أتقدّمُ
حسيتُم هجائي إذ بطِتم غنيمةً عليّ دماءُ البُدنِ إن لم تنلّموا
[بين سويد وابن الغبري]

قال الحرمازي في خبره هذا : وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري ،
فطلبهما عبدُ الله بن عامر بن كريز ، فهربا من البصرة ، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمّال بن
يشكر ، فأخذهما صاحبُ الصدقة ، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة ،
فحبسهما ، وأمر أن لا يخرجوا من السّجن حتى يؤدّيا مائةً من الإبل ، فخاف بنو حمّال على

1 تفرحوه في ل : يقرهوه . وتفرحوه : تغلبوه . المرزبان : الفارس الشجاع . المسور : المرتفع .

2 الضريبة : المضروب بالسيف .

3 زابن : دافع .

صاحبهم ففكّوه ، وبقي سويد ، فخذله بنو عبد سعد ، وهم قومه ، فسأل بني عُبَر ، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم ، فقال :

مَنْ سَرَّهُ النَّيْكَُ بغير مالِ فالغُيرَيَاتُ على طِحَالٍ¹
شواغر يُلْمَعِن للَقُفَالِ²

[استوهبته عيس وذبيان]

فلَمَّا سأل بني عُبَر ، قالوا له : يا سويد «ضيعت البكار بطحال»³ فأرسلوها مثلاً . أي أنك عَمَمْتَ جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة ، فضاع منك ما قَدَرْتَ أننا نفديك به من الإبل . فلم يزل محبوباً حتى استوهبته عيس وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، فأطلقوه بغير فداء ، وتركوه ولم يأخذوا منه شيئاً .

صوت

[من الطويل]

أَخِضْنِي المَقَامَ الغَمْرَ إِنْ كَانَ غَرْنِي سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ القَدَمَانِ⁴
أَتَرَكْنِي جَذَبَ المَعِيشَةِ مَقْفِرَا وَكَفَاكَ مِنْ ماءِ النَّدَى تَكْفَانِ⁵
الشعر للعتابي ، والغناء لمخارق ، ثاني ثقيل بالوسطى . وقيل : إن فيه للوائق ثاني ثقيل آخر .

1 طحال : موضع .

2 شواغر : رافعات أرجلهن للنكاح . يلمعن : يشرن . القفال : العائدون .

3 مستقصى الزمخشري 2 : 149 .

4 الغمر : الغزير .

5 تكفان : تقطران .

[238] - أخبار العتابي ونسبه¹

[نسبه]

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . شاعر مترسل بليغ مطبوع ، متصرف في فنون الشعر ومقدم . من شعراء الدولة العباسية ، ومنصور النمرى تلميذه وراويته ، وكان منقطعاً إلى البرامكة ، فوصفوه للرّشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ ، وعظمت فوائده منه ، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت . وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني جعفر بن الفضل ، عن رجل من ولد إبراهيم الحزّانيّ ، قال : كثر الشعراء بباب المأمون ، فأوذِنَ بهم ، فقال لعلّي بن صالح صاحب المصلّى : اعرضهم ، فَمَن كان منهم مُجيداً فأوصله إليّ ، ومَن كان غير مجيدٍ فاصرفه . وصادف ذلك شَغلاً من عليّ بن صالح كان يريد أن يتشاغل به من أمر نفسه ، فقام مُغضباً ، وقال : والله لأعمنهم بالحِرمان ، ثم جلس لهم ، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القُرب منه ، فقال لهم : على رسلِكم فإنّ المدى أقرب من ذلك ، هل فيكم مَن يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابيّ : [من البسيط]

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فَتَ الْمَادِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسِنَا مُسْتَنْطَقَاتٌ بما تحوي الضُمائيرُ
قالوا : لا والله ما منا أحدٌ يُحسين أن يقول مثل هذا ، قال : فانصرفوا جميعاً .

[التكلف في شعر العتابيّ]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهل ، قال : تذاكرنا شعر العتابيّ ، فقال بعضُنا : فيه تكلف ، ونصره بعضُنا ، فقال شيخٌ حاضر : ويحكم أيقال إن في شعره تكلفاً وهو القائل :

1 ترجمة العتابي في تاريخ بغداد 12 : 488 وطبقات ابن المعتز : 261 والشعر والشعراء : 740 وكتاب بغداد لابن طيفور 69 ، 87-88 ومعجم الأدباء 2243-2246 ومعجم الرزباني : 244 والوزراء والكتاب للجهمياري : 181 والموشح : 449 والبيان والتبيين 1 : 51 والفهرست : 134-135 وابن خلكان 4 : 122 والوافي للصفدي وفوات الوفيات 3 : 219 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ومروج الذهب 4 : 216 وانظر بروكلمان 2 : 36-37 والذكرة الحمدونية في مواضع عديدة .

رُسِّل الضَّمير إِلَيْكَ تَتَرى بالشَّقِ ظالمة وَحَسْرى¹
 مَتَرَجِّياتٍ مَا يَنى نَ عَلَى الْوَجى مِنْ بَعْدِ مَسْرى²
 مَا جَفَّ لِلْعَيْنينَ بَغْ ذَكَ يَا قَريرَ الْعينِ مَجْرى
 فَاسْلَمَ سَلِمَتَ مَبْرَأً مِنْ صَبَوْتِي أبدأ مُعْرى
 إِنَّ الصَّبَّابَةَ لَمْ تَدْعُ مِنْي سِوى عَظْمِ مُبْرى
 وَمَدَامَعِ عُبْرى عَلَى كَبِدِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَرى

في هذين البيتين غناء ، أو يقال : إنه متكلف ؟ وهو الذي يقول : [من المتقارب]

فلو كان للشكر شخصٌ يَينُ إذا ما تأملَه الناظرُ
 لثأته لك حتَّى تراه لتعلم أني امرؤٌ شاكرُ

الغناء في هذين البيتين لأبي العنَّس ، ثَقيل أول ، ولزادٍ خفيف ثَقيل . فحدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا : لما صنع رَذاذَ لَحْنَه في هذا الشعر :

فلو كان للشكر شخصٌ يَينُ

فُتِنَ به الناس ، وكان هِجِيرَاهُمْ³ زماناً ، حتى صنع أبو العنَّس فيه الثَقيل الأول ، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه .

[المأمون يطلب إشخاصه]

أخبرني إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ، وأخبرني علي بن سليمان الأحفش ، عن محمد بن يزيد ، قالوا جميعاً : كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتابي ، فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتنى وفاتك فساءتنى ، ثم بلغتنى وفادتك فسرَّتنى . فقال له العتابي : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتها فضلاً وإنعاماً ، وقد خصَّصتنى منهما بما لا يتسع له أُمْنِيَّة ، ولا ييسط لسواه أَمَل ، لأنَّه لا دين إلَّا بِكَ ، ولا دنيا إلَّا مَعَكَ . فقال له : سلمي . فقال : يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال . فوصله صلوات سنِّية ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلٍّ .

1 ظالمة : ظلع البعير أي غمز في مشيته . والحسرى : المتعبة .

2 مترجئة : منساقة . الوجى : الحفا .

3 هجيراهم : دأبهم .

[مداعبة المأمون للعتابي]

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكُرانيّ، أنَّ عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدّثه عن محمد بن إبراهيم اليساريّ، قال: لما قدِم العتابيّ مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلّي، وكان العتابيّ شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فردّ عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقَبِل يده: ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسأله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلّق طَلِق. فاستظرف المأمون ذلك، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظنّ الشيخ أنّه استخفّ به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإبساس¹. فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستهتماً، فأوماً إليه، وغمزه على معناه حتّى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار! فأُتِيَ بذلك، فوضعه بين يدي العتابيّ، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابيّ لا يأخذ في شيء إلّا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتابيّ متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كلُّ بَصَل. فتبسّم العتابيّ وقال: أمّا أنت فمعروف، وأمّا الاسم فمُنكر. فقال إسحاق: ما أقلّ إنصافك، أتُنكر أن يكون اسمي كلُّ بصل؟ واسمك كلُّ ثوم، وكلُّ ثوم من الأسماء، وأليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابيّ: لله درك، فما أحجّك، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصيله بما وصلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موافقٌ عليك ونأمر له بمثله. فقال له إسحاق: أمّا إذا أقررت بهذا، فتوهّمني تجدّني، فقال: ما أظنّك إلّا إسحاق الموصلّي، الذي تناهى إلينا خيرُهُ، قال: أنا حيث ظننت. وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذ قد اتّفقتما على المودّة فانصرفا متنادمين. فانصرف العتابيّ إلى منزل إسحاق فاقام عنده.

[عبد الله بن طاهر يعجب بشعر العتابي]

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أنَّ مسعود بن عيسى العبديّ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع² من الشعراء، فعَلِم أنّهم على بابه، فقال لخدام له أديب: اخرج إلى القوم، وقل لهم: مَنْ كان منكم يقول كما قال العتابيّ للرّشيد: [من البسيط]

1 المثل «الإناس قبل الإبساس». انظر الميداني 1: 59 وجمهرة العسكري 1: 196 ومستقصى الزمخشري

1: 303.

2 جمع في ل: عدة.

مُسْتَنْبِطَ عَزَمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرٍ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورٌ
فليدخل ، وليعلم أنني إن وجدته مقصراً عن ذلك حَرَمْتُهُ ، فَمَنْ وثِقَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَقُولُ
مثل هذا فليقم . قال : فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر .
[الرشيدي يرضى عنه ويجيزه]

أخبرني الحسن بن علي قال ، حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوثٍ ، قال : حدثنا عبد الله بن
سعيد عن إبراهيم بن الحدين ، قال : وَجِدْتُ¹ الرشيدي على العتابي ، فدخل سرّاً مع المتظلمين بغير
إذن ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الرشيدي ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذنتي الناس لك ولنفسي فيك ،
ورددني ابتلاؤهم إلى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائين لنفسي كنت ، لو
أعانني عليك الصبر . وفي ذلك أقول : [من الطويل]

أُخِضُّنِي الْمَقَامَ الْغَمَرَ إِنْ كَانَ غَرَّنِي سَنَا خُلِّبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
أَتَرَكُنِي جَدَبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرَأً وَكَفَاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكْفِافًا
وَتَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا بَلَلْتَ يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي
قال : فَأَعْجَبَ الرشيدي قوله ، وخرج وعليه الْخِلْعُ ، وقد أمر له بجائزة ، فما رأيتُ العتابي
قطُّ أبسط منه يومئذٍ .
[بشار بنفس على العتابي إجادته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثني ابن مَهْرُوثٍ ، قال : حدثنا أحمد بن خلادٍ ، قال :
حدثني أبي ، قال : جاء العتابي وهو حَدَّثَ إِلَى بَشَّارٍ ، فأنشده : [من الوافر]

أَيَصْدِفُ عَنْ أَمَامَةٍ أَمْ يُقِيمُ وَعَهْدُكَ بِالصَّبَا عَهْدٌ قَدِيمُ
أَقُولُ لِمُسْتَعَارِ الْقَلْبِ عَفَى عَلَى عَزَمَاتِهِ السَّيْرُ الْعَدِيمُ
أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ دُمُوعَ عَيْنِي شَايِبٌ يَفِيضُ بِهَا الْهَمُومُ
أَشِيْمُ² فَلَا أَرُدُّ الطَّرْفَ إِلَّا عَلَى أَرْجَائِهِ مَاءِ سَجُومٍ²
قال : فَمَدَّ بَشَارٌ يَدَهُ إِلَيْهِ : ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ بَصِيرٌ ؟ قال : نعم . قال : عَجَبًا لِبَصِيرِ ابْنِ
زَانِيَةٍ ، أَنْ يَقُولَ هَذَا الشَّعْرَ ، فَخَجَلَ الْعَتَابِيُّ وَقَامَ عَنْهُ .
[العتابي ويحيى بن خالد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب ، قال : حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن

1 وجد : غضب .

2 أشيم : أنظر . سجوم : كثير .

إسحاق ، قال : كَلَّمَ العَتَابِيُّ بِحَيٍّ بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقال له يحيى : لقد نَدَرُ كلامُك اليومَ وقلّ . فقال له : وكيف لا يَقُلُّ وقد تَكَنَّفَنِي ذُلُّ المسألة ، وحيرةُ الطَّلَب ، وخوفُ الردِّ ؟! فقال : والله لئن قلّ كلامُك لقد كثرت فوائده . وقضى حاجته .

[طالب حاجة لم تقض حاجته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حَدَّثَنِي ابن مَهْرُؤَيْه قال : حَدَّثَنِي محمد بن الحسين الزاهد قال : سأل رجل العتابي حاجة لم يقض إياها فلقبه العتابي يوماً فقال له : ألا تريد الحاجة التي سألتني ، قال : بلى ، قال : فلم لا تنقضني إياها ؟ أما سمعت قول الشاعر : [من الوافر]

وإذا لم تنجزني عدايتي فأنت وشكرها أعيأ جوابا

[يتغوط على الطريق]

أخبرني الحسن قال : حَدَّثَنَا ابن مَهْرُؤَيْه قال : حَدَّثَنِي أحمد بن خالد البرمكي قال : حَدَّثَنِي الصقر بن مجاهد قال : رايت العتابي وقد خرجنا من سفينة وقد جلس يتغوط على الطريق فقلت له في ذلك ، فقال : ما لهؤلاء السفلى حرمة ولا منك يا أخي حشمة فلم أتكلف ما يثقل عليك .

[الناس في نظر العتابي بقر]

وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حَدَّثَنَا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حَدَّثَنَا عثمان الوراق ، قال : رأيتُ العتَابِيَّ يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيتَ لو كنا في دار فيها بقر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر . فقام فوعظ وقصّ ودعا ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : رَوَى لنا غير واحدٍ ، أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفِهِ لم يدخل النار . فما بقي واحداً إلّا وأخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة أنفِهِ ، ويقدره هل يبلغها أم لا ؟ فلمّا تفرقوا ، قال لي العتَابِيَّ : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

[إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي]

أخبرني الحسن حَدَّثَنَا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حَدَّثَنِي أبو عصام محمد بن العباس ، قال : قال يحيى بن خالد البرمكي لولده : إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي ، فضلاً عن رسائله وشعره ، فلن تروا أبداً مثله .

[كتاب العتابي إلى صديق له]

أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني ، وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حَدَّثَنَا الخزاز عن ابن الأعرابي ، قال : أنكر العتابي على صديق له شيئاً ، فكتب إليه : «إمّا أن

تقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجّة علينا في العفو عنك ، وإلاّ فطُِبْ نفساً بالانتصاف منك ، فإنّ الشاعر يقول :

أقرّر بذنبك ثمّ اطلبْ تجاوزنا عنه فإن جحودَ الذنب ذنبان

[جعل يحيى بن أكرم يستأذن له على المأمون]

أخبرنا الحسن بن عليّ ، أخبرنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدّثني عبد الواحد بن محمد ، قال : وقف العتابيّ بباب المأمون يلتمس الوصول إليه ، فصادف يحيى بن أكرم جالساً ينتظر الإذن ، فقال له : إن رأيتَ ، أعزّك الله ، أن تذكرَ أمري لأمرير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل . قال له : لستُ ، أعزّك الله ، بحاجّيه . قال : فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، جعل في كلّ شيءٍ زكاةً ، وجعل زكاةَ المال رُفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف . واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، أو التغير إن كفرت ، وإني لك اليوم أصلحُ منك لنفسك ، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتك ، وأنت تأتي . فقال له يحيى : أفعلْ وكرامةً . وخرج الإذن ليحيى ، فلمّا دخل ، لم يبدأ بشيءٍ بعد السلام إلاّ أن استأذن المأمون للعتابيّ ، فأذن له .

[العتابيّ وقبول العذر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدّثني أبو الشَّيْل ، قال : قال العتابيّ لرجلي اعتذر إليه : إني إن لم أقبل عُذْرَكَ لكنتُ ألام منك ، وقد قبلتُ عُذْرَكَ ، فدمُ على لومِ نفسك في جنايتك ، نزد في قبول عُذْرَكَ ، والتَّجافي عن هفوتك .

[العتابيّ والزواج]

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إني وجدتُ مكابدة العِفّة أيسرَ عليّ من الاحتيال لمصلحة العيال .

[تقدير المأمون للعتابيّ في شيخوخته]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : قال جعفر بن الفضل ؛ قال لي أبي : رأيت العتابيّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنّ ، فلمّا أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال يُهضمه رويداً رويداً حتّى أقلّه فنهض ، فعجبت من ذلك ، وقلتُ لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ ، فمن هو ؟ قال : العتابيّ .

[حسد دعل وابن مهرويه للعتابي على شعره]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدّثني محمد بن الأشعث ، قال : قال دعل : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتابيّ على قوله : [من المديد]

هَيِّبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ

فَإِذَا مَا هَيْبَتْ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَلَتْ مِنْ سَبَبِهِ

قال ابن مهرويه : هذا سرقة العتابي من قول علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : «الهيبة مقرونة بالخيبة ، والحياء مقرون بالجرمان ، والفرصة تمر مر السحاب» .

حدثني محمد بن داود ، عن أبي الأزهري ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بذلك .

[ثلاث جوائز من عبد الله بن طاهر]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه عن أبي الشَّيْل . قال : دخل العتابي على عبد الله بن

طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده :

حُسْنُ ظَنِّي وَحُسْنُ مَا عَوَّدَ الدَّ هُوَ سِوَايَ مِنْكَ الْغَدَاةَ أَتَى بِي

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنُ مِنْ حُسْنِ مَنْ يَقِينُ حَدَا إِلَيْكَ رِكَابِي

قال : فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده :

وَدُّكَ يَكْفِينِيكَ فِي حَاجَتِي وَرَوَيْتَنِي كَافِيَةً عَنْ سَوَالِ

وَكَيْفَ أَخْشَى الْفَقْرَ مَا عِشْتَ لِي وَإِنَّمَا كَفَّاكَ لِي بَيْتَ مَالِ

فأمر له بجائزة ، ثم دخل في اليوم الثالث ، فأنشده :

بَهْجَاتِ الثِّيَابِ يُخْلِقُهَا الدَّهْرُ رُ وَثُوبُ الثَّنَاءِ غَضُّ جَدِيدِ

فَاكْسُنِي مَا يَبِيدُ أَصْلَحَكَ الدَّ هُوَ فَاللَّهُ يَكْسُوكَ مَا لَا يَبِيدُ

فأمر له بجائزة ، وأنعم عليه بخيلة سنية .

[العتابي وطوق بن مالك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدثني عبد الله بن أحمد ، قال :

حدثني أبو دِعامَة ، قال : قال طوق بن مالك للعتابي : أما ترى عشيرتك ؟ ، يعني بني تغلب ،

كيف تدل علي ، وتتمرغ وتستطيل ، وأنا أصبر عليهم ؟ فقال العتابي : أيها الأمير إن عشيرتك من

أحسن عشيرتك ، وإن عمك من عمك خير ، وإن قريبك من قريب منك نفعه ، وإن أخف

الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك¹ ، وأنا الذي أقول :

إِنِّي بِلُوتِ النَّاسِ فِي حَالَاتِهِمْ وَخَبَرْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَسْبَابِ

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب

[طاهر بن الحسين يصلح بينه وبين النمري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال حدثنا الرياشي ، قال : شكنا منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين ، فوجه طاهر إلى العتابي ، فأحضره ، وأخفى منصوراً في بيت قريب منهما ، وسأل طاهر العتابي أن يصالحه ، فشكا سوء فعله فسأله أن يصفح عنه ؛ فقال : لا يستحق ذلك . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج وقال للعتابي ، لم لا أستحق هذا منك ؟ فأنشأ العتابي يقول :

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه حقاً ولا لك في استصحابه أرب
لم ترتبطك على وصلي محافظة ولا أعاذك مما اغتالك الأدب
ما من جميل ولا عرف نطقته إلا إلي وإن أنكرت ينتسب

قال : فأصلح طاهر بينهما ، وكان منصور من تعليم العتابي وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم .

أخبرني عمي عن عبد الله بن أبي سعيد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي ، قال : شكنا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتابي إلى طاهر . ثم ذكر مثله .

[العلم والأدب أفضل من المال]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب ، قال : حدثني أبو هفان ، قال : كان العتابي جالساً ذات يوم ينظر في كتاب ، فمر به بعض جيرانه ، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأنشد العتابي يقول :

يا قاتل الله أقوماً إذا ثقفوا ذا اللب ينظر في الآداب والحكم
قالوا وليس بهم ألا نفاسته أنافع ذا من الإقتار والعدم¹
وليس يذرون أن الحظ ما حرموا لحاهم الله ، من علم ومن فهم

[قوله في عزل طاهر بن علي]

أخبرني علي بن صالح وعمي ، قالا : حدثنا أحمد بن طاهر ، قال : حدثنا أبو حيدرة الأسدي ، قال : قال العتابي في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوه : [من مجزوء الكامل]

يا صاحباً متلوّناً متبايناً فعلي وفعله
ما إن أُجِبُّ له الردى ويسرُّني والله عزله
لم تعدُ فيما قلتَ لي وفعلتَ بي ما أنتَ أهله
كَمْ شاغلٍ بك عدوتيه وفارغٌ من أنتَ شغله¹

[وشاية النمرى بالعتابي عند الرشيد]

أخبرني أحمد بن الفرّج ، قال : حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاء الخرائي عن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن النرج ، قال : لما سعى منصور النمرى بالعتابي إلى الرشيد اغتاض عليه ، فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة ، وجعل يستطعمه عليه ، حتّى استلّ ما في نفسه ، وأمنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلتُ في غمّرات الموتِ مطرّحاً قد ضاق عني فسيحُ الأرضِ من حيّلي
ولم تزلْ دائباً تسعى بلطفك لي حتّى اختلست حياتي من يديّ أجلي

[عاده عبد الله بن طاهر في مرضه]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن خلاّد عن أبيه ، قال : عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، كلثوم بن عمرو العتابي ، في عيلةٍ اعتلّها ، فقال الناس : هذه خُطرةٌ خطرت ؛ فبلغ ذلك العتابي ، فكتب إلى عبد الله بن طاهر :

قالوا الزّيارةُ خُطرةٌ خطرتُ ورنجارُ برّك ليس بالخُطرِ²
أبطلُ مقالّتهم بثانيةٍ تستنفد المعروفَ من شكّري

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله ، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم ، فعاداه مرة ثانية .

[عتاب عبد الله بن هشام له وجوابه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي ، قال : حدّثني أبو العيّن ، قال : حدّثني أبو العلاء المنقري ، قال : عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبيّ على كلثوم بن عمرو التغلبيّ في شيء بلغه عنه ، فكتب إليه :

1 العدو : جانب الوادي . وقصده أن من يشغل نفسه بك لا ينال شيئاً .

2 النجار : الأصل .

صوت

لَقَدْ سُمْتَنِي الْهَجْرَانِ حَتَّى أَذَقْتَنِي عَقُوبَاتِ زَلَّاتِي وَسُوءِ مَنَاقِبِي
فَهَا أَنَا سَاعِرٌ فِي هَوَاكَ وَصَابِرٌ عَلَى حَدِّ مَصْقُولِ الْغَرَارِينَ قَاضِبٌ¹
وَمَنْصَرَفٌ عَمَّا كَرِهْتَ وَجَاعِلٌ رِضَاكَ مِثَالاً بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي
قال : فرضي عنه ، ووصله صلةً سنّية .

الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائِد ، ثاني ثَقِيلٍ بالبَنْصَر ، عن يحيى المَكِّي ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول يحيى ، وذكر أحمد بن المَكِّي في كتابه ، أنّه لأبي سعيد ، وجعله في باب الثَقِيلِ الأوّل بالبَنْصَر ، ولعلّه على مذهب إبراهيم بن المهديّ ومن قال بقوله .
[ين ربيعة وقيس]

أخبرني الحسين بن القاسم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج ، قال : أخبرني الحسين بن داود الفراري عن أبيه ، قال : كان أخوان من فزارة يخفّران قريةً بين آمد وسُمَيْسَاط ، يقال لها تَلّ حُوم ، فطال مقامهما بها حتّى أثريا ، فحسدهما قومٌ من ربيعة ، وقالوا : يخفّران هذان الضياع في بلدنا ؛ فجمعوا لهما جمعاً ، وساروا إليهما ، فقاتلوهما ، فقتل أحدهما ، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشمي ، فشكا القيسيّ أمره إلى وجوه قيس ، وعرفهم قتل ربيعة أخاه ، وأخذهم ماله . فقالوا له : إذا جلس الأمير فادخل إليه . ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك ، وشكا ما لحقه ، ثم قال له : وحسبُ الأمير أنّهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم : [من الخفيف]

اشربا ما شربتما إنّ قيساً من قَتِيلٍ وَهَالِكٍ وَأَسِيرٍ
لا يحوزنّ أمرنا مُضِرِّيٌّ بخفيرٍ ولا بغيرٍ خفيرٍ²

فقال عبد الملك : أتندبني إلى العصبية ؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً ، فشكا ذلك إلى وجوه قيس ، فقالوا : لا ترع ، فوالله لقد قدفتها في سويداء قلبه ، فعاوده . فعاوده في المجلس الآخر ، فزبره ، وقال له قوله الأوّل ، فقال له : إني لم آتك أنديك للعصبية ، وإنّما جئتُك مستعدياً³ ، فقال له : حدّثني كيف فعل القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذب لعمرى ، ليحوزنّها . ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده ، فقال : اخرج فجرّد السيف

1 الغراران : الحدان .

2 أمرنا في ل : أرضنا .

3 مستعدياً : مستغيثاً .

في ربيعة ، فخرج وقتل منها مقتلةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها :

ماذا شجاكِ بخَوَّارين من طَلَلٍ ودمنة كشفت عنها الأعاصير¹
يقول فيها :

هذي يمينك في قرباك صائلة وصارم من سيوف الهند مشهور
إن كان منا ذوؤ إفلك ومارقة وعصبة دينها العدوان والزور²
فإن منا الذي لا يُستحث إذا حث الجياد وضممتها المضامير
مُستنبط عزَمات القلب من فكر ما بينهن وبين الله معمر

يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي ، وكان قد أخذ قوادهم .

فبلغت القصيدة عبد الملك ، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم . فلما قديم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو ، فقال : وما يمنعه أن يكون بياونا . فأمر بإشخاصه من رأس عين ، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ ، وفروة وخف ، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل ، فلما رُفع الخبر بقدمه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قُدِّمت إليه أخذ منها رقائق وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقيلي وهو في منزله ، فسلم عليه ، وانتسب له ، فرحّب به ، وقال له : ارتفع . فقال : لم آتِكَ للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال : دابة أُبلغ عليها إلى راس عين ، فقال : يا غلام أعطه الفرس الفلاني . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أُتَبِّعُ عليها . فقال لغلامه : امض معه فابتع له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير ، فقال له : إنما أمرني أن أبتاع لك دابة . فقال له : إنه أرسلك معي ، ولم يرسلني معك ، فإن عملت ما أريد وإلاّ انصرف . فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار غريباً بمرشحة عليه ويرذعة ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ فضحك ، وقال : ما رأيتُ قدرَكَ يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين .

1 كشفت في ل : حسرت . حوارين : قرية من قرى حلب .

2 عصبة في ل : بدعة .

[زوجته تلومه على عدم الأئراء]

وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال فحلّى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول : [من الطويل]

تلوم على ترك الغنى باهليّة زوى الفقر عنها كل طرفٍ وتالدٍ
رأت حوّلها النسوان يرفلن في الثرا مقلدةً أعناقها بالقلائدِ
أسركُ إني نلت ما نال جعفرُ من العيش أو ما نال يحيى بن خالدٍ
وإن أمير المؤمنين أعصني مَعْصَمَها بالمشرقاتِ البواردِ¹
رأيت رفيفاتِ الأمور مشوبةً بمستودعاتٍ في بطون الأسودِ²
دعيني تجنّني ميّتي مطمئنةً ولم أتجشم هولَ تلك المواردِ

وهذا الخبر عندي فيه اضطراب ؛ لأن القصيدة المذكورة التي أولها :

ماذا شجاكِ بخوارين من طلل

للعتابي في الرشيد ، لا في عبد الملك ، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقّصاً³ منه . وله أخبار معه طويلة ، وقد حدّثني خبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية .

[عقب الرشيد على العتابي]

أخبرني عمّي قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدّثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال : عقب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف ، فقطع عنه أشياء كان عودّه أيّاه ، فأثاه متنصلاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

ماذا شجاكِ بخوارين من طللٍ ودمنة كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاكِ حتّى ضميرُ القلب مشتركٌ والعين إنسانها بالماء مغمورُ
في ناظري انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفون عن الآفاق تقصيرُ
لو كنتَ تدرين ما شوقي إذا جعلتَ تنأى بنا وبك الأوطانُ والدورُ
علمتُ أنّ سُرّى ليلى ومُطلعي من بيت نجران والغورين تغويرُ

1 بالمشرقات ويروى : بالمرهقات وكلتاها بمعنى السيوف القاطعة .

2 الأسود : جمع أسود وهو الحية .

3 ل : متقبضاً .

إِذِ الرِّكَّائِبُ مَخْسُوفٌ نَوَاطِرُهَا كَمَا تَضَمَّنَتْ الدُّهْنُ الْقَوَارِيرُ
 نَادَتْكَ أَرْحَامُنَا اللَّاتِي نَمْتُ بِهَا كَمَا تَنَادَى جِلَادُ الْجِلَّةِ الْخُورُ¹
 مُسْتَنْبِطُ عَزَمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرِ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ
 فَتُ الْمَدَائِحِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَنَا مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تَحْوِي الضَّمَائِيرُ
 مَاذَا عَسَى مَادِحٌ يُثْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ نَادَاكَ فِي الْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرُ
 إِنْ كَانَ مَنَا ذَوُو إِفْكِ وَمَارَقَةٍ وَعَصَبَةٌ دَيْنُهَا الْعُدَاوُ وَالزُّورُ
 فَإِنَّ مَنَا الَّذِي لَا يَسْتَحْتُ إِذَا حُتُّ الْجِيَادِ وَحَازَتْهَا الْمُضَامِيرُ
 وَمَنْ عَرَاتِقَهُ السَّقَاحُ عِنْدَكُمْ مَجْرَبٌ مِنْ بَلَاءِ الصَّدَقِ مَخْبُورُ
 الْآنَ قَدْ بَعُدْتَ فِي خَطْوِ طَاعَتِكُمْ خُطَاهُمْ حَيْثُ يُحْتَلُّ الْغَشَامِيرُ²

يعني يزيد بن مزيد ، وهشام بن عمرو التغلبي ، وهو من ولد سُفْيَحِ بْنِ السَّفَاحِ ، قال :
 فرضي عنه وردَّ أرزاقه ووصله .

صوت

[من الطويل]

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أُنْمِهِ تَقْلُبَا كَأَنَّ فِرَاشِي حَالٌ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مِنِّي فِي تَذْكُرِهِ الْعَذْرُ
 الشَّعْرُ لِلْأَبِيرِ الرِّيَاحِي ، وَالْغَنَاءُ لِبَابُونِهِ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، وَفِيهِ رَمْلٌ نَسَبُهُ
 يَحْيَى الْمَكِّي إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ . وَقِيلَ إِنَّهُ مَنْحُولٌ .

1 الجِلَاد : النوق الصلبة . الجِلَّة : المسان من الإبل . الْخُور : النوق الغزيرة اللبن .

2 الْغَشَامِير : من الغشمة ، وهي الظلم .

[239] - أخبار الأبيرد ونسبه¹

[نسبه]

الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ ، من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية . وليس بمكثّر ، ولا مَن وفد إلى الخلفاء فمدحهم . وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُريداً أخاه ، وهي معدودة من مختار المراثي .
[هوِي الأبيرد امرأة فزوّجت غيره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الرياحيُّ يهوى امرأة من قومه ويُجنُّ بها حتى شهراً ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأبوا أن يزوّجوها إياه ، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زرارة ، فزوّجته ، فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي تبغى لقيط قومَه وتخيّرَا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه لبانَ مكانِ الذرِّ فيه فأنثرا
لعمري لقد أمكنتِ منّا عدونا وأقررتِ للعادي فأنخني وأهجرا²

[لم يرض كسوة حارثة بن بدر]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحي قال : قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال : اكسني بُردين أدخل بهما على الأمير ، يعني عبيد الله بن زياد ، وكساه ثوبين فلم يرضهما ، فقال فيه : [من الطويل]

أحارثُ أمسيكَ فضّلَ برديكَ إنّما أجاعَ وأعرى الله من كنتَ كاسيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابةً لتُمطرني عادت عجاجاً وسافيا³
أحارثُ عاود شربكَ الخمرَ إنني أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال : قبحه الله : لقد شهد بما لم يعلم . وإنّما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمد بن سلام .

1 للأبيرد ترجمة في المؤلف والمختلف : 26 والسمط : 494 وأعلام الزركلي .

2 للعادي في ل : للمواشي .

3 السافي : الريح تحمل تراباً .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدثنا عمر بن شُبّة قال : حدثنا الأصمعيّ قال :
هجا الأبيّرد الرياحيّ حارثة بن بدر فقال : [من الطويل]

أحارثُ راجع شُرْبِكَ الخمرِ إني أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبحَ لاهياً
أرى فيك رأياً من أبيه وعمّه وكان زيادٌ ماقِناً لك قالياً

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام ، وقال في خبره هذا : فكان
حارثة يكسوه في كلّ سنة بردين ، فحبسهما عنه في تلك السنة ، فقال حارثة بن بدر
يجيبه : [من الطويل]

فإن كنتَ عن برديّ مستغنياً لقد فإنك بأسمالِ الملابس كاسياً
وعشتَ زماناً أن أعينكَ كُسوتي قنعت بأخلاق وأمسيت عارياً
وبردين من حوك العراق كسوتها على حاجة منها لأمّك بادياً
فقال الأبيّرد يهجو حارثة بن بدر :

زعمتُ غُدانةً أن فيها سيّداً ضحماً يواريه جَناحُ الجندبِ
يُرويه ما يُروي الذّبابَ ويتشّي لؤماً ويشيعه ذراعُ الأرنبِ
وقال أيضاً لحارثة بن بدر :

ألا ليت حظّي من غُدانة أنّها تكون كفافاً لا عليّ ولا ليا
أبى الله أن يهدي غُدانةً للهدى وأن لا تكونَ الدهرَ إلّا مَوالِيا
فلو أنّني ألقى ابنَ بدرٍ بموطن نَعُدُّ به من أوّلينا المساعيا¹
تقاصر حتى يستقيّدَ وبذّه قُروم تَسامى من رياح تَساميا²
أيا فارطَ الحَيّ الذي قد حشا لكم من المجد أنهاء ملاء الخوايا³
وعَمّي الذي فكّ السّמידَ عَنوّةً فلستُ بِنُعمى يا ابنَ عقربَ جازيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حيّاته ونحنُ إذا مِنّا أشدُّ تَغانياً⁴

1 المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل .

2 يستقيّد : يذل ويخضع . رياح : قبيلة .

3 الفارط : السابق إلى إصلاح الخوض والدلاء . الأنهاء : الغدران . الخوايا : جمع خالية وهو الخوض .

4 يروى هذا البيت لغيره .

ألم ترنا إذ سقتَ قومك سائلاً ذَوِي عَدَدٍ لِلسَّائِلِينَ مَعَاطِيَا
 بنى الردفِ حَمَالِينَ كُلَّ عَظِيمَةٍ إذا طَلَعْتَ وَالمُتَرَعِينَ الجَوَايَا
 وَإِنَّا لَنُعْطِي النُّصْفَ مَنْ لَوْ نَضَيِّمُهُ أَقْرَ وَلَكِنَّا نَحِبُّ العَوَافِيَا

الردفُ الذي عناه هاهنا : جدُّه عتاب بن هَرَمي بن رياح ، كان رِدْفَ بن المنذر ، إذا ركب ركب وراءه ، وإذا جلس جلس عن يمينه ، وإذا غزا كان له المِرْبَاع ؛ وإذا شرب الملك سُقْيِي بكأسه بعده ، وكان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان . وهو جدُّ الأبيرد أيضاً .
 [الأبيرد وسعد المجلي]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال : كانت بنو عجلٍ قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عَجْلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعدٍ هذا . فمالت إليه فومِقتَه ، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً ، فذهب بها كلٌّ مذهب حتى ظهر أمرهما وتحدّث بهما ، وأتهم الأبيرد بها . فشكاه إلى قومه واستعذروهم منه¹ ، فقالوا له : ما لك تتحدّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، وإياك أن تعاودها . فقال الأبيرد : إنَّ سعداً لا خير فيه لزوجه . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنِّي رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتهمها لعجزه عنها : فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد في ذلك :
 [من الطويل]

ألم تر أن ابن المَعْدَرِ قد صحا وودَّعَ ما يُلْحِي عليه عَوَاذُهُ
 غدا ذو خلاخيلٍ عليّ يلومُني وما لومٌ عَذَالٍ عليه خلاخلُهُ
 فدع عنك هذا الحلِّي إن كنتَ لائمي فَإِنِّي امرؤ لا تزدهيني صِلَاصلُهُ²
 إذا خطرت عنس به شذنية بمطرِدِ الأرواح ناءٍ مناهلُهُ³
 تبينَ أقوامٌ سفاهةً رأيهم ترحلَّ عنهم وهو عفٌّ منازلُهُ
 لهم مجلسٌ كالرُّذْنِ يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتاملُهُ⁴

1 استعذروهم منه : استعدهم عليه .

2 الصلاصل : الرنين .

3 العنس : الناقة الصلبة . شذنية : منسوبة إلى شذن ، موضع باليمن .

4 كالردن : جعلهم كالردن في الضيق وقلة العدد . الهتامل : الذين يتكلمون كلاماً خفياً .

تبرأت من سعد وخُلَّة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله
 متى تُنتجُ البلقاء يا سعد أم متى تُلَقِّحُ من ذات الرِّباطِ حوائله
 يحدث سعد أنَّ زوجته زنت ويا سعدُ أنت المرء تزني حلائله
 فإن تسمُ عيناها إليَّ فقد رأت ففى كحسام أخلصته صياقله
 فتى قد قدَّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لَبَّاته وأباجله¹

وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلوليّ ، ولأخت يزيد بن الطثرية ، فاعترضه سلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال :

لعمرك إنني وبني رياحٍ لكالعاوي فصادف سهم رامٍ
 يسوقون ابنَ وجرة مزمرأً ليحميهم وليس لهم بحامٍ²
 وكم من شاعرٍ لبني تميم قصيرِ الباع من نفرٍ لثامٍ
 كسوننا ، إذ تخرقُ ملبسناه ، دواهي يترين من العظامِ
 وإن يُذكر طعامهم بشرٌ فإنَّ طعامهم شرُّ الطعامِ
 شريحٌ من مني أبي سواج وآخر خالص من حيض آمٍ³
 وسوداء المغابن من رياحٍ على الكردوس كالفأس الكهامِ⁴
 إذا ما مرَّ بالقعقاع ركب دعتهم من ينكُ على الطَّعامِ⁵
 تداولها غواة الناس حتى تؤوبَ وقد مضى ليل التَّمامِ⁶
 وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له :

عوى سلمان من جَوِّ فلاقى أخو أهل اليمامة سهمَ رامي
 عوى من جنبه وشقيّ عجلٍ عواء الذئب مُختلَطَ الظلامِ

1 الأجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل . وقد مرَّ هذا البيت منسوباً للعجير السلولي سوى أن الكلمة الأخيرة فيه «وبآدله» ، ص 40 من هذا المجلد .

2 المزمر : الغاضب .

3 شريح : ذو لونين مختلفين . آم : جمع أمة ، المرأة غير الحرة .

4 المغابن : جمع مغين ، وهو الابط . الكردوس : العظم الكثير اللحم . كهام : كليل .

5 الققعقاع : موضع .

6 ليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

[من الوافر]

بنو عَجَلٍ أَذَلُّ مِنَ الْمَطَايَا
تَحَيَّا الْمُسْلِمُونَ إِذَا تَلَقَّوْا
إِذَا عَجَلِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلَامًا
يَمَصُّ بِثَدْيِهَا فَرَخٌ لَثِيمٌ
خَبِيثُ الرِّيحِ يَنْشَأُ بِالْمَخَازِي
أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ بَنِي تَمِيمٍ
وَكَائِنٌ مِنْ رُئِيسِ قَطْرَتِهِ
وَجَيْشٍ قَدْ رَبَعَنَاهُ وَقَوْمٍ

وَقَالَ أَيْضًا الْأَبِيرِدُ مَجِيئًا لَهُ :

[من الطويل]

أَخَذْنَا بَأْفَاقَ السَّمَاءِ فَلَمْ نَدْعُ
مِنَ الْقُلُوحِ فَسَاءَ ضَرْوُطٌ يُهْرُهُ
وَأَقْلَحَ عَجَلِي كَأَنَّ بَخْطَمِهِ
يَزِلُّ النُّوَى عَنْ ضَيْرِسِهِ فِيرُدُّهُ
إِذَا شَرِبَ الْعِجْلِيُّ نَجَسَ كَأْسَهُ
شَدِيدٌ سَوَادِ الْوَجْهِ تَحْسَبُ وَجْهَهُ
إِذَا مَا حَسَاهَا لَمْ تَزِدْهُ سَمَاحَةً
فَلَا يَشْتَرِينَ فِي الْحَيِّ عَجَلٌ فَإِنَّهُ
يُقَاسِي نَدَامَاهُمْ وَتَلْقَى أَنْوَفَهُمْ
وَلَمْ تَكْ فِي الْإِشْرَاكِ عَجَلٌ تَذَوَّقَهَا

لَسْلَمَانِ سَلْمَانِ الْيَمَامَةِ مَنظَرَا
إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتِ عَلَى الدُّوْحِ صَرَصَرَا³
نَوَاجِذَ خَنْزِيرٍ إِذَا مَا تَكَشَّرَا
إِلَى عَارِضٍ فِيهِ الْقَوَادِحُ أَبْخَرَا
وَضَلَّتْ بِكَفِّي جَانِبٍ غَيْرِ أَزْهَرَا⁴
مِنَ اللَّوْمِ بَيْنَ الشَّارِبِينَ مَقِيرَا
وَلَكِنْ أَرْتَهُ أَنْ يَصِرَّ وَيَحْصَرَا⁵
إِذَا شَرِبَ الْعِجْلِيُّ أَخْنَى وَأَهْجَرَا
مِنَ الْجَذْعِ عِنْدَ الْكَأْسِ أَمْرًا مَذْكَرَا⁶
لِيَالِي يَسْبِيهَا مَقَاوِلُ حَمِيرَا⁷

1 قطرته : صرعته .

2 هام : الجيش العظيم .

3 القلح : جمع أقلح وهو الفاسد الأسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب من الفزع .

4 الجانب : القميء .

5 يحصر : يخل .

6 مذكر : شديد .

7 يسبيها : يشتريها . مقالول : جمع مقول ، وهو الملك في حمير .

وَيُنْفِقُ فِيهَا الْخُنْظَلِيُّونَ مَالَهُمْ إِذَا مَا سَعَى مِنْهُمْ سَفِيَةً تَجْبِرًا
وَلَكِنِّهَا هَانَتْ وَحُرِّمَ شَرِبُهَا فَمَالَتْ بَنُو عَجَلٍ لِمَا كَانَ أَكْفَرًا
لِعَمْرِي لَكِنِ أَزْنَتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لِبَيْسِ النَّدَامَى كَتَمْتُمْ آلَ أَبْجَرٍ¹

[التفاخر بالنحر]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال : كان مجادل بن مرة بن محكان السعدي وابن عم له يقال له : عرادة ، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأنهبها ، وكانت مائة شاة ، فاشترى مرة بن محكان مائة من الإبل فنحر بعضها وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدة : إنهما تفاخرا ، فغلبه مرة ، فقال الأبيرد لعرادة : [من الوافر]

شَرَى مَائَةً فَأَنْهَبَهَا جَمِيعاً وَبَتْ تَقَسَّمُ الْحَذَفُ النَّقَادُ²

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة بن محكان فحبسه وقبده ، ووقع بعد ذلك من قومه لِحَاء ، فكانت بينهم شجاج³ ، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأنبىء مرة بن محكان وهو محبوس⁴ ، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله ، فقال فيه الأبيرد : [من الطويل]

لِللّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ مَكْبَلٍ كُمُرَةً إِذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ الْأَدَاهِمُ⁴
فَأَبْلَغَ عَبِيدَ اللّهِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنَّكَ قَاضٍ بِالْحُكُومَةِ عَالِمٌ
فَإِنْ أَنْتَ عَاقِبْتَ ابْنَ مَحْكَانَ فِي النَّدَى فَعَاقِبْ هَذَاكَ اللّهُ أَعْظَمَ حَاتِمٍ
تَعَاقِبْ خِرْقاً أَنْ يَجُودَ بِمَالِهِ سَعَى فِي ثَأْنٍ مِنْ قَوْمِهِ مُتَفَاقِمٍ⁵
كَأَنَّ دِمَاءَ الْقَوْمِ إِذْ عَلِقَتْ بِهِ عَلَى مَكْفَهْرٍ مِنْ ثَنَائِهَا الْمُخَارِمِ⁶

[استفزاز سحيم بن وثيل الرياحي]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، قال : حدثنا عمي قال : أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأحوص ، وهما من رهط ردف الملك من بني رياح ، يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له : إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر

1 أزنتم : اتهمتم .

2 الحذف : الغنم السود . النقاد : جمع نقد ، وهو جنس من الغنم .

3 شجاج : جراح .

4 الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .

5 الثأني : الأفساد .

6 المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأواخر الليل . وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة إقواء .

أعطيناك فطرانا . فقال : قولا . فقالا : اذهب فقل له : [من الوافر]

فإن بُدَاهَتِي وجِراء حولي لذو شِقٍّ على الحُطَمِ الحرون¹
قال : فلمّا أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه ، وانحدر في الوادي ، وجعل يُقبل فيه ويدبر ،
ويهمهمُ بالشعر . ثم قال : اذهب فقل لهما² : [من الوافر]

فإنّ غَلَاتِي وجِراء حولي لذو شِقٍّ على الضَّرْعِ الظُّنون³
أنا ابنُ الغُرِّ من سَلَفِي رياح كنصل السيف وضاحُ الجبين
أنا ابنُ جِلا وطلاغُ الشايبا متى أضع العمامة تعرفوني⁴
وإنّ مكاننا مِن حميريّ مكانُ الليث من وسط القرين
وإنّ قناتنا مَشِطٌ شظاها شديد مدّها عُنقَ القرين

قال الأصمعيّ : إذا مسست شيئا خشناً فدخل في يدك قيل : مشطت يدي والشظا :
ما تشظّى منها :

وإني لا يعود إليّ قرني غداة الغبِّ إلّا في قرين
بذي لَيْدٍ يصدُّ الركب عنه ولا تُوتَى فريسته لحين
عذرتُ البُزْل إذ هي صاولتني فما بالي وبالي ابني لبون⁵
وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزتُ راسَ الأربعين⁶
أخو الخمسين مُجْتَمَعٌ أشدّي ونجذني مداورةُ الشؤون⁷
سأحيا ما حييتُ وإنّ ظهري لذو سَنَدٍ إلى نَصَدٍ أمين⁸

قال : فأتياه فاعتذرا إليه . فقال : إنّ أحدكم لا يرى أن يصنع شيئا حتّى يقيس
شعره بشعرنا ، حسبه بحسبنا ، ويستطيف بنا استطافة المهر الأرّ . فقالا له : فهل إلى

1 شق : مشقة . الحطم : العسوف العنيف . الحرون : الصعب القيادة .

2 الأصمعيات : 73 .

3 الضرع : الصغير . الظنون : الذي لا يوثق به .

4 ابن جلا : كناية على العلو . طلاع الشايبا : كناية عن الارتقاء إلى قمة المجد . متى أضع العمامة تعرفوني : قال
تعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .

5 البزل : جمع بازل ، وهو البعير دخل سنته التاسعة . وابن لبون : ما كان في عامه الثاني .

6 تبتغي في ل : يدري .

7 نجذني : جعلني مجرباً .

8 نضد : الوسائد ، وهو أيضاً الأعمام والأحوال المتقدمون في الشرف .

النزع¹ من سبيلٍ . فقال : إنا لم نبلغ من أنسابنا .
قال اليزيدي : أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي .
[رثاؤه بريداً]

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أولها الغناء المذكور ، من جيد الشعر ،
ومختار المراثي ، المختار منها قوله :

تطاولَ ليلي لم أنمه تقلباً
أراقب من ليل التمام نجومه
تذكرتُ قرماً بان منّا بنصره
فإن تكن الأيام فرّقن بيننا
وكنت أرى هجراً فراقك ساعة
أحقاً عباد الله أن لست لاقيا
فتى إن هو استغنى تخرّق في الغنى
وسامى جسيمات الأمور فناها
ترى القوم في العزاء ينتظرونه
فليتك كنت الحيّ في الناس باقياً
فتى يشتري حسن الثناء بماله
كان لم يصاحبنا بريدٌ بغبطة
لعمري لنعم المرء غالي نعيه
تمضت به الأخبار حتى تغلغت

كأن فراشي حال من دونه الجمر
لأن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر
ونائله يا حبذا ذلك الذكر²
فقد عذرتنا في صحابتنا العذر³
ألا لا بل الموت التفرق والهجر
بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر⁴
فإن قلّ مالاً لم يؤدّ متنه الفقر
على العسر حتى أدرك العسر اليسر
إذا ضلّ رأي القوم أو حزب الأمر
وكنت أنا الميت الذي غيب القبر⁵
إذا السنة الشهباء قلّ بها القطر⁶
ولم يأتنا يوماً بأخباره السفر⁷
لنا ابن عزيز بعد ما قصر العصر
ولم تئنه الأطباع دوني ولا الجدر⁸

1 النزع : الكف .

2 الذكر : التذكر .

3 العذر : جمع عذير ، وهو العاذر .

4 لألأ العفر : حركت الظباء أذنانها .

5 باقياً في ل : ثاوياً .

6 السنة الشهباء : السنة الشديدة .

7 السفر في ل : البشر .

8 الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

ولما نعى الناعي بُرَيْدًا تَغَوَّلْتُ
 عساكر تغشى النفسَ حتى كَأَنَّنِي
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بُرَيْدٍ مَصِيبَتِي
 وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفَى إِلَهِي إِذَا شَكَا
 وَمَا زَالَ فِي عَيْنِي بَعْدُ غِشَاوَةٌ
 عَلَى أَنَّنِي أَقْنَى الْحَيَاءِ وَأَتَقِي
 فَحْيَاكَ عَنِّي اللَّيْلَ وَالصَّبِيحُ إِذْ بَدَا
 سَقَى جَدَثًا لَوْ أَسْتَطِيعَ سَقِيته
 وَلَا زَالَ يَرْعَى مِنْ بِلَادِ ثَوَى بِهَا
 حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّافِعِينَ أَكْفُهُمْ
 وَمُجْتَمَعِ الْحَجَّاجِ حَيْثُ تَوَافَقَتْ
 يَمِينَ امْرَأَةٍ إِلَى وَلَيْسَ بِكَاذِبٍ
 لَعَنَ كَانَ أُمْسَى ابْنُ الْمَعْدُرِ قَدْ ثَوَى
 هُوَ الْخَلْفُ الْمَعْرُوفُ وَالِدَيْنِ وَالتَّقَى
 أَقَامَ فَنَادَى أَهْلَهُ فَتَحَمَّلُوا
 فَتَى كَانَ يُغْلِي اللَّحْمَ نَيْشًا وَلَحْمَهُ
 فَتَى الْحَيِّ وَالْأَضْيَافِ إِنْ رَوَّحْتَهُمْ
 إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ لَدَيْهِ وَفَى بِهَا
 عَفِيفٌ عَنِ السَّوَاتِ مَا التَّبَسَّتْ بِهِ

بِي الْأَرْضَ فَرَطَ الْحَزْنَ وَأَنْقَطَعَ الظَّهْرُ¹
 أَخُو سَكْرَةٍ طَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ²
 وَبَنِي وَأَحْزَانًا تَضُمُّهَا الصَّدْرُ
 مِنَ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
 وَسَمِعِي عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَقُرُ³
 شِمَاتِهِ أَعْدَاءُ عِيُونِهِمْ خَزْرُ⁴
 وَهُوجٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ غُدُوَّتُهَا شَهْرُ
 بِأَوْدٍ فَرَوَاهُ الرِّوَاغِدُ وَالْقَطْرُ⁵
 نَبَاتٌ إِذَا صَابَ الرِّبْعُ بِهَا نَضْرُ
 وَرَبُّ الْهَدَايَا حَيْثُ حَلَّ بِهَا النَّحْرُ
 رِفَاقٌ مِنَ الْآفَاقِ تَكْبِيرُهَا جَارُ
 وَمَا فِي يَمِينِ قَالِهَا صَادِقٌ وَزُرُ
 بِرَيْدٌ لَنَعَمِ الْمَرْءِ غَيَّهِ الْقَبْرُ
 وَمَسْعَرُ حَرْبٍ لَا كَهَامٌ وَلَا غُمْرُ
 وَصُرْمَتُ الْأَسْبَابِ وَاخْتِلَاطُ النَّجْرِ⁶
 رَخِيسٌ لَجَادِيهِ إِذَا تُنْزِلُ الْقِدْرُ
 بَلِيلٌ وَزَادَ السَّفَرُ إِنْ أَرْمَلَ السَّقَرُ⁷
 فَابْتَ وَلَمْ يُهْتَكْ لَجَارَتِهِ سِتْرُ⁸
 صَلِيبٌ فَمَا يُلْقَى لِعُودِ بِهِ كَسْرُ

1 الظهر في ل : الصبر .

2 طارت في ل : مالت .

3 وفر : صمم .

4 خزر : ضيقة .

5 الرواغد في ل : الرواعد .

6 النجر : الأصل .

7 روحتهم : هبت عليهم . أرمَلَ السفر : نفذ زاد المسافرين .

8 فابت في ل : فباتت .

سلكت سبيلَ العالمين فما لهم
وكلّ امرئ يوماً سيلقى حمامه
وأبليت خيراً في الحياة وإنما
وقال يرثيه أيضاً ، وهي قصيدة طويلة :

وراء الذي لاقيت مَعْدَى ولا قصرُ
وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
ثوبك عندي اليوم أن ينطق الشعرُ
[من الطويل]

إذا ذكرتَ نفسي بُريداً تحاملتُ
وذكرتُكَ الناسُ حين تحاملوا
فلا يُعِدُّكَ اللهُ خيرَ أخٍ امرئٍ
وَصُولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا
أخو ثقة لا يتحجى القومُ دونه
ولا يركب الوجناء دون رفيقه

إليّ ولم أملك لعيني مدمعا
عليّ وأضحوا جلدًا أجربَ مُولعا
فقد كنتَ طلائع النّجادِ سَميدعا¹
إذا ارتادك الجادي من الناس أُمرا²
إذا القوم خالوا أو رجا الناسُ مَطعما
إذا القومُ أزجّوهنّ حَسرى وظلّعا³

صوت

[من مخلع البسيط]

يا زائرنا من الخيام
يحزنني أن أطفئما بي
بورك هارون من إمام
له إلى ذي الجلالِ قُربى

حيّاك الله بالسلام
ولم تنالا سوى الكلام
بطاعة الله ذي اعتصام
ليست لِعَدْلٍ ولا إمام

الشعر لمنصور النمرى ، والغناء لعبد الله بن طاهر ، رمل ، ذكر ذلك عبيد الله ابنه ، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها ، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة . وفيه ثقیلٌ أوّل بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنّه للرفّ أيضاً .

1 السמידع : الكريم .

2 الجادي : طالب العطاء .

3 الوجناء : الناقة السريعة . حسرى : كليلة . ظلع : جمع ظالع ، وهي الناقة التي تغمز في مشيها من عرج .

[240] - أخبار منصور النمري ونسبه¹

[نسبه]

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة ، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان ، بن شريك بن مطعم الكبيش الرّخم ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وإنما سمي عامر الضّحيان لأنه كان سيّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسمي الضّحيان . وسمي جدّ منصور «مطعم الكبيش الرخم» ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع راسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه ، فأمر بأن يُذبح لهم كبش ويرمى به بين أيديهم ، ففعل ذلك ، فنزلن عليه ، فمزقنه ؛ فسمي مطعم الكبيش الرخم . وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمري يمدح رجلاً منهم :

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكبيش يقري الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبّه . والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه² عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه ، وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها من أخبارهما³ ، إن شاء الله تعالى ، وكان النمري قد مدح الفضل بن يحيى بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابي إليه ، واسترفده له ، وسأله استصحابه ، فأذن له في القدوم ، فحظي عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر ، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن آل علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، والطعن عليهم ، وعلم مغزاه في ذلك ممّا كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة ، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز . فسلك مذهب مروان في ذلك ، ونحا نحوه ،

1 لمنصور النمري ترجمة في الشعر والشعراء : 736-739 وتاريخ بغداد 13 : 65 وطبقات ابن المعتز :

242-248 وابن خلكان 6 : 336 وفوات الوفيات 4 : 164-168 وقد جمع شعره الطيب العشاش

(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) .

2 قرضه : مدحه ، وهو من الأضداد .

3 تقدم ذكر ذلك في ترجمة العتابي ص 74-86 .

4 . كتاب الأغاني - ج 13

ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان ، ولكنه حام ولم يقع ، وأوماً ولم يُحقِّق ، لأنه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب ، وكان ينطِق عن نية قويّة يقصدها¹ طلب الدنيا ، فلا يُتَّقِي ولا يذر .

[طلب أن يذكر عند الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكُرانيّ ، وأخبرني به عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، وحديث محمد بن جعفر النحويّ أتم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدِي قال : حدّثنا ثابت بن الحارث الجُشميُّ قال : كان منصورُ النمرِيّ مُصافياً للبرامكة ، وكان مسكنه بالشام ، فكذب يسألهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه ، فأحبّ أن يسمع كلامه ، فأمرهم بإقدامه ، فقدم ونزل عليهم ، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره ، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان ، على ما سمعه من بيانه ، وكان مروان يقول قبل قدمه : هذا شاميٌّ وأنا حجازي ، أفتراه يكون أشعر منّي ، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد ، واستنشد الرشيدُ منصوراً ، فأنشده² :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا	غِمَارَ الْهَوْلِ مِنْ بِلَدِ شَطِيرٍ ³
بِخُوصٍ كَأَهْلَةِ خَافِقَاتِ	بَلَيْنَ عَلَى السُّرَى وَعَلَى الْهَجِيرِ ⁴
حَمَلَنَ إِلَيْكَ أَحْمَالاً ثِقَالاً	وَمِثْلَ الصَّخْرِ وَالْدَّرِّ النَّثِيرِ
فَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمَتْنَاهَا	وَعَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ
إِلَى مَنْ لَا يَشِيرُ إِلَى سِوَاهَا	إِذَا ذُكِرَ النَّدَى كَفُّ الْمَشِيرِ

فقال مروان : ودِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ أَخَذَ جَائِزَتِي وَسَكَتَ .

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يَذُلُّ مَنْ رَقَابِ بَنِي عَلِيٍّ	وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ الصَّغِيرِ
مَنْتَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى	وَكَانَ مِنَ الْخُتُوفِ عَلَى شَفِيرِ ⁵

1 يقصد بها في ل : يعصدها .

2 شعر منصور النمرِي : 85-88 .

3 الهول في ل : الموت . شطير : بعيد .

4 خوص : جمع خوصاء ، الناقة الغائرة العين صغيرتها .

5 الختوف في ل : الهلاك .

[مروان ينشد الرشيد]

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده ، وكان يتبسّم في وقت ما كان ينشده النمرى ، ويأخذ على بطنه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشدته : [من الرجز]

موسى وهارون هما اللذان	في كتب الأخبار يوجدان
من ولد المهدي مهديان	قُدّاً عنانين على عنان
قد أطلق المهدي لي لساني	وشدّ أزري ما به حبابي
من اللّجين ومن العقيان	عبيدة شاحطة الأثمان ¹
لو خاليت دجلة بالألبان	إذا لقيت اشبه النهران ²

قال : فوالله ما عاج النمرى بذلك ولا أحتفل به ، فأوماً إلى هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

خلّوا الطريق لمعشر عاداتهم	حطّم المناكب كل يوم زحام
ارضؤا بما قسم الإله لكم به	ودعوا ورائة كلّ أصيد حام ³
أتى يكون وليس ذاك بكائن	لبنى البنات ورائة الأعمام

قال : فوالله ما عاج بشيء منها وغلب على هارون ، وخرجت الجائزتان ، فأعطى مروان مائة ألف . وأعطى النمرى سبعين ألفاً ، وقال : أنت مزيّد في ولد علي .

قال : ولقد تخلّص النمرى إلى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله : [من الوافر]

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم	والآ فالندامة للكفور
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقّ	وردّوا ما يناسب للذكور

قال : فكان مروان يتأسّف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه ، وإلى قوله : [من الوافر]

وما لبنى بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في ورق الزبور

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشر العبدى ، فذكر القصة قريباً ممّا ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص ، والمعنى متقارب .

1 عبيدة : ضرب من نجائب الإبل . شاحطة الأثمان : عالية الأثمان .

2 خاليت : فاخرت .

3 حام في ل : سام .

[الرشيد يغضب لمن قال كأنه رسول]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال : حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال : كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكير ذلك ولا يرده ، حتى دخل عليه نفر من الشعراء فيهم رجل من ولد زهير بن أبي سلمى ، فأفرط في مدحه حتى قال فيه :

فكأنه بعد الرسول رسول

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذ ، وحرّم ذلك الشاعر فلم يُعطه شيئاً ، وأنشد منصور النمرّي قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم ، فضجر هارون وقال له : يا ابن اللّخناء ، أتظن أنك تتقرب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي ، ونسبهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ؟! فقال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فازداد غضبه ، وأمر مسروراً فوجاً¹ في عنقه وأخرج ، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده :

بنّي حسنٍ ورهطَ بني حُسينِ	عليكم بالسّداد من الأمور
فقد ذقتم قراعَ بني أبيكم	غداة الرّوع بالبيض الذّكور
أحينَ شَفَوكمُ من كلّ وترٍ	وضمّوكم إلى كَنفٍ وثيرٍ ²
وجادتكم على ظمإٍ شديد	سماء من نوالهم الغزير
فما كان العقوقُ لهم جزاء	بفعلهم وآدى للثّور
وإنك حين تُبلغهم أذاةً	وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له : صدقت ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[الرشيد يميز شاعره الخاص]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا يزيد بن محمد المهلبّي قال : حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال : دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر ، ومنصور النمرّي على الرشيد ، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها :

أنّي يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثَةُ الأعمام
وأنشده سلم فقال :

خَضِرَ الرّحيل وشَدَّتْ الأحداجُ³

1 وجأ في عنقه : ضربه .

2 الكنف الوثير : العناب اللين .

3 الأحداج : جمع جدج ، يحفه كالهودج .

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها :

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلك الله منها حيث تجتمعُ
فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم ، فقال له يحيى بن خالد : يا أمير المؤمنين ، مروان
شاعرك خاصة قد ألحقهم به . قال : فليُزد مروان عشرة آلاف .
[إعجاب الرشيد بشعر منصور]

أخبرني عمي قال : أخبرنا ابن أبي سعيد قال : حدثني علي بن الحسين الشيباني قال :
أخبرني أبو خاتم الطائي ، عن يحيى بن ضبيطة الطائي ، عن المفضل قال : حضرت الرشيد وقد
دخل منصور النمري عليه فأنشده¹ :

ما تنقضي حَسرةٌ مِنِّي ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْجعُ
بأنَّ الشَّبابُ وفاتنني بلذته صروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خدعُ
ما كنت أوفي شبابي كُنهَ غِرَّتِه حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ
قال : فتحرك الرشيد لذلك ثم قال : أحسنَ والله ، لا يَتَهَنَّا أحدٌ بعيش حتى يخطر في
رداء الشباب .

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن أبي سعيد قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي
عن أبي ثابت العبدي عن مروان بن أبي حفصة ، قال : خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم ،
فظفر الرشيد ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن يزيد . فقال لي
واللنمري : أنشدا . فأنشدته قولي :

طرقك زائرةٌ فحيَّ خيالها غراء تخلط بالحياء دلالها
ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رُزقه ، فقال : عدوا
قصيدته ؛ فكانت مائة بيت ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قال للنمري : كيف رأيت فرسي
فإنني أنكرته ؟ فقال النمري² :

مُضِرٌّ على فأسِ اللجامِ كأنه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطيرُ³
فظلٌّ على الصفصاف يومٌ تباشرت ضياعٌ وذوئان به ونسورُ

1 شعر منصور النمري : 95-103 .

2 شعر منصور النمري : 82 .

3 مضر : يقال أضمر الفرس على اللجام إذا أزم عليه .

فأقسِم لا يَنسَى لك اللهُ أجْرَها إذا قُسِّمَت بينَ العباد أجورُ
قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يَمْنَعُنِي من إذكّاره بالجائزة؟ فقلت: [من الطويل]
إذا الغيثُ أَكْدَى واقشَعَرَّتْ نجومُه فغيثُ أميرِ المؤمنينَ مَطِيرُ
وما حلَّ هارونَ الخليفةُ بلدةً فأخْلَفَها غيْثٌ وكاد يضيُرُ
فقال: أَذْكَرْتَنِي. ورأيتُه مُتَهَلِّلًا لذلك. قال: فأخْلَقَنِي بمرّوان وأمر لي بمائة ألف درهم.
[البديق ينشد قصيدة النمريّ]

أخبرني عمّي، قال: حدّثني ابن أبي سعيد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن
طهّمان، قال حدّثني محمد الراوية المعروف بالبديق، وكان قصيراً، فلَقَّبَ بالبديق
لقصره، وكان يُشَدُّ هارونَ أشعار المحدثين، وكان أحسن خلق الله إنشاداً، قال: دخلت
على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جدّيان
ورُغفان سميد ودجاجاتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النمريّ العينية، فلمّا
بلغت إلى قوله:

أيُّ امرئٍ بات من هارونَ في سَخَطِ فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروفَ أوديةَ أحلَّك الله منها حيثَ تسعُ
إذا رفعت امرءاً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوامِ مُتَضِعُ
نفسِي فداؤك والأبطال معلّمة يوم الوغى والمنايا بينَها قرعُ
قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكلّ شيءٍ،
وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ، فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين،
فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله¹:

شاءَ من الناسِ راتِعَ هاملٍ يعللون النفوس بالباطلِ
فلمّا بلغت إلى قوله:

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسَلَّةِ البيضِ والقنا الذابلِ
قال: أراه يحرّض عليّ، ابعثوا إليه مَنْ يجيء برأسه. فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن
كلامه شيئاً، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِن. قال: وكان إنشادُ
محمدٍ البديق يُطرب كما يطرب الغناء.

[سبب غضب الرشيد على النمري]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا ابن أبي سعيد ، قال : حدثنا علي بن الحسين الشيباني ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خبرك ؟ فقال : تركت امرأتي تُطَلَّقُ ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي ، والقيمة بأمرى وأمر منزلي . فقلت له : لِمَ لا تكتب على فرجها «هارون الرشيد» ؟ قال : ليكون ماذا ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أخلف الغيثُ لم تُخلفِ مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسعُ

فقال لي : يا كشيخان ، والله لئن تخلصتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلما ولدتِ امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أُذن لي في الظهور ؛ فلما دخلتُ عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمري ، فاعتذرت إليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذب عليّ إلاّ وقوفي على ميله إلى العلوية ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مدحهم فعلتُ . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله :

شاء من الناس راتعُ هاملٌ يعللون النفوس بالباطلُ

حتى بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسلةَ البيض والقنا الذابلُ

[طلب الرشيد نبش جنة النمري ليحرقها]

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كفّ عنه .

[الفضل بن الربيع يحمي النمري]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثني بعض الزينيين ، قال : حبس الرشيد منصور النمري بسبب الرفض ، فتخلصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل علي عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يلح في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضل تفوتني النمري ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصّته . قال : فجئني . وكان الفضل قد أمره أن يطول شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحّب وتسوء حالته ، ففعل ، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة ،

وأدخله عليه ، وقد عفا¹ شعره ، وساءت حالته ، فلمّا رآه ، قال : السيف ؛ فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل : [من المنسرح]

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا ، ولقد كُذِبَ عليّ ، ولكنّي القائل² :

يا منزل الحي ذا المغاني انعم صباحاً على بلاكا

هارون يا خير من يُرجى لم يطيع الله من عصاكا

في خير دينٍ وخير دنيا من اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخليه سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع : [من المزج]

رأيت الملك مُذْ أزر تَ قد قامت محانيه

هو الأوحـد في الفضل فما يعرف ثانيه

[تعف النمر]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعيد ، قال : حدّثني عليّ بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل ، قال : اجتمع عند المأمون قبل خلافته ، وذلك في أيام الرشيد ، منصور النمرّي والخريمي والعباس بن زفر ، وعنده جعفر بن يحيى ، فحضر الغداء ، فأتى المأمون بلونٍ من الطعام ، فأكل منه فاستطابه ، فأمر به فوضِع بين يدي جعفر بن يحيى ، فأصاب منه ، ثم أمر به فوضِع بين يدي العباس فأكل منه ، ثم نَحاه ، فأكل منه بعده الخريمي وغيره ، ولم يأكل منه النمرّي ، وذلك بعين المأمون ، فقال له : لِمَ لم تأكل ؟ فقال : لئن أكلتُ ما أبقي هؤلاء إني لنهم . قال : فهل قلتُ في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت :

[من البسيط]

لَهْفِي أَطْعِمَهَا قِيساً وَآكَلَهَا إِنِّي إِذَا لَدْنِي النَفْسِ وَالْخَطِرِ

ما كان جدّي ولا كان الهمام أبي ليأكلا سورَ عباس ولا زفر³

شأن من سورَ عباس وفضلته وسورَ كلبٍ مُعْطَى العين بالوبر

ما زال يلقم والطباخ يلحظه وقد رأى لُقما في الحلق كالعُجْرِ

[نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمّي ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليّ العنزي ، قال :

1 عفا شعره : طال وكثر .

2 شعر منصور النمرّي : 113 .

3 السور : البقية والفضلة .

أخبرني علقمة بن نصر بن واصل النمري ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : إن منصور بن بَجْرة بن منصور بن صليل بن أَشِيم بن الحجاز بن قيس بن قطن بن سعد بن عامر الضَّحِيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ ، قال هذه القصيدة :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجعُ
بان الشباب وفاتتني بشيرتهُ صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدْعُ¹
ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبته مكسوٌ شيب فلا يذهب بك الجزعُ

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الككبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها ، فاستوهبها منه فوهبها له ، وكان منصور بن بَجْرة هذا موسراً لا يتصدى لمُدح ولا يفد إلى أحد ولا يتتبعه بالشعر ، وكان هارون الرشيد قد جرّد السيف في ربيعة ، فوجه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد ، وكان رجلاً تقتحمه² العين جدّاً ، ويزدرية من رآه لدمامة خَلَقِه ، فأمر الرشيد لما عُرضت عليه بإحضار قائلها . قال منصور : فلمّا وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لما عُرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً ، وأمره بإدخالها ، فلمّا قرئت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي ، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً . قال : فردّني ، وأمر بإخراجي فأخرجت ، فمرّ بي ذات يوم يزيد بن مُزَيْد الشيباني ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقني ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبري ، وسألته : أن يذكرني إذا مرّت به رقعتي ، ويتلطّف في إيصالي ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

أتسلو وقد بانَ الشبابُ المزايلُ

فقال لي : غداً إن شاء الله أمر برفع السيف عن ربيعة - فقلت له يا أمير المؤمنين إن يوم الشر طويل ، فقال : صدقت . وخرج يزيد يركض ، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلمّا صرت إلى هذا الموضع³ : [من الطويل]

يُجرّد فينا السيفَ من بين مارقٍ وعانٍ بُجودٌ كلّهم متحامل⁴

قالوا : فلمّا سمع الجلساء هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابي واقتضح ، فلمّا

1 الشرة : النشاط .

2 تقتحمه العين : تتخطّاه لضعف شأنه .

3 شعر منصور النمري : 113 .

4 العاني : الأسير . بجود : جمع بجد ، الجماعة من الناس .

قلت :

[من الطويل]

وقد علم العُدوانُ والجورُ والخنا
ولو علموا فينا بأمرِكَ لم يكن
لنا منك أرحامٌ ونعتدُّ طاعةً
وما يحفظ الأنسابَ مثلكَ حافظٌ
جعلناك ، فامنعنا ، معاذاً ومفزَعاً
وأنت إذا عاذت بوجهك عُوذَ
بأنك عيافٌ لهنّ مُزايِلُ¹
ينال برّياً بالأذى متناولٌ
وبأساً إذا اصطك القنا والقنابلُ²
ولا يصلُّ الأرحامَ مثلكَ واصلٌ
لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ
تطامنَ خوفٌ واستقرَّتْ بلابلُ

فقال الجلساء : أحسنَ والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرَفَعُ السيف عن ربيعة ويُحسن إليهم .

[النمرى ينشد الرشيد وعنده الكسائي]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعيدٍ ، قال : حدَّثني عليُّ بن الحسن بن عبيدٍ البكريُّ ، قال : أخبرني أبو خالد الطائيُّ عن المفضل قال : كنّا عند الرشيد وعنده الكسائيُّ ، فدخل إليه منصورُ النمرى ، فقال له الرشيد : أنشيدني . فأنشده قوله : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ مِنِّي ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجِعَ

فتحرَّك الرشيد ، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

ما كنت أوفي شبابي كُنةَ عزِّته حتى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبِعُ

فطرب الرشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، وصدقتَ ، لا والله لا يتهنأ أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب ؛ وأمر له بجائزة سنّية .

[تهكم الشعراء بالنمرى لامتناعه عن الشرب]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعيدٍ ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن طهّمان السلميُّ ، قال : حدَّثني أحمد بن سنان البيسانى ، وأخبرني عمِّي قال : أخبرنا ابن أبي سعيدٍ ، قال : حدَّثنا مسعود بن عيسى ، عن موسى بن عبد الله التميمي : أنَّ جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمرى ، وكانوا على نبيذٍ ، فأبى منصور أن يشرب معهم ؛ فقالوا له : إنّما تعاف الشربَ لأنك رافضي ، وتسمع وتُصغى إلى الغناء ، وليس تركك النبيذ من ورعٍ . فقال منصور :

[من الطويل]

1 عياف : شديد الكراهية . مزايِل : مفارق .

2 القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الناس والخيَل .

صوت¹

خَلا بَيْنَ نَدْمَانِيْ مَوْضِعُ مَجْلِسِيْ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِيْ لِلْوَصَالِ نَصِيْبُ
وَرُدَّتْ عَلَى السَّاقِي تَفِيضٌ وَرُبَّمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ الْكَاسَ وَهِيَ سَلِيْبُ
وَأَيُّ امْرِئٍ لَا يَسْتَهْشُ إِذَا جَرَتْ عَلَيْهِ بَنَانٌ كَفْهَنٌ خَضِيْبُ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، مطلق في مجرى البصر . ومن الناس من ينسبه إلى مخارق ، هكذا في الخبر .

[قصيدة للعتابي يشكو إلى النمري تغير حاله]

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الميرد ، قال : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله :

[من الطويل]

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَلاَحَ مَشِيْبُ وَأَشْفَى عَلَى شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
وَوَدَّعَتْ إِخْوَانَ الصَّبَا وَتَصَرَّمَتْ غَوَايَةَ قَلْبٍ كَانَ وَهُوَ طَرُوبُ
[خَلا بَيْنَ نَدْمَانِيْ مَوْضِعِ مَجْلِسِيْ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِيْ لِلْمَزَاحِ نَصِيْبُ]
وَرُدَّتْ عَلَى السَّاقِي تَفِيضٌ وَرُبَّمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ الْكَأْسَ وَهِيَ سَلِيْبُ²
وَمِمَّا يَهْيِجُ الشُّوقَ لِي فَيَرُدُّهُ خَفِيفٌ عَلَى أَيْدِي الْقِيَانِ صَخُوبُ
عَطَوْنَ بِهِ حَتَّى جَرَى فِي أَدِيمِهِ أَصَابِيغٌ فِي لَبَاتِهِنَّ وَطِيْبُ

[جواب النمري]

فأجابه النمري وقال³ :

[من الطويل]

أَوْحَشَتْ نَدْمَانِيْكَ تَبْكِي فَرُبَّمَا تَلَاقِيَهُمَا وَالْجِلْمُ عَنْكَ عَزُوبُ
تَرَى خَلْفًا مِنْ كُلِّ نَيْلٍ وَثَرَّةٌ سَمَاعٌ قِيَانٌ عَوْدَهِنَّ قَرِيبُ
يَغْنِيكَ يَا بِنْتِي فَتَسْتَصْحَبُ النَّهْيَ وَتَحْتَازِكِ الْآفَاتُ حِينَ أُغْيَبُ
وَإِنْ امْرَأً أَوْدَى السَّمَاعُ بَلْبُهُ لَعْرِيَانُ مِنْ ثَوْبِ الْفَلَاحِ سَلِيْبُ

[مديحه يزيد بن مزيد]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن

1 شعر منصور النمري : 69 .

2 سليلب : فارغة .

3 شعر منصور النمري : 68 .

جشم العبدِيّ أبو مسعر ، قال : أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة ، فقال :
اسمع مني جُعِلَتْ فِدَاكَ . فَأَنشَدَهُ قصيدةً له ، يقول فيها¹ :

لو لم يكن لبني شيانَ من حَسَبٍ سوى يزيدَ لقاتوا الناس في الحسبِ
تأوي المكارم من بكر إلى مَلِكٍ من آل شيانَ يَحْوِيهِنَّ من كَتَبِ
أَبٌ وعمٌّ وأُخُوَالٌ مناصِبُهُم في منبت النَّبْعِ لا في منبت الغَرَبِ²
إنَّ أبا خالد لما جرى وجرت خيلُ الندى أحرَزَ الأولى من القَصَبِ
لما تلغِهِنَّ الجريُّ قَدَمَه عَتَقَ مُبَيِّنٌ ومحضٌ غير مؤتَشَبِ³
إنَّ الذين اغتَزَوْا بالحَرِّ غَرَّتَه كمغترِزِ الليث في عَرِيْسِهِ الأشْبِ⁴
ضرباً دِراكاً وشَدَاتٍ على عَنَقِ كأنَّ إيقاعها النُّيرانُ في الحطَبِ⁵
لا تقرِّبنَ يزيداً عند صولته لكنَّ إذا ما احتبى للجُود فاقترَبِ

فقال يزيد : والله ما أصبح في بيت مالي شيء أعرفه ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته .
فجاءه بمائة دينارٍ وحلفَ أنَّه لا يملك يومئذٍ غيرها .

[تحسر منصور على شبابه]

وقد أخبرني عمِّي بهذا الخبر ، قال : حدَّثني محمد بن علي بن حمزة العلوي ، قال : حدَّثني
عمِّي عن جدي ، قال : قال لي منصور النمريّ : كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن
هشام بن عمرو التغلبي ، وقد وَخَطَنِي الشيب يومئذٍ ، وعبيد الله شابٌ حديث السن ، فإذا أنا
بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت ،
وقلت فيها :

لَمَّا رَأَيْتِ سَوَامَ الشَّيْبِ مُتَشِيرَا فِي لِمَتِي وَعَبِيدَ اللَّهِ لَمْ يَشِبِ
سَلَلْتُ سَهْمِينَ مِنْ عَيْنَيْكِ فَانْتَضَلَا عَلَى سَبِيَةِ ذِي الْأَذْيَالِ وَالطَّرِبِ⁶
كَذَا الْغَوَانِي نَرَى مِنْهُنَّ قَاصِدَا إِلَى الْفُرُوعِ مَعْرَاةً عَنِ الْخَشْبِ

1 شعر منصور النمري : 72-74 .

2 الغَرَب : نوع من الشجر .

3 تلغهن : أصابهن اللغوب ، التعب . العتق : الكرم غير مؤتَشَب : غير مختلط .

4 المغترِز : القاصد . العريس : مأوى الأسد . الأشب : الشجر الملتف .

5 دراك : متلاحق . العنق : سير السريع .

6 سببية : خصلة من الشعر .

لا أنتِ أصبحتِ تعتدّيننا أرباً ولا وعيشك ما أصبحتِ من أربي
إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها تحول بيني وبين اللهو واللعب¹
لا تحسبني وإن أغضيت عن بصري غفلتُ عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن يزيد فقلت :

لو لم يكن لبني شيان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
لا تحسب الناس قد حابوا بني مطر إذا أسلم الجود فيهم عاقد الطنب
الجود أخشن لمساً يا بني مطر من أن تيزكموه كف مستلب
ما أعرف الناس أن الجود مدفعة للذم لكنه يأتي على النشب²

قال : فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم .

حدثني عمي ، قال : حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزبيل ، قال : حدثني عمرو بن عثمان الموصلي ، قال حدثني ابن أبي روق الحمداني ، قال : قال لي منصور النمري : دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددت له مدحاً ، فوجدته نشيطاً طيب النفس ، فرمت شيئاً فما جاءني ، ونظر إلي مستنطقاً ، فقلت³ :

إذا اعتاص المديح عليك فامدح أمير المؤمنين تجد مقالا
وعذ بفنايه واجنح إليه تنل عرّفاً ولم تُذلّ سؤالا
فناء لا تزال به ركاب وضعن مدائحاً وحملن مالا

فقال : والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى . وأمر لي بصلية سنّة .

صوت

[من الطويل]

طربت إلى الحيّ الذين تحملوا ببرة أحواد وأنت طروب⁴
فبت أسقاها سلفاً مُدامة لها في عظام الشّارين ديب
الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي ، والغناء لعلويه ، رمل بالوسطى ، عن الهشامي ، وفيه لسليم خفيف رمل ، مطلق في مجرى الوسطى .

1 أنضيت : أخلقت .

2 النشب : المال .

3 شعر منصور النمري : 117 .

4 برة أحواد : موضع .

[241] - نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره¹

[نسبه]

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجاللة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامر الحنفيّ ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قُتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واحتال عليه حتى أُمّنه . وأخباره تُذكر في ذلك وغيره هاهنا .

أخبرني بخبره في تنقله من عسكرٍ إلى عسكر ، ثم استثمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرقاً فابتدأتُ بأسانيدهم ، وجمعتُ خبره من روايتهم . [الصلوك المسرع إلى الفتن]

فأخبرنا الحرّميّ ابن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزبير بن بكار ، قال : حدّثني اليزيديّ أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه ، قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي ؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدّثنا الحسن بن عليّ العنزّي ، قال : حدّثنا محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدّثنا محمد بن كُناسة ؛ وأخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرّبيل ؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبة ، قالوا : كان عبد الله بن الحجاج الثعلبيّ شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعليك العرب ، وكان متسرّعاً إلى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلما ظفر به عبدُ الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتل ، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكلم فيه فأُمّنه .

[تحابه في الدخول على عبد الملك]

هذه رواية ثعلب ، وقال العنزّي وابن أبي سعد في روايتهما : لما قُتل عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو

1 لعبد الله بن الحجاج الثعلبيّ أبو الأقرع ترجمة في تهذيب ابن عساكر 7 : 348 والخبير : 213 وأعلام الزركلي . وهو غير عبد الله بن الحجاج بن عبد الله بن كلثوم الباهليّ الأصم الذي هاجى الفرزدق .

يطعم الناس ، فدخل حجرة ، فقال له : ما لك يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني فيه أذنتُ للناس جميعاً . قال : لم أعلم فأكل بأمرك . قال : كل . فأكل ، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعله ، فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشده :

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث موجع
مبع القرار فجت نحوك هارباً جيش يجر ومقنب يتلمع¹
فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ، لولا أنك مريب ! فقال عبد الله :

إن البلاد علي وهي عريضة وغرت مذهبها وسد المطلع
فقال له عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك . وما الله بظلام للعبيد . فقال
عبد الله :

كنا تنحلنا البصائر مرة وإليك إذ عمي البصائر نرجع
إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودع
آتي رضاك ولا أعود لملها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطي نصيحتي الخليفة ناخعا وخزامة الأنف المقود فأتبع²

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عرفت الحوبة قبلنا الثوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئت بني سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعع
فقال عبد الملك : لله الحمد والمنة على ذلك . فقال عبد الله :

ما زلت تضرب منكبا عن منكب تعلو ويسفل غيركم ما يرفع
ووطئتم في الحرب حتى أصبحوا حدثاً يكوس وغابراً يتجمع³
فحوى خلافتهم ولم يظلم بها القرم قرم بني قصي الأنزع⁴

1 المقنب : فرقة من الخيل ما بين ثلاثين إلى أربعين أو ثلاثمائة .

2 ناخعا : مخلصاً . الخزامة : حلقة توضع في أنف البعير .

3 يكوس : من كاس البعير إذا مشى على ثلاث بعدما ضرب عرقوبه . يتجمع : يضرب بنفسه الأرض من الوجع .

4 الأنزع : الذي انحسر شعر رأسه من أعلى الجبين .

لا يستوي خاوي نجوم أفل¹ والبدر منبلجاً إذا ما يطلع¹
 وُضِعَتْ أَمِيَّةٌ واسطين لقومهم ووُضِعَتْ وَسْطُهُمْ فنعم الموضع
 بيت أبو العاصي بناه بربوة عالي المشارف عزه ما يدفع
 فقال له عبد الملك : إن توريتك عن نفسك لتريني ، فأبي الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟
 فقال :

حَرَّيْتُ أَصْيَبِيَّيْ يَدٌ أَرْسَلْتُهَا وإليك بعد مَعَادِيهَا ما ترجع
 وأرى الذي يرجو تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتَ نَجُومَهُمْ ونجمك يسطع
 فقال عبد الملك : ذلك جزاء أعداء الله . فقال عبد الله بن الحجاج : [من الكامل]
 فانعش أَصْيَبِيَّيْ الألاء كَانَتْهُمْ حَجَلٌ تَدْرَجُ بالشرية جُوعُ
 فقال عبد الملك : لا أَنْعَشَهُمُ اللهُ ، وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ ، ولا أَبْقَى وَلِيداً من نسلهم ، فَإِنَّهُمْ
 نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لا يِيَالِي ما صنع . فقال عبد الله :

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضْنُ جَمْعُهُ يوم القليب فَحِيزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ
 فقال له عبد الملك : لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَأَرَصَدْتَ بِهِ
 لِمُشَاقَّةٍ² أَوْلِيَاءَ اللهِ ، وَأَعَدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ ، فَنَزَعَهُ مِنْكَ إِذْ اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ .
 فقال عبد الله :

أَدْنُو لِي تَرَحَّمَنِي وَتَجَبَّرَ فَاقْتَنِي فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُدْفَعُ
 فتيسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار ، فَمَنْ أَنْتَ الْآنَ ؟ قال : أنا عبدُ اللهِ بنُ الحجاج
 الثعلبي ، وقد وطئتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ ، وَأَنْشَدْتُكَ ، فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنْتَ وَمَا
 تَرَاهُ ، وَأَنْتَ بِمَا عَلَيْكَ فِي هَذَا عَارِفٌ . ثم عاد إلى إنشاده ، فقال : [من الكامل]

ضَاقَتْ ثِيَابُ الْمُبْلِسِينَ وَفَضَلُهُمْ عَنِّي فَأَلْبِسْنِي فَتَوُكُّ أَوْسَعُ
 فنبد عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبست ! فالتحف به ، ثم قال
 له عبد الملك : أَوَّلَى لَكَ وَاللَّهِ ، لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَمَعاً فِي أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ ، فَأَبَى اللهُ
 ذَلِكَ ، فَلَا تَجَاوِرُنِي فِي بَلَدِي ، وَانصرف آمناً ، قُمْ حَيْثُ شِئْتَ .
 قال البيهقي في خبره : قال عبد الله بن الحجاج : ما زلتُ أُنْعَرِفُ مِنْهُ كُلَّ مَا أَكْرَهُ حَتَّى

1 الخاوي من النجوم : الذي لا مطر معه .

2 المشاقة : المعادة والمحاربة .

أنشدته قولي :

[من الكامل]

ضاقَت ثيابُ الملبِسينَ وفضلُهم عني فألبِسيني فتوئِكَ أوسعُ
فرمى عبد الملك مُطرفه ، وقال : البسه ، فلبسته .

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتى شبع ، ثم قال : أمنتُ وربُّ الكعبة ؟
فقال : كن من شئتَ إلّا عبد الله بن الحجاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست
ثيابك ، فأنيُّ خوفٍ عليّ بعد ذلك ، فأمضى له الأمان .
[لجأ إلى أحيح بن خالد ثم هجاه]

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : كان عبد الله بن
الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري ، فلما انقضى أمره هرب ، وضاعت عليه
الأرض من شدة الطلب ، فقال في ذلك :

رأيت بلادَ الله وهيَ عريضةٌ على الخائفِ المطرودِ كِفَّةَ حابلٍ¹
توؤدي إليه أن كلَّ نَيِّةٍ تيممها ترمي إليه بقاتلٍ
قال : ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عَقبة بن أبي مُعيطٍ ، فسعى به إلى الوليد بن عبد
الملك ، فبعث إليه بالشُّرط ، فأخذ من دار أحيح ، فأتي به الوليد فحبسه ، فقال وهو في
الحبس :

أقول وذاك فرطُ الشوقِ مني لعيني إذ نأت ظمياء فيضي²
فما للقلب صبرٌ يوم بانَتْ وما للدمع يُسْفَح من مَغِيضٍ
كأن مُعْتَقاً من أذرِعات بماء سحابة خَصِرٍ فضيضٍ³
بفيها ، إذ تخافُتني حياءٍ بسرٌّ لا تبوح به خفيضٍ
يقول فيها :

فإن يُعْرِضْ أبو العباس عني ويركبُ بي عروضا عن عروضٍ
ويجعلُ عُرْفَه يوماً لِغَيْرِي ويُغْضِني فأنِّي مِن بغيضٍ
فأنِّي ذو غنى وكريمُ قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريضٍ

1 كفة حابل : مصيدة صائد .

2 ظمياء هنا : اسم امرأة .

3 معتق : صفة الشراب . أذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . فضيض : متفرق .

غلبت بني أبي العاصي سَمَاحاً وفي الحرب المذكرة العضوض¹
 خرجت عليهم في كل يومٍ خروج القِدْح من كف المقيض²
 فِدَى لك مَنْ إذا ما جئتُ يوماً تلقاني بجامعة ربوض³
 على جنب الخوان وذاك لوَّم وبست تحفة الشيخ المريض
 كأنني إذ فرعتُ إلى أُحَيح فرعتُ إلى مُقَوِّية بيوض
 إوزة غِيضة لِفَحَت كِشَافاً لِقَحْقُحِها إذا درجت نقيض⁴

قال : فدخل أُحَيح على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إنَّ عبد الله بن الحجاج قد هجاك . قال : بماذا ؟ فأنشده قوله : [من الوافر]

فإن يُعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
 ويجعل عُرْفَه يوماً لغيري ويُبغضني فأتني من بغيض
 فقال الوليد : وأيُّ هجاء هذا ؟ هو من بغيض إن أعرضتُ عنه ، أو أقبلت عليه ، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأنني إذ فرعتُ إلى أُحَيح فرعتُ إلى مُقَوِّية بيوض
 فضحك الوليد ، ثم قال : ما أراه هجا غيرك . فلما خرج من عنده أُحَيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج ، فأطلق . وكان الوليد إذا رأى أُحَيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه .

[هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين]

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبة ، قال : حدَّثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة . وحدَّثني يعقوب بن القاسم الطلحي ، قال : حدَّثني غير واحد ، منهم عبد الرحمن بن محمد الطَّلحي ، قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث . قال أبو زيد⁵ : وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر ، وقد أَلَقْتُ ذلك ، قال : كان كثيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغُصَّة بن يزيد بن شدَّاد بن قنَّان بن سلمة بن

1 المذكرة العضوض : الشديدة .

2 المقيض : الضارب بقداح الميسر .

3 الجامعة : الغل . والربوض : الثقيلة .

4 الكشاف : أن تلقح حين تبيض . القحح : العظم المحيط بالدير . نقيض : صوت . وفي البيت إقواء .

5 أبو زيد : عمر بن شبة .

وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب ، على ثغر الرّي ، ولأه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبد الله بن الحجاج معه ، فأغار الناس على الدّيلم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم ، فأخذ سلّبه ، فانتزعه منه كثير ، وأمر بضربه ، فضرِب مائة سوطٍ ، وحُبِس ، فقال عبد الله في ذلك ، وهو محبوس :

تسائلُ سلمى عن أبيها صحابه وقد علّقته من كثيرِ حبائلٍ
فلا تسألني عنّي الرفاقَ فإنّه بأبهرَ لا غازٍ ولا هو قافلٌ¹
ألستُ ضربت الدّيلمى أمامهم فجذّلتُه فيه سينانٌ وعاملٌ²

فمكث في الحبس مدّة ، ثم أُخلي سبيله ، فقال :

سأترك ثغر الرّي ما كنت واليا عليه لأمرٍ غالي وشجاني
فإن أنا لم أدرك بثأري وأتجرُّ فلا تدعني للصيّد من غطفانٍ
تمنّيتني يا ابنَ الحصين سفاهاً وما لك بي يا ابنَ الحصين يدانٍ
فإنّي زعيمٌ أن أجلّلَ عاجلاً بسيفي كفاحاً هامةً ابنَ قنانٍ

[انتقامه من كثير]

قال : فلما عُزل كثيرٌ وقدم الكوفة كَمِنَ له عبد الله بن الحجاج في سوق التّمّارين ، وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدث المغيرة ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال ، وخرج من عنده مُمسيّاً يريد داره ، فضرِب عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتَمَ مقاديم أسنانه كلّها ، وقال في ذلك :

مَنْ مُبْلَغٌ قَيْساً وخندفَ أنّني ضربتُ كثيراً مضربَ الظّربانِ³
فأقسِمُ لا تنفكُ ضربةً وجهه تُذِلُّ وتُخزي الدّهْرَ كلَّ يمانٍ
فإن تلقني تلق امرءاً قد لقيته سريعاً إلى الهيجاء غير جبانٍ
وتلق امرءاً لم تلق أمك برّه على سابع غوّج اللّبانِ حِصانٌ⁴

1 أبهر : بلدة في فارس .

2 جدّله : صرعه . العامل : صدر الرمح .

3 الظربان : حيوان صغير كربه الرائحة . وقوله «مضرب الظربان» يعني أنه ضربه في وجهه فخّطه مثلما للظربان خط (اللسان) .

4 غوج البنان : واسع الصدر .

وحولي من قيسٍ وخندفٍ عصبه
وإن تك للسِّنخ الذي غَصَّ بالحصى
أنا ابن بني قيس عليّ تعطفت
وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجاج :

كرامٌ على البأساء والحدثانِ
فإنِّي لِقَرَمٍ يا كثيرُ هيجانٍ¹
بغِيضُ بن ريثٍ بعد آل دجانِ
[من الكامل]

من مبلغ قيساً وخندف أنني
أدركه أجري على محبوبة
جرداء سرحوبٍ كأنَّ هويها
خُضْتُ الظلام وقد بدت لي عورة
فتركه يكبو لفيه وأنفيه
هلا خشيت وأنت عادٍ ظالم
إذ تستحلُّ ، وكان ذاك مُحَرِّماً
ما ضره والحرُّ يطلب وتره

أدركت مظلّمتي من ابن شهاب
سُرح الجِراء طويلة الأقراب²
تعلو بجوْجُها هويُّ عقاب³
منه فأضربه على الأنياب
ذهل الجنان مضرّج الأثواب
بقصور أبهر نصرتي وعقابي
جلدي وتنزع ظالما أثوابي
بأشَم لا رعرع ولا قبقاب⁴

[انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج]

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية : إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيتَ أن تُقيّدنا من أسماء بن خارجة . فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كالיום كتاب قوم أحق من هؤلاء . وحبس عبد الله بن الحجاج ، وكتب إليهم : «إنّ القودَ ممن لم يجز محظورٌ ، والجاني محبوسٌ ، حبسته فليقتصّ منه المجني عليه» . فقال كثير بن شهاب : لا أستقيدها إلّا من سيد مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّد مضر فليستقدها مني ، وأمن عبد الله بن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابتن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخذ له عقلاً .

[عن كثير عن عبد الله بن الحجاج]

قال أبو زيد : وقال خلاّد الأرقط في حديثه : إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالريّ ، وقد قابلتك بما فعلت بي ،

1 السنخ : الأصل . القرم : السيد الشجاع . الهيجان : الرجل الحسيب .

2 محبوك : فرس قوية . سرح الجراء : سريعة في جريها . الأقراب : جمع قرب ، الخاصرة .

3 السرحوب : الفرس الطويلة . هوي عقاب : في سرعة العقاب في انقضاضه .

4 الرعرع : المضطرب . القبقاب : الكذاب أو المهذار ، وفي ل : هياب .

ولم أكن لأكتمك نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنك . فقال له : أنا أقتص من مثلك ! والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة ؛ وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة ، فكتب معاوية إلى المغيرة : أن أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يرحان من مجلسك حتى يقتصر كثير أو يعفو . فأحضرهما المغيرة ، فقال : قد عفوت ؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يقتاله . قال : وقال لي : يا أبا الأفيرع ، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان ، وقد عفوتُ عنك .

[حراث يبنش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج]

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَيْن ، والثاني جُنْدَب ، فمات جندب وعبدُ الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمرَّ أخوه عوير بحراثٍ إلى جانب قبر جندب ، فنهاه أن يقربه بفدائه ، وحذَّره ذلك ، فلمَّا كان الغد وجده قد حرث جانبه ، وقد نبشه وأضرَّ به ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه . وقال :

أقول لحراثي حريمي جنباً فدائيكما لا تحرثا قبر جندب
فإنكما إن تحرثاه تُشردا ويذهبُ فدانٌ منكما كلُّ مذهبٍ

[عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه]

قال : فأخذ عوين ، فاعتقله السجَّان ، فضربه حتى شغله بنفسه ، ثم هرب ، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه ، وأمر بالآ يتعقَّب ، فقال عبد الله بن الحجاج ، يذكر ما كان من ابنه عوين :

لَمَثْلُكَ يَا عُوَيْنُ فَدَتِكَ نَفْسِي نَجَا مِنْ كُرْبَةٍ إِنْ كَانَ نَاجِي
عَرَفْتُكَ مِنْ مُصَاصِ السُّنْخِ لَمَّا تَرَكْتَ ابْنَ الْعُكَامِسِ فِي الْعِجَاجِ

[يستعطف عبد الملك]

قال : ولمَّا وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثَّل بين يديه ، فأنشده :

يَا ابْنَ أَبِي الْعَاصِي وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ النَّجِيبُ وَالْخِيَارُ الْمُصْطَفَى
أَنْتَ الَّذِي لَمْ تَدْعِ الْأَمْرَ سُدَى حِينَ كَشَفْتَ الظُّلُمَاتِ بِالْهُدَى
مَا زِلْتَ إِنْ نَازَ عَلَى الْأَمْرِ اتَّزَى قَضَيْتَهُ إِنْ الْقَضَاءُ قَدْ مَضَى
كَمَا أَذَقْتَ ابْنَ سَعِيدٍ إِذْ عَصَى وَابْنَ الزُّبَيْرِ إِذْ تَسَمَّى وَطْفَى

وَأَنْتَ إِنْ عُدَّ قَدِيمٌ وَبَنَى مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فِي الشَّمَارِيخِ الْعُلَى
جِيئَتْ قَرِيشٌ عَنْكُمْ جَوْبَ الرَّحَى هَلْ أَنْتَ عَافٍ عَنْ طَرِيدٍ قَدْ غَوَى¹
أَهْوَى عَلَى مَهْوَاةٍ بِثَرٍّ فَهَوَى رَمَى بِهِ جَوْلٌ إِلَى جَوْلِ الرَّجَا²
فَتَجَبَّرَ الْيَوْمَ بِهِ شَيْخاً ذَوَى يَعْوِي مَعَ الذُّئْبِ إِذَا الذُّئْبُ عَوَى
وَإِنْ أَرَادَ النَّوْمَ لَمْ يَقْضِ الْكَرَى مِنْ هَوْلٍ مَا لَاقَى وَأَهْوَالَ الرَّدَى
يَشْكُرُ ذَاكَ مَا نَفَتْ عَيْنٌ قَذَى نَفْسِي وَأَبَائِي لَكَ الْيَوْمَ الْفِدَا
فَأَمَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِتَحْمُلِ مَا يَلْزَمُ ابْنَهُ مِنْ غُرْمٍ وَعَقْلٍ ، وَأَمَنَهُ .

[عند عبد العزيز بن مروان]

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه ، فأجزل صلته ، وأمره بأن يقيم عنده ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده غاضباً ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن يمنعه عطائه ، فمنعه ، ورجع عبد الله لما أضرَّ به ذلك إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه :

تَرَكْتُ ابْنَ لَيْلَى ضَلَّةً وَحَرِيمَةً وَعِنْدَ ابْنِ لَيْلَى مَعْقِلٌ وَمُعَوِّلٌ
أَلَمْ يَهْدِنِي أَنَّ الْمُرَاغِمَ وَاسِعٌ وَأَنَّ الدِّيَارَ بِالْمَقِيمِ تَنَقَّلُ³
سَاحِكُمْ أَمْرِي إِنْ بَدَأَ لِي رَشْدُهُ وَأَخْتَارَ أَهْلَ الْخَيْرِ إِنْ كُنْتُ أَعْقُلُ
وَأَتْرَكَ أَوْطَارِي وَالْحَقُّ بَأْمَرِي تَحَلَّبُ كِفَاهَ النَّدَى حِينَ يَسْأَلُ
أَبْتُ لَكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مَآثِرٌ وَجَرِي شَأَى جَرِي الْجِيَادِ وَأَوَّلُ
أَبِي لَكَ إِذْ أَكْدَوْا وَقَلَ عَطَاؤُهُمْ مَوَاهِبُ فَيَاضَ وَمَجْدٌ مُؤْتَلُ
أَبُوكَ الَّذِي يَنْمِيكَ مَرْوَانُ لِلْعُلَى وَسَعْدُ الْفَتَى بِالْخَالِ لَا مِنْ يُخَوِّلُ

فقال له عبد العزيز : أَمَا إِذْ عَرَفْتَ مَوْضِعَ خَطِّكَ ، وَاعْتَرَفْتَ بِهِ فَقَدْ صَفَحْتُ عَنْكَ .
وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ عَطَائِهِ ، وَوَصَّلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَقِمْ مَا شِئْتَ عِنْدَنَا ، أَوْ انْصَرَفْ مَأْذُوناً لَكَ إِذَا شِئْتَ .

1 جوى الرحى : أي خرقت كالرحى ، فهم قطبها وغيرهم يدور حولها .

2 الجول : جدار البئر . والرجا : ناحية البئر .

3 المرغام : المهرب .

[ظلمه عمر بن هبيرة فاستعان بقومه]

ونسخت من كتابه أيضاً : كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له ، واستعان عليه بقومه ، فلحقوه في بعلبك ، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه ، وفرقوه¹ بالسياط حتي انتزعوا حقه منه ، فقال عبد الله في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بُسِطَةٌ فالمعاطُ²
 أميطوا عنكم ضرط ابن ضرطٍ فإن الخبثَ مثلهم يُمَاطُ³
 ولي حقٌّ فراطةٌ أولينا قديماً والحقوق لها افتراطُ⁴
 فما زالت مباسطتي ومجدي وما زال التهايطُ والمياطُ⁵
 وجدّي بالسياط عليك حتى تركت وفي ذنباك انبساطُ⁶
 متى ما تعترض يوماً لحقي تلاقك دونه سُعر سباطُ⁷
 من الحيين ثعلبة بن سعدٍ ومرةً أخذ جمعهم اعتباطُ⁸
 تراهم في البيوت وهم كسالى وفي الهيجا إذا هيجوا نشاطُ

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها : [من الطويل]

نأتك ولم تخشَ الفراقَ جنوبُ وشطت نوى بالطاعنين شعوبُ⁹
 طربت إلى الحيّ الذين تحمّلوا ببرقة أحوازٍ وأنت طروبُ¹⁰
 فظلتُ كأنّي ساورتني مُدامةٌ تمنى بها شكسُ الطباعِ أريبُ¹¹
 تُعيرُ وتستحلي على ذاك شربها لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ¹²
 كملت إذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشارين ديبُ¹³
 تذكرت ذكرى من جنوب مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيبُ¹⁴
 وأنى ترجي الوصل منها وقد نأت وتبخل بالموجود وهي قريبُ¹⁵
 فما فوق وجدّي إذ نأت وجدُّ واجدٍ من الناس لو كانت بذاك ثيبُ¹⁶

1 في ل : وقنعه .

2 البسيطة ومعاط : موضعان .

3 الفراط : السابقة . افتراط : يخاف فوتها .

4 التهايط والمياط : الدنو والتباعد .

5 سعر في ل : سمر . والسعر : القليلة اللحم . سباط : طوال .

6 الاعتباط : القاء الرجل نفسه في الحرب غير مكره .

7 شعوب : مفرقة .

بَرَهْرَهَةٌ خَوْدُ كَأَنَّ ثِيَابَهَا عَلَى الشَّمْسِ تَبْدُو تَارَةً وَتَغِيبُ¹
وهي قصيدة طويلة .

[الحجاج يطلب إيفاد عبد الله بن الحجاج إليه لقتله]

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعَرِّفُهُ آثار عبد الله بن الحجاج ، وبلاءه من محاربتة ، وأنه بلغه أنه آمنه ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولَّى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج ، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ، ثم أنشده :

أَعُوذُ بِثَوْبَيْكَ اللَّذَيْنِ ارْتَدَاهُمَا كَرِيمُ الثَّنَا مِنْ جَبِيهِ الْمَسْكُ يَنْفُحُ
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِنْ كُنْتُ مَذْبُوحًا فَكُنْ أَنْتَ تَذْبِحُ
فقال عبد الملك : ما صنعتَ شيئاً . فقال عبدُ الله :

لَأَنْتَ وَخَيْرُ الظَّافِرِينَ كَرَامُهُمْ عَنْ الْمَذْنَبِ الْخَاشِي الْعِقَابَ صَفُوحُ
وَلَوْ زَلَقْتُ مِنْ قَبْلِ عَفْوِكَ نَعْلُهُ تَرَامِي بِهِ دَخَضُ الْمَقَامِ بَرِيحُ²
نَمِي بِكَ إِنْ خَانَتْ رَجَالًا عُرُوقُهُمْ أُرُومٌ وَدِينٌ لَمْ يَخْنُكَ صَحِيحُ
وَعَرَفْتُ سَرَى لَمْ يَسِرْ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ وَشَاؤُ عَلَى شَاؤِ الرِّجَالِ مَتَوَحُ³
تَدَارَكْنِي عَفْوُ ابْنِ مَرْوَانَ بَعْدَمَا جَرَى لِي مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ سَنِيعُ
رَفَعْتُ مَرِيحًا نَازِرِيٍّ وَلَمْ أَكُودِ مِنْ الِهِمِّ وَالْكَرْبِ الشَّدِيدِ أَرْجُ

[عبد الملك يمنح الحجاج من التعرض له]

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إني قد عرفت من خُبْرِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علماً به ، إلا أنه اغتفلني متنكراً ، فدخل داري ، وتحرم بطعامي ، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حَظَرَ عَلَيَّ دَمَهُ ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقَعَ أمراً ، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شره ، فإن شَكَرَ النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيلَ عليه ، وإن كفر ما أوتيت⁴ وشاقَّ الله ورسوله وأوليائه فالله قَاتِلُهُ بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه ، من الملحدين ، فلا تعرضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخير ، والسلام .

1 برهرة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . الخود : الحسنة الشابة .

2 الدخض : الزلق . البريح : المتعب .

3 الشأو : السبق والغاية . متوح : بعيد .

4 ل : أولي .

[الوليد يأمر عبد الله بمنازلة رجل في بركة ماء]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، قال : كانت في القريتين بركة من ماء ، وكان بها رجل من كلب يقال له دَعَكْنَة ، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غطَّه حتى يغلبه ، فغطَّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً ، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ : اللهم اصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج . فكان أول رجلٍ انحدرت به راحلته ، فأناخها ونزل . فقال ابن هبيرة للوليد : هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين ، أيهما أخزى الله صاحبه به . فأمره الوليد أن ينحطَّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرِّضٌ للناس وقد صدَّوا عنه . فقال له : يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله ، أو أقتله فلا يرضى قومه إلا بمثل ذلك ، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال . فقال دَعَكْنَة : يا أمير المؤمنين هو في حلٍّ وأنا في حلٍّ . فقال له الوليد : دونك . فتكأ¹ ساعة كالكاره حتى عزم عليه الوليد ، فدخل البركة ، فاعتنق الكلبيُّ وهوى به إلى قعرها ، ولزمه حتى وجد الموت ، ثم خلَّى عنه ، فلما علا غطَّه غطَّةً ثانية ، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروَّح ، ثم أعاده وأمسكه حتى مات ، وخرج ابنُ الحجاج وبقي الكلبيُّ ، فغضب الوليد وهمَّ به ، فكلَّمه يزيد وقال : أنت أكرهته ، أفكان يُمكنُ الكلبيُّ من نفسه حتى يقتله ؟ فكفَّ عنه . فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك : [من البسيط]

نَجَّاني الله فرداً لا شريك له	بالقريتين ونفسٌ صُلْبَةٌ العودِ
وذِمَّةٌ من يزيدٍ حالَ جائِبِها	دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهودِ
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي	كان السليمَ وكنت الهالكَ المودي

صوت

[من البسيط]

يا حيِّذاً عملُ الشيطان من عمل إن كان من عمل الشيطان حيِّبها
لنظرة من سلمي اليومَ واحدةً أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها
الشعر لناهض بن ثومة الكلابي ، أنشدني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : أنشدنا الرياشيُّ قال : أنشدنا ناهضُ بن ثومة أبو العطف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه . وأخبرني بمثل ذلك عمِّي عن الكُرانيِّ عن الرياشي . والغناء لأبي العنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أولُ يُنشد بالوسطى .

[242] - أخبار ناهض بن ثومة ونسبه¹

[نسبه]

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدوي فارس فصيح ، من الشعراء في الدولة العباسية ، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي ، وأبو سراقه ، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة . وكان يهجو² رجل من بني الحارث بن كعب ، يقال له : نافع بن أشعر الحارثي ، فأبر عليه ناهض . فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس ، قصيدة ناهض التي أولها :

ألا يا أسلما يا أيها الطللان	وهل سالم باقي على الحدثان
أبيننا لنا ، حبيبتنا اليوم ، إتنا	مبينان عن ميل بما تسلان
متى العهد من سلمى التي بتت القوى	وأسماء إن العهد منذ زمان
ولا زال ينهل الغمام عليكما	سبيل الربي من وابل ودجان
فإن أنتما يئتما أو أجبتما	فلا زلتما بالنبت ترتديان
وجرّ الحرير والفرند عليكما	بأذيال رخصات الأكف هيجان ³
نظرت ودوني قيد ربحين نظرة	بعينين إنساناهما غرقان
إلى طعن العاقرين كأنها	قرائن من دوح الكتيب ثمان ⁴
لسلمى وأسماء اللتين أكتتا	بقلي كنيي لوعة وضمان ⁵
عسى يعقب الهجر الطويل تدانيا	ويا رب هجر معقب بتداني
خليلي قد أكثرتما اللوم فاربعا	كفاني ما بي لو تركت كفاني ⁶

1 لناهض بن ثومة ترجمة في أعلام الزركلي ، وانظر كتاب الحيوان 7 : 112 وتاج العروس 5 : 96 .

2 ل : يهاجيه .

3 الفرند : ضرب من الثياب . الهيجان : البيض أو النساء الكريمات الحسب .

4 العاقران : أرضان في وادي العقيق . قرائن : متماثلات .

5 كنيي : مثني كنين ، أي مكنون .

6 اربعا : أمسكا .

إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصبا
فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع
عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه
لعمري لقد قال ابنُ أشعر نافعٌ
أيزعم أن العامريّ لفعله
ويذكر إن لاقاه زلة نعله
كذبت ولكن بابن علبة جعفر
أصيب فلم يُعقل وطُلّ فلم يُقد
وحقّ لمن كان ابنُ أشعر ثائراً
ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمى يسومه
فلم يبق إلا قوله بلسانه
هجاً نافعٌ كعباً ليدرك وتره
ولم تعف من آثار كعبٍ بوجهه
وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفر
فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربة
فما لك مهجتي يا ابن أشعر فاكتم
إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمه
أبي قيس عيلانٍ وعمي خندف
إذا ما تجمّعنا وسارت جذاءنا
أليس نبي الله منا محمد

بجليهما حبلي فمن تصلان
ومعواه من نجران حيث عواني
مقيماً بلوذي يذبل وذقان¹
مقالة موطوء الحريم مهان²
بعاقية يرمى به الرجوان³
فجيء الذي لم يستين ببيان
فدع ما تمنى زلت القدمان
فذاك الذي يخزي به الأنوان⁴
به الطلّ حتى يحشر الثقلان
بنو عامر ضيماً بكل مكان
وما ضرّ قول كاذب بلسان
ولم يهج كعب نافعاً لأوان
قوارع منها وضّح وقوان⁵
خضاب نجيع لا خضاب دهان
بسيّف ولم يطعنهم بسنان
على حجر واصبر لكل هوان
فليس يُجلى العار بالهذيان
ذوا البذخ عند الفخر والخطران
ريعة لم يُعدل بنا أخوان
وحمة والعباس والعمران

1 اللوذ : الجانب . يذبل وذقان : جبلان .

2 نافع في ل : أضرع . وكذلك حيثما وردت في القصيدة .

3 المثل : حتى متى يرمى بي الرجوان : (الميداني 1 : 213) ويضرب في الجفوة والاقصاء . والرجوان : جانب البحر .

4 لم يعقل : لم تؤد ديته . طل : هدر دمه . لم يقدر : لم يقتل قاتله به .

5 القوارع : الإصابات . الوضع : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تكشف العظم . القواني : جمع قافية ، شديدة الحمة .

ومنا ابنُ عباسٍ ومنا ابنُ عمِّه
وعثمانُ والصَّدِّيقُ منا وإِنَّا
ومنا بنو العباسِ فضلاً فمن لكم

[ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه]

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار ، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري : أحرصنا أحرصه الله !

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً ، وهو الذي يقول :

ألا مَنْ لقلبٍ في الحِجازِ قسيمُ
معاوِدٍ شكوى أن نأت أمَّ سالمٍ
ومنه بأكنافِ الحِجازِ قسيمُ
سليمٌ لصلٍّ أسلمته لما به
كما يشتكي جُنَحَ الظلامِ سليمٌ¹
رُقَى قلَّ عنه دفعُها وتميمٌ²
صفاها فخلأها فأين تريمٌ³
إذا لم أزعها بالزمَامِ تعمومٌ⁴
جَبُرْنَ على كسرِ فهنٍّ عشومٌ⁵
كِتَازاً من اللاتي كأنَّ عظامها

[بداوة ناهض]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدّثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال : كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جدّي قُثم فمدحه ، ويصله جدّي وغيره⁶ ، وكان بدويّاً جافياً كأنّه من الوحش ، وكان طيّب الحديث ، فحدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيها أتاها فمدحه ، وكان برّاً به .

[ناهض يصف وليمة]

قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن بن عبد الله الهلالي ، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً قد ضمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ

1 السليم : الملدوغ .

2 تميم : جمع تميمة .

3 الخل : الطريق النافذ في الرمل .

4 ل : أذدها .

5 العشوم : المنجيرة على غير استواء .

6 ل : ويميره .

تَحْكِي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب ما عَزَبَ عن عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟ فبينما أنا واقفٌ متعجبٌ أتاني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قَوْرَاءً¹ ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِدَ في وجهه فُرْشٌ ومُهَدَّت ، وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِمَاطان . فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا جلوسه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيُّها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجلٌ يدي ، وقال : اجلس فإن هذا ليس بأَمِير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثكل أمّاه ، لربّ عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هن أمّه . فلم أنشَب أن دخل رجالٌ يحملون هَنَاتٍ² مدوّراتٍ ، أمّا ما خفّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقل فيدحرج . فوضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثم أتينا بخرقٍ بيضٍ فَأُلْقِيَتْ بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرْقاً أَقْطَعُها قميصاً ، وذلك أنّي رأيتُ نسجاً مُتَلَجِّماً لا يبين له سَدَى ولا لحمه ، فلمّا بسطهُ القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو ، فيما زعموا ، صِنْفٌ من الخُبْز لا أعرفه ؛ ثم أتينا بطعام كثيرٍ بين حلٍ وحامضٍ ، وحرارٍ وبارِدٍ ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبِهِ من التَّخَمِ والبَشَمِ ؛ ثم أتينا بشرابٍ أحمرٍ في عِساسٍ³ ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإني أخاف أن يقتلني . وكان إلى جانبي رجلٌ ناصح لي أحسن الله جزاءه ، فإنّه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي إنك قد أكثرتَ من الطعام ، وإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلمّا ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي ، قالوا : لا تزال حيّاً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فأوصر . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلتُ أَكْثِرُ منه فلا أَمَلُ شَرِبَهُ ، فتداخِلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي ، وبكاءٌ لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله ، واقتدارٌ على أمرٍ أظنُّ معه أنّي لو أردتُ نيل السَّقْفِ لبلغته ، ولو ساورت الأسد لقتلته . وجعلتُ أُلْتَفِتُ إلى الرجل الناصح لي فتحدّثني نفسي بهتَمِ أسنانه وهَشَمِ أنفه ، وأهمُّ أحياناً أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة ، أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسية مشنّجة⁴ الطرفين دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ؛ ثم بدر الثاني

1 قوراء : واسعة .

2 هَنَات : أشياء .

3 العساس : القداح الكبيرة .

4 مشنّجة : متقبضة .

فاستخرج من كمّه هَنَّةً سوداء كفيشلة الحمار ، فوضعها في فيه ، وضرب ضُراطاً لم أسمع ، وبيت الله ، أعجَبَ منه ، فاستتمَّ بها أمرهم ، ثم حرك أصابعه على أجحِرَةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ، ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه ، علم الله ، ينطق . ثم بدا ثالث كز¹ مقيت عليه قميص وسخ ، معه مِرَّاتان ، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالطتا بصوتيهما ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط² به على الأرض ، فقلت : معتوة ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي . ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً . ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعنوا من هوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهن³ من بعيد ، وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك أذناها وحركها بخشبة في يده فنطقت ، ورب الكعبة ، وإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قط ، وغنى عليها ، فأطربني حتى استخفني من مجلسي . فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمّي ، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً . فقال : هذا البربط⁴ ؟ فقلت : بأبي أنت وأمّي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثنى . قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : اليم . قلت : آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وباليم رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب ، فأتاه أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبد الله ، يعني الهيثم بن يزيد النخعي ، بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدثه بنحو من هذا الحديث ، ولم يُسمَّ الأعرابي باسمه ، وما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدث به النوفلي عنه .

1 كز : متجهم .

2 التبط به : صرع .

3 ل : أصواتهم .

4 البربط : العود .

[طرحت إيل الكعبي رجلاً فعقر بعضها فقامت الحرب]

نسخت من كتاب لعل بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال : كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه في بني كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفّون به ويظلمونه ، وإن رجلاً منهم أوردَ إليه الماء فوردت إيل الكعبي عليها ، فزاحته ، لكنها ألقت على ظهره فتكشّفت ، فقام مُغضباً بسيفه إلى إيل الكعبي ، فعقر منها عدّة ، وجلاها عن الحوض ، ومضى الكعبي مستصرخاً بني كلاب على الرجل ، فلم يُصرخوه فساق باقي إيله واحتمل بأهله¹ حتى رجع إلى عشيرته ، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب ، فاستاقوا إيل الرجل الذي عقرَ لصاحبهم ، ومضى الرجل فجمع عشيرته ، وتداعت هي وكعب للقتال ، فتحاربوا في ذلك حرباً شديدة ، وتمادى الشرُّ بينهم . حتى تساعى حلماؤهم في القضية ، فأصلحوها على أن يُعقل القتلى والجرحى ، وتُرَدَّ الإبل ، وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا إلى الألفة ، فقال في ذلك ناهض بن ثومة :

[من الوافر]

أَمِنْ طَلَلٍ بِأَخْطَبَ أَبَدَّتْهُ	نِجَاءُ الْوَيْلِ وَالْدَيْمِ النَّضاحُ ²
وَمَرُّ الدَّهْرِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ	فَمَا أَبْقَى الْمَسَاءِ وَلَا الصَّبَاحُ
فَكَلَّ مَحَلَّةً غَنِيَتْ بِسَلْمَى	لَرِيدَاتِ الرِّيحِ بِهَا نُوحُ ³
تَطَلُّ عَلَى الْجَفُونَ الْحَزْنَ حَتَّى	دَمَوْعُ الْعَيْنِ نَاكِرَةً نَزاحُ ⁴

وهي طويلةٌ يقول فيها :

هَنِيئًا لِلْعَدَى سَخَطٌ وَرَغَمٌ	وَلِلْفَرَغَيْنِ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاحُ
وَلِلْعَيْنِ الرِّقَادُ فَقَدْ أَطَالَتْ	مَسَاهِرَةً وَلِلْقَلْبِ انْتِجَاحُ
وَقَدْ قَالَ الْعُدَاةُ نَرَى كَلَابًا	وَكَعْبًا بَيْنَ صَلَاحِهِمَا افْتِتَاحُ
تَدَاعَوْا لِلسَّلَامِ وَأَمْرٌ نَجَحُ	وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا فِيهِ النِّجَاحُ

1 ل : بماله .

2 أخطب : جبل بنجد . أبدته : أوحشته . النجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي نزل ماؤه .

3 ريدات الرياح : الرياح الكثيرة المهبوب .

4 العين الناكرة النزاح : التي فني ماؤها .

وملأوا بينهم بحبال مجدي
وثندي لا أجد ولا ضياح¹
ألم تر أن جمع القوم يخشى
وأن حریم واحدہم مباح²
وأن القدح حين يكون فرداً
فینھصر لا يكون له اقتداح²
وأنك إن قبضت بها جميعاً
أبت ما سئت واحدها القداح³
كذلك تفرق الإخوان ممّا
يذلّهم وفي الذلّ افتضاح⁴
أنا الخطار دون بني كلاب
وكعب أن أتيح لهم متاح³
أنا الحامي لهم ولكلّ قرم
أخّ حام إذا جدّ النضاح⁴
أنا الليث الذي لا يزدهيه
عواء العاويات ولا النباح⁵
سل الشعراء عني هل أقرت
بقلبي أو عفت لهم الجراح⁵
فما لكواهل الشعراء بدّ
من القتب الذي فيه لحاح⁵
ومن توريك راكبه عليهم
وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا⁶

[الحرب بين كلاب ونمير]

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره ، أن وقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب
بنواحي ديار مضر ، وكانت لكلاب على بني نمير ؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم ، ولجأت
إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مضر ، فمنع تميماً من إيجادهم ، وقال : ما كنّا
لنلقى بين قيس وخندف دماء نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنا أهل وإخوة ، فإن سعيتم في
صلح عاونّا ، وإن كانت حمالة⁷ أعنّا ، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن
ثومة في ذلك :

سلام الله يا مال بن زيد
عليك وخير ما أهدي السلام
تعلم أيننا لكم صديق
فلا تستعجلوا فينا الملام

- 1 الأجد : المقطوع . الضياح : اللبن الرقيق المزوج .
- 2 القدح : العود . يهصر : يكسر .
- 3 الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً .
- 4 النضاح : الدفاع والذب .
- 5 القتب : رجل البعير . واللحاح : العقر والكسر .
- 6 التوريك : الركوب على ورك البعير . ألاحوا : أعرضوا .
- 7 الحمالة : الدية .

ولكنّا وحيّ بني تميم
 وإن كنّا تكافقنا قليلاً
 وهَيَّضُ العظم يُصبح ذا انصداع
 فلن ننسى الشبابَ المُرَدَّ مِنّا
 ونوحَ نوائح مِنّا ومنهم
 فكيف يكون صلحٌ بعد هذا
 ألا قل للقبائل من تميم
 فزِيدُوا يا بني زيدٍ نُميراً
 ولا تَبْقُوا على الأعداء شيئاً
 وجدت المجد في حيّ تميم
 نجوم القوم ما زالوا هُدَاةً
 هم الرأس المقدم من تميم
 إذا ما غاب نجمٌ أب نجمٍ
 فهذي لابن ثُومَة فانسُبوها
 وإن رغمت لذلك بنو نُميرٍ

عداة لا نرى أبداً سلاماً
 كحرف السيف ينهار انهداماً
 وقد ظنّ الجول به الثاماً
 ولا الشيب الجحاجح والكراماً
 ماتم ما تجفّ لهم سجاماً
 يرجي الجاهلون له تماماً
 وخصّ للمالك فيها الكلاماً
 هواناً إنّه يدني القطاماً
 أعزّ الله نصركم وداماً
 ورهط الهذلق الموفى الذماماً
 وما زألوا لآبئهم زماماً¹
 وغاربها وأوفاهما سناماً²
 أغرّ نرى لطلعتيه ابتساماً
 إليه لا اختفاء ولا اكتماماً
 فلا زالت أنوفهم رغاماً³

قال : يعنى بالهذلق الهذلق بن بشير ، أخاً⁴ بني عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وابنيه علقمة وصباحاً .

قال : وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نُميراً ، فلمّا ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض :

ألا هل أتى كعباً على نأي دارهم
 بما لقيت مِنّا نُميرٌ وجمعُها
 فإلك يوماً بالحمى لا نرى له
 وخذلانهم أنا سرّنا بني كعب
 عداة أتينا في كائبنا الغلب
 شبيهاً وما في يوم شيان من عتبٍ⁵

1 الآبي : الكاره .

2 الغارب : ما بين السنام والعنق .

3 رغام : ذليلة .

4 أخا في ل : أحد .

5 شيان في ل : ذبيان .

5 * كتاب الأغاني - ج 13

أقامت نَمِيرٌ بالحمى غير رغبة
رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها
لنا وقعاتٌ في نَمِيرٍ تتابعت
وقد علمت قيسُ بن عيلان كلها
ألم ترهم طُراً علينا تحزبوا
وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى
ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا
مخوفٍ بنصبٍ للعدا حين لا نصب

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زياد الكاتبُ ، قال : حدثني أبو هفان ، قال : حدثني غُريُّ بن ناهض بن ثومة الكلابي ، قال : كان شاعر من نَمِيرٍ يقال له : رأسُ الكيش ، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زماناً ، وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نَمِيرٍ قال عُمارة يحرضُ كعباً وكرلاً ابني ربيعة على بني نَمِيرٍ في هذه الحرب التي كانت بينهم ، فقال :

رأيتكما يا بني ربيعة خُرُتما
وصدقتما قول الفرزدق فيكما
فإن أُنتما لم تقذعا الخيل بالقنا
تسومكما بغياً نَمِيرٌ هُزيمةً
وعَوَلتما والحرب ذات هَري
وكذبتما بالأمس قول جرير
فصيرا مع الأباط حيث تصير²
ستُجد أخبارٌ بهم وتغورُ

قال : فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر . حتى أتوا نَميراً وهم في هُضبات يقال لهنَّ واردات . فقتلوا واجتاحوا ، وفضحوا نَميراً ، ثم انصرفوا ، فقال ناهض بن ثومة يعجب عُمارة عن قوله :

يُحْضِضُنا عُمارةُ في نَمِيرٍ
ويزعم أننا خُرُنا وأنا
سلوا عنا نَميراً هل وقعنا
ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت
ونحن نُكرُّها شُغْناً عليهم
ليشغَلهم بنا وبه أرابوا
لهم جأرُ المقربة المصابُ
بنزوتها التي كانت تُهابُ
لهم سعدٌ وضبةٌ والريابُ
عليها الشيبُ منا والشبابُ

1 الأبنان : جبلان .

2 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

رغبنا عن دماء بني قُرَيْع إلى القَلْعَيْنِ إِيْتَهُمَا اللَّبَابُ
 صَبَّحْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مَكْفَهْرٍ يَدْفُ كَأَن رَأَيْتَهُ الْعُقَابُ¹
 أَجَشُّ مِنَ الصَّوَاهِلِ ذِي دَوِيٍّ تَلُوحُ الْبَيْضُ فِيهِ وَالْخِرَابُ
 فَاشْتَعَلَ حِينَ حَلَّ بَوَارِدَاتِ وَثَارَ لِنَقْعِهِ ثَمَّ انْصِبَابُ
 صَبَحْنَاهُمْ بِهَا شَتَّتَ النَّوَاصِي وَلَمْ يُفْتَقِ مِنَ الصَّبْحِ الْحِجَابُ
 فَلَمْ تُغَمَّدْ سِيُوفُ الْهِنْدِ حَتَّى تَعِيلَتْ الْحَلِيلَةُ وَالْكَعَابُ²

صوت

[من الكامل]

أَعْرِفْتُ مِنْ سَلَمَى رَسُومَ دِيَارِ بِالشَّطِّ بَيْنَ مُخَفَّقٍ وَصَحَارٍ³
 وَكَأَنَّمَا أَثَرُ النَّعَاجِ بِجَوِّهَا بِمَدَافِعِ الرُّكْبَيْنِ وَدَعُ جَوَارِي⁴
 وَسَأَلْتُهَا عَنْ أَهْلِهَا فَوَجَدْتُهَا عَمِيَاءَ جَاهِلَةٍ عَنِ الْأَخْبَارِ
 فَكَأَنَّ عَيْنِي غَرَبُ أَدْهَمَ دَاجِنٍ مَتَعَوِّدِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ⁵

الشعر للمخَبِّلِ السَّعْدِيِّ ، والغناء لإِبْرَاهِيمَ ، هَزَجٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ
 إِسْحَاقَ . قَالَ الْهَشَامِيُّ : فِيهِ لإِبْرَاهِيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وَلِعَنَانُ بِنْتُ خُوَطٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ .

1 الأرعن : الجيش له فضول يشبه رعن الجبل ، أي أنفه . يدف : يسير في لين .

2 تعيلت : أهملت لموت عائلها .

3 الشط : موضع باليمامة . مخفق : رمل في أسفل الدهناء .

4 الجو : ما اتسع من الأرض . المركبان : موضع . ودع : خرز أبيض يخرج من البحر .

5 الغرب : الدلو العظيمة . الأدهم الداجن : البعير الأسود الذي يستقى عليه .

[243] - أخبار المخبل ونسبه¹

[نسبه]

قال ابنُ الكلبيّ: اسمه الربيع بن ربيعة ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وأبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ويكنى أبا يزيد . وإيَّاه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهب القصائد لي النوايغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجزول
ذو القروح : امرؤ القيس . وجزول : الخطيئة . وأبو يزيد : المخبل . وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل . وهو من المقلين² ، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً³ ، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير . وكان له ابن ، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً ، حتى بلغ خبره عمر ، فردّه عليه .

[جزعه على ابنه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي غسان دماذ ، عن ابن الأعرابيّ قال : هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنّ وضعف ، فافتقر إلى ابنه فاقتدّه . فلم يملك الصبر عنه ، فكاد أن يُغَلَبَ على عقله ، فعمد إلى إبّله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنيناً ، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك ، وأعطاه مالا وفرساً ، وقال : أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك ، فإن فعل غنمت مالك ، وأقمت في قومك ، وإن أبي استنفقت ما أعطيتك ولحقت

1 ترجمة المخبل السعدي في الشعر والشعراء : 333 وابن سلام : 149-150 والخزانة : 8 : 97-100 والإصابة : 2 : 218 والمؤتلف والمختلف : 177 والسمط : 857 وانظر التذكرة الحمدونية . وقد وردت ترجمته في الخزانة والإصابة تحت اسم الربيع بن ربيعة كما ذكره ابن الكلبي . وقد جمع الدكتور حاتم الضامن شعره في «عشرة شعراء مقلّون» .

2 ل : المغلّبين .

3 ل : طويلاً .

به ، وخلصت إيلك لعمالك . ثم مضى إلى عمر ، رضوان الله عليه ، فأخبره خبر المخبل ، وجزعه على ابنه ، وأنشده قوله :
[من الطويل]

أيهلكني شيان في كل ليلة
اشيان ما أدراك أن كل ليلة
غبتك عظمها سناماً أو انبرى
أشيان إن تابى الجيوش بحدهم
ولا هم إلا البر أو كل سابح
يزودون جند الهرمزان كأنما
فإن يك غصني أصبح اليوم ذاوياً
فإنني حنت ظهري خطوب تتابعت
إذا قال صبحي يا ربيع ألا ترى
ويخبرني شيان أن لن يعقني
فلا تدخلن الدهر قبرك حوية
يعني بقوله «حسيب» الله عز ذكره .

قال : فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يقل شيان بن المخبل ويرده على أبيه ، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيان ورده فسأله الإغضاء عنه ، وقال : لا تحرمني الجهاد . فقال له : إنها عزمة من عمر ، ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك . فانصرف إليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري ، قالا : حدثنا عمر بن شبة أن شيان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسن رعية إيلك يا بني ، فيقول : أراحني الله من رعية إيلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى ، وانحدر إلى البصرة ، وشهد فتح تستر ، فقال : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله :
[من الطويل]

1 براق المتون : السيف . الأريب : المغتال .

2 البر : السلاح .

3 تلوب : تحوم .

4 ذاوياً في ل : بالياً .

5 تحوب : تأثم .

إذا قلتُ ترعى قال سوف تريحني من الرعي مذعانُ العشيّ خَبُوبُ¹
قال : أبو يزيد وحدثناه عتاب بن زياد ، قال : حدثنا ابن المبارك ، قال حدثنا مسعود عن
معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبل ، ولكنه قال : «انطلق رجلٌ إلى
الشام» ، وذكر القصة والشعر .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال :
خطب المخبلُ السعديُّ إلى الزُّبرقان بن بدر أخته خليدة ، فمنعه إياها ، وردّه شيء كان في
عقله ، وزوّجها رجلاً من بني جُشم بن عوفٍ ، يقال له : مالكُ بن أمية بن عبد القيس ، من
بني محارب ، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجلاس بن مخزبة بن جندل بن جابر بن
نهشل اغتيالاً ، ولم يعلم به أحدٌ ، ففقد ولم يعلم له خبر . فبينما جارُ الزبرقان الذي من عبد
القيس قاتلُ الجلاس ليلةً يتحدث إذ غلط ، فحدث هزلاً بقتله الرجل ، وذلك قبل أن يتزوج
هزلاً إلى الزُّبرقان ، فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر نهشلٍ فأخبره . فدعا هزال قاتلُ
الجلاس فأخرجه عن البيوت ، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه ، ورجع هزالُ
إلى الحيّ وهرب عبدُ عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطارد بن عوفٍ ، فقالت امرأة مالك بن
أمية المقتول :

أجيران ابن مية خبروني أعين لابن مية أم ضمار²
تجلل خزيها عوف بن كعب فليس لنسلهم منها اعتذار

قال : فلماً زوّج الزُّبرقان أخته خليدة هزلاً بعد قتله جاره عيب عليه ، وعُيّر به ، وهجاه
المخبل ، فقال :

لعمرك إن الزُّبرقان لدائم على الناس تعدو نوكة ومجاهلة³
أنكحت هزلاً خليدة بعدما زعمت بظهر الغيب أنك قاتلة
فأنكحته رهواً كأن عجانها مشق إهابٍ أوسع السِّلخِ ناجلة⁴
يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذي شبرمانٍ لم تزيل مفاصلة⁵

قال : ولجّ الهجاء بين المخبل والزُّبرقان حتى توافقا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا

1 مذعان : ناقة سلسة القيادة . خبوب : من الخبب ، ضرب من العدو .

2 الضمار : ما لا يرجى رجوعه من المال .

3 النوك : اللحم .

4 الناجل : الذي يشق الجلد .

5 شبرمان : موضع . لم تزيل : لم تفرق .

لذلك ذات يوم ، وكان الزُّبرقان أسودهما ، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته : [من الكامل]

أُنِيتُ أَنَّ الزُّبرقانَ يُسْبِنِي سفهاً وَيَكْرَهُ ذُو الْحَرَيْنِ خِصَالِي

قال : وإنما سمّاه ذا الحرين لأنه كان مُبَدَّناً ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبّه بهما وشبّههما بالحرين . ويقال : إنه إنما عيّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبل ابن في الجاهلية قال : [من الكامل]

أَفْلا يَفَاخِرْنِي لِيَعْلَمَ أَيُّنَا أَدْنَى لِأَكْرَمِ سُودَدٍ وَفِعَالٍ
فلماً بلغ إلى قوله :

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ مُشْتَرِطَ الْخُصَى وَأَبِي الْجَوَادُ رِبْعَةٌ بَنُ قِتَالٍ¹
فلماً أنشده هذا البيت ، قال :

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ مُشْتَرِطَ الْخُصَى وَأَبِي

ثم انقطع عليه كلامه ، إما بشرق أو انقطاع نفس ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : «وَأَبِي» . فسبّقه الزُّبرقان قبل أن يتمّ ويبين ، فقال : صدقت ، وما في ذلك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعة . فغلبه الزُّبرقان ، وضحكوا من قوله وتفرّقوا ، وقد انقطع بالمخبل قوله .

[زرارة بن المخبل يضرب علباويًا بحجر]

أخبرنا اليزيدي ، قال : حدّثني عمّي عن عبيد الله عن ابن حبيب ، قال : كان زرارة بن المخبل يُلِيطُ² حوضه ، فأتاه رجلٌ من بني علباء بن عوف ، فقال له : صارعني . فقال له زرارة : إني عن صراعتك لمشغول . فجذب بحجزته³ وهو فاعلٌ فسقط ، فصاح به فتیان الحَيّ : صُرِعَ زرارة وغلب . فأخذ زرارة حجراً ، فشدخ به رأس العلباوي ، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه الدية ، فتحملها وتخلّصه ، وكسا المخبل حلّةً حسنةً ، وأعطاه ناقةً نجيةً ، فقال المخبل يمدحه :

[من الوافر]

لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَا أَلْقَى ابْنَ عَمٍّ عَلَى الْحَدَثَانِ خَيْراً مِنْ بَغِيضٍ
أَقْلَ مَلَامَةً وَأَعَزَّ نَصراً إِذَا مَا جِئْتُ بِالْأَمْرِ الْمَرِيضِ

1 مشترك : قاطع .

2 يُلِيط : يطون .

3 الحجرة : معقد الإزار .

كساني حُلَّةً وجبا بَعْنُس أُبْسُ بها إذا اضطربت غُرُوضي¹
 غداةً جنى بُنَيَّ علي جرماً وكيف يداي بالحرب العضوض²
 فقد سدَّ السبيل أبو حميد كما سدَّ المخاطبة ابنُ بيض

أبو حميد : بغيض بن عامر . وأما قوله : « كما سدَّ المخاطبة ابن بيض » ، فإن ابن بيض : رجل من بقايا قوم عاد ، كان تاجراً ، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم . فأجازه سنة وستين ، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ ، فأتى قومه فنزل فيهم ، ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيهِ وماله فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم ، وإنني أخشاه إذا علم بموتي على مالي ، فاجعلوا ما له قبلي في ثوبه ، وضعوه في طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقّه ، فادفعوه إليه واتقوه به ، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيكم الله إياه . ومات الرجل ، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقّه على طريقه ، فقال : « سدَّ ابنُ بيض الطريق³ » ، فأرسلها مثلاً ، وانصرف وأخذ حقّه . وقد ذكرت ذلك الشعراء ، فقال بشامة بن عمرو :

كُتِبَ ابنُ بيضٍ وقاهم به فسدَّ على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب : ولما حشدت بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم ، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل ، ومشت المشيخة في الأمر ، وقالوا : هذا قُتِلَ خطأ ، فلا تُواقعوا⁴ الفتنة ، واقبلوا الدية . فقبلوها وانصرفوا ، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك : [من البسيط]

فاز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقاً أما حُطِيمٌ بن علباء فقد غُلِبَا
 إني رميت بِجُلُودٍ على حَقِّ مِنِّي إليه فكانت رميةً غَرِبَا⁵
 ليثاً إلي يَشُقُّ الناسَ منفرجاً لحياهُ عَنانَةٌ لا يَتَّقِي الخَشْبَا⁶
 فأورثتني قتيلاً إن لقيتُ وإن أفلتُ كانت سماعُ السَّوءِ والحَرْبَا⁷

1 بس الإبل : ساقها سوقاً ليناً وزجرها . غروض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل .

2 جرماً في ل : حرباً . الحرب العضوض : الشديدة .

3 المثل « سد ابن بيض الطريق (السبيل) » في الميداني 1 : 329 وفصل المقال : 279 وجمهرة العسكري 1 : 519 ومستقصى الزمخشري 2 : 117 .

4 ل : توقعوا .

5 الرمية الغرب : التي لا يعرف راميتها .

6 المحي : عظم الخنك . عنانة لا يتقي الخشبا : سبابة ، لا يصده خشب الحظيرة .

7 الحرب : اهلاك .

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قُشير ، فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهلي ، فأخذ إبله ، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل . فلما سأله قال له : إن شئت فاعترض إيلي فعخذ خيرها ناقةً ، وإن شئت سعتُ لك في إبلك . فقال : بل إيلي . فقال المخبل : [من الطويل]

إن قشيراً من لقاح ابن حازم كراحضة حيضا وليست بطاهر
فلا يأكلنها الباهلي وتقعدا لدى غرض أرميكم بالنواقر¹
أعرك أن قالوا لعزة شاعر فذاك أباه من خفير وشاعر

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله ، فردّها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل ، فقال المخبل في ذلك :

تدارك حزن بالقنا آل عامر قفا حصن والكر بالخيّل أعسر²
فإنني بذو الجار الخفاجي واثق وقلبي من الجار العبادي أوجر³
إذا ما عقيلي أقام بدمّة شريكين فيها فالعبادي أوجر⁴
لعمري لقد خارت خفاجة عامراً كما خير بيت بالعراق المشقر⁵
وإنك لو تعطي العبادي مشقصا لراشي كما راشي على الطبع أبحر

راشي من الرشوة .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا الرياشي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : مرّ المخبل السعدي بخليدة بنت بدر ، أخت الزبرقان بن بدر ، بعد ما أسنّ وضعف بصره ، فأنزله وقرّبه وأكرّمته ووهبت له وليدة ، وقالت له إنني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها . فقال : ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك ؟ قالت : لا عليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض من هتكت بشعرك ظالماً ، أنا خليدة بنت بدر . فقال : واسوأناه منك ؟ فإني أستغفر الله عزّ وجلّ ، وأستقيلك وأعتذر إليك . ثم قال : [من الطويل]

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنني سأعتب نفسي بعدها وأموت

1 النواقر : الدواهي .

2 قفا حصن : خلف حصن ، وهو جبل بأعلى نجد .

3 أوجر : خائف .

4 أوجر هنا : كاره .

5 المشقر : حصن قديم بالبحرين .

فَأَقْسَمُ بِالرَّحْمَنِ إِنِّي ظَلَمْتُهَا وَجُرْتُ عَلَيْهَا وَالْهَجَاءُ كَذُوبٌ
والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة
ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ، ويقول : [من الكامل]

فَجَزَى إِلَاهُ سَرَاةَ قَوْمِي نَضْرَةً وَسَقَاهُمْ بِمَشَارِبِ الْأَبْرَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَافُوا عِثَارَ أَخِيهِمْ لَا يُسْلَمُونَ أَخَاهُمْ لِعِثَارِ
أَمْثَالُ عَلْقَمَةَ بْنِ هَوْدَةَ إِذْ سَعَى يَخْشَى عَلَيَّ مِتَالِفَ الْأَبْصَارِ
أَتْنَوْا عَلَيَّ وَأَحْسِنُوا وَتَرَاغَدُوا لِي بِالْمَخَاضِ الْبُزْلُ وَالْأَبْكَارِ
وَالشَّوْلُ يَتْبَعُهَا بِنَاتٌ لَبُونَهَا شَرِقًا حَنَاجِرُهَا مِنَ الْجَرَجَارِ¹

[شعر المخبل والزبرقان وعمر بن الأهتم]

أخبرنا أبو زيد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال :
حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب . وأخبرني عمي ، قال : حدثنا الكُرَائي ، قال : حدثنا
العمرى ، عن لقيط قالوا : اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب
وعمر بن الأهتم قبل أن يُسَلِّمُوا ، وبعد مبعث النبي ﷺ ، فَنَحَرُوا جَزُورًا ، واشتروا خمرًا
ببيعير ، وجلسوا يشوون ويأكلون . فقال بعضهم : لو أن قومًا طاروا من جودة أشعارهم
لطرنا . فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذَارِ الأسدي ، وقال
اليزيدي فجاءهم رجل من بني يربوع يسأل عنهم ، فدل عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم
جلوس يشربون . فلما رآه سرهم ، وقالوا له : أخبرنا أيُّنا أشعر ؟ قال : أخاف أن تغضبوا ،
فأمنوه من ذلك ، فقال : أما عمرو فشعره بروء يمنية تنشر وتطوى ، وأما أنت يا زبرقان
فكأنك رجل أتى جَزُورًا قد نُجِرَتْ² ، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك .

وقال لقيط في خبره ، قال له ربيعة بن حُذَارِ : وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج
فيؤكل ، ولم يُترك نيشًا فيُنتفع به . وأما أنت يا مخبل فشعرك شُهْبٌ من نار الله يلقيها على من
يشاء . وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أُحْكِمَ خزرها فليس يقطر منها شيء .

أخبرنا اليزيدي ، عن عمه ، عن ابن حبيب ، قال : كان رجل من بني امرئ القيس ، يقال
له رَوْقٌ ، مُجَاوِرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ بِالْيِمَامَةِ ، فَأَغَارُوا عَلَى إِبِلِهِ وَغَدَرُوا بِهِ ، فَأَتَى الْمَخْبِلَ
يَسْتَمْنَحُهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ فَاخْتَرْ خَيْرَ نَاقَةٍ فِي إِبِلِي فَخُذْهَا ، وَإِنْ شِئْتَ سَعَيْتُ لَكَ . فَقَالَ : أَنْ

1 الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء .

2 ل : ذبحت .

تسعى بي¹ أحب إليّ . فخرج المخبل فوقف على نادي قومه ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

أدوا إلى رَوْح بن حَسَّ لَان بن حارثة بن منذر
كوماء مدفأة كَأ نَّ ضروعها حماء أجفر²
تأبى إلى بصر نَسْ حُ المحض بالبن الفضنفر

فقالوا : نعم ونعمة . فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدة إبله .
وقال ابن حبيب في هذه الرواية : « كان رجل من بني ضبة » .

صوت

[من المديد]

اسلُ عن ليلي علاك المشيبُ وتصابي الشيخ شيء عجيبُ
وإذا كان النسبُ يسلمى لذَّ في سلمى وطاب النسبُ
إنما شبَّهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيبُ
بطلوع الشمس في يومٍ دَجَنٍ بُكرةٌ أو حان منها غروبُ
إنني فاعلم وإن عزَّ أهلي بالسويداء الغداة غريبُ

الشعر لغيلان بن سلمة الثَّقَفِيّ ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري ،
والغناء لابن زرزور الطائفيّ ، خفيف ثَقِيلٍ أول بالوسطى ، عن يحيى المكيّ ، وفيه ليونس
الكاتب لحنٌ ذكره في كتابه ، ولم يُجنِّسه .

1 ل : بل تسعى لي .

2 حماء في ل : جماء . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . المدفأة : الكثيرة الوبر والشحم . الأجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش .

[244] - أخبار غيلان بن سلمة ونسبه¹

[نسبه]

غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ ، وهو ثقيف . وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أخت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيّ .

وغيلان شاعرٌ مقلّ ، ليس بمعروف في الفحول .

[هيت المخنث يصف ابنته]

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيت المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين ، أو لأخيه سلمة : «إن فتح الله عليكم الطائف فسلّ رسول الله ﷺ أن يهبّ لك بادية بنت غيلان ، فإنها كحلأ ، شموعٌ نجلاء² ، خمصانة هيفاء ، إن مشيت تثنّت ، وإن جلست تبنت³ ، وإن تكلمت تغتت ، تقبل بأربع وتدبر بثمان ، وبين فخذيهما كالإناء المكفأ» .

وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي ﷺ وآله : ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجُلٍ من القرَينَينَ عظيم﴾ .

[اتهم ولده عمار بسرقة]

قال ابن الكلبيّ : حدثني أبي ، قال : تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص ، فولدت له عمّاراً وعمّاراً ، فهاجر عمّار إلى النبي ﷺ ، فلما بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به ، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس ، وبلغ خبره عمّاراً فلم يعتذر إلى أبيه ، ولم يذكر له براءته ممّا قيل له . فلما شاع ذلك جاءت أمةٌ لبعض ثقيفٍ إلى غيلان ، فقالت له : أيُّ شيءٍ لي

1 لغيلان بن سلمة ترجمة في ابن سلام : 269-270 وطبقات ابن سعد 5 : 505-506 والخبر : 357 واليعقوبي : 214 وأعلام الزركلي ، وانظر المثل «إن العصا قرعت لذي الحلم» في مجمع الميادني ، وورد بعض أخباره في التذكرة الحمدونية .

2 الشموع : المراحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

3 تبنت : صارت كاللبنة ، وهي القبة من الأدم .

عليك إن دلتك على مالك ؟ قال : ما شئت . قالت : تبتاعني وتعتقني . قال : ذلك لك . قالت : فاخرج معي . فخرج معها ، فقالت : إني رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ، ويتفقده في اليوم مرات ، وما أراه إلا المال . فاحتفر الموضع فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها . وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً ، فقال : والله لا يراني غيلان أبداً ، ولا ينظر في وجهي . وقال : [من الطويل]

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ وبالله إن الله ليس بغافل
برئتُ من المالِ الذي يدفونه أبرئ نفسي أن أُلطَّ بباطل¹
ولو غيرُ شيخي من معدٍّ يقوله تيممته بالسيفِ غير مُواكل
وكيف انطِلاقي بالسلاح إلى امرئ تبشّره بي يتبدرن قوابلي

فلما أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمارٌ مغاضيين له مع خالد بن الوليد ، فتوفي عامر بعمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذ ، وهو صاحب شئوة يوم تثليت² ، وهو قتل سيدهم جابر بن سنان أخا دهنه ، فقال غيلان يرثي عامراً :

عيني تجودُ بدمعها الهتانِ سحاً وتبكي فارسَ الفُرسانِ
يا عامرَ من للخيل لما أجمعتُ عن شدة مرهوبة وطعانِ
لو أستطيعُ جعلتُ مني عامراً بين الضلوع وكلِّ حيٍّ فانِ
يا عين بكّي ذا الحزامة عامراً للخيل يومَ تواقف وطعانِ
وله بتثلياتِ شدة مُعلم منه وطعنة جابر بن سنان³
فكانته صافي الحديدِ مخدّم ممّا يُجير الفُرس للباذان⁴

[دفاعه عن جاره الباهلي]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به ، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان ، فقال لأبي عقيل :

[من الطويل]

1 أُلط : ألصق .

2 شئوة : قبيلة .

3 يوم تثليت : من أيام العرب بين سليم ومراد .

4 المخدّم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . الباذان : اسم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام .

ألا مَنْ يرى رأي امرئ ذي قرابة أبى صدره بالضغن إلا تطلعا
فَسَلَمَكَ أَرْجُو لا العداوة إنما أبوك أبي وإنما صفقنا معا
وإن ابن عم المرء مثل سلاحه يقيه إذا لاقى الكمي المقنعا
فإن يكثر المولى فإنك حاسد وإن يفتقر لا يلف عندك مطمعا
فهذا وعيدٌ وادخارٌ فإن تعد وجدك أعلم ما تسلفت أجمعا

[تهديده لامراته حين ملته]

ونسخت من كتابه ، قال : لما أسن غيلان وكثرت أسفاره وملته زوجته ، وتجنّت عليه ،
وأنكر أخلاقها ، فقال فيها :

يا ربّ مثلك في النساء غريرة بيضاء قد صبّحتها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغرها مني تحمل عِشرتي وخلاقي

[الحرب بين بني عامر وثقيف]

ونسخت من كتابه : إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم
وأحلافهم ، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلفاً لثقيف ،
فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم
يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب ، فلقوهم وقتلتهم ثقيف قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو
عامر بن ربيعة ومن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيف ، فأكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان
في ذلك ، ويذكر تخلف بني نصر عنهم :

ودّع بدم إذا ما حان رحلتنا أهل الحظائر من عوفٍ ودهمانا
القائلين وقد حلّت بساحتهم جسر تحسحس عن أولاد هصّانا¹
والقائلين وقد رابت وطائبهم أسيف عوف ترى أم سيف غيلانا²
أغنوا الموالى عنا لا أبالكُم إنا سنغني صريح القوم من كانا
لا يمنع الخطر المظلوم قُحْمته حتى يمحى بالكفين من كانا

[الحرب بين خثعم وثقيف]

ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعم جموعاً من اليمن ، وغزت ثقيفاً بالطائف ؛

1 الجسر : الرجل الجسيم الشجاع والجمال الضخم ويطلق أيضاً على بعض أحياء العرب . تحسحس : تتلمس .
هصان : قبيلة .

2 راب : خثر وفسد . الوطاب : سقاء اللبن .

فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر عدةً منهم ، ثم من عليهم وقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يا أختَ خَنَعَمَ خَبْرِنَا بأيّ بلاءٍ قومٍ تفخرينا
جَلَبْنَا الخَيْلَ من أَكْثَافِ وَجٍّ وليثِ نَحُوكُم بِالدَّارِ عَيْنَا¹
رَايْنَاهُنَّ مُعْلَمَةً رَوَاحَا يُقَيِّتَانِ الصَّبَاحَ وَمَعْتَدِينَا²
فَأَمْسَتْ مُسَيَّ خَامِسَةٍ جَمِيعَا تُضَابِعُ فِي الْقِيَادِ وَقَدْ وَجِينَا³
وَقَدْ نَظَرْتَ طَوَالْعَمِّ إِلَيْنَا بِأَعْيُنِهِمْ وَحَقَّقْنَا الظُّنُونَا
إِلَى رَجْرَاجَةٍ فِي الدَّارِ تُعْشِي إِذَا اسْتَنْتَ عَيُونَ النَّاطِرِينَا⁴
تَرْكَنَ نِسَاءُكُمْ فِي الدَّارِ نَوَاحَا يَكُونُ الْبُعُولَةُ وَالْبَنِينَا
جَمَعْتُمْ جَمْعَكُمْ فَطَلَبْتُمُونَا فَهَلْ أُبَيِّتَ شَأْنَ الطَّالِبِينَا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ ، قال : أخبرني محمد بن سعد الشاميُّ ، قال : حدَّثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدرنا عن الأُبلة ، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطابق⁵ ، فأنشدني له : [من المنسرح]

وليلةً أَرَقَّتْ صِحَابَكَ بِالطُّ فٌ وَأُخْرَى بِجَنْبِ ذِي حُسْمٍ⁶
فَالْجَسْرُ فَالْقَصْرَانِ فَالنَّهْرُ الْمُرْدُ دُ بَيْنَ النَّخِيلِ وَالْأَجْمِ⁷
مَعَانِقِ الْوَاسِطِ الْمُقَدَّمِ أَوْ أَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ غَيْرَ مَقْتَحِمِ⁸
أَسْتَعْمَلُ الْعَنَسَ بِالْقِيَادِ إِلَى الدِّ آفَاقٍ أَرْجُو نَوَافِلَ الطُّعْمِ

[وصية غيلان بن سلمة لنيه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أحمد بن عمر بن

- 1 وج : دار بالطائف . ليث : واد بأسفل السراة .
- 2 المعلمة : المميّزة . يقيت الشيء : يقدر عليه . الصباح : الغارة صباحاً .
- 3 مسي خامسة : مساء الليلة الخامسة . تضابِع : تمد ضبعيها (عضديها) في الجري . وجين : حفين .
- 4 الرجراجة : الكتيبة العظيمة . استنت : أسرع .
- 5 الطابق : نهر ببغداد ، وفي ل : الطائف .
- 6 الطف : الموضع الذي قتل فيه الحسين . ذو حسم : موضع .
- 7 الجسر : مكان الوقعة بين المسلمين والفرس . والقصران : ناحيتان بالري .
- 8 الواسط : المقدم وأوّل الشيء ، ويقصد مقدم الرحل .

عبدالرحمن بن عوف قال : حدّثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، قال : لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة ، وكان قد أحصنَ عشرًا من نساء العرب في الجاهلية ، قال : « يا بني ، قد أحسنْتُ خدمة أموالكم ، وأمجدتُ أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب ، فإنها معارجُ الكرم ، وعليكم بكلِّ رمكاء² مكينة ركيئة ، أو بيضاء رزينة ، في خدر بيت يُتبع ، أو جدُّ يرتجى ، وإياكم والقصيرة الرطلة³ ، فإن أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي ، القصير الرطل⁴ . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وحرّة قومٍ قد تنوّق فعلها وزينها أقوامها فتزيت⁵
رحلت إليها لا تردّ وسيلتي وحملتُها من قومها فتحملتُ

[وفود غيلان على كسرى]

أخبرني عمي قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرائي ، قال : كان غيلان بن سلمة الثقفّي قد وفّد إلى كسرى فقال له ذات يوم : يا غيلان ، أيُّ ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : « الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم » . قال له : ما غداؤك ؟ قال : خبزُ البرّ . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغداؤك غذاء العرب ، إنما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكرائي ، قال العمريّ : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتمّ من هذه الرواية ، ولم أسمع منه . قال الهيثم : حدّثني أبي ، قال : خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلمّا ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّنا من مسيرنا هذا لعلّ خطر ، ما قدومنا على ملك جبارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمتجرٍ ؟! ولكن أئيكم يذهب بالعبير ، فإن أُصيب فنحن برّاء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني إذا فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رأي أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور إلى أمرٍ له طبّق⁶
لقال رغبٌ ورهبٌ يُجمعان معاً حبُّ الحياة وهولُ النّفس والشفقُ

1 ل : مدارج .

2 الرمكاء : التي في لونها حمرة مختلطة بسواد .

3 الرطلة : الحمقاء الضعيفة .

4 انظر وصية ماثلة في البيان والتبيين 2 : 67 .

5 تنوّق فعلها في ل : توسق فضلها .

6 له طبق : له خطره .

إِنَّمَا بَقِيَتْ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ أَسْوَةٌ لَكَ فِيمَنْ يَهْلِكُ الْوَرَقُ

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً¹ ، فلما قديم بلاد كسرى تَخَلَّقَ² وَلَيْسَ ثَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ ، وشهر أمره ، وجلس بياب كسرى حتى أذن له . فدخل عليه وبينهما شَبَاكٌ من ذهب ، فخرج إليه الترجمان ؛ وقال له : يقول لك الملك : ما أدخلك بلادِي بغيرِ إِذْنِي ؟ فقال : قل له : لستُ من أهلِ عداوةٍ لك ، ولا أُتَيْتُكَ جاسوساً لِضِدِّ من أضدادك ، وإنَّما جئتُ بتجارةٍ تستمتع بها ، فإن أردتها فهي لك ، وإن لم تُردها وأذنت في بيعها لرعيَّتِكَ بعثها ، وإن لم تأذن في ذلك رددتها . قال : فَإِنَّهُ لِيَتَكَلَّمَ إِذْ سَمِعَ صَوْتَ كَسْرَى ففسجد ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يُقَدِّمَ على رفع الصوت هناك غير الملك ففسجدت إعظاماً له . قال : فاستحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَعُ تحته . فلما أُتِيَ بها رأى عليها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحَقَّه ، وقال للترجمان : قل له : إِنَّمَا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِهَذِهِ لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا . قال : قد علمتُ ، ولكنِّي لَمَّا أُتَيْتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ ، فلم يكن حقَّ صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقُّها التعظيم ، فوضعتها على رأسي ، لأنَّه أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ . فاستحسن فِعْلَهُ جَدًّا ، ثم قال له : أَلَمْ يَلِدْ ؟ قال : نعم . قال : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يئوب . فقال كسرى : زه ، ما أدخلك عليّ ودِّلَكَ على هذا القول والفعل إِلَّا حَظُّكَ ، فهذا فِعْلُ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامُهُمْ ، وأنت من قومٍ جُفَاءٍ لا حِكْمَةَ فِيهِمْ ، فما غداؤُكَ ؟ قال : خبز البرِّ . قال : هذا العقل من البرِّ ، لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكساه وبعث معه من الفرس مَنْ بَنَى لَهُ أَطْماً بِالطَّائِفِ ، فكان أولُ أَطْمٍ بَنَى بِهَا .

[رثاؤه لأخيه نافع]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر ، قال : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قال : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُوصِلِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اسْتَشْهَدَ نَافِعُ بْنُ غِيلَانَ بْنِ سَلْمَةَ الثَّقَفِيَّ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ غِيلَانٌ وَكَثُرَ بَكَاءُهُ ، وَقَالَ يَرِثِيهِ : [من الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تُغْمِضُ سَاعَةً إِلَّا اعْتَرَتْنِي عَبْرَةٌ تَغْشَانِي

1 ل : قحماً .

2 تخلق : تطيب بالخلوق .

أرعى نجوم الليل عندَ طلوعِها وهنَّ وهنَّ من الغروبِ دوانِ
يا نافعاً مَنْ للفوارسِ أحجمت عَنْ فارسٍ يعلو ذُرَى الأقرانِ
فلو استطعتُ جعلتُ منِّي نافعاً بينَ اللّٰهَةِ وبينَ عَكَدٍ لسانِي¹

قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعوتب في ذلك ، فقال : والله لا تسمحُ عيني بمائها فأضنُّ به على نافع . فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : «بلي نافع ، وبلي الجزع ، وفني وفنيَتِ الدموع ، واللحاق به قريب» .

صوت

[من الطويل]

ألا عللاني قبل نوح النوادِبِ وقبل بُكاءِ المعولاتِ القرائبِ
وقبلَ ثوائي في تُرابٍ وجندلٍ وقبلَ نشوزِ النفسِ فوق الترائبِ²
فإنْ تأتني الدنيا بيومي فجاءةً تجلّني وقد قضيتُ منها مآربي
الشعر لحاجز الأزديّ ، والغناء لنبية هزج ، بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 عكد الشيء : وسطه .

2 نشوز النفس : ارتفاعها ، كناية عن الاحتضار .

[245] - أخبار حاجز ونسبه¹

[نسبه]

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخشم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن مبدعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، وفي ذلك يقول :
[من البسيط]

قومي سلامان إما كنتِ سائلةً وفي قریش كريمٍ الحليفِ والحسبِ
إني متى أدعُ مخزوماً تريَّ عنقاً لا يرعشون لضربِ القوم من كتبٍ²
يُدعى المغيرةُ في أولى عديديهم أولادُ مَرَأَسَةٍ ليسوا من الذنبِ³

وهو شاعر جاهليّ مقلّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممن كان يعدو على رجله عدواً يسبق به الخيل .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارث الأزديّ ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : «أخبرني يا بنيّ بأشدّ عدوك . قال : نعم ، أفرعتني خثعم فنزوتُ نزواتي ، ثم استفرزّني الخيل واصطفّ لي ظييان ، فجعلتُ أنهنهما⁴ بيديّ عن الطريق ، ومنعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا ، فسبقتنهما . فقال له : فهل جارك أحدٌ في العدو ؟ قال : ما رأيتُ أحداً جاراني إلا أطيّلسُ أغيرُ من النقوم⁵ ، فإنّا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه .

قال : النقوم بطن من الأزد من ولد ناقيم ، واسمه عامر بن حوالة بن الهنؤ بن الأزد . نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني من كتاب بخطّ المهربيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوفُ بن الحارث بن الأخشم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صيرماً⁶ من بني هلال ، وقد عصب

1 ترجمة حاجز الأزدي في أعلام الزركلي .

2 العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .

3 مرأسه : رئاسة .

4 أنهنهما : أردهما .

5 ل : البقوم .

6 الصرم : الجماعة .

على يد فرسه عصباً لِيُظْلَع فيطعموا فيه . فلماً أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا في طلبه ،
وانهزم من بين أيديهم ، وطمِعوا فيه ، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان ، فأصيب يومئذ بنو
هلال ، وملاً القوم أيديهم من الغنائم . ففي ذلك يقول حاجز بن عوف :
[من الوافر]

صباحك واسلمي عنا أماً	تحيّة وامقٍ وعِمِّي ظلاماً
برّهرةً يحار الطرف فيها	كحقة تاجر شدّت ختاماً ¹
فإن تمس ابنه السهمي منّا	بعيداً لا تكلمنا كلاماً
فإنك لا محالة أن تريني	ولو أمست حبالكم رماماً
بناجية القوائم عيسجورٍ	تدارك نيهها عاماً فعاماً ²
سلي عني إذا اغبرت جمادى	وكان طعام ضيفهم الثماماً ³
ألسنا عصمة الأضياف حتى	يضحى مألهم نقلاً تواماً ⁴
أبي ربيع الفوارس يوم داجٍ	وعمي مالك وضع السهاماً ⁵
فلو صاحبتنا لرضيت منا	إذا لم تغيبق المائة الغلاماً ⁶

يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن
صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزدي إذا غنموا الربيع ، لأنّ
الرياسة في الأزدي كانت لقومه . وكان يقال لهم : «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد
السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم .
فغزتهم بنو فُقيم بن عديّ بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا
ببني سلامان فأغااثوهم ، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم ، فأراد الحارث
أن يأخذ الربيع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان ، وهو عمّ أبي
حاجز ، وقال : «هيهات ، ترك الربيع غدوة⁷ فأرسلها مثلاً ، فقال له الحارث : أترك يا مالك
تقدير أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزدي أمنع من ذاك . فقال : أعطني ولو جعّباً ، والجعّب :

- 1 شدّت في ل : سُدَّت . برهرة : غضة بضّة . حقة : وعاء من خشب أو عاج .
- 2 الناجية : السريعة . عيسجور : ناقّة صلبة سريعة . تدارك فيها : تلاحق شحمها .
- 3 اغبرت جمادى : قل الخير في الشتاء . التمام : نبت ضعيف .
- 4 ضحى إليه : رعاها وقت الضحى . توام : مخفف توأم .
- 5 ربيع : أخذ الربيع ، وهو ربيع الغنيمة .
- 6 تغيبق : تسقي الغبوق ، وهو شرب العشي .
- 7 لم نجده في كتب الأمثال .

البحر في لغتهم ، لئلا تسمع العرب أنك منعتني . فقال مالك : « فمن سماعها أفر » ، ومنعه
الربع ، فقال حاجر في ذلك :

ألا زعمت أبناء يشكر أنا بربعهم باءوا هنالك ناضل¹
ستمعننا منكم ومن سوء صنيعكم صفائح ييض² أخلصتها الصياقل³
وأسر خطي إذا هز عاسل⁴ بأيدي كماء جربتها القبائل⁵
وقال أبو عمرو : جمع حاجر ناساً من فهم وعدوان ، فدلهم على خثعم ، فأصابوا منهم غرة
وغنموا ما شاءوا ، فبلغ حاجر أنهم يتوعدونه ويرصدونه ، فقال :

وإنني من إرعادكم وبروقكم وإبعادكم بالقتل صم⁶ مسامعي
وإنني دليل غير مخفي دلالي على ألف بيت جدتهم غير خاشع
ترى البيض يركضن المجاسد بالضحي كذا كل مشبوح الذراعين نازع⁷
على أي شيء لا أبا لأبيكم تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

[عمرو بن معد يكرب يطعن حاجر]

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب ، وقد
استنجدت به خثعم على بني سلامان ، فالتقوا واقتلوا ، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجر
فأنفذ فخذة ، فصاح حاجر : يا آل الأزدي ! فنديم عمرو وقال : خرجت غازياً وفجعت
أهلي . وانصرف ، فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو حاجر ، فقال : [من الوافر]

أعجز حاجر منّا وفيه مشلشلة كحاشية الإزار⁸
فعز علي ما أعجزت مني وقد أقسمت لا يضربك ضار⁹

فأجابه حاجر فقال :

إن تذكروا يوم القرى فإنه بواء بأيام كثير عديدها¹⁰
فنحن أبنا بالشخيصة وإهنا جهاراً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كراء قد تدارك ركضنا بني مالك والخيل صعر خدودها¹¹

1 باءوا : فحروا . ناضل : غالب .

2 المجاسد : الثياب المعصفرة بالزعفران .

3 مشلشلة : ضربة تفيض دماً .

4 القرى : واد . بواء : نظير .

5 كراء : ثنية بالطائف .

ويوم الأراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعو شريدها¹
ونحن صبحنا الحيّ يوم تنومة بملومة يهوى الشجاع ويئدها²
ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمرأ جلودها
فما رغمت خلفاً لأمر يصيبها من الذلّ إلّا نحن رغما نزيدها

[سحرت عجوز سلاحه]

وقال أبو عمرو : بينما حاجز في بعض غزواته إذا أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنوننا بعضهم . ففعلا ، وكانت في ساق حاجز شامة ، فنظرت إليها امرأة من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحه أو عدوه . فقالوا : لا نريد أن تكفيننا عدوه فإن معنا عوقاً وهو يعدو مثله ، ولكن اكفيننا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر³ بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزيع الخثعمي ، حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوف ارم حاجزاً . فلم يقدم عليه ، وجبن ، فغضبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الدمام ، فاقتل عوقاً فإنه قد فضحنا . فنزع في قوسه ليرميه ، فانقطع وتره ، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم . ووجد حاجز بعيداً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه ، فمرّ فنجاً وقال في ذلك :

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب⁴
أوان سمعتُ القوم خلفي كأنهم حريق أباة في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم يضيء لدى الأقوام نار الحباب⁵

1 الأراكات : أودية بالقرب من مكة .

2 ملومة : كنية مجتمعة .

3 ل : الأعسر .

4 الأثائب : شجر ينبت في بطون الأودية .

5 المثل «أخلف من نار الحباب» في مجمع الميداني 1 : 253 وجمهرة العسكري 1 : 434 ومستقصى الرمزشري 1 : 108 . والحباب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه . وقيل هو رجل كان بخيلاً فلا يوقد إلّا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان .

فغير قتالي في المضيق أغائني ولكن صرّح العدو غير الأكاذِبِ
نجوت نجاء لا أَيْيك تبشه وينجو بشير نَجَوْ أزعَرَ خاضِبٍ¹
وجدتُ بعيراً هامِلاً فركبته فكادت تكون شرّاً رَكِبَ راكِبِ

[إغارته على بني هلال]

وقال أبو عمرو : اجتاز قوم حُجَّاجٌ من الأزد بيني هلال بن عامر بن صعصعة ،
فعرّفهم ضَمْرَة بن ماعز سيد بني هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجرّاً ، فجمع
جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم ، وقال في ذلك يخاطب
ضمرة بن ماعز :

يا ضمْرُ هل نلناكم بدمائنا أم هل حذونا نَعْلَمكم بمثالِ
تبكي لِقَتْلِي مَنْ فُقِيمَ قَتْلُوا فالיום تبكي صادقاً هلالِ
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يكيّن مردفة على الأكفال
يا ضمْر إن الحرب أضحت بيننا لِقِحت على الدكاء بعد حيالٍ²

[أخت حاجر ترضيه]

قال أبو عمرو : خرج حاجر في بعض أسفاره فلم يعدّ ، ولا عُرِف له خبر ، فكانوا يرون
أنّه مات عطشاً أو ضلّ ، فقالت أخته ترضيه :

[من الوافر]

أحيّ حاجرّاً أم ليس حيّاً فيسلك بين جندف والبهيم³
ويشرب شربةً من ماء ترج فيصدر مشية السبع الكليم

[حاجر فرار]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة ، قال : كان حاجر الأزدي مع
غاراته كثير الفرار ، لقي عامراً⁴ فهرب منهم فنجا ، وقال :

[من الطويل]

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي عشيّة بين الجرف والبحر من بعير⁵

1 لا أَيْيك : لا وأَيْيك . الأزعر : القليل الشعر . الخاضب : الظليم إذا أكل الربيع فاحمر ساقاه .

2 الدكاء : رابية . بعد حيال : بعد أن كانت عقيمة .

3 جندف والبهيم : جبلان .

4 عامراً في ل : غامداً .

5 الجرف والبحر : موضعان .

عشية كادت عامر يقتلونني لدى طرفِ السَّلماءِ راغية البكر¹
 فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجله وقد كاد يلقى الموت في خلفه الصقر²
 بمثلي غداة القوم بين مُقنَّع وآخر كالسكرانٍ مرتكِزٍ يفري³
 وفر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي⁴، ففاته حاجز، وقال في ذلك : [من الكامل]
 وكأنما تبع الفوارسُ أربنا أو ظبي راوية خفافاً أشعباً⁴
 وكأنما طردوا بذئ نمراته صدعاً من الأروى أحسّ مكلاً⁵
 أعجزت منهم والأكفُ تنالني ومضت حياضهم وآبوا خيباً
 أدعو شنوءة غثها وسمينها ودعا المرقع يوم ذلك أكلاً
 وقال يخاطب عوض أمسى : [من الكامل]
 أبلغ أميمة عوض أمسى بزناً سلباً وما إن سرّها أن تُنكبا⁶
 لولا تقارب رافة وعيونها يخمشن خمشاً مصعداً ومصوباً

صوت

[من الكامل]
 يا دار من ماويٍ بالسَّهْبِ بنيت على خطب من الخطب
 إذ لا ترى إلا مُقاتلة وعجائناً يُرقلن بالركب⁷
 ومُدججاً يسعى بشيكته مُحَمَّرَةٌ عيناه كالكلب
 ومعاشراً صداً الحديد بهم عبق الهناء مخاطيم الجرب⁸
 الشعر للحارث بن الطفيل الدؤسي، والغناء لمجد، رمل بالنصر، من رواية يحيى المكي،
 وفيه لابن سريج خفيف ثقلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، والله أعلم.

- 1 عامر في ل : غامد . المثل «أصابهم راغية البكر» في أمثال أبي قيد : 44 . وانظر فصل المقال : 458
- 2 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وجمهرة العسكري 2 : 156 .
- 3 خلفه الصقر : اختلافه مرة بعد مرة .
- 4 يفري : يبالغ في النكاية والقتل .
- 5 الظبي الأشعب : البعيد ما بين القرنين .
- 6 الصدع : الوعل الشاب القوي ، الأروى : أنثى الوعل .
- 7 تُنكبا في ل : تسلبا .
- 8 العجائس : جمع عنجس ، الشديد الضخم من الإبل .
- 9 الهناء : ما تظلي به الإبل كالقطران . المخاطم : جمع مخطم : مقدم أنف الناقة وفمها .

[246] - أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[نسبه]

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عُدْثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، شاعرٌ فارسٌ ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضاً ، وهو أول من وفد من دوس على النبي ﷺ ، فأسلم وعاد إلى قومه ، فدعاهم إلى الإسلام . أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا الْحَزَنْبَلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو عَنْ أَبِيهِ ، وَاللَّفْظُ فِي الْخَبَرِ لَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال : حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الدُّوسِيِّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ حَاجًّا ، وَقَدْ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ رَجُلًا يَعْصُو ، وَالْعَاصِي الْبَصِيرُ بِالْجِرَاحِ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَوْلَدِهِ : بَنُو الْعَاصِي ، فَأَرْسَلْتُهُ قَرِيشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا : انْظُرْ لَنَا مَا هَذَا الرَّجُلُ ، وَمَا عِنْدَهُ ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَجُلٌ شَاعِرٌ ، فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : هَاتِ . فَقَالَ :

لا وإله الناس تألّم حربهم	ولو حاربتنا مُنْهَبٌ وبنو فهم ¹
ولمّا يكن يومٌ تزول نجومه	تطير به الرُّكبانُ ذو نيا ضخم
أسلماً على خَسَفٍ ولستُ بِخَالِدٍ	وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمي
فلا سلمَ حتى تحفِزَ الناسَ خيفةً	ويصبحَ طيرٌ كَنِيساتٍ على لحم

فقال له رسول الله ﷺ : وأنا أقول فاستمع ، ثم قال : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» . ثم قرأ : «قل أعوذ بربّ الفلق» ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد إلى قومه ، فأَتَاهُمْ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ ظُلُمَاءُ ، حَتَّى نَزَلَ بَرُوقٌ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَظِيمَةٌ لِدُوسٍ فِيهَا مَنِيرٌ ، فَلَمْ يَصِرْ أَيْنَ

1 ترجمة الحارث بن الطفيل في الوافي بالوفيات 11 : 258 وأعلام الزركلي وكتب الصحابة مثل أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . حاربتنا في ل : صالحتهم .

يسلك ، فأضاء له نور في طرف سوطه ، فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : نار أُحْدِثَتْ على القَدومِ ثم على بَرُوق لا تطفأ . فعَلِقُوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة ، وكان ينزل هو وأهله في جبل يقال له ذو رَمَع¹ ، فلقبه بطريق يزحرج² ، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول :

يا طولها من ليلة وعنائها على أنها من بلدة الكفر نَجَتْ

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي ﷺ ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلادٌ حصينة وكفرٌ شديد . فتوضأ النبي ﷺ ثم قال : «اللهم اهد دوساً» ثلاث مرات . قال أبو هريرة : فلما صلى النبي ﷺ خِفتُ أن يدعو على قومي فيهلكوا ، فصحت : واقوموا ! فلما دعا لهم سُرِّي عَنِّي ، ولم يحب الطفيل أحد أن يدعو لهم لخلافهم عليه . فقال له : لم أحب هذا منك يا رسول الله . فقال له : إن فيهم مثلك كثيراً . وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث من ذبيان بن عوف بن مُنْهَب بن دوس يقول في الجاهلية : إنَّ للخلق خالِقاً لا أعلم ما هو . فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبي ﷺ ، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوي الآجرة بيدي ، ثم لويت على وسطي حتى كَانِي بِجَادٍ³ أَسود ، وكان جندب يقرّبهم إلى النبي ﷺ رجلاً رجلاً ، فيسلمون .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل ، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضِمَاد بن مُسَرَّح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر ، سيّد آل الحارث ، كان يقول لقومه : أحذركم جرائر أحقّقين من آل الحارث يطلّان رياستكم . وكان ضِمَادٌ يتعيّف ، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلّها ، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم ، وكان القَتِيلُ من آل الحارث تؤخذ له ديتان ، ويعطون إذا لزمهم عقلٌ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة ، فقال غلامان من بني الحارث يوماً : اثنوا شيخ بني دوس وزعيمهم⁴ الذي يتتهون إلى أمره فلنقتله . فأتياه ،

1 ذو رَمَع في ل : ذو منعا .

2 بطريق يزحرج في ل : بطرف برحرج .

3 بجاد : كساء مخطّط .

4 وزعيمهم في ل : ونهيمهم .

فقالا : يا عمّ ، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله ، فلماً تنحياً به قال له أحدهما : يا عمّ ، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة ، فأخرجها لي . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله ، فعمدت دوس إلى سيّد بني الحارث ، وكان نازلاً بقنّوني¹ فأقاموا له في غيضة في الوادي ، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها ، فجعلت الناقة ترغو وتحنّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتوا أهله ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لدّوس وغزّوهم فنذروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا ، وظفرت بنو الحارث بغلّمة من دوس فقتلوهم ، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلاً ، فقالوا : من يكملنا ثمانين حتى نفزو أهل ضِماد ؟ فكان ضِماد قد أتى عكاظ ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله ، فمروا برجل من دوس وهو يتغنى :

فإنّ السّلم رائدة نواها وإنّ نوى المحارب لا ترد

فقالوا : هذا لا يتبعكم ، ولا ينفعكم إن تبعكم ، أما تسمعون غناءه في السّلم . فأتوا حُمّة بن عمرو ، فقالوا : أرسل إلينا بعض ولدك . فقال : وأنا إن شئتم . وهو عاصب حاجبيه من الكبر . فأخرج معهم ولده جميعاً ، وخرج معهم ، ثم قال لهم : تفرّقوا فرقتين ، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا ، وإياكم والغرة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً . ففعلوا ، فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحيّ من آل الحارث ، وقتلوا ابناً لضماد ، فلماً قديم قطع أذني ناقة وذنبا ، وصرخ في آل الحارث ، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوس² تجتمع بإزائه ، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف³ بعضهم بعضاً ، وكان ضِماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ : إن كنت تحرز³ أهلي ، وإلا أقمت عليهم . فقال له : أنا أحرزهم من مائة ؛ فإن زادوا فلا . وكانت تحت ضِماد امرأة من دوس ، وهي أخت مريان بن سعد الدوسي الشاعر ، فلماً أغارت دوس على بني الحارث قصدها أخوها ، فلاذت به ، وضمت فخذها على ابنها من ضِماد ، وقالت : يا أخي اصرف عني القوم ، فإنني حائض لا يكشفوني . فنكز سية القوس في درعها ، وقال : لست بحائض ، ولكن في درعك سَخلة بكذا من آل الحارث ، ثم أخرج الصبي فقتله . وقال في ذلك :

ألا هل أتى أمّ الحصين ولو نأت خلافتنا في أهله ابنُ مُسرّح

1 قنّوني : اسم واد .

2 يتطرف : يغير .

3 تحرز : تصون .

ونضرة تدعو بالفناء وطلّقها ترائيه ينفخن من كل منْفَح¹
وفرّ أبو سفيان لما بدا لنا فرارَ جبانٍ لأمِّه الذلُّ مُقْرَح²

[يوم حضرة الوادي]

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي ، فتحاشد الحيان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبل ، وأتتهم دوس . وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلةً وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتاً ، وجعلن يستقين الماء ، ويحضّضن . وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطينه مَكْحَلَةً ومِجْمَرا ، وقلن : أهلاً معنا فانزل ، أي إنك من النساء ، وجعلت هند بنت خالد تحرضهم وترتجز وتقول : [من الرجز]

مَنْ رَجُلٌ يَنَازِلُ الكَتِيئَةَ فذلّكم تَرَنِّي به الحَبِيئَةَ

فلما التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث ، فقال : خذها وأنا أبو الزين³ ، فقال ضِماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي : يا قوم زينتُم فارجعوا . ثم رجل آخر من دوس ، فقال : خذها وأنا أبو ذكر⁴ . فقال ضِماد : ذهب القوم بذكرها ، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جئنت يا ضِماد . ثم التقوا ، فأبيرت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو . وأما الكلبيّ فإنه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم ديتان ، ولسائر قومه دية ، وكانت لهم على دوس إتاوة يأخذونها كلّ سنة ، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب ، ثم يدخل ، فيجيء الدوسي ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حُمّة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطول الذي يتطول به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بُنيّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرض عن ذكره . فأعرض عن هذا الأمر ، وإن رجلاً من دوس عرس بانية عمّ له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على الإشكريّ ، ثم أتى عمرو بن حمّة فأخبره بذلك . فجمع دوساً وقام فيهم ، فحرضهم وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذلّ ، هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلا ، واقتتلوا ، فظفرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذ : [من الرجز]

1 الطلق : أصلاً الظبي . ينفخن بالدم : ينضحن دماً .

2 مقروح : مجروح .

3 الزين : الدفع .

4 أبو ذكر : أبو الصبّ والثناء .

قد علمت صفراء حرشاء الذيل¹ شرابة المحض تروك للقليل¹
ترخي فروعا مثل أذناي الخيل¹ أن بروقا دونها كالويل¹
ودونها خرط² القتاد بالليل²

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم ، عن أبي عمرو : [من الكامل]

يا دار من ماوي بالسهب³ بُيت على خطب من الخطب³
إذ لا ترى إلا مقاتلة³ وعجانسا يُرقلن بالركب³
ومُدَجَجاً يسعى بشكته³ حمرة عيناه كالكلب³
ومعاشرا صدا الحديد بهم³ عبق الهناء مخاطم الجرب³
لما سمعت نزال قد دُعيت³ أيقنت أنهم بنو كعب³
كعب بن عمرو لا لكعب بني ال³ عنقاء والتبيان في النسب³
فرميت كبش القوم مُعَمِّداً³ فمضى وراشوه بذئ كعب³
شكوا بحقوقه القداح كما³ ناط المعرض أقدح القضب³
فكان مهري ظل مُنْغَمِسا³ بشبا الأسنة مغرة الجأب³
يا رب موضوع رفعت ومر³ فوع وضعت بمنزل اللصب³
وحليل غانية هتكت قرارها³ تحت الوعى بشديدة العضب³
كانت على حب الحياة فقد³ أحللتها في منزل غرب³
«جانيك من يجني عليك وقد³ تُعدي الصُحاح مبارك الجرب»³

1 حرشاء : خشنه . القيل : اللبن يشرب نصف النهار .

2 المثل «دونه خرط القتاد» في مجمع الميداني 1 : 265 ومستقصى الزمخشري 2 : 82 .

3 الكبش : الرئيس . راشوه : من الرشوة . ذو كعب : الرمح .

4 الحقو : الخصر . القداح : السهام . ناط : علق . المعرض : الرامي الذي يعرض القوس عرضاً ثم يرمي . أقدح :

جمع قَدَح ، وهو السهم . القضب : جمع قضيب ، ويعني القوس .

5 المغرة : لون مائل إلى الحمرة . الجأب : موضع .

6 اللصب : مضيق الوادي .

7 العضب : الطعن .

8 غرب : بعيد .

9 المثل «جانيك من يجني عليك» في مجمع الميداني 1 : 169 وجمهرة العسكري 1 : 306 ومستقصى

الزمخشري 2 : 48 .

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج ؛ وليس هو في هذه القصيدة ، ولا وُجِدَ في الرواية ، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تُضَيَّفُ المغنون شعراً إلى شعر ، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروي والقافية .

صوت¹

[من الهزج]

صرفتُ هواكَ فأنصرفا ولم تَرَ عَ الذي سلفا
وَبِنْتَ فلم أمتَ كلفا عليك ولم تَمُتْ أسفا
كلانا واجد في النا س مِمَّنْ ملَّه خلفا
الشعر لعبد الصمد بن المعتل ، والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، رملٌ بالوسطى ، وفيه لعمر
الميداني هزجٌ .

[247] - أخبار عبد الصمد بن المعدّل ونسبه¹

[نسبه]

عبد الصمد بن المعدّل بن غيلان بن الحكم بن البختريّ بن المختار بن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن جِدْرِجَان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وداعة بن لُكَيْز بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى بن دُعْمَيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وقيل : ربيعة بن ليث بن حمران .

وجدت في كتاب بخطّ أحمد بن أبي كامل : حدّثني غيلان بن المعدّل أخو عبد الصمد ، قال : كان أبي يقول : أفضى أبو عبد القيس هو أفضى بن جديلة بن أسد ، وأفضى جدُّ بكر بن وائل هو أفضى بن دُعْمَيّ . والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفضى بن دُعْمَيّ . ويكنى عبد الصمد أبا القاسم ، وأمّه أمّ ولد يقال لها : الزرقاء . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصريّ المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان ، شديد العارضة . وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً ، إلاّ أنّه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما . وكان أبو عبد الصمد المعدّل وجده غيلان شاعرين ، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعدّل بن غيلان هو الذي يقول : [من الطويل]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أرى خلّة في إخوة وقرابة وذو رَجِمٍ ما كان مثلي يُضيعها

فلو ساعدتني في المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيعهما

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش ، عن المبرّد ، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزبان عن الربيعي أيضاً . قالوا : وهو القائل : [من الطويل]

ولستُ بميّالٍ إلى جانبِ الغنى إذا كانت العلياء في جانبِ الفقرِ

وإنّي لصَبّارٌ على ما ينوئني وحسبك أنّ الله أنثى على الصبرِ

[تهاجى المعدّل وأبان اللاحقي]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدّثنا النخعيّ وإسحاق حدّثنا الجمار قال : هجا أبان اللاحقيّ المعدّل بن غيلان ، فقال :

[من الخفيف]

1 ترجمة عبد الصمد بن المعدّل في طبقات ابن المعتز 367-369 والسمط : 325 والموشح : 528 وفوات الوفيات 2 : 330 وأعلام الزركلي والتذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره الدكتور زهير زاهد (صادر) .

كنتُ أمشي مع المعدّل يوماً
فتلفتُ هل أرى ظريّانا
فإذا ليس غيره وإذا إعـ
فنعجبتُ ثم قلتُ لقد أعـ

ففسا فسوةً فكدتُ أطيّرُ
من ورائي والأرضُ بي تستديرُ
صارُ ذاك الفُساء منه يفورُ
رِفُ ، هذا فيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعدّل فقال : [من مجزوء الرمل]

صَحَفْتُ أُمُّكَ إِذْ سَمَّ
قَد عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ
صَيَّرْتُ بَاءَ مَكَانِ الْـ
قَطَعَ اللَّهُ وَشَيْكَا

تَكَ بِالْمُهْدِ أَبَانَا
لَمْ تُرْذِ إِلَّا أَنَانَا
تَاءَ وَاللَّهِ عَيَانَا¹
مِنْ مُسْمِيكَ اللِّسَانَا

[المعدّل وعبد الله بن سوار]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا المبرد قال : مرّ المعدّل بن غيلان بعبد الله بن سوار العبديّ القاضي ، فاستنزلّه عبد الله ، وكان من عادة المعدّل أن ينزل عنده ، فأبى ، وأنشده : [من الوافر]

أَمِنْ حَقِّ الْمَوَدَّةِ أَنْ نُقْضِيَ
وَقَدْ قَالَ الْأَدِيبُ مَقَالَ صِدْقٍ
إِذَا أَكْرَمْتَكُمْ وَأَهْتَمُونِي

ذِمَامَكُمْ وَلَا تَقْضُوا ذِمَامَا
رَاهِ الْآخِرُونَ لَهُمْ إِمَامَا
وَلَمْ أَغْضَبْ لَكُمْ فَذَا مَا

قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مغضباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك . قال : دُئِبْتُ أَشَدَّ مِنْ عَذْرِكَ ، وما لي أنا أعرف خبرَ حقوقك ، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي ؟ ! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رَضِيَ عنه .

[يهجو شروين المغني]

حدّثني الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه عن الحمدونيّ ، قال : كان شروين حسنَ الغناء والضرب ، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتلوّح له بخرقه حمراء ، ليظنّها امرأةً تطالعه ، فكان حينئذٍ يغني أحسنَ ما يقدر عليه تصنعاً لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور ، فقال يهجوهُ² :

[من السريع]

1 والله عيانا في ل : فالله أعانا .

2 ديوانه : 198 .

مَنْ حَلَّ شَرَوَيْنُ لَهُ مَنْزِلًا فَلْتَنَّهُ الْأَوَّلَى عَنْ الثَّانِيَةِ
فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا فَتَى فِي بَيْتِهِ زَانِيَةً

[زَانٍ مَتَزَوِّجَ زَانِيَةٍ]

أخبرني الحسن ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو البصريّ ، قال : قال عبد الصمد بن المعدل في رجلٍ زَانٍ من أهل البصرة كانت له امرأةٌ تزني ، فقال¹ : [من السريع]

إِنْ كُنْتُ قَدْ صَفَرْتُ أُذُنَ الْفَتَى فَطَالَمَا صَفَّرَ آذَانَا
لَا تَعْجِبِي إِنْ كُنْتُ كَشَخْنَتِهِ فَإِنَّمَا كَشَخْنْتُ كَشَخَانَا²

[عاشق جارية ابن الجوهريّ]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ ، قال : كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهريّ ، وكانت له جاريةٌ مغنيّةٌ حسنة الغناء ، وكان ابنُ الجوهريّ شيخاً هِمّاً قبيح الوجه ، فتعشّقتُ فتىً كاتباً كان يعاشره ويدعوه . وكان الفتى نظيفاً ظريفاً ، فاجتمعت معه مراراً في منزله ، وكان عبد الصمد يعاشره ، فكان الفتى يكاتمه أمره ، ويخلف له أنّه لا يهواها ، فدخلتُ عليهما ذات يومٍ بغتةً ، فبقي الفتى باهتاً لا يتكلّم ، وتغيّر لونه وتخلّج في كلامه ، فقال عبد الصمد³ :

صوت

لِسَانُ الْهَوَى يَنْطِقُ وَمَشْهَدُهُ يَصْدُقُ
لَقَدْ نَمَّ هَذَا الْهَوَى عَلَيْكَ وَمَا يُشْفِقُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ عَاشِقًا فَقَلْبُكَ لِمَ يَخْفِقُ
وَمَا لَكَ إِذَا بَدَتْ تَحَارُ فَلَ تَنْطِقُ
أَشْمَسُ تَجَلَّتْ لَنَا أَمِ الْقَمَرُ الْمَشْرِقُ

الغناء في هذه الأبيات لرذاذ ، ويقال للقاسم بن زرزور ، رملٌ مطلق .

قال : ثم طال الأمر بينهما ، فهربتُ إليه جملةً ، فقال عبد الصمد في ذلك⁴ : [من المديد]

إِلَى أَمْرِيءَ حَازِمٍ رَكِيتُ أَيُّ أَمْرِيءَ عَاجِزٍ تَرَكْتُ

1 ديوانه : 182 .

2 كشخان : لا يغار على نسائه .

3 ديوانه : 144 .

4 ديوانه : 88-89 عن الأغاني .

فتنةُ ابنِ الجوهريّ لقد
أكذبتُها عزمةٌ ظهرت
ظفِرتُ فيها بما هَوَيْتُ
ثمَّ خدودُ بعدها لُطِمتُ
وعيونُ لا يُرقَّانَ على
خرجتُ والليلُ مُعْتَكِرٌ
وعيونُ النَّاسِ قد هجعت
لم تَخَفْ وجداً بعاشقها
ورأتُ لما سَقَتْ كَمداً
مُلِّتُ كَفًّا بها ظفِرتُ
أيُّ ملكٍ إذ خلا وخلتُ
تَجْتَلِي من وجهِهِ ذهباً
هكذا فعلُ الفتاةِ إذا

أظهرتْ نُصحاً وقد أَفِكتْ
لا تبالي نفسَ مَنْ سَفِكتْ
وَنَجَّتْ من قُربِ مَنْ فَرِكتْ
وجيوبُ بعدها هُتِكتْ¹
حُسْنِ وجهِ فاتَهْنٌ بَكَتْ²
لم يَهْلُها أَيَّةُ سَلَكْتِ
ودُجى الظُّلَماءِ قد حَلَكْتِ³
حُرْمَةُ الشَّهْرِ الذي انتهكتِ
أنَّها في دينها نَسَكْتِ
دونَ هذا الخلقِ ما مَلَكْتِ
فشكا أشجانَه وشَكْتِ
وهو يَجْلُو فضةً سِيَكْتِ
هي في عشَّاقها محَكْتِ⁴

[مجاوِه جارا له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا قال : نظر عبد الصمد بن المعدَّل إلى جارٍ له يخطر في مشيته خطرةً منكراً ، وكان فقيراً رثُ الحال ، فقال فيه⁵ :

[من الخفيف]

يتمشَّى في ثوبِ عَصَبٍ من العُرْ
دبُّ في رأسه خُمَارٌ من الجَوِ
فبكى شَجْوَه وحنَّ إلى الخُ
مَنْ لقلبٍ متيِّمٍ برغيفٍ

ي على عَظْمِ ساقِهِ مسدولٍ⁶
ع سُرَى خَمَرَةٍ الرحيقِ الشمولِ
بِز ونادى بزفرةٍ وعويلِ
من ونفسٍ تاقت إلى طِفْشيلِ

1 ثم في الديوان : كم (وبها يستقيم الوزن) .

2 يرقَّان في الديوان : ما رَقَّان (ليستقيم الوزن) .

3 قد هجعت في ل والديوان : هاجعة .

4 محكت : لجت وتمادت .

5 ديوانه : 158 عن الأغاني .

6 العصب : ضرب من القماش تصنع منه البرود .

ليس تسمو إلى الولائم نفسي جلّ قدرُ الأعراس عن تأملي
هاتِ لوناً وقلْ لتلك تغني «لستُ أبكي لدراسات الطُلولِ»

[رثاؤه لطفي].

أخبرنا سوارُ بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة طُفيليُّ يُكْنَى أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبسَ القضاة ، وأخذ ابنه معه وعليهما القلائس الطوال ، والطَّيَالِسة الرقاق¹ ، فيقدّم ابنه ، فيدقُّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يُلبِث الباب حتى يتقدّم الآخر ، فيقول : افتح ويملك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقون جميعاً الباب ، ويقولون : بادِرْ ويملك ، فإنَّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عَرَفَهم فتح لهم ، وهابَ منظرهم ، وإن كانت معرفته إيّاهم قد سَبَقَتْ لم يلتفت إليهم ، ومع كلِّ واحد منهم فِهْرٌ² مدورٌ يسمونه «كيسان» ، فينتظرون حتى يجيء بعض من دُعِيَ ، فيفتح له الباب ، فإذا فتح طرحوا الفِهْرَ في العتبة حيث يدور الباب ، فلا يقدر الباب على غلقه ، ويهجمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لُقمةً حارةً من فالودج ، وبَلَعَهَا لشدّة حرارتها ، فجمعت أحشائه فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه³ :

أحزان نفسي عليها غيرُ مُنْصَرِمة وأدُمعي من جفوني الدَّهرَ منسجِمة
على صديقٍ ومولى لي فُجِعْتُ بِهِ ما إنْ لَهُ في جميع الصالحين لُمة⁴
كم جفنةٌ مثْلُ جَوْفِ الحوضِ مُتْرَعة كوماء جاء بها طبأخها رذِمة⁵
قد كُلَّلتها شحومٌ من قَلِيَّتِها ومن سَنامِ جزورٍ عِبْطَةٍ سِنِمة
غُيِّبَتْ عنها فلم تُعرَفْ لها خيراً لهفي عليك وعولي يا أبا سلمة
ولو تكون لها حياً لما بَعُدَتْ يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطْمة⁶
قد كنت أعلم أنَّ الأكل يقتله لكنني كنت أخشى ذاك من تُخْمة
إذا تعمَّم في شبليهِ ثم غدا فإنَّ حوزةً من يأتيهِ مصْطَلْمة⁷

1 الرقاق في ل : الزرق .

2 الفهر : الحجر .

3 ديوانه : 172-173 .

4 اللمة : المثل والنظير .

5 الرذمة : التي تسيل دسماً .

6 الجاحم الحطمة : النار الشديدة .

7 مصطلمة : مستأصلة .

[أبياته في فتى كان يتعشقه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه ، قال :
كان عبد الصمد بن المعدّل يتعشّق فتى من المغنّين ، يقال له : أحمد ، فغاضبه الفتى وهجره ،
فكتب إليه ¹ :

صوت

سَلْ جَزَعِي مُذْ صَدَدْتَ عَنْ حَالِي هَلْ خَطَرُ الصَّبْرِ عَلَى بَالِي
لَا غَيْرَ اللَّهِ سَوْءَ فَعَلَكْ بِي إِنْ كُنْتُ أُعْتِبْتُ فَيْكَ عُذَالِي
وَلَا ذَمُّتُ الْبَكَاءَ لِي عَلَيْكَ وَلَا حَمِدْتُ حُسْنَ السُّلُوءِ مِنْ سَالِ
لَوْ كُنْتُ أَبْغِي سِوَاكَ مَا جَهِلْتُ نَفْسِي أَنَّ الصُّدُودَ أَعْفَى لِي ²
لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق .

[مجاوزه قينة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدّثني علي بن
محمد النوفلي ، فقال : هجا عبد الصمد بن المعدّل قينةً بالبصرة قال فيها : [من البسيط]

تَفْتَرُّ عَنْ مَضْحَكِ السَّدْرِيِّ إِنْ ضَحَكَتْ كَرَفَ الْأَتَانِ رَأَتْ إِدْلَاءَ أُعْيَارِ ³
يَفْسُوحُ رَيْحُ كَيْفٍ مِنْ تَرَائِبِهَا سَوْدَاءُ حَالِكَةٍ دَهْمَاءُ كَالْقَارِ
قال : فَكَسَدَتْ وَاللَّهِ تِلْكَ الْقَيْنَةُ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمْ تُدْعَ وَلَمْ تُسْتَبَعْ حَتَّى أُخْرِجَتْ عَنْهَا .

[عتابه لأحد الأمراء]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا المبرد ، قال : كتب عبد الصمد بن المعدّل
إلى بعض الأمراء رقعة فلم يجبه عنها ، لشيء كان بلغه عنه ، فكتب إليه ⁴ : [من الخفيف]

قَدْ كَتَبْتُ الْكِتَابَ ثُمَّ مَضَى الْيَوْمُ مَ وَلَمْ أَدْرِ مَا جَوَابُ الْكِتَابِ
لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْأَمِيرِ لِمَاذَا لَا يَرَانِي أَهْلًا لِرَدِّ الْجَوَابِ
لَا تَدْعُنِي وَأَنْتَ رَفَعْتَ حَالِي ذَا انْخِفَاضٍ بِهَجْرَتِي وَاجْتِنَابِي

1 ديوانه : 107-108 عن الأغاني .

2 أعفى لي : أطيب وأحسن .

3 مضحك السدري : يقصد أبا نقة الذي هجاه (سيأتي في هذه الترجمة) . كرف الأتان : يقال كرف الحمار إذا

شمّ بول الأتان . الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

4 ديوانه : 79 عن الأغاني .

إِنْ أَكُنْ مُذْنِباً فَعَنْدِي رَجُوعٌ وَيَلَايَ بِالْعَذْرِ وَالْإِعْتَابِ
وَأَنَا الصَّادِقُ الْوَفَاءُ وَذُو الْعَهْدِ سِدِّ الْوَثِيقِ الْمُؤَكِّدِ الْأَسْبَابِ

[هجاؤه رجلاً من ولد المهلب]

أخبرني الحرّميّ بن عليّ ، قال : حدّثني أبو الشبل ، قال : كان بالبصرة رجلاً من ولد المهلب بن أبي صفرة يقال له : صبيانة . وكان له بستان سريّ في منزله . فكان يدعو الفتيات إليه ، فلا يعطينهنّ شيئاً من الدراهم ، ويُقَصِّرُ بهنّ على ما يحمله من البستان معهنّ ، مثل الرُّطْبِ والبُقُولِ والرياحين . فقال فيه عبد الصمد قوله¹ :

قَوْمٌ زِنَاةٌ مَا لَهُمْ دَارُهُمْ جَذَرُهُمُ النَّمَامُ وَالْحَمَاحِمُ²
أَنْذَلُ مَنْ تَجَمَّعَ الْمَوَاسِمُ خَسُوا وَخَسَّتْ مِنْهُمْ الْمَطَاعِمُ
فَعَدَّلَهُمْ إِنْ قَسَتَ الْمَظَالِمُ

[جزعه من هجاء الجمار]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني سوّار بن أبي شراعة ، وأخبرنا به سوار أجازة ، قال : حدّثني أبي ، قال : لما هجا الجمار عبد الصمد بن المعدل جاءني فقال لي : أنقذني منه . فقلت له : أمثلك يفرّق من الجمار ؟ فقال : نعم ، لأنّه لا يبالى بالهجاء ولا يفرّق منه ، ولا عرض له ، وشعره ينفق على من لا يدري . فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه :

ابن المعدل مَنْ هُوَ وَمَنْ أَبَوَهُ الْمَعْدِلُ
سَأَلْتُ وَهْبَانَ عَنْهُ فَقَالَ بَيْضٌ مُحْوَلٌ³

قال : وكان وهبان هذا رجلاً يبيع الحمام ، فجمع جماعة من أصحابه وجيرانه ، وجعل يغشى المجالس ، ويحلف لهم أنّه ما قال : إنّ عبد الصمد بيضٌ مُحْوَلٌ ، ويسألهم أن يعتذروا إليه ؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفةً ونادرة . فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ، ويقول لي : ألم أقلّ لك أنّ آفتي منه عظيمة ، والله للدوران وهبان على الناس يحلف لهم : إنّّه ما قال إنّني بيضٌ مُحْوَلٌ ، أشدّ عليّ من هجائه لي . فبعثت إلى وهبان فأحضرتّه ، وقلت له : يا هذا ، قد علّمنا أنّ الجمار قد كذّب عليك ، وعذرناك فنحبّ أن لا تتكلّف العذر إلى الناس في أمرنا ، فإنّا قد عذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء .

1 ديوانه : 170 .

2 جذرهم : أصلهم . النمام : نبت طيب كالننع . الحماحم : الریحان العريض الورق وفي الديوان : الثمام والخماخم .

3 محول : حضنه غير أبويه .

[بين عبد الصمد ومضرطان]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحويّ صهر المبرد ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : قال لي أبو شراعة القيسيّ : بَلَغَ أبا جعفر مضرطان أَنَّ عبد الصمد بن المعدّل هجاء ، واجتمعاً عند أبي وائلة السّدوسيّ ، فقال له مضرطان : بلغني أنّك هَجَوْتَنِي . فقال له عبد الصمد : مَنْ أَنْتَ حتّى أهجوك ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء . فوثب إلى عبد الصمد فجعل يضربه . فقال الحمدويّ ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويّه ، وحمدويّه جدّه ، وهو الذي كان يقتل الزنادقة :

أَلَدْتُ مِنْ صُحْبَةِ الْقَنَانِي	أَوْ اقْتَرَحَ عَلَى قِيَانٍ
لَكَزْتُ فَتَى مِنْ بَنِي لُكَيْزٍ	يُهْدَى لَهُ أَهْوَنُ الْهَوَانِ
أَهْوَى لَهُ بَازِلٌ خِدْبٌ	يَطْحَنُ قَرْيَهُ بِالْجِرَانِ ¹
فَنَالَ مِنْهُ ثُوُورٌ قَوْمٌ	بَالِيدٌ طَوْرًا وَبِاللُّسَانِ ²
وَكَانَ يَفْسُو فَصَارَ حَقًّا	يَضْرِبُ مِنْ خَوْفِ مَضْرُطَّانٍ

قال : وبلغ عبد الصمد شعر الحمدويّ ، فقال : أنا له . ففزع الحمدويّ منه ، فقال :

تَرَحَّ طُعِنْتُ بِهِ وَهَمٌّ وَارِدٌ	إِذْ قِيلَ إِنَّ ابْنَ الْمَعْدَلِ وَاجِدٌ
هِيَاهُ أَنْ أَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى الْكَرَى	وَإِنَّ الْمَعْدَلِ مِنْ مِزَاحِي حَارِدٌ

فرضي عنه عبد الصمد .

[بين الجمار وعبد الصمد]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدّثنا العنزيّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن عُقْبَةَ اليشكريّ ، قال : قال لي عبد الصمد بن المعدّل ، هجائي الجمار بيتين سخيّفين فسارا في أفواه الناس ، حتّى لم يبقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلّا رواهما ، وهما :

ابْنُ الْمَعْدَلِ مَنْ هُوَ	وَمَنْ أَبَوْهُ الْمَعْدَلُ
سَأَلْتُ وَهْبَانَ عَنْهُ	فَقَالَ بَيْضٌ مُحَوَّلٌ

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاكى فيه كلُّ أحدٍ ، فما رواه أحد ولا فكّر فيه ، وذلك لضعفه ، وهو قولي³ :

1 خدب : جمل شديد صلب . قرناه : جانباه ، وفي ل : قطريه . الجران : مقدّم عنق البعير .

2 ثوور : جمع ثار .

3 ديوانه : 194 .

نسبُ الجمّاز مقصو ر إليه مُتَّهَاهُ
يتراءى نسبُ النّا س فما يخفى سواه
يتحاجى في أبي الج حمّاز من هو كاتباهُ
ليس يذري من أبو الج حمّاز إلّا من يراه

[ينادم بستانه]

أخبرني الأخفش قال حدثنا المبرد قال : كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر ، فأنشدنا لنفسه فيه ¹ :

[من المقارب]

إذا لم يزرني ندْمانيّة خلوتُ فنادمْتُ بستانيّة
فنادمته خضرًا مؤثقا يُهيجُ لي ذكرَ أشجانيّة
يقربُ مفرحةً المُستلذد ويُعيد همّي وأحزانيّة
أرى فيه مثلَ مداري الطّباء تظلُّ لأطلالها حانيّة
ونورُ أقاح شتيتِ النباتِ كما ابتسمتُ عجباً غانيّة
ونرجسُهُ مثلُ عين الفتاة إلى وجهٍ عاشقها رائيّة

[يزيد المسمعي وعليم]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يهوى جاريةً من جواري القيّان ، يقال لها : علّيم ، وكان يعاشر عبد الصمد ، ويزيد يومئذٍ شابٌّ حديث السنّ ، وكان عبد الصمد يسمّيهِ ابني ، ويسمّي الجارية ابنتي ، فباع الفتى بستاناً له في نهر معقل ، وضيعةً بالقنديل ² . فاشتري الجارية بثمانهما ، فقال عبد الصمد ³ :

[من مخلع البسيط]

بُنيتي أصبحت عروساً تُهدى من ابني إلى عروسٍ
زُفْتُ إليه لخير وقتٍ فاجتمعا ليلةَ الخميسِ
يا معشرَ العاشقين أتم بالمنزل الأرذلِ الخسيسِ
يزيدُ أضحى لكم رئيساً فاتبِعوا منهجَ الرئيسِ
من رام بلاً لرأسٍ أثير ذلّ نفساً بحلّ كيسِ

1 ديوانه : 183 .

2 القنديل : حلة بالبصرة .

3 ديوانه : 125 عن الأغاني .

[الجماز وابن قلابه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني يزيد بن محمد المهلب ، قال : بلغ عبد الصمد بن المعذل أنّ أبا قلابه الجرّميّ تدسّس إلى الجماز لما بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إياه ، فحمّله على الزيادة في ذلك ، ويضمن له أن ينصره ويعاضده ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابه حتّى أفحمه ، فقال عبد الصمد فيهما¹ :

[من مجزوء الكامل]

يا مَنْ تركتُ بصخرة	صمّاء هامتَه أُميمة ²
إن الذي عاضدته	أشبهته خلّقاً وشيمة
وكفّيل جدّتك الحديد	ثمة فعلُ جدّته القديمة
فتناصرا ، فابنُ اللثيم	مة ناصرٌ لابن اللثيمة

[عتاب صديق]

حدّثني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني أبو العيّن ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذل صديقٌ يعاشره ويأنس به . فتزوّج إليه أمير البصرة ، وكان من ولد سليمان بن عليّ ، فنكّل الرجلُ وعلا قدره ، وولّاه المتزوّج إليه عملاً ، فكتب إليه عبد الصمد³ :

[من المنسرح]

أحلتَ عَمّا عهدتُ من أدبك	أم نلتَ مُلكاً فتهتَ في كُعبك
أم هل ترى أنّ في مناصفة الإخ	وان نقصاً عليك في حسبك
أم كان ما كان منك عن غضب	فأيُّ شيء أدناك من غضبك
إنّ جفاء كتاب ذي ثقة	يكون في صدره «وأمتع بك»
كيف بإنصافنا لديك وقد	شاركتَ آلَ النبيّ في نسبك
قلّ للوفاء الذي تقدّره	نفسك عندي ملّت من طلبك
أتعبتَ كُفّيك في مواصلي	حسبك ماذا لقيتَ من تعبك ⁴

[من المنسرح]

فأجابه صديقه :

كيف يحُول الإخاء يا أُملي	وكلُّ خيرٍ أنال من نسبك
إن يك جهلٌ أتاكَ من قبلي	فامننْ بفضلٍ عليّ من أدبك

1 ديوانه : 173-174 عن الأغاني .

2 أميمة : مشجوعة .

3 ديوانه : 80 .

4 الديوان : مواصلي .

أُنْكَرْتَ شَيْئاً فَلَسْتُ فَاعِلُهُ وَلَا تَرَاهُ يُخْطُ فِي كَبْكَبِ

[الصدق الكذب]

حدَّثني الأخفش ، قال : حدَّثنا المبرد ، قال : كان لعبد الصمد بن المعدل صديق كثير الكذب ، كان معروفاً بذلك ، فوعده وعداً فأخلفه ، ومطله به مطلاً طويلاً ، فقال عبد الصمد¹ :

لي صاحبٌ في حديثه البركة يزيدُ عند السُّكون والحركة
لو قال «لا» في قليلٍ أحرفها لردّها بالحروفِ مشتبكها

[هجاء بني المنجاب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني سوار بن أبي شُراعة ، قال : كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعدل ، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُغَنِّيةٌ ، وكان ينزل رحبةَ المنجاب بالبصرة ، ثم استبدَّ بها الهاشمي دون عبد الصمد ، فقال فيهم عبد الصمد² :

قل ليحيى ملئتُ من أحبابي فلينكهم ما شاء من أصحابي
قد تركنا تَعَشُّقَ المُرْدِ لَمَّا أَنْ بَلَوْنَا تَنْعُمَ العِزِّ اب
وشئنا المَؤَاجِرِينَ فَمِلْنَا بعد خُبْرٍ إِلَى وصالِ القِحَابِ
حبّاً قينةً لأهل بني المِند حبابٍ حلَّتْ في رحبةِ المنجابِ
صدقتُ إذ يقول لي خُلُقَ الأح راح ليس الفِقَاحِ للأزبابِ
حبّاً تلك إذ تُغَنِّيك يا يح حى وتَسْقِيكَ من ثنابِ عذابِ
«ذَكَرَ القلبَ ذِكْرَةَ أُمِّ زَيْدٍ والمطايا بالسَّهْبِ سهبِ الرِكابِ»³
حبّاً إذ ركبَها فتجافت تتشكَّى إِلَيْكَ عِنْدَ الضَّرَابِ
وتَغَنَّتْ وَأَنْتَ تَدْفَعُ فِيهَا غَيْرَ ذِي خِيْفَةِ لَهْمِ وارتقابِ
«إِنْ جَنَّبِي عَنِ الفِراشِ لَنَابِ كتجاني الأسرُ فوق الظَّرَابِ»⁴

1 ديوانه : 151 .

2 ديوانه : 81-82 عن الأغاني .

3 البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه : 25 والسهب : موضع .

4 تقدم في الجزء السابق أن هذا البيت لمعديكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل 12 : 152 . وانظر بعده شرح أبي الفرج .

ليت شعري هل أسمعُ إذا ما زاح عني وساوسُ الكتاب
 مِنْ فتاةٍ كأنَّها خُوطُ بانٍ مَجَّ فيها النعيمُ ماءُ الشباب¹
 إذ تُغْنِيكَ خلفَ سَجَفٍ رقيقٍ نَغَمَاتٍ تَجْبُها بصواب
 شَفَّ عنها محققُ جَنَدِيٍّ فهي كالشَّمْسِ من خلالِ سَحَابٍ²
 ربُّ شِعْرِ قد قلَّته بتباهٍ ويُغَرِّى به ذوو الألبابِ
 قد تركتُ الملحنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذنانِ³

قال : وشاعت الأبيات بالبصرة ، فامتنع مولى الجارية مِنْ معاشرَةِ الهاشميِّ ، وقطعه بعد ذلك .

[بينه وبين ابني هشام الكرنباني]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدثنا الحسن بن عُليُّ العنزيُّ ، قال : حدثني أحمد بن صالح الهاشميُّ ، قال : كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان ماثلاً إلى عبد الصمد بن المعدل ، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني ، فجرى بين ابني هشام الكرنباني ، وهما أبو واثلة وإبراهيم ، وبين الحر بن عبد الله ، لحاء في أمر عبد الصمد ، لأنهما ذكراه وسباه . فامتنع له الحسين وسبهما عنه ، فرميا الحسين بابن المعدل ، ونسباه إلى أن عبد الصمد يرتكب القبيح ، وبلغ الحسين ذلك ، فلقيهما في سكة المربد ، فشدَّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضرباً مبرحاً . وأفلت أبو واثلة ، ووقع سبيب السوط في عين إبراهيم ، فأثر فيها أثراً قبيحاً ، فاستعان بمشيخة من آل سليمان بن علي . وهرب أبو واثلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة ، فوجَّه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله ، فطلبه وهرب حسين إلى المحدث⁴ ، فلمَّا كان من الغد جاء حسين إلى صالح بن إسحاق بن سليمان ، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان ، ومشيخة من آل سليمان ، فصاروا معه إلى علي بن عيسى في أمره . وأقبل عبد الصمد بن المعدل لما رآهم ، فدخل معهم لنصرة حسين . فكلَّموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلُك ، وجِلَّةُ أهلِ مصرِك ، تصدَّوا إليك في ابنهم وابن أخيهما ، وهو وإن كان حدثاً لا ينسبُ للحجة بحدائمه ، فإن هاهنا من يُعبَّرُ عنه ، وقد قلتُ أبياتاً ، فإن رأى الأمير أن يأذن في

1 الخوط : الغصن الناعم .

2 المحقق : ثوب محكم النسيج . جندي : نسبة إلى الجند من بلاد اليمن .

3 الملحنين في ل : المكشحين .

4 المحدث : ماء ونخل في بلاد العرب .

إنشادها فعل . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله ¹ :

[من الكامل]

يا ابن الخلائف وابن كلِّ مباركٍ رأسَ الدعائم سامق الأغصانِ
إنَّ العلوج على ابن عمِّك أصفقوا فأتوك عنه بأعظم البهتانِ²
قرُّوه عندك بالتعدِّي ظالماً وهم ابتدؤهُ بأعظم العدوانِ
شتموا له عرضاً أغرَّ مُهذَّباً أعراضهم أولى بكلِّ هوانِ
وسَمَوْا بأجسامٍ إليه مَهينةٍ وُصِلت بالألم أذرع وبنانِ
خُلِقت لمدِّ القلْس لا لتناولٍ عرضَ الشريف ولا لمدِّ عنانِ³
لم يحفظوا قرباه منك فينتهوا إذ لم يهابوا حرمةَ السُّلطانِ
أيُّذلُّ مظلوماً وجدُّك جده كيما يعزُّ بذلِّهِ عِلجانِ
وينال أقلقُ كربلاءِ بلاده ذلُّ ابنِ عمِّ خليفةِ الرحمنِ
إنِّي أُعيدُك أن تَنالَ بك التي تطغى العلوجُ بها على عدنانِ

فدعا عليُّ بن عيسى حسينا ، فضمه إليه ، فقال : انصرف مع مشايخك . ودعا بهشام الكرنباني وابنيه ، فعذَّلهم في أمره ، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك .

[عتابه لعبد الله بن المسيَّب]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، قال : كان عبد الصمد بن المعذل يعاشر عبد الله بن المسيَّب ويألفه ، فبلغه أنَّه اغتابه يوماً وهو سكران ، وعاب شيئاً أنشده من شعره ، فقال فيه وكتب بها إليه ⁴ :

[من الكامل]

عَنبي عليك مُقارِنُ العُذرِ قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ منِّي إليَّ فما يَقْضي عليك بهفوةٍ فكري
لما أتاني ما نطقتَ به في السُّكرِ قلتُ جنايةَ السُّكرِ
حاشا لعبدِ الله يذكُرني مُستَعذِباً بنقيصتي ذكرِ
إنَّ عابَ شعري أوَّ تَحَيِّفُهُ فَلْيَهِنِ ما عاب مِن شعري

1 ديوانه : 184 عن الأغاني .

2 أصفقوا : أجمعوا .

3 القلْس : حبل السفينة الغليظ .

4 ديوانه : 106-105 .

يا ابنَ المسيّب قد سبقتَ بما أصبحتَ مرتَهناً به شكري
فمتى خُمرتَ فأنْتَ في سعةٍ ومتى هَفوتَ فأنْتَ في عذري
تَرَكَ العتاب إذا استَحَقَّ أخُ منك العتابَ ذريعةُ الهجري

أخبرني الأخفش ، قال : حدَّثنا المبرِّد ، قال : دعا عبد الصمد بن المعدَّل شروينَ المغنِّي ، وكان مُحسِناً متقدِّماً في صناعته ، فتعلَّلَ عليه ومضى إلى غيره ، فقال عبد الصمد : والله لأُسمِنَه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلَّا بعد أن ييذلَ عِرْضَه وحريمَه . فقال فيه : [من السريع]

مَنْ حَلَّ شروينُ له منزلاً فلتنهه الأولى عن الثانية
فليس يدعوه إلى بيته إلَّا فتى في بيته زانية

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن يخرج إلى بغداد وسراً من رأى .

[هجاء أبي رهم]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدَّثنا الفضل بن أبي جرزة ، قال : كان أبو قلابة الجَرْمِي وعبد الصمد بن المعدَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبِي أرادوا المسير إلى بيت بحر البكراوي ، وكانت له جارية مغنِّية ، يقال لها : جبلة ، وكان أبو رهم إليها مائلاً يتعشَّقها ، ثم اشتراها بعد ذلك . فلمَّا أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رهم ، فأدخلوه وحده وحجَّبوهم ، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة ، فقال أبو قلابة : لا بدَّ أن نهجوَّ أبا رهم . فقالوا : قل . فقال :

ألا قل لأبي رهم سيهوى نعتك الوصفُ
كما حالفك الغيُّ كذا جانبك الظرفُ
أتانا أتاه أهدى إلى بحرٍ من الشَّغْفِ¹
حُرِّمات من الصَّير فهلاًَّ معه رُغْفُ²
فنادوا اقسمني فينا فقد جاءكم اللُّطْفُ

فقال له عبد الصمد : سخنت عينك أيَّش هذا الشعرُ ، بمثل هذا يُهَجَى مَنْ يُراد به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذي حضرني ، فقل أنت ما يحضرك . فقال : أفعله وأجود . فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم . وأوَّل قصيدة هجاء بها قوله³ :

[من الوافر]

1 الشَّغْف : مصدر شَغَف . وفي هذا البيت إقواء .

2 الصير : السمك المملوح .

3 ديوانه : 127 .

دَعُوا الْإِسْلَامَ وَاتَّحِلُّوا الْمَجُوسَا
بَنِي الْعَبْدِ الْمُقِيمِ بِنَهْرٍ يَبْرَى
حَرَامٌ أَنْ يَبِيتَ لَكُمْ نَزِيلٌ
إِذَا رَكَدَ الظَّلَامُ رَأَتْ عُسَيْلًا¹
وَيُذَكِّرُهُمْ أَبُو رَهْمٍ بِهِجْوٍ
وَيُخْلِيهِمْ هِشَامٌ بِالْغَوَانِي
فَتَسْمَعُ فِي الْبُيُوتِ لَهُمْ هَبِيئًا
لَقَدْ كَانَ الزَّانَةُ بِلَا رَيْسٍ
هُمْ قَبِلُوا الزَّانَاءَ وَأَنْشَوَهُ
لَنْ لَمْ تَنْفِ دَعْوَتَهُمْ سَدُوسٌ²
وَقَالَ فِيهِ³ :

[من السريع]

لَوْ جَادَ بِالْمَالِ أَبُو رَهْمٍ
أَضْحَى وَمَا يُعْرَفُ مِثْلُ لَهُ
مَنْ بَرَّ بِالْحَرَمَةِ إِخْوَانَهُ
وَلَهُ فِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ⁴ :

[من مجزوء الخفيف]

هُوَ وَاللَّهُ مُنْصِفٌ
يَقْسِمُ الْأَيَّرَ عَادِلًا
زَوْجُهُ زَوْجُ زَوْجَتِهِ
بَيْنَ حِرْهَا وَفَقْحَتِهِ

[في نزهة]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : خَرَجَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدَلِ مَعَ أَهْلِهِ إِلَى نَزْهَةِ وَقَالَ⁵ :

[من الخفيف]

- 1 الرِّيطُ : جمع رِيطَةٍ ، مِلَاءٌ غَيْرُ ذَاتِ لَفْقَيْنِ أَيْ كُلُّهَا نَسَجَ وَاحِدٌ وَقِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ . الْقُلُوسُ : جمع قُلْسٍ . وَهُوَ حَبْلُ السَّفِينَةِ الْغَلِيظِ .
- 2 عَسِيلٌ : اسمُ شَخْصٍ .
- 3 الْهَيْبِيبُ : صَوْتُ التَّيْسِ عِنْدَ السَّفَادِ . الزَّرْبُ : مَوْضِعُ الْغَنَمِ .
- 4 قَبِلُوا : كَانُوا كَالْقَابِلَةِ . الْحَيِّيسُ : الْمَوْقُوفُ .
- 5 دِيْوَانُهُ : 175 عَنْ الْأَغَانِي .
- 6 دِيْوَانُهُ : 89 عَنْ الْأَغَانِي .
- 7 دِيْوَانُهُ : 96 .

قد نزلنا بروضية وغدير
بعريش ترى من الزاد فيه
وغريرين يطربان الندامى
غنياني ، فغنياني بلحن
«لا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الْـ
حَيِّ ذَا الزُّورِ وَانْهَهُ أَنْ يَعُودَا
مَنْ يَزُرُنَا يَجِدُ شِوَاءَ حُبَارَى
وَكِرَاماً مَعْدَلِينَ وَبَيْضاً
لَسْتُ عَنْ ذَا بِمُقْصِرٍ مَا جزائي

وهجرنا القصر المنيف المشيدا
زُكْرَتِي خَمْرَةً وَصَقْرًا صَيُوداً¹
كلما قلتُ أديا وأعيدا
سلس الرجع يصدع الجلمودا
صُبْحٌ مَغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدَا
إِنَّ بِالْبَابِ حَارِسِينَ قَعُودَا²
وقديراً رخصاً وخمراً عتيدا
خلعوا العُذْرَ يسحبون البرودا
قربت لي كريمةً عنقودا

[يتنزل بالأفشين]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين يسرّ من رأى وهو غلامٌ أمرد ، وكان من أحسن الناس ، وهو واقفٌ على باب الخليفة مع أولاد القوّاد ، فأنشدنا لنفسه فيه ، قال³ :

[من الخفيف]

أيّها اللاحيطي بطرفٍ كليل
علم الله أنني أتمنّى
بعد ما قد غدوت في القرطق الجوّ
وتكفّيت في المواكب تختا
وأطلت الوقوف منك بيا
وتحدّثت في مطاردة الصيّ
ثم نازعت في السنان وفي الرم

هل إلى الوصل بيننا من سبيل
زورة منك عند وقت المقيّل
ن تهادى وفي الحسام الصقيّل⁴
ل عليها تميل كلّ مميل⁵
ب القصر تلهو بكلّ قال وقيل
د بخبرٍ به ورأي أصيل
ح وعلم بمرهفات النصول⁶

1 زكرة : زق الشراب .

2 الزور : الزائر .

3 ديوانه : 159-160 .

4 القرطق : ضرب من الثياب . الجون : الأسود والأبيض ، من الأضداد .

5 تكفّيت : تمايلت مزهواً .

6 الرمح في ل والديوان : الدرع .

وتكلمت في الطراد وفي الطع
 فإذا ما تفرق القوم أقبل
 قد كساك الغبار منه رداء
 وبدت وردة القسامة من خ
 ترشح المسك منه سائلة الظب
 فأسوف الغبار ساعة ألقا
 وأحلّ القباء والسيف من خص
 ثم يؤتى بما هويت من التش
 ثم أجلك كالعروس على الشر
 ثم أسقيك بعد شربي من ريد
 وأغنيك إن هويت غناء
 لا يزال الخلخال فوق الحشايا
 فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً
 كان ما كان بيننا ، لا أسمي

من ووثب على صعب الخيول
 ت كرمحانة دنت لذبول
 فوق صدغ وجفن طرف كجيل
 لك في مشرق نقي أسيل
 سي وجيد الأدمانة العطبول¹
 ك برشف الخدين والتقييل²
 رك رفقا باللفظ والتعليل
 ريفر عندي والبر والتبجيل
 ب تهادي في مجسد مصقول³
 بك كأساً من الرحيق الشمول
 غير مستكره ولا مملول
 مثل أثناء حية مقتول
 وتمنى الخليل قرب الخليل
 ه ولكنّه شفاه الغليل

[متيم أقعدت يحيى بن أكنم على طريق القافية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني الحسن بن غليل العنزي والميرد
 وغيرهما ، قالوا : كانت متيم جارية لبعض وجوه أهل البصرة ، فعلقها عبد الصمد بن
 المعدل ، وكانت لا تخرج إلا متتقة ، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهة ، وقدمت متيم إلى
 عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي ، فاحتاج إلى أن يشهد عليها ، فأمرها بأن تُسفر ،
 فلما قدم عبد الصمد قبل له : لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُر
 مثله . فقال عبد الصمد قوله⁴ :

ولما سرت عنها القناع متيم تروّح منها العنبري متيم

1 السالفة : صفحة العنق . الأدمانة : السوداء . العطبول : المرأة الطويلة العنق .

2 أسوف : أشم .

3 المجسد : الثوب المعصر .

4 ديوانه : 174-175 .

رَأَى ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَكَّمٌ عَلَيْهَا لَهَا طَرَفًا عَلَيْهِ مُحَكَّمًا
وَكَانَ قَدِيمًا كَالْحَاجِ الْوَجْهِ عَابِسًا فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا السَّفُورَ تَبَسَّمَا
فَإِنْ يَصْبُ قَلْبُ الْعَنْبَرِيِّ فَقَبَلَهُ صَبَا بِالْيَتَامَى قَلْبُ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَا
فَبَلَغَ قَوْلُهُ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ، أَيُّ شَيْءٍ أُرِدْتُ مِنِّْي حَتَّى أَتَانِي
شُرْكَكَ مِنَ الْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ لِرَسُولِهِ : قُلْ لَهُ : مَتَيْتُمْ أَقْعَدْتُمْكَ عَلَى طَرِيقِ الْقَافِيَةِ !
[من هجائه لأخيه أحمد]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَبْدِيُّ ،
قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَنْبَسِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَزَارَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْمَعْدَلِ ، وَكَانَ خَرَجَ
مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى أَنْ يَغْزُو ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أُنْشَدَهُ : [من البسيط]

أَفْضَلْتُ نَعْمَى عَلَى قَوْمٍ رَعِيَتْ لَهُمْ حَقًّا قَدِيمًا مِنَ الْوَدِّ الَّذِي دَرَسَا
وَحَرَمَةَ الْقَصْدِ بِالْأُمَالِ إِنَّهُمْ أَتَوْا سِوَاكَ فَمَا لَاقَوْا بِهِ أَنْسَا
لَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُ عِنْدَ رَفْعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَخْلَاقًا وَمُغْتَرَسَا
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَبِضَهَا وَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ خَرَجَ عَنْهَا لِيَجَاوِرَ فِي
الشَّعْرِ ، وَبَلَغَ عَبْدُ الصَّمَدِ خَبْرَهُ ، فَقَالَ فِيهِ¹ : [من البسيط]

يُزِي الغَزَاةَ بِأَنَّ اللَّهَ هِمَّتُهُ وَإِنَّمَا كَانَ يَغْزُو كَيْسَ إِسْحَاقٍ
فَبَاعَ زُهْدًا ثَوَابًا لَا نَفَادَ لَهُ وَابْتِغَاءً عَاجِلَ رِفْدٍ الْقَوْمِ بِالْبَاقِي
فَبَلَغَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَوْلَهُ ، فَقَالَ : قَدْ مَسَّنَا أَبُو السَّمِّ عَبْدُ الصَّمَدِ بِشَيْءٍ مِنْ هَجَائِهِ .
وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ : أَبِي الْأَمِيرُ إِلَّا كَرَمًا وَظَرْفًا .
[هجاؤه لأبي نُبَكة]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ
الْأَسَدِيُّ ، قَالَ : قَدِيمُ أَبُو نُبَكةَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ وَقَدْ أَهْدَى إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ هَدَايَاهُ ، وَلَمْ يُهْدِ
إِلَى عَبْدِ الصَّمَدِ شَيْئًا فَكُتِبَ إِلَيْهِ² : [من الطويل]

أَمَّا كَانَ فِي قَسْبِ الْيَمَامَةِ وَالنَّمْرِ وَفِي أَدَمِ الْبَحْرَيْنِ وَالنَّبِقِ الصُّفْرِ
وَلَا فِي مَنَادِيلٍ قَسَمْتَ طَرِيفَهَا وَأَهْدَيْتَهَا حَظًّا لَنَا يَا أَبَا بَكْرٍ

1 ديوانه : 145 عن الأغاني .

2 ديوانه : 106 عن الأغاني .

سَرَتْ نَحْوُ أَقْوَامٍ فَلَا هَنَاتُهُمْ
أَنْتَ إِلَى طَالُوتَ ذِي الْوَفْرِ وَالْغِنَى
وَلَمْ تَأْتِنِي وَلَا الرِّيشِي تَمْرَةً
وَلَمْ يُعْطَ مِنْهَا النَّهْشَلِيُّ إِدَاوَةً
أَقُولُ لَفْتَيَانٍ طَوِيْتُ لَطِيَّهُمْ
لَفَنَ حُكْمِ السَّدْرِيِّ بِالْعَدْلِ فِيكُمْ
لَفَنَ لَمْ تَكُنْ عَيْنَاكَ عَذْرَكَ لَمْ تَكُنْ

وَلَمْ يَنْتَصِفْ مِنْهَا الْمُقِيلُ وَلَا الْمُثَرِّي
وَالِ أَبِي حَرْبٍ ذَوِي النَّشْبِ الدَّثَرِ¹
غَصِصَتْ بِيَاقِي مَا أَذْخَرْتَ مِنَ التَّمْرِ
تَكُونُ لَهُ فِي الْقَيْظِ ذُخْرًا مَدَى الدَّهْرِ²
عُرَى الْبَيْدِ ، مَنْشُورَ الْمَخَافَةِ وَالذَّعْرِ
لَمَّا أَنْصَفَ السَّدْرِيُّ فِي ثَمَرِ السَّدْرِ
لَدَيْنَا بِمَحْمُودٍ وَلَا ظَاهِرِ الْعَذْرِ

[هجاؤه يزيد المهلبي]

أخبرنا الحسن بن عليل ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي ، قال : وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعدٌ ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم ، وكان يقال ذلك في عبد الصمد ، فقال فيه³ :

[من الوافر]

يَقُولُ ذَوُو التَّشْوُمِ مَا لَقِينَا
أَتَتْهُ مَنِيَّةُ الْمَأْمُونِ لَمَّا
فَصِيرَ مِنْهُ عَسْكَرَهُ خِلَاءُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَكَمْ مَشْوُومٍ قَوْمِ
رَأَيْتَ ابْنَ الْمَعْدَلِ يَالَ عَمْرُو
فَمِنْهُ مَوْتُ جِلَّةِ آلِ سَلَمِ
وَلَمْ يَنْزِلْ بَدَارٍ ثُمَّ يَمْسِي
وَكُلُّ مَدِيحٍ قَوْمٍ قَالَ فِيهِمْ
إِذَا رَجُلٌ تَسْمَعُ مِنْهُ مَدْحًا
فَلَوْ حَصَفَ الَّذِينَ يُبَيِّحُ فِيهِمْ

كَمَا لَقِيَ ابْنَ سَهْلٍ مِنْ يَزِيدِ
أَتَاهُ يَزِيدٌ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدِ
وَفَرَّقَ عَنْهُ أَفْوَاجَ الْجُنُودِ
أَبَادَ لَهُمْ عَدِيدًا مِنْ عَدِيدِ
بَشُومٍ كَانَ أَسْرَعَ فِي سَعِيدِ
وَمِنْهُ قَضَ آجَامِ الْبَرِيدِ⁴
وَلَمَّا يَسْتَمِعُ لَطَمَ الْخُدُودِ
فَإِنَّ بَعْقَهُ «يَا عَيْنُ جُودِي»
تَنْسَمُ مِنْهُ رَائِحَةَ الصَّعِيدِ⁵
أَثَارُوا مِنْهُ رَائِحَةَ الطَّرِيدِ

1 النشب الدثر : المال الكثير .

2 مدى الدهر في ل : من الذخر . والاداة : وعاء من جلد يوضع فيه الماء .

3 لم يدرجها جامع شعره في ديوانه .

4 قض : هدم . الآجام : الحصون .

5 الصعيد : القبر .

فليس العز يمنع منه شوماً ولا عتياً بأبواب الحديد

[من هجائه لأخيه]

حدّثني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرّد ، قال : مرّ أحمد بن المعدّل بأخيه عبد الصمد وهو يخطّر ، فأنشأ يقول¹ :

إن هذا يرى أرى أنّه ابنُ المهلبِ
أنت والله مُعجِبٌ ولنا غير مُعجِبِ

[في غلام يُدعى المغيرة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا أبي وغيره ، وحدّثني به بعض آل المعدّل ، قال : مرّ عبد الصمد بن المعدّل بغلام يقال له : المغيرة ، حسن الصوت حسن الوجه ، وهو يقرأ ويقول القصائد ، فأعجب به ، وقال فيه² :

أيّها الرافع في المس جد بالصوتِ العقيّرة
قتلتني عينك النّج لاء ، والقتلُ كبيرة
أيّها الحكام أنتم فاصِلو حُكم العشيرة
أحلاًلاً ما بقلبي صنعت عينا مُغيرة

[شعره في الحمى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه ، قال : حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى ، قال : جاءنا عبد الصمد بن المعدّل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي ، فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى ، فقال لي محمد بن عمر : امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها . فمضيت إليه حتى كتبتها ، وهي³ :

هجرت الصّبا أيّما هجره وعفت الغواني والخمرة
طوتني عن وصلها سكره بكأس الضّنا أيّما سكرة⁴

[بين عبد الصمد وأبي تمام]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه ، قال : حدّثني عبد الله بن يزيد

1 ديوانه : 83 عن الأغاني .

2 ديوانه : 107 عن الأغاني .

3 من قصيدة طويلة في ديوانه 110-111 .

4 الديوان : لوتني .

الكاتب ، قال : جَمَعَ بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعذل مجلساً ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وكان في أبي تمام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه ¹ :

أنت بين اثنتين تبرزُ لنا س ، وكلتاها بوجهٍ مذلٍ ²
لست تنفكُ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالباً لنوالٍ
أي ماءٍ لِحُرٍّ وجهك يبقى بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤالِ

قال : فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلاً . وجاء به وقد كتب فيه ³ : [من البسيط]

أفيَ تنظيْمُ قولِ الزُّورِ والفَنَدِ وأنتِ أنزَرُ من لا شيءٍ في العددِ ⁴
أشَرَجْتَ قلبك من بُغْضِي على حُرْقٍ كأنها حركاتُ الرُّوحِ في الجسدِ ⁵

فقال له عبد الصمد : يا ماصَ بَظُرٍ أمه ، يا غث ، أخبرني عن قولك «أنزِر من لا شيء» ، وأخبرني عن قولك «أسرَجْتَ قلبك» ، قلبي مِفْرَشٌ أو عيبةٌ ⁶ أو خُرْجٌ فأشْرِجَه ، عليك لعنة الله فما رأيتُ أغثَ منك . فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما يرى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجعه بحرف .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمام لا يضرُّ أباً تمام هذا منه ، وما أقلُّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام .

[يستثقل الفراش وابنه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي ، قال : حدثني العنزي ، قال : كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش ، وكان له ابنٌ أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو ، وكان يخلف بعض أمراء البصرة ، وكان الفراش هذا يصلي به ، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلما مضى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد بن المعذل ⁷ :

[من الكامل]

1 ديوانه : 161-162 .

2 مذل : مهان .

3 لم ترد في ديوانه .

4 الفند : الكذب .

5 أشرجت : شددت .

6 العيبة : الحقيبة .

7 ديوانه : 107-108 عن الأغاني .

غَدَرَ الزمان وليته لم يَغْدِر
 وثُوتُ بقلبك يا محمدُ لوعةً
 وتقسمتك صابتان لينيه
 فاستبق عينك واحشُ قلبك يأسه
 سَقِيًّا لدهرك إذ تَرَوِّحَ يومه
 حتى تُنِيخَ بكلكل متزاوِرٍ
 وتَرُودَ منك على الخوان أناملُ
 ويُح الصَّحَافِ من ابن فَرَّاشٍ إذا
 ذو دُرَّة طَبٌّ إذا لمَعَتْ له
 ودُّ ابن فَرَّاشٍ وفَرَّاشٌ معا
 يُزري على الإسلام قَلَّةَ صبره
 لا تَهْلِكَنَّ على الصَّيَّام صِباةُ
 لا درْ دُرِّكَ يا محمدُ من فتى

[هجاؤه ليزيد المهلب]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أبو محمد البصريّ وكان جاراً لعبد
 الصمد بن المعدّل ، قال : كان يزيد بن محمدٍ المهلبيّ يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسأه ،
 ويرمي كلّ واحد منهما صاحبه بالشؤم ، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تيرى
 ونواحيها ، فقال عبد الصمد يهجوهُ⁴ :

أبوك أميرُ قريةٍ نهر تيرى
 وأرزاقُ العباد على إله
 ولستَ على نساءك بالأمير
 لهمْ وعليك أرزاقُ الأيور
 فكم في رزق ربِّك من فقيرٍ
 وما في أهل رزقك من فقيرٍ

[مدح أمير البصرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدَّثني

1 تمري : تستدر .

2 تروّح يومه : انقضى . لم تنهض . لم تسقط .

3 متزاوِر : منحرف . القموص : السريع .

4 ديوانه : 109 عن الأغاني .

أحمد بن منصور ، قال : شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدّهن ، فدخل إليه عبد الصمد بن المعدّل بعد خروجه عنه ، فأنشده قوله¹ :

[من الوافر]

بأيمن طائرٍ وأسرّ فالٍ	وأعلى رُتبةٍ وأجلّ حالٍ
شربت الدّهنَ ثم خرجت عنه	خروجَ المشرقيّ من الصقال
تكشفَ عنك ما عانيت عنه	كما انكشف الغمامُ عن الهلال
وقد أهديت ريحاناً طريفاً	به حاجيتُ مستمعاً سؤالي
وما هو غيرَ ياءٍ بعد حاءٍ	وقد سبقا بميم قبل دالٍ ²
وريحانُ الشباب يعيش يوماً	وليس يموت ريحانُ المقال
ولم تك مؤثراً تُفاح شمّ	على تفّاح أسمع الرجال ³

[اعتذاره عن الإسكافي]

أخبرني جحظة ، قال : حدّثني ميمون بن مهران⁴ ، قال : حدّثني أحمد بن المغيرة العجليّ ، قال : كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبد الصمد بن المعدّل ، فرفع إليه رجلٌ رقعة ، فقرأها فإذا فيها :

[من البسيط]

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نظرُ أو لا فأعلمَ ما آتي وما أذرُ

فدفعها إلى عبد الصمد ، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها :

[من البسيط]

النفس تسخو ولكن يمنع العُسرُ والحرُّ يعذّر من بالعسر يعتذر⁵

ثم قال عبد الصمد لعلّي بن سهل : هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزّك الله الجواب فعلاً ، ونُجِّحُ سعيّ الآملِ حقّ واجبٍ على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

[يستقل ابن أخيه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعلي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ ، قال : كان لأحمد بن المعدّل ابنٌ ثقیلٌ تيّاهٌ شديد الذهاب بنفسه ، وكان مُبغضاً عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمّه عبد الصمد ، فلما رآه قال لمن معه⁶ :

[من مجزوء الخفيف]

1 ديوانه : 163-164 .

2 أي مدحي .

3 الديوان : ریحان في الحالين .

4 ل : هارون .

5 بالعسر في ل : بالصدق .

6 تقدم أن هذا الهجاء كان لأخيه أحمد ، ص 178 .

إِنَّ هَذَا يَرَى أُرَى أَنَّهُ ابْنُ الْمُهَلَّبِ
أَنْتَ وَاللَّهُ مُعْجَبٌ وَلَنَا غَيْرَ مُعْجَبٍ

قال : وقال فيه أيضاً¹ :

لو كان يُعْطَى الْمُنَى الْأَعْمَامُ فِي ابْنِ أَخٍ أَصْبَحْتَ فِي جَوْفِ قُرْقُورٍ إِلَى الصَّيْنِ²
قَدْ كَانَ هَمًّا طَوِيلًا لَا يَقَامُ لَهُ لَوْ كَانَ رُؤْيُنَا إِيَّاكَ فِي الْحَيْنِ
فَكَيْفَ بِالصَّبْرِ إِذَا أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ فِي مَجَالِ أَعْيُنِنَا مِنْ رَمْلِ يَبْرِينَ
يَا أَبْغَضَ النَّاسِ فِي عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ وَأَقْدَرَ النَّاسِ فِي دُنْيَا وَفِي دِينِ
لَوْ شَاءَ رَبِّي لِأَضْحَى وَاهِبًا لِأَخِي بِمُرٍّ تُكَلِّكَ أَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ
وَكَانَ خَيْرًا لَهُ لَوْ كَانَ مُوتَزِرًا فِي السَّالِفَاتِ عَلَى غُرْمُولِ عَيْنِ
وَقَائِلٍ لِي مَا أَضْنَاكَ قَلْتُ لَهُ شَخْصٌ تَرَى وَجْهَهُ عَيْنِي فَيُضْنِينِي
إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَطْوِي مِنْكَ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا رَأَتْكَ عَلَى مِثْلِ السَّكَاكِينِ

صوت

[من الوافر]

أَتَتِكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تَكْشِفُ عَنْ مَنَاكِهَا الْقُطُوعُ³
بَأَبْيَضَ مِنْ أُمَيْةٍ مَضْرَحِيٍّ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ⁴

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، والغناء لابن المهريد ، رمل بالنصر عن الهشامي . والله أعلم .

1 ديوانه : 186-187 .

2 قرقر : ضرب من السفن .

3 البرى : حلقات توضع في أنوف الإبل ، واحداً ثرة . القطوع : جمع قطع ، وهو طنفسة توضع تحت الرجل .

4 المضرحي : السيد الكريم . الصنيع : السيف المجرب المجلول .

[248] - أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه¹

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّه أمّ أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شيق بن رقية بن مخدج من بني كنانة ، ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف . شاعر إسلامي متوسّط الحال² في شعراء زمانه ، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه ويتصّف كلّ واحد منهما من صاحبه .
أخبرني محمد بن العباس العسكريّ قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ ، عن العمريّ ، عن العتبيّ والهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسان .
[خبره مع معاوية عند عزله مروان بن الحكم]

وأخبرني به عمّي عن الكرائي ، عن العمريّ ، عن الهيثم ، عن صالح بن حسان قال : قدّم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان ، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز ووُلّي سعيد بن العاص ، وكان مروان وجّه به وقال له : القّه أُمّامي فعاتبه لي واستصليحه . وقال عمّي في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلمّا بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلّقاه ، وقال له : أقمّ حتى أدخل إلى الرجل ، فإن كان عزّلك عن موجدة دخلتُ إليه منفرداً . وإن كان عن غير موجدة دخلتُ إليه مع الناس . قال : فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أُمّامه ، فلما قدّم عليه دخل إليه وهو يعشّي الناس ، فأنشأ يقول :

أَتَتِكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تَكْشَفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقُطُوعُ
بَأَبْيَضَ مِنْ أُمِّيَّةٍ مُضْرَحِيٍّ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعُ

فقال معاوية : أزاراً جئت أم مفاخرأ أم مكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئت . فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له ، فقال : على أيّ الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرسي . قال : وما صفته ؟ قال : «أجشُّ هزيم» ، يعرض بقول

1 ترجمة عبد الرحمن بن الحكم في الوافي 18 : 138-140 وفوات الوفيات 2 : 276-279 وانظر وفيات الأعيان 6 : 359 والتذكرة الحمدونية في مواطن متفرقة .
2 ل : الخلف .

النجاشي له :

[من الطويل]

ونجّني ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة¹ أجشٌ هزيمٌ والرماحُ دواني¹
إذا خلتَ أطرافَ الرّماحِ تنالُهُ مرّته به السّاقانِ والقدمانِ²

فغضب معاوية ، وقال : أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرّيب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ولا يتوتّب على كنائه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يُتهم بذلك في امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حمّلك على عزل ابن عمّك ، الجنيّة أوجبتُ سُخْطاً ، أم لرأيٍ رأيته ، وتديبر استصلحته ؟ قال : لتديبر استصلحته . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده فلقي أخاه مروان . فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضعفك ، أعرضتَ للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لبس حُلته ، وركب فرسه ، وتقلّد سيفه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبيّن الغضب في وجهه : مرحباً بأبي عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منّا إليك . قال : لا ها³ الله ما زرتك لذلك ، ولا قدّمتُ عليك فالفتيك إلّا عاقاً قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيّتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص ، والصّهر برسول الله ﷺ لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب وشرّفوكم ، وولّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وُلّيتُم وأفضى الأمر إليكم ، أبيتم إلّا أثره وسوء صنيعه ، وقُبِحَ قطيعه ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيهِ نيّفاً وعشرين ، وإنّما هي أيّام قلائل حتى يُكمّلوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حيثنّ ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمّي في خبره : فقال له معاوية : عزلتُك ثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلّا واحدة لأوجبت عزلك : إحداهنّ أتّي أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تستفي منه ؛ والثانية كراحتك لأمر زياد ؛ والثالثة أن ابنتي رملة استعدتكَ على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعديها . فقال له مروان : أما ابنُ عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه . وأمّا كراحتي أمر زياد فإنّ سائر بني أميّة كرهوه ، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً . وأمّا استعداد رملة على عمرو فوالله إنّني لتأتي عليّ سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً ، يعرض بأن رملة إنّما تستعدي عليه طلباً للنكاح ،

1 العلالة : البقية من السير . الهزيم : الفرس الشديد الصوت .

2 مرّته : حشّه على السير .

3 ها للتّنبية قبل القسم .

فقال له معاوية : يا ابن الوزغ¹ ، لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنني لأبو عَشْرَةَ وأخو عشرة وعمُّ عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدَّة ، يعني أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ! فانخزل معاوية ثم قال : [من الوافر]

فإن أك في شراركُم قليلاً فأنني في خياركُم كثيرُ
بُغاثُ الطير أكثرها فِرَاحاً وأُمُّ الصقْرِ مِقلاتٌ نَزورُ²

قال : فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له ، وقال : لك العتبي³ ، وأنا رادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كلاً والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً ، وخرج . فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قط سقطةً مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأي شيء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن مني أخبرك بذلك . فدنا منه ، فقال له : إن الحكم بن أبي العاص كان أحدهم من وفد مع أختي أم حبيبة لما زُفَّت إلى النبي ﷺ ، وهو الذي تولَّى نقلها إليه ؛ فجعل رسول الله ﷺ يُجِدُّ النظرَ إليه ، فلما خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أهدتَ النظرَ إلى الحكم ؛ فقال : «ابن المخزومية ؛ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين ، أو قال أربعين ، ملكوا الأمر بعدي» . فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا أحدٌ منك ، فإنك تضع من قدرك وقدرٍ ولديك بعدك ، وإن يَقضِ الله عزَّ وجلَّ أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكتمها علي يا أبا بحر إذا ، فقد لعمرى صدقتَ ونصحت .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال ، حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني يعقوب بن القاسم الطَّلحي قال : حدثني ثمالٌ عن أيوب بن درياس بن دجاجة قال : شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن ، إلى معاوية . ثم ذكر نحوه من الحديث الأول ، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف ، وزاد فيه : فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أَتَقَطُرُ آفاقَ السماء له دماً إذا قيل هذا الطَّرْفُ أجردُ سابِجُ
فحتي متى لا ترفع الطَّرْفَ ذِلَّةً وحتي متى تعيا عليك المناوِحُ

1 الوزغ : سام أبرص .

2 بغاث الطير : ضعافها . والمقلات : الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل ، والمرأة التي لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل .

3 العتبي : الرضا .

[بكاء عبد الرحمن لمراى رأس الحسين]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه ، قال : كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال :

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن
كموتر قوس ثم ليس لها نبل
لها بمجنب الطف أدنى قرابة
من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى
وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا ؟!

[بكاء ابن عباس حين نفى ابن الزبير الأمويين]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني هارون بن معروف قال : حدثنا بشر بن السري قال : حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال : رأيتهم ، يعني بني أمية ، يتتايعون¹ نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز ، فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه ، فقال له عبيد بن عمير ، مالي أراك تذر عيناك ؟ فقال له : إن هذا ، يعني عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتاً أبكاني ، وهو :

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي
وعبد مناف لم تغلها الغوائل
فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية ، وإننا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل .

[رلع عبد الرحمن بجارية مروان]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا العمري عن الهيثم قال : حدثني أخي عباس : أن عبد الرحمن بن الحكم كان يولع بجارية لأخيه مروان يقال لها «شبناء» ويهيم بمحببتها ، فبلغ ذلك مروان ، فشتمه وتوعده وتحفظ منه في أمر الجارية ، وحجبها ، فقال فيها عبد الرحمن :

لعمري أبي شبناء إني بذكرها
وإن شحطت داراً بها لحقيق

1 يتتايعون : ينهات ويسرع في اللجاجة .

وَأَنِّي لَهَا ، لَا يَنْزِعَ اللَّهُ مَا لَهَا عَلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَرَعَهُ ، لَصَدِيقُ
وَلَمَّا ذَكَرْتُ الْوَصْلَ قَالَتْ وَأَعْرَضْتُ مَتَى أَنْتَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ مُفِيقُ
[رحم القيل من ولد الأتان]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ عَنِ الْعُمَرِيِّ ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ
الْعُمَرِيِّ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : لَمَّا ادَّعَى معاوية زياداً قَالَ عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ،
وَالنَّاسُ يَنْسُبُونَهَا إِلَى ابْنِ مَفْرَغٍ لِكَثْرَةِ هِجَاؤِهِ آلَ زِيَادٍ ، وَذَلِكَ غَلَطٌ ، قَالَ ¹ : [من الوافر]

أَلَا أَبْلُغُ معاويةَ بَنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْهَجَانِ²
أَتَغْضَبُ أَنْ يَقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يَقَالَ أَبُوكَ زَانٍ
فَأُشْهِدُ إِنْ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْقَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْآتَانِ
وَأُشْهِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ زِيَاداً وَصَخْرٌ مِنْ سُمَيَّةٍ غَيْرُ دَانِي

فَبَلَغَ ذَلِكَ معاويةَ بَنَ حَرْبٍ ، فَحَلَفَ أَلَّا يَرْضَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ زِيَادٌ ،
فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى زِيَادٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : إِيهَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، أَنْتَ الْقَائِلُ :

أَلَا أَبْلُغُ معاويةَ بَنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْهَجَانِ
قَالَ : لَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مَا هَكَذَا قُلْتَ ، وَلَكِنِّي قُلْتُ :

أَلَا مِنْ مَبْلُغٍ عَنِّي زِيَاداً مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْهَجَانِ³
مِنْ ابْنِ الْقَرَمِ قَرَمَ بَنِي قُصَيٍّ أَبِي الْعَاصِي بْنِ آمَنَةَ الْحِصَانِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمَصَلَّى وَبِالتَّوْرَةِ أَحْلَفُ وَالْقُرْآنِ
لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَسْطَى بَنَانِي
سُرَرْتُ بِقُرْبِهِ وَفَرِحْتُ لَمَّا أَتَانِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْبَيَانِ
وَقُلْتُ لَهُ أَخُو ثَقِيٍّ وَعَمٌّ يَعُونُ اللَّهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
كَذَاكَ أَرَاكَ وَالْأَهْوَاءُ شَتَّى فَمَا أَدْرِي بِغَيْبِ مَا تَرَانِي

فَرَضِي عَنْهُ زِيَادٌ ، وَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ إِلَى معاويةَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ قَالَ : أُنْشِدْنِي مَا
قُلْتَ لَزِيَادٍ . فَأَنْشَدَهُ ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ زِيَاداً مَا أَجْهَلَهُ ، وَاللَّهِ لَمَّا قُلْتَ لَهُ أَخيراً حَيْثُ
تَقُولُ :

1 سترد هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة يزيد بن المفرغ منسوبة إليه 18 : 194 .

2 المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . الرجل الهجان : الحسيب ، والرجل في ل : القرم .

3 الرجل في ل : القرم .

لأنت زيادةً في آل حرب
شرُّ من القول الأوّل ، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه .

[يهجو أخاه الحارث]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر ، فنكّص واستغنى ، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذٍ شاب فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث :

شَيْتُكَ إِذْ رَأَيْتَكَ حَوْتِكِيَا قَرِيبَ الْخُصَيْتَيْنِ مِنَ التَّرَابِ¹
كَأَنَّكَ قَمْلَةٌ لَقَعَتْ كِشَافًا لُبْرُغُوثٍ بِبَعْرَةٍ أَوْ صُؤَابٍ²
كَفَاكَ الْغَزْوُ إِذْ أَحْجَمْتَ عَنْهُ حَدِيثُ السِّنِّ مُقْتَبَلُ الشَّبَابِ
فَلَيْتَكَ حَيْضَةً ذَهَبَتْ ضَلَالًا وَلَيْتَكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّحَابِ

[يهجو أخاه مروان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : لَطَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ مَوْلَى لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ حَنَاطًا ، وَأَخُوهُ مَرْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَالْأَهْلُ الْمَدِينَةَ . فَاسْتَعْدَاهُ الْحَنَاطُ عَلَيْهِ ، فَأَجْلَسَهُ مَرْوَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ : الطِّمَّةُ ، وَهُوَ أَخُو مَرْوَانَ لِأُيَيْهِ وَأُمِّهِ ، فَقَالَ الْحَنَاطُ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ هَذَا ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَهُ أَنَّ فَوْقَهُ سُلْطَانًا يَنْصُرُنِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ . قَالَ : لَسْتُ أَقْبِلُهَا مِنْكَ فَخُذْ حَقَّكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا الطِّمَّةُ ، وَلَكِنِّي أَهْبَاهَا لَكَ . فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ ذَلِكَ يُسْخِطُنِي فَوَاللَّهِ لَا أُسْخِطُ . فَخُذْ حَقَّكَ . فَقَالَ : قَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ ، وَلَسْتُ وَاللَّهِ لَا طِمَّةَ . قَالَ : لَسْتُ وَاللَّهِ قَابِلُهَا ، فَإِنْ وَهَبْتُهَا فَهَبْتُهَا لِمَنْ لَطَمَكَ ، أَوْ لِلَّهِ عَزَّ وَعَلَا . فَقَالَ : قَدْ وَهَبْتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَهْجُو أَخَاهُ مَرْوَانَ :

كُلُّ ابْنِ أُمٍّ زَائِدٌ غَيْرُ نَاقِصٍ وَأَنْتَ ابْنُ أُمٍّ نَاقِصٌ غَيْرُ زَائِدٍ
وَهَبْتُ نَصِيبِي مِنْكَ يَا مَرْوَةَ كُلَّهُ لَعَمْرِي وَعِثْمَانَ الطَّوِيلَ وَخَالِدِ

[يرثي قتلى قريش يوم الجمل]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلفٍ الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة

1 الحوتكي : القصير الضاوي أو الكثير الأكل .

2 صؤاب وصئبان : بيض القمل .

قال : نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى ، وأنشأ يقول : [من المتقارب]
 أيا عين جُودِي بدَمْع سَرَبٍ على فِتْيَةٍ من خيار العرب¹
 وما ضَرَّهم ، غيرَ حَيْنِ النفوس أيُّ أُمِيرِي قريشٍ غَلَبَ
 [رواية أخرى لتعريضه بمعاقبة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : حدّثني المدائني عن شيخ من أهل
 مكّة قال : عرَضَ معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيلَه ، فمرَّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟
 فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو علالة . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ
 هزيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتَ ، إنّما عرَضْتُ بقول النجاشي في : [من الطويل]
 ونجّى ابنَ حرب سابِحٌ ذو علالةٍ أجشُّ هزيمٌ والرماحُ دوان
 سليمُ الشَّظَى عَبلُ الشَّوَى شَيْخُ النِّسَا كسيِدُ الغَضَى باقٍ على النُّسلانِ²
 أخرجني عني فلا تساكُنِي في بلد . فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية ، وقال
 له عبد الرحمن : وحتى متى نُستذلُّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ
 يقول :

أَتَقَطُرُ آفاقَ السَّمَاءِ لنا دَمًا إذا قُلْتُ هذا الطَّرْفُ أجْرُدُ سابِحُ
 فحتّى متى لا نَرَفَعُ الطَّرْفَ ذِلَّةً وحتّى متى تَعِيا عليك المنادِحُ
 فدخل مروان على معاوية ، فقال له مروان : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي ؟
 أما والله إنّك لتعلم قولَ النبي ﷺ وآله فينا ، ولقلّ ما بقي من الأجل . فضحك معاوية وقال :
 لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك . والله أعلم بالصواب .

صوت

[من البسيط]

قولا لنا ئِلَ ما تَقْضِيْنَ في رُجُلٍ يَهْوَى هَوَاكِ وما جَنَّبْتِهِ اجْتِنَا
 يُمِيسِي معي جَسَدِي والقلبُ عندكم فما يعيش إذا ما قلبُه ذَهَبَا
 الشعر لمسعدة بن البخترى ، والغناء لعبادل ، ثقیلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
 عن إسحاق ، وفيه لعريب ثقیل أوّل آخر عن ابن المعتز ، ولها فيه أيضاً خفيف رملٍ عنه .

1 الدمع السرب : السائل المنسرب .

2 الشظى : عظم لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه . العبل : الغليظ . والشوى : الأطراف . شنج
 النسا : شديد غير مسترخ . والسيد : الذئب .

[249] - أخبار مسعدة بن البختری ونسبه

هو مسعدة بن البختری بن المغيرة بن أبي صفرة ، بن أخي المهلب بن أبي صفرة ، وقد مضى نسبه متقدماً في نسب يزيد بن محمد المهلبی وابن أبي عيينة وغيرهما .
وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسديّ وكان يهواها .
[التشبيب بنائلة وأُمّها وجدتها]

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة ، عن القحذميّ قال : كان مسعدة بن البختری بن المغيرة بن أبي صفرة ، يشبّ بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسديّ أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شُرطِ العراق من قبل الحجاج ، وفيها يقول : [من مجزوء الوافر]

أنا نلّ إنني سلّم لأهلك فاقبلي سلّمي

قال القحذميّ : وأُمّ نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكّائيّ ، وأُمّها الملاء بنت زُرارة بن أوفى الجرشيّة ، وكان أبوها فقيهاً محدّثاً من التابعين . وقد شبّ الفرزدق بالملاء وبعاثكة ابنتها .

قال عيسى : فحدّثني محمد بن سلام قال : لا أعلم أنّ امرأة شبّ بها وبأُمّها وجدتها غير نائلة . فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأما عاتكة فإنّ يزيد بن المهلب تزوّجها ، فقتل عنها يوم العقر ، وفيها يقول الفرزدق :

إذا ما الزُونيات أصبحن حُسراً وبكّين أشلاء على غير نائل

فكم طالب بنت الملاء إنّها تذكر ريعان الشّباب الزايل

وفي الملاء أمّها يقول الفرزدق :

كم للملاء من طيف يورّقني إذا تجرّمت هادي الليل واعتكرا

[قصة يا لفارات ذات النحين]

أخبرني الحرّميّ بن العلاء قال : حدّثني الزبير بن بكار قال : حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال : خرجت عاتكة بنت الملاء إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدويّاً معه نجياً سمن فقالت له :

يا بدويّ أتبيعُ هذا السمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرناهُ . ففتح نَحِيًّا¹ فنظرتُ إلى ما فيه ، ثم ناولته إِيَّاه وقالت : افتح آخر . ففتح آخرَ فنظرتُ إلى ما فيه ثم ناولته إِيَّاه ، فلمّا شَغَلَتْ يديه أمرت جواريتها فجعلنَ يركُلنَ في استه وجعلت تنادي : يا لثارات ذات النُّحَيْن !

قال الزُّبَيْر : تعني ما صُنِعَ بذات النُّحَيْن في الجاهلية ؛ فإن رجلاً يقال له خَوَات بن جُبَيْر رأى امرأة معها نَحِيًّا سمن فقال : أريني هذا . ففتحت له أحد النُّحَيْن ، فنظر إليه ثم قال : أريني الآخر . ففتحتهُ ، ثم دفعه إليها ، فلمّا شَغَلَ يديها وقع عليها ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن ، فضربت العربُ المثل بها ، وقالت : «أشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النُّحَيْنِ²» . فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحدٌ من النساء برجلٍ كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها ، وأنها أدركت للنساء ثأرهنَّ من الرجال بما فعلته .

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصليّ عن الزُّبَيْر والمسيبيّ ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله : أن الملاءة بنت زرارَةَ لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعةٌ ينشدهم . فقالت لجارية : مَنْ هذا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ، المنتقل بغزله من ذات وِدادٍ إلى أخرى ، الذي لم يدُم على وصلٍ ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل ، أما والله لو كنتُ كبعض مَنْ يواصل لما رضيتُ منه بما يرضين ، وما رأيتُ أدنأ من نساء أهل الحجاز ولا أقرَّ منهنَّ بخسْفٍ ، والله لأمةٌ من إمائنا آنفُ منهنَّ ؛ فبلغ ذلك عمر عنها ، فراسلها فراسلته ، فقال³ :

حَيَّ المنازل قد عَمِرْنَ خراباً	بين الجرّين وبين رُكنٍ كُساباً ⁴
بالتُّنِّي من مَلِكَنَ غَيْرَ رَسَمِها	مَرُّ السحابِ المُعْقِبَاتِ سحاباً ⁵
وذبولٌ مُعَصِفَةُ الرياح تجرّها	دُقَقاً فأصبحت العِراضُ يباباً ⁶
ولقد أراها مَرَّةً مأهولةً	حَسَنًا جَنَابُ مَحَلِّها مِعشاباً
دارُ التي قالتْ غداةً لقيتُها	عِنْدَ الجِمارِ فما عييتُ جواباً

1 النحي : الزق .

2 المثل «أشغل من ذات النحيين» في مجمع الميداني 1 : 376 وجمهرة العسكري 1 : 564 ومستقصى الزمخشري 1 : 196 وفصل المقال : 503 .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 46-47 .

4 عمرن : يقين ، وفي الديوان : تركزن . الجرّين وكساب : موضعان . وفي الديوان : الجرير .

5 الثني : المنعطف من الوادي أو الجبل . وملكان : اسم وادٍ .

6 دقق التراب : دقاقه ، واحداها دقة . والعراض : جمع عرصة ، وهي البقعة الخالية بين الدور .

هذا الذي باعَ الصَّدِيقَ بغيره ويريد أن أرضى بذاك ثوابا
قلت اسمعي مني المَقَالَ وَمَنْ يُطِيعُ بصديقه المتملِّقَ الكَذَابا
وتكنْ لديه حباله أنشوطَةً في غير شيء يقطِّع الأسبابا
إن كنت حاولتِ العتابَ لتعلمي ما عندنا فقد أطلتِ عتابا
أو كان ذلك للبعاد فإنّه يكفيكِ ضربكِ دونكِ الجلبابا
وأرى بوجهك شَرَقَ نُورٍ بَيْنَ وبوجهٍ غيركِ طَخِيَّةٍ وضبابا¹

صوت

[من الخفيف]

أُسعِداني يَا نَحَلْتِي حُلُوانِ وارثيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
واعلمَا أَنَّ رَيْبَهُ لَمْ يَزَلْ يَفُ رُقُ بَيْنَ الْأُلُوفِ والجيرانِ
أُسعِداني وَأَيِّقْنَا أَنَّ نَحْسًا سوف يلقاكما فتفترقانِ
وَلَعَمْرِي لو ذُقْتما أَلَمَ الْفُرِّ قَةً أَبْكَاكما كما أَبْكَانِي
كَمْ رَمْتَنِي بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي من فراقِ الْأَحْبَابِ والخُلَانِ
الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لحكم الوادي ، هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي .

[250] - أخبار مطيع بن إياس ونسبه¹

[نسبه]

هو مطيع بن غياث الكناني . ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر . والدليل وليث أخوان لأب وأم ، أمهما أم خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهي التي يضرب بها المثل فيقال : «أسرع من نكاح أم خارجة»² . وقد ولدت عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارباً . فممن ولدت الدليل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأسيّد والهجيم ، بنو عمرو بن تميم ، وخارجة بن يشكر ، وبه كانت تكنى ، ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خطبٌ ، فتقول له : نكح . وزعموا أنّ بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيٍّ إلى حَيٍّ ، فلقيها راكبٌ فلمّا تبَيَّنَتْ قالت لابنها : هذا خاطبٌ لي لا شكّ فيه ، أفتراه يُعجلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبها .

ولا أعلم أنّي وجدتُ نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحدٍ إلّا في حديثٍ أنا ذاكره ؛ فإنّ راويّه ذكر أنّ أبا قرعة الكناني جدّ مطيع ، فلا أعلم أهو جدّه الأدنى فأصيل نسبّه به . أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبر على حاله .

[تلاحي ابن الزبير وجدّ مطيع]

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدّثني العمريّ وأبو فراس عمّي جميعاً ، عن شراحيل بن فراس ، أنّ أبا قرعة الكنانيّ ، واسمه

1 ترجمة مطيع بن إياس في طبقات ابن المعتز : 93-95 وتاريخ بغداد 13 : 226 وفوات الوفيات 4 : 145-150 وفي التذكرة الحمدونية كثير من أخباره وشعره وقد جمع غرونيّاهم شعره في «شعراء عباسيون»

1 : 30-76 .

2 المثل «أسرع من نكاح أم خارجة» في مجمع الميداني 1 : 348 وجمهرة العسكري 1 : 529 ومستقصى الزمخشري 1 : 166 وفصل المقال : 500 .

سلمى بن نوفل ، قال : وهو جد مطيع بن إياس الشاعر ، كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة¹ ، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس ، وكان منه وجلاً ، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس ، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال : امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد ، فاذع لي سلمى بن نوفل . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهما أيها الضب . فقال : إني لست بالضب ولكن الضب بالضم² من صخر . قال : إيهما أيها الذبيح³ . قال : إن أحداً لم يبلغ سني وسنك إلا سمي ذبيحاً . قال : إنك لها هنا يا عاض بظر أمه . قال : أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة ، وإيم الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحد⁴ إلا قد كانت أمه كذلك .

[والد مطيع بن إياس]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال : كان إياس بن مسلم ، أبو مطيع بن إياس شاعراً ، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه :

إذا ما نعالني من خراسان أقبلت وجاوزت منها مخرماً ثم مخرماً⁵
ذكرت الذي أوليتني ونشرته فإن شئت فاجعلني لشرك سُلماً

فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الذيل بن بكر بن عبد مناة . ذكر ذلك المدائني . قال المدائني : وكان سلمى بن نوفل جواداً . وفيه يقول الشاعر :

[من الطويل]

يسود أقسواماً وليسوا بسادة بل السيد الميمون سلمى بن نوفل

[رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره]

وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة ، مليح النادرة ، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة ، ويكنى أبا سلمى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوج بها ،

1 المقارضة : تبادل الدم أو المدح .

2 الضمر : رملة بعينها .

3 الذبيح : ذكر الضباع .

4 هكذا وردت هذه العبارة .

5 عني بالنعال ذوات النعال ، وهي الإبل ، أو لعلها «بغالي» . مخرم : الجبل أنفه .

فَوُلِدَ لَهُ مُطِيع .

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى ، عن حمادٍ عن أبيه ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومتصرفاً بعده في دولتهم ، ومع أوليائهم وعمّالهم وأقاربهم لا يَكْسُدُ عند أحدٍ منهم ، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن علي ، وآته ولآه عملاً . وأحسبه مات في تلك الأيام .

[ظريف لا محمد صحبته]

حدثني عمّي الحسن بن محمد ، قال : حدثني محمد بن سعد الكرائي عن العمري عن العُتْبِيِّ عن أبيه قال : قديم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أر قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلى حديثاً منه ، وكان يحدثني عن مُطِيع بن إلياس ، ويحيى بن زياد ، وحماد الراوية ، وظرفاء الكوفة ، بأشياء من أعاجيبهم وطُرفهم ، فلم يكن يحدث عن أحدٍ بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إلياس ، فقلت له : كنت والله أشتهي أن أرى مُطِيعاً ، فقال : والله لو رأيته للقيت منه بلاءً عظيماً . قال : قلت : وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه . قال : كنت ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه ، ولا يصحبه أحدٌ إلا افتضح به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال : سألت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إلياس عنه فقال : لا تُرد أن تسألني عنه . قلت : ولم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إياي عن رجلٍ كان إذا حضر ملكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، وإذا عرفت بصحبته فضحك .

[إعجاب الوليد بن يزيد به]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثني عبد الله بن عمرو قال : حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد جبير ، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : حدثني إبراهيم بن المهدي قال : قال لي جعفر بن يحيى : ذكر حكم الوادي ، أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السن ، فقال : [من الرجز]

إِكْلِيلُهَا أَلْوَانُ وَوَجْهُهَا فَتَانُ

وَخَالُهَا فَرِيدُ لَيْسَ لَهَا جِيرَانُ

إِذَا مَشَتْ تَثْنَتْ كَأَنَّهَا ثَعْبَانُ

قَدْ جُدَلَتْ فَجَاءَتْ كَأَنَّهَا عَنَانُ

فطرب حتى زحف عن مجلسه إليّ ، وقال : أعد فديتك بحياتي . فأعدته حتى صَحِلَ

صوتي¹ ، فقال لي : ويحك ، مَنْ يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانيّ . فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد ، فحُمِلَ إليه . فما أشعر يوماً إلّا برسوله قد جاءني ، فدخلتُ إليه ومطيع بن إياس واقفٌ بين يديه ، وفي يد الوليد طاسٌ من ذهب يشربُ به . فقال له : غنّ هذا الصوت يا واديّ . فغنّيته إياه ، فشربَ عليه ، ثم قال لمطيع : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : ادن مني . فدنا منه ، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه ، وقبّل مطيعَ رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالسِ إليه ، ثم تمّ يومه فاصطحب أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت .

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، والصنعة لحكم . وقد حدّثني بخبره هذا مع الوليد جماعةً على غير هذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضور مطيع . حدّثني به أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : بلغني عن حكم الواديّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى ، ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر قالوا : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أمّه عن حكم الواديّ قال : وفدتُ على الوليد بن يزيد مع المغنّين ، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ ، وعليه درّاعة وشي ، ويده عقد جوهرٍ ، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينار ، فقال : مَنْ غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي . فغنّوه فلم يطرب ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرهم سنّاً فغنّيته : [من الرجز]

إكليلها ألوانٌ ووجهها فتانٌ
وخالها فريدٌ ليس له جيرانٌ
إذا مشّت تشنّت كأنّها ثعبانٌ

فرمى إليّ بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته .
[صحبته لزنادقة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد عن ابن توبة قال : كان مطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثيّ ، وابن المقفّع واللبّة بن الحُبَاب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثّر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا ملكٍ ، وكانوا جميعاً يُرمون بالزندقة . حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه وعمومته ، أن مطيع بن إياس وعُمارة بن حمزة مولى بني هاشم ، وكانا مرميين بالزندقة ، نزعا إلى عبد الله بن

معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة بني أمية ، وأول ظهور الدعوة العباسية بخراسان ، وكان ظهر على نواح من الجبل : منها أصفهان وقم ونهاوند ، فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه .

قال النوفلي : فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال : دخل مطيع بن إياس على عبدالله بن معاوية يوماً وغلّام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل ، ولم يكن في ذلك الوقت مذاب ، إنما المذاب عباسية ، قال : وكان الغلام الذي يذب أمرّد حسن الصورة ، يروق عين الناظر ، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب ، وجعل يكلم ابن معاوية ويُدجّلج ، فقال ابن معاوية :

إني وما أعمل الحجيح له أخشى مطيع الهوى على فرج
أخشى عليه مغامساً مرساً ليس بذي رقية ولا حرج¹

[ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : حدثني أبي عن عمّه عيسى قال : كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه ، وكان شيخاً كبيراً دهرياً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عسّ لم يبق أحد إلا قتله ، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس ، قال :

إن قيساً وإن تقنّع شيئاً لخبيث الهوى على شمة²
أجز يا عمارة . فقال :

ابن سبعين منظرًا ومشيبا وابن عشر يعد في سقطة³
فأقبل على مطيع فقال : أجز . فقال :

وله شرطة إذا جنّه اللية لفعوذوا بالله من شرطه

[فعل قبيح وعذراً قبيح]

قال النوفلي : وكان مطيع فيما بلغني مأبوناً ، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله ، وقالوا له : أنت في أدبك وشرfk وسؤؤدك وشعرك ترمى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو أقصرت عنها ! فقال : جرّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قبح الله فعلك وعذرك ، وما استقبلتنا به .

1 المغامس الشديد الشجاع . وكذلك المرس . الرقية : التحفظ والخشية .

2 الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .

3 السقط : الفضيحة .

[يفسد على حماد صاحبه]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال : حدثني مطيع بن إياس قال : قال لي حماد عجرى : هل لك في أن أريك خُشَّةً صديقي¹ ، وهي المعروفة بظبية الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنك إن قعدت عنها وخبئت عينك في النظر أفسدتها علي . فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمة تسوءك ، ولأسرّتك . فمضى وقال : والله لا أتكلّم ، لكن خالفت ما قلت لأخرجك . قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره فاصنع بي ما أحببت . قال : امض بنا . فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجهاً ، فلما رأيتها أخذني الرمع² وفطين لي : فقال : اسكن يا ابن الزانية . فسكنت قليلاً ، فلحظتني ولحظتها أخرى ، فغضب ووضع قلنسيتته عن رأسه ، وكانت صلّته حمراء كأنها است قردي ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً فقلت :

وَارِ السَّوَاةَ السَّوَاةَ يَا حَمَادَ عَنْ خُشَّةٍ
عَنِ الْأَتْرَجَةِ الْغَضَّةِ وَالتَّفَاحَةِ الْهَشَّةِ

فالتفت إليّ ، وقال : فعلتها يا ابن الزانية ؟ فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتك بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فقالت له : الزانية أمك ! وثاورته وثاورها ، فشقت قميصه ، وبصقت في وجهه ، وقالت له : ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية ! وخرجنا وقد لقي كلّ بلاء ، وقال لي : ألم أقل لك يا ابن الزانية : إنك ستفسد عليّ مجلسي . فأمسكت عن جوابه ، وجعل يهجوني ويسبني ، ويشكوني إلى أصحابنا . فقالوا لي : اهجه ودعنا وإياه . فقلت فيه :

أَلَا يَا ظَبِيَّةَ الْوَادِي وَذَاتَ الْجَسَدِ الرَّادِ³
وَزَيْنَ الْمِصْرِ وَالسَّادِ وَزَيْنَ الْحَيِّ وَالنَّادِي
وَذَاتَ الْمَيْسَمِ الْعَذْبِ وَذَاتَ الْمَيْسَمِ الْبَادِي
أَمَّا بِاللّهِ تَسْتَحْيِي نَ مَنْ خُلَّةَ حَمَادِ⁴
فَحَمَادٌ فَتَى لَيْسَ بِذِي عِزٍّ فَتَقَادِي
وَلَا مَالٍ وَلَا عِزٍّ وَلَا حَظٍّ لِمَرَادِي

1 يقال هذه صديقي وصديقتي . وخشة : اسم المرأة .

2 الزمع : شبه الرعدة .

3 الراد : الرخص اللين .

4 الخلّة : الصداقة .

فُتُوبِي وَاتَّقِي اللَّهَ وَبُتِّي حَبْلَ عَجْرَادٍ
فَقَدْ مُيزَتْ بِالْحَسَنِ عَنْ الْخَلْقِ بِأَفْرَادٍ
وَهَذَا الْبَيْنُ قَدْ حُمَّ فَجُودِي مِنْكَ بِالزَّادِ

في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الواديّ رَمْلٌ . قال : فأخذ أصحابنا رِقَاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوها في الطريق . وخرجتُ أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم . فلَمَّا رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزَّنا ، فعلها ابن الزانية ، وساعدتموه عليّ !

قال : وأخذها حكم الواديّ فغنى فيها ، فلم يبق بالكوفة سَقَاءٌ ولا طَحَّانٌ ولا مُكَارٍ إلّا غنى فيها ، ثم غَنِيَتْ مدّةً وقَدِمتُ ، فأتاني فما سلّم عليّ حتى قال لي : يا ابن الزانية ، ويلك أما رحِمْتَنِي من قولك لها :

أما بالله تستحيي نَ من خَلَّةِ حَمَادٍ

بالله قتلتني قتلك الله ! والله ما كلّمْتَنِي حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدِمْ هجرها له وسوء آرائها فيه ، وآسِفُه¹ عليها ، وأغرِه بها ؛ فشتمني ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قُم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي ، وكانت لمطيع صديقة مغنية يسميها «أختي» وتسميه أختي ، قال مطيع ، فمضينا فلَمَّا خرجتُ إلينا دعوت قِيَمَةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً ، وعَرَفْتُهَا أنّ الذي معي حماد . فضحكت ثم أخذت صاحبتني في الغناء . وقد علمتُ بموضعه وعرفته ، فكان أوّل صوت غنّت :

أما بالله تستحيي نَ من خَلَّةِ حَمَادٍ

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليّ فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانية أسررت هذا إلى قيمتها ؟ فقلت لا والله ، فقالت : كذبت والله يا ابن الزانية وشاتمته صاحبتني ساعةً ، ثم قامت فدخلت . وجعل يتغيّظ عليّ فقلت : أنت ترى أنّي أمرتها أن تغنيّ بما غنّت ؟ قال : أرى ذلك وأظنّه ظناً ، لا والله ، ولكنّي أتيقنه ! فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنّه ، فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس . فقال : قد والله فعلَ . وانصرفنا .

[يفسد صديقة يحيى الحارثي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال : قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إلياس : انطلق بنا إلى فلانة صديقتي ، فإنّ بيني وبينها مغاضبة ، لتُصلح بيننا ، وبش المصلح

أنت . فدخلنا إليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيعٌ ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحبى لمطيع : ما
يُسكنتك ، أَسَكَتَ اللهَ نَأْمَتَكَ¹ ؟ فقال لها مطيع :

أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ عَلَيْهِ وَمَا زَا لَ مُهَيَّنًا لِنَفْسِهِ فِي رِضَاكِ
فَأَعْجَبَ يَحْبَى مَا سَمِعَ ، وَهَشَّ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَطِيعُ :

فَدَعِيهِ وَوَاصِلِي ابْنَ إِيَاسٍ جُعِلَتْ نَفْسُهُ الْغَدَاةَ فِدَاكِ

فقام يحبى إليه بوسادة في البيت ، فما زال يجلد بها رأسه ويقول : ألهذا جئت بك يا ابن
الزانية ؟ ومطيع يُغَوِّثُ² حتى ملَّ يحبى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه وقد سَدِرَ³ .

حدَّثني الحسن بن علي الخفاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْهِ قال : حدَّثني
محمد بن عمر الجرجاني قال : مرَّضَ حَمَادٌ عَجْرِدَ ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس ،
وكان خاصةً به ، فكتب إليه حَمَادُ :

كَفَاكَ عِيَادَتِي مَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ فِي صِلَةِ الْمَرِيضِ
فَإِنْ تُحَدِّثْ لَكَ الْأَيَّامُ سَقَمًا يَحُولُ جَرِيضُهُ دُونَ الْقَرِيضِ⁴
يَكُنْ طَوْلُ التَّأْوُوهِ مِنْكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الطَّنِينِ مِنَ الْبَعُوضِ

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَ مَطِيعُ بْنُ إِيَاسٍ مِنْ سَفَرٍ فَقَدِمَ
بِالرَّغَائِبِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَحَمَادٌ وَعَجْرِدٌ بِصَدِيقَتِهِ ظَبِيَّةِ الْوَادِي ، وَكَانَ عَجْرِدٌ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ مَطِيعٌ قَدْ أُعْطِيَ صَاحِبَتَهُ مِنْ طَرَائِفِ مَا أَفَادَ ، فَلَمَّا
جَلَسُوا يَشْرَبُونَ غَنَّتْ ظَبِيَّةُ الْوَادِي فَقَالَتْ :

أَظُنُّ خَلِيلِي غُدُوَّةَ سَيْسِيرٍ وَرَبِّي عَلَى أَنْ لَا يَسِيرَ قَدِيرُ
فَمَا فَرَّغَتْ مِنَ الصَّوْتِ حَتَّى غَنَّتْ صَاحِبَةُ مَطِيعٍ :

مَا أَبَالِي إِذَا النُّوَى قَرَّبَتْهُمْ وَدُنُونَا مِنْ حَلٍّ مِنْهُمْ وَسَارُوا
فَجَعَلَ مَطِيعٌ يَضْحَكُ وَحَمَادٌ يَشْتَمُهَا .

1 النامة : الصوت .

2 يغوث : يقول «واغوثة» .

3 سدر : تحير .

4 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى
الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 444 .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أُظُنُّ خليلي غدوةً سيسير ورئسي على أن لا يسيرَ قديرُ
عجبتُ لمن أمسى محبًّا ولم يكن له كفَنٌ في بيته وسريرُ
غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصلي ، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البصر ،
وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى .

[لا يفيق من هوى مكنونة]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوءَةَ قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر
الجرجاني قال : كان لمطيع بن إلياس صديقٌ يقال له : عُمَرُ بن سعيد ، فعاتبه في أمرٍ قينةٍ يقال
لها «مكنونة» كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها ، وقال له : إنَّ قومك يشكونك ويقولون :
إنَّك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة ، وقد لحقهم العيبُ والعارُ بك من أجلها ؛ فأنشأ
مطيع يقول :

[من المنسرح]

قد لآمني في حبيتي عُمَرُ واللَّسومُ في غيرِ كُنْهِه ضَجَرُ
قال أفيقُ ، قلتُ لا ، فقال لي قد شاعَ في الناس عنكما الخبرُ
قلتُ قد شاعَ فاعتذارِي مِمَّا ليس لي فيه عندهم عَذْرُ
عَجَزُ لعمري وليس ينفعني فكُفَّ عني العتابُ يا عُمَرُ
وارجعْ إليهم وقلْ لهمْ قد أبى وقال لي لا أفيقُ فانتحروا
أعشق وحدي فيؤخذون به كالترك تغزُّو فيقتل الخَزْرُ

[أمن الحصنات]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوءَةَ قال : حدَّثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر الهاشمي
قال : حدَّثني أبي أنَّ مطيع بن إلياس مرَّ يحيى بن زياد ، وحامد الراوية وهما يتحدَّثان ، فقال
لهما : فيم أنتما ؟ قالَا : في قَذَفِ الحصنات . قال : أو في الأرض محصنة فتقذفانها ؟!
[يضع حديثاً لتولية المهدي]

حدَّثني عيسى بن الحسن الوراق قال : حدَّثني عُمَرُ بن محمد بن عبد الملك الزيات . وحدَّثني
الحسن بن علي عن ابن مَهْرُوءَةَ عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدَّثني محمد بن
هارون قال : أخبرني الفضل بن إلياس الهذلي الكوفي أنَّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي ، وكان
ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك . فأمرَ بإحضار الناس فحضرُوا ، وقامت الخطباءُ فنكَلُوا ،
وقالت الشعراءُ فأكثرُوا في وصف المهديِّ وفضائله ، وفيهم مطيع بن إلياس . فلما فرَغَ من كلامه

في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين . حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال : «المهديُّ منّا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا . يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً» ، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس ، فقال له : أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم ، مخافةً من المنصور . فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي .

قال : ولما انقضى المجلس ، وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : رأيتم هذا الزنديق إذ كذبَ على الله عز وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كذبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهد كلُّ من حضر عليّ بأنّي كاذب ؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه . فجفاه وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفرٌ ماجناً ، فلماً بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشقّت عليه البيعة لمحمد ، فأخرج أمره ثم قال : إن كان أخي محمدٌ هو المهديّ فهذا القائم من آل محمد . [أبو جعفر يتهمه بإفساد ابنه]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان مطيعٌ بن إياس يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور ويناديه ، فكره أبو جعفر ذلك ، لما شهر به مطيعٌ في الناس وخشي أن يفسده ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت على أن تفسد ابني عليّ وتعلمه زندقتك ؟ فقال : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنّ بي هذا ، والله ما يسمع مني إلّا ما إذا وعاه جمّله وزينه ونبله ! فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلّا ما يضرّه ويغرّه . فلماً رأى مطيعٌ لجاجه في أمره قال له : أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدقك ؟ قال : أنت آمن . قال : وأيُّ مُستصلح فيه ؟ وأيُّ نهاية لم يبلغها في الفساد والضلال ؟ قال : ويلك ، بأيّ شيء ؟ قال : يزعم أنّه يتعشّق امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خطبتها ، وجمع أصحاب العزائم عليها ، وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنّونه ، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جدٍّ ولا هزل ولا كفر ولا إيمان . فقال له المنصور : ويلك ، أتدري ما تقول ؟ قال : الحقّ والله أقول ، فسل عن ذلك . فقال له : عُذ إلى صحبته واجتهد أن تُزيله عن هذا الأمر ، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه .

أخبرني عمّي قال : حدثني الكراخي عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً ، فقال لمطيع : قد أفسدت ابني يا مطيع . فقال له مطيع : إنّما نحن رعيّتك فإذا أمرتنا بشيء فعلنا . [جعفر يتعشّق امرأةً من الجن]

قال : وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه : ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن ؟ فقال له أبو جعفر : لعن الله من أشبهك ، ولعنك ؛ فقال : والله لأنّا أشبه بك منك بأبيك ، قال : وكان خليعاً ، فقال : أريد أن أتزوّج امرأةً من الجنّ ! فأصابه لمم ، فكان يُصرع بين يديّ أبيه والربيع واقف ، فيقول له : يا ربيع ، هذه قدرة الله .

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه : فأصاب جعفرًا من كثرة ولعه بالمرأة التي ذكر أنه يتعشقه من الجن صرَّع ، فكان يصرع في اليوم مرّاتٍ حتى مات ، فحزن عليه المنصور حزنًا شديدًا ، ومشى في جنازته ، فلما دُفِنَ وسوّي عليه قبره قال للربيع : أنشدني قول مطيع بن إلياس في مرثية يحيى بن زياد . فأنشده :

يا أهلي ابكوا لقلبي القرح وللدموع الذوارف السُّفْح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ أقدارُ لم يَتَكَرَّرْ ولم يَرْح
يا خيرَ من يَحْسُنُ البكاءَ له الـ يومَ وَمَن كان أَمْسَ لِلْمَدَحِ

قال : فبكى المنصور ، وقال : صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .
أخبرني به عمي أيضًا عن الخزاز عن المدائني ، فذكر مثله .

[شعره في جارية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال ، حدّثني المغيرة بن هشام الرِّعَبيّ قال : سمعت ابن عائشة يقول : مرَّ مطيع بن إلياس بالرُّصافة ، فنظرَ إلى جاريةٍ قد خرجت من قصر الرُّصافة كأنها الشمس حسناً ، وحواليها وصائفٌ يرفعن أذيالها ، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه ، ثم التفت إلى رجلٍ كان معه وهو يقول :

لَمَّا خَرَجْنَ مِنَ الرُّصَا فة كالتمائيل الحسانِ
يَحْفَقْنَ أَحْوَرَ كَالغَزَا لِيَمِيسُ فِي جُدُلِ الْعِنَانِ¹
قَطَعْنَ قَلْبِي حَسْرَةً وَتَقَسَّمَا بَيْنَ الْأَمَانِ
وَيَلِي عَلَى تِلْكَ الشَّامَا لِي وَاللَّطِيفُ مِنَ الْمَعَانِ
يَا طُولَ حَرِّ صَبَابَتِي بَيْنَ الْغَوَانِي وَالْقِيَانِ

[جزع ابنته من رحيله]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُويَّة قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعيد ، عن ابن توبة صالح بن محمد ، قال : حدّثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال : قال محمد بن الفضل بن السكوني : رَحَلَ مطيع بن إلياس إلى هشام بن عمرو وهو بالسُّند مستميحاً له ، فلما رآته بنته قد صَحَّحَ العزم على الرِّحِيل بَكَت ، فقال لها :

اسْكُنِي قَدْ حَزَزْتَ بِالْذَّمِّ قَلْبِي طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكُنَّ الْقُلُوبَا
وَدَّعِي أَنْ تَقْطَعِي الْآنَ قَلْبِي وَتُرِينِي فِي رِحْلَتِي تَعْذِيَا

فعسى الله أن يدافع عني ريب ما تحذرين حتى أوبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالي يعزير عليه فادعي المجيبا
أنا في قبضة الإله إذا ما كنت بعيداً أو كنت منك قريباً

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيع بغير رواية ، فكان أولها : [من الخفيف]
ولقد قلت لا بتي وهي تكوي بانسيكاب الدموع قلباً كئيباً
وبعده بقية الأبيات .

[أوما لقينة بقبلة فصدته]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهران قال : حدثني علي بن
محمد النوفلي ، عن صالح الأصم قال : كان مطيع بن إياس مع إخوان له على نبيذ ، وعندهم قينة
تغنيهم ، فأوما إليها مطيع بقبلة ، فقالت له : تراب ؛ فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

صوت

إن قلبي قد تصابي بعد ما كان أنابا
ورماه الحب منه بسهام فأصابا
قد ذهاه شادين يلد بس في الجيد سخابا¹
فهو بدر في نقاب فإذا ألقى النقابا
قلت شمس يوم دجن حسرت عنها السحابا
ليتني منه على كش حين قد لانا وطابا
أحضر الناس بما أك ربه منه جوابا
فإذا قلت أنلني قبله قال ترابا

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزج بالنصر ، من رواية الهشامي .

[سرعة بديهته]

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال : ذكر موسى بن صالح بن سنع بن عميرة أن مطيع بن إياس
كان أحضر الناس جوابا ونادرة ، وأنه ذات يوم كان جالسا يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها
ومفاخرها ، ف قيل له : فأين بنو كنانة ؟ قال : [من الخفيف]

بفلسطين يسرعون الركوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات : [من الخفيف]

1 الشادن : الطي الذي قوي واستغنى عن أمه . السخاب : القلادة من الزهر .

حَلَقَ من بني كنانة حولي بفلسطين يُسرعون الرُّكوبا

[فضح أبا دهمان]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني عن العُمري عن العتبي قال : كان أبو دهمان صديقاً لمطيع ، وكان يظهر للناس تألُّها¹ ومروءةً وسمتاً حسناً ، وكان ربما دعا مُطيعاً ليلة من الليالي أن يصير إليه ، ثم قطعاه عنه شغل ، فاشتغل به وجاء مطيع فلم يجده ، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه ، فأنشداهم فيه :

ويلي مَن جفاني	وحبه قد براني
وطيفه يلقاني	وشخصه غير داني
أغرَّ كالبدري يُعشي	بحسنه العينان
جاري لا تعذلاني	في حبه ودعاني
فرب يومٍ قصير	في جوسق وجنان
بالراح فيه يُحيّا	والقصف والريحان
وعندنا قيتان	وجهاهما حسنان
عوداهما غردان	كأنما ينطقان
وعندنا صاحبان	للدهر لا يخضعان
ورب يوم طعان	شهدته أرونان ²
فكنت أول حام	وأول السرعان ³
في فتية غير ميل	عند اختلاف الطعان
من كل خرق نجيب	في السر والإعلان
حمال كل عظيم	تضييق عنه اليدان
وإن ألح زمان	لم يستكين للزمان
فزال ذاك جميعاً	وكل شيء فان
من عاذري من خليل	موافقي ملدان ⁴
مُدهن متوان	يكنى أبا دهمان

1 التأله : التنسك والتعبّد .

2 أرونان : متلهب كالنار .

3 السرعان : المتسابقون .

4 ملدان : لين ناعم .

مَتَى يَعِدُّكَ لِقَاءُ فَالنَّجْمُ وَالْفِرْقَدَانِ
وَلَيْسَ يُعْتَمُ إِلَّا سَكَرَانَ مَعَ سَكَرَانِ
يَسْقِيهِ كُلُّ غُلَامٍ كَأَنَّهُ غُصْنُ بَانٍ
مِنْ خَنْدَرِيسٍ عَقَارٍ كَحُمْرَةِ الْأَرْجَوَانِ¹

قال : فلقية بعد ذلك أبو دهمان ، فقال : عليك لعنة الله فضحتني وهتفت بي ، وأذعت سرِّي ، لا أكلمك أبداً . ولا أعاشرك ما بقيت ، فما تفرق بين صديقك وعدوك .

[إنكاره للزندقة]

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة ، قال : حدثني عليّ بن عمرو عن عمّه عليّ بن القاسم قال : كنت ألف مطيع بن إياس ، وكان جاري ، وعنّفني في عشرته جماعة ، وقالوا لي : إنّه زنديق . فأخبرته بذلك . فقال : وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدلّ على ذلك ، أو هل وجدته أُخِلُّ بالفرائض في صلاة أو صوم ؟ فقلت له : والله ما اتهمتُك ولكنّي خبرتُك بما قالوا . واستحييتُ منه . فعجل عليّ السكر ذات يوم في منزله . فمنت عنده ، ومطّرنا في جوف الليل وهو معي ، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً ، فعلمتُ أنّه يريد أن يصطحب ، فكسّلت أن أجيبه ، فلمّا تيقّن أنّي نائم جعل يردّد على نفسه بيتاً قاله ، وهو قوله : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ جَمًّا بِلَابِلِ الصَّدْرِ عَصراً أَكَاتَمُهُ إِلَى عَصْرِ²

فقلت في نفسي : هذا يعمل شعراً في فنّ من الفنون . فأضاف إليه بيتاً ثانياً ، وهو قوله :

إِنْ بُحْتُ طُلَّ دَمِي وَإِنْ تُرَكْتُ وَقَدْتُ عَلَيَّ تَوْقَدَ الْجَمْرِ³

فقلت في نفسي : ظفرت بمطيع . فتنحنحت ، فقال لي : أما ترى هذا المطر وطيبه ، اقعذ بنا حتى نشرب أقداحاً . فاغتنمتُ ذلك ، فلمّا شربنا أقداحاً قلت له : زعمتُ أنّك لست بزنديق . قال : وما الذي صحّح عندك أنّي زنديق ؟ قلت : قولك : «إِنْ بُحْتُ طُلَّ دَمِي» ، وأنشدته البيتين ، فقال لي : كيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعتُ منك ثالثاً . فقال : بلى قد قلتُ ثالثاً . قلت : فما هو ؟ قال :

مِمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ

وحدثني الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه قال : حدثني إبراهيم بن

1 الخندريس : الخمرة الممتعة . والعقار : التي تذهب الوعي .

2 جم بلبال الصدر : كثير الوسوس والمهموم .

3 طل دمه : أبيض .

المَدْبَر قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْجَرَجَانِيّ قَالَ : جَاءَ مَطِيعُ بْنُ إِلْيَاسَ إِلَى إِخْوَانِهِ لَهُ وَكَانُوا عَلَى شَرَابٍ ، فَدَخَلَ الْغَلَامُ يَسْتَأْذِنُ لَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبَ الْبَيْتِ بِذِكْرِهِ خَرَجَ مُبَادِرًا ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ :

أَمْسَيْتُ جَمًّا بِلَايِلِ الصَّدْرِ دَهْرًا أَزْجِيهِ إِلَى دَهْرِ
إِنْ فَهَتْ طُلًّا دَمِي وَإِنْ كَيْمَتْ وَقَدَتِ عَلَيَّ تَوْقَدَ الْجَمْرِ
فَلَمَّا أَحَسَّ مَطِيعٌ أَنَّ صَاحِبَ الْبَيْتِ قَدْ فَتَحَ لَهُ اسْتَدْرَكَ الْبَيْتَيْنِ بِثَلَاثٍ فَقَالَ :

مَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عَمْرٌ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ
وَكَانَ صَاحِبَ الْبَيْتِ يَتَشَبَّعُ ، فَأَكْبَّ عَلَى رَأْسِهِ يُقْبَلُهُ وَيَقُولُ : جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ خَيْرًا !
[رَمِيتْ ابْنَتَهُ بِالزَّنْدَةِ]

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَاتِبُ : أَنَّ الرَّشِيدَ أَتَتْهُ بِنْتُ مَطِيعِ بْنِ إِلْيَاسَ فِي الزَّنَادِقَةِ ، فَقَرَأَتْ كِتَابَهُمْ وَاعْتَرَفَتْ بِهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا دِينَ عِلْمِيهِ أَبِي ، وَتُبْتُ مِنْهُ . فَقَبِلَ تَوْبَتَهَا وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا .

قَالَ أَحْمَدُ : وَلَهَا نَسْلٌ بِجَبَلٍ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : «الْفَرَاشِيَّةُ» قَدْ رَأَيْتُهُمْ ، وَلَا عَقِبَ لِمَطِيعٍ إِلَّا مِنْهُمْ .

[دَعَا لِيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ قَالَ : كَانَ مَطِيعُ بْنُ إِلْيَاسَ نَازِلًا بِكَرْخِ بَغْدَادَ ، وَكَانَ بِهَا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : الْفَهْمِيُّ ، مَغْنٌ مُحْسَنٌ ، فَدَعَاهُ مَطِيعٌ وَدَعَا بِجَمَاعَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ وَكَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ زِيَادٍ يَدْعُوهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ . قَالَ :

عِنْدَنَا الْفَهْمِيُّ مَسْرُورٌ رٌّ وَزَمَّارٌ مُجِيدٌ
وَمُعَاذٌ وَعِيَاذٌ وَعُمَيْرٌ وَسَعِيدٌ
وَنَدَامَى يُعْمِلُونَ الْـ قَلَزَ وَالْقَلَزُ شَدِيدٌ
بَعْضُهُمْ رِيحَانٌ بَعْضُ فَهَمٌ مِسْكٌ وَعُودٌ

قَالَ : فَأَتَاهُ يَحْيَى ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ وَشَرِبَ مَعَهُمْ ، وَبَلَغَتْ الْأَبْيَاتُ الْمَهْدِيَّ ، فَضَحِكَ مِنْهَا ، وَقَالَ : تَنَائِكَ الْقَوْمُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

قَالَ الْكَرَّانِيُّ : الْقَلَزُ : الْمِبَادِلَةُ¹ .

وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ بِخَطِّ ابْنِ مَهْرُوتَيْهِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْجَرَجَانِيّ .

1 القلز في المعجم : ضرب من الشرب أو الوثب .

فذكر أنَّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته ، واصطبح يوم الأضحى . وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات :

قد شربنا ليلة الأضـ	حى وساقينا يزيد
عندنا الفهمي مسرو	رَ وزَمَّار مُجِيدُ
وسليمان فتانا	فهو يُبدي ويُعيدُ
ومُعَاذٌ وَعِيَاذُ	وعُمَيْرٌ وَسَعِيدُ
وندامى كُلُّهُمْ يَقْدُ	لِيزَ وَالْقَلْزُ شَدِيدُ
بعضهم ربحان بعض	فهمُ مسك وعودُ
غابت الأنحسُ عنهم	وتلقَّتْهم سُعودُ
فترى القوم جُلوساً	والخنا عنهم بعيدُ
ومطيعٌ بنُ إياس	فهو بالقَصْفِ وليدُ
وعلى كرِّ الجديدِ	من وما حلَّ جليدُ

[دعوة أخرى إلى الشرب واللهو]

ووجدت في كتاب يعقوب هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيع : «أنا اليوم نشيطٌ للشُّربِ ، فإن كنتَ فارغاً فَصِرْ إليّ ، وإن كان عندك نبيذٌ طيبٌ ، وغناءٌ جيّدٌ جئتُك» . فجاءته رقعة وعنده حمادُ الراوية وحكم الوادي ، وقد دَعَا غلاماً أمرد ، فكتب إليه مطيع :

نَعَمْ لَنَا نَبِيذٌ	وعندنا حَمَادُ
وخيرُنا كثيرٌ	والخير مُسْتَزَادُ
وكُلُّنا من طَرَبٍ	يطيرُ أو يكادُ
وعندنا وادِيْنَا	وهو لنا عَمَادُ
ولهوُنَا لذيذٌ	لم يَلْهُهُ العِبَادُ
إنْ تشته فساداً	فعندنا فسادُ
أو تشته غلاماً	فعندنا زيادُ
ما إنْ به التواءُ	عنا ولا بَعَادُ

قال : فلمَّا قرأ الرقعة صار إليهم ، فأتمَّ يومه معهم .

[مدح الغمر بن يزيد]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُرَيْزِيِّ عن أبيه قال : مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول

فيها :

[من مجزوء الكامل]

لا تَلَحْ قلبك في شَقَائِهِ ودَعِ المتَّيِّمَ في بِلَائِهِ¹
 داوِ الفؤاد من السقام فقد بدا لك عظم دائِهِ
 كفكف دموعك أن تفيضَ بناظر غرقٍ بمائِهِ
 ودَعِ النسبَ وذكره فبحسب مثلك من عنائِهِ
 كم لَذَّةٍ قد نلتها ونعيم عيشٍ في بهائِهِ
 بنواعيم شبه الدُمى والليلُ في ثَنِيَّ عَمَائِهِ²
 واذكر فتى يمينه حتفُ الزمان لدى التوائِهِ
 وإذا أَيْبَةُ حُصِّلَتْ كان المهذبُ في انتمائِهِ
 وإذا الأمورُ تفاقمتْ عِظْماً فمصدراً برائِهِ³
 وإذا أردتَ مدحِـه لم يُكْـدِ قولك في ثنائِهِ⁴
 في وجهه عَـلَمُ الهدى والمجدُ في عِطْفِي ردايِهِ
 وكأَنما البدر المنـد سير مُشَبَّه به في ضيائِهِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية ، وحرّكه ورفعته من ذكره ، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه .

[علاقته يحيى بن زياد]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه ، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هِجْرَةٍ⁵ كانت بينهما وتباعد :

[من الخفيف]

يا سميَّ النبيِّ الذي خَـ صَّ به الله عبده زكريا
 فدعاه إلهُ يحيى ولم يَجْـ هَلْ له الله قبلَ ذاك سَمِيًّا
 كنْ بصبٍّ أمسى بحبك برًّا إنَّ يحيى قد كان برًّا تقياً

[من المديد]

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته :
 قد مضى يحيى وغودرتُ فردا نُصِبَ ما سرَّ عيون الأعادي

1 لا تلح : لا تلم .

2 ثني عَمَائِهِ : كناية عن شدة الظلام .

3 رائه : رأيه .

4 لم يكـد : لم يخب .

5 هجرة : جفوة .

وأرى عينيّ مذ غابَ يحيى بُدلت من نَوْمِها بالسُّهادِ
وسدّته الكفُّ مني تراباً ولقد أرثي له من وِسَادِ
بين جيرانٍ أقاموا صُموثاً لا يُحيرونَ جوابَ المنادي
أيُّها المزن الذي جاد حتّى أعشبتَ منه متونُ البوادي
اسقِ قبراً فيه يحيى فإنّي لك بالشكرِ مُوافٍ مُغادِ

[أسفه على جوهر حين بيعت]

نسختُ من نسخةٍ بخطّ هارون بن محمد بن عبد الملك قال : لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشبّب بها قال فيها ، وفيه غناء من خفيف الرمل أظنّه لحكم : [من السريع]

صاح غرابُ البينَ بالبين فكدتُ أنقذُ بنصفين
قد صار لي خِذنانِ مِن بعدهم همُّ وغمُّ شرُّ خِذنين
أفدي التي لم ألقَ من بعدها أنساً وكانت قُرّةَ العين
أصبحتُ أشكو فرقةَ البين لما رأتُ فُرقتهم عيني

[حج لم يتم]

أخبرني هاشم بن محمد الخزامي قال : حدّثنا العباس بن ميمون بن طائع قال : حدّثني ابن خرداذبه قال : خرج مطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد حاجّين ، فقدّما أثقالهما وقال أحدهما للآخر : هل لك في أن نمضي إلى زُرارة فنقصفَ ليلتنا عنده ، ثم نلحقَ أثقالنا ؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكّة . قال : فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين . وقال مطيع في ذلك : [من الوافر]

ألم ترني ويحيى قد حجّجنا وكان الحجُّ من خيرِ التجارة
خرجنا طالبيّ خيرٍ وبرٍّ فمال بنا الطريقُ إلى زُرارة
فعادَ الناس قد غنموا وحجّجوا وأبنا موقرين من الخسارة
وقد رُوي هذا الخبر لبشارٍ وغيره¹ .

[شعره في ريم الجارية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال : خرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، فخرج يحيى بن زياد إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته ، فمضى إلى البصرة ، وخرج

حمّاد عجرد إليها معه ، وعاد حمّاد الراوية إلى الكوفة ، وأقام مطيع بن إياس ببغداد وكان يهوى جارية يقال لها : «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها :

[من الكامل]

لولا مكانك في مدينتهم لظعنْتُ في صَحبي الألى ظَعَنُوا
أوطنتُ بَغداداً بِحبِّكم وبغيرها لولاكم الوطن¹

قال : وقال مطيع في صبح اصطبحه معها :

[من الطويل]

ويومٍ ببغداد نَعَمنا صباحه على وجه حوراء المدامع تُطربُ
ببيت ترى فيه الرُجاجَ كأنّه نجومُ الدُّجى بين النّدامى تَغلبُ
يُصرّف ساقينا ويقطب تارةً فيا طيِّبها مقطوبةً حين يَقطِبُ²
علينا سحيقُ الزعفران وفوقنا أكاليلُ فيها الياسمين المذْهَبُ
فما زلتُ أسقى بين صنَجٍ ومِزهرٍ من الرّاح حتّى كادت الشمس تغربُ

وفيهما يقول :

[من مجزوء الرجز]

أُسى مطيع كلفا صبّاً حزيناً دَنفا
حُرٌّ لَمَن يَعشَقُه بِرِقِّه معترفنا
يا ريمُ فاشفي كِبداً حرّى وقلبا شَغِفا
ونولّني قبلّةً واحدةً ثمّ كفى

قال وفيها يقول :

[من السريع]

يا ريمُ قد أتلّفت رُوحِي فما منها معي إلّا القليلُ الحَقيرُ
فأذِنِي إن كنتِ لم تُذِنِي في ذُنوباً إنّ ربي غفورُ
ماذا على أهليكَ لو جُدت لي وزُرْتَنِي يا ريمُ فيمن يزورُ
هل لك في أجِرِ تُجازِي به في عاشقٍ يرضيه منلو اليسيرُ
يَقْبَل ما جدت به طائِعاً وهو وإن قلّ لديه الكثيرُ
لعمرِي مَنْ أنتِ له صاحبُ ما غاب عنه في الحياة السُّرورُ

قال وفيها يقول :

[من مجزوء الرجز]

يا ريمُ يا قاتلتي إن لم تجودي فَعِدي

1 أوطن المكان : اتخذته وطناً .

2 يقطب : يمزج .

يَبْضُتْ بِالْمَطْلِ وَإِخْلَا فَلَكَ وَعَدِي كَيْدِي
حَالَفَ عَيْنِي سُهْدِي وَمَا بَهَا مِنْ رَمْدٍ
يَا لَيْتَنِي فِي الْأَحَدِ أَبْلَيْتُ مِنِّْي جَسَدِي
لَمْ يَكُنْ بِهِ مِنْ شِقْوَتِي أَخَذْتُ حَتْفِي بِيَدِي

[من غزله بجوهر]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن الحسن بن الخرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس ، يقوله في جوهر جارية بربر : [من السريع]

يَا أَبَايَ وَجْهَكَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَا أَبْصِرُ
يَا أَبَايَ وَجْهَكَ مِنْ رَائِعٍ يَشْبَهُهُ الْبَدْرُ إِذَا يَزْهَرُ
جَارِيَةً أَحْسَنُ مِنْ حَلْيَها وَالْخَلْيُ فِيهِ الدَّرُّ وَالْجَوْهَرُ
وَجَرْمُهَا أَطْيَبُ مِنْ طَيِّبِها وَالطَّيِّبُ فِيهِ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ¹
جَاءَتْ بِهَا بِرَبْرٌ مَكْنُونَةٌ يَا حَبْدًا مَا جَلَبَتْ بِرَبْرُ
كَأَنَّمَا رِبَقَتْهَا قَهْوَةٌ صُبَّ عَلَيْهَا بَارِدٌ أَسْرُ²

[عبث بأبي العمير]

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن الزبير قال : كان مطيع بن إياس كثير العبث ، فوقف على أبي العمير : رجلي من أصحاب المعلّى الخادم ، فجعل يعبث به ويمارحه إلى أن قال : [من الوافر]

أَلَا أُبَلِّغُ لَدَيْكَ أَبَا الْعُمَيْرِ أَرَانِي اللَّهَ فِي اسْتِكَ نَصْفَ أَيْرِ
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعُمَيْرِ : يَا أَبَا سَلَمَى ، لَوْ جُدْتَ لِأَحَدٍ بِالْأَيْرِ كُلِّهِ لَجَدْتَ بِهِ إِلَى مَا بَيْنَنَا مِنَ الصَّدَاقَةِ ، وَلَكِنَّكَ بِحُبِّكَ لَهُ لَا نَزِيدَهُ كُلَّهُ إِلَّا لَكَ . فَأَفْحَمَهُ ، وَلَمْ يَعَاوِدِ الْعَبْثَ بِهِ .
قال : وكان مطيع يُرمى بالأبنة .

[لا يحمد الله على السلامة]

قال : وسقط لمطيع حائط ، فقال له بعض أصدقائه : احمَد الله على السلامة ! قال : احمَد الله أنت الذي لم تَرْعَكَ هُدَّتَهُ ، وَلَمْ يُصَيِّكْ غَبَارَهُ ، وَلَمْ تَغْرَمْ أَجْرَةَ بَنَائِهِ .
[مدح جرير بن يزيد فأجازه سرّاً]

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : وفد مطيع بن

1 الجرم : الجسم .

2 يعني العسل .

إلياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته : [من المتقارب]

أَمِنْ آل لَيْلَى عَزَمَتِ الْبُكُورَا	وَلَمْ تَلْقَ لَيْلَى فَتَشْفِي الضَّمِيرَا
وَقَدْ كُنْتَ دَهْرَكَ فِيمَا خَلَا	لِلَّيْلِ وَجَارَاتِ لَيْلَى زَعُورَا
لِيَالِي أَنْتَ بِهَا مَعْجَبٌ	تَهِيمُ إِلَيْهَا وَتَعْصِي الْأَمِيرَا
وَإِذْ هِيَ حُورَاءُ شَيْءِ الْغَزَا	لِ تَبْصِيرُ فِي الطَّرْفِ مِنْهَا فُتُورَا
تَقُولُ ابْتَسَى إِذْ رَأَتْ حَالَتِي	وَقَرَّبْتُ لِلْبَيْنِ عُنْسًا وَكُورَا ¹
إِلَى مَنْ أَرَاكَ ، وَقَتَكَ الْخُتُو	فَ نَفْسِي ، تَجَشَّمْتَ هَذَا الْمَسِيرَا
فَقُلْتُ : إِلَى الْبَجَلِيِّ الَّذِي	يُفُكُ الْعُنَاةَ وَيُغْنِي الْفَقِيرَا ²
أَخِي الْعُرْفُ أَشْبَهَ عِنْدَ النَّدَى	وَحَمَلُ الْمَثِينِ أَبَاهُ جَدِيرَا
عَشِيرِ النَّدَى لَيْسَ يَرْضَى النَّدَى	يَدُ الدَّهْرِ بَعْدَ جَرِيرِ عَشِيرَا
إِذَا اسْتَكْثَرَ الْمُجْتَدُونَ الْقَلِيلَ	لِلْمُعْتَفِينَ اسْتَقْلَ الْكَثِيرَا
إِذَا عَسَرَ الْخَيْرُ فِي الْمُجْتَدِي	مَنْ كَانَ لَدَيْهِ عَتِيدُ يَسِيرَا
وَلَيْسَ بِمَانِعٍ ذِي حَاجَةٍ	وَلَا خَاذِلُ مَنْ أَتَى مُسْتَجِيرَا
فَنَفْسِي وَقَتَكَ أَبَا خَالِدٍ	إِذَا مَا الْكُمَاةُ أَغَارُوا النُّمُورَا ³
إِلَى ابْنِ يَزِيدَ أَبِي خَالِدٍ	أَخِي الْعُرْفُ أَعْمَلْتُهَا عَيْسَجُورَا ⁴
لِنَلْقَى فَوَاضِلَ مَنْ كَفُّهُ	فَصَادَفَتْ مِنْهُ نَوَالُ غَزِيرَا
فَإِنْ يَكُنِ الشُّكْرُ حُسْنَ الثَّنَا	ءَ بِالْعُرْفِ مِنِّي تَجِدُنِي شُكُورَا
بَصِيرًا بِمَا يَسْتَلْذُ الرُّوَا	ةً مِنْ مُحْكَمِ الشُّعْرِ حَتَّى يَسِيرَا

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً ، ولم يعلم أحد بحضوره ، ثم قال له : قد عرفت خبرك ، وإنني متعجل لك جائزتك ساعتك هذه ، فإذا حضرت غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء ، وأزودك نفقة طريقك وأصرفك ، لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني . فأمر له بمائتي دينار ، فلما أصبح أتاه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فقال له : يا هذا لقد رميت بأمالك غير مرمى ، وفي أي شيء أنا حتى يتجعني الشعراء ؟ لقد أسأت إليّ لأنني لا أستطيع تبليغك

1 الكور : الرحل .

2 العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

3 الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المدجج بالسلاح .

4 العيسجور : الناقة الصلبة السريعة .

مَحَابَّكَ¹ ، ولا آمَنَ سُخْطُكَ وَذَمُّكَ . فقال له : تسمع ما قلتُ فَإِنِّي أَقْبِلُ ميسورَكَ ، وَأَبْسُطُ عُذْرَكَ . فاستَمَعَ منه كالمُتَكَلِّفِ المُتَكَرِّه ، فَلَمَّا فَرَّغَ قال لَغلامه : يا غلام كم مبلغُ ما بقي من نفقتنا ؟ قال : ثلاثمائة درهم . قال : أعطه مائة درهمٍ لنفقة طريقه ، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله ، واحتسب لنفقتنا مائة درهم . ففعل الغلام ذلك ، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً ، ولم يعرف أبو جعفر خبره .

[بعض ما غني فيه من شعره]

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه ، لمطيع بن إياس ، وفيه غناء : [من المنسرح]
 واهأ لشخص رجوتُ نائله حتى انشئ لي يودُّهُ صلفاً
 لانتُ حواشيه لي وأطمعني حتى إذا قلتُ نلتُهُ انصرفاً

قال : وأنشدني حماد أيضاً عن أبيه ، لمطيع بن إياس ، وفيه غناء أيضاً : [من مجزوء الوافر]
 خليلي مخلفٌ أبداً يمنيّني غداً فغداً
 وبعد غدٍ وبعد غدٍ كذا لا ينقضني أبداً
 له جمرٌ على كبدي إذا حرَّكته وقداً
 وليس بلبثٍ جمرٌ الـ غضى أن يُحرق الكبدُ

وفي هذه الأبيات لعريب هزج .

[أطيب الأشياء]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثنا العنزي عن مسعود بن بشر قال : قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياس : أيُّ الأشياء أطيبُ عندك ؟ قال : «صهباء صافية ، تمزجها غانية ، بماء غادية» .
 قال : صدقت .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو عبد الله التميمي قال : حدثنا أحمد بن عبيد . وأخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني عن العمري عن العنبي قال : سكر مطيع بن إياس ليلةً ، فعربد على يحيى بن زياد عريدة قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق : [من مجزوء الكامل]

لا تحلفا بطلاقٍ من أمسّت حوافرها رقيقةً
 مهلاً فقد علم الأنا مُ بأنّها كانت صديقةً

فهجره يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً ، فكتب إليه مطيع :

[من الخفيف]

إن تصلني فمثلك اليوم يُرجى
ولكن كنت قد همت بهجري
وأحق الرجال أن يغير الذن
الكريم الذي له الحسب الثا
ولكن كنت لا تصاحب إلا
لا تجده وإن جهدت ، وأنى
إنما صاحبي الذي يغفر الذن
الذي يحفظ القديم من العهد
ورعى ما مضى من العهد منه
ليس من يظهر المودة إفكاً
وصله للصديق يوم فإن طا

عفو الذنب عن أخيه ووصلة
للذي قد فعلت إني لأهله
ب إخوانه الموفر عقله
قب في قومه ومن طاب أصله
صاحباً لا تزل ما عاش نعله
بالذي لا يكاد يوجد مثله
ب ويكفيه من أخيه أقله
د وإن زل صاحب قل عذله
حين يؤذي من الجهالة جهله
وإذا قال خالف القول فعله
ل فيومان ثم ينبت حبله

قال : فصالحه يحيى وعادته عشرته .

[الجلس الثقل]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثني أبو أيوب
المدني قال : حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال : حدثني أبي عن رجل من أهل الشام قال :
كنت يوماً نازلاً بدير كعب ، قد قدمت من سفر ، فإذا أنا برجل قد نزل الدير معه ثقل وآلة
وعية ، فكان قريباً من موضعي ، فدعا بطعام فأكل ، ودعا الراهب فوهب له دينارين ، وإذا
بينه وبينه صداقة ، فأخرج له شرباً فجلس يشرب ويحدث الراهب ، وأنا أراهما ، إذ دخل
الدير رجل فجلس معهما ، فقطع حديثهما وثقل في مجلسه ، وكان غث الحديث ، فأطال .
فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه ، فقال : هذا مطيع بن إلياس . فلما قام الرجل
وخرج كتب مطيع على الحائط شيئاً ، وجعل يشرب حتى سكر ، فلما كان من غد رحل ،
فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب :

[من الخفيف]

طربة ما طربت في دير كعب
وتذكرت إخواني ونداما
كدت أقضي من طرتي فيه نخبي
ي فهاج البكاء تذكاًر صحي
ونأوا بين شرق أرض وغرب

وَهُمْ مَا هُمْ ، فَحَسْبِيَ لَا أَبْ
 طَلْحَةُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ وَأَبُو الْمُنْ
 أَيُّهَا الدَّاحِلُ الثَّقِيلُ عَلَيْنَا
 خِيفَ عَنَّا فَانْتَ أَثْقَلُ وَاللَّ
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخِيفُ وَمِنْهُمْ
 غِي بَدِيلًا بِهِمْ لِعَمْرِكَ حَسْبِي
 لَذِيرِ خِلِّي وَمَالِكَ ذَلِكَ تَرْبِي
 حِينَ طَابَ الْحَدِيثُ لِي وَلِصَحْبِي
 هِ عَلَيْنَا مِنْ فَرَسَخِي ذِيرَ كَعْبِ
 كَرَحِي الْبَرِّ رُكِبْتُ فَوْقَ قَلْبِي

أخبرنا الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا عمر بن محمد قال : حدثنا الحسين بن جمهور قال : تكايد مطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وزادا [في العريدة] حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كَلَّمَهُ به تَمَّا دار بينهما ، فقال مطيع : [من مجزوء الكامل]

لَا تَحْلَفَنَّ بِطَلَاكِ مَنْ
 أَمَسْتُ حَوَافِرَهَا رَقِيقَةً
 هِيَهَاتَ قَدْ عَلِمَ الْأَمِيرُ
 رُ بِأَنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً

فَغَضِبَ يَحْيَى وَحَلَفَ أَلَّا يَكَلِّمَ مَطِيعًا أَبَدًا ، وَكَانَا لَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ فِي فَرَجٍ وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ ، فَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ يَحْيَى وَبَيْنَهُ ، وَتَجَافَا مَدَّةً ، فَقَالَ مَطِيعٌ فِي ذَلِكَ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا قَرَّطَ مِنْهُ إِلَى يَحْيَى ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الشَّعْرِ ، قَالَ : [من السريع]

كُنْتُ وَيَحْيَى كِيدَ وَاحِدَةٍ
 إِنْ عَضَّنِي الدَّهْرُ فَقَدْ عَضَّهُ
 أَوْ نَامَ نَامَتْ أَعْيُنُ أَرْبَعٍ
 يَسْرُتُنِي الدَّهْرُ إِذَا سَرَّهُ
 حَتَّى إِذَا مَا الشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي
 سَعَى وَشَاةً فَمَشَوْا بَيْنَنَا
 فَلَمْ أَلَمْ يَحْيَى عَلَى فِعْلِهِ
 لَكِنَّ أَعْدَاءَ لَنَا لَمْ يَكُنْ
 بَيْنَا كَذَا غَاصَ عَلَى غَرَةٍ
 فَلَمْ يَزَلْ يُوقِدُهَا دَائِبًا
 نَرْمِي جَمِيعًا وَتَرَانَا مَعَا
 يُوجِعُنَا مَا بَعْضُنَا أَوْجَعَا
 مَنَا وَإِنْ أَسْهَرُ فُلْنَ يَهْجَعَا
 وَإِنْ رَمَاهُ فَلْنَا فَجَعَا
 لَاحَ وَفِي عَارِضِهِ أَسْرَعَا
 وَكَادَ حَبْلُ الْوَدِّ أَنْ يَقْطَعَا
 وَلَمْ أَقْلُ مَلٌّ وَلَا ضَيْعَا
 شَيْطَانُهُمْ يَرَى بِنَا مَطْمَعَا
 فَأَوْقَدَ النَّيِّرَانَ مُسْتَجْمَعَا
 حَتَّى إِذَا مَا اضْطَرَمْتَ أَقْلَعَا

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي ، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أنخي الأصمعي عن عمه . قال إسحاق في خبره : « دخل رجل على إخوان يشربون » ، وقال الأصمعي : دخل سُرَاعَةُ بن الزندبود على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وعندهما قِنِيَّةٌ تغنيهما ، فسَقَوْهُ أَقْدَاحًا وَكَانَ عَلَى الرِّيقِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَطِيعٌ لِلْقِنِيَّةِ : غَنِّي سُرَاعَةَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَيُّ

شيء تختار ؟ فقال : غني :
 طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا
 ففطين مطيع لمعناه ، فقال : أبك أكل ؟ قال : نعم . فقدّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم .
 [شعره في محمد بن سالم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني محمد بن هارون الأزرقى
 مولى بني هاشم أخى أبي عشانة قال : حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه
 قال : كان مطيع بن إياس يهوى ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجتُ أباه إلى ضيعة
 لي بالري لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأنشدني
 لنفسه :

أيا ويحّه لا الصبر يملك قلبه فيصبر لَمَّا قيل سار محمد
 فلا الحزن يُفنيه ففي الموت راحة فحتّى متى في جهده يتجلّد
 قد اضحى صريعاً باديات عظامه سيوى أنّ روحاً بينها تتردّد
 كهيأ يمني نفسه بلقائه على نأيه والله بالحنن يشهد
 يقول لها صبراً عسى اليوم آتب بالفلك أو جاء بطلعه الغد
 وكنت يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحث ما لي منذ فارقت يداً
 في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغاني أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا
 الموضع فنسبتها فيه :
 [من المتقارب]

صوت

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوى جوى باطنا
 فقوموا اكوياني ولا ترحموا من الكي مستحصفا راصينا¹
 ومراً على منزل بالغميم فإني عهدت به شادنا
 فتور القيام رخيماً الكلا م كان فؤادي به راها

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار ، لعمر بن سعيد بن زيد بن
 عمرو بن نُفيل القرشي العدوي ، والغناء لمعبد ، ولحنه ثقيلاً أولً بالوسطى في مجراها عن
 إسحاق وعمرو ، وفيه لأبي العنّس بن حمدون ثاني ثقيلاً مطلق في مجرى البصر ، وهو من
 صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل . ولو قال قائل : إنه أحسنُ صنعة له صدق .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، أن غيلان بن خرشة الضبي دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم ، حتى غنت القينة : [من المتقارب]

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا
وكان أعرابياً جافياً به لوثه¹ ، فغضب ووثب وهو يقول : السوط ورب غيلان يُداوي
ذلك الجوى ! وخرج من عندهم .

وهذا الخبر مذكور في أخبار معبد من كتابي هذا وغيره ، ولكن ذكره هاهنا حسن فذكرته .

وتما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

[من الكامل]

أُمسيتُ جَمَّ بلبَلِ الصدرِ دهرًا أزجِيهِ إلى دهرِ
إن فُهِت طُلَّ دمي وإن كُتِمْتُ وَقَدَّتْ عليَّ تَوَقَّدَ الجمرِ
الفناء لحكم الوادي ، هزج بالنصر عن حبش والهشامي .
[مطيع وجهر]

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر² ، وكانت محسنة جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بن إياس وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ، ثم قال :

ولقد قلتُ مُعلنًا لسعيدٍ وجعفرِ
إن أتتني مَنِيَّتِي فدمي عند بربرِ
قتلتني بمنعها لي من وصلِ جوهرِ

قال : وجوهر تضحك منه .

[هجاء حماد عجرد]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال : بلغ مُطِيعَ بن إياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله في مُنْقَذِ بن بدر الهلالي ، فأجابه مُنْقَذٌ عنه بجوابٍ ، فاستخفهما حماد عجرد ، وطعن عليهما ، فقال فيه مطيع :

[من مجزوء الخفيف]

1 لوثه : مس من الجنون .

2 ل : يزيد .

أَيُّهَا الشاعِرُ الَّذِي عابَ بِحِيى وَمُنْقِذا
أَنْتَ لَوْ كُنْتَ شاعِرا لَمْ تَقُلْ فِيهِمَا كذا
لَسْتَ وَاللَّهِ فَاعِلِمَنْ¹ لَدَى النِّقْدِ جِهِيذا¹
تَعْدِلُ الصَّبْرَ بِالرِّضَا ءَ وَصَفَوْا إِلَى الْقَذَى

[مطيع ومكنونة]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحذب قال : كنت جالسا مع مطيع بن إياس ، فمررت بنا مكنونة جارية المروانية ، وكان مطيع وأصحابنا يآلفونها ، فلم تسلم ، وعيبت بها مطيع بن إياس فشتمته ، فالتفت إلي وأناشأ يقول : [من المجتث]

فَدَيْتُ مِنْ مَرَّ بَنَا يَوْمًا وَلَمْ يَتَكَلَّمْ
وَكَانَ فِيما خَلا مِنْ هَ كُلِّما مَرَّ سَلَمْ
وَإِنْ رَأَيْتَ حَيًّا بِطَرْفِهِ وَتَبَسَمْ
لَقَدْ تَبَدَّلَ ، فِيما أَظُنَّ ، وَاللَّهِ أَعْلَمْ
فَلَيْتَ شِعْرِي ما ذا عَلِيٍّ فِي الْوَدِّ يَنْقَمْ
يَا رَبُّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِمَكْنُونٍ مَغْرَمْ
وَأَتْنِي فِي هَواها أَلْقَى الْهَوا نَ وَأَعْظَمْ
يَا لَأَتِمِّي فِي هَواها أَحْفَظُ لِسَانَكَ تَسْلَمْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَهْمَا أَكْرَمْتَ نَفْسَكَ تُكْرَمْ
إِنَّ الْمُلُولَ إِذا ما مَلَّ الْوِصالَ تَجْرَمُ²
أَوْ لا فَمَا لِي أَجْفَى مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَأُحْرَمُ³

[تشبيب بجوهر ثم هجر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يآلف جوارى بربر ، ويهوى منهن جاريته المسماة جوهر . وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء : [من الهزج]

خَافِي اللَّهِ يا بَرَبْرُ لَقَدْ أَفْسَدْتَ ذا الْعِسكرُ
إِذا ما أَقْبَلْتَ جَواهُرُ يَفُوحُ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ

1 الجهيز : النقاد الخبير .

2 تجرم عليه : ادعى عليه لم يفعله .

3 وأحرم في ل : وأصرم .

وجوهرُ دُرّة الغوّا ص من يملكُها يُحَبِّرُ¹
لها ثَغَرٌ حَكى الدرّ وعَيْنَا رَشَا أَحُورُ

في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي . قال وفيها يقول : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرة في قياس الدرر المشتَهرة²
أو كشمسٍ أشرقت في بيتها قذفت في كلّ قلب شررة³
وكأني ذائقٌ من فمها كلما قبَلْتُ فاما سَكَّرة³
وكأني حين أخلو معها فائز بالجنة المختَصِرة

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصّحّاف يهواها متخلّ معها ، فقال مطيع يهجوها : [من الخفيف]

ناك والله جوهر الصّحّاف وعليها قميصُها الأفواف²
شامٌ فيها أيراً له ذا ضُلُوع لم يشنه ضعفٌ ولا إخطاف³
جدّ دفعاً فيها فقالت ترفقُ ما كذا يا فتى تُناك الظّرافُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال ، قال محمد بن صالح بن النطاح : أنشد المهديّ قول مطيع بن إياس : [من الهزج]

خافي الله يا بربرُ لقد أفتنت ذا العسكرُ
بريح المسك والعنبر وظيفي شادنٍ أحورُ
وجوهر دُرّة الغوّا ص من يملكُها يُحَبِّرُ
أما والله يا جوهر لقد فُتت على الجوهرُ
فلا والله ما المهديّ أولى منك بالنبيرُ
فإن شئت فقي كفيّ لك خلع ابن أبي جعفرُ

فقال المهديّ : اللهمّ العنهما جميعاً ، ويلكم ! اجتمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القعبة . وجعل يضحك من قول مطيع . ووجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن عليّ أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين : [من الخفيف]

زعموها قالت وقد غاب فيها قائماً في قيامه استحصافُ

1 يحبر : يُسَرّ .

2 الأفواف : الرقيق .

3 إخطاف : ضمور .

وهو في جارة استيها يتلظى
يا فتى هكذا تناك الظراف
ناكها ضيفها وقبل فاها
يا لقومي لقد طغى الأضياف
لم يزل يرهز الشهية حتى
زال عنها قميصها والعطاف¹

وقال هارون بن محمد في خبره : بيعت جوهر جارية بربر ، فاشتريتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني² بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تبعدني يا جوهر
عنا وإن شطّ المزار
ونلي لقد بعدت ديا
رك سلّمت تلك الديار
يشفى برقتها السقا
م كأن ريقها العقار
يضاء واضحة الجيب
من كأن غرتها نهار
القلب قلبي وهو عند
د الهاشمية مستعار

[هجاء كلواذى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال : حدثنا علي بن منصور المؤدّب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستان له بكلواذى ، فمضى إليها ، فلم يستطعها ، فقال يهجوها :

بلدة تمطر التراب على النا
س كما يُمطر السماء الرذاذ³
وإذا ما أعاذ ربي بلاداً
من خراب كبعض ما قد أعادا
خربت عاجلاً ولا أمهلت يو
ماً ولا كان أهلها كلواذى

[عبث مطيع وأصحابه بالناجر الكوفي]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال : كان لمطيع بن إلياس معامل من تجار الكوفة ، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه . فكان إذا شرب يعمل كما يعملون ، وقال كما يقولون ؛ وإذا صحا تهيب ذلك وخافه . فمر يوماً بمطيع بن إلياس وهو جالس على باب داره ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : شيعت صديقاً لي حجج ، ورجعت كما ترى ميتاً من ألم الحر والجوع والعطش . فدعا مطيع بغلامه وقال له : أي شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا ، ومن البواريد

1 العطاف : الرداء .

2 ل : تفتن .

3 التراب في ل : السحاب .

والحارّ كذا ، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشَّ الخيشُ وفُرِغَ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيش وشبه الجنة . قال : أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفيتَ بها وإلاّ انصرفت . قال : وما هي ؟ قال : تشتمُ الملائكة وتنزل . فنفرَ التاجر وقال : قَبَحَ الله عِشْرَتَكُمْ قد فضحتُموني وهتكتُموني . ومضى فلم يبعُدْ حتى لقيه حمادُ عَجْرِدُ فقال له : ما لي أراك نافرأ جزعاً ؟ فحدّثه حديثه . فقال : أساء مطيعٌ ، قَبَحَ الله ، وأخطأ ، وعندِي والله ضِعْفُ ما وَصَفَ لك ؛ فهل لك فيه ؟ فقال : أشدُّ الهلِّ ، بي والله إليه أعظم فاقة . قال : أنتَ الشريك فيه على أن تشتمَ الأنبياءَ فإنهم تعبَدُونَا بكلِّ أمرٍ مُعِينٍ متعِبٍ ، ولا ذنبَ للملائكة فنشتمهم . فنفرَ التاجر وقال : أنتَ أيضاً قَبَحَكَ الله ، لا أدخلُ ؛ ومضى فاجتازَ بيحيى بن زيادٍ الحارثيَّ فقال له : ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً ؟ فحدّثه بقصّته . فقال : قَبَحَهُمَا الله ! لقد كَلَّفَاكَ شَطَطاً ، وأنتَ تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما ، وعندِي والله أضعافُ ما عندهما ، وأنتَ الشريك فيه على خصلةٍ تنفَعُ ولا تُضرُّك ، وهي خلافُ ما كَلَّفَاكَ إِيَّاهُ من الكفر . قال : وما هي ؟ قال : تصلي ركعتين تُطِيلُ ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلس ، فتأخذ في شأننا . فضجرَ التاجرُ وتأفَّفَ وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تعبٌ ميّتٌ ، تُكَلِّفُنِي صلاةً طويلةً في غيرِ برٍّ ولا لإطاعة يكون ثمنها أكلُ سُحْتٍ¹ وشربُ خمرٍ وعشرة فَجَرَةٍ وسماعُ مغنياتٍ قِحابٍ . وسبّه وسبّهما ومضى مغضباً . فبعثَ خلفه غلاماً وأمره برده ، فردّه كرهاً ، وقال : انزل الآن على ألاّ تُصَلِّيَ اليومَ بتةً . فشتمه أيضاً وقال : ولا هذا . فقال : انزل الآن كيف شئتَ وأنتَ ثقيلٌ غيرُ مساعدٍ . فنزل عنده . ودعا يحيى مطيعاً وحماداً ، فعيثا بالتاجر ساعةً وشمّاه ، ثم قدّم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصَلَّى التاجر الظهرَ والعصرَ ، فلَمَّا دَبَّتِ الكاس فيه قال له مطيع : أيُّما أحبُّ إليك : تشتمُ الملائكة أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له حماد : أيُّما أحبُّ إليك : تشتمُ الأنبياءَ أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له يحيى : أيُّما أحبُّ إليك : تصلي ركعتين أو تنصرف ؟ فقام فصَلَّى الركعتين ، ثم جلس فقالوا له : أيُّما أحبُّ إليك : تترك باقيَ صلاتك اليومَ أو تنصرف ؟ قال : بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف . فعمل كلُّ ما أرادوه منه .

[المهديّ يهدده ثم يجيزه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال : رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديقٌ ، وأنّه يعاشر ابنه جعفرأ وجماعةً من أهل بيته ، ويوشك أن يفسدوا أديانهم ويُنسبوا إلى مذهبه . فقال له المهديّ : أنا به عارف ، أما الزندقة

فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلّ للمحارم . قال : فأحضره وأنهه عن صحبة جعفر وسائر أهله . فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي ، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون¹ عليك ، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلّا بك ، فقد غرّرتهم وشهّرتهم في الناس ، ولولا أنّي شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة ممّا نسبت إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك . وقال للربيع : اضربه مائتي سوطٍ واحبسه . قال : ولم يا سيدي ؟ قال : لأنك سيكبر خمير قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك . فقال له : إن أذنت وسمعت احتججت . قال : قل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسوقي إنّما تنفق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا في أيّامكم مطرّح ، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك عشيرة غيري ، وأصفيته على ذلك شكري وشعري ، فإن كان ذلك عائباً عندك تبت منه . فاطرق ، ثم قال : قد رفع إليّ صاحب الخبر أنّك تتماجن على السؤال وتضحك منهم . قال : لا والله ، ما ذلك من فعلي ولا شأني ، ولا جرى مني قطّ إلّا مرة ؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني ، وقد عبرت الجسرَ على بغلتي ، وظنّني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يعطي الجند أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم ، فتجبَ فيها الزكاة عليهم ، فيصدّقوا عليّ منها . فنفرت بغلتي من صياحه ورفعته عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك ، سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها ، فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ، ورفع عليّ في الخبر قولي له هذا . فضحك المهدي وقال : خلّوه ولا يضرب ولا يُحبس . فقال له : أدخل عليك لِموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتني من عَضِيهة² وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير ، فيتجدّد عنده ذنوبه . قال : وكان المهديّ يشكر له قيامه في الخطباء ووضع الحديث لأبيه في أنه المهديّ . فقال له : اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسأك أمير المؤمنين ثم عد إليّ . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب لك إلى سليمان بن عليّ فيؤيّلِكَ عملاً ويحسن إليك . قال : قد رضيتُ فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي ، فولّاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند ، فعزله به .

حدّثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أنّ مطيع بن إياسٍ قديم على سليمان بن عليّ بالبصرة ، ووالها على الصدقة داود بن أبي هند ، فعزله ووّلّى عليها مطيعاً .

1 يتقادعون : يتهافنون .

2 العَضِيهة : الإلفك والبهتان .

[هجاء مالك بن أبي سعدة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال : كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابر الشطرنجيّ جميل الوجه حسن الجسم ، وكان يعاشر حماد عجرّد ومطيع بن إياس ويشرب معهما ثمّ فسّد ما بينهما وبينه وتباعد . فقال حماد عجرّد يهجوّه :

أتوبُ إلى الله من مالكِ صديقاً ومن صُحبتِي مالكا
فإن كنتُ صاحبتهُ مرّةً فقد تبتُ يا ربُّ من ذلكا

قال : وأنشدّها مطيعاً ، فقال له مطيع ، سخّنت عينك ! هكذا تهجو الناس ؟ قال : فكيف كنت أقول ؟ قال : كنت تقول :

نظرةً ما نظرتها يوم أبصرتُ مالكا
في ثيابٍ مُعَصَفَرَا تِ على الوجه بارِكا
تركنتي ألوط من بعد ما كنتُ ناسكا
نظرةً ما نظرتها أو ردّنتي المهالكا

[حبذا أيام بني أمية]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبته له بغير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد عجرّد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها ، وحسن مملكتهم وطيب ذراهم بالشام ، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور ، وشدة الحرّ ، وخشونة العيش ، وشكوا الفقر فأكثروا ، فقال مطيع بن إياس : قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا . قالوا : هات . فأنشدهم :

حبّذا عيشنا الذي زال عنا حبّذا ذاك حين لا حبّذا ذا
أين هذا من ذاك سقياً لهذا لك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمانُ عُسراً وشرّاً عندنا إذ أحلّنا بغدّادا
بلدة تُمطر الترابَ على النا س كما يمطر السماء الرّذاذا
خربت عاجلاً وأخرب ذو العر ش بأعمالِ أهلها كلّواذي

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال : لما خرج حماد مع محمد بن العباس إلى البصرة ، عاشر جماعةً من أهلها وأربابها وشعرائها ، فلم يجدهم كما يريد ، ولم يستطع عشرتهم واستغلظ طبعهم ، وكان هو ومطيع بن إياس وحماد الراوية ويحيى بن زياد كأنهم نفس واحدة ، وكان أشدّهم أنساً به مطيع بن إياس ، فقال حماد يتشوّقه :

[من مجزوء الرمل]

لستُ والله بناسٍ لمطيع بن إلياسٍ
ذاك إنسانٌ له فضدٌ لعلَّ على كلِّ أناسٍ
غرسَ الله له في كبدي أحلى غراسٍ
فإذا ما الكاسُ دارتُ واحتساها من أحاسي
كان ذِكْرانا مُطيعا عندها رِيحانٌ كاسي

[تشوِّفه إلى يحيى بن زياد]

حدَّثنا عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال : دعا مطيع بن إلياسَ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ ، يقال له بستان صَبَّاح ، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخ مُردٍ وشَبَّانٍ ، ومغنين ومغنيات ، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره ويتشوّفه ، قال :

كم ليلةٍ بالكرخ قد بُتُّها جذلانٌ في بستانٍ صَبَّاحٍ
في مجلسٍ تنفُحُ أرواحُه يا طيِّبها من ريحِ أرواحٍ
يُديرُ كأساً فإذا ما دنتُ حُفَّتْ بأكوابٍ وأقداحٍ
في فِتيةٍ بيض بهاليلٍ ما إن لَهمُ في الناس من لاجٍ
لم يَهْنِني ذاك لفقد امرئٍ أبيضَ مثلَ البدرِ وضاحٍ
كأنما يُشرق من وجهه إذا بدا لي ضوءُ مصباحٍ

قال : فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته ، فركب إليهم ، وحمل إليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة ، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملّوا ، ثم انصرفوا .

أخبرني محمد بن محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال : قال مطيع بن إلياس : جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصُّبُور¹ ويكتم ذاك ، فقاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك ، فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارَ بها القَطَا ومِن جَبَلٍ طَيٍّ ووصفكما سلما
تَلَحَّظُ عَيْنِي عاشِقَيْنِ كلاهما له مُقَلَّةٌ في وجه صاحبه ترعى

[عتاب المهدي له]

أخبرني محمد بن محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني أبو المضاء قال : عاتب المهدي مطيع بن إلياس في شيء بلغه عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن

1 الصبورة : جهلة الفتوة .

كان ما بلغك عني حقاً فما تُغني المعاذير ، وإن كان باطلاً فما تضرّ الأباطيل . فقبل عذرَه
وقال : فإنّا ندعُكَ على جمليتك ولا نكشفك .
[مع جوهر المغنية]

حدّثني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن
عديّ قال : اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكّم الوادي يوماً على
شراب لهم في بستان بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودعواً جوهر المغنية ، وهي التي
يقول فيها مطيع :

أنت يا جوهرُ عندي جوهره في قياس الدّرِ المشتَهرة
فشربوا تحت كرمٍ معروشٍ حتى سَكروا ، فقال مطيع في ذلك : [من مجزوء الوافر]

صوت

ونجعلُ سقفاً الشجرا	خرجنا نمتطي الزهرا
تخالُ بكأسها شراً	ونشربها مُعتَقَةً
بِدارِ وجهها القمرِ	وجوهرُ عندنا تحكي
إذا ما زدته نظرا	يزيدك وجهها حُسناً
فلم نَرِ مثلاً بشراً	وجوهرُ قد رأيناها

غنى فيه حكم الوادي غناءً خفيفاً ، فلم يزلوا يشربون عليه بقيّة يومهم . وقد رُوِيَ أنَّ
بعض هذا الشعر للمهديّ وأنّه قال منه واحداً ، وأجازه بالباقي بعض الشعراء . وهذا أصح .
لحن حكم في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى .
[عقوة لأبيه]

حدّثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثني حماد عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس عاقاً
بأبيه شديد البغض له وكان يهجوّه ، فأقبل يوماً من بُعد ، ومطيع يشرب مع إخوان له ، فلما
رآه أقبل على أصحابه فقال :

هذا إياسٌ مُقبلاً	جاءت به إحدى الهنات ¹
هوُزُ فوه وأنفُه	كلّمن في إحدى الصفات
وكان سغفصَ بطنُه	والشعرَ شين قُرُيشات
لما رأيته أتياً	أيقنتُ أنّك شرُّ آت

[مدح معن بن زائدة]

حدثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال : مدح مطيع بن إلياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها : [من المنسرح]

أهلاً وسهلاً بسيد العرب	ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها وأخي ال	حجود حوى غايته من كلب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا	ل الناس طراً في السهل والرحب
أبو العقاق الذي يلوذ به	من كان ذا رغبة وذا رهب
جاء الذي تفرجُ الهموم به	حين يلز الوضين بالحقب ¹
جاء وجاء المضاء يقدمه	رأي إذا هم غير مؤتشب ²
شهم إذا الحرب شب دائرها	أعادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها	إذا خبت نارها بلا حطب
إلا يوقع المذكرات يشبه	ن إذا ما انتضين بالشهب ³
لم أر قرناً له يبارزه	إلا أراه كالصقر والخرب ⁴
ليث بخفان قد حمى أجماً	فصار منها في منزل أشب ⁵
شيلاه قد أدبا به فهما	شبهاه في جده وفي لعب
قد ومقا شكله وسيرته	وأحكما منه أكرم الأدب ⁶
نعم الفتى تقرن الصعاب به	عند تجائي الخصوم للركب
ونعم ما ليلة الشتاء إذا اس	تنبح كلب القرى فلم يجب
لا ونعم عنده مخالفة	مثل اختلاف الصعود والصب
يخصر من لا فلا يهم بها	ومنه تضحى نعم على أرب
تري له الحليم والنهي خلقا	في صولة مثل جاجم اللهب
سيف الإمامين ذا وذاك إذا	قل بناءة الوفاء والحسب

1 يلز : يقرن . الوضين : بطان عريض منسوج من شعر أو سبور . الحقب : الحزام .

2 مؤتشب : مختلط ، أي أنه غير متردد .

3 المذكرات : جمع مذكر ، وهو السيف .

4 الخرب : ذكر الجباري .

5 خفان : موضع كان مأسدة ، ومنه المثل : ليث بخفان خادر . الأشب : الكثير الشجر .

6 ومقا : أحبا .

ذَا هَوْدَةٌ لَا يُخَافُ نَبُوتَهَا وَدَيْنُهُ لَا يُشَابُّ بِالرَّيْبِ¹

فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعَن قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا وَإِنْ شِئْتَ أَثْبَانَا . فَاسْتَحْيَا مَطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى الثَّوَابِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ لِمَعْنٍ :

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لَصَاحِبٍ مَغْنَمٍ وَأَخِي ثَرَاءٍ
وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءٍ
فَضَحِكُ مَعَن حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ : لَقَدْ لَطَفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا ، صَدَقْتَ ، لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءٍ ! وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحْمَهُ .

[ضُرْطَةُ صَدِيقِهِ الْأَعْرَابِيِّ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُهَلَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَ لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسَ صَدِيقٌ مِنَ الْعَرَبِ يُجَالِسُهُ ، فَضَرَطَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَاسْتَحْيَا وَغَابَ عَنِ الْمَجْلِسِ . فَتَفَقَّدَهُ مَطِيعٌ وَعَرَفَ سَبَبَ انْقِطَاعِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

أَظْهَرْتَ مِنْكَ لَنَا هَجْرًا وَمَقْلِيَةً² وَغَبْتَ عَنَّا ثَلَاثًا لَسْتَ تَغْشَانَا²
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ ذُو إِبِلٍ إِلَّا وَأَيْنُقُهُ يَشْرُدْنَ أَحْيَانَا

[مَجُونُ مَطِيعٍ وَأَصْحَابُهُ فِي الصَّلَاةِ]

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٌ قَالَ حَدَّثَنَا بَعْضُ شَيْوَخِنَا الْبَصَرِيِّينَ الظُّرَفَاءَ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَطِيعَ بْنَ إِيَّاسَ ، فَحَدَّثَنَا عَنْهُ قَالَ : اجْتَمَعَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ وَمَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِمْ ، فَشَرَبُوا أَيَّامًا تَبَاعًا ، فَقَالَ لَهُمْ يَحْيَى لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي وَهُمْ سُكَارَى : وَنُحْكَمْ ! مَا صَلَّيْنَا مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقُومُوا بِنَا حَتَّى نَصَلِّيَ . فَقَالُوا : نَعَمْ . فَقَامَ مَطِيعٌ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَتَقَدَّمُ ؟ فَتَدَافَعُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ مَطِيعٌ لِلْمَغْنِيَةِ : تَقَدَّمِي فَصَلِّي بِنَا . فَتَقَدَّمتُ تَصَلِّي بِهِمْ عَلَيْهَا غَلَالَةً رَقِيقَةً مَطْيِيَةً بِلَا سِرَاوِيلَ ، فَلَمَّا سَجَدَتْ بَانَ فَرْجُهَا ، فَوَثَبَ مَطِيعٌ وَهِيَ سَاجِدَةٌ فَكَشَفَ عَنْهُ وَقَبْلَهُ وَقَطَعَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

وَلَمَّا بَدَا فَرْجُهَا جَائِمًا كَرَأْسِ حَلِيقٍ وَلَمْ يَعْتَمِدْ
سَجَدْتُ إِلَيْهِ وَقَبْلْتُه كَمَا يَفْعَلُ السَّاجِدُ الْمُجْتَهِدُ
فَقَطَعُوا صَلَاتَهُمْ ، وَضَحَكُوا وَعَادُوا إِلَى شَرِبِهِمْ .

[تَهْنِئَةُ الْمُهْدِيِّ]

حَدَّثَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ

1 الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .

2 مقلية : بغضاً .

القاسم مولى الهادي قال : كتب المهديّ إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجّه إليه بابنه موسى ، فحمّله إليه ، فلمّا قدم عليه قامت الخطباء تهنّته ، والشعراء تمدّحه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إلياس فقال :

أحمدُ اللهِ إلهَ الـ خلق ربَّ العالمينا
الذي جاء بموسى سالماً في سالمينا
الأمير ابن الأمير ابـ من أمير المؤمنين

فقال المهديّ : لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس ، وأمر له بصلة .

[نصيحته يحيى بن زياد]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكّري بخطّه . قال : حدّثني ابن أبي فتن ، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائنيّ عن ابن أبي الدواهي ، وخبر السكّري أتمّ واللفظ له ، قال : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيان ، وكان له ابن وضّي حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسن وجهاً منه ، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إلياس وحمّاد عجير وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطِرّفونه¹ ، وكلّهم كان يعشق ابنه أصبغ ، حتى كان يوم نوروز وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبّح مع يحيى بن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً ؛ فقال أبو الأصبغ لجواريه : إنّ يحيى بن زياد يزورنا اليوم ، فأعِدُّنْ له كلّ ما يصلح لثله . ووجّه بغلمان له ثلاثة في حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل ، فلمّا جاءه استأذن له الغلام ، فقال له يحيى : قل له يدخل ، وتنع أنت واغلق الباب ولا تدع الأصبغ يخرج إلّا بإذني . ففعل الغلام ودخل الأصبغ ، فأدّى إليه رسالة أبيه ، فلمّا فرغ راوده يحيى عن نفسه . فامتنع ، فتاوره² يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حلّ تكّته ، فلم يقدر عليها ، فقطعها وناكه . فلمّا فرغ أخرج من تحت مُصلّاه أربعين ديناراً ، فأعطاه إيّاها ، فأخذها ، وقال له يحيى : امض فإنّي بالأثر . فخرج أصبغ من عنده ، فوافاه مطيع بن إلياس ، فراه يتبخّر ويتطيّب ويتزيّن ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمخ بأنفه ، وقطّب حاجبيه ، وتفخّم ؛ فقال له : ويحك ما لك ؟ نزل عليك الوحي ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويح لك بالخلافة ؟ وهو يومئذ برأسه : لا لا ، في كلّ كلامه . فقال له : كأنك قد نكّت أصبغ بن أبي الأصبغ قال : إي والله الساعة نكته . وأنا اليوم في دعوة أبيه . فقال مطيع : فامرأته طالق إن فارتكت أو نقبل

1 يطرفونه : يهدون إليه الطريف .

2 تاوره : واثبه .

متاعك . فأبداه له يحيى حتى قبله ثم قال له : كيف قدّرتَ عليه ؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ . فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معي والرجل لم يدعُك ؟ وإنما يريد الخلوة . فقال : أشيّعُك إلى بابهِ ونتحدّث . فمضى معه ، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع ، فصبر ساعة ، ثم دقّ الباب فاستأذن ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغل لا أفرّغ معه لك . فتعذّر . قال : فابعث إليّ بدواة وقرطاس ، فكتب إليه مطيع :

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على	كلّ حال ناعماً مُتبعاً
لا تصيّرنِي في الودّ كمن	قَطَعَ التُّكَّةَ قطعاً شنعاً
وأتى ما يشتهي لم يثنيه	خيفةً أو حفظاً حقّ ضنعاً
لو ترى الأصبغ مُلقى تحته	مستكيناً خجلاً قد خضعاً
ولهُ دفعٌ عليه عَجَل	شَبَقٌ ساءَكَ ما قد صنعاً
فادعُ بالأصبغ واعلم حاله	سَرى أمراً قبيحاً شنعاً

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتها يا ابن الزانية ؟ قال : لا والله . فضرب بيده إلى تكة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى بي إليك مطيعُ ابن الزانية ، وهذا ابني وهو والله أفره من ابنك ، وأنا عربيّ ابن عربيّة وأنتَ نبطيّ ابن نبطيّة ، فإني ابن عشرين مرّات مكان المِرّة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجوّاري ، وسكن غضب أبي الأصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها إليه ، وقام خجلاً ، وقال يحيى : والله لا أدخِل مطيعُ الساعي ابن الزانية . فقال أبو الأصبغ وجوّاريه : والله ليدخلنّ ، فقد نصحنّا وغششّتنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعه يحيى يشتمهم بكلّ لسان ، وهو يضحك .

[مكايدون في مجلس الأمير]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا الكرائيّ عن العُمريّ عن العتبيّ قال : حضر مطيع بن إياس وشُرّاعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُبّاب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحمّاد عجرد ، مجلساً لأُميرٍ من أمراء الكوفة ، فتكaidوا جميعاً عنده ، ثم اجتمعوا على مطيع يكaidونه ، ويهجونه فغلبهم جميعاً ، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما :

وخمسة قد أبانوا لي كيادهم¹ وقد تلظى لهم مقلّي وطنجير¹

لو يقدرّون على لحمي لمزقه قرّد وكلبٌ وجرواهُ وخنزيرُ

[اللذة المضاعفة]

أخبرني وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال : دخل صديق لمطيع بن إياس ، فرأى غلاماً تحته ينيكه ، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك ، فهو كأنّه في تخت¹ ، فقال له : ما هذا يا أبا سلمى ؟ قال : هذه اللذة المضاعفة .

[تعريض حمّاد بمطيع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان حمّادُ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه ، وكان مطيع حلقياً ، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر ، فقيل له : من يقول هذا يا أبا سلمى ؟ قال : الخطيئة . قال حمّاد : نعم هذا شعر الخطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقياً . يعرض حمّاد بأنّه كذاب ، وأنّه حلقى ، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك .

[خاطب لودته]

حدّثني محمد بن العباس الزبيدي قال حدّثني محمد بن إسحاق البغويّ قال حدّثنا ابن الأعرابي عن الفضل قال : جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال : قد جئتُك خاطباً . قال : لمن ؟ قال : لمودّتك . قال : قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألاّ تقبل في قول قائل . ويقال إنّ الأبيات التي فيها الغناء المذكور يذكروها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم . فذكر الجاحظ أنّ مطيعاً حلف أنّها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كيفها ومأكمتها ، فتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر . ويقال إنّها قالها في امرأة من أبناء الدّهاقين كان يهواها ، وشعره يدلّ على صحة هذا القول ، والقول الأوّل غلط .

[شوقه إلى جودانة]

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال : أخبرني مطيع بن إياس الليثي ، وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف ، أنّه كان مع سلم بن قتيبة ، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقُدوم عليه في خاصّته على البريد ، قال مطيع : وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبّها ، فأمرني سلم بالخروج معه ، فاضطرت إلى بيع الجارية ، فبعثها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمتُ ؛ وتبّعته نفسي ، ونزلنا حلوان ،

1 التخت : وعاء من خشب أو نسيج لصيانة الثياب .

فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلِي وعنان دَابَّتِي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فنذكرت الجارية واشتقتها وقلت : [من الخفيف]

أُسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلُوانِ	وابكيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
واعلمنا أنَّ رَيْبَهُ لم يزل يفُ	رُق بين الألف والجيرانِ
ولعمري لو ذقتما أَلَمَ الفُر	قة قد أبكاكما الذي أبكاني
أُسْعِدَانِي وَأَيُّقِنَا أَنَّ نَحْساً	سوف يلقاكما فتفتروانِ
كم رمتني صروفُ هذِي الليالي	بفراق الأحبابِ والخُلانِ
غير أنني لم تلق نفسي كما لا	قيت من فُرقة ابنة الدهقانِ
جارة لي بالرِّي تذهبُ هُمِّي	وُسُلِّي دنوُها أحزاني
فجعنتني الأيامُ أغبطَ ما كنت	ت بصدع للبين غير مُدانِ
وبرغمي أن أصبحت لا تراها الـ	عينُ مِنِّي وأصبحت لا تراني
إن تكن ودعت فقد تركت بي	لهباً في الضمير ليس بوانِ
كحريق الضَّرام في قصب الغا	ب زَقْنُهُ رِيحانٍ تختلفانِ ¹
فعليك السلام مِنِّي ما سا	غَ سلاماً عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خطِّ أبي أيوب المدائنيِّ عن حمَّاد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرِّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلَم بن قتيبة ، فكنت أَسْتَرُّ بها ، وكنتُ أَعشَقُ امرأةً من بنات الدَّهَّاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها . فلما خرجنا بعث الجارية وبقيت في نفسي علاقةً من المرأة التي كنت أهواها ، فلما نزلنا عَقَبَةَ حُلوانِ جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت :

أُسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلُوانِ وارثيا لي من ريب هذا الزمانِ
وذكر الأبيات ، فقال لي سَلَم : ويلك فيمن هذه الأبيات ؟ أفي جارتك ؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت : نعم . فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي . فلم يلبث أن ورد كتابه : إنِّي وجدتها قد تداولها الرجال وقد بلغت خمسة آلاف درهم ، فإن أمرت أن أشتريها فعلت . فأخبرني بذلك وقال : أيهما أحب إليك ؟ هي أو خمسة آلاف درهم ؟ فقلت : إما إذ كانت قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها . فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولا والله ما كان في

نفسى منها شيء ، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إليّ بمنّ تداولها . ولم أبال لو ناكها أهل منى كلهم .

[الشعر في نخلتي حلوان]

أخبرني عمّي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال : لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان ، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمّاراً ، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل . ولكن على العقبة نخلتان ، فمَرَّ بقطع إحداها . فأتى الرشيد بجمارتها ، فأكل منها وراح¹ . فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب :

أسعداني يا نخلتي حلوانِ وابكيا لي من ريب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقننا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ

فاغتم الرشيد ، وقال : يعز عليّ أن أكون نحسكما ، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال : لما خرج المهديّ فصار بعقبة حلوان استطاب الموضوع فتغذى ودعا بحسنة فقال لها : أما ترين طيب هذا الموضوع ؟ غنيّني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحاً ، فأخذت مِحْكَةً كانت في يده وأوقعت على مِحْدَةٍ وغتته : [من الطويل]

أيّا نخلتيّ وادي بُوّانة حبّدا إذا نام حرّاسُ النخيل جنّاكما

فقال : أحسنت . ولقد هممت بقطع هاتين النخلتين ، يعني نخلتي حلوان ، فمنعني منهما هذا الصوت . وقالت له حسنة : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المَفرق بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه . فلما بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

أسعداني وأيقننا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ

قال : أحسنت والله فيما قلت ، إذ نَبّهتني على هذا ، والله لا أقطعهما أبداً ، ولأوكلنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت . ثم أمر بأن يُفعلَ ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات .

نسبة هذا الصوت الذي غنّته -حسنة

[من الطويل]

أيا نخلتي وادي بُوانة حبّذا إذا نام حُرّاسُ النخيلِ جنّاكما
 فطبيكما أرى على النخل بهجةً وزاد على طولِ الفتاء فتّاكما
 يقال إنّ الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة¹ . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ،
 وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي .

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن الخراز عن المدائني أنّ المنصور اجتاز بنخلتي
 حلوان وكانت إحداها على الطريق ، فكانت تُضَيِّقه وتزحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعهما ،
 فأنشد قول مطيع :

[من الخفيف]

واعلما ما بقيتما أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال : لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، وتركهما .

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه إسماعيل بن داود أنّ المهديّ قال : قد أكثر الشعراء
 في نخلتي حلوان ولهممت أن أمر بقطعهما . فبلغ قوله المنصور ، فكتب إليه : «بلغني أنّك
 هممت بقطع نخلتي حلوان . ولا فائدة لك في قطعهما ، ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أعيدك
 بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما ، فتفرق بينهما» . يريد قول مطيع .

ومّا قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حمّاد عجرد ، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار
 حمّاد :

[من الخفيف]

جعلَ الله سِدْرَتِيْ قصرَ شيرِـه من فداء لنخلتي حلوان²

جئت مستعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكت له النخلتان

وأنشدني جحظة ووكيّع عن حمّاد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسمّه : [من الخفيف]

أيُّها العاذلانِ لا تعذلاني ودعاني من الملام دُعاني

وابكِـا لي فإنّني مستحق منكما بالبكاء أن تسعداني

إنّني منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتي حلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو من هـواه وأتما تعلمان

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة :

[من الخفيف]

1 ديوانه : 392 .

2 سدرتي في ل : نخلتي .

وكذاك الزمان ليس وإن أَلَّ ف يبقَى عليه مُوتلفان
 سلبت كُفَّه الغريُّ أخاه ثم نُنَى بنخلتي حُلوان¹
 فكأنَّ الغريُّ قد كان فرداً وكان لم تُجاور النخلتان
 أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال :
 جلس مطيع بن إلياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر ، فقال له
 الطبيب : أي شيء تشتهي اليوم ؟ قال : أشتهي ألا أموت . قال : ومات في علته هذه ، وذلك
 بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي .

قال أبو الفرج : ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع ، قال : [من مجزوء الوافر]

صوت

أمر مدامة صِرْفاً كأن صبيها ودج²
 كأن المسك نفحتها إذا بزلت لها أرج³
 فظل تخالؤه ملكاً يصرفها ويمتزج³
 الغناء لإبراهيم ، ثاني ثقل بالخنصر والوسطى عن ابن المكّي . وفيه لحن آخر لابن
 جامع . وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

صوت

[من مجزوء الكامل]

جُدَلْتُ كجدل الخيزرا ن وثُنيت فتشّت
 وتيقنّت أن الفوا د يجهها فادلّت
 الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل ، وذكر حبش أنه لمقامة .

صوت

[من الخفيف]

أيّها المتغني بِلَوِي رشادي اله عني فما عليك فسادي
 أنتَ خلّو من الذي بي وما يع لم ما بي إلا القريحُ الفؤاد
 الغناء ليونس رمل بالبصر من كتابه ورواية الهشامي .

1 الغري : أحد الغريين ، بناءً ان كانا بالكوفة .

2 الودج : عرق في العنق كناية عن الحمرة .

3 يصرفها ويمتزج : يجعلها صرفاً وممزوجة .

صوت

[من الطويل]

أَلَا إِنَّ أَهْلَ الدَّارِ قَدْ وَدَّعُوا الدَّارَ وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الدَّارِ فِي الدَّارِ أَجْوَارًا¹
يَبْكِي عَلَى إِثْرِ الْجَمِيعِ فَلَا يَرَى سَوَى نَفْسِهِ فِيهَا مِنَ الْقَوْمِ دِيَارًا
الغناء لإبراهيم خفيف ثقیل بالوسطی عن عمرو بن بانه . وذكر ابن المكي أن فيه لابن
سُريج لحنًا من الثقیل الأوّل بالبنصر .
انقضت أخبار مطيع ولله الحمد .

صوت

[من المنسرح]

فِي انْقِبَاضٍ وَحَشْمَةٍ فَإِذَا صَادَفْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أُرْسِلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
الشعر لمحمد بن كناسة الأسدي ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقیل أوّل بالوسطی . وذكر ابن
خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحنًا .

[251] - أخبار محمد بن كناسة ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان ، واسم صهبان كعب ، بن ذوية بن أسامة بن نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ ويكنى أبا يحيى . شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والمنشأ ، قد حُمِلَ عنه شيء من الحديث ؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله ، وكان امرأً صالحاً لا يتصدى لدح ولا لهجاء ؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزُّبيري قال : قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين : أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد :

رَأَيْتُكَ مَا يُغْنِيكَ مَا دُونَهُ الْغِنَى وَقَدْ كَانَ يُغْنِي دُونَ ذَلِكَ ابْنُ أَدْهَمَا
وَكَانَ يَرَى الدُّنْيَا صَغِيرًا عَظِيمَهَا وَكَانَ لِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مَعْظَمَا
وَأَكْثَرَ مَا تَلْقَاهُ فِي الْقَوْمِ صَامِتَا فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَأَحْكَمَا
فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ : أَنَا قُلْتُهَا وَقَدْ تَرَكْتُ أَجُودَهَا . فَقُلْتُ : وَمَا أَجُودَهَا ؟

فَقَالَ :

أَهَانَ الْهَوَى حَتَّى تَجَنَّبَهُ الْهَوَى كَمَا اجْتَنَبَ الْجَانِي الدَّمَ الطَّالِبَ الدَّمَ
[حديث ابن كناسة]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ إجازةً قال حدثني علي بن مسرور العتكي¹ قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة : لقد كنت أَتَحَدَّثُ بالحديث فلو لم يجد سامعُهُ إِلَّا الْقُطْنَ الذي على وجه أمِّه في القبر لتعلَّلَ إليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ ، وأنا اليوم أَتَحَدَّثُ بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهَيَّءُ له عذراً .
[مداعة جاريته]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ إجازةً قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول : كنتُ في طريق الكوفة ، فإذا أنا بجوْزِيَّةٍ تلعب بالكِعباب كأنها قضيب بانٍ ، فقلت لها : أنتِ أيضاً لو ضُِعَّتْ لَقَالُوا ضَاعَتِ الجارية ،

ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق . فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام ؟ فكُفستُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت :

[من الطويل]

وَأَنسِي لَحْلُوَ مَخْبِرِي إِنْ خَبِرْتَنِي وَلَكِنْ يُغْطِيَنِي وَلَا رَيْبَ بِي شَيْخٌ¹

فقلت لي وهي تلعب وتبسمت : فما أصنع بك أنا إذا ؟ فقلت : لا شيء . وانصرفت .

[تفسير بيت]

أخبرنا ابن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر :

[من الوافر]

إِذَا الْجُوزَاءُ أُرْدِفَتِ الثَّرِيَا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

فقال : يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خُفَّت تفرق الحي من مجتمعهم ؛ والثريا تطلعُ بالبغداة في الصيف ، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أوّل القيظ .

[تعريضه بأمراته]

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال : مرّ محمد بن كناسة في طريق بغداد ، فنظر إلى مصلوب على جذع ، وكانت عنده امرأة يغضُّها ، وقد ثقل عليه مكانها ، فقال يعنيها :

[من الطويل]

أَيَا جِدْعٍ مَصْلُوبٍ أَتَى دُونَ صَلْبِهِ ثَلَاثُونَ حَوْلًا كَامِلًا هَلْ تُبَادِلُ

فَمَا أَنْتَ بِالْحِمْلِ الَّذِي قَدْ حَمَلْتَهُ بِأَضْجَرَ مَنْسِي بِالَّذِي أَنَا حَامِلٌ

[خدمة العيال لا تنقص الكمال]

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد . وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال : رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة ، فقال : هاته أحمله عنك . فقال : لا . ثم قال :

[من الرجز]

لَا يَنْقُصُ الْكَامِلَ مِنْ كَالِهِ مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

[ذكاء دنائير]

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدثني محمد بن عليّ بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوماً عند ابن كناسة ، فقال لنا : أعرفكم شيئاً من فهم دنائير ؟ يعني جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها : «إِنَّكَ أُمَّةٌ ضَعِيفَةٌ لِكَعَاءٍ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَعَجِّلِي بِجَوَابِي . والسلام» . فكتبت إليه : «سَاءَنِي تَهَجُّجُكَ إِلَيَّ عِنْدَ أَبِي الْحُسَيْنِ² ، وَإِنْ مِنْ أَعْيَا الْعِيَّ الْجَوَابَ عَمَّا لَا

1 الشيخ : الشيخوخة .

2 أبو الحسين : كنية علي بن عثمان راوي الخبر .

جواب له . والسلام» .

[دنانير ترثي صديق علي بن عثمان]

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال : جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدت جاريته دنانير جالسة ، فقالت لي : ما لك محزوناً يا أبا الحسين ؟ فقلت : رجعت من دفن أخ لي من قريش . فسكنت ساعة ثم قالت :

بكيت على أخ لك من قريش فأكانا بكاؤك يا علي
فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلي

[يحفظ كرامته مع فقره]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال : أملت محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك :

تؤنّبني أن صنت عِرْضي عِصَابَةً لها بين أطناب اللّثام بصيصُ
يقولون لو غمّضت لآزددت رفعة فقلت لهم إني إذن لحريص¹
أتكلّم وجهي لا أبا لأبيكم مطامع عنها للكرام محيصُ
معاشي دوين القوت والعرض وافر وبطني عن جدوى اللّثام خميص²
سألقي المنايا لم أخالط دنيّة ولم تسر بي في المخزيات قُلوصُ

[لا حشمة عند الكرام]

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال : أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال :

قال إسحاق فقلت لابن كناسة : وددت أنه نقص من عمري ستان وأني كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

1 حريص : جشع .

2 جدوى : عطية . خميص : ضامر .

[رثاء إبراهيم بن أدهم]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّي قال حدّثني محمد بن المقدم العجلي قال : كانت أمّ محمد بن كناسة امرأة من بني عجل ، وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله ، فحدّثني ابن كناسة أنّ إبراهيم بن أدهم قديم الكوفة فوجّهت أمّه إليه بهديّة معه ، فقبلها ووهب له ثوباً ، ثم مات إبراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال : [من الطويل]

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى	وقد كان يكفيك دون ذاك ابن أدهم
وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرها	فكان لأمر الله فيها معظماً
أما الهوى حتى تجنّب الهوى	كما اجتنب الجاني الدّم الطالب الدّم
وللحلم سلطان على الجهل عنده	فما يستطيع الجهل أن يترمزاً ¹
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً	وإن قال بَدُ القائلين وأحكما
يُرى مستكيناً خاضعاً متواضعاً	وليثاً إذا لاقى الكتيبة ضيغما
على الجدث الغربي من آل وائل	سلام وبرّ ما أبرّ وأكرما

[ضعفه عن وصل إخوانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال حدّثني زكريّا بن مهران قال : عاتب محمد بن كناسة صديق له شريف كان ابن كناسة يزوره ، ويألفه على تأخّره عنه ، فقال ابن كناسة :

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم	على غير زهد في الوفاء ولا الودّ
ولكنّ أيامي تخزمن مُتّي	فما أبلغ الحاجات إلّا على جهْدٍ ²

[الدنيا في نظره]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّي قال أنشدني ابن كناسة . قال الضَّبِّي : وكان يحبّي يستحسنها ويعجب بها :

ومن عجب الدنيا تبقيك لليلي	وأنك فيها للبقاء مريد
وأبي بني الأيام إلّا وعنده	من الدهر ذنب طارف وتليد
ومن يأمن الأيام أما انبياعها	فخطر وأما فجّعها فتعيد ³

1 ررم : حرك فاه للكلام ولم يتكلم .

2 المنّة : القوة .

3 انبياعها في ل : اتساعها . والانبياع : الوثوب من سكون . والخطر : خطر البعير بذنبه : ضرب به يميناً وشمالاً . والعيد : الحاضر المهيأ .

إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فِطام النفس عنه شديد

[صفة الحيرة]

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عبيد بن الحسن : قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق ، فلم يزل ينظر إلى البرّ وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق ، فأنشأ يقول :

الآن حين تزين الظَّهْر	مِثَاوُهُ وِبَراقه العُفْرُ ¹
بسط الربيع بها الرياض كما	بُسْطَتْ قُطُوع اليمنة الحمُرُ ²
بريّة في البحر نابته	يُجْبَى إليها البرّ والبحرُ
وجرى الفرات على مياسرهما	وجرى على أيمانها الزهرُ
وبدا الخورنق في مطالعها	فرداً يلوح كأنّه الفجرُ
كانت منازل للملوك ولم	يُعلم بها لمملك قبرُ

قال : ثم قال يصف تلك البلاد :

سَقَلَتْ عَنْ بَرْدِ أرضٍ	زادها البرد عذابا
وعَلَتْ عن حرٍّ أخرى	تلهب النار التهابا
مُزِجَتْ حيناً ببردٍ	فصفوا العيش وطابا

[اختيار الصديق]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العنزّي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال : رأي أبي مع أحداثٍ لم يرضَهُمْ ، فقال لي :

يُنْبِيكَ عن عيب الفتى	ترك الصلاة أو الخدين
فإذا تهاون بالصلا	فما له في الناس دين
ويُزَنُّ ذو الحدث المريد	بِ بما يُزَنُّ به القرين ³

1 الميثاء : الأرض السهلة . والبراقة : جمع برقة ، وهي أرض غليظة يختلط فيها الحجارة والرمل .

2 قطوع اليمنة : بسط اليمن .

3 يزَنُّ : يتهم .

[من مجزوء الرمل]

[من مجزوء الكامل]

إِن الْعَفِيفَ إِذَا تَكَنَّفَهُ الْمَرِيبُ هُوَ الظَّنِّينُ¹

[مخالفة القول للعمل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثني ابن مَهْرُؤَيْه قال حدثني أحمد بن خلّاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ، قال : كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ، قال : كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه ، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونُسكاً ؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره ، فلَمَّا جاءه قال له : [من الكامل]

مَا مَنْ رَوَى أَدَباً فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَيَكْفَ عَنْ دَفْعِ الْهَوَى بِأَدَبٍ²
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلاً مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونُ غَيْرَ مُعِيبٍ
وَلَقَلَّمَا يُغْنِي إِصَابَةً قَائِلٌ أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبٍ

[طبيب بني أود]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جدّه قال : أتيتُ امرأةً من بني أُوْدٍ تكحلّني من رمديّ كان أصابني ، فكحلّنتي ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك . فاضطجعت ، ثم تمثّلت قول الشاعر : [من الطويل]

أُمُخْتَرِمِي رَيْبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أُزِرْ طَبِيبَ بَنِي أُوْدٍ عَلَى النَّأْيِ زَيْنَا
فَضَحَكْتَ ثُمَّ قَالَتْ : أَتَدْرِي فِيمَنْ قِيلَ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ . فَقَالَتْ : فِيّ وَاللَّهِ قِيلَ ، وَأَنَا زَيْنَبُ الَّتِي عَنَاهَا ، وَأَنَا طَبِيبُ أُوْدٍ ، أَتَدْرِي مِنَ الشَّاعِرِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَتْ : عَمَّكَ أَبُو سَمَّاكِ الْأَسَدِيِّ .

[شعر دنائير في أبي الشعثاء]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَثَّامِ الْكَلَابِيِّ قَالَ : كَانَتْ لَابِنُ كِنَاسَةَ جَارِيَةٌ شَاعِرَةٌ مَغْنِيَّةٌ ، يُقَالُ لَهَا دَنَائِيرُ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ يَكْنَى أَبَا الشُّعْثَاءِ ، وَكَانَ عَفِيفاً مَزَاحاً . فَكَانَ يَدْخُلُ إِلَى ابْنِ كِنَاسَةَ يَسْمَعُ غَنَاءَ جَارِيَتِهِ وَيَعْرِضُ لَهَا بِأَنَّهُ يَهْوَاهَا ، فَقَالَتْ فِيهِ :

لَأَبِي الشُّعْثَاءِ حُبٌّ بَاطِنٌ لَيْسَ فِيهِ نَهْضَةٌ لِمَتَّهِمْ
يَا فَوَادِي فَازْدَجِرْ عَنْهُ وَيَا عَبَثَ الْحَبِّ بِهِ فَاقْعُدْ وَقُمْ
زَارَنِي مِنْهُ كَلَامٌ صَائِبٌ وَوَسِيلَاتُ الْحَبِّينِ الْكَلِيمُ

1 الظنين : المتهم .

2 دفع في ل : وقع .

صائدٌ تأمنهُ غِزْلَانُهُ مثلَ ما تأمنُ غِزْلَانُ الحَرَمِ
 صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى المنى يا ابا الشَّعْثَاءِ اللهُ وصُمِّ
 تُمِّ ميعادُك يوم الحشرِ في جَنَّةِ الخلدِ إن الله رَحِمَ
 حيثُ ألقاك غلاماً ناشئاً يافعاً قد كُملت فيه النعمُ

[رثاؤه دنانير]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثني موسى بن صالح قال : ماتت دنانير جارية ابن كناسة ، وكانت أديبةً شاعرة ، فقال يرثيها :

الحمدُ لله لا شريكَ له يا ليتَ ما كان منك لم يكن
 إن يكن القولُ قلّ فيك فما أفحمني غيرُ شِدَّةِ الحزنِ

[رواية ابن كناسة للحديث]

قال أبو الفرج : وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً ، وروى عنه الثقاتُ من الحديثين ؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الأعمش ، وإسماعيلُ بن أبي خالد ، وهشامُ ابن عُروة بن الزُّبير ، ومِسْعَرُ بن كِدَام ، وعبد العزيزُ أبي داود ، وعُمَرُ بن ذر الهمدانيّ ، وجعفرُ بن بُرقان ، وسفيانُ الثوريّ ، وفطرُ بن خليفة ونظراؤهم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن سعد العوفيّ قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعريّ قال : قلت : يا رسول الله إنَّ الرجل يحبُّ القوم ولم يَلْحَقْ بهم . قال : «المرء مع من أحبَّ» .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «خيرُ نساءها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نساءنا خديجةُ» . والله أعلم .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا ابن كناسة قال حدّثنا إسماعيلُ بن أبي خالد ، عن زِرِّ بن حُبَيْش قال : كانت في أبيّ بن كعب شراسةٌ ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله ، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هي ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط ، ليعلم صحّة ما حكّيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس ممّا يصلحُ هاهنا .

[252] - أخبار قلم الصَّالِحِيَّة

كانتْ قَلَمُ الصَّالِحِيَّةِ جَارِيَةً مُوَلَّدَةً صَفْرَاءَ حُلُوةَ حَسَنَةَ الْغَنَاءِ وَالضَّرْبَ حَازِقَةً ، قَدْ أَخَذَتْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْحَاقَ ، وَبَحْيَى الْمَكِّيَّ ، وَزُبَيْرَ بْنَ دَحْمَانَ . وَكَانَتْ لَصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَخِي أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ كَاتِبَ صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَتْ لِأَبِيهِ . وَكَانَتْ لَهَا صُنْعَةٌ يَسِيرَةٌ نَحْوَ عَشْرِينَ صَوْتًا ، وَاشْتَرَاهَا الْوَائِقُ بَعِشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ .

[إعجاب الواثق بها]

فَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنِي رِذَاذُ أَبُو الْفَضْلِ الْمَغْنِيِّ مَوْلَى الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هِشَامٍ ، قَالَ : كَانَتْ قَلَمُ الصَّالِحِيَّةِ جَارِيَةً صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ إِحْدَى الْمَغْنِيَّاتِ الْحُسَيْنِيَّاتِ الْمُتَقَدِّمَاتِ ، فَغَنَّى بَيْنَ يَدَيِ الْوَائِقِ لَحْنًا لَهَا فِي شَعْرِ مُحَمَّدِ بْنِ كَنَاسَةَ ، قَالَ :

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا صَادَفْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

فَسَأَلَ : لِمَنِ الصَّنْعَةُ فِيهِ ؟ فَقِيلَ : لِقَلَمِ الصَّالِحِيَّةِ جَارِيَةِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ . فَبِعِثَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فَأَحْضَرَهُ . فَقَالَ : وَيْلَكَ ! مَنْ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ هَذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ . قَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : بِبَغْدَادَ ، قَالَ : ابْعَثْ فَأَشْخِصْهُ وَأَشْخِصْ مَعَهُ جَارِيَتَهُ الْمُسَمَّاةَ بِقَلَمِ الصَّالِحِيَّةِ . فَقَدِمَا عَلَى الْوَائِقِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ قَلَمٌ ، فَأَمَرَهَا بِالْجُلُوسِ وَالْغَنَاءِ ، فَغَنَّتْ ، فَاسْتَحْسَنَ غِنَاءُهَا وَأَمَرَ بِابْتِيَاعِهَا . فَقَالَ صَالِحٌ : أَبِيعَهَا بِمِائَةِ آلْفِ دِينَارٍ وَوَلَايَةِ مِصْرَ . فَغَضِبَ الْوَائِقُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ غَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ زَرْزُورَ الْكَبِيرِ فِي مَجْلَسِ الْوَائِقِ صَوْتًا ، الشَّعْرُ فِيهِ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَخِي صَالِحِ ، وَالْغَنَاءُ لِقَلَمٍ ، وَهُوَ :

صوت

أَبَتْ دَارَ الْأَحْبَةِ أَنْ تَبِينَا أَجِدُّكَ مَا رَأَيْتَ لَهَا مُعِينَا
تَقَطَّعَ نَفْسُهُ مِنْ حَبِّ لَيْلٍ نَفُوسًا مَا أَثْبَنَ وَلَا جَزِينَا

فَسَأَلَ : لِمَنِ الْغَنَاءُ ؟ فَقِيلَ : لِقَلَمِ جَارِيَةِ صَالِحِ . فَبِعِثَ إِلَى ابْنِ الزِّيَّاتِ : أَشْخِصْ صَالِحًا وَمَعَهُ قَلَمٌ . فَلَمَّا أَشْخَصَهُمَا دَخَلَتْ عَلَى الْوَائِقِ . فَأَمَرَ أَنْ تَغْنِيَ هَذَا الصَّوْتَ ، فَغَنَّتْ . فَقَالَ لَهَا : الصَّنْعَةُ فِيهِ لَكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ . وَبِعِثَ إِلَى صَالِحٍ فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ

له : إني قد رغبت في هذه الجارية فاستم في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه فقال : أما إذ وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أمليك شيئاً فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإن من حقها عليّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الوراق : قد قبلتها . وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها احتياطاً . فلم يعطه ابن الزيات المال ومطلّه به ، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك ، ففتت الوراق وقد اصطبح صوتاً ، فقال لها : بارك الله فيك وفيمن ربّاك . فقالت : يا سيدي وما نفع من ربّائي مني إلّا التعب والغرم عليّ والخروج مني صيفراً ؟ قال : أو لم أمر له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ؛ ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه ، وخمسة آلاف دينار أخرى معها . قال صالح : فصيرت مع الخادم إليه بالكتاب ، فقرّبتني وقال : أمّا الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة . فقمّت ، ثم تناساني كأنه لم يعرفني ، وكتبت أقضيه ، فبعث إليّ : اكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء ، فاستترت في منزل صديق لي ؛ فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوّه إلى الوراق ، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي : أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك ، هل قبضت المال ؟ قلت : نعم قد قبضته . قال صالح : وابعت بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها معاشي ، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها .

[علي بن الجهم يمدح الوراق]

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني أحمد بن إسحاق الخراساني . قال : وحدّثني محمد بن مخارق قال : لما بويع الوراق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله¹ : [من السريع]

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين	بدولة الوراق هارون
وعمّ بالإحسان من فضله	فالناس في خفض وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا	وأكثر التالي بآمين

وأنشده أيضاً قوله فيه² :

وثقت بالملك الوا	ثقي بالله النفوس
ملك يشقى به الما	ل ولا يشقى الجليس

[من مجزوء الرمل]

1 ديوان علي بن الجهم : 231 .

2 ديوانه : 150-151 .

أَسَدُ تَضَحَّكَ عَنْ شَدِّ إِتِهِ الْحَرْبُ الْعَبُوسُ
 أَنَسُ السِّيفُ بِهِ وَاسِدٌ تَوَحَّشَ الْعِلْقُ النَّفِيسُ
 يَا بَنِي الْعَبَّاسِ يَا بِي الدَّلَّ هُـ إِلَّا أَنْ تَسُوسُوا

قال : فوصله الواثق صلة سنية .

وتغنت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين ، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

[من الطويل]

وَكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمَعَ قَبْلَكَ مِنْ بَكْيٍ فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ شَاغِلُهُ
 سَقَى جَدْنًا أَعْرَافُ غَمْرَةٍ دُونَهُ بَبِيشَةً دِيمَاتُ الرِّبْعِ وَوَابِلُهُ¹
 وَمَا بِيَّ حُبُّ الْأَرْضِ إِلَّا جَوَارُهَا صَدَاهُ وَقَوْلُ ظَنَّ أَنِّي قَائِلُهُ

الشعر للشمردل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثي بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقیل أول بالوسطى ، ابتدأه نشيد ، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي ، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج .

1 الأعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة .

[253] - أخبار الشمردل ونسبه¹

[نسبه]

الشَّمْرَدَل بن شريك بن عبد الملك بن رُوثة بن سلمة بن مكرم بن ضيارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان في أيام جرير والفرزدق .
[هجا وكيع لتفريقه إخوته]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدّامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان . فقال له الشمردل : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد ، فإننا إذا اجتمعنا تعاوناً وتناصرنا وتناصبنا . فلم يفعل ما سألته ، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها . فقال الشمردل يهجوهم ، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم² بن أذ بن طابخة :
[من الكامل]

إِنِّي إِلَيْكَ إِذَا كَتَبْتُ قَصِيدَةً	لَمْ يَأْتَنِي لِحَوَاهَا مَرْجُوعٌ
أُضْيِعُهَا الْجُشْمِيَّ فِيمَا بَيْنَنَا	أَمْ هَلْ إِذَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ تَضِيْعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَأَنْتَ عَنِّي نَازِحٌ	فِيمَا أَتَى كَيْدُ الْحِمَارِ وَكَيْعُ
وَبُنُو غُدَانَةٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَهُمْ	أَنْ يُهْضَمُوا وَيَضِيْعَ لَهُمْ يَرْبُوعُ
وَعُمَارَةُ الْعَبْدِ الْمُبِينِ إِنَّهُ	وَاللَّوْمُ فِي بَدَنِ الْقَمِيصِ جَمِيعُ

[رثاؤه لأخويه]

قال أبو عبيدة : ولم ينشَب³ أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس ؛ قتله جيش لقوهم بها ، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام ، فقال يرثيهما :
[من الطويل]
أَعَاذُلُ كَمْ رُوعَةٍ قَدْ شَهِدْتُهَا وَغُصَّةَ حَزْنٍ فِي فِرَاقِ أَخٍ جَزَلٍ⁴

1 للشمردل ترجمة في الشعر والشعراء : 593 والمؤتلف : 139 والسمط : 544 وقد نقل صاحب التذكرة الحمدونية بعض أخباره وشعره .

2 ل : حميس .

3 لم ينشَب : لم يلبث .

4 الجزل : الكريم والعاقل .

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت
وما أنا إلا مثلٌ من ضُرِبَتْ له
أقول إذا عَزَبَتْ نفسي بإخوة
أبى الموت إلا أن كل بني أب
سيل حبيبي اللذين تبرّضا
كأن لم نسير يوماً ونحن بغبطة
فعينَي إن أفضَلْتُمَا بعد وائلٍ
خليلي من دون الأخلاء أصبحا
فلا يبعدا للدّاعيين إليهما
فقد عَدِم الأضيافُ بعدهما القرى
وكانا إذا أيدي الغضاب تحطّمت
تَحاوِزُ أيدي جهل القوم عنهما
كمستأسيدي عريسةٍ لهما بها
ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره .

[رثاؤه أخاه وائلًا]

قال أبو عبيدة : وقال يرثي أخاه وائلًا ، وهي من مختار المراثي وجيد شعره : [من الطويل]
لعمري لمن غالت أخي دارُ فرقة
وحلّت به أثقالها الأرضُ وانتهى
لقد ضُمَّنت جَلَدَ القوى كان يُتقى
وصُولُ إذا استغنى وإن كان مقتراً
محلٌّ لأضياف الشتاء كأنّما
وآب إلينا سيفُهُ ورواحلُهُ
بمشواه منها وهو عَفٌّ مأكلةُ
به جانبُ الثغر المخوفِ زلازلُهُ
من المال لم يُخَفِ الصديقَ مسائلُهُ
هُمُ عنده أيتامه وأراملُهُ

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت .

2 أسي : جمع أسوة ، ما يتأسى به الحزين .

3 تبرضا دموعي : استنزفا الدموع ببطء .

4 الوغل : النذل الساقط .

5 الواغر : المتقذ من الغيظ . والتبل : العداوة .

6 الترع : التسرّع .

رخيصة نضيج اللحم مغلي بينيه
 أقول وقد رجمت عنه فأسرعت
 إلى الله أشكو لا إلى الناس فقدته
 وتحقيق رؤيا في المنام رأيته
 سقى جدثاً أعراف غمرة دونه
 بمثوى غريب ليس منا مزاره
 إذا ما أتى يوم من الدهر دونه
 سنا صبح إشراق أضواء ومغرب
 تحية من أذى الرسالة حبيت
 أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل
 وكنت أعير الدمع قبلك من بكى
 يذكرني هيف الجنوب ومنتهى
 وهتافة فوق الفصون تفجعت
 من الورق بالأصياف نواحة الضحى
 وسورة أيدي القوم إذ حلت الحبا
 فعيني إذ أبكا كما الدهر فابكيا
 إذا استعبرت عوذ النساء وشمرت
 وأصبح بيت الهجر قد حال دونه
 وثقن به عند الحفيظة فارعوى
 إلى ذائد في الحرب لم يك خاملاً
 كما ذاد عن عريسة الغيل مخدير

إذا بردت عند الصلاء أنامله
 إليّ بأخبار اليقين محاصله¹
 ولوعة حزن أوجع القلب داخله
 فكان أخي رُمحاً ترفض عامله²
 ببیشه ديمات الربيع ووابله
 بدان ولا ذو الود منا مواصلة
 فحيّاك عنا شرقه وأصائله
 من الشمس وافى جنح ليل أوائله
 إليه ولم ترجع بشيء رسائله
 يخالط جفنيها قذى لا يزائله
 فأت على من مات بعدك شاغله
 مسير الصبا رمساً عليه جنادله³
 لفقد حمام أفردتها جباله
 إذا الغرقد التفّت عليه غياطله⁴
 حبا الشيب واستعوى أنا الحلم جاهله⁵
 لمن نصره قد بان منا وناثله
 مآزر يوم ما توارى خلاخله⁶
 وغال امراً ما كان يخشى غوائله
 إلى صوته جاراته وحلائله
 إذا عاذ بالسيف المجرد حامله
 يخاف الردى ركبانه ورواحله

1 رجم بالغيب : تكلم بما لم يعلم .

2 ترفض : تكسر . وعامل الرمح : صدره .

3 هيف الجنوب : ريح حارة تأتي من الجنوب .

4 الغرقد : شجر . والغياطل : ما التفّ واجتمع .

5 الحبا : جمع حبة ، وهو الثوب . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب . واستعوى : صاح إلى الفتنة .

6 عوذ النساء : جمع عائد ، وهي التي مضى أسبوع على وضعها لأن ولدها يعوذ بها .

فما كنت أُلقي لأمريء عند موطن
وكنت به أغشى القتال فعزني
لعمرك إن الموت منا لمولع
فما البعد إلّا أننا بعد صحبة
سقى الضفّرات الغيث ما دام ثاوياً
وما بي حب الأرض إلّا جوارها
[رثاؤه أخاه حكم]

قال أبو عبيدة : ثم قُتل أخوه حكم أيضاً في وجهه ، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله ،
وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه فقال يرثيه :

يقولون احتسب حكماً وراحوا
وقبل فراقه أيقنت أنني
أخ لي لو دعوت أجاب صوتي
فقد أفسى البكاء عليه دمعي
مضى لسبيله لم يُعط ضيماً
قتلنا عنه قاتله وكنا
قتيلاً ليس مثل أخي إذا ما
وكنت سينان رحي من قناتي
وكنت بنان كفي من يميني
وكان يهابك الأعداء فينا
فقد أبدوا ضغائنهم وشدوا
فذاك أخ نبا عنه غناه

[ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي
سهيل قالاً : وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمرّ فيها هذا البيت : [من الطويل]

1 عزني : غلبني .

2 نابت : نبئت معه . ونقايله : نام معه القيلولة .

3 الضفّرات : جمع ضفرة ، وهي أرض سهلة مستطيلة . شوك : موضع .

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حَزَّ الحلاقم
فقال له الفرزدق : والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت ، أو لتتركن لي عرضك .
فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي
أولها : [من الطويل]

تَحِنُّ بزوراء المدينة ناقتي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائم¹
[تأويل رؤيا الشمردل]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا غسان عن أبي عبيدة قال : رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سينان
رحمه سقط ، فعبّره على بعض من يعبر الرؤيا ، فأتاه نعي أخيه وائلٍ ، فذلك قوله : [من الطويل]
وَتَحْقِيقُ رؤيا في المنام رأيتها فكانَ أخي رُحماً تَرْفُضُ عامِلُهُ
[نديمه ينسى فعله من السكر]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل مغرمًا بالشراب ، وكان له
نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقال له ذَيْكَل من قومه ، والآخر من
بني شيبان يقال له قَبِيصَة . فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونخروه وشربوا حتّى سَكروا ، وانصرف
قَبِيصَة حافياً وترك نعلَه عندهم ، وأنسيها من السُّكر ، فقال الشمردل : [من الطويل]

شربتُ ونادمتُ الملوك فلم أجد	على الكأس نَدمانا لها مثلَ ذَيْكَل
أَقَلَّ مِكَاساً في جَزور وإن غلت	وأسرَعُ إنضاجاً وإنزالَ مِرْجَل
ترى البازلَ الكَوماء فوق خوانه	مفصّلةً أعضاؤها لم تُفصّل
سَقَيْنَاهُ بعد الرّي حتّى كأنّما	يرى حين أمسى أبرقى ذاتِ مأسَل ²
عشيّة أنسينا قَبِيصَة نعلَه	فَرَاخَ الفتى البكريُّ غيرَ مُنْعَل

[هلال لم يرفده فهجاه]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة قال : مدح الشمردل بن شريك هلال بن
أحوز المازنيّ واستماحه ، فوعده الرّفْد ، ثم ردّده زماناً طويلاً حتّى ضجر ، ثم أمر له بعشرين
درهماً فدفعها إليه وكيّله غلّة فردّها ، وقال يهجهوه : [من الطويل]

يقول هلالٌ كلّما جئت زائراً ولا خيرَ عند المازنيّ أعاوِدةً
ألا ليتني أمسي وبينني وبينه بعيدُ مناطِ الماء غيرَ فدافِدة³

1 العجول : الناقة الحزينة لفقد ولدها . البو : جلد ولد الناقة يحشى تبناً ويقرب منها لتدر . رائم : عطوف .

2 الشطر الثاني في ل : يرى حرشاً في أبرقي أم مرسل .

3 الفدغد : الفلاة .

غداً نصفُ حول منه إن قال لي غدا
ولو أنني خُيرت بين غداته
تموّضت من ساقِي عشرين درهماً
ولو قيلَ مثلاً كنزِ قارونَ عنده
ومثلك منقوص اليمين رددته
وبعد غد منه كحول أراصدّه
وبين يرّازي دليماً أجالده
أتاني بها من غلّة السوق ناقدّه
وقيل التمس موعودّه لا أعاودّه
إلى مجتدٍ قد كان حيناً يُجاجة

[هجاؤه رجلاً من ضبة شمت بمقتل إخوته]

حدثنا هاشم قال : حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضبة كان عدواً للشمردل ، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك ، ثم خرج في البعث الذي بُعث مع وكيع ، فلما قُتل إخوة الشمردل وماتوا ، بلغه عن الضبي سرورٌ بذلك ، وشماتةً بمصيبته فقال : [من البسيط]

يا أيُّها المبتغي شتمي لأشتمه
ما أرضعتُ مرضعٌ سخلاً أعقُ بها
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عريت
عوى ليكسيها شراً فقلت له
ومن تعرّض شتمي يلقَ معطسه
متى أجبك وتسمع ما عنيت به
أولاً فحسبك رهطاً أن يفيدهم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم
يُشبّهون قريشاً من تكلمهم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم
جزوا النواصي من عجلٍ وقد وطئوا
ويوم أفلتهن الحوفزانُ وقد
إن كنت أعمى فأتني عنك غيرُ عمٍ
في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمٍ
مُدالة لقُدور الناس والحُرَمِ¹
من يُكسِب الشرّ ثديي أمّه يُلمِ
من النشوق الذي يشفي من اللَمِ²
تُطرق على قذع أو ترضَ بالسَلَمِ³
لا يغديرون ولا يوفون بالذمِ
كأنه في ذرى ثهلان أو خيمِ⁴
وطول أنضيّة الأعناق والأمِ⁵
راحوا كأنهم مرضى من الكرمِ
بالخيل رهط أبي الصهباء والحُطَمِ
شالت عليه أكفُ القوم بالجِذَمِ⁶

1 الحنكلة : الدمية السوداء . عربت : توددت إلى زوجها أو حرصت على اللهو . المذالة : المهانة .

2 اللمم : الجنون .

3 القذع : الخنا والفحش . والسلام : الاستسلام .

4 ثهلان وخيم : جبلان .

5 تكلمهم في ل : تكرمهم . الأنضيّة : عظام العنق . الأمم : القمامات .

6 الجذم : السياط .

إني وإن كنتُ لا أنسى مُصابهم
لا يَبْعِدَا فتيا جودٍ ومكرمة
والبعد غاظمَا عني بمنزلةٍ
وما بناءٍ وإن شُدَّتْ دعائمه
لئن نجوتَ من الأحداثِ أو سلمت
[رثاء عمر بن يزيد الأسدي]

لم أدفع الموت عن زيقٍ ولا حكم
لدفعِ ضيمٍ وقتل الجوعِ والقرم¹
فيها تفرَّقُ أحياءٌ ومُخْرَمٌ
إلا سيصبح يوماً خاويَ الدَّعمِ
منهنَّ نفسك لم تسلمَ من الهرمِ

حدَّثنا هاشم قال : حدَّثنا دَمَاز عن أبي عبيدة قال : كان عمر بن يزيد الأسدي صديقاً
للشمردل بن شريك ، ومحسناً إليه كثير البرّ به والرّفد له ، فأتاه نعيه وهو بخراسان ، فقال
يرثيه :

ليس الصَّبَاحَ وأسلمته ليلة
من صولة يجتاح أخرى مثلها
عطّلن أيديهنَّ ثم تفجعت
وحليلة رزئت وأختٌ وابنةٌ
لا يبعد ابنُ يزيدَ سيّدُ قومه
حامي الحقيقة لا تزال جياذه
للحرب محتسب القتال مشمّرٌ
ساد العراق وكان أوّل وافد
يُعطي الغلاء بكلّ مجدٍ يُشترى
[وصف الصقر والقنص]

طالت كأنّ نجومها لا تبرح²
حتى ترى السُدفَ القيامَ النُوح³
ليلَ التمام بهنّ عبّرى تصدّحُ
كالبدّر تنظره عيونُ لُمعُ
عند الحفاظِ وحاجةٍ تُستنّجُ
تغدو مسومةً به وتروّحُ
بالدرع مضطمرُ الحواملِ سُرح⁴
تأتي الملوكَ به المهارى الطلح⁵
إن المغالي بالملكِ أربحُ

حدَّثنا هاشم قال حدَّثنا دماز عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل صاحب قنص وصيد
بالجوارح ، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة ، وأنشدنا له قوله : [من الرجز]
قد أغتدي والصبحُ في حجابهِ والليلُ لم يَأوِ إلى ما بهِ

1 القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

2 لبس في ل : لبث .

3 السدف : الضوء .

4 مضطمر : ضامر . الحوامل : الأرجل .

5 المهارى : نوع من الإبل . الطلح : المتعبة .

وقد بدا أبلق من مُنْجابه
مُعاوِد قد ذلّ في إصعابه
وعرّف الصوت الذي يُدعى به
فقلتُ للقائِص إذ أتى به
ويحك ما أبصر إذ رأى به
قشعاً ترى التّب من جنابه
غضبان يوم قنيّة رمى به
تحت جديد الأرض أو ترابه
إذ لا يزال حربه يشقى به
جاد وقد أنشب في إهابه
مثل مُدى الجزار أو حرابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه
من خرب وخزّز يعلى به
واعدهم لمنزل يتنا به
فقام للطبخ ولاحتطابه

[قتل الذئب الذي فتك بغمه]

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ. عن أبي عبيدة قال : كان ذئب قد لازم مرعى غنم
للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة ، فرصده ليلة حتى جاء لعادته ، ثم رماه بسهم
فقتله وقال فيه :

هل خبر السرحان إذ يستخبر
عني وقد نام الصّحاب السمر
لما رأيت الضّأن منه تنفر
نهضت وسنان وطار الميزر

1 الأبلق : الذي فيه سواد وبياض . التوجّي : الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس .

2 للممع : الذي يشير بالثوب ونحوه .

3 ملحوب : موضع .

4 الشحاج : الغليظ الصوت . والضغاب : المفزع بصوته .

5 الفؤاد في ل : الفصاد .

6 الخرب : ذكر الحبارى . والخز : ذكور الأرناب .

وراع منها مرح مستيهر¹ كأنّه إعصار ربح أغبر¹
 فلم أزل أطردّه ويعكر² حتى إذا استيقنتُ ألا أعذر²
 وأنّ عقري غنمي ستكثر³ طار بكفي وفوادي أوجر³
 ثمت أهويت له لا أوجر³ سهماً فولّي عنه وهو يعثر³
 وبت ليلى آمناً أكبر

[الأصمعيّ يستجيد شعر الشمردل]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال
 الشمردل بن شريك ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ، ويقول : إنها لمن ظريف
 الكلام :

ثم استقلّ منعمات كالدمى شمسُ العتاب قليلة الأحقادِ
 كُذّب المواعِد ما يزال أخو الهوى منهنّ بين مودةٍ وبعادِ
 حتى ينال حيالهنّ معلقاً عقلَ الشريد وهنّ غيرُ شرادِ
 والحبّ يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيجُ معتبةً بغيرِ بعادِ

صوت

[من الطويل]

خليليّ لا تستعجلا أن تزودا وأن تجمعنا شملّي وتنتظرا غدا
 وإن تنظراني اليوم أقضِ لبانةً وتستوجبا منّا عليّ وتحمدا

الشعر للحصين بن الحمام المري ، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيّل بالنصر ، من روايتها
 ومن رواية الهشاميّ .

* * * *

1 وراعى في ل : وراح . المستيهر : الذاهب العقل .

2 يعكر : يكر وينصرف .

3 الأوجر : الخائف .

الفهرس

- [230] - أخبار أبي الطمّحان القيّني 5 .
- [231] - أخبار الأسود بن يعفر ونسبه 11 .
- [232] - أخبار أرطاة بن سهية ونسبه 20 .
- [233] - أخبار جعفر بن غلبة الحارثي ونسبه 31 .
- [234] - أخبار العجّير السلولي ونسبه 39 .
- [235] - أخبار خزيمة بن نهد ونسبه 51 .
- [236] - نسب المغيرة بن حَبَاء وأخباره 55 .
- [237] - أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه 69 .
- [238] - أخبار العتابي ونسبه 74 .
- [239] - أخبار الأبيرد ونسبه 87 .
- [240] - أخبار منصور النمري ونسبه 97 .
- [241] - نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره 110 .
- [242] - أخبار ناهض بن ثومة ونسبه 122 .
- [243] - أخبار المخبل ونسبه 132 .
- [244] - أخبار غيلان بن سلمة ونسبه 140 .
- [245] - أخبار حاجز ونسبه 147 .
- [246] - أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه 153 .
- [247] - أخبار عبد الصمد بن المعدّل ونسبه 159 .
- [248] - أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه 183 .
- [249] - أخبار مسعدة بن البخري ونسبه 190 .
- [250] - أخبار مطيع بن إياس ونسبه 193 .
- [251] - أخبار محمد بن كناسة ونسبه 237 .
- [252] - أخبار قلم الصّالحية 244 .
- [253] - أخبار الشمردل ونسبه 247 .

کتاب الامازی

14

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع عشر

دار طائر

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

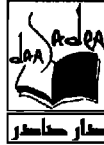
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمع بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[254] - أخبار الحصين بن الحمام ونسبه¹

[نسبه]

هو الحُصَيْن بن الحُمام بن ربيعة بن مُساب بن حَرَام² بن وائلة بن سَهْم بن مَرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عَيْلَان بن مُضَر بن نِزَار .
[مكانته في قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيد بني سَهْم بن مَرَّة . وكان خُصَيْلَةُ بن مَرَّة وصِرْمَةُ بن مَرَّة وسَهْم بن مَرَّة أمهم جميعاً خَرَقَمَةُ بنت مَعْنَم بن عَوْف بن بَلِي بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة ، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم . قال أبو حاتم ، قال أبو عبيدة ، قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مَرَّة وكان يقال له : مانع الضيم .
[وفرد ابنه على معاوية]

وحدثني جماعة من أهل العلم أنَّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنيه : استأذِن لي على أمير المؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذِنَ له ؛ فقال له معاوية : وَيَحْك ؛ لا يكون هذا إلَّا ابن عُرْوَة بن الوَرْد العبَّسيّ ، أو الحصين بن الحُمام المُرِّيّ ، أدخِلْه . فلمَّا دخل إليه قال له : ابنُ مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام ؛ فقال : صدقت ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

[الحرب بين بني سهم بن مَرَّة وبني صرمة بن مَرَّة]

أخبرني ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان ناس من بطنٍ من قُضَاعَة يقال لهم : بنو سَلَامَان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قُضَاعَة . وبنو سَلَامَان بن سعد إخوة عُدْرَة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمَة بن مَرَّة ونزولاً فيهم . وكان الحُرْقَة وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَيْنَة حلفاء لبني سهم بن مَرَّة ، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رميةً سديداً ، فسُمُّوا الحُرْقَة لشدة قتالهم . وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مَرَّة . وكان في بني صِرْمَة يهوديٌّ من أهل تيماء يقال له جُهَيْنَة بن أبي حَمَل . وكان في بني سهم يهوديٌّ من أهل وادي القرى يقال له غُصَيْن بن

1 ترجمة الحصين بن الحمام المري في كتب الصحابة والشعر والشعراء : 542 والمؤتلف : 91 والسمط 177 والخزانة 3 : 326-327 . وماسة المزرقي : رقم 41 والمفضلية رقم 12 .

2 ل : حزام .

حَيٍّ¹ ، وكانا تاجرين في الخمر . وكان بنو جَوْشَن ، أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفَان ، جيراناً لبني صِرْمَة ، وكان يُتَشَاءَمُ بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلَة كان يقطع الطريق وحده . وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه ، وَيَنْشُدُونَهُ في كُلِّ مجلس وموسم . فجلس ذات يوم أخٌ لذلك المفقود الجَوْشَنِيّ في بيت غُصَيْن بن حَيٍّ¹ جار بني سهم يتاع خمرأً ، فبينما هو يشتري إذ مرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيْلَة ، فقال غُصَيْن :

تُسَائِلُ عَنْ أَخِيهَا كُلَّ رَكْبٍ وعند جُهِينَة الخبرِ اليقين²

فأرسلها مثلاً ، يعني بجُهِينَة نفسه . فحفظ الجَوْشَنِيّ هذا البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نَشَدْتُكَ اللهَ ودينَكَ هل تعلم لأخي عِلْماً ؟ فقال له : لا وديني لا أعلم . فلما مضى أخو المفقود تمثّل :

لَعَمْرُكَ مَا ضَلَّكَ ضَلالَ ابنِ جَوْشَن حصاةً بليلى القَيْتِ وَسَطَ جَنْدَلٍ

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد ، وأن هذا لا يوجد أبداً ، فلما سمع الجَوْشَنِيّ ذلك تركه ، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجَوْشَنِيّ :

طَعَنْتُ وَقَدْ كَادَ الظلامُ يُجَنِّني غُصَيْنَ بنِ حَيٍّ في جِوارِ بني سهم

فأتى حصين بن الحُمَامِ فقليل له : إن جارك غُصَيْنًا اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صِرْمَة . فقال حصين : فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صِرْمَة ، فأتوا جُهِينَة بن أبي حَمَل فقتلوه . فشَدَّ بنو صِرْمَة على ثلاثة من حُمَيْس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بني سَلَامان ثلاثة نفرٍ ، ففعلوا . فاستعر الشرُّ بينهم . قال : وكانت بنو صِرْمَة أكثر من بني سهم رَهْطُ الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يا بني صِرْمَة ، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نفرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلَامان ثلاثة نفرٍ ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قرية ، فمروا جيرانكم من بني سَلَامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعاً ، ثم هم أعلم . فأبى ذلك بنو صِرْمَة ، وقالوا : قد قتلتم جارنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم ؛ فإنك تعلم أنكم أقلُّ منا عدداً وأذلّ ، وإنما بنا تُعزّون وتُمنعون . فناشدهم الله والرَّحِم فأبوا . وأقبلت الخُضْرُ من مُحارب ، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهَبَ بني سهم إذا

1 ل : حيي .

2 المثل : عند جُهِينَة الخبرِ اليقين : في مجمع المِداييّ 2 : 3 وجمهرة العسكري 2 : 44 وفصل المقال

295-296 ومستقصى الزمخشري 2 : 169 .

انتهبوا فنصيب منهم . وخذلت غطفان كلها حصيناً ، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاة . وصافهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل ، وهزمهم الحصين ، وكف يده بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطن من قضاة أن يكفوا عن القوم حتى أئخنوا فيهم . وكان سينان بن أبي حارثة خذل الناس عنه لعداوته قضاة ، وأحب سينان أن يهب¹ الحيات من قضاة ، وكان عيينة بن حصن وزيان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضاً . فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبت محارب بن خصفة معهم . فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات :

ألا تقبلون النصف منا وأنتم بنو عمنا ؟ لا بل هائم القطر²
سنأبى كما تأبون حتى تلينكم صفائح بصرى والأسنة والأصر³
أيوكل مولانا ومولى ابن عمنا مقيم ومنصور كما نصيرت جسر
فتلك التي لم يعلم الناس أنني خنعت لها حتى يغيبني القبر
فليتكم قد حال دون لقائكم سنون ثمان بعدها حيج عشر
أجدني لا ألقاكم الدهر مرة على موطن إلا خلدوكم صغر⁴
إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرقت وجوههم ، والرشد ورد له نفر⁵
فواعجبا حتى خصيله أصبحت موالى عز لا تحل لها الخمر !

قوله : موالى عز ، يهزأ بهم . ولا تحل لهم الخمر ، أراد فحرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز ، وليسوا هناك :

ألمّا كشفنا لأمة الذل عنكم تجردت لا بر جميل ولا شكر⁶
فإن يك ظني صادقاً تجز منكم جوازي الإله والخيانة والغدر

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة . وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة . ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخاناته ،

1 ل : يهلك .

2 النصف : الأنصاف .

3 الأصر : الكسر والحبس .

4 صغر : مائلة عن الناس تهاوناً واستعلاء .

5 نفر : جماعة .

6 جميل في ل : خصيل .

وهما عَدُوَان وعبد عمرو ابنا سهم ، فسار حصين ، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرْقَة ، وكان فيهم العدد ، فَالتَقُوا بِدارَة موضوع ، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمَام في ذلك ¹ :

جَزَى اللهُ أَفْئَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلَّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقاً وَمَأْتِماً
بَنِي عَمَّنَا الْأَذْنِينَ مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا فَرَارَةً إِذْ رَامَتْ بَنَا الْحَرْبَ مُعْظِماً
وَلَمْآ رَأَيْتِ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلَمًا
صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفَا وَمَعْصَمًا
نُفْلِقُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أُعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأُظْلَمًا²
نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ بِالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السُّمَهْرِيَّ الْمُقُومًا³

نستنقذ الجرد ، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهري وهو القنا الصلب ، أي نطعنهم فتجرهم الرماح .

[من الطويل]

لَدُنْ غُدُوءٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا⁴
وَأَجْرَدَ كَالسَّرْحَانِ يَضْرِبُهُ النَّدَى وَمُجْبُوكَةً كَالسَّيِّدِ شَقَاءَ صِلْدَمَا⁵
يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَقَحُّمًا⁶
عَلَيْهِنَّ فَتِيَانٌ كَسَاهِمَ مُحَرَّقٍ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا⁷
صَفَائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُبُونُهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسَجِ دَاوَدَ مَبْهَمًا⁸
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ عَمْرٍو مَلَامَةً وَعَدُوَان سَهْمٍ مَا أَذَلَّ وَالْأَمَّا⁹

1 هذه الأبيات من المفضلية رقم 12 (شرح ابن الأنباري) .

2 تفلق في المفضليات : يفلقن .

3 يعني أنهم كانوا يقتلون الفارس فيستنقذون فرسه ويطعنونهم بالرماح فتبقى غارزة فيهم .

4 الخارجي المسوم : الفائق لأقرانه والموسوم بسمه يعرف بها .

5 المحبوك : الفرس الشديد الخلق القوي . وشقاء : تذهب يميناً وشمالاً في جريها . والصلدم : الشديد الحافر . والسرحان والسيد : الذئب .

6 الخبار : الأرض اللينة الرخوة ، وفي ل : شريحاً . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفي المفضليات «تجشماً» .

7 محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الغساسنة سمي به لأنه أحرق العرب في ديارهم ، وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه أحرق مائة من بني تميم .

8 مبهم : لا نلم فيه .

9 المفضليات : أدق .

فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
[رثاؤه نعيم بن الحارث]

وقال أبو عبيدة : وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صيرمة يوم دارة موضوع ، وكان واداً للحصين فقال يرثيه : [من الوافر]
قَتَلْنَا خَمْسَةً وَرَمَوْا نُعَيْمًا وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنًا
لَعَمْرُ الْبَاكِيَاتِ عَلَى نَعِيمٍ لَقَدْ جَلَّتْ رَزَايَتُهُ عَلَيْنَا¹
فَلَا تَبْعُدْ نُعَيْمٌ فَكُلُّ حَيٍّ سَيَلْقَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ حَيْنًا
[لومه بني حميس حين فارقوا قومه]

قال أبو عبيدة : ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بن سهم ففارقوهم ومضوا ، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردهم ولا مهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم ، وقال في ذلك :

إِنَّ امْرَأً بَعْدِي تَبَدَّلَ نَصْرَكُمْ بَنَصْرِ بَنِي ذُبْيَانَ حَقًّا لَخَاسِرُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ لَا يُهَانُ نُؤْيُهُمْ إِذَا صَرَّحَتْ كَحُلٌّ وَهَبَّ الصَّنَائِرُ²
وقال لهم أيضاً :

أَلَا أُبْلِغُ لَدَيْكَ أَبَا حُمَيْسٍ وَعَاقِبَةُ الْمَلَامَةِ لِلْمُلِيمِ
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى مَوْلَى نَصُورٍ وَخَطْبُكُمْ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ
فَإِنَّ دِيَارَكُمْ بِجَنُوبِ بُسٍّ إِلَى ثَقَفٍ إِلَى ذَاتِ الْعُظُومِ
- بُسٍّ : بناء بنته غطفان شبهوه بالكعبة ، وكانوا يحجونه ، ويعظمونه ويسمونه حرماً ، فغزاهم زهير بن جَنَابِ الْكَلْبِيِّ فهدمه :
[من الوافر]

غَذَّتْكُمْ فِي غَدَاةِ النَّاسِ حُجًّا غِذَاءَ الْجَائِعِ الْجَدِيعِ³ الْثَّيْمِ
فَسِيرُوا فِي الْبِلَادِ وَوَدَّعُونَا بِقَحْطِ الْغَيْثِ وَالْكَفْلِ الْوَحِيمِ

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو : زعموا أن المثلث بن رباح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جوار الحارث بن ظالم المري ، فلحق المثلث بالحصين بن الحمام ، فأجاره . فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فطلب الحصين بدم حُباشة ، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا : إِنَّا لَا نَعْقِلُ⁴

1 جَلَّتْ فِي ل : عَزَتْ .

2 كحل : السنة المجدة . الصنائير : الرياح الباردة .

3 الجدع : السوء الغداء .

4 نعقل : نوذي الدية .

بالإبل ، ولكن إن شئت أعطيتك الغنم . فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته : [من الطويل]

خليلي لا تستعجلا أن تزودا وأن تجمعما شملي وتنتظرا غدا
فما لبث يوماً بسائق مغمم ولا سرعة يوماً بسابقة غدا
وإن تُنظرائي اليوم أقصر لبانة وتستوجبا مئاً علي وتحمدا
لعمرك إنني يوم أغدو بصيرمتي تناهى حميس بادئين وغودا
وقد ظهرت منهم بوائق جمّة وأفرغ مولا هم بنا ثم أصعدا¹
وما كان ذنبي فيهم غير أنني بسطت يداً فيهم وأتبعها يدا
وأنّي أحمي من وراء حريمهم إذا ما المُنادي بالمغيرة نددا
إذا الفوج لا يحميهِ إلا مُحافظُ كريمُ المحيّا ماجدٌ غيرُ أجردا
فإن صرحت كحلّ وهبت عريّة من الرّيح لم تترك لذي العرض مرّفاً²
صبرتُ على وطء الموالي وخطبهم إذا ضنّ ذو القربى عليهم وأجمدا³

[بين الحصين والبرج ابن الجلاس]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام وندياً له على الشراب ، وفيه يقول البرج بن الجلاس :

ونذمان يزيد الكأس طيباً سقيتُ وقد تغوّرت النجومُ
رفعتُ برأسه فكشفتُ عنه بمعرفةٍ ملامّةٍ من يلوُمُ⁴
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجائبي خدي كلومُ
ونجعل عيناها لبني جُعيلٍ وليس إذا انتشوا فيهم حليمُ

كانت للبرج أخت يقال لها العفّاطة ، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافضّتها ، وندم على ما صنع لما أفاق ، وقال لقومه : أيُّ رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسنا وأفضلنا وسيّدنا . قال : فإنّه إن عليم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبْتُ رأسي فلم تروني أبداً ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إنّ أمةً لبعض طيء

1 البوائق : الدواهي . وأفرغ : نزل .

2 العرية : الريح الباردة . العرض : السعة .

3 أجمد : بخل .

4 أعرق الشراب : جعل فيه قليلاً من الماء .

وقعت إلى الحصين بن الحمام ، فرأت عنده البرج الطائي يوماً وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحصين : إن نديمك هذا سكير عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكَيْتَ ، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكير عندك . فزجرها الحصين وسبها ، فأمسكت . ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصريخ الحصين بن الحمام ، فتبع القوم ، فأدركهم ، فقال للبرج : ما صَبَّكَ على جيرانك يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منا . وأنشأ يقول :
[من الكامل]

أَنْتَى لَكَ الْحُرَقَاتُ فِيمَا بَيْنَنَا ! عَنْتُ بَعِيدٌ مِنْكَ يَا ابْنَ حُمَامٍ¹
أَقْبَلْتُ تُزْجِي نَاقَةَ مُتَبَاطِئًا عُلُطًا تُزْجِيهَا بِغَيْرِ خِطَامٍ
تُزْجِي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة . فأجابه الحصين بن الحمام :
[من الكامل]

بُرْجٌ يُؤْتِمَنِي وَيَكْفُرُ نِعْمَتِي صَمِي لِمَا قَالَ الْكَفِيلُ صَمَامٍ²
مَهْلًا أَبَا زَيْدٍ فَإِنَّكَ إِنْ تَشَأْ أُوْرِدُكَ عَرْضَ مَنَاهِلِ أُسْدَامٍ³
أُوْرِدُكَ أَقْلَبَةَ إِذَا حَافَلَتْهَا خَوْضَ الْقَعُودِ خَبِيئَةِ الْأَخْصَامِ⁴
أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ بَذْمَةً عُلُطًا أُسَوِّقُهَا بِغَيْرِ خِطَامٍ⁵
فِي إِثْرِ إِخْوَانٍ لَنَا مِنْ طَيِّءٍ لِيَسُوا بِأَكْفَاءٍ وَلَا بِكَرَامٍ
لَا تَحْسَبَنَّ أَخَا الْعِفَاطَةِ أَنْتَنِي رَجُلٌ بِخَيْرِكَ لَيْسَ بِالْعَلَامِ
فَاسْتَنْزِلُوكَ وَقَدْ بَلَّلْتَ نِطَاقَهَا عَنْ بَنَاتِ أُمْلُكٍ وَالذُّيُولِ دَوَامِي

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب ، فقتل من أصحاب البرج عدة وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حق ندامه وعشرته إيَّاه فمنَّ عليه . وجزَّ ناصيته وخلقى سبيله . فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبَّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال : أشعثتم ما فعلتُ بأختي وفضحتُموني ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .

1 أنى لك الحرقات : من أين لك قرباتهم .

2 المثل : صمي صمام في مجمع الميداني 1 : 320 ومستقصى الزمخشري 2 : 143 وفصل المقال : 474 ، 478 وجمهرة العسكري 1 : 576 ، 578 . ويضرب للداهية والحرب .

3 مياه أسدام : متغيرة .

4 أقلبة : جمع قليب وهي البئر . خبيثة الأخصام : خبيثة المشرب .

5 ذمة : ناقة مذمومة لهزأها .

وقال ابن الكلبي : بل شرب الخمر صيرفاً حتى قتلتته .

[بغير على بني عقيل وبني كعب]

أخبرني ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عدي ثم أغار على بني عقيل وبني كعب فأتخن فيهم واستاق نِعْماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومَن عليها ، وقال في ذلك : [من الوافر]

فَدَى لِبَنِي عَدِي رَكْضُ سَاقِي	وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَعَمٍ مُرَاحٍ
تَرَكْنَا مِنْ نِسَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ	أَيَامِي تَبْتَغِي عَقْدَ النِّكَاحِ
أَرْغِيَانِ الشَّوِيَّ وَجَدْتُمُونَا	أَمْ أَصْحَابَ الْكَرْبَهَاءِ وَالنُّطَاحِ ¹
لَقَدْ عَلِمْتُ هَوَازُنُ أَنْ خَيْلِي	غَدَاةُ التَّغْفِرِ صَادِقَةُ الصَّبَاحِ ²
عَلَيْهَا كُلُّ أَرْوَغٍ هَبْرَزِي ³	شَدِيدِ حَدِّهِ شَاكِي السِّلَاحِ ³
فَكَّرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى التَّقِينَا	بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا صِبَاحِ ⁴
فَأَبْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا	وَبِالْبَيْضِ الْخَرَّائِدِ وَاللَّقَاحِ
وَأَعْتَقْنَا ابْنَةَ الْعَمْرِيَّ عَمْرُو	وَقَدْ خُضْنَا عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ

[أدرك الإسلام]

أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام .

قال : ويدلّ على ذلك قوله :

[من المتقارب]

وَقَافِيَةٌ غَيْرِ إِنْسِيَّةٍ	قَرَضْتُ مِنَ الشَّعْرِ أَمْثَالَهَا
شُرُودٍ تَلَمَّعُ بِالْخَافِقِينَ	إِذَا انْشَدَتْ قِيلَ مَنْ قَالَهَا
وَحَيْرَانٌ لَا يَهْتَدِي بِالنَّهَارِ	مَنْ الظَّلْعُ يَتْبَعُ ضَلَالُهَا
وَدَاعٍ دَعَا دَعْوَةَ الْمُسْتَغِيثِ	وَكُنْتُ كَمَنْ كَانَ لَبِّي لَهَا
إِذَا الْمَوْتُ كَانَ شَجًّا بِالْخُلُوقِ	وَبَادَرَتِ النَّفْسُ أَشْغَالَهَا
صَبَرْتُ وَلَمْ أَكُ رِعْدِيْدَةً	وَلَلْصَّبْرُ فِي الرَّوْعِ أَنْجَى لَهَا
وَيَوْمٍ تَسَعَّرَ فِيهِ الْحُرُوبُ	لَيْسْتُ إِلَى الرَّوْعِ سِرْبَالَهَا

1 الشوي : جمع شاة .

2 الصباح : الغارة عند الصباح .

3 هبرزي : شجاع .

4 إشارة إلى النساء .

مُضَعَّفَةً السَّرْدَ عَادِيَّةً وَعَضْبَ الْمَضَارِبِ مِفْصَالَهَا
وَمُطَرِدًا مِنْ رُدَيْنِيَّة أَدُوذٌ عَنْ الْوَرْدِ أَبْطَالَهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَاكَ إِلَّا التُّقَى وَنَفْسٌ تُعَالِجُ آجَالَهَا
أُمُورٌ مِنَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مَقَادِيرُ تَنْزَلُ أَنْزَالَهَا
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا تِ يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أَعْمَالَهَا
وَحَفَّ الْمَوَازِينُ بِالْكَافِرِينَ وَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَنَادَى مُنَادٍ بِأَهْلِ الْقُبُورِ فَهَبُوا لَتُبْرَزَ أَثْقَالَهَا
وَسُعِّرَتِ النَّارُ فِيهَا الْعَذَابُ وَكَانَ السَّلَاسِلُ أَغْلَالَهَا

[رثاه أخوه عند وفاته]

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره ، فسمع صائح في الليل يصيح لا يعرف في بلاد بني مرة : [من الطويل]

أَلَا هَلَكَ الْخَلُوَ الْخَلَالُ الْخَلَّاحِلُ وَمَنْ عَقْدُهُ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلُ
الخلو : الجميل . والخلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والخلال : الشريف العاقل .

وَمَنْ خَطْبُهُ فَصْلٌ إِذَا الْقَوْمُ أَفْجَمُوا يُصِيبُ مَرَادِي قَوْلُهُ مَنْ يُحَاوِلُ
المرادي : جمع مرداة ، وهي صخرة تُردى بها الصخور ، أي تكسر ، قال : فلما سمع أخوه معيّة بن الحمام ذلك قال : هَلَكَ وَاللَّهِ الْحَصِينُ ، ثُمَّ قَالَ يَرِثِيهِ : [من الوافر]

إِذَا لَاقَيْتُ جَمْعًا أَوْ فِقَامًا فَإِنِّي لَا أَرَى كَأَبِي يَزِيدًا¹
أَشَدَّ مَهَابَةً وَأَعَزَّ رِكْنًا وَأَصْلَبَ سَاعَةَ الضَّرَاءِ عُودًا
صَفِييَّ وَابْنَ أُمِّي وَالْمُوَاسِي إِذَا مَا النَّفْسُ شَارَفَتِ الْوَرِيدَا
كَأَنَّ مُصَدَّرًا يَجْبُو وَرَائِي إِلَى أَشْبَالِهِ يَبْغِي الْأَسُودَا

المُصَدَّرُ : العظيم الصدر ، شبه أخاه بالأسد .
صوت

[من البسيط]

لَا أَرَقُّ اللَّهُ عَيْنِي مَنْ أَرَقْتُ لَهُ وَلَا مَلَا مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ تَرَحَا
يَسْرُتُنِي سَوْءُ حَالِي فِي مَسْرَتِهِ فَكَلَّمَا أَزْدَدَتْ سَقَمًا زَادَنِي فَرَحَا
الشعر لحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صدقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

[255] - أخبار محمد بن يسير ونسبه¹

[نسبه]

محمد بن يسير الرّياشيّ ، يقال إنّهُ مولّيّ لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرّج الرّياشيّ الأخباريّ الأديب ، ويقال إنّهُ منهم صُلبيّة² . وبنو رياش يذكرون أنّهم من خثعم . ولهم بالبصرة خطّة وهم معروفون بها . وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين . متقلّلاً ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُتّجِعاً ، ولا تجاوز بلده ، وصُحبتُهُ طبقتُهُ ، وكان ماجناً هجّاء خبيثاً .

[دعوة والي البصرة له للاصطباح]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثني عليّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة قال : بعث إليّ محمد بن أيّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ، وهو يتولّى البصرة حينئذٍ ، في ليلةٍ صبيحتها يومَ سبتٍ ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت له : أنمتَ وانتبهتَ أم لم تنم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتي من النوم ، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعةَ بالشرب ، وأصيلَ ليلتي بيومي محتجباً عن الناس ، وعندي محمد بن رباح ، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رياش ، وحضرتَ أنت ، فمن ترى أن يكون خامسنا ؟ قلت : محمد بن يسير . فقال : والله ما عدّوتَ ما في نفسي . فقال لي ابن رباح : اكتبُ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيّبَ هذا الوقت ، وكان يومَ غيم ، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رباح :

صوت

يَوْمُ سَبْتٍ وَشَنْبُذٍ وَرَذَاذٍ فَعَلَامَ الْجُلُوسُ يَا ابْنَ يَسِيرٍ ؟

قَمِ بِنَا نَأْخُذُ الْمُدَامَةَ مِنْ كَفِّ غَزَالٍ مُضْمَخٍ بِالْعَبِيرِ

في هذين البيتين لعبّاس أخي بحرٍ ثَقِيلٍ أوّلُ بالبصرة ، وبعث إليه بالبرقة ، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقة ! فقالوا : لم نلقه ، وإنّا كتب جوابها في منزله ، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجّم . فقرأها فإذا فيها : [من الطويل]

1 ترجمة محمد بن يسير في الشعر والشعراء 756-757 وطبقات ابن المعتز : 280 والورقة : 112 ويتصحف إلى «بشير» . انظر الحماسة والأمال .

2 ل : صلية .

أَجِيءَ عَلَى شَرْطٍ فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلاً وَإِلَّا فَأَنْتِي رَاجِعٌ لَا أَنْظِرُ
لِيُسْرَجَ لِي الْبِرْدُونُ فِي حَالِ دُلْجَتِي وَأَنْتِ بَدُلْجَاتِي مَعَ الصَّبْحِ خَابِرُ
لَأَقْضِي حَاجَاتِي إِلَيْهِ وَأُنْشِي إِلَيْكَ ، وَحَجَّامٌ إِذَا جِئْتُ حَاضِرُ
فِيَأْخُذُ مِنْ شَعْرِي وَيُصْلِحُ لِحْيَتِي وَمِنْ بَعْدِ حَمَامٌ وَطَيْبٌ وَجَامِرُ¹
وَدَسْتِيحَّةٌ مِنْ طَيْبِ الرَّاحِ ضَحْمَةٌ يُرَوِّدْنِيهَا طَائِعاً لَا يُعَاسِرُ²

فقال محمد بن أيوب : ما تقول ؟ فقلت : إنَّكَ لَا تَقْوَى عَلَى مَطَاوِلَتِهِ ، وَلَكِنْ اضْمَنْ لَهُ مَا طَلَبَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : قَدْ أُعِدَّ لَكَ ، وَحَيَاتِكَ ، كُلُّ مَا طَلَبْتَ فَلَا تُبْطِئْ ؛ فَإِذَا بِهِ قَدْ طَلَعَ عَلَيْنَا . فَأَمْرُ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ بِإِحْضَارِ الْمَائِدَةِ . فَلَمَّا أَحْضَرَتْ أَمَرَ بِمُحَمَّدِ بْنِ يَسِيرٍ فَشَدَّ بِحَبْلِ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ مِنْ أُسَاطِينِ الْمَجْلِسِ ، وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ بِحِذَائِهِ ، فَقَالَ لَنَا : أَيُّ شَيْءٍ يَخْلُصُنِي ؟ قُلْنَا : تُجِيبُ نَفْسَكَ عَمَّا كُتِبَتْ بِهِ أَقْبَحَ جَوَابٍ . فَقَالَ : كُفُّوا عَنِ الْأَكْلِ إِذَا وَلَا تَسْتَبِقُونِي بِهِ فَتَشْغَلُوا خَاطِرِي ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ وَتَوَقَّفْنَا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل]

أَيَا عَجَباً مِنْ ذَا الْيَسِيرِي إِنَّهُ لَهُ نَخْوَةٌ فِي نَفْسِهِ وَتَكَايُفُ
يُشَارِطُ لَمَّا زَارَ حَتَّى كَانَهُ مُعْنٌ مُجِيدٌ أَوْ غِلَامٌ مُؤَاجِرُ
فَلَوْلَا ذِمَامٌ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لِلطَّمِّ بَشَارٌ قَفَاهُ وَيَاسِيرُ

فقال محمد : حَسْبُكَ ، لَمْ نُرِدْ هَذَا كُلَّهُ ، ثُمَّ حَلَّهَ وَجَلَسَ يَأْكُلُ مَعَنَا ، وَتَمَنَّا يَوْمَنَا .

[مجاوزه شاة جاره منيع]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيُّ قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ مِنْ شُعْرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَدْبَائِهِمْ ، وَهُوَ مِنْ خَنَعَمَ وَكَانَ مِنْ بَخْلَاءِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ فِي دَارِهِ بَسْتَانٌ قَدْرُهُ أَرْبَعَةُ طَوَائِقَ قَلْعَاهَا مِنْ دَارِهِ ، فَفَرَسَ فِيهِ أَصْلَ رُمَانَ وَفَسِيلَةَ لَطِيفَةَ ، وَزَرَعَ حَوَالِيَهُ بَقْلًا ، فَأَفْلَتَتْ شَاةٌ لِحَارٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ : مَنِيعٌ ، فَأَكَلَتْ الْبَقْلَ وَمَضَعَتْ الْخُوصَ ، وَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ إِلَّا الْقَرَاتِيسَ فِيهَا شِعْرَةٌ وَأَشْيَاءٌ مِنْ سَمَاعَاتِهِ ، فَأَكَلَتْهَا وَخَرَجَتْ ، فَعَدَا إِلَى الْجَبْرِانِ فِي الْمَسْجِدِ يَشْكُو مَا جَرَى عَلَيْهِ ، وَعَادَ فَرَزَعَ الْبَسْتَانَ ، وَقَالَ يَهْجُو شَاةَ مَنِيعَ :

[من الرمل]

لِي بَسْتَانٌ أَنْيَقُ زَاهِرٌ نَاضِرُ الْخُضْرَةِ رِيَّانٌ تَرِفُ³

1 الجامر : الذي يبخر بالطيب .

2 دستيحة : إناء ، فارسي معرب .

3 ترف : مرتو بالماء .

رَاسِخُ الْأَعْرَاقِ رِيَّانُ الثَّرَى
 لِمَجَارِي الْمَاءِ فِيهِ سُنُّ
 مُشْرِقِ الْأَنْوَارِ مِيَادُ النَّدى
 تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ
 يَكْتَسِي فِي الشَّرْقِ ثَوْبِي يُمْنَةٍ
 يَنْطَوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا
 صَابِرٌ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةَ
 كَلَمَا أَلْهَفَ مِنْهُ جَانِبٌ
 لَا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أَثَرًا
 فَتَرَى الْأَطْبَاقَ لَا تُمَهِّلُهُ
 فِيهِ لِلْخَارِفِ مِنْ جِيرَانِهِ
 أَقْحُونٌ وَبَهَارٌ مُوْنَقٌ
 وَهُوَ زَهْرٌ لِلنَّدَامَى أَصْلًا
 وَهُوَ فِي الْأَيْدِي يُحْيُونَ بِهِ
 أَغْفِيهِ يَا رَبُّ مِنْ وَاحِدَةٍ
 اكْفِهِ شَاةَ مَنِيْعٍ وَخَذَهَا
 اكْفِهِ ذَاتَ سُعَالٍ شَهْلَةٍ
 اكْفِهِ يَا رَبُّ وَقِصَاءَ الطُّلَى
 وَكُلُّوْحُ أَبَدًا مُفْتَرَّةٌ
 غَدِيقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفُّ¹
 كَيْفَمَا صَرَفْتَهُ فِيهِ انْصَرَفُ
 مُثْنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفُ²
 فَإِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الرِّيحُ وَقَفَ
 وَمَعَ اللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَحِفُ³
 وَاجَهَ الشَّرْقَ تَجَلَّى وَانْكَشَفَ
 جُزْءٌ بِالْمِنْجَلِ أَوْ مِنْهُ تُفِ
 لَمْ يُلَبِّثْ مِنْهُ تَعَجُّلُ الْخَلْفِ⁴
 فِيهِ بَلْ يَنْجِي عَلَى مَسِّ الْأَكْفِ
 صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفُ
 كَلَمَا احْتِجَّ إِلَيْهِ مُخْتَرَفُ⁵
 وَسَوَى ذَلِكَ مِنْ كُلِّ الطَّرَفِ
 بِرِضَا قَاطِفِهِمْ مِمَّا قَطَفَ
 وَعَلَى الْآنَافِ طَوْرًا يُسْتَشْفَى
 ثُمَّ لَا أُخْفِلُ أَنْوَاعَ التَّلَفِ
 يَوْمَ لَا يُصْبِحُ فِي الْبَيْتِ عَلَفُ
 مُتَعَتٍ فِي شَرِّ عَيْشٍ بِالْخَرْفِ⁶
 أَلْجِمِ الْكِتْفَيْنِ مِنْهَا بِالْكِتْفِ⁷
 لَكَ عَنْ هَتَمٍ كَلِيلَاتٍ رُجْفُ⁸

1 غدقة : ندية مبتلة .

2 الأنوار : جمع نور وهو الزهر .

3 يمنة : ثوب يعني موسى .

4 ألهف : استوصل .

5 الخارف : هنا قاطف الأزهار .

6 الشهلة : العجوز .

7 وقصاء الطلى : قصيرة العنق .

8 الكالج : الذي تقلصت شفتاه من أسنانه . والهتم الرجف : الأسنان المكسرة المخلخلة .

وَنُفُوسُ الْأَنْفِ لَا يَرْقَا وَلَا
لَمْ تَزَلْ أَظْلَافُهَا عَافِيَةً
فَتَرَى فِي كُلِّ رِجْلٍ وَيَدٍ
تَنْسِفُ الْأَرْضَ إِذَا مَرَّتْ بِهِ
تُرْهِجُ الطُّرُقَ عَلَى مُجْتَازِهَا
فِي يَدَيْهَا طَرَقٌ ، مِشْيَتُهَا
فَإِذَا مَا سَعَلَتْ وَاخْذَوْدَبَتْ
وَأُحْصِيَ الشَّعْرُ مِنْهَا ، جِلْدُهَا
ذَاتَ قَرْنٍ وَهِيَ جَمَاءٌ ، أَلَا
وَإِذَا تَدْنُو إِلَى مُسْتَعْسِبٍ
لَا تَرَى تَيْسًا عَلَيْهَا مُقَدِّمًا
شَوْهَةَ الْخِلْقَةِ ، مَا أَبْصَرَهَا
مَا رَأَى شَاءَ وَلَا يَعْلَمُهَا
عَجَبًا مِنْهَا وَمَنْ تَأْلَيْفُهَا
لَوْ يُنَادُونَ عَلَيْهَا عَجَبًا
لَيْتَهَا قَدْ أَفْلَتَتْ فِي جَفْنَةٍ
فَتَلَقَّتْ شَفْرَةً مِنْ أَهْلِهَا
أَحْكَمَتْ كَفًّا حَكِيمٍ صُنْعُهَا
أُدْمِجَتْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ غَيْرِ مَا

أَبْدَأَ تُبْصِرُهُ إِلَّا يَكْفُ¹
لَمْ يُظْلَفْ أَهْلُهَا مِنْهَا ظِلْفُ²
مَنْ بَقَايَاهُنَّ فَوْقَ الْأَرْضِ حُفٌّ
فَلَهَا إِنْصَارُ تُرْبٍ مُنْتَسِفُ
بِتَدَانِي الْمَشْيِ وَالْخَطْوِ الْقَطِيفُ³
حَلَقَةُ الْقَوْسِ ، وَفِي الرَّجْلِ حَنْفُ⁴
جَاوَبَ الْبَعْرُ عَلَيْهَا فَخُصِفُ⁵
شُنَّةٌ فِي جَوْفٍ غَارٍ مُنْخَسِفُ⁶
إِنْ ذَا الْوَصْفِ كَوْصِفٍ مُخْتَلِفُ
عَافِيَا نَتْنًا إِذَا مَا هُوَ كَرَفُ⁷
رُمِيَتْ مِنْ كُلِّ تَيْسٍ بِالصِّلْفِ
مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا وَحَلْفُ
خُلِقَتْ خَلَقَتَهَا فِيمَا سَلَفُ
عَجَبًا مِنْ خَلْقِهَا كَيْفَ اثْتَلَفُ !
كَسَبُوا مِنْهَا فُلُوسًا وَرُغْفُ
مِنْ عَجِينَ أَوْ دَقِيقٍ مُجْتَرَفُ
قَدَرَ الْإِصْبَعِ شَيْئًا أَوْ أَشْفُ
فَأَتَتْ مَجْدُولَةً فِيهَا رَهْفُ
أَلَّلَ الْأَقْيَانُ مِنْ حَدِّ الطَّرْفِ⁸

1 نفوس الأنف : سيالته .

2 عافية : طويلة . لم يظلف : لم يقلم .

3 ترهيج الطرق : تثير فيها الغبار .

4 طرق : ضعف واعوجاج . مشيتها حلقة القوس : معوجة غير مستقيمة . الحنف : اعوجاج في الرجل إلى الداخل .

5 خصف : التصق بها .

6 أحصى الشعر : انجرد وتناثر .

7 المستعسب : الفحل الهائج المغتلم . ويكرف : يرفع رأسه إلى السماء عندما يشم طروقه .

8 أَلَّلَ الشيء : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين وهو الحداد .

قَابِضُ الرُّونْقِ فِيهَا مَاتِعٌ
لَمَحَتْهَا فَاسْتَخَفْتُ نَحْوَهَا
فَتَنَاهَتْ بَيْنَ أَضْعَافِ الْمَعَى
أَوْ رَمَتْهَا قَرَحَةٌ زَادَتْ لَهَا
كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ يَدْنُو يَوْمُهَا
يِنْمَا ذَاكَ بِهَا إِذْ أَصْبَحَتْ
شَاغِرًا عُرْقُوبُهَا قَدْ أُعْقِبَتْ
وَعَدَا الصَّبِيَّةُ مِنْ جِيرَانِهَا
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَأْوَى بِهَا
ثُمَّ قَالُوا : ذَا جَزَاءٌ لِّلَّتِي
لَا تَلُومُونِي ، فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا

يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ مِنْهَا يُسْتَشْفَى
[عَجَلًا] ثُمَّ أَحَالَاتِ تَنْتَسِفُ
وَتَبَوَّتْ بَيْنَ أَثْنَاءِ الشَّعْفِ¹
ذَوْبَانًا كُلَّ يَوْمٍ وَنَحَفُ
أَوْ تُرَى وَارِدَةً حَوْضَ الدَّنْفِ
كَحَمِيَّتِ مُفْعَمٍ أَوْ مِثْلَ جُفٍ²
بِطْنَةٍ مِنْ بَعْدِ إِدْمَانَ الْهَيْفِ³
لِيَجْرُوهَا إِلَى مَأْوَى الْجَيْفِ
تَجْرُفُ التُّرْبُ بِجَنْبِ مَنْحَرِفٍ
أَعْمَلُوا الْآجِرُ فِيهَا وَالْخَرْفِ
تَأْكُلُ الْبَسْتَانَ مَنَا وَالصُّحُفِ
كُلَّهُ فِيهَا إِذْنٌ لَمْ أَتَنْصَفِ

[ردّه على عتاب امرأته]

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير ،
وحدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : هَوِيَ أَبِي قَيْنَةَ مِنْ قِيَانِ
أَبِي هَاشِمٍ بِالْبَصْرَةِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أُمِّي تَعَاتِبُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

[من البسيط]

لَا تَذْكُرِي لَوْعَةَ إِثْرِي وَلَا جَزَعَا
بَلْ ائْتَسِي تَجْدِي إِنْ ائْتَسَيْتِ أَسَا
مَا تَصْنَعِينَ بَعِينَ عَنْكَ قَدْ طَمَحَتْ
إِنْ قُلْتِ قَدْ كُنْتُ فِي خَفْضٍ وَتَكْرِمَةٍ
وَإِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمِعْتُ بِهِ
وَمَنْ يُطْلِقُ خَلِيعًا عِنْدَ صَبُوتِهِ

وَلَا تُقَاسِنِي بَعْدِي الْهَمُّ وَالْهَلَعَا
بِمِثْلِ مَا قَدْ فُجِعْتَ الْيَوْمَ قَدْ فُجِعَا
إِلَى سَوَاكِ وَقَلْبٍ عَنْكَ قَدْ نَزَعَا
فَقَدْ صَدَقْتُ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ قَدْ نَزَعَا
إِلَّا إِذَا صَارَ فِي غَايَاتِهِ انْقِطَعَا
أَمْ مَنْ يَقُومُ لِمُسْتَوْرِ إِذَا خُلَعَا

1 تناهت : بلغت . أضعاف المعى : أثناؤها . والشغف : غلاف القلب .

2 الحميت : الزق . وجف : الشن البالي .

3 شاغراً عرقوبها : أي مرفوعاً . البطنة : عظم البطن . والهيف : صخور البطن .

[هجاء أبي النجم المغني]

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعي إلى وليمة وحضرها مغنٌ يقال له أبو النجم ، فعَبَثَ بأبي وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوهُ :

نَشَتْ بِأبي النجم المغني سحابةٌ	عليه من الأيدي شَابِيهٌهَا الْقَفْدُ ¹
نَشَا نَوَاهِيهَا بِالنَّخْسِ حَتَّى تَصْرَمَتْ	وْغَابَتْ فَلَمْ يَطْلُعْ لَهَا كَوْكَبٌ سَعْدُ
سَقَّتْهُ فَجَادَتْ فَارْتَوَى مِنْ سِجَالِهَا	ذُرَا رَأْسَهُ وَالْوَجْهَ وَالْجِدُّ وَالْخَدُ ²
فَلَا زَالَ يَسْقِيهِ بِهَا كُلُّ مَجْلِسٍ	بِهِ فَنِيَّةٌ أَمْثَالُهَا الْهَزْلُ وَالْجِدُّ

أراد به يسقيانه .

[ردّه على جارية عاتبت صديقه داود]

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان لأبي صديق يقال له داود من أسمع الناس وجهاً وأقلهم أدباً ، إلا أنه كان وافر المتاع ، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده ، ويهدين إليه الفواكه والنبيد والطيب ، فيدعو بأبي فيعاشره . فهويته فينةً من قيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجهاً ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره . فسأل أبي أن يُجيبها عنه ، فقال أبي : اكتبْ يا بُنيّ قبل أن أُجيب عنها :

وابلائي من طول هذا الكتاب	أُسْعِدُونِي عَلَيْهِ يَا أَصْحَابِي
أُسْعِدُونِي عَلَى قِرَاقِ كِتَابٍ	طَوْلُهُ مِثْلُ طَوْلِ يَوْمِ الْحِسَابِ
أَنَا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ مُلْقَى	وَلْغَيْرِي فِيهِ الْهَوَى وَالتَّصَابِي
وَلَهُ الْوَدُّ وَالْهَوَى ، وَعَلَيْنَا	فِيهِ لِلْكَاتِبِينَ رَدُّ الْجَوَابِ
ثُمَّ مَنَ يَا سَيِّدِي ؟ وَإِلَى مَنْ ؟	مِنْ هَضِيمِ الْحَشَا لَعُوبِ كَعَابِ
وَإِلَى مَنْ إِنْ قُلْتُ فِيهِ بَغِيْبٌ	لَمْ أُحِطْ فِي مَقَالَتِي بِالصَّوَابِ
لَا يُسَاوِي عَلَى التَّأْمُلِ وَالتَّفْ	تِيْشِ يَوْمًا فِي النَّاسِ كَفُّ تَرَابِ

[رثاؤه داود]

فقال عبد الله : وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشي قُدَّامَهُ .

1 نشت : عاودته مرّة بعد أخرى . القفد : الصَّقْع بباطن الكف .

2 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .

فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذى لقي داود شره وحذره أبي . فمات داود . وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران ، فعثر بدكان¹ وتلوث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً ، فقال يرثي داود :

أقول والأرض قد غشى وجلَّلها ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود
وسدَّ كلَّ فُروج الجوِّ مُنطَبِقاً وكلُّ فَرْجٍ به في الجوِّ مسدود
وفي الوداع وفي الإبداء لي عنتٌ دون المسير وباب الدارِ مشدود
مَن لي بداودَ في ذي الحال يُرشدني ؟ مَن لي بداود ؟ لهفي ! أين داود ؟
لهفي على رجله ألا أقدمها قدامَ رجلي فتلقاها الجلاميدُ
إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكُّني حَرَفٌ وجَرَفٌ ودُكَّانٌ وأُحدودُ
فإن تكن شوكةٌ كانت تحلُّ به أو نكتةٌ في سواد الليل أو عُودُ²

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال : هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال في ذلك :

قُلْ لبغاة الآداب ما صنعت منها إليكم فلا تُضيعوها
فإن دعتكم إلى القراطيس س والانقاس سرّاً فلا تطيعوها
وضمونها صُحف الدفاتر بال حبر وحسن الخطوط أوغوها
فإن عجزتم ولم يكن علفٌ تُسيفه عندكم فبيعوها

[عريدة يوسف بن جعفر عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني ابن شَيْل البرجمي قال : كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشد خلق الله عريدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبذ ولحاح ، فعربد يوسف عليه وشجّه ، فقال ابن يسير يهجوهُ :

لا تجلسن مع يوسف في مجلسٍ أبداً ولم تحمِلِ دم الأخوين³

1 دكان : مصطبة .

2 نكتة : ألقاه على رأسه .

3 دم الأخوين : نبات ذو صبغ أحمر ، العندم .

رِيحَانُهُ بَدَمِ الشَّبَابِ مُلْطَخٌ وَتَحِيَّةُ النَّدْمَانِ لَطْمُ الْعَيْنِ

[الغلام الذي نبتت لحيته]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدثني أبو علي بن الخراساني قال : كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر ، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر ، وَمَنْ يَسْتَشْرِطُ¹ مِنَ الْمُرْدِ . فجاء يوماً غلاماً قد خرجت لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر ، فمنع من ذلك فجعل يُخاصم لدالته ، وبلغ ابن يسير فكتب إليه :

قُلْ لِمَنْ رَامَ بِجَهْلٍ مَدْخَلَ الطَّبِيِّ الْغَرِيبِ
بعد أن عَلَّقَ فِي خَدِّهِ مِخْلَافَةَ الشَّعِيرِ
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إِنْ جَاءَ مِنْ الْبَابِ الْكَبِيرِ

[شعره في رجل يصيب بالعين]

وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُوزٍ قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : كنا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصَافِيُّ ، وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة² تغني غناءً حسناً ، فكنا معها في أحسن يوم ، وكان القِصَافِيُّ يَعِينُ³ في كل شيء يستحسنه ويحبّه ، فما برحنا من المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومة شاكية العين . فقال ابن يسير :

إِنَّ عَمْرَأَ جَنَى بَعِينِهِ ذَنْباً قَلٌّ مَنِي فِيهِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ
عَانَ عَيْنَا ، فَعَيْنُهُ لِلتِّي عَا ن فِدْنَى ، وَقَلٌّ مِنْهُ الْفِدَاءُ
شُرَّ عَيْنٍ تَعِينُ أَحْسَنَ عَيْنٍ تَحْمِلُ الْأَرْضُ أَوْ تُظِلُّ السَّمَاءُ

[شعره في جار منه حماراً]

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُوزٍ قال حدثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجة أرادها فأبى عليه ، فمضى إليها ماشياً ، وكتب إلى عمرو القِصَافِيِّ ، وكان جاراً للهاشمي وصديقاً ، يشكوه إليه ويُخبره بخبره :

1 استشرط : فسد بعد صلاح .

2 شهلة : نصف عاقلة .

3 يعين : يصيب بالعين .

إِنَّ كُنْتُ لَا غَيْرَ لِي يَوْمًا يُلْغَنِي حَاجِي وَأَقْضِي عَلَيْهِ حَقَّ إِخْوَانِي
 وَضَنْ أَهْلُ الْعَوَارِي حِينَ أَسْأَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ وَدِّي وَخُلَصَانِي وَجِيرَانِي
 فَإِنَّ رَجُلِي عِنْدِي ، لَا عَدِمْتُهُمَا ، رَجُلًا أَخِي ثِقَةً مُذْ كَانَ جَوْلَانِي
 تُبَلِّغَانِي حَاجَاتِي وَإِنْ بَعْدَتْ وَتُدْنِيَانِي مِمَّا لَيْسَ بِالذَّائِي
 كَأَنَّ خَلْفِي إِذَا مَا جَدَّ جَدُّهُمَا إِعْصَارَ عَاصِفَةٍ مِمَّا تُثِيرَانِ
 رِجْلَايَ لَمْ تَأْلَمَا نَكَبًا كَانَهُمَا قَطْعًا وَقَدْ أَدَامَجَا مَدَاكَانِ¹
 كَأَنَّ مَا بِهِمَا أَخْطَو إِذَا ارْتَمَا فِي سِكَّةٍ مِنْ أَيِّ رَالٍ سَمَاكَانِ²
 إِنْ يُعْنَا فِي دَهَاسٍ تَبْعَا رَهَجًا أَوْ فِي حُزُونٍ ذَكَ فِيهَا شِهَابَانِ³
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَا عَمْرُو الَّذِي بِهِمَا عَنِ الْعَوَارِي وَمَنْ النَّاسِ أَغْنَانِي

[جلة التمر والشكوى إلى والي البصرة]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ حَدَّثَنِي
 مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيِّ قَالَ : كُنَّا فِي حَلَقَةِ التَّوَرِيِّ ، فَلَمَّا تَقَوَّضَتْ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرَ
 لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ :

جُهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أَعْطَاهُ مَصْطَبِيرًا وَمُكْتَبَّرٌ مِنْ غَنَى سَيَّانٍ فِي الْجَوْدِ
 لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

فَقُلْنَا لَهُ : مَا هَذَا التَّكَارُمُ ! وَقَمْنَا إِلَى بَيْتِهِ فَأَكَلْنَا مِنْ جُلَّةٍ⁴ تَمَرٍ كَانَتْ عِنْدَهُ أَكْثَرَهَا وَحَمَلْنَا
 بِقِيَّتِهَا . فَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ :

يَا أَبَا حَفْصٍ بِحُرْمَتِنَا غَبَتْ عَنَّا حِينَ نُنْتَهِكُ
 خُذْ لَنَا ثَأْرًا بِجُلَّتِنَا فَبِكَ الْأَوْتَارُ تُدْرِكُ
 لَهْفَ كَفِّي حِينَ تَطْرَحُهَا بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ تَبْتَرِكُ⁵
 زَارَنَا زَوْرٌ فَلَا سَلِمُوا وَأَصِيبُوا أَيَّةَ سَلَكُوا⁶

1 المداك : مدق الطيب .

2 الرأل : ولد النعام .

3 الدهاس : المكان السهل . والرهج : الغبار . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .

4 الجلة : وعاء من خوص .

5 يقال لبركت السحابة ، إذا اشتد مطرها .

6 الزور : الزائرون .

أَكَلُوا حَتَّى إِذَا شَبِعُوا أَخَذُوا الْفَضْلَ الَّذِي تَرَكَوا

قال : فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمتنا مائة درهم ، وأخذ من كل واحدٍ منا جُلَّةَ تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

[بينه وبين أحمد بن يوسف]

أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيَّاء قال : كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزحمه أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشره وعَبَثاً به ، فأخذ ابن يسير بأذن الحِمَار وقال له : قُلْ لهذا الحِمَار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

[يستهدي المديني حماماً]

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُوزٍ قال : حدثني محمد بن عليّ الشاميّ قال : طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المدينيّ فراخاً من الحمام الهداء¹ ، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر ، ثم نَوَّر عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير :

يا ربُّ ربِّ الرَّائِحِينَ عَشِيَّةً	بالقوم بين منى وبين ثَبِيرٍ
والواقفين على الجبالِ عَشِيَّةً	والشمسُ جانحةً إلى التَّغْوِيرِ ²
حتى إذا طَفَلَ العَشِيُّ ووجَّهَتْ	شمسُ النَّهَارِ وآذَنْتْ بِغُرُورٍ ³
رحلوا إلى خَيْفٍ نَوَاجِلَ ضَمَّهَا	طُولُ السَّفَارِ وَيُعَدُّ كُلُّ مَسِيرٍ ⁴
أَبْعَثْ على طير المَدِينِيّ الذي	قال المُحَالِ وجاءني بِغُرُورٍ
أبعث على عَجَلٍ إليها بعدما	يأخُذْنَ زَيْتَهُنَّ في التَّحْسِيرِ ⁵
في كلِّ ما وَصَفُوا المَراحِلَ وَابْتَدَوْا	في المُبْتَدِينَ بهنَّ والتَّكْسِيرِ
وَمَضَيْنَ عن دُورِ الخُرَيْبَةِ زُلْفَةً	دونَ القصورِ وَحَجَرَةِ الماخُورِ ⁶

1 الهداء : ضرب من الحمام يعرف بالزاجل .

2 التغوير : الغروب .

3 طفلت الشمس : مالت إلى الغروب . غفور : غياب .

4 خيف : خيف منى . ورحل البعير : وضع عليه الرحل .

5 التحسير : سقوط ريش الطائر .

6 الخريبة : موضع بالبصرة .

مع كل ریح تَغْتَدِي بِهَبُوبِهَا
 من كل أَكْلَفَ باتَ يَذْجُنْ ليلُهُ
 ضَرِمَ يَقلْبَ طَرْفَهُ مُتَأَنِّساً
 يَأْتِي لَهَنَ مَيَامِناً وَمَيَاسِراً
 مِن طَائِرٍ مُتَحَيِّرٍ عن قَصْدِهِ
 لم يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدُهُنَّ فَإِنْ نَجَا
 لُشْمَرَيْنِ عن السَّوَاعِدِ خُسْرٍ
 سُدِّدِ الْأَكْفُ إِلَى الْمُقَاتِلِ صَيْبٍ
 ليس الذي تُخْطِي يَدَاهُ رَمِيَّةٌ
 يَتَبَوَّعُونَ وَتَمْتَطِي أَيْدِيهِمْ
 عُطْفَ السَّيَّاتِ دَوَائِرَ فِي عِطْفِهَا
 يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الْأَكْفِ ثَوَاقِباً
 تَجْرِي بِهَا مُهَجُّ النُّفُوسِ وَإِنَّهَا
 مَا إِنْ تَقْصُرُ عن مَدَى مُتَبَاعِدٍ
 حَتَّى تَرَاهُ مُرْمَلاً بِدِمَائِهِ
 فَيَظْلُ يَوْمُهُمْ بَعِيشٍ نَاصِبٍ
 وَيُكُوبُ نَاجِيَهُنَّ بَيْنَ مُضَرَّجٍ
 فِي الْجَوِّ بَيْنَ شَوَاهِينِ وَصُقُورٍ
 فَعَدَا بَغْدُودُ سَاغِبٍ مَطُورٍ
 شَيْئاً فَكُنَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ¹
 صَكّاً بِكُلِّ مُذَلِّقٍ مَمْكُورٍ²
 أَوْ سَاقِطٍ خَلِجِ الْجَنَاحِ كَسِيرٍ
 شَيْءٌ فَصَارَ بِجَانِبَاتِ الدُّورِ
 عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةٍ التَّوتِيرِ³
 سَمَتْ الْحُتُوفِ بِجُوجُؤٍ وَنُحُورٍ⁴
 مِنْهُمْ بِمَعْدُودٍ وَلَا مَعْدُورٍ
 فِي كُلِّ مُعْطِيَةِ الْجِذَابِ تَنْوِيرٍ⁵
 تُعْزَى صِنَاعَتُهَا إِلَى عُصْفُورٍ⁶
 مُتَشَابِهَاتِ الْقَدِّ وَالتَّدْوِيرِ⁷
 لِنَوَاصِلٍ سَلَّتْ مِنَ التَّحْبِيرِ⁸
 فِي الْجَوِّ يَخْسُرُ طَرْفَ كُلِّ بَصِيرٍ
 فَكَأَنَّهُ مُتَضَمِّخٌ بِعَبِيرٍ
 نُصَبَ الْمَرَاجِلُ مُعْجَلِي التَّنْوِيرِ
 بِدَمٍ وَمَخْلُوبٍ إِلَى مَنْسُورٍ⁹

1 الضرم : الذي اشتدَّ جوعه . والمتأنس : البازي الذي يرفع رأسه وينظر .

2 صكه صكاً : ضربه ضرباً شديداً . ومذلق : محدد .

3 لشمريين : أي أن هذه الصقور والشواهين لصيادين مشمرين . الرشيقة من الغلمان والجواري : الخفيف الحسن القد .

4 السمت : الطريق والقصد . الجوجؤ : الصدر .

5 يتبوع : يمد باعه . ومعطية الجذاب : قوس لينة الجذب . والتتور : الشديدة الجذب . معطية الجذاب تنور في ل : طائفة الجدار بتور .

6 سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعصفور القواس : إليه تضاف القسي العصفورية .

7 ثواقب : أي تثقب الهدف وتخرقه .

8 نواصل : سقطت نصالها . سلت من التحبير : أجيد بريها ولم يبق فيها تنوء .

9 مخلوب : مجروح بمخلب . ومنسور : متتوف .

عَارِي الْجَنَاحِ مِنَ الْقَوَادِمِ ، وَالْقَرَا
فِيئُودُهُ مُتَبَهِّنَسٌ فِي مَشْيِهِ
ذُو حُلُكَةٍ مِثْلَ الدُّجَى أَوْ عُثْبَةٍ
فِيمَرٌ مِنْهَا فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقُرَى
فِي حِينَ تُؤْذِيهَا الْمَبَايْتُ مَوْهِناً
يَخْتَصُّ كُلُّ سَلِيلٍ سَابِقٍ غَايَةً
عَجَلٌ عَلَيْهِ بِمَا دَعَوْتُ لَهُ بِهِ
حَتَّى يَقُولَ جَمِيعُ مَنْ هُوَ شَامِتٌ
فَلَا تُفِينُكَ عِنْدَ حَالِي حَسْرَةً
وَلْتُلْفَيْنِ إِذَا رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا

كاسٍ ، عَلَيْهِ مَائِرُ التَّامُورِ¹
خَطِيفُ الْمُؤَخَّرِ مُشْبِعُ التَّصْدِيرِ²
شَغِبٌ شَدِيدُ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ³
مِنْ كُلِّ أُعْصَلٍ كَالسَّنَانِ هَصُورٍ⁴
أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ آخِرَ التَّسْحِيرِ
مَحْضَرُ النَّجَارِ مُجَرَّبٌ مَخْبُورٌ
أَرَاهُ بِذَلِكَ عَقُوبَةَ التَّنْوِيرِ
هَذَا إِجَابَةٌ دَعَاةِ ابْنِ يَسِيرٍ
وَتَأْسُفٍ وَتَلَهُفٍ وَزَفِيرٍ
أَيْدِي الْمَصَائِبِ مِنْكَ غَيْرَ صَبُورٍ

[قصر النوشجاني]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ
سَلِيمَانَ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ بَعْضِ وَلَدِ النُّوشْجَانِيِّ إِلَى قَصْرِ لَهُ فِي بَسْتَانِهِم بِالْجَعْفَرِيَّةِ ، وَمَعَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْقَصْرُ مِنَ الْقُصُورِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْحَسَنِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خَرِبَ وَاخْتَلَّ ،
فَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ :

أَلَا يَا قَصْرُ قَصَرَ النُّوشْجَانِي
فَلَوْ أَغْفَى الْبَلَاءُ دِيَارَ قَوْمٍ
أُرَى بِكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مَا شَجَانِي
لِفَضْلِ مِنْهُمْ وَلِعُظْمِ شَانِي
لَمَا كَانَتْ تُرَى بِكَ يَتَاتِ
تَلُوحُ عَلَيْكَ آثَارُ الزَّمَانِ

[يرثي نفسه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَرْبٍ قَالَ أَنْشَدَنَا يَوْمًا مُحَمَّدُ
ابْنُ يَسِيرٍ فِي مَجْلَسِ أَبِي مُحَمَّدٍ الزَّاهِدِ صَاحِبِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ لِنَفْسِهِ قَالَ : [مَنْ السَّرِيع]

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ

1 القرا : الظهر . التامور : الدم . ومار الدم : إذا جرى .

2 متبهنس في ل : متعطن . يدعو على الحمام الباقي أن يقع بين مخالب السنانير الشبيهة بالأسود .

3 الغبقة : لون إلى الغبرة . وشغب : متهيج بالشر .

4 أعصل : ناب شديد معوج .

واغفلتَا في كلِّ يومٍ مضى يُذَكِّرُنِي الموتَ وأنساهُ
مَنْ طالَ في الدُّنيا بهِ عمرُهُ وعاشَ فلموتُ قُصاراهُ
كَأنَّهُ قد قِيلَ في مجلسٍ قد كُنْتُ آتِيهِ وأغشاهُ
عَمَدٌ صارَ إلى رُبهِ يَرْحَمُنَا اللهُ وإِيَّاهُ
قال : فأبكي والله جميع مَنْ حضر .

[داود بن أحمد بن أبي داود يدل عليه أهله]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمِّي قالا حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني أبو الشَّيْل قال : كان محمد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي داود كثير الغشيان له ففقداه أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحاب له قد خرجوا ينتزهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه في منزل «حُسن» المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شُرطة «خُمار» التركي . فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيه أيها القاضي ، كيف ذللت عليَّ أهلي ؟ قال : كما بلغك ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . قال : أو فعلت ذلك أيضاً ؟ زدني من برك ، هات ، أيش قلت ؟ فأنشده :

ومرسلةٌ توجُّهُ كلَّ يومٍ إليَّ وما دعا للصبح داعي
تُسائلني وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قَسَمَ المتاع
إذا لم تَلْقَه في بيت «حُسن» مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ في طريق بني سدوسٍ يخطُّ الأرضَ منه بالكراع¹
يَدُقُّ حُزُونُهَا بالوجه طَوْرًا وطَوْرًا باليدين وبالذراع
فقد أعياك مَطْلَبُهُ وأمسى (فلا تغلُط) حَبِيسَ أبي شجاع

قال : فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره . ثم لم يرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خِلعةً من ثيابه .
[شعره في الحكم]

أخبرني عمِّي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني عليُّ بن القاسم طارمةً قال : كنت مع المعتصم لما غزا الروم ، فجاء بعض سراياه بخبر عمه² ، فركب من قُوْرِهِ وسار أجداً سير وأنا أسايره ، فسمع مُنشداً يتمثل في عسكره :

1 الكراع : ما دون الركبة إلى الكعب .

2 ل : غمه .

[من البسيط]

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلُّ مَا ارْتَجَا¹
لَا تَيَأْسَنْ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا

فسرّ بذلك وطابت نفسه ، ثم التفت إليّ وقال لي : يا عليّ أتروي هذا الشعر ؟ قلت نعم .
قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفأّل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع
يعقب هذا الأمر . ثم قال : أنشدني الأبيات ، فأنشدته قوله : [من البسيط]

مَازَا يَكْلُفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلْجَا الْبَرُّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَكَبُ اللَّجْجَا
كَمْ مِنْ فِتْنَى قَصُرَتْ فِي الرُّزْقِ خُطُوتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسَهَامِ الرُّزْقِ قَدْ فَلَجَا²
لَا تَيَأْسَنْ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلُّ مَا ارْتَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
فَاطْلُبْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا لِمَنْ عَلا زَلَقًا عَنْ غِرَّةِ زَلْجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرَبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزَجَا
لَا يُنْتِجُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ لِقَاحِهِمْ يِيدُو لِقَاحُ الْفِتْنَى يَوْمًا إِذَا نُتِجَا

[خشي أن يفرد بالصفح]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليّ وعمّي قالوا : حدثنا محمد بن القاسم بن
مهرويه قال : حدثني أبو الشّبل قال : كنّا عند قُتَمِّ بن جعفر بن سليمان ذات يومٍ ومعنا
محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبَخَّرَ وَنُطَيَّبَ ، فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه ،
فجعلت تبخّرنا وتغلّفنا بغالية كانت معه . فلما غلّفت ابن يسير وبخّرتهُ التفت إليّ ، وكان إلى
جنبِي ، فأنشدني :

يَا بَاسِطًا كَفَّهُ نَحْوِي يُطَيِّبُنِي كَفَّاكَ أَطِيبُ يَا حَيِّي مِنَ الطَّيِّبِ
كَفَّاكَ يَجْرِي مَكَانَ الطَّيِّبِ طَيِّبُهُمَا فَلَا تَزِدْنِي عَلَيْهَا عِنْدَ تَطْيِيبِي
يَا لَاثِمِي فِي هَوَاهَا أَنْتَ لَمْ تَرَهَا فَأَنْتَ مُغَرِّى بِتَأْيِيبِي وَتَعْذِيبِي
انْظُرْ إِلَى وَجْهِهَا ، هَلْ مِثْلُ صُورَتِهَا فِي النَّاسِ وَجْهٌ مُجَلَّى غَيْرُ مُحْجُوبِ ؟

1 ارتجج : استغلق .

2 فلج : فاز .

فقلت له : اسكت ويلك ! لا ، تُصَفِّعُ والله وتُخْرِجُ . فقال : والله لو وثقتُ بأن نُصَفِّعَ جميعاً لأنشدته الأبيات ، ولكنني أخشى أن أفردَ بالصَّفِّعِ دونك .
[وصف أهل الجدل]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الكُرَانيُّ قال : حدثنا الرِّياشيُّ قال : كان محمد بن يسير جالساً في حَلَقَتنا في مسجد البَصْرة ، وإلى جانبنا حَلَقَةُ قومٍ من أهل الجَدَلِ يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فقال ابن يسير : اسمعوا ما قلت في هؤلاء ، فأنشدنا قوله : [من السريع]

يا سائلي عن مقالة الشَّيعِ وعن صنوف الأهواء والبدع
دَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الأهواء ناحيةً فليس مِنَّ شَهِدَتْ ذُو وَرَعٍ
كلُّ أناسٍ بَدِيْهِمُ حَسَنٌ ثم يصيرون بعدُ للسمعِ
أَكْثَرُ ما فيه أن يقالَ لهم : لم يَكُ في قوله بمنقَطِعِ

[يستغني عن التدوين]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني محمد بن علي الشاميُّ قال : كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ؛ من ذلك قوله :

إذا ما غدا الطُّلابُ للعلم ما لهم من الحظِّ إلا ما يُدَوِّنُ في الكُتُبِ
غَدَوْتُ بتشمير وجِدٍّ عليهم فَمِجْهَرَتِي أُذُنِي ودَفَتَرُها قلبي

[من حِكْمِهِ]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني إبراهيم بن المدبر قال : كان إبراهيم بن رِياح إذا حَزَبَه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير :

تُخْطِي النفوسُ مع العيا ن وقد تُصِيبُ مع المَظِنَّةِ
كَمَ من مَضِيقي في الفضا ومَخْرَجِ بين الأَسِنَّةِ

[النعل الخلق]

أخبرني عَمِي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني الحسن بن أبي السَّريِّ قال : مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيَّ فجلس إليه ساعة ، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خَلَقٍ وَسِخِيَّةٍ مَقْطُعةً ، فأخذ ورقةً وكتب فيها :

كَمْ أَرى ذا تعجُّبٍ من نِعالِي ورضائي منها بُلْبُسِ البَوالي

كلّ جَرْدَاءٍ قد تَكَنَّفَهَا الخَصْفُ من اقْطَارِهَا بسود النُّقَالِ
لا تُدَانِي ، وليس تشبِه في الخِلْدِ سَقَّةٌ إن أُبْرِزَتْ ، نِعَالُ المَوَالِي
مَنْ يُغَالٍ مِنَ الرِّجَالِ بَنَعْلٍ فسِوَايَ إِذَا بِهِنَّ يُغَالِي
لو حَذَاهُنَّ لِلجَمَالِ فَإِنِّي في سَوَاهِنَ زَيْتِي وَجَمَالِي
في إِخَائِي وفي وَفَائِي ورَأْيِي ولسَانِي وَمَطْطَقِي وَفَعَالِي
ما وَقَانِي الحَفَا وَبَلَّغْنِي الحَا جَعَةً مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

[بكاؤه على ألواح آبنوس سرت منه]

أخبرني عمي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده ، فلما سَكِرَ سَرَقَ مِنْهُ أَلُوحَ آبِنُوسَ كانت تكون في كَمِّهِ ، فقال في ذلك :

عَيْنُ بَكِّي بَعْبَرَةٌ تَسْفَاح وأَقِيمِي مَاتِمَ الأَنْوَاحِ¹
فإِذَا مَا بَكِي أَنِيسَ لَأَنْسِ قد تَوَلَّى فابْكِي على الأَلُوحِ
أَوْحَشَتْ حُجْرَتِي ورُدْنَايَ مِنْهَا في بُكُورِي وَعِنْدَ كُلِّ رَوَاحِ²
واذْكُرِّيها إِذَا ذَكَرْتَ بِمَا قَدْ كان فِيهَا مِنْ مَرْقِيٍّ وَصَلَاحِ
آبِنُوسُ دَهْمَاءُ حَالِكَةُ اللُّو ن لُبَابٌ مِنَ اللُّطَافِ المِلَاحِ
ذاتُ نَفْعٍ خَفِيفَةُ القَدْرِ والمُخْ حِلِّ حُلُكُوكَةِ الذُّرَا والنَّوَاحِ
وسَرِيعٌ جُفُوفُهَا إنْ مَحَاها عِنْدَ مُمْلٍ مُسْتَعِجِلٍ القَوْمِ مَاحِ
هي كانت على عُلُومِي والآ دَابٍ والفَقْهِ عُدَّتِي وَسِلاحِي
كنت أَغْدُو بها على طَلَبِ العَدِ حَمِ إِذَا مَا غَدَوْتُ كُلَّ صَبَاحِ
هي كانت غِذَاءَ زَوْرِي إِذَا زَا رَ ، وَرِيَّ النَّدِيمِ يَوْمَ اصْطِباحِي
يعني أَنَّهُ يَعْمَلُ فِيهَا الشَّعْرَ وَيَطْلُبُ لَزْوَارِهِ المَأْكُولَ والمَشْرُوبَ .

آبَ عُسْرِي وَغَابَ يُسْرِي وَجُودِي حِينَ غَابَتْ وَغَابَ عَنِّي سَمَاحِي

[يهجو أحمد بن يوسف]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال : حدَّثنا عبد الله بن أحمد قال : كان

1 ويروى : الألواح .

2 الحجرة : معقد الإزار .

محمد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف ، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداءً مغنيّةً ، فقال ابن يسير يهجوّه :

أقولُ لما رأيته كلفاً بكلّ سوداءٍ نَزْرَةٌ قَدْرَةٌ¹
أهلٌ لعمرى لما كلفتَ به عند الخنازيرِ تنفّق العذِرةُ
أخبرني وكيع قال : حدّثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال : حدّثنا أبو العواذل قال : عُوْتِبَ محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبّرة ، وأنّه لا يكتب ما يسمعه ، فقال : [من السريع]
ما دخلَ الحَمَامُ من عِلْمِي فَذَاكَ ما فازَ به سَهْمِي
والعِلْمُ لا يَنْفَعُنِي جَمْعُهُ إِذَا جَرَى الوَهْمُ على فَهْمِي
[ألواح الآبنوس مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأُخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشِر ولدَ جعفر بن سُلَيْمان ، فأخذ منه قُتْمُ بن جعفر ألواحَ آبنوس كان يكتب فيها بالليل² ؛ فقال ابن يسير في ذلك :

أبقتِ الألواحُ إِذْ أُخِذَتْ حُرْقَةٌ في القلبِ تَضْطَرُّمُ
زانها فَصَّانٍ من صَدَفٍ واخمرارُ السَّيْرِ والقَلَمُ
وتولّى أخذها قُتْمٌ لا تولّى نفعها قُتْمٌ

[بينه وبين هاشمي]

أخبرني الأُخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشِر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمي لِمَلال كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله : [من الكامل]

قد كنتُ مُنْقِضاً وأنتَ بَسَطْتَنِي حتى انبسطتُ إِلَيْكَ ثم قَبَضْتَنِي
أذْكَرْتَنِي خُلِقَ النِّفاقُ وكان لي خُلُقاً فقد أَحْسَنْتَ إِذْ أذْكَرْتَنِي
لو دامَ وَدَّكَ وانبسطتُ إلى امرئٍ في الودِّ بعدك كنتَ أَنتَ غَرَرْتَنِي
فهلُمَّ نَجْتَذِبِ التَّذَاكُراً بَيْنَنَا ونعود بعدُ كأئنّا لم نَقْطُنْ

[شعره بعد السكر]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدّثنا الحسن بن عُثَيْل العَنَزِيّ قال : حدّثنا مسعود بن يسير قال : شَرِبَ محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه ، حتى خَرَجَ من عندهم وهو

1 النزرة : القليلة الولد أو اللبن .

2 ل : بالليل .

لا يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار ؛ فلما أفاق أنشأ يقول : [من السريع]

شاربتُ قوماً لم أطقُ شربهم يَغرقُ في بحرهمُ بحري
لما تجارنا إلى غاية قصر عن صبرهم صبري
خرجتُ من عندهم مُثخناً تدفعني الجُدُرُ إلى الجُدُرِ
مُقبَحَ المشي كسير الخطا تقصر عند الجدِّ عن سيري
فلمستُ أنسى ما تجشمتُ من كذحٍ ومن جرحٍ ومن أثرٍ
وشقٍّ ثوبٍ وتوى آخرٍ وسقطيةً بانَ بها ظفري¹

حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطبيب قال : حدثنا بعض أصحابنا عن مسعود بن يسير ، ثم ساق الخبر مثله سواء .

[مع جعفران الموسوس في بستان]

أخبرني محمد بن محمد بن خلف بن الرزيان قال : حدثني أبو العيناء قال : اجتمع جعفران الموسوس ومحمد بن يسير في بستان ، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحية للغائط ، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه ، فقال جعفران :

قد قلتُ لابن يسير لما رمى من عجابه
في الأرض تلَّ سَمادٍ علا على كُبانِه
طوبى لصاحب أرضٍ خرَّتْ في بُستانِه

قال : فجعل ابن يسير يشتم جعفران ويقول : أي شيء أردت مني يا مجنون يا ابن الزانية حتى صيرتني شهرةً بشعرك !!
[يستسقي والي البصرة نبذاً]

أخبرني جحظة قال : حدثني سوار بن أبي شراة قال : حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان أبي مشغولاً بالنبذ مشتهراً بالشرب ، وما بات قط إلا وهو سكران ، وما نَبَذَ قط نبذاً ، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادٍ² ، ولم تمكنه معه الحركة إلى قريب من إخوانه ولا بعيد وكاد يُجنُّ لما فقد النبذ . فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً ، وهو محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال : [من البسيط]

1 توى : هلك .

2 المطر الهاد : الذي له صوت .

3 ل : أمير .

كَمْ فِي عِلَاجِ نَبِيذِ التَّمْرِ لِي تَعَبٌ
وَأَنْ عَذَلْتُ إِلَى الْمَطْبُوحِ مُعْتَمِداً
نَقَلُ الدَّنَانِ إِلَى الْجِيرَانِ يَفْضَحُنِي
فَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ أَسْتَسْقِي وَأَطْلِبُهُ
فَمِنْهُمْ بَاذِلٌ سَمَحٌ بِحَاجَتِنَا
فَسَقْنِي رِيَّ أَيَّامٍ لَتَمْنَعَنِي
إِنْ كَانَ زَقٌّ فَزَقٌّ أَوْ فَوَافِرَةٌ
وَأَنْ تَكُنْ حَاجَتِي لَيْسَتْ بِحَاضِرَةٍ
فَاسْتَسْقِي غَيْرَكَ أَوْ فَادْكُرْ لَهُ خَبْرِي
مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَأْتِنِي عَجَلاً
لَا لِي نَبِيذٌ وَلَا حُرٌّ فَيَدْعُونِي
وَالطَّبِخُ وَالذَّلْكُ وَالْمِعْصَارُ وَالْعَكْرُ
رَأَيْتُنِي مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ أَشْتَهَرُ
وَالْقِدْرُ تَتْرَكُنِي فِي الْقَوْمِ أَعْتَذِرُ
مِنَ الصَّدِيقِ وَرُسُلِي فِيهِ تَبْتَدِرُ
وَمِنْهُمْ كَاذِبٌ بِالزُّورِ يَعْتَذِرُ
عَمَّنْ سِوَاكَ وَتُغْنِينِي فَقَدْ خَسِرُوا
مِنَ الدُّسَاتِيحِ لَا يُزِيرِي بِهَا الصَّغَرُ
وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ مِنْ آثَارِهَا أَثَرُ
إِنْ اعْتَرَاكَ حَيَاءٌ مِنْهُ أَوْ حَصَرُ
فَأَنْتَنِي وَاقِفٌ بِالْبَابِ أُنْتَظَرُ
وَقَدْ حَمَانِي مِنَ تَطْفِيلِي الْمَطَرُ

قال : فضحك لما قرأها ، وبعث إليه بزق نبيذ ومائتي درهم ، وكتب إليه : اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمسِكَ المطر ويتسع لك التطفيل ، ومتى أعوزك مكان فاجعلني فيئة¹ لك ، والسلام .

صوت

[من المنسرح]

أَنْتَ حَدِيثِي فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ
كَمْ وَاعِظِي فِيكَ لِي وَوَاعِظِي
أُنْعَبْتُ مِمَّا أَهْذِي بِكَ الْحَفَظَةَ
لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تَنْهَاهُ عَنْكَ عِظَةَ
الشَّعْرَ لَدَيْكَ الْجِنَّ الْحِمَصِيِّ . وَالْغَنَاءُ لِعَرِيبٍ ، هَزَجٌ ، ذَكَرَ ذَلِكَ ذُكَاءً وَجْهَ الرُّزَّةِ وَقُمْرِيٌّ
جَمِيعاً .

[256] - أخبار ديك الجن ونسبه¹

[نسبه]

ديك الجن² لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، واسمه عبد السلام بن رَغْبَان بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبَان بن يزيد بن تميم . وكان جدّه تميم مِّنْ أُنعم الله ، عزَّ وجلَّ ، عليه بالإسلام من أَهل مُوتَةٍ على يَدَي حَبِيب بن مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيِّ ، وكان شديد التشُّبُّب³ والعصبية على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم ﷺ ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَن قَتَلَ منهم رجلاً مَنَّا قَتَلَ به ، ولم نجدِ الله عزَّ وجلَّ فضَّلهم علينا ، إذ جَمَعَنَا الدِّين .

[شعره]

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره . من شعراء الدولة العباسية . وكان من ساكني حِمص ، ولم يرح نواحي الشام ، ولا وَفَدَ إلى العراق ولا إلى غيره مُتَجَعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد . وكان يتشيع تشيعاً حسناً ، وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن عليٍّ ، عليهما السلام ، منها قوله⁴ :

يا عينُ لا لِلْقُضَا ولا الْكُتُبِ بُكا الرِّزايا سيوى بُكا الطُّرَبِ⁵

وهي مشهورة عند الخاص والعام ، ويناح بها . وله عدَّة أشعار في هذا المعنى . وكانت له جارية يهوها ، فاتهما بغلامٍ له فقتلها ، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها .

[يهجو ابن عمه]

قال أبو الفرج : ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر ، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي ، قال : كان عمِّي خليعاً ماجناً معتكفاً على القَصْف واللهو ، متلاًفاً لِمَا وَرِثَ عن آبائه ، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابني عليٍّ الهاشميين ، وكان له ابنُ عمٍّ يُكنى أبا الطَّيِّب يَعِظُهُ وينهاه عمّا يفعلُه ، ويحول بينه وبين ما يؤثِّره ويركبه من لذّاته وربّما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجَّان وأهل الخلاعة ، فيستخفّ بهم

1 لديك الجن ترجمة في وفيات الأعيان 3 : 184-187 والدميري 1 : 488 وثمار القلوب : 27 ، 470 وله أخبار في مصارع العشاق وتزيين الأسواق ، وانظر مقدّمة ديوانه تحقيق د . أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري (بيروت) .

2 ديك الجن دوية توجد في البساتين .

3 التشعب : من الشوعية وهي الطعن في العرب .

4 ديوانه : 31 .

5 للقضا في الديوان : للغضا .

وبه . فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه ¹ :

[من المنسرح]

مَوْلَانَا يَا غَلَامٌ مُبْتَكِرَةٌ
غَدَتْ عَلَى اللّهُوِّ وَالْمُجُونِ ، عَلَى
لِحْبِهَا ، لَا عَدِمْتُهَا ، حُرَقُ
مَا ذُقْتُ مِنْهَا سِوَى مُقْبِلِهَا
وَاتَّهَرْتَنِي فَمِيتٌ مِنْ فَرَقِ
ثُمَّ انْتَشَتْ سَوْرَةُ الْخُمَارِ بِنَا
وَلَيْلِيَةِ أَشْرَفَتْ بِكُلِّكِلِهَا
فَتَقَتْ دَيَّجُورَهَا إِلَى قَمَرِ
عُجْ عِبْرَاتِ الْمَدَامِ نَحْوِي مِنْ
قَدْ ذَكَرَ النَّاسُ عَنْ قِيَامِهِمْ
مَعْرِفَتِي بِالصَّوَابِ مَعْرِفَةٌ
يَا عَجَبًا مِنْ أَيْيِ الْخَبِيثِ وَمِنْ
يَحْمِلُ رَأْسًا تَبُو الْمَعَاوِلُ عَنْ
لَوْ الْبِغَالُ الْكُمْتُ ارْتَقَتْ سَنَدًا
وَلَا الْمَجَانِيقُ فِيهِ مُغْنِيَةٌ

فَبَاكِرِ الْكَأْسِ لِي بِلَا نَظِيرَةٍ²
أَنْ الْفَتَاةَ الْحَيَّةُ الْخَفِيرَةَ
مَطْوِيَّةً فِي الْحِشَا وَمُتَشِيرَةٍ³
وَضَمُّ تِلْكَ الْفُرُوعِ مَنْحَدِرَةٍ
يَا حُسْنَهَا فِي الرِّضَا وَمُتَّهَرَةٍ !
خِلَالِ تِلْكَ الْغَدَائِرِ الْخَمِيرَةِ⁴
عَلَيَّ كَالطَّلِيَّانِ مُعْتَجِرَةٍ⁵
أَثْوَابُهُ بِالْعَفَافِ مُسْتِيرَةٍ
عَشْرٍ وَعِشْرِينَ وَانْتَتِي عَشْرَةً⁶
ذَكَرَى بَعْقَلِي مَا أَصْبَحَتْ نَكْرَةً⁷
غَرَاءُ إِمَّا عَرَفْتُمُ النَّكْرَةَ
سُرُوحِهِ فِي الْبَقَائِرِ الدَّثْرَةِ⁸
صَفَّحْتِهِ وَالْجَلَامِيدُ الْوَعِيرَةَ
فِيهِ لَمَدْتُ قَوَائِمًا خَدِيرَةً⁹
أَلْفٌ تَسَامَى وَأَلْفٌ مُنْكَدَرَةٌ¹⁰

1 ديوانه : 78-84 .

2 نظرة : التأخير في الأمر .

3 صدر البيت في الديوان : «لحبها لاعج وبى حرق» .

4 الخمرة : التي توارى .

5 معتجرة : ملتفة بالكساء .

6 عبرات المدام : ما يصب منها في الكأس .

7 نكره في ل : ظفره .

8 البقائر الدثرة : الأبراد الوسخة .

9 الكمت : جمع كمت ، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة ، وفي الديوان : الصلب . السند : ما قابلك من

الجبيل وعلا عن السفح .

10 منكدره : منصبة .

أنظر إلى موضع المِقْص من الـ هامة تلك الصَّفِيحة العَجْرة¹
فلو أخذتم لها المطارقَ حـ رائية صنعة اليدِ الخيرة
إذا لراحت أكفُ جليتهم كليلة والأداة منكسرة
كم طربات أفسدتهنَّ وكم صفوة عيشٍ غادرتها كدرة
وكم إذا ما رأوك يا ملك الـ موت لهم من أناملِ خصرة²
وكم لهم دغوة عليك وكم قذفة أم شنعاء مُشتهرة
كريمة لوؤمك استخف بها ونالها بالمثلِ لب الأثيرة
قفوا على رجليه تروا عجباً في الجهل يحكي طرائف البصرة
يا كل مني وكل طالعة نحس وبها كل ساعة عسرة³
سبحان من يمسك السماء على الـ أرض وفيها أخلاقك القذرة⁴

[قصته مع ورد وأشعاره فيها]

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به . فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمت على يده ، فتزوجها ، وكان اسمها ورداً ؛ ففي ذلك يقول⁵ : [من الكامل]

انظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزامها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
ورديّة الوجنات يختير اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها⁶
وتمايلت فضحكت من أردافها عجباً ولكني بكيت لحضرها
تسقيك كأس مدامة من كفها ورديّة ومدامة من ثغرها

قال : وكان قد أعسر واختلت حاله ، فرحل إلى سلمية قاصداً الأحمد بن علي الهاشمي ، فأقام عنده مدة طويلة ، وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه

1 الصفيحة العجرة : الحجر العريض الصلب .

2 خصرة : ياردة . وتبرد الأطراف عند الموت .

3 مني في ل : بني .

4 أخلاقك في ل : طباعك .

5 ديوانه : 168-169 .

6 ريقها في ل : نحتها .

له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام ، فكتب إلى أحمد بن عليّ شعراً يستأذنه¹ في الرجوع إلى حمص ويُعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها² :

إِنَّ رَبَّ الزَّمان طال انتكأته كَمْ رَمَتِي بِحَادِثٍ أَحَدَاهُ
يقول فيها :

ظَنَيْتُ إِنْسِرَ قَلْبِي مَقِيلُ ضُحَاهُ وَفُؤَادِي بَرِيرُهُ وَكِبَائُهُ³
وفيها يقول :

خِيفَةً أَنْ يَخُونَ عَهْدِي وَأَنْ يُضِدَّ حِجِّي لَغَيْرِي حُجُولُهُ وَرِعَائُهُ⁴
وفيها مديح لأحمد بعد هذا ؛ وهي طويلة . فأذن له فعاد إلى حمص ؛ وقدّر ابن عمّه وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعلمونه بمُوافاته بابَ حمص . فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة مع ما قد شاع من ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها قد أحدثت في مَغِيْبِهِ حادثة لا يَجْمَلُ به معها المُقامُ عليها ، ودسَّ الرجل الذي رماها به ، وقال له : إذا قدِمَ عبدُ السلام ودخل منزله فقفْ على بابه كأنك لم تعلمَ بقدومه ، ونادِ باسمِ ورْدٍ ؛ فإذا قالت : مَنْ أنت ؟ فقل : أنا فلان . فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه ، سأها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ مَنْ لم يعرف من القصّة⁵ شيئاً . فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل البابَ فقالت : مَنْ هذا فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها ، وقال في ذلك⁶ : [من الخفيف]

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَطْفِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوِصالِ وَصَلْتُ
فالذي مِنِّي اشتملت عليه أَلْعَارِ مَا قَدْ عَلِيهِ اشْتَمَلْتُ
قال ذو الجهل قد حَلَمْتُ وَلَا أَعُ لَمْ أَنْتِي حَلَمْتُ حَتَّى جَهَلْتُ

1 يستأذنه في ل : يسأله .

2 ديوانه : 85-86 .

3 البربر : الأول من ثمر الأراك . والكبات : النضيج منه .

4 رعات : جمع رعة وهي القرط .

5 القصّة في ل : الأمر .

6 ديوانه : 87-88 .

لائمٌ لي بجهله ولماذا
سوف آسى طول الحياة وأبكى
أنا وحدي أحببتُ ثم قتلْتُ !
لك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ
[من مجزوء الخفيف]

لَكَ نَفْسٌ مُوَاتِيَةٌ وَالْمَنَآيَا مُعَادِيَةٌ²
أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تَعُدْ لِهَوَى الْبَيْضِ ثَانِيَةٌ
لَيْسَ بَرَقٌ يَكُونُ أَخْ لَبٌ مِنْ بَرَقٍ غَانِيَةٌ
خُنْتُ سِرِّي وَلَمْ أَخُذْ لَكَ فَمَوْتِي عَلَانِيَةٌ³

قال : وبلغ السلطان الخبر فطلبه ، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياماً . وكب أحمد بن علي الهاشمي إلى أمير دمشق⁴ أن يؤمنه ، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنائته . فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته ، واستيقنه فندم ، ومكث شهراً⁵ لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه من بلغة يسيرة . وقال في ندمه على قتلها⁶ : [من الكامل]

يَا طَلْعَةَ طَلَعِ الْحِمَامُ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا
رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَمَا رَوَى الْهَوَى شَفَتِي مِنْ شَفَتَيْهَا
قَد بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَالٍ وَشَاحِيهَا وَمَدَامَعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا
فَوَحَى نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
مَا كَانَ قَتْلُهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا⁷
لَكِنْ ضَنْنْتُ عَلَى الْعْيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنْفَتْ مِنْ نَظَرِ الْحُسُودِ إِلَيْهَا
وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحاف قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن منصور قال : كان فتى من غطفان يقال له السُّلَيْكُ بن مُجَمِّع ، وكان من الفُرسَان ،

1 ديوانه : 89 .

2 مُعَادِيَةٌ فِي الدِّيَوَانِ : خُنْتُ سِرِّي مُوَاتِيَةٌ .

3 سِرِّي وَلَمْ أَخُنْكَ فِي ل : خُنْتُ سِرّاً مِنْ لَمْ يَخُنْكَ .

4 ل : حِمَص .

5 ل : شَهْوَراً .

6 ديوانه : 90-91 وفيه روايات كثيرة للأبيات في المصادر العديدة التي أوردتها .

7 الذباب في الديوان : الغبار .

وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم ، وكان يهوى ابنة عم له ، وكان خطبها مدةً فمنعها¹ أبوها ثم زوجه إياها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته ، فلقبه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبه بذخلي² ، فحلّقوا عليه ، وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجراح آخرين ، وأثخن هو حتى أيقن بالموت . فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإنّي أحبّ أن أقدمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك . فعاد فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يا طلعة طَلَعَ الحِمَامُ عَلَيْهَا

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجنّ ، ثم نزل³ إليها فتمرّغ في دميها وتخضّب به ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِل ، وبلغ قومه خبره ، فحملوه وابنة عمّه فدفنوها . قال : وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنّ قومه أدركوه وبه رمق ، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

وقال ديك الجنّ في هذه المقتولة⁴ :

[من الكامل]

أُشْفِقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بَعْدَهُ	أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الْوِصَالِ بِهِجْرِهِ
فَمَرُّ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ	لِيَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خَدْرِهِ
فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ	مِلءُ الْحِشَا وَلَهُ الْفَوَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نَائِمٍ	وَالْحُزْنَ يَسْفَحُ عَبْرَتِي فِي نَحْرِهِ
لَوْ كَانَ يَذْهَبُ الْمَيْتُ مَاذَا بَعْدَهُ	بِالْحَيِّ حَلٌّ بِكَيِّ لَه فِي قَبْرِهِ ⁵
غُصَصٌ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ	وَتَكَادُ تُخْرِجُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ ⁶

وقال فيها أيضاً :

[من الوافر]

أَسَاكِينَ حُفْرَةٍ وَقَرَارٍ لَحْدٍ	مُفَارِقَ خَلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدٍ
--------------------------------------	--------------------------------------

1 ل : يخطبها مدة فيمنعها .

2 دخل : ثأر .

3 ل : عمد .

4 ديوانه : 92-93 .

5 حلٌّ بكى له في ل : منه رثى له .

6 تفيض نفسه : تخرج روحه .

أَجِبْنِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوَابِي
وَأَيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلُولِ قَلْبِي
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ وَجْدِي
وَجَدَّ تَنَفُّسِي وَعِلَا زَفِيرِي
إِذَا لَعَلِمْتَ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ
وَيَعْدُلْنِي السَّفِيهُ عَلَى بُكَائِي
يَقُولُ قَتَلْتَهَا سَفَهًا وَجَهْلًا
كَصِيَادِ الطُّيُورِ لَهُ انْتِحَابٌ
وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا¹ :

[من البسيط]

مَا لَأَمْرٍ يَبْدُ الدَّهْرُ الْخَثَوْنَ يَدُ
طُوبَى لِأَحْبَابِ أَقْوَامٍ أَصَابَهُمْ
وَحَقَّهُمْ إِنَّهُ حَقٌّ أَضِنُ بِهِ
يَا دَهْرُ إِنَّكَ مَسْتَقِيٌّ بِكَأْسِهِمْ
الْخَلْقِ مَاضُونَ وَالْأَيَّامُ تَتَّبِعُهُمْ
وَقَالَ فِيهَا³ :

[من المتقارب]

أَمَّا أَنْ لِلطَّيْفِ أَنْ يَأْتِيَا
وَإِنِّي لِأَحْسَبُ رَيْبَ الزَّمَا
سَأَشْكُرُ ذَلِكَ لَا نَاسِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَنْشُرُهُ ضَاحِكًا
وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا⁴ :

[من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ كَانَ وَجْهُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ
كُنْتُ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ
خَسِرَ فِي حُسْنِهِ وَيَذِرُ مُنِيرِ
ثُمَّ قَدْ صِرْتُ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ

1 ديوانه : 96-97 .

2 نفنى جميعاً ويبقى في الديوان : نفنى ويبقى الاله ...

3 ديوانه : 98 .

4 ديوانه : 99 .

بأبي أنت في الحياة وفي المَوِّ تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ
خُتَّتْني في المَغِيبِ والخَوْنُ نُكِّرُ وذَمِيمٌ في سالفاتِ الدُّهورِ
فشفاني سَيْفِي وأسْرَعُ في حَـ سزُ التُّراقِي قَطْعاً وحَزُّ النُّحورِ

[شعره في غلامه بكر]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان ديكُ الجِنِّ يهوى غلاماً من أهل
حِمص يقال له بكر ، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثان إلى أن غاب القمر ، فقال له بكر :
أريد أن أمضي قد غاب القمر فقال له ¹ :

دَعِ البَذْرَ فَلْيَغْرُبْ فَأَنْتَ لَنَا بَذْرُ إذا ما تَجَلَّى مِنْ مَحاسِنِكَ الفَجْرُ
إذا ما انقضى سِحْرُ الذين يبالي فطَرْفُكَ لي سِحْرٌ وِرْيُكَ لي خمرُ
ولو قيل لي قُمْ فاذعُ أحسنَ مَنْ ترى لصِحتُ بأعلى الصوتِ يا بَكْرُ يا بَكْرُ
قال : وكان هذا الغلام يُعرَف بيبكر بن دهمرد . قال : وكان شديد التمتع والتصوُّن ،
فاتحتال قومٌ من أهل حِمص فأخرجوه إلى مُتَنَزَّهٍ لهم يعرف بميماس ، فأسكروه وفَسَّقُوا به
جميعاً ، وبلغ ديكُ الجِنِّ الخبرُ فقال فيه ² :

قُلْ لِيُهْزِمَ الكَشْحُ مَيَّاسَ انتَقَضَ العهدُ مِنَ النَّاسِ
يا طاقة الآسِ التي لم تَمِدْ إلَّا أَذَلَّتْ قُضْبَ الآسِ
وَنَفَتَ بالكأسِ وشُرَّابها وَخَفُ أُمثالِكَ في الكاسِ
وحال ميماسُ ويا بعدما بين مغيثِكَ وميماسِ ³
تَقْطِيعُ أنفاسِكَ في أسْرهم وَمَلَكَهم قَطْعَ أنفاسي
لا بأسَ مولاي ، على أَنَّها نِهايَةُ المَكْرُوهِ والباسِ
هي اللَّيالي ولها دولةٌ ووحشة من بعد إيناسِ
يَبْنا أنافَتَ وعَلَّتْ بالفتى إذْ قِيلَ حَطَّتْهُ على الرَّاسِ
فالهُ ودَعُ عَنْكَ أحاديثهم سَيُصْبِحُ الذَّاكِرُ كالنَّاسِ
وقال فيه أيضاً ⁴ :

[من الكامل]

1 ديوانه : 100 .

2 ديوانه : 101-102 .

3 حال ميماس في الديوان : ودير ميماس .

4 ديوانه : 103-104 .

يا بكرُ ما فعلت بك الأبطالُ يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ
في الدَّارِ بَعْدُ بَقِيَّةٌ نَسْتَامُهَا إذ ليس فيك بَقِيَّةٌ تُسْتَامُ¹
عَرِمَ الزَّمانُ على الذين عهدتهم وعليك أيضاً للزَّمانِ عُرَامُ²
شَغَلَ الزَّمانَ كَرَاكَ في ديوانه فَتَفَرَّغْتَ لِذَوَاتِكَ الأَقْلَامُ³
وقال فيه أيضاً⁴ :

[من البسيط]

قُولاً لِبَكْرِ بْنِ دَهْمَرٍ إِذَا اعْتَكُرْتُ عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بَيْنَ الطَّاسِ وَالْجَامِ
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْبَغْيَ مَهْلِكَةٌ وَالْبَغْيُ وَالْعُجْبُ إِفْسَادٌ لِأَقْوَامِ⁵
قَدْ كُنْتَ تَفَرِّقُ مِنْ سَهْمٍ تَعَانِيهِ فَصِيرَتْ غَيْرَ ذَمِيمٍ رُقْعَةَ الرَّامِي
وَكُنْتَ تَفَرِّعُ مِنْ لَمَسٍ وَمِنْ قُبُلٍ فَقَدْ ذَلَلْتَ لِإِسْرَاجِ وَالْجَامِ
إِنْ تَذَمَّ فَخُذَاكَ مِنْ رَكْضٍ قَرِيبَتَا أُمْسِي وَقَلْبِي عَلَيْكَ الْمُوجِعُ الدَّامِي
أَخْبَرَنِي أَبُو الْمُعْتَصِمِ عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاعِرُ بِأَنْطَاكِيَّةَ ، وَبِهَا أُنْشَدَنِي⁶ قَصِيدَةَ
الْبُحْتَرِيِّ :

[من الوافر]

مَلَامَكَ إِنَّهُ عَهْدٌ قَرِيبٌ وَرُزْءٌ مَا انْقَضَتْ مِنْهُ النُّدُوبُ⁷

[تعزية جعفر بن علي]

وَأُنْشَدَنِي لِذِيكَ الْجَنِّ يُعْزِي جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ⁸ :

[من السريع]

نَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ وَلَا لَنَا مِنْ زَمَنِ مَوْئِلُ
وَالذَّهْرُ لَا يَسْلُمُ مِنْ صَرْفِهِ أَعْصَمُ فِي الْقَنَةِ مُسْتَوْعِلُ⁹

1 السوم : عرض السلعة للبيع . واستامه إياها : غالى فيها .

2 عرم : اشتد .

3 الزمان في ل : الظلام .

4 ديوانه : 106-105 .

5 البغي في ل : الكبير .

6 ل : وقد أنشدته .

7 انقضت في ل وديوان البحري 2 : 95 (طبعة صادر) : عفت .

8 ديوانه : 71-65 .

9 الأعصم من الوعول : الذي في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . القنة : أعلى الجبل . واستوعل

الوعل : إذا ذهب إلى قنة الجبل .

يَتَّخِذُ الشَّعْرَى شِعَاراً لَهُ كَأَنَّمَا الْأَفْقُ لَهُ مَنَزِلُ
كَأَنَّهُ بَيْنَ شَنَاظِيرِهَا بَارِقَةٌ تَكْمُنُ أَوْ تَمُثِّلُ¹
وَلَا حَبَابٌ صَلَتَانُ السُّرَى أَرْقَمُ لَا يَعْرِفُ مَا يَجْهَلُ²
نَضْنَاضُ فَيْفَاءٍ يَرَى أَنَّهُ بِالرَّمْلِ غَانٍ وَهُوَ الرَّمْلُ³
بِالْمَزْمَنِ الْأَبْرَقِ إِمَّا عَفَا يَسْتَرُ فِيهِ الْقَرْمُ الْمَرْقُلُ
يَطْلُبُ مِنْ فَاجِئَةٍ مَعْقِلًا وَهُوَ لَمَّا يَطْلُبُ لَا يَقْعِلُ
وَالدَّهْرُ لَا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ مُسْرَبِلٌ بِالسَّرْدِ مُسْتَبِيلُ
وَلَا عَقَبَةُ السَّلَامَى لَهَا فِي كُلِّ أَفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ⁴
فَتْخَاءُ فِي الْجَوْ خُدَارِيَّةٌ كَالْغَيْمِ وَالْغَيْمُ لَهَا مُثْقِلُ⁵
آمَنُ مَنْ كَانَ لِصَرْفِ الرَّدَى أَنْزَلَهَا مِنْ جَوْهَا مُنْزِلُ
وَالدَّهْرُ لَا يَخْجُبُهُ مَانِعٌ يَحْجُبُهُ الْعَامِلُ وَالْمُنْصِلُ⁶
يُصْنَعِي جَدِيدَاهُ إِلَى حُكْمِهِ وَيَفْعَلُ الدَّهْرُ بِمَا يَفْعَلُ
كَأَنَّهُ مِنْ فَرْطٍ عِزٌّ بِهِ أَشْوَسُ إِذْ أَقْبَلَ أَوْ أَقْبَلُ

الأقبل : الذي في عينه قبل ، وهو دون الحول .

فِي حَسَبٍ أَوْفَى ، لَهُ جَحْفَلٌ يَقْدُمُهُ مِنْ رَأْيِهِ جَحْفَلُ⁷
بَيْنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ عَرَّشْتُ فِي عَرْشِهِ دَاهِيَّةٌ ضَوْعِلُ⁸
إِنْ يَكُ فِي الْعِزِّ لَهُ مِشْقَصٌ ماضٍ فَقَدْ تاحَ لَهُ مَقْتَلُ
جَادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ بِالرُّوحِ رَبُّ لَكَ لَا يَنْخَلُ⁹

1 شَنَاظِيرُ الْجَبَلِ : أَطْرَافُهُ وَحُرُوفُهُ .

2 الْحَبَابُ : الْحَيَّةُ . الصَّلَتَانُ : النَّشِيطُ الْحَدِيدُ الْفَوَادُ . وَالْأَرْقَمُ : أَخْبَثُ الْحَيَاتِ .

3 حِيَّةُ نَضْنَاضٍ : لَا تَسْتَقَرُّ فِي مَكَانٍ . وَالْفَيْفَاءُ : الْمَغَازَةُ . وَالرَّمْلُ : مَنْ نَفَدَ زَادَهُ .

4 الْعَقَبَةُ : الْعُقَابُ ذَاتُ الْمَخَالِبِ الْحَدَادُ . السَّلَامَى : عِظَامُ الْأَصَابِعِ . وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ اسْمُ مَوْضِعٍ .

5 الْفَتْخَاءُ مِنَ الْعُقَابِ : اللَّيْنَةُ الْجَنَاحُ . وَخُدَارِيَّةٌ : سُودَاءُ .

6 مَانِعٌ فِي ل : شَامِخٌ .

7 فِي حَسَبٍ أَوْفَى لَهُ فِي ل : فِي حَيْثُ أَوْفَى فَلَهُ ...

8 عَرَّشْتُ : بَنَيْتُ عَرِيشًا . وَالضَّوْعِلُ : الدَّاهِيَةُ .

9 الرُّوحُ : الرَّحْمَةُ .

وَحَتَّ الْمَزْنَ عَلَى قَبْرِهِ بِعَارِضٍ نَجَوْتَهُ مَحْفِلٌ¹
 غَيْثٌ تَرَى الْأَرْضَ عَلَى وَثْلِهِ تَضْحَكُ إِلَّا أَنَّهُ يَهْمِلُ²
 يَصِلُ وَالْأَرْضُ تُصَلِّي لَهُ مِنْ صَلَوَاتٍ مَعَهُ تَسْأَلُ³
 أَنْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبَّاسُهَا إِذَا اسْتَطَارَ الْحَدَثُ الْمُغْضِلُ
 وَأَنْتَ يَنْبُوعُ أَفَانِيْنِهَا إِذَا هُمْ فِي سَنَةٍ أَهْلُوا
 وَأَنْتَ عَلَامٌ غُيُوبِ النَّشَا يَوْمًا إِذَا نَسَّأَلُ أَوْ نُسَّأَلُ
 نَحْنُ نُغْزِيكَ وَمَنْكَ الْهُدَى مُسْتَخْرَجٌ وَالنُّورُ مُسْتَقْبِلُ
 نَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي نَأْوِي إِلَيْهِ بِهِ نَعْقِلُ
 نَحْنُ فِدَاءُ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ
 إِذَا غَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِهَا ذَا الدَّهْرِ فَهَوَ الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ

[رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي]

قال أبو المعتمد : ثم مات جعفر بن علي الهاشمي ، فرثاه ديك الجن فقال⁴ :

على هذه كانت تدور النوائبُ وفي كلِّ جمعٍ للذهابِ مَذَاهِبُ
 نزلنا على حُكْمِ الزَّمانِ وأَمْرِهِ وهل يَقْبَلُ النُّصْفَ الْأَلَدُ الْمُشَاغِبُ ؟
 وَتَضْحَكُ سِنَّ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ مُوجِعٌ ويرضى الفتى عن دَهْرِهِ وهو عَاتِبُ
 أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ وَالرُّدُّ وَاجِبٌ قِفُوا حَدِّثُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ⁵
 إِلَى أَيِّ فِتْيَانِ النَّدى قَصَدَ الرَّدى وَأَيُّهُمْ نَابَتْ حَمَاهُ النَّوَابِ ؟
 فَيَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ كَمْ رَدُّ رَاغِبٌ لِفَقْدِكَ مَلْهُوفاً وَكَمْ جُبَّ غَارِبُ⁶
 وَيَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ إِنَّ مَنَاكِبًا تَنْوُو بِمَا حَمَلْتَهَا لَنَوَاكِبُ

1 العارض : السحاب الذي يعترض في أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . الحفل : مجتمع الماء .

2 على في ل : إلى . تضحك الأرض : يفتح فيها الزهر .

3 يصل في ل : يسيل . تسأل في ل : يسيل .

4 ديوانه : 72-77 .

5 حَدِّثُونَا في ل : أَخْبِرُونَا .

6 جب غارب : قطع كاهل .

فيا قبره جُدَّ كلَّ قبرٍ بِجَوْدِهِ
فإنَّكَ لو تَدْرِي بِمَا فِيكَ مِنْ عُلَا
أخاً كُنْتُ أَبْكِيهِ دماً وهو نائمٌ
فماتَ ولا صَبْرِي على الأَجْرِ واقِفٌ
أأسعى لأَحْظِي فِيكَ بِالْأَجْرِ إِنَّهُ
وما إلَّا نَمٌّ إلَّا الصَّبْرُ عَنْكَ وإِنَّمَا
يقولون : مِقْدَارٌ على المرءِ واجبٌ
هو القلبُ لَمَّا حُمَّ يَوْمَ ابنِ أُمِّه
تَرَشَّفْتُ أَيَّامِي وَهْنٌ كَوَالِحُ
ودافعتُ في صدر الزَّمانِ ونَحْرِهِ
وقلتُ له : خَلِّ الجَوَادَ لِقَوْمِهِ
فوالله إخلاصاً من القول صادقاً
لَوْ أَنَّ يَدِي كَانَتْ شِفَاءَكَ أَوْ دَمِي
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الرُّضَا وَتَخَذْتُهَا
فَتَى كَانَتْ مِثْلَ السِّيفِ مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ
فَتَى هَمُّهُ حَمْدٌ على الدَّهْرِ رَابِحٌ
شَمَائِلُ إِنْ يَشْهَدُ فَهَنْ مَشَاهِدُ
بَكَاءُ أَخٍ لَمْ تَحْوِهِ بِقَرَابَةٍ
وأظلمتِ الدُّنْيَا الَّتِي كُنْتُ جَارَهَا
يُرْدُّ نِيرَانُ المَصَائِبِ أَنْتَنِي

[أهل حمص يمزلون إمام مسجدهم]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر : إنَّ خطيبَ أهل حمص كان يصلي على النبي ﷺ على المنبر ثلاث مرَّات في خطبته ، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَرٍّ إلَّا ثلاثة أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه ؛

1 قصب : قطع .

2 غاب في ل : ناب .

فقال ديك الجن¹:

[من الكامل]

سَمِعُوا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ تَوَالِي
ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى الصَّلَاةِ إِمَامُهُمْ
يَا آلَ حِمَصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عَارِهَا
شَاهَتْ وَجُوهُكُمْ وَجُوهًا طَالَمَا
فَتَفَرَّقُوا شَيْعًا وَقَالُوا : لَا لَا
فَتَحَزَّبُوا وَرَمَى الرَّجَالُ رِجَالًا
خِزْيًا يَحِلُّ عَلَيْكُمْ وَوَبَالًا²
رَغِمَتْ مَعَاطِسُهَا وَسَاءَتْ حَالًا

صوت

[من الطويل]

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحْدِي
عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرَ لَقَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ ، وَالْغَنَاءَ لَعْلُويِهِ ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بِالْوَسْطَى .

1 ديوانه : 110-111 .

2 يَا آلَ فِي ل : يَا أَهْلَ .

[257] - أخبار قيس بن عاصم ونسبه¹

[نسبه]

هو قيس بن عاصم بن سينان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس . واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ويكنى أبا علي . وأمّه أم أصغر بنت خليفه بن جرول بن منقر .

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات ، مظفر في غزواته . أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية ، وأسلم وحسن إسلامه ، وأتى النبي ﷺ ، وصحبه في حياته ، وعمر بعده زماناً ، وروى عنه عدة أحاديث . [وأد بناته]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال : وقد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته ، فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها . ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه فقال له : كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات ، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها ، وما رجعت منهن موءودة قط إلا بنية كانت لي ولدتها أمها وأنا في سفر ، فدفعها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقدمت فسألت عن الحمل ، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً . ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويقعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلت فرايتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً ، وألبستها قلادة جزع² ، وجعلت في عنقها مخنقة³ بلح : فقلت ، من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها ؟ فبكت ثم قالت : هذه ابنتك ، كنت أخبرتك أنني ولدت ولداً ميتاً ، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ . فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها عنها ، ثم أخرجتها يوماً فحفر لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول :

1 لقيس بن عاصم ترجمة في الإصابة 7188 وحامسة المروزي : 1584 والنقائض : 1023 وسمط الآلي 487 والحبر 238 ، 248 وانظر أعلام الزركلي ومواضيع متفرقة من التذكرة الحمدونية ، والمثل «أعذر من قيس بن عاصم» في مجمع الميداني 2 : 429 .

2 الجزع : الخرز اليماني .

3 المخنقة : القلادة .

يا أبت ما تصنع بي؟! وجعلتُ أَقْذِفَ عليها الترابَ وهي تقول: يا أبتِ أُمُغْطِي أُنْتَ بالتراب؟! أثارَكِي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟! وجعلتُ أَقْذِفَ عليها الترابَ ذلك حتى واريتهَا وانقطع صوتها، فما رَحِمْتُ أحداً من واريتهَا غيرها. فدمعت عينا النبي ﷺ ثم قال: «إن هذه لَقَسْوَةٌ، وإنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» أو كما قال ﷺ.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حَدَّثَنَا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حَدَّثَنِي عُمِّي أَبُو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أَبِي بَكَّار عن شيخ من بني تميم عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ قَيْسَ بن عاصمٍ دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْرِهِ بعضُ بَنَاتِهِ يَشْمُهَا، فقال له: ما هذه السَّخْلَةُ تَشْمُهَا؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد وَلِدَ لي ثمانون وَاوْدَتْ ثمانِي بَنِيَّاتٍ ما شَمِمْتُ مِنْهُنَّ اثْنِي وَلَا ذَكَرًا قَطُّ. فقال رسول الله ﷺ: «فَهَلْ إِلَّا أَنْ يَنْزِعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ!»

قال أحمد بن الهيثم قال عُمِّي فَحَدَّثَنِي عبد الله بن الأَهِمَّ: أَنَّ سَبَبَ وَأَدِ قَيْسٍ بَنَاتِهِ أَنَّ الْمُشْمَرَجَ الْيَشْكُرِيَّ أَغَارَ عَلَى بَنِي سَعْدِ بن زيد مَنَاءَ فِي بَنِي يَشْكُرَ فَسَبَى مِنْهُمْ نِسَاءً وَاسْتَأَقَ أَمْوَالاً، وَكَانَ فِي النِّسَاءِ امْرَأَةً، خَالَهَا قَيْسُ بن عاصم، وَهِيَ رَمِيمُ بِنْتُ أَحْمَرَ بن جَنْدَلِ السَّعْدِيِّ، وَأُمُّهَا أُخْتُ قَيْسٍ. فَرَحَلَ قَيْسٌ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَهَبُوهَا لَهُ أَوْ يَفْدُوْهَا، فَوَجَدَ عَمْرُو بن الْمُشْمَرَجِ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ. فَسَأَلَهَا فِيهَا، فَقَالَ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرَهَا إِلَيْهَا فَإِنْ اخْتَارَتْكَ فَخُذْهَا. فَخَيْرْتُ، فَاخْتَارَتْ عَمْرُو بن الْمُشْمَرَجِ. فَانصَرَفَ قَيْسٌ فَوَادَّ كُلَّ بِنْتٍ لَهُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً فِي كُلِّ بِنْتٍ تُولَدُ لَهُ، وَاقْتَدَتْ بِهِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ؛ فَكَانَ كُلُّ سَيِّدٍ يُولَدُ لَهُ بِنْتُ يَتَذَوُّهَا خَوْفًا مِنَ الْفَضِيحَةِ.

[يطلب من يؤاكله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريِّد قال حَدَّثَنِي عُمِّي عن العباس بن هِشَام عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ قَالَ: تَزَوَّجَ قَيْسُ بن عاصِمِ الْمِنْقَرِيَّ مَنفُوسَةَ بِنْتَ زَيْدِ الْفَوَارِسِ الضُّبِّيِّ، وَأَتَتْهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ بَنَاتِهَا بِهَا بَطْعَامٌ، فَقَالَ: فَأَيْنَ أَكِيلِي؟ فَلَمْ تَعْلَمْ مَا يَرِيدُ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ¹:

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي

1 الأبيات الأربعة الأولى في الحماسة بشرح المَرْزُوقِيِّ (رقم 733) دون نسبة: «وقال آخر»، وذكر المحقق في الحاشية أنها لحاتم الطائي كما ذكر التبريزي. وفي التذكرة الحمدونية 2: 280 لقيس بن عاصم مع بعض اختلاف.

أَخَا طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي أَخَافُ مَلَامَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَأِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَمَا بِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ
قال : فَأَرْسَلْتُ جَارِيَةً لَهَا مَلِيحَةٌ فَطَلَبْتُ لَهُ أَكِيلاً ، وَأَنْشَأْتُ تَقُولُ لَهُ : [من الطويل]
أَبِي الْمَرْءِ قَيْسٌ أَنْ يَذُوقَ طَعَامَهُ بَغِيرِ أَكِيلٍ إِنَّهُ لَكَرِيمٌ
فَبُورِكَتَ حَيًّا يَا أَخَا الْجُودِ وَالنَّدَى وَبُورِكَتَ مَيْتًا قَدْ حَوَّنَكَ رُجُومٌ
[مدحه العباس بن مرداس]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : جَاوَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ مِنْ قُضَاعَةَ قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ ، فَأَحْسَنَ جِوَارَهُ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا حَتَّى فَارَقَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى جُوَيْنِ الطَّائِيِّ أَبِي عَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ ، فَوَثِبَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ طَبِيعٍ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ يَهْجُوهُمْ وَيَمْدَحُ قَيْسًا :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْفَى الْجَوَادُ ابْنَ عَاصِمٍ وَأَحْصَنَ جَارًا يَوْمَ يَخْدِجُ بَكْرَةً¹
أَقَامَ عَزِيزًا مُتَنَدِي الْقَوْمِ عِنْدَهُ فَلَمْ يَرَ سَوَاءٍ وَلَمْ يَخْشَ غَدْرَهُ
أَقَامَ يَسْعَدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ آمِنًا وَيَأْكُلُ وَسْطَهَا وَيَرْبِضُ حَجْرَةً²
فَإِنَّكَ إِذْ بَادَلْتَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ جُوَيْنًا لَمْخَشَارَ الْمَنَازِلِ شَرَّةً
فَأَصْبَحَ يَحْدُو رَحْلَهُ بِمَفَازَةٍ وَمَاذَا عَدَا جَارًا كَرِيمًا وَأُسْرَةً
يَظَلُّ بِأَرْضِ الْغَدْرِ يَأْكُلُ عَهْدَهُ جُوَيْنٌ وَشَمْخٌ خَارِبَيْنِ بِوَجْرَةٍ³
يُذِمُّانِ بِالْأَزْوَادِ وَالزَّادِ مَحْرَمٌ سَرُوقَانِ مِنْ عِرْقِ شُرُورٍ وَفَجْرَةٍ⁴

[حلمه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَ الْأَخْنَفُ : مَا تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ إِلَّا مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنَقَرِيِّ ، فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا بَجْرٍ ؟ فَقَالَ : قَتَلَ ابْنُ أَخٍ لَهُ ابْنًا لَهُ فَأَتَانِي بِابْنِ أَخِيهِ مَكْتُوفًا يَقَادُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

1 وَأَحْصَنَ جَارًا فِي ل : وَأَحْسَنَ جَدًّا . أَحْدَجُ بَكَرَهُ : شَدَّ عَلَيْهِ الْحِمْلَ .
2 المثل : « يَأْكُلُ وَسْطَهَا وَيَرْبِضُ حَجْرَةً » فِي مَجْمَعِ الْمِيدَانِي 2 : 150 وَجُمُوهُ الْعَسْكَرِي 2 : 430 وَمُسْتَقْصَى الزَّمَخْشَرِيِّ 2 : 411 وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ وَسْطَ الْمَرْعَى وَهُوَ خِيَارُهُ مَا دَامَ الْقَوْمُ فِي خَيْرٍ فَإِذَا أَصَابَهُمْ شَرٌّ اعْتَرَلَهُمْ وَرَبِضٌ نَاحِيَةٌ .

3 يَأْكُلُ عَهْدَهُ : يَنْكُثُ . وَشَمْخٌ : اسْمُ رَجُلٍ . وَخَارِبَيْنِ : لَصَيْنِ . وَجَرَّةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ .

4 يَذِمُّانِ : يَتَهَاوَنُ . الْأَزْوَادُ : جَمْعُ زَادٍ .

ذَعَرْتُمُ الْفَتَى . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، نَقَصْتَ عِدْدَكَ ، وَأَوْهَيْتَ¹ رَكْنَكَ ، وَفَتَّتَ فِي عِضْدِكَ ، وَأَشْمَتَ عِدْوُكَ ، وَأَسَأْتَ بِقَوْمِكَ . خَلُّوا سَبِيلَهُ ، وَاحْمِلُوا إِلَى أُمِّ الْمَقْتُولِ دَيْتَهُ ، قَالَ : فَانصَرَفَ الْقَاتِلُ وَمَا حَلَّ قَيْسَ حَبْوَتَهُ ، وَلَا تَغَيَّرَ وَجْهَهُ² .
[وفوده على الرسول]

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي جُعْدَبَةَ وَأَبِي الْبِقْظَانَ قَالَا : وَفَدَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » .
[تطاوله على تاجر شرب خمره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ : جَاوَرَ دَارِيٌّ كَانَ يَتَجَرَّ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، فَشَرِبَ قَيْسٌ لَيْلَةً حَتَّى سَكَرَ ، فَرَبَطَ الدَّارِيُّ وَأَخَذَ مَالَهُ وَمَتَاعَهُ . وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ فَازْدَادَ سُكْرًا ، وَجَعَلَ مِنَ السُّكْرِ يَتَطَاوَلُ وَيُثَاوِرُ³ النُّجُومَ لِيُتَلَفَّهَا وَلِيَتَنَاوَلَ الْقَمَرَ ، وَقَالَ :

وَتَاجِرٍ فَاجِرٍ جَاءَ إِلَالُهُ بِهِ كَأَنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنَابُ أَجْمَالٍ

ثُمَّ قَسَمَ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْمِهِ وَقَالَ :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي قُرَيْشًا رَسُولًا إِذَا مَا أَتَتْهُمْ مُهْذِيَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَّوْتُ بِمَا صَدَقْتُ فِي الْعَامِ مِنْقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ⁴

قَالَ : فَلَمَّا فَعَلَ بِالدَّارِيِّ مَا فَعَلَ وَسَكَرَ ، جَعَلَ مَالَهُ نُهْبِي ، فَلَمْ تَزَلْ امْرَأَتُهُ تُسَكِّنُهُ حَتَّى نَامَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِمَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَلَى أَلَا يُدْخِلُ الْخَمْرَ بَيْنَ أَضْلَاعِهِ أَبَدًا .
[خدعة الزُّبُرْقَانِ لَهُ فِي الصَّدَقَاتِ]

أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : وَلِيَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَدَقَاتُ بَنِي مُقَاعِسَ وَالْبُطُونِ كُلِّهَا ، وَكَانَ الزُّبُرْقَانُ بْنُ بَذْرِ قَدْ وَلِيَ صَدَقَاتِ عَوْفٍ وَالْأَبْنَاءِ⁵ . فَلَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَيْسٍ وَالزُّبُرْقَانِ صَدَقَاتٍ مِنْ وَلِيِّ صَدَقَتِهِ دَسَّ إِلَيْهِ الزُّبُرْقَانُ مَنْ زَيْنَ لَهُ الْمَنْعَ لِمَا فِي يَدِهِ وَخَدَعَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ :

1 وأوهيت في ل : وأوهنت .

2 انظر رواية الخبر في العقد الفريد 2 : 277 .

3 يثاوره : يواثب .

4 المصدق : أخذ الصدقات . والأطلس هنا : اللص الخبيث .

5 الأبناء : أولاد سعد بن زيد مناة بن تميم .

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تَوَفَّى ، فَهَلُمَّ نَجْمَعْ هَذِهِ الصَّدَقَةَ وَنَجْعَلُهَا فِي قَوْمِنَا ؛ فَإِنْ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِأَبِي بَكْرٍ وَأُدَّتِ الْعَرَبُ إِلَيْهِ الزَّكَاةُ جَمْعُهَا لَهُ الثَّانِيَةُ . فَفَرَّقَ قَيْسُ الْإِبِلَ فِي قَوْمِهِ ؛ فَاَنْطَلَقَ الزُّبَيْرَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِسَبْعِمِائَةٍ¹ بَعِيرٍ فَأَدَّاهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

وَفَيْتُ بِأَذْوَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَفْسِدُ الدِّينَ بِالْغَدْرِ
فَلَمَّا عَرَفَ قَيْسٌ مَا كَادَهُ بِهِ الزُّبَيْرَانِ قَالَ : لَوْ عَاهَدَ الزُّبَيْرَانِ أُمَّهُ لَغَدَرَ بِهَا .

[أسباب سيادته]

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَسَامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ ، رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ثَعْلَبٌ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : قِيلَ لَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : بِمَاذَا سُدَّتْ ؟ قَالَ : يَبْذُلُ النَّدَى ، وَكَفَّ الْأَذَى ، وَنَصَرَ الْمَوْلَى .

[نصيحته لبنيه]

أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فِرَاسٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَيْرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ قَالَ : كَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ يَقُولُ لِبْنِيهِ : يَا كَمُ وَالْبَغْيِ ؛ فَمَا بَغَى قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا قَلُّوا وَذَلُّوا . فَكَانَ بَعْضُ بَنِيهِ يَلْطِمُهُ قَوْمُهُ أَوْ غَيْرُهُمْ فَيَنْهَى إِخْوَتَهُ عَنْ أَنْ يَنْصُرُوهُ .

[إمساك المال]

أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ : أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَرَحَّبَ بِي وَأَدْنَانِي ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْمَالُ الَّذِي لَا يَكُونُ عَلَيَّ فِيهِ تَبِعَةٌ مَا تَرَى فِي إِمْسَاكِهِ لِضَيْفٍ إِنْ طَرَفَنِي ، وَغِيَالٍ إِنْ كَثُرُوا عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : «نِعْمَ الْمَالُ الْأَرْبَعُونَ ، وَالْأَكْثَرُ السِّتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْمِثْنِ ، ثَلَاثًا ، إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ مِنْ رِسْلِهَا وَأَطْرُقَ² فَحَلَّهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهَرَهَا³ ، وَمَنْعَ غَزِيرَتِهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانَعَ وَالْمُعْتَرَّ⁴ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَكْرَمَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ وَأَحْسَنَهَا إِنَّهُ لَا يُحَلُّ بِالْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِلَيَّ مِنْ كَثَرَتِهَا . قَالَ : «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْإِطْرَاقِ ؟» قُلْتُ : يَغْدُو النَّاسُ ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْسِ بَعِيرٍ ذَهَبَ بِهِ ، قَالَ : «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْإِفْقَارِ ؟» فَقُلْتُ إِنِّي لَأَفْقِرُ النَّابَ الْمُدْبِرَةَ وَالضَّرْعَ⁵ الصَّغِيرَةَ . قَالَ : «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَنِيحَةِ ؟» قُلْتُ : إِنِّي لَأُمْنَحُ فِي السَّنَةِ الْمِائَةَ . قَالَ :

1 ل : بِسَبْعِمِائَةٍ .

2 رسلها : لبنيها . وأطرق فحلها : أعاره للضراب .

3 أفقر ظهرها : أعارها للركوب .

4 القانع : السائل . والمعتر : المتعرض للمعروف دون سؤال .

5 الناب المدبرة : الناقة الهرمة . والضرع : الصغيرة .

«إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» .
[يوم جدود¹]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ هُوَ الَّذِي حَفَزَ الْحَوْفَزَانَ بْنِ شَرِيكِ الشَّيْبَانِيَّ ، طَعَنَهُ فِي اسْتِهِ فِي يَوْمِ جَدُودٍ .
وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ شَرِيكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الصَّلْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَرَاخِيلَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هَمَّامٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي يَرْبُوعٍ مُوَادَعَةٌ ، ثُمَّ هَمَّ بِالْغَدْرِ بِهِمْ ، فَجَمَعَ بَنِي شَيْبَانَ وَبَنِي ذَهْلٍ وَاللَّهَازِمَ : قَيْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَتَيْمَ اللَّهَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَغَيْرَهُمْ ، ثُمَّ غَزَا بَنِي يَرْبُوعَ ، فَغَلَبَهُ بِهِمْ عُنَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ بْنِ شَرِيكِ ، فَنَادَى فِي قَوْمِهِ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَخَالَفُوا بَيْنَ الْحَارِثِ بْنِ شَرِيكِ وَبَيْنَ الْمَالِ فَقَالَ لِعُنَيْبَةَ : يَا أَبَا جَوْزَةَ : قَدْ عَرَفْتَ الْمُوَادَعَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي سَلِيطَ ، فَهَلْ لَكُمْ فِي مِثْلِهَا فَلَا تَرَوْعَ بَنِي يَرْبُوعَ فَوَادَعَهُ . وَأَغَارَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكِ عَلَى بَنِي مُقَاعِسَ وَإِخْوَتِهِمْ بَنِي رَبِيعَ فَاسْتَغَاثُوا بَيْنِي رَبِيعَ فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ ، فَاسْتَصْرَخُوا بَنِي مِئْقَرٍ فَرَكِبُوا حَتَّى لَحِقُوا بِالْحَارِثِ بْنِ شَرِيكِ وَبَكَرَ بْنَ وَاثِلَ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ . فَمَا شَعَرَ الْحَوْفَزَانُ إِلَّا بِالْأَهْتَمِ بْنِ سُمَيٍّ بْنِ سِنَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ مِئْقَرٍ ، وَاسْمُ الْأَهْتَمِ سِنَانٌ ، وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَثَبَ الْحَوْفَزَانُ إِلَى فَرَسِهِ فَرَكِبَهُ وَقَالَ لِلْأَهْتَمِ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَاتَّسَبَّ لَهُ ، وَقَالَ : هَذِهِ مِئْقَرٌ قَدْ أَتَيْتُكَ . فَقَالَ لَهُ الْحَوْفَزَانُ : فَأَنَا الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكِ ! فَنَادَى الْأَهْتَمُ : يَا آلَ سَعْدِ ! وَنَادَى الْحَوْفَزَانُ : يَا آلَ وَاثِلَ ؛ وَحَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَلَحِقَتْ بَنُو مِئْقَرٍ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَبْرَحَهُ ، وَنَادَتْ نِسَاءُ بَنِي رَبِيعَ : يَا آلَ سَعْدِ ؛ فَاشْتَدَّ قِتَالُ بَنِي مِئْقَرٍ لَصِيَاحِهِمْ ، فَهَزِمَتْ بَكَرُ بْنُ وَاثِلَ ، وَخَلَّوْا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي مُقَاعِسَ ، وَمَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَتَبِعَتْهُمْ بَنُو مِئْقَرٍ بَيْنَ قَتْلِ وَأَسْرِ ؛ فَاسَرَّ الْأَهْتَمُ حُمْرَانَ بْنَ عَبْدِ عَمْرِو ، وَقَصَدَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْحَوْفَزَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ غَيْرُهُ ، وَالْحَارِثُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ قَارِحٌ يُدْعَى الزُّبَيْدَ ، وَقَيْسٌ عَلَى مُهْرٍ فَخَافَ قَيْسُ أَنْ يَسْبِقَهُ الْحَارِثُ ، فَحَفَزَهُ بِالرُّمْحِ فِي اسْتِهِ ، فَتَحَفَّزَ بِهِ الْفَرَسُ فَتَجَا ، فَسُمِّيَ الْحَوْفَزَانُ . وَأَطْلَقَ قَيْسُ أَمْوَالَ بَنِي مُقَاعِسَ وَبَنِي رَبِيعَ وَسَبَايَاهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ بَكَرِ بْنِ وَاثِلَ وَأَسَارَاهُمْ . وَاتَّقَضَتْ طَعْنَةُ قَيْسٍ عَلَى الْحَوْفَزَانِ بَعْدَ سَنَةٍ فَمَاتَ . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

جَزَى اللَّهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأَ فِعْلِهَا إِذَا ذُكِرْتُ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا
وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ وَسَلَّامْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نُحُورُهَا
سَتَخَطِئُ سَعْدٌ وَالرِّبَابُ أَنْوَفَكُمْ كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

1 يوم جدود : يوم لبني منقر (من تميم) على بكر (بن ربيعة) . انظر أيام العرب في الجاهلية : 178-181 .

وقال سَوَّار بن حَيَّانِ الْمِنْقَرِيُّ :

[من الطويل]

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَرَانَ بِطَعْنَةٍ سَقَّتْهُ نَجِيعاً مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالاً¹
وَحُمْرَانُ قَسْرًا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَعَالَجَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ مُقَفَّلًا

[يوم النباج وثبتل²]

قال : وأغار قيس بن عاصم بعد ذلك على اللهازم ، فنبهه بنو كعب بن سعد بالنباج وثبتل ، فتحوَّف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل ، وقد كانوا يتناجون في ذلك ، فقام ليلاً فشقَّ مزادهم ، لئلا يجدوا بدءاً من لقاء العدو³ ، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له ، فأغار عليهم ، فكان أشهرَ يومٍ يومَ ثبتل لبني سعد ، وظفر قيس بما شاء ، وملاً يديه من أموالهم وغنائمهم . وفي ذلك يقول ابنه علي بن قيس بن عاصم :

[من الطويل]

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدْ رَأَى بَثِثَلَ أَحْيَاءِ اللَّهَازِمِ حُضْرًا
فَصَبَّحَهُم بِالْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَكَانَ إِذَا مَا أُرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرًا

[قَالَ عَبْدُ الْقَيْسِ]

قال : وأغار قيس أيضاً ببني سعد على عبد القيس ، وكان رئيس بني سعد يومئذ سينان بن خالد ، وذلك بأرض البحرين ، فأصابوا ما أرادوا ، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمُسَقَّر حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا ، فقال في ذلك سَوَّار بن حَيَّان :

[من الطويل]

فِيَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صِدْقٍ أَعْدَهَا كِيَوْمِ جُؤَائِي وَالنَّبَاجِ وَثَبَّتَلَا

[يَوْمِ الْكَلَابِ الثَّانِي]

قال : وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الْكَلَابِ الثَّانِي⁴ ، فوقع بينه وبين الأَهِمَّ اختلاف في أمر عبد يَعُوثَ بن وَقَّاصِ بن صَلَاةَ الْحَارِثِيِّ حين أُسْرَهُ عِصْمَةُ بن أَيْبَرِ التَّيْجِيِّ وَدَفَعَهُ إِلَى الْأَهِمَّ ، فرفع قيس قَوْسَهُ فَضْرَبَ فَمَ الْأَهِمَّ بِهَا فَهَتَمَ أَسْنَانَهُ ؛ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الْأَهِمَّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

1 النجيع : الدم المائل إلى السواد أو دم الجوف . والأشكال : ما يخالط سواده حمرة .

2 يوم النباج وثبتل : لتميم على بكر (بن ربيعة) . انظر أيام العرب في الجاهلية : 175-177 .

3 ل : القوم .

4 في يوم الكلاب الثاني انظر أيام العرب في الجاهلية : 124-131 .

[نصيحته لأولاده حين حضرته الوفاة]

أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا دَمَاز عن أبي عُبَيْدة ، وأخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي قال : جمع قيس بن عاصم ولده حين حضرته الوفاة وقال : يا بني ، إذا مُتْ فسوّدوا كِبَارَكُمْ ، ولا تُسوّدوا صِغارَكُمْ فيسَفَهُ الناسُ كبارَكُمْ . وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه منبّهٌ للكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم . وإذا مُتْ فاذنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم . وإياكم والمسألة فإنها آخِرُ مكاسبِ العبد ؛ وإنَّ امرأً لم يسأل إلّا ترك مكسبه . وإذا دفتنوني فأخفوا قبري عن هذا الحيّ من بكر بن وائل ؛ فقد كان بيننا خمّاشات¹ في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرّقوا . فرّقوا ، فقال : اكسروها سهماً سهماً ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة . ثم قال : [من الخفيف]

قِ وَأَحْيَا فَعَالَهَ المَوْلُودُ	إِنَّمَا المَجْدُ مَا بَنَى والدُ الصُّدُ
سَمُ إِذَا زَانَهُ عَقَافٌ وَجُودُ	وَتَمَامُ الفضلِ الشَّجَاعَةُ والحِلْدُ
جَمَعْتَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ العُهُودُ	وِثْلَاثُونَ يَا نَبِيَّ إِذَا مَا
شَدَّهَا لِلزَّمَانِ قِدْحٌ شَدِيدُ	كَثْلَاثِينَ مِنْ قِدَاحٍ إِذَا مَا
هُمُ أَوْدَى بِجَمْعِهَا التَّبِيدُ	لَمْ تَكْسُرْ وَإِنْ تَفَرَّقَتِ الأَسَدُ
أَنْ يُرَى مِنْكُمْ لَهُمْ تَسْوِيدُ	وَذَوو الحِلْمِ والأَكَابِرُ أُولَى
يَبْلُغَ الحِنْتَ الأصْغَرُ المَجْهُودُ	وعَلَيْكُمْ حِفْظُ الأصَاغِرِ حَتَّى

[رثاء عبدة بن الطيب له]

ثم مات ؛ فقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ يَرِثِيهِ : [من الطويل]

وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا	عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَامَا	تَحِيَّةً مِنْ أَوَّلِيَّتِهِ مِنْكَ نَعْمَةً
وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدُمَا	فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكُ وَاحِدٍ

أخبرني عُبَيْدُ اللهِ بن محمد الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال : لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلقت أضلاعه ، ثم قال : رَحِمَكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَنْتَ وَاللهُ كَمَا قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ : [من الطويل]

وما كان قيسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ واحدٍ ولكنّه بُنيانٌ قومٌ تهتّمًا
فقال له الوليد : كذبت يا أحولُ يا مشووم ، لسنّا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر : [من الطويل]

إذا مُقَرَّمٌ مِنّا ذرّاً حَدُّ نابهٍ تَخَمَطَ فينا نابٌ آخرٌ مُقَرَّمٌ

[علاقته بعبد بن الطيب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان بين قيس بن عاصم وعبد بن الطيب لحاء ، فهجره قيس بن عاصم ، ثم حملَ عبدة دماً في قومه ، فخرج يسأل فيما تحمّله ، فجمع إبلاً ، ومرّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية ، فقال : فيم يسأل عبدة ؟ فأخبر ؛ فساق إليه الدية كاملةً من ماله ، وقال : قولوا له لِيَسْتَمْتِعَ بما صار إليه ، وليَسْتَقِ هذه إلى القوم . فقال عبدة : أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً عليّ لصالحته ، ولكنني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصلحه . ومضى بالإبل ثم عاد ، فوجد قيساً قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول :

[من الطويل]

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحمّا

الآبيات .

[نحره الخمر على نفسه]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشام بن الكلبيّ عن أشياخهما : أن قيس بن عاصم المَنقرِيّ سَكِرَ من الخمر ليلةً قبل أن يُسلم ، فغمَزَ عُنُقَهُ ابنته ، أو قال أخته ، فهربت منه . فلما صحا منها ، فقيل له : أوما علمت ما صنعت البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصنعه ، فحرّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

وجدتُ الخمرَ جاحِمةً وفيها خِصَالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما
فلا والله أشربُها حَيَاتِي ولا أدعو لها أبداً نَدِيما
ولا أُعْطِي بها ثَمناً حَيَاتِي ولا أَشْفِي بها أبداً سَقِيما
فإنَّ الخمرَ تَفْضَحُ شَارِبِيها وتُجْشِمُهُمْ بها أمراً عَظِيما
إذا دارتْ حُمَيّاها تَعَلَّتْ طَوَالِغُ تُسْفِيهِ الرَّجُلَ الحليما

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال الزُّبَيْرُ قان : إن تاجرًا دِيافِيًا¹ مرَّ بِحِمْلٍ خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس :

1 ديافي : منسوب إلى دياف ، قرية بالشام تنسب إليها الإبل والسيوف .

أَصْبَحْنِي قَدْحًا ؛ ففعل . ثم قال له : زِدْنِي (ثلاثاً) فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالب ربح وخير ، ولا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُسْقِيكَ بغيرِ ثمن . فقام إليه قيس فَرَبَطَهُ إِلَى ذَوْحَةٍ فِي دَارِهِ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَكَلَّمَتْهُ أُخْتُهُ فِي أَمْرِهِ ، فَلَطَمَتْهُا وَخَمَشَتْ وَجْهَهَا ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ أَرَادَهَا¹ عَلَى نَفْسِهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ :

وتاجرٍ فاجرٍ جاءَ إلَّاهُ به كَانَ لِحَيَّتِهِ أَذْنَابُ أَجْمَالٍ

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا بَضِيئِي ؟ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ : الَّذِي صَنَعَ هَذَا بَوَجْهِي ، أَنْتَ وَاللَّهِ صَنَعْتَهُ ، وَأَخْبَرْتَهُ بِمَا فَعَلَ . فَأَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا يَشْرَبَ الْخَمْرَ أَبَدًا . فَهُوَ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

فوالله لا أحسو يدَ الدهرِ خمرَةً ولا شربةً تُزْزِي بِذِي اللَّبِّ والفخرِ
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزلْ بصاحبها حتى تَكْسَعَ فِي الْغَدْرِ²
وصارت به الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَمَا يكونُ عَمِيدَ الْقَوْمِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
ويُنْذِرُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْبِئُهُمْ وَيَعْصِمُهُمْ مَا نَابَهُمْ حَادِثُ الدَّهْرِ
فيا شارب الصُّهْبَاءِ دَعَهَا لِأَهْلِهَا الـ غَوَاةً وَسَلَّمٌ لِلْجَسِيمِ مِنَ الْأَمْرِ
فإنَّكَ لَا تَذْزِي إِذَا مَا شَرَبْتَهَا وَأَكْثَرَتْ مِنْهَا مَا تَرِيشُ وَمَا تَبْرِي³

[فارقته امرأته بعد إسلامه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْمُبَارَكِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي الْمَدَائِنِيُّ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ قَالَ : قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : ذَكَرْتُ بِلَاغَةَ النِّسَاءِ عِنْدَ زِيَادٍ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ أَسْلَمَ وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، فَأَلْبَى أَهْلُهَا وَأَبَوْهَا أَنْ يُسْلِمُوا وَخَافُوا إِسْلَامَهَا ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهَا وَأَقْسَمُوا إِنَّهَا إِنْ أَسْلَمَتْ لَمْ يَكُونُوا مَعَهَا فِي شَيْءٍ مَا بَقِيَتْ . فَطَالَبَتْ قَيْسًا بِالْفُرْقَةِ ، فَفَارَقَهَا ، فَلَمَّا احْتَمَلَتْ لَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا قَالَ لَهَا قَيْسٌ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ صَحَّيْتَنِي سَارَةً ، وَلَقَدْ فَارَقْتَنِي غَيْرَ عَارَةٍ ، لَا صُحْبَتُكَ مَمْلُوءَةٌ ، وَلَا أَخْلَاقُكَ مَذْمُومَةٌ ، وَلَوْلَا مَا اخْتَرْتُ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا إِلَّا الْمَوْتُ ، وَلَكِنْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَنْبِئْتُ بِحَسْبِكَ وَفَضْلِكَ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِلدَّائِمِ الْحَبَّةَ ، الْكَثِيرَ الْمَوْدَةَ⁴ ، الْقَلِيلَ اللَّائِمَةَ ، الْمُعْجِبَ الْخُلُوةَ ، الْبَعِيدَ النَّبُوَّةَ . وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي لَا أُسْكِنُ بَعْدَكَ

1 ل : راودها عن .

2 تَكْسَعُ : تَمَادَى .

3 معنى المثل ما يريش وما ييري أي لا يضر ولا ينفع .

4 ل : العفة .

إلى زوج . فقال قيس : ما فارقت نفسي شيئاً قط فنبعته كما تبتعتها .
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فiras قال حدثني أبو فiras
قال : كان قيس بن عاصم يكنى أبا علي ، وكان خاقان بن الأهم إذا ذكره قال : بخ ! من مثل أبي
علي ! [من الطويل]

تُطِيفُ بِهِ كَعَبُ بْنُ سَعْدٍ كَأَنَّمَا يُطِيفُونَ عُمَاراً بَيْتِ مُحَرَّمٍ

[بنو منقر]

وقال علان بن الحسن الشعوبي : بنو منقر قوم غدر ، يقال لهم الكوادر ، ويلقبون أيضاً
أعراف البغال ، وهم أسوأ خلق الله جوراً ، يسمون الغدر كيسان ، وفيهم بخل شديد .
وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المال ، والعرب لا تفعل
ذلك وتراه قبيحاً . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب : [من البسيط]

يَا مَنْقَرُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنَّ لُؤْمَكُمْ مُذْ عَهْدِ آدَمَ فِي الدِّيَوَانِ مَكْتُوبُ
لِلضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى مَنْ كَانَ ذَا كَرَمٍ وَالضَّيْفُ فِي مَنْقَرِ عُرْيَانٍ مَسْلُوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها : [من الطويل]

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدُ
قال : وهذا شائع في جميع بني سعد ، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر ، وبني منقر
يتدافعونه إلى بني سينان خالد بن منقر ، وهو جد قيس بن عاصم .
[تهاتره مع عمرو بن الأهم عند النبي]

وحكي عن ابن الكلبي أن النبي ﷺ لما افتتح مكة قَدِمَتْ عليه وفود العرب ، فكان فيمن
قَدِمَ عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهم ابن عمه ، فلما صاروا عند النبي ﷺ تساباً وتهاتراً ؛
فقال قيس لعمرو بن الأهم : والله يا رسول الله ما هم منا ، وإنهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن
الأهم : بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منا . ثم قال له : [من البسيط]

ظَلَلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبْ
الْهَلْبَاءُ يَعْنِي اسْتِه ، يَعْبِرُهُ بِذَلِكَ ، وَيَأْنِ عَاتِيهِ وَافِيَةٌ .

إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلُكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
سُدْنَا فَسُودَدْنَا عَوْدٌ وَسُودَدُكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ¹

قال : وإنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر . فيقال : إن النبي ﷺ نهاه عن هذا القول في قيس ، وقال : إن إسماعيل بن إبراهيم ، صلى الله عليهما وسلم ، كان أحمر . فأجابه قيس بن عاصم فقال :

ما في بني الأهم من طائل يُرجى ولا خير له يصلحون
قل لبني الحيري مخصصة تظهر منهم بعض ما يكتمون
لولا دفاعي كنتم أعبدًا مسكنها الحيرة فالسيلحون¹
جاءت بكم عفرة من أرضها حيرية ليست كما ترعمون
في ظاهر الكف وفي بطنها وسنم من الداء الذي تكتمون

[ردته عن الإسلام]

وذكر علان أن قيساً ارتد بعد النبي ﷺ عن الإسلام ، وآمن بسجاح ، وكان مؤذنها ، وقال في ذلك² :

أضحت نبئتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرنا

قال : ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي وآمنت به آمن به قيس معها . فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيراً ، فادعى عنده أن مسيلمة أخذ ابناً له ، فجاء يطلبه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

[أسره عبادة بن مرثد]

قال : ومما يُعَيرون به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسر قيس بن عاصم وسبى أمه وأختيه يوم أبرق الكيريت ، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء ، فلم يُثبه قيس ولم يشكره على فعله بقول يبلغه . فقال عبادة في ذلك :

على أبرق الكيريت قيس بن عاصم أسرت وأطراف القنا قصد حمر
متى يعلق السعدي منك بذمة تجده إذا يلقي وشيمته الغدر

قال : وكان قيس بن عاصم يسمى في الجاهلية الكودن³ .

1 السيلحون : بلد قرب الحيرة .

2 البيت في الطبري لعطارد بن حاجب .

3 الكودن : البغل أو البرذون .

[زيد الخيل يرميه بالكذب]

وكان زيدُ الخيل الطائيَّ خَرَجَ عن قَوْمِهِ وجَاوَرَ بني مِثْقَرٍ ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدُ فيهم ، فأعانهم وقاتل بني عِجْلٍ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً ، حتى انهزمت عجل ؛ فكفر قيس فعَلَهُ وقال : ما هزمهم غيري . فقال زيد الخيل يعيِّره بالكذب في قصيدة طويلة : [من الطويل]

ولستُ بوقافٍ إذا الخيلُ أخجمتُ ولستُ بكذابٍ كقيس بن عاصمٍ
[وأده بناته]

قال¹ : وكان سبب وأد قيس بن عاصم بناته أن عمرو بن المشمرج البشكري سبي رميم بنت مزيد بن يزيد بن عبادة بن نزال ، وأمها أخت قيس بن عاصم ، فلما دخلت الأشهر الحرم وفد إليهم قيس بن عاصم ليستردّها ، فقالت للذي سبها لا تردني إليهم فاستحيا منهم وتذم فقال لخالها قيس إنها قد رضيت مكانها وأنا أكره أن أردّها وأتذم منها ، وأنا راغب في فدائها فخيرها إن اختارتك ذهب عني ذمامها ، وإن اختارتني عهدتني ، فقال قيس : ما أظنّها تختار على أهلها أحداً قال : فدونكها ، فخيرها قيس فاختارت عمرو بن المشمرج ، فعاهد الله قيس أن لا يستحيي له بنتاً أبداً ، وكان يعد بناته بعد ذلك . فقال . . . الفرزدق : لقد جاء الإسلام وإنّ عندنا بنتاً لقيس بن عاصم أراد أن يعدها فاشتراها صمصعة بن ناجية .

[إسلامه]

ومّا روى قيس بن عاصم عن النبي ﷺ : حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخيّ قال : حدّثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفيان الثوريّ عن الأغرّ المِنقرِيّ عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جدّه أنّه أسلم على عهد النبي ﷺ ، فأمره النبيّ عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

وحدّثنا حامد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا جرير عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التّوّم قال : سأل قيس بن عاصم رسول الله ﷺ عن الحلف ، فقال : «لا حِلْفَ في الإسلام ، ولكن تمسّكوا بحِلْفِ الجاهلية² .

أخبرني عمي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثني رجلٌ من الرّباب قال : ذكر رجلٌ قيسَ بن عاصمٍ عند النبي ﷺ فقال : لقد هممتُ أن آتيه فأفعل به وأصنع به ، كأنّه توعّده . فقال له النبي ﷺ «إذا تحوّل سعدٌ دونَه بكَراكِرها³ .

1 زيادة لم ترد في نسختين .

2 يقصد أحلاف المناصرة على الخير والحق .

3 الكراكر : جمع كركرة وهي الجماعة من الناس .

قال : ولما مات قيسٌ رثاه مِرْدَاسُ بْنُ عَبْدِ بْنِ مُنْبَهٍ فقال¹ :
وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بُيِّنَ قومٌ تَهْدَمُ

صوت

[من مجزوء الخفيف]

خُذْ مِنَ الْعَيْشِ مَا كَفَى وَمِنَ الدَّهْرِ مَا صَفَا
حَسَنَ الْغَدْرِ فِي الْأَنَا مِثْلَ اسْتَقْبَحَ الْوَفَا
صِلْ أَخَا الْوَصْلِ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْهَجْرِ مِنْ خَفَا
عَيْنُ مَنْ لَا يُرِيدُ وَصْدَ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا

الشعر لحمد بن حازم الباهلي ، والغناء لابن القصَّار الطُّنُبُورِي ، رَمَلٌ بِالْبَيْنِصَرِ . أخبرني بذلك جمحظة .

1 تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطيب ، ص 53 .

[258] - أخبار محمد بن حازم ونسبه¹

[نسبه]

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة . أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسين بن فهم .

وهو من شعراء الدولة العباسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس ، فاطّرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكون له نهاة طبّفته . وكان ساقط الهمة ، متقللاً جداً ، يرضيه اليسير ، ولا يتصدى لمدح ولا طلب .

[مع الطاهريّ]

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول : بعث إليّ فلان الطاهريّ ، وكنت قد هجوته فأفرطت ، بألفي درهم وثياب في تخت ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى رده ، ولكن أحبّ ألاّ تزيد عليه شيئاً . فبعثت إليه بالدراهم والثياب ، وكتبت :

لا ألبسُ النعماء من رجلٍ ألبسته عاراً على الدهرِ

[هجاء أحمد بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو عليّ ، وسقط اسمه من كتابي ، قال قرأت في كتاب عمّي : قال لي محمد بن حازم الباهليّ : مرّ بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلم عليّ سلاماً أرضاه ، فكتبت رُقعةً وأتبعته بها ، وهي :

وباھليّ من بني وائلٍ	أفادَ مالاً بعد إفلاسٍ
قطّبَ في وجهي خوفَ القرى	تقطّيبَ ضِرغامٍ لدى الباسِ
وأظهرَ التّية فتايهته	تية امرئٍ لم يشقّ بالنّاسِ
أعزّته إغراضَ مُستكبرٍ	في موكبٍ مرّ بكّنّاسِ

1 ترجمة محمد بن حازم الباهليّ في طبقات ابن المعتز : 311 ومعجم المرزباني : 429 وتاريخ بغداد 2 : 429 وديارات الشاهشي : 177 والورقة : 109 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال : لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له : يا أبا جعفر ، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم ، وهو أبو إسحاق بن سعد ، وكان يكتب للنوشجاني ، فأنشدني :

راجع بالعُتْبَى فاعتبته وربما اعتبك المذنبُ
وإن في الدهر ، على صرفه بين الصديقَيْن ، لمُستعَبُ

[في الشباب والشيب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : قال ابن الأعرابي : أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب قول محمد بن حازم الباهلي :

لا حين صبر فخلّ الدمع ينهملُ فقد الشباب يوم المرء متصلُ
سقياً ورغياً لأيام الشباب وإن لم ينق منه له رسم ولا طللُ
جر الزمان ذيولاً في مفارقة وللزمان على إحسانه عِللُ
وربما جر أذيال الصبا مرحاً وبين بُرديه غصن ناعم خضِلُ
يصبى الغواني ويزهاه بشرته شرخ الشباب وثوب حالك رَجُلُ
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب يوم واحد بدلُ
كفأك بالشيب عيباً عند غانية وبالشباب شبيحاً أيها الرجلُ
بان الشباب وولّى عنك باطله فليس يحسن منك اللهو والغزلُ
أما الغواني فقد أعرضن عنك قلبي وكان إعراضهنّ الدلّ والخجلُ
أعرتك الهجر ما لاحت مطوقة فلا وصال ولا عهد ولا رسلُ
ليت المنايا أصابتنني بأسهمها فكنّ يتيكّن عهدي قبل أكهملُ
عهد الشباب لقد أقيت لي حزناً ما جدّ ذكرك إلا جدّ لي ثكلُ
إن الشباب إذا ما حلّ رائده في منهل راد يقفو إثره أجلُ

قال ابن الوشاء خاصة : وما أساء ولا قصر عن الأولى ، حيث يقول في هذا

المعنى :

أبكي الشباب لندمان وغانية وللمغاني وللأطلال والكتب

وللصَّريخ وللآجام في غَلَسٍ
وللخيال الذي قد كان يطرُقني
يا صاحباً لم يدعْ فقدي له جَلداً
وقد أكون ، وشعبانا معاً ، رجلاً
وللقنا السُّمُرِ والهنديَّة القُضْبِ
وللتدَامِى ولِّلذاتِ والطَّرَبِ
أضِعتُ بعدك إنَّ الدهرَ ذو عُقْبٍ¹
يومَ الكريهةِ فَرَجاً عَن الكُربِ

[مع ابن حميد]

أخبرني ابن عَمَّار عن العَنَزِيِّ قال : كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْهُ ، وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء ، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً ، منه قوله :

عَدُوَّكَ المَكَارِمُ والكِرَامُ
ونَفْسُكَ نَفْسُ كَلْبٍ عِنْدَ زَوْرٍ
وَنَحْشِمْهُ إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ²
فَهَمْكَ مَا يَكُونُ بِهِ المَلَامُ
وَجَانَبَكَ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ
وَحِثُّكَ دُونَ خَلَّتِكَ اللُّثَامُ³

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ ، فلم يفعل ، وردَّ المال عليه ، وقال فيه :

مَوْضِعُ أَسْرَارِكَ المَرِيبُ
وَتَمْنَعُ الضَّيْفَ فَضْلَ زَادٍ
يَا جَامِعاً مَانِعاً بَخِيلاً
أَبَالرُّشَا يُسْتَمَالُ مِثْلِي ؟
لَا أُرْتَدِي حُلَّةً لِمُثْنٍ
وَبَيْنَ جَنْبِيهِ لِي كُلُّوْمٌ
مَا كُنْتُ فِي مَوْضِعِ الهَدَايَا
أَتَى وَقَدْ نَشَتِ المَكَاوِي
وَحَشْنُوْ أَوْثَابِكَ الغُيُوبُ
وَرَحْلُكَ الوَاسِعُ الخَصِيبُ
لَيْسَ لَهُ فِي العُلَا نَصِيبُ
كَلَّا ؛ وَمَنْ عِنْدَهُ الغُيُوبُ
بُوجْهِهِ مَنْ يَدِي نُدُوبُ
دَائِمَةً مَا لَهَا طَيِّبُ
مِنْكَ ، وَلَا شَعْبَنَا قَرِيبُ
عَنْ سِمَةِ شَانْهَا عَجِيبُ

1 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

2 الزور : الزائر . الالتدام : النياحة .

3 يحشمه : يسمعه ما يكره .

وسار بالذم فيك شعري وقيل لي محسنٌ مُصيبٌ
مالك مالٌ اليتيم عندي ولا أرى أكله يطيبٌ
حسبك من مोजزٍ بليغ يبلُغ ما يبلُغ الخطيبُ

حدثني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرؤيه قال : حدثني علي بن الحسين الشيباني قال : بعث الحسن بن سهل محمد بن حميد في وجهه ، وأمره بجباية مال ، وبحرب قوم من الشراة ، فخان في المال وهرب من الحرب ، فقال فيه محمد بن حازم الباهلي : [من المتقارب]

تَشَبَّهَ بِالْأَسَدِ الثَّلَبُ فَغَادَرَهُ مُعْتَقاً يُجَنَّبُ¹
وَحَاوَلَ مَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ فَاسْلَمَهُ النَّابُ وَالْمِخْلَبُ
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ أَبَاطِيلُهُ وَحَاصَ فَأَخْرَزَهُ الْمَهْرَبُ²
وَكَانَ مَضِيئاً عَلَى غَدْرِهِ فَعُيِبَ ، وَالْغَادِرُ الْأَخِيْبُ
أَيَا أَيْنَ حُمَيْدٍ كَفَرَتِ النَّعِي سَمَ جَهْلًا وَوَسَّوَسَكَ الْمَذْهَبُ³
وَمَنْتَكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ وَبَعْضُ الْمُنَى خُلْبٌ يَكْذِبُ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى عَلَى مُنْعِمٍ يَبْغِي وَتُنْهَى فَلَا تُعَبُّ
فَأَصْبَحْتَ بِالْبَغْيِ مُسْتَبْدَلاً رَشَاداً وَقَدْ فَاتَ مُسْتَعْتَبُ

قال : وقال فيه لما شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهل : [من مخلف البسيط]

إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِكَ الرُّكَابُ فَحَيْثُ لَا دَرَّتِ السَّحَابُ
زَالَتْ سِرَاعاً وَزُلْتَ يَجْرِي بَيْنَكَ الظُّبْيُ وَالْغُرَابُ
بَحِثْ لَا يُرْتَجَى إِيَابُ وَحَيْثُ لَا يَبْلُغُ الْكِتَابُ
فَقَبِّلْ مَعْرُوفَكَ امْتِنَانُ وَدُونَ مَعْرُوفِكَ الْعَذَابُ
وَخَيْرُ أَخْلَاقِكَ اللُّوَاتِي تَعَافِ أَمْثَالَهَا الْكَلَابُ

[قصر شعره]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني أبي قال : قال يحيى بن أكنم لمحمد بن حازم الباهلي : ما نعيبُ شعرك إلا أنك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول : [من الوافر]

1 معنق : في عنقه قلادة .

2 حاص : حاد وعدل .

3 وسوسة : ناجاه رسول له .

أَبَى لِي أَنَّ أَطِيلَ الشَّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
وَأِيحَازِي بِمُخْتَصَرٍ قَرِيبٍ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ
فَأَبْعَثُهُنَّ أَرْبَعَةً وَخَمْسًا مُثَقَّفَةً بِالْفَاطِ عَذَابِ
خَوَالِدَ مَا حَدَا لَيْلٌ نَهَارًا وَمَا حَسُنَ الصَّبَا بِأَخِي الشَّبَابِ
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا كَأَطَوَاقِ الْحَمَائِمِ فِي الرِّقَابِ
وَهُنَّ إِذَا أَقَمْتُ مُسَافِرَاتٍ تَهَادَتْهَا الرُّوَاهُ مَعَ الرُّكَّابِ

[مع أبي ذؤيب]

حدثني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال : كان بالأهواز رجل يعرف بأبي ذؤيب من التتار ؛ وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثياب بدة¹ ، وهيئة رثة ، ولم يعرفه نفسه ، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر ، وأبو ذؤيب يتكلم متحققاً بالعلم بذلك ، فسأله محمد بن حازم ، وقد دخل عليه يوماً ، عن بيت من شعر الطرمّاح جهله ، فردّ عليه جواباً محالاً كالمتصغر له وازداره ، فوثب عن مجلسه مغضباً . فلما خرج قيل له : ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر ؟ أتدري لمن تعرضت ؟ قال : ومن ذاك ؟ قال : هو الذي احتقرته أفما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا محمد بن حازم الباهلي ، أحببت الناس لساناً وأهجاهم . فوثب إليه حافياً حتى لحقه ، فحلف له أنه لم يعرفه ، واستقاله فأقاله ، وحلف أنه لا يقبل له رِفقاً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا : [من الكامل]

أَخْطَا وَرَدَّ عَلَيَّ غَيْرَ جَوَابِي وَزَرَى عَلَيَّ وَقَالَ غَيْرَ صَوَابِ
وَسَكَنْتُ مِنْ عَجَبٍ لَذَاكَ فِرَادِي فِيمَا كَرِهْتُ بِظَنِّهِ الْمُرْتَابِ
وَقَضَى عَلَيَّ بظَاهِرٍ مِنْ كُنُوءَةٍ لَمْ يَذِرْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابِي
مِنْ عِفَّةٍ وَتَكْرُمٍ وَتَحَمُّلٍ وَتَجَلَّدٍ لِمَصِيبَةٍ وَعِقَابِ
وَإِذَا الزَّمَانُ جَنَى عَلَيَّ وَجَدْتَنِي عُودًا لِبَعْضِ صَفَائِحِ الْأَقْتَابِ
وَلَمَّا سَأَلْتُ لِيَخْبِرَنَّكَ عَالِمٌ أَنِّي بِحَيْثُ أَحَبُّ مِنْ آدَابِ
وَإِذَا نَبَا بِسَيِّئِ مَنَزَلٍ خَلِيَّتِهِ قَفْرًا مَجَالِ ثَعَالِبٍ وَذِئَابِ
وَأَكُونُ مُشْتَرَكَ الْغِنَى مُتَبَدِّلًا فَإِذَا افْتَقَرْتُ قَعَدْتُ عَنْ أَصْحَابِي

لكنه رجعت عليه ندامة لَمَّا نُسِيتُ وخاف مَضُّ عِتَابِي
فأقلت لَمَّا أَقَرَّ بذنبه ليس الكريمُ على الكريمِ بنابٍ

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدثنا النوفلي قال : كان سعد بن مسعود القطرُبيُّ : أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهلي ، فسأله حاجةً فردَّه عنها ، فغضب محمد وانقطع عنه ، فبعث إليه بألف درهم وترضاه ، فردَّها وكتب إليه : [من السريع]

مُتَّسِعُ الصَّدْرِ مُطِيقٌ لِمَا يَحَارُ فِيهِ الْحَوْلُ الْقُلْبُ
رَاجِعٌ بِالْعُتْبَى فَأَعْتَبْتُهُ وَرَيْمًا أَعْتَبَكَ الْمَذْنِبُ
أَجَلٌ فِي الدَّهْرِ ، عَلَى أَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِالْبَيْنِ ، مُسْتَعْتَبُ
سَقِيٍّ وَرَعِيٍّ لَزْمَانٍ مَضَى عَنِّي ، وَسَهْمُ الشَّامِتِ الْأَخِيبُ
قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ مُوَيْلٌ فَلَمْ أُعْرِضْ لَهُ وَالْحُرُّ لَا يَكْذِبُ¹
أَخَذَنِي مَالاً مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَوْذَعْتَنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْنَعُ
أَبَيْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ إِلَّا مَشْرَبًا يَغْذُبُ
أَعَزَّنِي الْيَأْسُ وَأَغْنَى فَمَا أَرْجُو سِوَى اللَّهِ وَلَا أَرْهَبُ
قَارُونُ عِنْدِي فِي الْغِنَى مُعْلِمٌ وَهَمَّتِي مَا فَوْقَهَا مَذْهَبُ
فَأَيَّ هَاتَيْنِ تَرَانِي بِهَا أَصْبُو إِلَى مَالِكَ أَوْ أَرْغَبُ ؟

[مع أحمد بن يحيى]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق ، واللفظ له ، قالوا : حدثنا الخليل بن أسيد النوشجاني قال ، حدثنا حماد بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن يحيى قال : آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال : لم يبقَ عليَّ شيءٌ من اللذاتِ إلاَّ يَبِيعُ السَّنَائِرَ . فقلت له : سَخِنتُ عَيْنَكَ ! أَيَسِّرْ لَكَ فِي بَيْعِ السَّنَائِرِ مِنَ اللَّذَاتِ ؟ قال : يُعْجِبُنِي أَنْ تَجِيشَنِي الْعَجُوزُ الرَّعْنَاءُ تُخَاصِمُنِي وَتَقُولُ : هَذَا سِنُورِي سُرِقَ مِنِّي ، وَأُخَاصِمُهَا وَأَشْتُمُهَا وَتَشْتُمُنِي ، وَأَغِيظُهَا وَأَبَاغِضُهَا ؛ ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

صِلْ خَمْرَةً بِخُمَارٍ وَصِلْ خُمَارًا بِخَمْرِ

1 مويل : تصغير مال .

وَحُذِّ بِحَظِّكَ مِنْهَا زَادًا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي
قال : قلتُ : إلى أينَ ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

[مع أحمد بن أبي نهيان]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوزة قال : حدثني الحسن بن أبي السري قال : كان إسحاق بن أحمد بن أبي نهيك أنساً بمحمد بن حازم الباهلي يدعو ويعاشره مدة . فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتاباً أغضبته ؛ وبلغه أنه غضب ، فكتب إليه :

ما مُسْتَزِيرُكَ فِي وَدٍّ رَأَى خَلَاءً فِي مَوْضِعِ الْأُنْسِ أَهْلًا مِنْكَ لِلغَضَبِ
قد كنتَ تُوجِبُ لِي حَقًّا وَتَعْرِفُ لِي قَدْرِي وَتَحْفَظُ مِنِّي حُرْمَةَ الْأَدَبِ
ثم انخرفتَ إِلَى الْأُخْرَى فَأَحْشَمَنِي مَا كَانَ مِنْكَ بِلَا جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ¹
وإن أدنى الذي عِنْدِي مُسَامَحَةٌ فِي حَاجَتِي بَعْدَ أَنْ أَعْذَرْتُ فِي الطَّلَبِ²
فَاخْتَرْتُ فَعِنْدِي مِنْ ثِنْتَيْنِ وَاحِدَةٌ عُذْرٌ جَمِيلٌ وَشُكْرٌ لَيْسَ بِاللَّعِبِ
فإن تُجَدِّدَ كَمَا قَدْ كُنْتَ تَفْعَلُهُ وَإِنْ أَحْبَبَ فِيمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ

[مع الحسن بن سهل]

حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة قال : حدثني ميمون بن هارون قال : قال محمد بن حازم الباهلي : عرضت لي حاجة في عسكر أبي محمد الحسن بن سهل ، فأتيتُهُ ، وقد كنتُ قلتُ في السفينة شعراً ، فلمَّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له ، فَعَرَفَنِي ، فقال : ما قلت في الأمير ، فقلت ما قلت فيه شيئاً ؟ فقال له رجل كان معي : بلى ، قد قال أبياتاً وهو في السفينة ؛ فسألني أن أنشده ، فأنشدته قولي :

وقالوا لو مدحتَ فتى كريماً فقلتُ وكيف لي بفتى كريمٍ ؟
بَلَوْتُ النَّاسَ مُذْ خَمْسُونَ عَاماً وَحَسْبُكَ بِالْمَجْرَبِ مِنْ عَلِيمِ
فَمَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمٍ خَيْرٍ وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى حَمِيمِ
ويعجبني الفتى وأظنَّ خيراً فَأَكْشَفَ مِنْهُ عَنْ رَجُلٍ لَثِيمِ
تَقَبَّلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَأَضْحَوْا بَنِي أَبُوَيْنِ قَدْ أَمَّا مِنْ أُدِيمِ

1 أحشمتني : ساءني وأغضبنتني .

2 أعذر : أبدى عُذراً .

فطاف الناسُ بالحسن بن سهلٍ طوافُهُمْ بِزَمَزَمَ والحطيمِ
وقالوا سَيِّدٌ يُعْطِي جزيلاً وَيَكْشِفُ كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ¹
فقلتُ مضى بَذَمُ القومِ شِعْري وقد يُوتَى التَّريُّ من السَّقِيمِ
وما خَبَرٌ تُرْجِّمُهُ ظُنُونِي بأشْفَى مِنْ مُعَايِنَةِ الحَلِيمِ²
فجئتُ وللأُمُورِ مُبَشِّرَاتٌ ولن يخفى الأغرُّ من البَهِيمِ
فإنَّ يَكُ ما تَنْشُرُ عنه حَقًّا رجعت بأهْبَةِ الرجلِ المُقِيمِ
وإنَّ يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِدْتُ رَبِّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حَكِيمِ
وما الآمالُ تَعْطِفُنِي عليه ولكنَّ الكَريمَ أخو الكَريمِ

قال : فلما أنشدته هذا الشعر ، قال لي : بمثل هذا الشعر تلقى الأمير ؟ والله لو كان نظيرَكَ لما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا ؛ فقلت : صدقت ، فكذلك قلت ، إنني لم أمدحه بعدُ ، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشَبِّه مثله . قال : فافعل ، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَهُ من جَوْدَةِ البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالِي إليه بغير مدح ، فأدخلتُ إليه . فأمرني أن أنشد هذا الشعر ، فاستعفيتهُ فلم يُعْفِنِي ، وقال : قد قَنَعْنَا منك بهذا القدر إذ لم تُدْخِلْنَا في جملة من ذممت ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إِيَّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ؛ مالكَ وللناس تَعْمُهُم بالهجاء ؟ حَسْبُكَ الآن من هذا النَمَطِ وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أطلبك بالوفاء مطالبة من أُهديتُ إليه هديةً فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلني فأجزل وكساني . فقلت في ذلك وأنشدته :

وهبتُ القومَ للحسن بن سهلٍ فعَوَّضَنِي الجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ
وقال دَعِ الهجاءَ وَقُلْ جميلاً فإنَّ القَصْدَ أَقْرَبُ للثَّوَابِ
فقلتُ له : برئتُ إِلَيْكَ منهم فليَتَهُمْ بِمُنْقَطَعِ التُّرَابِ
ولولا نعمةُ الحسن بن سهلٍ عليَّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العَذَابِ
بشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه يُشَبِّه بالهجاءِ وبالعِتَابِ
أَكِيدُهُمْ مُكَايَدَةَ الأَعَادِي وأَخْتَلُهُمْ مُخَاتَلَةَ الذُّثَابِ³

1 الكظيم : المكروب .

2 الكلام المرجم : عن غير يقين .

3 ختله : خدعه .

بَلَوْتُ خِيَارَهُمْ فَبَلَوْتُ قَوْمًا كُھُولُهُمْ أَحْسُّ مِنَ الشَّبَابِ
وما مُسَخُوا كِلَابًا غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَشْبَاهَ الْكِلَابِ

قال : فضحك وقال : ويحك ! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد . فقلت : هذه بقية طَفَحَتْ على قلبي ، وأنا كاف عنهم ما أبقي الله الأمير .

[في صديق تغير]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال : كان لمحمد بن حازم الباهلي صديق على طول الأيام ، فقال مرتبة من السلطان وعلا قدره ، فجفا محمداً وتغير له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم : [من مجزوء الكامل]

وَصَلُّ الْمُلُوكِ إِلَى التَّقَالِي وَوَفَا الْمُلُوكِ مِنَ الْمَحَالِ
مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَذْبٍ وَظَر فِي قَلْتِ ذَاكَ أَحْوَضَ ضَلَالِ
أَوْ كَانَ ذَا نُسْكَ وَدِي مِنْ قَلْتِ ذَاكَ مِنَ الثَّقَالِ
أَوْ كَانَ فِي وَسْطٍ مِنَ الْـ أَمْرَيْنِ قَلْتِ يُرِيغُ مَالِي¹
فِيْمِثْلٍ ذَا ، فَكِلْتَاكَ أُمُّكَ ، تَبْتَغِي رُتَبَ الْمَعَالِي ؟

[مع إبراهيم بن المهدي]

حدثني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه قال : حدثني الحسن بن علي الشيباني قال : كان محمد بن حازم الباهلي قد نَسَكَ وترك شَرْبَ النَّبِيذِ² ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهدي ، فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام ، ثم جلسوا للشُّراب ؛ فسأله إبراهيم أن يشرب ، فَأَبَى وَأَنْشَأَ يَقُول :

أَبْعَدَ خَمْسِينَ أَصْبُو ؟ وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
سِنَّ وَشَيْبٌ وَجَهْلٌ ! أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا أَيَّامَ عُودِي رَطْبُ !
وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلُ وَمَنْهَلُ الْحَبِّ عَذْبُ

1 يرغ : يريد ويطلب .

2 ل : الخمر .

وَإِذْ سِيَّاهِي صِيَابٌ وَنَصْلُ سَيْفِي عَضْبٌ¹
 وَإِذْ شِفَاءُ الْغَوَانِي مِنِّي حَدِيثٌ وَقُرْبُ
 فَالآنَ لَمَّا رَأَى بِي الْـ عُدَّالُ لِي مَا أَحْبُّوا
 وَأَقْصَرَ الْجَهْلُ مِنِّي وَسَاعَدَ الشَّيْبَ لُبٌ
 وَأَنْسَ الرُّشْدُ مِنِّي قَوْمٌ أُعَابَ وَأَصْبُو
 أَلَيْتُ أَشْرَبُ كَأْسًا مَا حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

[مع النوشجاني]

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : وَعَدَ النُّوشَجَانِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ شَيْئًا سَأَلَهُ إِيَّاهُ ثُمَّ مَطَّلَهُ لَهُ ، وَعَاتِبَهُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِذَلِكَ ، وَاقْتَضَاهُ ، فَأَقَامَ عَلَى مَطَّلِهِ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

[من الوافر]

أَبَا بَشِيرٍ تَطَاوَلَ بِي الْعِتَابُ وَطَالَ بِي التَّرْدُدُ وَالطَّلَابُ
 وَلَمْ أَتْرَكَ مِنَ الْأَعْذَارِ شَيْئًا أَلَامَ بِهِ وَإِنْ كَثُرَ الْخِطَابُ
 سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَطَوَيْتَ كَشْحًا عَلَى رَغَمٍ ، وَلِلدَّهْرِ انْقِلَابُ²
 وَسُمْتَنِي الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفًّا كَمَا خَزِمْتَ بِأَنْفِهَا الصُّعَابُ
 كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُنِي بِشَارٍ وَفِي هَذَا لَكَ الْعَجَبُ الْعُجَابُ
 فَإِنْ تَكُ حَاجَتِي غَلَبَتْ وَأُعِيتُ فَمَعْذُورٌ ، وَقَدْ وَجَبَ الثَّوَابُ
 وَإِنْ يَكُ وَقْتُهَا شَيْبَ الْغُرَابِ فَلَا قُضِيَتْ وَلَا شَابَ الْغُرَابُ
 رَجَوْتُكَ حِينَ قِيلَ لِي ابْنُ كِسْرَى وَإِنَّكَ سِرٌّ مُلْكِهِمُ اللَّبَابُ
 فَقَدْ عَجَّلْتَ لِي مِنْ ذَاكَ وَغَدًا وَأَقْرَبُ مِنْ تَنَاوُلِهِ السُّحَابُ
 وَكُلٌّ سَوْفَ يُنْشَرُ غَيْرَ شَكٍّ وَيَحْمِلُهُ لِطَيْتِهِ الْكِتَابُ³

[مع ولد سعيد بن سالم]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوزٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : قَصَدَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ بَعْضَ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ وَقَدْ وَلَّى عَمَلًا ، وَاسْتَرْفَدَهُ ؛ فَأَطَالَ مَدَّتَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ؛ وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَقَالَ :

[من الوافر]

1 صياب : صائبة .

2 طوى كشحه : أعرض .

3 الطية : الوجهة .

أَلَلْدُنْيَا أُعِدُّكَ يَا ابْنَ عَمِّي
إِلَى كَمٍّ لَا أَرَاكَ تُنِيلَ حَتَّى
وَمَا تَنْفَكُ مِنْ جَمْعٍ وَوَضِعٍ
فَشَرُّكَ عَنْ صَدِيقِكَ غَيْرُ نَاءٍ
أَتَيْتُكَ زَائِراً فَأَتَيْتُكَ كَلْباً
فَبِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ مَا عَلِمْنَا
أَيُّرَحْلُ عَنْكَ ضَيْفُكَ غَيْرَ رَاضٍ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ كَرَمٍ بَعِيداً
وَمَا بِيَّ حَاجَةٌ لَجَدَاكَ لَكِنْ
فَأَعْلَمَ أَمْ أُعِدُّكَ لِلْحَسَابِ
أَهْزَكَ ! قَدْ بَرِمْتُ مِنَ الْعَتَابِ
كَأَنَّكَ لَسْتَ تُوقِنُ بِالْإِيَابِ
وَخَيْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ التَّرَابِ
فَحَظِّي مِنْ إِخَائِكَ لِلْكَلَابِ
وَأَخْبْتُ صَاحِبَ الْأَخِي أَغْرَابِ
وَرَحْلُكَ وَاسِعٌ خِصْبُ الْجَنَابِ
وَمَنْ ضَيْدُ الْمَكَارِمِ فِي اللَّبَابِ
أَرُدُّكَ عَنْ قَيْحِكَ لِلصَّوَابِ

[المتوكل يتمثل بشعره]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ يَوْماً وَقَدْ غَاضِبُهُ قَبِيحَةً ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : مَنْ يُنْشِدُنِي مِنْكُمْ شِعْراً فِي مَعْنَى غَضَبِ قَبِيحَةٍ عَلَيَّ ، وَحَاجَتِي أَنْ أُخَضِّعَ لَهَا حَتَّى تَرْضَى ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَقُولُ :

صوت

صَفَحْتُ بَرَغَمِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرْوَةٍ
خَضَعْتُ وَمَا ذَنْبِي إِلَّا الْحُبُّ عَزَّنِي
وَمَا زَالَ بِي فَقَرٌّ إِلَيْكَ مُنَازِعٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ وَدَّيْ مُحَصِّلٌ
الْغَنَاءَ لَعْبِيدَةِ الطَّنُبُورِيَّةِ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى . قَالَ : أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي يَا يَزِيدُ ! وَأَمْرٌ بِأَنْ يُغْنَى فِيهِ ، وَأَمْرٌ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ .

[هجاء بني نمير]

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيُّ قَالَ : سَافَرَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ سَفْراً ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ ، فَسَلُّوا مِنْهُ بَعِيراً لَهُ عَلَيْهِ ثَقْلَةٌ² ؟

1 عزني : غلبنني .

2 ثقله : متاعه .

فقال يهجوهم :

[من الطويل]

نَمِيرٌ : أَجْبِنًا حِينَ يَخْتَلِفُ الْقَنَا
وَمَنْعٌ قَرَى الْأَضْيَافِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
وَبَغْيًا عَلَى الْجَارِ الْغَرِيبِ إِذَا طَرَا
عَلَى أَنْكُمْ تَرْضَوْنَ بِالذُّلِّ صَاحِبًا
أَمَّا وَأَبِي إِنَّا لَنَعْفُو وَإِنَّا
نَكِيدُ الْعِدَا بِالْحِلْمِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ
نَفَى الضَّيْمَ عَنَّا أَنْفُسٌ مُضَرِّيَّةٌ
وَأَنَا لَمَنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ فِي الَّتِي
وَأَنَا لَنَا بِالْتَرَكِ قَبْرًا مُبَارَكًا
وَمَا نَابَنَا صَرْفُ الزَّمَانِ بِسَيِّدٍ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَسْلُمُونَ مِنَ الرَّدَى
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ نُمَيْرًا لِرُشْدِهَا

وَلَوْمًا وَيُخْلَأُ عِنْدَ زَادٍ وَمِزْوَدٍ ؟
وَلَا عَدَمٍ ، إِلَّا حِذَارَ التَّعَوُّدِ
إِلَيْكُمْ وَخَتَلَ الرَّأَكِبِ الْمُتَفَرِّدِ
وَتُعْطُونَ مَنْ لِحَاكُمُ الضَّيْمَ عَنْ يَدٍ
عَلَى ذَاكَ أحيانًا نَجُورُ وَنَعْتَدِي
وَنَعْشِي الْوَغَى بِالصَّدَقِ لَا بِالتَّوَعُّدِ
صِرَاحٌ وَطَعْنُ الْبَاسِلِ الْمُتَمَرِّدِ
هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى بَعِزٌّ وَسُودِ
وَبِالصَّيْنِ قَبْرًا عِزٌّ كُلُّ مُوَحِّدٍ
بَكَيْنًا عَلَيْهِ أَوْ يُوَافِي بِسَيِّدٍ
سَلِمْنَا وَلَكِنَّ الْمَنَايَا بِمَرْصَدِ
وَلَا يَرْتُدُّ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمُرْشِدِ

[مع عامل محمد بن حامد]

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَدِ الْبَخْتِكَانِ¹ من
الْأَهْوَازِيِّينَ . أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ وَلِيَ بَعْضَ كُورِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حَازِمٍ
الْبَاهِلِيَّ قَدِيمَ عَلَيْهِ زَائِرًا وَمَدَحَهُ ، فَوَصَّلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكُتِبَ لَهُ إِلَى تُسْتَرَ² بِحِنْطَةٍ وَشَعِيرٍ ،
فَمَضَى بِكِتَابِهِ ، وَأَخَذَ مَا كُتِبَ لَهُ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً مِنَ الدِّهَاقِينَ³ ، فَزَرَعَ الْحِنْطَةَ
وَالشَّعِيرَ فِي ضَيْعَتِهَا ؛ وَوَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْخَرَّاجِ بِتُسْتَرَ ، فَوَكَّلَ بِغَلَّةِ
مُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ ، وَطَالَبَهُ بِالْخَرَّاجِ فَأَدَّاهُ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

[من الطويل]

زَرَعْنَا فَلَمَّا سَلَّمَ اللَّهُ زَرْعَنَا
بُلَيْنَا بِكُوفِي حَلِيفَ مَجَاعَةٍ
وَأَوْفَى عَلَيْهِ مِنْجَلٌ بِخَصَادٍ
أَضَرَّ عَلَيْنَا مِنْ دَبَا وَجَرَادٍ⁴

1 البختكان : والد بزرجمهر .

2 تستر : مدينة بالأهواز .

3 الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الفلاحين .

4 الدبا : الجراد .

أتى مُسْتَعِدًّا ما يُكْذِبُ دونه وَلَجَّ بِإِرْغَامٍ لَهُ وَبِعَادٍ
 فَطَوْرًا بِالْحَاحِ عَلِيٍّ وَغِلْظَةٍ وَطَوْرًا بِخَبْطٍ دَائِمٍ وَفَسَادٍ
 وَلَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَعْنِي ابْنَ حَامِدٍ لَرَحَّلْتُهُ عَنْ تُسْتَرٍ بِسَوَادٍ
 فَكُفُّوا الْأَذَى عَنْ جَارِكُمْ وَتَعَلَّمُوا بَأْنِي لَكُمْ فِي الْعَالَمِينَ مُنَادِي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية ، وقال له : عَرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهَ ،
 واحتمل خراج محمد بن حازم .

[أحسن قوله في الشيب]

أخبرني محمد بن الحسين بن الكِنْدِيِّ المؤدَّب قال : حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قال : سمعتُ
 الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ : قال هذا الباهليُّ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ في وصف الشَّيْبِ شَيْئًا حَسَنًا ، فقال له
 أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيُّ : لَعَلَّكَ تَعْنِي قَوْلَهُ :

كفَّاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّيْبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

فقال : إِيَّاهُ عَنَيْتُ . فقال له الْبَاهِلِيُّ : ما سمعتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَحْسَنَ مِنْهُ .

[مع الأمين]

حَدَّثَنِي عَمِّي قال : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ قال : حَدَّثَنِي أَبِي قال : دخل محمد بن حازم على
 محمد بن زبيدة وهو أمير ، فدعاه إلى أن يشرب معه ، فامتنع وقال ¹ :

أبعد خمسين أصبو وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
 سِنَّ وَشَيْبٌ وَجَهْلٌ ! أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
 يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا أَيَّامَ عُودِي رَطْبُ !
 وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلٌ وَمَنْهَلُ الْحُبِّ عَذْبُ
 وَإِذْ شَفَاءُ الْغَوَانِي مِنِّي حَدِيثٌ وَشَرْبُ
 الْآنَ حِينَ رَأَى بِي عَوَازِلِي مَا أُحِبُّوا !
 آلَيْتُ أَشْرَبُ كَأْسًا مَا حَجَّ اللَّهُ رَكْبُ

قال : فَأَعْفَاهُ محمد بن زبيدة وَوَصَّلَهُ .

1 تقدّم أن هذه الأبيات مع إبراهيم بن المهدي ، ص 68 .

[259] - أخبار ابن القصّار ونسبه

[نسبه]

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرد الخِيار ، سليمان بن علي . وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين ، فثلبه في نفسه وأخلاقه ومدح صنّعتَه ، وقال : **مَّا أَحْسَنَ فِيهِ قَوْلُهُ :** [من الطويل]

أَرِقتُ لِيَرَقٍ لَاحَ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى فأذكَرَنِي الأَحْبابَ وَالْمَنْزَلَ الرَّحْبَا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . ومَّا أَحْسَنَ فِيهِ أَيْضاً :

[من المتقارب]

تَعَالَى نُجَدَّدُ عَهْدَ الصَّبَا وَنَصْفَحُ لِلْحُبِّ عَمَّا مَضَى

[موضع للثلب والتندر]

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً . وذكر أنه كان مع أبيه قصّاراً ، ثم تعلّم الغناء فبرّع فيه . ومن طيّب ما ثلّبه به جحظة وتنادّر عليه به ، وأراها مصنوعة ، أنه مرّ يوماً على أبيه ، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز نبّيد ، وجوامرجة¹ مذبوحة مسمومة ، فقال : الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكلُ لحم الجواميرات ، ويشربُ نبّيد القاطرميزات .

وحدث عن بعض جيرانه أن ابن القصّار غنى له يوماً بحبلٍ ودلّو ، وأن إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أترجة كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنه يحمل بلبكيذه إلى دار السلطان ، وله فيه خبزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكثر من ثلّب الرجل ممّا لا فائدة فيه . ولو أراد قائلٌ أن يقول فيه ما لا يتعد من هذه الأخلاق لوجد مقالاً واسعاً ، ولكنه ممّا يقبح ذكره ، سيّما وقد لقيناه وعاشرناه . عفا الله عنا وعنه .

[من أفضل الطنبوريين]

أخبرنا ذكاء وجه الزُّرة قال : كنّا نجتمع مع جماعة في الطنبوريين ، ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان ، فما شاهدت منهم أفضل من المسدود وعمر الميّداني وابن القصّار .

وحدثتني قُمريّة البكتمريّة قالت : كنت لرجلٍ من الكتّاب يُعرفُ بالبلوريّ ، وكان شيخاً ، وكانت ستيّ التي ربّنتي مولاته ، وكانت مُغنية شجيّة الصّوت حسنة الغناء ،

وكانت تَعْشَقُ ابنَ القَصَّارِ ، وكان علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلَةٍ وهو يُغْنِي ، فإنْ
قَدَرْتُ على لِقائه أوصَلْتُهُ إليها ، وإلاّ مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ وهو
يُغْنِي خفيفَ رَمَلٍ قال :
[من مجزوء الرمل]

أنا في يُمْنِي يَدَيها وهي في يُسْرَى يَدَيَّ
إنْ هذا لَقَضاءُ فيه جَوْرٌ يا أُخِيَّةُ
ويُغْنِي في آخِرِهِ رَدَّهُ :

وَيْلٌ وَيْلٌ يا أُبَيَّةُ

وكانت سَيِّئِي واقِفَةً بين يَدَي مولاها ، فما ملكَتْ نَفْسُها أنْ صاحَتْ : أحسنت والله يا
رجُل ! فَتَفَضَّلْتُ وأَعِدْتُ ، ففعل وشَرِبَ رطلاً وانصرف ، وعَلِمَ أنَّه لا يَقْدِرُ على الوصول إليها .
وكان مولاها يعرف الخبر . فتغافلَ عنها لمَوْضِعِها من قلبه ؛ فلا أذكرُ أنِّي سمعتُ قطُّ أحسنَ
من غنائهِ .

صوت

[من الخفيف]

باح بالوجدِ قلبُكَ المُسْتَهَامُ وجرتُ في عِظامِكَ الأسقامُ
يوم لا يملكُ البكاءُ أخو الشَّوْ قِ فيشْفى ولا يُرَدُّ سلامُ
لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعرِ . والغناء لمعبد اليَقْطِينِي ثاني ثَقِيلٍ بالبِنْصَرِ عن أحمد بن المَكِّي .

[260] - أخبار معبد البقطيني

[نسبه]

كان مَعْبَدُ الْيَقْطِينِيِّ غَلاماً مُولَداً خَلاسيّاً¹ من مُولَدي المَدينَةِ ، اشتراه بعض وَلَدِ عَلِيٍّ بنِ يَقْطِينٍ . وقد شَدا بالمَدينَةِ ، وأخذ الغِناءَ عن جِماعَةٍ من أَهلِها ، وعن جِماعَةٍ أُخرى من عَلِيَّةِ الْمُغَنِّينَ بالعِراقِ في ذلكِ الوَقتِ ، مثلَ إِسحاقَ وابنِ جِامِعٍ وطَبَقَتُهُما ، ولم يَكُنْ فيهما ذُكُورٌ بِطَيِّبِ المِسمُوعِ ، ولا خَدَمَ أَحَداً من الخُلَفاءِ إلَّا الرَشيَدَ ، وماتَ في أَيَّامِهِ ، وكان أَكثَرُ انقِطاعِهِ إلى البرامِكة .

[قصة المدني العاشق]

أخبرني عَمِّي الحَسَنُ بنُ مُحَمَّدٍ قال : حَدَّثَنَا عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي سَعْدٍ قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مالِكِ الخُزَاعِيُّ قال : حَدَّثَنِي مَعْبَدُ الصَّغِيرِ الْمُغَنِّي مولى عَلِيٍّ بنِ يَقْطِينٍ قال : كُنتُ مُنقَطِعاً إلى البرامِكة ، أَخدمُهُمُ والأَزمُهُمُ . فبينما أَنَا ذاتَ يَومٍ في مَنزِلِي إِذا بابِي يُدَقُّ ، فخرجَ غَلامي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقالَ : عَلَيَّ البابُ فَتَيَّ ظاهِرُ المَروءَةِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيكَ ؛ فَأذِنْتُ لَهُ . فَدَخَلَ عَلَيَّ شابٌ ما رَأَيْتُ أَحسَنَ وَجهاً مِنْهُ ، ولا أَنظفَ ثَوباً ، ولا أَجَمَلَ زِيّاً مِنْهُ ، من رَجُلٍ دَنَفَ عَلَيهِ آثارُ السَّقَمِ ظاهِرَةً ، فَقالَ لي : إِنِّي أُرْجُو لُفْكَ مِنْذُ مُدَّةٍ فلا أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَإِنَّ لي حَاجَةً . قلتُ : ما هِيَ ؟ فَأَخْرَجَ ثَلثمِائَةَ دِينَارٍ فَوَضَعُها بَيْنَ يَدَيَّ ، ثُمَّ قالَ : أَسأَلُكَ أَنْ تَقْبَلُها وَتَصْنَعَ في بَيتَيْنِ قَلتُهُما لِحَنًا تُغَنِّيَنِي بِهِ . فَقَلْتُ : هاتُهُما ، فَأَنشَدُهُما ، وقالَ :

صوت

واللَّهِ يا طَرَفِي الجاني على بَدَنِي لَتُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الحَزَنِ
أو لا بُوحَنَّ حَتَّى يَحْجُبُوا سَكَنِي فلا أَراهُ ولو أُدْرِجْتُ في كَفَفِي²

الغِناءُ فِيهِ لمَعبدِ البَقْطِينِيِّ ثَقيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٍ في مَجْرى الوُسْطَى ، قالَ : فَصَنَعْتُ فِيهِما لِحَنًا ثُمَّ غَنَّيْتُهُ إِيَّاهُ ؛ فَأَغَمَّيَ عَلَيهِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ قَدْ ماتَ . ثُمَّ أَفاقَ فَقالَ : أَعِدْ فديتَكَ ! فَناشدته اللَّهُ في نَفْسِهِ وَقَلْتُ : أَخشى أَنْ تَمُوتَ . فَقالَ : هِيهات ! أَنَا أَشقى مِنْ ذاكِ . وما زالَ يَخضَعُ لي وَيَتَضَرَّعُ حَتَّى أَعَدَّتُهُ ، فَصَقَّ صَعْقَةً أَشَدَّ مِنَ الأُولَى ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ فَاطَتْ . فَلَمَّا أَفاقَ رَدَدَتْ الدنانيرُ

1 الخلاسي : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 السكن : المحبوب الذي يسكن إليه .

عليه ووضعتها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذ دنائيرك وانصرف عني ؛ فقد قضيت حاجتك ، وبلغت وطراً مما أردته ، ولست أحب أن أشرك في ذمك . فقال : يا هذا ؛ لا حاجة لي في الدنانير وهذا مثلها لك ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أعد علي الصوت مرة أخرى ، وحلال لك دمي ، فشرهت نفسي إلى الدنانير ، فقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط . قال : وما هن ؟ قلت : أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي ، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك وتسكن ما بك ، والثالثة أن تحدثني بقصتك . فقال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معذرة ، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنيته بشعر غيره في معناه ، وهو يشرب ويكي . ثم قال : الشرط أعزك الله ، فغنيته ، فجعل يكي أحربكاء وينشيج أشد نشيج ويتحب . فلما رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ، ورأيت النبيذ قد شد من قلبه ، كررت عليه صوته مراراً ، ثم قلت : حدثني حديثك . فقال : أنا رجل من أهل المدينة خرجت متنزهاً في ظاهرها وقد سال العقيق ، في فتية من أقراني وأخذاني ، فبصرنا بقينات قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسن حجرة مناً ، وبصرت فيهن بفتاة كانتها قضيب قد طله الندى ، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما . فأطلنا وأطلن ، حتى تفرق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندمأله . فعُدت إلى منزلي وأنا وقيد¹ . وخرجت من الغد إلى العقيق ، وليس به أحد ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً . ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها ، فكأن الأرض أضمرت لها ، فلم أحس لها بعين ولا أثر ، وسقمت حتى أيس مني أهلي . ودخلت ظفري فاستعلمتني حالي ، وضمنت لي كتمانها والسعي فيما أحبه منها ؛ فأخبرتها بقصتي ، فقالت : لا بأس عليك ؛ هذه أيام الربيع ، وهي سنة خصب وأنواء ، وليس ينعذ عنك المطر ، وهذا العقيق ، فتخرج حينئذ وأخرج معك ؛ فإن النسوة سيجن . فإذا فعلن ورأيتهن تبعتهن حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها . فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك ، ووثقت به وسكنت إليه ؛ فقويت وطمعت وتراجعت نفسي ، وجاء مطر بعقب ذلك ، فأسأل الوادي ، وخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه ، فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهان . وأومات إلى ظفري فجلست حجرة مناً ومنهن ، وأقبلت على إخواني فقلت : لقد أحسن القائل حيث قال :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ الْقَلْبَ وَانْتَنَتْ وَقَدْ غَادَرْتُ جُرْحاً بِهِ وَنُدُوبَا
فَأَقْبَلْتُ عَلَى صَوَابِحَاتِهَا فَقَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ الْقَائِلُ ، وَأَحْسَنَ مَنْ أَجَابَهُ حَيْثُ

يقول :

[من الطويل]

بنا مثل ما تشكُّو ، فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا
فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها ، وعرفتُ ما أرادت . ثم
تفرق الناس وانصرفنا ، وتبعَتْها ظفري حتى عرفتُ منزلها ، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضيتُ
إليها . فلم تزل تلتطف حتى وصلتُ إليها . فتلاقينا وتزاورنا على حالٍ مُخالسةٍ ومُراقبةٍ حتى
شاع حديثي وحديثها ، وظهر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلها ، وتشدد عليها أبوها . فما زلتُ
أجتهد في لقائِها فلا أقدر عليه . وشكوتُ إلى أبي ، لشدة ما نالني ، حالي ، وسألته خِطبتُها لي .
فمضى أبي ومشيخةً أهلي إلى أبيها فخطبوها . فقال : لو كان بدءاً بهذا قبل أن يفضحها
ويشهرها لأسعفته بما التمس ، ولكنه قد فضحها ، فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه
إياها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نفسي . قال معبد : فسألته أن ينزل ، فجبَّرتني وصارت
بيننا عشرة . ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيتُه ؛ فكان أول صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر
الفتى ، فطرب عليه طرباً شديداً ، وقال : ويحك ؛ إن لهذا الصوت حديثاً ، فما هو ؟ فحدثته ،
فأمر بإحضار الفتى ، فأحضر من وقته ، واستعاده الحديث ، فأعاده عليه . فقال : هي في ذمتي
حتى أزوجه إياها ، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح . وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه
الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً ، فأحضرنا ، وأمر بأن أغنيه الصوت فغنَّيته ،
وشرب عليه ، وسمع حديث الفتى ، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحِجاز بإشخاص الرجل
وابنته وجميع أهله إلى حضرته ، فلم يمضِ إلا مسافة الطريق حتى أحضر . فأمر الرشيد بإيصاله
إليه فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، وأقسم عليه ألا يُخالِف أمره ، فأجابه وزوجه إياها ،
وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها ، وألف دينار لنفقة طريقه ، وأمر للفتى بألف دينار ،
وأمر جعفر لي وللفتى بألف دينار . وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى .

صوت

[من المنسرح]

هل نفسك المستهامة السدِّمة سالية مرةً ومُعترمة¹
عن ذكر خوذٍ قضى لها المليكُ إل خالِقُ ألا تُكِنُّها ظلمة
الشعر لابن أبي الزوائد ، والغناء لحكم رمل بالوُسْطى عن الهشامي .

[261] - أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

[نسبه]

اسمه سُلَيْمَان¹ بن يحيى بن زَيْد بن مَعْبُد بن أَيُّوب بن هِلَال بن عَوْف بن نَضْلَة بن عُصَيَّة بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً . شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مُخَضَّرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ ، وكان يَوْمُ الناس في مسجد رسول الله ﷺ .

[عشقه جارية الصَّهْبِيَّين كان يتعشَّقها]

أخبرني بذلك محمد بن خَلْفٍ وكَيْعٌ قال : حدَّثنا ابن أبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأصمعيّ ، وأخبرني وكَيْعٌ قال : حدَّثني طَلْحَة بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّقُ جاريةً سوداء مولاة الصَّهْبِيَّين ، وكان يختلف إليها وهي في النَّخْلِ بحاجة . فلَمَّا حَانَ الجَدَادُ قال : [من المنسرح]

حُجْبِجُ أُمْسَى جَدَادُ حَاجِزَةٌ	فَلَيْتَ أَنَّ الجَدَادَ لَمْ يَحِرْنَ ²
وَشَتَّ بَيْنَ وَكُنْتُ لِي سَكْنًا	فِي مَا مَضَى كَانَ لَيْسَ بِالسَّكَنِ
قَدْ كَانَ لِي مِنْكَ مَا أُسْرُ بِهِ	وَلَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ
نَعِفُ فِي لَهْوِنَا وَيَجْمَعُنَا الـ	حَمَجْلِسُ بَيْنَ الْعَرِيشِ وَالْجُرْنِ
يُعْجِبُنَا اللَّهْوُ وَالْحَدِيثُ وَلَا	نَخْلُطُ فِي لَهْوِنَا هُنَا بِهِنَ
لَوْ قَدْ رَحَلْتُ الْحِمَارَ مِنْكَشَفًا	لَمْ أَرَهَا بَعْدَهَا وَلَمْ تَرَنِي

فقال له أبو محمد الجُمَحِيّ : إِنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهِمْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا الْإِبِلَ وَالنَّجَائِبَ ، وَأَنْتَ تَذْكُرُ أَنَّكَ رَحَلْتَ حِمَارًا . فقال : مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي شَيْءٌ أَرْحَلُهُ غَيْرَهُ . قال : وقال فيها أيضاً :

يَا لَيْتَ أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَلْحَقُوا	رِيَمَ الصَّهْبِيَّيْنَ ذَاكَ الْأَجَمَ
وَكَانَ مِنْهُمْ فَتَزَوَّجْتُه	أَوْ كُنْتُ مِنْ بَعْضِ رِجَالِ الْعَجَمِ

1 ل : سلمة .

2 حجبج : اسم الجارية . وحاجة : البقعة التي فيها النخل الذي حان جداده .

[تتافره مع صديق له]

أخبرني وكيع قال : حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه قال : كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه ، فهجره من أجله ، فهجاه ؛ فقال :
[من مجزوء الكامل]

قطع الصفاء ، ولم أكن أهلاً لذلك ، أبو عبيدة
لا تحسبك عاقلاً فلأنت أحق من حميدة¹

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعاء يضرب بها المثل في الحمق .

[قيان حماد بن عمران]

حدثني عمي وكيع قالا : حدثنا الكراعي عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : دخل ابن أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحي ، وكان يُلقب بعطط ، وكان له قيان يسمعهن الناس عنده ، فراهن ابن أبي الزوائد فقال فيهن :

أقول وقد صفت البظر لي : ألبظر أدخلني عطط ؟
فإنني امرؤ لا أحب الزنا ولا يستفزني الربط
ولو بعضهن ابتغى صبوتي لخالط همتها المخبط²
لبس فعال امريء قد قرأ وهمت عوارضه شمط³
وما كنت مفترشاً جارتي وسيدها نائم يضبط
أفرغ في جارتي نطفة حراماً كما يفرغ المسعط

[هجاهه لامرأته]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثني أبو هفان قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني المسيبي : أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية ، فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها ، فقال يهجوها :

[من الكامل]

يا رمل أنت الغول بين رمال لم تظفري بتقى ولا بجمال

1 لم نثر على المثل «أحق من حميدة» في كتب الأمثال . والأمثال بلفظ «أحق من . . .» كثيرة .

2 المخبط : العصا .

3 الشطر الأول في ل : لبس إذن فعل من قد قرأ . العارضة : صفحة الخد . والشمط : اختلاط السواد والبياض في الرأس .

يا رَمْلَ لو حَدَّثْتُ أَنَّكَ سَلَفَعٌ
 ما جاء يَطْلُبُكَ الرِّسُولُ بِخِطْبَةٍ
 ولقد نَهَى عَنْكَ النَّصِيحُ وقال لي :
 لَمَّا هَزَزْتُ مُهَنَّدِي وَقَدَفْتُهُ
 رَجَعَ الْمُهَنَّدُ مَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ
 وَكَأَنَّمَا أُولِجْتُهُ فِي قُلَّةٍ
 ورأيتُ وجهاً كاسفاً مُتَغَيِّراً
 ما كان أَيْزُ الْفِيلِ بِالْبَغِ قَعْرُو
 ولقد طعنت مَبَالِهَا بِسُلَاحِهَا
 قال : وقال لها وقد فخرت :

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِغُرَارٍ
 أَيْنَ انْتَأَوْا وَنَحَاهُمْ صَرَفُ النُّوَى
 كَرِهَ الْمَقَامَ وَظَنَّ بِي وَبِأَهْلِهَا
 عُدِّي رِجَالُكَ واسْمِعِي يَا هَذِهِ
 سَاعِدُ سَادَاتِ لَنَا وَمَكَارِمًا
 قَيْسٌ وَخَنْدِيفُ وَالِدِيَّ كِلَاهُمَا
 مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدٍ فَارِسًا
 وَبَنُو زِيَادٍ مَنْ لِقَوْمِكَ مِثْلُهُمْ
 وَالْحَيُّ مَنْ سَعِدَ ذُؤَابَةُ قَوْمِهِمْ
 وَالْمَانِعُونَ مِنَ الْعَدُوِّ ذِمَارُهُمْ
 وَالنَّاكِحُونَ بَنَاتِ كُلِّ مُتَوَجِّحٍ
 وَبَنُو سُلَيْمٍ تُكَلُّ مَنْ عَادَاهُمْ

شَوْهَاءُ كَالسَّعْلَةِ بَيْنَ سَعَالِي¹
 مِنِّي وَلَا ضُمَّتْ عَلَيْكَ حَبَالِي
 لَا تَقْرِنَنَّ بِذِيَّةٍ بِيَعَالٍ
 فِيهَا وَقَدْ أَرْهَفْتُهُ بِصِقَالٍ
 وَهَنَّاكَ تَصْعَبُ حِيلَةُ الْمُحْتَالِ
 قَدْ بُرِدَتْ لِلصُّومِ أَوْ بِوَقَالٍ²
 وَحِرًّا أَشَقُّ كَمِرْكَنِ الْغَسَالِ
 بِتَحَامُلٍ عَنْهُ وَلَا إِدْخَالَ
 فَوَجَدْتُ أَخْبَثَ مَسْلَحَ وَمَبَالٍ

[من الكامل]

عَمَّنْ عَهَدْتُ بِهِ مِنَ الْأَحْرَارِ³
 عَنَّا وَصَرَفُ مُقَحَّمٍ مِغْيَارٍ
 ظَنًّا فَكَانَ بَنَّا عَلَى إِصْرَارٍ
 عَنِّي مَقَالَةٌ عَالِمٍ مِفْخَارٍ
 وَأُبُوَّةٌ لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارٍ
 وَالْعَمُّ بَعْدُ رِبْعَةٌ بَنُ زِرَارٍ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَانَقِي وَكِرَارٍ
 أَوْ مِثْلُ عَتَرَةِ الْهَزْزَرِ الضَّارِي
 وَالْفَخْرُ مِنْهُمْ وَالسَّنَامُ الْوَارِي⁴
 وَالْمَذْرُكُونَ عَدُوَّهُمْ بِالْثَّارِ
 يَوْمَ الْوَعَى غَضَبًا بِلَا إِمَارٍ
 وَحَيَا الْعُقَاةِ وَمَقِيلُ الْفُرَارِ⁵

1 السلفع : الصخابة البذيئة . والسعلاة : الغول .

2 بوقال : كوز بلا عروة .

3 غرار : جبل بتهامة .

4 قومهم في ل : يتتهم . الواري : الشحم السمين .

5 الحيا : الخصب . والعفاة : طلاب الرزق .

ليسوا بأنكاسٍ إذا حاسبتهم للموتِ ثُمَّتَ صَمَمُوا لِمُعَارٍ¹

[تشوقه إلى المدينة]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال : كان ابن أبي الزوائد وفدً إلى بغداد في أيام المهدي ، فاستوخمها ، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً :

يا ابن يحيى ماذا بدا لك ماذا	أُمُقَامٌ أم قد عَزَمْتَ الخياذاً ²
فالبراغيثُ قد تشوَّزَ منها	سامرٌ ما نلُّودُ منها مَلَاذا
فَنَحْكُ الجُلُودَ طَوْرًا فتدُمى	وَنَحْكُ الصَّدُورَ والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوَيْلَ سَحًا	وسقى الكَرْخَ والصِّرَاةَ الرَّذاذاً ³
بلدة لا ترى بها العينُ يوماً	شارباً للنَّبِيذِ أو نَبَاذاً ⁴
أو فتى ماجناً يرى اللُّهُوَ والبا	طِلَ مجدأً أو صاحباً لَوَاذاً ⁵
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا	شاعراً قال في الرُّويِّ على ذا
قالها شاعرٌ لو أنَّ القوافي	كُنَّ صخرًا أطارهُنَّ جُذاذاً ⁶

[شرب خمرًا دون أن يعرف]

قال الزبير : وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجَوَّاب ، والآخر أبو أيُّوب ، فسقياه نبيذاً على أنه طَرِيٌّ لا يُسْكِر ، فأسكره ؛ فقال :

سَقَانِي شربةً فسكِرْتُ منها	أبو الجَوَّابِ صاحبي الخبيثُ
وعاونَه أبو أيُّوبَ فيها	ومن عاداته الخُلُقُ الخبيثُ
فلَمَّا أن تَمَشَّتْ في عِظامي	وَهَمَّتْ وتَبَيَّتْ منها تَرِيثُ ⁷

1 أنكاس : جمع نكس وهو الضعيف المقصر عن النجدة . والمغار : الإغارة .

2 الخياذا في ل : الحياذا . والخواذ : الفراق ، والحياذ : البعد .

3 طيبة : المدينة المنورة . الويل : المطر الشديد . والصرة : نهر كان ببغداد .

4 النباذ : بائع النبيذ .

5 ماجناً في ل : مترفاً .

6 الجذاذ : القطع .

7 راث : أبطأ .

علمتُ بأنني قد جئتُ أمراً تسوءُ به المقالةُ والحديثُ
فدَعَهُمْ ، لا أبالك ، واجتَنِبَهُمْ فَإِنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللَّوِثُ¹

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين : [من المنسرح]

كالشمس في شَرْقِهَا إِذَا سَفَرَتْ عنها ومِثْلُ الْمَهَاةِ مُلْتَثِمَةٌ
ما صَوَّرَ اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا في سائر الناسِ مِثْلَهَا نَسَمَةٌ
كُلُّ بِلَادٍ إِلَّا لِهْ جِئْتُ فَمَا أَبْصَرْتُ شَيْهًا لَهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ ،
أَنْتَى مِنَ الْعَالَمِينَ تُشَبِّهُهَا عَابِسَةٌ هَكَذَا وَمُبْتَسِمَةٌ
فَتَانَةُ الْمُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ الْ- أَحْشَاءُ مِنْهَا الْبَنَانُ كَالْعَنَمَةِ²
إِذَا تَعَاظَتْ شَيْئاً لِتَأْخُذَهُ قَلْتَ غَزَالٌ يَعْطُو إِلَى بَرَمَةٍ³
يَا طِيبَ فِيهَا وَطِيبَ قُبُلَتِهَا وَالْقُرْبُ مِنْهَا فِي اللَّيْلَةِ الشَّبِمَةِ⁴
إِنَّ مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي بَقِيَتْ غِشْيَانَاكَ الْخَوْدَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ
لَا تَهْجُرِ الْخَوْدَ أَنْ يَقَالَ صَبَا بَعْدَ سُلُوٍّ ، وَقَبْلَ ذَاكَ فَمَةً⁵
أَتِي مُعِيداً لَهَا الْكَلَامَ فَمَا أَنْطِقُ مِنْ هَيْبَةٍ وَلَا كَلِمَةٍ
أُحِبُّ وَاللَّهِ أَنْ أُزَوِّرَكُمْ وَخَدِي كَذَا أَوْ أُزَوِّرَكُمْ بِلَمَةٍ⁶
هَذَا الْجَمَالُ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ سَبْحَانَ ذِي الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ
مَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنُهُ لَهَا شَبَهَا حَلَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَالنَّقَمَةُ

صوت

[من المنسرح]

يَا هِنْدُ يَا هِنْدُ نَوَلِي رَجُلًا وَكَيْفَ تَنْوِيلُ مَنْ سَفَكَتِ دَمَةً
أَوْ تُدْرِكِي نَفْسَهُ فَقَدْ هَلَكْتَ أَوْ تَرْحَمِيهِ فَمِثْلُكُمْ رَحِمَةً

1 اللوِث : الألوِث هو الأحمق أي الذي فيه لوثة .

2 مخطفة الحشا : ضامرة . والعنم : شجر له ثمر أحمر .

3 يعطو : يتناول برفع الرأس واليدين . والبرم : ثمر الأراك .

4 الشبمة : الباردة .

5 مه : كف .

6 اللمة : الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة .

[المنافيات للمنافين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن جعفر بن قادم مولى بني هاشم قال : حدثني عمّي أحمد بن جعفر عن ابن ذاب قال : خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السّعاء ومعنا مُصَنَّبُ بن عبد الله التّوّفلي وثابت والزُّبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير وابنُ أبي الزوائد السعدي وابنُ أبي ذئب مُتَنَزِّهين إلى العَقِيق . وقد سأل يومئذٍ ، إذ أنا آتٍ ونحن جُلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ؟ فقال : وَرَدَ كتابٌ من أمير المؤمنين المنصور يأمر أن لا تتزوَّج منافيةً إلا منافياً . قال ابن أبي ذئب : إذن والله لا يَخْطُبُ قرشيٌّ إلا من لا يُحبُّها ، ولا يَرغب فيمن لا يرغب فيها مَن لا فضلَ له عليها ، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم . وتكلّم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك ، وقال أحدهما : إنَّ نَسَبَنَا من بني عبد مناف قد طال ، فأدالنا الله منهم . قال : فغَضِبَ مُصَنَّبُ التّوّفلي وكان أُحْوَلَ فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال : أمّا أنت يا ابن أبي ذئب فوالله ما شَرَفْتُكَ جاهليّةً ولا رَفَعْتُكَ إسلام . فيقع في بال أحد أنكَ غُنِيَتْ بما جرى ؛ وأمّا أنتما يا بني خُبَيْب فبُغَضُكُما لبني عبد مناف تالذّ موروث ، ولا يزال يتجدّد . كلّمَا ذكرتم قُتِلَ الزُّبير ، وأنكم لمن طينتين مختلفتين : أما إحداهما فمِن صَفِيّة ، وهي الطّينة الأبطحيّة السّنيّة ، تَنَزَّعانِ إليها إذا نافرتما ، وَتَفْخَران بها إذا افتخرتما ، والأخرى الطّينة العواميّة التي تَعْرِفانها ، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ ، ولكنّ صَفِيّة تَحْجُزُنِي ، فأحسِنَا الشُّكْرَ لِمَن رَفَعَكُما ، ولا تَمِيلَا عليه بَمَن وضعكُما . فقالا له : مهلاً ، فوالله لقدِئِمْنَا في الإسلام أفضلُ من قديمك ، وَلَحَظْنَا فيه بالزُّبير أفضلُ من حَظِّكَ . فقال مُصَنَّبُ : والله ما تَفْخَرانِ في نَسَبِكُما إلا بَعَمَتِي ، ولا تَفْضَلانِ في دينكُما إلا بابن عمّي ﷺ ؛ فمُفَاخِرُهُ لي دونكُما . ثم تفرّقوا ؛ فقال ابن أبي الزوائد : [من الطويل]

لَعَمْرُكُما يَا بَنِي خُبَيْبِ بْنِ ثَابِتٍ	تجاوزتما في الفخرِ جهلاً مداكُما
وَأَنْكَرْتُما فَضْلَ الَّذِينَ بِفَضْلِهِم	سَمَتَ يَن أَيْدِي الْأَكْرَمِينَ يَدَاكُما
فإِنَّكُما لَمْ تَعْرِفَا إِذ سَمَوْتُما	إلى العِزِّ مِنْ آلِ النَّبِيِّ أَبَاكُما
وَلَمْ تَعْرِفَا الْفَضْلَ الَّذِي قَدْ فَخَرْتُما	فليس من العوامِ حقّاً أتاكُما
فلولا الْكِرَامُ الْغُرُّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	— فلا تجهلا — لَمْ تَدْفَعَا مِنْ رَمَاكُما

صوت

[من مجزوء الوافر]

مُحِبُّ صَدِّ آلْفِهِ فليس لِّلَّيْلِهِ صُبْحُ
 يُقَلِّبُهُ عَلَى مَضَضٍ مَوَاعِدُ مَالِهَا نُجْحُ
 لَهُ فِي عَيْنِهِ غَرْبٌ وَفِي أَحْشَائِهِ جُرْحُ¹
 صَحَا عَنْهُ الَّذِي يَرْجُو زِيَارَتَهُ وَمَا يَصْنَحُو
 الشعر لأبي الأسد ، والغناء لِعَلُّوِيَه ، هَزَجٌ بِالْوُسْطَى وخفيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى .

[262] - أخبار أبي الأسد ونسبه

[نسبه]

اسمه ، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي ،
نبأته بن عبد الله الحماني¹ . وذكر أبو هفان المهزومي أنه من بني شيان . وهو شاعر مطبوع
متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية من أهل الديّور . وكان طيباً مليح النواير مزاحاً
خبيث الهجاء ، وكان صديقاً لعلويه المغني الأعسر ، يُنادمه ويُواصل عشرته ويصله علويه
بالأكابر ، ويُعرضه للمنافع ، وله صنعة في كثير من شعره .

[في جارية أخلفت مياعداها]

فأخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد البراري قال :
كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعلويه ، وكان كثيراً ما يغني في شعره . فدعانا علويه ليلة ،
ووعده جارية لآل يحيى بن معاذ ، وكانت تأخذ عنه الغناء ، أن تزوره تلك الليلة ، وكانت من
أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وكان علويه يهيم بها ، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباساً . فقال
علويه لأبي الأسد : قل في هذا شعراً ؛ فقال :

محبٌ صدّ ألفه فليس ليليله صبحُ
صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يضحو

قال : فصنّع علويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهور في أيدي الناس ، وغنّانا فيه ؛
فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا . وضع في تلك الليلة بحضرتنا لحنه من الرّمل في شعر أبي
وجزة السّعدي :

قتلتني بغير ذنبٍ قُتُولُ وحلّالُها دمي المطلولُ
ما على قاتلي أصابَ قتيلاً بدلالٍ ومُقلّتين سبيلُ

[طلب من موسى بن الضحّاك يقاسمه غلماناه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو
هفان قال : كتب أبو الأسد وهو من بني حِمْيَر إلى موسى بن الضحّاك : [من الوافر]

1 الحماني : بكسر الحاء نسبة إلى حمّان وهم حي من نعيم .

لِمُوسَى أَعْبَدُ وَأَنَا أَخُوهُ وصاحيُّه ، وما لي غيرُ عَبدٍ
فلو شاءَ الإلهُ وشاءَ موسى لَأَنَسَ جَانِبِي فَرَجَ بِسَعْدٍ

قال : و«فَرَجَ» غلامٌ كان لأبي الأسد ، و«سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعده بقيَّةَ غلمانِه ، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم .
[هجاؤه أحمد بن أبي دواد]

أخبرني محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثني العباس بن ميمون طائع قال : هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دواد فقال :

[من الكامل]

أنتَ امرؤٌ غَثُ الصَّنِيعَةِ رَثُها لا تُحَسِّنُ التُّعْمَى إلى أمثالي
نُعْمَاكَ لا تَعْدُوكَ إلَّا في امرئٍ في مَسْكَ مِثْلِكَ من ذَوِي الأشْكالِ¹
وَإِذَا نَظَرْتَ إلى صَنِيعِكَ لم تَجِدْ أَحَدًا سَمَوْتَ به إلى الإِفْضَالِ
فاسْلَمْ بغير سَلَامَةٍ تُرْجَى لها إلَّا لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأَنْدَالِ²

قال : فأدَّى إليه سَلَامَةٌ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد ، فبعث إليه يبرِّد واستكفَّه ، وبعث بابت عائشة على مَظَالِمِ ماسَبْدَانِ³ ، وقال له : قد شَرِكْتَهُ في التَّوْبِيخِ لَنَا فَشَرِكْنَاكَ في الصَّفْقَةِ⁴ ، فإن كنتما صَادِقَيْنِ في دَعْوَاكَ⁵ كنتما من الأَنْدَالِ ، وإن كنتما كاذِبين فقد جزيتكما بالقبيح حَسَنًا .

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأُخْفَش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن الحُرُون قال : كان سَبَبُ هِجَاءِ أَبِي الْأَسَدِ أَحْمَدَ بن أبي دَوَادٍ أَنَّهُ مَدَحَهُ فلم يُثْبِهْ ، ووَعَدَهُ بالثَّوَابِ وَمَطَّلَهُ ؛ فَكُتِبَ إليه⁶ :

[من المنسرح]

لَيْتَكَ أَدَبْتَنِي بِوَاحِدَةٍ تُقْنِعُنِي مِنْكَ آخِرَ الأَبْدِ
تَحْلِفُ إلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا على كَبِدِي

1 مسك : جلد .

2 الخلعة هنا : الحاجة .

3 ماسبدان : كورة من فارس .

4 ل : الصنعة .

5 في دعواكما في ل : في .

6 أورد ابن المعتز في طبقاته بعض هذه الأبيات في ترجمة منصور الأصبهاني (344-348) وأضاف «وقد رويت هذه الأبيات لأبي الأسد وهي لمنصور أثبت» . غير أن البيت الأخير يرجح نسبتها إلى أبي الأسد .

اشْفِرْ فُوَادِي مَنِّي فَإِنَّ بِهِ
 إِنَّ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ
 قَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا أَقْدَرُ أَنْ
 فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ؟ لَا أَصَبْتُ وَلَا
 لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَمَا زَعَمْتُ وَقَدْ
 صَبَّرْتُ لَمَّا أَسَأْتَ بِي ، فَإِذَا
 فَأَنَّنِي أَهْلُ ذَاكَ فِي طَمَعِي
 أَبْعَدَنِي اللَّهُ حِينَ يَحْمِلُنِي
 الْآنَ أَيقَنْتُ بَعْدَ فِعْلِكَ بِي
 فَصَبَّرْتُ مِنْ سُوءِ مَا رُمِيتُ بِهِ

مِنِّي جُرْحًا نَكَاتُهُ يَدَيَّ
 فِي نَاطِرِي حَيَّةٌ عَلَى رَصَدِ
 أَرْضِي بِمَا قَدْ رَضِيتُ مِنْ أَحَدٍ
 نَهَضْتُ مِنْ عَثْرَةٍ إِلَى سَدَدٍ
 كَدَّرْتَنِي بِالْمِطَالِ لَمْ أُعِدْ
 عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا فَعُدَّ وَعُدِ
 وَفِي خَطَائِي سَبِيلَ مُعْتَمِدِ
 حَرْصِي عَلَى مِثْلِ ذَا مِنَ الْأَوْدِ¹
 أَنِّي عَبْدٌ لِأَعْبُدِ قُفْدِ²
 أَكُنِّي أَبَا الْكَلْبِ لَا أَبَا الْأَسَدِ

[مدح الفيض بن صالح]

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي الوراق قال : حدثني عيسى بن إسماعيل
 تينة عن القحذمي قال : كان أبو الأسد الشاعر ، واسمه نباتة بن عبد الله الحماني ، منقطعاً إلى
 الفيض بن صالح وزير المهدي ، وفيه يقول³ :

ولائمة لا مَتَكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدى
 أَرَادَتْ لِتَنْهَى الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدى
 مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ لَمَّا تَحَمَّلُوا
 فَقُلْتُ لَهَا لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْتَنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟
 مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَرْزِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
 إِلَى الْفَيْضِ لَاقُوا عِنْدَهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
 وَكَانَ أَبُو الْأَسَدِ قَبْلَهُ مَنْقُطِعًا إِلَى أَبِي ذُلْفِ مُدَّةً ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ الْعَكُوكُ غَلَبَ
 عَلَيْهِ ، وَسَقَطَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي الْأَسَدِ عِنْدَهُ ، فَانْقَطَعَ إِلَى الْفَيْضِ بَعْدَ عَزْلِهِ عَنِ الْوِزَارَةِ وَلِزُومِهِ مَنْزِلَهُ ،
 وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ . وفيه يقول :

أَتَيْتُ الْفَيْضَ مُشْتَكِيًا زَمَانِي
 وَفَاضَتْ كَفُّهُ بِالْبَذْلِ مِنْهُ
 فَأَعْدَانِي عَلَيْهِ جُودُ فَيْضٍ⁴
 كَمَا كَفَّ ابْنُ عَيْسَى ذَاتُ غَيْضٍ

1 الأود : الاعوجاج .

2 القفد : جمع أقفد وهو المسترخي العنق أو الغليظه .

3 أورد ابن قتيبة هذه الأبيات في مقدمة الشعر والشعراء (18) .

4 أعداني : نصرني .

[يمدح ويهجو]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثني ابن مَهْرُؤَيْه قال : حدثني علي بن الحسن بن الأعرابي قال : سأل أبو الأسد بعضَ الكتّاب ، وهو علي بن يحيى المنجّم ، حاجة يسأل فيها بعض الوزراء ، فلم يفعل . وبلغ حمّدون بن إسماعيل الخبر ، فسأل له فيها مبتدأً ونَجَزَها وأنفذهَا إليه . فقال أبو الأسد يهجو الرجلَ الذي كان سأله الحاجة ، ويمدح حمّدونَ بن إسماعيل :

صُنْعٌ مِنَ اللَّهِ ! أَنِّي كُنْتُ أَعْرِفُكُمْ
فَمَا مَضَتْ سَنَةٌ حَتَّى رَأَيْتُكُمْ
وَفِي الْمَشَارِيقِ مَا زَالَتْ نَسَاؤُكُمْ
فَصَرَنْ يَرْفُلَنْ فِي وَشْيِ الْعِرَاقِ وَفِي
أُتْسِينَ قَطَعَ الْحَلَاوَى مِنْ مَعَادِنِهَا
حَتَّى إِذَا أَيْسَرُوا قَالُوا ، وَقَدْ كَذَبُوا :
فِي اسْتِ أُمِّ سَاسَانَ أَيْرِي إِنْ أَقَرَّ بِكُمْ
لَوْ سَيْلٌ أَوْضَعُهُمْ قَدْرًا وَأَنْذَلَهُمْ
وَقَالَ أَقْطَعْنِي كِسْرَى وَوَرْتَنِي
مَنْ ذَا يُخَبِّرُ كِسْرَى وَهُوَ فِي سَقَرٍ
وَأَنْتُمْ زَعَمُوا أَنْ قَدْ وَلَدْتَهُمْ

قَبْلَ الْيَسَارِ وَأَنْتُمْ فِي التَّبَايِينِ
تَمْشُونَ فِي الْقَزِّ وَالْقَوْهِيِّ وَاللَّيْنِ¹
يَصِيخُنَ تَحْتَ الدَّوَالِي بِالْوَرَاثِينِ²
طَرَائِفُ الْخَزْ مِنْ دُكْنٍ وَطَارُونِي³
وَحَمَلُهُنَّ كَشَوْتًا فِي الشَّقَابِينَ⁴
نَحْنُ الشَّهَارِيجُ أَوْلَادُ الدَّهَاقِينَ⁵
وَأَيْرُ بَغْلٍ مُشِيطٌ فِي اسْتِ شِيرِينَ⁶
لَقَالَ مِنْ فَخْرِهِ إِنِّي ابْنُ شُوَيْنِ⁷
فَمَنْ يُفَاجِرُنِي أَمْ مَنْ يُنَاوِنِي⁸
دَعَايَ النَّبِيطِ وَهُمْ بَيْضُ الشَّيَاطِينِ⁹
كَمَا ادَّعَى الضَّبَّ إِنِّي نُطْفَةُ النُّونِ¹⁰

1 اللين : خفض العيش . والدوالي : النواعير .

2 الورشان : طائر كالحمامة . وفي المثل : «بعلة الورشان يأكل رطب المشان» والورشان أطيب الثمر .

3 الطارون : نوع من الخز .

4 الحلاوي : نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير . والكشوت : نبات أصفر يتعلّق بأغصان الشجر . الشقبان : وعاء يجمع فيه الحشيش .

5 الشهاريج : الوجوه .

6 ساسان : أبو ملوك الفرس . ومشط : منعظ . وشيرين : زوجة أبرويز ملك الفرس .

7 شوين : صاحب الجيش لدى هرمز بن أئو شروان .

8 يناويني في ل : يساويني .

9 بيض الشياطين : أولادهم .

10 النون : الحوت .

فَكَانَ يَنْحَرُ جَوْفَ النَّارِ وَاحِدَةً
أَمَّا تَرَاهُمْ وَقَدْ حَطُّوا بِرَادِعَهُمْ
وَأَفْرَجُوا عَنْ مَشَارَاتِ الْبُقُولِ إِلَى
تَغْلِي عَلَى الْعَرَبِ مِنْ غَيْظِ مَرَايِلِهِمْ
فَقُلْ لَهُمْ وَهُمْ أَهْلٌ لَتَرْيَاةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا نِزَارٌ فِي أُرُومَتِهَا
وَالْحَيُّ مِنْ سَلَفِي قَحْطَانٍ إِنَّهُمْ
فَمَا عَلَى ظَهَرِهَا خَلَقَ لَهُ حَسَبٌ
قَرَمَ عَلَيْهِ شَهْنَشَاهِيَّةٌ وَنَبَأٌ
وَإِنْ شَكَّكَتْ فِي الْإِيوَانِ صُورَتُهُ
تَفْرِي وَتَصْدَعُ خَوْفًا قَلْبَ قَارُونَ
عَنْ أَتْنَهُمْ وَاسْتَبَدُّوا بِالْبَرَاذِينِ
دُورِ الْمُلُوكِ وَأَبْوَابِ السَّلَاطِينِ¹
عِدَاوَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الدِّينِ
شَرُّ الْخَلِيقَةِ يَا بُخْرَ الْعَثَانِينَ
وَهَاشِمٌ سُرْجُهَا الشَّمُّ الْعَرَانِينَ
يُزْرُونَ بِالنَّبِطِ اللَّكْنِ الْمَلَاعِينَ
مِمَّا يُنَاسِبُ كِسْرَى غَيْرُ حَمْدُونَ
يُنْبِيكَ عَنْ كَسْرَوِي الْجَدِّ مَيْمُونِ²
فَانْظُرْ إِلَى حَسَبِ بَادٍ وَمَخْرُونِ

أخبرني عمي قال : أخبرنا ميمون بن هارون قال : مدح أبو الأسد الفيض بن صالح وهو يومئذ ملازم بيته غير والٍ على شيء فأتاه ثواباً جزيلاً فقال يمدحه :

ولائمة لامتكَ يا فيضُ في الندى
الأيات . . . وقد مرّت .

[عتاب أبي دلف]

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر . أن أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج³ ، فحجّب عنه أياً ما ، فقال يعاتبه وكتب بها إليه :

[من الخفيف]

ليت شعري أضاعت الأرض عني
أم أنا قانعٌ بأدنى معاشٍ
مِقْوَلِي قَاطِعٌ وَسِيفِي حُسَامٌ
رُبُّ بَابٍ أَعَزُّ مِنْ بَابِكَ الْيَوْمُ
أَمْ بِفَجٍّ أَنَا الْغَدَاةَ طَرِيدٌ؟⁴
هِمَّتِي الْقُوَّةُ وَالْقَلِيلُ الزَّهِيدُ⁵
وَيَدِي حُرَّةٌ وَقَلْبِي شَدِيدٌ
مَ عَلَيْهِ عَسَاكِرٌ وَجُنُودٌ

1 المشارات : مجاري الماء والمساقى .

2 شهنشاه : ملك الملوك .

3 الكرج : مدينة بفارس .

4 الفج : الطريق الواسع .

5 همي في ل : مني .

قد وَلَجْنَاهُ دَاخِلِينَ غُدُوًّا وَرَوَّاحاً وَأَنْتَ عَنْهُ مَذُودُ
فَاكْفُفِ الْيَوْمَ مِنْ حِجَابِكَ إِذْ لَسَ سَتٌ أَمِيرًا وَلَا خَمِيْسًا تَقُودُ
وَاعْتَرَفَ مِنْ فِرَاقِي الصَّدُّ إِذْ لَسَ سَتٌ أَسِيرًا وَلَا عَلِيٌّ قِيُودُ
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ فِي بَلَدِ الْهُو ن وَلَا يُكَبِّتُ الْأَرِيبُ الْجَلِيدُ

[صديقه بسطام]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برا به . قال : وهذا من جيد شعره ، وقد سرق البُخترِيُّ معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجَّم :

أَعْدُو عَلَى مَالِ بَسْطَامٍ فَانْتَهَبُهُ كَمَا أَشَاءُ فَلَا تُنْشَى إِلَيَّ يَدِي
حَتَّى كَأَنِّي بَسْطَامٌ بِمَا احْتَكَمْتُ فِيهِ يَدَايَ وَبَسْطَامٌ أَبُو الْأَسَدِ

[رثاء إبراهيم الموصلي]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب الأنباري قال : حدثني أبو هفان ، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبو أيوب المديني قال : حدثنا أبو هفان قال : حدثني أبو دعامة قال : لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد ، وكان صديقه ، ألا ترثيه ؟ فقال يرثيه¹ :

تَوَلَّى الْمَوْصِلِيُّ فَقَدْ تَوَلَّتْ بَشَاشَاتُ الْمَزَاهِرِ وَالْقِيَانِ
وَأَيُّ مَلَا حَةٍ بَقِيَتْ فَتَبَقَى حَيَاةُ الْمَوْصِلِيِّ عَلَى الزَّمَانِ
سَبَكِيهِ الْمَزَاهِرُ وَالْمَلَاهِي وَيُسْعِدُهُنَّ عَاتِقَةُ الدُّنَانِ
وَتَبَكِيهِ الْغَوِيَّةُ إِذْ تَوَلَّى وَلَا تَبَكِيهِ تَالِيَةُ الْقُرَانِ

فقليل له : وَيَحْكُ فَضَحْتَهُ وَقَدْ كَانَ صَدِيقَكَ . فقال : هذه فضيحة عند من لا يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأي شيء كنت أذكره وأرثيه به ؟ أبا لفيقه أم بالزهد أم بالقراءة ؟ وهل يرثي مغنٍ إلا بهذا وشبهه !

[شاهين بن أخي أبي دلف]

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال : كنت مقيماً بالجبل فمر بي أبو

1 تقدم في ترجمة إبراهيم الموصلي أن هذه الأبيات لابن سيابة وتنسب لأبي الأسد ، وتراجع بقية الخبر

الأسد الشاعر الشيباني ، فأنزلته عندي أياماً ، وسألته عن خبره فقال : قصدت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف ، فما احتبسني ولا برّني ولا عرض عليّ المقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فاكتبها ، ثم أنشدني :

إني مررت بشاهين وقد نفحت ريح العشي وبرد الثلج يؤذيني
فما وقى عرضة مني بكسوته لا على حسب حامى ولا دين
إن لم يكن لبن الدايات غيره عن طبع آبائه الشم الغرائن
فربما غاب بعل عن حليته فناكها بعض سؤاس البراذين
وما تحرك أير فامتلا شبقاً إلا تحرك عرق في است شاهين

ثم قال : والله لأمرقته كل ممزق ، ولأصيرن إلى أبي دلف فلا أنشدنه . ومضى من فوره يريد أبا دلف ، فلم يصل إليه ، حتى بلغ أبا دلف الشعر ، فشق عليه وغمه . وأتاه أبو الأسد فدخل عليه ، فسأله عن قصته مع شاهين ، فأخبره بها ؛ فقال : هبه لي . قال : والله لا وهبته لك وقد حرمني واستخف بي ولكن اشتري مني عرضه . قال : بكم ، قال : بديته عشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبشار ، وكان عرض له فقال :

وما تحرك أير فامتلا شبقاً إلا تحرك عرق في است

ثم قال : في است من ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري¹ فسلم عليه ، فقال : في است تسنيم والله . فقال له : أي شيء وملك ؟ فقال : لا تسأل . فقال : قد سمعت ما أكره ، فاذا كر لي سببه . فأنشده البيت ، فقال : وملك ! أي شيء حملك على هذا ؟ قال : سلامك علي . قال : لا سلم الله عليك ولا علي إن سلمت عليك بعدها ، وبشار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار .

صوت

وقد جُمع معه كل ما يُغنى في هذه القصيدة :

أجذك إن نعمت نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع
وحسبك من نأي ثلاثة أشهر ومن حزن أن شاق قلبك رابع

1 يضبط الحواري أو الحواري .

بكتْ عَيْنُ مَنْ أَبْكَاكَ لَيْسَ لَكَ الْبُكْيُ وَلَا تَتَخَالَجُكَ الْأُمُورُ النَّوَازِعُ
 فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرَّكَ ثَالِثٌ أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعٌ¹
 وَكَيْفَ يَشِيْعُ السِّرُّ مِنِّي وَدُونَهُ حِجَابٌ وَمِنْ فَوْقِ الْحِجَابِ الْأَضَالِيعُ
 كَأَنَّ فُؤَادِي بَيْنَ شَقِيقَيْنِ مِنْ عَصَا حِذَارَ وَقُوعِ الْبَيْنِ وَالْبَيْنِ وَقَعُ
 وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً بِأَهْلِي ، بَيْنَ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ ؟
 فَقُلْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَذْرِي مُسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللَّهُ صَانِعُ ؟
 فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضَتْ وَأَقْبَلْنَ بِالْكُحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ

غروضة من الطويل . الشعر لقيس بن الحداذية ، والغناء لإسحاق في الأول والثاني من
 الأبيات خفيف رمل بالوسطى ، وفي الثالث وما بعده أربعة أبيات ليحيى المكي رمل بالوسطى
 من كتابه .

[263] - أخبار قيس بن الحُدَّادِية ونسبه¹

[نسبه]

هو قيس بن مُنْقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبْشِيَّة بن سُلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيَّيَاء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغَطَرِيْف بن امرئ القيس البَطْرِيق بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد ، وهو «رداء»² ، ويقال : رديني»³ ، وقد مضى نسبه متقدِّماً ؛ والحُدَّادِية أمّه ، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر ، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد . شاعر من شعراء الجاهليّة ، وكان فاتكاً شجاعاً صُغْلوكاً خليعاً ، خلعتُه خُزاعة بسُوق عكاظ ، وأشهدتْ على أنفُسها بخلعها إيّاه ، فلا تَحْتَمِل جريرة له ، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه .

[غاراته]

قال أبو الفرج : نسختُ خبره من كتاب أبي عمرو الشَّيْبَانِي : لما خلعتْ خُزاعة بن عمرو ، وهو مُزَيَّيَاء بن عامر ، وهو ماء السماء بن الحارث ، قيس بن الحُدَّادِية ، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعيّاً قوم منهم يقال لهم : بنو قُمَيْر بن حبشِيَّة بن سُلُول ، فَجَمَعَ لهم قيسٌ شُدَّاداً من العَرَب وقتاكاً من قومه ، وأغار عليهم بهم ، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش ، واستاق أموالهم ، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً ، وكان ضلَّعه⁴ مع قيس فيما جرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرق ، فأقسم عليه أن يردّ ما استاقه ، فقال : أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبرتُ قَسَمَك فيه ، وأمّا ما اعتوّرتَه أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه ، فردّ سهمه وسهمَ عشيرته ، وقال في ذلك :

فأقسم لولا أسّهم ابنُ محرقٍ مع الله ما أكثرتُ عدّ الأقاربِ
تركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه ينوء بساقٍ كعبها غيرُ راتبٍ⁵
وأنهاهم خلعي على غير ميرة من اللحم حتى غيّبوا في الغرائبِ
وقال أبو عمرو : أغار أبو بردة بن هلال بن عُوَيْنير ، أخو بني مالك بن أفضى بن حارثة بن

1 لقيس بن الحُدَّادِية ترجمة في معجم المرزباني : 202 والزهرة : 189 وأمالِي الزبيدي : 153 .

2 ل : دارى .

3 ل : درا .

4 ضلعه : ميله وهواه .

5 غير راتب : غير مستقيم .

عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هوازن في بلادها ، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم بنو عامر وبني نصر ، وقتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خدش بن زهير الشاعر ، وسبى نسوة من بني عامر : منهن صخرة بنت أسماء بن الضريبة النصري ، وامرأتين منهم يقال لهما : يئقر وريا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلما انتهوا إلى هرثى خنقت صخرة نفسها فماتت ، وقسم أبو بردة السبي والنعم والأموال في كل من كان معه ، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرقه فيهم .

ثم أغارت هوازن على بني ليث ، فأصابوا حياً منهم يقال لهم : بنو الملوح بن يعمر بن عوف ، ورعاء لبني ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رجلاً وسبوا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم ، فقال في ذلك مالك بن عوف النصري :

نحن جلبنا الخيل من بطن ليّة	وجلدان جرداً منغلّات ووّحّا ¹
فأصبحن قد جاوزن مرّاً وجُحفّة	وجاوزن من أكفاف نخلة أبطحا
تلقطن ضيطاري خزاعة بعدما	أبرن بصحراء الغميم الملوّحا ²
قتلناهم حتى تركنا شريدهم	نساء وأيتاماً ورجلاً مُسدّحا
فإنك لو طالعتهم لحسبتهم	بمنعرج الصّفراء عتراً مُذبّحا ³

فلما صنعت هوازن ببني ضاطر ما صنعت ، جمع قيس بن الحِدادية قومه ، فأغار على جُموع⁴ هوازن ، فأصاب سبياً ومالاً ، وقتل يومئذ من بني قشير : أبا زيد وعروة وعامراً ومروّحاً ، وأصاب أيتاماً من كلاب خلوفاً⁵ ، واستاق أموالهم وسبى نساءهم ، ثم انصرف وهو يقول :

نحن جلبنا الخيل قباً بطونها	تراها إلى الدّاعي المثوب جُنّحا ⁶
بكلّ خزاعي إذا الحرب شمرت	تسرّبَل فيها بُرده وتوشّحا
قرعنا قشيراً في المحلّ عشيّة	فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

1 وقع : صلاب الخوافر .

2 الضيطار : الضخم اللّيم . وأبار : أهلك . والغميم : موضع .

3 العتر : الرجبية ، وهي شاة كانت تنبج في رجب تقرأ إلى الآلهة .

4 ل : مصنوع .

5 خلوف : نساء لا رجال عندهن .

6 قب البطون : ضامرتها .

قتلنا أبا زيد وزيداً وعامراً
وأبنا يابل القوم تُحْدِي ، ونسوة
غداة سَقَيْنَا أَرْضَهُمْ من دماهم
ورُعْنَا كلاباً قبل ذاك بِغَارَةٍ
لقد علمتُ أَفْنَاءَ بَكْرِ بنِ عامِرٍ
وأنا بلا مَهْرٍ سوى البِيضِ والقَنَا

[قيس بن عيلان وخزاعة]

وقال أبو عمرو : وزعموا أنَّ قيسَ بنَ عيلانَ رَغِبَتْ في البيت ، وخزاعة يومئذٍ تليه ،
وطمِعوا أن ينزِعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائلُ من العَرَبِ ورأسوا عليهم عامرَ بنَ الظَّرِبِ
العَدَوَانِي ، فساروا إلى مَكَّةَ في جمعٍ لَهُم⁴ ، فخرجتُ إليهم خُزَاعَةٌ فاقتتلوا ، فهَزِمَتْ قيس ،
ونجا عامرٌ على فرس له جواد . فقال قيس بن الحُدَادِيَّة في ذلك : [من المتقارب]

لقد سُمْتُ نَفْسَكَ يا ابنَ الظَّرِبِ
وحملتَهُمْ مَرْكَباً باهِظاً
بحربِ خُزَاعَةٍ أَهْلَ العُلَا
هم المَانَعُو البيت والذَائِدُونَ
نَفَّو جُرْهُمَآ ونَفَّو بعدهم
وسَمِرَ الرِّمَاحَ وجَرَّدَ الجِيَادَ
وهمُ الحَقَّو أَسَدَآ عَنَوَةً
خُزَاعَةٌ قَوْمِي فَإِنْ أَفْتَخِرْ
هم الرُّأْسَ والنَّاسَ مِنْ بَعْدِهِمْ

وجشمتَهُمْ منزلاً قد صَعَبُ⁵
من العِبَاءِ إِذْ سُقْتَهُمْ لِلشَّغَبِ⁶
وأهْلَ الثَّنَاءِ وَأَهْلَ الحَسْبِ
عن الحُرُمَاتِ جَمِيعَ العَرَبِ
كِتَانَةً غَضَباً بِيِضَ القُضْبِ
عليها فَوَارِسُ صَدَقِ نُجُبِ
بأَحْيَاءِ طِيٍّ وحَازُوا السَّلْبِ⁷
بِهِمْ يَزُكُّ مُعْتَصِرِي والنَّسَبِ
ذُنَابِي ، وما الرُّأْسُ مِثْلُ الذَّنْبِ⁸

1 أقصده : طعنه فلم يخطئه .

2 أي سبايا آدم اكسبن السمرة بعد أن كنَ بيضاً .

3 الجلاد : الإبل الغزيرة اللبن .

4 لهم : كثير عظيم .

5 منزلاً في ل : مركباً .

6 مركباً في ل : مثقلاً .

7 بأحباء في ل : بأجبال .

8 مثل .

يُواسي لدى المَحَلِّ مولاَهُمُ وتُكشِفُ عنه غُموهُمُ الكُرْبُ
فجارُهُمُ آمَنَ دهرَهُ بهُمُ أن يُضامَ وأن يُغتصَبَ
يلبُّونَ في الحربِ خوفَ الهِجاءِ ويَبْزُونَ أعداءَهُمُ بالحَرْبِ¹
ولو لم ينجُك من كيدِهِم آمِنُ الفُصوصِ شديداً العَصَبُ²
لزرتَ المنايا ، فلا تكفُرْنَ جوادَكَ نِعَماءِ يا ابنَ الظُّربِ
فإن يَلتَقوكَ يَزُرُّكَ الحِما م أو تنجُ ثائِبةً بالهَرْبِ
قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة ، والشعر بين التوليد .

[غارة هوازن على خزاعة]

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالخصب من مِني ، فأوقعوا بطن منهم
يقال لهم بنو العنقاء ، ويقوم من بني ضاطر ، فقتلوا منهم عبداً وعوفاً وأقروم وغبشان ، فقال
ابن الأحبَّ العَدَوانيّ يفخر بذلك :

فلو شهدت أم الصبيّين حملنا على ضاطر بالمقربات السواهِمِ
غداة التقينا بالخصب من مِني فلاقت بنو العنقاء إحدى العِظامِ
تَرَكْنَا بها عَوْفاً وَعَبداً وَأَقْرَمًا وغبشانَ سُوراً لِلنُّسورِ القِشاعِمِ³
فأجابه قيس بن الحدادية ، فقال يعيره أن فخر بيوم لي لقومه :

فخرتَ بيوم لم يكن لك فخرُهُ أحاديثُ طَسَمٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ⁴
تفاخِرَ قوماً أَطَرَدَتْكَ رماحُهُمُ أكعبُ بنَ عمرو : هل يُجابُ البِهاثُ
فلو شهدت أم الصبيّين حَمَلْنَا وركضَهُمُ لايبِضُ منها المَقادِمُ
غداة تولّيتُم وأدبرَ جَمْعُكُمْ وأبنا بأسراكم كائنا ضَراغِمُ

[حماه أسد بن كرز فمدحه]

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته ،
فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم ، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً ، فهربوا فنزلوا في
بجيلة على أسد بن كرز ، فأواهم وأحسن إلى قيس وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي

1 خوف الهجاء في ل : حوز الهجان .

2 أمين الفصوص : قوي المفاصل .

3 السور : البقية والفضلة .

4 المثل «أحاديث طسم وأحلامها» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فِرَاس ، فقال قيس بن الحداية يمدح أسد بن كرز :
 [من البسيط]
 لا تعذِلْنِي سَلَمَى الْيَوْمِ وَانْتَظِرِي أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلًا طَالَمَا افْتَرَقَا
 إِنْ شَتَّتَ الدَّهْرُ شَمْلًا بَيْنَ جَبْرِتِكُمْ فَطَالُ فِي نِعْمَةٍ يَا سَلَمُ مَا اتَّفَقَا
 وَقَدْ حَلَلْنَا بِقَسْرِيٍّ أَخِي ثَقَةً كَالْبَدْرِ يَجْلُو دُجَى الظُّلُمَاءِ وَالْأَفْقَا
 لَا يَجْبِرُ النَّاسُ شَيْئًا هَاضَهُ أُسْدٌ يَوْمًا وَلَا يَرْتَقُونَ الدَّهْرَ مَا فَتَقَا
 كَمْ مِنْ ثَنَاءٍ عَظِيمٍ قَدْ تَدَارَكَهُ وَقَدْ تَفَاقَمَ فِيهِ الْأَمْرُ وَانْخَرَقَا
 قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين ، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة ، صنعها حماد الراوية لخالد القسري في أيام ولايته ، وأنشده إياها فوصله ، والتوليد بين فيها جدًّا .
 [غارة ضريس على بني ضاطر]

وقال أبو عمرو : غزا الضريس القشيري بني ضاطر في جماعة من قومه ، فثبتوا له وقَاتَلُوهُ
 حتى هزموه ، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم ، فقال قيس بن الحداية في ذلك : [من الطويل]
 فِدَى لَبْنِي قَيْسٍ وَأَفْنَاءَ مَالِكٍ لَدَى الشُّسْعِ مِنْ رَجُلِي إِلَى الْفَرَقِ صَاعِدَا
 غَدَاةً أَتَى قَوْمَ الضَّرِيسِ كَأَنَّهُمْ قَطَا الْكُذْرِ مِنْ وَدَّانٍ أَصْبَحَ وَارِدَا¹
 فَلَمْ أَرْ جَمْعًا كَانَ أَكْرَمَ غَالِبًا وَأَحْمَى غَلَامًا يَوْمَ ذَلِكَ أَطْرَدَا
 رَمِينَاهُمْ بِالْحُوِّ وَالْكُمْتِ وَالْقَنَا وَيَبِضْ خِفَافٍ يَخْتَلِينَ السَّوَاعِدَا²
 [أواه بنو عدي فمدحهم]

قال أبو عمرو : ولما خلعت خزاعة قيساً ، تحوّل عن قومه ، ونزل عند بطن من خزاعة ، يقال
 لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد ، فأووه وأحسنوا إليه ، وقال يمدحهم : [من الطويل]
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنْ خَلِيعِ مَطَرِدٍ رَجَالًا حَمَوَهُ آلَ عَمْرٍو بْنِ خَالِدٍ
 فَلَيْسَ كَمَنْ يَغْزُو الصَّدِيقَ بَنُو كِهْ وَهَمَّتْهُ فِي الْغَزْوِ كَسْبُ الْمَزَاوِدِ³
 عَلَيْكُمْ بَعْضَاتُ الدِّيارِ فَإِنِّي سَوَاكُمُ عَدِيدٌ حِينَ تُبْلَى مَشَاهِدِي
 أَلَا وَدَثُّكُمْ حَتَّى إِذَا مَا أَمِنْتُمْ تَعَاوَزْتُمْ سَجْعًا كَسَجْعِ الْمَهَادِي
 تَجَنَّى عَلَيَّ الْمَازِنَانِ كِلَاهُمَا فَلَا أَنَا بِالْمَغْضِيِّ وَلَا بِالْمُسَاعِدِ⁴

1 الكدر وودان : موضعان . والقطا الكدري : الأغبر اللون المرقش .

2 يختلين : يقطعن .

3 النوك : الحق .

4 بالمساعد في ل : بالمبعد .

وقد حذبت عمرو عليَّ بعزّها
مَصَالِيْتُ يَوْمِ الرُّوعِ كَسَبْتُهُمُ الْعُلَا
وأبنائها من كلِّ أروَعٍ ماجدٍ
عِظَامُ مَقِيلِ الهَامِ شَعْرُ السَّوَادِ
وأولئك إخواني وجُلُّ عَشِيرَتِي
وثروتُهُم والنصرُ غيرُ المُحَارِدِ¹

[أعنته عديّ بن نوفل فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطُّوسِيّ ، والحِزْمِيّ بن أبي العلاء قالا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ
قال : أَخْبَرَنِي عُمِّي أَنَّ خُزَاعَةَ أَغَارَتْ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهَا بِشَيْءٍ ، فَهَازَمُوا وَأَسْرَ
مِنْهُمْ أَسْرَى ، فَلَمَّا كَانَ أَوَانُ الْحَجِّ ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَسْرِهِمْ إِلَى مَكَّةَ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
لِيَتَنَاعَهُمْ قَوْمُهُمْ ، فَغَدَوْا جَمِيعاً إِلَى الْخُلَصَاءِ² ، وَفِيهِمْ قَيْسُ بْنُ الْحَدَادِيَّةِ ، فَأَخْرَجُوهُمْ
وَحَمَلُوهُمْ ، وَجَعَلُوهُمْ فِي حَظِيرَةٍ لِيَحْرِقُوهُمْ ، فَمَرَّ بِهِمْ عَدِيّ بْنُ نُوْفَلٍ ، فَاسْتَجَارُوا بِهِ ،
فَابْتَنَعَهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ ، فَقَالَ قَيْسٌ يَمْدَحُهُ :

دَعَوْتُ عَدِيّاً وَالْكُبُولُ تَكْبُنِي
دَعَوْتُ عَدِيّاً وَالْمَنَايَا شَوَارِعُ
أَلَا يَا عَدِيّ يَا عَدِيّ بْنَ نُوْفَلٍ
أَلَا يَا عَدِيّ لِلْأَسِيرِ الْمَكْبَلِ
فَمَا الْبَحْرُ يَجْرِي بِالسَّفِينِ إِذَا غَدَا
تَدَارَكَتْ أَصْحَابُ الْحَظِيرَةِ بَعْدَمَا
أَصَابَهُمْ مَنَا حَرِيقُ الْمَحَلِّ³
وَأَتْبَعَتْ بَيْنَ الْمَشْعَرَيْنِ سِقَايَةَ⁴
لِحَجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ أَكْرَمَ مَنْهَلِ⁴

[هجرة خزاعة بسبب الجذب]

قال أبو عمرو : وَكَانَ قَيْسُ بْنُ الْحَدَادِيَّةِ يَهْوَى أُمَّ مَالِكِ بِنْتَ ذُوَيْبِ الْخَزَاعِيّ ، وَكَانَتْ
بَطُونٌ مِنْ خُزَاعَةَ خَرَجُوا جَالِينَ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ لِأَنَّهُمْ أُجْدَبُوا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعِضِ
الطَّرِيقِ ، رَأَوْا الْبَوَارِقَ خَلْفَهُمْ ، وَأَدْرَكَهُمْ مِنْ ذِكْرِ لِهْمِ كَثْرَةِ الْغَيْثِ وَالْمَطَرِ وَغَزَارَتِهِ ،
فَرَجَعَ عَمْرُو بْنُ عَبَادَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ فِي نَاسٍ كَثِيرٍ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ
وَمَعَهُ أُخْتُهُ أُمُّ مَالِكِ ، وَاسْمُهَا نَعْمُ بِنْتُ ذُوَيْبٍ ، فَمَضَى ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَدَادِيَّةِ هَذِهِ
الْقَصِيدَةُ الَّتِي فِيهَا الْغَنَاءُ الْمَذْكُورُ :

أَجِدُّكَ إِنْ نَعَمْ نَأَتْ أَنْتَ جَارِعُ
قَدْ اقْتَرَبْتَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ

1 غير المحارِد : غير المنقطع .

2 الخُلَصَاءُ : بلد بالدهناء .

3 المحلل : الذي حُلِّلَ إِحْرَاقًا فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ .

4 أَكْرَمَ فِي ل : أَفْضَلَ .

قد اقتربت لو أنّ في قرب دارها
وقد جاورتنا في شهور كثيرة
فإن تلقين نعمى هديت فحيها
وظني بها حفظ لغيبي ، ورعية
وقلت لها في السر بيني وبينها
فقلت : لقاء بعد حول وحجة
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى
وما إن خذول نازعت جبل حابل
بأحسن منها ذات يوم لقيتها
رأيت لها نارا تشب ، ودونها
فقلت لأصحابي : اصطلوا النار إنها
فيا لك من حاد حبوت مقيدا
أغيظا أرادت أن تخب حمالها
فما نطقة بالطود أو بضرية
يطيف بها حران صا ولا يرى
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا
وحسبك من نأي ثلاثة أشهر
سعى بينهم واش بأفلاق برمة
بكت من حديث بثه وأشاعه
بكت عين من أبكالك ليس لك البكا
فلا يسمعن سرّي وسرك ثالث

نوالاً ، ولكن كل من صنّ مانع
فما نوّلت ، والله راء وسمع
وسل كيف تُرعى بالمغيّب الودائع
لما استرعىّت ، والظن بالغيب واسع
على عجل : أيان من سار راجع ؟
وشحط النوى إلا لذي العهد قاطع
ويسترجع الحيّ السحاب اللوامع
لتنجوا إلا استسلمت وهي ظالع¹
لها نظر نحوي كذي البث خاشع
طويل القرا من رأس ذروة فارغ²
قريب ، فقالوا : بل مكانك نافع
وأنحى على عرين أنفك جادع
لتنجّع بالإطعان من أنت فاجع
بقية سيل أحزنتها الوقائع³
إليها سبلا غير أن سيطالع
من الليل واخضلت عليك المضاجع
ومن حزن أن زاد شوقك رابع
ليفجّع بالأطعان من هو جازع⁴
ورصّعه واش من القوم راصع
ولا تتخالجك الأمور التوازع
ألا كل سرّ جاوز اثنين شائع⁵

1 الخذول من الظباء والبقر : التي تتخلف عن القطيع . وظلع : غمز في مشيه .

2 القرا : الظهر . وذروة : اسم جبل . والفارغ : العالي .

3 الطود : الجبل . وضرية : بئر . الوقائع : جمع وقعة ، وهي النقرة في الجبل يتجمّع فيها الماء .

4 أفلاق : جمع فلق ، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين .

5 مثل .

وكيف يَشيعُ السرُّ مِنِّي ودُونَه
وَجِبُّ لَهَذَا الرَّبْعِ يَمْضِي أَمَامَه
لهَوْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا خِيفْتُ أَهْلَه
نَزَعْتُ فَمَا سِرِّي لِأَوَّلِ سَائِلِ
وَقَدْ يَحْمَدُ اللَّهُ الْعِزَاءَ مِنَ الْفَتَى
أَلَا قَدْ يُسَلَّى ذُو الْهَوَى عَنْ حَبِيْبِهِ
وَمَا رَاعَنِي إِلَّا الْمَنَادِي أَلَا أَطْعَنُوا
فَجِئْتُ كَأَنِّي مُسْتَضِيفٌ وَسَائِلِ
فَقَالَتْ : تَرْخُزِحَ مَا بَنَا كُبْرُ حَاجَةٍ
فَمَا زِلْتُ تَحْتَ السُّتْرِ حَتَّى كَأَنَّنِي
فَهَزَّتْ إِلَيَّ الرَّأْسَ مِنِّي تَعَجُّبًا
وَأَنِّي لِأَنهَى النَّفْسَ عَنْهَا تَجَهُّلًا
أَبَيْتُ بِأَهْوَارِ الْجَمِيعِ فَسَاكِنِ
فَأَيُّهُمَا مَا أَتْبَعَنَّ فَإِنَّنِّي
وَأَنْشُرُ ثَوْبِي نَحْوَ دَاخِنِ نَارَهَا
بَكَى مِنْ فِرَاقِ الْحَيِّ قَيْسُ بْنُ مُنْقِذِ
بَارَبَعَةٍ تَنْهَلُ لَمَّا تَفَرَّقَتْ
وَمَا خِلْتُ بَيْنَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتَهُمْ
كَأَنَّ فَوَادِي بَيْنَ شِقَاقَيْنِ مِنْ عَصَا
يُحْتُّ بِهِمْ حَادٍ سَرِيعٍ نَجَاوَهُ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَعْمَ حُلِّي مَحَلَّنَا
فَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً

حجَاب وَمِنْ دُونِ الْحِجَابِ الْأَصْلَعُ !
قَلِيلُ الْقَلْبِ مِنْهُ جَلِيلٌ وَرَادِعُ
وَبَيْنَ مِنْهُ لِلْحَبِيبِ الْمَخَادِعُ
وَذُو السَّرِّ مَا لَمْ يَحْفَظِ السَّرَّ مَادِعُ¹
وَقَدْ يَجْمَعُ الْأَمَرَ الشَّتِيَّ الْجَوَامِعُ
فَيَسْلَى ، وَقَدْ تُرْدِي الْمَطْيُ الْمَطَامِعُ
وَالْأُورَاغِي غُدُوَّةً وَالْقَعَاقِعُ²
لَأُخْبِرَهَا كُلَّ الَّذِي أَنَا صَانِعُ
إِلَيْكَ وَلَا مَنَّا لِفَقْرِكَ رَاقِعُ
مِنْ الْحَرِّ ذُو طِمْرَيْنِ فِي الْبَحْرِ كَارِعُ
وَعُضْضُ مِمَّا قَدْ فَعَلْتُ الْأَصَابِعُ
وَقَلْبِي إِلَيْهَا الدَّهْرَ عَطْشَانُ جَائِعُ
وَمَتَّجِعُ فَخْرًا فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
حَزِينٌ عَلَى إِثْرِ الَّذِي أَنَا وَادِعُ
وَمَا بَيْنُنَا مِنْ شَقَةِ الْأَرْضِ وَاسِعُ
وَإِذْ رَأَيْتُ عَيْنِي مِثْلَهُ الدَّمْعَ شَائِعُ
بِهِمْ طُرُقُ شَتَّى وَهَنَ جَوَامِعُ
بَيْنُونَةَ السُّفْلَى وَهَبَّتْ سَوَافِعُ³
حِذَارُ وَقُوعِ الْبَيْنِ وَالْبَيْنُ وَاقِعُ
مُعَرَّى عَنْ السَّاقِينِ وَالثُّوبِ وَاسِعُ
فَإِنَّ الْهَوَى يَا نَعْمَ وَالْعَيْشَ جَامِعُ
بَاهِلِي يَبِينُ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ ؟

1 ماذع في ل : وادع .

2 ألا اظعنوا في ل : أن أظعنوا .

3 بينونة : موضع . والسوافع : لوافح السموم .

فقلت لها تالله يدري مسافر إذا أضمرت الأرض ما الله صانع
 فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأمعن بالكحل السحيق المدامع
 وإني لعهد الودّ راع ، وإنني بوصلك ما لم يطوني الموت طامع
 قال أبو عمرو : فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة ، فاستحسنتها
 وبحضرتها جماعة من الشعراء . فقالت : من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها
 ويدخل في معناها فله خلتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك .
 [شعره في معشوقته نعم]

قال أبو عمرو : وقال قيس أيضاً يذكر الحيّ وتفرّقهم ويُنسبُ بنعم ويذكرها : [من الطويل]

سقى الله أطلالاً بنعم ترادفت
 فإن كانت الأيام يا أم مالك
 فلا يأمن بعدي امرؤ فجّع لذّة
 وبذلّت من جدواك يا أم مالك
 وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُنّة
 فيوماي يوم في الحديد مُسرّلا
 فلا مدركا حظاً لدى أم مالك
 خليلي إن دارت على أم مالك
 ولا تتركاني لا لخيرٍ معجلٍ
 وإن الذي أملتُ من أم مالك
 فليت المنايا صبّحتني غُدّة
 نظرت ودوني يذبلّ وعمامة
 شكوت إلى الرحمن بُعدَ مزارها
 وقلت ولم أملك أعمرو بن عامرٍ
 وقد أيقنت نفسي عشية فارقوا
 إذا ما طواك الدهر يا أم مالك

بهن التوى حتى حلّلت المطالبا¹
 تسليكم عني وترضي الأعاديا
 من العيش أو فجّع الخطوب العوافيا
 طوارق همّ يحضرن وساديا
 أسقي الكماء الدارعين العواليا
 ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
 ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا
 صروف الليالي فابعثنا لي ناعيا
 ولا لبقاء تنظران بقائيا
 أشاب قذالي واستهام فوادي
 بذبح ولم أسمع لبني مناديا
 إلى آل نعم منظرأ متنائيا
 وما حملتني وانقطاع رجائيا
 لحتف بذات الرقمتين بدا ليا
 بأسفل وادي الدّوح أن لا تلاقيا
 فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون .

[مقتله]

قال أبو عمرو : وكان من خبر مقتل قيس بن الخداديّة أنّه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غيرة ، فقالوا له : استأسر ، فقال : وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع ؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء جدماء ما أعطيتموها ، فقالوا له : استأسر لا أم لك ! فقال : نفسي عليّ أكرم من ذاك وأشد من ذلك وقتلهم حتى قُتل . وهو يرتجز ويقول :

هل هو إلا الموت يعني غالية
أنا الذي تخلعه موالية
وكلهم بعد الصفاء قالية
وكلهم يُقسم لا يبالية
أنا إذا الموت ينوب غالية
مخلط أسفله بعالية
قد يعلم الفتيان أنني صالية
إذا الحديد رفعت عواليه

قال أبو عمرو : وقد قيل في مقتله غير هذا ، فذكر إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم يقال لها أم كاهل فأغاروا عليه وفيهم زوجها فجعل ينشد عليهم ويقول : [من الرجز]

خلّي الطريق فعل أم كاهل خلّ طريق البطل المنازل
فأفلت قيس من الوقعة ثم أتى ظلاً وقد تعب ، فنام فيه وهو لا يخشى أن يطلبه القوم ، فاتبعوه فوجدوه ، فقاتلهم ، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتل .

صوت

[من البسيط]

صرمتني ثم لا كلمتني أبداً إن كنت ختلك في حال من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرّت خطرة منه على بالي
فسوغي المنى كيما أعيش بها وأمسكي البذل ما أطلعت آمالي
أو عجلّي تلقى إن كنت قاتلي أو نوليني بإحسان وإجمال

الشعر لابن قنبر ، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبصر عن عمرو بن بانه ، وذكر إسحاق أنّه لسليم ولم يذكر طريقته .

[264] - أخبار ابن قنبر ونسبه

[نسبه]

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازنيّ مازن بني عمرو بن تميم ، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدّة ، ثم غلبه مسلم .
[مهاجاته مسلم بن الوليد]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطّه : حدّثني الحسن بن سعيد قال : حدّثني منصور بن جهور قال : لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أمسك عنه مُسلم بعد أن بسط عليه لسانه ، فجاء مسلماً ابن عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه ، فإمّا أن قاذعته ، وإمّا أن سالمته ؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجّد فيه ، وبين ذلك دعوات يدعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال : [من الكامل]

غَلَبَ ابن قنبر واللّثيم مغلّب لما اتّقيت هجاء بدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتّقوه بدعوة الآباء

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر ليبلغ منّي هذا ، فأمسك عني لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن عبد الله العبديّ القسريّ قال : رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرّصافة في يوم جمعة ، وكلّ واحد منهما يأزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته :

أنا النار في أحجارها مستكنّة فإن كنتَ ممّن يقدرح النار فاقدرح

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله : [من البسيط]

قد كدت تهوي وما قوسي بموترّة فكيف ظنك بي والقوس في الوترِ

فوثب مسلم وتواخزا وتواثبا حتى حجز الناس بينهما ففترقا ، فقال رجل مسلم ، وكان يتعصّب له : ويحك ! أعجزت عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإياه لكما قال الشاعر :

هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مناقضتهما قول ابن قنبر فيه :
[من الطويل]

وَمِنْ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ لِمُسْلِمٍ إِلَيَّ نِزَاعاً فِي الْهَجَاءِ وَمَا يَدْرِي
وَوَاللَّهِ مَا قَيْسَتْ عَلَيَّ جُدُودُهُ لَدَى مَفْخَرٍ فِي النَّاسِ قَوْساً وَلَا شِعْرِي¹

ولابن قنبر قوله :
[من الخفيف]

كَيْفَ أَهْجَوَكَ يَا لَثِيمَ شِعْرِي أَنْتَ عِنْدِي فَاعْلَمْ هِجَاءُ هِجَائِي
يَا دَعِيَ الْأَنْصَارِ بَلْ عَبْدُهَا النَّذْرُ لَ تَعَرَّضْتَ لِي لَدَرْكَ الشَّقَاءِ

[إعجاب المأمون ببيتين له]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أبو توبة ،
عن محمد بن جبير عن الحسين بن محرز المغني المديني قال : دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي
وهو ينشد :
[من الطويل]

صوت

فَمَا أَقْصَرَ اسْمَ الْحَبِّ يَا وَثِيعَ ذِي الْحَبِّ وَأَعْظَمَ بُلُوَاهُ عَلَى الْعَاشِقِ الصَّبِّ
يَمُرُّ بِهِ لَفْظُ اللِّسَانِ مَشْمُوراً وَيَغْرَقُ مِنْ سَاقَاهُ فِي لُجَجِ الْكَرْبِ

فلما بصر بي قال : تعال يا حسين ، فجئت ، فأنشدني البيتين ، ثم أعادهما عليّ حتى
حفظتهما ، ثم قال : اصنع فيهما لحناً ، فإن أجدت سررتك ، فخلوت وصنعت فيهما لحني
المشهور ، وعدت فغنيته إياه ، فقال : أحسنت ، وشرب عليه بقيّة يومه ، وأمر لي بألف دينار ،
والشعر لحكم بن قنبر .

[نسيه]

أخبرني محمد بن الأزهر قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام قال :
أنشدني ابن قنبر لنفسه :
[من البسيط]

وَيَلِيَّ عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ وَامْتَنَعَا وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
ظَبِيٌّ أَغْرُ تَرَى فِي وَجْهِهِ سُرْجاً تُعْشِي الْعَيُونَ إِذْ مَا نَوْرُهُ سَطَعَا

1 قوساً ولا شعري في ل : يوماً ولا الشعر .

كَانَمَا الشَّمْسُ فِي أَثَوَابِهِ بَزَعَتْ حُسْنًا ، أَوِ الْبَدْرُ فِي أُرْدَانِهِ طَلَعَا
فَقَدْ نَسِيتُ الْكَرَى مِنْ طُولِ مَا عَطِلْتُ مِنْهُ الْجَفُونُ وَطَارَتْ مَهْجَتِي قِطْعَا

[قيان يعرّبه في الطريق]

قال ابن سلام : ثم قال ابن قنبر : لقيتني جوارٍ من جواري سليمان بن عليّ في الطريق الذي بين بين المربد وقصر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

ويلي على من أطار النومَ وامتنعَا

فقلتُ : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي ، فرجعتُ عارياً إلى منزلي . قال : وكان حسنَ اللباس .

[تحفيظ شعره الصبيان]

أخبرني محمد بن الحسين الكِنْدِيّ مؤدّبي قال : حدّثني علي بن محمد النوفلي قال : حدّثني عمّي قال : دخل الحكم بن قنبر على عمّي ، وكان صديقاً له ، فَبَشَّ به ورفع مجلسه ، وأظهر له الأنس والسرور ، ثم قال : أنشدني أبياتك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك . فأنشده : [من الطويل]

وَحَقُّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ فَإِنَّهُ عَظِيمٌ لَقَدْ حَصَّنْتَ سَرَّكَ فِي صَدْرِي
وَلَكِنَّمَا أَفْشَاهُ دَمْعِي ، وَرَبَّمَا أَتَى الْمَرْءَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
فَهَبْ لِي ذَنْوَبَ الدَّمْعِ ، إِنِّي أَظُنُّهُ بِمَا مِنْهُ يَبْدُو إِنَّمَا يَتَغَيَّ ضَرْيِي
وَلَوْ يَتَغَيَّ نَفْعِي لَخَلَّى ضَمَائِرِي يَرِدُّ عَلَى أَسْرَارِ مَكُونِهَا سَتْرِي

فقال لي : يا بنيّ اكْتُبْهَا واحْفَظْهَا ، وسأله أن يكتبنها ففعل ، فحفظتها يومئذٍ وأنا غلام .

[مبالغة في اليمين]

أخبرني اليزيديّ قال : أخبرني عمّي عن ابن سلام ، وأخبرني به أحمد بن العباس العسكري عن العنبري عن محمد بن سلام قال : أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله : [من البسيط]

صِرْمَتِي ثُمَّ لَا كَلِمَتِي أَبْدَاً إِنْ كُنْتَ خَتَكْتَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
وَلَا اجْتَرَمْتَ الَّذِي فِيهِ خِيَانَتُكُمْ وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهُ عَلَى الْبَالِ

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

قال اليزيدي : قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء) : [من المديد]

صوت

ليس فيهما ما يقال له كملت لو أن ذا كملاً
كلّ جزء من محاسنها كائن في فضله مثلاً
لو تمت في ملاحظتها لم تجد من نفسها بدلاً
فيه لحن لابن القصّار رمل .

[أبيات تنسب له وللعنابي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني ابن مهرويه قال : قال لي إبراهيم بن المدبّر : أتعرف الذي يقول :

إن كنت لا ترهبُ ذمي لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخشَ سُكوتي فطناً مُنصِتاً فيك لتحسين خنا القائل
مقالَةُ السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناسَ إلى ذمه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

فقلت : هذه للعنابيّ ، فقال : ما أنشدتها إلا لابن قُنبَر ، فقلت له : من شاء منهما فليقلّها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

وإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما سكتّ له حتى يلجّ ويستشري

[أخلاق قريش]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال : أطعم رجل من ولّد عبد الله بن كُرَيْز صديقاً له ضبيعة ، فمكثت في يده مدّة ، ثم مات الكُرَيْزيّ ، فطالب ابنه الرجل بالضبيعة ، فمنعه إيّاها ، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن ، ف قيل له : ألا تستحي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت ، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزي ، وكان ساقطاً : الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله ، فقال له عبيد الله بن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهم ارددْ على قريش أخطارها ، ثم أقبل علينا فقال : لله درّ الحكم بن قُنبَر حيث يقول :

إذا القرشيّ لم يُشبهه قريشاً بفعلمهم الذي بذّ الفعلا
فجرميّ له خلقٌ جميل لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

[تمثل الرشيد بشعره]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال : حدثنا الحسن بن عُمَيْل العنزي قال : حدثنا مسعود بن بشر قال : شكّا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أنّ ربيعة الرُّقيّ هجاه فقال له : قد سمعتُ ما كان مَدْحَك به ، وعرفتُ ثوابك إِيّاه ، وما قال في ذمّك بعد ذلك ، فما وجدته ظلمك به ، والله درّ ابن قنبر حيث قال :

[من السريع]

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

وبعد ، فقد اشتريتُ عرضك منه ، وأمرته بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً .

[مرض موته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا محمد بن سلام قال : مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطيب يعالجه ، فقال فيه :

[من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتوني بخصيبٍ

ليس والله خصيبٌ لِلَّذِي بي بطيبٍ

إنّما يَعْرِفُ دائي من به مثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالماً بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أنّ صاحب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعيش ، فقليل له : إنّ جالينوس ربّما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خطئه أحوج منّي إليه في هذا الوقت . قال : ومات من علته .

صوت

[من الطويل]

خليليّ من سعدٍ أَلَمّا فسَلِمّا على مريم ، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما¹

الشعر للأسود بن عمارة النوفليّ ، والغناء لدھمان ثاني ثقييل بالوسطى .

[265] - أخبار الأسود ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ ، عن الزبير بن بكار ، عن عمّه ،
الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخير بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان الأسود شاعراً أيضاً ، من مخضرمي
الدولتين .

[شعر عمارة أبي الأسود]

قال الزبير ، فيما حدّثنا به شيخنا المذكوران عنه : وحدّثني عمّي قال : كان عمارة بن
الوليد النوفليّ أبو الأسود بن عمارة شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

صوت

أدلالاً أم هندٌ تهجُرُ جدّاً	تلك هندٌ تُصدُّ للبين صدّاً
أم أرادت قتلي ضيراً وعمدا	أم لئنكا به قروح فؤادي
صرتُ ممّا ألقى عظاماً وجِلدا	قد براني وشفّني الوجدُ حتى
قل لهندٍ عني إذا جئتَ هنداً	أيّها الناصح الأمين رسولاً
غيرَ مَنْ بذاك نصحاً وودّاً	عَلِمَ الله أن قد آوتيتَ مني
منكُ إلّا نأيتَ وازددتَ بعداً	ما تقرّبتُ بالصفاء لأدنو

الغناء لعبادٍ خفيف رمل بالنصر في مجراها عن إسحاق ، وفي كتاب حَكَمَ : الغناء
له خفيف رمل ، وفي كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس ، وفيه ليحيى المكّي أو
لابنه أحمد بن يحيى ثقیل أوّل .

[ولايته بيت المال]

قال الزبير : قال عمّي : من لا يعلم يروي هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفليّ ، قال :
وكان الأسود يتولّى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل : [من الطويل]

خليليّ من سعدٍ إلماً فسلمّا على مريم ، لا يبعد الله مريماً

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فعلمنا

[شعره في محمد بن عبد الله بن كثير]

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت : [من الطويل]

ذكرناك شُرْطِيًّا فأصبحت قاضياً وصرت أميراً ، أبشري يا لقحطان
أرى نَزَوَاتٍ بينهم تَفَاوَتْ وللدَّهْرِ أحداثٌ وذا حَدَثَانُ
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولة وزمان¹

قال : وإنما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم ، وإنما قال : «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

[عشقه مريم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال : كان أبي يتعشق جارية مولدة مغنية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم ، فغاب غيبة إلى الشام ، ثم قديم فنزل في طرف المدينة ، وحمل متاعه على حمالين ، وأقبل يريد منزله ، وليس شيء أحب إليه من لقاء مريم ، فبينما هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قابضة على ذراعها ، وعيناها تدمعان ، فساء لها وساءلته ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التي أصبت بها ؟ قالت : لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم ، قال : وممن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل العراق ، وهو على الخروج ، وإنما ذهبتُ بها حتى ودَّعْتُ أهلها ، فهي تبكي من أجل ذلك ، وأنا أبكي من أجل فراقها ، قال : الساعة تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقي متبلداً حائراً ، ثم أرسل عينيه يبكي ، وودَّع مريم وانصرف ، وقال قصيدته التي أولها : [من الطويل]

خليلي من سعد أَلَمًا فسلماً على مريم ، لا يُعيد الله مريمًا

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فعلمنا²

قال : وهي طويلة ؛ وقد غنَّى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زبانيًّا³ . هكذا قال ابن عمار في خبره .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي ، عن عبد الله بن محمد

1 اربعي : انتظري .

2 فعلمنا في ل : فعلمنا .

3 الزبائب : أصوات يونس الكاتب السبعة في شعر ابن ربيعة في زنب بنت عكرمة .

البواب قال : سألت الخيزرانُ موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمَن ، فوعدها بذلك ودافعها به ، ثم كتبتُ إليه يوماً رُقعةً تتنجزه فيها أمره ، فوجّه إليها برسولها يقول : خيريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامي عليها ولا أوليه اليمن ، فأَيُّهما اختار فعلته ، فدخل الرسول إليها ، ولم يكن فهم عنه ما قال ، فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلق ابنته وولاه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصباح من داره ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك ، قال : أو لم تختر ذلك ! قالوا : لا ، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيره ، وعجلت بطلاقها ، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له : أقمّ على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلاً بسيف ، فمن لم يطلق امرأته منهم فليضرب عنقه ، ففعل ذلك ، ولم يرح من حضرته أحد إلا وقد طلق امرأته ، قال ابن البواب : وخرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيّلسانه يراوح بين رجله ، فخطر ببالي :

خليليّ من سعد أليماً فسليماً على مريم ، لا يُبعد الله مريماً
وقولا لها : هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء ، فقال لي : فنعلما بالنون ، فقلت له : فما الفرق بينهما ؟ فقال : إنّ المعاني تحسّن الشعر وتفسده ، وإنّما قال : «فنعلما» ليعلم هو القصّة ، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سرّه ، فقلت : أنا أعلم بالشعر منك ، قال : فلمن هو ؟ قلت : للأسود بن عمارة النوفليّ . قال : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : فأنا هو ، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إيّاه ، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله ، فقال : أحسن الله عزاءك ، وانصرف وهو يقول : «هذا أحقّ منزل بتركك»¹ .

[شرطي صار قاضياً وأميراً]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولّاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصّمد بن علي ، فقال الأسود بن عمارة :

ذكرتك شُرطياً فأصبحت قاضياً فصرتَ أميراً ، أبشري يا لقحطان²
أرى نزواتٍ بينهنّ تفاوتُ وللدهر أحداثٌ وذا حدّثان

1 المثل : «هذا أحقّ منزل بتركك» في مجمع الميدانيّ 2 : 387 ومستقصى الرمخشري 2 : 384 .

2 ذكرك في ل : حضرتك .

أرى حَدَثًا مِيطَانُ منقطعٌ له ومنقطعٌ مِنْ بعده وَرِقَانُ¹
أَقِمْ بني عمرو بن عوف أو أَرِمْ لكلِّ أناسٍ دولةٌ وزمانُ

صوت

[من الخفيف]

هل لدهرٍ قد مضى من مَعَادٍ أو لهمٌ داخلٍ من نَفَادٍ
أذكرتني عيشةً قد تولَّتْ هاتفتُ نُحْنَ في بطن وادي
هَجَنَ لي شوقاً وألْهِنَ ناراً للهوى في مستَقَرِّ الفؤادِ
بانَ أحبابي وغُودرتُ فرداً نُصِبَ ما سرَّ عيونَ الأعادي

الشعر لعلي بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن

بانة .

[266] - أخبار علي بن الخليل

[نسبه]

هو رجل من أهل الكوفة موالي لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، فأتهم بالزندقة، وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لما انكشف أمره.

[الرشيد يؤمنه ويجيزه]

قال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد ، أنه جلس بالرافقة للمظالم ، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكيء على عصا ، وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، في يده قصة ، فلما رآه أمر بأخذ¹ قصته ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت . قال : أقرأها ، فاندفع ينشده فيها قصيدته :

يا خير من وخذت بأرحله نجب الركاب بمهمه جلس²

حتى أتى عليها ، فاستحسنها الرشيد وقال له : من أنت ؟ قال : أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه أنه زنديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه .

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال³ : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ، وكان علي بن الخليل أستاذ أبي نواس في الشعر ، فأنشده علي بن الخليل :

يا خير من وخذت بأرحله نجب تخب بمهمه جلس
تطوي السباسب في أزمته طي التجار عمائم البرس
لما رأتك الشمس إذ طلعت كسفت بوجهك طلعة الشمس
خير البرية أنت كلهم في يومك الغادي وفي أمس

1 بأخذ في ل : بإحضاره وأخذ .

2 وخذ : أسرع في السير . والمهمه المجلس : المفازة الغليظة الأرض .

3 قارن بأما لي المرتضى 1 : 146-147 .

وكذاك لن تنفك خيرهم
 لله ما هارون من ملك
 ملك عليه لرّبه نعم
 تحكي خلافته بيهجتها
 من عترة طابت أرومتهم
 نطق إذا احتضرت مجالسهم
 إني إليك لجأت من هرب
 واخترت حكمك لا أجاوزه
 لما استخرت الله في مهل
 كم قد قطعت إليك مدرعاً
 إن هاجني من هاجس جزع
 ما ذاك إلا أنني رجل
 بقر أوانس لا قرون لها
 ردع العبير على ترائبها
 وأشهد الفتيان بينهم
 للماء في حافاتهما حبّ
 والله يعلم في بقيته

تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
 برّ السرية طاهر النفس
 تزداد جدّتها على اللبس
 أنق السرور صبيحة العرس
 أهل العفاف ومنتهى القدس¹
 وعن السفاهة والخنا خرس
 قد كان شرّدي ومن لبس²
 حتى أوسد في ثرى رمسي
 يمتّ نحوك رحلة العنس
 ليلاً بهيم اللّون كالنفس³
 كان التوكّل عنده تُرسي
 أصبو إلى بقر من الإنس
 نُجل العيون نواعم لُفس
 يُقبلن بالترحيب والخلس⁴
 صفراء عند المزج كالورس
 نُظّم كرقم صحائف الفرس
 ما إن أضعت إقامة الخمس⁵

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس⁶ ، واحتج عليه في أنّه لا يقبل له توبة

بقوله :

[من السريع]

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسيه
 وقال : إنّما زعمت أنّك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

1 أهل في ل : أصل .

2 هرب في ل : رب .

3 النفس : المداد .

4 ردع العبير : أثره . والخلس : النظر خلسة .

5 بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه .

6 قتل صالح بن عبد القدوس على يد المهديّ سنة 167هـ ، فيبدو أن الأمر اختلط على أبي الفرج .

[شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : كَانَ عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدٍ يَصْحَبُ ابْنَ عَلَاثَةَ¹ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَاسْتَقْضَاهُ مَعَهُ بِعَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ وَكَانَتْ قِصَّةُ يَعْقُوبَ مَعَ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ² كَذَلِكَ ، أَدْخَلَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ فِي ذَلِكَ :

عَجَباً لِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ رَ مَسْرَةً وَكَرَاهِيَةً
رَأَيْتُ لِيَعْقُوبَ بْنَ دَا وَدِ حِبَالُ مَعَاوِيَةَ
وَعَدْتَ عَلَى ابْنِ عَلَاثَةَ الْـ قَاضِي بَوَائِقُ عَافِيَةَ
أَدْخَلْتَهُ فَعَلَا عَلَيْهِ لِكَ كَذَاكَ شَوْمُ النَّاصِيَةِ
وَأَخَذْتَ حَتْفَكَ جَاهِداً يَمِينُكَ الْمَتْرَاحِيَةَ
يَعْقُوبُ يَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ رَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ نَاحِيَةَ

[محمد بن الجهم ينشد المأمون أبياتاً قبُولِهِ]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ فَرَّاسِ الدُّهْلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْجَّهْمِ الْبِرْمَكِيُّ : قَالَ لِي الْمَأْمُونُ يَوْمَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْشِدْنِي بَيْتاً مِنَ الْمَدِيحِ جَيِّداً فَآخِراً عَرَبِيّاً لِمَحَدَّثٍ حَتَّى أَوَّلِيكَ كُورَةً تَخْتَارُهَا . قَالَ قُلْتُ : قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيلِ :

فَمَعَ السَّمَاءُ فَرُوعُ نَبْعَتِهِمْ وَمَعَ الْحَضِيضُ مَنَابِتُ الْغُرْسِ
مَتَهَلَّلِينَ عَلَى أُسْرَتِهِمْ وَلَدَى الْهِجَاجِ مَصَاعِبُ شُنُوسٍ³

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ الدِّينَوْرَ ، فَأَنْشِدْنِي بَيْتَ هَجَاءٍ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ حَتَّى أَوَّلِيكَ كُورَةً أُخْرَى ، فَقُلْتُ : قَوْلُ الَّذِي يَقُولُ :

قُبُحَتْ مَنَاظَرُهُمْ فَحِينَ خَبَرْتَهُمْ حَسُنَتْ مَنَاظَرُهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبِرِ⁴

1 عافية بن يزيد الأودي ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلبي استقضاها المهدي سنة 161هـ ، فكانا يقضيان في عسكره .

2 يعقوب بن داود : وزير المهدي بعد أن عزل أبا عبيد الله معاوية بن يسار ، ومن بعد ما عزل المهدي يعقوب ونكبه .

3 المصعب : الفحل الذي لم يمسه جبل ولم يركب .

4 هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد .

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمْدَان¹ ، فَأَنْشِدْنِي مَرثِيَةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى ، فقلت : قول الذي يقول :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فطِيبُ ترابِ القبرِ دَلٌّ على القبرِ
فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك نَهَاوَنْدَ ، فَأَنْشِدْنِي بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى ، فقلت : قول الذي يقول :

تُعَالِي نَجْدُودُ دَارِسِ الْعِلْمِ بَيْنَنَا كَلَانَا على طولِ البعادِ مَلُومٌ
فقال : قد أحسنت ، قد جعلت الخيار إليك فاختر ، فاخترت السُّوسَ من كُورِ الأهواز ، فولّاني ذلك أجمع ، ووجهت إلى السوس بعض أهلي .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد ، عن التَّوْزِيّ قال : نزل أبو دُلَامَة بَدِيقَان يُكْنَى أَبَا بَشَرٍ ، فسقاه شراباً أعجبه ، فقال في ذلك :

سَقَانِي أَبُو بَشَرٍ مِنَ الرَّاحِ شَرِبَةً لَهَا لَذَّةٌ مَا ذُقْتُهَا لَشْرَابٍ
وَمَا طَبَخُوهَا غَيْرَ أَنَّ غَلَامَهُمْ سَعَى فِي نَوَاحِي كَرْمِهَا بِشِهَابٍ
قال : فَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

[نهنته بمولود]

أخبرني الحسن بن عليّ ، وعمّي الحسن بن محمد ، قالا : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ عن عليّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزِيدِ بْنِ ، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ بْنُ الْخَلِيلِ فقال : اسمع أيّها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد ، فتبسّم وقال : هات ، فَأَنْشَدَهُ : [من السريع]

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّيَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيْمُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ²
عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سَيِّمَا تَبَاشِيرٍ وَسَيِّمَا جَلَالِ
وَاللَّهُ يُقَيِّمُهُ لَنَا سَيِّدًا مَدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
حَتَّى نَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَفَاضَ فِي سَوَّالِهِ بِالنَّوَالِ
وَسَدُّ ثَغَرًا فَكَفَى شَرَّهُ وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ تَحْتَ الْعَوَالِ

1 ل : نَهَاوَنْد .

2 ل : قد أوفى طلوع .

كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذي أفعالهم عن مثال
فأمر له عن كل بيت بألف دينار¹ .

[توبته عن شرب الخمر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني ابن مهرويه قال : حدّثني ابن الأ-رأبي المنجّم الشيباني ، عن عليّ بن عمرو الأنصاري ، قال : دخل عليّ بن الخليل على المذنب فقال له : يا عليّ ، أنت على معافرتك الخمر وشربك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : تبت منها . قال : فأين قولك ؟ : [من المديد]

أولعت نفسي بلذتها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك ؟ : [من الوافر]

إذا ما كنت شاربها فسيراً ودع قولَ العواذل واللوحي²
قال : هذا شيء قلته في شبابي ، وأنا القائل بعد ذلك : [من الوافر]

على اللذات والراح السلام	تقضّى العهد وانقطع الذمّام
مضى عهد الصبّا وخرجت منه	كما من غمده خرج الحسام
وقرت على المشيب فليس مني	وصال الغانيات ولا المدام
وولّى اللهو والقينات عني	كما ولّى عن الصبح الظلام
حلبت الدهر أشطره فعندي	لصرف الدهر محوّد وذام ³

[عند معن بن زائدة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش ، قال : حدّثني محمد بن الحسن بن الحرون ، عن عليّ بن عبيدة الشيباني ، دخل عليّ بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده ، ثم قال له معن : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نشيط الأمير ، فأتيا بالطعام ، فأكلا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ قال : إن سقيتني ما أريد شربت ، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه ، فضحك ثم قال : قد عرفت الذي تريد ، وأنا أسقيك منه ثم أمر فأتني بشراب عتيق ، فلمّا شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول :

[من الكامل]

1 ل : درهم .

2 اللوحي : جمع لاحية ، وهي اللائمة .

3 المثل «حلب الدهر أشطره» في مجمع الميداني 1 : 195 ومستقصى الزمخشري 2 : 640 وجمهرة العسكري 1 : 346 ، ومعناه أنه اختبر حالات الدهر : خيره وشره . الذام : الذم .

يا صاح قد أنعمت إصباحي يبارد السُّلْسَال والراح
 قد دارت الكأسُ برَقَاقَةٍ حياة أبدانٍ وأرواح
 تجري على أغيدٍ ذي رَوْنِقٍ مهذب الأخلاقِ جَحْجَاح¹
 ليس بفحّاش على صاحب ولا على الرّاح بفضّاح
 تسره الكأسُ إذا أقبلت بريح أترجُ وتُفّاح
 يسعى بها أزهرُ في قرطَقٍ مقلّد الجيد بأوضح²
 كأنها الزّهرة في كفّه أو شعلة من ضوء مصباح

[هجاء الدهقان الدعي]

حدّثنا علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدّهاقين يعاشره ويبرّه ، فغاب عنه غيبة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة ، وقويت حاله ، فادعى أنّه من بني تميم ، فجاءه علي بن الخليل فلم يَأْذَن له ، ولقيه فلم يسلم عليه ، فقال يهجوّه :

يَروُح بِنسبة المولى ويصبح يدعى العرّبا
 فلا هذا ولا هذا لك يدركه إذا طلبا
 أتيناّه بشبّوطٍ ترى في ظهره حدّبا³
 فقال : أمّا لبلّلك من طعام يُذهب السّغبا⁴
 فصد لأخيكَ يرثوَعاً وضبّا وأترك اللّعا
 فرشتُ له قريح المسك لك والنّسرين والغربا⁵
 فأمسك أنفّه عنها وقام مولياً هربا
 يشمُّ الشّيح والقَيْصو م كي يستوجب النّسبا
 وقام إليه ساقينا بكأسٍ تنظّم الحيا
 معتقّة مروّقة تسلي همّ من شربا

1 الجحججاح : السيد .

2 القرطق : لباس يشبه القباء . والأوضح : حلي من الفضة .

3 الشبوط : ضرب من السمك .

4 السغب : الجوع .

5 قريح المسك : خالصة . والنسرين : زهر . والغرب : نوع من الشجر .

فَالَى لَا يُسَلِّسُهَا وَقَالَ أَصْبَبْنَا حَلْبًا¹
 وَقَدْ أَبْصَرْتُهُ دَهْرًا طَوِيلًا يَشْتَهِي الْأَدْبَا
 فَصَارَ تَشْبُهًا بِالْقَوِ مَجْلَفًا جَافِيًا جَشِيًا²
 إِذَا ذُكِرَ الْبَرِيرُ بَكِي وَأَبْصَرْتُ الشُّوقَ وَالطَّرِيَا³
 وَلَيْسَ ضَمِيرُهُ فِي الْقَوِ مِثْلَ الْتَيْنِ وَالْعُنْبَا
 جَعَدْتَ أَبَاكَ نَسْبَتَهُ وَأَرْجُو أَنْ تَفِيدَ أَبَا
 أَرَاكَ رَغْبَتَ عَنْ كَسْرِي وَمَا عَنْ مِثْلِهِمْ رُغْبَا

قال علي بن سليمان : وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر ، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي ، قال : [من السريع]

يَا أَيُّهَا الرَّاغِبُ عَنْ أَصْلِهِ مَا كُنْتَ فِي مَوْضِعٍ تَهْجِينُ⁴
 مَتَى تَعَرَّبْتَ وَكُنْتَ امْرَأً مِنَ الْمَوَالِي صَالِحَ الدِّينِ
 لَوْ كُنْتَ إِذْ صَرْتَ إِلَى دَعْوَةٍ فَزَتْ مِنَ الْقَوْمِ بِتَمَكِينِ⁵
 لَكَفَّ مِنْ وَجْدِي ، وَلَكُنْتَنِي أَرَاكَ بَيْنَ الضُّبِّ وَالنُّونِ
 فَلَوْ تَرَاهُ صَارِفًا أَنْفَهُ مِنْ رِيحِ خَيْرِي وَنَسْرِينِ⁶
 لَقُلْتُ : جِلْفٌ مِنْ بَنِي دَارِمٍ حَنَّ إِلَى الشَّيْخِ بَيَّزِينِ
 دُعْمُوصُ رَمَلٌ زَلَّ عَنْ صَخْرَةٍ يَعَافُ أَرْوَاحَ الْبَسَاتِينِ⁷
 تَنْبُو عَنْ الْفَاقِمِ أُعْطَافُهُ وَالْخَزْ وَالسَّنَجَابِ وَاللَّيْنِ⁸

[النظر الجميل والنظر الملح]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً ، قالوا : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

- 1 الحلب : اللبن المخلوب .
- 2 الجشب : الخشن الغليظ .
- 3 البرير : ثمر الأراك .
- 4 تهجين : تقبيح .
- 5 دعوة : ادعاء النسب .
- 6 الخيري : المنشور الأصفر .
- 7 دعموص : دوية صغيرة .
- 8 السنجاب : فرو السنجاب .

كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور ، وكان الفتى يهوى جارية لعُتْبة مَولاة المهدي ، فمرت به عُتْبة في موكبها والجارية معها ، فوقفت عليه وسلمت ، وسألت عن خبره ، فلم يوفِّها حقَّ الجواب ، لشغل قلبه بالجارية ، فلما انصرف أقبل عليه علي بن الخليل ، فقال له :

راقِبْ بَطْرَفَكَ مَنْ تَخَا ف إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْخَلِيلِ
فَإِذَا أَمِنْتَ لِحَاظِهِمْ فَعَلَيْكَ بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ
إِنَّ الْعَيُونَ تَدُلُّ بِالْ نَظَرِ الْمَلْحِ عَلَى الدُّخِيلِ
إِمَّا عَلَى حُبٍّ شَدِيدٍ سِوِ أَوْ عَلَى بُغْضٍ أَصِيلِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : كان علي بن الخليل يَصْحَبُ بعض ولد جعفر بن المنصور ، فكتب إليه والبة بنُ الحُبَاب يدعوه ، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه ، ويصف له طيبَ مجلسه وغناءَ حصَّله وغلاماً دعاه ، فكتب إليه علي بن الخليل :

أَمَّا وَلِحَاظِ جَارِيَةٍ تُذِيبُ حُشَاةَ الْمَهْجِ
وَسَحَرِ جَفَوْنَهَا الْمُضْنِي لَكَ بَيْنَ الْفَقْرِ وَالْدَعَجِ¹
مَلِيحَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا مِنْ خُلُقِهَا السَّمِجِ
وَحُرْمَةٌ دُنْكَ الْمِيزُو لِ الصُّبْهَاءِ مِنْهُ تَجِي²
كَأَنَّ مَجِيئَهَا فِي الْكَأ سَ حِينَ تُصَبُّ مِنْ وَدَجِ³
لَوْ أَنْعَرَجَ الْأَنَامُ إِلَى بِشَاشَةِ مَجْلَسٍ بِهَجِ
وَكُنْتَ بِجَانِبِ جَذْبٍ لَكَانَ إِلَيْكَ مُنْعَرَجِي

وصار إليه في إثر الرقعة .

1 الدعج : سواد العين مع سعتها .

2 المزول : المتقرب .

3 الودج : ورید في العنق .

[267] - أخبار محمد الزّرف

[نسبه وبعض صنعاته]

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم ، كوفي الأصل والمولد والمنشأ ؛ والزّرف : لقب غلب عليه ، وكان مغنياً ضارباً طيّب المسموع ، صالح¹ الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذاً للغناء ، وأصحّهم أداء له ، وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أذاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق ، وكان يتعصب على ابن جامع ، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه يقدّمانه ويجتلبان له الرّفد والصلوات من الخلفاء ، وكانت فيه عريدة إذا سكر ، فعرّبد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه ، ومنعه من الوصول إليه ، وجفاه وتناساه ، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين .

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل .
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد :

صوت

جسورٌ على هجري ، جبانٌ عن الوصل	كذوبٌ غداً يستتبع الوعد بالمطل
مقدمٌ رجل في الوصال مؤخر	لأخرى ، يشوب الجِدّ في ذاك بالهزل
يهمّ بنا حتى إذا قلتُ قد دنا	وجاد ثنى عطفاً ومال إلى البخل
يزيد امتناعاً كلما زدتُ صبوّة	وأزداد حرصاً كلما ضنّ بالبدل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الزّرف ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرتين أو ثلاثاً ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزّرف وجاءني ، وأومأت إلى مخارق وعلويّه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأذاه كأنه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلمّا انتهى الدّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته ، فنظر إليّ ابن جامع محدداً نظره ، وأقبل عليّ

1 صالح في ل : صحيح .

الرشيد فقال : أكنت تروي هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلا مَنِّي الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مَنِّي ، وأقبلت عليه ، ففناه علويّه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أنه لحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل عليّ فقال : بحياتي اصدقني عن القصة ، فصدّقته ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامع الزُّفِّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبندر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ

وغيره .

[قوة حفظه وبراعته]

قال أبو الفرج : وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه : كان محمد الزُّفِّ أروى خلق الله للغناء ، وأسرعهم أخذاً لما سمعته منه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، وإنّما يسمع الصوت مرّة واحدة وقد أخذه ، وكنا معه في بلاء إذا حضر ، فكان من غنى مَنّا صوتاً فسأله عدوّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إيّاه ، سأل محمداً الزُّفِّ أن يأخذه ، فما هو إلا أن يسمعه مرّة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبي يبرّه ويصله ويُجديه¹ من كل جائزة وفائدة تصل إليه ، فكان جانبنا عنده جُمى مصوناً لا يقربه ، ولم يكن طيب المسموع ، ولكنّه كان أطيّب الناس نادراً ، وأملحهم مجلساً ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه ، وأصغى سمعه إليه ، حتى يحكيه ، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ويرفد ، فغنى يوماً بحضرة الرشيد :

صوت

أرسلت تُقرىء السَّلامَ الرَّبابُ	في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه : لو زُرْتنا لزرناك ليلاً	بمَنى حيث تستقلّ الركابُ
فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن	لي منكم دون الحجاب حجابُ
إنّما دهرك العتاب وذمّي	ليس يُبقي على الحبّ عتابُ

ولحنه من الثقيل الأوّل : فأحسن فيه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزُّفِّ فغمزته وقمتُ إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءني ، فقلت له : أي شيء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منه ، قلت : هاته ، فردّه

عليّ ثلاث مرّات ، وأخذته وعدت إلى مجلسي ، وغمرت عليه عقيداً ومخارقاً ، فقاما ، وتبعهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه ، فعرفاني أنّهما قد أخذهما ، فلما بلغ الدور إليّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته ، فحدّد الرشيد نظره إليّ ، ومات ابن جامع وسقط في يده ، فقال لي الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديماً ، وقد أخذه عني مخارق وعقيد ، فقال : غنّياه . فغنّياه ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبق إليه ابن جامع أحد ، فنظر الرشيد إليّ ، فغمزته بعيني أنّه صدق ، وجدّ الرشيد في العبث به بقية يومه ، ثم سألتني بعد ذلك عن الخبر ، فصدّته عنه وعن الزّرف ، فجعل يضحك ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامع الزّرف ، قال حمّاد ، وللزّرف صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني :

صوت

لَمَن الظعائن سيرُهنّ ترحُفُ	عَوَمَ السّفين إذا تقاعس مجذَفُ
مرّت بذِي حُسْمٍ كأنّ حُمولها	نخل ييثربَ طلعتها مُضَعَفُ
فلئن أصابتنِي الحروب لرّما	أدعى إذا مُنع الرّداْفُ فأردفُ
فأثير غاراتٍ وأشهد مُشهداً	قلْبُ الجبان به يَطيش فَيْرْجُفُ

قال : ومن مشهور صنّعه في هذه الطريقة :

[من الطويل]

صوت

إذا شئت غنّتي بأجراع بيّشة	أو النخل من تثليث أو من يَلْمَلِما
مطوّقة طوقاً وليس بحليّة	ولا ضرب صواغ بكفيه دِرهما
تُبْكِي على فرخ لها ثم تغتدي	مدلّهة تبغي له الدهر مطعما
تؤمل منه مؤنساً لانفرادها	وتبكي عليه إن زقا أو ترنّما ¹

ومن صنّعه في هذه الطريقة :

[من مخلع البسيط]

صوت

يا زائرنا من الخيام	حيّاك الله بالسلام
يَحزُنني أن أطعّماني	ولم تنالا سوى الكلام

بُورِكَ هَارُونُ مِنْ إِمَامٍ بطاعة الله ذي اعتصامٍ
لَهُ إِلَى ذِي الْجَلَالِ قُرْبَى ليست لعدل ولا إمامٍ

وله في هذه الطريقة : [من البسيط]

صوت

بَانِ الْحَبِيبُ فَلَاحَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِي وَبْتُ مُنْفَرِدًا وَحْدِي يَوْسُوسٍ
مَاذَا لَقِيتُ فَدَتَكَ النَّفْسُ بَعْدَكَ مِنَ التَّيَرَمِ بِالدُّنْيَا وَبِالنَّاسِ
لَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْلِي النَّفْسَ عَنْ شَجَنِ سَلَّتْ فَوَادِيَّ عَنْكُمْ لَذَّةَ الْكَاسِ

[شعر لأبي الشبل البرجمي]

صوت

[من مجزوء الرمل]

بَأْيِي رَيْمٌ رَمَى قَدْ جِي بِالْحَظِّ مِرَاضٍ
وَحَمَى عَيْنِي أَنْ تَكْ تَذُّ طَيْبَ الْإِغْتِمَاضِ
كَلَّمَا رُمْتُ أَنْبَسَا كَفَّ بَسْطِي بِانْقِبَاضِ
أَوْ تَعَالَى أَمَلِي فِيهِ هَ رَمَاهُ بِانْخِفَاضِ
فَمَتَى يَنْتَصِفُ الْمَظَلُّ لُومَ وَالظَّالْمَ قَاضِي

الشعر لأبي الشبل البرجمي ، والغناء لعنتث الأسود ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ؛ ولينان خفيف رمل .

[268] - أخبار أبي الشَّبل ونسبه¹

[نسبه]

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدب بالبصرة .

[مجنونه واتصاله بالمتوكل]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ ، عن ابن مَهْرُويه ، عن عليّ بن الحسين الأعرابيّ .
وقدِمَ إلى سُرٍّ مَنْ رأى في أيام المتوكل ومدحه ، وكان طبيباً نادراً ، كثير الغزل ماجناً ،
فنفقَ عند المتوكل بإيثاره العَبَث ، وخدمه ، وخُصَّ به ، فأثرى وأفاد ، فذكر لي عمِّي عن
محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنه لما مدحه بقوله :
[من مجزوء الرمل]

أَقْبَلِيْ فَالْخَيْرُ مَقْبَلٌ وَاتْرَكِيْ قَوْلَ الْمَعْلَلِ
وَتَقِيْ بِالنُّجْحِ إِذْ أَبَ صَرَتْ وَجْهَ الْمُتَوَكَّلِ
مَلِكٌ يُنْصِفُ يَا ظَا لَمَتِي فِيكَ وَيَعْدَلُ
فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمَأْ مَوْلَ يَرْجُوهُ الْمُؤَلَّلُ

أمر له بألف درهم لكل بيت ، وكانت ثلاثين بيتاً ، فأنصرف بثلاثين ألفَ درهم .

[الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبصرة]

أخبرني يحيى بن علي ، عن أبي أيوب المديني ، عن أحمد بن المكي قال : غَنَّتْ المتوكل
صوتاً شعره لأبي الشبل البرجُمي وهو :

أَقْبَلِيْ فَالْخَيْرُ مَقْبَلٌ وَدَعِيْ قَوْلَ الْمَعْلَلِ
فَأَمَر لي بعشرين ألفَ درهم ، فقلت : يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيءة ، فسأل
عنها الفتح فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى .
وحدَّثني الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن المكي مثله .
[دعوة سكر]

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدَّثني أبو الشبل عاصم بن وهب

1 ترجمة أبي الشبل في طبقات ابن المعتز : 379-380 ، ومعجم المرزباني ، واسمه فيه عُصَم بن وهب وسيرد
هكذا في أبيات أحمد بن أبي النجم .

الشاعر ، وهو القائل :

أَقْبَلِيْ فَالْخَيْرُ مَقْبَلٌ وَدَعِيْ قَوْلَ الْمَعْلَلِ

قال : كانت لي جارية اسمها سُكَّر ، فدخلتُ يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها ، فقالت : أَقِمِ الْيَوْمَ فِي دَعْوَتِي أَنَا ، فَأَقَمْتُ وَقَلْتُ : [من مجزوء الرمل]

أَنَا فِي دَعْوَةِ سُكَّرٍ وَالْهَوَى لَيْسَ بِمَنْكَرٍ
كَيْفَ صَبْرِي عَنْ غَزَالٍ وَجْهُهُ دَلُو مُقَيَّرٌ

فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأَوَّلَ ضَحَكَتْ وَسُرَّتْ ، فَلَمَّا أَنْشَدْتُهَا الْبَيْتَ الثَّانِيَّ قَامَتْ إِلَيَّ تَضْرِبَنِي وَتَقُولُ لِي : هَذَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ الَّذِي فِيهِ «دَلُو» لِمَالِكٍ ، لَوْلَا الْفُضُولُ ؛ فَمَا زَالَتْ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ، تَضْرِبَنِي حَتَّى غُشِيَ عَلَيَّ .
[يمدح ويذم مالك بن طوق]

وَذَكَرَ ابْنُ الْمَعْتَزِ أَنَّ أَبَا الْأَغَرِّ الْأَسَدِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ : مَدَحَ أَبُو الشَّيْبَلِ مَالِكَ بْنَ طَوَّقٍ بِمَدْحٍ عَجِيبٍ ، وَقَدَّرَ مِنْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ صُرَّةً مَخْتُومَةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ ، فَظَنَّهَا دِرْهَمٌ ، فَرَدَّهَا وَكَتَبَ مَعَهَا قَوْلَهُ فِي رَقْعَةٍ :

فَلَيْتَ الَّذِي جَادَتْ بِهِ كَفُّ مَالِكٍ وَمَالِكٌ مَدْسُوسَانِ فِي اسْتِ أُمِّ مَالِكٍ
فَكَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي اسْتِهَا فَأَيَسَّرُ مَفْقُودٍ وَأَيَسَّرُ هَالِكٍ

وَكَانَ مَالِكٌ يَوْمَئِذٍ أَمِيرًا عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الرَّقْعَةَ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَأَحْضَرَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ظَلَمْتَنَا وَاعْتَدَيْتَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : قَدْ قَدَّرْتُ عِنْدَكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوَصَّلْتَنِي بِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : افْتَحْهَا ، فَفَتَحْتُهَا فَإِذَا فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ ، فَقَالَ : أَقْلَنِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : قَدْ أَقْلَنْتُكَ ، وَلَكِ عِنْدِي كُلُّ مَا تَحِبُّ أَبَدًا مَا بَقِيتُ وَقَصَدْتَنِي .
[الطبيب الأحق]

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوءَةَ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو الشَّيْبَلِ الْبُرْجُمِيُّ : كَانَ فِي جِيرَانِي طَبِيبٌ أَحَقُّ ، فَمَاتَ فَرِثِيَّتُهُ فَقُلْتُ :

قَدْ بَكَاهُ بَوْلُ الْمَرِيضِ بِدَمْعٍ وَكَفٍ فَوْقَ مُقْلَتَيْهِ ذُرُوفٍ
ثُمَّ شَقَّتْ جَيَوْبَهُنَ الْقَوَارِـ رُ عَلَيْهِ وَنُحْنَ نَوْحَ اللَّهَيْفِ¹
يَا كَسَادَ الْخِيَارِ شَنْبَرَ وَالْأَقْدَ رَاصٍ طَرًّا وَيَا كَسَادَ السُّفُوفِ

كنتَ تمشي مع القويِّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تكثُرْ بالضَّعِيفِ
لهفَ نفسي على صنوفِ رَقاعا تِ تولَّتْ منه وعقلٍ سخيْفِ

[عبته بخالد بن يزيد]

حدَّثنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوءَةَ قال : حدَّثنا أبو الشبل قال : إن خالد بن يزيد بن
هُبَيْرَةَ كان جاراً لنجاح وكان يشرب التبيذ ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنية
يقال لها لَهَبٌ ، تغشانا معه ، فكنت أعبت بهما كثيراً ويشتماني ، فقام مولاها يوماً إلى الخاية
يَسْتَقِي نبيذاً ، فإذا قميصه قد انشَقَّ ، فقلت فيه :

قالت له لهبٌ يوماً وجاذَلَهَا بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولٍ
أما القميص فقد أودى الزمان به فليت شعري ما حال السراويل ؟

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْمِ أحمد بن يوسف فقال :

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة تحكى طرائقه نَسَجَ الغرايل
وتحتَه حفرة قَوْرَاء واسعة تسيل فيها مِيازيبُ الأحاليل

قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضُرْطاة ، تضطرب على صوت العيدان وغيرها في
الإيقاع ، فقلت فيه :

في الحيِّ مَنْ لا عَدِمَتْ خُلَّتُهُ فتى إذا ما قطعته وصَلَا
له عجزوز بالحَبَقِ أَبْصُرُ مَنْ أَبْصَرْتَهُ ضارباً ومرتَجِلاً¹
نادمتُها مرَّةً وكنت فتى ما زلتُ أهوى وأشتهي الغَزْلاً
حتى إذا ما أَمالها سَكْرٌ يَبْعَثُ في قلبها لها مَثَلاً
اتَّكَأْتُ يَسْرَةً وقد حَرَقْتُ أشراجها كي تقوم الرُّمَلا
فَلَمْ تَزَلْ باستها تُطارِحني اسْمَعْ إلى مَنْ يَسومُني العِلَلا

[المازني يذم شعره]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوءَةَ قال : حدَّثني أبو الشبل قال : لما عَرَض لي الشعرُ
أتيتُ جاراً لي نحوياً ، وأنا يومئذٍ حديث السنِّ ، أظنَّه قال إنَّه المازني ، فقلت له : إن رجلاً لم
يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاشَ صدره بشيء من الشعر ، فكره أن يُظهِرَه
حتى تسمعه . قال : هاذه ، وكنت قد قلت شعراً ليس بجيِّد ، إنَّما هو قول مبتدئ ، فأُنشِدتَه

إياه ، فقال : مَنْ العاضُّ بظُرِّ أمِّه القاتلُ لهذا ؟ فقممت خجلاً ، فقلت لأبي الشبل : فأَي شيء قلت له أنت ؟ قال : قلت في نفسي : أَعْضَكَ اللهُ بظُرِّ أمِّك ونهضت .
[بعض نوادره]

أخبرني عمِّي عن محمد بن المَرْزبان بن الفيرزان قال : كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك الثُّكلى بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حَدَّثْنَا ببعضِ نوادرِكَ وطرائِفِكَ ؟ قال : نعم ، من طرائفِ أموري أَنَّ ابني زَنَى بجاريةِ سِنْدِيَّةٍ لبعضِ جيرانِي ، فحِيلَتْ وولدت ، وكانت قيمةُ الجاريةِ عشرين ديناراً ، فقال : يا أبتِ ، الصَّبِيُّ واللهِ ابني ، فساومتُ به ، فقيل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلَكَ ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبْلَى فأشتريتها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثَّمَنَيْنِ ، وأمسكتُ عن المساومة بالصَّبِيِّ حتى اشترته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، أيش يحملك على أن تُحْبِلَ هذه ؟ فقال : يا أبتِ لا أُسْتَحِبُّ العَزْلَ ، وأقبل على جماعةٍ عندي يعجبهم منِّي ، ويقول : شيخ كبير يأمرني بالعَزْلَ ويستحلّه ! فقلت له : يا ابن الزانية ، تستحلّ الزنا وتخرّج من العَزْلَ ! فضحكنا منه .
[مع خمار يهودي]

وقلت له : وأَي شيء أيضاً ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديٍّ خَمَّار ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيبيّاً ، فظننّاه خمرأً بنتَ عشر ، قد أنضَجَها الهَجِير ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا ، فقلت له : اشرب معنا ، قال : لا أُسْتَحِلُّ شَرْبَ الخمر ، فقال لي محمود : ويحك ! رأيت أعجب ممّا نحن فيه . يهوديٌّ يتحرّج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت له : أَجَلْ ، والله لا نُفْلِحُ أبداً ، ولا يعبأ الله بنا ، ثم شربنا حتى سَكِرنا ، وقمنا في الليل فنكنا بنته وأمراته وأخته ، وسرقنا ثيابه ، وخرّبنا في نقيرات نبيذٍ له وانصرفنا .
[هجاء هبة الله بن إبراهيم]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِيّ ، قال : وقعت لأبي الشبل البرُّجُمِيّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يَقْضِها فهجاه ، فقال : [من الرمل]

صَلَفٌ تَنْدُقُ مِنْهُ الرَقَبَةُ وَمَسَاوٍ لَمْ تُطَقِّهَا الْكَتَبَةُ

كَلِّمًا بَادَرَهُ بَدْرٌ بِمَا يَشْتَهِيهِ مِنْهُ نَادَى يَا أَبَتَهُ

لَيْتَهُ كَانَ التَّوَى الْفَرَجُ بِهِ لَمْ يَزِدْ فِي هَاشِمٍ هَذَا هِبَةُ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدرأ ، وكان غالباً على أمره .

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال : قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن

العبّاس يكتب ، فأنشأ يقول :

[من البسيط]

ينظّم اللؤلؤ المنشورَ منطَقه وينظّم الدرّ بالأقلام في الكتُبِ

[عبيد الله بن يحيى بن خاقان]

حدّثنا الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثني أبو الشبل البرجميّ قال : حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان إليّ محسناً ، وعليّ مُفضيلاً ، فجرى ذكرُ البرامكة ، فوصفهم الناس بالجدود ، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا ، فقمّت في وسط المجلس ، فقلت لعبيد الله : أيّها الوزير ، إنّي قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظّمته في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده عليّ ، وإنّما جعلته شعراً ليدور ويقيى ، فيأذن الوزير في إنشادهما قال : قل ، فربّ صوابٍ قد قلّته ، فقلت :

[من الطويل]

رأيتُ عبيدَ الله أفضلَ سُودداً وأكرمَ من فضلٍ ويحيى بن خالدٍ
أولئك جادوا والزّمانُ مُساعدٌ وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مُساعدٍ

فتهلّل وجهه عبيد الله وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطتُ أبا الشبل ، ولا كلّ هذا ، فقلت : والله ما حابيتُك أيّها الوزير ، ولا قلت إلا حقّاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريضه ، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع ، وتحتي دابةٌ بسرّجه ولجامه ، وبين يديّ خمسة آلاف درهم .

[الجاريتان الشاعرتان]

حدّثني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثني علي بن الحسن الشيبانيّ قال : حدّثني أبو الشبل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانتا تقولان الشعر ، فأتيت إحداها فتحدّثتُ إليها ، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم :

[من المتقارب]

أقام الإمامَ منارَ الهدى وأخرَسَ ناقوسَ عمُوريّة

ثم قلت لها : أجيزي ؛ فقالت :

[من المتقارب]

كساني المليكُ جلابيّه ثيابَ علاها بسمُوريّة

ثم دَعَتْ بطعام فأكلنا ، وخرجتُ من عندها ، فمضيت إلى الأخرى ، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : من عندِ فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بها ، وصدقتُ ، كانت أجملهما فكنتُ أبدأ بها ، ثم قالت : أمّا الطعام فاعلم أنّه لا حيلة لي في أن تأكله ، لعلمي بأنّ تلك لا تَدَعُكَ تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك في الشراب ؟ قلت : نعم ، فأحضرتُه

وأخذنا في الحديث ، ثم قالت : فأخبرني ما دار بينكما ؟ فأخبرتها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجدد البرد ، وبيتها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمورية ، أفلا قالت : [من المتقارب] فأضحى به الدين مستبشراً وأضحت زنادهما واريّة
فقلت : أنت والله أشعرُ منها في شعرها ، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك . والله أعلم .

[شعره في الشيب]

أخبرنا الحسن قال : حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه قال : أنشدني أبو الشبل لنفسه : [من الهزج]

عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ يَرْغَبُنِ عَنْ وَصْلِي
رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أَبْهَةً الْكَهْلِ
فَأَعْرَضَنْ وَقَدْ كُنَّ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّبْلِ
تَسَاعَيْنَ فَرَقْعَن الْكُؤَى بِالْأَعْيُنِ النَّجْلِ

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبِيِّ :

رَأَيْنَ الْغَوَايِي الشَّيْبَ لَاحَ بِمَقْرِقِي
وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنِي أَوْ سَمِعْنِي
فَأَعْرَضَنْ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
سَعَيْنَ فَرَقْعَن الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

[بخل حاتم بن الفرّج]

حدثني الحسن قال : حدثني ابن مَهْرُؤَيْه قال : حدثني أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرّج يعاشرني ويدعوني ، وكان أهتم ، قال أبو الشبل : وأنا أهتم ، وهكذا كان أبي وأهل بيتي ، لا تكاد تبقى في أفواههم حاكّة ، فقال أبو عمرو أحمد بن أبي النجم : [من السريع]

لِحَاتِمٍ فِي بُخْلِهِ فِطْنَةٌ أَدَقُّ حِسًّا مِنْ خُطَا النَّمْلِ
قَدْ جَعَلَ الْهَتَمَانِ ضَيْفَانَهُ فَصَارَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْأَكْلِ
لَيْسَ عَلَى خَبْزِ امْرِئٍ ضَبِيعَةٌ أَكِيلُهُ عُصْمٌ أَبُو الشَّبْلِ¹
مَا قَدَرُ مَا يَحْمِلُهُ كَفُّهُ إِلَى فَمٍ مِنْ سِنِّهِ عَطْلُ
فَحَاتِمُ الْجُودِ أَخُو طِيٍّ مَضَى وَهَذَا حَاتِمُ الْبَخْلِ

[الجارية السوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال : حدثني أبو العِيَاء قال : كانت لأبي الشبل

1 هكذا ورد اسمه في معجم المرزباني كما تقدّم .

البرجُميَّ جارية سوداء ، وكان يحبّها حبّاً شديداً ، فعوتب فيها ، فقال : [من المنسرح]

غدت بطولِ الملام عاذلةً تلومني في السواد والدّعج
ويحك كيف السلوّ عن غُررٍ مفترقات الأرجاء ، كالسَّجج¹
يحملن بين الأفخاذ أسنمةً تحرق أوبارها من الوهج
لا عذب الله مسلماً بهم غيري ولا حان منهم فرجي
فإنني بالسواد مبتهجٌ وكنت بالبيض غير مبتهج

[مجا جارية هاشم النحوي]

حدّثني عمي قال : حدّثني أحمد بن الطيّب قال : حدّثني أبو هريرة البصريّ النحويّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجميّ يعايب قينة لهاشم النحوي يقال له خنساء ، وكانت تقول الشعر ، فعيب بها يوماً فأفرط حتى أغضبها ، فقالت له : ليت شعري ، بأيّ شيء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعرُ منك ، لكن شئت لأهجونك حتى أفضحك ، فأقبل عليها وقال :

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجيرُ
تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جريرُ

قال : فخرجت حتى بان ذلك عليها وأمست عن جوابه .

[ذم المطر]

قال عمي : قال أحمد بن الطيّب : حدّثني أبو هريرة هذا قال : حدّثني أبو الشبل أنّها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاه غائبا فيه ، فلمّا حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منعها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلت أذم المطر :

[من البسيط]

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إنّ المواعيد مقرونٌ بها المطرُ
إنّ المواعيد والأعياد قد مُنيتْ منه بأنكدر ما يُمنى به بشرُ
أمّا الثياب فلا يغرك إن غسِلتْ صحوً شديد ولا شمس ولا قمرُ
وفي الشخصوس له نوءٌ وبارقةٌ وإن تبيت فذاك الفالجُ الذكرُ²
وإن همت بأن تدعو مغنيةً فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السحرُ

1 مفترقات الأرجاء : مختلفات نواحي الحسن . والسجج : خرز أسود .

2 الشخصوس : الخروج . تبيت : تحبس . الفالج الذكر : الشلل الشديد .

[نسيم من كلب وخزيره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم ، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجُمي سألَه إيَّاهَا ، فأخَّرَهَا نسيم ، فشكاه إلى عبيد الله ، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه ، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً :

قل لنسيم أنت في صورة	خُلِقْتُ من كلبٍ وخزيرَه
رَعَيْتَ دهرًا بعد أعفاجها	في سَلَحٍ مخمورٍ ومخمورَه ¹
حتى بدا رأسك من صدعها	زانية بالفسق مشهورَه
لا تقرب الماء إذا أجبت	ولا ترى أن تقرب النورَه
ترى نباتَ الشعرِ حولَ استها	درابزيناً حول مَقْصُورَه

[يهجو محمد بن حماد]

حدَّثني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدَّثني ابن مَهْرُويَه قال : كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش ، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه : [من مجزوء الرمل]

لابن حماد أيادٍ	عندنا ليست بدونٍ
عنده جارية تشد	ففي من الداء الدفين
ولها في رأس مولا	ها أكاليلُ قُرونٍ
ذات صدعٍ حاتميّ الـ	فعل في كين مكين
لا يرى منَعَ الذي يح	وي ولو أم البنين

[رثاء السراج]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيب قال : حدَّثني أبو هريرة النحويّ قال : كان أبو الشبل البرجُمي قد اشترى كبشاً للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراج وقارورة للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبَّ الزيت على ثيابه وكتفيه وفراشه ، فلمّا عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثي سراجَه :

يا عين بكِّي لفقد مسرّجةٍ كانت عمود الضياء والنورِ

كانت إذا ما الظلام ألبسني
 شقت بنبراسها غياطله
 صينية الصين حين أبدعها
 وقبل ذا بدعة أتيح لها
 وصكها صكة فما لبثت
 وإن تولت فقد لها تركت
 من ذا رأيت الزمان يأسره
 ومن أباح الزمان صفوته
 مسرجتي لو فديت ما بخلت
 ليس لنا فيك ما نقدره
 مسرجتي كم كشفت من ظلم
 وكم غزال على يديك نجا
 من لي إذا ما النديم دب إلى الد
 وقام هذا ييوس ذاك ، وذا
 وازدوج القوم في الظلام فما
 فما يصلون عند خلوتهم
 أوحشت الدار من ضيائك وال
 إلى الرواقين فالمجالس قال
 قلبي حزين عليك إذ بخلت
 إن كان أودى بك الزمان فقد
 دَع ذكرها واهج قرن ناطحها

من حنّيس الليل ثوب ديجور¹
 شقاً دعا الليل بالدياجير²
 مصوّر الحسن بالتصاوير
 من عقب الدهر قرن يعفور³
 أن وزدت عسكر المكاسير
 ذكراً سيبقى على الأعاصير
 فلم يشب يسره بتعسير
 فلم يشب صفوه بتكدير
 عنك يد الجود بالذنانير
 لكنما الأمر بالمقادير
 جليت ظلماءها بتنوير
 من دق خُصيه بالطوامير⁴
 دمان في ظلمة الدياجير
 يُعنى هذا بغير تقدير⁵
 تسمع إلا الرشاء في البير
 إلا صلاة بغير تطهير
 بيت إلى مطبخ وتنوير
 حريد مذ غبت غير معمور⁶
 عليك بالدمع عين تنمير
 أبقيت منك الحديث في الدور
 واسرد أحاديثه بتفسير⁷

1 الخندس والديجور : الظلمة .

2 غياطل الليل : اشتداد سواده .

3 يعفور : ظلي بلون التراب ، ويعني هنا أن قرن الكيش كان كقرن يعفور .

4 الطوامير : جمع طومار أو طامور ، وهو الصحيفة .

5 يعنى : يعانى على غير قياس .

6 المرید : محبس الإبل .

7 أسرد في ل : وانشر .

كان حديثي أَنِّي اشتريتُ فما اشد
 فلم أَزل بالنَّوى أَسْمَنُه
 أَبْرَدُ الماءِ في القِلالِ له
 تخدِمْهُ طَوْلَ كُلِّ ليلتها
 وهي من التَّيِّه ما تكلِّمني الـ
 شمس كأنَّ الظلام أَلْبَسها
 من جلدها خَفُّها وبرقعها
 فلم يزل يغتذي السرورَ ، وما الـ
 حتى عدا طَوْرَه ، وَحَقَّ لَمَن
 فمَدَّ قرنِه نحو مِسرَجَةٍ
 شدَّ عليها بقرْنِ ذِي حَنَقٍ
 وليس يَقْوَى بِرَوْقِه جَبَلٌ
 فكيف تقوى عليه مِسرَجَةٌ
 تكسرتُ كسرةً لها أَلَمٌ
 فأدركته شُعوبٌ فانشعبتُ
 أُدِيلَ منه فأدركته يدٌ
 يَلْتَهَبُ الموتُ في ظُباه كما
 ومزَّقته المُلْدَى فما تركت
 واغتاله بعد كسرها قَدَرٌ
 فمزَّقَتْ لحمَه بَرائِثُها

تريت كَيْشاً سليلَ خِنْزيرٍ
 والتبن والقَتِّ والأُتاجير¹
 وأَتَقِيَ فيه كلَّ محذورٍ
 خِدْمَة عبدٍ بالذلِّ مأسورٍ
 فصيح إلا من بعد تفكيرٍ
 ثوباً من الزَّفْتِ أو من القيرِ
 حَوراءٍ في غير خِلقة الحورِ
 محزونٌ في عيشة كمرورٍ
 يكفرُ نَعْمَى بِقُرْبِ تَغْيِيرِ
 تُعَدُّ في صون كلِّ مذخورٍ
 معوِّدٌ للنُّطاح مشهورٍ
 صَلَدٌ من الشُّمَخِ المَذاكيرِ²
 أَرَقُّ من جَوهرِ القَواريِرِ
 وما صحيحُ الهوى كمكسورٍ³
 بالرُّوعِ والشُّلُو غير مقتورٍ⁴
 من المنايا بحدِّ مطرورٍ⁵
 تلتهب النارُ في المساعيرِ⁶
 كفُّ القِرا منه غيرَ تعسيرِ⁷
 صيره نُهْزَة السَّنانيِرِ
 وبذرَّته أَشدُّ تبذيرِ

1 الشجير : ثفل كل شيء يعصر .

2 الروق : القرن . والشمخ المذاكير : الشاهقة القوية .

3 تكسرت في ل : فأنكسرت .

4 الشعوب : المنية . والروع : القلب . والشلو : الجسد .

5 حد مطرور : حد سكن محدد .

6 المساعير : ما تسعر به النار .

7 تعسير : التضيق ويعني به القليل .

واختلسته الحِداة خلّساً مع الـ
وصار حظّ الكلاب أعظمه
كم كاسٍ نحوَه وكاسرة
وخامعٍ نحوَه وخامعة
قد جعلتْ حول شِلْوِه عُرْساً
ولا مَغْنٌ سوى هَمَاهِمِها
يا كبشُ ذقْ إذ كسرتْ مسرّجتي
بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ مَنْ
أضحيتَ ما أظنّ صاحبها
في قَسَمه لحمَها بمأجورٍ

[رثاء قرطاس سرق]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني الحسن بن علي الشيباني قال : دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدّته ثلثَ قرطاس ، فسرقته منه ولم يَعْلَمْ بي ، فلمّا كان بعد أيّام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلثَ القرطاس : [من الخفيف]

فَكَرَ تَعْتري وَحزنٌ طويلُ
ليس يَكِي رَسْماً ولا طَلْلاً مـ
إنّما حزنُه على ثُلثِ قرطاسٍ
كان للسر والأمانة والكتـ
كان مثلاً الوكيل في كلّ سوق
كان للهَمُّ إن تراكَمَ في الصّد
لم يكن يَتَغَيّ الحِجابَ من الحُجّا
إنْ شكا حاجباً تشدّد في الإذ
يُرفَعُ الخيرُ عنه والرزق والكسـ
كان يُشْنَى في جِيبِ كلّ فتاةٍ
وسقيمٌ أنْحى عليه النُحُولُ
حجّ كما تُنْدَبُ الرُّيا والطلُولُ
لحاجاته فغالفته غُولُ
حمان إن باح بالحديث الرسولُ
إنْ تَلَكَّأَ أو ملّ يوماً وكيلُ
ر فلم يُشَفَّ من عليلٍ غليلُ
ب إن قيل ليس فيها دخولُ
ن فللحاجب الشقيّ العويلُ
وهُ فهو المطرود وهو الذليلُ
دونها خندقٌ وسورٌ طويلُ

1 الخامع : الذي يعرج في مشيه ، ويعني بها الضواري .

2 الهماهم : جمع مهمة . والعير : الإبل .

يقف الناس وهو أوّل من يد خله القصرَ غادةً عُطْبُولُ¹
 فإذا أُبْرزَتْه باح به في الـ قصر مسكٌ وعنبر مَعْلُولُ²
 وله الحبّ والكرامة ممّن بات صَبّاً والشّمّ والتقبيلُ
 ليس كالكاآب الذي بأبي الخ طَاب يُكْنَى قد شابه التطفيلُ
 ذا كريمٌ يُدعى ، وهذا طفيل يٌ وهذا وذا جميعاً دليلُ
 ذاك بالبشر والكرامة يُلقى ولهذا الحجاب والتنكيلُ
 لم يفِد وفده الزمان على الأُل سن منه عطفٌ ولا تنويلُ
 كان مع ذا عدل الشهادة مقبو لاً إذا عَزَّ شاهداً تعديلُ
 وإذا ما التوى الهوى بالأليفِ ن فلم يرَع واصلاً مَوْصُولُ
 فهو الحاكُم الذي قوله بي ن الأليفين جائزٌ مقبولُ
 فلن شَتَّ الزمانُ به شَم لَ دَوَاتِي وحانَ منه رحيلُ
 لَقديماً ما شَتَّ البينُ والأُل فَةً من صاحبٍ ، فصبر جميلُ
 لا تَلْمَنِي على البكاء عليه إنَّ فَقَدَ الخليل خطبُ جليلُ

قال : فرددته عليه ، وكان اتهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة ، فقال لي :
 ويلك ، جنيتَ ووقع أبو الخطاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنك صاحبها لكان هذا لك ،
 ولكنك قد سلمت .

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق .

2 معلول : مضاعف .

[269] - أخبار عثث

[نسبه]

كان عثث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ ، ظهر له منه طبع وحُسنٌ أخذٍ وأداء ، فعلمه الغناء ، وخرّجه وأدبه ، فبرع في صناعته ، ويكنى أبا دُلَيْجَة وكان مأبوناً ؛ والله أعلم .

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون قال : حدّثني عثث الأسود ، قال : مُخارق كُنَّاني بأبي دُلَيْجَة ، وكان السبب في ذلك أن أوّل صوت سمعني أغنيّه :

أبا دُلَيْجَة مَنْ توصي بأرملية أم من لأشعث ذي طمرين مِمحال¹
فقال لي : أحسنت يا أبا دُلَيْجَة ، فقبلتها وقبلت يده ، وقلت : أنا يا سيدي أبا المهنّا ؛
أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نَحلة منك . قال ميمون : وكان مخارق يشتهي غناؤه ويحزنه
إذا سمعه .

[ما وقع له في مجلس غناء]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطه ، حدّثني يعني بن حمدون قال : كنّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل ، وقد عزمنا على الصُّبوح ومعنا جعفر بن المأمون ، وسليمان بن وهب ، وإبراهيم بن المدبر ، وحضرت عريب وشارية وجواريهما ، ونحن في أتم سرور ، فغنت بدعة جارية عريب :

أعاذلتي أكثرَ جهلاً من العذلِ على غير شيء من ملامي وفي عذلي²
والصنعة لعريب ؛ وغنت عرفان :

إذا رام قلبي هجرها حالَ دونه شقيقان من قلبي لها جدلان
والغناء لشارية ، وكان أهل الظُّرف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين : عريية وشارية ، فمال كلّ حزب إلى من يتعصّب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتان لا تنطقان ، وكلّ واحدة من جواريهما تغني صنعة سيّتها لا تتجاوزها ، حتى

1 البيت لأوس بن حجر ورواية الديوان ص 103 : من يُوصى . . . طملا ، وهو الفقير .

2 البيت لجميل بن معمر كما سيأتي .

غَنَّت عرفان :

[من الخفيف]

بأبي مَنْ زارني في منامي فدنا مني وفيه نِفارُ

فأحسنتُ ما شئت ، وشرنُنا جميعاً ، فلماً أمسكتُ قالت عريب لشارية : يا أختي لمن هذا اللحن ؟ قالت : لي ، كنت صنعته في حياة سيدي ، تعني إبراهيم بن المهدي ، وغنيته إياه فاستحسنه ، وعرضه على إسحاق وغيره فاستحسنوه ، فأسكتُ عريب ، ثم قالت لأبي عيسى : أحب يا بني ، فديتك ، أن تبعث إلى عنث الأسود فتجيني به ، فوجه إليه ، فحضر وجلس ، فلماً اطمأن وشرب وغنى ، قالت له : يا أبا دليجة أو تذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر ، فسألته أن يطرحه عليك ؟ قال : وهل تنسى العذراء أبا عذرها ، نعم ، والله إني لذاكره حتى كأننا أمسِ افترقنا عنه . قالت : فغنى ، فاندفع فغنى الصوت الذي ادعته شارية حتى استوفاه وتضاحكت عريب ، ثم قالت لجواربها : خذوا في الحق ، ودعونا من الباطل ، وغنوا الغناء القديم . فغنت بدعة وسائر جوارب عريب ، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها ، ولم تنتفع هي يومئذ بنفسها ، ولا أحد من جواربها ولا متعصبيها أيضاً بأنفسهم .

[في مجلس المتوكل]

قال : وحديثي يحيى بن حمدون قال : قال لي عنث الأسود : دخلت يوماً على المتوكل وهو مصطبج وابن المارقي يغنيه قوله :

[من الطويل]

أقاتلتني بالجد والقُدَّ والخدَّ وباللون في وجه أرق من الورد

وهو على البركة جالس ، وقد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه ، فجلست ساعة ثم قمت لأبول ، فصنعت هزجاً في شعر البحري الذي يصف فيه البركة :

[من البسيط]

صوت

إذا النجومُ تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها
وإن علتها الصبا أبدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها¹
وزادها زينة من بعد زيتها أن اسمه يوم يُدعى من أساميها

فما سكت ابن المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعت أغني هذا الصوت ، فأقبل علي وقال لي : أحسنت وحياتي ، أعذ ؛ فأعدت ، فشرب قدحاً ، ولم يزل يستعديني ويشرب

1 الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

حتى أتكا ، ثم قال للفتح : بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخِلعة تامّة واحمله على شهري¹ فارِه بسرّجه ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمع .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

أعاذلّتي أكثرتِ جهلاً من العَذْلِ على غير شيء من ملامي ولا عذلي
نأيتِ فلم يُحدِث لي النَّأي سَلوةً ولم ألفِ طول النَّأي عن خُلة يُسلي
عروضه من الطويل ، الشعر لجَميل ، والغناء لَعَرِيب ، ثَقِيل أوّل بالبَنَصِر .

صوت

[من الطويل]

إذا رامَ قلبي هجرها حالَ دونه شفيعان من قلبي لها جَدِلان
إذ قلتُ لا ، قالا بلى ، ثم أَصَبَحا جميعاً على الرأي الذين يَريان
عروضه من الطويل ، والناس يَنسُبُون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام ، وليس له .
الشعر لعلّي بن عمرو الأنصاري ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسرّاً من رأى
كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي ، والغناء لشارية ، ثَقِيل أوّل بالوسطى ، وقيل إنّه من صنعة
إبراهيم ، ونَحَلها إِيّاه ، وفيه لَعَرِيب خَفِيف رَمَلٍ بالبَنَصِر .

صوت

[من الخفيف]

بأبي من زارني في منامي فدنا منّي وفيه نِفارُ
ليلةً بعدَ طُلوعِ الثُّرَيّا وليالي الصَّيْف بُتِرَ قِصارُ
قلت هُلْكي أم صلاحِي فَعَطُفاً دون هذا منك فيه الدَّمَارُ
فدنا منّي وأعطى وأَرْضى وشفى سَقَمي ولَذَّ المَزَارُ
لَمْ يَقَعْ إلينا لِمَن الشعرُ ، والغناء لَزُبَيْر بن دَحْمان ، ثَقِيل أوّل بالوسطى ، وهو من جيّد صَنعَتِهِ
وصدورِ أَغانيهِ .

1 الشهري : ضرب من البراذين .

أخبرني ابن عليّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا أحمد بن طَيِّفُور قال : كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب إليه في يوم دَجَن : «يومنا يومٌ ظريفُ النواحي ، رقيقُ الحواشي ، قد رَعَدَتْ سَمَاؤُهُ وَبَرَقَتْ ، وَحَنَّتْ وَارْجَحَنْتْ¹ ، وَأَنْتَ قَطْبُ السُّرُورِ ، وَنِظَامُ الْأُمُورِ ، فَلَا تُفَرِّدْنَا مِنْكَ فَنَقْلَ ، وَلَا تَفَرِّدْ عَنَّا فَنَذِلَّ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ بِأَخِيهِ كَثِيرٌ ، وَبِمُسَاعَدَتِهِ جَدِيرٌ » . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل ، وحضرهم عَثَثُ الْأَسُودِ ، فقال أحمد :

صوت

أَرَى غَيْمًا يُؤَلِّفُهُ جُنُوبُ وَأَحْسَبُهُ سَيِّئَاتِنَا يَهْطُلُ
فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ فَتَشْرِبُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ
وَتَسْقِيهِ نَدَامَانَا جَمِيعًا فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ بِغَيْرِ عَقْلِ
فَيَوْمَ الْغَيْمِ يَوْمُ الْغَمِّ إِنْ لَمْ تَبَادُرْ بِالْمُدَامَةِ كُلَّ شُغْلٍ
وَلَا تُكْرِهَ مُحَرَّمَهَا عَلَيْهَا فَإِنِّي لَا أَرَاهُ لَهَا بِأَهْلٍ
قال : وَغَنَّى فِيهِ عَثَثُ اللَّحْنِ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَغْنَى بِهِ الْيَوْمَ .

صوت

[من الطويل]

تَرَى الْجُنْدَ وَالْأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ كَمَا وَرَدَتْ مَاءُ الْكَلَابِ هَوَامِلُهُ
إِذَا مَا أَتَوْا أَبُوبَهُ قَالَ : مَرْحَبًا لِيَجُؤَا الدَّارَ حَتَّى يَقْتُلَ الْجُوعَ قَاتِلُهُ
عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الْهَوَامِلُ : الَّتِي لَا رِعَاءَ لَهَا ، وَلِجُؤَا : ادْخُلُوا ، يَقَالُ : وَلَجَ يَلْجُ
وَلَجًا . وَقَوْلُهُ : «حَتَّى يَقْتُلَ الْجُوعَ قَاتِلُهُ» : أَيُّ يَطْعَمُكُمْ فَيَذْهَبُ جُوعَكُمْ ، جَعَلَ الشُّعْبُ
قَاتِلًا لِلْجُوعِ .
الشَّعْرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَابْنِ سُرَيْجٍ ، رَمَلَ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى
عَنْ إِسْحَاقَ .

1 ارجحن السحاب : مال من ثقله .

[270] - أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه¹

[نسبه]

عبد الله بن الزبير بن الأشثيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقِذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة .

أخبرني بذلك أحمد² عن الخراز عن ابن الأعرابي وعن ابن مَهْرُويه عن أبي مسلم عن ابن الأعرابي ، وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب لهم والنصرة على عدوهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسن إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب ، ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القائل يعني نفسه : [من الوافر]

فقال : ما فعلت أبا كثير أصبح الودّ أم أخلفت بعدي³ ؟

وهو أحد الهجائين للناس ، المرهوب شرهم .

[خلافة مع عبد الرحمن بن أم الحكم]

قال ابن الأعرابي : كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشثيم ، من رهط عبد الله بن الزبير دنية⁴ ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً إلى معاوية ، ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد ، يقال لأحدهما أكل⁵ بن ربيعة من بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قُعين ، وعدي بن الحرث أحد بني العُدان من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير : خذ من بني عمك ديتين لقتيلك ، فأبى نصر ، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي

1 ترجمة عبد الله بن الزبير الأسدي في خزائن البغداد 2 : 264-266 وشرح الحماسة للمرزوقي :

941-942 . وقد جمع د . يحيى الجبوري شعره ، فانظر مقدمته وأعلام الزركلي .

2 ل : عمي .

3 سيرد البيت بلفظ «أم أخلفت عهدي» .

4 دنية : لحاً .

5 لعله أكل أو أكل .

ابن الزبير ، وكان ابن أمّ الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فياض ، فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاده وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أمّ الحكم ، وكان يزيد يُغضه ويتنقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير قصيدة أولها قوله¹ :

أبى الليل بالمرآن أن يتصرّما	كأنّي أسوم العَيْنَ نوماً مُحَرّماً ²
ورُدُّ بثنِيّته كأن نجومه	صوّارٌ تناهى من إراني فقوّمأ ³
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني	أُمرّ بنات الدرّ ثدياً مُصرّماً ⁴
وسوقَ نساء يسلبون ثيابها	يُهادونها همدان رِقاً وخنعمأ ⁵
على أيّ شيء يا لويّ بن غالب	تُجيبونَ مَنْ أجرى عليّ والجما ⁶
وهاتوا فقصوا آية تقرأونها	أحلتْ بلادِي أن تباح وتظلمأ
والأ فأقصي الله بيني وبينكم	وولّى كثيرَ اللؤمِ مَنْ كان ألماً
وقد شهدتنا من ثقيف رِضاة	وغيبَ عنها الحومَ قوأمُ زمزما ⁷
بنو هاشم لو صادفوك تجدّها	ميجتَ ولم تملك حيازيمك الدما ⁸
ستعلم إن زلت بك النعل زلة	وكلّ امرئ لاقى الذي كان قدماً
بأنك قد ماطلت أنياب حية	ترجّي بعينها شجاعاً وأرقماً
وكم من عدوّ قد أراد مساءتي	بغيب ولو لاقيته لتندما
وأنتم بني حام بن نوح أرى لكم	شفاهاً كأذئاب المشاجر ورماً ⁹
فإن قلت خالي من قريش فلم أجِد	من الناس شراً من أبيك وألماً

1 شعره : 126-129 عن الأغاني .

2 المران : موضع .

3 ثيا الجبل : طرفاه . الصوار : القطيع من البقر . الأران : النشاط . وقومت الدابة : إذا أكلت وأعيت فوقفت ولم تسر .

4 الدر : اللبن . المصرم : المقطوع .

5 يهادونها في ل : يقيدونها .

6 أجرى : أي أجرى الخيل للغارة .

7 قوام زمزم : القائمون بسقاية الحاج .

8 تجدها : تقطعها . والحيزوم : وسط الصدر .

9 المشاجر : جمع مشجر وهو عود الهودج .

صغيراً ضغاً في خرقة فأمضه¹ مُربيه حتى إذ أهماً وأفظماً¹
 رأى جلدة من آل حام متينة² ورأساً كأمثال الجريب مؤوماً²
 وكنتم سقيطاً في ثقيف ، مكانكم بني العبد ، لا تُوفي دماؤكمو دما³

قال ابن الأعرابي : ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله بن زياد ، فقال ابن الزبير⁴ :

أبلغ عبيد الله عني فإنني رمية ابن عوذ إذ بدت لي مقاتلة⁵
 على قفرة إذ هابه الوفد كلهم ولم أك أشوي القرن حين أناضلة⁵
 وكان يُماري من يزيد بوقعة⁶ فما زال حتى استدرجته حباله⁶
 فتقصيه من ميراث حرب ورهطه وآل إلى ما ورثته أوائله⁶
 وأصبح لما أسلمته حبالهم ككلب القطار حلّ عنه جلاله⁶

ونسخت من كتاب جدّي لأُمّي يحيى بن محمد بن ثوبة ، قال يحيى بن حازم وحدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلى عن القاسم بن معدان : أنّ عبد الرحمن بن أمّ الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسديّ لما بلغه أنّه هجاه ، فهذم داره وأخرجه ، فأتى معاوية فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمة دارك ؟ فاستشهد أسماء بن خارجه ، وقال له : سلّه عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكني رأيته بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج⁷ ، فأمر له معاوية بألف⁸ درهم ، قال : وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفده عند معاوية ، ولم تكن داره إلّا خصاص قصّب .

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة ، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة ، فسأته امرأة عبد الرحمن عنه ، فقال لها : تركته يسأل إلخافاً ، وينفق إسرافاً ، وكان محمّلاً ، ولآه معاوية خاله عدّة أعمال ، فذمه أهلها وتظلموا منه ؛ فعزله وأطرحه ، وقال له : يا

1 ضغاً : ضج وصاح . أمضه : آله . أهماً : جعل آله وذويه يهتمون به .

2 الجريب : مكيال . المؤوم : العظيم الرأس أو المشوه .

3 السقيط : الأحمق الناقص العقل ، واللتيم في حسبه ونفسه .

4 شعره : 118 عن الأغاني .

5 أشوي : أصيب ما ليس مقتلاً .

6 الجلال : السيور .

7 الساج : خشب أسود رزين .

8 سترد هذه الحكاية مرة أخرى ولكن رقمي ثمن الساج والعطية سيصبحان عشرين ألفاً ومائة ألف .

بنيّ ، قد جهدتُ أن أنفقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أمّ الحكم بنت أبي سفيان بن حرب : يا أخي ، زوج ابني بعض بناتك ؛ فقال : ليس هنّ بكفاء ؛ فقالت له : زوجني أبو سفيان أباه ، وأبو سفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ؛ فقال لها : يا أختي : إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حيثنّ يشتهي الزّيب ، وقد كثر الآن الزّيب عندنا ، فلن نزوج إلا الأكفاء .
[مدح عمرو بن عثمان بن عفّان]

حدّثنا الحسن بن الطيّب البلخي الشجاعيّ قال : حدّثني أبو غسان قال : بلغني أن أوّل من أخذ بعينة¹ في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان ، أتاه عبد الله بن الزّبير الأسديّ ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً ، فدعا وكيله وقال : اقترض لنا مالاً ؛ فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً . قال : فأربحهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلاف درهم ، باثني عشرة ألف ، فوجّه إليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله بن الزّبير في ذلك² :
[من الطويل]

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قدى عينيه حتى تجلّت³

[مدحه أسماء بن خارجة]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازةً قال : حدّثني أحمد بن عرفة المؤدّب قال : أخبرني أبو المصّب عادية بن المصّب السّلوليّ قال : أخبرني أبي قال : كان عبد الله بن الزّبير الأسديّ قد مدح أسماء بن خارجة الفزاريّ فقال :

صوت

تراه إذا ما جئته مهلاً كأنك تعطيه الذي أنت نائلة
ولو لم يكن في كفه غير رُوحه لجاد بها فليتيّ الله سائلة

[غنى في هذين البيتين هزجاً بالبصر]

فأثابه أسماء ثوباً لم يرضه ، فغضب وقال يهجوّه⁴ :

[من الطويل]

1 العينة : الرّيا .

2 شعره : 142 . وقد جعلها جامعه في ما ينسب إلى ابن الزّبير وغيره . وفي وفيات الأعيان (3 : 478 ، 6 : 232) أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي في عمرو بن مسعدة .

3 الخلّة : الحاجة والفقّر .

4 شعره : 93 .

بَتَّ لَكُمْ هَنْدٌ بَلْدِيعٌ بَطْرَهَا دَكَكَيْنَ مِنْ جِصٍّ عَلَيْهَا الْمَجَالِسُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا رَهْزُ هَنْدٍ بِيْظَرَهَا لَعُدَّ أَبُوْهَا فِي الثَّامِ الْعَوَابِسُ¹

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه ، فاعتذر من فعله بضيقة شكاهها ، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة في كل سنة ، واقتطعه جنتيه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصاً في بناء ولا غيره إلا ذكرتُ بَطْرَ أمكم هند فخجلتُ .

[ابن أم الحكم يحسه]

أخبرني عمي عن ابن مَهْرُؤَيْهِ ، عن أبي مسلم ، عن ابن الأعرابي قال : حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جنابة وضَعَهَا عليه ، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يَلْطُفُ في أمره ، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم في أمره حتى يخلصه ، فأطلق² شفاعته ، وكساه أسماء ووصله ! وجعل له ولعياله جارية دائمة من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير ، يقول فيها³ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ أَرْسَلَ فَاَنْتَقَى حَلِيفَ صَفَاءٍ وَأَتَى لَا يُزَايِلُهُ
تَخَيَّرَ أَسْمَاءُ بْنُ حِصْنٍ فُبْطِنَتْ بفعل العُلا أَيْمَانُهُ وَشَمَائِلُهُ
وَلَا مَجْدَ إِلَّا مَجْدُ أَسْمَاءَ فَوْقَهُ وَلَا جَرِيَّ إِلَّا جَرِيُّ أَسْمَاءَ فَاضِلُهُ
وَمَحْتَمِلٍ ضِغْنًا لِأَسْمَاءَ لَوْ جَرَى بِسَجْلَيْنِ مِنْ أَسْمَاءَ فَارَتْ أَبَا جِلُهُ⁴
عَوَى يَسْتَجِيشُ النَّابِجَاتِ وَإِنَّمَا بِأَنْبِيَاهِ صُمُّ الصَّفَا وَجَنَادِلُهُ⁵
وَأَقْصَرَ عَنْ مَجْرَاةِ أَسْمَاءَ سَعِيهِ حَسِيرًا كَمَا يَلْقَى مِنَ التُّرْبِ نَاخِلُهُ⁶
وَفَضَّلَ أَسْمَاءَ بْنَ حِصْنٍ عَلَيْهِمْ سَمَاحَةً أَسْمَاءُ بْنُ حِصْنٍ وَنَائِلُهُ
فَمَنْ مِثْلُ أَسْمَاءَ بْنَ حِصْنٍ إِذَا غَدَتْ شَائِبِيهِ أَمْ أَيُّ شَيْءٍ يَعَادِلُهُ

1 في البيت إقواء .

2 أطلق شفاعته : أي قبل شفاعته دون شرط أو استثناء .

3 شعره : 120-123 .

4 السجل : الشوط . الأباجل : جمع أبجل وهو العرق الأكحل في الذراع .

5 يستجيش النابحات : يستثير الكلاب النابحة . والصفاء : الحجر الصلد . أي أنه لا ينال منه إلا ما يناله العاض على الحجارة الصلدة .

6 حسير : كليل .

وكنت إذا لاقيت منهم خطيطةً لقيتُ أبا حسانَ تَدَى أَصائِلُهُ¹
تَضَيُّفُهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ سَيِّهَهُ وذو يَمَنِ أَحْبُوشُهُ وَمَقَاوِلُهُ²
فَتَنِي لَا يَزَالُ الدَّهْرُ مَا عَاشَ مُخْصِيًّا ولو كان بِالْمُؤَمَّةِ تَخْذِي رَوَاحِلُهُ³
فَأَصْبَحَ : مَا فِي الْأَرْضِ خَلَقٌ عِلْمُهُ من النَّاسِ إِلَّا بَاعُ أَسْمَاءِ طَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ⁴
تَرَى الْجَنْدَ وَالْأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ كما وَرَدَتْ مَاءَ الْكَلَابِ نَوَاهِلُهُ
إِذَا مَا أَتَوْا أَبْوَابَهُ قَالَ : مَرْحَبًا لَجُّوا الْبَابَ حَتَّى يَقْتُلَ الْجَوْعُ قَاتِلُهُ
تَرَى الْبَايِلَ الْبُخْتِيَّ فَوْقَ خِيَوَانِهِ مَقْطُوعَةً أَعْضَاؤُهُ وَمِفَاصِلُهُ
إِذَا مَا أَتَوْا أَسْمَاءَ كَانَ هُوَ الَّذِي تَحْلُبُ كَفَّاهُ النَّدَى وَأَنَامِلُهُ
تَرَاهُمْ كَثِيرًا حِينَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ فَتَسْتَرْهُمْ جُذُرَانُهُ وَمَنَازِلُهُ
قال : فَأَعْطَاهُ أَسْمَاءَ حِينَ أَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَلْفِي دِرْهَم .

[عند عبيد الله بن زياد]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٌ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَدْنَانَ عَنْ
الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا : دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا عَلَى
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ وَعِنْدَهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ حِينَ قَدِمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الشَّامِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ
يَدَيْهِ أَنْشَأَ يَقُولُ⁵ :

حَنْتَ قَلُوصِي وَهَنَا بَعْدَ هَذَا تَهَا فَهَيَّجْتُ مَغْرَمًا صَبًّا عَلَى الطَّرَبِ
حَنْتَ إِلَى خَيْرٍ مَنَ حُتَّ الْمَطْيُ لَهُ كَالْبَدْرِ بَيْنَ أَيْيِ سَفِيَانٍ وَالْعُتْبِ
تَذَكَّرْتُ بِقُرَى الْبَلْقَاءِ نَائِلُهُ لَقَدْ تَذَكَّرْتُهُ مِنْ نَازِحٍ عَزَبِ⁶
وَاللَّهِ مَا كَانَ بِي لَوْلَا زِيَارَتُهُ وَأَنْ أَلْقَى أَبَا حَسَانَ مِنْ أَرْبِ
حَنْتَ لَتَرْجِعَنِي خَلْفِي فَقُلْتُ لَهَا هَذَا أَمَامُكَ فَالْقِيَهُ فَتَى الْعَرَبِ

1 الخطيطة : النقص والبخس . وأبو حسان : كنية أسماء بن خارجة .

2 أحبوش : جماعة الحبش . والمقاويل : جمع مقول والقليل ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .

3 المؤممة : المفازة .

4 هذا البيت لزهير في ديوانه : 124 .

5 شعره : 60-61 .

6 العزب : البعيد .

لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ولا يعاقب عند الحِلْم بالغضب
 من خير بيت عَلِمناه وأكرمِه كانت دماؤهم تُشفي من الكَلْب
 قال ابن الأعرابي: كانت العربُ تقول: مَنْ أصابه الكَلْب والجنونُ لا يبرأ منه إلى أن
 يُسقى من دمِ مَلِك ، فيقول: إنّه من أولاد الملوك .

بقية أخبار عبد الله بن الزبير

[من الذي هدم دار أسماء]

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ بالكوفة قال: حدّثنا سليمان بن الربيع البرجميّ قال: حدّثنا مُضَرُّ بن مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مِخْنَف ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا الحارث بن محمد قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ ، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابيّ في روايته عن المفضل ، وقد دخل بعضهم في حديث الآخرين ، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر فقال: «لَتَنْزِلَنَّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة دُهماء ، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» . وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه في قَتْلَةِ الحسين عليه السلام ، لما كان من معاونته عبيدَ الله بن زياد على هانيء بن عروة المراديّ حتى قتل ، وحركته في نصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال¹:

أُركبُ أسماءَ الهماليجَ آمناً وقد طلبته مَذْحِجٌ بقتيل²!

يعني بالقتيل هانيء بن عروة المراديّ ، وكان المختار يحتال ويدبّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره ، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال: أَوَقَدْ سَجَعَ بي أبو إسحاق ؟ لا قرارَ على زارٍ من الأسد³ ، وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ، ففاته ، فأمر بهدم داره ، فما تقدّم عليها مضريّ بنة لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس ، فتولّت ربيعة واليمنُ هدمها ، وكانت بنو تميم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير⁴:

1 هذا البيت ينسب لابن الزبير ولغيره . انظر مجموع شعره : 115-117 .

2 في مجموع شعره : «بدحول» بدلاً من «بقتيل» .

3 المثل «لا قرار على زارٍ الأسد» في مجمع المياني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 376 ومستقصى الرمخشري 2 : 380 ، وهو عجز بيت للناطقة :

أنبت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زارٍ من الأسد

4 شعره : 74-78 .

نَأْوَبَ عَيْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ سُهُودَهَا وَوَلَّى عَلَى مَا قَدْ عَرَاهَا هُجُودَهَا
 كَأَنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ أَبْطَنَ نَحْلَةً وَعَاوَدَهَا مِمَّا تَذَكَّرُ عَيْدَهَا¹
 مَخْصَرَةً مِنْ نَحْلِ جَيْحَانَ صَبْعَةً لَوَى بِجَنَاحِهَا وَلَيْدٌ يَصِيدُهَا²
 مِنَ اللَّيْلِ وَهْنًا ، أَوْ شَطِيطَةً سُنْبُلٍ أَذَاعَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ يُذْرَى حَصِيدُهَا³
 إِذَا طُرِفَتْ أَذْرَتْ دُمُوعًا كَأَنَّهَا نَثِيرُ جُمَانٍ بَانَ عَنْهَا فَرِيدُهَا⁴
 وَبَتْ كَأَنَّ الصَّدْرَ فِيهِ ذُبَالَةٌ شَبَا حَرَّهَا الْقِنْدِيلُ ، ذَاكِ وَقُودُهَا
 فَقُلْتُ أَنَا جِي النَّفْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَذَاكَ اللَّيَالِي نَحْسُهَا وَسُعُودُهَا
 فَلَا تَجْزَعِي مِمَّا أَلَمَ فَإِنِّي أَرَى سَنَةً لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهَا⁵
 أَتَانِي وَعَرَّضُ الشَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَحَادِيثُ وَالْأَنْبَاءُ يَنْمِي بَعِيدُهَا
 بَأَنَّ أَبَا حَسَّانَ تَهْدِمُ دَارَهُ لُكَيْزٌ سَعَتْ فُسَّاقُهَا وَعَبِيدُهَا⁶
 جَزَتْ مُضَرًّا عَنِّي الْجَوَازِي بِفَعْلِهَا وَلَا أَصْبَحْتُ إِلَّا بِشَرٍّ جُدُودُهَا
 فَمَا خَيْرُكُمْ ؟ لَا سَيِّدًا تَنْصُرُونَهُ وَلَا خَائِفًا إِنْ جَاءَ يَوْمًا طَرِيدُهَا
 أَخَذَلَانَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَمَسْأَلَةٌ مَا إِنْ يَنَادِي وَلِيدُهَا⁷
 لَأُمِّكُمْ الْوَيْلَاتُ أَتَى أُتَيْتُمْ جَمَاعَاتُ أَقْوَامٍ كَثِيرٍ عَدِيدُهَا
 فَيَا لَيْتَكُمْ مِنْ بَعْدِ خَذَلَانِكُمْ لَهُ جَوَارٍ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا عُقُودُهَا
 أَلَمْ تَغْضَبُوا تَبًّا لَكُمْ إِذْ سَطَّتْ بِكُمْ مَجُوسُ الْقُرَى فِي دَارِكُمْ وَيَهُودُهَا !
 تَرَكْتُمْ أَبَا حَسَّانَ تَهْدِمُ دَارَهُ مَشِيدَةً أَبْوَابَهَا ، وَحَدِيدُهَا
 يَهْدِمُهَا الْعِجْلِيَّ فَيْكُمْ بِشُرْطَةٍ كَمَا نَبَّ فِي شَيْلِ التُّيُوسِ عُتُودُهَا⁸
 لِعَمْرِي لَقَدْ لَفَّ الْيَهُودِيُّ ثَوْبَهُ عَلَى غَدْرَةِ شَنْعَاءَ بَاقٍ نَشِيدُهَا

1 عيدها : العيد هو ما اعتاده المرء من هم أو حزن أو مرض .

2 جيحان : نهر بالشام .

3 أذاعت به : ذهبت به . والأرواح : جمع ريح .

4 فريدها : نفيسها .

5 السنة : القحط .

6 لكيز : قبيلة .

7 من المثل : «هم في أمر لا ينادى وليده» ، أي في شدة تنسى الأم وليدها فلا تناديه .

8 نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من ولد الماعز : ما رعى وقوي حتى أتى عليه الحول .

فلو كان من قحطان أسماء شمّرت
كثائبُ من قحطان صَعُرَ خدودُها
ففي رجب أو غُرّة الشهر بعده
تزوركم حُمُرُ المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم
كثائبُ فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت
ففي النار سقياه هناك صديدها

وقال ابن مَهْرُويّة : أخبرني به الحسن بن علي عنه ، حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي : أنّ مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام ، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة ، وقتل عمرو بن سعيد ، وكان أسماء أمويّ الهوى ، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرّقها ، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك : [من الطويل]

تأوّب عين ابن الزبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها ، وهذا الخبر أصحّ عندي من الأوّل ، لأنّ الحسن بن علي حدّثني قال : حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني عمّي مصعب قال : لما ولي مصعب بن الزبير العراق ، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسديّ ، فقال له : إيه يا ابن الزبير ، أنت القائل : [من الطويل]

إلى رَجَب السبعين أو ذاك قبله
تصبّحكم حُمُر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم
كثائبُ فيها جبرئيل يقودها

فقال : نعم أنا القائل لذلك ، وإنّ الحقيّن ليأبى العذرة¹ ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أما إنّي ما أصنع بك إلّا خيراً ، أحسن إليك قوم فأحبّتهم وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرّماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويثنيّه بذكره ، فلمّا قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس ، فعرف ابن الزبير خبره ، وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير ، فاستقبله بوجهه وقال له : [من الطويل]

أبا مطر شلت يمين تفرّعت
بسيفك رأس ابن الحواري مصعب

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سبق السيف»

1 المثل «أبى الحقيّن العذرة» في مجمع الميداني 1 : 42 وجمهرة العسكري 1 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 31 ، ومعناه أن اللين المحقون يكذب الاعتذار بعدم وجود اللين ، يضرب للرجل يعتذر ولا عذر له .

العَدْل¹ ، قال : فكان ابن ظبيانَ بعد قتله مصعباً لا يَنْتَفِعُ بنفسِه في نوم ولا يَقْظَة ، كان يهْوُلُ عليه في منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونَهَكَ ، فلم يزل كذلك حتى مات .
[عبيد الله بن زياد يجيزه]

وقال ابن الأعرابي : لما قَدِمَ ابنُ الزُّبيرِ من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانتِه وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدراار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِنَ له ، فأنشده قصيدته التي أولها² : [من الطويل]

صوت

أَصْرَمَ بليلى حَدِيثٌ أَمْ تَجُنُّبُ أَمْ الحِجْلُ مِنْهَا وَاهِنٌ مُتَقَضُّبُ
أَمْ الودَّ مِنْ ليلي كعهدي مكانه وَلَكِنْ ليلي تستزيد وتَعْتَبُ

غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حُيْنَ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ . [من الطويل]

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا لَيْلَ أُنِّي لَيْنٌ هَضُومٌ وَأُنِّي غَنْبَسٌ حِينَ أَغْضِبُ³
وَأُنِّي مَتَى أَتَفَقُ مِنَ الْمَالِ طَارِفاً فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَثُوبَ الْمُثُوبُ
أَنَّ تَلِفَ الْمَالِ التَّلَادُ بِحَقِّهِ تَشْمُسُ لَيْلِي عَنْ كَلَامِي وَتَقْطُبُ
عَشِيَّةً قَالَتْ وَالرَّكَابُ مُنَاحَةٌ بِأَكْوَارِهَا مُشْدُودَةٌ : أَيْنَ تَذْهَبُ ؟
أَفِي كُلِّ مَصْرِ نَازِحٍ لَكَ حَاجَةٌ كَذَلِكَ مَا أَمْرُ الْفَتَى الْمُتَشَعِّبُ
فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تَلْبُثُ نَاقَتِي وَتَقْسِمُ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تُغْرِبُ
دَعِينِي مَا لِلْمَوْتِ عَنِّي دَافِعٌ وَلَا لِلذِّي وَلَّى مِنَ الْعَيْشِ مَطْلَبُ
إِلَيْكَ عَبِيدَ اللَّهِ تَهْوِي رَكَابُنَا تَعَسَّفُ مَجْهُولَ الْفَلَاةِ وَتَدَابُ
وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ عَيُونَهَا نِطَافُ فَلَاقِ مَاؤَهَا مُتَصِيبُ
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَشْتَكِي الْأَيْنَ إِنَّهُ أَمَامَكَ قَرَمٌ مِنْ أُمِّةٍ مُصْعَبُ⁴
إِذَا ذَكَرُوا فَضْلَ امْرِئٍ كَانَ قَبْلَهُ فَفَضْلُ عَبِيدِ اللَّهِ أَثَرِي وَأَطِيبُ

1 المثل «سبق السيف العدل» في مجمع الميداني 1 : 73 وفصل المقال 67 ومستقصى الزمخشري 2 : 115 وجمهرة العسكري 1 : 377 .

2 شعره : 49-51 .

3 الهضوم : المنفق لماله . والعنيس : الأسد .

4 الأين : الاعياء . ومصعب : مسود .

وَأَتَكَ لَوْ يُشْفِي بِكَ الْقَرْحُ لَمْ يُعِدْ وَأَنْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَابٌ وَمِخْلَبُ
تَصَافَى عُبَيْدُ اللَّهِ وَالْمَجْدُ صَفْوَةٌ أَلْ حَلِيفَيْنِ مَا أَرَسَى ثَبِيرٌ وَيَثْرِبُ
وَأَنْتَ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَوَّلُ سَابِقِ فَأَبْشِيرِ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ مَا كُنْتَ تَطْلُبُ
أَعْنِي بِسَجَلٍ مَنْ سِجَالِكَ نَافِعِ فَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ سَرَى لَكَ مِخْلَبُ¹
فَإِنَّكَ لَوْ إِيَّاي تَطْلُبُ حَاجَةً جَرَى لَكَ أَهْلٌ فِي الْمَقَالِ وَمَرْحَبُ

قال : فقال له عُبَيْدُ اللَّهِ ، وقد ضحك من هذا البيت الأخير : فَإِنِّي لَا أَطْلُبُ إِلَيْكَ حَاجَةً ،
كَمْ السَّجَلُ الَّذِي يُرْوِيكَ ؟ قال : نَوَالُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ يَكْفِينِي ، فَأَمْرٌ لَهُ بَعَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ .
[الصادق المتغیر]

قال ابن الأعرابي : كَانَ نُعَيْمُ بْنُ دُجَانَةَ بْنِ شَدَّادِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُقَيْدِ بْنِ طَرِيفِ
صَدِيقاً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُ قَوْلُ قَبِيحٍ فَقَالَ فِي ذَلِكَ² : [من الوافر]

أَلَا طَرَقْتَ رُؤَيْمَةً بَعْدَ هَذِهِ تَخَطَّى هَوْلَ أَنْمَارٍ وَأُسْدِ³
تَجُوسٍ رَحَالِنَا حَتَّى أَتَتْنَا طُرُوقاً بَيْنَ أَعْرَابٍ وَجُنْدِ
فَقَالَتْ : مَا فَعَلْتَ أَبَا كَثِيرٍ أَصَحُّ الْوُدِّ أَمْ أَخْلَفْتَ عَهْدِي ؟
كَأَنَّ الْمَسْكَ ضَمَّ عَلَى الْخَزَامِي إِلَى أَحْشَائِهَا وَقَضَيْبَ رَنْدِ
أَلَا مَنْ مَبْلُغَ عَنِّي نَعِيمَا فَسَوْفَ يَجْرِبُ الْإِخْوَانَ بَعْدِي
رَأَيْتَكَ كَالشَّمُوسِ تُرَى قَرِيباً وَتَمْنَعُ مَسْحَ نَاصِيَةِ وَحْدِ
فَإِنِّي إِنْ أَقْعَ بِكَ لَا أَهْلُلُ كَوَقْعِ السِّيفِ ذِي الْأَثَرِ الْفَرِنْدِ⁴
فَأَوَّلِي ثُمَّ أَوَّلِي ثُمَّ أَوَّلِي فَهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ مِنْ مَرَدٍّ ؟

[قسوة عبد الله بن الزبير على أخيه]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ تَيْنَةَ ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ :
حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ صَدِيقاً لِعَمْرِو بْنِ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَلَمَّا أَقَامَهُ أَخُوهُ⁵ لِيُقْتَصَّ مِنْهُ بِالْغِ كَلَّ ذِي

1 السجل : الدلو العظيمة مملوءة .

2 شعره : 71-72 عن الأغاني .

3 أنمار وأسد : رجال شجعان كالنمر والأسود .

4 هلل عن الأمر : جبن وفزع .

5 أي عبد الله بن الزبير .

حِقْدٍ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَتَدَسَّسَ فِيهِ مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى أَخِيهِ ، وَكَانَ أَخُوهُ لَا يَسْأَلُ مَنْ ادَّعَى عَلَيْهِ شَيْئاً بَيِّنَةً ، وَلَا يَطَالِبُهُ بِحُجَّةٍ ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ قَوْلَهُ ثُمَّ يُدْخِلُهُ إِلَيْهِ السَّجْنَ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ ، فَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ وَالْقَيْحُ يَنْتَضِيعُ مِنْ ظَهْرِهِ وَأَكْتَافِهِ عَلَى الْأَرْضِ لَشِدَّةِ مَا يَمْرَبُهُ ، ثُمَّ يُضْرَبُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِأَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِ الْجِغْلَانُ ، فَكَانَتْ تَدِبُّ عَلَيْهِ فَتَنْقُبُ لَحْمَهُ ، وَهُوَ مَقِيدٌ مَغْلُولٌ ، يَسْتَغِيثُ فَلَا يَغَاثُ ، حَتَّى مَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَدَخَلَ الْمُوَكَّلُ بِهِ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ لَبَنٍ يَرِيدُ أَنْ يَتَسَحَّرَ بِهِ وَهُوَ يَكْبِي فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ أَمَاتَ عَمْرُو ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ ، وَشَرِبَ اللَّبَنَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تُغْسِلُوهُ وَلَا تَكْفِنُوهُ ، وَادْفِنُوهُ فِي مَقَابِرِ الْمُشْرِكِينَ ، فَدُفِنَ فِيهَا ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ يَرِثِيهِ وَيُوْتِبُ أَخَاهُ بِفَعْلِهِ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقاً وَخِلاًً وَنَدِيباً¹ : [من الطويل]

أَيَا رَاكِباً إِذَا عَرَضْتَ فَبُلْغْ	كَبِيرَ بَنِي الْعَوَامِ إِنْ قِيلَ مَنْ تَعْنِي
سَتَعْلَمُ ، إِنْ جَالَتْ بِكَ الْحَرْبُ جَوْلَةً	إِذَا فَوْقَ الرَّامُونَ ، أَسْهَمَ مَنْ تُغْنِي
فَأَصْبَحْتَ الْأَرْحَامُ حِينَ وَلَيْتَهَا	بِكُفَيْكَ أَكْرَاشاً تُجَرُّ عَلَى دِمْنِ
عَقْدَتُمْ لَعَمْرُو عُقْدَةً وَغَدَرْتُمْ	بَأْيُضَ كَالْمَصْبَاحِ فِي لَيْلَةِ الدَّجْنِ
وَكَبَّلْتَهُ حَوْلًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ	تَنْوَأُ بِهِ فِي سَاقِهِ حَلَقُ اللَّبَنِ ²
فَمَا قَالَ عَمْرُو إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ	لِضَارِبِهِ ، حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ : دَعْنِي
تَحَدَّثُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ	وَصَرَعْتَ قَتْلَى بَيْنَ زَمَزَمَ وَالرُّكْنِ ³
جَعَلْتُمْ لَضَرْبِ الظَّهْرِ مِنْهُ عَصِييَكُمْ	تُرَاوِحُهُ ، وَالْأَصْبَحِيَّةُ لِلْبَطْنِ ⁴
تُعْذِرُ مِنْهُ الْآنَ لَمَّا قَتَلْتَهُ	تَفَاوَتْ أَرْجَاءُ الْقَلِيبِ مِنَ الشَّطْنِ ⁵
فَلَمْ أَرَ وَقَدْ كَانَ لِلْغَدْرِ عَاقِداً	كَوْفِكَ شَدُّوا غَيْرَ مُوفٍ وَلَا مُسْنِي ⁶
وَكَنتَ كَذَاتِ الْفِسْقِ لَمْ تَدْرِ مَا حَوَتْ	تَخَيَّرَ حَالِيهَا أَتَسْرِقُ أَمْ تَزْنِي
جَزَى اللَّهُ عَنِّي خَالِداً شَرَّ مَا جَزَى	وَعُرْوَةً شَرّاً ، مِنْ خَلِيلٍ ، وَمَنْ خِيَدِنِ ⁷

1 شعره : 133-136 .

2 اللبن : الضرب الشديد .

3 كان عبد الله بن الزبير يدعى العائد لأنه عاذ بالبيت الحرام .

4 الأصباحية : السياط .

5 تعذر : تتكلف العذر . والقيط : البئر . والشطن : الحبل الطويل .

6 أسناه : رفعه .

7 خالد وعروة أخوا عبد الله بن الزبير .

قتلتم أحاكم بالسيّاطِ سفاهةً فيا لكَ لِلرأيِ المضلِّ والأفْنِ¹
 فلو أنكم أَجهزْتُم إذ قتلْتُم ولكن قتلْتُم بالسيّاطِ وبالسنِّجِنِ
 وإنِّي لأرجو أن أرى فيك ما ترى به من عقاب الله ما دونه يُغْنِي
 قطعتُ من الأرحام ما كان واشِجاً على الشَّيبِ ، وابتعتُ المخافةَ بالأمنِ
 وأصبحتُ تَسعى قاسِطاً بكتيبةٍ تهدُّم ما حول الحطيم ولا تبني²
 فلا تجزَعَنَّ من سُنَّةٍ قد سنَّتها فما للدماء الدهر تُهْرَق من حَقْنِ³

[رثاء يعقوب بن طلحة]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الخزاز عن المدائني قال : قتل يعقوب بن طلحة بن عبيد الله
 يوم الحرَّة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد : يا عجباً قاتلني كلَّ أحد حتى
 ابن خالتي ! قال : وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروُّس ، فقال ابن الزبير
 الأسديُّ يرثيه⁴ :

لعمرك ما هذا بعيش فُيْتَنِي هنيء ولا موتٍ يُرْجُ سريع
 لعمرى لقد جاء الكروُّسُ كاظماً على أمرٍ سوَّ حين شاع فظيع
 نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرْتُ منازلهم من رومةٍ فَبَقِيعُ⁵
 وكلهم غيْتُ إذا قُحِطَ الوري ويعقوبُ منهم للأنام ربيع⁶
 وقال ابن الأعرابي : كان على ابن الزبير دين لجماعة ، فلازموه ومنعوه التصرّف في
 حوائجه ، وألح عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له : ذئب ، فقال ابن الزبير⁷ : [من الطويل]
 أحابسَ كيدِ الفيل عن بطن مكّة وأنتَ على ما شئتَ جمُ الفواضل⁸
 أَرخني من اللائي إذا حلّ دينهم يمشون في الدارات مشي الأرامل⁹

1 الأفن : ضعف العقل والرأي .

2 قاسط : ظالم جائر .

3 تهرق في ل : ما عشت .

4 شعره : 96-97 .

5 رومة : أرض بالمدينة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .

6 في البيت إقواء .

7 شعره : 113-114 عن الأغاني .

8 حابس كيد أصحاب الفيل عن مكّة هو الله . فهذا دعاء .

9 هذا البيت شاهد على استعمال «اللائي» بمعنى الذين .

إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم
 أَلَيْسَ إِذَا اشْتَدَّ الْغَرِيمُ وَالتَّوَي
 وغير السلام بالسلام يُحَاوِلُ¹
 إِذَا اسْتَدَّ حَتَّى يَدْرِكَ الدِّينَ قَابِلُ²
 عرضت على «زَيْد» لِيَأْخُذَ بَعْضُ مَا
 يَحَاوِلُهُ قَبْلَ اشْتِغَالِ الشَّوَاغِلِ³
 تَثَاءَبَ حَتَّى قَلْتُ : دَاسِعَ نَفْسِهِ
 وَأَخْرَجَ أَنْيَاباً لَهُ كَالْمَعَاوِلِ⁴

[دخوله المدينة مع مروان بن الحكم]

وقال ابن الأعرابي : استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا
 عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في
 ذلك⁵ :

أَجِدِّي إِلَى مَرْوَانَ عَدَوًّا فَقَلَّصِي
 إِلَى نَفَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ بِيوتِهِمْ
 والّا فُرُوحِي وَاغْتِدِي لَابْنَ عَامِرٍ
 مَكَارِمُ لِلْعَافِي رِقَاقُ الْمَآزِرِ⁶
 لَهُمْ سُورَةٌ فِي الْمَجْدِ قَدْ عَلِمْتُ لَهُمْ
 تُذَبِّبُ بَاعَ الْمُتَعَبِ الْمُتَقَاصِرِ
 لَهُمْ عَامِرُ الْبَطْحَاءِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَرُومَةٌ تَسْقَى بِالْجَمَالِ الْقِيَاسِرِ⁷

[حبسه زفر لأموته]

وقال ابن الأعرابي : عرض قوم من أهل المَدْرَاءِ⁸ لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى
 الكوفة وقد نزل بقرقيسياء⁹ ، فاستعدوا عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ وقالوا : إِنَّهُ أُمُويُّ الْهَوَى ،
 وكانت قيس يومئذ زُبَيْرِيَّةً ، وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير ، فحبسه زفر أياماً وقيدته ،
 وكان معه رفيق من بني أُمَيَّةٍ يقال له : أَبُو الْحَدْرَاءِ ، فرحل وتركه في حبسه أياماً ، ثم تكلمت فيه
 جماعة من مُضَرَ ، فَأُطْلِقَ ، فقال في ذلك¹⁰ :

- 1 في البيت هذا والذي بعده إقواء .
- 2 في مجموع الشعر : «إذا لان حتى يدرك الدين قابلي» وهي رواية التاج .
- 3 في مجموع الشعر : «عرضت على ذئب» وهو أقرب إلى الصواب .
- 4 داسع : فاعل من الدسع وهو الدفع ، ودسهه كدفعه وزناً ومعنى .
- 5 شعره : 90 عن الأغاني .
- 6 رقاق المآزر : كناية عن النعيم والترف .
- 7 القياسر : الإبل الضخمة القوية .
- 8 أهل المدرء : الحضر .
- 9 قرقيسياء : بلد على الفرات .
- 10 شعره : 67-68 عن الأغاني .

أَغَادِ أَبُو الْحَدْرَاءُ أَمْ مَتْرُوحٌ ؟ كَذَاكَ النَّوَى مِمَّا تُجِدُّ وَتَمَزَحُ
لَعْمَرِي لَقَدْ كَانَتْ بِلَادٌ عَرِيضَةً لِي الرُّوحُ فِيهَا عَنْكَ وَالْمَتَسَرِّحُ¹
وَلَكِنَّهُ يَدْنُو الْبَغِيضُ وَيَبْعَدُ الْـ حَبِيبُ وَيُنْأَى فِي الْمَزَارِ وَيَنْزَحُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَتَى أُمَّ وَاصِلِ كُبُولُ أَعْضُوهَا بِسَاقِي تَجَرَّحُ
إِذَا مَا صَرَفْتُ الْكَعْبَ صَاحَتْ كَانْهَا صَرِيفُ خَطَاطِيفٍ بِدَلْوَيْنِ تَمْتَحُ²
تُبْغِي أَبَاهَا فِي الرِّفَاقِ وَتَنْشِي وَالْوَى بِهِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ تَمْسَحُ³
أَمْرَتِجِلْ وَفَدُ الْعِرَاقِ وَغُودِرَتْ تَحْنُ بِأَبْوَابِ الْمَدِينَةِ صَيِّدَحُ⁴
فَإِنْكَ لَا تَدْرِيْنَ فِيمَا أَصَابَنِي أَرِيثُكَ أَمْ تَعَجِيلُ سَيْرِكَ أَنْجَحُ
أُظَنَّ أَبُو الْحَدْرَاءُ سَجَنِي تِجَارَةً تَرْجَى وَمَا كُلَّ التِّجَارَةِ تَرْبَحُ !

[القتل أو اللحاق بالمهلب]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عليل قال : حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال : لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر ، فخطبهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفرخ في صدوركم ، ودب ودرج في حُجُوركم ، فأنتم له دين ، وهو لكم قرين ، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ . ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صفرة ، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه في جريدة المهلب بعد ثلاثة بالكوفة إلا قتله ، فجاء عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيَةَ الْبُرْجُمِيِّ فقال : أيها الأمير ، إني شيخ لا فضل في ، ولي ابن شاب جلد ، فاقبله بدلاً مني ؛ فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص : أيها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول ، فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه ، وهو يقول :

أَيْنَ تَرَكْتَ ضَابِيَةً يَا نَعْلُ

فقال له الحجاج : فهلاً يومئذ بعثت بديلاً ، يا حَرَسِي ! اضرب عنقه ، وسمع الحجاج ضوؤه ضاء ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هذه البراجم جاءت لِتَنْصُرَ عَمِيرًا فِيمَا ذَكَرْتَ ، فقال :

1 الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق .

2 صرقت : حركت . والخطاطيف : جمع خطاف وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة . والصريف : صوت البكرة عند الاستسقاء .

3 تمسح : تمساح .

4 صيدح : اسم ناقة ذي الرمة ، ويبدو أنه اسم ناقة ابن الزبير أيضاً .

أتخفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولّوا هارين ، فازدحم الناسُ على الجِسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي¹ : [من الطويل]

أقول لإبراهيمَ لما لقيته أرى الأمرُ أمسى واهياً متشعباً²
تخيرُ فإمّا أن تزور ابن ضابئ عميراً وإمّا أن تزور المهلباً
هما خطبنا خَسَفَ نجاؤك منهما ركوبك حَوَلًا من الثلج أشهباً³
فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه رآها مكان السوقِ أو هي أقربا

[مصعب لا يقبل مديحه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني علي بن عَثم الكلابيّ قال : دخل عبد الله بن الزبير الأسديُّ على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه ، فاستأذنه الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال له : ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قَطَرها في مديحك لأسماء بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر : أنشدّها ، فأنشدّه⁴ : [من الوافر]

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حصن فلا مَطَرَتْ على الأرض السماءُ
ولا رجَعَ الوفودُ بغنم جيشٍ ولا حَمَلَتْ على الطُّهر النساءُ
ليومٍ منك خيرٌ من أناسٍ كثيرٍ حَوَلَهُمْ نَعَمٌ وشاءُ
فبُورِكَ في بنيك وفي أبيهم إذا ذُكروا ونحن لك الفداءُ

فالتفت إليه مصعب وقال له : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف ، وبلغ ذلك أسماء ، فعوضه حتى أرضاه ، ثم عوضه مصعب بعد ذلك ، وخصّ به ، وسمع مديحه ، وأحسن عليه ثوابه .

[مع بشر بن مروان]

قال ابن الأعرابي : لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبرّه وخصّه بأنسه ، لعلمه بهواه في بني أمية ، فقال يمدحه⁵ : [من الطويل]

1 شعره : 54-56 .

2 في رواية :

أقول لعبد الله يوم لقيته أرى الأمرُ أمسى منصّباً متشعباً

3 أي هناك أمران فيهما الهوان والهلاك ، ولا ينجي منهما إلّا اللجوء إلى جبل يغطيه الثلج طوال العام .

4 شعره : 47-48 .

5 شعره : 80 عن الأغاني .

أَلَمْ تَرَني وَالْحَمْدُ لِلّهِ أَتَنِي برئت وداواني بمَعْرِوفِهِ بِشْرُ
رعى ما رعى مروانُ مِنِّي قَبْلَهُ فصَحَّتْ لَهُ مِنِّي النّصِيحَةُ وَالشُّكْرُ¹
ففي كُلِّ عامٍ عاشَهُ الدَّهْرُ صالِحاً عَلَيَّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ نَذْرُ
إِذَا ما أَبُو مروانٍ خَلَّى مَكَانَهُ فلا تَهْنَأُ الدُّنْيَا ولا يُرْسَلُ القَطْرُ
ولا يَهْنِئُ النَّاسَ الْوِلادَةُ بَيْنَهُم ولا يَبْقَ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِها شَفْرُ²
فليس الْبَحْورُ بِالنَّاسِ تَخْبِرُونِي وَلَكِنْ أَبُو مروانٍ بَشْرٌ هُوَ الْبَحْرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمه قُطْبَةُ بنت بشر بن مالكٍ مُلَاعِبِ الْأَسْتَةِ³ : [من الكامل]

جاءت به عَجْزٌ مُقَابِلَةٌ ما هن مِنْ جَرَمٍ وَمِنْ عُكْلٍ⁴
يا بَشْرُ يا ابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خَلَقَ الْإِلَهُ يَدِيكَ لِلْبُخْلِ
أَنْتَ ابنُ ساداتٍ لِأَجْمَعِهِمْ في بَطْنِ مَكَّةَ عِزَّةُ الْأَصْلِ
بَحْرٌ مِنَ الْأَعْيَاصِ جُدُنٌ بِهِ في مَغْرَسٍ لِلْجُودِ وَالْفَضْلِ
مَتَهَلَّلٌ تَنْدَى يَدَاهُ إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ بِوَابِلِ سَجْلِ

[خبره مع الْحِجَاجِ]

أَخْبَرَنِي عُمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَمْرِيُّ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَشِيخَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَنَّ ابْنَ الزَّيْبِرِ الْأَسَدِيَّ لَمَّا قُفِلَ مِنْ قِتَالِ الْأَزَّارِقَةِ صُوبَ⁵ بَعَثَ إِلَى الرَّيِّ ، قَالَ : فَكُنْتُ فِيهِ ، وَخَرَجَ الْحِجَاجُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ يَعْنِي قَنْطَرَةَ الْكُوفَةِ الَّتِي بِزُبَارَةَ لِيَعْرِضَ الْجَيْشَ ، فَعَرَضَهُمْ ، وَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ رَجُلٍ مِنْ هُوَ ؟ فَمَرَّ بِهِ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، فَسَأَلَهُ مِنْ هُوَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

تَخَيَّرَ فَإِذَا أَنْ تَزُورُ ابْنَ ضَابِيٍّ عُمَيْرًا ، وَإِذَا أَنْ تَزُورُ الْمَهْلَبَا
قال ، بلى ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ⁶ : [من الطويل]

1 النصيحة في ل : الصنعة .

2 شفر : أحد ، وفي رواية «سفر» .

3 شعره : 107-108 .

4 عجز : جمع عجوز . مقابلة : كريمة النسب من الأب والأم وجرم وعكل : بطنان من عرب اليمن . وعكل ترمي بالغباوة وقلة الفهم .

5 صوب : أرسل .

6 شعره : 69-70 .

أَلَمْ تَرَ أَنِّي قَدْ أَخَذْتُ جَعِيلَةً وَكُنْتُ كَمَنْ قَادَ الْجَنْيِبَ فَأَسْمَحًا¹

فقال له الحجاج : ذلك خير لك ، فقال : [من الطويل]

وَأَوْقَدْتَ الْأَعْدَاءَ يَا مَيِّ فاعلمي بكلَّ شَرِّ نَارٍ فَلَمْ أَرْ مَجْمَعًا²

فقال له الحجاج : قد كان بعض ذلك ، فقال : [من الطويل]

وَلَا يَعْدَمُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ تَابِعًا وَلَا يَعْدَمُ الدَّاعِي إِلَى الشَّرِّ مَجْدَحًا³

فقال له الحجاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بَعْثِكَ ، فمضى إلى بعثه فمات بالرِّيِّ .

[سبب مجاته ابن أم الحكم الأسدي]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : لما وليَ عبدُ الرحمن ابن أم الحكم الكوفة ، مدحه عبد الله بن الزبير الأسدي فلم يُبْهِه ، وكان قدِمَ في هيئة رثة ، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتَجَبَّرَ ، فقال ابن الزبير فيه⁴ : [من الطويل]

تَبَقَّلْتُ لِمَا أَنْ أَتَيْتَ بِلَادَكُمْ وَفِي مِصْرِنَا أَنْتَ الْهَمَامُ الْقَلَمْسُ⁵

أَلَسْتُ بِبَغْلٍ أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ أَبُوكَ حِمَارٌ أَدْبُرُ الظَّهْرِ يُنْخَسُ

قال : وكان بنو أمية إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقَّبونه البغلَ ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً ، يظنُّه يعرَّضُ به .

[تشفيه بقتل عبد الله بن الزبير]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُرَائيُّ عن العُمَريِّ عن العُتُبِيِّ قال : لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبير صلب الحجاج جسده ، وبعث برأسه إلى عبد الملك ، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبدُ الله بن الزُّبير الأسدي فاستأذنه في الكلام ، فقال له : تكلم ولا تقل إلا خيراً ، وتوخَّ الحقَّ فيما تقولهُ ، فأنشأ يقول⁶ :

[من الطويل]

مَشَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى فَتَقَدَّمَ أُمِيَّةٌ حَتَّى أَحْرَزُوا الْقَصَبَاتِ

1 الجعيلة : ما يجعل للمرء على عمله . الجنيب : الذي يقاد إلى الجنب . وأسمع : لان وانقاد .

2 الشرى : الطريق والناحية . ومجمع : مفر ومهرب .

3 جدح السويق : لته . ومجدع : خشبة يحرك بها .

4 شعره : 94 . وفيه «تثعلبت» بدلاً من «تبتلت» .

5 تَبَقَّلْتُ في مجموع شعره : تثعلبت . القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء والسيد العظيم .

6 شعره : 64 .

وجئت المجلي يا ابن مروان سابقاً
أمام قريش تنفض العذرات¹
فلا زلت سباقاً إلى كل غاية
من المجد نجاء من العمرات²

[في المحل الحجاج]

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً
يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب
يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك في المحل³ في وفي الحجاج التي قلتها :
فأنشده⁴ :

كأنني بعدد الله يركب ردعه
وفيهِ سنان زاعبي⁵ محرب⁶
وقد فرّ عنه الملحدون وحلقت
به وبمن آساه عنقاء⁷ مغرب⁸
تولّوا فخلّوه فشال بشلوه
طويل من الأجداع عار⁹ مشذب¹⁰
بكفّي غلام من ثقيف نمت به
قريش وذو المجد التليد¹¹ معتب¹²

فقال له عبد الملك : لا تقل غلام ، ولكن همام ، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف
درهم أخرى ؛ والله أعلم .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن
عدي ، عن مجالد قال : قتل ابن الزبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد
الملك ، فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجو ويغيره بفعله¹³ :

أيها العائد في مكة كم
من دم أهرقته في غير دم¹⁴
أيّد عائذة معصمة
ويد تقتل من حلّ الحرم¹⁵

1 العذرة : الناصية .

2 الغمرة : الشدة .

3 كان عبد الله بن الزبير يدعى «المحل» لاحتلاله القتل في الحرم .

4 شعره : 52 .

5 يقال للقتيل «ركب ردعه» إذا خر لوجهه على دمه . والسنان المحرب : المحدث . والزاعبي : المنسوب إلى زاعب ،
ولعله اسم رجل أو بلد ، وهو الرمح الذي إذا هز تدافع كلّه (اللسان - زعب) .

6 عنقاء مغرب : أي التي أغربت في البلاد فئات ولم تحس ولم تر .

7 شعره : 132 .

8 أهرقته في شعره : أجرته .

9 حلّ في شعره : جاء .

[مدائحه في بشر بن مروان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخطّ النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره ، قال : دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشرٌ خلَعها عليه ، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه ، فجفاه ، فلَمّا وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمّل من حوَاليه من بني أميّة ، ويحيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا ابن الزبير ليدلّ أنّ وراءه قولاً ؛ فقال : نعم ، قال : قل ؛ فقال¹ :

كأنّ بني أميّة حول بشر نجومٌ وسَطَها قمر منيرٌ
هو الفرع المقدّم من قريش إذا أخذتُ مآخذها الأمورُ
لقد عمت نوافله فأضحى غنيّاً من نوافله الفقيرُ
جبرتُ مهيضنا وعدلتُ فينا فعاش البائس الكلُّ الكسيرُ²
فأنت الغيثُ قد علمتُ قريش لنا ، والواكِفُ الجونُ المطيرُ³

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه ، فقال ابن الزبير⁴ :

ليُشرِ بن مروانٍ على الناس نعمة تروح وتغدو لا يطاقُ ثوابها
به أمّن الله النفوسَ من الردى وكانت بحال لا يقرُّ ذُبابها⁵
دمغتُ ذوي الأضغان يا بشر عنوةً بسيفك حتى ذلّ منها صعباها
وكنّت لنا كهفاً وحصناً ومعقلاً إذا الفتنة الصمّاء طارت عقابها⁶
وكم لك يا بشر بن مروان من يدٍ مهذبّة بيضاء راسٍ ظربها⁷
وطدّت لنا دينَ النبيّ محمدي بحلمك إذ هرت سفاهاً كلابها
وسدتَ ابنَ مروانٍ قريشاً وغيرها إذا السنةُ الشهباء قلّ سحابها⁸

1 شعره : 82-83 .

2 هاض العظم : كسره بعد أن جبر أو كاد .

3 الجون هنا : السحاب الأسود .

4 شعره : 62-63 .

5 الذباب : الشر .

6 الكهف : الملجأ . والفتنة الصماء : التي لا سبيل إلى تسكينها .

7 الظراب : الجبل المنبسط .

8 السنة الشهباء : المجلبة .

رَأَيْتَ ثَنَا واصطنعتَ أيادياً إلينا ونارُ الحربِ ذاكِ شهابها¹

قال النضر بن حديد في كتابه هذا : ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرضاً له ويُسمِّعه بيتاً من شعره فيه ، فقال له بشر : أراك متعرضاً لأن أسمع منك ، وهل أبقي أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً ؟ لقد نرحت فيه بحرك يا ابن الزبير ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعرفه شاكراً ، وأيادي الأمير عندي أجلّ ، وأملِّي فيه أعظم ، وإن كان قولي لا يحيط بها فني فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم ، وإن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب . فقال : هات ، فقال² :

[من الطويل]

تعاوتُ إلى شيلوي الذئابُ العواسل ³	تداركني بشرُ بنُ مروانَ بعدما
حيثُ الضعافُ المرمِلين وعصمةُ الـ	غياث الضعاف المرمِلين وعصمةُ الـ
أقرتُ بنو قحطان طراً ووائل ⁴	قريعُ قريشٍ والهمامُ الذي له
أقرتُ وجنُ الأرض طراً وخابل ⁵	وقيسُ بن عيلانٍ وخندِفُ كلُّها
وفي يدك الأخرى غياثُ وناثِل ⁶	يداك ابنَ مروان يدُ تقتل العدا
روينا بما جادت علينا الأناملُ	إذا أمطرتنا منك يوماً سحابةً
يَهْلُ علينا منك طلٌّ ووايلُ	فلا زلت يا بشر بن مروان سيِّداً
توافت إليه بالعطاء القبائلُ	فأنت المصفى يا ابن مروان والذي
إذا جمعتكم والحجيجُ المنازلُ	يرجؤون فضلَ الله عند دعائكم
وكنّا فراشاً أحرقتها الشعائلُ	ولولا بنو مروان طاشت حلومنا

[ثناء وتعرض]

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة ، وقال له : إنِّي أريد أن أوفدكَ على أمير المؤمنين ، فتهبُ لذلك يا ابن الزبير ، قال : أنا فاعل أيها الأمير ، قال : فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن

1 الثأى : الإفساد .

2 شعره : 101-102 .

3 الذئب العاسل : المضطرب في عدوه .

4 المرمِل : الفقير أو الذي نفد زاده . والعباهلة : الذين أقروا على ملكهم لا يُزالون عنه .

5 القريع : السيد .

6 الخابل : الجن .

7 غياث في ل : عقاب .

شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال¹ :

[من الطويل]

أقول : أمير المؤمنين عصمتنا
وأطفأت عنا نار كل منافق
نمته قروم من أمة للعلا
هو القائد الميمون والعصمة التي
أقام لنا الدين القويم بحلمه
أخوك أمير المؤمنين ومن به
إذا ما سألنا رِفده هطلت لنا
حليم على الجهال منا ورحمة

بيشر من الدهر الكثير الزلازل²
بأبيض بهلول طويل الحمائل³
إذا افتخر الأقوام وسط المحافل
أتى حقها فينا على كل باطل
ورأي له فضل على كل قائل
نجد ونسقى صوب أسحم هاطل
سحابة كفيه بجود ووايل
على كل حاف من معد وناعل

[شعر الفرزدق في بشر بن مروان]

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر ، وهذه القدرة عليه ! فقال له
حجّار بن أبجر العجلي ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة عند بشر : هذا
أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد ، فقال محمد بن عمير بن عطار ، وكان
عدواً لحجّار ، أيها الأمير ، إنه لشاعر ، وأشعر منه الذي يقول⁴ :

[من الطويل]

لبشر بن مروان على كل حالة
قريع قريش والذي باع ماله
ينافس بشر في السماحة والندی
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى
وصيرت ذا فقر غنياً ، ومثرياً

من الدهر فضل في الرخاء وفي الجهد
ليكسب حمداً حين لا أحد يجدي⁵
ليحرز غايات المكارم بالحمد
ضريك ، وكم عيئت قوماً على عمد⁶
فقيراً ، وكلاً قد حذوت بلا وعد

فقال بشر : من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مغضباً عليه ، فقال : ابعث إليه

1 شعره : 111-112 .

2 الزلازل : البلايا والشدائد .

3 أبيض : نقي العرض من الدنس والعيوب ، ولا يراد به اللون . والبهلول : السيد الجامع لكل خير . الحمائل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف . وطول الحمالة كناية عن طول القامة .

4 ديوان الفرزدق 1 : 179 .

5 يجدي : يعطي .

6 الضريك : الفقير .

6 . كتاب الأغاني - ج 14

فأحضره ، فقال له : هو غائب بالبصرة ، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضياً عنه حتى يأتيني ، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهياً للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه ، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر : [من الطويل]

بني دارم هل تعرفون محمداً	يدعوتـه فيكم إذا الأمر حقيقاً ¹
وساميتـم قوماً كراماً بمجدكم	وجاء سكيناً آخر القوم مخففاً
فأصلك دهمان بن نصر فردهم	ولا تك وغداً في تميم معلفاً
فإن تميماً لست منهم ولا لهم	أخاً يا ابن دهمان فلا تك أحقفاً
ولولا أبو مروان لأقيت وإيلاً	من السوط يُنسيك الرّحيق المعتقفاً
أحينَ علاك الشيبُ أصبحتَ عاهراً	وقلت اسقني الصّهباء صيرفاً مروفاً
تركت شرابَ المسلمين ودينهم	وصاحبتَ وغداً من فزارة أزرقاً ²
تبيتان من شرب المدامة كالذي	أُتيح له جبلٌ فأضحى مخففاً

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلا كففت ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِصْنِيهِ³ بالحق ، وكفّ ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير ، وكان عدوه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا : عليك غضب الله ، أشمت حجاراً بمحمد ، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك ، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعرُ العرب ؟

قال : بلى ، ولكن محمداً ظلمني وتعرض لي ، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً ، فقال⁴ :

سليلَ النَّصارى سُدّتَ عِجلاً ولم تكن	لذلك أهلاً أن تسود بني عِجَل
ولكنهم كانوا لكأماً فسُدّتْهم	ومثلك من ساد اللئام بلا عَقَل
وكيف بعجلٍ إن دنا الفِصحُ واغتدت	عليك بنو عجل وورجلُكم يغلي

1 دعوة : ادعاء النسب إلى غير الأب أو العشيرة .

2 أزرق : أي أزرق العينين ، وكانت الزرقه مكروهة عند العرب لأنها من صفات الروم .

3 الحِصْن : الجنب .

4 شعره : 109 عن الأغاني .

وعندك قسيس النصراري وصلبها وعانية صهباء مثل جنى النحل¹
قال : فلما بلغ حجاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجاراً ؟
فقال : لا والله أعز الله الأمير ، ما هجوته ، لكنه كذب عليّ ، فأتاه ناس من بني عجل
وتهددوه بالقتل ، فقال فيهم² :

تهددني عجل ، وما خلت أنني	خلاة لعجلي والصليب لها بعل
وما خلتني والدهر فيه عجائب	أعمر حتى قد تهددني عجل
وتوعديني بالقتل منهم عصابة	وليس لهم في العز فرغ ولا أصل
وعجل أسود في الرخاء ، ثعالب	إذا التقت الأبطال واختلف النبل
فإن تلقنا عجل هناك فمالنا	ولا لهم م الموت منجى ولا وعل ³

[لجؤوه إلى سويد بن منجوف]

وقال النضر في كتابه : لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى
الشام ، وأراد حبسه ، لجأ إلى سويد بن منجوف ، واستجار به ، فأخرجه مع بني شيان في
بلادهم ، وأجازه⁴ عمل ابن أم الحكم ، فقال يمدحه⁵ :

أليس ورائي إن بلاد تجهمت	سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون براها الله لم ير مثلها	طوال أعاليها شداؤ الأسافل
هم أصبحوا كنزي الذي كنت تاركاً	ونبلي التي أعددتها للمناضيل

[منعه حاجب بشر]

وقال أيضاً في هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزبير يوماً إلى بشر بن مروان ، فحجبه
حاجبه ، وجاء حجار بن أبجر فأذن له ، وانصرف ابن الزبير يومئذ ، ثم عاد بعد ذلك إلى
بشر وهو جالس جلوساً ، فدخل إليه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول⁶ :

ألم تر أن الله أعطى فخصنا بأبيض قمر من أمية أزهر

1 العانية : الخمر النسوبة إلى عانة بلدة بالعراق .

2 شعره : 103 عن الأغاني .

3 الوعل : الملبأ .

4 أجازه : سهل له اجتياز حدود ولايته .

5 شعره : 110 عن الأغاني .

6 شعره : 85-86 .

طَلَّوع ثَنَايَا الْمَجْد ، سَامٍ بِطَرْفِهِ
 فَلَوْلَا أَبُو مَرْوَانَ بِشْرٌ لَقَدْ غَدَتْ
 سِرَاعاً إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ دَوَائِباً
 وَحَارِبَتْ فِي الْإِسْلَامِ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ
 إِذَا قَادَتْ الْإِسْلَامَ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ
 بِأَيِّ بَلَاءٍ أَمْ بِأَيِّ نَصِيحَةٍ
 وَمَا زِلْتُ مَذْفَارَقْتُ عُثْمَانَ صَادِياً
 أَلَا لِيَتَنِي قُدِّمْتُ وَاللَّهِ قَبْلَهُمْ
 بِهِمْ جُمُيعَ الشَّمْلِ الشَّتِيْتُ ، وَأَصْلَحَ الْـ
 قَضَى اللَّهَ : لَا يَنْفَكُ مِنْهُمْ خَلِيفَةٌ
 فَاعْتَذِرْ إِلَيْهِ بِشْرٌ وَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ ، وَأَنْكَرَ عَلَى حَاجِبِهِ مَا تَشْكَاهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُأْذَنَ لَهُ عِنْدَ إِذْنِهِ
 لِأَخْصَرِ أَهْلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ .

[الزبير بن الأشيم شاعر]

وقال النضر في كتابه هذا : كان الزبير بن الأشيم ، أبو عبد الله بن الزبير شاعراً ،
 وكان لعبد الله بن الزبير ابن يقال له الزبير شاعر ، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الذي
 يقول :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلرَّقَادِ الْمَوْرَقِ
 وَهَمُّ الْفَتَى بِالْأَمْرِ مِنْ دُونِ نَيْلِهِ
 وَيَوْمَ بِصَحْرَاءِ الْبَلْدِيدَيْنِ قَلْتُهُ
 وَذَلِكَ عَيْشٌ قَدْ مَضَى كَانَ بَعْدَهُ
 وَغَيْرُ مَا اسْتَنْكَرْتَ يَا أُمَّ وَاصِلِ
 فِرَاقُ حَبِيبٍ أَوْ تَغْيِيرُ حَالَةٍ
 وَلِلرَّيْعِ ، بَعْدَ الْغُبْطَةِ ، الْمُتَفَرِّقِ
 مَرَاتِبُ صَعِبَاتٍ عَلَى كُلِّ مُرْتَقِي
 بِمَنْزِلَةِ النُّعْمَانِ وَابْنِ مُحَرَّقِ
 أُمُورٌ أَشَابَتْ كُلَّ شَأْنٍ وَمَفَرَّقِ
 حَوَادِثُ إِلَّا تَكْسُرُ الْعِظَمَ تَعْرِقِ
 مِنَ الدَّهْرِ أَوْرَامٍ لِشَخْصِي مُفَوَّقِ

1 الفيف : المفازة .

2 أمقر : أمر .

3 أهر الرجل : ذهب عقله فهو مهتر .

4 الملتاح : المتغير .

على أَتَنِي جَلْدٌ صَبُورٌ مَرَزَأٌ وهل تترك الأيامُ شيئاً لمشفقٍ ؟

[شعر لابن عبد الله]

وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير ، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري :

قالت عبيدة موهناً أين اعتراك الهُمُّ أَيْنَهُ
هل تبلغن بك المنى ما كنت تأمل في عيينة
بدر له الشيم الكرا ثم كاملات فاعتلنهُ
والجوع يقتله الندى منه إذا قحط ترنهُ
فهنالك يحمدُه الورى أخلاق غير كم اشتكينهُ

قال : وهو القائل في بعض بني عمه :

ومولى كداء البطن أو فوق دائه يزيدُ موالى الصدق خيراً وينقصُ
تلومت أرجو أن يثوب فيرعوي به الحلم حتى استيأس المتربصُ

[هرب إلى معاوية]

وقال النضر في كتابه هذا : لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية ، أحرق عبد الرحمن داره¹ ، فتظلم منه وقال : أحرق لي داراً قد قامت علي بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادّعت ؟ قال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ما عندك في هذا ؟ قال : إني لم آبه لنفقتي على داره ومبلغها ، ولكني ما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها ، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إن داراً اشتري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ! وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ، ثم قال لهم : أي الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إني لأعرف داره ، وما هي إلا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

[مدح إبراهيم بن الأشتر فجازه]

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عدي قال : أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له : إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهن ، فقال : إني لست أعطي الشعراء ، فقال : اسمعها مني وترى

رَأْيِكَ ، فَقَالَ : هَاتِ إِذَا ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ ¹ :

[من الكامل]

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْمَهَابَةَ وَالتُّقَى وَأَحَلَّ بَيْتَكَ فِي الْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
وَأَقَرَّ عَيْنَكَ يَوْمَ وَقْعَةِ خَازِرٍ وَالْخَيْلُ تَعَثُّ بِالْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ ²
إِنِّي مَدَحْتُكَ إِذْ نَبَا بِي مَنْزِلِي وَذَمَّمْتُ إِخْوَانَ الْغِنَى مِنْ مَعْشَرِ
وَعَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَخِيبُ مِدْحَتِي وَمَتَى أَكُنْ بِسَبِيلِ خَيْرٍ أَشْكُرِ
فَهَلَمْ نَحْوِي مِنْ يَمِينِكَ نَفْحَةً إِنَّ الزَّمَانَ أَلْحَ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ

فَقَالَ : كَمْ تَرْجُو أَنْ أُعْطِيكَ ؟ فَقَالَ : أَلْفَ دِرْهَمٍ أَصْلِحَ بِهَا أَمْرَ نَفْسِي وَعِيَالِي ، فَأَمَرَ لَهُ بَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

صوت

[من الكامل]

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ تَدْعُو إِلَى فَنَنِ الْأَرَاكِ حَمَامَا
تَدْعُو أَخَا فَرَّخِينَ صَادَفَ ضَارِباً ذَا مِخْلِينَ مِنْ الصُّقُورِ قَطَامَا
إِلَّا تَذْكُرُكَ الْأَوَانِسَ بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطِيُّ سَبَاسِباً وَهِيَامَا

الشعر لثابت قُطْنَةُ ؛ وَقِيلَ إِنَّهُ لَكَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لثَابِت ، وَالْغِنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّيِّ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ ، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِهِ وَالْهَشَامِيِّ أَيْضاً .

1 شعره : 91 عن الأغاني .

2 خازر : نهر بين أربيل والموصل كانت عنده معركة قتل فيها عبيد الله بن زياد . وكان إبراهيم بن الأشتر قد خرج مع المختار الثقفي .

[271] - أخبار ثابت قطنة¹

[نسه]

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العلاء ، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك ؛ وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقب قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يولي أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته .

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، وأخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذر عليه وحصر ، فقال : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ، وبعد عي بيانا ، وأنتم إلى أمير فعال ، أحوج منكم إلى أمير قوال : [من الطويل]

والأ أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ، ويقال الأحنف بن قيس ، فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ، ولو أن كلاماً استخفني ، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له ، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف .

[هجاء حاجب الفيل له]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن دعلج بن علي ، قال : كان يزيد بن المهلب تقدّم إلى ثابت قطنة في أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فلما صعد المنبر ولم يطبق الكلام ، قال حاجب الفيل يهجوّه : [من البسيط]

أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق

أما القرآن فلم تخلق لحكمه ولم تسدّد من الدنيا لتوفيق

لما رمتك عيون الناس هيتهم فكدت تشرق لما قمت بالريق

1 ثابث قطنة ترجمة في الشعر والشعراء : 526 وفي وفيات الأعيان 6 : 307 وخزاعة البغدادي 9 : 582 . وقد جمع شعره ماجد أحمد السامرائي ولكن لم تيسر لنا نسخة منه .

تلوي اللسان وقد رُمّت الكلام به كما هوى زلقٌ من شاهقِ النيق¹
 أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني علي بن الصباح قال :
 كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني ، وهو حاجب الفيل ، والفيل لقب لقبه به
 ثابت قطنة وكعب الأشقرى ، أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب ، فلما مثل بين يديه
 أنشده :

إليك امتطيت العيسَ تسعين ليلة	أرجي ندى كفيك يا ابن المهلب
وأنت امرؤٌ جادتُ سماءُ يمينه	على كل حيٍّ بين شرقٍ ومغرب
فجُد لي بطرف أعوجي مشهرٍ	سليم الشظا عبل القوائم سلهب ²
سبوح طموح الطرف يستنُّ مرجم ³	أمرٌ كإمرار الرشاء المشذب ³
طوى الضمرُ منه البطنَ حتى كأنه	عقاب تدلت من شماريخ كبكب ⁴
تبادر جُنح الليل فرحين أقويا	من الزاد في قفرٍ من الأرض مجذب ⁵
فلما رأت صيداً تدلت كأنها	دلاة تهاوى مرقباً بعد مرقب ⁶
فشكت سواد القلب من ذئب قفرة	طويل القرا عاري العظام معصب ⁷
وسابغة قد اتقن القين صنعها	وأسمَرَ خطي طویل مُحرب ⁸
وأبيض من مساء الحديد كأنه	شهابٌ متى يلق الضرية يقضب ⁹
وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى	تقدم أو اركب حومة الموت أركب
فإني امرؤٌ من عصبية مازنية	نماني أب ضخم كريم المركب

- 1 النيق : أرفع موضع في الجبل .
- 2 أعوجي : نسبة إلى أعوج وهو فحل تنسب إليه الخيل العناق . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والسلهب : ما عظم وطالت عظامه .
- 3 سبوح : يسبح في سيره . يستن : يقمص ويعدو من النشاط . مرجم : يرمي الأرض بخوافره . أمر الحبل : أحكم فتله .
- 4 كبكب : جبل يعرفات . والشماريخ : رؤوس الجبال .
- 5 أقوى : افتقر .
- 6 الدلاة : الدلو . والمرقب : الموضع المشرف .
- 7 القرا : الظهر . والمعصب : الجائع .
- 8 وسابغة : معطوف على «طرف» .
- 9 يقضب : يقطع .

قال : فأمر له يزيدُ بِدِرْع وسيف ورُح وفرس ، وقال له : قد عرفتَ ما شرطتَ لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجتِي بيْنه ، وهي قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . فقال له ثابت قطنة : ما أعجبَ ما وفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحتَ الأميرَ بيْنَتين ، وسألتَه حوائجك في عشرة أبيات ، وختمتَ شعركَ بيتَ تفرخَ عليه فيه ، حتى إذا أعطاك ما أردتَ جدتَ عما شرطتَ له على نفسك فأكذبتَها كأنك كنتَ تخدعه . فقال له يزيد : مَه يا ثابت ، فإنَّا لا نُخدع ، ولكنَّا نتخادع ، وسوَّغَه ما أعطاه ، وأمر له بِالْفَيِّ درهم . ولجَّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه :

[من البسيط]

لا يعرفُ الناسُ مِنْهُ غيرَ قُطْنَتِهِ وما سِوَاهَا مِنَ الْأَنْسَابِ مَجْهُولُ

[تهاجي ثابت وحاجب]

قال : ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب ، وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى ، وكانا لا يفارقان مجلسه ، فوقف بين يديه فقال له : تكلم يا حاجب ، فقال : يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً ، قال : لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك ؛ قال : أيها الأمير ، إنه ليس أحد ولو أظنبت في وصفك موفيك حقك ، ولكن المجتهد محسن ، فلا تهجنني بمنعني الإنشاد ، وأذن لي فيه ، فإذا سمعتَ فجودك أوسع من مسألتي . فقال له يزيد : هات ، فما زلتَ مُجِيباً محسناً مجيلاً . فأنشده :

[من الكامل]

كَمْ مِنْ كَيْمٍ فِي الْهِيَاجِ تَرَكَتْهُ يَهْوِي لِفِيهِ مُجَدِّلاً مَقْتُولَا
جَلَلَتْ مَفْرَقَ رَأْسِهِ ذَا رَوْنَقٍ عَضْبَ الْمَهْزَةِ صَارِماً مَصْقُولَا
قُدَّتَ الْجِيَادَ وَأَنْتَ غِرٌّ يَافِعٌ حَتَّى اكْتَهَلْتَ وَلَمْ تَزَلْ مَأْمُولَا
كَمْ قَدْ حَرَيْتَ وَقَدْ جَبَرْتَ مَعَاشِرًا وَكَمْ امْتَنَنْتَ وَكَمْ شَفَيْتَ غَلِيلَا

فقال له يزيد : سل حاجتك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، فقال : قل ، قال : إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره ؛ قال : أجل ، فقل يفعل ، فلست بما تصير إليه أغبط منا ؛ قال : تحمِلني وتُخْذِمْنِي وتَجْزِلْ جَائِزَتِي ، فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلّامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب :

[من الطويل]

شِمِ الْغَيْثَ وَانْظُرْ وَيْكَ أَيْنَ تَبَعَجْتَ كَلَاه تَجِدُهَا فِي يَدِ ابْنِ الْمَهْلَبِ
يَدَاه يَدْ يُخْزِي بِهَا اللَّهُ مَنْ عَصَى وَفِي يَدِهِ الْأُخْرَى حَيَاةُ الْمَعْصَبِ

قال : فحسده ثابتٌ قُطْنة وقال : والله لو على قدر شِعْرِكَ أعطاك لما خرجتَ بملءِ كَفِّكَ نَوَى ، ولكنّه أعطاك على قدره ، وقام مغضباً ؛ وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلب : إنّما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيةَ لمثل هذا ، وإلّا فلو أنّا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا ، وقال ثابت قُطْنة يهجو حاجباً حينئذٍ :

أحاجبُ لولا أنّ أصلَكَ زَيْفٌ وأنتَ مطبوعٌ على اللؤمِ والكفرِ
وأنيّ لو أكثرْتُ فيكَ مقصّرٌ رميتُك رميّاً لا يبيدُ يدَ الدهرِ
فقل لي ولا تكذبْ فإنيّ عالمٌ بمثلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهْرِ ؟
فإنّك مِنْهُمْ غيرُ شكٍ ولم يَكُنْ أبوكَ من الغرِّ الجاحجةِ الزُهرِ
أبوكَ دِيافِيٍّ وأمُّك حُرّةٌ ولكنّها لا شكَّ وافيةٌ البَظْرِ¹
فلست بهاج ابنَ ذُبْيَانٍ إنني سأكرِّمُ نفسي عن سيابِ ذوي الهُجْرِ
فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحدّه ، ولا بهجاء الأزدِ كلّها ، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرّاً ؛ فقال يهجوهم :

دَعُونِي وقحطاناً وقولوا لثابتٍ تنحّ ولا تقربْ مُصاولةَ البِزْلِ
فللزنَجِ خيرٌ حين تُنسَبُ والدأُ من أبناء قحطانِ العفاشلةِ الغُرْلِ²
أناسٌ إذا الهيجاء شَبَّتْ رأيتَهُم أذلَّ على وطءِ الهوانِ من النُعلِ
نساوَهُم فوضى لمن كان عاهراً وجيرانَهُم نهبُ الفوارِسِ والرَّجْلِ

[ثابت يهجو نفسه]

أخبرني وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : وحدّثني دِعْبِل قال : بلغني أنّ ثابت قُطْنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال :

لا يَعْرِفُ الناسُ مِنْهُ غيرَ قُطْنته وما سِوَاهَا مِنَ الْأَنْسابِ مَجْهُولُ
وقال : هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه ، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أنّي قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت إلّا أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري ، فأكون قد سبقته إليه ، فقالوا له : أما هذا فشرّ قد تعجّلته ، ولعلّه لا يقع لغيرك ، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدهم

1 دِيافِي : نسبة إلى قرية دِياف ، وكان أهلها من البُط .

2 العفاشلة في ل : التنايلة . الغرل : غير المختونين .

على أنه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على حاجب :

[من البسيط]

هَيْهَاتَ ذَلِكَ بَيْتٌ قَدْ سُبِقَتْ بِهِ فَاطْلَبُ لَهُ ثَانِيًا يَا حَاجِبَ الْفِيلِ

[قوله بالإرجاء]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدّب قال : حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال : حدّثنا قُعب بن الحرز الباهليّ عن أبي عبدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قومًا من الشُّرّة وقومًا من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأحبه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشداهم قصيدة قالها في الإرجاء :

[من البسيط]

يا هِنْدُ إِنِّي أَظُنُّ الْعِيشَ قَدْ نَفِدا
إِنِّي رَهِينَةُ يَوْمٍ لَسْتُ سَابِقَهُ
بَايَعْتُ رَبِّي بَيْعًا إِنْ وَفَيْتُ بِهِ
يَا هِنْدُ فَاسْتَمْعِي لِي إِنْ سِيرَتْنَا
نُرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّهُمْ
وَلَا أَرَى أَنْ ذَنْبًا بِالْغُ أَحَدًا
لَا نَسْفِكَ الدَّمَ إِلَّا أَنْ يَرَادَ بِنَا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهُ
وَمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَلَيْسَ لَهُ
كُلُّ الْخَوَارِجِ مُخْطِئٌ فِي مَقَالَتِهِ
أَمَّا عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ فَإِنَّهُمَا
وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَغَبٌ وَقَدْ شَهِدَا
يُجْزَى عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ بِسَعْيِهِمَا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا يَحْضُرَانِ بِهِ

وَلَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مُدْبِرًا نَكِدا
إِلَّا يَكُنْ يَوْمُنَا هَذَا فَقَدْ أَفِدا¹
جَاوَرْتُ قَتْلَى كَرَامًا جَاوَرُوا أَحَدًا
أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عِنْدًا²
وَالْمُشْرِكُونَ أَشْتَوُا دِينَهُمْ قِدَادًا³
مَنْ النَّاسِ شِرْكَاءُ إِذَا مَا وَحَّدُوا الصِّمَادَا
سَفَكَ الدَّمَاءَ طَرِيقًا وَاحِدًا جَدَدًا⁴
أَجَرَ التَّقِيَّ إِذَا وَفَى الْحَسَابَ غَدَا
رَدُّ ، وَمَا يَقْضَى مِنْ شَيْءٍ يَكُنْ رَشَدًا
وَلَوْ تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ وَاجْتَهَدَا
عَبْدَانِ لَمْ يُشْرِكَا بِاللَّهِ مَذْ عَبْدَا
شَقَّ الْعَصَا ، وَبَعَيْنُ اللَّهِ مَا شَهِدَا
وَلَسْتُ أَدْرِي بِحَقِّ آيَةٍ وَرَدَا
وَكُلُّ عَبْدٍ سِيلَقَى اللَّهَ مِنْفَرَدَا

1 أفدا : ذنا .

2 عند عن الطريق : مال .

3 أشتوا : فروا .

4 الطريق الجدد : المستوي .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخط المُرهبِي الكوفي في شعر ثابت قطنة ، قال : لما وليَ سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلس يعرض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعبادة المحاربي ؛ فلما دُعِيَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامّ السلاح ، جَوَادَ الفرس ، فارساً من الفرسان ؛ فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحدُ فرسان الثغور ، فأَمْضاه وأجاز على اسمه ؛ فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذي يقول :

إنا لضربّيون في حَمَسِ الوَغَى رأسَ الخليفة إن أراد صدوداً¹
فقال سعيد : عليّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

إنا لضربّيون في حَمَسِ الوَغَى

قال : نعم ، أنا القائل :

إنا لضربّيون في حَمَسِ الوَغَى رأسَ المتوّج إن أراد صدوداً
عن طاعة الرحمن أو خُلُفائه إن رام إفساداً وكرّ عُنوداً
فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنّك خرجتَ منها لضربتُ عنقك ، قال : وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال له : قد قبلت عذرك ، ولم يأتِه حميد ، فقال ثابت يهجوهُ :

وما كان الجُنيد ولا أخوه حميدٌ من رؤوسٍ في المعالي
فإن يكُ دَغْفَلٌ أُمسى رهيناً وزيدٌ والمقيم إلى زوالِ
فعندكم ابن بشرٍ فاسألوه بمرِّ الرُّوذِ يَصْدُقُ في المقالِ
ويخبر أنّه عبدٌ زَنِيمٌ لئيم الجدِّ من عَمٍّ وخالِ
قال : واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر² الهمدانيّ ثم الخيوانيّ ، وكان يُعَمَزُ في نسبه ، وخطب إلى قوم من كِنْدَةَ فردّوه ، فعرف خبر ثابت في نزوله ، فلم يُكرمه ، ولا أمر له بِقَرَى ، ولا تفقّده بَنَزْلُ ولا غيره ، فلما رحل عنه قال يهجوهُ ويعيّره برّدٍ من خطب إليه :

لو أنّ بَكِيلاً همُ قومُه وكان أبوه أبَا العاقِبِ³

1 حمس الوغى : شدة الحرب .

2 ل : يريد .

3 بكيل : حي من همدان . العاقب : الذي يخلف السيد .

لَأَكْرَمَنَا إِذْ مَرَرْنَا بِهِ كَرَامَةً ذِي الْحَسْبِ الثَّاقِبِ
وَلَكِنْ خِيَوَانَ هُمْ قَوْمُهُ فَبَيْسَ هُمُ الْقَوْمُ لِلصَّاحِبِ¹
وَأَنْتَ سَيِّدٌ بِهِمْ مُلْصَقِي كَمَا الصِّقْتُ رُقْعَةَ الشَّاعِبِ²
وَحَسْبُكَ حَسْبُكَ عِنْدَ النَّثَا بِأَفْعَالِ كِنْدَةَ مِنْ عَائِبِ
خَطَبْتِ فَجَازَوْكَ لَمَّا خَطَبْتِ جَزَاءَ يَسَارٍ مِنَ الْكَاعِبِ³
كَذَبْتَ فَزَيَّفْتَ عَقْدَ النِّكَاحِ لِمَتِّكَ بِالنَّسَبِ الْكَاذِبِ
فَلَا تَخْطِبُنْ بَعْدَهَا حُرَّةً فَتُثْنَى بِوَسْمٍ عَلَى الشَّارِبِ

[يهجو قتيبة بن مسلم وقومه]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر ، فهجا
ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه ، وغيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك ، فقال : [من الطويل]

تَوَافَتْ تَمِيمٌ فِي الطَّعَانِ وَعَرَدَتْ بُهَيْلَةً لَمَّا عَايَنْتُ مَعْشَرًا غُلْبًا⁴
كُفَاةً كُفَاةً يَرْهَبُ النَّاسُ حَدَّهْمُ إِذَا مَا مَشَوْا فِي الْحَرْبِ تَحَسَّبَهُمْ نُكْبًا⁵
تُسَامُونَ كَعْبًا فِي الْعُلَا وَكِلَابَهَا وَهِيَهَاتَ أَنْ تَلْقَوْا كِلَابًا وَلَا كَعْبًا

قال : فأثنى عليه راويته ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه
الآبيات :

يَا لَيْتَ لِي بِأَخِي نَضْرٍ أَخَا ثَقَةٍ لَا أُرْهَبُ الشَّرَّ مِنْهُ غَابَ أَمْ شَهْدَا
أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلَى أَسْبَابِ مَهْلَكَةٍ وَزَلَّيَ خَائِفًا مِنْكَ الرَّدَى أَبَدًا⁶
مَا كُنْتُ إِلَّا كَذْئِبَ السُّوءِ عَارِضُهُ أَخُوهُ يَدْمِي فَقَرَى جِلْدَهُ قَدَدَا
أَوْ كَابِنِ آدَمَ خَلَّى عَنْ أَخِيهِ وَقَدْ أَدْمَى حَشَاهُ وَلَمْ يَسْطِ إِلَيْهِ يَدَا⁷

1 هم القوم للصاحب في ل : أخو القوم والصاحب .

2 سنيد : دعى . الشاعب : من يصلح الإناء المصدوع .

3 المثل : «لقي ما لاقى يسار الكواعب» في مجمع الميداني 2 : 412 وجمهرة العسكري 1 : 446 . ويسار عبد
أسود دميم الخلقة ظن أن زوجة مولاه (أو ابنته) تريده ، فأوهمته أنها تريد أن تبخره ، وقطعت مذاكيره ، فقال :
صبراً على مجامر الكرام .

4 عردت : هربت . بهيلة : تصغير باهلة ، قوم قتيبة .

5 نكب : جمع نكباء ، وهي كل ريح انحرفت عن إحدى الجهات الأربع .

6 منك الردى في ل : من شرها .

7 إشارة إلى قصة قابيل وهابيل .

أهم بالصرفِ أحياناً فيمنعني حياً ربيعةً والعقد الذي عقدا

[رثاء المفضل بن المهلب]

ونسخت منه أيضاً قال : لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب ،
والناس حولها جلوس يعزونها ، فأنشدوها :
[من البسيط]

يا هند كيف ينصبّ بات يئكيني وعائير في سواد الليل يؤذيني¹
كأنّ ليلي والأصداء هاجدة ليل السليم ، وأعيا من يداويني²
لما حنى الدهر من قوسي وعذرتني شيبى وقاسيت أمر الغلظ واللين³
إذا ذكرت أبا غسان أرقني هم إذا عرس السارون يشعيني⁴
كان المفضل عزاً في ذوي يمن وعصمة وثملاً للمساكين⁵
ما زلت بعدك في همّ تجيش به نفسي وفي نصّب قد كاذ يُليني
إنّي تذكرت قتلى لو شهدتهم في حومة الموت لم يصلوا بها ذوي
لا خير في العيش إن لم أجز بعدهم حرباً تبي بهم قتلى فيشفوني

فقال له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيت الحق ، وما من المنيّة بُدّ ، وكم من مئة ميت
أشرف من حياة حيّ ، وليست المصيبة في قتل من قتل واستشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربه ،
وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته ، وخمل ذكره بعد موته ، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله
خاملاً ، يقال : إنه ما عزّي يومئذ بأحسن من كلامها .

[ردّه على ابن الكواء]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضاً قال : كان ابن الكواء يشكري مع الشراة
والمهلب يحاربهم ، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعمّ الأزد بالهجاء ، فقال لثابت :
أجبه فقال له ثابت :

كلّ القبائل من بكر نعدّهم ويشكرون منهم الأُمّ العرب
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت يشكر أمّه المعرورة النسب

1 النصب : الداء والبلاء . والعائير : ما أعل العين والرمد والقذى .

2 السليم : الملدوغ .

3 عذرتني : هدني .

4 عرس السارون : نزل المسافرون في الليل للاستراحة .

5 ثمال : غيات .

نَحَاكُمُ عَنْ حِيَاضِ الْمَجْدِ وَالْدُّكْمِ
 أَنْتُمْ تَحُلُّونَ مِنْ بَكْرِ إِذَا نُسَبُوا
 بُنِيتُ أَنْ بَنِي الْكَوَاءِ قَدْ نَبَحُوا
 يَكُوي الْأَيْبَجِرُ عَبْدَ اللَّهِ شَيْخَكُمْ
 فَمَا لَكُمْ فِي بَنِي الْبَرِثَاءِ مِنْ نَسَبِ
 مِثْلَ الْقُرَادِ حَوَالِي عُكُوءِ الذَّنْبِ¹
 فَعَلَ الْكِلَابُ تَتَلَّى اللَّيْثُ فِي الْأَشْبِ²
 وَنَحْنُ نُبْرِي الَّذِي يَكُوي مِنَ الْكَلْبِ³

[بحرض يزيد بن المهلب]

ونسخت من كتابه أيضاً قال : كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه : [من الكامل]

إِنْ امْرَأً حَدَبَتْ رِبْعَةً حَوْلَهُ
 لَضَعِيفُ مَا ضَمَّتْ جَوَانِحُ صَدْرِهِ
 أَيْزِيدُ كُنْ فِي الْحَرْبِ إِذْ هَيَّجَتْهَا
 شَاوَرَتْ أَكْرَمَ مَنْ تَنَاوَلَ مَا جَدِ
 مَا كَانَ فِي أَبْيَكِ قَادِحُ هُجْنَةٍ
 إِنَّا لَضُرَابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعْيِ
 وَقُرْ إِذَا كَفَّرَ الْعَجَاجُ تَرَى لَنَا
 يَا لَيْتَ أَسْرَتَكَ الَّذِينَ تَغَيَّبُوا
 وَتَرَى مَوَاطِنَهُمْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا
 وَالْحَيُّ مِنْ يَمَنِ وَهَابَ كَوْودًا⁴
 إِنْ لَمْ يَلْفُ إِلَى الْجُنُودِ جُنُودًا
 كَأَبْيَكِ لَا رَعِشًا وَلَا رَعْدِيدًا
 فَرَأَيْتُ هَمَّكَ فِي الْهَمُومِ بَعِيدًا
 فَيَكُونُ زَنْدُكَ فِي الزَّنَادِ صَلُودًا⁵
 رَأْسَ الْمَسْجُوعِ إِنْ أَرَادَ صُدُودًا
 فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ فَوَارِسَ صِيدَا
 كَانُوا لِيَوْمِكَ بِالْعِرَاقِ شُهُودَا
 وَالْمَشْرِفِيَّةِ يَلْتَظُّونَ وَقُودَا

فقال يزيد لما قرأ كتابه : إنَّ ثابتاً لغافل عما نحن فيه ، ولعمري لأطيعنّه ، وسيّرى ما يكون ، فاكذبوا إليه بذلك .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : أنشِدَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ قَتْلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَوْلَ ثَابِتِ قَطْنَةَ :

يَا لَيْتَ أَسْرَتَكَ الَّذِينَ تَغَيَّبُوا
 كَانُوا لِيَوْمِكَ يَا يَزِيدَ شُهُودَا
 فَقَالَ مَسْلَمَةُ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا شُهُوداً يَوْمَئِذٍ ، فَسَقَيْتُهُمْ بِكَأْسِهِ ، قَالَ : فَكَانَ مَسْلَمَةُ أَحَدَ مَنْ أَجَابَ شِعْراً بِكَلَامِ مَنثورٍ فغلبه .

1 عكوة الذنب : أصله .

2 الأشب : شدة النفاق الشجر .

3 الأبيجر : تصغير الأبيجر ، وهو العظيم البطن .

4 الكؤود : المرتقى الصعب .

5 الزناد الصلود : الذي لا يورى .

[سفيره يخطب لنفسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال : حدّثني محمد القحذمي عن سليمان بن ناصح الأسدي قال : خطب ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها ، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْرَ بن سعيد المحدث ، فاندس فخطبها لنفسه ، فتزوجها ودفع عنها ثابِتاً ، فقال ثابت حين بان له الأمر : [من الكامل]

أَفْشَى عَلَيَّ مَقَالَةً مَا قَلَّتْهَا	وَسَعَى بِأَمْرٍ كَانَ غَيْرَ سَدِيدٍ
إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ حِينَ ظَلَمْتَنِي	رُبِّي وَلَيْسَ لِمَنْ دَعَا يَبْعِيدُ
أَنْ لَا تَزَالَ مَتِيماً بِخَرِيدَةٍ	تَسْبِي الرِّجَالَ بِمَقْلَتَيْنِ وَجِيدٍ
حَتَّى إِذَا وَجِبَ الصَّدَاقُ تَلَبَّسْتُ	لَكَ جِلْدًا أَغْضَفَ بَارِزٍ بِصَعِيدٍ ¹
تَدْعُو عَلَيْكَ الْحَارِيَّاتُ مُبِرَّةً	فَتَرَى الطَّلَاقَ وَأَنْتَ غَيْرُ حَمِيدٍ ²

قال : فلقِيَ جُوَيْرُ كُلَّ مَا دَعَا عَلَيْهِ ثَابِتٌ بِهِ ، وَلَحَقَهُ مِنَ الْمَرْأَةِ كُلُّ شَرٍّ وَضُرٍّ حَتَّى طَلَّقَهَا بَعْدَ أَنْ قَبِضْتُ صَدَاقَهَا مِنْهُ .

[رثاء يزيد بن المهلب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العُقْرِ³ ، فلَمَّا خَذَلَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَفَرَّوْا عَنْهُ فَقَتَلَ ، قَالَ ثَابِتُ قَطْنَةَ يَرِثِيهِ :

كَلَّ الْقَبَائِلُ بِأَيْعُوكَ عَلَى الَّذِي	تَدْعُو إِلَيْهِ وَتَأْبَعُوكَ وَسَارُوا
حَتَّى إِذَا حَمِسَ الْوَغَى وَجَعَلْتَهُمْ	نَصَبَ الْأَسِنَّةِ أَسْلُمُوكَ وَطَارُوا
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ	عَاراً عَلَيْكَ ، وَبَعْضُ قَتْلِ عَارُ

[هجاؤه ربيعة]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب المهرمبي قال : كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد ، فاستبطّأته ربيعة في بعض الأمر ، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه ، فقال ثابت قطنة يهجوهم :

[من الطويل]

1 أغضف : كلب .

2 الحاربات : جمع حارية ، وهي الأفعى التي كبرت ونقص جسمها فصارت من أُنْحَبِثِ الْأَفَاعِي ؛ ويقال : رماه الله بالحارية . ومبرة : غالبة قاهرة .

3 العقير : موضع قرب كربلاء كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب .

عصافير تنزرو في الفساد ، وفي الوغى إذا راعها روع جماميح بروق
الجماميح : ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً ، وواحدة جماح ، فإذا دُقَّ تطاير .
وبروق : نبت ضعيف . [من الطويل]

أحلم عن ذبان بكر بن وائل ويعلق من نفسي الأذى كل معلق
ألم أك قد قلدتكم طوق خزية وأنكلت عنكم فيكم كل ملصق¹
لعمرك ما استخلفت بكراً ليشغبوا علي ، وما في حلفكم من معلق²
ضمتكم ضمّاً إليّ وأنتم شتات كفقع القاعة المتفرق³
فأنتم على الأدنى أسود خفية وأنتم على الأعداء خزان سملق

[سخاء يزيد بن المهلب]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري قال : قال القحذمي :
دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ، أظنه قتيبة بن مسلم ، فمدحه وسأله حاجة ، فلم
يقضها له ، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد بن المهلب لو سأله هذا أو أكثر
منه لم يردني عنه ، وأنشأ يقول :

أبا خالد لم يبقَ عندك سوقة ولا ملك ممن يُعين على الرُفد⁴
ولا فاعلٌ يرجو المقلون فضله ولا قاتلٌ ينكا العدو على حقد⁵
لو أن المنايا ساحت ذاً حفيظة لأكرمه أو عُجن عنه على عمد

[عتابه قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عتب ثابت قطنة
على قومه من الأزدي في حال استنصرَ عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك : [من الطويل]

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبي قد عف عن شتمها قبلي⁶
جليم إذا ما الحلم كان مروءة وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلي

1 أنكلت : دفعت .

2 من معلق : أي ما يتعلق به ويعتمد عليه .

3 المثل «أذل من ققع بقاع» في مستقصى الزمخشري 1 : 134 والدرة الفاخرة 1 : 203 .

4 أبو خالد : يزيد بن المهلب .

5 فضله في ل : رفده .

6 عف في ل : كف .

[حق أمية بن عبد الله بن خالد]

أخبرني عمي قال : حدثني العنزي عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان ، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعبد الملك بن مروان ، فأقام بها مدة ، ثم كتب إلى عبد الملك : «إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي» ، وكان أمية يحمق ، فرفع ثابت قطنة إلى البريد رقعة وقال : أوصيل هذه معك ، فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتاب أمية ، ثم نثل¹ كنانته بين يديه فقرأ ما فيها ، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة ، فقرأها ثم عزله عن خراسان .

صوت

[من الوافر]

طربتُ وهاجَ لي ذاك اذكارا بكشٌ وقد أطلت به الحصارا²
 وكنتُ الذَّ بعضَ العيش حتى كبرتُ وصار لي همِّي شيعارا
 رأيتُ الغانيات كرهن وصلي وأبدىن الصَّريمة لي جهارا
 الشعر لكعب الأشقري ، ويقال إنه لثابت قطنة ، والصحيح أنه لكعب ، والغناء للهندي ،
 ثاني ثقبيل بالوسطى عن عمرو بن بانه ، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقفا النجار .

1 نثل كنانته : نثر ما فيها .

2 كش : قرية من قرى أصبهان .

[272] - أخبار كعب الأشقرى ونسبه¹

[نسبه]

هو كعب بن معدان الأشقرى ، والأشقر : قبيلة من الأزد ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلب إلى الحجاج ، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك .

[شعراء الإسلام الأربعة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرى .

أخبرني وكيع قال : حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا أبي قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي عن المتلمس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب» ؟ فقال الفرزدق : «إي والذي خلق الشعر» .

[وقعة المهلب مع الأزارقة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، وأخبرني عمي ، قال : حدثنا الكُراني قال : حدثنا العُمري عن العُتيبي ، واللفظ له وخبره أتم ، قال : أوفد المهلب بن أبي صفرة كعباً الأشقرى ومعه مرة بن التليد الأزدي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة ، فلما قديما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله :

يا حفص إني عداني عنكم السفر	وقد سهرت فاذى عيني السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية	والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
أممسيك أنت منها بالذي عهدت	أم حبها إذ نأتك اليوم منبر
ذكرت خوذاً بأعلى الطف منزلها	في غرفة دونها الأبواب والحجر
وقد تركت بشط الزابيين لها	داراً بها يسعد البادون والحضر ²
واخترت داراً بها قوم أسر بهم	ما زال فيهم لمن تختارهم خير

1 لكعب الأشقرى ترجمة في أمالي القالي 1 : 265 ومعجم المزياني : 236 وتاريخ الطبري وسمط اللآلي : 588

وانظر أعلام الزركلي .

2 الزابيان : نهران بالعراق .

أبا سعيدٍ فَإِنِّي سرتُ متّجِعاً وطالبُ الخيرِ مُرتادٍ ومنتظرٌ¹
 لولا المهلبُ ما زُرْنَا بلادَهُم ما دامتِ الأرضُ فيها الماءُ والشجرُ
 وما من الناسِ من حيٍّ علمتُهُم إلا يُرى فيهِم من سَيِّكم أُنثُرُ
 وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر ، فتركتُ ذكرها لطولها² ، يقول
 فيها :

فما يجاوز بابَ الجسرِ من أحدٍ قد عضَّتِ الحربُ أهلَ المصرِ فَانْجَحَرُوا
 كُنَّا نهُونُ قبلَ اليومِ شأنَهُم حتى تفاقَمَ أمرٌ كان يُحتَقَرُ³
 لَمَّا وَهَنَّا وقد حلُّوا بساحتنا واستنَفَرَ الناسُ تاراتٍ فما نَفَرُوا
 نادى امرؤٌ لا خلافٌ في عشيرته عنه وليس به عن مثلها قِصَرُ

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلدٍ بلد ، فقال : [من البسيط]

خَبُّوا كمينَهُم بالسَّفْحِ إذ نزلوا بكازَرُونَ فما عَزَّوا وما نَصَرُوا⁴
 باتتْ ككائِبنا تَردي مسوِّمةً حولَ المهلبِ حتى نورُ القمرِ⁵
 هناك ولَّوا خزايا بعد ما هُزِّموا وحال دُونَهُم الأنهارُ والجُدُرُ
 تَأبى علينا حزازاتُ النفوسِ فما نُبقي عليهم ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجاج وقال له : إِنَّكَ لمنصف يا كعب⁶ ، ثم قال الحجاج : أخطيب أنت
 أم شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كُنَّا
 إذا لَقِيناهم بعفونا وعفوهم ، أنسنا منهم ، فإذا لَقِيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم ؛
 قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حماة للحريم نهاراً ، وفرسان بالليل أيقاظاً ، قال :
 فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان ؛ قال : صفهم رجلاً رجلاً ، قال :
 المغيرة فارسُهُم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصَعْدَةٌ⁷ عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، ليثُ

1 أبو سعيد : المهلب بن أبي صفرة .

2 انظر القصيدة في تاريخ الطبري 6 : 304 .

3 اليوم في ل : الموت .

4 كازرون : مدينة بفارس .

5 تردي : تضرب الأرض بحوافرها .

6 ل : كعب .

7 الصعدة : القناة المستوية .

غاب ، وبحرَّ جُمُ العُباب ، وجَوَّادُهم قَبِيصَة ، ليث المَغَار ، وحامي الذُّمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفرَّ من مُدرك ، فكيف لا يفرَّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سَمُّ نافع ، وسيف قاطع ، وحبيب الموتُ الذُّغاف ، إِنَّمَا هو طَوْدُ شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفَّاك بالمفضَّل نجدة ، ليث هُدَّار ، وبحرَّ مَوَّار ، ومحمد ليث غاب ، وحسامُ ضيراب ، قال : فَأَيُّهم أَفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَّعة لا يُعرف طرفاها ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أَحسن حال ، أدركُوا ما رَجَوْا ، وأَمِنُوا تَمَّا خافُوا ، وأَرْضاهم العدل ، وأَغناهم النَّفل¹ ، قال : فكيف رضاهم عن المهلَّب ؟ قال : أَحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم برُّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَرِيّ ؟ قال : كدناه فتحولَّ عن منزله وظنَّ أَنَّهُ قد كادنا ؛ قال : فهَلَّا تبعثموه ! قال : حالَ الليلُ بيننا وبينه ، فكان التحرَّز ، إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤُ ما يصنع ، أحزم ، وكان الحدَّ عندنا أثر من الفلِّ ، فقال له : المهلَّب كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

[شعره في المهلَّب وولده]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال : حدَّثني أَبُو عمرو بُندار الكرجيَّ قال : حدَّثنا أَبُو غَسَّان التميميَّ عن أَبِي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبّهوني مرّةً بالأسد ، ومرّةً بالبازي ، ومرّةً بالصفور ، ألا قلتُم كما قال كعب الأشقرى في المهلَّب وولده :

بَرَكَ اللهُ حِينَ بَرَكَ بَحْرًا	وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارًا
بنوك السابقون إلى المعالي	إذا ما أَعْظَمَ النَّاسُ الْخِطَارًا ²
كَأَنَّهُمْ نَجُومٌ حَوْلَ بَذَرٍ	دَرَارِيٌّ تَكْمَلُ فَاسْتَدَارَا
ملوك ينزلون بكلَّ ثَغِيرٍ	إذا ما الهامُ يَوْمَ الرُّوْعِ طَارَا
رِزَانٌ فِي الْأُمُورِ تَرَى عَلَيْهِم	مِنَ الشَّيْخِ الشَّمَائِلَ وَالنَّجَارًا ³
نَجُومٌ يُهْتَدَى بِهِمْ إِذَا مَا	أَخُو الظُّلْمَاءِ فِي الْعَمَرَاتِ حَارَا

1 النفل : الغنيمة .

2 الخطار : المهنّة .

3 النجار : الأصل والحسب .

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها :
 طربتُ وهاج لي ذاك ادِّكاراً

التي فيها الغناء .

[تهاجيه مع زياد الأعجم]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال : حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال : ذكر العُتبي أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقرى ، واتصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أن شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، وحرَباً سكنها المهلب وأصلح بينهم ، وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر ، وأدى دِيابته ، فقال كعب يهجو عبد القيس :

إني وإن كنتُ فرعَ الأزد قد علّموا أخزى إذا قيل عبدُ القيس أخوالي
 فهنمُ أبو مالكٍ بالمجد شرفني ودنسُ العبدُ عبدُ القيس سِرْبالي

قال : فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال : يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيطان والسرطان ، يقول هذا في عبد القيس ، وهو يعلم موضعي فيهم ! والله لأدعنه وقومَه غرضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوهُ :

نبتُ أشقرَ تهجُونَا فقلتُ لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلِقُوا
 لا يَكثرون وإن طالَت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلبٌ غرقوا
 قومٌ من الحَسَبِ الأدنى بمنزلة كالْفَقْعِ بالقاع لا أصلٌ ولا ورقُ
 إنَّ الأشاقرَ قد أضْحَوْا بمنزلة لو يُرهنون بنعلِي عبدنا غلِقُوا¹

قال : وقال فيه أيضاً :

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدار أم بها صمم ؟
 اختنن القومُ بعد ما هرِموا واستعربوا ضلَّةً وهم عجمُ

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عني بهما غيرك ، ولقد عمَّ بالهجاء قومك ، فقال المهلب : أنت أسمعنا هذا وأطلقت لسانه فينا به ، وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثلُ زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنك أنت بدأتَه ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيها الأمير ، اسمع ما قال في وفي قومي فإن كنتُ ظلمتُه فانتصِر ، وإلا

فالحجة عليه ، ولا حُجَّة على امرئ انتصَرَ لنفسه وحسبه وعشيرته ، وأنشده قولَ كعب فيهم :

لعلَّ عُيَيْدَ القيسِ تحسَّبَ أنَّها كتغلبَ في يومِ الحفيظةِ أو بكرِ
يُضَعِّضُ عبدَ القيسِ في النَّاسِ مَنْصِبٌ دنيءٌ وأحسابٌ جُبِرْنَ على كسرِ
إذا شاع أمرُ النَّاسِ وانشَقَّتِ العصا فإنَّ لُكَيْزاً لا تَرِيشُ ولا تَبْري¹

فقال المهلبُ : قد قلتَ له أيضاً ، قال : لا والله ما انتصرتُ ، ولولاك ، ما قصرتُ وأيَّ انتصار في قولي له :

يا أيُّها الجاهلُ الجاري ليدركني أقصِرْ فإنَّكَ إن أدركتَ مصروعُ
يا كعبُ لا تَكْ كالْعَزْزِ التي بحثتُ عن حَتَفها وجَنابُ الأرضِ مَرْبوعِ

وقولي :

لئن نَصَبتَ لي الرُّوْقَيْنِ مُعْتَرِضاً لأرْمِيَنَّكَ رَمْياً غيرَ ترفيعِ
إنَّ المآثرُ والأحسابُ أوزنني منها المَجَاجِيعُ ذِكْراً غيرَ مَوْضوعِ

يعني مَجاعة بن مرَّة الحنفي ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلبُ أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافأ ، ومما هجا كعبُ الأشقرُ عبد القيس به قوله : [من الوافر]

ثوى عامين في الجَيْفِ اللواتي مطرحة على باب الفصيل
أَحَبُّ إِلَيَّ من ظِلٍّ وكنٍ لعبد القيس في أصلِ الفَسِيلِ²
إذا نَارَ الفُساءِ بهم تَغَنَّوْا أَلَمْ تَرَبِّعْ على الدَّمَنِ المَثُولِ
تَظَلُّ لها ضَبَاباتٌ علينا موانعُ من مَبِيتٍ أو مَقِيلِ

[هجاء ربيعة واليمن]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفَةً ، فكان المهلبُ وابنه يزيدُ يُزْلان هاتين القبيلتين في محلتها ، فقال كعبُ الأشقرُ ليزيد : [من البسيط]

لا تَرْجَوْنَ هِنائِيَا لصالحيةِ واجعلهُمُ وهَداداً أسوةَ الحُمُرِ³

1 من المثل « كالباحثة عن حَتَفها بظلفها » .

2 الكن : الستر . الفسيل : النخلة الصغيرة .

3 هنائي : من بني هناء . وهداد : حي من اليمن .

حَيَّانٍ مَالَهُمَا فِي الْأَزْدِ مَأْتِرَةٌ
وَأَجْعَلْ لُكَيْزًا وَرَاءَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
قَوْمٌ عَلَيْنَا ضَبَابٌ مِنْ فُسَائِهِمْ
أَبْلَغُ يَزِيدَ بَأْسًا لَيْسَ يَنْفَعُنَا
حَتَّى تُجِلَّ لُكَيْزًا فَوْقَ مَدْرَجَةٍ
لِيَأْخُذُوا لِنَزَارِ حَظَّ سُبُتْهَا
غَيْرُ النَّوَكَةِ وَالْإِفْرَاطِ فِي الْهَذَرِ¹
أَهْلَ الْفُسَاءِ وَأَهْلَ التَّنِّ وَالْقَدْرِ
حَتَّى تَرَانَا لَهُ مِيدًا مِنَ السُّكْرِ²
عَيْشٌ رَغِيدٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْعِطْرِ
مِنَ الرِّيَّاحِ عَلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ مُضَرٍ
كَأَخْذِنَا بِحِظِّ الْحِلْفِ وَالصُّبْرِ

[شعره في المهلب أمام رسول الحجاج]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدثنا أبي قال :
كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعفه ، ويعجزه في
تأخير أمرهم ومطاوئهم ، فقال المهلب لرسوله : قل له : إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا
إلى من يعرفه ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى ، فإن أمكنتني
الفرصة انتهزتها ، وإن لم تمكني توقفت ، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن
أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأ فعلي ، فابعث من
رأيت مكاني ، وكتب من قوره بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : لا تعارض
المهلب فيما يراه ولا تعجله ، ودعه يدبر أمره ، وقام الأشقرى إلى المهلب فأنشده بحضرة
رسول الحجاج :

إِنْ ابْنَ يَوْسُفَ غَرَّهُ مِنْ غَزْوِكُمْ
لَوْ شَاهَدَ الصَّفْقَيْنِ حِينَ تَلَاقِيَا
مِنْ أَرْضِ سَابُورِ الْجُنُودِ ، وَخَيْلُنَا
مِنْ كُلِّ خَنْدِيزٍ يُرَى بَلْبَانَهُ
وَرَأَى مَعَاوِدَةَ الرِّبَاعِ غَنِيمَةً
فَدَعَ الْحُرُوبَ لِشَبَابِهَا
خَفَضُ الْمَقَامِ بِجَانِبِ الْأَمْصَارِ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيبَةُ الْأَقْطَارِ
مِثْلُ الْقِدَاحِ بَرَيْتُهَا بِشِفَارِ
وَقَعُ الظُّبَاةِ مَعَ الْقَنَا الْخَطَارِ³
أَزْمَانٌ كَانَ مُحَالَفَ الْإِقْتَارِ
وَعَلَيْكَ كُلَّ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ

فبلغت أبياته الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأعلم
المهلب كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته ، وكتب إليه يستوبه منه ،

1 النواكة : الحماقة .

2 ميد : ما يصيب الإنسان من الدوار .

3 الخنديز : الفرس الطويل الصلب .

فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشدته فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عما بلغه من شعره ، فلما وصل إليه ودخل عليه قال : وإيه يا كعب .

ورأى معاودة الرباع غنيمة

فقال له : أيها الأمير ، والله لقد وددتُ في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها ، وما يُوردناه المهلب من خطرهما ، أن أنجو منها وأكون حجّاماً أو حائكاً ، فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قسمُ أمير المؤمنين لما نفعلك ما أسمع ، فالحق بصاحبك ، وردّه من وقته .

[هروبه إلى عُمان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لما عُزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم ، مدحه كعب الأشقرى ، ونال من يزيد وثّله ، ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان ، فهربَ إلى عُمان على طريق الطّبيين وقال : [من الوافر]

وإني تاركٌ مَرَوّاً ورائي إلى الطّبيين معتامٌ عُمانا
لأوي معقلاً فيها وحرزاً فكنا أهل ثروتها زماناً¹

فأقام بعُمان مدة ثم اجتواها² ، وساءت حاله بها ، فكتب إلى المهلب معتذراً : [من البسيط]

بمس التبذل من مَرَوٍ وساكنيها أرضُ عُمان وسكنى تحت أطواد
يُضحى السحاب مطيراً دون مُنصفها كأنّ أجبالتها علّت بفِرصاد³
يا لهف نفسي على أمرٍ خطّلت به وما شقيتُ به غمري وأحقادي⁴
أفنيْتُ خمسين عاماً في مديحكُم ثم اغتررتُ بقول الظالم العادي
أبلغ يزيدَ قريسنَ الجود مألُكةً بأنّ كعباً أسيّر بين أصفاد
فإن عفوت فبيتُ الجود بيتكُم والذهرُ طَوران من غيٍّ وإرشاد
وإن منتتَ بصفحٍ أو سمحتَ به نزعْتُ نحوكَ أطنابي وأوتادي

وذكر المدائني أنّ يزيد بن المهلب حبسه ودرس إليه ابن أخ له فقتله .

1 الثروة : الكثرة من المال والناس .

2 اجتواها : كرمها .

3 المنصف من كل شيء : وسطه . علت : سقيت . والفِرصاد : صبيغ أحمر .

4 الغمر : الحقد .

[مقتل بني الأهم]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر أيضاً أنَّ الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهم ، فكتب إليه يزيد : إنَّ بني الأهم أصحابُ مقال وليسوا بأصحاب فعال ، فلا تُقدِّر أن نُحدث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عار وسبَّة ؛ واستوهِبهم منه ، فتغافل عنهم ، ثم انضمُّوا إلى المفضل بن المهلب ، فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبة بن مسلم ، فخرجوا إليه والتَّقوا معه ، وذكروا بني المهلب فعابوهم ، فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحْمِلونهم على سوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعاً ، فقال كعب الأشقرِي في ذلك :

[من الكامل]

قل للأهاتم من يُعُود بفضله	بعد المفضل والأغرَّ يزيد
ردًا صحائفَ حتفِكُم بمعاذِر	رجعتُ أشائمَ طيرِكُم بسعود
ردًا على الحجاج فيكم أمره	فجزيتُم إحسانَه بجحود
فاليوم فاعتبروا فعَال أخيكُم	إنَّ القياس لِجاهل ورشيد

[هجاء عمرو بن عمير]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضاً قال : ولَّى يزيدُ بنُ المهلب رجلاً من اليَحْمَدِي يقال له عمرو بنُ عَمِير الزَّم ، فلقبه كعب الأشقرِي فقال له : أنت شيخ من الأزْد يولِّيك الزَّم . ويولِّي ربيعة الأعمال السنيَّة ، وأنشده :

[من الوافر]

لقد فازت ربيعةً بالمعالي	وفازَ اليَحْمَدِي بعهدِ زَم ¹
فإن تَك راضياً منهم بهذا	فزادك رُئسا غمًّا بغم
إذا الأزديّ وضَّح عارضاه	وكانت أمُّه مِن حيِّ جَزَم ²
فثمَّ حماقةٌ لا شكَّ فيها	مُقابلةٌ فمن حالٍ وعم ³

فردَّ اليَحْمَدِي عهد يزيد عليه ، فحلف لا يستعمله سنة ، فلمَّا أجمعتْ به المؤونة قال

لكعب :

[من البسيط]

1 زم : بلد على نهر جيحون .

2 وضَّح : ابيضَّ شعره . والعارضان : جانباً الوجه .

3 مقابلة : أي من طرف الأب والأم .

لو كنتَ خَلَيْتَنِي يا كعبُ متَّكئاً في دُورِ زَمٍّ لما أَقْفَرْتُ مِنْ عَلفٍ
ومن نَبِيذٍ ومن لحمٍ أُعْلِلُ به لكنَّ شِعْرَكَ أَمْرٌ كان من حِرْفِي
إنَّ الشَّقِيَّ بَمَرٍ مَنْ أَقام بها يُقَارِعُ السُّوقَ من بَيْعٍ ومن خَلْفٍ
أخبرني أبو الحسن الأُسديّ قال : حدَّثني الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : قال كعب
الأشقرى يهجو زياداً الأعجم :
[من الطويل]

وأقْلَفَ صُلِّيَ بعد ما ناكَ أُمَّهُ يَرى ذاك في دينِ المَجوسِ حَلالاً
فقال له زياد : يا ابن النِّمامة أهي أَخبرتكَ أَنِّي أَقْلَفُ ؟ فغلبه زياد . والقصيدة التي أوَّلها :
طربتُ وهاج لي ذاك ادَّكاراً

[قصيدته في المهلب]

وفيه الغناء المذكور بذكره خبرُ كعب الأشقرى ، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة
ويذكر قتالَه الأزارقة ، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء : [من الوافر]

غَرَضُنْ بِمَجْلِسِي وَكَرْهَنْ وَصَلِي
زَرَيْنَ عَلِيٍّ حِينَ بَدَأَ مَشِيبي
أَتَانِي وَالْحَدِيثُ لَهُ نَمَاءُ
سَلُّوا أَهْلَ الْأَبْطَاحِ مِنْ قَرِيشِ
وَمَنْ يَحْمِي الثَّغُورَ إِذَا اسْتَحَرَّتْ
لِقَوْمِي الْأَزْدَ فِي الْعَمَرَاتِ أَمْضَى
هُمْ قَادُوا الْجِيَادَ عَلَى وَجَاهِهَا
بِكُلِّ مَفَازَةٍ وَبِكُلِّ سَهْبٍ
إِلَى كِرْمَانٍ يَحْمِلُنَ الْمَنَايَا
شَوَازِبَ لَمْ يَصْبِيَنَّ الشَّارَ حَتَّى
أَوَانَ كُسَيْتُ مِنْ شَمَطٍ عِذاراً¹
وصارت سَاحَتِي لِلْهَمِّ داراً²
مقالَةً جَائِرَ أَحْفَى وَجاراً
عَنِ الْعِزِّ الْمُؤَيَّدِ أَيْنَ صَارَا
حُرُوبٌ لَا يَنْوَنُ لَهَا غِرَاراً³
وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَعَزُّ جَاراً
مِنَ الْأَمْصَارِ يَقْذِفُنَ الْمِهاراً⁴
بَسَائِسَ لَا يَرَوْنَ لَهَا مَنَاراً⁵
بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ يَوْقِدُنَ ناراً
رَدَدْنَاهَا مَكْلَمَةً مِراراً⁶

1 غرضن : مللن .

2 زرين : عين .

3 لا ينون : لا يفترون . غرار : غافلون .

4 الوجي : الحفا .

5 المفازة والسهب : الفلاة ، وكذلك البسيس . والمنار : العلم .

6 الشواذب : الخيل الضامرة . ومكلمة : مجرحة .

ويشجرن العوالي السمر حتى
 غداة تَرَكْنَ مصرعَ عَبْدَ رَبٍّ¹
 ويوم الزحف بالأهواز ظَلْنَا
 فقرتْ أعْيُنٌ كانت حديثاً
 صنائعنا السوابغ والمذاكي
 فهنَّ يبحن كلَّ حِمَى عزيز
 طُوالِ الأمتون يُصَنُّ إِلَّا²
 فلولاً الشيخ بالمصريين ينفي
 ولكن قارعَ الأبطال حتى
 إذا وهنوا وحلَّ بهم عظيمُ
 ومبَهمةٍ يحيد الناسُ عنها
 شهابٌ تنجلي الظلماء عنه
 بل الرحمن جارك إذ وهناً
 براك الله حين براك بخرأ³
 تَرى فيها على الأسل أزوراراً⁴
 يُثرن عليه من رَهَجٍ عصاراً⁵
 نروِي منهم الأسل الحِراراً⁶
 ولم يك نومها إلا غرارا
 ومَن بالمصر يحتلب العشاراً⁷
 ويحمين الحقائق والذمارا
 إذا سار المهلب حيث سارا
 عدوهم لقد تركوا الديارا⁸
 أصابوا الأَمَنَ واجتنبوا الفرارا
 يدقُّ العظمَ كان لهم جبارا
 تشبُّ الموتَ شدَّ لها الإزارا
 يرى في كلِّ مبهمةٍ منارا
 يدفعك عن محارمنا اختيارا
 وفجر منك أنهاراً غزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدمةً فيما سلف من أخبار كعب وشعره .

[مزيد من شعره في المهلب وولده]

أخبرني عمِّي قال : حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال : حدثني العُمري عن العُتبي قال :
 قال عبد الملك بن مُروان : يا معشر الشعراء ، تشبهوننا بالأسد الأبحر ، والجبل الوعر ،
 والمِلح الأجاج ؟ ألا قلتُم كما قال كعبُ الأشقر في المهلب وولده : [من الوافر]

براك الله حين براك بخرأ وفجر منك أنهاراً غزارا

- 1 السمر والأسل : الرماح . والعوالي : الرماح المستقيمة .
- 2 عبد ربّه : قائد الخوارج بعد قطري بن الفجاءة . الرهج : الغبار . والعصار : الغبار الشديد .
- 3 الحرار : العطشى .
- 4 السوابغ : الدروع . والمذاكي : الخيل التي مضى على قروحها سنة أو ستان . والعشار : التي مضى لحملها عشرة أشهر .
- 5 المصار : البصرة والكوفة .

شهاب تنجلي الظلماء عنه يرى في كل مبهمة منارا

قال النضر : وكان لكعب الأشقرى ابن أخ شاعر فمدح رجلاً من بني عجل كان مع يزيد بن المهلب يقال له عمرو . فأمر له بشعر فقال ابن أخي كعب يهجوه : [من الطويل]

لقد خاب أقوامٌ سرّوا ظلمَ الدّجى يؤمّون عمراً ذا الشعرِ وذا البرِّ
يؤمّون من نال الغنى بعد شيبه وقاسى وليداً ما يقاسى ذوو الفقرِ
فقل للجّيم يا بكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يُزري
فلو كنتم حياً صميماً نفيتم بخيلكم بالرّغم منه وبالصّغر¹
ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان في المال ذا وفرٍ
هو المانع الكلب النّباح وضيقه خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري

[مجاوزه لابن أخيه]

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة ، وكانت أمه سوداء فقال يهجوه :

إنّ السّواد الذي سرّبت تعرفه ميراث جدك عن آبائه النّوب
أشبهت خالك خال اللّوم مؤتسياً بهذيه سالكاً في شرّ أسلوب

[مقتله]

قال المدائني في خبره : وكان ابن أخي كعب هذا عدواً له يسعى عليه ، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلّاه ، دس إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر ، وجعل له مالاً على قتله ، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة ، فضرب رأسه بفأس فقتله ، وذلك في فتنة يزيد بن المهلب وهو بعمان يومئذ . وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه ، فلما قُتل يزيد بن المهلب فرّق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمال شتى فولّى البصرة وعُمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي ، فاستخلف عبد الرحمن على عُمان محمد بن جابر الراسي ، فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي قتل كعباً ، فقدمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القود منه بكعب ؛ فقليل له : قُتل أخوك بالأمس ، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم ؟ وقد مضى أخوك وانقضى ، فتبقى فرداً كقرن الأعضب² ! فقال : نعم إن أخي كعباً كان سيّدنا وعظيمنا ووجهنا ، فقتله هذا ، وليس فيه خير ، ولا في بقائه عز ، ولا هو خلف من

1 الصغر : الصغار ، الذل .

2 الأعضب : الذي كسر أحد قرنيه .

كعب فأنا أقتله به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم .

[مدح قتيبة بن مسلم]

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ولقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بن المهلب مدينة خُوَارَزَم في أيام ولايته ، فلم يقدّر على فتحها ، واستصعب عليه ، ثم عزل ووُلّي قتيبة بن مسلم ، فرحف إليها ، فحاصرها ففتحها ، فقال كعب الأشقر يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله :

رمتك فيلّ بما فيها وما ظلمت من بعد ما رامها الفجّفاة الصلّف
صريح قيس وبعضُ الناس يجمعهم قرى وريف ومنسوب ومقترِف¹
منهم شناس ومرداذاء نعرفه وفسخرءاء ، قُبور حشوها القلّف
لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا فهم يُقال على أكتافها عُنْف

قال : الفيل الذي ذكره هو حصن خُوَارَزَم يقال له الكُهَنْدَر ، والكُهَنْدَر : الحصن العتيق ، والفجّفاة : الكثير الكلام . وشناس : اسم أبي صُفْرة ، فغيره ، وتسمّى ظلماً ، ومرداذاء : أبو أبي صُفْرة ، وسمّوه بسراق لما تعرّبوا ، وفسخرءاء : جدّه ، وهم قوم من الخوز² من أهل عُمان ، نزلوا الأزْد ، ثم ادّعوا أنّهم صليبة صرْحاء منهم .

صوت

[من الطويل]

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارسا وقفتُ به يوماً إلى الليل حابسا
فجئنا بهيت لا نرى غير منزلٍ قليل به الآثارُ إلا الروامِسا³
يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ فينسُوني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُلَميّ ، وبيت العبّاس مصراعهُ الثاني :

[من الطويل]

1 قرفه : رماه بسوء .

2 الخوز : جيل من الناس ، فارسيّ معرب .

3 هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التي تثير التراب .

تَوَهَّمْتُ مِنْهُ رَحْرَحَانَ فَرَائِسَا

وغيره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع :

[من الطويل]

وَقَفْتُ بِهِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ حَابِسَا

والبيت الثاني للعباس بن مرداس ، والثالث ليزيد بن معاوية ، ذكر بعض الرواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمرُ بَدِيحاً أَنْ يَغْنِيَ فِيهِ ، ففعل ؛ ولم يأتِ ذلك من جهة يوثق بها ، والصحيح أن الغناء لمالك ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي ، وهذا صوت زعموا أن مالِكاً صنعه على لحن سمعه من الرُّهْبَانِ .

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حماد بن إسحاق ، عن أحمد بن المكي ، عن أبيه ، عن سباط ، أن مالِكاً دخل مع الوليد بن يزيد ذِيراً ، فسمع لَحْنًا من بعض الرُّهْبَانِ فاستحسنه ، فصنع عليه .

لَيْسَ رَسْمٌ عَلَى الدَّفِينِ بِبَالِي

فلما غنَّاه الوليد قال له : الأولُ أحسن فعد إليه . اللحن الثاني الذي لمالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو ، وأوله¹ :

[من الخفيف]

دَرُّ دَرُّ الشُّبَابِ وَالشَّعْرِ الْأَسَدِ	وَدِ الضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرِّحَالِ
وَالْخَنَازِيدِ كَالْقَدَاحِ مِنَ الشُّو	حَطَ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الْأَبْطَالِ

1 البيتان لعبيد بن الأبرص في ديوانه (دار صادر) : 115 . وفيه «الراتكات» بدل «الضامرات» «والعناجيج» بدل «والخنازيد» . والراتكات : التي تعدو في خطو متقارب . والعناجيج كالخنازيد : الخيل الطويلة الصلبة . والشوحت : شجر تتخذ منه القسي . والشكة : السلاح .

[273] - أخبار العباس بن مرداس ونسبه¹

[نسبه]

العبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، ويكنى أبا الهيثم ، وإياه يعني أخوه سُرّاقة بقوله يرثيه :

أَعَيْنَ أَلَا أَبْكِي أبا الهَيْثَمَ وَأَذْرِي الدُمُوعَ وَلَا تَسْأَمِي
وهي أبيات تُذكر في أخباره ، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد ، وكان العبّاس فارساً شاعراً شديداً العارضة والبيان ، سيّداً في قومه من كلا طرفيه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد إلى النبي ﷺ ، فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضّل عليه عيّنة بن حصن والأقرع بن حابس ، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك ، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي ، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع .

[إسلامه]

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال : حدّثنا محمد بن حُميد قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر ، عن قبيصة ، عن عمرو والخزاعي عن العبّاس بن مرداس بن أبي عامر أنّه قال : كان لأبي صنم اسمه ضيمار ، فلما حضره الموت أوصاني به وعبادته والقيام عليه ، فعمدّت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة ، فلما ظهر أمرُ رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعني ، فترتبتُ إلى ضيمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول :

قُلْ لِلْقِبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلَكَ الْأُنَيْسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
إِنْ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
أَوْدَى الضُّمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
قال : فكتمتُ الناسَ ذلك ، فلم أُحدّث به أحداً حتى انقضت غزوة الأحزاب ، فبينما أنا

1 للعبّاس بن مرداس ترجمتان في الشعر والشعراء : 218 ، 632 وفي الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وكتب السيرة ومعجم المرزباني : 262 والسمط : 32 والطبري 3 : 172 والخزانة 1 : 152-153 وانظر مقدمة ديوانه ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبورى .

في إيلي في طرف العقيق وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حيالي بعمامة يقول : إنَّ النور الذي وقع بين الاثنين ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء¹ ، في ديار بني أخي العنقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال : بَشِّرَ الْجَنَّ وأجناسها ، أن وضعت المطي أحلاسها ، وكفَّت السماء أحراسها ، وأن يُغصَّ السوق أنفاسها ، قال : فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أنَّ محمداً رسول الله ﷺ مصطفى ، فركبتُ فرسي وسرتُ حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمتُ ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار .

وقال أبو عبيدة : كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحاك بن سُفيان السُّلَميَّ أحد بني رِعل بن مالك ، فخرج عباس حتى انتهى إلى إيله وهو يريد النبي ﷺ ، فبات بها ، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإيله ، وقال له : من سألك عني فحدثه أنني لحقتُ ببشر ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً وكائناً معه ، فإني أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ، فإن كان خيراً لم أسبق إليه ، وإن كان شراً نصرته لخشوته ، على أنني قد رأيت الفضلَ البين وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتباعه ومبايعته ، وإيثار أمره على جميع الأمور ، فإن مناهج سبيله واضحة ، وأعلام ما يجيء به من الحق نيرة ، ولا أرى أحداً من العرب يتصيب² له إلا أعطى عليه الظفر والعلو ، وأراني قد أقيمت عليَّ حجة له ، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ؛ قال : ثم سار نحو النبي ﷺ ، وانتهى الراعي نحو إيله ، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي ﷺ ، فقامت فقوضت بيتها ، ولحقتُ بأهلها ، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس ، حين أحرق ضماراً ولحق بالنبي ﷺ³ : [من الطويل]

لعمري إني يوم أجعل جاهداً	ضماراً لرب العالمين مُشاركاً
وتركي رسول الله والأوس حوله	أولئك أنصار له ، ما أولئك ؟
كشارك سهل الأرض ، والحزن يتغي	ليسلك في غيب الأمور المسالك
فأمنتُ بالله الذي أنا عبده	وخالفتُ من أمسى يريد الممالك
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً	وتابعت بين الأخشين المباركا ⁴

1 العضباء : اسم ناقة النبي ﷺ .

2 ينصب له : يعاديه .

3 ديوانه : 93-94 عن الأغاني .

4 الأخشبان : جيلان مطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحر .

نبيُّ أتنا بعدَ عيسى بناطق من الحقِّ فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافي عرى الإسلام بعد انفصامها فأحكّمها حتّى أقام المناسكا
رأيتك يا خير البريّة كلّها توسّطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهُم بالمجد والجود والعلا وبالغاية القصوى تفوت السنابكا
فأنت المصفى من قريش إذا سمّت غلاصمها تبغي القُروم الفواركا¹

قال : فقدِم عَبّاس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكّة عام الفتح ، فواعدَ رسول الله ﷺ قديداً² ، وقال : القني أنت وقومك بقديد ، فلمّا نزل رسول الله ﷺ قديداً وهو ذاهب ، لقيه عَبّاس في ألف من بني سُليم ، ففي ذلك يقول عَبّاس بنُ مرداس³ :

بلّغ عباد الله أنّ محمداً رسولَ إله راشداً أين يمّا
دعا قومَه واستنصر الله ربّه فأصبح قد وافى الإله وأنعماً⁴
عشية واعدنا قديداً محمداً يومَ بنا أمراً من الله مُحكّماً
حلفت يميناً برةً لحمد فأوفيته ألفاً من الخيل معلّماً
سرايا يراها الله وهو أميرها يومَ بها في الدّين من كان أظلماً⁵
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا وخيلاً كدُفّاع الأتني عرمرماً⁶
أطعنك حتى أسلم الناس كلّهم وحتيّ صبحنا الخيلَ أهل يلملماً

وهي قصيدة طويلة .

[موقف زوجته من إسلامه]

قال : ولما عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجته بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامه

- 1 الغلاصم هنا : السادة . والقرم : السيد . والفوارك : جمع فارك وهو المبخض لزوجه أو المبخضة لزوجها . أي الذين لا تلهيهم النساء عن عظام الأمور .
- 2 قديد : موضع قرب مكّة .
- 3 ديوانه : 101-103 وفيه اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .
- 4 وافى الله حقّه : أدّاه . وأنعم : زاد .
- 5 أظلم : ظالم .
- 6 الدفّاع : كثرة الماء وشدة جريانه . والأتني : السيل . والجيش العرمرم : الكثير .

قَوَّضَتْ بَيْتَهَا ، وَارْتَحَلَتْ إِلَى قَوْمِهَا ، وَقَالَتْ تَوْتُبُهُ : [من الطويل]

ألم ينه عباس بن مرداسَ أُنْتِي	رأيت الورى مخصوصةً بالفجائع
أَتَاهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلِّ سَمِيدِعٍ	من القوم يَحْمِي قَوْمَهُ فِي الْوَقَائِعِ
بِكُلِّ شَدِيدِ الْوَقْعِ عَضْبٍ ، يَقُوذُهُ	إِلَى الْمَوْتِ هَامُ الْمُقْرِبَاتِ الْبَرَائِعِ ¹
لَعَمْرِي لَنْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ	وَفَارَقْتَ إِخْوَانَ الصِّفَا وَالصَّنَائِعِ
لِبَذَلْتِ تِلْكَ النَّفْسَ ذِلًّا بِعِزَّةٍ	غَدَاةَ اخْتِلَافِ الْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاطِعِ
وَقَوْمِ هَمِ الرَّأْسِ الْمَقْدَمِ فِي الْوَعْيِ	وَأَهْلُ الْحِجَا فِينَا وَأَهْلُ الدَّسَائِعِ ²
سَيُوفُهُمْ عَزُّ الذَّلِيلِ وَخِيْلُهُمْ	سِيَهَامُ الْأَعَادِي فِي الْأُمُورِ الْفُظَائِعِ ³

[احتجاجه على قسمة الغنائم]

فَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجَعْدِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيْبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْجٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي غِيلَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ دَخَلَ حَدِيثُهُمْ فِي حَدِيثِ بَعْضِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَسَمَ غَنَائِمَ هَوَازِنَ ، فَأَكْثَرَ الْعَطَايَا لِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَجْزَلَ الْقَسَمِ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَعْطِي الرَّجُلَ الْوَاحِدَ مِائَةَ نَاقَةٍ ، وَالْآخِرَ أَلْفَ شَاةٍ ، وَزَوَى كَثِيرًا مِنَ الْقَسَمِ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَالْعَبَّاسَ بْنَ مَرْدَاسٍ عَطَايَا فَضَّلَ فِيهَا عَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ عَلَى الْعَبَّاسِ ، فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَأَنْشَدَهُ⁴ :

[من المتقارب]

وَكَانَتْ زِهَابًا تَلَا فَيْتُهَا	بِكُرِّيٍّ عَلَى الْمُهَرِّ فِي الْأَجْرَعِ
وَأَيْقَاطِي الْحَيِّ أَنْ يَرْقُدُوا	إِذَا هَجَعَ الْقَوْمُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْ	لِ بَيْنِ عَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ ⁵

1 المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس التي تقرب وتكرم ، أو التي ضمرت للركوب . والبرائع : جمع بريعة ، وهي المرأة الجميلة العاقلة ، وقد جعلت هنا وصفاً للفرس .

2 الدسائع : جمع دسيسة وهي العطية الجزلة .

3 سهام في ل : سهام .

4 ديوانه : 83-85 .

5 العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرأ¹ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمنع¹
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تصنع اليوم لا يُرفع

فبلغ قومه رسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : أنت القاتل : «أَصْبَحَ نَهْيِي ونَهْبُ العبيد بين الأقرع وعيينة ؟» فقال أبو بكر : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعرُ ، وما أنت براوية ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : هما سواء ، لا يضرّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أم بعيينة ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا عني لسانه ، وأمر بأن يُعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليُمسِك ، فأعطِي ، قال : فوجَدَتِ الأنصارُ في أنفسها ، وقالوا : نحن أصحاب موطنٍ² وشدة ، فأثر قومه علينا ، وقسم قسماً لم يقسمه لنا ، وما نراه فعل هذا إلّا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم ، فلما بلغ قولهم رسول الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم ، وقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالة قاتموها ، وموجدة وجَدْتُموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلّالاً فهذا كم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلاً فكثركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عيينة أنّه قال : ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرجنا الله بك إلى النور ، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حفرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً . فقال ﷺ : أما والله لو شئتم لأجبتُموني بغير هذا ، فقلتم : جئتنا طريداً فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فأغنيناك ، ومكذباً فصدّقناك ، وقيلنا منك ما ردّه عليك الناسُ ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله ﷺ ، وقال : يا معشر الأنصار وجَدْتُم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألفهم على الإسلام لِيُسْلِمُوا ، ووكَلْتُم إلى الإسلام ، أو لا ترضون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ؟ والذي نفس محمد بيده

1 ذو تدراً : ذو دفع من قومي .

2 موطن : مشهد في الحرب .

لو سلك الناسُ شِعْباً وسلك الأنصارُ شِعْباً لسلكْتُ شِعْب¹ الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ امرأةً من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله خطأً وقسماً ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ اغتباطاً من المال .

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر : أعطى رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشرف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام ، فأعطى كلَّ رجلٍ من هؤلاء النفر ، وهم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وخويط بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليفُ بن زهرة ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، مائةً من الإبل ، وأعطى كلَّ واحد من مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع ، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ ، وأعطى العباس بن مرداس أباعر ، فتسخطها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضي .

[ين عبد الملك وعبد الله بن الزبير]

حدثنا وكيع قال : حدثنا الكُرانيّ قال : حدثنا عطاء بنُ مصعب ، عن عاصم بنِ الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعده فيه وكتب فيه : [من الطويل]

إني لعندَ الحرب تحملُ شِكْتي إلى الرُّوعِ جَرْداءَ السَّيالةِ ضامراً

والشعر للعباس بن مرداس . فقال ابن الزبير : أبالشعر يقوى عليّ ؟ والله لا أجيئه إلاّ بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه² :

إذا فُرسُ العوالي لم يخالَجْ هُمومي غير نصرٍ واقتراب³
وإنّا والسَّوابع يومَ جُمعَ وما يتلو الرسول من الكتاب⁴
هزمتنا الجمعَ جمعَ بني قيسٍ وحكّت برّكها ببني رثاب⁵

هذه الأبيات من قصيدة يفخر بها العباس برسول الله ﷺ ونصره له ، وفيها يقول :

1 ل : مسلك .

2 ديوانه : 33-34 وفيه اختلاف .

3 فُرس : دقّ وكسر .

4 جمع في ل : بدر .

5 البرك : كلكل البعير . ويقال في شدّة الحرب «حكّت برّكها بهم» .

بذي لَجَب رسولُ الله فيه كنيته تَعَرَّضُ للضُّرابِ¹
 ولو أدركن صيرم بني هلال لآم نسائهم والنَّقْع كابي²
 ركضن الخيل فيهم يوم لبني : إلى الأرواد تنحط بالنهاجِ

[مقتل أخيه هريم]

قال أبو عبيدة : وكان هُريَم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلِد ، وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس ، فقال يحضُّ عامراً على الطلب بثأر جاره ، فقال :

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً فإنَّ شفاءَ البغي سيفُك فافصِلْ
 ونبتُ أن قد عَوْضوك أباغراً وذلك للجيران غزل بمغزلِ
 فخذها فليست للعزير بُصرة وفيها متاعٌ لامرئ متدلِّلِ

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة ، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يوليّه الشام إذا بايعه .

قال : فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء يغسل حتى يثأر بهُريَم ، ثم إنَّ أبا حُلَيْس النَّصْرِيّ لقي خويلداً قاتِلَ هُريَم فقتله ، فقال بنو نصر : بُؤ بدم فلان النصريّ ، رجل كانت خُزاعة قتله ، فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤ بدم هُريَم بن مرداس ، وبلغ ذلك العباس ، فقال يمدحه بقوله³ :

أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ كفى ثائراً من قومه من تغيّبا
 ويلقاك ما بين الخميس وخويلدٌ أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
 فدّى لك أمي إذ ظفّرت بقتله وأقسم أبغي عنك أمّا ولا أبا⁴
 فمثلك أذى نُصرة القوم غنوة ومثلك أعيّا ذا السّلاح المجربا

[حرب بني نصر]

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سُلَيْم ، فبلغ ذلك العباس بن مرداس ، فخرج إليهم في جمع من قومه ، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل ، وظهرت عليهم بنو سُلَيْم ، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم ، وأخذت بنو نصر فرساً للعباس

1 الشطر الثاني في ل : كعارضة . . . للضراب .

2 كابي : مرتفع .

3 ديوانه : 113 عن الأغاني .

4 أقسم أبغي : أقسم لا أبغي .

عائرة يقال لها زرة¹ ، فانطلق بها عطية² بن سُفْيَان النَّصْرِيّ ، وهو يومئذٍ رئيس القوم ، فقال في ذلك العباس³ :

أبى قومنا إلا الفرارَ ومن تكن
أغار علينا جمعهم بين ظالم
كلاب وما تفعل كلابٌ فإنها
فإن كان هذا صنعكم فتجردوا
وحرب إذا المرء السمين تمرست
ولم أحسب سُفْيَانَ حتى لقيته
فقلت وقد صاح النساء خلالهم
فما كان تهليلٌ لُدن أن رميتهم
إذا هي صدّت نحرها عن رماحهم
وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها
لُدن غدوة حتى استبيحوا عشيّة
فأبوا بها عرفاً وألقيت كلّكي
ولن يمنع الأقوام إلا مشايخ

هوازن مولاة من الناس يُظلم
وبين ابن عمٍ كاذبٍ الودّ أيهم⁴
وكعب سراة البيت ما لم تهدم
لألفين منّا حاسر ومُلام⁵
بأعطافه بالسيف لم يترمرم⁶
على ماقط إذ بيننا عطر منشم⁷
لخيلي شدي إنهم قومٌ لهزم⁸
بزرة ركضاً حاسراً غير ملجم
أقدمها حتى تنعل بالدم
وآخرُ يهوي للبدن وللغم
وذلوا فكانوا لحمّة المتلحم⁹
على بطل شاكي السلاح مكلم¹⁰
يطارد في الأرض الفضاء ويرتمي¹¹

قال : ثم إنَّ العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر ، وكانوا ثلاثين رجلاً ،

1 ل : زورة .

2 ل : غبطة .

3 ديوانه : 145-146 عن الأغاني .

4 أيهم : لا عقل له ولا فهم .

5 حاسر : بلا درع أو بيضة . والمُلام : اللابس عدّة الحرب .

6 السمين في ل : السليم . ترمرم : حرك فاه بالكلام .

7 المثل : «أشام من عطر منشم» أو «دقوا بينهم عطر منشم» في معظم كتب الأمثال . والمأقط : الضيق الذي يتقاتلون فيه .

8 لخيلي شدي في ل : لقومي شدوا . اللهزم : القاطع من الأسنة .

9 المتلحم : طالب اللحم .

10 عرفاً : معترفين بالهزيمة .

11 مشايخ : مقاتل .

فأطلقهم ، وظنَّ أنَّهم سيثيبنه بفعله ، وأنَّ سفيانَ سيردَّ عليه فرسه زرعاً ، فلم يفعلوا ، فقال في ذلك :

أزَّرة خيرٌ أم ثلاثون منكم طليقاً رددناه إليكم مسلماً
قال : وجعل العباسُ يهجو بني نصر ، فبلغه أنَّ سفيانَ بن عبد يغوث يتوعدّه في ذلك ،
فلقيّه عباسُ في المواسم ، فقال له ألا توفيني ما زعمت ؟ فقال له سفيان : والله لتنتهين أو
لأصرمتك ، فقال عباس :

أتوعدني بالصَّرم إن قلت أوفني فاوفِ وزدْ في الصَّرم لهزيمة التنن
وقال العباسُ أيضاً فيه ¹ :

ألا من مبلغ سفيان عني وظنني أن سيلغه الرسولُ
ومولاه عطية أن قيلاً خلا متي وأن قد بات قيل ²
سئمت ريكتم وكفرتموه وذلكم بأرضكم جميل
ألا توفي كما أوفى شبيب فحلّ له الولاية والشُّمول
أبوه كان خيركم وفاء وخيركم إذا حُمِدَ الجميل
ألام على الهجاء وكلّ يوم تلاقيني من الجيران غول ³
سأجعلها لأجمعكم شعاعاً وقد يمضي اللسان بما يقول

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها ، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زيد باليمن .
[حربه مع بني زيد]

قال أبو عمرو وأبو عبيدة : جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر ، وكان يقال للعباس :
مقطع الأوتاد ، جمعاً من بني سليم فيه من جميع بطونها ، ثم خرج بهم حتى صبح بني زيد
بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ؛ فقتل فيها عدداً كثيراً ، وغنم حتى ملأ يديه ،
فقال في ذلك ⁴ :

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارساً وقفتُ به يوماً إلى الليل حابساً

1 ديوانه : 125 عن الأغاني .

2 القيل : القول . خلا : مضى .

3 الغول : الداهية .

4 ديوانه : 68-71 وفيه اختلاف .

يقول فيها :

[من الطويل]

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا
سموئنا لهم تسعاً وعشرين ليلة
فلم أر مثلاً الحيّ حياً مصبّحاً
إذا ما شدّدنا شدّة نصبوا لنا
وأحصننا منهم فما يبلغوننا
وجردّ كأنّ الأسد فوق متونها
وكنّت أمام القوم أوّل ضارب
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت
لأعدائنا نرجي الثقال الكوادي¹
نُجيزُ من الأعراض وحشاً بسايساً²
ولا مثلاً يوم التقينا فوارسا
صدور المذاكي والرماح المداعسا³
فوارسُ منا يجسون المحابسا
من القوم مرووساً كمياً ورائسا
وطاعتُ إذ كان الطعان مُخالسا⁴
ضياغ بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معديكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها :

[من الطويل]

لِمَن طللٌ بالخيف أصبح دارسا
تبدّل آراما وعيناً كوانسا

وهي طويلة ، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنّما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها !

[بكاؤه على جلاء بني النضير]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنا أبو غزّية عن فليح بن سليمان قال : قال العباس يذكر جلاء بني النضير ويكيهم بقوله⁵ :

[من الطويل]

لو أنّ قطيّن الدار لم يتحمّلوا
فإنك عمري هل رأيت ظعائنا
عليهنّ عينٌ من ظباء تباله
إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة
وجدت خلال الدار ملهى وملعبا
سلكن على ركن الشظاة فميثبا⁶
أوانس يُصبين الحليم المجربا
له بوجوه كاللذنانير : مرحبا

1 الكوادر : المسرعة .

2 الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . البسايس : القفار .

3 المداعس : جمع مدعس وهو الرمح الغليظ الشديد .

4 مُخالسا في ل : تخالسا .

5 ديوانه : 38-39 وفيه اختلاف .

6 الشظاة وميثب : موضعان .

وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته
فلا تحسبني كنتُ مولى ابنِ مشكم
فقال خوات بنُ جُبَيْر يجيب العباس :

ولا أنتَ تخشى عندنا أن تُوثباً
سلامٍ ولا مولى حَيٍّ بنِ أخطباً¹
[من الطويل]

أتبكي على قتلي يهودَ وقد ترى
فهلاً على قتلى بيطنٍ أواره
إذا السلم دارت في الصديق رددتها
وإتلك لما أن كلفت بمدحة
وجئتُ بأمر كنتُ أهلاً لمثله
فهلاً إلى قوم ملوكٍ مدحتهم
إلى معشر سادوا الملوكَ وكرّموا
أولئك أولى من يهودَ بمدحة
فقال عباس بن مرداس يجيبه :

من الشّجو لو تبكي أحقُّ وأقرباً
بكيتَ وما تبكي من الشّجو مغضباً
وفي الدّين صدّادا وفي الحرب ثعلباً
لِمَن كان مينا مدحُه وتكذّباً
ولم تُلفِ فيهم قائلاً لك مرجباً
بنوا من ذرا المجد المقدّم منصباً
ولم يُلفِ فيهم طالبُ الحقِّ مُجلباً
تراهم وفيهم عزّة المجدِ تُرتباً²
[من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهنين وفيكمُ
أولئك أخرى إن بكيتَ عليهمُ
من الشّكر إنَّ الشّكر خيرُ مغبّة
فصرتَ كمن أَمسى يقطعُ رأسه
فبكُ بني هارونَ واذكر فعالمهم
لهم نِعَمَ كانت من الدّهرِ تُرتباً³
وقومك لو أدّوا من الحقِّ موجباً
وأوفقُ فعلاً للذي كان أصوباً⁴
ليبلغُ عزّاً كان فيه مركباً
وقتلهم للجوع إذ كنتَ مُسغباً

قال الزبير : فحدثني محمد بن الحسن عن مُحَرِّز بن جعفر قال : التقى عباس بن مرداس وخوات بن جبير يوماً عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال خوات : يا عباس أنت الذي رثيت اليهود ، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان ! فقال عباس : إنهم كانوا أخلاقاً في الجاهلية ، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرموني ، ومثلي يشكر ما صنّع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا . فقال له خوات : أما والله لئن استقبلت غُرباً⁵

1 مشكم في ل : سالم . حيي بن أخطب : سيد بني النضير .

2 عزة المجد ترتباً في ل : طابع اللّوم يرتباً .

3 الترتب : المقيم الثابت .

4 فعلاً في ل : قدماً .

5 غُرب الشباب : شدته .

شبابي ، وشبّا أنيابي ، وخشّين جوابي ، لتكرهنّ عتايي . فقال عباس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عني وفني¹ وذكاء سيني ، لتفرّن مني ، إياي تتوعّد يا خوّات ، يا عاني² السوّات ! والله لقد استقبلك اللومُ فردّعك³ ، واستدبرك فكسّك ، وعلاك فوضّعك ، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلّا عن فضل لوم ؛ إياي ، ثكلتك أمك ، تروم ؟ وعليّ تقوم ؟ والله ما نصّيت سؤوك ، ولأظهرنّ عليك بعد ؛ فقال عمر لهما : إمّا أن تسكتا وإمّا أن أوجّعكما ضرباً ، فصمّتا وكفّا .

أخبرني بذلك علي بن نصر قال : حدّثني الحسن بن محمد بن جرير ، وحدّثني الحرّميّ بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك .
وللعباس مع خوّات مناقضات أخر في هذا المعنى ، كرهت الإطالة بذكرها .
[رثاء أخيه له]

قال أبو عبيدة : وكان العباس وسراقة وخزن وعمر بنو مرداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعراً ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات في الإسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه :

أعيند ألا أبكي أبا الهيثم	وأذري الدموع ولا تسأمي
وأثني عليه بالائه	يقول امرئ موجّع مؤلم
فما كنتُ بائعته بامرئ	أراه ببذو ولا موسم
أشدّ على رجل ظالم	وأدهى لداهية ميثم ⁴

وقالت أخته عمرة ترثيه :

لئبك ابن مرداس على ما غراهم	عشيرته إذ حمّ أمس زوالها
لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم	فكان إليه فصلها وجدالها
ومعضلة للحاملين كفيها	إذا أنهلت هوج الرياح طلالها ⁵

1 العن : الاعتراض . والفن : الأمر العجب . يقال رجل معن مفن .

2 ل : مأوي .

3 ردعه بالشيء : لطمه به . وكسعه : ضرب دبره .

4 الميثم : الشديد الوطء .

5 طلال : جمع ظل ، وهو المطر الخفيف .

[دعاء النبي ﷺ لأُمَّته يوم عرفة]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبي ﷺ ، ونقل عنه الحديث .
 حَدَّثَنَا الحسين بن الطَّيِّب الشَّجَاعِيُّ الْبَلْخِيُّ بالكوفة قال : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بن محمد الطَّلْحِيُّ
 قال : حَدَّثَنَا عبد القاهر بن السريِّ السُّلَمِيُّ قال : حَدَّثَنَا عبد الله بن كِنَانَةَ بن عباس بن مرداس
 السلميُّ أن أباه حَدَّثَهُ عن جدِّه عَبَّاس بن مرداس أَنَّ النبي ﷺ دعا لأُمَّته عَشِيَّةَ عَرَفَةَ قال :
 فَأَجِيبَ لَهُم بِالْمَغْفِرَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، قال : فَإِنِّي أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ
 الظَّالِمِ ، قال : أَيُّ رَبٍّ إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَغُفِرَتْ لِلظَّالِمِ ، فلم يجب في
 حينه ، فلَمَّا أَصْبَحَ فِي الْمَزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ ، فَأَجِيبَ لَهُمْ بِمَا سَأَلَ ؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ تَبَسَّمَ
 ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بَأَنِي أَنْتَ وَأُمِّي ! إِنَّ هَذِهِ لِسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا
 أَوْ تَبَسَّمُ ، فقال : إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَأُمَّتِي جَعَلَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَدْعُو
 بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ ، فَضَحِكْتُ مِنْ جَزَعِهِ . تَمَّتْ أَخْبَارُ الْعَبَّاسِ .

صوت

[من البسيط]

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا	يا أكرم الناس أعرافاً وعيادنا
أرجوك من بعده إذ بان سيّدنا	عنا ولولاك لاستسلمت إذ بانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم	وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو معج عود على قوم عصارته	لمج عودك فينا المسك والبانا

الشعر لحَمَاد عَجْرَد ، والغناء لحَكَم الوادي ، ولحنه من القَدَر الأوسط من الثقيل الأوّل
 بالبِنْصَر في مجراها .

[274] - أخبار حماد عجرد ونسبه¹

[نسبه]

هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب ، ويكنى أبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سرة ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل ، وأصله ومنشؤه بالكوفة ، وكان يري النبل ، وقيل : بل أبوه كان نبألاً ، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر .

وقال صالح بن سليمان : كان عمّ لحامد عجرد يقال له مؤنس بن كليب ، وكانت له هيئة ، وابن عمّه عُمارة بن حمزة بن كليب ، انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً ، فكانوا بها ، وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس ، وكان خليعاً ماجناً ، متهماً في دينه ، مرمياً بالزندقة .

[هجاه بشار له]

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : قال أبو دعامة : حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال : كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لهند بنت أسماء بن خارجة ، وكان وكيلاً لها في ضيعتها بالسواد ، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر ، فجرّ عبد الملك ولأه موالى أمه فصاروا مواليه . قال : ولما كان والد حماد عجرد بالسواد في ضيعتها ببطه² بشار لما هجاه بقوله :

[من البسيط]

واشدّد يدك بحماد أبي عمرٍ
فإنه نبطيٌّ من زنابير³

[تلقية عجرد]

قال : وإنما لقبه بعجرد عمرو بن سديّ مولى ثقيف لقوله فيه :

[من الخفيف]

1 لحامد عجرد ترجمة في الشعر والشعراء : 663-665 وطبقات ابن المعتز : 67-72 ومعجم الأدباء : 1196-1198 ووفيات الأعيان 2 : 210-214 وأنساب الأشراف 3 : 180 . وتاريخ بغداد 8 : 148 وسير الذهبي 7 : 159 وأمالى المرتضى 1 : 133 . والوافي 13 : 142 ومواقع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ببطه : نسبه إلى النبط .

3 زنابير : أرض باليمن ، وفي ل : دنانير .

سَبَحَتْ بِغَلَّةٍ رَكِبَتْ عَلَيْهَا عَجَباً مِنْكَ خَيِّئَةً لِلْمَسِيرِ
 زَعَمْتُ أَنَّهَا تَرَاهُ كَبِيراً حَمَلَهَا عَجَرْدَ الزُّنَا وَالْفُجُورِ
 إِنْ دَهراً رَكِبَتْ فِيهِ عَلَى بَغْدٍ لِي وَأَوْفَقْتَهُ بِيَابَ الْأُمِيرِ
 لَجْدِيرٌ أَلَّا نَرَى فِيهِ خَيْراً لَصَغِيرٍ مِّنَّا وَلَا لِكَبِيرِ
 مَا أَمْرُو يَنْتَقِيكَ يَا عُقْدَةَ الْكَلْدِ بَ لَأَسْرَارِهِ بِجِدِّ بَصِيرِ¹
 لَا وَلَا مَجْلِسٌ أَجْنَكَ لِلَّ ذَاتِ يَا عَجَرْدَ الْخَنَا بَسْتِيرِ²

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح ، وكان عَجَرْدُ في نُدُمَائِهِ ، فبلغ هذا الشعرُ أبا جعفر ، فقال لمحمد : ما لي ولعجرد يدخل عليك ؟ لا يَلْغُنِي أَنَّكَ أَذْنَتَ لَهُ ، قال : وعجرد مأخوذٌ من المعجرد ، والعُرْيَانُ في اللغة ، يقال : يتعجرد الرجلُ إذا تَعَرَّى فهو يتعجرد تعجرداً : وعجردت الرجلَ أعجَرْدُهُ عَجَرْدَةً إذا عَرَّيْتَهُ .

[الحمادون الثلاثة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتز ، حَدَّثَنِي الثَّقَفِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْعَامِرِيِّ قَالَ : كَانَ بِالْكُوفَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُقَالُ لَهُمُ الْحَمَادُونَ : حَمَادُ عَجَرْدٍ وَحَمَادُ الرَّاوِيَةِ ، وَحَمَادُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَان ، يَتَنَادَمُونَ عَلَى الشَّرَابِ ، وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ وَيَتَعَاشَرُونَ مَعَاشَرَةً جَمِيلَةً ، وَكَانُوا كَأَنَّهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، يُرْمُونَ بِالزُّنْدَقَةِ جَمِيعاً وَأَشْهَرَهُمْ بِهَا حَمَادُ عَجَرْدٍ .

أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحِيُّ أَبُو خَلِيفَةَ إِجَازَةً عَنِ التُّوزِيِّ : أَنَّ حَمَاداً لُقِبَ بِعَجَرْدٍ لِأَنَّهُ أَعْرَابِيٌّ مَرَّ بِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَهُوَ عُرْيَانٌ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ فَقَالَ لَهُ : تَعَجَرَدْتَ يَا غَلَامَ ؛ فَسَمِّيَ عَجَرْداً .

قال أبو خليفة : المتعجرد : المتعرِّي ؛ والعَجَرْدُ أيضاً : الذهب .

[تهاجيه مع بشار]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطية ، عن عباد بن الممزق ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : كَانَ السَّبَبُ فِي مَهَاجَةِ حَمَادٍ عَجَرْدٍ بِشَاراً أَنَّ حَمَاداً كَانَ نَدِماً نَافِعَ بْنَ عُقْبَةَ ، فَسَأَلَهُ بِشَارٌ تَنْجُزُ حَاجَةً لَهُ مِنْ نَافِعٍ ، فَأَبْطَأَ عَنْهَا ، فَقَالَ بِشَارٌ فِيهِ :

[من الطويل]

1 عقدة الكلب : قضيبه .

2 أَجْنَكَ : سترك . ستير : مستور .

مواعيدُ حمادِ سماءٍ مُخيلةٌ تكشفُ عن رعدٍ ولكن سَبَرُ¹
 إذا جئته يوماً أحوالٌ على غدٍ كما وعد الكُمون ما ليس يَصَدُقُ²
 وفي نافع عني جَفَاءٌ ، وإنني لأطرق أحياناً ، وذو اللَّبِّ يَطْرُقُ
 وللنَّقرى قومٌ فلو كنتُ منهمُ دُعيتُ ولكن دوني البابُ مغلقُ³
 أبا عُمَرَ خَلَفْتَ خَلْفَكَ حاجتي وحاجةٌ غيري بين عينيك تَبْرُقُ
 وما زلتُ أَسْتَأْنِيكَ حتى حَسَرْتَنِي بوعدٍ كجاري الآلِ يَخْفَى ويخْفُ⁴
 قال : فغضب حمادٌ وأنشد نافعاً الشَّعْرَ ، فَمَنَعَهُ من صلة بَشَّارٍ ، فقال بَشَّارٌ : [من الطويل]
 أبا عُمَرَ ما في طَلِيلِكَ حاجةٌ ولا في الذي مَنَيْتَنَا ثُمَّ أَصْحَرَا
 وَعَدْتَ فلم تَصْدُقْ وقلتَ غداً غداً كما وَعَدَ الكُمونُ شرباً مؤخراً
 قال : فكان ذلك السبب في التَّهَاجِي بين بَشَّارٍ وحماد .

[من كبار الزنادقة]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال : حدَّثني أَبُو إِسْحاقَ الطَّلْحِي قال : حدَّثني أَبُو سُهَيْلٍ
 قال : حدَّثني أَبُو نَوَاسٍ قال : كنتُ أَتَوَهُمُ أَنَّ حمادَ عجردَ إِنَّمَا رُمِيَ بالزُّنْدَقَةِ لُجُونِهِ في شعره ،
 حتى حُبِسْتُ في حبس الزُّنَادِقَةِ ، فإذا حمادُ عجردَ إمامٌ من أئِمَّتِهِمْ ، وإذا له شعر مزاج بيتين
 بيتين يقرؤون به في صلاتِهِمْ ، قال : وكان له صاحب يُقال له حريث على مذهبه ، وله يقول
 بَشَّارٌ حين مات حمادُ عجردَ على سبيل التعزية له :

بَكَى حُرَيْثٌ فَوْقَهُرَهُ بتعزيةٍ مات ابن نَهْيَا وقد كانا شريكَيْنِ
 تَفَاوَضَا حين شابَا في نساءهِمَا وحَلَّلا كُلَّ شَيْءٍ بين رَجُلَيْنِ⁵
 أَمْسَى حُرَيْثٌ بما سَدَّى لَهُ غَيْراً كراكب اثنين يرجو قوَّةَ اثنين
 حتى إذا أَخَذَا في غير وجهِهِمَا تفرَّقا وهوى بين الطَّرِيقَيْنِ
 يَعْنِي أَنَّهُ كان يقول بقول الثَّنَوِيَّةِ في عبادة اثنين ، ففرَّقا وبقيَ بينهما حائراً ، قال : وفي
 حمادٍ يقول بَشَّارٌ أيضاً وينسُبه إلى أَنَّهُ ابن نَهْيَا :

- 1 السحابة المخيلة : التي يقدر فيها المطر ولا تمطر .
- 2 المثل «مواعيد الكُمون» في مجمع المياداني 1 : 254 والدررة الفاخرة 1 : 178 ويقال أيضاً «أخلف من شرب الكُمون» .
- 3 يدعو النقرى : يدعو بعضاً دون بعض ، وخلافه الجفلى .
- 4 استأني : تمهل .
- 5 تفاوضا : تشاركا .

يا ابن نُهيا رأسٌ عليّ ثَقِيلُ واحتمالُ الرؤوسِ خَطْبٌ جَلِيلُ
أدعُ غيري إلى عبادةِ الأثْنِي من فإني بواحدٍ مشغولُ
يابن نُهيا برئتُ منك إلى الد سه جهاراً ، وذاك مني قليلُ

قال : فأشاعَ حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس ، وجعل فيها مكان «فإني بواحد مشغول» : «فإني عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار ، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال : أشاطُ ابنُ الرائيةِ بدمي¹ ، والله ما قلت إلا «فإني بواحد مشغول» فغيّرها حتى شهّرتني في الناس بما يهلكني .

أخبرني محمد بنُ العباسِ اليزيديّ قال : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدّثني صالح بنُ سليمانَ الخثعميّ قال : قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشّاراً المرعث² هجا حمّاداً فنّبّطه ، فقال عبد الله : قد رأيتُ جدّ حمّاد ، وكان يسمّى كُلياً ، وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نَبْطِيّ ، كان ييريّ النبالَ ويريشها ، وكان يقال له : كُليبُ النبال ، مولى بني عامر بن صعصعة .

أخبرني أحمد بن العباسِ العسكريّ المؤدّب ، قال : حدّثنا الحسن بنُ عُليلِ العنزيّ قال : حدّثني أحمد بنُ خلّاد قال : كان بشّارٌ صديقاً لسُليم بن سالمٍ مولى بني سعد ، وكان المنصورُ أيامَ استترَ بالبصرة نزل على سليم بن سالم ، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجندُ سابور ، فانضمَّ إليه حمّاد عجرد ، فأفسده على بشّار ، وكان له صديقاً ، فقال بشّار يهجوها :

أمسى سُليمُ بأرضِ السُّوسِ مُرتَفِيقاً في خَزَها بعدَ غُرْبالٍ وأمدادٍ³
ليس النعيمِ وإن كُنّا نَزَنَ به إلا نعيمِ سُليمِ ثمّ حمّادٍ⁴
نيكا وناكا ولم يشعُرْ بهذا أحدٌ في غفلةٍ من نبيّ الرحمة الهادي
فنَشِبَ الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

أخبرني عمي قال : حدّثنا محمد بنُ القاسمِ بن مَهْرويه ، عن عمر بنِ شَبّة ، عن أبي أيوب

1 أشاط بدمي : عمل على هلاكي .

2 لَقَبَ بشّار بالمرعث لمرعثة كانت له وهو صغير في أذنه . والمرعثة كل ما يعلق بالأذن من قرط ونحوه .

3 أمداد : جمع مُدّ .

4 يز : يتهم .

الزبالي¹ ، قال : كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضاً بأن يتقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر الذي مر ، فدخل يوماً إلى بشار فقال له : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية في ؟ فأنشده :

إن تاءَ بشارَ عليكم فقد أمكنتُ بشاراً من التيه
فقال بشار : بأي شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سمَّيته باسمه ولم يكن حُرَّ يسميه
فقال : سَخِنتُ عينه ، فبأي شيء كنت أعرف ؟ إيه ، فقال :

فصار إنساناً بذكري له ما يبتغي من بعد ذكره
فقال : ما صنع شيئاً ، إيه ويحك ؟ فقال :

لم أهجُ بشاراً ولكنني هجوتُ نفسي بهجائه
فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حام ، إيه أيضاً ، وأي شيء قال ؟
فأنشده :

أنت ابن برد مثل بُرْ في النذالة والردالة
من كان مثل أهلك يا أعمى أبوه فلا أبا له
فقال : جَوَدَ ابنُ الزانية ، وتمايم الأبيات الأول :

لم آتِ شيئاً قط فيما مضى ولست فيما عشتُ آتية
أسوأ لي في الناس أحداثثة من خطيأ أخطأته فيه
فأصبح اليوم يسبي له أعظم شأناً من مواليه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن خلاد الأرقط قال :
أنشد بشاراً روايته قول عجرد فيه :

دعيت إلى بُردٍ وأنت لغيره فهبك ابن بُردٍ نكتُ أمك من بُردٍ ؟

فقال بشار لروايته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ما شاء ابن الزانية .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثنا الحسن بن عليل الغنزي قال : حدثني محمد بن يزيد المهلب قال : محمد بن عبد الله بن أبي عيينة قال : قال حماد عجرد لما أنشد قول بشار فيه :

يا ابنَ نَهيما رأسٌ عليّ ثَقيلُ واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيري إلى عِبادَةِ رَبِّي من فائني بواحد مشغولُ

والله ما أبالي بهذا من قوله ، وإنما يغنيني منه تجاهله بالزندقة ، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامة لا حقيقة له ، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار وحبيب بن نصر المهلب ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو أيوب الزبالي¹ قال : قال بشار لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد ؟ فأنشده :

ألا من مبلغ عني الذ ي والده بُردُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نسب الناسُ فلا قبل ولا بعدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عقيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَلْطَبانٌ ما على قاذِفِه حدٌ²

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جلدةً ، هيه ، فقال :

وأعمى يشبه القِرْدَ إذا ما عمي القِرْدُ

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقرد ، حسبك حسبك ، ثم صفق بيديه ، وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبّهني ولا أراه فأشبّهه .

وقال : أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعي قال : حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله ، وقال فيه : لما قال حماد عجردي في بشار :

شبيهُ الوجه بالقِرْدِ إذا ما عمي القِرْدُ

بكي بشار ، فقال له قائل : أتبكي من هجاء حماد ؟ فقال : والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه ، فيصفني ولا أصفه ، قال : وتماّم هذه الأبيات :

ولو يَنكُهُ في صِلْدٍ صَفّاً لانصدع الصِّلْدُ³

1 ل : الريالي .

2 القلطبّان : القرطبان وهو الديوث أو القوّاد .

3 ينكه : يتنفس .

دني لم يرح يوماً إلى مجدٍ ولم يَغْدُ
 ولم يحضر مع الحضّا ر في خيرٍ ولم يَبْدُ
 ولم يُخْشَ له ذمٌ ولم يُرَجَ له حمْدُ
 جرى بالنّحسِ مذ كان ولم يجر له سعدُ
 هو الكلب إذا ما ما ت لم يوجَد له فقدُ

أخبرني . بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني خلاد الأرقط قال : أشاعَ بشار في الناس ان حماد عجرد كان يُشيد شعراً ورجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حماد : علامَ اجتمعوا ؟ فوالله لما أقول أحسنُ ممّا يقول .
 قال : وكان بشار يقول : لما سمعت هذا من حماد مَقَّته عليه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرني أبو إسحاق الطَّلحيّ قال : حدثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشاراً قال في حماد عجرد وسهيل بن سالم ، وكان سهيلٌ من أشرف أهل البصرة ، وكان من عمال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب ، وكان حمادُ وسهيلٌ نديمين :

ليس النعيمُ وإن كنا نزنَ به
 ناكاً ونيكاً إلى أن لاح شيبهما
 فهذّين طوراً وفهادين آونةً
 سبحانه الله لو شئت امتسختهما
 إلّا نعيم سهيلٍ ثم حمادٍ
 في غفلةٍ عن نبي الرحمة الهادي
 ما كان قبلهما فهذّ بفهادٍ¹
 قردَين فاعتلجا في بيت قرادٍ²

قال : يعني بقوله * ما كان قبلهما فهذّ بفهاد * أي لم يكن الفهد فهاداً ، كما تقول : لم يكن زيد بطريف ، ولم يكن زيدٌ ظريفاً ، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشار أيضاً : [من السريع]

ما لمت حماداً على فسقه
 وما هما من أيّره واسته ؟
 ما بات إلّا فوقه فاسقٌ
 يلوّمه الجاهل والمائق³
 ملكه إياهما الخالق
 ينيكه أو تحته فاسقٌ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أنشدني ابن أبي سعد لحماد عجرد في بشار .

1 الفهاد : صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد .

2 اعتلجا : تصارعا .

3 المائق : الأحمق .

قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه : [من السريع]

نهاره أُنْخِثُ من ليله ويومه أُنْخِثُ من أمسه
وليس بالقلع عن غيه حتى يُوارى في ثرى رمسه

قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه : [من السريع]

لو طُلِيتُ جلدته عنبراً لأفسدتُ جلدته العنبر
أو طُلِيتُ مسكاً ذكياً إذا تحوّل المسكُ عليه خراً

قال ابن أبي سعد : وقد بالغ بشار في هجاء حماد ، ولكن حكم الناس عليه لحماد بهذه الأبيات .

[اتصاله بالريع]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني أحمد بن إسحاق قال : حدّثني عثمان بن سُفيان العطار قال : اتّصل حماد عجرد بالريع يؤدّب ولده ، فكتب إليه بشار رقعة ، فأوصلت إلى الريع ، فطرده لما قرأها ، وفيها مكتوب :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إن حماد عجرد إن رأى غفلةً هجم
بين فخذيه حرباً في غلافٍ من الأدم¹
إن خلا البيت ساعة مَجْمَع الميم بالقلم

فلما قرأها الريع قال : صيرني حماد دريقة الشعراء ، أخرجوا عني حماداً ، فأخرج .

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطية ، عن عباد بن الممزق أن حماد عجرد كان يؤدّب ولد العباس بن محمد الهاشمي ، فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة ، فقال العباس : ما لي ولبشار ؟ أخرجوا عني حماداً فأخرج .

[مجاوزه لبشار]

أخبرني يحيى بن علي قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيري قال : لما أخرج العباس بن محمد حماداً عن خدمته ، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه ، أوجعه ذلك ، فقال يهجو بشاراً :

[من الطويل]

لقد صار بشار بصيراً بدُّبِّره وناظِرُهُ بين الأنام ضَرِيرُ
له مُقْلَةٌ عَمِيَاءُ واسَتْ بِصِيرَةٌ إلى الأَثرِ من تحت الثياب تشِيرُ
على وُدِّه أن الحمير تَنِيكُـه وأنَّ جميعَ العالمين حَمِيرُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد فعل مثلاً هذا بعينه حماد عجرد بقطرب .

[شعره في قطرب]

أخبرني عمِّي عن عبد الله بن المعتز قال : حدثني أبو حفص الأعمى المؤدِّب ، عن الزبالي¹ قال : اتخذ قطرب النحوي مؤدِّباً لبعض ولد المهدي ، وكان حماد عجرد يطمع في أن يُجعل هو مؤدِّبه ، فلم يتم له ذلك ، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار ؛ فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالملقى على الرُّضف² ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها :

قل للإمام جزاك الله صالحاً لا تجمع الدهر بين السُّخل والذيبِ
السُّخلُ غِرٌّ وهُمُ الذئبُ فرصته والذئبُ يَعْلَمُ ما في السُّخلِ من طيبِ

فلما قرأ هذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤدِّب لوطياً ؛ ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجيء بمؤدِّب غيره ، ووُكِّلَ به تسعون خادماً يتناوبون ، يحفظون الصبي . فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دُلْف فأقام معه بالكرج إلى أن مات .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني قال : لما قال حماد عجرد في بشار :

ويا أقبحَ من قردٍ إذا ما عمي القردُ

قال بشار : لا إله إلا الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتي به ، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة ، فما نطقْتُ به خوفاً من أن يُسمَعَ فأهجى به ، حتى وقع عليه النَّبْطِيُّ ابنُ الزانية .

[بينه وبين أبي حنيفة صديقه]

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز ، حدثني العجلي قال : حدثني أبو دُهْمَان قال : كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماد عجرد ، فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه ،

1 ل : الزبالي .

2 الرضف : الحجارة المحمَّاة بالشمس أو النار .

فَبَلَغَ فِيهِ مَا بَلَغَ ، وَرَفَضَ حَمَادًا وَبَسَطَ لِسَانَهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ حَمَادٌ يَلَاظُهُ حَتَّى يَكْفُ عَنْ ذِكْرِهِ ،
وَأَبُو حَنِيفَةَ يَذْكُرُهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ حَمَادٌ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ : [من مجزوء الكامل]

إِنْ كَانَ نُسْكُكَ لَا يَتـ مِّمَّ بَغِيرِ شَتْمِي وَانْتِقَاصِي
أَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِهِ تَرْجُو النِّجَاةَ مِنَ الْقِصَاصِ
فَاقْعِدْ وَقُمْ بِي كَيْفَ شِئْتَ مَعَ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَلَطَّالْمَا زَكَيْتَنِي وَأَنَا الْمَقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي
أَيَّامَ تَأْخُذْهَا وَتُعـ طَيِّ فِي أَبَارِيقِ الرِّصَاصِ
قَالَ : فَأَمْسَكَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِهِ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ
عَنِ النَّضْرِ بْنِ حَدِيدٍ قَالَ : كَانَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ صَدِيقًا لِيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ ، وَكَانَا يَتَنَادِمَانِ
وَيَجْتَمِعَانِ عَلَى مَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ مِثْلُهُمَا ، ثُمَّ إِنَّ يَحْيَى بْنَ زِيَادٍ أَظْهَرَ تَوَرُّعًا وَقِرَاءَةً وَنَزْوَعًا
عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَهَجَرَ حَمَادًا وَأَشْبَاهَهُ ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ ثَلْبَهُ وَذَكَرَ تَهْتِكُهُ وَمُجُونَهُ ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ حَمَادًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : [من مجزوء الكامل]

هَلْ تَذْكُرُنْ دَلَجِي إِلَيْـ لَكَ عَلَى الْمَضْمَرَةِ الْقِلَاصِ¹
أَيَّامَ تَعْطِينِي وَتَأْ خُذْ مِنْ أَبَارِيقِ الرِّصَاصِ
إِنْ كَانَ نُسْكُكَ لَا يَتـ مِّمَّ بَغِيرِ شَتْمِي وَانْتِقَاصِي
أَوْ كُنْتَ لَسْتَ بَغِيرَ ذَا لَكَ تَنَالُ مَنْزِلَةَ الْخِلَاصِ
فَعَلَيْكَ فَاشْتَمُ آمِنَا كُلُّ الْأَمَانِ مِنَ الْقِصَاصِ
وَاقْعِدْ وَقُمْ بِي مَا بَدَا لَكَ فِي الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَلَطَّالْمَا زَكَيْتَنِي وَأَنَا الْمَقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي
أَيَّامَ أَنْتَ إِذَا ذُكِرْ تُ مُنَاضِلٌ عَنِّي مُنَاصِي²
وَأَنَا وَأَنْتَ عَلَى ارْتِكَا بِِ الْمَوْبِقَاتِ مِنَ الْحِرَاصِ

1 الدلج : السير من أول الليل . القلاص : الإبل الشابة ، واحدها قلوص .

2 مناصي : يجاذب بالنواصي .

وَبِنَا مَوَاطِنُ مَا يُنَا فِي الْبِرِّ أَهْلَةُ الْعِرَاصِ¹
 فَاتَّصَلَ هَذَا الشَّعْرُ بِيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ ، فَنَسَبَ حَمَّادًا إِلَى الزَّنْدَقَةِ وَرَمَاهُ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْإِسْلَامِ ،
 فَقَالَ حَمَّادُ فِيهِ : [من السريع]

لَا مُؤْمِنٌ يُعْرِفُ إِيمَانَهُ وَلَيْسَ يَحْيَى بِالْفَتَى الْكَافِرِ
 مُنَافِقٌ ظَاهِرُهُ نَاسِكٌ مُخَالِفٌ الْبَاطِنُ لِلظَّاهِرِ

[صديق انقطع عن مجلسه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ
 الْحَمَّادُ عَجْرَدٌ إِخْوَانٌ يَنَادُمُونَهُ ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ الشَّرَابُ ، فَقَطَعُوهُ ، فَقَالَ لِبَعْضِهِمْ : [من السريع]

لَسْتُ بِغَضْبَانٍ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَا شَأْنُكَ يَا صَاحِ
 أَنَّنِ فَقَدْتُ الرَّاحَ جَانِبَتِي مَا كَانَ حَبِيكَ عَلَى الرَّاحِ
 قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَ الَّذِي يَعْنِيكَ إِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي
 وَمَا أَرَى فِعْلَكَ إِلَّا وَقَدْ أَفْسَدَنِي مِنْ بَعْدِ إِصْلَاحِي
 أَنْتَ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ عَيْتَهُمْ دُونَكَهَا مِنِّْي بِإِفْصَاحِ

[ينادم الوليد بن يزيد]

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِي مُحَلَّمٍ أَنَّ
 الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ أَمَرَ شُرَاعَةَ بْنَ الزَّنْدَبُودَ أَنْ يَسْمِيَ لَهُ جَمَاعَةً يَنَادُمُهُمْ مِنْ ظُرَفَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ،
 فَسَمَّى لَهُ مَطِيعَ بْنَ إِيَّاسَ وَحَمَّادَ عَجْرَدَ وَالْمُطِيعِيَّ الْمَغْنِيَّ ، فَكُتِبَ فِي إِشْخَاصِهِمْ إِلَيْهِ ،
 فَأُشْخِصُوا ، فَلَمْ يَزَالُوا فِي نَدْمَائِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ .

[زواجه]

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ السَّكُونِيِّ
 قَالَ : تَزَوَّجَ حَمَّادُ عَجْرَدُ امْرَأَةً ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهِ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ بِهَا نَهْنَهَ وَنَسَّأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ ، فَقَالَ
 لَنَا : كُنْتُ الْبَارِحَةَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِي أَشْرَبُ ، وَأَنَا مُتَنَظِّرٌ لَامْرَأَتِي أَنْ يَوْتِيَ بِهَا ، حَتَّى
 قِيلَ لِي : قَدْ دَخَلَتْ ، فَقَمْتُ إِلَيْهَا فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُهَا حَتَّى افْتَضَضْتُهَا ، وَكُتِبَتْ مِنْ وَقْتِي إِلَى
 أَصْحَابِي : [من المديد]

قَدْ فَتَحْتُ الْحِصْنَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ بِمُشِيحٍ فَاتِحٍ لِلْقِلَاعِ

1 العراص : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة الخالية من البناء .

ظَفِرْتُ كَفِّي بِتَفْرِيقِ شَمْلِي جَاءَنَا تَفْرِيقُهُ بِاجْتِمَاعِ
فَإِذَا شَعْبِي وَشَعْبُ حَبِيبِي إِنَّمَا يَلْتَأَمُ بَعْدَ انْصِدَاعِ

[مع وجوه البصرة]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري ، قال : حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد ، قال : اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ، ومعهم حماد عجرد ، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ، ونازل على عَقْبَةَ بن سَلَمٍ وقد أمِنَ ، وحضر الغداء ، فقيل له : سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى ، فانتظر ، وأطال سهم الصلاة ، فقال حماد : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْقَانِتُ الْمَتَهَجِّدُ صَلَاتُكَ لِلرَّحْمَنِ أَمْ لِي تَسْجُدُ ؟
أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ لِمَنْ غَيْرِ مَا بِرُّ تَقُومُ وَتَقْعُدُ
فَهَلَّا اتَّقَيْتَ اللَّهَ إِذْ كُنْتَ وَالِيًّا بَصْنَاءَ تَبْرِيٍّ مِنْ وَلِيَّتٍ وَتَجَرَّدُ
وَيَشْهَدُ لِي أَنِّي بِذَلِكَ صَادِقٌ حُرَيْثٌ وَيَحْيَى لِي بِذَلِكَ يَشْهَدُ
وَعِنْدَ أَبِي صَفْوَانَ فَيْكَ شَهَادَةٌ وَبُكْرٍ ، وَبُكْرٌ مُسْلِمٌ مَتَهَجِّدُ
فَإِنْ قُلْتَ زِدْنِي فِي الشُّهُودِ فَإِنَّهُ سَيَشْهَدُ لِي أَيْضًا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ

قال : فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً ، فقال له : قَبِّحَكَ اللَّهُ يَا زَنْدِيقَ ، فعلتَ بي هذا كُلَّهُ لِشَرِّهِكَ فِي تَقْدِيمِ أَكْلٍ وَتَأْخِيرِهِ ! هَاتُوا طَعَامَكُمْ فَأُطْعِمُوهُ لَا أُطْعِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَدِّمْتُ الْمَائِدَةَ .

[اعتذار ابن السكوني]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق الموصلي ، عن محمد بن الفضل السكوني قال : لقيت حمادَ عجرِدٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : انطلق بنا إلى المنزل ، فإني الساعة فارغ لتحدث ، وحبست عليه الدابة ، فقطعني شغلٌ عَرَضَ لي لم أقدر على تركه ، فمضيتُ وأنسيته ، فلما بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّهُ ، فكتبتُ إليه : [من الطويل]

أَبَا عُمَرَ اغْفِرْ هُدَيْتَ فَإِنِّي قَدْ آذَنْتُ ذَنْبًا مَخْطِئًا غَيْرَ عَامِدٍ
فَلَا تَجِدُنِي فِيهِ عَلِيٌّ فَإِنِّي أَقِرُّ بِإِجْرَامِي وَلَسْتُ بِعَائِدٍ
وَهُبْ لَنَا تَقْدِيرَكَ نَفْسِي فَإِنِّي أَرَى نِعْمَةً إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِوَاجِدٍ

وعُذُّ منكَ بالفضل الذي أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
فَكُتِبَ إِلَيَّ مَعَ رَسُولِي :

[من الطويل]

مُحَمَّدُ يَا ابْنَ الْفَضْلِ إِذَا الْمَحَامِدِ وَيَا بِهِجَةَ النَّادِي وَزِينَ الْمَشَاهِدِ
وَحَقُّكَ مَا أَذْنِبْتُ مِنْذُ عَرَفْتَنِي عَلَى خَطَأٍ يَوْمًا وَلَا عَمْدٍ عَامِدِ
وَلَوْ كَانَ ، مَا أَلْفَيْتَنِي مُتَسَرِّعًا إِلَيْكَ بِهِ يَوْمًا تُسْرِعُ وَاجِدِ

أَيُّ لَوْ كَانَ لَكَ ذَنْبٌ مَا صَادَفْتَنِي مُسْرِعًا إِلَيْكَ بِالْمُكَافَأَةِ :

[من الطويل]

وَلَوْ كَانَ ذُو فَضْلٍ يَسْمَى لِفَضْلِهِ بغير اسمه سُمِيتَ أُمُّ الْقَلَائِدِ

قال : فبينما رَقَعْتُهُ فِي يَدِي وَأَنَا أَقْرُؤُهَا إِذْ جَاءَنِي رَسُولُهُ بِرَقْعَةٍ فِيهَا :

[من مجزوء الرمل]

قَدْ غَفَرْنَا الذَّنْبَ يَا ابْنَ الْ فَضْلِ وَالذَّنْبُ عَظِيمٌ
وَمَسِيءٌ أَنْتَ يَا ابْنَ الْ فَضْلِ فِي ذَاكَ مُلِيمٌ
حِينَ تَخْشَانِي عَلَى الذَّنْبِ بَ كَمَا يُخْشَى اللَّئِيمُ
لَيْسَ لِي إِنْ كَانَ مَا خِيفَ سَتْ مِنَ الْأَمْرِ حَرِيمُ
أَنَا وَاللَّهِ ، وَلَا أَفْ خَرُ ، لِلْغِيظِ كَطُومُ
وَلَأَصْحَابِي وَلَا رُبُّهُ بَرُّ رَحِيمُ
وَبِمَا يُرْضِيهِمْ عَنِّي وَيُرْضِينِي عَلَيْهِمْ

[يوم بفساء]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : خَرَجَ حَمَادُ عَجْرَدٍ مَعَ بَعْضِ الْأَمْراءِ إِلَى
فَارَسَ ، وَبِهَا جِلَّةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَعَاشَرَ قَوْمًا مِنْ رُؤَسَائِهَا ، فَأَحْمَدَ مَعَاشَرَتَهُمْ ، وَسُرَّ
بِمَعْرِفَتِهِمْ ، فَقَالَ فِيهِمْ :

[من مجزوء الرمل]

رَبِّ يَوْمٍ بَفْسَاءٍ لَيْسَ عِنْدِي بِذَمِيمٍ¹
قَدْ قَرَعْتُ الْعَيْشَ فِيهِ مَعَ نَذْمَانِ كَرِيمٍ
مِنْ بَنِي صَيْهُونَ فِي الْبَيْدِ تِ الْمَعْلَى وَالصَّمِيمِ
فِي جَنَانٍ بَيْنَ أَهْلِهَا رٍ وَتَعْرِيشِ كُرُومِ
نَتَاعَطَى قَهْوَةً تُشَدُّ خِصَّ يَقْظَانَ الْهُمُومِ

بنتَ عشرٍ تتركُ المَكُـ
 فيها دأباً أحيي
 في إناءٍ كِسْرَوِيٌّ
 شُرْبَةٌ تَعْدِلُ مِنْهُ
 عندنا دِهْقَانَةٌ حُسـ
 جَمَعَتْ ما شَتَّ من حُسـ
 في اعتدالٍ من قِوَامِ
 وَتَنانٍ كالمداري
 لم أَتْلُ منها سوى غَمـ
 غيرَ أنْ أَقْرُصَ منها
 وبلى الطِّمِ منها
 وبنفسي ذاكَ يا أسـ
 ثِرَ منها كالأميم¹
 ويحييني نديمي
 مستخِفٌ للحليم
 شربتني أمَ حَكيم
 نانةُ ذاتُ هَميم²
 بنٍ ومن دَلِّ رَحيم
 وصفاءٍ من أديم
 وثنايا كالنجوم³
 زرةُ كفٍّ أو شميم
 عُنْكَةُ الكَشْحِ الهَضيم
 خذها لطمَ رَحيم
 وودَّ من خدِّ لَطيم

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى .

[يعيب حريثاً بالبخل]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه عن أبي النضر قال : كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحماد عجرد ، وكان يعابته بالشعر ، ويعيبه بالبخل ، وفيه يقول :

حُرَيْثُ أَبُو الْفَضْلِ ذُو خَيْرَةٍ
 تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ
 بما يُصْلِحُ الْمَعْدَ الْفَاسِدَةَ
 فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَطَ رجل في مجلس فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس ، فتجلَّد ، ثم ضَرَطَ أخرى متعمداً ، ثم ثَلَّثَ ، ليظنوا أن ذلك كله تعمُّدٌ ، فقال له حماد : حَسْبُكَ يا أخي فلو ضَرَطْتَ أَلْفاً لَعَلِمَ بَأَنَّ الْمُخْلِيفَ⁴ الْأَوَّلَ مُفْلِتٌ .

1 يقال رجل أميم ، أي يهذي من أم رأسه .

2 الهميم : اليبيب .

3 المداري : جمع مدرى ، وهو المشط .

4 المخلف : الكريه الرائحة .

[قوله في قريش]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدثني معاذ بن عيسى مولى بني تميم قال : كان سليمان بن الفرات على كسكر ، ولأه أبو جعفر المنصور ، وكان قريش مولى صاحب المصلى بواسط في ضياع صالح ، وهو سيني ، فحدثني معاذ بن عيسى قال : كنا في دار قريش ، فحضرت الصلاة ، فتقدم قريش فصلّى بنا وحماد عجرد إلى جنبتي ، فقال لي حماد حين سلم : اسمع ما قلت ، وأنشدني : [من مجزوء الرمل]

قد لقيت العام جهداً	من هنات وهنات
من هموم تعتريني	وبلايا مطبقات
وجوى شيب رأسي	وحنى مني فئاتي
وغدوي ورواحي	نحو سلم بن الفرات
واتمامي بالقمار	ي قريش في صلاتي ¹

[الغلام الأمد]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال : حدثني أبو يعقوب الخريمي قال : كنت في مجلس فيه حماد عجرد ، ومعنا غلام أمد ، فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه ، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا ، فقامت فيمت في موضع الغلام ، قال : ودب حماد إلي يظنني الغلام ، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني العواء ، لأعلمه أنني أبو يعقوب ، قال : فتر يده ومضى في شأنه وهو يقول : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

[جوهر]

أخبرني عمي قال : حدثني مصعب قال : كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد ، وكان حماد يحبها ويجن بها ، وفيها يقول :

إنني لأهوى جوهرأ	ويحب قلبي قلبها
وأحب من حبي لها	من ودّها وأحبّها
وأحب جارية لها	تخفي وتكتم ذنبها
وأحب جيراناً لها	وابن الخبيثة ربها

1 القماري : نسبة إلى قمار ، موضع ببلاد الهند ينسب إليها العود .

[رثاء الأسود بن خلف]

أخبرني عمي قال : حدثني محمد بن سعد الكُراني قال : حدثني أبيض بن عمرو قال : كان حماد عجرد يعاشر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه . وفي هذا الشعر غناء :

صوت

قلتُ لحنانةٍ دلوح	تسحُّ من وإبلٍ سفوح ¹
جاءت علينا لها ربابٌ	بواكبٍ هاطلٍ نضوح ²
أُمِّي الضَّرِجَ الذي أُسمي	ثم استهلي على الضَّرِجِ ³
على صدى أسود الموارى	في اللحد والترب والصفيح
فاسقيه رِيًّا وأوطنيه	ثم اغتدي نحوه ورُوحِي
اغدي بسقيائي فاصبحيه	ثم اغقيه مع الصُّوح
ليس من العدل أن تشيحي	على امرئ ليس بالشحيح

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عمي قال : أنشدنا الكُراني قال : أنشد مصعبٌ لحماد عجرد يهجو أبا عون مولى جوهر ، وكان يُقِنُّ عليها ، وكان حماد عجرد يميل إليها ، فإذا جاءهم ثقل ، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرب ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجارته ، فحجبها عنه ، فقال فيه :

إنَّ أبا عون ولن يرعوي	ما رقصت رمضاؤها جُنْدُبا
ليس يرى كسباً إذا لم يكن	من كسب شُفْري جوهر طيبا
فسلط الله على ما حوى	مئزرها الأفعى أو العقربا
يُنسَب بالكشخ ولا يشتهي	بغير ذاك الاسم أن يُنسبا

1 سحابة حناتة : أي لها صوت يشبه حنين الإبل . ودلوح : كثيرة الماء .

2 الرباب : السحب المتراكبة .

3 أُمِّي : اقصدي . استهلي : ارفعي الصوت بالبكاء .

وقال فيه أيضاً :

[من المديد]

إن تكن أغلقتْ دوني باباً فلقد فتحتْ للكشخ باباً

وقال فيه أيضاً :

قد تخرطمتْ علينا لأننا لم نكن نأتيك نبغي الصوابا
إنما تُكريمَ مَنْ كان منا لسانِ الحقِّو منها قرابا¹

[من مجزوء الرجز]

وقال فيه أيضاً :

يا نافعُ ابنَ الفاجرة يا سيفُ المؤاجرة
يا حلفَ كلِّ داعِرٍ وزوجَ كلِّ عاهرة
ما أمةٌ تملكها أو حُرَّةٌ بطاهرة
تجارةٌ أحدثتها في الكشخ غيرُ باثرة
لو دخلتْ عفيفةٌ بيتك صارت فاجرة
حتى متى ترتع في الـ خُسران يا ابن الخاسرة
تَجْمَعُ في بيتك يـ من العِرسِ والبرابرة

[من مجزوء الرمل]

وقال يهجوهُ :

أنتَ إنسانٌ تُسمَّى دارُهُ دارَ الزواني
قد جرى ذلك بالكرِّ خ على كلِّ لسانٍ
لك في دارٍ جرٌّ يزُ نبي وفي دارٍ حِرانٍ

[من السريع]

وقال فيه :

تفرحُ إن نيكَّتْ ، وإن لم تُنكْ بتُّ حزينَ القلبِ مستعبرا
أسكرَكَ القومُ فساهلتهم وكنتَ سهلاً قبل أن تسكرا

[من الكامل]

وقال فيه :

قل للشقيِّ الجدِّ غيرِ الأسعدِ أتحبُّ أنكَ فقحةُ ابنِ المُقعدِ ؟
لو لم يجدْ شيئاً يسكنها به يوماً لسكنها بزُبُّ المسجدِ

وقال فيه :

[من الهزج]

أبا عون لقد صَفَّ سرَّ زُوَّارِكْ أَذْنِيكَ ؟
وعَيْنَاكَ تَرَى ذَاكَ فَأَعْمَى اللَّهُ عَيْنِيكَ

[بيت في بشار]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال : حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال : لما قال حمَّاد عَجْرِي في بشار :

[من الطويل]

نُسِيتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَغَيْرِهِ وَهَبَكَ لِبُرْدٍ نَكْتَ أُمُّكَ مَنْ بُرْدُ ؟

قال بشار : تهيأ له عليّ في هذا البيت خمسة معانٍ من الهجاء ، قوله «نُسِيتَ إِلَى بُرْدٍ» معنًى ؛ ثم قوله : «وَأَنْتَ لَغَيْرِهِ» معنًى آخر ، ثم قوله : «فَهَبَكَ لِبُرْدٍ» معنًى ثالث ، وقوله : «نَكْتَ أُمُّكَ» شتمٌ مفرد ، واستخفافٌ مجدّد ، وهو معنًى رابع ، ثم ختمها بقوله : «مَنْ بُرْدُ ؟» ولقد طَلَبَ جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني ، ونحا هذا النحو ، فما تهيأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو قوله :

[من الكامل]

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
فَلَمْ يُدْرِكْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشارٌ يهجو حمَّاداً وَلَا يَرْفُثُ فِي هِجَائِهِ إِلَّا هَـ حَتَّى قَالَ حَمَّادُ :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ كَانَ مِثْلَ أَبِيكَ يَا	أَعْمَى أَبُوهُ فَلَا أَبَا لَهُ
أَنْتَ ابْنُ بُرْدٍ مِثْلُ بُرْ	دٍ فِي النَّدَالَةِ وَالرَّذَالَةِ
زَحَرْتِكَ مِنْ جُحْرِ اسْتِهَا	فِي الْحُشِّ خَائِئَةً غَزَالَةً ¹
مَنْ حَيْثُ يَخْرُجُ جَعْرُ مَنْدٍ	سِتْنَةٍ مَدْنَسَةٍ مُدَالَةٍ ²
أَعْمَى كَسَتْ عَيْنِيهِ مِنْ	وَذَحِ اسْتِهَا وَكَسَتْ قَدَالَةً
خِنْزِيرَةً بَظُرَاءَ مَنْ	سِتْنَةِ الْبُدَاهَةِ وَالْعُلَالَةِ
رَسْحَاءَ خَضِرَاءَ الْمَغَا	بِ بْنِ رَيْحِهَا رَيْحُ الْإِهَالَةِ
عَذْرَاءَ حُبْلَى يَا لَقَوُ	مِي لِلْمَجَانَةِ وَالضَّلَالَةِ

1 زحرتك : ولدتك .

2 الجعر : ما يس من العذرة في الدبر . مذالة : أمة .

مَرَقْتُ فَصَارَتْ قَجَبَةً بِجَعَالَةٍ وَبِلَا جِعَالَةٍ¹

ولقد أقلتُك يا ابن بُرٍّ دِ فَاجْتَرَأْتُ فَلَا إِقَالَه

فلَمَّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشاراً أطرق طويلاً ، ثم قال : جزى الله ابنَ نهيا خيراً ، فقيل له : علامَ تجزيه الخيرَ ؟ أعلى ما تسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردُّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودة ، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه ، وأهدفتني عورةً ممكنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكرُ أمَّ حماد في هجائه إياه ، ويذكرُ أباه أقبحَ ذكر ، حتى ماتت أمُّ حماد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحماد :

أبا حامدٍ إن كنتَ تزني فأسعِدِ وَبِكَ جِراً وَلَّتْ به أمُّ عَجْرَدِ

جِراً كان للعزَّاب سهلاً ولم يكن أَيْباً على ذي الزوجة المتودِّدِ

أصيب زناةُ القومِ لما توجَّهتْ به أمُّ حمادٍ إلى المضجعِ الرَّدِي

لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا وللقاعدِ المعتزِّ والمتزَيِّدِ²

أخبرنا محمد بن الحسن بن ذرِّيد قال : حدَّثنا أبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشار : أنشدتُ بشاراً يوماً قولَ حماد :

ألا قل لعبد الله إنك واحدٌ ومثلك في هذا الزمان كثيرٌ³

قَطعتْ إخائي ظالماً وهجرتني وليس أخِي مَنْ في الإخاء يَجورُ

أديمُ لأهلِ الوُدِّ ودِّي ، وإنسي لَمَن رام هجري ظالماً لهجورُ

ولو أنْ بَعْضي رابسي لقطعته وإنسي بقطعِ الرائبينِ جديرُ

فلا تحسبنِ مَنحي لك الوُدَّ خالصاً لِعِزٍّ ولا أني إليك فقيرُ

ودونك حظِّي منك لستُ أريدُه طَوَالَ الليالي ما أقامَ ثبيرُ

فقال لي بشار : ما قال حمادُ شعراً قطُّ هو أشدُّ عليَّ من هذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه ؟ وقد هجأك في شعر كثير فلم تجزع . قال : لأنَّ هذا شعر جيّد ومثله يُروى ، وأنا أنفَس عليه أن يقول شعراً جيّداً .

[الخرس أستر من شعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش قال : حدَّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال :

1 أي بأجر أو دون أجر .

2 المتزيد في ل : والمتردد .

3 الزمان في ل : الأنام .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النُّطَّاحِ قَالَ : كُنْتُ شَدِيدَ الْحُبِّ لَشَعْرِ حَمَّادٍ عَجْرَدٍ ، فَأَنْشَدْتُ يَوْمًا أَخِي بَكْرَ بْنَ النُّطَّاحِ قَوْلَهُ فِي بَشَّارٍ : [من السريع]

أَسَأْتُ فِي رَدِّي عَلَى ابْنِ اسْتِهَا	إِسَاءَةً لَمْ تُبْقِ إِحْسَانًا
فَصَارَ إِنْسَانًا بِذِكْرِي لَهُ	وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ إِنْسَانًا
قَرَعْتُ سِنِّي نَدْمًا سَادِمًا	لَوْ كَانَ يَغْنِي نَدْمِي الْآنَا ¹
يَا ضِيعَةَ الشَّعْرِ وَيَا سَوْءَ تَا	لِي وَلَأَزْمَانِي أَزْمَانَا
مَنْ بَعْدَ شَتْمِي الْقِرْدَ لَا وَالَّذِي	أَنْزَلَ تَوْرَاةَ وَقْرَانَا
مَا أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ شَتْمِي لَهُ	أَنْذَلُ مِنِّي ، كَانَ مَنْ كَانَا

قَالَ : فَقَالَ لِي : لَمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَقُلْتُ : لِحَمَّادٍ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارٍ ، فَأَنْشَأُ يَتِمُّثَلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ
ثُمَّ قَالَ : يَا أَخِي ، إِنْسَ² هَذَا الشَّعْرَ فَنَسِيَانَهُ أَزَيْنُ بِكَ ، وَالْخَرَسُ كَانَ أَسْتَرًا عَلَى قَائِلِهِ .
[تَفَرَّقَ بَشَّارٌ عَلَيْهِ فِي الْهَجَاءِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ : أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ بِالْبَصْرَةِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَجَاءِ حَمَّادٍ عَجْرَدٍ لِبَشَّارٍ شَيْءٌ جَيِّدٌ إِلَّا أَرْبَعِينَ بَيْتًا مَعْدُودَةً ، وَلِبَشَّارٍ فِيهِ مِنَ الْهَجَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ بَيْتٍ جَيِّدٍ ، قَالَ : وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هُوَ الَّذِي هَتَكَ صَاحِبَهُ بِالزُّنْدَقَةِ وَأَظْهَرَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَا يَجْتَمِعَانِ عَلَيْهَا ، فَسَقَطَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ وَتَهَتَكَ بِفَضْلِ بِلَاغَةِ بَشَّارٍ وَجُودَةِ مَعَانِيهِ ، وَبَقِيَ بَشَّارٌ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَسْقُطْ ، وَغُرِفَ مَذْهَبُهُ فِي الزُّنْدَقَةِ فَقُتِلَ بِهِ .
[مُجَاشَعُ بْنُ مَسْعُودَةَ يَهْجُو حَمَّادًا لِيَرْتَفِعَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقِ الْمُوَصِّلِيِّ أَنَّ مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودَةَ أَخَا عَمْرٍو بْنَ مَسْعُودَةَ هَجَا حَمَّادَ عَجْرَدٍ وَهُوَ صَبِيٌّ حِينَئِذٍ لِيَرْتَفِعَ بِهِجَائِهِ حَمَّادًا ، فَتَرَكَ حَمَّادٌ وَشَبَّ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ :

رَاعَتْكَ أُمُّ مُجَاشَعٍ	بِالْصَّدِّ بَعْدَ وَصَالِهَا
وَاسْتَبَدَّلَتْ بِكَ وَالْبَلَا	عَلَيْكَ فِي اسْتِبْدَالِهَا

1 نَدَمًا فِي ل : نَادِمًا . السَادِمُ : الْمَهْمُومُ النَّادِمُ .

2 ل : أَيْش .

جَنِيَّةٌ مِنْ بَرٍّ مَشْهُورَةٌ بِجَمَالِهَا
فَحْرَامُهَا أَشْهَى لَنَا وَلَهَا مِنْ اسْتِحْلَالِهَا

فبلغ الشعرُ عمرو بنَ مسعدة ، فبعث إلى حماد بصلة ، وسأله الصَّفَحَ عن أخيه ، ونال أخاه بكلِّ مكروه ، وقال له : ثكلتك أمك ، أتعرض لحماد وهو يُناقِفُ بشاراً ويقاومُه ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرضت له ليهتكك وسائر أهلك ، وليفضحنًا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنا .

[الجارية العابثة]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعد الكُرَائيّ قال : حدَّثني أبو عليّ بنُ عَمَّارٍ قال : كان حماد عجردٍ عند أبي عمرو بن العلاء ، وكانت لأبي عمرو جارية يُقال لها مَنِيعة ، وكانت رسحاء¹ عَظِيمةَ البُطن ، وكانت تَسخرُ² بحماد ، فقال حماد لأبي عمرو : أغن عني³ جاريتك فإنها حَمَقاء ، وقد استغلقت لي ، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد :

لو تَأْتَيْ لَكَ التَّحَوُّلُ حَتَّى
يَكُونُ الْقَدَامُ ذُو الْخِلْقَةِ الْجَزْ
تَجْعَلِي خَلْفَكَ اللَّطِيفَ أَمَامَا
لَهُ خَلْقاً مَوْثِلاً مَسْتَكَامَا
لِإِذَا كُنْتَ يَا مَنِيعةُ خَيْرَ النَّاسِ
سِرْ خَلْفاً وَخَيْرَهُمُ قَدَامَا

[حرص محمد بن طلحة على الضيف]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرَائيّ قال : حدَّثني الحسن بن عُمارة قال : نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حماد :

زَرْتُ امْرَأً فِي بَيْتِهِ مَرَّةً
لَهُ حَيَاءٌ وَلَهُ خَيْرٌ⁴
يَكْرَهُ أَنْ يُتَخِمَ أَضْيَافَهُ
إِنَّ أَذَى التُّخْمَةِ مُحْذُورُ
وَيَشْتَهِي أَنْ يُوجَرُوا عِنْدَهُ
بِالصَّوْمِ وَالصَّالِحِ مَاجُورُ

قال : فلما سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على هجائي ، وإنما انتظرتُ أن يُفرَغَ لك من الطعام ؟ قال : الجوعُ وحياتك حملني عليه ، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول ، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

1 رسحاء . ضئيلة العجز والفخذين .

2 ل : تعبت .

3 أغناها عني : كفها .

4 خير : كرم وشرف .

[وجه مبني على اللحن]

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزره قالوا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبي وزه صديقاً لحماد عجرد ، وكان حفص مرمياً بالزندقة ، وكان أعمش أفضس¹ أغضف² مقبّح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب ، وجعلوا يتحدثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي وزه يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه ، فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل
تتبع لحناً في كلام مرقش
وأنت كليل العود عما تتبع²
ووجهك مبني على اللحن أجمع
فأذناك إقواء وأنتك مكفأ
وعيناك إبطاء فانت المرقع

[عاشق جبة أحد الكتاب]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أبو دعامه عن عاصم بن الحارث بن أفلح ، قال : رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خزر³ ذكاء فكتب إليه :

إنني عاشق لجبتك الدك
فبحق الأمير إلا أتني
نأ عشقاً قد هاج لي أطراي
في سراح مقرونة بالجواب
ولك الله والأمانة أن أجـ
علها أشهراً أمير ثيابي

فوجه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك ؟ وأي شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك ، لو جعلت مكان هذا مدحاً لكان أحسن ، ولكنك رذلت لنا شعرك فاحتملناك .

[عنه على مطيع بن إلياس]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف ، قالا : حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال : مرض حماد عجرد فلم يعذه مطيع بن إلياس ، فكتب إليه :

كفاك عيادتي من كان يرجو
ثواب الله في صلة المريض

1 الأغضف : المتدلي الأذنين .

2 ثيل العود : قضيب الجمل المسن .

فَإِنْ تُحَدِّثْ لَكَ الْأَيَّامَ سَقَمًا يَحُولُ جَرِيضُهُ دُونَ الْقَرِيضِ¹
يَكُنْ طُولُ التَّأَوُّهِ مِنْكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الطَّنِينِ مِنَ الْبَعُوضِ

[قضاء حاجة والبة]

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن أبي سعد قال : زعم أبو دُعامة أَنَّ التَّيْحَانَ بنَ أَبِي التَّيْحَانَ قال : كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحباب ، فقال له : ما صنعت في حاجتي ؟ فقال : ما صنعت شيئاً ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ : [من مجزوء الكامل]

عثمانُ ما كانت عدا تُكِّ بِالْعِدَاتِ الكاذبة
فَعَلَامَ يَا ذَا الْمَكْرُمَا تِ وَذَا الْغُيُوثِ الصَّائِبَةِ²
أَخَّرْتَ وَهِيَ يَسِيرَةٌ فِي الرُّزْءِ حَاجَةٌ وَالْبَةُ ؟
فَأَبُو أُسَامَةَ حَقُّهُ أَحَدُ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ
فَاسْتَحْيَ مِنْ تَرْدَادِهِ فِي حَاجَةٍ مُتَقَارِبَةٍ
لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ ، وَلَوْ وَاللَّهِ كَانَتْ كَاذِبَةً
فَقَضَيْتَهَا أَحْمَدْتَ غِ بَّ قَضَائِهَا فِي الْعَاقِبَةِ
إِنِّي وَمَا رَأَيْتُ بَعَا دَمِ عَاتِبٍ أَوْ عَاتِيَةٍ
لَأَرَى لِثَلَاثِكَ كَلَمًا نَابَتْ عَلَيْهِ نَائِبَةٌ
أَلَّا يَرُدَّ يَدَ امْرِئٍ بُسْطَتْ إِلَيْهِ خَائِبَةٌ

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلتُ له : ما صنعت ؟ فقال : قضى حاجتي وزاد .

[المفضل بن بلال يقدم بشاراً]

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن الزبالي قال : بلغ حماد عجرد أَنَّ المفضل بن بلال أعان بشاراً عليه وقدمه وقرَّطه ، فقال فيه : [من الخفيف]

عَجَبًا لِلْمُفْضَلِ بْنِ بِلَالٍ مَا لَهُ يَا أَبَا الزُّبَيْرِ وَمَا لِي
عَرَبِيٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْ يَّةَ بَالُهِ وَبَالُ الْمَوَالِي

قال : وأبو الزُّبَيْرِ هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزُّبَيْرِ ، وكان قُبَيْسٌ ويونس بن أبي فروة

1 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني 1 : 191 وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 44 ومعناه أَنَّ الغصة حالت دون قول الشعر .

2 الصائبة : المنصبة .

كَاتَبُ عَيْسَى بْنِ مُوسَى صَدِيقَيْنِ لَهُ ، وَكَانُوا جَمِيعاً زَنَادِقَةً ، وَفِي يُونُسَ يَقُولُ حَمَّادُ عَجْرِدٍ وَقَدْ قَدِيمٌ مِنْ غَبِيَّةٍ كَانَ غَابَهَا :

[من مجزوء الرمل]

كَيْفَ بَعْدِي كُنْتُ يَا يُو	نُسُ لَا زِلْتُ بِخَيْرٍ
وَبَغِيرِ الْخَيْرِ لَا زَا	لَ قُبَيْسُ بْنُ الزُّبَيْرِ
أَنْتَ مَطْبُوعٌ عَلَى مَا	شِئْتَ مِنْ خَيْرٍ وَمَيْرٍ ¹
وَهُوَ إِنْسَانٌ شَبِيهٌ	بِكُسَيْرٍ وَعَوَيْرٍ ²
رَعْمُهُ أَهْوَنُ عِنْدَ النَّ	اسِ مِنْ ضَرْطَةٍ عَيْرٍ

[بينه وبين مطيع وسعاد الجارية]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ وَوَكَيْعٌ قَالَا : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ عَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ : ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ أَنَّ حَمَّادَ عَجْرِدٍ حَضَرَ جَارِيَةً مَغْنِيَةً يُقَالُ لَهَا سَعَادُ ، وَكَانَ مَوْلَاهَا ظَرِيفاً ، وَمَعَهُ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ ، فَقَالَ مَطِيعُ :

[من الخفيف]

قُبْلَيْنِي سَعَادُ بِاللَّهِ قُبْلَةً	وَاسْأَلْنِي لَهَا فَدَيْتَكَ نِحْلَةً ³
فَوَرَبُّ السَّمَاءِ لَوْ قُلْتُ لِي صَدَّ	لُ لَوْجَهِي جَعَلْتُهُ الدَّهْرَ قِبْلَةً

فَقَالَتْ لِحَمَّادَ : اكَفِّينِي يَا عَمَّ ، فَقَالَ حَمَّادُ :

[من الخفيف]

إِنَّ لِي صَاحِباً سِوَاكَ وَفِيّاً	لَا مَلُولاً لَنَا كَمَا أَنْتَ مَلَّةٌ ⁴
لَا يُبَاعُ التَّقْبِيلُ بَيْعاً وَلَا يُشَدُّ	رَى فَلَا تَجْعَلِ التَّعَشُّقَ عِلَّةً

فَقَالَ مَطِيعُ : يَا حَمَّادُ ، هَذَا هَجَاءٌ : وَقَدْ تَعَدَّيْتَ وَتَعَرَّضْتَ ، وَلَمْ تَأْمُرْكَ بِهَذَا ؛ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ - وَكَانَتْ بَارِعَةً ظَرِيفَةً - أَجَلٌ ؛ مَا أَرَدْنَا هَذَا كُلَّهُ ، فَقَالَ حَمَّادُ :

[من الخفيف]

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي مِثْلَهَا مِنْ	لِكِ بِنُحْلٍ ، وَالنُّحْلُ فِي ذَاكَ حِلَّةٌ ⁵
فَأَجِيبِي وَأَنْعِمِي وَخُذِي الْبَذْ	لَ وَأَطْفِي بِقُبْلَةٍ مِنْكِ غُلَّةً

فَرَضِيَّ مَطِيعُ ، وَخَجَلَتْ الْجَارِيَةُ ، وَقَالَتْ : اكَفِّيَانِي شَرِّكَ الْيَوْمَ ، وَخُذَا فِيمَا جِئْتُمَا لَهُ .

1 المير : جلب الميرة ، أي الطعام .

2 المثل « كسبر وعوير وكل غير خير » في مجمع الميداني 2 : 147 ومستقصى الزمخشري 2 : 172 ويضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين لا خير فيه .

3 نحلة : عطية .

4 مله : سريع الملل لإخوانه .

5 النحل : الهبة . وحلة : حلال .

[غلام مطيع]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المديني ، عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الخريمي قال : أهدى مطيع بن إلياس إلى حماد عجرد غلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ .

[بنت الدهقان]

أخبرني وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المديني قال : ذكر محمد بن سنان أن مطيع بن إلياس خرج هو وحماد عجرد ويحيى بن زياد في سفر ، فلما نزلوا في بعض القرى عرفوا ، ففرغ لهم منزل ، وأتوا بطعام وشراب وغناء ، فبينما هم على حالهم يشربون في صحن الدار ، إذ أشرفت بنت دهبقان من سطح لها بوجه مشرق رائق ، فقال مطيع لحماد : ما عندك ؟ فقال حماد : «خذ فيما شئت»¹ فقال مطيع :

ألا يا أبّي الناظر من بينهم نحوي

فقال حماد عجرد :

ألا يا ليت فوق الحقد مني لاصقاً حقوي

فقال مطيع :

وأن البضع يا حمّا د منها شوبك المروي²

فقال يحيى بن زياد :

ويا سقياً لسطح أش رقت من بينهم حذوي³

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه : أن حماد عجرد قال في جوهر جارية أبي عون : قال : وفيه غناء :

[من مجزوء الكامل]

صوت

إنّي أحبُّك فاعلمي إن لم تكوني تعلمينا
حبّاً أقلّ قليله كجميع حبّ العالمينا

1 ل : شب بها .

2 الشوب : العسل ، واللبن .

3 حذوي : إزائي أو مقابلي .

[وداع أبي خالد الأحول]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حماد عَجْرِيَّ صديقاً لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد ، فأراد الخروج إلى واسط ، وأراد وداع أبي خالد ، فلما جاءه لذلك حَجَّبه الغلام وقال له : هو مشغول في هذا الوقت ، فكتب إليه يقول :

وما للوداع ذكرتُ السَّلاما	عليك السلامُ أبا خالدٍ
يُحيُّك حبَّ الغويِّ المداما	ولكن تَحِيَّةً مستطربٍ
ولستُ أطيل هناك المقاما	أردت الشَّخْوصَ إلى واسطٍ
ب دون اللِّمام تركتُ اللِّماما ¹	فإن كنت مكفياً بالكِثا
ك بوابكم بي وأوصر الغلاما	والأ فأوصر هَداك الملب
من إمّا قعوداً وإمّا قياما	فإن جئتُ أدخلت في الداخِلِ
فلا لومَ لستُ أُحبُّ الملاما	فإن لم أكن منك أهلاً لَذاكَ
م أخزاهمُ الله طراً أناما	لأنِّي أذمُّ إليك الأنسا
يُميتون حمداً ويُحيون ذاماً ²	فإنِّي وجدتهمُ كلَّهمُ
كرام فإنِّي أحبُّ الكراما	سوى عُصبةٍ لستُ أعينهمُ
فما أكثرُ الأرذَلين اللُّثاما	وأقلُّل عديدهم إن عددتَ

[ممازحة شاعرين ابن إياس]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثني أبو أيوب المديني قال : قال ابن عبد الأعلى الشيباني : حضر حماد عَجْرِيَّ ومطيعُ بن إياس مجلسَ محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس ، فتمازحا ، فقال حماد :

يا مُطيعُ يا مُطيعُ	أنتَ إنسانٌ رقيقُ
وعن الخير بطي ³	وإلى الشرِّ سريعُ

[من مجزوء الرمل]

فقال مطيع :

إنَّ حماداً لقيمُ	سيفلةُ الأصل عديمُ
-------------------	--------------------

1 اللِّمام : الزيارات القليلة .

2 الذام : العيب .

لا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهِنِ الْعَيْرِ يَهِيمُ

فقال له حماد : ويلك ، أترميني بدائك ، والله لولا كراحتي إلتمادي الشرّ ولجأج الهجاء لقلتُ لك قولاً يَبْقَى ، ولكنّي لا أفسد مودّتك ، ولا أكافك إلاّ بالمديح ، ثم قال :

كلّ شيء لي فداء	لمطيع بن إبّاس
رجلٌ مستملحٌ في	كلّ لبنٍ وشماس ¹
عَدْلُ رُوحِي بين جنّ	بيّ وعينيّ براسي
غرس الله له في	كبيدي أحلى غراس
لستُ دهري لمطيع بـ	من إبّاسٍ ذا تناس
ذاك إنسانٌ له فضـ	لّ على كلّ أناس
فإذا ما الكأس دارتْ	واحتساها من أحاسي ²
كان ذِكرنا مُطيعاً	عندها ريحان كاسي

[هجائه عيسى بن عمرو]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ ومحمد بن عمران الصيّريّ قالا : حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال : حدّثنا التّوزيّ قال : كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحمّاد عَجْرَد ، وكان يواصله أيّام خدمته للرّبيع ، فلمّا طرده الرّبيع واختلّت حاله جفاه عيسى ، وإنّما كان يصله لحوائج يسأل له الرّبيع فيها ، فقال حمّاد عجرد فيه :

أوصلُ الناس إذا كانت له	حاجة عيسى وأقضاهم لحقّ
ولعيسى إن أتى في حاجة	مَلَقَّ يُنسى به كلّ مَلَقّ
فإن استغنى فما يعدّله	نخوة كسرى على بعض السُّوق
إن تكن كنت بعيسى واثقاً	فبهذا الخلق من عيسى فثِقْ

قال العنزيّ : وأنشدني بعض أصحابنا لحمّاد في عيسى بن عمر أيضاً :

كم من أخٍ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر

1 الشماس : النفور والاباء .

2 أحاسي : أساقي .

متصنّع لك في مودّته يلقاك بالترحيب والبشر
يُطري الوفاء وذا الوفاء ويد حي الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا والدّهر ذو غير دهرٌ عليك عدا مع الدّهر
فارفض بإجمال مودة من يقلي المقلّ ويعشق المثري
وعليك من حاله واحدة في العسر إمّا كنت اليسر
لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان بالصّفير¹

[حشيش الكوفي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدّثني ابن أبي فنّ قال : حدّثني العتّابي ،
وأخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر قال : قال العتّابي : وحديث ابن أبي طاهر أتمّ ، قال :
كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعنة يقال له حُشيش وكانت أمّه حارثيّة ، فمدحه حماد
عجري فلم يُثبّه ، وتهاوّن به ، فقال يهجوّه :

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشّقاء
قسّمت ألوّية بي من رجال ونساء
ظفرت أخت بني الحما رث منها بلّواء
حادث في الأرض يرتا عُ له أهل السماء

قال : فعرضت أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش ، فقال : أهو الذي
يقول فيه الشاعر :

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشّقاء ؟

قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر ، ولم
يستعمله ، قال : وقال حماد فيه أيضاً يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حُشيش
وعشرته :

صرت بعدي يا سعيد من أخلاء حُشيش
أتلوّطت أم استخ لفت بعدي أم لأيش
حلّقي استه أو سع من است بحشيش

ثُمَّ بَغَاءَ عَلَى ذَا أَبْلَغَ النَّاسِ لَفَيْشٍ
يَا بَنِي الْأَشْعَثِ مَا عَيْ شُكُّمُ عِنْدِي بَعِيثٍ
حِينَ لَا يُوجَدُ مِنْكُمْ غَيْرُهُ قَائِدُ جَيْشٍ

قال : وكان بُحَيْشُ هذا رجلاً من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَقَدَ من البصرة إلى حماد قاصداً ، وقال له : يا هذا ، ما لي ولك ، وما ذنبي إليك ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا بُحَيْشُ ، أما وجدتَ أحداً أوسعَ دُبُرًا مِنِّي يُتَمَثَّلُ به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّةٌ صَبَّتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله فودعه وانصرف وقال : الله بيني وبينك فقد أبقيت عليّ سبة لا أعرف لها سبباً .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثني محمد بن الحسن بن الحرون . قال : كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْنَ جدّ ابن أبي عون العابد ، وكان ينزل الكرخ ، وكان عجرد إذا قَدِمَ بغداد زاره ، فبلغ أبا عون أنّه يحدثُ الناسَ أنّه يهوى جاريةً له يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه وأطرحه ، فقال يهجو أبا عون :

أَبَا عَوْنٍ لِحَاكَ اللَّـهُ ، يَا عُرَّةُ ، إِنْسَانًا¹
فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ إِذَا سُمِّيتَ كَشْخَانًا²
بَنَيْتَ الْيَوْمَ فِي الْكَشْخِ لِأَهْلِ الْكَرْخِ بِنْيَانًا³
وَشَرَفْتَ لَهُمْ فِي ذَاكَ أَبُوبِأً وَحِيطَانًا
وَأَلْفَيْتَ عَلَى ذَاكَ مِنَ الْفُسَاقِ أَعْوَانًا
وَمُجَّانًا وَلَنْ تَعْدَ مَ مَنْ يَمْجُنُ مُجَّانًا
فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كُنْتَ أَخَاهُ كَانَ مَنْ كَانَا
وَلَا زِلْتَ وَلَا زَالَ بِأَخْلَاقِكَ خَزْيَانًا
وَعُرْيَانًا كَمَا أَصْبَحَ تَ مِنْ دِينِكَ عُرْيَانًا

وقال فيه أيضاً :

إِنَّ أَبَا عَوْنٍ وَلَا أَقُولُ فِيهِ كَذِبًا

[من مجزوء الرجز]

1 العرة : المجرب .

2 كشخان : ديوث .

3 بنيانا في ل : ميدانا .

غَاوِرُ أَتَى مَدِينَةً فَسَنَ فِيهَا عَجَبًا
إِخْوَانُهُ قَدْ جَعَلُوا أُمَّ بَيْنَهُ مَرْكَبًا
وَاتَّخَذُوا جَوْهَرَةً مَبُولَةً وَمَلْعَبًا
إِنْ نِكَتْهَا أَرْضِيتهُ أَوْ لَمْ تَنِكَهَا غَضِيَا
أَحْبَهُمْ إِلَيْهِ مَنْ أَدْخَلَ فِيهَا ذَنْبًا
وَمَنْ إِذَا مَا لَمْ يَنْكُ جَرَّ إِلَيْهَا جَلْبًا

[غيلان جمع الدمامة والخيانة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنَا الْغَلَّابِيُّ عَنْ مَهْدِيّ بْنِ سَابِقٍ قَالَ : اسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَهُوَ يَلِي الْبَصْرَةَ غِيلَانَ جَدًّا عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ عَلَى بَعْضِ أَعْشَارِ الْبَصْرَةِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ عَلَى خِيَانَةٍ ، فَعَزَلَهُ ، وَأَخَذَ مَا خَانَهُ فِيهِ ، فَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ يَهْجُوهُ :

ظَهَرَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ يَا غِيلَانُ إِذْ خُتَّتْهُ إِنَّ الْأَمِيرَ مُعَانُ
أَمَعَ الدَّمَامَةَ قَدْ جَمَعْتَ خِيَانَةً ! قَبِحَ الدِّمِيمُ الْفَاجِرُ الْخَوَّانُ

[شعره في أبي بشر]

أخبرني عميّ قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ عَنْ أَبِي دِعَامَةَ قَالَ : أَنْشَدَ بِشَّارٌ قَوْلَ حَمَّادِ عَجْرَدٍ فِي غِلَامٍ كَانَ يَهْوَاهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو بَشَرٍ :

صوت

أَخِي كُفَّ عَنْ لُومِي فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا فَعَلَ الْحُبُّ الْمِرْحَ فِي صَدْرِي
أَخِي أَنْتَ تَلْحَانِي وَقَلْبُكَ فَارِغٌ وَقَلْبِي مَشْغُولُ الْجَوَانِحِ بِالْفِكْرِ
أَخِي إِنَّ دَائِي لَيْسَ عِنْدِي دَوَاؤُهُ وَلَكِنْ دَوَائِي عِنْدَ قَلْبِ أَبِي بَشَرٍ
دَوَائِي وَدَائِي عِنْدَ مَنْ لَوْ رَأَيْتَهُ يَقْلُبُ عَيْنِيهِ لِأَقْصَرَتْ عَنْ زَجْرِي
فَأَقْسَمَ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُوعَةِ الْهَوَى لِأَقْصَرْتَ عَنْ لُومِي وَأَطْنَبْتَ فِي عَذْرِي
وَلَكِنْ بَلَائِي مِنْكَ أَنْتَ نَاصِحٌ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي بِأَنْتَ لَا تَدْرِي

فَطَرِبَ بِشَّارٌ ثُمَّ قَالَ : وَيَلَكُمْ ، أَحْسَنَ وَاللَّهِ ؛ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَمَّادُ عَجْرَدٍ ؛ قَالَ : أَوْهَ ، وَكَلِّمُونِي وَاللَّهِ بَقِيَّةَ يَوْمِي بِهِمْ طَوِيلٌ ، وَاللَّهِ لَا أُطْعِمُ بَقِيَّةَ يَوْمِي طَعَامًا وَلَا صُومَ غَمًّا بِمَا يَقُولُ النَّبْطِيُّ ابْنُ الزَّانِيَةِ مِثْلَ هَذَا .

فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَعَطَرْدُ .

أُنشَدَنِي جَحْظَةَ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ لِحَمَادِ عَجْرِدٍ : [من مجزوء الوافر]

خَلِيلِي لَا يَفْسِي أَبَدًا يَمْنِينِي غَدًا فَعَدَا
وَبَعْدَ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ كَذَا لَا يَنْقُضِي أَبَدَا
لَهُ جَمْرٌ عَلَى كَيْدِي إِذَا حَرَّكَهُ اتَّقَدَا

[مدحه يحيى بن زياد]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الزَّيْلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ سَأَلَ أَبَاهُ أَنْ يُوَلِّيَ يَحْيَى بْنَ زِيَادٍ عَمَلًا ، فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَقَالَ : هُوَ خَلِيعٌ مَتَخَرِّقٌ فِي النِّفْقَةِ مَاجِنٌ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ تَابَ وَأَتَابَ ، وَتَضَمَّنَ عَنْهُ مَا يُحِبُّ ، فَوَلَّاهُ بَعْضَ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ ، فَقَصَّدَهُ حَمَادُ عَجْرِدٍ إِلَيْهَا ، وَقَالَ فِيهِ :

[من المتقارب]

فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ أَيْنَ الْفَعَالُ فَعَنْدِي شِفَاءٌ إِذَا الْبَاحِثُ
مَحَلُّ النَّدَى وَفَعَالُ النَّهْيِ وَبَيْتُ الْعُلَا فِي بَنِي الْحَارِثِ
حَلَّلْنِ يَحْيَى فَحَالَفْنَهُ حَيَاءٌ مِنَ الْبَاعِثِ الْوَارِثِ
فَلَا تَعْدِلَنَّ إِلَى غَيْرِهِ لِعَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا رَائِثِ¹
فَإِنَّ لَدَيْهِ بَلَا مَنَةٍ عَطَاءُ الْمُرَحَّلِ وَالْمَاكِثِ

قال : وقال فيه أيضاً :

[من السريع]

يَحْيَى امْرُؤٌ زَيْنُهُ رُئُوسُهُ بِفَعْلِهِ الْأَقْدَمُ وَالْأَحَدِثُ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ ، وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقِي لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
وَرُئُوسُهُ ذَلِكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ نَسَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ²

فوصله يحيى بصلة سنّة وحملته وكساه ، وأقام عنده مدّة ثم انصرف .

[تخریضه عیسی بن عمرو علی بشار]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : وَلِيَ عَيْسَى بْنُ عَمْرٍو إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ لَمَّا خَرَجَ عَنْهَا عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ حَمَادُ

1 الرّائث : البطيء .

2 النّثا : الذّكر .

عجرد :

[من الخفيف]

قُلْ لِعِيسَى الْأَمِيرِ عِيسَى بْنِ عَمْرٍو
والبناء العالي الذي طال حتى
يابن عمرو عمرو المكارم والتقد
لك جازر بالمصر لم يجعل اللد
لا يصلي ولا يصوم ولا يق
إنما معدن الزناة من السف
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبيع
طهر مصر منه يا أيها المو
وتقرب بذاك فيه إلى اللد
يا ابن برد إحصأ إليك فمئل ال
ولعمري لأنت شر من الكل

ذي المساعي العظام في قحطان
قصرت دونه يدا كل بان
وى وعمرو الندى وعمرو الطعان
ه له منك حرمة الجيران
رأ حرفاً من مُحكم القرآن
لة في بيتيه وماوى الزواني
ن ، فماذا يهوى من الصبيان ؟
لى المسمى بالعدل والإحسان
ه تفز منه فوز أهل الجنان
كلب في الناس أنت لا الإنسان
ب وأولى منه بكل هوان

[هجا يقطين]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدثني محمد بن صالح
الجبلي قال : كان حماد عجرد قد مدح يقطيناً فلم يشبهه ، فقال يهجوهُ : [من السريع]

متى أرى فيما أرى دولةً يعزّ فيها ناصر الدين
ميمونة مجدها ربها بصادق النية ميمون¹
تردّ يقطيناً وأشياعه منها إلى أبزار يقطين

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حاكماً .

قال : ومروماً يونس بن فروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه ، فلم يهش له كما عوده ، فقال
يهجوهُ : [من الكامل]

أما ابن فروة يونس فكأنه من كبره أير الإمام القائم
وقال فيه :

ولقد رضيت بعصبة آخيتهم وإخاؤهم لك بالمعرة لازم

1 مجدها في ل : أيدها .

فعلمتُ حين جعلتهم لك دِخْلَةً إني لِعرضي في إخالِكَ ظالمٌ

[شعره في ولد بشار]

أخبرني عمي قال : حدّثني المغيرة بنُ محمد المهلبّي قال : حدّثني أبو مُعَاذ التميميّ أنّ بشاراً وُلد له ابنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حماد عجرد :

[من مجزوء الرمل]

سائلُ أمانة يا ابن بُر دِ من أبو هذا الغلام ؟
أمن الحلالِ أتت به أم من مقارفة الحرام
فلتُخبرنك أنّه بين العراقي والشامي
والآخر الروميّ والنّ بطي أيضاً وابن حام
أجعلت عرسك شقوةً غرضاً لأسهّم كل رام

أخبرني أحمد بنُ العباس العسكريّ قال : حدّثنا الحسن بنُ عُليّ العنزيّ قال : حدّثني مسعود بنُ بشر قال : مرّ حماد عجرد بقصر شيرين ، فاستظلّ من الحرّين سِدْرَتَيْن كانتا بإزاء القصر ، وسمع إنساناً يغني في شعر مطيع بنِ إياس :

[من الخفيف]

أسعداني يا نخلتني ، حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فقال حماد عجرد :

جعل الله سِدْرَتِي قصر شيرين من فداء لنخلتني حلوان
جئتُ مستسعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكت له النخلتان

[استجاز وعد محمد بن أبي العباس]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السّكونيّ ، قال : كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل ، ثم تشاغل عنه ، فكتب إليه حماد :

[من الهزج]

طلبتُ البذلَ ممّن خُ لقتُ كفّاه للبذل
ومن ينفي عن الممّج ل بالجود أذى المخل
ألا يا ابن أبي العبا س يا ذا النائل الجزل
أما تذكر يا مولا يّ ميعادك في البغل ؟
وذاك الرّجس في الدار جليسٌ لأبي سهل

يريك الحزم في الإخلا ف للميعاد والمطل

[شعره في عثمان بن شيبة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنا سليمان
المديني قال : كان عثمان بن شيبة مبخلًا ، وكان حماد عجرد يهجوّه ، فجاء رجل كان يقول
الشعر إلى حماد فقال له :

أعني من غناك بيت شِعْرٍ على فقري لعثمان بن شيبة

فقال له حماد : [من الوافر]

فإنك إن رَضِيتَ به خليلاً ملأتَ يدك من فقرٍ وخيبة

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه ، فصنّتُ

وجهي عنه .

[هجاؤه مطيع بعد الصداقة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان
حماد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالى العتيك يقال له : أبو بشر الحلو بن
الحلال ، أحسبه من موالى المهلب ، وكان موصوفاً بالجمال ، فاندسّ له مطيع بن إلياس ،
ولم يزل يحتال عليه حتى وطّقه ، فغضب حماد عجرد من ذلك ، ونشّب بينهما بسببه
هجاء ، فقال فيه حماد :

يا مطيعُ النذلُ أنتَ الـ	يومَ مخذولٍ جهولٍ
لا يغرُّكَ غرورٌ	ذو أفانين مَلُولٍ
ليس يحلو الفعلُ منه	وهو يحلو ما يقولُ
ملذاني مع الربِّ	ح إذا مالت يميلُ ¹
وجَـواذٌ بالمواعيـ	د وبالبذل بخيلُ
ليس يُرضيه من الجُعـ	ل كثيرٌ أو قليلُ
ذاك ما اخترت خليلاً	بئس والله الخليلُ
إنما يكفيك أن يـ	تيك في السرِّ رسولُ
ساخراً منك يمنيـ	ك أمانِي تطولُ

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما :

عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً وليس يصلح للدنيا وللدين
لو أبصروا فيك وجه الرأي ما تركوا حتى يشدُّوك كرهاً شدَّ مجنونٍ
ما نالَ قطُّ مطيعٍ فضلَ منزلةٍ إلاَّ بأن صرتُ أهجوه ويهجوني
ولو تركتُ مطيعاً لا أجأؤُهُ لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قربَ الفحول المُرد معتمداً جهلاً ويتركُ قربَ الخردِ العينِ

[يمدح ويعزي داود بن إسماعيل]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال : قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه : [من الخفيف]

إنَّ أُرْجى الأنامِ عندي وأوْلاً هُم بَمَدْحِي ونصرتي داوُدُ
إنْ يعيشْ لي أبو سليمان لا أُخْذُ غِلُّ ما كاذبي به من يكيْدُ
هذَّ رُكني فَقَدِي أباك فقد شَهِدَ لَدَّ بك اليومَ رُكني المهدودُ
قائلٌ فاعلٌ أبِي وفي مُتَلِفٌ مَخْلِفٌ مُفِيدٌ مُبِيدُ
وَفَتَى السَّنْ في كَمالِ ابنِ خمسي نَ ذَهاءٍ وَاِربَة بل يزيْدُ¹
مِخْلَطٌ مِزِيلٌ أَرِيبٌ أَدِيبٌ راتِقٌ فاتِقٌ قَريبٌ بَعيدُ²
وهو الذائد المدافع عني وعزيزٌ مُنْعَ مَن يَدوْدُ

[ولاية محمد بن أبي العباس على البصرة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني عبد الملك بن شيان قال : ولَّى أبو جعفر المنصورُ محمد بن أبي العباس السفاح البصرة ، فقدمها ومعه جماعة³ من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد ، وحكم الوادي وذحمان ، فكانوا ينادونه ولا يفارقونه ، وشرب الشراب وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله ، قال : وكان ابن أبي العباس كثير الطيب ، يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود ، فلقبوه أبا الدبس ، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة :

[من السريع]

1 الأربة : العقل .

2 مزيل : كجس لطيف .

3 ل : عدة .

صِرْنَا مِنَ الرِّيحِ إِلَى الْوُكُسِ إِذْ وَلِيَ الْمَصْرَ أَبُو الدَّبْسِ¹
 مَا شَعَتْ مِنْ لُؤْمٍ عَلَى نَفْسِهِ وَجَنَسُهُ مِنْ أَكْرَمِ الْجِنْسِ
 أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :
 كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يُغَضُّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَيُحِبُّ عِيَهُ ، فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ بِعَقِبِ مَقْتَلِ
 إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، فَقَدِمَهَا ، وَأَصْحَبَهُ الْمَنْصُورُ قَوْمًا يَعَابُ بِصُحْبَتِهِمْ مُجَانًا زَادِقَةً :
 مِنْهُمْ حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، وَحَمَّادُ بْنُ يُحْيَى ، وَنُظْرَاءُ لَهُمْ ، لِيَغُضَّ مِنْهُ وَيَرْتَفِعَ ابْنُهُ الْمَهْدِيُّ عِنْدَ النَّاسِ ،
 وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّمًا ، فَكَانَ يَغْلُفُ لِحِيَّتَهُ إِذَا رَكِبَ بِأَوَاقٍ مِنَ الْغَالِيَةِ ، فَتَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ
 فَيَصِيرُ شَهْرَةً ، فَلَقَبَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَبُو الدَّبْسِ ؛ قَالَ وَلَمَّا أَقَامَ بِالْبَصْرَةِ مَدَّةً قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ
 عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُعْتَزَّضَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالسَّيْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَأَقْتُلَ كُلَّ مَنْ وَجَدْتُ ، لِأَنَّهُمْ
 خَرَجُوا مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ . فَقَالُوا لَهُ : نَعَمْ ، نَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ ، لَمَّا يَعْرِفُونَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ
 جَاءُوا إِلَى أُمِّهِ سَلَمَةَ بِنْتِ أَيُّوبَ بْنِ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيَّةِ فَأَعْلَمُوهَا بِذَلِكَ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ هَمَّ
 بِهَا لَيُقْتَلَنَّ وَلَنُقْتَلَنَّ مَعَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَكَلَةُ رَأْسٍ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَكَشَفَتْ عَنْ
 ثَدْيَيْهَا وَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ بِحَقِّهَا حَتَّى كَفَّ عَمَّا كَانَ عَزِمَ عَلَيْهِ .

[غزل بزينب بنت سليمان بن علي]

أَخْبَرَنَا يُحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : كَانَ حَمَّادُ
 عَجْرَدٍ فِي نَاحِيَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ ، وَهُوَ الَّذِي أَذَبَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَهْوَى زَيْنَبَ بِنْتَ
 سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ الْبَصْرَةَ أَمِيرًا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ عَمِّهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَخَطَبَهَا ، فَلَمْ
 يَزُوجْهُ لشيءٍ كَانَ فِي عَقْلِهِ ، وَكَانَ حَمَّادٌ وَحَكَمُ الْوَادِي يَنَادِمَانِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ لِحَمَّادٍ : قُلْ فِيهَا
 شِعْرًا ، فَقَالَ حَمَّادٌ فِيهَا عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَغَنَّى فِيهِ حَكَمُ الْوَادِي : [مِنَ السَّرِيحِ]

صوت

زَيْنَبُ مَا ذَنْبِي وَمَاذَا الَّذِي غَضِيتُمْ مِنْهُ وَلَمْ تُغَضَّبُوا²
 وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ لِي عِنْدَكُمْ ذَنْبًا فَفِيمَ الْهَجْرُ يَا زَيْنَبُ ؟
 إِنْ كُنْتُ قَدْ أَغْضَبْتُكُمْ ضَلَّةٌ فَاسْتَعِيتُونِي إِنَّنِّي أُعْتَبُ³
 عَوْدُوا عَلَى جَهْلِي بِأَحْلَامِكُمْ إِنِّي ، وَإِنْ لَمْ أَذِيبْ ، الْمَذْنِبُ

1 الوكس : النقص .

2 لم تغضبوا : على البناء للمجهول ، أي لم آت ما يغضبكم .

3 استعنت : طلب العتي أي الرضا .

الغناء لحكم ، في هذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هَرَج يقال : إنه لخليد بن عبيد الوادي ، ويقال لعريب .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : حدثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال : حدثني عمرو بن بانه قال : كان ل محمد بن أبي العباس السِّفاح شعر في زينب ، وغنى فيه حَكَم الوادي :

صوت

قُولا لزينب لو رأيت تشوُّقِي لكَ واشترائي
وتلفَّتْني كيما أرا لكَ وكان شخصُكَ غيرَ خافٍ
وشممتُ رِيحَكَ ساطعاً كالبيت جُمَر للطَّوافِ
فركبتني وكأنتما قلبي يغررُ بالأشافي¹

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال : حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال : خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء ، إلا أنه قال فيه : فقال محمد بن أبي العباس فيها ، وذكر الأبيات كلها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حماداً .

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب : هذا فيما أراه غلطٌ من رواته ، لما سمعوا ذكر زينب ولحن حَكَم ، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس ، وقد ذَكَرَ هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه ، ونسبه إلى ابن رُهَيْمة وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة ، معروفٌ ومنها فيه يقول :

فذكرتُ ذاك ليونس فذكرته لأخٍ مُصافٍ

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالنصر في مجرى الخنصر ، وأن لحن حَكَم من الثقيل الأول بالنصر ، قال محمد بن يحيى : ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعارٌ كثيرة مما غنى فيها المغنون ، منها :

صوت

زينبُ ما لي عنك من صبرٍ وليس لي منك سوى الهجرِ
وجهك والله وإن شقَّني أحسنُ من شمسٍ ومن بدرٍ

1 الأشافي : جمع إشفى ، وهو المثقب .

لو أَبْصَرَ العاذِلُ منك الذي أَبْصَرْتَهُ أَسْرَعَ بالعَذْرِ

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حَدَّثَنَا الْغَلَائِيّ قال : حَدَّثَنِي عبد الله بن الضَّحَّاك عن هشام بن محمد قال : دخل دَحْمَانُ الْمُغَنِّي مولى بني مخزوم ، وهو المعروف بدَحْمَانَ الْأَشْقَر ، على محمد بن أبي العباس وعنده حَكَمُ الوادي ، فأحضر محمدٌ عشرةَ آلاف درهم وقال : من سَبَقَ منكما إلى صوت يُطْرِنِي فهذه له ؛ فابتدأ دَحْمَانُ يَغْنِي في شعر قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

حَوَراءُ مَمْكُورَةٌ مَنْعَمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا تَرَفُّ

فلم يهشَّ له ، فغَنَّى حَكَمُ في شعر محمدٍ في زينب :

زينبُ ما لي عنكِ من صبرٍ وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال : فطَرِبَ وضرب برجله وقال له : خُذْهَا ، وَأَمَرَ لَدَحْمَانَ بخمسة آلاف درهم ، قال : ومن شعره فيها الذي غَنَّى فيه حَكَمُ أيضاً :

[من مجزوء الكامل]

صوت

أَحْبَبْتُ مَنْ لَا يُنْصَفُ	ورجوتُ من لَا يُسْعَفُ
نَسَبٌ تَلِيدٌ بَيْنَنَا	وودادُنَا مُسْتَطَرَفُ
بِاللهِ أَحْلَفُ جَاهِداً	ومصدَّقُ مَنْ يَحْلِفُ
إِنِّي لَأَكْتُمُ حَبَّهَا	جَهْدِي لِمَا أَتَخَوَّفُ
وَالْحَبُّ يَنْطِقُ إِنْ سَكَ	تُ بِمَا أُجِنُّ وَيُعْرِفُ

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي ، ولحنه ثقيل أول . قال : ومن شعر محمد فيها الذي غَنَّى فيه حَكَمُ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أَسْعِدِ الصَّبَّ يَا حَكَمُ	وَأَعْنُهُ عَلَى الْأَلَمِ
وَأَدِرْ فِي غِنَائِهِ	نَعْمًا تَشْبِهُ النَّعَمِ
أَجْمِيلْ بَأْنَ يُرَى	نَائِمًا وَهُوَ لَمْ يَنْمِ
لَأَتَمِي فِي هَوَايَ زَهْ	خَبْ أَنْصِفْ وَلَا تَلَمْ

لَيْسَ الْجِسْمُ حُلَّةً فِي هَوَاهَا مِنَ السَّقَمِ
غَنَاهُ حَكَمٌ ، وَلَحْنُهُ هَزَجٌ .

[سكر حماد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه]

وقد أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أبو أيوب المديني قال : قال بُرَيْه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يَغْنِيهِ ، وندماؤه حضور ، وهم يشربون حتى سَكِرَ وسَكِرُوا ، فكان محمد أول مَنْ أَفَاقَ منهم ، فقام إلى جماعتهم يَنْبُهِهِمْ رجلاً رجلاً ، فلم يجد فيهم فَضْلاً سوى حماد عجرد وحكم الوادي ، فانتَبَهَا ، وابتدؤوا يشربون ، فقال عجرد على لسانه ، وَغَنَى فِيهِ حَكَمٌ :

أُسْعِدِ الصَّبَّ يَا حَكَمُ وَأَعِزَّنِي عَلَى الْأَلَمِ
أَجْمِلُ بَأَن يُرَى نَائِماً وَهُوَ لَمْ يَنَمْ

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال : أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي :

يَا قَمَرَ الْمَرْبِدِ قَدْ هِجَتِ لِي شَوْقاً فَمَا أَنْفَكَ بِالْمَرْبِدِ
أَرَأَيْتُ الْفَرْقَدَ مِنْ حَبِّكُمْ كَأَنَّنِي وَكُلْتُ بِالْفَرْقَدِ
أَهْمِ لَيْلِي وَنَهَارِي بِكُمْ كَأَنَّنِي مِنْكُمْ عَلَى مَوْعِدِ
عَلَّقْتُهَا رِيّاً الشَّوْىَ طِفْلاً قَرِيَةً الْمَوْلِدِ مِنَ مَوْلِدِي
جَدِّي إِذَا مَا نُسِبَتْ جَدَّهَا فِي الْحَسَبِ الثَّاقِبِ وَالْمَحْتَدِ
وَاللَّهُ مَا أَنْسَاكِ فِي خَلَوْتِي يَا نَوْرَ عَيْنِي وَلَا مَشْهَدِي

[شدة محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني الحارث بن أبي أسامة قال : حدثني المدائني قال : كان محمد بن أبي العباس نهايةً في الشدة ، فعاتبه يوماً المهدي ، فغَمَزَ محمدَ رَکَبَهُ حتى انضغط رجلُ المهدي في الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردَّ محمدَ الركابَ بيده ، فأخرجها المهدي حيثنَّ .

[حماد يمدح محمد بن أبي العباس]

أخبرني محمد قال : حدثنا أبو ذكوان قال : حدثنا العتيبي قال : كان محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدحاً ، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَةً فترده ، وفيه

يقول حماد عجرد : [من البسيط]

أرجوك بعد أبي العباس إذ باناً يا أكرم الناس أعرافاً وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مَجَّ عودٌ على قوم عصارته لَمَجَّ عودك فينا المسك والبانا

[عزل محمد بن أبي العباس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثنا الغلابي قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن قال : لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال : [من المتقارب]

أيا وقفَةَ الينـ ماذا شَبَّيتَ من النار في كَبِدِ المِغْمِ !
رَمَيْتَ جوانِحَه إذ رَمَيْتَ بقوسٍ مُسَدَّدَةٍ الأسهُمِ
وقفنا لزينبَ يومَ الوداعِ على مِثْلِ جَمَرِ الغُضَى المُضَرَمِ
فَمِنْ صَرَفِ دمع جري للفراقِ لَمْتَزَجٍ بَعْدَه بالدمِ

أخبرني محمد قال : حدثنا الفضل بن الحباب قال : حدثنا أبو عثمان المازني قال : قال حماد عجرد يشبب بزينب بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العباس : [من الطويل]

ألا مَنْ لقلبٍ مستهامٍ معذبٍ بحبٍّ غزالٍ في الحِجَالِ مُرَبِّبٍ
يراه فلا يستطيع رَدًّا لطرْفِه إليه حِذَارَ الكاشعِ المترقِّبِ
ولولا ملكٌ نافذٌ فيه حُكْمُه لأدْنَى وصالاً ذاهباً كلَّ مذهبٍ
تَغَبَّرْتُ خِلْفَ اللّهُو بعد صِراوَةٍ فبحثُ بما ألقاه من حبِّ زينبٍ¹

قال : فبلغ الشعرُ محمد بن سليمان ، فنذرَ دمه ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد .

[رثاء محمد بن أبي العباس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال : مات محمد بن أبي العباس في أوّل سنة خمسين ومائة ، فقال حماد يرثيه بقوله : [من الخفيف]

صرتُ للدَّهرِ خاشعاً مستكيناً بعد ما كنت قد قهرتُ الدَّهْوَرا
حين أودى الأمير ذاك الذي كنتُ به حيثُ كنتُ أدعى أميراً
كنتُ إذ كان لي أجير به الدَّهْرُ سر فقد صرتُ بعده مستجيراً

1 تغبر النافقة : احتلب غيرها ، وهو بقية اللبن في الضرع . والصراوة : الانقطاع والاحتباس .

يا سميّ النبيّ يا ابن أبي العبد
اس حَقَّقْتَ عِنْدِي المَحْذُورَا
سَلَبْتَنِي الهمومُ إِذ سَلَبْتَنِي—
لِيتَنِي مَتَّ حِينَ مَوْتِكَ لَا بَل
أَنْتَ ظَلَلْتَنِي الغَمَامُ بِنُعْمَا
لَمْ تَدَعْ إِذ مَضَيْتَ فِينَا نَظِيرَا
مِثْلَ مَا لَمْ يَدَعْ أَبُوكَ نَظِيرَا

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلام الجُمَحِيّ قال : كان خَصِيبُ الطَّيِّبِ نصرانيّاً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العباس شربة دواء وهو على البصرة ، فمرض منها ، وُحِّلَ إلى بغداد فمات بها ، وأنهم خصيب . فحُبِسَ حتى مات . وسُئِلَ عَمَّا بِهِ فَنَظَرَ فِي عِلَّتِهِ إِلَى مَائِهِ فَقَالَ : قَالَ جَالِينُوسُ : إِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَعْيشُ صَاحِبُهُ ؛ فَقِيلَ : لَهُ إِنَّ جَالِينُوسَ رُبَّمَا أَخْطَأَ ؛ فَقَالَ : مَا كُنْتُ قَطُّ إِلَى خَطِّهِ أَحْوَجَ مِنِّي الْيَوْمَ ، وَفِي خَصِيبٍ يَقُولُ ابن قنبر :

وَلَقَدْ قَلْتُ لِأَهْلِي
لِيسَ وَاللَّهِ خَصِيبٌ
إِنَّمَا يَعْرِفُ مَا بِي
إِذْ أَتَوْنِي بِخَصِيبٍ
لِلَّذِي بِي بِطِيبٍ
مَنْ بِهِ مِثْلُ الَّذِي بِي

[استجار بقبر سليمان بن علي]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبَانَ وَابْنُ دَاخَةَ ، وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ طَلَبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَمَادَ عَجْرَدٍ لَمَّا كَانَ يَقُولُهُ فِي أُخْتِهِ زَيْنَبَ مِنَ الشَّعْرِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا مَقَامَ لَهُ مَعَهُ بِالْبَصْرَةِ ، فَمَضَى فَاسْتَجَارَ بِقَبْرِ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَالَ فِيهِ :

مِنْ مَقَرٍّ بِالذَّنْبِ لَمْ يَوْجِبِ الدَّ
لِيسَ إِلَّا بِفَضْلِ حَلِيمِكَ يَعْتَدُ
يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ أَحْمَدُ لَا أَجْ
غَيْرَ أَنْتَ جَعَلْتَ قَبْرَ أَبِي أَيُّ
وَحَرِيٍّ مَنْ اسْتَجَارَ بِذَلِكَ الـ
لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْعِبَادِ مَجِيرَا
هَ عَلَيْهِ بَسِيٌّ إِقْرَارَا
دَّ بَلَاءَ ، وَمَا يُعَدُّ اعْتَذَارَا
عَلُّ إِلَّا إِلَيْكَ مِنْكَ الْفَرَارَا
بَ لِي مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارَا
قَبْرِ أَنْ يَأْمَنَ الرَّدَى وَالْعِثَارَا
فَاسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَا

لستُ أعتاضُ منك في بغيةِ العِدِ زرة قحطانَ كلَّها ويزارا
فأنا اليوم جارُ من ليس في الأر ضِ مجيرٌ أعزُّ منه جوارا
يا ابنَ بيتِ النبيِّ يا خيرَ من حطَّ ت إليه الغواربُ الأكوارا¹
إن أكن مُذنباً فأنتَ ابنُ مَنْ كا ن لَن كان مُذنباً غَفَّارا
فاعفُ عني فقد قَدَرْتَ وخيرُ ال عفوٍ ما قلتَ كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمارَ جارٌ لِعِزُّ كان جاري يطوِّل الأعمارا

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال : حدثني علي بن الصباح قال : كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرى بسبب نسبه بأخته زينب ، ولم يكن يقدِّر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس ، فلما هلك محمد جدُّ ابنِ سليمان في طلبه ، وخافه حماد خوفاً شديداً ، فكتب إليه : [من الخفيف]

يا ابنَ عمِّ النبيِّ وابنِ النبيِّ لعليٍّ إذا انتمى وعليٍّ
أنتَ بدرُ الدجى المضيء إذا أظ لَمَ واسودَّ كلُّ بدرٍ مُضيٍّ
وحيا الناسَ في المَحول إذا لم يُجِدْ غيثَ الربيعِ والوَسْميِّ
إن مولاكَ قد أساءَ ومن أع تب من ذنبه فغير مُسيٍّ²
ثم قد جاء تائباً فاقبل التو بة منه يا ابنَ الوصيِّ الرضيِّ

قال : ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به ، فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبْلَن قبر أبي من دمه ، فهرب حماد إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره ، فقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجوه : [من الخفيف]

قل لوجه الخَصِيِّ ذي العارِ إني سوف أهدِي لزينبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ من شدَّةِ الخو ف وأنكرتُ صاحبيَّ نهارا
وظننتُ القبورَ تمنعُ جاراً فاستجرتُ الترابَ والأحجارا
كنتُ عند استجارتي بأبي أيَّ سوبَ أبغي ضلالةً وخسارا
لم يُجِرني ولم أجِد فيه حظاً أضرم اللهُ ذلك القبرَ نارا

قال : وقال فيه : [من الطويل]

1 الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر . والأكوار : الرجال .

له خَزْمٌ بُرْغوثٌ وحِلْمٌ مُكَاتِبٌ وَغَلَمَةٌ سِنُورٌ بَلِيلٌ تُوَلِّوْلُ
وقال فيه يهجوهُ :

[من المنسرح]

يا ابنَ سليمانَ يا مُحَمَّدُ يا من يشتري المَكْرُماتِ بالسُّمَنِ
إِنَّ فخرتُ هاشمٌ بِمَكْرُمَةٍ فخرتَ بالشَّحمِ منكَ والعُكَنِ
لُؤْمُكَ بِإِذٍ لَمَن يراك إذا أَقبلتَ في العارِضَيْنِ والدَّقَنِ
لِيتِكَ إِذ كُنتَ ضَيْقاً نَكِيراً لم تُدْعَ من هاشمٍ ولم تُكُنْ
جَدَّاكَ جَدَّانَ لَم تُعَبْ بهما لكنَّما العيبُ منك في البدَنِ

قال : فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال : والله لا يُفْلِتَنِي أبداً ، وإنما يزداد حتفاً بلسانه ، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً .
وقد اختلِف في وفاة حماد .

[مقتله]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو داحة وعبد الملك بن شيان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً ، وبلغ محمداً خبره ، فأرسل مولى له إلى الأهواز ، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة .

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا : حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلاد أن حماداً نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمرّ بشيرزادان في طريقه ، فمرّض بها ، فاضطرّ إلى المقام بها بسبب علته ، فاشتدّ مرضه ، فمات هناك ودُفِن على تلعة ، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به ، ثم نُعي إليه قبل موته ، فقال بشار :

[من السريع]

لو عاش حماد لهُونا به لكنّه صار إلى النارِ

[شعر له وهو مختصر]

فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السّياق¹ ، فقال يردّ عليه :

[من السريع]

نُبِّئتُ بشاراً نَعاني وللـ موتَ برّاني الخالقُ الباري
يا ليتني مِتَّ ولم أَهْجُهُ نعمٌ ولو صرتُ إلى النارِ
وأَيُّ خِزْيٍ هو أَخْزَى مِن أنْ يقالَ لي يا سِبَّ بَشَارِ

قال : فلمّا قَتَلَ المهديُّ بَشَّاراً بالبَطِيحَةِ اتَّفَقَ أَنْ حُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ مَيِّتاً ، فُدِّنَ مَعَ حَمَادٍ عَلَى تِلْكَ التَّلْعَةِ ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو هِشَامُ الْبَاهِلِيُّ الشَّاعِرُ الْبَصْرِيُّ الَّذِي كَانَ يُهَاجِرِي بَشَّاراً ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرَيْهِمَا وَقَالَ :

قَدْ تَبَعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجْرِدٍ فَأَصْبَحَا جَارِيَيْنِ فِي دَارِ
قَالَتْ بِقَاعِ الْأَرْضِ لَا مَرْحَبًا بِقُرْبِ حَمَادٍ وَبَشَّارِ
تَجَاوَرَا بَعْدَ تَنَائِيهِمَا مَا أَبْغَضَ الْجَارَ إِلَى الْجَارِ
صَارَا جَمِيعاً فِي يَدَيِ مَالِكٍ فِي النَّارِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

صوت

[من البسيط]

هَلْ قَلْبُكَ الْيَوْمَ عَنْ شَتَاءٍ مَنْصَرِفُ وَأَنْتَ مَا عَشْتَ مَجْنُونٌ بِهَا كَلِفُ
مَا تُذَكِّرُ الذَّهَرَ إِلَّا صَدَعْتَ كِبْدًا حَرَى عَلَيْكَ وَأَذَرْتَ دَمْعَةً تَكِفُ
ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ أَنَّ الشَّعْرَ لِحُرَيْثِ بْنِ عَتَّابِ الطَّائِيِّ ، وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ يَسَارِ النَّسَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِحُرَيْثٍ ، وَالْغَنَاءُ لَغَرِيضٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ الْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِمَالِكٍ .

[275] - أخبار حُرَيْث ونسبه¹

[نسبه]

حُرَيْثُ بْنُ عَنَابُ (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنَيْن بن نائل بن أُسُودَان ، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طييء ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لأنه كان بدوياً مُقِلاً غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه .

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبيه ، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيت الأولين قوله : [من البسيط]

يدومُ وُدِّي لَمَن دامت مودته	وأصرف النفس أحياناً فتصرفُ
يا وَيْحَ كُلِّ حَبٍّ كيف أرحمه	لأنني عارف صدق الذي يصفُ
لا تأمنن بعد حُبِّي خلة أبداً	على الخيانة إنَّ الخائن الطرفُ
كانَّها ريشةٌ في أرض بَلَقعة	من حيشما واجهتها الريحُ تنصرفُ
يُنسي الخليلين طولُ النَّاي بينهما	وتلتقي طُرُقُ شَتَّى فتألفُ

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبِّي بنت الأسود من بني بُحْتَر بن عَتُود ، وكان يهاها ويتحدّث إليها ، ثم خطبها ، فوعده أهلها أن يزوجه ووعده ألاّ تجيب إلى تزويج إلاّ به . فخطبها رجل من بني ثعلٍ وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيْثاً ، وقد خُيرت بينهما فاخترت الثعلِيّ ، فتزوجها ، فطَفِقَ حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بُحْتَر وبني ثعلٍ ، فقال يهجو بني ثعلٍ : [من الطويل]

بني ثعلٍ أهل الخنا ما حديثكم	لكم منطلق غارٍ وللناس منطلقُ
كانتكم معزى قواصع جرة	من العمي أو طير بخفان ينعقُ
ديافية قلف كان خطيبهم	سراة الضحى في سلحه يتمطقُ

قال أبو عمرو : ولم يزل حريث يهجو بني بُحْتَر وبني ثعلٍ من أجل حُبِّي ؛ فبينما هو ذات

يوم بخيرٍ وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس يفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعلٍ وبني بُحترٍ ابني عتود ، وبخيرٍ يومئذٍ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَي بن تَدُول بن بُحترٍ يقال له أوفى بن حُجر بن أسيد بن حُيي بن ثُرْملة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمرَّ أوفى هذا بحريث بن عَنَاب وهو يُنشد شعراً هجا به بني بحتر ، فسمعه أوفى وهو ينشد قوله :

وإنَّ أحقَّ الناس طُراً إهانةً عتودُ يُباريه فَريرٌ وثعلبُ¹

العتود : التيس الهرم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعله . فدنا منه أوفى وقال : إني رجل أصمُّ لا أكاد أسمع ، فتقرَّب إليَّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجي هذا الحيَّ من بني ثعلٍ وبني بُحتر ، وأحبُّ أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء ، فأدنوه منه ، وكانت معه هراوة قد اشتمل عليها ، فلما تمكَّن من ابن عَنَاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطَّمه ، وسقط على وجهه ووثب القرشيُّ على أوفى فأخذه ، فوثبَ بنو أخته فانتزعوه من القرشيِّ ، وكاد أن يقع بينهم شرٌّ ، وأفلت أوفى ودُوري ابنُ عَنَاب حتى صلح واستوى أنفه ، فقال أوفى في ذلك :

لاقى ابنُ عَنَابٍ بخيرَ ماجداً يزغُ اللثامَ وينصرُ الأحسابا
فضربتُهُ بهراوتي فتركتُهُ كالجلسٍ منعفرٍ الجبينِ مصابا

قال : ثم لحق أوفى بقومه . فلما كان بعد ذلك بمدة اتهمه رجلٌ من قريش بأنَّه سرق عبداً له وباعه بخير ، فلم يزل القرشيُّ يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البيعة ، فحبس في سجن المدينة ، وجعلت للقرشيِّ يده فبعث ابنُ عَنَاب إلى عشيرته بني نُبهان ، فأبوا أن يعاونوه . وأقبلَ عُرفاء بني بُحترٍ إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرُض ، وسعدُ بن عمرو بن لأم ، ومنصور بن الوليد بن حارثة ، وجبار بن أنيف ، فلقوا القرشيَّ وانتسبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العوض من عبدك ونرضيك ، ولم يزلوا به حتى قبل وخلقى سبيله . فقال حُرَيْثٌ يمدحهم ويهجو قومه الأذنين من بني نُبهان : [من الطويل]

لما رأيتُ العبدَ نُبهانَ تاركي بلماعةٍ فيها الحوادثُ تخطرُ²
نصرتُ بمنصورٍ وبابني معرُضٍ وسعدٍ وجبارٍ بل الله ينصرُ

1 طُراً إهانةً في ل : ألا أهابه .

2 اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

وذو العرش أعطاني المودة منهم
وثبت ساقبي بعدما كدت أعثر
إذا ركب الناس الطريق رأيتهم
لهم خابط أعمى وآخر مبصر
لكل بني عمرو بن غوث رباة
وخيرهم في الشر والخير بختر¹

وقال أبو عمرو : مرّ ابن عَنَاب بعدما أَسَنَ بنسوة من بني قُلَيْع وهو يتوكأ على عصاً فضحك منه ، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول :

[من الكامل]

هزئت نساء بني قُلَيْع أن رأته
وجعلتني هزواً ولو يعرفني
خلّق القميص على العصا يترعّع
لعلمن أنني عند ضيبي أروّع

[إغارته على بني أسد]

قال أبو عمرو : وكان حريث بن عَنَاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم ، فطلبه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيّر إلى جبّلين في بلاد طيء يقال لهما : مُرَى والشُموس حتى غرِمَ عنه قومه ما طلب ، ثم عاود وقال في ذلك :

[من الطويل]

إذا الدّين أودى بالفساد فقل له
بيض خفاف مرهفت قواطع
وزرقي كستها ريشها مضرحة
إذا ما خرجنا خرّت الأكم سجداً
إذا نحن سیرنا بين شرق ومغرب
وتفرّع منا الإنسان والجنّ كلّها
ستمع مُرَى والشُموس أخاهما
يدعنا ورُكناً من معدّ نصادمه
لداود فيها أثره وخواتمه²
أثيث خوافي ريشها وقوادمه³
لعزّ علا خيزومه وعلاجمه⁴
تحرك يقظان التراب ونائمه
ويُشرب مهجور المياه وعائمه
إذا حكم السلطان حكماً يضاجمه

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والأصح منه مأخوذ .

* * * *

1 رباة : سيادة .

2 أثر السيف : جوهرة ووشيه .

3 الزرق : النصال . والمضرحي : النسر أو السيد . والأثيث : الكثير .

4 الخيزوم هنا : الغليظ أو المرتفع من الأرض . العلاجم : جمع علجم ، وهو الطويل من الإبل .

الفهرس

- [254] - أخبار الحُصَيْن بن الحُمَام ونسبه 5
- [255] - أخبار محمد بن يسير ونسبه 14
- [256] - أخبار ديك الجنّ ونسبه 33
- [257] - أخبار قيس بن عاصم ونسبه 46
- [258] - أخبار محمد بن حازم ونسبه 60
- [259] - أخبار ابن القَصَّار ونسبه 73
- [260] - أخبار معبد اليعقطيني 75
- [261] - أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه 78
- [262] - أخبار أبي الأسد ونسبه 85
- [263] - أخبار قيس بن الحُدَادِيَّة ونسبه 93
- [264] - أخبار ابن قُتَيْبٍ ونسبه 103
- [265] - أخبار الأسود ونسبه 108
- [266] - أخبار عليّ بن الخليل 112
- [267] - أخبار محمد الزُّفّ 120
- [268] - أخبار أبي الشُّبَل ونسبه 124
- [269] - أخبار عَثَمَت 136
- [270] - أخبار عبد الله بن الزُّبَيْر ونسبه 140
- [271] - أخبار ثابت قطنة 167
- [272] - أخبار كعب الأشقريّ ونسبه 179
- [273] - أخبار العباس بن مرداس ونسبه 192
- [274] - أخبار حمّاد عَجْرَد ونسبه 205
- [275] - أخبار حُرَيْث ونسبه 244

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās

Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 14

DAR SADER

Beirut

کتابُ الْإِعَازِيَّ

15

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

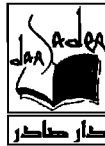
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أنشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب. ١٠ بيزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abū al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت

وقال : [من المنسرح]

هَلْ فِي أَذْكَارِ الْحَبِيبِ مِنْ حَرْجٍ أَمْ هَلْ لَهُمُ الْفَوَادِ مِنْ فَرْجٍ
أَمْ كَيْفَ أَنْسَى رَحِيلَنَا حُرْمًا يَوْمَ حَلَلْنَا بِالنَّخْلِ مِنْ أُمَيْجٍ¹
يَوْمَ يَقُولُ الرَّسُولُ قَدْ أَذْنْتُ فَائْتِ عَلَى غَيْرِ رِقْبَةٍ فَلَيْجٍ
أَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَى رِحَالِهِمْ فِي نَفْحَةٍ مِنْ نَسِيمِهَا الْأَرْجِ

الشعر لجعفر بن الزبير² ، والغناء للغريص ، خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، بإطلاق الوتر في
مجرى البِنْصَر ، عن إِسْحَاق ، وذكر عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَدَحْمَانٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
والمَجْرَى . وذكره يُونُسُ بِغَيْرِ طَرِيقَةٍ وَقَالَ : فِيهِ لَحْنَانٌ : لِابْنِ سُرَيْجٍ وَالْغَرِیْضِ . وذكر
الْهَشَامِيُّ أَنَّ لَحْنَ ابْنِ سُرَيْجٍ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى .

1 أُمَیج : موضع بين مكة والمدینة .

2 تنسب هذه الأبیات إلى ابن قیس الرقیات (انظر دیوانه : 78) .

[276] - أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

[نسبه]

جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو ، من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[سليمان بن عبد الملك وفروض الأعطيات]

أخبرني الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني مصعب بن عثمان قال : أخبرني جدك عبد الله بن مصعب عن أبي عثمان بن مصعب ، عن شعيب بن جعفر بن الزبير قال : فرض سليمان بن عبد الملك للناس في خلافته ، وعرض الفرض¹ . قال : وكان ابن حزم في ذلك محسناً ، يعلم الله إنه كان يأمر الغلمان أن يتناولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك .

قال شعيب بن جعفر بن الزبير : فقال لي سليمان بن عبد الملك : من أنت ؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزبير . فقال : ما فعل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين على الكبر والعيال . فقال : قل له يحضر الباب . فقال لجعفر ، احضر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير ، فرفع معه رقعة وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز ، فيها قوله : [من الرجز]

يا عمر بن عمر بن الخطاب إن وقوفي من وراء الأبواب

يعدل عندي حطم بعض الأنياب²

قال : فلما قرأها عمر عذره عند سليمان ، فأمر له سليمان بألف دينار في دينه ، وألف دينار معونة على عياله ، وبرقيق من البيض والسودان ، وكثير من طعام الجاري ، وأن يَدان من الصدقة بألفي دينار . قال : فلما جاء ذلك إلى أبي قال : أعطيته من غير مسألة ؟ فقيل : نعم . قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخياً . ولكن هذا كآته من آل حرب . ثم قال :

فما كنت ديناً فقد دنت إذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور
بوصل أولي الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر في الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن الزبير : الناس لا ينظرون في عيب أنفسهم ، وما كان

1 أي الجند المفروض لهم .

2 يعدل في ل : بعدك .

لجعفرٍ أن يعيبَ أحداً بالبخل ؛ وما رئي في الناس أحداً أبخل منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غير مصعب .

قال الزبير : حدثني عمي ، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قریش منه ، وكتب بذلك صكاً عليه ، فيستعبدُهم به ، ويختلفون إليه ، ويديرونه ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرج ذلك منه ، حتى كان هارون الرشيدُ ، فكلّمه عبدُ الله بن مصعب في صُكوكٍ بقيت من ذلك على غير واحدٍ من قریش ؛ فأمر بها فخرّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزبير :

فما كنتُ دياناً فقد دنتُ إذ بدتُ صُكوكُ أمير المؤمنين تسدورُ
قال الزبير : وحدثني عمي مصعبٌ قال : شهد جعفرُ بن الزبير مع أخيه عبدِ الله حرّبه ، واستعمله عبدُ الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتيل عبدُ الله بن الزبير ، حتى جَمَدَ الدُمُ على يده ؛ وفي ذلك يقول جعفر :

لعمركُ إنِّي يومَ أَجَلْتُ رُكائِي لأطيبُ نفساً بالجلادِ لدى الرُّكنِ
ضنينٌ بمن خلفي شحيحٌ بطاعتي طراد رجال لا مُطاردةُ الحصنِ¹
الحصن : جمع حصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل في الميادين .
غداةَ تحامتنا تُجيبُ وغافقُ وهمدانُ تبكي من مُطاردةِ الضُّبنِ²

[عتابه أخاه عروة]

قال الزبير : وحدثني عمي مصعبُ بن عثمان ؛ أن جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروة معاتبه ، فقال في ذلك :

لا تلحيني يا ابنَ أمِّي فإنني عدوٌّ لمن عاديتَ يا عروَ جاهدُ
وفارقتُ إخواني الذين تتابعوا وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاندُ³
ولولا يمينُ لا أزالُ أبرُّها لقد جمعتنا بالفناء المقاعدُ

[رثاء ولده]

قال الزبير : أنشدتني عمّتي أسماءُ بنت مصعبٍ بن ثابتٍ ، لجعفر بن الزبير ، وأنشدنيه غيرها يرثي ابناً له :

[من الطويل]

1 طراد في ل : طريد . وهذا مثل .

2 تجيب : بطن من كندة . وغافق وهمدان : قبيلتان .

3 العاند : العاتي الشديد .

صوت

أَهْجَكَ بَيْنَ مَنْ حَبِيبٍ قَدْ احْتَمَلَ نَعَمْ فَفَوَّادِي هَائِمُ الْعَقْلِ مُخْتَبِلٌ
 وَقَالُوا صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ وَقَدَّمُوا أَوَائِلَهُمْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فِي الثَّقَلِ¹
 مَرَرْنَ عَلَى مَاءِ الْعُشَيْرَةِ وَالْهَوَى عَلَى مَلَلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلَلٍ
 فَتَى السَّنِّ كَهْلُ الْجِلْمِ يَهْتَرُ لِلْنَدَى أَمْرٌ مِنَ الدَّفْلِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
 فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْبَصْرِ ، نَسَبُهُ يَحْيَى الْمَكِّي إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ ، وَنَسَبُهُ الْهَشَامِيُّ
 إِلَى الْأَبْجَرِ ، قَالَ : وَيُقَالُ إِنَّهُ لَا بِنَ سَهِيلٍ .
 [الشيخ الطروب]

فَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ وَحَدَّثَنِيهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنَا الْخَرَّازُ ، وَخَبَّرَهُ أَنَّهُ ،
 قَالَ² : اصْطَحَبَ قَوْمٌ فِي سَفَرٍ ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ يَغْنِي ، وَشَيْخٌ عَلَيْهِ أَثَرُ النُّسْكِ وَالْعِبَادَةِ ، فَكَانُوا
 يَسْتَهْنُونَ أَنْ يَغْنِيَهُمُ الْفَتَى وَيَسْتَحْيُونَ مِنَ الشَّيْخِ ، إِلَى أَنْ بَلَّغُوا إِلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ ، فَقَالَ لَهُ
 الْمَغْنِيُّ : أَيُّهَا الشَّيْخُ إِنَّ عَلِيَّ يَمِينًا أَنْ أُشَدَّ شَعْرًا إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَإِنِّي أَهَابُكَ
 وَأُسْتَحْيِي مِنْكَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي إِشَادِهِ أَوْ تَتَقَدَّمَ حَتَّى أُوفِيَ يَمِينِي ثُمَّ نَلْحَقَ بِكَ
 فَافْعَلْ . قَالَ : وَمَا عَلِيٌّ مِنْ إِشَادِكَ ؟ أَنَشِيدُ مَا بَدَا لَكَ . فَاَنْدَفَعَ يَغْنِي : [من الطويل]

وَقَالُوا صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ وَقَدَّمُوا أَوَائِلَهُمْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فِي الثَّقَلِ
 وَرَدْنَ عَلَى مَاءِ الْعُشَيْرَةِ وَالْهَوَى عَلَى مَلَلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلَلٍ
 فَجَعَلَ الشَّيْخُ يَبْكِي أَحَرَ بَكَاءٍ وَأَشْجَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ يَا عَمَّ تَبْكِي ؟ فَقَالَ : لَا جُرْئِيْتُمْ
 خَيْرًا ؛ هَذَا مَعَكُمْ طَوْلُ هَذَا الطَّرِيقِ وَأَنْتُمْ تَبْخُلُونَ عَلَيَّ بِهِ أَتَفَرِّجُ بِهِ وَيَقْطَعُ عَنِّي طَرِيقِي ؛
 وَأَتَذَكَّرُ أَيَّامَ شَبَابِي . فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ يَمْنَعُنَا مِنْهُ غَيْرُ هَيْبَتِكَ . قَالَ : فَأَنْتُمْ إِذَا مَعْذُورُونَ .
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : عُدُّ فَذَيْتُكَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ يَغْنِيهِمْ طَوْلَ سَفَرِهِمْ حَتَّى افْتَرَقُوا .
 قَالَ الزُّبَيْرُ : وَأَخْبَرَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَثْمَانَ أَنَّ أُمَّ عُرْوَةَ بِنْتَ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنْشَدَتْهُ لِأَيُّهَا
 جَعْفَرٍ وَكَانَ يَرْقِصُهَا بِذَلِكَ : [من الرجز]

يَا حَبْدَا عُرْوَةَ فِي الدَّمَالِجِ أَحَبُّ كُلِّ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ

1 صخيرات اليمام والعشيرة وملل : مواضع بين مكة والمدينة .

2 اقتبس صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 40) .

[قوله في غزو ابنه صالح أرض الروم]

قال : وأخبرتني أن أخاها صالح بن جعفر غزا أرض الروم ، فقال فيه جعفر : [من الرجز]

قد راح يوم السبت حين راحوا مع الجمال والتقى صلاح
من كل حي نقر سماح ييضُ الوجوه عَرَبُ صِباح
وفزعوا وأخذ السلاح وهم إذا ما كره الشباح¹
مصاعب يكرها الجراح

قال الزبير : ولجعفر شعر كثير قد نُحِلَ عمر بن أبي ربيعة ودخل في شعره . فأما الأبيات التي ذكرت فيها الغناء فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم من يرويها للأحوص وللعرجي ؛ وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير . وأخبرني بذلك الحرزمي ، والطوسي ، وحبيب بن نصر المهلبی ، وذكر الأبيات . وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبي سعد : قال الحرزمي : الناس يروونها للعرجي ، وأم عروة أصدق .

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير قال : حدثني سعيد بن عمرو الزبيري قال : تزوج جعفر بن الزبير امرأة من خزاعة وفيها يقول :

هل في اذكار الحبيب من حرج

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما :

[من المنسرح]

تُسْفِرُ عن واضح إذا سَفَرْتُ ليس بذي آمة ولا سَمِج²
وسقط البيت الآخر من الأصل .

[وفاته]

قال الزبير في رواية الطوسي : حدثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالوا : كان جماعة من قريش مُتَحِينَ عن المدينة ، فصدر عن المدينة بدوي فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنتي ذلك ؟ قال : شهده أهل المدينة جميعاً ؛ وبُكِى عليه من كل دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم الخبر بعد أن جعفر بن الزبير مات .

[زواج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني إبراهيم بن معاوية عن

1 الشياخ : المقاتلة .

2 الآمة : العيب .

أبي محمد الأنصاري ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال : لما تزوج الحجاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيّب فذكر له ذلك ، فقال : إني لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل ، وعسى الله ، فإن أباهما لم يزوج إلا الدراهم . فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرَدَ البريدَ إلى الحجاج ، وكتب إليه يُغْلِظُ له ويقصّرُ به ، ويذكرُ تجاوزَه قدرَه ، ويُقسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائِهِ إليه ، ويأمرُه بتسويغِ أبيها المهر ، وبتعجيلِ فراقها . ففعلَ ، فما بقي أحد فيه خير إلا سرَّه ذلك .

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة :

[من الطويل]

وجدتُ أميرَ المؤمنينَ ابنَ يوسفٍ	حميًّا من الأمر الذي جئتُ تنكفُ ¹
ونبيئتُ أن قد قالَ لما نكحتُها	وجاءت به رسلٌ تُخبُّ وتُوجِفُ ²
ستعلمُ أنني قد أنفتُ لما جرى	ومثلكَ منه عمركَ الله يُؤنفُ
ولولا انتكاسُ الدهرِ ما نالَ مثلها	رجاؤك إذ لم يرجُ ذلكُ يوسفُ
أبنتُ المصفى ذي الجناحينِ تبتغي	لقد رُمْتَ خطباً قدرُهُ ليس يُوصَفُ ³

صوت

[من الطويل]

كأنُ لم يكنْ بينَ الحَجَّونِ إلى الصِّفا	أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكَّةَ سامرُ
بلى نحنُ كنَّا أهلها فأبادنا	صروفُ الليالي والجدودُ العوائرُ ⁴

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لمضاض بن عمرو

الجرهمي . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .
أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عُمَر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكي ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالبصرة . وفيه لأهل مكَّة لحنٌ قديم ذكره إبراهيم ولم يجنسه .

1 ابن يوسف : منادى ، أي يا ابن يوسف . الحمي : الذي تأخذه الحمية . ونكف عن الشيء : عدل .

2 الخبب والايحاف : ضريان من السير .

3 ذو الجناحين : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

4 الجدود : الحظوظ .

[277] - ذكر خبر مضاض بن عمرو¹

[إسماعيل تزوج ابنته]

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي . وكان جدُّه مضاضٌ قد تزوج ابنته رَعْلَةَ ، إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ، فولدت له اثني عشر رجلاً أكبرهم قَيْدَارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك لأنَّه لما بنى مكة وأنزلها ابنته قديم عليه قَدَمَةٌ من قَدَمَاتِهِ ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةً من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجبته لغتهم واستحسنها ، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوجَ إليهم ، فتزوجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

[حرب جرهم وقطوراء]

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال : حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق . وأخبرني محمد بن جعفر النحوي قال : حدَّثنا إسحاق بن أحمد الخراعي قال حدَّثنا محمد بن عبد الله الأزرق قال : حدَّثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد ابن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتم . وقد جمعتها : أن نابت بن إسماعيل ولي البيت بعد أبيه ثم توفي ، فولِّي مكانه جدُّه لأمِّه مضاض بن عمرو الجرهمي ، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة ، ونزلت قطوراء مع ملكهم السَّمِيدِ ع أجباد ، أسفل مكة . وكان هذان البطان خرجا سيَّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يخرجون إلَّا مع ملكٍ يملكونه عليهم . فلما رأوا مكة رأوا بلداً طيباً ، وماءً وشجراً ، فنزلا ورضي كل واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازعه . فكان مضاض يعشير² من جاء مكة من أعلاها ، وكان السَّمِيدِ ع يعشير من جاءها من أسفلها ومن كداء ، لا يدخل أحدهما على صاحبه في أمره . ثم إن جرهما وقطوراء بغى كل واحدٍ منهما على صاحبه ، فتنافسا في الملك حتى نشبت الحرب بينهما ؛ وكانت ولاية البيت إلى مضاض دون السَّمِيدِ ع . فخرج مضاض من بطن قُعَيْقِعَان مع كسبيته في سلاحٍ شاك يتققع . فيقال : ما سميت قُعَيْقِعَان إلَّا بذلك ، وخرج السَّمِيدِ ع من شِعْب أجباد ، في الخيل الجياد والرجال . ويقال : ما سميت أجباداً إلَّا بذلك ، حتى التقوا بفاضح ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السَّمِيدِ ع وفُضِحَتْ قطوراء ، ويقال : ما سمِّي فاضحاً إلَّا

1 أخبار مضاض بن عمرو وجرهم في كتاب التيجان لوهب بن منبه ، وأخبار ابن عبيد ، وانظر مروج الذهب للمسعودي 2 : 50-55 وأعلام الزركلي .

2 يعشر : يأخذ عشر الأموال .

بذلك ، ثم تداعى القوم إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعْباً بأعلى مكة ، وهو الذي يقال له الآن شِعْب ابنِ عامر فاصطلحوا هناك ، وسَلَمُوا الأمر إلى مضاض ؛ فلَمَّا اجتمع له أمرُ مكة ، وصار مَلِكُهَا دُونَ السَّمِيدِجِ نَحَرَ للناس فَطَبَخُوا هناك الجُرْ ، فأكلوا ، وسَمِيَ ذلك الموضع المطابخ . فيقال : إِنَّ هَذَا أَوَّلُ بَغْيٍ بِمَكَّةَ . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب : [من الطويل]
نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْحَيِّ عَنُوءَ فَأَصْبَحَ مِنْهَا وَهُوَ حَيْرَانٌ مُوجِعُ
يعني أَنَّ الْحَيَّ أَصْبَحَ حَيْرَانٌ مُوجِعاً .

وما كان يَبْغِي أَنْ يَكُونَ سَوَاوُنَا	بِهَا مَلِكاً حَتَّى أَتَانَا السَّمِيدُ ¹
فذاق وبالأحِين حَاوَلَ مُلْكَنَا	وحَاوَلَ مِنَّا غُصَّةً تُتَجَرَّعُ ²
ونَحْنُ عَمَرْنَا الْبَيْتَ كُنَّا وَلَاتَهُ	نُضَارِبُ عَنْهُ مَنْ أَتَانَا وَنَدْفَعُ
وما كان يَبْغِي ذَاكَ فِي النَّاسِ غَيْرُنَا	وَلَمْ يَكْ حَيٌّ قَبْلَنَا ثُمَّ يَمْنَعُ
وَكُنَّا مُلُوكاً فِي الدَّهْوَرِ الَّتِي مَضَتْ	وَرِثْنَا مُلُوكاً لَا تُرَامُ فِتْوَضَعُ

[استخفاف جرهم بالبيت]

قال عثمان بن ساج في خبره : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ سَيْلاً جَاءَ فَدَخَلَ لِلْبَيْتِ فَانْهَدَمَ ، فَأَعَادَتْهُ جَرِهُمُ عَلَى بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ ، بَنَاهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْجَدْرَةِ وَاسْمُهُ عَمْرُ الْجَارُودِ ، وَسَمِّيَ بَنُو الْجَدْرَةِ . قَالَ : ثُمَّ اسْتَخَفَّتْ جَرِهُمُ بِحَقِّ الْبَيْتِ ، وَارْتَكَبُوا فِيهِ أُمُوراً عَظَاماً ، وَأَحْدَثُوا فِيهِ أَحْدَاثاً قَبِيحَةً ؛ وَكَانَ لِلْبَيْتِ خِزَانَةٌ ، وَهِيَ بَثْرٌ فِي بَطْنِهِ ، يُلْقَى فِيهَا الْحَلْيُ وَالْمَتَاعُ الَّذِي يَهْدَى لَهُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ لَا سَقْفَ عَلَيْهِ ؛ فَتَوَاعَدَ عَلَيْهِ خَمْسَةٌ مِنْ جَرِهُمِ أَنْ يَسْرِقُوا كُلُّ مَا فِيهِ ، فَقامَ عَلَى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاقْتَحَمَ الْخَامِسُ ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَسَقَطَ مِنْكَسّاً فَهَلِكَ ، وَفَرَّ الْأَرْبَعَةُ الْآخَرُونَ .

قالوا : وَدَخَلَ إِسَافٌ وَنَائِلَةُ الْبَيْتِ فَفَجَّرَا فِيهِ ، فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ ، فَأَخْرَجَا مِنَ الْبَيْتِ . وَقِيلَ أَنَّهُ لَمْ يَفْجَرْ بِهَا فِي الْبَيْتِ . وَلَكِنَّهُ قَبْلَهَا فِي الْبَيْتِ .

وذكر عثمان بن ساج عن أَبِي الزَّنَادِ ، أَنَّهُ إِسَافُ بْنُ سَهِيلٍ ، وَأَنَّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ ذُئْبٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ ذُئْبٍ . فَأَخْرَجَا مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَنُصِبَا لِيَعْتَبِرَ بِهِمَا مَنْ رَأَاهُمَا ، وَيَزْجِرَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ مَا ارْتَكَبَا ، فَلَمَّا غَلَبَتْ خِزَاعَةُ عَلَى مَكَّةَ وَنَسِيَ حَدِيثَهُمَا ، حَوَّلَهُمَا عَمْرُو بْنُ لَحْيٍ بَنَ كِلَابٍ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَجَعَلَهُمَا تَجَاهَ الْكَعْبَةِ يُذَبِّحُ عَنْهُمَا عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ .

1 سَوَاوُنَا : سَوَانَا .

2 وَحَاوَلَ فِي ل : وَعَالَجَ .

قالوا : فلما كثر بغى جرمهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض فقال : يا قوم احذروا البغي ، فإنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم ولم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا ، حتى سَلَطَكُم الله عليهم فاجتحموهم¹ فتفرقوا في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحُرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته ، أو خائفاً ، أو رغب في جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار ، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن ، والطير تأمن فيه .

فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذي يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق ! قالوا : وقد كانت العماليق بغت في الحرم ، فسَلَطَ الله عز وجل عليهم الذر فأخرجهم منه ، ثم رموا بالجذب ، وبعث الغيث أمامهم فجعلوا يطلبونه فلا يجدونه ويكون أمامهم أبداً فيطلبونه ويساقون من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم ، ثم أرسل عليهم الطوفان - قال : والطوفان : الموت - قال : فلما رأى مضاض بن عمرو بغيتهم ومقامهم عليه ، عمد إلى كنوز الكعبة ، وهي غزالان من ذهب ، وأسياف قلعية² ، فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ، ودفنها . فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب ، ومعهم طريفة الكاهنة ، حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فقالت لهم طريفة لما قاربوا مكة : « وحق ما أقول ، وما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم ، رب جميع الأمم من عرب وعجم » . قالوا لها : ما شأنك يا طريفة ؟ قالت : « خذوا البعير الشدقم³ ، فخصبوه بالدم ، تكن لكم أرض جرمهم ، جيران بيته الحرم » . فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنه ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدة إلا أفسح أهلها لنا ، وترحرحوا عنا ، فنقيم معهم حتى نرسل رؤوداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا ، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ، ونرسل رؤودنا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً . فأبت ذلك جرمهم إباءً شديداً ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ؛ ما

1 ل : فأخرجتموهم .

2 القلعية : نسبة إلى مرج القلعة وهو موضع بالبادية ، وقيل بل هو بلد بالهند تنسب إليه السيوف الجياد .

3 الشدقم : الواسع الشدق .

نَحْبُ أَنْ تَنْزِلُوا معنا فتَضَيُّقُوا علينا مَرَّابِعاً¹ ومواردنا ، فارحَلُوا عَنَّا حيثُ أَحْبَبْتُمْ ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكُمْ . فأرسلَ إليهم : إِنَّهُ لا بَدْءَ من المقامِ بهذا البلدِ حولاً ، حتى ترجعَ إليَّ رسلي التي أرسلتُ ، فإن أنزلتموني طَوْعاً نزلتُ وحيدتكم وأسيتكم² في الرعي والماء ، وإن أبيتم أقمْتُ على كَرْهِكُمْ ثم لم تَرْتَعُوا معي إلَّا فضلاً ، ولم تشربوا إلَّا رنقاً³ ، وإن قاتلتُموني قاتلتكم ، ثم إنْ ظَهَرْتُ عليكم سَبَّيْتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرمَ أبداً ؛ فأبَتْ جَرمَهُمْ أَنْ تُنْزِلَهُ طَوْعاً وتَعَبَّتْ لِقْناهُ ، فاقتتلوا ثلاثةَ أَيَّامٍ أفرِغَ عليهم فيها الصبرُ ، ومُنِعُوا النصرَ⁴ ، ثم انهزمتْ جَرمَهُمْ فلم يُفْلِتْ منهم إلَّا الشريد . وكان مُضاض بن عمرو قد اعتزلَ حربَهُمْ ولم يُعِينَهُمْ في ذلك ، وقال : قد كنتُ أُحذِرُكُمْ هذا . ثم رَحَلَ هو وولده وأهلُ بيته حتى نزلوا قَنُونِي⁵ وما حولَهُ ، فبقايا جَرمَهُمْ به إلى اليوم ، وفَنِيَ الباقون ؛ أفناهم السيفُ في تلك الحروب .

قالوا : فلَمَّا حازت خزاعةُ أَمْرَ مَكَّةَ وصاروا أَهْلُها ، جاءَهُم بنو إِسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جَرمِهِمْ وخزاعةَ ، فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم السُّكْنَى معهم وحولَهُمْ فأذِنُوا لَهُمْ ؛ فلَمَّا رَأَى ذلك مضاضُ بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابةِ إلى مَكَّةَ أَمْرٌ عظيم ، أرسل إلى خزاعةَ يستأذِنُها ، ومَتَّ⁶ إليهم برأيه وتوريعة⁷ قومه عن القتال ، وسوء العشرةِ في الحرم ، واعتزاله الحرب ، فأبَتْ خزاعةُ أَنْ يُقْرِوَهُمْ وَتَفْوَهُمْ عن الحرم كُلِّهِ ، وقال عمرو بن لحي لقومه : من وجدَ منكم جَرمِيّاً قد قاربَ الحَرَمَ فدمُهُ هَذَر ! ففرغتْ إبلُ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، مِنْ قَنُونِي تريد مَكَّةَ ، فخرجَ في طلبها حتى وجدَ أثرها قد دخلتْ مَكَّةَ ، فمضى على الجبال نحوَ أَجِياد ، حتى ظَهَرَ على أَبِي قُبَيْسٍ⁸ يتبصرُ الإبلَ في بطن وادي مَكَّةَ ، فأبصرَ الإبلَ تُنَحَّرُ وتؤكل ولا سبيلَ لهُ إليها ، فخاف إن هبط الوادي أَنْ يُقْتَلَ ، فولَّى منصرفاً إلى أَهْلِهِ وأنشأ يقول :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

1 المربع : جمع مربع ، وهو مكان الإقامة في الربيع .

2 آسَاه : ساواه .

3 رنق : كدر .

4 منعوا النصر : لم ينتصر أحد الطرفين على الآخر .

5 قنوني : من أودية السراة .

6 مت : توسل .

7 ورَّعَه : كَفَّه .

8 ظهر على أبي قبيس : علاه . وأبو قبيس : جبل بمكة .

ولم يَتَرَبَّعْ واسِطاً فَجُنُوبَهُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا
وَأَبْدَلْنَا رَيْسِي بِهَا دَارَ غُرْبَةٍ
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِي وَلَمْ أُنَّمْ
قَدْ أَبْدَلْتُ مِنْهُمْ أَوْجُهَاً لَا أُرِيدُهَا
فَإِنْ تَمَلَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِكُلِّهَا
فَنَحْنُ وَلَاةُ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ
وَأَنْكَحَ جَدِّي خَيْرَ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا الْمَلِيكَ بِقُدْرَةٍ
فَصَرْنَا أَحَادِيثاً وَكُنَّا بِغَيْطَةٍ
وَسَحَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ
وَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَنْ أَبْجِيَادَ بَعْدَنَا
فَبَطْنُ مَنَى أَمْسَى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ
فَهَلْ فَرَجَ آتٍ بِشَيْءٍ نَحْبُهُ

قالوا : وقال أيضاً :

يَا أَيُّهَا الْحَيُّ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمْ
إِنَّا كَمَا أَنْتُمْ كُنَّا فَغَيَّرْنَا
أَزْجُوا الْمَطِيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا
قَدْ مَالَ دَهْرٌ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا

[من البسيط]

أَنْ تُصَبِّحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا⁷
دَهْرٌ بَصْرَفٍ كَمَا صَرْنَا تَصِيرُونَا⁸
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تُقَضُّونَا
بِالْبَغْيِ فِيهِ فَقَدْ صَرْنَا أَفَانِينَا

1 واسط وذو الأراكة : موضعان .

2 المخامر في ل : المحاصر . والمخامر : المستتر .

3 اليحابر : أبو قبيلة .

4 كلَّها : ثقلها ، وفي رواية : بكلكل .

5 الأصاهر في ل : الأياصر .

6 العمائر : جمع عمارة ، وهي أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .

7 قصركم : قصراكم ، أي نهايتكم .

8 الصرف : واحد صروف الدهر ، وهي نوائبه .

كنا زماناً ملوك الناس قبلكم نأوي بلاداً حراماً كان مسكوناً

قال الأزرقي: فحدثني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال: وخرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن، فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق، وأمسوا على غير الطريق، فتشاوروا جميعاً، فقال لهم أبو سلمة: إني أرى ناقتي تنازعني شقاً¹؛ أفلا أرسلها وأتبعها؟ قالوا: فافعل. فأرسل ناقتة وتبعها فأضحوا على ماء وحاضر²، فاستقوا وسقوا؛ فإنهم لعل ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال: من القوم؟ قالوا: من قريش. فرجع إلى شجرة أمام الماء فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا، فقال: أينطلق معي أحدكم إلى رجل ندعوه. قال أبو سلمة: فانطلقت معه فوقف بي تحت شجرة، فإذا وكر معلق فصوت: يا أبت! فزعزع³ شيخ رأسه، فأجابه فقال: هذا الرجل. فقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من قريش. قال: من أيها؟ قلت: من بني مخزوم بن يقظة. قال: من أيهم؟ قلت: أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة. قال: أيها منك! أنا ويقظة سين⁴، أتدري من يقول: [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فآبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قلت: لا. قال: أنا قائلها، أنا عمرو بن الحارث بن مضاخ الجرهمي. أتدري لم سمي أجياد أجياداً؟ قلت: لا. قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء؛ أتدري لم سمي قعيقعان؟ قلت: لا. قال: لتقعقع السلاح على ظهورنا لما طلعتنا عليهم منه.

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء؛ قال حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي؛ قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدثني راشد بن حفص بن عمر بن عبد عوف، قال: قال أبو سلمة بن عوف: وخرجت في نفر من قريش يريدون اليمن. وذكر الخبر مثل حديث الأزرقي. والله أعلم.

[تغريب ربيعة بن أمية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى قال: حدثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد أن ربيعة بن أمية بن خلف كان قد أدمن الشراب،

1 شق: جانب.

2 الحاضر: القوم المقيمون على الماء.

3 زعزع: حرك.

4 أي في سن واحدة.

وشرب في شهر رمضان ، فضربه عمر رضي الله عنه وغرّبه إلى ذي المروة ، فلم يزل بها حتى توفّي واستخلف عثمان رضي الله عنه ؛ ف قيل له : قد توفّي عمر واستخلف عثمان فلو دخلت المدينة ما ردك أحد . قال : لا والله لا أدخل المدينة فتقول قريش قد غرّبه رجل من بني عدي بن كعب . فلحق بالروم وتنصر ، فكان قيصر يحبّه ويكرمه ، فأعقب بها .

قال غسان : حدّثني أبي قال : قدّم رسول يزيد بن معاوية على معاوية من بلاد الروم ؛ فقال له معاوية : هل كان للناس خبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصرون مدينة كذا وكذا إذ سمعنا رجلاً فصيح اللسان مُشرفاً من بين شرفين من شرف الحصن ، وهو يُنشد :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصَّفا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
فقال معاوية : ويحك ، ذاك الربيع بن أمية يتغنّى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرمي .

[ابن جامع يفتي بشعر مضاض]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدّثنا عمر بن شبة قال ؛ حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : قال لي أبي : مرّ بالدوابّ تُسرج سحراً حتى نغدو إلى ابن جامع نستقبله بالياسرية¹ بسحرة لا تأخذنا الشمس . قال : فأمرت بذلك . وركبنا في السحر فأصبحنا دون الياسرية ، وقد طلعت علينا الشمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضب وعلى رأسه ولحيته خرق الخضاب ، وإذا بقدر تطبخ في الشمس ؛ فلما نظر إلينا رحّب بنا ، وقام إلينا فسلم علينا ، ثم دعا بالماء فغسل رأسه ولحيته ، ثم دعا بالغداء فأتى بغدائه ، فغرف لنا من تلك القدر التي في الشمس ؛ فتقرّزت وبشيت² من ذلك الطعام الذي طبخ ، فأشار إليّ أبي : بأن كل . فأكلنا حتى فرغنا من غدائنا ، فلما غسلنا أيدينا نادى ابن جامع : يا غلام هات شرابنا ! فأتى بنبذ في زكرة³ قد كانت الزكرة في الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إليّ أبي ، أن لا تمتنع ؛ ثم أتوا بقدر جيشاني⁴ ملاء الكف ، فصبّ النبيذ فيه وهو يشبه ماء قد أغلي بالنار ، ثم غنى ابن جامع فقال :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصَّفا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ

1 الياسرية : قرية على نهر عيسى قرية من بغداد . والسحرة : وقت السحر .

2 ل : فتقدمت وكشفت .

3 الزكرة : زق صغير للخمر .

4 جيشاني : نسبة إلى جيشان ، وهو مخالف باليمن .

بلى نحنُ كنّا أهلها فازالنا صُروفُ الليالي والجُودُ العواثرُ
ثم غنى ، للعرجي :

[من البسيط]

صوت

لو أنّ سلمى رأتنا لا يراع لنا لما هبّطنا جميعاً أبطن السوق¹
وكشّرنا وكبولُ القين تنكّونا كالأسد تكشيرُ عن أنيابها الرّوق²
ثم تغنى :

[من الوافر]

صوت

أجرّرُ في الجوامع كلّ يومٍ فيا لله مَظْلَمَتِي وصبري
ثم أمر بالرحيل . وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لي أبي : يا بني بشيتَ لما رأيتَ من
طعامِ ابنِ جامع وشرايه ، فعليّ عِتقُ ما أملك إن لم يكن شربُ الدّمِ مع هذا طيباً . ثم
قال : أسمعَتَ بنيّ غِناءَ قطّ أحسن من هذا ؟ فقلت : لا والله ما سمعتُ . قال : ثم خرج ابنُ
جامع حتى نزلَ بيبابِ أمير المؤمنين الرشيد ليلاً ، واجتمع المغنون على الباب ، وخرج الرسولُ
إليهم فأذنَ لهم ؛ والرشيدُ خلف الستارة ، فغنّوا إلى السّحر ؛ فأعطاهم ألفَ دينارٍ إلا ابنَ جامع
فلم يعطهِ شيئاً ، وانصرفوا متوجعين له ، وعرضوا عليه جميعاً فلم يقبل ؛ وانصرفوا ، فلما
كان في الليلة الثانية دُعوا فغنّوا ساعةً ، ثم كُشِفَت الستارة ، وغنى ابن جامع صوتاً عَرَضَ فيه
بحالِهِ وهو :

[من الطويل]

صوت

تقولُ أقمُ فينا فقيراً وما الذي تَرى فيه ليلي أن أقيمَ فقيراً
ذَريني أُمّتُ يا ليل أو أكسِبَ الغنى فإنّي أرى غيرَ الغنيّ حقيراً
يُدْفَعُ في النادي ويُرفَضُ قوله وإن كان بالرأي السّديدِ جديراً
ويُزَمُّ ما يَجني سواه وإن يُطِفُّ بذنبٍ يكن منه الصّغيرُ كبيراً
قالوا : فأعجبَ الرّشيدُ ذلك الشعرُ والّلحنُ فيه ، وأمال رأسه نحوه كالمتدعي له . وغنّاه
أيضاً :

[من الطويل]

1 اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها .

2 الكشر : بدو الأسنان في الفحل وغيره ، وكشر السبع عن نابه إذا هرّ الحراش وكشر فلان لفلان إذا تنمّر له
وأوعده . والكبول : القيود . والقين : الحداد . وتنكّونا : تجرحتنا . والرّوق : جمع أروق وهو الذي طالت
أسنانه العليا على السفلى .

صوت¹

لئن مِصْرُ فَاتَنَتْنِي بما كُنْتُ أُرْتَجِي وَأُخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أَمْلُ²
 فما كُلُّ ما يَخْشَى الْفَتَى نَازِلٌ بِهِ وَلَا كُلُّ ما يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نَائِلٌ
 ووالله ما فَرَطْتُ فِي وَجْهِ حِيلَةٍ وَلَكِنْ ما قَدَّ قَدَّرَ اللهُ نَازِلٌ
 وَقَدْ يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَتَّقِي وَيُؤْتَى الْفَتَى مِنْ أَمْنِهِ وَهُوَ غَافِلٌ
 ثم أَمَرُوا بِالْانْصِرَافِ فَانْصَرَفُوا ، فَلَمَّا بَلَّغُوا السُّتْرَ صَاحَ بِهِ الْخَادِمُ : يَا قَرَشِيُّ مَكَانَكَ . فَوَقَفَ
 مَكَانَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِخِلْعٍ وَسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأُمِرَ أَنْ يَتَّقِيَ ، وَأَنْ شَاءَ أَنْ يَنْصَرِفَ .
 [جرمية تغني بشر مضاض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ذكر الكلبي عن أبيه : أن الناس بينا هم في
 ليلة مُقَمَّرَةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، إِذْ بَصُرُوا بِشَخْصٍ قَدْ أَقْبَلَ كَأَنَّ قَامَتَهُ رُحٌّ ؛ فَهَرَبُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَهَابُوهُ ؛ فَأَقْبَلَ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ سَبْعًا ثُمَّ وَقَفَ فتمثل : [من الطويل]

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصُّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
 قال : فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ فَوَقَفَ بَعِيداً مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : سَأَلْتُكَ بِالَّذِي خَلَقَكَ أَجْنِي أَنْتَ أَمْ
 إِنْسِي ؟ فَقَالَ : بَلْ إِنْسِي ، أَنَا امْرَأَةٌ مِنْ جُرْهُمِ ، كُنَّا سُكَّانَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَأَهْلُهَا ، فَأَزَالْنَا عَنْهَا
 هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي يُبْلِي كُلَّ جَدِيدٍ وَيَغْيِرُهُ ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ خَارِجَةً عَنِ الْمَسْجِدِ حَتَّى غَابَتْ
 عَنْهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي
 قَالَ : قَالَ لِي يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ يَوْمًا : أَخْبِرْكَ بِرُؤْيَا رَأَيْتَهَا ؟ قُلْتُ : خَيْرًا رَأَيْتَ . قَالَ : رَأَيْتُ
 كَأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ دَارِي رَاكِبًا ، ثُمَّ التَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ أَرْ مَعِيَ أَحَدًا ، حَتَّى صَرْتُ إِلَى
 الْجِسْرِ ، فَإِذَا بِصَائِحٍ يَصِيحُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ : [من الطويل]

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصُّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
 فَأَجَبْتُهُ بِقَوْلِهِ : [من الطويل]

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
 فَانْصَرَفْتُ إِلَى الرَّشِيدِ فَنَغْنِيَتُهُ الصَّوْتُ ، وَخَبَرَتُهُ الْخَبَرُ ، فَعَجِبَ مِنْهُ . وَمَا مَضَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى
 أَوْقَعَ بِهِمْ .

1 الأبيات لأبي دهمان الغلابي كما جاء في البيان والتبيين 2 : 291 .

2 فاتتني في ل : عنتني .

صوت¹

[من الخفيف]

شاقَني الزَّائِرَاتُ قَصَرَ نَفْسِي مُثَقَّلَاتِ الأعْجَازِ قُبَّ البُطُونِ
يَتَرَبَّعُهُ الرِّبِيعُ وَيَنْزِلُ - نَ إِذَا صِفْنَ مَنْزِلَ المَاجِشُونِ
يَتَرَبَّعُهُ : يَنْزِلُهُ فِي أَيَّامِ الرِّبِيعِ . يَقَالُ لِمَنْزِلِ القَوْمِ فِي أَيَّامِ الرِّبِيعِ : مُتَرَبَّعُهُمْ . قَالَ
الشَّاعِرُ :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى بِأَمَلَا مُتَرَبَّعُ كَمَا لَاحَ وَشَمَّ فِي الذَّرَاعِ مُرْجَعُ²
[ألقاب سُكِينَةَ]

والمَاجِشُونُ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ يُرَوَى عَنْهُ الحَدِيثُ . وَالمَاجِشُونُ لَقَبٌ لَقَّبَهُ بِهِ سُكِينَةُ
بِنْتُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهُوَ اسْمُ لَوْنٍ مِنَ الصَّبْغِ أَصْفَرُ تَخَالَطَهُ
حُمْرَةٌ ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ لَوْنُهُ . وَيَقَالُ : إِنَّهَا مَا لَقَّبَتْ أَحَدًا قَطُّ بِلَقَبٍ إِلَّا لُصِقَ بِهِ .
أَخْبَرَنِي الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي ابْنُ المَاجِشُونِ ، قَالَ : نَظَرْتُ سُكِينَةَ إِلَى أَبِي ، فَقَالَتْ : كَأَنَّ هَذَا الرَّجُلُ المَاجِشُونُ ،
وَهُوَ صِبْغٌ أَصْفَرُ تَخَالَطَهُ حُمْرَةٌ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ .
قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ : وَنَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ فِيهِ
غِلْظَةٌ ، فَقَالَتْ : هَذَا الرَّجُلُ فِي قَرِيضٍ كَالشَّيْرِجِ فِي الْأُدْهَانِ ! فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يُسَمَّى : فَلَانُ
شَيْرَجٍ حَتَّى مَاتَ .

الشَّعْرُ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَالعَنَاءُ لِابْرَاهِيمَ المَوْصِلِيِّ . خَفِيفٌ رَمْلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى
الْبِنْصَرِ ، وَفِيهِ لِبَصْبَصٌ جَارِيَةٌ ابْنُ نَفْسٍ الَّتِي قِيلَ هَذَا الشَّعْرُ فِيهَا : رَمْلٌ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ لَهَا
فِيهِ أَيْضًا ثَقِيلًا أَوَّلًا بِالْوَسْطَى .

1 لم نعثر على البيتين في ديوانه .

2 مرجع : وشم مرة بعد مرة .

[278] - ذكر أخبار بصيص جارية ابن نفيس¹

وأخبارها

كانت بصيصُ هذه جاريةٌ مولَّدةٌ من مولِّدات المدينة ، حلوةُ الوجه ، حسنةُ الغناء ، قد أخذتُ عن الطبقة الأولى من المغنين ، وكان يحيى بن نفيس مولاها ، وقيل نفيس بن محمد ، والأول أصح ، صاحب قيان يغشاه الأشراف ، ويسمعون غناء جواريه ، وله في ذلك قصصٌ نذكرها بعد ، وكانت بصيصُ هذه أنفَسَهَن وأشدَّهَن تقدماً .

[والدة عليّة بنت المهدي]

وذكر ابن خرداذبه : أنَّ المهديَّ اشتراها وهو وليُّ العهد سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عليّة بنت المهدي .

وذكر غيره أنَّ ابن خرداذبه غلِط في هذا ، وأنَّ الذي صحَّ أنَّ المهديَّ اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرها ، وولدت عليّة .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : أنَّ ابن القداح حدّثه قال : كانت مكنونة جارية المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ؛ وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس ، أحسن جارية بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسحاء² ، وكان بعضُ مَنْ يُمازحها يعبّثُ بها ، ويصيح : طَسَّتْ طُسْتُ ! وكانت حسنة الصدر والبطن ، وكانت توضّح بهما³ ، ونقول : ولكن هذا ! فاشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلِبتُ عليه ، حتّى كانت الخيزران تقول : ما ملك أمة أغلظ عليّ منها . واستتر أمرها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهدي عليّة بنت المهدي .

والذي قال ابن خرداذبه غير مردود إذا كان هذا صحيحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غُرَيْر بن طلحة قال : اتَّعَدَ⁴ محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ،

1 ضبط في معجم البلدان «نفيس» بفتح فكسر ، 5 : 297 .

2 رسحاء : ضئيلة العجز والفخذين .

3 توضّح : تنباهي .

4 اتَّعَد : تواعد .

وعبد الله بن مصعب الزبيري ، وأبو بكر بن محمد بن عثمان الربيعي ، ويحيى¹ بن عقبة ، أن يأتوا بصَّبص جارية ابنِ نُفَيْسٍ ، فعَجَلَ محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، لِيُخْرِجَ إلى الكوفة ، فقال عبد الله بن مصعب :

أرائحُ أنتَ أبا جَعْفَرٍ من قبلِ أن تَسْمَعَ مِن بَصْبِصَا
هيهاتَ أن تَسْمَعَ منها إذا جاوزَت العِيسُ بِكَ الأعوصا²
فخذُ عليها مجلسي لذةٍ ومجلساً مِن قبلِ أن تَشْخِصَا
أحلفُ بالله يميناً وَمَن يحلفُ بالله فقد أَخْلَصَا
لو أنَّها تدعُو إلى بَيْعةٍ بايعْتُها ثم شَقَقْتُ العِصَا

قال : وفيها غناء لبصص . قال : فاشتراها سابق أبو غسان مولى منيرة للمهدي بسبعة عشر ألف دينار .

قال حماد : وحدثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصور لما حج فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحج ، لا أبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني محمد بن سلام قال : حدثني موسى بن مهران قال : كانت بالمدينة قينة لآلِ نُفَيْسٍ بن محمد يقال لها بَصْبِص ، وكان مولاهما صاحب قصر نُفَيْسٍ الذي يقول فيه الشاعر :

شاقني الزائراتُ قَصْرَ نُفَيْسٍ مُثَقَّلَاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطُونِ

قال : وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها ، فيسمع منها ، وكان يأتيها فتيان من قریش فيسمعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قديم المنصور منصرفاً من الحج ومرَّ بالمدينة يذكر بصص :

أراحِلُ أنتَ أبا جَعْفَرٍ مِن قبلِ أن تَسْمَعَ مِن بَصْبِصَا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفر ، فغضب فدعا به ؛ فقال : أما إنكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء ، وشققتم معهن العِصَا ، حتَّى صرتَ أنتَ آخرَ الحمقى تُباعِ المغنيات ، فدوّنكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم .

قال : ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصص وهي تغنيه بشعره :

[من السريع]

1 ل : يعلى .

2 الأعوص : موضع قرب المدينة .

صوت

إذا تمزّزت صُراحيّة¹ كمثّل ريح المسك أو أطيب¹
ثم تغنّي لي بأهزاجه زيد أخو الأنصار أو أشعب²
حسيت أني مالك جالس³ حقّت به الأملاك والموكب⁴
فلا أبالي وإله الورى أشرق العالم أم غربوا⁵

الغناء لزيد الأنصاري ، هزج مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وغيره ، وذكر غيره أنه لأشعب . فقال أبو جعفر : العالم لا يبالون كيف أصبحت وكيف أمست .

[المنصور يجيز الحادي درهماً]

ثم قال أبو جعفر : ولكن الذي يعجبني أن يحدّو بني الحادي الليلة بشعر طريف العنبري ، فهو آلف في سمعي من غناء بصيص ، وأحرى أن يختاره أهل العقل . قال : فدعا فلاناً الحادي ، قد ذكره وسقط اسمه ، وكان إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها² لصوته وإنقادت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصور : ما بلغ من حسن حدائه ؟ قال : تُعطش الإبل ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنى من الماء ، ثم أحدو فتنبع كلها صوتي ، ولا تقرب الماء . فحفظ الشعر ، وكان : [من الكامل]

إني وإن كان ابن عمي كاشعاً¹ لمزاحم من دونه وورائه³
ومدّه نصري وإن كان امرءاً متزحزحاً في أرضه وسمائه⁴
وأكون مأوى سيره وأصونه حتى يحقّ عليّ يوم أدائه⁵
وإذا أتى من غيبه بطريفة⁶ لم أطلع ماذا وراء خيائه⁷
وإذا تحيقت الحوادث ماله قرنت صحيحتنا إلى جربائه⁸
وإذا ترّيش في غناه وفرته وإذا تصعلك كنت من قرنائيه⁹
وإذا غدا يوماً ليركب مركباً¹⁰ صعباً قعدت له على سيسائه⁵

فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحت على المروءة وأشبه بأهل الأدب من غناء بصيص . قال : فحدا به ليلته أجمع ، فلما أصبح قال : يا ربيع أعطه

1 الصراحية : الخمر الخالصة .

2 وضعت رؤوسها : خففتها .

3 كاشع : مضمر العداوة .

4 متزحزح : بعيد .

5 السيساء : الظهر .

درهماً . فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ حدوثُ بهشام بن عبد الملك ، فأمر لي بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنا لله ! ذكرت ما لم يجب أن تذكره ؛ ووصفت أن رجلاً ظالماً أخذ مالَ الله من غير حِلِّه ، وأنفقَه في غير حقِّه ؛ يا ربيع اشدُّ يدك به حتى يردَّ المال . فبكى الحادي ، وقال : يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السنون ، وقُضيت به الديون ، وتمزَّقت النِّفقات ؛ ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقيَ عندي منه شيء . فلم يزلْ أهله وخاصَّته يسألونه حتى كَفَّ عنه ، وشرطَ عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً ، ولا يأخذ منه شيئاً .
[رهان بصبر على مزید]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني القاسم بن زيد المدني قال : اجتمع ذات يوم عند بصيص جارية ابن نفيس عبد الله بن مصعب الزبيري ومحمد بن عيسى الجعفري ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذكروا مُزبداً المدنيَّ صاحب النواذر وبُخله ، فقالت بصيصُ : أنا آخذُ لكم منه درهماً . فقال لها مولاها : أنت حرةٌ لئن فعلتِ إن لم أشتري لك مخنقةً بمائة دينارٍ وإن لم أشتري لك ثوبَ وشي بما شئت ؛ وأجعلُ لك مجلساً بالعقيق أنحرُ لك فيه بدنة² لم تُقتب³ ولم تُركب . فقالت : جيء به وارفع عني الغيرة . فقال : أنت حرةٌ أن لو رَفَعَ برجليك لأعتته على ذلك . فقال عبد الله بن مصعب : فصليت الغداة في مسجد المدينة ، فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاق ، أما تحبُّ أن ترى بصيصَ جارية ابن نفيس ؟ فقال : امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليَّ فيها ، وإن لم أكن أسأله أن يُرينيها منذ سنة فما يفعل . فقلت له : اليوم إذا صليت العصر فوافيني ههنا . قال : امرأته طالق إن برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر . قال : فتصرَّفت في حوائجي حتى كانت العصر ، ودخلت المسجد فوجدته فيه ، فأخذت بيده وأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا ، وتساكَر القوم وتناوَموا ، فأقبلت بصيصُ على مُزبِد ، فقالت : أبا إسحاق ، كأن في نفسك تشتهي أن أغنيكَ الساعة :

لقد حثوا الجمالَ لبيها
رَبُّوا مِنَّا فلم يَلُوا
فقال : زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ! قال : فغنته ساعة ثم مكثت ساعة فقالت : أبا إسحاق كأن في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرضني قرصاتٍ ، وأغنيكَ :

[من البسيط]

1 مخنقة : قلادة .

2 البدنة : الواحدة من الإبل والبقر .

3 الأفتاب : وضع القتب على البعير ، وهو الرجل .

قالتُ وأبشنتها وجددي فُبَحْتُ بِهِ قد كنتَ قَدِمًا تحبُّ السَّترَ فاسترِ
أَلستَ تُبصِّرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَّيْ هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
فقال : امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً ، وبأي
أرض تموت ! فغنته ثم قالت : بَرِحَ الخفاء¹ ، أنا أعلم أنك تستهي أن تقبلي شقَّ التَّينِ
وأغنيتك هزجاً :

أنا أبصرتُ بالليل غلاماً حسنَ الدَّلِّ
كفصن البان قد أصد جَحَ مسقيّاً من الطلِّ

لم يُذكر صانعُه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسلةٌ ! فقبلها فغنته ثم قالت : أبا إسحاق ، أَرَأَيْتَ أَسْقَطَ مِنْ هَؤُلاءِ !
يَدْعُونَكَ وَيُخْرِجُونِي إِلَيْكَ وَلَا يَشْتَرُونَ رِيحَاناً بِدَرْهَمٍ ، أَيُّ أبا إسحاق ؛ هَلُمَّ دَرهماً نَشْتَرِي
به رِيحَاناً ! فوثبَ وصاح : واحزباه ، أَيُّ زانيةٌ ، أخطأتِ استك الحفرة² ، انْقَطَعَ والله عنك
الوحي الذي كان يُوحى إليك ! وعطعت القوم بها ، وعَلِمُوا أَنَّ حيلتها لم تَنفُذْ عليه ، ثم
خَرَجُوا فَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا ، وعاودَ القومُ مجلسَهُمْ ، فكان أَكثَرُ شغلِهِمْ فيه حديثُ مزِيدٍ معها
والضَّحِكُ منه .

[غزل ابن أبي الزوائد في بصبص]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : أنشدني الزبير بن بكار ، قال : أنشدني
غُرَيْرُ بن طَلْحَةَ لابن أبي الزوائد ، وهو ابن ذي الزوائد ، في بصبص : [من السريع]

بَصْبَصُ أَنْتِ الشَّمْسُ مُرْدَانَةٌ فَإِنْ تَبَدَّلَتْ فَأَنْتِ الْهَلَالُ
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كَانَ يَكُونُ الْجَمَالُ
إِذَا دَعَتْ بِالْعُودِ فِي مَشْهَدٍ وَعَاوَنْتِ يُمْنِي يَدَيْهَا الشِّمَالُ
غَنَّتْ غِنَاءً يَسْتَفْزُ الْفَتَى حِذْقاً وَزَانَ الْحِذْقَ مِنْهَا الدَّلَالُ

قال هارون : قال الزبير : وأنشدني غُرَيْرٌ أيضاً لنفسه يهجو مولاها : [من البسيط]

يا ويح بصبص من يحيى لقد رزقتُ وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعَاميسٍ³

1 المثل «برج الخفاء» في مجمع الميداني 1 : 95 وجمهرة العسكري 1 : 27 و205 ومستقصى الزمخشري 2 : 7 وفصل المقال : 61 .

2 المثل «أخطأت استه الحفرة» في مجمع الميداني 1 : 245 .

3 الجعَاميس : جمع جعموس ، وهو الرجيع .

يُمَجُّ من فيه في فيها إذا هجعت ريقاً خبيثاً كأرواح الكرايس¹

[هوى محمد بن عيسى بها]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال : هوي محمد بن عيسى الجعفري بصبص جارية ابن نفيس ، فهم بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شغلتنني هذه عن صنعتي وكل أمري ، وقد وجدت مس السلو فاذهب بنا حتى أكشفها بذلك فاستريح . فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى : أغنين : [من الوافر]

وكنْتُ أُحِبُّكُمْ فسلوتُ عنكم عليكم في دياركم السلام

فقلت : لا ولكني أغني : [من الوافر]

تحمّل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء²

فاستحيا وازداد بها كلفاً ، ولها عشقاً ، فاطرق ساعة ثم قال : أغنين : [من الطويل]

وأخضع بالعُتي إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبتُ كنتُ الذي أتصل

قالت : نعم وأغني أحسن منه : [من الطويل]

فإن تقبلوا بالودّ نقبلُ بمثله ونزلكم منا بأقرب منزل

قال : فتقاطعا في بيتين ، وتواصلّا في بيتين . وفي هذه الأبيات الأربعة غناء كان محمد قريض ، وذكاء ، وغيرهما ممن شاهدنا من الحذاق يغنون في الابتداءين الحنين من الثقيل الأول ، وفي الجولين الحنين من خفيف الثقيل ، ولا أعرف صائعهما .

[طرب أبي السائب لغنائها]

أخبرني عمي قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثني أبو أيوب المدني عن مصعب قال³ : حضر أبو السائب المخزومي مجلساً فيه بصبص جارية يحيى بن نفيس ، فغنت :

قلبي حيسٌ عليك موقوف والعينُ عبرى والدمعُ مذروف

والنفسُ في حسرةٍ بغصتها قد شَفَّ أرجاءها التساويف

إن كنتَ بالحسن قد وصفتَ لنا فإنني بالهوى لموصوف

1 أرواح : جمع ريح . والكرايس : جمع كرايس ، وهو الكنيف .

2 البيت لزهير .

3 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 41) .

يا حسرتا حسرةً أموتُ بها إن لم يكن لي لديك معروفٌ
قال : فطرب أبو السائب ونعر ، وقال : لا عَرَفَ الله قَدْرَه إن لم أعْرِفْ لكَ
معروفك . ثم أخذ قناعتها عن رأسها وجعل على رأسه ، وجعل يلطم ويبكي ، ويقول
لها : بأبي والله أنت ، إنني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء ، لما تُولِينَاهُ من
السُّرور ، وجعل يصيح ، واغوثاه ! يا لله لما يلقى العاشقون .
[فتى ينسى أن يلبس نعله]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني عمرو بن
عبد الله البصري قال : حدثنا الحسين بن يحيى عن عثمان بن محمد الليثي قال : كنت يوماً في
مجلس ابن نفيس ، فخرجت إلينا جاريته بصيص ، وكان في القوم فتى يحبها ، فسألتها حاجة ،
فقام ليأتيها بها ، فنسي أن يلبس نعله ، ومشى حافياً ؛ فقالت : يا فلان ، نسيت نعلك . فرجع
فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأول :

وحُبُّك يُنسيني عن الشيء في يدي ويشغلني عن كل شيء أحاوله
فأجابته فقالت :

وبي مثل ما تشكوه مني وإنني لأشفق من حُبِّ أراك تراولُه

صوت

[من المنسرح]

يَشْتاقُ قلبي إلى مليكة لو أمست قريباً ممّن يطالبها
ما أحسنَ الجِدِّ من مُليكة وال لَبَّاتِ إذ زانها ترائبها
يا لَيْتَنِي ليلةً إذا هجع ال نَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبها
في ليلةٍ لا يرى بها أحدٌ يسعى علينا إلا كواكبها

الشعر لأحيحة بن الجلاح ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنْصِر في مجرى البَنْصِر . وفيه
لحنٌ للمالك من رواية يونس .

[279] - ذكر أحيحة بن الجلاح ونسبه وخبره¹ والسبب الذي من أجله قال الشعر

[نسبه]

هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبِي بن كُلفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أحيحة أبا عمرو .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدثني الزبير بن بكار قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال : ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد ، فأبى مسجِدُ العُصْبَةِ² ، فلما صُلّي قال للأحوص : يا أَحوصُ أين الزّوراء التي قال فيها صاحبكم : [من البسيط]

إني أقيمُ على الزّوراء أعمُرُها إنّ الكريمَ على الإخوانِ ذو المالِ
لها ثلاثُ بِشارٍ في جَوانِبِها في كلّها عُقْبٌ تسقى بأقبالٍ³
استغزِ أو مُتْ ولا يغرُركَ ذو نسبٍ من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالٍ

قال الزبير : العُقْبُ الذي في أوّل المالِ عند مدخلِ الماء ، والطلب الذي في آخره . قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : ها هي تلك ، لو طَوَلْتَ لأشقرِكَ هذا لجالَ عليها ، فقال الوليد : إنّ أبا عمرو كان يراه غنيّاً بها . فعجب الناسُ يومئذٍ لعناية الوليدِ بالعلم ، حتّى علمَ أنّ كنية أحيحة أبا عمرو .

وفي بعض هذا الشعرِ غناء ، وهو :

[من البسيط]

صوت

استغزِ أو مُتْ ولا يغرُركَ ذو نسبٍ من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالٍ
يَلوونَ ما لهم عن حقِّ أقربهم وعنَ عشيرتهم ؛ والحقُّ للوالي⁴
غَنّاه الهذليّ رملاً بالوسطى من رواية الهشاميّ وعمرو بن بانه .

1 لأحيحة بن الجلاح ترجمة في خزنة البغدادى 3 : 357-359 وأنظر الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 721-723 وأعلام الزركلي . وهو قائل المثل : «إن البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني .

2 العُصْبَة : دار بني جحجبي .

3 بشار : جمع بئر . وأقبال الجدول : رؤوسها وأوائلها .

4 يلوون : يجحدون .

[سبب قول أحبيحة هذا الشعر]

وَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَوْلِ أَحْبِيحَةَ هَذَا الشَّعْرَ فَإِنَّ أَحْمَدَ بْنَ عُبَيْدٍ الْمَكْتَبُ ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ الْكَلْبِيِّ حَدَّثَهُ ، وَحَدَّثَهُ أَيْضاً هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَامِيِّ قَالَ هِشَامُ : وَحَدَّثَنِي بِهِ أَبِي أَيْضاً .

قال : وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَمَّارٍ بْنِ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالُوا جَمِيعاً : أَقْبَلَ تَبَعُ الْأَخِيرِ وَهُوَ أَبُو كِرْبٍ بْنُ حَسَّانَ بْنِ أَسْعَدِ الْحَمِيرِيِّ ، مِنَ الْيَمَنِ سَائِراً يُرِيدُ الْمَشْرِقَ كَمَا كَانَتْ التَّبَاعَةُ تَفْعَلُ ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَخَلَّفَ بِهَا ابْنًا لَهُ ، وَمَضَى حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ ، ثُمَّ سَارَ مِنَ الشَّامِ حَتَّى قَدِمَ الْعِرَاقَ فَتَزَلَّ بِالْمَشْقَرِ¹ ، فَقُتِلَ ابْنُهُ غِيلَةً بِالْمَدِينَةِ ، فَلَبِغَهُ وَهُوَ بِالْمَشْقَرِ مَقْتُلُ ابْنِهِ ، فَفَكَّرَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَقُولُ : [مِنْ الْكَامِلِ]

يَا ذَا مُعَاهِرٍ مَا تَزَالُ تَرُودُ رَمَدٌ بَعِينَكَ عَادَهَا أَمْ عُدُ²
مَنْعَ الرُّقَادِ فَمَا أَغْمَضُ سَاعَةً نَبْطٌ يِثْرَبُ آمَنُونَ قُعُودُ³
لَا تَسْتَقِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ تَلْقَهَا حَرْباً كَأَنَّ أَشْأَهَا مَجْرُودُ³

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَهُوَ مُجْمِعٌ عَلَى إِخْرَابِهَا وَقَطْعِ نَخْلِهَا ، وَاسْتِعْصَالِ أَهْلِهَا ، وَسَبْيِ الذَّرِيَّةِ ؛ فَتَزَلَّ بِسَفْحِ أَحَدٍ فَاحْتَفَرَ بِهَا بَثْراً ، فَهِيَ الْبَثْرُ الَّتِي يَقَالُ لَهَا إِلَى الْيَوْمِ بَثْرُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيَأْتَوْهُ فَكَانَ فِيمَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ زَيْدُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَابْنُ عَمِّهِ زَيْدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَابْنُ عَمِّهِ زَيْدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانُوا يَسْمَوْنَ الْأَزْيَادَ ، وَأَحْبِيحَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ ؛ فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُهُ قَالَ الْأَزْيَادُ : إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا لِيَمْلِكُنَا عَلَى أَهْلِ يَثْرِبَ . فَقَالَ أَحْبِيحَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَاكُمْ لَخَيْرٍ ! وَقَالَ : [مِنْ الرَّمْلِ]

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرْبٍ أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهُ

فَذَهَبَتْ مِثْلًا⁴ . وَكَانَ يَقَالُ : إِنَّ مَعَ أَحْبِيحَةَ تَابِعاً مِنَ الْجَنْ يُعَلِّمُهُ الْخَبَرَ لِكَثْرَةِ صَوَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَظُنُّ شَيْئاً فَيُخْبِرُ بِهِ قَوْمَهُ إِلَّا كَانَ كَمَا يَقُولُ . فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ أَحْبِيحَةُ وَمَعَهُ قَيْنَةٌ لَهُ ، وَخِبَاءٌ وَخَمَرٌ ، فَضَرَبَ الْخِبَاءَ وَجَعَلَ فِيهِ الْقَيْنَةَ وَالْخَمَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى اسْتَأْذَنَ عَلَى تَبَعٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى زُرِّيَّةٍ⁵ تَحْتَهُ ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أُمُوَالِهِ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَجَعَلَ

1 المشقر : حصن بالبحرين .

2 ذو معاهر : من أقيال اليمن .

3 الأشاء : صغار النخل . ومجرود : جرد عنه الخوص .

4 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 192 وفصل المقال : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 302 وجمهرة

العسكري 1 : 484 .

5 الزرئية : واحدة الزرابي ، وهي ما يتكأ عليه .

يُخْبِرُهُ عَنْهَا ، وَجَعَلَ تُبْعَ كُلَّمَا أَخْبَرَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا يَقُولُ : كُلُّ ذَلِكَ عَلَى هَذِهِ الزَّرْبِيَّةِ . يَرِيدُ بِذَلِكَ تُبْعَ قَتْلِ أَحْيَحَةَ ، فَفَطِنٌ أَحْيَحَةُ أَنَّهُ يَرِيدُ قَتْلَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلَ خِيَاءَهُ ، فَشَرِبَ الْخَمْرَ ، وَقَرَضَ آيِيَاتًا ، وَأَمَرَ الْقَيْنَةَ أَنْ تَغْنِيَ بِهَا ، وَجَعَلَ تُبْعَ عَلَيْهِ حَرَسًا ، وَكَانَتْ قَيْنَتُهُ تُدْعَى مُلَيْكَةً فَقَالَ :

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيْكَةٍ لو أُمِسْتُ قَرِيبًا مِمَّنْ يَطَالِبُهَا
الآيَاتِ . وزاد فيها مَّا لَيْسَ فِيهِ غِنَاءُ :

لِتُبَكِّينِي قَيْنَةً وَمِزْهَرُهَا وَلِتُبَكِّينِي قَهْوَةً وَشَارِبُهَا
وَلِتُبَكِّينِي نَاقَةً إِذَا رُجِلَتْ وَغَابَ فِي سَرَدَحٍ مَنَاكِهُهَا¹
وَلِتُبَكِّينِي عُصْبَةً إِذَا جُمِعَتْ لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مَا عَوَاقِبُهَا

فَلَمَ تَزَلِ الْقَيْنَةُ تَغْنِيهِ بِذَلِكَ يَوْمَهُ وَعَامَّةَ لَيْلِيَتِهِ ؛ فَلَمَّا نَامَ الْحَرَّاسُ قَالَ لَهَا : إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَهْلِي فَشُدِّيْ عَلَيكَ الْخِيَاءَ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُ الْمَلِكِ فَقُولِي لَهُ : هُوَ نَائِمٌ ؛ فَإِذَا أَبُوءَا إِلَّا أَنْ يُوقِظُونِي فَقُولِي : قَدْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَرْسَلَنِي إِلَى الْمَلِكِ بِرِسَالَةٍ ؛ فَإِنْ ذَهَبُوا بِكَ إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَحْيَحَةُ : «أَغْدِرْ بِقَيْنَةٍ أَوْ دَعْ»² . ثُمَّ انْطَلَقَ فَتَحَصَّنَ فِي أَطْمِيهِ الضُّخْيَانِ ، وَأَرْسَلَ تُبْعَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى الْأَزْيَادِ فَقَتَلَهُمْ عَلَى فَقَارَةٍ مِنْ فَقَارِ تِلْكَ الْحَرَّةِ . وَأَرْسَلَ إِلَى أَحْيَحَةَ لِيَقْتُلَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الْقَيْنَةُ ، فَقَالَتْ : هُوَ رَاقِدٌ . فَانصَرَفُوا وَتَرَدَّدُوا عَلَيْهَا مَرَارًا ؛ كُلُّ ذَلِكَ تَقُولُ : هُوَ رَاقِدٌ . ثُمَّ عَادُوا فَقَالُوا : لِيَتَوَقَّظْهُ أَوْ لِنُدْخُلَنَّ عَلَيْهِ . قَالَتْ : فَإِنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى الْمَلِكِ بِرِسَالَةٍ . فَذَهَبُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَأَلَهَا عَنْهُ ، فَأَخْبَرَتْهُ خَبْرَهُ ، وَقَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : «أَغْدِرْ بِقَيْنَةٍ أَوْ دَعْ» . فَذَهَبَتْ كَلِمَةُ أَحْيَحَةَ هَذِهِ مَثَلًا ؛ فَجَرَّدَ لَهُ كَثِيبَةً مِنْ خَيْلِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ فِي طَلَبِهِ فَوَجَدُوهُ قَدْ تَحَصَّنَ فِي أَطْمِيهِ ، فَحَاصَرُوهُ ثَلَاثًا ؛ يَقَاتِلُهُمْ بِالنَّهَارِ وَيَرْمِيهِمُ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ ، وَيَرْمِي إِلَيْهِمُ بِاللَّيْلِ بِالتَّمَرِ ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ رَجَعُوا إِلَى تُبْعٍ فَقَالُوا : بَعَثْنَا إِلَى رَجُلٍ يَقَاتِلُنَا بِالنَّهَارِ ، وَيُضِيفُنَا بِاللَّيْلِ ؟ فَتَرَكَهُ ؛ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُحْرِقُوا نَخْلَهُ . وَشَبَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَوْسِيَهَا وَخَزَرْجَهَا وَيَهُودَهَا ، وَبَيْنَ تُبْعٍ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْأَطَامِ . فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تُبْعٍ حَتَّى جَاءَ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ؛ وَهُمْ مُتَحَصِّنُونَ فِي أَطْمِيهِمْ ، الَّذِي كَانَ فِي قِبَلَةِ مَسْجِدِهِمْ ، فَدَخَلَ حَدِيقَةً مِنْ حَدَائِقِهِمْ ، فَرَقِيَ عِذْقًا مِنْهَا يَجِدُّهَا ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ مِنَ الْأَطْمِ يَقَالُ لَهُ أَحْمَرُ أَوْ صَخْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ

1 السردح : الأرض اللينة المستوية .

2 هذا مثل .

من بني سلمة ، فنزل إليه فضربه بمنجل حتى قتله ثم ألقاه في بئر ! وقال : جاءنا يجدُّ نخلنا ، «إنما النخل لمن أبَّره»¹ ، فأرسلها مثلاً . فلما انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده حَقّاً وجرّداً إلى بني النجّار جريدةً من خيله ، فقاتلهم بنو النجّار ، ورئيسهم عمرو بن طَلَّة² أخو بني معاوية بن مالك بن النجّار ؛ وجاء بعضُ تلك الخيول إلى بني عديّ وهم متحصّنون في أطيمهم الذي في قبلة مسجدهم ، فراموا بني عديّ بالنبل ، فجعلت نبلهم تقع في جدار الأطم ، فكان على أطيمهم مثل الشعير من النبل ، فسمي ذلك الأطم الأشعر ، ولم تزل بقايا النبل فيه حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، وجاء بعضُ جنوده إلى بني الحارث بن الخزرج ، فجدّموا نخلهم من أنصافها ، فسميت تلك النخل جُدّمان . وجدّعوا هم فرساً لتبّع ، فكان تبّع يقول : لقد صنّع بي أهلُ يثرب شيئاً ما صنّعه بي أحد ؛ قتلوا ابني وصاحبي ، وجدّعوا فرسي ! قالوا : فبينا تبّع يريد إخراج المدينة ، وقتل المقاتلة ، وسبّ الذرية ، وقطع الأموال أتاه حبران من اليهود فقلا ، أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنا نجد اسمها كثيراً في كتابنا ، وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكة ، تكون داره وقراره ، ويتبعه أكثر أهلها . فأعجبه ما سمع منهما ، وكفّ عن الذي أراد بالمدينة وأهلها ، وصدّق الخبرين بما حدثاه ، وانصرف تبّع عما كان أراد بها ، وكفّ عن حربهم ، وآمنهم حتى دخلوا عسكره ، ودخل جنده المدينة ؛ فقال عمرو بن مالك بن النجّار ، يذكر شأن تبّع ، ويمدح عمرو بن طَلَّة :

[من المديد]

أصحا أم انتحى ذكراً	أم قضى من لذّة وطرة
بعد ما ولّى الشباب وما	ذكره الشباب أو عَصْرَة ³
إنها حرب يمانية	مثلها آتى الفتى عبرة
سائلي عمران أو أسداً	إذا أتت تعدو مع الزهرة
فيلق فيه أبو كرب	سبع أبدانه ذفرة
ثم قالوا من يوم بنا	أبنو عوف أم النجرة ⁴
يا بني النجار إن لنا	فيكم دخلاً وإن ترّة

1 هذا مثل .

2 ل : طلحة .

3 في رواية : ذكرت شبانه عصره .

4 النجرة : يعني بني النجار .

فَتَلَقَّتْهُم مَسَافِيَةٌ مَذْهَبًا كَالْغَبِيَّةِ النَّثْرَةِ¹

الغبيّة : السحابة التي فيها مطر وبرق برعد .

فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ طَلَّةَ لَا هُمْ فَاَمْنَحَ قَوْمَهُ عُمُرَةَ

سَيِّدَ سَامِي الْمُلُوكَ وَمَنْ يَذْغُ عَمْرًا لَا تَجِدُ قَدْرَهُ²

وقال في ذلك رجلٌ من اليهود :

تَكَلَّفَنِي مِنْ تَكَالَيْفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِيفِ وَالْمَصْنَعَةِ³

نَخِيلًا حَمَتَهَا بَنُو مَالِكٍ جُنُودَ أَبِي كَرِبَ الْمُفْطَعَةِ

وقال أحيحة يرثي الأزياد الذين قتلهم تبع :

أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي أَيَّ لَهْفٍ عَلَى أَهْلِ الْفَقَارَةِ أَيَّ لَهْفٍ

مَضَوْا قَصْدَ السَّيْلِ وَخَلَّفُونِي إِلَى خَلْفٍ مِنَ الْأَبْرَامِ خَلْفٌ⁴

سُدَى لَا يَكْتَفُونَ وَلَا أَرَاهُمْ يُطِيعُونَ امْرَأَةً إِنْ كَانَ يَكْفِي⁵

قالوا : فلمّا كَفَّ تَبِعٌ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ اخْتَلَطُوا بِعَسْكَرِهِ فَبَايَعُوهُ وَخَالَطُوهُمْ . ثم إنَّ تَبِعًا اسْتَوْبَاهُ⁶ بَيْتَهُ الَّتِي حَفَرَهَا ، وَشَكَا بَطْنَهُ عَنْ مَائِهَا ؛ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهَا فَكْهَةٌ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَلْدٍ وَشَرَفٍ فِي قَوْمِهَا ، فَشَكَا إِلَيْهَا وَبَايَعَتْهُ ، فَانْطَلَقَتْ فَأَخَذَتْ قُرْبًا وَحَمَارَيْنِ حَتَّى اسْتَقَتْ لَهُ مِنْ مَاءِ رُومَةٍ ، فَشَرَبَهُ فَأَعْجَبَهُ ، وَقَالَ : زَيْدِيْنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ . فَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمَاءِ رُومَةٍ ، فَلَمَّا حَانَ رَحِيلُهُ دَعَاها ، فَقَالَ لَهَا : يَا فَكْهَةُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مَعَنَا مِنَ الصُّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ⁷ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ لَكَ مَا تَرَكْنَا مِنْ أَزْوَادِنَا وَمَتَاعِنَا . فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعٌ نَقَلَتْ مَا تَرَكَهُ مِنْ أَزْوَادِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ ؛ فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ تَزَلْ فَكْهَةُ أَكْثَرَ بَنِي زُرَيْقٍ مَالًا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ .

قال : وَخَرَجَ تَبِعٌ يَرِيدُ الْيَمْنَ وَمَعَهُ الْحَبْرَانِ اللَّذَانِ نَهَيَاهُ عَنِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ حِينَ شَخِصَ مِنْ مَنْزِلِهِ : هَذِهِ قُبَاءُ الْأَرْضِ . فَسَمَّيْتُ قُبَاءً . وَمَرَّ بِالْجُرْفِ فَقَالَ : هَذَا جُرْفُ الْأَرْضِ . فَسَمَّيْتُ

1 المسافيف : الضارب بالسيف .

2 قدره : مثله وكفأه .

3 الأساويف والمصنعة : موزعان .

4 الأبرام : جمع برم ، وهو الجبان أو الذي لا يشارك في الميسر . والخلف : الأشرار .

5 سدى : همل .

6 استوبأ البئر : وجدها وخيمة .

7 أي الدنانير والدرهم .

الجرُف ؛ وهو أرفعها . ومَرَّ بِالْعَرَصَةِ وتسمَّى السليل فقال : هذه عَرَصَةُ الْأَرْضِ . ثم انحدر في العقيق فقال : هذا عقيقُ الْأَرْضِ . فسمَّى العقيق . ثم خرجَ يسيرَ حَتَّى نَزَلَ الْبَقِيعَ ، فنزلَ على غديرٍ ماءٍ يقال له بَرَاغِمُ ، فشربَ منه شربةً فدخلت في حَلْقِهِ عِلْقَةٌ فاشتكى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله :

ولقد شربتُ على بَرَاغِمَ شربةً كادت بياقية الحياة تُذِيعُ¹

ثم مضى حتى إذا كان بمحمدان جاءه نفرٌ من هُذَيْل فقالوا له : اجعلْ لنا جُعْلًا وننْلك على بيتٍ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة ، ليست لأهلِهِ مَنَعَةٌ ولا شَرَفٌ . فجعل لهم على ذلك جُعْلًا ؛ فقالوا له : هو البيت الذي تحبُّهُ العربُ بمكة . وأرادوا بذلك هلاكه . فتوجَّه نحوه فأخذته ظلمةٌ منعتَه من السير ، فدعا الحَبْرَيْنِ فسألهما ، فقالا : هذا لِمَا أَجْمَعْتَ عليه في هذا البيت ؛ والله مانِعُهُ منك ، ولن تصل إليه ، فاحذَرُ أَنْ يصيبك ما أَصَابَ مَنْ انتهك حُرْمَاتِ اللَّهِ ؛ وإِنَّمَا أَرَادَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَمْرُوكَ به هلاكك ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَرْمُهُ أَحَدٌ قَطُّ بِشَرٍّ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَطَفَّ بِهِ ، وَاخْلُقْ رَأْسَكَ عِنْدَهُ . فتركَ الذي كان أَجْمَعَ عليه ، وأمر بالهذليين ففقطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، ثم خرجَ يسيرَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فنزل بالشَّعْبِ من الأبطح ، وطاف بالبيت ، وحلَّقَ رَأْسَهُ ، وكساه الخَصَفَ² .

قال هشامٌ : وحدثني ابنُ لَجَرِيرٍ بن يَزِيدَ الْبِجَلِيُّ عن جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عن أبيهِ . قال هشام : وحدثني أبي عن صالح عن ابنِ عَبَّاسٍ قال : لَمَّا أَقْبَلَ تَبِعَ يَرِيدَ هَذَمَ الْبَيْتَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ الْعَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ ، بات صحيحاً فأصبح وقد سألت عيناه على خَدَيْهِ ، فبَعَثَ إِلَى السَّحَرَةِ³ وَالْكُفَّانِ وَالْمَنْجُمِينَ ، فقال : مالي ، فوالله لقد بُتُّ ليلتي ما أجد شيئاً ، وقد صرت إلى ما تَرَوْنَ . فقالوا : حدثت نفسك بخير . ففَعَلَ فارتدَّ بصيراً ، وكسا البيت الخَصَفَ .

هذه رواية جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عن أبيهِ . وفي رواية ابنِ عَبَّاسٍ : فَاتِي فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : اكسَهُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا . فكساه الوصائلَ ، قال : وهي بُرُودُ الْعَصَبِ ، سَمِيَتْ الْوَصَائِلُ لِأَنَّهَا كَانَتْ يُوَصَّلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، قال : فَأَقَامَ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَيَّامٍ يُطْعَمُ الطَّعَامَ ، وينحر في كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ بَعِيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول :

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ آلَا فِي تَرَى النَّاسِ نَحْوَهُنَّ وَرُودَا

1 تذيب : تذهب .

2 الخصف : ثياب غلاظ جداً .

3 ل : الحزاة .

وكسونا البيت الذي حرّم اللّهُ
وأقمنا به من الشهر ستّاً
ثم أبنا منه نوّم سهيلاً
قد رفّعنا لواءنا المعقوداً¹

قال : وتهود تبع وأهل اليمن بدينك الحبرين .

[خلاف أحيحة مع بني النجار]

أخبرني محمد بن مزيد قال : أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدثني أبو البختريّ عن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أيوب بن عبد الرحمن : أنّ رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو ، تزوّج امرأة من بني سالم بن عوف فكان يختلف إليها . فقعد له رهطٌ من بني جَحْجَبِي بمرصدٍ ، فضربوه حتى قتلوه أو كادوا ، فأدركه القوافل فاستنقذوه ، فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجار ، وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوفٍ ، فالتقوا بالرحابة² ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل أخا عاصم يومئذٍ أحيحة بن الجلاح ، وكان يكنى أبا وحوحة ، فأصابه في أصحابه حين انهزموا ، وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت ، فأدركه عاصم عند باب داره فزجه بالرمح ، ودخل أحيحة الباب ، ووقع الرمح في الباب ، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياماً . ثم إنّ عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره ، فبلغ ذلك أحيحة ، وقيل له إنّ عاصماً قد رثي البارحة عند الضّحيان والغابة³ - وهي أرض لأحيحة ، والضّحيان : أطم له - وكان أحيحة إذ ذاك سيّد قومه من الأوسر ، وكان رجلاً صنعاً للمال⁴ ، شحيحاً عليه ، يبيع يبيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يُحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بعيراً كلّها ينضج عليها ، وكان له بالجرف أصوار⁵ من نخلي قلّ يوم يمرّ به إلّا يطّلع فيه ؛ وكان له أطمان : أطم في قومه يقال له المستظلّ ، وهو الذي تحصّن فيه حين قاتل تبعاً أسعد أبا كرب الحميريّ ، وأطمه الضّحيان بالعُصبة في أرضه التي يقال لها الغابة⁶ بناه بحجارة سود وبني عليه نبرة⁷ بيضاء مثل الفضة ، ثم جعل عليها مثلها ، يراها الراكب من مسيرة يومٍ أو نحوه . وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم

1 نوّم سهيلاً : نقصد اليمن .

2 الرحابة : موضع بالمدينة .

3 ل : العباية .

4 الصنع : الحاذق الماهر .

5 الأصوار : النخل الصغار ، جمع صور .

6 ل : العباية .

7 النبرة : كل شيء مرتفع فوق شيء .

وحُصُونَهُم التي يتَحَرَّزون فيها من عدوهم . ويزعمون أَنَّهُ لما بناه أَشرف هو وغلَامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حصناً حصيناً ما بني مثله رجلٌ من العرب أَمْنَعُ ولا أَكْرَمُ ، ولقد عَرَفْتُ موضعَ حجرٍ منه لو نَزَعَ لوقع جميعاً ! فقال غلامُه : أَنَا أعرفه . فقال : فَأَرِنِي يا بُنَيَّ . قال : هو هذا ، وصرفَ إليه رأسه . فلما رأى أحيحة أَنَّهُ قد عَرَفَه دفعَه من رأسِ الأُطمِ فوقَ على رأسِهِ فمات ، وإنما قتلَه إرادةً أَلَّا يَعْرِفَ ذلك الحجرَ أَحَدٌ . ولما بناه قال : [من الرجز]

بنيتُ بعد مُستظِلٍّ ضاحيا بنيته بُعْصبةٌ من مالِيا
والسرُّ ممَّا يتبع القواصيا أَخشى رُكْباً أو رُجَيْلاً عاديّاً¹

وكان أحيحة إذا أُمسى جلسَ بمِخْداءِ حِصْنِهِ الضَّحْيَانِ ، ثم أُرسلَ كِلاباً له تنبِح دُونَهُ على مَنْ يَأْتِيهِ مِمَّنْ لا يعرف ، حذراً أَن يَأْتِيَهُ عدوٌّ يصيبُ مِنْهُ غِرَّةً . فأقبلَ عاصمُ بن عمرو يريدُه في مجلسِهِ ذلك ليقْتلَه بأَخِيهِ ، وقد أَخَذَ معه تمرًا ، فلما نبحتَه الكلابُ حين دنا مِنْهُ ألقى لها التمرَ فوقفتُ ، فلما رآها أحيحة قد سكَّنت حذِرَ فقامَ فدخلَ حِصْنَهُ . ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزَه مِنْه الباب ، فوقع السَّهمُ بالباب ؛ فلما سمع أحيحة وَقَعَ السَّهمَ صرَخَ في قومِهِ ، فخرج عاصمُ بن عمرو ، فأعجزهم حتَّى أتى قومَه . ثم إنَّ أحيحة جمعَ لبني النَجَّارِ ، فأراد أَن يغتَرَّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك ، وكانت عند أحيحة سَلَمَى بنت عمرو بن زيد بن لَبِيد بن خِدَاش إحدى نساء بني عديٍّ بن النَجَّارِ ، له مِنْها عمرو بن أحيحة ؛ وهي أُمُّ عبد المطلب بن هاشم ، خَلَفَ عليها هاشمٌ بعد أحيحة ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِحُ الرجالَ إِلَّا وأمرُها بيدها ، إذا كَرِهَتْ من رجلٍ شيئاً تركته .

فزعَم ابنُ إِسْحاقَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَيُّوبُ بن عبدِ الرحمن ، وهو أَحَدُ رَهْطِهَا ، قال : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَّا أَنَّ أحيحة لما أَجْمَعَ بِالْغَارَةِ على قومِها ومعهَا ابْنُها عمرو بن أحيحة ، وهو يومئذٍ فَطِيمٌ أو دونَ الفطيم ، وهو مع أحيحة في حِصْنِهِ عَمَدَتْ إِلَى ابْنِها فَرَبَطَتْهُ بِخِيطٍ ، حتَّى إذا أُوْجِعَتْ الصَّبِيَّ تركتهُ فبات يبكي ، وهي تَحْمِلُهُ ؛ وبات أحيحة معها ساهراً ، يقول : وَيْحَكَ ما لابني ؟ فتقول : والله ما أُدْرِي مَالَهُ . حتَّى إذا ذهبَ اللَّيْلُ أَطْلَقَتْ الخِيطَ عن الصَّبِيِّ فنام . وذكرُوا أَنَّهُا ربطت رَأْسَ ذَكَرِهِ ، فلما هَذَا الصَّبِيُّ قَالَتْ : وارأساه ! فقال : أحيحة : هذا والله ما لَقِيتُ من سهر هذه الليلة . فبات يعصِبُ لها رَأْسُها ويقول : ليس بك بَأْس . حتَّى إذا لم يبقَ من الليل إِلَّا أَقَلُّهُ قَالَتْ له : قُمْ فَنَمْ ، فَإِنِّي أَجِدُنِي صالِحَةً قد ذهب عَنِّي ما كنتُ أَجده . وإنما فعلتُ به ذلك لِيثْقَلَ رَأْسُهُ ، وليَشْتَدَّ نَوْمُهُ على طولِ السَّهْرِ . فلما نام قامت وأَخَذَتْ حَبلاً

1 الركب : مصفّر الراكب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصفّر الرّجل ، وهم الجماعة الراجلون .

شديداً وأوثقته برأس الحصن ، ثم تدلّت منه وانطلقت إلى قومها ، فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك ، فحذّر القوم وأعدّوا واجتمعوا . فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذر قد استعدّوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ؛ ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه ، وقد فقدوها أحيحة حين أصبح ؛ فلما رأى القوم على حذر قال : هذا عمل سلمى ! خدعتني حتى بلغت ما أردت . وسماها قومها المتدلّية ؛ لتدلّيتها من رأس الحصن . فقال في ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى :

تفهّم أيّها الرّجل الجهول ولا يذهب بك الرأي الويل
فإنّ الجهل محمّله خفيف وإنّ الحلم محمّله ثقل

وفيها يقول :

لعمر أبيك ما يُغني مقامي من الفتيان رائحة جهول
نؤوم ما يقلّص مستقلاً على الغايات مضجعه ثقل
إذا باتت أعصّبها فنامت عليّ مكانها الحمى الشمول¹
لعلّ عصاها يغيّك حرباً ويأتيهم بعورتك الدليل
وقد أعددت للحداث عقلاً لو أنّ المرء تنفعه العقول²

وقال فيها وفيما صنعت به :

أخلّق الرّبّع من سعاد فأمسى ربّعه مخلّقا كدرّس الملاء³
بالياً بعد حاضر ذي أنيس من سلمي إذ تغتدي كالمهاة

وهي قصيدة طويلة ، يقال إنّ في هذين البيتين منها غناء .

[مساومة في درعه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أنّ قيس بن زهير بن جذيمة أتى أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين بني عامر ؛ وخرج إلى المدينة ليتجهّز ، بعث إليهم حين قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ، فقال قيس لأحيحة : يا أبا عمرو ، بُعثت أنّ عندك درعاً ليس يثرب درع مثله ؛ فإن كنت فضلاً فبِعنيها ، أو فهِبها لي . فقال : يا أخا بني عبّس ، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضّل عنه ، ولولا أنّي أكره أن

1 الحمى الشمول : الحمى الباردة التي تسبب القشعريرة .

2 العقول : جمع عقل ، وهو الحصن .

3 الملاء : مخفف الملاءة .

أُستليم¹ إلى بني عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابقٍ خيلي ، ولكن اشترها يا أبا أيوب ، فإنَّ البيعَ مُرتَخَصٌ وغالٍ² فأرسلها مثلاً . فقال له قيس : فما تكره من استيلائتك إلى بني عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أُرِدْتَ العزُّ في آل يثربِ فنادِ بصوت يا أحيحة تُمنعِ
رأيتُ أبا عمرو أحيحة جارهُ بيتَ قَريِرِ العينِ غيرَ مروّعِ
ومَن يأتِيهِ مِن خائفٍ يَنسَخُ خوفهُ ومَن يأتِيهِ مِن جائِعٍ الجَوْفِ يشبعِ
فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً وأكرمُ بفخرٍ من خصالِكَ الأربعِ

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلها عنه ثمَّ عاودَه فساومه ، فغضب أحيحة وقال له : بَتَّ عندي . فباتَ عنده ، فلما شرب تغنى أحيحة وقيسُ يسمع : [من الوافر]

ألا يا قيسُ لا تَسْمَنَّ دِرْعِي فما مثلي يُساوِمُ بالدُّرُوعِ
فلولا خَلَّةٌ لأبي جُويٍّ وأنِّي لستُ عنها بالنُّزُوعِ
لأبَتَ بمثلها عَشْرَ وطِرفٍ لَحُوقِ الإِطْلِ جَيَّاشٍ تَلِيعِ³
ولكن سَمَّ ما أُحِبَّتَ فيها فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البِيعِ
فما هِبةُ الدُّرُوعِ أcha بغيضِ ولا الخيلِ السَّوابِقِ بالبديعِ⁴

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومته .

[إسحاق الموصلي يسأل حفيد مبد]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال : حدَّثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب ، قال : حدَّثني أبو جعفر الأسدي ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة ، عن عُمر بن شَبَّة عن إسحاق قال : دعاني الفضلُ بن الرِّبيع يوماً فأتيتُه ، فإذا عنده شيخٌ حجازيٌّ حسنُ الوجه والهيئة ، فقال لي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أنيسة بنت مَعْبُد ، فسأله عما أُحِبَّتَ من غناء جدِّه . فقلت : يا أcha أهل الحجاز ، كم غناء جدِّك ؟ قال ستون صوتاً . ثم غناني :

[من المنسرح]

ما أحسنَ الجِدِّ من مُليكة وال لَبَّاتِ إذ زانَها ترائُها

1 أُستليم : آتي ما ألام عليه .

2 المثل «إن البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني 1 : 19 والدرة الفاخرة : 162 .

3 اللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

4 بغيض : قبيلة قيس بن زهير . والبديع : المبتدع .

قال : فغناه أحسن غناء في الأرض ، ولم آخذهُ منه أتكالاً على قدرتي عليه . واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيب ، وشخص الشيخ إلى المدينة ، فبقيتُ أنشد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين ، وعجائز المغنيات ، فلا أجِدُ أحداً يعرفه ، حتى قَدِمْتُ البصرة ، وكنتُ آتي جزيرتها في القيظ فأبيتُ بها ثم أبكرُ بالغداة إلى منزلي . فإني لَدَاخِلٍ يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قامتا فأخذتا بلجام حماري ، فقلت لهما : مه ! قال أبو زيد في خبره : فقالت إحداهما : كيف عشقك اليوم لـ «ما أحسنَ الجيد من مُليكة» وشغفك به ، فقد بلغني أنك كنت تطلبه من كلِّ أحد ؟ وقد كنتُ رأيْتُك في مجلس الفضل وقد استخفك الطربُ لهذا الصوت حتى صفقت . قال : فقلت لها : أشدُّ والله ما كنت عشقاً له ، وقد ألهبتُ بذكرك إياه في قلبي جَمراً ، ولقد طلبته ببغداد كلها فلم أجِدْ أحداً يُسمِعُنيه . قالت : أفتحبُّ أن أُغنيك إياه . قلت : نعم . فغنته والله أحسنَ ممَّا سمعته قديماً بصوتٍ خافض . فنزلتُ إليها فقبَلْتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ ، لو شئتُ لبصرتُ معي إلى منزلي . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أُغنيك وتغنييني يوماً إلى الليل . قالت : أنت والله أطفَسُ¹ من أن تفعل ذاك ، وإنما هو عَرَضٌ ، ولكنني أُغنيك حتى تأخذه . فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ، وجعلني الله فداك مَنْ أنت ؟ قالت : أنا وهبة جارية محمد بن عمران القروي ، التي يقول فيها فرُّوج الرِّقاء الطَّلحي :

صوت

يا وهبُ لم يَبْقَ لي شيء أُسرُّ به
وتمزجينَ بريقٍ منك لي قدحاً
يا أطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مُختَبَرٍ
قد زرتنا زورةً في الدهرِ واحدةً
ما نلتُ منك سيوى شيءٍ أُسرُّ به
قالت مُلِكتَ ولم تَمِلْكَ فقلتُ لها
قال أبو زيد خاصةً : قال إسحاق : وأنشدتنيهِ وغنتني فيه بصوتٍ مليح قد صنعته فيه ، ثم

1 ل : أنفس . وأطفَس : أقدر .

2 هذا البيت ينسب أيضاً إلى بشار .

3 المثل «كانت بيضة الديك» في مجمع المياداني 2 : 131 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وفصل المقال : 437 ، ويضرب للنندرة .

صارت إليَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناس غناء ، وأحسنهم رواية . فما كانت تفوق فيه من صنعتها سائر الناس صوتها ، وهو :

صوت

لا بُدَّ من سكرة على طرب لعلَّ رَوْحاً يُدالُ من كَرَبٍ¹
فَعاطِئِها صفراء صافية تَضْحَكُ من لؤلؤ على ذَهَبٍ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله : [من مجزوء الكامل]

صوت

الكأسُ بعد الكأس قد تُصْبِي لَكَ الرجلَ الحليما
وتُقَرِّبُ النسبَ البعي لَدَى وتَبْسُطُ الوجهَ الشَّتِيما²

قال : ومِمَّا بَرَزَتْ فيه من صنعتها :

صوت

هاتِها سَكْرِيَّةً كشعاع الـ شَمْسٍ لا قَرَقَفًا ولا خَنْدَرِيسا³
في رُبى يخلع الوليُّ عليها ما يَحْيِي بِهِ الجليسُ الجَلِيسا⁴
فَلِنُوارِها نَسِيمٌ إذا ما حَرَّكَه الرِّيحَ رَدَّ النُّفوسا

صوت

[من البسيط]

أَمْسى لِسَلَامَةِ الزَّرْقَاءِ في كَيْدِي صَدَعٌ مَقِيمٌ طَوَالَ الدَّهْرِ والأَبْدِ
لا يَسْتَطِيعُ صَناعُ القومِ يَشْعَبُهُ وكيف يُشْعَبُ صَدَعُ الحَبِّ في الكَيْدِ
إِلَّا بَوَصْلِ التي من حَبِّها انصَدَعَتْ تلك الصَّدُوعُ من الأسقامِ والكَمَدِ
الشعر والغناء لحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي ، أحد بني زهرة من قريش .
ولحنه من خفيف الثَّقِيلِ الأوَّل بالبنصر .

وسَلَامَةُ الزَّرْقَاءِ هذه جارية ابنِ رامين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنَات .

1 الروح : الراحة . ويدال : يبدل .

2 الشتم : القبيح .

3 القرقف : التي ترعد شاربها . والخندريس : المعتقة .

4 الولي : المطر المتوالي . ما يحيي به الجليسُ الجَلِيسَ : الزهر .

[280] - ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، ذكر أن أبا أيوب المدينيّ حدثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً ، وكان من فتیان أهل الكوفة وظرفائهم وأديائهم ، وكان يقول الشعر ويتغنّى فيه . فمن ذلك قوله في زرقاء جارية بن رامين ، وكان يألّفها :

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي

وذكر الأبيات .

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج معه جواريه كلهنّ ، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر الثاني لإسماعيل بن عمّار الأسديّ ، وقد ذكرت أخباره في موضع آخر .

صوت

[من مجزوء الرجز]

أَيَّةُ حَالٍ يَا ابْنَ رَامِينَ حَالُ الْحَبِيبِ الْمَسَاكِينِ
تَرَكْتَهُمْ مَوْتَى وَلَمْ يَتَلَفُوا قَدْ جَزَعُوا مِنْكَ الْأَمْرَيْنِ
ويروى : « تَرَكْتَهُمْ مَوْتَى وَمَا مَوْتُوا » ، وجدته بخط حمّاد .

وَسِرْتَ فِي رَكْبٍ عَلَى طَيِّبَةٍ رَكْبٍ تَهَامٍ وَيَمَانِينَ
يَا رَاعِيَ الدَّوْدِ لَقَدْ رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مِنْ رَوْعِ الْحَبِيبِ
فَرَّقْتَ جَمْعاً لَا يُرَى مِثْلَهُمْ بَيْنَ دُرُوبِ الرُّومِ وَالصِّينِ

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها ، عن ابن المكي وغيره . قال : ودخل ابن الأشعث يوماً على ابن رامين فخرجت إليه الزرقاء ، فبينما هو يلقي عليها إذ بصّر بوصيفة من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعراً في وقته ، وتغنّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله :

صوت

قل لأختي التي أحبّ رضاها أنت لي فاعلميه رُكنٌ شديدٌ

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقُولِي : بَيْنَ أَذُنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ
يعني قولي : ما تريد في عنقي حتى أفعله . ففطنت الزرقاء للذي أراد ، فوهبت له الوصيفة ،
فخرج بها .

الغناء فيه رمل بالوسطى . ذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج ، وقد وهب في ذلك ، بل
الغناء لمحمد بن الأشعث لا يشك فيه .

قال هارون : وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدثني أبو عبد الله الأسك أمير
المغنين أن محمد بن الأشعث الزهري ، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السلمى اجتمعوا عند ابن
رامين ، وكان هشام قد أنفق في منزله مالا عظيماً ، وكان يقال لأبيه يسير دِرَمَ ، وتفسيره بالعربية :
الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قل ما تشاء . قال : [من الخفيف]

قل لأختي التي أحب رضاها أنت لي فاعلمي ركن شديد

وأشار بذلك إلى سلامة الزرقاء . قالت وقد سمعت : فقل . فقال : [من الخفيف]

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقُولِي بَيْنَ أَذُنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ

ففطنت الزرقاء للذي أراد ، فقالت : بين أذني وعاتقي ما تريد ، فما هو ؟ قال :
وصيفتك هذه ، فإنها قد أعجبتني . قالت : هي لك . فأخذها فما رد ذلك ابن رامين ولا
تكلم فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمد بن الأشعث .

[قاطع ابن رامين ومال إلى سحيفة]

قال هارون : وحدثني أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال : ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن
زيد التميمي ، أن محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء ، فشهر
بذلك ، وكان رجلاً قصافاً فلامه قومه في فعله فلم يحفل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم ، حتى
رأى بعض ما كره في منزل ابن رامين ، فمال إلى سحيفة جارية زريق بن منيح ، مولى عيسى بن
موسى . وكان زريق شيخاً سخياً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حي ، وكان
الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العبلي ، كغلبة محمد بن الأشعث على منزل
ابن رامين ، فتواصلوا على ملازمة بيت زريق . ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث : [من الخفيف]

يا ابن رامين بحت بالصرح في هوائي سحيفة ابن منيح

قينة عفة ومولى كريم ونديم من اللباب الصريح

رَبْعِيٌّ مَهْذَبٌ أُرِيحِيٌّ يَشْتَرِي أَحْمَدُ بِالْفَعَالِ الرَّيْحُ¹
 نَحْنُ مِنْهُ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِي الْأَدُّ فُسُ مِنْ لَذَّةٍ وَعَيْشٍ نَجِيعٍ
 عِنْدَ قَرَمٍ مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَغَنَاءٍ مِنَ الْغَزَالِ الْمَلِيعِ
 فِي سُورٍ وَفِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ قَدْ أَمِنَّا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَبِيعٍ
 فَاسْلُ عَنَّا كَمَا سَلَوْنَاكَ إِنِّي غَيْرُ سَالٍ عَنْ ذَاتِ نَفْسِي وَرُوحِي
 حَافِظٌ مِنْكَ كُلِّ مَا كُنْتَ قَدْ ضَدَّ يَمُتَ مِمَّا عَصَيْتَ فِيهِ نَصِيحِي
 فَالْقَلْبُ مَا حَيَّيْتَ مِنِّي لَكَ الدَّهْدُ رَ بُوْدُ لِمُنْيَتِي مَمْنُوحِ
 يَا ابْنَ رَامِينَ فَالزَّمَنْ مَسْجِدَ الْحِ سِيَّ وَطُولَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يدع ابن رامين شريفاً بالكوفة إلا تحمّل به على ابن الأشعث وأن يرضى عنه ، ويعاود زيارته ، فلم يفعل ، حتى تحمّل عليه بالجحواني ، وهو محمد بن بشر بن جحوان الأسدي ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلّمه فرضي عنه ورجع إلى زيارته ، ولم يقطع منزل زريق ، وقال في سحيفة :

سَحِيفَةٌ أَنْتِ وَاحِدَةُ الْقِيَانِ فَمَا لَكَ مُشَبَّهٌ فِيهِنَّ ثَانِ
 فَضَلْتِ عَلَى الْقِيَانِ بِفَضْلِ حَذَقٍ فَحُزِنْتَ عَلَى الْمَدَى قَصَبَ الرَّهَانِ
 سَجَدَنْ لَكَ الْقِيَانُ مَكْفَرَاتٍ كَمَا سَجَدَ الْمَجُوسُ لِمَرْزُبَانِ
 وَلَا سِيَّماً إِذَا غَنِيَتْ صَوْتاً وَحَرَكْتَ الْمَثَلثَ وَالْمَثَانِي
 شَرِبْتَ الْخَمْرَ حَتَّى خَلَتْ أُنْتِي أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ الْمَدَانِ
 فَأَعْمَالُ الْيَسَارِ عَلَى الْمَلَاوِي وَمِنْ يُمْنَاكِ تَرْجَمَةُ الْبَيَانِ²

[حيلة سلامة على روح بن حاتم]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، عن حماد عن أبيه قال : كان روح بن حاتم المهلبى كثير الغشيان لمنزل ابن رامين ، وكان يختلف إلى الزّرقاء جارية ابن رامين ، وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه ، فقال لها : إن روح بن حاتم قد قُتل علينا . قالت : فما أصنع ، قد غمر مولاي بيّره ! فقال : احتالي له . فبات عندهم روح ليلة ، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته ، فلما أصبح سأل عنه فقالت : غسلناه . فقطن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخلا وجهها لابن مجميل .

1 ربعي : نسبة إلى ربيعة .

2 الملاوي : ملاوي العود التي تشد بها الأوتار .

[جوازي ابن رامين]

قال هارون : وأخبرني حماد عن أبيه قال : ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين ، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان . وجواريه سَعْدَة ، ورُبَيْحَة ، وسَلَامَة الزرقاء . وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسديّ وأنشدناه الحُرْمِيّ عن الزُّبَيْر عن عمّه ، وروايته أتم¹ :

[من البسيط]

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَحَجٍّ مَحْزُونٍ	صَبَا ، وَصَبَّ إِلَى رِيمِ ابْنِ رَامِينِ
إِلَى رُبَيْحَةٍ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا	بُحْسِيهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانِينِ ²
نَعَمْ شِفَاؤُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ لَهَا	قَتَلْتَنِي يَوْمَ دَيْرِ اللَّجِّ فَاحْيِنِي ³
أَنْتِ الطَّبِيبُ لِدَاءٍ قَدْ تَلَبَّسَ بِي	مَنْ الْجَوَى فَانْفُثِي فِيَّ وَارْقِنِي
نَفْسِي تَأْبَى لَكُمْ إِلَّا طَوَاعِيَةَ	وَأَنْتِ تَحْمِنُ أَنْفَاً أَنْ تُطِيعِنِي ⁴
فَتِلْكَ قِسْمَةُ ضِيْزَى قَدْ سَمِعْتُ بِهَا	وَأَنْتِ تَتْلِينَهَا مَا ذَاكَ فِي الدِّينِ ⁵
مَا عَائِذُ اللَّهِ لِي إِلْفٌ وَلَا وَطَنٌ	وَلَا ابْنُ رَامِينِ ، لَوْلَا مَا يَمْنِينِي ⁶
يَا رَبُّ مَا لَابْنِ رَامِينِ ، لَهُ بَقَرٌ	عَيْنٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْبَرَاذِينِ
لَوْ شِئْتَ أُعْطِيْتَهُ مَا لَأُ عَلَى قَدَرٍ	يَرْضَى بِهِ مِنْكَ غَيْرَ الْخُرْدِ الْعَيْنِ
لِعَائِذِ اللَّهِ بَيْتٌ مَا مَرَرْتُ بِهِ	إِلَّا وَجِئْتُ عَلَى قَلْبِي بِسِكِّينِ ⁷
يَا سَعْدَةُ الْقَيْنَةُ الْبِيضَاءُ ، أَنْتِ لَنَا	أَنْسٌ لِأَنْتِ لَكِ فِي دَارِ ابْنِ رَامِينِ
لَا تَحْسِنِيَّ بِيَاضَ الْجِصِّ يُوْتَسِنِي	وَأَنْتِ كُنْتَ كَمَثَلِ الْخَزْرِ فِي اللَّيْنِ
لَوْلَا رُبَيْحَةُ مَا اسْتَأْنَسْتُ مَا عَمَدْتُ	نَفْسِي إِلَيْكَ وَلَوْ مُثَلَّتِ فِي طِينِ
لَمْ أَنْسَ سَعْدَةَ وَالزَّرْقَاءَ يَوْمَهُمَا	بِاللُّجِّ شَرْقِيَهُ فَوْقَ الدَّكَاكِينِ
تُغْنِيَانِ ابْنَ رَامِينِ ضَحَاءَهُمَا	بِالْمَسْجَحِيِّ وَتَشْبِيبِ الْحَبِيبِ ⁸

1 سبق أن وردت هذه القصيدة في ترجمة إسماعيل بن عمار في الجزء الحادي عشر ، ص 245 .

2 أفانين : ضروب .

3 دير اللج : بالحيرة .

4 تحمين أنفاً : تأنفين .

5 القسمة الضيزى : الجائرة .

6 عائذ الله : حي من العرب .

7 وجأه : ضربه .

8 المسجحي : الغناء المنسوب إلى ابن مسجح .

فَمَا دَعَوْتُ بِهِ مِنْ عَيْشٍ مَمْلُوكَةٍ وَلَمْ نَعِشْ يَوْمَنَا عَيْشَ الْمَسَاكِينِ
أَذَاكَ أَنْعَمُ أَمْ يَوْمٌ ظَلَلْتُ بِهِ مِنْعَمَ الْعَيْشِ فِي بُسْتَانِ شُورَيْنِ
يَشُورِي لَنَا الشَّيْخُ شُورَيْنَ دَوَاجِنَهُ بِالْجَرْدَنَاجِ وَسَحَاجِ الشَّقَايِينِ¹
نُسْقَى شَرَاباً لِعِمْرَانٍ يَعْتَقُهُ يُمَسِّي الْأَصْحَاءَ مِنْهُ كَالْمَجَانِينِ
يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله .

إِذَا ذَكَرْنَا صَلَاةً بَعْدَمَا فَرَطْتَ قُمْنَا إِلَيْهَا بِلَا عَقْلِ وَلَا دِينِ²
نَمْشِي إِلَيْهَا بِطَاءٍ لَا حَرَكَ بِنَا كَأَنَّ أَرْجَلَنَا تُقْلَعْنَ مِنْ طِينِ
نَمْشِي وَأَرْجَلُنَا عَوْجٌ مَطَارِحُهَا مَشْيَ الْإَوَزِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الصِّينِ
أَوْ مَشْيَ عُمَيَّانٍ دَيْرٍ لَا دَلِيلَ لَهُم إِلَّا الْعَصِيَّ ، إِلَى عِيدِ السَّعَانِينِ

وقال فيه أيضاً :

لَا بِنِ رَامِينَ خُرَدٍّ كَمَهَا الرَّمَّ لِحِ حِسَانٍ وَلَيْسَ لِي غَيْرَ بَغْلٍ
رَبٌّ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَلَوْ شِئْتُ سَتَ لِفَضْلَتِنِي عَلَيْهِ بِفَضْلٍ

قال حماد : وأخبرني أبي قال : حدثني السَّكُونِيُّ ، أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ سَلِيمَانَ اشْتَرَى رُبْعَةَ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَاشْتَرَى صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ سَعْدَةَ بِتِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَاشْتَرَى مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ
الزَّرْقَاءَ .

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا خطأ ، الزَّرْقَاءُ اشْتَرَاهَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، وَلَعَلَّ مَعْنًا
اشْتَرَى غَيْرَهَا .

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ
الشَّيْبَانِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمَّارٍ : كُنْتُ أُخْتَلِفُ إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ
رَامِينَ فَأَسْمَعُ جَارِيَتِهِ : الزَّرْقَاءَ وَسَعْدَةَ ، وَكَانَتْ سَعْدَةُ أَظْرَفَ مِنَ الزَّرْقَاءَ ، فَأُعْجِبْتُ بِهَا
وَعَلِمْتُ ذَلِكَ مِنِّي ؛ وَكَانَتْ سَعْدَةُ كَاتِبَةً ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهَا أَشْكَو مَا أَلْقَى بِهَا ، فَوَعَدْتَنِي فَكُتِبَتْ
إِلَيْهَا رُقْعَةً مَعَ بَعْضِ خَدَمِهِمْ :

[من البسيط]

يَا رَبُّ إِنَّ ابْنَ رَامِينَ لَهُ بَقَرٌ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ الْبَرَاذِينِ

1 بالجردناج : أي مثبلاً بالأفواهيه . والشقايين : جمع شقبان وهو نوع من الطير .

2 فرطت : سبقت .

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رُفعتك وتضحك من قولك .

فإن تجودي بذلك الشيء أخي به وإن بخلت به عني فزني
وكبت إلي : «حاشاك من أن أزيك ، ولكني أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك» .
وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحراني ، وأخبرني الجوهري عن علي بن محمد التوفلي عن أبيه : أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم ، وسترها عن أبيه ، وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرك في تلك الأيام عبد الله بن علي ، فهجم عليهما يوماً سليمان بن علي فأخفيا العود تحت السرير ودخل ، فقال له : ويحك نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم¹ وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم ؟ وأظهر له غضباً عليه وتسخطاً لما فعل ؛ فغمز خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان ، فأكبت على رأسه فقبلته ، ودعت له ، وكانت عاقلة مقبولة متكلمة ، فأعجبه ما رأى منها ، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبته ابنة بعد ذلك .

قال : ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوماً : هل ظفّر منك أحدٌ ممن كان يهواك بخلوة أو قبله ؟ فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون قد بلغه ، فقالت : لا والله إلا يزيد بن عون العبادي الصيرفي ؛ فإنه قبلني قبله وقذف في في لؤلؤة بعثها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر يحال له ويطلبه حتى وقع في يده ، فضربه بالسياط حتى مات .

[استقبال سلامة الزرقاء ليزيد بن عون]

قال هارون : وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال . حدثني أبو عوف الدوسي ، عن عبد الرحمن بن مقرن قال : كبت إلى ابن رامين أستاذته في إتيانه ، فكتب إلي : «قد سبقك روح بن حاتم ، فإن كنت لا تحتشم منه فرح . فرحْتُ ، فكنا كأننا فرسا رهان ، والتقيننا فعانقني وقال لي : أنتي تريد ؟ قلت : حيث أردت . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجت الزرقاء في إزار ورداء قوهين² موردين ، كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكفيها ، فغنت ساعة ثم جاء الخادم الذي يأذن لها ، وكان الإذن عليها دون مولاه ،

1 الصيلم : الداهية .

2 القوهي : ضرب من الثياب ، منسوبة إلى قوهستان .

فقام دون الباب وهي تغني ، حتى إذا قطعت نظرت إليه فقالت : من ؟ فقال : يزيد بن عون العبادي الصيرفي ، الملقب بالماجن ، على الباب . فقالت : أدخله . فلما استقبلها كفر¹ ثم أقعى بين يديها . قال : فوجدت² والله له ورأيت أثر ذلك ، وتنوقت³ تنوقاً⁴ خلاف ما كانت تفعل بنا . فأدخل يده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظري يا زرقاء جعلت فداك ! ثم حلف أنه نقذ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمي . فغنت صوتاً ثم قالت : يا ماجن هبهما لي ويحك . قال : إن شئت والله فعلت . قالت : قد شئت . قال : واليمين التي حلفت بها لازمة لي إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتي . قال : فذهب روح يتسرع إليه ، فقالت له : ألك في بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنما يتكسبون مما ترى . وقام ابن رامين فقال : ضع لي يا غلام ماء . ثم خرج عنا فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفيه وهما بين شفتيه . فقال : هاك . فلما ذهبت بشفتيهما جعل يصد عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزت جارية على رأسها فخرجت كأنها تريد حاجة ، ثم عطفت عليه ، فلما دنا منها وذهب ليزوغ دفعت منكبيه وأمسكنهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيهما من فمه ، ورشح جبينها حياء منا . ثم تجلذت علينا فأقبلت عليه فقالت له : «المغبون في استيه عود» فقال : أما أنا فما أبالي ، لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي أبداً ما حييت .

[سعدة تعبت بثياب الزائرين]

قال هارون : وحدثني ابن النطاح عن المدائني ، عن علي بن أبي سليمان ، عن أبي عبد الله القرشي ، عن أبي زاهر بن أبي الصباح ، قال : أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش ، فأخرج الزرقاء ، وسعدة ، فقام القرشي ليول وترك مطرفه⁴ ، فلبسته سعدة وخرجت ، فرجع القرشي وعليها المطرف قد خاطته فصار درعاً⁵ ، فقالت : أرايتم أسرع من هذا ؟ صار المطرف درعاً ! فقال القرشي : هو لك . قال : وعلي طيلسان مثني ، فأردت أن أبول فلففته وقمت ، فقالت سعدة : دع طيلسانك . فقلت : لا أدعه ، أخاف أن يتحول مطرفاً .

1 كفر : قام بأحد تعابير التعظيم كالإلحناء أو الركوع . . . إلخ .

2 وجدت : لحقها الوجد .

3 تنوقت : تأنقت .

4 المطرف : ثوب من خز مخطط .

5 الدرع : القميص .

[دراج ابن المقفع]

وحدثني قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : شربت زرقاء ابن رامين دواء فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل قراسي¹ .

[أب يتخوف على ابنه من عشقه الزرقاء]

قال هارون : وحدثني حماد عن أبيه : أن محمد بن جميل كان يتعشق الزرقاء ، وكان أبوه جميل يغدو كل يوم يسأل من يقدم عن ابنه محمد ، إلى أن مر به صديق له يكنى أبا ياسر ، فسأله عنه فقال له أبو ياسر : تركته أعظم الناس قدراً ، يعامل الخليفة كل يوم في خراجيه ، فيحتاج إليه ولده ، وصاحب شرطته ، وصاحب حرسه ، وخدمته . فقال له : يا أخي : فكيف بهذه الجارية التي قد شهر بها ؟ فقال له الرجل : لا تهتم بها ، قد مازحه أمير المؤمنين فيها ، وخاطبه بشعر قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال : [من السريع]

وابن جميل فاعلموا عاجلاً لا بدّ موقوف على مسطبة

يوقف في زرقاء مشهورة تجيد ضرب العود والعربة²

فقال جميل : والله ما بي من هذا الأمر إلا أنني أتخوف أن يكون قد شهر بها هذه الشهرة ولم ينكها .

قال هارون : وأحسب هذه القصة لزرقاء الزراد ، لا زرقاء ابن رامين .

[منافسة في تقديم الأظاف للزرقاء]

قال هارون : وحدثني أبو أيوب قال : حدثني محمد بن سلام ، قال : اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة ، وروح بن حاتم ، وابن المقفع ، فلما تغنت الزرقاء وسعدة ، بعث معن إليها بذرة فصبت بين يديها ، فبعث روح إليها أخرى فصبت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفع دراهم فبعث فجاء بصلك ضيعته وقال : هذه عهدة ضيعتي خذها ، فأما الدراهم فما عندي منها شيء .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا فضل الزبيدي قال : حدثني إسحاق الموصلي قال : قال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهي وصيفة ، حين شال نهودها ثوبها عن صدرها ، لها شارب كأنه خط بمسك ، يلحظه الطرف ، ويقصر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها ، والغناء له : [من مجزوء الرجز]

1 جمل قراسي : ضخم شديد .

2 العربة : العود أو الطنبور .

أَيَّةُ حَالٍ يَا ابْنَ رَامِينَ حَالِ الْمُحِبِّينَ الْمَسَاكِينِ
تَرَكْتَهُمْ مَوْتَى وَمَا مَوَّتُوا قَدْ جُرُّعُوا مِنْكَ الْأَمْرَيْنِ
وَسِرْتُ فِي رَكَبٍ عَلَى طِيَّةٍ رَكَبٍ تَهَامٍ وَيَمَانِينَ
يَا رَاعِي الدَّوْدَ لَقَدْ رُعْتَنَا وَيَلْكَ مِنْ رَوْعِ الْمُحِبِّينِ
فَرَقْتَ جَمْعًا لَا يُرَى مِثْلُهُمْ فَجَعَلْتَهُمْ بِالرَّيْبِ الْعَيْنِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني هارون بن محمد الزّيّات قال : قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل : كان ابن رامين مولى الزّرقاء أجلّ مُقَيِّنٍ بالكوفة وأكبرهم ، ورامين أبوه مولى بشر بن مروان .
[ابن الأشعث يعلّم الغناء]

قال هارون : فحدّثني سليمان المدينيّ قال : قال حمّاد بن إسحاق قال أبي : قال مُعَاذُ بْنُ الطَّبِيبِ : أَتَيْتُ ابْنَ رَامِينَ وَعِنْدَهُ جَوَارِيهِ : الزَّرْقَاءُ وَصَوَاحِبَاتُهَا ، وَعِنْدَهُنَّ فَتَى حَسَنُ الْوَجْهِ نَظِيفُ الثِّيَابِ ، عَطِيرُ الرَّيْحِ ، يُلْقِي عَلَيْهِنَّ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ فُجُوةِ الزُّهْرِيِّ . فَمَضَيْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي وَسَأَلْتُهُ الْمَقَامَ ففَعَلَ ، وَأَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ وَغَنَيْتُهُ أَصْوَاتًا مِنْ غِنَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَسَأَلَنِي أَنْ أَلْقِيَهَا عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ وَكَرَامَةً وَحَبًّا ، عَلَى أَنْ تَلْقِيَ عَلَيَّ أَصْوَاتًا مِنْ صِنْعَتِكَ أَلْتَذُّ بِهَا ، وَأَقْطَعُ طَرِيقِي بِرَوَايَتِهَا ، وَأُطْرِفُ أَهْلَ بَلَدِي بِهَا . ففَعَلْتُ وَفَعَلَ ، فَكَانَ مِمَّا أَخَذْتَهُ عَنْهُ مِنْ صِنْعَتِهِ :

صوت

صَاحَ إِنِّي عَادَ لِي مَا ذَهَبَا مِنْ هَوًى هَاجَ لِقَلْبِي طَرَبَا
أَذْكُرْتَنِي الشُّوقَ سَلَامَةً أَنْ لَمْ أَكُنْ قَضَيْتُ مِنْهَا أَرَبَا
وَإِذَا مَا لَمْ فِيهَا لَا يَمُومُ زَادَ فِي قَلْبِي لِحْجِي عَجَبَا
مِنْ ذَوَاتِ الدَّلِّ لَوْ دَبَّ عَلَى جِلْدِهَا الذَّرُّ لِأَبْدَى نَدَبَا

الغناء لمحمد بن الأشعث ، ثَقِيلٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وفيه ليونس خفيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ ، فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي لَا يَدْرِي لِمَنْ هُوَ ؟
قال : ومنها :

صوت

لِذِكْرِ الْحَبِيبِ النَّازِحِ الْمُتَعَتِّبِ طَرِبْتُ وَمَنْ يَغْرِضُ لَهُ الشُّوقَ يَطْرِبُ

لَحْنُهُ رَمْلٌ . وَقَالَ مِنْهَا :
[من الطويل]

صوت

خليلي عوجاً ساعةً ثم سلماً على زينب سقياً ورعياً لزنب

لحنه رمل . وقال منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

رَجَبْتُ بِلَادُكَ يَا أُمَامَةَ وَسَلِمْتُ مَا سَجَعَتْ حَمَامَةُ
وَسَقَى دِيَارَكَ كُلَّمَا حَنْتُ إِلَى السُّقْيَا غَمَامَةَ
إِنِّي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي سَفَهًا أَحَبُّ لَكَ الْكَرَامَةَ
وَأَرَى أُمُورَكَ طَاعَةً مَفْرُوضَةً حَتَّى الْقِيَامَةَ

لحنه خفيف رمل . قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَا بِالْمَغَانِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا حَمَامَاتٌ فُرْدٌ¹
أَضَحَتْ خَلَاءَ دُرُسًا لِلرَّيْحِ فِيهَا مُطَرَّدٌ
عَهْدِي بِهَا فِيمَا مَضَى يَتَابَهَا بَيْضٌ خُرْدٌ²
فَاسْتَبَدَلْتُ وَحْشًا بِهِمِ وَالْوُرُقُ تَدْعُو وَالصُّرْدُ³

لحنه هزج . قال : ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

لَيْتَ مَنْ طَيَّرَ نَوْمِي رَدُّ فِي عَيْنِي الْمَنَامَا
أَوْ شَفَى جِسْمًا سَقِيمًا زَادَهُ الْهَجْرُ سَقَامَا
نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً هَاجَتْ غَرَامَا
تَرَكْتُ قَلْبِي حَزِينًا بِهِوَاهَا مُسْتَهَامَا

لحنه رمل .

قال ابن الطيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النَّاسَ بعد ذلك ينسيونها إلى قُدماء المغنِّين .

1 فرد : فريدات .

2 خرد : جمع خريدة وهي البكر أو الحبيبة .

3 الصرد : طائر أبقع يصطاد صغار العصفير .

قال هارون : وحَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حَدَّثني إسماعيل بن جعفر بن سليمان : أنَّ الزُّرقاء صاحبة ابن رامينَ صارت إلى أبيه ، وكان يقال لها أم عثمان . وأنَّ ربيعة جارية ابن رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده . قال إسماعيل : فَأتى سليمانُ بن عليٍّ ابنه جعفرًا فأخرج إليه الزُّرقاء ، فقال لها سليمان : غَنِّيني . قالت : أيُّ شيءٍ تحبُّ ؟ قال : غَنِّيني :

إذا ما أمُّ عبدِ اللّهِ هـ لَم تَحُلْ بِواديهِ
ولم تَشْفِ سقيمًا هيَّ جَ الحزن دواعيه

فقلت : فَذيتك ، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنَّته إياه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وينبغي أن يكون رأي الزُّرقاء قبل موته بستين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هي : قد ترك الناس هذا منذ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

[شعر في جوارى ابن رامين]

قال هارون : وقال شُراعة بن الزَّنْدُبُود :

قالوا شُراعةُ عَيْنُ فقلتُ لهم الله يعلمُ أنِّي غير عَنِين
فإنَّ أيتَمَ وقلتم مثلَ قولِهِم فأقْجِمُوني في دارِ ابنِ رامين
ثم انظروا كيفَ طعني عند مُعترَكِي في حِرٍّ مَنْ كُنتُ أرميها وترميني

قال هارون : وحَدَّثني أبو أيوب المديني ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدينيين : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ ، فوجدتهُ عندهُ جاريةٌ قد رفع ثديها قميصاً ، لها شاربٌ أخضرٌ ممتدٌّ على شفتيها امتدادَ الطَّراز ، كأنَّما خُطَّتْ طُرَّتُها وحاجباها بقَلَمٍ ، لا يلحقُها في ضربٍ من ضروبِ حُسْنِها وصفٌ واصفٌ ، فسألتُ عن اسمها فقيل : هذه الزُّرقاء .

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت¹

[من المخرج]

إذا ما أمُّ عبدِ اللّهِ هـ لَم تَحُلْ بِواديهِ
ولم تَشْفِ سقيمًا هـ يَجَّ الحزن دواعيه

عَزَّالٌ رَاعَهُ الْقَنَّا صُ تَحْمِيهِ صِيَاصِيهِ¹
 عَرَفْتُ الرَّيْعَ بِالْإَكْلِيهِ لَ عَفَّتْهُ سَوَافِيهِ²
 بَجَوْ نَاعِمِ الْحَوْذَا نِ مُلْتَفٌ رَوَابِيهِ³
 وَمَا ذِكْرِي حَبِيْبًا وَ قَلِيْلًا مَا أُوتِيهِ
 كَذِيِ الْخَمْرِ تَمَنَّاها وَقَدْ أُسْرَفَ سَاقِيهِ

ذكر الزبير بن بَكَارٍ أَنَّ الشَّعْرَ لَعْدِيَّ بنِ نُوْفَلٍ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لِلنُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ وَذَاكَ أَصَحُّ .

وقد أخرجت أخبار النُّعْمَانِ فيه مفردةً في موضع آخر ، وذكرت القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأَعرابيِّ وأبو عمرو الشَّيبانيُّ للنُّعْمَانِ ، ولم يذكر أنَّها لَعْدِيٍّ غيرَ الزُّبَيْرِ بنِ بَكَارٍ . والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمُعْبِدٍ ، خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى . وذكر إِسْحَاقُ أَنَّ فيه خفيفَ رملٍ بالسَّيَّابَةِ في مَجْرَى الْبِنْصَرِ ، يَمَانٍ . وفيه للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوُسْطَى عن الهشاميِّ ، في الأوَّل والثاني والرَّابِع والخامس .

1 الصياصي : الحصون .

2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تسفني التراب .

3 الجو : المنخفض من الأرض . الحوذان : نبت نوره أصفر .

[281] - نسب عديّ بن نوفل وخبره

[نسبه]

هو عديّ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأمه آمنه بنت جابر بن سفيان ، أخت تابط شراً .

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمله ، أو عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فيما أخبرنا به الطوسي عن الزبير بن بكار ، على حصر موت .

قال الزبير : ودار عديّ بن نوفل بين المسجد والسوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النسائي :

إن ممشاك نحو دار عديّ كان للقلب شقوةً وفتونا
إذ تراءت على البلاط فلمّا واجهتها كالشمس تعشي العيون
قال هارون قف فيا ليت أنّي كنت طاعت ساعة هارونا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة¹ .

[نشوز امرأته]

قال الزبير : كان تحت عديّ بن نوفل أمّ عبد الله بنت أبي البختريّ بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، فغاب مدّة وكتب إليها أن تشخص إليه ، فلم تفعل ، فكتب إليها قوله :

إذا ما أمّ عبد الله لم تحلل بواديه

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختريّ ، وهما لأب وأمّ ، أمهما عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى : قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك . فاشخصي إليه .

1 الأبيات في ديوان عمر (صادر) : 431 .

صوت

[من المتقارب]

أَعْيَنِي جُودَا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيَّ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ، ترثي أختها صخرًا ، والغناء لإبراهيم الموصلي ،
ثقیلٌ أوّل مطلق في مَجْرَى البَنْصَر ، عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيْج خفيفٌ رملٌ بالوُسْطَى ،
عن عمرو ، والهشاميّ ، وَحَبَّش .

[282] - نسب الخنساء وخبرها¹ وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

[نسب الخنساء]

هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . واسمها تماضر .

[شعر دريد بن الصمة فيها]

والخنساء لقبٌ غلبَ عليها ، وفيها يقول دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ ، وكان خطبها فردته ، وكان رآها تهنأ بغيراً² :

[من الكامل]

حَيُّوا تَماضِرَ وارْبَعُوا صَحْبِي	وَقِفُوا فَإِنَّ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ	وَأَصَابَهُ تَبَلٌ مِنَ الْحُبِّ ³
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ	كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتِي جُرْبِ
مَتَبَذَّلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ	يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لما خطبها دُرَيْدٌ بعثت خادماً لها وقالت : انظري إليه إذا بالَ ، فإن كان بولُه يخرق الأرض ويخذ فيها ففيه بقية ، وإن كان بولُه يسبح على وجهها فلا بقية فيه . فرجعت إليها وأخبرتها ، فقالت : لا بقية في هذا . فأرسلت إليه : ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح ، وأتزوج شيخاً ! فقال⁴ :

[من الوافر]

وَقَالَ اللَّهُ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرٍو	مِنْ الْفَتَيَانِ أَشْبَاهِي وَنَفْسِي
وَقَالَتْ إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ	وَمَا نَبَأْتُهَا أَنِّي ابْنُ أُمِّسِ

1 ترجمة الخنساء في الشعر والشعراء : 260-264 وشرح شواهد المغني : 89 وخرانة البغدادي 1 : 433-438 وكتب الصحابة وراجع بروكلمان 1 : 164-165 وقد طبع ديوانها مرات عديدة وآخرها شرح ثعلب تحقيق د . أنور أبو سويلم (ط . دار عمار) وفيه تخريج كثير واستقصاء للروايات .

2 ديوان دريد : 34 .

3 التبل : السقام .

4 ديوان دريد : 82 .

فلا تَلِدِي وَلَا يَنْكُحُكَ مِثْلِي إِذَا مَا لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْسٍ
تَرِيدُ شَرَبْتَ الْقَدَمِينَ شَتْنًا يُبَاشِرُ بِالْعَشِيَّةِ كُلَّ كِرْسٍ¹

فَقَالَتِ الْخَنْسَاءُ تُجِيبُهُ² : [من الوافر]

مَعَاذَ اللَّهِ يَنْكُحُنِي حَبْرُكِي يُقَالُ أَبُوهُ مِنْ جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ³
وَلَوْ أَصْبَحْتُ فِي جُشَمٍ هَدِيًّا إِذَا أَصْبَحْتُ فِي دَنَسٍ وَفَقْرٍ
وهذا الشعر⁴ ترثي به أخاها صخرًا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل .

[مقتل صخر]

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ ، عن أَبِي حَاتِمٍ ، عن أَبِي عبيدة ،
وأضفتُ إليه رواية الأثرم عن أَبِي عبيدة قال⁵ : غزا صخر بن عمرو ، وأنس بن عَبَّاسٍ الرَّعْلِيُّ
في بني سُلَيْمٍ ، بني أسد بن خزيمة ، قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَمِيُّ أَنَّ هذا اليوم يقال له يوم
الكلاب ويوم ذي الأثل ، في بني عوفٍ وبني خُفَافٍ . وكانا متساندين ، وعلى بني خُفَافٍ
صخر بن عمرو الشَّريدي ، وعلى بني عوفٍ أنس بن عَبَّاسٍ . قال : فأصابوا في بني أسدٍ بن
خزيمة غنائمَ وَسَبِيًّا ، وأخذ صخرٌ يومئذٍ بُدَيْلَةَ امرأة . قال : وأصاب صخرٌ يومئذٍ طعنةً ،
طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقًا من الدُّرْعِ فاندملَ عليه
حتى شَقَّ عنه بعد سنين ، وكان سبب موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل وردَ هو وبلعاء بن قيس الكناني . قال : وكانا أجملَ
رجلين في العرب . قال : فشرَّبا عند يهوديٍّ خَمَارًا كان بالمدينة . قال : فحسدهما لِمَا رَأَى مِنْ
جمالهما وهَيَّأَتْهُمَا ، وقال : إِنِّي لأحسد العربَ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مِثْلُ هَٰذَيْنِ ! فسقاها شربةً
جَوِيًّا مِنْهَا⁶ . قال : فمرَّ بصخرٍ طَبيبٌ بعد ما طال مرضُهُ ، فأراه ما به ، فقال : أَشَقُّ عَنْكَ
فَتَفِيْقُ . قال : فعمدَ إلى شِفَارٍ فجعل يَحْمِيهَا ثم يشقُّ بها عنه ، فلم يَنْشَبْ أَنْ مَاتَ .

قال أبو عبيدة : وأما أبو بلال بن سهم فإنه قال : اكتسح صخرٌ أموال بني أسدٍ وسبى

1 شربت القدمين : غليظهما . والشتن : الغليظ . والكرس : أبواب الغنم وأبقارها .

2 ديوانها : 372 وفيه : .

3 معاذ الله يرضعني حبركي قصير الشعر من جسم بن بكر

4 الحبركي : الطويل البظهر القصير الرجلين .

5 يعني الشعر الذي فيه الغناء .

6 انظر أيام العرب في الجاهلية : 399 .

6 جوي : أصابه الجوى ، وهو السل وتطاول المرض ودار في الصدر .

نساءهم ، فَأَتَاهُم الصَّرِيخُ فَنَبِعُوهُ فَتَلَحَّقُوا بِذَاتِ الْأَثَلِ ، فَاقْتُلُوا قَتَالاً شَدِيداً ، فَطَعَنَ رِبِيعَةُ بْنُ ثَوْرٍ الْأَسَدِيَّ صَخْرًا فِي جَنْبِهِ ؛ وَفَاتِ الْقَوْمَ فَلَمْ يُقَعْصْ¹ وَجَوِيَّ مِنْهَا ، وَمَرَضَ قَرِيباً مِنْ حَوْلِ ، حَتَّى مَلَّهَ أَهْلُهُ . قَالَ : فَسَمِعَ صَخْرٌ امْرَأَةً وَهِيَ تَسْأَلُ سَلْمَى امْرَأَةَ صَخْرٍ : كَيْفَ بَعْلُكَ ؟ فَقَالَتْ سَلْمَى : لَا حَيٌّ فِيرْجَى ، وَلَا مَيِّتٌ فَيُنْعَى² ، لَقِينَا مِنْهُ الْأَمْرَيْنِ !

قَالَ : وَزَعَمَ آخَرُ أَنَّ الَّتِي قَالَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بُدِيلَةُ الْأَسَدِيَّةِ الَّتِي كَانَ سِبَاهَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ . فَاتَّشَدَّ هَذَا الْبَيْتُ³ :

أَلَا تَلَكُمُ عِرْسِي بُدِيلَةُ أَوْجَسَتْ فِرَاقِي وَمَلَّتْ مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَأَمَّا أَبُو بِلَالٍ بْنُ سَهْمٍ فَرَعِمَ أَنَّ صَخْرًا حِينَ سَمِعَ مَقَالَةَ سَلْمَى امْرَأَتِهِ قَالَ : [من الطويل]

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً عَلَيْكَ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أُسْتَطِيعَ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالزَّوَانِ⁴
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأُسْمِعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَانَتْهَا مَحَلَّةٌ يَعْسُوبُ بِرَأْسِ سَنَانِ
وَأَيُّ امْرَأَةٍ سَاوَى بِأُمِّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشٍ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ

فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ وَقَدْ نَتَأَتْ قِطْعَةً مِثْلَ اللَّبْدِ فِي جَنْبِهِ فِي مَوْضِعِ الطَّعْنَةِ ، قَالُوا لَهُ : لَوْ قَطَعْتَهَا لَرَجَوْنَا أَنْ تَبْرَأَ . فَقَالَ : شَأْنُكُمْ . فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَهَنَاهُمْ ، فَأَبَى وَقَالَ : الْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ ! فَأَحْمَوْا لَهُ شَفْرَةً ثُمَّ قَطَعُوهَا فَيَسَّ مِنْ نَفْسِهِ .

قَالَ : وَسَمِعَ صَخْرٌ أَخْتَهُ الْخَنَسَاءَ تَقُولُ : كَيْفَ كَانَ صَبْرُهُ ؟ فَقَالَ صَخْرٌ فِي ذَلِكَ :

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تُنُوبُ عَلَى النَّاسِ ، كُلِّ الْمَخْطُوبِينَ تُصِيبُ
فَإِنْ تَسْأَلْنِي هَلْ صَبِرْتُ فَإِنِّي صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
كَأَنِّي وَقَدْ أَدْنَوْتُ إِلَيَّ شِفَارَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ دَامِيَ الصَّفْحَتَيْنِ رَكُوبُ

1 لم يقَعْصَ : لم يمت مكانه .

2 المثل «لاحي فيرجى ولا ميت فينسى» في مجمع الميداني 2 : 241 .

3 انظر ديوان الخنساء : 362 .

4 المثل «قد حيل بين العير والزوان» في مجمع الميداني 2 : 96 وجمهرة العسكري 1 : 371 والدرة الفاخرة 2 :

أَجَارَتْنَا لَسْتُ الْغَدَاةَ بَظَاعِنِ وَلَكِنْ مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
 عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : عَسِيبٌ : جَبَلٌ بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى جَنْبِ الْمَدِينَةِ ، فَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْلَمٌ .
 وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَمَاتَ فَدُفِنَ هُنَاكَ ، فَقَبْرُهُ قَرِيبٌ مِنْ عَسِيبِ .
 [مراثي الخنساء في صخر]

فَقَالَتْ الْخَنْسَاءُ تَرْثِيهِ¹ :

لَقَدْ أَخْضَلُ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أُمَ مَالِهَا
 دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيبِ
 فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقْتَالَهَا فَإِنْ تَكُ مُرَّةً أَوْدَتْ بِهِ
 فَأَمَّا عَلَيْهَا وَأَمَّا هَا سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى خُطْطَةٍ
 وَإِنْ تَجَزَعِ النَّفْسُ أَشْقَى هَا فَإِنْ تَصْبِرِ النَّفْسُ تَلْقَ السُّرُورَ
 غَنَى فِيهِ ابْنُ سُرَيْجٍ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْبِنْصَرِ .

قَالَ السُّلَمِيُّ : لَيْسَتْ هَذِهِ فِي صَخْرٍ ، هَذِهِ إِنَّمَا رَثَتْ بِهَا مَعَاوِيَةَ أَخَاهَا ، وَبَنُو مُرَّةٍ قَتَلْتَهُ .
 وَلَكِنَّهَا قَالَتْ فِي صَخْرٍ² :

قَذَى بَعَيْنِكَ أُمَ بِالْعَيْنِ عَوَارُ أُمَ أَقْفَرْتُ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 تَبْكِي لَصَخْرٍ ، هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ ثَكَلَتْ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أُسْتَارُ
 لَا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرٍ وَالذَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
 يَا صَخْرُ وَرَادَ مَا قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
 مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءِ مُعْضِلَةٍ لَهُ سِلَاحَانِ أَنْيَابٌ وَأُظْفَارُ³
 فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطْيِيفٍ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِصْفَارٌ وَإِكْبَارُ⁴
 تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
 لَا تَسْمَنُ الذَّهْرُ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ⁵

1 ديوانها : 78 .

2 ديوانها : 378 ورواية المطلع فيه :

ما هاج حزئك أم بالعين عوار أم ذرقت أم خلعت من أهلها الدار

3 السبتى : النمر والجرى .

4 أي بصوت خفيف ومرتع .

5 التسجار : مد الناقة صوتها في الحنين .

يوماً بأوجدَ مني يومَ فارقتي صخرٌ وللدهرِ إحلاءٌ وإمرارٌ
فإنَّ صخرأً لوالينا وسيّدنا وإنَّ صخرأً إذا نشئوا لنحرأً
وإنَّ صخرأً لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنَّه علَمٌ في رأسِهِ نارٌ

غنى في هذين البيتين الأولين ابنُ سُرّيج ، من رواية يونس : [من البسيط]

لَمْ تَرَاهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرَبِيَّةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
وَلَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَأْكُلُهُ لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّخْنِ مِهْمَارُ¹
مِثْلُ الرَّدِينِيٍّ لَمْ تَنْفَذْ شَبِيئَتُهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ أُسَارُ
فِي جَوْفِ رَمْسٍ مُقِيمٍ قَدْ تَضَمَّنَهُ فِي رَمْسِهِ مُقْمَطِرَاتٌ وَأَحْجَارُ
طَلَّقَ الْيَدِينَ بِفَعْلٍ الْخَيْرِ ذُو فَجَرٍ ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ بِالْخَيْرَاتِ أَمَارُ
وَرُقَّةٍ حَارَ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةٍ كَأَنَّ ظَلَمَتَهَا فِي الطَّخِيَةِ الْقَارُ

عروضه ثانٍ من البسيط .

الْعَوَّارُ والعائر : وجَع ، وهو مثل الرمد . وَذَرَفَتْ : قطرت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سَيْلاً . والعبرى ، يقال امرأةٌ عبرى وعابرٌ . والعبرة : سُخنة العين . والولَه : ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد . حَوْلٌ وأطوار ، أي تحوُّلٌ وتقلُّبٌ وتصرفٌ . قد تناذَرَه ، أي أنذر بعضهم بعضاً هَوْلَه وصعوبته . ويروى : «تبادره» . وقولها «ما في ورده عار» أرادت ما في ترك ورده عار ، أي لا يُعَيَّرُ أَحَدٌ إنَّ عجز عنه من صعوبةٍ ورده . الْعَجُولُ : التَّكُولُ . والبَوُّ : أن يُنَحَرَ ولدُ الناقة ويؤخذ جلده فيُحشى ويُدنى من أمه فترأَمه . إحلاءٌ وإمرار ، يقال : ما أحلى ولا أَمَرٌ ، أي ما أتى بحلوة ولا مُرَّة . والمعنى أن الدهرَ يأتي بالمشقة والمحنة . «كأنَّه علَمٌ في رأسِهِ نارٌ» أي إنه مشهور . والعلَم : الجبل ، وجمعه أعلام . «كأنَّه تحتَ طَيِّ الْبُرْدِ أُسَارُ» ، أي من لطافة بطنِهِ وهَيْفِهِ شبيه أسوارٍ من ذهب . والرديني : الرمح منسوب إلى رَدِينَةٍ : امرأةٍ كانت تقومُ الرماح . أي هو معصوب البدن ليس بمهَيِّجٍ منحلٌّ . وهذا كَلَمَه من انتفاخ الجلد والسَّمَن والاسترخاء . وقال أبو عمرو : مُقْمَطِرَاتٌ : صخورُ عظام . والأحجار صِغار . ذُو فَجَرٍ : يتفجّر بالمعروف . والدَّسِيعَةُ : العطاء . الطخية ، من الطخاء ، وهو الغيم الرقيق الذي يُوَارِي النجوم فيتحيّر الهادي .

وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخرأً² : [من الوافر]

1 مِهْمَار : يكثر لأضيافه .

2 ديوانها : 278 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

بكت عيني وعادَها قذاها بُعْوَارٍ فَمَا تَقْضِي كَرَاهَا
على صَخْرٍ وَأَيُّ فِتْيٍ كَصَخْرٍ إِذَا مَا النَّابُ لَمْ تَرَأْمَ طَلَاهَا¹
الطلا : الولد ، أي لم تعطف عليه من الجذب .

فَتَى الْفَتَيَانِ مَا بَلَّغُوا مَدَاهَا وَلَا يُكْدِي إِذَا بَلَّغَتْ كُدَاهَا²
لئن جَزَعْتَ بنو عمرو عليه لَقَدْ رُزِئْتُ بنو عمرو فتَاهَا
حلفت بربِّ صهب معملات إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَمِ فَنَهَاها³

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ابْنُ جَامِعٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَذَكَرَ حَبِشٌ
أَنْ لَهُ أَيْضاً فِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .

لَهُ كَفٌّ يَشُقُّ بِهَا بَخْلُهَا وَأُخْرَى مَا يَجِفُّ ثَرَى نَدَاهَا⁴
تَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ سُلَيْمٍ وَقَدْ بَلَّغَتْ مَدَامِعُهَا لِحَاهَا
إِذَا وَصَفَ السَّيِّدَ بِالشَّمَمِ فَإِنَّهُ لَا يَدْنُو لِدَنَاءَةٍ ، وَلَا يَضَعُ لَهَا أَنْفَهُ .

وَحَيْلٍ قَدْ كَفَفَتْ بِجَوْلِ خَيْلٍ فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا⁵
وَجَوْلِ خَيْلٍ : جَوْلَان . وَيُقَالُ : قَطَعْتُ خَيْلٍ تَجُولُ ، أَيْ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ .

تَرْفَعُ فَضْلَ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ عَلَى خَيْفَانَةٍ خَفِقٍ حَشَاهَا⁶
وَتَسْعَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاعَةً مُصْطَلَاهَا
مَحَافِظَةً وَمَحْمِيَةً إِذَا مَا نَبَاً بِالْقَوْمِ مِنْ جَزَعٍ لَهَاها⁷
فَتَرَكُهَا قَدْ اسْتَجَرَتْ بَطْعِنٍ تَضَمَّنَتْ ، إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَلَاهَا
هُنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ بِآلِ صَخْرٍ قَرَى الْأَضْيَافَ سُخْنًا مِنْ ذُرَاهَا⁸

1 الناب : الناقة المسنة .

2 يكدي : يخل عند السؤال . والكدية : الأرض الصلبة . أي إذا أجلبوا وأعسروا .

3 الصهب : الإبل في ألوانها صهبه ، أي يياض مختلط بحمرة . والمعملات : التي تعمل في السير .

4 رواية الديوان :

لَهُ كَفٌّ يَشُدُّ بِهَا وَكَفٌّ تَجُودُ فَمَا يَجِفُّ ثَرَى نَدَاهَا

5 الكيش : الرئيس .

6 الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة .

7 الحمية : الحمية والأنفة .

8 الذرى : أسمة النوق . وفي الديوان «شحمًا من ذراها» .

فمن للضيْفِ إن هَبَّتْ شَمالٌ مُزْعِرةٌ يجاوبُها صَداها
 وألجأ برُدُها الأشْوالَ حُذْباً إلى الحَجَرَاتِ بارزةٌ كُلاها¹
 أمطعِمَكُم وحامِلَكُم تَرَكُكُم لدى غِبراءٍ منهدمٍ رَجاها
 لَيْكُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ للمَعالي وللهِجاءِ إنَّكَ ما فُتاها²
 وقد فَوَزْتَ طَلْعَةً فاستراحتُ فليت الخيلَ فارِسُها يراها³
 وقال خُفافَ بن عُمَيْرٍ يرثي صَخْراً ومعاويةَ ابْنَيْ عمرو ، ورجالاً منهم أُصِيبوا⁴ : [من الوافر]

تطاول هُمه يِراقٍ سَعِرٍ لَذِكرَهُمْ وأيُّ أوانٍ ذِكرٍ⁵
 كَأَنَّ النَّارَ تُخْرِجُها ثِيابي وتَدخُلُ بعد نومِ الناسِ صَدْرِي
 لَبَّاتِ تَضْرِبُ الأمثالَ عِندي على نابٍ شَرِيتُ بها وبَكَرٍ⁶
 وتَنسَى من أَفارِقُ غيرَ قالٍ وأصبرَ عنهم من آلِ عمرو
 وهل تدرين أَنَّ ما رُبُّ خرقٍ رُزئتُ مبرأً بِقِصاصٍ وتِرٍ⁷
 أنْجِي ثِقَةَ إذا الضَّرَّاءُ نابت وأهلَ جِباءٍ أَضيافٍ ونَحِرٍ
 كصَخِرٍ للسَّريَّةِ غادروه بذِروَةٍ أو معاويةَ بن عمرو⁸
 ومَيِّتٍ بالجَنابِ أثْلُ عرشي كصَخِرٍ أو كعمرو أو كبَشِرٍ⁹
 وآخِرٍ بالنواصِفِ من هدامٍ فقد أودى وربُّ أَيْكٍ صَبْرِي¹⁰
 فلم أَرِ مثْلَهُم حَيًّا لَقاحاً أقاموا بين قاصِيَةٍ وحَجَرٍ¹¹

- 1 الأشْوال : النوق التي خَفَّ لَينُها . حذب : مقوسات الظهر من الهزال . والحجرات : خطائر الإبل .
- 2 ما فُتاها : ما زائدة .
- 3 طلعة : اسم فرسه . وفوزت : أهلكتها حزناً .
- 4 ديوان خُفاف بن ثلبة رقم 5 ص 49 .
- 5 سَعِر : جبل . واليراق : الحجارة والرمل .
- 6 شريت بها : بعثها وشريت بثمنها .
- 7 الخرق : الفتى الكريم السخي .
- 8 ذروة : موضع .
- 9 الجنب : موضع .
- 10 النواصف : موضع .
- 11 الحي اللقاح : الذين لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

أشدَّ على صُرُوف الدَّهرِ إِذَا وَأَمَرَ مِنْهُمْ فِيهَا بِصَبْرٍ¹
 وَأَكْرَمَ ، حِينَ ضَنَّ النَّاسُ ، خَيْمًا وَأَحْمَدَ شَيْمَةً وَنَشِيلَ قِدْرِ²
 إِذَا الْحَسَنَاءُ لَمْ تَرْحَضْ يَدَيْهَا وَلَمْ يُقْصَرَ لَهَا بِصَرٍّ بَسْتِ
 قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ رُبْحًا يُبْحُ تَجِيءُ بِعَبْقَرِيٍّ الْوَدْقِ سُمْرٍ³
 رِمَاحٌ مَثْقَفٌ حَمَلَتْ نِصَالًا يَلْخُنَ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ فَجَرٍ
 جَلَاها الصَّيْقَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا مُوَاضِي كُلِّهَا يَفْرَى بَيْتِ
 هُمُ الْأَيْسَارُ إِنْ فَحَطَتْ جُمَادَى بِكُلِّ صَبِيرٍ سَارِيَةٍ وَقَطْرِ⁴
 يَصُدُّونَ الْمَغِيرَةَ عَنْ هَوَاهَا بَطْعِنِ يَفْلِقُ الْهَامَاتِ شَرْرٍ⁵
 تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا لَوْلَدَانِ ، غَدَاةَ الرِّيحِ ، غُبَرِ
 وَأَرْمَلَةٍ وَمُعْتَرٍّ مُسَيِّفٍ عَدِيمِ الْمَالِ ، عَجْزَةُ أُمِّ صَخْرٍ⁶

وَمِمَّا رَثَتْ بِهِ الْخَنَسَاءُ صَخْرًا وَغَنِيَّ فِيهِ⁷ :

[من المتقارب]

صوت

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخْرِ النَّدَى
 أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
 طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
 إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
 فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُصْعِدَا
 يَحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

1 الإلاد : الداهية .

2 الخيم : الطبع .

3 الريح : الفصيل أو الشحم . والبح : قداح الميسر . ولعله يقصد ما يربحونه بالميسر .

4 الأيسار : جمع يَسَر وهم الذين يقتسمون بالميسر . والصبير : السحاب .

5 المغيرة : الخيل المغيرة . والطنن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

6 المعتر : المعترض للمعروف . والمسيف : الفقير المعدم . والعجزة : آخر الأولاد .

7 ديوانها : 142 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

ترى المجدَّ يهوي إلى بيته يرى أفضلَ المجدِّ أن يُحمدا¹
وإن ذُكِرَ المجدُّ أُلْفِيَتْهُ تَأَزَّرَ بالمجدِّ ثمَّ ارتدى

[خبر مقتل معاوية بن عمرو]

ونذكر الآن هاهنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما ، إذ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال : غزا معاوية بن عمرو ، أخو خنساء ، بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ، ومعه خُفاف بن عمير بن الحارث ، وأمه «نُدبة» سوداء ، وإليها ينسب ، فاعتوره هاشمٌ ودريد ابنا حرملة المزيَّان . قال ابن الكلبي : وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مُرَيْطَة بن ضَمرة بن مُرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . قال أبو عبيدة : فاستطردَّ له أحدهما ثم وقف ، وشدَّ عليه الآخرُ فقتله ، فلما تنادوا : قُتِلَ معاوية ! قال خُفاف : قتلني الله إن رِمْتُ حتَّى أَثَارَ بِهِ ! فشدَّ على مالك بن حِمَارِ الشمخي ، وكان سيِّد بني شَمخ بن فزارة ، فقتله . قال : وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة . فقال خفاف في ذلك :

فإنْ تَكُ خيلي قد أُصِيبَ صميمُها فَعَمْدًا على عَيْنٍ تيممتُ مالِكا

يعني مالك بن حمار الشمخي .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بلال الحديث . قال : وأمّا غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظَ في موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشي بسوق عكاظ ، إذ لقي أسماءَ المُرِّيَّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنها كانت بغياً ؛ فدعاها إلى نفسه فامتنت عليه وقالت : أمّا علمتُ أنني عند سيِّد العرب هاشم بن حرملة ؟! فقال : أمّا والله لأفارعنَّ عنك . قالت : شأنك وشأنه . فرجعتُ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلعمري لا يريمُ ألباتنا حتَّى ننظر ما يكون من جهده . قال : فلما خرج الشهرُ الحرام وتراجعَ الناس عن عكاظ ، خرج معاوية بن عمرو غازياً يريد بني مرة وبني فزارة ، في فرسانٍ أصحابِهِ من بني سُليم ، حتَّى إذا كان بمكانٍ يُدعى الحَوْزة أو الجَوْزة ، والشكُّ من أبي عبيدة ، دوّمت² عليه طيرٌ وسنح له ظبيٌّ ، فتطيرُ منهما ورجعَ في أصحابِهِ . وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال : ما مَنَعه

1 هذا البيت والذي بعده لم يردا في متن الديوان .

2 دوّمت : حلفت .

من الإقدام إلا الجبن ! قال : فلما كانت السنة المقبلة غزاهم ، حتى إذا كان في ذلك المكان سرح له ظبي وغراب فتطير فرجع ، ومضى أصحابه وتخلّف في تسعة عشر فارساً منهم لا يريدون قتالاً ، إنما تخلّف عن عظم الجيش راجعاً إلى بلاده . فوردوا ماء وإذا عليه بيت شعر ، فصاحوا بأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا : ما أنت ؟ مِمّن أنت ؟ قالت : امرأة من جهينة ، أحلاف لبني سهم بن مرة بن غطفان . فوردوا الماء يسقون ، فانسلت فأتت هاشم بن حرملة ، فأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرفته عدتهم وقالت : لا أرى إلا معاوية في القوم . فقال : يا لكاع ، أمعاوية في تسعة عشر رجلاً ، شبهت أو أبطلت . قالت : بل قلت الحق ، ولئن شئت لأصيفنهم لك رجلاً رجلاً . قال : هاتي .

قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الجمة ، جبهته قد خرجت من تحت مغفره ، صبيح الوجه ، عظيم البطن ، على فرسٍ غزاء . قال : نعم هذه صفته . يعني معاوية وفرسه الشماء .

قالت : ورأيت رجلاً شديد الأدمة شاعراً يُشدهم . قال : ذلك خُفاف بن عمير .

قالت : ورأيت رجلاً ليس يرح وسطهم ، إذا نادوه رفعوا أصواتهم . قال : ذاك عباس الأصم .

قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشد شيء له توقيراً . قال : ذاك نبیشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وفرة حسنة . قال : ذاك العباس بن مرداس السلمی .

قالت : ورأيت شيخاً له ضفیرتان ، فسمعتة يقول لمعاوية : بأبي أنت أطلت الوقوف ! قال : ذاك عبد العزى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال : فنادی هاشم في قومه وخرج ، وزعم المري أنه لم يخرج إليهم إلا في مثل عدتهم من بني مرة . قال : فلم يشعر المسلميون حتى طلّعوا عليهم ؛ فناروا إليهم فلقوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلوهم رجلاً رجلاً ؛ فإن خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أمنها¹ الغزو وأصابها الحفا .

قال : فاقتتلوا ساعة وانفرد هاشم ودرید ابنا حرمة المريان لمعاوية ، فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله ، واغتره الآخر فطعنه فقتله . واختلفوا أيهما استطرد له وأيهما قتله ، وكانت بالذي استطرد له طعنة طعنه إياها معاوية . ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل درید أخو هاشم .

1 أمنها : ذهب بمتها ، أي أضعفها وأعيها .

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيّد بني شَمَخ بن فزارة فقتله . وقال خفاف في ذلك وهو ابن نُدبة ، وهي أُمّة سوداء كانت سبها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافاً . ويقال في نُدبة إنها ابنة الشيطان بن بنان ، من بني الحارث بن كعب . فقال¹ : [من الطويل]

أَقُولُ لَهُ وَالرَّحْمُ يَا طَرُ مَتْنُهُ تَأْمَلُ خُفَافاً إِنِّي أَنَا ذَلِكَ²
وَقَفْتُ لَهُ جَلْوَى وَقَدْ خَامَ صُحْبَتِي لَأَبْنِيَ مُجْداً أَوْ لَأُثَارَ هَالِكَا³
لَدُنْ ذَرِّ قَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ رَأَيْتُهُمْ سَرَاعاً عَلَى خَيْلٍ تَوْمُ الْمَسَالِكَا⁴
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ بَيْنَهُمْ شَرِيحِينَ شَتَّى طَالِباً وَمُؤَاشِكَا⁵
تَيَمَّمْتُ كِبْشَ الْقَوْمِ حَتَّى عَرَفْتُهُ وَجَانِبْتُ شُبَّانَ الرِّجَالِ الصَّعَالِكَا⁶
فَجَادَتْ لَهُ يُمْنِي يَدَيَّ بَطْعَنِي كَسَتْ مَتْنَهُ مِنْ أَسْوَدِ اللَّوْنِ حَالِكَا⁷
أَنَا الْفَارَسُ الْحَامِي الْحَقِيقَةُ وَالَّذِي بِهِ أُدْرِكُ الْأَبْطَالَ قَدْماً كَذَلِكَ⁸
فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا هَاشِمٌ فَبَطْعَنِي كَسَتْهُ نَجِيعاً مِنْ دَمِ الْجَوْفِ صَائِكَا⁹
[مرثي الخنساء في معاوية]

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية⁶ :
أَلَا لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَ مُعَاوِيَةَ
بِدَاهِيَةِ يُصْغِي الْكَلَابَ حَسِيْسُهَا
أَلَا لَا أَرَى كِفَارِسَ الْوَرْدِ فَارِساً
وَكَانَ لِزَاوِ الْحَرْبِ عِنْدَ شُبُوبِهَا
وَقَوَادِ خَيْلٍ نَحْوَ أُخْرَى كَانَتْهَا
إذا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِدَاهِيَةِ
وَتُخْرِجُ مِنْ سِرِّ النُّجِيِّ عِلَانِيَةَ⁷
إذا مَا عَلَتْهُ جُرْأَةٌ وَغَلَايِيَةُ⁸
إذا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا وَهِيَ ذَاكِيَةُ
سَعَالٍ وَعِقْبَانٌ عَلَيْهَا زَبَانِيَةُ⁹
[من الطويل]

1 ديوان خفاف : 64-69 .

2 يَاطْرُهُ : يعطفه ويثنيه .

3 جلوى : اسم فرسه ، وفي رواية : علوى . وخام : جبن ونكص .

4 شريحان : قسمان . المؤاشك : المسرع .

5 الدم الصائك : الجامد واللازق .

6 ديوانها : 58 مع اختلاف كبير في الرواية والترتيب .

7 يصغي : يجعلها تنبّه وتصغي . والنجي : المتناجون .

8 الورد : فرسه . وفي الديوان : الجون . والغلاية : القهر والغلبة .

9 السعالي : جمع سعلاة ، وهي الغول .

بليتنا وما تبلى تعارُ وما تُرى
فأقسمتُ لا ينفكُ دمعي وعولتي
وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه أيضاً :
على حدث الأيامِ إلا كما هية¹
عليك بحزنٍ ما دعا الله داعيةً
[من المتقارب]

ألا ما لعينيك أم ما لها
أبعد ابن عمرو من آل الشريد
وأقسمتُ آسى على هالك
لتأتِ المنية - بعد الفتى
سأحملُ نفسي على آلة
همت بنفسي كل الهموم
وخيل تكذس مشي الوعو
نُهينُ النفوسَ وهون النفو
ورجاجة فوقها بيضها
ككرفقة الغيث ذات الصبي
وقافية مثل حد السنا
نطقت ابن عمرو فسهلتها
فإن تك مرة أودت به
فزال الكواكب من فقهه
وداهية جرّها جارم
كفاها ابن عمرو ولم يستعين
وليس بأولى ولكنّه
بمعتريك ضيقي بينه
وبيض منعت غداة الصبا
لقد أخضل الدمع سربالها
د حلت به الأرض أنقالها
وأسل نائحة مالها
المغادر بالحو - أذلالها
فأما عليها وأما لها
فأولى لنفسي أولى لها
ل نازلت يوم الكريهة أبطالها
س يوم الكريهة أبقى لها
عليها المضاعف زفنا لها²
ر ترمي السحاب ويرمي لها
ن تبقى ويهلك من قالها
ولم ينطق الناس أمثالها
فقد كان يُكثر تقاتلها
وجللت الشمس أجلالها
تُبل الحواصن أجبالها³
ولو كان غيرك أدنى لها
سيكفي العشيرة ما عالها
تجرُ المنية أذبالها
ح تكشف للروع أذبالها

1 تعار : اسم جبال .

2 الرجاجة : الكتيبة . زفنا : أسرعنا .

3 الحواصن من النساء : الجبالى . والأجبال : حمل النساء . أي أن الداهية تجعل الجبالى يسقطن حملهن من الفزع .

وَمُعَمَّلَةٍ سُقَّتْهَا قَاعِدًا فَأَعْلَمْتُ بِالسَّيْفِ أَغْفَالَهَا
وَنَاجِيَةٍ كَأَتَانِ الثَّمِيمِ لَمْ غَادِرْتُ بِالْخَلِّ أَوْصَالَهَا
إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سُوقَةٍ وَذَلِكَ مَا كَانَ إِعْمَالَهَا
وَتَمْنَحُ خَيْلَكَ أَرْضَ الْعَدُوِّ وَتَنْبِذُ بِالْغَزْوِ أَطْفَالَهَا
وَنُوحٍ بَعَثَتْ كَمَثَلِ الْإِرَا خَرَّ آتَسَتْ الْعَيْنُ أَسْبَالَهَا¹

التفسير عن أبي عبيدة : قوله حَلَّتْ به الأرض ، قال بعضهم : حَلَّتْ من الحلية أي زَيَّنَتْ به الأرض موتاها ، حين دفن بها . وقال بعضهم : حَلَّتْ من حللت الشيء . والمعنى أَلَقْتُ مَراسيها ، كأنه كان ثِقَلًا عليها . قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر ، كما قال جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطْوَنَ رَاحٍ

قال : جوابُ «أُبْعِدُ» في «آسى» أي أَبْعِدْ ابْنَ عَمْرٍو آسَى وَأَسْأَلْ نَائِحَةً مَالَهَا . وقال أبو عبيدة : هذا البيت لميَّةَ ضِرَارِ بْنِ عَمْرِو الضَّبِّيَّةِ تَرَثَى أَخَاهَا . قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : أمور الناس جارية على أدلالها ، أي على مسالكها ، واحدها ذِلٌّ . آلة : حالة . تقول : فِيمَا أَنْ أَمُوتَ وَإِمَا أَنْ أُجِو . وَلَوْ قَالَتْ عَلَى آلَةٍ لَمْ تَنْجِ ؛ لِأَنَّ الْآلَةَ هِيَ الْحَرْمَةُ .

هممت بنفسي ، قال أبو عبيدة : هذا توعده . قال الأصمعي : «كَلَّ الهموم» . قال الأثرم : كأنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَهَا .

أبو عبيدة ؛ التكدُّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضاً ، أي يغزو ويجاهد في الغزو ، كما تتوَقَّلُ الوعولُ في الجبال ؛ عن أبي عبيدة . قال الأصمعي : التكدُّس : أن تحرك مناكبها إذا مشَتْ وكأنَّهَا تَنْصَبُّ إِلَى بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِنَّمَا وَصَفْتُهَا بِهَذَا . تقول : لا تسرع إلى الحرب ، ولكنْ تَمْشِ إِلَيْهَا رَوِيدًا . وهذا أثبتُّ له من أن يلقاها وهو يركض . ويقال : جاء فلان يتكدَّس ، وهي مشية من مَشَى الْغِلَاطِ الْقِصَارِ . وقال أبو زياد الكلابي : الكداس : عَطَاسُ الضَّئَانِ . قال السُّلَمِيُّ : التكدُّس : تكدُّسُ الْأَوْعَالِ ، وهو التَّقَحُّمُ . والتكدُّس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه . نُهِينَ النَّفُوسُ ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أَبْقَى لَهَا» لِأَنَّهَا إِذَا تَذَامَرَتْ²

1 النوح : جماعة النائحات . والإراخ : البقر . وآتست : أبصرت . العين : الواسعة العيون . والأسبال : جمع سَبَلٍ ، وهو المطر .

2 تذامر القوم : تحاضوا وحث بعضهم بعضاً على القتال .

وغشيت القتال كان أسلم لها من الانهزام . كقول بشر بن أبي خازم : [من الوافر]

ولا يُنجي من الغمرات إلا براكا القِثال أو الفِرار¹

قال بعضهم : أبقي لها في الذكر وحسن القول . والرجراجة : التي تتمخض من كثرتها . وقال الأصمعي : الكِرْفَةُ ، وجمعها كِرْفِيٌّ : قطع من السحاب بعضها فوق بعض . وقوله : «ترمي السحاب» أي تنضم إليه وتتصل به . ويرمي لها ، أي ينضم إليها السحاب حتى يستوي . مثل حد السنان ، لأنها ماضية . سهلتها : جئت بها سهلة . وجلت الشمس ، أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجل . تبيل الحواصن ، وهي الحوامل من النساء ، أولادهما من شدة الفزع . أي ما كان وليها ولا دنا إليها ، ولكنه يكفي القريب والبعيد . ما عاها ، قال أبو عمرو : عاها : غلبها . وقال أبو عبيدة : يقال إنه ليعولني ما عالك ، أي يغمني ما غمك . ويقال : افعل كذا وكذا ولا يعلك أن تأتي غيره ، أي لا يعجزك . ويقال : قد يعولك أن تفعل كذا ، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك . وأنشد : [من الرجز]

ضرباً كما تكذس الوعول يعول أن أنبطها يعول

أي قد دنا ذلك . ويقال : عال كذا وكذا منك ، أي دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنه» . وقولها معملة : إبل . وقولها : قاعداً ، أي على فرسك . قال النابغة² : [من الطويل]

فعوداً على آل الوجيه ولاحق

والأغفال : ما لا سمة عليها ، واحدها غفل . والأتان : الصخرة . والثميل : بقية الماء في الصخرة . والخل : الطريق في الرمل . يقول : أعيت فتركها هنالك . ويروى :

غادرت بالنخل أوصالها

قال الأصمعي : ناجية : سريعة . ويروى : «إلى ملك وإلى شاني» . تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدو . ويروى : «ما كان إكلالها» ما صلة . الإراخ : بقر الوحش . تقول : خرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقر من كئسها فرحاً بالمطر . ومثله في الفرخ بالمطر لابن الأحمر قوله :

مارية لؤلؤان اللون أوردها طل ونس عنها فرقد خصر³

1 براكا القتال : مداومة القتال على الركب .

2 صدر بيت عجزه : يقيمون حولياتها بالمقارع

3 المارية : البقرة الوحشية . ولؤلؤان اللون : براقه اللون . ونس : تأخر . وفرقد : ابنها . والخصر : الذي لحقه البرد .

أَي قَوَى أَنْفَسَهَا الْمَطَرُ ، لَمَّا رَأَتْهُ . ومثله ¹ :
 [من الوافر]
 أَلَا هَلْكَ أَمْرُو قَامَتْ عَلَيْهِ بَجَنْبَ عُيْزَةِ الْبَقَرِ الْهَجُودُ
 أَي لَمْ يَقْرَنْ فِي الْبُيُوتِ فَتَسْتُرْهُنَّ الْبُيُوتُ ، بَلْ هُنَّ ظَوَاهِرُ . وَإِنَّمَا شَبَهَ اجْتِمَاعَ هَؤُلَاءِ
 النِّسَاءِ بِاجْتِمَاعِ الْعَيْنِ وَخُرُوجِهِنَّ لِلْمَطَرِ . قَالَ : وَيَقَرُّ الْوَحْشُ تَفْرَحُ بِالْمَطَرِ .
 [رثاء دريد لمعاوية]

وَقَالَ دُرَيْدٌ يَرِثِي مَعَاوِيَةَ أَخَا الْخَنَسَاءِ ، لَمَّا قَتَلْتَهُ بَنُو مَرْءَةٍ ² :
 [من الوافر]
 أَلَا بَكَرْتُ تَلُومُ بَغِيرِ قَدَرٍ فَقَدْ أَحْفَيْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي ³
 فَإِنْ لَمْ تَتْرُكِي عَذْلِي سَفَاهًا تَلْمُكُ عَلَيَّ نَفْسُكَ أَيَّ عَصْرِ
 أَسْرُكُ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ هَذَا عَلَيَّ بَشْرُهُ يَغْدُو وَيَسْرِي
 وَالْأُتْرُزِّي نَفْسًا وَمَالًا يَضْرُكُ هُلُكُهُ فِي طُولِ عَمْرِي
 فَقَدْ كَذَّبْتُكَ نَفْسُكَ فَكَذَّبِيهَا فَإِنْ جَزَعٌ وَإِنْ إِجْمَالُ صَبْرٍ
 وَإِنَّ الرِّزْءَ يَوْمٌ وَقَفْتُ أَدْعُو فَلَمْ أَسْمِعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
 رَأَيْتُ مَكَانَهُ فَعَرَضْتُ بَدْءًا وَأَيُّ مَقِيلٍ رُزْءُ يَا ابْنَ بَكْرِ
 إِلَى إِرَمٍ وَأَحْجَارٍ وَصَبِيرٍ وَأَغْصَانٍ مِنَ السَّلَامَاتِ سُمِرٍ
 صَبِيرٌ ، الْوَاحِدَةُ صَبِيرَةٌ ، وَهِيَ حَظِيرَةُ الْغَنَمِ . وَقَوْلُهُ : وَأَغْصَانٍ مِنَ السَّلَامَاتِ ، أَيِ الْقَيْتِ عَلَى
 قَبْرِهِ .

وَبُنَيَانِ الْقُبُورِ أَتَى عَلَيْهَا طَوَالَ الدَّهْرِ مِنْ سَنَةٍ وَشَهْرٍ
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَسَرَى حَيْثَا سَرِيعَ السَّعْيِ أَوْ لَأَتَاكَ يَجْرِي
 بِشَكَّةٍ حَازِمٍ لَا عَيْبَ فِيهِ إِذَا لَيْسَ الْكُفَاةُ جُلُودَ نَمْرٍ
 أَيِ كَأَنَّ أَلْوَانَهُمُ أَلْوَانَ النَّمُورِ ، سُودًا وَبَيَاضًا مِنَ السَّلَاحِ . عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ .

فَإِذَا تَمَسَّ فِي جَدَثٍ مَقِيمًا بِمَسْهَكَةٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ قَفَرٍ ⁴
 فَعَزَّ عَلَيَّ هُلُكُكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو وَمَا لِي عَنْكَ مِنْ عَزَمٍ وَصَبْرٍ

1 البيت لامرأة من بني حنيفة (المفضلية رقم 69) .

2 ديوان ابن دريد : 68-70 وانظر ترجمة دريد .

3 أحفاه : أُلْحَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ .

4 المسهكة : ممر الريح . ويقال مسهكت الريح ، أَي مَرَّتْ مَرًّا شَدِيدًا .

قال أبو الحسن الأثرم : فلما دخل الشهر الحرام - فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بلال بن سَهْم - من السنة المقبلة ، خرجَ صخرُ بن عمرو حتى أتى بني مرةَ بن عوف بن ذبيان ، فوقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما به طعنةٌ في عضده - قال : لم يسمه أبو بلال بن سهم . فأمّا خُفّاف بن عُمير فزعم في كلمته تلك أنَّ المطعون هاشم - فقال : أيكما قتل أخي معاوية ؟ فسكتا فلم يُجيرا إليه شيئاً ، فقال الصَّحيح للجريح : ما لك لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعنني هذه الطعنة في عضدي ، وشدَّ أخي عليه فقتله ، فأينا قتلتَ أدركتَ ثارك ، إلّا أنا لم نَسْلُبْ أخاك . قال : فما فعلتَ فرسه السَّماء ؟ قال : ها هي تلك خذها . فردّها عليه فأخذها ورجع ، فلما أتى صخرُ قومه قالوا له : اهْجُهم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع ، ولو لم أكفُ نفسي إلّا رغبةً عن الخنا لفعلت .

وقال صخرُ في ذلك : [من الطويل]

وعاذلة هبَّتْ بلبل تلومني ألا لا تلوميني كَفَى اللومَ ما بيا
قال : أراد تباكره باللوم ، ولم يرد الليل نفسه ، إنما أراد عَجَلَتْهَا عليه باللوم ، كما قال النمر بن تولب العُكَلِي :

بَكَرْتُ بِاللَّوْمِ تَلْحَانَا

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم ، والأضياف ، والنظر في الحِمالات وأُمُور قومه ، لأنّه قوامهم : [من الطويل]

تقولُ ألا تهجو فوارسَ هاشم وما لي إذْ أهجوهم ثمّ ما ليا
أبي الشتم أنّي قد أصابوا كريمي وأنّ ليس إهداءُ الخنا من شماليا
[أي من شمالي . ويروى : «من فعاليا» .

إذا ذُكِرَ الإخوانُ رقرقتُ عبرةٌ وحييتُ رسماً عند ليّة ثاويا¹
إذا ما امرؤٌ أهدى لميتٍ تحيةً فحيّاك ربُّ النَّاسِ عني معاويا
وهوّنَ وجدي أنّي لم أقلْ له كذبتَ ولم أبخلْ عليه بماليا
فنعمَ الفتى أدّى ابن صيرمةَ بزّه إذا الفحلُ أضحى أحذبَ الظَّهرِ عاريا

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتاً بعد أن أوقعَ بهم ، فقال :

وذِي إخوة قطعَتْ أقرانَ بينهم كما تَرَكُونِي واحداً لا أخا ليا²

1 ليّة : موضع بالطائف .

2 أقران بينهم : الحبال التي تصل بينهم .

[غزو صخر لبني مرة]

قال أبو عبيدة : فلما كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشَّماء ، فقال : إني أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غُرَّةَ الشَّماء ، فيتأهبوا . قال : فحمم¹ غُرَّتْها . قال : فلما أشرفت على أدنى الحي رأوها . فقالت فتاة منهم : هذه والله الشَّماء ! فنظروا فقالوا : الشَّماء غراءٌ وهذه بهيم ! فلم يشعروا إلا والخيل دوائسُ ، فاقتتلوا فقتل صخر دريداً ، وأصاب بني مرة فقال : [من الكامل]

ولقد قتلْتُكُمْ ثُناءً ومَوْحداً وتركتُ مرةً مثلَ أمسرِ المُنْبِرِ

قال الأثرم : مشى وثناء لا ينونان . قال ابن عَنمة الضَّبِّي : [من الكامل]

يُباعونَ بالنُّغرانِ مَشى ومَوْحداً

لا ينونان لأنَّهما ممَّا صُرِفَ عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر الغي :

مَنْتَ لَكَ أَنْ تَلْقَيْنِي الْمَنَيا أَحادَ أَحادَ في الشهرِ الحلالِ

قال : ولا تجاوز العرب الرُّباع ، غير أن الكمية قال : [من المتقارب]

فلم يستريثوكَ حتَّى رَميتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عَشارا²

* * *

ولقد دفعتُ إلى دُرَيْدٍ بطعنةٍ نجلاء تُزْعِلُ مثلَ عَطِّ المنحَرِ³

تُزْعِلُ : تخرج الدم قطعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

فأزغلتُ في الحلقِ إزْغالةً⁴

وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مرة :

قتلتُ الخالدينِ بِهِ وبشراً وعمراً يومَ حَوْزةٍ وابنَ بشرٍ

ومن شَمْنَحٍ قتلْتُ رجالَ صِدْقٍ ومن بدرٍ فقد أوفيت نذري⁵

ومُرةً قد صَبَّحناها المنايا فروينا الأسنَّةَ ، غيرَ فخرٍ

ومن أفاءِ ثعلبةِ بنِ سعدٍ قتلْتُ وما أبئهمُ بوثرٍ

1 حم : سَوْد .

2 يستريثوك : لم يجدوك رائثاً ، أي بطيئاً . ورميت : زدت .

3 العط : الشق .

4 البيت لابن أحرر ، وعجزه : لم تخطيء الجيد ولم تشفتر

5 شمنخ وبدر : قبيلتان .

ولكنّا نريد هلاك قومٍ فنقتلهم ونشريهم بكسر¹
وقال صخر أيضاً :

[من الطويل]

ألا لا أرى مستعيبَ الدهر مُعتباً ولا آخِذٌ منه الرضا إن تَغَضُّباً
وذِي إخوةٍ قَطَعْتُ أقرانَ بينهم إذا ما النفوسُ صيرنَ حَسْرَى ولُغْباً²
أقول لرمسٍ بين أجراعٍ ييشيةٍ سقائك الغواذي الوابل المتحلِّباً
لنعم الفتى أذى ابنُ صيرمةَ بزّه إذا الفحلُ أمسى عاريَ الظهرِ أحداً

[لقاء قيس بن الأصور لهاشم بن حرمة]

قال أبو عبيدة : ثم إن هاشم بن حرمة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً وأخذ صُفناً³ وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غفلته قيسُ بن الأصور الجشميّ فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ! لا وألت نفسي إن وأل⁴ ! فلما قعد على حاجته تقتر⁵ له بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسل إليه مِعْبلةٌ⁶ فقتله .

[ثناء الخنساء على قاتل أخيه]

فقاتلت الخنساء في ذلك ، قال ابن الكلبي : وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد بن رياح بن يَفْظَةَ بن عُصَيَّة بن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سُلَيم : [من الوافر]

فَدَى للفراسِ الجشميّ نفسي وأفديه بمن لي من حَمِيمٍ
أفديه بجُل بني سُلَيم بظاعنهم وبالأنس المقيمِ
كما من هاشمٍ أقررت عيني وكانت لا تنام ولا تُنِيمُ⁷

[صفة هاشم بن حرمة]

قال أبو عبيدة : وكان هاشمُ بن حرمة بن صيرمة بن مُرّة أسود⁸ العرب وأشدّهم ، وله يقول الشاعر :

[من الرجز]

1 نشرهم بكسر : نبيهم بأرخص الأثمان .

2 حسرى : معيبة . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .

3 الصفن : مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه .

4 وأل : نجا .

5 تقتر : تهيأ للقتال .

6 المعبلة : نصل طويل عريض .

7 المثل «السلام لا ينام ولا ينيم» في مجمع الميداني 1 : 339 . وفي البيت إقواء .

8 أسود : من السيادة .

أحيا أباه هاشمُ بن حَرَمَلة يومَ الهَبَاتَيْنِ ويومَ اليَعْمَلَةِ¹
يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له إذِ الملوكُ حوَلَهُ مُغْرِبَلَةً²
وسيفُهُ للوالداتِ مثكلُهُ

حدَّثني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحرّون قال : حدَّثنا الكسروي عن الأصمعيّ قال : مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِدُ شجرةً وقد أعجبتُه سماحتُها ، وهو يرتجز ويقول :

لو كنتَ إنساناً لكنتَ حاتماً أو الغلامَ الجُشميَّ هاشماً
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هو الذي يقول : [من الطويل]
وعاذلةً هَبَّتْ بليلى تلومني كأنّي إذا أنفقتُ مالي أضيّمها
دعيني فإنّ الجودَ لن يتلفَ الفتى ولن يُخلدَ النَّفسَ اللئيمةَ لومُها
وتذكرُ أخلاقُ الفتى ، وعظامُها مفرّقةً في القبرِ بادِ رميمُها
سلي كلّ قيسٍ هل أباري خيارها ويُعرضُ عني وغدُها ولثيمُها
وتذكرُ فتَيانيتي وتكرمي إذا ذُمَّ فتَيانيتها وكريمُها³
قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت ، هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرَمَلة يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له
تَرى الملوكَ حوَلَهُ مُغْرِبَلَةً

مضى الحديث .

1 الهباتان واليعملة : موضعان . وكان في كل منهما يوم من أيام العرب .

2 مغربة : مقتولون .

3 فتَيانيتي : من الفتوة ، وهي السخاء والكرم .

283 - [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم]

صوت¹

[من البسيط]

تَأْبَدُ الرَّبْعُ مِنْ سَلْمَى بِأَحْفَارٍ وَأَقْفَرْتُ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ
وَقَدْ تَحَلُّ بِهَا سَلْمَى تَحْدَثْنِي تَسَاقُطَ الْحَلِيِّ حَاجَاتِي وَأَسْرَارِي

الشعر للأخطل ، والغناء لعمر الوادي ، هزج بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيهما رمل
بالبنصر يقال إنه لابن جامع ويقال إنه لغيره ، وفيهما خفيف رمل بالوسطى ، ذكر الهشامي
أنه لحكم . وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى . ومما يغنى فيه من
هذه القصيدة :

وشارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَّاسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٍ²
نَازَعْتُهُ طَيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقَعَةُ السَّارِي³
لَمَّا أَتَوْهَا بِمَصْبَاحٍ وَمِيزْلِهِمْ سَمَتْ إِلَيْهِمْ سَمُو الْأَبْجَلِ الضَّارِي⁴
الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي . وذكر غيره أنها
للدُّلَالِ . ومنها :

فَرَدْتُ تَغْنِيَهُ ذِبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَّى الْغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أُسُورٍ⁵

1 ديوان الأخطل (الصالحاني) : 112-120 .

2 المربح : الذي يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسَّار : الذي يترك فضلة في القدر . ويروى «بسوار» ، وهو المعربد .

3 وقعة الساري : وقت غروب النجوم .

4 بمصباح : يريد أنهم بذلوها ليلاً . والميزل : الحديد التي يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . والضاري : الذي يتدفق منه الدم .

5 فرد : منفرد ، وهو الثور في أبيات سابقة . والأسوار : قائد الفرس .

كَانَهُ مِنْ نَدَى الْقُرَاصِ مُغْتَمَّرٌ بِالْوَرَسِ أَوْ خَارِجٌ مِنْ بَيْتِ عَطَّارٍ¹
 غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ ، مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لِلْمَلِكِ فِيهِ ثَقِيلًا أَوَّلًا . وَوَافَقَهُ يُونُسُ فِي نَسْبَتِهِ إِلَى
 مَالِكٍ ، وَلِحْكَمٍ فِي قَوْلِهِ :

فَرَدَّ تَغْنِيَهُ ذِبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا

[من البسيط]

وبعده قوله :

صَهْبَاءٌ قَدْ عَنَسَتْ مِنْ طُولِ مَا حُبِسَتْ فِي مُخَدَّعٍ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ
 خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ . وَمِنْهَا :

لَسَكَنْتَنِي قَرِيشٌ فِي ظِلَالِهِمْ وَمَوَلَّتَنِي قَرِيشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ عَنْ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ
 لِيُونُسٍ فِيهَا لَحْنٌ مِنْ كِتَابِهِ وَلَمْ يَجْنِسْهُ .

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد بن معاوية لما منع من قطع لسانه حين هجا الأنصار ،
 وكان يزيد هو الذي أمره بهجائهم . فقيل : إنَّ السبب في ذلك كان تشبُّب عبد الرحمن بن
 حسان برملة بنت معاوية ، وقيل بل حمي لعبد الرحمن بن الحكم .

[تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة]

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الزُّهْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ
 أَبِي زُرَيْقٍ قَالَ : شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بَرْمَلَةَ بِنْتَ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ² : [من الخفيف]

رَمَلْ هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ غَزَالٍ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنِّي
 إِذْ تَقُولِينَ عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
 أَمْ هَلْ أَطْمَعْتُ مِنْكُمْ بَابِنَ حَسَا نَ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أُطْعِمْتَ مِنِّي

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ، فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى
 إلى هذا العليج من أهل يثرب ، يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا ؟ قال : ومن هو ؟ قال : عبد
 الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال ؛ فقال : يا يزيد ليست العقوبة من أحذر أقبح منها من ذوي
 القدرة ، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم ذكرني . قال : فلما قدموا أذكرك به ، فلما
 دخلوا عليه قال : يا عبد الرحمن ، ألم يبلغني أنك تشبب برملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو

1 القراص : نبت . والورس : نبت أصفر . ومغتمر : مطلي .

2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 59 .

علمتُ أن أحداً أشرف به شعري أشرفَ منها لذكرته . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنَّ لها لأختاً ؟ قال : نعم . قال : وإنما أراد معاوية أن يشبَّ بهما جميعاً فيكذب نفسه . قال : فلم يرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك : أن يشبَّ بهما جميعاً ؛ فأرسل إلى كعب بن جُعيل فقال : اهج الأنصار . فقال : أفرق من أمير المؤمنين ؛ ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر .
[هجا الأخطل للأنصار]

قال : ومن هو ؟ الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهج الأنصار . قال : أفرق من أمير المؤمنين ! فقال : لا تخف شيئاً ؛ أنا لك بذلك . قال : فهجاهم فقال : [من الكامل]

وإذا نسبتَ ابنَ الفريعة خيلته	كالجحش بين جِمارةٍ وحمارٍ
لَعَنَ الإلهُ من اليهودِ عصابةً	بالجزع بين صُلَيْصِلٍ وصرارٍ ¹
قومٌ إذا هَدَرَ العَصِيرُ رأيَهم	حُمراً عيونهم من المِصْطارِ ²
خلُّوا المكارمَ لستم من أهلها	وخُذُوا مساحيكم بني النَجَّارِ ³
إنَّ الفوارسَ يعلمون ظهوركم	أولادَ كلِّ مَبْعَحٍ أَكَّارٍ ⁴
ذهبت قريشٌ بالمكارمِ والعُلا	واللومُ تحتَ عمامِ الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته ، وقال : يا أمير المؤمنين : أترى لوئماً ؟ قال : لا بل أرى كرمًا وخيرًا ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللوم تحت عمامتنا . قال : أوقعل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانه . وكب فيه أن يؤثي به . فلما أتى به سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ودخل على معاوية فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه وهو يدعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيئة ، فإن ثبت شيئاً أخذته به له . فدعاه بالبينة فلم يأت بها ، فخلّى سبيله . فقال الأخطل⁵ :

وإنني غداة استعبرت أم مالك⁴ لراضٍ من السلطان أن يتهددًا

1 صليصل وصرار : يشير إلى موضعين بالمدينة .

2 المِصْطار : الخمر الحامضة .

3 المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد . أي أنهم أهل زراعة .

4 أكَّار : حراث .

5 ديوان الأخطل : 90-96 .

وَلَوْ لَا يَزِيدُ ابْنُ الْمَلُوكِ وَسَعِيَهُ تَجَلَّلْتُ جِدَاراً مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدًا¹
فَكَمْ أَنْقَذْتَنِي مِنْ خُطُوبٍ حِبَالُهُ وَخِرْسَاءٌ لَوْ يرمى بها الفيل بَلْدًا²
وَدَافَعَ عَنِّي يَوْمَ جِلْقٍ غَمْرَةٌ وَهَمًّا يُنْسِينِي السَّلَافَ الْمَبْرَدَا
وَبَاتَ نَجِيًّا فِي دِمَشْقٍ لَحِيَّةٍ إِذَا هُمْ لَمْ يُنِمِ السَّلِيمُ فَأَقْصَدَا³
يُخَافِتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى مِنْ الْوَجْهِ إِقْبَالًا أَلْحَ وَأَجْهَدَا
وَأَطْفَأَتْ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَمَا أَعَدُّ لِلْأَمْرِ فَاجِرٍ وَتَجَرَّدَا
وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ طَوَى الْكَشْحَ إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعَنِي وَعَرَّدَا⁴

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال : شبَّ عبد الرحمن بن حسان بأخت معاوية ، فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقتل عبد الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبَّ بعمتي . قال : وما قال ؟ قال قال⁵ :

طال ليلى وبْتُ كالمحزونٍ ومِللتُ الشَّوَاءَ فِي جَيْرُونِ
قال معاوية : يا بُنَيَّ وما علينا من طُولِ لَيْلٍ وحزني أبعده الله ؟ قال : إنه يقول :
فلذلك اغتربتُ بالشَّامِ حَتَّى ظَنُّ أَهْلِي مَرْجَمَاتِ الظَّنُونِ
قال : يا بُنَيَّ ، وما علينا من ظَنِّ أَهْلِهِ ؟ قال : إنه يقول :
هي زهراءٌ مِثْلُ لَوْلُوءَةِ الْغَدِ وَوَأَصْرٌ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
قال : صدق يا بُنَيَّ . قال : إنه يقول :
وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
قال : صدق يا بُنَيَّ ، هي هكذا . قال : إنه يقول :
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْ رَاءَ تَمْشِي فِي مَرَمٍ مَسْنُونِ⁶

1 الحدبار : الناقة العجفاء الهزيلة .

2 الخرساء : الداهية . وبلد : لصق بالأرض مما دهاه .

3 السليم : الملدوغ . لم ينم : لم ينج . أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

4 طوى الكشح : أضمّر العداوة ولم ينطق . وعرد : هرب .

5 تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دهل منسوبة إليه في المجلد السابع ، ص 93 . وانظر شعر عبد الرحمن :

60-59 .

6 المسنون : المملس .

خاصرُتها : أخذتُ بخَصَرِها وأخذتُ بخَصْرِي . قال : ولا كلُّ هذا يا بني ! ثم ضحك وقال : أنشدني ما قال أيضاً . فأنشده قوله :

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ نَصَبُوهَا عِنْدَ خَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بٍ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجاً فِيمِني
تَجْعَلُ النَّدَّ وَالْأَلْوَةَ وَالْعُو ذَ صِلَاءٍ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ¹
وَقِبَابٌ قَدْ أُشْرِجَتْ وَيُوتُ نُطِقْتُ بِالرَّيْحَانِ وَالزَّرَجُونِ²

قال : يا بني ، ليس يجبُ القتلُ في هذا ، والعقوبةُ دونَ القتلِ ، ولكِنَّا نَكْفُهُ بالصلةِ له والتجاوزِ .

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

[من الخفيف]

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلَ لَوْلُؤَةِ الْغَدِّ مَوَاصِرٍ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونٍ
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال : حدثنا شعيب بن صفوان أنَّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّبُ بابتة معاوية ، ويذكرُها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلته نكالا ؟ فقال : لا ، ولكن أداويه بغير ذلك . فأذن له وكان يدخل عليه في أخريات الناس ، ثم أجلسه على سريرهِ معه ، وأقبلَ عليه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتي الأخرى عاتبةٌ عليك . قال : في أيِّ شيء ؟ قال : في مدحتك أختها وتركك إياها . قال : فلها العُتْبَى وكرامة ، أنا ذاكرها ومتمدِّحُها . فلمَّا فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنَّا نرى أنَّ نسيبَ بن حسانَ بابتة معاويةَ لشيءٍ ، فإذا هو عن رأيِ معاويةَ وأمره . وعلم من كان يعرف أنَّه ليس له بنتٌ أخرى ، إنَّه إنما خدَّعه ليشبِّبَ بها ، ولا أصلَ لها فيعلم الناس أنَّه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية الأخطل على هجاء الأنصار : إنَّه فعلَ ذلك تعصُّبا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية ، أخي مروان بن الحكم في مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضباً له ، لما استعلاه ابن حسانَ في الهجاء .

1 الألوَّة : ضرب من البخور .

2 أشرجت : شدت أجزاؤها بالمرى والحبال . ونطقت : جعل لها نطقا . والزرجون : الكرم أو أعواده .

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري . قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال : كان عبد الرحمن بن حسان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطاً له ، فقيل له : إن ابن حسان يخلفك في أهلك . فراسل امرأة ابن حسان فأخبرت بذلك زوجها وقالت : أرسل إلي : إني أحبك حباً أراه قاتلي ؛ فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصله وقال للرسول : إذهب إليها وقل لها : إن امرأتي تزور أهلها اليوم فزوريني حتى نخلو . فزارته فقعدت معها ساعة ثم قال لها : قد والله جاءت امرأتي . فأدخلها بيتاً إلى جنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم : إنك ذكرت حبك إياي وقد وقع ذلك في قلبي ، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهل من فتية ثم أقبل . فإنه لقاعدٌ معها إذ قالت له : قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لا يشعر بك . فأدخلته البيت الذي فيه امرأته ، فلما رآها أيقن بالسوءة ووقع الشر بينهما ، وهجا كل واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبي الخطاب الأنصاري ، وأما قريش فإنهم يزعمون أن امرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك ، حفظاً لما بينه وبين زوجها ، وبلغ ذلك ابن حسان فراسل امرأة ابن الحكم حتى فضحها ، وبلغ ذلك ابن الحكم وقيل له . إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلت إلى ابن حسان فكان معها . فأمر ابن الحكم أهله فقال : عالجوا سفرة حتى أطالع مالي بمكان كذا وكذا . فخرج وبعث امرأته إلى ابن حسان فجاء كما كان يفعل ، ورجع ابن الحكم حين ظن أن ابن حسان قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابن الحكم والله ! ونجباته خلفها في بيت ، ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان : إنه قد وقعت لك في قلبي مقة¹ ، فأقبل إلي الساعة . فتحيات وأقبلت حتى دخلت عليه ، فوضعت ثيابها وزوجها ينظر فقال لها : قد كنت أكثرت الإرسال إلي فما شأنك ؟ قالت : إني والله هالكة من حبك . قال : وزوجها يسمع ، وإنما أراد أن يعلمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها . وزعم أنها هي التي قالت لابن الحكم إن ابن حسان يخلفك في أهلك . فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجها قال لها : قد جاءت امرأتي . وأدخلها البيت الذي فيه ابن حسان ، فلما جمعتهما في مكان واحد خرج عنهما ، فخرجا وطلق امرأته .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرني الرياشي قال : حدثنا ابن بكير عن هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول : اللهم أذهب عني الشعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهم إني أسألك ما استعاذ منه ! فذهب الشعر عن مروان ، وقاله عبد الرحمن .

وأما هشام بن الكلبي فإنه حدث عن خالد وإسحاق ابني سعيد بن العاصي ، أن سبب التهاجي بينهما أنهما خرجا إلى الصيد بأكلب لهما في إمارة مروان ، فقال ابن الحكم لابن حسان :

ازجر كلابك إنها قَلْطِيَّةٌ بُقِعَ ومثلُ كلابكم لم تَصْطِدْ¹

فردَّ عليه ابنُ حسان² :

مَنْ كان يأكلُ من فَرِيصَةِ صَيْدِهِ فَالْتَمَرُ يُغْنِينَا عن المتصَيِّدِ³
إِنَّا أناسٌ رَيِّقُونَ وإنَّكُمْ ككلابكم في الوَلُغِ والمتَرَدِّدِ⁴
حُزْنًا كُ للضَّبِّ تحترشونه والريف ، نمنعُكم بكلِّ مَهْنَدٍ⁵

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان ، فقال عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة : [من البسيط]

ومثلُ أُمِّك أُمُّ العبدِ قد ضُرِبَتْ عِنْدِي ولي بفينائي مزهراً جَرَمُ⁶
وأنتَ عند ذُنابها تُعاونها على القُدُورِ تَحَسَّى خائر البُرْمِ⁷

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التي يقول فيها⁸ :

يا أيُّها الرَّاكِبُ المَزْجِي مَطِيَّتُهُ إِذَا عَرَضَتْ فسائِلُ عن بني الحَكَمِ
القائلين إِذَا لاقَوْا عدوَّهُمْ فَرُّوا فَكُروا على النِّسوانِ والنَّعَمِ
كَمْ من أَمِينٍ نَصِيحٍ الجيب قال لَكُمْ أَلَّا نَهَيْتُمْ أَحْكَامَ يا بني الحَكَمِ

1 الكلاب القلطية : القصيرة المجتمعمة . والبقع : التي يراوح فيها السواد والبياض .

2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 22 .

3 المتصيد : ما يصاد .

4 الرقيق : الذي على الرقيق لم يفطر .

5 احتراش الضب : صيده .

6 الجرم : الصافي الصوت .

7 الخائر : الغليظ .

8 شعر عبد الرحمن بن حسان : 53 عن الأغاني .

عَنْ رَجُلٍ لَا بَغِيضَ فِي عَشِيرَتِهِ وَلَا ذَلِيلٍ قَصِيرِ الْبَاعِ مُعْتَصِمٍ
وَقَالَ ابْنُ حَسَّانَ¹ :

صَارَ الذَّلِيلُ عَزِيزًا وَالْعَزِيزُ بِهِ ذُلٌّ وَصَارَ فُرُوعُ النَّاسِ أَذْنَابًا
إِنِّي لَمَلْتَمِسٌ حَتَّى يَبِينَ لَكُمْ فَيْكُمْ مَتَى كُنْتُمْ لِلنَّاسِ أَرْبَابًا
فَارْقُوا عَلَى ظَلْعِكُمْ ثُمَّ انْظُرُوا وَسَلُّوا عَنَّا وَعَنْكُمْ قَدِيمَ الْعِلْمِ نَسَابًا²
فَسَوْفَ يَضْحَكُ أَوْ تَعْتَادُهُ ذِكْرٌ يَا بَوْسَ لِلدَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ رَيَابًا

ولهما نقائض كثيرة لا معنى لذكر جميعها هاهنا .

[عقاب معاوية لهما]

قال دماذ : وحدثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال : لما كثر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ وهو الخليفة ، إلى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسانَ صديقاً لسعيد ، وما مدح أحداً قطَّ غيره ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه ، فأمسك عنهما ؛ ولبي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسانَ إلى النعمان بن بشير وهو بالشام ، وكان كبيراً مكيناً عند معاوية³ :

لَيْتَ شِعْرِي أَغَائِبُ أَنْتَ بِالشَّامِ مِ خَلِيلِي أُمِّ رَاقِدٍ نَعْمَانُ
أَيَّةُ مَا يَكُنْ فَقَدْ يَرْجِعُ الْغَايِبُ ثَبَّ يَوْمًا وَيُوقِظُ الْوَسْنَانُ
إِنَّ عَمْرًا وَعَامِرًا أَبُوْنَا وَحَرَامًا قَدَمًا عَلَى الْعَهْدِ كَانُوا
أَفْهَمُ مَا يُعْزِلُكَ أَمْ قَلَّةُ الْكُفْرِ تَابَ أُمِّ أَنْتَ عَاتِبُ غَضْبَانُ
أَمْ جَفَاءُ أَمْ أَعْوَزَتْكَ الْقِرَاطِيَّةُ حَسُّ أُمِّ أَمْرِي بِهِ عَلَيْكَ هَوَانُ
يَوْمَ أَثْبِتَ أَنَّ سَاقِيَّ رُضْتُ وَأَتَاكُمْ بِذَلِكَ الرُّكْبَانُ
ثُمَّ قَالُوا إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ فِي بَدَلٍ سَوَى أُمُورٍ أَتَى بِهَا الْحَدَثَانُ
فَتَطَّ الْأَرْحَامُ وَالْوُدُّ وَالصُّحْرُ بَةِ فِيمَا أَتَى بِهِ الْحَدَثَانُ⁴

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 15 .

2 المثل «أرق على ظلعك» في مجمع الميداني 1 : 293 وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 ومعناه أن يتكلف المرء ما لا يطيق .

3 شعر عبد الرحمن بن حسان : 56-58 .

4 تنط : تحن .

إِنَّمَا الرَّحْمُ فَاعْلَمَنَّ قَنَاءٌ أَوْ كَبَعُضَ الْعِيدَانِ لَوْلَا السَّنَانُ

وهي قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سعيد . فكتب معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة ، وبعث إلى ابن حسان بحلة . فلما قديم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان : إني مخرجك ، وإنما أنا مثل والدك ، وما كان ما كان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه ، فقال ابن حسان : ما بدا له في هذا إلا لشيء قد جاءه . وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجهه إليه بالحلة فرمى بها في الحش . فقيل له : حلة أمير المؤمنين وترمي بها في الحش ؟ قال : نعم وما أصنع بها ! وجاءه قومه فأخبروه الخبر ، فقال : قد علمت أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ، قد أبى أن يعفو فهل أمرك أخاك . فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابهم ، فأخرجه فضربه خمسين . فلقي ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك ، فقال له : أضرتك مائة ويضربه خمسين ، بس ما صنعت إذ وهبتها له . قال : إنه عبد وإنما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ! فحُمِلَ هذا الكلام حتى شاع بالمدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه . فأتى أخاه مروان فخبّره الخبر وقال : فضحتني ، لا حاجة لي فيما تركت فهل فاقصص . فضرب ابن الحكم خمسين أخرى ، فقال عبد الرحمن يهجو ابن الحكم¹ :

[من الكامل]

دَعْ ذَا وَعْدٍ قَرِضَ شَعْرَكَ فِي أَمْرِي	يَهْزِي وَيُنْشِدُ شَعْرَهُ كَالْفَاخِرِ
عُثْمَانُ عَمُّكُمْ وَلَسْتُمْ مِثْلَهُ	وَبَنُو أُمَيَّةَ مِنْكُمْ كَالْأَمْرِ
وَبَنُو أَبِيهِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ	فُحْشُ النَّفُوسِ لَدَى الْجَلِيسِ الرَّائِرِ
أَحْيَاؤُهُمْ عَارٌّ عَلَى أَمَوَاتِهِمْ	وَالْمَيْتُونَ مَسْبَةٌ لِلْغَايِرِ
هَمْ يَنْظُرُونَ إِذَا مَدَدْتَ إِلَيْهِمْ	نَظَرَ التِّيُوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَاوِرِ
خُزَرَ الْعَيُونِ مِنْكَسِي أَذْقَانِهِمْ	نَظَرَ الدَّلِيلِ إِلَى الْعَزِيزِ الْقَاهِرِ

[من الوافر]

فقال ابن الحكم :

لقد أبقى بنو مروان خزيًا مُبيناً عارُهُ لبني سَوادٍ
أطافَ بِهِ صَبِيحٌ في مشيدٍ ونادى دَعوةً : يا ابْنِي سَعَادِ
«لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياةَ لِمَن تَنادِي»

[أبو واسع يتصر لابن الحكم]

قال أبو عبيدة : فاعتن¹ أبو واسع أحدُ بني الأسعر من بني أسد بن خزيمة ، لابن حسان دون ابن الحكم ، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطل أباه حسان على رأسه ، وعيَّرههم بأكل الخصى ، فقال :

إن ابن المعطل من سليم أذلَّ قيادَ رأسِكَ بالخطامِ
عمدتَ إلى الخصى فأكلتَ منها لقد أخطأتَ فأكهةَ الطعامِ
وما للجارِ حينَ يحلُّ فيكم لديكم يا بني النجارِ حامِ
يظلُّ الجارُ مفترشاً يديه مخافتكم لدى مَلِكِ الظلامِ²
وينظرُ نظرةً في مِذْرَوبِهِ وأخرى في استِهِ والطرفِ سامِ³

[مصرع أبو واسع]

قال : فلما عمَّ بني النجار بالهجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوْا الله عزَّ وجلَّ عليه ، فخرجَ من المدينة يريد أهله فعرضَ له الأسدُ فقَضَّضه⁴ ، فقال ابنُ حسان في ذلك⁵ : [من السريع]

أبلغُ بني الأسعر إن جثتهم ما بالُ أبناءِ بني واسعِ
والليثُ يعلوهُ بأنابِهِ معتفراً في دمه الناقِعِ
إذ تركوه وهو يدعوهم بالنَّسبِ الدَّانِي وبالشاسِعِ
لا يرفعُ الرحمنُ مصروعكم ولا يُوهي قوَّةَ الصَّارِعِ

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأسدِ بخيرٍ قطَّ . قال : ولا نصرَ أحدًا كما نصرني .

[دعوة مسكين الدارمي]

وقال ابن الكلبي : كان الأخطلُ ومسكينُ الدارميُّ صديقين لابن الحكم ، فاستعان بهما

1 اعتن : اعترض .

2 ملث الظلام : اختلاطه .

3 المذروان : فرعا الأيتيم .

4 قَضَّضه : كسره وحطَّمه .

5 شعر عبد الرحمن بن حسان : 20-21 . وفيه «أبلغ بني الأشر» .

على ابن حسان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكين : ما كنت لأهجو أحداً أو أعذِر إليه¹ . فكتب إليه مسكينٌ بقصيدته اللامية يدعوهُ إلى المفاخرة والمنافرة ، فقال في أولها : [من الوافر]

ألا إنَّ الشَّبابَ ثيابٌ لُبسٍ وما الأموالُ إلَّا كالظُّلالِ

فإنَّ يبلَّ الشَّابُّ فكلُّ شيءٍ سمعتَ بِهِ سوى الرَّحمنِ بالِ

وهي طويلةٌ جداً ، يفخرُ فيها بمآثر بني تميم . فأجابه ابن حسان فقال² : [من الوافر]

أتاني عنك يا مسكينُ قولٌ بذلتُ النِّصفَ فيه غيرَ آلِ³

دعوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ ولا غُمِرٍ يطيرُ لدى التناضُلِ⁴

وهي أطول من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال دماذ : فحدَّثني أبو عبيدة قال : حدَّثني أبو حية النميري قال : حدَّثني الفرزدق

قال : كنَّا في ضيافة معاوية ، ومعنا كعبُ بن جُعيل التَّغْلبي ، فحدَّثني أنَّ يزيد بن معاوية

قال له : إنَّ ابن حسان فضحَّ عبدَ الرَّحمن بن الحكم وغلبه ، وفضحننا ، فاهجُ الأنصار .

قال : فقلت له : أرادي أنت في الشرك ؟ أهجو قوماً نصرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ وآوَوْهُ ؟

ولكنِّي أدلُّكَ على غلامٍ مِنَّا نصرانيٍّ لا يبالي أنَّ يهجوهم ، كأنَّ لسانَه لسانُ ثور . قال :

مَن هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعني ؟ قال : نعم .

قال أبو عبيدة : إنَّ معاوية دسَّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم ، فدله على الأخطل ، فقال

الأخطل قصيدته التي هجا فيها الأنصار ، وقد مضت ومضى خبرها وخبر النعمان بن

بشير .

وزاد أبو عبيدة عمَّن روينا ذلك عنه : أنَّ النعمان بن بشير ردَّ على الأخطل

فقال : [من الكامل]

أبلغ قبائل تغلبَ ابنةً وائلٍ مَن بالفرات وجانبِ الثَّرثارِ⁵

فاللؤمُ بين أنوفٍ تغلبَ بينَ كالرَّقْمِ فوقَ ذراعٍ كلِّ حمارٍ

1 أعذر إليه : أجعله موضع عذر .

2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 35 .

3 النصف : الأنصاف . غير آل : غير مقصر أو تارك .

4 القحْم : الهرم المهزول . والغمر : الجاهل الغرَّ .

5 شعر النعمان بن بشير : 148 .

قال : فخافه الأخطلُ أن يهجوَه ، فقال فيه ¹ :

[من الوافر]

عذرت بني الفريرة أن هَجَوْنِي فما بالي وبأل بني بشير
أُفِيحِجُّ من بني النجارِ شَنْ شديدُ القَصْرَيْنِ من السُّحُورِ ²

ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذكره .

قال أبو عبيدة في خبره أيضاً : إنَّ الأنصار لما استعدوا عليه معاوية قال لهم : لكم لسانه إلا أن يكون ابني يزيدُ قد أجاره . ودسَّ إلى يزيد من وقته : إني قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأجره . فأجاره ، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إياه :

[من الطويل]

دعا الأخطلُ الملهوف بالشرِّ دعوةً فأنيَّ مجيبٌ كنتُ لما دعانيا
ففرَّجَ عنه مشهدَ القوم مشهدي وأسنَّه الواشين عنه لسانيا

صوت ³

[من الخفيف]

كان لي يا شقير حُبُّك حيناً كاد يقضي عليَّ لما التقينا
يعلمُ الله أنكم لو نأيتُم أو قرَّيتم أحبُّ شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى ، وجعلت مكان «يا شقير» : «يا يزيد» . وفي هذا الشعر للهدلي خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانه أنه للأبجر . وقال الهشامي : لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر . وفيه للدارمي وابن فروخ خفيف ثقيل ، ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ديوان الأخطل رقم 98 ، ص 151-152 ، (طبعة دار صادر) .

2 الأفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذي تتداني قدماه ويتباعد عقباه . والشن : الغليظ . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . والسحور : جمع سحر ، وهي الرثة .

3 ديوان عمر : 436 .

[284] - أخبار حَبَابَة

كانت حَبَابَة مَوْلَدَة من مولات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رُمَّانة ، وقيل ابن مينا . وهو خرَّجها وأدَّبها . وقيل : بل كانت لآل لاحق المكيين . وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفةً حسنة الغناء ، طيبة الصوت ، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج ، وابن مُحَرز ، ومالك ، ومعبد ، وعن جميلة وعزَّة الميلاء . وكانت تسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد لما اشتراها حَبَابَة . وقيل : إنها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

[يزيد يشتري حَبَابَة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدَّثني حاتم بن قبيصة قال : وكانت حَبَابَة لرجل يدعى ابن مينا ، فأدخلت على يزيد بن عبد الملك في إزار له ذَنَابٍ ، ويدها دف ترمي به وتلقاه ، وتتغنى : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجيد من مُليكة واللَّبِّ سَاتِ إِذْ زَانَهَا تَرَائِبُهَا
يا ليتني ليلة إذا هجع النَّدِّ سَأَسُ ونام الكلاب صاحبُها
في ليلةٍ لا يُرى بها أَحَدٌ يسعى علينا إلَّا كواكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية ، فلمَّا كان بعد ما وليَ يزيدُ اشتراها .
وروى حمَّاد عن أبيه عن المدائني عن جرير المديني ، ورواه الزُّبير بن بَكَار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال : قال لي يزيد بن عبد الملك : ما تقرُّ عيني بما أوتيتُ من الخلافة حتى أشتري سَلَامَة جارية مُصعَب بن سهيل الزَّهري ، وحَبَابَة جاريةً لاحقِ المكيَّة . فأرسلَ فاشتريتا له ، فلمَّا اجتمعنا عنده قال : أنا الآنَ كما قال القائل ¹ :

[من الطويل]

فألَقْتُ عصاها واستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

قال إسحاق : وحدَّثني أبو أيوب عن عُبَايَة قال : كانت حَبَابَة لآل رُمَّانة ، ومنهم ابنتُ ليزيد .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزُّبَيَات قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكَار قال : أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنة عن شيخ من أهل ذي خُشْب ² قال :

1 هو معقر بن حمار البارقى .

2 ذو خشب : واد قرب المدينة .

خرجنا نريد ذا خُشب ونغن مُشاةً ، فإذا قَبَّةٌ فيها جارية ، وإذا هي تغني : [من مجزوء الرمل]

سلكوا بطنَ مَحِيصٍ ثم ولّوا راجعينا¹
أورثوني حينَ ولّوا طولَ حُزني وأتينا

قال : فسرنا معها حتّى أتينا ذا خُشب ، فخرج رجل معها ، فسألناه ، وإذا هي حَبابة جارية يزيد ، فلمّا صارت إلى يزيد أخبرتهُ بنا ، فكتبَ إلى والي المدينة يعطي كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألفَ درهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثني إسحاق عن المدائني . وروى هذا الخبر حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني ، وخبره أتم : أن حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فقدّم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوَّج سَعْدَةَ بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، على عشرين ألف دينار ، وريحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجرنّ عليه . فبلغ يزيد قولُ سليمان فاستقال مولى حَبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلمّا وليَ يزيدُ اشترتها سَعْدَةُ امرأته وعلمتُ أنّه لا بدّ طالها ومشتريها ؛ فلمّا حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك من الدُّنيا شيء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هي ، وهي لك . فسمّاها حَبابة ، وعظم قدر سَعْدَةَ عنده . ويقال إنّها أخذتُ عليها قبل أن تهبها له أن توطّئ لابنها عنده في ولاية العهد وتحضيرها ما تحبّ إذا حضرت .

وقيل إنّ أمّ الحجاج أمّ الوليد بن يزيد هي التي ابتاعها له ، وأخذت عليها ذلك ، فوفت لها بذلك . هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد ، عنه عن عمّه . قال : ومنّ زعم أن سَعْدَةَ اشترتها فقد أخطأ .

قال المدائني : ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنت أخ له ، فقال : أما يكفيك أنّ سَعْدَةَ عنده حتّى يخطب إلى بنات أخيه ؟ وبلغ يزيدُ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو في فُسْطاطه إذ أتته جاريةٌ لحبابة في خَدَمِها فقالت له : أمّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضيَ عنك . فالتفتَ فقال : من أمّ داود ؟ فأخبره من معه أنّها حَبابة ، وذكر له قدرها ومكانها من يزيد . فرفع رأسه إلى الجارية فقال : قولِي لها : إنّ الرّضا عني بسبب لستِ به . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتّى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسْطاطه وقلّعوا أطنابه ، حتّى سقط عليه

وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟

قالوا : رُسُل حباة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : ما لها أخراها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

[شعر الحارث بن خالد في حباة]

قال إسحاق : وحدثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أن يزيد بن عبد الملك اشترى حباة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها¹ :

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدوا بلبك مطيع الشرق
مررت على قرن يقاد بها تعدو أمام براذني زرق
فظللت كالمقمر مهجته هذا الجنون وليس بالعشقي²
يا ظيلة عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحق

وغنته حباة في الشعر ، وبلغ يزيد فسأها عنه فأخبرته ، فقال لها : غنني به . فغنته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمري إنه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصفهاني : هذا غلط ممن رواه في أبيات الحارث بن خالد ؛ لأنه قالها في عائشة بنت طلحة ، لما تزوجها مصعب بن الزبير وخرج بها . وفي أبياته يقول : [من الكامل].

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصديق
وقد شريح ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرني الزبيري أن يزيد اشتراها وهو أمير ، فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها³ :

قد سل جسمي وقد أودى به سقم من أجل حي جلوا عن بلدة الحرم
يحن قلبي إليها حين أذكرها وما تذكرت شوقاً أب من أمم⁴
إلا حنيناً إليها إنها رشاً كالشمس رود ثقال سهلة الشيم⁵

1 شعر الحارث بن خالد : 75-76 .

2 المقمر : المغلوب في القمار .

3 شعر الحارث بن خالد : 98-99 .

4 أم : قرب .

5 الرود : الشابة الحسنه .

فَضَّلَهَا اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ إِذْ خُلِقَتْ عَلَى النَّسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْحَزْمِ وَالْكَرَمِ
 وَقَالَ فِيهَا الشَّعْرَاءُ فَأَكْثَرُوا ، وَغَنَّى فِي أَشْعَارِهِمُ الْمَغْنُونُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ
 يَزِيدَ فَاسْتَشْنَعَهُ ، فَقَالَ : هَذَا قَبْلَ رَحَلَتِنَا وَقَدْ هَمَمْنَا ، فَكَيْفَ لَوْ ارْتَحَلْنَا ؟ ! وَتَذَكَّرَ الْقَوْمُ شِدَّةَ
 الْفِرَاقِ ، وَبَلَغَهُ أَيْضاً أَنَّ سَلِيمَانَ قَدْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ ، فَرَدَّهَا ، وَلَمْ تَزَلْ فِي قَلْبِهِ حَتَّى مَلَكَ ،
 فَاشْتَرَتْهَا سَعْدَةُ امْرَأَتِهِ الْعُثْمَانِيَّةُ ، وَوَهَبَتْهَا لَهُ .
 [مَنْزِلُهَا عِنْدَ يَزِيدَ]

أَخْبَرَنِي ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو ذُفَافَةَ
 الْمَنْهَالُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ بَشَرَ بْنِ أَبِي سَارَةَ مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : أَوَّلُ مَا
 ارْتَفَعَتْ بِهِ مَنْزِلَةُ حَبَابَةَ عِنْدَ يَزِيدَ أَنَّهُ أَقْبَلَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هِيَ فِيهِ ، فَقَامَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ
 فَسَمِعَهَا تَتَرَنَّمُ وَتَغْنِي وَتَقُولُ :

كَانَ لِي يَا يَزِيدُ حُبُّكَ حَيْنَا كَادَ يَقْضِي عَلَيَّ لَمَّا التَّقِينَا
 وَالشَّعْرُ كَانَ «يَا شَقِيرَ» ، فَرَفَعَ السِّتْرَ فَوَجَدَهَا مَضْطَجِعَةً مُقْبِلَةً عَلَى الْجِدَارِ ، فَعَلِمَ أَنَّهَا
 لَمْ تَعْلَمْ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِمَكَانِهِ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَحَرَّكَتْ مِنْهُ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : غَلَبَتْ حَبَابَةُ عَلَى يَزِيدَ ، وَتَبَنَّى بِهَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ فَعَلَتْ مَنْزِلَتَهُ ، حَتَّى كَانَ
 يَدْخُلُ عَلَى يَزِيدَ فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ . وَحَسَدَ نَاسٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى
 وَلَايَتِهِ ، وَقَدَحُوا فِيهِ عِنْدَ يَزِيدَ ، وَقَالُوا : إِنَّ مُسْلِمَةَ إِنْ اقْتَطِعَ الْخِرَاجَ لَمْ يَحْسُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 أَنْ تَفْتِشَهُ أَوْ تَكْشِفَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَسِنَتِهِ وَحَقِّهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَدْخُلْ أَحَدًا مِنْ
 أَهْلِ بَيْتِهِ فِي الْخِرَاجِ . فَوَقَّرَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ يَزِيدَ ، وَعَزَمَ عَلَى عَزْلِهِ ، وَعَمَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ فِي وَلَايَةِ
 الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِ حَبَابَةَ ، فَعَمِلَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ . وَكَانَ بَيْنَ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَبَيْنَ الْقَعْقَاعِ بْنِ خَالِدٍ
 عِدَاوَةٌ ، وَكَانَا يَتَنَازَعَانِ وَيَتَحَاسِدَانِ . فَقِيلَ لِلْقَعْقَاعِ لَقَدْ : نَزَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 مَنْزِلَةً ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْعِرَاقِ غَدًا . وَمَنْ يَطِيقُ ابْنَ هُبَيْرَةَ ! حَبَابَةُ بِاللَّيْلِ ، وَهَدَايَاهُ بِالنَّهَارِ ، مَعَ
 أَنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُكَيْنَ . فَلَمْ تَزَلْ حَبَابَةُ تَعْمَلُ لَهُ حَتَّى وَلِيَهَا .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ
 إِبْرَاهِيمَ يَحْدُثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَحَفِظْتُهُ وَلَمْ أَحْفَظْ إِسْنَادَهُ . وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ :
 حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ جَمَعْتُ
 رَوَايَتَيْهِمَا قَالَا : أَرَادَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَالَ : بِمَاذَا صَارَ عُمَرُ
 أَرْجَى¹ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنْنِي ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى حَبَابَةَ ؟ فَأَرْسَلَتْ إِلَى الْأَحْوَصِ .

1 أَرْجَى : أَخْوَفُ .

[مسلمة ويزيد]

هكذا في رواية وكيع ، وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن مسلمة أقبل على يزيد يلومه في الإلحاح على الغناء والشرب ، وقال له : إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدلي ، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في الأمور ، والوفود ببابك ، وأصحاب الظلمات يصيحون¹ ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقت والله ، وأعتبه وهم بترك الشرب ، ولم يدخل على حبابة أياماً ، فدرست حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألف دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد ، فاستأذن في الإنشاد ، فأذن له .

قال إسحاق في خبره : فقال الأحوص² :

[من الطويل]

صوت

ألا لا تلُمه اليوم أن يتبلدا	فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيئ الصبا جهدي فمن شاء لامني	ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فندت في طلب الغنى	لأعلم أنني لست في الحب أوحدا ³
إذا أنت لم تعشيق ولم تذر ما الهوى	فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي	وإن لآم فيه ذو الشنان وفندا ⁴

الغناء لمبعد ، خفيف ثقيل أول بالنصر ، وفيه رمل للغريض . ويقال إنه لحبابة .

قال : ومكث جمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها . فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواربها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني . فلما أراد الخروج أعلمتها ، فتلقته والعود في يدها ، فغنت البيت الأول ، فغطى وجهه وقال : مه لا تفعلي . ثم غنت : [من الطويل]

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي

فعدل إليها وقال : صدقت والله ، ففتح الله من لامني فيك ، يا غلام مر مسلمة أن يصلي بالناس . وأقام معها يشرب وتغنيه ، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبة في حديثه : فقال يزيد : صدقت والله ، فعلى مسلمة لعنة الله ! وعاود

1 ل : يضحون .

2 ديوان الأحوص : 56-58 .

3 التفتيد : التكذيب وتخطئة الرأي .

4 الشنان : الشنان ، العداوة والبغضاء .

ما كان فيه ، ثم قال لها : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها ، وأولها قوله ¹ :

يا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضْمٍ أَوْقَدَ فَقَدْ هِجَتَ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرَمٍ²
وهي طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه في نحوٍ من أربعين ألفَ درهمٍ من دَيْنٍ وغيره ، فأمر له بها .

وقال مصعب في خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذن له ، فاستأذن في الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذن له . فأنشده هذه الأبيات ، فلما سمعها وثَبَّ حتى دخل على حَبَابَةٍ وهو يتمثل :

وما العيش إلا ما تلذُّ وتشتهي وإن لآمَ فيه ذو الشَّانِ وفدّا
فقلت له : ما ردُّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشدنيها الأحوص ، فسلي ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضْمٍ أَوْقَدَ فَقَدْ هِجَتَ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرَمٍ
يا مُوقِدَ النَّارِ أَوْقَدَهَا فَإِنْ هَا سَنَّا يَهِيحُ فَوَادَ الْعَاشِقِ السَّدَمِ
الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرو . وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل آخر لابن جامع .
[مولى خراساني يعظ يزيد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبة قال : حدَّثني علي بن القاسم بن بشير قال : لما غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهله وأبى أن يسمعَ منهم كَلَمُوا مولَى له خراسانيًّا ذا قَدْرٍ عندهم ، وكانت فيه لُكْنَةٌ ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألحَّ عليه من السَّمَاعِ لِلْغِنَاءِ وَالشَّرَابِ . فقال له يزيد : فَإِنِّي أُحْضِرُكَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَنْهَى عَنْهُ ، فَإِنْ نَهَيْتَنِي عَنْهُ بَعْدَ مَا تَبْلُوهُ وَتَحْضُرُهُ انْتَهَيْتُ ، وَإِنِّي مَخْبِرُ جَوَارِيَّ أَنَّكَ عَمٌّ مِنْ عُمُومَتِي ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَيَعْلَمَنَّ

1 ديوان الأحوص : 202 .

2 إضم : واد في الحجاز .

أَنِّي كاذبٌ ، وَأَنْتَ لست بعمِّي . ثم أدخله عليهنّ فغَنَيْنَ ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئاً ، حتى غَنَيْنَ :

وقد كنتُ آتيكم بعلّةٍ غيركم فأفنيْتُ عِلَاتِي فكيف أقولُ
فطرب الشيخ وقال : لا فيف ، جعلني الله فداكن ! يريد : لا كيف . فعلمن أنّه ليس
عمّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضربنه بها ، حتى حجزهنّ يزيدُ عنه . ثم قال له بعدما انقضى
أمرهنّ : ما تقول الآن ، أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !
[حبابة تعزل وتستعمل]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني خالد بن يزيد بن بحر
الخراعيّ الأسلميّ ، عن محمد بن سلّمة ، عن أبيه عن حماد الراوية قال : كانت حبابة فائقةً في
الجمال والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقاً ، فقال لها يوماً : قد استخلفتك على ما وردَ عليّ ،
ونصبتُ لذلك مولاي فلاناً فاستخلفيه لأقيم مَعَكَ أياماً وأستمع بك . قالت : فإنّي قد
عزلته . فغضب عليها وقال : قد استعملته وتعزّيلنه . وخرجَ من عندها مغضباً ، فلمّا ارتفع
النهار وطال عليه هجرها دعا خَصِيّاً له وقال : انطلق فانظر أيّ شيء تصنع حبابة ؟ فانطلق
الخادم ثم أتاه ، فقال : رأيته مؤتزره بإزار خلوقيّ قد جعلتُ له ذنّين وهي تلعّبُ بلُبعيها .
فقال : ويحك احتلّ لها حتّى تمرّ بها عليّ . فانطلق الخادِمُ إليها فلاعبها ساعة ، ثم استلبَ لعبة
من لعبها وخرجَ ، فجعلت تُحضّر في أثره ، فمرّت بيزيد فوثب وهو يقول : قد عزلته ! وهي
تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري . فمكث معها خالياً أياماً حتّى دخل
عليه أخوه مسلمة فلامه ، وقال : ضيعتَ حوائج الناس واحتجبتَ عنهم ، أترى هذا مستقيماً
لك ؟! وهي تسمعُ مقالته ، فغنت لما خرج :

ألا لا تلمهُ اليوم أن يتبلّدا

فذكرت الأبيات . فطرب وقال : قاتلك الله أبيت إلا أن ترديني إليك . وعاد إلى ما كان
عليه .

أخبرني إسماعيل قال : حدّثني عمّي قال : حدّثني إسحاق قال : حدّثني الهيثم بن عديّ ،
عن صالح بن حسنّ قال : قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظهور وشهودَ الجمعة الجامعة ،
وقعدتَ في منزلك مع هذه الإمامة ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقاتلتا للأحوص : قل في ذلك
شعراً . فقال :

وما العيشُ إلا ما تَلَدُّ وتشتهي وإن لأم فيه ذو الشنآن وفندا
بكيّت الصبا جهدي فمن شاء لأمني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا

وَإِنِّي وَإِنْ أَغْرَقْتُ فِي طَلَبِ الصَّبَا لِأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ فِي الْحَبِّ أَوْحِدًا
 إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهِو وَالصَّبَا فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدًا¹

قال : فغنتا يزيد فيه ، فلما فرغنا ضرب بخيزرائته الأرض وقال : صدقتما فعلی مسلمة لعنة
 الله وعلى ما جاء به . قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنتاه من هذه القصيدة : [من الطويل]
 وَعَهْدِي بِهَا صَفْرَاءُ رُودًا كَأَنَّمَا نَضًا عَرَقَ مِنْهَا عَلَى اللَّوْنِ مُجَسَّدًا²
 مَهْفُفَةُ الْأَعْلَى وَأَسْفَلَ خَلْقِهَا جَرَى لَحْمُهُ مَا دُونَ أَنْ يَتَخَدَّدًا³
 مِنَ الْمَدْمَجَاتِ اللَّحْمِ جَدَلًا كَأَنَّهَا عِنَانُ صَنَاعٍ مَدْمَجُ الْفَتْلِ مَحْصَدًا⁴
 كَأَنَّ ذِكْيَ الْمَسْكِ بَادٍ وَقَدْ بَدَتْ وَرِيحُ خُرَامِي طَلَّةٍ تَنْفَحُ النَّدَى⁵

فطرب يزيد وأخذ فيه من الشراب قدره الذي كان يطرب منه ويسره ، ولم تره أظهر شيئاً
 مما كان يفعله عند طربه ، فغنته :
 أَلَا لَا تَلْمُهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ غُلِبَ الْحَزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
 نَظَرْتُ رَجَاءً بِالْمَوْقَرِ أَنْ أَرَى أَكَارِيسَ يَحْتَلُونَ خَاخًا فَمَنْشَدًا⁶
 فَأَوْفَيْتُ فِي نَشْرِ مِنَ الْأَرْضِ يَافِعَ وَقَدْ تُسَعِفُ الْأَيْفَاعُ مَنْ كَانَ مُقْصَدًا⁷

فلما غنته بهذا طرب طربه الذي تعهده ، وجعل يدور ويصيح : الدُّخْنُ بِالنَّوَى ،
 وَالسَّمَكُ فِي بَيْطَارِ جِنَانٍ⁸ . وشقَّ حَلَّتَهُ وقال لها : أَتَأْذِنِينَ أَنْ أَطِيرَ ؟ قالت : وَإِلَى مَنْ تَدْعُ
 النَّاسَ ؟ قال : إِلَيْكَ .

قال : وَغَنَّتْهُ سَلَامَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
 فَقُلْتُ أَلَا يَا لَيْتَ أَسْمَاءُ أَصْقَبَتْ وَهَلْ قَوْلُ لَيْتٍ جَامِعٌ مَا تَبَدَّدًا⁹
 وَإِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَاءِهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ الْمَبْرَدًا

1 العزهاة : المنقبض المعرض عن اللهو والغناء .

2 مجسد : مصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .

3 مهفهفة : ضامرة .

4 محصد : مفتول . والعنان : الحبل .

5 طلة : التي أصابها الطل ، وهو الندى .

6 الموقر : وخاب ومنشد : مواضع . والأكاريس : جمع كريس ، وهو الجماعة من الناس .

7 والمقصد : الذي رمي فأصيب .

8 كلام لا معنى له .

9 أصقبت : دنت .

علاقة حبٍّ لَجٍّ في سنن الصِّبا فأبلى وما يزداد إلاَّ تجدُّدا
 سُهوبٌ وأعلامٌ تخال سرائها إذا استنَّ في القَيْظِ الملاء المعضدا¹
 قال : وغتته حبابة منها أيضاً :
 كريمٌ قریشٍ حين يُنسبُ والذي أقرت له بالملك كَهلاً وأمردا
 وليس عطاءً كان منه بمانع وإنَّ جَلَّ من أضعاف أضعافه غدا
 أهانَ تِلَادَ المالِ في الحمدِ إنه إمامٌ هدى يجري على ما تعودا
 تردَّى بمجدي من أبيه وأمه وقد أورثا بنيانَ مجدٍ مشيداً

فقال لها يزيد : ويحك يا حبابة ، ومن من قریش هذا ؟ قالت : أنت . قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أمير المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغتته :

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخلداً من الناس إنساناً لكنتَ المخلداً
 فأقسمُ لا أنفك ما عشتُ شاكراً لنعماك ما طارَ الحمامُ وغردا

[قضاء معبد بتفضيل حبابة]

أخبرني إسماعيل قال : حدثنا عمر بن شبة قال : علي بن الجعد قال : حدثني أبو يعقوب الخُرَمي ، عن أبي بكر بن عيَّاش : أنَّ حبابة وسلامةً اختلفا في صوت معبد : [من الوافر]

ألا حَيَّ الديارَ بسعدٍ إني أحبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتى به ، فسأل : لِمَ بَعَثَ إليه ؟ فأخبر ، فقال : لأيتهما المنزلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلما عَرَضْنَا عليه الصوت قضى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قضى إلاَّ للمنزلة ، وإنه ليعلم أنَّ الصوابَ ما غنيت ، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صليته لأنَّ له عليَّ حقاً . قال : قد أذنت . فكان ما وصلته به أكثر من حبابة .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

ألا حَيَّ الديارَ بسعدٍ إني أحبُّ لحبِّ فاطمة الديارا
 إذا ما حلَّ أهلكُ يا سليمي بدارة صُلُصلي شَحَطُوا مزاراً²

الشعر لجريز ، والغناء لابن مُحَرِّز ، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر .

1 واستن : أسرع . المعضدا في ل : المعمدا .

2 دارة صُلُصلي : موضع . وشحطوا : بعدوا .

[بين الفرزدق والأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : نزل الفرزدق على الأحوص حين قديم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهي ؟ قال : شيواً وطِلاءً¹ وغناء . قال : ذلك لك . ومضى به إلى قينة بالمدينة فغنته :

ألا حَيِّ الديار بسعدٍ إنِّي أحبُّ لحبِّ فاطمة الديارا
أرادَ الظاعنون ليحزنُوني فهاجُوا صدغَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أرقُّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحها ! قال : أو ما تدري لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يهجوكم به . فقال : ويل ابن المراغة ما كان أحوجّه مع عفافه إلى صلابة شعري ، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره .

وقد روى صالح بن حسّان أن الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو : [من الكامل]

وترى لها دلاً إذا نطقت به تركت بنات فؤاده صُغراً²

ذكر ذلك حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي : أنهما اختلفتا في هذا الصوت بين يدي يزيد ، فقال لهما : من أين جاء اختلافكما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى ، هكذا أخذته . فقال يزيد : قد اختلفتما ومعبداً حي بعد ؟ فكتب إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه .

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيَّاش .

قال صالح بن حسّان : فلما دخل معبدٌ إليه لم يسأله عن الصوت ، ولكنه أمره أن يغني ، فغناه فقال :

فيا عزَّ إن واشٍ وشي بي عندكم فلا تكريمه أن تقولي له أهلاً

فاستحسنه وطرب ثم قال : إن هاتين اختلفتا في صوتٍ لك فاقض بينهما . فقال لحبابة : غني . فغنت ، وقال لسلامة : غني . فغنت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلامة : والله يا ابن الفاعلة إنك لتعلم أن الصواب ما قلت ، ولكنك سألت أتيهما آثرٌ عند أمير المؤمنين فقبل لك حبابة ، فاتبعت هواه ورضا ! فضحك يزيد وطرب ، وأخذ إرسادة فصيرها على رأسه ، وقام يدور في الدار ويرقص ويصيح : «السملك الطرنبة أربعة أرتال ، عند بيطار من خيان» حتى دار الدار كلها ثم رجع فجلس مجلسه وقال

1 الطلاء : الخمر .

2 صغر : مائلات .

شعراً ، وأمر معبدًا أن يغني فيه ، فغنى فيه وهو : [من البسيط]

أبلغ حَبَابَة أُسْقَى رِبْعَهَا المَطَرُ ما للِفَوَادِ سِوَى ذِكْرَاكُمْ وَطَرُ
إِنْ سَارَ صَحْبِي لَمْ أَمْلِكْ تَذَكُّرَكُمْ أَوْ عَرَسُوا فِهْمُومُ النَّفْسِ وَالسَّهَرُ

فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق في الخبر . وغيره يذكر أن الصنعة فيه لحبابة ،
ويزعم ابن خرداذبه أن الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر ، وإنما أراد أن يوالي بين الخلفاء في
الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنه لمعبد .

قال معبد : فسرَّ يزيد لما غنيته في هذين البيتين ، وكساني ووصلني ، ثم لما انصرم مجلسه
انصرف إلى منزلي الذي أنزلته ، فإذا الطاف من سلامة قد سبقت أطفاف حبابة ، وبعثت إلي :
إني قد عذرتك فيما فعلت ، ولكن كان الحق أولى بك . فلم أزل في أطفافهما جميعاً حتى أذن لي
يزيد ، فرجعت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت الذي غناه معبد الذي أوله

فيا عزَّ إن واشٍ وشي بي عندكم

صوت¹

[من الطويل]

أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتَرَكَ الجَهْلَا وَأَنْ يُحْدِثَ الشَّيْبُ المِلْمُ لِي العَقْلَا
عَلَى حِينٍ صَارَ الرَّأْسُ مَنِي كَانَمَا عَلَتْ فَوْقَهُ نَدَافَةُ العُطْبِ الغَزَلَا²
فِيَا عَزَّ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ فَلَا تُكْرِمِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ أَهْلَا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بَوْدُكَ عِنْدَنَا لَقَلْنَا تَرْحُزُحْ لَا قَرِيأً وَلَا سَهْلَا
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِي شَدَّ وَصَلْنَا وَلَا مَرْحَبًا بِالقَائِلِ اصْرِمْ لَهَا حَبَلَا

الشعر لكثير ، والغناء لحنين ، ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر
ابن المكِّي وعمرو والهشامي أنه لمعبد . وفيه ثاني ثقیل ينسب إلى ابن سريج ، وليس بصحيح ،
ويقال إنه لمعبد .

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثتني ظبية قالت : أنشدت
حبابة يوماً يزيد بن عبد الملك :

[من الوافر]

1 ديوان كثير : 383 .

2 العطب : القطن .

لعمركَ إِنِّي لأُحِبُّ سَلْعاً لَرَوَيْتِهَا وَمَنْ بِجَنُوبِ سَلْعٍ
ثم تنفستُ تنفساً شديداً فقال لها : ما لكِ ، أنتِ في ذمة أبي ، لئن شئتِ لأُنقلنَّ إليكِ حجراً
حجراً . قالت : وما أصنع به : ليس إياه أردتُ ، إنما أردتُ صاحبه . وربما قالت : ساكنه ، والله
أعلم .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

لعمركَ إِنِّي لأُحِبُّ سَلْعاً لَرَوَيْتِهَا وَمَنْ بِجَنُوبِ سَلْعٍ
تقرُّ بقربها عيني وإني لأخشى أن تكونَ تريدُ فجعي
حلفتُ ربُّ مَكَّةَ والهدايا وايدي السابحاتِ غداةَ جَمْعٍ¹
لأنتِ على التناهي فاعلميه أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي وَسَمْعِي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى ، مما لا شك فيه من غنائه .

قال الزبير : وحدثتني طيبةُ أن يزيد قال لحبابة وسلامة : أيتكما غنَّتي ما في نفسي فلها
حكمها . فغنَّت سلامة فلم تُصب ما في نفسه ، وغنَّت حبابة : [من الخفيف]

حَلَقْتُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرِّكُوبَا

فأصابت ما في نفسه فقال : احتكمي . فقالت : سلامة ، تهبها لي ومالها . قال : اطلبي
غيرها . فأبَتْ ، فقال : أنتِ أولى بها ومالها . فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً ، فقالت لها
حبابة : لا ترين إلا خيراً ! فجاء يزيد فسالها أن تبيعه إياها بحكمها ، فقالت : أشهدك أنها حرة ،
واخطبها إليَّ الآنَ حتَّى أزوجهك مولاتي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني إسحاق عن المدائني
بنحو هذه القصة . وقال فيها : فجزعت سلامة ، فقالت لها : لا تجزعي فإنما أُلَاعِيه .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

حَلَقْتُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرِّكُوبَا
هَزِئْتُ أَنْ رَأْتُ مَشِيئَةَ عِرْسِي لَا تَلُومِي ذَوَائِبِي أَنْ تَشِيَا

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن سريج ، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن
إسحاق .

[اعتراف حبابة بفضل سلامة]

قال حماد بن إسحاق : حدثني أبي عن المدائني ، وأيوب بن عباية قالا : كانت سلامة المتقدمة منهما في الغناء ، وكانت حبابة تنظرُ إليها بتلك العين ، فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها فقالت لها سلامة : ويحك أين تأديب الغناء وحق التعليم ؟ أنسيت قولَ جميلة لك : خذي أحكاماً ما أطارحك إياه من سلامة ؟ ! فلن تزالي بخير ما بقيتُ لك وكان أمركا مؤتلفاً . قالت : صدقت يا خليلتي ، والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهرأ .

قال المدائني : فرأى يزيد يوماً حبابة جالسة فقال : ما لك ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : تحبين أن أهبها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحب أن تهب لي أختي .

قال المدائني : وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها : أطير ؟ فتقول له : فإلى من تدعُ الناس ؟ فيقول : إليك : والله تعالى أعلم .

[وساطة حبابة للبيدق الأنصاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أيوب بن عباية ، أن البيدق الأنصاري القاريء كان يعرف حبابة ويدخل عليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرها عنده ، خرج إليها يتعرضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيد وأخبرته بحسن صوته . قال : فدعاني يزيد ليلة فدخلتُ عليه وهو على فرشٍ مشرفة قد ذهبَ فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حبابة على فرشٍ آخر مرتفعة ، وهي دونه ، فسلمتُ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبي ، وأشارت إلي بالجلوس ، فجلست وقالت لي حبابة : اقرأ يا أبت . فقرأت فنظرتُ إلى دموعه تنحدر ، ثم قالت : إيه يا أبت حدثتُ أمير المؤمنين ، وأشارت إلي أن غنّه . فاندفعتُ في صوت ابن سريج :

[من مجزوء الخفيف]

من لصبّ مفند هائم القلب مقصد

فطرب والله يزيد فحذفتني بمدهن فيه فصوص من ياقوت وزبرجد ، فضرب صدرِي ، فأشارت إلي حبابة : أن خذه . فأخذته فأدخلته كمي ، فقال : يا حبابة ألا ترين ما صنع بنا أبوك ، أخذ مدهننا فأدخله في كُمّه ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجّه والله إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لي بمائة¹ دينار .

1 ل : بمائتي .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

من لصبٌ مُفَنَّدٌ	هائم القلبِ مُقَصَّدٌ
أنتِ زودته الضننى	بئسَ زأدُ المَزودِ
ولو أني لا أرتجى	يكُ لقد خَفَّ عودِي
ثاوباً تحتَ تربةٍ	رهنَ رمسٍ بَفَدَفِدِ
غيرَ أني أعللُ الد	فسَ باليومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير ،
والغناء لابن سريج ، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[أطرب من يزيد]

وقال حماد : حدثني أبي عن مخلد بن خدّاش وغيره ، أن حبابة غنت صوتاً لابن
سريج ، وهو قوله :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةٍ والـ لَبَّاتِ إذ زانها ترائبها

فطرب يزيد وقال : هل رأيت أحداً أطرب مني ؟ قلت : نعم ، ابن الطيّار معاوية بن عبد الله بن
جعفر ، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحمّل إليه ، فلما قدّم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث
إليك لكذا وكذا ، وأخبرتّه ، فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طرباً حتى أغنيه الصوت الذي غنيته .
فقال : سوأة على كبر سنّي ؟ فدعا به يزيد وهو على طنفسة خزّ ، ووضّع لمعاوية مثلها ، فجاءوا
بجائمين فيهما مسك فوضعت إحداهما بين يدي يزيد والأخرى بين يدي معاوية ، فقال : فلم أدر
كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنع فاصنع مثله . فكان يقلبه فيفوح ربحه وأفعل مثل ذلك ،
فدعا بحبابة فغنت ، فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضّعها على رأسه وقام يدور
وينادي : «الدُّخْنُ بالنوى» يعني اللّويا . قال : فأمر له بصِلاتٍ عدّة دَفَعَاتٍ إلى أن خرج ، فكان
مبلغها ثمانية آلاف دينار .

[اختيار طرب مولى حبابة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : أخبرني الزبير بن أبي بكر ، عن ظبية : أن حبابة غنت
يوماً بين يدي يزيد فطرب ثم قال لها : هل رأيت قطُّ أطرب مني ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي
باعني . فغاضه ذلك فكتب في حمليه مقيداً ، فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه ، فأدخل يرسف
في قيده ، وأمرها فغنت بَغْتَةً :

[من المتقارب]

تُشِطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبَدُ

فَوَثِبَ حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى الشَّمْعَةِ فَأَحْرَقَ لَحْيَتَهُ ، وَجَعَلَ يَصِيحُ : الْحَرِيقُ يَا أَوْلَادَ الزَّنا !
فَضَحِكَ يَزِيدُ وَقَالَ : لِعَمْرِي إِنَّ هَذَا لِأَطْرَبُ النَّاسِ ! فَأَمَرَ بِحُلٍّ قِيودِهِ ، وَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ،
وَوَصَلَتْهُ حَبَابَةُ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

[يزيد وأم عوف]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ مَغْنِيَّةٌ طَاعِنَةٌ فِي السَّنِّ تَدْعَى أُمَّ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ
مُحْسِنَةً ، فَكَانَ يَخْتَارُ عَلَيْهَا :

مَتَى أُجِزْ خَائِفًا تَسْرُخْ مَطِيئَتُهُ وَإِنْ أَخِيفَ آمِنًا تَنْبُو بِهِ الدَّارُ¹

سِيرُوا إِلَيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أُعْتَيْكُمُ إِنِّي لَكُلِّ أَمْرٍ مِنْ وَتَرِهِ جَارٌ

فَذَكَرَهَا يَزِيدُ يَوْمًا لِحَبَابَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ أَخَذَتْ عَنْهَا فَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَطْعَنَ عَلَيْهَا إِلَّا بِالسَّنِّ ،
فَغَنَّتْ :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَوْفٍ وَحَبَّاهُ عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يَفْنَدُ²

فَضَحِكَ وَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الْغَنَاءُ ؟ فَقَالَتْ : لِمَالِكٍ . فَكَانَ إِذَا جَلَسَ مَعَهَا لِلشُّرْبِ يَقُولُ : غَنِّي
صَوْتَ مَالِكٍ فِي أُمَّ عَوْفٍ .

[شرقت بحبة رمان فماتت]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْعَدَوِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَانِمٍ الْأَزْدِيُّ
قَالَ : نَزَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَيْتَ رَأْسٍ بِالشَّامِ ، وَمَعَهُ حَبَابَةُ فَقَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ لَا تَصْفُو
لَأَحَدٍ عَيْشَةً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا يَكْدِرُهَا شَيْءٌ عَلَيْهِ ، وَسَأَجْرُبُ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ : إِذَا
كَانَ غَدًا فَلَا تُخْبِرُونِي بِشَيْءٍ وَلَا تَأْتُونِي بِكِتَابٍ . وَخَلَا هُوَ وَحَبَابَةُ فَأَتَيَا بِمَا يَأْكُلَانِ ، فَأَكَلَتْ
رُمَانَةً فَشَرِقَتْ بِحَبَّةٍ مِنْهَا فَمَاتَتْ ، فَأَقَامَ لَا يَدْفِنُهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَأَتْنَتْ ، وَهُوَ يَشْمُهَا
وَيَرْشِفُهَا ، فَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ ذَوُو قَرَابَتِهِ وَصَدِيقُهُ ، وَعَابُوا عَلَيْهِ مَا يَصْنَعُ ، وَقَالُوا : قَدْ صَارَتْ
جَيْفَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ! حَتَّى أَذِنَ لَهُمْ فِي غَسْلِهَا وَدَفْنِهَا ، وَأَمَرَ فَأُخْرِجَتْ فِي نِطْعٍ ، وَخَرَجَ مَعَهَا لَا
يَتَكَلَّمُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى قَبْرِهَا ، فَلَمَّا دُفِنَتْ قَالَ : أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ كُثَيْرٌ³ : [من الطويل]

1 تنبو في ل : تعلق .

2 من الحماسة 543 وذكر التبريزي أنها لأبي الأسود الدؤلي . وفيها «أم عمرو» .

3 ديوان كثير : 435 .

فإن يسْلُ عنك القلبُ أو يدعِ الصِّبا
فبالْيأس يسْلُو عنك لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ
مِنْ أجلك : هذا هامة اليومِ أو غدٍ¹
فما أقام إلا خمسَ عشرةَ ليلةً حتَّى دُفِنَ إلى جنبها .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثني إسحاق الموصلي قال : حدَّثني الفضل بن
الرَّبيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة عن أبيه أن مسلمة بن عبد الملك قال : ماتت حَبابة
فجزع عليها يزيد ، فجعلتُ أوسِّيهِ وأعزِّيهِ ، وهو ضاربٌ بذَقْنِهِ على صدره ما يكلمني حتَّى
دفنَها ورجع ، فلمَّا بلغ إلى بابهِ التفتَ إليَّ وقال :

فإن تسْلُ عنك النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا
فبالْيأس تسْلُو عنك لا بالتجلُّدِ
ثم دخل بيته فمكثَ أربعين يوماً ثم هلك .

قال : وجزع عليها في بعض أيامه فقال : أنبشوها حتَّى أنظرَ إليها . فقيل : تصير حديثاً !!
فرجع فلم ينشها .

وقد روى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيَّام من دفنه إيَّاهَا ، فقال : لا بدَّ من أن
تنبش . فنبشت وكشفت له عن وجهها وقد تغيَّرَ تغيُّراً قبيحاً فقليل له : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ
الله ، ألا ترى كيف قد صارت ؟ فقال : ما رأيْتُها قطُّ ! أحسنَ منها اليومَ ، أخرجوها . فجاءه
مسلمةُ ووجوهُ أهله ، فلم يزالوا به حتَّى أزالوه عن ذلك ودَفَنُوها ، وانصرف فكمَدَ كمداً
شديداً حتَّى مات ، فدُفِنَ إلى جانبها .

[صلاة الجنائز]

قال إسحاق : وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العباس بن محمد ، أن يزيد بن
عبد الملك أراد الصلاةَ على حَبابة ، فكلَّمه مسلمةُ في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ
عليها . فتخلَّفَ يزيدُ ومضى مسلمةُ ، حتَّى إذا مضى الناسُ انصرفَ مسلمةُ وأمر من صلَّى
عليها .

وروى الزُّبير ، عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزُّبير قال : خرجت
مع أبي إلى الشام في زمن يزيد بن عبد الملك ، فلمَّا ماتت حَبابةُ وأُخرجتْ لم يستطع يزيدُ
الركوب من الجزع ولا المشي ، فحُمِلَ على منبرٍ على رقاب الرجال . فلمَّا دُفِنَتْ قال : لم
أصلُّ عليها ، انبشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدْتُكَ اللهُ يا أمير المؤمنين ، إنما هي أُمَّةٌ من
الإماء ، وقد واراها الثرى ! فلم يأذن للناس بعدَ حَبابةَ إلا مرَّةً واحدة . قال : فوالله ما

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .

استتم دخولُ الناسِ حتى قال الحاجب : أجيئوا رحمكم الله . ولم ينشب يزيدُ أن مات كمدا .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني إسحاق قال حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي ، قال : لما ماتت حباية جزع عليها يزيدُ جزعاً شديداً ، فضمَّ جويرية لها كانت تخدمها إليه ، فكانت تحذته وتؤنسه ، فيينا هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها : هذا الموضع الذي كنّا فيه . فتمثّلتُ : [من الطويل]

كفَى حَزْناً لِلْهَائِمِ الصَّبُّ أَنْ يَرَى مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مَعْطَلَةَ قَفَرَا
فبَكَى حَتَّى كَادَ يَمُوتُ . ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَلِكِ الْجَوِيرِيَّةُ مَعَهُ يَتَذَكَّرُ بِهَا حَبَابَةَ حَتَّى مَاتَ .

صوت

[من الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عِشْتُ حَقِيقَةً وهنّ من الأزواجِ نحوي نوازِعُ
وما شابَ رأسي من سِنَّينَ تَتَابَعَتْ عليّ ولكنّ شَيْبَتَهُ الْوَقَائِعُ
الشعر لأبي الطّفيّل صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والغناء لإبراهيم ،
خفيف ثقيل أول بالوسطى ، عن عمرو وغيره .

[285] - أخبار أبي الطفيل ونسبه¹

[نسبه]

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدي بر سعد بن كيث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
[صحبته وتشيعه]

وله صحبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورواية عنه . وعمر بعده عمراً طويلاً ؛ وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وروى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌ خاصٌ يستغنى بشهرته عن ذكره . ثم خرج طالباً بدم الحسين بن علي عليهما السلام ، مع المختار بن أبي عبيد ، وكان معه حتى قتل وأفلت هو ، وعمر أيضاً بعد ذلك .

[رأى الرسول في حجة الوداع]

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحي بمكة ، قال : حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال : حدثني يزيد بن مليل ، عن أبي الطفيل أنه رأى النبي ﷺ في حجة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويستلم الركن بمحجنه . أخبرناه محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الرياشي قال : حدثنا أبو عاصم عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل بمثله ، وزاد فيه : «ثم يقبل المحجن» .
[علي يجيب أسئلة]

حدثني أبو عبيد الله الصيرفي قال : حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال : حدثنا أبو نعيم عن بسام الصيرفي عن أبي الطفيل قال : سمعتُ علياً عليه السلام يخطب فقال : سلوني قبل أن تفقدوني . فقام إليه ابن الكواء ، فقال : ما ﴿الذارياتِ ذروا﴾ ؟ قال : الرياح . قال : ف﴿الجارياتِ يسرا﴾ ؟ قال : السفن . قال : ف﴿الحاملاتِ وقرا﴾ ؟ قال : السحاب . قال : ف﴿المقسماتِ أمرا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ ؟ قال : الأفجران من قريش : بنو أمية وبنو مخزوم . قال : فما كان ذو القرنين ، أنبيأ أم ملكاً ؟ قال : كان

1 لأبي الطفيل ترجمة في خزائن البغدادية 4 : 40-44 وتهذيب ابن عساكر 7 : 200 والإصابة ، وانظر أعلام الزركلي .

عبداً مؤمناً ، أو قال صالحاً ، أحبَّ الله وأحبه ، ضُربَ ضربةً على قرنيه الأيمنِ فمات ، ثم بُعث وضُربَ ضربةً على قرنيه الأيسرِ فمات . وفيكم مثله .

وكتب إليَّ إسماعيل بن محمد المري الكوفي يذكر أنَّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسام . وذكر مثله .

[تقديم شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : بلغني أنَّ بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنيَم : أنشدني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدة أبي الطفيل : [من الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عشتُ برهةً وهنَّ من الأزواجِ نحوي نوازعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجاج أيضاً : أنشدني قولَ شاعرٍكم : «أيدعونني شيخاً» ، فأنشده إياه فقال : قاتله الله مُنافقاً ، ما أشعره !

[محاورة معاوية له]

حدّثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي ، المعروف بابن أبي موسى ، قال : حدّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال : حدّثني أبي قال حدّثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال : سمعت ابن جَديم الناجي يقول : لما استقامَ لمعاوية أمرُهُ لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطفيل عامر بن واثلة ، فلم يزل يكاتبه ويلطّف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعل يسأله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عمرو بن العاص ونفّرَ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحسن . ثم قال : يا أبا الطفيل ما بلغَ من حبِّك لعليّ ؟ قال حبُّ أمِّ موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب¹ ، وإلى الله أشكو التقصير . قال معاوية : إنَّ أصحابي هؤلاء لو سئلوا عني ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك . قالوا : إذا والله ما نقولُ الباطل . قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون . ثم قال معاوية : وهو الذي يقول : [من الطويل]

إلى رَجَبِ السَّبعينَ تعرّفونني مع السيفِ في حوَاءِ جَمٍّ عديدها²
رَجوفٍ كمتنِ الطُّودِ فيها معاشرُ كغلبِ السَّباعِ نمرُها وأسودها³
كهُولٍ وشَبانٍ وساداتُ معشرٍ على الخيلِ فُرسانٌ قليلٌ صدودها

1 الرقوب : الذي مات ولده .

2 حوَاء : سوداء ، وهو يصف كتيبة .

3 رجوف : تضطرب لكثرتها . الغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقة .

كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ تَحْتَ لَوَائِهَا إِذَا طَلَعَتْ أَعَشَى الْعَيُونَ حَدِيدُهَا
يَمُورُونَ مَوْرَ الرِّيحِ إِمَّا ذَهَلْتُمْ وَزَلْتُمْ بِأَكْفَالِ الرِّجَالِ لِبُودُهَا¹
شِعَارُهُمْ سِيَمَا النَّبِيِّ ، وَرَايَةً بِهَا انْتَقَمَ الرَّحْمَنُ مِمَّنْ يَكِيدُهَا
تَخَطَّفُهُمْ إِيَّاكُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ كَخَطَفِ ضَوَارِي الطَّيْرِ طَيْراً تَصِيدُهَا²

فقال معاوية لجلسائه : أَعَرَفْتُمُوهُ ؟ قالوا : نعم ، هذا أَفْحَشُ شَاعِرٍ وَلَأَمُّ جَلِيسٍ . فقال معاوية : يَا أَبَا الطُّفَيْلِ أَتَعْرِفُهُمْ ؟ فقال : مَا أَعْرِفُهُمْ بِخَيْرٍ ، وَلَا أَبْعَدُهُمْ مِنْ شَرٍّ . قال : وَقَامَ حَزِيمَةُ الْأَسَدِيِّ فَأُجَابَهُ فَقَالَ :

إِلَى رَجَبٍ أَوْ غُرَّةِ الشَّهْرِ بَعْدَهُ تَصْبِحُكُمْ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا
ثَمَانُونَ أَلْفًا دِينَ عِثْمَانَ دِينَهُمْ كَنَائِبُ فِيهَا جِبْرِئِيلُ يَقُودُهَا
فَمَنْ عَاشَ مِنْكُمْ عَاشَ عَبْدًا وَمَنْ يَمِتْ فِي النَّارِ سُقْيَاهُ هُنَاكَ صَدِيدُهَا

[يُخْرِجُ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ الْحَبْسِ]

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ مُسَاحِقٍ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ الشَّامِ حَبَسَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي سِجْنِ عَارِمٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَيْهِمْ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ ، حَتَّى أَتَوْا سِجْنَ عَارِمٍ فَكَسَرُوهُ وَأَخْرَجُوهُ ، فَكَتَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَخِيهِ مُصْعَبٍ : أَنْ يَسِيرَ نِسَاءُ كُلِّ مَنْ خَرَجَ لَذَلِكَ . فَأَخْرَجَ مُصْعَبٌ نِسَاءَهُمْ وَأَخْرَجَ فِيهِنَّ أُمَّ الطُّفَيْلِ امْرَأَةَ أَبِي الطُّفَيْلِ ، وَابْنًا لَهُ صَغِيرًا يَقَالُ لَهُ يَحْيَى ، فَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ فِي ذَلِكَ :

إِنْ يَكُ سَيْرُهَا مُصْعَبُ فَإِنِّي إِلَى مُصْعَبٍ مَذْنِبُ
أَقُودُ الْكُتَيْبَةَ مُسْتَلَمًا كَأَنِّي أَخُو غُرَّةٍ أَجْرَبُ³
عَلِيٌّ دِلَاصٌ تَخَيَّرْتُهَا وَفِي الْكَفِّ ذُو رُونٍ مَقْضَبُ
سَعَرْتُ عَلَيْهِمْ مَعَ السَّاعِرِينَ نَارًا إِذَا خَمَدَتْ تَنْقَبُ
فَلَوْ أَنْ يَحْيَى بِهِ قُوَّةُ فَيَغْدُو مَعَ الْقَوْمِ أَوْ يَرْكَبُ
وَلَكِنْ يَحْيَى كَفَرَخِ الْعِقَابِ وَالْوَكْرُ مُسْتَضْعَفُ أَرْغَبُ

1 زل لبودها : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .

2 طيراً في ل : صيداً .

3 العرة : الجرب .

[تشيع أبي الطفيل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن حميد الرازي قال : حدثنا سلمة بن الفضل عن فطر بن خليفة قال : سمعت أبا الطفيل يقول : لم يبق من الشيعة غيري . ثم تمثل :

وخلقتُ سهماً في الكنانة واحداً سيُرمى به أو يكسر السهم كاسره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو عاصم قال : حدثني شيخ من بني تميم اللات قال : كان أبو الطفيل مع المختار في القصر ، فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ وقال :

ولما رأيت الباب قد حيلَ دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسراً

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النشائي قال : حدثني المفضل بن غسان قال : حدثني عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكي ، عن ابن جريج عن عطاء قال : دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال : أصبحت كما قال الشاعر¹ :

فإن تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيد الله أخوه يطعم الناس ، فما بقي لك ؟ فأحفظه ذلك فأرسل صاحب شرطته عبد الله بن مطيع فقال له : انطلق إلى ابني عباس فقل لهما : أعمدتما إلى راية تربية² قد وضعها الله فنصبتماها ، بددا عني جمعكما ومن ضوى³ إليكما من ضلال أهل العراق ، وإلا فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : ثكلتك أمك ، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالب فقه أو طالب فضل ، فأبي هذين تمنع ؟ فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة يقول :

لا در در الليالي كيف توضحكنا منها خطوط أعاجيب وتبكيها

ومثل ما تحدث الأيام من غير يا ابن الزبير عن الدنيا يسليها

كنا نجسي ابن عباس فيقيسنا علماً ويكسينا أجراً ويهدينا

1 ذو الاصبع العدواني (الفضليات) .

2 نسبة إلى أبي تراب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

3 ضوى : انضم .

ولا يزالُ عبيدُ الله مترعةً جفانه مُطعماً ضيفاً ومسكيناً
فالبرُّ والدَّيْنُ والدُّنيا بدارهما نال منها الذي نبغي إذا شينا
إنَّ النبيَّ هو النور الذي كُشِفَتْ به عَمَايَاتُ باقينا وماضينا
ورهُطُهُ عِصْمَةٌ في ديننا ولهمُ فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا
ولستَ فاعلمهُ أولى منهمُ رجماً يا ابنَ الزُّبَيْرِ ولا أولى بهِ ديناً
ففيهمَ تمنُّعُهُمُ عَنَّا وتمنعنا منهم ، وتؤذيهُمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتِي اللهَ مَنْ أخزى بيغضهم في الدَّيْنِ عزّاً ولا في الأرضِ تمكيناً

[بكاؤه على ابنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني الزُّبَيْر بن بَكَار قال : حدّثني بعض أصحابنا : أنَّ أبا الطُّفَيْلِ عامر بن واثلة دُعي في مأدبة ، فغَنَّت فيها قينته قوله يرثي ابنه :

خَلَّى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الهمَّ وانشعبا وهَدَّ ذلك ركني هَدَّةً عَجبا
فَبَكَي حَتَّى كَادَ يَمُوتُ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمِّي عن طلحة بن عبد الله الطلحي ، عن أحمد بن إبراهيم : أنَّ أبا الطُّفَيْلِ دُعي إلى وليمة فغَنَّت قينة عندهم :

خَلَّى عَلَيَّ طُفَيْلٌ الهمَّ وانشعبا وهَدَّ ذلك ركني هَدَّةً عَجبا
وإِنِّي سُمِيَّةٌ لا أنساها أبداً فيمن نَسِيت وكلُّ كان لي وصبا

فجعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه طُفَيْل ! ويكي حتى سقط على وجهه ميتاً .
وأخبرني محمد بن يزيد قال : حدّثنا حماد عن أبيه بخبر أبي الطُّفَيْل هذا ، فذكر مثل ما مضى ، وزاد في الأبيات :

فامِلِكْ عَزَاءَكَ إِنْ رَزَيْتَ بَلِيَّتَ بِهِ فَلَنْ يَرُدَّ بكاءُ المرءِ ما ذهباً
وليس يَشْفِي حزيناً مِنْ تذكُّرِهِ إِلَّا البكاءُ إذا ما نَحَّ وانتحبا
فإِذْ سَلَكْتَ سَبِيلاً كُنْتَ سَالِكَهَا وَلَا تَحَالَةَ أَنْ يَأْتِيَ الذي كُنْتَ
فما لبطنك من ريٍّ ولا شَيْع وَلَا ظَلَّلْتَ بياقي العيش مُرتعباً

[غناء طويس بشعره]

وقال حماد بن إسحاق حدّثني أبي قال : حدّثني أبو عبد الله الجمحي عن أبيه قال : بينا فتيةٌ من قریش يبطن محسراً يتذكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار ، إذ أقبل طُويسٌ وعليه قميص

قُوْهيٍّ وَجَبْرَةٍ قَدْ ارْتَدَى بِهَا ، وَهُوَ يَخْطِرُ فِي مِشْيَتِهِ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : يَا أَبَا عَبْدِ
الْمَنْعَمِ ، لَوْ غَنَيْتُنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً أَغْنِيَكُمْ بِشَعْرِ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مِنْ شِيعَةِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَصَاحِبِ رَايَتِهِ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ
وَشَاعَرَهُمْ . قَالُوا : وَمَنْ ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَنْعَمِ فَذَلِكَ أَنْفُسُنَا ؟ قَالَ : ذَلِكَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ
وَائِلَةَ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَغَنَى :

أَيْدَعُونِي شَيْخًا وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً وَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
فَطَرِبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : مَا سَمِعْنَا قَطُّ غَنَاءَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا .
وَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ لَحْنًا وَلَكِنَّهُ لَيْسَ يُعْرَفُ .

صوت¹

[من الخفيف]

لِمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانٍ بَيْنَ شَاطِئِ الْيَرْمُوكِ فَالْصَّمَانِ
فَالْقَرِيَّاتِ مِنْ بِلَاسِ فِدَارٍ يَا فَسْكَاءَ فَالْقُصُورِ الدَّوَانِي²
ذَاكَ مَعْنَى لَّالِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ رِ وَحَقُّ تَصَرُّفِ الْأَزْمَانِ
صَلَوَاتِ الْمَسِيحِ فِي ذَلِكَ الْدِي رِ دَعَاءِ الْقِسْيَسِ وَالرُّهْبَانِ
الشَّعْرُ لِحْسَانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْغَنَاءُ لِحْنِ بْنِ بَلْعَجٍ ، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
الْوَسْطَى .

وَهَذَا الصَّوْتُ مِنْ صُدُورِ الْأَغَانِي وَمَخْتَارِهَا ، وَكَانَ إِسْحَاقُ يَقْدِّمُهُ وَيَفْضُلُهُ . وَوُجِدَتْ
فِي بَعْضِ كُتُبِهِ بِخَطِّهِ قَالَ : الصَّيِّحَةُ الَّتِي فِي لَحْنِ حَنِينٍ :

لَمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانٍ
أُخْرِجَتْ مِنَ الصَّدْرِ ، ثُمَّ مِنَ الْحَلْقِ ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْفِ ، ثُمَّ مِنَ الْجَبْهَةِ ، ثُمَّ نُبِرَتْ فَأُخْرِجَتْ
مِنَ الْقِحْفِ ، ثُمَّ نُوتَتْ مَرْدُودَةً إِلَى الْأَنْفِ ، ثُمَّ قُطِعَتْ .
وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَبْيَاتٍ غَيْرِهَا مِنَ الْقَصِيدَةِ الْخَانَ لَجْمَاعَةٍ اشْتَرَكُوا فِيهَا ، وَاخْتَلَفَ أَيْضًا
مُؤَلِّفُو الْأَغَانِي فِي تَرْتِيبِهَا وَنَسَبِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ إِلَى صَاحِبِهَا الَّذِي صَنَعَهَا ، فَذَكَرْتُ هَاهُنَا
عَلَى ذَلِكَ وَشَرِّحَ مَا قَالُوهُ فِيهَا . فَمَنْهَا :

[من الخفيف]

1 ديوان حسان : 255 وفيه «فالحمان» .

2 جميع ما ذكر أسماء مواضع أو بلاد .

صوت

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالحواشي فجانبُ الجولانِ
 فجمي جاسم فأنية الصُّف ر مغنى قنابلٍ وهجان¹
 فالقريات من بلاس فدار يا فسكاء فالقصور الدواني
 قد دنا الفصح فالولائدُ ينظم من سراعاً أكلة المُرجانِ
 يتبارين في الدعاء إلى اللد ه وكل الدعاء للشيطانِ
 ذاك مغنى لآل جفنة في الده ر وحق تصرف الأزمانِ
 صلوات المسيح في ذلك الدد ر دعاء القسيس والرهبانِ
 قد أراني هناك حق مكين عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة أن لابن محرز في الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أول بالنصر .

وذكر علي بن يحيى أن لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى ، وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل ، ولحمد بن إسحاق بن برثع² ثقيل أول في الرابع والثامن .

وذكر الهشامي أن في الأول لمالك خفيف ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبش أن لمعبد في الأول والثاني والرابع ثقيلاً أول بالنصر .

1 القنابل : جماعات الخيل والناس ، واحدها قنبل وقنبلة .

2 ل : بزيح .

[286] - أخبار حسان وجبله بن الأيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً : حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال : حدثني يوسف بن الماجشون عن أبيه قال : قال حسان بن ثابت : أتيت جبله بن الأيهم الغساني وقد مدحته ، فأذن لي فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له صفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأمّا هذا فلا أعرفه . قال : فهو علقمة بن عبدة ، فإن شئت استنشدتهما وسمعت منهما ، ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت ، وإن شئت أن تسكت سكت . قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليلى أفاقيه بطيء الكواكب
قال : فذهب نصفي . ثم قال لعلقمة : أنشد . فأنشد :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب¹
فذهب نصفي الآخر فقال لي : أنت أعلم ، الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت ، وإن شئت أن تسكت سكت . فتشددت ثم قلت : لا بل ، أنشد . قال : هات . فأنشدته² :

لله در عصابة نادمتها	يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل ³
يسقون من ورد البريص عليهم	كأساً تصفّق بالرحيق السلسل ⁴
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول

فقال لي : ادنه ادنه ، لعمري ما أنت بدونهما . ثم أمر لي بثلاثمائة دينار ، وعشرة أقمصة لها جيب واحد ، وقال : هذا لك عندنا في كل عام .

1 طحا : ألقى .

2 ديوان حسان : 74-75 .

3 أولاد في ل : أبناء . الكريم في ل : الجواد .

4 البريص : نهر بدمشق .

وقد ذكر أبو عمرو الشيباني هذه القصة لحسان ووصفها وقال : إنما فضّله عمرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامية . وأتى بالقصة أتم من هذه الرواية .

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرو بن الحارث فاعتاصَ عليّ الوصولُ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدة : إن أذنتَ لي عليه وإلا هجرتُ اليمنُ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريرة ، قد عرفتُ عيصك¹ ونسبك في غسان فارجعْ فإنّي باعثُ إليك بصيلة سنيّة ، ولا أحتاجُ إلى الشعر ، فإنّي أخاف عليك هذين السبعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي ، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول : [من الطويل]

رِقاقُ النعال طيّبٌ حجزاتهم يُحيّون بالريحانِ يوم السباسبِ
فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عمّيك . فقلتُ لهما : بحقّ الملكِ إلّا قدّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفريرة . فأنشأتُ : [من الكامل]

أسألتُ رسمَ الدارِ أم لم تسألِ بينَ الحوائِ فالبُضيعُ فحومل²
فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل³ عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعرُ ، لا ما تعلّلاني به منذ اليوم ! هذه والله البتارة⁴ التي قد بترت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريرة ، هاتِ له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كلّ دينار عشرة دنائير . فأعطيتُ ذلك ثم قال : لك عليّ في كلّ سنة مثلهما .

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا أنعم صباحاً أيّها الملك المبارك ، السّماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، والوديّ فداؤك ، والعربُ وقاؤك ، والعجم حِماؤك ، والحكماء جُلُساؤك ، والمدّاره سُمّارك ، والمقاول إخوانك⁵ ، والعقل شيعارك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبرُّ وسادك ، والصّدق رداؤك ، واليُمنُ حِذاؤك ، والسّخاء ظِهارتك ، والحميّة بطانتك ، والقلا عَلايتك⁶ ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آبائك ، وأفضل الأعمام أعمامك ،

1 العيص : الأصل .

2 فالبضيع في ل : فالنضيع .

3 زحل : تنحى وتباعد .

4 ل : البتاة .

5 المقاول : جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .

6 العلاية : الموضع المرتفع .

وأَسْرَى الأَحْوَالِ أُنْخَوَالِكَ ، وَأَعْفَى النِّسَاءِ حَلَالُكَ ، وَأَفْخَرَ الشَّبَّانِ أَبْنَاؤُكَ ، وَأَطْهَرَ الْأَمْهَاتِ
أَمْهَاتِكَ ، وَأَعْلَى الْبَنِيَانِ بُنْيَانُكَ ، وَأَعَذَبُ الْمِيَاهِ أَمْوَاهُكَ ، وَأَفْيَحُ الدَّارَاتِ دَارَاتُكَ¹ ، وَأَنْزَهَ الْحَدَائِقِ
حَدَائِقُكَ ، وَأَرْفَعَ اللَّبَاسِ لِبَاسُكَ ، قَدْ حَالَفَ الْإِضْرِيحُ² عَاتِقَيْكَ ، وَلَاءَمَ الْمِسْكِ مَسْكُكَ³ ،
وَجَاوَزَ الْعَنْبِرَ تَرَاتِبُكَ ، وَصَاحَبَ النِّعِيمُ جَسَدُكَ . الْعَسْجَدُ آتَيْتَكَ ، وَاللُّجَيْنُ صِحَافُكَ ،
وَالْعَصْبُ مَنَادِيلُكَ ، وَالْحَوَارَى⁴ طَعَامُكَ ، وَالشُّهْدُ إِدَامُكَ ، وَاللِّذَاتُ غِذَاؤُكَ ، وَالْخُرُطُومُ⁵
شَرَابُكَ ، وَالْأَبْكَارُ مُسْتَرَاكِكَ ، وَالْأَشْرَافُ مَنَاصِفُكَ⁶ ، وَالْخَيْرُ بَفَنَائِكَ ، وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
أَعْدَائِكَ ، وَالنَّصْرُ مَنُوطٌ بِلَوَائِكَ ، وَالْخِذْلَانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَادِكَ ، وَالْبِرُّ فِعْلُكَ ، قَدْ طَحَطَحَ⁷
عَدُوَّكَ غَضَبُكَ ، وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهُدُكَ ؛ وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ ، وَشَسَعَ⁸ بِالنَّصْرِ ذَكَرُكَ ،
وَسَكَّنَ قَوَارِعَ الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . الذَّهَبُ عَطَاؤُكَ ، وَالذَّوَاةُ رِمَزُكَ ، وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ وَإِطْرَاقُكَ ،
وَأَلْفَ دِينَارٍ مَرْجُوحَةٍ إِنَّمَاؤُكَ . أَيَفَاخِرُكَ الْمُنْذِرُ اللَّخْمِيُّ ، فَوَاللَّهِ لَقَفَاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ ،
وَلِشِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ ، وَلَأَخْمَصُكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلِخَطَاؤِكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ ، وَلِصِمْتِكَ
خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ ، وَلَأَمْلَكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ، وَلِخِدْمِكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي أَسَارِي قَوْمِي ،
وَاسْتَرْهِنْ بِذَلِكَ شَكْرِي ؛ فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَحْطَانَ ، وَأَنَا مِنْ سَرَواتِ عَدْنَانَ .
فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلَيْشَ عَلَى الْمَلُوكِ ،
وَجِثْلُ ابْنِ الْفَرِيعةِ فَلْيَمْدَحْهُمْ ! وَأَطْلُقْ لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ .

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هَذِهِ الْقِصَّةَ نَحْوَ هَذَا وَقَالَ : فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : اجْعَلِ الْمَفَاضِلَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ
الْمُنْذِرِ شِعْراً فَإِنَّهُ أَسِيرٌ⁹ . فَقَالَ :

وَنُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا مَنْذِرٍ يُسَامِيكَ لِلْحَدَثِ الْأَكْبَرِ
قَدْ أَلْكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمْلَكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ

1 أفيح : أوسع .

2 الإضريح : ضرب من الأكسية أصفر ، أو هو الخو الأحمر .

3 المسك : الجلد .

4 الحواري : الدقيق الأبيض .

5 الخرطوم : الخمر القوية .

6 المناصف : جمع منصف ، وهو الخادم .

7 طحطح : بدد وفرق .

8 شسع : ذلج .

9 أسير : أكثر سيراً بين الناس .

وَيُسْرَاكَ أَجُودُ مِنْ كَفِّهِ الْيَمِينِ فَقُولَا لَهُ أُخْرٍ
وقد ذكر المدائني أَنَّ هذه الأبيات والسجع الذي قبلها لحسان ، وهذا أصح .
[قدوم جبلة بن الأيهم على عمر]

قال أبو عمرو الشيباني : لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جَفَنَةَ ، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر . فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته ، من عكٍّ وغَسَّانَ ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فسرَّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزال¹ ، وأمر جبلةً بمائتي رجلٍ من أصحابه فلبسوا الدِّيَّاجَ والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلةً تاجه وفيه قُرطاً ماريةً ، وهي جدته ، ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانسٌ إلا تبرَّجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه ، فلما انتهى إلى عمر رحَّبَ به وأطفه وأدنى مجلسه ؛ ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةً ، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطىء إزاره رجلٌ من بني فزارة فأنخل ، فرفع جبلةً يده فهشم أنفَ الفزاري ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنه تعمَّد حلَّ إزاري ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإما أن رضيَ الرجلُ وإما أن أقيده منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي ؟ قال : أمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقَةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنَّ الإسلامَ جَمَعَكَ وإياه ، فلستَ تفضله بشيءٍ إلا بالتقى والعافية !! قال جبلة : قد طننتُ يا أمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك فإنك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدته منك . قال : إذا أنتصر . قال : إن تنصرتَ ضربتُ عنقك ، لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصَّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت تكون بينهم فتنه ، فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلةً بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكَّةَ وهي منهم بلاقع ، فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هرقل ، فتنصَّر هو وقومه ؛ فسرَّ هرقلُ بذلك جداً وظنَّ أنه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النزل ما شاء ، وجعله من محدثيه وسُمَّاره . هكذا ذكر أبو عمرو الشيباني .

وذكر ابن الكلبي أَنَّ الفزاريَّ لما وطىء إزارَ جبلة لطم جبلةً كما لطمه ، فوثبت غَسَّان

1 أنزال : جمع نزل ، وهو ما يهيا للضيف .

فهمشمو أثفّه وأتوا به عمر ، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرّميّ بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدّثه عن أبيه : أن جبلة قدم على عمر رضي الله عنه في ألف من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة يوماً كلاماً ، فسبّ المديني فردّ عليه ؛ فلطمه جبلة فلطمه المديني ، فوثب عليه أصحابه فقال : دَعُوهُ حتّى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنك فعلت به فعلاً ففعل بك مثله . قال : أو ليس عندك من الأمر إلّا ما أرى . قال : لا فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبّنا ضربناه ، ومن ضربنا قتلناه . قال : إنّما أنزل القرآن بالقصاص . فغضب وخرج بمنّ معه ودخل أرض الروم فتنصّر ، ثم ندم وقال :

تنصّرت الأشراف من عارٍ لطمّة

وذكر الأبيات ، وزاد فيها بعد :

ويا لست لي بالشام أدنى معيشة أجالسُ قومي ذاهبَ السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة وقد يحبس العود الضجّور على الدبر¹

[دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام]

وذكر باقي خبره فيما وجّه به إلى حسّان مثله ، وزاد فيه : أن معاوية لما وليّ بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعدّه إقطاع الغوطة بأسرها ، فأبى ولم يقبل . ثم إن عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام ، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه ، وهو جثامة بن مساحق الكناني ، فلمّا انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كلّ شيء سوى الإسلام ، فلمّا أراد الرسول الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابن عمّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا ؟ قال : لا . قال : فالفقه . قال الرجل : فتوجّهت إليه فلمّا انتهيت إلى بابهِ رأيتُ من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل ؛ فلمّا أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قواريير ، قوائمه أربعة أسدٍ من ذهب وإذا هو رجلٌ أصهب ذو سبالٍ وعُثنون ؛ وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس ، فما بين يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح ، فما رأيت أحسن منه . فلمّا سلمتُ ردّ السلام ورحّب بي ، وألطفني ولامني على تركي النزول عنده ، ثم أقعدني على شيء لم أثبتّه ، فإذا هو كرسيٌّ من ذهب ، فأنحدرت عنه فقال : ما لك ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا . فقال جبلة أيضاً مثلَ قولِي في النبي ﷺ حين ذكرته ، وصلى عليه . ثم قال : يا هذا إنك إذا

طَهَّرَتْ قَلْبَكَ لَمْ يَضُرَّكَ مَا لَبَسْتَهُ وَلَا مَا جَلَسْتَ عَلَيْهِ . ثُمَّ سَأَلَنِي عَنِ النَّاسِ وَأَخْلَفَ فِي السُّؤَالِ عَنْ عَمْرٍ ، ثُمَّ جَعَلَ يَفَكِّرُ حَتَّى رَأَيْتَ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ ؛ فَقُلْتُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى قَوْمِكَ وَالْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ كَانَ ؟ قُلْتُ : قَدْ ارْتَدَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَمَنْعَهُمُ الزَّكَاةَ وَضَرَبَهُمُ بِالسَّيْفِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَتَحَدَّثْنَا مِلِّيًّا ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى غُلَامٍ عَلَى رَأْسِهِ فَوَلَّى يُحْضِرُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا هَنِيئَةً حَتَّى أَقْبَلَتْ الْأَخُونَةُ يَحْمِلُهَا الرِّجَالُ فَوَضِعَتْ ، وَجِيءَ بِخَوَانٍ مِنْ ذَهَبٍ فَوَضِعَ أَمَامِي فَاسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ ، فَوَضَعَ أَمَامِي خَوَانُ خُلْنَجٍ¹ وَجَامَاتُ قَوَارِيرٍ² ، وَأَدِيرَتِ الْخُمُرُ فَاسْتَعْفَيْتُ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَعْنَا دَعَا بِكَأْسٍ مِنْ ذَهَبٍ فَشَرِبَ بِهِ خَمْسًا عَدَدًا . ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى غُلَامٍ فَوَلَّى يُحْضِرُ ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِعَشْرِ جَوَارٍ يَتَكَسَّرُونَ فِي الْحَلِيِّ ، فَقَعَدَ خَمْسٌ عَنْ يَمِينِهِ وَخَمْسٌ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ وَسُوسَةً مِنْ وَرَائِي ، فَإِذَا أَنَا بِعَشْرِ أَفْضَلٍ مِنَ الْأَوَّلِ عَلَيْهِنَ الْوَشْيُ وَالْحَلِيُّ ؛ فَقَعَدَ خَمْسٌ عَنْ يَمِينِهِ وَخَمْسٌ عَنْ شِمَالِهِ ؛ وَأَقْبَلَتْ جَارِيَةً عَلَى رَأْسِهَا طَائِرٌ أَيْضٌ كَأَنَّهُ لَوْلُؤَةٌ ، مُؤَدَّبٌ ، وَفِي يَدِهَا الْيَمْنَى جَاوِيٌّ فِيهِ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ قَدْ خُلِطَا وَأَنْعِمَ سَحْقُهُمَا ، وَفِي الْيَسْرَى جَاوِيٌّ فِيهِ مَاءٌ وَرَدٌ ، فَأَلْقَتْ الطَّائِرَ فِي مَاءِ الْوَرْدِ ، فَتَمَعَّكَ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ وَظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتُهُ فَأَلْقَتْهُ فِي جَامِ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ ، فَتَمَعَّكَ فِيهَا حَتَّى لَمْ يَدَعْ فِيهَا شَيْئًا ، ثُمَّ نَفَرَتْ فَسَقَطَ عَلَى تَاجِ جَبَلَةٍ ، ثُمَّ رَفَرَفَ وَنَفَضَ رِيشَهُ فَمَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا سَقَطَ عَلَى رَأْسِ جَبَلَةٍ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَوَارِيِّ : أَطْرَبْنِي . فَخَفَقَنَ بَعِيْلَهُنَّ يَغْنِينُ :

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابِيَّةٌ نَادَمْتُهُمْ	يَوْمًا بِجَلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٍ أَحْسَابُهُمْ	شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابَهُمْ	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ

فَاسْتَهْلَّ وَاشْتَبَشَرَ وَطَرِبَ ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي . فَانْدَفَعَنَ يَغْنِينُ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

لِمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعَانٍ	بَيْنَ شَاطِئِي الْيَرْمُوكِ فَالْصَّمَّانِ
فَجِمَى جَاسِمٍ فَأَبْنِيَةُ الصُّفِّ	رِ مَغْنَى قُنَابِلٍ وَهَجَانِ
فَالْقُرَيَاتِ مِنْ بِلَاسِ فِدَارٍ	يَا فَسْكَاءَ فَالْقَصُورِ الدَّوَانِي
ذَاكَ مَغْنَى لآلِ جَفْنَةٍ فِي الدَّ	إِ وَحَقُّ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ
قَدْ دَنَا الْفِصْحُ فَالْوَلَايَةُ يَنْظُمُ	نَ سِرَاعًا أَكَلَةَ الْمَرْجَانِ

1 الخُلْنَجُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْ خَشَبِهِ الْأَوَانِي .

2 قَوَارِيرُ : مِنَ الرَّجَاجِ .

لم يُعْلَلْنَ بالمغافير والصِّمَّ غ ولا نَقْفَرُ حَنْظَلُ الشَّرِيَانِ
قد أراني هناك حقاً مكينا عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلنا في ملكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت ، شاعر رسول الله ﷺ . قلت : أما إنه مضرور البصر كبير السن . قال : يا جارية هاتي . فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الدياج ، فقال : ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام . ثم أرادني على مثلها ، فأبيت فبكي ، ثم قال لجواريه : إيكيتني . فوضعن عيدانهن وأنشان يقطن :

تنصرت الأشراف من عارٍ لطمية وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفني فيها لجأج ونخوة وبعث بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكى معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ ، ثم سلمت عليه وانصرفت ، فلما قدمت على عمر سألتني عن هرقل وجبله ، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، فقال : أو رأيت جبله يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعد الله ، تعجل فانية اشتراها بباقية ، فما ربحت تجارتها ، فهل سرح معك شيئاً ؟ قلت : سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب دياج . فقال : هاتها . وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إني لأجد أرواح آل جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرف عنه وهو يقول¹ :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يَغْذُهُم آبَاؤُهُم بِاللُّومِ
لم ينسني بالشام إذ هو ربها كلاً ولا متنصراً بالرَّومِ
يُعْطِي الجَزِيلَ ولا يَراه عنده إلا كَبْعُ عَطِيَّةِ المَذْمومِ
وأتيته يوماً فقرَّب مجلسي وسقى فرواني من الخُرطومِ

فقال له رجل في مجلس عمر : أتذكر يوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممن الرجل ؟ قال : مُزَنِي . قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله ﷺ لطوقتك طوق الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليُخِلَّ بي ، فما قال لك ؟ قال : قال إن وجدته حياً فادفعها

إليه ، وإن وجدته ميتاً فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتع بهذه الدنانير بُدْناً فاخرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي ؟
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير قال : قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبيريّ : قال الرسولُ الذي بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامين والطائر الذي تمعك فيهما ، وذكر قولَ حسان : [من الكامل]

إن ابنَ جفنةَ من بقيةِ معشرٍ

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر .

[رسول معاوية وجبلة]

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : قال عبد الله بن مسعدة الفراريّ : وجّهني معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلّمني بالعربية فقلت : مَنْ أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلبَ عليه الشقاء ، أنا جبلة بن الأيهم ، إذا صرتُ إلى منزلي فألقني . فلما انصرفَ وانصرفَ أتيتُهُ في داره فألفيته على شرابه ، وعنده قينتانِ تغنيانه بشعر حسان بن ثابت :

قد عفا جاسمٌ إلى بيتِ رأسٍ فالجوابي فجانِبِ الجولانِ
وذكر الأبيات . فلما فرغنا من غنائهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسان بن ثابت ؟ قلت : شيخٌ كبيرٌ قد عمي . فدعا بألف دينار فدفعها إليّ ، وأمرني أن أدفعها إليه ثم قال : أترى صاحبك يفي لي إن خرجتُ إليه ؟ قال : قلت قل ما شئتُ أعرضه عليه . قال : يُعطيني الثنيةَ فإنها كانت منازلنا ، وعشرين قريةً من الغُوطَة منها دارياً وسكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزنا . قال : قلت أبلغه . فلما قدِمْتُ على معاوية قال : وددتُ أنّك أجبتَه إلى ما سألتُ فأجزته له . وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجده قد مات .

قال : وقَدِمْتُ المدينةَ فدخلتُ مسجدَ رسول الله ﷺ ، فلقيتُ حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جبلةٌ يقرأ عليك السلام . فقال : هات ما معك . قلت : وما عِلْمُكَ أنّ معي شيئاً ، قال : ما أرسل إليّ بالسّلام قطّ إلّا ومعَه شيء . قال : فدفعتُ إليه المال .

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال : حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال : حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، عن أهل المدينة قالوا : بعث جبلةٌ إلى حسانَ بخمسائة دينارٍ وكُسي وقال للرسول : إن وجدته قد مات فابسط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجده حياً ، فأخبره فقال : لوددتُ أنّك وجدتني ميتاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني صوت

[من الطويل]

تنصرت الأشراف من عارٍ لطمية وما كان فيها لو صبرت لها ضررُ
الآيات الخمسة .

الشعر لجبله بن الأيهم ، والغناء لعريب نصب خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى ، ومنها :

صوت

[من الكامل]

إن ابن جفنة من بقيةٍ معشرٍ لم يَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ باللُّومِ
الآيات الأربعة . الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالنصر .

[حديث حسان مع الحارث بن أبي شمر]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا عمي يوسف بن محمد قال : حدثني عمي
إسماعيل بن أبي محمد قال : قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح قال : كان حسان بن ثابت
يَغْدُو على جبله بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبي
شمر الغساني ، فإن له قرابةً ورحماً بصاحبي ، وهو أبذلُ الناس للمعروف ، وقد يمس مني أن
أفد عليه ، لما يعرف من انقطاعي إلى جبله .

قال : فخرجتُ في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة ، حتى قدمت على الحارث وقد هيأتُ له
مديحاً ، فقال لي حاجبه ، وكان لي ناصحاً : إن الملك قد سُرَّ بقدمك عليه ، وهو لا يدعُكَ حتى
تذكر جبله ، فإياك أن تقع فيه فإنه إنما يختبرك ، وإن رآكَ قد وقعت فيه زهد فيك ؛ وإن رآكَ تذكر
محاسنه ثقل عليه فلا تبتدئ بذكره ، وإن سألك عنه فلا تُطِيب في الثناء عليه ولا تعبّه ، امسحْ
ذكره مسحاً ، وجاوزه إلى غيره ، فإن صاحبك ، يعني جبله ، أشدُّ إغضاءً عن هذا من هذا ، أي
أشدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أن صاحبك أعقلُ من هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلت
عليه فسوف يدعوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقل عليه أن يؤكل طعامه ولا ييالي درهمٌ والدنار ،
ويثقل عليه أن يشرب شرابه أيضاً ؛ فإذا وُضِعَ طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك ، وإذا دعاك
فأصِيب من طعامه بعض الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرني به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألني عن البلاد وعن الناس ، وعن عيشنا بالحجاز ، وعن رجال
يهود ، وكيف ما يتننا من تلك الحروب . فكل ذلك أخبره حتى انتهى إلى ذكر جبله ، فقال :

كيف تجدُ جبلةً ، فقد انقطعتْ إليه وتركنا ؟ فقلت : إنما جبلة منك وأنت منه . فلم أجر
إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغداء . فأتيت بالغداء ، ووضع الطعام ،
فوضع يده فأكل أكلاً شديداً ، وإذا رجلٌ جبار ، فقال بعد ساعة : ادنْ فأصِيبْ من هذا .
فدنوتُ فخططتُ تخطيطاً ، فأتيت بطعام كثير ، ثم رُفِعَ الطعام وجاء وُصفاءٌ كثيرٌ عددهم ،
معه الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللين فقاموا على رؤوسنا ، ودعا أصحابُ
برابطٍ من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه ، وقام الساقى على رأسي فقال : اشرب . فأبيتُ
حتى قال هو : اشرب . فشربت ، فلما أخذَ فينا الشرابُ أُنشدته شعراً فأعجبه ولذَّ به ،
فأقمتُ عنده أياماً فقال لي حاجبه : إنَّ له صديقاً هو أخفُ الناس عليه ، وهو جاء ، فإذا هو
جاء جفاك وخلص به ، وقد ذُكر قدومه ؛ فاستأذنه قبل أن يقدم عليه ، فإنه قبيحٌ أن يجفوك
بعد الإكرام ، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو ؟ قال : نابعة بني ذبيان . فقلت
للحارث : إن رأى الملكُ أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ
لك بخمسمائة دينار وكُسي وخُملان . فقبضتها وقدم النابعة وخرجتُ إلى أهلي .

صوت¹

[من الطويل]

ألا إن ليلى العامرية أصبحت
وما ذاك من شيء أكون اجترمته
ولكن إنساناً إذا ملَّ صاحباً
وما زال بي ما يُحدث النَّأي والذي
وما زال بي الكتمان حتى كأنني
لأسلم من قول الوُشاة وتسلمي
على النَّأي مني ذنبٌ غيري تنقِمُ
إليها فتجزيني به حيث أعلمُ
وحاول صرماً لم يزل يتجرم²
أعالج حتى كدت بالعيش أبرمُ
يرجع جواب السائل عنك أعجمُ
سَلِمْتُ وهل حي من الناس يسلمُ
عروضه من الطويل . الشعر لنُصيب ، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبيات الأولى
للمجنون . والغناء ليدح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفي الأبيات الأولى منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحش . وذكره حماد بن إسحاق
ولم يجنسه . وفيه لابن سريج هزج خفيف بالنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الآخرين .
وفيه لمعبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالنصر في مجرى النصر عن إسحاق .

1 الأبيات في ديوان نصيب : 123 والثلاثة الأولى منها في ديوان مجنون ليلى أيضاً .

2 يتجرم عليه : يدعي عليه ذنباً لم يفعله .

[287] - خبر بدیع فی هذا الصوت وغيره

[صنعة بدیع]

بُدیع مولى عبد الله بن جعفر ، وكان يقال له بدیع الملیح . وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر ، ونشيط ، وطويس ، وهذه الطبقة . وقد روى بُدیع الحديث عن عبد الله بن جعفر .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا العباس بن محمد الدوري قال : حدثنا أبو عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء ، عن عيسى بن عمر بن موسى ، عن بدیع مولى عبد الله بن جعفر قال : لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر في جماعة فقال له يحيى : جئتني بأوباش من أوباش خيثة ؟ فقال عبد الله : سماها رسول الله ﷺ طيبة وتسميها أنت خيثة ؟ [رقية بدیع لعبد الملك بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : قال داود بن جميل حدثني من سمع هذا الحديث من ابن العتيبي يذكره عن أبيه قال : دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنوت الأسمار ؟ قال : لست صاحب هزل ، والجدة مع عنتي أجحى بي . قال : وما عنتك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه ، فبلغ مني . قال : فإن بُدیعاً مولاي أرقى الناس منه . فوجه إليه عبد الملك فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال : كذبة قبيحة عند خليفة . فما كان بأسرع من أن طلع بدیع فقال : كيف رقيت من عرق النسا . قال : أرقى الخلق يا أمير المؤمنين . قال : فسري عن عبد الله لأن بُدیعاً كان صاحب فكاهة يعرف بها ؛ فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً ، فقال عبد الملك : الله أكبر ، وجدت والله خفاً ، يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية ، فإننا لا نأمن هيجها بالليل فلا ندع بُدیعاً . فلما جاءت الجارية قال بدیع : يا أمير المؤمنين ، امرأته الطلاق إن كتبها حتى تعجل حيائي . فأمر بأربعة آلاف درهم فلما صار المال بين يديه قال : وامرأته الطلاق إن كتبها أو يصير المال إلى منزلي . فأمر به فحمل إلى منزله ، فلما أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا آيات نصيب :

[من الطويل]

ألا إن لئيلي العامرية أصبحت على النأي مني ذنب غيري تنقم

وذكر الآيات وزاد فيها :

وما زلتُ أَسْتَصْفِي لَكَ الْوَدَّ أَبْتَغِي مُحَاسَنَةً حَتَّى كَأَنَّيَ مُجْرِمٌ
قال : ويلكَ ما تقول ؟ قال امرأته الطلاق إن كان رفاك إلّا بما قال . قال : فاكتمها عليّ .
قال : وكيف ذاك ؟ وقد سارت بها البردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحكاً
يفحص برجليه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني الأصمعيّ عن المتنجع
النبهانيّ ، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله . وزاد في الشعر : [من الطويل]

فلا تصرّميني حين لا ليّ مرجعٌ ورائي ولا لي عنكم متقدّم
وقال فيه : فسكن ما كان يجده عبد الملك ، وأمر لبديح بأربعة آلاف درهم ، فقال ابن جعفر
لبديح : ما سمعتُ هذا الغناء منك مذّ ملكتك ! فقال : هذا من تنف سائب خاثر .

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر قال حدثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعيّ عن
ابن أبي الزناد عن نافع ، أراه نافع الخير مولى ابن جعفر ، بهذا الخبر مثله ، وزاد فيه أن بُديحاً
رفع صوته يغني به لما قال له أن يكتب الرقية . وزاد فيه : فجعل عبد الملك يقول : مهلاً يا
بُديح . فقال : إنّما رقيتك كما علّمتُ يا أمير المؤمنين .

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو سلمة الغفاريّ عن عبد الله بن
عمران بن أبي فروة قال : كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمع عبد الملك غناء بُديح ، فدخل إليه
يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولى كانت أمّه
بربريّة ، وكانت ترقّي من هذه العلة ، وقد أخذ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِيَ بُديح ،
فجعل يتفّل على ركة عبد الملك ويُهمهم ، ثم قال : قم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك . فقام
عبد الملك لا يجد شيئاً . فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين مولاك لا بدّ له من صلة . قال : حتّى
تكتب رقيته . ثم أمر جارية له فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون
ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبها على ما فيها .
فأملى عليها : [من الطويل]

ديار سليمي بين عيقة فالمهديّ سقيت ، وإن لم تنطقي ، سبل الرعد
ثم قال له ابن جعفر : لو سمعته منه . قال : أوّجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح
والله حتّى أفرغها في مسامعه .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال حدثني عمّي عبيد الله قال : حدثني سليمان بن
أبي شيخ قال : كنّا عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاءه رجل فقال : يا أبا نعيم ، إنّ الناس

يزعمون أنك رافضي . قال : فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وهو يبكي وقال : يا هذا أصبحت فيكم كما قال نصيب :

[من الطويل]

وما زال بي الكتمان حتى كأنني برجع جواب السائل عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي من الناس يسلم

صوت¹

[من الرمل]

يا غرابَ البين أسمعتَ فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
إنَّ للخير وللشرِّ مدى لكلا ذينك وقتٌ وأجل²
كلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ وبنات الدهر يلعبن بكل
والعطيات خيَّاسٌ بينهم وسواء قبرٌ مثيرٌ ومقل

الشعر لعبد الله بن الزبير السهمي ، يقوله في غزاة أحد ، وهو يومئذٍ مشرك . والغناء لابن سريج خفيف ثقیل أول بالينصر ، عن عمرو على مذهب إسحاق . وفيه لحن لابن مسجع من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجع .

1 شعر ابن الزبير : 41-43 .

2 مجموع شعره : «وجه وقبل» .

[288] - نسب ابن الزبير وأخباره وقصة غزوة أحد¹

[نسبه]

هو عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
[يهجو المسلمين ويمدحهم]

وهو أحد شعراء قريش المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم بعد ذلك فقبِل النبي ﷺ إسلامه وأمنه يوم الفتح .
وهذه الأبيات يقولها ابن الزبير في غزوة أحد .
[غزوة أحد]

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بيعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت من الحديث عن يوم أحد . قالوا : لما أصيبت قريش ، أو من قاله منهم يوم بدر من كفار قريش ، من أصحاب القليب ، فرجع قُلُوبُهم² إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصَفْوَان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة ؛ فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد وتَرَكَمَ وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك ثأراً ممن أُصِيبَ مِنَّا . فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايishها³ ومن أطاعها من قبائل

1 لعبد الله بن الزبير ترجمة في طبقات ابن سلام : 435-444 والمؤلف والمختلف : 194 وسمط الآلي : 387 ، 833 وشرح شواهد المغني 1 : 391 وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري ، بيروت .

2 الفل : الجماعة المنهزمة .

3 أحايish قريش : قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبشي ، وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا بالله أنهم يد واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا الحبشي .

كِنَانَةَ وَأَهْلَ تِهَامَةَ ، وَكُلُّ أَوْلَئِكَ قَدْ اسْتَغْوَوْا¹ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَكَانَ أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرَ ، وَكَانَ فِي الْأَسَارَى ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٌ قَدْ عَرَفْتُهَا ، فَاْمُنْ عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ . فَمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : يَا أَبَا عَزَّةَ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ شَاعِرٌ فَاخْرُجْ مَعَنَا بِنَفْسِكَ . فَقَالَ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَيَّ ، فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَظَاهِرَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : بَلَى فَاْمُنْ بِنَفْسِكَ ، وَلَكَ اللَّهُ إِنْ رَجَعْتَ أَنْ أَعِينَكَ ، وَإِنْ أَصِيتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي ، يَصِيهِنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عُسْرٍ أَوْ يَسْرٍ . فَخَرَجَ أَبُو عَزَّةَ يَسِيرُ فِي تِهَامَةَ وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ ، وَخَرَجَ مُسَافِعُ بْنُ عَبْدِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ جُمَحٍ إِلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ يَحْرِضُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ غَلَامًا يُقَالُ لَهُ وَحْشِيٌّ ، وَكَانَ حَبَشِيًّا يَقْدِرُ بِحَرْبِهِ لَهُ قَذْفَ الْحَبْشَةِ ، فَلَمَّا يَخْطِئُ بِهَا فَقَالَ : اخْرُجْ مَعَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بَعَمِي طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ فَأَنْتَ عَتِيقٌ . وَخَرَجَتْ قَرِيشٌ بِحُدَّهَا وَأَحَابِيشُهَا وَمَنْ مَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَخَرَجُوا بِالظُّنَنِ التَّمَّاسَ الْحَفِيطَةَ ، وَلَثَلَا يَفِرُّوْا . وَخَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ ، مَعَهُ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَرَجَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، بِأَمِّ حَكِيمٍ وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنُ خَلْفٍ بِبِرَّةَ ، وَقِيلَ بِبِرَّةَ مِنْ قَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ ، بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ الثَّقَفِيَّةِ ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ . وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بَسُلَافَةَ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سُهِيلٍ ، وَهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ : مُسَافِعُ ، وَالْجُلَّاسُ ، وَكِلَابُ ، قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ وَأَبُوهُمْ . وَخَرَجَتْ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْمُضَرِّبِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزَّةَ بْنِ عَمِيرٍ ، وَهِيَ أُمُّ مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ . وَخَرَجَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ .

وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا قَالَتْ : إِلَيْهِ أَبَا دَسَمَةَ اسْتَفِرْ . فَنَزَلُوا بِبَطْنِ السَّبْحَةِ مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي تَمَّا لِي الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ : «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بَقْرًا تُذْبَحُ فَأَوْلَتْهَا خَيْرًا ، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سَيْفِي تَلْمًا ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ» .

وَنَزَلَتْ قَرِيشٌ مِنْزَلَهَا مِنْ أَحَدِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، فَأَقَامُوا بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ

الجمعة ، وراح رسول الله ﷺ حين صَلَّى الجمعة فأصبح بالشَّعب من أحد ، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال . وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رأيَه في ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة . فقال رجال من المسلمين ، مِمَّنْ أكرم الله جلَّ ثناؤه بالشهادة يوم أحد وغيرهم مِمَّنْ فاته بدر وحضره : يا رسول الله صَلَّى الله عليك اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة ، ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا يدخلها علينا إلا أصابنا منهم ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء العدو ، حتى دخل رسول الله ﷺ فليس لأمته ، وذلك يوم الجمعة ، حين فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجار فصلَّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس : وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا ! فخرج رسول الله ﷺ عليهم فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صَلَّى الله عليك . فقال عليه السلام : «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» قال : فخرج رسول الله ﷺ في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط ، بين أحد والمدينة ، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم فخرج وعصاني ، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس . فرجع بمن أتبعه من الناس من قومه ، من أهل النفاق والريب ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم . فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عز وجل عنكم .

وقال محمد بن عمر الواقدي : انخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله ﷺ من الشيخين¹ بثلاثمائة ، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ، وكان المشركون في ثلاثة آلاف ، والخييل مائتا فارس ، والطعن خمس عشرة امرأة . قال : وكان في المشركين سبعمائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فاذلج² رسول الله ﷺ من الشيخين حتى طلع الحمراء ، وهما أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان

1 الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر الرسول .

2 اذلج : سار في آخر الليل .

عليهما فيتحدثان ، فلذلك سميا الشيخين ، وهما في طرف المدينة .

قال : وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة بعد المغرب ، فأجاز من أجاز ، ورد من رد . قال : وكان فيمن رد زيد بن ثابت ، وأبو عمرو أسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعرابة بن أوس . قال : وهو عرابة الذي قال فيه السماخ : [من الوافر]

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

قال : ورد أبا سعيد الخدري ، وأجاز سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج . وكان رسول الله ﷺ قد استصغر رافعا ، فقام على خفين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله ﷺ أجازه .

قال محمد بن جرير : فحدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : كانت أم سمرة تحت مربي بن سينان بن ثعلبة ، عم أبي سعيد الخدري ، وكان ربيبه ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر ، رد سمرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سمرة لربيبه مربي بن سينان . أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه ! فقال يا رسول الله : رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه ؟ فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة : اضطربا . فصرع سمرة رافعا ، فأجازه رسول الله ﷺ ، فشهدا مع المسلمين ، وكان دليل النبي ﷺ أبو خيثمة الحارثي .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة ، فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف ، لصاحب السيف : «شِم سيفك فإني أرى السيوف تستتل اليوم» ! ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «من رجل يخرج بنا على القوم من كتب من طريقي لا يمر بنا عليهم ؟» ، فقال أبو خيثمة ، أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فقدّمه فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مال المربع بن قيطي ، وكان رجلا منافقا ضير البصر ، فلما سمع جرس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثي التراب في وجوههم ويقول : إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي . قال : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : لو أنني أعلم أنني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ! فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تفعلوا فهذا الأعمى البصر الأعمى القلب !» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسول الله ﷺ عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل الشعب من أحد في غداة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ،

وقال : لا يُقاتلن أحدٌ أحدًا حتى نأمره بالقتال . وقد سرّحت قريش الظَّهر والكراع¹ في زُرُوع كانت بالصَّمْعَة من قنّاة للمسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أترعى زُرُوعَ بني قَيْلَة ولَمَّا نضارب ! وتعبى رسول الله ﷺ وهو في سبعمئة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبُوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرَمَة بن أبي جهل . وأمر رسول الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذٍ مُعَلِّمٌ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً . وقال : انضَحْ عَنَّا الخيلَ بالنبل لا يأتونا مِن خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت بمكانك لا نُؤْتِينَ من قبلك . وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين .

قال محمد بن جرير : فحدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مُصعب بن المقدم قال : حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : لَمَّا كان يومَ أُحُدٍ ولقي رسول الله ﷺ المشركين أُجْلَسَ رسول الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم وإن رأيتمونا ظهّرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهّروا علينا فلا تعينونا » . فلَمَّا لقي القومَ هزَمَ المشركين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوْقِهِنَّ وبدت خلاخيلهنَّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة !! فقال عبد الله : مهلاً أَمَّا علمتم ما عَهِدَ إليكم رسول الله ﷺ . فأبوا فانطلقوا ، فلَمَّا أتوهم صُرِفَتْ وُجُوهُهم فَأُصِيبَ من المسلمين سبعون رجلاً .

قال محمد بن جرير : حدّثني محمد بن سعد قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عمِّي قال : حدّثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال : أَقْبَلَ أبو سفيان في ثلاثِ ليالٍ خَلَوْنَ من شَوَالٍ حتّى نزل أُحُدًا ، وخرج رسول الله ﷺ فَأَذَّنَ في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ، ومعه يومئذٍ المقداد الكندي ، وأعطى رسول الله ﷺ الراية رجلاً من قُريش يقال له مصعب بن عمير . وخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالجيش ، وبُعِثَ حمزة بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ، ومعهم عِكْرَمَة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله ﷺ الزبير ، وقال استقبل خالد بن الوليد فكنْ بإزائه حتّى أُوذِنَكَ . وأمر بخيلٍ أُخرى فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحنَّ حتّى أُوذِنَكم . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى الزبير أن يحمل . فحمل على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومن معه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا تَحِبُّونَ ﴾ وإن الله تعالى وعدَ المؤمنين النَّصْرَ وأَنَّهُ معهم . وإن رسول الله ﷺ بعث ناساً من

النَّاسَ فَكَانُوا مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُونُوا هَاهُنَا ، فَرُدُّوا وَجْهَ مَنْ فَرَّ مِنَّا وَكُونُوا حِرْسًا مِنْ قِبَلِ ظَهْرِنَا . وَإِنَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ الَّذِينَ كَانُوا جُعِلُوا مِنْ وَرَائِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَرَأَوْا النِّسَاءَ مُضْعِدَاتٍ فِي الْجَبَلِ ، وَرَأَوْا الْغَنَائِمَ : انْطَلِقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَدْرِكُوا الْغَنَائِمَ قَبْلَ أَنْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهَا . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : بَلْ نَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَبْتُ مَكَانَنَا . فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَغَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ .

قال محمد بن جرير: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ عَنْ السُّدِّيِّ قَالَ : لَمَّا بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَحَدٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ الرِّمَاءَ فَقَامُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ فِي وَجْهِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ لَهُمْ : لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ قَدْ هَزَمْنَاهُمْ ، فَإِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُمْ مَكَانَكُمْ . وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ . ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عِثْمَانَ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ فَقَالَ : يَا مَعَاشِرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَعَجَّلَنَا بِسَيْفِهِمْ إِلَى النَّارِ ، وَتَعَجَّلَكُمْ بِسَيْفِنَا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعَجِّلُهُ اللَّهُ بِسَيْفِي إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ يَعَجِّلُنِي بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَفَارِقُكَ حَتَّى يَعَجِّلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ ، أَوْ يَعَجِّلُنِي بِسَيْفِكَ إِلَى الْجَنَّةِ ! فَضْرِبُهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ فَقَالَ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ يَا ابْنَ عَمٍّ . فَتَرَكَهُ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ لِعَلِيِّ وَأَصْحَابِهِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْهَزَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي حِينَ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ . ثُمَّ شَدَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ وَالْمُقَدِّدُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَهَزَمَاهُمْ ، وَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَهَزَمُوا أَبَا سَفْيَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ حَمَلَ فَرَمَتَهُ الرِّمَاءَ فَانْقَمَعَ¹ ، فَلَمَّا نَظَرَ الرِّمَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي جَوْفِ عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ يَنْتَهَبُونَهُ بَادَرُوا الْغَنِيمَةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نَتْرُكُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَانْطَلَقَ عَامَتُهُمْ فَلَحِقُوا بِالْعَسْكَرِ ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ قِلَّةَ الرِّمَاءِ صَاحَ فِي خَيْلِهِ ، ثُمَّ حَمَلَ فَقَتَلَ الرِّمَاءَ ، وَحَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ خَيْلَهُمْ تُقَاتِلُ تَبَادَرُوا فَشَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَأَمْسَكَهُ بَيْنَهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ، سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ ، فَقَالَ : مَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْ

تضرب به في العدو حتى ينحني . فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يخال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم على رأسه بعصاية له حمراء علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ وآله أخذ عصايته تلك فعصب بها رأسه ، ثم جعل يتبخر بين الصّفين .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبخر : إنها مشية يُغضها الله إلا في هذا الوطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلّوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة بنا إلى قتالكم . فردّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية ، أحد بني ضبيعة وقد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم عثمان بن حنيف ، وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، فكان يعدّ قريشاً أن لو قد لقي محمدًا لم يختلف عليه منهم رجالان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان أبو عامر يسمّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ ! ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم راضخهم¹ بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه . فهموا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها ، وأخذت الدُفوف يضربن خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هندُ فيما تقول :

إِنْ تُقْبَلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرَشُ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقُ

[من مجزوء الرجز]

وتقول :

إِيهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ إِيهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

واقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى حَمَيْتِ الْحَرْبُ ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَصَدَّقَهُمْ وَعَدَهُ ، فَحَسَّوهُمْ¹ بِالسَّيْفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مَشْمُرَاتِ هَوَارِبَ ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، إِذْ مَالَتِ الرُّمَاءُ إِلَى الْكَرِّ حَتَّى كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يُرِيدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلُّوا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ! فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصْبْنَا أَصْحَابَ اللُّوَاءِ ، حَتَّى مَا يَدْنُو إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللُّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشٍ فَلَاذُوا بِهَا ، وَكَانَ اللُّوَاءُ مَعَ صَوَابٍ غَلَامٍ لِبَنِي أَبِي طَلْحَةَ حَبَشِيٍّ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ، فَبَرَكَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ اللُّوَاءُ بِصَدْرِهِ وَعُنُقِهِ حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ قَدْ أَعْذَرْتُ ! فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قُطْعٍ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَافُوا بِالشَّعْرِ² :

لَوَاءٌ حِينَ رَدَّ إِلَى صَوَابٍ	فَخَرْتُمْ بِاللُّوَاءِ وَشَرُّ فَخِيرٍ
مِنْ الْأَمْرِ مِنْ وَطِي عَفَرَ التَّرَابِ	جَعَلْتُمْ مَخْرَكًا فِيهَا لَعِيدٍ
وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ	ظَنَنْتُمْ وَالسَّقِيهِ لَهُ ظُنُونٌ
بِمَكَّةَ يَبْعُكُم حُمْرَ الْعِيَابِ ³	بِأَنَّ جَلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا
وَمَا إِنْ يُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابٍ	أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِيتَ يَدَاهُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ : وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُلُوِيَّةِ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فَقَالَ لِعَلِيٍّ : احْمِلْ عَلَيْهِمْ . فَحَمَلَ عَلِيٌّ فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، وَقَتَلَ عَمْرَو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجُمَحِيِّ ،

1 حَسَّوهُمْ : اسْتَأْصَلُوهُمْ .

2 ديوان حسان : 367 .

3 أَيُّ حَسْبْتُمْ لِقَائِنَا هِينًا كَمَا تَبِيعُونَ الثِّيَابَ فِي الْحَقَائِبِ .

ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ: احمِلْ. فحمل عليٌّ ففرّق جمعهم ، وقتل شَيْبَةَ بن مالك أحد بني عامر بن لؤي . فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله إنّ هذه للمواساة . فقال رسول الله ﷺ : «هو منّي وأنا منه» ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتاً :

لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي

فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلثٌ قتل ، وثلثٌ جريح ، وثلثٌ منهزمٌ وقد جهّذته الحربُ حتّى ما يدري ما يصنع . وأصببت رباعيّة¹ رسول الله ﷺ السُّقلى ، وشقّت شفته ، وكلّم في وجنته وجبّته في أصول شعره ، وعلاه ابن قمّة بالسيف على شقّه الأيمن ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدثنا ابن يسار قال حدثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال : لما كان يوم أُحُد كسرت رباعيّة رسول الله ﷺ وشجّ ، فجعل الدّم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : «كيف يُفلح قومُ خَضَبُوا وجهَ نبيّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى !» . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية . وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيّه القومُ : «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لِي نَفْسَهُ ؟» . [دفاع الصحابة عن الرسول]

قال محمد : فحدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال : حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكّن قال : فقام زياد بن السكّن في نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ، وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عمارة بن زياد بن السكّن ، فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً ، يُقتلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عمارة بن زياد بن السكّن ، فقاتل حتّى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فئةٌ حتّى أجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه منّي . فأدنوه منه فوسّده قدمه ، فمات وخذّه على قدم رسول الله ﷺ . وترس من دون النبيّ ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يقعُ النبل في ظهره وهو منحني عليه حتّى كثرت فيه النبل . ورَمَى سعدُ بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يُناولني ويقول : فذاك أبي وأُمّي ، حتّى إنّهُ لَيُناولني السهم ما فيه نصلٌ فيقول : ارم به !

وعن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيئتها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصابت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواءه حتى قُتل ، وكان الذي أصابه ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قد قتلْتُ محمداً ؛ فلما قُتل مُصعب بن عمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن طالب عليه السلام . وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى قتل أوطاة بن شُرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وكان أحد النَّفر الذين يحملون اللواء ؛ ثم مرَّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يُكنى أبا نيار ، فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطعة البظور ، وكانت أمه ختانة بمكة مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله ؛ فقال وحشي غلام جبير بن مطعم : إني لأنظرُ إلى حمزة يهذُّ¹ الناس بسيفه ما يليق² شيئاً يمرُّ به ، مثلَ الجمل الأورق ، إذ تقدَّمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطعة البظور . فضربه فما أخطأ رأسه ، وهززتُ حربتي حتى إذا ما رضيتُ دفعْتُها عليه فوقعت عليه في لَبَّته حتى خرجتُ من بين رجله ، وأقبلَ نحوي فغلب فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي ثم تنحيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره . وقد قتلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأفلح ، أحدُ بني عمرو بن عوف ، مُسافعُ بن طلحة وأخاه كلابُ بن طلحة ، كلاهما يُشعره سهماً³ فيأتي أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بُنيَّ مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً يقول حينَ رماني : خذْها إليك وأنا ابن أبي الأفلح ! فتقول : أَقْلَحِي ؟ ! فنذرتُ لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصمٌ قد عاهدَ الله عزَّ وجلَّ أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسَّهُ .

[أنس بن النضر]

عن ابن إسحاق قال حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بني عدي بن النجار قال : انتهى أنسُ بن النضر ، عمُّ أنس بن مالك ، إلى عمرَ بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا :

1 يهذُّ : يقطع .

2 ما يليق : ما يترك .

3 أشعره السهم : خالطه به .

قُتِلَ رسول الله ﷺ ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه . ثم استقبل القوم فقاتلَ حتى قُتِلَ . وبه سمي أنس بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعينَ ضربةً وطعنةً ، فما عرفته إلا أخته ، عرفته بحسن بَنانه .

عن ابن إسحاق قال : كان أولَ مَنْ عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتِلَ رسول الله ﷺ ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، كعبُ بن مالك أخو بني سلمة . قال : عرفتُ عينيه تزهراً تحت المغفر ، فنادتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسولُ الله ﷺ ! فأشار إليّ عليه السلام : أن أنصتَ . فلما عَرَفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نهضوا به ، ونهض نحو الشعب معه أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعليُّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصَّمة ، في رهطٍ من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

[الرسول يقتل أبي بن خلف]

فلما أسند رسولُ الله ﷺ في الشعب ، أدركه أبي بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال : دَعُوهُ . فلما دنا تناولَ رسولُ الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصَّمة . قال : يقول بعض الناس فيما ذُكِرَ لي : فلما أخذها رسولُ الله ﷺ انتفضَ بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطاير الشعراء¹ عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنةً تدأ² بها عن فرسه مراراً . وكان أبي بن خلف ، كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقي رسولُ الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندي العودَ أعلفه كلَّ يوم فرقاً³ من ذرة أقتلك عليه ! فيقول رسولُ الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلما رجعَ إلى قريش وقد خدشه في خلقه خدشاً غير كبير ، فاحتقنَ الدَّم قال : قتلتني والله محمد ! قالوا : ذهبَ والله فؤادك ، والله ما بك بأس . قال : إنه كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ، فوالله لو بصقَ عليّ لقتلني . فماتَ عدوُّ الله بسرف⁴ وهم قافلون به إلى مكة . فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشعب خرج عليُّ بن أبي

1 الشعراء : ذباب يقع في الإبل فيؤذيها .

2 تدأ : تدرج .

3 الفرق : مكيال مقداره ثلاثة أصوع

4 سرف : موضع قريب من مكة .

طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المهراس¹ ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فشرب منه وغسل عن وجهه الدم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : «اشتدَّ غضبُ الله عزَّ وجلَّ على من دَمَى وجهَ نبيه» .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني صالح بن كيسان عمَّن حدَّثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَصْتُ على قتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصْتُ على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيِّء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ : «اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَى وجه رسول الله» .

[التمثيل بقتل المسلمين]

قال حدثنا محمد بن إسحاق قال : حدَّثني صالح بن كيسان قال : خرجتُ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثُلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذَانَ والآثَفَ ، حتَّى اتَّخَذَتْ هِنْدٌ من آذان الرجال وأنفهم خَدَمًا² وقلائد ، وأعطت خَدَمَهَا وقلائدها وقُرْطَهَا وحشياً غلام جُبَيْر بن مُطْعِم ، وبَقَرَتْ عن كبد حمزة عليه السلام ، فَأَخْرَجَتْ كبدَه فلاكتها ، فلم تستطع أن تُسَيِّغَهَا فلفظتها ، ثم عَلَتْ على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر ؛ حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

[حسان يهجو هنداً]

قال : حدَّثني صالح بن كيسان أنه حَدَّث أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابن الفريعة ، لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها³ قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعتُ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنِّي لأنظرُ إلى الحربة تهوي وإني على رأس فارع ، يعني أطمه ، فقلت : والله ، إن هذه لسلّاح ما هي بسلّاح العرب ، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري ، أسمعني بعض قولها أكفكموها . قال : فأنشدته عمرُ بعض ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً⁴ :

أشِرتَ لكاعَ وكان عادتُها لوماً إذا أشِرتَ من الكُفْرِ⁵
لعنَ الإلهَ وزوجَها معها هندُ الهنود طويلاً البَطْرِ

1 المهراس : ماء بأحد

2 الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال .

3 الأشر : المرح والبطر .

4 ديوان حسان 1 : 384 .

5 لكاع : كقطام ، لثيمة . وفي الديوان مع الكفر .

أَخْرَجَتْ مَرْقَصَةً إِلَى أَحَدٍ فِي الْقَوْمِ مُقْتَبَةً عَلَى بَكْرِ¹
 [بَكْرٍ ثَقَالٌ لَا حَرَكَ بِه] لَا عَنْ مُعَاتِبَةٍ وَلَا زَجَرٍ²
 وَعَصَاكِ اسْتَكْبَرْتَ تَتَّقِينَ بِهَا دُقِّي الْعُجَايَةَ مِنْكَ بِالْفَهْرِ³
 قَرَحْتَ عَجِيزَتَهَا وَمَشَرَجُهَا مِنْ ذَابِهَا نَصًّا عَلَى الْقَتْرِ⁴
 ظَلَلْتُ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتُهَا بِالمَاءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسُّدْرِ
 أَخْرَجَتْ ثَائِرَةً مُبَادِرَةً بِأَيْكِ فَاتِكُ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
 وَبِعَمَلِكِ الْمُسْتَوِ فِي رَدَعٍ وَأَخِيكِ مُنْعَفِرِينَ فِي الْجَفْرِ⁵
 وَنَسِيتَ فَاخِشَةً أَتَيْتَ بِهَا يَا هِنْدُ وَبِحِكِّ سَيْفَةِ الذِّكْرِ⁶
 فَرَجَعْتَ صَاغِرَةً بِلا تَرَةٍ مِمَّا ظَفَرْتَ بِهَا وَلَا نَصْرِ
 زَعَمَ الْوَلَاءُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ غَهْرِ

[تَعَقَّبَ أَبِي سَفِيَانَ لِلْمُسْلِمِينَ وَوَعِيدَهُ لَهُمْ]

قال محمد بن جرير : ثم إنَّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال : حدثنا مصعب بن المقدم قال حدثنا إسرائيل ، وحدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبي عن إسرائيل قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء قال : ثم إنَّ أبا سفيان أشرف علينا فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تُجيبوه ! مرتين ، ثم قال : أفي القوم ابنُ أبي قحافة ؟ ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ! ثم قال أفي القوم ابن الخطَّاب ثلاثاً ، فقال رسول الله : لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه فقال : أمَّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا في الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه نفسه أن قال : كذبت يا عدوَّ الله ، قد أبقي الله لك ما يُخزرك . فقال : أعلُ هُبَل ، أعلُ هُبَل ! فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا «الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان : «لنا العزَّى ولا عَزَّى لكم» . فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» . قال أبو سفيان : «يومَ بيوم

1 المرقصة : التي تحمل البعير على الخب . والمقبة : الراكبة على القتب ، وفي الديوان : معنقة .

2 الثقال : البطيء من الإبل .

3 عصاه استه : لم يكن معه ما يحفز الدابة فيحرك استه على الدابة ليحثها على السير . والعجاية : عصبة في باطن الفرس ، وأضاف في اللسان : إذا جاع أحدهم دقها بين فهرين (حجرين) وأكلها . وفي الديوان : عاري الفهر .

4 النص : ضرب من السير السريع . والقتر : الناحية والجانب . وفي الديوان «من نصّها نصّاً على القهر» .

5 المستوه : المضروب في استه . والردع : الدم . والجفر : البئر .

6 الديوان : سبة الدهر .

بدر ، والحربُ سِجالٌ» ، أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمرُ بها ولم تسوئني .

قال ابن إسحاق في حديثه : لما أجابَ عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ : ايتيه فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمعُ كلامك الآن . قال : أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرُّ ؛ لقول ابن قمئة لهم : إني قتلتُ محمداً . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان مثلاً¹ والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ، ولا أمرتُ ولا نهيتُ ، وقد كان الحُليْس بن زِيان ، أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذٍ سيّد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شِدْق حمزة عليه السلام وهو يقول : ذُقْ عَقْقُ² ! فقال الحُليْس : يا بني كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بآبِن عمه كما ترونَ لحاً ! فقال : اكتمها عليَّ فإنها كانت زلَّةً . قال : فلما انصرفَ أبو سفيان ومن معه نادى : إنَّ موعدكم بدرٌ ، العامَ المقبل . فقال رسول الله ﷺ وآله لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم ، هي بيننا وبينك موعدٌ » .

[خروج علي في أثر المشركين]

ثم بعثَ رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، فإن كانوا قد جَنَبُوا وامتطوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجتُ في آثارهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما جَنَبُوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ توجهوا إلى مكة . وكان رسول الله ﷺ قال لي : أيُّ ذلك كان فأخفِهِ حتَّى يأتيني . قال علي : فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلتُ أصبح ، ما أستطيع أن أحكم الذي أمرني به رسول الله ﷺ ، لما بي من الفرح ، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة ، وفرغ الناس لقتالهم . فقال رسول الله ﷺ ، كما حدَّثنا ابن حُميد قال : حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخي بني النجار ، أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ رجلٌ ينظرُ لي ما فعلَ سعد بن الربيع ، وسعدُ أخو بني الحارث بن الخزرج ، أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظرُ لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رَمَق . قال : فقلت له : إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظرَ له في الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فانا في الأموات . أبلغُ رسولَ الله ﷺ وقلْ له : إنَّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خيراً ما جَزَى نبياً عن أمته ، وأبلغُ قومك عني السلام وقلْ لهم : إنَّ سعد بن الربيع يقول : لا عُدْرَ لكم عند الله

1 مثل : جماعة .

2 أي ذق جزاء فعلك يا عاق .

جَلَّ وَعَزَّ إِنَّ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ . ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْتَهُ الْخَبْرَ .

[بحث الرسول عن حمزة]

وخرج رسولُ الله ﷺ ، فما بلغني ، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام ، فوجده بطن الوادي قد يُقِرُّ بطنه عن كبده ، ومُثِّلَ به فجُدِعَ أنفه وأذناه .

وعن ابن إسحاق قال : فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسولَ الله ﷺ قال حين رأى بحمزة ما رأى : «لولا أن تحزنَ صفيّةُ أو تكونَ سنةً من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير ، ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم» . فلما رأى المسلمون حزنَ رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعلَ بعمه قالوا : والله لعن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لنمثلنَّ بهم مثله لم يُمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قط .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدَّثني محمد بن إسحاق قال : فحدَّثنا الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن مِقْسَم عن ابن عباس : أن الله عزَّ وجلَّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ : ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله ﷺ وصبر ، ونهى عن المثلة .

[نظر صفيّة بنت عبد المطلب إلى حمزة]

قال ابن إسحاق فيما بلغني : أن صفيّة بنت عبد المطلب أتت لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال : يا أمّه ، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي . فقالت : ولم ، فقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي ، وذلك في الله جلَّ وعزَّ قليلٌ ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى ! فلما جاء الزبير رسولَ الله ﷺ فأخبره بذلك قال : خلّ سبيلها . فأتته فنظرتُ إليه وصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرتُ له ، ثم أمر رسول الله ﷺ به فدُفِن .

[شهداء آخرون]

قال : حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، رجع حُسَيْل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش بن زُعُور في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبأ لك ما تنتظر ، فوالله إن بقي لواحدٍ منا من عمره إلا ظمء حمار¹ ، إنما نحن

1 ظمء الحمار : ما بين شربين .

هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيفاً ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذنا أسيفهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم أحدٌ بهما . فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسيل بن جابر اليماني فاختلفت عليه أسيف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه ، فقال حذيفة : أبي ! قالوا : والله إن عرفناه . وصَدَقُوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيه ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً .

[مصرع قرمان]

قال حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتى¹ لا ندرى من أين هو ، يقال له قُرْمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكره : «إِنَّهُ لَمَنْ أَهْلُ النَّارِ» فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، فأثبته الجراحة فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُرْمان ، فأبشِر . قال : بِمِ أبشِر ؟ فوالله أن قاتلتُ إلا على أحسابِ قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلما اشتدَّت عليه جراحته أخذ شهماً من كِنَانته فقطع رواهشته فنزفه الدمُ فمات ؛ فأخبر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال : إني رسولُ الله حقاً .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة قال : كان يومُ أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم أحد ، وذلك يومَ الأحد لستَ عشرة ليلة خلت من شوال ، أذن مؤذنٌ رسول الله ﷺ في الناس بطلبِ العدو ؛ وأذن مؤذنه أن لا يخرجنَّ معنا إلا من حضر يومنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلَّفني على أخواتٍ لي سبع وقال لي : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة بلا رجلٍ فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّف على أخواتك . فتخلَّف عليهن . فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ، وأنهم خرجوا في طلبهم فيظنون أن بهم قوة ، وأن الذي أصابهم لم يؤهِّنهم عن عدوهم .

[بعض الجرحى يعادون القتال]

عن محمد بن إسحاق : قال فحدثني عبد الله بن خازجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً . قال : فشهدتُ رسول الله ﷺ أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ،

فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفرتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ، والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريحٌ ثقیل . فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنتُ أيسرَ جرحاً منه فكنتُ إذا غلب عليه حملته عُقبَةً¹ حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج إليهِ رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجعَ إلى المدينة .

[تخذيل معبد الخزاعي وهو مشرك لأبي سفيان]

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنه مرَّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عِيَّة² رسول الله ﷺ صفقتهم معه ، لا يُخفون عليه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك ، فقال : أما والله يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولوددتُ أن الله قد أعفَاكَ منهم . ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بجمراء الأسد حتى لقيَ أبا سفيان بن حرب بالروحاء ومن معه ، وقد أجمعوا الرجعةَ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : أصبنا حدَّ أصحابهِ وقادتهم وأشرافهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ، لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم ! فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابهِ يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطَّ يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمعَ معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنقِ عليكم ، شيء لم أر مثله قطَّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهارك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت :

[من البسيط]

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي	إذ سالت الأرضُ بالجردِ الأبابل ³
فظلْتُ عدواً أظنُّ الأرضَ مائلة	لما سموا برئيسٍ غيرِ مخذولٍ
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم	إذا تغطمطتِ البطحاءُ بالجبل ⁴
إني نذيرٌ لأهلِ السَّيلِ ضاحيةٌ	لكلِّ ذي إربةٍ منهم ومعقول ⁵

1 العقبة : النوبة .

2 العيبة : موضع السر .

3 تهد : تكسر . الأبابل : الجماعات .

4 تغطمطت : اضطربت . الجبل : الأمة .

5 السيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية .

من جيشٍ أحمَدَ لا وَخَشٍ تَنَابِلَةٍ¹ وليس يوصَفُ ما أُنذرت بالقيَلِ¹

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فَلِمَ ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عني مَحْمدًا رسالةً أرسلُكم بها إليه ، وأحمَلُ لكم إيلَكم هذه غداً زيباً بعكاظَ إذا وافيتُموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السَّير إليه وإلى أصحابه ، لنستأصل شأفتهم . فمرَّ الراكب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه : «حَسْبنا الله ونعم الوكيل» .

صوت²

[من الوافر]

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ يورُقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
براني حُبٌّ مَنْ لَا أُسْتَطِيعُ ومن هو للذي أهوى مَنُوعُ
إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعُه وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

الشعر لعمر بن معديكرب الزبيدي ، والغناء للهذلي ، ثَقِيلُ أَوَّلُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثَقِيلُ أَوَّلُ بالنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيْج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه .

1 الوحش : أرذال الناس . والتنبيل : القصير .

2 ديوان عمرو بن معديكرب : 136-143 ، وليس فيه البيت الثاني لا في متن القصيدة ولا في الأبيات المضافة .

[289] - ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره¹

[نسبه]

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيْد ، وهو منبه .
 هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .
 وذكر عمر بن شُبَّة عن أبي عبيدة أنه عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن
 عمرو بن عُصْم بن زبید بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد
 العسيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان .
 ويكنى أبا ثور ، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر ، وهي معدودة من المنجات .
 أخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عمرو بن معديكرب
 فارس اليمى ، وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس .
 [استعداده لقتال خثعم]

وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قُحَيْف الكلابي قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون
 أنَّ عمرو بن معديكرب كان يقال له «مائق بني زبید» ، وكان لا يدعى في الخفة . فبلغهم أنَّ
 خثعم تريدُهم ، فتأهبوا لهم ، وجمع معديكرب بني زبید ، فدخل عمرو على أخته فقال :
 أشيعيني إني غداً لكتيبة خثعم . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنته فقال : هذا المائق يقول
 ذاك ؟ قالت : نعم . قال فسليه ما يشبعه . فسألته فقال : فرق من ذرة ، وعنز رباعية . قال :
 وكان الفرق يومئذٍ ثلاثة أصوع . فصنع له ذلك ، وذبح العنز وهياً له الطعام . قال : فجلس
 عليه فسَلَّته² جميعاً . وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفع رأسه
 فإذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سرحة مُحرقَة ، فنلقى أباه
 وقد انهزموا فقال : انزل عنها ، فاليوم ظَلَم³ . فقال له : إليك يا مائق ! فقال له بنو زبید :

1 ترجمة عمرو بن معديكرب في الشعر والشعراء : 289-291 والمؤتلف : 233 ومعجم المرزباني : 15
 وخزانة البغدادي 2 : 444-446 وكتب الصحابة وأخباره في الفتوح في كتب التاريخ . وقد جمع هاشم
 الطعان ديوانه (سلسلة كتب التراث - بغداد) وفيه تخريج كثير . وانظر مواضع متفرقة في التذكرة الحمدونية .

2 سلته : مسحه .

3 المثل «اليوم ظلم» في مجمع الميداني 2 : 416 وجمهرة العسكري 2 : 433 . وفصل المقال : 373
 ومستقصى الزمخشري 1 : 358 .

خله أيها الرجل وما يريد ، فإن قُتِلَ كَفَيْتَ موئنته ، وإن ظهر فهو لك . فالتقى إليه سلاحه فركب ، ثم رمى خشمه بنفسه حتى خرَّجَ من بين أظهرهم ، ثم كرَّ عليهم وفعل ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خشمهم وقهروا ، فقبل له يومئذٍ فارسُ زُبيد .
[وفوده على الرسول]

قال أبو عمرو الشيباني : كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زُبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج ، بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أنه قال لقيس بن مكشوح المرادي ، وهو ابن أخت عمرو ، حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ : يا قيسُ ، إنك سيدُ قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمدٌ قد خرَّجَ بالحجاز ، يقال له نبيٌّ ، فانطلق بنا حتى نعلمَ علمه ، وبادرُ فروة لا يغلبك على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسفَّه رأيه وعصاه ، فركب عمرو متوجّهاً إلى النبي ﷺ وقال : خالفنني يا قيس ! وقال عمرو في ذلك¹ :

أمرتك يومَ ذي صنعا ءَ أمراً بيننا رشدة
أمرتك باتقاء الله هـ تأتيه وتتعدّه
فكنت كذي الحمير غر ره من أيره وتده

قال أبو عبيدة : حدثنا غير واحدٍ من مذحج قالوا : قدِم علينا عمرو في وفد مذحج ، مع فروة بن مُسيك المرادي ، على النبي ﷺ ، فأسلموا وبعث فروة على صدقاتٍ من أسلم منهم وقال له : ادعُ الناس وتألّفهم ، فإذا وجدت الغفلة فاهتبلها واغز .

قال أبو عمرو الشيباني : وإنما رحل فروة مفارقاً للملوك كئيدة مباعداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ؛ وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهمدان وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثنوهم ، في يومٍ يقال له يوم الرّزم ، وكان الذي قاد همدانَ إلى مراد الأجدع بن مالك بن حريم الشاعر الهمداني بن مسروق بن الأجدع ، ففضحهم يومئذٍ ، وفي ذلك يقول فروة بنُ مسيك المرادي :

فإن تغلب فغلابون قدماً وإن نهزم فغير مهزّمينَا

فلما توجه فروة إلى النبي ﷺ أنشأ يقول :

لما رأيتُ ملوكَ كندة أعرضتُ كالرجل خانَ الرجلَ عرقُ نساها

[من الكامل]

يَمَمْتُ راحلتي أُمَامَ محمدٍ أَرَجُو فواضِلَها وحسُنُ ثَراها

فلَمَّا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغنا : هل ساءَكَ ما أَصاب قومَكَ يومَ الرِّزْمِ ؟ قال : يا رسول الله ، مَنْ ذا الذي يصيبُ قومَه مثلُ الذي أَصابَ قومي ولا يسوءُه . فقال له : أما إنَّ ذلكَ لم يَزِدْ قومَكَ في الإسلامِ إلَّا خيراً ! واستعملَه على مرادٍ وزيدٍ ومذحجٍ كلِّها . [ارتداد عن الإسلام]

قال أبو عبيدة : فلم يلبث عمرو أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتدَّ¹ : [من الوافر]

وجدنا مُلكَ فروةَ شرَّ ملكٍ حِمَارٌ سافَ منخَرَه بِقَدَرٍ²
وإنَّكَ لو رأيتَ أبا عميرٍ ملأتَ يديكَ من غَدِرٍ وخَترٍ

قال أبو عبيدة : فلَمَّا ارتدَّ عمرو مع مَنْ ارتدَّ عن الإسلام من مذحج ، استجاش فروةَ النبي ﷺ ، فوجَّه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعليُّ بن أبي طالب أميركم وهو على الناس . ووجَّه عليّاً عليه السلام فاجتمعوا بكسرٍ³ من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِلَ بعضهم ونجا بعض ، فلم يزل جعفرٌ وزبيدٌ وأودٌ بنو سعد العشيرة بعدها قليلة . وفي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنَّ ربحانةَ بنت معديكرب سبَّت يومئذٍ ، فقذاها خالد ، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد ، فوجد سعيدٌ جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وُجِد الغمد ، فلَمَّا قام معاويةُ جاءه أعرابيٌّ بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفي ! فجحد الأعرابيُّ مقالته ، فقال سعيد : الدليلُ على أنَّه سيفي أنَّ تبعثَ إلى غمده فتُغمده فيكون كفافه . فبعث معاويةُ إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأقرَّ الأعرابيُّ أنَّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه . فلم يزل عنده حتَّى أصعد المهديُّ من البصرة ، فلَمَّا كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيه ، فقال : إنَّه للسبيل . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيفٍ واحد . فأعطاهم خمسين ألفَ درهم وأخذه .

[إسلام عمرو]

وذكر ابن النطاح أنَّ المدائنيَّ حكى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال : أقبلَ النبي ﷺ من غزاة تبوك يريد المدينة ، فأدركه عمرو بن معديكرب الزبيدي في رجال من زيد ، فتقدَّم عمرو ليلحق برسول الله ﷺ ، فأمسك حتَّى أُوذِنَ به . فلَمَّا تقدَّم رسول الله ﷺ يسير

1 ديوانه : 105 .

2 ساف : شم .

3 الكسر : قرى كثيرة محضرموت .

قال : حَيَّاكَ اللَّهُ إِلَهَكَ ، أَيْتَ اللَّعْنِ ! فقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَأَمِنَ بِاللَّهِ يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ» . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفرع الأكبر ؟ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّهُ فَرَعٌ لَيْسَ كَمَا تَحْسَبُ وَتَظُنُّ ، إِنَّهُ يُصَاحِبُ النَّاسَ صَبِيحَةً لَا يَبْقَى حَيًّا إِلَّا مَاتَ ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُصَاحِبُ النَّاسَ صَبِيحَةً لَا يَبْقَى مَيِّتًا إِلَّا نُشِرَ ، ثُمَّ تَلْجُ تِلْكَ الْأَرْضُ بِدَوِيٍّ تَهْدَى مِنْهُ الْأَرْضُ ، وَتَخْرُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ انْشِقَاقَ الْقَبْطِيَّةِ الْجَدِيدِ¹ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْرُزُ النَّارُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا حُمْرَاءُ مَظْلَمَةٌ قَدْ صَارَ لَهَا لِسَانٌ فِي السَّمَاءِ ، تَرْمِي بِمِثْلِ رُؤُوسِ الْجِبَالِ مِنْ شَرَرِ النَّارِ ، فَلَا يَبْقَى ذُو رُوحٍ إِلَّا انْخَلَعَ قَلْبُهُ ، وَذَكَرَ ذَنْبَهُ . أَيْنَ أَنْتَ يَا عَمْرُو !» . قال : إِنِّي أَسْمَعُ أَمْرًا عَظِيمًا ! فقال رسول الله ﷺ : «يَا عَمْرُو أَسْلِمْتَ تَسْلِمُ» . فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ لِقَوْمِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ مُنْصَرَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزَاةِ تَبُوكَ ، وَكَانَتْ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ .

[ضخامة جسده]

وقال أبو هارون السَّكْسَكِيُّ البَصْرِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرِو المَدِينِيُّ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى عَمْرُو قَالَ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَ عَمْرًا !» تَعَجُّبًا مِنْ عَظَمِ خَلْقِهِ .

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ عَنْ أَبِي نُمَيْلَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي رُمَيْحٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ مَعْدِيكَرِبٍ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ شَيْخًا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ ، أَجَشُّ الصَّوْتِ ، إِذَا التَفَتَ التَفَتَ بِجَمِيعِ جَسَدِهِ .

[موته وقبره]

وهذا خطأ من الرواية ، والصحيح أَنَّهُ مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَدُفِنَ بِرُودَةِ بَيْنَ قُمَّ وَالرِّيِّ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ نَهَاوَنْدَ ، وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي ظَاهِرِهَا مَوْضِعٌ يَعْرِفُ بِقَبْدِشْجَانٍ ، وَأَنَّهُ دُفِنَ هُنَاكَ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَالنَّعْمَانُ بْنُ مَقْرُونٍ .

وروي أيضاً من وجهٍ ليس بالموثوق به ، أَنَّهُ أَدْرَكَ خِلَافَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَوَى ذَلِكَ ابْنُ النُّطَّاحِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ ضِرَارٍ عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ البَصْرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُوَيْرِيَةَ الهَذَلِيِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ :

رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ مَعْدِيكَرِبَ وَأَنَا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الرِّيِّ ، كَأَنَّهُ بَعِيرٌ مَهْنُوءٌ .

وقال ابن الكلبي : حَدَّثَنِي أُسْعَرُ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ جَرِيرِ الجُعْفِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ قُطَيْبٍ

يقول : خرج عمرو بن معديكرب في خلافة عثمان رضي الله عنه إلى الريّ ودستبي ، فضربه الفالجُ في طريقه فمات برودة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرني خالد بن خدّاش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرضَ لعمرو بن معديكرب في ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا وأوماً إلى شق بطنه الأيمن ، وألف ههنا وأوماً إلى شق بطنه الأيسر ، فما يكون هاهنا ؟ وأوماً إلى وسطه بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

[من يخاف على الظئنة ؟]

قال علي بن محمد : قال أبو يقظان : قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظئني وحدي على مياه معدّ كلّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها ، ما لم يلقني حرّها أو عبداها . فأما الحرّان فعامر بن الطفيل وعُتبية بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسودُ بني عبس ، يعني عنترة والسُّليك بن السُّلكة ، وكلّهم قد لقيت . فأما عامر بن الطفيل فسرّيع الطعن على الصوت ، وأما عتبية فأول الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت . وأما عنترة فقليل الكبوة ، شديد الكلب¹ . وأما السُّليك فبعيد الغارة ، كالليث الضاري . قالوا : فما تقول في العباس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فيّ :

إذا مات عمرو قلتُ للخليل أوطئوا زبيداً فقد أودى بنجدتها عمرو
وقام مُغضباً وعلم أنّهم أرادوا تويخه بالعباس .

قال علي : وقال أبو يقظان : أحسب في اللفظ غلطاً وأنه إنما قال : «هَجِينَا مُضَرَّ ؛ لأنّ عنترة استرقّ ، والعباس لم يسترقّ قطّ .

[رجل بألف]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن جنّاب عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس : أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إني قد أمددتك بالقيّ رجل عمرو بن معديكرب ، وطليحة بن خويلد ، وهو طليحة الأسديّ ، فشاوّرهما في الحرب ولا تولّهما شيئاً .

[شجاعة عمرو]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أحمد بن جنّاب قال حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : شهدت القادسية وكان سعدٌ على الناس ، فجاء

1 الكلب : الغضب والإلحاح في القتال .

رُستم فجعل يمرُّ بنا وعمرو بن معديكرب الزبيدي يمرُّ على الصفوف يحضُّ الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً أغنى¹ شأنه ، فإنما الفارسيُّ تيسٌ بعد أن يُلقَى نيزكُه² .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقط له نُشابة . فقال له : يا أبا ثور ، اتقِ ذاك ! فإنَّا لنقولُ له ذلك إذ رماه رميةً فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه ، وسلبه سوارِيَّ ذهبٍ كانا عليه ، وقبَاء دياج .

قال أبو زيد³ : فذكر أبو عبيدة أنَّ عمراً حملَ يومئذٍ على رجلٍ فقتله ثم صاح : يا معشر بني زيد ، دونكم فإنَّ القوم يموتون !

وقال علي بن محمد المدائني : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع ، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : حضر عمرو الناسَ وهم يقاتلون ، فرماه رجلٌ من العجم بُشابةً فوقعت في كتفه ، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفذ ، وحملَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرو وسلبه ، ورجع بسلبه وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبو ثور وسيفي ذو النونِ أضربهم ضربَ غلامٍ مجنونٍ
يالَ زُبيد إنَّهم يموتون

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معديكرب⁴ : [من السريع]

صوت

ألم بسلمى قبلَ أن تظعنَا إنَّ لنا من حبِّها ديدنا
قد علمتُ سلمى وجاراتها ما قطَرَ الفارسَ إلَّا أنا
شككتُ بالرمح حيازيمه والخيْلُ تعدو زيماً بيننا⁵

غنى فيه الغريضُ ثانيَّ ثقلٍ بالسبابة في مجرى البَنَصير . وفيه رَمْلٌ بالبَنَصير يقال إنه لمعبد . ويقال إنه من منحول يحيى المكي .

قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بن شبة : شهد عمرو بن معديكرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعشر . قال : ولما قتل العِلج عبر نهر

1 أغنى شأنه : كفى نفسه .

2 النيزك : الرمح القصير .

3 أبو زيد : عمر بن شبة .

4 ديوانه : 176 .

5 زيم : متفرقة .

القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادي ، ومالك بن الحارث الأشتر .

قال : فحدثني يونس أن عمرو بن معديكرب كان آخرهم ، وكانت فرسه ضعيفةً فطلبَ غيرها ، فأتى بفرسٍ فأخذ بمكوة¹ ذنبه وأخلد إلى الأرض ، فألقى الفرسُ فرده ، وأتى بأخرَ ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال : هذا على كل حال أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : إني حاملٌ وعابرُ الجسر ، فإن أسرعتم بمقدار جَزَرِ الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتِلُ به تلقاء وجهي ، وقد عقرَ بي القومُ وأنا قائمٌ بينهم وقد قتلْتُ وجردت . وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قُتِلْتُ وجردت . ثم انغمَسَ فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زُيد ، على مَ تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حيًّا . فحملوا فانتَهَوْا إليه وقد صرَّع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجلٍ من العجم فأمسكها ، وإن الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرك من يده . فلما غشينا رَمَى الأعجميُ بنفسه وخلى فرسه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كِدْتُم والله تفقدونني ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمي بُشَابِيه فشَبَّ فصرعني وعار .

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي عيسى الخياط . ورواه علي بن محمد أيضاً عن مرة عن أبي إسماعيل الهمداني عن طلحة بن مصرف . فذكرنا مثل هذا .

[مصرع رستم]

قال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد ، عن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية : الزموا خراطينم القبيلة السيوف ، فإنه ليس لها مقتلٌ إلا خراطينهما . ثم شدَّ على رُستم وهو على الفيل فضربَ فيله فجذَمَ عُرقوبه فسقط ، وحُمِلَ رستم على فرسٍ وسَقَطَ من تحته خرَّج فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون ، وسقط رُستم بعد ذلك عن فرسه فقتله .

قال علي بن محمد المدائني : حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال : لما ضرب عمرو الفيل وسَقَطَ رستم ، سقط على رستم خرَّج كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار ، فمات رستم من ذلك ، وانهزم المشركون .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال : حدثنا نيار بن مكرم الأسلمي ، قال : شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفرس ، ورأيت رجلاً يفعل يومئذٍ بالعدو أفاعيل ، يُقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقْوَدَه في حقوه فيقاتل ، فقلت : مَنْ هذا جزأه الله خيراً ؟ قالوا : هذا عمرو بن معديكرب .

1 عكوة الذنب : أصله .

[تغليبه الخمر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبي ، عن خالد بن سعيد ، عن أبي محمد المهربي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير ، فسمعتة يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياماً ثم قال : والله ما لي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعني عمرو بن معديكرب ، أسرج لي يا غلام . فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قربها إليه قال له : ويحك أرايتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الإسلام ؟ فأسرج له حصاناً فركبه ، وأقبل إلى محلّة بني زيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشده إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، اخرج إلينا . فخرج إليه موثقراً كأنما كُسِر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا : السّلام عليكم ؟ قال : دَعْنَا مَا لَا نَعْرِف ، انزل فإنّ عندي كبشاً ساحاً¹ . فنزل فعمد إلى الكبش فذبّحه ثم كشط عنه وعَضَاهُ² ، وألقاه في قدر جماع³ ، وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أيُّ الشراب أحب إليك : آلبن أم ما كنّا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سنّاً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلاّ أنّه قال : ﴿فهل أنتم متّهمون﴾ فقلنا : لا . فسكت وسكتنا ! فقال له : أنت أكبر سنّاً وأقدم إسلاماً . فجاءا فجلسا يتناشداً ويشريان ، ويذكران أيام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة الانصراف . قال عمرو : لئن انصرف أبو مالك بغير حياءٍ إنّهُ لو صمّة عليّ . فأمر بناقياً له أرحبياً⁴ كأنّها جبيرة لجين⁵ ، فارتحلها وحمله عليها ، ثم قال : يا غلام هات الزود . فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضّعها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قبلته . قال : والله إنّهُ لَمِن حياءٍ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول :

[من الطويل]

جُرِيَتْ أبا ثور جزاء كرامةٍ فنعم الفتى المزدار والمتضيّفُ
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا نخيلة عِلم لم يكن قطّ يعرفُ

1 السّاح : السمين جداً .

2 عضاه : قطعه أجزاء .

3 القدر الجماع : العظيمة .

4 أرحب : قبيلة من بني رحب أو فحل أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .

5 جبيرة لجين : أسورة من الفضة .

وقلت : حَلَالٌ أَنْ تُدِيرَ مُدَامَةً كلونٍ انعقاقِ البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقدَمْتَ فيها حُجَّةً عَرَبِيَّةً تَرُدُّ إلى الإنصافِ مَنْ ليس ينصِفُ
وأنتَ لنا واللهِ ذي العرشِ قُدوةً إذا صَدَدْنَا عن شربها المتكَلِّفُ
نَقولُ : أبو ثورٍ أحلَّ حرامها وقولُ أبي ثورٍ أسدٌ وأعرفُ

[غداؤه عند عمر]

وقال علي بن محمد : حدَّثني عبد الله بن محمد الثقفي عن أبيه ، والهذلي عن الشعبي قال : جاءت زيادة من عندِ عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معديكرب لطليحة : أما ترى أنَّ هذه الزعانفُ تُزاد ولا تُزاد ، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه . فقال : هيهات ، كلا والله لا ألقاه في هذا المعنى أبداً ، فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعَّدني وعيداً ظننتُ أنَّه قاتلي ، ولا آمنه . قال عمرو : لكنِّي ألقاه . قال : أنتَ وذلك . فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغذي الناس وقد جفَّ لعشرة عشرة ، فأقعده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونهَضوا ، ولم يَقُمْ عمرو ، فأقعده معه تكملة عشرة فأكلوا ونهَضوا ولم يَقُمْ عمرو ، فأقعده مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّه كانت لي مأكَلٌ في الجاهلية معني منها الإسلام ، وقد صررتُ في بطني صرتين وتركت بينهما هواءَ فسُدَّه . قال : عليك حجارةٌ من حجارة الحرة فسُدَّه به يا عمرو ، إنَّه بلغني أنَّك تقول إنَّ لي سيفاً يقال له الصمصامة ، وعندي سيفٌ أسميه المصمَّم ، وإني إن وضعته بين أذنك لم أرفعه حتى يخالطَ أضراسك .

[من الذي أذرى عمراً عن فرسه]

وذكر ابن الكلبي ومحمد بن كناسة أنَّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب ، لقيَ عمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعناً له . فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتى آتيكم بهذه الظعن . فقرب نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلُّ سبيلَ الظعن . قال : فلمَ إذاً ولَدُنْني ؟ ثم شدَّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كاتني رأيت منيتي في سنانهِ .

وبنو كنانة يذكرون أنَّ ربيعة بن مكدَّم الفِرَاسيَّ ، طعن عمرو بن معديكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه . وآتاه لقيه مرةً أخرى فضربه فوقعت الضربةُ في قَرَبُوس السَّرَج فقطعه حتى عضَّ السيفُ بكائبة¹ الفرس فسالمه عمرو وانصرف .

1 كائبة الفرس : مجتمع كتفيه ؟

[صفة بني مجاشع]

قال المدائني: حدثني مسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند قال: حمل عمرو بن معديكرب حمالة، فأتى مجاشع بن مسعود يسأله فيها.

وقال خالد بن خدّاش: حدثني أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال: بلغني أن عمراً أتى مجاشع بن مسعود فقال له: أسألك حُمْلانَ مثلي، وسلاحَ مثلي. قال: إن شئتَ أعطيتُكَ ذاك من مالي. ثم أعطاه حُكْمَه. وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم، وفرسٍ جَوادٍ عتيق، وسيف صارم، وجارية نفيسة. فمرَّ ببني حنظلة فقالوا له: يا أبا ثور، كيف رأيتَ صاحبَكَ؟ فقال: لله بنو مجاشع ما أشدَّ في الحرب لقاءها، وأجزلَ في اللَّزَّباتِ¹ عطاءها، وأحسنَ في المكرُماتِ ثناءها، لقد قاتلتُها فما أقلتُها²، وسألتُها فما أبخلتُها، وهاجتُها فما أفحمتُها!! [ما بقي من قُوته]

وقال أبو المنهالُ عُيينة بن المنهال: سمعتُ أبي يحدث قال: جاء رجلٌ وعمرو بن معديكرب واقفٌ بالكُنَاسة³ على فرسٍ له، فقال: لأنظرنُ ما بقيَ من قُوَّةِ أبي ثور. فأدخل يده بين ساقيه وبين السَّرجِ، وفطِنَ عمرو فضمَّها عليه وحركَ فرسه، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده، حتَّى إذا بَلَغَ منه قال: يا ابنَ أخي، ما لك؟ قال: يدي تحتَ ساقِكَ! فخلَّ عنه، وقال: يا ابنَ أخي، إنَّ في عمِّكَ لَبَقِيَّةَ!. [كذب عمرو]

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلِّه مشهوراً بالكذب: أخبرني علي بن سليمان الأُخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرِّد ولم يتجاوزَه. وذكر ابن النطَّاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام، وخبر المبرِّد أتمُّ قال: كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار، ويتحدَّثون ويتذاكرون أيامَ الناس. فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصَّقَّع النهدي، فأقبلَ عليه يحدثه ويقول: أغرتُ على بني نَهْدٍ فخرجوا إليَّ مسترَعِفين⁴ بخالد بن الصَّقَّع يقدِّمهم، فطعنتُه طعنةً فوقَ، وضربتُه بالصمصامة حتَّى فاضتَ نفسه! فقال له الرجل: يا أبا ثور إنَّ مقتولَكَ الذي تحدَّثَه. فقال: اللهم غَفراً إنَّما أنتَ محدِّثُ فاسمِع، إنَّما نتحدَّثُ بمثل هذا وأشباهه لنُرْهِبَ هذه المَعْدِيَّةَ.

1 اللزبات: الشدة والقحط.

2 ما أقلتُها: لم أجدها قليلة.

3 الكناسة: محلة بالكوفة.

4 الاسترعاف: السبق والتقدم.

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أَبَتَ العربُ إِلَّا أَنْ عَمراً كان يكذب . قال : وقلتُ لخلفِ الأحمر وكان مولى الأشعرين ، وكان يتعصَّب لليمانية : أكان عمرو يكذب ؟ قال : كان يكذب باللسان ، ويصدق بالفعال .

[تقاربه الشاء مع سعد]

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة : أنَّ سعداً كَتَبَ إلى عُمَرَ رضي الله عنه يشني على عمرو بن معديكرب ، فسأله عمرو عن سعد فقال : «هو لنا كالأب أعرابي في نَمْرته¹ ، أسدٌ في تامورته² ، يقسيم بالسوية ، ويعديل في القضية ، وينفر في السرية ، وينقل إلينا حقناً كما تنقل الذرة» فقال عمر رضوان الله عليه : كشدَّ ما تقارضتما الشاء³ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن بُكير بن ميسمار عن زيادٍ مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ، وبلغه أنَّ عمرو بن معديكرب وقع في الخمر ، وأنه قد دُلَّ . فقال : لقد كان له موطنٌ يوم القادسية ، عظيمُ الغناء ، شديدُ النكاية للعدوِّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذلُّ لنفسه من قيس ، وإنَّ قيساً كشَّجاع .

[وفاته]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبيّ خاصة : حدثني أسعر بن عمرو بن جرير ، عن خالد بن قطن قال : حدثني من شهد موتَ عمرو بن معديكرب ، والرواية قرية ، وحكايتا عُمَرَ بن شبة وابن قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها ، قالَا : كانت مغازي العرب إذ ذاك الرِّيَّ ودسَّتِي ، فخرج عمرو مع شباب من مدحج حتى نزل الخان الذي دُون روضة ، فتغدَّى القومُ ثم ناموا ، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته . وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحدٌ أن يدعوه وإن أبطأ ، فقام الناس للرحيل وترحلوا إِلَّا مَنْ كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلما أبطأ صيخنا به : يا أبا ثور . فلم يُجِبنا وسمعنا عُلزاً شديداً⁴ ، ومراساً في الموضع الذي دخله ، وقصَدناه فإذا به محمرةٌ عيناه ، مائلاً شِدْقُه مفلوجاً ، فحملناه على فرسٍ وأمرنا غلاماً شديداً الذراع فارتدَّه ليعديل ميله ، فمات بروضة ودُفِن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه :

[من الطويل]

1 النمرة : الشملة فيها خطوط بيض وسود .

2 التامورة : عرين الأسد .

3 ل : الشهادة .

4 العلز : الكرب والقلق عند الموت .

أَقْدَ غَادَرَ الرِّكْبُ الَّذِينَ تَحْمَلُوا بَرُودَةً شَخْصاً لَا ضَعِيفاً وَلَا غُمّاً
فَقُلْ لَزُبَيْدٍ بَلْ لَمَذْجَجَ كُلُّهَا فَقَدْتُمْ أَبَا ثَوْرٍ سِنَانَكُمْ عَمّاً
فَإِنْ تَجْزَعُوا لَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنْكُمْ وَلَكِنْ سَلُّوا الرَّحْمَنَ يُعْقِبُكُمْ صَبْرًا

[ريحانة التي ذكرها في شعره]

والأبيات العينية التي فيها الغناء ، وبها افتتح ذكر عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معديكرب لما سبها الصمة بن بكر ، وكان أغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة ، وانهزمت زبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنَّ عمراً أتبعه يناشده أن يخلّي عنها ، فلم يفعل ، فلما يمس منها ولّي وهي تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقلدز على انتزاعها ، وقال : [من الوافر]
أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُوْرُقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
سَبَاهَا الصَّمَةُ الْجَشْمِيُّ غَضَباً كَانَ بِيَاضَ غُرَّتْهَا صَدِيعُ¹
وَحَالَتْ دُونَهَا فُرْسَانُ قَيْسٍ تَكْشَفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْعاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وزاد الناس في هذا الشعر وغني فيه :

وَمِنْ هُوَ لِلَّذِي أَهْوَى مَنُوعُ وَكَيْفَ أَحَبُّ مَنْ لَا أُسْتَطِيعُ
وَمَنْ قَدْ لَامَنِي فِيهِ صَدِيقِي وَأَهْلِي ثُمَّ كُلًّا لَا أُطِيعُ
وَمَنْ لَوْ أَظْهَرَ الْبَغْضَاءَ نَحْوِي أَتَانِي قَابِضُ الْمَوْتِ السَّرِيعُ
فِدْنِي لَهُمْ مَعاً عَمِّي وَخَالِي وَشَرِخَ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يُطِيعُوا

وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي : وأما قصة ريحانة فإن عمرو بن معديكرب تزوج امرأة من مراد ، وذهب مغيراً قبل أن يدخل بها ، فلما قديم أخبر أنه قد ظهر بها وضح ، وهو داء تحذره العرب ، فطلقها وتزوجها رجلاً آخر من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأن الذي قيل فيها باطل ، فأخذ يشبب بها ، فقال قصيدته وهي طويلة :

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُوْرُقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

[توليه رئاسة بني زيد]

وكان عبد الله بن معديكرب ، أخو عمرو ، رئيس بني زيد ، فجلس مع بني مازن في شرب
منهم . فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم ، أحد بني مازن ، في امرأة من بني زيد ، فلطمه عبد الله
وقال له : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشب بالنساء ؟ فنأدى الحبشي : يا آل بني مازن !
فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، وكان الحبشي عبداً للمخزم ، فريس عمرو مكان أخيه ، وكان عمرو
غزا هو وأبي المرادي فأصابوا غنائم ، فادعى أبي أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمر أن يعطيه شيئاً ،
وكره أبي أن يكون بينهما شر ، لحدائث قتل أبيه ، فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنه توغده ،
فقال عمرو في ذلك قصيدة له أواخرها¹ :

صوت

وكلُّ مقلّص سَلِس القياد ²	أعاذلَ شِكَّتِي بدني ورُحِي
وأفرَحَ عاتقي ثَقُل النجاد ³	أعاذلَ إنما أُنسى شبابي
وددتُ وأينما مني ودادي ³	تمنّائي ليلقاني أبي
تكشّف شحمُ قلبك عن سواد ⁴	ولو لاقيتني ومعِي سِلَاحي
عذيرك من خليلك من مراد ⁴	أريد جِباءه ويريدُ قتلي

[من الوافر]

وتمام هذه الأبيات :

كأنّ قتيَرها حدَقُ الجراد ⁵	تمنّائي وسابغتي دِلاصُ
تخيّر الفتى من قوم عاد ⁶	وسيفي كان من عهد ابن صدّ
سيناً مثلَ مِقْبَاس الزناد ⁶	ورمحي العنبري تخال فيه
أمرٌ سرّاتها خلَقُ الجياد ⁶	وعجّلة يزلُّ اللَّبْدُ عنها
كوقع القطر في الأدم الجِلاد ⁷	إذا ضُرِبَتْ سمعت لها أزيزاً
ولا متعلّماً قتلَ الواحد ⁷	إذا لوجدت خالك غيرَ نكسٍ

1 ديوانه : 60-65 مع بعض اختلاف .

2 البدن : الدرع . والمقلص : الفرس .

3 أبي في الديوان : قيس .

4 الديوان : أريد حياته .

5 القتيّر : رؤوس مسامير الدرع . وحدق الجراد : عيون الجراد .

6 العجّلة : الفرس الشديدة .

7 هذا يجعل المخاطب ابن أخته قيس بن مكشوح المرادي .

يَقْلُبُ لِلْأُمُورِ شَرْنِشَاتٍ بِأَظْفَارٍ مَعَارِزُهَا حَدَادٌ¹

لابن سُرَيْجٍ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ ، وَلابْنُ مُحْرَزٍ فِي السَّادِسِ وَالْخَامِسِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى ، وَفِي الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ لَحْنٌ لِلْهَذَلِيِّ مِنْ رَوَايَةِ يُونُسَ .

وهذا البيت الخامس كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلْجَمٍ تمثّل به .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال : حدّثنا حَيَّانُ بن بشر قال حدّثنا جرير عن حمزة الزيّات قال : كان عليّ عليه السلام إذا أعطى الناس فنظر إلى ابن مُلْجَمٍ قال : [من الوافر]

أُرِيدَ حِيَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

حدّثني العباس بن عليّ بن العباس ، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالوا : حدّثنا أحمد بن منصور الرماديّ قال : حدّثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السُّلَمَانِيِّ قال : كان عليّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجَمٍ قال : [من الوافر]

أُرِيدَ حِيَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

حدّثني محمد بن الحسن الأشثاني قال : حدّثنا عليّ بن المنذر الطُّرَيْفِيُّ قال : حدّثنا محمد بن فضّيل قال : حدّثنا قطن بن خليفة عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال : قال علي عليه السلام : ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتُخَضَّبَنَّ هذه من هذا .
قال أبو الطفيل : وجمع عليّ الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ المراديّ ، فردّه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذي نفسي بيده لتُخَضَّبَنَّ هذه من هذا . ثم تمثّل بهذين البيتين :

اشدّد حيازيمَكَ للموتِ فَإِنَّ الموتَ يَأْتِيكَ²

ولا تجزغُ من القتلِ إِذَا حُلَّ بِوَادِيكَ

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

[أنحه تعيّرهُ بقوله الدية]

قال : وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إِنَّ أَخَاكَ قَتَلَهُ رَجُلٌ مَنَا سَفِيهٌ وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وَنَحْنُ يَدُكَ وَعَضْدُكَ ، فَسَأَلْنَاكَ الرَّحِمَ وَإِلَّا أَخَذْتَ الدِّيَةَ مَا أَحْبَبْتَ ! فَهَمَّ عَمْرُو

1 الشرنيت : الغليظ الكفّين .

2 يَأْتِيكَ فِي ل : لَأَقِيكَ .

بذلك . وقال ¹ :

إحدى يدي أصابتنِي ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرُو يقال لها كَبْشَة ، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب ، ففضّيت ،
فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تعيّرُ عمرأ : [من الطويل]

أُرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه إلى قومِه لا تَعْلُوا لَهُم دمي
ولا تأخذوا مِنْهم إِفْلاً وأَبْكَراً وأتركُ في بيتِ بصْعةٍ مَظْلَمٍ ²
ودَغْ عنكَ عَمراً إنَّ عَمراً مسالِمٌ وهل بطنُ عمرو غيرُ شيرٍ لمطعمٍ
فإن أنتم لم تقبلوا واتّديتُم فمشوا بآذان النعامِ المصلّم ³
أيقْتُل عبدُ الله سيّدَ قومِه بنو مازن أن سُبَّ راعي المخزَمِ

فقال عمرو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها ⁴ : [من المتقارب]

صوت

أرقتُ وأمسيْتُ لا أرقُدُ وساورني الموجعُ الأسودُ
وبتُ لذكرى بني مازنٍ كأنِّي مرتفقٌ أرمُدُ ⁵

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، نسيه يحيى المكّي إلى ابن محرز ، وذكر
الهشاميّ أنّه منحول .

ثم أكبَّ على بني مازن وهم غارون ⁶ فقتلهم ، وقال في ذلك شعراً : [من الوافر]

خُذُوا حَقْقاً مَخْطُمةً صفايا وكَيْدي يا مخزَمُ أن أكيدا ⁷
قتلتُم سادتي وتركتُموني على أكتافكم عبأً جديداً
فمن يأبى من الأقوامِ نصراً ويتركنا فإنّا لن نريداً

1 هذا عجز بيت في الحماسة قاله أعرابي قتل أخوه ابنه :

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتنِي ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

2 الأفال : صغار الإبل . وفي ذكر الأفال والأبكر تصغير لشأن الدية . وصعدة : مدينة باليمن .

3 الآذان المصلمة : المقطوعة .

4 ديوانه : 89-90 .

5 مرتفق : مستند على مرفقه .

6 غارون : أي وهم في غارة .

7 الحقن : الإبل التي أتمت سنتها الثالثة ودخلت في الرابعة .

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الدية لما آذنتهم بحرب ، فأبى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداء ، مذحج . وكان عبد الله أخوا كبشة لأبيها وأُمّها دون عمرو ، وكان عمرو قد هَمَّ بالكفّ عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم ، فركبت كبشة في نساء من قومها ورثت أخاها عبد الله وتركت عمراً أخاها وعيَّرتَه فأحمتَه . فأكَبّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرَّقوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة ببني أسد ، وهم رهط الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأُمُّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . فقال كلبية بن حرقوص بن مازن :

يا ليلتي ما ليلتي بالبلدة رُدْتُ عليّ نجومُها فارتدت
مَنْ كان أسرعَ في تفرُّقِ فالج فلبُّونه جريّتُ معاً وأغدّت
هَلَّا كناشرة الذي ضيَّعتم كالغصن في غلوائه المتنبت

وقال عمرو في ذلك¹ :

تمنّت مازنَ جهلاً خِلاطي فذاقتْ مازنَ طعمَ الخِلاطِ
أُطلتُ فِراطكمَ عاماً فعاماً ودينَ المَذحِجيّ إلى فِراطٍ²
أُطلتُ فِراطكمَ حتّى إذا ما قتلْتُ سِراتكمَ كانت قِطاطٍ³
غدرتمْ غدره وغدرتْ أُخرى فما إنْ بيننا أبداً يعاطٍ⁴

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي قال المدائنيّ : حدّثني رجلٌ من قريش قال : كنّا عند فلانٍ القرشيّ فجاءه رجلٌ بجاريةٍ فغنته :

بالله يا ظبي بني الحارث هل مَن وفى بالعهدِ كالناكثِ

وغنته أيضاً بغناء ابن سريج :

يا طولَ ليلي وبْتُ لَمْ أنم وساديّ الهُم مُبطنٌ سَقَمي

فأعجبتَه واستامَ مولاهُ ، فاشتطّ عليه فأبى شراءها ، وأُعجبتَ الجاريةَ بالفتى ، فلما امتنع مولاهُ من البيع إلاّ بشططٍ قال القرشيّ : فلا حاجةَ لنا في جاريتك . فلما قامت الجارية

1 ديوانه : 127 .

2 أطلت فراطكم : أمهلتكم طويلاً .

3 قِطاط : حسي .

4 يعاط : كلمة للإلتذار .

للاصراف رفعت صوتها تغني وتقول :

[من الوافر]
إذا لم تستطيع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
قال : فقال الفتى القرشي : أفأنا لا أستطيع شراءك ، والله لأشترينك بما بلغت . قالت
الجارية : فذاك أردت . قال القرشي : إذا لا أخيبك . وابتاعها من ساعته . والله أعلم .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من السريع]

بالله يا ظبي بني الحارث هل من وفي بالعهد كالناكث
لا تخذعني بالمني باطلاً وأنت بي تلعب كالعابث
عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ، رمل بالبصير ،
وفيه لسياط خفيف ثقل أول بالوسطى ، وفيه لإبراهيم الموصلي لحن من رواية بذل .
ومنها :

صوت

يا طول ليلي وبت لم أنم وسادي الهمة مبطن سقمي
إذ قمت ليلاً على البلاط فأب صرت ريباً فليت لم أقم
فقلت عوجي تخيري خبراً وأنت منه كصاحب الحلم
قالت بل اخشى العيون إذ حضرت حولي وقلبي مباشر الأكم
عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن
إسحاق .

[مناظرة في حضرة المأمون]

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال¹ : كان المأمون قد أطلق لأصحابه
الكلام والمناظرة في مجلسه ، فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جوقاً في
الإمامة ، فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر ، فلجأت المناظرة بينهما إلى أن نط محمد علياً فقال له
علي : إنما تكلمت بلسان غيرك ، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت ! فغضب
المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ، ونهض عن فرشه ونهض

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر بكامله (9 : 172-176) .

الجلساء فخرجوا . وأراد محمد الانصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلّى ، وهو إذ ذاك يحجب المأمون ، وقال : أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت ، ثم تنصرف بغير إذن ، اجلس حتى نعرف رأيك فيك . وأمر بأن يجلس .

قال : ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره ، وأمر بالجلساء فردوا إليه . فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول محمد في الانصراف ، وما كان من منعه إياه . فقال : دعه ينصرف إلى لعنة الله . فانصرف . وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لِمَ دخلتُ إلى النساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب ، وله بنا حرمة ، فدخلتُ إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي .

قال : وما مضى محمد عن وجهه إلّا إلى طاهر ، فسأله الركوب إلى المأمون ، وأن يستوبه جرّمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليّ خليفتي في الدار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين عليّ ساخط . فلم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأذن له فدخل ومجبر الخادم واقف على رأس المأمون . فلما بصر المأمون بطاهر أخذ مندبلاً فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثاً ، إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر ، ثم دنا فسلم ، فرد السلام وأمره بالجلوس فجلس في موضعه . فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرفه الخبر واستوبه ذنب محمد ، فوبه له وانصرف ؛ وعرف محمد ذلك . ثم دعا بهارون بن خنوعيه ، وكان شيخاً خراسانياً داهية ثقة عنده ، فذكر له فعل المأمون وقال له : الق كاتب مجبر والطّف له ، وضمن له عشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطف له ، فعرفه أنّه لما رأى طاهراً دمت عيناه وترحم على محمد الأمين ، ومسح دمعته بالمندبيل . فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلّهم يركب إليه ، فقال له : جئتكَ لتولّيني خراسان وتحتال لي فيها . وكان أحمد يتولّى فضّ الخرائط بين يدي المأمون ، وغسان بن عباد يتولّى إذ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلاً أقمت بمنزلك وبعثت إليّ حتى أصير إليك ولا يُشهر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحد من أصحابه ، وسيبلغه هذا فينكره ، فانصرف وأغض عن هذا الأمر وأمهّلني مدّة حتى أحتال لك . ولبت مدّة ، وزور ابن أبي خالد كتاباً عن غسان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنّه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيره على خراسان ، وجعله في خريطة وقضها بين يدي المأمون ، في خرائط وردت عليه . فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتم به وقال له : ما ترى ؟ فقال : لعلّ هذه علة عارضة تزول ، وسيرد بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيك . ثم أمسك أياماً وكتب كتاباً آخر ودسّه في الخرائط ، يذكر

فيه أنه تناهى في العلة إلى ما لا يرجو معه نفسه . فلما قرأه المأمون قلق وقال : يا أحمد ، إنه لا مدفع لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال : هذا رأي¹ إن أشرت فيه بما أرى فلم أصيب لم أستقبله ، وأمير المؤمنين أعلم بخديمه ومن يصلح بخراسان منهم . قال : فجعل المأمون يسمي رجالاً ويطعن أحمد على واحد واحد منهم ، إلى أن قال : فما ترى في الأعور ؟ قال : إن كان عند أحد قيام بهذا الأمر ونهوض فيه فعنده . فدعا به المأمون فعد له على خراسان ، وأمره أن يعسكر ، فعسكر بباب خراسان . ثم تعقب الرأي فعلم أنه قد أخطأ ، فتوقف عن إمضائه وخشي أن يوحش طاهراً بنقضه ، فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره . ثم إن المأمون في السحر من ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقده له ، عقد اللواء لطاهر طاهراً ، وأمر بإحضار مخارق المغني ، فأحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر ، فقال : يا مخارق ، أغني : [من الوافر]

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وكيف تريد أن تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى تبوغ

قال : نعم . قال : هاته . فغناه فقال : ما صنعت شيئاً ، فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقوله ؟ قال : نعم ، علويه الأعسر . فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر ، فأمره أن يغنيه ، فغناه واحتفل فقال : ما صنعت شيئاً أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله ؟ قال : نعم عمرو بن بانة شيخنا . فأمر بإحضاره فدخل في مقدار دخول علويه ، فأمر بأن يغنيه الصوت ، فغناه فأحسن فقال : أحسنت ما شئت ، هكذا ينبغي أن يقال ، ثم قال : يا غلام اسقني رطلاً واسق صاحبيه رطلاً رطلاً . ثم دعا له بعشرة آلاف درهم ، وخلعة ثلاثة أثواب ، ثم أمره بإعادته ، فأعاده فرد القول الذي قاله ، وأمر له بمثل ما أمر ، حتى فعل ذلك عشراً ، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً . ودخل المؤذنون فأذنوه بالظهر ، فعقد إصبغه الوسطى بإبهاميه وقال : «برق يمان ، برق يمان» . وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف من بحضرته من الجلساء . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، قد أنعمت علي وأحسنت إلي ، فإن رأيت أن تأذن لي في مقاسمة أخوي ما وصل إلي فقد حضراه ؟ فقال : ما أحسن ما استمخت لهما ، بل نعطيهما نحن ولا نلحقهما بك . وأمر لكل واحد بمثل نصف جائزة عمرو ، وبكر إلى طاهر فرحله ، فلما ثنى عنان دابته منصرفاً دنا منه حميد الطوسي فقال : اطرح على ذنبه تراباً . فقال : احسناً يا كلب ! ونفذ طاهر لوجهه . وقدم غسان بن عباد فسأله عن علته وسببها ، فحلف له أنه لم يكن عيلاً ، ولا كتب بشيء في هذا . فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابتن

أبي خالد ، وأمّسك على ذلك . فلمّا كان بعد مدّة من مقدّم طاهرٍ إلى خراسان قطع الدّعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة ، فقال له عون بن مجاشع بن مسعدة صاحب البريد : لم تدع في هذه الجمعة لأمر المؤمنين ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتب به . وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتب به ، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون : إنّ كتب التجار لا تنقطع من بغداد ، وإن اتّصل هذا الخبر بأمر المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي . فقال : اكتب بما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلمّا وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد وقال : إنّه لم يذهب عليّ احتيالك عليّ في أمر طاهر ، وتمويهك له ، وأنا أعطي الله عهداً لمن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلح ما أفسدته عليّ من أمر ملكي لأبيد غَضْرَاكَ¹ ! فشخص أحمد وجعل يتلوم² في الطريق ، ويقول لأصحاب البرد : اكتبوا بخبر عليّ أجدها . فلمّا وصل الريّ لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر بوفاة طاهر . فأغذ السّير حتى قدّم خراسان ، فلقية طلحة على حدّ غفلة فقال له أحمد : لا تكلمني ولا تُرنني وجهك فإنّ أباك عرّضني للعطب وزوال النعمة ، مع احتيالي له وسعيي كان في محبته . فقال له : أبي قد مضى لسبيله ولو أدركته لما خرّج عن طاعتك ، وأمّا أنا فأحلف لك بكلّ ما تسكن به نفسك وأبذل كلّ ما عندي من مال وغيره ، فاضمنّ له عني حسن الطّاعة ، وضبط الناحية ، والإخلاص في النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده ، فأنفذ المأمون إليه اللّواء والخلع والعهد ، وانصرف أحمد إلى مدينة السّلام .

[ابن هرمة والقرشي]

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك النّزيّات قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : مدح ابنُ هرمة رجلاً من قريش فلم يثبه ، فقال له ابنُ عمّ له : لا تفعل ، فإنّه شاعرٌ مفوّه . فلم يقبل منه ، فقال فيه ابن هرمة :

فهلّا إذ عجزتَ عن المعالي	وعمّا يفعل الرجلُ القريع ³
أخذتَ برأي عمرو حين ذكّي	وشبّ لناره الشرفُ الرفيع
إذا لم تستطع شيئاً فدعّه	وجاوزه إلى ما تستطيع

1 الغضراء : النعمة وسعة العيش .

2 يتلوم : يتابث .

3 القريع : السيد والرئيس .

[عما قاله في أخته ربحانة مما يتغنى به]

ومما قاله عمرو بن معديكرب في ربحانة أخته ، وغنّي فيه ، قوله¹ : [من البسيط]
 هاج لك الشوق من ربحانة الطربا إذ فارتكك وأمست دارها غُرباً²
 ما زلتُ أحبس يومَ البينِ راحلتي حتى استمروا وأذرت دمعها سرباً
 حتى ترفعَ بالحُزَنَ يركضها مثلَ المهاةِ مرّته الرّيحُ فاضطرباً³
 والغانياتُ يقتلنَ الرجالَ إذا ضَرَجَنَ بالزعرانِ الرّيطَ والنقبا⁴
 من كلِّ آتيةٍ لم يَغْذُها عُدْمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتها صخباً
 إنَّ الغواني قد أهلكنني وأرى حيالهنَّ ضعيفات القوي كُذُبا

غنّي في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقل من رواية حماد ، وفيه رمل نسبة حبش إليه أيضاً .
 وقال الأصمعيّ : هذا الشعر لسهل بن الحنظليّة الغنويّ ثم الضبيّنيّ ثم الجابريّ ، وهو
 جابر بن ضبيّنة .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وسهل بن الحنظلية أحدُ أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى
 عنه حديثاً كثيراً .

فذكر الأصمعيّ أنّ السببَ في قوله هذا الشعر أنّه اجتمع ناسٌ من العربِ بعكاظ ، منهم
 قُرة بن هُبيرة القشيريّ ، في سنينَ تتابعتْ على الناس ، فتواعدوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتى
 يُخصبِ الناسُ ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهليّ ثم الوائليّ فليشهدْ أمرنا ، ولندخله
 معنا . فأتاهم فأعلموه ما صنعوه ، قال : فما يأكل قومي إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارم الضبيّ :
 إنك لهنالك يا أخوا باهلة ؟ قال : أمّا أنا فالغسل والنساء عليّ حرامٌ حتى آكلَ من قَمَعِ إبلِك .
 فتفرّقوا ولم يكن إلّا ذلك . وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله : استك أضيقُ من ذاك ! فأغارَ
 المنتشرُ على ابن جارم ، فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه في وِجَارٍ ضَبَع ، وأطرد المنتشرُ إبله
 ورعاءها ، فقال سهلٌ في ذلك :

هاج لك الشوق من ربحانة الطربا

1 ديوانه : 27-28 .

2 غُربٌ : غريب .

3 الحزان : الغليظ من الأرض .

4 الريط : جمع ربطة وهي ملاءة بلفقين . والنقب : جمع نقبة وهي ثوب كالإزار تجعل له حجرة مطينة ويشد
 كما تشد السراويل .

في قصيدة طويلة له حسنة . وقال في ذلك أعشى باهلة :

[من الطويل]

فدئى لك نفسي إذ تركت ابن جارم¹ أجب السنام بعد ما كان مضعباً²

وقال المخبل في ذلك :

[من الطويل]

إن قشيراً من لقاح ابن جارم كفاسلية خيضاً وليست بطاهر
وأنبأتني أن قرة آمن³ قتالاً أباه من مجير وخافر
فلا توكلوها الباهلي وتعدوا لدى غرض أرميكم بالنواقر²
إذا هي حلت بالذهاب وذى حسى وراحت خفاف الوطاء حوس³ الخواطر³

[بين الأشعث وعمرو]

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال حدثني قعنب بن الحمرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن ابن عباس عن محمد بن المنتشر قال :

أخبرني من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا في شيء ، فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمك ! فقال سعد : قوما أف لكما ! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضربنك . فقال : كلا إنها عزوز موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي : فأخذت بيد الأشعث فنترتة فوقع على وجهه ، ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تحلحل والله ، لكأنا حركت أسطوانة القصر .

[بين عمرو والأجلح الفهمي]

وقال أبو عبيدة : قديم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأتياه وبين يديه مال يوزن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يوم الخميس . قال : فما حبسكما ؟ قالا : شغلنا بالمنزل يوم قديمنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدونا عليك اليوم . فلما فرغ من وزن المال نحاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقاص ، شديد الميرة ، بعيد الفرة ، وشيك الكرة ، والله ما رأيت مثله من الرجال صارعاً ومصروعاً ، والله لكأنه لا يموت ؛ فقال عمر للأجلح بن وقاص ، وأقبل عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الناس صالحون كثير نسلهم ، دائرة أرزاقهم ، خصب نباتهم ، أجرىء على عدوهم ، جبان هذوهم عنهم ، صالحون بصلاح

1 الأجب : المقطوع السنام . والمصعب : الفحل المكرم .

2 النواقر : السهام الصائبة .

3 الذهاب وذو حسى : موضعان . حوس : جمع أحوس ، هو البطيء الحركة .

إمامهم ؛ والله ما رأينا مثلكَ إلّا مَنْ تقدّمك ، فنستمتع الله بك . فقال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك ؟ قال : منعني ما رأيتُ في وجهك . قال : قد أصبتَ ، أما لو قلت له مثل الذي قال لك لأوجعتكما عقوبة ، فإن تركتُك لنفسك فسوف أتركه لك ، والله لوددت لو سلمتُ لكم حالكم هذه أبداً ، أما إنه سيأتي عليك يومٌ تعضُّه وينهشك ، وتهرُّه وينبحك ، ولست له يومئذٍ وليس لك ، فإن لم يكن بعهدكم فما أقربُه منكم .

[توزيع غنائم القادسية]

قال أبو عبيدة : حدّثنا يونس وأبو الخطاب قالا : لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطقٍ وريقاباً فبلغت مالا عظيماً ، فعزل سعدُ الخُمس ثم فضَّ البقية ، فأصاب الفارسَ ستّة آلاف ، والراجل ألفان ، فبقي مالٌ دثّر¹ . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه أن ردَّ على المسلمين الخُمس ، وأعطِ من لحق بك ممّن لم يشهد الواقعة . ففعل فأجراهم مجرى مَنْ شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه أن فضَّ ما بقي على حملة القرآن . فأتاه عمرو بن معديكرب فقال : ما معك من كتاب الله تعالى ؟ فقال : إني أسلمتُ باليمن ، ثم غزوت فشعلت عن حفظ القرآن . قال : ما لك في هذا المال نصيب .

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي ، صاحبُ جبانةٍ بشر فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضحك القوم منه ولم يُعطيه شيئاً ، فقال عمرو في ذلك : [من البسيط]

إذا قُتلنا ولا يكي لنا أحدٌ قالت قريشٌ ألا تلك المقاديرُ
نُعطى السويّة من طعنٍ له نفذٌ ولا سويّة إذ تُعطى الدنانيرُ²

وقال بشر بن ربيعة :

أنختُ بباب القادسيّة ناقتي وسعدُ بن وقاصٍ عليّ أميرُ
وسعدُ أمير شرّه دونَ خيرهِ وخيرُ أميرٍ بالعراقٍ جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ وعند المثنى فضّة وحريّ
تذكرُ هداك الله وقَعَ سيوفنا باب قُدَيْسٍ والمكرّ عسيرُ³
عشيّة ودّ القوم لو أن بعضهم يُعار جناحني طائر فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة دلّنا لأخرى كالجبالِ تسيرُ

1 دثر : كثير .

2 السوية : المساواة .

3 قديس : موضع قرب القادسية .

ترى القوم فيها واجمين كأنهم جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرُ
فكتب سعدٌ إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردًّا عليه ، وبالقصيدتين ،
فكتبَ أنْ أعطيَهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفي درهم .

قال : وحدثني أبو حفص السلمي قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي : إن في
جندك عمرو بن معديكرب ، وطلحة بن خويلد الأسدي ، فإذا حضر الناسُ فأدِينهما وشاورهما
وابتغهما في الطلائع ، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعهما حيثُ وضعا أنفسهما . يعني بذلك
ارتدادهما ، وكان عمرو ارتدَّ وطلحة تنبأ .

[ين سلمان بن ربيعة وعمرو]

قال : وحدثنا أبو حفص السلمي قال : عرضَ سلمان بن ربيعة جُنْدَه بأرمينية ، فجعلَ لا يقبل
إلا عتيقاً . فمرَّ به عمرو بن معديكرب بفرسٍ غليظ ، فقال سلمان : هذا هَجِين . فقال عمرو :
والهَجِينُ يعرفُ الهَجِين ! فبلغَ عمرَ رضي الله تعالى عنه قوله فكتب إليه : «أما بعد فإنك القائلُ
لأميرك ما قلتَ ، وإنه بلغني أنَّ عندك سيفاً تسميه الصمصامة ، وعندي سيفٌ أسميه مصمماً ،
وأقسم لئن وضعت بين أذنك لا أقبلَ حتى يبلغَ قحفك» . وكتب إلى سلمان يلومه في حلمه عنه .
[تقدير عمر له]

قال : وزعموا أنَّ عمرًا شهد فتح اليرموك ، وفتحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النعمان بن
مقرن المزني ، وكتبَ عُمر إلى النعمان : إن في جندك رجلين : عمرو بن معديكرب ، وطلحة
ابن خويلد الأسدي من بني قُعين ، فأحضِرهما الحربَ وشاورهما في الأمر ، ولا تولهما عملاً .
والسلام .

صوت

[من الطويل]

خليليُّ هُبَّا طالما قد رقدتُما أجِدْكُما لا تَقْضِيانِ كَراكَما
سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يردُّ على ذي لوعةٍ إن بكَاكَما
ويروى : «ذي عولة» .

الشعر لقس بن ساعدة الإيادي ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في خبرٍ أنا ذاكرُهُ
ها هنا .

وذكر يعقوب بن السكيت أنَّه لعيسى بن قدامة الأسدي .

وذكر العتبيُّ أنَّه لرجلٍ من بني عامر بن صعصعة ، يقال له الحسن بن الحارث .
والغناء لهاشم بن سليمان ، ثَقِيلٌ أوَّلُ بالوُسْطى عن عمرو .

[290] - ذكر خبر قُسّ بن ساعدة ونسبه وقصّته في هذا الشعر¹

[نسبه]

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ، وقيل مكان عمرو شمر ، بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النمر بن وائلة بن الطمّثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعَمي بن إِياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها في عصره . يقال : إِيهْ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرْفٍ وخطب عليه . وأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . وأدركه رسولُ الله ﷺ قبل النبوة ، ورآه بعكاظ فكان يَأْثُرُ عَنْهُ كَلَاماً سَمِعَهُ مِنْهُ ، وسئل عنه فقال : «يُحْشِرُ أُمَّةً وَحَدَهُ» .

وقد سمعت خبره من جهاتٍ عدّة ، إلّا أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْني وَقْتُ كَتَبْتُ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِهِ ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً ، فهو من أتمّها .
أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : حَدَّثَنَا أَبُو شَعِيبٍ صَالِحُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَفْصِ النَّسَائِيّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ وَفَدُوا إِيَّادِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا فَعَلَ قُسٌّ بْنُ سَاعِدَةَ ؟ قَالُوا : مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسَوْقٍ عُكَازَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقٌ² ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ عَلَيْهِ حِلَاوَةٌ مَا أَجِدُنِي أَحْفَظُهُ» . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا أَحْفَظُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ ؟

[خطبته]

قال سمعته يقول : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا ، مَنْ عَاشَرَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلٌ دَاجٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، بِحَارٌ تَزْخَرُ ، وَنَجُومٌ تَزْهَرُ³ ، وَضُوءٌ وَظَلَامٌ ، وَبُرٌّ وَآثَامٌ ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ ، وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا

1 لقس بن ساعدة الإيادي ترجمة في البيان والتبيين 1 : 27 والشرشي 2 : 251 ومعجم الرزباني : 222 وخزانة البغدادي 2 : 88-91 وانظر أعلام الزركلي ومواقع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 الأورق : الذي بلون الرماد .

3 تزهو : تتلألأ .

يرجعون ، أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ دِينَ أَفْضَلُ مِنْ دِينٍ قَدْ أَظْلَكَكُمْ زَمَانُهُ ، وَأَدْرَكَكُمْ أَوَانُهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَهُ ،
فَاتَّبَعَهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ —————
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا —————
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا —————
أَيَقَنْتُ أَنْتَنِي لَا مَعَا —————
لَمَّا رَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا —————
أَيَقَنْتُ أَنْتَنِي لَا مَعَا —————
لَمَّا رَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا —————
أَيَقَنْتُ أَنْتَنِي لَا مَعَا —————

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَرْحَمُ اللَّهُ قُسًّا ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُعِثَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ» .

[مناسبة الشعر المنسوب إليه]

فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ قُسٍّ عَجَبًا . قَالَ : وَمَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : بَيْنَا أَنَا
بِجَبَلٍ يُقَالُ لَهُ سِمْعَانَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، إِذْ أَنَا بِقُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ عِنْدَ عَيْنِ
مَاءٍ ، وَعِنْدَهُ سَبَاعٌ ، كُلَّمَا زَارَ سَبْعٌ مِنْهَا عَلَى صَاحِبِهِ ضَرْبَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : كُفَّ حَتَّى يَشْرَبَ
الَّذِي وَرَدَ قَبْلَكَ . قَالَ : فَفَرَّقْتُ ، فَقَالَ : لَا تَخَفْ . وَإِذَا أَنَا بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسْجِدٌ ،
فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ قَالَ هَذَانِ قَبْرَا أَخَوَيْنِ كَانَا لِي فَمَاتَا ، فَاتَّخَذْتُ بَيْنَهُمَا
مَسْجِدًا أَعْبُدُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ فِيهِ حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمَا . ثُمَّ ذَكَرَ أَيَّامَهُمَا فَبَكَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ
يَقُولُ :

خَلِيلِي هَبَّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتَمَا —————
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّنِي بِسِمْعَانَ مَفْرَدٌ —————
أَقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا —————
كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتَ أَقْرَبُ غَايَةٍ —————
فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةٍ —————
لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا —————
أَجِدَّكُمْ لَا تَقْضِيَانِ كِرَامًا —————
وَمَا لِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا —————
طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكُمَا —————
بِجَسْمِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا —————
لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا —————

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَرْحَمُ اللَّهُ قُسًّا» .

وَأَمَّا الْحِكَايَةُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ السَّكِّيتِ أَنَّ الشَّعْرَ لِعِيسَى بْنِ قُدَامَةَ الْأَسَدِيِّ فَأَخْبَرَنِي
بِهَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ ، عَنْ السَّكُونِيِّ قَالَ : قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ : قَالَ
عِيسَى بْنُ قُدَامَةَ الْأَسَدِيِّ ، وَكَانَ قَدِيمَ قَاسَانَ ، وَكَانَ لَهُ نَدِيمَانِ فَمَاتَا ، وَكَانَ يَجِيءُ
فِي جُلُوسٍ عِنْدَ الْقَبْرَيْنِ ، وَهُمَا بِرَاوَنْدٍ ، فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خَزَاقٍ ، فَيَشْرَبُ وَيَصْبُ عَلَى
الْقَبْرَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَيَنْشُدُ وَهُوَ يَشْرَبُ :

[من الطويل]

خِليُّ هُبَا طالما قد رقدتُما أجدُّك لا تقضيان كراكا
 أَلَمْ تعلمَا ما لي براوند هذه ولا بخُزاقٍ من نديم سواكا
 مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً طَوَالَ الليالي أو يجيبَ صداكا
 جَرَى الموتُ مجرى اللحم والعظم منكما كأنَّ الذي يَسْقِي العُقَارَ سَقاكا
 تَحْمَلُ مَنْ يَهْوَى القُفُولَ وغادروا أخاً لكما أشجاه ما قد شجاكا
 فأَيُّ أَخٍ يجفُو أخاً بعد موتِهِ فلستُ الذي من بعد موتٍ جفاكا
 أَصَبُّ على قبريكما من مُدَامَةٍ فإِلَّا تذوقا أروٍ منها ثراكا
 أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوتهُ من دعاكا
 أَمِنَ طَوَالَ نومٍ لا تُجيبانِ داعياً خِليُّ ما هذا الذي قد دهاكا
 قَضَيْتُ بِأَنِّي لا محالة هالكٌ وأُنِّي سيعروني الذي قد عراكا
 سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يردُّ على ذي عَولَةٍ إن بكাকা

وأخبرني ابن عَمَّارُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِخبر هؤلاء ، عن أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى البَلَاذُريِّ قال : حَدَّثَنَا عبدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ بْنُ مُسْلِمٍ العَجَلِيُّ قال : يَلْغَنِي أَنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ كانوا فِي الجَيْشِ الَّذِي وَجَّهَهُ الحُجَّاجُ إِلَى الدَّيْلَمِ ، وَكانُوا يَتَنادِمُونَ لا يُخَالِطُونَ غَيْرَهُمْ . فَأَتَهُمْ لَعْلَى ذَلِكَ إِذْ ماتَ أَحَدُهُمْ فَدفَنَهُ صاحِباهُ ، وَكانا يَشْرِبانِ عِنْدَ قَبْرِهِ ، فَإِذا بَلَغَهُ الكَأْسُ هَرَّاقاها على قَبْرِهِ وَبَكِيا . ثُمَّ إِنَّ الثَّانِيَّ ماتَ فَدفَنَهُ الباقِي إلى جَنْبِ صاحِبِهِ ، وَكانَ يَجْلُسُ عِنْدَ قَبْرِيهِما فيشْرَبُ وَيَصْبُ الكَأْسَ على الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ على الآخرِ وَيَكِي ، وَقَالَ فِيهِما :

نديمي هُبَا طالما قد رقدتُما

وذكر بعضَ الأبيات التي تقدَّم ذكرها . وقال مَكَانُ «براوند» هذه : «بقرزين» ، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه . قال ابن عَمَّار : فقُبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء .

وذكر العُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الشُّعْرَ لِلْحَزِينِ بْنِ الْحَارِثِ ، أَحَدِ بَنِي عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَكانَ أَحَدُ نَدِيمِيهِ مِنْ بَنِي أُسْدٍ وَالْآخَرِينَ مِنْ بَنِي حَنيفَةَ ، فَلَمَّا ماتَ أَحَدُهُما كانَ يَشْرَبُ وَيَصْبُ على قَبْرِهِ وَيَقُولُ :

[من الرمل]

لا تصردُ هامةً مَنْ كَأَسها واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبْر¹

كان حرّاً فهوى فيمن هوى كلُّ عودٍ ذي شُعب ينكسرُ

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد :

[من الطويل]

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما

الآبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنك لا تموت حتّى تنهشك حيّةٌ في شجرةٍ بوادي كذا وكذا .
فورد ذلك الواديّ في سفر له وسأل عنه فعرفه ، وقد كان خطاً¹ في أصل شجرة ، ومدّ رجله
عليها ، فنهشته حيّةٌ فأنشأ يقول :

[من الطويل]

خليليّ هذا حيثُ رمسيّ فعرّجا	عليّ فإنّي نازلٌ فمعرّسُ
لبستُ رداءَ العيش أُحوى أجرهُ الـ	عَشِيَّاتٍ حتّى لم يكن فيه ملبسُ ²
تركتُ خيائي حيثُ أرسى عماده	عليّ ، وهذا مرمسيّ حيثُ أرمسُ
أحتفيّ الذي لا بدّ أنك قاتلي	هلمّ فما في غابر العيش منفسُ
أبعدَ نديميّ اللذين بعقلي	بكيتهما حولاً مدى أتوجّسُ

1 أي خطّ لنفسه قبراً .

2 أُحوى : أسود الشعر .

[291] - ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

[نسبه]

هو هاشم بن سليمان مولى بني أمية ، ويكنى أبا العباس ، وكان موسى الهادي يسميه أبا الغريض . وهو حسن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر :

يا وحشتي بعدك يا هاشمُ غبتَ فشجوي بك لي دائمُ
اللهو واللذة يا هاشمُ ما لم تكن حاضره مائمُ
أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال : كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمارحه ، ويلقبه أبا الغريض .
[غناؤه لموسى الهادي]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال : بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغناه :

صوت

لو يُرْسِلُ الْأَزْلُ الظُّبَا ء تَرَوْدُ لَيْسَ لَهْنَ قَائِدُ¹
لَتَيْمَمْتُكَ تَذْلُهُا رِيَاكَ لِلْسُّبُلِ الْمَوَارِدُ
وَإِذَا الرِّيحُ تَنَكَّرَتْ نُكْبًا هَوَاجِرَهَا صَوَارِدُ²
فَالنَّاسُ سَائِلَةٌ إِلَيَّ لَكَ فَصَادِرًا تُغْنِي وَوَارِدُ³

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي ، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أول بالنصر .

فطرب موسى ، وكان بين يديه كانونٌ ضخْمٌ عليه فحم ، فقال له : سلّني ما شئت . قال : تملأ لي هذا الكانون . فأمر له بذلك ، وفرّغ الكانون فوسّع ستّ يدور ، فدفعها إليه .
وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهبويه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن أبي توبة ، عن محمد بن جبر ، عن هاشم بن سليمان قال : أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة منا ، فقال : يا هاشم غنّني :

أَبْهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعَا

1 الأزل : الشدة والضيّق .

2 النكب : جمع نكباء وهي الرياح المائلة عن أي الجهات الأربع . والصوراد : البوارد .

3 سائلة : كثيرة الورد .

فإن أصبت مُرادي فيه فلك حاجةٌ مقضية . فغنيته فقال : قد أصبت وأحسنت سلَّ حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين تأمر أن يُملأ هذا الكانون درهم . قال : وبين يديه كانونٌ عظيم ، فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم ، فلما حصَّلتها قال : يا ناقصَ الهمة ، والله لو سألتني أن أملأه دنانير لفعلت . فقلت : أقلني يا أمير المؤمنين . فقال : لا سبيل إلى ذلك فلم يُسعدك الجدُّ به .

نسبة هذا الصوت¹

[من الكامل]

أبهارُ قد هيَّجت لي أوجاعا وتركيني عبداً لكم مطوعا
بحديثك الحسن الذي لو كلَّمتُ وحشُ الفلاة به لَجِئْنَ سيرا
وإذا مررتُ على البهارِ منضداً في السُّوق هيَّج لي إليك نزاعا
والله لو عَلِم البهارُ بأنَّها أضحت سميته لصار ذراعاً
الغناء لهاشم ، ثاني ثقیل بالنصر عن عمرو ، وفيه ثقیل أوَّل بالنصر ، ينسب إلى إبراهيم الموصلي ، وإلى يحيى المكي ، وإلى إسحاق .

[مجلس غناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدَّثنا عمر بن شبة قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنَّا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عالماً بالغناء والفقهِ جميعاً ، وقد كان يحيى بن أكرم وصفه للمأمون بالفقهِ ، ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجب ما اجتمع فيه : العلم بالفقهِ والغناء ! فكتبْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن يتحوَّل إلينا وكان في جوارنا ، وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذُكاء وصغير غلاماً أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جُعِلْتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حَمَلْتُ قِدري وصرتُ إليكم . وكتب في أسفل كتابه :

أنا شمايط الذي حُدِّثَ به متى أُنْبِه للغداء أُنْبِه
ثم أدور حوله وأحتبه حتى يقال شره ولست به
ثم جاءنا ومعه بُدَّيح غلامه ، فتغدَّينا وشرنا ، فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف : [من الكامل]

أبهارُ قد هيَّجت لي أوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مراراً ، ثم قال له : ممَّن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن

1 الشعر للمؤمل بن أميل الحاربي (معجم المرزباني : 298-299) .

الطبيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أحبُّ أن تلقِيَه على بُديح . ففعل . فلمَّا صَلَّيْتُ العِشاءَ انصرفَ ذكاء ، وقعد أبو جعفر يشرب ، يعني مولاه ، وعنده قومٌ ، وتخلَّف صَغِيرُ فغنَّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غُلام ماخوري . وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النَّهار فغنَّانا :

هبوني أغضُّ إذا ما بدت وأملكُ طرفي فلا أنظرُ
فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجرك الله في ابن عمك ! أي قد سكر فأقدَم على الغناء بحضرتي .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من المتقارب]

هبوني أغضُّ إذا ما بدت وأملكُ طرفي فلا أنظرُ
فكيف احتيالي إذا ما الدموعُ نطقنَ فبحنٍ بما أضمرُ
أيا مَنْ سروري بِهِ شقوةٌ ومَنْ صفو عيشي بِهِ أكدرُ
أمني تخاف انتشارَ الحديثِ وحظِّي في سترهِ أوفرُ
ولو لم أصنهُ ليقيا عليك نظرتُ لنفسي كما تنظرُ
الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دُحمان ، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو في
الآيات الثلاثة الأول . وفيها لعمرو بن بانة ماخوري . وفي :
أيا مَنْ سروري بِهِ شقوةٌ
لسليم هزج . وفيه ثاني ثقیل ينسب إلى حسين بن محرز ، وإلى عباس منقار .

صوت

[من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زيمٌ قد لَقَّها الليلُ بسواقٍ حطَمَ
ليسَ براعيٍ إيلٍ ولا غنمٌ ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضَمَ
عروضه من الرجز . الشعر لرُشيد بن رُميَض العَنَزِيّ يقولُه في الحُطَم ، وهو شُريح بن ضُبَيْعة ، وأمه هندُ بنت حسان بن عمرو بن مرثد ، والغناء ليزيد حوراء ، خفيف ثقیل أول بالنصر ، وفيه خفيف رملٍ يقال إنَّه لأحمد المكي .

292 - [الحطيم والعلاء الحضرمي]

[الحطيم ونجاته]

قال أبو عبيدة : كان شُرَيج بن ضُبَيْعة غزا اليمنَ في جموعٍ جَمَعَهَا من ربيعة ، فغَنِمَ وسَيَّ بعد حرب كانت بينه وبين كِنْدَةَ ، أَسْرَ فيها فُرْعان بن مهديّ بن معد يكرب عمّ الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَ بهم دليْلُهُم ثم هرب منهم وماتَ فُرْعان في أيديهم عطشاً ، وهلكَ منهم ناسٌ كثيرٌ بالعطش . وجعل الحطيمُ يسوق بأصحابه سَوْقاً عَنيفاً . حتى نَجَوْا وورَدُوا الماء . فقال فيه رُشيد :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زَيْمٌ ليسَ براعيٍ إبلٍ ولا غَنَمٍ¹
ولا بجزّارٍ على ظهرٍ وضَمَّ نامَ الحداةُ وابنَ هندیٍّ لم يَنْمَ²
باتتْ يقاسيها غلامٌ كالزَّكَمِ خدلجُ السّاقين خفاقُ القَدَمِ³
قد لَفَّها الليلُ بسَواقٍ حُطَمَ

فَلَقَبَ يومئذٍ «الحطيم» لقول رُشيدٍ هذا فيه .

وأدرك الحطيمُ الإسلامَ فأسلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

[إسلام الجارود بن المعلّى]

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريُّ قال حدَّثنا عبد الله بن سعد الزهريُّ قال أخبرنا عمِّي يعقوب قال : أخبرني سيف قال : خرج العلاء بن الحضرميُّ نحو البحرين ، وكان من حديث البحرين أنَّ رسول الله ﷺ لما ماتَ ارتدَّوا ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمَّت على رِدَّتِها . وكان الذي ثنى عبدُ القيسِ الجارودَ بن المعلّى .

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبي الحسن قال⁴ : قدم الجارود بن المعلّى على النبي ﷺ مُرتاداً ، وقال : أسلم يا جارود . فقال : إنَّ لي ديناً . فقال له النبي ﷺ : إنَّ دينك يا جارود ليسَ بشيء ، وليسَ بدين . فقال له جارود : فإنَّ أنا أسلمتُ فما كان مِن تبعَةٍ في

1 زيم : قيل إنه اسم فرس وقيل إنه الغارة . وقد جرى هذا الشطر مجرى المثل . انظر مجمع الميداني 2 : 391

وفصل المقال : 404 وجمهرة العسكري 2 : 352 ومستقصى الرمزخري 2 : 385 .

2 الوضيم : كل ما يوضع عليه اللحم .

3 الزلم : السهم . وخدلج الساقين : عظيمهما .

4 انظر تاريخ الطبري : حوادث سنة 11 .

الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم وأقام بالمدينة حتى فقه .
[المنذر الغرور]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال : اجتمعت ربيعة بالبحرين ، فقالوا : رُدُّوا الملك في آل المنذر ، فملَّكوا المنذر بن النُّعْمان بن المنذر ، وكان يسمَّى الغرور ، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغرور ولكنِّي المغرور .
[ارتداد الحُطَم]

حدَّثنا محمد بن جرير قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد قال : أخبرني عمِّي قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَيْر بن فلان العبدي قال : لما مات رسول الله ﷺ خرج الحُطَم من ضُبَيْعة ، في بني قيس بن ثعلبة ومن أتبعه من بكر بن وائل على الردة ، ومن تأشَّب إليه¹ من غير المرتدِّين ممن لم يزلْ كافراً ، حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخطَّ ومن كان بهما من الزُّطِّ والسيابجة ، وبعثَ بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعلَ عبد القيس بينهم وبينه ، وكانوا مخالِّفين له يُمدِّون المنذر والمسلمين . وأرسل إلى الغرور بن سويد بن المنذر بن أخي النُّعْمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنِّي إنْ ظفرتُ ملكتك البحرين ، حتى تكون كالنُّعْمان بالحيرة . وبعث إلى روثان وقيل إلى جوثان ، فحاصرهم وألحَّ عليهم ، فاشتدَّ الحصار على المحصورين من المسلمين ، وفيهم رجلٌ من صالحِي المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف ، أحد بني أبي بكر بن كلاب ، فاشتدَّ عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون ، فقال عبد الله بن حَذَف :

ألا أبلغُ أبا بكرٍ رسولاً وفتيانَ المدينة أجمعينا
فهلْ لكم إلى قومٍ كرامٍ قعودٍ في جوثانٍ مُحَصَّرينا
كأنَّ دماءهم في كلِّ فجٍّ شعاعُ الشمسِ يُعشي الناظرينا
توكَّلنا على الرَّحْمَنِ إنا وجدنا النَّصرَ للمتوكِّلينا

[قتال المرتدِّين بالبحرين]

حدَّثني محمد بن جرير قال كتب إلي السريُّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن الصقعب بن عطية بن بلال ، عن سهم بن منجاب ، عن منجاب بن راشد قال² : بعث أبو بكرٍ العلاء بن الحضرميَّ على قتال أهل الردة بالبحرين ، فتلاحقَ به من لم يرتدَّ من

1 تأشَّب : تجتمع .

2 تاريخ الطبري 3 : 306 . وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر نقلاً عن تاريخ الطبري والأغاني (9 : 178-181) .

المسلمين ، وسلك بنا الدهناء حتى إذا كنا في بُحبوحتها أراد الله عز وجل أن يُرينا آية ، فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول ، فنفرت الإبل في جوف الليل ، فما بقي بعير ولا زاد ولا مزاد ولا بناء ، يعني الخيم قبل أن يحطوا ، فما علمت جمعاً هجم عليه من الغم ما هجم علينا ، وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادي العلاء : اجتمعوا . فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم نحْم شمسُه حتى نصير حديثاً . فقال : أيُّها الناس ، لا تُراعوا ، أَلستم مسلمين ؟ أَلستم في سبيل الله ؟ أَلستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى . قال : فأبشروا ، فوالله لا يخذل الله تبارك وتعالى من كان في مثل حالكم . ونادى المنادي بصلاة الصُّبح حين طلع الفجر ، فصلَّى بنا ، ومنا التيمم ومنا من لم يزل على طهوره ، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه ، وجثا الناس معه ، فنُصِب¹ في الدِّعاء ونصّبوا فلمع لهم سراباً فأقبل على الدِّعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماء . فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشرينا واغتسلنا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأخذه ، فما فقدنا سلكاً ، فأرويناها العَلَل بعد النهل وتروينا ثم تروحنا .

وكان أبو هريرة رفيقي ، فلما غيبتنا عن ذلك المكان قال لي : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى الناس بهذه البلاد . قال : فكُفّرْ معي حتى تُقيمَنِي عليه . فكررتُ بِهِ فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غديرَ بِهِ ، ولا أثر للماء . فقلت له : والله لولا أني لا أرى الغديرَ لأخبرتكَ أن هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا أداة مملوءة فقال : يا سَهْمُ ، هذا والله المكان ولهذا رجعتُ ورجعت بك . وملأتُ إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي فقلت : إن كان منّا من المنّ وكانت آية عرفتها ، وإن كان غيائاً عرفته . فإذا منّ من المنّ وحيدت الله جلّ وعزّ . ثم سرنا حتى نزلنا هجر فأرسل العلاء إلى الجارود ورجلٍ آخر : أن انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحُطَم ممّا يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن قديم عليه حتى ينزل ممّا يلي هجر . وتجمّع المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرمي ، ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينما الناس ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشرّكين ضوضاءً شديدة ، فكأنّها ضوضاء هزيمة . فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذَف : أنا آتيكم بخبر القوم ، وكانت أمّه عِجْلِيّة ، فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : من أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه ! فجاء أبجر بن

بُجَيْر فَعَرَفَهُ فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ لَا أَضِيعَنَّ اللَّيْلَةَ بَيْنَ اللَّهَازِمِ ، عَلَامَ أَقْتُلُ وَحَوْلِي عَسَاكِرُ
 مِنْ عَجَلٍ وَتَيْمٍ اللَّاتِ وَعَنْزَةٍ وَقَيْسٍ ؟ أَيَتَلَاعَبُ بِي الْحُطَمُ وَنَزَاعُ الْقِبَائِلِ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ ؟
 فَتَخَلَّصَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّكَ بِسَرِّ ابْنِ الْأَخْتِ لِأَخْوَالِكَ اللَّيْلَةَ . دَعْنِي مِنْ هَذَا وَأَطْعِمْنِي ،
 فَقَدْ مِتُّ جَوْعاً . فَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَاماً فَأَكَلَ . ثُمَّ قَالَ : زَوِّدْنِي وَاحْمِلْنِي وَجَوِّزْنِي أَنْطَلِقَ إِلَى
 طَيْبَتِي . وَيَقُولُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ ، فَفَعَلَ وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ وَزَوَّدَهُ وَجَوَّزَهُ .
 وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْقَوْمَ سُكَارَى ، فَخَرَجَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى اقْتَحَمُوا عَسْكَرَهُمْ فَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّيُوفَ حَيْثُ شَاءُوا ، وَاقْتَحَمُوا الْخَنْدَقَ هَرَباً ،
 فَمُتَرَدِّدٌ وَنَاجٍ ، وَدَهْشٌ وَمَقْتُولٌ ، وَمَأْسُورٌ . وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا فِي الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ يُقْلَتِ
 رَجُلٌ إِلَّا بِمَا عَلَيْهِ . فَأَمَّا أَبُجَيْرُ فَأَقْلَتَ ، وَأَمَّا الْحُطَمُ فَإِنَّهُ بَعِلٌ¹ وَدَهْشٌ وَطَارَ فَوَّادُهُ ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ
 وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَهُمْ يَجُوسُونَهُمْ لِيَرَكِبَهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَّابِ انْقَطَعَ ، فَمَرَّ بِهِ عَفِيفُ بْنُ
 الْمَنْذَرِ أَخَذَ بَنِي عَمْرُو بْنِ تَمِيمٍ ، وَالْحُطَمُ يَسْتَغِيثُ وَيَقُولُ : أَلَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَيْسٍ بِنِ ثَعْلَبَةٍ
 يَعْقِلُنِي ؟ فَرَفَعَ صَوْتَهُ فَعَرَفَهُ عَفِيفٌ فَقَالَ : أَبُو ضَبِيعَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أُعْطِنِي رَجُلَكَ أَعْقَلُكَ .
 فَأَعْطَاهُ رَجُلَهُ يَعْقِلُهَا فَنَفَحَهَا فَأَطْنَهَا² مِنَ الْفَخْذِ وَتَرَكَهَ ، فَقَالَ : أَجْهَزْ عَلَيَّ . فَقَالَ : إِنِّي لِأَحَبُّ
 أَنْ لَا تَمُوتَ حَتَّى أَمِضَّكَ . وَكَانَ مَعَ عَفِيفٍ عِدَّةٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ فَأَصْبَحُوا لَيْلَتَهُ ، وَجَعَلَ الْحُطَمُ
 يَطْلُبُ مَنْ يَقْتُلُهُ ، يَقُولُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ فَعَرَفَهُ ،
 فَمَالَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ . فَلَمَّا رَأَى فَخْذَهُ نَادَرَهُ³ قَالَ : وَاسْوَأَتَاهُ ! لَوْ عَرَفْتُ الَّذِي بِهِ لَمْ أُحَرِّكْهُ . وَخَرَجَ
 الْمُسْلِمُونَ ، بَعْدَ مَا أَحْرَزُوا الْخَنْدَقَ ، عَلَى الْقَوْمِ يَطْلُبُونَهُمْ ، فَاتَّبَعُوهُمْ فَلَحِقَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ
 أَبُجَيْرَ ، وَكَانَ فَرَسُ أَبُجَيْرٍ أَقْوَى مِنْ فَرَسِ قَيْسٍ ، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يَفُوتَهُ طَعَنَهُ فِي الْعِرْقُوبِ فَقَطَّعَ
 الْعَصَبَ وَسَلِمَ النَّسَا . فَقَالَ عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ فِي ذَلِكَ :

فَإِنْ يَرْقَا الْعِرْقُوبُ لَا يَرْقَا النَّسَا وَمَا كُلُّ مَنْ تَلَقَى بِذَلِكَ عَالِمٌ⁴
 أَلَمْ تَرَ أَنَا قَدْ فَلَلْنَا حُمَاتَهُمْ بِأَسْرَةٍ عَمِرُوا وَالرِّيَابُ الْأَكَارِمُ⁵

وَأَسْرَ عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ ، الْغُرُورَ بْنَ أَخِي الثُّعْمَانَ بْنِ الْمَنْذَرِ ، فَكَلَّمَتْهُ الرِّيَابُ فِيهِ وَكَانَ ابْنُ
 أَخْتِهِمْ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُجِيرَهُ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى الْعَلَاءِ قَالَ : إِنِّي أَجْرْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :

1 بعل : دهش و فرق .

2 نفحه بالسيف : تناوله من بعيد أو ضربه بطائفة منه . وأطنها : قطعها .

3 نادرة : ساقطة .

4 رقاً : انقطع .

5 فللنا في ل : قتلنا .

الغرور . قال العلاء : أنتَ غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملكُ إنِّي لست بالغرور ، ولكنِّي المغرور . قال : أسلم . فأسلمَ وبقيَ بهجر . وكان الغرور اسمه ، ليس بلقب . وقتل العفيف أيضاً المنذر بن سويد أخا الغرور لأُمِّه ، وكان له يومئذٍ بلاءٌ عظيم فأصبح العلاء يقسمُ الأنفال ، ونفلَ رجالاً من أهلِ البلاء ثياباً فكان فيمن نفلَ عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمَامَةُ بن أثال . فأما ثُمَامَةُ فنفلَ ثياباً فيها خميصة¹ ذات أعلام ، وكان الحطيم يُباهي فيها . وباع الباقي ، وهربَ الفلَّ إلى دارينَ فركبوا إليها السفنَ ، فجمعهم الله عزَّ وجلَّ بها . وندبَ العلاءُ النَّاسَ إلى دارينَ ، وخطبهم فقال : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد جمعَ لكم أحزابَ الشيطان ، وشدَّاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أراكم من آيَاتِهِ في البرِّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضُوا إلى عدوكم ثم استعريضوا البحرَ إليهم ، فإنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ قد جمعهم بِهِ . فقالوا : نفعلُ ولا نهَابَ واللهِ بعدَ الدهناء هَولاً ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتَّى أتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيل ، هم والحُمولة والإبلُ والبغال ، الراكب والراجل ، ودعا ودعوا . وكانَ دعاؤُهُ دعاؤَهُم : يا أرحمَ الرَّاحمين ، يا كريمُ يا حليم ، يا صمدُ يا حيُّ يا محيي الموتى ، يا حيُّ يا قيوم ، لا إلهَ إلَّا أنتَ يا ربَّنَا . فأجازوا ذلكَ الخليجَ بإذنِ الله ، يمشون على مثلِ رملَةٍ مِثَاءً² فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ، وبين الساحلِ ودارينَ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لسفنِ البحرِ . ووصلَ المسلمون إليها فما تَرَكُوا من المشركين بها مُخبراً ، وسَبَّوا الذَّراري ، واستاقوا الأموال . فبلغَ من ذلكَ نفلَ الفارسِ من المسلمين ستَّةَ آلاف ، والراجلُ ألفين . فلما فرغُوا رَجَعُوا عَوْدَهُم على بدْيِهِم ، وفي ذلك يقول عَفِيف :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ بَحْرَهُ وَأَنْزَلَ بِالْكَفَّارِ إِحْدَى الْجَلَائِلِ
دَعَوْنَا الَّذِي شَقَّ الْبَحَارَ فَجَاءَنَا بِأَعْجَبَ مِنْ شَقِّ الْبَحَارِ الْأَوَائِلِ

وأَقْلَعَ العلاءُ النَّاسَ إلَّا من أحبَّ المَقَامَ . فاخترَ ثُمَامَةُ بن أثال الذي نَفَلَهُ العلاءُ خميصةَ الحطيم حين نزل على ماءِ لبني قيس بن ثعلبة ، فلما رآوه عَرَفُوا الخميصة فبعثوا إليه رجالاً فسألوه : أهو الذي قتل الحطيم ؟ قال : لا ، ولوددتُ أَنِّي قتلته . قال : فَأَنَّى لك حُلَّتُهُ ؟ قال : نُفَلَّتْهَا . قالوا : وهل يُنْفَلُ إلَّا القاتل . قال : إنها لم تَكُنْ عليه إنما كانت في رَجَلِهِ . قالوا : كذبت . فقتلوه . وكان بهجرِ راهبٍ فأسلمَ فقبل له : ما دَعَاكَ إلى الإسلامِ فقال : ثلاثةُ أَشْيَاءَ خَشِيتُ أَن يمسخني الله بعدها إن أنا لم أفعلْ : فَيُضُّ في الرِّمال ، وتمهيدُ أثباجِ البحور ،

1 الخميصة : كساء مربع له علمان أو ملاءة من صوف أو خز معلّمة .

2 مِثَاءً : أرض سهلة .

ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم إنيك أنت الرحمن الرحيم ، لا إله غيرك ، والبديع ليس قبلك شيء ، والدائم غير الغافل ، والحي الذي لا يموت ، وخالق ما يرى وما لا يرى ، وكل يوم أنت في شأن ، وعلمت اللهم كل شيء بغير تعليم . فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله جلّ وعزّ .
فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد .

صوت¹

[من الخفيف]

يا خليلي من ملام دعائي وألمّا الغداة بالأظعان
لا تلوما في آل زينب إنّ الـ قلب رهنّ بآل زينب عان
لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالنصر . وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى ، أخت قدامة بن موسى الجمحيّ .

293 - [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بَكَار قال : حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدّثني قُدّامة بن موسى قال : خرجتُ بأختي زينب بنت موسى إلى العُمرة ، فلمّا كنتُ بِسَرَفٍ لَقِيتُني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسَلَّم عليّ ، فقلتُ : إني أراك متوجّهاً يا أبا الخطّاب ؟ قال : ذُكرت لي امرأةٌ من قومي بِرُزّة الجمال ، فأردت الحديث معها . قلتُ : أَمَا علمتَ أنّها أُختي ؟ قال : لا والله . واستحيا وثني عنقَ فرسيه راجِعاً إلى مكّة .

أخبرني الحرّميُّ قال حدّثني الزُّبير : قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريُّ قال : نسب¹ ابن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى الجمحيّ ، أُخت قُدّامة بن موسى ، فقال :
يا خليليَّ من ملامٍ دَعاني

وذكر البيتَين وبعدهما : [من الخفيف]

لم تَدْعُ للنِّساءِ عندي نصيباً غيرَ ما قلتُ مازِحاً بلساني
فقال له ابن أبي عتيق : أَمَا قلبك فمغيبٌ عَنّا ، وأَمَا لسانُك فشاهِدٌ عليك .
أخبرني الحرّميُّ قال : حدّثني الزُّبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريُّ : لَمَّا نسبَ عمر بن أبي ربيعة بزَيْنَب قال : [من الخفيف]

لَم تَدْعُ للنِّساءِ عندي نصيباً غيرَ ما قلتُ مازِحاً بلساني
قال له ابن أبي عتيق : رضيت لها بالموَدّة ، وللنِّساءِ بالدَّهْفَشَةِ .

قال : والدَّهْفَشَةُ : التَّجْمِيشُ والخديعة بالشيء اليسير .
أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير قال : أخبرني مثلُ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجشون قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السهميَّ فأنكره ، فقليل لابن أبي عتيق : أبو وداعة قد اعترضَ لعمر بن أبي ربيعة دونَ زينب بنت موسى الجمحيّ وقال : لا أَقرُّ له أن يذكُرَ في الشعر امرأةً من بني هُصَيص . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهلِ عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضاً عمر² : [من الخفيف]

طالَ عن آلِ زينبَ الإِعراضُ³ للتعزّيِّ وما بنا الإِبغاضُ

1 ل : تشبب .

2 ديوان عمر : 226 .

ووليداً قد كان عُلِّقَها القلْدُ سَبُّ إلى أَنْ عَلاَ الرُّؤُوسَ البِياضُ¹
 حَبْلُهَا عِنْدَنَا مَتِينٌ وَحَبْلِي عِنْدَهَا وَاهِنُ الْقَوَى أَنْقَاضُ
 غَنَاهُ ابْنُ مُحَرِّزٍ خَفِيفٍ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ . وَفِيهَا يَقُولُ أَيْضاً : [من الخفيف]

صوت²

أَيُّهَا الْكَاشِيحُ الْمَعِيرُ بِالصُّرِّ مِ تَرْخَزَحُ فَمَا بِهَا الْمِجْرَانُ
 لَا مَطَاعٌ فِي آلِ زَيْنَبَ فَارْجِعْ أَوْ تَكَلَّمْ حَتَّى يَمْلَأَ اللِّسَانُ
 فَاجْعَلِ اللَّيْلَ مَوْعِداً حِينَ يَمْسِي وَيُعْفِي حَدِيثَنَا الْكَمَانَ
 كَيْفَ صَبْرِي عَنْ بَعْضِ نَفْسِي وَهَلْ يَصِدُّ بَرٌّ عَنْ بَعْضِ نَفْسِهِ إِنْسَانُ
 وَلَقَدْ أَشْهَدُ الْحَدَّثَ عِنْدَ الْـ قَصْرِ فِيهِ تَعَفُّفٌ وَبَيَانُ
 فِي زَمَانٍ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذٌّ قَدْ مَضَى عَصْرُهُ وَهَذَا زَمَانُ
 عروضه من الخفيف ، غَنَاهُ ابْنُ سَرِيحَ ، وَلَحْنُهُ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ نَسْخَةِ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ
 الثَّانِيَةِ ، وَوَافَقْتُهُ دَنَانِيرَ . وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهِ لَابْنَ مُحَرِّزٍ وَلَابْنَ عَبَادِ الْكَاتِبِ لَحْنَيْنِ ، وَلَمْ
 يَجْنِسْهُمَا . وَأَوَّلُ لَحْنِ عَبَادِ : «لَا مَطَاعُ فِي آلِ زَيْنَبَ» ، وَأَوَّلُ لَحْنِ ابْنِ مُحَرِّزٍ : «وَلَقَدْ أَشْهَدُ
 الْحَدَّثَ» .

قال : وفيها يقول أيضاً³ :

صوت

أَحَدَّثَ نَفْسِي وَالْأَحَادِيثُ جَمَّةٌ وَأَكْبَرُ هَمِّي وَالْأَحَادِيثُ زَيْنَبُ
 إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ذَكَرْتُهَا وَأَحَدِثْ ذَكَرَاهَا إِذَا الشَّمْسُ تَغَرَّبُ
 ذَكَرَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ فِيهِ لِلْهَذَلِيِّ لَحْنًا لَمْ يَنْسِبْهُ .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يَا نُصَبَ عَيْنِي لَا أَرَى حَيْثُ التَّفْتُ سَوَاكِ شَيْئَا
 إِنِّي لَمَيْتٌ إِنْ صَدَدَ تِ وَإِنْ وَصَلَتْ رَجَعْتُ حَيًّا
 الشعرُ لِعَلِيِّ بْنِ أَدِيمَ الْجَعْفِيِّ الْكُوفِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لِعَمْرِو بْنِ بَانَةَ ، رَمَلٌ بِالْوَسْطَى .

1 ووليداً في الديوان : ووليد بن .

2 ديوان عمر : 420-421 مع اختلاف في الترتيب .

3 ديوان عمر : 19 .

[294] - ذكر علي بن أديم وخبره

هو رجلٌ من تجّار أهل الكوفة كان يبيع البزّ ، وكان متأدّباً صالحَ الشعر ، يهوى جاريةً يقال لها منهلة ، واستُهِيمَ بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها . وله حديثٌ طويل معها في كتاب مفرد مشهور ، صنعه أهل الكوفة لهما ، فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتاً ، وما قال فيها من الأشعار . وأمرهما متعلّم عند العامة ، وليس ممّا يصلح الإطالة به .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني محمد بن داود بن الجراح قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : قال دعلج بن عليّ : كان بالكوفة رجلٌ يقال له عليّ بن أديم ، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها ، فتعاطم أمره وبيعت الجارية فمات جزعاً عليها ، وبلغها خبره فمات . قال : وحدّثني بعض أهل الكوفة أنّه علّقها وهي صبيّة تختلف إلى الكتاب ، فكان يجيء إلى ذلك المؤدّب فيجلس عنده لينظر إليها ، فلمّا أن بلغت باعها مواليتها لبعض الهاشميين ، فمات جزعاً عليها . قال : وأنشدني له أيضاً : [من الكامل]

صوت

صاحوا الرّحيلُ وحشني صحبي	قالوا الرواحُ فطيرُوا لبّي
واشتقتُ شوقاً كاد يقتلني	والنفسُ مشرفة على نخبِ
لَمْ يَلَقَ عند البينِ ذو كلفٍ	يوماً كما لاقيتُ من كربِ
لا صبرَ لي عند الفراق على	فقد الحبيبِ ولوعة الحبِّ

الشعر لعليّ بن أديم الكوفيّ الجعفيّ ، والغناء لحكم الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً ، والله أعلم .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكر العمريّ قال : حدّثني دعلج بن عليّ قال : كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أديم ، فهوى جاريةً لبعض نساء بني عيس ، فباعتها لرجل من بني هاشم ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات عليّ بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيّام من خروجها ؛ وبلغها خبره فمات بعده ، فعَمِلَ أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم .

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثنا أبو بكر العمريّ قال حدَّثنا أبو صالح الأزديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال : حدَّثنا محمد بن سماعة قال : آخر من مات من العشق عليّ بن أديم الجعفيّ ، مرّ بمكتب في بني عيس بالكوفة ، فرأى فيه جارية تسمّى منهلة ، عليها ثياب سواد ، فاستهيم بها وأعجبته ، وكلّف بها وقال فيها¹ : [من مجزوء الكامل]

إنّي لما يعتادني من حبّ لابسة السواد
في فتنة وبلية ما إن يطيقهما فؤادي
فبقيت لا دنيا أصب ست وفاتني طلب المعاد

وسأل عنها فإذا لها مالكة عبسيّة . وكان ابن أديم خزّازاً² ، فتحمّل أبوه بجماعة من التجار على مولاتها لتبيعهن فأبّت ، وخرج إلى أمّ جعفر ورفع إليها قصّته يسألها فيها المعونة على الجارية ، فخرج له توقيع بما أحبّ ، وأقام يتنجز تمام أمره . فبينما هو ذات يوم على باب أمّ جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت : أين العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشق وبينك وبين من تحبّ القناطر والجسور ، والمياه والأنهار ، مع ما لا يؤمن من حدوث الحوادث ، فكيف تصبر على هذا ، إنك لجسور صبور ؛ فخامر قلبه هذا القول وجزع ، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة ، على الدخول ، فمات يوم دخول الكوفة .

1 الخبر في مصارع العشاق 1 : 205-206 .

2 الخزّاز : بائع الخز .

[295] - ذكر عمرو بن بانه

[نسبه]

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب ؛ وينسب إلى أمّه بانه ، بنت رَوْح القَحْطَبِيَّة . وكان مغنياً محسناً ، وشاعراً صالح الشعر ، وصنعتُه صنعةً متوسطةً ، النادر منها ليس بالكثير . وكان يُقْعده عن اللّحاق بالمتقدّم في الصنعة أنّه كان مرتجلاً ، والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضّرّاب . وعلى ذلك فما فيه مَطْعن ، ولا يقصّر جيّد صنعتِه عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة ، وروايته أحسنُ رواية . وكتابه في الأغاني أصلٌ من الأصول ، وكان يذهبُ مذهبُ إبراهيم بن المهديّ في الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاقَ ويتعصّب عليه تعصّباً شديداً ، ويواجهه بذلك وينصرُ إبراهيم بن المهديّ عليه . وكان تيّاهاً معجباً شديداً بالذهب بنفسه ، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنيهم ، على ما كان به من الوضّاح . وفيه يقول الشاعر :

أقولُ لعمرو وقد مرّ بي فسلم تسليمَةً جافيه
لئن فضّلوك بفضل الغناء لقد فضّل الله بالعافيه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناء عنه ، حتّى كان من يسمعه لَو توارى عن عينه عمرو ثم غنى لم يشكّ في أنّه هو الذي أخذ عنه ، لحسن حكايته ، وكان محظوظاً ممّن يعلمه ، ما علم أحداً قطّ إلاّ خرج نادراً مبرّزاً .

فأخبرني جَحْظَة قال حدّثني أبو العَنَبَس بن حمدون قال : قال لي عمرو بن بانه : علّمتُ عشرةً غلمان كلّهم تبيّنت فيهم الثقافة والحِذْق ، وعلّمتُ أنّه يتقدّم ، أحدهم أنت ، وتمرة ، وما تبيّنت قطّ من أحدٍ خلاف ذلك فعلمته .

[بينه وبين إسحاق]

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدّثني أبو حارثة الباهليّ عن أخيه أبي معاوية قال : سمعتُ عمرو بن بانه يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يقاس بمثلك ، لأنّك تعلّمت الغناء تكسباً ، وتعلّمتَه تطريباً ، وكنت أضرب لئلاّ أتعلّمه ، وكنت تضرب حتّى تتعلّمه .

[انتهامه بخادم يقال له مفحم]

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرّون قال : اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحّاك في منزل ابن شعوف ، وكان له خادمٌ يقال له مفحم ، وكان عمرو يتهم به . فلما أخذ فيه الشراب سأل عمرو الحسين بن الضحّاك أن يقول في مفحم شعراً ليغني فيه ، فقال الحسين :

وا بأبي مفحم لِعَرَّتْهُ قلتُ له إذ خلوتُ مكثتما
تحبُّ بالله من يخصُّك بالحق بٌ فما قال لا ولا نعماً

الشعر للحسين بن الضحّاك ، والغناء لعمرو بن بانة ، ثاني ثقليل بالنصر .

قال : فغنى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غناءهم ، وفيه طربهم ، إلى أن تفرّقوا . وأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فسألوا ابن شعوف أن لا يأذن له ، فحجبه ، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى منزله ، فلما تفرّقوا مرّ به الحسين بن الضحّاك وهو سكران ، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما في مجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف : [من المنسرح]

يا ابن شعوفٍ أما سمعتَ بما قد صار في الناس كلّهم علماً
أتاكُ عمرو فبات ليلته في كلِّ ما يُشتهى كما زَعَمَا
حتّى إذا ما الظلامُ خالطه سرى دبيباً فجامع الخدَمَا
ثُمّتَ لم يرضَ أن يفوز بذا سراً ولكن أبديّ الذّي كَمَا
حتّى تغنى لفرط صبوته صوتاً شفى من فؤاده السَقَمَا
«وا بأبي مفحم لِعَرَّتْهُ قلتُ له إذ خلوتُ مكثتما
تحبُّ بالله من يخصُّك بال ودّ فما قال لا ولا نعماً»

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيديّ بهذا الخبر قال : حدثني ميمون بن الأزرق¹ قال : كان لمحمد بن شعوف الهاشمي ثلاثة غلمانٍ مغنّين ، ومنهم اثنان صقليّان محبوبان : خاقان وحسين ، وكان خاقان أحسن الناس غناءً ، وكان حسين يغني غناءً متوسطاً ، وهو مع ذلك أضربُ الناس ، وكان قليل الكلام جميل الأخلاق ، أحسن الناس وجهاً وجسماً ، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجّاج ، حسن الوجه روميّ حسن الغناء ، فتعشّق عمرو بن بانة

منهم المعروف بحسين وقال فيه :

[من المنسرح]

وا بأبي مفحم لغرته قلت له إذ خلوت مكثما
تحبُّ بالله مَنْ يخصُّك بال سوّدُ فما قال لا ولا نعماً

ولم يذكر غير هذا .

وقال محمد بن الحسن : حدّثني أبو الحسين العاصميّ قال : دخلت أنا وصديق لي على عمرو بن بانة في يومٍ صائف ، فصادفناه جالساً في ظلٍّ طويلٍ مُمتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه ، وجعل يغنينا يومه كلّهُ لحنه :

[من الوافر]

صوت

نقابك فاتنٌ لا تفتنينا ونشرك طيبٌ لا تحرمينا
وخاتمك اليماني غير شكٌ ختمت به رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة ، هزج خفيف بالبنصر .

قال : فما طربت لغناء قطّ طربي له ، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغماً ، ولا أحسن

من غنائه .

[عمرو وجعفر الطيّال]

أخبرني جعظلة قال : حدّثني أبو حشيشة قال : كنت يوماً عند عمرو بن بانة ، فزاره خادماً كان يحبّه فأقام عنده فطلب عمرو في الدنيا كلّها مَنْ يضرب عليه فلم يجد أحداً ، فقال له جعفر الطيّال : إن أنا غنيتك اليوم على عودٍ يضرب به عليك ، أيُّ شيءٍ لي عندك ؟ قال : مائة درهم ودستيجة نبذ . وكان جعفر حاذقاً متقدماً نادراً طيباً ، وكان نذلّ الهمة ، فقال : أسمعني مخرج صوتك . ففعل فسوّى عليه طبله كما يسوّي الوتر ، واتكأ عليه بركبته فأوقع عليه . ولم يزل عمرٌ يغني بقيّة يومه على إيقاعه لا ينكر منه شيئاً حتّى انقضى يومنا ودفع إليه مائة درهم ، وأحضر الدستيجة فلم يكن له مَنْ يحملها ، فحملها جعفر على عنقه ، وغطّاها بطيلسانه وانصرفنا .

[جعفر الطيّال يقاضي إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : فحدّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع ، وكان صديق إبراهيم بن المهديّ ، فحدّثني أنّ إبراهيم بن المهديّ قال له : يا جعفر حدّق فلانة جاريتي ضربَ الطبل ، ولك مائة دينار أعجل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجلت له الخمسون وعلمها ، فلما حدّقت طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يعطه ، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دؤاد الحسني خليفته فأعداه ، ووكل إبراهيم وكيلاً ، فلما تقدّم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيل

أن يكسِر حجة جعفر فقال : أصلح الله القاضي ، سلّه من أين له هذا الذي يدّعي ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضي أنا رجلٌ طبّالٌ ، وشارطني إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذّق جاريته فلانة ، وعجّل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقي بعد أن رضي حذّقها ، فيُحضِر القاضي الجارية وطبّلها ، وأحضِر أنا طبلي ، ويسمعنا القاضي ، فإن كانت مثلي قضى لي عليه ، وإلاّ حذّقها فيه حتى يرضى القاضي . فقال له القاضي : قُم عليك وعليها لعنة الله ، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوان بيده فأقاموه .
[رزق غلام عليه]

وقال عليّ بن محمد الهشامي¹ : حدّثني جدّي ابن حمدون قال : كنت عند عمرو بن بانه يوماً ففتح باب داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخلَ يقود بغلاً له عليه مزادة ، فلما رآه عمرو صرخ : لا إله إلاّ الله ، ما أعجب أمرك يا دنيا ! فقلت له : ما لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، هذا الخادم رزق غلام علّويه المغني ، الذي يقول فيه الحسين بن الضحّاك الشاعر : [من الكامل]
يا ليت رزقاً كان من رزقي يا ليتَه حظّي من الخلقِ
قد صار إلى ما ترى . ثم غنّاني لحناً له في هذا الشعر ، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من الكامل]

يا ليت رزقاً كان من رزقي يا ليتَه حظّي من الخلقِ
يا شادناً ملكته رقي فلست أرجو راحة العتقي

الشعر للحسين بن الضحّاك ، والغناء لعمرو بن بانه ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى .
[يطلب من المتوكّل بيتاً]

وقال عليّ بن محمد الهشامي² : حدّثني جدّي ، يعني ابن حمدون ، قال : كنّا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانه ، في آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، تأمر لي بمنزلٍ فإنّه لا منزل لي يسعني . فأمر المتوكّل عبيد الله بن يحيى بأن يتاع له منزلاً يختاره . قال : وهجم الصوم وشغل عبيد الله ، وانقطع عمرو عنّا ، فلما أهلّ شوال دعا

1 ل : البسامي .

2 ل : البسامي .

بنا المتوكل فكان أول صوت غناه عمرو في شعر هذا :

[من المنسرح]

صوت

ملاك ربي الأعياد تخلقها في طول عمر يا سيد الناس¹
دفعت عن منزل أمرت به فأنني عنه مباعد بخاس²
فمر بتسليمه إلي على رغم عدوي بحمرة الكاس
أعوذ بالله والخليفة أن يرجع ما قلته على راسي

لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالنصر .

فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعت عمراً بابتياح المنزل الذي كنت أمرتك بابتياحه ؟ فاعتل بدخول الصوم وتشعب الأشغال . فتقدم إليه أن لا يؤخر ابتياح ذلك إليه ، فابتاع له الدور في دور سر من رأى ، بحضرة المعلّى بن أيوب . وفيها توفي عمرو .
[عبد الله بن طاهر يمتحن المغنين]

أخبرني محمد بن إبراهيم قريص قال : سمعت أحمد بن أبي العلاء ، يحدث أستاذه ، يعني محمد بن داود بن الجراح قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بدره دراهم سبعمائة³ لمن تقدم منهم وأحسن ، فحضره مخارق ، وعلويه ، وعمرو بن بانه ، ومحمد بن الحارث بن بسخر ، فغنى فلم يصنع شيئاً ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله ، وامتدت الأعين إلى مخارق وعمرو ، فبدأ مخارق فغنى : [من مجزوء الكامل]

إنني امرؤ من خيرهم عمي وخالي من جذام

فما نههه عمرو مع انقطاع نفسه حتى غنى :

[من السريع]

يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سلع جاذك الوابل

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً وقال : أحسنت والله واستحققت ، فإن أعطيتَه وإلا فخذَه من مالي ، يا حبيبي غني أخذتَ هذا الصوت ، وقد والله زدتَ علي فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتي عليك أبداً . فقال له عبد الله : من حكمت له بالسبق فقد حصل . وأمر له بالبدرة فحملت إلى عمرو .

1 ملاك الأعياد : متمك بها وأطال عمره . تخلقها : تبليها .

2 خاسىء : مبعد .

3 السابق : ما يجعل رهناً على المسابقة .

ثمَّ حدثنا بعد ذلك أن إسحاق لقي عمرو بن راشد الخثاق فقال له : قد بلغني خبرُ المجلس الذي جمع عبدُ الله فيه المغنِّينَ يمتحنهم ، ولو شاء لكان في راحةٍ من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمَّا معارق فأحسنُ القوم غناءً إذا اتَّفَقَ له أن يحسن ، وقلَّما يتَّفَقُ له ذلك . وأمَّا محمد بن الحارث فأحسنهم شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك . وأمَّا عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأمَّا علويُّه فمَن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من مجزوء الكامل]

إني أمرؤ من خيرهم عمي وخالي من جذام
خودٌ كضوء البدر أو أضوا لدى الليل تمام
يجري وشاحها على نحرٍ نقسي كالرُخام

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الخفيف]

يا خليلي من بني شيان أنا لا شك ميت فابكياني
إن روجي لم يبقَ منها سوى شي يسير مُعلَّقٍ بلساني

الشعر لأبي العتاهية¹ ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والمهشامي وإبراهيم .

296 - [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة]

[يزيد بن معن غضب عليه]

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة بن معن بن زائدة الشيباني ، وكان صديقاً وخاصاً بهما . ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية يشبب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ، ثم أصلح بينهم مندل بن علي العبدي ، وهو مولى أبي العتاهية ؛ فعاد إلى ما كان عليه لهم .
فأخبرني وكيع قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني علي بن محمد التوفلي عن أبيه قال : قول أبي العتاهية : [من الخفيف]

يا خليلي من بني شيبان

يخاطب به عبد الله ويزيد ابني معن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

[شعره في سعدى]

أخبرني ابن عمّار قال : حدثني زيد¹ بن موسى بن حماد . وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني محمد بن سعيد . قال حدثني أبو سويد عبد القوي عن محمد بن أبي العتاهية قال : كان أبو العتاهية في حديثه يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة ، لها حسن وجمال ودماثة ، وكان ممن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها² :

أفqn فإن النيك أشهى من السحق
وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلقي
وأبي لبیب يرقع الخرق بالخرق
إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

[من الخفيف]

لهواه البعيدة الأنساب

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق
أفqn فإن الخبز بالأدم يشتهى
أراكن ترقعن الخروق بمثلها
وهل يصلح المهراس إلا بعوده

قال وقال فيه أيضاً³ :

قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى

1 ل : محمد .

2 ديوانه : 588 .

3 ديوانه : 490 .

أنتُ مثل الذي يفرُّ من القطر - حِذَارَ الندى إلى الميزابِ
قال محمد بن محمد في خبره : فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعدى ، فضرب أبا العتاهية مائةً
فقال¹ :

جلدتني بكفها	بنتُ معن بن زائدة
جلدتني بكفها	بأبي أنت جالده
جلدتني وبالغت	مائةً غيرَ واحدة
اجلدي اجلدي اجلدي	إنما أنت والده

[بينه وبين عبد الله بن معن]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أبو أيوب المديني قال : احتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضرباً غير مبرِّح ، إشفاقاً ممَّا يغني به ، فقال :

اجلدي اجلدي اجلدي - إنما أنت والده

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابي قال : حدَّثني مهدي قال : تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوِّفه ونهَاهُ أَنْ يعرض لمولاته سُعدى ، فقال أبو العتاهية قوله² :

ألا قل لابن معن والذ	ي في الودِّ قد حلا
لقد بلغت ما قال	فما باليت ما قال
ولو كان من الأسد	لما راع ولا هالا
فصنَّع ما كنتَ حليتَ	به سيفك خلخلا
فما تصنع بالسيف	إذا لم تك قَتالا
ولو مدَّ إلى أذني	هو كفيه لما نالا
قصير الطول والطول	فلا شبَّ ولا طالا
أرى قومك أبطالا	وقد أصبحت بطالا

[فرع من الهجاء]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني الحسن بن علي الرّازي قال حدَّثني أحمد بن أبي فَنَن قال :
كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي : [من الطويل]
إذا كلمته ذاتُ دَلِّ حاجةٍ فهممٌ بأن يقضي تنحنح أو سعل

1 ديوانه : 523-524 .

2 ديوانه : 609 .

وَأَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمِيرٍ قَالَ : تَرَكْنِي وَاللَّهِ وَإِنَّ السَّعْلَةَ لَتَعْرِضُ لِي فِي الْخَلَاءِ فَاذْكُرْ قَوْلَهُ فَأَتْرَكَهَا . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ يَقُولُ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : [من الهزج]

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالًا

قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَبِسْتُ السَّيْفَ قَطُّ فَلَمَحَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا قُلْتُ إِنَّهُ يَحْفَظُ شَعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِيَّ ، فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبِيهِ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اعْجَبُوا إِلَيْهِ لَعَنَهُ اللَّهُ يَهْجُو مَوْلَاهُ ! وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ مَوَالِي بَنِي شَيْبَانَ .

[هجاؤه عبد الله بن معن]

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى فِي خَبَرِهِ : وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُو عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ ¹ : [من السريع]

لَا تُكْثِرُوا يَا صَاحِبِي رَحْلِي	فِي شَتَمٍ مِّنْ أَكْثَرٍ مِنْ عَذْلِي
سَبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا	أَرَى بِهِ مِنْ قَلَّةِ الْعَقْلِ
قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ	عَلَى مَنْ الْجِلْوَةُ يَا أَهْلِي
أَنَا فَتَاةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ	فِي الشَّرَفِ الْبَاذِخِ وَالنُّبْلِ
مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحِجَى	جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ دَلَالَةَ	تَدْلُنِي الْيَوْمَ عَلَى فَحْلٍ
وَالْهَفْتَا الْيَوْمَ عَلَى أَمْرٍ	يُلْصِقُ مِنِّي الْقُرْطَ بِالْحُجْلِ
أَتَيْتُهُ يَوْمًا فَصَافَحْتُهُ	فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
يُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ فَيَا مَنْ رَأَى	جَارِيَةً تَكْنَى أَبَا الْفَضْلِ
قَدْ نَقَطْتُ فِي خَدِّهَا نَقْطَةً	مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَابُهَا	نَحْنُ عَنْ الزَّوَارِ فِي شَغْلٍ
مَوْلَانَا خَالِيَةٌ عِنْدَهَا	بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
قُولَا لِعَبْدِ اللَّهِ لَا تَجْهَلْنَ	وَأَنْتِ رَأْسُ النَّوْكِ وَالْجَهْلِ
أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتِ أَمْرُو	تُجْلَدِ فِي الدُّبْرِ وَفِي الْقَبْلِ
تَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى	هَذَا لِعَمْرِي مُتَهَيِّئُ الْبَذْلِ
مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا	مَنْ كَانَ ذَا جَوْدٍ إِلَى الْبَخْلِ

وقال في ضربه إياه¹ :

[من الخفيف]

ضربتني بكفها بنت معن
ولعمري لولا أذى كفها إذ
أوجعت كفها وما أوجعتني
ضربتني بالسوط ما تركتني

[مجاؤه يزيد بن معن]

أخبرني ابن عمار قال حدثني محمد بن موسى . وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني جبلة بن محمد قالا : لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غضب من ذلك أخوه يزيد بن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال² :

[من الوافر]

بنى معن ويهدمه يزيد
فمعن كان للحساد غمًا
كذلك الله يفعل ما يريد
وهذا قد يسر به الحسود
يزيد يزيد في منع وبخل
وينقص في النوال ولا يزيد

أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال : لما هجا أبو العتاهية بني معن فمضوا إلى مندل وحيان ابني علي العزريين الفقيهين ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بني عمرو بن عمرو ، بطن من يقدم بن عترة ، فقالوا لهما : نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه . فأحضرا أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن ، وضمنا عنه خلوص النية ، وعنهما ألا يتبعاه بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء ، وجعل الناس يعذلون أبا العتاهية فيما فرط منه ، ولامه آخرون على صلحه لهم ، فقال³ :

[من مجزوء الرمل]

ما لعذالي وما لي
عذلوني في اغتفاري
أمروني بالضلال
لأبن معن واحتمالي
أنا منه كنت أكتب
زنده في كل حال
كل ما قد كان منه
فلقب من فعالي
إنما كانت يميني
صرمت جهلاً شمالي
ماله بل نفسه لي
وله نفسي ومالي

1 ديوانه : 655 .

2 ديوانه : 520 .

3 ديوانه : 624-622 .

قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حَسَدٍ مِنْ رُجُوعِي وَانْتِقَالِي
 قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ
 رَبُّ وَصَلٍ بَعْدَ صَدٍّ وَقَلَى بَعْدَ وَصَالٍ

[يرثي زائدة بن معن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال : كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ، ولم يُعِنْ أَخَوَيْهِ عَلَيْهِ ، فماتَ فرثاه فقال¹ : [من الوافر]

حَزِنْتُ لِمَوْتِ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ حَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِ حَزْنِي
 فَتَى الْفَتَيَانِ زَائِدَةُ الْمَصْفَى أَبُو الْعَبَّاسِ كَانَ أَخِي وَخِدْنِي
 فَتَى قَوْمِي وَأَيُّ فَتَى تَوَارَتْ بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ ثَرَى وَلِينِ
 أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ دَعَوْتُكَ كَيْ تَجِيبَ فَلَمْ تَجِئْنِي
 سَلَ الْأَيَّامَ عَنْ أَرْكَانِ قَوْمِي أَصِيتَ بِهِنَّ رَكْنًا بَعْدَ رُكْنِ

صوت

[من الطويل]

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدى جَثَجَاثُهَا وَعَرَاُهَا
 بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةٍ مُوهِنًا وَقَدْ أَوَقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا
 فَإِنْ خَفِيتُ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يَعْمَكَ عَارُهَا
 مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرَ شِقْوَةً وَفِي الْحَسَبِ الْمَكُونِ صَافٍ نِجَارُهَا
 الشعر لكثير² ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ، ولحنه من الثقل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن سُرَيْج . وللغريض في الرابع والثالث ثقل أوّل بالبِنْصر عن عمرو وحبش .

وذكر الهشامي أنّ في الأوّل والثاني رملاً لابن سُرَيْج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبِنْصر .

وفي الأبيات خفيف ثقل يقال إنّ لمعبد ، ويقال إنّ للغريض ، وأحسبه للغريض .

1 ديوانه : 656 .

2 ديوان كثير : 430-429 .

297 - [كثير وقطام]

[لقاء كثير لقطام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة هكذا موقوفاً لم يتجاوزهُ وأخبرني أن كثيراً من عبد الرحمن كان غالباً في التشيع . وأخبر عن قطام صاحبة ابن مُلجَم في قَدَمِة قَدَمِها الكوفة فأرادَ الدَّخولَ عليها ليؤبَّخها ، فقيل له : لا تزرها فإن لها جواباً . فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت : مَنْ هذا ؟ فقال : كثير بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتٍ عمُّ لها : تَنحَّينَ حتى يدخل الرجل . فولجَنَ البيتَ وأذِنَتْ له ، فدخلَ وتَنَحَّتْ من بين يديه ، فرآها وقد وَلَّتْ فقال لها : أنتِ قطام ؟ قالت : نعم . قال : صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجَم . قال : أليس فيكَ قُتيلٌ علي بن أبي طالب ؟ قالت : بل مات بأجلِهِ . قال : أمَّا والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ ، فلمَّا رأيْتُكَ نَبْتُ عيني عنك ، فما حلوليتِ في خَلْدِي . قالت : والله إنَّكَ لقصير القامة ، عظيم الهامة ، قبيحُ المنظر ، وإنَّكَ لكما قال الأول : «تسمع بالمعيديِّ خير من أن تراه»¹ . فقال :

رَأْتُ رَجُلًا أَوْدَى السَّفَارُ بَوَجْهِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْظَرٌ وَجَنَاجِنُ²
فَإِنْ أَكُ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّي إِذَا وَزَنَ الْأَقْوَامُ بِالْقَوْمِ وَازِنُ³
وَإِنِّي لَمَّا اسْتَوْدَعْتَنِي مِنْ أَمَانَةٍ إِذَا ضَاعَتِ الْأَسْرَارُ لِلْسَّرِّ دَافِنُ⁴

فقالت : أنتَ لله أبوكَ كثيرُ عَزَّة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذي قَصَّرَ بِكَ فَصْرَتَ لَا تُعَرَفَ إِلَّا بِامْرَأَةٍ ! فقال : الأمرُ كذلك ، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذِكْري ، وَقَرَّبَ من الخليفة مجلسي ، وأنا لكما قلتُ :

فَإِنْ خَفِيتُ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةٌ وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا يَعْمُكَ عَارُهَا

1 المثل «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» في مجمع الميداني 1 : 129 وجمهرة العسكري 1 : 266 ومستقصى الزمخشري 1 : 370 وفصل المقال : 135 .

2 السفار : السفر . والجنانج : جمع جنجن ، وهي عظام الصدر .

3 معروق العظام : انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . وازن : راجع .

فما روضةً بالحزن طيبة الثرى يمجُّ الندى جثثاتها وعراؤها
 بأطيب من أردانٍ عزة موهناً وقد أوقدت بالمدلِّ اللدن نارها
 فقالت : بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقصَ عقلاً منك ، ولا أضعفَ وصفاً ، أين أنت من
 سيّدك امرئ القيس حيث يقول :
 أَلَمْ تَرَيَايَ كُلِّمَا جِئْتُ طَارِقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّبِ
 فخرج وهو يقول¹ :
 الحقُّ أبلج لا يُخيل سبيله والحقُّ يعرفه ذوو الألباب²

صوت

[من مجزوء الرمل]

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل
 قهوة في ظل كرم سُيِّت من نهر بيل
 في لسان المرء منها مثل طعم الزنجيل
 قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
 أنت دعها وارجُ أخرى من رحيق السلسيل
 تعطش اليوم وتُسقى في غدٍ نعت الطلول³

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، هزج
 بالبنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهديّ في الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل
 بالوسطى عن الهشاميّ . ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر ، وقيل لعبد الرحيم .

1 ديوان كثير : 501 وانظر أيضاً 509 حيث أبدلت «ذوو الألباب» إلى «ذوو الأحلام» وربما كان ممّا تمثل به كثير وليس من نظمه .

2 لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .

3 الشطر الأوّل في ل : تنعم اليوم وتلقى .

[298] - ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

[نسبه]

آدم بن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّه أمّ عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً . وهو أحد من من عليه أبو العباس السفّاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم .

[كان خليعاً ثم نسك]

وكان آدم في أوّل أمره خليعاً ماجناً منهجكاً في الشراب ، ثم نسك بعد ما عمّر ، ومات على طريقة محمودة .

[عتاب المهدي له]

وأخبرني الحسين بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ ، عن الزبير بن بكار عن عمّه : أن المهديّ أنشد هذه الأبيات وغنيّ فيها بحضرته :
[من مجزوء الرمل]

أنت دَعَهَا وارجُ أخرى من رحيق السلسيل

فسأل عن قائلها فقليل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلك تزندقت ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيت قرشيّاً تزندق ؟ والمحنة في هذا إليك¹ ، ولكنه طربّ غلبني ، وشعرٌ طَفَحَ على قلبي في حال الحداثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله .
قال : وكان المهديّ يحبّه ويكرمه ، لظرفه وطيب نفسه .

وروي هذا الخبر عن مصعب الزُّبيريّ وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويفرط في المجون ، وكان شاعراً ، فأخذ المهديّ فضربه ثلاثمائة سوط على أن يُقرّ بالزندقة ، فقال : والله ما أشركتُ بالله طرفة عين ، ومتى رأيت قرشيّاً تزندق ؟ قال : فأين قولك :

اسقني واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا

اسقنيها مُزّة الطع ثم تريك الشين زينا

في هذين البيتين لعمر بن بانة ثاني ثقل بالوسطى ، ولإبراهيم هزج بالنصر .

قال : فقال لمن كنت قلت ذاك فما هو مما يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأين قولك :

[من مجزوء الرمل]

اسقني واسق خليلي	في مدى الليل الطويل
قهوة صهباء صرْفاً	سُيِّت من نهر بيل
لونُها أصفر صافٍ	وهي كالمِسْك الفتيْل
في لسان المرء منها	مثلُ طعم الزنجبيل
ريحُها يَنفَح منها	ساطعاً من رأس ميل
من يَنلُ منها ثلاثاً	يَنسَ منهاج السيل
فمتى ما نال خمساً	تركَّه كالفَتِيل
ليس يدري حينَ ذاكُم	ما دَبرٌ من قَبيل ¹
إنَّ سمعي عن كلام الـ	لأئِمي فيها الثقيل
لشدِّيدُ الوقْر ، إنِّي	غير مطواعٍ ذليل
قُلْ لَمَن يَلْحَاكَ فيها	مِن فقيهٍ أو نبيل
أنتَ دعها وارجُ أخرى	من رحيق السلسيل
نعطش اليوم ونسقى	في غدٍ نعت الطلول

فقال : كنت فتى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كُفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلَّى سبيله ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذي يقول :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

اسقني يا معاويه	سبعة أو ثمانية
اسقنيها وغنني	قبل أخذ الزبانية
اسقنيها مدامة	مزة الطعم صافية
ثم من لامننا عليه	ها فذاك ابن زانية

فيه خفيف رمل بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكي ، وإلى حكم الوادي .

قال : وآدم الذي يقول :

[من الوافر]

1 لا يدري ما دبر من قبيل : لا يعرف شيئاً .

أَقُولُ وَرَاعِنِي إِيوَانُ كَسْرَى بِرَأْسِ مَعَانَ أَوْ أَدْرُوسَفَانِ
وَأَبْصَرْتُ الْبِغَالَ مَرْتَبَاتٍ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَزْمِنَةِ حَسَانِ
يَعِزُّ عَلَى أَبِي سَاسَانَ كَسْرَى بِمَوْقِفِكُنَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ
شَرِبْتُ عَلَى تَذَكُّرِ عَيْشِ كَسْرَى شَرَاباً لَوْنُهُ كَالزَّعْفَرَانِ
وَرَحْتُ كَأَنِّي كَسْرَى إِذَا مَا عَلَاهُ النَّاجُ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

قال وهو الذي يقول : [من المتقارب]

أُحِبُّكَ حُبِّينَ لِي وَاحِدٌ وَآخِرُ أَتْلُكَ أَهْلٌ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الطَّبَاعِ فَشَيْءٌ خُصِّصَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْجَمَالِ فَلَسْتُ أَرَى ذَاكَ حَتَّى أَرَاكَ
وَلَسْتُ أَمِنُ بِهَذَا عَلَيْكَ لَكَ الْمَنْ فِي ذَا وَهَذَا وَذَاكَ

[عتاب صديقه فليح له بعد لقائه خالصة]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : مَرَرْنَا يَوْمًا مَعَ خَالِصَةٍ¹ فِي مَوَكِبِهَا ، فَوَقَفْتُ عَلَى آدَمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَتْ : يَا أَخِي طَلِبْتَ مِنَّا حَاجَةً فَرَفَعْنَاهَا لَكَ إِلَى السَّيِّدَةِ وَأَمَرَتْ بِهَا وَهِيَ فِي الدِّيْوَانِ ، فَسَاءَ ظَنُّكَ بِهَا فَقَعَدْتَ عَنْ تَنْجُزِهَا . قَالَ : فَمَوَّهَ لَهَا عَذْرًا اعْتَذَرَ بِهِ فَوَقَفْتُ عَنِ الْمَوَكِبِ حَتَّى مَضَتْ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَخْمَلْتَ نَفْسَكَ ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُ أَنَّهُ حَبَسَكَ عَنْهَا إِلَّا الشَّرَابُ ، أَنْتَ تَرَى النَّاسَ يَرْكُضُونَ خَلْفَهَا وَهِيَ تَرِفُ² عَلَيْكَ لِحَاجَتِكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ هُوَ ذَاكَ ، إِذَا أَصْبَحْتَ فَكُلْ كَسْرَةً وَلَوْ بِمَلَحٍ ، وَافْتَحْ ذَنْكَ فَإِنْ كَانَ حَامِضًا دَبِغْ مَعْدَتَكَ ، وَإِنْ كَانَ حُلُوءًا خَرَطْكَ³ ، وَإِنْ كَانَ مَدْرِكًا فَهُوَ الَّذِي أَرَدْتُ . قُلْتُ : لَا أَبَارِكُ اللَّهَ عَلَيْكَ . وَمَضَيْتُ ، ثُمَّ أَقْلَعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَابَ . فَاسْتَأْذَنَ يَوْمًا عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ الرَّبِيعِ وَأَنَا عَنْدهُ فَقَالَ يَعْقُوبُ : ارْفَعُوا الشَّرَابَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ تَابَ وَأَحْسَبُهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ . فَرَفَعَ وَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : ﴿إِنِّي لِأَجِدَ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفْنَدُونَ﴾ . قَالَ يَعْقُوبُ : هُوَ الَّذِي وَجَدْتَ ، وَلَكِنَّا ظَنَنَّا أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْكَ لِتَرْكِكَ الشَّرَابِ . قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَثْقُلُ عَلَيَّ ذَاكَ . قَالَ : فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْعًا مِنْذُ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : [من الطويل]

أَلَا هَلْ فَنَى عَنْ شَرْبِهَا الْيَوْمَ صَابِرٌ لِيَجْزِيَهُ يَوْمًا بِذَلِكَ قَادِرٌ

1 خالصة : إحدى جوارى الخبزيران .

2 ترف : تعطف وتشفق .

3 خرط : أسهل .

شربتُ فلمّا قيل ليس بنازِعٍ نَزَعْتُ وثوبِي من أذى اللّومِ طاهرُ

[هجاء لطول اللحية]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان مع المهديّ رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيّة عظيمة ، فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدميه في الرّكاب فذهبَ عامّتها ، فقال آدم بن عبد العزيز قوله : [من الهزج]

قد استوجِبَ في الحُكمِ سليمانُ بنُ مختارٍ

بما طَوَّلَ من لحيـ جَزَأَ بمنشارٍ

أو السيفِ أو الخلقِ أو التحريقِ بالنّارِ

فقد صارَ بها أشهـ رَ من رايَةِ يَيطارٍ

فقال : ثم أنشدها عُمر بن بَرِيغ المهديّ فضحك ، وسارت الأبيات ، فقال أسيد بن أسيد ، وكان وافر اللحية : ينبغي لأُمير المؤمنين أن يكفّ هذا الماَجِنَ عن الناس . فبلغت آدم بن عبد العزيز فقال :

لحيّةٌ تمّت وطالت لأسيّد بن أسيّد

كشراعٍ من عباءٍ قطعتَ حَبْلَ الوريّدِ

يَعبجُ الناظرُ منها مِن قريبٍ وبَعيدِ

هي إن زادت قليلاً قطعتَ حَبْلَ الوريّدِ

وقال : وكان المهديّ يُدّني آدمَ ويحبّه ويقربّه ، وهو الذي قال لعبدِ الله بن عليّ لما أمرَ بقتله في بني أُميّة بنهر أبي فطراس¹ : إنَّ أبي لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبه فيكم . فقال : صدقت ، وأطلقه . وكان طيّب النفس متصوّفاً ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يا صاحٍ للعَجَبِ دَعَوْتُكَ ثم لم تُجِبِ

إلى القَيْناتِ واللّذاتِ والصَّهَباءِ والطَّربِ

ومنهنَّ التي تَبَلَّتْ فوَأدَكَ ثمَّ لم تُبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

1 أبو فطرس موضع قرب الرملة كانت به وقعة بين العباسيين والأمويين .

299 - [يزيد والحسين]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني المدائني قال :
 قدِمَ سَلَمُ بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلةً : ألا أولئك خُرَاسان ؟ قال : بلى وسجستان .
 فعقد له في ليلته فقال :

اسقني شربةً فروَّ عظامي ثمَّ عُدَّ واسقِ مثَلها ابنَ زيادِ
 موضع السرِّ والأمانةِ مني وعلى ثغرِ مَعْنَمي وجِهَادِي

[لوم الحسين ليزيد]

قال : ولما رجع في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب ، فاستأذن عليه عبدُ الله بن
 العباس ، والحسينُ بن علي ، فأمر بشرابه فرفع وقيل له : إنَّ ابنَ عباسٍ إنَّ وجدَ ريحَ شرابِكَ
 عرفه . فحجبه وأذن للحسين ، فلما دخلَ وجدَ رائحةَ الشراب مع الطيب فقال : لله درُّ
 طيبك هذا ما أطيبه ، وما كنتُ أحسبُ أحداً يتقدِّمنا في صنعةِ الطيب ، فما هذا يا ابنَ
 معاوية ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، هذا طيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دعا بقَدَح فشربه ، ثم
 دعا بقَدَح آخر فقال : اسقِ أبا عبد الله يا غلام . فقال الحسين : عليك شرابكَ أيها المرء ،
 لا عينَ عليك مني . فشرب وقال :

ألا يا صاحٍ للعجبِ دعوتكَ ثمَّ لم تُجِبِ
 إلى القيناتِ واللذَّا تِ والصُّهباءِ والطَّرَبِ
 وباطيةٍ مُكَلَّلَةٍ عليها سادةُ العَرَبِ
 وفيهنَّ التي تَبَلَّتْ فؤادَكَ ثمَّ لم تُبِ

فوثب الحسين عليه السلام وقال : بل فؤادَكَ يا ابن معاوية !

صوت

[من الوافر]

آن نادى هديلاً يومَ فلجٍ مع الإِشراقِ في فَنَنِ حَمَامٍ

ظَلَلْتَ كَأَنَّ دَمْعَكَ دُرٌّ سِلْكِي وَهِيَ خَيْطَاءٌ وَأَسْلَمَهُ النَّظَامُ
 تَمَوْتُ تَشَوُّقاً طَوْرًا وَتَحْيَا وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَنْتَ مُسْتَهَامُ
 كَأَنَّكَ مَنْ تَذَكَّرُ أُمُّ عَمْرٍو وَحَبْلُ وَصَالِهَا خَلَقَ رِمَامُ¹
 سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ
 فَإِنْ يَكُنِ النِّكَاحُ أَحَلَّ أَنْثَى فَإِنَّ نِكَاحَهَا مَطَرًا حَرَامُ
 وَلَا غَفَرَ إِلَّا لَهُ لِمُنْكَحِهَا ذُنُوبَهُمْ وَإِنْ صَلُّوا وَصَامُوا
 فَطَلَّقَهَا فَلَسَتْ لَهَا بِكُفَاءٍ وَالْأَعْضَاءُ مَفْرَقَكَ الْحُسَامُ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقل الأول بالبنصر في مجرى
 الوسطى . ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقل أول بالسبابة في مجرى
 البنصر .

300 - [الأحوص ومطر]

أخبرني الحرزمي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري قال : حدثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري قال : قدم الأحوص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هات لي شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمي الدبر¹ وأزواجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك ، فزوجه إياها ، وشرطت عليه ألا يمنعها من أخذ من أهلها ، فخرج بها إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعد لي بي إلى أختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ، وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها في إبله . فقالت زوجة الأحوص له : أقم حتى يأتي . فلما أمسوا راح مع إبله ورعائه ، وراحت غنمه فراح من ذلك أمر كثير . وكان يُسمّى مطراً ، فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ، وكان قبيحاً دميماً . فقالت له زوجته : قم إلى سيفك وسلم عليه . فقال وأشار إلى أخت زوجته : بإصبعه :

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلام

وذكر الأبيات وأشار إلى مطرٍ بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم .

قال الزبير : قال محمد بن ثابت : أبو عبد الله بن سعد الذي حدث بهذا الحديث ، أمه بنت الأحوص ، وأمها التميمية أخت زوجة مطر .

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد عن أبيه ، أن امرأة الأحوص التي تزوجها ، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقي القصيدة ، وهو قوله :

كأنك من تذكري أم عمرو	وحبلٌ وصلها خلقٌ رمامٌ
صريرٌ مُدَمَّةٌ غَلَبَتْ عليه	تموتُ لها المفاصلُ والعظامُ
وأنتي من بلادك أم عمرو	سقى داراً تحلُّ بها الغمامُ
تحلُّ النَّعْفَ من أُحْدٍ وأدنى	مساكنها الشبيكة أو سنام ²
فلو لم ينكحوا إلا كفيّاً	لكان كفيها الملكُ الهمامُ

أخبرني الحسين قال : قال حماد : قرأت على أبي : حدثنا ابن كناسة قال : مر بنا أشعبُ

1 الدبر : النحل . ابن حمي الدبر هو عاصم بن ثابت جد أبي الأحوص .

2 الشبيكة في ل : السكينة . وسنام : جبل بالحجاز .

ونحن جماعة في المجلس ، فأتى جَارٌ لنا صاحب جَوَارٍ يقال له أَبَان بن سُلَيْمَانَ ، وعليه رداء خَلَقَ ، قد بدا منه ظهره وبه آثار ، فسَلَّمَ علينا فردَدْنَا عليه السلامَ ، فلَمَّا مضى قال بعضُ القومِ : مَدَّنِي مجلود ! فأراه سَمْعَهَا أو سَمِعَهَا رجلٌ يمشي معه فأخبره ، فلَمَّا انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلامُ
فقلت للقوم : أنتم والله مطر .

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة ، خبرٌ له آخر شبيه به مع ابن حزم .

[لومه معمر بن عبد الله على تزويجه أخته]

أخبرني الحرزمي قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن فضالة ، عن جميع بن يعقوب قال : خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، إلى أخيها مَعْمَر بن عبد الله ، فزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، فقال الأحوص أحياناً وقال لفتى من بني عمرو بن عوف : أَنشِدْهَا مَعْمَر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة . فقال الفتى : نعم . فجاءه وهو في مجلسه فقال :

يا معمر يا ابن زيد حين تنكحها
فقال : كان ذلك الرجل غائباً . فقال الفتى :

أما تذكرت صيفياً فتحفظه
قال : ما فعلت ولا تذكرت . فقال الفتى :

أكنت تجهل حزماً حين تنكحها
قال معمر : لم أجعل حزماً . فقال الفتى :

أبعد صهر بني الخطاب تجعلهم
فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى :

هبها سلية خيل غير مُقْرِفَةٍ
قال : نعم أعانها الله وصبرها . فقال الفتى :

فكل ما نالنا من عارٍ منكحها
قال : نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة .

قال الزُّبَيْرُ : أمَّا قوله «صهر بني الخطاب» فإنَّ جميلة بنت أبي الأفلح كانت عند عمر بن الخطاب ، فولدت له عاصم بن عمر : وأمَّا «صهر بني العوام» فإنَّ نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عتبة ، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبَيْر ، فولدت له أبا بكر ومحمداً .

[أم جعفر تكره أصواتاً من الغناء القديم]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثني مصعب قال : قال الهدير : كرهت أم جعفر أصواتاً من الغناء القديم ، فأرسلت لها رسولا يُلقِيها في البحر ، ثم غتّتها جارية بعد ذلك :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلامُ
فقلت : هذا أرسلوا به رسولاً مفرداً إلى دَهْلَك¹ ليلقيَه في البحر خاصة . قال : والذي حمل أم جعفر على هذا التطيّر على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيام محاربتة المأمون فمنها قوله :

كُليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جرماً منك ضُرَج بالدم²
ومنها قوله :

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرّازيه³
ومنها قوله :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أبائر⁴
ومنها قوله :

أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض⁵
مضى الحديث .

صوت

[من الطويل]
وكنا كندمانيّ جَذِيمةَ حِقْبَةٍ من الدَّهْرِ حتّى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأتسي ومالكاً لَطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا
الشعر لمتّم بن نُؤيرة ، يرثي أخاه مالِكاً . والغناء لسياط .

- 1 دهلَك : جزيرة في البحر الأحمر .
- 2 البيت للناطقة الجعدي وقد تقدّم في ترجمته .
- 3 البيت للوليد بن عقبة .
- 4 البيت لورقاء بن زهير .
- 5 البيت لطرفة في ديوانه ، والمثل «بعض الشر أهون من بعض» في مجمع الميداني 1 : 94 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 والدرّة الفاخرة 2 : 456 وفصل المقال : 244 . وفي بيت أبي خراش الهذلي :
حدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض .

[301] - ذكر متمم وأخباره وخبر مالك¹ ومقتله [واستطراد بقصة جذيمة والزباء]

[نسبه]

هو متمم بن نيرة بن عمرو بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى متمم بن نيرة أبا نهشل .
[أخوه مالك]

ويكنى أخوه مالك أبا المغوار . وكان مالك يُقال له فارسُ ذي الخمار ، قيل له ذلك بفارس
كان عنده يقال له «ذو الخمار» ، وفيه يقول وقد أحمده في بعض وقائعه : [من الطويل]
جزائي دوائي ذو الخمار وصنعتي بما بات أطواء بني الأصاغِرُ
[مقتل مالك]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان مالك بن نيرة شريفاً فارساً شاعراً ،
وكان فيه خيلاء وتقدم ، وكان ذا لمة كبيرة ، وكان يقال له الجفول .
وكان مالك قُتل في الردة ، قتله خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة أبي بكر ، وكان مقيماً
بالبطاح ، فلما تنبأت سجاح أتبعها ثم أظهر أنه مسلم ، فضرب خالد عنقه صبراً ، فطعن عليه في
ذلك جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب ، وأبو قتادة الأنصاري ، لأنه تزوج امرأة مالك
بعده . وقد كان يقال إنه يهواها في الجاهلية وأتهم لذلك أنه قتله مسلماً ليتزوج امرأته بعده .
حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نيرة محمد بن جرير الطبري قال : كتب إلي السري بن
يحيى ، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي ، عن سيف بن عمر ، عن الصمّعب بن عطية عن
أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل عماله على بني تميم ، فكان مالك بن نيرة عاملاً على بني
يربوع . قال : ولما تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عققان وسارت من الجزيرة ،
راسلت مالك بن نيرة ودعته إلى الموادة ، فأجابها وفشأها² عن غزوها ، وحملها على أحياء

1 ترجمة متمم بن نيرة في طبقات ابن سلام : 169-174 والشعر والشعراء 254-258 وخزانة البغدادى 2 :
22-24 وتاريخ الطبري 3 : 24 ومعجم المرزباني : 432 وشعره في المفضليات والجمهرة وأمالى اليزيدي
وحماسة اليزيدي وكامل المبرد . وقد اتصلت أخباره بأخبار أخيه . وقد جمعت ابتسام مرهون الصفار شعر
مالك ومتمم من مختلف المصادر مع مقدمة طويلة وتخريج مستفيض .

2 فتأها : كفها .

من بني تميم ؛ فأجابته وقالت : نَعَمْ فشأنك بمن رأيت ، وإنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان مُلكٌ فهو مُلكُكم . فلمّا تزوّجها مسيلمة الكذاب ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحته على أن يحمل عليها النصف من غلات اليمامة . فارغوى حينئذٍ مالك بن نويرة ونديم وتخيّر في ادمره ، فلحق بالبطاح ، ولم يبقَ في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومن تأشّب إليه¹ بالبطاح ، فهو على حاله متخيّر ما يدري ما يصنع .

وقال سيف : فحدثني سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالوا : لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج من ظفر² وقد استبرأ أسداً وغطفاناً وطياً . فسار يريد البطاح دون الحزن ، وعليها مالك بن نويرة وقد تردّد عليه أمره وقد تردّدت الأنصار على خالد وتحلّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ؛ فقد عهد إلينا إن نحن فرغنا من البرّاحة³ واستبرأنا بلاد القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إليّ أن أمضي ، وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار ، ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر ثم رأيتُ فرصة إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتّى أنتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به . وهذا مالك بن نويرة بجيالننا ، وأنا قاصدٌ بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ، ولست أكرههم . ومضى خالد وبرمت الأنصار وتذاثروا⁴ وقالوا : لئن أصاب القوم خيراً إنّه لخيرُ حُرّمتهم ، ولئن أصابهم مصيبةٌ ليجتنبنكم الناس . فأجمعوا على اللحاق بخالد ، وجردوا إليه رسولاً ، فأقام عليهم حتّى لحقوا به ، ثم سار حتّى لحق البطاح فلم يجد به أحداً .

قال السريّ عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العُقفانيّ عن عثمان بن سويد ، عن سويد بن المنعبة الرياحيّ قال : قدّم خالد بن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً ، ووجد مالك بن نويرة قد فرّقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، فمن أجاب فسألموه ومن لم يجِبْ وامتنع فاقتلوه .

وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ، فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة . ثم اقتلوهم كلّ قِتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسألوهم ، فإن هم أقرّوا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم ، وعبيد ،

1 تأشّب إليه : تجمع .

2 ظفر : موضع .

3 البرّاحة : ماء لبني أسد .

4 تذاثروا : حصنوا بعضهم بعضاً على القتال .

وعرين ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا . فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم ، في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلت ترداد برداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : «دافعوا أسراكم» . وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفتوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء . فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوه . فقتل ضرار بن الأزور مالِكاً ، فسمع خالدٌ الواعية¹ ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة : هذا عملك ! فزيره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر بن الخطاب فيه ، فلم يرض إلا بأن يرجع إليه ، فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة . وقد كان تزوج خالدٌ أم تميم بنت المنهال وتركها لينقضي طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايرهن ، فقال عمر لأبي بكر : إن في سيف خالدٍ رَهَقاً² ، وحق عليه أن تقيده . وأكثر عليه في ذلك . وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا من وزعته³ ، فقال : هيه يا عمر تأول فأخطأ . فارفع لسانك عن خالد . وودى مالِكاً ، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذره ، وقيل منه ، وعفاه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك .

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فقتلوا . وقدم أخوه متمم ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم ، فكتب له برد السبي ، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله وقال : إن في سيفه لرهقاً ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين .

حدثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال : كان مالكٌ من أكثر الناس شعراً ، وإن أهل العسكر أنفوا القدور برؤوسهم³ ، فما منها رأسٌ إلا وصلت النار إلى بشرته ، ما خلا مالِكاً فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ، ووقى الشعرُ البشرة من حر النار أن تبلغ منه ذلك .

قال : وأنشد متمم عمر بن الخطاب وذكر خَمَصه ، يعني قوله : [من الطويل]

لقد كفن المنهال تحت رداءه فنى غير مبطان العشيات أروعا

فقال : أكذاك كان يا متمم ؟ قال : أمّا ما أعني فنعم .

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن فليح ، عن موسى بن عتبة ،

1 الواعية : الصراخ على الميت .

2 الوزعة : جمع وازع ، وهو الذي يدير أمور الجيش ويرد من شد منهم .

3 أنفوا القدور برؤوسهم : جعلوا أثافيها من رؤوس القتلى .

عن ابن شهاب . وحدثني أحمد بن الجعد قال : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال : حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعراً ، وأن خالداً لما قتله أمر برأسه فجعل أثقيّة لقدير ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شواته .

أخبرني محمد بن جرير قال : حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أن إذا غشيتهم داراً من دور الناس فسمعتهم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ماذا نقيموا ، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشئوا الغارة واقتلوا وحرّقوا . فكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري ، واسمه الحارث بن ربيعي أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد الله أنه لا يشهد حرباً بعدها أبداً . وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راغوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : فقلنا لهم : إنا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . ففعلوا ثم صلبنا وصلوا . وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجع : ما إخال صاحبكم ، يعني النبي ﷺ ، إلا وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أو ما تعدّه صاحباً ؟ ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته . وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له ، وعليه صدا الحديد ، معتجراً بعمامة غرز فيها أسهماً ، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثم قال : أقتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ! ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه ، فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان في حربه تلك . فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد الحرام ، فقال : هلم إلي يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته . وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي .

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور .

[أخبار في عذر خالد]

وهكذا روى أبو زيد عمر بن شبة عن أصحابه ، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قديم مالك بن نويرة على النبي ﷺ فيمن قديم من أمثاله من العرب ، فولاه صدقات قومه بني يربوع ، فلما مات النبي ﷺ اضطرب فيها فلم يُحمد أمره ، وفرّق ما في يده من إيل الصدقة ، فكلمه

الأقرع بن حابس المجاشعي ، والقعقاع بن معبد بن زُرارة الدارمي فقالا له : إنَّ لهذا الأمر قائماً وطالِباً ، فلا تُعْجَلْ بتفرقة ما في يدك . فقال ¹ :

أراني الله بالنعم المندي بريقة رحران وقد أراني
تمشي يا ابن عوذة في تميم وصاحبك الأقيع تلحياني
حميتُ جميعها بالسيف صلتاً ولم تُرْعش يداي ولا بناني
يعني أم القعقاع ، وهي مُعَاذَةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضاً ² :

وقلتُ خذوا أموالكم غير خائفٍ ولا ناظرٍ فيما يجيء من الغدِ
فإن قامَ بالأمر المخوف قائمٌ منعنا وقلنا الدينُ دين محمدٍ

قال ابن سلام : فمن لا يعذر خالداً يقول : إنَّه قال لخالد : وبهذا أمرك صاحبك ، يعني النبي ﷺ ، وإنَّه أراد بهذه القرشية . ومن يعذر خالداً يقول : إنَّه أراد انتفاءً من النبوة ، ويحتاج بشعره المذكورين آنفاً . ويذكر خالد أنَّ النبي ﷺ لما وجهه إلى ابن جُلندى قال له : يا أبا سليمان ، إن رأت عينك مالِكاً فلا تزايله أو تقتله .

قال محمد بن سلام : وسمعتُ يوماً يونسُ وأنا أُرَادُ التميمية في خالدٍ وأعذرهُ ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، أما سمعتَ بساقي أم تميم ؟ يعني زوجة مالك التي تزوجها خالد لما قتله ، وكان يقال إنَّه لم يُرَ أحسنُ من ساقياها . قال : وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمم بأن أخاه لم يُستشهد . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

[متمم ينشد أبا بكر]

أخبرنا البيهقي قال : حدثنا الرياشي قال : حدثني محمد بن الحكم البجلي عن الأنصاري قال : صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصُّبح ، ثم أنشده قوله ³ :

نعم القتلُ إذا الرياحُ تناوحت تحت الإزار قتلت يا ابن الأزورِ
أدعوتهُ بالله ثم قتلته لو هو دَعَاكَ بذمة لم يغدرِ
فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته . فقال :

لا يُضْمِرُ الفحشاء تحت رداءه حلَّو شمائله عفيفُ الميزرِ
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المنثورِ

1 شعر مالك بن نويرة : 80-81 .

2 شعر مالك : 66 .

3 شعر متمم بن نويرة : 91-92 .

قال : ثم بكى حتى سألت عينه ، ثم انخرط على سببة قوسيه متكئاً . يعني مغشياً عليه .
[وصف متمم لملك]

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن صخر بن خلخلة قال : ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له : إنك لتذكر أخاك ، فما كانت صفتُهُ ، أو صفهُ لنا ؟ فقال : « كان يركب الجمل الثفال¹ في الليلة الباردة ، يرتوي لأهله بين المزدتين المضرجتين² ، عليه الشملة الفلوت³ ، يقود الفرس الجرور⁴ ، ثم يصبح ضاحكاً » .
[تكفين المنهال لملك]

أخبرني اليزيدي قال : حدثنا أحمد بن زهير ، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره : أن المنهال رجلاً من بني يربوع ، مرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد ، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه ، ففيه يقول متمم⁵ :

صوت

لعمري وما ذهري بتأين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطن العشيات أروعا
غناه عمرو بن أبي الكنات ، ثقیل أول بالوسطى عن حبش .
[متمم ينشد عمر رثاءه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثنا الحسن بن محمد البصري ، قال : حدثنا الحسن بن إسماعيل القضاعي قال حدثني أحمد بن عمار العبدي ، وكان من العلم بموضع قال : حدثني أبي عن جدِّي قال : صليت مع عمر بن الخطّاب الصبح ، فلما انقضى من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متكباً قوساً ، ويديه هراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : متمم بن نويرة . فاستنشدته قوله في أخيه ، فأنشدته :

لعمري وما ذهري بتأين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطن العشيات أروعا
حتى بلغ إلى قوله :

- 1 الثفال : البطيء .
- 2 المضرجتين : المشقوقتين . وفي رواية النضوجتين .
- 3 الشملة الفلوت : المتزر الذي لا ينضم طرفاه .
- 4 الفرس الجرور : الذي لا ينقاد فيجب جرّه .
- 5 هذه العينية هي المفضلية 57 ، فانظرها في شرح ابن الأنباري وفي مجموع شعر متمم : 106 .

وكنّا كندمانسي جذيمة حقةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا¹
فلما تفرقنا كائني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا
فقال عمر : هذا والله التأين ، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما
رثيت به أخاك . فقال متمم : لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، وكان
قتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالد بن الوليد ، فقال عمر : ما عزاني أحد عن أخي
بمثل ما عزاني به متمم .
وقال : وكان عمر يقول : ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أنني أشم ريح أخي
زيد .

قال : وقيل لمتمم : ما بلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أصيب بإحدى عيني فما قطرت
منها دمعاً عشرين سنة ، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ² .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو أحمد
الزبيري قال : حدثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبي مليكة قال : مات عبد الرحمن بن أبي
بكر الحبشي³ خارج مكة ، فحُمِل فدفن بمكة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره وقالت
متمثلة :
[من الطويل]

وكنّا كندمانسي جذيمة حقةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كائني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا
أما والله لو حضرتك لدفتك حيث مت ، ولو شهدتك ما زرتك .
أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أن متمم بن نويرة دخل على
عمر بن الخطاب فقال له عمر : ما أرى في أصحابك مثلك . فقال : يا أمير المؤمنين أما والله إني
مع ذلك لأركب الجمال الثفال ، وأعتقل الرمح الشطون⁴ ، وألبس الشملة الفلوت . ولقد
أسرنتني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفدني منهم ، فلما رآه القوم أعجبهم
جماله ، وحدثهم فأعجبهم حديثه ، فأطلقوني له بغير فداء .

1 المثل «هما كندماني جذيمة» في مجمع الميادني 2 : 139 وجمهرة العسكري : 365 وفصل المقال : 257

ومستقصى الزمخشري 2 : 234 .

2 ما ترقأ : ما يجف دمعها وينقطع .

3 الحبشي : جبل بأسفل مكة تحالفت عنده قبائل فسموا الأحابيش .

4 الرمح الشطون : الطويل الأعوج .

[إنقاذ مالك لمتهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني النوفلي عن أبيه وأهله قالوا : لما أنشد متهم بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكا :

[من الطويل]

وكنّا كندمانيّ جذيمة حِقْبَةً من الدّهر حتّى قيل لَن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكا ليطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا

قال له عمر : هل كان مالكٌ يحبُّكَ مثلَ محبَّتِكَ إِيّاه ، أم هل كان مثلكَ ؟ فقال : وأين أنا من مالك ، وهل أبلغُ مالكا ، والله يا أمير المؤمنين . لقد أسرني حيٌّ من العرب فشددوني وثاقاً بالقِد ، وألقوني بفنائهم ، فبلغه خبري فأقبلَ على راحلته حتّى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديتهم . فلما نظر إليّ أعرَضَ عنيّ ، ونظر القومُ إليه فعَدَلَ إليهم ، وعرفتُ ما أراد ، فسَلَّم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم ، فوالله إن زال كذلك حتّى ملأهم سروراً ، وحضّر غداؤهم فسألوه ليتغدّى معهم فنزلَ وأكل ، ثم نظر إليّ وقال : إنّه لقيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا ! وأمسك يده عن الطّعام . فلما رأى ذلك القومُ نهَضُوا وصَبُّوا الماء على قدّي حتّى لَانَ وخلّوني ، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغداء ، فلما أكلنا قال لهم : أما ترون تحرُّمَ هذا بنا وأكله معنا ، إنّه لقيح بكم أن تردُّوه إلى القِدِّ . فخلّوا سبيلي فكان كما وصفت . وما كذبتُ في شيء من صفته إلّا أنّي وصفته خميصَ البطن ، وكان ذا بطن .

[خلاف متهم مع زوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن نصر العتيقيّ قال : حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقعيّ ، عن أبيه عن مروان بن موسى . ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ ، عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قال لمتهم بن نويرة : إنكم أهلُ بيت قد تفانيتم ، فلو تزوجت عسى أن تُرزقَ ولداً يكون فيه بقيّة منكم . فتزوج امرأةً بالمدينة فلم ترضَ أخلاقه لشدة حُزنه على أخيه ، وقلة حَقْلِهِ ، فكانت تُماظه¹ وتؤذيه ، فطلقها وقال² :

أقول لهنيّ حين لم أرض فعلها أهذا دلالُ الحبِّ أم فعلُ فاركَ³
أم الصرْمُ ما تبغي ، وكلُّ مُفارِقٍ يسيرٌ علينا فقدّه بعد مالك

1 تماظه : تخاصمه وتشاتمه .

2 شعر متهم : 128 .

3 الفارك : المبقضة لزوجها .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أحمد بن معاوية ، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازي قال : بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرَضَ لهما أعرابي ، فوقفا ليمضي فوقف ، فتعجَّلا ليسبقاه فتعجَّل ، فقالا : ما أثقلَكَ يا أعرابي ، تعجَّلنا لنسبقَكَ فتعجَّلت ، فوقفنا لتمضي فوقفت ؟ فقال : لا إله إلا الله مُفني أغدر الناس ، أغدر بأصحاب محمد ﷺ ؟ هباني خِفْتُ الضلال فأحببت أن أستدلَّ بكما ؛ أو خِفْتُ الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة . فقال طلحة : واسواتاه ، لقد مللنا غير مملول . هات بعض ما ذكرت في أخيك من البكاء . فزوجوه أمَّ خالد ، فبينما هو واضع رأسه على فخذهما إذ بكى فقالت : لا إله إلا الله ، أما تنسى أخاك . فأنشأ يقول¹ :

أقولُ لها لما نهتني عن البكا أفي مالك تلحينني أمَّ خالدِ
فإن كان إخواني أصيبوا وأخطأت بني أمك اليوم الحتوف الرواصد²
فكل بني أم سيمسون ليلة ولم يبق من أعيانهم غير واحدِ

أما معنى قول متمم :

وكنا كندمانِي جذيمة حقة

فإنه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان الأسدي³ .

وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأحفش ، عن أبي سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقي وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش ، وأصله من الأزد ، وكان أول من ملك قضاة بالحيرة ، وأول من حدا النعال ، وأدلى من الملوك ، ورفع له الشمع ، قال يوماً لجلسائه : قد دُكر لي عن غلام من لخم ، مقيم في أخواله من إباد ، له ظرف ولُب ، فلو بعثت إليه يكون في ندماني ، ووليته كأسى والقيام بمجلسي ، كان الرأي ، فقالوا : الرأي ما رأى الملك ، فليبعث إليه . ففعل فلماً قدِمَ فعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدة طويلة ثم أشرقت عليه يوماً رقاش ابنة الملك ؛ أخت جذيمة ، فلم تزل ترأسه حتى اتصل بينهما ، ثم قالت له : يا عدي ، إذا سقيت القوم فامزج لهم واسقِ الملك صبراً ، فإذا أخذت منه

1 شعر متمم : 88 .

2 في هذا البيت إقواء .

3 الأسد : بسكون السين لغة في الأزد .

الخمير فاحطبني إليه فإنه يزوجك ، وأشهد القوم عليه إن هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبها
فزوجه ، وانصرف الغلام بالخير إليها فقالت : عرسُ بأهلك . ففعل فلماً أصبح غداً مضرباً
بالخُلُق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عدي ؟ قال : آثارُ العرس . قال : أيُّ عرس ؟ قال :
عرس رقاش . قال : فنخرَ وأكبُّ على الأرض ، ورفع عدي جراميزه¹ ، فأسرع جذيمة في طلبه
فلم يحسنه ، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته :

حدّثيني رقاش لا تكذبيني أبحرُ زنيته أم بهجين
أم بعيد فانتِ أهلٌ لعبدي أم يدون فانتِ أهلٌ لدون

قالت : بل زوجتني امرأةً عربياً . فنقلها جذيمة وحصنها في قصره ، واشتملت على حمل
فولدت منه غلاماً وسمته عمراً ورثته ، فلماً ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة مثله ، ثم أرته
خاله فأعجب به ، وألقيت عليه منه محبةً ومودةً ، حتى إذا وصف² خرج الغلمان يجتنون
الكمأة في سنةٍ قد أكمأت ، وخرج معهم ؛ وقد خرج جذيمة فبسط له في روضةٍ ، فكان
الغلمان إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادون وهو معهم
يقدمهم ويقول :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيه³

فالتزمه جذيمة وحباه وقرّب من قلبه ، وحلّ منه بكلّ مكان . ثم إن الجنّ استطارته ،
فلَم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يُسمع له بخبر ، فكفّ عنه . ثم أقبل رجلان
يقال لأحدهما عَقِيل والآخر مالك ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء
ومعهما قينةٌ يقال لها أم عمرو ، فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل
رجلٌ أشعثٌ أغبر ، قد طالت أظفاره وساءت حاله ، حتى جلس مزجّر الكلب ، فمدّ يده
فناولته شيئاً فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : «إن يُعطَ العبدُ كراعاً يتسع ذراعاً»⁴ فأرسلتها مثلاً .
ثم ناولت صاحبها من شربها وأوكت⁵ دنّها ، فقال عمرو بن عدي⁶ :

[من الوافر]

1 الجراميز : ما انتشر من الثياب .

2 وصف : شب .

3 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 138 و 397 وجمهرة العسكري 2 : 136 ومستقصى الزمخشري 2 : 386 .

4 المثل «إن تعطى العبد كراعاً يطلب ذراعاً» في مستقصى الزمخشري . وبلغ «أعطي . . . فطلب . . .» في جمهرة العسكري 1 : 107 وفصل المقال : 397 .

5 أوكت : ربطت .

6 هذان البيتان في معلقة عمرو بن كلثوم .

صوت

صَدَدَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عمرو وكان الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليمينا
وما شَرُّ الثلاثة أُمُّ عمرو بصاحِبِكَ الذي لا تَصْبَحِينَا
غَنَّا معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرواة أنَّ هذا الشعر
لعمر بن معديكرب .

وأخبرنا اليزيدي قال : حَدَّثَنَا الخليل بن أسد النُوشجاني قال : حَدَّثَنَا حفص بن عمرو ،
عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عيَّاش ، أنَّ هذا الشعر لعمر بن معديكرب في ربيعة بن نصر
اللمخي .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال : «إن تنكراني أو تنكرا نسي ، فَإِنِّي عمرو وعدي
أبي» ، فقاما إليه فلثمَّاه ، وغَسَلَا رأسه وقلَّما أظفاره ، وقصَّرا من لِمَتِهِ ، وألبَّساه من طرائف
ثيابهما وقالوا : ما كُنَّا لنهديَّ إلى الملك هديَّةً أنفُسَ عنده ولا هو عليها أحسن صَدَدًا¹ من ابن
أخته ، فقد رَدَّه الله عزَّ وجلَّ إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعَا إلى باب الملك بشَّراه به ، فصرَّفه إلى
أُمِّه ، فألبَّستَه ثياباً من ثياب الملوك ، وجعلتْ في عنقه طوقاً كانت تُلبسه إِيَّاه وهو صغير ،
وأمرته بالدخول على خالِهِ ، فلمَّا رَأَتْه قال : «شَبَّ عمرو عن الطوق»² فأرسلها مثلاً . وقال
للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما . قالوا : منادمتُك ما بقيتَ وبقينا . قال :
ذلك لكما . فهما نديماً جذيمة اللذان ذكرهما متمم ، وضربت بهما الشعراء المثل . قال أبو
خيراش الهذلي :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خليلاً صفاء مالِكٌ وعَقيلٌ

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمةً من أَفْضَلِ الملوك رأياً ، وأَبْعَدِهِمْ مُغَاراً ،
وأَشَدَّهُمْ نكايَةً ، وهو أَوَّلُ من استجمع له الملكُ بأرض العراق ، وكانت منازلُه ما بين
الأَنْبَارِ وَبَقَّةَ وَهَيْتَ وَعَيْنَ التمر ، وأطراف البرِّ والقُطْقُطانة³ والحيرة ، فقَصَدَ في جموعه

1 الصفد : العطية .

2 المثل «شَبَّ عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 547 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل
المقال 125 : ولفظ «كبر عمرو . . .» في مجمع الميداني 2 : 137 .

3 القُطْقُطانة : موضع قرب الكوفة .

عمرو بن الظَّرب بن حَسَّان بن أَذينة بن السَّميدع بن هَوَير العامليّ ، من عاملة العماليق ، فجمَعَ عمرو جموعَه ولقِيه ، فقتله جَذيمةً وفضَّ جموعه . فانفلوا¹ وملَّكوا عليهم ابنتَه الزَّباء ، وكانت من أَحزم الناس ، فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصنٍ كان لها على شاطئِ الفرات ، وسكَّرت الفرات في وقت قِلَّة الماء ، وبنت أَرْجاء² من الآجَر والكِلْس ، متَّصلاً بذلك النفق ، وجعلت نفقاً آخر في البرية متَّصلاً بمدينة لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النفق . فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جَذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختها وكانت ذات رأيٍ وحزم : إنك إن غزوتِ جَذيمة فإنَّه امرؤٌ له ما يصدّه ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأركَ ، وإن ظفِر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تدرين كيفَ تكون ألكِ أم عليك ؛ ولكن ابغثي إليه فأعلميه أنكِ قد رغبتِ في أن تتزوَّجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه ؛ وسليّه أن يجيئك إلى ذلك ، لأنَّه إن اغتر ففعل ظفرتِ به بلا مُخاطرة . فكتبت الزباء في ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنَّها قد رَغِبت في صلة بلدها ببلده ، وإنَّها في ضعفٍ من سلطانها ، وقِلَّة ضبطٍ لمملكتها ، وإنَّها لم تجد كفتاً غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها وجمَعَ ملكها إلى ملكه . فلما وصلَ ذلك إليه استخفّه وطمع فيه ، فشاوَر أصحابه فكلُّ صوبٍ رأيه في قصدها وإجابتها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعدٍ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن نخم ، فقال : هذا رأيٌ فاتر ، وغدَرٌ حاضر³ ، فإن كانتِ صادقةً فلتقبَّلْ إليك وإلَّا فلا تمكُنْها من نفسك فتقعَ في حبالها وقد وُترتها في أبيها . فلم يوافق جَذيمة ما قال وقال له : «أنت امرؤٌ رأيك في الكِنِّ لا في الضَّحِّ»⁴ . ورحلَ فقال له قصير في طريقه : انصرفْ ودُمك في وجهك . فقال جَذيمة : «بيقةٌ قُضيَ الأمر»⁵ فأرسلها مثلاً . ومضى حتَّى إذا شارفَ مدينتها قال لقصير : ما الرأي ؟ قال : «بيقةٌ تركتُ الرأي» . قال : فما ظنك بالزَّباء ؟ قال : «القولُ ردافٌ ، والحزمُ عيرانةٌ لا تخاف»⁶ . واستقبله رسلُها بالهدايا والألطاف فقال : يا

1 أنفلوا : انهزموا .

2 الأرج : البيت المستطيل .

3 المثل «رأي فاتر وغدر حاضر» في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 92 .

4 الضح : الشمس والبارز من الأرض . والكن : البيت . وهذا المثل في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى

الزمخشري 2 : 380 .

5 المثل «بيقة قضي (صرم) الأمر» في مجمع الميداني 1 : 90 ومستقصى الزمخشري 2 : 6 وجمهرة العسكري

1 : 203 وفصل المقال : 125 ، وكذلك المثل «بيقة تركت (خلفت) الرأي» .

6 المثل «القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف ، أو والحزم عترانة تخاف» في مجمع الميداني 1 : 234 .

قصير ، كيف ترى ؟ قال «خطر يسير في خطب كبير»¹ ، وستلقات الخيول ، فإن سارت أملك فالمرأة صادقة ، وإن أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون . فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال له قصير : اركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق ، يعني فرساً له كانت تُجنّب ، قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعل ، فجاء قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة . ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في أول القوم ، فقال : «لحازم من يجري العصا في أول القوم»² . فذكر أبو عبيدة والأصمعي أنها لم تكن تقف ، حتى جرت ثلاثين ميلاً ، ثم وقفت فبالت هناك ، فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا ، وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها ، فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه ، فقالت : يا جذيم أذات عروس ترى ؟ بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر . ثم قال : بلغ المدى ، وجف الثرى ، وأمر غدري أرى . قالت : والله ما ذلك من عدم مواس ، ولا قلة أواس³ ، ولكنها شيمة ما أناس . ثم قالت لجواربها : خذن بعضد سيدكن . ففعلن ثم دعت بنطع فأجسلته عليه ، وأمرت برواهشه⁴ فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه ، وقالت له : يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فإني أريده للخيل⁵ . فقال لها : وما يحزنك من دم أضاعه أهله⁶ . وإنما كان بعض الكهان قال لها : إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره . فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف ، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات .

قال : والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخيل . قال المتلمس : [من الطويل]

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخيل

قال : وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها ، ومضى قصير إلى عمرو بن عبد الحُرّ التنوخي فقال له : اطلب بدم ابن عمك والأ سبتك به العرب ، فلم يحفل بذلك . فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال : هل لك في أن أصرف الجنود إليك على

1 في سياق شرح المثل «خطب (خطر) يسير في خطب كبير» . وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 174 .

2 المثل «ويل أمه حزماً على متن العصا» في مجمع الميداني 1 : 234 .

3 أواسي : جمع آسية وهي الخاتنة .

4 الرواهش : عروق في باطن الذراع .

5 الخيل : الجنون .

6 المثل «لا يحزنك دم أضاعه (هراقه) أهله» في مجمع الميداني 2 : 231 . ومستقصى الزمخشري 2 : 268

وجمهرة العسكري 2 : 235 .

أَنْ تَطْلُبَ بَثْرَ خَالِكَ ؟ فَجَعَلَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَتَى الْقَادَةَ وَالْأَعْلَامَ فَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ الْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ ، وَعِنْدَنَا الْأَمْوَالُ وَالْكُنُوزُ . فَانصَرَفَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، فَالتَقَى بِعَمْرُو التَّنُوخِيَّ فَلَمَّا صَافَا الْقِتَالَ تَابَعَهُ التَّنُوخِيَّ وَمَالِكُ بْنُ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ . فَقَالَ لَهُ قَصِيرٌ : انظُرْ مَا وَعَدْتَنِي فِي الزَّبَاءِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ وَهِيَ أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ¹ ؟ فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أُبَيْتَ فَإِنِّي جَادِعٌ أَنْفِي وَأُذْنِي ، وَمَحْتَالٌ لِقَتْلِهَا ، فَأَعِنِّي وَخَلَاكَ ذِمَّةٌ² . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : وَأَنْتِ أَبْصَرُ . فَجَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ³ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الزَّبَاءِ فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَ : أَنَا قَصِيرٌ ، لَا وَرَبَّ الْبَشَرِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَنْصَحَ لَجَذِيمَةِ مَتْنِي وَلَا أُعْشَ لَكَ حَتَّى جَدَعَ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ أَنْفِي وَأُذْنِي ، فَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَكُونَ مَعَ أَحَدٍ أَثْقَلَ عَلَيْهِ مِنْكَ . فَقَالَتْ : أَيُّ قَصِيرٍ نَقَبَلْ ذَلِكَ مِنْكَ ، وَنَصَرَفَكَ فِي بِضَاعَتِنَا . وَأَعْطَتْهُ مَالاً لِلتَّجَارَةِ ، فَأَتَى بَيْتَ مَالِ الْحِيرَةِ فَأَخَذَ مِنْهُ بِأَمْرِ عَدِيٍّ مَا ظَنُّ أَنَّهُ يُرْضِيهَا ، وَانصَرَفَ إِلَيْهَا بِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَرَحَتْ وَزَادَتْهُ . وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أُنْسَتْ بِهِ فَقَالَ لَهَا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَلِكٍ وَلَا مَلِكَةٍ إِلَّا وَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ نَفَقاً يَهْرُبُ إِلَيْهِ عِنْدَ حُدُوثِ حَادِثَةٍ يَخَافُهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ وَاتَّخَذْتُ نَفَقاً تَحْتَ سَرِيرِي هَذَا ، يَخْرُجُ إِلَى نَفَقِ تَحْتَ سَرِيرِ أُخْتِي . وَأَرْتَهُ إِيَّاهُ ، فَأَظْهَرَ لَهَا سُرُوراً بِذَلِكَ . وَخَرَجَ فِي تِجَارَتِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَعَرَفَ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ مَا فَعَلَهُ ، فَركَبَ عَمْرُو فِي أَلْفِي دَارِعٍ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ فِي الْجَوَالِقِ حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا تَقَدَّمَ قَصِيرٌ يَسْبِقُ الْإِبِلَ وَدَخَلَ عَلَى الزَّبَاءِ فَقَالَ لَهَا : اصْعَدِي فِي حَائِطِ مَدِينَتِكَ فَانْظُرِي إِلَى مَالِكٍ ، وَتَقَدَّمِي إِلَى بَوَابِكَ فَلَا يَعْزُضُ لَشَيْءٍ مِنْ أَعْكَامِنَا⁴ ، فَإِنِّي قَدْ جِئْتُ بِمَالٍ صَامِتٍ . وَقَدْ كَانَتْ أَمِينَتُهُ فَلَمْ تَكُنْ تَتَّهَمُهُ وَلَا تَخَافُهُ ، فَصَعِدَتْ كَمَا أَمَرَهَا فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى ثِقَلِ مَشْنِيِّ الْجَمَالِ قَالَتْ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَصْنُوعٌ مَنسوبٌ إِلَيْهَا :

مَا لِلْجَمَالِ مَشْنِيهَا وَثِيداً أَجْنَدَلاً يَحْمِلُنَ أُمَ حَدِيداً
أُمَ صَرَفَاناً بَارِداً شَدِيداً أُمَ الرِّجَالِ جُثْمًا قُعُوداً⁵

- 1 المثل «أمنع من عقاب الجو» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرّة الفاخرة 2 : 386 وجمهرة العسكري 2 : 227 ومستقصى الزمخشري 1 : 369 .
- 2 المثل «... وخلاك ذم» في مجمع الميداني 1 : 224 وفصل المقال : 313 ومستقصى الزمخشري 1 : 224 .
- 3 المثل «لأمر ما جدع قصير أنفه» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرّة الفاخرة 1 : 106 ومستقصى الزمخشري (جز) 1 : 240 وأمثال الضبي : 146 .
- 4 الأعكام : جمع عكم وهو العدل .
- 5 الصرفان : ضرب من التمر . وقيل الرصاص .

فلما دخل آخرُ الجمال نَحَسَ البَوَّابُ عِكمَاً من الأعكامِ بِمنخسَةٍ معه ، فأصابت حاضرةَ رجلٍ فضرَطَ ، فقال البَوَّابُ : «شَرُّ واللهِ عِكمَتِمْ به في الجُوالقاتِ¹ . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدي فضرِبَها فقتلها ، وقيل بل مَصَّتْ خاتَمَها وقالت : «بيدي لا بيد عمرو² . وخُرِبَتِ المدينة وسُيِّت الذراري ، وغنم عمرو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها . وقال الشعراء في ذلك تَذَكُّرُ ما كان من قصير في مَشُورته على جَذيمة ، وفي جدعه أنفه ، فأكثروا . قال عديُّ بن زيد :

ألا يا أيُّها المُثَرِّي المرجِّي أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الأُولِينَا
دَعَا بِالْبَقَّةِ الأُمراءِ يَوْمًا جَذِيمةٌ يَنْتَحِي عُصْبًا تُبِينَا³
فطَاوَعَ أُمَرَهُم وَعَصَى قَصِيرًا وكان يقول لو سَمِعَ اليَقِينَا

وهي طويلة . وقال المتلمس يذكر جَدْعَ قصير أنفه :

ومن حَذَرَ الأَيَّامِ ما حَزَّ أنفه قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف يَهْسُ
وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكْرُها .

[كان جَذيمة ملكاً شاعراً]

وكان جَذيمة الملكُ شاعراً ، وإنَّما قيل له الوضاح لبرصٍ كان به ، وكان يُعْظِمُ أن يسمَّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرشَ والوضَّاح . وهو الذي يقول :

[من مجزوء الكامل]

والمُلكُ كان لذي نُوا سِ حَوْلَهُ تَرْدِي يَحَابِرُ
بالسَابِغاتِ وبالْقَنَا والبيضُ تَبْرُقُ والمَغَاغِرُ
أَزْمَانٌ لا مُلْكٌ يُجِيءُ ر ولا ذِمَامٌ لَمَنْ يُجَاوِرُ
أودى بهم غَيْرُ الزَما نِ فمَنجَدٌ مِنْهُمْ وَغَاثِرُ

وهو الذي يقول :

[من المديد]

رُبَّما أوفيتُ في عَلمٍ تَرَفَعَنْ ثوبِي شمالاتُ
في شبابٍ أنا رابِئُهُم هُم لذي العَوْرَةِ صِمَاتُ

1 المثل «شر في الجوالق» في مجمع الميداني 1 : 236 ومستقصى الزمخشري 2 : 130 .

2 المثل «بيدي لا بيد عمرو» في جمهرة العسكري 1 : 203 ، 226 وأمثال الضبي : 147 .

3 ينتحي : يقصد . والثبون : الجماعات من الناس ، مفردها بُتة .

لَيْتَ شَعْرِي مَا أَطَافَ بِهِمْ نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا
 ثُمَّ أَهْنَا غَانِمِينَ وَكَمْ كَرُّ نَاسٍ قَبْلَنَا مَاتُوا
 فِيهِ غَنَاءٌ يَقَالُ إِنَّهُ لِيَمَانٍ ، وَيَقَالُ إِنَّهُ لِمَعْبَدٍ ، وَلَمْ يَصَحَّ .

صوت

[من البسيط]

فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهُ عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
 الشَّعْرُ لِحْزِينَ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلِيَّ ، وَالْغَنَاءُ لِإِسْحَاقَ ، ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشَ ، وَفِيهِ
 لَعَرِيبٍ رَمْلٌ عَمَلْتَهُ عَلَى لَحْنِ ابْنِ سُرَيْجٍ .

[302] - أخبار الحزین ونسبه¹

[نسبه]

ذكر الواقديّ أنّه من كِنَانَةِ وَآثِهِ صَلَیْیَةِ ، وَأَنَّ الحزین غلب² علیه ، وَأَنَّ اسمه عمرو بن عبید بن وَهَّیْب بن مالک ، ویکنی أبا الشَّعْثَاءِ ، بن حُرَیْث بن جابر بن بُجَیر ، وهو راعي الشمس الأكبر ، بن یعمر بن عديّ بن الدَّیْل بن بکر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَةِ .

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة ، عن الواقديّ .

قال : وَأَمَّا عمر بن شبة فإنه ذكر أَنَّ الحزین مولی ، وَأَنَّ الحزین بن سلیمان ، ویکنی سلیمان أبا الشَّعْثَاءِ ، ویکنی الحزین أبا الحَكَم . من شعراء الدولة الأُمَوِیَّة حجازيٍّ مطبوعٌ ليس من فحول طبقة . وكان هَجَاءٌ خبيثٌ اللسان ساقطاً ، يُرضيه اليسير ، ويتكسَّب بالشَّرِّ وهجاء النَّاسِ ، وليس مِمَّنْ خَدَمَ الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كان يَريم الحجاز حتَّى مات .

[تعريف بعبد الله بن عبد الملك]

وهذا الشَّعر يقوله الحزینُ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله من فُتَيان بني أُمَیَّة وظرفائهم . وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمُّهُ أُمُّ ولد . وزَوْجَةُ عبدِ الله رَمْلَةٌ بنت عبد الله بن عبد الله ، وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو . وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ ، تزوّجها³ لِمَا كان يُقال إنها ناتق⁴ في ولادها⁵ ، فمات عنها ولم تَلِدْ له . فخلفه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى ، وبناتٍ .

أخبرني بذلك عُمر بن عبد الله بن جميل العَتَكِي ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، ويحيى بن علي بن يحيى ، قالوا : حَدَّثَنَا عمر بن شبة عن ابن رَوَاحَةَ وغيره . وأخبرني به الطَّوْسِيّ والحِرْمِيّ عن الزُّبَيْر عن عمّه .

1 للحزین الدلی ترجمه فی المؤتلف والمختلف : 122-123 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : وقع .

3 الضمير هنا عائد إلى رملة .

4 الناتق : الكثيرة الأولاد .

5 الولاد : الولادة .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثني الزبير قال : حدّثني عمّي أنّ عبد الله بن عبد الملك حجّ ؛ فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة ، وهو ذَرِبُ اللسان ، فإنّك أن تحتجب عنه ، وأرضيه . وصِفَتُهُ أنّه أشعر¹ ذو بطنٍ عظيم الأنف . فلما قدّم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له : إنّك أن تردّه . فلم يأت الحزين حتى قام فدخلَ لِيَنام ، فقال له الحاجب : قد ارتفع . فلما ولّى ذَكَرَ فلحقه فقال : ارجع ، فاستأذن له فأدخله . فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه ، وفي يده قضيبُ خيزران ، وقف ساكناً . فأمهله عبدُ الله حتّى ظنَّ أنّه قد أراح ثم قال له : السلامُ رحمك الله أولاً . فقال : عليك السلامُ وحَيّا الله وجهك أيّها الأمير ، إنّني قد كنت مدحُك بشعر ، فلما دخلتُ عليك ، ورأيتُ جمالك وبهائك أذهلّني عنه فأنسيْتُ ما كنتُ قلتُهُ ، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين . فقال : ما هما ؟ قال :

في كفّه خيزرانٌ ريحُها عبقٌّ من كفٍّ أروعَ في عرنيته شممٌ
يُغضي حياءٍ ويُغضي من مهابته فما يكلمُ إلّا حينَ يتسمُّ
فأجازه فقال : أخدمني² أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لي . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل³ ، خُذ الأكبر .

[الخلاف في نسبة بيتين للحزين]

والنّاس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ، التي أوّلها :

هذا الذي تعرّف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والجِلُّ والحرمُ
وهو غلطٌ ممّن رواه فيها . وليس هذان البيتان ممّا يمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعلّم ما ليس لأحد .

حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال : حدّثني محمد بن عمر العدني قال : حدّثني سفيان بن عيينة عن الزّهري قال : ما رأيتُ هاشمياً أفضلَ من علي بن الحسين .

[أخلاق علي بن الحسين]

حدّثني محمد قال حدّثنا يوسف بن موسى القطّان قال : حدّثنا جرير بن المغيرة قال : كان علي بن الحسين يُعجّل ، فلما مات وجدّوه يعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

1 الأشعر : الكثير الشعر .

2 أخدمني : اجعل لي خادماً .

3 ترذل : تأخذ الرذل الدون .

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن معرّس قال حدَّثنا محمد بن ميمون قال حدَّثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : «إنَّ صدقة اللّيل تطفئ غضبَ الربِّ» .

حدَّثني أبو عبد الله الصّيرفيّ قال حدَّثنا الفضل بن الحسين المصري قال : حدَّثنا أحمد بن سليمان قال حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال : قال علي بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قطّ .

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدَّثني إسحاق بن موسى الأنصاريّ قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين عيشهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤثّون به بالليل .

[أبيات الفرزدق]

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها ، فحدَّثني بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالوا : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنُصب له منبرٌ فعجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحّى الناس كلّهم وأخلّوا له الحجر ليستلمه ، هيبةً وإجلالاً له ، فغاض ذلك هشاماً وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفاً ، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كلّهُ حاضراً : أنا أعرفه ، فسألني يا شاميّ . قال : ومن هو ؟ قال ¹ :

[من البسيط]

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفه والحِجْلُ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلّهم	هذا التقى النقي الطاهر العلمُ
إذا رآته قریشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يُمسِكه عرفانَ راحته	رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمْ¹
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

[حبس هشام للفرزدق لمديحه للحسين]

فحبسه هشام فقال الفرزدق² : [من الطويل]

أُحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيِّهَا
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءٌ بَادٍ عِيُوبُهَا
فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِشَامٌ فَأَخْرَجَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : أَعْلِزْ يَا أَبَا
فِرَاسٍ ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوْصَلْنَاكَ بِهِ . فَرَدَّهَا وَقَالَ : مَا قُلْتَ مَا كَانَ إِلَّا
لِلَّهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَرْزَأَ عَلَيْهِ شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : قَدْ رَأَى اللَّهُ مَكَانَكَ فَشَكَرَكَ ، وَلَكِنَّا أَهْلُ بَيْتِ إِذَا
أَنْفَعْنَا شَيْئًا مَا نَرْجِعُ فِيهِ . فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ فَقَبِلَهَا .

[الخلاف في نسبة هذا الشعر]

وَمِنَ النَّاسِ أَيْضًا مَنْ يَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قُتَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِيهَا
لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ فِيهِ ؛ فَهِيَ فِي رِوَايَتِهِ : [من البسيط]

كَمْ صَارَخَ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ يَرْجُوكَ يَا قُتَمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُتَمَ
أَيُّ الْعِمَائِرِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمْ³
فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهَا عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَيَّمُ
وَمَنْ ذَكَرَ لَنَا ذَلِكَ الصَّوْلِيَّ عَنِ الْغَلَابِيِّ عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ سَابِقٍ ، أَنَّ دَاوُدَ بْنَ سَلَمٍ قَالَ هَذِهِ
الْأَبْيَاتَ الْأَرْبَعَةَ سِوَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي شِعْرِهِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَذَكَرَ الرِّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ يَقَالُ لَهُ دَاوُدُ وَقَفَ لِقَتَمِ فَنَادَاهُ
وَقَالَ : [من البسيط]

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
كَمْ صَارَخَ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ فِي النَّاسِ يَا قُتَمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُتَمَ
فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ .

1 الأولية : مفاخر الآباء والأجداد .

2 ديوان الفرزدق 1 : 47 مع بعض اختلاف .

3 العمائر : جمع عمارة ، وهي الحلي العظيم أو هي دون القبيلة .

والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيت في تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة ، تنبئ عن نفسها . وهي :

الله يعلم أن قد جُبْتُ ذا يمن
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها
ثم المواسم قد أوطنتها زمناً
قالوا دمشقُ يُنبئُك الخبيرُ بها
لما وقفت عليها في الجموع ضحى
حيته بسلام وهو مرتفق
في كفه خيزران ریحها عقب
يُغضي حياءً ويُغضي من مهابته
ترى رؤوسَ بني مروان خاضعة
إن هشَّ هشوا له واستبشروا جذلاً
كلنا يديه ربيعٌ عند ذي خُلْفٍ

ثم العراقرين لا يثنيني السأم
كذاك تسري على الأهوال بي القدم
وحيث تُحلّق عند الجمرة اللّم
ثم ائتِ مصرَ فثمّ النائلُ العمّم¹
وقد تعرّضتِ الحجابُ والخدم
وضجّة القوم عند الباب تزدحم
من كفّ أروع ، في عرينه شمّم
فما يكلم إلا حين يتسمّم
يمشون حول ركائبه وما ظلموا
وإن همّ أنسوا إعراضه وجَمّوا
بحرّ يفيض وهادي عارضٍ هزم²

ومن الناس من يقول : إن الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان ، لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثمّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر ، والحزين بها .

[الحزين يستهدي غلاماً]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد العزيز بن عمران الزهريّ قال : وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك ، وفي الرقيق أخوان ، فقال عبدُ الله للحزين : أيُّ الرقيق أعجبُ إليك ؟ قال : ليختر لي الأمير . قال عبد الله : قد رضيتُ لك هذا ، لأحدهما ، فإنّي رأيته حسنَ الصلاح . قال الحزين : لا حاجة لي به فأعطني أخاه . فأعطاه إياه . قال : والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وتميم أبو محمد بن تميم ، وهو الذي اختاره الحزين . قال : فقال في عبد الله يمدحه :

الله يعلم أن قد جُبْتُ ذا يمن
وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل .

1 العمم : الكثير .

2 الهادي : المقدم . والعارض : السحاب . والهزم : المتبقي الذي لا يستمسك .

[إقامة الحد على الحزين في الخمر]

أخبرني وكيع عن محمد بن علي بن حمزة العلوي قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مخرمة بن نوفل . فجاء الحزينُ الدُّليّ إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حمارةً وذهب إلى العقيق فشرب ، وأقبلَ على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجد كما كان صاحبه عودَه إياه . فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسه وحبسَ الحمار ، فأصبحَ والحمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول :

أيا أهل المدينة خبروني بأيّ جريرة حبسَ الحمارُ
فما للغير من جرمٍ إليكم وما بالغير إن ظلم انتصارُ

فردّوا الحمار على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدَّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال :

نشدتُك بالبيت الذي طيفَ حوله وزمزمَ والبيتِ الحرامِ المحجَّبِ
لزانية صفوان أم لعفيفة لأعلمَ ما آتي وما أتجَبُّ¹
فقال مولاه : هو لزانية . فخرج وهو ينادي : إن صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنّك ابنُ زانية . فخلّى عنه .
[نصيحته لابن عمّه في الزواج]

وقال محمد بن علي بن حمزة : وأخبرني الرياشي أنّ ابن عمّ للحزين استشاره في امرأة يتزوَّجها ، فقال له : إن لها إخوة مشائيم وقد ردّوا عنها غيرَ واحد ، وأخشى أن يردّوك فتطلق عليك ألسناً كانت عنك خرساً . فخطبها ولم يُقبل منه فردّوه ، فقال الحزين :

نهيتُك عن أمرٍ فلم تقبل النّهي وحذرتُك اليومَ الغوَاةَ الأشائما
فصرتَ إلى ما لم أكنْ منه آمناً وأشمتُ أعدائي وأنطقتَ لائِما
وما بهم من رغبة عنك قلّ لهم فإن تسألوني تسألوا بيَ عالِما
نسخت من كتاب لعلّي بن محمد الشامي² : حدثني أبو محمّل . ولم يتجاوزَه .

[يهجو ابن سهيل ويمدح سفيان بن عاصم]

وأخبرني عيسى بن الحسن قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدثني عمر بن سلام

1 في البيت إقواء .

2 ل : الساعي .

مولی عمر بن الجعّاب : أنّ الحزین الدّیّلیّ خرج مع ابنٍ لسهیل بن عبد الرّحمن بن عوف ، إلى منتزه لهم ، فسکر الحزینُ وانصرف ، فبات فی الطريق وسُلب ثیابه ، فأرسل إلى ابن سهیّل یخبره الخبرَ ویستمنحه فلم یمنحه ، وبلغ الخبرُ سفیان بن عاصم بن عبد العزیز بن مروان فأرسل إليه بجمیع ما یحتاج إلیه ، وعوّضه ثمنَ ثیابه ، فقال الحزینُ فی ذلك : [من المنسرح]

هَلَّا سُهَيْلًا أَشْبَهْتَ أَوْ بَعْضَ أَعْمَا مَكَ يَا ذَا الْخَلَائِقِ الشُّكْسَةَ
ضِيعْتَ نَدْمَانِكَ الْكَرِيمَ وَلَمْ تُشَدْ فِقْ عَلَيْهِ مِنْ لَيْلَةٍ نَحْسَةَ
ثُمَّ تَعَالَلْتَ إِذْ أَتَاكَ لَهُ صُبْحًا رَسُولٌ بَعْلَةَ طِفْسَةٍ¹
لَكِنْ سَفِيَانٌ لَمْ يَكُنْ وَكَلاَّ لَمَّا أَتَيْنَا صِلَاتَهُ سِلْسَةٍ²
سَمَا بِهِ أَرَوُّعٌ وَنَفْسُ فَتَى أَرَوَّعٌ لَيْسَتْ كَنَفْسِكَ الدِّنْسَةَ

[هجاء بني كعب]

حدّثنا الصُّولي قال : حدّثنا ثعلب قال حدّثني عبد الله بن شبيب قال : مرّ الحزین الدّیّلیّ علی مجلسٍ لبني كعب بن خزاعة وهو سکران ، فضحكوا علیه ، فوقف علیهم وقال : [من البسيط]

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي كَعْبٍ وَمَجْلِسِهِمْ مَاذَا تَجَمَّعَ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ ضَرَعٍ³
لَا يَدْرُسُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ وَلَا يَصُومُونَ مِنْ حِرْصٍ عَلَى الشَّعْرِ
فَوُثِبَ إِلَيْهِ مَشَايخُهُمْ فَاَعْتَذَرُوا مِنْهُ ، وَسَأَلُوهُ الْكَفَّ وَأَنْ لَا يَزِيدَ شَيْئًا عَلَى مَا قَالَهُ ، فَأَجَابَهُمْ وَانصَرَفَ .

[بصر على هجاء كثير]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثنا عمرو بن أبي بكر المؤمليّ قال : حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : كان الحزین قد ضرب على كل رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كل شهر ، منهم ابن أبي عتيق ، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمارٍ أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابن أبي عتيق للحزین بدرهمين فقال له الحزین : مَنْ هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة . قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزین : أتأذن لي أن أهجوه بيت ؟ قال : لا لعمری لا آذنُ لك أن تهجو جليسي ، ولكن أشتري عرضهُ منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما ، فأصغى ثمّ قال : لا بُدَّ لي من هجائي بيت . قال : أو أشتري

1 طفسة : قدرة .

2 الوكل : الذي يتكل على غيره .

3 الضرع : الذلّ والمهانة .

ذلك منك بدرهين آخرين . ودعا له بهما فأخذهما وقال : ما أنا بتارِكِه حتَّى أهجوه . قال :
أو أشتري ذلك منك بدرهين آخرين ؟ فقال له كثير : ائذن له ، وما عسى أن يقول في ؟ فأذن
له ابن أبي عتيق فقال :

قصير القميص فاحش عند بيته يعضُّ القراد باستيه وهو قائمٌ

فوثب كثيرٌ إليه فوكزه فسقط هو والحمار ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير :
قبحك الله ، أتأذن له وتبسطَ إليه يدك . قال كثير : وأنا ظننته يبلغ في هذا كله في بيت واحد !
ولكثير مع الحزين أخبار أخر قد ذكرت في أخبار كثير .

[جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة]

أخبرني الحرّميّ قال : حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال : حدثني ابن عروة بن
أذينة قال : كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ ، وكان كثيراً ما يأتيه . وكان بالمدينة
قينةٌ يهواها الحزين ويكثر غشيانها ، فبيعت وأخرجت عن المدينة ، فأتى الحزينُ أبي وهو
كثيرٌ حزين كاسمه ، فقال له أبي : ما لك يا أبا حكيم ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال
كثير¹ :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إنني إذا لسقيمٌ
سألت حكيماً أين شطّ بها النوى فخبّرني ما لا أحبُّ حكيمٌ

فقال له أبي : أنت معجونٌ إن أقمتَ على هذا .

[كساه جعفر بن محمد فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسيّ قال : حدثنا الزبير قال : حدثني مصعب قال : مرَّ
الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمارٌ ، فقال له : يا ابنَ
أبي الشعثاء ، إلى أين أصبحت غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّة
يريد الحج ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصر فأحسنَ إليّ . قال : أقمها وجدتَ شيئاً تلبسه غير
هذه الثياب ؟ قال : قد استعرت من أهل المدينة فلم يُعِرني أحد منهم غير هذه الثياب . فدعا
جعفرٌ غلاماً فقال : ائتني ببجّة صوف ، وقميصٍ ورداء . فجاه بذلك فقال : أبل وأخلق .
فلما ولّى الحزينُ قال لجلساء جعفر له : ما صنعت ؟ إنه يَعِدُ إلى هذه الثياب التي كسوته إياها
فبيعهما ، ويُفسد بثمانها . قال : ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنعَ بها . فسمع الحزينُ قولهم
وما ردَّ عليهم ، ومضى حتّى أتى عبدُ الله بن عبد الملك فأحسنَ إليه وكساه . فلما أصبح

الحزینُ أتى جعفرًا ومعه القومُ الذين لاموه بالأُمس وأنشده : [من الطويل]

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمدٍ إلى المجدي حتى عبَّهتُهُ عواذِلُهُ¹

وقلن له هل من طريفٍ وتالد من المال إلا أنت في الحق باذِلُهُ

يُحاولنَّه عن شيمَةٍ قد علِمَناها وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاولُهُ

ثم قال له : بأبي أنت وأُمِّي ، سمعتُ ما قالوا وما رددتَ عليهم .

[هجاؤه لأبي برة]

أخبرني الحرَّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال : صحَّبَ الحزینُ رجلاً من بني عامر بن لؤيَّ يلقَّبُ أبا برة ، وكان استُعْمِلَ على سِعاياتٍ² فلم يصنعْ إليه خيراً ، وكان قد صحَّبَ قبله عمرو بن مُساحقٍ وسعد بن نوفل فأحدهما³ ، فقال له : [من الطويل]

صحبتك عاماً بعد سعدٍ بن نوفلٍ وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً

وجادا كما قصَّرت في طلبِ العُلا فحُزرت به ذمّاً وحازا به شكراً

قال : وأبو برة هذا هو الذي كان يعث بجارية لابن أبي عتيق ، فشكته إليه فقال لها :

عديهِ فإذا جاءكِ فأدخِليه إليّ . ففعلتْ فأدخلته عليه ، وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حَجَلَةٍ⁴ ، فلما رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلا على رية . فقال له ابن أبي عتيق : استر علينا سترَ الله عليك .

قال : وآل أبي برة هم موالي آل أبي سمير . قال : فلما وليَّ المهديُّ باعوا ولأئهم منه .

قال الزبير : وأنشدني عمِّي تمامَ الأبياتِ التي هجا بها أبا برة ، وسَمَّاهُ لي فقال : وكان

اسمه عيسى ، وهي : [من الطويل]

أولاك الجِعاد البيض من آل مالكٍ وأنتم بنو قَيْنٍ لحقتم به نَزْراً

نصب «نزرا» على الحال ، كأنه قال : لحقتم به نَزْراً قليلاً من الرِّجالِ .

نسوق بيعوراً أميراً كأنما نسوق به في كلِّ مَجْمَعَةٍ وِبراً⁵

فإن يكن البيعور ذمٌّ رفيقه قراه فقد كانت إمارته نَكْراً

1 عيبل : لام وعاتب .

2 السعاية : العمل على الصدقات .

3 أحده : رضي فعله .

4 الحجلة : موضع يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس ، أو هي ستر العروس في جوف البيت .

5 بيعور : عبث باسم أبي برة . والوبر : دوية على قدر السنور من دواب الصحراء يشبه بها الرجل تحقيراً له .

ومَتَّبِعَ البِيعُورِ يَرْجُو نَوَالَهُ فَقَد زَادَهُ البِيعُورُ فِي فَقْرِهِ فَقَرَأَ

[هجاؤه لعمر بن عمرو]

أَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ قَالَ : حَدَّثَنِي صَالِحٌ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ : مَدَحَ الْحَزِينُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئاً .

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي تَامراً وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الزُّبَيْرُ مِنْهُ إِلَّا يَسِيراً ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَمْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ مَصْعَبٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ الْحَدَّثَانِ قَالَ : دَخَلَ الْحَزِينُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ مَنْزِلَهُ ، فَامْتَدَحَهُ وَسَأَلَهُ حَاجَةً ، فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ إِلَيَّ مَا تَطْلُبُ سَبِيلٌ ، وَلَا نَقْدَرُ أَنْ نَمْلَأَ النَّاسَ مَعَاذِيرَ ، وَمَا كُلُّ مَنْ سَأَلَنَا حَاجَةً اسْتَحَقَّ أَنْ نَقْضِيَهَا ، وَلَرُبُّ مُسْتَحَقٍّ لَهَا قَدْ مَنَعْنَاهُ حَاجَتَهُ . فَقَالَ الْحَزِينُ : أَفَمِنْ الْمُسْتَحَقِّينَ أَنَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَكَيْفَ تَكُونُ مُسْتَحَقّاً لَشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَأَنْتَ تَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ وَتَهْتِكُ حَرِيمَهُمْ ، وَتَرْمِيهِمْ بِالْمُعْضِلَاتِ ، إِنَّمَا الْمُسْتَحَقُّ مَنْ كَفَّ أَذَاهُ ، وَبَذَلَ نَدَاهُ ، وَوَقَمَ¹ أَعْدَاهُ . فَقَالَ لَهُ الْحَزِينُ : أَفَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَيْنَ تُبْعِدُنِي لَا أُمُّ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَأَفْضَلَ مِنْهَا ! فَوَثَبَ الْحَزِينُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

حَلَفْتُ وَمَا صَبَرْتُ عَلَى يَمِينٍ وَلَوْ أَدْعَى إِلَى أَيْمَانَ صَبْرٍ²
بَرْبُ الرَّاغِصَاتِ بِشُعْثِ قَوْمٍ يُوَافُونَ الْجِمَارَ لَصُبْحِ عَشْرِ³
لَوْ أَنَّ اللَّوْمَ كَانَ مَعَ الثَّرْيَا لَكَانَ حَلِيفَهُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو
وَلَوْ أَنِّي عَرَفْتُ بِأَنْ عَمراً حَلِيفُ اللَّوْمِ مَا ضَيَّعْتُ شِعْرِي

فَقَالَ الْعَمْرِيُّ : وَحَدَّثَنِي لَقِيطٌ أَنَّ الْحَزِينُ قَالَ فِيهِ أَيْضاً يَهْجُوهُ وَيَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَجَاءَهُ فَشَكَا إِلَيْهِ عَمراً ، فَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . قَالَ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فَضْلٌ يَزِينُهُ سِوَى مَا ادَّعَى يَوْمًا فَلَيْسَ لَهُ فَضْلٌ
وَتَلْقَى الْفَتَى ضَخْماً جَمِلاً رَوَاهُ يَرُوعُكَ فِي النَّادِي وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ
وَأَخَّرُ تَبَوُّ الْعَيْنِ عَنْهُ مَهْذَبٌ يَجُودُ إِذَا مَا الضَّخْمُ نَهَنَهُ الْبَخْلُ
فِي رَاجِيَاً عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو وَسَيِّبَهُ أَتَعْرِفُ عَمراً أَمْ أَتَاهُ بِكَ الْجَهْلُ

1 وقم : أذل وقهر .

2 يمين الصبر : هي اليمين التي يحبسه السلطان حتى يحلفها .

3 الراقصات : الإبل ترقص في مشيها .

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطيء الفتى وإن كنتَ ذا حزمٍ إذا جارت النبلُ
جهلتَ ابنَ عمرو فالتمس سببَ غيره ودونك مرعى ليس في جدّه هزلُ
عليك ابنَ مروان الأغرّ محمداً تجدّه كريماً لا يطيش له نبلُ

قال لقيط : فلما أنشد الحزینُ محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : اكفف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك . فقال : لا والله ولا بحمّر النعم وسودها ، لو أعطيتها ما كفت عنه ، لأنه ما علمت كثير الشر ، قليل الخير ، متسلط على صديقه ، فظ على أهله . «وخير ابن عمرو بالثريا معلق» .

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر . فقال : بعد ساعة يصير شعراً ، ولو شئت لعجلته .

ثم قال : [من الطويل]

شرُّ ابنِ عمرو حاضرٌ لصديقه وخير ابنِ عمرو بالثريا معلقُ
ووجهُ ابنِ عمرو باسراً إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفق¹
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدتُ كتائب هيجاء المنية تبرقُ
فلا زال عمرو للبلایا دريةً تباكره حتى يموت وتطرق²
يهرّ هريّر الكلب عمرو إذا رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشقُ

قال : فزجره محمد عنه ، وقال له : أف لك ، قد أكرت الهجاء ، وأبلغت في الشئمة .

قال العمريّ : وحدثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي ، قال : قال الحزین

الدليّ يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير :

لعمرك ما عمرو بن عمرو بما جدي ولكنّه كزّ اليدين بخيلُ
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبطُ أثناء الظلام يجولُ
فلا خير في عمرو لجارٍ ولا له ذمامٌ ولكنّ للثام وصولُ
مواعيدُ عمرو ترهاتٌ ووجهه على كلِّ ما قد قلت فيه دليلُ
جبانٌ وفحاشٌ لئيمٌ مذممٌ وأكذبُ خلقِ الله حين يقولُ
كلام ابنِ عمرو صوفةً وسطاً بَلقع وكفُّ ابنِ عمرو في الرّخاء تطولُ
وإن حَزَبته الحازباتُ تشنّجتُ يداه ورمحٌ في الهياج كليلُ

1 باسر : كالج .

2 الدريقة والدرية : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

فبلغ شعره عمراً فقال : ما له لعنه الله ولعن من ولده ، لقد هجانني بنية صادقة ولسان صنع ذلق ، وما عداني إلى غيري . قال : فلقني الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات فقال له : ويحك ، بعضها كان يكفيك ، فقد بنيتها ولم تُقم أودها ، وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها . قال الحزين : ذلك والله أرغب للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ الناس من حلّم عن الجهال ، وما أراه إلا قد حلّم عنك . فقال الحزين : حلّم والله عني شاء أو أبى ، برغمه وصغره¹ .

[مجاوزه بني الزبير]

قال العمري : فحدثنا عطاء عن عاصم بن الحذثان قال : لقيت شباناً من ولد الزبير الحزين ، فتناولوه بالسنتهم ، وهُموا بضربه ، فحال بينهم وبينه ابن لمصعب بن الزبير . فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن عبد العزى ، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه ، قال :

لحاً الله حياً من قريش تحالفوا	على البخل بالمعروف والجود بالنكر
فصاروا لخلق الله في اللوم غاية	بهم تضرب الأمثال في النثر والشعر
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً	حُمِدْتَ ولكن أنت منقبض البشر ²
بني أسد ، سادت قريش بجودها	معداً وسادتكم معد يد الدهر
تجود قريش بالندى ورضيتهم	بني أسد باللوم والذل والغدر
أعمرو بن عمرو ، لست ممن تعدّه	قريش إذا ما كاثروا الناس بالفخر
أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة	وخلق لئيم أن ترش وأن تبري

[يهجو ويمدح على إطعامه]

أخبرني الحرّمي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني محمد بن الضحّاك الحزامي قال : حدثني أبي قال : كان الحزين سفيهاً ندلاً يمدح بالنزر إذا أُعطيه ، ويهجو على مثله إذا مُنع ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقره ، فقال يهجو بقوله :

سيروا فقد جُنّ الظلام عليكم	فباست الذي يرجو القرى عند عاصم
ظللنا عليه وهو كالتيس طاعماً	نشد على أكبادنا بالعمائم

1 الصغر : الذل والمهانة .

2 البشر في ل : الشبر .

وما لي من ذنبٍ إليه علمته سوى أنني قد جئتُه غيرَ صائمٍ
فَقِيلَ له : إنَّ عاصماً كثيراً ما تسمي به قريش . فقال : أما والله لأبيننه لهم
فقال : [من الطويل]

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـ من عمرو سرت عَنسي فخاب سراًها
فقد صادفت كزَّ اليدين مبخلًا جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاهها
بخيلاً بما في رحله غير أنه إذا ما خلَّتْ عرسُ الخليل أتاها
أنخبرني الحُرْمِيَّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال : قال الحزین
لهلال بن يحيى بن طلحة قوله : [من الطويل]

هلال بن يحيى غُرَّة لا خفا بها على النَّاسِ في عُسْرِ الزَّمانِ ولا اليُسْرِ
وسعد بن إبراهيم ظفرٌ موسخَّ فهل يستريح النَّاسُ من وَسَخِ الظفرِ
يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان وليَّ قضاء المدينة من هشام بن
عبد الملك ، فلم يُعطِ الحزین شيئاً فهجاه . وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

أتيتُ هلالاً أرتجي فضلَ سيِّبه فأفلتني مِمَّا أحبُّ هلالُ
هلال بن يحيى غُرَّة لا خفا بها لكل أناس غُرَّة وهلالُ

صوت¹

[من الطويل]

ألم تشهدِ الجونين والشَّعبِ ذا الصِّفا وكَرَّاتِ قيس يوم ذَرِ الجَمَاجِمِ
تحرَّض يا ابنَ القَيْنِ قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثلَ يوم الأراقِمِ
بسيفِ أبي رَغَوان سيف مُجاشع ضربتَ ولم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضربتَ به عند الإمام فأرعشتَ يداك وقالوا مُحدثٌ غير صارمِ
الشعر لجريز ، والغناء لابن محرز ، ثَقِيلُ أوَّلُ بالبصرة .

303- [جرير والفرزدق وضربة الرومي]

وهذه الأبيات يقولها جرير يهجو الفرزدق ، ويعيره بضربة ضربها بسيفه رجلاً من الروم ، بحضرة سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئاً .

فحدثنا بخبره في ذلك محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدثنا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مخزومة الكندي ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال : كنتُ حاضراً سليمان بن عبد الملك .

وأخبرنا علي بن سليمان الأخفش واليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائص ، عن رؤية بن العجاج قال : حجَّ سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء ، وحججتُ معهم ؛ فمرَّ بالمدينة منصرفاً فأتني بأسرى من الروم نحو من أربعمائة . ففقد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصران¹ ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة² . فقال لعبد الله بن الحسن : قم فاضرب عنقه . فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسى سيفاً كليلاً ، فضربه فأبان عنقه وذراعه ، وأطن³ ساعده وبعض الغل . فقال له سليمان : اجلس فوالله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً ، فدمستُ إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدمستُ إليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضرباتٍ فلم يصنع شيئاً . فضحك سليمان وضحك الناس معه .

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤية .

وأما سليمان بن أبي شيخ فإنه ذكر في خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً وقال له : اقتله به . فقال : لا بل أضربه بسيف مجاشيع ، واختلط سيفه فضربه به فلم يُغن شيئاً . فقال له سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارها وشنارها ! فقال جرير قصيدته التي يهجو فيها ، ومنها الصوت المذكور ، وأولها قوله :

[من الطويل]

1 الثوب الممصر : المصبوغ بالحمرة أو الصفرة الخفيفة .

2 الجامعة : الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق .

3 أطن : قطع .

أَلَا حَيَّ رُبْعَ الْمَنْزِلِ الْمُتَقَادِمِ وَمَا حُلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سَالِمٍ
وهي طويلة . فقال الفرزدق¹ :
[من الطويل]

صوت

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبَا عَنْ كَلِيبٍ أَوْ أَبَا مِثْلَ دَارِمٍ
كَذَاكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أحياناً مَنَاطَ التَّمَائِمِ
وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لابن محرز ، ولم يجنسه .

وقال يعرض بسليمان ويعيره بنو سيفٍ ورقاء بن زهير العبسيّ عن خالد بن جعفر ، وبنو
عبسٍ أحوال سليمان ، قال² :
[من الطويل]

فَإِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَرٌ أَتَى بِتَعْجِيلٍ نَفْسٍ حَتَفَهَا غَيْرَ شَاهِدٍ
فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا يَبْدِي وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أحياناً مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

وروي هذا الخبر عن عوانة بن الحَكَم ، قال فيه : إن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير
المؤمنين ، هب لي هذا الأسير . فوهبه له فَأَعْتَقَهُ ، وقال الأبيات التي تقدّم ذكرها ، ثم أقبل
على رواته وأصحابه . فقال : كائني بابلن المراغة وقد بلغه خبري فقال :
[من الطويل]

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفٍ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأُرْعِشْتُ يَدَاكَ وَقَالُوا مُحَدِّثٌ غَيْرَ صَارِمٍ

قال : فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فطنة
الفرزدق .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلوي ،
قال : حدثنا أبو عثمان المازني قال : زعم جهم بن خلف أن رؤية بن العجاج حدثه ، فذكر
هذه القصيدة وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدق الأسير فوهبه له سليمان ؛ فَأَعْتَقَهُ وكساه ، وقال قصيدته التي
يقول فيها :

1 ديوان الفرزدق 2 : 314 .

2 ديوان الفرزدق 1 : 157 .

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

قال : وقال في ذلك : [من الطويل]

تبأشر يربوع بنبوة ضربة
ولو شئت قد السيف ما بين عنقه
فإن ينب سيف أو تراخت منية
فسيف بني عبس وقد ضربوا به
ضربت بها بين الطلا والخرافد¹
إلى علق بين الحجابين جامد
لميقات نفس حثفها غير شاهد
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

قال : وقال في ذلك² : [من البسيط]

أيضحك الناس أن أضحكت سيدهم
فما نبا السيف عن جبين ولا دهش
ولو ضربت به عمراً مقلده
وما يقدم نفساً قبل ميتهما
خليفة الله يستسقى به المطر
عند الإمام ولكن أخر القدر
لخر جثمانه ما فوقه شعر³
جمع اليدنين ولا الصمصامة الذكر⁴

[خير يوم الجونين]

فأما يوم الجونين الذي ذكره جرير ، فهو اليوم الذي أغار فيه عتية بن الحارث بن شهاب على بني كلاب ، وهو يوم الرغام⁵ .

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي ، عن السكري عن ابن حبيب ، ودماذ عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه : أن عتية بن الحارث بن شهاب أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب يوم الجونين فاطرد إيلهم ، وكان أنس بن العباس الأصم ، أخو بني رعل من بني سليم ، مجاوراً في بني كلاب ، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رعل عهد : لا يسفك دم ولا يؤكل مال . فلما سمع الكلابيون الدعوى : يال ثعلبة ! يال عبيد ! يال جعفر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن العباس : قد عرفنا ما بين بني رعل وبني ثعلبة بن يربوع ، فأدركهم فاحبسهم علينا حتى نلحق . فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عتية بن

1 لم يرد هذا البيت في الديوان . والطلا : أصل الرقة . والخرافد : جمع حرقدة وهي عقدة الخنجر .

2 ديوان الفرزدق 1 : 291 .

3 الديوان : ولو ضربت على عمد . . .

4 الديوان : ما يجعل السيف نفساً .

5 أيام العرب في الجاهلية : 370-372 والنقائض : 410 وما بعدها . والرغام : رملة بعينها في نواحي اليمامة .

الحارث لأخيه حنظلة : أغن عَنَّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعقيدكم ، وكنت في هؤلاء القوم فأغرتم على إيلي فيما أغرتم عليه ، وهو معكم . فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له : حيّاك الله ، وهلمّ قوالِ إيلك ، أي اعزلها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتهم بالركوب في أثري ، وهم أعرفُ بها مني . فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس : إنما هم بنيّ وبنو أخي . وإنما يريثهم لتلحق فوارسُ بني كلاب . فلحقوا فحمل الحوثة بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة أخو بني ضيارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثة هو وابن مُزنة أخو بني عاصم بن عبيد ، فأسراه ودفعاها إلى عتيبة فقتله صبراً ؛ وهزم الكلابيون ومضى بنو ثعلبة بالابل وفيها إيلُ أنس ، فلم تُقرّ أنساً نفسه حتى اتبعهم رجاء أن يُصيب منهم غرة وهم يسرون في شجراً¹ . فتخلف عتيبة لقضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه فلم يشعر إلا بأنس قد مرّ في آثارهم ، فتقدّم حتى وثب عليه فأسره ، فأتى به عتيبة أصحابه ، فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثة فدفعاه إليك فضربت عنقه ؛ فأعقبهما في أنس بن عباس ، فمن قتلته خير من أنس . فأبى عتيبة أن يفعل ذلك حتى اقتدى أنس نفسه بمائتي بعير . فقال العباس بن مرداس يعير عتيبة بن الحارث بفعله : [من الكامل]

كثُر الضجّاجُ وما سمعتُ بغادرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب
جلّلت حنظلة المخانة والخنا ودينست آخر هذه الأحقاب²
وأسرتُم أنساً فما حاولتُم بإسار جارِكم بني الميقاب

الميقاب : التي تلد الحمقى . والوقب : الأحمق . [من الكامل]

باستِ التي ولدتك واستِ معاشرِ تركوك تمرسهم من الأحسابِ

فقال عتيبة بن الحارث : [من الوافر]

غدرتُم غدرَةً وغدرتُ أخرى فليسَ إلى توافينا سبيلُ
كانتكم غداة بني كلابٍ - تفاقدتُم - عليّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتُم ، دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً .

1 الشجاء : الأرض الكثيرة الشجر .

2 المخانة : الخيانة .

صوت

[من الطويل]

وبالعُفْر دارٌ مِن جميلة هيجت سولفَ حُبٍّ في فؤادكَ مُنْصِبِ
 وكنتَ إذا ناءت بها غربة النوى شديدَ القوى لم تدر ما قولُ مِشْغَبِ
 كريمة حُرٍّ الوجه لم تدعُ هالِكاً من القوم هُلكاً في غدي غير مُعْغِبِ
 أسيلةٌ مَجْرَى الدَّمعِ خُمَصَانَةُ الحشا بَرُوقِ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشْرَعِبِ

العُفْر : منازل لقيس بالعالية . سولف : مواضع . يقول : هيجتُ حباً قد كان تُمُّ انقطع . ومُنْصِب : ذو نصب . ونأت وناءت وبانت بمعنى واحد ، أي بعدت . ومِشْغَب : ذو شَغَب عليك وخلافٍ في حبها . ويروى : «مشعب» أي متعدّد يصرفك عنها . وقوله : «لم تدعُ هالِكاً» أي لم تندبْ هالِكاً هلك فلم يُخْلَفْ غيره ولم يُعْقَب . ومعنى ذلك أنها في عديد وقوم يخلفُ بعضهم بعضاً في المكارم ، لا كَمَن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يَقُمْ أحدٌ منهم مقامه . والمشرعب : الجسم الطويل . والشَّرْعبيّ : الطويل .

الشعر لطيفيل الغنوي¹ ، والغناء لجميلة ثقيّل أوّل بالوسطى عن الهشامي . وذكره حماد عن أبيه أنه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أن هذا أحسن صوتٍ صنعتَه جميلة .

1 ديوان الطفيل الغنوي (تحقيق محمد عبد القادر أحمد - دار الكتاب الجديد) : 17-18 .

[304] - نسب الطفيل الغنوي وأخباره¹

قال ابن الكلبي : هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبَيْس بن خُلَيْف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنَم بن غَنِي بن أَعْصَر بن سعد بن قيس بن عيلان . ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف بن ضبيس فإنه لم يذكر خلفاً وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غني عمرو ، واسم أَعْصَر منه ، وإنما سُمِّيَ أَعْصَر لقوله :

قالت عُميرةُ ما لرأسِكَ بعدما فُقدَ الشبابُ أتى بلونٍ منكِرٍ
أَعْمِرُ إنَّ أباكِ غيرَ رأسه مرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ
فسميَ بذلك .

وطفيلٌ شاعر جاهليٌّ من الفحول المعدادين ، ويكنى أبا قُرَّان ، يقال إنه من أقدم شعراء قيس . وهو من أوصف العرب للخيـل .
[نعات الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَفَ الخزاعي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب الأنصاري قال : قال لي عمي : إن رجلاً من العرب سَمِعَ الناسَ يتذاكرون الخيلَ ومعرفتها والبَصَرُ بها ، فقال : كان يقال إن طفيلاً رَكِبَ الخيلَ ووليها لأهله ، وإن أبا دُوَادٍ الأياديَّ ملكها لنفسه ووليها لغيره ، كان يليها للملوك ، وأن النابغة الجعدي لما أسلمَ الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحذثوا ووصفوا الخيلَ ، فسمِعَ ما قالوه فأضافه إلى ما كان سَمِعَ وعَرَفَ قبل ذلك في صفة الخيل . وكان هؤلاء نَعَاتَ الخيل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ، قال حدثني عمي قال : كان طفيلٌ أكبر من النابغة ، وليس في قيس فحلٌّ أقدم منه .

قال : وكان معاوية يقول : خلُّوا لي طفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء .

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال : حدثنا محمد بن حبيب قال : كان طفيلٌ الغنوي يُسمَّى «طفيلَ الخيل» لكثرة وصفه إياها .

1 للطفيل بن كعب الغنوي ترجمة في الشعر والشعراء : 364-365 والمؤتلف والمختلف : 207 والسمط : 210 وخزانة البغدادى : 9 : 45-46 .

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية ، قال : حدثني الرياشي قال :
حدثني الأصمعي قال : كان أهل الجاهلية يسمون طفيلاً الغنوي «المحبر» ؛ لحسن وصفه
الخيال .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طفيلٌ
الغنوي ، والنابغة الجعدي ، وأبو ذؤاد الإيادي ، أعلم العرب بالخيال وأوصفهم لها .
[أعف بيت وأجود بيت في الحرب والصبر]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال : حدثنا العمري عن لقيط قال : قال
قتيبة بن مسلم لأعرابي من غني قديم عليه من خراسان : أي بيت قالته العرب أعف ؟ قال :
قول طفيل الغنوي¹ :

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه لقد علمت بأن الزاد مأكول
قال : فأأي بيت قالته العرب في الحرب أجود ؟ قال : قول طفيل² :

بحي إذا قيل اركبوا لم يقل لهم عواوير يخشون الردى أين نركب
قال : فأأي بيت قالته العرب في الصبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنوي : [من الطويل]

ومن خير ما فينا من الأمر أننا متى ما نوافي موطن الصبر نصبر
قال : فقال قتيبة : ما تركت إخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم³ :

وإن أناس ما تزال سوامنا تنور نيران العدو مناسمه
وليس لنا حي نضاف إليهم ولكن لنا عود شديد شكائمه
حرام وإن صليته ودهنته تأوده ما كان في السيف قائمه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيل في وقعة أوقعها قومُه بطيء ، وحرب كانت
بينه وبينهم .
[غزوه لطيء]

وذكر أبو عمرو الشيباني والطوسي فيما رواه عن الأصمعي وأبي عبيدة : أن رجلاً من
غني ، يقال له قيس الندامي ، وقد على بعض الملوك ، وكان قيس سيّداً حواداً ، فلما حفل

1 ديوانه : 58 .

2 ديوانه : 42 . والعواوير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان السريع إلى الفرار .

3 جاء البيتان الأول والثاني في ديوان طفيل : 112-113 ولم يرد الثالث ، مع أن النص هنا يقطع بأن الأبيات
لرجل من باهلة ، ولم يشر محقق الديوان إلى شيء من ذلك .

المجلسُ أقبلَ الملكَ على مَنْ حضره من وفود العرب فقال : لأَضَعَنَّ تاجي على أكرم رجلٍ من العرب . فوضعه على رأسِ قيس وأعطاه ما شاء ، ونادته مُدَّة ، ثم أذن له في الانصراف إلى بلده . فلمَّا قَرُبَ من بلاد طيٍّ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ، فلقوه برَّمان فقتلوه . فلمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ قيس ندموا لأيديه كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً . ثم إنَّ طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغارَ على طيٍّ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قتلى كثيرة . وكانت هذه الواقعة بين القنان وشرقي سَلَمَى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة¹ : [من الطويل]

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ مِنَ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ²
فِي الْقَتْلِ قَتْلُ وَالسَّوَامِ بِمَثَلِهِ وَبِالشَّلِّ شَلُّ الْغَائِطِ الْمَتَّصِبِ³

أخبرني علي بن الحسن بن علي قال : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ جَزَعَ عَلَيْهِ الْحَجَّاجُ جَزَعاً شَدِيداً ، وَدَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَعْزُونَهُ وَيَسْلُونَهُ ، وَهُوَ لَا يَسْلُو وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا جَزَعاً وَتَفْجُعاً ، وَكَانَ فِيمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ الْحَجَّاجُ قَتَلَ ابْنَهُ الزَّاوِيَةَ ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهُ وَقَلَّةَ ثَبَاتِهِ لِلْمَصِيبَةِ شَمِتَ بِهِ وَسُرَّ لَمَّا ظَهَرَ لَهُ مِنْهُ ، وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ طُفَيْلٍ :

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ مِنَ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ طُفَيْلٌ :

تَرَى الْعَيْنُ مَا تَهْوَى وَفِيهَا زِيَادَةٌ مِنَ الْيُمْنِ إِذْ تَبْدُو وَمَلْهُىً لِلْمَلْعَبِ
وَبَيْتٌ تَهْبُّ الرِّيحُ فِي حَجَرَاتِهِ بِأَرْضٍ فُضَاءَ بَابِهِ لَمْ يَحْجُبِ⁴
سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مُحَجَّرٍ وَصَهْوَتُهُ مِنْ أُنْحَمِيٍّ مَعْصَبِ⁵

[أكرم بيت وصفته العرب]

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال : حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ عَنْ الْعَتَبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لَوْلَدِهِ وَأَهْلِيهِ : أَيُّ بَيْتٍ ضَرَبْتَهُ الْعَرَبُ عَلَى عَصَابَةٍ وَوَصَفْتَهُ أَشْرَفُ حِوَاءٍ ، وَأَهْلًا وَبَنَاءٍ ؟ فَقَالُوا فَأَكْثَرُوا ، وَتَكَلَّمُ مِنْ حَضَرَ فَأَطَالُوا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَكْرَمُ بَيْتٍ وَصَفْتَهُ الْعَرَبُ بَيْتَ طُفَيْلٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

1 هذه البائية أولى قصائد الديوان وتتألف من 77 بيتاً (17-36) .

2 التحوب : التوجع .

3 الغائط : يقال غاط في الوادي إذا ذهب إليه . والتصويب : الانحدار .

4 الحجرات : النواحي ، مفردها حجرة .

5 صهوته في ل : وسائره .

وبيت تهبُّ الرِّيحُ في حَجَرَاتِهِ بأَرْضٍ فضاءٍ بَابُهُ لم يَحْجَبِ
سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مَجْبَرٍ وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مَعْصَبٍ¹
وَأَطْنَابُهُ أَرْسَانُ جُرْدٍ كَأَنَّهَا صُدُورُ الْقَنَا مِنْ بَادِيٍّ وَمَعْصَبٍ²
نَصَبْتُ عَلَى قَوْمٍ تُدِيرُ رِمَاحَهُمْ عُرُوقُ الْأَعَادِي مِنْ غَرِيرٍ وَأُشْبَبِ
[طفيل يَمَنَ عَلَى قَبِيلَتَيْنِ]

وقال أبو عمرو الشيباني: كانت فزارة لقيت بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من مُحارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم أدركتهم غنيٌّ فاستنقذتهم، فلما قُلت طيئ قيس الندامي، وقتلت بنو عبس هريم بن سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلان بن غنم بن غني، وكان فارساً حسيباً قد ساد ورأس، قتله ابن هذم العبسي طريد الملك، فقال له الملك³: كيف قتله؟ قال: «حملت عليه في الكبة، وطعنته في السبة، حتى خرج الرِّيح من اللبة⁴. وقُتل أسماء بن واقد بن رُفيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلان، وهو من النجوم، وحصن بن يربوع بن طريف وأُمهم جندع بنت عمرو بن الأغَر بن مالك بن سعد بن عوف. فاستغاثت غنيُّ بني أبي بكر وبني محارب فقعدها عنهم. فقال طفيل في ذلك يَمَنُ عليهم بما كان منهم في نصرتهم، ويرثي القتل، قال⁵:

تَأَوَّنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبُ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أُكْذِبُ
تَتَابَعَنَ حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي رِيَّةٌ وَلَمْ يَكُ عَمَّا خَبَرُوا مُتَعَقِبُ⁶
وَكَانَ هُرَيْمٌ مِنْ سِنَانٍ خَلِيفَةٌ وَحَصْنٍ وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
وَمِنْ قَيْسٍ الثَّأْوِي بِرَمَانٍ بَيْتُهُ وَيَوْمَ حَقِيلٍ فَادَّ آخِرُ مُعْجِبُ⁷
أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ كَأَنَّهُ فَتَيْقُ هِجَانٍ فِي يَدَيْهِ مُرْكَبُ⁸

1 سَمَاوَتُهُ: أعلاه. الأَتْحَمِي المَعْصَب: ضرب من برود اليمن.

2 البَادِيء: الذي غزا أول غزوة. والمَعْصَب: الذي غزا مراراً.

3 هو النعمان بن المنذر كما في اللسان (سبب).

4 الكبة: الحملة في الحرب. والسبة: الإلست. واللبة: وسط الصدر والمنحر.

5 ديوان: 37-40.

6 الديوان: تظاهرن. ولم يك... متعقب: لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب ما ظهر.

7 رَمَان: الموضع الذي قتل فيه قيس الندامي كما تقدم. وحَقِيل: موضع في بلاد بني أسد. وفاد: مات.

8 لم يرد هذا البيت في الديوان. والفَيْق: الفحل المكرم.

رَبَّ السَّهْبِ مِمُّونُ النَّقِيَّةِ قَوْلُهُ لِمَلْتَمَسِ الْمَعْرُوفِ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

صوت

كَوَاكِبُ دَجَنٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبٌ بَدَا وَانْجَلَتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوَكَبٌ
الغناء لسليم أَخِي بَابُوهِ ، ثاني ثَقِيلٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَذَكَرْتُ مِنْهَا
هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مِنْ أَجْلِ الْغِنَاءِ الَّذِي فِيهَا . وَمِنْ مَخْتَارِ مَرَثِيَّتِهِ فِيهَا قَوْلُهُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

لِعَمْرِي لَقَدْ خَلَّى ابْنُ جَنْدَعٍ ثَلَمَةً وَمَنْ أَيْنَ إِنْ لَمْ يَرَأْبِ اللَّهُ تُرَابُ¹
نَدَامَايَ أَمْسَوْا قَدْ تَخَلَّيْتُ عَنْهُمْ فَكَيْفَ أَلَذُّ الْخَمْرِ أَمْ كَيْفَ أَشْرَبُ
مَضَوْنَا سَلَفًا قَصَدَ السَّبِيلَ عَلَيْهِمْ وَصَرَفَ الْمَنَايَا بِالرُّجَالِ تَقَلَّبُ

صوت

[مِنَ السَّرِيعِ]

فَدَيْتَ مَنْ بَاتَ يَغْنِينِي وَبَتُّ أَسْقِيهِ وَيَسْقِينِي
ثُمَّ اصْطَبَحْنَا قَهْوَةً عَتَّقَتْ مِنْ عَهْدِ سَابُورَ وَشِيرِينَ²

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرَعَةِ ، وَلَحْنُهُ فِيهِ رَمْلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، لَا
نَعْرِفُ لَهُ صِنْعَةً غَيْرَهُ .

1 ابن جندع في الديوان : ابن خندع .

2 وشيرين في ل : وشروين .

[305] - نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويكنى أبا جعفر ، ويلقب وجه القرعة .

وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة . وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته ، وكان حسن الأداء طيب الصوت ، لا علة فيه ، إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج بسبب لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحس في جنس من الأجناس فلا يصح له بته . [إسحاق يثنى عليه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه عن أبيه ، أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند عمه هارون بن عيسى ، وعنده محمد بن الحسن بن مصعب ، قال : فأتانا محمد بن حمزة وجه القرعة ، فسر به عمي . وكان شرس الخلق أبي النفس ، فكان إذا سئل الغناء أباه ، فإذا أمسك عنه كان هو المبتدئ به ، فأمسكنا عنه حتى طلب العود فأتني به فغنى ، وقال :

مرّ بي سرب طيلاء رائحات من قباء

قال : وكان يحسبه ويحيده ، فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرتال ثم قال : أحسنت يا غلام ، هذا الغناء لي وأنت تتقدمني فيه ، ولا يُخلق الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه .

[مخارق يعجب بغنائه]

قال : وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه قال : كنّا في البستان المعروف ببستان خالص النصراني ببغداد ، ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة ، فيغني قوله : [من مجزوء الكامل]

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهد يميني

فإذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح : أحسنت يا أبا جعفر ، أحسنت والله ! فقلنا : اصعد إلينا كائناً من كنت . فصعد وقال : لو منعموني من الصعود لما امتنعت . ثم سقر اللثام عن وجهه فإذا هو مخارق ، فقال : يا أبا جعفر أعذ علي صوتك . فأعاده فشرب رطلاً من شرابنا وقال : لولا أنني مدعو إلى خدمة الخليفة لأقمت عندكم واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر ، غب المطر .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

[من مجزوء الكامل]

منها :

صوت

مَرَّ بِـي سِرْبُ ظِلَاءِ رَائِحَاتٍ مِنْ قُبَاءِ
 زُمَرًا نَحْوَ الْمَصْلَى يَتَمَشَّيْنَ حِذَائِي
 فَتَجَاسَرْتُ وَالْقَيْدُ تُ سَرَابِيلَ الْحَيَاءِ
 وَقَدِيمًا كَانَ لَهْوِي وَفُتُونِي بِالنِّسَاءِ

الغناء لإسحاق تما لا يشك فيه من صنعته ، ولحنه من ثقل أول مطلق في مجرى الوسطى .
 وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجده يحيى . وذكر حبش أن فيه لابن جامع ثاني ثقل بالوسطى .
 ومنها¹ :

صوت

يَا بَشْرُ إِنِّي فَاعِلْمِي وَاللَّهِ مُجْتَهِدًا يَمِينِي
 مَا إِنْ صَرَمْتُ حِيَالَكُمْ فَصِلِي حِبَالِي أَوْ ذَرِينِي
 اسْتَبْدَلُوا طَلَبَ الْحِجَا زِي وَسُرَّةَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ
 بِحَدَائِقِي مُحْفَوْفَةٍ بِالْبَيْتِ مِنْ عِنَبٍ وَتِينِ
 يَا دَارُ أَقْفَرِ رَسْمُهَا بَيْنَ الْحَصْبِ وَالْحَجُونِ
 أَقْوَتُ وَغَيْرَ آيَهَا طُولُ التَّقَادُمِ وَالسِّنِينَ

الشعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأول ، رمل بالوسطى ،
 ولابن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقل أول بالنصر .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني محمد بن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد
 قال : حدثني الفضل بن المغنّي ، عن محمد بن جبر قال : دخلنا على إسحاق بن إبراهيم
 الموصلي نعوذه من علة كان وجدها ، فصادفنا عنده مخارقاً ، وعُلُوِيه ، وأحمد بن المكي وهم
 يتحدثون ، فأتصل الحديث بينهم ، وعرض إسحاق عليهم أن يقيموا عنده ليتفرج بهم ،
 ويُخرج إليهم سِتَارَتَهُ يَغْنُونُ مِنْ وَرَائِهَا . ففعلوا وجاء محمد بن حمزة وجه القرعة على تفتة

ذلك فاحتبس إسحاق معهم ، ووُضِعَ النبيذُ وغَنُوا ، فغَنَّى مخارقٌ أو غُلُوِيَه صوتاً من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفي صانعه ، وطال مِرَاوُهُما في ذلك ، وإسحاقٌ ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد . وراجعهُ علويهُ ، فقال له إسحاق : حسبك ، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسِهِ منه . ثم غَنَّى أحمد بن يحيى المكيّ قوله :

قُلْ لِلْجُمَانَةِ لَا تَعْجَلْ بِإِسْرَاجِ

فقال محمد : هذا اللَّحْنُ لمعبد ولا يُعرف له هَزَجٌ غيره . فقال أحمد : أَمَا على ما شَرَطَ أبو محمَّدَ آتِفاً من أَنَّهُ ليس في الجماعة أدرى بما يَخْرُجُ من رأسِهِ منك فلا مُعَارَضَ لَكَ . فقال له إسحاق : يا أبا جعفر ، ما عَنَيْتُكَ والله فيما قلتُ ، وَلَكِنْ قد قال إِنَّهُ لا يُعرفُ لمعبدٍ هَزَجٌ غير هذا ، وكَلْنَا نعلم أَنَّهُ لمعبد ، فأَكْذِبُهُ أَنْتَ بهَزَجٍ آخَرَ له مِمَّا لا يُشَكُّ فيه . فقال أحمد : ما أَعْرِفُ .

نسبة هذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحَدَّثَنِي إسحاق الهاشمي عن أبيه : أَنَّ محمداً دخلَ معه على إسحاق الموصلي مهتئاً له بالسلامة من عِلَّةٍ كان فيها ، فدَعَا بَعُودَ ، فأمر به إسحاقُ فدَفَعَ إلى محمد ، فغَنَّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم ، وأصواتاً لإسحاق ، في إيقاعاتٍ مختلفة . فوجَّه إسحاقُ خادماً بين يديه إلى جوارِي أبيه ، فخرَجْنَ حَتَّى سَمِعْنَهُ من وراء حجاب ، ثم ودَّعَهُ وانصرف ، فقال إسحاقُ للجواري : ما عندكنَّ في هذا الفتى ؟ فقلن : ذَكَرْنَا والله أَباك فيما غَنَّا . فقال : صَدَقْتَن . ثم أَقبلَ علينا فقال : هو مغنٌّ مُحْسِنٌ ، ولكنَّهُ لا يصلحُ للمطارحة لكثرة زوائده ، ومثله إذا طارَحَ جَسَرَ الذي يأخُذُ عنه فلم ينتفع بِهِ ، ولكنَّهُ ناهيك به مِنْ مغنٍّ مُطْرَب .

[يصلح غناء جوارِي مخارق]

قال إسحاق : وحَدَّثْتُ أَنَّهُ صار إلى مخارقٍ عائداً ، فصادف عنده المغنِّين جميعاً ، فلَمَّا طَلَعَ تغامَزُوا عليه ، فسَلَّمَ على مخارق وسأله به ، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له : يا أبا جعفر ، إِنَّ جوارِيكَ اللواتي في مِلْكي قد تَرَكْنَ الدَّرْسَ من مُدَّةٍ ، فَأُجِبُ أَنْ تدخلَ إليهم وتأخذَ عليهنَّ وتُصلِحَ من غنائهنَّ . ثم صاحَ بالخدم فسَعَوْا بين يديه إلى حُجْرَةِ الجواري ، ففعلَ ما سأله مخارق ، ثم خرجَ فأعْلَمَهُ أَنَّهُ قد أتى ما أَحَبَّهُ ، والتفت إلى المغنِّين فقال : قد رأيتُ غَمَزَكم ، فهل فيكم أحدٌ رضيَ أبو المَهْنا أعزَّهُ اللهُ حِذْقَهُ وأدبَهُ وأمانته ، ورضيَهُ لجواريهِ غَيْرِي ؟ ثم ولَّى فكأَنما أَلْقَمَهُمْ حَجْراً ، فما أجابه أحد .

صوت¹

[من الكامل]

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى تَابَّدَ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيُ سِلَامُهَا²
فَاقْنَعُ بِمَا قَسَمَ الْإِلَهِ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا

عروضه من الكامل . عفت : درست . ومِنَى : موضعٌ في بلاد بني عامر ، وليس مِنَى مكة . تابَّدَ : توحَّشَ . والغول والرَّجَام : جَبَلَانِ بِالْحِمَى . والرَّيَّان : وادٍ . مدافعه : مجاري الماء فيه . وعُرِّيَ رسمها ، أي تُرك وارتحل عنه . يقول : عُرِّيَ من أهله . وسيلامها : صُخُورها ، واحداً منها سَلَمَة .

الشعر للبيد بن ربيعة العامري ، والغناء لابن سُرَيْج ، رملٌ بالسبابة في مجرى البُصير عن إسحاق ، وفيه لابن مُحَرِّز خفيف رملٍ أَوَّلٌ بالوسطى عن حَبَش ، وذكر الهشامي إن فيه رملًا آخرً للهندي في الثالث والأوَّل .

1 هذه الأبيات من معلقة لبید .

2 الوحي : الكتابة .

[306] - نسب لييد وأخباره¹

[نسبه]

هو لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .
وكان يقال لأبيه «ربيعُ المقتيرين» لجوده وسخائه . وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، سُمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه² :
[من الطويل]

فلاعِبَ أطرافَ الأسنةِ عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ
وأمُّ لييد تامرة بنت زنباع العبسية ، إحدى بنات جدِّيمة بن رَواحة .

[صفات لييد]

ولييدٌ أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممن أدرك الإسلام ، وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفُرسان القُرَاء المعمرين ، يقال إنه عمُّ مائة وخمسة وأربعين سنة .
أخبرني بخبره في عمِّه أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم ؛ وأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن علي بن الصباح ، عن ابن الكلبي ، وعن علي بن المسور عن الأصمعي ، وعن المدائني وعن رجالٍ ذكرهم ، منهم أبو اليقظان وابن دأب ، وابن جعدبة ، والوقاصي .

أنَّ لييد بن ربيعة قدِّم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل ، فأسلمَ وهاجر وحسُن إسلامه ، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأقام بها . ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية ، فكان عمره مائة وخمسة وأربعين سنة ، منها تسعون سنة في الجاهلية ، وبقيتها في الإسلام .

1 ترجمة لييد في الشعر والشعراء : 194-204 وطبقات ابن سلام : 113 وخزانة البغدادى 2 : 246-257 وطبقات ابن سعد والاستيعاب وأسَد الغابة والإصابة ومقدمة ديوان لييد (إحسان عباس - الكويت) وإليه نشير .

2 ديوان أوس : 58 .

[توقيته مراحل عمره]

قال عمر بن شبة في خبره : فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم أن لبيداً قال حين بلغ سبعا وسبعين سنة¹ :

قامت تشكّي إلى النفس مُجهشةً وقد حَمَلَتْكَ سبعا بعد سبعينا
فإن تُزادِي ثلاثاً تبُلُغي أملاً وفي الثلاثِ وفاء للثمانينا
فلما بلغ التسعين قال² :

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً خلعتُ بها عن منكبّي ردائيا
فلما بلغ مائة وعشراً قال³ :

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملِ عشرٍ بعدها عُمرٌ
فلما جاوزها قال⁴ :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا الناسِ كيفَ لبيدٌ
غلبَ الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ دهر طویلٌ دائمٌ ممدودٌ
يوماً أرى يأتي عليّ ليلةٌ وكلاهما بعدَ المضاء يعودُ
وأراه يأتي مثلَ يومٍ لقيتهُ لم يُتَقَصَّ وضعُفْتُ وهو يزيدُ

[خبره مع الربيع بن زياد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا الأصمعي قال : وفد عامر بن مالكٍ ملاعبُ الأسنة ، وكان يكنى أبا البراء ، في رهطٍ من بني جعفر ، ومعه لبيدٌ بن ربيعة ، ومالكٌ بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمٌ لبيد ، على النعمان ، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ، وأمه فاطمة بنت الخرشب ، وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجلٍ من تجار الشام يقال له زرجون بن توفيل ، وكان حريفاً للنعمان يُبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والندام ، فاستخفّه النعمان ؛ وكان إذا أراد أن يخلو على شرايه بعثَ إليه وإلى النطاسي : متطبّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد فخلّا بهم . فلما قديم الجعفريون كانوا

1 ديوانه : 352 .

2 لم يرد هذا البيت في الديوان .

3 ديوانه : 350 .

4 ديوانه : 35 مع بعض اختلاف .

5 حريف الرجل : الذي يعامله في حرفته .

يَحْضُرُونَ النُّعْمَانَ لِحَاجَتِهِمْ ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ خَلَا بِهِ الرَّبِيعُ فَطَعَنَ فِيهِمْ وَذَكَرَ مَعَايِهِمْ . وَكَانَتْ بَنُو جَعْفَرٍ لَهُ أَعْدَاءٌ ، فَلَمْ يَزَلْ بِالنُّعْمَانِ حَتَّى صَدَّ عَنْهُمْ . فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا فَرَأَوْا مِنْهُ جَفَاءً ، وَقَدْ كَانَ يُكْرِمُهُمْ وَيُقَرِّبُهُمْ . فَخَرَجُوا غَضَابًا وَلَبِيدًا مُتَخَلِّفٌ فِي رِحَالِهِمْ يَحْفَظُ مَتَاعَهُمْ ، وَيَغْدُو بِإِبِلِهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ يَرَعَاهَا ، فَأَتَاهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَكْتَمُوهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعِيرًا أَوْ تُخْبِرُونِي فِيمَ أَنْتُمْ ؟ وَكَانَتْ أُمُّ لَبِيدٍ يَتِيمَةً فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ ، فَقَالُوا : خَالِكَ قَدْ غَلَبْنَا عَلَى الْمَلِكِ وَصَدَّ عَنَّْا وَجْهَهُ . فَقَالَ لَبِيدٌ : هَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَرْجُرَهُ عَنْكُمْ بِقَوْلِ مُبِضٍّ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ أَبَدًا ؟ فَقَالُوا : وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالُوا : فَإِنَّا نَبْلُوكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : تَشْتَمُ هَذِهِ الْبَقْلَةَ ، وَقَدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْوَرَقِ ، لاصِقَةٌ بِالْأَرْضِ ، تَدْعَى التَّرْبَةَ¹ ، فَقَالَ : «هَذِهِ التَّرْبَةُ الَّتِي لَا تُذَكِّي نَارًا وَلَا تُؤْهِلُ دَارًا ، وَلَا تَسُرُّ جَارًا ، عَوْدُهَا ضَّئِيلٌ ، وَفِرْعَاهَا كَلِيلٌ ، وَخَيْرُهَا قَلِيلٌ ، أَقْبَحُ الْبَقُولِ مَرْعَى ، وَأَقْصَرُهَا فِرْعَا ، وَأَشَدُّهَا قَلْعًا . بَلَدُهَا شَاسِعٌ ، وَآكَلُهَا جَائِعٌ ، وَالْمَقِيمُ عَلَيْهَا قَانِعٌ ، فَالْقَوَا بِي أَخَا عَبَسَ ، أَرَدَهُ عَنْكُمْ بَتَّعَسَ ، وَأَتْرَكَهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي لَبْسٍ» . قَالُوا : نَصْبَحُ وَنَرَى فَيْكَ رَأَيْنَا . فَقَالَ عَامِرٌ : انظُرُوا إِلَى غَلَامِكُمْ هَذَا ، يَعْنِي لَبِيدًا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ نَائِمًا فَلَيْسَ أَمْرُهُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ سَاهِرًا فَهُوَ صَاحِبُهُ . فَرَمَقُوهُ فَوَجَدُوهُ وَقَدْ رَكِبَ رَحْلًا وَهُوَ يَكْدُمُ² وَسَطَهُ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَقَالُوا : أَنْتَ وَاللَّهِ صَاحِبُهُ . فَعَمَدُوا إِلَيْهِ فَحَلَقُوا رَأْسَهُ وَتَرَكَوا ذَوَاتِهِ ، وَالْأَبْسُوهُ حُلَّةً ثُمَّ غَدَا مَعَهُمْ وَأَدْخَلُوهُ عَلَى النُّعْمَانِ ، فَوَجَدُوهُ يَتَغَدَّى وَمَعَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ ، وَهُمَا يَأْكُلَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا ، وَالذَّارُ وَالْمَجَالِسُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْوُفُودِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْغَدَاءِ أَذِنَ لِلْجَعْفَرِيِّينَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أَمْرُهُمْ تَقَارَبَ ، فَذَكَرُوا الَّذِي قَدِمُوا لَهُ مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَاعْتَرَضَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ فِي كَلَامِهِمْ ، فَقَالَ لَبِيدٌ فِي ذَلِكَ³ : [مِنْ الرَّجْزِ]

أَكَلْتُ يَوْمَ هَامَتَنِي مَقَزْعَةٌ	يَا رَبُّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرْبَعَةِ	سَيُوفُ حَزٍّ وَجَفَانٍ مُتَرَعَةٍ
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ	الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ ⁴

1 التربة : شجرة شاكاة ثمرتها كاليسرة المعلقة (اللسان - ترب) .

2 يكدم : يعض .

3 ديوانه : 340-343 .

4 الخيضة : الغبار والمركة واختلاف الأصوات في الحرب . وقيل هي البيضة .

والمطمعون الجفنة المددعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه¹
 إن استه من برص ملّمعه وإنه يدخل فيها إصبعة²
 يدخلها حتى يوارى أشجعة كآته يطلب شيئاً ضيعة³

فرفع النعمان يده من الطعام وقال : خبثت والله عليّ طعامي يا غلام ؛ وما رأيت كالיום .
 فأقبل الربيع على النعمان فقال : كذب والله ابنُ الفاعلة³ ، ولقد فعلتُ بأمّك كذا وكذا . فقال
 له لبید : مثلك فعل ذلك بريئة أهله والقريبة من أهله ، وإن أمي من نساء لم يكن فواعل ما
 ذكرت . وقضى النعمان حوائج الجعفرين ، ومضى من وقته وصرفهم ، ومضى الربيع بن
 زياد إلى منزله من وقته . فبعث إليه النعمان بضعة ما كان يحبوه ، وأمره بالانصراف إلى
 أهله . فكتب إليه الربيع : إني قد عرفتُ أنه وقع في صدرك ما قال لبید ، وإنني لستُ
 بارحاً حتى تبعث إليّ من يجردني فيعلم من حضرَكَ من الناس أني لست كما قال لبید . فأرسل
 إليه : إنك لست صانعاً بانتفاؤك مما قال لبید شيئاً ، ولا قادراً على ردّ ما زلت به الألسن ،
 فالحق بأهلك . فلاحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بآيات شعر قالها ، وهي : [من البسيط]

لئن رحلت جمالي لا إلى سعة
 بحيث لو وردت لخم بأجمعها
 ترعى الروائم أحرار البقول بها
 فاثبت بأرضك بعدي واخُل متكئاً
 ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
 لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا⁴
 لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلا⁵
 مع النطاسي طوراً وابن توفيلاً

فأجابه النعمان بقوله :

شرذ برحلك عني حيث شئت ولا
 فقد ذكرت بشيء لست ناسيه
 تُكثير عليّ ودغ عنك الأباطيلا
 فما انتفاؤك منه بعد ما جرعت
 ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا
 هوج المطي به نحو ابن سمويلا⁶

1 المددعة : المملوءة .

2 الأشجع : أصل الإصبع .

3 ل : الحمق .

4 السمويل : طائر أو بلد كثير الطيور .

5 الروائم : التي تعطف على أولادها . وأحرار البقول : ما رق منها ورطب . والغسويل : نبت ينبت في السبخات .

6 جزعت : قطعت .

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قِيلاً¹
 فالحقُ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً فأنشر بها الطرفُ إن عرضاً وإن طُولا
 قال : وقال ليبد يهجو الربيعَ بنَ زياد ، ويزعمون أنها مصنوعة . قال : [من الرجز]
 ربيعُ لا يسقُكُ نحوي سائقُ فتطلبُ الأذحالُ والحقائقُ²
 ويُعلمُ المغيابَ به والسابقُ ما أنتَ إن ضمُّ عليك المازقُ
 إلّا كشيءٍ عاقه العوائقُ إنك حاسرُ حُسوةٍ فذائقُ
 لا بدّ أن يغمز منك العاتقُ غمزاً ترى أنك منه ذارقُ
 إنك شيخٌ خائنٌ منافقُ بالمخزياتِ ظاهرٌ مطابقُ
 [أظهر شعره بعد المعلقة]

وكان ليبد يقول الشعر ويقول : لا تُظهره ، حتى قال : [من الكامل]
 عَفَتِ الدِّيارُ محلُّها فمقامها
 وذكر ما صنع الربيع بن زياد ، وضمره بن ضمرة . ومن حضرهم من وجوه الناس ، فقال
 لهم ليبدٌ حينئذٍ : أظهروها .
 قال الأصمعيّ في تفسير قوله : الخيضة ، أصله الخضعة بغير ياء ، يعني الجلبة
 والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال في قوله «بالمخزياتِ ظاهر مطابق» : يقال طابق الدابة ، إذا
 وضع يديه ثم رفعهما فوضع مكانهما رجله ، وكذلك إذا كان يطأ في شوك . والمازق :
 المضيق . والنازق : الخفيف .
 نسخت من كتاب مروئي عن أبي الحكم قال : حدثني العلاء بن عبد الله الموقع قال :
 اجتمع عند الوليد بن عتبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم ليبدٌ ، فسأل ليبداً عما كان بينه
 وبين الربيع بن زياد عند النعمان ، فقال له ليبد : هذا كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله
 بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك ، وكانوا يرون لعزّة الأمير حقاً ، فجعل يحدّثهم ، فحسده
 رجلٌ من غنيّ فقال : ما عَلِمْنَا بهذا . قال : أجل يا ابن أخي ، لم يُدرك أبوك مثل ذلك ، وكان
 أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .
 [ما سمع من فخره في الإسلام]

أخبرني عمي قال حدّثنا الكرائي قال حدّثني العمريُّ قال : حدّثني الهيثم عن ابن عيّاش عن

1 المثل «قد قيل . . . إذا قِيلاً» في أمثال الضبيّ : 172 وجمهرة العسكري 2 : 118 ومستقصى الزمخشري 2 :
 191 وفصل المقال : 90 ، 92 .
 2 الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثائر .

محمد بن المنتشر قال : لم يُسمع من لبید فخره في الإسلام غير يوم واحد ، فإنه كان في رَحبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سَجَى نفسه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنيٍّ فقال : قَبَحَ اللهُ طُفَيْلاً حيث يقول¹ :

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حَيْثُ أَشْرَفَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِعِينَ فَرَلَّتْ
أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَّا تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا مَلَّتْ
فَذُو الْمَالِ مَوْفُورٌ وَكُلُّ مُعْصَبٍ إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَاتٍ وَأَظَلَّتْ²
وَقَالَتْ هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا وَتَنْجَلِيَّ الْغَمَاءِ عَمَّا تَجَلَّتْ

ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشف لبید الثوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخي ، إنك أدركت الناسَ وقد جعلت لهم شُرطةً يزْعون بعضهم عن بعض ، ودارُ رزقي تخرجُ الخادِمُ بجرايها فتأتي برزقي أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتهم ، ولو أدركت طُفَيْلاً يوم يقول هذا لم تَلَمُه . ثم استلقى وهو يقول : أَسْتَغْفِرُ الله . فلم يزل يقول : أَسْتَغْفِرُ الله ؛ حتى قام .
[سؤال عن أشعر العرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال : قال مرٌّ لبید بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوَكَّا على مِحْجَن له فبعثوا إليه رسولا يسأله عن أشعر العرب . فسأله فقال : الملك الضليل ذو القُروح . فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم من ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بني بكر . فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفه . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المِحْجَن ، يعني نفسه .
[شعره في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو عبيدة قال : لم يقل لبید في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، وهو³ :

1 ديوان الطفيل الغنوي : 98 .

2 المعصب : الذي يعصب بطنه من الجوع . صدر البيت في الديوان :
«هم خلطونا بالنفوس والجأوا»

3 قال ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 195 ، وعنه أخذه صاحب الخزائن وأضاف ابن قتيبة قال إن أبا اليقظان ، وهو : الحمد لله . . . وقال غيره ، بل هو :

ما عاتب المرء الكريم كنفه والمرء يصلحه المجلس الصالح

وفي الاستيعاب والإصابة ومعجم المرزباني أن البيت الأول لقردة بن نفاثة . والصواب أن لبیداً قال شعراً كثيراً في الإسلام كما يستدل من مراجعة قصائده . وانظر شعره فيما تقدم من ترجمته عندما بلغ المائة وعندما جاوزها ، وكان وقتئذ مسلماً . وانظر فيما بعد شعره عند احتضاره .

الحمدُ لله إذ لم يأتني أَجَلِي حتى لبستُ من الإسلام سِرْبَلا
أخبرني أحمد قال : أخبرني عمي قال : حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبّي قال : حدثنا
نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى
المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة : أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام .
فأرسل إلى الأغلب الرازي العجليّ ، فقال له : أنشدني . فقال : [من الرجز]

أَرْجَزاً تريدُ أم قصيداً لقد طلبتَ هيناً موجوداً

ثم أرسل إلى ليبيد فقال : أنشدني . فقال : إن شئت ما عُنِيَ عنه ، يعني الجاهلية ، فقال : لا ،
أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلني الله
هذه في الإسلام مكان الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة
وجعلها في عطاء ليبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أمير المؤمنين أنتقص
عطائي أن أعطتكَ ؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء ليبيد على ألفين وخمسمائة .

[معاوية يحاول إنقاص عطائه]

قال أبو زيد : وأراد معاوية أن ينقصه من عطائه لما ولي الخلافة ، وقال : هذان الفودان ،
يعني الألفين ، فما بال العلاوة ؟ يعني الخمسمائة . فقال له ليبيد : إنما أنا هامة اليوم أو غد ،
فأعزني اسمها ، فلعلني لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرق له وترك عطاءه على
حالهِ ، فمات ولم يقبضه .

[نحره كلما هبت صبا]

وقال عمر بن شبة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرني به
إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا : كان ليبيد من جوداء العرب ، وكان قد آلى في
الجاهلية أن لا تهبَّ صبا إلا أأطعم ، وكان له جفنتان يَغْدُو بهما ويروحُ في كلِّ يومٍ على
مسجد قومه فيطعمهم . فهبَّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعد الوليد المنبر
فخطب الناس ثم قال : إن أخاكم ليبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهبَّ صباً إلا أأطعم ،
وهذا يومٌ من أيامه ، وقد هبَّت صباً فأعينوه ، وأنا أولُّ من فعل . ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه
بمائة بكرة ، وكتب إليه بآياتِ قالها :

أرى الجزارَ يشحذُ شفرتيهِ إذا هبَّت رياحُ أبي عقيلٍ
أشمُّ الأنفَ أصيدُ عامري طويلُ الباعِ كالسيِّفِ الصَّقيلِ

وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِخَلْفَتِيهِ عَلَى الْعِلَاتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ¹
 يَنْحَرِ الْكُومَ إِذْ سُحِيتَ عَلَيْهِ ذِيُولُ صَبَأٍ تَجَاوَبُ بِالْأَصِيلِ
 فَلَمَّا بَلَغَتْ أَيْبَاتُهُ لَبِيدًا قَالَ لَابِنْتَهُ : أَجِيبِيهِ ، فَلَعِمَرِي لَقَدْ عَشْتُ بَرَهَةً وَمَا أُعْيَا بِجَوَابِ
 شَاعِرٍ . فَقَالَتْ ابْنَتَهُ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
 أَشَمَّ الْأَنْفِ أَرُوعَ عِبْشَمِيًّا أَعَانَ عَلَى مَرُوءَتِهِ لَبِيدَا
 بِأَمْثَالِ الْمَضَابِ كَأَنَّ رَكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعودَا
 أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحَرْنَاهَا فَاطْعَمْنَا الثَّرِيدَا
 فَعُدَّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنِّي يَا ابْنَ أَرُوى أَنْ تَعُودَا
 فَقَالَ لَهَا لَبِيدٌ : أَحْسَنْتَ لَوْلَا أَنَّاكَ اسْتَطَعَمْتِي . فَقَالَتْ : إِنَّ الْمَلُوكَ لَا يَسْتَحْيَا مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ .
 فَقَالَ : وَأَنْتِ يَا بُنَيَّةُ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ .

[سمع الفرزدق شعرًا له فسجد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الضَّبِّيُّ
 قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ يَعْلَى عَنِ الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَدِمَ الْفَرَزْدَقُ فَمَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي
 أَقْيَصِيرَ ، وَعَلَيْهِ رَجُلٌ يُنْشِدُ قَوْلَ لَبِيدٍ :

وَجَلَا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا
 فَسَجَدَ الْفَرَزْدَقُ فَقِيلَ لَهُ : مَا هَذَا يَا أَبَا فِرَاسٍ ؟ فَقَالَ : أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ سَجْدَةَ الْقُرْآنِ ، وَأَنَا
 أُعْرِفُ سَجْدَةَ الشَّعْرِ .

[سؤال عن أشعر الشعراء]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الثَّقَفِيُّ ، وَابْنُ عِيَّاشٍ ، وَمُسْعَرُ بْنُ
 كِدَامٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ أَرْسَلَهُ الْقَرَاءُ الْأَشْرَافُ ، قَالَ الْهَيْثَمُ :
 فَقُلْتُ لِابْنِ عِيَّاشٍ : مِنَ الْقَرَاءِ الْأَشْرَافِ ؟ قَالَ : سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدِ الْخَزَاعِيِّ ، وَالْمُسَيَّبُ بْنُ
 نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ ، وَخَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ الزُّهْرِيِّ ، وَمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ الْهَمْدَانِيُّ ، وَهَانِيٌّ بْنُ
 عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ ، إِلَى لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَفِي يَدِهِ مِحْجَنٌ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَقِيلٍ ،
 إِخْوَانُكَ يَقْرَءُونَكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُونَ : أَيُّ الْعَرَبِ أَشْعَرُ ؟ قَالَ : الْمَلِكُ الضُّلَيْلُ ذُو الْقُرُوحِ .

فَرُدُّونِي إِلَيْهِ وَقَالُوا : وَمَنْ ذُو الْقُرُوح ؟ قَالَ : امْرؤُ الْقَيْسِ . فَأَعَادُونِي إِلَيْهِ وَقَالُوا : ثُمَّ مَنْ ؟
 قَالَ : الْغَلَامُ ابْنُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ سَنَةً . فَرُدُّونِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ : وَمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : طَرْفَةٌ . فَرُدُّونِي إِلَيْهِ
 فَقُلْتُ . ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : صَاحِبُ الْمَحَجَّنِ حَيْثُ يَقُولُ¹ :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَيَا ذَنْ اللَّهَ رَبِّي وَعَجَلٌ
 أَحَدُ اللَّهِ وَلَا نِدًّا لَهُ يَدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلٌ
 مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعَمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلُّ

يعني نفسه . ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

[المتعصم يعجب بشعر ليبيد]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ ابْنِ الْبَوَّابِ قَالَ : جَلَسَ
 الْمُتَعَصِّمُ يَوْمًا لِلشَّرَابِ ، فَغَنَاهُ بَعْضُ الْمَغْنِيِّينَ قَوْلَهُ² :

وَبَنُو الْعَبَّاسِ لَا يَأْتُونَ «لَا» وَعَلَى أَلْسِنِهِمْ خَفْتُ «نَعَمْ»
 زِينَتُ أَحْلَامِهِمْ أَحْسَابُهُمْ وَكَذَاكَ الْحَلْمُ زَيْنٌ لِلْكَرْمِ

فَقَالَ : مَا أَعْرِفُ هَذَا الشَّعْرَ ، فَلِمَنْ هُوَ ؟ قِيلَ : لِلْبَيْدِ . فَقَالَ : وَمَا لِلْبَيْدِ وَبَنُو الْعَبَّاسِ ؟ قَالَ
 الْمَغْنِيُّ : إِنَّمَا قَالَ :

وَبَنُو الدَّيَّانِ لَا يَأْتُونَ

فَجَعَلْتُهُ «وَبَنُو الْعَبَّاسِ» . فَاسْتَحْسَنَ فَعَلَهُ وَوَصَلَهُ .

وَكَانَ يُعْجَبُ بِشَعْرِ لَيْبِيدٍ فَقَالَ : مَنْ مِنْكُمْ يَرُوي قَوْلَهُ :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النَّجُومُ الطَّوَالِغُ بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النَّجُومُ الطَّوَالِغُ
 فَقَالَ بَعْضُ الْجُلَسَاءِ : أَنَا . فَقَالَ : أَتَشِدُّنِيهَا . فَأَتَشَدُّ³ :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النَّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَّى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافٍ جَارٍ مَضْنَةٍ فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرِيدَةٍ نَافِعُ

فَبَكَى الْمُتَعَصِّمُ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ ، وَتَرَحَّمَ عَلَى الْمَأْمُونِ ، وَقَالَ : هَكَذَا كَانَ رَحِمَةُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ ! ثُمَّ انْدَفَعَ وَهُوَ يُشَدُّ بِأَقْيَمِهَا وَيَقُولُ :

[من الطويل]

1 ديوانه : 175 .

2 ديوانه : 352 .

3 ديوانه : 168 .

فلا جزعَ إن فرَّقَ الدهرُ بيننا
وما الناسُ إلَّا كالديارِ وأهلِها
وَيَمْضُونَ أرسالاً ونخلفَ بعدهم
وما المرءُ إلَّا كالشَّهابِ وضوئه
وما البرُّ إلَّا مُضْمَرَاتُ من التقى
أليسَ ورأيي إن تراختَ منيَّتي
أخبرَ أخبارَ القرونِ التي مَضَتْ
فأصبحتُ مثلَ السَّيفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ
فلا تَبْعَدَنَّ إنَّ المنيَّةَ مَوْعِدٌ
أعاذلُ ما يُدْرِكُ إلَّا تَظَنِّيَا
أتَجَزَّعُ مِمَّا أَحدثَ الدهرُ بالفِتي
لعمركَ ما تَدْرِي الضَّوَارِبُ بالحِصَى

قال : فعَجِبْنَا والله من حُسْنِ ألفاظه ، وصحَّةِ إنشاده ، وجودة اختياره .

[موقف عثمان بن مظعون]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدَّثنا محمد بن جرير الطبري قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازي قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بن المغيرة ، فتنكَّر يوماً في نفسه فقال : والله ما ينبغي لمسلم أن يكون آمناً في جوارِ كافر ورسولُ الله ﷺ خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أحبُّ أن تبرأ من جوارِي . قال : لعلَّه رابك ريب . قال : لا ، ولكن أحبُّ أن تفعل . قال : فاذهب بنا حتَّى أبرأ منك حيثُ أجرتك . فخرَجَ معه إلى المسجد الحرام فلَمَّا وَقَفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرتُه ثم سألتني أن أبرأ منه ، أكذاك يا عثمان ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أنّي منه بريء . قال : وجماعةٌ يتحدّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ

فقال له عثمان : صدقت . فقال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ

فقال عثمان : كذبت . فلم يذرِ القومُ ما عني . فأشار بعضهم إلى لبيد أن يُعيد ، فأعاد

فصدّقه في النصف الأوّل وكذّبه في الآخر ، لأنّ نعيم الجنّة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش ، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم . فقام أبيّ بن خلف أو ابنه فطعم وجه عثمان ، فقال له قائل : لقد كنت في مَنعةٍ من هذا بالأمس . فقال له : ما أحوَجَ عيني هذه الصّحيحة إلى أن يُصيّبها ما أصاب الأخرى في الله .

[بين الشعبيّ وعبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش قال : كتب عبدُ الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبيّ إليه ، فأشخصه فألزمه ولده ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدعاني يوماً في عليّته التي مات فيها فغصّ بلقمة وأنا بين يديه ، فتساندَ طويلاً ثم قال : أصبحتُ كما قال الشّاعر¹ :

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجةً خلعتُ بها عنّي عذارَ لجامٍ
إذا ما رأيَ النَّاسُ قالوا ألم يكنْ شديدَ محال البطش غيرَ كهامٍ
رمتني بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى وكيف بمن يُرمى وليس برامٍ
ولو أنّني أرمى بسهم رأيتُهُ ولكنّني أرمى بغيرِ سهامٍ

فقال الشعبيّ : فقلت : إنّ الله ، استسلم الرّجل والله للموت ! فقلتُ : أصلحك الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد :

باتت تشكّي إلى الموت مُجهشةً وقد حملتُك سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزادي ثلاثاً تبلغني أملاً وفي الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال :

كأنّي وقد جاوزتُ تسعينَ حجةً خلعتُ بها عن منكبّي رداثيا

فعاشَ إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال :

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملِ عشرٍ بعدها عُمرٌ

فعاشَ إلى أن بلغ مائة وعشرين سنة فقال :

ولقد سِمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا النَّاسِ كيفَ لبيدُ
غلبَ الرّجالَ وكان غير مغلّبٍ دهرٌ جديدٌ دائمٌ ممدودُ

يَوْمٌ أَرَى يَأْتِي عَلَيْهِ وَلَيْلَةٌ وَكِلَاهُمَا بَعْدَ الْمَضَاءِ يَعُودُ
فَفَرِحَ وَاسْتَبَشَرَ وَقَالَ : مَا أَرَى بِأَسْأَ ، وَقَدْ وَجَدْتُ خَفًّا¹ . وَأَمَرَ لِي بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ،
فَقَبَضْتُهَا وَخَرَجْتُ ، فَمَا بَلَغْتُ الْبَابَ حَتَّى سَمِعْتُ الْوَاعِيَةَ عَلَيْهِ² .
وَوَغْنَى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ الَّتِي أَوْهَا :

غَلَبَ الرِّجَالُ وَكَانَ غَيْرَ مَغْلَبٍ

عَمْرُ الْوَادِي خَفِيفَ رَمْلٍ مُطْلَقٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

[شهادة النابغة له]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ
مُسْلِمٍ عَنِ الْعَمْرِيِّ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ : نَظَرَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّ إِلَى لَبِيدِ بْنِ
رَبِيعَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ ، مَعَ أَعْمَامِهِ عَلَى بَابِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَنُسِبَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا
غَلَامُ ، إِنَّ عَيْنِيكَ لَعَيْنَا شَاعِرٍ ، أَفْتَقِرُضُ مِنَ الشُّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا عَمَّ . قَالَ : فَأَنْشِدْنِي
شَيْئًا مِمَّا قُلْتَهُ . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

أَلَمْ تَرَبِّعْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي³

فَقَالَ لَهُ : يَا غَلَامُ ، أَنْتَ أَشْعَرُ بَنِي عَامِرٍ ، زِدْنِي يَا بَنِي . فَأَنْشَدَهُ :

طَلَلْ لَخَوْلَةٍ بِالرُّسَيْسِ قَدِيمٌ

فَضْرَبَ بِيَدَيْهِ إِلَى جَنْبَيْهِ وَقَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ أَشْعَرُ مِنْ قَيْسٍ كُلِّهَا ، أَوْ قَالَ : هَوَازَنَ
كُلِّهَا .

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَمْرِيُّ عَنْ لَقِيطٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَحَمَّادُ الرَّائِيَةِ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَتَادَةَ الْحَارَبِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّابِغَةِ بِبَابِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، فَقَالَ لِي النَّابِغَةُ : هَلْ
رَأَيْتَ لَبِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ فِيمَنْ حَضَرَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَيُّهُمْ أَشْعَرُ ؟ قُلْتُ : الْفَتَى الَّذِي رَأَيْتَ مِنْ
حَالِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَقَالَ : اجْلِسْ بِنَا حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْنَا . قَالَ : فَجَلَسْنَا فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ
النَّابِغَةُ : إِلَيَّ يَا ابْنَ أَخِي . فَأَتَاهُ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

أَلَمْ تُلَمِّمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لَسَلَّمَى بِالْمَذَانِبِ فَالْقَفَالِ
فَقَالَ لَهُ النَّابِغَةُ : أَنْتَ أَشْعَرُ بَنِي عَامِرٍ ، زِدْنِي ، فَأَنْشَدَهُ :

[من الكامل]

1 الخف : الخفة .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 ربع : وقف .

طَلَّ لَخُولَةَ بِالرَّسَيسِ قَدِيمُ فَبِعاقلٍ فالأَنعمَينِ رُسومِ
 فقال له : أَنْتَ أَشعرُ هَوازِنَ ، زِدْني . فَأَنشدَه قولة :
 عَفَتِ الدَّيَّارُ محلُّها فَمَقامها بَمَنى تَأبَّدَ غولُها فَرِجامها
 فقال له النَّابغة : اذهبْ فَأَنْتَ أَشعرُ العربِ .
 [وصيته لابن أخيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، أنَّ لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه ولم يكن له ولدٌ ذكرٌ : يا بني ، إِنَّ أباك لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّه فَنِي . فإذا قُبِضَ أبوك فأَقْبِلْهُ القَبِيلَةَ وَسجِّهْهُ بثوبه ، ولا تَصْرُخَنَّ عليه صارخةً ، وانظرْ جَفَتَيَّ اللَّتَيْنِ كُنتَ أَصنَعُهُما فاصنَعُهُما ثم احملهُما إلى المسجد ، فإذا سَلِمَ الإمامُ فَقَدِّمُها إِلَيْهِنَّ ، فإذا طَعِمُوا فَقُلْ لَهُم فليحضرُوا جِنَازَةَ أَخِيهِنَّ . ثم أَنشد قولة :
 [من مجزوء الكامل]

وإذا دَفَنْتَ أَباك فَاجِ عَلْ فوقَه خَشباً وَطِينا
 وَسَقائِفاً صُمّاً رَوًّا سِيها يَسدُّدُن الغصونا
 لِيَقِين حُرَّ الوجهِ سَف سافَ التُّرابَ وَلَنْ يَقِينا
 قال : وهذه الأبيات من قصيدة طويلة .

وقد ذكر يونس أنَّ لابن سُرَيْجٍ لَحْنًا في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه ، ولم يجنسه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

أُبْنِي هَلْ أَبْصَرْتَ أَع حامي بني أُمِّ البَنينا
 وَأَبِي الَّذِي كان الأَرا ملُ في الشَّئاءِ لَه قَطينا
 وَأَبا شَرِيكَ وَالْمنا زَلْ في المَضيقِ إذا لَقِينا
 ما إِنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعَ تْ بِمَثَلِهِمْ في العالَمينا
 فَبَقِيتُ بَعْدَهُمْ وَكُنْ تْ بِطولِ صُحبتِهِمْ ضَئينا
 دَعَنِي وما مَلَكْتَ يَمِي نِي إِنْ سَدَدَتْ بِها الشُّوْنا
 وافْعَلْ بِمالِكَ ما بَدَا لَكَ مُسْتَعاناً أو مُعِينا

[شعره لابنتيه حين احتضر]

قال : وقال لابنتيه حين احتضر ، وفيه غناء :
 تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
 فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخميشا وجهاً ولا تحلقا شعر
 وقولا هو المرء الذي لا حليفه أضاع ، ولا خان الصديق ولا عذر
 إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يلك حولاً كاملاً فقد اعتذر
 في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى . وذكر الهشامي أنه لإسحاق .
 وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم .
 قال : فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم ، ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب
 فترثيانه ولا تعولان ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفتا .

صوت¹

[من الوافر]

سألناه الجزيل فما تأبى فأعطى فوق مُنتنا وزادا
 وأحسن ثم أحسن ثم عُدنا فأحسن ثم عُدت له فعادا
 مراراً ما دنوتُ إليه إلا تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا
 الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

[307] - أخبار زياد الأعجم ونسبه¹

[نسبه]

زياد بن سليمان² ، مولى عبد القيس ، أحد بني عامر بن الحارث ، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري . وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، عن عمه عن ابن حبيب قال : هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه ، فقليل له الأعجم .

وذكر ابن النطاح مثل ذلك في نسبه ، وخالف في بلده ، وذكر أن أصله ومولده ومنشأه بأصفهان ثم انتقل إلى خراسان ، فلم يزل بها حتى مات .

وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لُكنة لسانه ، وجريه على لفظ أهل بلده .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثت عن المدائني أن زياداً الأعجم دعا غلاماً له ليرسبه في حاجة ، فأبطأ فلما جاءه قال له : منذ لذن دأوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تسناً ؟ يريد منذ لذن دعوتك إلى أن قلت لبيك ماذا كنت تصنع . فهذه ألفاظه . كما ترى في نهاية القبح واللكنة .

[رثاؤه للمغيرة بن المهلب]

وهو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله³ :

[من الكامل]

صوت

قُلْ لِلْقَوَافِلِ وَالْغَزِيِّ إِذَا غَزَوْا	وَالْبَاكِرِينَ وَلِلْمَجْدِ الرَّائِحِ
إِنَّ الْمَرْوَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمْنَا	قَبْرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ	كُومَ الْهَيْجَانِ وَكُلَّ طَرَفٍ سَابِحِ

1 ترجمة زياد الأعجم في الشعر والشعراء : 343-345 والمؤتلف والمختلف : 193-195 وكامل المبرد

(الدالي) : 769 ومعجم الأدباء : 1329-1330 وخزانة البغدادى : 10 : 4-9 ومعاهد التنصيص : 2 : 173

وقد جمع شعره د . يوسف بكار (دار المسيرة) ووضع له مقدمة مستفيضة .

2 في الشعر والشعراء والخزانة : ابن سلمى .

3 ديوانه : 52-56 .

وانضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقد يَكُونُ أُنْحَا دِمٍ وَذَبَائِحِ
يَا مَنْ بِمَغْدَى الشَّمْسِ مِنْ حَيٍّ إِلَى مَا بَيْنَ مَطْلَعِ قَرْنِهَا الْمُتَنَازِحِ¹
مَاتَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ طَوْلِ تَعَرُّضٍ لِلْمَوْتِ بَيْنَ أُسْنَةٍ وَصَفَائِحِ
وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَى الْقِتَالِ وَلَا أَرَى حَيًّا يُؤَخَّرُ لِلشَّقِيقِ النَّاصِحِ

وهي طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقي المعاني ، ومختار القصيد ، وهي معدودة من مرثي الشعراء في عصر زياد ومقدمها .

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأول غناء أوله نشيد كله ، ثم تعود الصنعة إلى الثاني والثالث في طريقه الهزج بالوسطى .

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن السكرري عن محمد بن حبيب ، أن من الناس من يروي هذه القصيدة للصّلتان العبدى . وهذا قول شاذ ، والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة ، غير مدفوع عنها .
[مثل آخر من أمثلة لكتته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال : [من الكامل]

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاةَ ضُمَّنَا قَبْرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْمُهْجَانِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِحِ

فقال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامة ، أفَعَقَرْتَ أَنْتَ عنده ؟ قال : كنتُ على بِنْتِ الْهَمَارِ . يريد الْحِمَارِ .

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال : كنت حاضراً في مجلس أبي العباس ، فقلت وقد قرئ عليه شعر زياد الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته : [من الكامل]

قُلْ لِلْقَوَائِلِ وَالْغَزِيِّ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَلِلْمَجْدِ الرَّائِحِ

قال : فقلت إنها من مختار الشعر ، ولقد أنشئت لبعض المحدثين في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة . ثم أنشدنا² :

أَيُّهَا النَّاعِيَانِ مَنْ تَعَيَّانِ وَعَلَى مَنْ أَرَاكَ تَبْكِيَانِ

1 هذا هو البيت الأول في الديوان وروايته :

يَا مَنْ بِمَغْدَى الشَّمْسِ أَوْ بِمَرَايحِهَا أَوْ مَنْ يَكُونُ بِقَرْنِهَا الْمُتَنَازِحِ

2 الأبيات لأحمد بن محمد الخثعمي (انظر وفيات الأعيان 5 : 356) .

اندبأ الماجدَ الكريمَ أبا إسحاق ربَّ المعروف والإحسان
واذهباً بي إن لم يكن لكما عَقْدٌ رُّ إلى جنب قَبْرِو فاعقراني
وانضحاً من دَمِي عليه فقد كا ن دَمِي مِن نَدَاهُ لو تَعَلَّمَانِ

[دية الحمامة ألف دينار]

أخبرني وكيع قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان المهلب بن أبي صفرة بخراسان ، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه ، فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً . قال : فإننا لبعشيقة نشرب مع حبيب بن المهلب في دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذ سجعت الحمامةُ فقال زياد¹ :

تَغْنِي أَنْتِ فِي دِمْعِي وَعَهْدِي وَذِمَّةُ وَالدي أَلَا تُطَارِي
وَبَيْتُكَ فَاصِلِحِيهِ وَلَا تَخَافِي عَلَى صُفْرِ مَزْغَبَةٍ صِغَارِ
فَإِنْ لَوْ كُلَّمَا غَنَيْتِ صَوْتاً ذَكَرْتُ أَحَبَّتِي وَذَكَرْتُ دَارِي
فَأَمَّا يَقْتُلُوكِ طَلَبْتُ ثَاراً لَهُ نَبَأُ لَأَنْتِ فِي جَوَارِي

فقال حبيب : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أرمي جارتك هذه . قال : والله لئن رميتها لاستعدينَّ عليك الأمير . فأنتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلها ، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر ، فقال المهلب : علي بأبي إسظام ، فأتيت بحبيب فقال له : أعطِ أبا أمامة دية جارتك ألف دينار . فقال : أطال الله بقاء الأمير ، إنما كنتُ أَلْعَبُ . قال : أعطِهِ كما أَمَرَك . فأنشأ زياد يقول² :

فَلَلَّه عَيْنَا مَنْ رَأَى كَقَضِيَّةٍ قَضَى لِي بِهَا قَرْمُ الْعِرَاقِ الْمَهْلَبُ
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمَهْلَبِ رَمِيَةً فَأَثْبَتَهَا بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ يَغْرُبُ
فَأَلْزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنُ حُرَّةٍ وَقَالَ حَبِيبٌ : إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ
فَقَالَ : زِيَادٌ لَا يَرَوُّعُ جَارُهُ وَجَارَةٌ جَارِي مِثْلُ جَارِي وَأَقْرَبُ

[نصر المهلب له على ولده]

قال : فحمل حبيبُ إليه ألفَ دينار على كرهٍ منه ، فإنه ليشرب مع حبيب يوماً إذ عرِِدَ عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضغن عليه ممَّا جرى ، فأمر بشقِّ قَبَاءِ دِيَّاجٍ كَانَ عَلَيْهِ ، فقام

1 ديوانه : 75-76 .

2 ديوانه : 44-45 .

فقال¹ :

[من الطويل]

لعمرك ما الدِّيَّاجَ خرَّقتَ وحدَهُ ولكنَّما خرَّقتَ جلدَ المهلَّبِ
فبعث المهلَّبَ إلى حبيب فأحضَرَه ، وقال له : صدقَ زياد ، ما خرَّقتَ إلَّا جلدي ، تبعث
هذا على أن يهجوَنِي . ثم بعث إليه فأحضَرَه ، فاستلَّ سخيْمَتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفَه .
وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً . قال أحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمريُّ عن الهيثم بن
عديٍّ قال : تهاجى قتادة بن مُغرب اليشْكُريَّ وزيادُ الأعجمُ بخراسان ، وكان زيادُ يخرج وعليه
قُبَاءٌ دِيَّاج ، تشبُّهُمُ بالأعاجم ، فمرَّ به يزيدُ بن المهلَّبِ وهو على حاله تلك ، فأمر به ففُتِّعَ أسواطاً ،
ومزَّقت ثيابه وقال له : أبأهل الكفرِ والشُّركِ تشبُّه لا أم لك ؟ فقال زياد : [من الطويل]

لعمرك ما الدِّيَّاجَ خرَّقتَ وحدَهُ ولكنَّما خرَّقتَ جلدَ المهلَّبِ
وذكر باقي الخبر مثله وقال فيه : فدعا به المهلَّبُ فقال له : يا أبا أُمَامَةَ ، قلتَ شيئاً آخر ؟
قال : لا والله أيُّها الأمير . قال : فلا تَقُلْ . وأعتبه² وكساه وحَمَلَه ، وأمر له بعشرة آلاف
درهم وقال له : اعزِّر ابن أخيك يا أبا أُمَامَةَ ، فإنَّه لم يَعْرِفْكَ .
وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ يقولها زيادُ الأعجمُ في عُمَر بن عبيد الله بن معمر التَّيميِّ .
[عراك الفقيه]

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمر بن شُبَّة قال : أتى
زيادُ الأعجمُ عُمَر بن عبيد الله بن معمرٍ بفارس ، وقَدِم عليه عِرَاك بن مُحَمَّد الفقيه من مِصر ،
فكان عِرَاكُ يحدِّثُه بمحدث الفقهاء ، فقال زيادُ³ : [من الطويل]

يحدِّثنا أنَّ القيَّامَةَ قد أَتَتْ وجاءَ عِرَاكُ يبتغي المالَ من مِصرِ
فكَم بينَ بابِ النُّوبِ إنَّ كنتَ صادقاً وإيوان كسرى من فَلَاقَةٍ ومِن قِصرِ
وقال يمدح عُمَر بن عُبيد الله :

سألناه الجَزِيلَ فما تَأبَّى وأعطى فوقَ مُنَيَّتِنَا وزادا
وذكر الأبيات الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا : أخبرني محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .

1 ديوانه : 48 .

2 أعتبه : أزال عتبه وأرضاه .

3 ديوانه : 76-77 .

[استنجاهه وعدا لابن معمر]

وأخبرني هاشم بن محمد قال : حدثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرني ابن أبي الدنيا أتم . قال : كان زياد الأعجم صديقاً لعمر بن عبيد الله بن معمر قبل أن يلي ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قد وليت لتركتك لا تحتاج إلى أحد أبداً . فلما ولي فارس قصده ، فلما لقيه أنشأ يقول¹ :

أبلغ أبا حفص رسالة ناصح
أتت من زياد مستبيناً كلامها

فإنك مثل الشمس لا ستر دونها
فكيف أبا حفص علي ظلامها

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامها أبداً . فقال زياد :

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى
أمور معد في يدك نظامها

فقال له : قد رأيت ذلك . فقال :

فلما أتاني ما أردت تباشرت
بناتي وقلن العام لا شك عامها

قال : فهو عامهن إن شاء الله تعالى . فقال :

فإني وأرضاً أنت فيها ابن معمر
كمكة لم يطرب لأرض حمامها²

قال : فهي كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترت أرضاً للمقام ربيتها
لنفسى ولم ينقل علي مقامها

وكنت أمني النفس منك ابن معمر

قال : قد أتمها الله عليك . فقال :

فلا أك كالمجرى إلى رأس غاية
يرجي سماء لم يصيه غمامها

[مدحه لعبد الله بن الحشر]

قال : لست كذلك فسأل حاجتك . قال : نجية ورحالها³ ، وفرس رائع وسائسه ، وبذرة وحاملها ، وجارية وخادمها ، وتخت ثياب ووصيف يحمله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألت ، وهو لك علينا في كل عام . فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحشر وهو بسابور ، فأنزله وأطفئه ، فقال في ذلك⁴ :

[من الكامل]

1 ديوانه : 94 .

2 الطرب : الشوق .

3 الرحالة : الرحل .

4 ديوانه : 49 .

إِنَّ السَّمَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
مَلِكٌ أَغْرُ مَتَوَجُّ ذُو نَائِلٍ لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمُنَابِرَ بِالتَّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أُتِيَتْكَ رَاجِيًا لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ
فَأَمْرٌ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبيد بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : « أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كرز » . والخبر الأولُ أصحُّ . وزاد في الشعر :

أَخْ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى الْعِلَاطِ بَسَامًا جَوَادًا
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا أُمَامَةَ ، وَلَكَ لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفٌ . قَالَ : دَغْنِي أَتَمُّهَا مِائَةٌ . قَالَ : أَمَّا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ فَعَلْتَ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ لَكَ مَا رُزِقْتَ .
[رثاء عمر بن عبد الله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا ابن عائشة قال : حدثني أبي قال : لما خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمَرَ بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ بِضُمَيْرٍ ، وَهِيَ مِنَ الشَّامِ ، مَاتَ بِالطَّاعُونَ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيضًا أَنْ قَدْ فَقَدْتُ الْيَوْمَ نَابًا مِنْ أَنْيَابِهَا . وَقَالَ جَدُّ خِلَادَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو الْأَعْمَى ، وَكَانُوا مَوَالِيَّ أَبِي وَجَرَّةَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ : أَهُوَ الْيَوْمَ نَابٌ لَمَّا مَاتَ ، وَكَانَ أَمْسَ ضَرِسًا كَلِيلَةً ؟ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَلَمْ يَعِشْ بَيْنَهُمَا أَحَدٌ بَعْدَهُ ! وَسَمِعَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ فَتَغَافَلَ عَنْهَا .
قَالَ : وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَرِثُهُ¹ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَبْكُوا عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الَّذِي بِضُمَيْرٍ وَافَقَ الْقَدَرَا
كَانَتْ يَدَاهُ لَنَا سَيْفًا نَصُولُ بِهِ عَلَى الْعَدُوِّ وَغِيثًا يَنْبِتُ الشَّجَرَا
أَمَّا قَرِيضٌ أَبَا حَفْصٍ فَقَدْ رُزِئَتْ بِالشَّامِ إِذَا فَارَقْتُكَ الْبَاسَ وَالظَّفَرَا
مَنْ يَقْتُلُ الْجُوعَ مِنْ بَعْدِ الشَّهِيدِ وَمَنْ بِالسَّيْفِ يَقْتُلُ كَبْشَ الْقَوْمِ إِذْ عَكَرَا²
إِنَّ النَّوَاحِ لَمْ يَعْدُدْنَ فِي عُمَرِ مَا كَانَ فِيهِ إِذَا الْمَوْلَى بِهِ افْتَخَرَا

1 ديوان الفرزدق 1 : 235-236 .

2 عكرا في ل : غدرا .

إِذَا عَدَدَنَ فَعَالاً أَوْ لَهُ حَسَباً وَيَوْمَ هِجَاءٍ يُعْشِي بِأَسْهُ الْبَصْرَا
 كَمْ مِنْ جَبَانٍ إِلَى الْهَيْجَا دَنَوْتَ لَهُ يَوْمَ الْلِقَاءِ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا صَبْرَا
 أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ
 قَالَ : أَخْبَرَنَا حَمِيدُ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةٍ قَالَ : بَعَثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ إِلَى ابْنِ عُمَرَ ،
 وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بِالْفَلَاحِ دِينَارٍ ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يَتَسَلَّى فِي مُسْتَحَمٍّ لَهُ ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ
 فَصَبَّيْتُهَا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : وَصَلْتَ رَجِماً ، وَقَدْ جَاءَنَا عَلَى حَاجَةٍ . وَأَتَيْتُ الْقَاسِمَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ،
 فَقَالَتْ لِي امْرَأَتُهُ : إِنَّ كَانَ الْقَاسِمُ ابْنَ عَمِّهِ فَأَنَا لَابْنَةُ عَمِّهِ . فَأَعْطَيْتُهَا . قَالَ : فَكَانَ عُمَرُ يَبْعَثُ
 بِهَذِهِ الثِّيَابِ الْعُمَرِيَّةِ يَقْسِمُهَا بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : جَزَى اللَّهُ مَنْ اقْتَنَى هَذِهِ الثِّيَابَ
 بِالْمَدِينَةِ خَيْرًا . وَقَالَ لِي عُمَرُ : لَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ صَاحِبِكَ شَيْءٌ كَرِهْتُهُ . قُلْتَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ :
 يُعْطِي الْمُهَاجِرِينَ أَلْفًا أَلْفًا ، وَيُعْطِي الْأَنْصَارَ سَبْعِمِائَةَ سَبْعِمِائَةَ . فَأَخْبَرْتَهُ فَسَوَّى بَيْنَهُمْ .
 أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ : كَانَتْ لِرَجُلٍ جَارِيَةٌ يَهُوَاهَا ، فَاحْتَاجَ إِلَى بَيْعِهَا ،
 فَابْتَاعَهَا مِنْهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَلَمَّا قَبِضَ ثَمَنَهَا أَنْشَأَتْ تَقُولُ : [من الطويل]

هَنِيئًا لَكَ الْمَالُ الَّذِي قَدْ قَبِضْتَهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي كَفِّيْ غَيْرَ التَّحْسُرِ
 فَإِنِّي لَحَزْنٍ مِنْ فِرَاقِكَ مُوجَعٌ أَنَا جِي بِهِ قَلْبًا طَوِيلَ التَّفَكُّرِ
 فَقَالَ : لَا تَرَحَّلِي . ثُمَّ قَالَ : [من الطويل]

وَلَوْلَا قُعُودُ الدَّهْرِ بِيْ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ يَفْرَقُنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ فَاعْذِرِي
 عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ
 فَقَالَ : قَدْ شِئْتُ ، خِذِ الْجَارِيَةَ وَثَمَنَهَا . فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ .
 [زياد يستبطن عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ]

أَخْبَرَنِي عُمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ
 عَائِشَةَ قَالَ : اسْتَبْطَأَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فِي زيارته إِيَّاهُ فَقَالَ ¹ : [من الطويل]
 أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ فَحَنُّ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمِ وَالنُّشْرَ²
 أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَمَاحِكَ صُلْبَةٌ وَيَا رَبُّ عَيْنٍ صُلْبَةٍ تَفْلِقُ الْحَجَرَ
 سَرَقَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا فَإِنْ لَمْ تَفِقْ يَوْمًا رَقِينَاكَ بِالسُّوَرِ
 فَبَلَغْتَهُ الْأَبْيَاتُ قَارِضَاهُ وَسَرَّحَهُ .

1 ديوانه : 77 .

2 النشر : جمع نُشْرَةٍ ، وَهِيَ الرِّقِيَّةُ .

[هجاء عبّاد بن الحصين]

أخبرني عمّي قال : حدّثني الكرانيّ قال حدّثني العمريّ قال : حدّثني من سمع حمّاداً الراوية يقول : امتدح زياد الأعجم عبّاد بن الحصين الحَبْطِيّ ، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له «القُبَاع» ، وطلب حاجة فلم يقضها فقال زياد¹ : [من المتقارب]

سألتُ أبا جهضمَ حاجةً وكنْتُ أراه قريباً يسيراً
فلو أنّني خِفتُ منه الخِلا فَ والمنعَ لي لَمْ أسألهُ نقيراً
وكيف الرّجاءُ لِمَا عنده وقد خالط البخلُ منه الضّميراً
أقلّني أبا جهضمَ حاجتي فأني امرؤٌ كان ظني غُروراً

[هجاء يزيد بن حبناء]

أخبرني عمّي قال : حدّثني الكرانيّ عن العمريّ ، عن عطاء بن مُصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : مرَّ يزيد بن حبناء الضَّبِّيّ بزياد الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب ، فأفحشَ فيه ، فقال له يزيد بن حبناء : أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَرْعَوِي وتتركَ تمزيقَ أعراض قومك ، ويحك ! حتّى متى تتماذى في الضلالِ ، كأنّك بالموتِ قد صَبَحَكَ أو مَسَّكَ ! فقال زياد فيه² : [من الطويل]

يحدّرني الموتُ ابنُ حبناء والفتى إلى الموتِ يَغْدُو جَاهِداً وَيُروُحُ
وكلُّ امرئٍ لا بدَّ للموتِ صائرٌ وإن عاشَ دهرًا في البلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدِ يا ابنَ حبناء لا تَعْظُ أخاكَ وعِظْ نفساً فأنتَ جَنوحُ
تركتَ التقى والدّينَ دينُ محمدٍ لأهلِ التقى والمسلمينَ يلوحُ
وتابعتَ مُراقَ العراقيينَ سادراً وأنتَ غليظُ القُصَريّينَ صحيحُ³

فقال له يزيد بن عاصم الشنّي : قَبَحَكَ اللهُ ، أتَهجو رجلاً وَعَظَكَ وأمرَكَ بمعروفٍ بمثل هذا الهجاء ، هَلَّا كَفَفْتَ إذ لم تقبل ، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تحيقُ فيكَ عَزَّان⁴ ، اذهبْ ويحك فأثّرَ واعتذر إليه لعلّه يقبلُ عذرك . فَمَشَى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشَفَعُوا إليه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجداً عليه بعد يومي هذا .

1 ديوانه : 69 .

2 ديوانه : 50 .

3 القصريان : مثى القصرى ، وهي آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع .

4 مثل .

[مدحه للمهلب بيت جائزته ثلاثون ألف درهم]

أخبرني أحمد بن علي قال : سمعت جدِّي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جُعْفِيٍّ قال : كنتُ جالساً عند المهلب إذ أقبل رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلمَّا رآه المهلب قال : اللهم إني أعوذ بك من شرِّه ! فجاء فقال : أصلحَ الله الأمير ، إني قد مدحتك بيتَ صَفْدِه مائة ألف درهم . فسكت المهلب ، فأعاد القول فقال له : أنشدَه . فأنشدَه : [من الطويل]
فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ
فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، مائة ألف ! فوالله ما هي عندنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها غُرُوضٌ . وأمر له بها ، فإذا هو زياد الأعجم .

[هجاؤه للفرزدق وفرع الفرزدق منه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكرائي وأبو العيناء عن القحذمي قال : لقي الفرزدقُ زياداً الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس ، وأصفَ من فسوهم شيئاً . قال له زياد : كما أنتَ حتَّى أسمعَكَ شيئاً . ثم قال : قُلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَمْسِكَ . قال : هات . قال :

وَمَا تَرَكَ الْمَاجُونَ لِي إِِنْ هَجَوْتُهُ مَصْحَاحاً أَرَاهُ فِي أُدَيْمِ الْفَرَزْدَقِ
فَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ

فقال له الفرزدق : حسبك هلُمَّ نتَّارك . قال : ذاك إليك . وما عاودَه بشيء .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال : حدَّثني خِراش ، وكان عالماً راوية لأبي ، ولمورِّج ، ولجابر بن كلثوم ، قال : أقبل الفرزدقُ وزيادُ ينشدُ الناسَ في المريد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلَقَّاهُ وحياً كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذُ دهر . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنني رأيتُ الأشقرِيَّ هجأكم فلم يصنع شيئاً ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذي هيَّجَ بينك وبينه . قال : وما هو ؟ إنكم اجتمعتم في قُبَّةِ عبد الله بن الحشرج بخُرَّاسان ، فقلتُ له قد قلتُ شيئاً فَمَنْ قال مثله فهو أشعرُ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ مثله ومدَّ إليَّ عنقه فَإِنِّي أشعرُ منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتُ : قلتُ :

وَقَافِيَةِ حَدَاءٍ بَتْ أَحْوَكُهَا إِذَا مَا سُهِيلٌ فِي السَّمَاءِ تَلَّالَا

فقال لك الأشقرِيَّ :

وَأَقْلَفُ صَلًى بَعْدَ مَا نَاكَ أُمُّهُ يَرَى ذَاكَ فِي دِينِ الْمَجُوسِ حَلَّالَا

فَأَقْبَلْتُ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقُلْتُ : يَا لَأُمِّ كَعْبٍ أَخْزَاهَا اللَّهُ تَعَالَى ، مَا أَنْهَاهَا حِينَ تُخْبِرُ ابْنَهَا بِقُلْفَتِي ! فَضَحَكَ النَّاسُ وَغَلِبَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ .

فَقَالَ لَهُ زِيَاد : يَا أَبَا فَرَّاسَ ، هَبْ لِي نَفْسَكَ سَاعَةً وَلَا تَعْجَلْ حَتَّى يَأْتِيَكَ رَسُولِي بِهَدْيَتِي ثُمَّ تَرَى رَأْيَكَ . وَظَنَّ الْفَرَزْدَقُ أَنَّهُ سَيُهْدِي إِلَيْهِ شَيْئًا يَسْتَكْفِهِ بِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي إِنْ أَرَدْتُهُ مَصْحًا أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ

وَمَا تَرَكَوا لِحِمًا بَدَا فَوْقَ عَظْمِهِ لَاكِلِيهِ أَلْقَوْهُ لِلْمَتَعَرِّقِ

سَاحِطُهُمْ مَا أَبْقَوْا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ فَأَنْكَتُ عَظْمَ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِي

فَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقِ

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْفَرَزْدَقُ : لَا أَهْجُو قَوْمًا أَنْتَ مِنْهُمْ أَبَدًا .

[زياد أهدى من كعب الأشقر]

قَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : زِيَادٌ أَهْجَى مِنْ كَعْبِ الْأَشْقرِيِّ ، وَقَدْ أَبْرَعَّ عَلَيْهِ فِي عِدَّةٍ قِصَائِدَ . مِنْهَا الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

قُبَيْلَةُ خَيْرُهَا شَرُّهَا وَأَصْدَقُهَا الْكَاذِبُ الْآثِمُ

وَضَيْفُهُمْ وَسَطُ آبَائِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا صَائِمُ

وفيه يقول : [من الطويل]

إِذَا عَذَّبَ اللَّهُ الرَّجَالَ بِشَعْرِهِمْ أَمِنْتُ لِكَعْبٍ أَنْ يَعَذَّبَ بِالشَّعْرِ

وفيه يقول : [من الوافر]

أَتَيْتُكَ الْأَزْدَ مُضْفَرًّا لِحَاهَا تَسَاقَطُ مِنْ مَنَاخِرِهَا الْجَوَافُ

أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بَكِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : دَخَلَ أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ وَإِذَا زِيَادُ الْأَعْجَمِ ، فَقَالَ زِيَادُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ ، فَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ :

قُمْ صَاغِرًا يَا كَهْلَ جَرْمٍ فَإِنَّمَا يُقَالُ لِكَهْلٍ الصَّدَقُ قُمْ غَيْرَ صَاغِرٍ

فَإِنَّكَ شَيْخٌ مَيِّتٌ وَمَوْرَثٌ قُضَاةَ مِيرَاثِ الْبَسُوسِ وَقَاشِرٍ

قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ

فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا بِدَقِّ الْحَوَافِرِ

فَلَوْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقِّ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ إِلَى حَقِّهِ لَمْ تُدْفَنُوا فِي الْمَقَابِرِ

فَقِيلَ لَهُ : فَأَيْنَ كَانُوا يَدْفَنُونَ يَا أَبَا أُمَامَةَ ؟ قَالَ : فِي النَّوَاسِرِ .

الفهرس

- [276] - أخبار جعفر بن الزبير ونسبه 6
- [277] - ذكر خير مضاض بن عمرو 11
- [278] - ذكر أخبار بصيص جارية ابن نفيس وأخبارها 21
- [279] - ذكر أحيحة بن الجلاح ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر 28
- [280] - ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث 40
- [281] - نسب عدي بن نوفل وخبره 52
- [282] - نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية 54
- 283 - [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم] 73
- [284] - أخبار حبابة 85
- [285] - أخبار أبي الطفيل ونسبه 102
- [286] - أخبار حسّان وجبلة بن الأيهم 109
- [287] - خبر بُدَيْح في هذا الصوت وغيره 119
- [288] - نسب ابن الزبير وأخباره وقصة غزوة أحد 122
- [289] - ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره 140
- [290] - ذكر خبر قسّ بن ساعدة ونسبه وقصّته في هذا الشعر 164
- [291] - ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره 168
- 292 - [الحطيم والعلاء الحضرمي] 171
- 293 - [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى] 177
- [294] - ذكر علي بن أديم وخبره 179
- [295] - ذكر عمرو بن بانة 181
- 296 - [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة] 187
- 297 - [كثير وقطام] 192
- [298] - ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره 194
- 299 - [يزيد والحسين] 198
- 300 - [الأحوص ومطر] 200
- [301] - ذكر متم وأخباره وخبر مالك ومقتله [واستطراد بقصة جذيمة والزباء] 203
- [302] - أخبار الحزين ونسبه 219
- 303 - [جرير والفرزدق وضربة الرومي] 232
- [304] - نسب الطفيل الغنوي وأخباره 237
- [305] - نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره 242
- [306] - نسب لبيد وأخباره 246
- [307] - أخبار زياد الأعجم ونسبه 260

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 15

DAR SADER
Beirut



کتابُ الْإِعْزَازِ

16

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

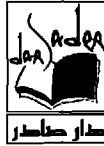
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[308] - أخبار شارية

[نسبها]

قال أبو الفرج علي بن الحسين : كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إنَّ أباهَا كان رجلاً من بني سامَةَ بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنَّه جحدُها ، وكانت أمُّها أُمّة ، فدخلت في الرّق . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشتريتها امرأة من بني هاشم ، فأدبتهَا ، وعلمتها الغناء ؛ ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت غناءها كلّهُ أو أكثره عنه ؛ وبذلك يحتجّ من يقدّمها على غريب ، ويقول : إنَّ إبراهيم خرَّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ، وبمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال غريب ، لأنَّ المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم ، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائرهِ .

[كتاب ابن المعتز في أخبارها]

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُريص : أنَّ ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها ، وقال له أن يرويه عنه . فنسختُ منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطِي فيه ، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب ، وسمعتُهُ أنا عمّن رويته عنه .

قال ابن المعتز : حدَّثني عيسى بن هارون المنصوري : أنَّ شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية ، من ولد جعفر بن سليمان . فحملتها لتبيعهَا ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأعطى بها ثلثمائة دينار ، ثم استغلاها بذلك ولم يُردّها . فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي ، فعرضت عليه ، فساوم بها . فقالت له مولانها : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار ، وأنت أيها الأمير ، أعزك الله ، بها أحقّ¹ . فقال : زنوا لها ما قالت . فوزن لها ، ثم دعا بقيّمته ، فقال : خذي هذه الجارية ولا ترينها سنة ، وقولي للجوّاري يطرحن عليها ، فلمّا كان بعد سنة أخرجت إليه ، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه ، وأراه إيّاها ، وأسمعه غناءها . وقال : هذه جارية تبايع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهي رخيصة بها . قال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية التي عرّضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار ، فلم تقبل . فبقي إسحاق متحيراً ، يعجب من حالها وما انقلبت إليه .

وقال ابن المعتز : حدَّثني الهشامي عن محمد بن راشد : أنَّ شارية كانت مولدة بالبصرة ،

وكانت لها أم خبيثة منكرة ، تدّعي أنّها بنت محمد بن زيد ، من بني سامة بن لؤي .

قال ابن المعتز : وحدّثني غيره ، أنّها كانت تدّعي أنّها من بني زهرة .

قال الهشامي : فجيء بها إلى بغداد ، وعُرضت على إبراهيم بن المهدي ، فأعجب بها إعجاباً شديداً ؛ فلم يزل يعطيها بها ، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : إنّ لم يكن عند أبي درهم ولا دائق ، فقال لي : ويحك ! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت له : نبيع ما نملكه حتى الخزف¹ ، ونجمع ثمنها . فقال لي : قد فكرت في شيء ؛ اذهب إلى علي بن هشام ، فأقرئه مني السلام ، وقل له : جعلني الله فداءك ! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي ، وليس عندي ثمنها ، فأحب أن تقرضني عشرة آلاف درهم . فقلت له : إنّ ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم ، لا بد أن نكسوها ، ونقيم لها ما تحتاج إليه .

فصرت إلى علي بن هشام ، فأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له ، وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال : فصرت إلى أبي بالدرهم ، فلو طلعت عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم .

وكانت أمها خبيثة ، فكانت كلّما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتتهي ، ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم ، تسأله أن يأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتز : وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصب ، قال : ذكر يوسف بن إبراهيم المصري ، صاحب إبراهيم بن المهدي : أنّ إبراهيم وجّه به إلى عبد الوهاب ابن علي ، في حاجة كانت له قال : فلقيته وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة . فلما نظرت في وجهي سترت وجهها . فأخبرني شاكري² أنّ المرأة هي أم شارية ، جارية إبراهيم . فبادرت إلى إبراهيم ، وقلت له : أدرك ، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب ، وهي من تعلم ، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها . فقال لي في جواب ذلك : أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي ، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك . وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دؤاد ، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده ، فأحضرت أكثر من عشرين شاهداً . وأمر بإخراج شارية ، فخرجت ، فقال لها : اسفري ، فجزعت من ذلك . فأعلمها أنّه إنّما أمرها بذلك لخير يريد به ، ففعلت . فقال

1 . ل : الخرق .

2 . الشاكري : أحد جند الخلفاء .

لها : تسمي . فقالت : أنا شارية أمتك . فقال لهم : تأملوا وجهها ، ففعلوا . ثم قال : فإني أشهدكم أنها حرّة لوجه الله تعالى ، وأني قد تزوّجتها ، وأصدقته عشرة آلاف درهم . يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي ، أراضيتي ؟ قالت : نعم يا سيدي قد رضيت ، والحمد لله على ما أنعم به علي . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطيّبهم وانصرفوا .

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي ذؤاد ، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي ، فأقرأ عمّه سلام المعتصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من المفترض علي طاعتك ، وصيانتك عن كلّ ما يعرك ، إذ كنت عمّي ، وصنو أبي ، وقد رفعت إلي امرأة من قريش قصّة ، ذكرت فيها أنّها من بني زهرة صليبة¹ ، وأنّها أمّ شارية ؛ واحتجّت بأنّه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة . فإن كانت هذه المرأة صادقة في أنّ شارية بنتها ، وأنّها من بني زهرة ، فمن المحال أن تكون شارية أمة ؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك ، وسترها عند من تتق به من أهلك ، حتى تكشف ما قالت هذه المرأة ؛ فإن ثبت ما قالته أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها ، وكان في ذلك الخطّ لك في دينك ومروءتك ؛ وإن لم يصحّ ذلك ، أعيدت الجارية إلى منزلك ، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زهرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها ؟ فقال عبد الوهاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وأخبره أنّ شارية حرّة ، وأني قد تزوّجتها بشهادة جماعة من العدول .

وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي ذؤاد . فشمّ منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنّهم حضروا عتق شارية ، وتزوّج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدّثه بالحديث معجباً له منه . فقال : ضلّ سعي عبد الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلما رآه يمشي في صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشمّ رائحة صوف مُحرق ، وأحسب أنّ عمّي لم يقنعه ردّك إلّا وعلى أذنك صوفة حتى أحرّقها ، فشمت رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها في ملك غيره . ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجها ، فكان يطؤها على أنّها أمتّه ، وهي تنوّهم أنّه يطؤها على أنّها حرّة . فلما توفيّ طلبت مشاركة أمّ محمد بنت خالد زوجته في الثمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن

الخبر ، فأخبرنا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتاعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحوّلت إلى داره ، فكانت في ملكه حتى تُوُفِّي .
قال ابن المعتزّ : وقد قيل إنّ المعتصم ابتاعها بثلاثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أنّ إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فرَبَّاهَا تربية الولد ، حتى لقد ذكرت أنّها كانت في حجره جالسة ، وقد أعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثَتْ أَوَّل طُمُثْها ، فأحسن بذلك ، فدعا قِيَمَةَ له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفّه عليها ، فقال : احملها ، فقد اقشعرت ، وأحسب يرد الحُشَّ¹ قد آذاها .

قال : وحدثت شارية أنّها كانت معه في حرّاقة قد توسّط بها دجلة ، في ليلة مقمرة ، وهي تغنيّ إذ اندفعت فغنت² :

لقد حثوا الجمال ليها ربوا منا فلم يَلُوا
فقام إليها ، فأمسك فاهها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناء ، فما يؤمنني عليك ؟ أمسكي .

قال : وحدث حمدون بن إسماعيل : أنّه دخل على إبراهيم يوماً ، فقال له : أتحبّ أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قطّ ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنيّ لحن إسحاق :

هل بالديار التي حَيَّيْتَهَا أحد ؟

قال حمدون : فغنتني شيئاً لم أسمع مثله قطّ ، فقلت : لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا . فقال : أتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لا يكون . فقال : بلى والله تقرّ بذلك . فقلت : على اسم الله . فغناه هو ، فرأيت فضلاً عجيباً . فقلت : ما ظننت أنّ هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذي لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتي يا شارية ، قوله وأجيلي حلقك فيه . فسمعت والله فضلاً بينا ، فأكثر التعلّج . فقال لي : يا أبا جعفر ، ما أهون هذا على السامع ! تدري بالله كم مرّة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكرر . قلت : مائة مرّة . قال : اصعد ما بدا لك . قلت : ثلاثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

1 الحش : البستان ، وفي ل : الخيش .

2 البيت للحكم بن عبدل وقد تقدم في ترجمته 2 : 265 . ولم يُلوا : لم ينجوا .

[عقوبتها]

قال : وكانت رَيْقُ تقول : إِنَّ شارية كانت إذا اضطربت في صوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها أَنَّهُ يقيمها تغنيّه على رجلها ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضَرَبَتْ رَيْقُ¹ .

قال : ويقال إِنَّ شارية لم تضرب بالعود إلّا في أيام التوكّل ، لما اتّصل الشرّ بينها وبين عريب ، فصارت تقعد بها عند الضرب² ، فضربت هي بعد ذلك .

[لا يبيعها بسبعين ألفاً]

قال ابن المعتزّ : وحَدَّثَ محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضي الكتاب في زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخاً ثقة . قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبته على ذلك . فلم يجبني بشيء . ثم دعاني بعد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَقُوداً فيه ثلاث فراريج ، فرمى إليّ بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رطلاً وسقانيه ، ثم أتني بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقاني . ثم ضَرَبَ سِتْراً كان إلى جانبه ، فسمعت حركة العيدان ، ثم قال : يا شارية تَغْنِي . فسمعت شيئاً ذهب بعقلي . فقال : يا سهل ، هذه التي عاتبتي في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا والله ، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

قال : وكانت شارية تقول : إِنَّ أَباها من قريش ، وإنّها سُرقت وهي صغيرة ، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدي . والله أعلم .

أخبرني عمي ، قال : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله بن طاهر ، قال : أمرني المعتزّ ذات يوم بالمقام عنده ، فأقمّت . فأمر فمدّت الستارة ، وخرج مَنْ كان يغني وراءها ، وفيهنّ شارية ، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنّت ما سمعت منها ، فقال لي أمير المؤمنين المعتزّ : يا عبيد الله ، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء ، أكثر من حظّ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني الهشامي ، قال : قالت لي رَيْقُ : كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم ، وهو متكئ على مِخْدَةٍ ينظر إلينا . فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب ، فأغلظتُ لها في الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالساً ، وقال : أراك تستخفين بها ، فوالله ما أجد أحداً يخلفك غيرها . وأوماً إلى حلقة بيده .

1 أي ضربت بالعود .

2 تنتقصها بأنها لا تعرف الضرب .

[نقض حكاية العتق والزواج]

قال : وحَدَّثني الهشامي ، قال : حَدَّثني عمرو بن بانة ، قال : حضرت يوماً مجلس المعتصم ، وضُرِبَت الستارة ، وخرجت الجواري ، وكنت إلى جانب مخارق ، فغَنَّت شارية ، فأحسنت جداً . فقلت لمخارق : هذه الجارية في حسن الغناء على ما تسمع ، ووجهها وجه حسن ، فكيف لم يتحرَّم¹ بها إبراهيم بن المهدي ؟ فقال لي : أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنع إبراهيم بن المهدي من ذلك .

قال عبد الله بن المعتز : وحَدَّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى ، عن رَيْقُ قالت : استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة ، فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجواهر والثياب الفاخرة ، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غَنَّا وغَنَّينا . فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أمثال من جواريه ، فتحولت إلينا أنفسنا في التيه والصلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

قال : وحَدَّثني أبو العنْبَس ، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن الناس غناءً ، منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

قال أبو العنْبَس : وحَدَّثني رَيْقُ أَنَّ المعتصم افترضها ، وأنها كانت معها في تلك الليلة .

قال أبو العنْبَس : وحَدَّثني طِباع جارية الواثق : أَنَّ الواثق كان يسمِّيها سَيْتِي . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق في تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق ، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها . فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلاَّ نقصت من نغمة . وكان المعتمد قد تشبَّق شرة جاريته ، وكانت أكمل الناس ملاحظة وخفة روح . وعجز عن شرائها ، فسأل أمَّ المعتز أن تشتريها له ، فاشتريتها من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليه . ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني ، وكان يتعشَّقها . فقال عبد الله بن المعتز ، وكان يتعشَّقها :

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي ألا رُبَّ تطلقٍ قريبٍ من العُرسِ
لئن صيرت للبقال يا شرَّ زوجة فلا عجبٌ قد يربُّض الكلبُ في الشمسِ

[ابن وصيف يستودعها جوهره]

وقال يعقوب بن بُنان : كانت شارية خاصّة بصالح بن وصيف . فلما بلغه رحيل موسى بن

1 لم يتحرَّم بها : لم يدخلها في حرمة .

بُغَا من الجبل يريدُه ، بسبب قتله المعتزَّ ، أودع شارية جوهرة . فظهر لها جوهرة كثير بعد ذلك .
فلَمَّا أوقع موسى بصلاح ، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَرِي ، وكان أنظف خلق
الله طعاماً ، وأسراه مائدة ، وأوسخه كل شيء بعد ذلك ؛ وكان له بسرٌّ مَنْ رأى منزل ، فيه
بستان كبير ، وكانت شارية تسميه أبي ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه ،
حتى الحصير الذي تقعد عليه .

[كرمها]

قال : وكانت شارية من أكرم الناس . عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ،
ثم أضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ،
ما أذكرته بها ، ولا طالبته حتى ردّها ابتداء .

[غزب لشارية وعرب]

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل سرّ مَنْ رأى متجازين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع
عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . فكان أبو الصقر
إسماعيل بن بلبل عريباً ، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده
عريب وجواربها . فاتصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواربها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو
يومين ، وأمرت إحداهنّ ، وما أدري هي : مِهْرْجَانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلا أنّها إحدى
الثلاثة ، أن تغني قوله :

لا تَعُودَنَّ بعدها فترى كيف أصنعُ

فلَمَّا سمع علي الغناء ضحك ، وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلا طعامها . فمكثت دهرًا من
الدهور تعدّ له في كلّ يوم جُوتَيْن¹ ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكّل .

قال ابن المعتزّ : وحدّثني أحمد بن نعيم عن رَيْقُ ، قالت : كان مولاي إبراهيم يسمّي
شارية بنتي ، ويسمّيني أُختي .

[المعتمد يمنحها ألف ثوب]

حدّثني جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوماً ، فغتنه شارية بشعر مولاي إبراهيم بن
المهدي ولحنه :

[من الكامل]

1 الجونة : سلة صغيرة تغشى بالآدم ويستعملها العطارون . جمعها جون .

يا طول عِلَّةِ قلبي المعتادِ أَلِفَ الكَرَامِ وصحبةَ الأمجادِ¹
 فقال لها : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هذا غنائي وأنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر
 لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصة ، فحُمل ذلك إليها . فقال لي علي بن يحيى
 المنجَم : اجعل انصرافك معي . ففعلت ، فقال لي : هل بلغك أنَّ خليفة أَمْر لمغنية بمثل ما أَمْر
 به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء ، فأقبل بها الغلمان
 يحملونها في دفاتر عظام ، فتصفحنها كلها ؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

يا طول عِلَّةِ قلبي المعتادِ أَلِفَ الكَرَامِ وصحبةَ الأمجادِ
 ما زلت ألف كلِّ قَرَمٍ ماجدٍ متقدِّمِ الآباءِ والأجدادِ
 الشعر لإبراهيم بن المهدي ، والغناء لعلويه ، خفيف رمل لشارية بالبصرة ، ولم يقع إلينا
 فيه طريقة غير هذه .

[شعر وغناء لخديجة بنت المأمون]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدَّثني
 محمد بن مالك الخزاعي ، قال : حدَّثني مُلَحُ العِطَّارة ، وكانت من أحسن الناس غناءً ،
 وإنما سُمِّيت العِطَّارة لكثرة استعمالها العطر المطيب ، قالت : غَنَّت شارية يوماً بين يدي
 المتوكل وأنا واقفة مع الجواري :

بالله قولوا لي لَمَن ذا الرُّشا	المنقلُّ الردفِ الهضيمُ الحشا
أظرف ما كان إذا ما صحا	وأملح الناس إذا ما انتشى
وقد بنى بُرْجَ حمامٍ له	أرسل فيه طائراً مُرْعِشاً ²
يا ليتني كنت حَمَاماً له	أو باشقاً يفعل بي ما يشا
لو لبس القُوهي من رَقَّة	أوجعه القُوهي أو خدشاً ³

1 علة في ل : غلة ، والغلة العطش .

2 المرعش : الحمام الأبيض .

3 القوهي : ضرب من الثياب البيض .

وهو هَزَج ، فطرب المتوَكِّل ، وقال لشارية : لَمَن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ، ولا أدري لَمَن هو . فقلت له أنا : أعلم لَمَن هو . فقال : لَمَن هو يا مُلَح ؟ فقلت : أقوله لك سرّاً . قال : أنا في دار النساء ، وليس يحضرني إلّا حُرْمِي ، فقوله . فقلت : الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون ، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه ، وغنّت في هذا اللحن . فأتى طويلاً ، ثم قال : لا يسمع هذا منك أحد .

صوت¹

[من الطويل]

أُحِبُّكَ يا سلمى على غير ريبة	وما خير حبّ لا تعف سرائره
أُحِبُّكَ حبّاً لا أُعْنِف بعده	محجّاً ، ولكنّي إذا ليم عاذره
وقد مات حُبِّي أوّل الحبّ فانقضّى	ولو مت أضحى الحبّ قد مات آخره
ولمّا تناهى الحبّ في القلبِ واردا	أقام وسدّت فيه عنه مصادره

الشعر للحسين بن مطير الأسدي ، والغناء لإسحاق : هزج بالبنصر .

1 شعر الحسين بن مطير : 55-56 مع بعض اختلاف .

[309] - أخبار الحسين بن مطير ونسبه¹

[نسبه]

هو الحسين بن مُطِير بن مَكْمَل ، مولى لبني أُسَد بن خُرَيْمَة ، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أُسَد . وكان جدّه مَكْمَل عبداً ، فأعتقه مولاة . وقيل بل كاتبه ، فسعى في مكاتبتها حتى أذاها وأعتق . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر متقدم في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العباس .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن محمد بن داود بن الجراح ، عن محمد بن الحسن بن الحرون : أنه كان من ساكني زُبالة² ، وكان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . وذلك بيّن في شعره .

ومما يدلّ على إدراكه دولة بني أمية ، ومدحه إياهم ، ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة ، قال : أخبرني أبي ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن مروان بن أبي حفصة ، قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفي ، والحسين بن مطير الأسدي ، في عدّة من الشعراء ، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلّمّا أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدُ على بيت منه ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعراء . فقلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا حمّاد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد لأنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف³ الشيخ ، ثم قال : يا ابن أخي ، أنا رجل أُكَلِّم العامة ، وأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر كلّهُ ، إلّا شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته : [من الطويل]

1 للحسين بن مطير ترجمة في طبقات ابن المعتز : 114-119 ومعجم الأدباء : 1157-1162 وخزانة البغدادي 5 : 475-482 وفوات الوفيات 1 : 388-389 وتهذيب ابن عساكر 4 : 362 والسمط : 409 وسير أعلام النبلاء 7 : 81 والوافي للصفدي 13 : 63 . وقد جمع شعره مرتين : مرة بعناية د . حسين عطوان ومرة بعناية د . محسن غياض (بغداد) وإلى هذا نشير .

2 زُبالة : كانت قرية عامرة على طريق مكة من الكوفة وكان فيها أسواق وحصن وجامع وقد بقي منها خرائب قصر زُبالة .

3 تهانف : تضاحك في فتور وسخرية .

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنبِي حَبِيرٌ فَوَاهِبٌ إِلَى مَا رَأَى هَضْبَ الْقَلِيبِ الْمُضَيِّحِ¹
ثم جرت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول . فقال : يا ابن أخي ، أنا أعلم
الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .
[يفد على معن بن زائدة فينقد شعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، والحسن بن علي ، ويحيى بن علي ، قالوا : حدثنا الحسن بن
عَلِيلَ العَنَزِي قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي ، قال : حدثني أبي : أنَّ الحسين بن مُطِير وفد
على مَعْن بن زائدة لَمَّا ولي اليمن وقد مدحه ، فلمَّا دخل عليه أنشده² : [من الطويل]

أَتَيْتَكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ جَابِرٌ وَلَا وَاهِبٌ يُعْطِي اللُّهَى وَالرَّغَائِبِ³
فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إِنَّمَا المدح قول نهار بن تَوْسِيعَةَ أَخِي
بني تيم الله بن ثعلبة ، فِي مِسمع بن مالك :
قَلَدْتَهُ عُرَى الْأُمُورِ نِزَارٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ السَّرَاةُ الْبُحُورُ⁴
قال : وَأَوَّلُ هذا الشعر : [من الخفيف]

أَظْعَنِي مِنْ هَرَاةٍ قَدْ مَرَّ فِيهَا	حَجَجٌ مَذْ سَكَّتِيهَا وَشَهُورٌ
أَظْعَنِي نَحْوَ مِسمع تَجْدِيهِ	نَعَمْ ذُو الْمُنْتَنَى وَنَعَمَ الْمَزُورُ
سَوْفَ يَكْفِيكَ إِنْ نَبْتَ بِكَ أَرْضُ	بُخْرَاسَانَ أَوْ جَفَاكَ أَمِيرُ
مَنْ بَنَى الْحِصْنَ عَامِلٌ بَيْنَ بَرَجٍ	لَا قَلِيلُ النَّدَى وَلَا مَنْزُورُ
وَالَّذِي يَفْزَعُ الْكِمَاةَ إِلَيْهِ	حِينَ تَدْمِي مِنَ الطَّعَانِ النُّحُورُ
فَاصْطَنَعَ يَا ابْنَ مَالِكٍ آلَ بَكْرٍ	وَاجْبِرِ الْعِظَمَ إِنَّهُ مَكْسُورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، وأولها⁵ :

حديث رِيا حَبْدًا إِدْلَالُهَا
تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَمَا سَوَّالُهَا
عَنْ أَمْرِي قَدْ شَفَّهَ خِيَالُهَا

1 حبر وواهب : جبلان . وهضب القلب والمضيق : ماءان .

2 شعره : 34 .

3 اللها : العطايا ، مفردا : لهوه .

4 السراة : جمع سري ، وهو الرجل السيد الشريف .

5 شعره : 66 .

وهي شفاء النفس لو تناولها

يقول فيها يمدحه :

سلّ سيفاً محدثاً صِقَالُهَا

صاب على أعدائه وبأها¹

وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها ، وأجزل صيلته .

[الأصمعي يرذ معنى دعبل إليه]

أخبرني ابن عمار ويحيى بن علي ، حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكر الأصم قال : كنا في مجلس الأصمعي ، فأنشده رجل لِدِعْبِل بن علي :

أين الشبابُ وأيةً سلكا

فاستحسننا قوله² :

[من الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكي

لا تعجبي يا سلم من رجل

فقال الأصمعي : هذا أخذه من قول الحسين بن مطير³ :

[من الخفيف]

أين جيراننا على الأحساء

أين أهل القباب بالدّهناء

ر الأقاجي يُجاد بالأنواء

فارقونا والأرض مُلبسة نو

تضحك الأرض من بكاء السماء⁴

كل يوم بأقحوان جديد

[سهر المهدي من شعره]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدثني محمد بن القاسم الدينوري ، قال : حدثني محمد بن عمران الضبي ، قال : قال المهدي للمفضل الضبي : أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدي . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله⁵ : [من الطويل]

وقد تغدر الدنيا فيضحى فقيرها غنياً ويغنى بعد بوئ فقيرها⁶

1 صاب : انصب بغزارة .

2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .

3 شعر الحسين بن مطير : 31 .

4 من بكاء السماء في ل : عن مهل السماء .

5 شعره : 51 . مع اختلاف في الترتيب .

6 في الديوان : « . . فيضحى غنيها فقيراً » وهو أقرب إلى الصواب .

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه حلاوته تفتنى ويبقى مَرِيئُها
وكم قد رأينا مَنْ تَغَيَّرَ عَيْشُهُ وأُخْرَى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمِّي رحمه الله أتم من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عكرمة الضبي : قال المفضل الضبي : كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم ، وعلي عشرة آلاف درهم دين ، إذ جاءني رسول المهدي ، فقال : أجب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إلي في هذا الوقت إلا لسعاية ساع . وتخوفته ، لخروجي ، كان ، مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن . فدخلت منزلي ، فتطهرت وليست ثوبين نظيفين ، وصيرت إليه . فلما مثلت بين يديه سلّمت ، فردّ علي ، وأمرني بالجلوس . فلما سكن جأشي ، قال لي : يا مفضل ، أي بيت قالته العرب أفخر ؟ فتشككت ساعة ، ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالساً ، ثم قال : وأي بيت هو ؟ قلت قولها :

وإن صَخْرًا لَتَأْتُمُ الهداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثني يا مفضل . قلت : أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين ؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار ، ثم قال لي : يا مفضل ، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير ، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأوّل . ثم قال : ألهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

وكم قد رأينا مَنْ تَغَيَّرَ عَيْشُهُ وأُخْرَى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر ، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَنْ هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، وقال : اقض دينك ، وأصلح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

[مدح المهدي]

أخبرني يحيى بن علي ، عن علي بن يحيى إجازة ، وحدّثنا الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع ، أحد بني سوار بن الحارث الأسدي ، قال : أخبرني جدّي موسى بن مجمع ، قال : قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها¹ :

[من الطويل]

إليك أمير المؤمنين تعسفتُ بنا البیدَ هوجاءَ النجاءِ خَبوبٌ¹
 ولو لم يكن قدامها ما تقاذفتُ جبال بها مغبرةٌ وسُهوبُ
 فتى هو من غير التخلُّقِ ماجدٌ ومن غير تأديب الرجالِ أديبُ
 علا خلقه خلق الرجالِ وخلقه إذا ضاق أخلاق الرجالِ رحيبُ
 إذا شاهد القواد سار أمامهم جريء على ما يتقون وثوبُ
 وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابةٌ بها يقهر الأعداء حين يغيبُ
 يعفُ ويستحي إذا كان خالياً كما عفَّ واستحيا بحيث رقيبُ
 فلما أنشدنا المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

[مسكنه]

وكان الحسين من الثعلبية² ، وتلك داره بها . قال ابن أبي سعد : وأرانها الشيخ .
 أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني
 عبد الله بن أبي سعد ، عن إسحاق بن عيسى ، قال : دخل الحسين بن مطير على المهدي ،
 فأنشده قوله³ :

لو يعبدُ الناسُ يا مهديّ أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبودُ
 أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
 لو أن من نوره مثقال خردلة في السود طراً إذن لا يبيضت السودُ
 فأمر له لكل بيت ألف درهم .

[رثاء معن بن زائدة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ،
 قال : حدثني أبي ، قال : خرج المهدي يوماً ، فلقيه الحسين بن مطير ، فأنشده
 قوله :

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
 فقال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد ، بعد قولك في معن بن زائدة

1 تعسفت : سارت على غير هدى . الهوجاء : الناقة المسرعة . والنجاء : الاسراع . والخبوب : التي تسير الخب

وهو ضرب من عدو الإبل .

2 الثعلبية : موضع بجوار زباله .

3 شعره : 48 .

حيث تقول¹ :

[من الطويل]

أَلَمَّا بَمَعْنِ ثُمَّ قَوْلَا لِقَبْرِهِ
سُقِيتَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
أَخْرَجُوهُ عَنِّي ، فَأَخْرَجُوهُ .
وتمام الأبيات :

أَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كُنْتُ أَوَّلَ حَفْرَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ خُطِّتَ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعًا²
أَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جَوْدَهُ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ مُتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مَيِّتَ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَيِّقَتْ حَتَّى تَصْدَعًا
فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَمْرَعًا
أَبَى ذَكَرَ مَعْنٍ أَنْ تَمُوتَ فِعَالَهُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ لَاقَى جِمَامًا وَمَصْرَعًا

[أشعر العباسيين]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني علي بن عبيد الكوفي قال : حدثني الحسين بن أبي الخصب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب ، قال : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، مَنْ أشعر مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً . فقال له : على ذاك فقل ، وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

[من الطويل]

أَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كُنْتُ أَوَّلَ خِطَّةٍ
مِنَ الْأَرْضِ خُطِّتَ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعًا
فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ : بَلْ أَشْعَرَهُمُ الَّذِي يَقُولُ³ :

[من الكامل]

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي
مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدَّمَ
فَقَالَ : أَبَيْتَ يَا أَحْمَدُ إِلَّا غَزْلًا ! أَيْنَ أَنْتُمْ عَنِ الَّذِي يَقُولُ⁴ :

[من المديد]

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نَمَتْ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ

1 شعره : 60-61 .

2 ويروى : «خطت للسماحة . . .» .

3 البيت لأبي الشيص وينسب إلى غيره .

4 البيت مطلع قصيدة لأبي نواس ، وسيرد في ترجمة والبة بن الحجاب منسوباً إليه 18 : 74 .

[أبو عبيدة يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أبو خليفة عن التوزي ، قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لوددت أن الشعراء قاربت في قوله ¹ : [من الطويل]

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها
فصفر تراقبها ، وحرر أكفها وسود نواصيها ، وبيض خدودها

[وصف السحاب والمطر]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير ، قال : كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة ، فدخل عليه الحسين بن مطير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت ، وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جود . فقال له : صِف هذه السحابة . فقال ² : [من الكامل]

مستضحك بلوامع مستعير بمدامع لم تمرها الأقذاء ³
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يراوح بينه وبكاء
كثرت لكثرة ودقه أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء ⁴
وكان بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاء ⁵
لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

صوت

[من الهزج]

إذا ما أم عبد الد ه لم تحلل بواديه
ولم تمس قريباً هي هج الحزن دواعيه
غزال راعه القنأ ص تحميه صياصيه
وما ذكرى حبيباً و قليل ما أواتيه

1 شعره : 45 .

2 شعره : 27-28 .

3 لم تمرها الأقذاء : لم يسلم دمعها القذى .

4 الأطباء : أئداء الحيوان . والودق : المطر .

5 العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

كذي الخمر تمنّاها وقد أنزف ساقيه¹
عرفت الرّبع بالإكليل هل عفتّه سوافيه²
بجوّ ناعم الحودا ن ملتفّ روابيه³

الشعر مختلط ، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأوّل والبيت الأخير ، وباقيها ليزيد بن معاوية⁴ . ورواه من لا يوثق به وروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى . فأما من ذكر أنّه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني ؛ وجدت ذلك عنه في كتابه ، وخالد بن كلثوم ، نسخته من كتاب⁵ أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان . وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه ، فإنّها متوالية ، قال :

فبحت اليوم بالأمر الـ لذي قد كنت تخفيه
فإن أكممه يوماً فإنّي سوف أبديه
وما زلت أفديّه وأدنيه وأرقيه
وأسعى في هواه أ بدأ حتّى ألاقيه
فبات الرّيم منّي حـ ذرّاً زلّت مراقيه

والغناء لمعبد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقل أول بالوسطى ، عن الهشامي وحنين .

1 أنزف : ذهب عقله .

2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تحمل التراب والرمل .

3 الحودان : نبت أو بقلة لها نور أصفر .

4 لم يدخل المحقق (صلاح الدين المنجد) شيئاً منها في مجموع الشعر المنسوب ليزيد .

5 ل : خط .

[310] - أخبار النعمان بن بشير ونسبه¹

[نسبه]

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . وأمّه عمرة بنت رَوَاحَة ، أخت عبد الله بن رَوَاحَة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم² :

أَجَدُّ بَعْمَرَة غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرُ أُمُّ شَانُنَا شَانُهَا³
وعمرة من سُرَوات النسا ء تنفح بالمسك أردانها
وله صحبة بالنبي ﷺ ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر ،
ليشهد معه غزوة له فيما قيل ، فاستصغرها فردّها .

وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه ،
ثم توالى الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة ويدرأ وأحدأ والخندق والمشاهد كلها ،
واستشهد يوم عين التمر⁴ مع خالد بن الوليد .

[عثمانى الهوى]

وكان النعمان عثمانياً ، وشهد مع معاوية صيفين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ؛ وكان
كريماً عليه ، رفيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده . وعمر إلى خلافة مروان بن الحكم ، وكان
يتولى حِمص . فلما بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل
الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أهل حِمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه
فأدركوه فقتلوه ، وذلك في سنة خمس وستين .

ويقال إنّ النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إليها . وقد

1 ترجمة النعمان بن بشير في تهذيب التهذيب 10 : 447 والاستيعاب 4 : 1496 وأسد الغابة 5 : 22
والإصابة وأنساب الأشراف 1 : 244 ومصورة تاريخ ابن عساكر 17 : 85 والوفائي للصفدي والمخبر :
276 ، 294 وطبقات ابن سعد 5 : 531 ، وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري
(بغداد) ووضع له مقدمة ضافية .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 271 .

3 غنيانها : استغناها بزوجها .

4 عين التمر : مدينة في وسط العراق .

قيل ذلك في عبد الله بن الزبير ، إلا أنَّ النُّعمان أوَّل مولود وُلد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .
[العدل بين الأولاد]

وروى النُّعمان بن بشير عن النبي ﷺ كثيراً .

حدَّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدَّثني أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدَّثنا عباد بن العوام ، عن الحصين ، عن الشعبي ، قال : سمعت النُّعمان بن بشير يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت أمي عمرة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله فقال : ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك . فقال : أعطيت كلَّ ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

[يرفض زيادة عطاء الكوفيين]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم ، وعامله يومئذٍ على الكوفة وأرضها النُّعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ؛ وكان ييغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام . فأبى النُّعمان أن ينفذها لهم . فكلَّموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثرَ من قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على منبركم هذا أحداً بعدي يقول : إنَّه سمع رسول الله ﷺ . فصعد المنبر يوماً فقال : يا أهل الكوفة . فصاحوا : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلمَّا أكثرُوا قال : أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضبِّ والثعلب : فإنَّ الضبع والثعلب أتيا الضبَّ في وجاره ، فنادياه : أبا الحِسل . فقال : سمعاً دعوتما . قالوا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إني حللت عييتي . قال : فإلَّ الحرة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيباً لقطت . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمني . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدَّث امرأة حديثين ، فإنَّ أبْت فعشرة¹ .

فقال عبد الله بن هَمَّام السَّلُولي :

[من الطويل]

1 المثل بالفاظ مختلفة في معظم كتب الأمثال (انظر جمع الميداني 1 : 192 ومستقصى الزمخشري 2 : 60 وجمهرة العسكري 1 : 342 والدررة الفاخرة 2 : 457 وفصل المقال : 50) .

زيادتنا نعمان لا تحسبها خفر الله فينا والكتاب الذي تتلو¹
فإنك قد حملت منا أمانة بما عجزت عنه الصلاخمة البزل²
فلا يك باب الشر تحسن فتحه وباب الندى والخيرات له قفل³
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن لغيرك جمات الندى ولك البخل⁴
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه فما باله عند الزيادة لا يحلو⁵
وقبلك قد كانوا علينا أئمة يهملهم تقويمنا وهم عصل⁶
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل⁷
يذمون دنياهم وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لهم نعل⁸
فيا معشر الأنصار إني أخوكم وإني لمعروف أنى منكم أهل⁹
ومن أجل إيواء النبي ونصره يحبككم قلبي وغيركم الأصل¹⁰
فقال النعمان بن بشير : لا عليه ألا يتقرب ، فوالله لا أجيزها ولا أنقذها أبداً .

[سماعه الغناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثني شيخ قديم من أهل المدينة . وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو غسان ، عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال : دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال : والله لقد أخفقت أذنائي من الغناء ، فأسمعوني . ف قيل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء ، فإنها من قد عرفت . فقال : إي ورب الكعبة ، إنها لمن تزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً . ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبت صيرت إليها . فقال له بعض القوم : إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها ،

1 لا تحسبها في ل : لا تحرمنا .

2 الصلاخمة : الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشق نابه وذلك في عامه التاسع .

3 فلا يك في ل : فانك . وباب الندى والخيرات في ل : ولا يك باب الخير ليس ...

4 العصل ، جمع أعصل ، وهو المعوج مع صلابة وشدة ، ويقال عادة في أنياب السباع .

5 الأفاويق : اللبن الذي يتجمع في الضرع بين الحلبتين ، مفردة رفيقة . والثعل : خلف زائد في أخلاف الناقة وضرع الشاة لا لبن فيه .

6 أنى : حان .

وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النُّعْمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجه إليها بنجيب ، فذكرت علة . فلما عاد الرسول إلى النُّعْمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرَقوها . فأذنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النُّعْمان عذرها ، وقال لها : غني ، فغنت :

[من المقارب]

صوت

أجدُّ بَعْمرة غُنيانها فتهجرَ أمَّ شائنا شأنها
وعمرة من سَروات النسا ، تنفَح بالمسك أردانها

قال : فأشير إليها أنها أمه ، فأمسكت . فقال : غني ، فوالله ما ذكرتُ إلاَّ كرمًا وطيبًا ، ولا تغني سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

[فتوى في النكاح]

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عند سعيد الزُّبيري ، قال عامر الشعبي : اشتاق النُّعْمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزة الميلاء ، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها ، فقال النُّعْمان : لأقضيَنَّ بينكما بقضية لا تردَّ علي ، قد أحلَّ الله له من النساء أربعاً : مثني ، وثلاث ، ورباع ، له مرتان بالنهار ، ومرتان بالليل .

[مدح أعشى همدان له]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال حدثني عمِّي ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه ؛ وأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الكلبي . وأخبرني عمِّي قال : حدثنا الكراني قال : حدثني العُمَري عن الهيثم بن عدي ، قالوا : خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم ، فلم يَنَل فيها حظًّا ؛ فجاء إلى النُّعْمان بن بشير وهو عامل على جِمص ، فشكا إليه حاله . فكلَّم له النُّعْمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كلَّ واحد منّا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه ديناراً ، واجعلوا ذلك معجلاً . فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كلِّ رجل من عطائه . ففعل النُّعْمان ذلك ، وكانوا عشرين ألفاً ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النُّعْمان :

[من الطويل]

وَلَمْ أَرْ لِلحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاثُهَا كَنَعْمَانَ نَعْمَانِ النَّدَى ابْنَ بَشِيرِ
إِذَا قَالَ أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ كَمُذَلٍّ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورِ
مَتَى أَكْفِرِ النَّعْمَانَ لَا أَلْفَ شَاكِرًا وَمَا خَيْرَ مَنْ لَا يَقْتَدِي بِشُكُورِ
فَلَوْلَا أَخُو الْأَنْصَارِ كُنْتَ كَنَازِلَ ثَوَى مَا ثَوَى لَمْ يَنْقَلِبْ بِنَقِيرِ

[هجاء الأخطل للأنصار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ،
قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى الزُّبَيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي زُرَيْقٍ ، قال : شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بَرْمَلَةَ
بنت معاوية ، فقال¹ :

رَمَلَ هَلْ تَذْكُرِينَ يَوْمَ غَزَا إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنَّى
إِذْ تَقُولِينَ عَمَرَكَ اللَّهُ هـ لَمْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
أَمْ هَلْ أَطِيعَتْ مِنْكُمْ يَا ابْنَ حَسَّانٍ نَ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أَطِيعَتْ مِنِّي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فغضب ودخل على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى
إلى هذا العِلَجِ من أهل يثرب ، يتهمكم بأعراضنا ، ويشبّب بنسائنا ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : عبد
الرحمن بن حسان . وأنشده ما قال : فقال : يا يزيد ؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي
القدرة ، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار ، ثم أذكرني به . فلما قدموا أذكره به . فلما
دخلوا ، قال : يا عبد الرحمن ، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو
علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته . فقال : فأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإن لها
لأختاً يقال لها هند ؟ قال : نعم . وإنما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً ، فيكذب نفسه . قال :
فلم يرض ذلك يزيد ما كان من معاوية في ذلك ، فأرسل إلى كعب بن الجعيل ، فقال : اهج
الأنصار . فقال : أفرق من أمير المؤمنين ، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل .
قال : فدعاه ، فقال له : اهج الأنصار . فقال : أفرق من أمير المؤمنين . قال : لا تخف شيئاً ، أنا
بذلك لك . فهجاهم ، فقال :

وَإِذَا نَسَبْتَ ابْنَ الْفَرِيعَةِ خِلَتَهُ كَالْجَحْشِ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ
لَعَنَ إِلَاهَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَصَابَةَ بِالْجَزْعِ بَيْنَ صُلَيْصِلٍ وَصُدَارِ
قَوْمَ إِذَا هَدَرَ الْعَصِيرُ رَأَيْتَهُمْ حَمْرًا عَيُونُهُمْ مِنَ الْمُسْطَارِ²

1 تقدم هذا الخبر في التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم 15 : 74 .

2 المسطار : الخمر الحديثة العصر أو الخمر الحامضة .

خَلُّوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار
 إنَّ الفوارس يعرفون ظهوركم أولادَ كلِّ مقبَّحٍ أكارٍ¹
 ذهبت قريش بالمكارم والعلل واللوم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، فحسر عمامته عن رأسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤماً ؟ قال : بل أرى كرمأ وخيراً . فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللوم تحت عمائم الأنصار . قال : أو فعل ذلك ؟ قال : نعم . قال لك لسانه . وكتب فيه أن يوئى به . فلما أتى به ، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً ، فأدخله عليه . فقال له : هذا الذي كنت أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ودخل إلى معاوية ، فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ، ويرمي من وراء جَمْرَتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه ، وهو المدَّعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيئة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له . فدعاه بالبيئة ، فلم يأت بها ، فخلَّى سبيله ، فقال الأخطل :

[من الطويل]

وإني غداة استعبرتُ أم مالك لراضٍ من السلطان أن يتهددا
 ولولا يزيد ابن الملوك وسعيه تجللتُ حِذْبَاراً من الشرِّ أنكد²
 فكم أنقذتني من خطوب حباله وخرساء لو يُرمى بها الفيل بلد³
 ودافع عني يوم جلق غمرة وهما ينسيني الشراب المبردا⁴
 وبات نجياً في دمشق لحية إذا هم لم ينم السليم وأقصدا⁵
 يخافته طوراً ، وطوراً إذا رأى من الوجه إقبالا ألح وأجهدا
 أبا خالد دافعت عني عزيمة وأدركت لحمي قبل أن يتبددا
 وأطفأت عني نار نعمان بعدما أغدَّ لأمر فاجر وتجرّدا⁶
 ولما رأى النعمان دوني ابن حرّة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

1 الأكار : الحراث .

2 تجللت : علا . والحذبار : الناقة التي ييس لحمها من الهزال .

3 الخرساء : الداهية . بلد : ضعف واستكان .

4 الشراب في ل : السلاف .

5 الحية هنا : الرجل الداهية . والسليم : الملدوغ . وأقصدت الحية : إذا عضت فمات الملدوغ في مكانه .

6 أغدَّ في ل : أعدَّ .

حدثني عمي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار ، قال له : أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟ أهجو قوماً آووا رسول الله ﷺ ونصروه ؟! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك . قال : غلام منّا خبيث الدين نصراني ، فدلّه على الأخطل .

[عودة إلي تهاجي عبد الرحمن]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب ، قال¹ : لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد ، وما مدح أحداً غيره قط . فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمّه ، فأمسك عنهما . ثم ولي مروان ، فلما قديم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام ، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية : [من الخفيف]

ليت شعري أغائبٌ ليس بالشا	م خليلي أم راقد نعمان ²
أيّة ما يكن فقد يرجع الغا	ئب يوماً ويوقظ الوسنان
إن عمراً وعامراً أبونا	وحراماً قدماً على العهد كانوا
أفهم مانعوك أم قلّة الك	تاب أم أنت عاتب غضبان
أم جفاء أم أعوزتك القرايط	س أم امري به عليك هوان
يوم أنبت أن ساقِي رُضّت	وأنتكم بذلك الركبان
ثم قالوا إن ابن عمك في بلد	سوى أمور أتى بها الحِذْثان
فنسيت الأرحام والودّ والصح	بة فيما أتت به الأزمان ³
إنما الرّيح فاعلمنّ قناة	أو كبعض العيدان لولا السنّان

وهي قصيدة طويلة . فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة ، فلم يفعل ؛ ثم وليت أخاه ، فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه : قال . فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به

1 تقدم هذا الخير والشعر في 15 : 80 .

2 راقد في ل : عاتب .

3 فنسيت في ل : فتنط .

إلى سعيد . فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسان بـمئة ، وسأله أن يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنما ضربني حدّ الحر مئة ، وضربه حد العبد خمسين . فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم . فجاء إلى أخيه فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان . فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلّم فاقتصم من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .
[نبوءة ميسون الكلبيّة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب : أن معاوية تزوّج امرأة من كلب ، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه . فأتتها فنظرت إليها ، ثم رجعت فقالت : ما رأيت مثلاً ، ولقد رأيت خالاً تحت سرّتها ليوضعن تحت مكانه في حجرها رأس زوجها . فتطير من ذلك ، فطلّقها ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة ، ثم طلقها ، فتزوّجها النعمان بن بشير ، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها .
قالوا : وكان النعمان بن بشير لما قُتل الضحّاك بن قيس بمرّج راهط ، في خلافة مروان بن الحكم ، أراد أن يهرب من حمص ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ودعا لابن الزبير ، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزّوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبيّة : ألقوا رأسه في حجري ، فأنا أحقّ به . فألقوه في حجرها ، فضمّته إلى جسده ، وكفّته ودفنته .
[غضبه من معاوية]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلف الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، قال : حدثنا أبو عبيدة ، قال : نظر معاوية إلى رجل في مجلسه ، فراقه حسناً وشارة وجسماً ، فاستنطقه فوجده سديداً . فقال له : ممّن أنت ؟ قال : ممّن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزود الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التي لا تمنع من دخل فيهم ، ولا تبالي من خرج منهم . فغضب النعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه ، وقال : أما والله إنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك ، عاق بزورك¹ ، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلاّ جلس فجلس . فضاحكه معاوية طويلاً ، ثم قال له : إنّ قوماً أوّهم غسان وآخرهم الأنصار ، لكرام . وسأله عن حوائجه ، فقضاها حتى رضي .

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطّه ، أخبرنا ابن حبيب ، قال : قال خالد بن

كلثوم : خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حفير ، وحاضرتها بنو القين . فأهدت لهم امرأة من بني القين لها ليلي ، هدية . فبينما القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء ، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعراً ؟ قال : لا والله ما قلت ، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سيماك : لم تقل شعراً قط ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لترُبطنَ إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعراً . فقال عند ذلك ، وهو أول شعر قاله ¹ :

يا خليلي ودّعا دار ليلي ليس مثلي يحلّ دار الهوان
إنّ قينية تحلّ مُجيباً وحفيراً فجنبتي ترُفْلان²
لا تواتيك في المغيب إذا ما حال من دونها فروع قنان³
إن ليلي ولو كلّفت بليلي عاقها عنك عائق غير وان⁴

قال : وضرب الدهر على ذلك ، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلي القينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير على حمص . فلمّا رآها عرفها ، فأنشأ يقول ⁵ :

ألا استأذنت ليلي فقلنا لها ليجي ومالك ألا تدخلني بسلام
فإنّ أناساً زرتهم ثم حرّموا عليك دخول البيت غير كرام
وأحسن صلتها ، ورفدها⁶ طول مقامها ، إلى أن رحلت عنه .

[أهل المدينة لا يريدون لقباً غير الأنصار]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود ، عن أبيه ، عن مشيخة من الأنصار ، قال : حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرّة ، وقد حَجَب بعده عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم . فقال له عمرو : ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ؟ أردد القوم إلى أنسابهم . فقال معاوية : إني أخاف من

1 شعر النعمان بن بشير : 128-129 .

2 قينية : نسبة إلى بني القين . محب وحفير وترفلان : أسماء مواضع . وفي الديوان «فجنتي» كما في معجم البلدان بدلاً من «جنبتي» .

3 قنان : جبل بنجد .

4 وان : ضعيف فاتر .

5 مجموع شعره : 116 .

6 ل : زودها .

ذلك الشُّنعة . فقال : هي كلمة تقولها ، إن مضت عضَّتْهم ونقصتْهم ، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم . فقال له : اخرج فقل : مَنْ كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلَّهم إلا الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً ، فقال له : باعدتَ جدّاً . فقال : اخرج فقل : مَنْ كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فقالها ، فلم يدخل أحد . فقال له معاوية : أخرج فقل : مَنْ كان ههنا من الأنصار فليدخل . فخرج فقالها ، فدخلوا يقدِّمهم النُّعمان بن بشير وهو يقول¹ : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِدِّ الدَّعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار²
نسب تخيِّره الإله لقومنا أثْقِلَ به نسباً على الكفَّار³
إنَّ الذين ثَوَّوا ببدر منكم يوم القليب هم وقود النَّار⁴
فقال معاوية لعمرو : قد كنَّا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جدّه شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمّه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء⁵ .

فأمّا جدّه سعد بن الحصين⁴ فهو القائل : [من البسيط]

إن كنتِ سائلةً والحقّ معْتبةً فالأزد نسبنا والماء غسَّان⁵
شمّ الأنوف لهم عزٌّ ومكرمة كانت لهم من جبال الطُّود أركان⁶

وعمّه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل : [من الطويل]

إذا لم أزر إلاّ لآكلٍ أكلة فلا رفعت كفِّي إلي طعامي
فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جَوْعة إن جعتها بغرام

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول : [من الطويل]

1 مجموع شعره : 147-148 .

2 تُعِدِّ في ل : تجب . وفي مجموع شعره : لا تعد النداء .

3 الشعر المنسوب إلى جدّ النُّعمان بن بشير وأبيه ينسب أيضاً إلى حسان بن ثابت . وهو مثبت في ديوانه مع بعض اختلاف في الرواية .

4 ليس في نسب النُّعمان بن بشير من اسمه سعيد بن الحصين (انظر نسبه في أوّله هذه الترجمة وجمهرة ابن حزم 364 الاستيعاب : 1496) .

5 غسان : ماء بسد مأرب كان شرباً لبني مازن بن الأزد أجداد الأنصار .

6 جبال الطود : جبال السراة .

لعمرةً بالبطحاء بين معرفٍ
ووين المطاف مسكن ومحاضر¹
لعمرى لَحَى بين دار مزاحم
ووين الجثى لا يجشم السير حاضِر²
وحى جلال لا يروّع سَرَبهم
لهم من وراء القاصيات زوافِر³
أحقُّ بها من فتية وركائب
يقطع عنها الليلَ عوجُ ضوامِر⁴
تقول وتذري الدمع عن حرٍّ وجهها
لعلَّك نفسي قبل نفسك باكرٌ
أباح لها بطريق فارس غائطاً
لها من ذرا الجولان بقل وزاهرٌ
فقرَّبَتها للرحل وهي كأنَّها
ظليم نعامٍ بالسماوة نافرٌ
فأوردتها ماءً فما شربت به
سوى أنَّه قد بُلَّ منها المشافرُ
فباتت سَراها ليلة ثمَّ عرَّست
بيثربَ والأعراب بادٍ وحاضرٌ

[طلب قطع لسان الأخطل]

قال خالد بن كلثوم : ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار ، فلمَّا
مثَّل بين يديه أنشأ يقول⁵ :

[من الطويل]

معاويَ إلَّا تعطنا الحقَّ تعترفُ
لحى الأزد مشدوداً عليها العمامُ
أيشتمنا عبد الأراقم ضَلَّة
وماذا الذي تجدي عليك الأراقم⁶
فما لي ثأر غير قطع لسانه
فدونك مَنْ يرضيه عنك الدراهمُ
وأزع رويداً لا تَسْمنا دَنيَّة
لعلَّك في غِيبِ الحوادث نادِمٌ⁷
متى تلقَ منا عصبة خزرجية
أو الأوس يوماً تخترمك المخارمُ⁸

- 1 المطاف في ل : البطاح . معرف : موضع الوقوف بعرفة . والأمكنة في هذه الرواية في مكة ، وفي ديوان حسان : بين نطا . . . ونطا وجثى في البيت التالي أقرب إلى المدينة حيث إقامة جميع من نسبت إليهم الأبيات .
- 2 الجثى في ل : الحمى .
- 3 الحى الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المال البراعي من الإبل والماشية . والقاصيات : جمع قاصية ، موضع . والزوافر : جمع زافرة ، وهي الرهط والعشيرة .
- 4 العوج : التي في يديها عوج .
- 5 مجموع شعره : 150-158 عن الأغاني . وكان جامع الشعر قد أثبت من المخطوطة خمسة أبيات فقط ثم أضاف رواية الأغاني على حدة .
- 6 الأراقم : أحياء من تغلب قبيلة الأخطل .
- 7 أزع رويداً : كن برعيتك شقيقاً .
- 8 تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق في الجبال .

وتلّك خيل كالقطا مسبّرةً
يسومها العُمران عمرو بن عامر
ويبدو من الخود الغريرة حجلها
فتطلب شغب الصّدع بعد الثّامه
والآ فتوبي لأمة تُبعية
وأجرد خوَار العِنان كأنّه
وأسمّر خطّي كأنّ كعوبه
فإن كنت لم تشهد بيدر وقبعة
فسائل بنا حيي لوي بن غالب
ألّم بتبديركم يوم بدر سيوفنا
ضربناكم حتّى تفرّق جمعكم
وعاذت على البيت الحرام عوايس
وعضّت قريش بالأنامل بغضة
فكنّا لها في كلّ أمرٍ تكيده
فما إن رمى رامٍ فأوهى صفاتنا
وإنّي لأغضي عن أمور كثيرة
أصابع فيها عبد شمس وإنّي
فلا تشتمنّ يا ابن حرب فإنّما
فما أنت والأمر الذي لست أهله
إليهم يصير الأمر بعد شتاته
بهم شرّع الله الهدى واهتدى بهم

شماطيطُ أرسل عليها الشكائم¹
وعِمران حتّى تستباح المحارمُ
وتبيض من هول السيوف المقادّم
فتعيا به فالآن والأمر سالم
مواريث آبائي وأبيض صارمُ
بدومة موشي الذراعين صائم
نوى القسب فيها لهذمي ضبارم²
أذلت قريشاً والأنوف رواعمُ
وأنت بما تخفي من الأمر عالمُ
وليلك عمّا ناب قومك نائم
وطارت أكفّ منكم وجماجم
وأنت على خوفٍ عليك تمائم
ومن قبل ما عُضّت علينا الأباهم
مكان الشّجا والأمر فيه تفاقم
ولا ضامناً يوماً من الدهر ضائم
سُرقى بها يوماً إليك السلايم
لتلك التي في النفس منّي أكايم
ترقي إلى تلك الأمور الأشايم
ولكن ولي الحقّ والأمر هاشيم³
فمن لك بالأمر الذي هو لازم
ومنهم له هادي إمام وخاتم

قال : فلمّا بلغت هذه الأبيات معاوية ، أمر بدفع الأخطل إليه ، ليقطع لسانه . فاستجار

1 مسبّرة : طويلة وسريعة . والشماطيط : المتفرقة المتابعة .

2 القسب : التمر اليابس . واللهذي : القاطع . والضبارم : الأسد الشديد .

3 يستبعد أن يكون هذا البيت وما بعده للنعمان بن بشير ، فقد كان عثمانى الهوى وقاتل علياً مع معاوية في صفين .

بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضوا النعمان ، حتى رضي وكف عنه .
 وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن
 حسان الحدّ ، ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير
 يشتكي ذلك إليه ، فدخل إلى معاوية ، وأنشأ يقول¹ :

يا ابن أبي سفيان ما مثلنا	جار عليه ملك أو أمير
أذكر بنا مقدّم أفراسنا	بالحنو إذ أنت إلينا فقير
وأذكر غداة الساعديّ الذي	آثركم بالأمر فيها بشير ²
واحذر عليهم مثل بدر فقد	مرّ بكم يومٌ بيدر عسير
إن ابن حسان له نائر	فأعطيه الحقّ تصحّ الصدور ³
ومثل أيام لنا شئت	ملكاً لكم أمرك فيها صغير
أما ترى الأزد وأشياعها	نحوك خُزراً كاظماتٍ تزيّر ⁴
يطوف حولي منهمُ معشر	إن صُلْتُ صالوا وهم لي نصير ⁵
يأبى لنا الضيم فلا يعتلي	عزّ منيع وعديد كثير
وعنصر في حُرّ جرثومة	عادية تنقل عنها الصخور ⁶

[أهل المدينة يصرون على تلقيهم بالأنصار]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثني أحمد بن الهيثم الفيراسيّ ، قال : حدّثني
 العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال⁷ : حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن
 بشير ، فخرج إليهم سعد أبو ذرّة ، وكان حاجب معاوية ، ثم حجب عبد الملك بن مروان ،
 فقال : استأذن لنا . فدخل ، فقال لمعاوية : الأنصار بالباب . فقال له عمرو بن العاص : ما
 هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً ؟ ارددهم إلى نسبهم . فقال معاوية : إنّ علينا في ذلك

1 مجموع شعره : 144-146 عن الأغاني .

2 اليوم الساعديّ : نسبة إلى بني ساعدة ، وهو يوم السقيفة إذ كان بشير بن سعد أبو النعمان أول أنصاريّ بايع
 أبا بكر بالخلافة .

3 نائر : ناصر .

4 نحوك في ل : تجول . تزيّر : تزار كالأسود .

5 يطوف في ل : يصول .

6 الجرثومة : الأصل .

7 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة برواية من طريق آخر .

شناعة . قال : وما في ذلك ؟ إنما هي كلمة مكان كلمة ، ولا مردّ لها . فقال له معاوية : اخرج فنادٍ من الباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فخرج فنادى بذلك ، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار . فقال له : اخرج فنادٍ من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فنادى ذلك ، فوثب النعمان بن بشير ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

يا سعد لا تُعدّ الدعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصارِ
نسب تخيره إلا له لقومنا أثقل به نسباً على الكفارِ
إن الذين ثوروا ببدر منكم يوم القليب هم وقود النارِ

وقام مغضباً وانصرف . فبعث معاوية فردّه ، فترضّاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار .

ومن مختار شعر النعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم ، واخترت منها¹ : [من الطويل]

إذا ذكرت أمّ الحويرث أخضلت دموعي على السربال أربعة سكّبا
كأنّي لما فرقت بيننا النوى أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا
وكنا كماء العين والجفن لا ترى لوأش بغي نقض الهوى بيننا إربا²
فأمسى الوشاة غيروا ودّ بيننا فلا صلة ترعى لديّ ولا قرى
جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت كأنّي ، ولم أذنب ، جنيّت لها ذنبا
فإن تصرميني تصرمي بيّ واصلاً لدى الودّ مغراضاً إذا ما التوى صعبا
عزوفاً إذا خاف الهوان عن الهوى ويأبى فلا يعطي مودّته غصبا
فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى فمثل الذي لا قيت كلّفني نصبا³

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى ، وأولها⁴ : [من المتقارب]

أهيج دمّك رسمُ الطلل عفا غير مطّرد كالخلل⁵
نعم فاستهلّ لعرفانه يسبح ويهمي بفيض سبل⁶

1 مجموع شعره : 135-136 عن الأغاني .

2 الإرب : الحاجة .

3 النصب : الداء والبلاء والشر .

4 مجموع شعره : 105-112 مع بعض اختلاف في الرواية .

5 الخلل : جمع خِلّة ، وهي بطة تنقش بالذهب ويغشى بها جفن السيف .

6 السبل : المطر الجود الماطل .

ديار الألف وأترابها وأنت من الحب كالمختبَل
ليالي تَسبي قلوب الرجا ل تحت الخدور بحسن الغزل
من الناهضات بأعجازِهـ من حين يقوم جزيلُ الكفل
كأن الرضاب وصوب السحا ب بات يُشاب بدَوْب العسل
من الليل خالط أنيابها بُعيد الكرى واختلافِ العَلل
أخذ هذا المعنى جميل منه ، فقال ¹ :

[من الكامل]

وكان طارقها على غَلل الكرى والنجم وهنأ قد دنا لتغور ²
يشتّم ريح مدامية معلولة يسحق مسك في ذكي العنبر
وفي هذه القصيدة يقول النعمان :

وأروع ذي شرف حازم صروم وصولِ حبال الخُلل ³
كريم البلاء صبور اللقا صافي الشاء قليل العذل
عظيم الرماد طويل العما د واري الزناد بعيد القفل ⁴
أقمت له ولأصحابه عمود السرى بدمولِ رمل ⁵
مداخلية سرحة جسة على الأين دوسرة كالجمال ⁶

[عبد الله بن النعمان]

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير ، ابنه عبد الله بن النعمان ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

ماذا رجائك غائباً من لا يسرك شاهد
وإذا دنوت يزيده منك الدنوّ تباعداً

[عبد الخالق بن أبان]

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثّر ، وهو القائل في قصيدة

- 1 ديوان جميل (صادر) : 60 .
- 2 العلل : الشرب مرة بعد مرة ، استعير هنا للنوم .
- 3 الخلل : جمع خلة ، وهي الحبيبة .
- 4 القفل : الرجوع من أماكن الغزو البعيدة .
- 5 عمود السرى : طريق السير . والدمول والرمل : أنواع من السير .
- 6 المداخلية : المكتنزة المدمجة الخلق . السرحة والجسة والدوسرة : الضخمة الطويلة الشديدة . والأين : التعب والكلال .

طويلة :

[من الطويل]

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر
وخطّ حياض المجد مترعة لنا
وأشرع فيها الناس بعدد ، فما لهم
وفي غيرنا مجد من الناس كلهم
وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها .

[شبيب بن يزيد]

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثّر مُجيد ، وهو القائل من قصيدة
طويلة ، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده ، أولها : [من البسيط]
يا قلب صبراً جميلاً لا تمت حزننا
قد كنت من أن ترى جلد القوى قمنّا

يقول فيها :

بل أيها الراكب المزجي مطيته
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها
إن الخلافة أمر كان يُعظمه
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم
أغريتكم بكم جهلاً عدوكم
لما سفكتم بأيديكم دماءكم

[إبراهيم بن بشير]

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النعمان ، شاعر مكثّر ، وهو القائل في قصيدة
طويلة :

[من الطويل]

أشافتك أظعانُ الحُدُوجِ البواكرِ
على كلّ فتلاء الذراعين جَسرةً
كنخل النَجِيرِ الشامخاتِ المَواقِرِ⁴
وأعْيَسَ نَضَاحِ المَهْدِ عُدَافِرِ⁵

1 السور : البقية الباقية في الحوض .

2 الأذن : الاستماع .

3 استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح .

4 النجير : موضع . المواقر : جمع موقرة ، أي المحملة .

5 الجمل الأعيس : الذي فيه أدمة . والنضاح : من النضخ ، وهو شدة فور الماء وجيشانه عند انفجاره من ينبوعه .
المهد : الهدّ وهو هدير الفحل . والعذافر : الجمل الصلب العظيم .

نعم فاستدرت عبرة العين لوعة
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة
ألا ربَّ ليل قد سریتُ سواده
ليالي يدعوني الصبا فأجيبه
وإذ لمتي مثل الجناح أثيثة
فأصبحت قد ودعت ذاكمُ بغيره
وما أنت عن ذكرى سليمى بصائر
من الدهر إلا وقفةً بالمشاعر
إلى رُدح الأعجاز غر المحاجر
أجر إزاري عاصياً أمر زاجري
أمشي الهوينى لا يروِّع طائري
مخافة ربِّي يوم تُبلى سرائري

[حميدة بنت بشر]

وبنت النعمان بن بشير ، واسمها حميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، فكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي ، وقيل بل كانت تحت المهاجرين بن عبد الله بن خالد ، فقالت فيه :

[من المتقارب]

كهولُ دمشق وشبانها
صماحهم كصماح التيو
وقمل يدب دبيب الجراد
أحِبَّ إليَّ من الجالية¹
س أعياء على المسك والغالية²
أكاريس أعياء على الغالية

فطلَّقها . فتزوَّجها رُوح بن زُبَاع ، فهجته ، وقالت تخاطب أُنحاه الذي زوَّجها من رُوح ، وتقول :

[من الوافر]

أضلَّ الله حلمك من غلام
أترضى بالأكارع والذنانى
وقالت تهجو رُوحاً :
متى كانت مناكحنا جذام
وقد كنَّا يقر لنا السنائم

[من الطويل]

بكى الخزُّ من روح وأنكر جلده
وقال العباء نحن كنَّا ثيابهم
وعجَّت عجيباً من جذام المطارف
وأكسية كذريَّة وقطائف³

فطلَّقها رُوح ، وقال : سلَّط الله عليك بعلاً يشرب الخمر وبقيةها في حجرِك . فتزوَّجت بعده الفيض بن أبي عقيل الثقفي ، وكان يسكر ويقيء في حجرها . فكانت تقول : أُجيبَت في دعوة رُوح . وقالت في الفيض :

[من البسيط]

1 الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .

2 صماحهم كصماح في ل : صناهم كصنان .

3 العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن .

سُمِّيتَ فَيْضاً وما شيءٌ تفيضُ به
فَتلكَ دعوة رَوْحَ الخيرِ أعرفها
إِلَّا بِسَلْحِكَ بَيْنَ البابِ والدارِ
سقى إِلالهَ صَداهُ الأَوْطَفِ السَّاري¹
[من الطويل]

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ
فَإِنْ نُتِجَتْ مَهْرًا كَرِيمًا فَبالْحَرَى
سَلِيلَةٌ أَفْرَاسُ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ
وإنْ كَانَ إِقْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ الْفَحْلُ
هَكَذَا رَوَى خَالِدُ بْنُ كَثُومٍ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهَا ، وَغَيْرِهِ يَرْوِيهِمَا لِمَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ لَمَّا تَزَوَّجَ
الْحَجَّاجُ أُخْتَهُ هِنْدًا . وَهِيَ الْقَائِلَةُ لَمَّا تَزَوَّجَ الْحَجَّاجُ أُخْتَهَا أُمَّ أَبَانَ :
[من الرجز]

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو بَعْضَ مَا يَرْجُو الرَّاجُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ نِكَاحَ الْحَجَّاجِ
أَنْ تَنْكِحِيهِ مُلْكًا أَوْ ذَا تَاجٍ
تَضُرِّمُ الْقَلْبَ بِحُزْنٍ وَهَاجٍ
وَفَاضَتْ الْعَيْنُ بِمَاءِ ثَجَّاجٍ
لَوْ كَانَ نَعْمَانُ قَتِيلُ الْأَعْلَاجِ
مُسْتَوِيَّ الشَّخْصِ صَحِيحَ الْأَوْدَاجِ
مَا نَلْتَمَاسًا نَلْتَمَاسُ الدَّرَاجِ
فَأَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَرَدَّهَا إِلَى الشَّامِ .

صوت

[من الكامل]

نَفَرْتُ قَلَوَصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ
شَرِيبِ خَمَرٍ مِسْعَرٍ لِحُروبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رِبْعَةً بَنَ مَكْدَمٍ
وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ
لَوْلَا السُّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَةٍ
لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرُقُوبِ

يَقَالُ إِنَّ الشَّعْرَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ² ، وَيَقَالُ : إِنَّهُ لَضَرَّارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ .
أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ إِجَازَةً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِعَمْرُو بْنِ
شَقِيقٍ ، أَحَدِ بَنِي فَهْرٍ بْنِ مَالِكٍ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْوِيهَا لِمُكْرِّزِ بْنِ حَفْصِ بْنِ الْأَحْنَفِ الْفَهْرِيِّ ،
وَعَمْرُو بْنُ شَقِيقٍ أَوَّلَى بِهَا³ .
وَالْغَنَاءُ لِمَالِكٍ : خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ .

1 الأوطف : السحاب المسترخي من كثرة مائه .

2 ديوان حسان بن ثابت 1 : 410 .

3 نسبت هذه الأبيات إلى كثير غير هؤلاء . انظر شرح الحماسة للتبريزي وديوان حسان .

[311] - أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه¹

[نسبه]

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطّعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، أحد فرسان مُضَرّ المعدودين ، وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبَيْشَة بن حبيب السُّلَميّ في يوم الكديد .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد ، إجازة عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ؛ ونسخته أيضاً من رواية الأصمعيّ وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارؤ² بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيْم بن منصور ، ثم إنهم ودّوها . ثم ضرب الدهر ضَرْبَانَهُ ، فخرج نبَيْشَة بن حبيب السُّلَميّ غازياً ، فلَقِيَ طُعْناً من بني كنانة بالكديد ، في نفر من قومه ، وبَصُرَ بهم نفر من بني فراس بن مالك ، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس ، والحارث بن مكدّم أبو الفارعة ، وقال بعضهم أبو الفرعة ، أخو ربيعة بن مكدّم . قال : وهو مجدور يومئذٍ يُحْمَلُ في حَفّة ، فلَمَّا رآهم أبو الفارعة ، قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدّم : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم ، فأتيتكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم ، فلَمَّا وَلَّى ، قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت أخته أمّ عزّة بنت مكدّم : أين تنتهي نفرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال : [من الرجز]

لقد علمن أنني غير فَرِقْ لأطعنن طعنة وأعتنق
أُعَمِلُ فيهم حين تحمرّ الحَدَقْ عَضْباً حساماً وسناناً يَأْتَلِقْ

قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له في طريق الظعن . وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماه نُبَيْشَة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمي ، حتى أتى إلى أمّه أمّ سيّار ، فقال : اجعلي على يدي عصابة ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

1 انظر أمالي القاضي 2 : 270 والعقد الفريد 5 : 174 وسمط اللآلي 2 : 910 وبلوغ الأرب 1 : 144 وأيام العرب في الجاهلية : 312 .

2 تدارؤ : تدافع في خصومة واختلاف .

شَدَّيْ عَلَيَّ الْعَصْبُ أُم سَيَّارُ
لَقَدْ رُزِيْتُ فَارِسًا كَالدِينَارُ
يَطْعُنُ بِالرَّمْحِ أَمَامَ الْأَدْبَارُ

فَقَالَتْ أُمُّهُ : [من الرجز]

إِنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مُرَّرًا خِيَارِنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرِّزْءُ إِلَّا ذَلِكَ

قال أبو عبيدة : وشدت أمه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنك إن شربت الماء مت ، فكرك على القوم . فكرك راجعاً يشد على القوم ويذبهم ، ونزفه الدم حتى أثنخ ، فقال للظعن : أوضعن¹ ركابكن خلفي ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي ، فأني لما بي ، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحي ، فلن يقدموا عليكن لمكاني . ففعلن ذلك ، فنجون إلى مأمنهن .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره . قال : وإنه يومئذ لغلالم له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لمن على متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهن ، وما يقدم القوم عليه . فقال : نبيشة بن حبيب : إنه لماثل العنق ، وما أظنه إلا قد مات . فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه . فرماها فقمصت وزالت ، فمال عنها ميتاً . قال : ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظعن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكرم ، فقتلوه ، وألقوا على ربيعة أحجاراً .

فمر به رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره ، وحض على قتلته ، وعير من فر وأسلمه من قومه : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حرّة بُنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فإنّه سبّاء خمر مسعر لحروب
لولا السّفار وبعد خرق مهمه لتركتها تجبو على العروق
فرّ الفوارس عن ربيعة بعدما نجاهم من غمة المكروب²

1 الايضاع : سير سريع .

2 غمة في ل : غمرة .

يدعو علياً حين أسلم ظهره فلقد دثوتَ هناك غير مجيبٍ
لله درّ بني عليّ إتهمهم لم يُحمشوا غزواً كولغ الذيب¹
نعم الفتى أدّى نبيشة بزه يوم الكديد ، نبيشة بن حبيب²
لا يبعدن ربيعة بن مكدّم وسقى الغوادي قبره بذنوبٍ

قال أبو عبيدة : ويقال إنّ الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت :

وسقى الغوادي قبره بذنوبٍ

واحتجّ به في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ . فسأله لمن هذا البيت ، فقال : لمكرز بن حفص بن الأحنف ، أحد بني عامر بن لؤي ، رجل من قريش الظواهر ؛ ولم يسمّه ههنا .

وقال عبد الله بن جندل الطّعان واسمه بلعاء :

لأطلبن ربيعة بن مكدّم حتى أنال عُصيّة بن معيصٍ
يقال إنّ عُصيّة من بني سليم ، وهو عُصيّة بن معيص بن عامر بن لؤي .

وتقاد كلّ طِمرةٍ محوصةٍ ومقلّص عبّل الشوى محوص³

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدّم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطاب الأخفش أنّه لحسان بن ثابت ، يحضّ على قتله⁴ : [من الكامل]

ولأصرفنّ سوي حذيفة مذحتي لفتى الشتاء وفارس الأجراف⁵
مأوى الضّريك إذا الرياح تناوحت ضخم الدّسيسة مُخلفٍ متلافٍ⁶

1 لم يحمشوا : لم يحرضوا على القتال . وولغ الذيب : شره الماء .

2 البز : السلاح .

3 تقاد في ل : يقتاد . الطمرة : الفرس الطويلة القوائم المستعدة للعدو . والمحصوة : القليلة لحم القوائم .

والمقلّص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبّل الشوى : ضخم الأطراف .

4 ديوان حسان 1 : 496 .

5 سوي في ل : إلى . الأجراف : موضع .

6 الضريك : المحتاج .

مَنْ لَا يَزَالُ يَكُوبُ كُلَّ ثَقِيلَةٍ كَوْمَاءَ غَيْرِ مُسَائِلٍ مُنَازِفٍ¹
 رَحْبِ الْمَبَاءَةِ وَالْجَنَابِ مَوْطَأً مَأْوَى لِكُلِّ مُعْتَقٍ بِسَوَافٍ²
 فَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَكَ ابْنَ مَكْدَمٍ مِنْ صَوْبِ كُلِّ مُجْلَجِلٍ وَكَافٍ³
 أَبْلَغَ بَنِي بَكْرٍ وَخُصَّ فَوَارِساً لِحَقْوِ الْمَلَامَةِ دُونَ كُلِّ لَخَافٍ
 أَسْلَمْتُمْ جِذْلَ الطَّعَانِ أَخَاكُمْ بَيْنَ الْكَدِيدِ وَقُلَّةِ الْأَعْرَافِ
 الْأَعْرَافُ : رَمْلٌ ، قَالَ الْأَثْرَمُ : الْأَعْرَافُ كُلُّ مَا ارْتَفَعَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :
 ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ .

حَتَّى هَوَى مُتَزَايِلًا أَوْصَالَهُ لِلْحَدِّ بَيْنَ جَنَادِلٍ وَقِفَافٍ⁴
 اللَّهُ دَرَّ بَنِي عَلِيٍّ إِنْ هُمْ لَمْ يَشْأَرُوا عَوْفًا وَحَيَّ خِفَافٍ⁵
 قَالَ الْأَثْرَمُ : وَأَنْشَدَنَا أَبُو عَبِيدَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مَرَّةً لَقَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ حِينَ قَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ ،
 فَقَالَ :

تَذَكَّرَ لَيْلَى حُسْنَهَا وَصَفَاءَهَا

وَقَالَ ابْنُ جِذْلِ الطَّعَانِ فِي ذَلِكَ أَيْضًا :

أَلَا اللَّهُ دَرَّ بَنِي فِرَاسٍ لَقَدْ أَوْرَثْتُمْ حَزَنًا وَجَعًا
 غَدَاةَ ثَوَى رَبِيعَةَ فِي مَكْرَرٍ تَمِجَّ عُرُوقَهُ عَاقًا نَجِيعًا
 فَلَنْ أَنْسَى رَبِيعَةَ إِذْ تَعَالَى بَكَاءَ الظُّعْنِ تَدْعُو يَا رَبِيعَا
 وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي أَشْجَعِ بْنِ عَامِرِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، يَرِثِي
 رَبِيعَةَ بْنَ مَكْدَمٍ ، وَيَحْضُرُ عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَيَعِيرُ بَنِي كِنَانَةَ بِالْدمَاءِ الَّتِي أَدَّوْهَا إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ ،
 وَهُمْ لَا يَدْرِكُونَ قَتْلَاهُمْ عِنْدَهُمْ بِدَرْكِ قَتْلِ فِيهِمْ وَلَا دِيَّةٌ⁶ :

بَانَ الشَّبَابُ وَكُلُّ الْإِفِّ بَائِسٌ ظَعْنُ الشَّبَابِ مَعَ الْخَلِيطِ الظَّاعِنِ

1 الثَّقِيلَةُ : النَّاقَةُ الضَّخْمَةُ السَّمِينَةُ . الْكَوْمَاءُ : الْعَظِيمَةُ السَّامُ . غَيْرِ مُسَائِلٍ : لَا يَسْأَلُ أَحَدًا الْمَعُونَةَ .

2 الْمَبَاءَةُ : الْمَنْزِلُ . السَّوَافُ : دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ .

3 قَبْرَكَ فِي ل : رَمْسَكَ . الْمَجْلَجِلُ : الْمَطَرُ الْمَصْحُوبُ بِالرَّعْدِ . وَالْوَكَافُ : الْمَنْهَمِرُ .

4 الْقِفَافُ : جَمْعُ قَفٍ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ .

5 بَنُو عَلِيٍّ : قَبِيلَةُ مِنْ كِنَانَةَ .

6 لَمْ يَرِدْ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ سِوَى سِتَّةِ آيَاتٍ مَعَ اخْتِلَافٍ كَبِيرٍ فِي الرِّوَايَةِ (انْظُرْ دِيْوَانَ كَعْبٍ بِشَرْحِ السَّكْرِيِّ :

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً
غُضِّي ملامك إنَّ بي من لومكم
أبلغ كنانة غُثَّها وسمينها
أنَّ المذلة أن تطلَّ دماؤكم
أموالكم عوض لهم بدمائهم
طلبوا فأدرك وترهم مولاهم
شُدَّوا المآزر فاثأروا بأخيكم
كيف الحياة ربيعة بن مكدَّم
وهو التريكة بالعراء وحارث¹
كم غادروا لك من أرامل عيَّل
وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة :

ما بال عينك منها الدَّمع مهراقُ
أبكي على هالكٍ أودى وأورثني
لو كان يرجع ميتاً وجُدُّ ذي رحمٍ
أو كان يُفدى لكان الأهل كلُّهم
لكنَّ سهام المنايا من نصَّبن له
فاذهب فلا يُبعدنك الله من رجلٍ
فسوف أبكيك ما ناحت مطوَّقة
أبكى لذكرته عبْرَى مفجَّعة

وقال عبد الله يرثيه :

وأراك ذا بَثٍّ ولست بدائن
داءً أَظَنَّ مُماطلي أو فائني
الباذلين رباعها بالقاطين
ودماء عوفي ضامن في العاهن¹
ودماؤكم كَلَّفَ لهم بضعائن
وأبت محاملكم إباء الحارن
إن الحفائظ نغم ربح الثامن
يُغدى عليك بمزهر أو قائن²
فَقَعُ القَراقر بالمكانِ الواتن³
جَزَرَ الضُّباع ومن ضريك وإكين⁴

[من البسيط]

سَحّاً ولا عازب لا ولا راقى⁵
بعد التفريق حزناً بعده باقي
أبقى أخي سالماً وجدي وإشفاقي
وما أثمر من مالٍ له واقى
لم ينجه طِبُّ ذي طِبِّ ولا راقى
لاقى الذي كلُّ حيٍّ مثله لاقى
وما سريت مع الساري على ساقى
ما إن يجفَّ لها من ذكره ماقى

[من الكامل]

1 ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت .

2 المزهر : العود . والقائن : صاحب القيان .

3 التريكة : هو ربيعة بن مكدَّم . شبهه ببيضة النعام التي يتركها عندما تنقف ويدفنها تحت التراب . والحارث : أخو ربيعة . فقع القراقر : مثل يضرب للذل ، يقال أذل من فقع بقرقة ، (مجمع الميداني 1 : 284 والدرة الفاخرة 1 : 304 وجمهرة العسكري 1 : 458 ومستقصى الزمخشري 1 : 134) والواتن : الثابت المقيم .

4 جزر الضباع : طعام للضباع . والواكن : العاجز .

5 راقى : مخفف راقىء ، وهو الساكن .

خَلَّى عَلِيَّ رُبَيْعَةَ بَن مَكْرَمٍ حَزناً يَكَادُ لَهُ الْفَوَادُ يَزُولُ
 فَإِذَا ذَكَرْتُ رُبَيْعَةَ بَن مَكْرَمٍ ظَلَّتْ لَذْكَرَاهِ الدَّمُوعُ تَسِيلُ
 نِعَمَ الْفَتَى حَيًّا وَفَارِسَ بُهْمَةٍ يَرْدِي بِشِكَّتِهِ أَقْبُ ذُوُولُ¹
 سَقَتِ الْغَوَادِي بِالْكَذِبِ رِمَةً وَالنَّاسُ إِمَّا هَالِكٌ وَقَتِيلُ
 فَإِذَا لَقِيتَ رُبَيْعَةَ بَن مَكْرَمٍ فَعَلَى رُبَيْعَةٍ مَن نَدَاهُ قَبُولُ
 كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَا تَزَالُ خَرِيدَةً تَبْكِي رُبَيْعَةً غَادَةً عُطُولُ²
 يَأْبَى لِيَّ اللَّهُ الْمَذْلَةَ إِنَّمَا يُعْطَى الْمَذْلَةَ عَاجِزُ تَنْبِيلُ³

وقال عبد الله أيضاً يرثيه :

[من الكامل]

نَادِي الطَّعَائِنُ يَا رُبَيْعَةَ بَعْدَمَا لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةٍ وَفُوقِ⁴
 فَأَجَابَهَا وَالرَّيْحُ فِي حِيزِوْمِهِ أَنْفَأَ بَطْعَنٍ كَالشَّعِيبِ دُفَاقِ
 يَا رَيْطَ إِنَّ رُبَيْعَةَ بَن مَكْرَمٍ وَرَبِيعَ قَوْمِكَ آذْنَا بِفِرَاقِ
 وَلَنْ هَلَكْتَ لِرُبِّ فَارِسٍ بُهْمَةٍ فَرَجَتْ كُرْبَتُهُ وَضِيقِي خِنَاقِ

وقال أيضاً يتوعد بني سليم :

[من الوافر]

وَلَسْتُ الْحَاضِرِ إِنْ لَمْ أُزِرْكُمْ كَنَائِبَ مِنْ كَنَانَةٍ كَالصَّرِيمِ⁵
 عَلَى قُبِّ الْأَيَّاطِلِ مَضْمَرَاتِ أَضَرَّ بَيْنَهَا عَلَيْكَ الشَّكِيمِ⁶

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثني الطَّلْحِيّ ، قال : أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ومحمد بن الحسن بن زُبَالَةَ في مجلس واحد ، قالوا : مرَّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَبْرِ رُبَيْعَةَ بَن مَكْرَمٍ الْكِنَانِيّ ، بِثَنِيَةِ كَعْبٍ ، وَيُقَالُ : بِثَنِيَةِ غَزَالٍ ، فَقُلِّصَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ :

[من الكامل]

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بَنِيْتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ

1 البهمة : الشجاع . الأقب : الضامر البطن من الخيل . ذوُول : سريع خفيف .

2 العطبول : الطويلة العنق .

3 التنبيل : القصير العاجز .

4 الفواق : الريح التي تشخص من الصدر وما تسميه العامة الحازوقة .

5 الحاضر : الحي المقيمون . والصريم : الليل .

6 الأياطل : جمع أَيْطَل ، وهي الخاصرة . والنّي : الشحم . الشّتيم : الكريه الوجه .

لا تنفري يا ناقَ منه فإنه شريبُ خمرٍ مِسْعَرٌ لحروبِ
لولا السِّقَارَ وَبُعْدُ حَرِّقِ مهمه لتركتها تحبو على العرقوبِ
فبلغ شعره بني كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحديق .
[ربيعه ودريد بن الصَّمّة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم السجستاني ، قال : حدثنا أبو عبيدة ، قال : خرج دُرَيْدُ بن الصَّمّة في فوارس من بني جُشَم ، حتى إذا كانوا بوايَ لبني كنانة يقال له الأخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رُفِعَ له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة . فلمّا نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صيَحْ به أنْ خَلَّ عن الظعينة وانجُ بنفسك ، وهو لا يعرفه . فانتهى إليه الرجل ، فصاح به ، وألح عليه . فلمّا أتى ألقى الزّمام وقال للظعينة : [من الرجز]

سيرى على رِسْلِكَ سير الآمن سير رَداحِ ذات جأشٍ ساكنِ
إنّ اثْنائِي دون قِرْنِي شائِي فأبلي بلائِي واخْبُرِي وعائِي
ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الظعينة . فبعث دريد فارساً آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعاً . فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنّ أنّه لم يسمعه . فغشيه ، فألقى الزّمام إليها ، ثم حمل على الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول : [من الرجز]

خلّ سبيل الحرة المنيعه إنك لاقِ دونها ربيعه
في كفّه خطيئة مطيعه أو لا ، فخذها طعنة سريعة
فالطعن مني في الوغى شريعة

فلمّا أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا ؟ فانتهى إليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر إليه يقود ظعينته ، ويجرر رمح . فقال له الفارس : خلّ عن الظعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم أقبل عليه فقال : [من الرجز]

ماذا تريد من شتيم عابسٍ ألم ترَ الفارسَ بعد الفارسِ
أرداهما عامل رمح يابسٍ

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمح . فارتاب دريد ، وظنّ أنّهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحيّ ، ووجد القوم قد قُتلوا . فقال دريد : أيّها الفارس ، إنّ مثلك لا يُقتل ، وإنّ الخيل نائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإني راجع إلى أصحابي ، فمبْطُ عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إنّ فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحِي ، ولا طمع لكم

فيه . فأنصرف القوم . وقال دريد في ذلك¹ :

[من الكامل]

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله
أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزة
متهلّل تبدو أُسرّة وجهه
يُزجّي ظعيتته ويسحب رحمه
وترى الفوارسَ من مخافة رحمه
يا ليت شعري من أبوه وأمّه
حامي الظعينة فارساً لم يُقتل
ثم استمرّ كأنّه لم يفعل
مثل الحسام جلته كفّ الصيقل
متوجّهاً يُمنّاه نحو المنزل
مثل البُعْث خشين وقع الأجدل²
يا صاح مَنْ يَكُ مثله لم يُجهل !

فقال ربيعة :

[من الكامل]

إن كان ينفعلُ اليقينُ فسائلي
هل هي لأوّل مَنْ أتاها نُهْزة
إذ قال لي أدنى الفوارس مينة
فصرفتُ راحلة الظعينة نحوه
وهتكتُ بالزّبح الطويل إهابه
ومنحتُ آخر بعده جياشةً
ولقد شفعتهما بآخر ثالثٍ
عني الظعينة يومَ وادي الأخرم
لولا طعان ربيعة بن مكدّم
خلّ الظعينة طائعاً لا تندم
عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
فهوى صريعاً لليدين وللغم³
نجلاء فاغرة كشيّد الأضجم⁴
وأبى الفرارَ لي الغداة تكرمي

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصّمّة ، فأخفى نسبه . فبينما هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهاذين إليه . فصرخت امرأة منهنّ ، فقالت : هلكنم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رحمه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصّمّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدّم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : ربيعة بنت جذل الطّعان ، وأنا هي ،

1 ديوان دريد ، ص 67 .

2 بعث الطير : ضاعفها . والأجدل : الصقر .

3 المثل «لليدين وللغم» بمعنى الدعاء في مجمع الميداني 2 : 207 ومستقصى الزمخشري 2 : 93 وفصل المقال : 98 وجمهرة العسكري 2 : 91 .

4 الأضجم : المائل الفم .

وأنا امرأته . فحبسه القوم ، وأمروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تُكفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره . وانبعثت المرأة في الليل ، فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمةً وكلُّ فتى يُجزى بما كان قدماً
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مذمماً
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرِّيح السديد الموقوماً
فقد أدركتُ كفاه فينا جزاءه وأهلاً بأن يجزى الذي كان أنعماً
فلا تكفروه حقُّ نعماء فيكمُ ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً ، غنياً كان أو كان معدماً
ففكُّوا دريداً من إसार مُخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلماً

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه ، وكسته ربطة وجهزته ، ولحق بقومه . ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

[أحبل الناس وأشجعهم وأجبنهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدَّثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العدويّ البصريّ ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الأزديّ ، قال : حدَّثني أبو البلاد الغطفانيّ وقبيصة بن ميمون الصادريّ ، قال : سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معديكرب الزبيديّ : مَنْ أشجع مَنْ رأيت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحبل الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هات . فقال : أرى المدينة ، فخرجتُ كأحسن ما رأيت ، وكانت لي فرس شَمَقْمَقَة¹ طويلة سريعة الإبقاء² ، تَمَطَّقُ بالعرق تمطق الشيخ بالمرق ، فركبتها ، ثم آليت لا ألقى أحداً إلا قتلته . فخرجت وعليّ مُقَدَّى³ ، فإذا أنا بفتى بين غرضين⁴ ، فقلت له : خذ حذرك ، فإنني قاتلك . فقال : والله ما أنصفتني يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزل أميل⁵ عَوَّارة ، والعوارة : الذي لا تُرس معه ، فأنظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . قلت : خذها .

1 شَمَقْمَقَة : طويلة .

2 سريعة الإبقاء : تسرع استئناف الجري بعد التعب .

3 المقد : حديدة يقد بها الجلد ، ويعني هنا سيفه .

4 الغرض : شعبة في الوادي .

5 الأميل : لا يستقر على الفرس .

قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروّعي حتى آخذها . فأثلجته ، فقال : وإله قريش لا آخذها أبداً . فسلم والله مني وذهبت ؛ فهذا أحيل الناس .

ثم مضيت حتى اشتمل عليّ الليل ، فوالله إني لأسير في قمر زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة ، وهو يقول :

يا لُدّينا يا لُدّينا ليتنا يُعدى علينا

ثم يُبلى ما لدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته ، فيرمي بها في السماء ، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمشقص¹ من نبلة . فصحت به : خذ حذرَكَ ثكلتك أمك ، فإني قاتلك . فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض . فقلت : إنّ هذا إلاّ استخفاف . فدنوت منه ، وصحت به : ويلك ، ما أجهلك ! فما تحلّج ولا زال عن موضعه ، فشككت الرّيح في إهابه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة ، فمضيت وتركته ، فهذا أجبن الناس .

ثم مضيت فأصبحت بين ذكادك هرشي إلى غزال² ، فنظرت إلى أبيات ، فعدلت إليها ، فإذا فيها جوار ثلاث ، كأنهنّ نجوم الثريا . فبكين حين رأيته ، فقلت : ما يكيكنّ ؟ فقلن : لما ابتلينا به منك ، ومن ورائنا أخت هي أجمل منا . فأشرفت من فدند ، فإذا بمن لم أر شيئاً قطّ أحسن من وجهه ، وإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذؤابة يسحبها . فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً ، ثم ركض ، فسبقني إلى البيوت ، فوجدته قد ارتعن ، فسمعتة يقول هن :

مهلاً نسيّاتي إذن لا ترتعن إن يُمنع اليوم نساء تُمنعن

أرخين أذيال المروط وارتعن

فلما دنوت منه ، قال : أطرديني أم اطرديك ؟ قلت : أطرديك . فركض وركضت في أثره ، حتى إذا مكنت السنان في لفته ، واللفة أسفل من الكنف ، اتكأت عليه ، فإذا هو والله مع لبّ فرسه ، ثم استوى في سرجه . فقلت : أقلني . قال : اطردي . فتبعته حتى إذا ظننت أنّ السنان في ماضغيه اعتمدت عليه ، فإذا هو والله قائم على الأرض ، والسنان ماض زالج . واستوى على فرسه ، فقلت : أقلني . قال : اطردي . فطرده ، حتى إذا مكنت السنان في منته ، اتكأت عليه وأنا أظنّ أنّي قد فرغت منه ، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض ، ومضى السنان

1 المشقص : نصل طويل .

2 الذكادك : ما تلبد من الرمل ولم يرتفع كثيراً . وهرشي : هضبة . وغزال : واد .

زالجأ . ثم استوى وقال : أبعد ثلاث ؟ تريد ماذا ؟ اطرديني ثكلتك أمك . فوليت وأنا مرعوب منه . فلمّا غشيني ووجدت حس السنان ، التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان ، فكفّ عني واستنزلي ، فنزلت ونزل ، فجزّ ناصيتي ، وقال : انطلق ، فإنّي أنفّس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشدّ من الموت ؛ فذاك أشجع من رأيت . وسألت عن الفتى ، فقيل : ربيعة بن مكدّم الفراسي ، من بني كنانة .

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ هذا الخبر وفيه خلاف للأوّل . قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثني محمد بن موسى الهذليّ ، قال : حدّثني سُكين بن محمد ، قال : دخل عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيّد بني مخزوم ، أعظمها هامة ، وأمدّها قامة ، وأقلّها ملامة ، وأفضلها حلماً ، وأقدمها سلماً ، وأجرئها مقدّماً . قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله ، قال : وأيّ شيء صنعت عنده ؟ قال : أتيت زائراً ، فدعا لي بكعب وقوس وثور¹ . فقال عمر : وأبيك إنّ في هذا لشبعا . قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال له : فوالله إنّني لآكل الجذعة ، وأشرب الثّبن من اللبن رثيئة وصيرفاً² ، فلمّ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أيّ أحياء قومك خير ؟ قال : مذحج ، وكلّ قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الربا والرباح³ . قال عمر : وأين سعد العشيرة ؟ قال : هم أشدّنا شريساً ، وأكثرنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وهم الأوفياء البرّة ، المساعير الفجرة . قال عمر : يا أبا ثور ، ألك علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عمّا بدا لك . قال : أخبرني عن النّبيل . قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : فأخبرني عن الرمح قال : أخوك وربّما خانك . قال : فأخبرني عن الثّرس . قال : ذلك ميجنٌ وعليه تدور الدوائر . قال : أخبرني عن الدرع . قال : مشغلة للفارس ، متعبة للراجل . قال : أخبرني عن السيف . قال : عنه قارعتك لأمّك الهبل ، قال : لا ، بل لأمّك . قال عمرو : بل لأمّك ، فرفع عمر الدّرة ، فضرب بها عمراً ، وكان عمرو محتبياً ، فانحلت حُبوته ، فاستوى قائماً ، وأنشأ يقول :

أتضربني كأنّك ذو رُعَيْن بخير معيشة أو ذو نِوَاسِ

- 1 الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى في أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط .
- 2 الجذعة من الغنم : ما تكون سنّها بين ستة أشهر وستة . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب لساعته . والصريف : الذي ينصرف عن الضرع حاراً وقت حلبه .
- 3 الربا والرباح : النماء والكثرة .

فكم مُلكٌ قديمٌ قد رأينا وعزّ ظاهر الجبروت قاسي
فأضحى أهله بادوا وأضحى ينقل من أناس في أناس

قال : صدقت يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك كلّهُ الإسلام ، أقسمت عليك لما جلست . فجلس . فقال له عمر : هل كَعَعْتُ¹ من فارس قطّ ممّن لقيت ؟ قال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي لم أستحل الكذب في الجاهلية ، فكيف أستحلّه في الإسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي ، خيل بني زُيد ، أغيروا بنا على بني البكاء . فقالوا : بعيد علينا المغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة ، قال : فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : ما علمك بأنهم سَراة . قال : رأيت مزاود خيلهم كثيرة ، وقُدُوراً مثقفاً ، وقباب آدم ، فعرفت أنّ القوم سَراة . فتركت خيلي حَجْرَةَ ، وجلست في موضع أسمع كلامهم ، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها ، فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولأئدها ، فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها برجل من الحيّ ، فقالت له : إنّ نفسي تحدّثني أنّ خيلاً تغير على الحيّ ، فكيف أنت إنّ زوّجتك نفسي ؟ فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه فيفرط . فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها ، فقالت : ما عنده خير ، ادعي لي فلاناً . فدعت بآخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدّم . فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إنّ أعجز العجز وصف المرء نفسه ، ولكنّي إذا لقيت أعذرت ، وحسب المرء غناء أن يُعذّر . فقالت له : قد زوّجتك نفسي ، فاحضّر غداً مجلس الحيّ ، ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . وانتظرتُ حتى ذهب الليل ، ولاح الفجر ، فخرجتُ من مكمني ، وركبت فرسي ، وقلت لخيلي : أغيري ، فأغارن ، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهنّ ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأتُ بصرها منّي ، أهوت إلى درعها فشقتّه وقالت : واثكلاه ؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد ، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز² ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط ، فهلك ضيعة ، وأومات بيدها إلى قَوْز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع ، فإذا أنا برجل جَلَد نَجْد ، أهلب³ أغلب ، يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلما رأيته رمى بنعله ، ثم استوى على

1 كععت : ضعفت وتراجعت .

2 القوز : الرمل المستدير المرتفع .

3 الأهلب : الكثير الشعر .

فرسه ، وأخذ رمحہ ، ومضى ولم يحفل بي . فطفقت أشجره بالرمح¹ خفقاً ، وأقول له : يا هذا استأسير . فمضى ما يحفل بي ، حتى أشرف على الوادي . فلما رأى الخيل تحوي إليه استعبر باكياً ، وأنشأ يقول :

قد علمت إذ منحتني فاها أني سأحوي اليوم من خواها
بل ليت شعري اليوم من دهاها

فأجبتہ : [من الرجز]

عمرو على طول الوجي دهاها بالخيـل يحميها على وجاها²
حتى إذا حلّ بها احتواها

فحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أهون بنضر العيش في دارٍ ندّم أنا ابن عبد الله محمود الشيم
أفيض دمعاً كلما فاض انسجم مؤتمن الغيب وفيّ بالذم
أكرم من يمشي بساق وقدم كالليث إن همّ بتقصام قصم

فحملت عليه وأنا أقول : [من الرجز]

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنا ابن ذي الإكليل قتال البهم³
مَن يلقني يُود كما أودت إرم أتركه لحماً على ظهرٍ وضّم⁴

وحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

هذا جمّي قد غاب عنه ذائده الموتُ وِرْدُ والأنام وارْدُهُ

وحمل علي فضربني ، فرغت وأخطأني ، فوقع سيفه في قربوس السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مسنح الفرس . ثم ثنى بضربة أخرى ، فرغت وأخطأني ، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلاً . فقلت : ويحك ! من أنت ؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلا ثلاثة : الحارث بن ظالم ، للعُجْب والخِلاء ؛ وعامر بن

1 أشجره بالرمح خفقاً : أضعه طعناً خفيفاً .

2 الوجي : الحفا ، وهو أن يرق الحافر من طول السفر .

3 التقليد : ما يجعل في عنق البدينة لتعرف أنها هدي . والشهر الأصم : رجب .

4 المثل : «أضيع من لحم علي وضم» في مجمع المياني 1 : 427 والدرة الفاخرة 1 : 277 وجمهرة العسكري

2 : 3 ومستقصى الرمزخري 1 : 219 . والوضم : الخشبة التي يقطع عليها القصاب اللحم . ويضرب المثل

للدليل .

الطّفل للسنّ والتجربة ؛ وربيعة بن مكدّم للحدّانة والغرّة ، فمن أنت ويليّك ؟ قال : بل الويل لك ، فمن أنت ؟ قلت : عمرو بن معديكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدّم . قلت : يا هذا ، إنّي قد صرت راجلاً ، فاختر منّي إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز ، وإن شئت اصطرعنا ، فأيتنا صرع صاحبه حكم فيه ؛ وإن شئت سالتك وسالمتني . قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضاً على قومي هوان . قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابي ، وقد حازوا نعمة ، فقلت : هل تعلمون أنّي كعّعت عن فارس قطّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا : نعيذك من ذلك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذي حرّتموه ، فخذوه منّي غداً في بني زُيد ، فإنّه نَعَم هذا الفتى ، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأناً¹ عنها . قال : قلت إنّه لا بدّ لكم من ذلك ، وأن تهبوا لي ولربيعة بن مكدّم . فقالوا : وإنّه هو ؟ قلت : نعم . فردّوها وسالمتني ، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك .

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معديكرب وربيعة بن مكدّم غناء ، نسّبتّه ، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد ، وهو :

صوت

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ أنا ابن عبد الله قتال البهّم
أكرم من يمشي بساق وقدم من يلقني يود كما أودت إرم
أتركه لحماً على ظهر وضمّ كالليث إن همّ بتقصام قصم
مؤتمن الغيب وفي بالذمم

ذكر أحمد بن يحيى المكيّ : أنّ الغناء في هذا الشعر لحنين ، خفيف ثقيل ، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سرجيس الملقّب بقراريط .

حدّثني قمرية العمرية جارية عمرو بن بانة ، أنّها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظري أيّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن مخارق ، فلما استوى لي قال لي مخارق : انظر أيّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكيّ ، فلما غنيته الرشيد أطربه ، فوهب لي يحيى عشرة آلاف درهم .

[أجود وصف للطعنة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن

1 فثأه : ثبط عزيمته وسكنه .

الطُّرسوسيّ ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهبان بن عاديّاء
قاتل ربيعة بن مكدّم ، حيث يقول :

[من الكامل]

ولقد طعنْتُ ربيعة بن مكدّم يوم الكديد فخرّ غير موسّد
في ناقع شرّقت بما في جوفه منه بأحمر كالعقيق المُجسّد

صوت

[من الكامل]

أدركت ما منيتُ نفسي خالياً لله درك يا ابنة النعمان
إني لحلفك بالصليب مصدّق والصلبُ أصدق خلفه الرهبان
ولقد رددت على المغيرة ذهنه إنّ الملوك بطيئة الإذعان
يا هند حسبك قد صدقت فأمسيكي والصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفيّ ، يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر ، وقد خطبها
فردّته . وخبره في ذلك وغيره يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين ، ثاني ثقل بالبنصر ،
عن الهشاميّ وإبراهيم .

[312] - أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه¹

[نسبه]

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعْتَب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيٍّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأمه أسماء بنت الأرقم بن أبي عمرو بن ظُويلم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمَتِها ، وذوي الرأي منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي ، وكان يقال : ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزهما .

وصحب النبي ﷺ ، وشهد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النَجِير² . وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه في يوم اليرموك ، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص . فلما أراد مراسلة رستم ، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب . [ولايته وفتوحه]

وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عِدَّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مِيسان ودست ميسان وأَبَرْقُبَاز . وقاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم ، ونهض إلى مَنْ كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها . وانحازوا إلى نهر تيرى وَمَنَازِر الكبرى ، فرحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المُقَرَّن ، وكان المغيرة على ميسرته ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة ، فإن هلك حذيفة ، فالأمير المغيرة بن شعبة . ولما فتحت نهاوند ، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذَانَ ففتحها .

وولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة ، فقتل عمر وهو واليها . وولاه أيضاً إِيَّاهَا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها . وهو أول مَنْ وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه .

1 ترجمة المغيرة بن شعبة في الإصابة وأسد الغابة وطبقات بن سعد وتاريخ الطبري وانظر وفيات الأعيان 6 : 364-367 والتذكرة الحمدونية 9 : 210-217 ومواضع أخرى متفرقة .

2 النَجِير : حصن باليمن .

[خبر إسلامه]

قال محمد بن سعد كاتب الواقديّ: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني محمد بن سعيد الثقفيّ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا، ونحن سدنة اللات، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم. فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس، وأهدوا له هدايا. فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمّي عروة بن مسعود، فنهاني، وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبيت إلاّ الخروج، وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطّل على البحر. فركبت قارباً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر من يسألني ما أنا، وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، وقدمونا عليه. فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، وأجلسه معه، ثم سأله: أكلّ القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه، فسرّ بها، وأمر بقبضها. وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصّر بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له.

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترّون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ أحد منهم مؤاساة، وخرجوا، وحملوا معهم خمرأ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم. وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي، وازدراؤه إياي. فأجمعت على قتلهم. فقلت: أنا أجد صداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني. فقلت: رأسي يُصدّع، ولكني أجلس وأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً؛ وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دبّت الكأس فيهم، اشتهووا الشراب، فجعلت أُصرّف لهم وأترع الكأس، فيشربون ولا يدرون. فأهمدتهم الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

فقدّمت على النبيّ ﷺ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه، وعليّ ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام. فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أقمنا مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم

بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ لِيَحْمُسَهَا ، ويرى فيها رأيه ، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : أما إسلامك فنقبيله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ، ولا نَحْمُسَهَا ، لأن هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذني ما قُرب وما بُعد ، وقلت : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإنَّ الإسلام يَجِبُ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمِّي عُرْوَة بن مسعود ثلاث عشرة دية .

قال المغيرة : وأقيمت مع النبي ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية ، في ذي القعدة سنة ست من الهجرة ، فكانت أول سفرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبي بكر ، وألزم النبي ﷺ فيمن يلزم .

وبعث قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبي ﷺ ، فأتاه يكلمه ، وجعل يمسّ لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه ، مقنّع في الحديد . فقلت لعروة ، وهو يمسّ لحية رسول الله ﷺ عليه وآله وسلّم : اكفّ يدك قبل ألا تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، من هذا ؟ ما أفضّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدو الله ، ما غسّلت عني سوءتك إلا بالأمس ، يا غدر .

[أول ما عرف دهاته]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدّثني أحمد بن الهيثم الفيراسي ، قال : حدّثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قال المغيرة بن شعبة : أول ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء ، أنني كنت في ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحيرة . فقالوا لي : قد اشتبهنا الخمر ، وما معنا إلا درهم زائف . فقلت : هاتوه واهلموا زقّين . فقالوا : وما يكفّيك لدرهم زائف زقّ واحد ؟ فقلت : أعطوني ما طلبت وخلاكم ذمّ ، ففعلوا وهم يهزؤون بي . فصبيت في أحد الزقّين شيئاً من ماء ، ثم جئت إلى خمّار ، فقلت له : كلّ لي ملء هذا الزقّ . فملأه . فأخرجت الدرهم الزائف ، فأعطيته إياه ، فقال لي : ما هذا ؟ ويحك ! أمجنون أنت ؟ فقلت : ما لك ؟ قال : إنّ ثمن هذا الزقّ عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم زائف . فقلت : أنا رجل بدويّ ، وظننت أنّ هذا يصلح كما ترى ، فإن صلّح ، وإلاّ فخذ شرابك . فاكتال منّي ما كاله ، وبقي في زقيّ من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزقّ الآخر ، وحملتُهما على ظهري ، وخرجت ، وصبيت في الزقّ الأوّل ماء .

ودخلت إلى خمّار آخر ، فقلت : إنني أريد ملء هذا الزقّ خمرًا ، فانظر إلى ما معي

منه ، فإن كان عندك مثله فأعطني . فنظر إليه ، وإنما أردت ألاّ يستريب بي إذا رددت الخمر عليه . فلما رآه قال : عندي أجودُ منه . قلت : هات . فأخرج لي شرباً ، فأكملته في الزقّ الذي فيه الماء . ثم دفعت إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فأخذ ما كان كاله لي ، وهو يرى أنّي خلطته بالشراب الذي أريته إياه . وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل . ولم أزل أفعل ذلك بكلّ خمرٍ في الحيرة ، حتى ملأت زقي الأوّل وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي ، فوضعت الزقين بين أيديهم ، ورددت درهمهم . فقالوا لي : ويحك ! أيّ شيء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم .

[هو أوّل من خضب بالسواد]

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوريّ ، قال : حدّثنا داود بن خالد ، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ، قال : أوّل من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

[يفض لأبي بكر الصديق]

قال محمد : وأخبرني شهاب بن عباد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن حميد الرّواصيّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي خازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : كنت جالساً عند أبي بكر ، إذ عُرض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملني عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غرله¹ ، أحبّ إليّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصاريّ : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : ففضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنما كان عزاليّ² مزادة . فتوعّدتني الأنصار أن يستقيدوا مني ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أمّا بعد . فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أنّي مُقيدهم من المغيرة . ووالله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم من وِزعة الله الذين يزعون إليه .

[أسطورة خطبته هند بنت النعمان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلبيّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : حدّثنا حسّان بن العلاء الرياحيّ ، عن أبيه ، عن الشعبيّ ، قال : ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي بدير هند ،

1 ركب الخيل على غرله . ركبها وهو صبي لم يختن .

2 العزاليّ : جمع عزلاء ، وهي فم المرادة الأسفل .

متنصرة عمياء ، بنت تسعين سنة . فقالت له : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المدرة ؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنت جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوجناك ، ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب ، فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ؛ وهذا الصليب أمر لا يكون أبداً ، أو ما يكفيك فخراً أن تكون في مثلك النعمان وبلاده ، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أيّ العرب كان أحبّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيساً ؟ قالت : ما كان يستعيبهم من طاعة . قال : فأين كان يجعل ثقيفاً ؟ قالت : رؤيداً لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي ، إلى جنب أبي ، إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازن ، والآخر من بني مازن ، كل واحد منهما يقول : إن ثقيفاً منا ، فأنشأ أبي يقول : [من الرجز]

إنّ ثقيفاً لم يكن هوازناً ولم يناسب عامراً ومازناً
إلا قريباً فانشير المحاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول :
أدركت ما منيتُ نفسي خالياً لله درك يا ابنة النعمان !
وذكر الأبيات التي مضت ، وذكرت الغناء فيها .
[أجاز هجاء حسان لقبيلته]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبري : بينا حسان بن ثابت يوم جالس بالخيف من منى وهو يومئذ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول¹ :

وكان حافرها بكلّ خميلة صاع يكيل به شحيح معدم
عاري الأشاجع من ثقيف أصله عبد ويزعم أنه من يقدّم
قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلما أتاه بها الرسول قال : مَنْ بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوءتاه ! وقبّلها .
[مزواج مطلق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل² العتكي ، قال حدثنا

1 ديوان حسان 1 : 438 وفيه «صحيح معدم» .

2 ل : إسماعيل بن عيسى .

محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب ، وفيهنّ حفصة بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي أمّ ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

وقال أبو اليقظان : صلّي المغيرة بالناس سنة أربعين في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة ، أظنه خاف أن يُعزل ، فسبق ذلك . فقال الراجز :

سيرى رويداً وابتغى المغيرة كلفتها الإدلاج بالظهيره

قال : وكان المغيرة مطلقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكنّ لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنّي رجل مطلق ، فاعتدّن .

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكّر وامرأة مؤنّثة ، فهو قوامٌ عليها ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مذكرة ، فهي قوامة عليه ؛ ورجل مذكّر وامرأة مذكرة ، فهما كالوعلينّ ينتطحان ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مؤنّثة ، فهما لا يأتیان بخير ، ولا يفلحان .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : حدّثنا أبو هلال عن مطير الورّاق ، قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعاً وثمانين امرأة ، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة ، فما أمسكت امرأة منهنّ على حبّ ؛ أمسيكها لولدها ، ولحسبها ، ولكذا ولكذا .

قال أبو زيد : وبلغني أنّهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أعلمكم بهنّ : تزوّجت ثلاثاً وتسعين امرأة ، منهنّ سبعون بكراً ، فوجدت اليمانيّة كنوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرّبيعيّة أمتك : أمرتها فأطاعتك ؛ ووجدت المضريّة قرناً ساورتها ، فغلبته أو غلبك .

حدّثنا ابن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تخلّل بعد صلاة الصبح ، فطلّقها . فقالت : علام طلقني ؟ قيل : رآك تخلّلين ، فظنّ أنّك أكلت . فقالت : أبعد الله ! والله ما أتخلّل إلّا من السواك¹ .

[غير عمر كنيته]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثني موسى بن إسماعيل قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم : أنّ رجلاً جاء فنأدى يستأذن لأبي

1 وردت هذه الحكاية في مروج الذهب (3 : 132) وفيه أنّ الفارعة كانت زوجة الحارث بن كلدة الثقفيّ وأنّها أمّ الحجاج ، وقال صاحب العقد (5 : 13-14) أنّ الفارعة كانت زوجة المغيرة .

عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله ، وأبي عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أن النبي ﷺ كناه بها . فقال له عمر : إن النبي ﷺ قد غُفِرَ له ، ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأنا لا أدري ما يُفعل بي . فكانه أبا عبد الله .
[عور الكوفة]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : حدّثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال : كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر : المغيرة بن شعبة ؛ وجريز بن عبد الله ، والأشعث بن قيس ، وحُجْر بن عديّ ، وكلّهم كان أعور ؛ فكان المغيرة والأشعث وجريز يوماً متواقفين بالكوفة بالكُناسة ، فطلع عليهم أعرابي . فقال لهم المغيرة : دعوني أحرّكه . قالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يُؤثّر . قال : لا بدّ . قالوا : فأنت أعلم . قال له : يا أعرابيّ ، هل تعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه أعورَ زانياً . فوجم ، ثم تجلد فقال : هل تعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّه حائك ابن حائك . قال : فهل تعرف جريز بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرفت عشيرته . قالوا له : قَبَحَكَ الله ، فإنّك شرّ جليس ، فهل تحبّ أن نُوقِرَ لك بعيرك هذا مالاّ وتموت أكرم العرب ؟ قال : فمن يبلغه أهلي إذن ؟ فانصرفوا عنه وتركوه .

[القبائل والنساء عند ابن لسان الحمرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثني أبو سعيد السكريّ ، قال : حدّثنا محمد بن أبي السريّ ، واسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزديّ ، قال : حدّثني هشام بن محمد قال : أخبرنا عَوانة بن الحكم ، قال : خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ ، بعد غيب مطر ، يسير بظهر الكوفة والحواف ، فلقي ابن لسان الحمرة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة . فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابيّ ؟ قال : من السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة¹ . قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عَفَى الأثر ، وملاً الحُفَر . قال : مِنّ أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في بني شيان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول في بني ذهل ؟ قال : سادة نوّكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن

1 أريضة : معشبة خصبة .

اتممتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر ، وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام : لأنّ في ألوانهم حمرة) . قال : فعيجل ؟ قال : أحلاس¹ الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ، ويضربون الهام . قال : فعنزة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً . قال : فضبيعة أضجم ؟ قال : جدعاً وعقرأ² . قال : فأخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : ربيع مربع ، وجميع تجمع ، وشيطان سمّمع ، وغلّ لا يخلع . قال فسّر . قال : أمّا الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أقسمت عليها أبرّتك ؛ وأمّا التي هي جميع تجمع ، فالمرأة تزوجها ولها نشب ، فتجمع نشبك إلى نشبها ؛ وأمّا الشيطان السمّمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت ، والمولولة في أثرك إذا خرجت ؛ وأمّا الغلّ الذي لا يخلع ، فبنت عمك السوداء القصيرة ، الفوهاء³ الدميمة ، التي قد نثرت لك بطنها ، إن طلقتها ضاع ولدك ، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زنّاء . فقال الهيثم : فضّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة . فقال : إنّها كلمة والله تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أو سبعون أمة . قال له : ويحك ؛ هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهنّ المغيرة : ارمين إليه بحلّاكنّ . ففعلن . فخرج الأعراييّ بملء كسائه ذهباً وفضّة .

[نصح وغش]

أخبرني عبيد الله بن محمد ، قال : حدّثنا الخرزّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي مخنف ، وأخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال : حدّثنا الحسن بن نصر ، قال : حدّثني أبي نصر بن مزاحم قال : حدّثنا عمر بن سعد ، عن أبي مخنف عن رجاله : أنّ المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : اكتب إلى معاوية فوّله الشام ، ومره بأخذ البيعة لك ، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك . فقال عليّ عليه السلام : ﴿ما كنت متخذ المضللّين عضداً﴾ . فانصرف المغيرة وتركه . فلمّا كان من غد جاءه ، فقال : إنّني فكّرت فيما أشرتُ به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب . فقال له عليّ : لم يخف عليّ ما أردت ؛ قد نصحتني في الأولى ، وغششتني في الآخرة ، ولكنّي والله لا آتي أمراً أجد فيه

1 أحلاس الخيل : فرسان شجعان .

2 هذا دعاء عليهم بالفناء .

3 ل : الورهاء .

فساداً لديني ، طلباً لصلاح ديناي . فانصرف المغيرة .

[بينه وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدّثني محمد بن يونس الشيرازي ، قال : حدّثني محمد بن غسان الضبي ، قال : حدّثني زاجر بن عبد الله الثقفي ، مولى الحجاج بن يوسف ، قال : كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مصقلة ، واستعلى عليه ، فشتمه . فقدّمه المغيرة إلى شريح ، وهو القاضي يومئذٍ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ . قال مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً ، وخرج إلى بني شيان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلّقاه قومه ، وسلّموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سأهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنّك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما في أيديكم . فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنت ما علمتُ نافعاً لصديقك ، ضائراً لعدوك ، وما مثلك إلّا كما قال مهلهل في أخيه كليب :

إنّ تحت الأحجار حمزاً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق¹
حيّة في الوجار أريد لا يند فغ منه السليم نفث الرّاقى

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي : أنّ مصقلة قال له : والله إنّني لأعرف شبي في عروة ابنك . فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحدّ . وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله .

[عمر لا ينخدع به]

أخبرني محمد بن عبد الله الرازي ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، عن مسلمة بن محارب ، قال : قال رجل من قريش لعمر بن الخطّاب رضوان الله عليه : ألاّ تزوّج أمّ كلثوم بنت أبي بكر ، فتخفظه بعد وفاته ، وتخلّفه في أهله . فقال عمر : بلى ، إنّني لأحبّ ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُدّ إليّ بجوابها . فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حبّاً وكرامة . ودخل إليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة ، فرأها مهمومة . فقال لها : ما لك يا أمّ المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إنّ هذه جارية حدّثة ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر . فقال لها : عليّ أن أكفيك . وخرج من عندها ، فدخل

1 ذو معلاق : شديد الخصومة . والمعلاق : اللسان البليغ . ويروى : ذو مغلاق ، وهو الذي يغلق الحجة على الخصم .

على عمر ، فقال : بالرفاء والبنين ، قد بلغني ما أتيتك من صلة أبي بكر في أهله ، وخطبتك أم كلثوم . فقال : قد كان ذلك . قال : إلا أنك ، يا أمير المؤمنين ، رجل شديد الخلق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها فتصيح : يا أبتاه ! فيغملك ذلك ، وتتألم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيكون عليه ، فتجدد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها في كل يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقني ؟ فقال : آنفاً . فقال عمر : أشهد أنهم كرهوني ، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

[اتهامه بالزنا]

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي ، عن محمد بن سليمان الباقلاني ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال : كان المغيرة بن شعبة يخلّف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء ، فلقيه أبو بكر ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه ، وقال إن الأمير يزار ولا يزور .

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه ، أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرقة .

قال عمر بن شبة : حدثني أبو بكر العليمي ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن ، عن أبيه ، عن أبي بكر . قال عمر بن شبة : وحدثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر . قال أبو زيد عمر بن شبة : وحدثنا علي بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبي . قال : وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، قال : حدثنا عوف ، عن قسامة بن زهير . قال أبو زيد عمر بن شبة : قال الواقدي : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحذّان . قال : وحدثني محمد بن الجهم ، عن علي بن أبي هاشم ، عن إسماعيل بن أبي عبله ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، وكان أبو بكر يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتي حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إن الأمير يزار ولا يزور .

قال : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة . قال : فبينما أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزيد ، ورجل آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بجذاء غرفة أبي بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتليت بها ، فانظروا . فانظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزلنا . قال : وذهب ليصلي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصل ، فإنه الأمير ، واكتبوا بذكركم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يقدّموا عليه جميعاً ، المغيرة والشهود .

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة . وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال علي بن أبي هاشم في حديثه : إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته : أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين : نتركه يتجهّز ثلاثاً ، ثم يخرج . قال : فصلينا صلاة الغداة بظهر المريد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلون : الرجال والنساء مختلطين . فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إنني رأيت أبا موسى في جانب المسجد ، عليه برنس . فقال له المغيرة : ما جاء زائراً ولا تاجراً . فدخلنا عليه ومعد صحيفة ملء يده . فلما رآنا قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك ، تجهّز ثلاثاً .

وقال الآخرون : إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمت ما وجهت فيه ، فألاً تقدّمت فصليت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء . فقال له المغيرة : فإنني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهّز . فقال : قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك ، حتى أرحلك إليه . قال : إن شئت شفعني وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال : وكيف ؟ قال : تؤجلني إلى الظهر ، وتمسك الكتاب في يدك . قالوا : فقد رئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً ، وإن الكتاب لفي يده معلقاً بخيط . فتجهّز المغيرة ، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة ، جارية عربية من سبي اليمامة ، من بني حنيفة ؛ ويقال إنها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلى الظهر ، حتى قدم على عمر : وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري : فلما قدم على عمر ، قال له : إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك .

قال أبو زيد : وحدثني الحكم بن موسى ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن

عبد الله بن أبي فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن مصعب بن سعد : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقدم أبو بكر . فقال له : رأيته بين فخذيهما ، قال : نعم والله ، لكأنني أنظر إلى تشريم جذري بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألفت النظر . فقال له : لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد رأيته يلج فيه كما يلج المروء في المكحلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ربك .

ثم دعا نافعاً فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكر . قال : لا ، حتى تشهد أنه كان يلج فيه ولوج المروء في المكحلة . فقال : نعم حتى بلغ قذذه¹ . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبي . فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام . اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك . قال : حتى مكث يكي إلى المهاجرين ، فبكوا . وبكى إلى أمهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدم على عمر . فلما رآه جلس له في المسجد ، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعى كلمة قد رفعتها لأكلم القوم . قال : فلما رآه عمر مقبلاً قال : إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدثنا عفان ، قال : حدثنا السري بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة ، تغير لذلك لون عمر . ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً . ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه ، فرفع عمر رأسه إليه ، وقال له : ما عندك يا سَلَح العقاب . وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كدت أن يغشى علي .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقممت إلى زياد ، فقلت له : لا مخبأ لعطر بعد عروس² ؛ ثم قلت : يا زياد ، أذكر الله ، وأذكر موقف يوم القيامة ؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي ، إلا أن تتجاوز إلى ما لم ترَ ما رأيت ، فلا يملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوز به إلى ما لم ترَ ، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها . قال : فترنقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أحقّ ما حقّ القوم فليس

1 قذذ : جمع قذة ، وهي جانب الحياء .

2 المثل «لا مخبأ لعطر بعد عروس» في مجمع الميداني 2 : 211 ومستقصى الزمخشري 2 : 263 وفصل المقال : 427 .

ذلك عندي ؛ ولكنني رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت نفساً حثيثاً وانهاراً ، ورأيت متبطنها . فقال له : رأيته يدخله كالليل في المكحلة . فقال : لا .

وقال غير هؤلاء : إن زياداً قال له : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تترددان بين فخذيهما ، ورأيت حفراً شديداً ، وسمعت نفساً عالياً . فقال له : رأيته يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر . الله أكبر . قم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبي بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقيين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجم . فقال أبو بكرة بعد أن ضرب : فأني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له علي عليه السلام : إن ضرته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

قال : يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغيرة . قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقال : إنما تستئيني لتقبل شهادتي . قال : أجل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا . قال : فلما ضربوا الحد قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أحزاكم . فقال له عمر : اسكت أحزى الله مكاناً رأوك فيه . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رقط فخذيهما . قال : وتاب الاثنان ، فقبلت شهادتهما . قال : وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادة يقول : اطلب غيري ، فإن زياداً قد أفسد علي شهادتي .

قال أبو زيد : وحدثني سليمان بن داود بن علي ، قال : حدثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبي يقول : ما ذاك إلا من ضرب شديد .

حدثنا ابن عمار والجوهري قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا علي بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كانت أم جميل بنت عمر ، التي رُمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة في حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : نعم ؛ هذه أم كلثوم بنت علي . فقال : له عمر : أنت جاهل علي ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيته إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء .

حدثني أحمد بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن عباد ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره . وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره .

أخبرني ابن عمار والجوهري قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا المدائني ، قال : قال

حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة¹ :

[من الوافر]

لَوْ أَنَّ اللُّؤْمَ يَنْسَبُ كَانَ عَبْدًا قَبِيحَ الْوَجْهِ أَعُورٌ مِنْ ثَقِيفٍ
تَرَكْتَ الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ لَمَّا بَدَتْ لَكَ غُدُوَّةُ ذَاتِ النَّصِيفِ
وَرَجَعْتَ الصَّبَا وَذَكَرْتَ عَهْدًا مِنْ الْقَيْنَاتِ وَالْغَمَزِ اللَّطِيفِ

[يتزوج في الطريق إلى عمر]

أخبرني الجوهري وابن عمار ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا المدائني عن عبد الله بن سلم الفهري ، قال : لما شخص المغيرة إلى عمر ، رأى في طريقه جارية فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها . فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك ؟ إن أعف ، فهو الذي تريد ؛ وإن أقتل ترثني . فزوجه .

قال أبو زيد : قال الواقدي : تزوجها بالرّقم² . وهي امرأة من بني مرة . فلما قديم بها على عمر ، قال : إنك لفارغ القلب ، طويل الشّبق .

وقال محمد بن سعد . أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي ، قال : حدثنا مسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأمركم هذا ، فإنه كان يحبّ العافية .

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدّاً ، أكشف ، يفرق رأسه قروناً أربعة ، أقلص الشفتين ، مهتماً ، ضخّم الهامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين .

[وفاته]

قال : وقال الواقدي ، حدثني محمد بن موسى الثقفي ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، في خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلاً طوالاً أعور ، أصيبت عينه يوم اليرموك .

صوت

[من البسيط]

جَنِيَّةٌ وَلَهَا جِنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرٌ
إِنْ كَانَ ذَا قَدْرًا يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَحْرِمُنَا ، مَا أَنْصَفَ الْقَدْرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجي ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبنصر ، عن الهشامي .

1 ديوان حسان 1 : 112 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 الرقم : موضع بالحجاز .

[313] - أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه¹

[نسبه]

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . ويقال لعدوان وفهم : ابنا جديلة ، نسبا إلى أمهما جديلة بنت مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان ؛ شاعر فصيح حجازي مطبوع ، من شعراء الدولة الأموية . وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة القرشي ، أحد بني أسد بن عبد العزى ، وهو جدّ ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن ، لأُمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمة القرشي ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى . وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة ، وهي عيون شعره ، وكان يبدو² في أكثر زمانه ، ويقيم في بوادي المدينة ، ولا يكاد يحضر مع الناس .

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثني مُصعب الزبيري . قال أحمد : وحدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عياش السعدي وعمي مصعب ، وحدثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق ، عن الزبير ، عن سليمان بن عياش . وقد ذكرت كل ذلك في موضعه . [امرأة لا تريد ترك البصرة]

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير ، عن سليمان بن عياش : كان الخارجي ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر ، شاعراً فصيحاً ، ويكنى أبا سليمان . فقدّم البصرة في طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية ؛ من خارجة عدوان . فأبت أن تتزوّجه إلا أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ، ويكون أمرها في الفرقة إليها . فأبى أن يفعل ، وقال في ذلك³ :

1 محمد بن بشير الخارجي ترجمة في معجم الشعراء : 343 والمحمدون من الشعراء : 232 ويصحف أحياناً إلى محمد بن يسير الذي يصحف اسمه بدوره إلى «بشير» . وهما شاعران مختلفان ، وقد ترجم أبو الفرج لمحمد بن يسير الرياشي في جزء سابق . وقد قام د . نوري حمودي القيسي بجمع شعر محمد بن بشير الخارجي في القسم الثالث من «شعراء أمويون» (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1982) .

2 يبدو : يقيم في البادية .

3 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .

أرق الحزين وعاده سُهْدُهُ لطوارقِ الهمِّ التي تَرِدُّهُ
 وذكرتُ مَنْ لانت له كبدي فأبى فليس تلين لي كبْدُهُ
 ونأى فليس بنازلٍ بلدي أبداً ، وليس بمُصلِحِي بلْدُهُ
 فصُدِّعت حين أبى مودَّتَهُ صدَّعَ الزجاجةَ دائماً أبْدُهُ
 وعرفتُ أنَّ الطير قد صدقت يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِدُّهُ
 فاصبر فإن لكلَّ ذي أجل يوماً يجيء فينقضِي عَدْدُهُ
 ماذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحلَّ بي كمدُهُ

قالا : وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك ، فقال له : إنَّها امرأةٌ برَّزة عاقلة ، لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنَّها امرأةٌ في خلقها شدَّة ، ولها غيرة ، وقد بلغني أنَّ لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ؛ فانظر في أمرك ، وشاور فيه : فإنَّما أن أقمْتُ بالبصرة معها ، فعفَّت لك عن صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشرة ، وإن شئت فارتقهما وأخرجهما معك . فصار إلى رحله مغموماً . وشاور ابن عمِّ له يقال له ورَّاد بن عمرو في ذلك ، فقال له : إن في يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرته من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك ، وكانت إحداها ابنة عمِّه ، والأخرى من أشجع ، فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسَّكت بها ، وأقمْتُ بمكانك ، وإن رغبت في العود إلى بلدك ، كتبت إلينا فجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك . ففكَّر ليله أجمع في ذلك ، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز ، وقال ¹ :

لئن أقمْتُ بمحيث الفيضُ في رجب حتى أهْلُ به من قابلٍ رَجَباً²
 وراح في السَّفر ورَّاد فهيجني إنَّ الغريب إذا هيجته طرباً
 إنَّ الغريبَ يهيج الحزنُ صَبْوتَهُ إذا المصاحب حياه وقد ركبا
 قد قلتُ أمْسَ لورَّاد وصاحبه عوجاً على الخارجيّ اليوم واحتسبا
 وأبلغاً أمَّ سعد أنَّ عانيها أعياء على شفعاء الناس فاجتنباً³
 لما رأيتُ نجِّي القوم قلت لهم هل يعدُّونُ نجِّي القوم ما كُتِبَا

1 مجموع شعره : 173-175 عن الأغاني .

2 الفيض : نهر بالبصرة . وأهل به : ظهر له الهلال .

3 العاني : الأسير .

وقلت إني متى أجلب شفاعتكم
وإن مثلي متى يسمع مقاتلكم
إني وما كبر الحجاج تحملهم
وما أهل به الداعي وما وقفت
جهداً لمن ظنّ أنني سوف أظعنهما
أبتغي الحسن في أخرى وأتركها
وما انقضى لهم من سعدى وما علقت
وما خلوت بها يوماً فتعجّبتني
بل أيها السائل ما ليس يدركه
كم من شفيح أتاني وهو يحسب لي
فإن يكن لهواها أو قرابتها
هما عليّ : فإن أرضيتها رضا
كائن ذهبْتُ فردّاني بكيدهما
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة
ويُلمّها خلة لو كنت مُسجحة
أنت الظعينة لا تُرمى برمتها

[يفرق بين عربية ومولى]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عيَّاش السعديّ ، قال : قديم أعراب من بني سليم أقحمتهم السنة إلى الرّوّحاء ، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالى من أهل الروحاء ، فزوجّه . فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة ، وواليتها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، فاستعداه الخارجي على المولى . فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلميين ، وفرّق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . فقال محمد بن بشير في ذلك³ :

1 نخلة : موضع قريب من مكة . والعصب : الجماعات .

2 الحصب : محصب منى .

3 مجموع شعره : 179 عن الأغاني .

شهدتُ غداةَ خصمِ بني سليم وجوهاً من قضائك غيرَ سودٍ
قضيتُ بسنةٍ وحكمتُ عدلاً ولم تَرِثِ الحكومةَ من بعيدٍ
إذا غُمزَ القنا وُجِدَتْ لعمري قناتك حينَ تغمَزَ خيرَ عُودٍ
إذا عضَّ الثَّفافُ بها اشمأزَّت أبى القسرِ بائنة الصعودِ
حمى حَدَباً لحومَ بناتِ قومٍ وهم تحت الترابِ أبو الوليدِ
وفي المِقتَنِ للمولى نكالٌ وفي سلبِ الحواجبِ والخندودِ
إذا كافأَتْهم بناتُ كِسرى فهل يجد الموالى من مَزِيدٍ
فأيُّ الحقِّ أنصفُ للموالى من اصْهار العبيدِ إلى العبيدِ

[لا تفلت العبد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكَار ، قال : حدَّثني سليمان بن عِيَّاش ، قال : كان للخارجيَّ عبد ، وكان يتلطَّف له ويخدمه ، حتى أعتقه وأعطاه مالاً ، فعمل به ، وبيع فيه . ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته ، فبعث إلى مولاه في ذلك ، وقد كان المولى أثري واتسعت حاله ، فحلف له أنه لا يملك شيئاً ، فقال الخارجي في ذلك ¹ :

يسعى لك المولى ذليلاً مُدَقِّعاً ويخذلك المولى إذا اشتدَّ كاهلُهُ
فأمسِك عليك العبدَ أوَّلَ وهْلَةٍ ولا تنفِلِ من راحتِكَ حِائِلُهُ
وقال أيضاً :

إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا
[تأخرت عنه زوجته فزوّج]

حدَّثني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عِيَّاش السعدي ، قال : كان محمد بن بشير الخارجي بين زوجتين له ، وكان يسكن الروحاء ، فأجذب عليه منزله ، فوجه غنماً إلى سحابة وقعت برُجفان ، وهو جبل يطلّ على مضيق يَلِيل ، فقال لزوجتيه : لو تحوّلتما إلى غنمنا . فقالتا له : بل تذهب ، فطلع إليها ، وتصرفها إلى موضع قريب ، حتى نوافيك فيه . فمضى وزودتاه وطَّبين ، وقالتا له : اجمع لنا اللبن ، ووعدتاه موضعاً من رُجفان ، يقال له ذو القِشع . فانطلق ، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ، ثم انتظرهما ، فأبطأتا عليه . وخالفته سحابة إليهما ، فأقامتا ، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يصعد في الجبل

وينزل ، يتصّرهما فلا يراها . فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا ، فقال : أنزل فأحدث إليهما ، فإذا هو بامرأة مسنة ، ومعها بنت لها شابة ، فأعجبته ، فقال لها : أتزوجيني ابتك هذه ؟ قالت : إن كنت كفواً . فانتسب لها ، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه ، ولكن يأتي أبوها . فجاء أبوها فعرفه ، فأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم ، وزوجه إياها . فساق إليها قطعة من غنمه ، ثم بنى بها ، وانتظر ، فلم ير زوجته تقدّمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجه وبقية غنمه . فلما طلع عليهما وقف ، فأخذ بيدها ، ثم أنشأ يقول¹ :

كأنّي مُوفٍ للهِلالِ عشيّةً بأسفل ذات القشعٍ منتظرَ القطرِ
وأنتن تلبسن الجديدة بعدما طردت بطيَّ الوطْبِ في البلقِ والغفرِ
فكان الذي قلتن أُعْدِدْ بضاعة لناهدٍ بيضاء الترائب والنحرِ
كأنَّ سُموط الدرّ منها معلق بجيّداء في ضالٍ بوجرة أو سدرِ
تكون بلاغاً ثم لست بمخير إذا وُدِيت لي ما وددتن من أمرِ

[فراق المرأة الزينة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثني مصعب ، قال : حدثني أحمد بن زهير ؛ وحدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عياش ، قال : كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مزيّنة ، وكان قوما قد جاوروهم ، ثم جاء الربيع ، وأخصبت بلاد مزيّنة ، فارتحلوا ، فقال محمد بن بشير² :

لو بيّنت لك قبل يوم فراقها أنّ التفرّق من عشيّة أو غدِ
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم علقٍ حبائل هائم لم يُعهدِ
وتبرّجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصف معقدِ
بيضاء خالصة البياض كأنّها قمر توسط ليل صيف مُبرِدِ
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الجمال مظنةً للحسدِ
لم يُطغها سرف الشباب ولم تضع عنها معاهدة النصح المرشدِ
خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وإن تكلمت تُقصِدِ
وكانّ طعم سلافة مشمولية تنصب في إثر السواك الأغيدِ

1 مجموع شعره : 186-187 عن الأغاني .

2 مجموع شعره : 178-179 عن الأغاني .

وترى مدامعها تُرْفِقُ مقلّةً حوراء ترغّبُ عن سواد الإثمِ
 ماذا إذا برزت غداة رحيلها مِ الحُسن تحت رِفاق تلك الأبرُدِ
 وُلدت بأسعدٍ أنجمٍ فمحلها ومسيرها أبداً بطلق الأسعدِ
 الله يُسعدُها ويُسقي دارها خَضِلَ الرّباب سرى ولما يُرْعِدُ¹

[قضاية ترفضه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثني الزُّبير قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : صحب محمد بن بشير رُفقةً من قضاة إلى مكّة ، وكانت فيهم امرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها . ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، لأنك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي ، ولا أنا ممّن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه . فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحجّ ، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما ، فقال الخارجي في ذلك² :

أستغفر الله ربّي من مخدرة يوماً بدا لي منها الكشحُ والكثدُ³
 من رُفقة صاحبونا في ندائهم كلّ حرام فما ذمّوا ولا حُمِدوا
 حتى إذا البُذن كاست في منارها يعلو المناسم منها مُزبد جَسِدُ⁴
 وحلّق القوم واعتمّوا عمائمهم واحتلّ كلّ حرام رأسه ليدُ
 أقبلتُ أسألها ما بال رُفقتها وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
 فقربت لي واحلّولت مقالتها وعوّقتني وقالت بعض ما تجدُ
 أنى ينال حِجازيٍ بحاجته إحدى بني القين أدنى دارها برِدُ⁵

[طلّق امرأتك أتزوّجك]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدّثنا الزُّبير ، قال : حدّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : خطب محمد بن بشير امرأة من قومه ، فقالت له : طلق امرأتك حتى أتزوّجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال في ذلك⁶ :

1 يسعدُها في مجموع شعره : يصحبها .

2 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .

3 الكثد : مجتمع الكتفين من الإنسان والحيوان .

4 كاس البعير يكوس : مشى على ثلاث . وجَسِد الدم : لصق .

5 برد : جبل قريب من تيماء .

6 هذه الأبيات وردت ضمن البائية السابقة مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

أطلب الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هي الظعينة لا يُرمى برُمّتها ولا يفجعها ابن العمّ ما اصطحبا
فما خلوت بها يوماً فتعجبني إلّا غدا أكثر اليومين لي عجبا

[يحتال لمحادثة النساء والأنصار]

حدّثني عيسى قال : حدّثنا الزبير ، قال : بلغني عن صالح بن قدامة بن إبراهيم أنّ محمد بن حاطب الجُمَحِيّ ، يروي شيئاً من أخبار الخارجيّ وأشعاره ، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى ، كان من الكتاب ، وسألته أن يكتب لي ما عنده ، فكان فيما كتب لنا ، قال : زعم الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير ، وكنيته أبو سليمان ، وهو رجل من عدوان ، وكان يسكن الرّوحاء ، قال : بينا نحن بالرّوحاء في عام جذب قليل الأمطار ، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخّم كثير الثّقْل يهوي ، قادم من المدينة ، حتى نزلوا بجانب الرّوحاء الغربيّ ، بيننا وبينهم الوادي ، وإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرّحمن بن حسان بن ثابت . فلبثنا أيّاماً ، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي : أرسل إليّ النساء يقلن : أما لكم في الحديث حاجة ؟ فقلت هنّ : فكيف برجالكنّ ؟ قلن : بلغنا أنّ لكم صاحباً يعرف بالخارجيّ ، صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدّثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدّثتم . قال : فقلت لسليمان : بش لعمر الله ما أردت منّي ، أذهب إلى القوم فأغرهم ، وآثم وأتعب وتناولون أنتم حاجتكم دوني ؟ ما هذا لي برأي . قال لي سليمان : فأنظريني إذن ، أرسل إلى النساء وأخبرهنّ بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهنّ بما قلت . فقلن : قل له احتلّ لنا عليهم هذه المرّة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرّة الأخرى .

قال الخارجيّ : فخرجت حتى أتيت القوم فحدّثتهم ، وذكرت لهم الصيد ، فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً ، وتزوّدنا لثلاث . وانطلقت أحدّثهم وأهليهم ، فحدّثتهم بالصدق حتى نفذ . ثم حدّثتهم ممّا يشبه الصدق حتى نفد . ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، وجعلت لا أحدّثهم حديثاً إلّا قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عايّناً صيدا ، فقلت في ذلك ¹ :

[من البسيط]

إنّي لأعجب منّي كيف أفكّهم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حُمق !
أظلّ في البيد أهليهم وأخبرهم أخبار قوم وما كانوا وما خلّقوا

ولو صدقت لقلت القوم قد قدموا
 أم كيف تُخرَم أيدٍ لم تخن أحداً
 ونرتمي اليوم حتى لا يكون له
 يرمون أحور مخضوباً بغير دم
 تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم
 ما زلت أحدهم حتى جعلتهم
 ولو تركتهم فيها لمزقهم
 إن كنتم أبداً جاريّ صديقكم
 فمتعوني فإنّي لا أرى أحداً

حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا
 شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا
 شمس ويرمون حتى يَبرُق الأفقُ
 دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العلقُ
 صيد يرجى قليلاً ثم يُعْتَنَقُ
 في أصل مَحْنِيّة ما إن لها طُرُقُ
 شيخا مزينة إن قالوا انعقوا نعنقوا
 والدّهر مختلف ألوانه طرقُ
 إلّا له أجل في الموتِ مستَبَقُ

[رثاء سليمان بن الحصين]

قال سليمان بن عيّاش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلاً للخارجي ، مصافياً له ، وصديقاً مخلصاً ، فجزع عليه ، وحزن حزناً شديداً ، فقال يرثيه ¹ : [من البسيط]

يا أيّها المتّمني أن يكون فتى
 إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيه
 لو سرت في الناس أقصاهم وأقربهم
 تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا
 اغدّد ثلاث خصال قد عُرفن له
 مثل ابن ليلٍ لقد خلّى لك السبلا
 يُشَفِّقُ عليك وتعملُ دون ما عملا
 في شُقّة الأرض حتى تُحسِر الإبلا
 مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
 هل سبّ من أحد أو سُبَّ أو بخلّا

قال سليمان بن عيّاش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعي إلى أخيه عبد الملك ، تمثّل بأبيات الخارجي هذه ، وجعل يردّها ويكي .

[شعره في امرأة كريمة]

أخبرني عيسى ، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثني عمّي عن أبيه ؛ قال : قال الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفيرة كريمة ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لي : إيه يا ابن مصعب ، أما أنّك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول ² : [من الكامل]

1 مجموع شعره : 194-195 عن الأغاني .

2 تقدّمت هذه الأبيات في المرأة المزينة مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جناح ليل مُبرِد
 موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد
 وترى مدامعها تُترق مقلّة حوراء ترغّب عن سواد الإثم
 خَوْد إذا كثر الكلام تعوّذت بحمى الحياء وإن تكلم تُقصد
 لم يُطغها سرف الشباب ولم تُضغ وتبرّجت لك فاستبكت بواضح
 وكأنّ طعم سلافة مشمولة بالريق في أثر السواك الأعيد
 منها مُعاهدة النصيح المرشد صلت وأسود في النصيف معقد

فقال الرشيد : هذا والله الشعر ، لا ما أنشدتمونه سائر اليوم ! ثم أمر مؤدّب ابنه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فروّاهما الأبيات .
 [مزنة تصده]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا الزبير بن بكار ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان محمد بن بشير الخارجي يتحدّث إلى عبدة بنت حسان المزنية ، ويَقيل عندها أحياناً ، ورّما بات عندها ضيفاً ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ما مبيت رجل بامرأة أئيم ؟ فجاءها ذات يوم ، فلم تدخله خبائها ، وقالت له : قد نهاني قومي عنك ، وكان قد أمسى ، فمنعته المبيت ، وقالت : لا تبت عندنا ، فيُظنّ بي وبك شرّ ، فانصرف وقال فيها¹ :

ظللتُ لدى أطناها وكأني أسيرُ معنّى في مُخلخله كبلُ
 أخيرُ إمّا جلّسةً عند دارها وإمّا مراح لا قريب ولا سهلُ
 فإنك لو أكرمتِ ضيفك لم يعب عليك الذي تأتين حمّو ولا بعلُ
 وقد كان يَنميها إلى ذروة العلا أب لا تخطّاه المطيّة والرجلُ
 فهل أنتِ إلّا جنة عبقرية يخالط من خالطت من حبكم خبلُ
 وهل أنتِ إلّا نبعة كان أصلها نُصاراً فلم يفضحك فرع ولا أصلُ
 صددتِ امرءاً عن ظلّ بيتك ماله بواديك لولا كم صديق ولا أهلُ

[لقية الأنصارية أبا الجون]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلمياني ، حتى أتيا

امراً من الأنصار ، من بني ساعدة ، فبرزت لهما ، وتحدّثا عندها ، وقالا لها : هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت : مَنْ هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجي . قالت : لا حاجة بي إلى لقائه ، ولا تجيئاني به معكما ، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما ، وأخبراه بما قالت لهما ، وأجلساه في بعض الطريق ، وتقدّما إليها ، فخرجت إليهما ، وجاءهما الخارجي بعد خروجها إليهما ، فرحبا به ، وسلّما عليه . فقالت لهما : مَنْ هذا ؟ قالا : هذا الخارجي الذي كنّا نخبرك عنه . فقالت : والله ما أرى فيه من خير ، وما أشبهه إلّا بعبدنا أبي الجّون . فاستحيا الخارجي ، وجلس هنيئة ، ثم قام من عندها ، وعَلّقها قلبه ، فقال فيها¹ :

ألا قد رابني وَيَرِيبُ غيري	عشيّة حكمتها حيفاً مريباً
وأضحت للمودّة عند ليلي	منازلُ ليس لي فيها نصيبُ
ذهبتُ وقد بدا لي ذاك منها	لأهجوها فيغلبنني النسبُ
وأنسى غيظَ نفسي إن قلبي	لمن واددت فيئته قريبُ
فلا قلب مُصيرٌ كل ذنب	ولا راضٍ بغير رضا ، غضوبُ
فدعها لست صاحبها وراجع	حديثك إن شأكما عجيبُ

قال : وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية ، فعيرته بذلك ، وكانت إذا أرادت غيظه كتته أبا الجّون ، فقال في ذلك² :

وأبيدي الهدايا ما رأيتُ مُعاتباً	من الناس إلّا الساعديّة أجملُ
وقد أخطأتني يوم بطحاءٍ منعمٍ	لها كِفَفٌ يُصطاد فيها وأجملُ
وقد قال أهلي خيرٌ كسب كسبته	أبو الجّون فاكسب مثلها حين ترحلُ
فإن بات إضاعي بأمرٍ مسرّة	لكنّ فما تسخطن في العيش أطولُ

[جواز الحديث إلى النساء في الخلّ والحرم]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا الزُّبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كُثِيرٌ بمكة ، فوافقا نسوة من بني غِفَار يتحدّثن ، فجلسا إليهن ، وتحدّثا معهن حتى تفرّقن ، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجي ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل مرّ بهم : أما تزدرجون عن هذا

1 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

2 مجموع شعره : 193-194 عن الأغاني .

الشعر وأنتم حرُّم ، ولا تَدْعُون إنشاده وقول الزور في المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمرُ الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجي¹ :

أما لك أن تزور وأنت خِلو	صحيحُ القلبِ أختَ بني غفارِ
فما برحتِ تُعيرك مقلتيها	فتعطيكِ المنيّةَ في استتارِ
وتسهو في حديث القوم حتى	يُبينَ بعضُ ذلك ما توارى
فمت يا قلب ما بك من دفاع	فينجيكِ الدِّفاع ولا فرارِ
فلم أرَ طالباً بدم كمثلي	أودَّ وَحُسْنَ مطلبٍ بثارِ
إذا ذكروا بئاري قلت سقيا	لئاري ذي الخواتم والسوارِ
وما عرفت دمي فتبوء منه	برهن في حبالٍ أو ضمير ²
وقد زعم العواذل أن يومي	ويومك بالمحصَّب ذي الجمارِ
من الإغباء ثم زعمت أن لا	وقلت لدى التنازع والتَّمارِ ³
كذبتُم ما السلام بقول زور	وما اليوم الحرام بيوم ثارِ
ولا تسليمنا حرُّماً بإثم	ولا الحبَّ الكريم لنا بعارِ
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي	بلادكِ والروياتُ السواري

قال سليمان : وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة ، فودعها وتفرَّقوا⁴ :

يا أحسن النَّاس لولا أن نائلها	قَدْماً لَمَن يبتغي ميسورها عَسيرُ
وإنما دَلَّها سحرٌ تصيد به	وإنما قلبها للمشتكي حجرُ
هل تذكركين كما لم أنس عهدكم	وقد يدوم لعهد الخُلَّة الذِّكرُ
قولي وركبك قد مالت عمامتهم	وقد سقاهم بكأس الشَّقوة السَّفَرُ
يا ليت أنِّي بأثوابي وراحلتني	عبد لأهلك هذا العام مؤتجرُ

1 مجموع شعره : 186 عن الأغاني .

2 تبوء منه : تخلص منه . والضمير من الدين : ما لا يرجى .

3 الإغباء : الاختفاء .

4 مجموع شعره : 182-184 ويروى بعضها لأبي دهل .

فقد أطلت اعتلالاً دون حاجتنا
ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم
فكان حظك منها نظرةً طرفتُ
أكنت أبخل من كانت مواعده
وقد نظرتُ وما ألفت من أحدٍ
أبقت شجى لك لا يُنسى وقادحةً
جنية أولها جنٌ يعلمها
تجلو بقادمتي ورقاء عن برد
خودٌ مبتلةٌ رياء معاصمها
إذا مجاسدها اغتالت فواضلها
إن هبت الريح حنت في وشائها
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت
ألا رسول إذا بانث يبلغها
أنّي ، بآيةٍ وجدٍ قد ظفرت به
قتيلُ يومٍ تلاقينا وأن دمي
تقضين في ولا أقضي عليك كما
إن كان ذا قدرًا يعطيك نافلة

[ندم على طلاق زوجته العدوانية]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني سليمان بن عياش ، قال : كان الخارجي قديم البصرة ، فتزوج بها امرأة من عدوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدة ، ثم توخّم البصرة ، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع ، وأمضي معك إلى بلد الجذب والفقر والضيّق ، فإمّا أن أقمت هاهنا أو طلقنتني . فطلقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكّرها ، فقال ⁴ :

[من الكامل]

1 مفاغر : جمع مفغر ، وهو مشق الفم . والأشر : حدة أطراف الأسنان .

2 المجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب . وفعمات : ممتلكات . والمؤتزر : الإزار .

3 المرر : جمع مرة ، وهو الحبل . أي لا روابط قوية بيننا .

4 مجموع شعره : 196-197 عن الأغاني .

دامت لعينك عبرةً وسُجُومٌ وثوت بقلبك زفرةً وهُمومٌ
 طيف لزنبَ ما يزال مؤرقِي بعد الهدوء فما يكاد يريمُ
 وإذا تعرَّضَ في المنام خيالها نكأ الفؤادَ خيالها المحلومُ
 أ جعلتِ ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمُدِلّ ظلومُ
 ولمن تجنّبتِ الذنوبَ فإنه ذو الداءِ يَغْذِرُ والصحيح يلومُ
 ولقد أراك غداةً بنتَ وعهدكم في الوصل لا حرج ولا مذمومُ
 أضحت تُحكّمكِ التجاربُ والنهي عنه ، ويُكَلِّفه بك التحكيمُ

صوت

برأ الألى علقوا الحبائل قبله فنجوا وأصبح في الوثاق يهيمُ
 ولقد أردت الصبر عنك فعاقني غلق بقلبي من هواكٍ قديمُ
 ضعفت معاهد جبهن مع الصبا ومع الشباب فبن وهو مقيمُ
 يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك إنه لكريمُ
 وجنيت حين صَحَحْتَ وهو بدائه شأن ذاك مصححٌ وسقيمُ
 وأدّيته زماً فعاذ بحلمه إنَّ المحبَّ عن الحبيب حليمُ¹
 وزعمت أنك تبخلين وشفه شوق إليك ، وإن بخلت ، أليمُ

غنى في هذه الأبيات الدارمي ، خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي ؛ وفيه لعرب خفيفٌ
 ثقيلٌ مطلق ، وهو الذي يغني الآن ، ويتعارفه الناس .

[رثاء أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسن ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني سليمان بن عيَّاش السعدي ،
 قال : كان الخارجي منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، وكان يكفيه مؤنته ، ويُفضل
 عليه ، ويعطيه في كل سنة ما يكفيه ويُغنيه ، ويغني قومه وعياله ، من الثرِّ والتمر والكسوة في
 الشتاء والصيف ، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه ، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن
 الحسن ، وابنه الحسن بن زيد ، وكلهم به برّ ، وإليه محسن . فمات أبو عبيدة ، وكان ينزل الفرش
 من مَلَل ، وكان الخارجي ينزل الروحاء ، فقال يرثيه² :

[من الطويل]

1 أديته : ختلته . وفي المجموع : أرثته ولعلها خطأ مطبعي .

2 مجموع شعره : 180-181 عن الأغاني وفيه زيادة بيت .

ألا أيّها الناعي ابن زينبَ غدوةً نعت الندى دارت عليه الدوائرُ
لعمرى لقد أُمسى قرى الضيف عاتماً بذى الفَرش لما غيبتك المقابرُ¹
إذا سُوّفوا نادوا صدّاك ودونه صفيحٌ وخَوّارٌ من الترب مائرُ
ينادون مَنْ أُمسى تَقَطَّعُ دونه من البعد أنفاسُ الصدور الزوافرُ
فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ

قال الزبير : فحدّثني سليمان بن عيَّاش ، قال : كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً ، ووجدت وجداً عظيماً ، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل إليها ، فيعزيها ويسليها عن أبيها ، فدخل إليها معه . فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ
وكنّت إذا فاخرت أُميت والدأ يزين كما زان اليدين الأساورُ
فإن تُعويله يشف يوماً عويله غليلك أو يعذك بالنوح عاذرُ
وتحزنك ليالات طوال وقد مضت بذى الفرش ليالات تسرّ قصائرُ
فلقاه رب يغفر الذنب رحمة إذا بُليت يوم الحساب السرائرُ
إذا ما ابن زاد الركب لم يمسه ليلة قفا صَفيرٌ لم يقرب الفَرش زائرُ²
لقد علِمَ الأقوام أن بناه صوادقٌ إذ يندبنه وقواصرُ

قال : فقامت هند ، فصكت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وحربها ، والخارجي يبكي معها ، حتى لقيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحك ؟ فقال له : أفظنت أنّي أعزيها عن أبي عبيدة ؟ والله ما يسليني عنه أحد ؛ ولا لي عنه ولا عن فقدّه صبر ، فكيف يسليها عنه مَنْ ليس يسلو بعده !

[ذم ومدح]

أخبرني عيسى ، قال : حدّثني الزبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيَّاش ، قال : وعد رجل محمد بن بشير الخارجي بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمه ، ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن

1 عاتماً : متأخراً .

2 زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب جدّ أبي عبيدة . وأزواد الركب ثلاثة من قريش : مسافر بن أبي عمرو وأبو أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود ، لقّبوا بذلك لأنّ مَنْ كان يصحبهم في سفر لم يكن في حاجة إلى أن يترؤد . وصفر : جمل كريم . والفرش : موضع بين المدينة ومثل .

أبي طالب عليه السلام¹ : [من الطويل]

لعلك والموعود حقّ وفاؤه بدا لك في تلك القلوص بدءاً
فإنّ الذي ألقى إذا قال قائل من الناس : هل أحسستها لعناء
يقول الذي يبدي الشّمات وقوله عليّ وإشّمتُ العدوّ سواء
دعوتُ ، وقد أخلفتني الوعد ، دعوة بزيد فلم يَضِلّ هناك دعاء
بأبيض مثل البدر عظم حقه رجال من آل المصطفى ونساء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقلوص من خيار إبله ، فقال
يمدحه² :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلة نفى جذبها واخضرّ بالنبت عودها
وزيد ربيعُ الناس في كل شتوة إذا أخلفت أنواؤها ورعودها
حمول لأشناق الديات كآته سراج الدجى إذ قارنته سعودها

[يبكي سليمان بن الحصين]

أخبرني عيسى ، قال : حدّثني الزبير ، قال : حدّثني سليمان بن عيّاش ، قال : نظر
الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج ، فهتف بهم ، فقال³ : [من السريع]

ألم تروا أنّ فتى سيّداً راح على نعش بني مالك
لا أنفسُ العيش لمن بعده وأنفسُ الهلك على الهالك

وقال فيه أيضاً⁴ :

ألا أيّها الباكي أخاه وإنما يكيّ بيوم الفدفد الإخوان
أخي يوم أحجار الثمام بكيته ولو حُمّ يومي قبله لبكاني
تداعت به أيامه فاخترمته وأبقين لي شجواً بكلّ زمان
فليت الذي ينعي سليمان غدوة بكى عند قبري مثلها ونعاني
فلوقسمت في الجنّ والإنس لوعتي عليه بكى من حرّها الثقلان

1 مجموع شعره : 171 .

2 مجموع شعره : 178 .

3 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .

4 مجموع شعره : 198 .

ولو كانت الأيام تطلب فدية وقاه صروف الدهر بي وفداني¹

[أرجوزة له في المولى الصائد]

أخبرني عيسى ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثنا سلمان بن عيَّاش ، قال : خرج محمد بن بشير يرمي الأروى ومعه جماعة ، فيهم رجل من الموالي من أهل السَّيَّالة ، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها ، فزلت قدمه عنها ، فصاح حتى سقط على الأرض ، وأحدث في ثيابه ، فقال الخارجي في ذلك² :

حُرِّقْ يَا صَفَاةُ فِي ذُرَاكَ	بِالنَّارِ إِنْ لَمْ تَمْنَعِي أُرْوَاكَ
تَعَلَّمِي أَنْ بَذِي الْأَرَاكَ	- أَيْتَهَا الْأُرْوَى - ذَوِي عِرَاكَ ³
قَوْمًا أَعْدَدُوا شَبَكَ الشُّبَاكَ	يَبْغُونَ ضَبْعًا قَتَلْتَ أَبَاكَ
نِعَمَ مُلَوِّي الْحَيْدِ الْمَدَاكَ	إِذْ صَوَّتَ الْجَالِبُ فِي أُخْرَاكَ ⁴
وَلَمْ يَقْلِ مَتَصِحًّا : إِيَّاكَ	بَيْنَ مَقَاطِئِهَا رَكْبَتِ فَالِكَ ⁵
فَعُدَّتِ وَالطَّعْنُ عَلَى كُلَّاكَ	مِثْلَ الْأَضَاحِي بِيَدِ النَّسَاكَ
يُرْمَى بِالْأَكْتَاكِ عَلَى الْأُورَاكَ	كَمَا أَطْحَتِ الْعَبْدُ عَنْ صَفَاكَ
أَمَّا السَّيَالِيُّ فَلَنْ يَنْسَاكَ	لَوْ يَرْتَمِيكَ النَّاسُ مَا ارْتَمَاكَ

[عتاب الزوجة]

أخبرني عيسى ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثنا سليمان بن عيَّاش ، قال : كانت عند الخارجي بنت عم له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجي ، ففضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتي . فقال الخارجي في ذلك⁶ :

أُمًّا مَا أَقُولُ لَهُمْ فَعَلَبْتُ	عَلَيَّ وَقَدْ هُجِيتُ فَمَا تَعِيبُ
فَرَمْتُ وَقَدْ بَدَأَ لِي ذَاكَ مِنْهَا	لَأَهْجُوهَا فَيَمْنَعُنِي النَّسِيبُ
فَلَا قَلْبَ يَصْرُّ كُلَّ ذَنْبٍ	وَلَا رَاضٍ بَغِيرِ رِضَا ، غَضُوبُ

1 مجموع شعره : إليه وصرف الدهر ما ألواني .

2 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .

3 ذوو العراك : هو وصحيه .

4 المداك : الحجر يسحق عليه الطيب . والحيد : جمع حيدة ، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل .

5 المقاطي : جمع مقطى ، وهو موضع القطاة ، وهي العجز .

6 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

[هو المسنات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثني مصعب قال : وحدّثني الزبير عن سليمان بن عيّاش ، قال : تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة ، وقد أسنّ وأسنّت زوجته العدوانية . فضربت دونه حجاباً ، وتوارت عنه ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها ، يلهون ويتغنّين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال¹ : [من الطويل]

لئن عانسٌ قد شاب ما بين قرنها	إلى كعبها وأمتصّ عنها شبابها
صبّت في طلاب اللهو يوماً وعلقت	حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها
لئن مُتعت بالعيش حتى تشعبت	من اللهو إذ لا ينكر اللهو بابها ²
فبيني برغم ثم ظلّي فرّما	ثوى الرغم منها حيث يثوي نقابها
ليضاء لم تنسب لجدّ يعيها	هجانٍ ولم تنبج لثيماً كلابها
تاوّد في الممشى كأنّ قناعها	على ظبية أدماء طاب شبابها
مُهففة الأعطاف خفاقة الحشى	جميل محياها قليل عتابها
إذا ما دعت بابني زرار وقارعت	ذوي المجد لم يُردد عليها انتسابها

[صديق يتنكر بعد الولاية]

حدّثنا الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا الزبير بن بكار ، قال : حدّثني عمّي عن الضحاك بن عثمان ، قال : لما ولي إبراهيم بن هشام الحرّمين ، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ ، وكان له قبل ذلك صديقاً . فأعرض عنه ، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً . ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد ، فأعرض عنه ، وأخرجه الحاجب من داره ، وكان إبراهيم بن هشام تهاهاً ، شديد الذهاب بنفسه ، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد ، فلمّا حاذاه صاح به³ :

يا ابن الهشامين طراً حُزت مجدهما	وما تخوّنه نقض وإمرار
لا تشمتن بيّ الأعداء إنهم	بيني وبينك سماع ونظار
وإنّ شكريّ إن رُدُّوا بغیظهم	في ذمّة الله إعلان وإسار
فاكرّر بنائك الحمد من سعة	عليّ إنك بالمعروف كرّار

1 مجموع شعره : 173 عن الأغاني .

2 تشعبت : تغيّرت أخلاقها . وربما كان في الكلمة تحريف (تشعبت ، تشعبت) .

3 مجموع شعره : 185 عن الأغاني .

فقال لحاجبه : قل له يرجع إليّ إذا عُدْتُ . فرجع ، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .
[ردّه على عروة بن أذينة]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثني مصعب عن أبيه قال : عَثَرَ بعُروّة بن أذينة حمّارُه عند ثنية العُوَيْقِل ، فقال عروة¹ :
[من البسيط]

لَيْتَ العُوَيْقِلَ مَسْدُودٌ وَأَصْبَحَ مِنْ فَوْقَ الثَّنِيَةِ فِيهِ رَدْمٌ يَأْجُوجُ
فَتَسْتَرِيحُ ذُووُ الْحَاجَاتِ مِنْ غِلْظِ وَيَسْلُكُ السَّهْلَ يَمْشِي كُلُّ مَنْتَوِجٍ²
فقال محمد بن بشير الخارجي يردّ عليه³ :

سَبْحَانَ رَبِّكَ تَبَّ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ مَا يَسُدُّ اللَّهُ يُصْبِحُ وَهُوَ مَرْتَوِجُ
وَهَلْ يُسَدُّ وَلِلْحُجَّاجِ فِيهِ إِذَا مَا أَصْعَدُوا فِيهِ تَكْبِيرٌ وَتَلْجِيجُ
مَا زَالَ مِنْذُ أَذَلَّ اللَّهُ مَوَاطِفَهُ وَمِنْذُ آذَنَ أَنَّ الْبَيْتَ مَحْجُوجُ
يَهْدِي لَهُ الْوَفْدَ وَفَدَّ اللَّهُ مَطْرِبَهُ كَأَنَّهُ شَطَبٌ بِالْقِدِّ مَنسُوجُ⁴
خَلَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا إِنْ زَاثَرَهَا وَالسَّاكِنِينَ بِهَا الشَّمُّ الْأَبَالِيجُ⁵
لَا يَسُدُّ اللَّهُ نَقَبًا كَانَ يَسْلُكُهُ الـ جِيضُ الْبِهَالِيلِ وَالْعُوجُ الْعَنَاجِيجُ⁶
لَوْ سَدَّهُ اللَّهُ يَوْمًا ثُمَّ عَجَّ لَهُ مَنْ يَسْلُكُ النَّقَبَ أُمْسَى وَهُوَ مَفْرُوجُ
[عتابه لأخيه بشّار]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا مصعب ، قال : كان للخارجي أخ يقال له بشّار بن بشير ، وكان يجالس أعداءه ، ويعاشر من يعلم أنّه مُبَايِنٌ لَهُ . وفيه يقول⁷ :

وَأَنِّي قَدْ نَصَحْتُ فَلَمْ تُصَدِّقْ بِنَصْحِي وَاعْتَدَدْتُ فَمَا تَبَالِي

- 1 ديوان عروة بن أذينة (صادر) : 36 .
- 2 منتوج : مولود .
- 3 مجموع شعره : 176 ، وانظر معجم ما استعجم .
- 4 المطربة : الطريق الضيق في الجبل .
- 5 الأباليج : جمع أبلج ، وهو الأبيض الوجه .
- 6 البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهي الناقة النجبية أو الطويلة العنق .
- 7 مجموع شعره : 195-196 عن الأغاني .

وإني قد بدا لي أن نصحي لغيبك واعتدادي في ضلال¹
فكم هذا أذودك عن قطاعي كذويد المحلاة النهال
فلا تبغ الذنوب علي واقصِدْ لأمرَك من قطاع أو وصال
فسوف أرى خلالك من تصافي إذا فارقتني وترى خيالي
وإنك تستريح إذ تولَّى بأن أغضي وأسكت لا أبالي²

[هجر ورجوع]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا سليمان بن عياش ، قال : كان الخارجي معجباً بزوجه سعدى ، وكانت من أسوأ الناس خلقاً ، وأشدّه على عشير ، فكان يلقي منها عنتاً . فغاضبها يوماً لقول آذته به ، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأخرى ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم اشتاق إلى سعدى ، وتذكّرها ، وبدا له في الرجوع إلى بيتها ، فتحول إليها ، وقال³ :

أراني إذا غالبت بالصبر حُبّها أبى الصبر ما ألقى بسعدى فأغلب
وقد علّمت عند التعاتب أننا إذا ظلمتنا أو ظلمنا سنُعيب
وإني وإن لم أجز ذنباً سأبتغي رضاها وأعفو ذنبها حين تذب
وإني وإن أنبت فيها يزيدني بها عجباً من كان فيها يوثب

[عتاب آخر لأخيه]

أخبرني عيسى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عياش قال : كان بشّار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويهجوّه ، ويجالس أعداءه . فقال الخارجي فيه⁴ : [من الطويل]

كفاني الذي ضيّعت مني وإنما يُضيعُ الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولأك سوء صنيعتها وولّى سواك أجرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأيي مقصّر ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حتته على الخير مرة عصاها وإن همت بشرّ أطاعها

1 لغيبك في مجموع شعره : لغيبك .

2 صدر البيت في مجموع شعره : وإن جزاء عهدك إذ تولى .

3 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

4 مجموع شعره : 187-188 ، وينسب بعضها إلى عبد الرحمن بن حسان .

فلولا رجالٌ كاشحون يسرهم
إذا بان إن زلت بك النعل زلةً
وأنتي متى أحمل على ذاك أطليع
فإن تك أحلام ترد إخواننا
سأنهاك نهياً مجملاً وقصائداً
ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب
إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد

أذاك ، وقربى لا أحب انقطاعها
فراق خيال لا تطيق ارتجاعها
عليك عيوباً لا أحب اطلاعها
علينا فمن هذا يرد سماعها
نواصح تشفي من شئون صداعها
قراءه ويتبع من يحب اتباعها
إليه فيخلي للقوافي رباعها

[رثاء زيد بن حسن]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان بن عيَّاش قال : لما دُفِن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره ، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد ، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يُعزّونه ، فأخذ بعضادتي الباب ، وقال¹ : [من الطويل]

أعيني جوداً بالدموع وأسعدا
ولا زيد إلا أن يجود بعبرة
وما كنت تلقى وجه زيد بيلدة
لعمر أبي الناعي لعمت مصيبة
وأنتي لنا أمثال زيد وجدّه
وكان خليفه الساحة والندى
غدت غدوة ترمي لؤي بن غالب
أغر بطاحي بكت من فراقه
فقل للتي يعلو على الناس صوتها
وأرملة تبكي وقد شقّ جيبها
ولو فقيمت ما يفقه الناس أصبحت

بني رجم ما كان زيد يهينها
على القبر شاكي نكبة يستكينها²
من الأرض إلا وجه زيد يزينها
على الناس واختصت قصياً رصينها³
مبلغ آيات الهدى وأمينها
فقد فارق الدنيا نداها ولينها
بجعد الثرى فوق امرئ ما يشينها
عكاظ فبطحاء الصفا فحجونها
ألا لا أعان الله من لا يعينها
عليه فآبت وهي شعث قرونها
خواشع أعلام الفلاة وعينها⁴

1 مجموع شعره : 197-198 عن الأغاني .

2 يستكين : يخضع ويدل .

3 الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .

4 أعلام الفلاة : جبالها . والعين : بقرة الوحش .

نعاه لنا الناعي فظَلنا كأننا نرى الأرضَ فيها آيةَ حانَ حينها
وزالت بنا أقدامنا وتقلَّبتْ ظهورُ روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منّا كأننا يرون شِمالاً فارتقتها يمينها
سقى الله سقياً رحمةَ تَرَبَ حُفرة مقيم على زيْدِ ثراها وطينها
قال : فما رُوي يومَ كان أكثرَ باكياً من يومئذٍ .

[ابنة عمّه تستخفّ به]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط ، قال : كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة ، وكانت له بنت عمّ سَريّة جميلة ، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش ، فلم ترضه . فقال لأبيه : زوّجنيها . فقال له : كيف أزوّجكها وقد ردّ عمّك عنها أشرافَ قريش . فذهب إلى عمّه فخطبها إليه ، فوعده بذلك ، وقَرَّب منه . فمضى محمد إلى أبيه فأخبره ، فقال له : ما أراه يفعل . ثم عاوده فزوّجه إياها . فغضبت الجارية ، وقالت له : خطبني إليك أشرافُ قريش فرددتهم ، وزوّجتنني هذا الغلام الفقير ، فقال لها : هو ابن عمّك ، وأولى الناس بك . فلمّا بنى بها جعلت تستخفّ به وتستخدمه ، وتبعثه في غنمها مرّة ، وإلى نخلها أخرى . فلمّا رأى ذلك من فعلها قال شعراً ، ثم خلا في بيت يترنّم به ويُسمِعها . وهو¹ :

تناقلتُ أن كنتُ ابنَ عمّ نكحْتِه فملتِ وقد يُشفي ذوو الرأي بالعدْلِ
فإنك إلاً تتركِي بعضَ ما أرى تنازِعْكَ أخرى كالقرينة في الحبْلِ
تَلُزُّك ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها كَقَسْمِكَ حقّاً في التّلاذ وفي البعلِ
متى تحمليها منك يوماً لحالة فتتبعها تحمِلُك منها على مِثْلِ
قال : فصلّحت ، ولم يَرَ منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه .

صوت

[من المتقارب]

علامَ هَجَرْتِ ولم تُهَجِّرِي ومثلِك في الهجرِ لم يُعَذِّرِ
قطعتِ حبالَكَ من شادين أغنَّ قَطُوفِ الخطأِ أخورِ
الشعر لسُدَيْف مولى بني هاشم : والغناء لأبي العَنُبُس بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

[314] - ذكر سُديف¹ وأخباره

[نسبه وولادته]

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادّعاءه ولاء بني هاشم أنّه تزوّج مولاة لآل أبي لهب ، فادّعى ولاءهم ، ودخل في جملة مواليتهم على الأيام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللّهيبيّن ، فولدت منه سُديفاً . فلمّا يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء في موالي أبيه ، فغلبوا عليه .

[تعصبه لبني هاشم]

وسُديف شاعر مُقلّ ، من شعراء الحجاز ، ومن مخضرمي الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبني هاشم ، مظهراً لذلك في أيام بني أميّة . فكان يخرج إلى أحجار صفاء في ظهر مكّة ، يقال لها صُفْي السَّبّاب ، ويخرج مولى لبني أميّة معه يقال له سَبّاب ، فيتسأبان ويتشامان ، ويذكران المثالب والمعائب . ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصّب لهذا ولهذا ؛ فلا يرحون حتى تكونَ بينهم الجراح والشّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرّقهم ، ويعاقب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكّة حتى شاعت في العامة والسّفلة . فكانوا صنفين ، يقال لهما السّديفية والسّبّابية ، طول أيام بني أميّة . ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم ، وصارت العصبية بمكّة في الحنّاطين والحرّارين² :

[تحضير أم تأيب]

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العنكيّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدّثنا عمر بن شُبّة قال : حدّثني فُلَيْح بن إسماعيل قال : قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشدّها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلمّا أتى على هذا البيت :

يا سوءتاً للقوم لا كفّوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأحرار
فقال له المنصور : أتخضهم عليّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنّي أوثبهم يا أمير المؤمنين .

1 لسديف بن ميمون ترجمة في الشعر والشعراء : 647-648 وطبقات ابن المعتز : 27-42 وتهذيب ابن عساكر 6 : 66 .

2 الحرارين : صنّاع الحرير .

[إنكار انتسابه إلى قريش]

وذكر ابن المعتز أن العوفي حدثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحي قال : سلم سديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار . فقال له العبدري : مَنْ أنت يا هذا ؟ قال : أنا رجل من قومك ، أنا سديف بن ميمون . فقال له : والله ما في قومي سديف ولا ميمون . قال : صدقت ، لا والله ما كان قط فيهم ميمون ولا مبارك .

صوت

[من الوافر]

لعمرك إنني لأحب داراً تكون بها سَكينة والرَّبابُ
أحبَّهما وأبذل جُلٍّ مالي وليس لعاتب عندي عتابُ
الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل
بالنصر . وفيه للهلديّ ثَقِيلٌ أوّل بالسبابة ، في مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

[315] - أخبار الحسين بن علي ونسبه¹

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب . واسم أبي طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطلب ، شيبه ، واسم هاشم : عمرو . وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وكانت أول هاشمية تزوجها هاشمي ، وهي أم سائر ولد أبي طالب . وأم الحسين بن علي بن أبي طالب : فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . وكانت خديجة تكنى أم هند ، وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، ذكر ذلك قعنب بن مخرز ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن حسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : وكان علي ابن أبي طالب سمي الحسن حرباً ، فسماه رسول الله ﷺ الحسن . ثم ولد له الحسين فسماه حرباً ، فسماه رسول الله ﷺ الحسين .

حدثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى قال : حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب : كنت رجلاً أحب الحرب ، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين . ثم قال سميتهما باسمي ابني هارون : شبر وشبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال : حدثنا محمد بن يحيى الأحول قال : حدثنا خلاد المقرئ قال : حدثنا قيس بن الربيع بن أبي حصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن ابن عمر ، قال : كان علي الحسن والحسين تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب ؛ وفي ابنته منها سكينه بنت الحسين . واسم سكينه : أميمة ، وقيل أمينة ، وسكينه لقب لقبت به .

قال مصعب فيما أخبرني به الطوسي عن زبير عنه : اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس ، قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا

1 ترجمة الحسين بن علي في جميع كتب التاريخ : الطبري ، المسعودي ، كامل ابن الأثير وتهذيب ابن عساكر 4 : 311 ومقاتل الطالبين : 54 ، 67 وصفوة الصفوة 1 : 321 وأخباره كثيرة في كتب الأدب .

أبو نعيم ، عن عمر بن ثابت ، عن مالك بن أَعِين ، قال : سمعت سَكِينَةَ بنت الحسين تقول عاتب عمِّي الحسنُ أَيْبِي في أُمِّي ، فقال : [من الوافر]

لعمركُ إِنِّي لأحِبُّ داراً تكون بها سَكِينَةُ والربابُ
أحَبُّهما وأبذل جُلٍّ مالي وليس لعاتب عندي عتابُ

[اسم سَكِينَةَ]

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديُّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثنا العُمَرِيُّ عن ابن الكلبيِّ عن أبيه ، قال : قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سَكِينَةَ بنت الحسين ؟ فقلت : سَكِينَةُ . فقال : لا . اسمها أَمَنَةُ .

وروي أنَّ رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سَكِينَةَ . فقال : أَمِينَةُ ، فقال له : إنَّ ابن الكلبيِّ يقول أَمِيمَةُ . فقال : سل ابن الكلبيِّ عن أمِّه ، وسَلْنِي عن أُمِّي . وقال المدائنيُّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيُّ قال : سَكِينَةُ لقب ، واسمها أَمَنَةُ . وهذا هو الصحيح .

[إسلام أبي الرباب]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العلويُّ قال : حدَّثنا شيخ من قريش ، قال : حدَّثنا أبو حُذَافَةَ أو غيره ، قال : أسلم امرؤ القيس بن عديٍّ على يد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فما صلَّى لله صلاة حتى ولَّاه عمر ، وما أَمسى حتى خطب إليه علي عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين ، فزوَّجه إياها . فولدت له عبد الله وسَكِينَةُ ولَدَي الحسين عليهما السلام . وفي سَكِينَةَ وأمُّها يقول :

لعمركُ إِنِّي لأحِبُّ داراً تحلُّ بها سَكِينَةُ والربابُ

وذكر البيت الآخر ، وزاد على البيتين :

فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضِيعاً حياتي أو يغيَّبني الترابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغلابيِّ ، وهو أَمُّ . قال : حدَّثنا علي بن صالح ، عن علي بن مجاهد ، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبيِّ ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدَّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبان بن سَيَّار الفزاريُّ ؛ قال حدَّثني عوف بن خارجة المُرِّي ، قال : والله إِنِّي لعند عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في خلافته ، إذ أقبل رجل أفحج أجلى أَمْعَر¹ ، يتخطَّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر . فحيَّاه بتحيةِ الخلافة ،

1 الأَفْحَج : الذي يتدأى صدور قدميه ويتباعد عقباه عند المشي . والأَجْلَى : الذي انحسر مقدم شعره . والأَمْعَر : الذي سقط شعره .

فقال له عمر : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا امرؤ نصرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ . قال : فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل ، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله . ثم دعا له برُمُح ، فعقد له على مَنْ أسلم بالشام من قضاة . فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه . قال عوف : فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصلِّ لله ركعة قطُّ أمراً على جماعة من المسلمين قبله .

ونهب عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابنه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه ، فأخذ بثيابه . فقال له : يا عمّ ، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره ، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبتا في صهرك فأنكحنا . فقال : قد أنكحتك يا عليّ المحياة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسين الرّباب بنت امرئ القيس .

وقال هشام بن الكلبيّ : كانت الرّباب من خيار النساء وأفضلهنّ . فخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنت لأتخذ حمأ بعد رسول الله ﷺ .

قال المدائنيّ : حدّثني أبو إسحاق المالكيّ ، قال : قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً ؟ فقالت : لأنّكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسميتوني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام . تعني آمنة بنت وهب ، أم رسول الله ﷺ .

[رثاء الرّباب للحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكتاني ، عن قنعب بن الحزّ الباهلي ، عن محمد ابن الحكم ، عن عوانة ، قال : رثت الرّباب بنت امرئ القيس ام سكينة بنت الحسين ، زوجها الحسين عليه السلام حين قتل ، فقالت :

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به	بكرّ بلائٍ قتيلاً غير مدفونٍ
سيطّ النبيّ جزاك الله صالحاً	عنا ، وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	وكنّت تصحبنا بالرحم والدّين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يُغني ويأوي إليه كلّ مسكين
والله لا أبغي صهراً بصهركم	حتّى أغيبّ بين الرمل والطين

أخبرني الطّوسي قال : حدّثني الزُّبير عن عمّه قال : أخبرني إسماعيل بن بكار قال : حدّثني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزُّبير عن عمّه ، قال : وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى ، قال : كان الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي

طالب خطب إلى عمّه الحسين ، فقال له الحسين عليهم السلام : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلق معي ، فخرج به حتى أدخله منزله ، فخيره في ابنته فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة ، فزوجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار على سُكينة لمنقطة القرين في الحسن . وقال عبد الله بن موسى في خبره : إن الحسين خيره ، فاستحيا ، فقال له : قد اخترت لك فاطمة ، فهي أكثرهما شَبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ .
[بين سُكينة وبنت لعثمان]

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال : كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي بن سليمان بن الحسين العلويّ قال : كانت سُكينة في مأتم فيه بنت لعثمان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . فسكت سُكينة : فلمّا قال المؤذن . أشهد أنّ محمداً رسول الله . قالت سُكينة : هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبداً .
[لا تسكت على شتم عليّ]

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدّثنا يحيى قال : حدّثنا مروان بن موسى القرويّ قال : حدّثنا بعض أصحابنا قال : كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مطيرة ، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحُكم ، إذا صعد المنبر ، فإذا شتم عليّاً ، شتمته هي وجواربها ، فكان يأمر الحرس فيضربون جواربها .

أخبرني الطوسيّ عن الزبير عن عمّه مصعب ، قال : كانت سُكينة عفيفة سلّمة¹ برّزة من النساء ، تجالس الأجلّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحمة .
أخبرني الطوسيّ قال : حدّثنا الزبير عن عمّه قال : حدّثني معاوية بن بكر ، قال : قالت سُكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني محمد بن موسى ، عن أبي أيوب المدنيّ ، عن مصعب ، قال : كانت سُكينة أحسن الناس شعراً ؛ فكانت تُصَفّف جُمّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرف ذلك . فكانت تلك الجُمّة تسمّى السُكينية . وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفّف جُمّته السُكينية جلده وحلقه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحُميريّ ، قال : بعثت سُكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبّيش بن دُلْجة بغالية ، لأنّه كان من أخوالها . فلمّا وصلت إليه قال : فأين كانت ، عن الصّياح² ؟ يقدّر أنّ الصّياح

1 سلمة : مسألة .

2 الصياح : عطر أو خلوق ونحوه .

أرفع من الغالية .

[مزاح سكية]

قال محمد بن سلام : كانت سكية مزّاحة ، فلسعتها دبّرة فولولت . فقالت لها أمّها : ما لك يا سيدتي وجزعت ؟ فقالت : لَسَعَتْنِي دُبِيرَةٌ ، مثل الأُبَيْرَةِ ، فأوجعتني قُطِيرَةٌ¹ .

وقال هارون بن أبي عبيد الله ، حدّثني ضمرة بن ضمرة ، قال : أَجَلَسْتُ سَكِينَةَ شَيْخًا فَارْسِيًّا عَلَى سَلَّةٍ بَيْضٍ ، وَبَعَثْتُ إِلَى سَلِيمَانَ بْنِ يَسَارٍ ، كَاتِبَهَا تَرِيدُ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ . فَجَاءَهَا إِكْرَامًا لَهَا ، فَأَمَرْتُ مَنْ أَخْرَجَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الشَّيْخَ جَالِسًا عَلَى السَّلَّةِ فِيهَا الْبَيْضُ . فَوَلَّى يُسَبِّحُ .

قال : وَبَعَثْتُ سَكِينَةَ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ بِالْمَدِينَةِ : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْنَا شَامِيٌّ ، فَابْعَثْ إِلَيْنَا بِالشَّرْطِ . فَرَكِبَ وَمَعَهُ الشَّرْطُ . فَلَمَّا أَتَى إِلَى الْبَابِ ، أَمَرْتُ فَفَتَحَ لَهُ ، وَأَمَرْتُ جَارِيَةَ مِنْ جَوَارِيهَا فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ بُرْغوثًا . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَتْ : هَذَا الشَّامِيُّ الَّذِي شَكُونَاهُ . فَاَنْصَرَفُوا يَضْحَكُونَ .

[ابن أشعب سرّيه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِّيِّ : أَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا وَلَاهُ دِمَشْقَ اسْتَوْهَبَهُ صُحْبَةُ دُبْيَةٍ وَالْغَاضِرِيِّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ أَشْعَبٍ وَحَكَمُ الْوَادِي . فَوَهَبَهُمْ لَهُ ، فَأَشْخَصَهُمْ مَعَهُ .

قال : فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنِي بِهِ عُبَيْدَةُ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَكِبْتُ جِمَازَةً² وَهُوَ عَدْلِي ، وَنَمْتُ عَلَى ظَهْرهَا . فَلَمَّا بَلَّغْنَا ثَنِيَّةَ الْعُقَابِ ، اشْتَدَّ عَلَيَّ الْبَرْدُ ، فَاحْتَجَجْتُ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الدُّثَارِ . فَدَعَوْتُ بِدَوَاجٍ³ سَمُورٍ ، فَأَلْقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِي ، وَدَعَوْتُ بَمَنْ كَانَ مَعِيَ فِي سَمَرِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانُوا حَوْلِي . فَقُلْتُ لِابْنِ أَشْعَبٍ : حَدَّثَنِي بِأَعْجَبَ مَا تَعْلَمُ مِنْ طَمَعِ أَبِيكَ . فَقَالَ : أَعْجَبَ مِنْ طَمَعِ أَبِي طَمَعِ ابْنِهِ . فَقُلْتُ : وَمَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ فَقَالَ : دَعَوْتُ أَنَفًا لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْكَ الْبَرْدُ بِدَوَاجٍ سَمُورٍ ، لِتَسْتَدْفِيَءَ بِهِ ، فَلَمْ أَشْكُ أَنَّكَ دَعَوْتَ بِهِ لِتَجْعَلَهُ عَلَيَّ . فَغَلَبَنِي الضَّحْكُ ، وَخَلَعْتُ عَلَيْهِ الدَّوَاجِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا أَحْسَبُ لَكَ قَرَابَةَ بِالْمَدِينَةِ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ غَفْرًا ، لِي بِالْمَدِينَةِ قَرَابَاتٍ وَأَيَّ قَرَابَاتٍ . قُلْتُ : أَيَكُونُونَ عَشْرَةٌ ؟ قَالَ : وَمَا عَشْرَةٌ ؟ قُلْتُ : فَعَشْرِينَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ غَفْرًا ، لَا تَذَكِّرِ الْعَشْرَاتِ وَلَا الْمِائِينَ ، وَتَجَاوِزْ ذِكْرَ الْأُلُوفِ إِلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا . قُلْتُ : وَيَحْكُ ! لَيْسَ

1 قطيرة : تصغير قطرة ، أي إيجاعاً يسيراً .

2 الجمازة : الناقة السريعة .

3 الدّواج والدّوّاج : اللحاف الذي يلبس .

بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال : إنّ زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان تزوّج سُكينة بنت الحسين . فخفف أبي على قلبها ، فأحسنّت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكلّيته .

قال : وحجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكينة ، وأعلمها أنّها أوّل سنة حجّ فيها الخليفة ، وأنّه لا يمكنه التخلّف عن الحجّ معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العرّج ، وكان له فيها جوار . فأعلمته أنّها لا تأذن له إلّا أن يخرج أشعبُ معه ، فيكون عينا لها عليه ، وامنعاً له من العدول إلى العرّج ، ومن اتّخاذ جارية لنفسه في بدّائه ورجعته . ففنع بذلك ، وأخرج أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلّا في مسامرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيّب به إلّا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه ؛ وحلّة مؤشّية يصونها عن اللبس إلّا في يوم يريد التجمّل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله ، وأجزل صلّته . وانصرف سليمان من حجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف ابن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصرّ صرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنّه ليس بينه وبين العرّج إلّا أميال ؛ وأنّه إن أذن له في المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غلّس إليه ، فوافى وقت ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له في السير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنّه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرّجة ، أنّه ما سار إلى العرّج ، ولا اتّخذ جارية منذ فارق سُكينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدّثني أبي أنّه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قريتان . فألقتا القريتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير ، وعامتا فيه ، ورأى من مُجرّدهما ما أعجبه واستحسنه . فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما . فأعلمتا أنّهما من إماء نسوة خلّوف ، لبني عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل سبيل إلى مولياتهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهنّ بمنّ هذه صفته ؟ فقال لهما : أنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحلّته التي كان يضنّ بها فلبسها ، وأحضر السّفط الذي كان فيه طيبه ، فتطيّب منه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين

من غزاتهم ، وأقبلت تمرّ به الرّحلة بعد الرّحلة ، فيقفون به فيقولون : ممّن الرجل ؟ فينتسب في نسب زيد ، فيقول كلّ من اجتاز به : ما نرى به بأساً . وينصرفون عنه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانيّ على حِجَرِ همة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل ممّن اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدّمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبي : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأنّي رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليري وجهي . فركبت الفرس ، فما استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قرشيّ ، وما هذا إلا وجه عبد . فركضت وركض خلفي ، فرأى حِجَرَهُ مقصرة . فلما يئس من اللحاق بي ، انتزع سهماً فرماني به ، فوقع في مؤخرة السرج ، فكسرها . ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلة . ووافيت رحل مولاي ، فغسلت الحلة ونشرتها ، فلم تجفّ ليلاً . وغلّس مولاي من العرج ، فوافاني في وقت الرحيل ، فرأى الحلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضرب بها الركض ، وسقط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب ، فضدّقتّه . فقال لي : ويحك ! أما كفّاك ما صنعت بي حتى انتسبت في نسبي ، فجعلتني عند أشرف قومي من العرب جمّاشاً ، وسكت عنيّ ، فلم يقل لي : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة . فلما وافاها سألتُه سُكينة عن خبره ، فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إليّ ولم يزل ثقتك معي ، وهو أمين عليّ ، فسليه عن خبري يصدقك عنه . فسألني ، فأخبرتها أنّي لم أنكر عليه شيئاً ، ولم أمكنه من ابتياع جارية ، ولم أطلق له الاجتياز بالعرج . فاستحلفتني على ذلك ، فلما حلفت لها بالأيمان المحرّجة فيها طلاق أمك ، وثب فوقف بين يديها ، وقال : أي ابنة عمّ ، ويا بنت رسول الله ، كذبك والله العليج ، ولقد أخذ منّي أربعمئة دينار ، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ، فأقمت بها يوماً وليلة ، وغسلت بها عدّة من جوارِيّ ، وها أنا ذا تائب إلى الله ممّا كان منّي ، وقد جعلت توبتي هبتنّ لك ، وتقدّمت في حملنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينة في عشية اليوم ، فبيعهنّ أو عتقهنّ إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما ترين في العبد السوء . فأمرتني بإحضار أربعمئة دينار ، فأحضرتها . فأمرت بابتياع خَشَب بثلاثمئة دينار ، وأمرت بنشره ، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه . ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة عليه في أجرة التجارين من المائة دينار الباقيّة . ثم أمرت بابتياع بيض وتين وسرجين بما بقي من المائة دينار بعد أجرة التجارين . ثم أدخلتني البيت ، وفيه البيض والتين والسرجين ، وحلفت بحقّ جدّها ألاّ أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كلّهُ إلى أن يُفْقَس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضنه

حتى قُفِسَ كلّه . فخرج منه الألو ف من الفراري ج ، وربيت في دار س كينة ، فكانت تنسبهنّ إليّ ، وتقول : بنات أشعب .

قال أبو إسحاق : قال لي : وبقي ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن ، فكلّهم إخواني وأهلي . قال : فضحكك والله حتى غلبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بحضرتي إليه . [أزواج س كينة]

أخبرني الطوسيّ والحريّ قالا : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني عمّي مصعب قال : تزوّجت س كينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أولهم عبد الله بن الحسن بن عليّ ، وهو ابن عمّها وأبو عذرتها ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الله بن عثمان الحزاميّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلويّ : إنّ عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر ، وأمّه بنت السليل بن عبد الله البجليّ ، أخي جرير بن عبد الله ، قال : ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير ، زوّجه إياها أخوها علي بن الحسين ، ومهرها مصعب ألف ألف درهم . قال مصعب : وحدّثني مصعب بن عثمان : أنّ عليّ بن الحسين أخاها حملها إليه ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت س كينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتاً ، فقال لها : سمّيها زهراء . قالت : بل أسمّيها باسم إحدى أمّهاتي وسمّتها الرّباب . فلمّا قتل مصعب وليّ أخوه عروة تركته ، فزوّجها يعني الرّباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عروة ، فماتت وهي صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار . قال الزبير : فحدّثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر ، عن أمّه سعدة بنت عبد الله بن سالم ، قالت : لقيت س كينة بين مكّة ومي ، فقالت : قفي لي يا ابنة عبد الله ، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هي قد أثقلتها بالحليّ واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه .

قال الزبير : وحدّثني عمّي عن الماجشون ، قال : قالت س كينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال لأقضيّن بينكما ؛ أما أنت يا س كينة فأملح منها ، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها . فقالت س كينة : قضيت لي والله . وكانت س كينة تسمّى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثني أحمد بن زهير قال : حدّثنا المدائنيّ ، قال : خطب

سُكَيْنَةُ بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : لا والله لا يتزوجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً .

وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه : أن أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي . ثم خلف عليها العثماني ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان . فقال فيه بعض المدنيين¹ : [من الكامل]

نَكَحَتْ سُكَيْنَةَ بِالحَسَابِ ثَلَاثَةً فَإِذَا دَخَلَتْ بِهَا فَأَنْتَ الرَّابِعُ

قال : وكان يتولّى مصر ، فكتب إليّ : إن أرض مصر وخمة . فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبغ . وبلغ عبد الملك تزوجه إياها ، فنفس بها عليه . فكتب إليّ : اختر مصر أو سُكَيْنَةَ . فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومثعها بعشرين ألف دينار . ومروا بها في طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً .

وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشي عن شعيب بن صخر أن الحزامي عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها ، وولدت منه بنتاً . وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سُكَيْنَةَ أرتها بنتها من الحزامي ، وقد أثقلتها باللؤلؤ ، وهي في قبة ، فقالت : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه . تريد أنها تفضح الحلي بحسنها ، لأنها أحسن منه .

أخبرني ابن أبي الأزر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عدي ، عن صالح بن حسان وغيره : أن سُكَيْنَةَ كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير . فلما قتل مصعب ، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغ من حمك أن تبعث إلى سُكَيْنَةَ بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك .

[بنانة تمنى جلبة فنحدث]

قال : ثم تنفست يوماً بنانة جارية سُكَيْنَةَ وتنهدت ، حتى كادت أضلاعها تتحطم . فقالت لها سُكَيْنَةُ : مالك ويملك ! قالت : أحب أن أرى في الدار جلبة ، تعني العرس . فدعت مولى لها تتق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فقل له : إن الذي كنّا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ؛ أنت من أحوال رسول الله ﷺ ، فأحضر بيتك . قال : فجمع عدة من بني زهرة ، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين .

1 هو أيمن بن خريم .

ثم أرسل إلى علي بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بني هاشم . فلما اتاهم الخبر اجتمعوا ، وقالوا : هذه السفينة تريد أن تزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فتنادى بنو هاشم واجتمعوا ، وقالوا : لا يخرجن أحد منكم إلّا ومعه عصا . فجاءوا وما بقي إلّا الكلام . فقال : اضربوا بالعصي . فاضطربوا هم وبنو زهرة ، حتى تشاجّوا ، فشجّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقي ، فبسطوه ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ، أو قال : بزواياه الأربع ، فالتفتت إلى بُناة فقالت : يا بُناة ، أرايت في الدار جلبة ؟ قالت : إي والله إلّا أنّها شديدة .

وقال هارون بن الزيات : أخبرني أبو حذيفة عن مصعب ، قال : كان أول أزواج سكينه عبد الله بن الحسن بن علي ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب ، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، فنشزت عليه ، فطلقها . ثم خلف عليها الأصبع بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال الشاعر :

نكحت سَكِينَةَ بالحساب ثلاثة فإذا دخلتَ بها فانت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه خاب البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب ، وقال : أما تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا ! فطلقها . فطلقها . فخلف عليها العثماني ، وشرطت عليه ألا يغيرها¹ ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث خلّتها أم منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده . فكانت تقول له : يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكة . فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين ، قالت : ارجع بنا إلى المدينة . فإذا رجع يومه ذاك ، قالت : اخرج بنا إلى مكة . فقال له سليمان بن عبد الملك : أعلمُ أنّك قد شرطت لها شروطاً لم تفِ بها ، فطلقها . فطلقها . فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فكره ذلك أهلها ، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يخبرها . فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه ، فقال لها : جُعِلَ فداءك ، قد خيّرتك فاختاري . فقالت : قلت ماذا بأبي ، تهزأ به . فعرف ذلك ، فانصرف . وخيّروها ، فقالت : لا أريده .

قال : وماتت فصلّى عليها شيبه بن نصاح .

1 يغيرها : يجعلها تغار .

وأما ابن الكلبيّ فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ ، عن عمر بن شبة ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عنه : أن أوّل أزواجها الأصمغ ، ومات ولم يرها ، ثم زيد بن عمرو العثمانيّ ، قال : وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين ، ثم الحزامي ، ثم خلف عليها مصعب ، فولدت له جارية ، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبة : وحدّثني محمد بن يحيى قال : تزوّج مصعب سكينه وهو يومئذ بالبصرة ، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير ، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السلاس ، وهو الذي جاء بنعيه ، فقال ابن قيس فيه ¹ :

قد أتانا بما كرهنا أبو السلاّ س كانت بنفسه الأوجاع

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى ، ليست قصّة أبي السلاس مع مصعب ، وإنما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولما تزوّج مصعب سكينه على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبى حفص أقول مقالتي وأبث ما أبنتكم لارتاعا

قال : وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتاباً إلا جاء به ، فلما أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبى حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف درهم . ثم قال : إن مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه ، وسلّ أيره ، وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجيء على ذات الجيش ؛ وقال : إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

قال أبو زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال : ذكر أنّ زيد بن عمرو بن عثمان العثمانيّ خرج إلى مال له مغاضباً لسكينه ، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينه على زيد ، وذكرت غيبته مع ولأئده سبعة أشهر ، وأنها شرطت عليه أنّه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجاً تريده ، فهي خليّة ² ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 147 .

2 خلية : مطلقة .

قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله ، قال : بعثني عمر ، وبعث معي محمد بن معقل بن يسار الأشجعي ، إلى ابن حزم ، وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس ، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحجلة جالسة ، وجاءت سكينه ، فقال ابن حزم : أدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلا ومعني ولائدي ، فأدخلن معها ، فلما دخلت قالت : يا جارية اثني لي هذه الوسادة . ففعلت ، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسري ، حتى كاد يدخل في جوفه خوفاً منها . فقال لها ابن حزم : يا ابنة الحسين ، إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء ، فقالت له : وما أنكرت مني ، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة في عينه . فقال لها : أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك . فقالت له : يا ابن فرتنى ألا تزال تتوعدني ؟ وشمته وشمته . فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العدوي : ما بهذا أمرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم . فقالت : لا أراك ههنا وأنا اشتمُ بحضرتك . ثم هتفت برجال قريش ، وحضت ابن أبي الجهم ، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي ، أي عدو الله ، تشتمني وأبوك الخارج مع يهود صباية بدينهم لما أخرجهم رسول الله ﷺ إلى أريحا ، يا ابن فرتنى . قال : وشمته وشمته .

قال : ثم أحضرنا زيدا ، فكلّمها وخضع لها ، فقالت : ما أعرفني بك يا زيد ، والله لا تراني أبداً ، أترك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن ؟ أملاً عينك الآن مني ، فإنك لا تراني بعد الليلة أبداً . وجعلت تردّد هذا القول ومثله ، فكلّمها تكلّم ترفث¹ لابن حزم وامراته في الحجلة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأن سكينه إن جاءت ببينة على ما ادّعت ، وإلا فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يا ابن عثمان : تزود مني بنظرة ، فإنك والله لا تراني بعد الليلة أبداً ، وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية ، فسألنا عن الخبر ، فأخبرنا ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا زيدا من غد ، فأحلفه وردّ سكينه عليه .

وأخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال : حدثني الزبير بن بكّار عن عمّه قال : قالت سكينه لأُمّ أشعب : سمعت للناس خبراً ؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه ، وحملوا العصي ، وجاءوا فقاتلوا بني زهرة حتى كثرت الشجاج ، ثم فرّق بينهم ، وخيرت سكينه فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أمّ أشعب وقالت : أترين الآن أنّه كان للناس اليوم خبر ؟ قالت ، إي والله ، بأيّ أنت ، وأيّ خبر .

قال هارون بن الزيات : وجدت في كتاب القاسم بن يوسف : حدثني الهيثم بن عدي ، عن أشعب ، قال : تزوج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينه ، وكان أبخل قرشي رأيت ، فخرج حاجاً وخرجت سكينه معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلا حملته معها ، وأعطتني مائة دينار ، وقالت : يا ابن أم حميدة ، اخرج معنا . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلما أتينا السيالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقدم . فلما جيء بالأطباق ، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد ، فلما رآهم قال : أوة . خاصرتي . باسم الله ، ارفعوا الطعام ، وهاتوا الترياق والماء الحار ، فأتي به فجعل يتوجرهما¹ حتى انصرفوا ، ورحلنا وقد هلكت جوعاً ، فلم آكل إلا بما اشتريته من السوق . فلما كان من الغد أصبحت وبني من الجوع ما الله أعلم به ، ودعا بالطعام وأتي به . قال : فأمر بإسخان ، وجاءته مشيخة من قريش يسلمون عليه ، فلما رآهم اعتل بالخاصرة ، ودعا بالترياق والماء الحار ، فتوجره ورفع الطعام ، فلما ذهبوا أمر بإعادته ، فأتي به وقد برد ، فقال لي : يا أشعب ، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرني عن دجاجك هذا ؟ أمن آل فرعون ، فهو يُعرض على النار غُدُوًاً وعَشِيًّا .

[تبغض أهل الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال : جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينه فقالت لهم : الله يعلم أنني أبغضكم : قتلتم جدِّي علياً ، وأبي الحسين ، وأخي علياً ، وزوجي مصعباً ، فبأي وجه تلقوني ، أيتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال : بينما سكينه ذات ليلة تسير ، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول :

لولا ثلاث هنَّ عيشُ الدهرِ

قالت لقائد قطارها : ألحق بنا هذا الرجل ، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث .

فطال طلبه لذلك حتى أتبعها . فقالت لغلام لها : سر أنت حتى نسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

الماء والنوم وأمّ عمرو

فقالت : قبحه الله ! أتعني منذ الليلة .

قال : وحدثني المدائني أن أشعب حج مع سكينه ، فأمرت له بجمل قوي يحمل أثقاله ، فأعطاه القيم جملاً ضعيفاً ، فلما جاء إلى سكينه قالت له : أعطوك ما أردت ؟ قال : عرسه

1 يتوجر الدواء : يصبه في حلقة قليلاً قليلاً .

الطلاق ، لو أنه حمل قَبَّاً على الجمل لما حمّله ، فكيف يحمل محملاً .
 أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شُبّة ، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ ، عن سفيان بن حرب ، قال : رأيت سَكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة ، فرمت بخاتمها مكانها .
 وقال هارون بن الزّيّات : حدّثني أبو حُدّافة السهميّ قال : أخبرني غير واحد ، منهم عمّد بن طلحة : أنّ سَكينة ناقلت بما لها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البريديّ بَلْزَق الجماء ، فلمّا سال العقيق ، خرجت ومعها جواربها تمشي ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جرفه ، ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت : هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال : وكان البريديّ قصراً لا غلّة له ، وإنّما يُتَنَزّه فيه ، وكانت غلّة الزوراء غلّة وافرة عظيمة .

[تزال منها سلعة بالجراحة]

وقال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه ، وعمّه وغيرهما من مشايخ الهاشمين والطلبين : أنّ سَكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلْعَةٌ¹ في أسفل عينيها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينيها ، وعظّم شأنها ؛ وكان بدرأقس منقطعاً إليها في خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشقّ جلد وجهها حتى ظهرت السَلْعَةُ ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السَلْعَةُ من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسَكينة مضطجعة لا تتحرّك ولا تنمّ ، حتى فرغ ممّا أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينيها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حلّي وزينة ، ولم يؤثر ذلك في نظرها ، ولا في عينيها .

[نقدها الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : أخبرني عيسى بن إسماعيل ، عن محمد بن سلام ، عن جرير المدنيّ ، عن المدائنيّ . وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام . وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عمر بن شُبّة موقوفاً عليه ، قالوا : اجتمع في ضيافة سَكينة بنت الحسين عليه السلام ، جرير والفرزدق وكثيرٌ وجميل ونُصَيْب ، فمكثوا أياماً ؛ ثم أذنت

1 السلعة : غدة تفتح وتحرك أو خراج ، وتبدأ كالحمصة ثم تصير بحجم البطيخة .

لهم ، فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَوْنَهَا ، وتسمع كلامهم ؛ ثم أخرجت وصيفة لها وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل¹ :

هما دلتاني من ثمانينَ قامَةً كما انحطَّ بازٍ أقتمَ الريشَ كاسرةً
فلما استوت رجلاي بالأرضِ قالتا أحيي يَرْجَى أم قتيل نخاذرةً
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادرةً
أبادر بوابئين قد وُكِّلا بنا وأحمر من ساج تبصُّ مسامرةً

قال : نعم . قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرِّها وسرِّك ؟ هلاً سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم جرير ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل² :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حينَ الزيارة فارجمي بسلامٍ
تُجري السواك على أغرٍّ كأنه برّد تحدر من مُتون غمامٍ
لو كان عهدك كالذي حدثتنا لوصلت ذاك فكان غير رمامٍ³
إنِّي أواصل مَنْ أردتُ وصاله بحبالٍ لا صلفٍ ولا لَوَامٍ

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها ، ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم كثير ؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل⁴ :

وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنوك حتى يطعم الطالبُ الصُّبا ودفعك أسباب الهوى حينَ يطعمُ
وقطعك أسبابَ الكريم ووصلك الـ لئيم وخَلَّات المكارم ترفعُ⁵

1 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 211 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

2 ديوان جرير (صادر) : 452 .

3 غير رمام : غير متقطع .

4 ديوان كثير : 405 مع اختلاف في الرواية .

5 رواية البيت في الديوان :

فوالله ما يدري كريم مما طَلَّ أُنْسَاكَ إِذْ بَاعَدْتَ أُمَّ يَتَضَرَّعُ
قال : نعم . قالت : مَلَّخْتَ وَشَكَّلْتَ . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، والحق بأهلك .
ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أَيَكُم نُصَيْبٌ ؟ قال : هَئِنَا . قالت : أَأَنْتِ
القائل¹ :

ولولا أَن يُقال صبا نُصَيْبٌ لَقَلْتُ بِنَفْسِي الشَّأُ الصَّغَارُ
بنفسي كُلَّ مَهْضُومٍ حِشَاها إِذَا ظَلِمَتْ فَلَيْسَ لَهَا انتِصَارُ
قال : نعم . قالت : ربيتنا صغاراً ، ومدحتنا كباراً . خذ هذه الأربعة الآلاف ، والحق
بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : يا جميل ، مولاتي تُقَرِّئُكَ السَّلامَ ، وتقول
لك : والله ما زلتُ مشتاقةً لرؤيتك منذ سمعت قولك² :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بُوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بِشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ
جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار ، والحق بأهلك .
أخبرني ابن أبي الأَزهَر قال : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيِّ قال : اجتمع
بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأَحوص ، فافتخر كلُّ
واحد منهم بصاحبه ، وقال : صاحبي أَشعر . فحكّموا سَكِينَةَ بنت الحسن بن عليٍّ عليهما
السَّلام ، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يَتَقَادُونَ³ ، حتى استأذنوا عليها ،
فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي
يقول :

طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلامٍ
وَأَيُّ سَاعَةٍ أَحْلَى لِلزِّيَارَةِ مِنَ الطَّرُوقِ ، قَبِّحَ اللَّهُ صَاحِبَكَ ، وَقَبِّحَ شِعْرَهُ ! أَلَا قال : فادخلي
بسلام !

ثم قالت لراوية كثير : أليس صاحبك الذي يقول⁴ :

[من الطويل]

1 ديوان نصيب 88 .

2 ديوان جميل 42 .

3 يتقادون : يتبارون في التفاخر .

4 ديوان كثير 107 .

يَقَرَّ بعيني ما يَقَرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قَرَّتْ
فليس شيء أقرَّ لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن يُنكح ؟ قَبَّحَ الله صاحبك ، وقَبَّحَ
شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول¹ : [من الطويل]

فلو تَرَكْتُ عقلي معي ما طلبْتُها ولكن طَلَّيْها لما فات من عقلي
فما أرى بصاحبك من هوى ، إنَّما يطلب عقله ، قَبَّحَ الله صاحبك وقَبَّحَ شعره ! ثم قالت
لراوية نُصَيْب : أليس صاحبك الذي يقول² : [من الطويل]

أهيم بدعد ما حييت فإن أُمْتُ فيا حَرَبًا من ذا يهيم بها بعدي
فما أرى له همة إلا مَنْ يتعشَّقها بعده ! قَبَّحَ الله وقَبَّحَ شعره ! ألا قال : [من الطويل]
أهيم بدعد ما حييت فإن أُمْتُ فلا صَلَّحت دعد لذي خُلَّةٍ بعدي
ثم قالت لراوية الأصوص : أليس صاحبك الذي يقول : [من الكامل]

مِنْ عاشقين تواعدا وتراسلا ليلا إذا نجمُ الثريا حَلَّقًا
باتا بأنعم ليلة والذَّها حتى إذا وُضَّح الصُّباحُ تفرَّقا
قال : نعم ، قالت : قَبَّحَ الله وقَبَّحَ شعره ! ألا قال : تعانقا .
قال إسحاق في خبره : فلم تُثْنِ على أحد منهم في ذلك اليوم ، ولم تقدِّمه .
قال : وذكر لي الهيثم بن عديٍّ مثل ذلك في جميعهم إلا جميلًا ، فإنَّه خالف هذه الرواية ،
وقال : فقالت ، لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول : [من الطويل]
فيا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بُشينة لا يَخْفَى عليَّ كلامُها
قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبك كان صادقًا في شعره ، كان جميلًا كاسمه ،
فحكمت له .

* * *

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغاني تذكر هاهنا نسبتها . فمنها : [من الطويل]

صوت

هما دلتاني من ثمانين قامَةً كما انقضَّ بازٍ أقتم الریش كاسرَّة

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان نصيب : 84 .

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحَيِّ يَرَجَّى أم قتيل نحاذرة
عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء للحَجَّيِّ ، رَمَل بالبنصر عن الهشامي وحش .
[استطرد بشأن الفرزدق]

وأخبرني : أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدثنا به اليزيدي
قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال : كان للفرزدق غلامان ،
يقال لأحدهما وقّاع ، وللآخر زَنْقَطَة . قال : ولوقّاع يقول الفرزدق¹ : [من الطويل]

تغلغل وقّاعٌ إليها فأقبلت تخوض خُدَاريًا من الليل أخضرًا²
لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى إذا هو للظبي المروع تَقْتَرًا³
وله يقول أيضًا⁴ : [من الوافر]

فأبلغهنّ وحيّ القول عني وأدخل رأسه تحت القِرامِ⁵
أسيّد ذو خُرَيْطَةٍ نهاراً من المتلقّطي قَرَدِ القُمامِ⁶
فقلن له نواعذك الثريّا وذاك إليه مجتمعُ الرّجامِ

صوت

ثلاث واثنتان فهنّ خمسٌ وسادسة تميل مع السّنامِ
خرجن إليّ لم يطمئنّ قلبي فهنّ أصحّ من بيض النّعامِ
فبتن بجانبني مُصَرَّعاتٍ وبتُ أفضُّ أغلاق الختامِ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشامي ، وفيها هَزَج يمان
بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أن الهزج لفليح ، وأنّ لحن ابن جامع ثاني ثقيل
بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلام ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة : [من الطويل]
هما دلتانِي من ثمانين قامَةً كما انقضَّ باز أقتم الرّيش كاسرة

1 ديوان الفرزدق 1 : 344 .

2 خداري : مظلّم .

3 انغل : دخل . وتقت : تهبأ وتلطّف . وفي الديوان : «إذا هو للطنء المخوف تقترا» .

4 ديوان الفرزدق 2 : 290 مع اختلاف في اللفظ .

5 القرام : السّتر الأحمر .

6 في الديوان : قرد القسام ، والقرد نفاية الصوف والكتان ، والقسام : مال الصدقة .

فَلَمَّا اسْتَوَتْ رَجُلَايَ بِالْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيِي يُرْجَى أَمْ قَتِيل نَحَاذِرُهُ
فَقُلْتُ ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَفْطُنُوا بِنَا ووليت في أعجاز ليل أبَادِرُهُ
أَبَادِرَ بَوَائِنٍ قَدْ وُكِّلَا بِنَا وَأَحْمَرُ مِنْ سَاجِرٍ تَبِصَّ مَسَامِرُهُ
وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسِ وَأَصْبَحْتُ مُغْلَقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهُ
قال : فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ قَرِيشَ عَلَيْهِ ، وَأَزْعَجَهُ مَرُوانَ عَنِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ وَالِيهَا لِمَعَاوِيَةَ ، وَأَجَّلَهُ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَقَالَ ¹ :

يَا مَرُورَ إِنَّ مَطْيَتِي مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الْحَبَاءَ وَرَبِّهَا لَمْ يَيْأَسِرْ
وَأَتَيْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ أَخْشَى عَلَيَّ بِهَا حَيَاءَ النَّقْرِيسِ
أَلْتَرِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرْزَدُقُ لَا تَكُنْ نَكْدَاءً مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ ²
وقال في ذلك :

وَأَخْرَجَنِي وَأَجَلَّنِي ثَلَاثًا كَمَا وَعَدْتَ لِمَهْلِكِهَا ثُمُودَ
وَذَكَرَ ذَلِكَ جَرِيرٌ فِي مَنَاقِضَتِهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَ :
وَشَبِهْتَ نَفْسَكَ أَشَقَى ثُمُودٍ فَقَالُوا ضَلَّلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ
يعني تأجيل مروان له ثلاثاً . وقال فيه أيضاً جرير :
تَدَلَيْتَ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ الْعَلَا وَالْمَكَارِمِ
وهما قصيدتان .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِلْفَرْزَدُقِ : أَنْشِدْنِي أَجُودَ شَعْرَ قَتْلِهِ ، فَأَنْشَدَهُ ³ :
عَزَفَتْ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدَتْ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَذَرَاءٍ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
فَقَالَ لَهُ : زِدْنِي . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

ثَلَاثَ وَائْتَانِ فَهَنْ خَمْسَ وَسَادَسَةَ تَمِيلُ إِلَى الشَّمَامِ ⁴
فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : مَا أَظْنُكَ إِلَّا قَدْ أَحْلَلْتَ بِنَفْسِكَ الْعَقُوبَةَ ؛ أَقَرَّرْتَ بِالرَّأْيِ عِنْدِي وَأَنَا إِمَامٌ ،
وَلَا بَدَلِي مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْكَ . قَالَ : إِنْ أَخَذْتُ فِي بَقُولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ تَفْعَلْ . قَالَ : وَمَا قَالَ

1 ديوان الفرزدق 1 : 384 .

2 المثل «صحيفة المتلمس» في مجمع الميداني 1 : 399 والفاخر : 73 وجمهرة العسكري 1 : 579 .

3 ديوان الفرزدق 2 : 23-33 .

4 مرآة أفاء برواية «تميل مع السنام» .

الله عز وجل؟ قال : قال : «والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون .. وأنهم يقولون ما لا يفعلون» . فضحك سليمان ، وقال : تلافتها ودرأت عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنّة ، وخلع عليه .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ ؛ عن أبي عبيدة ، قال : نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قراه ، فلمّا كان في الليل دبّ إلى جارية منهم ، فراودها عن نفسها ، فصاحت ، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنّبوه . فجعل يفكر واهتمّ ، فقال له الرجل الذي نزل به : مالك ؟ أتحبّ أن أزوّجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بي ، ولكنّي كأتّي بابه المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فيّ :

وكنّت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزيّة وتركت عارا
فقال له الرجل : لعلّه لا يفتن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجبرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام
تجري السواك على أغرّ كائنه برّد تحدر من متون غمام
هيهات منزلنا بجو سويقة ممن يحلّ بواطن الآجام
إقر السلام على سعدا وقل لها لو ما تردّ رسولنا بسلام

الشعر لجبرير ، والغناء لابن سريج : ثاني ثقل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد ، وأظنّه من منحول يحيى . وذكره عمرو بن بانه أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة ، وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقل أول في الثاني والثالث ، وأنكر ذلك حبش ، وقال : هو بالوسطى . قال علي بن يحيى : ومن الناس من ينسبه إلى سباط . وذكر حبش أن فيه للهدليّ خفيف ثقل بالبنصر ، وللغريض ثاني ثقل بالوسطى .

ومنها : [من الكامل]

صوت

مِنْ عاشِقَيْنِ تراسلا وتواعدا يَلِقَا إِذَا نجمَ الثريا حَلَقَا
بعثا أمامهما مخافة رِقبة رَصَدَا فمزقَ عنهما ما مَزَقَا
باتا بأنعم ليلة والذَّها حتى إذا وضح الصُّباحُ تفرَّقا
الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أول بالبصر ، عن يونس والحشامي .

رجع الحديث إلى أخبار سَكينة

[سَكينة تسأل الفرزدق مَنْ أشعر الناس]

وروى أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني ، عن أبي يعقوب الثقفي ، عن عامر الشعبي ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى : أَنَّ الفرزدق خرج حاجاً ، فلَمَّا قضى حَجَّه خرج إلى المدينة ، فدخل على سَكينة بنت الحسين عليه السلام مسلماً ، فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تجنُّبه عزيزٌ عليّ وَمَنْ زيارته لِمَامٍ
وَمَنْ أُمسي وأصبح لا أراه ويَطْرُقني إذا هجعَ النِّيامُ

قال : والله لئن أذنت لي لأسمعَنَّ أحسن منه . قالت : أقيموه ، فأخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادني استعبارٌ ولزرت قبرك والحبيب يزَارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُئِمَ الحديث وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلبثُ القراء أن يتفرَّقوا ليلٌ يكرّ عليهم ونهارُ

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعَنَّ أحسن منه . فأمرت به فأخرج ؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحوّلها مولّدات كأنهنّ التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ ، فأعجب بها . فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : أنا . فقالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنّ العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحَيِّين قتلانا
يَصْرَعَنَّ ذا اللبّ حتى لا حراك به وهنّ أضعفُ خلق الله أركاناً

فقال : يا بنت رسول الله ﷺ ، إن لي عليك حقّاً عظيماً . ضربتُ إليك من مكّة أريد

التسليم عليك ، فكان في دخولي إليك تكذيبى ومنعك إياي أن أسمعك ، وبى ما قد عيل معه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا مت فمري أن أدرج في كفني ، وأدفن في حر تلك الجارية ، يعني الجارية التي أعجبته . فضحكت سكينه ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها أخذاً بریطتها ، وأمرت الجواري أن يدفعن في أفقائهما ، ثم قالت : يا فرزدق ، أحسن صحبتها ، فإني آثرتك بها على نفسي .

[وفاة سكينه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالا : حدثنا علي بن محمد النوفلي ، قال : حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم : أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلا سكينه بنت الحسين عليه السلام ، فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه ، فأذنه بالجنازة ، وذلك في أول النهار في حر شديد ، فأرسل إليهم : لا تحدثوا حدثاً حتى أجيء فأصلي عليها . فوضع النعش في موضع المصلّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه ، فقال : لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزلوا ينتظرونه حتى صليت العشاء ، كل ذلك يرسلون إليه ، فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة ولم يجيء ، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس ، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون . فقال علي بن الحسين عليه السلام : من أعان بطيب رحمه الله ! قال : وإنما أراد خالد بن عبد الملك ، فيما ظن قوم ، أن تنتن . قال : فإني بالمجامر ، فوضعت حول النعش ، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني ، فإني عطاراً كان يعرف عنده عوداً ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أتى به ، فسُجِر حول السرير ، حتى أصبح وقد فُريغ منه . فلما صليت الصبح أرسل إليهم : صلوا عليها وادفنها . فصلى عليها شيبه بن نصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره : أن عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة

دينار .

صوت

[من الرمل]

وأنّا الأخضرُ مَنْ يعرفني أخضرُ الجِلْدَة من بيت العرب
مَنْ يساجلني يساجلُ ماجداً يملأُ الدلوَ إلى عقْدِ الكَرْبِ

إِنَّمَا عَبْدُ مَنْفٍ جَوْهَرٌ زَيْنُ الْجَوْهَرِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ
كُلُّ قَوْمٍ صَيِّغَةٌ مِنْ فَضَّةٍ وَبَنُو عَبْدِ مَنْفٍ مِنْ ذَهَبٍ
نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ بَنَى اللَّهُ لَنَا شَرَفًا فَوْقَ يُبُوتَاتِ الْعَرَبِ
بَنِيَّ اللَّهِ وَابْنِي عَمِّهِ وَبِعَبَّاسٍ بَنَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ

الشعر للفضل بن العباس اللّهميّ ، والغناء لمعبد ، ثقیل أوّل بالنصر ، في الأوّل والثاني والثالث . ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقیل أوّل مطلق في مجرى النصر . وذكر يونس أنّ فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مسجّع وابن سريج خمسة ألحان . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابن سريج رَمَل ، ولحن مالك خفيف رَمَل ، ولحن معبد خفيف ثقیل ، ولحن ابن محرز ثقیل أوّل . وذكر ابن المكّي أنّ الثقیل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانه في كتابه الثاني أنّ لابن مسجّع أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشاميّ أنّ فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد ، ولأبي الحسن مولى سكينه ، وفي الثالث والرابع ، خفيف ثقیل . وذكر حبش أنّ لابن صاحب الوضوء في الأوّل والثاني ثاني ثقیل بالنصر ، ولابن سريج ثقیل أوّل بالنصر . وذكر حمّاد عن أبيه : أنّ لابن عائشة فيهما لحناً ، ووافق ابن المكّي . وذكر أنّه خفيف رَمَل . قال : وقيل إنّهُ لدُحْمان . وذكر ابن خرداذبه أنّ لخلّيدة المكيّة في الرابع والثالث خفيف رمل ، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل ، يقال إنّهُ لإبراهيم ، ويقال إنّهُ لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللّهميّ ، فليس من القصيدة التي فيها :

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي

لكن من قصيدة له أولها : [من الرمل]

شَابَ رَأْسِي وَلِدَاتِي لَمْ تَشَبْ بَعْدَ لَهْوٍ وَشِبَابٍ وَلَعَبٍ
شَيَّبَ الْمَفْرَقُ مَنِيَّ وَبَدَأَ فِي حِفَافِي لِحْيَتِي مِثْلُ الْعَطَبِ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيْلة خفيف رَمَل بالوسطى ، والقصيدة التي فيها : [من الرمل]

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ نَسْلِ الْعَرَبِ

أولها قوله :

طَرِبَ الشَّيْخُ وَلَا حِينَ طَرَبُ وَتَصَالَى وَصِيَا الشَّيْخِ عَجَبُ

[316] - أخبار الفضل بن العباس اللهي ونسبه¹

[نسبه]

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال :

وأنا الأخضر مَنْ يعرفني

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمّه بنت العباس بن عبد المطلب .

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي ، عن عمّه عبيد الله ، عن ابن حبيب : وإنما أتاه السواد من قبل أمّه : جدّته ، وكانت حبشية .

[مَنْ الذي أكله الأسد]

وكان النبي ﷺ زَوْجَ عُنْبَةَ إحدى بناته . فلَمَّا بعثه الله تعالى نبياً ، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها . فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، أشهد مَنْ حضرَني قد كفرت بربّك ، وطَلّقت ابتك . فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله . فبعث الله عزّ وجلّ عليه أسداً فافترسه² .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال : حدّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن عكرمة قال : لما نزلت : «والنجم إذا هوى» ، قال عتبة للنبيّ ﷺ : أنا أكفر بربّ النجم إذا هوى . فقال رسول الله ﷺ : اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك . قال : فقال ابن عباس : فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة ، وهي مَسْبُعة ، نزلوا ليلاً ، فافترشوا صفّاً واحداً ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلوني حُجْزة ؟ لا ، والله ، لا أبيت إلّا وسطكم . فبات وسطهم . قال هبار : فما أتبهني إلّا السبع يشمّ رؤوسهم رجلاً رجلاً ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح : أيّ قوم ، قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات في أيديهم . أخبرني الحسن بن الهيثم قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم قال : حدّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله . إلّا أنّه قال : قال عتبة : أنا بريء من الذي

1 للفضل بن العباس اللهي ترجمة في معجم الشعراء : 178 وفي المختلف والمؤتلف : 41 وشرح التبريزي : 120 وشرح العيون : 191 وسمط اللآلي : 701 وانظر أعلام الزركلي .

2 في الروض الأنف أن الذي دعا عليه النبي فأكله الأسد هو عتبية وأما عتبة فإنه أسلم .

«دنا فتدلى». قال : وقال هُبَّار : فضغمه الأسد ضَغْمَةً ، فالتقت أنيابه عليه .
[بين الأحوص والفضل]

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ . وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، إلّا أنّ رواية ابن النطّاح أتمّ ، واللفظ له ، قال : مرّ الفضل اللّهيّ بالأحوص وهو ينشد ، وقد اجتمع الناس عليه ، فحسده ، فقال له : يا أحوص إنّك لشاعر ، ولكنك لا تعرف الغريب ، ولا تُعرب . قال : بلى ، والله إنّني لأبصر الناس بالغريب والإعراب ، فأسألك ؟ قال : نعم . قال : [من البسيط]

ما ذاتُ حَبْلٍ يراها الناس كلّهم وَسَطُ الجحيمِ فلا تخفى على أحدٍ
كلّ الحِيَالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ وحبلها وَسَطُ أَهْلِ النَّارِ من مسدٍ
فقال له الفضل بن العباس :

ماذا أردتَ إلى شتيمي وَمَنْقَصْتِي ماذا أردتَ إلى حَمَالَةِ الحطَبِ ؟
أذْكَرْتَ بنتَ قُرومٍ سادَةٍ نُجَبٍ كانت حليمة شيخ ثاقبِ النُّسبِ

فانصرف عنه .

[بين الفضل والحزين الديلي]

قال ابن النطّاح : وَحدّثت أنّ الحزين الديليّ مرّ بالفضل يوم الجمعة ، وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتُنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ؟ فقال الفضل : ويَلْكَ يا حزين ! أتُعَرِّضُ لي ، كأنّك لا تعرفني . قال : بلى والله ، إنّني لأعرفك ، ويعرفك معي كلّ من قرأ سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ . وقال يهجوّه :

إذا ما كنت مفتخرًا بِجَدٍ فعرّج عن أبي لهبٍ قليلا
فقد أخزى الإله أباك دهرًا وقلّد عِرسه حبلًا طويلا

فأعرض عنه الفضل ، وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغرًى به وبهجائه .

[بينه وبين الفرزدق]

حدّثني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران ، قال : دخل الفرزدق المدينة ، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عتبة ينشد : [من الرمل]

من يساجلني يساجلٌ ماجدا يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرْبِ

فقال الفرزدق : مَنْ المنشِد ؟ فأخبر به ، فقال : ما يساجلك إلّا مَنْ عَضَّ بَظَرُ أُمِّهِ .

[الوليد يعطيه وسليمان يحرمه]

حدَّثني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : قدِم الوليد بن عبد الملك حاجاً إلى مكة وهو خليفة ، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة ، فشكا إليه كثرة العيال ، وسأله فأعطاه مالا وإيلاً ورقياً . فلما مات الوليد وليَّ سليمان فحجَّ ، فأتاه فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال : [من الكامل]

يا صاحب العيسِ التي رُحِلَتْ	محبوسة لعشيرة النَّفَرِ
امرر على قبر الوليدِ فقل له	صلى إله عليك من قبر
يا واصل الرِّحمِ التي قُطِعت	وأصابها الجفوات في الدهرِ
إني وجدت الخُلَّ بعدك كاذباً	فبرئت من كذبٍ ومن غدِرِ
ولقد مررت بنسوة يندبته	بيض السواعِدِ من بني فهرِ
تبكي لسيدها الأجل وما	يكيّن من نابٍ ولا بَكْرِ
يكيّنه ويقلن : سيّدنا	تاج الخلافة آخر الدهرِ
ماذا لقيتُ ، جزيّت صالحة	من جفوة الإخوان لو تدري

أخبرني وكيع بهذا الخبر ، قال : حدَّثني محمد بن علي بن حمزة قال : حدَّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : كان الفضل بن العباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه ، فقال : [من الكامل]

يا راكب العيسِ التي وقفت لِلنَّفَرِ يوم صبيحةِ النحرِ

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاهها كل سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقي شارب الرِّيح . قال : وما شارب الرِّيح ؟ قال : حماري ، افرض له شيئاً . ففرض له خمسة دنانير ، فأخذها ولم يكن يطعمه . فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصّة الحمار ، وعلّقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي ، فأضحك منه الناس .

حدَّثنا اليزيدي ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبو الشكر مولى بني هاشم ، كوفي ظريف ، قال : كان الفضل بن العباس بخیلاً ، فقدم علي بن عبد الله بن العباس حاجاً ، فأتاه في منزله مسلماً عليه ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ قال : بخير ، نحن في عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإني لأشتهي هذا العنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العلوج . فغمز غلاماً له ، فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب ، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويتناوله ، فكلّما فعل ذلك قال : برّتك رجم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدثنا الزبير بن بكار عن عمّه ، قال : كان الفضل بن العباس بخيلاً ، وكان ثقیل البدن ، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض بني هاشم : أنا أشتري لك حماراً تركبه ، وتستغني عن العاريّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بالآ يعيّره أحد سرجاً . فلما طال عليه ذلك ، اشترى سرجاً بخمسة دراهم ، وقال :

ولما رأيت المال مألّف أهليّ وصان ذوي الأحساب أن يتبدّلوا
رجعت إلى مالي فأعتبت بعضه فأعتبني إني كذلك أفعل

ثم قال للذي اشترى له الحمار : إني لا أطيق علفه ، فإما أن تبعث إليّ علفه وإلاّ رددته . فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير ، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كلّ أحد يأنس به علفاً لحماره ، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هزل وعطب . فرفع الحزين الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة ، وكتب في رأسها قصّة حمار الفضل اللّهيّ ، وذكر فيها أنّه يركبه ويأخذ علفه وقضيّمه من الناس ، ويعلفه التبن ، ويبيع الشعير ، ويأخذ ثمنه ، ويسأل أن يُنصف منه . فضحك لما قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحاً إني لأراك صادقاً . وأمر بتحويل حمار اللّهيّ إلى إصطبله ، ليعلفه ويُقضيّمه ، فإذا أراد ركوبه دُفع إليه .

أخبرني وكيع قال : حدّثني محمد بن سعد الشاميّ ، عن ابن عائشة ، قال : كان الفضل اللّهيّ بغير سرج ، فاستعار سرجاً ، فمطله الرجل ، حتى خاف أن تفوته حاجته ، فاشتري سرجاً ومضى لحاجته ، وأنشأ يقول :

ولما رأيت المال مألّف أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً .

[منّة بني هاشم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيّة حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيّه ﷺ ، فمن مُنشد شعراً ، ومتحدّث حديثاً ، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللّهيّ في بيتٍ قاله ، ثم أنشد قوله :

ما بات قومٌ كرام يدعون يداً إلاّ لقومي عليهم منّة ويدّ

عن السنن الذي طالت شظيته فما يخالطه الأدواء والعمد
فمن صلى صلاتنا ، وذبح ذبيحتنا ، عرف أن لرسول الله ﷺ يدأ عليه ، بما هده الله عز
وجل إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مئة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غناء لابن محرز ، هزج بالنصر في رواية عمرو بن بانه . وقوله «وطالت
شظيته» ، الشظية : الشظي ، قال دريد بن العصمة¹ :

سليم الشظي عبّل الشوى شنج النسا أمين القوى نهّد طويل المقلد
والعمد : داء يُصيب البعير من مؤخر سنامه إلى عجزه ، فلا يُلبّثه أو يقتله .

[مدح عبد الملك]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالا : حدّثنا عمر بن
شبة قال : حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن
عتبة بن أبي وقاص ، قال : قديم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، على عبد الملك بن
مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزياتي : والله ما أسمع شعراً ، فلمّا كان
العشيّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين :

أتيتك خالاً وابن عمّ وعمّة ولم أك شعباً لاطه بك مشعب
فصلّ واشجات بيننا من قرابة ألا صيلة الأرحام أبقي وأقرب
ولا تجعلني كامرئ ليس بينه وبينكم قرى ولا متنسب
أتحديب من دون العشيرة كلّها فأنت على مولاك أحنى وأحذب
فقال الزياتي : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النخس يكفيك
البطيء² . وجعل يضحك من استرسال الزياتي في يده . وأحسن صلته .

[عطية الأحيي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني النوفلي قال : حدّثني عمي قال : لما قديم
الفضل اللهيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حجّ الوليد فأمر له
بمثلها . فلمّا قدم الأحيي على المهديّ فمدحه ، قال المهديّ لمن حضر : كم كان عبد الملك
أعطى الفضل اللهيّ لما مدحه ، فما أعلم هاشميّاً مدحه غيره ؟ ف قيل له : أعطاه عشرة آلاف

1 الشظية : القطعة من كل شيء والقطعة المرتفعة في رأس الجبل . والشظي : عظم دقيق لاصق بالذراع .
والشوى : اليدان والرجلان . وشنج النسا : متقبض عرق النسا فلا تسترخي رجلاه .

2 المثل «النخس يكفيك البطيء» في مجمع الميداني 2 : 346 .

درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ قالوا : مثل عطية أبيه . فأمر للأحوي بثلاثين ألف درهم .
 أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أحمد بن
 معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، قال : خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل
 اللهي إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً راثحاً على نجيب له ، ومعه
 حاد يحدو به وعلي بن عبد الله يسايره على نجيب له ، ومعه بغلة تُجَنَّب ، فحدا حادي عبد
 الملك به ، فقال :

يا أيها البكر الذي أراكا عليك سهل الأرض في ممشاك
 ويلك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان على ذراك
 خليفة الله الذي امتطاك لم يعلُ بكراً مثل من علاكا
 فعارضه الفضل اللهي ، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس ، فقال : [من الرجز]

يا أيها السائل عن علي سألت عن بدر لنا بدري
 أغلب في العلياء غلابي وليّن الشيمة هاشمي
 جاء على بكر له مهري

فنظر عبد الملك إلى علي فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب ؟ قال : نعم . فلما أعطى قريشاً
 مرّ به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه علي . هكذا رواية عمر بن شبة .
 [غضب عليه سليمان]

وأخبرني ابن عمّار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفلي عن عمه : أن سليمان بن عبد
 الملك حجّ في خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضل اللهي يستقي ،
 فجعل يرتجز ويقول :

يا أيها السائل عن علي سألت عن بدر لنا بدري
 مقدّم في الخير أبطحي وليّن الشيمة هاشمي
 زمزمتنا بوركت من ركي بوركت للساقى وللمسقي

فغضب سليمان ، وهم بالفضل . فكفّه عنه علي بن عبد الله ، ثم أتاه بقدر فيه نبيذ من
 نبيذ السقاية ، فأعطاه إيّاه ، وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمعجب ، ثم قال : نعم إنّه
 يستحبّ ، ووضعه في يده ولم يشربه . فلما وليّ الخلافة وحجّ لقيه الفضل ، فلم يعطه شيئاً .
 [بينه وبين الحارث بن خالد]

نسخت من كتاب ابن النطاح ، قال : ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد
 المخزومي ، كان يحسد الفضل اللهي على شعره ويعاديه ، لأنّ أبا لهب كان قامر جدّه العاصي بن

هشام على ماله فقمره ، ثم قامره على رقة فقمره ، فأسلمه قيناً ، ثم بعث به بديلاً يوم بدر ، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول : هذا شعر ابن «حمالة الخطب» . فقال الفضل في ذلك :

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي	ماذا تُعير من حمالة الخطب
غراء سائلة في المجد غرتها	كانت حليلة شيخ ثاقب النسب
إنا وإن رسول الله جاء بنا	شيخ عظيم شئون الرأس والنسب
يا لعن الله قوماً أنت سيدهم	في جلدة بين أصل الثيل والذنب ¹
أبالقيون توافيني تفاخري	وتدعي المجد قد أفرطت في الكذب
وفي ثلاثة رهط أنت رابعهم	توعدي واسطاً جرثومة العرب
في أسرة من قريش هم دعائهما	تشفي دماؤهم للخيل والكلب
أما أبوك فبعد لست تنكره	وكان مالكه جدي أبو لهب
النبع عيداننا والمجد شيمتنا	لسنا كقومك من مرخ ولا غرب

[بينه وبين عقرب الحناط]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله بن محمد ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، قال : كان رجل من بني كنانة يقال له عقرب حناط قد دأب الفضل اللهي فمطله ، ثم مر به الفضل وهو يبيع حنطة له ، ويقول :

[من الرجز]

جاءت بها ضابطة التجار صافية كقطع الأوتار

[من السريع]

فقال الفضل :

قد تجرت عقرب في سوقنا	يا عجباً للعقرب التاجرة
قد ضاقت العقرب واستيقنت	أن ما لها دنيا ولا آخرة
فإن تعد عادت لما ساءها	وكانت النعل لها حاضرة
إن عدواً كيداً في استيه	لغير ذي كيد ولا نائرة
كل عدو يتقى مقبلاً	وعقرب تخشى من الدائرة
كأنها إذ خرجت هودج	شدت قواه رفة باكرة

[بينه وبين عمر بن ربيعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا دماذ أبو غسان ، عن أبي عبيدة . ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه ، والروایتان كالمتفتتين : أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان ، فأدخل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب ، فقال له :

لا أنعم الله بقين عينا تحية السخط إذا التقينا

أنت لا أم لك القائل :

[من الطويل]

صوت

نظرت إليها بالخصب من منى ولي نظر لولا التحرج عارم
فقلت : أشمس أم مصابيح بيعة بدت لك خلف السجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ، ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه . ولعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر ، أوله :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله :

ومدّ عليها السجف يوم لقيتها على عجلي تباعها والخوادم
وتمام الشعر :

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت كفها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البهم بالضحي عصاها ، ووجه لم تلحه السمائم

نرجع إلى سياقة الخبر

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما أألمك ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عنه بنات عمك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم ، على شخط الدار ، ونأي المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدعاً عن ذلك فقال : إني إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوب الله عليك ، وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرني عن منازعتك اللهي في المسجد الجامع ، فقد أتاني نبأ ذلك ، وكنت أحب أن أسمعك منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالس في المسجد الحرام ، في جماعة من قريش ، إذ دخل علينا الفضل بن

العبّاس بن عتبة ، فسلمّ وجلس ، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت : [من الوافر]

وأصبح بطنُ مكة مقشعراً كأن الأرضَ ليسَ بها هشام

فأقبل عليّ وقال : يا أخا بني مخزوم ، والله إن بلدة تبحجَ بها عبد المطلب ، وبعث منها رسول الله ﷺ ، واستقرّ بها بيت الله عزّ وجلّ ، لحقيقة ألا تقشعِرَ لهشام ، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ من يقول : [من الرمل]

إنما عبد مناف جوهر زَيْنَ الجوهرِ عبدُ المطلبِ

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، إن أشعر من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]
إنّ الدليل على الخيراتِ أجمعها أبناءُ مخزوم ، للخيراتِ مخزومُ
فقال لي : أشعر والله من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعها إذ أمّ هاشم لا أبناءُ مخزوم

فقلت في نفسي : غلبنِي والله . ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذي يقول : [من النسر]

أبناءُ مخزومٍ الحريقُ إذا حرّكه تارة ترى ضرماً

يخرج منه الشرارُ مع لَهَبٍ من حاد عن حرّه فقد سلماً
فوالله ما تلعنم أن أقبل عليّ بوجهه فقال : يا أخا بني مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من النسر]

هاشمٌ بحر إذا سما وطما أحمدُ حرّ الحريق واضطربا

واغلم وخير المقالُ أصدقُه بأنّ من رام هاشماً هُشِما
قال : فتمنيتُ والله يا أمير المؤمنين أن الأرضَ ساختَ بي ، ثم تجلّدت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، أشعر من صاحبك الذي يقول : [من النسر]

أبناءُ مخزومٍ أنجمٌ طلعتُ للناس تجلو بنورها الظلماً

نجد بالنيّل قبلُ تُسألُه جوداً هنيئاً وتضربُ البهّما
فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من النسر]

هاشمُ شمسٌ بالسَّعدِ مَطْلَعُها إذا بدّت أخفت النجومَ معاً

اختار منها ربّي النبيّ فمن قارَعها بعد أحمدٍ قُرعا
فاسودّت الدنيا في عيني ، ودير بي ، وانقطعت ، فلم أحر جواباً . ثم قلت له : يا أخا بني

هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أم لك ، والله لو كان منك لفخرت به علي . فقلت : صدقت وأستغفر الله ، إنه لموضع الفخار . ودخلني السرور لقطعه الكلام ، ولعلّما ينالني عَوَز عن إجابته فأنتضح . ثم إنه ابتدأ بالمنافضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلت فلم أجد بُدّاً من الاستماع ، فقلت : هات . فقال : [من الكامل]

نحنُ الذين إذا سما لِفَخَارِهِم
افخر بنا إن كنت يوماً فاحراً
قل يا ابن مخزوم لكلِّ مفاخر
ماذا يقول ذوو الفَخَارِ هُنَالِكُمْ
ذو الفخر أقعده هناك المُعَدُّ¹
تلق الألى فخروا بفخرِك أَفِرِدُوا
منا المبارك ذو الرسالة أحمد
هيهات ذلك ، هل ينال الفرقُ

فحصرت والله وتبلدت ، وقلت له : إن لك عندي جواباً فأنظرنِي . وأفكرت ملياً ، ثم أنشأت أقول² :

لا فخرَ إلّا قد علاه محمد
أن قد فخرت وفُقت كلِّ مفاخر
ولنا دعائم قد بناها أول
من رامها حاشى النبي وأهله
دع ذا ورج لغناء خوِدِ بَضَّة
مع فتية تندى بطونُ أكفهم
يتناولون سُلالة عانية
فإذا فخرت به فإني أشهد
واليك في الشرف الرفيع المُعَدُّ
في المكرمات جرى عليها المولدُ
بالفخر غطمطه الخليجُ المُزْبَدُ³
مما نطقَت به وغنى مَعْبُدُ
جوداً إذا هرَّ الزمانُ الأَنَكْدُ⁴
طابت لشاربها وطاب المقعدُ

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابني بجواب كان أشدَّ عليّ من الشعر . قال لي : يا أبا بني مخزوم ، أريك السُّهّا وتريني القَمَرُ⁵ ، قال أبو عبد الله اليزيدي⁶ : أدُّلك على الأمر الغامض ، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مثَلٌ ، أخرج من المفاخرة إلى شرب الرّاح ، وهي

1 القعدد : اللّيم الخامل .

2 ديوان عمر : 117 مع بعض اختلاف .

3 غطمطه : اضطربت به أواجه .

4 هر : ساء خلقه واشتدّ .

5 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 ومستقصى الزمخشري 1 : 147 وجمهرة العسكري 1 : 142 .

6 هو محمد بن العباس اليزيدي .

الخمرة المحرمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله أن الله عز وجل يقول في الشعراء : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوماً منهم ، فقال : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمرة . فقلت : أصلحك الله ، لا أجد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت . فضحك وقال : أستغفر الله . وقام عني .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلقى ، وقال يا ابن أبي ربيعة ، أما علمت أن لبني عبد مناف السنة لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأحسن جائزتي وصرفني . واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس .

317 - [خليدة المكيّة]

ذكر خير من لم يمض له خبر ولا يأتي مَن ذكرت صنعته في هذا الخبر

[خليدة المكيّة]

منهم خُلَيْدَةُ المَكِّيَّةُ ، وهي مولاة لابن شَمَّاس ، كانت هي وعقيلة ورُبَيْحَة يعرفن بالشَّماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .
فأخبرني الحَرَمِيُّ بن أَبِي العلاء والطُّوسِيُّ قالا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار ، عن عمِّه قال : كانت لهشام بن عُروَة جَفَنَة يُصِيبُ منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطَنُ هشام ، فيقول : لقد حدث شيء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلَّلُ القوم إليه ، وجاءت خُلَيْدَةُ المَكِّيَّةُ ، فصعدُوا غُرْفَة ، فلَمَّا غَنَّتْ إِذَا حَفَرٌ¹ ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد :

يا قَدَمِيَّ الحَقَانِي بالقومِ لا تَعِدَانِي كَسَلًا بعد اليوم
فلَمَّا رَأَاهُم ، قال : أَحْسِبُهُ قد جلس معهم . وقال لَخُلَيْدَة : غني . فغَنَّت . فقال لها : اكتبني في صدرك «قل هو الله أحد والمعوذتين» لا تصيبك العين .
أخبرني عَلِيُّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْدَاذِبَة قال : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بن إبراهيم الموصلي ، عن الفضل بن الربيع قال : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيْدَة المَكِّيَّة ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر :

فَنَنْتَ كَاتِبَ الأَمِيرِ رِيحًا يا لقومِ خُلَيْدَة المَكِّيَّة

أخبرني إِسْمَاعِيلُ بن يونس قال : حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه ، قال : حَدَّثَنِي عمر بن شُبَّة قال : بلغني أَنَّ مُحَمَّدَ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفَّان أرسل إلى خُلَيْدَة المَكِّيَّة أبا عون مولاة يخطبها عليه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها ، ثم وثبت ، فقالت : إِنَّمَا ظَنَنْتُكَ بعض سفهائك ، ولكنني ألبس لك ثياب مثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلني إليك مولاي ، وهو من تعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان ، وهو ابن عمِّ أمير المؤمنين ،

يخطبك . وقالت : قد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبي أنا ، بأبي أنت . إنَّ أبي يبيع على غير عقد الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ، ومات وفي رجله قيد ، وفي عنقه سلسلة ، وعلى الإباق والسرقة ؛ وولدتني أمي على غير رِشدة ، وماتت وهي آبهة ، فأنا من تعلم . فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً ، أو زناً صُراحاً ، فهلّم إليّ ، فنحن له . فقال : إنّه لا يدخل في الحرام . قالت : ولا ينبغي أن يستحي من الحلال . فأما نكاح السر فلا . والله لا فعلته ، ولا كنت عاراً على القيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته ، فقال : ويلك ! أتزوجها مُغلناً وعندي بنت طلحة بن عبيد الله ! لا . ولكن ارجع إليها ، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها ، لعلّي أسلو . فرجعت فأبلغتها الرسالة ، فضحكت ، وقالت : أما هذا فنعم . لسنا نمنعه منه .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ ليلٍ ناعمٍ أحبيته	في عفافٍ عند قباء الحشى
ونهار قد هونا بالتي	لا نرى شبيهاً لها فيمن مشى
لِطلوع الشمس حتى آذنت	بغروب عند إبان العشا
لِسُلَيْمى ما دعت قمرية	بهديل فوق غصن من غضى
وعُقارٍ قهوةٍ باكرتها	في ندامى كمصاييح الدجى
وجوادٍ سابحٍ أقحمته	حومة الموت على زرق القنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد ، فيما ذكر الزبير بن بكار . وذكر أبو عمرو الشيباني . وخالد بن كلثوم : أنه لابنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز ، ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ الحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر ، عن إسحاق وابن المكيّ ، والآخر رمل بالبنصر ، عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لمبعد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد مسح ، ووافقه عمرو والهشاميّ ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

[318] - أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من جودائها . وكان يلقّب بالوَحيد . وأمّه صَخْرَة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجيلة ، ثم من قَسْر . ولما مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة ، لإعظامها إيّاه ، حتى كان عام الفيل ، فجعلوه تاريخاً . هكذا ذكر ابن دأب .

وأما الزبير بن بَكّار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤمليّ ، أنّها كانت تورّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين ، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرّخوا بها .

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم والغناء في حروبه المحل المشهور ، ولقّبهُ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم سيف الله ، وهاجر إلى النبي ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْيَّة هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة . فقال النبي ﷺ لما رآهم : رمتكم مكّة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكّة مع النبي ﷺ عليه وآله وسلّم ؛ فكان أوّل مَنْ دخلها في مُهاجِرَة العرب من أسفل مكّة ، وشهد يوم مُوتِهِ . فلَمّا قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم ، انحاز بهم ، وحامى عليهم حتى سلموا ، فلقّبهُ يومئذٍ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم : سيف الله .

حدّثنا بذلك أجمع الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ عن الزبير بن بَكّار .

وكان خالد يوم حنين في مقدّمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ومعه بنو سليم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأثابه الله ﷻ بعد هزيمة المشركين ، فنَفَث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار في قتال أهل الرّدة ، في أيّام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فَتَح الحيرة ، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة ، فكلمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائي . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامي . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أترك ؟ قال : منتهى عمري . قال : أتعتقل ؟ قال : نعم ، وأقيد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتقي بها السفية حتى يردعه الحليم . قال : لأمر ما اختارك قومك ، ما هذا في يدك ؟ قال : سَمُّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردني به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم ، وإلا شربته ، فقتلت نفسي ، ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون . فقال له خالد : أرنيه . فناوله إيّاه . فقال خالد : باسم الله لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجلّلت غشية ، ثم أفاق يمسح

العرق عن وجهه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرني بذلك إبراهيم بن السري ، عن يحيى التميمي ، عن أبيه ، عن شعيب بن سيف . وأخبرني به الحسن بن علي عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقدي . وأمره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومُعَاذ بن جَبَل ، فرضوا به وبإمارته .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ قد حَلَقَ رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شعره ، فجعله في قلنسوة له ، فكان لا يَلْقَى جيشاً وهي عليه إلا هزمه .

وروى عن النبي ﷺ الحديث ، وحُمِلَ عنه . ورآه النبي ﷺ مُتَدَلِّياً من هَرَشَى فقال : نَعَمْ الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسي والحَرَمِيُّ قالا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ لَهُ .

[ما صنعه النساء عند موت خالد]

قال الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ إِلَّا وَضَعَتْ لِمَتْنِهَا عَلَى قَبْرِهِ ، يَعْنِي حَلَقَتْ رَأْسَهَا ، وَوَضَعَتْ شَعْرَهَا عَلَى قَبْرِهِ . قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَقَالَ يُونُسُ النَّحْوِيُّ : إِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَيْثُذٍ : دَعَا نِسَاءَ بَنِي الْمَغِيرَةِ يَكِينُ أَبَا سَلِيمَانَ ، وَيُرْقَنُ مِنْ دُمُوعِهِنَّ سَجْلاً أَوْ سَجَلِينَ ، مَا لَمْ يَكُنْ نَقَعٌ أَوْ لَقْلَقَةٌ . قَالَ : وَالنَّقَعُ : مَدُّ الصَّوْتِ بِالنَّحِيبِ . وَاللَّقْلَقَةُ : حَرَكَةُ اللِّسَانِ بِالْوَلُولَةِ وَنَحْوِهَا .

[أشبه الناس بعمر]

قال الزُّبَيْرُ ، فِيمَا ذَكَرَهُ لِي مَنْ رَوَيْتَ عَنْهُ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَخَرَجَ عَمْرٌ سَحَرًا ، فَلَقِيهِ شَيْخٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا سَلِيمَانَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَمْرٌ ، فَإِذَا هُوَ عُلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : عَزَلَكَ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : نَعَمْ . قَالَ : مَا شَيْعَ ، لَا أَشِيعَ اللَّهُ بَطْنَهُ ! قَالَ لَهُ عَمْرٌ : فَمَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ عَمْرٌ دَعَا بِخَالِدٍ ، وَحَضَرَهُ عُلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا قَالَ لَكَ عُلْقَمَةُ ؟ قَالَ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا . قَالَ : اصْدُقْنِي . فَحَلَفَ خَالِدُ بِاللَّهِ مَا لَقِيَهُ ، وَلَا قَالَ لَهُ شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : حَلَا أَبَا سَلِيمَانَ . فَتَبَسَّمَ عَمْرٌ ، فَعَلِمَ خَالِدُ أَنَّ عُلْقَمَةَ قَدْ غُلِطَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ،

وَفَطَنَ عاقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عني ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر .

أخبرني عمي قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخزاز قال : حدَّثنا المدائني ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل : أنَّ معاوية لما أراد أن يُظهر العهد ليزيد ، قال لأهل الشام : إنَّ أمير المؤمنين قد كَبُرَتْ سنَّه ، ورقَّ جِلْدُه ، ودقَّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمَن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضرَمها ، ودسَّ ابن أثال الطبيب إليه ، فسقاه سمًّا فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة ، وكان أسوأ الناس رأياً في عمِّه ، لأنَّ أباه المهاجر كان مع عليٍّ عليه السلام بصيفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه : هاشمي المذهب ، ودخل مع بني هاشم الشَّعب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقى عليه زق خمر ، وصبَّ بعضه على رأسه ، وشنَّع عليه بأنَّه وجده ثَمِلاً من الخمر ، فضربه الحدَّ . فلَمَّا قُتِلَ عمُّه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير ، فقال له : يا خالد ، أتدع ابن أثال يُنقي¹ أوصال عمِّك بالشام وأنت بمكة مُسبِّل إزارك ، تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمي خالد ، ودعا مولى له يدعى نافعا ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بدَّ من قتل ابن أثال ؛ وكان نافع جَلَدًا شهماً .

فخرجنا حتى قدِمَا دمشق ، وكان ابن أثال يُمسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أخرى ، حتى خرج . فقال خالد لنافع : إِيَّاكَ أَنْ تعرض له أنت ، فإنِّي أضربه ، ولكن احفظ ظهري ، واكفني من ورائي ، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك . فلَمَّا حاذاه وثَّب عليه فقتله ، وثار إليه مَن كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما مَن كان معه ، فلَمَّا غَشَوْهُمَا حملاً عليهم ، ففترقوا ، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً ، فقاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر ، فقال : هذا خالد بن المهاجر ، اقبلوا الزُّقاق الذي دخل فيه . ففتَّش عليه ، فأتى به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ، قتلت طيبني . قال : قتلت المأمور وبقي الأمر . فقال له : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تَشْهَدُ مرَّةً واحدة لقتلتك به ، أمعلك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلا به . ثم أمر بطلبه فوجِد ، فأتى به ، فضربه مئة سوط . ولم يُهَجَّ خالدُ بشيء أكثر من أن حبسه ، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال ، اثني عشر ألف درهم . أدخل بيت المال منها ستّة

1 ينقي العظام : يخرج مخها .

آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد ، حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذي يدخل بيت المال .
ونخالد بن المهاجر الذي يقول :

صوت

يا صاح يا ذا الضامير الغنس والرحل ذي الأنساع والجلس
سير النهار ولست تاركه وتجد سيراً كلما تمشي

في هذين البيتين بيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر ، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون ،
لحنان : ثقیل أول ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أن أحدهما لمالك ، ولم يذكر طريقة لحنه ،
ووجدته في جامع غناء معبد ، عن الهشامي . ويحيى المكي له فيه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر
علي بن يحيى أيضاً ، ولعله رواه عن ابن المكي . وإن كان هذا لمعبد صحيحاً ، فلحن مالك هو
الثقيل الأول . وذكر حبش ، وهو ممن لا يحصل قوله : أن لحن معبد ثقيل أول بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

[ضجره من الحبس]

قال : ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس :

[من مجزوء الكامل]

إما خطاي تقاربت مشي المقيد في الحصار
فبما أمشي في الأبى طح يقتفي أثرى إزارى
دع ذا ولكن هل ترى ناراً تشب بذي مرار¹
ما إن تشب لقرّة للمصطلين ولا قار
ما بال ليلك ليس ينقص طولك النهار
أقاصر الأزمان أم غرض الأسير من الإسار²

[غريضه على قتل ابن جرموز]

قال : فبلغت أبياته معاوية ، فرق له وأطلقه . فرجع إلى مكة . فلما قدمها لقي عروة بن
الزبير ، فقال له : أما ابن أثال فقد قتلته ، وذلك ابن جرموز يُنقى أوصال الزبير بالبصرة ، فاقتله
إن كنت ثائراً . فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه
أن يمسك عنه ، ففعل .

1 ذو مرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض تأكله الإبل .

2 غرض : ضجر وقلق .

[غنى إبراهيم بن المهدي في شعر للمهاجر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني يعقوب بن نعيم قال : حدثني إسحاق بن محمد قال : حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال : حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر :

يا صاح يا ذا الضامر العنسر والرحل ذي الأقتاب والجلس
قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي ، فهو أحبّ إليّ منها ؟ فقال له : يا عمّ ، ألقِ هذا الصوت على محمد . فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهب فأنت أصدق الناس به . فقلت : إنّه لم يصلح لي بعد . قال : فاغد غداً عليّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتوياً ، فقلت له : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ؛ أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل عليّ بصوت ؟ فقال : ما أحملك ! إنّ المأمون لم يستبقني محبة لي ، ولا صلة لرحمي ، ولا ليربّ المعروف عندي ، ولكنّه سمع من هذا الجرّم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمت المأمون بمقالته . فقال : إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه ، فدعه . فلمّا كانت أيام المعتصم نشيط للصباح يوماً ، فقال : أحضروا عمّي . فجاء في درّاعة بغير طيلسان ، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً ، فقال : يا عمّ غنّني :

يا صاح يا ذا الضامر العنسر والرحل ذي الأقتاب والجلس
فغناه . فقال : ألقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منّي قول ألاّ أعيده عليه . ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر .

صوت

[من المنسرح]

أقفر بعد الأحبة البلد فهو كأن لم يكن به أحد
شجاك نويّ عفت معالمه وهامد في العراض ملتبد
أمك عنسية مهذبة طابت لها الأمهات والقصد
تدعى زهيرة إذا انتسبت حيث تلاقي الأنساب والعدد

الشعر لحمزة بن بيض ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكي .

[319] - أخبار حمزة بن بيض ونسبه¹

حمزة بن بيض الحنفيّ: شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، كوفيّ خليع ماجن ، من فحول طبقته . وكان كالمقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية . أخبرني عمّي قال : حدثنا أبو هفان قال : أخبرني أبو محلم عن المفضل قال : أخذ حمزة بن بيض الحنفيّ بالشعر ألف ألف درهم ، من مال وحُمَلاَن وثياب ورقيق وغير ذلك . [ممازحة بلال بن أبي بردة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أبو توبة ، قال : قدّم حمزة بن بيض على بلال بن أبي بردة ، فلماً وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفيّ ، فدخل الغلام إلى بلال ، فقال : حمزة بن بيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بيض ابن من ؟ فخرج الحاجب إليه ، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك ونالك ، ووهب لك طائراً . فشتّمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ، فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلماً رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدّ الجواب . قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحَصَ برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه ، ورفعاه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلاته .

قال : وأراد بقوله (ابن بيض ابن من ؟) قول الشاعر فيه :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره وقد صدقت ، ولكن من أبو بيض ؟

[مديحه مخلد بن يزيد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبي عمرو ، وأخبرني وكيع قال : حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، قال : حدّثني أبو الحسن الشيبانيّ قال : حدّثني شعيب بن صفوان ، قال : قدّم حمزة بن بيض على مخلد بن

1 لحمزة بن بيض ترجمة في معجم الأدباء : 1215-1219 وفوات الوفيات 1 : 395-397 وتهذيب ابن عساكر 4 : 443 ومصورة ابن عساكر 5 : 299 والمعارف : 591 والمؤتلف والمختلف : 141 وبغية الطلب 5 : 287 وسير الذهبي 5 : 267 وأخبار الحمقى : 43 وقد أورد له صاحب التذكرة أخباراً كثيرة في مواضع متفرقة .

يزيد بن المهلب وعنده الكمية ، فأنشده قوله فيه : [من المتقارب]

أتيناك في حاجة فاقضيها وقل مرحباً يجيب المرحب
ولا تكلفنا إلى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنه لك ما يبلغ السيد الأشيب
فهتمك فيها جسام الأمور وهم لإداتك أن يلعبوا
وجذت فقلت ألا سائل فيعطى ولا راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين وممن ينوبك أن يطلبوا

فأمر له بمئة ألف درهم ، فقبضها . قال وكيع في خبره : وسأله عن حوائجه ، فأخبره بها ، فقضى جميعها . وقال أيضاً في خبره : فحسده الكمية . فقال له : يا حمزة ، أنت كمهدي التمر إلى هجر¹ ، قال : نعم ، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر .

أخبرني علي بن سليمان قال : حدثني محمد بن يزيد النحوي ، قال : قال الجاحظ : أصاب حمزة بن بيض حُصْر² ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القولنج ، إذ شرط رجل منهم ، فقال حمزة : من هذا المنعم عليه ؟

[نبوءة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : قال علي بن الصباح : حدثني هشام بن محمد ، عن الشرقي ، قال : زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مرَّ فإذا هو بغلام أصبح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن ولد ، فسأل عنه ، فقيل له : يتيم من أهل الشام ، قديم أبوه العراق في بعث³ فقتل ، وبقي الغلام هاهنا . فضمه ابن عنبسة إليه ، وتبناه . فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، ومرَّ يوماً على يرذون ومعه خدم على ابن بيض ، وحول ابن بيض عياله في يوم شات ، وهم شعث غبر عراة ، فقال ابن بيض : من هذا ؟ فقيل : صدقة يتيم ابن عنبسة . فقال :

[من المنسرح]

1 المثل « كمستضع التمر إلى هجر » في مجمع الميداني 2 : 152 ومستقصى الزمخشري 2 : 233 وفصل المقال : 413 .

2 الحصر : احتباس البطن أو البول .

3 البعث : العجيش .

يَشْعَثُ صَبِيَانَنَا وَمَا يَتَمَوَا وَأَنْتَ صَافِي الْأَدِيمِ وَالْحَدَقَةِ
فَلَيْتَ صَبِيَانَنَا إِذَا يَتَمَوَا يَلْقَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتَ يَا صَدَقَةَ
عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ أَبِيكَ وَمَنْ أُمِّكَ فِي الشَّامِ بِالْعِرَاقِ مِقَّةً¹
كَفَاكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَدَهُمَا فَأَنْتَ فِي كُسُوةٍ وَفِي نَفَقَةٍ
تَظُلُّ فِي دَرَمِكٍ وَفَاكِهِةٍ وَلَحْمِ طَيْرٍ مَا شِئْتَ أَوْ مَرَقَةً²
تَأْوِي إِلَى حَاضِنٍ وَحَاضِنَةٍ زَادَا عَلَى وَالِدَيْكَ فِي الشَّفَقَةِ
فَكُلَّ هَنِيئاً مَا عَاشَ ثُمَّ إِذَا مَاتَ فَلَعُغٌ فِي الدَّمَاءِ وَالسَّرِقَةِ
وِخَالِيفِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَتَهُم وَضَلَّ عَنْهُمْ وَخَادِنِ الْفَسَقَةِ
وَاشْتَرَى نَهْدَ التَّلِيلِ ذَا خَصَلٍ لَصُوتِهِ فِي الصَّهِيلِ صَهْصَلَةً³
وَاقْطَعْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ تَلَفَ غَدًا رَبُّ دَنَانِيرَ جَمَّةٍ وَرَقَةٍ⁴

فلما مات عبد الرحمن ، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرقه وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق ، فأخذ وصلب .
[نبوءة أخرى]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني النوفلي عن أبيه . قال ابن عمار : وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثني أبي عن أبي سفيان الحميري قال : خرج حمزة بن بيض يريد سفراً ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشي ، ومن الشاء والبقر ، كثيرة الزرع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم ، وقال : [من الكامل]

لَعَنَ إِلَاهَهُ قَرْيَةً يَمَّمْتُهَا فَأُضَافَنِي لَيْلاً إِلَيْهَا الْمَغْرَبُ
الزَّارِعِينَ وَلَيْسَ لِي زَرْعُ بِهَا وَالْحَالِبِينَ وَلَيْسَ لِي مَا أَحْلَبُ
فَلَعَلَّ ذَاكَ الزَّرْعُ يُودِي أَهْلَهُ وَلَعَلَّ ذَاكَ الشَّاءُ يَوْمًا يَجْرَبُ
وَلَعَلَّ طَاعُونًا يَصِيبُ عُلُوجَهَا وَيَصِيبُ سَاكِنَهَا الزَّمَانُ فَتَخْرَبُ

قال : فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون ، فأباد أهلها ، وخربت إلى اليوم . فمرّ بهم ابن بيض ، فقال : كلاً ، زعمتُ أنّي لا أُعْطَى مُنْيَتِي . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها ،

1 مقة : محبة .

2 الدرملك : الدقيق الأبيض .

3 النهدي : المرتفع . والتليل : العنق والصهصلقة : شدة الصوت . ويقصد بذلك الفرس .

4 الرقة : الدراهم المضروبة .

فلو كنت تمنيت الجنة كان خيراً لك . قال : أنا أعلم بنفسي ، لا أتمنى ما لست له بأهل ، ولكنني أرجو رحمة ربي عز وجل .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي قال : قال ابن عائشة : خرج ابن بيض في سفر ، فنزل بقوم ، فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس ، وألقوا لبغلة تبناً ، فأعرض عنهم ، وأقبل على بغلته ، فقال :

أحسبها ليلة أدلجتها فكلني إن شئت تبناً أو ذري
قد أتى ربك خبز يابس فتعزني وتعزني واصبري

[محاورة مع الفرزدق]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، قال : حدثنا المدائني ، قال : قال حمزة بن بيض يوماً للفرزدق : أيُّما أحب إليك ، تسبق الخير أو يسبقك ؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقني ، ولكن نكون معاً . فأيُّما أحب إليك ، أن تدخل إلى بيتك ، فتجد رجلاً قابضاً على حرِّ امرأتك ، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بد من جوابه ، والبادي أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره ، قد أغبته¹ عن نفسها .

[جنبه]

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايمي : قال ابن الأعرابي : وقع بين بني حنيفة بالكوفة ، وبين بني تميم شر ، حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألا تأتي هؤلاء القوم ، فتدفعهم عن قومك ، فإنك ذو بيان وعارضة ؟ فقال : [من الطويل]
ألا لا تلمني يا ابن ماهان إنني أخاف على فخارتي أن تحطماً
ولو أنني أبتاع في السوق مثلها وجدك ما باليت أن أتقدماً

[شارب النبيذ أفضل من الناسك]

قال : وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة ، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألف درهم ، واستودع مثلها رجلاً نبذياً ، فأما الناسك فبنى بها داره ، وتزوج النساء ، وأنفقها وجعده . وأما النبذي فآدى إليه الأمانة في ماله ، فقال حمزة بن بيض فيهما : [من المتقارب]

ألا لا يغرتك ذو سجدة يظل بها دائباً يخدع
كأن بجبهته جلبة يسبح طوراً ويسترجع²

1 أغبته : أبعدته .

2 الجلبة : قشرة رقيقة على الجرح عندما يقارب البرء .

وما للثقي لزمت وجهه ولكن ليغترّ مستودعُ
فلا تنفرنَّ منَ أهلِ النبيذِ وإن قيل يشرب لا يُقلعُ
فعندك عِلْم بما قد خبر تَ إن كان علم بهم ينفعُ
ثلاثون ألفاً حواها السجود فليست إلى أهلها ترجعُ
بنى الدار من غير ما ماله وأصبح في بيته أربعُ
مهاثرُ من غير مالٍ حواه يقاتون أرزاقهم جوعُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريّا الصّحّاف ، قال : حدّثنا قَعْنَب بن الحرز ، قال : حدّثنا أبو عبيدة والأصمعيّ ، وكيسان بن المعرف ، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلّا أنّه حكى أنّ حمزة بن بيض هو الذي استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدّى أخو الكأس ما عنده وما كنت في ردّها أطمعُ

[بينه وبين أبي الجون السحيمي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدّثني أحمد بن محمد ، عن ابن داجة ، قال : اختصم أبو الجون السّحيميّ وحمزة بن بيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال :

غَمَضْتُ في حاجة كانت تؤرّقني لولا الذي قلتَ فيها قلّ تغميضي
فقال : وما الذي قلتَ لك ؟ قال :

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني فساغ في الخلق ريتي بعد تجريضي¹
قال : وأنا أحلف لأنصفنك . قال :

سل هؤلاء إلى ما ذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحابَ المعارضِ
قال : أوجعهم ضرباً . فقال :

وسل سحيماً إذا وافاك أجمعهم هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضي
قال : فقضى له . فأنشأ السحيميّ يقول :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره حقّاً يقيناً ، ولكن من أبو بيض ؟
إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني فقد رميتك رمياً غير تنبيضِ

1 التجريض : ابتلاع الريق على هم وحزن .

أو كنت خَضَخْتُ لي وطباً لتسقيني فقد سقيتك محضاً غير ممخوض
قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلك ! ما لك لا تجيبه ؟ قال : وبِم أجيبه ؟ والله
لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعتني ذلك ، بعد قوله : ولكن أبو بيض .
وأخبرني بهذا الخبر ابن دُرَيْد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة بمثله . وقال فيه : إن
المخاصم له أبو الحويرث السَّحْمِيّ .

[مدح يزيد بن المهلب في السجن]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا السَّكْن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، قال :
دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن ، فأنشده :

أغلق دون السماح والجود والد جدّة باب حديدُه أَشِبُّ¹
ابنُ ثلاث وأربعين مضت لا ضيرع واهن ولا نَكِبُّ²
لا بَطِرَ إن تتابعت نَعَم وصابر في البلاء محتسِبُ
بَرَزَتْ سبَقَ الجوادِ في مَهَل وقصّرتْ دون سعيك العَرَبُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت ، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه ، ولا منزل لك ، ثم
رفع مقعداً تحته ، فرمى إليه بخرقه مصرورة ، وعليه صاحب خبر واقف ، فقال : خذ هذا
الدينار ، فوالله ما أملك ذهباً غيره . فأخذه حمزة ، وأراد أن يردّه ، فقال له سرّاً : خذه ولا تُخدع
عنه . فقال حمزة : فلمّا قال لي : لا تخدع عنه ، قلت : والله ما هذا بدينار ، فقال لي صاحب
الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطاني ديناراً ، فأردت أن أردّه عليه ، فاستحييت منه . فلمّا
صرت إلى منزلي حللت الصرّة ، فإذا فصّ ياقوت أحمر ، كأنّه سيقط زند ، فقلت : والله لئن
عرضتُ هذا بالعراق ، ليعلمنّ أنّي أخذته من يزيد ، فيؤخذ منّي ، فخرجت به إلى خراسان ،
فبعته من رجل يهوديّ بثلاثين ألفاً ، فلمّا قبضت المال وصار الفصّ في يده ، قال لي :

والله لو أبيت إلاّ خمسين ألف درهم ، لأخذته منك ، فكأنّا قذف في قلبي جمرة . فلمّا
رأى تغير وجهي قال : إنّني رجل تاجر ، ولست أشكّ أنّي قد غممتك . قلت : إيّ والله
وقتلني . فأخرج إليّ مائة دينار ، فقال : أنفق هذه في طريقك ، لتتوفّر عليك تلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي : دخل حمزة بن بيض على
يزيد بن المهلب ، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز ، فأنشده قوله فيه :

1 أشب : ملفف .

2 الضرع : الضعيف الجبان . والنكب : من يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً .

أصبح في قيدك السماحة والد حاملٌ للمعضلات والحسب
لا بطرٌّ إن تتابعت نعمٌ وصابرٌ في البلاء محتسبٌ

فقال له : ويحك أتمدحني على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لكن كنت هكذا لظالما أثبت على الشاء ، فأحسن الثواب والرِّفْد ، فهل بأس أن نسلفك الآن . قال : أما إذ جعلته سلفاً فاقنع بما حضر ، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه ، فدفع إليه أربعة آلاف درهم ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يعطي في الباطل ، ويمنع الحق ، يعطي الشعراء ، ويمنع الأمراء .
[مدحه سليمان بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسين بن دُرَيْد قال : حدثنا عبد الأول بن مَرِيد ، قال : حدثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرني مَخْلَد بن حمزة بن بيض قال : قديم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه ، فأنشده :
[من الكامل]

ساس الخلافة والداك كلاهما من بين سَخْطَة ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جبينك نور ملك الرابع
سرّيت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسم موتٍ نافع
ليس الذي ولأك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع
فأمر له بخمسين ألفاً .

[يريد جائزة مثل جائزة الكميّة]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال : حدثني عيينة بن المنهال قال : حدثني الهيثم بن عديّ قال : حدثني أبو يعقوب الثقفي قال : قال لي حمزة بن بيض : لما وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلَد بن يزيد بن المهلب وهو يخلف أباه على خراسان ، وكان واليها وله ثمان عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :

هلا سألَت معالمِ الأطلالِ

وهي التي يقول فيها :

يمشين مشي قطا البطاح تأوذاً قُبَّ البطونِ رواجح الأكفالِ

وقصيدته التي يقول فيها :

هلاً سألَت منازلَ بالأبرقِ

أعطاه مئة ألفِ درهم ، سوى العروض والحُمْلان . فقديم الكوفة في هيئة لم يُر مثلاً ، فقلت في نفسي : والله لآنا أولى من الكميّة بما ناله من مَخْلَد بن يزيد ، وإني لحليفه وناصره في العصية على الكميّة ، وعلى مُضَرّ جميعاً . فهيات لمَخْلَد مديحاً على روي قصيدتي

الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه . فلما كان قبل خروجي إليه بيوم ، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضَرَّ في البدو ، فقالوا إِنَّكَ تَأْتِي مَخْلَداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أَنَّكَ لا تُؤَثِّرُ على نفسك ، ولكن إذا فَرَّغَ من أَمْرِكَ ، فأعلمه مَمَشَانَا إِلَيْكَ ، ومَسَأَلَتْنَا إِيَّاكَ كلامه ، فترجو أن تكون عند ظَنِّنا . فلما قَدِمْتُ على مَخْلَد خُرَّاسَانِ أَتَزَلَّنِي ، وَفَرَّشَ لِي ، وَأَخَذَ مِنِّي ، وَحَمَلَنِي وَكَسَانِي ، وَخَلَطَنِي بِنَفْسِهِ ، فَكُنْتُ أَسْمُرُ مَعَهُ ، فَقَالَ لِي لَيْلَةَ : أَعْلِيكَ دِينَ بَا أَيْنَ بِيض . قلت : دَعْنِي مِنْ مَسْئَلَتِكَ إِيَّايَ عَنِ الدِّينِ ، إِنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْكَمِيْتَ عَطِيَّةً لَسْتُ أَرْضَى بِأَقْلٍ مِنْهَا ، وَإِلَّا لَمْ أَدْخُلِ الْكُوفَةَ ، وَلَمْ أُعَيِّرْ بِتَقْصِيرِكَ بِي عَنْهُ . فَضَحَكْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : بَلْ أَزِيدُكَ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ الْكَمِيْتَ . فَأَمَرَ لِي بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، كَمَا أَعْطَى الْكَمِيْتَ ، وَزَادَنِي عَلَيْهِ ، وَصَنَعَ بِي فِي سَائِرِ الْأَلْطَافِ كَمَا صَنَعَ بِهِ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَاجَتِي أَتَيْتَهُ يَوْمًا وَمَعِيَ تَذْكِيرَةٌ بِحَاجَةِ الْقَوْمِ فِي الدِّيَاتِ ، فَلَمَّا جَلَسَ أَتَشَدَّثَتْهُ : [من المتقارب]

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا	وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى مَعْشَرٍ	مَتَى يَعِدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا
فَإِنَّكَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أُسْرَةٍ	لَهُمْ خَضَعُ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبُ
وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمْ مَا نَشَأَتْ	وَنَعْمَ لَعَمْرُكَ مَا أَذْبُوا
بَلَّغْتَ لَعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنِيهِ	لَكَ مَا يَلِغُ السَّيِّدُ الْأَشِيبُ
فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ	وَهُمْ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا

فقال : مرحباً بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم ، وقلت : حمالات في ديات . فنبسّم ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم . فقلت : أو غير ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أدلّ على قبر المهلب ، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فنبسّم ، ثم قال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى ، فأبيت ، وقلت : بل أدلّ على قبر المهلب ، فقال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى ، فما زلت أكرّرها ويزيدني عشرة آلاف ، حتى بلغت سبعين ألفاً . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي ، فقلت : وصلك الله أيها الأمير ، وآجرك ، وأحسن جزاءك . فقال مَخْلَدُ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَقَمْتُ عَلَى كَلَامِكَ ، ثُمَّ أَتَى ذَلِكَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِأَعْطَيْتَهُ .

[مجلس المأمون والنضر بن شميل]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني النضر بن شميل ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو وعلي أطمار مترعلة¹ ؛ فقال لي : يا نضر ،

تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حراً مرو لا يُدفع إلا بمثل هذه الأخلاق¹ . فقال : لا . ولكنك رجل متقشف . فتجارتنا الحديث ، فقال المأمون : حدثني هُشيم بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » . هكذا قال : سداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدثني عوف الأعرابي عن الحسن ، أن النبي ﷺ قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سداد من عوز » ، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : السداد لحن يا نضر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أمير المؤمنين ؛ وإنما هُشيم لحن ، وكان لحنة ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد : القصد في الدين والطريقة والسبيل . والسداد : البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد . وقد قال العرجي : [من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد نغري
قال : فأطرق المأمون ملياً ، ثم قال : قبح الله من لا أدب له ! ثم قال : أنشدني يا نضر
أحلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين : [من المنسرح]

تقول لي والعيون هاجعة : أقم علينا يوماً ، فلم أقم
قالت : فأبي الوجوه ؟ قلت لها : لأي وجه إلا إلى الحكم ؟
متى يقل حاجبا سرادقه : هذا ابن بيض بالباب ، يتيسم
قد كنت أسلمت فيك مُقتبلاً² : فهات إذ حلّ أعطني سلمي²

فقال المأمون : لله درك ، كأنما شق لك عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت للعرب . قال :
قلت : قول أبي عروبة المدني³ :

إنني وإن كان ابن عمي عاتباً لمزاحم من خلفه وورائه
ومُفيدة نصري وإن كنت امرأة متزحزحاً عن أرضه وسمائه
وأكون والي سيرة وأصونه حتى يحين علي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسواميه قرنت صحياننا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركباً صعباً قعدت له على سيسائه

1 الأخلاق : جمع خلق ، وهو الثوب البالي .

2 أسلمت : أسلفت . مقتبلاً : مستأنفاً . وسلمي : جائرتي .

3 نسبت هذه الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي (4 : 1680) إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

وإذا أتى من وجهه بطريفة لم أطلع مما وراء خيائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل : يا ليت أن عليّ حسن ردايه

فقال : أحسنت يا نضر ؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عبدل الأسدي :

إنّي امرؤ لم أزل ، وذاك من الد - ه قديماً ، أعلم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بيّ الدا - ر وإن كنت نازعاً طربا
لا أجتوي خلّة الصديق ولا - أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من ال - رزق بنفسي وأجمل الطلبا
وأحلب الثرة الصفي ولا - أجهد أخلاف غيرها حلباً¹
إنّي رأيت الفتى الكريم إذا - رغبته في صنعة رغبا
والعبد لا يطلب الغلاء ولا - يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقّع السوء لا - يحسن م شيئاً إلا إذا ضرباً²
قد يرزق الخافض المقيم وما - شد بعيس رحلاً ولا قتباً
ويحرّم الرزق ذو المطية والر - حل ومن لا يزال مغتربا
ولم أجِدْ عُدة الخلائق إلا - الدين لما اعتبرت والحسبا

فقال : أحسنت يا نضر ! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً ، وأمر خادماً بإيصال رقعته ، وتنجز ما أمر به لي ، فمضيت معه إليه ، فلمّا قرأ التوقيع ضحك ، وقال لي : يا نضر ، أنت الملحن لأمر المؤمنين ؟ قلت : لا ، بل لهشيم . قال : فذاك إذن ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم ، وأمر لي بثلاثين ألفاً .

[عبث عبد الملك بن بشر به وانتقامه منه]

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : حدثنا حماد عن أبيه ، قال : بلغني أنّ حمزة بن بيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعث به عبثاً شديداً ، فوجه إليه ليلة برسول ، وقال : خذه على أيّ حال وجدته عليها ، ولا تدعه يغيّرها ، وحلفه على ذلك ، وغلظ الأيمان عليه . فمضى الرسول ، فهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخلاء ، فقال : أجب

1 الثرة : الغزيرة ، وكذلك الصفي . وأخلاف الناقة : أئداؤها .

2 الموقع : الذي في ظهره آثار دبر .

الأمير . فقال : وَنَحَكَ ، إِنِّي أَكَلْتُ طَعَاماً كَثِيراً ، وَشَرِبْتُ نَبِيذاً حُلُوءاً ، وَقَدْ أَخَذَنِي بَطْنِي . قال :
والله لا تفارقني أو أمضي بك إليه ، ولو سَلَحْتُ في ثيابك . فَجَهَدَ في الخلاص ، فلم يقدر عليه ،
فمضى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمة له ، وجارية جميلة كان يتحفظها جالسة بين
يديه ، تسجّر النَّدَّ في طارمته¹ ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه .

قال : فعرضت لي ربح ، فقلت : أَسْرَحُهَا وَأُسْتَرِج ، فلعلَّ ربحها لا يتبين مع هذا البخور ،
فأطلقتها ، فغلبت والله ربح النَّدَّ وَغَمَرْتَهُ . فقال : ما هذا يا حمزة ! قلت : عليَّ عهد الله
وميثاقه ، وعليَّ المشي والهدْيُ إن كنت فعلتها ، وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة . فغضب
واحتفظ ، وخجلت الجارية ، فما قَدَرْتُ على الكلام ؛ ثم جاءتني أخرى فسرَّحتها ، وسطع
والله ربحها . فقال : ما هذا ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت
فعلتها . قال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية . فقال :
ويلك ما قصتك ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجددين حساً ، فزاد خجلها وأطرقت . وطمعت
فيها ، فسرَّحت الثالثة ، وسطع من ربحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك ، حتى
كاد يخرج من جلده ، ثم قال : خذ يا حمزة بيد الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت
علي ليلتي . فأخذت والله بيدها ، وخرجت ، فلقيني خادم له ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟
قلت : أمضي بهذه . قال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً .
وهذه مئة دينار ، فخذها ودع الجارية ، فإنه يتحفظها ، وسيندم على هبتها إياها لك . قلت :
والله لا نقصتك من خمسمائة دينار . فلم يزل يزايدني حتى بلغ مئتي دينار ، ولم تطب نفسي
أن أضيّعها ، فقلت : هاتِها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلما قربت من داره لقيني الخادم ، فقال : هل لك
في مئة² دينار وتقول ما لا يضرُّك ، ولعلَّه أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه
ادَّعيت عنده الثلاث الفسوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفع عن الجارية ما قرفتها به .
قلت : هاتِها . فدفعها إليَّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلما وقفت بين يديه قلت : أليَّ الأمان
حتى أخبرك بخبر يسرك ، وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : رأيت ليلة حضوري
وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعليَّ وعليَّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري . فضحك
حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلك ! فلم لم تخبرني ؟ قلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أن
قمت فقضيت حاجتي ، وقد كان رسولك معني منها ، ومنها أنني أخذت جاريك ، ومنها

1 الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

2 ل : مائتي .

أَنْ كَافَأْتُكَ عَلَى أَذَاكَ لِي بِمَثَلِهِ . فَقَالَ : فَأَيْنَ الْجَارِيَةِ . قُلْتُ : مَا بَرَحْتُ مِنْ دَارِكَ وَلَا خَرَجْتُ حَتَّى سَلَّمْتُهَا إِلَى فُلَانِ الْخَادِمِ ، وَأَخَذْتُ مَائَتِي دِينَار . فَسَرَّ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ لِي بِمَائَتِي دِينَارٍ أُخْرَى ، وَقَالَ : هَذِهِ لَجَمِيلٍ فِعْلُكَ بِي ، وَتَرَكْتُ أَخْذَ الْجَارِيَةِ .

قَالَ حَمْرَةُ بْنُ بَيْضٍ : وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ لَمْ يَرَ النَّاسَ أَتْنَنَ إِبْطًا مِنْهُ ، فَقَالَ لِي : يَا حَمْرَةُ ، سَابِقِ غُلَامِي حَتَّى يَفُوحَ صُنَانُكُمَا ، فَأَيُّكُمَا صُنَانُهُ أَتْنَنَ ، فَلَهُ مِائَةُ دِينَارٍ . فَطَمَعْتُ فِي الْمِائَةِ ، وَبِئْسَتْ مِنْهَا لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ تَنْنَنِ إِبْطِ الْغُلَامِ ، فَقُلْتُ : أَفْعَلُ . وَتَعَادَيْنَا ، فَسَبَقْنِي ، فَسَلَحْتُ فِي يَدَيَّ ، ثُمَّ لَطَخْتُ¹ إِبْطِي بِالسُّلَاحِ ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَعَلَ بَيْنَنَا حَكْمًا يُخْبِرُهُ بِالْقِصَّةِ ، فَلَمَّا دَنَا الْغُلَامُ مِنْهُ فَشَمَّهُ ، وَثَبَ ، وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ لَا يَسَاجِلُهُ شَيْءٌ . فَصَحْتُ بِهِ : لَا تَعْجَلْ بِالْحَكْمِ ، مَكَانَكَ . ثُمَّ دَنُوتُ مِنْهُ ، فَأَلْقَمْتُ أَنْفَهُ إِبْطِي حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ خَالَطَ دِمَاعَهُ ، وَأَنَا مُمْسِكٌ لِرَأْسِهِ تَحْتَ يَدَيَّ . فَصَاحَ : الْمَوْتُ وَاللَّهِ ! هَذَا بِالْكُفِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْأَبَاطِ ! فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ قَالَ : أَفَحَكَمْتُ لَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذْتُ الدَّنَانِيرَ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ الْعَاصِمِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْنَةُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : قَالَ حَمْرَةُ بْنُ بَيْضٍ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى مَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَقُلْتُ :

إِنَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ كُلَّهَا تُجْبِي وَأَنْتَ أَمِيرُهَا وَإِمَامُهَا²
فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : مَهْ ؟ فَقُلْتُ :
أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مَسْهَدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَا مُهَا
قَالَ : ثُمَّ مَاذَا كَانَ ؟ قُلْتُ :
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جُدْتَ لِي بِوَصِيفَةٍ مُوسُومَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . فَقُلْتُ :

وَبِئْدَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبِغَلَةٍ سَفَوَاءٍ نَاجِيَةٍ يَصِلُ لَجَامُهَا³
قَالَ : قَدْ حَقَّقَ اللَّهُ رُؤْيَاكَ . ثُمَّ أَمَرَ لِي بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَمَا عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا .
قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْخَبَرُ بَعَيْنِهِ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ ، وَذَكَرْتُهُ فِي أَحْبَارِهِ .

1 ل : طليت .

2 الشطر الأول في ل : ليت المشارق والمغارب أصبحت .

3 السفواء : قليلة شعر الناصية والسريعة ، ويصل لجامها : يصوت لما فيه من الحلية .

[صحب ابن عمه في الحج]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِم ، قال : حَدَّثَنَا عَمَارَةُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِير ، قال : حجَّ حمزة بن بيض الحنفي ، فقال له ابن عم له : أحجج بي معك . فَأَخْرَجَهُ مَعَهُ ، فَحَوَّلَ¹ عَلَيْهِ بَعْدَ نَشَاطِهِ ، فَقَالَ ابْنُ بَيْضَ فِيهِ : [من الطويل]

وَذِي سِنَةٍ لَمْ يَدْرِ مَا السَّيْرُ قَبْلُهَا	وَلَمْ يَعْتَسِفْ خَرْقًا مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا ²
وَلَمْ يَدْرِ مَا حَلُّ الْحَبَالِ وَعَقْدُهَا	إِذَا الْبَرْدُ لَمْ يَتْرَكْ لِكَفِّهِ مَعْمَلًا
وَلَمْ يَقِرْ مَأْجُورًا وَلَا حَجَّ حِجَّةً	فَيَضْرِبُ سَهْمًا أَوْ يَصَاحِبَ مِكْتَلًا ³
غَدُونًا بِهِ كَالْبَغْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ	نَشَاطًا بِنَاهِ الْخَيْرِ حَتَّى تَفْتَلًا ⁴
تَرَى الْمَحْمِلَ الْمَحْسُورَ نَاءَ غُرَامَةٍ	وَبَابَا إِذَا أُمْسَى مِنَ الشَّرِّ مُقْفَلًا ⁵
وَإِنْ قُلْتَ لَيْلًا : أَيْنَ أَنْتَ لِلْحَاجَةِ	أَجَابَ بِأَنْ لَبِيكَ عَشْرًا وَأَقْبَلَا
يَسُوقُ مَطْيَى الْقَوْمِ طَوْرًا وَتَارَةً	يَقُودُ وَإِنْ شِئْنَا حِدَا ثُمَّ جَلْجَلَا
فَأَجَلَّتْهُ خَمْسًا وَقُلْتَ لَهُ : أَنْتَظِرْ	رُؤْيَدًا ؛ وَأَجَلْنَا الْمَطْيَى لِيَدْبُلَا
فَلَمَّا صَدَرْنَا عَنْ زُبَالَةٍ وَارْتَمَتْ	بَنَا الْعَيْسَ مِنْهَا مَنَقَلًا ثُمَّ مَنَقَلًا ⁶
تَرَامَتْ بِهِ الْمَوْمَاةُ حَتَّى كَانَتْمَا	يَسْفُ بِمَعْسُولِ الْخَزِيرَةِ حَنْظَلًا ⁷
وَحَتَّى نَبَا عَنْ مِزُودِ الْقَوْمِ ضَرُسُهُ	وَعَادَى مِنَ الْجَهْدِ الثَّرِيدِ الْمَرْعَبَا
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ اللَّيْثَ لَيْثَ خَفِيَّةٍ	يَحَاوِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَا تَحْلَحَلَا
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ سُؤْلَهُ	وَقِيلَ لَهُ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : مَحْمَلَا
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي بِهِ	وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْضَى لَدَيْنَا وَيَهْزِلَا
أَطْعَنِي وَكُلْ شَيْئًا ، فَقَالَ مَعْذَرًا	مِنَ الْجَهْدِ : أَطْعِمْنِي تَرَابًا وَجَنْدَلَا
فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْكَ جَارًا وَصَاحِبًا	فَدَعَنِي فَلَا لَبِيكَ ثُمَّ تَجَدَّلَا ⁸

1 حوئل : مشى فأعيا وضعف ، وحوئل أيضا : نام .

2 اعتسف الطريق : سار على غير هداية ولا دراية . الخرق : الأرض الواسعة . والمجهل : المفاضة لا أعلام فيها .

3 المكتل : الزنبيل .

4 بناه الخير في ل : ثناه الحر . تفتل : اشتد .

5 المحسور ناء غرامه في ل : المحشو فاه غرامة . وبابا في ل : وبأى .

6 زبالة : موضع من ضواحي المدينة . والمنقل : الطريق في الجبل .

7 بكى كأنه يسف الحنظل مع الخزيرة ، وهي طعام من دقيق ولبن يخلّى بالعسل أو التمر .

8 تجدل : سقط على الأرض من الإعياء .

وقال : أقلني عثرتي وارغَ حرمتي
فقلت له : لا ، والذي أنا عبده ،
وقد فرّ مني مرتين ليَقِفْلا
أقولك حتى تمسح الركن أولاً

[تأخّرت مكافأته فعاتب مخلد بن يزيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال : حدّثني
إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ، قال : حدّثني أبو عمر العُمري ، قال : حدّثني عطاء بن مصعب ،
عن عاصم بن الحُدثان قال : قدِم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن
يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف إليه مراراً ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدّته ، فقال ابن
بيض :

أَمْخَلَدَ إِنْ اللَّهُ مَا شَاءَ يَصْنَعُ
وَأَنِّي قَدْ أَمَلْتُ مِنْكَ سَحَابَةً
فَأَجْمَعْتُ صُرْماً ثُمَّ قُلْتُ : لَعَلَّهُ
فَأَيَّاسُنِي مِنْ خَيْرِ مَخْلَدٍ أَنَّهُ
يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يُوَدُّونَ أَنَّهُ
وَيَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ
أَصْرِمُهُ فَالْصُّرْمُ شَرٌّ مَغْبَةٌ
وَشَتَانٌ بَيْنِي فِي الْوَصَالِ وَبَيْنَهُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا وَاصِلًا لِي مُودَّةً
وَأَعْقَبَنِي صُرْماً عَلَى غَيْرِ إِحْنَةٍ
وغيره ما غيّر النَّاسَ قَبْلَهُ
يَجُودُ فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
فَحَالَتْ سَرَابًا فَوْقَ بِيْدَاءٍ تَلْمَعُ
يُثَوِّبُ إِلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ فَيَرْجِعُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعُ
مِنَ الْبَغْضِ وَالشَّنَانِ أُمْسَى يُقَطِّعُ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ ؟
وَنَفْسِي إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطْلُعُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَيُظْلَعُ
وَيَمْنَعُنِي مِنْ صَرْفِ دَهْرِي أَضْرَعُ¹
وَيَخْلَأُ وَقَدْ مَأْكَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
فَنَفْسِي بِمَا يَأْتِي بِهِ لَيْسَ تَقْنَعُ

ثم كتبها في قرطاس وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ،
فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل ، فقال : من
أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ،
ووصف صفة ابن بيض ، فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخسمائة
درهم ، وكساه ، قال : إنما ضربتك أدباً لك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه ، لمن لا
تعرف ، فأياك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ، لا أحمل كتاباً لمن

1 مودة في ل : بوده . والشطر الثاني في ل : ومعروفه يعدو البريد المفرّج .

أعرف ، ولا لمن لا أعرف . قال له مَخْلَد : احذر ، فليس كلُّ أحد يصنع بك صنيعة ؛ وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا . فحدثه مَخْلَد بقصته ، فقال ابن بيض : والله ، أصلحك الله ، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سَوْطاً مع الخمسمائة أبداً . فضحك مَخْلَد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً . قال : أَجَلْ والله ، ولكن من لي بمثلك يُعْتَبِي إذا استعنته ، ويفعل بي مثل فعلك ؟ ثم قال : [من الطويل]

وأبيضُ بُهْلُولُ إذا جئت داره	كفاني وأعطاني الذي جئت أسأل
ويعتيني يوماً إذا كنت عاتباً	وإن قلت ، زدني : قال : حقاً سأفعل
تراه إذا ما جئته تطلب الندى	كأنتك تعطيه الذي جئت تسأل
فلله أبناءُ المهلبِ فتيةٌ	إذا لَقَحَتْ حربَ عَوانٍ تأكلُ
هُمُ يصطلون الحربَ والموتُ كانعٌ	بسُمرِ القنا والمشريةُ من عل ¹
ترى الموت تحت الخافقات أمامهم	إذا وردوا علواً الرماح وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناس أنهم	لجودهم نذرٌ عليهم يُحللُ
غيوث لمن يرجو ندامهم وجودهم	سيمامٌ لأقوامٍ ذُعافٌ يُثملُ ²
وفى لي أبناءُ المهلبِ إنهم	إذا سئلوا المعروف لم يتسعلوا ³
فذلك ميراثُ المهلبِ إنه	كريم نَمَاه للمكارمِ أولُ
جرى وجرت آباؤه فتحرزوا	عن الدّم في عِطاء لا تُتوقَلُ ⁴

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات ، أمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

أَمْخَلَد لم تترك نفسي بُغيةً	وزدت على ما كنت أرجو وآملُ
فكنت كما قد قال معنُ فإنه	بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثلُ
وجذت كثير المال إذ ضنَّ مُعديماً	يُذمُّ ويلحاه الصديقُ المؤملُ

1 كانع : متجمع للوثوب ، مترقب .

2 ذعاف : قاتل من ساعته . ويشمل : سم نفع أياماً حتى اختمر .

3 وفى لي أبناء في ل : كفاك من أبناء .

4 عِطاء : هضبة مرتفعة . تتوقَل : يصعد فيها .

وإن أحقّ النَّاسَ بالجودِ مَنْ رأى أباه جَواداً للمكارم يُجْزَلُ
 تَرَبُّ الذي قد كان قَدَمَ والد أغرُّ إذا ما جئته يَهْلَلُ
 وَجَدْتَ يَزِيداً والمهْلَبَ بَرّاً فقلت : فإنِّي مثلَ ذلكُ أَفْعَلُ
 ففزت كما فازا وجاوزت غاية يُقَصِّرُ عنها السابق المتهلَّلُ
 فأنت غياث لليتامى وعِصمة إليك جِمال الطالبي الخير تُرحَلُ
 أَصاب الذي رجى نذاك مُخيلةً تصبُّ عزاليها عليه وتَهْطَلُ¹
 ولم تُلَفَّ إذ رَجَّوا نوالَكَ باخلاً تَضُنُّ على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
 وموت الفتى خير له من حياته إذا كان ذا مال يَضُنُّ ويَخْلُ
 فقال له مخلد : احتكم . فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف² دينار وجارية وغلماً وبرذوناً .

[شرط مصالحة حماد بن الزبرقان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ ، عَنْ الْمَدائِنِيِّ ،
 قال : كان حمزة بن بيض شاعراً ظريفاً ، فشاتم حماداً بن الزبرقان ، وكان من ظُرفاء أهل
 الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يُتَّهَمُ بالزندقة ، فمشى الرجل بينهما حتى
 اصطلحا ، فدخلوا يوماً على بعض ولاة الكوفة ، فقال لابن بيض : أراك قد صالحت حماداً ،
 فقال ابن بيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا أمره بالصلاة ، ولا ينهاني عنها .

[تشوِّفه إلى أهله]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّاف قال : حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بْنُ الْحَرِيزِ الْبَاهِلِيُّ قال : حَدَّثَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ
 عَدِيٍّ قال : قَدِمَ حمزة بن بيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى ، وبينهما مودة منذ
 الصِّبَا ، فطال مقامه عنده ، فاشتاق إلى أهله وولده ، فكتب إلى بلال : [من البسيط]

كَلَّتْ رحالي وأعواني وأحراسي إلى الأمير وإدلاجي وإملاسي³
 إلى امرئ مُشْبِعٍ مجدداً ومكرمة عادية فهو حالٍ منهما كاسي⁴
 فلستُ منك ولا مِمَّا مَنَنْتَ به من فضل ودك كالرمي في الراسي

1 الغزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب القرية .

2 ل : ألفي .

3 الإملاص : السوق الشديد .

4 عادية : قديمة متأصلة .

إني وإياك والإخوان كلهم في العسر واليسر لو قيسوا بمقياس
وذاك مما ينوب الدهر من حدث كالورد في المثل المضروب والآس
يبعد هذا فيلَى بعد جدته غَضّاً وآخره رهن يائنا¹
وأنت لي دائم باقٍ بشاشته يهتزّ في عود لا عَشٍّ ولا عاسي²
فعجل له بلال صلته ، وسرّحه إلى الكوفة .

[رؤيا أخرى]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثنا أبو
المعاريك الضبي قال : حدثني أبو مسكين قال : دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد
الملك ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

رأيتك في المنام سننت خزا عليّ بَنَفَسَجاً وقضيت ديني
فصدّقْ يا فدتك النفس رؤيا رأتها في المنام لديك عيني
فقال سليمان : يا غلام أدخله خزنة الكِسوة ، واسننْ عليه كلّ ثوب خَزَّ بَنَفَسَجِيَّ فيها :
فخرج كأنّه مشجّب . ثم قال له : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

صوت³

[من الكامل]

من سره ضرب يُرْعِبُ بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق⁴
فليأت مأسدة تُسنُّ سيوفها بين المذاد وبين جزع الخندق
ويروى : يُمَعِّمُ بعضه بعضاً . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدة زجلها . والمأسدة :
الموضع الذي تجتمع فيه الأسد . وتُسنُّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون . والمذاد : موضع
بالمدينة . والخندق : يعني به الخندق الذي احتفروه رسول الله ﷺ وأصحابه حول المدينة .
والشعر لكعب بن مالك الأنصاري . والغناء لابن محرز : خفيف رمل ، بإطلاق الوتر في
مَجَرى الوُسْطى ، عن إسحاق وعمرو .

1 وآخره في ل : غابرة .

2 في عود لا في ل : لا عوده . والعش : الشجر اللثيم المثبت ومن النخل : القليل السعف .

3 ديوان كعب بن مالك 244 : وفيه يجمع بدلاً من يرعبل .

4 يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب ، واحدته أباءة .

[320] - أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه¹

[نسبه]

هو كعب بن مالك بن أبي كعب . واسم أبي كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب بن سوار . وقيل : القَيْن بن سوار (هكذا قال ابن الكلبي) بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جُثَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث .

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المحدثين ، وهو بذري عَقَبِيّ . وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَيْن شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج ، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمّه قيس بن أبي كعب شهد بدرًا ، وهو شاعر أيضاً ، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس . وخبره في ذلك يذكر في موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه .

ولكعب بن مالك أصل عريق² ، وفرع طويل في الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر ، والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شاعر ، ومعن بن وهب بن كعب شاعر ، وكلهم مجيد مُقَدَّم . وعُمَر كعب بن مالك ، وروى عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً ، وكل بني كعب بن مالك قد روى عنه الحديث .

فمما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه : حدثني أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدثنا عَتَّاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهري قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر» .

ومما رواه عنه ابنه عبد الله : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أبي ليلى ، عن إسماعيل بن أمية ، عن محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ

1 لكعب بن مالك الأنصاري ترجمة في الإصابة وطبقات ابن سلام 1 : 220-223 ومعجم المرزباني : 229-230 وخزانة البغدادي 1 : 417-418 وشرح الشواهد : 123 ونكت الهميان : 231 وانظر سيرة ابن هشام وأعلام الزركلي . وقد جمع شعره سامي العاني (بغداد) .

2 ل : أُصِيل .

يصلّي المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُنصرون مواقع النبل حين يرمون .
ومما رواه ابنه محمد : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال :
حدثنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن أبي الزبير ، عن محمد بن كعب ،
عن أبيه ، أنه حدثه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحذّان أيام التشريق ، فنادی :
«إنّه لا يدخل الجنة إلّا مؤمن ، وأيام منى أيام أكل وشرب ويعال» .
[كان عثمانى الهوى]

وكان كعب بن مالك عثمانياً ، وهو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلم
يشهد معه حروبه ، وخاطبه في أمر عثمان وقتلته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره ، ثم اعتزله .
وله مرثي في عثمان بن عفان رحمه الله ، وتحريض للأنصار على نصرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على
خذلانه بعد ذلك ، منها قوله¹ :

فلو حُلْتُم من دونه لم يَزَلْ لكم يَدُ الدَّهْرِ عِزُّ لا يُوخُّ ولا يَسْرِى
ولم تَقْعُدُوا والدَّارَ كابِ دُخَانِهَا يُحَرِّقُ فِيهَا بالسَّعِيرِ وبالْجَمْرِ
فَلَمْ أَرْ يوماً كانَ أَكْثَرُ ضَيْعَةً وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْغَوَاةِ وَالنُّكْرِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان
كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين ، وشهر سلاحه ، فلما ناشد
عثمان الناس أن يُغمدوا سيوفهم انصرف ، ولم يرَ أن الأمر يخلص إليه ، ولا يجري القوم إلى
قتله ؛ فلما قُتِلَ وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار ، في مسجد رسول الله ﷺ ،
فأنشدهم² :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَنْصَارِ عَنِّي آيَةً رُسُلًا تَقْصُرُ عَلَيْهِمُ التَّبَيَّانَا
أَنْ قَدْ فَعَلْتُمْ فَعْلَةً مَذْكُورَةً كَسَتْ الْفُضُوحَ وَأَبَدَتِ الشَّنَانَا³
بِقَعُودِكُمْ فِي دُورِكُمْ وَأَمِيرِكُمْ تُحْشَى ضَوَاحِي دَارِهِ النِّيرَانَا
بَيْنَا يَرْجِي دَفْعَكُمْ عَنْ دَارِهِ مُلِئْتُ حَرِيقاً كَابِياً وَدُخَانَا
حَتَّى إِذَا خَلَصُوا إِلَى أَبْوَابِهِ دَخَلُوا عَلَيْهِ صَائِماً عَطْشَانَا
يُعلُون قُلْتَهُ السِّیُوفَ وَأَنْتُمْ مَتَلَبِّثُونَ مَكَانَكُمْ رِضْوَانَا

1 ديوان كعب : 213 .

2 ديوان كعب : 285-286 .

3 الشَّنَانَا : البغضاء ، وفي ل : الذَّلَانَا ، أي الأذلاء .

الله يَعْلَمُ أَتْنِي لَمْ أَرْضَهُ لَكُمْ صَنِيعاً يَوْمَ ذَاكَ وَشَانَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ يَقُولُ : أَلَا أَرَى نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ لِي أَعْوَانَا
وَاللَّهُ لَوْ شَهِدَ ابْنُ قَيْسٍ ثَابِتٌ وَمَعَاشِرٌ كَانُوا لَهُ إِخْوَانَا
يعني ثابت بن قيس بن شماس .

وَأَبُو دُجَانَةَ وَابْنُ أَرْقَمٍ ثَابِتٌ وَأَخُو الْمَشَاهِدِ مِنْ بَنِي عَجْلَانَا
أَبُو دُجَانَةَ : سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ . وَابْنُ أَرْقَمٍ : ثَابِتُ الْبَلَوِيِّ . وَأَخُو الْمَشَاهِدِ مِنْ بَنِي عَجْلَانَ :
مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ ، عَقَبِيُّ .

وِرْفَاعَةُ الْعُمَرِيُّ وَابْنُ مُعَاذِهِمْ وَأَخُو مُعَاوِيٍّ لَمْ يَخْفِ خَذْلَانَا
رِفَاعَةُ : ابْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ الْعُمَرِيُّ . وَابْنُ مُعَاذٍ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ . وَأَخُو مُعَاوِيَةَ : الْمُنْذَرُ بْنُ
عَمْرِو السَّاعِدِيِّ ، عَقَبِيُّ بَدْرِيٍّ .

قَوْمٌ يَرَوْنَ الْحَقَّ نَصَرَ أَمِيرِهِمْ وَيَرُونَ طَاعَةَ أَمْرِهِ إِيمَانَا
إِنْ يُتْرَكُوا فَوْضَى يَرَوْنَ فِي دِينِهِمْ أَمْرًا يُضَيِّقُ عَنْهُمْ الْبُلْدَانَا
فَلْيُعْلِلِينَ اللَّهَ كَعَبٍّ وَلِيهِ وَلَيَجْعَلَنَّ عَدُوَّهُ الدُّلَانَا
إِنِّي رَأَيْتُ مُحَمَّدًا اخْتَارَهُ صِهْرًا وَكَانَ يَعْذُوهُ خُلُصَانَا
مَحْضَ الضَّرَائِبِ مَا جَدًّا أَعْرَاقُهُ مِنْ خَيْرِ خِنْدِفٍ مَنْصِبًا وَمَكَانَا
عَرَفَتْ لَهُ عُليًا مَعَدًّا كُلُّهَا بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَا
مِنْ مَعَشَرٍ لَا يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمْ كَانُوا بِمَكَّةَ يَرْتَعُونَ زَمَانَا
يُعْطُونَ سَائِلَهُمْ وَيَأْمَنُ جَارَهُمْ فِيهِمْ وَيُرْدُونَ الْكُفَاةَ طِعَانَا
فَلَوْ أَنَّكُمْ مَعَ نَصْرِكُمْ لَنَبِيَّكُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ نَصَرْتُمْ عُثْمَانَا !
أَنْتَيْتُمْ عَهْدَ النَّبِيِّ إِلَيْكُمْ وَلَقَدْ أَلْظَّ وَوَكَّدَ الْإِيمَانَا¹

قال : فجعل القوم ييكون ، ويستغفرون الله عز وجل .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وحبيب بن نصر المهلبى قالوا : حدثنا عمر بن شبة
قال : حدثنا أبو عامر ، عن ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : رجز راجز من
قريش² برسول صلى الله عليه وآله ، فقال :

[من الرجز]

1 أَلْظَّ : أَلَحَّ .

2 هو سلمة بن الأكوع (اللسان : عجب) .

لَمْ يَغْذُهَا مُدًّا وَلَا نَصِيفُ وَلَا تُمِيرَاتُ وَلَا تَعْجِيفُ¹
لَكِنْ غَذَاهَا اللَّبَنُ الْحَرِيفُ وَالْمَخْضُ وَالْقَارِصُ وَالصَّرِيفُ

قال : فاحتفظت الأنصارُ حيثُ ذكر المُدُّ والتمر ، فقالوا لكعب بن مالك : انزل ، فنزل ، فقال² :

لَمْ يَغْذُهَا مُدًّا وَلَا نَصِيفُ لَكِنْ غَذَاهَا الْحَنْظَلُ النَّقِيفُ³
وَمَذْقَةُ كَطْرَةِ الْخَنِيفِ تَبَيْتُ بَيْنَ الزَّرْبِ وَالْكَنْيفِ⁴

فقال رسول الله ﷺ : اركبا .

[هجاءوا قريش من الأنصار]

أخبرني الجوهريُّ والمُهَلَّبِيُّ قالا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا هُوَذَةُ بْنُ خَلِيفَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ : كَانَ يَهْجُوهُمْ ، يَعْنِي قَرِيشًا ، ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْبِيُونَهُمْ : حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ . وَكَانَ حَسَّانُ وَكَعْبُ يِعَارِضَانِهِمَا بِمِثْلِ قَوْلِهِمَا ، بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ وَالْمَآثِرِ ، وَيَعِيرَانِهِمَا بِالْمِثَالِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يُعِيرُهُمَا بِالْكَفْرِ ، وَيَنْسُبُهُمَا إِلَيْهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ فِيهِمَا شَيْءٌ شَرٌّ مِنَ الْكَفْرِ . فَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا قَوْلُ حَسَّانَ وَكَعْبٍ ، وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَفَقِهُوا الْإِسْلَامَ ، كَانَ أَشَدَّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمَا قَوْلُ ابْنِ رَوَاحَةَ .

أخبرني الجوهريُّ والمُهَلَّبِيُّ قالا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ : إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَهْجُوكَ ، فَقَامَ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : فَتُبَّتْ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

فَتُبَّتْ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتِ مُوسَى ، وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرَا

فقال : وَأَنْتَ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ : فَوُثِّبَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ . فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : هَمَّتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا الَّذِي

1 التعجيف : حبس الدواب عن الطعام لتَهْزَل .

2 ديوان كعب : 233 .

3 النقيف : المنقوف ، أي المشقوق .

4 الطرة : الحاشية . والخنيف : نوع من أُرْدَا الكنان .

[من الكامل]

أقول¹ :

هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تَغَالِبَ رَبُّهَا وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ²
فَقَالَ : أَمَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْسَ لَكَ ذَلِكَ .

[شعره]

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمَهَلَّبِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى مَوْلَى ثَقِيفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مَجَالِدٌ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَنْ يَغْزُوكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ ، وَتَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَذًى وَيَهْجُونَكُمْ ، فَمَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : أَنَا . فَقَالَ : إِنَّكَ لِحَسَنِ الشَّعْرِ . ثُمَّ قَامَ كَعْبٌ فَقَالَ : أَنَا . فَقَالَ : وَإِنَّكَ لِحَسَنِ الشَّعْرِ .

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمَهَلَّبِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي جُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أُمِرْتُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، وَأُمِرْتُ حَسَنًا فَشَفَى وَاشْتَفَى .

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمَهَلَّبِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ : أَنَّ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ عَنْ أُمِّهِ ، وَهِيَ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى كَعْبٍ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنْشِدُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَانَتْهُ انْقِبَاضُ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُمْ فِيهِ ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : كُنْتُ أَنْشُدُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَنْشُدْ ، فَأَنْشُدْ حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ :

مُقَاتِلُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ³

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَقُلْ عَنْ جِذْمِنَا ، وَلَكِنْ قُلْ : مُقَاتِلُنَا عَنْ دِينِنَا .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَابِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، فَخَرَجَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِيهَ ، فَأَنْشَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِيهَ فَأَنْشَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِيهَ فَأَنْشَدَهُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَهَذَا أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاقِعِ النَّبْلِ .

1 ديوان كعب : 182 .

2 سخينة : قریش ، لقبَت بذلك لكثرة أكلها السخينة ، وهي طعام يتخذ من الدقيق والسمن ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء .

3 الجذم : الأصل . والفخمة : الكتيبة العظيمة .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرّبعيّ ، وذكر له إسناداً شامياً ، هكذا قال ، قال ابن عمّار في الخير ، وذكر حديثاً فيه طول ، لحسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال : لما بُوع لعلّي بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير . وكانوا عثمانية ، أنّهم يقدّمون بني أمية على بني هاشم ، ويقولون : الشام خير من المدينة . واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن عثمان : أقتل ظالماً ، فنقول بقولك ؟ أم قُتل مظلوماً ، فنقول بقولنا ، ونكلّك إلى الشبهة فيه ، فالعجب من تيقّنا وشكّك ، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه ، فهاته نعرفه ، ثم قال ¹ :

كَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَقِنُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
وَقَالَ لَمَنْ فِي دَارِهِ : لَا تَقَاتِلُوا عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يَقَاتِلْ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبّاً عَلَيْهِمُ الْ عِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ عَنْهُمْ وَوَلَّى كَادِبَارَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ

فقال لهم عليّ عليه السلام : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأثرة ، وجزّعتم فأستم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذّرنا به . فقال عليّ عليه السلام : أتردون عليّ بين ظهرائي المسلمين ، بلا بيّنة صادقة ، ولا حجّة واضحة ؟ اخرجوا عنّي ، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من يومهم ، فساروا حتى أتوا معاوية : فقال لهم : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار ، وولّى النعمان بن بشير جِمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أخبروني بأشجع بيت وصّف به رجل قومه . فقال له رَوْح بن زنباع : قول كعب بن مالك ² :

نَصِلُ السِّیُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بَخْطُونَا قُدْماً وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ ³
فقال له معاوية : صدقت .

1 ديوان كعب : 264 .

2 ديوان كعب : 245 .

3 قدماً في ل : يوماً .

321 - [مالك بن أبي كعب الأنصاري]

وأما أبوه مالك بن أبي كعب ، أبو كعب بن مالك ، فإنني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يغني
فيه من شعره ، فمن ذلك قوله :
[من الطويل]

صوت

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي : أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَتْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالُ فِي حَلَقٍ شَهْبٍ

الشعر لمالك بن أبي كعب . والغناء لمالك ، ثقیل أول بالنصر ، عن يونس والهشامي . وفيه
لإبراهيم خفيف ثقیل بالوسطى ، جميعاً عن الهشامي . وزعم ابن المكي أن خفيف الثقیل هو
لحن مالك .

[سبب الخصومة بين مالك وبرذع بن عدي]

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر ،
يقال له برذع بن عدي .

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمي عن عيينة بن المنهال ، ونسخته من كتاب
أعطانيه علي بن سليمان الأخفش : أن رجلاً من طيء قدم يثرب بإبل له يبيعه ، فنزل في
جوار برذع بن عدي أخي بني ظفر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها . وكان مالك بن أبي
كعب بن القين أخو بني سلمة ، اشترى منه جملاً ، فجعله ناضحاً ، فمطله مالك بن أبي
كعب بثمن جملة ، وحضر شخوص الطائي ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل
مالك ، ليكلّمه أن يوفيه ثمن جملة ، أو يرده عليه ، فلم يجد مالكا في منزله ، ووجد الجملة
باركاً بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائي : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في
دار النبيت ، فأما ، فارتحل الطائي بالجملة إلى بلاده ، وبلغ مالكا ما صنع برذع ، فكره أن
ينشب بين قومه وبين النبيت حرب ، فكفّ وقد أغضبه ذلك ، وجعل يسفه برذعاً في جراته
عليه وما صنع ، فقال برذع بن عدي في ذلك :

أَمِنْ شَحْطِ دَارٍ مِنْ لُبَابَةِ تَجْرُعٍ وَصَرَفِ النَّوَى مِمَّا يُشِثُ وَيَجْمَعُ

وليس بها إلا ثلاث كأنها
قد اقتربت لو كان في قرب دارها
وكان لها بالمنحنى وجنوبه
أتاني وعيد الخرجي كأنني
متى تلقني لا تلق نهزة واجد
معي سمحة صفراء من فرع نبعة
ومطرّد لذن إذا هزّ متنه
فلا وإلهي لا يقول مجاوري :
وأحفظ جاري أن أحتال عرسه
وأجعل مالي دون عرضي إنه
وأصبر نفسي في الكريهة إنه
وإني بحمد الله لا ثوب فاجر
فأجابه مالك بن أبي كعب ، فقال :

صوت

هل للفؤاد لدى شنباء تنويل
إن النساء كأشجار نبتن معاً
إن النساء ولو صوّرن من ذهب
الغناء لسليم ، هزج بالوسطى عن الهشامي وبذل .
أم لا نوال فإعراض وتحميل⁶
منهن مَرَّ وبعض المَرَّ مأكول
فيهن من هفوات الجهل تخيل
فإنه واجب لا بدّ مفعول
كأن مأقيها بالحسن مكحول⁷
ونعجة من نجاج الرمل خاذلة

1 مسفة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .

2 مضرع في ل : ومصرع .

3 الهزاهز : الشدائد . والواجد : الغاضب الحاقدا .

4 الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة . والأهز : الرمح المضطرب المهتر .

5 نفس في ل : جنب .

6 أم لا نوال في ل : أم لا فئاس .

7 نعجة هنا : امرأة .

[من البسيط]

ودَّعْتُهَا فِي مُقَامِي ثُمَّ قُلْتُ لَهَا :
 وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى قَدْ شَرِبْتُ بِهَا
 وَمُرْجَحَنٌ عَلَى عَمْدٍ دَلَّكَتُ بِهِ
 وَلَا أَهَابُ إِذَا مَا الْحَرْبُ حَرَّشَهَا أَلْ
 أَمْضِي أَمَامَهُمْ وَالْمَوْتُ مَكْتَنِيْعٌ
 عَلَيَّ فَضْفَاضَةٌ كَالنَّهْيِ سَابِغَةٌ
 وَلَدْنَةٌ فِي يَدَيَّ صَفْرَاءُ ثَعْلَبُهَا
 إِنِّي مِنَ الْخَزَرَجِ الْغُرِّ الَّذِينَ هُمْ
 فِي الْحَرْبِ أَنْهَكَ مِنْهُمْ لِلْعُدُوِّ إِذَا
 أَشْبَهُتُ مِنَ وَالِدِي عِزًّا وَمَكْرُمَةً
 بُنِّيْتُهُ يَدْعِي عِزًّا وَيُوعِدُنِي
 حِيَاكَ رُبُّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
 وَالرُّقَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّرْحِ مَعْدُولُ¹
 كَأَنَّهُ رَجُلٌ فِي الصَّفِّ مَقْتُولُ²
 أَبْطَالُ وَاضْطَرَبَتْ فِيهَا الْبِهَالِيلُ
 قَدْماً إِذَا مَا كَبَا فِيهَا التَّنَائِيلُ³
 وَصَارِمٌ مِثْلُ لَوْنِ الْمِلْحِ مَصْقُولُ⁴
 بِعَامِلٍ كَشَهَابِ النَّارِ مَوْصُولُ⁵
 أَهْلُ الْمَكَارِمِ لَا يُلْفَى لَهُمْ جِيلُ
 شُبْتُ وَأَعْظَمَ نَيْلاً إِنْ هُمْ سَيِلُوا
 وَبَرْدَعٌ مُدْغَمٌ فِي الْأَوْسِ مَجْهُولُ
 نُوكَاً وَعِنْدِي لَهُ بِالسَّيْفِ تَنْكِيلُ

قال : ثم إنَّ مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته ، فبينما هو يمشي وحده ، إذ لقيه بردع ومعه رجلان من بني ظَفَر ؛ فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه ، فبدرهم مالك إلى مكان من الحرَّة كثير الحجارة مُشْرِف ، فقام عليه ، وأخذ في يده أحجاراً ، وأقبلوا حتى دنوا منه ، فشاتموه وراموه بالحجارة ، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه ، كأنه يستبطئ ناساً ، فلما رآه بردع وصاحبه يكثر الالتفات ، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه ، وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال ، فانصرفوا عنه ، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك :

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي :
 أَقَاتِلْ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُقَاتِلًا
 أَبِي لِي أَنْ أُعْطِيَ الصَّغَارَ ظِلَامَةً
 أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
 وَأَنْجُو إِذَا غَمَّ الْجَبَانُ مِنَ الْكَرْبِ
 جَدُودِي وَأَبَائِي الْكَرَامُ أُولُو السَّلْبِ

1 الشرح : مسيل الماء إلى السهل .

2 المرجحن : المهتز .

3 مكتنع : حاضر قريب . والتنايل : جمع تنال ، وهو اللقيم الجبان .

4 النهي : الغدير ، شبه به الدرع في تموجها .

5 الثعلب : طرف الرمح الداخل في السنان .

هم يضرّون الكبشَ يبرق بيضه
وهم أورثوني مجدهم وفعالهم
ويروى : لا يُخزّيهُم .

وأرعى لجاري ما حييت ذمامه
ولا أسمع الندمان شيئاً يريه
إذا ما اعتري بعضُ الندامى حاجة
إذا أنفذوا الزقّ الرويَّ وصرعوا
بعثت إلى حانوتها فاستبأتها
وقلت : اشربوا ريّاً هنيئاً فإنها
يطاف عليهم بالسديف وعندهم
فإن يصبروا لي الدهر أضيرهم بها
وكان أبي في المحل يطعم ضيفه
ويمنع مولاه ويدرك تَبْلَه
إذا ما منعت المال منكم لثروة

وأعرف ما حق الرفيق على الصخب
إذا الكأس دارت بالمدام على الشرب
فقولي له : أهلاً وسهلاً وفي الرحب
نشأوى فلم أقع بقولهم : حسبي
بغير مكاس في السّوام ولا غضب
كباء القلب في اليسارة والقرب
قيان يلهين المزاهر بالضرب
ويرحب لهم باعي ويغزّر لهم شربي
ويروي نداماه ويصبر في الحرب
ولو كان ذاك التبل في مركب صعب¹
فلا يهنّني مالي ولا ينم لي كسبي

وقد روي أنّ الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب ، لرجل من مراد ، يقال له مالك بن أبي كعب ، وذكر له خبر في ذلك .

[أسطورة المرادي]

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عبد الله بن عباس ، عن مجالد عن الشعبيّ ، قال : كان رجل من مراد يُكنى أبا كعب ، وكان له ابن يُدعى مالكا ، وبنت يقال لها طُرَيْفة ، فزوّج ابنه مالكا امرأة من أرحب ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب ، فقالت الأرحبية للمالك : إني قد اشتقت إلى أهلي ووطني ، ونحن هاهنا في جدد وضيق عيش ، فلو ارتحلت بأهلك وبني ، فنزلت على أهلي ، لكان عيشنا أرغد ، وشملنا أجمع ، فأطاعها ، وارتحل بها وبأمه وبأختها إلى بلاد أرحب . فمرّ بحميّ كان بينهم وبين أبيه ثار ، فعفرّوا فرسه ، فخرجوا إليه ، وأحدقوا به ، وقالوا له : استسلم وسلم الظعينة . فقال : أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا ، وقتلهم حتى

صُرِّع ، فقال وهو يجود بنفسه :

[من الطويل]

لعمري أبيتها لا تقول حليتي ألا فرُّ عني مالك بن أبي كعب

وذكر باقي الأبيات التي تقدّم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعاً ، وأنّ الصحيح هو الأوّل .

* * *

صوت

[من البسيط]

خيّرتُ أمرين ضاع الحزم بينهما إمّا الضياعُ وإمّا فتنةَ عَمِّ

فقد هممتُ مِراراً أن أساجلهم كأسَ المنيةِ لولا الله والرَّجْمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي ، والغناء لمُتِمِّم الهاشمية ، خفيف رمل ، من روايتي ابن المعتزّ والهاشمي .

[322] - أخبار عيسى بن موسى ونسبه¹

[نسبه]

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى في عدّة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمّه وأمّ سائر إخوته وأخواته أم ولد .

وعيسى ثَمَنٌ وُلِدَ ونشأ بالحُمَيْمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوي النجدة والرأي والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فَإِنِّي أَبْدَأُ بالرواية في أَنَّ الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعلّ منكراً أن ينكر ذلك إذا قرأه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعمّي قالا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد . ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد ، فقابلت به ما روياه ؛ فوجدته موافقاً .

[خله المنصور وأخذ البيعة للمهدي]

قال ابن أبي سعد : حدّثني عليّ بن النطّاح قال : حدّثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال : لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، وبايع للمهديّ ، قال عيسى بن موسى :

خَيْرْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا إِمَّا صَغَارَ وَإِمَّا فَتَنَ عَمُّ
وقد هممت مراراً أن أساقِيَهُمْ كأسَ المنيّة لولا الله والرَّجِمُ
ولو فعلت لزالَت عَنْهُمُ نَعَمٌ بكفر أمثالها تُسْتَنْزَلُ النِّقَمُ

على هذه الرواية في الشعر ، رَوَى من ذَكَرَتْ . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغْنَى .

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني ابن بُرَيْهة المنصوريّ هذه الأبيات ، وحكى أَنَّ ناقداً خادماً عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دَبَّرَهُ عليه من الخلع . قال : فجعل يتململ على فراشه ويُهَمِّهِمْ ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات ، فعلمت أَنَّهُ كان يهَمُّهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

1 لعيسى بن موسى ترجمة في أشعار أولاد الخلفاء : 309-323 وتاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ومعجم المرزباني : 96-97 .

[رؤيا موسى]

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدّمت ذكره عنهم : وحَدَّثني محمد بن يوسف الهاشمي قال : حَدَّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال : حَدَّثني كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس : رأيت في المنام كأنني دخلت بستاناً ، فلم آخذ منه إلاّ عنقوداً واحداً ، عليه من الحبّ المرصّف ما الله به عليم ، فولد لي عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى من قد رأيت .

[كراهيته للغناء]

قال ابن أبي سعد في خبره هذا : وحَدَّثني عليّ بن مسلم الهاشمي قال : حَدَّثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حَدَّثني أبي قال : كنّا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة ، فأرسل إليّ ليلة من الليالي ، فأخرجني من منزلي ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسيّ ، فقال لي : يا عيد الرحمن ، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطّ إلاّ ليلةً بالحُمَيْمة واللييلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقري الصوت ، فإذا هو في المطبخ ، وإذا الطّبّاخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدّت إليه فأخبرته ، فحلف لي أنّه ما سمعه قطّ إلاّ تلك اللييلة بالحُمَيْمة وليلته هذه .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطّوسيّ ، قالا : حَدَّثنا الزبير بن بكار قال : حَدَّثني عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة ، عن أبيها ، قال : كان عيسى بن موسى إذا حجّ ، يحجّ ناس كثير من أهل المدينة ، يتعرّضون لمعرفه فيصلهم ؛ قالت : فمرّ أبي بأبي الشدائد الفزاريّ ، وهو ينشد بالمصلّى : [من الرجز]

عصابة إن حج عيسى حجّوا
وإن أقام بالعراق دجّوا
قد لعقوا لُعيقةً فلجّوا
فالقوم قوم حجّهم مُعوجّ
ما هكذا كان يكون الحجّ

قال : ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي ، فسلم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد :

[من الرجز]

إِنِّي وَرَبُّ الكَعْبَةِ المَبْنِيَّةِ
 وَاللّهِ مَا هَجَوْتُ مِنْ ذِي نِيَّةٍ
 وَلَا أَمْرٍ ذِي رِعَاةٍ نَقِيَّةٍ
 لَكِنِّي أُرْعِي عَلَى البرِّيَّةِ
 مِنْ عُصْبَةٍ أَغْلَوْا عَلَى الرِّعَاةِ
 بغير أَخْلَاقٍ لَهُمْ سَرِيَّةٍ

صوت

[من مجزوء الرجز]

آثَارُ رَبْعٍ قَدُمَا أَعْيَا جَوَاباً صَمَمَا
 سُحَّتْ عَلَيْهِ دِيمٌ بِمَائِهَا فَانْهَدَمَا
 كَانَ لِسُعْدَى عِلْمًا فَصَارَ وَحْشًا رِمَمَا
 أَيَّامَ سُعْدَى سَقَمٌ وَهِيَ تَدَاوِي السَّقَمَا

الشعر للرقاشي ، والغناء لابن المكّي ، رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانه .

[323] - أخبار الرقاشي ونسبه¹

[نسبه]

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعاً سهل الشعر ،
نقيّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس : [من الوافر]

وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأنّ الفضل مولاه الرسولُ
أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنّه كان أكرم ممّن ينتمي إليه ، وذهب أبو نواس إلى
قول النبيّ ﷺ : أنا مولى من لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلّى بن حميد : أنّ الرقاشي كان من العجم ، من أهل
الريّ وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه ، إلّا أنّ انقطاعه كان إلى آل برمك ، فأغنوه عن
سواهم .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبّي قال : حدّثني أبي ، قال :
كان الفضل الرقاشي منقطعاً إلى آل برمك ، مستغنياً بهم عن سواهم ، وكانوا يصلون به على
الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدنون القليل والكثير منها ، تعصباً له ، وحفظاً
لخدمته ، وتنوياً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم . فلمّا نكبوا صار إليهم في
حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيامهم ، ينشدهم ويسامرهم ، حتّى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر
محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتّى نشر منها ما كان مطويّاً ، وأذاع منها ما كان
مستوراً ؛ وجرى على شاكلته بعدهم ، وكان كالموقوف المديح على جميعهم ، صغيرهم
وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتّى مات .

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً بمروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي
فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة ، وهي
التي أولها :

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانِهِ وصيَّةَ الحمودِ في ندْمَانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخطّ الجاحظ في شعر أبي نعام ، من جملة قصيدة له

1 ترجمة الرقاشي في طبقات ابن المعتز 426-227 ومعجم المرزباني : 180-181 وتاريخ بغداد 12 : 345
والزركشي : 245 وفوات الوفيات 4 : 183-184 .

طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي .
وقال عبد الله بن المعتز : حدثني ابن أبي الخنساء ، عن أبيه ، قال : لما قال أبو
دُلف :

صوت

ناوليني الرمح قد طا ل عن الحرب جَمامي
مرّ لي شهران مذ لم أرم قوماً سِيهامي

قال الرقاشي يعارضه : [من مجزوء الرمل]

جنّيني الدرع قد طا ل عن القصف جَمامي
واكسيري المطرد والب يئض وأثني بالحُسام
واقذني في لُجّة البحر ر بقوسي وسهامي
وبترسي وبرمحي وبسرجي ولجامي
فبحسبي أن ترزني بين فتیان كرام
سادة نغدو مُجديب ن على حرب المدام
واصطفاق العود والنا يات في جوف الظلام
هزم أرواح دنان لم نلها باصطلام
نهزم الراح إذا ما هم قوم بانهمام
ثم خلّ الضرب والطع ن لأجساد وهام
لشقيّ قال : قد طا ل عن الحرب جَمامي

[رثاء البرامكة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني محمد بن موسى ، عن ابن النطاح ، قال : توفّي
العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد ، والرشد بالرّصافة ، في يوم جمعة ،
فأخرجت جنازته مع العصر ، وحضر الرشد والأمين ، وأخرجت المضارب إلى مقابر
البرامكة بباب البردان ، وفُرش للرشد في مسجد هناك ، وجاء الرشد في الحلق بالأعلام
والحراب ، فصلّى عليه ، ووقف على قبره حتى دُفن ؛ فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من
القبر ، قبلاً يد الرشد ، وسألاه الانصراف ، فقال : لا ، حتى يسوّى عليه التراب ، ولم
يزل قائماً حتى فُريغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرقاشي يرثي العبّاس بن
محمد بن خالد بن برمك :

[من الطويل]

أَتَحْسِنِي بَاكَرْتُ بِعَدِكَ لَذَّةُ أبا الفضلُ أَوْ رَفَعْتُ عَنْ عَاتِقِي سِتْرَا
أَوْ انْتَفَعْتُ عَيْنَايَ بَعْدُ بِنَظْرَةِ أَوْ اذْنَيْتُ مِنْ كَأْسٍ بِمَشْمُولَةِ ثَغْرَا
جَفَانِي إِذْنُ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ مُؤْنَسِي وَأَضَحْتُ يَمِينِي مِنْ ذَخَائِرِهَا صِفْرَا
وَلَكَّنِّي اسْتَشَعَرْتُ ثَوْبَ اسْتِكَانَةِ وَبْتُ كَأَنَّ الْمَوْتَ يَحْفِرُ لِي قَبْرَا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرَّفَّ ، ثاني ثقیل بالنصر ، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى . وفيه ثقیل أول مجهول ، أحسبه لبعض جوارى البرامكة . وفيهما لإراهيم بن المهديّ خفيف رمل ، عن عبد الله بن موسى .

ومن ذلك قوله في جعفر :

[من البسيط]

كَمْ هَاتَفَ بِكَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِيَّةِ يَا طَيْبَ لِلضَّيْفِ إِذْ تُدْعَى وَلِلْجَارِ
إِنْ يُعَدِّمِ الْقَطَرُ كُنْتَ الْمُرْنَ بَارِقَهُ لَمْعُ الدَّنَائِرِ لَا مَا خَيْلَ السَّارِي

وقوله :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تَصْبِهِ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وَإِنْ كَانَ سَالِمًا بِأَسْلَمَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
وَمَنْ كَانَ تَمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَاذِعًا فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يُرَى وَهُوَ صَابِرُ
وَلَيْسَ لَذِي عَيْشٍ عَنِ الْمَوْتِ مَقْصَرٌ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْدَّهْرِ غَابِرُ
وَكُلَّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى الْبَلَى وَكُلَّ امْرِئٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
فَلَا يُبْعِدُنْكَ اللَّهُ عَنِّي جَعْفَرًا بِرُوحِي وَلَوْ دَارَتْ عَلَيَّ الدَّوَائِرُ
فَأَلَيْتُ لَا أَنْفُكَ أَبْكَيكَ مَا دَعَتْ عَلَى فَنٍّ وَرَقَاءٍ أَوْ طَارِ طَائِرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثني أبو غسان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن محمد بن عبد العزيز : أنَّ الرقاشيَّ الشاعر فنيَّ في حبِّ البرامكة حتى خيف عليه .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريَّ قال : حدّثني أبي عن أبي عكرمة ، قال : وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثني محمد بن موسى ، عن إسماعيل بن مجمع ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنَّه لما دارت الدوائر على آل برمك ، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصليّب ، اجتاز به الرقاشيَّ الشاعر وهو على الجذع ، فوقف يبكي أحرَّ بكاء ، ثم أنشأ يقول :

[من الوافر]

أما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حساماً قدَّه السيفُ الحسام¹
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان إليّ محسناً ، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حرّكتني إحسانه ، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت . قال : وكم كان يُجرّي عليك ؟ قال : ألفَ دينار في كلّ سنة . قال : فإنّا قد أضعفناها لك .

[أسفه على أصدقائه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلف ، قال : حدّثنا الرّياشيّ قال : كان الفضل الرّقاشيّ يجلس إلى إخوان له يحادثهم ، ويألفونه ويأنسون به ، فتفرّقوا في طلب المعاش ، وترامت بهم الأسفار ، فمرّ الرّقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه ، فوقف فيه طويلاً ، ثم استعبر وقال :

لولا التطيّر قلتُ غيركم ريبُ الزمان فختّم عهدي
درستُ معالمُ كنت آلفُها من بعدكم وتغيّرتُ عندي

أخبرني محمد بن جعفر الصّيدلانيّ النحويّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم قال : حدّثني أبو هيفان ، عن يوسف بن الدّاية قال : كان أبو نواس والفضل الرّقاشيّ جالسَيْن ، فجاءهما عمرو الورّاق ، فقال : رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ ، فما رأيت جارية أحسن منها ، هيفاءً نجلاء ، زجّاءً دعجاء ، كأنّها خُوط بان ، أو جدلُ عِنان ، فخاطبتها فأجابتنني بأحلى لفظ ، وأحسن² لسان ، وأجمل خطاب . فقال الرّقاشيّ : قد والله عشقتها ، فقال أبو نواس : أو تعرفها ؟ قال : لا والله ، ولكن بالصفة ، ثم أنشأ يقول :

صفاتٌ وظنُّ أورتا القلب لوعةً تضرّم في أحشاء قلب متيمّ
تمثّلها نفسي لعيني فأنثني إليها بطرف الناظر المتوسّم
يحمّلني حبّي لها فوق طاقتي من الشوق دأبَ الحائر المتقسّم

1 قدّه في ل : حتفه .

2 ل : وأنصح .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال : قيل لابن دراج الطفيلي أتتطفّل على الرؤوس ؟ قال : وكيف لي بها ؟ قيل : إنّ فلاناً وفلاناً قد اشترياها ، ودخلا بستان ابن بزيع ، فخرج يُحضّر خوفاً من فوتهما ، فوجدهما قد لوّحا بالعظام فوقف عليهما ينظر ، ثم استعبر وتمثّل قول الرّقاشي :

آثار رُبّع قدّما أعياء جوالي صمّما

وابن دراج هذا يقال له عثمان ، وهو مولى لكندة ، وكان في زمن المأمون ، وله شعر مليح ، وأدب صالح ، وأخبار طيبة ، يجري ذكرها هاهنا .

[324] - أخبار ابن دراج الطفيلي

[يخاف الكلب]

أخبرني الجوهري عن ابن مهرويه ، عن أبيه قال : قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إي والله ، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا . قيل له : فلم لا تدخل إليه ، فتأكل من ثماره ، تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال .

[إصراره على التطفل]

أخبرني الجوهري قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال : كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي ، أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك ، وأصونك وأضن بك عما أنت فيه من التطفل ، ولي وظيفة راتبه في كل يوم ، فالزمني وكُن مدعواً أصلح لك مما تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذهب بك ؛ فأين لذة الجديد ، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نيلك ووظيفتك من احتفال العروس ؟ وأين ألوانك من ألوان الولاية ؟ قال : فأما إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فتيعة لك . قال : أما هذا فنعم .

[يمنع الطفيلين]

فينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فِدَاكَ . زوّجت ابنتي من ابن عم لها ، ومنزلي بين قوم طفيليين ، لا آمنهم أن يهجموا عليّ ، فيأكلوا ما صنعت ، ويقي من دعوت ، فوجه معي بمن يمنعهم . فقال : نعم ، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّي بين يديّ ، وقام وهو يقول¹ :

[من الكامل]

ضجبت تميم أن تقتل عامر
يوم النصار فأعتبوا بالصيلم

[تحييه في التطفل]

قال : وقال الخطابي هذا لابن دراج : كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يدخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم ، فيتطيرون بذلك ، فيدخلوني .

[خوفه من نفاذ الطعام أكسب لونه الصفرة]

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة في لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعين ، ومن خوفي كل يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع .

[صفة بيته]

أخبرني أحمد قال : حدثنا ابن مهرويه ، عن عبد الرحيم بن أحمد : أن ابن درّاج صار إلى باب عليّ بن زيد ، أيام كان يكتب للعبّاس بن المأمون ، فحجبه الحاجب ، وقال : ليس هذا وقتك ، قد رأيت القواد يُحجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلي سبيلهم ، لأنّه يحبّ أن يراني ، ويكره أن يراهم ، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج عليّ بن زيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعني هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إليّ من النوادر ؟ قال : مرّت بي جنازة ومعني ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء ، ولا ضيافة ولا غطاء ؛ ولا خبز فيه ولا ماء . فقال لي ابني : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيف ويلك ؟ قال : لأنّ هذه صفة بيتنا . فضحك عليّ وقال : قد أمرت لك بثلاثمائة درهم . قال : وقد وفرّ الله عليك نصفها على أن أتغدّي معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هي عليك مؤفّرة كلّها ، وتتغدّي معنا .

[لذة التطفيل]

وعثمان ابن درّاج الذي يقول :

لذة التطفيل دومي وأقيمي لا تريمي
أنت تشفين غليلي وتسألين همومي

عود إلى الرقاشي :

[خضاب الرقاشي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا العكليّ قال : دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة ، فقال له : قد أصبح خضابك قانياً . قال : لأنّي أمسيت له معانياً . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أنعم الحناء عجنّاً ، وأجعل ماءه سخناً ، وأرّويّ شعريّ قبله دهنّاً ، فإن بات قنّاً¹ ، وإن لم يفعل أغنى .

صوت¹

[من الخفيف]

من لعين رأت خيالاً مطيفا واقفاً هكذا علينا وقوفا
 طارقاً موهناً أَلَمَّ فحياً ثم ولَّى فهاج قلباً ضعيفاً
 ليت نفسي وليت أنفس قومي يا يزيد الندى ثقيك الختوفا
 عتكى مهلبى كريم حاتمي قد نال فرعاً منيفاً

عروضه من الخفيف ، والشعر لربعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبى . والغناء لعبد الرحيم الرف ، خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو .

1 شعر ربعة الرقي : 83 ولم يرد فيه البيت الثالث .

[325] - أخبار ربيعة الرقي ونسبه¹

[نسبه]

هو ربيعة بن ثابت الأنصاري ، ويكنى أبا شِبابَة . وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهدي إليه ، فمدحه بعدة قصائد ، وأثابه عليها ثواباً كثيراً ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنما أحمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عديم مفضلاً لشعره ، مقدماً له .

[أشعر المحدثين وأسيرهم بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثنا محمد بن داود ، عن ابن أبي خيثمة عن دِعلج قال : قلت لمرwan بن أبي حفصة : من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السَّمط ؟ قال : أشعرنا أسيرنا بيتاً . قلت : ومن هو ؟ قال : ربيعة الرقي الذي يقول² :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبى ، وهجا يزيد بن أسيد السلمي ، وبعد البيت الذي ذكره مروان :

يزيد سليم سالم المال والفتى أخو الأزدي للأموال غير مُسلم
فهّم الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم
فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرّع إن ساميته سنّ نادم
هو البحر إن كلّفت نفسك خوضه تهالكت في موج له متلاطم

[أبو زيد يستشهد بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني محمد بن القاسم بن مِهرويه ، قال : حدثني أسيد بن خالد الأنصاري ، قال : قلت لأبي زيد النحوي : إن الأصمعي قال : لا يقال : شتان ما بينهما ، إنما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى :

1 لربيعة الرقي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 157-170 ومعجم الأدياء : 1302-1303 ونكت الحميان : 151 والوافي 16 : 189 وخزانة البغدادى 6 : 301-302 وقد جمع شعره د . يوسف بكار .

2 شعر ربيعة : 96-100 .

شتان ما يومي على كورها

فقال : كذب الأصمعي ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدني لربيعة الرقي ، واحتج به :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعي بشعر ربيعة الرقي ، كفاية له في تفضيله .

وذكره عبد الله بن المعتز فقال : كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس ، لأن في غزل أبي نواس برذاً كثيراً ، وغزل هذا سليم سهل عذب .
[سرقوه من بلاده]

نسخت من كتاب لعمي : حدثنا ابن أبي فتن قال : انتهى جوارى المهدي أن يسمعن ربيعة الرقي ، فوجه إليه المهدي من أخذه من مسجده بالرقعة ، وحمل على البريد حتى قدم به على المهدي ، فأدخل عليه ، فسمع ربيعة حساً من وراء الستر ، فقال : إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين ، فقال : اسكت يا ابن اللئناء ، واستنشدته ما أراد ، فضحك وضحك منه . قال : وكان فيه لين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازته جائزة سنية ، فقال له ¹ :

يا أمير المؤمنين الد ه سمالك الأمانة

سرقوني من بلادي يا أمير المؤمنين

سرقوني فاقض فيهم بجزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة .
[في يزيد بن حاتم]

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً ² :

يزيد الأزدي إن يزيد قومي سيمك لا وجود كما تجود
يقود جماعة وتقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود
فما تسعون يحقرها ثلاث يقيم حسابها رجل شديد

1 شعر ربيعة 105 .

2 شعر ربيعة : 72 .

وكفُّ شَنْةٍ جُمِعَتْ لَوْجٌ بَأْنَكْدَ مَنْ عَطَائِكَ يَا يَزِيدُ

[غضب الرشيد على العباس بن محمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : امتدح ربيعة الرقيّ العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، بقصيدة لم يُسَبِّقْ إليها حُسْنًا ، وهي طويلة يقول فيها¹ :

صوت

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : (لا) وأنت مخلد ما قالها
ما إن أُعِدُّ من المكارم خَصْلَةٌ إلّا وجدتكَ عمّها أو خالها
وإذا الملوكة تسايروا في بلدة كانوا بكواكبها وكنت هلالها
إنّ المكارم لم تنزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها
في البيت الأوّل والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى ، يقال إنّه لإبراهيم . ويقال إنّه للحسين بن محرز .

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلمّا نظر إلى الدينارين كاد يُجَنّ غيظًا ، وقال للرسول : خذ الدينارين ، فهما لك ، على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر من كتب في ظهرها² :

مدحتك مِدْحَةَ السيفِ الْمُحَلَّى لتجرّي في الكرام كما جريت
فهيها مِدْحَةُ ذَهَبٍ ضَيَاعًا كذبتُ عليك فيها وافترت
فأنت المرء ليس له وفاء كأنّي إذ مدحتك قد زنيت

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . فردّها الرسول في موضعها . فلمّا كان من الغد أخذها العباس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرًا عنده ، يبجلّه ويقدمه ، وكان قد همّ أن يخطب إليه ابنته ؛ فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : هيجاني ربيعة الرقيّ . فأحضر ، فقال له الرشيد : يا ماصّ كذا وكذا من أمّه ، أتهجو عمّي ، وآثر الخلق عندي ، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد مدحتك بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء ، في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الشاء ، وأكثرت في الوصف ، فإن رأى أمير

1 شعر ربيعة : 87 .

2 شعر ربيعة : 67 .

المؤمنين أن يأمره بإحضارها . فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ساعة . فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها . فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها فأحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلاً ، لقد صدق ربيعة وبر . ثم قال للعباس : كم أثبتته لبيها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجرض بريقه ، فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة على العباس ، فقال : بحياتي يا رقي ، كم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العباس بن محمد ، وقال : سؤاؤك ! أية حال قعدت بك عن إثابته ؟ أقله المال ؟ فوالله لقد مولتكم جهدي ؛ أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسك فعلت ذلك بك ، حتى فضحت أباك وأجدادك ، وفضحتني ونفesk . فنكس العباس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة ، واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتي يا رقي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير وأطراح .

[عبته بالعباس بن محمد]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر ، قال : حدثني من لا أحصي من الجلساء : أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذي يبلغ منه ، منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى ، من حيث لا يتعلق عليه فيه بشيء ، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد ببرية فيها غالية ، فوضعها بين يديه ، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية ، صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من شجر عمان ، ومسكها من مفاوز الثبّت ، وبانها من ثغر تهامة ؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها ، والنعت يقصر عنها .

فاعترضه ربيعة ، فقال : ما رأيت أعجب منك ، ومن صفتك لهذه الغالية ، عند من إليه كل موصوف يُجَلَّب ، وفي سوق ينفق ، وبه إليه يُتَقَرَّب ، وما قدر غاليتك هذه ، أعزك الله ، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت ؟ أأجريت بها إليه نهراً ، أم حملت إليه منها ورقاً ؟ إن تعظيمك هذا عند من تُجبي إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة ، وتذل لهيبته جابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتحفه بطرف بلدانها ، وبدائع ممالكها ، حتى كأنك قد فقت به

على كلّ ما عنده ، أو أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصّصته بما لم يحوه بملكه ، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، إلّا جعلت حظّي من كلّ جائزة وفائدة توصلها إليّ مدّة سنتي هذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه ، فدفعته إليه . فأدخل يده فيها ، وأخرج ملئها ، وحلّ سراويله ، وأدخل يده فطلى بها استه ، وأخذ حفنة أخرى ، وطلّى بها ذكره وأنثيه ، وأخرج حفتين ، فجعلهما تحت إبطيه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، مرّ غلامي أن يدخل إليّ ، فقال : أدخلوه إليه ، وهو يضحك ، فأدخلوه إليه فدفع إليه البرنيّة غير مختومة ، وقال : اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنيّة ، وقل لها : طيبي بها حرك واستك وإبطيك ، حتى أجيء الساعة وأنيك . فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غشي عليه ، وكاد العباس يموت غيظاً ، ثم قام فانصرف ، وأمر الرشيد أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم .

[طرز شعره في بساط]

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، أنّه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دَوْرٍ بساطٍ من بُسُط السلطان قديم ، وكان مبسوطاً في دار العامة بسرّ من رأى ، فنسخها منه ، وهي قوله¹ :

صوت

وتزعم أنّي قد تبدّلتُ خُلّةً سيواها وهذا الباطل المتقولُ
لحا الله من باع الصديقَ بغيرِهِ فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ
ستصرم إنساناً إذا ما صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدّلُ

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى إبراهيم بن المهديّ ، وفيه لعرب رمل من رواية ابن المعتزّ .

[لم يقض يزيد بن أسيد حاجته فهجاه]

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد ، أنّه زاره يستميحه ، لقضاء دين كان عليه ، فلم يجد عنده ما أحبّ ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبيّ ، فطفّل² على قضاء دينه وبرّه ، فاستفرغ ربيعة جهده في مدحه ، وله فيه عدّة قصائد مختارة ، يطول ذكرها ، وقد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله :

1 شعر ربيعة : 84 .

2 طفّل : ترفق وتلطّف .

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
في قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد ، وسلخ بيت الرقي ، بل نقله وقال : [من الطويل]
لشتان ما بين اليزيديين في الندى إذا عُد في الناس المكارم والمجد
يزيد بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلان والأزد
فسي لم تليده من رعين قبيلة ولا لحم تنميه ولم تنمه نهْد
ولكن نمته الغر من آل وائل وبرة تنميه ومن بعدها هند
ولم يسر في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال : حدثنا
محمد بن أبي الأزهر قال : عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربيعة
جوازي ، فاختر جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيتهما أحب إليك ؟ قال : بينهما أعز
الله الأمير كما قال الشاعر :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فأمر بجر رجله وإخراجه وجواريه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : لما حج الرشيد لقيه قبل
دخوله مكة رجلان من قریش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نهكتنا النوائب ،
وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رجم أنت أولى من وصلها ، وأمل أنت أحق من صدقه ،
فما بعدك مطلب ، ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسؤول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ،
فلم يأت بشيء فوصلهما ، وفضل الأول تفضيلاً كثيراً ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا
فضل :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
قال أحمد بن أبي طاهر : حدثني أبو دعامة علي بن زيد بن عطاء الملقط قال : لما هجا ربيعة
يزيد بن أسيد السلمي ، وكان جليلاً عند المنصور والمهدي ، وفضل عليه يزيد بن حاتم ،
قلت لربيعة : يا أبا شبة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك ، وفضلت عليه رجلاً
من الأزد ؟ فقال : أخبرك .

أملقت فلم يبق لي شيء إلا داري ، فرهنتها على خمس مئة درهم ، ورحلت إليه إلى إرمينية ،
فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولاً ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحملت وصرت
بها إلى منزلي ، فلم يبق معي كبير شيء ، فنزلت في دار بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ،
ثم قلت : هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل ، فكيف غيره ؟ ثم حملت نفسي على أن أتته . فأعلم

بمكاني ، فتركني شهراً حتى ضجرت ، فأكرت نفسي من الحملين ، وكنت بيتاً في رقعة
وطرحتها في دهليزه ، والبيت :

أراني ولا كفران لله راجعاً بخفي حنين من يزيد بن حاتم
فوقعت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خلفي ، فلما
دخلت عليه قال : هيه ، أنشدني ما قلت . فتمنعت ، فقال : والله لتُنشِدَنِي ، فأنشدته فقال :
والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفي ، فنزعاً فحشاهما دنائير ، وأمر لي بغلمان وجوار
وكسا ، أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعري
حتى بلغ المهدي فكان سبب دخولي إليه .

[هواه]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي قال : حدثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد
القرقيسياني قال : حدثني عمي عبد الله بن عباد : أن ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي كان يلقب
الغاوي ، وكان يهوى جارية يقال لها عثمة ، أمة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرَّار ،
وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولّوه مصر ، فأصاب بها مالا عظيماً ، وبلغه خبر ربيعة مع
جاريته ، فأحضره ، وعرض عليه أن يهبها له ، فقال : لا تهبها لي ، فإن كلّ مبذول مملول ،
وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي ، ولكن دعني أواصلها هكذا ، فهو أحبُّ إليّ .

قال : وقال فيها¹ :

اعتاد قلبك من حبيبك عيدُهُ	شوق عراك فانت عنه تذودُهُ
والشوق قد غلب الفؤاد فقاده	والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده
في دار مَرَّار غزال كنيسه	عطر عليه خزوزه وبروده
ريم أغر كآته من حسنه	صنم يحج بيعة معبوده
عيناه عينا جوذر بصرمة	وله من الظبي المربب جیده
ما ضر عثمة أن تليم بعاشق	دينف الفؤاد متيم فتعوده
وتلده من ريقها فلربما	نفع السقيم من السقام لدوده ²

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب .

1 شعر ربيعة : 71 .

2 تلده : تسقيه اللدود ، وهو دواء .

[يمدح معن بن زائدة ويهجو]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدّثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبي بشر الفزاريّ قال : لقيّ ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدَمَة قَدِيمها إلى العراق ، فامتدحه بقصيدة ، وأنشده إياها راويته ، فلم يَهْش له معن ، ولا رضي ربيعة لقاءه إياه ، وأثابه ثواباً نَزراً ، فردّه ربيعة ، وهجاه هجاء كثيراً ، فمما هجاه به قوله ¹ :

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدة الكُدْ	سب التي في الذراع لا في البنانِ
لا تفاخر إذا فخرت بأبا	ثك وافخر بعمك الحوفزانِ
فهشام من وائلٍ في مكانٍ	أنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتى كنت يا ابن طيبة ترجو	أن تُنْشِي على ابنة الغضبانِ
وهي حوراء كالمهاة هيجانٌ	لهجانٍ وأنت غير هيجانِ
وبنات السليل عند بني ظب	سية ، أفٌ لكم بني شيبانِ
قيل : معن لنا فلما اخترنا	كان مرعى وليس كالسعدانِ ²

قال أبو بشر : طيبة التي غيرَها أمة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهي في غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ، ودجاجة بنت عبد الله . قال :

وبنت السليل التي عناها : امرأة من ولد الحوفزان .

[الجارية العطرة]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ ، قال : كان ربيعة الرقيّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لها عثمة ، وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ ، فقال فيها في أبيات له ³ :

جُعفيّ جيرانُها فقد عَطِرتْ جُعفيّ من نشرِها وريّاها
فقال له رجل من جُعفيّ : وأنا جار لها بيت بيت ، والله ما شِمت من دارهم ريحاً طيبة قط . فنشتم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبي إذا كنت أخشَم ⁴ ، والله إني لأجد ريحها وريح

1 شعر ربيعة : 106 .

2 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

3 شعر ربيعة : 108 .

4 الأخشم : الذي لا يجد ريح ما يشم في أنفه .

طبيها منك ، وأنت لا تجده من نفسك .

[رقية]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال : كنت حاضراً ربيعة الرقي يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية ، فقالت : تقول لك فلانة : إن بنت مولاي محمومة ، فإن كنت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل . فقال : اكتب لها يا أبا بشر هذه العوذة¹ : [من السريع]

تَفُو تَفُو باسم إلهي الذي لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيذ مولاتي ومولاتها وابنتها بعوذة المصطفى

من شر ما يعرض من علة في الصباح والليل إذا أسدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسن أن أكتب : تَفُو تَفُو ، فكيف أكتبها ؟

قال : انضح المداد من رأس القلم في موضعين ، حتى يكون كالنفث ، وادفع العوذة إليها ، فإنها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحكاً .

فقلت له : يا مجنون ، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله نفتضح بما صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويد ؟

صوت

[من مجزوء الوافر]

أَلَا مَنْ بَيْنَ الْأَخْوَى - مِنْ أُمُّهُمَا هِيَ الثَّكَلَى

تَسْأَلُ مَنْ رَأَى ابْنَهَا وَتَسْتَشْفِي فَمَا تُشْفَى

فَلَمَّا اسْتِيَأَسَتْ رَجَعَتْ بَعْبَرَةً وَالْهِيَ حَرَى

تَتَابَعُ بَيْنَ وَلَوْلَةٍ وَبَيْنَ مَدَامِعٍ تَتَرَى

عروضه من الهزج² ، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارظ الكِنَانِيَّة ، وتكنى أم حكيم ، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، في ابنيها اللذين قتلها بُسْر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤي باليمن .

والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأول ، بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لحنين الحيري ، ثاني ثقيل عن الهشامي . وفيه لأبي سعيد مولى فائد ، خفيف ثقيل الأول ، مطلق في مجرى الوسطى .

1 شعر ربيعة : 83 .

2 الأبيات من مجزوء الوافر لا الهزج .

[326] - ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب¹

[حملة بسر بن أرطاة في الحجاز واليمن]

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال : حدثنا علي بن محمد المدائني ؛ عن أبي مخنف ، عن جويرية بن أسماء ، والصقعب بن زهير ، وأبي بكر الهذلي ، عن أبي عمرو الوقاصي : أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤي ، بعد تحكيم الحكيمين ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي ، وبعث معه جيشاً ، ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشاً آخر . ووجه الضحاک بن قيس الفهري في جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا في البلاد ، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحابه ، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان . فمضى بسر لذلك على وجهه ، حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام وأهل هواه ، وهدم بها دوراً من دور القوم . ومضى إلى مكة ، فقتل نفرأ من آل أبي لهب ، ثم أتى السراة ، فقتل من بها من أصحابه . وأبى نجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه ، وكانا من أصحاب بني العباس ، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس ، عاملاً لعلي بن أبي طالب ، وكان غائباً ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر ، فلم يصادفه بسر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بسر لعنه الله وذبحهما بيده ، بمذبة كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية . وفعل مثل ذلك سائر من بعث به . فقصده الغامدي إلى الأنبار ، فقتل ابن حسان البكري ، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة .

[خطبة علي بن أبي طالب]

فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي قال : حدثنا محمد بن حسان الأزرق ، قال : حدثنا شبابة بن سوار قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي صادق ، قال : أغارت خيل لمعاوية على الأنبار ، فقتلوا عاملاً لعلي عليه السلام ، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء ، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فخرج حتى أتى المنبر ، فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : إن الجهاد

1 انظر خبر مقتل ابني عبيد الله بن العباس في تاريخ الطبري والمسعودي وشرح نهج البلاغة 1 : 144 ومقاتل الطالبين والتذكرة الحمدونية 4 : 276-278 .

باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشمله البلاء ، ودّيت¹ بالصغار ، وسيم الخسف . وقد قلت لكم اغزوههم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولي وراءكم ظهرياً ، حتى شئت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار ، فقتل عاملي عليها حسّان بن حسّان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء . والله لقد بلغني أنّه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزعه حجلها ويرعائها² ، ثم ينصرفون موفورين ، لم يكلم أحد منهم كلمة . فلو أنّ امرأة مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، لم يكن عليه ملوماً ، بل كان به جديراً . يا عجباً ، عجباً يميت القلب ، ويشعل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم ، وفشلكم عن حقكم ، حتى صرتم غرضاً ترمون ولا ترمون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون . إذا قلت لكم اغزوههم في الحر ، قلتهم هذه حمارة القيظ فأمهلنا ، وإذا قلت لكم اغزوههم في البرد ، قلتهم هذا أوان قَرّ وصير فأمهلنا . فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السيف أشدّ فراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طعام³ الأحلام ، وعقول ربات الحجال ، وددت والله أنّي لم أعرفكم ، بل وددت أنّي لم أركم ، معرفة والله جرّعت بلاء وندماً ، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويحهم ! هل فيهم أشدّ مراساً لها مني ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نيفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : «لا أملك إلا نفسي وأخي» فمرّنا بأمرك ، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى ، وشوك القتاد . قال : وأين تبليغان ممّا أريد ؟ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

[بين عليّ وعقيل]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد قال : حدّثني جعفر بن بشير قال : حدّثني صالح بن يزيد الخراسانيّ ، عن أبي مخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال : كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ جارك من كلّ سوء ، وعاصمك من المكروه . إني خرجت معتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو أربعين شاباً من أبناء

1 ديت : ذلل .

2 الرعات : جمع رعة ، وهي الشنف .

3 الطعام : من لا عقل له ولا معرفة عنده .

الطلقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر في وجوههم : يا أبناء الطلقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعني القوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفّ الحياة في دهر جرأ عليك الضحّاك . وما الضحّاك ؟ وهل هو إلا ققع بقرقرة¹ ، وقد ظننت وبلغني أن أنصارك قد خذلوك ، فكتب إليّ يا ابن أمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد ، تحمّلت إليك ببني أبيك وولد أخيك ، فعشنا ما عشت ، ومتنا معك ، فوالله ما أحبّ أن أبقى بعدك فواقاً² ، وأقسم بالله الأعزّ الأجلّ ، أن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك ، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع³ . والسلام .

فأجابه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : «أمّا بعد ، كلاًنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب ، إنه حميد مجيد . فقد قديم عليّ عبد الرحمن بن عبيد الأزديّ بكتابك ، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد ، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، وإن بنيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاه عوجاً ، فدع بنيّ أبي سرح عنك ، ودع قريشاً وتركاضهم في الضلالة ، وتجوّالهم في الشقاق ، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك ، إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجحدوا فضله ، وبادوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كلّ الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمرين . اللهمّ فاجز عنيّ قريشاً الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، والحمد لله على كلّ حال .

«وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فمرّ بواقصة وشراف وما إلى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هارباً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير ، وقد طفّلت⁴ الشمس للإياب ، فاقتتلوا شيئاً كلاً ولا⁵ ، فولّى ولم يصبر ، وقُتِل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ،

1 المثل «أذل من ققع بقرقرة» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 458 والذرة الفاخرة 1 : 304 .

2 فواقاً : وقتاً قصيراً .

3 نجيع : هنيء .

4 طفلت : مالت .

5 كلا ولا : مدة قليلة .

ونجا جَرِيضاً¹ بعد ما أُخِذَ منه بِالْمُخَنَّقِ ، فَلَأْيَا بِلأَيِّ ما نجا² .
 «وَأَمَّا ما سَأَلْتَ عَنْهُ أَنْ أُكْتُبَ إِلَيْكَ فِيهِ بَرَأْيِي ، فَإِنْ رَأَيْتُ قِتَالَ الْمُجَلِّينِ³ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً ، لِأَنْتِي بِحَقِّ ، وَاللَّهُ مَعَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَمَا أَكْرَهَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ ، وَمَا الْخَيْرَ كُلَّهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ كَانَ مُحِقّاً» .

«وَأَمَّا ما عَرْضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ مَسِيرِكَ إِلَيَّ بَيْنِيكَ وَبَيْنِي أَيْبُكَ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ ، فَأَقِمِّ رَاشِداً مَهدياً ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَهْلِكُوا مَعِيَ إِنْ هَلَكْتَ ، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَيْبُكَ لَوْ أَسْلَمَهُ الزَّمَانُ وَالنَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، لَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ : [من الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلُنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رِيبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
 يَعْزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَابَةٌ فَيَشْمَتَ بِأَغْرٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ
 والسلام» .

رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصييين

[نوح أم حكيم على طفلها]

ثُمَّ إِنَّ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ كَرَّرَ رَاجِعاً ، وَانْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَتَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقُتَيْمَ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَسَرَّحَ حَارِثَةُ بْنُ قُدَّامَةَ السَّعْدِيِّ فِي طَلْبِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغَدِّ السَّيْرَ ، فَخَرَجَ مُسْرِعاً ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ قَتْلُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبِيعَةُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، رَكِبَ فِي السَّلَاحِ ، وَدَعَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبِيعَةِ لِلْحَسَنِ ، فَامْتَنَعُوا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَبَايَعُنَّ وَلَوْ بِأَسْتَاهِكُمْ . فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْجِدَّ مِنْهُ بِاِيْعُوا لِلْحَسَنِ ، وَكَرَّرَ رَاجِعاً إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَصَابَ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتَ قَارِظٍ وَلَهِيَ عَلَى ابْنَيْهَا ، فَكَانَتْ لَا تَعْقِلُ وَلَا تُصْنَعِي إِلَى قَوْلِ مَنْ أَعْلَمَهَا أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا ، وَلَا تَزَالُ تَطُوفُ فِي الْمَوَاسِمِ ، تَتَشَدَّى النَّاسَ ابْنَيْهَا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

[من البسيط]

صوت

يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَّ الَّذِينَ هُمَا كَالدَّرَّتَيْنِ تَشْطُيْ عَنْهُمَا الصَّدْفُ
 يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَّ الَّذِينَ هُمَا سَمْعِي وَقَلْبِي ، فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَخْطُفُ

1 جريضاً : مشرفاً على الهلاك .

2 لأياً بلأَيِّ ما نجا : نجا بعد مشقة وجهد .

3 المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة .

يَا مَنْ أَحْسَنَ بُنَيَّ اللّٰذِينَ هُمَا مُخُّ الْعِظَامِ فَمُخِّي الْيَوْمِ مُزْدَهَفُ
نُبِّتَ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتَ مَا زَعَمُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْإِلْفِكَ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَنْحَى عَلَى وَدَجَيْيْ إِبْنِي مُرْهَفَةً مَشْحُودَةٌ وَكَذَلِكَ الْإِثْمُ يَقْتَرِفُ
حَتَّى لَقِيتَ رَجَالًا مِنْ أُرُومَتِهِ شَمَّ الْأُنُوفِ لَهُمْ فِي قَوْمِهِمْ شَرَفُ
فَالآنَ أَلْعَنَ بُسْرًا حَقَّ لَعْنَتِهِ هَذَا لِعَمْرِ أَبِي بُسْرٍ هُوَ السَّرَفُ
مَنْ ذَلَّ وَالْهَتَّةُ حَرَّى مُدْلَهَةً عَلَى صَبِيَّيْنِ ضَلَّ إِذْ هَوَى السَّلَفُ

الغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، يقال إنه له أيضاً ، وفيه لعريب رمل نشيد .

[دعاء على علي بسر]

قالوا : ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرٍ الصبيين ، جزع لذلك جزعاً شديداً ، ودعا على بُسْرٍ لعنه الله ، فقال : اللهم اسلبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله ! فأصابه به ذلك ، وفقد عقله ، فكان يهذي بالسيف ويطلبه ، فيوثق بسيف من خشب ، ويُجْعَل بين يديه زِقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله .

[ين عبيد الله بن العباس وبسر]

ولما كانت الجماعة واستقرَّ الأمر على معاوية ، دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أُرطاة ، فقال له عبيد الله : أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلتهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددت أن الأرض كانت أُتْبِتْنِي عندك . فقال بسر : فقد أُتْبِتَكَ الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفي . فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ثم قال لبسر : أخزأك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنه ، تدفع إليه سيفك ، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثَّيْتُ به .

[انتقام من ابني بسر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : أخبرني محمد بن مسروق قال : قال الأصمعي : سمع رجلاً من أهل اليمن وقد قديم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنها اللذين قتلتهما بسر بن أُرطاة بقولها :

يَا مَنْ أَحْسَنَ بُنَيَّ اللّٰذِينَ هُمَا كَالدَّرَتَيْنِ تَشْطَيَّ عَنْهُمَا الصَّدَفُ
فَرَّقَ لَهَا ، فَاتَّصَلَ بِبُسْرٍ حَتَّى وَثِقَ بِهِ ، ثُمَّ احْتَالَ لِقَتْلِ ابْنَيْهِ ، فَخَرَجَ بِهِمَا إِلَى وَادِي
أَوَاطِسَ ، فَقَتَلَهُمَا وَهَرَبَ ، وَقَالَ : [من البسيط]

يا بُسرَ بسرَ بني أرطاةَ مها طلعت
خيرٍ من الهاشميين الذين همُّ
ماذا أردت إلى طفلي مدلّهة
إما قتلتها ظلماً فقد شريقت
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت
شمس النهار ولا غابت على ناسٍ
عين الهدى وسمام الأشوس القاسي¹
تبكي وتندب من أكلت في الناسٍ
في صاحبك قناتي يوم أوطاسٍ
أم الصبيين أو ذاق ابن عباسٍ

صوت

[من الطويل]

ألا فاسقياني من شرابكما الوردي
سيواري ودملوجي وما ملكت يدي
عروضه من الطويل . والشعر لأُمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد
شمس . والغناء لإبراهيم الموصلي ، رمل بالوسطى ، من رواية عمرو بن بانة .

[327] - ذكر أم حكيم وأخبارها¹

قد مضى ذكر نسبها .

[أمها وجدتها]

وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هي وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصلة بنت الموصلة ، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال .

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سعاد بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي . وكانت سعاد بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سلمة وريطة . ثم توفي عنها ، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلم بنوها ، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً ، فقالت : إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة ، لا بدّ من خروجها ، فتزوجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهي أم أم حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبثّ المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة :

أتاك البحر طمّ على قريشٍ مُغيّرٍ فقد راغ ابنُ بشرٍ

قال مصعب الزبيري : هو ، يعني المغيرة ، مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعم عنه . قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقداً ، وكان أعلاها قضيب ، وأسفلها كتيب ، فكانت تسمى الموصلة . وسميت بنتها أم حكيم بذلك ، لأنها أشبهتها .

أخبرني عمي قال : حدثني ابن أبي سعد قال : حدثني علي بن محمد بن يحيى الكناشي عن أبيه قال : كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة : قال مصعب : فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز بن أبان ، ثم مات عنها ،

1 لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم (الواصلة) ترجمة في ثمار القلوب : 299 .

فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فقالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذي تأمل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدنا على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمس مئة دينار ، ولها عندي خمسون ألف دينار ، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن تزوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل علي في خطبتي . والله لا يخطب على منبر ما دمت حياً ، ولا رأى مني ما يحب ، فأسقطه . فقال يحيى : لا أبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأخبرت عن محمد بن إسحاق المسيبي قال : حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي : أنها لما خطبت قالت : لا أتزوج والله أبداً إلا من يغني أخي المغيرة . فأرسل إليها يحيى بن الحكم : أيعنيه خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : فهي له ، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء . أرسل إلى أهلك شيئاً من طيب ، وشيئاً من كسوة . قال : ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال : لقد تزوجت أفوة غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبي الذبان فماً ، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو غسان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عمه محمد بن عبد العزيز : أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها ، وكتب إليه أن يلحق به ، وكان بفلسطين أو بالأردن ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندي ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أو تنقل إلي المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه المال . فتجهز المغيرة ، وسير ثقله ، ثم دخله على يحيى فزوجه ، وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة ، فلما أبطل عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن ، بثلاثين ألف دينار ، وأعطاه إياها ، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول :

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر
إذا بقيت لي كعكتان وزينب

[زواج أم حكيم]

قال : وكانت زينب تسمى الموصلة ، من حسن جسدها ، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوجها في حياة جدّه عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما ، عقد في مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً

كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرّقاع ، فدخلوا ، وبدأ عديّ لموضعه منهم ، فقال :
[من الكامل]

قَمَرُ السماءَ وشمسُها اجتماعاً بالسَّعدِ ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما مَنْ ذا رأى هذا ومَنْ سمعا ؟
دام السرور له بها ولها وتَهْنِئاً طول الحياة معا

وقال جرير¹ :
[من الكامل]

جَمَعَ الأميرُ إليه أكرمَ حرةٍ في كلِّ ما حالٍ من الأحوالِ
حَكَمِيَّةَ علّتِ الروابي كلُّها بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساءُ تفاخرت ببعولةٍ فخرتهم بالسَّيدِ المفضلِ
عبد العزيز ومن يكلف نفسه أخلاقه يَلْبِثُ بأكسف بالِ
هناكم بمودةٍ ونصيحةٍ وصدقت في نفسي لكم ومقالِ
فلتهنك النعم التي خوّلتها يا خيرَ مأمولٍ وأفضلَ والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرّقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذٍ مئة حاجة ، وأمر لجميع مَنْ حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تنزل أم حكيم عند عبد العزيز مدّة ، ثم تزوّج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، فملكته وأحبّها ، وزهبت بقلبه كلّ مذهب ، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم ، فطلقها ، فتزوّجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً . وكان شديد المحبة لأم حكيم ، فطلق لها ميمونة ، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟ فقالت : نعم . فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجال بني أميّة ، وكان أحد مَنْ يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغري الناس به .

[كأس أم حكيم]

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه . وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه يقول الوليد بن يزيد² :

1 لم ترد هذه الأبيات في ديوان جرير (صادر) .

2 ديوان الوليد بن يزيد : 65 (دار الكتاب الجديد) .

صوت

عَلَّانِي بِعَاتِقَاتِ الْكُرُومِ وَاسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ
 إِنَّهَا تَشْرَبُ الْمَدَامَةَ صِرْفًا فِي إِنَاءٍ مِنَ الرِّجَاجِ عَظِيمٍ
 جَنَّبُونِي أَذَاةَ كُلِّ لَيْمٍ إِنَّهُ مَا عَلِمْتُ شَرُّ نَدِيمٍ
 ثُمَّ إِنْ كَانَ فِي النَّدَامَى كَرِيمٍ فَأَذِيقُوهُ مَسَّ بَعْضِ النَّعِيمِ
 أَنْتَ حَظِي مِنَ النِّسَاءِ سُلَيْمِي إِنْ سَلَّمَايَ جَنَّتِي وَنَعِيمِي
 فَدَعُونِي مِنَ الْمَلَامَةِ فِيهَا إِنْ مَنَ لَامَنِي لَغَيْرُ حَلِيمٍ

عروضه من الخفيف . غناء عمر الوادي من رواية يونس . وفي رواية إسحاق : غنَّاهُ
 الغَزِيلُ أَبُو كَامِلٍ : خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر .

فيقال إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ بَلَغَ هَشَامًا ، فَقَالَ لِأُمِّ حَكِيمٍ : أَتَفْعَلِينَ مَا ذَكَرَهُ الْوَلِيدُ ؟ فَقَالَتْ :
 أَوْ تَصَدِّقَهُ الْفَاسِقَ فِي شَيْءٍ ، فَتَصَدِّقَهُ فِي هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَتْ : فَهُوَ كِبَعُضُ كَذِبِهِ .
 [تهاجي يزيد بن هشام والوليد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ هَشَامٍ
 هَجَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ :

فَحَسْبُ أَبِي الْعَبَّاسِ كَأْسُ وَقَيْنَةٍ وَزِقٌّ إِذَا دَارَتْ بِهِ فِي الذَّوَائِبِ
 وَمَنْ جَلَسَاءُ النَّاسِ مِثْلُ ابْنِ مَالِكٍ وَمِثْلُ ابْنِ جَزْءٍ وَالْغَلَامِ ابْنِ غَالِبٍ
 فَقَالَ الْوَلِيدُ يَهْجُوهُ ، وَيَعِيرُهُ بِشَرْبِ أُمِّهِ الشَّرَابِ :

إِنَّ كَأْسَ الْعَجُوزِ كَأْسُ رَوَاءٍ لَيْسَ كَأْسُ كَكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ
 إِنَّهَا تَشْرَبُ الرِّسَاطُونَ صِرْفًا فِي إِنَاءٍ مِنَ الرِّجَاجِ عَظِيمٍ¹
 لَوْ بِهِ يَشْرَبُ الْبَعِيرُ أَوْ الْفَيْدِ لَلْ لَظَلَّآ فِي سَكْرَةٍ وَغُومٍ
 وَلَدَتَهُ سَكْرَى فَلَمْ تَحْسَنِ الطَّلْدُ سَقَ فَوَافِي لَذَاكَ غَيْرُ حَلِيمٍ

[أبو شاذان بن هشام وولاية العهد]

وكان هشام منها ابن يقال له مَسْلَمَةُ ، وَيُكْنَى أَبَا شَاكِرٍ ، وَكَانَ هَشَامُ يَنْوُوهُ بِاسْمِهِ ، وَأَرَادَ
 أَنْ يُولِيَهُ الْعَهْدَ بَعْدَهُ ، وَوَلَّاهُ الْحِجَّ ، فَحَجَّ بِالنَّاسِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عُروَةُ بْنُ أَذْيَنَةَ ، لَمَّا وَفَدَ عَلَى
 هَشَامٍ ، وَفَرَّقَ فِي الْحِجَازِ عَلَى أَهْلِهَا مَالًا كَثِيرًا ، وَأَحَبَّهُ النَّاسُ وَمَدَحُوهُ : [من المتقارب]

أَتَيْنَا نَمْتُ بِأَرْحَامِنَا وَجِئْنَا بِأَمْرِ أَبِي شَاكِرٍ
وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه ، وأشاع ذلك وغنى فيه ، وأراد أن
يعيره بذلك¹ :

صوت

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرٍ
نَشْرُهَا صِرْفًا وَمَمْرُوجَةً بِالسَّخَنِ أحياناً وبالفاتِرِ
فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرٍ
الْوَاهِبِ الْبُزْلِ بِأَرْسَانِهَا لَيْسَ بِزَنْدِيقِي وَلَا كَافِرٍ
فذكر أحمد بن الحارث عن المدائني أن هشاماً لما أراد أن يوليه العهد ، كتب بذلك إلى
خالد بن عبد الله القسري ، فقال خالد : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قومه
هشاماً ، فكان سبب إيقاعه به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن موسى قَمَطَر ، عن إسماعيل بن
مجمع قال : كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة ، فتركني عنه ، فكان فيما يُزَكِّي
عنه ، قائم كأس أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً . قال محمد بن موسى : سألت
إسماعيل بن مجمع عن صفته ، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر ، مَقْبُضُهُ مِنْ ذَهَبٍ . هكذا
ذكر إسماعيل .

وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله ، قال : حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال : لما
أخرج المعتمد ما في الخزائن ليبياع ، في أيام ظهور الناجم بالبصرة ، أخرج إلينا كأس أم حكيم ،
فكان كأساً مدوراً على هيئة القِحف ، يسع ثلاثة أرتال ، فقوم بأربعة دنائير ، فعجبنا من
حصول مثله في الخزانة ، مع خسارة قدره ، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أم حكيم ،
فرددناه إلى الخزانة . ولعلّ الذهب الذي كان عليه أخذ منه حيثئذٍ ، ثم أخرج ليبياع .

قال محمد بن موسى : وذكر لي عبيد بن محمد عن أبي الأغر ، قال : كنا مع محمد بن
الجنيد الخثلي أيام الرشيد ، فشرب ذات ليلة ، فكان صوته :

عَلَّلَانِي بِعَاتِقَاتِ الْكُرُومِ وَاسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ
فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر ، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد : إنَّ

الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدم دابته ، فقال : ويحكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من الركوب ، فركب على تلك الحال ؛ فلما قدّم إلى الرشيد دابته ، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التي أراك عليها ؟ قال : لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب ، فشريت ليلى أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عدّ إلى منزلك ، فلا فضلَ فيك ، فرجع إلينا وخبرنا بما جرى ، وقال : خذوا بنا في شأننا ، فجلسنا على سطح ، فلما متّع النهار إذا خدام من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون ، في يده شيء مُعطى بمنديل ، قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا ، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك . فقام محمد ، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبلها ، وصبّ فيها ثلاثة أرطال ، وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتي دينار ، وغسل الكأس ، وردّها إلى موضعها ، وجعل يفرّق علينا تلك الدنانير ، حتى بقي معه أقلّها .

[الأعشى يهجو علقمة بن علاثة]

صوت¹

[من السريع]

الناقص الأوتار والواتر	علقم ما أنت إلى عامر
وعامر ساد بني عامر	إن تسدّ الخوص فلم تعدهم
صفراء مثل المهرة الضامر	عهدي بها في الحيّ قد أبرزت
في مُشرق ذي بهجة ناضر	قد حجمَ الثدي على صدرها
عاش ولم يُنقل إلى قابر	لو أسندت مَيّاً إلى نحرها
يا عَجَباً للميت الناشر	حتى يقول الناس ممّا رأوا

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر بن الطفيل ، ويهجو علقمة بن علاثة .

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده ، خفيف ثقيل الأوّل بالنصر . وفي الأبيات لحنين ثقيل أوّل مطلق ، في مجرى النصر ، عن إسحاق . وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرد ولم يُجنّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

1 من قصيدة طويلة للأعشى في ديوانه (صادر) : 92-96 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

[328] - الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر

وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها¹

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة . ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه ، ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي ، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن الفضل ، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه ؛ فجمعت رواياتهم ، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه ، ونقصان عنه ، واللفظ مشترك في الروايات ، إلا ما حكيته مفرداً .

[سبب المنافرة بين عامر وعلقمة]

قال ابن الكلبي : حدثني أبي ومخير بن جعفر ، وجعفر بن كلاب الجعفري ، عن بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى بن مالك بن جعفر ، عن أبيه ، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين ، قالوا : أول ما هاج النّفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص .

وأُمّ عامر : كبشة بنت عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر ، وأُمّها أمّ الطّباء بنت معاوية ، فارس الهَرّار ، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة ، وأُمّها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأُمّها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وأُمّ أبيه الطفيل : أمّ البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أمّ علقمة ليلي بنت أبي سفيان بن هلال بن النّخع سيّة ، وأُمّ أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشّيطان بن بكر بن عوف بن النّخع مهيرة .

أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يول ، فبصر به عامر ، فقال : لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تثب على جاراتها ، ولا تنازل كَنّاتها ؛ يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم ! والله لفرس أبي «حَنوة» أذكر من أبيك ؛ ولفحل أبي «غيب» أعظم ذِكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان فحله فحلاً لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية خبر هذه المنافرة 7 : 399-403 وانظر سرح العيون : 162-166 .

قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق ، قال : هو الأشعر بن صيرمة .

قال : الأثرم : سمي صيرمة غيهب لسواده .

قال ابن الكلبي : فاستعاره منهم يستطرقة¹ ، فغلبهم عليه ، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة² ، وأما فحلکم فغدره . ولكن إن شئت نافرثك . فقال : قد شئت .

فقال عامر : والله لأنّا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً .

فقال علقمة : لأنّا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنّا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهنّ منك .

فقال علقمة : على ماذا تنافرن يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على أنّي أنخر منك للّقاح ، وخير منك في الصباح³ ، وأطعم منك في السنة الشّياح⁴ .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنّي جبان ، ولأنّ تلقى العدو وأنا أمامك ، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والناس يزعمون أنّي بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أنّي خير منك أثراً ، وأحدُ منك بصراً ، وأعزّ منك نفراً ، وأسرح⁵ منك ذِكْراً .

فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنّي أنافرك على أنّي أنشر منك أمة⁶ ، وأطول منك قِمة ، وأحسن منك لِمة ، وأجعد منك جُمة ، وأبعد منك همة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قضيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكنّي أنافرك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنّي أنافرك أنّي خير منك عقيّاً ، وأطعمُ منك جدباً .

قال علقمة : قد علمت أنّ لك عقيّاً في العشيرة ، وقد أطعمت طيباً إذ سارت ؛ ولكنّي

1 يستطرقة : يتخذها فحلاً .

2 عارة : عارية .

3 في الصباح : الغارة على الأعداء في الصباح .

4 الشّياح : القحط .

5 أسرح : أبعد .

6 يريد أكثر عدداً .

أنافرك أنني خير منك ، وأولى بالخيرات منك ؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم .
قال : فخرجت أم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحماة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للمولى والمولاة .

فقال له علقمة : والله إنني أعز منك . إنني لبر وإنك لفاجر ، وإنني لوفي وإنك لغادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنني لأنزل منك للقفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهبرة ، وأطعن منك للثفرة .

فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نكيد النظر ، وثأب على جاراتك بالسحر .
فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكبر . فقال له علقمة هذا القول .

فقال عامر : عنز وتيس ، وتيس وعنز¹ ، فذهبت مثلاً . نعم على مئة من الإبل ، إلى مئة من الإبل يُعطاهما الحكم ، أينا نفرّ عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم ، على يدي رجل من بني الوحيد ، فسمي الضمين إلى الساعة ، وهو الكفيل .

قال : وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك ، وهو أبو براء ، فقال : يا عمّاه ، أعني . فقال : يا ابن أخي ، سبني . فقال : لا أسبّك وأنت عمي . قال : فسبّ الأحوص . فقال عامر : ولا أسبّ والله الأحوص وهو عمي ، فقال : فكيف إذن أعينك ، ولكن دونك نعلي ، فإنني قد ربعت فيها أربعين مرباعاً ، فاستعن بها في نفارك .

[اختيار الحكم]

وجعلا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم² ، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاهما اليمين ، وأبى أن يقضي بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُرّاقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر ، فقال :

[من الرجز]

1 لم نثر عليه في كتب الأمثال .

2 الأدرم : الذي تراكب شحمه ولحمه ، والذي ذهب جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذي لا أسنان له .

يا آل قريش يئسوا الكلاما إنا رضىنا منكم الأحكاما
 فبينوا إن كنتم حكّاما كان أبونا لهم إماما
 وعبد عمرو منع الفقاما في يوم فخر معلّم إعلاما
 ودعّج أقدمه إقداما لولا الذي أجشمهم إجماما
 لاتخذتهم مدحج نعاما

قال : فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا .

وقد كانت العرب تُحاكم إلى قريش ، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئا . فأتيا غيلان بن سلمة بن مُعْتَبِ الثَّقَفِيّ ، فردّهما إلى حُرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردّهما إلى هَرَم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاريّ ، فانطلقا حتى نزلا به .

وقال بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى : إنهما ساقا الإبل معهما ، حتى أثنت وأربعت ، لا يأتیان أحداً إلّا هاب أن يقضي بينهما . فقال هرم : لعمرى لأحكمن بينكما ، ثم لأفصلن ، ثم لست أثق بواحد منكما . فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلمّا لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل . فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل ، خرجا إليه ، فخرج علقمة بن بني الأحوص ، فلم يتخلف منهم أحد ، معهم القباب والجُزُر والقُدُور ، ينحرون في كلّ منزل ويطعمون ، وجمع عامر بنى مالك ، فقال : إنّما تخاطرون عن أحسابكم ، فأجابوه وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلّا وجدت الأحوص مُنيخاً بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرهما ، فقال عامر فيما كره من منافرتهم ، ودعاء عامر إياه أن يسير معه : [من الوافر]

أأمر أن أسبّ أبا شريح ولا والله أفعّل ما حييتُ
 ولا أهدي إلى هرم لقاحاً فيُحيي بعد ذلك أو يُميتُ
 أكلف سعي لقمان بن عادٍ فيا آل أبي شريح ما لقيتُ

قال : وأبو شريح : هو الأحوص . فكّره كلّ واحد من البطينين ما كان بينهما . وقال عبدُ عمرو بن شريح بن الأحوص :

لحى الله وفدينا وما ارتحلا به من السوءة الباقي عليهم وبألها
 ألا إنّما بُردى صفاق متينة أبى الضيم أعلاها وأثبت حالها

قال : فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجَنَّبِي الإبل¹ ، وعليهم السلاح ، فقال رجل من

غنيّ: يا عامر ، ما صنعت ؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُرر ،
وليس معك شيء تطعمه الناس ! ما أسوأ ما صنعت ! فقال عامر لرجلين من بني عمّه :
أحصيا كلّ شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدر أو لَقْحَة . ففعلا . فقال عامر : يا بني مالك ، إنّها
المقارعة عن أحسابكم ، فاشخصّوا بمثل ما شخصّوا به ففعلوا .
[شعراء المتنافرين]

وثار مع عامر لبّيد بن ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الخطيئة وفتيان من بني الأحوص ،
منهم السّندريّ بن يزيد بن شريح ، ومروان بن سُرّاقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص ،
وهم يرتجزون ، فقال لبّيد¹ :

يا هرما وأنت أهلُ عدلٍ إن نُفّر الأحوص يوماً قبلي
ليذهبَنَّ أهلُه بأهلي لا تَجْمَعَنَّ شكْلهم وشكلي
ونسَلْ آبائهم ونسلي

وقال أيضاً² :

إني امرؤ من مالك بن جعفرٍ علقم قد نافرت غير مُنفِرٍ
نافرت سَقَباً من سِقَاب العَرَعَرِ

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص :

نهنتُ إليك الشعرَ يا لبّيدُ واصدّد فقد ينفعك الصدودُ
ساد أبونا قبل أن تسودوا سوّدّدكم مطّرف زهيدُ

وقال أيضاً :

إني إذا اكتنى الخباء وضاع يوم المَشهد اللّواءُ
أنمي وقد حُقّ لي النماءُ إلى كهولٍ ذكراها سناءُ
إذ لا تزال جلدة كوماً مبقورة لسَقَبها رُغاءُ
لم ينهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سورة ولا³

المجدُ والسوددُ والعطاءُ

1 ديوان لبّيد : 343 .

2 ديوان لبّيد : 334 .

3 سورة : منزلة رفيعة .

وقال أيضاً :

أنتم هزلتم عامرَ بنَ مالكٍ في شَتَوَاتِ مُضَرَ الهوَالِكِ
يا شَرَّ أحياءٍ وضرَّ هالكِ

قال : وأنشدنا السُّنْدَرِيُّ يومئذٍ ، ورفع صوته ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال :

أنا لِمَنْ أنكر صوتي السُّنْدَرِيُّ أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريُّ
من ولد الأحوص أخوالي غنيُّ

فقال عامر : أجب يا لبيد . فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأنَّ السُّنْدَرِيَّ كانت جدَّته أمةً

اسمها عَيْسَاءُ ، فقال¹ :

لما دعاني عامرٌ لأسبَّهم
لكيما يكونَ السُّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
وأنشِرَ من تحت القبورِ أبُوهُ
لعبت على أكتافهم وجُحُورهم
ألا أينما ما كان شرًّا للمالكِ
قال : ووثب الحطَّيئة ، فقال³ :

ما يحبسُ الحُكَّامَ بالفضل بعدما
وقال أيضاً⁴ :

يا عامرٍ قد كنت ذا باعٍ ومكرمة
جارت قرماً أجاد الأحوصان به
لا يصعبُ الأمرُ إلَّا ريثَ يركبهُ
هابتُ بنو مالكٍ مجدداً ومكرمةً
وما أساءوا فِراراً عن مُجَلَّحةٍ
لو أنَّ مَسَاعِدَ من جاريته أُمُّ
سمَحَ اليدين وفي عِرْنِينِه شَمَمٌ
ولا يبيت على مالٍ له قَسَمٌ
وغايةً كان فيها الموتُ لو قَدِمُوا
لا كاهنٌ يَمْتَرِي فيها ولا حَكَمٌ

1 ديوان لبيد : 286-287 .

2 العمام : الجماعات المتفرقة .

3 ديوان الحطَّيئة : 94 وفيه :

فما ينظر الحُكَّامَ بالفضل بعدما بدا واضح ذو غرة وحجول

4 ديوان الحطَّيئة : 95 .

[دهاء الحكيم]

قال : وأقام القوم عنده أياماً ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرّاً ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنت أرى لك رأياً ، وأنّ فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلّا لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلّا بأبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟

قال عامر : أنشدك الله والرحيم أن لا تفضل عليّ علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزها ، واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشكّ أنّه يُنفره عليه .

ثم أرسل إلى علقمة سرّاً ، لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : يا علقمة ، والله إن كنت لأحسب فيك خيراً ، وأنّ لك رأياً ، وما حبستك هذه الأيام إلّا لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غناء ، وأحمدهم لقاء ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنشدك الله والرحيم ألا تنفر عليّ عامراً . اجز ناصيتي ، واحتكم في مالي ، وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي . فخرج وهو لا يشكّ أنّه سيفضل عليه عامراً .

قال أبي : وسمعت أنّ هرمًا قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولمّ يا هرم ؟ قال : لأنّه أنجل منك عينا في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدّعاء . قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلاً في الثّراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدّعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال : ولمّ يا هرم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى منك سيناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكمأة ، وأفكّ منك للعناة .

قال : ثم إنّ هرمًا أرسل إلى بنيه وبنّي أبيه : إني قاتل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطردّ بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، فليخرها عن عامر ، وفرّقوا بين الناس ، لا تكون لهم جماعة .

وأصبحَ هرم ، فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لبيد فقال¹ :

[من الرجز]

يا هرم ابن الأكرمين منصيا إنك قد وُلّيتَ حُكماً مُعجِياً

فاحكم وصوب رأس من تصوباً إن الذي يعلو علينا ترتباً¹
لخيرنا عمّاً وأمّاً وأباً وعامرٌ خيرهما مَرَكباً
وعامرٌ أدنى لقيسٍ نسباً

فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكتما عندي ، وأنتما كركبتَي البعير الأدرم :
تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيّد كريم .
وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر ، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرين ،
وعن عامر عشرين ، وفرّقوا الناس ، فلم يفضلْ هرم واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل
وهما ابنا عمّ ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .
[عامر أجار الأعشى فانحاز إليه]

قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معديكرب بما أعطاه طلب الجوار
والخُفرة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفّره عامر ، حتى إذا أذاه وماله إلى
أهله قال :

عَلَقَمَ ما أنت إلى عامرٍ الناقض الأوتارِ والوترِ
ثم أتمّها بعد النَّفّار . فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى ، وأشاع في العرب أن هريماً قد فضّل
عامراً ، توعدّ الأعشى ، فقال الأعشى :

لعمرى لئن أمسى من الحيّ شاخصاً

[هرم لا يوح بالسر لعمر]

قال ابن الكلبيّ : حدّثني أبي قال : فعاش هرم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطّاب رضي
الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هريم ، أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا
أمير المؤمنين لعادت جدّة ، ولبلغت شِعاف هَجَرَ . فقال عمر : نِعَم مستودعُ السرِّ ومستندُ
الأمر إليه أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسدّ الشعيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم .
[علقمة يسلم ويرتدّ ثم يعود إلى الإسلام]

قال مؤلّف الكتاب : وقد أدرك علقمة بن عُلاتة الإسلام ، فأسلم ، ثم ارتدّ فيمَن ارتدّ من
العرب . فلما وجّه أبو بكر خالد بن الوليد المخزوميّ إلى بني كلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذٍ
رئيسهم ، هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه ، فأعلمه أنّه قد نَزَعَ عمّاً كان عليه ، فقبل
إسلامه وأمنه . هكذا ذكر المدائنيّ .

وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال : حدثنا السري بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، قال : كان علقمة بن علاثة على كلاب ومن والاها ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي ﷺ ، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدًا ، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعًا ، حتى عسكر في بني كعب ، مقدمًا رجلاً ومؤخرًا أخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه ، فبعث إليه سرية ، وأمر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سير حتى تغير على علقمة بن علاثة ، لعلك تأخذه لي أو تقتله . وإعلم أن شفاء النفس الخوص ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة ، وكان لا يرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأسلم أهله وولده ، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتقوه بالإسلام . فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه ، فجددت زوجته وولده أن يكونوا مالأوا علقمة على أمره ، وكانوا مقيمين في الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلم علقمة ، فقبل ذلك منه .

أخبرنا الحريري بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا عمرو بن عثمان قال : كان رسول الله ﷺ ربما حدث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ويصغي إليهم ويتيسم ، فبينما هم يوماً على ذلك يتذكرون الشعر وأيام العرب ، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة ، علقمة بن علاثة ، ومدحه عامر بن الطفيل :

علقم ما أنت إلى عامر
إن تسد الخوص فلم تعدهم
ساد وأنفى رهطه سادة
وكابراً سادوك عن كابر

فقال رسول الله ﷺ : كُفَّ عن ذكره يا حسان ، فإن أبا سفيان لما شعث مني عند هرقل ، ردَّ عليه علقمة ، فقال حسان بن ثابت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، من نالتك يده فقد وجب علينا شكره .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال : حدثنا المدائني ، عن أبي بكر الهذلي قال : لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخطيئة من حبسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن علاثة ، لأقصده به ، فقد منعني التكسب

بشعري . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إنَّ علقمة ليس بعاملك ، فتخشى أن تأثم ، وإنَّما هو رجل من المسلمين ، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الخطيئة بالكتاب ، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ، ثم أنشد قوله¹ :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بخوران أمسى أغلقته الحبال²
فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل³
وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل⁴

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أن علقمة يعطيك ؟ قال : مئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إياها .

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمر بن أبي بكر قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا : لما قديم علقمة بن علانة المدينة ، وكان قد ارتد عن الإسلام ، وكان لخالد بن الوليد صديقاً ، لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل ، وكان عمر يُشَبِّه بخالد ، وذلك أن أمه حنمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فسلم عليه ، وظن أنه خالد ، فقال : أعزَّلك ؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلا نفاسة عليك ، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟ قال : معاذ الله ، إنَّ لعمر علينا سمعاً وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة ، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيه يا علقمة ، أنت القاتل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان ، أفعلتها ؟ قال : ويحك والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإني لأراك لقيت الرجل . قال : أراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعت إلا خيراً . قال : أجل . فهل لك أن أولئك حوران ؟ قال : نعم . فولاه إياها ، فمات بها . فقال الخطيئة يرثيه :

لعمري لنعم الحي من آل جعفر بخوران أمسى أقصدته الحبال²
لقد أقصدت جوداً ومجداً وسودداً وحلماً أصيلاً خالفته المجهال³

1 هذه الأبيات من قصيدة طويلة في ديوان الخطيئة : 213-217 ومنها أيضاً الأبيات التي ستأتي فيما بعد .

2 ل : أنسلته .

فإن تحي لا أُمَلِّلَ حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائلُ
وفي أول هذه القصيدة التي رثي بها الخطيئة علقمة غناء نسبته : [من الطويل]

صوت

أرى العيسَ تَخْدِي بين قَوْ فُضَارِجٍ كما لاح في الصبح الأشاء الحواملُ
فَأَتَبَعْتَهُمْ عَيْنِي حَتَّى تَفَرَّقَتْ مع الليل عن ساق الفريدِ الجَمَائِلُ
فَلَأَيَّا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسَرَةٍ أُمُونِ إِذَا وَاكَلَتْهَا لَا تَوَاكِلُ
غَنَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ سَائِبُ خَاثِرِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى ، من رواية حماد بن إسحاق
والهشامي .

صوت

[من الخفيف]

لَيْتَ شَعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةَ الْمَسِّ لكِ وما إن إخال بالخيفِ إنسي
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ والبهاليلُ من بني عبد شمسِ
خُطْبَاءَ عَلَى الْمَنَابِرِ فُرْسًا نَّ عَلَيْهَا وَقَالَتْ غَيْرُ خُرُسِ
إِخَال : أَظُن . خِلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَنَا إِخَالُهُ : إِذَا ظَنَنْتُهُ ، وَخَالَ عَلَيَّ الشَّيْءُ يَخِيلُ : إِذَا
شَكَّكَتَ فِيهِ . وَلَيْتَ شَعْرِي : كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ الشَّيْءِ تَحَبُّ عِلْمَهُ ، وَتَسْأَلُ عَنْهُ .
وَأَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عُبَيْدَةَ : مَا
أَصْلُ «لَيْتَ شَعْرِي» ؟ فَقَالَ : كَأَنَّهُ قَالَ : لَيْتَنِي شَعَرْتُ بِكَذَا وَكَذَا ، لَيْتَنِي عَلِمْتُ حَقِيقَتَهُ .
الشعر لأبي العباس الأعمى ، والغناء لابن سريج ، رملٌ بالنصر في مجراها .

[329] - أخبار أبي العباس الأعمى¹

[نسبه]

هو السائب بن فروخ مولى بني ليث . وقيل إنه مولى بني الدليل ، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأسدي ، عن المدائني والواقدي : أنَّ أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت ، مولى جزيمة بن علي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أمية المعدودين ، المقدمين في مدحهم والتشجيع لهم ، وانصباب الهوى إليهم ، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة ، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام : [من الوافر]

لعمرك إنني وأبا طفيلٍ لمختلفان ، والله الشهيدُ

أرى عثمانَ مهتدياً ويأبى متابعتي وآبى ما يريدُ

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي سعد . وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء ، وعمرو بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إنما جمع² منزل تدلج منه إذا شئت .

قال : حدثنا أحمد بن محمد بن دلال الخيشي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدثنا أبو ضمرة قال : حدثني أبو الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن أبي العباس ، عن سعيد بن المسيب قال : قال علي بن أبي طالب : قال رسول الله ﷺ : إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدثني : أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال : حدثنا أبو قلابة قال : حدثنا بشر بن عمر قال : حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه

1 لأبي العباس الأعمى ترجمة في نكت الهميان : 153 .

2 جمع : اسم للمزدلفة .

في الجهاد ، فقال : أحْيِ والدك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهد .

[لقاؤه المنصور]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بِجُرجان قال : حدّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضريّر ، فسألته عن مقصده ، فأخبرني أنّه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إِيّاه ، فأنشدني : [من الخفيف]

ليت شعري أفاح رائحة المسك	لك وما إن إخال بالخيف إنسي
حين غابت بنو أميّة عنه	والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فُرسا	ن عليها وقالة غير خُرس
لا يُعابون صامتين وإن قا	لوا أصابوا ولم يقولوا بلبّس
يُخلّوم إذا الحلوم تقصّت	ووجوه مثل الدنانير مُلّس

ويروى مكان «تقصّت» : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أنّ العمى قد أدركني ، واُفترقنا . فلمّا أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجاً ، فنزلت أمشي بجبلي زُرُود ، فُبُصرت بالضريّر ، ففرّقت من كان معي ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوّه : [من الكامل]

آمت نساء بني أميّة منهم	وبناتُهم بِمَضِيعَةِ أَيّام
نامت جدودُهم وأسقط نجمهم	والنجم يَسْقُط والجدود تَنَام
خلّت المنابر والأسيرة منهم	فعليهم حتى الممات سلام

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغنائي أن أسأل أحداً بعده . فهيمت بقتله ، ثم ذكرت حقّ الاسترسال والصحة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عيني ، فبدأ لي فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنّما البيداء بادت به .

[قصة له مع امرأة ذات بعل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : هوّي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعه . ثم قال : أرسلني إليّ فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العباس : إنك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير

زوجها ، فنفر ، وعلم أن قد كيد ، فنهض من عندها ، وقال : [من الوافر]

صوت

عليَّ إِلِيَّةٌ ما دمت حَيًّا أَمْسُكْ طَائِعاً إِلَّا بَعُودِ
ولا أَهْدِي لأَرْضٍ أَنْتِ فِيهَا سلامَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ بَعِيدِ
رجوتُ غَنِيمةً فَوَضَعْتُ كَفِّي على أَيْسَرِ أَشَدِّ مِنَ الْحَدِيدِ
فخَيْرَ مَنْكِ مِنْ لا خَيْرَ فِيهِ وخَيْرٌ مِنْ زيارَتِكُمْ قُعودِي

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه . وزعم أن بشاراً صاحب القصّة ، وأنّه كان له مجلس يسميه البرّدان ، يجتمع إليه فيه النساء ، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيه : فلما وصل إليها أنشأ يقول : [من الوافر]

مُليْكَةُ قد وُصِفَتْ لنا بِحَسَنِ وإنّا لا نراكِ فإلمسينا
فاخذ زوجها يده فوضعها على أيره .

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات ، لحناً من خفيف الثقيل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه ، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره .

[يخص بني أمية على ابن الزبير]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال : قال أبو العباس الأعمى ، مولى بني الدّيل بن بكر ، يخصّ بني أمية على عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبني أُمَيَّةَ لا أرى لَكُمْ شَيْهًا إِذا ما تَفَتَّ الشَّيْعُ
سَعَةً وَأَحلاماً إِذا نَزَعَتْ أَهْلُ الحُلُومِ فَضَرَّها النَّزْعُ
وحَفِظَةً في كُلِّ نائِبَةٍ شَهَباءُ لا يُنْهَى لها الرُّبْعُ
اللَّهُ أَعْطاكم وَإِنْ رَغِمَتْ مَنْ ذاك أَنفُ معاشِرٍ رَتَعُوا
أبني أُمَيَّةَ غَيْرَ أَتْكُمْ والنَّاسُ فِيمَا أَطْمَعُوا طِمَعُوا
أَطْمَعْتُمْ فيكُمْ عَدُوَّكُمْ فَمَا بِهِمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ لِقَوْلِكُمْ مِثْلَ الَّذي كانُوا لَكُمْ رَجَعُوا
عَمّا كَرِهْتُمْ أَوْ لَرَدَّهْمُ حَذَرُ العَقوبَةِ إِنَّها تَزْعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية ، وهجاء آل الزبير ، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير ،

ليس ذكرها مما قصدنا له .

ونسخت من كتاب قنبر بن المحرز قال : حدثنا المدائني ، عن جُوَيْرِيَّة بن أسماء : أن ابن الزبير رأى رجلاً من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببرّ وتمر ، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك :

صوت

كَسَتْ أَسَدٌ إِخْوَانَهَا وَلَوْ أَنِّي بِلِدَّةٍ إِخْوَانِي إِذَا لَكُسِيتُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ حَيٍّ تَحْمَلُوا إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مِنْذُ بُرِيتُ
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ دُحْمَانِ ثَقِيلَ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ ، مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ الْمَكِّيِّ ، وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ لِرَزْزُورِ غَلَامٍ الْمَارِقِيِّ فِيهِمَا صَنْعَةٌ أَيْضاً .
[يهجو البعث المجاشعي]

وقال محمد بن معاوية : حدثني المدائني قال : قَدِمَ الْبَعِيثُ الْمَجَاشِعِيُّ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى الشَّاعِرُ لَا يَكَادُ يَفَارِقُهَا ، وَكَانَتْ جَوَائِزُ أُمِّيَّةٍ تَأْتِيهِ مِنَ الشَّامِ ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ كُلُّهَا تَبْرُهُ لِلْسَّانَةِ ، وَتَقَرُّبًا إِلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ يَبْرُهُ . قَالَ : فَصَلَّى الْبَعِيثُ مَعَ النَّاسِ ، وَسَأَلَ فِي حِمَالَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ سَوُولًا مَلْحًا شَدِيدَ الطَّمَعِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ قَرِيشٍ يَأْتِيهِ بِالشَّيْءِ يَتَحَمَّلُهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : لَا أَقْبِلُهُ إِلَّا أَنْ تَجِيءَ مَعِيَ إِلَى الصَّرَافِ حَتَّى يَنْقُدَهُ وَيَزِنَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَمَّهُ وَهَجَاهُ . فَشَكُوهُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ، فَقَالَ : قُودُونِي إِلَيْهِ ، فَفَعَلُوا . فَلَمَّا عَرَفَ مَجْلِسَهُ رَفَعَ عَصَاهُ ، فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُلْصَقٌ فِي مُجَاشِيعٍ نَفَاكَ جَرِيرٌ فَاضْطَرَّرْتَ إِلَى نَجْدٍ

ويروى : نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

تَظَلُّ إِذَا أُعْطِيَ شَيْئًا سَأَلَتْهُ تَطَالِبُ مَنْ أُعْطَاكَ بِالْوِزْنِ وَالنَّقْدِ
فَلَا تَظْمَعَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَا فِي عَطِيَّةٍ وَثِقْ بِقَبِيحِ الْمَنَعِ وَالِدْفَعِ وَالرَّدِّ
فَلَسْتَ بِمُبْقٍ فِي قَرِيشٍ خِزَايَةِ تُذَمُّ وَلَوْ أَبْعَدْتَ فِيهِ مَدَى الْجَهْدِ

قال فتضاحك به من حضر ، واستحيا ولم يُجِر جواباً . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ عَلَيْهِ هَرَبَ مِنْ مَكَّةَ .

[عبد الملك يستشده مديحه في مصعب]

وقال قنبر بن المحرز : حدثني المدائني قال : قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدليل : أنشدني مديحك مُصْعَباً . فاستغفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي ، وقد علمت أن هواي أموي . قال : صدقت ، ولكن أنشدني

ما قلته . فأنشده : [من الخفيف]

يرحمُ الله مصعباً فلقد ما تَ كريماً ورامَ أماً جسيماً
فقال عبد الملك : أَجَلٌ ، لقد مات كريماً . ثم تمثّل : [من الطويل]
ولكنّه رام التي لا يرومها من الناس إلّا كلّ حُرٍّ مُعَمَّمٍ
[بنو أمية يكسون أبا العباس]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزبان . قال حدّثني إِسحاق بن محمد الأمويّ قال : لَمَّا
حجَّ عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكّة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء
والخطباء فتكلّموا ، ودخل أبو العباس الأعمى ، فلمّا رآه عبد الملك قال : مَرَجُبا مرحبا
بك يا أبا العباس ، أخبرني بخبر المُلجِد المُجلِّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدني ما
قلت في ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزبير ، وأنّه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال
عبد الملك : أقسم على كلّ مَنْ حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كلّ مَنْ
حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم ، إلّا كسا أبا العباس .
فخلعت والله حُلَّ الوشي والخزّ والقوهي ، وجُعِلت تُرمى عليه ، حتى إذا غطّته نهض
فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرح عليه ، قال : حتى رأيت في الدار من الثياب ما سترَ عني
عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .
[نفاه ابن الزبير فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ . قال :
حدّثني أبي وأهلي : أنّ عبد الله بن الزبير لَمَّا غلب على الحجاز ، جعل يتبّع شيعة بني مروان ،
فينفيهم عن المدينة ومكّة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى
الشاعر نَبَذَ من كلام ، وأنّه يكتاب بني مروان بقوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه
وصيالاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمّ به ، ثم كلّم فيه ، وقيل له : رجل مضرور . ففعا
عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوّه ويهجو آل الزبير : [من الطويل]

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تُكذّبوا وتُحمّقوا
بُعَيّدات بين خيركم لصديقكم وشركم يغدو عليه ويطرُق
متى تُسألوا فضلاً تَضنّوا وتَبخلوا ونيرانكم بالشرّ فيها تحرقُ
إذا استبقت يوماً قريش خرجتكم بني أسدٍ سكتاً وذو المجد يسبقُ

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم
وما ذاك إلا أن للووم طابعاً
إذا ما قرش للأضاميم أصفقوا
يلوح عليكم وشمه ليس يخلق

[بينه وبين عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني عمّي مُصعب قال : قال عمر بن أبي ربيعة
لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدّيل بن بكر¹ :

[من الرمل]

أفتني إن كنتَ ثَقَفًا شاعرًا
عن فتى أعرج أعمى مختلف
سيء السُّخنة كاب لونه
مثل عود الخروع البالي القصيف

[من الطويل]

فقال أبو العباس يردّ عليه :
أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
نكولك في الهيجا وتقوالك الخنا
وسيدنا لولا خلائق أربع
وشتمك للمولى وأنتك تبع

قال الزّبير : يقال رجل تبع نساء وتبع نساء : إذا كان كلفاً بهن .

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزّبير قال : حدّثني عمّي قال : حدّثني المكيّون : أن عمر بن
أبي ربيعة كان يُرامي جارية لأبي العباس الأعمى بينادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال
لقائده : ففني على باب بني مخزوم ، فإذا مرّ عمر بن أبي ربيعة ، فضع يدي عليه ، فلما مرّ
عمر وضع يده عليه ، فأخذ بمُحْزَرته ، وقال :

[من الوافر]

ألا مَنْ يشتري جاراً ثَقُومًا
بجار لا ينام ولا يُنيم²
ويلبس بالنهار ثيابَ ناسٍ
وشطرَ الليلِ شيطانَ رجيمٍ

فنهضت إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فمه ، وضَمَنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

صوت

[من الطويل]

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا
ليسن البلى لما ليسن الليلاليا
إذا ما تقاضى المرء يومً و ليلة
تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

الشعر لأبي حيّة النُميريّ . والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ ، خفيف رَمَل بالبنصر ، عن
الهشاميّ .

1 ديوان عمر : 258 .

2 المثل «لا ينام ولا ينيم» في الفاخر 42 وجمهرة العسكري 2 : 418 ويقال «السليم لا ينام ولا ينيم» كما في
مجمع الميداني 1 : 339 .

[330] - أخبار أبي حية النيمري ونسبه¹

[نسبه]

أبو حية : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك بن عامر بن
نَمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن
قيس بن عِيلان بن مُضَر بن نزار .

وكان يقال للمالك الأصقع . وقال قوم : إنَّ الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن
كعب .

وأبو حية شاعر مُجيد مُقدّم ، من مُخَضرميّ الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد مدح
الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً ، من ساكني البصرة ، وكان أهوج جبناً
بخيلاً كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه . وقيل إنّه كان يُصرّع .
[الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفاني حرباً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثني محمد بن سلام الجمحيّ .
وأخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد . وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن
قتيبة ، قالوا : كان لأبي حية سيف يسمّيه لُعابَ المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من
أجبن الناس .

قال : فحدّثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنّه لصاً ، فأشرفتُ عليه وقد
انتضى سيفه لُعابَ المنية ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيّها المغترّ بنا ، والمجتريء
علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت
به ، مشهورة ضربته ، لا تُخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك .
إنّي والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً ، سبحان
الله ! ما أكثرها وأطيها ! فبينما هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسحك
كلباً ، وكفاني حرباً .

[ما يقول القديرون]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال : حدّثني أبو عثمان

1 لأبي حية النيمري ترجمة في الشعر والشعراء : 658-659 وطبقات ابن المعتز : 143-146 والمؤتلف :
145 وخزانة البغدادى 10 : 217-220 والسمط : 244 وانظر مواطن متفرقة من التذكرة الحمدونية .

المازنيُّ قال : حدَّثني سعيد بن مسعدة الأخفش قال : قال أبو حية النميريُّ : أتدري ما يقول القَدَرِيُّونَ ؟ قلت : لا . قال : يقولون : الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون ، ولا يسألهم ما لا يجدون ، وصدق والله القَدَرِيُّونَ ، ولكنِّي لا أقول كما يقولون .
[هلك الناس]

قال محمد بن علي بن حمزة : وحدَّثني أبو عثمان قال : قال سلمة بن عيَّاش لأبي حية النميريِّ : أتدري ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إني أشعر منك . قال : إنا لله ! هلك والله الناس !

قال : وكان أبو حية النميريُّ مجنوناً يُصرَّع ، وقد أدرك هشام بن عبد الملك .
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيِّ قال : سمعت عمِّي يقول : أبو حية في الشعراء كالرجل الرُبعة ، لا يعدُّ طويلاً ولا قصيراً .
قال : وسمعت أبا عمرو يقول : هو أشعر في عَظْم الشعر من الراعي .
[كذبه]

أخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعدَّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا : كان أبو حية النميريُّ من أكذب الناس ، فحدث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء ، فيدعو الغريان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء . فقيل له : يا أبا حية ، أرايت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوته فلم تأتكن ، فما نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذن !
[السهم المراوغ للظبي]

قال : وحدَّثنا يوماً قال : عن لي ظبي يوماً فرميته ، فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ، ثم راغ ، فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبَّانات .
[يشفق على الظبية فيسترجع السهم]

قال : وقال يوماً : رميت والله ظبية ، فلما بُعد سهمي عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لي ، فعدّوت خلف السهم ، حتى قبضت على قُدْذِهِ قبل أن يدركها .
[يمدح المنصور ويهجو بني حسن]

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُليل العَنَزِيّ قال : قال الرياشيُّ ، عن الأصمعيِّ قال : وفد أبو حية النميريُّ على المنصور وقد امتدحه ، وهجا بني حسن بقصيدته التي أوّلها :

عُوجاً نُحِيّ ديار الحيّ بالسندِ وهل بتلك الديار اليوم من أحدٍ
يقول فيها :

أحين شيمَ فلم يتركْ لهم تِرةً سيفٌ تقلّده الرُّبَال ذو اللَّبدِ
 سلّتموه عليكمْ يا بني حسنٍ ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبدِ
 قد أصبحتْ لبني العباسِ صافيةً لجدعِ آتافِ أهلِ البغي والحسدِ
 وأصبحتْ كلّهاة الليثِ في فمه ومنْ يحاولُ شيئاً في فمِ الأسدِ ؟

[بشرب عند خمارة بنسيئة]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل ؛ فاحتجن لعياله أكثره ، وصار إلى الحيرة ، فشرب عند خمارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكره إنفاد ما معه ، وأحب أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد ، ففعلت وشهرت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبي حية أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلّهت ، وكانت كلما سقته خطّت في الحائط ، فأنشأ أبو حية يقول :

إذا أسقيتني كوزاً بَخَطٌ فخُطّي ما بدا لك في الجدارِ
 فإن أعطيتني عيناً بدين فهاتي العين وانتظري ضِماري¹
 خرقتُ مقدماً من جنب ثوبي حيال مكان ذاك من الإزارِ
 فقالت ويلها : رجل ويمشي بما يمشي به عَجْرُ الحمارِ²
 وقالت : ما تريد ؟ فقلت : خيراً نسيئة ما عليّ إلى يساري
 فصدّت بعد ما نظرت إليه وقد أَلَحَّتْهَا عُنُقُ الحُوارِ

[عيب شعره أن ابن مناذر يسمعه]

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال : لقي ابن مناذر أبا حية ، فقال له : أنشدني بعض شعرك . فأنشده :

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر : وهذا شعر ؟ فقال أبو حية : ما في شعري عيب هو شرّ من أنك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره ، فقال له أبو حية : قد عرفتك ما قصّتك ؟ وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ، ويذكر يوم النّشّاش³ ، وهو يوم لبني نمير .

1 الضمار : الوعد المسوف أو الدين المالك .

2 عجر : جمع عجرة وهي العروق المتعقدة في الجلد .

3 النشاش : واد لبني نمير كانت به وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة .

[331] - أخبار أحمد بن يحيى المكيّ

[مكانته]

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكيّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقب ظنيماً . وقد تقدّم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرزين ، الرواة للغناء ، المجيدين للصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويَجهر بتفضيله ، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعمول عليها ، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبعا ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدّمين .

أخبرني عمّي قال : حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ ، عن محمد بن أحمد المكيّ : أنَّ أباه جمع لحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسبه وجنسه ، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت .

[قيّمه لو كان مملوكاً]

أخبرني جحظة قال : حدّثني عليّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب : حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال : حدّثني عليّ بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكيّ : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكيّ مملوكاً ، كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك .

انصرفت ليلة من دار الوائق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلمّا قام لصلاة العشاء الآخرة ، قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجعت فغنّي صوتاً ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنّي صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غنّي : [من البسيط]

صوت

لولا الحياءُ وأنّ السُّترَ من خلّقي إذن قعدتُ إليك الدهرَ لم أقم
أليس عندك شكرٌ للتي جعلت ما أبيضُ من قادمات الرأس كالحمم

الغناء فيه لمبعد ، خفيف ثقيل أوّل في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنّه لمالك ، وليس كما قال ، لحن مالك ثقيل أوّل ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما .

قال : فغناه أحمد بن يحيى المكيّ ، فأحسن فيه كلّ الإحسان . فلمّا قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا عليّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ، ولست أدري ما معناه . قال : نحن نبيّعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري .
وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أخيه أحمد بن عليّ ، عن عافية بن شبيب ، عن أبي حاتم ، قال : كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظنين بن المكيّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنّه قومه مئة ألف درهم ، وذكر أنّ الصوت الذي غناه أخيراً :

صوت

أَمِنْ دِمَنِ وَخَيْمٍ بِالْيَاثِ وَسُفْعٍ كَالْحَمَائِمِ جَائِمَاتٍ
أَرَقَّتْ لَهْنَ شَطَرَ اللَّيْلِ حَتَّى طَلَعْنَ مِنَ الْمُنَاقِبِ مُنْجِدَاتٍ
وَأَنَّ إِسْحَاقَ لَمَّا سَمِعَهُ قَالَ : كَمْ كُنْتَ قَوْمَهُ ؟ قَالَ : مِئَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَضْعَفُوا
الْقِيَمَةَ . قِيَمَتُهُ مِثْلُ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقل الأوّل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مسجح ، وإلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى ، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقل عن الهشاميّ .

[مناظرة في الغناء عند المعتصم]

أخبرني جعظلة قال : حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال : ناظر أبي بعض المغنّين ذات ليلة بين يدي المعتصم ، وطال تلاحيهما في الغناء ، فقال أبي للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، من شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنّي عشرة وعشرة وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسَخْرٍ وَعُثْلُوِيه ، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظنته يوماً ، فقال له : قد دعوتك إلى النّصفّة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه ، فاندفع فغنّي عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً ، كلّها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكيّين الحذّاق الخاملي الذّكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتاً ، وأسكت المغنّين له ، واستعاده مرّات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألاّ يراجع أحداً من المغنّين كلاماً ، ولا يعارضه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرّ عليهم ، وأوضح الحجّة في انقطاعهم ، وإدحاض حُبّجهم .

وكان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لَمَّا سَمِعَهُ بِالْفِي دِنَار : [من الخفيف]

صوت

لعنَ اللهَ مَنْ يَلومُ محبّاً ولحى اللهَ مَنْ يُحِبُّ فيأبى
رُبُّ الْفَيْنِ أَضْمَرَ الحُبَّ دَهراً فعفا اللهَ عنهما حينَ تابا
الغناء ليحيى المكيّ رَمَل .

قال محمد ، قال أبي : وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مماطر لها شأن من ألوان شتى ، فسألني عبد الوهاب بن عليّ أن أردّ عليه هذا الصوت ، وجعل لي ممطره ، فغنيته إياه ، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا ، أمر غلمانه بدفع المطر إلى غلماني ، فسلموه إليهم . [إعجاب إسحاق الموصليّ به]

أخبرني عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : سألتني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً : مَنْ بقي من المغنين ؟ قلت : وجه القرعة محمد بن عيسى ، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كيّس . ومَنْ أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكيّ . قال بَخْ بَخْ ! ذاك المحسن المَجْمَل الضارب المغنيّ القائم بمجلسه ، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره . ومَنْ بأبي أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قطّ . فمن مقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنية ؟ قلت : لا ، ولكنها من الناس ، وليست من أهل صناعته . قال : ومَنْ أيضاً بأبي أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخي سلّمة . قال : الذي كان له أخ يغني مرتجلاً ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قطّ ، ولا أشكّ أن هذا كذلك ، لأنهما مؤدّباه . [يغني الخليفة في شعر مدح به أحد رجاله]

وذكر ابن المكيّ عن أبيه قال : قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليتَه المصيصَة ونواحيها . فقلنا : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالد بن يزيد بن مزيد . فقال علويه : يا أحمد غنّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد ، فأمسكت عنه . فقال المعتصم : مالك لا تحبيه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو ممّا يغنيّ بحضرة الخليفة . فقال : ما مَنْ أن تغنيه بدّ . قال : فغنيته صنعة لي في هذا الشعر :

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالِدُ بنُ يزيدٍ كلَّ حِلْمٍ وكلَّ بأسٍ وجُودٍ
فترى الناسَ هيبَةً حينَ يبدو مِنْ قيامٍ ورُكْعٍ وسجودٍ

فقال المعتصم : يا ثمامة ، خذُ أحمدَ بإلقاء هذا الصوت على الجوّاري في غد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[غناؤه الأمين]

قال : وغنّى أبي يوماً محمداً الأمين :

[من الطويل]

صوت

فَعَشَ عُمَرَ نوحَ في سَعودَ وَغِبْطَةَ وفي خَفَضَ عِيشَ لَيْسَ في طوله إِثْمُ
تَسَاعَدُكَ الأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْشِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ العُرْبُ والعُجْمُ
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ .

[وفاته]

وتوفّي أحمد بن يحيى المكيّ في خلافة المستعين في أولها .
أخبرني بذلك جحظة البرمكيّ ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ : أنّ أباه توفّي في هذا الوقت .
انقضت أخباره .

صوت¹

[من الكامل]

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بَلْبُكَ غَادَرُوا وشَلَا بَعِينَكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنِ لِي : ماذا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينَا ؟
غَادَرُوا : تَرَكَوا . وَالْوَشْلُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ . وَالْمَعِينُ : الْمَاءُ الصَّافِي الْجَارِي . وَغَيْضُنْ مِنْ
عِبْرَاتِهِنَّ : أَيِ كَفَفْنَهَا وَمَسَحْنَهَا حَتَّى تَغِيضَ .

الشعر لجريز ، والغناء لإسحاق ، رَمَلٌ بالوسطى ، عن عمرو . وهو من طريف أرمال
إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبَاصِر ، عن الهشاميّ وعمرو . وذكر عليّ بن
يحيى أنّ فيه لابن سريج رَملاً آخر . وذكر عيسى أنّ الثَقِيلَ الأَوَّلَ لإبراهيم ، وأنّ فيه للهذليّ ثَانِيً
ثَقِيلٌ بالوسطى ، ولإبراهيم أيضاً مَآخُورِيّ بالبَاصِر .

332 - [طرائف تتعلق بغزل جرير]

[هل البيتان لجرير؟]

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال : حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أن هذين البيتين للمعلوط ، وأن جريراً سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

[أبو السائب لا يرد على أحد إلا بيتي جرير]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي وغيره قالوا : غدا عبد الله بن مسلم بن جندب الهدلي على أبي السائب المخزومي في منزله ، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال مَعِينَا

البيتين . فحلف أبو السائب ألا يرد على أحد سلاماً ، ولا يكلمه إلا بهذين البيتين ، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المطّلب وهو قاضٍ ، وكانا يدعيان القرينين لملازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القرينان ؟ فغمز أبو السائب بن جندب : أن أخبره بالقصة ، وابن جندب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يغمزه ، أي أخبره يميني . قال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطّلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه ، فصرفهم ودخل منزله مغتماً . فلما أتى أبو السائب منزله ، وبرّت يمينه ، خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطّلب ، فإني أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذن لهما فقال له أبو السائب : قد علمت ، أعزك الله ، غرامي بالشعر ؛ وإن هذا الضالّ جاءني حين خرجت من منزلي ، فأنشدني بيتين ، فحلفت ألا أرد على أحد سلاماً ، ولا أكلمه إلا بهما . حتى أرجع إلى منزلي . فقال ابن المطّلب : اللهم غفرأ ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

أخبرني : الحرزمي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عبد المطّلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير :

غِيْضَنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغريض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

[ابن أبي عتيق يعدل من يحفظ بيت جرير]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال : حدّثنا المدائنيّ . وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن بَكَّار قال : عن المدائنيّ قال : شهد رجل عند قاضٍ بشهادة ، فقبل له : مَنْ يعرفك ؟ قال : ابن أبي عتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضاً . فقبل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنّي سمعته ينشد : [من الكامل]

غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنْ لِي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !
فعلمتُ أنّ هذا لا يرسخُ إلّا في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

[أبو السائب يرمي نفسه في البحر]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبيرُ قال : حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحّاك قالا : كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بحر ، فأنشده ابن جندب : [من الكامل]

إنّ الذين غدّوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا
فرمى بنفسه في البحر بشيابه ، فبعد لأي ما أخرجه .

[أشعب يطرب سالم بن عبد الله بن عمر]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا محمد بن الحسن الرُّقَبيّ قال : حدّثنا العلاء بن عمرو الزُّبيريّ ، من ولد عمرو بن الزُّبير ، قال : حدّثنا يحيى بن أبي قُتيبة قال : حدّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، عن أشعب قال : جاءني فتية من قریش ، فقالوا لي : نحبّ أن تُسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء ، وتُعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي في ذلك جُعلاً . فدخلت عليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، لي مجالسة وحرمة ومودة وسينّ ، وأنا مولع بالترنم . قال : وما الترنم ؟ قلت : الغناء . قال : وفي أيّ وقت ؟ قلت : في الخلوة ، ومع الإخوان في الخارج . وأحبّ أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنه . ثم غنّيته ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم ، فأعلمتهم ، فقالوا : وما غنّيته ؟ فقلت : غنّيته : [من الخفيف]

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيه ، ولسنا نرضى . فلما رأيت دفعهم إليّ ، وخفت ذهاب ما جعلوا لي ، رجعت إليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، آخر . قال : ما لي ولك ؟ ولم أملكه أمره حتى غنّيت ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم فأعلمتهم . قالوا : وما غنّيته ؟ قلت : [من الخفيف]

لم يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ النَّزُولَا
قالوا : وليس هذا بشيء . فرجعت إليه ، فقلت : آخر . فاستكفني ، فلم أملكه القول
حتى غنيته :

غِيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَلَقِينَا ؟
فقال : مَهْلًا مَهْلًا . قلت : لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر . فقال :
هو لك . فخرجت عليهم به ، وأنا أخطر . فقالوا : مه . فقلت : أطربت الشيخ حتى أعطاني
هذا ، وقال مرة أخرى : حتى فرض لي هذا . قال : ووالله ما فعل ، وإنما كان فدية
لأصمت ، وأخذت منهم الجعل .
[إبراهيم يحب إسحاق لقربته وفنه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، قال : حدثت عن حماد بن إسحاق قال :
حدثني علويه الأعسر قال : أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانها وسائرها خراب ،
فجلسنا على تلٍّ من تراب ، فغنناي لحنه في :

غِيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَلَقِينَا !
فسألته أن يعيده عليّ ، ففعل . وأتانا رسول أبيه بطبق رطب ، فقال للرسول : قل له :
سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إليّ ، فأبلغه الرسول ذلك ، فقال
له : ومن عنده ؟ فأخبره أنني عنده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بمائدة ، ثم أتانا
رسوله بعد ساعة فقال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت ،
فغنيت إياه ، فقال : أجاد والله . ألام على هذا وحبه ، والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة
لأحببته ، فكيف وهو ابني ؟

صوت

[من الطويل]

أَلَسْتُ تَرَى يَا ضَبُّ بِاللّهِ أَتَنِي مَصَاحِبَةُ نَحْوِ الْمَدِينَةِ أَرْكَبُ¹
إِذَا قَطَعُوا حَزَنًا نَحَبُ رِكَابِهِمْ كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ يَرَاعًا مُثَقَّبًا
عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت الفرافصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من
الثقل الأول بالوسطى . ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما
نحله يحيى المكيّ لابن عائشة .

[333] - أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها

[نسبها]

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل : ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل : عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية ، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان .

[زواجها من عثمان]

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمرو بن شبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

«بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فكتب إلي بنسبها وجمالها .
فكتب إليه :

«أما بعد ، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص . وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة» .

فكتب إليه : «إن كانت لها أخت فزوجنيها» .

فبعث سعيد إلى الفرافصة ، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفرافصة ابنه ضباً ، فزوجها إياه . وكان ضب مسلماً ، وكان الفرافصة نصرانياً ، فلما أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يا بنية ، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش ، هن أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عني خصلتين : تكحلي وتطيبي بالماء ، حتى يكون ريحك ريح ش¹ أصابه مطر .

فلما حملت كرهت الغربة ، وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول : [من الطويل]

أست ترى يا ضبُ بالله أنني	مصابة نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا حزناً تحب ركابهم	كما زعزعت ريح يراعاً مثقبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم	لك الويل ما يغني الخباء المطنبا

[لقاء عثمان]

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه ، قعد على سريريه ، ووضع لها سريراً حياًله ؛ فجلست عليه ، فوضع عثمان قلنسبته ، فبدا الصلح ، فقال : يا ابنة الفرافصة ، لا يهولنك ما ترين من صلعي ، فإن وراءه ما تحبين . فسكتت . فقال : إِمَّا أَنْ تقومي إليّ ، وإِمَّا أَنْ أقوم إليك . فقالت : أمّا ما ذكرت من الصلح ، فإنني من نساء أحبّ بعولتهنّ إليهنّ السادة الصلح . وأمّا قولك : إِمَّا أَنْ تقومي إليّ ، وأمّا أَنْ أقوم إليك ، فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد ممّا بيني وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت ، فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ، ودعا لها بالبركة ، ثم قال لها : اطرحي عنك رداءك ، فطرحته ، ثم قال لها : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها : انزعِي دِرْعَكَ ، فنزعته ؛ ثم قال : حُلِّيْ إِزارك . فقالت : ذاك إليك . فحلّ إزارها ، فكانت من أحظى نسائه عنده .

[يوم الدار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا عليّ بن محمد بن عيسى بن يزيد ، عن عبد الواحد بن عمير ، عن أبي الجراح مولى أمّ حبيبة ، قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار ، فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر ، ونحن نقول : هم في الصلح ، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة¹ ، ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار . معهم السيوف . فرميت بسيفي ، وجلست عليه ، وسمعت صياحهم ، فكأنتي أنظر إلى مصحف في يد عثمان ، وإلى حمرة أديمه . فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذي خمارك ، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك . وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها ، فقطع إصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه ، وخرجوا يكبرون ، ومرّ بي محمد بن أبي بكر ، فقال : ما لك يا عبد أم حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

[بكاؤها على عثمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : لما قُتل عثمان رحمة الله عليه ، قالت نائلة بنت الفرافصة :

أَلَا إِنْ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التَّجِيبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ²

1 الخوخة : ممر بين دارين .

2 الثلاثة هم النبي وأبو بكر وعمر .

وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد عُيِّت عنا فضولُ أبي عمرو
هكذا في هذه الرواية . وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عُقبة .

[كتابها إلى معاوية]

أخبرني أحمد قال : حدثني عمر قال : حدثنا علي بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن نُمير بن
وَعَلَة ، عن الشعبي ومسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية : أن نائلة بنت
الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان ، وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير ، أو عبد
الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة :

«من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد ، فإنني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ،
وأفدكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ النعمة ؛ وأنشدكم بالله ، وأذكركم حقه وحق
خليفته الذي لم تنصروه ، وبعزمة الله عليكم ، فإنه عز وجل يقول : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ
إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ . وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لم يكن له عليكم حق إلا حق الولاية ، ثم
أتى إليه بما أتى ، لحق على كل مسلم يرجو ثواب الله أن ينصره ، لقدمه في الإسلام ، وحسن
بلائه ، وأنه أجاب داعي الله ، وصدق كتابه وصدق رسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه
شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإنني أقص عليكم خبره ، لأنني كنت مشاهدة أمره كله ، حتى أفضي إليه : وإن أهل
المدينة حصروه في داره ، يحرسونه ليلهم ونهارهم . قيام على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل
شيء قدروا عليه ، حتى منعه الماء ، يحضرونه الأذى ، ويقولون له الإلفك . فمكث هو ومن
معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر ، وكان
علي مع المحرضين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل
الذي أمر الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل ، وطوائف من
مُزينة وجُهينة ، وأبناط يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس
عليه في أول أمره وآخره . ثم إنه رمي بالنبل والحجارة ، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر ،
فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم ،
فردوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة ، وفي الأمر إلا إغراء . ثم أحرقوا باب
الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس
بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلح القوم مطة

عليه من كل ناحية ، وما أرى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست درعاً ، فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابن الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تعرّوه بشيء ، فكلّموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح . فلم يكن إلّا وضعه ، حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بليحيته ، ودعّوه باللّقب . فقال : أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرع في العظم ، فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ، ليذهبوا به ، فأتتني بنت شيبه بن ربيعة ، فألقت نفسها معي عليه ، فوطئنا وطناً شديداً ، وعرّينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه رحمة الله عليه في بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنه والله لئن كان أثم من قتله ، لما يسلم من خذله . فانظروا أين أنتم من الله جلّ وعزّ ، فإننا نشكّي ما مسنا إليه ، ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله من قتله ، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزيّ والمذلة ، وشفى منهم الصدور» .

فحلف رجال من أهل الشام ألاّ يطأوا النساء حتى يقتلوا قتله ، أو تذهب أرواحهم .

صوت

[من الطويل]

فيا راكياً إمّا عرضت فبلغن ندماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيمهين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترأ قبلي أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيمر أطلقوا عن لسانيا¹

الشعر لعبد يغوث بن صلاء الحارثي . والغناء لإسحاق ثقيف أول .

[334] - أخبار عبد يغوث ونسبه¹

[نسبه]

هو عبد يغوث بن صلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة ، وهو قول ابن الكلبي ، بن المغفل ، واسم المغفل : ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبي : قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعف .

[منزله في قومه]

وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّداً لقومه من بني الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني ، إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أُسِرَ قَتِيل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعْرِقٍ لهم في الجاهلية والإسلام ، منهم اللّجلاج الحارثي ، وهو طُفَيْل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ؛ وأخوه مُسْنَهْرُ فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم قَيْفَ الرّيح . ومنهم مَن أدرك الإسلام جعفر بن غلبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة ، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً ، أُخِذَ في دم ، فحُبِسَ بالمدينة ، ثم قتل صَبْرًا . وخبره يذكر منفرداً ، لأنّ له شعراً فيه غناء .

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة ، يقوله في يوم الكلاب الثاني² ، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم ، فظفرت به بنو تميم ، وأسروه وقُتِلَ يومئذٍ . [يوم الكلاب]

وكان من حديث هذا اليوم ، فيما ذكر أبو عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء ، وهشام بن الكلبي عن أبيه ، والمفضل بن محمد الضبي ، وإسحاق بن الجصاص عن العنبري ، قالوا : لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بالمشقر ، فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والذراري ، بلغ ذلك مَدْحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتناموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن

1 لعبد يغوث ترجمة في المحبر : 251 وخزانة البغدادى 1 : 195-197 و202-203 وشرح الشواهد : 232 وقصيده الياثية هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباري .

2 في يوم الكلاب الثاني انظر النقائص 1 : 149 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 224-233 .

وأحلافها من قضاة ، فقالت مذحج للمأمور الحارثي ، وهو كاهن : ما ترى ؟ فقال لهم : لا تغزوا بني تميم ، فإنهم يسرون أغباباً¹ ، ويردون مياهاً جبياً ، فتكون غنيمتكم تراباً . قال أبو عبيدة : فذكر أنه اجتمع من مذحج ولقها اثنا عشر ألفاً . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاة ، ورئيس همدان يقال له مُسَرَّح ، ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث . فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرباب ، فانطلق ناس من أشrafهم إلى أكتهم بن صيفي ، وهو قاضي العرب يومئذ ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة² يا قوم تثبتوا ، فإن أحزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تهب ريثاً³ . واتزروا للحرب ، وادرعوا الليل ، فإنه أخفى للويل⁴ ، ولا جماعة لمن اختلف .

فلما انصرفوا من عند أكتهم تهيئوا ، واستعدوا للحرب . وأقبل أهل اليمن ، من بني الحارث من أشrafهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُحَرَّم ، ويزيد بن الطيثم بن المأمور ، ويزيد بن هُوَيْر ، حتى إذا كانوا بتميم نزلوا قريباً من الكلاب ، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع ، يقال له مُشَمَّت بن زنباع في إيل له ، عند خال له من بني سعد ، يقال له زهير بن بُو ، فلما أبصرهم المشمَّت قال لزهير : دونك الإبل ، وتنج عن طريقهم ، حتى آتي الحي فأنذرهم . قال : فركب المشمَّت ناقة ، ثم سار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكلاب ، فأنذرهم ، فأعدوا للقوم ، وصبَّحهم ، فأغاروا على النعم فطردوها ، وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول :

في كل عام نَعَم ننتابُهُ على الكلاب غِيَّبا أربابُهُ

قال : فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم ، على فرس له ، فقال :

عَمَّا قليل سَتُرى أربابُهُ صُلْبَ القناةِ حازماً شبابُهُ

على جِيادٍ ضُمِرَ عِيابُهُ

قال : فأقبلت سعد والرباب ، ورئيس الرباب النعمان بن جِسَّاس ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المُنْقَرِي . قال أبو عبيدة : اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيس بن عاصم . فقال ضُبِّي حين دنا من القوم :

1 أغباباً : يعني أنهم يسرون منقلتين في منقلة واحدة . والمنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

2 المثل « المرء يعجز لا محالة » في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 . وفصل المقال : 299 .

3 المثل « رب عجلة تهب ريثاً » في مجمع الميداني 1 : 294 وجمهرة العسكري 1 : 482 ومستقصى الزمخشري 2 : 97 وفصل المقال : 335 .

4 المثل « ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل » في جمهرة العسكري 1 : 88 وفصل المقال : 66 .

فِي كُلِّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ
أَرْبَابُهُ نَوَكَى فَلَا يَحْمُونَهُ وَلَا يَلَاقُونَ طِعَانًا دُونَهُ
أَنْتَعَمَ الْأَبْنَاءُ تَحْسَبُونَهُ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تَرْجُونَهُ

فقال ضمرة بن لبيد الحماسي¹ : انظروا إذا سقتم النعم ، فإن أتتكم الخيل عُصْبًا عُصْبًا ، وثبتت الأولى للأخرى ، حتى تلحق ، فإن أمر القوم هين . وإن لحق بكم القوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم ، ولا ينتظر بعضهم بعضاً ، فإن أمر القوم شديد . وتقدمت سعد والرياب ، فالتقوا في أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قِبَل وجوهها ، فجعلوا يضربونها بأرماحهم . واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النعمان بن جِساس ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، كانت أمه من بني حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذي رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان : ثكلتك أمك ، رب حنظلية قد غاظتني² . فذهبت مثلاً وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهدمهم قتل النعمان ، فلم يزددهم ذلك إلا جراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً ، فلما أصبحوا غدوا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يال سعد ، ونادى عبد يغوث : يال سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب ، فنادى عبد يغوث : يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دَعَوْا بِمِثْلِهِ . فنادى قيس : يال مُقَاعَس ، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب ، وكان يلقب مُقَاعَساً ، فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذ ، طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرياب ، فهزموهم أفطع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول : [من الرجز]

يَا قَوْمُ لَا يُفْلِتُكُمْ الْيَزِيدَانُ مُخَرَّمَا أَعْنِي بِهِ وَالذَّيَّانُ

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يال تميم : لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرجالة لكم . وجعل يرتجز ويقول :

لَمَّا تَوَلَّوْا عُصْبًا شَوَازِيَا أَقْسَمْتُ لَا أَطْعُنُ إِلَّا رَاكِبًا³

1 في ل : ضمرة بن أسد الحارثي .

2 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال . وفي النقائض «رب ابن حنظلية قد غاظني» .

3 الشواذب : جمع شاذب وهو الشاحب الضامر .

إني وجدت الطعنَ فيهم صائباً

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : مَنْ أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبِل ، وهو زَعْبِل بن كعب ، أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ، فكأنَّ الأسارى يريدون بذلك رخصَ الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم ، دفعه إلى مَنْ يليه من بني تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعْبلة أخرى¹ ، فذهبت مثلاً . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ، حتى أسير عبد يغوث ، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس . وقُتِل يومئذٍ علقمة بن سَبَّاع القرَيعي ، وهو فارس هَبُود ، وهَبُود فرس عمرو بن الجُعَيد المرادي وكان علقمة قتلَ عَمراً وأخذ فرسه من تحته ، وأسَرَ الأَهم ، واسمه سنان بن سُمَيَّ بن خالد بن منقر ، ويومئذٍ سُمَيَّ الأَهم ، رئيسَ كندة البراء بن قيس ، وقَتَلَتِ التَّيم الأَوَير الحارثي ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية ، قتلهما النُعمان بن جِساس ، وقَتَل يومئذٍ من أشrafهم خمسة ، وقتلت بنو ضَبَّة ضَمرة بن لبيد الجِماسي الكاهن ، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي .

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمي إلى أهله . وكان العَبْشَمي أهوج ، فقالت له أمه ، ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً : مَنْ أنت ؟ قال : أنا سيّد القوم . فضحكت ، وقالت : قَبَحَكَ اللهُ من سيّد قوم حين أسرك هذا الأهوج . فقال عبد يغوث : [من الطويل]

وتَضَحَّكُ مِنِّي شَيْخَةُ عَبْشَمِيَّةَ كَأَن لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا

ثم قال لها : أيتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مئةً من الإبل وينطلق بي إلى الأَهم ، فإني أتخوَّف أن تتزعني سعد والرباب منه ، فضمن له مئةً من الإبل ، وأرسل إلى بني الحارث ، فوجهوا بها إليه ، فقبضها العَبْشَمي ، فانطلق به إلى الأَهم ، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أَهِتُمْ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَالِدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَسَارِكُ أُسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقَنِي التَّيْمُ الْقَيُّ الدَّوَاهِيَا²

فمشت سعد والرباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد ، قُتِل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور . فدفعه الأَهم إليهم ، فأخذه عَصْمة بنُ أَبيير التيمي ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تميم ، اقتلوني قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ، ودعوني أنخُ على نفسي ، فقال له عصمة : نَعَمْ . فسقاه الخمر ، ثم

1 لم نعر على هذا المثل في كتب الأمثال .

2 تتقني : تظفر بي .

قطع له عرفاً يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة ، وترك معه ابنين له ،
فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد
يعوث في ذلك¹ :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا بيا
ألم تعلمنا أنَّ الملامة نفعها قليل وما لومي أخِي من شماليا²
فيا راكباً إمّا عرضت فبلغنْ ندماي من نَجْرانْ أنْ لا تلاقيا
أبا كَرِبٍ والأَيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا
جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً صريحهم والآخِرينَ المَواليا
ولو شئتُ نَجَّيتُ من الخيل نَهْدَةً ترى خلفها الحوَّ الجيادَ تواليا³
ولكنني أحمي ذمار أبيكم وكان الرِّماح يختطفن المحاميا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تَرَ قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمت عرسي مُليكةً أنني أنا الليثُ معدوًّا عليه وعاديا
أقول وقد شدوا لساني بِنسعة أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا⁴
فإن تقتلوني تقتلوا بي سيِّداً وإن تطلقوني تحرُّوني بماليا⁵
أحقاً عبادَ الله أنْ لست سامعاً نشيدَ الرِّعاء المُعزِّبين المتأليا
وقد كنت نحار الجزور ومُعيلَ الـ حَطيٍّ وأمضي حيث لا حيٍّ ماضيا
وأنحر للشرب الكرام مطيتي وأصدع بين القيتين ردايا
وعادية سومَ الجراد وزعتها بكفِّي وقد أنحوا إليَّ العواليا⁶
كأنِّي لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كُريّ نفسٍ عن رجاليا

1 هذه هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباري . وقد أوردها أبو عبيدة في النقائض والعقد الفريد في يوم
الكلاب الثاني (الصفحة) .

2 من شماليا : من شمالي .

3 النهدة : الفرس العالية . والحو : التي تضرب إلى الخضرة .

4 لم يكن من بوائيا : لم يكن نظيراً لي فأبوء به .

5 تحرُّوني بماليا : تسلبوني مني مالي .

6 عادية : القوم يعدون . وسوم الجراد : منتشرون كالجراد . وزعتها : كفتها ومنعتها .

ولم أسبأ الرُّقَّ الرويَّ ولم أقلَّ لأيسار صدق أعظموا ضوؤ ناريا
قال : فضحكت العبشمية ، وهم أسروه . وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة ، لئلا
يهجوهم ، وأبوا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جساس .
[ما قيل من الشعر بعد الواقعة]

فقال صفيّة بنت الخرع ترثي النعمان :

نطاقه هندواني وجيئه
فضفاضة كأضائة النهي موضونه¹

لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت
وما قتلنا به إلا امرأ دونه

وقال علقمة بن سباع لعمر بن الجعيد :

لما رأيت الأمر مخلوجة
أكرهت فيه ذابلاً مارنا²

قلت له : خذها فإني امرؤ
يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قوله : «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد : أن عمرو بن الجعيد كان كاهناً . وهو
أحد بني عامر بن الدليل بن شنّ بن أفضى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك في ولده . ومنهم
الرباب بن البراء ، كان يتكهن ، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية ، فصار على دين المسيح
عليه السلام ، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل ، وذلك قبل
مبعث النبي ﷺ : خير أهل الأرض رباب الشنّي ، وبحيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعد .
قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرباب إلا رأوا على قبره طشاً³ . ومن ولده مخربة ،
وهو أحد أجواد العرب ، وإنما سمي مخربة لأن السلاح خربه ، لكثرة لبسه إياه ؛ وقد
أدرك النبي ﷺ ، فأسلم ، فأرسله إلى ابن الجولندي العماني . وابنه المثنى بن مخربة أحد
وجوه أصحاب المختار ، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها ، فحاربه عبّاد بن الحصين
فهزمه ، وكان ابنه بلج بن المثنى جواداً ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس : [من الوافر]

ألا يا بلج بلج بني المثنى
وأنت لكل مكرمة كفاء

ألومك طائعاً ما دمت حياً
عليّ إذن من الله العفاء⁴

كفى قوماً مكارم ضيعوها
وأحسن حين أبصرهم أساءوا

1 أضاءة النهي : مسيل الماء في الغدير . وموضونة : منن بعضها على بعض لستها .

2 مخلوجة : مضطرب .

3 الطش : المطر الخفيف .

4 ألومك : لا ألومك .

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث والوقعة

قال : فَأَمَّا وَعَلَةُ بن عبد الله الجرمي ، فإنه لحقه رجل من بني سعد ، فعقر به ، فنزل ؛ وجعل يُحْضِر على رجليه ، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَلِيط بن قَتَب ، من بني رفاعة ، فقال له لما لحقه : أَرْدَفَنِي ، فَأَبَى ، فطرحه ، عن فرسه ، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه ، فقال وَعَلَةُ في ذلك :

[من الطويل]

وَلَمَّا سَمِعْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مَقَاعِسَاً
نَجَوْتُ نَجَاءً لَيْسَ فِيهِ وَتِيرَةٌ
خُدَارِيَّةٌ صَقْعَاءُ لَبَّدَ رِيشَهَا
وَقَدْ قَلْتُ لِلنَّهْدِيِّ : هَلْ أَنْتَ مَرْدِي
فَإِنْ أُسْتَطِعَ لَا تَبْتَسِ بِي مَقَاعِسُ
فِدَى لِكَمَا رَجَلِي أُمِّي وَخَالَتِي
فَمَنْ كَانَ يَرْجُو فِي تَمِيمٍ هَوَادَةً

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد :

أَشَابَ قَذَالُ الرَّأْسِ مَصْرَعُ سَيِّدٍ
وَقَالَ مُحَرِّزُ بَنِ مُكْعَبَرِ الضَّبِّيِّ :

[من الطويل]

وفارسُ هُبُودِ أَشَابِ النَّوَاصِيَا

[من البسيط]

إِذْ سَاقَتِ الْحَرْبُ أَقْوَاماً لِأَقْوَامٍ³
أَنْ لَا يُورَّعَ عَنْ نِسْوَانِنَا حَامٍ⁴
ضَرْبُ يَصْبَحُ مِنْهُمْ مَسْكَنُ الْهَامِ
فَقَدْ جَعَلْنَا لَهُمْ يَوْماً كَأَيَّامِ
وَالْحُمُوهْنَ مِنْهُمْ أَيَّ الْهَامِ⁵

1 الخدارية : العقاب لسوادها . الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض . وطخفة : موضع والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي الدفعة من المطر .

2 الفل : المنهزم .

3 نشب في ل : سبد .

4 يورع : يكف ويمنع .

5 مجيرات : موضع .

ظَلَّتْ تَدُوسُ بَنِي كَعْبٍ بِكُلِّكَلْهَا وَهَمَّ يَوْمٌ بَنِي نَهْدٍ بِإِظْلَامٍ
وَقَالَ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ :

وَفِي يَوْمِ الْكُلابِ إِذْ اعْتَرَتْنَا قَبَائِلُ أَقْبَلُوا مُتَنَاسِبِينَ
قَبَائِلُ مَذْحِجَ اجْتَمَعَتْ وَجَرَّمِ وَهَمْدَانٍ وَكِدَّةَ أَجْمَعِينَ
وَحِمِيرَ ثُمَّ سَارُوا فِي لُهَا عَلَى جُرْدٍ جَمِيعاً قَادِرِينَ
فَلَمَّا أَنَّ أَتَوْنَا لَمْ نُكْذِبْ وَلَمْ نَسْأَلْهُمْ أَنْ يُمَهِّلُونَا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ قَتْلَى وَوَلَّى شَرِيدُهُمْ شَعَاعَا هَارِينَا¹
وَفَاطَتْ مِنْهُمْ فِينَا أُسَارَى لَدِينَا مِنْهُمْ مُتَخَشِّعِينَ²
وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ غِيلَانُ بْنُ عُقْبَةَ فِي ذَلِكَ³ :

وَعُمِّي الَّذِي قَادَ الرِّبَابَ جَمَاعَةً وَسَعَدُهُمُ الرَّأْسُ الرَّئِيسُ الْمُؤَمَّرُ
عَشِيَّةَ أُعْطِنَا أَرْمَبَةَ أَمْرَهَا ضِرَارُ بَنِي الْقَرَمِ الْأَغَرِّ وَمُنْقَرُ
وَعَبْدُ يَغُوثٍ تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ قَدْ احْتَزَّ عُرْشِيهِ الْحَسَامُ الْمَذْكُرُ
الْعُرْشَانُ : عِرْقَانُ فِي الْعِنَقِ :
عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا قَضَى نَجْبَهُ فِي مَعْرَكِ الْخَيْلِ هَوْبَرُ
وَقَالَ أَخُو جَرَمٍ أَلَا لَا هَوَادَةَ وَلَا وَزَرَ إِلَّا النُّجْجَاءُ الْمَشْمُرُ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنَّنَا آلَ خَنْدِفٍ بِنَا يَسْمَعُ الصَّوْتِ الْأَنَامُ وَيُبْصُرُ
إِذَا مَا تَمْضَرْنَا فَلَا نَاسَ غَيْرُنَا وَنُضْعِفُ أحياناً وَلَا تَمْضَرُ
وَقَالَ أَيْضاً⁴ :

فَمَا شَهِدَتْ خَيْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ غَارَةً بَثْهَلَانَ تَحْمِي عَنْ ثُغُورِ الْحَقَائِقِ
أَثَرْنَا بِهِ نَقَعَ الْكُلابِ وَأَنْتُمْ تُثِيرُونَ نَقَعَ الْمُتَلَقَّى بِالْمَعَارِقِ
أَدْرْنَا عَلَى جَرَمٍ وَأَفْنَاءَ مَذْحِجٍ رَحَى الْمَوْتِ فَوْقَ الْعَامَلَاتِ الْخَوَافِقِ

1 شعاعاً : متفرقين في جميع النواحي .

2 فاطت : هلكت .

3 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 222-239 مع بعض اختلاف .

4 ديوان ذي الرمة : 404-412 مع اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .

صدمناهم دُونَ الأمانِي صَدْمَةٌ
إذا نطحتُ شهباءَ شهباءَ بينها
وقال البراء بن قيس الكِنْدِيُّ :

قَتَلْتُنَا تَمِيمٌ يَوْمًا جَدِيدًا
يَوْمَ جُنَّا يَسوقنا الحَيْنَ سوقًا
سَرْتُ فِي الأَرْدِ والمَذاحِجِ طُرًّا
وَبَنِي كِنْدَةَ المَلوكِ وَلَحْمٍ
وَمُرَادٍ وَخَنَعَمٍ وَزُبَيْدٍ
وَحَشَدْنَا الصَّمِيمَ نَرْجُو نِهَابًا
لَقَيْتُنَا أَسودُ سَعْدٍ وَسَعْدٌ
تَرْكُونِي مُسَهَّدًا فِي وَثاقٍ
خَائِفًا لِلرَّدَى وَلولا دَفَاعِي
لَسُقَيْتُ الرَّدَى وَكنتُ كَقُومِي
تَذَرُفُ الدَّمْعَ بالعَوِيلِ نَسائِي
فَلِعَيْنِي عَلَى الأُلَى فارقوني
كَيْفَ أَبْغِي الحِياةَ بَعْدَ رِجالِ
مَنْهُمْ الحارِثِيُّ عَبْدُ يَغُوْثٍ
فِي مِئِينَ نَعْدَها وَمِئِينَ
بِرِجالِ مِنَ العَرانِ شُمَّ

وقال وَغَلَةُ بن عبد الله الجَرَمِيُّ :

عَذَلْتَنِي نَهْدٌ فَقَلْتُ لِنَهْدٍ
يَوْمَ كُنَّا عَلَيْهِمُ طَيْرَ ماءٍ
لَا تَلُمُوا عَلَى الفِرارِ فَسَعْدٌ
إِنَّمَا هَمُّها الطُّعْانُ إِذا ما

عَماسا بأطوادِ طِوالِ شواهِقِ
شُعاعِ القَناءِ والمَشْرِقِ البوارِقِ
[من الخفيف]

قَتَلَ عادٍ وَذاكَ يَوْمُ الكُلابِ
نَحْوَ قَوْمٍ كَأَنَّهُمُ أُسْدٌ غابِ
وَبَكِيلٍ وَحاشِدِ الأَنْيابِ
وَجُذامٍ وَجَمِيزِ الأَرِبابِ
وَبَنِي الحارِثِ الطِوالِ الرُّغابِ
فَلَقِينا البَوارِ دُونَ النُّهابِ
خُلِقْتُ فِي الحُرُوبِ سَوَوطَ عَذابِ
أَرْقَبَ النِّجَمِ ما أُسِغَ شِرابِي
بِمِئِينَ عَنِ مَهجَتِي كاهِضابِ
فِي ضَرْبِ مَغِيبًا فِي التُّرابِ
كَنَساءِ بَكَتْ قَتِيلَ الرُّبابِ
دَرَرَ مِنْ دَموعِها بَانسِكابِ¹
قُتِلوا كالأَسودِ قَتَلَ الكُلابِ
وَيَزِيدُ الفَتِيانِ وابْنَ شَهابِ
بَعْدَ أَلْفِ مُنوا بِقومِ غِضابِ
أُسِدِ حَرْبٍ مَمحُوضَةِ الأَنْسابِ

[من الخفيف]

حِينَ حاسَتْ عَلَى الكُلابِ أَخاها
وَتَمِيمٌ صُقُورُها وَبُزَها
يَالِ نَهْدٍ يَخافُها مَن يَراها
كَرِهَ الطُّعْنَ والضَّرَبَ سِواها

تركوا مَذْجَجاً حديثاً مشاعاً مثل طَسَمٍ وَحِمِيرٍ وَصُداها
يَالِ قحطانَ وادِعُوا حَيَّ سَعِدِ وابْتَغُوا سَلَمَهَا وَفَضْلَ نداها
إِنَّ سَعْدَ السَّعُودِ أَسَدُ غِيَاضِ باسِلٌ بِأَسْهٍ شَدِيدٌ قُواها
فُضِّحَتْ بِالْكُلَّابِ حَارِبُ كَعْبِ وينو كَنْدَةَ الْمُلُوكِ أَبَاها
أَسْلَمُوا لِلْمَنُونِ عَبْدَ يَغُوثِ وَلِعُضَّ الْكَبُولِ حَوْلَا يَرَاها
بَعْدَ أَلْفِ سُقُوا الْمَنِيَّةِ صِرْفاً فَأَصَابَتْ فِي ذَاكَ سَعْدٌ مُنَاها
لَيْتَ نَهْدُاً وَجَرْمَهَا وَمُرَاداً وَالْمَذَاحِجَ ذُو أُنْثَاةٍ نَهَاها
عَنْ تَمِيمٍ فَلَمْ تَكُنْ فَقَعَ قَاعِ تَبْتَدِرُهَا رَبَابُهَا وَمَنَاها
قُلْ لِبَكْرِ الْعِرَاقِ تَسْتُرُ عَمْرَأَ عَمْرُو قَيْسٍ وَأَيَّ عَمْرُو يَرَاها
عَنْ تَمِيمٍ وَلَوْ غَزَتْهَا لَكَانَتْ مِثْلَ قحطانَ مُسْتَبَاحاً حَمَاها

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمس أبي الخطَّابِ قد حُجِبَتْ أَظُنُّ يَا صَاحِبِيَّ السَّاعَةَ اقْتَرَبَتْ
أَوَّلَا فَمَا بِال رِيحٍ كُنْتَ أَنْسَهَا عَادَتْ عَلَيَّ بِصِيرٍ بَعْدَ مَا جَنَبْتُ¹
أَشْكُو إِلَيْكَ أبا الخطَّابِ جَارِيَةً غَرِيرَةً بِفَوَادِي الْيَوْمِ قَدْ لَعِبْتُ
وَأَنْتَ قِيمَهَا الْأَدْنَى وَسَيِّدَهَا يَا لَيْتَ قَدْ قَرَّبْتَ مِنِّي وَمَا بَعُدْتُ

عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي ، رَمَلٌ بالبصرة ، عن الهشامي
وعلي بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخَرٍ أَنَّ فِيهِ هَزَجاً بالبصرة لإبراهيم بن
المهدي . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّهُ لإبراهيم الموصلي أيضاً .

وأبو الخطَّاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا : رجل نَخَّاسٌ يعرف بِقَرِين ،
مولى العباسة بنت المهدي ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خَنْث ، وكانت من
أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَكْمَلِهِنَّ ، وكان لها خالٌ فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ،
وإبراهيم وغيره فيها أشعار كثيرة . نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

[335] - أخبار ذات الخال

[عشقها إبراهيم واشتراها الرشيد]

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني أبي : أن جدِّي كان يتعشق جارية لقرين ، المكنى بأبي الخطاب النخاس ، وكان يقول فيها الشعر ويغني فيه ، فشهرها بشعره وغناؤه ، وبلغ الرشيد خبرها ، فاشتراها بسبعين ألف درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء ، فإن صدقتني وإلا صدقتني غيرك وكذبتك . قالت له : بل أصدقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط ، وأنا أخلفه أن يصدقني . قال : فتلكأت ساعة ، ثم قالت : نعم ، مرة واحدة . فأبغضها وقال يوماً في مجلسه : أيكم لا يبالي أن يكون كشيخاناً ، حتى أهب له ذات الخال . فبدر حمويه الوصيف ، فقال : أنا . فوهبها له ، وفيها يقول إبراهيم :

أتحسب ذات الخال راجية رباً وقد قنت قلباً يهيم بها حباً
وما عذرها نفسي فداها ولم تدع على أعظمي لحماً ولم تبقي لي لباً
الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[تشوق الرشيد إليها]

وذكر أحمد بن أبي طاهر : أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم ، وذكر قصة حمويه كما ذكرها حماد ، وقال في خبره : فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهبها لحمويه ، فقال له : ويلك يا حمويه ، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناها وحدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مر فيها بأمرك . قال : نحن عندك غداً . فمضى فاستعد لذلك ، واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة¹ وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار . فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها ، فلما رآها أنكره ، وقال : ويلك يا حمويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ، ولا وصل إليك مني هذا القدر ! فصدقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم ، واشترى الجوهر منهم ، ووهبه لها ، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلا أعطائها ، ولا حاجة إلا قضائها ، فسأته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به ، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته .

[قصّها خالها وشعر العباس بن الأحنف فيها]

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدّثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال : حدّثني أحمد بن عبد الله طمّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصّوليّ قالا : كانت للرّشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوماً ، فوعدها أن يصير إليها . وخرج يريدّها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها ، فشقّ ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلينّ له شيئاً أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجهاً ، ولها خال على خدّها لم يرَ الناس أحسن منه في موضعه ، فدعت بمقرّاض ، فقصّت الخال الذي كان في خدّها ، وبلغ ذلك الرّشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : انظر من بالباب من الشعراء ، فقال : الساعة رأيت العباس بن الأحنف . فقال : أدخله . فأدخله ، فعرفه الرّشيد القصّة وقال : اعمل في هذا شيئاً ، على معنى رسمه له ، فقال¹ : [من الطويل]

صوت

تخلّصتُ ممّن لم يكن ذا حَفِيظَةٍ وملّت إلى مَنْ لا يغيّره حالُ
فإن كان قطعُ الخال لما تطلّعتُ إلى غيرها نفسي فقد ظلّم الخالُ

غناه إبراهيم . فنهض الرّشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعباس باللفي دينار ، وأمر إبراهيم الموصليّ فغناه في هذا الشعر .

[إعجاب بالتقسيم في الشعر]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدّثني محمد بن الفضل قال : كان محمد بن موسى المنجّم يعجبه التقسيم في الشعر ، ويُسَخِّفُ بجيد الأشعار ، فكان ممّا يعجبه قول نُصَيْب² :

صوت

أيا بعلَ ليلي كيف تجمعُ سلّمها وحرّني وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ
لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروى للمجنون ، ويروى لكعب بن مالك الخثعمي . والغناء للمالك ، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو .

1 ديوان العباس بن الأحنف : 249 وفيه «لما تعطف على غيرها . . .» .

2 شعر نصيب : 65 .

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعبّاس بن الأحنف¹ : [من الطويل]

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عَشِيرَ الذي أُلْقِيَ فيلْتَمَ الشَّعْبُ
إذا رَضِيتَ لم يَهْنِ ذلك الرُّضا لعلمي به أن سوف يتبعه العُتْبُ
وأبكي إذا ما أذنبتْ خوفَ صَدِّها وأسألها مَرْضَاتِها ولها الذُّنْبُ
وصالِكُمْ صُرْمٌ وحُبُّكُمْ قِلَى وعطفُكُمْ صَدٌّ وسَلْمُكُمْ حَرْبُ
ويقول : ما أحسن ما قَسَمَ ، حتى جعل بإزاء كلِّ شيءٍ ضده ، والله إنَّ هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقليل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

[ثلاث جوارٍ مويهنَ الرشيد]

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجوّاري اللواتي كان الرشيد يَهَوَّهنَ ، ويقول الشعر فيهنَ ، وهن سِحْرٌ ، وضيَاءٌ ، وخُنْتُ ؛ وفيهنَ يقول الرشيد :

إِنَّ سِحْرًا وضيَاءً وخُنْتُ هنَّ سحر وضيَاءٌ وخُنْتُ
أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذَنْبَ لها ثُلثِي قَلْبِي وترْبَاهَا الثُّلُثُ
حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد بن مَنجوف السُّدُوسيّ قال : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن صُبَّيح قال : وجَّه الرشيد إلى جاريته سِحْرَ لتصير إليه ؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّةً ، ثم جاءته من الغدِ ، فقال الرشيد :

أَيَا مَنْ رَدَّ وَدِّيْ أُمُّ سِرِّ لا أُعْطِيكَهُ اليوما
ولا والله لا أُعْطِي لك إِلَّا الصَّدَّ واللُّوما
وإن كان بقلبي من لك حُبٌّ يمنع النَّوما
أَيَا مَنْ سَمْتُهُ الوَصْلَ فَأَعْلَى الْمَهَرِّ والسُّوما

قال : وفيهنَ يقول ، وقد قيل إنَّ العبّاس بن الأحنف قالها على لسانه² : [من الكامل]

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 34 .

2 ديوان العبّاس بن الأحنف : 312 .

صوت

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَّلْنِ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تُطَاوِعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلَّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهَنْ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَبِهِ عِزْزَنْ أَعَزَّ مِنْ سُلْطَانِي¹
غَنَّتْهُ عَرِيبٌ خَفِيفٌ ثَقِيلُ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى .

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال : وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فحضرت ، فأخرج إليّ جارية كأنها المَهَاءُ ، فأجلسها في حجره ، ثم قال : غَنَّنِي ، فغَنَّتْهُ :

جِئْنَا مِنَ الرُّومِ وَقَالِقَلَا يَرْفُلْنَ فِي الْمِرْطِ وَلَيْنَ الْمَلَا
مُقَرَّطَقَاتٌ بِصُنُوفِ الْحُلَى يَا حَبْدَا الْبَيْضُ وَتِلْكَ الْحُلَى²

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استوذن للفضل بن الربيع ، فأذن له ، فلما دخل قال : ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : كلّ خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجر لي كسمائه أمير المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أخرج إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوَارٍ لي : مَكِّيَّة ، وَمَدِينِيَّة ، وعِراقِيَّة . ففَبَضَّتِ الْمَدِينِيَّةُ عَلَى ذَكَرِي ، فَلَمَّا أَنْعَطَتْ وَثَبَتِ الْمَكِّيَّةُ فَقَعَدَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهَا الْمَدِينِيَّةُ : مَا هَذَا التَّعَدِّي ؟ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ مَالِكًا حَدَّثَنَا عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَالِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ» ؟ فَقَالَتِ الْآخَرَى : أَوْ لَمْ تَعْلَمِي أَنَّ سَفِيَانَ حَدَّثَنَا ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «الصَّيْدُ لِمَنْ صَادَهُ لَا لِمَنْ أَثَارَهُ» . فدفعتهما الْعِرَاقِيَّةُ عَنْهُ ، وَوَثَبَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا لِي ، وَفِي يَدِي حَتَّى تَصْطَلِحَا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهنّ إليه ، ففعل ، وحظّين عنده ، وفيهنّ يقول : [من الكامل]

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَّلْنِ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ

[إعجاب بشعر الرشيد في جواره]

حدّثنا محمد بن يحيى قال : حدّثنا الْغَلَّابِيُّ قال : حدّثني مهديّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حِجَّةٍ ، فكان الناس يتناشدون له في جواره :

[من الوافر]

ثَلَاثٌ قَدْ حَلَّلْنَ جِمَى فَوَادِي وَيُعْطَيْنَ الرِّغَائِبَ مِنْ وِدَادِي

1 عزز في ل والديوان : قوين .

2 البيض في ل : والله .

نظمت قلوبهنّ بخيطٍ قلبي فهنّ قرابتي حتى التنادي
فمن يك حلّ من قلب محلاً فهنّ مع النواظر والسّود
ومّا قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنّى فيه :
[من الهزج]

صوت

أذات الخال أقصيت محباً بكم صبا
فلا أنسى حياتي ما عبدت الدهر لي ربّا
وقد قلت أنيليني فقالت أفرق الذنبا
الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى عن عمرو . ومنها :
[من الهزج]

صوت

أذات الخال قد طال بمن أسقمته الوجع
وليس إلى سواكم في الـ لذي يلقي له فزع
أما يمنعك الإسلا من قتلي ولا الورع
وما ينفك لي فيك هوى تغتره خدع
الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى ، عن عمرو . ومنها :
[من الرجز]

صوت

ثعلب يا هذا الكثير العبث بالله لما قلت لي عن خنث
عن ظبية تميم في مشيتها أحسن من أبصرته في شعث
فقال : قالت قل له أنت امرؤ موكل فيما ترى بالعيث
والله لولا خصلة أرقبها لقل في الدنيا لما بي كبث
الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأول ، عن أبي العنّس ، والآخر هزج بالبنصر
عن عمرو . وفيه لعريب ثقيل أول آخر . وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى .
وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أن ثعلباً هذا ، كان مملوكاً
لإبراهيم ، فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزء بن مِغُول الموصلي ، وكانت مغنية محسنة ،
وخاطب ثعلباً فيها مستخيراً له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنه قال في خنث
جارية جزء بن مِغُول الموصلي ، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب ، وكانت خنث مغنية
محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

[من الرجز]

ثعلبُ يا هذا الكثيرُ الخُبثُ باللهِ إلّا قلت لي عن خُنثٍ
وذكر الأبيات .

[من السريع]

قال : وقال له أيضاً :

صوت

أبدِ لذات الخال يا ثعلبُ قولَ امرئ في الحبِّ لا يكذبُ
إنّي أقول الحقَّ فاستيقني كلَّ امرئ في حُبِّه يلعبُ
الشعر والغناء لإبراهيم ، له فيه لحنان : رمل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكيّ .
ومنها :

صوت

جزى الله خيراً من كلِّفت بحبِّه وليس به إلّا المموءة من حُبِّي
وقالوا : قلوب العاشقين رقيقة فما بال ذات الخال قاسية القلبِ ؟
وقالوا لها : هذا محبّك مُعرضاً فقالت : أرى إعراضه أيسرَ الخطبِ
فما هو إلّا نظرة بتبسم فتشّبَّ رجلاه ويسقطُ للجنبِ
ومنها :

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنائي إذنْ فحوِّلْتُ في مَسْكِ ابن زَيْدانٍ¹
فإنّ هذي يمين ما حلفت بها إلّا على الحقِّ في سري وإعلاني
الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .
ومنها :

صوت

لقد أخلو بذات الخا لٍ والحراسُ قد هَجَعُوا
فمن يُنصِرُ أبا الخطأ ب يطلبُها ويتَّبِعُ

أَلَا لَمْ تَرَ حَزُونًا تَسْنَمُ صَبْرَهُ الْجَزَعُ
وَقَارَعَنِي فَفَزْتُ بِهَا وحازتها لي الْقُبْرُ

غناه إبراهيم ، من رواية بَذَل عنه ، ولم تذكر طريقته .

قال علي بن محمد الهشامي : حدثني جدِّي ، يعني ابن حمدون ، قال : حدثني مخارق قال : كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابن زيدان صاحب البرامكة ، وإبراهيم يلعبه بالشطرنج ، فدخل علينا إسحاق ، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائدة . سألتني رجل ما أفخم كلمة في الفم ؟ فقلت : لا إله إلا الله . فقال له أبوه إبراهيم : أخطأت . هلا قلت : دُنْيا ودنيا . فأخذ ابن زيدان الشاه ، فضرب به رأس إبراهيم ، وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتي ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً ، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى ، فحدثه بخبره . قال : وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى ، فركب إلى الفضل بن يحيى ، فاستجار به ، فاستوهبه الفضل من جعفر ، فوهبه له ، فانصرف وهو يقول : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني إذا فَحَوَّلْتُ في مَسْكَ ابن زَيْدَانِ
فإن هذي يمين ما حَلَفْتُ بها إلّا على الصدق في سرى وإِعْلَانِي
قال : وله في هذين البيتين صنعة ، وهي هَزَج .

[من الهزج]

منها :

صوت

مَنْ يَرْحَمُ حَزُونًا بذات الخالِ مَفْتُونًا
أَبَى فِيهَا فَمَا يَسْلُو وَكُلَّ النَّاسِ يَسْلُونَا
فَقَدْ أَوْدَى بِهِ السُّقْمُ وَقَدْ أَصْبَحَ مَجْنُونًا
فَإِنْ دَامَ عَلَى هَذَا ثَوَى فِي اللَّحْدِ مَدْفُونًا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، عن الهشامي .

[من الهزج]

ومنها :

صوت

لذات الخال أَرْقَنِي خيالاً بات يَلْثَمُنِي
بَكَى وَجَرَى لَهُ دَمْعٌ لما بالقلب من حَزَنِي

فلا أنساه أو أنسى إذا أدرجت في كفني

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامي .

[من مجزوء الرمل]

ومنها :

صوت

هل علمت اليوم يا عا صم يا خير خدين
أن ذات الخال تأتي بني على رغم قرين
لا تلمني إن ذات ال خال دنيائي وديني¹
وإلى حفص خليلي ووزيري وأميني
بُحت لا أكمه شيئا من الداء الدفين²
إن بي من حب ذات ال خال شيئاً كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى ، عن ابن المكي .

[من مجزوء الرجز]

ومنها :

صوت

تقول ذات الخال لي : يا خليّ البال
فقلت : حاشاك من أن يكون حالك حالي
أعرضت عني لما أوقعتني في الجبال
إن الخلي هو الغا فل الذي لا يُبالي

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن . وذكر ابن المكي أنه رمل .

[من الهزج]

ومنها :

صوت

أما تعلم ذات الخا ل فوق الشفة العليا
بأنّي لست أهوى غيـرها شيئاً من الدنيا
وأنتي عن جميع الداس إلا عنهم أعمى
وأنتي لو سقيت الدهر ر من ريقك لا أروى

1 إلى هذا أشار في قوله لإسحاق : «دنيا وديناً» .

2 الداء في ل : السر .

الشعر والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكي وغيرهما . وقد روى «أما تعلم يا ذا الخال» . وهذا هو الصحيح .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

يا ليت شعري كيف ذات الخال أم أين تحسب حالها من حالي
هل أنسين منها وضمت مرة رأسي إليها ثم قالت : مالي
ألزلة أقصيتني نفسي الفدا لك أم أطعت مقالة العذال
والله ما استحسنت شيئا مؤرقاً ألتذه إلا خطرت بيالي
الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلها ، عن ابن المكي ، وثقيل
أول بالوسطى ، عن حبش .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

يا ليت شعري والنساء غواير خُلفُ العِداتِ وفاؤهن قليل
هل وصل ذات الخال يوماً عائداً فتزول لوعاتي وحر غليلي
أم قد تناست عهدنا وأحالها عن ذاك ملكٌ حال دون خليل
الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقیل أول بالنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن
المكي والهشامي . انقضت أخبارها .
[حجر بن عمرو]

صوت

[من الخفيف]

إن من غرة النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور
حلوة القول واللسان ومُر كل شيء أجَن منها الضمير
كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب حبها خيتعور¹
الشعر لحجر بن عمرو آكل المرار . والغناء لحنين ، ثاني ثقیل بالنصر ، عن الهشامي . وفيه
لنبیه ثقیل أول بالوسطى ، عن حبش . وفيه رمل له .

1 خيتعور : باطل لا يدوم على حال .

[336] - نسب حُجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

[نسبه]

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِع ، واسمه عمرو بن ثور ، وقيل : ابن معاوية بن ثور ، وهو كِنْدَة بن عَفِير بن عَدِيّ بن الحارث بن مرّة بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرب بن قَحْطَان .
[القتال بينه وبين ابن الهبولة]

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُرَيْد إجازة ، قال : حدّثني عُمِي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن الشَّرْقِيّ بن القُطاميّ قال¹ : أقبِلْ تُبَعِّعْ أيام سار إلى العراق ، فنزل بأرض معدّ ، فاستعمل عليهم حُجر بن عمرو ، وهو آكِل المار ، فلم يزل ملكاً حتى خَرِفَ ، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن . ثم إنَّ زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَلِيح القضاعيّ ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، ومنزله بَعْمَر ذي كِنْدَة ، وكان قد غزا بريعة البحرين . فبلغ زياداً غزاته ، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجر ، فأخذ مالاَ كثيراً ، وسبى امرأة حُجر ، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلما بلغ حجراً وبكر بن وائل مغاره وما أخذ أقبلوا معه ، ومعه يومئذٍ أشرافُ بكر بن وائل ، منهم عوف بن محمّل بن ذُهَل بن شَيَّان ، وصُلَيْع بن عبد غَنَم بن ذهل بن شَيَّان ، وسَدُوس بن شَيَّان بن ذُهَل ، وضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محمّل ، قالاً لحجر : إنا متعجلان إلى الرجل ، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أباغ ، فكلمه عوف بن ملحَم ، وقال : يا خير الفتيان ، اردد عليّ ما أخذته منّي . فأعطاه إياه . وكلمه عمرو بن معاوية في فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو ؛ وكان قوياً . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصصره . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بني شَيَّان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبت قليلاً ، وشتمت جليلاً . ولقد جررت على نفسك

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونيّة هذا الخبر 7 : 384-386 .

شراً ، ولتجدني عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر ، فأخبره الخير .
فأقبل حُجْر في أصحابه ، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبر ، وهو دون عين أبغ ،
بعث سدوساً وصليعاً يتجسسان له الخير ، ويعلمان له عِلْم العسكر . فخرجا حتى هجما على
عسكره ، وقد أوقد ناراً ، ونادى منادٍ له : مَنْ جاء بحزمة من حطب فله فِذْرَةٌ¹ من تمر . وكان
ابن الهبولة قد أصاب في عسكر حُجْر تمرأً كثيراً . فضرب قِبايه ، وأجّج ناره ، ونثر التمر بين
يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمرأً . فاحتطب سدوس وصليع ، ثم أتيا به ابن الهبولة ، فطرحاه
بين يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريباً من القبة . فأما صليع فقال : هذه آية وعلم ما يريد ،
فانصرف إلى حُجْر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأما سدوس فقال : لا أبرح حتى آتية بأمر
جلّي . فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر في كلِّ
ناحية ، فضرب سدوس بيده إلى جليس له ، فقال له : مَنْ أنت ؟ مخافة أن يستنكر . فقال : أنا
فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سدوس من القبة ، فكان حيث يسمع الكلام . فدنا ابن الهبولة
من هند امرأة حجر ، فقبلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنك الآن بحُجْر لو عِلِم بمكاني
منك ؟ قالت : ظنّي به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر ، وكأنّي أنظر إليه في
فوارس من بني شيبان يُذمّروهم ويذمّرونه ، وهو شديد الكلب ، سريع الطلب ، يزيد شذقه كأنه
بعير آكلُ مُرار . فسَمّى حُجْرَ آكلَ المُرار يومئذٍ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلت هذا
إلا من عُجْبِكَ به ، وحُبِّكَ له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمَةٍ قطُّ بغضي له ، ولا رأيت رجلاً
قطُّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً ، إن كان لنتام عيناه وبعض أعضائه حي لا ينام . وكان إذا أراد النوم
أمرني أن أجعل عنده عَسّاً مملوءاً لبناً ، فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود
سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى
إليها فقبضها ، فمال إلى رجله وقد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ،
فمال إلى العُسن : شربه ثم مجّه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من
نومه ، فقال : عليّ بالإناء ، فناولته ، فشَمّه فاضطربت يداه ، حتى سقط الإناء فأهريق .
وذلك كلّهُ بأذن سدوس . فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته ، حتى صَبَح ؛ حُجْرأ .
فقال :

أتاك المرجفون برجم غيبٍ على دَهَش وجئتُك باليقين
فمن يَكُ قد أتاك بأمر لبسٍ فقد آتني بأمر مُستيين

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى في الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهبولة . وعرفه سدوس ، فحمل عليه ، فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصر به عمرو بن معاوية ، فشدد عليه ، فأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سلبه ، وأخذ حُجرَ هنداً فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بها حتى قطعها قطعاً .

هذه رواية ابن الكلبي .

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حُجر ، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم ، وأم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني ، وهي أم الحارث بن حُجر وهند بنت حُجر ، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبي خازم¹ :

فإلى ابن أم أناسٍ أَعْمِلْ نَاقَتِي عَمْرُو فَتَنْجَحْ حَاجَتِي أَمْ تُرْجَفُ
مَلِكٌ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِيَابِهِ غَرَفُوا غَوَارِبَ مُرَبَّدٍ مَا يُزْفُ

قال : وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنعم ، ويتصيد في المسير ، ولا يمر بوادٍ فيعجبه إلا أقام به يوماً أو يومين ، حتى أتى على ضريبة ، فوجدها مغشية ، فأعجبته ، فأقام بها أياماً . وقالت له أم أناس : إنني لأرى ذات وَدَك² ، وسوء دَرَك ، كأنني قد نظرت إلى رجل أسود أدم ، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرار قد أخذ برقبتة ؛ فسُمي حُجر آكل المُرار بذلك . وذكر باقي القصّة نحو ما مضى .

وقال في خبر ابن الهبولة : إنَّ سَدُوساً أُسْرَهُ ، وإنَّ عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده ، فطعنه فقتله : فغضب سدوس لذلك ، وقال : قتلت أسيري وديته دية الملوك . وتحاكما إلى حُجر ، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ؛ وأعانهم في ذلك بماله . وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان :

مَا بَعْدُكُمْ عَيْشٌ وَلَا مَعَكُمْ عَيْشٌ لَدِي أَنْفٍ وَلَا حَسَبٌ
لَوْلَا بَنُو ذَهْلٍ وَجَمْعُ بَنِي قَيْسٍ وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ
مَا سُمْتُמוْنِي خُطَّةً غَبْنًا وَعَلَى ضَرِيَّةٍ رَمْتُمْ غَلْبِي

قال : وقد رُوي أنَّ حُجراً ليس بآكل المُرار ، وإنما أبوه الحارث آكل المُرار . ورُوي أيضاً

1 ديوان بشر بن أبي خازم : 155 وفيه «أو ترحف» .

2 الودك : الدسم من اللحم أو الشحم .

أنّه إنّما سُمِّيَ آكلَ المُرارِ لأنَّ سدوساً لما أتاها بخبر ابنِ الهُبولة ومداعبته لهند ، وأنَّ رأسه كان في حجرها ، وحدّثه بقولها وقوله ، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير . فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنّه يأكله من شدّة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث ، فعلم حينئذٍ بذلك ، ووجد طعمه ، فسُمِّيَ يومئذٍ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبيّ : وقال حُجرٌ في هند :

[من الخفيف]

لَمَنْ النَّارُ أَوْقَدَتْ بِخَفِيرٍ لَمْ تَنْمَ عِنْدَ مُصْطَلٍ مَقْرُورٍ
أَوْقَدْتُهَا إِحْدَى الْهُنُودِ وَقَالَتْ أَنْتَ ذَا مُوْتَقٍّ وَثَاقِ الْأَسِيرِ
إِنَّ مِنْ غَرَّةِ النِّسَاءِ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدَ لَجَاهِلٍ مَغْرُورٍ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدماً وفيها الغناء .

صوت

[من الكامل]

طَرِبَ الْفَوَازُ وَعَاوَدَتْ أَحْزَانُهُ وَتَفَرَّقَتْ فِرَقاً بِهِ أَشْجَانُهُ
وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا انْدَمَلَ الْهَوَى بَرْقٌ تَأَلَّقَ مَوْهناً لَمَعَانُهُ
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ وَدُونِهِ صَعْبُ الذَّرَى مَتَمَّنَّعٌ أَرْكَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا جَادَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ¹

الشعر لمحمد بن صالح العلويّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنّهُ لبنان . خفيف ثقيل . وفيه ثقيل أول ، يقال إنّهُ لأبي العنّس ، ويقال إنّهُ للقاسم بن زرور . وفيه لعمرو الميداني رمل طنبوريّ ، وهو لحن مشهور .

[337] - أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه¹

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازي ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته المتقدمين . وكان جده موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجيين في أيام المنصور ، أمهم جميعاً هند بنت أبي عبيدة .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالاً : حدّثنا الزبير بن بكّار ، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العلويّ قال : حدّثني الزبير بن بكّار : أنّ هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة . قال : ولا تحمل لستين إلا قرشية ، ولا تحمل لخمسين إلا عريّة . قال : وكان موسى آدم شديد الأذمة ، وله تقول أمّه هند : [من الرجز]

إِنَّكَ أَنْ تَكُونَ جَوْناً أَنْزَعَا أَجْدُرُ أَنْ تَضُرَّهُمْ وَتَنْفَعَا
وَتَسْلِكَ الْعَيْشَ طَرِيقاً مَهِيْعَا فَرْدَاً مِنَ الْأَصْحَابِ أَوْ مُشِيْعَا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زماناً ، ثم ظفر به أبو جعفر ، فضربه بالسوط ، وحبسه مدة ، ثم عفا عنه وأطلقه .

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

[خرج على المتوكّل]

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكّل مع مَنْ يَبْضُ في تلك السنة ، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو السّاج ، فأخذهم وقبدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سويقة ، وهي منزل للحسينيّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وقعر بها نخلاً كثيراً ، وحرق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة ، وحُبل محمد بن صالح فيمن حُبل منهم إلى سرّ مَنْ رَأَى . فحُيِس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكّل ، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غني في شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرّفه ، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

1 ترجمة محمد بن صالح العلوي في مقاتل الطالبيين : 600-614 ومعجم المرزبانيّ : 380 والوافي 3 : 154 والفوات 3 : 392 والنجوم الزاهرة 2 : 256 وانظر أعلام الزركليّ .

[حسه ووفاته]

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال : أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى ، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيه ، في شيء من أمور السلطان . وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة ، فصار أبو السَّاج إلى سويقة ، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو السَّاج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيده ، وحمله إلى سر من رأى ، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين ، ثم أطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنه جُدِر ، فمات في الجُدري ، وهو الذي يقول في الحبس :

[من الكامل]

طربَ الفؤادُ وعاودتُ أحزانهُ	وتشعبتُ شعباً به أشجانهُ
وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى	برقُ تألق موهناً لمعانهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونهُ	صعب الذرا متمنع أركانهُ
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطقُ	نظراً إليه وردّه سَجانهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه	والماء ما سَحَّت به أجفانهُ ¹
ثم استعاذ من القبيح وردّه	نحو العزاء عن الصبا إيقانهُ
وبدا له أن الذي قد ناله	ما كان قدره له دَيانهُ
حتى اطمأنّ ضميره وكأنما	هتك العلائق عاملً وسانه ²
يا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ	بالنيل باذلُ تافهٍ منانهُ
يَعِدُّ القضاء وليس ينجز موعداً	ويكونُ قبل قضائه ليانه ³
خدلُ الشوى حسن القوام مُخَصَّر	عذبٌ لَمَاهُ طيبٌ أردانهُ
فاقنع بما قسم إلهه فأمّره	ما لا يزال على الفتى إتيانهُ
والبؤس ماضٍ ما يدوم كما مضى	عصرُ النعيم وزال عنك أوانهُ

[شجاعته]

أخبرني عمي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن انتصف الليل ، وأنا أرى أنه يبيت . فإذا هو قد قام ،

1 سحت في ل : سمحت .

2 عامل الرمح : صدره .

3 ليان : مخلف الوعد .

فتقلّد سيفه ، وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المقام والمبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت إليّ مبتسماً وقال : [من الطويل]

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أَهْلُ لشيءٍ ولم تَقَرَّعْ فؤادي القوارِعُ

[الجواري الباقيات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكّل ، فرأى الجواري يلطن عنده ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

رأيت بسامراً صبيحةً جمعة عيوناً يروق الناظرين فزورها
تزور العظام الباليات لدى الثرى تجاوزَ عن تلك العظام غفورها
فلولا قضاء الله أن تعمّر الثرى إلى أن يُنادى يوم يُنفخ صورها
لقلت عساها أن تعيش وأنّها ستُسشّر من جرّاء عيون تزورها
أسيلات مجرى الدمع إمّا تهلّت شؤون المآقي ثم سح مطيرها
بونلي كأنّوام الجمان يُفيضه على نحرها أنفاسها وزفيرها
فيا رحمة ما قد رحمت بواكياً ثقلاً توالياً لطافاً خصورها

[يخطب فبرد ثم يعاود فيجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني إبراهيم بن المدبر قال ، جاءني محمد بن صالح الحسنيّ ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرّبيّ ، أو أخته حمّدونة . ففعلت ذلك ، وصرت إلى عيسى ، فسألته أن يجيبه ، فأبى ، وقال لي : لا أكذبك ، والله ما أردته لأنّي لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره ، ولكنّي أخاف المتوكّل وولده بعده على نعمتي ونفسي ، فرجعت إليه ، فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدّة ، ثم عاودني بعد ذلك ، وسألني معاودته ، فعاودته ورَفَقْتُ به ، حتى أجاب ، فزوّجه أخته ، فأنشدني بعد ذلك محمد : [من الطويل]

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردّني فللّه والي حُرّةٍ وعليقها
لقد ردّني عيسى ويعلم أنّي سليلُ بنات المصطفى وعريقها
وإن لنا بعد الولادة نبعةً نبيُّ الإله صيَّوها وشقيقها
فلمّا أبى بُخلًا بها وتمنعاً وصيّرني ذا خُلّة لا يُطيقها
تداركني المرء الذي لم يزل له من المكرمات رحبها وطيّقها

سَمِيَّ خَلِيلَ اللَّهِ وَابْنُ وَلِيهِ وَحَمَّالُ أَعْبَاءِ الْعُلَا وَطَرِيقُهَا
وَزَوْجَهَا وَالْمَنْ عِنْدِي لَغِيرِهِ فِيَا بَيْعَةً وَقَتْنِي الرِّيحَ سَوْقُهَا
وَيَا نِعْمَةَ لَابْنِ الْمُدَبِّرِ عِنْدَنَا يَجِدُّ عَلَى كَرِّ الزَّمَانِ أَنْبِقُهَا

[مغرم في زوجه]

قال ابن مهرويه : قال لي إبراهيم بن المدبر : فلما نُقِلْتُ حمدونة إليه شُغِفَ بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدني لنفسه فيها : [من السريع]

لَمَغْرُمُ الْقَلْبِ طَوِيلُ السَّقَامِ لَعَمْرُ حَمْدُونَةَ إِنِّي بِهَا
مَبَايِنٌ فِيهَا لِأَهْلِ الْمَلَامِ مَجَاوِزُ لِلْقَدْرِ فِي حُبِّهَا
حَمَاقَةُ النَّفْسِ وَهَوْلِ الْمَقَامِ مُطَرِّحٌ لِلْعَذْلِ مَاضٍ عَلَى
وَصَارَمٌ يَقْطَعُ صَمَّ الْعِظَامِ مُشَايِعِي قَلْبٍ يَخَافُ الْخَنَا
وَفَضْلُهَا بَيْنَ النِّسَاءِ الْوَسَامِ جَشْمَنِي ذَلِكَ وَجَدِي بِهَا
مَعَ الشَّوَى الْخَذَلِ وَحَسَنِ الْقَوَامِ مَمْكُورَةُ السَّاقِ رُذَيْنِيَّةُ
مَائِرَةُ السَّاقِ ثَقَالُ الْقِيَامِ صَامِتَةُ الْحِجْلِ خَفُوقُ الْحَشَا
مَنِيرَةُ الْوَجْهِ كَبَرَقِ الْغَمَامِ سَاجِيَةُ الطَّرْفِ نَقُومُ الضُّحَى
وَأُعْطِيَتْ مُنِيَّتُهَا مِنْ تَمَامِ زَيْنُهَا اللَّهُ وَمَا شَانُهَا
كَنْتُ بِسَامِرًا قَلِيلَ الْمُقَامِ تَلِكُ الَّتِي لَوْلَا غَرَامِي بِهَا

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبر ، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة .

[قصته مع حمدونة قبل زواجه منها]

وحدثني عمي عن أبي جعفر بن الدهقانة النديم قال : حدثني إبراهيم بن المدبر قال : جاءني يوماً محمد بن صالح الحسني العلوي بعد أن أُطْلِقَ مِنَ الْحَبْسِ ، فقال لي : إِنِّي أُرِيدُ الْمَقَامَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ عَلَى خُلُوةٍ ، لِأُبَيِّنَ لَكَ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً لَا يَصْلُحُ أَنْ يَسْمَعَهُ غَيْرُنَا . فقلت : أَفْعَلُ . فصرفت من كان بحضرتي ، وخلوت معه ، وأمرت برد دابته ، وأخذ ثيابه ؛ فلما اطمأننا وأكلنا واضطجعنا ، قال لي : أَعْلَمْتُكَ أَنِّي خَرَجْتُ فِي سَنَةِ كَذَا وَكَذَا وَمَعِيَ أَصْحَابِي عَلَى الْقَافِلَةِ الْفُلَانِيَّةِ ، فَقَاتَلْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا ، فَهَزَمْنَاهُمْ وَمَلَكْنَا الْقَافِلَةَ ، فَبَيْنَا أَنَا أَحْزُومُهَا وَأَنْبِخُ الْجَمَالَ ، إِذْ طَلَعَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَمَارِيَّةِ ، مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا وَجْهًا ، وَلَا أَحْلَى مَنْطَقًا ، فَقَالَتْ : يَا فَتَى ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُوَ لِي بِالشَّرِيفِ الْمُتَوَلَّى أَمْرَ هَذَا الْجَيْشِ . فقلت : وَقَدْ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ كَلَامَكَ . فَقَالَتْ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ ﷺ أَنْتَ هُوَ ؟ فقلت : نَعَمْ

وَحَقَّ اللَّهُ وَحَقَّ رَسُولُهُ إِنِّي لَهوَ . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحزري ، ولأبي محلٌّ من سُلْطانه ، ولنا نِعْمَةٌ ، إن كنتَ تَمَنِّ سَمِعَ بها فقد كفأك ما سمعت ، وإن كنتَ لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ ، وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لتفتني ، فخذها حلالاً ، وهذا خَلِّيّ عليّ من خمس مئة دينار ، فخذهُ وَضَمْنِي ما شئت بعده ، آخِذْهُ لك من تجار المدينة أو مكّة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عنيّ ، واحمني من أصحابك ، ومن عار يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً ؛ فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ، وهب لك القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجت فناديت في أصحابي ، فاجتمعوا فنادت فيهم : إِنِّي قد أجزت هذه القافلة وأهلها ، وخفرتها وحميتها ، ولها ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّتي ، فَمَنْ أخذ منها خيلاً أو عقلاً¹ فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معي ، وانصرفت .

فلَمَّا أُخِذَتْ وَحُيِسَتْ ، بينا أنا ذات يوم في مَحْيسِي إذ جاءني السَّجَّان وقال لي : إن بالبواب امرأتين تزعمان أنّهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليّ أن يدخل عليك أحد ، إلا أنّهما أعطتاني دُمْلُجَ ذَهَبٍ ، وجعلتا لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما في الدّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب ، لا أعرف أحداً ، ثم قلت : لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتني ، فلَمَّا رأتني بكت لما رأت من تغيّر خَلْقِي ، وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إي والله ، إنه هو هو ، ثم أقبلت عليّ فقالت : فذاك أبي وأمي ، والله لو استطعت أن أقيكَ ممّا أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت ، وكنتَ بذلك مني حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك ، والسعي في حاجتك ، وخلاصك بكلّ حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنائير وثياب وطيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كلّ يوم بما يصلحك ، حتى يفرّج الله عنك . ثم أخرجت إليّ كِسوة وطيباً ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كلّ يوم بطعام نظيف ، وتواصل برّها بالسَّجَّان ، فلا يمتنع من كلّ شيء أريده .

فَمَنْ الله بخلاصي ، ثم راسلتها فخطبتها ، فقالت : أمّا من جهتي فأنا لك متابعة² مطيعة ، والأمر إلى أبي ، فأتيته ، فخطبتها إليه ، فردّني ، وقال : ما كنت لأحقّق عليها ما

1 ل : مخيطاً .

2 ل : سامعة .

قد شاع في الناس عنك في أمرها ، وقد صيرتها فضيحة . فقامت من عنده منكساً¹
مستجياً ، وقلت له في ذلك :

رَمَوْنِي وَإِيَّاهَا بِشَنْعَاءِ هُمْ بِهَا أَحَقَّ أَدَالِ اللَّهِ مِنْهُمْ فَعَجَّلَا
بِأَمْرِ تَرَكْنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ عَيْنَا فِيمَا عِفَّةٌ أَوْ تَجَمُّلَا
فقلت له : إن عيسى صنيعه أخى ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك أمره .

فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله ، وقلت له : قد جئتك في حاجة لي ؛ فقال :
مَقْضِيَّةٌ ، ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتك ، وكان أسراً إلي . فقلت له : قد جئتك
خاطباً إليك ابتك . فقال : هي لك أمة ، وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : إني خطبتها
على من هو خير مني أباً وأماً ، وأشرف لك صهراً ومُتَصِلاً ، محمد بن صالح العلوي . فقال
لي : يا سيدي ، هذا رجل قد لحقنا بسببه ظنة ، وقيل فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟
قال : بلى ، والحمد لله . قلت : فكأنها لم تقل ، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ، ولم
أزل أرفق به حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحت حتى زوجته ،
وسقت الصداق عنه .

[مدح صديق]

قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة ، لما
أولاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله : [من الوافر]

أَتَخْبِرُ عَنْهُمْ الدَّمَنُ الدُّثُورُ وَقَدْ يُنْبِي إِذَا سُئِلَ الْخَبِيرُ
وَكَيْفَ تُبَيِّنُ الْأَنْبَاءَ دَارٌ تَعَاقَبَهَا الشَّمَائِلُ وَالْدُّبُورُ
يقول فيها في مدحه :

فَهَلَّا فِي الَّذِي أَوْلَاكَ عُرْفًا تُسَدِّي مِنْ مَقَالِكَ مَا تُنِيرُ²
ثَنَاءً غَيْرَ مَخْتَلَقٍ وَمَذْحًا مَعَ الرِّكْبَانِ يَنْجِدُ أَوْ يَغُورُ
أَخٍ وَاسَاكَ فِي كَلْبِ اللَّيَالِي وَقَدْ خَذَلَ الْأَقَارِبُ وَالنَّصِيرُ
حِفَظًا حِينَ أَسْلَمَكَ الْمَوَالِي وَضَنَّ بِنَفْسِهِ الرَّجُلُ الصَّبُورُ
فَإِنْ تَشْكُرْ فَقَدْ أَوْلَى جَمِيلًا وَإِنْ تَكْفُرْ فَإِنَّكَ لِلْكَفُورُ

1 ل : منكساً .

2 تسدي وتير من ألفاظ نسج السدي واللحمة .

وما في آل خاقان اعتصامٌ إذا ما غُمَّ الخَطْبُ الكبيرُ
لئام الناس إثراءً وفقراً وأعجزهم إذا حمى القَتيرُ
قُوْنِم لا يزوجهم كريمٌ ولا تُسنَى لنسوتهم مهورُ
وإنما ذكر آل خاقان ههنا لأنَّ عبيد الله بن يحيى قَصَّرَ به وتحامل عليه ، وكان يقول ما يكره ، ويؤكد ما يوجب حُبسه ، وكان فيه وفي ولده نَصَبٌ¹ شديد .
ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة ، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب .

[صداقة بين شاعرين]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : كان محمد بن صالح العلويّ حُلُو اللسان ، ظريفاً أديباً ، فكان بسرّاً من رأى مخالطاً² لسرّة الناس ، ووجوه أهل البلد ، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حميد ، وكانا يتقارضان الأشعار ، ويتكاتبان بها . وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ :

أصاحبٌ من صاحبتَ ثُمّتَ أثني إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُروى بهم وهو حائمٌ إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا
ولكن إذا جنناك لم نبغ مشرباً سيواك وروّينا العظامَ الصّواديا
قال عبد الله بن طالب : وكان بعض بني هاشم دعاه ، فمضى إليه ، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه ، فأخبر بموضعه عند الهاشمي ، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه ، فكتب إليه بهذه الأبيات .

قال عبد الله : وشرب يوماً هو وسعيد بن حميد ، فسكر محمد بن صالح قبله ، فقام لينصرف ، والتفت إلى سعيد وقال له :

لعمرك إنني لما افترقنا أخو زينٍ بخلّصاني سعيد
تبقتَه المدامُ وأزعجتني إلى رحلي بتعجيل الورود
[سعيد بن حميد يرثيه]

قال : وتوفّي محمد بن صالح بسرّاً من رأى ، وكان يَجْهَد في أن يُؤذَن له في الرجوع إلى الحجاز ، فلا يجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه :

[من الطويل]

1 النصب : كره لآل علي وعداوة .

2 ل : مألّفة .

بأي يد أسطو على الدهر بعدما
وهاض جناحي حادث جَلَّ خطبه
ومن عادة الأيام أن صُروفها
لعمري لقد غال التجلد أننا
فما أعرف الأيام إلا ذميمة
ولا لي من الإخوان إلا مكاشير
فقدت فتى قد كان للأرض زينة
لعمري لئن كان الردى بك فاتني
لقد أخذت مني النوائب حكمها
ولا تركتني أربُّ الدهر بعده
سقى جدنا أمسى الكريم ابن صالح
إذا بشر الرواد بالغيث برقه
فغادر باقي الدهر تأثير صوبه

أبان يدي غضبُ الذباين قاضبُ
وسدَّت عن الصبر الجميل المذاهبُ
إذا سرَّ منها جانبٌ ساء جانبُ
فقدناك فقد الغيث والعأم جادبُ
ولا الدهر إلا وهو بالثار طالبُ
فوجه له راضٍ ووجه مغضبُ
كما زينت وجه السماء الكواكبُ
وكل امرئ يوماً إلى الله ذاهبُ¹
فما تركت حقاً عليَّ النوائبُ
لقد كلَّ عني نابُه والمخالبُ
يحلُّ به ، دانٍ من المزن ساكبُ
مرَّته الصبا واستحلبته الجنائبُ
ربيعاً زهت منه الربا والمذائبُ²

[المتوكل يطلقه من الحبس لشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال : حدثني المبرد قال : لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى توصل بُنان له ، بأن غنى بين المتوكل في شعره :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تألق موهناً لمعانه
فاستحسن المتوكل الشعرَ واللحن ، وسأل عن قائله ، فأخبر به ، وكلم في أمره ، وأحسن الجماعة رفده ، وقام الفتح بأمره قياماً تاماً . فأمر بإطلاقه من حبسه ، على أن يكون عند الفتح وفي يده ، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألا يرح من سرَّ من رأى ، فأطلق ، وأخذ عليه الفتحُ الأيمان المؤثقة ألا يرح من سرَّ من رأى إلا بإذنه ، ثم أطلقه .

[شكره المتوكل على إطلاق سراحه]

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياذ كثيرة ، منها قوله في المتوكل : [من الكامل]

ألفَ التقى ووفى بنذر الناذر
وأبى الوقوف على المحلِّ الدائر

1 امرئ في ل : فتى .

2 فغادر باقي في ل : فغا وربا في الدهر

ولقد تَهيجَ له الديارُ صباةً
فرأى الهدايةَ أنْ أنابَ وأتتهُ
يا ابنَ الخلائفِ والذين بهديهمُ
وابنَ الذين حَوُوا تراثَ محمدٍ
نطقَ الكتابُ لكم بذلك مُصدّقاً
ووصلتْ أسبابُ الخلافةِ بالهَدَى
أحييتَ سنةَ مَنْ مضى فتجددتُ
فافخرَ بنفسك أو بجَدِّكَ مُعلِناً
ما للمكارمِ غيرُكُمْ من أولٍ
إني دعوتُكَ فاستجبتَ لدعوتي
فانتشنتني من قعرِ مَوْرِدَةِ الردى
وفككتَ أسري والبلاءُ مُوَكَّلٌ
وعطفتَ بالرحمِ التي ترجو بها
وأنا أعوذُ بفضلِ عفوك أنْ أرى
أو أنْ أضَيِّعَ بعدما أنقذتني
ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكذِّرٍ

[مجاوزه لها السَّاج]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار ، ومحمد بن خلف وكيع قالوا : حدَّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال : حدَّثني أبو عبد الله الجُهَنِّي قال : دخلت على محمد بن صالح الحَسَنِي في حبس المتوكَّل ، فأنشدني لنفسه يهجو أبا السَّاج³ :

أَلَمْ يَمِزْنِكُ يا ذلفاءُ أنِّي
وَأَنْ حَمائلي ونجاءَ سَيْفِي
فَقَصَّرَهْنَ لَمَّا طُلْنَ حتَّى اسـ

سكنتُ مساكنَ الأمواتِ حيًّا
علونَ مُجَدَّعاً أَشْرُوسِيًّا²
توين عليه لا أَمْسى سَوِيًّا

1 أَمَّا فِي ل : مَنَّا .

2 الملم الفاجر : الحادث الذي يكسر فقار الظهر .

3 أبو السَّاج الأَشْرُوسِي : أحد قواد المعتمد .

[من الوافر]

أَمَّا والراقصاتِ بذاتِ عرقٍ تريدُ البيتَ تحسبها قِسيًا
لَوْ امكنتُني غداً تَقْدِرُ جِلادٌ لألفوني به سَمْحاً سَخِيّاً

[غزل وحنين]

قال ابن عَمَّار : وأنشدني عُبَيْدُ اللَّهِ بن طاهرُ أَبُو محمدَ مُحَمَّدَ بن صالحٍ أيضاً : [من الطويل]
نظرتُ ودوني ماءٌ دجلةٌ مَوْهِناً بمطروفةِ الإنسانِ محسورةٌ جدّاً
لَتُؤَنِّسَ لي ناراً بليلاً تَوَقَّدَتْ وتالله ما كلفتها نظراً قَصْداً¹
فلو أَنَّها منها لَقَلْتُ كَأَنِّي أرى النارَ قد أُمِسَتْ تَضِيءُ لنا هِنْدًا
تَضِيءُ لنا منها جَبِيناً وَمَحْجِراً ومبتسماً عَذْباً وَذا غُدرَ جَعْدًا
انقضت أخباره .

صوت

[من الخفيف]

يا عَدِيّاً لقلبكِ المهْتَاجِ أن عفا رسمُ منزلٍ بالنباجِ²
غيرته الصَّبَا وكُلُّ مُلِثٍ دائم الودقِ ذي أهاضيبٍ داجٍ³
وحملنا غلامنا ثم قُلْنَا هاجرُ العيس ليس منك بناجِ
فانتحي مثل ما انتحي بازُ دَجْنٍ جَوَّعته القُنَّاصُ للدُّراجِ
الشعر لأبي ذُوادٍ الإيادي . والغناء لحنين ، ثاني ثَقِيلُ بالبَنْصَرِ في مجراها ، عن إِسحاق .
وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّهُ لابن عائِشة . وفيه لَعَرِيبُ هَزَج . وفيه ثَقِيلُ أَوَّل ، ينسب إلى يزيدَ
الْحَذَاءِ⁴ ، وإلى أحمد النّصِيبِي .

1 بليلى توقدت في ل : بقلبك أوقدت .

2 النباج : مكان .

3 الملت : المطر . الودق : لمعان البرق . والأهاضيب : دفعات المطر .

4 الحذاء في ل : الحوراء .

[338] - ذكر أخبار أبي دود الإيادي ونسبه¹

[نسبه]

هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت : جارية بن الحجاج . وكان الحجاج يلقب حُمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حذافة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد . وقال ابن حبيب هو جارية بن الحجاج أحد بني بُرد بن دُعَمي بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيال ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر وأشهر .

[جار أبي دود]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : حدثني الهيثم بن عدي وابن الكلبي ، عن أبيه ، والشرقي : أن أبا دود الإيادي مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبي دود وهو في جواره فوداه ، فمدحه أبو دود ، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبي دود ، وفيه يقول قيس بن زهير :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى جار كجار أبي دود²

هذه رواية هؤلاء ؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : جاور أبو دود الإيادي كعب بن مامة الإيادي ، فكان إذا هلك له بعير وداه وإذا هلك له شاة أخلفها ، وفيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند :

جار كجار الحذاقي الذي انتصفا³

وكان لأبي دود ابن يقال له دود شاعر ، وهو الذي يقول يرثي أباه : [من البسيط]

فبات فينا وأمسي تحت هائرة ما بعد يومك من ممسي وإصباح⁴

1 لأبي دود الإيادي ترجمة في الشعر والشعراء : 161-163 وخزانة البغدادي 9 : 590-592 والعيني 2 : 391 وشرح شواهد المغني : 124 وبروكلمان 1 : 118 وقد جمع ديوانه وترجم له غرباوم في «دراسات في الأدب العربي» : 243-353 تحقيق إحسان عباس .

2 المثل «جار كجار أبي دود» في مجمع الميداني 1 : 163 والدرة الفاخرة 1 : 130 .

3 صدر البيت : «إني كفاني من هم همت به» . والحذاقي : أبو دود نسبة إلى حذاق قبيلته .

4 هائرة في ل : هاوية ، والهائرة : الحفرة .

لا يدفع السُّقْمَ إِلَّا أَنْ نُفَدِّيَهُ وَلَوْ مَلَكْنَا مَسْكَنَا السُّقْمَ بِالرَّاحِ

[زوجته نَحَرَضَهُ عَلَى إِبْعَادِ ابْنِهِ]

أَخْبَرَنِي عُمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَاحِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُنْذِرِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : تَزَوَّجَ أَبُو دُوَادَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ دُوَادًا ثُمَّ مَاتَتْ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ أُخْرَى ، فَأَوْلَعَتْ بِدُوَادَ ، وَأَمَرَتْ أَبَاهُ أَنْ يَجْفُوهُ وَيُعِدَّهُ ، وَكَانَ يَحِبُّهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ : أَخْرِجْهُ عَنِّي ، فَخَرَجَ بِهِ وَقَدْ أَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ، إِلَى أَنْ أَتَتْهُ إِلَى أَرْضِ جَرْدَاءَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ ، فَأَلْقَى سَوْطَهُ مَتَعَمِّدًا ، وَقَالَ : أَيُّ دُوَادَ ، أَنْزَلَ فَنَاولَنِي سَوْطِي . فَنَزَلَ ، فَدَفَعَ بَعِيرَهُ وَنَادَاهُ :

أَدُوَادُ إِنْ الْأَمْرُ أَصْبَحَ مَا تَرَى فَانْظُرْ دُوَادُ لِأَيِّ أَرْضٍ تَعْمِدُ ؟

فَقَالَ لَهُ دُوَادَ : عَلَى رِسْلِكَ . فَوَقَفَ لَهُ فَنَادَاهُ :

وَبَايَ ظَنُّكَ أَنْ أَقِيمَ بِلَدٍ جَرْدَاءَ لَيْسَ بِغَيْرِهَا مُتَلَدٌ¹
فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهُ ابْنِي حَقًّا ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ .

[زَوْجُهُ تَلَمَّهَ عَلَى تَبْدِيدِ الْمَالِ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ حَمَّادٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : كَانَتْ لِأَبِي دُوَادَ امْرَأَةٌ يَقَالُ لَهَا أُمُّ حَبْتَرٍ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

فِي ثَلَاثِينَ ذَعَذَعْتُهَا حَقُوقُ
أَصْبَحْتُ أُمَّ حَبْتَرٍ تَشْكُونِي²
زَعَمْتُ لِي بِأَنْتَنِي أَفْسَدَ الْمَا
لَ وَأَزْوِيهِ عَنْ قَضَاءِ دِيُونِي
أُمَلْتُ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا لِلْمَالِي
وَتَهَنَّا بِنَافِعِ الْمَالِ دُونِي
وَهِيَ طَوِيلَةٌ . قَالَ : وَلَهَا يَقُولُ وَقَدْ عَاتَبَتْهُ عَلَى سَمَاحَتِهِ بِمَالِهِ فَلَمْ يُعْتَبِهَا ، فَصَرَمَتْهُ :

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي
وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مَحَالَةَ³
وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالْفَتَى
وَالدَّهْرُ أَرْوَعُ مِنْ ثُعَالَةٍ⁴

1 تلدد : تلبث .

2 ذعذعتها : بددتها .

3 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 وفصل المقال : 299 ومستقصى الزمخشري 1 : 346 .

4 المثل «أروع من ثعالة» في مجمع الميداني 1 : 317 والدرة الفاخرة 1 : 209 وجمهرة العسكري 1 : 473 ومستقصى الزمخشري 1 : 248 .

والمرء يكسب ماله والشح يؤرثه الكلالة
والعبد يُقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة¹
والسكت خير للفتى فالحن من بعض المقالة

[وصافو الخيل]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبي عن إسحاق ، عن الأصمعي قال : ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : طُفيل ، وأبو دواد ، والجعدي . فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر . وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل² إلى أن كبر . وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أبو دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام ، وبعده طُفيل الغنوي والنابعة الجعدي .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن ابن الأعرابي قال : لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد ، ولا وصف الحمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر ، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة ، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني .

[رأي في أشعر الناس]

أخبرني عمي قال : حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال : حدثنا عيينة بن المنهال قال : حدثنا شداد بن عبيد الله قال : حدثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي ، عن أبي عرادة قال : كان علي صلوات الله عليه يُفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم ، فأقل وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس ، فقال علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي : أشعرهم الذي يقول : [من الخفيف]

ولقد أغندي يدافع ركني أخوذني ذو مئعة إضريح³

1 المثل «العبد يقرع بالعصا . والحر تكفيه الإشارة» في مجمع الميداني 2 : 19 .

2 أغرل : صبي لم يختن .

3 الأحوذ : الذي يسوق الإبل بسرعة . وفي الديوان أجولي ، وهو الفرس الجوال السريع . المئعة : النشاط والسرعة . والاضريح : السريع .

مِخْلَطٌ مَزِيلٌ مِكْرٌ مِفَرٌ مِفْعٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ¹
 سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كَأَنَّ رِمَاحاً حَمَلَتْهُ فِي السَّرَاةِ دُمُوجٌ²

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دُود ، فأقبل عليّ على النَّاس ، فقال : كلَّ شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أنَّهم أسبق إلى ذلك ، وكلَّهم قد أصاب الذي أراد ، وأحسن فيه ، وإن يكن أحد فضَّلهم ، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر ، فإنَّه كان أصحَّهم بادرة ، وأجودهم نادرة .
 [إحجام الرواة عن رواية شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : كانت الرواة لا تروي شعر أبي دود ولا عديّ بن زيد ، لمخالفتهما مذاهب الشعراء³ ، قال : وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء ، فأكثر وصفه للخیل .
 [تبرك الإياديين بناقته الزباء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني ابن أبي الهيثم قال : اسم أبي دود الإياديّ جُويريّة بن الحجاج . وكانت له ناقة يقال لها الزَّيَاء ، فكانت بنو إياد يتبركون بها . فلما أصابتهُم السنة تفرَّقوا ثلاث فرق ، فرقة سلكت في البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلّمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل ، فنزلوا على الحارث بن هَمَّام .

وكان السبب في ذلك أنَّهم أرسلوا الزَّيَاء ، وقالوا إنَّها ناقة ميمونة ، فخلَّوها ، فحيث توجَّهت فاتَّبعوها . وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجعة . فخرجت تخوض العرب ، حتى برَّكت بفناء الحارث بن هَمَّام ، وكان أكرم النَّاس جواراً ، وهو جار أبي دود المضروب به المثل . فقال أبو دود يمدح الحارث ، ويذكر ناقتة الزَّيَاء :
 [من الكامل]

1 المثل «مخلط مزيل» في مجمع الميادني 1 : 75 يضرب للذي يخالط الأمور ويزايلها . وفي وصف الفرس أنه يحسن الجري ويأتي بفنون منه . ورواية البيت في الديوان :

مِخْلَطٌ مَزِيلٌ مَعْنٌ مَغْنٌ مِطْرَحٌ مِضْرَجٌ جَمُوحٌ خَرُوجٌ

والخروج : الذي يسبق الخيل فيخرج من بينها . والمعن : الذي لا يرى شيئاً إلاّ عارضه .

2 السلهب : الطويل من الخيل . والشرجب : الطويل القوائم أو الفرس الكريم الجواد . والسراة : الظهر . والدُمُوج : الإحكام والملاسة .

3 انظر الشعر والشعراء : 154 وموشح المرزباني : 103 والحجة في ذلك أنَّ ألفاظهما حيرية وليست بنجدية . ثم يورد ابن قتيبة لعدي «أربع قصائد غرر» . وواضح من السياق أنَّ هذا الإهمال مرده عدم استشهد علماء اللغة بألفاظهما .

فإلى ابن همام بن مرة أصدت طعن الخليط بهم فقل زبالها
أنعمت نعمة ماجد ذي منة نصبت عليه من العلا أظلالها
وجعلتنا دون الولي فأصبحت زبأ منقطعاً إليك عقالها

[مفاخر إياد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : كانت إياد تفخر على العرب ، تقول : من أجود الناس كعب بن مامة ، ومن أشعر الناس أبو دواد ، ومن أنكح الناس ابن الغز .

[ابن الغز]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدثني القحذمي قال : كان ابن الغز أيراً ، فكان إذا أنغظ احتكت الفصال بأيره ، قال : وكان في إياد امرأة تستصغر أبور الرجال ، فجامعها ابن الغز ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالركب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العرب بها المثل : «أريها استها وتريني القمر»¹ . وأنشد ، وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفاً من قلة العمارة في السواد ، فقبل فيه :

شكونا إليه خراب السواد فحرم فينا لحوم البقر
فكنا كمن قال من قبلنا أريها استها وتريني القمر

[رأى الخطيئة في أشعر الشعراء]

أخبرني عمي عن الكرائي ، عن العمري ، عن الهيثم بن عدي بنحوه .
وأخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال : حدثني العمري عن لقيط قال : أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال : كان الخطيئة عند سعيد بن العاص ليلة ، فتذاكروا الشعراء ، وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مليكة ما تقول ؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمن أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول :

لا أعد الإقتار عدماً ولكن فقد من قد رزيمته الإعدام²

1 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 وقرب منه «أريها السها وتريني القمر» في جمهرة العسكري 1 : 142-143 . ومستقصى الزمخشري 1 : 147 .

2 هكذا رواية الديوان ، وبداية الشطر الأول في ل «ليس عدم الأموال عدماً . . .» .

والشعر لأبي دود الإيادي . قالوا : ثم مَنْ ؟ قال : ثم عبید بن الأبرص . قالوا : ثم مَنْ ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة ، ثم عَوَّيت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه .

[مباراة في وصف نور]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرید قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، قال : حدَّثني عمي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن هَجَّاس بن مَرير الإياديّ ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهليّة ، قال : بينا أبو دُود وزوجته وابنه وابنته على رَوة ، وإياد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دود : [من مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجُّ سُ حُرَّةٌ وَأَحْمٌ وَارِدُ¹
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ زَوَائِدُ²
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّ رَبَاءٍ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدُ³

ثم قال : أَنْفِذِي يَا أُمُّ دُود ، فقالت :

[من مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجُّ سُ حُرَّةٌ وَأَحْمٌ مُوَلِّقُ⁴
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ مُعَلِّقُ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّ رَبَاءٍ أَيْدِيهِمْ تَالِقُ

ثم قال : أَنْفِذِي يَا دُود . فقال :

[من مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجُّ سُ حُرَّةٌ وَأَحْمٌ مَرْهَفُ
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ مَلْفُ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّ رَبَاءٍ أَيْدِيهِمْ تَلْقُ

ثم قال : أَنْفِذِي يَا دُود⁵ . قالت : وما أقول مع مَنْ أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟

قالت : جعلتم له قرناً واحداً ، وله قرنان . قالوا : فقولِي . قالت : [من مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجُّ سُ حُرَّةٌ وَأَحْمَتَانُ

1 توجس : تستمع إلى الصوت الخفي . وحرة : مرهقة السمع . والأحم : القرن الأسود .

2 الزمغ : الشعر الذي في مؤخرة رجلَي الحيوان ، الواحدة زمعة .

3 الرقباء : الذين يرقبون القداح . والضرباء : الذين يضربونها .

4 مولق في ل : مذلق .

5 ل : دلبة .

وقوائِمٌ عُوْجٌ لها من خلفها زَمَعٌ ثَمَانٌ
كمقاعد الرقباء للضَّء رباء أَيْدِيهِمْ دَوَانٌ

[قتل رقبة البهراني أولاد أبي دواد الثلاثة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرني عَمِّي عن العباس بن هشام ، عن أبيه قال : كان أبو دُود الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء . وإنَّ أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بهراء ، يقال له رَقَبَة بن عامر بن كعب بن عمرو ، فقال له رقبة : صالحني وحالفني¹ . فقال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذا ، فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلك ، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إنَّ أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رَقَبَة البهرانيّ ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر ، وأخبرهم أنَّ القوم ولدُ أبي دواد ، فخرجوا إلى الشام ، فلَقَوْهم فقتلوهم . وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة ، فلَمَّا أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المنذر ، فقال له : قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً ، فأنا أحبُّ أن تتغذى عندي ، فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليها بعض رؤوس بني أبي دُود ، فوثب وقال : أبيت اللعن ! إني جارك ، وقد ترى ما صنع بي ، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر . فوقع المنذر منهما في سَوَاة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبي دواد : أما يرضيك توجيهي بكتيتي الشهباء والدُّوسر إليهم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيتين .

فلَمَّا بلغ ذلك رَقَبَة قال لامرأته : وَيَحْك ! الحقني بقومك فأُنذِرهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلَمَّا قربت منهم تعرّت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النذيرُ العُريان³ . فأرسلتها مثلاً . فعرف القوم ما تريد ، فصعدوا إلى أعالي الشام ، وأقبلت الكتيتان فلم تصيبا منهم أحداً ، فقال المنذر لأبي دُود : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدري كلَّ ابن لك بمئتي بعير ، فأمر له بست مئة بعير ، فرضي بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ :

سأفعل ما بدا لي ثم آوي إلى جارٍ كجار أبي دُودِ

1 ل : خالصني .

2 ل : أحد .

3 المثل «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخر : 84 .

صوت

[من الطويل]

وَرَكَّبَ كَأَطْرَافِ الْأُسْنَةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ غِيَاهُ¹
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتَمَّ صَدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتَّ عَوَاقِبُهُ
الشعر لأبي تمام الطائي . والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، ثاني ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَى
الْبَنْصَرِ . وفيه لجعفر بن رَفْعَةٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ .
أخبرني : إبراهيم بن القاسم بن زُرْزُور عن أبيه ، وَحَدَّثَنِي الْمُظْفَرُ بْنُ كَيْغَلَعٍ عَنِ الْقَاسِمِ
أَيْضاً : أَنَّ الْمُكَتْفِيَّ بِاللَّهِ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِالرَّقَّةِ فِي رَقْعَةٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ ، وَأَمْرٌ أَنْ يَصْنَعَ
فِيهِمَا لَحْنَ . فَصَنَعَ الْقَاسِمُ هَذَا اللَّحْنَ ، وَصَنَعَ جَعْفَرُ خَفِيفُ الثَّقِيلِ .

1 داج في ل وديوان أبي تمام : تسطو .

[339] - أخبار أبي تمام ونسبه¹

[مذهبه في الشعر]

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، من نفس طيء صليبة . مولده ومنشؤه منبج ، بقرية منها يقال لها جاسيم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غوّاص على ما يُستصعب منها ، ويعسرُ مُتناوله على غيره . وله مذهب في المطابق ، هو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسوك في جميع طرقه . والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد . وله أشياء متوسطة ، وردية رذلة جداً .

[المتعاملون الدامون لشعره]

وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط ، حتى يفضلّه على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ، ويطوون محاسنه ، ويستعملون القِحة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس ، وطلب معايهم ، سبباً للترفع ، وطلباً للرياسة . وليست إساءة من أساء في القليل ، وأحسن في الكثير ، مُسقطّة إحسانه ؛ ولو كثرت إساءته أيضاً ثم أحسن ، لم يُقلّ له عند الإحسان أسأت ، ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسط في كل شيء أجمل ، والحق أحق أن يتبع .

[شعر الرجل بمنزلة أولاده]

وقد روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها ، إلا في بيت واحد ، فقال له : يا أبا تمام ، لو ألقى هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ، والرشيد والساقط ، وكلّهم حلّو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل ، لم يغيض الناقص ، وإن هوى بقاء المتقدم ، لم يهوى موت المتأخر .

1 ترجمة أبي تمام في «أخبار أبي تمام» للصولي وطبقات ابن المعتز : 282-286 ووفيات الأعيان 2 : 11-26 وتاريخ بغداد 8 : 248 وتهذيب ابن عساكر 4 : 18 وقد كتب فيه الأملدي كتاب «الموازنة» بينه وبين البحرني ، وفي التذكرة الحمدونية جانب كبير من أخباره وشعره (انظر الفهرس) . وقد طبع ديوانه عدة مرات ، ونشمر إلى طبعة مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني (بيروت) .

واعذاره بهذا ضدّ لما وصف به نفسه في مدحه الوائق ، حيث يقول¹ : [من الكامل]

جاءتكَ من نظم اللسان قِلادَةٌ سيمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ
أخذّاكها صنَعُ اللسان يُمدُّه جَفَرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِينُ²
ويُسيءُ بالإحسان ظَنًّا لا كَمَن هو بابنه وبشعره مفتونُ

[المفضلون له أعلم من الطاعين عليه]

فلو كان يسيءُ بالإساءة ظَنًّا ولا يفتتن بشعره ، كنّا في غِنَى عن الاعتذار له .
وقد فضّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، مَنْ لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبَارَه ،
ولا يدركون ، وإن جَدُّوا ، آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيراً ولا
شكلاً ؛ ولولا أنّ الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصّبه الشرح لجيد
شعره ، وأفرط معادوه في التسطير لردّيته ، والتنبيه على رَذَله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفًا ،
ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه .

[من المعجبين بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدّثني أبي قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيّات يقول : أشعر
الناس طُرًّا الذي يقول³ :

وما أبالي وخيرُ القولِ أَصدقُه حقنْتَ لي ماء وجهي أو حقنْتَ دمي
فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس⁴ ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب ، فجلست
إليه ، وكنت أجري عنده مَجْرَى الولد ، فقلت له : مَنْ أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذي
يقول⁵ :

مطر أبوك أبو أهلةً وائلٍ ملأ البسيطةَ عُدةً وعديدا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحى نوراً ومن فلق الصباح عُمودا
ورثوا الأبوةَ والحظوظَ فأصبحوا جمعوا جُودا في العلا وجُودا
فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه .

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 292 .

2 اللسان في ل والديوان : الضمير .

3 ديوانه : 256 .

4 هو إبراهيم بن العباس الصولي من كبار الكتّاب والشعراء في الدولة . وقد أورد أبو الفرج ترجمة له في الأغاني

10 : 36 .

5 ديوانه : 80 .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال : قدِمَ عُمارة بن عَقِيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : هاهنا شاعر يزعم قوم أنّه أشعر الناس طُرّاً ، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك . فقال : أنشدوني قوله . فأنشدوه¹ : [من الطويل]

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَاداً عِنْدَهَا كُلُّ مَرَقَدٍ
وَأَنْفَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُدُودُ تَعَمُّدٍ
فَأَجْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعاً مُورِّداً مِنَ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدِّ مُورِّدٍ
هِيَ الْبَدْرُ يَغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدْ

ثم قطع المنشد . فقال له عُمارة : زدنا من هذا . فوصل نشيده وقال :

وَلَكِنِّي لَمْ أَحَوِ وَفَرّاً مُجَمَّعاً فَفَزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدِّدٍ
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامَ نَوْماً مُسَكِّناً أَلَدْتُ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرِّدٍ

فقال عُمارة : لله ذَرُّهُ ! لقد تقدّم في هذا المعنى مَنْ سبقه إليه ، على كثرة القول فيه ، حتى لقد حَبَّبَ إِلَيَّ الْإِغْتِرَابَ ، هَيْه . فأنشده :

وَطَوَّلُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَاغَتِيهِ فَاغْتَرَبُ تَتَجَدَّدُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتِ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسُرْمَدٍ

فقال عُمارة : كَمَلَ وَاللَّهِ ، لئن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني ، واطراد المراد ، وآساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : سمعت عليّ بن الجّهّم يَصِفُ أَبَا تَمَّامٍ وَيُفَضِّلُهُ ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنه أخ بالأدب والمودة ؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول² :

[من الكامل]

إِنْ يُكْدِرُ مُطَّرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدٍ
أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاوِنَا عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ

1 ديوانه : 90 .

2 ديوانه : 78 .

أو يفترق نسبٌ يؤلفُ بيننا أدبٌ أقمناه مقامَ الوالدِ

[دعبل يدعي سرقة معانيه]

أخبرني محمد قال : حدثني هارون بن عبد الله المهلبّي قال : كنّا في حلقةٍ دُعبل ، فجرى ذكر أبي تمام ، فقال دعبل : كان يتتبع معانيّ فيأخذها . فقال له رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك ، أعزّك الله ؟ قال : قولي¹ :

وإن امرؤاً أسدى إليّ بشافع إليه ويرجو الشكرَ مني لأحقُّ
شفيعك فاشكر في الحوائج إنّه يصونك عن مكروها وهو يخلقُ
فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال² :

فلقيتُ بين يديك حلّو عطاءيه ولقيت بين يديّ مرّاً سؤاليه
وإذا امرؤٌ أسدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنّها من ماله
فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ فَبَحَكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك . لقد أجاد ، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلّغه . فغضب دُعبل وانصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدّم أبا تمام ويفضّله ، ويقول : لو لم يقل إلاّ مرثيته التي أوّلها :

أصمّ بك الناعي وإن كان أسمعاً

وقوله³ :

لو يقدرون مَشَوْا على وجنّاتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام
لكفتاه .

[إعجاب عمارة بن عقيل بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان عُمارة بن عقيل عندنا يوماً ، فسمع مؤدّباً كان لولد أخيه يُروّيهم قصيدة أبي تمام :

الحق أبلج والسيوف عوارِ

1 ديوان دعبل (نجم) : 112 .

2 ديوان أبي تمام (عزام) 3 : 60 .

3 ديوانه : 245 وفيه «وعيونهم» بدلاً من «وجباههم» .

فلماً بلغ إلى قوله¹ :

[من الكامل]

سُودُ اللباسِ كأنما نَسَجَتْ لهم أيدي السَّمومِ مَدَارِعا من قارٍ
بَكَرُوا وَأَسْرُوا في مُتُونِ ضَوامِرٍ قِيدَتْ لهم من مَرَبِطِ النَّجارِ
لا يَيرحونَ وَمَن رآهم خالهم أبداً على سَفَرٍ من الأسفارِ

فقال عمارة : لله درّه ! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنّه موقوف عليه .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم بن العباس :
ما اتَّكَلْتُ في مكاتبتني قطُّ إلا على ما جاش به صدري ، وجلبه² خاطري ، إلا أنّي قد
استحسنْتُ قول أبي تمام³ :

[من الطويل]

فإنِ بَاشَرَ الإصحارَ فالبيضُ والقنا قِراءُ وأحواضُ المنايا مَنَاهِلُهُ⁴
وإنِ يَبْنَ حَيِطَاناً عليه فإنّما أولئك عُقالاتُهُ لا مَعَاقِلُهُ⁵
وإلا فاعلمه بأنك ساخطٌ عليه ، فإنّ الخوف لا شك قَاتِلُهُ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي ، فقلت : «فصار ما كان يُحرزهم يُيرزهم ، وما كان
يَعقلهم يعتقلهم» . قال : ثم قال لي إبراهيم : إنّ أبا تمام اختُرِمَ وما استمتع بخاطره ، ولا نَزَحَ
رَكِي⁶ فكره ، حتى انقطع رِشَاءُ عمره .

أخبرني محمد قال : حدّثني أبو الحسين بن السخّيّ قال : حدّثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعت عمّي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام ، وقد أنشد شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ،
أمرأء الكلام رَعِيَّةٌ لإحسانك .

أخبرني محمد قال : حدّثني هارون بن عبد الله قال : قال لي محمد بن جابر الأزديّ ، وكان
يتعصّب لأبي تمام : أنشدت دِعْبِلَ بن عليّ شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنّه له ، ثم قلت له : كيف
تراه ؟ قال : أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس . فقلت : إنّهُ لأبي تمام . فقال : لعلّه سرقه !

[اقتسام الشعراء الجوائز بعد موته]

أخبرني محمد قال : حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال : ما كان أحد من الشعراء

1 ديوانه : 136-137 .

2 ل : واجتلبه .

3 ديوانه : 204 .

4 الإصحار : البروز إلى الصحراء .

5 العقالات : الحبوس والقيود . والمعاقل : جمع معقل وهو الملجأ .

6 الركي : البئر .

يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام ، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .
[شعراء خراسان يعجبون به]

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظنّ أيضاً جَحْظَةَ حَدَّثَنَا به ، قالوا : حَدَّثَنَا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لما قديم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه ، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً ، وستسمعوني . فلما دخل على عبد الله أنشده¹ :

أهنّ عوادي يوسفٍ وصواحبهُ فعزماً فقيماً أدرك السؤلَ طالِبهُ
فلما بلغ إلى قوله :

وقلقل نائي من خراسان جاشها فقلت اطمئني أنضرّ الروض عازِبهُ²
وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهِبهُ
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقِبهُ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس : ما يستحقّ مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله ! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحي : لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال له : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب له علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغلمان ، ولم يمسّ منها شيئاً ، فوجد عليه عبد الله وقال : يترفع عن برّي ، ويتهاون بما أكرمه به . فلم يبلغ ما أراد منه بعد ذلك .
[إعجاب أبي دلف به]

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي ، عن الحزَنبَل ، عن سعيد بن جابر الكرخي ، عن أبيه : أنّه حضر أبا دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي ، وقد أنشده قصيدته³ :

على مثلها من أربعٍ وملاعبٍ أذيلت مصبونات الدموع السواكِبِ
فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها وزادت على ما وطئت من مناقِبِ⁴

1 ديوانه : 43 .

2 العازب : الكلاً البعيد المطلب .

3 ديوانه : 41-42 .

4 ل : ما أثبت .

فأنتم بذئ قارِ أملتْ سِيوفكم غُرُوش الذين اسْتَرْهَنُوا قوسَ حاجِبِ
محاسنُ من مجد متى تَقْرُونُوا بها محاسن أقوامٍ تكن كالمعايبِ

فقال أبو ذؤف : يا معشر ربيعة ، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط ، فما عندكم لقائله ؟
فبادروه بمطاريهم يرمون بها إليه . فقال أبو ذؤف : قد قبلها وأعاركم لبسها ، وسأنوب عنكم
في ثوابه . تمم القصيدة يا أبا تمام . فتممها ، فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما
هي بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبل يده ، فحلف ألا يفعل ، ثم قال
له : أنشدني قولك في محمد بن حميد¹ :

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفه من الضربِ واعتلت عليه القنا السُّمُرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوغرُ
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصيك الحشرُ
غدا غدوةً والحمد نسجُ ردايه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
كأن بني نهبان يوم مُصابه نجومُ سماء خرَّ من بينها البذرُ
يُعرِّون عن ثاوٍ يُعزّي به العلى ويكي عليه البأسُ والجود والشعرُ
فأنشده إياها ، فقال : والله لوددت أنها في . فقال : بل أفدّي الأمير بنفسه وأهلي ،
وأكون المقدم قبله ، فقال : إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر ، أو مثله .

[مدحه الائق بن أبي دواد]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا الحسن بن غليل العنزي قال : حدثني إسحاق بن
يحيى الكاتب قال : قال الائق لأحمد بن أبي دواد : بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في
قصيدة مدحك بها ألف دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكني أعطيته خمسمائة
دينار رعاية للذي قاله للمعتصم² :

فاشدُّ بهارونَ الخلافةَ إنّه سَكَنَ لَوَحشتها ودارُ قرارِ
ولقد علمت بأنّ ذلك مِعصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوارِ
فابتسم وقال : إنه لحقيق بذلك .

[مدحه خالد بن يزيد الشيباني]

أخبرني علي بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : خرج أبو تمام إلى

1 ديوانه : 328-329 .

2 ديوانه : 137 .

خالد بن يزيد بن مَزِيد وهو بَارْمِينِيَّة ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلاف موفورة ، فإن أردت الشخص فاعجل ، وإن أردت المقام عندنا فلك الحياء والبرّ . قال : بل أشخص . فودّعه ؛ ومضت أيام ، وركب خالد يتصيد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكْرَةٌ¹ فيها شراب ، وغلام يغنيه بالطنبور . فقال : أبو تَمّام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال² :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاخَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ
مَا مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَمَقْدُورَتِكَ
تُنْفِقُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي السَّ سَاعَةٍ مَا تَجْتَنِّيهِ فِي سَنَتِكَ
فَلَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَيْنَ تَنْفِقُ لَوْ لَا أَنَّ رَبِّي يَمُدُّ فِي هَبَتِكَ³

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوْلِيّ قال : حدثنا عون بن محمد الكنديّ قال : حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال : قَدِيمُ أَبُو تَمّامَ مادحاً للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشدته الحسن ونحن على نبذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها ، فلمّا انتهى إلى قوله⁴ :

أَنَا مَنْ عَرَفْتُ فَإِنْ عَرَتِكَ جَهَالَةٌ فَأَنَا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُدَالِ⁵
عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسَوَّدَةٌ حَتَّى تَوَهَّمُ أَنَّهُنَّ لَيَالٍ

فقال الحسن : والله لا تسوّد عليك بعد اليوم . فلمّا قال :

لَا تَنْكَرِي عَطَلُ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالَسِيلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
وَتَنْظُرِي حَيْثُ الرِّكَابُ يَنْصُبُهَا مَحْيِي الْقَرِيضَ إِلَى عِمَتِ الْمَالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه ، وقال : والله لا أتممتها إلّا وأنا قائم . فقام أبو تَمّامَ

لقيامه ، وقال :

[من الكامل]

1 زُكْرَةٌ : وعاء من جلد للخمر .

2 لم نعر على هذه الأبيات في أي من طبعات ديوانه .

3 يمد في ل : يزيد .

4 ديوانه : 217-218 .

5 الديوان : أنا ذو عرفت . . . وهي بمعنى الذي في لغة طيء .

لَمَّا بَلَّغْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى
بَسَطَ الرِّجَاءَ لَنَا بِرَغَمِ نَوَائِبِ
أَعْلَى عِذَارِي الشَّعْرِ إِنَّ مُهَوَّرَهَا
تَرَدُّ الظُّنُونُ بِنَا عَلَى تَصْدِيقِهَا
أَضْحَى سَمِيٌّ أَبْيَكُ فَيْكَ مَصْدَقًا
وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَبِيهَا
كَالْغَيْثِ لَيْسَ لَهُ ، أُرِيدُ غَمَامَهُ
عَنَّا تَمْلُكُ دَوْلَةَ الْإِمَحَالِ¹
كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الْآمَالِ²
عِنْدَ الْكِرَامِ وَإِنْ رَخِصْنَ غَوَالٍ
وَيُحَكِّمُ الْآمَالَ فِي الْأُمُوالِ
بِأَجَلٍ فَائِدَةٍ وَأَيْمَنُ فَالِ
لِي ثُمَّ جُدْتُ وَمَا انتَظَرْتُ سَوَالِي
أَوْ لَمْ يَرِدْ ، بُدُّ مِنَ التَّهْطَالِ³

فتعانقا وجلسا . رَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : مَا أَحْسَنَ مَا جَلَوْتَ هَذِهِ الْعُرُوسَ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ
كَانَتْ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لَكَانَ قِيَامُكَ لَهَا أَوْفَى مُهَوَّرَهَا .

قال محمد بن سعد : وَأَقَامَ شَهْرَيْنِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَدَيْ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ
مِمَّا لَمْ أَعْلَمْ بِهِ ؛ عَلَى بَخْلِ كَانَ فِي الْحَسَنِ بْنِ رِجَاءٍ .

[اعتذار دعبل]

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : شَهِدْتُ دِعْبِلًا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ رِجَاءٍ
وَهُوَ يَضَعُ مِنْ أَبِي تَمَامٍ ، فَاعْتَرَضَهُ عِصَابَةُ الْجَرَّجَرَايِّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، اسْمَعْ مِنِّي مَا قَالَهُ ،
فَإِنَّ أَنْتَ رَضِيْتَهُ فَذَلِكَ ؛ وَإِلَّا وَافَقْتُكَ عَلَى مَا تَذَمُّهُ مِنْهُ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ فَيْكَ مِنْ أَلَّا تَرْضَاهُ ، ثُمَّ
أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ⁴ :

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَلِيطُ الْمُوْدُّعُ
وَمَغْنَى عَفَا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرِيعُ
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعَهُ
وَلَمْ أَرْ نَفْعًا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِرًا
مَعَادُ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ وَسِيْبُهُ
مَعَادُ لَنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَرْجَعُ
وَتَقْتَاذُهُ مِنْ جَانِبِيهِ فَيَتَّبِعُ
وَلَمْ أَرْ ضُرًّا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ

فَقَالَ لَهُ دِعْبِلُ : لَمْ نَدْفَعْ فَضْلَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَكِنْ كُنْكُمْ تَرْفَعُونَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ ، وَتَقْدِمُونَهُ عَلَى مَنْ
يَتَقَدَّمُهُ ، وَتَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مَا قَدْ سَرَقَهُ . فَقَالَ لَهُ عِصَابَةُ : إِحْسَانُهُ صَبْرُكَ لَهُ عَائِبًا ، وَعَلَيْهِ عَاتِبًا .

1 بلغنا في الديوان : وردنا .

2 بسط في الديوان : أحيا .

3 غمامه في الديوان : نواله .

4 ديوانه : 169-167 .

أخبرني الصولي قال : حدثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال : حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده¹ :
[من الكامل]

أُسقى ديارَهُمْ أجشُّ هَريمٌ وغدتْ عليهم نضرةٌ ونعيمٌ²

قال : فلما فرغ أمر له بألف دينار ، وخلع عليه خِلة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام³ :
[من الخفيف]

قد كسانا من كُسوة الصيف خِرَقٌ	مكتسِر من مكارم ومَساعٍ ⁴
خُلَّةٌ سابِرةٌ ورداء	كسحا القيض أو رداء الشجاع ⁵
كالسراب الرُّقراق في الحسن إلا	أنه ليس مثله في الخِداغ ⁶
قَصِيًّا تسترِجِفُ الرِّيحُ مَتْنِي	ه بأمرٍ من الهبوبِ مطاع
رَجَفاناً كأنه الدهر منه	كبِد الضَّبُّ أو حشا المرتاع
لازما ما يليه تحسبه جُزْ	ءاً من المتتئين والأضلاع
يَطْرُدُ اليومَ ذا الهجير ولو شُبَّ	ه في حره بيوم الوداع
خِلعةً من أغرَّ أَرْوَغَ رَحْب الصَّدِّ	در رحب الفؤاد رَحْب الذراع
سوف أكسوك ما يُعَفِّي عليها	من ثناء كالبُرد بُرد الصَّناع ⁷
حسن هاتيك في العيون وهذا	حسنه في القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم : وَمَنْ لا يُعْطِي على هذا مُلكه ؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي الفضل قال : لما شَخَصَ أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلد ، وقد كان عبد الله وجد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسْها بيده ، ترفعاً عنها ، فأغضبه

1 ديوانه : 264 .

2 ديارهم في الديوان : طولهم .

3 ديوانه : 172 .

4 الخرق : السخي .

5 السابرية من الثياب : الجيدة الرقيقة النسيج .

6 الحسن في الديوان : في النعت .

7 يعني عليها : يفوقها في القيمة .

وقال : يحتقر فعلي ، ويرفع عليّ . فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام¹ :

لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيستكسى ولا سمل²
عدل من الدمع أن يئكى المصيف كما يئكى الشباب ، ويئكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت يسراه وهي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمن له ما يحبه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيها الأمير ، أتهاون بمثل أبي تمام وتحفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدره ، وإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقي لذمه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك عاقداً بك أملاً ، مُعملاً إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه ، حتى ينصرف راضياً ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمع فيك منه ما سُمع إلا قوله³ :

تقول في قومسٍ صبحي وقد أخذت منّا السرى وخطا المهريّة القود⁴
أطلع الشمس تبغي أن تؤمّ بنا فقلت كلاً ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله : لقد نبّهت فأحسنست ، وشفعت فلطفت ، وعاتبته فأوجعت ، ولك ولأبي تمام العُتبيّ ، ادعه يا غلام . فدعاه ، فناداه يومه ، وأمر له بالفي دينار ، وما يحمله من الظّهر ، وخلع عليه خِلعة تامّة من ثيابه ، وأمر ببذرته⁵ إلى آخر عمله .

[التقاطه المعاني]

أخبرني جحظة قال : حدّثني ميمون بن هارون قال : مرّ أبو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتكم أمس فاحتجبت عني ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجّي خيرها . فتبيّنت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى ، ليضمّنه في شعره ، فما لبثنا إلا أياماً

1 ديوانه : 377 .

2 القشيب : الجديد . وفيستكسى في ل : فيسليبي . والسمل : البالي .

3 ديوانه (عزام) 2 : 132 .

4 السرى في ل : القلا .

5 بذرقته : حراسته .

حتى أنشدت قوله¹ : [من البسيط]

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجَى حينَ تَحْتَجِبُ

[دعبل يتهمه بسرقة قصيدة]

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف ، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال : كنا عند دُعبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام ، فثلبه ، وقال : هو سَرُوق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك² المِخْلَلة . فجاء بمِخْلَلة فيها دفاتر ، فجعل يُمرُّها على يده ، حتى أخرج منها دَفْتراً ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيه ، فإذا فيه : قال مُكْنِفُ أبو سُلمى ، من ولد زهير بن أبي سُلمى ، وكان هجاء دُفافة العَبَسِيَّ بأبيات منها :

إنَّ الضُّرَّاطَ به تصاعد جدُّكم فتعاظموا ضرطاً بنى القَعْقاع

قال ثم مات دُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال : [من الطويل]

أبعدَ أبي العباس يُستعذبُ الدَّهْرُ فما بعده للدَّهرِ حسنٌ ولا عُدْرُ
ألا أيُّها الناعي دُفافة والندى تَعِسْتُ وشِلْتُ من أناملك العِشْرُ
أتعنى لنا مِن قيس عيلانَ صخرة تفلَّق عنها من جبال العِدا الصخرُ
إذا ما أبو العباس خلَّى مكانه فلا حَمَلْتُ أثنى ولا نالها طُهرُ
ولا أمطرت أرضاً سماء ولا جرت نجومٌ ولا لَدَّتْ لشاربها الخمرُ
كأن بنى القَعْقاع يوم مُصابِه نجومٌ سماء خسرٌ من بينها البدرُ
تُوفِّيتِ الآمالُ يومَ وفاتِه وأصبح في شُغلٍ عن السُّفرِ السفرُ

ثم قال : سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها في قصيدته : [من الطويل]

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الأمرُ وليس لعين لم يَفُضْ ماؤها عُدْرُ

[مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب]

أخبرني الصُّوليُّ قال : حدثني محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشق غلاماً خزريّاً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام . فرآه أبو تمام يوماً يعبث

1 ديوانه : 26 .

2 ل : ويلك .

بغلامه ، فقال له : والله لئن أعتقت¹ إلى الروم ، لتركضنَّ إلى الخَزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حَكَمْتنا واحتكمت . فقال أبو تمام : أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبه نفسي بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً خففناه ، فأما وهو منشور فلا ، لأنه عارض لا حقيقة له ، فقال أبو تمام² :

[من البسيط]

أبا عليٍّ لصرفِ الدهرِ والغيرِ	وللحوادثِ والأيامِ والغيرِ
أذكرتني أمر داود وكنْتُ فتى	مُصَرَّف القلب في الأهواء والفكرِ
أعندك الشمس لم يحطْ المغيبُ بها	وأنت مضطربُ الأحشاء للقمَرِ
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى	جآذر الروم أعنقنا إلى الخَزَرِ
إنَّ القُطُوبَ له مني محلٌّ هوَى	يَحِلُّ مني محلُّ السمع والبصرِ ³
وربَّ أَمْنَع منه جانباً وجمي	أُمسى وتَكَنَّهُ مني على خطيرِ
جَرَدْتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ	منه غيابتها عن نيكة هَدَرِ ⁴
سبحانَ مَنْ سَبَّحْتُهُ كلُّ جارحةٍ	ما فيك من طَمَحان الأير والنظرِ ⁵
أنت المقيمُ فما تغدو راحلُهُ	وأيرُهُ أبداً منه على سَفَرِ ⁶

[حسد دعبل له]

أخبرني الصُّوليُّ قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين قال : حدَّثني وهب بن سعيد قال : جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام ، فقال له رجل في المجلس : يا أبا عليٍّ ، أنت الذي تطعن على مَنْ يقول⁷ :

[من الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي وَمَحَتُ كَمَا مَحَتِ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ⁸

1 أعتق : سار سيراً سريعاً .

2 ديوانه : 357-356 .

3 القطوب في الديوان : النفور .

4 عن نيكة هدر في الديوان : عن فجرة هدر .

5 الأير والنظر في الديوان : العين بالنظر .

6 وأيره في الديوان : وفعله .

7 ديوانه : 112 .

8 أقوت : خلت . ومحت : درست . والشائع : جمع وشيعة ، وهي الغزل الملفوف من اللحمية التي يداخلها الناسج بين السدى .

وأنجدم من بعد إتهام داركمُ فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ
فصاح دعيل : أحسنَ والله ! وجعل يردد « فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجد » ثم قال :
رحمه الله ! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس .
[رثاؤه أبي عبد الله بن طاهر]

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدثنا محمد بن يزيد قال : مات لعبد الله بن
طاهر ابنان صغيران في يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمام فأنشده¹ : [من الكامل]

ما زالت الأيامُ تخبرُ سائلاً أن سوفَ تفجعُ مُسهلاً أو عاقلاً²
مجدُّ تأوَّبَ طارقاً حتى إذا قلنا أقام الدهرُ أصبحَ راحلاً
نجمان شاء الله ألاَّ يطلعا إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يافلاً
إن الفجيعة بالرياض ناضراً لأجلٍ منها بالرياض ذوابلاً
لو يُنْسان لكان هذا غارباً للمكرُمات وكان هذا كاهلاً³
لَهْفِي على تلك المخايلِ منهما لو أمهلَت حتى تكون شمائلًا
لغدا سكونُهُما حجبي وصياهما جلماً وتلك الأريحيةُ نائلًا
إن الهلالَ إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكونُ بدرًا كاملاً⁴

صوت⁵

[من مجزوء الرجز]

بالله قلْ يا طَلَلُ أهْلُك ماذا فعلوا
فإن قلبي حَذِرٌ من أن يبينوا وجِلُ

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشَّيْص . والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ . خفيف ثقيل
بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهشاميّ .

1 ديوانه : 338 .

2 المسهل : النازل في السهل . والعادل : الممتنع في الجبل .

3 ينسان في الديوان : ينسان .

4 سيكون في الديوان سيعود .

5 شعر أبي الشَّيْص : 89 .

[340] - أخبار أبي الشَّيْص ونسبه¹

[نسبه]

اسمه محمد بن رزّين بن سليمان بن تميم بن نهشل ، وقيل : ابن بُهَيْش ، بن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعْبِل بن آنس بن خُزَيْمة بن سَلَامان بن أَسْلَم بن أَفْصى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَا بن عامر بن ثعلبة .

وكان أبو الشَّيْص لقباً غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عمّ دِعْبِل بن عليّ بن رزّين لَحاً . وكان أبو الشَّيْص من شعراء عصره ، متوسط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فحمل وانقطع إلى عُقْبَة بن جعفر بن الأشعث الخُزَاعِيّ ، وكان أميراً على الرُّقَّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلماً يُروى له في غيره . وكان عُقْبَة جواداً فأغناه عن غيره .

ولأبي الشَّيْص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً ، صالح الشعر ، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .
[رثاء عبيه]

وعَمِيّ أبو الشَّيْص في آخر عمره ، وله مَرَاثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .
[ابن المعتز يفضله]

وكان سريع الهاجس جداً ، فيما ذكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتز أنّ أبا خالد العامريّ قال له : مَنْ أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشَّيْص فكذبّه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .
وهكذا ذكر ابن المعتز ، وليس توجد هذه الصفات كما ذُكِر في ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سرّف شديد .

1 ترجمة أبي الشَّيْص في الشعر والشعراء : 721-726 وطبقات ابن المعتز : 72-86 وتاريخ بغداد 5 : 401 ومعاهد التنصيص 4 : 87 والسمط : 506 وفوات الوفيات 3 : 402 ونكت الهميان : 257 وانظر بروكلمان 2 : 69 والوافي 3 : 302 . وقد جمع شعره د . عبد الله الجبوري (بغداد 1967) . واسمه فيها جميعاً محمد بن عبد الله بن رزّين .

[مكافأة عتبة بن جعفر له]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكرائي عن النضر بن عمر قال : قال لي أبو الشَّيْص : لما
مدحت عُقْبَةَ بن جعفر بقصيدتي التي أولها :

[من الكامل]

لا تُنْكَرِي صَدِّي ولا إِعْراضِي ليس المقلُّ عن الزمان براضٍ
أمر بأن تُعَدَّ ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم .

[شاعران يريان عينيها]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن
المهدي أبيات أبي يعقوب الخُرَيْمِي التي يرثي بها عينه ، يقول فيها :

[من الوافر]

إذا ما مات بعضُك فابكُ بعضاً فإنَّ البعض من بعض قريب¹
فأنشدني لأبي الشَّيْص يكي عينه² :

[من المنسرح]

يا نفسُ بكِّي بأدمع هُتُنٍ وواكفِ كالجُمان في سَنَنٍ
على دليلي وقائدي وبدي ونور وجهي وسائس البدنِ
أبكي عليها بها مخافة أن تَقْرُنَنِي والظلام في قَرْنٍ

وقال أبو هِفَاف : حدثني دِعبِلُ أن امرأةً لقيت أبا الشَّيْص ، فقالت : يا أبا الشَّيْص : عَمِيتَ
بعدي . فقال : قَبَحَكَ اللهُ ، دعوتني باللقب ، وعيرتني بالضرر !

[مجلس شعر]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي ، عن أحمد بن عبيد قال : اجتمع
مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشَّيْص ودِعبِلُ في مجلس ، فقالوا : لِيُنْشِدْ كل واحد منكم
أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا مني أخبركم بما يُنْشِدُ كل
واحد منكم قبل أن يُنْشِدَ . قالوا : هات . فقال لمسلم : أمّا أنت يا أبا الوليد فكأنني بك قد
أنشدت³ :

[من الطويل]

إذا ما علّتْ منّا ذوابةٌ واحدٍ وإن كان ذا حلم دعتَه إلى الجهل
هل العيشُ إلّا أن تروح مع الصِّبا وتغدو صريع الكأس والأعين النُّجُلُ
قال : وبهذا البيت لُقِّبَ «صريع الغواني» ، لقبه به الرشيد ، فقال له مسلم : صدقت .

1 فإنَّ البعض في ل : فبعض الشيء .

2 شعره : 103 .

3 ديوان مسلم بن الوليد : 42 مع بعض اختلاف .

ثم أقبل على أبي نواس فقال له : كآتي بك يا أبا عليّ قد أنشدت¹ : [من البسيط]

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هندٍ واشرب على الورْد من حمراء كالوردِ
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سُكرين من بُدٍ
فقال له : صدقت .

ثم أقبل على دعبيل فقال له : وأنت يا أبا عليّ ، فكآتي بك تنشد قولك² : [من الكامل]

أين الشبابُ وأيّّة سلكا لا أينَ يُطلبُ ضلّ بلْ هلكا
لا تعجبي يا سلّم من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكي
فقال : صدقت . ثم أقبل على أبي الشيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، فكآتي بك وقد
أنشدتَ قولك : [من الكامل]

لا تنكري صديّ ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمانِ براضٍ
فقال له : لا . ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته . قالوا فأنشدنا ما بدا
لك . فأنشدهم قوله³ : [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخّر عنه ولا متقدّم
أجد الملامّة في هواك لذيدةً حُباً لذكرك فليلمني اللومُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبّهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم
وأهتيتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممّن يُكرّم
لعرّيب في هذا الشعر لحنان : ثقیل أول ، ورمل .

قال : فقال أبو نواس ، أحسنت والله وجودت ! وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك ، ثم
لأغلبنك عليه ، فيشتهر ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله : [من الكامل]

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخّر عنه ولا متقدّم
سرقاً خفياً ، فقال في الخصب⁴ : [من الطويل]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 27 .

2 ديوان دعبيل (نجم) : 117 .

3 شعر أبي الشيص : 92-93 مع اختلاف في الترتيب .

4 ديوان أبي نواس : 481 . وفيه «يصير الجود حيث يصير» .

فما جازه جودٌ ولا حل دُونُهُ ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ
فسار بيت أبي نواس ، وسقط بيت أبي الشَّيْص .

[مجلس شعري آخر]

نسخت من كتاب جدِّي لأُمِّي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه : حدَّثني الحسن بن سعد
قال : حدَّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيُّ أخو دعبل قال ، كُنَّا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو
الشَّيْص ومُسلم بن الوليد الأنصاريُّ ، فقال أبو نواس لأبي الشَّيْص : أنشدني قصيدتك
المُخزِية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخُلدي قولك : [من الكامل]

ليس المقلُّ عن الزمان براضٍ

إلا أنخزيتك استحساناً لها ، فإنَّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان
ثَقْفها وعَلَّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدِّي لي
المُخزِيات ، فتعدُّ قوله¹ :

أَغْرُ أَرْوَعُ يُسْتَسْقَى الغمام به لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعَا
وما أَشَبَّها من شعره . قال أبو الشَّيْص : لا أفعل . إنها ليست عندي عِقْدٌ دُرٌّ مفصَّل ،
ولكنِّي أَكاثِرُ بغيرها ، ثم أنشده قوله : [من الكامل]

وَقَفَّ الهوى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي متأخَّر عنه ولا متقدِّم
الآيات المذكورة ، فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأُيِّتَ أن تَحُلِّيَ عن
سَلْبِكَ ، أو تُدْرِكَ في هَرَبِكَ . قال : بل أقولُ في طلبي ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى
نَمَطاً خُسْرَوانياً مُذهَباً حسناً ، فكيف تركت² : [من الخفيف]

في رِداء من الصَّفِيح صَقِيلٍ وقميصٍ من الحديدِ مُذالٍ
قال : تركته كما ترك مختار الدُّرَّتين إحداهما ، بما سبق في الحَظاظه ، وزُيِّن في ناظره .

[أبو نواس يفضله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مَهرويه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني مَنْ قال
لأبي نواس : مَنْ أشعر طبقات المُحدِّثين ؟ قال : الذي يقول³ : [من المتقارب]

1 ديوان الأعشى (صادر) : 109 وروايته :

أَغْرُ أبلَجُ يستسقى الغمام به لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا
2 شعر أبي الشَّيْص : 86 .

3 شعر أبي الشَّيْص : 100 .

يطوفُ علينا بها أخورٌ يداه من الكأسِ مخضوبتان
والشعر لأبي الشَّيْص .

[خادم يخشى العين على صدره]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال : حدثني أبي قال : دخل أبو الشَّيْص على أبي دَلْف وهو يلاعب خادماً له بالشُّطرنج ، فقيل له : يا أبا الشَّيْص ، سَل هذا الخادم أن يَحُلَّ أزرار قميصه . فقال أبو الشَّيْص : الأمير أعزّه الله أحقّ بمسألته . قال : قد سألته ، فرغم أنّه يخاف العين على صدره . فقل فيه شيئاً . فقال¹ :

وشادني كالبدْرِ يجلو الدُّجى في الفرقِ منه المسكُ مَذرورٌ
يُحاذِر العينَ على صَدْرِهِ فالجيبُ منه الدهرَ مَزورٌ
فقال أبو دَلْف : وحياتي لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت ، ولكنك أنت ما أحسنت ! فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .
[منعه صاحب القينة من زيارتهما بعد العَمى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ قال : حدثني علي بن سعد بن إبّاس الشيباني قال : تعشّق أبو الشَّيْص محمد بن رَزِين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها في منزل الرجل ، حتى أتلف مالا كثيراً . فلما كُفَّ بصره ، وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حَجَبَه ، ومنعه من الدخول . فجاءني أبو الشَّيْص ، فشكا إليّ وجدّه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألني المُضَيّ معه إليه ، فمضيت معه ، فاستوذن لنا عليه ، فأذن ، فدخلت أنا وأبو الشَّيْص . فعاتبته في أمره ، وعظّمت عليه حقّه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل في بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها . فلما وقفنا على بابهم ، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار ، فقال لي : ما لها تصرخ ؟ أترأه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندقّ الباب حتى قُفِحَ لنا ، فإذا هو قد حَسَرَ كَمِيّه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، وادخلنا ، وإتّما حمّله على الإذن لنا الفَرَقَ مِنّي ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هي مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشدّ ضرب ، وهي تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضاً فاسرقي الخبز . فاندفع أبو الشَّيْص على المكان يقول في ذلك² :

1 شعر أبي الشَّيْص : 57 .

2 شعر أبي الشَّيْص : 62 .

يقولُ والسوط على كَفِّهِ قد حَزَّ في جلدتها حَزًّا
وهي على السُّلَمِ مشدودة «وأنتِ أيضاً فاسرقي الخُبْزاً»

قال : وجعل أبو الشَّيْص يُرَدِّدُهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له :
أنشدني البيتين اللذين قتلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لا بدَّ من إنشادهما ، فأنشده إِيَّاهما ، فقال
لي : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيح هذا ، وقد أسعفتك بما تحبُّ ، فإن شاع هذان البيتان
فضحتني ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعُهما¹ ، وله عليُّ يومان في الجمعة . ففعلت ذلك ،
ووافقته عليه ، فلم يزل يتردّد إليه يومين في الجمعة حتى مات .

[عشقه لجارته تبر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال : حدّثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أبيه قال :
كانت لأبي الشَّيْص جارية سوداء اسمها تَبْر ، وكان يتعشّقها ، وفيها يقول² : [من المنسرح]

لم تُنْصِفي يا سَمِيَّةَ الذَّهَبِ تتلفُ نفسي وأنتِ في لَعَبِ
يا ابنة عمِّ المسكِ الذكيِّ ومَنْ لولاك لم يُتَّخَذْ ولم يَطْبِ
ناسَبَك المسكُ في السوادِ وفي الرُّ يح فأكرم بذاك من نسبِ

[صديق تغبّر بعد أن غني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثنا عليّ بن محمد
النوفليّ ، عن عمّه قال : كان أبو الشَّيْص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ ، وهما
حيثئذٍ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشَّيْص ،
وتغبر له ، فكتب إليه³ : [من البسيط]

الحمدُ لله ربّ العالمين على قُربِي وبعْدِكَ مِنِّي يا ابن إسحاقِ
يا ليتَ شعري متى تُجْدِي عليّ وقد أصبحتَ ربّ دنائيرِ وأوراقِ
تُجْدِي عليّ إذا ما قيلَ مَنْ راقِ والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لعمري تَهْمُ الناسَ أنفسهمُ وليس ينفع فيه رُقِيَّةُ الراقي

حدّثني محمد بن العباسّ اليزيديّ قال : حدّثنا أبو العباسّ بن الفرات قال : كنت أسيرُ مع
عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابة هزيل ، وخلفه غلام له ، وشيخ على

1 ل : ولا يشعهما .

2 شعره : 26 .

3 شعره : 80 .

بغل له هَرَم ، وما فيهم إلَّا نِضْو ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال : كَانَتْهُمْ وَاللهُ صِفَةُ أَبِي الشَّيْصِ حَيْثُ يَقُولُ¹ :

[من الكامل]

أَكَلَ الوجيفُ لحومَهَا ولحومَهُمْ فَأَتَوَكَ أَنْقَاضاً عَلَى أَنْقَاضٍ²

[مقتله]

وقال عبد الله بن المعتز : حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللهِ قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأَعْمَشِ ، كَانَ أَبُو الشَّيْصِ عِنْدَ عُقْبَةَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْخَزَاعِيِّ يَشْرَبُ ، فَلَمَّا ثَمَلُ نَامَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ انْتَبَهَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، فَذَهَبَ يَدْبُ إِلَى خَادِمٍ لَهُ ، فَوَجَّاهُ بِسَكِينٍ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ! قَتَلْتَنِي وَاللهُ ! وَمَا أَحَبُّ وَاللهُ أَنْ أَتَضَحَّ أَنْتِي قُتِلْتَ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَلَا تُفَضِّحْ أَنْتِ بِي ، وَلَكِنْ خُذِ دَسْتِيحَةَ³ فَاكْسِرْهَا وَلَوْثَا بِدُمِي ، وَاجْعَلْ زَجَاجَهَا فِي الْجُرْحِ ، فَإِذَا سِيلْتَ عَنْ خَبْرِي ، فَقُلْ : إِنِّي سَقَطْتُ فِي سَكْرِي عَلَى الدَّسْتِيحَةِ فَانْكَسَرَتْ ، فَقَتَلْتَنِي ، وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ . ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفِنَ أَبُو الشَّيْصِ ، وَجَزَعَ عُقْبَةُ عَلَيْهِ جِزْعاً شَدِيداً . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ سَكِرَ الْخَادِمُ ، فَصَدَّقَ عُقْبَةَ عَنْ خَبْرِهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ قَتَلَهُ ، فَلَمْ يُلْبِثْهُ أَنْ قَامَ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُهُ حَتَّى قَتَلَهُ .

صوت⁴

[من الكامل]

هَلَا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ	وَالرَّسَمَ بَعْدَ تَقَادُمِ الْأَحْوَالِ
دِمْنًا تَهَيَّجُ رَسْمُهَا بَعْدَ اللَّيْلِ	طَرِبًا وَكَيْفَ سَوَالُ أَعْجَمَ بِالِ
يَمْشِينَ مَشَى قَطَا الْبِطَاحِ تَأَوُّدًا	قُبَّ الْبَطُونِ رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ
مَنْ كُلَّ آنَسَةِ الْحَدِيثِ حَيَّةٍ	لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مُتَفَالِ
أَقْصَى مَذَاهِبِهَا إِذَا لَاقَيْتُهَا	فِي الشَّهْرِ بَيْنَ أُسْرَةٍ وَحِجَالِ
وَتَكُونُ رِيْقَتُهَا إِذَا نَبَهْتُهَا	كَالشَّهْدِ أَوْ كَسُلَافَةِ الْجِرْيَالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها .

والدليل على أنه لونها قول الأعشى :

[من الكامل]

وسُلَافَةٍ مَّا تَعْتَقُ بَابِلَ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلْبَتُهَا جِرْيَالَهَا

1 شعر أبي الشَّيْص من قصيدة طويلة : 71-74 .

2 الوجيف : السير السريع .

3 دسْتِيحَة : إناء كبير من الزجاج .

4 شعر الكمي (سلوم) 2 : 52-54 .

قال سيماك بن حرب : حَدَّثَنِي يُحْنَسُ بْنُ مَتَى الْجَيْرِيَّ رَاوِيَةَ الْأَعَشَى : أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ : سَلَبْتُهَا لَوْنَهَا : شَرَبْتُهَا حَمْرَاءَ ، وَبُلْتُهَا بِيضَاءَ .

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد ، والغناء لابن سُرَيْج ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ ، وَذَكَرَ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ لَابْنُ مُحَرَّرٍ . وَفِيهِ لَعَطَرٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَهَذَا الشَّعْرُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْكُمَيْتِ ، يَمْدَحُ بِهَا مَخْلَدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، يَقُولُ فِيهَا :

قَادَ الْجِيُوشَ لَخْمَسَ عَشْرَةَ حِجَّةً	وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ
فَعَدْتُ بِهِمْ هِمَاتُهُمْ وَسَمْتُ بِهِ	هَمُّ الْمُلُوكِ وَسُورَةِ الْأَبْطَالِ
فَكَأَنَّمَا عَاشَ الْمُهَلَّبُ بَيْنَهُمْ	بَأْغَرَّ قَاسٍ مِثَالَهُ بِمِثَالِ
فِي كَفِّهِ قَصَبَاتٌ كُلُّ مُقْلَدٍ	يَوْمَ الرَّهَانِ وَفَوْزُ كُلِّ نِصَالِ
وَمَتَى أَزْنُكَ بِمَعْشَرٍ وَأَزْنَهُمْ	بِكَ أَلْفٍ وَزَنْكَ أَرْجَحَ الْأَثْقَالِ

* * * *

الفهرس

- [308] - أخبار شارية 5
- [309] - أخبار الحسين بن مطير ونسبه 14
- [310] - أخبار النعمان بن بشير ونسبه 22
- [311] - أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه 40
- [312] - أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه 55
- [313] - أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه 69
- [314] - ذكر سُذَيْف وأخباره 90
- [315] - أخبار الحسين بن عليّ ونسبه 92
- [316] - أخبار الفضل بن العباس اللهيّ ونسبه 115
- 317 - [خليدة المكيّة] 126
- [318] - أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد 128
- [319] - أخبار حمزة بن بيض ونسبه 133
- [320] - أخبار كعب بن مالك الأنصاريّ ونسبه 150
- 321 - [مالك بن أبي كعب الأنصاري] 156
- [322] - أخبار عيسى بن موسى ونسبه 161
- [323] - أخبار الرقاشيّ ونسبه 164
- [324] - أخبار ابن درّاج الطُفَيْلِيّ 169
- [325] - أخبار ربيعة الرُّقَيّْ ونسبه 172
- [326] - ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب 181
- [327] - ذكر أمّ حكيم وأخبارها 187
- [328] - الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر
وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها 193

- [329] - أخبار أبي العباس الأعمى 204
- [330] - أخبار أبي حَيَّة النميري ونسبه 210
- [331] - أخبار أحمد بن يحيى المكي 213
- 332 - [طرائف تتعلق بغزل جرير] 217
- [333] - أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها 220
- [334] - أخبار عبد يغوث ونسبه 224
- [335] - أخبار ذات الخال 234
- [336] - نسب حُجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر 243
- [337] - أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه 247
- [338] - ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه 257
- [339] - أخبار أبي تمام ونسبه 265
- [340] - أخبار أبي الشَّيْص ونسبه 279

کتابُ الْإِعْزَازِ

17

كتاب الغاربي

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

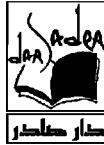
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-ĀGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[341] - ذكر الكُميت ونسبه وخبره¹

[نسبه]

هو الكُميت بن زيد بن حُنيس بن مُجالد بن وَهَيْب بن عَمْرُو بن سُبَيْع . وقيل : الكُميت بن زيد بن حُنيس بن مُجالد بن ذُوَيْبَة بن قيس بن عمرو بن سُبَيْع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . شاعر مقدّم ، عالم بلغات العرب ، خبير بأيّامها فصيح من شعراء مُضر والسنتها ، والمتعصّيين على القحطانيّة ، المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالثالب والأَيّام ، المفاخرين بها . وكان في أَيّام بني أُميّة ، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ، ومات قبلها .

[تشيّع لبني هاشم]

وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميّة من جيّد شعره ومختاره . ولم تزل عصبّيّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متّصلة ، والمناقضة بينه وبينهم بسببها شائعة في حياته وبعد وفاته ، حتى ناقض دِعْبَل² وابن أبي عَينَةَ قَصِيدَتَهُ المَذْهَبَة ، بعد وفاته ، وأجابهما أبو الذلفاء البَصْرِيّ مولى بني هاشم عنها ، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

[معلّم صبيان]

أخبرني محمد بن الحسين بن ذُرَيْد عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن خَلَف الأحمر : أنّه رأى الكُميت يعلم الصبيان في مسجد بالكوفة .

[صدّاقه بين شيعة وخارجي]

قال ابن قتيبة في خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطُّرُمّاح خلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدّثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، قال : أنشدت الكُميت قول الطُّرُمّاح³ :

1 ترجمة الكُميت بن زيد في الشعر والشعراء : 485-488 والموشح : 191 وشرح شواهد المغني : 13 وخزانة البغدادى 4 : 315-320 وانظر الفهرس وجمهرة أشعار العرب : 351 وقد نشر هوروفتر قصائده الهاشميات (لندن 1904) . وجمع د . داود سلوم شعره في جزئين (بغداد 1969) .

2 انظر ترجمة دعبل في الأغاني 20 : 90 .

3 ديوان الطرمّاح .

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أُخْلِقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ

قال : إي والله وعنان الخطابة والرواية . قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ؛ كان الكُميت شيعياً عصبياً عدنائياً من شعراء مضر ، متعصباً لأهل الكوفة ، والطَّرِمَاح خارجيٌّ صُفْرِيٌّ قحطانيٌّ عصبِيٌّ لقحطان ، من شعراء اليمن ، متعصبٌ لأهل الشام ، فقليل لهما : فقيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قالوا : اتفقنا على بغض العامة .

[علمه بأيام العرب وأشعارها]

أخبرني عمِّي قال : حدثني محمد بن سعد الكُرانيّ ، قال : حدثنا أبو عمر العمريّ ، عن لقيط ، قال : اجتمع الكُميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حمّاد في شيء ونازعه ، فقال له الكُميت : أنظنّ أنّك أعلمُ منِّي بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلّا الظنّ ! هذا والله هو اليقين . فغضب الكُميت ثم قال له : إلَكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان ، تَرَوِي ؟ ولَكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو ، تَرَوِي ؟ فقال حمّاد قولاً لم يحفظه ؛ فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ، ويسأل حمّاداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال : لا ، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا . ثم قال له الكُميت : فإنِّي سائلك عن شيء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر¹ :

طَرَحُوا أَصْحَابَهُمْ فِي وَرْطَةٍ قَذَفَكَ الْمَقْلَةُ شَطَرَ الْمُعْتَرَكِ
فلم يعلم حمّاد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

تَدْرَيْنَا بِالْقَوْلِ حَتَّى كَانَمَا تَدْرَيْنَ وَلَدَانَا تَصِيدُ الرَّهَادِنَا
فأفجم حمّاد ، فقال له : قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حمّاد ولم يأت بتفسيرهما ، وسأل الكُميت أن يفسّرهما له ، فقال : المَقْلَةُ : حصاة أو نواة من نوى المَقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع في الإناء ويصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَهَا ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء . والشَطَر : النصيب . والمُعْتَرَك : الموضع الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونها هناك عند الشَّرِّ . وقوله : «تَدْرَيْنَا» ، يعني النساء ، أي ختَلَنَّا فرمَيْنَا . والرهادن : طَيْرٌ بمكة كالعصافير .

1 هو يزيد بن طعمة الخطمي (اللسان ، مقل) .

[خالد القسري يحرّض هشاماً عليه]

وكان خالد بن عبد الله القسريّ، فيما حدّثني به عيسى بن الحسين الورّاق، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ، وذكره محمد بن أنس السّلاميّ عن المستهّل بن الكُميت، وذكره ابن كُنااسة عن جماعة من بني أسد، [قد بلغه] أن الكُميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن، وهي¹:

ألا حَيِّيتَ عَنَّا يَا مَدِينَا

فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات، وأعدّها ليُهنّئها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكُميت وهجائه بني أميّة، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها²: [من الطويل]

فيا رَبِّ هلْ إلَّا بِكَ النَّصْرُ يَتَنَفَّى ويا رَبِّ هلْ إلَّا عَلَيْكَ الْمُعْوَلُ

وهي طويلة يرثي فيها زيد بن عليّ، وابنه الحسين بن زيد³، ويمدح بني هاشم. فلمّا قرأها أكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطع لسان الكُميت ويده. فلم يشعر الكُميت إلّا والخيّلُ محدّقةٌ بداره، فأخذ وحبس في المُخَيَّس. وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكُميت صديقه، فبعث إليه بسلام على بغل، وقال له: أنت حرٌّ إن لحقته، والبغلُ لك. وكتب إليه: قد بلغني ما صيرتَ إليه، وهو القتل، إلّا أن يدفعَ الله عزّ وجلّ، وأرى لك أن تبعثَ إلى حبيّ، يعني زوجة الكُميت وهي بنت نُكَيْف بن عبد الواحد بن حمان، وهي ممّن يتشيع أيضاً، فإذا دخلتَ إليك تنقبتَ نِقابها، ولبستَ ثيابها وخرجتَ، فإنّي أرجو ألا يؤبه لك.

فأرسل الكُميت إلى أبي وضّاح حبيب بن بُدَيْل، وإلى فتیان من بني عمّه من مالك بن سَعِيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدّد رأيه؛ ثم بعث إلى حبيّ امرأته، فقصّ عليها القصّة، وقال لها: أيّ ابنة عمّ، إن الوالي لا يُقدّم عليك، ولا يُسلمك قومك، ولو خِفْتَهُ عليك لما عرّضتُك له. فألبستَه ثيابها وإزارها وخمّرتَه⁴، وقالت له: أقبلْ وأدبر؛ ففعل،

1 شعر الكُميت 2 : 114-118.

2 هاشميات الكُميت : 135.

3 قتل زيد بن عليّ في ولاية يوسف بن عمر الذي تلا خالد بن عبد الله القسري (تاريخ الطبري حوادث سنة 122) وأما ابنه الحسين بن زيد فإنّه خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن أيام المنصور (تاريخ الطبري، حوادث سنة 145).

4 خمّرتَه: ألبستَه خمارها.

فَقَالَتْ : مَا أَتَكْرُمُكَ شَيْئاً إِلَّا يَسْأُ فِي كَتَفِكَ ، فَأَخْرَجَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ .

وَأَخْرَجَتْ مَعَهُ جَارِيَةً لَهَا ، فَخَرَجَ وَعَلَى بَابِ السَّجْنِ أَبُو وَضَّاحَ ، وَمَعَهُ فِتْيَانٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ ، فَلَمْ يُؤَيِّهِ لَهُ . وَمَشَى وَالْفِتْيَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى سَكَّةَ شَبِيبِ بِنَا حِيَةِ الْكُنَاسَةِ ، فَمَرَّ بِمَجْلِسِ مِنْ مَجَالِسِ بَنِي تَمِيمَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَجُلٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ . وَأَمَرَ غَلَامَهُ فَاتَّبَعَهُ ، فَصَاحَ بِهِ أَبُو الْوَضَّاحِ : يَا كَذَا وَكَذَا ، لَا أَرَاكَ تَتَّبِعُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مِنْذُ الْيَوْمِ . وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِنَعْلِهِ ، فَرَلَّى الْعَبْدُ مُذْبِرًا ، وَأَدْخَلَهُ أَبُو الْوَضَّاحِ مَنَزِلَهُ .

وَلَمَّا طَالَ عَلَى السَّجْنِ الْأَمْرُ نَادَى الْكُمَيْتُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَدَخَلَ لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ . فَصَاحَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ : وَرَاءَكَ ، لَا أُمُّ لَكَ ! فَشَقَّ ثَوْبَهُ ، وَمَضَى صَارِخًا إِلَى بَابِ خَالِدَ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ . فَأَحْضَرَ حَبِيبًا فَقَالَ لَهَا : يَا عَدُوَّةَ اللَّهِ ، احْتَلَّتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخْرَجَتْ عَدُوَّهُ ، لَا مَثَلَنَّ بِكَ وَلَا صُنْعَنَّ وَلَا فَعْلَنَّ . فَاجْتَمَعَتْ بَنُو أَسَدَ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : مَا سَبِيلُكَ عَلَى امْرَأَةٍ مَنَّا خُدِعَتْ . فَخَافَهُمْ فَخَلَّى سَبِيلَهَا .

قَالَ : وَسَقَطَ غُرَابٌ عَلَى الْحَائِطِ فَتَعَبَ ، فَقَالَ الْكُمَيْتُ لِأَبِي وَضَّاحَ : إِنِّي لَأُخَوِّدُ ، وَإِنْ حَائِطُكَ لَسَاقِطٌ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَذَا مَا لَا يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ لَهُ : لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَحْوِلَنِي . فَخَرَجَ بِهِ إِلَى بَنِي عُلُقَمَةَ ، وَكَانُوا يَتَشَيَّعُونَ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ وَلَمْ يَصْبِحْ حَتَّى سَقَطَ الْحَائِطُ الَّذِي سَقَطَ عَلَيْهِ الْغُرَابُ .

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قَالَ الْمُسْتَهْلُ : وَأَقَامَ الْكُمَيْتُ مَدَّةً مُتَوَارِيًا ، حَتَّى إِذَا أَيَقُنَ أَنَّ الطَّلَبَ قَدْ خَفَّ عَنْهُ خَرَجَ لَيْلًا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدَ ، عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ ، وَفِي مَنٍّ مَعَهُ صَاعِدٌ غَلَامُهُ ، قَالَ : وَأَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَى الْقُطْقُطَانَةِ¹ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالنَّجْمِ مُهْتَدِيًا بِهَا ، فَلَمَّا صَارَ سُحَيْرٌ صَاحَ بِنَا : هُوُمَا² يَا فِتْيَانُ ، فَهَوُمْنَا ، وَقَامَ يَصْلِي .

[ذَنبٌ يَهْدِيهِ إِلَى الطَّرِيقِ]

قَالَ الْمُسْتَهْلُ : فَرَأَيْتُ شَخْصًا فَتَضَعُضْتُ لَهُ ، فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ قُلْتَ : أَرَى شَيْئًا مُقْبِلًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : هَذَا ذَنْبٌ قَدْ جَاءَ يَسْتَطْعِمُكُمْ ، فَجَاءَ الذَّنْبُ فَرِيضَ نَاحِيَةٍ ، فَأَطْعَمْنَاهُ فَلَذَّ جَزُورَ ، فَتَعَرَّقَهَا ، ثُمَّ أَهْوَيْنَا لَهُ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَارْتَحَلْنَا . فَجَعَلَ الذَّنْبُ يَعْبُوِي ، فَقَالَ الْكُمَيْتُ : مَالَهُ وَئِلَهُ ! أَلَمْ نَطْعِمِهِ وَنَسْقِهِ ؟ وَمَا أَعْرَفَنِي بِمَا يَرِيدُ ! هُوَ يُعْلِمُنَا أَنَّا لَسْنَا عَلَى الطَّرِيقِ ؛ تَيَامَنُوا يَا فِتْيَانُ ، فَتَيَامَنًا فَسَكَنَ عَوَاوُهُ .

1 القُطْقُطَانَةُ : مَوْضِعٌ بِالْكُوفَةِ .

2 التَّهْوِيمُ : التَّوَمُّ الْخَفِيفُ .

[توسّط رجال قريش له عند مسلمة بن هشام فأمنه]

فلم نزلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ ، فتوارى في بني أسد وبني تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش ، وكان سيّدهم يومئذٍ عَنبَسَةُ بن سَعِيد بن العاصِّ ، فمشت رجال قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنبَسَةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكربة قد أتاك الله بها ، هذا الكُميت بن زَيْد لسانُ مُضَرٍّ ، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله ، فجا حتى تخلّص إليك وإلينا . قال : فمروه أَنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر حَنِيناء . فمضى الكُميت ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْرِه ، ومضى عَنبَسَةُ فَأَتَى مَسْلَمَةَ بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكربة أتيتك بها تبلغُ الثريا إن اعتقدتها ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكُم عامّة ، وإياك خاصّة بما لم يُسمَع بمثله . فقال : عليّ خلاصه .

فدخل على أبيه هشام وهو عند أمّه في غير وقت دخول ، فقال هشام : أجيئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيّةٌ إلّا أَنْ يكونَ الكُميت . فقال : ما أحبُّ أَنْ تَسْتَنِيَّ عليّ في حاجتي ، وما أنا والكُميت ! فقالت أمّه : والله لتقضين حاجته كائنه ما كانت . قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بينَ قُطْرَيْها . قال : هي الكُميت يا أمير المؤمنين ، وهو آمِنٌ بأمانِ الله عزَّ وجلَّ وأمانِي ، وهو شاعرُ مُضَرٍّ ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أمنتُه ، وأجزتُ أمانك له ، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُكَ فيه ما قال فينا .

[هشام يسمع مدائحه في بني أُميّة]

فعقد له ، وعنده الأبرش الكلبيّ ، فتكلّم بخطبة ارتجلها ما سُمِعَ بمثله قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرائيّة ، ويقال : إنه قالها ارتجالاً ، وهي قوله¹ :

قَفْ بالذيّارِ وقوفَ زائرٍ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

[من مجزوء الكامل]

ماذا عليك مِنَ الوقوفِ فِ بها وأنّكَ غَيْرُ صاغِرٍ²
دَرَجَتْ عليها الغاديا تُ الرّائحاتُ مِنَ الأعاصيرِ

وفيها يقول :

1 شعر الكُميت 1 : 223-225 .

2 رواية مجموع شعره :

ماذا عليك من الوقوف ف بهامد الطلّين دائر

فَالآن صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةَ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

وجعل هشام يغمز مَسْلَمَةَ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، فيقول : اسْمَعْ ، اسْمَعْ .

ثم استأذنه فِي مَرِيئَةِ ابْنِهِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ ¹ :

[من الطويل]

سَابِكِيكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدُّنْيَا إِنَّنِي رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ بَعْدَكَ شَلَّتِ
فَدَامَتْ عَلَيْكَ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةٌ مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْكَرَامِ وَصَلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجبُ فسكته .

ثم جاء الكُميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المَضْرِيَّةُ بالهدايا ، وأمر له مَسْلَمَةُ بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب إلى خالد بَأَمَانِهِ وَأَمَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ .

قال : وجمعت له بنو أُمِّيَّةٍ بَيْنَهَا مَالاً كَثِيراً . قال : وَلَمْ يُجْمَعْ مِنْ قَصِيدَتِهِ تِلْكَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَا حَفَظَهُ النَّاسُ مِنْهَا قَائِلِف . وَسُئِلَ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَا أَحْفَظُ مِنْهَا شَيْئاً ؛ إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ ارْتَجَلْتُهُ . فقال : وَوَدَّعَ هِشَاماً ، وَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ ² :

[من الخفيف]

ذَكَرَ الْقَلْبُ إِلْفَهُ الْمَذْكُورَا

[سبقه إلى معنى في صفة الفرس]

قال محمد بن كُنَاسَةَ : وَكَانَ الْكُمَيْتُ يَقُولُ : سَبَقْتُ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى مَعْنَى مَا سَبَقْتُ إِلَيْهِ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ حِينَ أَقُولُ ³ :

[من الخفيف]

يَبْحَثُ التُّرْبَ عَنْ كَوَاسِرٍ فِي الْمَشْرِ رَبِّ لَا يُجَشِّمُ السَّقَاةَ الصَّفِيرَا

هذه رواية ابن عمَّار . وقد روي فيه غير هذا .

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا ، نسخته من كتاب محمد بن يحيى الخَزَّاز ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَاسِبِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَاوُدَ بْنِ أَبِي أُمِّيَّةِ الْبَلْخِيِّ ، قَالَ : كَانَ حَكِيمُ بْنُ عِيَّاشٍ الْأَعُورُ الْكَلْبِيُّ وَلِعَاً بِهَجَاءٍ ⁴ مُضَرٍّ ، فَكَانَتْ شِعْرَاءُ مُضَرٍّ تَهْجُوهُ وَيُجَبِّيهُمْ ، وَكَانَ الْكُمَيْتُ يَقُولُ : هُوَ وَاللَّهُ أَشْعَرُ مِنْكُمْ . قَالُوا : فَأَجِبَ الرَّجُلَ .

1 شعر الكُميت : 147 .

2 شعر الكُميت : 210 .

3 شعر الكُميت : 205 . غير أن البيت في وصف عروق النبات في الأرض .

4 ل : بشعراء .

قال : إِنَّ خالداً بن عبد الله الْقَسْرِيَّ محسنٌ إِلَيَّ فلا أَقْدِرُ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهِ . قالوا : فاسْمَعْ بِأَذْنِكَ ما يقول في بنات عَمِّكَ وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ؛ فحميَ الكُميت لعشيرته ، فقال المَذْهَبَةُ :

أَلَا حَيِّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا

فأحسن¹ فيها ، وبلغ خالداً خبرُها ، فقال : لا أبا لي ما لم يَجِرْ لعشيرتي ذِكر ، فأنشدوه قوله :

وَمِنْ عَجَبٍ عَلَيَّ لَعَمْرُؤُا
تَجَاوَزَتِ الْمِائَةَ بِلَا دَلِيلٍ
فَأَنْتَكَ وَالتَّحَوُّلُ مِنْ مَعَدَّةٍ
تَخَطَّتْ خَيْرَهُمْ حَلْبًا وَنَسْنَأُ
كَعَنَزِ السَّوَاءِ تَنْطَحُ عَالِفِيهَا
وَتَرْمِيهَا عِصْيُ الدَّابِحِينَا³
غَذَّتْكَ وَغَيْرَ هَاتِيَا يَمِينَا
وَلَا عَلِمَ تَعَسَّفَ مَخْطَعِينَا
كَهَيْلَةٍ قَبْلَنَا وَالحَالِينَا
إِلَى الْمَوَلَى الْمَغَادِرِ هَارِبِينَا²
وَتَرْمِيهَا عِصْيُ الدَّابِحِينَا³

فبلغَ ذلك خالداً ، فقال : فعلها ! والله لأَقْتُلَنَّه . ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيَّرهِنَّ نِهَايَةً فِي حُسْنِ الْوُجُوهِ وَالْكَمَالِ وَالْأَدَبِ ، فروَّاهُنَّ الْهَاشِمِيَّاتِ ، ودسَّهِنَّ مع نخَّاسٍ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فاشترَاهُنَّ جَمِيعاً . فلَمَّا أَنَسَ بِهِنَّ اسْتَغْنَتْهُنَّ ، فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرَّاهُنَّ الْقُرْآنَ ، فقرَّأَنَّ ، واستنشدَهُنَّ الشَّعْرَ ، فأنشدَهُنَّ قِصَائِدَ الْكُمَيْتِ الْهَاشِمِيَّاتِ . فقال : ويلكنَّ ! مَنْ قَائِلُ هَذَا الشَّعْرِ ؟ قلن : الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ . قال : وفي أَيِّ بَلَدٍ هُوَ ؟ قلن : فِي الْعِرَاقِ ، ثُمَّ بِالْكُوفَةِ . فكتب إلى خالداً وهو عَامِلُهُ عَلَى الْعِرَاقِ : ابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ ، فبعث خالداً إِلَى الْكُمَيْتِ فِي اللَّيْلِ ، فَأَخَذَهُ وَأَوْدَعَهُ السَّجْنَ . ولَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَقْرَأَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ مُضَرَّ كِتَابِ هِشَامٍ ، واعتذر إِلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِهِ ، وَأَذْنَهُمْ فِي إِنْفَاقِ الْأَمْرِ فِيهِ فِي غَدٍ ؛ فقال لأَبَانُ بْنُ الْوَلِيدِ الْبَجَلِيُّ ، وَكَانَ صَدِيقاً لِلْكُمَيْتِ : انظر ما ورد في صَدِيقِكَ . فقال : عزَّ عَلَيَّ وَاللَّهِ مَا بِهِ ، ثُمَّ قَامَ أَبَانُ ، فبعث إِلَى الْكُمَيْتِ فَأَنْذَرَهُ ، فوجهَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ .

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه ، كما ذكر من تقدَّمه . وقال فيه : فَأَتَى مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْتَجَارَ بِهِ ، فقال : إِنِّي أَخْشَى أَلَّا يَنْفَعَكَ جَوَارِي عِنْدَهُ ، وَلَكِنْ اسْتَجِرْ بَابَنِي مَسْلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ . فقال : كُنْ أَنْتَ السَّفِيرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَلِكَ ، ففعل

1 ل : فأفحش .

2 النسء : اللبن الكثير الماء .

3 عالفِها في ل : حالِها .

مسلمة ، وقال لابن أخيه : قد أتيتك بشرف الدَّهرِ ، واعتقاد الصَّنيعة في مُضَر ، وأخبره الخبر ؛ فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ، ثم قال : أَتَجِيرُ على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلاً ، ولكنِّي انتظرتُ سكونَ غَضَبِهِ . قال : أَحْضَرْنِي الساعة ، وإلا لا جوار لك . فقال مسلمة للكميت : يا أبا المستهل ، إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال : كلاً ، ولكنِّي أحتالُ لك . ثم قال له : إن معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضربُ رواقك على قبره ، وأنا أبعثُ إليك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدَّمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بشيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبرِ أئبنا ، ونحن أحقُّ من أجاره . فأصبح هشام على عادته مُتَطَّلِعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : لعلَّه مُسْتَجِيرٌ بِالْقَبْرِ ! فقال : يُجَارُ مَنْ كان إلا الكُميت ؛ فإنه لا جوار له . فقيل : فإنه الكُميت ، قال : يُحْضَرُ أَعْنَفُ إِحْضَار . فلما دُعِيَ به رَبط الصبيانُ ثيابهم بشيابه . فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعيرَ ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بِقَبْرِ أئبنا ، وقد مات ، ومات حظُّه من الدُّنيا ، فاجعلْهُ هبةً له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به . فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكُميت فقال له : يا كُميت ، أنت القائل :

وإلاَّ تقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تردي بنا وهي شُرْبُ¹
فقال : لا ، والله ، ولا أتانُ مِنْ أَتَنِ الحجاز وَحْشِيَّة . فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال : أمّا بعد فإنِّي كنتُ أَتْدهى² في غمرة ، وأعوْمُ في بحرِ غواية ، أُخْنِي عليَّ خطلها ، واستفزني وهلها³ ؛ فتحيّرتُ في الضَّلالة ، وتبسَّكتُ في الجهالة ، مُهْرَعاً عن الحقِّ ، جائراً عن القصدِ ، أقولُ الباطلَ ضلالاً ، وأفوه بالبهتان وبالأ ، وهذا مقامُ العائدِ مُبْصِرِ الهدى ، ورافض العمى . فاغسلْ عني يا أمير المؤمنين الحوبة⁴ بالتوبة ، واصفَحْ عن الزلة ، واعفُ عن الجرمة⁵ ، ثم قال :

[من مجزوء الكامل]

1 لم يرد هذا البيت في مجموع شعره ، وورد في الهاشميات : 47 . والشرب : الضمر .

2 أتدهى : أتقلب .

3 الوهل : الفرع .

4 الحوبة : الخطيئة والإثم .

5 الجرمة : الذنب .

كَمْ قَالَ قَائِلُكُمْ : لَعَا لك ، عند عَثْرَتِهِ لَعَاثِرُ
وَعَفَرْتُمْ لِذَوِي الذُّنُو بٍ من الأكابر والأصاغرُ
أَبْنِي أُمِّيَّةً إِنَّكُمْ أهلُ الوسائل والأواصر¹
يَقْتِي لَكُلُّ مُلَمَّةٍ وعشيرتي دُونَ العشائرُ
أَنْتُمْ مَعَادِنُ لِلْخَلَا فَكَ كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرُ
بِالتَّسْعَةِ الْمُتَابِعِ— من خلائفا وبخَيْرِ عاشرِ
وإلى الْقِيَامَةِ لَا تَزَا لُ لِشَافِعٍ مِنْكُمْ وَوَاتِرُ²

ثم قطع الإنشادَ وعاد إلى خطبته ، فقال : إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ،
ومَنَاطِ المنتَجِعِينَ بِحَبْلِهِ ، مَنْ لَا تُحَلُّ حَبْوَتُهُ لِإِسَاءَةِ الْمَذْنِينَ ، فضلاً عن استشاطَةِ غَضَبِهِ بِجَهْلِ
الجاهِلِينَ .

[محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أُمَيَّة]

فقال له : ويلك يا كُميت ! من زَيْنَ لك الغَوَاية ، ودَلَّآك في العَمَاية ؟ قال : الذي أخرج أبانا
من الجنة ، وأنساه العهد ، فلم يَجِدْ له عَزْماً . فقال : إِيْهِ ! أَنْتَ الْقَائِلُ : [من الطويل]

فيا مُوقِدا ناراً لغيرك ضَوْءُهَا ويا حَاطِباً في غير حَبْلِكَ تَحْطِبُ³

فقال : بل أَنَا الْقَائِلُ⁴ : [من المتقارب]

إِلَى آلِ بَيْتِ أَبِي مَالِكٍ مَنَاحٌ هُوَ الْأَرْحَبُ الْأَسْهَلُ⁵
نَمْتُ بِأَرْحَامِنَا الدَّائِلَا ت مِنْ حَيْثُ لَا يُنْكَرُ الْمَدْخَلُ
بِزُرَّةٍ وَالنُّضْرِ وَالْمَالِكِي— نَ رَهْطُ هُمُ الْأَنْبَلُ الْأَنْبَلُ
وَبِأَبْنِي خَزِيمَةَ بَدْرِ السَّمَا ء وَالشَّمْسُ مِفْتَاحُ مَا نَأْمُلُ
وَجَدْنَا قَرِيشاً قَرِيشَ الْبِطَاحِ عَلَى مَا بَنَى الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ

1 الأواصر في شعر الكُميت : والأوامر .

2 الهاشميات : 54 .

3 المثل «هو يحطّب في حبله» في مجمع الميّداني 2 : 386 والمثل «كل امرئ يحطّب في حبله» في المرجع نفسه
2 : 171 .

4 شعر الكُميت 2 : 28-29 .

5 الشطر الأول في ل : إلى آل فهر إلى مالك .

بهم صَلَحَ النَّاسُ بعد الفساد وحيصَ من الفَتَقِ ما رَعَبُوا¹
قال له : وأنت القائل² :

لا كَعَبْدَ الْمَلِكِ أو كَوَلِيدٍ أو سُلَيْمَانَ بَعْدُ أو كَهشام
مَنْ يَمُتْ لَا يَمُتْ فَقِيداً وَمَنْ يَحْ سَيَ فَلَ ذُو إِلٍّ وَلَا ذُو ذِمَام
ويلك يا كميث ! جعلتنا مِمَّنْ لَا يَرْقُبُ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ ، فقال : بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين :

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمَيَّةٍ نَ وَالْأُمُورُ لَهَا مَصَائِرُ
وَالآنَ صِرْتُ بِهَا الْمُصِيبِ ب كُمُهْتَدٍ بِالْأَمْسِ حَائِرُ
يَا ابْنَ الْعَقَائِلِ لِلْعَقَا ثِلِّ وَالْجَحَاجِحَةِ الْأَخَايِرُ
مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالْأَكَا بَرٍ مِنْ أُمَيَّةٍ فَلَا أَكْبَارُ
إِنَّ الْخِلَافَةَ وَالْإِلَا فَ بَرَعَمِ ذِي حَسَدٍ وَوَاغِرُ
ذَلْفَا مِنْ الشَّرَفِ التَّلِي د إِلَيْكَ بِالرَّفْدِ الْمُوَاغِرُ
فَحَلَلْتَ مُعْتَلَجَ الْبِطَا ح وَحُلٍّ غَيْرِكَ بِالظُّوَاهِرِ

قال له : إيه ، فأنت القائل³ :

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَنْدَ وَالْقَطِيعَا
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكُمْ أَجِيعَا
بِمَرْضِيَّ السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيًّا لِأُمَّتِهِ رَيْبِيعَا

فقال : لا تثريب يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب . قال : بماذا ؟
قال : بقولي الصادق⁴ :

أَوْرَثْتُهُ الْحِصَانُ أُمُّ هَشَامٍ حَسَبًا ثَاقِبًا وَوَجْهًا نَضِيرَا
وَتَعَاطَى بِهِ ابْنُ عَائِشَةَ الْبَدِ رَ فَأَمْسَى لَهُ رَقِيبًا نَظِيرَا

1 حيص : رتق . ورعبلوا : مزقوا .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره . وهما في الهاشميات : 11-12 .

3 الهاشميات : 153 .

4 شعر الكميث 1 : 204 .

وكساه أبو الخلائف مَرَوْا ن سَيِّئِ المكارِمِ المأثورا
لم تجهَّم لَهُ البِطَاحُ وَلَكِنْ وَجَدَتْهَا لَهُ مَغَاراً وَدُوراً¹

[أعجب هشام بشعره فرضي عنه]

وكان هشام مُتَكَبِّراً فاستوى جالساً ، وقال : هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد رضيتُ عنك يا كُمَيْتُ ؛ فقبَّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيتَ أن تزيدَ في تشريفي ، ولا تجعلَ لخالد عليَّ إِمارةً ! قال : قد فعلت . وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هِشامِيَّة . وكتب إلى خالد أن يخلِّيَ سبيلَ امرأته ويُعطِيها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً . ففعل ذلك .
[سحابة صيف]

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كُتِبَ له ، منها أنه مرَّ به خالدٌ يوماً ، وقد تحدَّث الناس بِعَزْلِهِ عن العراق ، فلما جاز تمثَّل الكُميتُ² :
[من الطويل]
أراها ، وإن كانت تُحِبُّ ، كأنَّها سحابةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقْشَعُ³
فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشعُ حتى يغشاك منها شُبوبٌ بَرَد . ثم أمر به فحجَّزَ ، فضربه مائةً سوط ، ثم خلَّى عنه ومَضَى . هذه رواية ابن حبيب .
[يحدِّث هشاماً من خالد]

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال : حدَّثنا التَّوْفَلِيُّ عليُّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان هشام بن عبد الملك قد اتَّهم خالد بن عبد الله ، وكان يُقال : إنه يريد خلْعَكَ ، فوجد يباب هشام يوماً رقعةً فيها شعر ، فدُخِلَ بها على هشام فقرأت عليه ، وهي⁴ :

تَأَلَّقَ بَرَقٌ عِنْدَنَا وَتَقَابَلَتْ أَثَافٍ لِقَدْرِ الحَرْبِ أَخْشَى اقْتِبَالَهَا
فَدُونَكَ قِدرَ الحَرْبِ وهي مُقَرَّةٌ لكَفَيْكَ واجعل دُونَ قِدرٍ جِعَالَهَا⁵
ولن تنتهي أو يبلغ الأمرُ حَدَّهُ فنلها يرسل قبل ألا تنالها

1 مغاراً في شعر الكُميت : معاناً .

2 شعر الكُميت : 250 .

3 المثل «سحابة صيف عن قليل تقشع» في مجمع الميداني 1 : 344 .

4 شعر الكُميت 1 : 86-87 .

5 الجمالة : خرقة تنزل بها القدر .

فَنَجْشَمُ مِنْهَا مَا جَشَمْتَ مِنَ الْتِي بِسُورَاءِ هَرَّتْ نَحْوَ حَالِكَ حَالَهَا¹
تَلَاَفَ أُمُورَ النَّاسِ قَبْلَ تَفَاقُمِ بِعَقْدَةِ حَزَمٍ لَا تَخَافُ انْحِلَالَهَا
فَمَا أَبْرَمَ الْأَقْوَامُ يَوْمًا لِحِيلَةٍ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا قَلْدُوكَ احْتِيَالَهَا
وَقَدْ تُخَيِّرُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ بِسَرُّهَا - وَإِنْ لَمْ تُبَيِّحْ - مَنْ لَا يُرِيدُ سُؤَالَهَا

فَأَمْرُ هِشَامٍ أَنْ يُجْمَعَ لَهُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الرُّوَاةِ ، فَجُمِعُوا . فَأَمَرَ بِالْأَبْيَاتِ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : شِعْرُ مَنْ تُشَبِّهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ؟ فَأَجْمَعُوا جَمِيعًا مِنْ سَاعَتِهِمْ أَنَّهُ كَلَامُ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ . فَقَالَ هِشَامُ : نَعَمْ ، هَذَا الْكُمَيْتُ يُنْذِرُنِي بِخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى خَالِدٍ بِخَبْرِهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْأَبْيَاتِ ، وَخَالِدٌ يَوْمَئِذٍ بِوَاسِطِ .

فَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ بِأَمْرِهِ بِأَخْذِ الْكُمَيْتِ وَحَبْسِهِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا يَمْدَحُ بَنِي هَاشِمٍ وَيَهْجُو بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَأَتُونِي مِنْ شِعْرِهِ هَذَا بِشَيْءٍ . فَأَتَنِي بِقَصِيدَتِهِ اللَّامِيَّةِ الَّتِي أَوَّلُهَا² :

أَلَا هَلْ عَمٍ فِي رَأْيِهِ مُتَأَمِّلٌ وَهَلْ مُبَيِّرٌ بَعْدَ الْإِسَاءَةِ مُقِيلٌ !
فَكَتَبَهَا وَأَذْرَجَهَا فِي كِتَابٍ إِلَى هِشَامٍ ، يَقُولُ : هَذَا شِعْرُ الْكُمَيْتِ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ صَدَقَ فِي هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فِي ذَاكَ .

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَى هِشَامٍ اعْتَاضَ ، فَلَمَّا قَالَ³ :

فِيَا سَاسَةً هَاتُوا لَنَا مِنْ جَوَابِكُمْ ففِيكُمْ لَعَمْرِي ذُو أَفَانِينَ مِقُولٌ
اشْتَدَّ غَيْظُهُ ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ بِأَمْرِهِ أَنْ يَقْطَعَ يَدَيِ الْكُمَيْتِ وَرِجْلَيْهِ ، وَيُضْرَبَ عُنُقُهُ وَيُهْدَمَ دَارُهُ ، وَيَصْلَبَ عَلَى تُرَابِهَا .
[ابن عَنَسَةَ يَنْذِرُهُ]

فَلَمَّا قَرَأَ خَالِدُ الْكِتَابَ كَرِهَ أَنْ يَسْتَفْسِدَ عَشِيرَتَهُ ، وَأَعْلَنَ الْأَمْرَ رَجَاءً أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْكُمَيْتِ ، فَقَالَ : لَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ أُسْتَفْسِدَ عَشِيرَتُهُ ، وَسَمَّاهُ . فَعَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَنَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ مَا أَرَادَ ، فَأَخْرَجَ غُلَامًا مَوْلَدًا ظَرِيفًا ، فَأَعْطَاهُ بَغْلَةً لَهُ شَقْرَاءَ فَارَهَةَ مِنْ بَغَالِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَالَ : إِنْ أَنْتَ وَرَدْتَ الْكُوفَةَ ، فَانْذَرْتَ الْكُمَيْتَ لَعَلَّهُ أَنْ

1 سورةاء : موضع .

2 الهاشميات : 110-144 .

3 الهاشميات : 116 .

يَتَخَلَّصَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَنْتَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهِ ، وَالبَغْلَةُ لَكَ ، وَلَكَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِكْرَامُكَ
وَإِلْحْسَانُ إِلَيْكَ .

فَرَكِبَ الْبَغْلَةَ وَسَارَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ مِنْ وَاسِطٍ إِلَى الْكَوْفَةِ فَصَبَّحَهَا ، فَدَخَلَ الْحَبْسَ
مُتَنَكِّرًا ، فَخَبِرَ الْكُمَيْتَ بِالْقِصَّةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ يَأْمُرُهَا أَنْ تَجِيئَهُ وَمَعَهَا
ثِيَابٌ مِنْ لِبَاسِهَا وَخُفَّانَ ، فَفَعَلَتْ ، فَقَالَ : أَلْبَسِيْنِي لِبْسَةَ النِّسَاءِ ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، وَأَدْبَرَ ، فَأَدْبَرَ . فَقَالَتْ : مَا أَرَى إِلَّا يُنْسَأُ فِي مَنْكَبِكَ ، أَذْهَبَ فِي حِفْظِ اللَّهِ .

فَخَرَجَ فَمَرَّ بِالسَّجَّانِ ، فَظَنَّ أَنَّ الْمَرْأَةَ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ فَنَجَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ¹ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
خَرَجْتُ خُرُوجَ الْقِدْحِ قَدَحَ ابْنِ مُقْبِلٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تِلْكَ النَّوَائِحِ وَالْمُثْلِي
عَلَيَّ ثِيَابُ الْغَانِيَاتِ وَتَحْتَهَا عَزِيمَةُ أَمْرِ أُشْبِهَتْ سَلَّةُ النَّصْلِ

وَوَرَدَ كِتَابُ خَالِدٍ عَلَى وَالِي الْكَوْفَةِ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ هِشَامٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى
الْكُمَيْتِ لِيُؤْتِيَ بِهِ مِنَ الْحَبْسِ فَيُنْفَذَ فِيهِ أَمْرُ خَالِدٍ ، فَدَنَا مِنْ بَابِ الْبَيْتِ فَكَلَّمَتْهُمُ الْمَرْأَةُ ،
وَوَحَّيَتْهُنَّ أَنَّهَا فِي الْبَيْتِ ، وَأَنَّ الْكُمَيْتَ قَدْ خَرَجَ ؛ فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى خَالِدٍ فَأَجَابَهُ : حُرَّةٌ
كَرِيمَةٌ آسَتْ ابْنُ عَمِّهَا بِنَفْسِهَا ، وَأَمْرُ بَتَخْلِيَّتِهَا ، فَبَلَغَ الْخَبْرُ الْأَعْوَرَ الْكَلْبِيَّ بِالشَّامِ ، فَقَالَ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي تَرْمِي فِيهَا امْرَأَةَ الْكُمَيْتِ بِأَهْلِ الْحَبْسِ ، وَيَقُولُ : أُسَوِّدِينَ وَأُحْمَرِينَ² .
[هَجَاؤُهُ أَحْيَاءَ الْيَمَنِ]

فَهَا جَ الْكُمَيْتِ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ :

أَلَا حَيَّيْتِ عَنَّا يَا مَدِينَا

وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةِ بَيْتٍ لَمْ يَتْرَكْ فِيهَا حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْيَمَنِ إِلَّا هَجَاهُمْ . وَتَوَارَى ، وَطَلَبَ ،
فَمَضَى إِلَى الشَّامِ ، فَقَالَ شَعْرُهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

قِفْ بِالْذِّيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ

فِي مُسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيَقُولُ :

يَا مَسْلَمُ ابْنَ أَبِي الْوَلِيدِ لَمِيتِ إِنْ شِئْتَ نَاشِرٌ

الْيَوْمَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : قَالَ أُبَيُّ : إِنَّمَا أَرَادَ الْيَوْمَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى مَصَائِرِهَا ؛ أَيُّ بَنِي

1 شعر الكُميت 2 : 50 .

2 البيت في خزنة البغدادي 1 : 178 .

هاشم . وبذلك احتجَّ ابنه المستهلّ على أبي العباس حين غيَّره بقول أبيه هذا الشعر .
فأذن له ليلاً ، فسأله أن يُجيره على هشام ، فقال : إني قد أجزت على أمير المؤمنين فأخفر
جوارِي ، وقبيحٌ برجل مثلي أن يُخفَّر في كلِّ يوم ، ولكني أدلك ، فاستجر بمسلمة بن هشام
ويأمة أم الحكم بنت يحيى بن الحكم ؛ فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد .

فقال الكُميت : بمس الرأي ! اضيغ دمي بين صبي وامرأة ! فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ،
مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبه ، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في
كلِّ أسبوع يوماً ، وسمي يوماً بعينه ، وهو يزوره في ذلك اليوم ، فامض فاضرب بئاءك عند
قبره ، واستجر به ، فإني سأحضر¹ معه وأكلمه بأكثر من الجوار .

ففعل ذلك الكُميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى
البناء ، فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكُميت بن زيد مُستجير بقبر معاوية
ابن أمير المؤمنين . فأمر بقتله ، فكلمه مسلمة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن إخفار الأموات عارٌ
على الأحياء ، فلم يزل يعظّم عليه الأمر حتى أجاره .

[خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب]

فحدثنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ ، قال : حدثنا حَجْر بن
عبد الجبَّار ، قال : خرجت الجعفرية² على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر
وهو لا يعلمُ بهم ، فخرجوا في البيانيين ، ينادون : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ! وعرف خالدٌ
خبرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعاً ، فقال : أطعموني ماءً ، ثم
خرج الناسُ إليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طُنَّ قصب³ فيطلى بالنفط ،
ويقال للرجل احتضنه ، ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرّقهم جميعاً .

فلما قدِم يوسف بن عُمر دخل عليه الكُميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي ، فأنشده
قوله فيه⁴ :

[من الطويل]

خرجتَ لهم تَمشي البراحَ ولم تكنْ كمنْ حصنهُ فيه الرّثاجُ المضِيبُ⁵

1 ل : شاخص .

2 ل : المغيرة .

3 طن القصب : الخزمة منه .

4 شعر الكُميت 1 : 85 .

5 المضيب : الملقط .

وما خالدٌ يَسْتَطِعُ الماءَ فَاغِرًا يَعِدُكَ والدَّاعِي إلى الموتِ يَنْعَبُ

[قتله الجندُ تَصَبُّوا لخالد]

قال : والجندُ قِيَامٌ على رأسِ يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصَّبوا لخالد ، فوضَعُوا ذُبَابَ سَيُوفِهِمْ في بَطْنِ الكُميت ، فوجَّثوه¹ بها ، وقالوا : أُنْتَشِدُ الأَميرَ ولم تَسْتَأْمِرْهُ ! فلم يزل ينزف الدَّم حتى مات .

[اعتذاره لهشام]

وأخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أر تبيل ، قال : لما دخل الكُميت بن زيد على هشام ، سلَّم ثم قال : يا أَميرَ المؤمنين ، غائبَ آبَ ، ومذنبَ تاب ، مَحَا بِالْإِنَابَةِ ذَنْبَهُ ، وبالْصَّدْقِ كَذِبَهُ ، والتوبةُ تُذهِبُ الحَوْمَةَ ، ومِثْلُكَ حُلُمٌ عن ذي الجريمة ، وصفح عن ذي الرِّيَّةِ .

فقال له هشام : ما الذي نَجَّاك من القَسْرِي ؟ قال : صِدَقَ النِّيَّةُ في التوبة . قال : وَمَنْ سَنَّ لَكَ الْغِيَّ وَأَوْرَظَكَ فِيهِ ؟ قال : الذي أغوى آدمَ فَنَسِيَ ولم يَجِدْ له عَزْماً ، فَإِنْ رَأَيْتَ يا أَميرَ المؤمنين ، فَذَتَكَ نَفْسِي ، أَنْ تَأْذَنَ لي بِمَحْوِ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ ، بالاستماع لما قُلتَه ! فَأَنْشُدْهُ :

ذَكَرَ الْقَلْبُ الْإِفْهَ الْمَذْكُورَا وَتَلَا فِي مِنَ الشَّبَابِ أُخِيرَا

[موقف الكُميت من بني أُمَيَّة وبني هاشم]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن عَلِيلِ العَنَزِي ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَيْرِ الأَسَدِي ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل الأَسَدِي ، قال : دخل المستهلُّ بن الكُميت على عبد الصَّمَدِ بن علي ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبره ؛ فقال : لا حَيَّاكَ اللهُ ولا حَيَّا أَبَاكَ ، هو الذي يقول :

فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمِيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ

قال : فَأَطَرَقْتُ اسْتِحْيَاءً مِمَّا قَالَ ، وَعَرَفْتُ الْبَيْتَ . قال : ثم قال لي : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا بَنِي ، فَلَمَّا كَانَ قَالَ هَذَا ، فَلَقَدْ قَالَ² :

بِخَاتَمِكُمْ كَرَهَا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرْ غَضَبًا مِثْلَهُ حِينَ يُغْصَبُ

1 وجثوه : ضربه في أي مكان .

2 الهاشميات : 37 .

قال : فسلى بعض ما كان بي ، وحادثني ساعة ، ثم قال : ما يعجبك من النساء يا مستهل ؟ قلت :

غراء تسحب من قيام فرعها جثلاً يزينه سواد أسحم¹
فكأنتها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

قال : يا بني ؛ هذه لا تصاب إلا في الفردوس ، وأمر له بجائزة .

[يصلح بشعره بين هشام وجاريته]

أخبرني عمي قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله الخصاف الطلحي ، عن محمد بن أنس السلامي ، قال : كان هشام بن عبد الملك مشغولاً بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشترت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها ، وحلف ألا يدها بكلام ، فدخل عليه الكميته وهو مغموم بذلك ، فقال : ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين ، لا غمك الله ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميته ساعة ثم أنشأ يقول² :

اعتبت أم عتبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلها تشريف
لا تقعدن تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبها مشغوف
إن الصريمة لا يقوم بثقلها إلا القوي بها ، وأنت ضعيف

فقال هشام : صدقت والله ، ونهض من مجلسه ، فدخل إليها ، ونهضت إليه فاعتنقته . وانصرف الكميته ، فبعث إليه هشام ألف دينار ، وبعثت إليه بمثلها .

[عند يزيد بن عبد الملك]

قال الطلحي : أخبرني حبيش بن الكميته أخو المستهل بن الكميته بن زيد ، قال : وفد الكميته بن زيد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس ، فأدخلها إليه والكميته حاضر فقال له : يا أبا المستهل ؛ هذه جارية تباع ، أقرى أن نبتاعها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ؛ وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتك ، قال : فصيفها لي في شبر حتى أقبل رأيك ؛ فقال الكميته³ :

[من الخفيف]

1 الشطر الثاني في ل : «وتغيب فيه وهو جثل أسحم» . والبيان في الحماسة (شرح المرزوقي) : 1285 .

2 شعر الكميته 1 : 253 .

3 لم يرد هذا الشعر في مجموع شعره ولا في الهاشميات .

هي شمسُ النهار في الحُسْنِ إلّا أنّها فضلت بِقَتْلِ الظُّرَافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَحِيمٌ لَعُوبٌ وَغَنَّةُ المَتَنِ شَخْتَةُ الأَطْرَافِ¹
زَانِهَا ذَلُّهَا وَثَغَرٌ نَقِيٌّ وَحَدِيثٌ مُرْتَلٌ غَيْرُ جَافِي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ المَتَمَنَى فَاقْبَلِ النُّصْحَ يَا ابْنَ عَبْدِ مَنَافٍ

فضحك يزيد ، وقال : قد قَبَلْنَا نُصْحَكَ يَا أَبَا المَسْتَهْلِّ ، وأمر له بجائزة سَنِيَّة .

[الفرزدق يسأل والكُميت يجيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُرَاعِي ، قال : أخبرني إبراهيم بن أَيُّوب ، عن ابن قُتَيْبَةَ ، قال : مرَّ الفرزدق بالكُميت وهو يَنْشِدُ ، والكُميت يومئذٍ صَبِيٌّ ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرك أنِّي أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرُّني أن تكون أُمِّي ! فَحَصَرَ الفرزدق ، فأقبل على جلسائه وقال : ما مرَّ بي مثلُ هذا قط .

[ينشد جعفر بن محمد فيكي الحاضرين]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني بن عُقْدَةَ ، قال : أخبرنا علي بن محمد الحسيني ، قال : حدَّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمَّال ، قال : حدَّثنا مصبِّح بن الهِلَقَام ، قال : حدَّثنا محمد بن سهل صاحب الكُميت ، قال : دخلتُ مع الكُميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال له : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! ألا أنشدك ؟ قال : إنَّها آيَاتُ عِظَام ، قال : إنَّها فيكم ، قال : هاتِ ، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرَّب ، فأنشده ، فكثُر البكاء حين أتى على هذا البيت² :

يُصِيبُ به الرَّامُونَ عن قَوْسٍ غيرِهِم فيا آخِراً سَدَى له الغَيِّ أَوَّلُ
فرغ أبو عبد الله ، عليه السلام ، يَدِيَه فقال : اللهم اغْفِرْ للكُميت ما قدَّم وما أَخَّر ، وما أَسَرَّ وما أَعْلَن ، وأَعْطِه حتى يَرْضَى .
[الكسوة ورد المال]

أخبرني حبيب بن نصر المهَلَّبِي ، قال : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : قال محمد بن كُنَاسَةَ : حدَّثني صاعِد مولى الكُميت ، قال : دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي ، عليهما السلام ، فأنشده الكُميت قصيدته التي أولها³ :

1 وعنه المتن : سمينه الظهر . شخنة الأطراف : ضامرتها دون هزال .

2 الهاشميات : 138 .

3 هذه أوَّل قصيدة في الهاشميات .

مَنْ لَقَلْبٍ مَتِيَمٍ مُسْتَهَامٍ ؟

فقال : اللهم اغفر للكُميت ، اللهم اغفر للكُميت .

قال : ودخلنا يوماً على أبي جعفر محمد بن علي ، فأعطانا ألف دينار وكُسوة ، فقال له الكُميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ ، ولكنني أحببتكم للآخرة ؛ فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتهما ، وأما المال فلا أقبله ، فردّه وقيل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ، عليهما السلام ، فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق ، فحركته بيدها وسقت الكُميت ، فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب ، فهملت عيناه ، وقال : لا والله لا أقبلها ؛ إني لم أحبكم للدنيا .
[بنو أسد يذكرون ابن الكُميت بيت أبيه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : أخبرني عمي ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابنِ كُناسة ، قال : لما جاءت المُسَوَّدة سخروا بالمستهلّ بن الكُميت ، وحملوا عليه حملاً ثَقِيلاً ، وضربوه . فمرّ بيّني أسد ، فقال : أترضون أن يفعل بي هذا الفعل ؟ قالوا له : هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم¹ :
[من الخفيف]

والمُصَيِّونَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ سَ وَمُرْسُو قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ
قَدْ أَصَابُوا فِيكَ ، فَلَا نَكْذِبُ أَبَاكَ .

[المستهلّ وأبو مسلم]

قال : ودخل المستهلّ على أبي مسلم ، فقال له : أبوك الذي كفر بعد إسلامه ، فقال : كيف وهو الذي يقول :

بَخَاتَمَكُمْ كَرْهًا تَجُوزُ أُمُورَهُمْ فَلَمْ أَرْ غَضَبًا مِثْلَهُ حِينَ يُغْضَبُ
فَاطْرُقَ أَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَحِيًّا مِنْهُ .

[المستهلّ يشكو إلى أبي جعفر]

أخبرني عمي ، قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرائيّ ، قال حدّثنا الحسن بن بشر السّديّ ، قال : أخذ العَسَسُ المستهلّ بن الكُميت في أيام أبي جعفر ، وكان الأمر صَعْبًا ، فَحُجِسَ ، فَكُتِبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ يَشْكُو حَالَهُ ، وَكُتِبَ فِي آخِرِ الرُّقْعَةِ :

[من الطويل]

لَيْنَ نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانِ عَدُوِّكُمْ وَخِفْنَاكُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَاكِدٌ
فَلَمَّا قَرَأَهَا أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : صَدَقَ الْمُسْتَهْلُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِ .

[دعبل يرى النبي في النوم]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامَ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ ،
ابْنَ أَخِي دَعْبِلَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي :
مَالِكُ وَالْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا كَمَا بَيْنَ الشَّعْرَاءِ ، فَقَالَ : لَا
تَفْعَلْ ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ :

فَلَا زِلْتُ فِيهِمْ حَيْثُ يَتَّهَمُونَنِي وَلَا زِلْتُ فِي أَشْيَائِهِمْ أَتَقَلَّبُ

فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ بِهَذَا الْبَيْتِ . قَالَ : فَانْتَهَيْتُ عَنِ الْكُمَيْتِ بَعْدَهَا .

[النبي يستنشد شخصاً في نومه شعر الكميت]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ
الْأُسْدِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ
أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ : أَعْلَمُ ، فَمِنْ أَيِّ الْعَرَبِ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي أُسَدٍ ، قَالَ :
مَنْ أُسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ لِي : أَهْلَا لِي أَنْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَتَعْرِفُ
الْكَمَيْتَ بْنَ زَيْدٍ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَمِّي وَمِنْ قَبِيلَتِي ، قَالَ : أَتَحْفَظُ مِنْ شَعْرِهِ
شَيْئاً ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَتَشِيدُنِي¹ :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ

قَالَ : فَانْشَدْتَهُ حَتَّى بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ² :

فَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ

فَقَالَ لِي : إِذَا أَصْبَحْتَ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

[ثالث يرى الكميت في نومه ينشد النبي]

وَجَدْتُ فِي كِتَابِ بَخْطِ الْمُرْهَبِيِّ الْكُوفِيِّ : حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ الرَّيْعِ بْنِ هِشَامِ النَّهْدِيِّ
الْخُرَّازِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ مُزَاحِمِ الْمُنْقَرِيِّ ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ
يَنْشُدُهُ :

1 الهاشميات : 27 وعجز البيت «ولا لعباً مِنِّي وذو الشوق يلعب» .

2 الهاشميات : 33 .

من لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُسْتَهَامٍ ؟

قال : فسألتُ عنه ، فقبل لي : هذا الكُمَيْتُ بن زَيْدِ الأَسَدِيِّ ، قال : فجعل النبي ﷺ يقول له : جَزَاكَ اللهُ خَيْراً ! وأثنى عليه .

[يعرض شعره على الفرزدق]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليّ العنزيّ ، قال : حدّثني أحمد بن بُكَيْرِ الأَسَدِيِّ ، قال : حدّثني محمد بن أنس السّلاميّ ، قال : حدّثني محمد بن سَهْلٍ راوية الكُمَيْت ، قال : جاء الكُمَيْتُ إلى الفرزدق لما قدِم الكوفة ، فقال له : إني قد قلتُ شيئاً فاسمعه مِنِّي يا أبا فِرَاس . قال : ها هه ، فأنشده قوله : [من الطويل]

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أَطْرَبُ ولا لِعَيٍّ مِنِّي وذو الشيبِ يَلْعَبُ
ولكنْ إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطَلِّبُ

فقال له : قد طَرِبْتُ إلى شيء ما طَرِبَ إليه أحدٌ قبلك ، فأما نحن فما نطربُ ، ولا طرب من كان قبلنا إلّا إلى ما تركت أنتَ الطَّرْبَ إليه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدّثنا محمد بن عليّ النوفليّ ، قال : سمعتُ أبي يقول : لما قال الكُمَيْتُ بن زيد الشعرَ كان أول ما قال الهاشميات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق بن غالب ، فقال له : يا أبا فِرَاس ، إنك شيخٌ مُضَرٌّ وشاعِرُها ، وأنا ابنُ أخيك الكُمَيْت بن زيد الأَسَدِيِّ . قال له : صدقتَ ، أنتَ ابنُ أخي ، فما حاجتك ؟ قال : نُفِثَ على لساني فقلتُ شعراً ، فأحييتُ أن أعرضه عليك ؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتني بسُتْرِهِ ، وكنتَ أولى من ستره عليّ . فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشيدني ما قلت ، فأنشده : [من الطويل]

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أَطْرَبُ

قال : فقال لي : فيمَ تطربُ يابنُ أخي ؟ فقال :

ولا لِعَيٍّ مِنِّي وذو الشيبِ يَلْعَبُ

فقال : بلى يابنُ أخي ، فالعَبُ ، فإنك في أوان اللعب ، فقال :

ولم يُلهِنِي دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يَطْرَبْنِي بَنانٌ مخضِبُ

فقال : ما يُطربك يابنُ أخي ؟ فقال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً أمرٌ سَلِيمُ القَرْنِ أم مرٌّ أعْضَبُ ؟

فقال : أَجَل ، لا تَطْطِير ، فقال :

[من الطويل]

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب

فقال : وَمَنْ هؤلاء ؟ وَيَحْك ! فقال :

[من الطويل]

إلى النفر البيض الذين يحبهم إلى الله فيما نابني أَتَقَرَّبُ

قال : أَرِحْنِي وَيَحْك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال :

[من الطويل]

بني هاشم رَهْطِ النبي فَإِنِّي بهم وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَاراً وَأَغْضَبُ

خَفَضْتُ لَهُم مِّنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً إِلَى كَنَفِ عِطْفَاه ؛ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

وَكُنْتُ لَهُم مِّنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُحَبًّا ، عَلَى أَنِّي أَذِمُّ وَأُقْصِبُ¹

وَأُرْمِي وَأُرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَإِنِّي لِأَوْذَى فِيهِمْ وَأُوْتَبُ

فقال له الفرزدق : يا ابن أخي ، أذع ثم أذع ؛ فأنت والله أشعر من مضي ، وأشعر من

بقي .

[لا يصيب ولا يخطيء]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا الحسن بن عليل العزبي ، قال : حدثني أحمد بن بُكَيْر ، قال :

حدثني محمد بن أنس ، قال : حدثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت ، قال : لما قديم

ذو الرمة الكوفة أتيتُه فقلت له : إني قد قلت قصيدة عارضتُ بها قصيدتك :

ما بال عَيْنِكَ منها الماء ينسكب²

فقال لي : وأي شيء قلت ؟ قال : قلت :

[من البسيط]

هل أنتَ عن طَلَب الأَيْفَاعِ مُنْقَلِبُ أَمْ كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْ ذِي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ³

حتى أنشدته إياها ، فقال لي : وَيَحْك ! إِنَّكَ لتقول قولاً ما يقدرُ إنسانٌ أن يقول لك

أصبتَ ولا أخطأتَ ، وذلك أَنَّكَ تصِفُ الشيءَ فلا تجيء به ، ولا تَقَعُ بعيداً منه ، بل تقع

قريباً . قلت له : أوتدري لِمَ ذلك ؟ قال : لا . قلت : لأنَّكَ تصِفُ شيئاً رأيته بعَيْنِكَ ، وأنا

أَصِفُ شيئاً وُصِفَ لي ، وليست المعاينة كالوصف . قال : فسكت .

1 أَقْصَب : أعاب وأشتم .

2 هذه أول قصيدة في ديوان ذي الرمة (مكارتني) . وعجز البيت «كأنه من كلى مفرية سرب» .

3 الأيفاع هنا : الكواعب .

[جذته تصفان له البادية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحي ، عن محمد بن سلمة بن أر تبيل ، عن حماد الراوية ، قال : كانت للكُميت جذتان أدركنا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتُخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية ، فإذا شك في شيء أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن المعلّى ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، يعني الصيرفي ، عن أبي بكر الحضرمي ، قال : استأذنت للكُميت على أبي جعفر محمد بن علي ، عليهما السلام ، في أيام التشريق بمنى ، فأذن له ، فقال له الكُميت : جعلت فداك ! إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدكم . فقال : يا كُميت ، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات ، وفي هذه الأيام المعدادات ، فأعاد عليه الكُميت القول ، فرق له أبو جعفر عليه السلام ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ :

يُصيب به الرأْمونَ عن قَوْسٍ غيرهم فيا آخراً سَدَى لَه الغَيَّ أَوَّلُ

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال : اللهم اغفرْ للكُميت .

[استذنه في مدح بني أمية]

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزالي الكوفي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أوطاة بن حبيب ، عن فضيل الرِّسَّان ، عن ورد بن زيد أخي الكُميت ، قال : أرسلني الكُميت إلى أبي جعفر ، فقلت له : إنَّ الكُميت أرسلني إليك ، وقد صنَّع بنفسه ما صنَّع ، فتأذن له أن يمدح بني أمية ؟ قال : نعم ، هو في حلٍّ فيقل ما شاء .

أخبرني محمد بن العباس ، قال : أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابن كناسة ، قال : مات وَرَدُّ أخو الكُميت ، فقيل للكُميت : ألا ترثي أخاك ؟ فقال : مرثيته ومرثيته عندي سواء ، وإنِّي لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه .

[يروي الحديث]

وقد روى الكُميت بن زيد الحديث ، وروى عنه .

أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إلي ، قال : حدثني الحسين بن محمد بن علي الأزدي ، قال : حدثني الوليد بن صالح ، قال : حدثني محمد بن سعيد بن عمير الصيدائي ، عن أبيه ، عن الكُميت بن زيد ، قال : حدثني عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه

مع الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فجعل يَهْل¹ حتى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ ، أو حين رمى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ ، فسأله عن ذلك ، فأخبرني أن أباه فَعَلَهُ . فحدثتُ به ابن عَبَّاس ، فقال لي : لا أم لك ! أتسألني عن شيء أخبرك به الحسين بن عليّ عن أبيه ! والله إنها لَسُنَّةٌ .

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ ، قال : حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أعين ، عن حَفْص بن محمد الأسديّ ، قال : حدثنا الكُميت بن زيد عن مذكور مولى زينب ، عن زينب ، قالت : دخل عليّ النبي ﷺ وأنا فضل² ، قالت : فقلت بيدي هكذا ، واستترتُ ، قالت : فقال لي : إن الله عز وجلّ زوَّجنيك .

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدثني أحمد بن سراج ، قال : حدثني الحسن بن أيوب الخنعمي ، قال : حدثنا فُرات بن حبيب الأسديّ قال : حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان ، قال : حدثني الكُميت بن زيد ، قال : سألتُ أبا جعفر عن قول الله عز وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ . قال : دخلتُ أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدريّ ، فسأله أبي عنها ، فقال : معادُ آخِرَتِهِ : الموت .

[أخذه بالتقية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مهران ، قال : حدثني رِيعِي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سَبْرَةَ ، عن أبيه ، قال : دخل الكُميت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فقال له : يا كُميت ؛ أنت القائل :

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمِّي — سَةِ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

قال : نعم ، قد قُلْتُ ، ولا والله ما أردتُ به إلّا الدُّنْيَا ، ولقد عرفتُ فضلَكُم ، قال : أما أن قلت ذلك فَإِنَّ التَّقِيَّةَ لَتَحِلَّ .

[أشعر الأولين والآخرين]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الرِّبَيعيّ ، قال : حدثنا أحمد بن بُكَيْر الأسديّ قال : حدثنا محمد بن أنس السَّلاميّ الأسديّ قال : سئِلَ مُعَاذُ الْهَرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : أَمِينُ الْجَاهِلِيَّينَ أَمْ مِنَ الْإِسْلَامِيَّينَ ؟

1 يهل : يرفع صوته .

2 فضل : مرتدية ثوباً واحداً .

قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس ، وزهير ، وعبيد بن الأبرص . قالوا : فمن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق ، وجريز ، والأخطل ، والرأعي . قال : فليل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرت الكُميتَ فيمن ذكرت . قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين .
[يجرد بما دون هلاك النفس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ ، قال : حدثنا العباس بن بكّار ، قال : حدثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : لما خرج زيد بن عليّ كتب إلى الكُميتَ :
اخرج معنا يا أعيمش ، ألسن القائل¹ :
[من الخفيف]

ما أبالي ، إذا حُفِظَتْ أبا القا سم ، فيكم ملامّة اللوام
فكتب إليه الكُميتَ :
[من الطويل]

تجودُ لكم نفسي بما دُون وثبةٍ تطلُّ لها الغريبان حَوِيَّ تَحْجِلُ
أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدثني عمّي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن محمد بن كُناسة ، قال : لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكُميتَ² :
[من الخفيف]

فِيهِمْ صرْتُ للبعيد ابنَ عَمٍّ واتَّهَمْتُ القريبَ أيَّ اتِّهَامٍ
مُبْدِيًا صفحتي على الموقفِ الْمُعْـمَلَمِ ، بالله قُوَّتِي واعتصامي
قال : استَقْتَل³ المرائي .

[مدحه خالد القسريّ]

قال : ودخل الكُميتَ على خالد القسريّ ، فأنشده قوله فيه⁴ :

لَوْ قِيلَ لِلْجُودِ : مَنْ حَلِيفُكَ ؟ ما إِنَّ كَانَ إِلَّا إِلَيْكَ يَنْتَسِبُ
أَنْتَ أَخُوهُ وَأَنْتَ صُورَتُهُ وَالرَّأْسُ مِنْهُ ، وَغَيْرُكَ الذَّنْبُ
أَحْرَزْتَ فَضْلَ النُّضَالِ فِي مَهْلٍ فَكُلَّ يَوْمٍ يَكْفُكَ الْقَصَبُ
مُسَوِّمٌ بِالْبَهَاءِ يَكْنُفُكَ الْمَجْدُ بِتَاجِ الْوَقَارِ مَعْتَصِبُ
لَوْ أَنَّ كَفْبًا وَحَاتِمًا نُشِرَا كَانَا جَمِيعًا مِنْ بَعْضِ مَا تَهَبُ

1 الهاشميات : 22 .

2 الهاشميات : 21-22 .

3 ل : شك .

4 شعر الكُميت : 84 .

لا تخلف الوعد إن وعدت ولا أنت عن المعتفين تحتجب
ما دُونَكَ اليوم من نوال ، ولا خلفك للراغبين مُنقلب¹
فأمر له بمائة ألف درهم .

[المستهل وعيسى بن موسى]

قال : وحضر المستهل بن الكميت باب عيسى بن موسى ، وكان يكرمه ، فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب ، فاستخف به ، وكان آخر مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قوم يُقال لهم الراشدون يؤذَن لهم في القعود ، فأدخل المستهل معهم ، فقال : [من المتقارب]

ألم تر أنني لما حضرت دُعيتُ فكنتُ مع الراشدين
فقرتُ بأحسن أسمائهم وأقبح منزلة الداخليين

[مخلد بن يزيد يجزل له العطاء]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : دخل الكميت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلب ، فأنشده² :

قاد الجيوشَ لخمسَ عشرةَ حِجَّةً ولدأته عن ذاك في أشغال
فعدتُ بهم هِمَّاتهم وسمتُ به هِمَمُ الملوكِ وسورةُ الأبطالِ

قال : وقُدَّام مخلد دراهم يقال لها الروبجة ، فقال : خذْ وقرك منها . فقال له : البغلة بالباب ، وهي أجلد مني . فقال : خذْ وقرها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقبل لأبيه في ذلك ، فقال : لا أَرُدُّ مكرمةً فعلها ابني .

[يجب الإحسان في القول]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني أبو بكر الأموي ، قال : حدثنا ابن فضيل ، قال : سمعتُ ابن شبرمة ، قال : قلت للكميت : إنك قلتَ في بني هاشم فأحسنْتَ ، وقلتَ في بني أمية أفضَلَ ، قال : إني إذا قلتُ أحببتُ أن أحسن .

[يكلف ابنه بالإنشاد عنه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ ومحمد بن عمران الصيرفي ، قالوا : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي ، قال : حدثنا محمد بن معاوية ، عن ابن كُناسة ، قال : كان الكميت بن زيد طويلًا أصم ، ولم

1 منقلب في ل : مَطْلَبُ .

2 شعر الكميت 2 : 53 .

يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد ، فكان إذا استُنشد أمرُ ابنه المستهلّ فأنشد ، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .
[مجاوزه أهل اليمن]

أخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتيبيل : أنَّ سبب هجاء الكُمَيْتِ أهل اليمن ، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عِيَّاش الكلبيّ كان يهجو عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أُمَيَّة ، فانتدب له الكُمَيْت فهجاه وسبّه ، فأجابه ولجّ الهجاء بينهما . وكان الكُمَيْت يخافُ أن يفتضح في شعره عن عليّ ، عليه السلام ، لما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر أنَّ هجاءه إيَّاه في العصبية التي بين عدنان وقحطان . فكان ولد إسماعيل بن الصَّبَّاح بن الأشعث بن قيس وولّد علقمة بن وائل الحضرميّ يَرُوْن شِعْر الكلبيّ ، فهجأ أهل اليمن جميعاً إلّا هذين ، فإنّه قال في آل علقمة¹ :

ولولا آلُ عُلْقَمَةَ اجتَدَعْنَا بقايا من أنوفِ مُصَلِّمينا

وقال في إسماعيل² :

فإنَّ لإسماعيلَ حقّاً ، وإنّا له شاعِبُو الصَّدْعِ المُقَارِبِ للشَّعْبِ
وكانت لآلِ علقمة عنده يدٌ ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام ، وأمَّ إسماعيل من بني أسد ، فكفَّ عنهما لذلك .

قال الطلحيّ : قال أبو سلمة : حدّثني محمد بن سهل ، قال : قال الكلبيّ : [من البسيط]

ما سرّني أنَّ أُمِّي من بني أسدٍ وأنَّ ربيّ نَجَّاني مِنَ النَّارِ
وأنّهم زوجوني من بناتهم وأنَّ لي كلَّ يوم ألفَ دينارٍ

فأجابه الكُمَيْت³ :

يا كلب مالك أم من بني أسدٍ معروفة فاحترق يا كلبُ بالنارِ
لكنَّ أمك من قوم شُبَّعت بهم قد قَنَعوك قناعَ الخِزْيِ والعارِ

1 شعر الكُمَيْت : 124 .

2 شعر الكُمَيْت : 1 : 137 .

3 شعر الكُمَيْت : 180-181 .

قال : فقال له الكلبيّ :

لن يَرَحَ اللُّومُ هذا الحيَّ من أُسدٍ حتى يُفَرِّقَ بين السَّبْتِ والأَحَدِ
قال محمد بن أنس : حدَّثني المستهلّ بن الكُميت ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، إنك
هيجوت الكلبيّ ، فقلت¹ :

ألا يا سَلَمَ يا تَرَبِّي أفي أسماء من تَرَبِّ ؟
وغمزت عليه فيها ، ففخرت بيني أُميَّة ، وأنتَ تشهد عليها بالكفر ، فألا فخرتَ بعليّ
وبني هاشم الذين تتولّاهُم ! فقال : يا بنيّ ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكلبيّ إلى بني أُميَّة ، وهم
أعداء عليّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليّاً لتركَ ذكري ، وأقبلَ على هجائه ، فأكون قد عرَضْتُ
عليّاً له ، ولا أجد له ناصرأ من بني أُميَّة ، ففخرت عليه بيني أُميَّة ، وقلت : إن نقضها عليّ
قَتَلُوهُ ، وإن أمسك عن ذكرهم قَتَلْتُهُ غَمّاً وغلْبَتُهُ ؛ فكان كما قال ، أمسك الكلبيّ عن جوابه ،
فغلب عليه ، وأفحم الكلبيّ .

وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبه :

صوت
ألا يا سَلَمَ يا تَرَبِّي أفي أسماء من تَرَبِّ ؟
ألا يا سَلَمَ حَيِّيتِ سَلِي عَنِّي وعن صَحْبِي
ألا يا سَلَمَ غَنِينَا وإن هَيَّجْتُمَا حُبِّي
على حادثة الأَيَا م لي نَصَباً من النُّصَبِ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر عن عَمَرُو .

[يُحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرني أبو سعيد السَّكْرِيّ ، عن محمد بن حبيب ،
عن إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة : كان الكُميت مدّاحاً لأبان بن
الوليد البجليّ ، وكان أبان له مُجِبّاً وإليه مُحْسِناً ، فمدح الكُميتُ الحكمَ بن الصُّلْت ، وهو يومئذٍ
يخلف يوسف بن عُمر ، بقصيدته التي أوّلها :

طربتُ وهاجكَ الشوقُ الحَيِّثُ

فلَمَّا أنشدَه إِيّاها وفرغ ، دعا الحكمَ بخازنِه لِيُعْطِيه الجائزة ، ثم دعا بأبان بن الوليد ،

فَأَذْخِلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَكْبُولٌ بِالْحَدِيدِ ، فَطَالِبُهُ بِالْمَالِ ، فَالْتَفَتَ الْكُمَيْتُ فَرَاهُ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . وَأَقْبَلَ عَلَى الْحَكَمِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! اجْعَلْ جَائِزَتِي لِأَبَانِ ، وَاحْتَسِبْ بِهَا لَهُ مِنْ هَذَا النَّجْمِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : قَدْ فَعَلْتُ ، رَدُّوهُ إِلَى السَّجَنِ . فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : يَا أَبَا الْمُسْتَهْلِّ ، مَا حَلٌّ لَهُ عَلَيَّ شَيْءٍ بَعْدُ . فَقَالَ الْكُمَيْتُ لِلْحَكَمِ : أَبِي تَسَخَّرَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! فَقَالَ الْحَكَمُ : كَذَبٌ ، قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ الْمَالُ ، وَلَوْ لَمْ يَحْلَ لاحتسبنا له مَّا يَحْلُ . فَقَالَ لَهُ حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَكَانَ خَلِيفَةَ الْحَكَمِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَتَشْفَعُ حِمَارَ بَنِي أَسَدٍ فِي عَبْدٍ بِجِيلَةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الْكُمَيْتُ : لَعَنَ قُلْتُ ذَاكَ فَوَاللَّهِ مَا فَرَزْنَا عَنْ آبَائِنَا حَتَّى قُتِلُوا ، وَلَا نَكُنَّا حُلَائِلَ آبَائِنَا بَعْدَ أَنْ مَاتُوا ، وَكَانَ يُقَالُ إِنَّ حَوْشَبًا فَرَّ عَنْ أَبِيهِ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ ، فَقُتِلَ أَبُوهُ وَنَجَا هُوَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ وَطِئَ جَارِيَةً لِأَبِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَسَكَتَ حَوْشَبٌ مُفْحَمًا خَجَلًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : مَا كَانَ تَعَرُّضُكَ لِلْسَّانِ الْكُمَيْتِ ! .

قال : وفي حَوْشَبٍ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

نَجَّيْ حُشَّاشَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسِنَّةَ حَوْشَبُ

[تبادل الغناء بين ابنة الْكُمَيْتِ وابنة أَبَانَ بْنِ الْوَلِيدِ]

قَالَ الطَّلْحِيُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ : وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ قَالَ : التَقْتُ رِيًّا بِنْتَ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ أَبَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بِمَكَّةَ ، وَهُمَا حَاجَتَانِ ، فَتَسَاءَلَتَا حَتَّى تَعَارَفَتَا ، فَدَفَعَتْ بِنْتُ أَبَانَ إِلَى بِنْتِ الْكُمَيْتِ خَلْخَالِيٍّ ذَهَبَ كَانَا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُ الْكُمَيْتِ : جَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا يَا آلَ أَبَانَ ، فَمَا تَتْرَكُونَ بِرُكْمٍ بَنَّا قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا ! فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُ أَبَانَ : بَلْ أَنْتُمْ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ؛ فَإِنَّا أَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَبِيدُ وَيَفْنَى ، وَأَعْطَيْتُمُونَا مِنَ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ مَا يَبْقَى أَبَدًا وَلَا يَبِيدُ ، يَتَنَاشَدُهُ النَّاسُ فِي الْحَافِلِ فَيُحْيِي مَيِّتَ الذِّكْرِ ، وَيَرْفَعُ بَقِيَةَ الْعَقَبِ .

[مولده وموته]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَابْنُ عَمَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ نَعِيمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْخَصَّافِ الطَّلْحِيُّ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ أَرْتَبِيلَ : وُلِدَ الْكُمَيْتُ أَيَّامَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سَنَةَ سِتِّينَ ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فِي خِلَافَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ مَبْلَغُ شَعْرِهِ حِينَ مَاتَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَمِائَتَيْنِ وَتِسْعَةَ وَثَمَانِينَ يَتًا .

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ فِي رِوَايَةِ عَمِّي خَاصَّةً عَنْهُ : حَدَّثْتُ عَنْ الْمُسْتَهْلِّ بْنِ الْكُمَيْتِ أَنَّهُ قَالَ : حَضَرْتُ أَبِي عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ ، ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بَنِي ؛ وَدَدْتُ أَنْتِي لَمْ أَكُنْ

هَجُوتُ نِسَاءَ بَنِي كَلْبٍ بِهَذَا الْبَيْتِ :
 مَعَ الْعُضْرُوطِ وَالْعُسْفَاءِ الْقَوَا بَرَادِعُهُنَّ غَيْرَ مُحَصِّنِينَ¹
 [وصيته لابنه]

فعممتهم قَذْفًا بِالْفَجُورِ ، والله ما خرجتُ بلبيل قطُّ إلا خشيتُ أنْ أُرْمَى بنجوم السماء لذلك . ثم قال : يا بني ؛ إنه بلغني في الروايات أنه يُحْفَرُ بظَهْرِ الكوفة خندق يُخْرَجُ فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها ، فيحوّلون إلى قبورٍ غير قبورهم ، فلا تدفني في الظهر ، ولكن إذا متَّ فامض بي إلى موضعٍ يقال له مَكْرَانُ ، فادفني فيه . فدُفِنَ في ذلك الموضع وكان أوّل مَنْ دُفِنَ فيه ، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة .
 قال المستهمل : ومات أبي في خلافة مروان بن محمد سنة ستٍّ وعشرين ومائة .

صوت

[من الخفيف]

أَسْتَعِينُ الَّذِي بِكَفِّيهِ نَفْعِي وَرَجَائِي عَلَى التِّي قَتَلْتَنِي
 وَلَقَدْ كُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ وَأَبْصَرْتُ أُمُورًا لَوْ أَنَّهَا نَفَعَتْنِي
 قُلْتُ : إِنِّي أَهْوَى شِفَا مَا أَلَاقِي مِنْ خُطُوبٍ تَتَابَعَتْ فَدَحَّتْنِي²
 عَرُوضُهُ مِنَ السَّرِيعِ³ ، يُقَالُ : إِنَّ الشَّعْرَ لَعُمَرُ⁴ ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ،
 عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَفِيهِ لَحْنٌ لِلْهُذَلِيِّ . وَقِيلَ : بَلْ لَحْنُ ابْنِ سُرَيْجٍ لِلْهُذَلِيِّ ، ذَكَرَ ذَلِكَ حَبِشٌ .
 وَقِيلَ : بَلْ هُوَ مِمَّا نُسِبَ مِنْ غَنَاءِ ابْنِ سُرَيْجٍ إِلَى الْهُذَلِيِّ .

1 العضروط : الذي يخدم بطعامه . والعسفاء : جمع عسيف ، وهو الأجير .

2 إني أهوى شفا في ل : أي أحت شفتي . فدحتني في ل : قد حنتني .

3 عروض الأبيات من الخفيف .

4 ديوان عمر : 437 .

[342] - خبر ابن سريج مع سكينه بنت الحسين

عليهما السلام

[توقف ابن سريج عن الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مصعب الزبيري ، قال : حدثني شيخ من المكيين ، ووجدتُ هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب مَرْوياً عن محمد بن سعد كاتب الواقدي ، عن مصعب ، عن شيخ من المكيين والرواية عنهما مُتَّفَقَةٌ ، قال : كان ابن سُرَيْج قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يميناً ألاَّ يغني ، ونَسَكَ ولزم المسجد الحرام حتى عُوفي . ثم خرج وفيه بقية من العلة ، فأتى قبر النبي ﷺ وموضع مُصَلَّاهُ . فلما قديم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة ، فكان أهلُ الغناء يأتونه مسلمين عليه ، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حَولاً حتى لم يُحِسَّ من عِلته بشيء ، وأراد الشخصوصَ إلى مكة .

[التحايل لتسمعه سكينه]

وبلغ ذلك سكينه بنت الحسين ، فاغتمت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذرعها ، وكان أشعبُ يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأشعب : ويلك ! إن ابن سُرَيْج شاخصٌ ، وقد دخل المدينة منذ حول ، ولم أسمع من غناؤه قليلاً ولا كثيراً ، ويعز ذلك عليّ ، فكيف الحيلة في الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟ فقال لها أشعب : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! وأنتى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه ؟ فارفعي طَمَعَكَ ، والحسي تَوَرَّكَ¹ تنفعلك حلالة فَمَك .

فأمرت بعض جواربها فوطِئْنَ بَطْنَهُ حتى كادت أن تخرج أمعاؤه ، وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف ، ثم أمرت به فُسْحِبَ على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوأ الحالات ، واغتمَّ أشعب غمّاً شديداً ، ونَدِمَ على مِمَازَحتِها في وقتٍ لم يَنْبَغْ له ذلك ؛ فأتى منزلَ ابنِ سُرَيْج ليلاً فطرقه ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أشعب ، ففتحو له ، فرأى على وجهه ولحيته التراب ، والدَّم سائلاً من أنفه وجبته على لحيته ، وثيابه ممزقة ، وبطنه

وصدّره وحلّقه قد عصرها الدّوس والخنق ، ومات الدّم فيها ، فنظر ابن سريج إلى منظرٍ فظيع هالهِ وراعهُ ، فقال له : ما هذا ويحك ؟ فقصّ عليه القصّة .

[امتناعه من الذهاب إليها]

فقال ابن سريج : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ! ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذي سلّم نفسك ، لا تعودنّ إلى هذه أبداً . قال أشعب : فديتك هي مولاتي ولا بدّ لي منها ، ولكن هل لك حيلةٌ في أن تصيرَ إليها وتغنيها ؛ فيكون ذلك سبباً لرضاها عني ؟ قال ابن سريج : كلاً والله لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته .

قال أشعب : قد قطعتم أمني ورفعت رزقي ، وتركتني حيران بالمدينة ، لا يقبلني أحد وهي ساخطة عليّ ، فאלله الله فيّ ، وأنا أنشدك الله إلّا تحمّلت هذا الإثم فيّ ، فأبى عليه .

فلما رأى أشعب أن عزّم ابن سريج قد تمّ على الامتناع قال في نفسه : لا حيلة لي ، وهذا خارجٌ ، وإن خرج هلكتُ ، فصرخ صرخةً آذن أهل المدينة لها ، ونبه الجيران من رقادهم ، وأقام الناس من فرشهم ، ثم سكّت فلم يذر الناس ما القصّة عند خفوتِ الصّوت بعد أن قد راعهم .

فقال له ابن سريج : ويلك ! ما هذا ؟ قال : لئن لم تصير معي إليها لأصْرُخَن صرخةً أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلّا صار بالباب ، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ، ولأعلمنهم أنك أردتَ تفعل كذا وكذا بفلان ، يعني غلاماً كان ابن سريج مشهوراً به ، فمنعتك ، وخلّصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسفاً ، وأنتك إنّما أظهرت التّسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه ، وكان أهل مكّة والمدينة يعلمون حاله معه . فقال ابن سريج : اغرب ، أخزأك الله . قال أشعب : والله الذي لا إله إلّا هو ، وإلّا فما أملك صدقة ، وامراته طالق ثلاثاً ، وهو نجير¹ في مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النار ، والقبر قبر أبي رغال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن .

[وافق على الذهاب إلى سكينه]

فلما رأى ابن سريج الجدّ منه قال لصاحبه : ويحك ! أما ترى ما وقّعنا فيه ؟ ! وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً ؛ فقال : لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث . وتذمّم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب : اخرج من منزل الرجل . فقال :

رَجُلِي مَعَ رَجُلِكَ ، فَخَرَجَا .

فَلَمَّا صَارَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ ابْنُ سُرَيْجَ لِأَشْعَبَ : اَمْضِ عَنِّي . قَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا قُلْتُ لَأُصِيحَنَّ السَّاعَةَ حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَلَأَقُولَنَّ : إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي سِوَاراً مِنْ ذَهَبٍ لِسُكِينَةَ عَلَى أَنْ تَجِئَهَا فَتَغْنِيَهَا سَرّاً ، وَإِنَّكَ كَاثَرْتَنِي عَلَيْهِ وَجَحَدْتَنِي ، وَفَعَلْتَ بِي هَذَا الْفِعْلَ .

فَوَقَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ فِيمَا لَا حِيلَةَ لَهُ فِيهِ . فَقَالَ : اَمْضِي ، لَا بَارَكَ اللَّهُ فَيْكَ . فَمَضَى مَعَهُ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ سُكِينَةَ قَرَعَ الْبَابَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَشْعَبُ قَدْ جَاءَ بِابْنِ سُرَيْجٍ ، فَفُتِحَ الْبَابُ لَهَا ، وَدَخَلَ إِلَى حَجَرَةٍ خَارِجَةٍ عَنْ دَارِ سُكِينَةَ . فَجَلَسَا سَاعَةً ، ثُمَّ أُذِنَ لَهَا فَدَخَلَ إِلَى سُكِينَةَ ، فَقَالَتْ : يَا عُبَيْدُ ، مَا هَذَا الْجَفَاءُ ؟ قَالَ : قَدْ عَلِمْتَ بِأَبِي أَنْتِ مَا كَانَ مِنِّي . قَالَتْ : أَجَلٌ ، فَتَحَدَّثْنَا سَاعَةً ، وَقَصَّ عَلَيْهَا مَا صَنَعَ بِهِ أَشْعَبُ ، فَضَحَكَتْ ، وَقَالَتْ : لَقَدْ أَذْهَبَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي عَلَيْهِ ، وَأَمَرْتُ لِأَشْعَبَ بَعَشْرِينَ دِينَاراً وَكِسُوءَةً . ثُمَّ قَالَ لَهَا ابْنُ سُرَيْجٍ : أَتَأْذِنِينَ بِأَبِي أَنْتِ ؟ قَالَتْ : وَأَيْنَ ؟ قَالَ : الْمَنْزِلُ ، قَالَتْ ! بَرِئْتُ مِنْ جَدِّي إِنْ بَرَحْتَ دَارِي ثَلَاثًا ، وَبَرِئْتُ مِنْ جَدِّي إِنْ أَنْتِ لَمْ تُعَنَّ إِنْ خَرَجْتَ مِنْ دَارِي شَهْراً ، وَبَرِئْتُ مِنْ جَدِّي إِنْ أَقَمْتَ فِي دَارِي شَهْراً إِنْ لَمْ أَضْرِبْكَ لِكُلِّ يَوْمٍ تَقِيمُ فِيهِ عَشْراً ، وَبَرِئْتُ مِنْ جَدِّي إِنْ حِنْثْتَ فِي يَمِينِي أَوْ شَفَعْتُ فَيْكَ أَحَداً .

فَقَالَ عُبَيْدُ : وَاسْخَنَ عَيْنَاهُ ! وَاهْذَابَ دُنْيَاهُ ! وَافْضِيحَتْاهُ ! ثُمَّ انْدَفَعَ يَغْنِي : [مِنْ الْخَفِيفِ]

أَسْتَعِينُ الَّذِي بِكَفِّهِ نَفْعِي وَرَجَائِي عَلَى الَّتِي قَتَلْتَنِي

الصَّوْتِ الْمَذْكُورِ آنِفًا . فَقَالَتْ لَهُ سُكِينَةُ : فَهَلْ عِنْدَكَ يَا عُبَيْدُ مِنْ صَبْرٍ ؟ ثُمَّ أَخْرَجَتْ دُمْلُجاً مِنْ ذَهَبٍ كَانَ فِي عَضُدِهَا وَزَنَهُ أَرْبَعُونَ مِثْقَالاً ، فَرَمَتْ بِهِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا أَدَخَلْتَهُ فِي يَدِكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ .

[استدعاء عزة الميلاء]

ثُمَّ قَالَتْ لِأَشْعَبَ : اذْهَبْ إِلَى عَزَّةَ¹ فَأَقْرِئْهَا مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَعْلَمْهَا أَنَّ عُبَيْداً عِنْدَنَا ، فَلَتَأْتَنَا مُتَفَضِّلَةً بِالزِّيَارَةِ . فَأَتَاهَا أَشْعَبُ فَأَعْلَمَهَا ، فَأَسْرَعَتْ الْمَجِيءَ ، فَتَحَدَّثُوا بَاقِيَ لَيْلَتِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَتْ عُبَيْداً وَأَشْعَبَ فَخَرَجَا فَنَامَا فِي حُجْرَةِ مَوَالِيهَا . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ هُمَيٌّ لَهُمْ غَدَاوُهُمْ ، وَأَذْنَتْ لِابْنِ سُرَيْجٍ فَدَخَلَ فَتَغَدَّى قَرِيباً مِنْهَا مَعَ أَشْعَبَ وَمَوَالِيهَا ، وَقَعَدَتْ هِيَ مَعَ عَزَّةَ وَخَاصَّةً

1 أي عَزَّةَ الميلاء .

جوارِها ، فلمّا فرغوا من الغداء قالت : يا عزّ ، إن رأيت أن تُغنّينا فافعلي . قالت : إي وعيشك . فتغنّت لحنها في شعر عترة العبي¹ :

حَيَّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ
إِنْ كُنْتَ أَزَمَعْتَ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمْتَ رِكَابَكُمْ بَلِيلٍ مُظْلِمٍ

فقال ابن سريج : أحسنت والله يا عزّة ! . وأخرجت سكينه الدُمْلَجَ الآخر من يديها فرمته إلى عزّة ، وقالت : صيّري هذا في يدك ، ففعلت . ثم قالت لعبيد : هات غننا . فقال : حسبك ما سمعت البارحة . فقالت : لا بدّ أن تغنّينا في كلّ يوم لحناً . فلمّا رأى ابن سريج أنّه لا يقدر على الامتناع ممّا تسألّه غنّى² :

قالت : مَنْ أَنْتَ ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلت لها :
أنا الذي ساقه للحين مقدار
قد حان منك ، فلا تبعد بك الدار ،
بين وفي البين للمتبول إضرار
ثم قالت لعزّة في اليوم الثاني : غني ، فتغنّت لحنها في شعر الحارث بن خالد ، ولابن محرز فيه لحن ، ولحن عزّة أحسنهما³ :

وَقَرَّتْ بِهَا عَيْنِي ، وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا كَثِيرَ الْبُكَاءِ مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِهَا
وَبَشْرَةَ خَوْذٍ مِثْلَ تَمَثَالٍ بَيْعَةٍ تَظِلُّ النِّصَارَى حَوْلَهُ يَوْمَ عِيدِهَا

قال ابن سريج : والله ما سمعت مثل هذا قطّ حسناً ولا طيباً .

ثم قالت لابن سريج : هات ، فاندفع يغني⁴ :

أَرَقْتُ فَلَمْ أَتُمْ طَرَبًا وَبِتْ مُسَهِّدًا نَصِيحًا
لَطِيفٌ أَحَبُّ خَلْقِ الدِّ هَ إِنْسَانًا وَإِنْ غَضِيحًا
فَلَمْ أَرُدْ مَقَالَتَهَا وَلَمْ أَكُ عَاتِبًا عَتَبًا
وَلَكِنْ صَرَّمْتُ حَبْلِي فَأَمْسَى الْحَبْلُ مُنْقَضِيحًا

فقالت سكينه : قد علمت ما أردت بهذا ، وقد شفّعناك ، ولم نردك . وإنما كانت يميني على ثلاثة أيّام ، فاذهب في حفظ الله وكلاءته . ثم قالت لعزّة : إذا شئت . ودعت لها بحلّة ،

1 هذان البيتان من معلقته .

2 ديوان عمر : 211 .

3 شعر الحارث بن خالد : 59 .

4 ديوان عمر : 32 .

ولابن سريج بمثلها . فانصرفَتْ عَزَّةُ ، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته ، وانصرف ، فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً .

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها :

[من الكامل]

صوت

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدِهِ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدُ أُمِّ الْهَيْثَمِ
الشَّعْرَ لَعْتَرَةَ بَنِ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ ، والغناء لعزَّة المَيْلَاءِ ، وقد كتبَ ذلك في أوَّل هذه
القصيدة وسائر ما يغنى فيها .

ومنها :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أَرَقْتُ فَلَمْ أَتَمْ طَرِبَا وَبَتَّ مَسْهَدًا نَصْبَا
لَطِيفٍ أَحَبُّ خَلْقِ الدِّهَانِ إِنْسَانًا وَإِنْ غَضِبَا
إِلَى نَفْسِي ، وَأَوْجَهَهُم وَإِنْ أَمْسَى قَدِ احْتَجِبَا
وَصَرَمَ حَبْلَنَا ظُلْمًا لِبَلْغَةِ كَاشِحٍ كَذْبَا
عروضه من الوافر . الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْج ، ثَقِيلُ أوَّل بالسبابة في
مَجْرَى البَنْصَرِ .

ومنها قوله :

[من البسيط]

صوت

قَدْ حَانَ مِنْكَ ، فَلَا تَبْعُدْ بِكَ الدَّارُ بَيْنَ وَفِي الْبَيْنِ لِلْمَتَبُولِ إِضْرَارُ
قَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، عَلَى ذِكْرٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : أَنَا الَّذِي سَأَلَنِي لِلْحَيْنِ مِقْدَارُ
الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْج ، رَمَلُ بالسبابة في مَجْرَى الوَسْطَى .
ومنها الصوت الذي أوَّلُه :

وَقَرَّتْ بِهَا عَيْنِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا

أوَّلُه قوله :

[من الطويل]

صوت

لبشرةً أُسرى الطَّيْفُ والخَبْثُ دونها وما يَبْنَتَا من حَزْنِ أَرْضٍ وبَيْدِهَا
وَقَرَّتْ بها عَيْنِي وقد كُنْتُ قَبْلَهَا كثيراً بُكائِي مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِهَا
وبِشْرَةٍ خَسُودٌ مِثْلُ تَمثالِ بَيْعَةٍ تَظَلُّ النصارى حَوْلَهَا يومَ عِيدِهَا
الشعر للحارث بن خالد المخزومي ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى
الوسطى .

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسبها إلى أحد ، ولابن محرز في هذه
الآيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيها لعزة الميلاء خفيف رمل .
[الحارث بن خالد المخزومي وبشرة]

وبشرة هذه ، التي ذكرها الحارث بن خالد ، أمة كانت لعائشة بنت طلحة ، وكان
الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها ، وله فيها أشعار كثيرة .
منها مما يغنى فيه قوله :
[من الكامل]

صوت¹

يا رَنع بِشْرَةٍ بِالْحَنَابِ تَكَلَّمْ وإِنْ لَنَا خَيْرًا وَلَا تَسْتَعْجِمِ
ما لي رَأَيْتُكَ بعدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ
تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا النُّجُومُ تَغَوَّرَتْ طَوْعُ الضَّجِيعِ وَغَايَةِ الْمُتَوَسِّمِ
قُبُّ الْبَطُونِ أَوَانِسُ شَيْئِهِ الدُّمَى يَخْلُطُنَ ذَاكَ بِعَفَّةٍ وَتَكْرُمِ
عروضه من الكامل ، والشعر للحارث بن خالد ، والغناء لمعبد ، ولحنه من خفيف الرمل
بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

وفيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو ، ومنها² : [من الكامل]

صوت

يا رَنع بِشْرَةٍ إِنْ أَضَرَ بِكَ الْبَلَى فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ آهلاً مَعْمُوراً
عَقَبَ الرِّذَاذُ خِلَافَهُ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيراً

1 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .

2 شعر الحارث بن خالد : 95-97 .

غناه ابن سُرَّيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لَحْنٌ لِمَالِك ، وقيل : بل هو لابن محرز . وعروضه من الكامل .

وقوله : «عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَهُ» يقول : جاء الرذاذ بعده ، ومنه يقال : عقبَ لفلان غنى بعد فقر . وعقبَ الرجل أباه ، إذا قام بعده مقامه . وعواقب الأمور مأخوذة منه ، واحداثها عاقبة . والرذاذ : صغار المطر ، وقوله خلافة : أي بعده . قال متمم بن نويرة¹ : [من الطويل]

وَفَقْدِي بَنِي أُمِّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خِلَافَهُمْ أَنْ أُسْتَكِينَ وَأَضْرَعَا
أَي بَعْدَهُمْ . والشواطِب : النساء اللواتي يشطينَ لِحَاء السَّعْفِ يعملنَ منه الحُصْرَ ، ومنه السيف المشطَب : والشطِيبية : الشَّعْبَةُ من الشيء ، ويقال : بعثنا إلى فلان شَطِيبَةً من خيلنا ، أي قطعة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : كانت مغنية تختلف إلى صديق لها ، فَأَتَتْهُ يوماً ، فوجدته مريضاً لا حراك به ، فدَعَتْ بالعود وغَنَّت : [من الكامل]

يَا رُبَّعَ بَشْرَةٍ إِنَّ أَضْرَّ بِكَ إِلَيَّ فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا
وَمَا يَغْنَى بِهِ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الرَّائِيَةِ : [من الكامل]

صوت

أَعْرِفَتْ أَطْلَالَ الرُّسُومِ تَنَكَّرَتْ بَغْدِي وَغَيْرَ آيَهُنَّ دُثُورًا
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الْأُنَيْسِ بِأَهْلِهَا عَفَرَ الْبَوَاقِرِ يَرْتَعِينَ وَعُورًا²
مِنْ كُلِّ مُضَبِّبَةِ الْحَدِيثِ تَرَى لَهَا كَفَلًا كَرَابِيَةَ الْكُثِيبِ وَثِيرًا
الأطلال : ما شخص من آثار الدِّيار . الرسوم : البقايا من الدِّيار ، وهي دون الأطلال وأخفى منها . وتنكَّرت : تغيَّرت . والذَّائِر : الدارس . والعُفْر : الظباء ، واحدها عُفْر . والوعور : المواضع التي لا أنيسَ فيها . والرَّايَةِ : الأرض المشرفة ، وهي دون الجبل . والكثيب : القطعة العالية المرتفعة من الرَّمْل ، جمعها كُتُب . والوثير : التامُّ المرتفع ، يقال : فراش وثير ، إذا كان مرتفعاً عن الأرض .

لإسحاق الموصلي في البيتين الأولين ثاني ثَقِيل بالبنصر ، ولإبراهيم فيهما خفيف ثَقِيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولطويس فيهما خفيف ثَقِيل . وقيل إنه ليس له . ولابن سُرَّيج

1 ديوان متمم بن نويرة : 114 .

2 البواقِر في ل : اليعافر ، وهي الغزلان .

في الثالث ثم الأوّل خفيف رمل ، وقيل : بل هو لخليدة المكيّة . وفي البيت الأوّل والثاني
لمالك رمل بالوسطى ، وقيل : الرمل لطويس ، وخفيف الثقيل لمالك . ولعبد في هذا الصوت
لحنان : أحدهما ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، والآخر خفيف ثقيل أوّل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا دارُ حَسَرها البلى تحسيرا وسفّت عليها الریح بعدك مُورا
دُقّ الترابُ بِخَيْلِها فمخيمٌ بعِراضِها ومُسِيرٌ تَسِيرِا
غنى في هذين البيتين ابن مسنّج خفيف ثقيل الأوّل بالسّابة في مجرى الوسطى .
وللغريض في : «أعرَفَت أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أوّل بالنصر ، وللغريض أيضاً ثاني
ثقيل مطلق في مجرى الوسطى .

حسرها : أذهب معالمها ، ومنه حَسَرَ الرجل عن ذِراعِهِ وعن رأسِهِ إذا كشفهما . وحسر
الصلعُ شعر الرأس ، إذا حصّه¹ . والمور : التراب ، والمخيم : المقيم .

ومنها صوت ، أوّله : [من الكامل]

مِنْ كُلِّ مُصْنِيَةِ الحديثِ ترى لها كفلاً كرابيّة الكتيبِ وثيرا
يَفْتِنُ ، لا يألون ، كُلٌّ مغفلٌ يملأُنه بحديثهنّ سرورا
ومنها : [من الكامل]

صوت

دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا قرّين أجمالاً هُنَّ قُحُورا ؟!
قرّين كلُّ مُخَيِّسٍ مُتَحَمِّلٍ بُزْلاً تشبّه هامهنّ قبورا
القُحُور : واحدها قَمَرٌ ، وهو المسنّ . والمخَيِّس : المحبوس للرحلة . والمتحمّل : معتاد
الحمل .

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه . ولابن جامع في : [من الكامل]

دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها :

[من الكامل]

صوت

إِنْ يُنْسِرَ حَبْلُكَ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَيُصْبِحُ بَيْتُكُمْ مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي ، وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى ، زَمَنًا بِوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
جَذَلًا بِمَالِي عِنْدَكُمْ لَا أُبْتَغِي لِلنَّفْسِ بَعْدُكَ خُلَّةً وَعَشِيرًا
كَنْتُ الْهَوَى وَأَعَزُّ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَا عِنْدِي ، وَكَنْتُ بِذَاكَ مِنْكَ جَدِيرًا

إبراهيم الموصليّ ، ويحيى المكيّ في هذه الأبيات لحنان ، كلاهما من الثقيل الثاني ؛ فلحن إبراهيم بالوسطى ، ولحن يحيى بالبصر ، ولاسحاق فيهما رمل . وقيل : إنّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : حدّثني رجل من أهل البصرة ، قال : اشتريتُ جاريةً مغنيّةً ، فأقامت عِنْدِي زَمَنًا وَهَوَيْتَنِي ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَرَاهَا أَهْلِي ، فَعَرَضْتُهَا لِلْبَيْعِ ، فَجَزَعْتُ ، وَقَالَتْ : لَقَدْ اشْتَرَيْتَنِي وَأَنَا لَكَ كَارِهَةٌ ، وَإِنَّكَ لَتَبِيعَنِي وَأَنَا لَذَلِكَ كَارِهَةٌ . فَقَالَ أَخٌ لِي : أَرْنِيهَا ، فَقُلْتُ : هِيَ عِنْدَ فُلَانَةٍ ، فَاظْطَرَّ إِلَيْهَا ، فَأَتَاهَا فَظَرَّ إِلَيْهَا وَأَنَا حَاضِرٌ ، فَلَمَّا اعْتَرَضَهَا وَفَرَغَ مِنْ ذَلِكَ غَنَّتْ :

[من الكامل]

إِنْ يُنْسِرَ حَبْلُكَ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَيُصْبِحُ بَيْتُكُمْ مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي ، وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى ، زَمَنًا بِوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا

ثم بَكَتْ ، وَضَرَبَتْ بِالْعُودِ الْأَرْضَ فَكَسَرَتْهُ ، فَخَيْرْتُهَا بَيْنَ أَنْ أُعْتَقَهَا أَوْ أُبَيْعَهَا مِمَّنْ شَاءَتْ ، فَاخْتَارَتْ الْبَيْعَ ، وَطَلَبْتُ مَوْضِعًا أَرْضَاهُ حَتَّى أَصَابْتَهُ ، فَصَيَّرْتُهَا إِلَيْهِ .
[إسحاق يصلح لحنًا لمخارق]

أخبرني يحيى بن عليّ ، قال : حدّثني أَبُو أَيُّوبَ المَدَائِنِيُّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن علي بن هشام ، قال : حدّثني جارية يقال لها طِبَاع - جارية محمد بن سهل بن قَرْخَنْد - قالت : غَنَيْتُ إِسْحَاقَ فِي لَحْنِهِ :

أَعْرِفْتُ أَطْلَالَ الرُّسُومِ تَنَكَّرْتُ بَعْدِي

فأنكر عليّ في مقاطعه شيئاً ، وقال : مِمَّنْ أَخَذْتَهُ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ مَخَارِقَ ، فَقَالَ لِي : تَعَثَّرَ الْجَوَادُ بَلْ هُوَ كَمَا أَقُولُ لَكَ ، وَرَدَّهُ عَلَيَّ ، فَهُوَ يُقَالُ كَمَا يَقُولُ مَخَارِقَ ، وَكَأَنَّ غَيْرَهُ إِسْحَاقُ .

صوت

[من المنسرح]

أَخْشَى عَلَى أُرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بَالًا سَفَارِسَ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ
يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أُرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدِ
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْخِصَامِ يَقْتَصِدُ¹

عروضه من المنسرح .

النَّجْدُ : البَطْلُ ذُو النَّجْدَةِ . وقال الأصمعيّ في النَّجْدِ مثل ذلك . وقال : النَّجْدُ ،
بكسر الجيم : الذي قد عرق جدًّا . والكَبَدُ : الثِّبَاتُ² والقيام .
الشعر لِلْبَيْدِ بن ربيعة³ ، والغناء للأبجر ، رمل بالبنصر عن عمرو بن بانه . ولأبراهيم
فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني ،
وذكرتْ بَدَلُ أَنْ فِي الثَّالِثِ والرَّابِعِ لَحْنًا لِحْنَيْنِ بن محرز .

1 الخصام في الديوان : الحكوم بمعنى الحكومة .

2 ل : الانتصاب .

3 ديوان لبّيد (عباس) : 158-160 .

[343] - خبر لبيد في مريثة أخيه

[نسب أريد]

وقد تقدّم¹ من خبر لبيد ونسبه ما فيه كفاية . يرثي أخاه لأُمّه أريد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب ، وكانت أصابته صاعقة فأحرقته .
[وفد بني عامر بن صعصعة]

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري² قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن عمرو بن قتادة ، قال : قديم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر بن صعصعة ، فيهم عامر بن الطفيل وأريد بن قيس وجبار بن سلمى بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم ، فهم عامر بن الطفيل بالغدر برسول الله ﷺ ، وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم . فقال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقي ، فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قُرَيْش ! ثم قال لأريد : إذا أقبلنا³ على الرجل فإني شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله أنت بالسيف .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال له عامر : يا محمد ، خالني⁴ قال : لا والله ، حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد ، خالني ، وجعل يكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به ، فجعل أريد لا يُجِيرُ شيئاً . فلما رأى عامر ما يصنع أريد قال : يا محمد ، خالني . قال : لا ، والله ، حتى تؤمن بالله وحده لا تشرك به . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً حُمراً ، ورجالاً سُمراً⁵ .

[دعاء الرسول عليه]

فلما ولي قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأريد : ويلك يا أريد ! أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على

1 في الأغاني 15 : 246 .

2 تاريخ الطبري : وفد عامر بن صعصعة سنة 10 .

3 ل : قدمنا .

4 خالني : وادني وصادقني .

5 ل : غبرا .

ظَهَرَ الْأَرْضَ رَجُلٌ هُوَ أَخَوْفٌ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْكَ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا .
قال : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ لَا أَبَا لَكَ ! وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ
الرجل حتى ما أرى غيرك ! أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ! فقال عامر :

بُعِثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَانَ مَا
وَلَقَدْ وَرَدَنَ بَنَى الْمَدِينَةَ شَرْبًا وَلَقَدْ قَتَلَنَ بِجَوْهَا الْأَنْصَارَا

[وفاة عامر بالطاعون]

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا يَبْعُضُ الطَّرِيقِ بعث الله على عامر الطاعون
في عنقه ، فقتله الله ، وإِنَّهُ لَفِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا بَنِي عامر ، أَغْدَا
كَغْدَةُ الْبَكْرِ ، وَمُوتَ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ¹ ! فمات .

[أريد يموت بالصاعقة]

ثم خرج أصحابه حين وَاَرَوْهُ حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عامر . فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ
فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرَبْد ؟ فَقَالَ : لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ
فَأَرْمِيهِ بِنَبِيلِي هَذِهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ . فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ هَذِهِ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَبِيعُهُ ،
فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا .
وكان أَرَبْدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لِأُمِّهِ .

نسخت من كتاب يحيى بن حازم ، قال : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ صَاحِبُ الْمَصْلِيِّ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا ابْنُ دَأْبٍ ، قَالَ : كَانَ أَبُو بَرَاءٍ عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلَةٌ² ، فَبُعِثَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَهْدَى لَهُ رَوَاحِلَ ، فَقَدِمَ بِهَا لَبِيدٌ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَشْفِيَهُ مِنْ وَجَعِهِ . فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ قَبِلْتُ مِنْ مُشْرِكٍ لَقَبِلْتُ مِنْهُ ، وَتَنَاوَلُ مِنَ الْأَرْضِ مَدْرَةً³ فَتَغْلُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ
أَعْطَاهَا لَبِيدًا ، وَقَالَ : دَفِّئْهَا⁴ لَهُ بِمَاءٍ ثُمَّ اسْقِهِ إِيَّاهُ .

وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ لَبِيدٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَكُتِبَ مِنْهُمْ : «الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ» فَخَرَجَ بِهَا ، وَلَقِيَهُ
أَخُوهُ أَرَبْدُ عَلَى لَيْلَةٍ مِنَ الْحَيِّ ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ فَنَزَلَ ، فَقَالَ : يَا أَخِي ، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ؟

1 المثل «غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية» في مجمع المياداني 2 : 57 وجمهرة العسكري 2 : 10-13
وفصل المقال : 374 ومستقصى الزمخشري 1 : 258 .

2 الدبيلة : داء في الجوف مصحوب بورم .

3 المدرة : قطعة طين يابس .

4 دفئها : اخلطها .

فإنه لم يأتِه رجل أوثقُ عندي فيه قولاً منك . فقال : يا أخي ، ما رأيتُ مثله ، وجعل يذكر صِدْقه وبرّه وحُسْنَ حديثه . فقال له : هل معك من قوله شيء ؟ قال : نعم ، فأخرجها له فقرأها عليه ، فلما فرغ منها قال له أريد : لوددتُ أني ألقى الرحمن بتلك البرقة¹ ، فإن لم أضربه بسيفي فعلي وعلي . . .

قال : ونشأتُ سحابةً وقد خلّيا عن بعيريهما ، فخرج أريدُ يريد² البعيرين ، حتى إذا كان عند تلك البرقة غشيته صاعقة فمات .

وقدِمَ لبید على أبي براء فأخبره خبرَ رسول الله ﷺ ، وأمره ، قال : فما فعل فيما استشفيتَه ؟ قال : تالله ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك ، وأخبره بالخبر . قال : فأين هي ؟ قال : هاهي ذه معي . قال : هاتِها ، فأخرجها له فدافها ، ثم شربها فبراً .

قال ابن دأب : فحدثني حنظلة بن قطرب بن إيراد ، أحد بني أبي بكر بن كلاب ، قال : لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه ، بعث بنو عامر لبیداً ، وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا علمه . فقديم عليه ، فأسلم ، وأصابه وجعٌ هناك شديد من حمى ، فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى ، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار ، فقال سُرّاقة بن عوف بن الأحوص :

لَعَمْرُ لَبِيدٍ إِنَّهُ لَابْنُ أُمِّهِ	وَلَكِنْ أَبُوهُ مَسَّهُ قِدَمُ الْعَهْدِ
دَفَعْنَاكَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَأَنَّمَا	دَفَعْنَاكَ فَحَلًّا فَوْقَهُ قَزَعُ اللَّبْدِ ³
فَعَالَجَتْ حُمَاهُ وَدَاءُ ضُلُوعِهِ	وَتَرْتَبِقُ عَيْشُ مَسَّهُ طَرَفُ الْجَهْدِ ⁴
وَجِئْتَ بِدَيْنِ الصَّابِئِينَ تَشْوِبُهُ	بِالْوَاكِحِ نَجْدٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ ⁵
وَإِنَّ لَنَا دَاراً - زَعَمْتَ - وَمَرَجَعاً	وَتَمَّ إِيَابُ الْقَارِظَيْنِ وَذِي الْبُرْدِ ⁶

قال : فكان عمر يقول : وايم الله ، إياب القارظين وذو البرد .

1 البرقة : أرض غليظة ذات حجارة ورمل .

2 ل : يرّد .

3 قزع اللبد : بقايا الشعر ممّا يوضع على ظهر الفرس .

4 طرف في ل : ألم .

5 نجد في ل : نوح .

6 إشارة إلى المثل «حتى يؤوب القارظان» : مجمع الميداني 1 : 211 .

[وفود عامر بن الطفیل علی النبی]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي ، وحبيب بن نصر المهلبی ، وغيرهما ، قالوا : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثتني ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة ، قالت : حدثني أبي ، عن جدي مولة بن كئيف¹ ، أن عامر بن الطفيل أتى رسول الله ﷺ فوسّده وسادة ، ثم قال : أسلم يا عامر . قال : على أن لي الوتر ولك المدر ، فأبى رسول الله ﷺ ، فقام عامر مغضباً فوّلّی ، وقال : لأملأنها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مردأ ، ولأرطن بكل نخلة فرساً . فسألته عائشة : من هذا ؟ فقال : هذا عامر بن الطفيل ، والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر معه لراحموا قريشاً على منابرهم² . قال : ثم دعا رسول الله ﷺ ، وقال : يا قوم ، إذا دعوت فأمّنوا ، فقال : اللهم اهد بني عامر ، واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت ، وكيف شئت ، وأتّى شئت . فخرج فأخذته غدة مثل غدة البكر ، فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : يا موت ابرز لي ، ويقول : غدة مثل غدة البكر ، وموت في بيت سلوية ؟! ومات . أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازة . عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : أخبرني أسعد بن عمرو الجعفي ، قال : أخبرني خالد بن قطن الحارثي ، قال : لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نخلة حاسراً ، وهي تقول : [من الرجز]

أنعى عامر بن الطفيل وأبقى
وهل يموت عامر من حقا ؟
وما أرى عامراً مات حقاً !

قال : فما رُمي يوم أكثر باكية وباكية ، وخمش وجوه ، وشق جيوب من ذلك اليوم .

[أنصاب حمى قبر عامر]

وقال أبو عبيدة عن الحرمازي ، قال : لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه عن النبي ﷺ ، نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل ، جمى على قبره لا تنشر فيه ماشية ، ولا يرعى ، ولا يسلكه راكب ولا ماش . وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً ، فلما قديم قال : ما هذه الأنصاب ؟

قالوا : نصبناها جمى لقبر عامر بن الطفيل ، فقال : ضيقتم على أبي علي ، إن أبا علي بان من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجمّل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ،

1 ل : كئيف .

2 ل : منابرهما .

وكان لا يَجْبُنَ حتى يَجْبُنَ السيل .

قال أبو عبيدة : وقدم عامر على النبي ﷺ وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة .

[مراثي لبيد في أريد]

ومأ رثني به لبيد أخاه أريد قوله¹ :

[من الوافر]

ألا ذهب المحافِظُ والمُحامي ودافع ضَمِينا يَوْمَ الخِصامِ²
وأيقنتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قالوا : تُقسِّمُ مالُ أريدَ بالسَّهامِ
وأريدُ فارسُ الهَيْجاءِ إذا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ³

[من الوافر]

وهي طويلة يقول فيها :

فودَّعُ بالسلامِ أبا حُزَيْرٍ وَقَلَّ وداعُ أريدَ بالسلامِ
قال : وكانت كُنيةُ أريدَ أبا حِزاز ، فصغره ضرورة .

[من المنسرح]

وقال فيه أيضاً⁴ :

ما إن تَعَدَّى المنونُ مِنْ أَحَدٍ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدٍ⁵
أُخْشى على أريدَ الخُتوفَ ولا أرهبُ نَوءَ السَّمَاءِ والأَسَدِ
فَجَعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بِالْ ففارسِ يَوْمَ الكَريهةِ النُّجْدِ⁶
الحاربِ الجابرِ الحَريبِ إذا جاء نَكيبا وإن يَعُدَّ يَعُدِ⁷
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كما أنزلَ صَوْبُ الرِّبيعِ ذي الرِّصْدِ⁸
لم تَبْلُغِ العَيْنُ كُلَّ نَهْمِهَا ليلةُ تُمسي الجِيادُ كالْقَدَدِ⁹

1 ديوان لبيد : 201-207 .

2 ودافع ضَمِينا في الديوان : ومانع ضَمِينا ، ويروى ورافع ضَمِينا .

3 تقعرت : تقوضت من أصلها . والمشاجر : مراكب النساء أكبر من الهودج . والفئام : وطاء يكون للهودج أو هو الهودج الذي وسع في أسفله . وفي الديوان : بالخيام .

4 ديوان لبيد : 158-162 .

5 تعَدَّى في الديوان : تعرَّى أي ترك .

6 النجد : الشديد .

7 الحارب : الذي يحرب الأموال . والجابر : الذي يجبر من حرب ماله . ونكيباً : مصاباً . وإن يعد لسؤاله يعد لعطائه .

8 يعفو : يكثر . وصوب الربيع : مطره . والرصد : نبات يكون تحت الثرى .

9 كل في ل : كنه . القدد : السيور .

كل بني حُرَّةٍ مَصِيرَهُمْ قُلٌّ ، وإنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ الْعَدَدُ
 إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وإنْ أُمِرُوا يوماً يَصِيرُوا لِلْهُلْكِ وَالنَّفْدِ¹
 يا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أُرِيدُ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخَصُومُ فِي كَبَدِ²
 يا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أُرِيدُ إِذْ أَلُوتَ رِيَّاحُ الشِّتَاءِ بِالْعَضْدِ³
 وَأَصْبَحْتَ لَاقِحاً مُصْرَمَةً حينَ تَقْضُتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ⁴
 إنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ أوْ يَقْصِدُوا فِي الْخِصَامِ يَقْتَصِدِ⁵
 حَلَوْ كَرِيمٌ ، وفي حِلَاوَتِهِ مُرٌّ ، لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ⁶

[أبو بكر يمثل بشعره]

نسختُ من كتاب ابن النطاح ، عن المدائني ، عن علي بن مجاهد ، قال : أنشد أبو بكر
 الصديق رضي الله عنه قول لبید في أخيه أريد⁷ :
 [من الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْمَخْبِرُ صَادِقاً لَقَدْ رُزِئْتُ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَعْفَرُ
 أَخٌ لِي ، أَمَا كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ فَيُعْطِي ، وَأَمَا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ
 فقال أبو بكر رضوان الله عليه : ذلك رسولُ الله ، لا أريدُ بن قيس .
 وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخبرُ بذكرها .
 ومَّا رثاه به ، وفيه غناء ، قوله⁸ :
 [من الطويل]

صوت

بَلَيْنَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَّى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ⁹

- 1 يهبطوا : يموتون .
- 2 الكبد : القيام على الأمر الشديد .
- 3 ألوت : ذهبت وطارت . والعضد : الشجر اليابس .
- 4 اللاقح : الناقة تري الفحل أنها حامل . ومصرمة : لا لبن فيها . والغواير : الباقية . ومعناه أن الحرب رفعنا فيها
الرماح كما ترفع اللاقح ذنبها ، وهي مقطوعة الأظباء لا درة لها إنما درتها الدم .
- 5 الشغب هنا : القتال . يقتصدوا : يأخذوا القصد .
- 6 يقال للمرأة اللطيفة : إنها رقيقة الكبد .
- 7 الديوان : 167 . وأول البيت الثاني فيه «فتى كان أما . . .» .
- 8 ديوان لبید : 168-172 .
- 9 المصانع : بناء للماء ، أو القصور .

وقد كنتُ في أَكْنافِ دارِ مَضِنَّةٍ وفارقني جَارٌ بِأَرْمَدٍ نَافِعٍ¹
فلا جَزَعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فكلُّ فِتْنَى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعٌ
وما المرءُ إِلَّا كالشَّهابِ وضوئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بعدَ إِذْ هُوَ ساطِعُ
أليسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لزومُ العَصَا تُحْنِي عليها الأصابعُ
أخْبِرْ أَخْبَارَ القُرُونِ التي مَضَتْ أدبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قَمْتُ رَاكِعُ
فأصبحتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفَنُهُ تقادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلِ قاطِعُ
فلا تَبْعَدَنَّ إِنْ المَنِيَّةُ موعِدُ علينا فدانٍ للطلوعِ وطلُعُ
أعاذِلْ ما يُذْركُ ، إِلَّا تَظَنِّيًّا إِذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ راجِعُ²
أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحدثَ الدَّهْرُ لِفَتَى وأيُّ كَرِيمٍ لم تُصَيِّه القَوَارِعُ !

غنى في الأول والخامس والسادس والسابع حنين الحيري خفيف ثقيل أول بالبنصر ،
عن الهشامي وابن المكّي وحمّاد ، وفيها ثقيل أول بالوسطى ، يقال إنه لحنين أيضاً ، ويقال إنه
لأحمد النّصبي ، ويقال : إنه منحول .

ومما رثاه به قوله ، وهي من مختار مراثيه³ :

طَرِبَ الفَوَاضِلَ وَلَيْتَهُ لم يَطْرَبِ وَعَنَاه ذِكْرِي خُلَّةٌ لم تَصْقَبِ⁴
سَقَمًا ، وَلَوْ أَنِّي أَطَعْتُ عَوَاضِلِي فيما يُشِيرُنَ بِهِ بِسَفْحِ المِذْنَبِ
لَزَجَرْتُ قَلْبًا لا يَرِيعُ لِزَاجِرِ إِنْ الغَوِيَّ إِذَا نُهِيَ لم يُعْتَبِ⁵
فَتَعَزَّ عَنْ هَذَا ، وَقُلْ فِي غَيْرِهِ واذكُرْ شَمَائِلَ مَنْ أَخِيكَ المُنْجَبِ
يَا أَرِيدَ الخَيْرِ الكَرِيمِ جَدُودَهُ أَفَرَدَتْنِي أُمُشِي بِقَرْنٍ أَعْصَبِ⁶
إِنَّ الرِّزْيَةَ لا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا فَقَدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوْءِ الكَوْكَبِ
ذَهَبَ الذِّينَ يُعَاشُ فِي أَكْنافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

1 أَكْناف جار مضمنة : جار يضمن به .

2 السفار في الديوان : الفتيان .

3 ديوان لبید : 156-157 .

4 تصقب : تجاوز .

5 لا يريج : لا يرجع ولا يتعظ . ولم يعتب : لم يرجع إلى ما يرضى عاتبه .

6 الخير في ل : الحر .

[من الكامل]

يَتَأْكُلُونَ مَغَالَةَ وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ¹
 وَلَقَدْ أَرَانِي تَارَةً مِنْ جَعْفَرٍ فِي مَثَلِ غَيْثِ الْوَابِلِ الْمُتَحَلِّبِ
 مِنْ كُلِّ كَهْلٍ كَالسَّانِ وَسَيِّدٍ صَعْبِ الْمَقَادَةِ كَالْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ²
 مِنْ مَعْشَرٍ سَنَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَالْعَزْ قَدْ يَأْتِي بِغَيْرِ تَطَلُّبِ
 فَبَرَى عِظَامِي بَعْدَ لَحْمِي فَقَدُّهُمْ وَالذَّهْرُ إِنْ عَابَتْ لَيْسَ بِمُعْتَبِ

حدثنا محمد بن جرير الطبري ، قال : حدثنا أبو السائب سالم بن جُنادة ، قال : حدثنا وكيع ،
 عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها كانت تنشد بيت لبيد : [من الكامل]

ذهب الذين يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيْتُ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأُجْرِبِ
 ثُمَّ تَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ لَبِيدًا ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ !

قال عروة : رَحِمَ اللَّهُ عَائِشَةَ ، فَكَيْفَ بِهَا لَوْ أَدْرَكَتْ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ! .

قال هشام : رَحِمَ اللَّهُ أَبِي ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ! وقال وكيع : رَحِمَ
 اللَّهُ هِشَامًا ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ! قال أبو السائب : رَحِمَ اللَّهُ وَكِيعًا ،
 فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ! قال أبو جعفر : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا السَّائِبِ ، فَكَيْفَ لَوْ
 أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ !

قال أبو الفرج الأصفهاني : وَنَحْنُ نَقُولُ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، فَالْقِصَّةُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُوصَفَ !

صوت

[من الطويل]

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا زَعَمْتَ أَتَيْتُهُ إِلَيْكَ فَقَامَ النَّائِحَاتُ عَلَى قَبْرِي
 وَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَهُ كَانَ بَاطِلًا فَلَا مَتَّ حَتَّى تَسْهَرِيَ اللَّيْلَ مِنْ ذِكْرِي

عروضه من الطويل . والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فوز ، وخبرهما يأتي هاهنا ،
 والغناء لبذل ، خفيف رمل بالنصر ، وفيه لَيِّنَانِ بَنَ عَمْرُو ثَانِي ثَقِيلَ بِالنَّصْرِ ، وفيه لَحْنٌ لَابِنِ
 جَامِعٍ مِنْ كِتَابِ إِبْرَاهِيمَ . وزعم أبو العباس أَنَّ لِمُعَبْدِ الْيَقُطِينِيِّ فِيهِ خَفِيفُ رَمَلٍ ، وَذَكَرَ حَبَشَ
 أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَفِيفُ الرَّمَلِ بِالْوَسْطَى . وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنْجَمُ أَنَّهُ لَعْلِيَّةٌ . وَقِيلَ : إِنَّ خَفِيفَ
 الرَّمَلِ بِالنَّصْرِ لِلْقَاسِمِ بْنِ زَنْقُطَةَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِبَذَلِ .

1 مغالة : اغتيالاً .

2 الفنيق : الفحل لا يركب لكرامته على أهله . والمصعب : غير المذل .

[344] - ذكر خبر العباس وفوز¹

[فوز جارية محمد بن منصور]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني ، قال : حدثنا محمد بن النضر ، قال : كانت فوز جاريةً لمحمد بن منصور ، وكان يلقب فتي العسكر ، ثم اشتراها بعض شباب البرامكة فدبرها² وحج بها . فلما قدمت قال العباس³ : [من الهزج]

ألا قد قَدِمْتَ فَوْزُ ففَرَّتْ عَيْنُ عَبَّاسٍ
لِمَنْ بَشَّرَنِي الْبَشْرَى عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ
أَيَا دِيبَاجَةَ الْحُسْنِ وَيَا رَامُشْنََةَ الْآسِ⁴
يَلُومُونِي عَلَى الْحَبِّ وَمَا بِالْحَبِّ مِنْ بَاسٍ!

[يتشبه في الشعر بأبي العتاهية]

أخبرني محمد ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباري ، وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب ، قال : حدثني علي بن محمد النوفلي قال : كانت فوز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان ، وكان العباس يتشبه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبَةٍ ، فَحَجَّ بها مولاها ، فقال العباس⁵ :

يَا رَبُّ رُدَّ عَلَيْنَا مَنْ كَانَ أَنْسًا وَزَيْنَا
مَنْ لَا نُسَرُّ بِعَيْشٍ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْنَا
يَا مَنْ أَتَاكَ لِقَلْبِي هَوَاهُ شُومًا وَحَيْنَا

1 ترجمة العباس بن الأحنف في الشعر والشعراء : 707-711 ووفيات الأعيان 3 : 20-27 وطبقات ابن المعتز : 253-256 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 ومعجم الأدياء : 1481-1482 وقد طبع ديوانه عدة مرات (مرة في استانبول 1298 ومرة في مصر 1954 ومرة في بيروت 1965) أما ديوانه الذي نتمده هو طبعة الكتب المصرية .

2 دبرها : أعتقها بعد موته .

3 ديوان العباس بن الأحنف : 164-165 ؛ مع اختلاف .

4 رامشنة : ورقة الآس . ويروي : رائحة الآس .

5 ديوانه : 265 .

ما زِلْتُ مُذْ غَبْتِ عَنِّي مِنْ أَسْخَرِ النَّاسِ عَيْنَا
ما كَانَ حَاجُكَ عِنْدِي إِلَّا بِلَاءٌ عَلَيْنَا

[من المزج] فلَمَّا قَدِمْتَ قَالَ :

أَلَا قَدْ قَدِمْتَ فَوْزُ فَقَرَّتْ عَيْنُ عَبَّاسٍ
وذكر الأبيات المتقدمة .

[يعاين الأصمعي]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمه ،
أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعباس بن الأحنف بين يديه ، فقال العباس للفضل :
دَغْنِي أُعَابِثُ الْأَصْمَعِي . قال : لا تفعل ، فليس المزاح من شأنه . قال : إن رأى الأمير أن يفعل .
قال : ذاك إليك . قال : فلَمَّا دخلتُ قال لي العباس : يا أبا سعيد من الذي يقول ¹ : [من المزج]

إِذَا أُحْبِبْتَ أَنْ تَصُدَّ نَعِ شَيْئاً يَعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرْ هَاهُنَا فَوْزَا وَصَوِّرْ ثُمَّ عَبَّاسَا
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِمَا رَاسَا
فَكُذِّبْهَا بِمَا قَاسَتْ وَكُذِّبَ بِمَا قَاسَى

فقال لي ابن أبي السَّعْلَاء الشاعر : إنه أرادَ العبثَ بك ، وهو بَطْطِي ، فأجبه على هذا .
قال : فقلت له : لا أعرف هذا ، ولكنني أعرف الذي يقول : [من المزج]

إِذَا أُحْبِبْتَ أَنْ تَبْصُرَ شَيْئاً يَعْجِبُ الْخَلْقَا ²
فَصَوِّرْ هَاهُنَا زَوْرًا وَصَوِّرْ هَهْنَا فَلْقَا
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوا حَتَّى تَرَى خَلْقَيْهِمَا خَلْقَا
فَكُذِّبْهَا بِمَا لَاقَتْ وَكُذِّبَ بِمَا يَلْقَى

فعرَّض بالعباس أنه بَطْطِي ، فضحك الفضل ، فوجم العباس ، فقال له الفضل : قد كنتُ
نَهَيْتُكَ عَنْهُ ، فلم تَقْبَلْ .

[ليت صداع فوز برأسه]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حَدَّثَنِي محمد بن الفضل الهاشمي ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ

1 ديوانه : 164 .

2 تبصر في ل : تصنع .

الحنفيّ ، قال : وَجَّهَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ رَسُولاً إِلَى فَوْزٍ ، فَعَادَ فَأَخْبِرَهُ أَنَّهَا تَجِدُ صُدَاعاً ، وَأَنَّهُ رَأَاهَا مَعْصُوبَةً الرَّأْسِ ؛ فَقَالَ الْعَبَّاسُ ¹ :

عَصَبْتُ رَأْسَهَا فَلَيْتَ صُدَاعاً قَدْ شَكَّنْهُ إِلَيَّ كَانَ بِرَاسِي
ثُمَّ لَا تَشْتَكِي ، وَكَانَ لَهَا الْأَجْزُ رُ ، وَكُنْتُ السَّقَامَ عَنْهَا أَقَاسِي
ذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ لِي مَنْ رَأَانِي : هَكَذَا يَفْعَلُ الْحُبُّ الْمُوَاسِي
قال : فَبَرِئْتُ ثُمَّ نَكِسْتُ ، فَقَالَ ² :

إِنَّ التِّي هَامَتْ بِهَا النَّفْسُ عَاوَدَهَا مِنْ عَارِضٍ نَكَسُ
كَانَتْ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمُتَبَلَّى أَبْرَأَهُ مِنْ كَفْهَهَا اللَّئِيسُ
وَأَبَائِي الْوَجْهَ الْمَلِيحُ الَّذِي قَدْ عَشِقْتَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ
إِنْ تَكُنِ الْحُمَى أَضَرَّتْ بِهِ فَرِيماً تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ
[فوز تسهر على ذكره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَلَنْجِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ كَانَ الْكَاتِبُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : لَمَّا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ³ :

أَمَّا وَالَّذِي أَبْلَى الْحَبَّ وَزَادَنِي بَلَاءً ، لَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي الظُّلْمِ وَالْهَجْرِ
فَإِنْ كَانَ حَقّاً مَا زَعَمْتَ أَتَيْتُهُ إِلَيْكَ ، فَقَامَ النَّائِحَاتُ عَلَى قَبْرِي
وَإِنْ كَانَ عُذْوَاناً عَلَيَّ وَبَاطِلاً فَلَا مِتَّ حَتَّى تَسْهَرِيَ اللَّيْلَ مِنْ ذِكْرِي
بَعَثَتْ إِلَيْهِ فَوْزٌ : أَظُنُّنَا ظَلَمْنَاكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَاسْتَجِيبَتْ دَعْوَتَكَ فِينَا ! مَا زِلْتُ الْبَارِحَةَ سَاهِرَةً ذَاكِرَةً لَكَ .

[تشفيغ فوز في غلام له]

أَخْبَرَنِي جِحْظَةُ الْبِرْمَكِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : كَانَ فِي خَلْقِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ شِدَّةٌ ، فَضَرَبَ غُلَاماً لَهُ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ يَبِيعُهُ ، فَمَضَى الْغُلَامُ إِلَى فَوْزٍ فَاسْتَشْفَعَ بِهَا عَلَيْهِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ فِيهِ ؛ فَقَالَ ⁴ :

1 ديوانه : 162 .

2 ديوانه : 160-161 .

3 ديوانه : 153 .

4 ديوانه : 69 .

يا مَنْ أَتَانَا بِالشِّفَاعَاتِ مِنْ عِنْد مَنْ فِيهِ لَجَاجَاتِي
إِنْ كُنْتُ مَوْلَاكَ فَإِنَّ التِّي قَدْ شَفَعْتُ فِيكَ لَمَوْلَاتِي
إِرْسَالَهَا فِيكَ إِلَيْنَا لَنَا كَرَامَةً فَوْقَ الْكَرَامَاتِ

ورضي عنه ووصله ، وأعتقه .

[دعته فوز يا شيخ فاكأب]

أخبرني جحظة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بن حمدون ، عن أبيه حمدون بن إسماعيل ، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل ، قال : جَاءَنَا الْعَبَّاسُ بن الْأَحْنَفِ يوماً وهو كئيب ، فنَشَطْنَاهُ فَأَبَى أَنْ يَنْشَطَ ، فقلنا : مَا دَهَاكَ ؟ فقال : لَقِيتَنِي فَوْزَ الْيَوْمِ ، فقالت لي : يَا شَيْخُ ! وَمَا قَالَتْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ حَادِثٍ مَلَالٍ . فقلنا له : هُوَنَّ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّهَا امْرَأَةٌ لَا تَثْبُتُ عَلَى حَالٍ ، وَمَا أَرَادَتْ إِلَّا الْعَبَثَ بِكَ وَالْمُرَاحَ مَعَكَ : فقال : إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ قُلْتُ أَقْبَحَ مِمَّا قَالَتْ ، ثُمَّ أَنْشَدْنَا¹ : [من الخفيف]

هَزَيْتُ إِذْ رَأْتُ كَمِيئاً مُعْنًى أَقْصَدْتُهُ الْخَطُوبُ فَهُوَ حَزِينٌ²
هَزَيْتُ بِي وَنَلْتُ مَا شِئْتُ مِنْهَا يَا لَقَوْمِي فَأَيْتُنَا الْمَغْبُونُ !

فقلت له : قَدْ انْتَصَفَتْ وَزِدْتُ .

[يَمِنْ اتَهَمْتَهُ بِأَنَّهُ رَاوَدَهَا]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بن الصَّبَّاحِ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو ذَكْوَانَ ، قال : كَانَتْ لِفَوْزٍ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا يُمْنٌ ، وَكَانَتْ تَجِيءُ إِلَى الْعَبَّاسِ بِرِسَالَتِهَا ، فَمَضَتْ إِلَى فَوْزٍ ، وَقَدْ طَلَبَتْ مِنَ الْعَبَّاسِ شَيْئاً فَمَنْعَهَا إِيَّاهُ ، وَزَعَمَتْ أَنَّهُ أَرَادَهَا وَدَعَاها إِلَى نَفْسِهِ ، فغَضِبَتْ فَوْزٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا³ :

لَقَدْ زَعَمْتَ يُمْنٌ بِأَنِّي أَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا ، تَبَّاً لَذَلِكَ مِنْ فَعْلٍ
سَلُّوا عَنْ قَمِيصِي مِثْلَ شَاهِدِ يُوسُفَ فَإِنَّ قَمِيصِي لَمْ يَكُنْ قُدٌّ مِنْ قُبْلِ

[مَعَاتِبَةٌ وَجَوَابٌ]

أخبرني محمد ، قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن إسماعيل ، قال : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بن حميد ، قال : كَانَتْ فَوْزٌ قَدْ مَالَتْ إِلَى بَعْضِ أَوْلَادِ الْجُنْدِ⁴ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ ، فَتَرَكَهَا وَلَمْ تَرْضَ هِيَ الْبَدِيلَ بَعْدَ

1 ديوانه : 260-261 .

2 الديوان : أَنْ رَأْتُ غَلاماً . . .

3 ديوانه : 230 .

4 ل : الْكِتَابُ .

ذلك ، فعادت إلى العباس ، وكبت إليه تعاتبه في جفائه ؛ فكتب إليها¹ : [من الكامل]

كَبْتُ تَلُومَ وَتَسْتَرِيبُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ : لَسْتُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَدَمَوْعُ عَيْنِي جَمَّةٌ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَائِدِ !
يَا فَوْزَ لَمْ أَهْجِرْكُمْ لِمَالَةٍ مَنِّي وَلَا لِمَقَالٍ وَاشْرَحَ حَاسِدِ
لَكُنْتُ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدِ

[سرقته شعر أبي نواس]

وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات ، وقال : سرقها من أبي نواس حيث يقول² : [من الوافر]

صوت

وَمُظْهِرَةَ لَخَلَقِ اللَّهِ وَدَاً وَتَلْقَى بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ
أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزُّحَامِ
فِيَا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهِ مُحِبٌّ وَلَا أَلْفَا مُحِبٌّ كُلَّ عَامِ
أُظْلِكُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ

غنت فيه عريب لحناً ذكره ابن المعتز ، ولم يذكر طريقته .

ومما يغنى فيه من شعر العباس في فوز قوله : [من البسيط]

صوت³

يَا فَوْزُ مَا ضَرَّ مَنْ يُنْسِي وَأَنْتَ لَهُ أَلَّا يَفُوزَ بِدُنْيَا آلِ عَبَّاسِ
أَبْصَرْتُ شَيْئاً بِمَوْلَاهَا فَوَاعِجِبْ مِنْهُ يَرَاهَا وَيَبْدُو الشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ !

غناه سليم ، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، قال : قرأت على أحمد بن أبي فنن شعر العباس بن الأحنف ، وكان مشغوقاً به ، فسمعه يقول : وددت أن أبياته التي يقول فيها :

[من البسيط]

1 ديوانه : 106 .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 542 مع بعض اختلاف .

3 ديوانه : 159 .

يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمسي وأنت له

لي بكل شعري .

وفي بَذل يقول عبد الله بن العباس الربيعي يخاطبُ عمروً في بَذل بقوله : [من الطويل]

صوت

تَسْمَعُ بِحَقِّ اللَّهِ يا عَمْرُو مِنْ بَذلٍ فقد أَحَسَنْتَ وَاللَّهُ واعتمدت قَتْلِي
كَأَنِّي أَرَى حَبِيكَ يَرْجِعُ كُلَّمَا تَغَنَّتْ لِإِعْجَابِي وَأَفْقِدُ مِنْ عَقْلِي
غَنَاهُ عبد الله بن العباس الربيعي ، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو ، وغنى فيه عمرو بن بانه
خفيف رمل بالنصر عن حبش .

[345] - ذكر بذل وأخبارها

[لها كتاب أغان]

كانت بذل صفراء مؤلدة من مولدات المدينة ، ورثت بالبصرة ، وهي إحدى المحسنات المتقدّمات ، الموصوفات بكثرة الرواية ، يقال : إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت . ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس ، يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال : إنها عملته علي بن هشام . وكانت حلوة الوجه ظريفة ، ضاربة متقدمة ، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي ، فأخذها منه محمد الأمين ، وأعطاه مالا جزيلاً ، فولدتهما جميعاً يدعون ولأهها . فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم ، وطبقتهم .

وقرأت على جحظة ، عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده ، قال : كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها ، وكان أستاذة كل محسن ومحسنة ، وكانت صفراء مدنية ، وكانت أروى خلق الله تعالى للغناء ، ولم يكن لها معرفة .

[احتيال الأمين في أخذها]

وكانت لجعفر بن موسى الهادي ، فوصفت لمحمد بن زبيدة ، فبعث إلى جعفر يسأله أن يرهب إياها ، فأبى ، فزاره محمد إلى منزله ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله ، فقال لجعفر : يا أخي ، يعني هذه الجارية . فقال : يا سيدي ، مثلي لا يبيع جارية ، قال : فهبها لي ، قال : هي مذبذبة¹ . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحملت معه إلى الحرّاقة ، وانصرف بها .

فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها ، فسكت . فبعث إليه محمد من الغد ، فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئاً . فلما أراد جعفر أن ينصرف قال : أوقروا حرّاقة ابن عمي دراهم ، فأوقرت .

قال : فحدثني عبد الله بن الحنّيني ، وكان أبوه على بيت مال جعفر بن موسى ، أن مبلغ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم .

قال : وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قُتل ، ثم خرجت ، فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولأهها . فلما ماتت ورثها ولد عبد الله بن محمد بن زبيدة .

1 مذبذبة : معتقة بعد وفاة مولاه .

[هبات الجواهر من الأمين]

وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر ، عن ابن المكي ، عن أبيه ، وقال فيه : إنَّ محمداً وهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحدٌ مثله ، فسلم لها ، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم ، فكان ذلك مُعتمداً مع ما يصلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيةٌ عظيمة .

[لهاؤها الزواج]

قال : ورغب إليها وجوه القواد والكُتاب والهاشميين في التزويج ، فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت .

[زيارة علي بن هشام لها]

قال أبو حشيشة في خبره : وكنتُ عند بذل يوماً وأنا غلام ، وذلك في أيام المأمون ببغداد ، وهي في طارمة¹ لها تَمَنُّشِطُ ، ثم خرجتُ إلى الباب ، فرأيتُ الموكب ، فظننتُ أنَّ الخليفة يَمُرُّ في ذلك الموضع ، فرجعتُ إليها فقلتُ : يا سَيِّي ؟ الخليفة يَمُرُّ على بابك ؟ فقالت : انظروا أيَّ شيء هذا ؟ إذ دخل بوابها فقال : علي بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنعُ به ! فقامتُ إليها وشيكة² جاريتها ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها ، فأكبَّتْ على رِجلها ، وقالت : الله ، الله ! أُنَحْجِبُ عليَّ بن هشام ! فدَعَتْ بِمِنْدِيلٍ فطَرَحَتْهُ على رأسها ولم تَقُمْ إليه ، فقال : إني جئتُك بأمرِ سيدي أمير المؤمنين ، وذلك أنَّه سألني عنك ، فقلتُ : لم أرها منذ أيام . فقال : هي عليك غَضْبَى ، فيحياتي لا تدخلُ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها .

فقالت : إنَّ كنتَ جِئْتَ بأمرِ الخليفة فأنا أقومُ . فقامت فقبَّلتُ رأسَه ويَدَيْه وقعدتُ ساعةً وانصرف . فساعةً خرج قالت : يا وشيكة ، هاتي دواةً وقرطاساً ، فجعلتُ تكتبُ فيه يومها وليلتها حتى كتبتُ اثني عشرَ ألفَ صوت ، وفي بعض النسخ : (رؤوسَ سبعة آلاف صوت) ، ثم كتبتُ إليه : يا عليَّ بن هشام ، تقول : قد استغنييتُ عن بذلٍ بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَةٌ ، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبي كُلَّهُ ! وَخَتَمَتِ الكتاب ، وقالت لها : امضي به إليه .

فما كان أسرعَ من أنْ جاء رسوله ، خادماً أسود يُقال له مخارق ، بالجواب يقول فيه : يا

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 ل : وشيك .

سَيِّ ، لا والله ما قلتُ الذي بلغك ، ولقد كُذِبَ عليَّ عندك ؛ إِنَّمَا قُلْتُ : لا ينبغي أن يكونَ
في الدنيا غناءٌ أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتُ إليَّ بديوانٍ لا أُؤدِّي شكرَكَ عليه
أبدًا . وبعث إليها عشرة آلاف درهم ، وتخوتاً فيها خزٌّ ووشى وملحٌ ، وتخناً مطبقاً فيه
ألوان الطيب .

[عتاب علي بن هشام لها]

أُنشدني علي بن سليمان الأنخفش لعلي بن هشام يعاتبُ بذلاً في جَفْوَةِ نالته
منها :

تَغَيَّرَتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيَّرٌ	وَحَسِبْتُ بَعْدِي والملوكُ تَخِيْسُ ¹
وأظهرت لي هَجْراً وأخفيتِ بَغْضَةً	وقَرَّبْتَ وَعِداً واللسانُ عُبُوسُ
ومِمَّا شجاني أَنَّنِي يومَ زُرْتَكُمْ	حُجِيتِ وأعدائي لَدَيْكَ جُلُوسُ
وفي دُونِ ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفَتَى	على القَدْرِ مِنْ أَجْبَابِهِ وَيَقِيْسُ
كفرتُ بِدِينِ الحُبِّ إِنْ طُرْتُ بِأَبْكُمْ	وتلك يَمِينٌ ، ما علمت ، غَمُوسُ ²
فإِنْ ذَهَبَتْ نَفْسِي عليكم تشَوُّقاً	فقد ذهبَتْ للعاشقين نَفُوسُ
ولو كان نَجْمِي في السُّعُودِ وَصَلْتُمْ	ولكنْ نَجُومُ العاشقين نُحُوسُ

وأخبرني أبو العباس الهشامي المِشْكُ ، عن أهله : أنَّ علي بن هشام كان يَهْوى بذلاً ويكتمُ
ذلك ، وأنها هَجَرَتْهُ مدَّةً ، فكتب إليها بهذه الأبيات .

وذكر محمد بن الحسن أنَّ أبا حارثة حَدَّثَهُ عن أخيه أنَّ معاوية قال : قالت لي بذل :
كنتُ أروي ثلاثين ألف صوت ، فلمَّا تركتُ الدُّرْسَ أنْسِيتُ نِصْفَهَا ، فذكرت قولها
لرَزَزُ الكبير ، فقال : كَذَبْتَ الزَّانِيَةَ !
[تَفَنَّى مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهدي]

قال : وحَدَّثَنِي أحمد بن محمد الفيزُرَان ، عن بعض أصحابه ، أنَّ إبراهيم بن المهدي
كان يعظَّمُها ويتوافى لها ، ثم تَغَيَّرَ بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها . فصارت إليه ، فدعا
بُعُودَ فَعَنَّتْ ، في طريقة واحدة وإيقاع واحد وإصبعٍ واحدة ، مائة صوت ، لم يعرف
إبراهيمُ منها صوتاً واحداً ، ووضعت العُودَ وانصرفت ، فلم تدخلْ دارَه حتى طال طلبُه لها
وتَضَرَّعَ إليها في الرجوع إليه .

1 الملوك في ل : والملول .

2 طرت بأبكم : حمت حوله .

[خجل إسحاق الموصلي لجهله أصوات أبيه]

وقال محمد بن الحسن ، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بذلاً في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون ، فأمسكت عنه ساعة ، ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقليل الثاني واحداً بعد واحد ، وسألت إسحاق عن صانعيها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أمير المؤمنين ، هي والله لأبيه ، أخذتها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره ! فاشتد ذلك على إسحاق حتى رُئي ذلك فيه .

أخبرني أبو الحسن الأسدي ، قال : حدثني حماد بن إسحاق قال : غنت بذل يوماً بين يدي أبي :

إِنْ تَرَيْنِي نَاحِلَ الْبَدَنِ فِلْطُولَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
كَانَ مَا أُخْشَى بَوَاحِدَتِي لَيْتَهُ وَاللَّهِ لَمْ يَكُنْ¹

فطرب أبي والله طرباً شديداً ، وشرب رطلاً ، وقال لها : أحسنت يا بنتي ، والله لا تغنين صوتاً إلا شربت عليه رطلاً .

قال أبو الفرج : والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى .

[ألذ شيء]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب ويده قدح إذ غنت بذل :

[من الطويل]

أَلَا لَا أَرَى شَيْئاً أَلَذَّ مِنَ الْوَعْدِ

فجعلته :

أَلَا لَا أَرَى شَيْئاً أَلَذَّ مِنَ السَّخَى

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها ، وقال : بلى يا بذل ، التيك ألد من السخى ، فتشورت² وخافت غضبه ، فأخذ قدحه ، ثم قال : أتمني صوتك وزيدي فيه : [من الطويل]

وَمِنْ غَفْلَةِ الْوَاشِي إِذَا مَا أَتَيْتُهَا وَمِنْ زَوْرَتِي أَبْيَاتِهَا خَالِيًا وَخَدِي
وَمِنْ صِيحَةٍ فِي الْمُلْتَقَى ثُمَّ سَكَنَتِ وَكَلْتَاهُمَا عِنْدِي أَلَذُّ مِنَ الْخُلْدِ

1 الشطر الأول في ل : أسقمني الحب وأغلني .

2 تشورت : خجلت .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

ألا لا أرى شيئاً ألدَّ من الوعد ومن أملي فيه وإن كان لا يُجدي
الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

صوت

[من البسيط]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يُجزر مكبول¹
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
الشعر لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، والغناء لابن محرز ، ثاني ثقل بالبنصر ، عن
عمرو بن بانة والهشامي .

1 ديوان كعب بن زهير : 6-25 وفيه «متيم إثرها» . ومتبول : سقيم . والمكبول : مقيد .

[346] - أخبار كعب بن زهير ونسبه¹

[نسبه]

كعب بن زهير بن أبي سلمى المزنيّ ، وقد تقدّم خبر أبيه² ونسبه . وأمّ كعب امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمّار بن عديّ بن سحيم ، وهي أمّ سائر أولاد زهير .

وهو من المخضرمين ، ومن فحول الشعراء .

وسأله الخطيئة أن يقول شعراً يقدم فيه نفسه ، ثم يثني به بعده ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، وأخبرني محمد بن الحسن بن ذرير عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : أتى الخطيئة كعب بن زهير ، وكان الخطيئة راوية زهير وآل زهير ، فقال له : يا كعب ، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك ! وقال أبو عبيدة في خبره : تبدأ بنفسك فيه وتثني بي ؛ فإنّ الناس لأشعاركم أروى ، وإليها أسرع ، فقال كعب³ :

فَمَنْ لِلْقَوافي شأنها مَنْ يَحْكُوها إذا ما نوى كَعْبٌ وفَوْزَ جَرُولُ⁴
يقول فلا تغيا بشيء يَقُولُه ومِنْ قائلِها مَنْ يُسيءُ وَيَعْمَلُ
كفيتكَ لا تَلْقَى مِنَ الناسِ واحداً تنخُلُ مِنْها مِثْلُ ما يُتَخَلُّ⁵
يُثَقِّفُها حَتى تَلينَ مُتُونُها فيَقْصُرُ عنها كُلُّ ما يُمَثَّلُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام ، عن إسحاق بن الجصاص ، قال :

1 ترجمة كعب بن زهير في الشعر والشعراء : 89-91 وطبقات ابن سلام : 99-100 ومعجم المزياني : 343 والإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وانظر بروكلمان 1 : 156 .

2 في الأغاني 10 : 226 .

3 ديوانه : 59-60 مع بعض اختلاف . وقد وردت في الشعر والشعراء وفي خزانة البغدادي .

4 فوز : مات .

5 الديوان : اتخَلَّ .

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكدى¹ ، فمرَّ به النابغة ، فقال له : أبا أمانة ، أجز ، فقال : وما قلتُ ؟ قال : قلت :

تَزِيدُ الْأَرْضُ إِمَّا مَتَّ حِفًّا وَتَحْيَا إِنْ حَيَّيْتَ بِهَا ثَقِيلاً
نَزَلْتَ بِمَسْتَقَرِّ الْعَرْضِ مِنْهَا

أجز ، قال : فأكدى والله النابغة . وأقبل كعب بن زهير ، وإِنَّه لَغلام ، فقال أبوه : أجز يا بُني ، فقال : وما أجيز ؟ فأنشده ، فأجاز النصف بيت ، فقال :

وَمَنْعَ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا

فضمَّه زهيرٌ إليه ، وقال : أشهد أنك ابني .

[أبوه يحاول منعه من قول الشعر ثم يمتحنه]

وقال ابنُ الأعرابي : قال حماد الراوية : تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلَّم بالشعر ، فكان زهير ينهأ مخافةً أن يكون لم يستحكِّم شعره ، فيروى له ما لا خيرَ فيه . فكان يضربه في ذلك ، فكلَّما ضربه يزيدُ فيه فغلبه . فطال عليه ذلك ، فأخذه فحبسه ، فقال : والذي أحلفُ به لا تتكلَّم بييتِ شعر إلا ضربتُك ضرباً يُنكِّلك² عن ذلك . فمكث محبوساً عدَّة أيام ، ثم أخبر أنه يتكلَّم به ، فدعاه فضربه ضرباً شديداً ، ثم أطلقه وسرَّحه في بهمه³ وهو غلِيم صغير ، فانطلق فرعى ثم راح عشيةً ، وهو يرتجز : [من الرجز]

كَأَنَّمَا أَخَذُوا يَبْهَمِي عِيراً مِنَ الْقُرَى مُوقرةً شَعِيراً

فخرج إليه زهير وهو غضبان ، فدعا بناقته فكفلها بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب ، فأخذ بيده فأردفه خلفه ، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يعث ابنه كعباً ويعلم ما عنده من الشعر ، فقال زهير حين برز إلى الحي :

إِنِّي لَتُعْدِينِي عَلَى الْهَمِّ جَسْرَةً تَخْبُ بِوَصَالِ صَرُومٍ وَتُعِينُ

ثم ضرب كعباً ، وقال له : أجز يا لكع ، فقال كعب :

كُبْنَانَةِ الْقَرْيَةِ مَوْضِعُ رَحْلِهَا وَآثَارُ نِسْعِهَا مِنَ الدَّفِّ أَبْلَقُ⁴

1 أكدى : توقف عن القول عجزاً .

2 ينكلك : يصرفك .

3 البهم : صغار الضأن .

4 النسع : السير المضفور ، أو المفصل بين الكف والساعد . والدف : المشي .

فقال زهير : [من الطويل]

على لاحبٍ مثل المجرة خلته إذا ما علا نشراً من الأرض مهرق¹
أجز يا كعب ، فقال كعب : [من الطويل]

مُنِيرٌ هَدَاهُ لَيْلُهُ كَنَاهِهِ جميعٌ ، إذا يعلو الحزونة أفرق²
قال : فتبدى زهير في نعت النعام ، وترك الإبل ، يتعسفُه عمدًا ليعلم ما عنده ،
قال : [من الطويل]

وظلَّ بوغساء الكئيب كأنه خيالٌ على صقبي بوانٍ مروق³
صقبي عمودي ، بوان : عمود من أعمدة البيت ، فقال كعب : [من الطويل]

تراخى به حُبُّ الضحاء وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عوهق²
فقال زهير : [من الطويل]

تحنُّ إلى مثل الحبابير جثم لدى متيج من قيضها المتفلق³
الحبابير : جمع حبارى ، وتجمع أيضاً حباريات ، فقال كعب : [من الطويل]

تحطم عنها قيضها عن خراطيم وعن حدقٍ كالنبخ لم يتفتق⁴
الخراطيم هاهنا : المناقير ، والنبخ : الجُدري ، شبه أعين ولد النعامة به .

قال : فأخذ زهير بيد ابنه كعب ، ثم قال له : قد أذنتُ لك في الشعر يا بني .
فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله ، وهو صغير يومئذ ، قال : [من الطويل]

أبيتُ فلا أهجو الصديقَ ومن يبع بعرض أبيه في المعاشر يُنفق⁴
قال : وهي أول قصيدة قالها .

[خروج كعب وبجير إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر بن
شبة ، قال : حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي ، قال : حدثني الحجاج بن ذي الرقبة بن

1 الاحب : الطريق الواضح . والمهرق : الأملس .

2 تراخى : تطاول . والضحاء للإبل مثل الغداء للناس . سماوة : شخص . وقشراء الوظيفين : الساقين . وعوهق :
طويلة العنق .

3 القيض : قشر البيضة اليابس .

4 يقال أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها - عن أبي عمرو (ديوان زهير : 245) .

عبد الرحمن بن مُضَرَّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، عن أبيه ، عن جدّه قال :
خرج كَعْبٌ وَبُجَيْرُ ابْنِا زهير بن أبي سُلمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف¹ ،
فقال كعب لبُجَيْر : القَ الرجل ، وأنا مقيمٌ هاهنا ، فانظُرْ ما يقولُ لك . فقدم بُجَيْرُ على
رسول الله ﷺ ، فسمع منه وأسلم ، وبلغ ذلك كعباً ، فقال² : [من الطويل]

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً على أَيِّ شَيْءٍ ، وَنَبَ غَيْرِكَ ، ذَلِكَا³
على خُلُقٍ لم تُلَفِ أُمّاً ولا أَباً عَلَيْهِ ولم تُذَرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَ
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ فَاتَهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

ويروى «المأمور» . قال : فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دمه ، وقال : مَنْ لقي
منكم كَعْبَ بن زهير فَيَقْتُلْهُ .

فكتب إليه أخوه بُجَيْرُ بخبره ، وقال له : انجِه⁴ وما أراك بِمُفْلِتٍ . وكتب إليه بعد ذلك
يأمره أَنْ يُسَلِّمَ وَيُقْبِلَ إلى رسول الله ﷺ ويقول له : إِنْ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رسوله قَبْلَ ﷺ مِنْهُ ، وَأَسْقَطَ ما كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ . فَأَسْلَمَ كَعْبُ ، وقال القصيدة التي اعتذر
فيها إلى رسول الله ﷺ : [من البسيط]

بَأَنْتَ سَعَادُ قَلْبِي اليَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ عِنْدَهَا لم يَجْزَ مَكْبُولٌ⁵

قال : ثم أقبل حتى أناخ راحِلَتَهُ بباب مسجد رسول الله ﷺ ، وكان مجلسه من أصحابه
مكانَ المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة ، وهو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يُحَدِّثُهُمْ ، ثم
على هؤلاء ، ثم على هؤلاء . فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول
الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنتَ
الذي يقول . . . كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَتَهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

1 أبرق العزاف : ماء لبنى أَسَد .

2 ديوانه : 3 وفيه :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بِجَيْراً رِسَالَةً فهل لك في ما قلت في الخيف هل لك
شربت مع المأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً فَاتَهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

3 شيء في ل : خير .

4 انجِه : انج وأضيفت إليها هاء السكت .

5 يَجْزُ في ل : يَفْدُ .

فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله . ثم أنشده ، يعني كعباً :
[من البسيط]
بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

قال عمر بن شبة : فحدثني الحزامي ، قال : حدثني محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، قال : حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، قال : أنشدها رسول الله ﷺ في مسجده ، فلما بلغ إلى قوله :

إنَّ الرِّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولُ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُودُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا خُورٌ مَعَازِلُ¹

أشار رسول الله ﷺ إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير .
قال الحزامي : قال علي بن المديني : لم أسمع² قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قطّ أتم ولا أحسن من هذا ، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا .
[رويا زهير]

قال أبو زيد عمر بن شبة : ومما يُروى من خبره أن زهيراً كان نظاراً متوقياً ، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده ، ثم تركه فهو إلى الأرض ، فلما احتضِرَ قصَّ رؤياه على ولده ، وقال : إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء ، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه .

فلما بُعث النبي عليه السلام خرج إليه بُجَيْرُ بن زهير فأسلم ، ثم رجع إلى بلاد قومه ، فلما هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْرُ بالمدينة ، وكان من خيار المسلمين . وشهد يوم الفتح مع رسول الله ﷺ ، ويوم خيبر ويوم حنين وقال في ذلك :

صَبَّخْنَاهُمْ بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ وَالْف مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَافٍ
فُرْحَنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ بِأَرْمَاحٍ مُتَقَفَّةٍ خِفَافٍ
وَفِي أَكْتَافِهِمْ طَعْنٌ وَضَرْبٌ وَرَشَقٌ بِالْمُرَيْشَةِ اللَّطَافِ

1 الديوان : ميل بدلاً من خور . والكشف الذين يهزمون ولا يثبتون . والميل : لا يثبتون على سروجهم .
والنكس : الضعيف . والمعاذيل : الذين لا سلاح لهم .
2 ل : لم يسمع .

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعبٌ إليه :

فخالفت أسباب الهدى وتبعته فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا ؟
ثم قال في خبره أيضاً : إن كعباً نزل برجل من جهينة ، فلما أصبح أتى النبي عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أتومنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنا كعب بن زهير ، فتواثيت الأنصار تقول : يا رسول الله ؛ ائذن لنا فيه . فقال : وكيف ، وقد أتاني مسلماً ! وكف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنشد رسول الله ﷺ قصيدته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

لا يَقَعُ الطُّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وما بهم عن حياضِ المَوْتِ تَهْلِيلٌ¹
هكذا في رواية عمر بن شبة ، ورواية غيره «تعليل» .
فعند ذلك أوماً رسول الله ﷺ إلى الحليّ حوله أن تسمع منه . قال : وعرضَ بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع ، منها قوله :

[من البسيط]

كانت مواعيد عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إِلَّا الأباطيلُ²
وعُرقوب : رجل من الأوس³ .

[مدحه الأنصار]

فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا : ما مدحنا من هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، وعُوتب على ذلك فقال⁴ :

[من الكامل]

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ⁵

1 تهليل في ل : تنكيل .

2 المثل «مواعيد عرقوب» في مجمع الميداني ، 2 : 311 والدرة الفاخرة 1 : 178 وجمهرة العسكري 1 : 433 وفصل المقال : 113 .

3 في شرح ديوان كعب أن «عرقوب بن نصر من العمالقة ، نزل المدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى» .

4 ديوانه : 25-41 .

5 المقنب : الجماعة من الفوارس ، واختلف في عدد أفرادها .

الباذِلِينَ نفوسَهُمْ لِنَبِيهِمْ عند الهياج وَسَطَوَةَ الجَبَّارِ¹
 والناظِرِينَ بأَعْيُنٍ حَمْرَةٍ كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الإِبْصَارِ
 والضَّارِبِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِ وبالْقَنَا الخَطَّارِ²
 يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْنِهِ نَسْكَأَ لَهُمْ بدماء مَنْ عَلَقُوا مِنَ الكُفَّارِ³
 صَدَمُوا الكَتِيبَةَ يَوْمَ بَدْرٍ صَدَمَةً ذَلَّتْ لَوْفَعَتِهَا رِقَابُ نِزَارٍ

[عرقوب المضروب به المثل]

قال أبو زيد : الذي عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وَعَدَ رجلاً ثَمَرَ نَخْلَةٍ ، فلمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ فقال : دَعَّهَا حَتَّى تَلْقَحَ ، فلمَّا لَقِحتُ قال : دَعَّهَا حَتَّى تُزْهِيَ⁴ ، فلمَّا أَزْهَتْ أَتَاهُ فقال : دَعَّهَا حَتَّى تُرْطِبَ ، ثم أَتَاهُ فقال : دَعَّهَا حَتَّى تُثْمِرَ ، فلمَّا أَثْمَرَتْ عَدَا عَلَيْهَا لَيْلاً فَجَدَّهَا ، فَضْرِبَ بِهِ فِي الخُلْفِ المَثْلُ ، وذلك قول الشماخ :

وَوَاعَدَنِي مَا لَا أُحَاوِلُ نَفْعَهُ مواعيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَثْرِبِ
 وقال المتلمس لعمر بن هند :

مَنْ كَانَ خُلْفُ الوَعْدِ شِمَتَهُ والغَدْرُ عِرْقُوبٌ لَهُ مِثْلُ
 وما قالته الشعراء في ذِكر عُرْقُوبٍ يَكْثُرُ .

قال إبراهيم بن المنذر : حَدَّثَنِي مَعْنُ بْنُ عِيسَى ، قال : حَدَّثَنِي الأَوْقَصُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَخْزُومِي ، قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ أَنشَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ، لَا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ .

قال إبراهيم : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الصَّحَّاحِ بْنِ عَثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ ، قال : عَنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِقَوْلِهِ :

فِي فِتْنَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

1 الهياج في ل : عند الصباح . وفي الديوان : يوم الهياج وقبة الجبار .

2 والضاربين الناس في الديوان : والذائدين الناس .

3 يروونه نَسْكَأَ لَهُمْ في الديوان : كأنه نَسَكَ لَهُمْ .

4 تزهي : تظهر الحمرة والصفرة في الثمر .

صوت¹

[من الطويل]

أُبِينِي أُنِي يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحَ أُمَّ صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكُ²
 أُبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شِقَاقَيْنِ مِنْ عَصَا حَذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةً مِنْ زِيَالِكُ
 تَعَالَلْتُ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِلِكِ عِلَّة تُرِيدِينَ قَتْلِي ، قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن الدُمينة بعضه ، وبعضه ألحقه المغنّون به ، وهو لغيره .
 والغناء لابن جاعم ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر .

1 ديوان ابن الدمينه : 17 ، البيت الأول . ولم يرد البيتان الآخران فيه ولا في زياداته .

2 صيرتني في ل : خلفتني .

[347] - أخبار ابن الدُمينة ونسبه¹

[نسبه]

الدُمينة أمه ، وهي الدُمينة بنتُ حذيفة السلولية ، واسم ابن الدُمينة عبد الله بن عبيد الله ، أحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشَّر بن أَكْلُب بن ربيعة بن عَفْرَس بن حَلَف بن أَفْلَل وهو خَتَم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك .

وقيل : إِنَّ أَكْلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس ، وإنهم حالفوا خَتَم ونزلوا فيهم فَنَسَبُوا إليهم . وَيُكْنَى ابنُ الدُمينة أبا السَّرِيِّ .

وكان بلغه أن رجلاً من أحواله من سَلُول يأتي امرأته ليلاً فَرَصده حتى أتاها فقتله ، ثم قتلها بعده ، ثم اغتالته سَلُول بعد ذلك فقتلته .

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو سعيد السُّكْرِي ، عن محمد بن حَبِيب ، عن أبي عبيدة وابن الأعرابي ، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزبير بن بَكَار عن أصحابه ، وما اتَّفقت الروايتان فيه ، فإذا اختلفتا نسبت كل خبرٍ إلى راويه .

[مزاحم السلولي يعرض بامرأة ابن الدُمينة]

قال الزبير : حَدَّثَنِي موهوب بن رُشيد الكلابي ، وإبراهيم بن سعد السُّلَمي ، وعمر بن إبراهيم السَّعْدِي ، عن ميناس بن عبد الصمد ، عن مصعب بن عمرو السلولي ، أخي مُزاحم بن عمرو ، قالوا جميعاً : إِنَّ رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يُرمَى بامرأة ابن الدُمينة ، وكان اسمها حماء . قال السُّكْرِي : كان اسمها حمادة ، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدُمينة من إتيانها ، واشتدَّ عليها ، فقال مزاحم يذكرُ ذلك ، وهذا من رواية ابن حبيب ، وهي أتم وأصح² : [من البسيط]

يا ابْنَ الدُّمِينَةِ والأَخْبَارُ يرفعُها وَخَدُّ النَّجَائِبِ والمُحَقَّورُ يُخْفِيها

1 ترجمة ابن الدُمينة في الشعر والشعراء : 617-618 والسمط : 136 وأسماء المغتالين : 269 وحماسة الخالديين وعيون التواريخ (وفيات سنة 143هـ) وشرح شواهد المغني للبغدادى ومعاهد التنصيص . وقد حقق ديوانه وقدم له الأستاذ أحمد راتب النفاخ (القاهرة 1959) وإليه نشير .

2 ديوان ابن الدُمينة : 6-7 .

يا ابنَ الدُّمَيْنَةِ إِن تَغَضَّبَ لِمَا فَعَلْتُ
أَوْ تُبْغِضُونِي فَكُم مِّنْ طَعْنَةٍ نَفَذَ
جَاهِذْتُ فِيهَا لَكُمْ إِنِّي لَكُمْ أَبَدًا
فَذَلِكَ عِنْدِي لَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَنِي
أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا هَجَعْتُ
كَمْ كَاعِبٍ مِّنْ بَنِي تَيْمٍ قَعَدْتُ لَهَا
كَقَعْدَةِ الْأَعْسَرِ الْعُلْفُوفِ مُتَحِيًّا
وَشَهَقَةٍ عِنْدَ حَسٍّ الْمَاءِ تَشْهَقُهَا
عَلَامَةٌ كَيْفَ مَا بَيْنَ عَانَتِهَا
وَتَعْدِلُ الْأَيْرَ إِنْ زَاغَتْ فَتَبْعُهُ
بَيْنَ الصُّفُوفَيْنِ فِي مُسْتَهْدِفٍ وَمِيدٍ
مَاذَا تَرَى ابْنَ عُيَيْدِ اللَّهِ فِي أَمْرَةٍ
أَيَّامٍ أَنْتَ طَرِيدٌ لَا تَقَارِبُهَا
تَرَى عَجُوزَ بَنِي تَيْمٍ مَلْفَعَةً
إِذْ تَجْعَلُ الدَّقْنِسُ الْوَرْهَاءَ عُذْرَتَهَا
حَتَّى يَظُلَّ هِدَانِ الْقَوْمِ يَحْسُبُهَا

فَطَالَ خَزْيُكَ أَوْ تَغَضَّبَ مَوَالِيهَا¹
يعوي خِلَالَ اخْتِلَاجِ الْجَوْفِ عَاوِيهَا
أُبْغِي مَعَايِبَكُمْ عَمْدًا فَاتِيهَا
غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً هَارٍ نَوَاحِيهَا
عَنِّي الْعَيُونُ وَلَا أُبْغِي مَقَارِبَهَا²
وَعَائِسٍ حِينَ ذَاقَ النَّوْمَ حَامِيهَا
مَتِينَةً مِّنْ مَتَوْنِ النَّبْلِ يُنْحِيهَا³
وَقَوْلُ رُكْبَتَيْهَا : قِصٌّ ، حِينَ تَنْتِيهَا
وَبَيْنَ سَيْتَيْهَا لَا شَلٌّ كَاوِيهَا⁴
حَتَّى يَقِيمَ بَرْفَقَ صَدْرِهِ فِيهَا
ذِي حَرَّةٍ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ صَالِيهَا⁵
لَيْسَتْ بِمُحْصَنَةٍ عَذْرَاءَ حَاوِيهَا
وَصَادَفَ الْقَوْسَ فِي الْغُرَاتِ بَارِيهَا⁶
شُمُطًا عَوَارِضُهَا رَيْدًا ذَوَاهِيهَا
قُشَارَةً مِّنْ أُدِيمٍ ثُمَّ تَفْرِيهَا⁷
بِكْرًا وَقَبْلُ هَوَى فِي الدَّارِ هَاوِيهَا⁸

[قتل مزاحماً السلوي]

قال الزبير عن رجاله ، وابن حبيب عن ابن الأعرابي : لما بلغ ابن الدُّمَيْنَةِ شعرُ مزاحم

- 1 فطال خزيك في ل : فطال خزنك .
- 2 مقاري : محلات قرى الضيوف .
- 3 العلفوف : الرجل الجافي الكثير اللحم والشعر . وينحيا : يضرب بها . وفي رواية : يرميها .
- 4 السبة : الاست .
- 5 الومد : الشديد الحر . والمستهدف : المريض المرتفع .
- 6 إشارة إلى المثل «أعط القوس باربيها» : مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 76 وفصل المقال : 298 ومستقصى الزمخشري 1 : 247 .
- 7 الدفنس : المسنة أو الحمقاء . والورهاء : الكثيرة اللحم .
- 8 هدان القوم : الأحق الثقيل .

أتى امرأته فقال لها : قد قال فيك هذا الرجل ما قال ، وقد بلغك ! قالت : والله ما رأى ذلك مني قط . قال : فمن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهنَّ له النساء . قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك . ثم أمسك مدّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزاحماً قد نسيَ القصةَ ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أن ذلك ممّا وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تمكّنيني منه لأقتلنك . فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت إليه وواعدته ليلاً ، وقعد له ابن الدُمينة وصاحبٌ له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلمها وهي في مكانها¹ فلم تكلمه ، فقال لها : يا حماء ، ما هذا الجفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هي بصوتٍ ضعيف : ادخل ، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها ، فوضعها على ابن الدُمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصى في ثوب ، فضرب بها كبده حتى قتله ، وأخرجته فطرحة ميّتاً ، فجاء أهله فاحتملوه ، ولم يجدوا به أثر السلاح ، فعلموا أن ابن الدُمينة قتله .

[هجا سول]

قال الزبير في حديثه : وقد قال ابن الدُمينة في تحقيق ذلك² :

قالوا : هجّتك سَلولُ اللّومِ مُخْفِيَةً فاليومُ أَهْجُو سَلولاً لا أُخافِيها
قالوا : هجّاك سَلولي ؛ فقلتُ لهم : قد أنصف الصُّخْرَةَ الصِّماءَ رامِيها
رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشِي ونَسَوْتُهُمْ شرُّ البرِّيةِ واسَتْ ذَلَّ حاميها
يَحْكُكُنَّ بالصُّخْرِ اسْتاها بها نُقَب كما يَحْكُ نِقَابَ الجُرْبِ طالِيها

قال : وقال أيضاً بذكر دخول مُزاحم ووضعه يده عليه³ :

لكَ الخَيْرُ إِنْ واعدتَ حَمَاءَ فالقها نهراً ، ولا تُدْلِجْ إذا الليلُ أَظْلما
فإنَّكَ لا تَذري أبيضاءَ طَفَلَةً تُعانقُ أُمَ لَيْشاً من القومِ قَشَعَمَا
فلَمَّا سَرى عن ساعِدَيَّ ولحيتي وأيقنَ أنِّي لستُ حَمَاءَ جَمْعَما⁴

[يقتل امرأته وابنته]

قالوا جميعاً : ثم أتى ابن الدُمينة امرأته ، فطرح على وجهها قطيفةً ، ثم جلس عليها حتى

1 ل : في مظلتها .

2 ديوانه : 8 .

3 ديوانه 181-182 .

4 مجمع : لم يبن الكلام .

قتلها ، فلما ماتت قال :

إذا قَعَدْتُ على عِرْنَيْنٍ جاريةٍ فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بِحَفَّارٍ
فبكت بُنَيَّةٌ له منها ، فضرب بها الأرضَ فقتلها ، وقال متمثلاً : « لا تَتَّخِذَنَّ مِنْ كَلْبٍ
سَوْءٍ جَرَّوًّا »¹ .

قال الزُّبَيْرُ في خبره ، عن عمِّه مصعب ، عن حُمَيْدِ بْنِ أُنَيْفٍ ، قال : فخرج جناحٌ أخو
المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْدَاه على ابن الدُّمَيْنَةِ ، فبعث إليه فحبسه .
[أم تحض ابنها على الثأر]

وقالوا جميعاً : قالت أمُّ أَبَانَ والدة المزاحم بن عمرو المقتول ، وهي من خثعم ، ترثي
ابنَها ، وتخصُّصُ مُصْعَباً وجناحاً أخويه² :

بأهلي ومالي ، بل بِجُلِّ عَشِيرَتِي قَتِيلُ بَنِي تَيْمٍ بِغَيْرِ سِلَاحٍ
فَهَلَّا قَتَلْتُمُ بالسَّلاحِ ابْنَ أُخْتِكُمْ فَتَظْهَرُ فِيهِ للشُّهُودِ جِرَاحُ
فلا تَطْمَعُوا في الصَّلَحِ ما دُمْتُ حَيَّةً وما دَامَ حَيًّا مُصْعَبٌ وَجَنَاحُ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الدَّوَائِرَ بَيْنَنَا تَدُورُ ، وَأَنَّ الطَّالِبِينَ شِجَاحُ

قالوا : فلما طال حَبْسُهُ ، ولم يَجِدْ عليه أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ سَبِيلاً ولا حِجَّةً خِلاَهُ . وقتلت بنو
سُلُولٍ رجلاً من خثعم مكانَ المقتول ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرًا من سُلُولٍ . ولهم في ذلك
قصصٌ وأشعارٌ كثيرة .

[مقتله]

قالوا : وأقبل ابن الدُّمَيْنَةِ حاجًّا بعد مدَّةٍ طويلة ، فنزل بَتْبَالَةَ ، فعدا عليه مُصْعَبُ أَخُو
المقتول لَمَّا رآه ، وقد كانت أُمُّهُ حَرَضَتْهُ عليه ، وقالت : اقتُلْ ابْنَ الدُّمَيْنَةِ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ أَخَاكَ ،
وهجا قومَكَ ، وَدَمَّ أُخْتَكَ ، وقد كنتُ أَعْذِرُكَ قَبْلَ هَذَا ، لَأَنَّكَ كُنْتَ صَغِيرًا ، وقد كَبُرَتْ
الآن . فلما أَكْثَرَتْ عليه خِراجَ مِنْ عِنْدِهَا ، وَبَصُرَ بِابْنِ الدُّمَيْنَةِ واقفًا يُنْشِدُ النَّاسَ ، فَعَدَا إِلَى
جَزَارٍ فَأَخَذَ شَفْرَتَهُ ، وَعَدَا عَلَى ابْنِ الدُّمَيْنَةِ ، فَجَرَحَهُ جِرَاحَتَيْنِ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ لَوْ قَتَلَهُ .
وقيل : بل سَلِمَ تِلْكَ الدَّفْعَةَ ، وَمَرَّ بِهِ مُصْعَبُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ فِي سُوقِ الْعِبْلَاءِ يُنْشِدُ ، فَعَلَاهُ

1 المثل « لا تقتن من كلب سوء جرواً » في مجمع الميادني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 141 ومستقصى
الرمخشري 2 : 258 .

2 ديوان الدمينه : 8 .

بسيفه حتى قتله ، وعدّا وتبّعهُ الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه ، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به : يا مُصعب ، إن لم تَضَعْ يَدَكَ في يدِ السلطان قَتَلْتُكَ العامّةَ فَاخْرُجْ ، فلمّا عرفه قال له : أنا في ذِمَّتِكَ حتى تسلّمني إلى السلطان ؟ قال : نعم ، فخرج إليه ووضع يده في يده ، فسلمه إلى السلطان ، فقدّفه في سجن تَبَالَة .
[يحرّض قومه ويوتّخهم]

قال السَّكْرِيُّ في خبره : ومكث ابنُ الدُّمينة جَرِيحاً لَيْلَتِهِ ، ومات في غَد ، فقال في تلك الليلة يحرّض قومه ويوتّخهم¹ :

[من الوافر]

هَتَفْتَ بِأَكْلَبٍ وَدَعَوْتَ قَيْساً	فلا خُدْلاً دَعَوْتَ ولا قَلِيلاً
ثَارَتْ مَزَاجِماً وَسَرَرْتَ قَيْساً	وكنْتَ لِمَا هَمَمْتَ بِهِ فَعُولاً
فلا تَشَلَّلْ يَدَاكَ ولا تَرَالَا	تُفِيدَانِ الْغَنَائِمَ وَالْجَزِيلَا
فلو كان ابنُ عَبْدِ اللَّهِ حَيّاً	لصَبَحَ في مَنَازِلِهَا سَلُولاً

[مصعب السلولي يطلب من قومه اتقاذه]

قال : وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابنِ الدُّمينة يريدون أن يقتحموا عليه سِجْنَ تَبَالَة فيقتلوه به غيلة ؛ فقال يحرّض قومه :

[من الوافر]

لَقِيتُ أَبَا السَّرِيِّ وَقَدْ تَكَالَا	لَهُ حَقُّ الْعِدَاوَةِ فِي فَوَادِي ²
فَكَادَ الْغَيْظُ يُفْرِطُنِي إِلَيْهِ	بَطْعَنَ دُونَهُ طَعْنُ السَّدَادِ
إِذَا نَبَحَتْ كِلَابُ السَّجْنِ حَوْلِي	طَمِعْتُ هَشَاشَةً وَهَفَا فَوَادِي
طَمَاعَةٌ أَنْ يَدُقَّ السَّجْنُ قَوْمِي	وَخَوْفًا أَنْ يُبَيِّتَنِي الْأَعَادِي
فَمَا ظَنِّي بِقَوْمِي شَرُّ ظَنِّ	ولا أَنْ يُسَلِّمُونِي فِي الْبِلَادِ
وَقَدْ جَدَلْتُ قَاتِلَهُمْ فَأَمْسَى	يَمُجُّ دَمُ الْوَرَيْنِ عَلَى الْوَسَادِ

[هرب مصعب من السجن]

فجاءت بنو عُقَيْل إليه ليلاً ، فكسروا السجن ، وأخرجوه منه .

قال مصعب : فلمّا أَقْلَتَ من السجن هرب إلى صَنْعَاءَ ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا وَأَبَى بِهَا يَوْمَئِذٍ وَالِ ، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم ، فرأيتُه حينئِذٍ ولم يكن جُلْداً من الرجال .

1 ديوانه : 10 .

2 تكالاً في ل : تغالَى . حق في ل : حمى .

[مما يغني به من شعره]

ومَّا يَغْنِي بِهِ مِنْ شَعْرِ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا¹ :

[من الطويل]

أَقَمْتُ عَلَى زِمَانٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَأَنْظُرَ مَا وَاشِي أُمَيْمَةً صَانِعٌ²
فَقَصْرُكَ مِنِّي كُلِّ عَامٍ قَصِيدَةً تَحُبُّ بِهَا خُوصُ الْمَطِيِّ النَّزَائِعِ³

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أن عبد الله بن شبيب أنشده إيّاها ، عن محمد بن

عبد الله الكُرَانيّ لابن الدُّمَيْنَةِ . والذي يَغْنِي بِهِ مِنْهَا قَوْلُهُ⁴ :

[من الطويل]

صوت

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعٌ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ اللَّيْلُ شَاقَتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
لَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَّتَ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ رَمَلًا بِالْوُسْطَى ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ .

[تزوجه أميمة]

نسخت من كتاب أبي سعيد ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي السَّرِيِّ ، عَنْ هِشَامٍ ، قَالَ : هُوِيَ ابْنُ
الدُّمَيْنَةِ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا أُمَيْمَةٌ ، فَهَامَ بِهَا مَدَّةً ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ تَجَنَّى عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ يَغَاضِبُهَا
وَيَنْقَطِعُ عَنْهَا ، ثُمَّ زَارَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَتَعَاتَبَا طَوِيلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ⁵ :

[من الطويل]

صوت

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلُمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجَسَمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّوْمُ

الشعر لأُمَيْمَةَ : امْرَأَةُ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ ، وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوُسْطَى ، عَنْ
عَمْرِو وَالهشاميّ . وَذَكَرَ حَبِشَ أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ أَيْضًا فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوُسْطَى ، وَذَكَرَ

1 ديوانه : 87 .

2 زِمَانٌ : مَحَلَّةٌ بِالْبَصْرَةِ .

3 قَصْرُكَ مِنِّي : حَسْبُكَ مِنِّي وَخُوصُ الْمَطِيِّ : النُّوْقُ الْغَائِرَةُ الْعَيْنِ . وَالنَّزَائِعُ : الَّتِي تَجْلِبُ مِنْ بِلَادِ الْغَيْرِ وَالَّتِي
انْتَزَعَتْ مِنْ غَيْرِ الْغُرَبَاءِ .

4 ديوانه : 88 ، وَهِيَ مِمَّا يَنْسَبُ إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ وَمَجْنُونِ لَيْلَى .

5 ديوانه : 42 . وَالْبَيْتُ الثَّلَاثُ مَنْسُوبٌ فِي الدِّيَوَانِ إِلَى ابْنِ الدُّمَيْنَةِ نَفْسِهِ .

حكم الوادي أنّ هذا اللحن ليعقوب الوادي ، وفيه لعريب خفيف ثقيل .

قال : فأجابها ابن الدّمينه ، فقال¹ :

[من الطويل]

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَازَةً وَمَزَّقْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَفْتَنِي دَلَجَ السُّرَى وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَيْنِ جُثُومٌ²
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرُّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمٌ

قال : ثم تزوّجها بعد ذلك ، وقُتِلَ وهي عنده .

[قصة عاشقين]

فأخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد بن إسحاق : حدّثني أبي ، قال : حدّثنا سعيد بن سلّم ، عن أبي الحسن الينبيعيّ ، قال : بينا أنا وصديق لي من قُريش نَمْشِي بِالْبِلَاطِ لَيْلاً إِذَا بِظُلِّ نِسْوَةٍ فِي الْقَمَرِ ، فَالْتَفَتْنَا إِذَا بِجَمَاعَةٍ نِسْوَةٍ ، فَسَمِعْتُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ وَهِيَ تَقُولُ : أَهُوَ هُوَ ؟ فَقَالَتِ الْآخَرَى : نَعَمْ ، وَاللّهِ إِنَّهُ هُوَ هُوَ . فَدَنْتُ مِنِّي ثُمَّ قَالَتْ : يَا كَهْل ، قُلْ لِهَذَا الَّذِي مَعَكَ :

[من البسيط]

لَيْسَتْ لِيَالِيكَ فِي خَاخِرِ بَعَائِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيَّامَ ذِي سَلَمٍ
فَقُلْتُ لَهُ : أَجِبْ ، فَقَدْ سَمِعْتَ . فَقَالَ : قَدْ وَاللّهِ قَطِيعَ بِي ، وَأَرْتَجِ عَلَيَّ ، فَأَجِبْ عَنِّي ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهَا ثُمَّ قُلْتُ :

[من الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطُنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَوَهُ ! ثُمَّ مَضَتْ وَمَضِينَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَفْرَقِ طَرِيقَيْنِ مَضَى الْفَتَى إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَمَضَيْتُ أَنَا إِلَى مَنْزِلِي . فَإِذَا أَنَا بِجَوَازِيَةٍ تَجَذَّبُ رِدَائِي ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : الْمَرْأَةُ الَّتِي كَلَمْتِكَ تَدْعُوكَ . فَمَضَيْتُ مَعَهَا حَتَّى دَخَلْتُ دَارًا ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ حَصِيرٌ ، وَثُبَيْتٌ لِي وَسَادَةٌ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ بَوْسَادَةٍ مَثْنِيَّةٍ فَطَرَحَتْهَا ، وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهَا ، وَقَالَتْ : أَنْتِ الْمُجِيبُ آتِفًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : مَا كَانَ أَفْظَ جَوَابِكَ وَأَغْلَظَهُ ! قُلْتُ : وَاللّهِ مَا حَضَرَنِي غَيْرُهُ . فَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ لِي : وَاللّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ مَعَكَ . قُلْتُ : أَنَا الضَّامِنُ لَكَ عَنْهُ مَا تُحْيِي . قَالَتْ : أَوْ تَفْعَلُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَوَعَدْتُهَا أَنْ آتِيَهَا بِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ . وَانصَرَفْتُ ، فَإِذَا الْفَتَى بِيَابِي ، فَقُلْتُ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : عَلِمْتُ أَنَّهَا سَتَرَسُلُ

1 ديوانه : 42 .

2 الجلهتين : موضع .

إليك ، وسألتُ عنك فلم أجِدْكَ فعلمتُ أنَّكَ عندها ، فجلستُ أنتظرُكَ . فقلتُ : فقد كان كلُّ ما ظننتُ ، ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة . فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا ، ورُحنا فإذا الجارية تنتظرنا ، فمضتُ أمامنا ، حتى دخلنا الدار ، فإذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست ملياً ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ، ثم قالت :

[من الطويل]

صوت

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكَلِّمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّوْمُ¹

ثم سكنتُ ، فسكت الفتى هنيهة ، ثم قال :

[من الطويل]

غَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي دُونِ هَذَا لِلْمُحِبِّ عَزَاءُ
جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي فَجَبُّكَ فِي قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ

فالتفتت إليّ وقالت : ألا تسمعُ ما يقول ؟ قد أخبرتك ! قال : فغمزته فكفّ ، ثم

[من الطويل]

قالت :

صوت

تَجَاهَلْتُ وَصَلِّي حِينَ لَجَجْتُ عَمَائِي وَهَلَّا صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذْ أَنَا مُبْصِرُ !
وَلِي مِنْ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتَنِي جَمِيعُ مُؤَفَّرُ
وَلَكِنَّمَا أَذْنَتُ بِالصَّرَمِ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتُ أَقْدِرُ

غنى في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، وذكر حبش أن فيها ثاني ثقیل بالنصر .

قال : فقال الفتى مُجيباً لها :

[من الطويل]

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ اجْتَرَمْتَهُ وَكُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ ، عَنْكَ تَطْيِيبُ

فبكتُ ، ثم قالت : أوقد طابَتْ نَفْسُكَ ! لا والله ما فيكَ خَيْرٌ بعدها ، فعليك السلام . ثم قامت والتفتت إليّ ، وقالت : قد علمتُ أنَّكَ لا تقي بضمانك عنه ، وانصرفنا .

[العبّاس بن الأحنف يريد أن ينطح العمود برأسه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبي ، قال : كان العبّاس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به ، وأفعلُ مثل ذلك ، فجاءني يوماً ، فوقف بين البابين ، وأنشد لابن الدّمينه¹ :

صوت

ألا يا صبا نَجِدِ متى هِجَتَ مِنْ نَجْدِ
أَنَّ هَتَفَتْ ورَقَاءَ في رَوْنَقِ الضَّحَى
بَكَيْتَ كما يَنْكِي الحَرِينُ صِبابَةً
بَكَيْتَ كما يَنْكِي الولِيدُ ، ولم تكن
وقد زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فلم يُشَفَّ ما بِنَا
فقد زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًا على وَجْدِ
على فَنَنْ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ²
وَذُبْتُ مِنَ الشَّوْقِ المُبْرِحِ والصَّدِّ
جَزُوعًا ، وَأَبْدَيْتَ الذي لم تكن تُبْدِي³
يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الوَجْدِ
على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وزيد على ذلك بيت ، وهو :

ولكنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ
إذا كَانَ مَنْ تَهَوَّاهُ ليس بِذِي وُدٍّ
ثم ترنُّج ساعة ، وترَجَّح أخرى ، ثم قال : أَنْطَحُ العمودَ برأسي من حُسْنِ هذا ! فقلت : لا ، أرفُق بنفسك .

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لَحْنَان : أحدهما ماخوِريٌّ بالبِنْصرِ أوَّلُه البيت الثاني ، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوَّلُه البيت الأوَّل .
[صديق يأمر صديقه بتطليق امرأته]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار ، قال : حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ، قال : حدّثني أحمد بن سعيد ، عن ابن زَنْجِجِ رَاوِيَةٍ ابنِ هَرْمَةَ ، قال : لقي ابنُ هَرْمَةَ بعضَ أصدقائه بالبَلَّاط ، فقال له : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قال : مِنَ المَسْجِدِ ، قال : فَأَيَّ شَيْءٍ صَنَعْتَ هناك ؟ قال : كُنْتُ جالِسًا مع إبراهيم بن الوليد المَخْزُومِيّ ، قال : فَأَيَّ شَيْءٍ قال لك ؟ قال : أَمَرَنِي أَنْ أَطْلُقَ امرأتِي . قال : فَأَيَّ شَيْءٍ قُلْتَ له ؟ قال : ما قُلْتُ له شيئًا . قال : فوالله ما

1 ديوانه : 80-86 مع اختلاف كبير في الترتيب .

2 الهتاف : رفع الصوت .

3 الديوان : ولم تكن جليداً .

قال لك ذلك إلا لأمر أظهرته عليه وكنمته ، أفرأيت إن أمرته بطلاق امرأته ، أيطلقها ؟ قال : لا ، والله ، قال : فابن الدُمينة كان أنصف منك ، كان يهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليه : إن أهلي قد نهوني عن لقاءك ومراسلتك ، فأرسل إليها¹ :
[من الوافر]

صوت

أطعت الأميرك بقطع حبلتي مريهم في أحببتهم بذلك
فإن هم طأوعوك فطاوعهم وإن عاصوك فاعصي من عصاك
أما والرائصات بكل فج ومن صلي بنعمان الأراك²
لقد أضمرت حبك في فؤادي وما أضمرت حباً من سواك

في هذه الأبيات لإسحاق رمل³ ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى ، ولعريب خفيف ثقیل ، ابتدأه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول ، وفيه لمتيم خفيف رمل آخر .
[عاشق يمثل ببنتين له]

وحدثني بعض أصدقائنا ، عن أبي بكر بن دُرید ، ولم أسمع منه ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، ووجدته أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي ، فجمعت الحكايتين ، قال : مررت بالكوفة ، وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق ، وفتى واقف وظهره إلي ، وهو يقول لها : أسهر فيك وتنامين عني ، وتضحكين مني وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأحضك المودة وتمذقينيها³ لي ، وأصدقك وتناقيني ، ويأمرك عدوي بهجري فطيعينه ، ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه ! ثم تنفس وأجهش باكياً . فقالت له : إن أهلي يمنعونني منك ، وينهونني عنك ؛ فكيف أصنع ؟ فقال لها :
[من الوافر]

أطعت الأميرك بصرم حبلتي مريهم في أحببتهم بذلك
فإن هم طأوعوك فطاوعهم وإن عاصوك فاعصي من عصاك

ثم التفت فرآني ، فقال : يا فتى ؛ ما تقول أنت فيما قلت ؟ فقلت له : والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك .
تمت أخبار ابن الدُمينة .

1 ديوانه : 182 .

2 بكل فج لي ن : بذات عرق .

3 أحضك المودة : أخلصها . وتمذقنيها : من مذاق اللبن أي خلطه بالماء .

صوت¹

[من الطويل]

وإنّ الذي بَيَّنّي وبَيَّنَ بَنِي أَبِي وَبَيَّنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٍ جِدًّا
فَمَا أُحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
وَلَيْسُوا إِلَى نَصْرِي سِرَاعاً وَإِنْ هُمْ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِ أَتِيهِمْ شَدًّا
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
يَعَاتِبُونِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا تَدِينُنِي فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا

عروضه من الطويل . الشعرُ للمقنّع الكنديّ ، والغناء لابن سُرَيْج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه من روايته أيضاً للمالك خفيف رمل بالوسطى . وذكر علي بن يحيى أنّ لحنَ ابن سُرَيْج خفيف ثقيل . وذكر إبراهيم أنّ فيه لِقْفَا النجار لحناً لم يذكرْ طريقته ، وأظنّه من خفيف الثقيل .

1 الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي : 1178-1180 مع اختلاف في الترتيب وحماسة البحري : 347 .

[348] - نسب المقنّع الكندي وأخباره¹

[يخشى العين فمقنّع]

المقنّع لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أجملَ الناسِ وجْهاً ، وكان إذا سَفَرَ اللّثام عن وجهه أصابته العين .

قال الهيثم : كان المقنّع أَحْسَنَ الناسِ وجْهاً ، وأمّذهم قامَةً ، وأكملهم خَلْقاً ، فكان إذا سَفَرَ لُقِعَ ، أي أصابته أعينُ الناس ، فيمرض ، ويلحقه عَنَتٌ ؛ فكان لا يمشي إلّا مُقْنَعاً .
[نسبه]

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَيْر بن أبي شمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولّادة - سُمِّيَ بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن معاوية بن كِنْدَةَ بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَّأ بن يَشْجُب بن يَرْبُوب بن قحطان . شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان له محلّ كبير ، وشرف ومروءة وسؤدد في عَشيرته .

قال الهيثم بن عَدِيّ : كان عُمَيْر جدّه سيّدَ كِنْدَةَ ، وكان عمّه عمرو بن أبي شمر يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجله فيها ، فيقصّر عنه .
[أتلف ماله بالعطاء]

ونشأ محمد بن عُمَيْر المقنّع ، فكان متخرّجاً في عطاياه ، سَمَحَ اليَدَ بماله ، لا يَرُدُّ سائلاً عن شيء حتى أَتْلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ ، فاستعلاه بنو عمّه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم .

[بنو عمّه منعه من زواج أختهم لفقره ودينه]

وهو يَ بنتَ عمّه عمرو فخطبها إلى إختوتها ، فردّوه وعيّرّوه بتخرّجه وفقره وما عليه من الدّين ؛ فقال هذه الأبيات المذكورة .

[كثير بن هراسة يمرض ببخل الخليفة]

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدّثني محمد بن زكريّا الغلابي ، عن العُتْبِيّ ، قال : حدّثني أبو خالد من وَلَدِ أُمَيَّةَ بن خَلَف ، قال : قال عبد الملك بن مروان ، وكان أوّل خليفة ظهر

1 ترجمة المقنّع الكندي في السمت : 615 والشعر والشعراء : 625-626 .

منه بُخل : أيُّ الشعراء أفضل ؟ فقال له كثير بن هراسة ، يعرض ببُخل عبد الملك : أفضلهم المقتنع الكندي حيث يقول :

إني أحرصُ أهلَ البُخلِ كُلِّهم لو كان ينفعُ أهلَ البُخلِ تخريضي
ما قلَّ ماليَ إلا زادني كرمًا حتى يكونَ برزقُ الله تعويضي
والمالُ يرفعُ مَنْ لولا درايمُهُ أُمسى يُقلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ
لن تُخرجَ البيضُ عَفْوَاً من أَكفهِم إلا على وَجَعٍ منهم وتمريضِ
كأنَّها مِنْ جُلودِ الباخلين بها عند النوائب تُحذَى بالمقاريض¹

فقال عبد الملك ، وعرف ما أراد : الله أصدق من المقتنع حيث يقول : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يُقتروا﴾ .

صوت

[من السريع]

يا ابنَ هشام يا عليَّ الندى فدَتَكَ نَفْسِي ووَقَّتَكَ الرَّدَى
نسيتَ عَهْدِي أو تناسيتَنِي لَمَّا عَدَانِي عَنْكَ صَرْفُ النُّوَى
الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليَّ رمل بالبصر .

[349] - خبر إسحاق وابن هشام

[رسالة إسحاق إلى علي بن هشام]

وهذا الشعر يقوله في علي بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة ، وله إليه رسالة حسنة ، هذا موضع ذكرها ، أخبرنا بها علي بن يحيى المنجّم ، عن أبيه ، ووقعت إلينا من عدّة وجوه : أن إسحاق كتب إلى علي بن هشام : «جُعِلْتُ فداك ! بعثْ إليّ أبو نصر مولاك بكتاب منك إليّ يرتفعُ عن قَدْرِي ، ويَقْصُرُ عنه شُكْرِي ، فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه ، فما لنا ولك يا عبد الله ، تدعنا حتى إذا أنسينا الدنيا وأبغضناها ، ورجونا السلامة من شرّها ، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا ، فلا أنت تُريدنا ، ولا أنت تتركنا ؛ فبأي شيء تستحلّ هذا ! فأما ما ذكرته من شوقك إليّ فلولا أنك حلّفت عليه لقلت :

[من الكامل]

يا مَنْ شكا عَيْناً إلينا شَوْقَهُ	شكوى المَجِبِّ وليس بالْمُشْتاقِ
لو كُنْتَ مُشْتاقاً إليّ تُريدُنِي	ما طُبِتَ نفساً ساعةً بِفراقِي
وحَفِظْتَنِي حِفْظَ الْخَلِيلِ خَلِيلَهُ	ووفيت لي بالعَهْدِ والميثاقِ
هيهاتَ قد حَدَثَتْ أُمُورٌ بَعْدَنَا	وشغلتَ باللذاتِ عن إسحاقِ

وقد تركتُ ، جُعِلْتُ فداك ، ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزالُ أخرجُ بها إلى ظَهْرِ المِرْبَدِ ، وأستقبلُ الشَّمالَ ، وأتنسّمُ أرواحكم فيها ، ثم يكون ما الله أعلمُ به ، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء الله :

[من الطويل]

ألا قد أرى أنَّ الثَّوَاءَ قَلِيلُ	وأنَّ لَيْسَ يَبْقَى لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
وإنِّي وإنْ مُلِّيتُ في العَيْشِ حِقْبَةً	كذبي سَقَرٍ قد حان منه رَجِيلُ
فهل لي إلى أنْ تَنْظُرَ العَيْنُ مَرَّةً	إلى ابنِ هشامٍ في الحِياةِ سَبِيلُ ؟!
فقد خِفْتُ أنْ أَلْقَى المَنَايا بِحَسْرَةٍ	وفي النفسِ مِنْهُ حَاجَةٌ وَغَلِيلُ

وأما بعد ، فإنّي أعلمُ أنّك ، وإن لم تَسَلْ عن حالي ، تحبُّ أن تعلمَها وأن تأتيك عني سلامة ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدن ، مريض القلب .

وبعد : فأنا ، جُعِلْتُ فداك ، في صَنَعَةِ كتابِ مَلِيحٍ ظريف ، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم

وبلادهم ، وأسبائهم وأزمنتهم ، وما احتلفوا فيه من غنائهم ، وبعض أحاديثهم ، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات ، وما قيل فيهن من الأشعار ، ولَمَنْ كُنْ ، وإلى مَنْ صِرْنَ ، وَمَنْ كَانَ يَغْشَاهُنَّ ، وَمَنْ كَانَ يُرَخِّصُ فِي السَّمَاعِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأَشْرَافِ ، فَأَعْلَمْنِي رَأْيَكَ فيما تشتهي لأعمل على قَدْرِ ذَلِكَ ، إن شاء الله .

وقد بعثت إليك بأنموذج ، فإن كان كما قال العبادي : «قبح الله كلَّ ذَنْ أَوَّلِهِ دُرْدِي»¹ ، لم نتجشَّم إتمامه ، وربحنا العناء فيه ، وإن كان كما قال العربي : «إنَّ الجوادَ عَيْنُهُ فِرَارُهُ»² أعلمتنا ؛ فاتَّمتناه مسرورين بِحُسْنِ رَأْيِكَ فيه ، إن شاء الله . وهذا مما يدلُّ على أنَّ كتابَ الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له ؛ وإنما ألف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء ، غير مختلط بعضها ببعض .

[وحشة بعد ألفة]

وكان إسحاق يَأْلَفُ عَلِيًّا وأحمد ابني هشام وسائر أهلها إلْفًا شديدًا ، ثُمَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ نَبْوَةٌ وَوَحْشَةٌ فِي أَمْرِ لَمْ يَقَعْ إِلَيْنَا إِلَّا لَمَعًا غَيْرَ مشروحة ، فهجاهم هجاء كثيرًا ، وانفجرت الحال بينه وبينهم .

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما ، عن أبي أيوب سليمان المدني ، عن مُصْنَعٍ ، قال : قال لي أحمد بن هشام : أما تَسْتَحْيِي أُنْتَ وصباح بن خاقان ، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شَبَّ بذكركما إسحاق في الشعر ، وهو مغنٌ مذكور ، فيقول :

قد نهانا مُصْنَعٌ وصباحُ فَعَصَيْنَا مُصْنَعًا وصباحا
عَذَلًا ما عَذَلَا أُمَ مَلَامًا فاسترخنا منهما فاستراحا

ويروى :

علما في العَذَلِ أُمَ قد الأما

ويروى :

عذلا عَذَلَهُمَا ثُمَّ أَنَامَا

فقلتُ : إن كان فعل فما قال إلا خيرًا ، إنما ذكرَ أَنَا نَهيناه عن خَمْرِ شربها ، وامرأة عشقها ،

1 المثل «أول الدن دردي» في مجمع الميداني 1 : 89 . والدردي : هو ما يتبقى في قعر الإناء .

2 المثل «إنَّ الجوادَ عينه فرارة» في جمهرة العسكري 2 : 151 ومجمع الميداني 1 : 9 ، أي يغيثك منظره عن اختباره .

وقد أشاد بأسمك في الشعر بأشد من هذا ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [من الطويل]

وصافية تغشى العيون رقيقة رهينة عام في الدنان وعام
أدزنا بها الكأس الروية موهناً من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العبي نحكي أحمد بن هشام
قال : أو قد فعل العاض بظر أمه ! قلت : إي والله لقد فعل .

إلى هاهنا رواية مصعب .

[أحمد بن هشام يتوعده وعلي يصلح بينهما]

ووجدت هذا الخبر في غير روايته ، وفيه زيادة قد ذكرتها ، قال : قال أحمد بن هشام أن يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه ، وأن يجتهد في اغتياله .

قال إسحاق : حضرت بدار الخليفة ، وحضر علي بن هشام ، فقال لي : أتهجو أخي وتذكره بما بلغني من القبيح ؟ فقلت : أو تعرض أخوك لي ويتوعدي ! فوالله ما أبالي بما يكون منه ؛ لأنني أعلم أنه لا يقدر لي على ضرر ، والنفع فلا أريده منه ، وأنا شاعر مغن ، والله لأهجوته بما أفري به جلده ، وأهلك مروءته ، ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناء تسري به الركب . فقال لي : أو تهب لي عرضة ، وأصلح بينكما ؟ فقلت : ذاك إليك . وإن فعلته فلك لا له . ففعل ذلك ، وفعلته به .

[هجاء مصعب وصباح]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثني محمد بن يزيد النحوي ، قال : كان صباح بن خاقان المنقري نديماً لمصعب الزبيري ، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة ، وكان خليعاً من أهل البصرة :

من يكن إبطه كباطر ذا الخد سق فإبطاي في عداد الفقاح
لي إبطان يرميان جليسي بشبيه السلاح بل بالسلاح
فكأنني من تن هذا وهذا جالس بين مصعب وصباح

[ينشد الفضل بن الربيع]

أخبرني علي بن يحيى المنجم ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني إسحاق ، قال : دخلت على الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : ما عندك ؟ قلت : بيتان أرجو أن يكونا فيما يستطرف ، وأنشدته :

[من الطويل]

سُنْغُضِي عَنْ الْمَكْرُوهِ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ وَنَصِيرٌ حَتَّى يَصْنَعَ اللَّهُ بِالْفَضْلِ
فَتَنْتَصِرَ الْأَحْرَارُ مِمَّنْ يَضِيْمُهَا وَتُذَكُّ أَقْصَى مَا تَطَالِبُ مِنْ دَخْلٍ¹
قال : قدمعت عينه ، وقال : مَنْ آذاك لعنه الله ؟ فقلت : بنو هشام وأخبرته الخبر .
قال يحيى بن علي : ولم يذكر بأي شيء أخبره .

صوت

[من السريع]

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ²
أَسْعَى عَلَى جُلٍّ بَيْنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعٍ
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا ، وَتَتْرَكُهُ بَجْعَجَاعٍ³
لَا نَأْلُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الـ أَعْدَاءَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ
الشعر لأبي قيس بن الأسلت⁴ ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أول . وقيل : بل هو لمبعد .

1 تطالب في ل : تحاول .

2 حصت : أذهبت الشعر . والبيضة : الخوذة .

3 الجعجاع : الأرض الغليظة لا أحد فيها .

4 الأبيات في جمهرة أشعار العرب (صادر) : 234-236 وهي من المفضلية الخامسة والسبعين في شرح ابن الأنباري .

[350] - نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره¹

[نسبه]

أبو قيس لم يقع إليَّ اسمُه غير ابن الأسلت² ، والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حربها ، وجعلته رئيساً عليها ، فكفى وساداً . وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس ، واستشهد يوم القادسية . وكان يزيد بن مرداس السلميّ أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت ، حتى تمكن من يزيد بن مرداس ، فقتله بقيس بن أبي قيس ، وهو ابن عمه .

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت³ :

أقيسٌ إن هلكتُ وأنتَ حيٌّ فلا تعدمُ مواصلةَ الفقيرِ
وهذا الشعرُ الذي فيه الغناء يقولُه أبو قيس في حرب بُعث⁴ .

[ترأس الأوس يوم بعث]

قال هشام بن الكلبي : كانت الأوسُ قد أسندوا أمرهم في يوم بُعث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحِبَ وتغيَّر ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأة . ثم إنّه جاء ليلةً فدقَّ على امرأته ، وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك بن عدي بن عمرو بن عوف ، ففتحت له ؛ فأهوى إليها بيده فدفعته ، وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت . فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة ، وأوها⁵ :

1 ترجمة أبي قيس بن الأسلت في طبقات ابن سلام 226-227 وخزانة البغدادي 3 : 409-413 وتهذيب ابن عساكر 6 : 454 ومعاهد التنصيص 2 : 25 والبيان والتبيين 3 : 23 والإصابة وطبقات ابن سعد 4 : 383-385 .

2 اسم أبي قيس «صيفي» وقيل «عبد الله» .

3 معاهد التنصيص 2 : 25 .

4 بعث : موضع قريب من المدينة .

5 معاهد التنصيص 2 : 26 .

قالت ولم تَقْصِدْ لِقِيلَ الْخَنَا : مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي
اسْتَنْكَرْتَ لَوْنًا لَهُ شَاحِيًا وَالْحَرْبُ غُولٌ ذَاتُ أُوْجَاعٍ
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَرْكُهُ يَجْعَلُ جَعًا

[يوم بُعَاث¹]

فَأَمَّا السَّبَبُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَهُوَ يَوْمُ بُعَاثَ ، فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدِ الرَّازِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَأَضَفَتْ إِلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي عِيْدَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ ابْنِ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ .
[الأوس تستعين ببني قريظة والنضير]

أَنَّ الْأَوْسَ كَانَتْ اسْتَعَانَتْ بِبَنِي قُرَيْظَةَ وَالنُّضَيْرِ فِي حُرُوبِهِمُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَزْرَجِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَزْرَجَ ، فَبِعِثَتْ إِلَيْهِمْ : إِنَّ الْأَوْسَ فِيمَا بَلَّغْنَا قَدْ اسْتَعَانَتْ بِكُمْ عَلَيْنَا ، وَلَنْ يُعْجِزَنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرِ مَنْكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، فَإِنْ ظَفَرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ضَفَرْتُمْ لَمْ نَنْمَ عَنِ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصِيرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَيَشْغَلُكُمْ مِنْ شَأْنِنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعُونَا وَتُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا . فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ عَظِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى الْخَزْرَجِ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ ، وَالتَّمَسْتَ الْأَوْسَ نَصْرُنَا ، وَمَا كُنَّا لِنَنْصُرَهُمْ عَلَيْكُمْ أَبَدًا . فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَزْرَجُ : فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَابْعَثُوا إِلَيْنَا بَرَهَانًا تَكُونُ فِي أَيْدِينَا .

[الخزرج تأخذ رهائن]

فَبِعَثُوا إِلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ غَلَامًا مِنْهُمْ ، فَفَرَّقَهُمُ الْخَزْرَجُ فِي دُورِهِمْ فَمَكَّنُوا بِذَلِكَ مَدَّةً .
ثُمَّ إِنَّ عَمْرُو بْنَ النُّعْمَانَ الْبِيضِيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ بِيَاضَةَ : إِنَّ عَامِرًا أَنْزَلَكُمْ مِنْزِلَ سُوءٍ بَيْنَ سَبْحَةِ وَمَفَازَةٍ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَمَسُّ رَأْسِي غُسْلٌ حَتَّى أَنْزَلَكُمْ مِنْزَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنُّضَيْرِ عَلَى عَذَابِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ . ثُمَّ رَاسَلَهُمْ : إِمَّا أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيَارِكُمْ نَسْكُنُهَا ، وَإِمَّا أَنْ نَقْتُلَ رُهْنَكُمْ ، فَهَمُّوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ الْقُرْظِيُّ : يَا قَوْمُ ، امْنَعُوا دِيَارَكُمْ ، وَخَلُّوهُ يَقْتُلُ الرُّهْنَ ، وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ يُصِيبُ فِيهَا أَحَدُكُمْ أَمْرَاتُهُ حَتَّى يُولِدَ لَهُ غُلَامٌ مِثْلُ أَحَدِ الرُّهْنِ .

1 في يوم بعث انظر أيام العرب في الجاهلية : 73 .

[غدر عمرو بن النعمان بالرهائن]

فاجتمع رأيهم على ذلك ، فأرسلوا إلى عمرو بالآ نُسَلَمَ لكم دُورَنَا ، وانظروا الذي عاهدْتُمونا عليه في رهننا ، فقوموا لنا به ، فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج ، فقتلوههم وأبى عبدُ الله بن أبيّ ، وكان سيِّداً حَلِيماً ، وقال : هذا عقوقٌ ومأثمٌ وبَغْيٌ ؛ فلستُ مُعِيناً عليه ، ولا أحدٌ من قومي أطاعني . وكان عنده في الرهن سُلَيْم بن أسد القرظي ، وهو جدُّ محمد بن كعب القرظي ، فخلّى عنه ، وأطلق ناساً من الخزرج نفرأ فلاحقوا بأهلهم ، ففاوشتِ الأوسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد ، أخي بني عمرو بن قريظة ، ثم توامروا أن يُعِينُوا الأوسَ على الخزرج ؛ فبعث إلى الأوس بذلك ، ثم أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهلِ بَيْتٍ من النبيت¹ على بيت من قريظة والنضير ، فنزلوا معهم في دُورهم ، وأرسلوا إلى النبيت يأمرُونهم بإتيانهم ، وتعاهدوا ألا يُسلموهم أبداً ، وأن يُقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقَى منهم أحد . فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك . فاجتمع المَلَأُ منهم ، واستحكم أمرهم ، وجدّوا في حربهم ، ودخلت معهم قبائلُ من أهل المدينة ، منهم بنو ثعلبة - وهم من غسان - وبنو زَعُوراء ، وهم من غسان .

[مشورة عبد الله بن أبي للخرزج]

فلَمَّا سَمِعَتْ بذلك الخزرج اجتمعوا ، ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضي ، وعمرو بن الجموح السلمي ، حتى جاءوا عبد الله بن أبيّ ، وقالوا له : قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا ، وإنّا نرى أن نُقاتِلَهم ، فإن هزَمْنَاهُمْ لم يَحْزَ أحدٌ منهم مَعْقِلَهُ ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد .

فلَمَّا فرغوا من مقاتلتهم قام عبدُ الله بن أبيّ خطيباً وقال : إنَّ هذا بَغْيٌ منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أُحِبُّ أن رجلاً² من جرّاد لقيناهم . وقد بلغني أنهم يقولون : هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت ! والله إني أرى قوماً لا يتتهون أو يهْلِكُوا عامتكم ، وإني لأخاف إن قاتلوكم أن يُنصروا عليكم لبغيتكم عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم ، فإذا ولّوا فخلّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أذنَى البيوت خلّوا عنكم .

1 النبيت : أبو حي باليمن .

2 الرجل من الجرّاد : القطعة العظيمة .

فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سحرُك¹ يا أبا الحارث حين بلغك حِلْفُ الأوس قريظة والنضير ! فقال عبد الله : والله لا حَضَرْتُكم أبداً ، ولا أحد أطاعني أبداً ، ولكأني أنظر إليك قليلاً تحملك أربعة في عباءة .

[عمرو بن النعمان يتولى رئاسة الخزرج]

وتابع عبد الله بن أبي رجال من الخزرج ، منهم عمرو بن الجموح الحرامي . واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي ، وولوه أمر حربهم ، وليت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب . فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع . فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس ، فأجابه ، وأقبلوا إليهم ، وأقبلت جهينة إليهم أيضاً . وأرسلت الأوس إلى مُزينة ، وذهب حُضَيْرُ الكتاب الأشهلي إلى أبي قيس بن الأسلت ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَيْر ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نيرة² تشيف عن عورته ، فحرضهم وأمرهم بالجد في حربهم ، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبئت وإذلال من تخلف بالمدينة من سائر الأوس ، في كلام كثير .

فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويخمي ، وتقلص³ خُصيتاه ، حتى تغيبا ، فإذا كلموه بما يحب تذلتا حتى ترجعا إلى حالهما . فأجابه أوس الله بالذي يحب من النصرة والموازرة والجد في الحرب .

[موقف حضير الكتاب]

قال هشام : فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى ، عن خير ، عن أشياخ من قومه : أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حضير بموضع يقال له الجبابة ، فأجالوا الرأي ، فقالت الأوس : إن ظفِرنا بالخزرج لم نبق منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال حُضَيْر : يا معشر الأوس ؛ ما سُميت الأوس إلا لأنكم تووُسُون⁴ الأمور الواسعة . ثم قال : [من الرجز] يا قوم قد أصبحتم دوارا لمعشر قد قتلوا الخيارا⁵

1 السحر : الرئة ، ومعناه : جاوزت قدرك ؛ ولم نثر عليه في كتب الأمثال .

2 النمرة : بردة من صوف .

3 تقلص : تنقبض .

4 آس القوم يؤوسهم : أعطاهم وعرضهم .

5 الدوار بضم الدال وفتحها : صنم كانت العرب تجعل موضعاً تدور فيه حوله (اللسان : دور) .

يُوشِكُ أَنْ يَسْتَاصِلُوا الدَّيَّارَا

قال : ولما اجتمعوا بالجباة طَرَحُوا بين أيديهم تَمَرًا ، وجعلوا يأكلون وَحْصِيرُ الكنايب جالسٌ ، وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصَّمَاءُ¹ ، وما يأكل معهم ، ولا يَدْنُو إلى التمر غَضَبًا وَحَنَقًا . فقال : يا قوم ، اعقدوا لأبي قيس بن الأسَلْت . فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ؛ فَإِنِّي لم أُرَأْس على قومٍ في حرب قطّ إلّا هُزِمُوا وتشاءوا برياستي . وجعلوا ينظرون إلى حُصِير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب ، وقد بدت خصيتاه من تحت البُرْد ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غَيْظًا وغضبًا ، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدِّ والتشمير في الحرب عادتا لحالهما .

وأجابت إلى ذلك أوسُ مَنَاة ، وجدّوا في الموازرة والمظاهرة . وقدمت مُزينة على الأوس ، فانطلق حُصِير وأبو عامر الراهب بن صَيْفِي إلى أبي قيس بن الأسَلْت ، فقالا : قد جاءتنا مُزينة ، واجتمع إلينا من أهل يَثْرِب ما لا قِيلَ للخزرج به ، فما الرَّأْيُ إِنْ نحن ظَهَرْنَا عليهم : الإِثْخان أم البَقِيّة ؟ فقال أبو قيس : بل البَقِيّة . فقال أبو عامر : والله لوددتُ أَنْ مكانهم ثعلبًا ضَبَّاحًا .

[حضير يقسم أن يهدم أطم مزاحم]

فقال أبو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزا بزا ، كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا ، فَتَشَاجَرُوا في ذلك ، وأقسم حُصِير إلّا يشرب الخمر أو يظهر وَيَهْدِم مُزاحِمًا أطمَ عبد الله بن أَبِي . فلبثوا شهرين يُعَدُّون ويستَعِدُّون ، ثم التقوا بِبُعَاث ، وتخلّف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث ، فبعثوا إلى الخزرج : إِنَّا والله ما نريد قتالكم . فبعثوا إليهم أَنْ ابعثوا إلينا برهنٍ منكم يكونون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً ، منهم خَدِيج ، أبو رافع بن خديج .

وبعث : من أموال بني قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرَى ؛ فليذلك تُدْعَى بُعَاث الحرب .

[الاستعداد للقتال]

وحشد الحَيَّان فلم يتخلّف عنهم إلّا مَنْ لا ذِكْرَ له . ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يومٍ التقوا فيه . فلَمَّا رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم ، وقالوا لِحُصِير : يا أبا أُسَيْد ، لو حاجزْتَ القوم ، وبعثتَ إلى مَنْ تَخَلّف من حُلَفائك من مُزينة ! فطرح قوساً كانت في يده ، ثم قال : أَنتظر مُزينة ، وقد نظر إليّ القوم ونظرتُ إليهم ! الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا ، فاقتتلوا

1 الصماء : طريقة في لبس الشملة .

قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوسُ حين وجدوا مسَّ السلاح ، فولوا مُصْعِدِينَ في حَرَّةِ قَوْرَى نحو العَرِيض¹ وذلك وَجْهَ طريقِ نَجْد . فنزل حُضَيْرٌ ، وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ؟ ألا إنَّ نجداً سنةً ، أيَّ مُجْدَب ، يُعَيِّرُونَهُمْ .

فلما سَمِعَ حُضَيْرٌ طعنَ بَسِينَانَ رُمَحِهِ فَخَذَهُ ، ونزل وصاح : واعقره ! والله لا أُرِيْمُ حتى أَقتل ، فإن شِئْتُمْ يا معشر الأوس أنْ تسلموني فافعلوا .

فتعَطَّفت عليه الأوس ، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، يقال لهما : محمود ولبيد ، ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذٍ مِعْرَسَانِ ذَوَا بَطْشٍ ، فجعلَا يَرْتَجِرَانِ ويقولان :

أَيُّ غَلَامَيَّ مَلِكٍ تَرَانَا فِي الْحَرْبِ إِذْ دَارَتْ بَنَا رَحَانَا
وَعَدَّدَ النَّاسُ لَنَا مَكَانَا

[مقتل عمرو بن النُعمان]

فقاتلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهمٌ حتى أَصَابَ عَمْرُو بن النُعمانَ رَأْسَ الخزرج فقتله ، لا يُدْرَى مَنْ رَمَى بِهِ ، إِلَّا أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ تَزَعَمُ أَنَّهُ سَهْمُ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو لُبَابَةَ ، فقتله .
فبينما عبدُ الله بن أبي يترددُ على بَغْلَةٍ له قَرِيباً من بُعَاث ، يتحسَّسُ أخبارَ القَوْمِ ، إِذْ طُلِعَ عليه بِعَمْرُو بن النُعمانِ مِيتاً فِي عَبَاءَةٍ ، يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ إِلَى دَارِهِ . فلما رآه عبد الله بن أبي قال : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : عَمْرُو بن النُعمان . قال : ذُقْ وَبَالَ الْعُقُوقِ .

[انهزام أم الخزرج]

وانهزمت الخزرجُ ، ووضَعَتِ الأوسُ فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ، اسْجِحُوا² وَلَا تُهْلِكُوا إِخْوَتَكُمْ ؛ فَجَوَّاهُمْ خَيْرٌ مِنْ جَوَارِ الثَّعَالِبِ .

فنهأت الأوسُ ، وكفَّت عن سَلْبِهِمْ بعدَ إِثْخَانٍ فِيهِ ، وسلبتهم قُرَيْظَةُ والنُّضِيرُ ، وحملت الأوسُ حُضَيْراً مِنَ الْجِرَاحِ الَّتِي بِهِ ، وَهُمْ يَرْتَجِرُونَ حَوْلَهُ ويقولون :

كَتِيبَةٌ زَيْنَهَا مَوْلَاهَا لَا كَهْلُهَا هِدٌّ وَلَا فَتَاهَا³

وجعلت الأوسُ تحرقُ على الخزرج نَخْلَهَا ودُورَهَا ؛ فخرج سَعْدُ بن مُعَاذِ الْأَشْهَلِيِّ حتى

1 العريض : واد بالمدينة .

2 اسجحوا : أحسنوا العفو .

3 الهد : الضعيف .

وقف على باب بني سَلَمَة ، وأجارهم وأمواهم جزاء لهم بيوم الرِّعْل¹ ، وكان للخزرج على الأوس يومٌ يقال له يوم مُغَلَّسٍ ومُضَرَّسٍ . وكان سعد بن معاذ حُمِلَ يومئذٍ جريحاً إلى عمرو بن الجَمُوح الحرامي ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يوم رَعْل ، وهو على الأوس ، من القَطْع والحرِّق ، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُعَاث .

وأقسم كَعْب بن أسد القرظي لِيَذِلَّنَّ عبد الله بن أبيّ ، وليحلَقَنَّ رأسه تحت مزاحم ؛ فناده كعب : انزل يا عدو الله . فقال له عبد الله : أنشدك الله وما خذَلْتُ عنكم . فسأل عما قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وأجمعت الأوس على أن تهدم مُزاحماً أُطِمَ عبد الله بن أبيّ ، وحلف حُضَيْر ليهدمه . فكَلَّم فيه ، فأمرهم أن يَرِثُوا فيه ، فحَفَرُوا فيه كَوَّةً . وأفلت يومئذٍ الزُّبَيْر بن إِيَّاس بن باطا ثابت بن قيس بن شَمَّاس أخا بني الحارث بن الخزرج ، وهي النعمة التي كافأها بها ثابت في الإسلام يوم بني قُريظة .

[موقف أبي قيس من هدم بيوت الخزرج]

وخرج حُضَيْر الكنائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الأسلت بعد الهزيمة ، فقال له حُضَيْر : يا أبا قيس ، إن رأيتَ أن تأتي الخزرج قصراً قصراً وداراً داراً ، نقتل ونهْدم ، حتى لا يَبْقَى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعلُ ذلك ؛ فغضب حُضَيْر ، وقال : ما سَمِيتُم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أَوْساً . ولو ظفرت من الخزرج بمثلها ما أقالوناها . ثم انصرف إلى الأوس ، فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وكان حُضَيْر جُرح يومئذٍ جراحةً شديدةً ، فذهب به كُليب بن صَنِيْفِي بن عبد الأشهل إلى مَنْزِله في بني أُمَيَّة بن زيد ، فلبث عنده أياماً ثم مات من الجراحة التي كانت به ، فقبَّره اليوم في بني أُمَيَّة بن زيد .

قال : وكان يهوديٌّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في أُطَم من آطامهم ، فقال لابنُه له : أَشْرِفِي على الأُطَم ، فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت ، فقالت : أَسْمَعُ الصوتَ قد ارتفع في أعلى قَوْرَى ، وأسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة إذاً على الأوس ، لا خيرَ في البقاء بعدهم . ثم قال : ماذا تسمعين ؟ قالت : أَسْمَعُ رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجالاً يقولون : يا آل الخزرج . قال : الآن حمي القتال . ثم لبث ساعة ، ثم

1 الرعل : موضع كان فيه يوم للخزرج على الأوس وفيه قتل سماك أبو حضير الكنائب .

قال : أَشْرَفِي فَاسْمِعِي ، فَأَشْرَفْتُ ، فَقَالَتْ : أَسْمَعُ قَوْمًا يَقُولُونَ :

نَحْنُ بَنُو صَخْرَةَ أَصْحَابِ الرَّعْلِ

قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ، وصخرة أمهم بنتُ مرة بن ظفر أم بني عبد الأشهل ، ثم وثب فرحاً نحو باب الأطم فضرب رأسه بِمِجْلَقِ بَابِهِ ، وكان مِنْ حِجَارَةٍ فسقط فمات .

وكان أبو عامر قد حلف لِيَرَكُزَنَ رُمَحَهُ فِي أَصْلِ مُزَاحِمِ أَطْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به ، وكانت تحت أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن أبي ، وهي أم حنظلة الغسيل بن أبي عامر ، فأشرف عليهم عبد الله ، فقال : إِنِّي وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَا كَانَ عَنْ رَأْيِي ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ كِرَاهَتِي لَهُ ، فَانصَرَفُوا عَنِّي . فقال أبو عامر : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَنْصَرِفُ حَتَّى أُرَكُزَ لِوَاثِي فِي أَصْلِ أَطْمِكَ .

فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف ، قال لهم : إِنَّ أَبِي شَدِيدُ الْوَجْدِ بِي ، فَأَشْرَفُوا بِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَوْلُوا : وَاللَّهِ لَعَنَ لَمْ تَنْصَرِفْ عَنَّا لَنَرِمَنَّ بِرَأْسِهِ إِلَيْكَ . فقالوا ذلك له ، فركز رُمَحَهُ فِي أَصْلِ الْأَطْمِ لِيَمِينِهِ¹ ثُمَّ انصرفت ، فذلك قول قيس بن الخطيم² : [من الطويل]

صَبَحْنَا بِهِ الْأَطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ قَوَانِسُ أُولَى يَبْضُنَا كَالْكَوَاكِبِ³

وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذٍ مخلد بن الصامت الساعدي أبا مسلمة بن مخلد ، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَيْنَةٍ وَمِنْ يَهُودَ ، فقالوا : اقْتُلْهُ ، فَأَبَى ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَسْرْتُ مَخْلَدًا فَعَفَوْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ صَالِحُ مَا أَتَيْتُ
مُزَيْنَةَ عِنْدَهُ وَيَهُودَ قَوْرَى وَقَوْمِي كُلُّ ذَلِكَ كَفَيْتُ

[رثاء حضير الكتائب]

وقال خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ ، يَرِثُنِي حُضَيْرُ الْكَتَائِبِ ، وَكَانَ نَدِيمَهُ وَصَدِيقَهُ : [من الطويل]

لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا حِدَنَ عَنْ ذِي مَهَابَةٍ لَهَبْنُ حُضَيْرًا يَوْمَ أَغْلَقَ وَأَقَامَ⁴

1 ليمينه : أي ليمر يمينه .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 86 .

3 القوانس : جمع قونس ، وهو الجزء النائي في أعلى البيضة .

4 ديوان خفاف : 72-73 . وواقم : أطم بالمدينة .

أطاف به حتى إذا الليلُ جَنَّهُ تَبَوَّأَ مِنْهُ مَنْزَلاً مُتَّعِماً¹

وقال أيضاً يرثيه² : [من المتقارب]

أتاني حديثٌ فكذَّبْتُهُ وقيل : خَلِيلُكَ فِي الْمَرْمَسِ³
فيا عين بَكِّي حُضِيرَ النَّدى حُضِيرَ الْكَتَائِبِ وَالْمَجْلَسِ
ويومٍ شديدٍ أوارِ الحديدِ تَقَطَّعُ مِنْهُ عُرَى الْأَنْفُسِ
صَلَّيْتَ بِهِ وَعَلَيْكَ الْحَدِيدِ إِذْ مَا يَبِينُ سَلْعٌ إِلَى الْأَعْرُسِ
فَأَوْدَى بِنَفْسِكَ يَوْمَ الْوَعَى وَنَقَّى ثِيَابَكَ لَمْ تَدْنَسِ

[وصف امرأة خفيرة]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار ، قال : حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَمِيلٍ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ : قَالَ لِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ ، فَقَالَ لَنَا : وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ ، عَنِ النَّوْشَجَانِيِّ ، عَنِ الْعَمْرِيِّ ، عَمَّ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، قَالَ : قَالَ لَنَا صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ . وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْأَخْفَشُ عَنْ الْمُبَرِّدِ ، قَالَ : قَالَ لِي صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ : أَنْشِدُونِي بَيْتاً خَفِيراً فِي امْرَأَةٍ خَفِيرَةٍ شَرِيفَةٍ ، فَقُلْنَا : قَوْلُ حَاتِمٍ⁴ : [من الطويل]

يُضِيءُ لَهَا الْبَيْتُ الظَّلِيلُ خَصَاصُهُ إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَبَسُّمًا

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسنَ من هذا . قلنا : قَوْلُ الْأَعَشَى⁵ : [من البسيط]

كَأَنَّ مَشْيَتَهَا مِنْ يَبْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

فقال : هذه خَرَّاجَةٌ وَلَاجَةٌ كَثِيرَةُ الْاِخْتِلَافِ . قلنا : بَيْتُ ذِي الرُّمَّةِ⁶ : [من الطويل]

تَنَوَّهَ بِأَخْرَاهَا فَلَأَيًّا قِيَامُهَا وَتَمَشَّى الْهُوَيْنَا مِنْ قَرِيبٍ فَتُبْهَرُ

فقال : هذا ليس ما أردت ، إِنَّمَا وَصَفَ هَذِهِ بِالسَّمَنِ ، وَثَقُلَ الْبَدَنُ . فَقُلْنَا : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ . فقال : قَوْلُ أَبِي قَيْسٍ بْنِ الْأَسْلَتِ⁷ . [من الطويل]

1 متناعم : مفضل .

2 ديوان خفاف : 70-71 .

3 المرمس : موضع القبر .

4 ديوان حاتم (صادر) : 80 .

5 ديوان الأعشى (صادر) : 144 .

6 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 227 .

7 معاهد التنصيص 2 : 27 .

ويكرّمها جاراتها فيزرنها وتَعْتَلُّ عن إتيانِهِنَّ فتُعْذِرُ
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها مِنْهُنَّ تحيا وتخفرُ

[أحسن ما وصفت به الثريا]

ثم قال : أنشدوني أحسن بيتٍ وُصِفَتْ به الثريا . قلنا : بيت ابن الزبير
الأسدي :

وقد لاح في القُورِ الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطَّعَنِ
قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس¹ :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرضَ أثناء الوشاح المُفَصَّلِ
قال : أريد أحسنَ من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جُمانٌ وهى مِنْ سِلْكِهِ فتسرعا
قال : أريد أحسنَ من هذا . قلنا : ما عندنا شيء . قال : قول أبي قيس بن
الأسلت² :

وقد لاح في الصُّبحِ الثريا لَمَن رأى كعنقود مُلأحيّة حين نوراً³

قال : فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدّم .

[عبد الملك يستشهد بشعر ابن الأسلت]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الحسين بن أحمد بن طالب الديناريّ ، قال :
حدّثني أبو عدنان ، قال : حدّثني الهيثم بن عديّ ، قال : حدّثني الضحاك بن زُمَيْلَ
السُّكسكيّ ، قال : لما قتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزبير خطب الناس بالنُّخيلة ،
فقال في خطبته : أيُّها الناس ، دَعُوا الأهواءَ المرديةَ المُضِلَّةَ ، والآراءَ المتشّتةَ ، ولا تكلّفونا
أعمالَ المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ؛ فقد جاريتُمونا إلى السيف ، فرأيتم كيف صنَعَ اللهُ
بكم ، ولا أعرفنكم بعد الموعظةَ تزدادونَ جرأةً ؛ فإنّي لا أزداد بعدها إلاّ عقوبةً ، وما مثلي
ومثلكم إلاّ كما قال أبو قيس بن الأسلت⁴ :

1 ديوان امرئ القيس (صادر) : 39 .

2 معاهد التنصيص : 2 : 26 .

3 الملاحية : ضرب من نبات الحمض .

4 معاهد التنصيص : 27 .

مَنْ يَصْلُ نَارِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا تِرَةٍ يَصْلُ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرَ غَدَارٍ
 أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِنِّي مُجَاهِرَةٌ كَيْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَعَذَارٍ
 فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فَاعْتَرَفُوا أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيًا ظَاهِرَ الْعَارِ
 لَتَتَرَكُنَّ أَحَادِيثًا مُلْعَنَةً عِنْدَ الْمَقِيمِ وَعِنْدَ الْمَذْلُجِ السَّارِي
 وَصَاحِبِ الْوِثْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ مُدْرِكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لَطَلَّابٌ لِأَوْتَارِ
 أَقِيمُ عَوَجَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عَوَجٍ كَمَا يَقُومُ قَدَحُ النَّبْعَةِ الْبَارِي

صوت

[من الوافر]

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمَنِيرُ لَعَلَّكَ أَنْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
 يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
 أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرُ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسَّرُورُ
 تَنَعَّمْتَ الْعَجَابِيرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخُورَنَقُ وَالسَّيْدِيرُ
 الشعر لامرأة من كندة ترثي حُجْرَ بنِ عَدِيٍّ صاحب أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب
 صلواتُ الله عليه . والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى ، وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى
 عن ابن المكيِّ والهشامي .

[351] - خبر مقتل حجر بن عدي¹

[يستكر ذم علي ولعنه]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : حدَّثنا أبو مخنف ، قال : حدَّثنا خالد بن قطن ، عن المجالد بن سعيد الهمداني ، والصقعب بن زهير ، وفُضيل بن خديج ، والحسن بن عُقبة المرادي ، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرة ؛ تحرّزاً من الإطالة : أنَّ المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقومُ على المنبر فيذمُّ عليَّ بنَ أبي طالب وشيعته ، وينال منهم ، ويلعن قتلةَ عثمان ، ويستغفر لعثمانَ ويزكِّيه ، فيقوم حجر بن عدي فيقول : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ ، وإني أشهد أنَّ مَنْ تَذمَّونَ أحقُّ بالفضل ممَّن تطرُّونَ ، ومَنْ تزكَّونَ أحقُّ بالذمِّ ممَّن تعيبون . فيقول له المغيرة : يا حجر ، ويحك ! اكفِّف من هذا ، واتَّقِ غَضَبَ السلطان وسَطوَتَه ؛ فإنَّها كثيراً ما تقتل مثلك . ثم يكفُّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر ، فنال من عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولعنه ، ولعن شيعته ، فوثب حجر فعرَّ نكرةً أسمعَتْ كلَّ مَنْ كان في المسجد وخارجه . فقال له : إنَّك لا تدري أيُّها الإنسان بمن تولَّع ، أوْ هَرِمْتَ ! مرُّ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا ؛ فإنَّك قد حبَسَتْها عنَّا ، ولم يكن ذلك لك ولا لِمَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولعاً بذمِّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه أكثرُ من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حجر ! مرُّ لنا بأعطياتنا ؛ فإنَّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يُجدي علينا . وأكثرُوا في ذلك .

[قوم المغيرة بلومونه في صبره عليه]

فنزل المغيرة ودخل القصر ، فاستأذن عليه قومه ، ودخلوا ولاموه في احتماله حجرًا ؛ فقال لهم : إنِّي قد قتلته . قالوا : وكيف ذلك ! ؟ قال : إنَّه سيأتي أميرٌ بعدي فيحبسه مثلي فيصنع به شبيهاً بما تزونه ، فيأخذه عند أوَّل وهلة فيقتله شرَّ قتلة . إنَّه قد اقترب أجلي ، وضعف عملي ، وما أحبُّ أن أبتدىء أهلَ هذا المِصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ،

1 خبر مقتل حجر بن عدي في تاريخ الطبري : حوادث سنة 51 وطبقات ابن سعد 6 : 217-220 .

ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جرّبوا العمّال .
قال الحسن بن عقبة : فسمعتُ شيخاً من الحبيّ يقول : قد والله جرّبتناهم فوجدناه
خيرهم .

[زياد يذكره بصداقته ويحذّره]

قال : ثم هلك المغيرة سنة خمسين ، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد ، فدخلها ، ووجّه
إلى حُجر فجاءه ، وكان له قبل ذلك صديقاً ، فقال له : قد بلغني ما كنتَ تفعله بالمغيرة
فيحتمله منك ؛ وإني والله لا أحتِمُلكَ على مثل ذلك أبداً . رأيت ما كنت تعرفني به من حُبِّ
عليٍّ ووُدّه ، فإنَّ الله قد سلخه من صدري فصيرهُ بُغْضاً وعداوة ، وما كنت تعرفني به من
بُغْضِ معاوية وعداوته فإنَّ الله قد سلخه من صدري وحوّله حُبّاً وموَدّة ؛ وإني أخوك الذي
تعهّد ، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي ، وإذا أتيت ولم أجلس للناس
فاجلس حتى أخرج إليك ، ولكَ عندي في كلِّ يوم حاجتان : حاجة غُدوة ، وحاجة عشيّة .
إنَّكَ إن تستقيمَ تسلمَ لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخذَ يميناً وشمالاً تهلكَ نفسُك وتُشطَّ¹
عندي دمك . إني لا أحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة ، ولا آخذ بغير حُجّة ، اللهم اشهد . فقال
حُجر : لن يرى الأميرُ مني إلا ما يحبُّ ، وقد نصح ، وأنا قابلٌ نصيحته .

ثم خرج من عنده ، فكان يتقيّه ويهابه ، وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضّله ، والشيعّة
تختلفُ إلى حُجر وتسمعُ منه .

وكان زياد يشتو بالبصرة ، ويصيفُ بالكوفة ، ويستخلفُ على البصرة سُمرة بن جندب ،
وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيْث ، فقال له عُمارة بن عُقبة : إنَّ الشيعّة تختلفُ إلى حُجر ، وتسمعُ
منه ، ولا أراه عند خروجك إلاّ نائراً . فدعاه زياد فحذّره ووعظه . وخرج إلى البصرة ،
واستعمل عمرو بن حُرَيْث ، فجعلت الشيعّة تختلفُ إلى حُجر . ويجيء حتى يجلس في
المسجد فتجتمع إليه الشيعّة ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نصفه ، وتطيف بهم النظّارة ، ثم
يمتلئ المسجد ، ثم كثروا ، وكثُر لغَطُهم ، وارتفعت أصواتهم بدمٍ معاوية وشتيمه ونقص
زياد . وبلغ ذلك عمرو بن حُرَيْث ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهلِ المِصرِ فحثّهم على
الطاعة والجماعة ، وحذّرهم الخلافَ ؛ فوثب إليه عُتْق² من أصحاب حُجر يكبرون
ويشتمون ، حتى دنوا منه ، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه ،

1 أشاط بدمه : عرض نفسه للقتل .

2 عنق : جماعة من الناس .

وكتب إلى زياد بالخبر ، فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك¹ : [من الطويل]
 فلما غدوا بالعرض قال سراتنا : علام إذا لم نمنع العرض نزرع²
 ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر ، وأدعه نكالا لمن بعده ، ويل أمك حجر ! لقد
 سقط بك العشاء على سرحان³ .

ثم أقبل حتى أتى الكوفة ، فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قباء سندس ، ومطرف خز
 أخضر ، وحجر جالس في المسجد ، وحوله أصحابه ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحذر
 الناس ، ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط : اذهب فائتني بحجر ، فذهب إليه
 فدعاه ، فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة . فسبوا الشرط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ،
 فقال : يا أشراف أهل الكوفة : أتشجون بيدي وتأسون بأخرى ؟
 [استعداء زياد أشراف الكوفة عليه]

أبدانكم عندي ، وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب⁴ . أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم
 وعشيرتكم مع حجر ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا
 طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به . قال : ليقيم كل
 امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر ، فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن
 يطيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يقيمون عنه أصحابه
 حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم .

فلما رأى زياد خيفة أصحابه قال لصاحب شرطته : اذهب فائتني بحجر ، فإن تبعك
 وإلا فمر من معك أن يتزعموا عمد السيوف ، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به ، ويضربوا من
 حال دونه .

[أصحاب حجر يمنعونهم من الذهاب]

فلما أتاه شداد قال له : أجب الأمير ، فقال أصحاب حجر : لا والله ولا نعمة عين ، لا
 يجيبه . فقال لأصحابه : علي بعمد السيوف ، فاشتدوا إليها ، فأقبلوا بها ، فقال عمير بن زيد

1 ديوان كعب بن مالك : 59 .

2 فلما غدوا في الديوان : ولما ابتنوا . العرض : الوادي .

3 المثل «سقط العشاء به على سرحان» في مجمع الميداني 1 : 328 وفصل المقال : 362 ومستقصى الزمخشري

2 : 119 وجمهرة العسكري 1 : 514 .

4 الهجاجة : الأحق . والمذبوب : المطرود .

الكلبيّ أبو العَمَرَّة : إنه ليس معك رجلٌ معه سيفٌ غيري ، فما يُغني سيفي ! قال : فما ترى ؟ قال : قُم من هذا المكان ، فالحقُّ بأهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المنبر إليهم فغشوا حُجْرًا بالعمد ، فضرب رجلٌ من الحمراء يقال له : بَكْر بن عُبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بِعُمود فوقع .

[تواري حجر في منازل الأزد]

وأناه أبو سفيان بن العُؤيمر والعَجْلان بن ربيعة ، وهما رجلان من الأزد ، فحملاه ، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها . [الثار لعمر بن الحمق]

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن زياد ، عن عُبيد الله بن عَوْف ، قال : لما انصرفنا عن غزوة باجَمِير¹ قَبْل قتل عبد الملك مُصعباً بعام ، فإذا أنا بالأحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسأِرُنِي ؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم ، وما كنتُ أرى لو رأيته أن أعرفه ، فلما رأيته ظننته هو هو ، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت ضارب عمرو بن الحَمِق ، فيكابرني ؟ فقلتُ له : ما رأيْتُك منذ اليوم الذي ضربتَ فيه رأسَ عمرو بن الحَمِق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يَومِي ، ولقد عرفتك الآن حين رأيْتُك .

فقال لي : لا تَعُدْ بصرك ، ما أثبتَ نظرك ! كان ذلك أمر السلطان² أما والله لقد بلغني أنه قد كان امرءاً صالحاً ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فاستغفر الله . فقلتُ له : الآن ترى ، لا والله لا أفترقُ أنا وأنت حتى أضربَكَ في رأسِكَ مِثْلَ الضربة التي ضربتها عمرو بن الحَمِق وأموت أو تموت .

قال : فناشدني وسألني بالله . فأبيتُ عليه ، ودعوتُ غلاماً يدعى رُشيداً من سبي أصبهان معه قنّاة له صلبة ، فأخذتها منه ثم أحمل عليه ، فنزل عن دأْبِيهِ ، فألحقه حين استوتَ قَدَمَاهُ على الأرض ، فأصْفَقُ بها هامته ، فخرَّ لوجْهه ، وتركته ومضيت ، فبرأ بعد ذلك . فلقيته مرّتين من دهري ، كلُّ ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول له : الله بينك وبين عمرو بن الحَمِق .

1 باجميري : موضع قرب الموصل .

2 ل : الشيطان .

رجع الحديث إلى سياقه الأول

قال : فقال زياد ، وهو على المنبر : لتَقُمْ هَمْدَان وتميم وهوازن وأبناء بَغِيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتُوا جَبَانَةَ كِنْدَةَ ، وليمضوا من ثَمَّ إلى حُجْر ، فليأتوني به . ثم كره أن تسير مُضَرَّ مع اليمن ، فيقع شُغْبٌ واختلافٌ ، أو تنشب الحمية فيما بينهم . فقال : لتَقُمْ تميم وهوازن وأبناء بَغِيض وأسد وغطفان ، ولتَمُضْ مذحج وهَمْدَان إلى جَبَانَةِ كِنْدَةَ ، ثم ليمضوا إلى حُجْر فليأتوني به ، وليُسِرَّ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جَبَانَةَ الصيداويين¹ ، وليَمُضُوا إلى صاحبهم فليأتوني به .

فخرجت الأزْد وبَجِيلَة وخثعم والأنصار وقُضَاعَة وخُرَاعَة ، فنزلوا جَبَانَةَ الصيداويين ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِنْدَةَ .

[مشورة عبد الرحمن بن مخنف]

قال أبو مخنف : فحدثني سعيد بن يحيى² بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مَخْنَف : أنا مُشِيرٌ عليكم برأي ، فإن قَبِلْتُمُوهُ رَجَوْتُ أَنْ تَسْلَمُوا مِنَ اللَّائِمَةِ وَالْإِثْم : أَنْ تُلَبُّوا قَلِيلًا حتى تكفيكم عَجَلَةٌ في شباب مَذْحِج وهَمْدَان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم .

فأجمع رأيهم على ذلك ، فلا والله ما كان إلا كَلَا ولا³ حتى أتينا فقيلا لنا : إن شباب مذحج وهَمْدَان قد دخلوا ، فأخذوا كل ما وجدوا في بني بَجِيلَة .

[حجر يصرف أصحابه]

قال : فمرَّ أهلُ اليمن على نواحي دور كِنْدَةَ مُعَذَّرِينَ ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مَذْحِج وهَمْدَان ، وذمَّ أهلَ اليمن . فلما انتهى حُجْرٌ إلى دارِهِ ورأى قَلَّةً مَن معه قال لأصحابه : انصرفوا ، فوالله مالكم طاقةً بَمَن اجتمع عليكم من قومكم ، وما أُحِبُّ أَنْ أُعَرِّضَكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدَان ، فعطف عليهم عُمَيْرُ بن يزيد ، وقيس بن يزيد ، وعبيدة بن عمرو ، وجماعة ، فتقاتلوا معهم ؛ فقاتلوا عنه ساعةً فحُجِرُوا ، وأسير قيس بن يزيد ، وأفَلَّتْ سائرُ القوم ، فقال لهم حُجْر : لا أبا لكم ! تفرقوا لا

1 بنو الصيداويين : حي من أسد . وفي الطبري : الصائدين .

2 الطبري : يحيى بن سعيد .

3 كَلَا ولا : مدة قصيرة .

تَقْتَلُوا ؛ فَإِنِّي آخِذٌ فِي بَعْضِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ¹ .

[من دار سليمان بن يزيد إلى دور بني العنبر]

ثم أخذ نحو طريق بني حَرْب من كِنْدَةَ ، حتى أَتَى دَارَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ يَزِيدَ ، فَدَخَلَ دَارَهُ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فِي طَلْبِهِ ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى تِلْكَ الدَّارِ ، فَأَخَذَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَزِيدَ سَيْفَهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ ، فَبَكَتْ بَنَاتُهُ ، فَقَالَ لَهُ حُجْرٌ : مَا تَرِيدُ ؟ لَا أَبَا لَكَ ! فَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ وَاللَّهِ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْكَ ؛ فَإِنْ فَعَلُوا وَإِلَّا ضَارَبْتُهُمْ بِسَيْفِي هَذَا مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدَيِ دُونِكَ . فَقَالَ لَهُ حُجْرٌ : بَسْ وَاللَّهِ إِذَنْ مَا دَخَلْتَ بِهِ عَلَى بَنَاتِكَ ! أَمَا فِي دَارِكَ هَذِهِ حَائِطٌ أَقْتَحِمُهُ أَوْ خَوْخَةً ² أَخْرُجُ مِنْهَا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْلُمَنِي مِنْهُمْ وَيَسْلُمَكَ ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيَّ فِي دَارِكَ لَمْ يَضُرَّكَ أَمْرُهُمْ . قَالَ : بَلَى ، هَذِهِ خَوْخَةٌ تَخْرِجُكَ إِلَى دَوْرِ بَنِي الْعَنْبَرِ مِنْ كِنْدَةَ ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَتِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ يَقْصُونَ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَيَسْلُكُونَ بِهِ الْأَرْقَةَ ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى النَّخْعِ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : انْصَرِفُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ .

[يهرب إلى دار ربيعة بن ناجذ]

فانصرفوا عنه ، وَأَقْبَلَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَخِي الْأَشْتَرِ ، فَدَخَلَهَا ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ قَدْ أَلْقَى لَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْفَرَشَ ، وَبَسَطَ لَهُ الْبَسْطَ ، وَتَلَقَّاهُ بِيَسْطَرِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْبِشْرِ إِذْ أَتَى فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشُّرْطَ تَسْأَلُ عَنْكَ فِي النَّخْعِ وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّةً سُودَاءَ يُقَالُ لَهَا أَدْمَاءُ لَقَبَتَهُمْ فَقَالَتْ لَهُمْ : مَنْ تَطْلُبُونَ ؟ قَالُوا : نَطْلُبُ حُجْرًا ، فَقَالَتْ : هُوَ ذَا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي النَّخْعِ ، فَانْصَرَفُوا نَحْوَ النَّخْعِ ؛ فَخَرَجَ مُتَنَكِّرًا ، وَرَكَبَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَيْلًا حَتَّى أَتَى دَارَ رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِذِ الْأَزْدِيِّ ، فَنَزَلَ بِهَا ، فَمَكَثَ يَوْمًا وَلَيْلَةً .

[زياد يطلب حجرًا من عمد]

فَلَمَّا أَعْجَزَهُمْ أَنْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ دَعَا زِيَادُ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِحُجْرٍ أَوْ لَا أَدْعُ لَكَ نَخْلَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا ، وَلَا دَارًا إِلَّا هَدَمْتُهَا ، ثُمَّ لَا تَسْلِمُ مِنِّي بِذَلِكَ حَتَّى أَقْطَعَكَ إِرْبًا إِرْبًا . فَقَالَ لَهُ : أَمَهْلَنِي أَطْلُبُهُ . قَالَ : قَدْ أَمَهْلْتُكَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ جِئْتَ بِهِ وَإِلَّا فَاْعِدْذُ نَفْسَكَ مِنَ الْهَلَكِيِّ . وَأَخْرَجَ مُحَمَّدٌ نَحْوَ السَّجْنِ وَهُوَ مُتَقَعُّ اللَّوْنِ يُتَلُّ تَلًّا عَنِيفًا ³ . فَقَالَ حَجْرُ بْنُ يَزِيدَ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي مَرَّةَ لَزِيَادَ : ضَمَنْتِي وَخَلَّ سَبِيلَهُ لِيَطْلُبَ صَاحِبَهُ ، فَإِنَّهُ مَخْلُ سِرْبِهِ أُخْرَى أَنْ

1 ل : السكك .

2 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

3 تله : صرعه أو ألقاه على وجهه .

يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . قال : أتضمنه لي ؟ قال : نعم . قال : أما والله لئن حاصَ عنك لأوردنك شعوب¹ ، وإن كنت الآن عليّ كريماً . قال : إنه لا يفعل . فخلّى سبيله .

ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد ، وقد أتى به أسيراً ، فقال : ما عليه من بأس ، قد عرفنا رأيَه في عثمان رضي الله عنه ، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصيفين ؛ ثم أرسل إليه فأتى به ، فقال : قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حُجر أنك ترى رأيَه ، ولكن قاتلتَ معه حميةً ، وقد غفرنا لك لما نَعَلَمُه من حُسْنِ رأيك ، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير . قال : آتيك به إن شاء الله . قال : هاتِ مَنْ يضمنه معك . قال : هذا حُجر بن يزيد . قال حُجر : نعم ، على أن تؤمّنه على ماله ودمه . قال : ذلك لك .

فانطلقا فأتيا به ، فأمر به فأوقر حديداً ، ثم أخذته الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سرّرها ألّقوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه فألقوه ، ففعل به ذلك مراراً . فقام إليه حُجر بن يزيد ، فقال : أو لم تؤمّنه ؟ قال : بلى ، لستُ أهرق له دماً ، ولا آخذُ له مالاً . فقال : هذا يُشقي به على الموت .

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أَهْلِ اليَمَن ، فكلّموه فيه ، فقال : أتضمنونه لي بنفسه متى أخذتُ حَدَثاً أتيتموني به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيله .

ومكث حُجرٌ في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة ، ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاماً يُدعى رُشيداً مِنْ سَبْيِ أصبهان ، فقال له : إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد ، فلا يهولنك شيء من أمره ؛ فإنني خارج إليك ، فاجتمع نفرًا مِنْ قَوْمِكَ ، وادخلْ عليه ، واسأله أن يؤمّنني حتى يعثني إلى معاوية ، فيرى في رأيَه .

[زياد يأمر بحبسه]

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد ، وجريز بن عبد الله ، وعبد الله أخِي الأَشتر ، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر ، فأجاب ، فبعثوا إليه رسولاً يُعَلِّمُونَهُ بذلك . فأقبل حتى دخل على زياد ، فقال له : مَرَحَباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرَبٌ في أَيَّامِ الحرب ، وحَرَبٌ وقد سالم الناس ! «على نَفْسِهَا تَجْنِي بَرَأِش»² . فقال له : ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ ، ولا

1 حاص : حاد . وشعوب : المنية .

2 المثل «على أهلها (نفسها) تجني براقش» في مجمع الميذان 2 : 14 وفصل المقال : 459 وجمهرة العسكري 2 : 52 ومستقصى الزمخشري 2 : 165 . وفي براقش أقوال كثيرة منها أنها كلبة أو أنها امرأة كانت لبعض الملوك أو أنها امرأة لقمان بن عاد .

فَارَقْتُ جَمَاعَةً ، وَإِنِّي لَعَلِي بَيِّعْتَنِي . فَقَالَ : هِيَهَات يَا حُجْرُ ، أَتَشَجُّ بِيَدِي وَتَأْسُو بِأُخْرَى ، وَتَرِيدُ إِذَا أَمَكُنَّا اللَّهُ مِنْكَ أَنْ نَرْضَى ! هِيَهَات وَاللَّهِ ! فَقَالَ : أَلَمْ تَوْمَنِي حَتَّى آتَى مَعَاوِيَةَ ، فِيرَى فِي رَأْيِهِ . قَالَ : بَلَى ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى السَّجَن .

[زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر]

فَلَمَّا مُضِي بِهِ قَالَ : أُمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أُمَانُهُ مَا بَرَحَ حَتَّى يُلْقَطَ عَصْبُهُ ¹ . فَأُخْرِجَ وَعَلِيهِ بَرْنَسٌ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ، فَحَبِسَ عَشْرَ لَيَالٍ ، وَزِيَادٌ مَا لَهُ عَمَلٌ غَيْرَ الطَّلَبِ لِرُؤُوسِ أَصْحَابِ حُجْرٍ .

فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ حَتَّى نَزَلَا الْمَدَائِنَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَا حَتَّى آتَيَا الْمَوْصِلَ ، فَاتَيَا جَبَلًا فَكَمْنَا فِيهِ ، وَبَلَغَ عَامِلَ ذَلِكَ الرُّسْتاق ² ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، خَبَرُهُمَا ، فَسَارَ إِلَيْهِمَا فِي الْخَيْلِ ، وَمَعَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمَا خَرَجَا ، فَأَمَّا عَمْرُو فَكَانَ بَطْنُهُ قَدْ اسْتَسْقَى ³ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ امْتِنَاعٌ . وَأَمَّا رِفَاعَةُ فَكَانَ شَابًّا قَوِيًّا فَوُتِبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ جَوَادٌ ، وَقَالَ لَعَمْرُو : أَقَاتِلْ عَنْكَ . قَالَ : وَمَا يَنْفَعُنِي أَنْ تُقَاتِلَ ؟ أَنْجُ بِنَفْسِكَ ، فَحَمِلَ عَلَيْهِم ، فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ فَرَسَهُ ، وَخَرَجَتْ الْخَيْلُ فِي طَلَبِهِ ، وَكَانَ رَامِيًّا فَلَمْ يَلْحَقْهُ فَارِسٌ إِلَّا رَمَاهُ ، فَجَرَحَهُ أَوْ عَقَرَهُ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ؛ فَأُخِذَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ ، فَسَأَلُوهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مَنْ إِنْ تَرَكَتُمُوهُ كَانَ أَسْلَمَ لَكُمْ ، وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ كَانَ أَضَرَّ عَلَيْكُمْ . فَسَأَلُوهُ فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ ، الثَّقَفِيُّ ، فَلَمَّا رَأَى عَمْرًا عَرَفَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِخَبَرِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ طَعَنَ عُثْمَانَ تِسْعَ طَعْنَاتٍ ، وَإِنَّهُ لَا يُتَعَدَّى عَلَيْهِ ، فَاطْعَنَهُ تِسْعَ طَعْنَاتٍ كَمَا طَعَنَ عُثْمَانَ .

[رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية]

فَأُخْرِجَ فَطْعَنَ تِسْعَ طَعْنَاتٍ ، فَمَاتَ فِي الْأَوَّلَى مِنْهُنَّ أَوْ فِي الثَّانِيَةِ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ؛ فَكَانَ رَأْسُهُ أَوَّلَ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ ⁴ .

وَجَدَّ زِيَادٌ فِي طَلَبِ أَصْحَابِ حُجْرٍ وَهُمْ يَهْرَبُونَ مِنْهُ ، وَيَأْخُذُ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ . فَجَاءَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ امْرَأَةً مَنَا يُقَالُ لَهُ صَيْفِيُّ بْنُ فَسِيلٍ ، مِنْ رُؤُوسِ

1 أي حتى يقتل .

2 الرستاق : الناحية في طرف الإقليم .

3 استسقى : أصابه مرض السقي وهو تجمع الماء في البطن .

4 تقدم أن عمرو بن الحمق مات من ضربة عمود .

أصحاب حُجْر ، وهو أشدُّ الناس عليك ؛ فبعث إليه فأتني به ، فقال له زياد : يا عدوَّ الله ، ما تقولُ في أبي تُراب ؟ فقال : ما أعرفُ أبا تُراب ، قال : ما أعرفُك به ! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب ! قال : بلى ، قال : فذاك أبو تُراب ؛ قال : كلا ، فذاك أبو الحسن والحسين . فقال له صاحب الشرطة : أيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقولُ أنت : لا ! قال : أفإن كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذنبك ، عليَّ بالعِصي فأتني بها ، فقال : ما قولُك في عليٍّ ؟ قال : أحسنُ قولٍ أنا قائلُه في عبْدٍ من عبِيد الله أقوله في أمير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقَه بالعِصي حتى يلصقَ بالأرض ، فضُربَ حتى لصقَ بالأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شرَّحتني بالمُدَى ، والمَواسي ما زِلْتُ عَمَّا سمعت . قال : لتلعننه أو لأضربنَّ عنقك . قال : إذاً والله تضربها قبل ذلك ، فأسعد وتَشقى إن شاء الله ؛ قال : أوقروه حديداً واطرَحوه في السجن .

[شهادة رؤوس الأرباع على حجر وأصحابه]

وجمع زياد من أصحاب حُجْر بن عديٍّ اثني عشر رجلاً في السجن ، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم ، فحضرُوا ، وقال : اشْهَدُوا على حُجْر بما رأيتموه ، وهم عَمْرُو بن حُرَيْث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى . فشهدوا أنَّ حجراً جمع إليه الجموعَ ، وأظهر شتمَ الخليفة ، وعَيَّبَ زياد ، وأظهر عَذْرَ أبي تُراب والترحُّمَ عليه ، والبراءةَ مِنْ عدوِّه ، وأهلِ حَرْبِه ، وأنَّ هؤلاء الذين معه رؤوسُ أصحابه ، وعلى مثل رأيه .

فنظر زياد في الشهادة فقال : ما أَظُنُّ هذه شهادة قاطعة ، وأحِبُّ أن يكونَ الشهود أكثرَ من أربعة .

فكتب أبو بُرْدَة بن أبي موسى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبي موسى لله ربِّ العالمين ، شهد أنَّ حُجْر بن عديٍّ خلع الطاعةَ ، وفارق الجماعةَ ، ولعن الخليفةَ ، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتنة ، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نكثِ البيعة ، وخَلَعَ أمير المؤمنين معاويةَ ، وكفر بالله كُفْرَ صُلعاء» .

فقال زياد : على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا ، والله لأجهدنَّ في قَطْعِ عُنُقِ الخائن الأحمق ، فشهد رؤوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْلِ ذلك ، ثم دعا الناسَ ، فقال : اشهدوا على مِثْلِ ما شهد عليه رؤوسُ الأرباع .

فقام عثمان بن شرحبيل التيمي أول الناس ، فقال : اكتبوا اسمي . فقال زياد : ابدؤا بقريش ، ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعمارة بن عقبة ، وعبد الرحمن بن هبار ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وشهد عنان ، ووائل بن حُجر الحضرمي ، وضرار بن هُبيرة ، وشَداد بن المنذر أخو الحُضَيْن بن المنذر ، وكان يُدعى ابن بُزَيْعة .

فكتب شَداد بن بُزَيْعة ، فقال : أما لهذا أب يُنسب إليه ، أَلغوا هذا من الشهود . فقليل له : إنه أخو الحُضَيْن بن المنذر ، فقال : انسبوه إلى أبيه ، فُنسب ، فبلغ ذلك شَداداً ، فقال : والهِفاه على ابن الزانية ؟ أوليست أمه أعرف من أبيه ؛ فوالله ما يُنسب إلا إلى أمه سُمَيَّة .

وشهد حَجَّار بن أبجر العجلي ، وعَمْرُو بن الحجاج ، ولبيد بن عَطارد ، ومحمد بن عمير بن عطار ، وأسماء بن خارجة ، وشمر بن ذي الجَوْشَن ، وزحر بن قيس الجعفي ، وشَبَث بن رُبَيْع ، وسِمَاك بن مَخْرَمَةَ الأَسديّ صاحب مسجد سَمَاك ، ودعا المختار بن أبي عُبَيْد ، وعُرْوَةُ بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا ، وشهد سبعون رجلاً . ودفع ذلك إلى وائل بن حُجر ، وكثير بن شهاب ، وبعثهما عليهم وأمرهما أن يخرجوه .

وكتب في الشهود شريح بن الحارث ، وشريح بن هانئ . فأما شريح بن الحارث فقال : سألني عنه فقلت : أما إنه كان صَوَّاماً قَوَّاماً . وأما شريح بن هانئ فقال : بلغني أن شهادتي كُتبت فأكذبتُه ، ولُمْتُه .

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأخرجوا القومَ عَشِيَّةً ، وسار معهم أصحابُ الشرط حتى أخرجوهم ، فلما انتهوا إلى جَبَّانة عَرَزَم¹ نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره في جَبَّانة عَرَزَم ، فإذا بَنَاتُه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : أذنباني أوصِر أهلي ، فأذنباه . فلما دنا منهم بكَيْنَ ، فسكت عنهن ساعة ثم قال : اسكنن ، فسكنن ، فقال : اتقين الله واصبرن ، فإني أرجو من ربي في وجهي هذا خيراً : إحدى الحسينين ؛ إِمَّا الشهادة فنعم سعادة ، وإِمَّا الانصراف إليكن في عافية ؛ فَإِنَّ الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤتكن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا يموت ، وأرجو ألا يضيعكن ، وأن يحفظني فيكن . ثم انصرف ، فجعل قومه يدعون له بالعافية .

1 عرزم : جبانة في الكوفة .

وجاء شريح بن هانئ بكتاب ، فقال : بلغوا هذا عني أمير المؤمنين ، فتحملّه وائل بن حجر .

ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مَرَجِ عَذْرَاء¹ ، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق ، وهم : حُجْر بن عديّ الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل الشيبانيّ ، وقبيصة بن ضبيعة العبسيّ ، وكريم بن عفيف الخثعميّ ، وعاصم بن عوف البجليّ ، ووزقاء بن سُميّ البجليّ ، وكِدّام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسان العنزيّان ، ومحرز بن شهاب المنقريّ ، وعبد الله بن جُوَيّة التميميّ ، وأتبعهم زياد برجلين ، وهما عتبة بن الأحنس السعديّ ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ الناعطيّ ، فكانوا أربعة عشر .

[كتاب زياد إلى معاوية]

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجْر وكثير ، فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، وقرأه على أهل الشام :

«بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، من زياد بن أبي سفيان .

أما بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأدّاه من عدوّه ، وكفاه مؤونة مَنْ بَغى عليه ، إنّ طواغيت² الترابيّة السّابة رأسهم حُجْر بن عديّ ، خلَعُوا أمير المؤمنين ، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبُوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم ، وأمکننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوي النّهي والدين ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبْتُ شهادةً صلحاء أهلِ المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا . فلما قرأ الكتاب قال : ما ترون في هؤلاء ؟ فقال يزيد بن أسد البجليّ : أرى أنّ تفرّقهم في قرى الشام ، فتكفيكهم طواغيتها .

[كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية]

ودفع وائل كتابَ شريح إليه ، فقرأه وهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين ، من شريح بن هانئ .

1 مرج عذراء : في غوطة دمشق .

2 طواغيت : جمع طاغوت ، وهو الكثير الطغيان .

أَمَّا بَعْدَ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ إِلَيْكَ بِشَهَادَتِي عَلَى حُجْرٍ ، وَإِنْ شَهِدْتِي عَلَى حُجْرٍ أَنَّهُ
مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . حَرَامُ الْمَالِ وَالْدَمِ ، فَإِنْ
شَعْتَ فَاقْتُلْهُ ، وَإِنْ شَعْتَ فَدَعْهُ»

[حيرة معاوية في أمر حجر وزيد يطالب بالعقاب]

فَقَرَأَ كِتَابَهُ عَلَى وَائِلٍ ، وَقَالَ : مَا أَرَى هَذَا إِلَّا قَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ شَهَادَتِكُمْ . فَحَبَسَ
الْقَوْمَ بَعْدَ هَذَا ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادَ :

«فَهَمْتُ مَا اقْتَصَصْتُ مِنْ أَمْرِ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، فَأَحْيَانًا أَرَى أَنَّ قَتْلَهُمْ
أَفْضَلُ ، وَأَحْيَانًا أَرَى أَنَّ الْعَفْوَ أَفْضَلُ مِنْ قَتْلِهِمْ» .

فَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَيْهِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ حُجَّيَّةَ التَّمِيمِيِّ : «قَدْ عَجِبْتُ لِاسْتِبَاهِ الْأَمْرِ عَلَيْكَ فِيهِمْ مَعَ
شَهَادَةِ أَهْلِ مِصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فِي هَذَا الْمِصْرَ فَلَا تَرَدَّنْ
حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ إِلَيْهِ» .

[ثبات حجر على البيعة]

فَمَرَّ يَزِيدُ بِحُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا كَتَبَ بِهِ زِيَادٌ ، فَقَالَ لَهُ حُجْرٌ : أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنَا عَلَى بَيْعَتِهِ لَا نَقِيلُهَا وَلَا نَسْتَقِيلُهَا ، وَإِنَّمَا شَهِدَ عَلَيْنَا الْأَعْدَاءُ وَالْأُظُنَاءُ¹ .

فَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ حُجَّيَّةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِالْكِتَابِ ، وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ حُجْرٍ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : زِيَادٌ
أَصْدَقُ عِنْدَنَا مِنْ حُجْرٍ .

وَكَتَبَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ مِنْ بَجِيلَةَ ، فَوَهَبَهُمَا لَهُ وَلِيَزِيدَ بْنِ أَسَدَ ،
وَطَلَبَ وَائِلُ بْنُ حَجَرٍ فِي الْأَرْقَمِ الْكَنْدِيِّ ، فَتَرَكَهُ ، وَطَلَبَ أَبُو الْأَعْمُورِ فِي عُتْبَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ
فَوَهَبَهُ لَهُ ، وَطَلَبَ حَمْزَةُ بْنُ مَالِكِ الْهَمْدَانِيِّ فِي سَعِيدِ بْنِ نِمْرَانَ فَوَهَبَهُ لَهُ ، وَطَلَبَ حَبِيبُ بْنُ
مُسْلِمَةَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُوَيْيَّةَ التَّمِيمِيِّ فَخَلَّى سَبِيلَهُ .

فَقَامَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَسَأَلَهُ فِي حُجْرٍ فَلَمْ يَشْفَعْهُ ؛ فَغَضِبَ وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ . وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ
هُدْبَةَ بْنَ فَيَاضَ الْقِضَاعِيَّ وَالْحُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكِلَابِيَّ ، وَآخَرَ مَعَهُمَا يَقَالُ لَهُ أَبُو صَرِيْفٍ
الْبَدْرِيُّ ، فَأَتَوْهُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَقَالَ الْخُثَعَمِيُّ حِينَ رَأَى الْأَعْمُورَ : يُقْتَلُ نِصْفُنَا وَيَنْجُو نِصْفُنَا .
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْجُو ، وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ . فَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ
حَسَّانَ الْعَنْزِيُّ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يُكْرَمُ بِهِوَائِهِمْ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ ، فَطَالَمَا عَرَّضَتْ نَفْسِي

للقَتْل ، فَأَبَى الله إِلَّا مَا أَرَاد .

[من أصحاب حجر يرفضون لعن علي]

فجاء رسول معاوية إليهم فإتته لمعهم إذ جاء رسول بتخليّة ستّة منهم وبقي ثمانية . فقال لهم رسول معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللّعن له ، فإن فعلتم هذا تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك فأبرءوا من هذا الرجل يُخلّ سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين ؛ فأمر بقيودهم فخلّت ، وإتت بكفانهم فقاموا الليل كلّهم يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، قد رأيناكم البارحة أطلّتم الصلاة ، وأحسّتم الدّعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ، قالوا : هو أوّل من جار في الحكم ، وعمل بغير الحق . فقالوا : أمير المؤمنين كان أعرف بكم . ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاه .

فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله ، فوقع قبيصة في يديّ أبي صرّيف البدريّ ، فقال له قبيصة : إنّ الشرّ بين قومي وقومك أمين ، أي آمن فليقتلني غيرك . فقتل : برّتك رجم . فأخذه الحضرميّ فقتله .

وقتل القضاعيّ صاحبه ، ثم قال لهم حجر : دعوني أصلي ركعتين ، فإتني والله ما توضأت قطّ إلا صليت ، فقالوا له : صلّ . فصلى ثم انصرف ، فقال : والله ما صليت صلاة قطّ أقصر منها ، ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها ، ثم قال : اللهم إنا نستعديك على أئمتنا ، فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا ، وإنّ أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لمن قتلتمونا فإتني أوّل فارس من المسلمين سلك¹ في واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نبّخته كلابها . فمشى إليه هذبة بن الفياض الأعور بالسيف ، فأرعدت خصائله² ، فقال : كلا ، زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فإنا ندعك ، فأبرأ من صاحبك . فقال : ما لي لا أجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيّفاً مشهوراً ، وإتني والله إن جزعت لا أقول ما يُسخطُ الربّ . فقتله .

[أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية]

وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن

1 الطبري : هلك .

2 خصائل : جمع خصلة ، وهي القطعة من اللحم أو لحم الفخذين والمضغدين والذراعين أو كل عصبية فيها لحم غليظ .

عفيف : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مثْلَ مقالته . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث : اثنتي بهما . فالتفتا إلى حُجْر ، فقال له العَنْزِيّ : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مثْواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنتَ ، وقال الخثعمي نحو ذلك . ثم مضى بهما ، فالتفت العَنْزِيّ ، فقال متمثلاً :

كفى بشفاةِ القبر بُعداً لِهَالِكٍ وبالموتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القرائنِ

فلما دخل عليه الخثعمي قال له : الله الله يا معاوية ! إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤول عما أردتَ بقتلنا ، وفيما سفكتَ دماءنا . فقال : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك ، أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به ! وقام شجير بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه ، فقال : هو لك ، غير أنني حابسه شهراً . فحبسه ، ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل ، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة ، فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان ، فقال له : يا أبا ربيعة ، ما تقول في علي ؟ قال : أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والأمين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأزنج أبواب الحق . قال : قتلتَ نفسك . قال : بل إياك قتلت ، لا ربيعة بالوادي ؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلّم فيه .

فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : إن هذا شرٌّ منُ بعثتَ به ، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شرّاً قتله .

فلما قُدم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطف¹ ، فدفنه حيّاً .

قال أبو مخنف ، عن رجاله : فكان من قُتل منهم سبعة نفر : حجر بن عدي ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز بن شهاب المنقري ، وكيدام بن حيّان العَنْزِيّ وعبد الرحمن بن حسان العَنْزِيّ . ونجا منهم سبعة : كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن جُوّة التميمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سميّ البجلي ، وأرقم بن عبد الله الكندي ، وعتبة بن الأخنس السعديّ من هوازن ، وسعيد بن نمران الهمداني .

1 قس الناطف : موضع قرب الكوفة .

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم ، فرضي .
قال أبو مخنف : فحدثني ابن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ يقولون : أولُ ذلٍّ دخل الكوفة قتلُ حجر ، ودعوة زياد ، وقتلُ الحسين .
[تأخر رسول عائشة في أمر حجر وأصحابه]

قال : وجعل معاوية يقول عند موته : أيَّ يوم لي من ابن الأديب¹ طويل !
قال أبو مخنف : وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي أنَّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال له : أين غاب عنك جلمُ أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عني مثلك من حُلَماء قومي ، وحملني ابن سُمَيَّة فاحتمَلت .
قال : وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أننا لم نُغَيِّر شيئاً قطَّ إلَّا آلت بنا الأمورُ إلى أشدِّ ممَّا كنَّا فيه لَغَيَّرْنَا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسْلِمًا ما علمته حاجاً معتمراً .
[رثاء حجر]

وقالت امرأة من كندة ترثي حجرًا² : [من الوافر]

لَعَلَّكَ أَنْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ	تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
لَيَقْتُلُهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ	يسير إلى معاوية بن حرب
وَلَمْ يُنْخَرْ كَمَا نُجِرَ الْبَعِيرُ	أَلَا يَا لَيْتَ حُجْرًا مَاتَ مَوْتًا
وَطَابَ لَهَا الْخَوْرَنُقُ وَالسَّيْدِيرُ	تَرْفَعَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ
كَأَنَّ لَمْ يُحْيِهَا مُزَنٌ مَطِيرُ	وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا
تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسَّرُورُ	أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ
وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَيْرُ ³	أَخَافُ عَلَيْكَ سَطْوَةَ آلِ حَرْبٍ
لَهُ مِنْ شَرِّ أُمَّتِهِ وَزَيْرُ	يَرَى قَتْلَ الْخِيَارِ عَلَيْهِ حَقًّا
إِلَى هَلْكَ مِنَ الدُّنْيَا يَصِيرُ	فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ

1 ابن الأديب : حجر بن عدي .

2 هي هند بنت زيد بن مخزومة (مخرمة) الأنصارية . وبعض هذه الأبيات في طبقات ابن سعد : 220-221 مع اختلاف ، وبعضها في خبر مقتل حجر في الطبري .

3 سطوة في ل : صولة .

صوت

[من الوافر]

أَحِنُّ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سَعْدَى وَأَبْكِي إِنْ رَأَيْتُ لَهَا قَرِينَا
وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلَ فَقُلْ لِسَعْدَى : لَعْمَرِكَ خَبْرِي مَا تَأْمُرِينَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة¹ ، يقوله في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى ، عن حبش . وقد قيل : إنَّ عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلي بنت الحارث بن عوف المرِّي . وفيه أيضاً غناء ، وهو :

[من الوافر]

صوت

أَلَا يَا لَيْلَ إِنْ شَفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخَلْتِ فَرْوَدِينَا
وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلَ وَحَانَ مِنَّا فِرَاقُكَ فَانْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا

غنى به الغريض ثقيلاً أول بالنصر ، عن عمرو وحبش ، وفيه خفيف ثقيل يقال إنه أيضاً للغريض . ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج .

1 ديوانه : 437 ومع البيت البيت :

أَلَا يَا لَيْلَ إِنْ شَفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخَلْتِ مَرْوَدِينَا

352 - [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

[سعدى تعظ عمر]

أخبرني جرّميّ ، عن الزبير ، عن طارق بن عبد الواحد ، قال : قال عبد الرحمن المخزوميّ : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد ، فرأت عمر بن أبي ربيعة في الطواف ، فأرسلت إليه : إذا قضيت طوافك فائتينا ، فلما قضى طوافه أتاها فحادثها ، وأنشدها ، فقالت : ويحك يا ابن أبي ربيعة . ما تزال سادراً في حرّم الله مُتْهَكاً ، تتناول بلسانك ربّات الحجال من قريش ؟ ! فقال : دعي هذا عنك ، أما سمعت ما قلتُ فيك ؟ قالت : وما قلتُ في ؟ فأنشدها :

أَحِنُّ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سَعْدَى وَأَبْكِي إِذَا رَأَيْتُ لَهَا قَرِيناً¹
أَسْعُدِي إِذَا أَهْلَكَ قَدْ أَجَدُّوا رَحِيلاً فَانْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا

فقالت : آمُرُكَ بِتَقْوَى الله ، وترك ما أنت عليه .

قال الزبير : وحدثني عبد الله بن مسلم ، قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله :

أَحِنُّ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سَعْدَى

قال : فركب ابن أبي عتيق فأتى سعدى بالجناب من أرض بني فزارة ، فأنشدها قول عمر ، وقال لها : ما تأمرين ؟ فقالت : آمُرُهُ بِتَقْوَى الله يا ابن الصديق .

[ينشد ليل بنت الحارث بن عوف]

قال الزبير : وحدثني طارق بن عبد الواحد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الرحمن المخزوميّ ، قال : لقي عمر بن أبي ربيعة ليلي بنت الحارث بن عوف المرّيّ ، وهو يسير على بغلة ، فقال لها : قفي أسمعك بعض ما قلتُ فيك ؟ فوقفت ، فقال :

أَلَا يَا لَيْلَ إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالُكَ إِنَّ بَخْلَتِ فَنَوَلِينَا

قال : فما بلغنا أنّها ردّت عليه شيئاً ، ومضت .

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن معن ، فذكر أنّ ابن أبي عتيق إنّما

مضى إلى ليلي بنت الحارث بن عوف ، فأنشدها هذا البيت ، وهو الصحيح ؛ لأنَّ حلولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . ورواية الزبير فيما أرى وَهَمَّ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلي .

[خبر آخر لسعدى]

أخبرني جرّميّ ، عن الزبير ، عن محمد بن سلام ، قال : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت ، فأرسلتْ إليه : إذا فرغت من طوافك ، فائتينا . فأتاها ، فقالت : ألا أراك يا ابنَ أبي ربيعة إلا سادراً في حرم الله ! أما تخاف الله ! ويحك إلى متى هذا السّفه ! قال : أيّ هذه ، دعي عنك هذا من القول . أما سمعتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت : لا ، فما قلتُ ؟ فأنشدها قوله :

[من الكامل]

صوت

قالت سَعِيدَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ	منها على الخدين والجلبابِ
ليت المغيريّ الذي لم أَجْزِهِ	فيما أطال تصيّدِي وطلايِ
كانت تردّ لنا المنيّ أَيْامُنَا	إذ لا نُلَامُ على هوى وتَصايِ
أُسْعِدَ ما ماءُ الفراتِ وطِيبُهُ	منّي على ظمأ وحُبِّ شرابِ
بَالَذَ منك وإن نَأَيْتِ وقلّما	يُرعى النساءُ أمانة الغُيابِ

عروضه من الكامل ، غناه الهذليّ رملًا بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وغناه الغريص خفيف ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

فقالت : أخزأك الله يا فاسق ، ما عَلِمَ الله أنّي قلتُ ممّا قلتَ حَرَفًا ، ولكنك إنسانٌ بهُوتٌ¹ .

وهذا الشعرُ تُغْنِي فيه :

[من الكامل]

قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ

وفي موضع :

أُسْعِدَ ما ماءُ الفراتِ وبرّده

أُسْكِينَ . وإِنَّمَا غَيَّرَ المغنّون : ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر .

1 البهوت : الباطل الذي يتحير من بطلانه .

[الرشيد بغضب للغناء بشعر في سكية]

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شبة ، عن إسحاق ، قال : غنيت الرشيد يوماً بقوله :

قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ منها على الخدين والجلباب
فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً ، وقال : لعنه الله الفاسق ، ولعنك معه .
فسقط في يدي ، وعرف ما بي ، فسكن ، ثم قال : ويحك ! أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن
أبي ربيعة في بنت عمي ، وبنت رسول الله ﷺ ! ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج
من رأسك ! عُدْ إلى غنائك الآن ، وانظر بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أنسيته ،
فما سمعه مني أحد بعده . والله أعلم .

صوت¹

[من الطويل]

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي جود ووايل²
فينبت حوذانا وعوفاً منوراً سابعه من خير ما قال قائل³
عروضه من الطويل ، والشعر لحسان بن ثابت الأنصاري . وهذا القبر الذي ذكره
حسان فيما يقال قبر الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني . وقيل : إنه قبر الحارث بن مارية
الجفني ، وهو منهم أيضاً . والغناء لعزة الميلاء ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ، مما لا يشك
فيه من غنائها . وقد نسبته قوم إلى ابن عائشة ، وذلك خطأ .

1 ديوان حسان 1 : 506 ونسبهما ياقوت (تبنى) إلى النابغة الذبياني وهما في ديوانه مع بعض اختلاف .

2 تبنى وجاسم في الديوان : بثنى وجلق . وتبنى بلدة بحوران من أعمال دمشق . والوسمي : أول المطر . والجود : المطر الغزير .

3 الحوذان والعوف : نبتان طيبا الرائحة .

[353] - أخبار عزة الميلاء¹

كانت عَزَّة مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم مَنْ غنَّى الغناء الموقَّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جميلة . وكانت من أجمل النساء وَجْهاً ، وأحسنهنَّ جِسْماً ، وسُمِّيت الميلاء لتمائليها في مشيها . وقيل : بل كانت تلبسُ الملاء ، وتَشَبُّهُ بالرجال ، فسُمِّيت بذلك . وقيل : بل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذْ مِلْثاً² وارْدُدْ فارغاً ، ذكر ذلك حماد بن إسحاق ، عن أبيه .

والصحيح أنَّها سُمِّيت الميلاء لميلها في مشيتها .

[ضربها وغاؤها]

قال إسحاق : ذكر لي ابن جامع ، عن يونس الكاتب ، عن معبد ، قال : كانت عزة الميلاء مِّن أحسنِّ ضرباً يعود ، وكانت مطبوعةً على الغناء ، لا يُعيبها أداؤه ولا صَنَعته ولا تأليفه . وكانت تغني أغانيَ القيَّان من القدائم ، مثل سيرين ، وزرنب ، وخولة ، والرباب ، وسلمي ، ورائقة ، وكانت رائقة أستاذتها . فلما قديم نشيط وسائب خائر المدينة غنياً أغانيَ بالفارسية ، فلَقِنَتْ عَزَّة عنهما نغماً ، وألفت عليها ألحاناً عجبية ، فهي أوَّل مَنْ فتنَ أهل المدينة بالغناء ، وحرَّضَ نساءهم ورجالهم عليه .

[ثناء مشايخ المدينة عليها]

قال إسحاق : وقال الزبير : إنَّه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّة قالوا : اللَّهُ دَرُّها ! ما كان أحسن غناءها ، ومدَّ صوتها ، وأندى خَلْقها ، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي ، وأجملَ وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب مجلسها ، وأكرم خَلْقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها .

قال إسحاق : وحدثني أبي ، عن سباط ، عن معبد ، عن جميلة ، بمثل ذلك من القول فيها .

1 لعزة الميلاء ترجمة في أعلام النساء 2 : 1013 والطرب عند العرب : 19 والدر المنثور : 341 . وانظر أعلام الزركلي .

2 مقدار ما يتسع له الإناء . وقد تكون ملاء .

[المغنون يأخذون عنها]

قال إسحاق : وحدثني أبي ، عن يونس ، قال : كان ابن سريج في حداثة سنّه يأتي المدينة ، فيسمع من عزة ويتعلّم غناءها ، يأخذ عنها ، وكان بها مُعْجَباً ؛ وكان إذا سئل : مَنْ أحسن الناس غناء ؟ قال : مولاة الأنصار المفضّلة على كلِّ مَنْ غنّى وضرب بالمعازف والعيّدان من الرجال والنساء .

قال : وحدثني هشام بن المُرِّيّة أنّ ابن مُحَرِّز كان يُقيم بمكّة ثلاثة أشهر ، ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة ، وكان يأخذ عنها .

قال إسحاق : وحدثني الجمحيّ ، عن جرير المغنّي المدنيّ ، أنّ طُويساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزة الميلاء ، وكان في جوارها ، وكان إذا ذكرها يقول : هي سيّدة مَنْ غنّى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخلقٍ فاضلٍ وإسلام لا يشوبه دنس ؛ تأمرُ بالخير وهي من أهله ، وتنهى عن السوء وهي مُجانبة له ، فناهيك ما كان أنبلها ، وأنبل مجلسها !
ثم قال : كانت إذا جلست جلوساً عاماً فكأنّ الطير على رؤوس أهل مجلسها ، مَنْ تكلم أو تحرك نقر رأسه .

قال ابن سلام : فما ظنّك بمن يقول فيه طويس هذا القول ! ومن ذلك الذي سلّم من طُويس !

[معبد يعجب بغنائها وهي مسنة]

قال إسحاق : وحدثني أبو عبد الله الأسلميّ ، عن معبد : أنّه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنت ، وهي تغنّي على معزفة في شعر ابن الإطنابة ، قال : [من الخفيف]

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَّ وَاسْقِيَانِي مِنَ المَرُوقِ رِيًّا

قال : فما سمع السامعون قط بشيء أحسنَ من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها ، وقد أسنت ، فكيف بها وهي شابّة !

[يفشى على عمر لسماعه غائها]

قال إسحاق : وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاريّ ، قال : كانت عزة مولاة لنا ، وكانت عفيفة جميلة ، وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة يَغشَوْنَهَا في منزلها فتغنيهم . وغنّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشقّ ثيابه ، وصاح صيحةً عظيمةً صعق معها ، فلمّا أفاق قال له القوم : لغيرك الجهلُ يا أبا الخطّاب ! قال : إني سمعتُ والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي .

وقال إسحاق : وحَدَّثني أبو عبد الله الأسلمي المدني ، قال : كان حسان بن ثابت معجباً بعزة الميلاء ، وكان يقدّمها على سائر قيان المدينة .
[حسان يبكي لغناها شعره]

أخبرني جرّمي ، عن الزبير ، عن محمد بن الحسن المخزومي ، عن محرز بن جعفر ، قال : ختن زيد بن ثابت الأنصاري بنته ، فأولم ؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة ، وحضر حسان بن ثابت وقد كفّ بصره يومئذ ، وثقل سمعه ، وكان يقول إذا دُعي : أعرس أم عذار¹ ؟ فحضر ووضع بين يديه خيوان ليس عليه إلا عبد الرحمن ابنه ، فكان يسأله : أ طعام يد أم يدين ؟ فلم يزل يأكل حتى جاءوا بالشواء ، فقال : طعام يدين ؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثنيت وسادة ، وأقبلت الميلاء ، وهي يومئذ شابة ، فوضع في حجرها مزهر ، فضربت به ، ثم تغت ، فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان ، قال :
[من الطويل]

فلا زال قبر بين بصرى وجلق عليه من الوسمي جود وابل

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان ، وهو مُصغ لها .

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهري ، عن ابن شبة ، عن الأصمعي ، عن أبي الزناد ، قال : قلت لخارجة بن زيد : أكان يكون هذا الغناء عندهم ؟ قال : كان يكون في العرسات² ولم يكن يُشهد بما يشهد به اليوم من السعة .

وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة ، فدعينا وثم قينة أو قيتان تُشيدان شعر حسان بن ثابت ، قال³ :

انظر خيلي بياب جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد ؟

قال : وحسان يبكي ، وابنه يوميء إليهما أن زيدا ؛ فإذا زادتا بكى حسان ، فأعجبني ما يعجبه من أن تُبكيا أباه ، وقد كفّ بصر حسان بن ثابت يومئذ .

أخبرنا وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الواقدي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ خارجة بن زيد يقول : دُعينا إلى مأدبة في آل نبيط ، قال خارجة : فحضرتُها ، وحسان بن ثابت قد حضرها ، فجلّسنا جميعاً على مائدة واحدة ، وهو

1 العرس : طعام وليمة العرس ، والعدار : طعام البناء والختان .

2 العرسات : جمع عرس ، وهو طعام الوليمة .

3 ديوان حسان : 279 وفيه «هل تؤنس . . .» .

يومئذ قد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه : أ طعام يد أم يدين ؟ يعني باليد الثريد وباليدن الشواء ؛ لأنه يُنْهَش نُهْشاً ، فإذا قال : طعام يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين : إحداهما رائقة والأخرى عزة ، فجلستا وأخذتا مزهريهما ، وضربتا ضرباً عجبياً ، وغننا يقول حسان :

انظر خليلي بباب جلق هل تبصير دون البلقاء من أحد

فأسمع حساناً يقول :

قد أراني بها سميعاً بصيراً

وعيناه تدمعان ، فإذا سككتا سكت عنه البكاء ، وإذا غننا بكى . فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سككتا يُشير إليهما أن تغنيا ، فيبكي أبوه ، فأقول : ما حاجته إلى إبكاء أبيه !

قال الواقدي : فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري ، فقال : سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول : لما انقلب حسان من مأدبة بني نبط إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجله على الأخرى ، وقال : لقد أذكرتني رائقة وصاحبها أمراً ما سمعته أذناي بُعِيدَ ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم ! فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيان يكن عند جبلة ؟ ، فتبسّم ثم جلس ، فقال : لقد رأيتُ عشر قيان : خمس روميّات يغنين بالرومية بالرباط ، وخمس يُغنين غناء أهل الحيرة ، أهداهنّ إليه إياس بن قبيصة ، وكان يُقدِّم إليه من يُغنيه من العرب من مكة وغيرها ؛ وكان إذا جلس للشرب فُرش تحت الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندي إن كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بطن بالثلج ، وأتي هو وأصحابه بكساً صيفياً يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء الفراء الفنك¹ ، وما أشبهه ؛ ولا والله ما جلستُ معه يوماً قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم ، وعلى غيري من جلسائه ، هذا مع حلم عمّن جهل ، وضحك وبذل من غير مسألة ، مع حسن وجه وحسن حديث ، ما رأيتُ منه خنّي قط ولا عريدة ، ونحن يومئذ على الشرك ؛ فجاء الله بالإسلام فمحا به كل كفر ، وتركنا الخمر وما كره ؛ وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر ، والفضيخ² من الزهر والرطب ، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب

1 الفنك : جراء الثعلب التركي .

2 الفضّيخ : عصير العنب أو هو شراب يتخذ من بسر مفضوخ يصب عليه الماء الحار فيستخرج حلاوته .

صاحبه ويفارقه ، وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون !
 أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن أبي أيوب المديني ، عن مصعب الزبيري ، عن
 الضحّاك ، عن عثمان بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد مثله ، وزاد فيه : فلما فرغنا
 من الطعام نُقل علينا جلوس حسان ، فأوماً ابنه إلى عزة الميلاء فغنت : [من المنسرح]

انظر خليلي ببابِ جَلَّقَ هَلْ تَبْصِرُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
 فبكى حسان حتى سَدِرَ¹ ، ثم قال : هذا عَمَلُ الْفَاسِقِ ، أما لقد كرهتم مجالستي ، فقُبِّحَ
 الله مجلسكم سائر اليوم ، وقام فانصرف .

أخبرني جرّمي ، عن الزبير ، عن عمه مصعب ، قال : ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه : أنه
 دُعِيَ إلى مأدبة في زمن عثمان ، ودُعِيَ حسان ومعه ابنه عبد الرحمن ، ثم ذكر نحو ما ذكره
 عمر بن شبة عن الأصمعي في الحديث الأول ، قال : [من المنسرح]

نسبة هذا الصوت

انظر خليلي ببابِ جَلَّقَ هَلْ	تَوَسُّ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
أَجْمَالُ شَعْنًا إِنْ هَبَطْنَ مِنْ أَلْ	مَحْبَسٍ بَيْنَ الْكُتُبَاتِ فَالسَّنَدِ ²
يُحْمَلْنَ حُورًا حُورَ الْمَدَامِ فِي الرَّيِّ	ط وَبِضَ الْوُجُوهِ كَالْبَرْدِ ³
مِنْ دُونَ بُصْرَى وَدُونَهَا جِبِلُّ الثَّلْدِ	ج عَلَيْهِ السُّحَابُ كَالْقَرْدِ ⁴
إِنِّي وَأَيْدِي الْمَخِيسَاتِ وَمَا	يَقْطَعْنَ مِنْ كُلِّ سَرِيخٍ جَدَدٍ ⁵
أَهْوَى حَدِيثَ التُّذْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّبِّ	ح وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْغَرْدِ
تَقُولُ شَعْنَاءُ بَعْدَ مَا هَبِطَتْ	بَصُورَ حُسْنِي مِنْ احْتَدَى بَلَدِي ⁶
لَا أُخْدِشُ الْخَدَشَ بِالْحَبِيبِ وَلَا	يَخْشَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدِي

1 سدر : أصابه دوار وتغير .

2 الديوان : أجمال شعناء قد هبطن .

3 الديوان : يحملن حوراً : والحوة : سمة الشفة .

4 القرد : نفاية الصوف ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . وفي الديوان : كالقرد .

5 الديوان : إني ورب المخيسات . والمخيسات : الإبل المذلة . والسريخ : الأرض البعيدة . الديوان :

تقول شعناء لو تفيق من الـ كَأْسٍ لَأَلْفَيْتُ مَثْرِي الْعَدَدِ

6 الديوان : « . . . بالنديم . . . ولا يخشى جليسي » .

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعزة الميلاء رمل بالنصر ، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز ، وإلى عزة الميلاء . وإلى الهذلي في : [من المنسرح]

تقول شعثاء بعد ما هبطت

وما بعده من الأبيات ، ثقيل أول مطلق في مجرى النصر عن إسحاق ، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

[شعثاء التي شبب بها حسان]

وشعثاء هذه التي شبب بها حسان ، فيما ذكر الواقدي ومصعب الزبيري ، امرأة من أسلم ، تزوجها حسان ، وولدت منه بنتاً يقال لها أم فراس تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم . وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبها ، ووصف أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه ، فقال يهجوهم¹ :

لقد أتى عن بني الجرباء قولهم	ودونهم قف جمدان فموضوع ²
قد علمت أسلم الأرذال أن لها	جاراً سيقله في داره الجوع ³
وأن سيمنعهم مما نؤوا حسب	- لن يبلغ المجد والعلياء - مقطوع
وقد علوا ، زعموا ، عني بأختهم	وفي الذرى حسبي والمجد مرفوع ⁴
ويل أم شعثاء شيئاً تستغيث به	إذا تجللهما النغظ الأفاقيع ⁵
كأنه في صلاحها وهي باركة	ذراع بكر من النياط منزوع ⁶

أخبرني جرهمي ، عن الزبير ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أبي القاسم بن أبي الزناد ، عن أخيه عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال : شعثاء هذه بنت عمرو ، ومن بني ماسكة من يهود ، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القف ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة ، وكان ذا قدر فيهم ، فقال حسان يذكر ذلك : [من المنسرح]

1 ديوان حسان : 176 .

2 جمدان وموضوع : مكانان .

3 الديوان : ... أسلم الأرذال .

4 الديوان : «قد رغبوا زعموا ... وفي الذرا نسي ...» .

5 الأفاقيع : الذي يتفقع فيسمع له صوت .

6 الصلا : وسط الظهر . والشطر الثاني في الديوان : ذراع آدم من ناطاء منزوع .

هل في تصابي الكريم من فندٍ أم هل لمر الأيام من نقدٍ¹
تقول شعثاء : لو أفقت عن الكا س لألفيت مثيري العدِ
يأبى لي السيف واللسان وقو ثم لم يضاموا كلبدة الأسدِ
وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء .

ومما قاله حسان بن ثابت في شعثاء ، وغني به قوله² : [من السريع]

ما هاج حسان رسومُ المقام ومظعنُ الحي ومبنى الخيام
والنوي قد هدم أعضاءه تقادُم العهد بوادي تِهَام
قد أدرك الواشون ما حاولوا والخبيل من شعثاء رث رِمام³
جنيّة أرقني طيفُها يذهب صُبْحاً ويرى في المنام⁴
هل هي إلا ظبية مَظفلٌ مألَفها السدر بنعفي برام⁵
ترعى غزاً فإبراً طرفه مُقارب الخطو ضعيف البُغام⁶
كان فاهاً ثغب بارداً في رصف تحت ظلال الغمام⁷
شج بصهباء لها سورة من بيت راس عتقت في الخيام⁸
تدب في الكأس دبيباً كما دب دُبى وسط رفاق هيام⁹
من خمر ينسان تخيرتها درياقة توشك فتر العظام
يسعى بها أحمر ذو برنس مُحْتَلَق الذفرى شديد الحرام¹⁰

يقول فيها :

1 هذا البيت لم يرد في الديوان . والنقد : الفناء .

2 ديوان حسان : 106 .

3 الديوان : رث الرمام .

4 يذهب . . . ويرى في الديوان : « . . . تذهب . . . وترى » .

5 برام : جبل قرب المدينة . ونغناه : جانباه .

6 الديوان : تزجي غزاً . . .

7 الثغب : الغدير في ظلّ الجبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . والرصف : الحجارة المترصفة .

8 شبح في الديوان : شجت ، وشجت : مزجت . وبيت راس : قرية بالأردن .

9 الديوان : تدب في الجسم . والديبي : صغار النمل .

10 الذفرى : العظم الناتئ خلف الأذن .

قَوْمِي بَنُو النَّجَّارِ إِذْ أَقْبَلَتْ شَهْبَاءُ تَرْمِي أَهْلَهَا بِالْقَتَامِ
لَا تَخْذُلُ الْجَارَ وَلَا تُسَلِّمُ الْـ حَمُولَى وَلَا تُخْصِمُ يَوْمَ الْخِصَامِ¹

الشعر لحسان ، والغناء لمعبد ، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات ، والرابع والتاسع والحادي عشر . وذكر الهشامي أن فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى .

وهذه الأبيات يقولها حسان في حرب كانت بينهم² وبين الأوس ، تُعرَف بحرب مزاحم ، وهو حصن من حصونهم .

[حرب بين الأوس والخزرج]

أخبرني بخبره جرهمي عن الزبير ، عن عمه مصعب ، قال : جمعت الأوس وحشدت بأحلافها ، ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ ، فسار بهم حتى كان قريباً من مزاحم . وبلغ ذلك الخزرج ، فخرجوا يومئذ وعليهم سعد بن عباد ؛ وذلك أن عبد الله بن أبي كان مريضاً أو متمارضاً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتلت بينهم قتلى كثيرة ، وكان الطول³ يومئذ للأوس ؛ فقال حسان في ذلك :

مَا هَاجَ حَسَّانَ رِسُومُ الْمَقَامِ وَمَظْعَنُ الْحَيِّ وَمَبْنَى الْخِيَامِ

وذكر الأبيات كلها .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن القاسم بن الحسن ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، قال : قال رجل من أهل المدينة : ما ذكر بيت حسان بن ثابت⁴ :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّبِّ حَاحَ وَصَوْتَ الْمَسَامِرِ الْغَرْدِ

إِلَّا عُدْتُ فِي الْفَتَوَةِ كَمَا كُنْتُ . قال : وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها : [من المنسرح]

انظر خليلي يباب جلق هل تُوْنَسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ

وقد روي أيضاً في هذا الخبر غير الروايتين اللتين ذكرتهما .

1 الديوان : «لا نخذل . . . ولا نسلم . . . ولا نخصم» .

2 أي بين الخزرج قوم حسان والأوس .

3 الطول : الفوز والغلبة .

4 ديوان حسان : 279 .

[ابنه يَحْتال لإبعاده عن مجلس أصحابه]

أخبرني بذلك جرّمي ، عن الزُّبير ، عن وَهْب بن جرير ، عن جويرية بن أسماء ، عن عبد الوهاب بن يحيى ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن شيخ من قريش ، قال : إني وفتية من قريش عند قينة من قِيان المدينة ، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان ، فكرهنا دخوله ، وشقَّ ذلك علينا ؛ فقال لنا عبد الرحمن : أيسرُكمُ ألاَّ يجلس ؟ قلنا : نعم . قال : فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني :

أولادُ جَفَنَةَ عند قَبْرِ أبيهم قَبْرِ ابنِ ماريةِ الكريمِ المفضِّل
يُغشُّونَ حتى ما تَهَرُّ كِلابُهُم لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المَقْبِل

قال : فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه ، ثم قال : أفيكم الفاسق ! لعمري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم ، وقام فانصرف . والله تعالى أعلم .
نسبة هذا الصوت وسائر ما يغني فيه من القصيدة¹ التي هو منها .

صوت

[من الكامل]

أولادُ جَفَنَةَ عند قَبْرِ أبيهم قَبْرِ ابنِ ماريةِ الجوادِ المفضِّل
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهم كأساً تصفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَل

البريص : موضع بدمشق .

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم شَمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ
يُغشُّونَ حتى ما تَهَرُّ كِلابُهُم لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المَقْبِل

ذكر حبش أن فيه لسيرين قينة حسان بن ثابت لحناً ثقيلاً أول ابتداؤه نشيد ، وفيه لعريب ثقل أول لا يشك فيه .

ومما يغني فيه من هذه القصيدة قوله :

[من الكامل]

صوت

كِلتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فعاطِني بزُجاجةٍ أرخاهُما للمِفْصَلِ

بِرُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا رَقَصَ الْقُلُوصُ بِرَاكِبٍ مُسْتَعَجِلٍ
 غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ رَمَلًا مُطْلَقًا فِي مَجْرَى الْوَسْطَى ، عَنْ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو وَغَيْرِهِمَا ،
 وَيُرْوَى : « كَلَّتَاهُمَا حَلَبَ الْعَصِيرُ » ، بِجَعْلِ الْفِعْلِ لِلْعَصِيرِ . وَيُرْوَى لِلْمِفْصَلِ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ
 وَفَتْحِ الصَّادِ ، وَلِلْمِفْصَلِ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الصَّادِ ، وَهُوَ اللِّسَانُ .
 أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ، عَنْ الْمُبَرِّدِ ، حِكَايَةً عَنْ أَصْحَابِهِ ، عَنْ
 الْأَصْمَعِيِّ .

رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء

[ناسك يستهتر بغنيّة]

قال إسحاق : حَدَّثَنِي مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
 مُلَيْكَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ نَاسِكٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ ، وَكَانَ
 يَغْتَشِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، فَسَمِعَ جَارِيَةً مَغْنِيَةً لِبَعْضِ النِّخَاسِينَ تَغْنِي¹ : [مِنَ الْبَسِيطِ]
 بَأَنْتَ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَ

فَاسْتَهْتَرَ بِهَا وَهَامَ ، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، حَتَّى مَشَى إِلَيْهِ عَطَاءٌ وَطَاوُوسُ فَلَامَاهُ ؛ فَكَانَ
 جَوَابُهُ لَهَا أَنْ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يُلُومُنِي فَيْلَكُ أَقْوَامُ أَجَالِسُهُمْ فَمَا أَبَالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعَا

وَبَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ خَبْرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى النِّخَاسِ ، فَاعْتَرَضَ الْجَارِيَةَ ، وَسَمِعَ غَنَاءَهَا بِهَذَا
 الصَّوْتِ ، وَقَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَخَذْتَهُ ؟ قَالَتْ : مِنْ عَزَّةِ الْمِيَلَاءِ . فَابْتَاغَهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ بَعَثَ
 إِلَى الرَّجُلِ فَسَأَلَهُ عَنْ خَبْرِهِ ، فَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ وَصَدَقَهُ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ هَذَا الصَّوْتَ
 مِمَّنْ أَخَذْتَهُ عَنْهُ تِلْكَ الْجَارِيَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَدَعَا بَعْزَةً وَقَالَ لَهَا : غَنِّيْ إِيَّاهُ ، فَغَنَّتْ ؛ فَصَبَقَ الرَّجُلُ ،
 وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ : أَثِمْنَا فِيهِ ، الْمَاءُ ، الْمَاءُ ! فَنَضَحَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ :
 أَكَلْتُ هَذَا بَلْغَ بَكَ عِشْقُهَا ؟ قَالَ : وَمَا خَفِيَ عَنْكَ أَكْثَرُ . قَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهَا ؟ قَالَ : قَدْ
 رَأَيْتُ مَا نَالَنِي حِينَ سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَأَنَا لَا أُحِبُّهَا ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالِي إِنْ سَمِعْتُهُ مِنْهَا ، وَأَنَا لَا
 أَقْدِرُ عَلَى مِلْكِهَا ! قَالَ : أَتُعْرِفُهَا إِنْ رَأَيْتَهَا ؟ قَالَ : أَوْأَعْرِفُ غَيْرَهَا ! فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ ، وَقَالَ :
 خُذْهَا فَهِيَ لَكَ ، وَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا إِلَّا عَنْ غُرْضٍ . فَقَبَّلَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَتَمَّتْ
 عَيْنِي ، وَأُحْيِيَتْ نَفْسِي ، وَتَرَكَتْنِي أَعِيشُ بَيْنَ قَوْمِي ، وَرَدَدْتَ إِلَيَّ عَقْلِي ؛ وَدَعَا لَهُ دَعَاءً كَثِيرًا .
 فَقَالَ : مَا أَرْضَى أَنْ أُعْطِيَكُمَا هَكَذَا ، يَا غَلَامَ احْمِلْ مَعَهَا مِثْلَ ثَمَنِهَا لِكَيْلَا تَهْتَمَّ بِهِ وَيَهْتَمَّ بِهَا .

1 ديوان الأعشى: 105 وتمام البيت : «واحتلت الغور فالجدين فالفرعا» .

نسبة هذا الصوت صوت

[من البسيط]

بانت سعادُ وأمسى حبلُها انقطعاً واحتلت الغور فالجدن فالفرعاً
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعاً
عروضه من البسيط ، والشعر للأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة .

[الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً]

وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، عن عمه ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ،
قال : ما نحلنا أحداً من الشعراء شيئاً قط لم يقله إلا بيتاً واحداً نحلته الأعشى ، وهو : [من البسيط]

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعاً
الغناء لعزة الميلاء ، خفيف ثقيل أول بالوسطى ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ، وأنكر
إسحاق ذلك ودفعه ، وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر ، وقيل : إنه لجميلة .

[عبد الله بن جعفر يطلب عدم منع عزة من الغناء]

قال إسحاق : وحدثني ابن سلام ، عن ابن جعدبة ، قال : كان ابن أبي عتيق مُعجباً بعزة
الميلاء ، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر ، فقال له : بأبي أنت وأمي ! هل لك في عزة ، فقد
اشتقت إليها ! قال : لا ، أنا اليوم مشغول . فقال : بأبي أنت وأمي ! إنها لا تنشط إلا بحضورك ،
فأقسمت عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك ، ففعل . فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول
لها : دعي الغناء ، فقد ضجَّ أهل المدينة منك ، وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم . فقال له
ابن جعفر : ارجع إلى صاحبك فقل له عني : أقسم عليك إلا ناديت في المدينة : أيُّما رجل فسد
أو امرأة فتنت بسبب عزة إلا كشف نفسه بذلك لنعرفه . ويظهر لنا ولك أمره . فنادى الرسول
بذلك ، فما أظهر أحد نفسه . ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه ، فقال لها : لا يهولئك
ما سمعت ، وهاتي فغنينا ، فغننته بشعر القطامي¹ :

[من البسيط]

إنّا محيوك فاسلم أيُّها الطلل وإن يليت ، وإن طالت بك الطليل

1 مطلع قصيدة القطامي في جمهرة القرشي (المشوبات) . وفيها «وإن طالت بك الطول» أي العمر أو الغيبة .

فاهتز ابن أبي عتيق طرباً ، فقال عبدالله بن جعفر : ما أراني أدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزة .
وقد مضت نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضع أخر .

صوت¹

[من الكامل]

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نَسوتَا بوجهِ نَهَارٍ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِراً يَنْدِبْنَهُ قَدْ قَمْنَ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ
عروضه من الكامل . قوله :

قَدْ قَمْنَ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ

يعني أنهنَّ يَنْدِبْنَهُ في ذلك الوقت ؛ وإنما خصَّه بالندبة لأنه وقتُ الغارة . يقول : فهنَّ يذكُرْنَهُ حينئذٍ ؛ لأنه كان من الأوقات التي ينهضُ فيها للحرب والغارات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ . وأما قول الخنساء² :

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
فإنما ذكّرتَه عند طلوع الشمس للغارة ، وعند غروبها للضيف .
الشعر للربيع بن زياد العبسي ، والغناء لابن سريج ، رمل بالخنصر في مجرى البنصر ،
عن إسحاق . والله أعلم .

1 النقااض : 89 وأيام العرب في الجاهلية : 257 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 84 .

[354] - ذكر نسب الربيع بن زياد

[و حرب داحس والغبراء]¹

وبعض أخباره ، وقصة هذا الشعر ، والسبب الذي قُتل من أجله .

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هِذَم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عبس بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزَار .
وأُمّه فاطمة بنت الخُرْشُب ، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن رَيْث بن غطفان ، وهي إحدى المنجبات ، كان يقال لَبْنِيهَا الكَمَلَة ، وهم : الربيع ، وعُمارة ، وأنس .

ولمّا سأل معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات ، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة ، وفي المنجبات ثلاثاً ، عُدُّوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عُدُّوا ، وقبلها حَيَّة بنت رياح الغنوية أمُّ الأحوص وخالد ومالك وربيعه بني جعفر بن كلاب ، وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عمرو بن تميم ، وهي أمُّ لَقِيْط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم .

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرد ، قال : حدّثني محمد بن موسى اليزيديّ ، قال : حدّثني محمد بن صالح بن النطّاح ، واللفظ له ، وخبره أتمّ ، وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح ، قال : ولدت فاطمة بنت الخُرْشُب من زياد بن عبد الله العبسيّ سبعة ؛ فعُدّت العرب المنجبتين منهم ثلاثة ، وهم خيارهم .

قال محمد بن موسى : قال محمد بن صالح : وحدّثني موسى بن طلحة ، والوليد بن هشام القَحْذَمِيّ بِمِثْلِ ذلك ، قال : فمنهم : الربيع ويقال له الكامل ، وعُمارة وهو الوهّاب ، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة ، وقيس وهو البرك ، والحارث وهو الحُرُون ، ومالك وهو لاحق ، وعمرو وهو الدَّرَاك .

1 أخبار حرب داحس والغبراء في النقائض : 83 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 150 وما بعدها وسيرة ابن هشام 1 : 287-289 وأيام العرب في الجاهلية : 246 وما بعدها وكتب الأمثال .

[أم لا تدري أي بنيتها أفضل]

قال محمد بن موسى : قال ابن النطّاح : وحدثني أبو عثمان العمريّ : أن عبد الله بن جُدعان لقيَ فاطمة بنت الخُرْشَب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك ربّ هذه البَيْتَةِ ، أيُّ بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، ثكلتهم إن كنت أدري أيّهم أفضل .

قال ابن النطّاح : وحدثني أبو اليقظان سُحَيْم بن حَفْص العُجَيْفِيّ ، قال : حدثني أبو الخنساء ، قال : سئلتُ فاطمة عن بنيتها أيّهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ؛ لا بل قيس ، وعَيْشي ما أدري ، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعَأ ، ولا ولدته يَتْنًا ، ولا أرضعته غَيْلًا ، ولا منعه قَيْلًا ، ولا أبته على ماقَةٍ .

قال أبو اليقظان : أما قولها ما حملت واحداً منهم تُضْعَأ ، فتقول : لم أحمله في دُبُر الطَّهر وقبل الحيض . وقولها : ولا وَلَدْتُهُ يَتْنًا ، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه . ولا أرضعته غَيْلًا ، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي . ولا منعه قَيْلًا ، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة . ولا أبته على ماقَةٍ ، أي وهو يَكِي .

قال ابن النطّاح : وحدثني أبو اليقظان ، قال : حدثني أبو صالح الأسديّ قال : سئلت فاطمة بنت الخُرْشَب عن بنيتها ، فوصفتهم ، وقالت في عُمارة : لا ينام ليلة يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . وقالت في الربيع : لا تُعَدُّ مآثره ولا تُخشى في الجهل بواذره . وقالت في أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أرضى ، وإذا قَدَّر أغضى . وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان .

[حكيمته وبعد نظره]

وقال ابن النطّاح : وحدثني القحذميّ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني ابن عيَّاش ، عن رجل من بني عبس ، قال : ضاف فاطمة ضيفٌ ، فطرحَتْ عليه شَمْلَةً من خَزّ وهي مِسْكٌ كما هي ، فلمّا وجد رائحتها وأعتَم دنا منها ، فصاحت به ، فكفَّ عنها ؛ ثم إنه تحرّك أيضاً فأرادها عن نفسها ، فصاحت ، فكفَّ ، ثم إنه لم يصبر فوائبها فبطشت به ، فإذا هي من أشدّ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحت : يا قيس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخي أكبر منّي ، فعليك به ، فنادت : يا أنس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخي أكبر منّي فسليّه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرت ذلك له ، فقال لها : السيف ، وأراد قتله ، فقالت له : يا بنيّ ، لو دعونا أخاك فهو

أكبرُ منك ، فدعت الربيع ، فذكرت ذلك له ، فقال : أفطيعونني يا بني زياد ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تُزنوا أمكم ، ولا تقتلوا ضيفكم ، وخلّوه يذهب ، فذهب .
قال ابن النطاح : حدثني هشام بن محمد قال : سميت فاطمة بنت الخرشب العرجاء ، ولم يكن بها عرج ، إنما هو لقب غلب عليها .
[مدح أبناء زياد]

قال ابن النطاح : وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة ، يقال إنه قيس بن زهير ، ويقال حاتم طيء¹ :

بنو جنيّة ولدت سيوفاً قواطع كلهم ذكر صبيغ
وجارتهم حصان لم تُزنى وطاعمة الشتاء فما تجوع
شرى ودّي ومكرمتي جميعاً طوال زمانه ووفى الربيع
وقال سلمة بن الخرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حره : [من الطويل]

أتيتم إلينا ترحفون جماعةً فأين أبو قيس وأين ربيع !
وذاك ابن أخت زانه ثوب خاله وأعمامه الأعمام وهو نزع
رفيق بداء الحرب طبّ بصعبها إذا شت رأي القوم فهو جميع
عطوف على المولى ثقیل على العدا أصم عن العوراء وهو سميع
وقال رجل من طيء ، للربيع وعمارة :

فإن تكن الحوادث أفضعتني فلم أر هالكاً كابني زياد²
ها رُمحان خطيان كانا من السمر المثقفة الجياد
تهاب الأرض أن يظاً عليها بمثلهما تسالم أو تُعادي

[أمه تقتل نفسها خوفاً للعار]

وقال الأثرم : حدثني أبو عمرو الشيباني ، قال : أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبّس ، فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد وإخوته راكبة على جمل لها ، فقادها بجملها ، فقالت له : أي رجل ، ضلّ جملك ! والله لئن أخذتني فصارَت هذه الأكمة بي وبك التي أماننا ورائنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً ؛ لأن الناس

1 الشعر في ديوان حاتم (صادر) : 67 .

2 أفضعتني في ل : أقصدتني .

يقولون في هذه الحال ما شاءوه ، وحسبك من شر سماعه¹ . قال : فإني أذهب بك حتى ترعني علي إيلي . فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت خوفاً من أن يلحق بئها عارٌ فيها .
[ليبد يقع بينه وبين النعمان]

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، قال² : وفد أبو براء ملاعب الأسنة ، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ، ومعهم ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وهو غلام ، على النعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العيسى ، وكان الربيع يُنادم النعمان مع رجلٍ من أهل الشام تاجر ، يقال له : سرجون بن نوفل ، وكان حريفاً للنعمان ، يعني سرجون ، يبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة ، فاستخفه النعمان ، وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي ، متطّيب كان له ، وإلى الربيع بن زياد ، وكان يُدعى الكامل .

فلما قدّم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم ، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معانيهم ، ففعل ذلك بهم مراراً ؛ وكانت بنو جعفر له أعداء ، فصدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاءً ، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويُقرب مجلسهم ، فخرجوا من عنده غضاباً ، وليبد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم كل صباح ، فيزعاها ، فإذا أمسى انصرف بإبلهم ، فأتاها ذات ليلة فألقاهم يتذكرون أمر الربيع ، وما يلقون منه ؛ فسألهم فكتموه ، فقال لهم : والله لا أحفظ لكم متاعاً ، ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني .

وكانت أم ليبد امرأة من بني عبس ، وكانت يتيمة في حجر الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدّ عنا وجهه ، فقال لهم ليبد : هل تقدرون على أن تجمعوا بينه وبينني فأزجره عنكم بقولٍ مُمضٍ ، ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبداً . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإننا نبلوك بشتم هذه البقلة ، لبقلة قدامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض ، تدعى التربة ، فقال : هذه التربة التي لا تذكي ناراً ،

1 المثل «حسبك من شر سماعه» في مجمع الميداني 1 : 194 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 2 : 62 وفصل المقال : 89 .
2 تقدم هذا الخبر في ترجمة ليبد 15 : 247 .

ولا تؤهل داراً ، ولا تسرُّ جاراً ، عودُها ضَعِيل ، وفرْعُها كَلِيل ، وخَيْرُها قليل ، بلدُها شاسِع ، ونَبْتُها خاشع ، وآكلُها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ، أقصرُ البقولِ قَرْعاً ، وأخبثُها مرعى ، وأشدُّها قلْعاً ، فَنَعَساً لها وجَدْعاً ، القَوَا بي أخا بني عَبَس ، أرجعه عنكم بتعس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس .

فقالوا : نصبح فنرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا غلامكم ؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنما يتكلّم بما جاء على لسانه ، ويَهْذِي بما يهْجِس في خاطره ، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب زحلاً ، فهو يكدم بأوسطه حتى أصبح .

فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبنا ، فحلّقوا رأسه ، وتركوا ذؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً ، ثم غَدّوا به معهم على النعمان ، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع وهما يأكلان ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة من الوفود .

فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، وقد كان تقارب أمرهم ، فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبد يرتجز ، ويقول¹ :

يا رَبِّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ	أَكُلْ يَوْمَ هَامَتِي مَقْرَعَةً ²
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ	وَمِنْ خِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةٍ ³
الْمَطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ	وَالضَارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ ⁴
يَا وَهَبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَةٍ	إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مُسْبَعَةً
يُخْبِرُ عَنْ هَذَا خَيْرٌ فَاسْمَعَةَ	مَهْلًا - أَيْتَ اللَّعْنِ - لَا تَأْكُلْ مَعَهُ ⁵
إِنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلْمَعَةٍ	وَأَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إَصْبَعَةً
يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَةً	كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئاً أَطْمَعَةً ⁶

1 ديوان لبيد : 340 .

2 القزع : تساقط الشعر وبقاء بعضه .

3 الديوان : ونحن خير . . .

4 المدعدة : المملوءة . والخيضعة : البيضة التي يلبسها الفارس (الخوذة) .

5 يخبر في الديوان : يخبرك .

6 أطمعه في الديوان : ضيَّعه .

فلَمَّا فرغ من إنشاده التفت النُّعْمان إلى الربيع شزراً يرمقه ، فقال : أَكْذَأُ أَنْتَ ؟ قال : لا ، والله ، لَتَدَّ كَذِبَ عَلِيٍّ ابْنِ الْحَمَقِ اللَّثِيمِ . فقال النُّعْمان : أَفَّ لِهَذَا الْغَلَامِ ، لَقَدْ خَبِثَ عَلِيٌّ طَعَامِي . فقال : أَتَيْتَ اللَّعْنَ ، أَمَا إِنِّي لَقَدْ فَعَلْتُ بِأُمِّهِ . فقال لبيد : أَنْتَ لِهَذَا الْكَلَامِ أَهْلٌ ، وَهِيَ مِنْ نِسَاءِ غَيْرِ فُعْلٍ¹ ، وَأَنْتَ الْمَرْءُ فَعَلَ هَذَا بَيْتِيْمَةً فِي حَجَرِهِ .

فَأَمَرَ النُّعْمان بِنِي جَعْفَرَ فَأَخْرَجُوا . وَقَامَ الرَّبِيعُ فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَبِعِثَ إِلَيْهِ النُّعْمانُ بَضْعَ مَا كَانَ يَحْتَبُوهُ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ الرَّبِيعُ : إِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَرَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَهُ لَبِيدٌ ، وَلَسْتُ بِرَائِمٍ حَتَّى تَبْعَثَ مَنْ يَجَرِّدُنِي فَيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ أَنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعاً بِاتِّفَاقِكَ مِمَّا قَالَ لَبِيدٌ شَيْئاً ، وَلَا قَادِراً عَلَى مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ . فَقَالَ الرَّبِيعُ² :

لَعَنَ رَحَلَتَ جِمَالِي إِنَّ لِي سَعَةً مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرَضاً وَلَا طُولاً
بَحِثْتُ لَوْ وُزِنَتْ لَخُمٌ بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَغْدِلُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمْوِيلَا³
تَرَعَى الرِّوَاثِمُ أَحْرَارَ الْبَقُولِ بِهَا لَا مِثْلَ رَغِيْكُمْ مِلْحاً وَغَسْوِيلَا⁴
فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ بَعْدِي وَاخْلُ مَتَكُثاً مَعَ النَّطَاسِيِّ يَوْمَماً وَابْنَ تَوْفِيلَا
فَكُتِبَ إِلَيْهِ النُّعْمان :

شَرَّدَ بَرَحْلَكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا
فَقَدْ ذُكِرْتَ بِهِ وَالرَّكْبُ حَامِلُهُ وَرِْدَاً يُعْلَلُ أَهْلَ الشَّامِ وَالنَّيْلَا
فَمَا اتِّفَاقُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَزَعْتَ هُوجُ الْمَطِيِّ بِهِ إِثْرَاقَ شِمْلِيلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقّاً وَإِنْ كَذِباً فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا⁵
فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسِعَةً وَانْشَرَبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضاً وَإِنْ طُولَا

1 غير فعل : لا يفعل المنكر .

2 البيتان الأولان من قول الربيع في الخزنة 4 : 12 مع اختلاف وأبيات النعمان فيها أيضاً 4 : 10 .

3 سمویل : طائر ، وقيل أرض كثيرة الطير .

4 غسویل : نبت ينبت في السباح .

5 هذا المثل في فصل المقال : 90 و 92 وفيه الأبيات وجمهرة العسكري 2 : 114 ومستقصى الزمخشري 2 :

وأما الشعر الذي فيه الغناء فإنَّ الرِّيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير . وكان قتله في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بداحس والغبراء .

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأُخفش ، ومحمد بن العباس اليزيديّ ، قالا : حدثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، وإبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، قال : كان من حديث داحس أنَّ أمّه فرس كانت لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبّيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها : جَلوى ، وكان أبوه يسمّى ذا العقّال ، وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن جَميريّ بن رياح ؛ وإنّما سُمّي داحساً لأنّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة ، وكان ذو العقّال مع ابنتي حوط بن أبي جابر بن أوس تجنّباه ، فمرّتا به على جَلوى فرس قرواش وديقا¹ ؛ فلمّا رآها الفرس ودى وصهل ، فضحك شبّان من الحيّ رأوه ، فاستحييت الفتاتان فأرسلته فنزا على جَلوى ، فوافق قبولها فأقصّت² ، ثم أخذها لهما بعض الحيّ ، فلحق بهما حوط ، وكان رجلاً شريفاً سيّء الخلق ، فلمّا نظر إلى عين الفرس قال : والله لقد نزا فرسي ؛ فأخبراني ما شأنه ، فأخبرته الخبر ، فقال : يا آل رياح ، لا والله لا أرضى أبداً حتى أخرج ماء فرسي ، فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهنا فرسك ؛ إنّما كان مُنْقِلِتا ، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عظم .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم ؛ فسطا عليها وأدخل يده في ماء وتراب ، ثم أدخلها في رَحِمها حتى ظنّ أنّه قد أخرج الماء ، واشتملت الرّجِمُ على ما كان فيها ، فتجّها قرواش مُهراً ، فسمّاه داحساً لذلك ، وخرج كأنّه أبوه ذو العقّال . وفيه يقول جرير³ :

إِنَّ الْجِيَادَ يَبْتَنَ حَوْلَ خِيَانَتَا مِنْ آلِ أَعْوَجَ أَوْ لِذِي الْعُقَالِ
وَأَعْوَجُ : فرس لبني هلال .

1 وديق : الفرس التي تطلب الفحل .

2 أقصّت : حملت .

3 ديوان جرير : 375 .

فلما تحرك المهر سام¹ مع أمه وهو فلول يتبعها ، وبنو ثعلبة سائرون ، فرآه حوط فأخذه ، فقالت بنو ثعلبة : يا بني رياح ، ألم تفعلوا فيه أول مرة ما فعلتم ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فرسنا ، ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا .

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : إذا لا نقاتلكم عنه ، أنتم أعز علينا هو فداؤكم ، ودفعوه إليهم .

فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا إخوتنا مرتين ، ولقد حلموا وكرموا ، فأرسلوا به إليهم مع لقوحن .

فمكث عند قرواش ما شاء الله ، وخرج أجود خيول العرب .

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع ، فلم يصيب أحداً غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش ، وأصاب الحي وهم خلوف ، ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . فجالا في متن الفرس مرتدفيه² وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حل قيده ، واتبعهما القوم ، فضبر³ بالغلامين ضبراً حتى نجوا به . ونادتهما إحدى الجاريتين : إن مفتاح القيد مدفون في مذود الفرس بمكان كذا وكذا ، أي بجنب مذود ؛ وهو مكان ، أي لا تنزلا عنه إلا في ذلك المكان ، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كررا راجعين .

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس ، فقال لهما : لكما حكمكما ، واذفعا إلي الفرس . فقالا : أو فاعل أنت ؟ قال : نعم ، فاستوثقا منه ، على أن يرد ما أصاب من قليل وكثير ، ثم يرجع عوده على بدئه ، ويطلق الفتاتين ، ويخلي عن الإبل ، وينصرف عنهم راجعاً . ففعل ذلك قيس ، فدفعا إليه الفرس .

فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا : لا نصالحك أبداً ، أصبنا مائة من الإبل وامرأتين ، فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا ؛ فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل .

فلما جاء قرواش قال للغلامين الأزنميين : أين فرسي ؟ فأخبراه ، فأبى أن يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه ، فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه ، فقضي بينهم أن ترد الفتاتان والإبل إلى

1 سام : رعى .

2 مرتدفيه : راكب أحدهما خلف الآخر .

3 ضبر : وثب بجميع قوائمه .

قيس بن زهير ، ويُردّ عليه الفرس . فلما رأى ذلك قِرَواش رضيّ بعد شرّ ، وانصرف قيس بن زهير ، ومعه داحس ، فمكث ما شاء الله .

وزعم بعضهم أنّ الرّهان إنّما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيّه بن لَوْذان بن عديّ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضرّ بن نزار ، أنّ قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينةٌ لحُذيفة بن بدر تغنيّه بقول امرئ القيس¹ :

دارٌ لهندي والرّبابِ وفَرَتْنِي وليسَ قبلَ حَواثِرِ الأيَّامِ
وهنّ ، فيما يُذكر ، نسوة من بني عيس ، فغضب قيس بن زهير ، وشقّ رداءها ، وشتمها ؛ فغضب حذيفة ، فبلغ ذلك قيساً ، فأثاه يسترضيه ، فوقف عليه ، فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب ، وعنده أفراسٌ له ، فعابها ، وقال : ما يرتبط مثلك مثلَ هذه يا أبا مُسْهَر ! فقال حذيفة : أتعيّبها ؟ قال : نعم ، فتجاريا حتى تراهنا .

وقال بعض الرواة : إنّ الذي هاج الرّهان أنّ رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جوشن ، وهم أهل بيت شُوم ، أتى حذيفة زائراً ، (ويقال إنّ الذي أثاه الورد العبسيّ أبو عُرْوَة بن الورد) ، قال : فعرض عليه حذيفة خيَلَه ، فقال : ما أرى فيها جواداً مُبرّاً ، والمبرّ : الغالب ، قال ذو الرمة² :

أبرّ على الخُصوم فليس خَصَمٌ ولا خصمانِ يَغْلِبُه جدالاً
فقال له حذيفة : فعند من الجواد المُبرّ ؟ فقال : عند قيس بن زهير فقال له : هل لك أنّ تراهنتني عنه ؟ قال : نعم ، قد فعلت . فراهنيه على ذكّر من خيَلِه وأثنى .
ثم إنّ العبديّ أتى قيس بن زهير ، وقال : إني قد راهنتُ عنك على فرسين من خيالك ذكر وأثنى وأوجب الرّهان .

فقال قيس : ما أبالي من راهنتَ عن حذيفة ، فقال : ما راهنت غيره ، فقال له قيس : إنك ما علمتُ لأنكذد .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة ، فوقف عليه ، فقال له : ما غدا بك ! قال : غدوتُ لأُوضِعَكَ الرّهان ، قال : بل غدوتُ لتُغلِقَه ، قال : ما أردت ذلك . فأبى حذيفة إلّا الرّهان ،

1 ديوانه : 162 .

2 ديوان ذي الرمة : 445 .

فقال قيس : أُخِيرِكَ ثَلَاثَ خِلَالٍ ، فَإِنْ بَدَأْتَ فَاخْتَرْتُ قَبْلِي فَلِي خَلَّتَانِ ، وَلَكَ الْأُولَى ، وَإِنْ بَدَأْتُ فَاخْتَرْتُ قَبْلَكَ فَلَكَ خَلَّتَانِ وَلِي الْأُولَى .

قال حذيفة : فابدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غَلْوَةٍ ، والغلوة : الرمية بالنشابة ، قال حذيفة : فالإضمار أربعون ليلةً ، والمجرى : من ذات الإصدا .

ففعلاً ووضعاً السَّبْقُ¹ على يَدَيِ غَلَّاقٍ أو ابن غَلَّاقٍ ، أحد بني ثعلبة بن سَعْدٍ بن ثعلبة . فأما بنو عيس فزعموا أنه أجرى الخطار والحنفاء . وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قُرْزُلًا والحنفاء ، وأجرى قيس داحساً والغبراء .

ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرهان أن رجلاً من بني المعتمر بن قُطَيْعَةَ بن عَيْسٍ يقال له سُرَاقَةُ رَاهَنَ شَابًا من بني بَدْرٍ ، وقيسٌ غَائِبٌ ، على أربع جزائر² من خمسين غَلْوَةٍ ، فلمَّا جاء قيس كِرَةً ذلك ، وقال له : لم ينته رهان قطَّ إِلَّا إلى شَرٍّ . ثم أتى بني بَدْرٍ ، فسألهم المَوَاضِعَةَ ، فقالوا : لا ، حتى نعرف سبقنا ؛ فَإِنْ أَخَذْنَا فَحَقْنَا ، وَإِنْ تَرَكْنَا فَحَقْنَا . فغضب قيس وَمَحَكَ³ ، وقال : أما إِذْ فعلتم فاعظيتموا الخطر ، وأبعدوا الغاية ، قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات إلى ذاتِ الإصدا ، وذلك مائة غلوة ، والثَّيْنَةُ فيما بينهما ، وجعلوا القَصْبَةَ في يَدَيِ رجل من بني ثعلبة بن سعد ، يقال له حُصَيْنٌ ، ويقال : رجل من بني العُشْرَاءِ من بني فزارة ، وهو ابْنُ أُخْتِ لبني عيس ، وملاؤا البركة ماءً ، وجعلوا السابق أَوَّلَ الخيل يكرعُ فيها .

ثم إن حذيفة بن بَدْرٍ وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أُرسِلَ منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه . فلمَّا أُرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، قال : تَرَكَ الخداعَ من أجرى من مائة⁴ ؛ فأرسلها مثلاً .

ثم ركضا ساعةً فجعلتُ خيلُ حذيفة تُبَرِّ وخيلُ قيس تُقَصِّرُ ، فقال حذيفة : سبقتك يا قيس ، فقال : جَرِي المَذَكِّيَّاتِ غِلَابٌ⁵ ، فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعةً ، فقال حذيفة ، إِنَّكَ

1 السبق : الرهان الذي يوضع بين أهل السباق .

2 جزائر : جمع جزور .

3 محك : ليج .

4 المثل «ترك الخداع من أجرى من مائة» في مجمع الميداني 1 : 122 والفاخر : 220 وجمهرة العسكري 1 :

286 وفصل المقال : 154 ومستقصى الزمخشري 2 : 42 .

5 المثل «جري المذكيات غلاب» في مجمع الميداني 1 : 158 وجمهرة العسكري 1 : 299 وفصل المقال :

127 ومستقصى الزمخشري 2 : 51 .

لا تركض مَرَكْضاً¹ ، فأرسلها مثلاً . وقال : سُبِقَتْ خيلك يا قيس ، فقال قيس : رُوَيْدًا يَعلُونَ الجَدَدَ² ، فأرسلها مثلاً .

قال : وقد جعل بنو فزارة كميناً بالثنية ، فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيل واستهلَّت من الثنية ، ثم أرسلوه فتمطر³ في آثارها ؛ أي أسرع ، فجعل يئذُرُها فرساً فرساً حتى سبقها إلى الغاية مصلياً ، وقد طرح الخيل غير الغبراء ، ولو تباعدت الغاية لسبقها ؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ، ثم حلَّوْها⁴ عن البركة ، ثم لطموا داحساً وقد جاء مُتَوَالِيَيْن . وكان الذي لطمه عُمَيْر بن نضلة ، فجسأت⁵ يده ؛ فسُمِّي جاسئاً .

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهما بنو فزارة عن سَبَقِهِم ، ولطموا افراسهم ، ولم تطقهم بنو عيس يقاتلونهم ، وإنما كان مَنْ شهد ذلك من بني عيس أحياناً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنه لا يأتي قومٌ إلى قومهم شراً من الظلم ، فأعطونا حقنا . فأبت بنو فزارة أن يُعطوهم شيئاً ، وكان الخَطَرُ⁶ عشرين من الإبل ، فقالت بنو عيس : أعطونا بعض سَبَقِنَا ، فأبوا ، فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أهلَ الماء ؛ فإننا نكره القالة في العرب . فقال رجلٌ من بني فزارة : مائة جَزُورٍ وجَزُورٍ واحدٍ سواء ، والله ما كنَّا لنُقرَّ لكم بالسبق علينا ، ولم نُسَبِّق .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ، إن قيساً كان كارهاً لأوَّل هذا الرهان ، وقد أحسن في آخره ، وإن الظلم لا ينتهي إلَّا إلى الشر ؛ فأعطوه جَزُوراً من نعمكم ، فأبوا . فقام إلى جَزُور من إبله فعقلها لِيُعْطِيها قيساً ويُرضيه ، فقام ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومَكَ وتلحقَ بهم خَزَايَةَ بما ليس عليهم ؟ فأطلق الغلامَ عِقَالَهَا ، فلحقت بالنعم . فلمَّا رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عيس ، فأتى على ذلك ما شاء الله .

1 المثل «إنك لا تركض مَرَكْضاً» في مستقصى الزمخشري 1 : 416 والضبي : 193 .

2 المثل «رُوَيْدًا يعلون الجد» في مجمع الميداني 1 : 288 وجمهرة العسكري 1 : 472 وفصل المقال : 127 .

3 يتمطر : يسرع .

4 حلَّوْها : منعوها .

5 جسأت : تصلبت .

6 الخطر : الرهان .

[فيس بن زهير يقتل عوف بن بدر]

ثم إنَّ قيساً أغار عليهم ، فلقي عَوْفَ بن بدر فقتله وأخذ إبله . فبلغ ذلك بني فزارة ، فهمُّوا بالقتال ، وغضبوا ، فحمل الربيع بن زياد أحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عُشراء مُتَلية .

(العُشراء : التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلَقِهَا . والمتالي : التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في التناج) .

وأمُّ عوف وأمُّ حذيفة ابنة نضلة بن جُوَيَّة بن لَوْذَان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة . واصطلح الناس ، فمكثوا ما شاء الله .

[حذيفة يدبر مقتل مالك بن زهير]

ثم إنَّ مالك بن زهير أتى امرأةً يقال لها : مُلَيْكَةُ بنت حارثة من بني عَوْذ¹ بن فزارة ، فابتنى بها باللقاطة قريباً من الحاجر . فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسَانٍ خَيْله ، وقال : لا تُنْظِرُوا مالِكاً إنَّ وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي مجاورٌ حذيفة بن بدر . وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر ، فانطلق القوم ، فلقوا مالِكاً فقتلوه ، ثم انصرفوا عنه ، فجاءوا عشيَّةً وقد جَهِدُوا أفراسهم ؛ فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد ، فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ! قالوا : نعم ، وعقرناه .

فقال الربيع : ما رأيت كالיום قطّ ، أهلكت أفراسك من أجل حمارٍ ! فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة ، وهو يحسبُ أنَّ الذي أصابوا حماراً : إنّا لم نقتل حماراً ، ولكنّا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بعس لعمرُ الله القتييل قتلت ، أمّا والله إنّي لأظنه سيبلغ ما نكره .

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطأ الأرض وطأً شديداً ، وأخذ يومئذٍ حَمَلُ بن بدر ذا النون ، سيفَ مالك بن زهير .

[الربيع يرثي مالِكاً]

قال أبو عبيدة : فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له² فقال لها : اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى

1 ل : غراب .

2 أي أمة مولدة .

دخلت البيت ، فاندست بين الكفاء والنضد ، والكفاء : شقّه في آخر البيت ، والنضد : متاعٌ يُجعلُ على حمار من خَشَب ، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ، ثم مسح مَنته حتى قبض بعُكوة ذنبه ، العُكوة : أصل الذنب ، ثم رجع إلى البيت ورُمحه مركوزاً بفنائه ، فهزّه هزاً شديداً ، ثم ركزه كما كان ، ثم قال لامرأته : اطرحي لي شيئاً ، فطرحت له شيئاً ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طهرت تلك الليلة ، فدنت منه ، فقال : إليك ! قد حدث أمرٌ ، ثم تغنى ، وقال ¹ :

نام الخَلِيّ وما أغمضُ حارٍ	من سَيِّء النِّبأ الجليل السَّاري
من مثله تُسمي النساء حواسراً	وتقوم مَغُولَةً مع الأسحارِ
مَنْ كان مسروراً بمَقْتَل مالكٍ	فَلَيَاتِ نِسَوْتَا بَوَجْهِ نهارٍ
يَجِد النساء حواسراً يَنْدَبْنَه	يَكِين قبل تَبْلُج الأسحارِ
قد كُنَّ يَخْبِئَان الوجوه تستراً	فاليوم حين بدَوْنَ للنُّظَارِ ²
يَخْمِشْنَ حُرَات الوجوه على امرئ	سَهْل الخليفة طيب الأخبارِ
أَفْبَعْدَ مَقْتَل مالك بن زهيرٍ	تَرْجُو النساء عواقب الأطهارِ
ما إنْ أرى في قتله لِذَوِي الحِجَا	إِلَّا المطيَّ تُشَدُّ بالأنوارِ
ومجنباتٍ ما يَذْقَن عَذُوفَةً	يَقْدِفْنَ بالمُهَرَات والأُمَهَارِ

العذوف والعذوف واحد ، وهو ما أكلته .

ومساعراً صداً الحديدِ عليهم	فكأنَّما طُلِّي الوجوه بَقَارِ ³
يا رَبُّ مَسْرُورٍ بمَقْتَل مالك	ولسوف نصرِفُه بشرٌ مَحَارِ ⁴

فرجعت المرأة⁵ فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أمرُ إختوكم ، ووقعت الحرب .

[حذيفة يعمل على قتل الربيع]

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جاره : سَيِّرني ، فإني جارُكم ، فسَيِّره ثلاث ليال ، ومع

1 الأبيات في النقائض : 89 .

2 بدون في ل : يبرزن .

3 مساعر : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب .

4 المحار : المرجع .

5 ل : الأمة .

الربيع فَضْلَةٌ من خمر ، فلمّا سار الربيع دسَّ حُذيفة في أثره فوارس ، فقال : اتبعوه ، فإذا مَضَتْ ثلاث ليالٍ فإنّ معه فَضْلَةٌ من خمر ، فإنّ وجدتموه قد أهرأها فهو جادٌ وقد مضى ، فأنصرفوا ، وإنّ لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه ؛ فإنّكم تجدونه قد مال لأدنى منزل ، فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد شقَّ الرِّقَّ ومضى ، فأنصرفوا .

فلمّا أتى الربيع قومه ، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شُخَاء ؛ وذلك أنّ الربيع ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْعٍ كانت عنده ، فلمّا نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ، ثم ركض بها فلم يردّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرْشَب الأُهمارية ، من أُمّار بن بغيض ، وهي إحدى مُنْجِبَات قيس ، وهي أُمُّ الربيع ، وهي تَسِيرُ في طعائن من عبس ، فاقْتَادَ جَمَلَهَا ، يريد أن يَرْتَهِنَهَا بالدَّرْعِ حتّى يُردَّ عليه ، فقالت : ما رأيتُ كالْيَوْمِ فَعَلَ رجل ! أي قيس ، ضلَّ جِلْمُكَ ! أترجو أن تصطَلَحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أُمُّهُمْ ! فذهبتَ بها يميناً وشمالاً ! فقال الناس في ذلك ما شاءوا ! وحسبك من شرِّ سماعة ، فأرسلتها مثلاً . فعرف قيس بن زهير ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأُطْرِدَ إبلاً لبني زياد ، فقدم بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مِرَّة القرشيّ ، وقال في ذلك قيس بن زهير¹ :

ألم يبلغك والأنباء تنمي	بما لاقت لَبُونُ بني زياد
ومَحِسُّها على القرشيّ تُشْرِى	بأدراعٍ وأسيافٍ حِدادٍ
كما لاقيت من حَمَلٍ بن بَذْرِ	واخوته على ذات الإصاِدِ
هم فَحَرُوا عليّ بغير فخرٍ	وذاذوا دُونَ غايتهِ جَوادي
وكنت إذا مُنِيتُ بخصمٍ سوء	دلفتُ له بِداهيةِ نَادٍ ²
بداهيةٍ تدقّ الصُّلْبَ منه	فتقصيُ أو تجوبُ عن الفؤادِ
وكنت إذا أتاني الدَّهْرُ رُبُقٌ	بداهيةٍ شددتُ لها نِجادِي

الربيع : ما يتقلّده .

ألم تعلم بنو الميقات أنّي كريمٌ غير مُنْغِلِثِ الزُّنادِ
الوَقْبُ : الأحمق ، والميقات : التي تلد الحمقى ، والمنغلث : الذي ليس بمنتهى .

1 النقااض : 90-91 .

2 نَاد : شديدة .

أَطَوْفُ مَا أَطَوْفُ ثُمَّ آوِي إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ

جاره : يعني ربيعة الخير بن قُرْط بن سلمة بن قشير ، وجار أبي دُوَاد يقال له : الحارث بن هَمام بن مُرة بن ذُهَل بن شَيْبان ، وكان أبو دُوَاد في جواره ، فخرج صبيان الحَيِّ يلعبون في غدير ، فغمس الصبيان ابنَ أبي دُوَاد فيه فقتلوه ، فخرج الحارث فقال : لا يبقى صبي في الحَيِّ إلا غُرِق في الغدير أو يرضى أبو دُوَاد ، فوَدِيَ ابنُ أبي دُوَاد عشر ديات فرضي ، وهو قول أبي دُوَاد :

إِيلي الإبلُ لا يحوزها الرا عُون مَجَّ الندى عليها المدام

قال أبو سعيد : حفظي : لا يحوزها الراعي وَمَجَّ الندى . [من الوافر]

إليك ربيعة الخير بن قُرْط وَهوباً للطريف وللتلاد
كفاني ما أخاف أبو هلال ربيعة فانتَهت عني الأعادي
تَظَلُّ جِإدُه يحدين حولي بذات الرمث كالحد الغوادي¹
كأنِّي إذ أنختُ إلى ابن قرط عقلتُ إلى يَلْمَمَ أو نضاد²

وقال أيضاً قيس بن زهير³ :

إن تك حربٌ فلم أجنها جتُّها خيارهم أو هم⁴
حِذار الردى إذ رأوا خيلنا مُقدّمها سابح أدهم⁵
عليه كمي وسيربأله مضاعفة نسجها مُحكم⁶
فإن شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولم يسأموا⁷
نهيت ربيعاً فلم يزدرج كما انزجر الحارث الأضجم⁸

قال أبو عبد الله : الحارث الأضجم : رجل من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو صاحب المرباع .

قال : فكانت تلك الشحنة بين بني زياد وبين بني زهير ، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه ، فزعموا أن قيساً دس غلاماً له مولداً ، فقال : انطلق كأنك تطلب إبلاً ؛ فإنهم

1 يحدين في ل : يجرين .

2 يللم ونضاد : جيلان .

3 النقااض : 92 .

4 خيارهم في ل : صبارتهم .

سيسألونك ، فاذكر مقتل مالك ، ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد ، فسمع الربيع يتغنى بقوله :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، عرف قيس أن قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة ، فأرسلوا إليهم أن ردوا علينا إبلنا التي ودّينا بها عوفاً أخا حذيفة بن بدر لأمه ، فقال : لا أعطيكُم دية ابن أُمي ، وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر ، وهو ابن الأسدية ، وأنتم وهو أعلم .

فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودّوا عوف بن بدر بمائة من الإبل متلية ؛ أي قد دنا نتاجها ، وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين ، وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها ، فقال له سنان بن خارجة المرّي : أتريد أن تلحق بنا خراية فنعطيهم أكثر مما أعطونا ، فتسبنا العرب بذلك ؟ فأمسكها حذيفة ، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا .

[مقتل مالك بن بدر]

ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلاً له ، فمرّ على بني رواحة ، فرماه جُنْدُب¹ ، أحد بني رواحة ، بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك² :

[من الطويل]

لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكٍ عَقِيرَةَ قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَشْرَبَا قَطُّ قَطْرَةً وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرَهَانِ
أَحِلُّ بِهِ مِنْ جُنْدُبٍ أَمْسَ نَذْرُهُ فَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانِ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرُّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ أَوِ الرَّسِّ تَبْكِي فَارِسَ الْكَفَّانِ

فَرَسَ لَهُ كَانَتْ تَسْمَى الْكَفَّانِ .

[محاولة صلح بين عبس وذبيان]

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هذم بن أد بن عوذ بن غالب بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس مشى في الصُّلْح ، ورهَنَ بني ذبيان ثلاثة من بنيهِ وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدي سُبَيْع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبَيْع وهم عنده .

1 النقاظ : جنيدب .

2 النقاظ : 93 .

فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع : إنَّ عندك مكرمة لا تبيد إنَّ أنتَ احتفظتَ بهؤلاء الأغيلمة ؛ وكأني بك لو قد مُتُّ قد أتاك حذيفة خالك ، وكانت أمُّ مالك هذا ابنة بدر ، فعصر عينيه ، وقال : هلك سيّدنا ، ثم خدعكَ عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خِفْتَ ذلك فاذهب بهم إلى قومهم .

فلما ثقل جعل حذيفة يئكي ويقول : هلك سيّدنا ، فوقع ذلك له في قلب مالك .

فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له : يا مالك ، إني خالك ، وإني أسنُّ منك ، فادفع إليَّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أنْ ننظر في أمرنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليَّ حذيفة باليعمرية ، واليعمرية : ماء يواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة .

فلما دفع مالك إلى حذيفة الرهن جعل كلَّ يوم يُبرز غلاماً فينصبه غرضاً ويرمي بالنبل ، ثم يقول : نادِ أباك ، فينادي أباه حتى يُمزقه النبل ، ويقول لواقد بن جنيدب : نادِ أباك فجعل ينادي : يا عمّاه ، خلافاً عليهم ، ويكره أنْ يأبس أباه بذلك ، والأبس : القهر والحمل على المكروه ، وقال لابن جُنيدب بن عمرو بن عبد الأسلع : نادِ جنيبة ، وكان جنيبة لقب أبيه ، فجعل ينادي : يا عمّراه ، باسم أبيه حتى قُتل . وقُتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثم إنَّ بني فزارة اجتمعوا هم وبني ثعلبة وبني مرّة ، فالتقوا هم وبني عبّس ، فقتلوا منهم مالك بن سبيع بن عمرو الثعلبي ، قتله مروان¹ بن زُبّاع العبّسي ، وعبد العزى بن حُذار الثعلبي ، والحارث بن بذر الفزاري ، وهرم بن ضمضم المرّي ، قتله وزد بن حابس العبّسي ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر ، فقالت ناجية² أخت هرم بن ضمضم المرّي³ :

يا لَهْفَ نفسي لهفّة المفجوع ألا أرى هَرماً على مَوْدُوع
مِنْ أَجل سيّدنا ومَصْرَع جَنبِهِ عَلِقَ الفؤادُ بِخَنَظَلٍ مجدوع

مَوْدُوع : فرسه .

ثم إنَّ حذيفة بن بذر جمع وتأهب ، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض فبلغ بني عبّس أنّهم

1 النقااض : الحكم بن مروان .

2 ل : نائحة .

3 النقااض : 203 .

قد ساروا إليهم ، فقال قيس : أطيعوني ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري ، قالوا : فإننا نطيعك . فأمرهم فسرّحوا السّوام والضّعاف بليلٍ وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصّبح ، وأصبحوا على ظهر العقبة ، وقد مضى سواهم وضُفّواهم . فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثّنايا ، فقال قيس : خذوا غير طريق المال ؛ فإنّه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم . فأخذوا غير طريق المال .

فلمّا أدرك حذيفة الأثر ورآه قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ! فاتّبع المال .

وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلمّا أدركوه ردّوه أوّله على آخره ، ولم يُفَلت منهم شيء ، وجعل الرجلُ يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها . وتفرّقوا ، واشتدّ الحرّ ، فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّ القوم قد فرّق بينهم المغنم ، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم ، فلم تشعر بنو ذبيان إلّا والخيل دوائس¹ ، فلم يقاتلهم كبيرٌ أحد ، وجعل بنو ذبيان إنّما همّة الرجل في غنيمته أن يحوزها ، ويمضي بها .

فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيّة ، ولم يكن لهم همٌّ غير حذيفة ، فارسلوا خيّلهم مجتهدين في أثره ، وأرسلوا خيلاً تقصّ الناس ويسألونهم ، حتى سقط خبرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية العبسيّ ، وعمرو بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة العبسيّ ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير ، وقرواش بن هنيّ بن أسيد بن جذيمة ، وجنيدب .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ، فنزل عنه فوضع رجله على حجرٍ مخافة أن يُقتصّر أثره ، ثم شدّ الحزام فوق صدره قدّمه على الأرض فعرفوه ، وعرفوا حنّف فرسه ، والحنف : أن تُقبل إحدى اليدين على الأخرى ، وفي الناس أن تُقبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وأن يطاء الرجل وحشيّهما² ، وجمع الأحنف حُنْف ، فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجفّر الهبابة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ، ومعه حمّل بن بذر ، وحنش بن عمرو ، وورقاء بن بلال

1 دوائس : يتبع بعضها بعضاً .

2 الوحشي : الجانب الأيمن ، والأيسر : الإنسي .

وأخوه ، وهما من بني عديّ بن فزارة ، وقد نزعا سُرُوحَهُم ، وطرحوا سِلاحَهُم ، ووقعوا في الماء ، وتمعكت¹ دوابُّهم ، وقد بعثوا رَيْبَةً فجعل يطَّلَعُ فينظر ، فإذا لم يَرِ شيئاً رجع ، فنظر نظرةً فقال : إنني قد رأيتُ شخصاً كالنَّعَمَةِ أو كالطائر فوق القَتَادَةِ من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هُنَا وَهُنَا ، هذا شَدَاد على جِرْوَةٍ ، وجِرْوَةٌ : فَرَسٌ شَدَاد ، والمعنى دَعُ ذِكْرُ شَدَاد عن يمينك وعن شمالك ، واذكر غيره لما كان يخافُ من شَدَاد .

فبينما هم يتكلمون إذا هم بشَدَاد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء عمرو بن الأسلع ، ثم جاء قِرواش حتى تَنَامُوا خمسة . فحمل جُنَيْدٌ على خيلهم فاطردها ، وحمل عمرو بن الأسلع ، فاقترحم هو وشَدَاد عليهم في الجَفَر ، فقال حذيفة : يا بني عيس ؛ فأين العقول والأحلام ! فضربه أخوه حَمَلٌ بن بدر بين كتفيه ، وقال : اتَّقِ مَأْثُور القول بعد اليوم² فأرسلها مثلاً .

وقَتَلَ قِرواش بن هُنيّ حذيفة ، وقتل الحارث بن زهير حَمَلٌ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير ، وكان حَمَلٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله ، فقال الحارث بن زهير في ذلك³ :

تركتُ على الهَبَاءِ غَيْرَ فخر
حُدَيْفَةَ حَوْلَهُ قِصْدُ الْعَوَالِي⁴
سيخبرُ قومه حَنْشٌ بن عَمْرٍو
إذا لاقَاهُمْ وَأَبْنَا بِلَالٍ
ويُخبرهم مكانَ النُّونِ مني
وما أُعْطِيَتْهُ عَرَقَ الْخِلَالِ

العرق : المكافأة ، والخلال : المودة ، يقول : لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودة ، ولكنني قتلت وأخذت .

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سَعْدِ بن ذُبْيَان⁵ :

سَيُخْبِرُكَ الْحَدِيثُ بِهِ خَبِيرٌ
يُجَاهِرُكَ الْعَدَاوَةُ غَيْرَ آلِي
بُدَاءَتِهَا لِقِرْوَاشٍ وَعَمْرٍو
وَأَنْتَ تَجُولُ جَوْتُكَ فِي الشَّمَالِ
الجوب : الترس ، يقول : بداءة الأمر لِقِرْوَاشٍ وَعَمْرٍو بن الأسلع ، وهما اقتحما الجَفَر وقاتلا

1 تمعكت الدواب : تمرغت في التراب .

2 المثل «أتقِ مَأْثُور القول بعد اليوم» في أمثال الضبي : 96 .

3 النقائض : 96 .

4 قصد العوالي : كسر الرماح .

5 النقائض : 96 .

مَنْ قَتَلَا ، وَأَنْتَ تُرْسُكَ فِي يَدِكَ يَجُولُ لَمْ تَغْنِ شَيْئاً . ويقال : لك البداءة ولفلان العودة .

وقال قيس بن زهير¹ :

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بِنَ بَدْرٍ بَغَى ، وَابْتَغَى مَرْتَعَهُ وَخِيمُ²
أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلٌّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
فَلَا تَغْشَ الْمَظَالِمَ لَنْ تَرَاهُ يُمْتَعُ بِالْغِنَى الرَّجُلُ الظَّلُومُ
وَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمَّهُ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمَسْتَدِيمُ³
أَلَا قِي مِنْ رِجَالٍ مُنْكَرَاتٍ فَأَنْكَرَهَا وَمَا أَنَا بِالْعَشُومِ
وَلَا يُغْنِيكَ عَرْقُوبٌ بِلَايٍ إِذَا لَمْ يَعْطِكَ النُّصْفَ الْخَصِيمُ
وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمَعُوجٌ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ

قوله : فما صلى عصاك كمستديم ، يقول : عليك بالتأني والرفق ، وإياك والعجلة ؛ فإنَّ العَجُولَ لَا يُثْرِمُ أَمْراً أَبَداً ، كما أَنَّ الَّذِي يَثْقِفُ الْعُودَ إِذَا لَمْ يُجِدِ تَصْلِيَتَهُ عَلَى النَّارِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ .

وقال في ذلك شدَّاد بن معاوية العبسي⁴ :

مَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَأِنِّي وَجِرْوَةٌ لَا نَرُودُ وَلَا نُعَارُ
مُقَرَّبَةٌ النَّسَاءِ وَلَا تَرَاهَا أَمَامَ الْحَيِّ يَتْبَعُهَا الْمِهَارُ
لَهَا فِي الصَّيْفِ آصِرَةٌ وَجُلٌّ وَسِتٌّ مِنْ كَرَائِمِهَا غِزَارُ

آصرة : حشيش ، وسيت : أي ست أينق تسقى لبنها .

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي الْعُشْرَاءِ عَنِّي عَلَانِيَةً وَمَا يُغْنِي السَّرَارُ
قَتَلْتُ سَرَاتِكُمْ وَحَسَلْتُ مِنْكُمْ حَسِيلاً مِثْلَ مَا حُسِلَ الْوِبَارُ⁵

1 النقائض : 96 .

2 المثل «الظلم مرتعه وخيم» في مجمع الميداني 1 : 444 . وجمهرة العسكري 2 : 28 ومستقصى الزمخشري 330 : 1 .

3 في هذا البيت والذي بعده إقواء . والمثل «ما صلى عصاك كمستديم» في مجمع الميداني 2 : 287 .

4 النقائض : 97 وتنسب هذه الأبيات إلى عنترة .

5 الحسيل : الأرزال والسفلة . الوبار : دوية على قدر السنور من حيوانات الصحراء .

حُسَالَةُ الناس وَحُفَالَتِهِمْ وَرِعَاعِهِمْ وَخِمَانِهِمْ وَشَرَطُهُمْ وَخُنَاتِهِمْ وَخِشَارَتِهِمْ وَغُثَاوُهُمْ
واحد ؛ وهم السُّفْلَةُ . يقول : قتلْت سِرَاتِكُمْ وجعلتكم بعدهم حُسَالَةً ، كما خُلِقْت الْوِيَارُ
حُسَالَةً .

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُسَا ، ويزعم بعضُ بني فزارة أنَّ حذيفة كان أَصاب يومئذٍ
فيمن أَصاب من بني عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلَمِيَّةُ أُمّ قيس فقتلها ، وكانت في المال ،
وقال¹ :

ولم أَقتلكُم سِرًّا ولكن علانيةً وقد سطع الغبارُ

صوت²

[من البسيط]

جاء البريدُ بِقِرطاسٍ يخبُّ به فأوجس القلبُ من قرطاسِهِ فَرَعَا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ قال : الخليفة أُمسى مُثَبَّتًا وجَعَا³
عروضه من الكامل⁴ . الشعر ليزيد بن معاوية ، والغناء لابن محرز ، هزج بالوسطى عن
عمرو .

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في عِلَّةٍ أُبِيه التي مات فيها ، وكان يزيد يومئذٍ غازيًا غزاة
الصائفة .

1 قائل البيت في النقائض (97) هو شداد بن معاوية العبسي .

2 شعر يزيد : 25 .

3 مُثَبَّتًا : لا حراك به من المرض .

4 بل من البسيط .

355 - [خبر ليزيد بن معاوية]¹

[يزيد يقود الصائفة]

أخبرني عليّ بن سلمان الأخفش ، قال : حدّثني السكريّ والمبرّد ، عن دماذ أبي غسان ، واسمه رَفِيع بن سلمة ، عن أبي عبيدة : أنَّ معاويةَ وجَّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة ، فأصابهم جُذريٌّ فمات أكثرُ المسلمين² ، وكان ابنه يزيد مصطبِحاً بِدَيْر مُرَّان مع زوجته أمّ كلثوم ، فبلغه خبرهم ، فقال³ :

إذا ارتفعتْ على الأنماط مصطبِحاً بدَيْر مُرَّانَ عندي أمّ كلثوم
فما أبالي بما لاقتْ جنودهم بالغَذَقْدُونَةِ مِنْ حُمَى ومن مُوم
فبلغ شعره أباه ، فقال : أجل ، والله ليلحقنَّ بهم فليصينَّ ما أصابهم .

[يضرب باب القسطنطينية]

فخرج حتى لحق بهم ، وغزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر إلى قَبَتَيْن مبنيتين عليهما ثيابُ الدياج ، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداها أصواتُ الدَّقوف والطبول والمزامير ، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى . فسأل يزيد عنهما ف قيل له : هذه بنتُ ملك الروم ، وتلك بنتُ جَبَلَة بن الأيهم ، وكلُّ واحدةٍ منهما تُظهرُ السرور بما تفعله عشيرتها . فقال : أما والله لأُسَرِّتها ، ثمَّ صفَّ العسكر ، وحمل حتى هُزم الرُّوم ، فأحجرهم في المدينة ، وضرب بابَ القسطنطينية بعمود حديد كان في يده ، فهشَّمه حتى انخرق ، فضُربَ عليه لوحٌ من ذهب ، فهو عليه إلى اليوم .

نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ : حدّثني العباس بن ميمون طابع ، قال : حدّثني ابن عائشة ، عن أبيه ، وحدّثني القَحْذَمِيّ : أنَّ ميسون بنت بَحْدَل الكلبية كانت تزني يزيد بن معاوية ، وتُرَجِّلُ جُمَّتَه ، قال : فإذا نظر إليه معاوية قال : [من الطويل]

1 ترجمة يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن هذه الفترة : الطبري ، ابن الأثير ، البدء والتاريخ ، اليعقوبي ، المسعودي وكثير غيرها . وفي زمنه وقعت معركة الحرة وقتل الحسين بن عليّ مما أكثر الوضع عليه . وله مجموع شعر صنعه صلاح الدين المتجدد غير أنه من الصعب تمييز ما قاله مما نسب إليه .

2 ل : الناس .

3 شعر يزيد : 30 . والبيتان في معجم البلدان : غزقذونة ، ودير مران .

فإن مات لم تفلح مزينه بعده فنوطي عليه يا مزين التماثما¹

[يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر]

فلما احتضر معاوية حضره يزيد بن معاوية ، وعنبسة بن أبي سفيان ، فبكى يزيد إلى عنبسة ، وقال :

لو فات شيء يُرى لفات أبو حيان لا عاجز ولا وكل
الحول القلب الأريب ولن يذفع زوء المنية الحيل²

فسمعهما معاوية بعد أن رددهما مراراً ، فقال : يا بني ، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعت قبل ذلك ؛ إنني كنت أوصي رسول الله ﷺ ، فكساني قميصاً ، وأخذت من شعره ، فإذا أنا مت فكفني في قميصه ، واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي ، وخل بيني وبين ربي ، لعل ذلك ينفعني شيئاً .

قال العباس بن ميمون : فقلت للّقحذمي : هذا غلط ، والدليل على ذلك أن أبا عدنان حدثني ، وها هو حي فأسأله ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عيَّاش ، عن الشعبي : أن معاوية مات ويزيد بالصائفة ، فأتاه البريد بنعيه ، فأنشأ يقول³ :

جاء البريد بقرطاسٍ يخبُ به فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعاً
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ قال : الخليفةُ أمسى مُثَبِّتاً وجعاً
مادت بنا الأرضُ أو كادت تَمِيدُ بنا كأنَّ ما عَزَّ من أركانها انقلعا
مَنْ لم تَزَلْ نفسُه تُوفي على وجلٍ توشكُ مقاديرُ تلك النفس أن تقعا⁴
لما وَرَدَتْ وبابُ القَصْرِ منطبقٍ لصوت رَملة هُدَّ القلبُ فانصدعا⁵

[الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه]

وكان الذي تولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس ، فخطب الناس ، فقال : إن ابنَ هند قد توفى ، وهذه أكفائه على المنبر ، ونحن مُدْرِجُوهُ فيها ، ومخلون بينه وبين ربِّه ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة . ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعلَ من هذا شيئاً .

1 نوطي : علفي .

2 زوء في ل : صرف .

3 شعر يزيد : 25 .

4 وجل في ل : شرف .

5 منطبق في ل : مصطفي .

قال العباس : فسكت القحذمي ، وما رد¹ علي شيئاً .

[رثاء معاوية]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء ، قال : حدّثني الزبير بن بكار ، قال : حدّثني عمي ، عن جدي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : صلّي بنا عبدُ الله بن الزبير يوماً ، ثم انقل من الصلاة ، فنشج ، وكان قد نعي له معاوية ، ثم قال : رحم الله معاوية إن كنّا لنخدعه فيتخادع لنا ، وما ابن أنثى بأكرم منه ، وإن كنّا لنعرفه يتفارق لنا ، وما الليثُ المحرّبُ بأجرأ منه ؛ كان والله كما قال بطحاء العُدريّ :

رَكُوبُ المنابر وثأبها مِعَنُ بخطبته يَجْهَرُ²
تَرِيعُ إليه عيونُ الكلام إذا حَصِرَ الهذيرُ المِهْمَرُ³

كان والله كما قالت رقيقة ، أو قال : بنت رقيقة :

ألا ابكيه ألا ابكيه ألا كلّ الفتى فيه

والله لو دّني أنّه بقي بقاء أبي قبيس ، لا يتخون له عقل ، ولا تنقض له قوة .

قال : فعرفنا أنّ الرجلَ قد استوحش .

[ابن عباس يرثي معاوية أيضاً]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنا ابن أبي سعد ، قال : قال محمد بن إسحاق المُسيبيّ : حدّثني جماعة من أصحابنا : أنّ ابنَ عباسٍ أتاه نعيُ معاوية وولاية يزيد ، وهو يعشي أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه لقمةً ، فألقاها وأطرق هنيهة ثم قال :

جَبَلٌ تَدَكَّدَكَ ، ثم مال بِجُمُعِهِ في البحر واشتملت عليه الأبحرُ

لله درُّ ابن هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حلمه .

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه ، وقال : أتقول هذا فيه ؟ فقال : ويحك ! إنك لا تدري من مضى عنك ، ومن بقي عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

1 ل : أنكر .

2 يهجر في ل : مجهر . والمن : الذي يتكلّم فيما يعرض له .

3 حصر الهذير في ل : هزل الخطل . والمهر : الكثير الكلام ، الهذار .

صوت

[من المتقارب]

إذا زينب زارها أهلها حَشَدْتُ وأَكْرَمْتُ زَوَارَها
 وإن هي زارتهم زُرْتهم وإن لم أجد لي هَوًى دارها
 فسَلِمِي لمن سألمت زينب وخرَّي لِمَن أَشْعَلت نارَها
 وما زلتُ أرعى لها عَهْدَها ولم أَتَّبِع ساعة عارَها¹

عروضه من المتقارب . الشعر لشریح القاضي في زوجته زينب بنت حُدَير التميمية ،
 والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقیل بالبصرة ، عنه على مذهب إسحاق . وذكر إسحاق في
 كتاب الأغاني المنسوب إليه أنه لابن محرز .

[356] - ذكر شريح ونسبه وخبره¹

[نسبه]

هو فيما أخبرني به الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدثنا الحارث² بن أبي أسامة ، قال : حدثنا أبو سعيد ، عن هشام بن السائب . وأخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح ، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه : أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكندي . قال هشام في خبره خاصة : وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم ، وسائرهم من هجر وحضرموت .

وقد اختلف الرواة بعد هذا في نسبه ؛ فقال بعضهم : شريح بن هانيء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانيء الحارثي ، واعتلّ مَنْ قال هذا بخبر رُوي عن مجالد ، عن الشعبي ، أنه قرأ كتاباً من عُمر إلى شريح : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء . وقد يجوز أن يكون كتب عمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثي ، وقرأه الشعبي ، وكلا هذين الرجلين معروف ، والفرق بينهما النسب والقضاء ؛ فإن شريح بن هانيء لم يقض ، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام . وقيل : شريح بن عبد الله ، وشريح بن شراحيل ، والصحيح ابن الحارث . وابنه أعلم به .

وقد أخبرنا وكيع ، قال : حدثنا أحمد بن عمر بن بكير ، قال : حدثني أبي عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي ليلى : أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث . وقيل : إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن ، وعداده في كندة ، وقد روي عنه شبيه بذلك .

أخبرنا وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي ، قال : حدثنا عبدان ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا سفيان الثوري ، عن ابن أبي السّفر ، عن الشعبي ، قال : جاء أعرابي إلى شريح ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا من الذين أنعم الله عليهم ، وعدادي في كندة .

1 ترجمة القاضي شريح في وفيات الأعيان 2 : 460-463 وفي طبقات ابن سعد 6 : 131 وحلية الأولياء 4 : 172 والمعارف 433 وتذكرة الحفاظ 59 والعقد 1 : 81-91 .

2 ل : الحسن .

قال وكيع : وقال أبو حسان ، عن أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، قال : كان شريح إذا قيل له مَن أنت ؟ قال : مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام ، عَدِيد كندة .
قال وكيع : وقيل إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق ؛ لأنَّ أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا من ذلك .

وقد اختلف أيضاً في سنهم ؛ فقليل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقل من ذلك وأكثر .

فممن ذكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوار ، روى ذلك يحيى بن معين ، عن المحاربي ، عن أشعث ، وأبو سعيد الجعفي ، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهري . وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم .

أخبرنا الحسن بن علي ، عن الحارث ، عن ابن سعد ، عن أبي نعيم ، قال : بلغ شريح مائة وثمانين سنة .
[سنة وفاته]

قال الحارث : وأخبرني ابن سعد ، عن الواقدي ، عن أبي سبرة ، عن عيسى ، عن الشعبي ، قال : توفي شريح في سنة ثمانين ، أو تسع وسبعين .

قال أبو سعيد : وقال إبراهيم : في سنة ست وسبعين . وقال أبو إبراهيم الزهري ، عن أبي سعيد الجعفي : إن شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان .

أخبرني وكيع ، قال : حدثنا الكُراني ، عن سهل ، عن الأصمعي ، قال : وُلد لشريح وهو ابن مائة سنة .

وروى إسماعيل بن أبان الورّاق ، عن علي بن صالح ، قال : قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت ابن ست ومائة ، قضيت¹ منها ستين سنة .
[عمر يستقضيها]

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقضاه ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب ، قال : حدثنا رَوْح بن عباد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ سيّاراً قال : سمعتُ الشعبي يقول : إنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سَوم ، فحمل عليه رجلاً ، فعطب الفرس ، فقال عمر : اجعلْ بيني وبينك رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل

بيني وبينك شريحاً العراقيّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذته صحيحاً سليماً على سؤم ، فعليك أن تردّه كما أخذته . قال : فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضياً ، ثم قال : «ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم تستين في كتاب الله فالزم السنة ، فإن لم يكن في السنة ، فاجتهد رأيك» .

أخبرني وكيع ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسن ، عن الثُميريّ ، عن حاتم بن قبيصة المهلبيّ ، عن شيخ من كنانة ، قال : قال عمر لشريح ، حين استقضاه : «لا تُشار ولا تُضار ، ولا تشتر ولا تبع» . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

إِنَّ الْقُضَاةَ إِنْ أَرَادُوا عَدْلًا وَفَصَلُوا بَيْنَ الْخُصُومِ فَصَلَا
وَزَحَزَحُوا بِالْحُكْمِ مِنْهُمْ جَهْلًا كَانُوا كَمَثَلِ الْغَيْثِ صَابَ مَحَلًا

وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها ، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه في الدرع .
[يقضي بين علي وبين يهوديّ]

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهير بن نوح بالأهواز ، قال : حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم العجليّ ، قال : حدثني حكيم بن حزام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : عَرَفَ عليّ صلوات الله عليه درعاً مع يهوديّ ، فقال : يا يهوديّ ، درعي سقطت مني يوم كذا وكذا ، فقال اليهوديّ : ما أدري ما تقول ! درعي وفي يدي ، بيني وبينك قاضي المسلمين .

فانطلقا إلى شريح ، فلما رآه شريح قام له عن مَجْلِسِهِ ، فقال له عليّ : اجلس . فجلس شريح ، ثم قال : إن خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك ، ولكنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا تساؤوهم في المجلس ، ولا تعودوا مَرْضَاهُمْ ، ولا تشيعوا جنائزهم ، واضطروهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : درعي ، عَرَفْتُهَا مع هذا اليهوديّ .

فقال شريح لليهوديّ : ما تقول ؟ قال : درعي وفي يدي .

قال شريح : صدقتُ والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعك كما قلت ، ولكن لا بدّ من شاهد ؛ فدعا قنبراً فشهِدَ له ، ودعا الحسن بن عليّ ، فشهِدَ له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتها ، وأمّا شهادة ابنك لك فلا . فقال عليّ : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول إن الحسن والحسين سيّدا شبابِ أهل الجنة . قال :

اللهم نعم ، قال : أَفَلَا تُجِيزُ شَهَادَةَ أَحَدِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ! وَاللَّهِ لَتُخْرِجَنَّ إِلَى بَانِقِيَا
فَلتَقْضِيَنَّ بَيْنَ أَهْلِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . ثُمَّ سَلَّمَ الدَّرْعَ إِلَى الْيَهُودِيِّ .

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَشَى مَعِيَ إِلَى قَاضِيهِ ، فَقَضَى عَلَيْهِ ، فَرَضِي بِهِ ، صَدَقْتَ
إِنَّهَا لَدِرْعُكَ ، سَقَطَتْ مِنْكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا عَنْ جَمَلٍ أَوْرَقٍ فَالْتَقَطْتُهَا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَذِهِ الدَّرْعُ لَكَ ، وَهَذِهِ الْفَرَسُ لَكَ ،
وَفَرَضَ لَهُ فِي تِسْعِمَائَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ .

[357] - خبر زينب بنت حدير وتزويج شرح إياها

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة ، وأبو محمد رجل ثقة ، قال : حدثنا مُجالد ، عن الشعبي ، قال¹ : قال لي شرح : يا شعبي ، عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء ، قال : قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفتُ من جنازة ذات يوم مُظهِراً ، فمررتُ بدور بني تميم ، فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رُود ، يعني التي قد بلغت ، ولها ذُؤابة على ظهرها جالسة على وسادة ، فاستسقيت ، فقالت لي : أي الشراب أعجبُ إليك : النبيذ ، أم اللبن ، أم الماء ؟ قلت : أي ذلك يَتيسرُ عليكم ، قالت : اسقُوا الرجلَ لبناً ؛ فإني إخاله غريباً² .

[يخطب زينب بنت حدير]

فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فأعجبنتي ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتي ، قلت : ومَنْ ؟ قالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بني تميم ، ثم إحدى نساء بني حنظلة ، ثم إحدى نساء بني طهية . قلت : أفارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ، قلت : أتزوجينيها ؟ قالت : نعم إن كنتَ كَفِيّاً ، ولها عَمٌّ فاقصده .

فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلتُ إلى إخواني القراء الأشراف : مسروق بن الأجدع ، والمسيب بن نجبة ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وخالد بن عرفة العذري ، وعروة بن المغيرة بن شعبة ، وأبي بردة بن أبي موسى ، فوافيتُ معهم صلاة العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : إليك ، قال : وما هي ؟ قلت : ذكرتُ لي بنتُ أخيك زينب بنت حدير ، قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مقصر ، وإنك لنهزة .

فتكلمت فحمدت الله جلّ ذكره ، وصليتُ على النبي ﷺ ، وذكرتُ حاجتي ، فردّ الرجل عليّ وزوجني ، وبارك القوم لي ، ثم نهضنا .

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر : 9 : 201-203 .

2 ل : عربياً .

فما بلغت منزلي حتى ندمتُ ، فقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهمت بطلاقها ، ثم قلت : أجمعها إليّ ، فإن رأيتُ ما أحبُّ والّا طلقتهُ .

فأقمتُ أياماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلما أجلس في البيت أخذت بناصيتها فبركت ، وأخلي لي البيت ، فقلت : يا هذه ، إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين ، ويسألا الله خير ليلتهما ، ويتعوذا بالله من شرّها . فقمْتُ أصلي ثم التفت ، فإذا هي خلّفتي فصلّيت ، ثم التفت فإذا هي على فراشها ، فمددت يدي ، فقالت لي : على رسلك ، فقلت : إحدى الدواهي مُيت بها ، فقالت : إن الحمد لله أحمدهُ وأستعينه إنّي امرأة غريبة ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشدّ عليّ منه ، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك ، فحدثني بما تحبُّ فاتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلي الله على محمد ، قدمت خيرَ مقدم ، قدمت على أهل دارِ زوجك سيّد رجالهم ، وأنت سيّدة نسايتهم ، أحبُّ كذا وأكره كذا .

قالت : أخبرني عن أختانك¹ أتحبُّ أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاضٍ ، وما أحبُّ أن تملوني .

قال : فبت بآنعم ليلة ، وأقمتُ عندها ثلاثاً ، ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً إلّا هو أفضل من الذي قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحوّل دخلتُ منزلي ، فإذا عجوز تأمر وتنهى ، قلت : يا زينب ، من هذه ؟ فقالت : أمّي فلانة . قلت : حيّاك الله بالسلام ، قالت : أبا أميّة كيف أنتَ وحالك ؟ قلت : بخير أحمد الله ، قالت : أبا أميّة ؛ كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إنّ المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإن رآك منها ريب فالسوط ؛ فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الورهاء² المتدلّلة .

قلت : أشهد أنّها ابتكت ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنّت الأدب .

قال : فكانت في كلّ حوّل تأتينا فتذكر هذا ؛ ثم تنصرف .

[يعالج زينب من لسعة عقرب]

قال شريح : فما غضبتُ عليها قطّ إلّا مرّة كنتُ لها ظالماً فيها ؛ وذاك أنّي كنتُ أمام قومي فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتي الفجر ، فأبصرت عقرباً ، فعجلتُ عن قتلها ، فأكفأت

1 أختان الرجل : أصهاره .

2 الورهاء : الحمقاء .

عليها الإناء ، فلمّا كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحرّكي الإناء حتى أجيء ، ففعلت فحرّكت الإناء فضربتها العقرب ، فجئت فإذا هي تلوّى . فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعني العقرب . فلو رأيته يا شعبيّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب .

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يقال له ميسرة بن عُرَيْر من الحبيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلت :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشلتُ يميني يوم أضربُ زينبا
يا شعبيّ ، فوددتُ أنّي قاسمتها عيشي .
ومّا يغنى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب :

[من الطويل]

صوت

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشلتُ يميني يوم أضربُ زينبا
أضربها في غير جُرمٍ أتت به إليّ ، فما عذري إذا كنتُ مذنباً !
فتاة تزينُ الحليّ إن هي حُلّيتُ كأن بفيها المسكَ خالطَ محلّبا¹
والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجنّس .

صوت

[من الطويل]

أمنُ رسمِ دارٍ مربعٍ ومصيفُ لعينك من ماء الشؤنِ وكيفُ
تذكرتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادرتُ دُموعي وأصحابي عليّ وقوفُ
عروضه من مصرّع الطويل . الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما
ولّى الكوفةَ لعثمان . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو .

1 حلب : من معانيها العسل .

[358] - أخبار الخطيئة مع سعيد بن العاص¹

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : لَقِنِي إِيَّاسَ بْنِ الْخَطِيئَةِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، مَاتَ أَبِي ، وَفِي كِسْرِ بَيْتِهِ عَشْرُونَ أَلْفًا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ أَبُوكَ ، وَقَالَ فِيهِ خَمْسَ قَصَائِدَ ، فَذَهَبَ وَاللَّهِ مَا أُعْطِيتُمُونَا وَبَقِيَ مَا أُعْطِينَاكُمْ ، فَقُلْتُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ .

[مدح سعيد بن العاص]

[من الطويل]

قال أبو زيد : فمما قال فيه قوله² :

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ مَرِيعٌ وَمَصِيفُ	لَعَيْنِكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ وَكَيْفُ
إِلَيْكَ سَعِيدُ الْخَيْرِ جُبْتُ مَهَايِمَهَا	يَقَابِلُنِي آلٌ بِهَا وَتُنُوفُ ³
وَلَوْ لَا أَصِيلُ اللَّبِّ غَضُّ شَبَابِهِ	كَرِيمٍ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ عَرُوفُ ⁴
إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَنْفِنْ هُمَّه	كَعَابٌ عَلَيْهَا لَوْلُو وَشُنُوفُ ⁵
حَصَانٌ لَهَا فِي الْبَيْتِ زَيٌّ وَبَهْجَةٌ	وَمَشْيٌ كَمَا تَمْشِي الْقَطَاةُ قَطُوفُ ⁶
وَلَوْ شَاءَ وَارَى الشَّمْسُ مِنْ دُونِ وَجْهِهِ	حِجَابٌ وَمَطْوِيٌّ السَّرَاةُ مَنِيفُ ⁷

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي ، عن خالد بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، قال : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي الْمَدِينَةِ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ يَعِشِي النَّاسَ ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْعِشَاءِ قَالَ الْآذِنُ : أَجِيزُوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ سَمَرِهِ . قَالَ : فَدَخَلَ الْخَطِيئَةُ فَتَعَشَّى مَعَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَقَالَ الْآذِنُ : أَجِيزُوا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْخَطِيئَةِ ، فَقَالَ : أَجْزُ ، فَأَبَى ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَأَبَى ، فَلَمَّا رَأَى سَعِيدُ إِيَّاهُ قَالَ : دَعْنِي ؛ وَأَخَذَ فِي الشُّعْرِ وَالْخَطِيئَةُ مُطَرِّقٌ لَا يَنْطَلِقُ ، فَقَالَ

1 تقدمت ترجمة الخطيئة في الأغاني 2 : 101 .

2 ديوانه (صادر) : 81-83 .

3 تنوف : جمع تنوفة : وهي المفازة .

4 أصيل اللب : ثابت اللب . والعروف : الصبور على نوائب الأيام .

5 الشنوف : جمع شنف وهو القرط .

6 الحصان : العقيقة . والقطوف : المتقارب الخطو .

7 مطوي السراة : مدمج الأعلى .

الحطيئة : والله ما أَصَبْتُمُ جَيِّدَ الشعر ، ولا شاعر الشعراء .
[أفضل الشعراء]

قال سعيد : مَنْ أَشعر العرب يا هذا ؟ فقال : الذي يقول :

[من الخفيف]

لا أَعْدُ الإِتَارَ عُدْمًا ولكن فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِئَتْهُ الإِعدامُ
مِنْ رجالٍ من الأَقاربِ بأنوا من جُدامٍ هم الرؤوس الكرامُ
سُلْطَ الموتُ والمَنونُ عليهم فلهم في صَوَى المقابرِ هامُ¹
وكذا كُمْ سبيلُ كلِّ أناس سوف حَقًّا تُبْلِيهِمُ الأَيَّامُ

قال : ويحك ! مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال أبو ذؤاد الإيادي ، قال : أَوْ تَرَوِيهِ ؟ قال : نعم ،
قال : فَأَنشدنيهِ ، فَأَنشدته الشعرَ كُلَّهُ ، قال : وَمَنْ الثاني ؟ قال : الذي يقول² : [من السريع]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغْ بالضر عَفْ وقد يُخدَع الأريبُ

قال : وَمَنْ يقول هذا ؟ قال : عَبِيد ، قال : أَو تَرَوِيهِ ؟ قال : نعم ، قال : فَأَنشدنيهِ ،
فَأَنشدته ، ثم قال له : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : والله لَحَسْبُكَ بِي عند رَهْبَةٍ أَوْ رَعْبَةٍ ، إذا وضعتُ إحدى
رجلي على الأُخرى ، ثم رفعتُ عَقيرتي بالشَّعر ، ثم عَوَّيتُ على أثر القوافي عَوَاءَ الفصيل
الصادر عن الماء .

قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : الحطيئة ، قال : ويحك ! قد علمتَ تشوقنا إلى مجلسك ، وأنت
تَكْتُمُنَا نَفْسَكَ منذ الليلة ! قال : نعم ، لمكان هذين الكلبين عندك ، وكان عنده كعب بن جعيل ،
وأخوه . وكان عنده سويد بن مشنوء النّهديّ ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيين ، فَأَنشدته
الحطيئة قوله³ :

[من الوافر]

أَلَسْتُ بِجَاعِلِي كَابَنِي جُعِيلٍ هَذَاكَ اللهُ أَوْ كَابَنِي جَنَابٍ⁴
أَدَبُ فَلَ أَقَدَّرُ أَنْ تَرَانِي ودونك بالمدينة أَلْفُ بَابٍ⁵
وَأُحْبَسُ بِالْعَرَاءِ الْمُحَلِّ يَتِي ودونك عازِبٌ ضَخَمُ الذَّبَابِ⁶

1 صوى في ل : صدى .

2 ديوان عبید (صادر) : 26 .

3 ديوانه : 86 .

4 بنو جعيل من تغلب وبنو جناب من كلب .

5 الديوان : أدب وراء نقدة أن تراني ، ونقدة : مكان .

6 ضخَمُ الذَّبَابِ في الديوان : صخب الذباب .

العازب : الكَلَأُ الذي لم يُرْعَ ، وقد التَفَّ نَبْتُهُ .

فقال له سعيد : لعمر الله لأنتَ أَشْعَرُ عندي منهم ، فَأَنشدني ، فَأَنشده¹ : [من الطويل]

سَعِيدٌ وما يفعلُ سَعِيدٌ فَإِنَّهُ نَجِيبٌ فَلَاهُ في الرِّبَاطِ نَجِيبٌ²

سَعِيدٌ فلا يفرركِ قِلَّةُ لحمه تَخَذَّدُ عنه اللحمُ فهو صَلِيبٌ

ويروى : خَفَّةُ لحمه .

إذا غاب عنا غاب عنا رَيْبُنا ونُسقى الغمامَ الغرَّ حينَ يَوُوبُ

فنعم الفتى تَعَشُّوْا إلى ضَوْءِ ناره إذا الرِّيحُ هَبَّتْ والمكانُ جَدِيبٌ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم عاد فَأَنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

أَمِنْ رِسمِ دارٍ مربعٍ ومَصِيفٍ

يقول فيها : [من الطويل]

إذا همَّ بالأعداءِ لم يثنِ عَزْمَهُ كعابٍ عليها لَوْلُوٌّ وشَنُوفٌ

فأعطاه عشرة آلاف أخرى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد ، وزاد فيه : فأنتهى الشَّرْطُ إلى الخطيئة فرأوه أعرابياً قبيح الوجه ، كَبِيرَ السنِّ ، سَيِّءَ الحالِّ ، رثَّ الهيئة ، فأرادوا أَنْ يقيموه ، فأبى أَنْ يقومَ ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دَعُوا الرجل . وباقي الخبر مثله .

قال أبو عبيدة في هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة ، قال : أقبل الخطيئة في رَكْبٍ من بني عُبَسَ ، حتى قَدِمَ المدينة ، فأقام مدَّةً ، ثم قال له مَنْ في رفقته : إنا قد أردنا³ وأُخِلينا ، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرَّنا وحملنا . فأتى خالد بن سعيد بن العاص ، فسأله فاعتذر إليه ، وقال : ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام ، وخرج من عنده . فارتاب به خالد ، فبعث يسأل عنه ، فأخبر أنه الخطيئة ، فردَّه . فأقبل الخطيئة ، فقعد لا يتكلَّم ، فأراد خالد أَنْ يستفتح به الكلام ، فقال : مَنْ أَشْعَرُ الناس ؟ فقال : الذي يقول⁴ : [من الطويل]

1 ديوانه : 87 .

2 فلاه : رياه . والرباط : مرابطة الخيل .

3 أردنا : هزلت دوابنا من السفر .

4 البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته . وانظر الشعر والشعراء : 666 .

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرَّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشُّتْمَ يُشْتَمُ
فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعضُ عقاريهِ ، وأمر له بكسوة وحملان ، فخرج بذلك
من عنده .

صوت

[من الخفيف]

جَبَّذا لَيْلَتِي بَتَلَّ بَوْنِي حِينَ نُسْقَى شَرَابَنَا وَنُغْنَى¹
إِذْ رَأَيْنَا جَوَارِيًا عَطِرَاتٍ وَغَنَاءَ وَقَرْقَفًا² فَتَزَلْنَا²
مَا لَهِمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ إِذْ يَسْأَلُونَ : وَيَحْنَا مَا فَعَلْنَا !
عروضه الضرب الأول من الخفيف . الشعر للمالك بن أسماء بن خارجة ، والغناء لحنين ،
رمّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 تل بونى : من قرى الكوفة .

2 القرقف : الخمر التي ترعد شاربها .

[359] - أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه¹

[نسبه]

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد مضى هذا النسب في أخبار عوف القوافي ، وقد مضت أخباره ، وذكر هذا البيت من فزارة وشرفه فيها وسائر قصصه هناك .

[تزوج الحجاج أخته وولاه أصفهان ثم حبسه]

وكان الحجاج بن يوسف وكلى مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هنداً بأصفهان ، بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه ، ثم خلاه بعد ذلك ، وطالت أيامه بأصفهان ، فظهرت عليه خيانة أخرى ، فحبسه وناله بكل مكره .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، قال : حدثني هشام بن محمد الهلالي ، قال : اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قين ، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن ، وكان محبوساً بمال عليه للحجاج ؛ فسأله عن الحديث فحدثه به ، ثم أقبل على هند فقال : قومي إلى أخيك ، فقالت : لا أقوم إليه ، وأنت ساخط عليه . فأقبل الحجاج عليه ، فقال : إنك والله ما علمت للخائن أمانته ، اللئيم حسبه ، الزاني فرجه ، فقال : إن أذن لي الأمير تكلمت . قال : قل ، قال : أما قول الأمير الزاني فرجه ، فوالله لأنا أحقر عند الله عز وجل وأصغر في عين الأمير من أن يجب لله عليّ حدّ فلا يقيمه ؛ وأما قوله : اللئيم حسبه ، فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصابه رني ؛ وأما قوله : إني خوون ، فلقد ائتمنتي فوفرت ، فأخذني بما أخذني به ، فبعث ما كان وراء ظهره ، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام .

قال : فنهض الحجاج ، وقال : شأنك يا هند بأخيك .

قال مالك بن أسماء : فوثبت هند إليّ فأكبّت عليّ ، ودعت بالجواري ، ونزعن عني حديدي ، وأمرت بي إلى الحمام ، وكستني ، وانصرفت .

1 ترجمة مالك بن أسماء في الشعر والشعراء : 666-667 ومعجم المرزباني : 266 والسمط : 150 .

فلبثت أياماً ، ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهدٌ ، وفيها عهدي على أصفهان . قال : خذ هذا العهد ، وامض إلى عملك ، فأخذته ونهضت . قال : وهي ولايته التي عزله عنها ، وبلغ به ما بلغ من الشر .

قال أبو زيد : ويقال إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مضيقاً عليه في كل أحواله ، حتى كان يُشَاب¹ له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح . فاشتاق الحجاج إلى حديثه يوماً ، فأرسل إليه ، فأحضر ، فبينما هو يتحدث إذ استسقى ماءً فأتى به ، فلما نظر إليه الحجاج قال : لا ، هات ماء السجن ، فأتى به وقد خلط بالملح والرماد ، فسقى به .

قال : ويقال إنه هرب من الحبس ، فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج .
قال : وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن ، ثم يعود إلى مصره .

[يشفع أباه عند الحجاج]

وقد كان خالد بن عتاب الرياحي فعل ذلك ، واستجار بزفر بن الحارث الكلابي ، فأجاره ، فراجعه عبد الملك في أمره ، ثم أجاره ، فكتب مالك إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره ، فقال أسماء في ذلك :

أبني فزارة لا تُعنوا شيخكم	ما لي وما لزيارة الحجاج
شبهته شيلاً غداة لقيته	يلقي الرؤوس شواحب الأوداج
تجري الدماء على النطاع كأنها	راح شسول غير ذات مزاج
لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه	يس الموئل في طلاب الحاج
يا ليت هندا أصبحت مرموسة	أو ليتها جلست عن الأزواج

[بين خالد بن عتاب والحجاج]

قال أبو زيد : فأما خبر خالد بن عتاب الرياحي ، فإن الحجاج كان استعمله على الري ، وكانت أمه أم ولد ، فكتب إليه الحجاج يلحن أمه ، ويقول يا ابن اللخناء ؛ أنت الذي هربت عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائناً من كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إليّ تلخنني ، وتزعم أنني فررت عن أبي حتى قُتِلَ ، ولعمري لقد فررت عنه ، ولكن بعد أن قُتِلَ ، وحين لم أجد لي مقاتلاً ؛ ولكن أخبرني عنك يا ابن اللخناء

المستفرمة¹ بعجم زبيب الطائف ، حين فررت أنت وأبوك يوم الحرّة على جمل ثفال² ، أيكما كان أمام صاحبه ، فقرأ الحجاج الكتاب ، وقال : صدق : [من الرجز]

أنا الذي فررت يوم الحرّة ثم ثنيت كربةً بفرة
والشيخ لا يقر إلا مرة

ثم طلبه ، وهرب إلى الشام ، وسلم بيت المال ولم يأخذ منه شيئاً .

[خالد بن عتاب يستجير]

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالد الشام ، فسأل عن خاصّة عبد الملك ، فقيل له : روح بن زبّاع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إني جئتكم مستجيراً ، فقال : إني قد أجرتك إلا أن تكون خالداً ، قال : فإني خالد ، فتغير وقال : أنشدك الله إلا خرجت عني ؛ فإني لا آمن عبد الملك ، فقال : أنظرني حتى تغرب الشمس . فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد .

فأتى زفر بن الحارث الكلابي فقال : إني جئتكم مستجيراً ، قال : قد أجرتك . قال : أنا خالد بن عتاب . قال : وإن كنت خالداً .

فلما أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسنّ ، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس ، فلما رآه دعا له بكرسيّ ، فجعل عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إني قد أجرت عليك رجلاً ، فأجره ، قال : قد أجرته إلا أن يكون خالداً ، قال : فهو خالد ، قال : لا ، ولا كرامة . فقال زفر لابنيه : أنهضاني .

فلما ولّى قال : يا عبد الملك ، أما والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة ورأس الجواد لأجرت من أجرت . فضحك ، وقال : يا أبا الهذيل ، قد أجرناه ، فلا أرينه . وأرسل إلى خالد بألفي درهم ، فأخذها ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم .

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

[مالك وأخوه يعشقان جارية لأختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد النحويّ ، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب ، قال : حدثنا عبد الله بن مسلم ، قال : عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند ،

1 المستفرمة : التي تضيق فرجها بالفرم .

2 الثفال : البطيء .

وعشقها أخوه عيينة بن أسماء بن خارجة ، فاستعان بأخيه مالك ، وهو لا يعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبها ، فقال مالك¹ :

أُعَيِّنُ هَلًا إِذْ كَلِفْتُ بِهَا كُنْتُ اسْتَغْتُ بِفَارِغِ الْعَقْلِ
أُرْسَلْتُ تَبْغِي الْغَوْثَ مِنْ قَبْلِي وَالْمُسْتَغَاثُ إِلَيْهِ فِي شَغْلٍ

[مالك يعشق جارية من بني أسد]

قال ابن قتيبة خاصة : وهوي مالك بن أسماء جارية من بني أسد ، وكانت تنزل داراً من قصب ، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سرية مبنية بالجص والآجر فقال : [من الكامل]

يَا لَيْتَ لِي خُصْماً يُجَاوِرُهَا بَدَلاً بَدَارِي فِي بَنِي أُسْدٍ
الْخُصْـمُ فِيهِ تَقَرَّرَ أُعَيْنُنَا خَيْرٌ مِنَ الْآجِرِ وَالْكَمَدِ

[ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني عمي ويعقوب بن عيسى ، وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم ، قال : حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي ، عن الزبير : أن عمر أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء . قال أبو هفان في خبره : وهو يطوف بالبيت ، وقد يهر الناس جماله وكأله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلّم عليه وقال له : أنت أخي حقاً ، فقال له مالك : ومن أنا ومن أنت ؟ فقال : أما أنا فستعرفني ، وأما أنت فالذي تقول² :

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بَسْتَا نِي مِنَ الْوَرْدِ أَوْ مِنَ الْيَاسْمِينَا
نَظَرًا وَالتَّفَاتَةَ أَتَرَجَّيْ أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ فِيمَا يَلِينَا

غنت فيه عليّة بنت المهديّ خفيف رمل بالوسطى .

وقال أبو هفان في حديثه : قال له عمر : ما زلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر لك ، فقال له مالك : أنت عمر بن أبي ربيعة ، قال : نعم .

قال الزبير في خبره خاصة : وحدثني ابن أبي كُنَاسَة ، أن عمر لما لقي مالكا استنشدته ، فأنشده مالك شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك³ :

1 البيتان في معجم الشعراء : 266 .

2 البيتان في معجم الشعراء : 266 .

3 جميع هذه الأبيات في معجم البلدان .

إِنَّ فِي الرِّفْقَةِ الَّتِي شِيعْتَنَا بجويرِ سَمَا لَزَيْنَ الرِّفَاقِ

ومثل قولك : [من الكامل]

أَشْهَدُنَا أُمَّ كُنْتَ غَائِبَةً عن ليلتي بحديثِ القَسْبِ

ومثل قولك : [من الخفيف]

حَبَّذَا لَيْلَتِي بَتَلٌ بَوْنَى حين نُسْقَى شَرَابَنَا وَنُغْنَى

فقال له مالك : هي قُرَى البلد الذي أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك : [من الكامل]

حَيِّ الْمَنَازِلَ قَدْ دَثَرْنَ خَرَابَا بين الجوين وبين رُكنِ كُسَابَا¹

ومثل قولك² : [من الخفيف]

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلْيَيْنِ لَوْ يَدَّ نَ رَجَعَ السَّلامَ أَوْ لَوْ أَجَابَا

فأمسك عنه عمر بن أبي ربيعة .

ومالك بن أسماء الذي يقول³ : [من الخفيف]

وَحَدِيثُ أَلَذُّهُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجّم ، قال : حدّثني أبي ، قال : قلت للجاحظ : إني قرأتُ في فصلٍ من كتابك المسمّى بكتاب البيان والتبيين⁴ : إنّما يستحسن من النساء اللّحنُ في الكلام ، واستشهدتَ بيّتي مالك بن أسماء ، يعني هذين البيتين ، قال : هو كذلك ، فقال : أما سمعتَ بخير هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحتْ في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجّتَ بيّتي أخيها ، فقال لها : إنّ أخاك أراد أن المرأة فطّنة ، فهي تلحّنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتسترَ معناه ، وتورّي عنه ، وتفهمه من أرادت بالتعريض ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إليّ

1 ديوان عمر : 46 . وروايته : بين الجرير وبين ركن كسابا .

2 الديوان : 40 .

3 الشعر والشعراء : 666 .

4 البيان والتبيين 1 : 82 . وانظر حاشية السمط : 16-17 .

هذا الخبر أولاً لما قلتُ ما تقدّم ، فقلتُ له : فأصْلِحْهُ ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق ، وهذا لا يُصْلَح ، أو كلاماً نحو ما ذكرنا ، فإنّ أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه .

[المتوكّل يطلب اتباع تل بونى]

أخبرني الحسين بن يحيى ، وجعفر بن قدامة ، قالا : قال حمّاد : حدّثني أحمد بن داود السدّي ، قال : ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكّل ، وأنا على سواد الكوفة : أن اتبع لي تلّ بونى بما بَلَغَتْ ، فأتيتهما ، فإذا قريةٌ صغيرة على تلّ ، قد خرب ما حوالِهما من الضيّاع ، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم ، قال : فظننتُ حرّكه على طلبها أنّه غنيّ : [من الخفيف]

حبّذا ليلتي بتلّ بونى

فسألتُ عن ذلك ، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غتته هذا الصوت .

قال حمّاد : ومكتومة هذه جاريةٌ أهداها أبي إليه لما ولي الخلافة ، فإنّه سأل عنه ، فعرف أنّه كفّ بصره ، فكتب له بمائة ألف درهم ، وأمر بإشخاصه إليه مكرّماً ، فأشخص إليه ، وأهدى إليه عدّة جوارٍ هذه فيهنّ .

[الحجاج يستتب ملكاً]

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش أنّ الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء ، فعاتبه عتاباً طويلاً ، ثم قال له : أنت والله كما قال أخو بني جعدة¹ :

إذا ما سَوَاةٌ غَرَاءٍ مَاتَتْ	أُتِيتَ بِسَوَاةٍ أُخْرَى بِهِيمٍ ²
وما تنفكُ تُرْحَضُ كلَّ يومٍ	مِنْ السَّوَاتِ كالطُّفْلِ النَّهِيمِ ³
أَكَلُ الدَّهْرِ سَعِيكَ فِي تَبَابٍ	تَنَاقِي كُلَّ مُؤَمِّسَةٍ أَثِيمٍ

فقال له : لستُ كما قال الجعديّ ، ولكنّي كما قلتُ :

لكلّ جَوَادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُهَا	وعَثْرَةٌ مِثْلِي لَا تُقَالُ مَدَى الدَّهْرِ
فَهَبْنِي يَا حَجَّاجَ أَخْطَأْتُ مَرَّةً	وَجُرْتُ عَنْ الْمَثَلِي وَغَنَيْتُ بِالشَّعْرِ
فهل لي إذا ما تبتُ عندك توبةً	تَدَارِكُ مَا قَدْ فَاتَ فِي سَالِفِ الْعَمْرِ

1 الفضليات : 70 .

2 بهيم : سوداء .

3 ترحض : تغسل .

فقال له الحجاج : بلى والله ، لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك ؟ قال له : لك الله به ، قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فانظر ما تقول ، قال : الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد . قال : فترك مالك الشراب ، ووفى بعهده وأظهر النسك ، ثم طما به الشعر ، وطال عليه ترك اللذات والشراب ، فقال : [من الطويل]

وَنَدَمَانِ صِدْقٍ قَالَ لِي بَعْدَ هَذِهِ	من الليل : قم نشرب ، فقلت له : مهلاً
فَقَالَ : أَبْخُلًا يَا ابْنَ أَسْمَاءَ هَاكُنَا	كُمَيْتًا كَرِيحَ الْمِسْكِ تَزْدَهِفُ الْعَقْلَ ¹
فَتَابِعْتُهُ فِيمَا أَرَادَ وَلَمْ أَكُنْ	بَخِيلًا عَلَى النَّدَمَانِ أَوْ شَكِسًا وَغَلَا
وَلَكِنِّي جَلَدُ الْقَوَى أَبْذُلُ النَّدَى	وَأَشْرَبُ مَا أُعْطِيَ وَلَا أَقْبِلُ الْعَذْلَا
ضَحُوكَ إِذَا مَا دَبَّتِ الْكَأْسُ فِي الْفَتَى	وغيره سُكَّرَ وَإِنْ أَكْثَرَ الْجَهْلَا

قال : فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب ، فقال : لا يأتي مالك بخير سَجِيسَ الأوجس² ، قاتل الله أيمن بن خريم حيث يقول : [من الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ وَفَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ	له دُونَ مَا يَأْتِي حِجَابٌ وَلَا سِتْرٌ ³
فَدَعَهُ وَمَا يَأْتِي وَلَا تَعَذَّلَهُ	وإن مَدَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الْعُمُرُ

وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبياتاً أيمن هذه الرائية ، وقال : أخذ معناها من قول ابن عباس : إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته ، وقال : حبذا من لا يفلح أبداً . وأول الأبيات هذه : [من الطويل]

وَصَهْبَاءُ جُرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُفْ بِهَا	حَنِيفٌ وَلَمْ تَنْغَرْ بِهَا سَاعَةً قِدرُ
وَلَمْ يَشْهَدْ الْقَسُّ الْمُهَيَّنِمُ نَارَهَا	طُرُوقاً وَلَا صَلَّى عَلَى طَبْخِهَا خَبْرُ
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَمْتُ نَوْمَةً	وَقَدْ غَابَتِ الْجَوَازُءُ وَانْحَدَرَ النَّسْرُ
فَقُلْتُ : اصْطَبَحْتُهَا أَوْ لَغَيْرِي سَقَّهَا	فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيَحْكُ وَالْخَمْرُ !
إِذَا الْمَرْءُ وَفَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ	له دُونَ مَا يَأْتِي حِجَابٌ وَلَا سِتْرُ
فَدَعَهُ وَلَا تَنْفَسَ عَلَيْهِ الَّذِي أُتِيَ	وَلَوْ مَدَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الْعُمُرُ

1 تزهف العقل : تذهب به .

2 سَجِيسَ الأوجس : طول الدهر . والمثل «لا آتيك سَجِيسَ الأوجس» في فصل المقال : 510 .

3 حِجَابٌ فِي ل : حياء .

صوت

[من الخفيف]

تلك عِرْسِي تَرُومُ هَجْرِي سِفَاهاً
زَعَمْتُ أَنَّهَا تُوَاتِي مَعَ الْمَا
وَتَنَاسَتْ رَزِيَّةٌ بِدَمَشْقٍ
يَوْمَ نَلَقَى نَعَشَ ابْنِ عُرْوَةَ مَحْ
مُسْتَحْتَأً بِهِ سِياقاً إِلَى الْقَبْرِ
ثُمَّ وَلَّيْتُ مُوجِعاً قَدْ شَجَانِي
وَجَفْتَنِي فَمَا تُوَافِي عِنَاقِي
لِ وَأَتِّي مُحَالِفٌ إِمْلَاقِي¹
أَشْخَصَتْ مُهْجَتِي فُؤَيْقَ التُّرَاقِي
حَمُولاً بِأَيْدِي الرِّجَالِ وَالْأَعْنَاقِ
رَ وَمَا إِنْ لَحْثَهُمْ مِنْ سِيَاقِ
قَرَبُ عَهْدٍ بِهِمْ وَبَعْدُ تَلَاقِ

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي يرثي محمد بن عروة بن الزبير .
والغناء لدحمان ، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابن محرز
ثقيل أول بالبنصر عن حبش .

360 - [من أخبار عروة بن الزبير]¹

[غضب للوقوع بأخيه عبد الله في مجلس الخليفة]

أخبرنا الطوسي والحارمي بن أبي العلاء ، قالوا : حدثنا الزبير ، قال : حدثنا مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة ، قال : قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فدخل فأجلسه معه على السرير . فجاء قومٌ فوقوا في عبد الله بن الزبير ، فخرج عروة فقال للآذن : إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي ، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم . فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : قد أخبرني الآذن بما قلت ، وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه ، وإن أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلا شتموه ، فإذا أذنا لأحدٍ قبلك فقد جاء من يشتمه فلا تدخل ، وإذا أذنا لأحد وأنت جالس فانصرف .

[قطع رجله]

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شئت رجله ، فقيل له : اقطعها ، قال : إني لأكره أن أقطع مني طابقاً ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنها إن وقعت في الركبة قتلتك ، فقطعت ، ولم يقبض وجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا تجد معه ألماً ، فقال : ما يسعني أن هذا الحائط وقائي أذاها .

[مقتل ابنه محمد]

قال الزبير : وحدثني مصعب بن عثمان بن عامر ، عن صالح ، عن هشام بن عروة ، قال : سقط محمد بن عروة بن الزبير ، وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية ، من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك ، فضرته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروة رجل يعزيه ، فقال عروة : إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها ، فقال بل أعزيك بمحمد ، قال : وما له ؟ فخبّره بشأنه ؛ فقال :

[من الطويل]

1 ترجمة عروة بن الزبير في وفيات الأعيان 3 : 255-258 وسير أعلام النبلاء 4 : 421 ونسب قريش : 245-246 وحلية الأولياء 2 : 176 وصفوة الصفوة 2 : 47 وتذكرة الحفاظ : 62 والإصابة والشذرات

وكنْتُ إذا الأَيَّامُ أَحَدَثْنَ نَكْبَةً أَقولُ شَوَى ما لم يُصَيِّنَ صَمِيمِي¹
 اللهم أَخَذْتَ عَضْواً وترَكْتَ أَعْضاءَ ، وَأَخَذْتَ ابْناً وترَكْتَ أَبْناءَ ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ
 لَقَدْ أَبْقَيْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ .

فلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ قَصْرَهُ بِالْعَقِيقِ ، فَاتَاهُ ابْنُ المُنْكَدِرِ ، وَقَالَ : كَيْفَ كُنْتَ ؟ فَقَالَ :
 ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ .

[تعزية عيسى بن طلحة]

قال الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي عبدُ المَلِكِ بنُ عبدِ العَزِيزِ ، عن ابنِ المَاجِشُونِ : أَنَّ عِيسَى بنَ طَلْحَةَ
 جاءَ إلى عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ حينَ قَدِمَ من عِندِ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ ، وَقَدْ قُطِعَتْ رِجْلُهُ ، فَقَالَ
 عُرْوَةَ لِبَعْضِ بَنِيهِ : اكشِفْ لِعَمَلِكَ عن رِجْلِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، ففَعَلَ . فَقَالَ لَهُ عِيسَى : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
 إِلَيْهِ راجِعُونَ ، يا أَبَا عبدِ اللَّهِ ، ما أَعَدَدْنَاكَ لِلصِّراعِ ولا لِلسِّبَاقِ ، وَلَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَنَا مِنْكَ ما كُنَّا
 نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْكَ : رَأْيُكَ وَعِلْمُكَ . فَقَالَ عُرْوَةَ : ما عَزَّانِي أَحَدٌ عن رِجْلِي مِثْلَكَ .

[وجد من هو أعظم بلاء منه]

قال الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بنُ عِثْمانَ ، عن عامِرِ بنِ صالِحٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ :
 أَنَّهُ قَدِمَ على الوليدِ رَجُلٌ من عَبَسَ ضَرِيرٌ مَحْطُومٌ الوَجْهَ ، فَسأَلَهُ عن سَبَبِ ذَلِكَ ، فَقَالَ :
 بَتُّ لَيْلَةٍ في بَطْنِ وادٍ ، ولا أَعْلَمُ في الأَرْضِ عَبَسِيًّا يَزِيدُ مالُهُ على مالِي ، فَطَرَقَنَا سَيْلٌ ،
 فَذَهَبَ بما كانَ لي من أَهْلٍ ومالٍ ووَلَدٍ إلَّا صَبِيًّا مولوداً وبِعيراً ضَعِيفاً ، فَندَّ البَعِيرُ والصَّبِيُّ
 معي ، فوَضَعْتُهُ ، وَاتَّبَعْتَ البَعِيرَ ، فَمَا جاوزْتُ ابْنِي قَلِيلاً إلَّا ورَأْسُ الذِّئْبِ في بَطْنِهِ ،
 فَتَرَكْتُهُ ، وَاتَّبَعْتَ البَعِيرَ ، فَرَمَحَنِي رَمَحَةً حَطَمَ بِهَا وَجْهِي ، وَأَذْهَبَ عَيْنِي ، فَأَصْبَحْتُ لا
 ذا مالٍ ولا ذا وَلَدٍ ولا ذا بَصَرٍ .

فَقَالَ الوليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ : اذْهَبُوا بِهِ إلى عُرْوَةَ لِيَعْلَمَ أَنَّ في النَاسِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ بَلاءَ مِنْهُ .
 [عمر موكل بالجمال يتبعه]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بنُ نَصْرِ المَهْلَبِيِّ ، وَعَمْرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ بنِ أَحمدَ ، وَمُحَمَّدُ بنُ العَبَّاسِ
 البِزْزِديّ ، وَجَماعَةُ أَخْبَرُونِي قالُوا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ ، قالَ حَدَّثَنِي عَمِّي ، عن جَدِّي ،
 عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، قالَ : خَرَجْتُ مع أَبِي عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ حاجًّا ، وَمَعَنَا أَخِي مُحَمَّدُ بنُ
 عُرْوَةَ ، وَكانَ من أَحْسَنِ النَاسِ وَجْهاً ، فَلَمَّا كُنَّا في بَعْضِ الطَرِيقِ إِذا نَحْنُ بَعْمُرُ بنُ أَبِي رِيعَةَ
 يَكْلُمُ بَعْضُنَا ؟ فَقُلْنَا : هَذَا أَبُو الخُطَّابِ لو سَائرَناهُ ، فَرَأانا عُرْوَةَ ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ ؟ قُلْنَا : هَذَا

عمر بن أبي ربيعة ، ف ضرب عُرْوَة إليه راحلته ، فلما رآها عُمَر عدل إليه فسَلَّم عليه ، ثم قال :
 وأَيْنَ زَيْنُ المَوَاكِبِ ؟ ، يعني محمد بن عُرْوَة ، فقال : قد تقدَّم ، فعدل عن عُرْوَة واتبع محمداً ،
 فقال له عُرْوَة : نحن أكفَى لك وأولى أن تُسَايِرَنَا . فقال : إنِّي رجل موكل بالجمال أتبعه حيث
 كان ، وضرب راحلته ومضى .

صوت

[من الرمل]

يا بني الصَّيِّدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفَعِّلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
 عَوَّدُوا مُهْرِي الَّذِي عَوَّدْتَهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ
 وَاسْتَبَاءَ الزُّقَّ مِنْ حَانَاتِهِ شَائِلَ الرَّجْلَيْنِ مَعْصُوباً يَمِيلُ

عروضه من ثاني الرمل .

بنو الصَّيِّدَاءِ : بطن من بني أسد . والدَّلَج : السيرُ في آخر الليل ، يقال دَلَجَ يَدْلُجُ ،
 مخففة ، إذا سار من آخر الليل ، وأدَلَجَ يَدْلُجُ ، إذا سار الليل كله . واستَبَاءَ الزُّقَّ ، أراد
 استبَاءَ الخمر فيه ؛ أي ابتاعها من حاناتها . والحانات : جمع حانة ، وهي الموضع الذي
 تُباع فيه الخمر . وشَائِلَ الرجلين : رافعهما .

[من الرمل]

وروى الأصمعيّ وأبو عمرو :

أَحْمَلُ الزُّقَّ عَلَى مَنْسِجِهِ فَيُظَلُّ الضَّيْفُ نَشْوَاناً يَمِيلُ

الشعر لزيد الخيل الطائي . والغناء لابن محرز ، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى
 الوسطى ، عن يحيى المكِّي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وفيه
 لعاذل لحن من كتاب إبراهيم غير معجَّس ، وذكر حبَّش أنَّ فيه لِنَبِيَّه لَحْناً من الثقيل
 الثاني بالوسطى .

[361] - أخبار زيد الخيل ونسبه¹

[نسبه]

هو زيد بن مُهَلِّهْل بن يزيد بن مُنْهَب بن عَبْد رُضَا ، وَرُضَا : صنم كان لِطُيٍّ - ابن مجلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان ، وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جَلْهَمَة ، وهو طُيٍّ ؛ سُمِّيَ بذلك لآَنه كان يَطْوِي المناهل في غزواته ، ابن أدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلَان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو هُود النَّبِيُّ ﷺ . كذا نسبه النَّسَابُونَ ، والله أعلم .

وَأُمُّ طُيٍّ مُدْلَة بنت ذِي منحسان بن عَرِيب بن الْغَوْث بن زُهَيْر بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومُدْلَة هذه هي مَذْحِج ، وهو لَقْبُهَا ، وهي أُمُّ مالك بن أدد ، وكانت مُدْلَة عند أدد أَيْضاً ، فولدت له الأشعر واسمُه نَبْت ، ومَرَّةً ، ابني أدد . ومن الناس مَنْ يَقُولُ مَذْحِج ظَرِبَ صغير اجتمعوا عليه ، وليس بأُمُّ ولا أَب ، والله أعلم .

[سمّاه النبي زيد الخير]

وكان زيدُ الخيل فارساً مغوراً مظهرًا شجاعاً بعيدَ الصَّيت في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبي ﷺ ، ولقيّه وسرَّ به وقرَّظه ، وسمّاه زيد الخير .

وهو شاعر مُقِلٌّ مُحَضَّرٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان ، وإنّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مَرَّ² عليه وأحسنَ في قِراه إليه ؛ وإنّما سُمِّيَ زيد الخيل لكثرة خَيْلِه ، وإنّه لم يكن لأحدٍ من قومه ولا لكثير من العرب إلّا الفرس والفرسان ، وكانت له خَيْلٌ كثيرة ، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِهِ وهي ستّة ، وهي الهَطَّال ، والكُمَيْت ، والوَرْد ، وكامل ، ودوؤل ، ولاحق . وفي الهَطَّال يقول³ :

[من الوافر]

1 ترجمة زيد الخيل في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة والشعر والشعراء : 205-207 وتهذيب ابن عساكر 6 : 34 وخزانة البغدادي 4 : 379-380 ووفوده على الرسول في كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام 2 : 577 وإمتاع الأسماع : 508 وعيون الأثرم : 236 ، وراجع بروكلمان 1 : 162 . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي ما بقي من شعره .

2 ل : مَنْ .

3 ديوانه : 89 .

أَقْرَبُ مَرْبِطَ الْهَطَّالِ إِنِّي أَرَى حَرْبًا سَتَلْقَحُ عَنْ حِيَالِ
وفي الورد يقول¹ :

[من الطويل]

أَبْتُ عَادَةً لِلوَرْدِ أَنْ يُكْرِهَ الْقَنَا وَحَاجَةً نَفْسِي فِي نَمِيرٍ وَعَامِرٍ
وفي دؤول يقول² :

[من الوافر]

فَأَقْسَمَ لَا يُفَارِقُنِي دَوْوُلٌ أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضَّرْبُ
هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره ، وقد ذكرها .

[أبنؤه شعراء]

وكان يزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر ، وهم عروة ، وحرث ، ومهلل . ومن الناس من يُنكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحرث .

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظَلَعَ في بعض غزواته بني أسد ، فلم يتبع الخيل ووقف ، فأخذته بنو الصياد ، فصلح عندهم ، واستقل .

وقيل : بل أغزى عليه بعض بني نبهان ، فنكس عنه وأخذ . وقيل : إنه خلفه في بعض أحياء العرب ظالماً ليستقل ، فأغارت عليهم بنو أسد ، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال في ذلك زيد الخيل³ :

[من الرمل]

يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفَعِّلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
لَا تُذِيلُوهُ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ الْمُهْرِي بِالْمُذِيلِ⁴
عَوْدُوهُ كَالَّذِي عَوَّدْتُهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِيطَاءَ الْقَتِيلِ
أَحْمِلِ الزَّقُّ عَلَى مَنَسْجِهِ فَيُظِلُّ الضَّيْفُ نَشْوَانًا يَمِيلُ⁵

قال أبو عمرو الشيباني : وكان زيد الخيل مُلِحّاً على بني أسد بغاراته ، ثم على بني الصياد منهم ، ففيهم يقول⁶ :

[من السريع]

1 ديوانه : 67 .

2 ديوانه : 33 .

3 ديوانه : 93-94 .

4 أذال الفرس : لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل .

5 المنسج : أسفل الحاراك .

6 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

ضَجَّتْ بُنُو الصَّيْدَاءِ مِنْ حَرْبِنَا وَالْحَرْبُ مِنْ يَحْلُلُ بِهَا يَضْجُرُ
بِتَنَا نَزَجِّي نَحْوَهُمْ ضُمَرًا معروفة الأنساب من منسرٍ
حَتَّى صَبَحْنَاهُمْ بِهَا غُدْوَةً نَقْتَلُهُمْ قَسْرًا عَلَى ضُمُرٍ
يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَقَدْ مَسَّهُمْ مَنَا غَدَاةَ الشَّعْبِ ذِي الْهَيْشِرِ
ضَرْبُ يُزِيلُ الْهَامَ ذُو مَصْدَقٍ يَعْلُو عَلَى الْبَيْضَةِ وَالْمَغْفَرِ

الْهَيْشِرُ : شَجَرٌ كَثِيرُ الشُّوكِ تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ .

نسخت من كتاب لأبي المحلم ، قال : حَدَّثَنِي أَضْبَطُ بْنُ الْمَلُوحِ ، قَالَ لِي : أُمِّي : أَنَشِدَ
حَبِيبُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ نَضْلَةَ الْفَقْعَسِيِّ قَوْلَ زَيْدِ الْخَيْلِ :

عَوِّدُوا مُهْرِي الَّذِي عَوِّدْتُهُ

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : قُولُوا لَهُ : إِنْ عَوِّدْنَاهُ مَا عَوِّدْتُهُ دَفَعْنَاهُ إِلَى أَوَّلِ مَنْ يَلْقَانَا ، وَهَرَبْنَا .

[وفوده على النبي وإسلامه]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيِّ إِجَازَةً ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ :
أُنْبَأَنِي هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ أَبُو الْمُنْذِرِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّبَهَانِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
جَدِّهِ ، وَأَضْفَعْتُ إِلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَا : وَفَدَ زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مَهْلَهْلِ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ وَزَرُ بْنُ سَدُوسٍ النَّبَهَانِيُّ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ
الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جُوَيْنِ الْجَرْمِيِّ ، وَمَالِكُ بْنُ جَبْرِ الْمَغْنِيِّ ، وَقُعَيْنُ بْنُ خَلِيلِ الطَّرَفِيِّ ، فِي
عِدَّةٍ مِنْ طَيِّءٍ ، فَأَنَاحُوا رِكَابَهُمْ بِيَابَ الْمَسْجِدِ ، وَدَخَلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ : إِنِّي خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْعُزْرِ ، وَمَا حَازَتْ مَنَاعُ ، مِنْ
كُلِّ ضَارٍّ غَيْرِ يَفَاعُ ، وَمَنْ الْجَبَلِ الْأَسْوَدِ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : يَعْنِي بِمَنَاعٍ : جَبَلٌ طَيِّئٌ .

فَقَامَ زَيْدٌ ، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ الرِّجَالِ وَأَتَمَّهُمْ ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ الْمَشْرُوفَ وَرِجْلَاهُ
تَخْطُانِ الْأَرْضَ كَأَنَّهُ عَلَى حِمَارٍ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مَهْلَهْلِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ ، وَقَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ مِنْ سَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَرَقَّقَ قَلْبَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، يَا زَيْدُ ، مَا وَصَفَ
لِي رَجُلٌ قَطًّا فَرَأَيْتُهُ إِلَّا كَانَ دُونَ مَا وَصِفَ بِهِ إِلَّا أَنْتَ ؛ فَإِنَّكَ فَوْقَ مَا قِيلَ فِيكَ .

[موته بالحس]

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ رَجُلٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ !

فَأَخَذَتْهُ الْحُمَى ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ¹ :

[من الطويل]

أَتَخْتُ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَخَمْسًا يَغْنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرُ
شَدَدْتُ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَشَلِيلَهَا مِنَ الدَّرْسِ وَالشَّعْرَاءِ وَالْبَطْنِ ضَامِرُ²

فمكث سبعا ، ثم اشتدت الحمى به فخرج . فقال لأصحابه : جئوني بلاد قيس ؛
فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله . فنزل بماء
لحي من طييء يقال له فرذة ، واشتدت به الحمى ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ³ :

[من الطويل]

أُمَرِّجُ صَحْبِي الْمَشَارِقَ غَدَوَةً وَأَتْرِكُ فِي بَيْتِ بَفَرْدَةٍ مُنْجِدِ
سَقَى اللَّهُ مَا بَيْنَ الْقَقِيلِ فَطَابَةِ فَمَا دُونَ أَرْمَامٍ فَمَا فَوْقَ مُنْشِدِ
هَنَالِكَ لَوْ أَنِّي مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهُمْ يَجْهَدِ
فَلَيْتَ اللّوَاتِي عُذْنَنِي لَمْ يَعُدْنِي وَلَيْتَ اللّوَاتِي غَيْنَ غَنِي عُوْدِي

قال : وكتب معه رسول الله صلى الله عليه وآله لبني نهبان بغير ذلك كتاباً مفرداً ، وقال له :
أنت زيد الخير ، فمكث بالفرذة سبعة أيام ثم مات . فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعا ،
ثم بعث راحلته ورحله ، وفيه كتاب رسول الله ﷺ ، فلما نظرت امرأته ، وكانت على الشرك ،
إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت :

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا زَيْدٌ لِّكُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا أَقْبَلْتُ أَوْبَ الْجَرَادِ رِعَالُهَا⁴
لَقَاهُمْ فَمَا طَاشَتْ يَدَاهُ بِضَرِبِهِمْ وَلَا طَعْنَهُمْ حَتَّى تَوَلَّى سِجَالُهَا⁵

قال : فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بلغه ضرب امرأة زيد الراحلة بالنار ،
واحتراق الكتاب ، قال : يؤساً لبني نهبان .

وقال أبو عمرو الشيباني ، لما وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل
إليه ، طرح له متكاً فأعظم أن يتكئ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله ، فردّ
المتكاً ، فأعاده عليه ثلاثاً ، وعلمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويستسقي

1 ديوانه : 57 .

2 الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل وراء الرجل . والدرس : الثوب الخلق والشعراء : ما فيه من الشعر .

3 ديوانه : 52-53

4 رعال : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل .

5 لقاهم : لقيهم ، (بلغة طييء ، ع .) .

فَيْسَقِي ؛ وقال : يا رسول الله ، أَعْطِنِي ثلاثمائة فارس أُغِيرَ بِهِمْ عَلَى قُصُورِ الرُّومِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ يَا زَيْدُ ! وَلَكِنْ أُمُّ الْكَلْبَةِ تَقْتُلُكَ ، يَعْنِي الْحَمَى ، فَلَمْ يَلْبَثْ زَيْدٌ بَعْدَ انْصِرَافِهِ إِلَّا
قَلِيلًا حَتَّى حُمِّ وَمَاتَ .

قال أبو عمرو : وَأَسْلَمُوا جَمِيعًا إِلَّا وَزْرًا ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لِيَمْلِكَنَّ رِقَابَ الْعَرَبِ ، وَوَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رِقَبَتِي أَبَدًا ؛ فَلَحَقَ بِالشَّامِ ، فَتَنْصَرَّ
وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دَرِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ ،
عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ : أَقْبَلَ زَيْدُ الْخَيْلِ الطَّائِيَّ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ زَيْدٌ رَجُلًا جَسِيمًا
طَوِيلًا جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ . قَالَ : بَلْ أَنْتَ زَيْدُ
الْخَيْرِ ، أَمَّا إِنِّي لَمْ أُخْبَرْ عَنْ رَجُلٍ خَيْرًا إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا أُخْبِرْتُ بِهِ عَنْهُ غَيْرِكَ ؛ إِنْ فَيْكَ
لِخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْأَنَاءَةُ وَالْحِلْمُ ،
فَقَالَ زَيْدٌ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَّلَنِي عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

[وصف طيء ورؤسائها]

قال : ودخل زيد على رسول الله ﷺ وعنده عُمر رضي الله عنه ، فقال عمر لزيد :
أَخْبَرْنَا يَا أَبَا مُكَافٍ عَنْ طَيْءٍ وَمُلُوكِهَا وَنَجَدَتِهَا وَأَصْحَابِ مَرَابِعِهَا ؛ فَقَالَ زَيْدٌ : فِي كُلِّ يَأْ
عُمَرُ نَجْدَةٌ وَيَأْسٌ وَسِيَادَةٌ ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ حَيْهٍ مِرْبَاعٌ ، أَمَّا بَنُو حَيْهٍ فَمُلُوكُنَا وَمُلُوكُ غَيْرِنَا ،
وَهُمُ الْقَدَامِيْسُ¹ الْقَادَةُ ، وَالْحِمَاةُ الذَّادَةُ ، وَالْأَنْجَادُ السَّادَةُ ، أَعْظَمُنَا خَمِيْسًا ، وَأَكْرَمُنَا رُئِيسًا ،
وَأَجْمَلُنَا مَجَالِسَ ، وَأَنْجَدُنَا فَوَارِسَ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَرَكْتَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْ طَيْءٍ شَيْئًا ، فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ؛ أَمَّا
بَنُو ثُعَلٍ وَبَنُو نُبَهَانَ وَجَزْمُ فُقُورَاسِ الْعَدُوَّةِ وَطَلَّاعُو كُلِّ نَجْوَةٍ ، وَلَا تُحَلَّ لَهُمْ حَبْوَةٌ ، وَلَا تُرَاعُ
لَهُمْ نَدْوَةٌ ، وَلَا تُدْرَكُ لَهُمْ نَبْوَةٌ ، عَمُودُ الْبِلَادِ ، وَحَيْهٌ كُلُّ وَادٍ ، وَأَهْلُ الْأَسَلِ الْحِدَادِ ، وَالْخَيْلُ
الْجِيَادِ ، وَالطَّارِفُ وَالْتَّلَادُ .

وَأَمَّا بَنُو جَدِيلَةٍ فَاسْهَلُنَا قَرَارًا ، وَأَعْظَمُنَا أخطارًا ، وَأَطْلَبُنَا لِلْأَوْتَارِ ، وَأَحْمَانَا لِلذُّمَارِ ،
وَأَطْعَمُنَا لِلْجَارِ .

1 القداميس : جمع قدموس ، وهو السيد .

فقال له عمر : سَمِّ لنا هؤلاء الملوك ، قال : نعم ، منهم عُفَيْرُ المُجِيرِ على الملوك ، وعَمْرُو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمَرُ ذو الجود ، ومُجِيرُ الجراد ، وسراجُ كلِّ ظلام ولامة¹ ، وملجم بن حنظلة ؛ هؤلاء كلُّهم من بني حِية .

وأما حاتم بن عبد الله الثعلبي الجواد فلا يُجارى ، والسَمَحُ فلا يبارى ، والليث الضَّرغامَةُ ، قرَّاعُ كلِّ هامة ، جودُه في الناس علامة ، لا يَقَرُّ على ظُلامة . فاعترض رَجُلٌ من بني ثعل لَمَّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومَنَّا زَيْدُ بن مهلهل النبهانيّ رئيس قومه وسَيِّدُ الشَّيْبِ والشَّيْبَانِ ، وسَمِّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكلِّ مكان ، أُسرِعَ إلى الإيمان ، وآمَنَ بالفرقان ، رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم ، على شَحْطِ المزار ، وطُموسِ الآثار ، وفي الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله ، ومجيبُه من غير تَلَعُّمٍ ولا تَلَبُّثٍ .

ومَنَّا زَيْدُ بن سدوس النبهانيّ عصمة الجيران ، والغيثُ بكلِّ أوان ، ومُضَرِّمُ النيران ، ومطعم النُدمان ، وفخر كلِّ يَمَانٍ .

ومَنَّا الأسد الرُّهَيْص ، سَيِّدُ بني جَدِيلَةَ ، ومدوِّخُ كلِّ قَبيلة ، قاتل عنترة فارس بني عَبْسٍ ، ومكشَّفُ كلِّ لبسٍ .

فقال عمر لزيد الخيل : لله ذُرْكُ يا أبا مَكْنِفٍ فلو لم يكن لطبيء غيرك وغير عديّ بن حاتم لقهّرتُ بكما العرب .

[قصته مع الشيباني]

أخبرني ابن دريد ، قال : أخبرني عَمِّي ، عن أبيه ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، قال : أخبرني شيخٌ من بني نبهان ، قال : أَصَابَتْ بني شيبان سَنَةٌ ذَهَبَتْ بالأموال ، فخرج رَجُلٌ منهم بَعِيَالِه ، حتى أَنزَلَهُم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يُصَبِّكُنَّ من خيرِه حتى أَرْجِعَ إِلَيْكُنَّ ، وآلَى أَلِيَّةٌ لا يرجعُ حتى يكسبهنَّ خيراً أو يموت . فتزوّد زاداً ، ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو بِمُهْرٍ مَقِيدٍ يَدُورُ حَوْلَ خِباءٍ . فقال : هذا أوَّلُ الغنيمة ، فذهب يَحُفُّهُ ويركبه ، فنوِدي : خَلَّ عَنْهُ واغْنَمَ نفسك ، فتركه ، ومضى سبعة أَيام حتى انتهى إلى عطن إيل مع تطفيل الشمس ، فإذا خِباءٌ عظيم وقُبَّةٌ من آدم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخِباءِ بَدْءٌ من أهلي ، وما لهذه القُبَّةِ بَدْءٌ من ربِّ ، وما لهذا العطن بَدْءٌ من إيل ، فنظر في الخِباءِ ، فإذا شيخ كبير

قد اختلفت تَرْقُوتَاهُ ، كَأَنَّهُ نَسْرٌ .

قال : فجلستُ خَلْفَهُ ، فلَمَّا وجبت¹ الشمسُ إذا فارسٌ قد أقبل لم أرَ فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم ، على فرسٍ مُشْرِفٍ ، ومعه أسودان يمشيان جَنْبَيْهِ ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِهَا ، فبرك الفحلُ ، وبركت حَوْلُهُ ، ونزل الفارسُ ، فقال لأحد عَبْدَيْهِ : احْلُبْ فِلَانَةَ ، ثم اسقِ الشيخَ ، فحلب في عُسٍّ² حتى ملأه ، ووضع بين يدي الشيخ وتَنَحَّى ، ففكر منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين ، ثم نزع ، فَثُرْتُ إليه فشربته ، فرجع إليه العبد . فقال : يا مولاي ، قد أتى على آخره ، ففرح بذلك ، وقال : احْلُبْ فِلَانَةَ ، فحلبها ، ثم وضع العُسَّ بين يدي الشيخ ، ففكر منه واحدةً ، ثم نزع ، فَثُرْتُ إليه فشربتُ رِصْفَهُ ، وكرهتُ أَنْ آتِيَ على آخره ، فَآتَهُمْ . فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه : قد شرب وروى ، فقال : دَعَهُ ، ثم أمر بشاقٍ فذُبِحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعَبْدَاهُ ؛ فَأَمْلَهْتُ حتى إذا نامُوا وسمعتُ الغطيظَ ثُرْتُ إلى الفحل ، فحللتُ عِقَالَهُ وركبته ، فاندفع بي وتبعته الإبل ، فمشيت ليلتي حتى الصباح ، فلَمَّا أصبحتُ نظرت فلم أرَ أحداً ، فشلتُها إذاً شلاً³ عنيفاً حتى تعالى النهار ، ثم التفتُ التفاتةً فإذا أنا بشيءٍ كَأَنَّهُ طائر ، فما زال يَدْنُو حتى تبينته . فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبي بالأمس ، فعقلت الفحلَ ، ونثلتُ كِئَانَتِي ، ووقفتُ بينه وبين الإبل ، فقال : احلل عِقال الفحل ، فقلت : كلا والله ، لقد خَلَفْتُ نُسَيَاتٍ بالحيرة ، وآليتُ أَلِيَّةٌ لا أرجع حتى أفيدهنَّ خيراً أو أموت . قال : فَإِنَّكَ لَمِيتٌ ، حُلَّ عِقَالُهُ ، لا أُمُّ لَكَ ! فقلت : ما هو إلا ما قلت لك . فقال : إِنَّكَ لَمُغْرورٌ : انصب لي خطامه ، واجعل فيه خَمْسَ عَجَرٍ⁴ ففعلت ، فقال : أين تريد أن أضع سهمي ؟ فقلت : في هذا الموضع ، فكأنا وضعه بيده ، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم ، فرددتُ نَبْلِي ، وحططتُ قوسي ، ووقفت مستسلماً ؛ فدنا مني وأخذ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارْتَدَفْ خَلْفِي ، وعرف أتى الرجل الذي شربت اللَّبَنَ عنده ، فقال : كيف ظَنُّكَ بي ؟ قلت : أسوأ ظنٍّ . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيتُ من تعب ليلتك ، وقد أظفرك الله بي ، فقال : أترانا كنّا نهيجك ، وقد بتّ تنادم مُهْلِهاً ؟ قلت : أزيد الخيل

1 وجبت الشمس : غابت .

2 العس : القدح الكبير .

3 شل الإبل : طردها .

4 عجر : عقد .

أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فقال : ليس عليك بأس .
فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك ،
ولكنها لبنت مهلهل ، فَأَقِمْ عليَّ ؛ فَإِنِّي على شَرَفِ غَارَةٍ .

فَأَقَمْتُ أَيَّاماً ، ثم أَغار على بني نُمير بالملح ، فَأَصَابَ مائةَ بعير ، فقال : هذه أَحَبُّ إليك أم
تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دُونَكها . وبعث معي خُفراءَ من ماءٍ إلى ماءٍ ، حتى وَرَدُوا بي
الحيرة ، فلقيني نبطيٌّ : فقال لي : يا أعرابي ، أيسرُكَ أنْ لك بإهلك بستاناً من هذه البساتين ؟
قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض ، ويحول بين
أربابها وبينها ، حتى إنَّ أحدهم ليلتاعُ البستان من هذه البساتين بثمانٍ بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيْطَانِ¹ فبينما نحن في الشَّيْطَانِ على ماءٍ
لنا ، وقد كان الحَوْفَزَان بن شريك أَغار على بني تميم ، فجاءنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله
وسَلَّمَ فَأَسْلَمْنَا ، وما مضت الأَيَّامُ حتى شريتُ بثمانٍ بعير من إبلي بستاناً بالحيرة . فقال في يوم
الملح زيد الخيل² :

ويوم الملح ملح بني نُميرٍ أَصابتكم بأظفارٍ ونابٍ
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبي ، عن أبيه ،
والشرقي .

أنَّ زيد الخيل قال للنبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّمَ : إن في الحيَّ رجلين هما كلاب
مُضَرِّيَّاتٍ³ تصيِّدُ الوحش ، أفناكل ممَّا أمسكته ولم تُدرك ذكاته ؟ فقال : «إذا أرسلتَ كلبك
فاذكر اسم الله عليه وكلَّ ممَّا أمسك» ، أو كما قال عليه السلام .
[شعره في يوم محجر]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمَّاد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق ، عن الهيثم بن عدي ،
عن حمَّاد الراوية ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أنشدتني ليلي بنت عُرْوَة بن زيد الخيل الطائيِّ شِعْرَ
أبيها في يوم مُحَجَّرٍ :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مُكَيْفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدوابِ

1 الشَّيْطَان : واد في ديار بني تميم .

2 ديوانه : 40-41 وفيه «من يغير على غني» .

3 مضريات : مدربات على الصيد .

بجيشٍ تضلُّ البُلُقُ في حَجَرَاتِهِ تَرى الأُكُمَ فيه سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ
 وَجَمَعَ كَمَثَلِ اللَّيْلِ مَرْتَجِزِ الْوَغَى كَثِيرِ حَوَاشِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ
 قالت ليلي : فقلت لأبي : يا أبة ، أشهدتَ ذلكَ اليومَ مع أبيك ؟ قال : إي والله يا بنية ،
 لقد شهدته ، قلت : كم كانت خيلُ أبيكَ هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثة أفراس .
 [غزوه بني عامر]

نسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه : أنَّ زيدَ الخيل بن
 مهلهل جمع طَيْمًا وأَخْلَاطًا لهم ، وجموعاً من شُدَّاذِ العرب ، ففزا بهم بني عامر ومن
 جاورهم من قبائل العرب من قيس ، وسار إليهم فصَبَّحهم من طلوع الشمس فنذروا به ،
 وفزعوا إلى الخيل وركبوها ، وكان أولَ مَنْ نَذِرَ بهم ، فلقني جمعهم غنِيٌّ بن أعصر
 وإخوتهم : الحارث وهو الطُفَاوة ، واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، فاقتتلوا قتالاً
 شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، فاستحزَّ القتلُ بَغْنِيٍّ ، وفيهم يومئذٍ فُرسان وشُعراء ،
 فملأت طييء أيديهم من غنائمهم .
 [أسر الخطيئة وأطلقه]

وأسر زيد الخيل يومئذٍ الخطيئة الشاعر ، فجزَّ ناصيته وأطلقه .
 ثم إنَّ غنِيًّا تجمَّعت بعد ذلك مع لِفٍّ من بني عامر فغزوا طيئاً في أرضهم ، فغنموا وقتلوا
 وأدركوا ثأرهم منهم .

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها¹ :

وخيبة من يخيب على غنِيٍّ وباهلةً بن أعصر والكلابِ
 فلما أدركوا ثأرهم أجابه طُفَيْلُ الغنوي ، فقال² :

سَمَوْنَا بِالْجِيَادِ إِلَى أَعَادِ مُغَاوَرَةً بِجَدٍّ وَاعْتَصَابِ
 نَوْتُهُمْ عَلَى وَغْثٍ وَشَحْطِ بِقُودٍ يَطْلَعْنَ مِنَ النَّقَابِ³
 وهي طويلة يقول فيها :

[من الوافر]

1 ديوانه : 65-66 .

2 ديوان طفيل الغنوي (صادر) : 96-97 .

3 الوعث : الطريق العسر . وقود : سهلة الانقياد .

أَخَذْنَا بِالْمَخْطَمِ مَنْ أَتَاهُمْ مِنْ السُّودِ الْمَزْنَمَةِ الرَّغَابِ¹
وَقَتَّلْنَا سَرَاتَهُمْ جِهَاراً وَجئْنَا بِالسَّبَايَا وَالنَّهَابِ
سَبَايَا طَيِّبٍ أُبْرِزْنَ قَسْراً وَأَبْدَلْنَ الْقُصُورَ مِنَ الشُّعَابِ
سَبَايَا طَيِّبٍ مِنْ كُلِّ حَيٍّ نَمَا فِي الْفِرْعِ مِنْهَا وَالنُّصَابِ
وَمَا كَانَتْ بَنَاتُهُمْ سَبِيّاً وَلَا رَغْباً يَعُدُّ مِنَ الرَّغَابِ
وَلَا كَانَتْ دِمَاوُهُمْ وَفَاءً لَنَا فِيمَا يَعُدُّ مِنَ الْعِقَابِ

[عروة بن زيد الخيل]

أخبرني الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة ، وكان فارساً شاعراً ، فشهد القادسية ، فحسنَ فيها بلاؤه ، وقال في ذلك يذكر حُسنَ بلائه :

بَرَزْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسيَّةِ مُعَلِّماً وَمَا كُلٌّ مَنْ يَغْشَى الْكِرْهَةَ يُعَلِّمُ
وَيَوْمَ بِأَكْنَافِ النُّخَيْلَةِ قَبْلَهَا شَهِدْتُ فَلَمْ أُبْرَحْ أَدْمِي وَأُكَلِّمُ
وَأَقْعَصْتُ مِنْهُمْ فَارِساً بَعْدَ فَارِسٍ وَمَا كُلٌّ مَنْ يَلْقَى الْقَوَارِسَ يَسْلَمُ²
وَنَجَّانِي اللَّهُ الْأَجَلُ وَجَرَاتِي وَسِيفٌ لِأَطْرَافِ الْمَرَازِبِ مِخْذَمُ³
وَأَيَقَنْتُ يَوْمَ الدِّيَلَمِيِّينَ أَنَّنِي مَتَى يَنْصَرِفُ وَجْهِي عَنِ الْقَوْمِ يُهْزَمُوا
فَمَا رُمْتُ حَتَّى مَزَقُوا بِرِمَاحِهِمْ ثِيَابِي وَحَتَّى بَلَ أُخْمِصِي الدَّمَ
مَحَافِظَةً إِنِّي أَمْرُو ذُو حَفِيزَةِ إِذَا لَمْ أَجِدْ مُسْتَأَخِراً أَتَقَدَّمُ

قال : وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صيفين ، وعاش إلى إمارة معاوية ، فأراد على البراءة من علي عليه السلام ، فامتنع عليه ، وقال⁴ :

[من الوافر]

يَحَاوِلُنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ وَلَيْسَ إِلَى الَّذِي يَهْوَى سَبِيلُ
عَلَى جَحْدِي أَبَا حَسَنِ عَلِيّاً وَحِظِّي مِنْ أَبِي حَسَنِ جَلِيلُ

قال : وله أشعار كثيرة .

1 المزنم : مقطوع طرف الأذن . والرغاب : الكثيرة النقع .

2 أقعسه : قتله وأجهز عليه .

3 المرازب : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من الفرس . ومخذم : قاطع .

4 لم يرد البيتان في ديوانه .

[قتل الجرار لما أئى الإسلام]

قال أبو عمرو : كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار ، وأدرك النبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ، وأئى الإسلام ، وامتنع منه ، فيقال : إنّ رسول الله ﷺ بعث إليه زيد الخيل ، وأمره بقتاله ، فمضى زيد فقاتله فقتله أئى الإسلام ، وقال في ذلك ¹ : [من البسيط]

صَبَحْتُ حَيَّ بَنِي الْجَرَّارِ دَاهِيَةً مَا إِنْ لَتَغْلَبَ بَعْدَ الْيَوْمِ جَرَّارُ
نَحْوِي النَّهَابَ وَنَحْوِي كُلَّ جَارِيَةٍ كَأَنْ نُقْبِتَهَا فِي الْخَدِّ دِينَارُ

[يغير على بني عامر]

قال مؤرّج : خرج رجل من طيء يقال له : ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له من هوازن ، فأصيب الرجل ، وكان شريفاً ذا رياسة في حَيِّه ، فبلغ ذلك زيدا ، فركب في نهبان ومن تبعه من ولد الغوث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له : ألك عِلْمٌ بالطائِيّ المقتول ؟ فإن قال : نعم ، قتله ، وإن قال : لا ، خلّى سبيله ومنّ عليه . وأصاب رجلاً من بني الوحيد والضباب وبني نُفَيْل . ثم رجع زيد إلى قومه ، فقالوا : ما صنعت ؟ فقال : ما أصبْتُ بثأر ذؤاب ، ولا يئوؤ به إلّا عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، فأما ابنُ الطفيل فلا يئوؤ به ، وأنشأ زيد يقول ² :

لَا أَرَى أَنْ بِالْقَتِيلِ قَتِيلًا عَامِرِيًّا يَفِي بِقَتْلِ ذُؤَابِ
لَيْسَ مَنْ لَاعَبَ الْأَسْنَةَ فِي النَّدَا عَمْرٌ لَيْسَ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلِ
عَامِرٌ لَيْسَ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلِ ذَاكَ إِنْ أَلْقَاهُ أَنَالُ بِهِ الْوَتِ
أَوْ يَفْتَنِي فَقَدْ سُبِقْتُ بَوْتِ قَدْ تَقَنُّصْتُ لِلضُّبَابِ رَجَالًا
وَأَصَبْنَا مِنَ الْوَحِيدِ رَجَالًا وَنُفَيْلٍ فَمَا أَسَاغُوا شَرَابِي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره ، فأغضبه وقال مجيباً له ³ : [من الخفيف]

قُلْ لَزِيدٍ قَدْ كُنْتَ تَوَثَّرَ بِالْحُلْدِ حَمَ إِذَا سَفَهَتْ حُلُومُ الرُّجَالِ

1 ديوانه : 59 .

2 ديوانه : 39 .

3 ديوان عامر بن الطفيل (صادر) 101-102 .

ليس هذا القتلُ من سلفِ الح
أو بني آكلِ المرار ولا صيب
وابن ماء السماء قد علم النّا
إنّ في قتلِ عامر بنِ طُفيلٍ
إنّي والذي يحجُّ له النّا
يوم لا مال للمحارب في الحرّ
ولجامٍ في رأسٍ أُجردَ كالجدّ
ودلاصٍ كالنهي ذاتِ فضولٍ
ولعمي فضلِ الرياسةِ والسـ
غير أنّي أولي هوازنَ في الحرّ
ويطعنُ الكميّ في حمسِ النّقـ

[غارته على بني مرة]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجيّ وهجائه إياه ، غضب زيدٌ لذلك ، فأغار على بني مرة بن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته ، ثم منّ عليهما ، وقال يذكرُ ذلك ³ : [من الطويل]

ألا هل أتى غوثاً ورؤماناً أنا
وسقنا نساء الحيّ مرةً بالقنا
جنياً لأعضاء النواجي يقدّنه
يقول : اقبلوا مني الفداء وأنعموا
وقد مسّ حدّ الرّيح قوارةً استه
وسائلُ بنا جارَ ابنِ عوف فقد رأى

صبحنا بني ذبيان إحدى العظام
وبالخير تردّي قد حوينا ابن ظالم
على تعبٍ بين النواجي الرواسم ⁴
عليّ وجُزوني مكانَ القوادم
فصارت كشدقٍ الأعلم المتضاجم ⁵
حليته جالت عليها مقاسمي

1 ذو الكلاع ويحصب وعبد كلال : من ملوك اليمن .

2 الدلاص : الدروع الواسعة الملساء . والنهي : الغدير .

3 ديوانه 96-98 .

4 أعضاء : جمع عضد ، وهو ما حول الشيء . والنواجي : جمع ناجية ، وهي الناقة السريعة .

5 المتضاجم : المعوج الفم .

تُلاعِبُ وَحْدَانِ الْعَضَارِيطَ بَعْدَمَا جَلَاها بِسَهْمِهِ لَقِيطُ بْنُ حَازِمٍ¹
 أَغْرَكَ أَنْ قِيلَ ابْنُ عَوْفٍ وَلَا أَرَى عَزِيمَكَ إِلَّا وَاهِيًا فِي الْعِزَائِمِ
 غَدَاةً سَبِينًا مِنْ خَفَاجَةٍ سَبِيهَا وَمَرَّتْ لَهُمْ مَنَا نَحُوسُ الْأَشَائِمِ
 فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْخَزَارِجَ غَارَةً عَلَى حَيٍّ عَوْفٍ مُوجِفًا غَيْرَ نَائِمِ

[غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان]

وقال أبو عمرو : أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبو ضَبِّ ، ومع زيد الخيل من بني نَبْهَانَ بطنان يقال لهما : بنو نَصْرَ وبنو مالك ، فأصاب وغنم ، وساقوا الغنيمة ، وانتهى إلى العَلَمِ ، فاقْتَسَمُوا النَّهَابَ ، فقال لهم زيد : أعطوني حقَّ الرياسةِ ، فأعطاه بنو نَصْرَ ، وأبى بنو مالك ، فغضب زيد ، وانحدر إلى بني نصر ، فبينما بنو مالك يقتسمون إذْ غَشِيَتْهُمْ فَزَارَةُ وَغُطْفَانُ ، وهم حلفاء ، فاستنقذوا ما بأيديهم . فلما رأى زيد ذلك شدَّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبِّ ، وأخذ ما في أيديهم ، فدفعه إلى بني مالك ، وكانوا نادوه يومئذ : يا زَيْدَاهُ ، أَغْنَا ! فكَرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ، وردَّه ، وقال يذكر ذلك² :

كَرَرْتُ عَلَى أَبْطَالِ سَعْدٍ وَمَالِكٍ وَمَنْ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِذَا هُوَ نَدْدَا³
 فَلَأَيًّا كَرَرْتُ الْوَرْدَ حَتَّى رَأَيْتُهُمْ يُكَبُّونَ فِي الصَّحْرَاءِ مَتْنًى وَمَوْحَدَا
 وَحَتَّى نَبَذْتُمْ بِالصَّعِيدِ رِمَاحَكُمْ وَقَدْ ظَهَرَتْ دَعْوَى زُنَيْمٍ وَأُسْعَدَا
 فَمَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ بَغْرَةً وَجْهِي وَبِالسِّيفِ حَتَّى كُلَّ تَحْنِي وَبَلْدَا⁴
 إِذَا شَكَّ أَطْرَافُ الْعَوَالِي لَبَانَهُ أَقْدَمَهُ حَتَّى يَرَى الْمَوْتَ أَسْوَدَا
 عَلَّلْتُهَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلَّ الْجَوَارِي بَيْنَنَا أَنْ تُسْهَدَا
 لَقَدْ عَلِمْتَ نَبْهَانَ أَنِّي حَمِيَّتُهَا وَأَنْتِي مَنَعْتُ السَّبْيَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
 عَشِيَّةً غَادَرْتُ ابْنَ ضَبِّ كَأَنَّمَا هَوَى عَنْ عُقَابٍ مِنْ شَمَارِيخِ صَنْيَدَا⁵

1 العضاريط : الخدم ، جمع عضروط .

2 ديوانه : 43-45 .

3 أبطال في ل : قتيان .

4 تحني في ل : خربي .

5 عقاب في ل : حفاي . صندد : جيل بتهامة .

بِذِي شُطْبٍ أَغْشِيَ الْكِتِيبَةَ سَلْهَبًا أَقْبُ كَسِيرُحَانَ الظَّلَامِ مُعَوَّدًا

[زيد وعامر بن الطفيل]

قال أبو عمرو : وخرَجَ زيد الخيل يطلب نَعَمًا له من بني بَذْر ، وأغار عامرُ بن الطفيل على بني فزارة ، فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد ، واستاق نعمًا لهم ، فقالت بنو بَذْر لزيد : ما كنَّا قطَّ إلى نَعَمِكَ أُخْوجَ مِنَّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى ، وعامر يقول : يا هند ، ما ظنُّك بالقومِ ؟ فقالت : ظنِّي بهم أنَّهم سيطلبونك ، وليسوا نيامًا عنك .

قال : فحطًّا عَجَزَهَا ، ثم قال : لا تقول استُها شيئًا¹ ، فذهبت مثلاً .

فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجَماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر ، فقال : يا عامر ؛ خَلَّ سبيلَ الطعينة والنعم . فقال عامر : مَنْ أنت ؟ قال : فزاريُّ أنا . قال عامر : والله ما أنتَ من القُلُحِ² أفواهاً . فقال زيد : خَلَّ عنها ، قال لا ، أو تخبرني مَنْ أنت ؟ قال : أُسديُّ ، قال : لا والله ما أنتَ من المتكورين على ظُهورِ الخيل . قال : خَلَّ سبيلها . قال : لا والله أو تخبرني فاصدقني ؛ قال : أنا زيد الخيل ، قال : صدقت ؛ فما تريد مِنْ قتالي ، فوالله لئن قتلتنني لتطلبينك بنو عامر ، ولتذهبن فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلَّ عنها ، قال : تخلي عني وأدعك والطعينة والنعم ؟ قال : فاستأسر ، قال : أفعل ، فجز ناصيته ، وأخذ رُمَحَه ، وأخذ هنداً والنعم ، فردَّها إلى بني بَذْر ، وقال في ذلك³ :

إِنَّا لَنُكْثِرُ فِي قَيْسٍ وَقَائِعَنَا وفي تميمٍ وهذا الحيُّ من أُسْدِ
وعامر بن طفيل قد نحوتُ له صَدَرَ القَنَاةِ بِمَاضِي الحَدِّ مَطَرِدِ
لَمَّا أَحَسَّ بَأَنَّ الْوَرْدَ مُدْرِكَه وصارِمًا وَرَبِيطَ الجَأْشِ ذَا كُبْدِ⁴
نادى إليَّ بِسَلَمٍ بعدما أَخَذَتْ منه المَنِيَّةُ بِالْحَيْزِومِ واللُّغْدِ
ولو تصبَّر لي حتى أُخَالِطَه أسعرتَه طَعَنَةً تَكْتَارُ بِالزُّبْدِ⁵

قال : فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً ، وأخبرهم الخبر . فغضبوا لذلك ، وقالوا : لا

1 لم نثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

2 القلح : جمع أفلح ، وهو الذي في أسنانه صفرة .

3 ديوانه : 51-52 .

4 أحس في ل : تحسب أن .

5 تكتار بالزبد في ل : كالنار بالزبد . وتكتار : تجيش وترمي بالزبد .

ترأسنا أبداً ، وتجهّزوا ليغيروا على طييء ، ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة ، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .
[يأسر الحطيئة وكعب بن زهير]

فبعث عامر إلى زيد الخيل دسيساً يُنذره ، فجمع زيد قومه ، فلقبهم بالمضيق فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ؛ فلما طال عليهم الأسر قالوا : يا زيد ، فادنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطفيل ، فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعباً ، فأعطاه كعب فرسه الكُميت ، وشكا الحطيئة الحاجة ، فمنّ عليه ، فقال زيد¹ :

أقول لعبدي جرّول إذ أسرته
أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد
فلمستُ إذا ما الموتُ حوذرَ ورده
بوقافة يخشى الحُتوفَ تهيباً
ولكنني أغشى الحُتوفَ بصعدتي
وأزوي سِناني من دماء عزيزة

أُثْنِي ولا يَغْرُرُكَ أَتَكَ شاعِرُ
له المَكْرُماتِ واللّهُي والمآثِرُ²
إذا الحربُ شَبَّتْها الأَكْفُ المساعِرُ
وَأَتَرَعَ حَوْضاهُ وَحَمَجَ ناظِرُ³
يُباعِدُنِي عنها من القُبُ ضامِرُ
مجاهرةً إنَّ الكريمَ يُجاهِرُ⁴
على أهلِها إذ لا ترجى الأياصِرُ⁵

فقال الحطيئة لزيد⁶ :

إن لم يكن مالي بآتٍ فإنني
فأعطيتَ منّا الوُدَّ يومَ لقيتنا
فما نلتنا غدراً ولكن صَبَحْتنا

سيأتي ثنائي زيدا بن مُهَلِّل
ومن آلِ بَدْرِ شدةً لم تُهَلِّلُ⁷
غداةَ التقينا في المضيق بأخيل⁸

1 ديوانه : 54-56 .

2 اللّهُي : العطايا .

3 حَمَج : حدد النظر .

4 الصعدة : القناة المستوية .

5 الأياصر : قرابة الرحم ، جمع آصرة .

6 ديوان الحطيئة (صادر) : 172-173 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

7 لم تهلل : لم يجهن أصحابها .

8 أخيل : جمع خيل .

تَفَادَى حِمَاةُ الْقَوْمِ مِنْ وَقَعِ رَحْمِهِ تَفَادَى ضِعَافِ الطَّيْرِ مِنْ وَقَعِ أَجْدَلٍ¹
وَقَالَ فِيهِ الْخَطِيبَةُ أَيْضًا² :

وَقَعْتَ بَعْبَسَ ثُمَّ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَمِنْ آلِ بَدْرِ قَدْ أَصَبْتَ الْأَخَايِرَا³
فَإِنْ يَشْكُرُوا فَالشُّكْرُ أَدْنَى إِلَى التَّقَى وَإِنْ يَكْفُرُوا لَا أَلْفَ يَا زَيْدُ كَاكِفَا⁴
تَرَكْتَ الْمِيَاةَ مِنْ تَمِيمٍ بَلَاغَةً بِمَا قَدْ تَرَى مِنْهُمْ حُلُولًا كَرَاكِرَا⁵
وَحَيَّ سُلَيْمٍ قَدْ أَثَرْتَ شَرِيذَهُمْ وَبِالْأَمْسِ مَا قَتَلْتَ يَا زَيْدَ عَامِرَا

فرضي عنه زيد ومنَّ عليه لما قال هذا فيه ، وعدَّ ذلك ثواباً من الخطيبة وقبله .
فلما رجع الخطيبة إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد ، شاكراً لنعمته ، حتى أسرت طيء بني
بدر ، فطلبت فزارة وأفاء قيس إلى شعراء العرب أن يهجووا بني لأم وزيداً ، فتحامتهم شعراء
العرب ، وامتنعت من هجائهم ؛ فصاروا إلى الخطيبة فأبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيري فقد
حقن دمي ، وأطلقني بغير فداء ؛ فلست بكافر نعمته أبداً ، قالوا : فإننا نعطيك مائة ناقة ،
قال : والله لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك . وقال الخطيبة⁶ :

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةً مِنْ آلِ لَأْمٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينَا
الْمَنْعَمِينَ أَقَامَ الْعِزُّ وَسَطَهُمْ بِيضُ الْوَجُوهِ وَفِي الْهَيْجَا مَطَاعِينَا
وقد أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : خرج بجير بن زهير والخطيبة
ورجل من فزارة يتقنصون الوحش ، فلقبهم زيد الخيل فأسرهم ، فافتدى بجير نفسه
بفرس كان لكعب أخيه ، وكعب يومئذ مجاور في بني ملقط من طيء ، وشكا إليه
الخطيبة الفاقة فأطلقه .
[غزوه فزارة]

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : غَزَتْ بَنُو نُبَهَانَ فَزَارَةً وَهُمْ مُتَسَانِدُونَ وَمَعَهُمْ زَيْدُ الْخَيْلِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا

1 تفادى حماة القوم في ل : كريم تفادى الخيل .

2 ديوان الخطيبة : 185 .

3 الأخاييرا في الديوان : الأكابرا .

4 التقى في ل : النهى .

5 الكراكر : الجماعات ، واحدها كركرة .

6 ورد البيت الأول في الديوان (174-175) وروايته فيه :

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةً إِذَا ذَكَرْتَ بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

ولم يرد البيت الثاني .

شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وسأقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ، ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس ، وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيّد يقال له : عباس بن أنس الرعلي ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عِدّة من أهل بيته وقومه ، فنزل في بني فزارة ، وكان معهم يومئذ ، ولم يكن لزيد المرباع حينئذ . وأدركت فزارة بني نبهان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى : يا بني نبهان ؛ أأهل ولي المرباع ؟ قالوا : نعم ، فشدّ على بني سليم فهزمهم ، وأخذ أم الأسود امرأة عباس بن أنس ، ثم شدّ على فزارة والأخلاق فهزمهم ، وقال في ذلك ¹ :

ألا ودّعْتَ جيرانها أم أسوداً وضنّت على ذي حاجة أن يُزوّدأ
وأبغضُ أخلاقِ النساء أشدّه إليّ فلا تولنّ أهلي تشدّدأ
وسائل بني نهبان عنا وعندهم بلاء كحدّ السيف إذ قطعَ اليدا
دَعَوْا مالكا ثم اتّصلنا بمالكٍ فكلّ ذكاً مصباحه فتوقّدأ
وبشر بن عمرو قد تركنا مُجنّداً ينوء بخطار هناك ومعدأ
تمطّت به قوداء ذاتُ علالة إذا الصلدم الخنذيذ أعيا وبلدأ²
لقيناهم نستنقذ الخيلَ كالقنا ويستسلمون السّمهريّ المقصدأ
فيا ربّ قدير قد كفأنا وجفنةً بذِي الرّمث إذ يدعون مثنى وموحدأ
على أنّني أثوى سناني وصعدتني - يساقين - زيدا أن ييؤ ومعبدا

[بينه وبين قيس بن عاصم]

قال أبو عمرو : وقعت حرب بين أخلاق طييء ، فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا ، فاعتزل وجاور بني تميم ، ونزل على قيس بن عاصم ، فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس ، وزيد معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وزيد كاف . فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه ، وحمل على القوم ، وجعل يدعو يا لتميّم ، ويتكئى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه³ عن فرسه ، أو هزم ناحية ، حتى هزمت بكر ، وظفرت تميم ، فصارت

1 ديوانه : 46-48 .

2 الصلدم : الشديد الحافر . والخنذيذ : الطويل .

3 أذراه : أطاره .

فخراً لهم في العرب ، وافتخر بها قيس .

فلما قدموا قال له زيد : اقسم لي يا قيس نصيبي ، فقال : وأي نصيب ؟ فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي : فقال زيد¹ :
[من الطويل]

ألا هل أتاها والأحاديثُ جَمَّةٌ مُغْلَغَلَةٌ أنباءُ جيشِ اللّهَازِمِ
فلستُ بوقافٍ إذا الخيلُ أحجمت ولستُ بكذابٍ كقيس بن عاصمِ
تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتُ أن قد هزمتهم ولم تَدِرْ ما سيماهمُ والعمايمِ
بل الفارس الطائيُّ فضُّ جموعهم ومكَّةُ والبيتِ الذي عند هاشمِ
إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجَلْنَا عليهم بِمَأْثُورَةٍ تَشْفِي صُدَاعَ الجمَاجِمِ

فبلغ المكشّر بن حَنْظَلَة العجليُّ أحد بني سنان قولَ زيد ، فخرج في ناس من عِجَلٍ حتى أغار على بني نَبهان ، فأخذ من نعمهم ما شاء ، وبلغ ذلك زيد الخيل ، فخرج على فرسه في فوارس من نَبهان ، حتى اعترض القوم ، فقال : ما لي ولك يا مكشّر ؟ فقال : قولك : [من الطويل]

إذا ما دعوا عِجْلاً عَجَلْنَا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ، ورجع المكشّر ببقية ما أصاب . فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة ، فغنم وسبى ، وقال في ذلك² :
[من الطويل]

إذا عركت عِجْلاً بنا ذَنْبَ غَيْرِنَا عَرَكْنَا بَتِيمَ اللاتِ ذَنْبَ بني عجلِ

[حريث بن زيد الخيل]

وقال أبو عمرو : كان حُرَيْث بن زيد الخيل شاعراً ، فبعث عمر بن الخطاب رجلاً من قریش يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه . فأقبل حتى نزل بمحلة بني نَبهان ، فاستقرأ ابن عمُّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهَب ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربه ، فمات .

فأقامت بنته أمُّ أوس تندبه ، وأقبل حُرَيْث بن زيد الخيل فأخبرته ، فأخذ الرّيح فشَدَّ على أبي سفيان فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، وقال في ذلك :

[من الطويل]

1 ديوانه : 99-100 .

2 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

ألا بَكَرَ الناعي بأوسَ بن خالد أخي الشُّوَّةَ الغبراء والزَّمنَ المَحَلَّ
 فلا تَجْزَعِي يا أمَّ أوسٍ فَإِنَّهُ يلاقِي المنايا كُلَّ خَافٍ وذِي نَعْلٍ
 فَإِنْ يَقتُلُوا أوساً عَزيزاً فَإِنِّي تَركتُ أبا سُفْيَانَ مَلتَزِمَ الرُّحْلِ
 ولولا الأُسى ما عَشتُ في الناسِ بَعدَهُ ولكنْ إِذا ما شَئتُ جَاوِني مِثْلِي
 أَصَبْنَا بِهِ من خَيرةِ القومِ سَبْعَةً كِراماً ولم نَأْكُلْ بِهِ حَشَفَ النُّخْلِ

صوت

[من الخفيف]

بَشَرُ الظُّبْيِ والغِرابُ بسُعْدَى مَرَجَباً بالذي يَقولُ الغِرابُ
 اذْهَبِي فاقْرئي السَّلامَ عَلَيهِمْ ثم رُدِّي جَوابنا يا رَبابُ
 عَروضه من الخَفيف . الشَّعر لَعْبِيدِ اللَّهِ بن قيس الرَقِيَّاتِ ، والغِناءُ لِفَنَدِ المَخَنَّثِ ، مولى
 عائِشة بنت سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ ، خَفيف رَمَلٍ بالبَنَصَرِ . وَذكر حَبَشٍ أَنَّ هَذا اللَّحْنَ لِيَحْيَى
 المَكِّيِّ ، وَليسَ مِمَّنْ يُحَصِّلُ قولهُ .

362 - [خبر لابن قيس الرقيات]¹

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الجرميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزبير بن بكار ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب ، مولى بني عامر بن لؤيٍّ ؛ وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فائتمرُ أمراً رشيداً مؤتمناً

[يقف مع عبد العزيز بن مروان]

قال : حدَّثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل ، قال : حدَّثني سليمان بن نوفل بن مساحق ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان ، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه ، وكتب إليه يقول له : لي ابنٌ ليس ابنك أحبُّ إليَّ منه ؛ فإن استطعتُ ألاَّ يفرقَ بيننا الموتُ وأنتَ لي قاطع فافعل . فرقَّ له عبد الملك ، وكفَّ عن ذلك ، فقال عبید الله بن قيس في ذلك ، وكان عند عبد العزيز² :

يَخْلُفُكَ الْبَيْضُ مِنْ بَنِيكَ كَمَا	يُخْلَفُ عُودُ النَّضَارِ فِي شَعْبَةٍ
لِيسُوا مِنَ الْخِرُوعِ الضَّعَافِ وَلَا	أَشْبَاهُ عِيدَانِهِ وَلَا غَرَبَةٍ ³
نَحْنُ عَلَى بَيْعَةِ الرُّسُولِ الَّتِي	أَعْطَيْتَ فِي عُجْمِهِ وَفِي عَرَبَةٍ
نَأْتِي إِذَا مَا دَعَوْتَ فِي الرَّغْفِ الْمَسْدِ	رُودِ أَبْدَانِهِ وَفِي جُنْبِهِ ⁴
نُهْدِي رَعِيلاً أَمَامَ أَرْعَنَ لَا	يُعْرِفُ وَجْهَهُ الْبُلْقَاءُ فِي لَجْبِهِ ⁵

فقال عبد الملك : لقد دخل ابنُ قيس الرقيات مدخلاً ضيقاً ، وتهذَّده وشتمه . وقال : أليس

1 تقدمت ترجمة عبید الله بن قيس الرقيات في الأغاني 5 : 48 .

2 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 14-15 .

3 الضعاف في الديوان : الضعيف .

4 الديوان : نأتي إذا ما دعوت في الخلق الـ حمادي أبدانه وفي جيبه

والرغف الدروع الواسعة المحكمة ، وأحدثها زغفة . وجيبه : جمع جبة ، وهي الدرع السايغة .

5 الديوان : يهدي رعالاً . والرعال : جمع رعل ، وهو القطعة من الخيل . وارعن : كثير ، صفة للجيش .

هو القائل¹ :

[من الخفيف]

تَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعَوَاءَ
عن خِدامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءِ²

كَفَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفَرَّاشِ وَلَمَّا
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتَبْدِي

وهو القائل أيضاً³ :

[من الطويل]

كَرَادِيسٍ مِنْ خَيْلٍ وَجَمْعاً مُبَارَكاً⁴
وَيَتْبَعُ مَيْمُونَ النَّقِيبَةَ نَاسِكَا
أَمَالٍ عَلَى أُخْرَى السُّيُوفِ الْبَوَاتِكَا

عَلَى بَيْعَةِ الْإِسْلَامِ بَايَعْنَ مُصَنَّباً
تَدَارِكُ أُخْرَانَا وَيَمْضِي أَمَانَا
إِذَا فَرَعَتْ أَظْفَارُهُ مِنْ كَنِيبَةِ

قال : فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال⁵ :

[من الخفيف]

مَرْحَباً بِالَّذِي يَقُولُ الْغَرَابُ
قَدْ أَتَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ اقْتِرَابُ
وَعَلَيْهَا الْحَصُونُ وَالْأَبْوَابُ
صَرُّ الَّذِي لَا يَنَالُهُ الْأَثْوَابُ⁶
مُصَنَّفَقاً مَوْصِداً عَلَيْهِ الْحِجَابُ
هَاهُنَا شُرْطَةٌ عَلَيْكَ غَضَابُ
ءَ وَهْمٍ حِينَ يَقْدُرُونَ ذِثَابُ
شُرْطَةٌ أَوْ يَحِينُ مِنْهُ انْقِلَابُ
لَيْسَ فِي غَيْبِهِ عَلَيْنَا ارْتِقَابُ
ثُمَّ رُدِّيْ جَوَانِبَا يَا رَبَّابُ
حُقَّ لِلْعَاشِقِ الْكَرِيمِ ثَوَابُ
خَامَرْتَهُ مِنْ أَجْلِكَ الْأَوْصَابُ

بَشَّرَ الظُّبْيُ وَالْغَرَابُ بِسُعْدِي
قَالَ لِي : إِنَّ خَيْرَ سَعْدِي قَرِيبُ
قُلْتُ : أَتَنْتَى تَكُونُ سَعْدِي قَرِيباً
حَبَّذَا الرَّيْمُ ذُو الْوِشَاحِينَ وَالْخَ
إِنَّ فِي الْقَصْرِ لَوْ دَخَلْتَ غَزَالاً
أَرْسَلْتُ أَنْ فَدَتَكَ نَفْسِي فَاحْذَرُ
أَقْسَمُوا إِنْ رَأَوْكَ لَا تَطْعَمَ الْمَا
قُلْتُ : قَدْ يَغْفُلُ الرَّقِيبُ وَيُغْفِي
أَوْ عَسَى أَنْ يُورِّيَ اللَّهُ أَمراً
أَذْهَبِي فَاقْرَأِي السَّلَامَ عَلَيْهَا
حَدَّثْتِهَا مَا قَدْ لَقِيتُ وَقُولِي
رَجُلٌ أَنْتِ هُمُ حِينَ يُمْسِي

1 الديوان : 95-96 .

2 عن خدام في الديوان : عن براها .

3 ديوانه : 132 .

4 الديوان : مباركا ، أي كثير .

5 ديوانه : 84-86 مع بعض اختلاف .

6 الديوان : والقصر . . . الأسباب .

لا أَشْمُ الرِّيحَانَ إِلَّا بِعَيْنٍ خِيَّ كَرَمًا إِنَّمَا يَشْمُ الْكَلَابُ
رُبَّ زَارٍ عَلِيٍّ لَمْ يَرَ مِنِّي عَثْرَةً وَهُوَ مُؤَمِّسٌ كَذَّابُ
خَادَعَ اللَّهُ حِينَ جَلَّلَهُ الشَّيْءُ بُ فَاضْحَى قَدْ بَانَ مِنْهُ الشُّبَابُ
يَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَبْرُوا وَيُمْسِي وَعَلَيْهِ مِنْ عَيْبِهِ جِلْبَابُ
لَا تَعْبِنِي فَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ لَا تَنَامَنَّ أَيُّهَا الْمَغْتَابُ
تَخْتَلُّ النَّاسَ بِالْكِتَابِ فَهَلَّا حِينَ تَغْتَابِنِي نَهَاكَ الْكِتَابُ
لَسْتُ بِالْمُخْبِتِ التَّقِيَّ وَلَا الْمُخْ ضِيَّهِ مِنْ مَقَاتِلِي الْإِحْسَابُ¹
إِنْسِي وَالَّتِي رَمَتْ بِكَ كَرَهَا سَاقِطًا مُلْصَقًا عَلَيْكَ التَّرَابُ
لِنَذُوقِنَ غَيْبَ رَأْيِكَ فِينَا حِينَ تَبْدُو بِعَرَضِكَ الْأَنْدَابُ

قال الزبير : معنى قوله : [من الخفيف]

لا أَشْمُ الرِّيحَانَ إِلَّا بِعَيْنٍ خِيَّ كَرَمًا إِنَّمَا يَشْمُ الْكَلَابُ

يُعْرَضُ بِعَيْنِ الْمَلِكِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَغَيِّرَ الْفَمِ يُؤْذِيهِ رَائِحَتُهُ ، فَكَانَ فِي يَدِهِ أَبْدَأُ رِيحَانٍ ، أَوْ تَفَاحَةٍ ، أَوْ طَيْبٍ يَشْمُهُ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ ، عَنْ عَمِّهِ : أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ قَالَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ² :

يَلْتَفِتُ النَّاسُ عِنْدَ مَنِيرِهِ إِذَا عَمُودُ الْبَرِّيَّةِ انْهَدَمَا³

يعني إذا مات عبد الملك ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ كَانَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ .

قَالَ الزُّبَيْرُ : فَأَخْبَرَنِي مُصْعَبُ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ هَذَا الْبَيْتَ أَحْفَظْهُ ، وَقَالَ : بَفِيهِ الْحَجَرُ ، وَحِينَئِذٍ قَالَ : لَقَدْ دَخَلَ ابْنُ قَيْسٍ مَدْخَلًا ضَيِّقًا .

[الحجاج يدس من يرشح الوليد للخلافة]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي كُثَيْبُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ الْحَجَّاجُ يَوْمًا لِأَهْلِ ثِقَتِهِ مِنْ جُلَسَائِهِ : مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَشَدَّ نَصَبًا⁴ لِي مِنْ

1 البيت في الديوان : لست بالمخبث التقي ولا المحض الذي لا تدمه الأنساب

2 ديوانه : 152 .

3 عند في ل والديوان : حول .

4 النصب : المعادة .

عبد العزيز بن مروان ، وليس يوم من الأيام إلا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة ، فهل من رجل تدلوني عليه ، له لسانٌ وشعر وجلد ؟ قالوا : نعم ، عمران بن عصام العنزي ، فدعاه فأخلاه ، ثم قال : اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، فاقدح في قلبه من ابنه شيئاً في الولاية ، فقال له عمران : دسّ أيها الأمير إليّ دساً ، فقال له الحجاج : «إنّ العوان لا تعلم الخمرة»¹ .

فخرج بكتاب الحجاج ، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب ، وسأله عن الحجاج ، وأمر العراق ، فاندفع يقول :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ أَهْدِي عَلَى الشُّحْطِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
أَمِيرٌ مَنْ يَنْيِكَ يَكُنْ جَوَابِي لَهُمْ أَكْرَوْمَةٌ وَلَنَا نِظَامَا
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ جَعَلَتْ لَهُ الْإِمَامَةَ وَالذُّمَامَا

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك . ثم ذكر من خبرهما في المكتبة مثل الخبر الذي قبله ، وقال فيه : فرّق عبدُ الملك رقةً شديدة ، وقال : لا يكونُ إلى الصلة أسرعُ مني ، فكفّ عن ذلك . وما لبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج ، فأتي به حين قتل ابن الأشعث فقتله ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : قطع الله يدي الحجاج ! أقتله وهو الذي يقول :

وَبَعَثْتُ مِنْ وَلَدِ الْأَغْرُ مُعْتَبٍ صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَوْسَجِ
وَإِذَا طَبَخْتَ بِنَارِهِ أَنْضَجْتَهَا وَإِذَا طَبَخْتَ بغيرها لم تُنْضِجِ

1 المثل «إنّ العوان لا تعلم الخمرة» في مجمع الميداني 1 : 69 ومستقصى الزمخشري 1 : 334 .

[363] - ذكر فند وأخباره

[كان خليعاً متهتكاً]

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، ومنشؤه المدينة ، وكان خليعاً متهتكاً ، يجمع بين الرجال والنساء في منزله ، ولذلك يقرل فيه ابن قيس الرقيات¹ :

صوت

قل لفندٍ يُشيعُ الأظعانا طالما سرَّ عيشنا وكفانا
صادراتٍ عشيةً من قذيد وارداتٍ مع الضحى عُسفانا
زوَدَتنا رُقِيَّةُ الأحزاننا يوم سبازت حُمولها السكرانا

عروضه من الخفيف . غناه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعمرو بن بانه . ولحنه من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وقد اختلف في اسمه ، ف قيل : قند بالقاف ، وفند بالفاء أصح . وبه يضرب المثل في الإبطاء ، فيقال : تعست العجلة² .

[غاب سنة ليجيء بنار]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقني غيراً خارجاً إلى مصر ، فخرج معهم ، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ، ودخل على عائشة وهو يعدو فسقط وقد قرب منها ، فقال : تعست العجلة ، فقال بعض الشعراء في رجل ذكر بمثل هذه الحال :

ما رأينا لعبيد مثلاً إذ بعثناه يجي بالمسلة
غير فند بعثوه قابساً فنوى حولاً وسب العجلة

[سعد بن إبراهيم يرضاه بعد ضربه إياه]

أخبرني الحسين ، قال : قال حماد : قرأت على أبي الهيثم بن عدي ، قال : كان فند أبو زيد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 157 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

2 المثل «تعست العجلة» في مجمع الميداني 1 : 139 والفاخر : 198 .

مولى لسعد بن أبي وقاص ، فضربه سعد بن إبراهيم ضرباً مبرحاً ، فحلفت عائشة بنت سعد أنها لا تكلمه أبداً أو يرضى عنه ، وكانت خالته ، فصار إليه سعد طاعة لخالته ، فوجده وجعاً من ضربه ، فسلم عليه فحوّل وجهه عنه إلى الحائط ولم يكلمه ؛ فقال له : أبا زيد ، إن خالتي حلفت ألا تكلمني حتى ترضى ، ولست ببارح حتى ترضى عني . فقال : أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مبغض ، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال لتقوم عني ، وتريحني من وجهك ومن النظر إليك .

فقام من عنده ، فدخل على عائشة ، وأخبرها بما قال له فند ، فقالت : قد صدق ، وأنت كذلك ورضيت عنه .

قال : وكان سعد مضطرب الخلق سمجاً .

[مروان بن الحكم سمح والياً ومعزولاً]

أخبرني الحسين قال : قال حماد : قرأت على أبي بكر : وذكر عوانة أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة ، ويستعمل سعيد بن العاص سنة ، فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق ، وولاية سعيد ليّنة يرجعون إليها ، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكازة له ، وهو يومئذ معزول ، إذا هو بفند يمشي بين يديه ، فوكزه بالعكازة ، وقال له : ويلك هيه .

[من الخفيف]

قل لفند يُشيع الأظعاناً

أتشيع الأظعان للفساد ، لا أم لك ، إلى أهل الريّة ! ستعلم ما يحلّ بك مني ، فالتفت إليه فند ، وقال : نعم ، أنا ذلك وسبحان الله ! ما أسمعك والياً ومعزولاً ! فضحك مروان ، وقال له : تمتّع ، إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك مني .

صوت

[من مجزوء الكامل]

حَيِّ الدُّوَيْرَةَ إِذْ نَأَتْ مَنَا عَلَى عُدَوَائِهَا

لَا بِالْفِرَاقِ تُنِيلُنَا شَيْئاً وَلَا بِلِقَائِهَا

عروضه من الكامل¹ . الشعر لنبيه بن الحجاج السهمي ، والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى عن عمرو .

[364] - أخبار نبيه ونسبه¹

[نسبه]

هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب ؛ وأمه وأم أخيه مُنبّه أروى بنت عُمَيْلَة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قصي .
[من قتل بدر]

وكان نُبَيْه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقَتَلَا جميعاً يوم بدرٍ مشرَكين ، ولهما يقول أعشى بني تميم ، وهو ابن النَّبَّاش بن زُرارة ، وكان أخوه أبو هالة بن النَّبَّاش زوج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية ، ولها منه أولاد لهم عقب إلى الآن ، وكان الأعشى مدّاحاً لهم ، وفيهم يقول ، وهي قصيدة طويلة² : [من البسيط]

لله درُّ بني الحجاج إذ ندبوا لا يشتكي فعَلهم ضيفٌ ولا جارٌ³
إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم وأوفياء بعقد الجار أحرارٌ⁴

وفي نبيه يقول أيضاً⁵ :

إن نُبَيْهاً أبا الرزّام أفضلهم حلماً وأجودهم ، والجودُ تفضيلٌ⁶
ليس لفعل نُبَيْه إن مضى خلفٌ ولا لقول أبي الرزّام تبديلٌ
ثقفٌ كلُّقمان ، عدلٌ في حكومته سيفٌ إذا قام وسطَ القوم مسلولٌ⁷
وإن بيت نُبَيْه منهجٌ فلجٌ مُحضّرٌ بالندی ما عاش مأهولٌ⁸

1 لنبيه بن الحجاج السهمي ترجمة في خزائن البغدادية 6 : 419-421 والمحرر 161-162 ونسب قريش : 403-404 وانظر أعلام الزركلي .

2 أورد الآمدي في المؤلف والمختلف : 21 تسعة أبيات منها مع اختلاف كبير في الرواية .

3 الآمدي :

وقد أراها حديثاً وهي آتية لا يشتكي أهلها ضيف ولا جار

4 ل والآمدي : . . . وأوفياء لمن آووه أبرار

5 نسب قريش : 404 .

6 أفضلهم في نسب قريش : أحلمهم .

7 ثقف : حاذق .

8 فلج : واسع .

مَنْ لَا يَعْرِ وَلَا يُوْذِي عَشِيرَتَهُ وَلَا نَدَاهُ عَنِ الْمُعْتَرِّ مَعْدُولٌ¹
وله أيضاً مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلَا بِبَدْرٍ لَمْ أَسْتَجِزْ ذِكْرُهَا ؛ لِأَنَّهُمَا قُتِلَا مُشْرِكَيْنِ مُحَارِبَيْنِ
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

[افتقاره بعد غنى]

وكان نُبَيْه من شعراء قريش ، وهو القائل وقد سأله زوجته الطلاق ، ذكر ذلك الزبير بن
بَكَارٍ² :
[من الخفيف]

تلك عِرْسَايَ تنطقان بهُجْرٍ وتقولان قَوْلَ زَوْرٍ وهُتْرٍ
تسألاني الطلاقَ أَنْ رَأَتَانِي قلَّ مَالِي ، قد جِئْتُمَانِي بِنُكْرٍ
فلعلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي وَيُخْلَى مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي³
وَيُرَى أَغْبَدُ لَنَا وَجِيادٌ وَمَنَاصِيفٌ مِنْ وَلَائِدَ عَشْرِ⁴
وَيَكُنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ غَيْشَ ضُرٍّ
وَيُجَنَّبُ يُسَرُّ الْأُمُورِ وَلَـ كَنْ ذَوِي الْمَالِ حُضْرٌ كُلُّ يُسْرِ

أخبرني الطوسي والحِزْمِيُّ ؛ قالَا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بْنُ
صَالِحٍ : أَنَّ عَامَرَ بْنَ صَالِحٍ أَنشده لَنُبَيْهِ بْنِ الْحَجَّاجِ :

قَصَرَ الْعُذْمُ بِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا مَا لِي كَثِيرٌ لِأَجْلَبِ النَّاسِ حَوْلِي
ولَقَالُوا : أَنْتَ الْكَرِيمُ عَلَيْنَا وَلِحَطَّوْا إِلَى هَوَايَ وَمِثْلِي
وَلَكِلْتُ الْمَعْرُوفَ كَيْلًا هَنِئًا يَعْجِزُ النَّاسُ أَنْ يَكِيلُوا كَكِيلِي
قال الزُّبَيْرُ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ : وَأَنشَدَنِي عَامَرُ بْنُ صَالِحٍ لَنُبَيْهِ بْنِ الْحَجَّاجِ أَيْضًا : [من الطويل]

قَالَتْ سُلَيْمَى إِذْ طَرَقَتْ أَزْوَرُهَا : لَا أَبْتَغِي إِلَّا أَمْرًا ذَا مَالٍ
لَا أَبْتَغِي إِلَّا أَمْرًا ذَا ثَرْوَةٍ كَيْمَا يَسُدُّ مَفَاقِرِي وَخِلَالِي
فَلَا أَحْرَصَنَّ عَلَى اكْتِسَابِ حُبِّ وَلَا أَكْسَيْنَ فِي عِفَّةٍ وَجَمَالٍ

1 يعر في ل : يعق .

2 في نسب قريش : 404 أربعة أبيات منها .

3 ويخلي في ل : ويعرى .

4 مناصيف : خدام ، واحدها مِنَصَف .

أخبرني الطوسي والحرمي ، قالا : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني عمي مصعب ، قال : نزل نبيه بن الحجاج قديداً يريد الشام ، فغيّب بعض بني بكر ناقته ، يريد أخذ الجعالة عليها منه ، فقال نبيه في ذلك :

وردت قديداً فالتوى بذراعها ذوبان بكر كل أطلس أفحج¹
رجل صديق ما بدت لك عينه فإذا تغيب فاحتفظ من دعلج

قال الزبير : الدعلج : الكلب والدئب ، وكل مختلس من السباع فهو دعلج ، ويقال لاختلاسه : الدعلجة ، وأنشد :

باتت كلاب الحمي تسري بيننا يأكلن دعلجة ويشيع من ثوى

يعني بالدعلجة السرقة .

قال الزبير : ولا عقب للحجاج أبي نبيه ومنبه إلا من ولد نبيه ؛ فإن العقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نبيه ، وفي ربطة بنت منبه ؛ فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد الله بن عمرو .

[حلف الفضول يرد امرأة انتزعها]

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غلب أباه عليها ، فاستغاث أبوها بالخلفاء من قريش ، والحلف المعروف بحلف الفضول ؛ فانتزعوها من نبيه وردوها على أبيها .

أخبرني الطوسي ، قال : حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني غير واحد من قريش ، منهم عبد العزيز بن عمر العنسي عن مغن ، واسمه عيينة بن عبد الله بن عنبسة : أن رجلاً من خثعم قدم مكة تاجراً ، ومعه ابنة له يقال لها القتول ، أوصاً نساء العالمين وجهاً ؛ فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، فلم يرح حتى نقلها إليه ، وغلب أباه عليها . فقيل لأبيها : عليك بحلف الفضول ؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نبيه بن الحجاج ، فقالوا : أخرج ابنة هذا الرجل ، وهو يومئذ متبذ بناحية مكة وهي معه ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فإننا من قد عرفت ، فقال : يا قوم متعوني بها الليلة ، فقالوا : قبحك الله ، ما أجهلك ! ، لا والله ولا شخب لقحة ، وهي أوسع أحاليب الشائل ، فأخرجها إليهم فأعطوها أباه ، وركبوا ، وركب معهم الخثعمي . فلذلك يقول نبيه بن

1 ذوبان : هنا : لصوص . والأطلس : المغرب . والأفحج : متداني صدور القدمين متباعد العقب .

الحجّاج :

[من الخفيف]

لم أودّعهم وداعاً جميلاً
 قد أراني ولا أخافُ الفضولاً
 ركبُ هُتَمٍ عليّ ألا أقولاً
 طُ من إباد وهللوا تهليلاً
 سرّ وهل تبتغون إلا القتولاً
 بدأ رسّ الحديث والتقبيلاً
 ومتى كان حجّنا تحليلاً
 فقاد لو أبيت فيها فتيلاً
 حيّة الماء بالأبواء طويلاً¹
 ركُ منهم أدنى رَعِيل رَعِيلاً
 ومتى يفرغوا تراهم قَبِيلاً
 وشبابٌ أُسهرتُ لَيْلاً طَوِيلاً
 عرف منهم إلا فتى بُهْلُولاً

راحَ صَحْبِي ولم أَحْيِ القَتُولاً
 إذ أجدُ الفضولُ أن يَمْنَعُوهَا
 لا تخالي أني عشيّة راح الـ
 إنني والذي حجّ له شُمُ
 لا تَبَرَّاتُ مِنْ قُتِيلَةٍ بالنّا
 لم أُخَبِّرْ عن الحديث ولا أبـ
 ومبيناً بذِي المجاز ثلاثاً
 لن أذيع الحديث عنها ولا أنـ
 أتَلَوِي بها كما تَتَلَوِي
 ثم عدواً عِدَاءَ نَخْلَةٍ ما يدـ
 وبنو غالب أولئك قومي
 وندامي يبيضُ الوجوه كهولُ
 غير هُجْنٍ ولا لثامٍ ولا تعـ
 وفي ذلك يقول نُبَيْه بن الحجّاج² :

[من مجزوء الكامل]

مِنّا على عُدُوئِها³
 شيئاً ولا بِلِقائِها
 ونأتُ فكيف بنائِها⁴
 مِنْ بَيْتِها ووطائِها
 مِنْ سَهْلِها وجرائِها
 واستعذبوا مِنْ مائِها

حيّ الدُّوَيْرَةَ إذ نأتُ
 لا بالفراق تُبِيلُنّا
 أخذتُ حُشاشَةً قَلْبِـهِ
 حلّت زَهَامَةً حُلّةً
 ولهما بمكّة منزِلُ
 رفعوا الحلّة فوقها

1 الأباء : أجمة الحلفاء والقصب .

2 في نسب قريش : 291 ثلاثة أبيات منها .

3 عدواؤها : بعدها .

4 بنائها : بعدها .

تَدْعُو شِهَاباً حَوَّلَهَا	وَتَعْمُ فِي حُلَفَائِهَا
لَوْ لَا الْفُضُولُ وَأَنَّهُ	لَا أَمْنُ مِنْ عُدَوَائِهَا
لَدَنُوتُ مِنْ أَيْيَاتِهَا	وَلَطَفْتُ حَوْلَ خِيَائِهَا
وَلَجِئْتُهَا أَمْشِي بِهَا	هَادٍ لَدَى ظَلَمَائِهَا
فَشَرِبْتُ فَضْلَةَ رِيْقِهَا	وَكَلَيْتُ فِي أَحْشَائِهَا
فَسَلَى بِمَكَّةَ تُخْبِرِي	أَنَا مِنْ أَهْلِ وَفَائِهَا
قَدَمًا وَأَفْضَلُ أَهْلِهَا	مِنَّا عَلَى أَكْفَائِهَا
نَمْشِي بِالنَّوِيَّةِ الْوَعَى	وَنَمُوتُ فِي أَوْدَائِهَا ¹

365 - [حلف الفضول]¹

[سبب حلف الفضول]

أخبرنا به الطوسي ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قديم مكة ببضاعة فاشترها رجل من بني سهم ، فلوى الرجل بحقه ، فسأله متاعه فأبى عليه ، فقام في الحجر ، فقال² :

يَالَ قُصَيٍّ لِمَ ظَلَمْتَ بِضَاعَتَهُ يَبْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ

وَأَشْعَثَ مُحْرَمٍ لَمْ يَقْضِ حُرْمَتَهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ

وروى بعض الثقات تماماً لذين البيتين ، وهو :

أَقَائِمٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالٍ مَالٌ مُعْتَمِرٍ

إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ نَمَتَ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَتَوْبِ الْفَاجِرِ الْغَدِرِ

قال : وقال بعض العلماء : إن قيس بن شيبَةَ السُّلَمِيِّ باع متاعاً من أبي بن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بني جُمَح ، فلم يَقم بجواره ، فقال :

[من الرجز]

يَالَ قُصَيٍّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَحَرَمِ الْبَيْتِ وَأَعْلَاقِ الْكَرَمِ

أَظْلَمُ لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

قال : وبلغ الخبر العباس بن مرداس السُّلَمِيِّ ، فقال :

[من البسيط]

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ تَنْفَعَكَ ذِمَّتُهُ وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَاسِ الْغُلِّ أَنْفَاسَا

فَأَنْتَ الْبَيُوتَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا صَدَدًا لَا تُلَفْ نَادِيَهُمْ فُحْشًا وَلَا بَاسًا³

وَاخْطَطْ وَنَمْ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ مُعْتَصِمًا تَلَقَّ ابْنَ حَرْبٍ وَتَلَقَّ الْمَرْءَ عَبَّاسَا

قَرَمِي قُرَيْشٍ وَحَلًّا فِي ذُؤَابَتِهَا بِالْمَجْدِ وَالْحَزْمِ مَا حَازَ وَمَا سَاسَا

1 خير حلف الفضول في سيرة ابن هشام 1 : 133-135 وابن كثير 2 : 29 .

2 انظر حاشية سيرة ابن هشام 1 : 133 .

3 صددًا : قبالتهم وقريباً منهم .

ساقى الحجاج وهذا ياسرٌ فَلَجَّ والمجدُّ يورثُ أحماساً وأسداساً¹

فقام العباس وأبو سفيان حتى رداً عليه . واجتمعت بطون قريش ، فتحالفوا على ردِّ الظلم بمكة ، وألاً يُظلم رجلٌ بمكة إلا منعه ، وأخذوا له بحقه ، وكان حلفهم في دار ابن جُدعان ، فكان رسولُ الله ﷺ يقول : «لقد شهدتُ حلفاً في دار ابن جُدعان ما أُحِبُّ أن لي به حُمْرُ النَّعَم ، ولو دُعيتُ به لأجبتُ» .

فقال قوم من قريش : هذا والله فضل من الحلف ؛ فسمي حلفَ الفضول .

قال : وقال آخرون : تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قومٌ من جرهم في هذا الأمر ألا يُقرُّوا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه ، وأسماؤهم الفضل بن شراة ، والفضل بن قضاة ، والفضل بن سماعة² .

قال : وحدَّثني محمد بن فضالة ، عن عبد الله بن سيمان ، عن ابن شهاب ، قال : كان شأن حلف الفضول أن بدء ذلك أن رجلاً من بني زُبيد قدِم مكة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تجارة له ، فاشترأها منه رجلٌ من بني سَهْم ، فأواها إلى بيته ، ثم تغيب ، فابتغى متاعه الزبيدي ، فلم يقدِرْ عليه ، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه ، فأغلطوا عليه ، فعرف أن لا سبيل إلى ماله ؛ فطَوَّف في قبائل قريش يستعين بهم ، فتخاذلت القبائلُ عنه ، فلمَّا رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالسها في المسجد ، ثم قال : [من البسيط]

يا آل فِهْرٍ لمظلومٍ بِضَاعَتُهُ بِيْطُنْ مَكَّةَ نائِي الدارِ والنَّفَرِ
ومُخْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمَرَتُهُ يا آل فِهْرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أَقائِمٌ من بني سَهْمٍ بخفرتهم فعادلٌ أم ضلالٌ مالٌ معتمرٍ³

فلما نزل أعظمت قريش ذلك ، فتكلّموا فيه ، فقال المطيِّبون : والله لئن قُمنّا في هذا ليغضبنَّ الأحلاف ، وقال الأحلاف : والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبنَّ المطيِّبون ، وقال ناس من قريش : تعالوا فليكن حلفاً فضولاً دون المطيِّبين ودون الأحلاف ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان ، وصنع لهم طعاماً يومئذٍ كثيراً ، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذٍ معهم ، قَبْلَ أن يُوحِيَ الله إليه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم ،

1 ياسر : لين .

2 ل : فلان .

3 أقائم في ل : هل مخفر ...

وكان الذي تعاقَدَ عليه القومُ : تحالفوا على ألاَّ يُظلمَ بمكَّةَ غريبَ ولا قريبَ ولا حرًّا ولا عبْدًا إلاَّ كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه ، ويؤدُّوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زمزم فجعلوه في جفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت ، فغسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشربوه .

[إشادة الرسول به]

قال : فحدَّثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ، أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبتُ ، وما أحبُّ أن لي به حمر النعم وأنِّي نقضته» .

قال : وحدَّثني عمر بن عبد العزيز العنسي أن الذي اشترى من الزبيدي المتاع العاص بن وائل السهمي .

وقال : أهل حلف الفضول بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، تحالفوا بينهم ألاَّ يُظلمَ بمكَّةَ أحدٌ إلاَّ كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً ، منّا أو من غيرنا .

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ، ثم قالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدِّيَ إليه حقه ، فأعطى الرجل حقه ، فمكثوا كذلك لا يُظلمَ أحدٌ حقه بمكَّةَ إلاَّ أخذوه له . وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أن رجلاً وخذَه خرج من قومه لخرجت من عبد شمس ، حتى أدخل في حلف الفضول . وليس عبد شمس في حلف الفضول .

وحدَّثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن محمد بن فضالة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، وعن إبراهيم بن محمد ، وعن أبي عبد الله بن الهاد : أن بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وتيم بن مرة احتلفوا على ألاَّ يدعوا بمكَّةَ كلّها ، ولا في الأحابيش¹ مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلاَّ أنجدوه ، حتى يردُّوا عليه مظلمته ، أو يُبلوا في ذلك عُذراً ، أو على ألاَّ يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلاَّ أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك سُمِّيَ حلف الفضول ، وهذه بُدَّة من حلف الفضول : بالله الغالب ، إنا ليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقه ما بَلَّ بحر صوفة² ، وعلى التأسّي في المعاش .

1 الأحابيش : سموا بذلك لسوادهم . وقيل إنهم سموا بذلك باسم جبل حبشي بأسفل مكة .

2 المثل «لا آتية ما بل بحر صوفة» في مجمع الميداني 2 : 230 ومستقصى الزمخشري 2 : 246 .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن طلحة في حديثه ، عن موسى بن محمد عن أبيه . وعن محمد بن فضالة ، عن أبيه ، قال : لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول ، قال : وكان بعد عبد المطلب .

قال : وحدثني محمد بن الحسن ، عن عيسى بن يزيد بن دأب ، قال : أهل حلف الفضول : هاشم ، وزهرة ، وتيم . قال : وقيل له : فهل لذلك شاهد من الشعر ؟ قال : نعم ، قال : أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء : [من البسيط]

تيم بن مرة إن سألت وهاشم وزهرة الخير في دار ابن جُدعان
متحالفون على الندى ما غردت ورقاء في فتن من جزع كُثمان

ف قيل له : وأين كُثمان ؟ فقال : واد بنجران¹ ؛ فجاء بيتين مضطربين مختلفي النصفين . وحدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : تدعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وتيم بن مرة إلى حلف الفضول ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان ، فتحالفوا عنده ، وتعاهدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ولا من غيرهم إلا قاموا معه على من ظلمه حتى يردوا مظلّمته . وشهد النبي ﷺ هذا الحلف قبل أن يُبعث ، فهذا حلف الفضول .

قال : وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : إنما سُمّي حلف الفضول لأنه كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم : فضيل وفضال وفضل ومفضل ، قال : فلذلك سُمّي حلف الفضول ، تعاهدوا أن يردوا المظالم . قال : فتحالفوا بالله الغالب لناخذن للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهر ، ما بلّ بحر صوفة .

قال : وقال أبي : قال رسول الله ﷺ : «فشهدت حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان لم يَرده الإسلام إلا شدة ، وهو أحب إلي من حمر النعم» ، قال : وقال غيره : «لو دُعيت إليه لأجبت» .

قال : وحدثني محمد بن حسن ، عن نوفل بن عمار عن إسحاق بن الفضل قال : إنما سمّت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، لأن نفراً من جرهم يقال لهم : الفضل وفضال والفضيل ، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل .

1 قيل كُثمان اسم بلد في بلاد قيس . وقيل هو واد بنجران (معجم البلدان) .

قال : وحدَّثني رجل غير محمد بن حسن ، عن محمد بن فضالة ، عن هشام بن غزوّة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لقد شهدتُ في دارِ ابنِ جُدعان حِلْفَ الفضول ، أما لو دُعيتُ إليه لأُجبت ، وما أُحِبُّ أنِّي نقضتُهُ وأنَّ لي حمرَ النّعم» .

قال الزُّبير : وحدَّثني علي بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لقد شهدتُ في الجاهليّة حِلْفاً ، يعني حلف الفضول ، أما لو دُعيتُ إليه اليوم لأُجبتُ ، لهو أحبُّ إليَّ من حمرِ النّعم ، لا يزيده الإسلامُ إلّا شدةً» .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي ، قال : سمعتُ طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ، يقول :

قال رسول الله ﷺ : «لقد شهدتُ في دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حمرِ النّعم ، ولو أذعَى إليه في الإسلام لأُجبتُ» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خربوذ ، قال : تداعتُ بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتيم ، فاحتلفوا على ألاَّ يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعُوهم إلى نُصرتِهِ إلّا أنْجَدوه ، حتى يردّوا إليه مظلّمته ، أو يُلوا في ذلك عُذراً . وكرة ذلك سائر المطيّين والأحلاف من أمره ، وسَمَوْه حلف الفضول ، غيباً له ، وقالوا : هذا من فضول القوم ، فسَمَوْه حِلْفَ الفضول .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم .

قال : فحدَّثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، قال : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن محمد بن حبيب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «شهدتُ مع عُمومتي حلفَ المكّين ، فما أُحِبُّ أنَّ لي حُمَرَ النّعم وأنّني أنكته» .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي : أنّه بلغه أنَّ الذي بدأ بحلفِ الفضول من هذه القبائل أمرُ الغزال الذي سُرِق من الكعبة .

[بنو نوفل وبنو عبد شمس خارج الحلف]

حدَّثني محمد بن الحسن ، قال : حدَّثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد بن

إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبيه ، قال : قَدِمَ ابْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ مِنْ حُلَفَاءِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَمْ يَكُنْ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ وَأَنْتُمْ ، يَعْنِي بَنِي نُوْفَلٍ ، فِي حِلْفِ الْفُضُولِ ، قَالَ : وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَتُحَدِّثَنِي بِالْحَقِّ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ خَرَجْنَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِنْهُ ، وَلَمْ تَكُنْ يَدُنَا وَيَدُكُمْ إِلَّا جَمِيعاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

[الوليد بن عتبة ينصف الحسين تحت التهديد]

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ اللَّيْثِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَارِثِ التِّمِّيَّ أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَبَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ كَلَامٌ ، وَالْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فِي مَالٍ كَانَ بَيْنَهُمَا بِذِي الْمَرْوَةِ ؛ فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : اسْتَطَالَ عَلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فِي حَقِّي بِسُلْطَانِهِ ، فَقُلْتُ : أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَتَنْصِفَنِي فِي حَقِّي أَوْ لَأَخْذَنَّ سَيْفِي ، ثُمَّ لَأَقُومَنَّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ لَأَدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الْفُضُولِ ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ لَمَّا قَالَ الْحُسَيْنُ مَا قَالَ : وَأَنَا أَحْلَفُ بِاللَّهِ لئنْ دَعَا بِهِ لَأَخْذَنَّ سَيْفِي ثُمَّ لَأَقُومَنَّ مَعَهُ حَتَّى يُنْصَفَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ نَمُوتَ جَمِيعاً . فَبَلَغْتَ الْمِسُورَ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ نُوْفَلٍ الزُّهْرِيَّ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَبَلَغْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التِّمِّيَّ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا بَلَغَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ أَنْصَفَ الْحُسَيْنَ مِنْ حَقِّهِ حَتَّى رَضِيَ .

قال : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَثَرَمُ عَلِيُّ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَامَةَ اللَّيْثِيِّ : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ التِّمِّيَّ حَدَّثَهُ مِثْلَ حَدِيثِ مُحَمَّدَ بْنِ حَسَنٍ الَّذِي قَبْلَ هَذَا .

[الحسين ينازع معاوية في أرض]

قال : وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ ، عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ كَلَامٌ فِي أَرْضٍ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اخْتَرْتُ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيَ ، مِنْ حَقِّي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيَّ ، أَوْ تَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنَ عُمَرَ ، وَالرَّابِعَةَ الصَّبِيلَ ، قَالَ : وَمَا الصَّبِيلُ ؟ قَالَ : أَنْ أَهْتَفَ بِحِلْفِ الْفُضُولِ ، قَالَ : فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِالصَّبِيلِ .

قال : فَخَرَجَ وَهُوَ مُغَضَّبٌ ، فَمَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لئنْ لَمْ يَنْصِفَنِي لَأَهْتَفَنَّ بِحِلْفِ الْفُضُولِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : وَاللَّهِ لئنْ هَتَفْتَ بِهِ وَأَنَا

مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعينَّ ، ثم لينفدنَّ روحي مع روحك ، أو لينصفنَّك .

قال : فخرج عبدُ الله بن الزُّبير فدخل على معاوية فباعه منه ، وخرج عبد الله فجاء إلى الحسين عليه السلام ، فقال : أرسل فانتقدْ مالك ، فقد بعته لك .

قال : وحديثي عليّ بن صالح ، عن جدّي عبد الله بن مُصعب ، عن أبيه ، قال : خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية ، فلقي عبدَ الله بن الزُّبير ، والحسين مغضبٌ ، فذكر الحسين أن معاويةَ ظلمه في حقِّ له ، فقال الحسين : أخيره في ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلَم : أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه ، أو يقرَّ بحقي ، ثم يسألني فأهبه له ، أو يشتريه مني ، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفنَّ بحلفِ الفضول . قال ابن الزُّبير : والذي نفسي بيده لئن هتفتَ به وأنا قاعد لأقومنَّ أو قائم لأمشينَّ ، أو ماشٍ لأشتدنَّ ، حتى تفنى روحي مع روحك أو ينصفك .

قال : ثم ذهب ابنُ الزُّبير إلى معاوية ، فقال : لقيتني الحسين فخيرك في ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلَم . قال معاوية : لا حاجة لنا بالصَّيْلَم ؛ إنك لقيته مغضباً ، فهاتِ الثلاث ، قال : تجعلني أو ابنَ عمر بينك وبينه ، قال : فقد جعلتكَ بيني وبينه أو ابنَ عمر أو جعلتكما ، قال : أو تقرَّ له بحقه وتسأله إياه ، قال : أنا أقرُّ له بحقه وأسأله إياه ، قال : أو تشتريه منه ، قال : وأنا أشتريه منه ، قال : فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين عليه السلام : إن دعائي إلى حلف الفضول لأجبتُه ، فقال معاوية : لا حاجة لنا بهذا .

قال : وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكره والمِسُور بن مخزومة قالَا للحسين بن عليّ عليهما السلام مثل ما قال ابنُ الزُّبير ، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبَيْر بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد ، أكنّا في حلف الفضول ؟ قال : لا ، قال : فكيف كان ؟ قال : قديم رجل من ثُمالة فباع سِلعةً له من أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، فظلمه ، وكان يُسيء المخالطة ، فأتى الثُمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأخبره أنك أتيتنا ، فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا ، فأتاه فأخبره بما قال له أهلُ حلف الفضول ، قال : فأخرج إليه ماله ، وأعطاه إياه بعينه ، وقال : [من الطويل]

أياخذني في بطن مَكّة ظالماً أبيّ ولا قومي لديّ ولا صَحْبِي
وناديتُ قومي صارِخاً ليُجيبني وكم دُون قومي مِنّ فيافٍ ومن سُهْبِ

وَيَأْتِي لَكُمْ حِلْفُ الْفُضُولِ ظِلَامَتِي بَنِي جُمَحٍ وَالْحَقُّ يُؤْخَذُ بِالْفَضْبِ

[أبو الطمحان يستجير بعبد الله بن جدعان]

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامي في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير ، قال إبراهيم : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : قدم أبو الطمحان القيني الشاعر ، واسمه حنظلة بن الشرقي ، فاستجار عبد الله بن جدعان التيمي ومعه مال له من الإبل ، فعدا عليه قوم من بني سَهْم فانتحروا ثلاثة من إبله ، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها ، فقال : أنتم لها ولأكثر منها أهل ، فأخذوها فانتحروها ، ثم أمسكوا عنه زماناً ، ثم جلسوا على شراب لهم ، فلما انتشوا غدّوا على إبله فاستاقوها كلّها ، فأتى عبد الله بن جدعان يستصرخه ، فلم يكن فيه ولا في قومه قوة بيني سهم ، فأمسك عنهم ولم ينصره ، فقال أبو الطمحان¹ :

أَلَا حَنْتَ الْمِرْقَالَ وَاشْتَقَّ رُبُّهَا تَذَكَّرُ أَرْمَاماً وَأَذْكُرُ مَعْشَرِي²
وَلَوْ عَلِمْتَ صَرْفَ الْبُيُوعِ لَسَرَّهَا بِمَكَّةَ أَنْ تَبْتَاعَ حَمَضاً بِإِذْخِرِ³
أَجَدُّ بَنِي الشَّرْقِيِّ أَنَّ أَخَاهُمْ مَتَى يَعْتَلِقُ جَاراً وَإِنْ عَزَّ يَغْدِرِ
إِذَا قُلْتُ وَافٍ أَذْرَكُهُ دُرُوكَهُ فَيَا مُوزِعَ الْجِيرَانِ بِالْغِيِّ أَقْصِرِ⁴

ثم ارتحل عنهم .

[ليس بن سعد يستجير بقريش]

ووفد لميس بن سعد البارقمي مكة ، فاشترى منه أبي بن خلف سلعة ، فظلمه إياها ، فمشى في قريش فلم يُجره أحد ، فقال :

أَيُظْلِمُنِي مَالِي أَبِي سَفَاهَةً وَبَغْياً وَلَا قَوْمِي لَدِيٍّ وَلَا صَحْبِي
وَنَادَيْتُ قَوْمِي بَارِقاً لِتَجِيْبَنِي وَكَمْ دُونَ قَوْمِي مِنْ فَيَافٍ وَمِنْ سَهْبٍ

[زبيدي يستجير بقريش]

ثم قدم رجل من بني زيد . فاشترى منه رجل من بني سَهْم يقال له : حذيفة سلعة ، وظلمه حقّه ، فصعد الزبيدي على أبي قُبَيْس ، ثم نادى بأعلى صوته :

[من البسيط]

1 الشعر والشعراء : 304 .

2 الشعر والشعراء : واكتب ربها ، أي تهياً وتجهز . وأرمام : اسم موضع .

3 بمكة في ل : يثرب .

4 دروكه في ل : خيانة .

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ يَبْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الْحَيِّ وَالْفَرِّ
يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ وَمُضْطَهَّدٍ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَتَّ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَثُوبِ الْفَاجِرِ الْغَدْرِ

فَاعْلَمْ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، إِنِّي وَاللَّهِ لِأَخْشَى أَنْ يَصِيبَنَا مَا أَصَابَ الْأُمِّ السَّالِفَةَ مَنْ سَاكَنِي مَكَّةَ . فَمَشَى إِلَى ابْنِ جُدْعَانَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَيْخٌ قَرِيشَ ، فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ بِظُلْمِ بَنِي سَهْمٍ وَبَغْيِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ بَنِي سَهْمٍ أَمْرَانِ لَا يَشْكُ أَنْتَهُمَا لِلْبَغْيِ : احْتِرَاقُ الْمَقَائِسِ مِنْهُمْ ، وَهُمْ قَيْسٌ وَمَقَيْسٌ وَعَبْدُ قَيْسٍ بِضَاعَتُهُ ؛ وَأَقْبَلَ مِنْهُمْ رَكَبٌ مِنَ الشَّامِ ، فَزَلُّوا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْقُطَيْعَةُ ، فَصَبُّوا فَضْلَةَ خَمْرٍ لَهُمْ فِي إِنَاءٍ ، وَشَرَبُوا ثُمَّ نَامُوا ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ فَكَرَعَ فِيهَا حَيَّةٌ أَسْوَدَ ، ثُمَّ تَقَيَّأَ فِي الْإِنَاءِ ، فَهَبَّ الْقَوْمُ فَشَرَبُوا مِنْهُ ، فَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَأَذْكُرُهُ هَذَا وَمِثْلَهُ ، فَتَحَالَفَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو زَهْرَةَ وَبَنُو تَيْمٍ : بِاللَّهِ الْغَالِبِ ، إِنَّا لَيَدُّ وَاحِدَةً عَلَى الظَّالِمِ ، حَتَّى يَرِدَّ الْحَقُّ .

وَخَرَجَ سَائِرُ قَرِيشَ مِنْ هَذَا الْحَلْفِ . إِلَّا أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ ادَّعَاهُ لِبَنِي أَسَدٍ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حِلْفِ الْفُضُولِ فَقَالَ : أَمَا أَنَا وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَسْنَا فِيهِ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ ، إِنِّي لَأَعْرِفُكَ بِالصِّدْقِ ، قَالَ : فَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَدَّعِيهِ ، فَقَالَ : ذَاكَ هُوَ الْبَاطِلُ .

قَالَ : وَكَانَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ عَنْ قَوْمِهِ إِلَى غَيْرِهِمْ لَكَرَّمُ حِلْفِي لَخَرَجْتُ عَنْ قَوْمِي إِلَى حِلْفِ الْفُضُولِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ ، لَمْ سُمِّيَ حِلْفُ الْفُضُولِ ؛ فَقِيلَ : إِنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَدْعُ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ فَضْلًا إِلَّا أَخَذْنَاهُ مِنْهُ ، وَقِيلَ : بَلْ سَمِعَ بِهَذَا بَعْضُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ ، فَقَالَ : هَذَا فَضُولٌ مِنَ الْأَمْرِ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ جُرْهُمٍ يُقَالُ لَهُمْ فَضْلٌ وَفَضَالَةٌ وَفَضَّالٌ وَمُفَضِّلٌ تَحَالَفُوا عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي أَيَّامِهِمْ ، فَلَمَّا تَحَالَفَتْ قَرِيشُ هَذَا الْحِلْفِ سَمُّوا بِذَلِكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يَا لِلرَّجَالِ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ يَبْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالْفَرِّ

إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَثَوَيْ لَإِسِ الْغَدْرِ¹

غَنَاهُ ابْنُ عَائِشَةَ ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، عَنْ حَبِش .

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ لَقِيطِ بْنِ نَصْرٍ الْحَارِبِيِّ ، قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْمَلَاهِي فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَأَوَى² الْمَغْنَيْنِ ، وَأَظْهَرَ الْفَتَنَ وَشَرَّبَ الْخَمْرَ ، وَكَانَ يَنَادِمُ عَلَيْهَا سَرَجُونَ النَّصْرَانِيَّ مَوْلَاهُ وَالْأَخْطَلَ ، وَكَانَ يَأْتِيهِ مِنَ الْمَغْنَيْنِ سَائِبٌ خَاطِرٌ فَيَقِيمُ عِنْدَهُ ، فَيَخْلَعُ عَلَيْهِ وَيَصِلُهُ ، فَعَنَاهُ يَوْمًا :

يَا لِلرُّجَالِ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتِهِ بَيِّطُنْ مَكَّةَ نَائِي الْأَهْلِ وَالنَّفَرِ
فَاعْتَرَنَّهُ أَرْجِيَّةٌ ، فَرَقَصَ حَتَّى سَقَطَ ، ثُمَّ قَالَ : اخْلَعُوا عَلَيْهِ خِلْعًا يَغِيبُ فِيهَا حَتَّى لَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ الثِّيَابُ وَالْجَبَابُ وَالْمَطَارِفُ وَالْخَزَرُ حَتَّى غَابَ فِيهَا .

صوت

[من البسيط]

اشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا فِي رَأْسِ غُمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مِخْلَالًا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شِيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

عروضه من البسيط .

المرتفق : المتكئ على مرفقه . وغمدان : اسمُ قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن . والمِخْلَال : الدار التي يحلّ فيها ، أي يقيم فيها . وشيْبا : معناه خلطًا . والشوب : الخلط ، يقال : شاب كذا بكذا إذا خلطهما .

الشعرُ لأُمِّيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ ، وَقِيلَ بَلْ هُوَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ ، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ قَائِلِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَدْخَلَ النَّابِغَةُ الْبَيْتَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ عَلَى جِهَةِ التَّضْمِينِ . وَالْغَنَاءُ لِسَائِبِ خَاطِرٍ خَفِيفٍ رَمَلَ بِالْوَسْطَى ، مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَفِيهِ لَطُوبُيسٌ لَحْنٌ مِنْ كِتَابِ يُونُسَ الْكَاتِبِ غَيْرِ مَجْنَسٍ .

1 حرامته في ل : محارمه .

2 ل : أَدْنَى .

[366] - نسب أمية بن أبي الصلت¹

وخبره في قوله هذا الشعر

[نسبه]

أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو بن عُقْدَةَ بن عترة² بن عوف بن قسيّ ، وهو ثقيف . شاعر من شعراء الجاهلية قديم . وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنيّه بذلك ويمدحه .

[قدوم الأحباش إلى اليمن]

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنْ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له : ذو نواس غزا أهلَ نجران ، وكانوا نصارى ، فحصرهم ؛ ثم إنه ظفر بهم فحدّد لهم الأخاديد ، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك ، فحرّقهم بالنار ، وحرّق الإنجيل ، وهدم بيعتهم ، ثم انصرف إلى اليمن . وأفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرسٍ ، فركضه حتى أعجزهم في الرمل ، ومضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ، ومن قتل من النصاري ، وأنه خرب كنائسهم ، وبقر النساء ، وهدم الكنائس ، فما فيها ناقوس يُضرب به . فقال له قيصر : بَعْدَتْ بِلَادِي عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني ، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم . قال دوس ذو ثعلبان : فذاك إذا ، قال قيصر : إن هذا الذي أصنعه بكم أذلّ للعرب أن يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم ، فقال : الملك : أَنْظِرْ لأهل دينه إنما هم خَوَلُهُ .

فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني ، واغضب للنصرانية ، فأوطىء بلادهم الحبشة .

فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة ، فلما قرأ كتابه أمر أرباط ، وكان عظيماً من عظمائهم ، أن يخرج معه فينصره .

1 ترجمة أمية بن أبي الصلت في الشعر والشعراء : 369-372 والسمط : 362 . وخزانة البغدادي 1 : 247-253 وطبقات ابن سلام : 260-270 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 185 وشعراء النصرانية : 219 .

وقد نشر ديوانه بشير يموت (بيروت 1937) . وانظر بروكلمان 1 : 113-114 .

2 ل : غمرة .

[أرباط يخرج في جيش كبير إلى اليمن]

فخرج أرباط في سبعين ألفاً من الحبشة ، وقوّد على جُنْدِهِ قَوَاداً من رؤسائهم ، وأقبل بفيله ، وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان في عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرباط : إذا دخلتَ اليمن فاقتُلْ ثلثَ رجالها ، وخرّبْ ثلثَ بلادها ، وابعثْ إليّ بثلاث نسائها .

فخرج أرباط في الجنود فحملهم في السفن في البحر ، وعبرَ بهم حتى وردَ اليمن ، وقد قدّم مقدّمات الحبشة ، فرأى أهل اليمن جُنُداً كثيراً ، فلما تلاحقوا قام أرباط في جُنْدِهِ خطيباً فقال : يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً ، هذا البحر بين أيديكم إنّ دخلتُموه غرقتُم ، وإن سلكتُم البرَّ هلكتم ، واتخذتكم العربُ عبيداً ، وليس لكم إلّا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم .

فجمع ذو نواس جَمْعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدولة للحبشة ، فظفر أرباط ، وقتل أصحاب ذي نواس ، وانهزموا في كلِّ وَجْه . فلما تخوَّف¹ ذو نواس أنّ سيؤسّر ركض فرسه ، واستعرض به البحر ، وقال : الموت بالبحر أحسن من إيسار أسود ، ثم أقحم فرسه لُجَّةَ البحر ، فمضى به فرسه ، وكان آخر العهد به .

ثم خرج إليهم ذو جَدَن الحمدانيّ في قومه ، فناوشهم ، وتفرّقت عنه همدان ، فلما تخوَّف على نفسه قال : ما الأمر إلا ما صنع ذو نواس ، فأقحم فرسه البحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرباط اليمن ، فقتل ثلثاً ، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرّب ثلثاً ، وملك اليمن ، وقتل أهلها ، وهدم حُصُونَهَا ، وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد سليمان ليْلَقِيس ، واسمها بَلْقَمَة² ، وكان ممّا خرب من حصونهم : سلحون ، وبينون ، وعُمدان ، حصوناً لم يُرَ مثلاً . فقال الحميريّ ، وهو يذكر ما دخل على حِمِير من الذلّ³ :

هونكَ أين تردُّ العَيْنُ ما فاتا لا تهلكنَّ أسفاً في إثر من فاتا

أبعدَ يَبْنُون لا عَيْنٌ ولا أثرٌ وبعدَ سَلْحُون يَبْنِي الناسُ أبيتا !

قال : فلما ظفر أرباط أخذ الأموال ، وأظهر العطاء في أهل الشرف ، ففضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم ، وترك أهل الفقر منهم واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في

1 ل : عرف .

2 ل : ملقبة .

3 البيتان في معجم البلدان (بينون) وفي الطبري مع اختلاف في الرواية لذي جدن الحميري .

العمل ، وكلّفهم مالا يُطيقون ، فجزع من ذلك الفقراء ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : ما نرانا أذلةً أشقياء أينما كنّا ، إن كان قتال قُدّمنا في نحور العدو ، وإن كان قتلٌ قتلنا ، وإن كان عمَل فعلينا ، والبلايا علينا ، والعطايا لغيرنا ، مع ما يُقصينا ويجفونا .
[ثورة الفقراء على أرباط]

فقال لهم عند ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرباط : لو أنّ رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبحُ الشاة . قالوا : لا والمسيح ، ما كنّا نسلمه أبداً ، فوائقوه بالإنجيل ألاّ يسلموه حتى يموتوا عن آخرهم .

فنادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه فبلغ أرباط أبا أضجم أنّ أبرهة جمع لك الجموع ، ودعا الناسَ إلى قتالك . قال : أوَقَد فعل ذلك أبرهة ، وهو يَمُن لا يَبْتَ له في الحبشة ! وغضب أرباط غضباً شديداً ، وقال : هو أدنى من ذلك نفساً وبيتاً ، هذا باطل .

قالوا : فأرسل إليه ؛ فإنّ أذاك فهو باطل ، وإن لم يَأْتك فاعلم أنّه كما يقال ، فأرسل إليه : أجِب الملك أرباط . فجتأ أبرهة على رُكبتيه وخرّ لوجهه ، وأخذ عوداً من الأرض فجعله في فيه ، وقال للرسول : اذهبْ إلى الملك فأخبره بما رأيت مني ، أنا أخلعه ؟ أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة .

فرجع الرسولُ إلى الملك فأخبره بالخبر ، فقال : ألم أقلْ لكم ؟ قالوا : الملك أعقل وأعلم منا .

فلما وُلّي الرسولُ من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا إليه معهم السلاح ، والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن : المعاول والكرازين¹ والمساحي ، ثم صفّوا صفّاً ، وصفّوا خلفه آخر بإزائه . فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنّه يَأْتيه على أربع قوائم كما قال ، وأتى الرسولُ أرباط فأخبره بما صنع أبرهة ، ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم ، فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة ، وكان معه سبعة فيلة ، حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصّفّين ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربُّنا ، والإنجيل كتابنا ، وعيسى نبينا ، والنجاشي ملكنا ، علام يُقتلُ بعضنا بضعا في مذهب النصرانية ؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخلّوا بيني وبينه ، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثره الأغنياء وهلاك الفقراء ، وإن قتلته سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت .

1 الكرازين : الفؤوس الكبيرة ، واحدها كرز .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى ، وقد أُبَيّت إلّا حُسن الرأي فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً ، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجمّة¹ ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْنِب ، فبرز بين الصّفين ، ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامّة أنفه ، ووقع بين رجلَيْ أرياط ، فعمد أبرهة إلى عمامته فشَدَّ بها وجهه ، فسكن الدّم والثّام الجرح ، وأخذ عوداً وجعله في فيه ، وقال : أيّها الملك ، إنّما أنا شاة فاصنَع ما أردتَ ، فقد أبصرتُ أمري . ففرح أرياط بما صنع ، وكان أبرهة قد سمّ خنجرأ ، وجعله في بطن فخذة ، كآته خافية نسر .

فلَمَّا رَأَى أبرهة أنّ أرياط قد أَفْلَت عنه ، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً لئلاّ تراه ملوك الحبشة ، استلّ خنجره فطعنه طعنة في فرج درّعه فأثبته ، وخرّ أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه . فسَمِّي أبرهة الأشرم بتلك الضّربة التي شمرت وجهه وأنفه . فملك أبرهة عشرين سنة ، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، وأمّه ربحانة امرأة ذِي يَزَن أمّ سيف بن ذِي يَزَن الحميريّ .

[سعي سيف بن ذِي يَزَن لتخليص اليمن]

فلَمَّا طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذِي يَزَن الحميريّ فكلّموه في الخروج ، وقالوا إنّنا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنّه يوشك أنّ هذا البلاء يفرج بيدَ رَجُلٍ من أهل بَيْتِكَ ابن ذِي يَزَن ، وقد رجّونا أنّ ندرِكَ بئارنا ، فأنعم لهم² . فخرج إلى قيصر ملك الروم ، فكلّمه أنّ ينصرّه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي ، وأنتم على دين يهود ، فخرج من عنده يائساً . فخرج عامداً إلى كسرى ، فأنتهى إلى النّعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه ، فأخبره بما لقي قومه من الحبشة ، فقال : أقم ؛ فإنّ لي على الملك كسرى إذناً في كلّ سنة ، وقد حان ذلك .

فلَمَّا خرج أخرج معه سيف بن ذِي يَزَن فأدخله على كسرى ، فقال : غلبنا على بلادنا ، وغلب الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنّي أبيض وأنت أبيض ، وهم سودان . فقال : بلادك بلادٌ بعيدة ، ولا أبعثُ معك جيشاً في غير منفعة ، ولا أمر أخافه على ملكي . فلَمَّا أياسه من النّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُساءً .

1 الجمّة : مجتمع شعر الرأس .

2 أنعم لهم : أجابهم بنعم .

فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصَّبيَّان والعبيد ، فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فقالوا ذلك له ؛ فأرسل إليه : لِمَ صنعتَ بجائزة الملك ؟ تنثرها للصَّبيَّان والناس ؟ فقال سيِّف : وما أعطاني الملك ! جبالُ أرضي ذهب وفضَّة ، جئتُ إلى الملك ليمنَّعني من الظُّلَم ، ولم آتِه ليعطيني الدراهم ، ولو أردتُ الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً .

[كسرى يستجيب لسيف]

فقال كسرى : انظُرْ في أمرِك . فخرج سيف على طمع ، وأقام عنده ، فجعل سيف كلما ركب كسرى غرض له ، فجمع له كِسرى مَرازِبه ، وقال : ما تَرونَ في هذا العربيِّ ، وقد رأيتُه رَجُلًا جَلَدًا ؟ فقال قائلٌ منهم : إنَّ في السجون قومًا قد سجنهم المَلِك في مَوجِدَةٍ عليهم ، فلو بعثهم المَلِك معه فإن قُتلوا استراح منهم ، وإن ظفروا بما يُريد هذا العربيُّ فهو زيادة في مُلك المَلِك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل ، فولَّى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرَز ، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة في الفرس ، وجَهَّزهم ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم في البحر في ثمانِي سُنن ، ففرقت سفيتان ، وبقي مَنْ بقي وهم ستمائة رجل ؛ فأرسلوا إلى ساحل عَدَن ، فلما أرسوا قال وهْرَز لسيف : ما عندك ، فقد جئنا بلادك ؟ فقال : ما شئتُ من رجل عربيٍّ وفرس عربيٍّ ، ثم اجعل رَجُلِي مع رَجُلِك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً .

قال وهْرَز : أنصفتَ . فاستجلب سيف مَنْ استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق وتعبيتهم ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العسكران . وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف ، وبعث وهْرَز ابناً له كان معه على جريدة خَيْلٍ ، فقال : ناوشوهم القتال ، حتى ننظر قتالهم ، فناوشهم ابنه ، وناوشوه شيئاً من قتال ، ثم تورَّط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها ؛ فاشتملوا عليه فقتلوه ، فازداد وهْرَز عليهم حَنَقاً . وساء العرب ، وفرحت الحبشة ، فأظهروا الصليب ، فوترَ وهْرَز قَوْسَه ، وكان لا يقدر أن يوترها غيره . وقال وهْرَز والناس في صفوفهم : انظروا أين تَرون ملكهم ؟ قال سيف : أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . وقال وهْرَز : اتركوه . ثم وقف طويلاً ، ثم قال : انظروا هل تحوَّل ؟ قالوا : قد تحوَّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلاً ، وقال : انظروا هل تحوَّل ؟ قالوا : قد تحوَّل على بغلة ، فقال : ابنة الحِمَار ، ذلَّ الأسود وذلَّ مُلْكُه ، ثم قال لأصحابه : قتلته في هذه الرَّمِيَّة ، تأملُوا النَشَابَةَ ، وأخذَ النَشَابَةَ وجعل فوقها في الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ،

وكان أَيْدًا¹ ، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق ، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، وحملت عليهم الفُرسُ ، فانهزمت الحبشة في كلّ وجه ، وجعلت حمير تقتلُ مَنْ أدركوا منهم ، وتُجهز على جريحهم .
[وهرز يملك اليمن]

وأقبل وَهْرُز يريد أن يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذي التّقوا فيه خارج صنعاء ، وكان اسم صنعاء : أزال ، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكاموها ، فقالت : صَنْعَة ؛ فسمّيت صَنْعَاء . وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه ، فلما دنا وَهْرُز من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تَدْخُلْ رايتي منكّسة ، اهدموا الباب ، فهُدِمَ بابُ صنعاء ، ودخل ناصباً رأيتَه وسيّرَ بها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب مُلْكُ حمير آخرَ الدّهر ، لا يرجع إليهم أبداً .

فملك وَهْرُز اليمن ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخبره : إني قد ملكْتُ للملك اليَمَن ، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم ، ويعث بجَوْهر ، وعَنْبر ، ومال ، وعود ، وزباد² ، وهو جلود لها رائحة طيبة .
[كسرى يملك سيفاً اليمن]

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفاً ، ويقدم وَهْرُز إلى كسرى .
فخلّف على اليمن سيفاً ، فلما خلا سيفٌ باليمن وملكها عدا على الحبشة ، فجعل يقتل رجالها ويقر نساءها عمّا في بطونها ، حتى أفناها إلّا بقايا منها أهل ذلّةٍ وقلة ، فاتّخذهم خولاً ، واتّخذ منهم جمّازين³ بحرابهم بين يديه .
[اغتيال سيف]

فمكث كذلك غير كثير ، وركب يوماً وتلك الحبشة معه ، ومعهم حرابهم يَسْعَوْنَ بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مألوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه .
وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر ، ولا يمسّ امرأةً حتى يدرك ثأره من الحبشة ، فجعلت له حُلَّتَان واسعتان فاتزر بواحدة ، وارتي الأخرى ، وجلس على رأس عُمدان يشرب ، وبرّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة .

1 أيد : قوي .

2 الزباد : طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يسمّى قط الزباء .

3 الجمازون : العداؤون بحرابهم أمام موكب الملك .

وكان مُلْك أرباط عشرين سنة ، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك يكسوم تسع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، فهذه أربع وسبعون سنة .

وكان قدومُ أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين ، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ وآله ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها ؛ لأنَّ رسول الله ﷺ وُلِدَ بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة .

[وفود العرب تهنيء سيفاً بالنصر]

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان ، قال : حَدَّثَنَا الكلبيُّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وحَدَّثني به محمد بن عمران المؤدَّب بإسنادٍ لَسْتُ أَحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيِّ فيه ، فاعتمدت هذه الرواية ، قال : [أمية يمدح سيفاً والفرس]

لَمَّا ظَفَر سيف بن ذي يَزَن بالحِشَّة ، وذلك بعد مولد النبي ﷺ بستين أُمَّة وفود العرب وأشرافها لتهنيء وتمدحه ، وتذكر ما كان من بلائه وطلب بثأر قومه ؛ فَأَتَتْهُ وفودُ العرب من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمّية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في ناسٍ من وجوه قريش ، فَأَتَوْه بصنْعاء ، وهو في رأسٍ قَصْرٍ له يقال له : عُمدان ، فَأَخْبَرَهُ الْأَذِنُ بمكانهم ، فَأَذِنَ لَهُمْ ؛ فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسه غلامٌ واقف يَنْثُر في مفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول ، وبين يديه أمّية بن أبي الصلت الثقفي ينشده قوله فيه هذه الأبيات¹ :

لا يَطْلُبُ النَّارُ إِلَّا كَابِرَ ذِي يَزَن	في الْبَحْرِ خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوالا
أَتَى هِرَقْلَ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ	فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الَّذِي سَالا ²
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ	مِنَ السَّنِينَ يُهَيِّنُ النَّفْسَ وَالْمَالا
حَتَّى أَتَى يَبْنَى الْأَحْرَارِ يَقْدُمُهُم	تَخَالُهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ أَجْبَالا ³
لِلَّهِ دَرُهُمٌ مِنْ فِتْيَةٍ صَبْرٍ	مَا إِنْ رَأَيْتَ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالا

1 ديوانه : 453-457 : ونسبت في الطبري وابن هشام إلى أبي الصلت والد أمية . وهناك بعض اختلاف في الرواية .

2 النصر في ل : الثار .

3 أتى في ل : انتحى .

بيضَ مَرَايَةَ غُلْبٍ أَسَاوِرَةَ أَسَدُ تَرْيَبٍ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالَا
فَالْتَطَّ مِنْ الْمَسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتَهُمْ وَأَسِيلَ الْيَوْمِ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا
وَأَشْرَبَ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَقاً فِي رَأْسِ غُمدَانِ دَاراً مِنْكَ مِجْلَالَا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْباً بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

بنو الأحرار الذين عناهم أُمِّيَّةٌ في شعره هم الفوارس الذين قَدِمُوا مع سَيْفِ بن ذي يزن ،
وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء ، ويسمّون باليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ؛
وبالبصرة الأساور ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة .

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ
بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ . فقال عبد المطلب : إِنْ اللَّهَ قَدْ أَحْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَحَلّاً
رَفِيعاً ، صَعْباً مَنِيْعاً ، شَامِخاً بِإِذْنِهَا ، وَأَنْبَتَكَ مَنبَتاً طَابَتْ أُرُومَتُهُ ، وَعَزَّتْ جَرِثُومَتُهُ ، فِي
أَكْرَمِ مَوْطِنٍ ، وَأَطْيَبِ مَعْدَنٍ ؛ فَأَنْتَ ، أَيُّتَ اللَّعْنِ ، مَلِكُ الْعَرَبِ ، وَرَبِيعُهَا الَّذِي بِهِ
تُخَصِّبُ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَأْسُ الْعَرَبِ الَّذِي لَهُ تَنْقَادُ ، وَعُمُودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ ،
وَمَعْقَلُهَا الَّذِي إِلَيْهِ يُلْجَأُ الْعِبَادُ ، فَسَلَفَكَ لَنَا خَيْرٌ سَلَفٍ ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرٌ خَلْفٍ ، فَلَمْ
يَخْمُلْ مَنْ أَنْتَ خَلْفُهُ ، وَلَنْ يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ . نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَسَدَنَةُ بَيْتِهِ ،
أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجْنَا ؛ لِكَشْفِكَ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا ، فَنَحْنُ وَفُودُ التَّهْنِيَةِ لَا وَفُودُ
الْمَرْزِيَةِ .

قال : وَأَيُّهُمْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَكَلِّمُ ؟ قال : أَنَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، قَالَ : ابْنُ أُخْتِنَا ؟ قَالَ :
نَعَمْ . فَأَذْنَاهُ حَتَّى اجْلَسَ إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ وَعَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَباً وَأَهْلاً ، وَنَاقَةً
وَرَحْلاً ، وَمُسْتَنَاحاً سَهْلاً ، وَمَلِكاً رِيحاً¹ ، يُعْطِي عَطَاءَ جَزْلاً ، قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مَقَالَتَكُمْ ،
وَعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ ، وَقَبِلَ وَسِيَلَتَكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالنَّبَاهَةِ ، وَلَكُمْ الْكَرَامَةُ مَا أَقَمْتُمْ ،
وَالْجِيَاءُ إِذَا ظَعَنْتُمْ .

[أمارات ظهور النبي]

ثم استنهبوا إلى دارِ الضيافة والوفود ، فَأَقَامُوا فِيهَا شَهْراً لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا يُؤْذَنُ
لَهُمْ فِي الْإِنْصِرَافِ ، وَأَجْرَى لَهُمُ الْأَنْزَالُ² . ثم انتبه لهم انتباهةً ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ،
فَأَذْنَاهُ ، وَأَخْلَى مَجْلِسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ، إِنِّي مَفْوُضٌ إِلَيْكَ مِنْ سَرِّ عِلْمِي أَمْراً لَوْ

1 ربحل : عظيم الشأن .

2 الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف .

يكون غيرك لم أُبَحْ به إليه ، ولكنّي رأيتك موضِعَه ، فأطلعتك طِلْعَه ؛ فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

إني أُجِدُّ في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحتجناهُ دون غيرنا ، خَبِراً عظيماً ، وخطرأً جسيماً ، فيه شَرَفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة ، ولزَهْطُك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : مثلك أيها الملك مَنْ سَرَّ وَبَرَّ ، فما هو ، فذاك أهل الوبر ، زُمرأً بعد زمر ؟ قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد غلامٌ بتهامة ، بين كنفه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزُعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبْتُ بخير ما آبَ بمثله وافد ، ولولا هَيْبَةُ الملك وإكرامه ، وإعظامه لسألته أَنْ يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً . قال ابنُ ذي يزن : هذا حينه يولدُ فيه ، أو قد وُلد اسمه محمد (ﷺ) ، يموتُ أبوه وأُمُّه ، ويكفله جدّه وعمّه ، قد ولدناه مِراراً ، والله باعِثُهُ جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ، يُعزُّ بهم أوليائه ، ويُذلُّ بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناسَ عن عُرض ، ويستبيحُ بهم كرائمَ الأرض ، يُخمد النيران ، ويدحرُ الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فصل ، وحُكْمُهُ عَدْلٌ ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عَزَّ جَدُّكَ ، وَعَلَا كَعَبُكَ ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخْبِرِي بإفصاح ، فقد أوضح لي بعضَ الإيضاح .
فقال ابنُ ذي يزن : والبيتُ ذي الحُجُب ، والعلامات على النُصْب ، إنك يا عبد المطلب ، لَجَدُّهُ غير الكذب .

فخرَّ عبدُ المطلب ساجداً ، فقال له : ارفَعْ رأسك ، ثلج صدْرُكَ ، وعلا أمرُكَ ؛ فهل أحسستَ شيئاً ممَّا ذكرتهُ لك ؟ فقال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لي ابنٌ ، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً ، زوَّجتهُ كريمةً من كرائم قومي ، اسمها آمنة بنت وهب ؛ فجاءت بغلام سمَّيتهُ محمداً ، مات أبوه وأُمُّه ؛ وكفلته أنا وعمّه . قال : الأمرُ ما قلت لك ؛ فاحتفظُ بابنك ، واحذر عليه من اليهود ؛ فإنهم له أعداء ، ولن يجعلَ الله لهم عليه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرتُ دون هؤلاء الرُّهْطِ الذين معك ؛ فإني لا آمنُ أَنْ تدخلُهم النفاسة مِنْ أَنْ تكونَ له الرياسة ؛ فينصبون له الحبال ، ويطلبون له القوائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم ، ويطيئُ ما يُجيبه قومه ؛ وسيلقى منهم عنتاً ، والله مُبْلِجُ حجَّته ؛ ومُظْهِرُ دعوته ، وناصرُ شيعته ، ولولا أنّي أعلمُ أَنَّ

الموتَ مجتاحي قبل مَبْعَثِهِ لَسِيرَتُ بَخِيلِي وَرَجَلِي ؛ حتى أَصِيرُ يثرب دارَ مُلْكِي ، فَإِنِّي أَجْدُ فِي
الكتاب المَكُونُ أَنَّ يِثْرَبَ اسْتَحْكَامَ أَمْرِهِ ، وأهل نصرته ، وموضع قَبْرِهِ ؛ ولولا أَنِّي أَتَوَقَّي
عليه الآفَاتِ ، وأَحْذَرُ عليه العاهاتِ ، لأَعْلَنْتُ على حَدَاثَةِ سَنَةِ أَمْرِهِ ، وَلَكِنِّي صَارَفْتُ ذَلِكَ
إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ مِنِّي بِمَنْ مَعَكَ .

قال : ثم أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ بِعَشْرَةِ أَعْبُدَ ، وَعَشْرَ إِمَاءَ ، وَمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَحُلَّتَيْنِ بُرُوداً ،
وخمسة أَرْطالِ ذَهَباً ، وَعَشْرَةَ أَرْطالِ فَضَّةَ ، وَكَرْشَ مَمْلُوءَةٍ عَنَبِراً ، ثم أَمَرَ لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ بِعَشْرَةِ
أَضْعَافِ ذَلِكَ .

وقال : يا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ، إِذَا حَالَ الْحَوَلُ فَانْتَنِي . فَمَاتَ ابْنُ ذِي يَزَنَ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ .
وكان عَبْدُ الْمُطَّلَبِ كَثِيراً ما يَقُولُ : يا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، لا يَغْبِطُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ بِجَزِيلِ عَطَاءٍ
الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَثُرَ ؛ فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ ، وَلَكِنْ لِيَغْبِطُنِي بِمَا بَقِيَ لِي شَرْفُهُ وَذِكْرُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَإِذَا
قِيلَ لَهُ : وما ذاك ؟ قال : ستَعْلَمُونَ نَبَأَ ما أَقُولُ ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

وفي ذَلِكَ يَقُولُ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ¹ :

[من الوافر]

جَلَبْنَا النِّصْحَ تَحْمِلُهُ الْمَطَايَا	إِلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقٍ
مَغْلُغَةً مَرافِقُهَا ثِقَالاً	إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقٍ
تَوَّمُ بَنَّا ابْنِ ذِي يَزَنَ وَنُهْدِي	مَخَالِيَهَا إِلَى أَمَمِ الطَّرِيقِ
فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنْعَاءَ صَارَتْ	بِدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسَبِ الْعَرِيقِ

[غناء في شعْراًمِيَّة]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذْبِهِ ، قَالَ : كَانَ
أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَادِمٍ الْمَعْرُوفُ بِالْمَالِكِيِّ ، أَحَدُ الْقَوَادِمِ مَعَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
طَاهِرٍ ، فَكَانَ مَعَهُ بِالرِّيِّ ، وَكَانَ مَعَ مَحَلِّهِ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ مُغْنِياً حَسَنَ الْغَنَاءِ ، وَلَهُ صِنْعَةٌ .
فَحَضَرَ مَجْلِسَ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ مَمْتَنٌّ بِظَاهِرِ الرِّيِّ بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِشَاذِمَهْرَ ، وَقِيلَ :
بَلْ حَضَرَهُ بِقَصْرِهِ بِالشَّاذِيَاخِ ، فَغَنَّى هَذَا الصَّوْتُ :

[من البسيط]

اشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِئاً فِي رَأْسِ غَمْدَانٍ . . . الْبَيْتِ

فَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ الرَّازِيُّ فِي وَقْتِهِ مِنَ الشَّعْرِ مِثْلَ ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَصَنَعَ فِيهِ ، وَغَنَّى فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ
سَعِيدٍ لِحْنًا مِنْ خَفِيفِ الرَّمْلِ ، وَهُوَ :

[من البسيط]

1 ديوان أُمَيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ : 424-426 وتنسب إليه وإلى أُمَيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ .

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاج مُرتَفَقاً بالشاذياخ ودَغْ غُمْدانِ لِلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوَّلَى بَتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزَنِ
فطرب طاهر ، فاستعاده مرات ، وشرب عليه حتى سكر ، وأسنى لأحمد بن سعيد
الجائزة .

[هودة بن علي ويوم الصفقة]

أَمَّا ذَكَرَهُ هَوْدَةُ بْنُ عَلِيٍّ وَلَبِسَهُ التَّاجَ ؛ فَإِنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ كَسْرَى تَوَجَّ هَوْدَةَ بْنَ عَلِيٍّ
الْخَنْفِيَّ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشاً مِنَ الْأَسَاوِرَةِ ، فَأَوْقَعَ بَيْنِي تَمِيمَ يَوْمَ الصَّفْقَةِ .

367 - [يوم الصفقة]¹

أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا أبو سعيد السكري ، قال حدثنا ابن حبيب ودماذ ، عن أبي عبيدة ، قال ابن حبيب : قال أبو سعيد : وأخبرنا إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قال ابن حبيب : وأخبرني ابن الأعرابي ، عن المفضل ، قال أبو سعيد ، قالوا جميعاً : كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ، ومِسْكَاً وَعَنْبَرًا ، وخرجين فيهما مناطق مُحَلَّاة ، وخُفراء تلك العير فيما يزعم بعضُ الناس بنو الجعيد المراديون . فساروا من اليمن لا يَعرِضُ لهم أحد ، حتى إذا كان بِحَمَصَ من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم ، أغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بني جعيد والأساورة ، واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال ، وعتية بن الحارث بن شهاب ، وقَعْنَب بن عتاب ، وجزء بن سعد ، وأبو مليل عبد الله بن الحارث ، والنَّطِف بن جبير ، وأسيد بن جُنادة . فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَرَ مع كزارجر المكعب ، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع ، فصادفُوهم على حَوْضٍ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فهزمت الأساورة ، وقُتِلوا قَتْلًا شديداً ذَرِيعاً ، ويومئذٍ أخذ النَّطِف الخرجين اللذين يُضْرَبُ بهما المثل² .

فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً ، وأمر بالطعام فأُدْخِرَ بالمشقر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناس سنة شديدة ، ثم قال : مَنْ دخلها من العرب فأَمِروهُ ما شاء³ .

فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أعظم مَنْ أتاها بنو سَعْد ، فنادى منادي الأساورة : لا يدخلها عَرَبِيٌّ بِسِلَاحٍ ؛ فَأَقِيمَ بَوَائِبُونَ عَلَى بَابِ الْمَشْقَر ، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا : ضَعْ سِلَاحَكَ ، وَاثْمَرْ ، وَاخْرُجْ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ ؛ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى رَأْسِ الْأَسَاوِرَةِ فَيَقْتُلُهُ ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ خَيْمَرِيَّ بْنَ عَبَادَةَ بْنِ النَّوَالِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مُقَاعَس ، قال : يا بني

1 خبر يوم الصفقة في معجم البلدان : صفقة وتاريخ الطبري 2 : 169 والعقد 5 : 224 وأيام العرب في الجاهلية : 2 .

2 يقال : أهني (أهناً) من كنز النطق . انظر معجم المبدائي 2 : 409 والدرة الفاخرة 2 : 429 وجمهرة العسكري 2 : 352 .

3 أميروهُ : أعطوه الميرة .

تميم ؛ ما بَعَدَ السلب إِلَّا القَتْلَ ، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون . فانصرف منهم مَنْ انصرف مِنْ بَقِيَّتِهِمْ ، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتسبين عندهم . هذا حديث المفضل .
وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية ، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بغير ، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعا¹ ، فكانت تُبَذَّرُ² من المدائن حتى تدفع إلى النعمان ، ويبذرها النعمان بخُفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هُوَذَةَ بن عليّ الحنفيّ ، فيبذرها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى سَعْدَ ، وتجعل لهم جِعالة ، فتسير فيها ، فيدفعونها إلى عُمَال باذام باليمن .

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هُوَذَةُ للأساورة : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيهِ ؛ فأنّا أكفّيكُم أمرهم ، وأسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأمنكم ، فخرج هُوَذَةُ والأساورة والعير معهم مِنْ هَجَرَ ، حتى إذا كانوا بِنَطَاع بلغ بني سَعْدَ ما صنع هُوَذَةُ ، فساروا إليهم ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه وقتلوا عامّة الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هُوَذَةَ بن عليّ ، فاشتري هُوَذَةُ نفسه بثلاثمائة بغير ، فساروا معه إلى هَجَرَ ، فأخذوا منه فداءه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد :

ومِنّا رئيسُ القَوْمِ ليلَةً أدلجُوا بهُوَذَةَ مقرونَ اليدين إلى النحرِ
ورَدْنَا به نَحْلَ اليمامةِ عانِياً عليه وثاقُ القيدِ والحلقِ السُّمْرِ

فعمد هُوَذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هُوَذَةُ رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً . فدخل عليه فقصَّ أمرَ بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها وكساه قباءً ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى³ :

له أكاليلُ بالياقوت فصلّها صَوَاغُها لا ترى عَيْناً ولا طَبْعاً

وذكر أن كسرى سأل هُوَذَةَ عن ماله ومعيشته فأخبره أنّه في عيش رغد ، وأنّه يغزو

1 النبع : شجر تتخذ منه القسي .

2 تبذرق : تخفر .

3 ديوان الأعشى : 108 .

المغازي فيُصيب .

فقال له كسرى في ذلك : كَمْ وَلَدُكَ ؟ قال : عشرة ، قال : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلَكَ عَلَى أَنْ طَلَبْتَ مِنِّي الْوَسِيلَةَ . وقال كسرى لهوذة : رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا أَسَاوِرَتِي ، وَأَخَذُوا مَالِي ، أَتَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ صُلْحٌ ؟

قال هوذة : أَيُّهَا الْمَلِكُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَسَاءٌ¹ الْمَوْتِ ، وَهُمْ قَتَلُوا أَبِي . فقال كسرى : قَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ ، فَكَيْفَ لِي بِهِمْ ؟ قال هوذة : إِنَّ أَرْضَهُمْ لَا تُطَبِّقُهَا أَسَاوِرَتُكَ ، وَهُمْ يَمْتَعُونَ بِهَا ، وَلَكِنْ أَحْبَسُ عَنْهُمْ الْمِيرَةَ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ سَنَةً أُرْسَلَتْ مَعِيَ جُنْدًا مِنْ أَسَاوِرَتِكَ ، فَأَقِيمَ لَهُمُ السُّوقَ ؛ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَهَا ، فَتَصِيهِمُ عَنْ ذَلِكَ خَيْلُكَ .

فَفَعَلَ كَسْرَى ذَلِكَ ، وَحَبَسَ عَنْهُمْ الْأَسْوَاقَ فِي سَنَةٍ مُجْدِبَةٍ ، ثُمَّ سَرَّحَ إِلَى هَوُذَةَ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : ائْتِ هَؤُلَاءِ فَاشْتَفِنِي مِنْهُمْ ، وَاشْتَفِ . وَسَرَّحَ مَعَهُمْ جَوَار بُودَارَ وَرَجُلًا أَرْدَشِيرَ خَرَّةً . فَقَالَ لِهَوُذَةَ : سِيرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا ، فَسَارَ فِي أَلْفِ أَسْوَارٍ حَتَّى نَزَلُوا الْمَشْقَرُ مِنْ أَرْضِ الْبَحْرَيْنِ ، وَهُوَ حِصْنٌ هَجَرٌ .

وَبَعَثَ هَوُذَةَ إِلَى بَنِي حَنِيفَةَ فَأَتَوْهُ ، فَدَنُوا مِنَ حَيْطَانِ الْمَشْقَرِ ، ثُمَّ نَوْدِي : إِنَّ كَسْرَى قَدْ بَلَغَهُ الَّذِي أَصَابَكُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَدْ أَمَرَ لَكُمْ بِمِيرَةٍ ، فَتَعَالُوا ، فَاثْمَارُوا . فَأَنْصَبْ عَلَيْهِمُ النَّاسَ ، وَكَانَ أَعْظَمُ مَنْ أَتَاهُمْ بَنُو سَعْدَ ، فَجَعَلُوا إِذَا جَاءُوا إِلَى بَابِ الْمَشْقَرِ أَدْخَلُوا رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى يَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمَكْعَبِ² فَتَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَقَدْ وَضَعَ سِلَاحَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ ، فَيَقَالُ لَهُ : ادْخُلْ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَاخْرُجْ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ ؛ فَإِذَا مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَوُذَةَ إِخَاءَ ، أَوْ رَجُلٌ يَرْجُوهُ ، قَالَ لِمَكْعَبٍ : هَذَا مِنْ قَوْمِي فَيُخَلِّيهِ لَهُ .

فَنَظَرَ خَيْبَرِيُّ بْنُ عَبَادَةَ إِلَى قَوْمِهِ يَدْخُلُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ ، وَتَوَخَّذَ أَسْلِحَتَهُمْ ، وَجَاءَ لِيَمْتَارَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا رَأَى قَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَيْنَ عَقُولُكُمْ ! فَوَاللَّهِ مَا بَعْدَ السُّلْبِ إِلَّا الْقَتْلُ .

وَتَنَاولَ سَيْفًا مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدَ يُقَالُ لَهُ مَصَادٌ ، وَعَلَى بَابِ الْمَشْقَرِ سُلْسَلَةٌ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ قَابِضٌ عَلَيْهَا ، فَضَرَبَهَا فَقَطَعَهَا وَبَدَّ الْأَسْوَارَ ، فَانْفَتَحَ الْبَابُ ، فَإِذَا النَّاسُ يُقَتِّلُونَ ، فَتَارَتْ بَنُو تَمِيمَ .

1 حَسَاءُ الْمَوْتِ : تَجَرُّعُهُ .

2 سَمِيَ الْمَكْعَبُ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ .

ويقال : إِنَّ الذي فعل هذا رجلٌ من بني عيس يقال له : عُبيد بن وهب ، فلمَّا عَلِمَ هَوْدَةَ أَنَّ القوم قد نَذِرُوا به أَمَرَ المكعبِر فَأَطْلَقَ مِنْهُمْ مائَةً من خيَاربهم ، وخرج هارباً من الباب الأوَّل هو والأساورة ، فتبعَهم بنو سَعْد والرباب ، فقتِلَ بعضهم ، وأفلت مَن أَفْلَت .

صوت¹

[من الطويل]

إِذَا سَلَكَتْ حَوْرَانٍ مِنْ رَمْلٍ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا : لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ²

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حِيلَ دُونَهَا بِضَرْبِ كَأَفْوَاهِ الْعِشَارِ الْأَوَارِكِ³

عروضه من الطويل . الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لابن محرز ، وَلَحْنُهُ من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل ، مطلق في مجرى البنصر .

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقریش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر ، واستأجرت فرات بن حيان العجلي دليلاً ، فأخذ بهم غيرها ، وبلغ النبي ﷺ الخبر ، فأرسل زيد بن حارثة في سرية إلى العير فظفر بها ، وأعجزه القوم .

1 ديوان حسان : 85 .

2 الديوان : إِذَا سَلَكَتِ الْغُورَ . . .

3 الديوان :

« . . . قَدْ حَالَ دُونَهَا بِضَرْبِ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ »

والأوارك : التي ترعى الأراك . والفلجات : الأودية الصغار أو العيون الجارية .

368 - [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة]¹

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، قال : كان سبب هذه الغزوة أن قريشاً قالت : قد عورّ علينا محمد متّجرناً² ، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية : إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا . فقال زَمْعَةُ بن الأسود : وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدة ، ولو سلكها مُعَمَّض العين لاهتدى . فقال صفوان : مَنْ هو ؟ قال : فرات بن حيّان العجليّ ، فاستأجره ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم سلك بهم على غَمْرَة ، فانتَهَى إلى النبيّ ﷺ خَبِرُ العِير ، فخرج وفيها مالٌ كثير ، وآنية من فضة حملها صفوان بن أمية .

فخرج زيد بن حارثة فاعترضها ، فظفر بالعر ، وأفلت أعيان القوم ، وكان الخمسُ عشرين ألفاً ، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السريّة ، وأتى بفُرات بن حيّان العجليّ أسيراً ، ف قيل له : إن أسلمتَ لم يقتلك رسولُ الله ﷺ . فلما دعا به رسولُ الله ﷺ أسلم ، فأرسله .

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية يمثل رواية الواقديّ ، وزاد فيها فيما رواه : إن قريشاً لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق ، وذكر أن الوقعة كانت على القردة³ : ماء من مياه نجد .

أخبرني جرّميّ بن أبي العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك : إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم . فكتب : إن رضي بذلك آل الزبير فافعل . فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى

1 خبر سرية زيد بن حارثة في الطبري : حوادث سنة 3 وسيرة ابن هشام 3 : 50 .

2 عور متجرنا : عرضه للضياع .

3 في الطبري والسيرة : القردة بفتح القاف وسكون الراء . وفي ياقوت : القردة بالغاء المفتوحة والراء الساكنة ، وأضاف أن ابن الفرات ضبطه بالقردة ، بفتح فكسر .

مناديه ببني مخزوم ، فناداه عثمان بن عروة ، وقال : [من الطويل]

إذا هبطت حورانَ مِنْ أرضِ عالِجٍ فقولاً لها : ليس الطريقُ هنالك

فأمر مناديه فنادى بني أسد بن عبد العزى ، ثم مضى على الدعوة .

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرمي إجازة ، قال : حدثنا ضرار بن صرد ، قال : حدثنا علي بن هشام ، عن عمار بن زريق ، عن أبي إسحاق ، عن عدي بن حاتم : أن النبي ﷺ أتى بفرات بن حيّان فقال : إني مسلم ، فقال لعلي صلوات الله عليه : إن منكم من أكّله إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان ، وأقطعه أرضاً بالبحرين تغل ألفاً ومائتين .

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد ، قال : حدثنا محمد عبّيد الله بن عتبة ، قال : حدثنا موسى بن زياد الزيات ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن جارية¹ بن مضرّب ، عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه ، قال : أتني النبي ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخندق ، وكان غنياً للمشركين ، فأمر بقتله ، فقال : إني مسلم ، فقال : إن منكم من أتألفه على الإسلام وأكّله إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان .

صوت

[من الطويل]

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرَا

وصار على الأذنين كلاً وأوشكت صلاتُ ذوي القرى له أن تنكراً

فسر في بلادِ الله والتمس الغنى تعشُ ذا يسارٍ أو تموتَ فتعذرا

ولا ترَضَ مِنْ عيشِ بدونٍ ولا تنم وكيف ينأى الليلَ مَنْ كان مُعسراً

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي عطاء السندي . والغناء لإبراهيم . خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو الثانية .

[369] - ذكر أبي عطاء السندي¹

[نسه]

أبو عطاء ، اسمه أفلح بن يسار ، مولى بني أسد ، ثم مولى عبس² ، بن سيماك بن حصين الأسدي ، منشؤه الكوفة ، وهو من مخضرمي الدولتين . مدح بني أمية وبني هاشم ، وكان أبوه يسار سنيدياً أعجمياً لا يفصح . وكان في لسان أبي عطاء لكنة شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح . وكان له غلام فصيح سماه عطاء ، وتكنى به ، وقال : قد جعلتك ابني ، وسميتك بكنيتي ، فكان يرويه شعره ، فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله . وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتب مواليه ، وأنهم لم يعتقوه .

[مكاتبه مواليه]

أخبرني بذلك محمد بن يزيد ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كناسة ، قال : كثر مال أبي عطاء السندي بعد أن أعتيق ، فأعنته مواليه وطمعوا فيه ، وأدعوا رقه ، فشكا ذلك إلى إخوانه . فقالوا له : كاتبهم ، فكاتبوه على أربعة آلاف ، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها فتركهم .

[مدح الحر بن عبد الله القرشي]

وأتى الحر بن عبد الله القرشي ، وهو حليف لقريش لا من أنفسهم ، فقال فيه³ : [من الطويل]

أَتَيْتُكَ لَا مِنْ قُرْبَةٍ هِيَ بَيْنَنَا	وَلَا نِعْمَةٍ قَدَّمْتُهَا أَسْتَيْبُهَا
وَلَكِنْ مَعَ الرَّاجِينَ أَنْ كُنْتُ مَوْزِدًا	إِلَيْهِ بُغَاةَ الدِّينِ تَهْفُو قُلُوبُهَا
أَغْنِي بِسَجْلٍ مِنْ نَدَاكَ يَكْفِينِي	وَقَاكَ الرَّدَى مُرْدُ الرِّجَالِ وَشَبَابُهَا
تَسْمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حُرًّا لَوْصَفَهُ	وَتِلْكَ الْعَلَا يُعْنَى بِهَا مِنْ يُصَيِّبُهَا

فأعطاه أربعة آلاف درهم ، فأذاها في مكاتبته وعَتَقَ .

1 ترجمة أبي عطاء السندي في خزنة البغدادية 9 : 545-546 والشعر والشعراء : 652-654 والعيني 1 :

560 والسمط : 602 . وقد جمع الأستاذ بخش نفقاً من شعره وإليها نشير بـ «تف السندي» .

2 ل : عمرو .

3 تف السندي : 84 .

[يطلب سليمان بن سليم غلاماً فصيحاً]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان أبو عطاء السندي يجمع بين لثغة ولكنة ، وكان لا يكاد يفهم كلامه ، فأتى سليمان بن سليم فأنشده¹ :

أعوزتني الرواة يا ابن سليم
وغلى بالذي أجمع صدري
وازدرتني العيون إذ كان لوني
فضربت الأمور ظهراً لبطن
وتمنيت أنتي كنت بالشغ
ثم أصبحت قد أنخت ركابي
فاكفني ما يضيق عنه رواتي
يفهم الناس ما أقول من الش
فاعتمدني بالشكر يا ابن سليم
ستوافيهم قصائد غر
فقدماً جعلت شكري جزاء
لم تزل تشتري المحامد قدماً

وأبى أن يقيم شعري لساني
وجفاني لعجمتي سلطان²
حالكا مجتوى من الألوان³
كيف أختال حيلة للساني !
ر فصيحاً وبان بغض بني
عند رجب الفناء والأعطان
بفصيح من صالح الغلمان
عر فإن البيان قد أعاني
في بلادي وسائر البلدان
فيك سبابة لكل لسان
كل ذي نعمة بما أولاني
بالربيع الغالي من الأثمان

فأمر له بوصيف بربري فصيح ، فسماه عطاء ، وتكنى به ، ورواه شعره ؛ فكان إذا أراد إنشاد مدح لمن يجتديه ، أو مذاكرة لشعره أنشده .
[مجاوزه موله]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا ثعلب ، عن أبي العالية الحر بن مالك الشامي ، قال : لما أثنى أبو عطاء أعتته موله عنبر بن سيماك الأسدي ، حتى ابتاع نفسه منه ، فقال يهجو⁴ :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً
فلا تثقن بكل أخي إخاء

1 تنف السندي : 34 .

2 سلطاني في ل : شيطاني .

3 مجتوى : مكروهاً .

4 تنف السندي : 5 .

[من الوافر]

وإنْ خَبِرْتَ بَيْنَهُمْ فَأَلْصِقْ بأهل العقل منهم والحياء
فإنَّ العقل ليس له إذا ما تُدَوِّكِرَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
وإنَّ التُّوكَّ لِلْأَحْسَابِ غُولٌ به تأوي إلى داء عيَاءِ
فلا تَثِقَنَّ مِنَ التُّوكَى بِشَيْءٍ ولو كانوا بَنِي ماء السماء
كعَنْبِرٍ الوَثِيقِ بِنَاءِ بَيْتِ ولكن عقله مثلُ الهَبَاءِ
وليس بقابلٍ أدباً فدَعِه وكن منه بمنقطع الرجاء

[من شعراء بني أمية]

قال : وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومُدَّاحهم والمنصبي الهوى إليهم ، وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة ، فهجاهم . وفي آخر أيام المنصور مات . وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة ، وأشدَّهم عارضةً وتقدُّماً . وشهد أبو عطاء حربَ بني أمية وبني العباس فأبلى ، وقُتِلَ غلامه عطاء مع ابن هبيرة ، وانهزم هو ؛ وقيل : بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه .

[أبو يزيد المري يفر على فرسه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة¹ ، وقَدَّامه رجلٌ من بني مرةً يكنى أبا يزيد ، وقد عُقِرَ فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسك حتى أقاتل عنيّ وعنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسه ، فركبه المرِّيُّ ، ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال أبو عطاء في ذلك² : [من الوافر]

لعمرك إنني وأبا يزيد لكالساعي إلى وَضَحِ السَّرَابِ
رَأَيْتُ مُخِيلَةً فَطَمَعْتُ فِيهَا وفي الطمع المذلَّةُ للَرْقَابِ³
فما أعياك مِنْ طلبٍ ورزقٍ كما يعييك في سَرَقِ الدَّوَابِ
وأشهد أن مرةً حيٌّ صِدْقٍ ولكن لست منهم في النُّصَابِ

أخبرني الحسن ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أن يحيى بن زياد الحارثيَّ وحماداً الراوية كان بينهما وبين معلّى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة ، وكان معلّى بن هبيرة يحب أن يطرح حماداً في لسان شاعرٍ يهجوّه .

1 المسوِّدة : بنو العباس ومن والاهم للبسه السواد .

2 تنف السندي : 6 .

3 المخيلة : السحابة تخالها مطرة .

[أبو عطاء وحماد الراوية]

قال حماد الراوية : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زُجٍّ وجرادة ومسجد بني شيطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعله على ذلك ؟ قال : بَغْلَتِي بسرجهما ولجامها . قلت : فعدّلها¹ على يدي يحيى بن زياد ، ففعل ، وأخذتُ عليه موثقاً بالوفاء .

وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا ، وقال : مرهباً مرهباً ، هياكم الله . فرحبتُ به ، وعرضتُ عليه العشاء ، فقال : لا حاجة لي به ، فقال : أعندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرتُ عَيْنَاه ، واسترخت عَلايِيهِ² ، ثم قلت : يا أبا عطاء ، إن إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتّة ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء ، ففرّجْ عني . قال : هات ، فقلت³ :

أَبْنِ لِي إِنْ سُلِّتُ أَبَا عَطَاءٍ يَقِيناً كَيْفَ عِلْمُكَ بِالْمَعَانِي
فقال :

خَبِيرٌ عَالِمٌ فَاسْأَلْ تَجِدْنِي بِهَا طَبّاً وَآيَاتِ الْمَثَانِي
فقلت :

فَمَا اسْمُ حَدِيدَةٍ فِي رَأْسِ رُحْمٍ دُؤَيْنِ الْكَعْبِ لَيْسَتْ بِالسَّنَانِ ؟
فقال أبو عطاء :

هُوَ الزُّزُّ الَّذِي إِنْ بَاتَ ضَيِّقاً لَصَدْرِكَ لَمْ تَزَلْ لَكَ عَوَّلَتَانِ
قلت : فرّج الله عنك ، تعني الزج . وقلت :

فَمَا صَفْرَاءُ تُدْعَى أُمُّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجِيْلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ ؟
فقال :

أَرَدْتَ زَرَادَةً وَأَزُنُّ زَنْناً بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ سِوَى لِسَانِي
قلت : فرّج الله عنك ، وأطال بقاءك ! تريد جرادة ، وأظنُّ ظناً . وقلت :

1 عدلها : اجعلها في ضمان عدل .

2 العلاي : جمع علباء وهو عصب في عنق البعير .

3 انظر في هذه المعايعة الشعر والشعراء والخزاة .

أَتَعْرِفُ مَسْجِداً لِبَنِي تَمِيمٍ فَوَيْقَ الْمِيلِ دُونَ بَنِي أَبَانٍ ؟

فقال : [من الوافر]

بَنُو سَيْطَانٍ دُونَ بَنِي أَبَانٍ كَقُرْبِ أَيْكَ مِنْ عَبْدِ الْمَدَانِ

قال حماد : فرأيتُ عينيه قد احمرتا ، وعرفت الغضب في وجهه وتخوفته ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك النصف مما أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته . فقال لي : أولى لك ! قد سلمت وسلم لك جعلك ، خذهُ بُورِكَ لك فيه ، ولا حاجة لي فيه . فأخذته ، وانقلب يَهْجُو مُعَلَّى بن هبيرة .

[مدح أبا جعفر ثم هجاه]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثَبِّه ، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية ، فعاوده بالمدح ، فقال له : يا ماص كذا من أمه ، أَلَسْتَ الْقَائِلَ فِي عَدُوِّ اللَّهِ الْفَاجِرِ نَصْرَ بَنِ سَيَّارٍ تَرْتِيهِ :

[من البسيط]

فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى نَصْرٍ وَمَا ظَلَمْتُ	عَيْنٌ تَفِيضُ عَلَى نَصْرٍ بَنِ سَيَّارٍ
يَا نَصْرُ مَنْ لِقَاءُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِحتُ	يَا نَصْرُ بَعْدَكَ أَوْ لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ
الْخِنْدِفِ الَّذِي يَحْمِي حَقِيقَتَهُ	فِي كُلِّ يَوْمٍ مَخُوفِ الشَّرِّ وَالْعَارِ
وَالْقَائِدِ الْخَيْلِ قَبْأً فِي أُعْتَبَتِهَا	بِالْقَوْمِ حَتَّى تَلْفُ الْقَارِ بِالْقَارِ
مَنْ كُلُّ أَبْيَضٍ كَالْمَصْبَاحِ مِنْ مُضَرٍ	يَجْلُو بِسُتَّةِ الظُّلُمَاءِ لِلْسَّارِ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ مِقْدَامٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ	سُمُرُ الرِّمَاحِ وَوَلَّى كُلُّ فَرَّارٍ
إِنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى بِالْقَوْلِ مَوْعِدُهُ	إِنَّ الْكِنَانِيَّ وَافٍ غَيْرُ غَدَّارٍ

والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبداً . قال : فخرج من عنده ، وقال عدة قصائد يذمها

منها¹ :

فليت جَوْرَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا وَلَيْتَ عَدَلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ

وقال أيضاً² :

أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُجِبُّ بَنِي أُمِيَّةٍ مَا اسْتَطَاعَا

[من الوافر]

1 ننف السندي : 16 .

2 ننف السندي : 18 .

وما بي أن يكونوا أهل عدل ولكني رأيت الأمر ضاعاً

[ابن هبيرة يحرره]

أخبرني الحسن ، قال : حدثني الخراز ، عن المدائني ، قال : كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يئني مدينته التي على شاطئ الفرات ، فأعطى ناساً كثيراً صلوات ولم يعطيه شيئاً ، فقال¹ :

قصائد حكتهن ليوم فخر رجعت إلي صُفراً خاليات²
رجعت وما أفأنا علي شيئاً سوى أنني وعدت الترهات
أقام على الفرات يزيد حولاً فقال الناس : أيهما الفراتي !
فيا عجباً لبحر بات يسقي جميع الخلق لم يئلل لهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة : وكم يئل لهاتك يا أبا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابنه بدفعها إليه ، ففعل ، فقال يمدح ابنه³ :

أماً أبوك فعين الجود تعرفه وأنت أشبه خلق الله بالجود
لولا يزيد ولولا قبله عمر ألفت إليك معداً بالمقاليذ
ما ينبت العود إلا في أرومته ولا يكون الجنى إلا من العود

[عند نصر بن سيار]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد ، عن المدائني ، قال : وهب نصر بن سيار لأبي عطاء جارية ، فلما أصبح غدا على نصر ، فقال : ما فعلت أنت وهي ؟ فقال : قد كان شيء مني منعني من بعض حاجتي ، يعني النوم ، فقال : وهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد :

إن النكاح وإن هرمت لصالح خلف لعينك من لذيذ المرقد
فقال نصر :

[من الكامل]

ذاك الشقاء فلا تظنن غيره ليس المشاهد مثل من لم يشهد

1 تنف السندي : 9 .

2 ليوم فخر في ل : لقرم قيس .

3 تنف السندي : 10 .

فقال : أصلحك الله ، إني قد امتدحتك فائذن لي أن أنشدك ، قال : إني لفي شغل ، ولكن ائت تميمًا ، فأتاه فأنشده ، فحمله على بردون أبلق ، فقال له نصر من الغد : ما فعل بك تميم ؟ فقال¹ :

لئن كان أغلق باب الندى فقد فُحَّ البابُ بالأبلق
ثم أنشده قوله² :

وهيكل يُقال في جلاله تقصُر أيدي الناس عن قذاله
جَعَلْتُ أوصالي على أوصاله إنك حمالٌ على أمثاله

[مبايعته كرمًا]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، قال : لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد ، لبسه أبو عطاء فقال³ :

كُسيْتُ ولم أَكْفُرْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً سواداً إلى لوني ودناً مُلْهُوجاً⁴
وباعيتُ كرمًا ببيعةً بعد بيعة مُبْهَرَجَةً إن كان أمرٌ مَبْهَرَجاً

[يجيز بيتين لإبراهيم بن الأشر]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد ، عن المدائني ، قال : بعث إبراهيم بن الأشر إلى أبي عطاء بيتين من شعر ، وسأله أن يضيف إليهما بيتين من رويهما وقافيتهما ، وهما : [من البسيط]

وبلدة يزدهي الجنان طارِقها قطعتُها بكناز اللحم مُتَاطَةً
وهنا وقد حلق النسران أو كَرَباً وكانت الدلو بالجوزاء مُتَاطَةً

فقال أبو عطاء⁵ :

فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت تسير كالفحل تحت الكور لَطَّاطَةً
في أُنْقَى كَلَمًا حَثَّ الحداة لها بَدَتْ مناسمُها هَوَجَاءَ حَطَّاطَةً

1 تنف السندي : 19 .

2 تنف السندي : 20 .

3 تنف السندي : 10 .

4 الدن : القلنسة . وملهوج : غير محكم .

5 تنف السندي : 17 .

[بغلة أبي دلالة]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد ، عن المدائني ، قال : كان سبب هجاء أبي دلالة بغلته أن أبا عطاء السندي هجاها ، فخاف أبو دلالة أن تشتهر بذلك ، وتعره ، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة . قال : وأبيات أبي عطاء فيها¹ :

أبغَلْ أْبِي دُلَامَةَ مَتَّ هَزَلًا عَلَيْهِ بِالسَّخَاءِ تُعَوِّلُنَا
دَوَابَّ النَّاسِ تَقْضُمُ مِلْمَخَالِي وَأَنْتِ مَهَانَةٌ لَا تَقْضَمِينَا
سَلِيهِ الْبَيْعَ وَاسْتَعْدِي عَلَيْهِ فَإِنَّكَ إِنْ تَبَاعِي تَسْمِينَا

[نأوه على نهيك بن معبد]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا أحمد ، عن المدائني ، قال : كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكة ، وخباؤه مطروح ، فمرّ به نهيك بن معبد العطاردي ، فقال : لَمَنْ هَذَا الْخَبَاءُ الْمُلقَى ؟ فقليل : لأبي عطاء السندي ، فبعث غلماناً له ، فضرّبوا له خياء ، وبعث إليه بالطاف وكسوة ، فقال : مَنْ صَنَعَ هَذَا ؟ قالوا : نَهِيكَ بْنُ مَعْبَدٍ ، فنادى بأعلى صوته يقول² :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَنَادِ بِصَوْتٍ : يَا نَهِيكَ بْنُ مَعْبَدٍ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَهِيكَ : لَا ، زِدْنَا يَا أَبَا عَطَاءٍ .

فقال أبو عطاء : إِنَّمَا أُعْطِينَاكَ عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِينَا ، فَإِنْ زِدْتَنَا زِدْنَاكَ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ .
نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عدي : أخبرنا حماد الراوية ، قال :
أنشدت أبا عطاء السندي في أثناء حديث هذا البيت :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسَلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! فقلت : كيف تقول أنت ؟ قال : أقول : [من الوافر]

إِذَا أُرْسِلْتَ فِي أَمْرٍ رَسُولًا فَأَفْهَمْهُ وَأَرْسِلْهُ أَدِيبًا
وإِنْ ضَيِّعْتَ ذَاكَ فَلَا تَلْمُهُ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ عَلِيمَ الْغُيُوبَا

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي : قال الهيثم بن عدي ، عن حماد بن سلمة الكلبي ، قال : دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن بشار³ ،

1 تنف السندي : 27 .

2 تنف السندي : 7 .

3 ل : كيسان .

فقال له¹ :

[من الخفيف]

أَعُوذُ نَسِي الرُّوَاةُ يَا ابْنَ سُلَيْمٍ
وَعَلَا بِالَّذِي أَجْمَعِمِ صَدْرِي
وَعَدْتَنِي الْعَيُونُ أَنْ كَانَ لَوْنِي
وَضَرَبْتَ الْأُمُورَ ظَهْرًا لِبَطْنِ
فَتَمَنَيْتُ أَنْتَنِي كُنْتُ بِالشَّعْرِ
ثُمَّ أَصْبَحْتُ قَدْ أَنْخْتُ رِكَابِي
فَالِي مَنْ سِوَاكَ يَا ابْنَ سُلَيْمٍ
فَاكْفِنِي مَا يَضِيقُ عَنْهُ ذِرَاعِي
يُفْهَمُ النَّاسَ مَا أَقُولُ مِنَ الشَّعْرِ
ثُمَّ خَذَنِي بِالشُّكْرِ يَا ابْنَ سُلَيْمٍ

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد ، فقال أبو عطاء أيضاً : [من الخفيف]

فَأَقْبِلُوا نَحْوِي مَعًا بِالقَنَا
فَقُلْتُ : شَأْنِي كُلَّهُ أَنْتَنِي
يَا ابْنَ سُلَيْمٍ أَنْتَ لِي عَصْمَةٌ
فَقَدْ رَمَانِي الدَّهْرُ عَنْ فَقْرِهِ
صَادَ فُؤَادِي بَعْدَ مَا قَدْ سَلَا
فَانْعَشْ فَذَلِكَ النَّفْسُ مِنِّي وَمَنْ
وَهَبْ فَذَلِكَ النَّفْسُ لِي طِفْلةٌ
فَإِنْ أُبْرِي قَدْ عَتَا وَاعْتَدَى
فَاللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي قَمْعِهِ
يَتْرَكُنِي أَضْحُوكَةً بَعْدَ مَا

وَكُلَّهُمْ يَسْأَلُ : مَا شَأْنِي ؟
فِي تَعَبٍ مِنْ لَفْظِ جُرْدَانِي
مِنْ حَدَثٍ أَفْزَعَ جِيرَانِي
بِسَهْمٍ فَقَرٍ غَيْرَ لُغْبَانٍ²
فَصُرْتُ كَالْمُقْتَبِلِ الْعَانِي
أَطَاعَنِي مِنْ جِلِّ إِخْوَانِي
يَقْمَعُ حِرْهَا رَأْسَ شَيْطَانِي³
وَصَارَ يَبْغِي بَغْيَةَ الزَّانِي
مِنْ قَبْلِ أَنْ أُمْنَى بِسُلْطَانِي
أَضْرَبُ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِي

1 تنف السندي : 24-25 .

2 لغبان : شديد الاعياء .

3 الطفلة : الرخصة الناعمة .

فَأَمَرَ لَهُ بِجَارِيَةٍ قُنْدَهَارِيَّةٍ¹ فَارَاهُ ، فَقَالَ :

[من الخفيف]

أَحْصَنِي اللَّهُ بِكَفِّي فَتَى مَهْذَبٍ مِنْ سِرِّ قَحْطَانٍ
 مِنْ حَمِيرِ أَهْلِ السُّدَى وَالنَدَى وَعَصْمَةِ الْخَائِفِ وَالْجَانِي
 يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ أَنْتَ الَّذِي أَيَّاسَتْ مِنْ فَسْقِي شَيْطَانِي

[يفضّب لخطأ روايته في شعر قاله]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا
 مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ مَجَالِدٍ وَعِنْدَهُ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ ، إِذْ قَامَ رَاوِيَةُ أَبِي عَطَاءٍ يَنْشُدُ سُلَيْمَانَ مَدِيحًا لِأَبِي
 عَطَاءٍ ، وَأَبُو عَطَاءٍ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، إِذْ قَالَ الرَّاوِيَةُ فِي إِنْشَادِهِ :

[من الوافر]

فَمَا فَضَلْتَ يَمِينُكَ مِنْ يَمِينٍ وَلَا فَضَلْتَ شِمَالُكَ عَنْ شِمَالٍ
 هَكَذَا بِالرَّفْعِ ، فَغَضِبَ أَبُو عَطَاءٍ ، وَقَالَ : وَيْلَكَ فَمَا مَدَهْتَهُ إِذَا ! إِنَّمَا هَزَوْتَهُ ، يَرِيدُ فَمَا
 مَدَحْتَهُ إِذَا ! إِنَّمَا هَجَوْتَهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ أَبُو عَطَاءٍ :

[من الوافر]

فَمَا فَذَلْتَ يَمِينُكَ مِنْ يَمِينٍ وَلَا فَذَلْتَ شِمَالُكَ عَنْ شِمَالٍ
 فَكَدْتُ أَضْحَكَ ، وَلَمْ أَجْسِرْ ، لِأَنِّي رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَمِيعًا بِهِمْ مِثْلُ مَا بِي وَهُمْ لَا
 يَضْحَكُونَ ؛ خَوْفًا مِنْهُ .

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
 صَالِحُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : وَقَدْ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ عَلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فَأَنْشَدَهُ² :

[من البسيط]

قَالَتْ تَرِيكَةٌ بَيْتِي وَهِيَ عَاتِيَةٌ إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْأَفْلَاسِ تَغْذِيبُ³
 مَا بَالُ هُمْ دَخِيلُ بَاتٍ مُحْتَضِرًا رَأْسُ الْفَوَازِ فَنُومُ الْعَيْنِ تَوْجِيبُ
 إِنِّي دَعَانِي إِلَيْكَ الْخَيْرُ مِنْ بَلَدِي وَالْخَيْرُ عِنْدَ ذَوِي الْأَحْسَابِ مَطْلُوبُ

فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

[ضيقه يرقب الجارية]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَعِيعٌ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، قَالَ :
 حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : دَخَلَ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ السَّنْدِيِّ

1 قندهارية : نسبة إلى قندهار .

2 تنف السندي : 7 .

3 تريكة البيت : المتروكة دون زواج ، العانس .

ضَيْفٌ ، فَأَتَاهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ ، وَأَتَاهُ بِشَرَابٍ وَجَلَسَا يَشْرِيَانِ ، فَنَظَرَ أَبُو عَطَاءٍ إِلَى الرَّجُلِ يَلَاحِظُ جَارِيَتَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ¹ :

كُلُّ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتُ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا وَأَنْتَ ذَمِيمٌ
لَا أُحِبُّ النَّدِيمَ يُؤْمِضُ بِالطَّرِيقِ إِذَا مَا خَلَا لِعِرْسِ النَّدِيمِ²

صوت

[من الطويل]

تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لَرَمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قَلْبًا³
أُحِبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طُرًّا لِحُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبًا
فَإِنْ تُسَلِّمِي نُسَلِّمِ ، وَإِنْ تَنْصَرِّي تَخْطُّ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

عروضه من الطويل . الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَيْر .
والغناء ليحيى المَكِّي ، ثاني ثَقِيلٍ أَوَّلٍ بِالْوَسْطَى ، من رواية ابنه وأبي العَنَسِ ، وفيه لعبيد الله بن
أبي غسان رمل ، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبَنْصَرِ ، عن حبش .

1 تنف السندي : 22 .

2 في البيت إقواء .

3 البيتان الأولان في معجم الأدباء : 1241 والأبيات الثلاثة في المختار ومن شعر بشار : 151 .

[370] - ذكر خالد ورملة¹

وأخبارهما وأنسابهما

[نسبه]

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه . وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

[عالم شاعر]

أخبرني الطوسي وحزمي ، قالا : حدثنا الزبير ، قال : حدثني عمي مصعب ، قال : كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ، ويقول الشعر ، وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السفينائي وكثيره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك ، وتزوج أمه أم هاشم ، وهذا وهم من مصعب ؛ فإن السفينائي قد رواه غير واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة . وذكر خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم .

حدثني أبو عبد الله الصيرفي قال : حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار ، قال : حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبي الأسود ، قال : حدثنا صالح بن أبي الأسود ، يعني أباه ، عن عبد الجبار بن العباس الهمداني ، عن عمّار الذهبي ، قال :

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام : كم تعدون بقاء السفينائي فيكم ؟ قلت : حمل امرأة تسعة أشهر ، قال : ما أعلمكم يأهل الكوفة . حدثني أبو عبد الله قال : حدثنا محمد بن علي ، قال : حدثنا الحسن بن صالح ، قال : حدثنا منصور بن الأسود ، قال : أتيت جابراً الجعفي أنا والأسود أخني ، فقلنا له : إنا قوم نضرب في هذه التجارات ، وقد بلغنا أن الرايات

1 ترجمة خالد بن يزيد في معجم الأدباء : 1238-1241 ومصورة ابن عساكر 3 : 379 ومختصر ابن منظور 8 : 33 وتهذيب ابن عساكر 5 : 119 وتهذيب الكمال 8 : 201 وأنساب الأشراف 1/4 : 367-369 ووفيات الأعيان 2 : 224-226 وتاريخ الحكماء 440 والمعارف 352 ونسب قريش 128-130 وسير أعلام النبلاء 9 : 411 والعبر 7 : 105 والبدية والنهاية 9 : 60 وتهذيب التهذيب 3 : 128 وكتب التاريخ مثل الطبري وابن الأثير وتاريخ خليفة وكتب الأدب كاليان والتبيين . وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

قد قُطِعَ بها الفُرات ، فماذا تُشير علينا ؟ وماذا تأمرنا ؟ قال : اذهبوا حيث شئتم من أرض الله تعالى ، حتى إذا خرج السفّيانِ فأقبلوا عودكم على بدئكم .

أخبرني الطوسيّ وجرميّ ، قالا : حدّثنا الزبير بن بكار ، عن عمّه ، قال لما ولدت أمّ هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيّتها ، واكتنّت بخالد ، وقال فيها يزيد بن معاوية¹ :

وما نَحْنُ يوم استعبرتْ أمّ خالدٍ بمرضى ذوي داءٍ ولا بصِباحٍ
ولها يقول ، وقد قدم من المدينة ، وقد تزوّج أمّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطاب فحُمِلت إليه بالشام ، فأعجب بها ، وجفا أمّ خالد ، ودخل عليها وهي تبكي ، فقال² :

ما لك أمّ خالدٍ تبكين من قدرٍ حلّ بِكُمْ تَضِجُين !
باعنّ على ينعك أمّ مسكين ميمونة من نسوة ميامين
حلّت محلّك الذي تحلّين زارتك من يثرب في حوارين
في منزلٍ كنت به تكونين

أخبرني الطوسيّ وجرميّ ، قالا : حدّثنا الزبير بن بكار ، عن عمّه : أنّ رملة بنت الزبير كانت أخت مصعب بن الزبير لأُمّه³ ، كانت أمّهما أمّ الرباب بنت أنيف بن عبّيد بن مّصاد بن كعب بن عُليم بن عتاب بن ذهل من كلب ، وإتّما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى ، فولدت له عبد الله بن عثمان ، وهو زوج سَكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

[ردّه على الحجاج]

قال الزبير : فحدّثني رجُل ، عن عُمر بن عبد العزيز ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : لما قُتِل ابن الزبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَملة بنت الزبير بن العوّام ، فأرسل إليه الحجاجُ حاجبه عبّيد الله بن موهب ، وقال له : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ، وكيف خطبت

1 شعر يزيد : 14 .

2 شعر يزيد : 34 .

3 أنساب الأشراف : لأبيه .

إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورمّوه بكلّ قبيحة ، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة .

فنظر إليه خالدٌ طويلاً ، ثم قال له : لولا أنّك رسول ، والرسول لا يعاقب لقطعتك إرباً إرباً ، ثم طرحتك على باب صاحبك ، قل له : ما كنت أرى أنّ الأمور بلغت بك إلى أن أشارك في خطبة النساء !

وأما قولك لي : قارعوا أباك وشهدوا عليه بكلّ قبيح ، فإنها قرّيش يُقارع بعضها بعضاً ، فإذا أقرّ الله عزّ وجلّ الحقّ قراره ، كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم .

وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج ، ما أقلّ علمك بأنساب قرّيش ! أيكون العوام كفّوا لعبد المطلب بن هاشم بتزوّجه صفية ، وتزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان ! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه .

[شعره في رملة]

قال : وقال عمر بن شبة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها¹ : [من الطويل]

أليس يزيد السيرُ في كلّ ليلة	وفي كلّ يومٍ من أحبّتنا قرباً
أحينّ إلى بنت الزبير وقد علّت	بنا العيسُ خرقاً من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضاً تحبّ أهلها	إلينا وإن كانت منازلها حرباً
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها	مليحاً وجذناً ماءه بارداً عذباً
تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى	لرملة خلخالاً يجول ولا قلباً
أقلّوا عليّ اللوم فيها فإنني	تعيّرتها منهم زيرية قلباً
أحبّ بني العوام طراً لحبها	ومن حبها أحببت أحوالها كلباً

قال أبو زيد : وزادوا في الأبيات : [من الطويل]

فإن تسلمي نسلي وإن تنصري

تخطّ رجالٌ بين أعينهم صلباً

فقال له عبد الملك : تنصرت يا خالد ، قال : وما ذاك ؟ فأشده هذا البيت ، فقال له خالد : على من قاله ومن نحليه لعنة الله .

1 الأبيات في معجم الأدباء : 1241 .

[بينه وبين الحجاج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثني عُمر بن شُبّة ، قال : حدثني موسى بن سعيد بن سلم ، قال : قدِم الحجاج على عبد الملك ، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، ومعه بعضُ أهل الشام ، فقال الشامي لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزئ : هذا عُمرو بن العاصي ، فعدل إليه الحجاج ، فقال : إني والله ما أنا بعمر بن العاصي ولا ولدت عمراً ولا ولدني ؛ ولكنني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ، ولقد ضربتُ بسيفي هذا أكثرَ من مائة ألف ، كلهم يشهدُ أنك وأباك من أهل النار ، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً ، وانصرف عنه ، وهو يقول : عُمرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي ! .

[تهجم محمد بن عمرو بن سعيد عليه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، قال : حدثنا المدائني ، قال : حدثنا عبد الله بن مسلم القرشي ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك : أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدِم الشام غازياً ، فأتى عَمَتَهُ أُمَيّة ، بنت سعيد ، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدُ فرآه ، فقال : ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلّا اختار المقام عندنا على المدينة ؛ فظنَّ محمدٌ أنه يعرضُ به ، فقال له : وما يَمْنَعُهم من ذلك ، وقد قدِم قوم من أهل المدينة على النواضح¹ ، فنكحوا أمك وسلبوك مُلكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ، وعَمَل الكيمياء الذي لا تقدِرُ عليه . انتهى .

[أمّه قتلت زوجها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا الخزاز عن المدائني ، عن أبي أيوب القرشي ، عن يزيد بن حصين بن نمير : أن مروان بن الحكم تزوّج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضعَ منه في شيء جرى بينهما ، فقال له : يا ابن الرطبة ، فقال له خالد : إنك لأُمِّي مختبر² ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أمّه فأخبرها ، وقال : أنتِ صنعتِ بي هذا ، فقالت له : دَعُه ، فإنه لا يَقولها لك بعد اليوم .

فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبركِ خالدٌ بشيء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ خالد أشدُّ تعظيماً لك مِن أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه .

فلما أمسى وضعتُ مِرْفَقَةً على وَجْهِه ، وقعدتُ عليها هي وجواربها حتى مات .

1 النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء .

2 ل : الأمير مختبر .

وأراد عبد الملك قتلها ، وبلغها ذلك ، فقالت : أما إنه أشدُّ عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة : فكفَّ عنها .
[رملة تشكو سكينه بنت الحسين]

أخبرني محمد قال : حدثني الخراز ، عن المدائني ، قال : وأخبرني الطوسي ، عن الزبير ، عن المدائني ، عن جويرية قال : نشزت سكينه بنت الحسين بن عليٍّ عليهما السلام على زوجها عبد الله بن عثمان ، وأمه رَمْلَة بنت الزبير ، فدخلت رملَة على عبد الملك بن مروان ، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا أن يُتَزَّ أمرنا ، ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سكينه بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابني ، قال : يا رَمْلَة ، إنها سكينه ، قالت : وإن كانت سكينه ، فوالله لقد ولدنا خيرهم ، ونكحنا خيرهم ، وأنكحنا خيرهم ، تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب ، ومن أنكحوا النبي ﷺ .

فقال : يا رَمْلَة ، غرّني منك غرّوة بن الزبير ، فقالت : ما غرّك ، ولكن نصح لك ؛ لأنك قتلت أخي مُصعباً فلم يأمني عليك .
[خالد وبنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني الطوسي ، قال : حدثني عمي مصعب ، قال : تزوّج خالد بن يزيد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيها :
[من الكامل]

جاءت بها دُهمُ البغال وشهبها مقنعة في جَوْفِ حَدَجٍ مُخَدَّرٍ¹
مقابلةً بين النبيِّ محمد وبين عليٍّ والحواريِّ وجعفرٍ
منافئةً جادتْ بخالِصٍ ودّها لعبدٍ منافيٍّ أغرَّ مُشهرٍ

قال مُصعب : ومن الناس من ينكر تزويجه إياها .

[شاعر يعير به عبد الملك]

ومما يُشَبِّه قولُ شُذَيْد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهيب بن ضَبَاب بن حَجَّير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤيٍّ لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّرُه بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنت عبد الله بن جعفر ، قال² :
[من الطويل]

1 الحدج : مركب للنساء بين الهودج والرحل كالحففة .

2 نسب قریش : 435 .

لا يستوي الحبلان حبلٌ تَلَبَّستَ قُوَاهُ وَحَبْلٌ قَدْ أَمِرٌ شَدِيدُ
عليكَ أمير المؤمنين بخالد ففي خالدٍ عَمَّا تُرِيدُ صُدُودُ
إذا ما نظرنا في مناقح خالدٍ عَرَفْنَا الَّذِي يَهْوَى وَحَيْثُ يُرِيدُ

[خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك]

أخبرنا الطوسي ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني مصعب بن عثمان ، قال : دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ بقتل الوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بفس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، قال : إنه لقي خيلى فنقرها ، وتلاعب بها ، فقال له خالد : أنا أكفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك ، وعنده الوليد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن ولي عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خيلى ابن عمه عبد الله بن يزيد فنقرها وتلاعب بها ، فشق ذلك على عبد الله . فنكس عبد الملك رأسه ، وقرع الأرض بقضيب في يده ثم رفع رأسه إليه ، فقال : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ . فقال له خالد : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ، فقال له عبد الملك : أتكلمني فيه ، وقد دخل علي لا يقيم لسانه لحناً . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفعلى الوليد تعول في اللحن ؟ فقال عبد الملك : إن يكن الوليد لحناً فأخوه سليمان . قال خالد : وإن يكن عبد الله لحناً فأخوه خالد . قال الوليد لخالد : أتكلمني ولست في غير ولا نفير¹ ! قال : ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا ؟ أنا والله ابن العير والنفير ، سيد العير جدِّي أبو سفيان ، وسيد النفير جدِّي عبَّبة بن ربيعة ، ولكن لو قلت : حبيلات ، يعني حبلَة العنب² ، وغنيمات والطائف لقلنا : صدقت ، ورحم الله عثمان !

هذا آخر الحديث . قال مؤلف هذا الكتاب : يعبره بأم مروان ، وأنها من الطائف ، ويعبره بالحكم ، وأن رسول الله ﷺ طرده إلى الطائف ، وترحم على عثمان لردّه إياه . [حماقة معاوية بن مروان]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، عن المدائني ، عن إسحاق بن أيوب : أن معاوية بن مروان كان ضعيفاً ؛ فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المغيرة : ما

1 المثل «لا في العير ولا النفير» في مجمع الميدان 2 : 221 وجمهرة العكسري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

2 حبلَة العنب : شجرته .

الذي هوّنك على أخيك فلا يوليك ولاية ، قال : لو أردتُ لفعل ، قال : كلا ، قال : بلى والله ، قال : فسئله أن يوليك بيت لهما¹ ، قال : نعم .

فغدا على عبد الملك ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألسْتُ أخاك ؟ قال : بلى والله ، إنك لأخي وشقيقي ، قال : فولّني بيت لهما ، قال : متى عهدك بخالد ؟ قال : عشية أمس ، قال : إياك أن تكلمه .

ودخل خالد فقال له : كيف أصبحت يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامك ، فغلب على عبد الملك الضحك ، فقام وتفرّق الناس .

قال : وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فصاح : أغلقوا أبواب المدينة لا يخرج ، قال : وقال له رجل : أنت الشريف ابن أمير المؤمنين ، وأخو أمير المؤمنين ، وابن عم أمير المؤمنين عثمان ، وأُمك عائشة بنت معاوية ، قال : فأنا إذا مُردّد في بني اللّخناء تردّداً .

[تعصّب خالد لكلب]

أخبرني الطوسي² ، عن الزبير ، عن عمّه ، قال : كان خالد بن يزيد يتعصّب لكلب على قيس في الحرب التي كانت بينهم ؛ لأنّ كلباً أخوال أبيه يزيد ، وأخوال زوجته ، فقال شاعر قيس :

يا خالد بن أبي سفيان قد قرّحت² منّا القلوب وضاق السهل والجبل²
إنّ تَأْمُرُ كلباً أنّ تقاتلنا جهلاً وتمنعهم منّا إذا قتلوا
ها إنّ ذا لا يُقرّ الطير ساكنة ولا تَبْرُك من نكرائه الإبل

صوت

[من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطْفٍ حُورُ العيون نواعم زهرُ
فطرقتهنّ مع الجريّ وقد نام الرقيبُ وحلّق النسرُ
عروضه من الكامل . الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، رمّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

1 بيت لهما : قرية في غوطة دمشق .

2 قرحت في ل : قدحت .

371 - [خبر للأحوص]

[شعره في مجلس نساء]

أخبرني جرّمي بن أبي العلاء ، قال : حدّثني الزبير بن بكار ، قال : أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : حدّثني إسماعيل بن محمد المخزومي ، قال : اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن : أرسلني إلى الأحوص ، فإنّا نحبُّ أن نتحدّثَ معه ونسمع من شعره ، فقالت لهنّ : إذا لا يزيدكنّ على أن يخرج إذا عرفكنّ ، فيشهركنّ وينظم الشعرَ فيكنّ ، فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولا يذكرُ له أمرهنّ ولا يسميهنّ ، ويقول له أن يأتيهنّ مخمّر الرأس ؛ ففعل ، وتحدّثَ معهنّ وأنشدهنّ . فلما أراد الخروجَ وضع يده في تورٍّ¹ بين أيديهنّ فيه خلّوق ، فغطّى راسه ، وخرج ووضع يده على الباب ، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه ، فغدا إليه ، وطاف حتى وجد أثر يده في الباب ، فقال² :

[من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ	حورُ العيون نواعمٌ زهُرُ
فطرقتهنّ مع الجريّ وقد	نام الرقيبُ وحلّق النسْرُ
مستبطناً للحيّ إذ قرعوا	عَضْباً يُلُوحُ بِمَتْنِهِ أَثْرُ
فحكفن ليلتهنّ ناعمة	ثم استفقن وقد بدا الفجرُ
بأشَمَّ معسول فكاهته	غَضَّ الشَّبابِ رداؤه غَمْرُ ³
رَزَنٌ بَعِيدُ الصَّوْتِ مُشْتَهَر	جِيبَتْ لَهُ جَوْبُ الرِّحَى عَمْرُو
قامت تخاصره لِكَلَّتِهَا	تمشي تَأَوَّدُ غَاذَةُ بَكْرُ
فتنازعا مِنْ دُونِ نسوتها	كَلِمًا يَسْرُ كَأَنَّهُ سِحْرُ
كلٌّ يَرى أَنَّ الشَّبابَ لَهُ	في كلِّ غَايَةٍ صَبُوءٌ غُذْرُ
سَيْفَانَةٌ أَمْرُ الشَّبابِ بِهَا	رَقْرَاقَةٌ لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ
حتى إذا أبدى هواهُ لها	وبدا هواها مالَهُ سِتْرُ

1 التور : إناء .

2 ديوان الأحوص : 78 (صادر) .

3 الغمر من الثياب : الواسع .

سَفَرْتُ وما سَفَرْتُ لمعرفة وجهاً أَعْرَ كَأَنَّهُ الْبَذْرُ

قال إسماعيل بن محمد : فخرجت وأنا شابٌ ومعِي شابٌ نريدُ مسجدَ رسول الله ﷺ ، فذكرنا حديثَ الأحوص وشِعْرَهُ ، وقدّامنا عَجُوزٌ عليها بقايا من الجمال ، فلمّا بلغنا المسجدَ وقَفْتُ علينا والتفتت إلينا ، وقالت : يا فتيان ، أنا والله إحدى الخمس ، كذبَ وربّ هذا القَبْرِ والمَنبر ما خلّتْ معه واحدةٌ مِنّا ، ولا راجعته دُونَ نسوتها كلاماً .

قال الزُّبَيْر : وحدثني غَيْرُ إبراهيم بن عبد الرحمن : أنَّ نِسوةً من أهل المدينة نَذَرْنَ مشياً إلى قُباء وصلاةً فيه ، فخرجنَ ليلاً ، فطال عليهنَّ الليلُ فَنِمْنَ ، فجاءهُنَّ الأحوصُ متكِئاً على عرجون ابن طاب¹ ، فتحدّثَ معهنَّ حتى أصبحَ ، ثم انصرف وانصرفنَ ، فقال قصيدته : [من الكامل]

خمس دَسَسَنَ إليّ في لطف حورُ العُيونِ نَواعِمَ زهُرُ

وحدثني عَمِّي ، عن أبيه ، قال : قال حَبِيب بن ثابت : صَدَرْتُ إلى العَقِيقِ ، فخلا لي الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه ، وعجوزٌ سوداءُ قاعدةٌ ناحيةٌ تسمع ما أقول ولا أشعر بها ، فقالت : كذبَ والله يا سيدي ؛ إِنَّ سِيفَهُ ليلتذّي لعرجون ابن طاب يتخصّر به ، وإني لرسولهنَّ إليه .

قال الزُّبَيْر : وحدثني عَمِّي ، عن أبيه ، عن الزُّبَيْر بن حبيب ، قال : كُنْتُ أنشد قول الأحوص :

خمس دَسَسَنَ إليّ في لطف

قال : فإذا نسوةً فيهنَّ عجوز سوداء ، فأقبلنَ على العجوز ، فقلن لها : لِمَنْ هذا الشعر ؟ قالت : للأحوص ، فقلت : للأحوص لعمرى ، فقالت لهن : أنا والله الجريُّ ، خرج نسوة يصلين في مسجد قُباء ، ثم تحدّثنَ في رَحْبة المسجد ، في ليلةٍ مقمرة ، فقلن : لو كان عندنا الأحوص ! فخرجتُ حتى أتيتُهنَّ به ، وهو متخصّر بعرجون ابن طاب ، فتحدّثَ معهنَّ حتى دنا الصبح ، فقلن له : لا تذكر خبرنا ، ولا تذكر إلّا خيراً ، قال : قد فعلت ، وأنشدتهنَّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات ، ثم استمرت بأفواه الناس تغني : [من الكامل]

خمس دَسَسَنَ إليّ في لطف

الأبيات كلّها ، والله ما قامتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهنَّ سِرٌّ .

1 عرجون ابن طاب : نوع من تمر المدينة .

صوت

[من المديد]

يا ابنة الجودي قلبي كيبُ مُستهامٌ عندها ما يُنبُ
ولقد قالوا فقلت : دعوها إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حيبُ
إنما أبلى عظامي وجسمي حبُّها ، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل¹ . الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ، ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه لملك خفيف ثقیل أول بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، لم ينسبه إسحاق إلى أحد . وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى . والله أعلم .

1 عروضه من المديد .

[372] - ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر¹

وخبره وقصة بنت الجدوي

[نسبه]

عبد الرحمن بن أبي بكر ، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله ، وكان اسمه في الجاهلية عَتِيقًا ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .
وأُمُّه وَأُمُّ عَائِشَةَ أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُيَيْرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُذَيْنَةَ بْنِ سُبَيْعِ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ .
هذا قول الزبير ، وعمه .

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عُيَيْرِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنَمِ .
وروى عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنها بنت عامر بن عُيَيْرِ بْنِ أُذَيْنَةَ بْنِ سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ .

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي ﷺ ، ولم يهاجر مع أبيه صِغَرًا عَنْ ذَلِكَ ، فبقي بمكانه ؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وقيل : بل كان إسلامه في يوم الفَتْحِ وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع . انتهى .

أخبرني الطوسي وحرمني بن أبي العلاء ، قالا : حدثنا الزبير ، قال : حدثني إبراهيم بن حمزة ، عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عن علي بن زيد بن جدعان : أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْفَتْحِ ، قال : وأحسبه قال : إن معاوية كان معهم .

[موقفه في البيعة ليزيد]

قال الزبير : وحدثني عمي مُصْعَبُ قَالَ : وَقَفَ مُحَكَّمُ الْيَمَامَةِ عَلَى ثُلُمَةٍ² فَحَمَاهَا فَلَمْ

1 لعبد الرحمن بن أبي بكر ترجمة في الإصابة ونسب قريش : 276 ووفيات الأعيان 3 : 69 .

2 ثلمة : فرجة .

يَجْزُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ، وكان أَحَدَ الرُّمَّةِ ، فدخل المسلمون من تلك الثُّلُمة . وهو المخاطِبُ لَمَرَّوان يوم دَعَا إلى بَيْعة يزيد ، والقائل : إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوهَا كَسُرُوبَةٍ أَوْ هَرْقَلِيَّةٍ ، كما هلك كسرى أَوْ هَرْقَل مَلِكُ كَسْرَى أَوْ هَرْقَل . فقال مروان : أَيُّهَا النَّاسُ ، هذا الذي قال لوالديه : أَفُ لَكُمْ أَنْ أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي . فصاحت به عائشة : اإِلْعَبِ الرَّحْمَنُ تَقُولَ هَذَا ؟ كَذَبْتَ وَاللَّهِ ، ما هو به ، ولو شئتُ أَنْ أُسَمِّيَ مَنْ أَنْزَلَتْ فِيهِ لِسَمِيَّتِهِ ، ولكن أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَاكَ ، وَأَنْتَ فِي صُلْبِهِ ، فَأَنْتَ فَضْضٌ¹ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ : أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ : يَا مَرْوَانَ ؛ أَفِينَا تَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ، وَإِلَيْنَا تَسُوقُ اللَّعْنَ ؟ وَاللَّهِ لَا قَوْمٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِكَ مَقَامًا تَوَدُّ أَنِّي لَمْ أَقْمُهُ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَرَضَّاهَا وَاسْتَعْفَاهَا ، وَحَلَفَ أَلَّا يَصْلِيَ بِالنَّاسِ أَوْ تَوَمَّنَهُ ، فَفَعَلَتْ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ . وَأَخْبَرَنِي الطَّوْسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : اسْتَهِيمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بَلِيلُ بِنْتِ الْجُودِيِّ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو الْغَسَّانِيِّ ، فَقَالَ فِيهَا² :

نَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّمَاءَ دُونَهَا	وَمَا لَابَنَةُ الْجُودِيِّ لَيْلَى وَمَالِيَا
وَأَنْتَى تُعَاطِي قَلْبَهُ حَارِثِيَّةٌ	تَحَلُّ بِبُصْرَى أَوْ تَحَلَّ الْجَوَايَا
وَكَيْفَ يُلَاقِيهَا ، بَلَى ، وَلَعَلَّهَا	إِذَا النَّاسُ حَجَّوْا قَابِلًا أَنْ تَلَاقِيَا

قال أبو زيد : وقال فيها :

يَا ابْنَةَ الْجُودِيِّ قَلْبِي كَيْبُ مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ

1 فضض : أي قطعة منها .

2 الأبيات ، في نسب قريش : 276 مع بعض اختلاف .

جاورتُ أخوالها حَيَّ عَكَ فَلَئِكَ مِنْ فَوَادِي نَصِيبُ

وقد ذكرنا باقي الآيات فيما تقدّم .

قال الزبير في خبره : وكان قديم في تجارة ، فرآها هناك على طينفة حولها ولأند ، فأعجبته .

وقال أبو زيد في خبره : فقال له عمر : مالك ولها يا عبد الرحمن ! فقال : والله ما رأيته قط إلا ليلة بيت المقدس في جوارٍ ونساء يتهادين ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا ابنة الجودي ، فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي .

[غناها في فتح دمشق بأمر عمر]

فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به : إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي . فلما فتح الله عليهم غنموه إياها .

قالت عائشة : فكنْتُ أكلّمه فيما يصنعُ بها ، فيقول : يا أُخِيَّة ، دَعِينِي فوالله لكأنِّي أُرشف من ثَنائِها حَبَّ الرِّمَان . ثم ملّها¹ وهانتُ عليه ، فكنْتُ أكلّمه فيما يُسيء إليها كما كنْتُ أكلّمه في الإحسان إليها ، فكان إحسانه أن ردّها إلى أهلها .

[ردّها إلى أهلها عندما ملّها]

قال الشيخ في خبره : فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أُحِبِّتَ ليلى فأفرطت ، وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإمّا أن تنصفها ، وإمّا أن تجهّزها إلى أهلها ؛ فجهّزها إلى أهلها .

قال الزبير : وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ : عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عمر بن الخطاب نقل عبد الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي ، حين فتح دمشق ، وكانت بنت ملك دمشق .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا الصلّت بن مسعود ، قال : حدثنا محمد بن شيرويه ، عن سليمان بن صالح ، قال : قرأت على عبد الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة بنت مصعب ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانت ليلى بنت الجودي بنت ملكٍ مِنْ مُلُوكِ الشَّام ، فشَبِّبَ بها عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان قد رآها فيما تقدّم بالشَّام ، فلما فتح الله عزّ وجلّ على المسلمين ، وقتلوا أباهَا أصابوها ، فقال المسلمون لأبي بكر : يا خليفة رسول الله : أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن . فقد سلّمناها له ؛ قال أبو بكر : أكلّمكم على

1 ل : بذل بها .

هذا ؟ قالوا : نعم ، فأعطاه إياها ، وكان لها بساط في بلديها لا تذهبُ إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بُسِطَ لها ، ورُمِيَ بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها . فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثرَ البكاء ، فيقول : ما يُكيك ؟ اختاري خصلاً أيها شئتِ فعلتُ بك : إما أن أعتقك وأنكحك ، فتقول : لا أشتيه ، وإن شئتِ ردّدتكِ على قومك ، قالت : ولا أريد ، وإن أحببتِ ردّدتكِ على المسلمين ، قالت : لا أريد ، قال : فأخبريني ما يُكيك ؟ قالت : أبكي الملك من يوم البؤس .

أخبرني أحمد ، قال : حدّثني أبو زيد ، قال حدّثني هارون بن إبراهيم بن معروف ، قال : حدّثني حمزة¹ بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، عن عبد الله بن عوف ، عن يحيى بن يحيى الغساني : أن عبد الرحمن قديم على يعلى بن مئنه ، وهو على اليمن ، فوجدها في السبي ، فسأله أن يرفعها إليه .

أخبرني أحمد ، قال : حدّثنا عمر ، قال : كتب إلي محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها :

فإِذَا تُصْبِحِي بَعْدَ اقْتِرَابِ بَسْلَعٍ أَوْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
فَلَمْ أَلْفُظْكَ مِنْ شَعٍ وَلَكِنْ لِأَقْضِيَ حَاجَةَ النَّفْسِ الشَّعَاعِ²
كَأَنَّ جَوَانِحَ الْأَضْلَاعِ مِنِّي بُعِيدَ النَّوْمِ مُبْطِنَةَ الْيَرَاعِ

[عائشة تربيته]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدّثنا عبد الله بن لاحق ، عن أبي مليكة ، قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبَشِيِّ ، جَبَلٌ مِنْ مَكَّةَ عَلَى أُمَيَّالٍ ، فَحُمِلَ فَدُفِنَ بِمَكَّةَ ، فَقَدِمَتْ عَائِشَةُ فَوَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ :

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

أما والله لو حضرتك لدفتتكَ حيث متّ ، ولو شهدتك ما زرتك .

1 ل : ضمرة .

2 نفس شعاع : متفرقة ، وقد نسب في اللسان إلى قيس بن ذريح .

صوت

[من الطويل]

أماويّ إنَّ المالَ غايَ ورائحٍ ويَتَقى مِنَ المَالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ¹
 وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أرادَ ثراءَ المَالِ أُمسى له وفُرُ²
 أماويّ إنَّ يُصْبِحُ صدائِي بِقَفْرَةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءَ لديّ ولا خَمْرُ³
 تَرَيَّ أنَّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضائِري وأنَّ يَدَيَّ مِمَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ³

عروضه من الطويل .

الثراء : الكثرة في المال ، وفي عَدَدَ القومِ أيضاً . والوفُرُ : الغنى ، ووفور المال .
 والصدى هاهنا : كان أهلُ الجاهلية يذكرون أنَّ طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من
 رأسه ، فإذا قُتِلَ أقبل يُصَوِّتُ على قبره ، حتى يُدْرَكَ بثأره . والصَّفْرُ : الخالي . والصدى :
 العطش ، والصدى ، ما يجيب إذا صَوِّتُ في المكان الخالي . وصدأ الحديد مهموز .
 الشعر لحاتم الطائي . والغناء لإسحاق ، رَمَلَ بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر الهشاميُّ
 أنَّ فيه ثقيلاً أوَّلَ ، ولمالك خفيفاً ، وذكر حبَّش أنَّ فيه لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى ، وذكر
 عمرو بن بانة أنَّ فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ بالوسطى .

1 ديوان حاتم (صادر) : 50-51 مع اختلاف في الترتيب .

2 امسى له وفُرُ في الديوان : كان له وفر .

3 أنفقت في الديوان : أهلكت .

[373] - أخبار حاتم ونسبه¹

[نسبه]

ذكر ابن الأعرابي ، عن المفضل ، والأثرم ، عن أبي عمرو الشيباني ، وابن الكلبي ، عن أبيه والسكري ، عن يعقوب بن السكيت : أنه حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم ، واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الفوث بن طيء .

وقال يعقوب بن السكيت : إنما سُمي هزومة ؛ لأنه شَجَّ أو شَجَّ ؛ وإنما سُمي طيء طيئاً ، واسمه جُلْهُمة ، لأنه أَوَّلَ مَنْ طَوَى المناهلَ ، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويكنى حاتم أبا سَفانة ، وأبا عدي ؛ كني بذلك بابنته سَفانة ، وهي أكبر ولده ، وبابنه عدي بن حاتم . وقد أدركت سَفانة وعدي الإسلامَ فأسلما ، وأُتِيَ بسَفانة النبي ﷺ في أسرى طيء فمَنَّ عليها .

[النبي يمن على سَفانة]

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد ، قال : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفي ، ووجدته في بعض نسخ الكوفيين . عن سليمان بن الربيع ، أتم من هذا فنسخته وجمعتهما . قال : حدَّثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البرجمي ، قال : حدَّثنا زكريا بن عبد الله بن زيد الصُّهْباني ، عن أبيه ، عن كُمَيْل بن زياد النخعي ، عن علي عليه السلام ، قال : يا سبحان الله ! ما أزهَّد كثيراً من الناس في الخير ! عَجِبْتُ لرجلٍ يَجِيئُهُ أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ؛ فلو كنَّا لا نرجو جنَّةً ، ولا نخاف ناراً ، ولا نتنظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارِمَ الأخلاق ؛ فإنَّها تدلُّ على سبيل النجاة .

فقام رجلٌ ، فقال : فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ، أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؛ لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية حماء² حوراء العينين ،

1 ترجمة حاتم الطائي في الشعر والشعراء : 164-170 وتهذيب ابن عساكر 3 : 420 وشرح شواهد المغني :

70 وخزانة البغدادي 3 : 127-130 ومروج الذهب 3 : 327 والشريشي 2 : 332 .

2 حماء : بيضاء .

لَعَسَاءَ لَمِيَاءَ عَيْطَاءَ¹ شَمَاءَ الْأَنْفِ ، مَعْتَدَلَةَ الْقَامَةِ ، ذَرْمَاءَ² الْكَعْبَيْنِ ، خَدَلَجَةَ السَّاقَيْنِ ، لَفَاءَ الْفَخْذَيْنِ ، خَمِيصَةَ الْخَصْرِ ، ضَامِرَةَ الْكَشْحَيْنِ ، مَصْقُولَةَ الْمَتْنَيْنِ .

فَلَمَّا رَأَتْهَا أُعْجِبَتْ بِهَا فَقُلْتُ : لِأُطَلِّبَنَّهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَجْعَلَهَا مِنِّي . فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ أَنْسَيْتُ جَمَالَهَا ؛ لِمَا سَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا ، فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّد ، هَلْكَ الْوَالِد ، وَغَابَ الْوَاقِد ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُخْلِي عَنِّي ، فَلَا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَب ؛ فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ، كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ، وَيَقْرِي الضَّعِيفَ ، وَيَشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيَفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَفْشِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ؛ أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَبِئٍ .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا جَارِيَّةَ ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلُّوا عَنْهَا ؛ فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .
وَأُمُّ حَاتِمِ عَتَبَةَ³ بِنْتُ عَفِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَخْزَمِ . وَكَانَتْ فِي الْجُودِ بِمَنْزِلَةِ حَاتِمِ ، لَا تَدْخُرُ شَيْئًا ، وَلَا يَسْأَلُهَا أَحَدٌ شَيْئًا فَتَمْنَعُهُ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَرَمَازِيُّ ، عَنْ الْعَبَّاسِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَتْ عَتَبَةُ⁴ بِنْتُ عَفِيفٍ ، وَهِيَ أُمُّ حَاتِمِ ذَاتِ يَسَارٍ ، وَكَانَتْ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ ، وَأَقْرَاهِمُ لِلضَّعِيفِ ، وَكَانَتْ لَا تُتْلِقُ شَيْئًا تَمْلِكُهُ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتَهَا إِتْلَافَهَا حَجَرُوا عَلَيْهَا ، وَمَنْعُوهَا مَالَهَا ، فَمَكَثَتْ ذَهْرًا لَا يُدْفَعُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، حَتَّى إِذَا ظَنُّوا أَنَّهَا قَدْ وَجَدَتْ أَلَمَ ذَلِكَ أَعْطَوْهَا صِرْمَةً⁵ مِنْ إِبِلِهَا ، فَجَاءَتْهَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ كَانَتْ تَأْتِيهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ تَسْأَلُهَا ، فَقَالَتْ لَهَا : دُونَكَ هَذِهِ الصِّرْمَةُ فَخُذِيهَا ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَضَّنِي مِنَ الْجُوعِ مَا لَا أَمْنَعُ مَعَهُ سَائِلًا أَبَدًا ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَأَ عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَالَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعًا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِيِّ الْيَوْمَ : أَعْفِنِي فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصْبَاعُ

1 لمياء : في شفتها سواد . وعيطاء : طويلة العنق .

2 درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقتها .

3 ل : غنية .

4 ل : غنية .

5 الصرمة : قطعة من الإبل .

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سيوى غذلِكُم أو غذلٍ من كان مانعا
وماذا ترونَ اليومَ إلاَّ طبيعةً فكيف بتركي يا ابن أمَّ الطُّبَّاءِ

[سفانة من أجود النساء]

قال ابن الكلبي: وحدثني أبو مسكين قال: كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يُعطيها الصَّرمَةَ بعد الصَّرمَةِ من إبله، فتنهبا وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إنَّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلُفاه، فإمَّا أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتُعطي؛ فإنَّه لا يبقى على هذا شيء.

قال ابن الأعرابي: كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يُشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان مظهرًا، إذا قاتل غلب، وإذا غُيم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سبق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحداً أمه.

وكان إذا أهلَّ الشهر الأصم¹ الذي كانت مُضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كلِّ يوم عَشْرًا من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان مَن يأتيه من الشعراء الخطيئة، وبشر بن أبي خازم.

فذكروا أن أم حاتم أوتيت وهي حُبلى في المنام، فقيل لها: أغلام سمح يقال له: حاتم أحب إليك أم عشرة غلْمة كالناس، ليوث ساعة البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس²، فقالت: بل حاتم، فولدت حاتمًا.

[يريد شريكاً في الأكل]

فلما ترعرع جيل يُخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرَّحه.

[أسطورة كرمه للشعراء الثلاثة]

فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له: الحق بالإبل، فخرج إليها، وهب له جارية وفرساً وفلَّوها، فلما أتى الإبل طفق يبغي الناس فلا يجدهم، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً، فبينما هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابعة الذبياني، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل،

1 الشهر الأصم: رجب.

2 الأوغال: جمع غل، وهو الضعيف الساقط. والأنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف المقصر.

فقال عبيد : إنما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفيننا بكرة إذا كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفت ، ولكنني رأيت وجوهاً مختلفة ، وألواناً متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ؛ فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها ، وذكروا فضله . فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل علي ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، وتموا على سفرهم إلى الثعمان وإن أبا حاتم سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت ؛ طوقت بك بها طوق الحمامة مجد الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك .

فلما سمع أبوه ذلك قال : أبابلي فعلت ذلك ! قال : نعم ، قال : والله لا أساكنك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتماً ، ومعه جاريته وفرسه وفلأوها ، فقال يذكر تحول أبيه عنه ¹ :

[من الطويل]

وإني لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى	وتارك شكل لا يوافقهُ شَكْلِي ²
وَشَكْلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ لِمِثْلِهِ	مَنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي نَيْقَةٍ مِثْلِي
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي جُنَّةً	لِنَفْسِي وَأَسْتَغْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
وَمَا ضَرَّنِي أَنْ سَارَ سَعْدٌ بِأَهْلِهِ	وَأَفْرَدَنِي فِي الدَّارِ لَيْسَ مَعِيَ أَهْلِي
سَيَكْفِي ابْتِنَائِي الْمَجْدَ سَعْدُ بْنُ حَشْرَجٍ	وَأَحِلُّ عَنْكُمْ كُلَّ مَا ضَاعَ مِنْ ثِقَلِي ³
وَلِي مَعَ بَذْلِ الْمَالِ فِي الْمَجْدِ صَوْلَةٌ	إِذَا الْحَرْبُ أَبْذَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْعُصْلُ

وهذا شعر يدل على أن جدّه صاحب هذه القصة معه لا أنها قصّة أبيه . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ، ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتم صغير ، فكان في حجر جدّه سعد بن الحشرج ، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جدّه ورحل عنه بأهله ، وخلفه في داره ، فقال يعقوب خاصّة : فبينما حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه ، وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحكم بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه ؛ فقالوا : يا حاتم ، أبق على نفسك فقد رزقت مالاً ، ولا تعودنّ إلى ما كنت عليه من

1 ديوانه : 75 .

2 وتارك شكل في الديوان : وودك شكل .

3 الديوان : . . . كل ما حل من أزمي . والأزل : الضيق والشدة .

الإسراف ، قال : فَإِنَّهَا نُهَي¹ بَيْنَكُمْ ، فانتَهَبتْ ، فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ² : [من الطويل]
تَدَارَكُنِي مَجْدِي بِسَفْحٍ مُتَالِعٍ فَلَا يَيَاسُنُ ذُو نَوْمَةٍ أَنْ يَغْنَمَ³
قال : ولم يَزَلْ حَاتِمٌ عَلَى حَالِهِ فِي إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَإِنْهَابِ مَالِهِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ .
[حاتم وبنو لأم]

قال ابن الأعرابي ، ويعقوب بن السكيت ، وسائر من ذكرنا من الرواه : خرج الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس⁴ كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهَل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قُظنة بن طيء رُبع الطريق طُعْمَةً لهم ؛ وذلك لأنَّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان ، وكانوا أصهارَه فمرَّ الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله ، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة ، فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور فنُحِرت ، وطُبخت أعضاء ، فأكلوا ، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمِّه ؛ فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكم من طيبه ذلك ، فمرَّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لأم ، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان ، وحاتم على راحلته ، وفرسه تُقَاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيَّاكم الله ، فقالوا : مَنْ هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيرانني ، قال له سعد : فَأَنْتَ تُجِير علينا في بلادنا ؟ قال له : أنا ابنُ عمِّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمَّته ، فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِّحَ عامر بن جُوَيْن قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول سعد⁵ بن حارثة بن لأم حاتمًا ، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أُرْبُة أنفه ، ووقع الشرُّ حتى تجاوزوا ، فقال حاتم في ذلك⁶ :

وَدِدْتُ وَيَيْتَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَنْفَهُ هَوَّاهُ فَمَا مَتَّ الْمَخَاطُ عَنْ الْعَظْمِ⁷

1 النهي : كل ما انتهب .

2 ديوانه : 87 .

3 الديوان : تداركني جدي . . . ذو قومه .

4 ل : يجتمع إليها العرب .

5 ل : كندي .

6 ديوانه : 88 .

7 مت العظم : سال ما فيه .

ولكنما لاقاه سيفُ ابنِ عمِّه قَابَ ومَرَّ السَّيْفُ منه على الخَطَمِ¹

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوقُ الحيرة فَنَماجِدُكَ ونَضَعُ الرُّهْنَ ، ففعلوا ، ووضعوا تسعةَ أفراسَ رَهْنًا على يَدَيَّ رجلٍ من كَلْبٍ يقال له : امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَنَاب ، وهو جدُّ سَكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما ، ووضع حاتم فرسه . ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائيّ ، فخاف أن يُعِينَهُم النُّعْمان بن المنذر يُقَوِّيَهُم بِماله وسلطانه ؛ لِلصُّهْرِ الذي بينهم وبينه . فجمع إياسَ رَهْطَهُ من بني حَيّة ، وقال : يا بني حَيّة ، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمّكم في مجاده ، أي ممجّدته فقال رجل من بني حَيّة : عندي مائةُ ناقةٍ سوداء ومائةُ ناقةٍ حمراء أدماء ، وقام آخر فقال : عندي عشرة حُصْن ، على كلّ حصانٍ منها فارس مدجج لا يرى منه إلّا عيناه . وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلًّا كثيرًا ، فعليّ كلّ حُمْرٍ أو لحمٍ أو طعامٍ ما أقاموا في سوق الحيرة . ثم قام إياس فقال : عليّ مثلُ جميع ما أعطيتكم كلّكم .

قال : وحاتم لا يعلمُ بشيءٍ ممّا فعلوا ؛ وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال ، فقال : يا ابن عمّ ، أعني على مخيلتي . قال : والمخيلة المفخرة ، ثم أنشد² :

يا مالُ إحدَى خطوبِ الدَّهْرِ قد طَرَقَتْ يا مالُ ما أنتم عنها بزَحْراح
يا مالُ جاءتْ حياضُ الموتِ وارِدَةً من بين غمر فحُضْناه وضَحْضاح
فقال له مالك : ما كنتُ لأُخْرِبَ نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي .

فانصرف عنه ، وقال مالك في ذلك قوله :

إنا بنو عمّكم لا أن نُباعِلَكم ولا نجاوِرُكم إلّا على ناح
وقد بلوتُك إذ نلتَ الثراء فلم ألقك بالمالِ إلّا غير مرتاح

قال أبو عمرو الشيبانيّ في خبره : ثم أتى حاتم ابن عمّ له يقال له : وَهْم بن عمرو ، وكان حاتم يومئذٍ مصارمًا له لا يكلمُهُ ، فقالت له امرأته : أيّ وَهْمٌ ، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع ، فقال : مالنا ولحاتم ! أثبتني النظر ، فقالت : ها هو ، قال : ويحك هو لا يكلمني ، فما

1 الخطم : مقدم الفم والأنف .

2 ديوانه : 33 ، وفيها : عنها بزراح .

جاء به إليّ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامه وحيّاه ، ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم ؟ قال :
خاطرتُ على حَسْبِكَ وَحَسْبِي ، قال : في الرُّحْب والسَّعة ، هذا مالي ، قال : وعدّته يومئذٍ
تسعمائة بغير ، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبلُ أو تصيبَ ما تريد . فقالت امرأته : يا
حاتم ! أنتَ تخرجنا من مالنا ، وتفضح صاحبنا ، تعني زوجها ، فقال : اذهبي ، عنك ؛
فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عمّا قبلي . وقال حاتم¹ :
[من الطويل]

ألا أبْلِغَا وَهَمَ بَنَ عمرو رسالةً فَإِنَّكَ أَنْتَ المرءُ بالخير أَجْدَرُ
رَأَيْتُكَ أَذْنَى الناسِ مِنَّا قرابةً وَغَيْرَكَ مِنْهُمْ كُنْتُ أَحَبُّ وَأَنْصَرُ
إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا بِمَوْتٍ فَكُنْ يَا وَهْمٌ ذُو يَتَأَخَّرُ
ذو في لغة طيء : الذي .

قالوا : ثم قال إياس بن قبيصة : احملوني إلى الملك ، وكان به نفرس ، فحُمِلَ حتى أُدخل
عليه ، فقال : أَتَعِمُ صباحاً أبيتَ اللعن ، فقال النُّعمان : وحيّاك إلهك ، فقال إياس : أَتَمُدُّ
أُخْتَانِكَ بالمالِ والخيلِ ، وجعلتَ بني ثعلٍ في قَعْرِ الكنانة ! أَظُنُّ أُخْتَانُكَ أَنْ يصنعُوا بحاتم كما
صنعوا بِعامِر بن جُوَيْن ، ولم يَشْعُرُوا أَنَّ بني حَيَّةَ بالبلد ؛ فَإِنْ شئتَ واللهِ نَاجِزُكَ حتى يَسْفَحَ
الوادي دماً ، فليحضرُوا مِجَادَهُمْ غداً بمجمع العرب .
فعرَفَ النُّعمان الغضبَ في وَجْهِهِ وكلامه ، فقال له النُّعمان : يا أَحْلَمُنَا لا تغضب ؛ فَإِنِّي
سَأَكْفِيكَ .

وَأرسلَ النُّعمانُ إلى سَعْدِ بن حارثة وإلى أَصحابه : انظروا ابنَ عَمِّكُمْ حاتماً ، فَأَرْضَوْهُ ،
فوالله ما أَنَا بالذي أُعْطِيكُمْ مالي تَبْذُرُونَهُ ، وما أُطِيقُ بني حَيَّةَ .

فخرجَ بنو لَأَمٍ إلى حاتم فقالوا له : أَغْرِضْ عن هذا المِجَادِ ندعِ أَرَشَ أَنفِ ابنِ عَمَّنَا .
قال : لا ، والله لا أَفْعَلُ حتى تتركوا أَفراسكم ، ويغلبَ مِجَادُكُمْ . فتركوا أَرَشَ أَنفِ صاحبهم
وَأفراسهم ، وقالوا : قَبِّحها اللهُ وأَبْعَدُها ؛ فَإِنَّمَا هي مَقَارَفٌ² . فعمدَ إليها حاتم ، ففَعَرها
وأطعمها الناسَ ، وسقاها الخمرَ ، وقال حاتم في ذلك³ :
[من الكامل]

أُبْلِغُ بني لَأَمٍ فَإِنَّ خِيولَهُمْ عَقَرَى وَإِنَّ مِجَادَهُمْ لَمْ يَمْنُجِدِ

1 ديوانه : 61 .

2 مقارف : جمع مقرف ، وهو غير الأصيل من الخيل .

3 ديوانه : 42 .

ها إِنَّمَا مَطَرَتْ سَمَاؤُكُمْ دَمًا ورفعت رأسك مثل رأس الأَصْبَدِ
ليكونَ جيراني أَكَالاً بينكم نُحْلاً لِكُنْدِي وَسَيِّ مَزِيدٍ¹
وابن النُّجُودِ إِذَا غَدَا متلاطماً وابن العذَّورِ ذِي العِجَانِ الأَبْرِدِ²
ولثابتِ عَيْنِي خَازِ متماوت وللعِظِ أَوْسٌ قَدْ عَوَى لِمَقْلَدِ³
أُبْلِغْ بني ثَعْلَبِ بَأْنِي لَمْ أَكُنْ أَبْداً لَأَفْعَلَهَا طَوَالَ المُسْنَدِ⁴
لَا جُنْتُهُمْ فَلَا وَأَتْرَكَ صُحْبَتِي نَهْأاً وَلَمْ تَغْدَرْ بِقَائِمِهِ يَدِي

وخرج حاتم في نفرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم ، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثني بن عبد الله بن يشجب بن عبد ودٍّ في فضاءٍ من الأرض ، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم : لَا تَعْجَلُوا بِقَتْلِهِ ؛ فَإِنْ أَصَبْتُمْ وَقَدْ أَحْدَقَ النَّاسُ بِكُمْ اسْتَجَرْتُمُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تَرَوْا أَحَدًا قَتَلْتُمُوهُ . فَأَصْبَحُوا وَقَدْ أَحْدَقَ النَّاسُ بِهِمْ ، فاستجاروه فَأَجَارَهُمْ ، فقال حاتم⁵ :

عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ إِذَا أَشْيَاعُهُ غَضِبُوا فَأَحْرَزُوهُ بِلَا غُرْمٍ وَلَا عَارٍ
إِنْ بَنِي عَبْدٍ وَدٌّ كَلَّمَا وَقَعَتْ إِحْدَى الْهَنَاتِ أَتَوْهَا غَيْرَ أَغْمَارٍ

[أسطورة عن كرمه بعد موته]

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش ، عن علي بن حرب ، عن هشام بن محمد ، عن أبي مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد ، عن أبيه ، قال : قال الوليد جدّه ، وهو مولى لأبي هريرة : سمعتُ محرز بن أبي هريرة يتحدث ، قال : كان رجل يُقال له أَبُو الْخَيْبَرِيِّ مرّ في نفرٍ من قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح . قال : فنزلوا به ، فبات أَبُو الْخَيْبَرِيِّ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا يُنَادِي : أبا جعفر اقرِ أضيافك . قال : فيقال له : مَهْلًا ؛ مَا تُكَلِّمُ مِنْ رِمْيَةٍ بِالْيَةِ ! فقال : إِنَّ طَيْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا قَرَاه .

قال : فلمّا كان من آخر الليل نام أَبُو الْخَيْبَرِيِّ ، حتى إذا كان في السَّحَرِ وثب فجعل يصيح : وارا حلتاه ! فقال له أصحابه : وَيْلَكَ ! مَا لَكَ ! قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا

1 أَكَالاً: داء في العضو يأكل منه . والشطر الثاني في الديوان : «بخلًا لكندي وسبي مزند» .

2 العذَّور : السبيء الخلق . والعِجان : الاست . والنجود : الأمانة المرتفعة ، ويعني بالبن النجود : السيل .

3 لم يرد هذا البيت في الديوان .

4 المسند : الدهر .

5 ديوانه : 60 .

أَنْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى عَقِرَ نَاقَتِي ، قَالُوا : كَذَبْتَ ، قَالَ : بَلَى ، فَنَظَرُوا إِلَى رَاحِلَتِهِ فَإِذَا هِيَ مُنْخَزِلَةٌ¹ لَا تَنْبَعَثُ ، فَقَالُوا : قَدْ وَاللَّهِ قَرَاكَ . فَظَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهَا ، ثُمَّ أَرْدَفُوهُ ، فَانْطَلَقُوا فَسَارُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى رَاكِبٍ فَإِذَا هُوَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ رَاكِبًا قَارِنًا جَمَلًا أَسْوَدَ ، فَلَحَقَهُمْ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَبُو الْخَيْبَرِيِّ ؟ فَقَالُوا : هُوَ هَذَا ، فَقَالَ : جَاءَنِي أَبِي فِي النَّوْمِ ، فَذَكَرَ لِي شَتْمَكَ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُ قَرَى رَاحِلَتَكَ لِأَصْحَابِكَ ، وَقَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ أَيْبَاتًا ، وَرَدَّهَا عَلَيَّ حَتَّى حَفَظْتُهَا ؛ وَهِيَ² :

أَبَا خَيْبَرِيٍّ وَأَنْتَ امْرُؤٌ ظَلُمَ الْعَشِيرَةَ شَتَامُهَا
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَى رِمَّةٍ بِيَادِيَةِ صَخْبٍ هَامُهَا³
تُبْغِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا وَحَوْلَكَ غَوْتٌ وَأَنْعَامُهَا
وَأَنَا لِنُطْعَمِ أَضْيَافَنَا مِنَ الْكُومِ بِالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا⁴
وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَحْمَلَكَ عَلَى جَمَلٍ فَدُونَكَ ، فَأَخَذَهُ وَرَكِبَهُ ، وَذَهَبُوا .
[حاتم يفتك أسر قومه]

أُغَارَتِ طَيِّءٌ عَلَى إِبِلٍ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِيرٍ الْجَفْنِيِّ ، وَيُقَالُ : هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَفْنَةَ ، وَقَتَلُوا ابْنًا لَهُ . وَكَانَ الْحَارِثُ إِذَا غَضِبَ حَلَفَ لِيَقْتُلَنَّ وَلَيْسِيَنَّ الدَّرَارِيَّ ، فَحَلَفَ لِيَقْتُلَنَّ مِنْ بَنِي الْغَوْتِ أَهْلَ بَيْتٍ عَلَى دَمٍ وَاحِدٍ ، فَخَرَجَ يَرِيدٌ طَيِّئًا ، فَأَصَابَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ أَخْزَمٍ سَبْعِينَ رَجُلًا رَأْسَهُمْ وَهُمْ بَنُ عَمْرٍو مِنْ رَهْطِ حَاتِمٍ ، وَحَاتِمٌ يَوْمِئِذٍ بِالْخَيْرَةِ عِنْدَ النُّعْمَانِ ، فَأَصَابَتْهُمْ مُقَدَّمَاتُ خَيْلِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ حَاتِمُ الْجَبَلَيْنِ جَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَأْتِيهِ بِالصَّبِيِّ مِنْ وَلَدِهَا فَتَقُولُ : يَا حَاتِمُ أُسِيرَ أَبُو هَذَا . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا لَيْلَةً حَتَّى سَارَ إِلَى النُّعْمَانِ وَمَعَهُ مِلْحَانُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَكَانَ لَا يُسَافِرُ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ ، فَقَالَ حَاتِمٌ⁵ :

أَلَا إِنِّي قَدْ هَاجَنِي اللَّيْلَةُ الذَّكْرُ وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلَا الْأَشْرِ⁶

1 منخزلة : منقطعة .

2 ديوانه : 89 .

3 بيادية في الديوان : بدوية .

4 الكوم : النوق العظيمة السنام . ونعامها : نأخذ خيارها .

5 ديوانه : 55-56 .

6 الأشر : المرح .

ولكنه مما أصاب عشيرتي وقومي بأقرانٍ حوَالِيَهُم الصَّيْرُ
الأقران : الحبال . والصَّيْر : الحظائر ، واحدها صَيْرَة .

ليالي نمشي بين جَوْ ومسطحٍ نشاوى لنا من كُلِّ سائمةٍ جُزْر¹
فياليتَ خيرَ الناسِ حيّاً وميتاً يقول لنا خيراً ويُمضي الذي ائتمر²
فإن كان شراً فالعزاء فإننا على وقعات الدهر من قبلها صَبْرُ
سقى الله ربَّ الناسِ سحاً وديمةً جنوبَ السَّراةِ من مآبٍ إلى زُغر³
بلادٍ امرى لا يعرفُ الدَّمُ بيته له المشربُ الصافي ولا يطعم الكدر²
تذكرتُ مِنْ وَهْمِ بنِ عَمْرٍو جَلادَةً وجُرَّةً مَغْزاهِ إذا صارخٌ بَكَر³
فأبشِرْ وقرَّ العينَ منك فإنني أحيي كريمةً لا ضعيفاً ولا حَصيرُ

فدخل حاتم على النعمان فأنشده ، فأعجب به ، واستوهبهم منه ؛ فوهب له بني امرئ
القيس بن عدي ، ثم أنزله فأنشده بالطعام والخمر ، فقال له ملحان : أَتَشْرَبُ الخمرَ وقومك في
الأغلال ؟ قُمْ إِلَيْهِ فَسَلِّهِ إِيَّاهُمْ ، فدخل عليه فأنشده⁴ :

إنَّ امرأَ القيسِ أضحت من صَنِيعَتِكُمْ وعبدَ شمس ، أبيتَ اللَّعن ، فاصطنَعُوا⁵
إنَّ عَدِيّاً إذا مُلِّكْتَ جانبها من أَمْرِ غَوْتٍ على مرأى ومُسْتَمَعِ
أتبعَ بني عبد شمسٍ أَمْرَ صاحبِهِمْ أهلي فِدَاؤُكَ إنَّ ضَرُّوا وإنَّ نَفَعُوا
لا تَجْعَلُنَا ، أبيتَ اللَّعن ، ضاحِيةً كعمشٍ صِلَمُوا الآذَانَ أو جُدِعُوا⁶
أو كالجَنَاحِ إذا سُلِّتْ قَوادِمُهُ صارَ الجَنَاحُ لِفَضْلِ الرِّيشِ يَتَّبِعُ

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم ، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد
رضي بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن جرول الأجيئي ، وهو من لَحْمٍ ، وأمه من بني
عدي ، وهو جدُّ الطرماح بن حكيم بن نَفَرٍ بن قيس بن جحدر ، فقال له النعمان : أَبَقِيَ

1 ليالي نمشي في الديوان : ليالي نمسي . وجو ومسطح : موضعان .

2 ولا يطعم الكدر في الديوان : وليس له الكدر .

3 إذا صارح بكر في الديوان : إذا نازح بكر .

4 ديوانه : 69 .

5 فاصطنعوا في الديوان : فاصطنع .

6 ضاحية في الديوان : ضاحكة .

أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم¹ :

[من الطويل]

فَأَفْضِلْ وَشَفِّعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرٍ
فَأَنْعِمَ فَذَتَكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَمَعْشَرِي

فَكَكَّتْ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا
أَبُوهُ أَبِي وَالْأَمْهَاتُ امْهَاتُنَا

[من الخفيف]

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم² :

حَافِظُ الْوُدِّ مُرْصِدٌ لِلثَّوَابِ³
عَجَلًا وَاحِدًا وَذَا أَصْحَابِ
سَيْرٍ تَسْعُ لِلْعَاجِلِ الْمُتَّابِ
لِلخَيْلِ جَاهِدًا وَالرَّكَّابِ⁴
وِثْلَاثٌ يُقَرَّبْنَ بِالْأَعْجَابِ⁵
فَاجْمَعْ الْخَيْلَ مِثْلَ جَمْعِ الْكِعَابِ⁶

أُبْلِغُ الْحَارِثَ بْنَ عَمْرِو بَأْتِي
وَمُجِيبٌ دُعَاءِهِ إِنْ دَعَانِي
إِنَّمَا يَنْتَنِي وَبَيْنَكَ فَاغْلَمُ
فِثْلَاثٌ مِنَ السَّرَاةِ إِلَى الْحَلَّةِ
وِثْلَاثٌ يُورَدْنَ تِيْمَاءَ رَهْوَا
فَإِذَا مَا مَرَّرَزْنَ فِي مُسَبْطَر⁷

اجْمَعْ : ارم بهم كما يُرمى بالكعاب ، ويقال : إذا انتصب لك أمرٌ فقد جمَعَ .

بينما ذاك أصبحت وهي عضدى
عضدى : مكسورة الأعضاد .

تَ قِلَاعٍ لِلْحَارِثِ الْحَرَّابِ
فَوْقَ مَلِكٍ يَدِينُ بِالْأَحْسَابِ
بَيْنَ حَقْلٍ وَبَيْنَ هَضْبٍ ذَبَابِ⁷
تُعَلِّثُونَ كَاللُّيُوثِ الْغِيضَابِ

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى قُبَّةَ ذَا
يِفْغَاعٍ وَذَاكَ مِنْهَا مَحَلَّ
أَيُّهَا الْمَوْعِدِي فَإِنْ لَبُونِي
حَيْثُ لَا أَرْهَبُ الْجَرَاةَ وَحَوْلِي

[من الطويل]

وقال حاتم أيضاً⁸ :

1 ديوانه : 57 .

2 ديوانه : 27 .

3 للثواب في الديوان : للصواب .

4 من السراة إلى الحلة في الديوان . . . من السراة إلى الحلبط .

5 يقربن في الديوان : يقرن .

6 مررن في الديوان : مررت . والمسبطر : الممتد .

7 ذباب في ل : ضباب .

8 ديوانه : 66 .

لَمْ تُنْسِنِي أَطْلَالَ مَاوِيَّةَ يَأْسِي وَلَا الزَّمَنَ الْمَاضِيَ الَّذِي مِثْلُهُ يُنْسَى¹
إِذَا غَرَبَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَرَدَّتْهَا كَمَا يَرِدُ الظَّمَانُ آتِيَةَ الْخِمْسِ

[حاتم ومعاوية بنت عفزر]

قال : وكنا عند معاوية ، فتذاكرنا ملوك العرب ، حتى ذكرنا الزبَاء وابنة عفزر ، فقال معاوية ، إِنِّي لِأُحِبَّ أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثَ مَاوِيَّةَ وَحَاتِمَ ، وَمَاوِيَّةُ بِنْتُ عَفْزَرٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَفَلَا أُحَدِّثُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : بَلَى . فَقَالَ : إِنَّ مَاوِيَّةَ بِنْتَ عَفْزَرٍ كَانَتْ مَلَكَةً ، وَكَانَتْ تَتَزَوَّجُ مَنْ أَرَادَتْ ؛ وَإِنَّمَا بَعَثْتُ غُلَمَانًا لَهَا وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَأْتَوْهَا بِأَوْسَمِ مَنْ يَجِدُونَهُ بِالْحَيْرَةِ ، فَجَاوَوْهَا بِحَاتِمَ ، فَقَالَتْ لَهُ : اسْتَغْدِمِ إِلَى الْفَرَّاشِ ، فَقَالَ : حَتَّى أُخْبِرَكَ ، وَقَعَدَ عَلَى الْبَابِ ، وَقَالَ : إِنِّي أَنْتَظِرُ صَاحِبِينَ لِي ، فَقَالَتْ : دُونَكَ اسْتَغْدِمِ الْمَجْمَرَ . فَقَالَ : اسْتَيْتِي لَمْ تُعَوِّدِ الْمَجْمَرَ² ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . فَارْتَابَتْ مِنْهُ ، وَسَقَتْهُ خَمْرًا لَيْسَكِرَ ، فَجَعَلَ يَهْرِيقُهُ بِالْبَابِ فَلَا تَرَاهُ تَحْتَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَنَا بِذَاتِ قِرَى وَلَا قَارٍ حَتَّى أَنْظُرَ مَا فَعَلَ صَاحِبَايَ . فَقَالَتْ : إِنَّا سَنَرْسِلُ إِلَيْهِمَا بِقِرَى ، فَقَالَ حَاتِمٌ : لَيْسَ بِنَافِعِي شَيْئًا أَوْ آتِيَهُمَا . قَالَ : فَأَتَاهُمَا ، فَقَالَ : أَفَتَكُونَانِ عَبْدَتَيْنِ لَابْنَةِ عَفْزَرٍ ، تَرَعِيَانِ غَنَمَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمَا أَمْ تَقْتُلِكُمَا ؟ فَقَالَا : كُلُّ شَيْءٍ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ³ ، فَقَالَ حَاتِمٌ : الرَّحِيلُ وَالنَّجَاةُ . وَقَالَ يَذْكُرُ ابْنَةَ عَفْزَرٍ ، وَآتَاهُ لَيْسَ بِصَاحِبِ رِيَّةٍ⁴ :

[من الطويل]

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالِ طَبِئِ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَامَنَا
فِيَا رَاكِبِي عَلَيَا جَدِيلَةَ إِنَّمَا
فَمَا نَكْرَاهُ غَيْرَ أَنَّ ابْنَ مِلْقَطِ
وَإِنِّي لَمُزَجٌّ لِلْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَا
وَحَنْتُ قُلُوصِي أَنْ رَأْتُ سَوْتَ أَحْمَرَا
وَإِنَّا لَحَيُّو رَعِينَا إِنْ تَبَسَّرَا
تُسَامَانُ ضَيْمًا مُسْتَبِينًا فَتَنْظُرَا
أَرَاهُ وَقَدْ أُعْطِيَ الظَّلَامَةَ أَوْجَرَا⁵
وَمَا أَنَا مِنْ خِلَالِكَ ابْنَةَ عَفْزَرَا⁶

1 يَأْسِي فِي الدِّيَوَانِ : نَاسِي .

2 الْمَثَلُ «اسْتَ لَمْ تُعَوِّدِ الْمَجْمَرَ» فِي مَجْمَعِ الْمِيدَانِي 1 : 332 .

3 الْمَثَلُ «بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ» فِي الدَّرَةِ الْفَاحِرَةِ 2 : 456 وَمُسْتَقْصَى الزَّمْخَشَرِيِّ 2 : 10 وَمَجْمَعِ الْمِيدَانِي 1 : 94 .

4 دِيَوَانُهُ : 47-49 .

5 الْأَوْجَرُ : الْمَشْفِقُ ، الْخَائِفُ .

6 الْوَجَا : الْحَفَى .

وما زلتُ أَسْعَى بين نابٍ ودَارَةٍ
وحتى حَسِيتُ اللَّيْلَ والصَّبَحَ إذْ بَدَا
لَشَيْغَبٍ مِنَ الرِّيَّانِ أَمَلِكُ بَابِهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَطِيبِ رَأْيْتُهُ
تنادي إلى جَارَاتِهَا : إِنَّ حَاتِمًا
تَغَيَّرْتُ إِنِّي غَيْرُ آتٍ لِرَبِيبَةٍ
فلا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي أَيَّ فَارِسٍ
ولا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي أَيَّ فَارِسٍ
فلا هي ما تَرَعَى جَمِيعًا عِشَارُهَا
متى تَرْنِي أُمْسِي بِسِفْنِي وَسَطَهَا
وَإِنِّي لِيَغْشَى أَبْعَدُ الْحَيِّ جَفْنَتِي
فلا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي بِي صُحْبَتِي
وَإِنِّي لَوَهَّابٌ قُطُوعِي وَنَاقَتِي
وَإِنِّي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَلَنْ تَرَى
أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا
وَإِنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ
متى تَبْغِ وَدَا مِنْ جَدِيلَةٍ تَلْقَهُ
فإِلَّا يُقَادُونَا جِهَارًا نُلَاقِهِمْ
إِذَا حَالِ دُونِي مِنْ سَلَامَانَ رَمَلَةٍ

وذكروا أَنَّ حَاتِمًا دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ عِنْدِهَا ، فَأَتَاهَا يَخْطُبُهَا فَوَجَدَ
عِنْدَهَا النَّابِغَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّبِيِّتِ ؛ فَقَالَتْ لَهُمْ : انْقَلِبُوا إِلَى رِحَالِكُمْ ، وَلْيَقُلْ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَعْرًا يَذْكُرُ فِيهِ فَعَالَهُ وَمَنْصَبَهُ ، فَإِنِّي أَتَزَوَّجُ أَكْرَمَكُمْ وَأَشْعَرَكُمْ .

1 القطوع : الثياب الموشاة .

2 قدى الشبر : قدر الشبر .

3 الشنء : البغض .

4 الديوان : فالأ يعادونا . . . والردء : المعين ، الناصر .

فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزوراً ، ولبست ماوية ثياباً لامة لها وتبعتهم ، فأتت النبيتى فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جملة¹ فأخذته ثم أتت نابعة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته ، ثم أتت حاتماً وقد نصب قذره فاستطعمته ، فقال لها : قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العجز والسنام ، ومثلها من المخدش ، وهو عند الحارك² ، ثم انصرفت . وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جملة ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلا بهدية . وصبحوها فاستنشدتهم فأنشدوها النبيتى :

[من البسيط]

هلاً سألت النبيتين ما حسبي
ورد جازرهم حرفاً مضرمة
وقال رائداهم : سيان ما لهم
إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها
فقلت له : لقد ذكرت مجهدة .

[من البسيط]

ثم استنشدت النابعة ، فأنشدتها يقول⁴ :
هلاً سألت بني ذبيان ما حسبي
وهبت الريح من تلقاء ذي أرل
إنني أتمم أنيساري وأمنحهم
إذا الدخان تغشى الأشمط البرما⁵
تزجي مع الليل من صراها الصرما
مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما
فلما أنشدتها قالت : ما ينفك الناس بخير ما ائتمدوا .

[من الطويل]

ثم قالت : يا أخا طييء أنشدني ، فأنشدتها⁶ :
أماوي قد طال التجنب والهجر
وقد عذرتني في طلابكم العذر

1 الثيل : وعاء قضيب البعير .

2 المخدش : كاهل البعير . والحارك : أعلى الظهر .

3 الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة . ومضرومة : منقطعة اللبن . والأصلاء : وسط الظهر واحداً : صلا .
والتعليق : السمن .

4 ديوان النابعة النيباني : 62-63 .

5 البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .

6 ديوانه : 50-51 .

أَمَاوِيٌّ إِنَّ الْمَالَ غَايَ وَرَائِحِ
 أَمَاوِيٌّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلِ
 أَمَاوِيٌّ إِمَّا مَانِعٌ فَمَبِينِ
 أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى
 إِذَا أَنَا دَلَّانِي الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ
 وَرَاحُوا سِرَاعاً يَنْفُضُونَ أَكْفَهُمْ
 أَمَاوِيٌّ إِنْ يُصْبِحُ صِدَائِي بِقَفْرَةٍ
 تَرَيَّ أَنَّ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَرْفِي
 أَمَاوِيٌّ إِنِّي رُبُّ وَاحِدٍ أُمِّهِ
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
 فَإِنِّي لَا آلُو بِمَالِي صَنِيعَةً
 يُفَكِّ بِهِ الْعَانِي وَيُوكَلُّ طَيِّبًا
 وَلَا أَظْلِمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي
 غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالْغِنَى
 فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
 وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ فَأَعْلَمِي
 بَعِينِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً

فلما فرغ حاتم من إنشاده دعته بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجلٍ منهم ما كان أطعمها ، فقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدمنه إليهم ، فنكس النبيتي رأسه والتابغة ، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قدم إليهما ، وأطعمهما مما قدم إليه ، فتسللا ليوذا ، وقالت : إن حاتماً أكرمكم وأشعركم .

1 النذر في الديوان : نزر .

2 يوماً في الديوان : نفس .

3 وراحوا سراعاً في الديوان : وراحوا عجالاً .

4 لا ماء لدي في الديوان : لا ماء هناك .

5 أنفقت في الديوان : أهلكت .

6 أخذت في الديوان : أجزت .

فلما خرج النبيُّ والنابعة قالت لحاتم : خلّ سبيلَ امرأتك ، فأبى ، فزوّدته وردّته . فلما انصرف دَعَتْهُ نفسه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوّجته ، فولدت عديّاً .
[إسلام عديّ بن حاتم]

وقد كانت عديّ أسلمَ وحسُن إسلامه ، فبلغنا أنّ النبيَّ ﷺ قال له ، وقد سأله عديّ : يا رسول الله ، إنّ أبي كان يعطي ويحمل ، ويؤفي بالذمة ، ويأمر بمكارم الأخلاق ؛ فقال له رسول الله ﷺ : إنّ أباك خشبة من خشبات جهنّم .
فكان النبيّ ﷺ رأى الكآبة في وجهه : فقال له : يا عديّ إنّ أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار .

[ماوية تطلق حاتماً وتزوّج من ابن عمه]

وكانت ماوية عنده زماناً ، وإنّ ابن عمّ لحاتم كان يُقال له : مالك قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنه ، وإن لم يجد ليتكلفنّ ، وإن مات ليركنّ ولده عيلاً على قومك ، فقالت ماوية : صدقت ، إنّ ذلك .

وكان النساء ، أو بعضهنّ ، يُطلّقن الرجال في الجاهليّة ، كان طلاقهنّ أنّهنّ إنّ كنّ في بيت من شعر حوّلن الخيباء ؛ فإن كان بابه قِبَلَ المشرق حوّلنّه قِبَلَ المغرب ، وإن كان بابه قِبَلَ اليمن حوّلنّه قِبَلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل عليم أنّها قد طلّقته فلم يأتها . وإن ابن عمّ حاتم قال لماوية ، وكانت أحسن نساء الناس : طلقني حاتماً ، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه ، وأكثر مالأ ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك ؛ فلم يزل بها حتى طلّقَتْ حاتماً . فأتاها حاتم وقد حوّل باب الخيباء ، فقال : يا عديّ ، ما ترى أمك عديّ عليها ؟ قال : لا أدري ، غير أنّها قد غيرت باب الخيباء ، وكأنّه لم يلحن¹ لما قال ، فدعاه فهبط به بطن وادٍ ، وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخيباء كما كانوا ينزلون ، فتوافوا خمسين رجلاً ، فضاقت بهم ماوية ذرعاً ، وقالت لجاريتهما : اذهبي إلى مالك فقولي له : إنّ أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرسل بناب² تقرهم ولبن نبعهم³ . وقالت لجاريتهما : انظري إلى جبينه وقمّه فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه ، وإن ضرب بلحيته على زوره ، وأدخل يده في رأسه فاقفلي ودعيه . وإنها لما أتت مالكا وجدته

1 لم يلحن : لم يفتن .

2 الناب : الناقة المستنة .

3 الغبوق : ما يشرب في المساء .

متوسداً وطباً¹ من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ما أرسلتها به ماوية ، وقالت : إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه ، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل ، وما كنت لأنحر صفيّة² غزيرة بشحم كلالها ، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم .

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه ، وما قال ؛ فقالت : ائت حاتماً فقولي : إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ، ولم يعلموا بمكانك . فأرسل إلينا بناب نحرها ونقرهم ولبن نسقهم ؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك .

فأتت الجارية حاتماً فصرخت به .

فقال حاتم : لبيك ، قريباً دعوت . فقالت : إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسل إليهم بناب نحرها ولبن نسقهم . فقال : نعم وأبي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثيبتين من عقاليهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيهما ، فطفقت ماوية تصيح وتقول : هذا الذي طلقته فيه ، ترك ولدك وليس لهم شيء ، فقال حاتم³ :

[من الطويل]

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد	كذلك الزمان بيننا يتردد
يرد علينا ليلة بعد يومها	فلا نحن ما تبقى ولا الدهر ينفد
لنا أجل إما تناهي أمامه	فنحن على آثاره نتورد
بنو نعل قومي فما أنا مدع	سواهم إلى قوم وما أنا مسند
بذرهم أغشى ذروء معاشر	ويحنف عني الأبلخ المتعمد ⁴
فمهلاً فذاك اليوم أمي وخالتي	فلا يأمرني بالدنية أسود
على حين أن ذكيت واشتد جانبي	أسام التي أعيت إذ أنا أمرد ⁵

1 الوطب : سقاء اللبن .

2 الصفية : الناقة الصغيرة .

3 ديوانه : 34-35 .

4 الدرء : الاندفاع . ويحنف : يميل . الأبلخ : المتكبر . وفي الديوان : الأبلخ ، وهو الطلق الوجه .

5 الديوان : على حين إذ كنت . . . وذكيت : عقرت وذبحت .

فهل تركت قبلي حضورَ مكانها ! وهل من أتى ضيماً وخسفاً مخلدً
ومعتسفاً بالرمح دون صحابه تعسفته بالسيف والقوم شهداً
فخرً على حرّ الجبين وذاده إلى الموت مطرورُ الوقعة مذوداً¹
فما رمته حتى أزحت عويصه وحتى علاه حالك اللون أسوداً
فأقسمت لا أمشي على سرّ جارتني يد الدهر ما دام الحمام يغرّد
ولا أشتري مالاً يغدر علمته ألا كل مال خالط الغدر أنكد
إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويؤكل طيباً ويعطى إذا ضنّ البخيل المصدد²
إذا ما البخيل الخبأ أحمّد ناره أقول لمن يصلى بناري : أوقدوا
توسّع قليلاً أو يكن ثمّ حسبنا وموقدها البادي أعف وأحمد
كذلك أمور الناس راض دبة فمنهم جواد قد تلفت حوله
وداع دعاني دعوة فأجبتهم ومنهم لئيم دائم الطرف أقود
وهل يدع الدّاعين إلاّ اليلند³

[هكذا فصادني]

أسرت عنزة حاتماً ، فجعل نساء عنزة يُدارنن بغيراً ليفصدنه فضعن عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه ، فوجأً لفته فاستدمينه . ثم إن البعير عضيد ، أي لوى عنقه ، أي خرّ ، فقلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادتني⁴ ، فجرت مثلاً . قال : فلطمته إحداهنّ ، فقال : ما أنتنّ نساء عنزة بكرام ، ولا ذوات أحلام . وإن امرأة منهنّ يقال لها : عاجزة أعجبت به ، فأطلقته ؛ ولم ينقموا عليه ما فعل ، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصدته⁵ :

[من الطويل]

كَذَلِكَ فَصَدِي إِنْ سَأَلْتَ مِطِئِي دَمُ الْجَوْفِ إِذْ كُلُّ الْفِصَادِ وَحِيمٌ

1 مطرور الوقعة : السيف .

2 التصريد : التقليل .

3 اليلند : الخصم الشحيح ، وفي الديوان : المبلد ، وهو العاجز الضعيف الهمة .

4 المثل «هكذا فصادني» في معجم الميداني 2 : 394 .

5 ديوانه : 85 .

[غلام جواد]

أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتمًا ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً ، وقد أرسلوا إليك رسلاً برسالة . قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعراً لعبيد ولبشر يمدحانه ، وأنشد القيسيون شعراً للنابعة . فلما أنشدوه قالوا : إنا نستحي أن نسألك شيئاً ، وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أُرْجِل¹ ، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم . فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها ، فأفلت ، فاتبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفِلو والجارية .

وإنهم وردوا على أبي حاتم ، فعرف الفرس والفِلو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلام كريم فسألناه ، فأعطى الجسيم .

[أبو الخيري مرة أخرى]

قال : وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجود ، فقال رجل من القوم : أجودُ الناس حياً وميتاً حاتم ؛ فقال معاوية : وكيف ذلك ؛ فإن الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قط ولا قومه ، فقال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، أن نفراً من بني أسد مروا بقبر حاتم ، فقالوا : لنبخلنه ولنخبرن العرب أننا نزلنا بحاتم ، فلم يقرنا ، فجعلوا يُنادون : يا حاتم ألا تَقْرِي أضيافك ! وكان رئيس القوم رجل يقال له : أبا الخيري ، فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل :

أبا خيري وأنت امرؤٌ ظلوم العشيرة شَتَّامُها

إلى آخرها ، فذهبوا ينظرون ، فإذا ناقةٌ أحدهم تكوس على ثلاثة أرجل عقيراً . قال : فعجب القوم من ذلك جميعاً .

[حاتم وأوس بن سعد]

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طييء حتى يدين لك أهلها ، فبلغ ذلك حاتمًا ، فقال² :

[من الكامل]

1 أرجل : لم تعد له مطية .

2 ديوانه : 65-66 .

ولقد بغى بخُلاّد أوس قومه
 حاشا بني عمرو بن سِنيس إناهم
 وتواعدوا ورَدَ القرية غدوةً
 والله يعلم لو أتى بسلافهم
 كالنار والشمس التي قالت لها
 لا يطعمن الماء إن أوردتهم
 أو ذو الحصين وفارس ذو مرة
 وموطأ الأكناف غير ملعن

ذُلاً وقد علمت بذلك سِنيس¹
 منعوا ذمار أبيهم أن يذنسوا
 وحلفت بالله العزيز لنحيس
 طرف الجريض لظل يوم مشكس²
 بيد اللويمس علماً ما يلمس³
 لتمام ظمئكم ففوزوا واخلسوا⁴
 بكتيبة من يذركوه يفرس⁵
 في الحي مشاء إليه المجلس

[يمدح بني بدر]

قال : وجاور في بني بدر زمن احتربت جديلة وتعل ، وكان ذلك زمن الفساد ، فقال
 يمدح بني بدر⁶ :

إن كنت كارهة معيشتنا
 جاورتهم زمن الفساد فينع
 فسقيت بالماء النмир ولم
 ودعيت في أولى الندى ولم
 الضاربين لدى أعتيتهم
 الخالطين نحيثهم بنضارهم

هاتي فحلي في بني بدر
 م الحي في العوصاء واليسر⁷
 ينظر إلي بأعين خزر⁸
 ينظر إلي بأعين خزر
 والطاعنين وخيلهم تحري
 وذوي الغنى منهم بذوي الفقر

- 1 صدر البيت في الديوان : ولقد بغى بجلاد أوس قومه . وخلاّد : أرض ببلاد طيء . والجلاد : الحرب . وسنيس : أبو حي من طيء .
- 2 الجريض : غصص الموت . والمشكس : السيء الخلق .
- 3 اللويمس : تصغير لأمس .
- 4 جلس : أقام .
- 5 يفرس في الديوان : يفرس .
- 6 ديوانه : 54 .
- 7 العوصاء : الشدة والعسر .
- 8 الشطر الثاني في الديوان : أترك أواصر حماة الجفر ، وفي ل أترك لأطلس حماة الجفر . والحماة : الطين . والجفر : اسم لأماكن كثيرة .

[يقيم في قيد أسير ليطلقه]

وزعموا أنَّ حاتمًا خرج في الشهر الحرام يطلبُ حاجةً ، فلمّا كان بأرض عنزة ناداه أسير
 لهم : يا أبا سَفَّانة ؛ أكلني الأسار والقمل ، قال : وَيْلَكَ ! والله ما أنا في بلادٍ قومي ، وما معي
 شيء ، وقد أسأتَ بي إذ نوّهتَ باسمي ، وما لك مترك . فساوم به العنزيتين فاشتراه منهما ،
 فقال : خلّوا عنه وأنا أقيمُ مكانه في قيده حتى أوّدي فداءه ، ففعلوا ، فأتى بفدائه .
 [ذبح فرسه ليطعم جيرانه]

وحدث الهيثم بن عديّ ، عمّن حدّثه ، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم ، قال :
 قلت لماوية : يا عمّة ، حدّثيني ببعضِ عجائب حاتم ، فقالت : كلُّ أمره عجب ، فمن أيّه
 تسألُ ؟ قال : قلت : حدّثيني ما شئتَ ، قالت : أصابت الناسَ سنةً ، فأذهبت الخُفَّ
 والظِّلْفَ ، فإنّي وإياه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ ؛ قالت : فأخذ عديّاً وأخذتُ سَفَّانة ، وجعلنا
 نُعلِّلهما حتى ناما ، ثم أقبل عليّ يحدّثني ويعلّلي بالحديث كي أنام ، فرققتُ له لما به من
 الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمتِ ؟ مراراً ، فلم أجِب ، فسكتَ فنظر في
 فتق الخياء فإذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسه فإذا امرأة . فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سَفَّانة ،
 أتيتُك من عند صبيّة يتعاوون كالذئاب جوعاً ، فقال : أحضريني صبيانك ، فوالله
 لأشبعنّهم . قالت : فقمْتُ سريعاً فقلت : بماذا يا حاتم ! فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلّا
 بالتعليل ! فقال : والله لأشبعنَّ صبيانك مع صبيانها .

فلمّا جاءت قام إلى فرسه فذبّحها ، ثم قدح ناراً ثم أجّجها ، ثم دفع إليها شفرة ، فقال :
 اشتوي ، وكُلّي ، ثم قال : أيقظي صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : والله إنّ هذا للووم ؛
 تأكلون وأهل الصّرْم¹ حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتي الصّرْم بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم
 بالنار . قال : فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتقعّ بكسائه فجلس ناحيةً ، فما أصبحوا ومن
 الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلّا عظم وحافر ، وإنّه لأشدُّ جوعاً منهم ، وما ذاقه .
 [حاتم ومحرّق]

أتى حاتم مُحَرِّقاً فقال له محرّق : يايعني ، فقال له : إنّ لي أخوين ورائي ، فإن يأذنا لي
 أبايعلك وإلّا فلا ، قال : فاذهب إليهما ، فإن أطاعاك فأتني بهما ، وإن أبيا فأذن بحرب .
 فلمّا خرج حاتم قال² :

[من الطويل]

1 الصرم : أبيات مجتمعة منقطعة عن الناس .

2 ديوانه : 77 .

أتاني مِنَ الرِّيانِ أُمسِرَ رسالةً وَعُدُوِيَّ وَغَيٍّ ما يَقولُ مُواسِلُ¹
هُما سَأَلانِي ما فَعَلْتَ ؟ وإِنِّني كَذَلِكَ عَمَّا أَحدَثا أَنّا سائِلُ
فَقُلْتُ : أَلّا كَيفَ الزَّمانَ عَلَيكِما ؟ فَقالا : بِخَيْرٍ كُلُّ أَرْضِكَ سائِلُ

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال : طرفا الجبّل ، فقال : ومحلوفة لأجللنّ مواسلاً الرّيطَ مصبوغاتٍ بالزيت ، ثم لأشعلنّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مرتقى بين مداخل سبّلات² . فلمّا بلغ ذلك محرّقاً قال : لأقدِمَنَّ عليك قريتكَ³ . ثم إنّه أتاه رجل ، فقال له : إنك إن تقدم القرية تهلك . فانصرف ولم يقدم .
[حاتم وأسير له]

غزت فزارةً طيّماً وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طييء في طلب القوم ، فلحق حاتم رجلاً من بدر ، فطعنه ثم مضى ، فقال : إن مرّ بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم . فمرّ به أبو حنبل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنّه يقتلك ، فإن زعمت لحاتم أو لِمَنْ سَأَلَني أسرتك . ثم صيرت في يدي خليّة سبيلك . فلمّا رجعوا قال حاتم : يا أبا حنبل خلّ سبيل أسيري ، فقال أبو حنبل : أنا أسرتّه ، فقال حاتم : قد رضيتُ بقوله ، فقال : أسرنِي أبو حنبل ، فقال حاتم⁴ :
[من الطويل]
إنّ أباك الجَوْنَ لم يَكُ غادراً أَلّا مِنْ بَنِي بدرِ أَتَتَكَ الغَوائِلُ

صوت⁵

[من الطويل]

وهاجرة مِنْ دُونَ مَيَّةَ لم تَقِلْ قَلُوصِي بها والجُنْدُبُ الجَوْنَ يَرْمَحُ⁶
بِتَيْهَاءٍ مِقْفارٍ يَكادُ ارتكاضُها بآل الضُّحَى والهَجَرِ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ⁷

- 1 الديوان : أتاني من الديان . . . والريان ومواسل : جيلان .
- 2 المثل «جهل من لغاتين إلى سبّلات» في مجمع الميّداني 1 : 178 . يضرب لمن يقدم على أمر يجهل ما فيه من المشقة والشدة . واللغاتين : مداخل الأودية ، واحدها : لغون . ومواسل والسبّلات : جبال .
- 3 القرية : موضع بجبل طييء .
- 4 لم يرد هذا البيت في ديوانه .
- 5 ديوان ذي الرمة : 86-87 .
- 6 لم تقل : من القيلولة . والجون : الأسود . ويرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر .
- 7 الديوان : ببدياء مقفار . . .

الهجر هاهنا مرفوع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . ويمصح : يذهب بالطرف .

كَأَنَّ الْفَرْنَدَ الْمَحْضَ مَعْصُوبَةً بِهِ ذُرَا قُورِهَا يَنْقَدُّ عَنْهَا وَيُنْصَحُ
إِذَا ارْفَضَ أَطْرَافُ السَّيَاطِ وَهَلَّتْ جُرُومُ الْمَهَارَى عَذْبَتُهُنَّ صَيِّدَحُ

عروضه من الطويل .

الهاجرة : تكون وقتَ الزوال . والجندب : الجراد . والجون : الأسود . والجون : الأبيض أيضاً : وهو من الأضداد . وقوله : يرمح ، أي ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقرّ على الأرض . والتّيهاء من الأرض : التي يُتاه فيها . والمقفار : التي لا أحد فيها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعيّ . وارتكاضها ؛ يعني ارتكاض هذه التّيهاء ، وهو نزوها بالآل ، والآل : السراب . والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصح ، رفع الهجر بفعله كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . يمصح : يذهب بالطرف . والفرنْد : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض ، وقد عصبت به ذرى قورها ، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة ، فتارة يغطيها وتارة يُنْجَابُ عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها ، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ؛ أي يخاط . ويقال : نصحت الثوب ، إذا خبطته ، والنّاصح : الخياط ، والنّصاح : الخيط . وقوله : ارفضّ أطراف السياط ، يعني أنّها انفتحت أطرافها من طول السفر ؛ وأصل الرفضاض التفرّق . والجروم : الأبدان ، واحدها جرم ، بالكسر . وقوله : هللت جروم المطايا ، يعني أنّها صارت كالأهلة في الدّقة . وصيّدح : اسم ناقته . الشعر لذي الرّمة ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالوسطى .

الفهرس

- [341] - ذكر الكُميت ونسبه وخبره 5
- [342] - خبر ابن سريج مع سكينه بنت الحسين عليهما السلام 34
- [343] - خبر لبيد في مريثة أخيه 44
- [344] - ذكر خبر العباس وفوز 52
- [345] - ذكر بذل وأخبارها 58
- [346] - أخبار كعب بن زهير ونسبه 63
- [347] - أخبار ابن الدُمينة ونسبه 71
- [348] - نسب المقنّع الكندي وأخباره 82
- [349] - خبر لإسحاق وابن هشام 84
- [350] - نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره 88
- [351] - خبر مقتل حُجر بن عديّ 99
- 352 - [أخبار لعمر بن أبي ربيعة] 115
- [353] - أخبار عزة الميلاء 118
- [354] - ذكر نسب الربيع بن زياد [وحرب داحس والغبراء] 130
- 355 - [خبر ليزيد بن معاوية] 151
- [356] - ذكر شريح ونسبه وخبره 155
- [357] - خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها 159
- [358] - أخبار الخطيفة مع سعيد بن العاص 162
- [359] - أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه 166
- 360 - [من أخبار عروة بن الزبير] 174
- [361] - أخبار زيد الخيل ونسبه 177

- 362 - [خبر لابن قيس الرقيّات] 196
- [363] - ذكر فند وأخباره 200
- [364] - أخبار نبيه ونسبه 202
- 365 - [حلف الفضول] 207
- [366] - نسب أمية بن أبي الصلت وخبره في قوله هذا الشعر 217
- 367 - [يوم الصفقة] 228
- 368 - [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة] 232
- [369] - ذكر أبي عطاء السندي 234
- [370] - ذكر خالد ورملة وأخبارهما وأنسابهما 245
- 371 - [خبر للأحوص] 252
- [372] - ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصة بنت الجودي 255
- [373] - أخبار حاتم ونسبه 260

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 17

DAR SADER
Beirut

کتابُ الْاِغَاذِيَّ

18

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

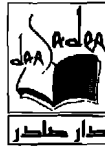
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممخطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الامتساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AḤḤĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣṣḥāḥānī)

ISBN 9953-13-045-0

[374] - ذكر ذي الرمة وخبره¹

اسمه غِيلَانُ بنُ عُقْبَةَ بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكَان بن عديّ بن عبد مناة بن أَدَّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .
[أسباب تلقبه بذي الرمة]

وقال ابن سلام : هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكَان . ويكنى أبا الحارث ، وذو الرمة لقب . يقال : لقبته به مئة ؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها : قومي فاسقيه . وقيل : بل خرق إداوته لما رآها ، وقال لها : اخززي لي هذه ، فقالت : والله ما أحسن ذلك ، فإني لخرقاء . قال : والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها ؛ فقال لأمها : مريها أن تسقيني ماء ، فقالت لها : قومي يا خرقاء فاسقيه ماء ، فقامت فأتته بماء ، وكانت على كتفه رمة ؛ وهي قطعة من جبل ، فقالت : اشرب يا ذا الرمة ؛ فلقب بذلك .

وحكى ابن قتيبة أن هذه القصة جرت بينه وبين خرقاء العامرية .

وقال ابن حبيب : لقب ذا الرمة لقوله² :

أشعث باقي رمة التقليد

وقيل : بل كان يصيبه في صغره فرع ، فكُتبت له تيممة ، فعلقها بجبل ، فلقب بذلك ذا الرمة .

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن محمد بن صالح العدوي ، عن أبيه ، وعن أشياخه ، وعدة من أهل البادية من بني عدي ، منهم زُرعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم : أن أم ذي الرمة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما

1 ترجمة ذي الرمة في الشعر والشعراء : 437-447 وطبقات ابن سلام : 550-570 والموشح : 170 وشرح شواهد المغني : 52 والسَّمط : 81 ووفيات الأعيان 4 : 11-17 وخزانة البغدادي 1 : 106-110 والعيني 1 : 412 وانظر بروكلمان 1 : 220 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية وقد نشر مكارنتي ديوانه (كيمبرج 1919) ثم طبعه محققاً عبد القدوس أبو صالح في ثلاثة مجلدات ، ونعتمد في الإشارة إلى شعره على الطبعة السابقة .

2 ديوانه : 22 .

يقيم لهم صلاتهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ؛ إنَّ أبنِي هذا يُرَوِّعُ بالليل ، فاكسب لي مَعَاذَةً^١ أعلّقها على عنقه ، فقال لها : اثنييني برَقِّ أكسب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رَقِّ أن يكتب له ؟ قال : فجئيني بجلد ، فأنته بقطعة جلد غليظ ، فكتب له مَعَاذَةً فيه ، فعَلّقته في عنقه ، فمكث دهرًا . ثم إنَّها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَيْن وهو جالس في مَلَأ من أصحابه ومواليه ، فدَنّت منه ، فسَلّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غِيلان وشِعْرة ؟ قال : بلى . فتقدّم فأنشده ، وكانت المَعَاذَةُ مشدودةً على يساره في جبل أسود ، فقال الحُصَيْن : أحسن ذو الرُّمَّة ؛ فغلبت عليه .

[إخوته كلّهم شعراء]

وقال الأصمعيّ : أمّ ذي الرُّمَّة امرأة من بني أسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأبيه وأمّه شعراء ، منهم مسعود ، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرُّمَّة ويذكر ليلي بنته : [من الطويل]
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني وليلى كِلانا مُوجَعٌ مات وافِئدة
ولمسعود يقول ذو الرُّمَّة^١ : [من الطويل]

صوت

أقول لمسعود بِجَرَّعَاء مالِكٍ وقد همّ دَمْعِي أن تَسِيحَ أوائلُهُ
ألا هل ترى الأظعان جاوزنَ مُشْرِفًا من الرمل أو سالت بهنَّ سِلاسِلُهُ^٢
غنى فيه يحيى بن المكيّ ثاني ثَقِيل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عمرو .
ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضًا ذا الرُّمَّة ، ويرثي وأوفى بن دَلْهَم ابن عمّه . وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُروى عنه الحديث .

وقال هارون بن الزيات : أخبرني ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، قال : كان لذي الرُّمَّة إخوة ثلاثة^٣ : مسعود ، وجِرْفاس ، وهشام ، كلّهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فينبني عليها ذو الرُّمَّة أبياتًا آخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتُنسب إليه : [من الطويل]

نعي الركب أوفى حين آبت ركبهم لعمري لقد جاؤوا بشرًّا فأوجعوا
نَعَوْا بِاسِقِ الأخلاقِ لا يُخلفونه تكادُ الجبالُ الصُّمُّ منه تصدّعُ

1 ديوانه : 466 .

2 مشرف : موضع .

3 ابن قتيبة (441) وكان لذي الرُّمَّة إخوة ، هشام وأوفى ومسعود . وقال ابن سلام (565) : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان ، وهو ذو الرُّمَّة ، وأوفى ومسعود . وانظر تعليق الأستاذ محمود شاعر في الحاشية .

خوى المسجد المعمورُ بعدَ ابنِ دَلْهِمْ فَأَضْحَى بِأَوْفَى قَوْمِهِ قَدْ تَضَعُضَعُوا
تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءٌ وَجَفُنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعٌ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَكَا الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ
وأخوه الآخر هشام ، وهو رباه ، وكان شاعراً . ولذي الرمة يقول : [من الطويل]

أَغِيلَانُ إِنْ تَرَجَعَ قَوَى الْوُدِّ بَيْنَنَا فَكُنْ مِثْلَ أَقْصَى النَّاسِ عِنْدِي فَإِنِّي
وقال ذو الرمة لهشام أخيه¹ :
فكُلُّ الَّذِي وَلَّى مِنَ الْعِشْرِ رَاجِعٌ بَطُولُ التَّنَائِي مِنْ أَخِي السَّوَاءِ قَانِعٌ
[من الطويل]

أَغَرَّ هَشَامًا مِنْ أَخِيهِ ابْنَ أُمِّهِ قَوَادِمُ ضَائِنٍ أَقْبَلَتْ وَرَبِيعٌ²
وَهَلْ تُخَلِّفُ الضَّائِنُ الْغَزَارُ أَخَا النَّدَى إِذَا حَلَّ أَمْرٌ فِي الصُّدُورِ فَطِيعٌ³
فأجابه هشام فقال : [من الطويل]

إِذَا بَانَ مَالِي مِنْ سَوَامِكِ لَمْ يَكُنْ إِلَيْكَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ رُجُوعٌ
فَأَنْتَ الْفَتَى مَا اهْتَزَّ فِي الزَّهْرِ النَّدَى وَأَنْتَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ مُنَوَّعٌ
وذكر المهلب عن أبي كريمة النحوي ، قال : خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود
بأرض الدَّهْنَاءِ ، فساحت لهما ظبية ، فقال ذو الرمة⁴ : [من الطويل]

أَقُولُ لِدَهْنَاوِيَّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ لَنَا بَيْنَ أَعْلَى بُرْقَةٍ بِالصَّرَائِمِ⁵
أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِي وَبَيْنَ النَّقَا آ أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ !
وقال مسعود :

فَلَوْ تَحْسِنُ التَّشْبِيَةَ وَالنَّعْتَ لَمْ تَقُلْ لِشَاةِ النَّقَا آ أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ
جَعَلْتَ لَهَا قَرْنَيْنِ فَوْقَ قُصَاصِهَا وَظِلْفَيْنِ مُسَوَّدَيْنِ تَحْتَ الْقَوَائِمِ⁶
وقال ذو الرمة⁷ : [من الطويل]

1 ديوانه : 354 .

2 الديوان : يسرت وربيع .

3 الديوان : ولا تخلف . . . أخا الفتى .

4 ديوانه : 621 .

5 الدهناوية : ظبية من طباء الدهناء والعوهج : طويلة العنق . وبرقة : موضع . والصرائم : الرمال . وفي الديوان : أعلى عرفة .

6 قصاص الشعر : حيث تنتهي نبتة من مقدمه أو مؤخره .

7 ديوانه : 622 .

هِيَ الشُّبَّةُ لَوْلَا مِذَّ رَوَاهَا وَأُذْنَهَا سواء وَلَوْلَا مَشَقَّةٌ فِي الْقَوَائِمِ¹

وكان ذو الرُّمَّةَ كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة ، وكان طفلياً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني الحسن بن عليٍّ ، قال : حدَّثني ابن سعيد الكِنْدِيِّ ، قال : سمعت ابن عِيَّاش يقول : حدَّثني مَنْ رَأَى ذَا الرُّمَّةَ طفلياً يأتي العُرُسات² .
[صفاته]

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح : حدَّثني هارون بن الزيات ، قال : أخبرني محمد بن صالح العدوي ، قال : قال زُرْعَةُ بن أَذْبُول : كان ذو الرُّمَّةَ مدوِّراً الوجه ، حسن الشَّعْرَةَ جَعَدَهَا ، أَقْنَى ، أَنْزَعَ ، خَفِيفُ الْعَارِضِينَ ، أَكْحَلُ ، حَسَنُ الضَّحْكَ ، مُفَوَّهًا ، إِذَا كَلَّمَكَ كَلَّمَكَ أَبْلَغَ النَّاسِ ، يَضَعُ لِسَانَهُ حَيْثُ يَشَاءُ .

وقال حماد بن إسحاق : حدَّثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، عن عمته عافية وغيرها من أهله : أنَّهم رأوا ذَا الرُّمَّةَ باليمامة عند المهاجر بن عبد الله شيخاً أَجْنَأَ سِنَاطاً³ متساقطاً .
وقال هارون بن الزيات : حدَّثني عليٌّ بن أحمد الباهلي ، قال : حدَّثني ربيع النميري ، قال : اجتمع الناس مرَّةً وتخلَّقوا على ذي الرُّمَّةَ ، وهو ينشدُهم ، فجاءت أمه فاطمت من بينهم ، فإذا رجل قاعد وهو ذو الرُّمَّةَ . وكان دميماً شَخْتاً⁴ أَجْنَأَ ، فقالت أمه : استمعوا إلى شِعْرِهِ ، ولا تنظروا إلى وجهه .

قال هارون : وأخبرني يعقوب بن السكيت ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرني أسيد الغنوي ، قال : سمعتُ بياديتنا من قوم هَضَبُوا⁵ في الحديث أنَّ ذَا الرُّمَّةَ كان تِرْعِيَّةً⁶ ، وكان كِنَازَ اللحم مريبوعاً قصيراً ، وكان أنفه ليس بالحسن .
[الإعجاب بشعره]

أخبرني ابن عمَّار ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن صالح بن سليمان قال : كان الفرزدق وجريز يحسدان ذَا الرُّمَّةَ ، وأهلُ البادية يُعجبهم شعره .
قال : وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرُّمَّةَ ، فأنشد يوماً قصيدةً له ، وأعرابيٌّ من بني عديٍّ يسمع ؛ فقال : أَشْهَدُ عَنكَ ، أَيُّ أَنْتَ ، لَفَقِيَّةٌ تُحْسِنُ مَا تَتْلُوهُ ، وكان يحسبه قرآناً .

1 الديوان : . . . إلَّا مدريها . . . وإلَّا مشقة .

2 العرسات : جمع عُرْس . وهو طعام الوليمة .

3 الأجنأ : الذي يشرف كاهله على صدره . والسناط : الخفيف العارض .

4 الشخت : الخفيف الضامر .

5 هضبوا : أفاضوا .

6 ترعية : يحسن رعي الإبل .

نسختُ من كتاب محمد بن داود : وحدثني هارون بن الزيات ، عن محمد بن صالح العدوي ، قال : قال حماد الراوية : قال الكُميت حين سمع قول ذي الرمة¹ : [من الطويل] أعاذلُ قد أكثرتُ مِنْ قول قائلٍ وعَيْبٌ على ذي الودِّ لَوْمُ العواذِلِ هذا والله مُلهم ، وما عَلِمُ بدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كَنْزِ العقل المعدّ لذوي الأبواب ! أحسنَ ثم أحسن .

قال محمد بن صالح : وحدثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكُميت ، وقال : لَمَّا أنشدَ قوله في هذه القصيدة² :

دعاني وما داعي الهوى مِنْ بلادِها إذا ما نأتُ خرقاءَ عَنِّي بِغافلٍ
فقال الكُميت : لله بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قوله ! وما أجود وصفه ! ولقد شفع البيتُ الأوّل بمثله في جودة الفهم والفطنة ، وقال قولٌ مُستسلم .
قال ابن كناسة : وقال لي حماد الراوية : ما أخر القومُ ذِكرَه إلّا لحدائثة سنّه ، وأنهم حسدوه .

قال محمد بن صالح : وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو : قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف : لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرمة ، ولا أحسن جواباً ؛ كان كلامه أكثر من شعره .
وقال الأصمعيّ : ما أعلم أحدًا من العشاق الحضريّين وغيرهم شكّا حبّاً أحسن من شكوى ذي الرمة ، مع عِفّةٍ وعَقْلٍ رصين .

قال : وقال أبو عبيدة : ذو الرمة يخبر فيُحسن الخبر ، ثم يردّ على نفسه الحجّة من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذر فيحسن التخلّص ، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفافٍ في الحكم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا أبو أيوب المدينيّ ، قال : حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ ، عن موكّى لجده ، قال : رأيتُ ذا الرمة بسوق المِرْيَد ، وقد عارضه رجلٌ يهزأ به ، فقال له ، يا أعرابيّ ، أتشهد بما لم ترَ ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أشهد أن أباك ناك أمك .

أخبرني محمد بن العباس البيزديّ ، قال : حدثني عمّي عبّيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير عند بعض الخلفاء ، فسأله عن ذي الرمة ، فقال : أخذ من طريف الشعر وحسّنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، قال : قال حماد الراوية : قديم علينا ذو الرمة الكوفة ، فلم أرَ أفصح ولا أعلم بغريب منه .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدّثني أبو عبيدة ، عن أبي عمرو ، قال : خُتِمَ الشعرُ
بذي الرُّمّة ، وخُتِمَ الرُّجَزُ برُوبة .

قال : فما تقول في هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كلٌّ على غيرهم ؛ إن قالوا حسناً فقد
سَبَقُوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، عن بعض
أصحابه ، عن حمّاد الراوية ، قال : أحسنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرُّمّة أحسنُ
أهل الإسلام تشبيهاً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، عن عمّه عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن
عقيل : أن جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أميّة ، فسأل كل واحد منهما على
انفراد عن ذي الرُّمّة ، فكلّهما قال : أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره .
فقال الخليفة : أشهد لاتّفاقكما فيه أنّه أشعرُ منكما جميعاً .

أخبرني جَحْظَةُ ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبي قال : أنشيد الصيّقلُ شعر ذي
الرُّمّة فاستحسنه ، وقال : ما له قاتله الله ! ما كان إلّا رُبَيْقَةً¹ ، هلاًّ عاش قليلاً !

وقال هارون بن محمد : أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق
البلخيّ ، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن ابن شُبْرمة ، قال : سمعت ذا الرُّمّة يقول : إذا قلتُ :
كأنّه ، ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني .

قال هارون : وحدّثني العباس بن ميمون طائع ، قال : قال الأصمعيّ : كان ذو الرُّمّة
أشعرَ النَّاسِ إذا شَبّه ، ولم يكن بالمُفْلِقِ .

وحَدّثني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : كان لذي الرُّمّة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم
يكن لأحد من الإسلاميين ، كان علماؤنا يقولون : أحسنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ،
وأحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمّة .

[حَبّه لَمِي]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمّته
أمّ القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأُمّ مَيّ ، قالت : كنّا نازلين بأسفل الدهناء ،
وكان رهط ذي الرُّمّة محاورين لنا ؛ فجلست مَيّة ، وهي حينئذ فتاة حين نهذ ثديها أحسن
من رأيته ، تغسل ثياباً لها ولأُمّها في بيت منفرد ، وكان بيتاً رثاً قد أخلق ، ففيه خروق ،
فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمّها ، فأقبل ذو الرُّمّة حتى دخل إلينا ، ثم

سَلَمَ ، وَتَشَدُّ ضَالَّةً وَجَلَسَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ . فَقَالَتْ مَيَّةُ : إِنِّي لَأَرَى هَذَا الْعَدُوِّيَّ قَدْ رَأَيْتُ مِنْكَشْفَةً وَاطَّلَعَ عَلَيَّ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي ؛ فَإِنْ بَنِي عَدِيَّ أَخْبِثَ قَوْمٌ فِي الْأَرْضِ ، فَاذْهَبِي فَقُصِّيْ أَثَرَهُ فَخَرَجَتْ فَوَجَدَتْهُ مَا يَثْبُتُ مُقَامَهُ ، فَقَصَصْتُ أَثَرَهُ ثَانِيَةً حَتَّى رَأَيْتُهُ وَقَدْ تَرَدَّدَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ طَرِيقَةً ، كُلَّ ذَلِكَ يَدْنُو فَيَطَّلِعُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ يَرْجِعُ عَلَى عَقْبِيهِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَطَّلِعُ إِلَيْهَا ، فَأَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَمْ تَنْشَبْ أَنْ جَاءَنَا شِعْرُهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَمَكَانٍ .

وَذَكَرَ عَلِيٌّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ بَشْرِ الرَّازِيِّ : أَنَّ هَارُونَ بْنَ مُسْلِمَ بْنَ سَعْدٍ حَدَّثَهُ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ بَرَّاقِ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ ثَقِيفٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ذُو الرُّمَّةُ أَنَّ أَوَّلَ مَا قَادَ الْمُودَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَيَّةَ أَنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَأَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ فِي بَغَاءٍ إِيْلَى لَهُمْ ؛ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذْ وَرَدْنَا عَلَى مَاءٍ وَقَدْ أَجْهَدْنَا الْعَطَشَ ، فَعَدَلْنَا إِلَى حِوَاءٍ¹ عَظِيمٍ ، فَقَالَ لِي أَخِي وَابْنُ عَمِّي : اثْنِ الْحِوَاءَ فَاسْتَسْقِ لَنَا ، فَأَتَيْتُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ فِي رِوَاقِهِ عَجُوزٌ جَالِسَةٌ . قَالَ : فَاسْتَسْقَيْتُ ، فَالْتَفَتَتْ وَرَاءَهَا فَقَالَتْ : يَا مَيَّةُ ، اسْقِي هَذَا الْغُلَامَ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ تَنْسِجُ عِلْقَةً² لَهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : [مَنْ الرِّجْزُ]

يَا مَنْ يَرَى بَرْقًا يَمُرُّ حِينًا زَمَزَمَ رَعْدًا وَانْتَحَى يَمِينًا
كَأَنَّ فِي حَافَاتِهِ حَنِينًا أَوْ صَوْتَ خَيْلٍ ضَمَّرٍ يَرْدِينَا

قَالَ : ثُمَّ قَامَتْ تَصَبُّ فِي شَكْوَتِي³ مَاءً ، وَعَلَيْهَا شَوْذِبٌ⁴ لَهَا ، فَلَمَّا انْحَطَّتْ عَلَى الْقِرْبَةِ رَأَيْتُ مُوَلِّيَّ لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ . قَالَ : فَلَهَوْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَأَقْبَلْتُ تَصَبُّ الْمَاءَ فِي شَكْوَتِي وَالْمَاءُ يَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا . قَالَ : فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعَجُوزِ وَقَالَتْ : «يَا بَنِي أَهْلِكَ مَيَّةَ عَمَّا بَعَثَكَ أَهْلُكَ لَهَا ، أَمَا تَرَى الْمَاءَ يَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا ؟!» فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعَجُوزِ فَقُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَيَطُولُنَّ هَيَامِي بِهَا .

قَالَ : وَمَلَأْتُ شَكْوَتِي ، وَأَتَيْتُ أَخِي وَابْنَ عَمِّي ، وَلَفَفْتُ رَأْسِي ، فَانْتَبَذْتُ نَاحِيَةً ، وَقَدْ كَانَتْ مَيَّةَ قَالَتْ : لَقَدْ كَلَّفَكَ أَهْلُكَ السَّقَرَّ عَلَى مَا أَرَى مِنْ صَغْرِكَ وَحِدَاثَةِ سَنِكَ ؛ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ⁵ :

قَدْ سَخِرَتْ أُخْتُ بَنِي لَبِيدٍ مَنِي وَمِنْ سَلَمٍ وَمِنْ وَلِيدٍ⁶
رَأَتْ غُلَامِي سَقَرٍ بَعِيدٍ يَدْرِعَانِ اللَّيْلَ ذَا السُّدُودِ

1 الحوَاء : مجموعة من البيوت المتدانية .

2 العَلْقَةُ : قميص بلا كَمِينَ .

3 الشَّكْوَةُ : وعاء من الجلد للماء واللبن .

4 الشَّوْذِبُ : الثوب الطويل .

5 انظر ديوانه : 157 .

6 قد سخرت في الديوان : قد عجبت . . . وهربت مني ومن مسعود .

مثل اذراع اليلمق الجديد¹

قال : وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها :

هل تعرف المنزل بالوحد

ثم مكثت أهيمُ بها في ديارها عشرين سنة .

[زوج مي يأمرها أن تسبه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن النوفلي ، قال : سمعتُ أبي يقول : ضاف ذو الرمة زوج مي في ليلة ظلماء ، وهو طامع في ألا يعرفه زوجها ، فيدخله بيته ، فيقره فيراها ويكلّمها ، ففطن له الزوج وعرفه فلم يُدخله ، وأخرج إليه قرأه ، وتركه بالعرء ، وقد عرفته مية ؛ فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبّان قال² :

[من الطويل]

أراجعة يا مي أيا منّا الألى بذى الأثل أم لا ، ما لهنّ رجوع³

[غزله في خرقاء]

فغضب زوجها ، وقال : قومي فصحي به : يا ابن الزانية ، وأي أيام كانت لي معك بذى الأثل ! فقالت : يا سبحان الله ، ضيف ، والشاعر يقول ! فانتضى السيف ، وقال : والله لأضربنك به حتى آتي عليك أو تقولي . فصاحت به كما أمرها زوجها ، فنهض على راحلته ، فركبها وانصرف عنها مغضباً يريد أن يصرف مودته عنها إلى غيرها . فمرّ بقلج في ركب ، وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه ، فإذا هو بجوار خارجات من بيت يُردن آخر ، وإذا خرقاء فيهنّ ، وهي امرأة من بني عامر ، فإذا جارية حلوة شهلاء . فوقعت عينُ ذي الرمة عليها ، فقال لها : يا جارية ، أترفعين لهذا الرجل خفه ؟ فقالت تهزأ به : أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل ؛ فسمّاها خرقاء ، وترك ذكر مي ؛ يريد أن يغيظ بذلك ميّا . فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ، ثم لم يلبث أن مات .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه عن الأصمعي ، عن عمارة بن عقيل ، قال : قال جرير : خرجتُ مع المهاجر بن عبد الله إلى حجة ، فلقينا ذا الرمة ، فاستنشهده المهاجر فأنشده⁴ :

[من الطويل]

ومن حاجتي لولا التناهي وربّما منحتُ الهوى من ليس بالمتقارب

1 اليلمق : القباء .

2 ديوانه : 352 .

3 الديوان : بذى الرمت .

4 ديوانه : 56 .

عطابيلُ بيضٌ مِنْ ربيعة عامرٍ عذابُ الثنايا مُثَقَلَاتُ الحَقَائِبِ¹
يَقْظَنُ الحِمَى والرَّمْلُ مِنْهُنَّ مَحْضَرٌ وَيَشْرَبْنَ أَلْبَانَ الهِجَانِ النَجَائِبِ²
فالتفت إليّ المهاجر ، وقال : أترأه مجنوناً !
أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : أخبرنا أبو البَيْدَاءِ الرِّيَّاحِي ، قال : قال
جرير : قاتل الله ذا الرُّمَّة حيث يقول³ :
وَمُتَزِعٌ مِنْ بَيْنِ نِسْعَيْهِ جِرَّةٌ نَشِيجُ الشَّجَا جَاءَتْ إِلَى ضَرْسِهِ نَزْرًا⁴
أما والله لو قال : «ما بين جنبيه» لما كان عليه من سبيل .
أخبرني الطوسيّ وحبيب المهلبيّ ، عن ابن شَبَّة ، عن أبي غزالة ، عن هشام بن محمد الكلبيّ ،
عن رجل من كندة ، قال : سئل جرير عن شعر ذي الرُّمَّة فقال : بعُرْ ظِبَاءٌ ، ونَقَطُ⁵ عُرُوسٍ ،
يُضْمَحَلُّ عَنْ قَلِيلٍ .

[شعره في نظر جرير وأبي عمرو بن العلاء]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام ، قال : كان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنما شعر ذي
الرُّمَّة نَقَطُ عُرُوسٍ يَضْمَحَلُّ عَنْ قَلِيلٍ وَأَبْعَارٌ لَهَا مَشَمٌّ فِي أَوَّلِ شَعْمَةٍ ، ثم تعودُ إلى أرواح البعر .
قال أبو زيد بن شَبَّة : قال أبو عبيدة : وقف الفرزدقُ على ذي الرُّمَّة وهو ينشد قصيدته
(الحائِثَةِ) التي يقول فيها⁶ :

إِذَا ارْقَضَ أَطْرَافُ السَّيَاطِ وَهَلَلَتْ جُرُومُ الْمَطَايَا عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ⁷
فقال ذو الرُّمَّة : كيف تسمعُ يا أبا فراس ؟ قال : أسمعُ حسنًا ، قال : فما لي لا أُعَدُّ في
الفحول من الشعراء ؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعِدُكَ ذِكْرُكَ الْأَبْعَارِ وَبِكَائُوكَ الدِّيارِ ، ثم
قال⁸ :

وَدَوِيَّةٌ لَوْ ذُو الرُّمَيْمَةِ رَامَهَا لَقَصَّرَ عَنْهَا ذُو الرُّمَيْمِ وَصَيْدَحُ⁹

1 الديوان : عطابيل بيض من ذؤابة عامر رقاق الثنايا مشرفات الحقائق

2 صدر البيت في الديوان : يقظن الحمى والرمل منهن مربع

3 ديوانه : 173 .

4 نشيج الشجا : كأنه يتنفس الصعداء كالذي اعترض حلقة عود .

5 نقط العروس : ما تنقط به العروس خدها من السواد لتجعله كالخال .

6 ديوانه : 87 .

7 جروم : جمع جرم وهو الجسد . هللت : صارت كالأهله من الهزال . وصيدح : ناقة ذي الرُّمَّة .

8 ديوان الفرزدق 1 : 124 .

9 الشطر الثاني في الديوان : وصيدحُ أودى ذو الرميم وصيدحُ . والدويّة : المفازة .

قطعتُ إلى معروفها منكراتها إذا اشتدَّ آلُ الأُمَـزِ المتوضَّح¹
 وقال عمر بن شُبَّة في هذا الخبر : فقام إليه ذو الرُّمَّة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد
 عليهما شيئاً ، فقال : إنهما بيتان ، ولن أزيد عليهما شيئاً .
 قال : وكان عمر بن شُبَّة يقول عمَّن أخبره عن أبي عمرو : إنما شعره نقط عروس
 تضمحل عمَّا قليل ، وأبعار ظباء لها مشمٌ في أوَّل شمَّها ، ثم تعود إلى أرواح الأبعاد .
 [هواه مع الفرزدق على جرير]

وكان هوى ذي الرُّمَّة مع الفرزدق على جرير ؛ وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التَّيمِّي ،
 وتيمٌ وعدِيٌّ أخوان من الرِّباب ، وعُكَلُ أخوهم ، ولذلك يقول جرير لعُكَل² : [من الطويل]
 فلا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ عُكَلًا بَغْرَةً وَعُكَلٌ يَشْمُونُ الْفَرَسَ الْمُنِيًّا
 الْفَرَسُ هَاهُنَا ابْنُ لَجَأٍ ، وكذلك يفعل السبع إذا ضغَم³ شاةً ثم طرد عنها ، أو
 سبقته ، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغَمِ ، فيفترسها السبع ، وهي تشمُّ ، ولذلك قال
 جرير لبني عدي⁴ : [من الوافر]

وَقُلْتُ نَصَاحَةً لِّبَنِي عَدِيٍّ ثِيَابَكُمْ وَنَضَحَ دَمِ الْقَتِيلِ
 يَحْذَرُ عَدِيًّا مَا لَقِيَ ابْنَ لَجَأٍ .

[الفرزدق يتحل أبياتاً له]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام أنَّ أبا يحيى الضُّبِّيَّ قال : قال ذو الرُّمَّة يوماً : لقد قلتُ أبياتاً
 إنَّ لها لَعْرُوضاً وإنَّ لها لِمَرَاداً ومعنى بعيداً . قال له الفرزدق : ما هي ؟ قال : قلتُ⁵ : [من الطويل]
 أَحِينَ أَعَادَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجَرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغِمْدِ
 وَمَدَّتْ بِضُبُعِي الرِّبَابُ وَمَالِكٌ وَعَمَرُو وشالتُ مِن ورائي بنو سَعْدِ
 وَمَنْ آلِ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كَأَنَّهُ زُهَا اللَّيْلِ مَحْمُودُ النُّكَائَةِ وَالرَّفْدِ
 فقال له الفرزدق : لا تعودنَّ فيها ، فأنا أحقُّ بها منك ، قال : والله لا أعودُ فيها ولا
 أنشدها أبداً إلَّا لك ؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها⁶ : [من الطويل]

1 الشطر الثاني في الديوان : إذا خب آلٌ دونها يتوضح . والأمز : المكان الكثير الحصى .

2 ديوان جرير : 20 .

3 ضغَم الشاة : عضَّها .

4 ديوان جرير : 352 .

5 ديوان ذي الرُّمَّة : 142 . وديوان الفرزدق : 1 : 177 وفيه «دجى الليل» .

6 ديوان ذي الرُّمَّة : 142 وديوان الفرزدق : 1 : 177 .

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودَهُ ضَرْبَانَهُ فَوْقَ الْأَثْنَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ
الْأَثْنَيْنِ : الْأَذْنَانِ . وَالْكَرْدُ : الْعُنُقُ .

وروى هذا الخبر حماد عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك الفقيمي قال : بينا أنا
بكاظمة وذو الرمة يُنشد قصيدته التي يقول فيها :

أَحْسِنْ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نَسَاءَهَا
إِذَا رَاكِبَانِ قَدْ تَدَلَّيَا مِنْ نَقَبِ كَاظِمَةٍ مُقْنَعَانِ فَوْقَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ ذُو الرِّمَّةِ حَسَرَ الْفَرَزْدَقُ عَنْ
وَجْهِهِ وَقَالَ لِرَاوِيَتِهِ : يَا عُيَيْدُ ، اضْمُمْ إِلَيْكَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ . قَالَ لَهُ ذُو الرِّمَّةِ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا
فِرَاسٍ ! فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ، وَاتَّحَلَّ مِنْهَا هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْأَيَّاتِ .
[تهاجيه مع هشام المرثي]

حدثنا محمد ، قال : حدثنا أبو الغراف ، قال : مرَّ ذُو الرِّمَّةِ بِمَنْزِلٍ لَامِرِيٍّ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ
يُقَالُ لَهُ : مَرْأَةٌ ، بِهِ نَخْلٌ ، فَلَمْ يَنْزِلْهُ وَلَمْ يَقْرُوه ، فَقَالَ¹ :

نَزَلْنَا وَقَدْ طَالَ النَّهَارُ وَأَوْقَدَتْ عَلَيْنَا حَصَى الْمَعْرَاءِ شَمْسٌ تَنَالُهَا²
أَنْخَا فَظَلَّلْنَا بِأَبْرَادٍ يُمْنَةٍ عِتَاقٍ وَأَسْيَافٍ قَدِيمٍ صِقَالُهَا³
فَلَمَّا رَأَا أَهْلُ مَرْأَةٍ أَغْلَقُوا مَخَادِعَ لَمْ تَرْفَعْ لَخِيرٍ ظِلَالُهَا⁴
وَقَدْ سُمِّيَتْ بِاسْمِ امْرِئِ الْقَيْسِ قَرْيَةً كِرَامَ صَوَادِيهَا لِإِسَامَ رِجَالُهَا⁵
فَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَ ذِي الرِّمَّةِ وَبَيْنَ هِشَامِ الْمَرْثِيِّ ، فَمَرَّ الْفَرَزْدَقُ بِذِي الرِّمَّةِ وَهُوَ
يُنْشَدُ⁶ :

صوت

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِمَيْمَةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبَتْهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
غَنَى فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ثَانِي ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، وَسَيَّاتِي خَبْرُهُ بَعْدَ لَثَلَا يَنْقُطِعُ هَذَا
الْخَبَرُ .

1 ديوان ذي الرمة : 542 .

2 طال النهار في الديوان : غار النهار .

3 رواية الديوان :

بنينا علينا ظل أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها

4 الديوان : فلما دخلنا جوف امرأة غلقت دساكر لم ترفع لخير ظلالها

5 الصوادي : جمع صادية ، وهي النخلة التي امتدت جذورها إلى الماء فهي لا تحتاج إلى سقي .

6 ديوانه : 38 .

فقال له الفرزدق : أهلك البكاء في الديار ، والعبدُ يرتجز بك في المقابر ، يعني هشاماً .
وكان ذو الرُّمَّة مستَعِلياً هشاماً حتى لقي جريراً هشاماً ، فقال : غلبك العبدُ ، يعني ذا الرُّمَّة .
قال : فما أصنع يا أبا حَزْرَةَ ، وأنا راجز وهو يُقصدُ ، والرجزُ لا يقوم للقصيد في الهجاء ؟ ولو
رَفَدْتَنِي ، فقال جرير ، لُتَهَمَّتْهُ ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق ، قل له ¹ :

غَضِبْتُ لِرَجُلٍ مِنْ عَدِيٍّ تَشَمَّسُوا	وفي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ تَشَمَّسْ رِجَالُهَا ²
وَفِيمَ عَدِيٍّ عِنْدَ تَيْمٍ مِنَ الْعُلَا	وَأَيَّامَنَا اللَّاتِي تَعُدُّ فَعَالُهَا
وَضَبَّةُ عَمِيَّ يَا ابْنَ جُلٍّ فَلَا تَرُمُ	مَسَاعِيَّ قَوْمٍ لَيْسَ مِنْكَ سِجَالُهَا
يُمَاشِي عَدِيّاً لَوْمُهَا ، لَا تُجْنُهُ	مِنَ النَّاسِ مَا مَسَّتْ عَدِيّاً ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعْنُ بِنِسَائِهَا	عَلَيَّ فَقَدْ أَغْبَا عَدِيّاً رِجَالُهَا
أَذَا الرُّمِّ قَدْ قَلَّدْتَ قَوْمَكَ رُمَّةً	بَطِيئاً بِأَمْرِ الْمُطْلِقِينَ انْخِلَالُهَا

قال أبو عبد الله : فحدَّثني أبو الغرَّاف ، قال : لَمَّا بَلَغَتِ الْآيَاتُ ذَا الرُّمَّةَ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هَذَا
بِكَلَامِ هِشَامٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ ابْنِ الْأَثَانِ³ .

أَخْبَرَنَا أَبُو خَلِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْبَيْدَاءِ قَالَ : لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ :
هُوَ وَاللَّهِ يَنْتَمِي شِعْرُ حَنْظَلٍ عُدْرِيٍّ ، وَغَلَبَ هِشَامٌ عَلَى ذِي الرُّمَّةَ بِهَا⁴ .

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ النِّطَاحِ : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي فُلَانُ الْمُرِّيِّ ، قَالَ :
أَتَانَا جَرِيرٌ عَلَى حِمَارٍ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ ، فَأَتَنِي بَنِيذَ فُشْرَبٍ ، فَلَمَّا أَخَذَ فِيهِ قَالَ : أَيْنَ هِشَامٌ ؟
فَدُعِي ، فَقَالَ لَهُ : أَنَشِدْنِي مَا قُلْتَ فِي ذِي الرُّمَّةَ ، فَأَنَشَدَهُ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا أَنَشَدَهُ قَصِيدَةً قَالَ :
لَمْ تَصْنَعْ شَيْئاً ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ دَنَا رَوَاحِي فَارْدُدْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمُرْ شُبَّانَكُمْ بِرَوَايَتِهَا ، وَذَكَرَ
الْآيَاتِ الَّتِي أَوَّلَهَا قَوْلُهُ :

غَضِبْتُ لِرَجُلٍ مِنْ تَيْمٍ تَشَمَّسُوا

[جرير يرفد ذا الرُّمَّة]

قال : فغلبه هشام بها ، فلمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَقِيَ ذُو الرُّمَّةَ جَرِيراً فَقَالَ : تَعَصَّبْتَ عَلَيَّ
خَالَكَ لِلْمُرِّيِّ . فَقَالَ جَرِيرٌ : حَيْثُ فَعَلْتُ مَاذَا ؟ قَالَ : حِينَ تَقُولُ لِلْمُرِّيِّ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ

1 ديوان جرير : 390 .

2 الديوان : عجبني لرجل ... لم تشمس رجالها . ويروى غضبت لرجل ...

3 ابن الأثان : يعني جريراً .

4 انظر طبقات ابن سلام : 557-559 .

جرير : لَأَتُكْ أَهْلُكَ الْبُكَاءُ فِي دَارِ مَيَّةَ حَتَّى اسْتَقْبَحَتْهُ مَحَارْمُكَ .

قال : وقول ذي الرمة : تَعَصَّبَتْ عَلَى خَالِكَ ، أَنَّ النُّوَارَ بِنْتُ جُلٍّ أُمُّ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَهِيَ مِنْ رَهْطِ ذِي الرُّمَّةِ ، وَكَذَلِكَ عَنِ جَرِيرٍ بِقَوْلِهِ¹ :

وَلَوْلَا أَنَّ تَقْوَلَ بَنُو عَدِيٍّ أَلَمْ تَكْ أُمُّ حَنْظَلَةَ النُّوَارِ
أَتُكْمُ يَا بَنِي مِلْكَانَ مَنِّي قَصَائِدُ لَا تَعَاوَرُهَا الْبِحَارُ

فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ : لَا ، وَلَكِنْ اتَهَمْتَنِي بِالْمَيْلِ مَعَ الْفَرَزْدَقِ عَلَيْكَ ، قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ ، وَحَلَفَ لَهُ بِمَا يُرْضِيهِ ، قَالَ : فَأَنْشِدْنِي مَا هَجَوْتَ بِهِ الْمُرْتِيَّ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ² :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحَزْوَى عَفَّتْهُ الرِّيحُ وَامْتَضَحَ الْقِطَارَا³

فَأُطَالَ جَدًّا ، فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، أَفَأَرْفُذُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : قُلْ⁴ :

يَعُدُّ النَّاسِيُّونَ إِلَى تَمِيمٍ يُبَوِّتُ الْمَجْدُ أَرْبَعَةَ كِبَارَا⁵
يَمْدُدُونَ الرِّيَابَ وَآلَ سَعْدٍ وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا⁶
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا الْمُرْتِيُّ لَغْوًا كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْخَوَارَا

وَيُرْوَى : وَيَذْهَبُ بَيْنَهَا .

فَغَلَبَهُ ذُو الرُّمَّةِ بِهَا .

قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَرَجَانِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ مَرَّ بِالْفَرَزْدَقِ فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي أَحَدَ مَا قُلْتَ فِي الْمُرْتِيِّ ، فَأَنْشَدَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، فَأُطْرُقَ الْفَرَزْدَقُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَعِدْ ، فَأَعَادَ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ وَابِمِ اللَّهِ ، مَا هَذَا لَكَ ، وَلَقَدْ قَالَه أَشَدُّ لَحِيْنٍ مِنْكَ ، وَمَا هَذَا إِلَّا شَعْرُ ابْنِ الْأَثَانِ .

فَلَمَّا سَمِعَهَا الْمُرْتِيَّ جَعَلَ يَلْطِمُ رَأْسَهُ ، وَيَصْرُخُ وَيَدْعُو بِوَيْلِهِ ، وَيَقُولُ : قَتَلَنِي جَرِيرٌ ، قَتَلَهُ اللَّهُ ! هَذَا وَاللَّهِ شَعْرُهُ الَّذِي لَوْ نَقَطْتُ مِنْهُ نَقْطَةً فِي الْبَحْرِ لَكَدَّرْتَهُ ، قَتَلَنِي ، وَفَضَحَنِي .

فَلَمَّا اسْتَعْلَى ذُو الرُّمَّةِ عَلَى هِشَامَ أَتَى هِشَامٌ وَقَوْمُهُ جَرِيرًا فَقَالُوا : يَا أَبَا حَزْرَةَ ، عَادَتْكَ

1 ديوانه : 193 .

2 لم نثر عليها في طبقات ديوان جرير .

3 امتضح : شان . وفي الديوان : امتتح : من المنحة .

4 ديوان ذي الرمة : 196 .

5 الديوان : بيوت العز .

6 الديوان : يعدون الرياب لهم وعمرًا وسعدًا ثم حنظلة الخيارا

الحسنى ؛ فقال : هيهات ، ظلمتُ أحوالي ، قد أتاني ذو الرُّمَّة ، فاعتذر إليّ ، وحلف فلستُ أُعِينُ عليهم .

فلما يسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته ، فأعطوه عشرة أعرز ، وأعانوه على مكاتبته ، فقال أبياتاً عَيْنِيَّة يفضِّل فيها بني امرئ القيس على بني عديّ ، وهشاماً على ذي الرُّمَّة ، ومات ذو الرُّمَّة في تلك الأيام ، فقال الناس : غلبه هشام .

قال ابن النطاح : إنما مات ذو الرُّمَّة بعقب إرفاد جرير إياه على المرئيّ ، فقال الناس : غلبه ، ولم يغلبه ؛ إنما مات قبل الجواب .

[قول ذي الرُّمَّة في شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، عن محمد بن الحسن الأحول ، عن بعض أصحابه ، عن الشَّبو بن قُسيم العُذْرِيّ ، قال : سمعتُ ذا الرُّمَّة يقول : مِنْ شعري ما طاوَعني فيه القولُ وساعدني ، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه ، ومنه ما جُننت به جنوناً ؛ فأما ما طاوَعني القول فيه فقولِي¹ :

خَلِيلِي عَوْجاً مِنْ صُدُورِ الرُّوَاحِلِ
وَأَمَّا مَا أَجْهَدْتُ نَفْسِي فِيهِ فَقَوْلِي² :

إِنْ تَوَسَّمتْ مِنْ خَرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ
أَمَّا مَا جُننتُ بِهِ جَنُوناً فَقَوْلِي³ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ

[جرير يعجب ببيئته]

أخبرني عليّ بن سليمان ، عن محمد بن يزيد ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير يقول : ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِنْ شعر ذي الرُّمَّة إلَّا قوله :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

فإنَّ شيطانه كان له فيها ناصحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : قال حمّاد الراوية : ما تَمَّ ذو الرُّمَّة قصيدته التي يقول فيها :

1 ديوانه : 491 ، وعجزه : بجمهور حزوى فابكيا في المنازل .

2 ديوانه : 567 وفيه :

أَعْن تَرَسَمْتُ مِنْ خَرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ ماء الصبابة من عينيك مسجوم

3 ديوانه : 1 وعجزه : كأنه من كلِّ مفرية سرب . وفيه «الماء» بدل «الدمع» .

ما بالُ عَيْنِكَ منها الماء ينسكبُ

حتى مات ، كان يزيد فيها منذ قالها حتى تُوفي .

[يسخر منه]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهلي ، عن كثير بن ناجية ، قال : بينا ذو الرمة ينشد بالمربد والناس مجتمعون إليه ، إذا هو بخياط يطالعه ، ويقول : يا غيلان

أأنت الذي تستطقي الدارَ واقفاً من الجهل هل كانت بكنّ حلول؟

فقام ذو الرمة وفكر زماناً ، ثم عاد فقعده في المربد ينشد ، فإذا الخياط قد وقف عليه ، ثم

قال :

أأنت الذي شَبَّهْتَ عَزْراً بقفرة لها ذنبٌ فوق استِها أم سلم
وَقَرْنَانِ إِمَّا يَلْزَقَا بِكَ يَتْرُكَا بِجَنِينِكَ يا غيلانُ مثلَ المواسمِ
جعلت لها قرنين فوق شواتها وربك منها مَشَقَّةٌ في القوائم¹

فقام ذو الرمة فذهب ، ولم يُنشد بعدها في المربد حتى مات الخياط . قال : وأراد الخياط بقوله هذا قولَ ذي الرمة² :

أقولُ لَدَهْنَاوِيَّةٍ عَوْهَجٍ جَرَّتْ لَنَا بَيْنَ أَعْلَى بُرْقَةٍ فِي الصَّرَائِمِ
أَيَا ظُبِيَّةِ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا آأنتِ أم أم سلم
هي الشَّيْبَةُ لَوْلَا مِذْرِيَاهَا وَأُذْنُهَا سَوَاءٌ وَإِلَّا مَشَقَّةٌ فِي الْقَوَائِمِ³
فانتبه ذو الرمة لذلك ، فقال⁴ :

أقولُ بِذِي الْأَرْطَى عَشِيَّةً أُرْشَقَتْ إِلَى الرُّكْبِ أَعْنَاقُ الظُّبَاءِ الْخَوَازِلِ⁵
لَأَدْمَاءٍ مِنْ آرَامٍ بَيْنَ سُوَيْفَةٍ وَبَيْنَ الْجِبَالِ الْعُفْرِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ⁶
أرى فيك من خرقاء يا ظبيَّة اللوى مُشَابِهَةٌ جُنُبِ اعْتِلَاقِ الْحِبَالِ

1 الشواة : قحف الرأس .

2 ديوانه : 621 وفيه «بين أعلى عرفة بالصرائم» .

3 مذرياها في الديوان : مدربيها .

4 ديوانه : 495 .

5 عشيّة أُرشقت في الديوان : عشيّة أتلعت .

6 الديوان : لأدمنة من وحش وبين الحبال .

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَوْنُكِ لَوْلَا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ¹
 فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى لِإِبْرَاهِيمَ .
 [يُفَسِّرُ لِرُؤْيَا الرَّاعِي]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السَّكْرِيِّ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ
 السَّكِّيتِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ ، قَالَ : قَالَ ذُو الرُّمَّةِ لِرُؤْيَا : مَا عَنَى
 الرَّاعِي بِقَوْلِهِ² :

أَنَاخَا بِأَسْوَا الظَّنِّ ثَمَّتَ عَرْسًا قَلِيلًا وَقَدْ أَبْقَى سُهَيْلٌ فَعَرَدَا
 فَجَعَلَ رُؤْيَا يَقُولُ : هِيَ كَذَا هِيَ كَذَا ، لِأَشْيَاءَ لَا يَقْبَلُهَا ذُو الرُّمَّةِ ، فَقَالَ لَهُ رُؤْيَا : فَمَهْ ؟
 وَيَحْكُ ! قَالَ : هِيَ الْأَرْضُ بَيْنَ الْمُكَلَّةِ وَبَيْنَ الْمُجَلْبَةِ .
 [جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ يَقْرَأُ لَهُ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ حَمَّادٍ ، عَنْ أَبِي عَدْنَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَافِعٍ : أَنَّ الْفَرَزْدَقَ
 دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَنَا ، قَالَ : أَفْتَعْلَمُ
 أَحَدًا أَشْعَرَ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّ غَلَامًا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ يَرْكَبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ ،
 وَيَنْعَتُ الْفَلَوَاتِ . ثُمَّ أَتَاهُ جَرِيرٌ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَاهُ ذُو الرُّمَّةِ فَقَالَ لَهُ : وَيَحْكُ !
 أَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ غَلَامٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ يُقَالُ لَهُ : مُزَاحِمٌ : يَسْكُنُ الرُّوَضَاتِ
 يَقُولُ وَحْشِيًّا مِنَ الشَّعْرِ لَا تَقْدَرُ عَلَى أَنْ نَقُولَ مِثْلَهُ .
 [سَكْبَرَةٌ تَحْلَهُ ذِمًّا لِي]

قَالَ : وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ يَتَشَبَّهُ بِمَيِّ بِنْتِ طَلَبَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ ، وَكَانَتْ كَثِيرَةً³
 أُمَّةً مُوَلَّدَةً لَأَلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَهِيَ أُمُّ سَهْمٍ بِنْتُ بُرْدَةَ اللَّصِّ الَّذِي قَتَلَهُ سَيْنَانُ بْنُ مُخَيَّسٍ
 الْقَشِيرِيِّ أَيَّامَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ ، فَقَالَتْ كَثِيرَةً⁴ :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

1 الديوان :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَلَوْنُكِ لَوْلَا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ وَجِيدُكِ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ

2 ديوان الراعي النُمَيْرِيِّ (فَابِرْت) : 89 وفيه :

أَنَاخُوا بِأَسْوَالٍ إِلَى أَهْلِ خُبَّةٍ طُرُوقًا وَقَدْ أَقْمَى سَهِيلٌ فَعَرَدَا

3 ابن سلام (559) : كَتَرَتْ . وَانْظُرْ تَعْلِيقَ الْأَسَازِ مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ فِي الْحَاشِيَةِ . وَقَدْ أَخْلَقَ مُحَقِّقُ دِيَوَانِهِ هَذِهِ
 الْأَبْيَاتَ بِهِ (675) .

4 انْظُرْ مَلَاخَةَ الدِّيَوَانِ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ ولو كان لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا
وَنَحَلْتَهَا ذَا الرُّمَّةَ ، فامتعض من ذلك ، وحلف بجهد أيمانه ما قالها .

قال : وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دهري ، وأفانيتُ شبابي أُشِيبَ بها وأمدحُها ، ثم
أقول هذا ! ثم اطلع على أنَّ كثيرة قالتها ، ونحلتها إيَّاه .
[مئة لا ترد عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً]

وقال هارون بن محمد : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : حدثني هارون بن سعيد ،
قال : حدثني أبو المسافر الفقعسي ، عن أبي بكر بن جبلة الفقعسي ، قال : وقف ذو الرُّمَّةَ فِي
رَكْبٍ مَعَهُ عَلَى مَيَّةَ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : وَعَلَيْكُمْ إِلَّا ذَا الرُّمَّةَ ، فَأَحْفَظْهُ ذَلِكَ وَغَمَّهُ مَا سَمِعَ
مِنْهَا بِحَضْرَةِ الْقَوْمِ ؛ فَغَضِبَ وَانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ¹ :

أَيَا مَيِّ قَدْ أَشْمَتُ بِي وَيَحِلُّ الْعِدَا وَقَطَّعْتَ حَبْلًا كَانَ يَا مَيِّ بَاقِيَا
فِيَا مَيِّ لَا مَرْجُوعَ لِلْوَصْلِ بَيْنَنَا وَلَكِنَّ هَجْرًا بَيْنَنَا وَتَقَالِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا
[مئة العجوز]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي ، عن ابن مَهْرُؤَيْه ، عن ابن النطّاح ، عن محمد بن الحجاج
الأسدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، قال : مررتُ على مَيَّةَ وَقَدْ أُسْنَتْ ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا وَأَنَا
يَوْمَئِذٍ شَابٌّ فَقُلْتُ : يَا مَيَّةَ ؛ مَا أَرَى ذَا الرُّمَّةَ إِلَّا قَدْ ضَيَّعَ فِيكَ قَوْلَهُ حَيْثُ يَقُولُ² : [من الطويل]

صوت

أَمَا أَنْتَ عَنْ ذِكْرِكَ مَيَّةَ مُقْصِرُ وَلَا أَنْتَ نَاسِي الْعَهْدِ مِنْهَا فَتَذَكُرُ
تَهَيِّمُ بِهَا مَا تَسْتَفِيقُ وَدُونَهَا حِجَابٌ وَأَبْوَابٌ وَسِتْرٌ مُسْتَرُ

قال : فضحكت وقالت : رأيتني يا ابن أخي وقد وُلِّيتُ وَذَهَبْتُ مُحَاسِنِي ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ
غَيْلَانَ ، فَلَقَدْ قَالَ هَذَا فِيَّ وَأَنَا أَحْسَنُ مِنَ النَّارِ الْمَوْقِدَةِ فِي اللَّيْلَةِ الْقَرَّةِ فِي عَيْنِ الْمَقْرُورِ ، وَلَنْ تَبْرَحَ
حَتَّى أَقِيمَ عِنْدَكَ عُذْرَهُ ؛ ثُمَّ صَاحَتْ : يَا أَسْمَاءُ ، أَخْرَجِي ؛ فَخَرَجْتُ جَارِيَةً كَالْمُهَاقِمَةِ مَا رَأَيْتُ
مِثْلَهَا ، فَقَالَتْ : أَمَا لِمَنْ شَبَّ بِهَذِهِ وَهَوِيهَا عُذْرٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ
أَزْمَانَ كُنْتُ مِثْلَهَا أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي يَوْمَئِذٍ لَازْدَرَيْتَ هَذِهِ أَزْدَرَاكَ إِيَّايَ الْيَوْمَ ،
انصرفت راشداً .

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقل بالوسطى .

1 البيت الأول والثاني ليسا في ديوانه ولا في الزيادات .

2 البيتان في مزيادات الديوان : 666 .

[صفات مية]

أخبرني أبو خليفة ، قال : قال محمد بن سلام : قال أبو سوار الغنوي : رأيت مية وإذا معها بنون لها صغار ، فقلت : صيفها لي ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخد شماء الأنف ، عليها وسنم جمال ، فقالت : ما تلقيت¹ بأحد من بني هؤلاء إلا في الإبل ، قلت : أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها ؟ قال : نعم ، كانت تسح سحاً ، ما رأى أبوك مثله .

[نذر مية إذا رأت ذا الرمة]

فأما ابن قتيبة فقال في خبره : مكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شيعره ، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رآته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجمل الناس قالت : واسوأته ! وابوساه واضيعة بدنتاه ! فقال ذو الرمة :

[من الطويل]

على وجه ممي مسح من ملاحية وتحت الثياب الشين لو كان باديا
قال : فكشفت ثوبها عن جسدها ، ثم قالت : أ شيئاً ترى لا أم لك ! فقال : [من الطويل]

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فقالت : أما ما تحت الثياب فقد رأيتاه وعلمت أن لا شين فيه ، ولم يبق إلا أن أقول لك :
هلم ، حتى تذوق ما وراءه ، والله لا ذقت ذاك أبداً ، فقال : [من الطويل]

فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى بمي ولم أملك ضلال فواديا
قال : ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد لما كان عليه من حبها .

[ابنة مية تشد شعره في أمها]

وذكر محمد بن علي بن حفص الجبيري الحنفي ، من ولد أبي جبيرة ، أن النوار بنت عاصم المنقرية ، وأمها مية صاحبة ذي الرمة ، أخبرته ، وقد ذكر عندها ذا الرمة ، وأنشدها قوله في أمها² :

[من الطويل]

هي البرء والأسقام والهـمـ والمنى وموت الهوى في القلب منى المبرح³
وكان الهوى بالنأي يمنح فيمحي وحبك عندي يستجد ويربح⁴
يربح ، أي يزيد الربح . هكذا ذكره الأصمعي .

1 تلقيت : حملت .

2 ديوانه : 83 .

3 الديوان :

هي البرء والأسقام والهـمـ ذكرها وموت الهوى لولا الثاني المبرح

4 الشطر الأول في الديوان : وبعض الهوى بالهجر يمحي فيمحي .

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَيِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ¹
فَلَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُ :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَيِّينَ . . .

قالت : قَبَّحَهُ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ أَيْضاً :

[من الطويل]

عَلَى وَجْهِ مَيَّةَ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الشَّيْنُ لَوْ كَانَ بِإِدْيَا
فَقُلْتُ لَهَا : أَكُنْتَ مَيَّةَ جَدَّتْكَ ؟ قالت : لا ، بَلْ أُمِّي ، فَقُلْتُ لَهَا : كَمْ تَعُدُّينَ ؟ قالت :
سِتِّينَ سَنَةً .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : قَالَ حَمَّادٌ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ :
كَانَتْ مَيَّةَ صَاحِبَةَ ذِي الرُّمَّةِ مِنْ وَلَدِ طَلِيْةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ ، وَكَانَتْ لَهَا بِنْتُ عَمٍّ مِنْ
وَلَدِ قَيْسٍ يُقَالُ لَهَا : كَثِيرَةٌ أُمُّ سَلْهَمَةَ ، فَقَالَتْ عَلَى لِسَانِ ذِي الرُّمَّةِ :

[من الطويل]

عَلَى وَجْهِ مَيَّةَ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاةٍ

الْأَبْيَاتُ . فَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ إِذَا ذُكِرَ لَهُ ذَلِكَ يَمْتَعِضُ مِنْهُ ، وَيَحْلِفُ أَنَّهُ مَا قَالَهَا قَطُّ .
أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ الضَّبِّيِّ بِمِثْلِهِ ،
وَقَالَ فِيهِ : إِنَّ كَثِيرَةَ مَوْلَاةَ لَهُمْ ، وَهِيَ أُمُّ سَلْهَمَةَ اللَّصِّ الَّذِي قَتَلْتَهُ خَيْلُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
[ذُو الرُّمَّةِ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَحَبِيبُ الْمُهَلَّبِيِّ ، عَنْ ابْنِ شَبَّةَ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ سَلْمَةَ عَنْ
مَحَارِبَ ، قَالَ : كَانَ ذُو الرُّمَّةِ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَقُولُ : عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ
أَوْ عَزِيرُ بَنِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : أَكْثَرُهُمَا حُرُوفاً .

أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : قَالَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو : قَالَ لِي ذُو
الرُّمَّةِ : أَرَفَعُ هَذَا الْحَرْفَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَكْتُبُ ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ : أَكْتُمُ عَلَى فَإِنَّهُ عِنْدَنَا غَيْبٌ .
[سَرَقَةُ شَعْرَ رُوْبَةٍ]

أَخْبَرَنِي ابْنُ دُرَيْدٍ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمَخْزُومِيِّ ، قَالَ :
قَالَ رُوْبَةُ : كَلَّمَا قُلْتُ شَعْرًا سَرَقَهُ ذُو الرُّمَّةِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
حَيُّ الشَّهِيقِ مَيَّتُ الْأَنْفَاسِ

فَقَالَ هُوَ² :

[من الرجز]

1 لم أجِد في الديوان : لم يكِد .

2 ديوانه : 482 .

يَطْرَحَنَّ بِالْمَهَامَةِ الْأَغْفَالِ كُلَّ جَهِيضٍ لَيْقِيَ السَّرْبَالِ¹

حَيَّ الشَّهِيْقَ مَيِّتِ الْأَوْصَالِ

فقلت له : فقلوه والله أجودُ من قولك ، وإن كان سرقة منك ، فقال : ذلك أغمٌ لي .

[منزله من الراعي]

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبة قال : قيل لذي الرُّمَّة : إنما أنت راوية الراعي . فقال : أما والله لئن قيل ذاك ما مثلي ومثله إلا شابٌ صَحِبَ شيخاً ، فسلك به طرقاً ثم فارقه ، فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط .

[ضعفه في الهجاء والمدح]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس ، عن الخراز عن المدائني ، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال : إنما وضع من ذي الرُّمَّة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح ، وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال² :

رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ : اَنْتَجِعِي بِلَالاً
فَلَمَّا أَنْشَدَهُ قَالَ لَهُ : أَوْلَمْ يَنْتَجِعْنِي غَيْرَ صَيْدَحَ ؟ يَا غَلَامَ ، أَعْطَهُ حَبْلٌ قَتَّ لِصَيْدَحَ ،
فَأَخْجَلَهُ .

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام قال : حدثني أبو الغرَّاف قال : عاب الحكم بن عوانة الكلبيُّ ذا الرُّمَّة في بعض قوله فقال فيه³ :

فَلَوْ كُنْتُ مِنْ كَلْبٍ صَمِيماً هَجَوْتُكُمْ جَمِيعاً وَلَكِنْ لَا إِخَالُكَ مِنْ كَلْبٍ⁴
وَلَكِنَّمَا أُخْبِرْتُ أَنَّكَ مُلْصَقٌ كَمَا الصَّقْتُ مِنْ غَيْرِهَا ثُلْمَةُ الْقَعْبِ⁵
تَذْهَدِي فَخَرْتُ ثُلْمَةً مِنْ صَمِيمِهِ فَكَيْفَ بِأُخْرَى بِالْغِرَاءِ وَبِالشَّعْبِ⁶
أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام قال : وحدثني أبو الغرَّاف قال : دخل ذو الرُّمَّة على بلال بن أبي بردة ، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً ، فأنشده بلال أبيات حاتم طيء

1 الأغفال : التي ليس بها علامات يهتدى بها . الجهيُض : الوليد لغير تمام . ولثق : مبتل . والسربال : جلده .

2 ديوانه : 442 .

3 ديوانه : 53 .

4 هجوتكم في الديوان : هجوتها .

5 الديوان : ولكنني خبَّرت . . .

6 فكيف بأخرى في ل والديوان : فلز بأخرى .

قال¹ :

[من الطويل]

لحَا اللهُ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهُهُ مِنْ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
يَرَى الْخِمْسَ تَعْذِيًّا وَإِنْ نَالَ شَبْعَةً يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ مُبْهَمًا

[أبو عمرو بن العلاء يحكم في شرح حاتم]

هكذا أنشد بلال ، فقال ذو الرمة : يرى الخَمْسَ تعذياً ، وإنما الخَمْسُ للإبل ، وإنما هو خَمَصُ البطن ، فمحك بلال ، وكان مَحْكًا² ، وقال : هكذا أنشدني رواية طييء ، فرد عليه ذو الرمة ، فضحك ؛ ودخل أبو عمرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تنشدهما ؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال : كلا الوجهين جائز ، فقال : أتأخذون عن ذي الرمة ؟ فقال : إنه لفصيح وأنا لنأخذ عنه بتمريض³ . وخرجا من عنده . فقال ذو الرمة لأبي عمرو : والله لولا أنني أعلم أنك حطبت في حبله وملت⁴ مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد إليك اثنان بعده .

[آراء في شعره]

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجراح : حدثني هارون بن محمد الزيات ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل ، قال : قيل لبلال بن جرير : أي شعر ذي الرمة أجود ؟ فقال⁵ :

هل جبل خرّفاء بعدَ اليومِ مرْموم⁶

إنها مدينة الشعر .

حدثنا أبو خليفة ، عن ابن سلام ، قال⁷ : كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يروي عنهما ويروي عن الصحابة ؛ وكذلك ذو الرمة ، وهو دونهما ويساويهما في بعض شعره .

[معرفة بالغريب]

أخبرني الجوهري قال : حدثنا ابن شبة ، عن ابن معاوية ، قال : قال حماد الراوية : قديم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه ؛ فغم ذلك كثيرا من أهل

1 انظر الخبر والبيتين في طبقات ابن سلام : 569 .

2 محك : يتمادى في اللجاجة .

3 تمريض الشيء : توهينه .

4 المثل «يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 .

5 ديوانه : 569 .

6 عجز البيت : أم هل لها آخر الدهر تكليم . وفي الديوان : بعد الهجر .

7 طبقات ابن سلام : 550 .

المدينة ، فصنعوا له أبياتاً وهي :
 رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها من الدهر يدري كيف خَلَقُ الأباغرِ
 فقال : شطايَا مَعَ ظبايا أَلَا لَنَا وَأَجْفَلُ إِجْفَالِ الظَّالِمِ المبادِرِ
 فقلت له : لا ذَهْلُ مِلْكَيْلِ بعدما مَلَا نَيْفَقُ التُّبَانِ مِنْهُ بعاذِرِ
 قال : فاستعادها مرّتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ما أَحْسَبُ هذا من كلام العرب .

[ذو الرُّمّة والنحوي]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، عن العباس بن ميمون طائع ، قال : حدّثنا أبو عثمان المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، عن عنبسة النحويّ ، قال : قلت لذي الرُّمّة وسيمعته ينشد ويقول¹ : [من الطويل]
 وعَيْنان قال الله كُونا فكانتا فَعُولَيْنِ بالألْبَابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ
 قال : فقلت له : فهلاً قلت : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، كان خيراً لك ؛ أي أنّك أردتَ القدر ، وأراد ذو الرُّمّة كونا فعولين بالألْبَابِ ، وأراد عنبسة : وعينان فَعُولان .

وروى هذا الخبر ابنُ الزّيّات ، عن محمد بن عبادة ، عن الأصمعيّ ، عن العلاء بن أسلم ، فذكر مثله .
 [خطأ ابن شبرمة وخطأ ذي الرُّمّة]

وحكى أنّ إسحاق بن سويد المعارض له قال : وأخبرني الأخفش قال : حدّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدّثني عبد الصمد بن المعدّل قال : حدّثني أبي ، عن أبيه قال : قديم ذو الرُّمّة الكوفة فوقف يُنشد الناس بالكناسة قصيدته الحاثيّة ، حتى أتى على قوله : [من الطويل]

إذا غَيَّرَ النَّائِيُ المُحِبِّينَ لم يَكْدُ رَسِيسُ الهوى مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ يَنْرَحُ
 فناده ابنُ شبرمة : يا غَيِّلان ، أراه قد برح . فشقق² ناقته ، وجعل يتأخّر بها ويفكّر . ثم عاد فأنشد قوله :

إذا غَيَّرَ النَّائِيُ المُحِبِّينَ لم أَجِدْ

قال : فلمّا انصرفت حدّثتُ أبي ، فقال : أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرُّمّة ما أنشد ، وأخطأ ذو الرُّمّة حين غيّر شعره لقول ابن شبرمة ، إنّما هذا مثل قول الله عزّ وجلّ : ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾³ وإنّما معناه لم يرها ولم يكد .

1 ديوانه : 213 .

2 شقق ناقته : رفع رأسها وهو راكبها .

3 سورة النور ، الآية : 40 .

أخبرني الجوهري ، عن ابن شبرمة ، عن يحيى بن نجيم قال : قال رؤية لبلال بن أبي بردة : علام تعطي ذا الرمة ؟ فوالله إنه ليعمد إلى مقطعتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال : والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .
[نقد رجل بالمرد له]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبة : حدثنا إسحاق الموصلي ، عن الأصمعي ، قال : قال رجل : رأيت ذا الرمة بجريد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم ، وعليه برد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعه تجري على لحيته :
ما بال عَيْنِكَ منها الماء يَنْسَكِبُ

فلما انتهى إلى قوله¹ :

تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثْبُ
قُلْتُ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيم ، مَا هَكَذَا قَالَ عَمُّكَ ، قَالَ : وَأَيُّ أَعْمَامِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ قُلْتُ :
الرَاعِي ، قَالَ : وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : قوله² :

[من المتقارب]

وَلَا تُعْجَلِ الْمَرْءَ قَبْلَ الْوُرُو كَ وَهِيَ بِرَكْبَتِهِ أَبْصَرُ³
وَهِيَ إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمَثَلِ السَّفِينَةِ إِذْ تُوقَرُ⁴
وَمُصْنِيَّةٌ خَدَّهَا بِالزِّمَامِ مِ فَالرَّأْسُ مِنْهَا لَهُ أَصْعَرُ⁵
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى طَبَّقَتْ كَمَا طَبَّقَ الْمِسْحَلُ الْأَغْبَرُ⁶

قال : فأرتج عليه ساعة ، ثم قال : إنه نعت ناقة ملك ونعت ناقة سوقية . فخرج منها على رؤوس الناس .

[أخبار خرقاء وتشبيب ذي الرمة بها]

فأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة ؛ فقليل : إنه كان يهواها ، وقيل : بل كاد بها مية ، وقيل : بل كانت كحالة فداوت عينه فشبيب بها .

1 ديوانه : 9 .

2 ديوان الراعي النميري (فاهيرت) : 103 .

3 الشعر والشعراء (445) :

وَلَا تُعْجَلِ الْمَرْءَ قَبْلَ الْبُرُو كَ وَهِيَ بِرَكْبَتِهَا أَبْصَرُ

4 إذ توقر في الديوان والشعر والشعراء : أو أوقر .

5 الشعر والشعراء : وواضعة . . . للزمام .

6 المسحل : الحمار الوحشي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن النوفلي ، عن أبيه : أن زوج مئة أمرها أن تسب ذَا الرُّمَّةَ غيرةً عليها ، فامتنعت ، فتوَعَّدها بالقتل ، فسبَّته فغضب ، وشبَّ بخرقاء العامرية ؛ يَكِيدُ مئةً بذلك ، فما قال فيها إلا قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات .

أخبرني حبيب بن نصر ، عن ابن شبة ، عن العُتبي ، عن هارون بن عتبة قال : شبَّ ذو الرُّمَّةَ بخرقاء العامرية بغير هوى ؛ وإنما كانت كَحَالَةِ فداوت عَيْنَه من رمد كان بها فزال ، فقال لها : ما تحيين حتى أعطيك ؟ فقالت : عشرة أبيات تشبَّب بي ؛ ليرغبَ الناس في إذا سمعوا أن في بقية للتشبيب ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلام ، قال : كان ذو الرُّمَّةَ شبَّ بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة ، وكانت تحلُّ فلجاً ، ويمرُّ بها الحاج ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم ، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ، فحدثني مَنْ رآها ، فلم تكن فاطمة مثلاً ، وكانت تقول : أنا منسكٌ من مناسك الحج ؛ لقول ذي الرُّمَّةَ فيها¹ : [من الوافر]

تمامُ الحجِّ أنْ تَقِفَ المطايا على خرقاء واضِعة اللثام

قال ابن سلام في خبره : وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْفِ العقيليِّ تسأله أن يشبب بها فقال : [من الطويل]

صوت

لقد أرسلتُ خرقاءَ نحوي جريها لتجعَلني خرقاءَ فيمن أضلت²
وخرقاء لا تزداذ إلا ملاحه ولو عُمِرتُ تعميرَ نوحٍ وجلت³

حدثني حبيب بن نصر ، عن الزبير ، عن موهوب بن رشيد ، عمَّن حدثه ، قال : نزل ركب بأبي خرقاء العامرية ، فأمر لهم بلين فسقوه ، وقصّر عن شاب منهم ، فأعطته خرقاء صَبوحَهَا وهي لا تعرفه ، فشربه ، ومضوا فركبوا . فقال لها أبوها : أتعرفين الرجل الذي سقيته صَبوحَكَ ؟ قالت : لا والله ؛ قال : هو ذو الرُّمَّةَ القاتل فيكُ الأقاويل . فوضعت يدها على رأسها ، وقالت : واسوأته وأبوساه ! ودخلت بيتها ، فما رآها أبوها ثلاثاً .

حدثني إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قتيبة قال : قال الضبيّ : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حجَّجتُ ، فقال لي يوماً : هل لك إلى أن أُورِكَ خرقاء صاحبة ذي الرُّمَّةَ ؟

1 ديوانه : 673 .

2 جريها : رسولها . أضلت : فنتت .

3 جلَّ الرجل : كبر واحتنك وأسن .

فقلت : إن فعلتَ فقد بررت . فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعَدَل بي عن الطريق قَدَر ميل ، ثم أتينا أبياتَ شعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت امرأةٌ طويلةٌ حسنةٌ بها قوَّة ، فسَلَّمْتُ وجلستُ ، فتحدَّثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججتَ قط ؟ قلت : غير مرَّة . قالت : فما منعك من زيارتي ؟ أما علمتَ أنَّي منسكٌ من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعتَ قول ذي الرمة :

تمامُ الحجِّ أن تَقِفَ المطايا على خرقاءَ واضعةَ اللثامِ

أخبرني وكيع ، عن أبي أيوب المدائني عن مصعب الزبيري ، قال : شَبَّ ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة .

قال هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم ، عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه قال : رأيتُ خرقاءَ بالبصرةَ وقد ذهبت أسنانها ، وإنَّ في ديباجة وجهها لبقية ، فقلت : أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة ، فقالت : اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدَّة جوارٍ على بعض المياه ، فقال : أسفرن ، فسفرن غيري ، فقال : لكن لم تُسفرن لأفضحك ، فسفرت ، فلم يزل يقول حتى أزيد ، ثم لم أره بعد ذلك .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزبير بن بكار قال : حدَّثني موهوب بن رشيد ، قال : حدَّثني جدِّي ، قال : كنت مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه ، وقصر اللبن عن شاب منهم ، فأمرت له خرقاء بغبوقها ، فلما أن رَحَلَ عنهم الركب قال لها أبوها : يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غبوقك اليوم ؟ قالت : لا والله ما أعرفه ، قال : ذاك ذو الرمة ، فوضعت يدها على رأسها وقالت : واسوأته ! ودخلت خدرها .

قال الزبير : وحدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي ، قال : حدَّثنا أبو الشَّيْبَل المدي قال : كانت خرقاء البكائية أصبحَ من القَبَس ، وبقيت بقاءً طويلاً حتى شَبَّ بها القُحَيْف العقيلي . أخبرنا أبو الحسن الأسدي ، عن أحمد بن سليمان ، عن أبي شَيْخ ، عن أبيه ، عن علي بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخِي زُفَر بن الهذيل ، قال : خرجتُ أريدُ الحجَّ ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء ، فأتيتهَا ، فإذا امرأةٌ جَزَلَة ، عندها سَمَاطَانٌ¹ من الأعراب تحدُّثهم وتُناشدهم . فسَلَّمْتُ فردَّتْ ، ونسبتني ، فانتسبتُ لها وهي تُنزلني ، حتى انتسبت إلى أبي ، فقالت : حسيك أكرمتَ ما شئت ، ما اسمك ؟ قلت : صباح ، وأبو مَنْ ؟ قلت : أبو المغلس ، قالت : أخذت أول الليل وآخره ، قال : فما كان لي هِمَّةٌ إلَّا الذَّهاب عنها .

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح : حدّثني محمد بن الحجاج الأسديّ التميميّ ، وما رأيتُ تميميّاً أعلم منه ، قال : حججْتُ فلماً صرت بمرّان منصرفاً ، فإذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غُنيّمات له فجثته فاستنشدته ، فقال لي : إليك عني ، فإنّي مشغول عنك . وألححتُ عليه فقال : أرشدك إلى بعض ما تحبّ ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلْقَاكَ فإن فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرُّمّة ؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد ، فقالت : ادنّه ! فدنوت ، فقالت : إنك لحضريّ ، فمن أنت ؟ قلت : من بني تميم ، وأنا أحسب أنّها لا معرفة لها بالنّاس ، قالت : من أيّ تميم ، فأعلمتها ، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي ، فقالت : الحجاجُ بن عمير بن يزيد ؟ قلت : نعم ، قالت : رحم الله أبا المثنّى ! قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد ، قلت : نعم ، فعاجلته المنية شاباً . قالت : حيّاك الله يا بنيّ وقربك ، من أين أقبلت ؟ قلتُ : من الحجّ . قالت : فما لك لم تمرّ بي وأنا أحدُ مناسك الحجّ ؟ إنّ حجّك ناقص ، فأقم حتى تحجّ أو تكفر بعقّ . قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعتَ قول غيلان عمك :

تمامُ الحجّ أن تقفَ المطايا على خرّقاء واضعةً اللثام

قال : وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنّها قائمةٌ من طولها ، يَبْضَاءُ شهلاء ، فخمة الوجه . قال : فسألْتُها عن سنّها ، فقالت : لا أدري إلّا أنّي كنتُ أذكر شَميرَ بن ذي الجَوْشَن حين قتل الحسين عليه السلام ، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسّمها في قومه ؛ قالت : وكان أبي قد أدرك الجاهليّة وحمل فيها حمالات . قال : ولما أنشدتني خرقاء بيتَ ذي الرُّمّة فيها قلت : هيهات يا عمّة ، قد ذهب ذلك منك ، قالت : لا تقل يا بنيّ ، أما سمعتَ قولَ قُحَيْفٍ في :

وخرّقاء لا تزدادُ إلّا ملاحّةً ولو عُمرتَ تعميرَ نوح وجلّت

ثم قالت : رحم الله ذا الرُّمّة ؛ فقد كان رقيقَ البشرة ، عَذْبَ المنطق ، حَسَنَ الوصف ، مُقَارِبَ الرّصف ، عفيف الطّرف ، فقلت لها : لقد أحسنت الوصف ، فقالت : هيهات أن يدركه وصفٌ ، رحمه الله ، ورحم من سَمّاه اسمه . فقلت : ومن سَمّاه ؟ قالت : سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عبدة بن نعيم ، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرُّمّة :

لقد أصبحتُ في فرعيّ مَعَدٍّ مكانَ النّجم في فلك السماء
إذا ذكرت محاسنهُ تدرّت بحارُ الجود من نحو السماء
حُصَيْنٌ شادَ باسمك غيرَ شكٍّ فأنتَ غيثٌ محلٌّ بالفناء

إِذَا ضُنْتُ سَحَابَةً مَاءٍ مُزْنٍ تَشْجُ بِحَارُ جُودِكَ بَارْتَوَاءِ
لَقَدْ نَضِرْتُ بِاسْمِكَ أَرْضُ قَحْطٍ كَمَا مُطِرَتْ عَدِيٌّ بِالْثَرَاءِ
فقلت : أحسنت يا خرقاء ، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة ؟ قالت : إي وربّي . قلت :
فماذا قال ؟ قالت : قال : شكر الله لك يا خرقاء نعمة ربّي شكرها من ذكرها . فقالت :
أثقلنا حقها ، ثم قالت : اللهم غفراً ، هذا في اللفظ ، ونحتاج إلى العمل .
أخبرني جحظة ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كناسة ، عن خيثم بن حجة
العجليّ ، قال : حدّثني رجل من بني النجار ، قال : خرجت أمشي في ناحية البادية ، فمررت
على فتاة قائمة على باب بيت فقمّت أكلّمها فنادتني عجوز من ناحية الخباء : ما يقيمك على
هذا الغزال النجديّ ؟ فوالله ما تنالُ خيراً منه ولا ينفعك . قال : وتقول هي : دعيه يا أمّاه يكن
كما قال ذو الرمة¹ :

وإن لم يكن إلّا مُعرّسُ ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قليلاً
فسألتُ عنهما ، فقليل لي : العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بنتها .

[وفاة ذي الرمة]

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله أربعون سنة . وقد اختلفت الرواة في
سبب وفاته .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السكريّ ، عن يعقوب بن السكيت :
أنّه بلغ أربعين سنة ، وفيها توفي ، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ، ودفن بخزوى ، وهي
الرملة التي كان يذكرها في شعره .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدّثني ابن أبي عديّ قال : قال ذو الرمة :
بلغت نصف الهرم وأنا ابن أربعين سنة .

قال ابن سلام : وحدّثني أبو الغراف أنّه مات وهو يريد هشاماً ، وقال في طريقه في
ذلك² :

بلاذٌ بها أهْلونَ لستُ ابنُ أهلها وأخرى بها أهْلونَ ليس بها أهلٌ
وقال هارون بن محمد بن عبد الملك : حدّثني القاسم بن محمد الأسديّ ، قال : حدّثني
جبر بن رباط قال : أنشد ذو الرمة الناس شعراً له ، وصف فيه الفلاة بالثعلبية³ ؛ فقال له

1 ديوان ذي الرمة : 550 وفيه : ... إلا تعلل ساعة .

2 ديوانه : 458 ورواية البيت فيه :

بلاد بها أهْلونَ ليسوا بأهلها وأخرى من البلدان ليس بها أهل

3 الثعلبية : منازل على طريق مكة .

حَلْبَسُ الْأَسَدِيِّ : إِنَّكَ لَتَنْتَعُ الْفَلَاةُ نَعْتًا لَا تَكُونُ مَنِيتُكَ إِلَّا بِهَا .

قال : وصدر ذو الرُّمَّة على أحد جَفَرَي بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة ، فلمَّا أشرف على البصرة قال¹ :

وَأَنِّي لَعَالِيهَا وَأَنِّي لَخَائِفٌ لِّمَا قَالَ يَوْمَ الثَّعَلِيَّةِ حَلْبَسُ
قال : ويقال إن هذا آخر شعر قاله . فلمَّا توسَّط الفلانة نزل عن راحلته فنفرت منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابه وطعامه ، فلمَّا دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنَّه قال عند ذلك² :

أَلَا أَبْلُغُ الْفَتِيانَ عَنِّي رِسَالَةً أَهَيْنُوا الْمَطَايَا هُنَّ أَهْلُ هَوَانٍ
فَقَدْ تَرَكْتَنِي صَيِّدَحٌ بِمَضْلَةٍ لِسَانِي مُلْتَاثٌ مِّنَ الطَّلَوَانِ³
قال هارون : وأخبرني أحمد بن محمد الكلبي بهذه القصَّة ، وذكر أنَّ ناقته وردت على أهله في مياهم ، فركبها أخوه ، وقصَّ أثره ، حتى وجده ميتًا وعليه خِلْعُ الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن الرِّياشي ، عن الأصمعي ، عن أبي الوَجِيه ، قال : دخلتُ على ذي الرُّمَّة وهو يجود بنفسه ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أَجِدُّنِي وَاللَّهِ أَجْدُ مَا لَا أَجْدُ أَيَّامَ أَزْعَمُ أَنِّي أَجْدُ مَا لَمْ أَجْدُ حَيْثُ أَقُولُ⁴ :

كَأَنِّي غَدَاةُ الزُّرْقِ يَا مَيِّ مُدْنَفٌ يَجُودُ بِنَفْسٍ قَدْ أَحْمَ حِمَامُهَا⁵
حِذَارَ اجْتِذَامِ الْبَيْنِ أَقْرَانَ نِيَّةٍ مُّصَابٌ وَلَوْعَاتُ الْفَوَادِ انْجِذَامُهَا⁶
قال : وكان آخر ما قاله⁷ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي

1 ديوانه : 668 .

2 ديوانه : 675 .

3 الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

4 ديوانه : 637 .

5 الديوان : أجم حمامها .

6 الديوان :

حذار اجتذام البين أقران طية مصيب لوقرات الفؤاد انجذامها

الطية : النية ؛ والأقران : الحبال ؛ والوقر : الكسر ؛ وانجذامها : انقطاعها .

7 ديوانه : 667 .

يا مُخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا اخْتَضِرْتَ وفارَجَ الْكَرْبِ زَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ
قال أبو الوجيه : وكانت مَينَتُهُ هذه في الجُدْرِيّ ، وفي ذلك يقول¹ : [من الطويل]

أَلَمْ يَأْتِهَا أَنِّي تَلَبَّسْتُ بَعْدَهَا مُفَوِّقَةً صَوَاغُهَا غَيْرُ أُخْرَقِ

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدّثني عبد الوهّاب بن إبراهيم الأزديّ ، قال : حدّثني جَهْمُ بن مَسْعُودَ ، قال : حدّثني محمد بن الحجاج الأسديّ ، عن أبيه ، قال : وردت حَجْرًا وذو الرُّمَّةَ به ، فاشتكى شكايته التي كانت منها مَينَتُهُ ، وكرهتُ أن أُخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته ، وكنت أتعهدّه ، وأعوده في اليوم واليومين ؛ فأتيته يوماً وقد ثَقُلَ ، فقلت : يا غيلان ، كيف تَجِدُكَ ؟ فقال : أجدني والله يا أبا المثنى اليوم في الموت ، لا غداة أقول : [من الطويل]

كَأَنِّي غَدَاةَ الزُّرْقِ يَا مَيَّ مَدَنَفٌ يَكِيدُ بِنَفْسٍ قَدْ أَحْمَ حِمَامُهَا

فأنا والله الغداة في ذلك ، لا تلك الغداة .

قال هارون بن الزيات : حدّثني موسى بن عيسى الجعفريّ ، قال : أخبرني أبي قال : أخبرني رجل من بني تميم ، قال : كانت ميتة ذي الرُّمَّةَ أَنَّهُ اشْتَكَى النَّوْطَةَ² فَوَجَّعَهَا دَهْرًا ، فقال في ذلك³ :

أَلْفَتْ كَلَابَ الْحَيِّ حَتَّى عَرَفْتَنِي وَمُدَّتْ نِسَاجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي⁴

قال : ثم قال لمسعود أخيه : يا مسعود ، قد أجدني تماثلتُ وخَفَّتْ الأشياءُ عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال : نعم ، فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوّد ، وواعده مكاناً ، وركب ذو الرُّمَّةَ ناقته فَمَقَمَصَتْ به ، وكانت قد أُعْفِيت من الركوب ، وانفجرت النَّوْطَةُ التي كانت به . قال : وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً ، وإنَّ العَلَّةَ التي كانت بي انفجرت . فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا عليه ، ودفن برأس حُزْوَى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيات ، عن محمد بن عليّ بن المغيرة ، عن أبيه : عن أبي عبيدة ، عن المتجع بن نيهان قال : لما احتضِرَ ذو الرُّمَّةَ قال : إني لست مُنَّ يدفن في الغموض والوهاد . قالوا : فكيف نصنع بك ونحن في

1 ديوانه : 670 .

2 النوطة : ورم في الصدر أو غدة في البطن .

3 ديوانه : 491 .

4 الديوان : أتنني كلاب ومدت نسوج

رمال الدهناء ؟ قال : فأين أنتم من كُثبان حُزوى ؟ ، قال : وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ، قالوا : فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدرُ والأعوادُ ؟ قال : فصلينا عليه في بطن الماء ، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكباش ، وهي أقوى على الصمود في الرمل من الإبل . فجعلوا قبره هناك وزبروه¹ بذلك الشجر والمدر ، ودلوه في قبره ، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء ، وأنت بالدو على مسيرة ثلاث .

قال هارون : وحدّثني محمد بن صالح العدويّ ، قال : ذكر أبو عمرو المراديّ : إن قبر ذي الرُّمة بأطراف عناق من وسط الدهناء مقابل الأواعس ، وهي أجبل شوارع يقابلن الصريمة ، صريمة النعام ، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرّباب .

قال هارون : وحدّثني هارون بن مسلم ، عن الزّيايديّ ، عن العلاء بن بُرد ، قال : ما كان شيء أحبّ إلى ذي الرُّمة إذا ورد ماء من أن يطوي ولا يسقي ، فأخبرني مخبر أنه مرّ بالجفر وقد جهّده العطش ، قال : فسمعتة يقول :

يا مخرجَ الرّوح من جسّمي إذا احتضرتُ وفسارجَ الكرْب زخِرحني عن النّارِ

ثم قضى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، عن عيسى بن عمر ، قال : كان ذو الرُّمة ينشد الشعر ، فإذا فرغ قال : واللّهِ لأكسعنك بشيء ليس في حسابك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

أخبرني الحسن بن عليّ ، ووَكيع ، عن أبي أيّوب ، قال : حدّثني أبو معاوية الغلابيّ ، قال : كان ذو الرُّمة حسن الصلاة ، حسن الخشوع ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع .

[رثاء مسعود له]

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال : حدّثني عبد الرحمن ، عن عمّه ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كان مسعود أخو ذي الرُّمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً ، وقد بلغ قريباً من منزلي : أنا الذي أقول في أخي ذي الرُّمة :

[من الطويل]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني وليلي كلانا مَوْجَع مات وافدة

فقلتُ له : مَنْ ليلى ؟ فقال : بنت أخي ذي الرُّمة .

[375] - ذكر خبر إبراهيم

[في هذه الأصوات الماخورية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة ، عن إسحاق الموصلي ، عن أبيه ، قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً ، فَعَسَرَ ذلك عليّ ، فأريت في المنام كأن رجلاً لقيني ، فقال لي : يا إبراهيم ، أوقد أعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعَجِّبُ به ؟ قلت : نعم . قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة¹ :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطرُ

قال : فاتبعتُ فرحاً بالشعر ؛ فدعوت مَنْ ضرب عليّ فغنيته ، فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلمّا عملت هذا الغناء في شعر ذي الرُّمَّة نُبّهت عليه وعلى شعره ، فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها² :

أَمْتَرَلْتِي مَيِّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا هل الأزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ !

وغيّيت بها الهادي فاستحسنها ، وكاد يطير فرحاً ، وأمر لي لكلّ صوت بألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

ألا يا اسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطرُ

ولم تكني غير شامٍ بفقرة تجرُّ بها الأذيالَ صَفِيَّةٌ كُدُرُ³

عروضه من الطويل . وقوله : يا اسلمي ها هنا نداء ؛ كأنّه قال : يا دارَ ميٍّ اسلمي ، ويا هذه اسلمي ، يدعو لها بالسلامة . ومثله قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فسره أهلُ اللغة هكذا ، كأنّه قال : يا قوم اسجدوا لله . وميّ ترخيم ميةٌ إلّا أنّه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرْحَمْ فنوّته . وقوله : على البلى ، أي اسلمي وإن كنتِ قد بليت . والمنهلُ : الجاري ، يقال : اتَّهَلَ المطرُ انهلالاً ، إذا سال . والجرعاء والأجرع من

1 ديوانه : 206 .

2 ديوانه : 332 .

3 شام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض .

الرمل : الكثير الممتد . والشام : موضع يخالف لون الأرض ، وهو جمع ، واحدته شامة .
والقفر : ما لم يكن فيه نبات ولا ماء ، تجرّ بها الأذيال صفيّة يعني الرياح الصفيّة الحارة .
وأذيالها : مآخيزها التي تُسفي التراب على وجه الأرض ، شبهها بذيل المرأة ، وعنى بها أوائلها .
والكدّر : التي فيها الغبرة من القتام والفجاج ؛ فهي تُعفي الآثار وتدفنها . غناه إبراهيم الموصلي
ماخورياً بالوسطى . ومنها :

صوت

أَمَزَلَتْنِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هل الأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ !
وهل يرجعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى ثلاثُ الْأَثَانِي وَالْدِّيارُ الْبَلَّاقِعُ ¹
تَوَهَّمْتُهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لَصَاحِبِي وليس لها إِلَّا الطَّبَاءُ الْخَوَاضِعُ
وَمَوْشِيَّةٌ سَحْمُ الصَّيَاصِي كَانَتْهَا مُجَلَّلَةٌ حَوْءٌ عَلَيْهَا الْبَرَّاقِعُ
عروضه من الطويل . غناه إبراهيم ماخورياً بالوسطى . والأزمن والأزمان جمع زمان .
والعمى : الجهالة . والأثاني الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر ، واحدتها أثقيّة .
والخواضع من الطباء : اللاتي قد طأطأت رؤوسها . والموشية : يعني البقر . والصياصي :
القرون واحدتها صيصية . والمجللة : التي كأن عليها جلالاً سوداً . والحوة : حمرة في سواد .
ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله ² :

صوت

قَفِ الْعَنَسَ نَنْظُرُ نَظْرَةً فِي دِيَارِهَا وهل ذاك من داء الصبابة نافع ! ³
فَقَالَ : أَمَا تَغْشَى لِمِيَّةً مَنْزِلًا من الأرض إِلَّا قُلْتُ : هل أنا رابع ⁴
وَقُلَّ لِأَطْلَالٍ لِمَيِّ تَحِيَّةٌ تُحِيًّا بِهَا أَوْ أَنْ تُرِشَ الْمَدَامِعُ
العنس : الناقة . والرابع : المقيم . وقُلَّ لأطلال ، أي ما أقلّ لهذه الأطلال مما أفعله . وترش
المدامع ، أي تكثر نضحها الدموع . غناه إبراهيم الموصلي ماخورياً .
وذكر ابن الزيات ، عن محمد بن صالح العذري ، عن الحرمازي ، قال : مرّ الفرزدق على ذي
الرؤمة وهو ينشد :

أَمَزَلَتْنِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا

1 الديوان : والرسوم البلاقع .

2 ديوان : 333 .

3 العنس في الديوان : العيس .

4 الديوان : هل أنت رابع .

فلماً فرغ قال له : يا أبا فراس ، كيف ترى ؟ قال : أراك شاعراً . قال : فما أقعدني عن غاية الشعراء ؟ قال : بكاؤك على الدمن ، ووصفك القطا وأبوال الإبل .
[زيارة لمي]

حدثني ابن عمار والجوهري ، وحبيب المهلبي ، عن ابن شبة ، عن إسحاق الموصلي ، عن مسعود بن قند ، قال : تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك : إياي فاسألوا عنه . قال : كان حلو العينين ، حسن النغمة ، إذا حدث لم تسأم حديثه ، وإذا أنشدك بربر وجش صوته ؛ جمعني وإياه مربع مرة ، فقال لي : هيا عصمة ، إن مية من منقر ، ومنقر أحب حيا وأقفاه لأثر ، وأثبتته في نظر ، وأعلمه بشر ، وقد عرفوا آثار إبلي ؛ فهل عندك من ناقة نزار عليها مية ؟ قلت : إي والله عندي الجوذرت بنت يمانية الجدلي . قال : فعلي بها . فأتيتها بها ، فركب وردفته فأتينا محلة مية ، والقوم خلوف والنساء في الرحال ، فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مي ، وأنخنا قريباً وأتيناها ، فجلسنا إليهن ، فقالت ظريفة منهن : أنشدنا يا ذا الرمة . فقال لي : أنشدن يا عصمة . فأنشدت قصيدته التي يقول فيها¹ :

نظرتُ إلى أظعانٍ مَيٍّ كأنها ذُرَا النَّخْلِ أو أثلٌ تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ
فأسبَلتُ العَيْنَانِ وَالْقَلْبُ كَاتِمٌ بِمُغْرُورٍ نَمَتْ عَلَيْهِ سَوَاكِبُهُ²
بكاء فتى خاف الفراقَ ولم تُجَلِّ جَوَائِلُهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ³

قالت الظريفة : فالآن فلتجل ، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله :

وقد حلفتُ بالله مِية ما الذي أَحَدَّثَهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ
إذا فرماني الله من حيثُ لا أرى ولا زال في أرضي عدوُّ أُحَارِبُهُ

فقالت مية : ويحك يا ذا الرمة ! خف الله وعواقبه . ثم أنشدت حتى أتيت على قوله⁴ :

إذا سَرَحْتُ من حبٍّ مَيٍّ سَوَارِحٌ عَلَى الْقَلْبِ أَبَتْهُ جَمِيعاً عَوَازِيُهُ

فقالت الظريفة . قتلتك الله ! فقالت مية : ما أصحَّه وهنيئاً له ! فتنفس ذو الرمة

تنفيساً كاذ حُرَّها يطير بلحيتي ، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله⁵ :

[من الطويل]

1 ديوانه : 39 .

2 الديوان : فأبدت من عيني والصدر كاتم .

3 الديوان : هوى آلف جاء الفراق فلم تجل .

4 لم يرد هذا البيت في القصيدة .

5 ديوانه : 42 .

إذا نازعتك القول ميةً أو بدا لك الوجه منها أو نضا الدرغ ساليبة
فما شئت من خد أسيلٍ ومنطقٍ رحيمٍ ومن خلقٍ تعلل جادبة¹
فقال الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتوزع القول ، فمن لنا بأن ينضو الدرغ سالبه ؟
فقال لها مية : قاتلك الله ! فماذا تأتين به ! فتضاحكت الظريفة وقالت : إن لذين لشأناً فقوموا
بنا عنهما . فقامت وقمن معها ، وقمت فخرجت ، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من
كلاميهما ، فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال . فأتيته
فقلت : انهض بنا فقد ثاب الفوم فودّعها فركب وردفته وانصرفنا . ومنها² : [من الطويل]

صوت

إذا هبت الأرواح من أيّ جانب به أهلٌ ميّ حاج قلبي هبوبها³
هوئى تذرف العنان منه وإنما هوئى كل نفس حيث كان حبيبها
الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهشاميّ .

صوت⁴

[من الكامل]

إنسى تذكرني الزبير حمامة تدعو بمجمع نخلتين هديلا
أفتى الندى وفتى الطعان قتلتم وفتى الرياح إذا تهبّ بليلا⁵
لو كنت حرّاً يا ابن قين مجاشع شيعت ضيفك فرسخاً أو ميلا
وفي أخرى : فرسخين وميلا .

قالت قريش : ما أذلّ مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القليل قتيلا !
الشعر لجريز ، يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزبير بن العوام يوم الجمل ، والغناء
للغريض ثاني ثقل بالنصر عن عمرو .

1 الديوان : فيا لك من خد أسيل ..

2 ديوانه : 66 .

3 الديوان : من نحو جانب حاج شوقي

4 ديوان جريز (صادر) : 364 .

5 الديوان :

[376] - ذكر مقتل الزبير وخبره¹

[بين الزبير وطلحة وعلي]

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة قال : حدثنا المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، عن قتادة قال : سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزاوية² يريد طلحة والزبير وعائشة ، وصاروا من القرصة يريدونه ، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه ، فقبل لعل صلوات الله عليه : هذا الزبير ، فقال : أما والله إنه أحرى الرجلين إن دُكرَ بالله أن يذكره . وخرج طلحة ، وخرج علي عليه السلام إليهما ، فدنا منهما حتى اختلقت أعناق دوابهما ، فقال لهما : لعمري لقد أعددتما خيلاً ورجالاً ، إن كنتما أعددتما عند الله عُذراً فاتقيا الله ولا تكونا ﴿ كَأَنِّي نَقَضْتُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [النحل : 92] ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرّم دماء كما ؟ فهل من حديث أحلّ لكما دمي ؟ فقال له طلحة : ألّبت الناس على عثمان . فقال : يا طلحة ، أتطلبني بدم عثمان ؟ فلعن الله قتلّة عثمان ! يا زبير ، أتذكر يوم مرت مع رسول الله ﷺ وآله في بني غنم ، فنظر إلي وضحك ، وضحك إلي ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوّه ، فقال : مه ليس بمزهو ، ولتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ فقال : اللهم نعم ، ولو دُكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً . وانصرف علي صلوات الله عليه ، إلى أصحابه وقال : أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقتلني .

قال : ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها : ما كنت في موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا ؛ قالت : وما تريد أن تصنع ؟ قال : أدعهم وأذهب . فقال له ابنه عبد الله : أجمعت بين هذين الغارين³ حتى إذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تذهب

1 مقتل الزبير بن العوام في كتب التاريخ كالمسعودي والطبري (حوادث سنة 36) وطبقات ابن سعد 3 : 110-113 وصفة الصفوة 1 : 132 وحلية الأولياء 1 : 89 وتهذيب ابن عساكر 5 : 355 والعقد 4 : 322-325 وخزانة البغداد 4 : 218-220 وأخبار عائكة بنت زيد في الكتب التي تحدثت عن مقتل الزبير وفي الاستيعاب والإصابة وخزانة البغداد 10 : 378-381 والعيني 2 : 278 . وانظر في الحاليين أعلام الزركلي .

2 الزاوية : موضع قرب البصرة .

3 الغار : الجيش الكثير .

وَتَرَكَهُمْ ؟ أَخَشِيتَ رَايَاتِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا تَحْمِلُهَا فِتْنَةُ أَنْجَادٍ ؟ فَأَحْفَظْهُ ، فَقَالَ :
إِنِّي حَلَفْتُ أَلَّا أَقَاتِلَهُ . قَالَ : كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَقَاتِلْهُ . فِدَعَا غَلَامًا لَهُ يُدْعَى مَكْحُولًا فَأَعْتَقَهُ ،
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ التِّيمِيُّ :

لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَنَا إِخْوَانٍ أَعْجَبَ مِنْ مُكْفَرِ الْإِيمَانِ
بِالْعِتْقِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ

وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَائِهِمْ :

يُعْتَقُ مَكْحُولًا لَصَوْنِ دِينِهِ كَفَّارَةً لِلَّهِ عَنْ يَمِينِهِ
وَالنَّكَثُ قَدْ لَاحَ عَلَى جَبِينِهِ

[مقتل الزبير]

حَدَّثَنِي ابْنُ عَمَّارٍ وَالْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ شَبَّةٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النُّوفَلِيِّ عَنْ الْهَذَلِيِّ ، عَنْ
قَتَادَةَ ، قَالَ : وَقَفَ الزُّبَيْرُ عَلَى مَسْجِدِ بَنِي مُجَاشِعٍ فَسَأَلَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَادٍ ، فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ
زِمَامٍ : هُوَ بَوَادِي السَّبَّاحِ فَمَضَى يَرِيدُهُ .

حَدَّثَنِي ابْنُ عَمَّارٍ وَالْجَوْهَرِيُّ ، عَنْ عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ ، عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ ، عَمَّنْ
حَدَّثَهُ عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ النُّعْمَانُ مَعَ الزُّبَيْرِ حَتَّى بَلَغَ النَّجِيبَ ، ثُمَّ رَجَعَ .

قَالَ : وَحَدَّثَنَا عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ ، عَنْ عَوْفٍ ، وَعَنْ أَبِي الْيَقْظَانَ ، قَالَا : مَرَّ
الزُّبَيْرُ بَيْنِي حَمَادٍ فِدَعَاؤُهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ : اكْفُونِي خَيْرَكُمْ وَشَرَّكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا كَفَّوهُ خَيْرَهُمْ
وَشَرَّهُمْ . وَمَضَى ابْنُ قُرْتَنَى إِلَى الْأَحْنَفِ وَهُوَ بَعْرِقُ سُوَيْقَةِ ، فَقَالَ : هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ مَرَّ ؛
فَقَالَ الْأَحْنَفُ : مَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ جَمَعَ بَيْنَ غَارِثَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ
مَرَّ يَرِيدُ أَنْ يُلْحِقَ بِأَهْلِهِ . فَقَامَ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ وَفُضَالَةُ بْنُ حَابِسٍ وَنُفَيْعُ بْنُ كَعْبٍ أَحَدُ
بَنِي عَوْفٍ ، وَيُقَالُ نُفَيْعُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَلَحَقُوهُ بِالْعِرْقِ ، فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عِيَاضٍ ، قَتَلَهُ
عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِيْسَى بْنُ أَبِي مُوسَى الْعِجْلِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَسَنِ
الْعُلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ وَأَبُو عُبَيْدٍ الصَّيْرَفِيُّ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ الْعَطَّارُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْغَفَّارِ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ
مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : ائْتِ الزُّبَيْرَ فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَشَدْتُكَ اللَّهَ ، أَلَسْتَ قَدْ
بَايَعْتَنِي طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ . فَمَا الَّذِي أَحْدَثْتَ فَاسْتَحَلَلْتَ بِهِ قِتَالِي ؟

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ : قُلْ لَهَا : إِنَّ أَخَاكَ يَقْرَأُ عَلَيْكُمَا السَّلَامَ وَيَقُولُ : هَلْ

نَقِشْتُمَا عَلَيَّ جَوْرًا فِي حَكْمٍ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ بَفِيءٍ ؟ فَقَالَا : لَا ، وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ الْخَوْفُ وَشِدَّةُ الطَّمَعِ .

وقال محمد بن خلف في خبره : فقال الزبير : مع الخوف شدة المطامع ؛ فَأَتَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ الزُّبَيْرُ ، فَدَعَا بِالْبَغْلَةِ فَرَكِبَهَا وَرَكِبْتُ مَعَهُ ، فَذَنَوْنَا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا ، فَسَمِعْتُ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، يَقُولُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا زُبَيْرُ ، أَتَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي فُلَانٍ تُعَالَجَنِي وَأُعَالَجُكَ فَمَرَّ بِي ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ تُجِبُهُ ! فَقُلْتُ : وَمَا يَمْنَعُنِي ! قَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَيُقَاتِلُنكَ وَهُوَ لَكَ ظَالِمٌ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، ذَكَرْتَنِي مَا نَسِيتُ ، وَوَلَّى رَاجِعًا . وَنَادَى مُنَادِي عَلِيٌّ : أَلَا لَا تَقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَسْتَشْهِدُوا مِنْكُمْ رَجُلًا . فَمَا لَبِثْتُ أَنْ أَتَيْتُ بِرَجُلٍ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ اشْهَد ، اللَّهُمَّ اشْهَد ، اللَّهُمَّ اشْهَد . وَأَمَرَ النَّاسَ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ الصَّرَّاحَ فَصَرَخُوا : لَا تُذَفُّوْا¹ عَلَى جَرِيحٍ وَلَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أُسِيرًا .

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَيُّوبَ الْمَخْزُومِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرْمِيٍّ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَالَ : كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْبَابِ ، قَالَ : لِيَدْخُلَنَّ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةِ النَّارِ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ» .

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَجَرْمِيٌّ ، عَنْ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ عَمْرًا أَوْ عُومِرَ بْنَ جُرْمُوزٍ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ أَتَى مُصْنَعًا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، فَقَذَفَهُ فِي السَّجَنِ ، وَكُتِبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ : بِئْسَ مَا صَنَعْتَ ، أَظَنَنْتَ أَنِّي أَقْتُلُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِالزُّبَيْرِ ! خَلِّ سَبِيلَهُ ، فَخَلَّاهُ .

[عاتكة ترثي الزبير]

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالْجَرْمِيُّ ، عَنْ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ : قُتِلَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً أَوْ سِتِّينَ سَنَةً ، فَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ تَرْتِيهِ : [مِنْ الْكَامِلِ]

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ²

1 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

2 البهمة : الشجاع . والمعرود : الهارب المحجم عن قرنه .

يا عمرو لو نَبَهْتَهُ لوجدته لا طائشاً رَعَشَ اللسان ولا اليد¹
 شَلْتُ يمينك إن قتلْتَ مُسْلِمًا حَلَّتْ عليك عقوبةُ المُسْتَشْهِدِ²
 إنَّ الزُّبَيْرَ لَذُو بلاءٍ صادقٍ سَمَحَ سَجِيَّتَهُ كَرِيمُ المُشْهِدِ
 كم غمرة قد خاضها لم يَنْتَه عنها طرادك يا ابنَ فَقْعِ القَرَدِ³
 فاذهب فما ظَفَرْتُ يداكَ بمثله فيمن مضى مِمَّن يروحُ وَيَعْتَدِي
 وكانت عاتكة قبل الزُّبَيْرِ عند عُمرَ ، وقبل عُمرَ عند عبد الله بن أبي بكر .

[أزواج عاتكة]

أخبرني بخبرها محمد بن خَلَفٍ وكيع ، عن أحمد بن عمرو بن بكر ، قال : حَدَّثَنَا أَبِي
 قال : حَدَّثَنَا الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ ، عن مُحَمَّد بن عمرو ، عن أَبِي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن وأخبرنا
 وكيع ، قال : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بن مَجْمَع عن المدائني .
 وأخبرني الطوسي والحريري ، قالوا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْر ، عن عمه ، عن أبيه ، وأخبرني اليزيدي ،
 عن الخليل بن أسد ، عن عمرو بن سعيد ، عن الوليد بن هشام بن يحيى الغَسَّانِي .
 وأخبرني الجوهري ، عن ابن شَبَّة ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن موسى الهُذَلِي ، وكل واحد
 منهم يزيد في الرواية وَيَنْقُصُ منها ، وقد جَمَعْتُ رواياتهم قالوا : تزوجَ عبدُ الله بن أبي بكر
 الصَّدِّيقَ عاتكة بنتَ زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وكانت امرأة لها جمالٌ وكالٌ وتَمَامٌ في عقلها
 ومنظرها وجزالة رأيها ؛ وكانت قد غلبته على رأيه . فمرَّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلْيَةٍ
 يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجّه إلى الجمعة ؛ ثم رجع وهو يُناغيها ، فقال : يا عبد الله
 أَجْمَعْتَ⁴ ؟ قال : أَوْصَلَى النَّاسَ ؟ قال : نعم ، قال : وقد كانت شغلته عن سُوقٍ وتجارة كان
 فيها ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتكَ عن فرائض
 الصلاة ! طَلَّقْهَا ، فطَلَّقَهَا تطليقة ، وتحوّلت إلى ناحية ؛ فَبَيْنَا أبو بكر يصلي على سطح له في
 الليل إذ سَمِعَهُ وهو يقول :

[من الطويل]

أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا نَاحَ قُمْرِي الْحَمَامِ الْمُطَوَّقُ
 أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَدَيْكَ بِمَا تُخْفِي النُّفُوسُ مُعْلَقُ

1 الطبقات والخزانة : رعرش الجنان .

2 الطبقات والخزانة : عقوب التعمد .

3 الفقع : الكمأة ، والقردد : المكان المستوي . وفي المثل : أذل من فقع القرد .

4 أَجْمَعْتَ : أصليت الجمعة .

لَهَا خُلُقٌ جَزَلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْطِقٌ¹ وَخُلُقٌ مَصُونٌ فِي حَيَاءٍ وَمَصْدَقٌ¹
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ تُطَلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقَّ له ، فقال : يا عبد الله ، راجع عاتكة ، فقال :
أشهدك أنني قد راجعتها . وأشرف على غلام له يقال له أَيْمَن ، فقال له : يا أَيْمَن ، أنت حرٌّ
لوجه الله تعالى ، أشهدك أنني قد راجعت عاتكة ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو
يقول :

أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتَ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ وَرُوجِعْتَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ
كَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ غَادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايُنٌ
وَمَا زَالَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِرًا وَقَلْبِي لَمَّا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنٌ
لِيَهْنِكُ أَنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَخَطَةً وَأَتَكَ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
فَإِنَّكَ مِمَّنْ زَيْنَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ لَوَجْهِ زَانِهِ اللَّهُ شَائِنٌ

قال : وأعطاهَا حَديقَةً له حين راجعها على أَلَّا تَتَزَوَّجَ بعده ، فلمَّا مات من السهم الذي
أصابه بالطائف ، أنشأت تقول :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شُرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرَّيْحَ أَحْمَرَا²
فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أُيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنَوَّرَا

فخطبها عمر بن الخطاب ، فقالت : قد كان أعطاني حَديقَةً على أَلَّا أَتَزَوَّجَ بعده ، قال :
فاستفتني ، فاستفتني علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : رُدِّي الحَديقَةَ على أهله
وتزوّجي . فتزوّجت عمر فسرح عمر إلى عِدَّة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم علي بن
أبي طالب صلوات الله عليه ، يعني دعاهم ، لما بنى بها ، فقال له علي : إن لي إلى عاتكة حاجة
أريد أن أذكرها بإياها ، فقل لها تَسْتِيرِ حَتَّى أَكَلِمَهَا ؛ فقال لها عمر : اسْتِيرِي يَا عَاتِكَةُ فَإِنَّ ابْنَ
أَبِي طَالِبٍ يَرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَكَ ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهَا مِرْطَهَا³ فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا إِلَّا مَا بَدَأَ مِنْ بَرَاكِهَا⁴ ،

1 الخزانة : لَهَا خُلُقٌ جَزَلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصَبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاةِ وَمَصْدَقٌ

2 الرِّيحُ فِي ل : الْمَوْتُ أَحْمَرَا .

3 المرط : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَز .

4 البراجم : مَفَاصِلُ الْأَصْبَاعِ أَوْ رُؤُوسُ السَّلَامِيَّاتِ .

فقال يا عاتكة :

[من الطويل]

فأقسمتُ لا تنفكُ عيني سخيئةً عليك ولا ينفكُ جلدي أغبراً
فقال له عمر : ما أردتُ إلى هذا ؟ فقال : وما أردتُ إلى أن تقول ما لا تفعل ؛ وقد قال الله
تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾¹ وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن
يخرج . فقال عمر : ما حسنَ الله فهو حسنٌ ، فلما قُتِلَ عمر ، قالت ترثيه : [من الخفيف]

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيبٍ لا تملي على الإمام النحيبِ
فجعتنا المنون بالفارسِ المعُدِّ لَمْ يَوْمَ الهِجَابِ والتَّليِبِ
عِصْمَةِ اللَّهِ والمُعِينِ على الدَّهْرِ رِ غِيَاثِ المُنْتَابِ والمُخْرُوبِ
قُلْ لَأَهْلِ الضَّرَاءِ والبُؤْسِ مَوْتُوا قَدْ سَقَتَهُ المُنُونُ كَأْسَ شُعُوبِ

[من الكامل]

وقالت ترثيه أيضاً :

صوت

مُبِيعُ الرُّقَادِ فعَادَ عَيْنِي عِيدُ مِمَّا تَضَمَّنَ قَلْبِي المَعْمُودُ²
يا ليلةً حُبِسْتُ على نُجُومِهَا فَسَهَرْتُهَا والشَّامِتُونَ هُجُودُ
قد كان يُسَهِّرُنِي جِذَارُكَ مَرَّةً فاليومَ حَقٌّ لِعَيْنِي التَّسْهِيدُ
أُبْكِي أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ لِلزَّائِرِينَ صَفَائِحُ وَصَعِيدُ

غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي .

فلما انقضت عِدَّتُهَا خطبها الزبير بن العوام فتزوجها ، فلما ملكها قال : يا عاتكة ، لا
تخرجي إلى المسجد ، وكانت امرأة عجزاء بادنة . فقالت : يا ابن العوام ، أتريد أن أدع
لغيرتك مصلتي مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فيه ؟ قال : فإني لا أمنعك . فلما
سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها في سقيفة بني ساعدة ، فلما مرت به ضرب
بيده على عجزيتها ، فقالت : ما لك قطع الله يدك ! ورجعت . فلما رجع من المسجد قال : يا
عاتكة ، ما لي لم أرك في مصلاك ؟ قالت : يرحمك الله أبا عبد الله ، فسَدَ الناسُ بعدَكَ ، الصلاة
اليوم في القبطون³ أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضلُ منها في الحجرة . فلما قُتِلَ عنها
الزبير بوادي السباع رثته فقالت :

[من الكامل]

1 سورة الصف ، الآية : 3 .

2 العيد : ما يعتاد من مرض أو حزن .

3 القبطون : المخدع .

عَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعِشَ اللِّسَانُ وَلَا الْيَدِ
هَيْلَتِكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ¹

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فكانت أول من رفع خده من التراب ، صلى الله عليه وآله ، ولعن قاتله والراضي به يوم قتل ، وقالت ترثيه :

وَحُسَيْنًا فَلَا نَسِيتُ حُسَيْنًا أَقْصَدْتَهُ أَسِنَّةُ الْأَعْدَاءِ
غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحًا جَادَتِ الْمَرْنُ فِي ذَرَى كَرْبَلَاءِ

ثم تأيمت بعده ، فكان عبد الله بن عمر يقول : من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة . ويقال : إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه ، وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الخليل بن أسد قال : حدثني العمري قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن القاسم بن محمد قال : لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجهم إليهم ، فقال : من يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج : هذا سهمي وأنا بريته ، وأنا رشتي ، وأنا عقبته ، وأنا رميت به يوم الطائف . فقال أبو بكر : فهذا السهم الذي قتل عبد الله ، والحمد لله الذي أكرمه بيديك ، ولم يهنك بيده .

[غناء طويس في شعر عاتكة]

أخبرني اليزيدي ، عن الزبير ، عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير ، قال : لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد ، خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت له : إني لأضن بك على القتل يا ابن عم رسول الله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام قال : حدثني أبي قال : بينا فتية من قريش يبطن محسراً يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي² وحبرة قد ارتدى بها ، وهو يخطر في مشيته ، فسلم ثم جلس ؛ فقال له القوم : يا أبا عبد الله غننا شِعراً مليحاً له حديث ظريف ، فغنناهم بشعر

1 تقدم برواية : شلت يمينك

2 قوهي : أبيض .

عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب : [من الكامل]

مُنِعَ الرُّقَادُ فَعَادَ عَيْنِي عِيدُ مِمَّا تَضُمَّنَ قَلْبِي الْمَعْمُودُ

الآيات ، فقال القوم : لِمَنْ هذه الآيات يا طُوَيْس ؟ قال لأَجْمَلِ خلق الله وأشأمهم ؛ فقالوا : بأنفسنا أنت ، مَنْ هذه ؟ قال : هي والله مَنْ لا يُجْهَلُ نَسَبُها ولا يُدْفَعُ شَرُّها ، تزوّجت بابن خليفة نبيّ الله ، وثنّت بخليفة خليفة نبيّ الله ، وثلثت بخواريّ نبيّ الله ، وربّعت بابن نبيّ الله ، وكلاًّ قَتَلْتُ . قالوا جميعاً : جُعِلْنَا فداك ، إنّ أمر هذه لعجيب ، بآبائنا أنت مَنْ هذه ؟ قال : عاتكة بنتُ زيد بن عمرو بن نُفَيْل . فقالوا : نعم ، هي على ما وصفت ، قوموا بنا لا يُدْرِكُ مجلسنا شوئُها . قال طُوَيْس : إنّ شوئُها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أعلم مِنّا .

صوت

[من الخفيف]

يا دَنانِيرُ قد تَنَكَّرَ عَقْلِي وَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ وَعْدٍ وَمَطْلٍ

شَغَفَنِي شافِعِي إِلَيْكَ وَالْأَ فاقْتُلِينِي إِنْ كُنْتَ تَهْوَيْنِ قَتْلِي

الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد ، خفيف ثقيل ، وفيه لعريب رمل بالوسطى ، وهذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة ، وكان خطبها فلم تُجِبْه ، وقيل : بل قاله أحدُ اليزيديّين ونَحَلَه إِيَّاه .

[377] - ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد¹

كانت دنانيرُ مولاةَ يحيى بن خالد البرمكيِّ وكانت صفراءَ مولدةً ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهنَّ وأكملهنَّ أدباً وأكثرهنَّ روايةً للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثرُ مصيرَه إلى مولاها ويقيم عندها ويبرِّها ويفرِّط ، حتى شكته زبيدةُ إلى أهله وعمومته ، فعاتبوه على ذلك .

[كتابها في الأغاني]

ولها كتابٌ مجردٌ في الأغاني مشهور ، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أخذته من بَدَل وهي خرَّجَتْها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَدَل عنهم مثل : فُلَيْح ، وإبراهيم ، وابن جامع ، وإسحاق ، ونظرائهم . أخبرني جحظة ، قال : حدَّثني المكيُّ عن أبيه قال : كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايي دنانيرَ جاريةَ البرامكة ، فكثيراً ما كانت تغلينا .

[إبراهيم الموصلي يعجب بصوت لها]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشُّبَيعي ، عن ابن شَبَّة ، قال : حدَّثني إسحاق الموصلي ، قال : قال لي أبي² ؛ قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به ، فقلت لها : لا يشتدُّ إعجابك حتى تعرضيه على شيخك ، فإن رضيه فارضيه لنفسك ، وإن كرهه فاكروهه ، فامضِ حتى تعرضه عليك . قال : فقال لي أبي : فقلت له : أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به ؟ فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز ؟ قال : أكره أن أقول لك : أعجبني فيكون عندك غيرُ مُعْجَب ؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك ، تعرف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقف ، وأكره أن أقول لك : لا يُعْجِبني ، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويماً . قال : فمضيت إليها ، وقد تقدَّم إلى خَدَمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعتِه واستحسنتِه ، فإن قال لك : أصبتِ سررتني بذلك ، وإن كرهه فلا تعلميني لئلا يزول سُروري بما صنعتِ . قال إسحاق : قال أبي : فحضرتُ الباب فأدخلتُ ، وإذا الستارة قد نُصِيت ، فسَلَّمت على الجارية من وراء

1 لدنانير ترجمة في الدر المنثور : 192 وفيه «عقيل» وأعلام الزركلي .

2 تقدم الخبر والصوت في ترجمة إبراهيم الموصلي 5 : 102 .

الستارة ، فردّت السلام ، وقالت : يا أبتِ أعرضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ إليك خبره ، وقد سمعتُ الوزير يقول : إنّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ بغنائهم ، فيُعْجِبهم منه ما لا يُعْجِب غيرهم ، وكذلك يُفْتَنُونَ بأولادهم ، فيحسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك ، فقلت : هاتِ ، فأخذت عودها وتغنّت تقول : [من الكامل]

صوت

نَفْسِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدَّعِيّاً أَمْ حِينَ أَزْمَعُ بَيْنَهُمْ خُنْتُ !
إِنْ كُنْتُ مَوْلَعَةً بِذِكْرِهِمْ فَعَلَى فِرَاقِهِمْ أَلَا مُتُّ !

قال : فأعجبني والله غاية العجب واستخفّني الطرب ، حتى قلت لها : أعيديه ، فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أصلحه وأغيّره عليها لتأخذه عني ، فلا والله ما قدّرتُ على ذلك ؛ ثم قلتُ لها : أعيديه الثالثة فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفى ؛ فقلت : أحسنِ يا بنية وأصبتِ ، وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدة للمعلّمين ؛ إذ قد صرتُ تحسّنين الاختيار وتُجيدِدين الصنعة ؛ قال : ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد : فقال : كيف رأيت صنعة ابتكت دنائير ؟ قال : أعزّ الله الوزير ، والله ما يُحسِن كثيرٌ من حُذّاق المغنّين مثلَ هذه الصنعة ، ولقد قلتُ لها : أعيديه وأعادته عليّ مرّات ، كلُّ ذلك أريد إعانتها ، لأجتلبَ لنفسِي مدخلاً يؤخذ عني وينسب إليّ ، فلا والله ما وجدته . فقال لي يحيى : وصفك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها ، وقد ، والله ، سررتني وسأسرُّك ، فوجّه إليّ بمال عظيم .

[إعجاب الرشيد بها]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، قال : حدّثني ابن المكّي ، قال : كانت دنائير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرّجها وأدّبها ، وكانت أروى النَّاسَ للغناء القديم ، وكانت صفراء صادقة الملاحه ، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعها ، حتى ألّفها واشتدّ عَجْبُه بها فوهب لها هيات سنّة ، منها أنّه وهب لها في ليلة عيد عَقْداً قيمته ثلاثون ألف دينار ، فردّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعلمت أنّ جعفر خبره فشكته إلى عُمومته ، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه ، فقال : ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها ، وإنّما أربي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقّت أن يُؤلّف غناؤها وإلاّ فقولوا ما شئتم ؛ فأقاموا عنده ، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أنّ جعفر فأشاروا عليها ألاّ تلحّ في أمرها فقيلت ذلك ، وأهدت إلى الرشيد عشرَ جوارٍ ، منهن : ماردة أمّ المعتصم ، ومراجل أمّ المأمون ، وفارِدة أمّ صالح .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، : أخبرني محمد بن عبد الله الخزامي قال :
 حدثني عباد البشري قال : مررتُ بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النجاج ، فإذا كتاب على
 حائط في المنزل ، فقرأته فإذا هو : النيكُ أربعة ؛ فالأول شهوة ، والثاني لذة ، والثالث شفاء ،
 والرابع داء ، وحرٌّ إلى أترين أحوجُّ من أترٍ إلى حرين ، وكتبَت دنانيرُ مولاة البرامكة بخطها .
 أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شبة : أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلي حتى
 كانت تُغني غناءه ، فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى
 فقدتني ودنانيرُ باقية فما فقدتني .

[عدم صبرها عن الأكل]

قال : وأصابها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة ، فكان يحيى
 يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنها كانت لا تصومه ، وبقيت عند
 البرامكة مدة طويلة .

أخبرني ابنُ عمار ، وابن عبد العزيز ، وابن يونس ، عن ابن شبة ، عن إسحاق .

[امتناعها عن الغناء للرشد]

وأخبرني جحظة ، عن أحمد بن الطيب : أن الرشيد دعا بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم ،
 فأمرها أن تُغني ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إني آليتُ ألا أُغني بعد سيدي أبداً ؛ فغضب ،
 وأمر بصفيعها ، فصفيعت ، وأقيمت على رجلها ، وأعطيت العود ، وأخذته وهي تبكي أحرَّ
 بكاء ، واندفعت فغنت :

صوت

يا دارَ سلمى بنارِج السندِ بين الثنايا ومسقط اللبدِ
 لما رأيتُ الديارَ قد درستُ أيقنتُ أن النعيم لم يعدِ

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر علي بن يحيى المنجم
 وعمرُو أنه لسياط في هذه الطريقة .

قال : فرَّق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي فقال
 له : كيف رأيتها ؟ قال : رأيتها تختله برفق ، وتقهره بجذق .

[رفضها الزواج]

قال علي بن محمد الهشامي : حدثني أبو عبد الله بن حمدون أن عقيداً مولى صالح بن
 الرشيد خطب دنانير البرمكية ، وكان هوياً وشغف بذكرها ، فردته ، واستشفع عليها
 مولاة صالح بن الرشيد ، وبذل ، والحسين بن محرز ، فلم تجبه وأقامت على الوفاء

لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد قوله : [من الخفيف]

يا دنائيرُ قد تَنكَّرَ عَقْلِي وَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ وَعْدٍ وَمَطْلٍ
شَفَّعِي شافعِي إِلَيْكَ وَالْأُ فاقْتُلِينِي إِنْ كُنْتَ تَهْوَيْنَ قَتْلِي
أَنَا بِاللَّهِ وَالْأَمِيرِ وَمَا آ مَلُّ مِنْ مَوْعِدِ الْحُسَيْنِ وَبَذْلِ
مَا أُحِبُّ الْحَيَاةَ يَا حِبُّ إِنْ لَمْ يَجْمَعِ اللَّهُ عاجِلاً بِكَ شَمْلِي

فلم يعطفها ذلك على ما يُحِبُّ ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكانت عَقِيدَ حَسَنَ الْغِنَاءِ والضرب قليل الصَّنعة ، ما سَمِعْنَا منه بكثير صُنعة ، ولكنه كان بمَوْضِعٍ مِنَ الْحَذَقِ والتَّقْدُمِ .

قال محمد بن الحسن : حدثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال : شهدتُ إِسْحاقَ يوماً وعَقِيدَ يُغْنِيهِ : [من البسيط]

صوت

هَلَا سَأَلْتَ ابْنَةَ الْعَبْسِيِّ مَا حَسْبِي عِنْدَ الطَّعَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ
وَجَالَتْ الْخَيْلُ بِالْأَبْطَالِ عَابِسَةً شَعَثَ النَّوَاصِي عَلَيْهَا الْبَيْضُ تَاتِلِقُ

الشعر يقال إنه لَعَتْرَةٌ ولم يصحَّ له ، والغِنَاءُ لابن محرز خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى . قال : فجعل إِسْحاقُ يستعيده ويشرب ويُصَفِّقُ حتى والى بين أربعة أرتال ، وسأله بعض مَنْ حضر : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً ؟ قال : مَنْ سَقَانِي أَرْبَعَةَ أَرْتَالِ .

وفي دنائير يقول أبو حَفْصِ الشُّطْرَنْجِيِّ : [من السريع]

صوت

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهَتْهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَتُكْمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

غَنَاهُ ابْنُ جَامِعٍ هَزْجاً بِالْبِنْصَرِ وَقِيلَ إِنَّهُ لِأَبِي فَارَةَ .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن علي بن محمد النوفلي ، عن مَوْلَاةِ ابْنِ جَامِعٍ أَنَّ مَوْلَاهَا كَانَ يَهْوَى جَارِيَةَ صَفْرَاءَ . فقال فيها هذا الشعر وغَنَى فِيهِ ، وَأَظَنَّ هَذَا وَهْمًا ؛ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ لَابْنَ جَامِعٍ بِشَعْرِ قَطٍّ ، وَلَعَلَّهُ غَنَاهُ فِي شَعْرِ أَبِي حَفْصِ الشُّطْرَنْجِيِّ . فظنته له .

وَمَا غَنَاهُ عَقِيدٌ فِي دَنَائِيرٍ وَالشَّعْرُ لِلْمَوْصِلِيِّ إِلَّا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فَلَيْسَ لَهُ .

صوت

[من البسيط]

هَـذِي دَنانِيرُ تَنسَانِي فَأَذْكُرُهَا وَكَيْفَ تَنْسَى مُجِبًّا لَيْسَ يَنْسَاهَا !
 وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ إِذَا بَرَزَتْ نَفْسُ الْمُتَيِّمِ فِي كَفِّهِ أَلْقَاهَا
 والشعر والغناء لعقيد ، ولحنه من الرَّمْل المطلق في مجرى الوسطى ، وفيه هزج خفيف مُحدَث .

[غناء بشعر في دنانير]

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني عليُّ بن محمد قال : حدَّثني جابر بن مُصعب ، عن مُخارق ، قال : مرّت بي ليلةٌ ما مرّ بي قطّ مثلها . جاءني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة ، فأخذني وركضَ بي إليه رَكْضاً ، فحين وافيتُ أتَيَْ إبراهيم بن المهدي¹ على مثل حالي ، فنزلنا ، وإذا هو في صحن لم أر مثله قد ملئ شمعاً من شمع محمد الأمين الكبار ، وإذا به واقف ثم دخل في الكِرح² ، والدار مملوءة بالوصائف يُغْنين على الطبول والسّرنايات³ ومحمد في وسطهن يرتكض في الكِرح . فجاءنا رسوله ، فقال : قوما في هذا الباب ممّا يلي الصّحن ، فارفعا أصواتكما مع السّرناي أين بَلِّغ ، وإياكما أن أسمع في أصواتكما تقصيراً عنه ، قال : فأصغيتنا فإذا الجوّاري والمُخَنَّثون يزمرون ويضربون :

[من البسيط]

هَـذِي دَنانِيرُ تَنسَانِي وَأَذْكُرُهَا وَكَيْفَ تَنْسَى مُجِبًّا لَيْسَ يَنْسَاهَا !
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هِجْرانٍ جاريةٍ أَصْبَحْتُ مِنْ حَبِّهَا أَهْـذِي بِذِكْرُهَا
 قَدْ أَكْمَلَ الْحَسَنُ فِي تَرْكِيبِ صُورَتِهَا فَارْتَجَّ أَسْفَلُهَا وَاهْتَزَّ أَعْلَاهَا
 قَامَتْ تَمْشَى فَلَيْتَ اللَّهُ صَبَّرَنِي ذَاكَ التَّرابَ الَّذِي مَسَّتْهُ رِجْلَاهَا
 وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ إِذَا بَرَزَتْ نَفْسُ الْمُتَيِّمِ فِي كَفِّهِ أَلْقَاهَا

فما زلنا نشقُّ حلوقنا مع السّرناي وتنبّعه حذراً من أن نخرج عن طبقته ، أو نقصر عنه إلى الغداة ، ومحمد يَجُولُ في الكِرح ما يسأله ، يدنو إلينا مرّة في جولانه ويتباعد مرّة ، وتحول الجوّاري بيننا وبينه حتى أصبحنا .

1 ط . بيروت : إبراهيم الموصلي .

2 الكِرح : بيت الراهب . وفي ط . بيروت : قد دخل في الخدم .

3 السّرنايات : جمع سرناي ، وهي من آلات الصّغير .

صوت¹

[من الطويل]

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ لَا حِينَ مَطَرَقٍ وَأَنْتَى إِذَا حَلَّتْ بَنَجْرَانِ نَلْتَقِي
بِوَجٍّ وَمَا بَالِي بِوَجٍّ وَبَالِهَا وَمَنْ يَلْقَى يَوْمًا جِدَّةَ الْحَبِّ يُخْلِقُ²

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، الشَّعْرُ لَخُفَافٍ بِنُذْبَةٍ ، وَالْغِنَاءُ لَابِنٍ مِحْرَزٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلٍ
بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، وَفِيهِ لَابِنٌ سُرِيحٌ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
الْبِنْصَرِّ عَنْ إِسْحَاقَ أَيْضاً ، وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا لِمَعْبَدٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ
لَعْلُوِيَّةٌ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ لِلْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ خَفِيفٌ رَمْلٌ آخَرٌ صَحِيحٌ فِي غِنَائِهِ ،
وَفِيهِ لَابِنٌ مَسْجَحٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَحْيَى الْمَكِّيَّ ، وَالْهَيْشَامِيَّ ، وَفِيهِ لِمَخَارِقِ رَمْلٍ
بِالْبِنْصَرِّ .

1 مجموع شعر خفاف بن نذبة : 27-29 .

2 وَجٍّ : واد بالطائف . ويروى :

أَلَحَّتْ بَنُوحٌ مَا لَنُوحٍ وَمَالِهَا وَمَنْ يَلْقَى يَوْمًا جِدَّةَ الْبَيْنِ يَخْلُقُ

[378] - أخبار خفاف ونسبه¹

هو خُفاف بن عُمير² بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يَقْظَةَ بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَةَ بن سَلِيم بن منصور بن عِكْرَمَةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نِزار ، ونُدْبَةُ³ أمه وهي أمّة سوداء ، وكان خفاف أسوداً أيضاً ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم ، وجعله ابنُ سَلَّام في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نويرة ، ومع ابني عمه صَخْر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ، ومالك بن حِمار الشَّمْخِي⁴ .

[أحد أغربة العرب]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، قال : كان خُفاف بن نُدْبَةَ ، وهي أمّه ، فارساً شجاعاً شاعراً ، وهو أحدُ أغربة العرب⁵ ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشريد أغار على بني دُبيان يوم حَوْزَةَ⁶ ، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف : والله لا أريم اليوم أو أُقَيَّدُ به سيّدُهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذٍ فارسُ بني فزارة وسيّدُهم فطعنه فقتله ، وقال⁷ :

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعنداً على عيني تيممت مالكا
رفعت له ما جرّ إذ جرّ موته لأبني مجدأ أو لأثار هالكا⁸

1 ترجمة خفاف بن ندبة في الشعر والشعراء : 258-259 وخزانة البغدادى 5 : 443-448 والمؤتلف : 153 وكامل المبرد (الدالي) : 1150 والاشتقاق : 309-310 والمعارف : 325 والوافي 13 : 351 وأسد الغابة 3 : 118-119 والإصابة 1 : 448 وانظر أعلام الزركلي وقد جمع شعره د . نوري حمودي القيسي (مطبعة المعارف ، بغداد) .

2 ل : عمرو .

3 بفتح النون وضمتها .

4 لم يرد ذكر هؤلاء بين الشعراء في طبقات ابن سلام .

5 أغربة العرب : عترة بن شداد والسليك بن السلكة وأبو عمرو بن الحباب وخفاف بن ندبة وهشام بن عقبة بن أبي معيط سموا كذلك لسوادهم . وانظر اللسان (غرب) .

6 ل : الجزيرة .

7 مجموع شعره : 64 .

8 الديوان : «وقفت له علوى وقد خام صحبتي . وعلوى : فرسه .

أقول له والرُّحْ يُطْرُ مَتْنَه : تَأْمَلْ خُفَافاً إِنَّسِي أَنَا ذَلِكَا¹

قال ابن سلام : وهو الذي يقول² :

يا هِنْدُ يا أُخْتَ بني الصَّارِدِ ما أنا بالباقي ولا الخالد³

إن أَمَسَ لا أَمَلِكُ شيئاً فقد أَمَلِكُ أَمَرَ المنسِرِ الحارِدِ⁴

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقیل أول بالنصر عن الهشامي .

[مناقضاته مع العباس بن مرداس]

أخبرني عَمِّي ، عن عبد الله بن سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن عُمَر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، عن الحجاج السُّلَمي قال : كان بَدْءُ ما كان بين خُفَاف بن نُدْبَة والعبَّاس بن مرداس أَنَّ خُفَافاً كان في ملأٍ من بني سُلَيم فقال لهم : إنَّ عَبَّاس بن مرداس يريد أن يبلغَ فينا ما بلغَ عَبَّاس بن أَنَس الأصم ، ويأبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدَن به . فقال له فتى من رَهط العبَّاس : وما تلك الخصالُ يا خُفَاف ؟ قال : اتَّقَاوَهُ بِخَيْلِهِ عند الموت ، واستهانتَهُ بِسَبَايا العَرَب ، وقتلَهُ الأُسرى ، ومُكَالَبَتُهُ للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالَت حياته حتى تَمَنَّينا موته . فانطلق الفتى إلى العبَّاس فأخبره الخبر ؛ فقال العبَّاس : يا ابن أخي ، إن لم أكن كالأصم في فضله فلستُ كخُفَافٍ في جهله ، وقد مضى الأصمُّ بما في أَمَس وخُلِّفني بما في غَدٍ ، فلما أَمَسَى تغنَّى ، وقال⁵ :

خُفَافٌ ما تزال تجرُّ ذيلًا إلى الأمرِ المُفارقِ للرَّشادِ

إذا ما عَايَنَتَكَ بنو سُلَيم ثَنَّيت لهم بِدَاهِيَةٍ نَادٍ⁶

وقد عَلِمَ المعاشِرُ من سُلَيم بأنِّي فيهمُ حَسَنُ الأيادي

فأورِدَ يا خُفَافُ فقد بُليتُم بني عوفِ بِحَيَّةِ بَطْنِ وادي⁷

قال : ثم أصبح فأتى خُفَافاً ، وهو في ملأٍ من بني سُلَيم ، فقال : قد بلغني مقاتلتك يا

1 ياطر : يشي . والمتن : الظهر .

2 مجموع شعره : 46 .

3 بنو الصارد : حمي من بني مرة بن غطفان .

4 المنسر : مجموعة من الخيل . والحارد : الجاد القاصد .

5 ديوان العباس بن مرداس : 46 وسيرد برواية : أخفاف أما تزال . . . إلى الأمر المقارب للفساد .

6 نَاد : داهية شديدة .

7 حية بطن واد : داهية خبيثة .

خُفَافٌ ، وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ عِرْضَكَ وَلَا أُسَبُّ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، وَلَكِنِّي رَامُ سَوَادَكَ¹ بِمَا فِيكَ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَحْمِي الْمَصَافَ² وَأَتَكْرَمُ عَلَى السَّلْبِ وَأَطْلُقُ الْأَسِيرَ وَأَصُونُ السَّبِيَّةَ ؛ وَأَمَّا زَعْمُكَ أَنِّي أَتَّقِي بِخَيْلِي الْمَوْتَ فَهَاتِ مِنْ قَوْمِكَ رَجُلًا أَتَّقِيَتْ بِهِ ؛ وَأَمَّا اسْتِهَانَتِي بِسَبَايَا الْعَرَبِ فَإِنِّي أَخَذُوا الْقَوْمَ فِي نِسَائِهِمْ بِفَعَالِهِمْ فِي نِسَائِنَا ؛ وَأَمَّا قَتْلِي الْأَسْرَى فَإِنِّي قَتَلْتُ الزَّيْدِيَّ بِخَالِكَ ؛ إِذْ عَجَزْتَ عَنْ ثَارِكَ ؛ وَأَمَّا مُكَالَبَتِي الصَّعَالِيكَ عَلَى الْأَسْلَابِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ عَلَى مَسْلُوبٍ قَطُّ إِلَّا لُمْتُ سَالِيَهُ . وَأَمَّا تَمَنِّيكَ مَوْتِي ، فَإِنْ مِتُّ قَبْلَكَ فَأَغْرُ غَنَائِي ؛ وَإِنْ سَلِمْتُ لَتَعْلَمَ أَنِّي أَخْفُ عَلَيْهِمْ مَوْزُونَ ، وَأَثْقُلُ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَطَاءَةً مِنْكَ ؛ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَبْحَتُ جِمَى بَنِي زَيْدٍ ، وَكَسَرْتُ قَرْنِي بَنِي الْحَارِثِ وَأَطْفَأْتُ جَمْرَةَ خَشْعَمَ ، وَقَلَّدْتُ بَنِي كِنَانَةَ قَلَائِدَ الْعَارِ ، ثُمَّ انْصَرَفُ . فَقَالَ خُفَافٌ أَبْيَاتًا لَمْ يَحْفَظِ الشَّيْخُ مِنْهَا إِلَّا قَوْلَهُ :

[من الوافر]

وَلَمْ تَقْتُلْ أَسِيرَكَ مِنْ زَيْدٍ بَخَالِي بَلْ غَدَرْتَ بِمُسْتَفَادٍ
فَرَزَدْتُكَ فِي سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْدٍ وَزَادَكَ فِي سُلَيْمٍ شَرُّ زَادٍ
فَأَجَابَهُ الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِ³ :

[من الوافر]

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي خُفَافًا فَإِنِّي لَا أَحَاشِي مِنْ خُفَافٍ
نَكَحَتْ وَلِيدَةً وَرَضَعَتْ أُخْرَى وَكَانَ أَبُوكَ تَحْمِلُهُ قَطَافٌ⁴
فَلَسْتُ لِحَاضِيْنَ إِنْ لَمْ نُزْرِهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ ظَهْرِ النَّعَافِ⁵
سَرَاعًا قَدْ طَوَّاهَا الْأَيْنُ دُهُمَا وَكَمَتَا لَوْنُهَا كَالْوَرَسِ صَافٍ⁶

قَالَ : ثُمَّ كَفَّ الْعَبَّاسُ وَخُفَافٌ حَتَّى أَتَى ابْنُ عَمِّ لِلْعَبَّاسِ يُكْنَى أَبَا عَمْرٍو بْنِ بَدْرٍ ، وَكَانَ غَائِبًا ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ، مَا نَقُولُ فِيكَ خَيْرًا إِلَّا وَهُوَ بَاطِلٌ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ، وَيْحَكَ ! قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ ، أَكُلُّ الَّذِي أَقَرَّرْتُ بِهِ مِنْ خُفَافٍ فِي نَفْيِهِ أَبَاكَ وَتَهْجِيْنَهُ عِرْضُكَ ؛ لِيَأْسَ مِنْ نَصْرِ قَوْمِكَ أَوْ ضَعْفِ مِنْ نَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ الْبَقِيَا ، قَالَ : فَاسْمَعْ مَا قُلْتُ ، قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الوافر]

1 سوادك : شخصك .

2 المصاف : جمع مصف ، وهو موقف القتال .

3 مجموع شعره : 74 .

4 ديوان العباس : 91 . قطاف : علم للأمة مبني على الكسر كقطام .

5 إِنْ لَمْ نُزْرِهَا فِي الدِّيَّانِ : إِنْ لَمْ تَرَوْهَا . وَالْحَاضِنُ : الْعَفِيفَةُ . وَنَعَافٌ : جَمْعُ نَعْفٍ وَهُوَ مَا انْتَدَرَ مِنَ السَّفْحِ وَغُلْظُ .

6 فِي الدِّيَّانِ : سَوَاهِمُ كَالْقَدَاحِ مَسْمُومَاتُ . وَالسَّوَاهِمُ : الْخَيْلُ الَّتِي غَيْرَهَا السَّفَرُ . وَالْأَيْنُ : التَّعَبُ .

أرى العباس ينقض مذرّوَيْه دَهِينَ الرَّأْسِ تَقْلِيهِ النِّسَاءُ¹
وقد أزرى بوالده خُفَافٌ ويُحَسِّبُ مثله الداءُ العِيَاءُ
فلا تُهدِ السِّبَابَ إلى خُفَافٍ فَإِنَّ السَّبَّ تُحْسِنُهُ الْإِمَاءُ
ولا تكذِبْ وأهدِ إليه حرباً مُعْجَلَةً فَإِنَّ الْحَرْبَ دَاءُ
أَذَلَّ اللَّهُ شَرَكاً قَبِيلاً ولا سَقَّتْ له رَسْماً سَمَاءُ

[الحرب بين العباس وخفاف]

قال العباس : قد آذنتُ خُفَافاً بحرب ، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل ، وكان الفضل للعباس على خفاف . فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ الجُشَمِيُّ في وجوه هَوازِن ، فقام دُرَيْدُ خطيباً فقال : يا معشر بني سُلَيْم ، إِنَّهُ أَعَجَلَنِي إِلَيْكُمْ صدرٌ وادٌّ ورأيي جامع ، وقد ركب صاحبكم شرَّ مطيَّة ، وأوضعا إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذللَّ² المغلوب ، ثم جلس . فقام مالكُ بن عوف³ فقال : يا معشر بني سُلَيْم ، إنكم نزلتم منزلاً بُعِدَتْ فيه هَوازِن ، وشَبِعَتْ⁴ منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوكم بقرنٍ أَعْضَبَ وَكَفَّ⁵ جَذَماء⁶ ، قال : فلما أُمسينا تغنى دريد بن الصَّمَّةِ فقال⁶ :

[من الطويل]

سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ أَلَمَّا تُخَبَّرُوا بما كان من حَرْبِي كُلَّيْبٍ وَدَاحِسِ
وما كان في حرب اليَحَايِرِ من دمٍ مباحٍ وَجَدْعٍ مَوْلٍ لِلْمَعَاطِسِ⁷
وما كان في حَرْبِي سُلَيْمٍ وَقَبْلَهُم بحرب بُعَاثٍ من هلاك الفُوارِسِ
تسافهت الأحلامُ فيها جَهالةً وأُضْرِمَ فيها كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فكفُّوا خُفَافاً عن سفاهةِ رأيهِ وصاحِبِهِ الْعَبَّاسَ قَبْلَ الدَّهَّارِسِ⁸

1 المذروان : طرف الإلية . والمثل : جاء ينقض مذرّويه (الميداني 1 : 171 وجمهرة العسكري 1 : 318 ومستقصى الزمخشري 2 : 46) يضرب لمن يتوعد من غير حقيقة .

2 ل : ويذم .

3 ل : أوس .

4 ل : وشعبت .

5 القرن الأعضب : المكسور . واليد الجذماء : المقطوعة .

6 ديوان دريد : 88 (عن الأغاني) .

7 اليحابر في ل : البحائر .

8 الدهارس : الدواهي .

وَالْأَفَاتِمُ مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَمَنْ يَعْقِلَ الْأَمْثَالَ غَيْرُ الْأَكَايِسِ

وقال مالك بن عوف النَّصْرِيُّ : [من الطويل]

سليم بن منصور دعوا الحربَ إنما هي الهلك للآقَصَيْنِ أو للآقَارِبِ
ألم تعلموا ما كان في حرب وائلٍ وحرب مُرَادٍ أو لُؤَيٍّ بن غالب
تفرقت الأحياء منهم لَجَاجَةٍ وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبٍ
فما لسُليمٍ ناصرٌ من هَوازٍ ولو نصروا لم تغرِ نصرةُ غائبٍ

قال : ثم أصبحنا ، فاجتمعت بنو سُليم ، وجاء العباس وخُفَافٌ ، فقال لهما دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ وَلَمَنَ حضر من قومهما : يا هؤلاء ، إِنَّ أَوَّلَكُمْ كان خَيْرَ أَوَّلٍ ، وكلَّ حيٍّ سَلَفٌ خَيْرٌ من الخلف ، فَكُفُّوا صاحبيكم عن لَجَاجِ الحربِ وتهاجي¹ الشعر ، قال فاستحيا العباس فقال : فَإِنَّا نَكْفُ عن الحرب ، ونتهادى الشعر ؛ قال : فقال دُرَيْدُ : فَإِن كُنْتُمَا لَا بَدَّ فاعِلين فاذكرا ما شِئْتُمَا ودَعَا الشُّتْمَ ، فَإِنَّ الشُّتْمَ طريقٌ² الحرب ، فانصرفا على ذلك . فقال العباس بن مِرْدَاسٍ³ :

[من المتقارب]

فأبلغُ لَدَيْكَ بني مالِكٍ فَأَنْتُمْ بَأْنَبَائِنَا أَخْبِرُ
فَأَمَّا النَّخِيلُ فَلَيْسَتْ لَنَا نَخِيلٌ تُسْقَى وَلَا تُؤْبَرُ
وَلَكِنْ جَمْعاً كَجِذْلِ الْحِكَاءِ ك فِيهِ الْمُقْنَعُ وَالْحُسْرُ⁴
مِغَاوِيرُ تَحْمِلُ أَبْطَالَنَا إِلَى الْمَوْتِ سَاهِمَةٌ ضُمُرُ
وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً تُدِيمُ الْجِرَاءَ إِذَا تَخَطَّرُ⁵
صَنِيعاً كَقَارُورَةِ الزَّعْفَرَانِ ن مِمَّا تُصَانُ وَلَا تُؤْتَرُ

ويقال : صَبِيغاً . قال : فَأَجَابَهُ خُفَافٌ فقال⁶ :

[من المتقارب]

أَعْبَاسُ إِنْ اسْتَعَارَ الْقَصِيدَ سَدِ فِي غَيْرِ مَعَشَرِهِ مُنْكَرُ

1 ل : تهادي .

2 ل : طرف .

3 ديوان العباس : 65 .

4 جذل الحكاك : عود ينصب للإبل الجري فتحتك به .

5 خيفانة : سريعة . الجراء : الفتوة .

6 مجموع شعره : 57-58 .

عَلَامَ تَنَاولُ مَا لَا تَنَالُ فَتَقَطَّعُ نَفْسَكَ أَوْ تَخْسُرُ
فَإِنَّ الرِّهَانَ إِذَا مَا أُرِيدُ فَصَاحِبُهُ الشَّامِخُ الْمُخْطِرُ¹
تَخَاوَصُ لَمْ تَسْتَطِعْ عُدَّةً كَأَنَّكَ مِنْ بُغْضِنَا أَعَوْرُ²
فَقَصْرُكَ مَأْثُورَةٌ إِنْ بَقِيَ تَأْصَحُو بِهَا لَكَ أَوْ أُسْكِرُ
لِسَانِي وَسِيفِي مَعًا فَانْظُرَنَّ إِلَى تِلْكَ أَيُّهُمَا تُبَدِّرُ

قال : فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجي ، قال عباس : إني والله ما رأيت لخُفَافٍ مثلاً إلا شِيَامَ بَنِي زُبَيْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَلْقَى مِنْ ابْنِ عَمِّهِ ثُرَوَانَ بْنِ مَرْثَدَةَ مِنَ الشَّتْمِ وَالْأَذَى مَا أَلْقَى مِنْ خُفَافٍ ، فَلَمَّا لَجَّ فِي شَتْمِهِ تَرَكَهُ وَمَا هُوَ فِيهِ ، فَقَالَ : [من الطويل]

وَهَبْتُ لثُرَوَانَ بْنِ مَرْثَدَةَ نَفْسَهُ وَقَدْ أَمَكَّنْتَنِي مِنْ ذُوَلَيْتِهِ يَدِي
وَأَحْمِلْ مَا فِي الْيَوْمِ مِنْ سُوءِ رَأْيِهِ رَجَاءَ الَّتِي يَأْتِي بِهَا اللَّهُ فِي غَدِي

فَقَالَ خُفَافٌ : إني والله ما وجدتُ لِعَبَّاسٍ مثلاً إلا ثُرَوَانَ بْنَ زُبَيْدٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَلْقَى مِنْ شِيَامٍ مَا أَلْقَى مِنَ الْعَبَّاسِ مِنَ الْأَذَى ، فَقَالَ ثُرَوَانُ : [من الطويل]

رَأَيْتُ شِيَامًا لَا يَزَالُ يَعْيِينِي فَلِلَّهِ مَا بَالِي وَبِالِ شِيَامِ !
فَقَصْرُكَ مِنِّي ضَرْبَةٌ مَازِيَّةٌ بَكَفٍّ فَتَى فِي الْقَوْمِ غَيْرِ كَهَامِ
فَتَقْصِرْ عَنِّي يَا شِيَامُ بْنُ مَالِكٍ وَمَا عَصَى سِيفِي شَاتِمِي بِحَرَامِ

فَقَالَ عَبَّاسٌ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي يَا خُفَافُ شَرًّا ، فَقَدْ كُنْتُ أَخْفَفُ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْ دِمَائِهَا ظَهْرًا ، وَأَخْمَصُهَا بَطْنًا ، فَأَصْبَحَتِ الْعَرَبُ تُعَيِّرُنِي بِمَا كُنْتُ أُعَيَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِحْتِمَالِ وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ ، وَصَرَتِ ثَقِيلُ الظُّهْرِ مِنْ دِمَائِهَا مُنْفَضِجٌ³ الْبَطْنُ مِنْ أَمْوَالِهَا ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ⁴ : [من المتقارب]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي تَرَكْتُ الْحُرُوبَ وَأَنِّي نَدِمْتُ عَلَى مَا مَضَى
نَدَامَةً زَارٍ عَلَى نَفْسِهِ لِتِلْكَ الَّتِي عَارَهَا يُتَّقَى
فَلَمْ أُوقِدِ الْحَرْبَ حَتَّى رَمَى خُفَافٌ بِأَسْهُمِهِ مَنْ رَمَى
فَإِنْ تَعَطَّفَ الْقَوْمُ أَحْلَامُهُمْ فَيَرْجِعَ مِنْ وَدْهِمْ مَا نَأَى

1 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .

2 عُدَّةٌ فِي ل : غرة . وتَخَاوَصَ : غَضَّ مِنْ بَصَرِهِ .

3 منفضج البطن : متنفخه .

4 ديوان العباس : 29 .

فلستُ فقيراً إلى حربهم وما بي عن سلمهم من غنى
فقال خفاف¹ :

أعبأسُ إماً كرهتَ الحروبَ فقد ذقتَ من عضها ما كفى
ألقحتَ حرباً لها شدةٌ زماناً تسعرها باللظى
فلما ترقيتَ في غيها دحضتَ وزلاً بك المرتقى
فلا زلتَ تبكي على زلة وماذا يرُدُّ عليك البكا
فإن كنتَ أخطأتَ في حربنا فلسنا نُقِيلُكَ هذا الخطا
وإن كنتَ تطمعُ في سلمنا فزاولِ ثبيراً وركني حرا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني مسعود بن عيسى العبدی ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزاري ، وكان علامةً بأمر قيس ، قال : كان خفاف بن ثدبة في جماعة من قومه ، فقال : إن عباس بن مرداس يُريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس الأصم وتأبى عليه خصالٌ قعدن به عن ذلك ، فقال فتى من رهط عباس : ما تلك الخصال يا خفاف ؟ فقال : اتقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبه الصعاليك على الأسلاب ، وقتله الأسرى ، واستهائته بسبايا العرب ، وآيم الله ، لقد طالت حياته حتى تمنينا موته ، فانطلق الفتى إلى العباس فحدثه الحديث ، فقال العباس : يا ابن أخي إلا أكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله ، وقد مضى الأصم بما في أمس ، وخلفني لما في غد ، فلما أمسى تغنى ، فقال² :

خفافُ أما تزال تجرُّ ذيلاً إلى الأمرِ المقربِ للفسادِ
وقد علم المعاشيرُ من سليم بأنِّي فيهمُ حسنُ الأيادي
وأنِّي يومَ جمعِ بني عطيفٍ حملتُ بحالكِ وهجَ المرادي³
وأنِّي لا أُعيرُ في سليم بردُ الخيلِ سالمةً الهوادي
وأنِّي في مُلِمةٍ كلَّ يوم أقمي صَحْبِي وفي خيلي تعادي
ولم أسلبَ بحمدِ الله كبشاً سلاحاً بين مختلفِ الصعادي⁴

1 مجموع شعره : 68-69 .

2 لم ترد الأبيات بهذه الرواية في ديوانه .

3 المرادي : جمع مردي ، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور .

4 الصعادي : جمع صعدة ، وهي القناة المستوية .

ولم أحلّل لمُحصَنَةٍ نِطاقاً ولم أرَ عِتْقَهَا إِلَّا مُرَادِي
فأوردُ يا خُفافَ فقد مُنِيتُم بني عوفٍ بِحَيَّةِ بطن وادي

فلَمَّا أصبح أتى خُفافاً وهو في مِلاٍ من قومه ، فقال : قد بلغني مقالُك يا خُفاف ، وآيم الله ، إنَّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ ، وأكره السِّلَبَ ، وأطلق الأسير ، وأصون السَّيِّئة .
فأمَّا زعمُك أنّي اتَّقِي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتَّقَيْتُ به ؛ وأمَّا قَتْلِي الأسرى فإنِّي قتلْتُ الزُّبيديَّ بخالِك ؛ وأمَّا سَلْبِي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطَّ إِلَّا لُمْتُ سالبه ؛ وأمَّا استهانتِي بالسَّبايا فإنِّي أخذو القوم في سبائهم فَعَالَهُم في سبائنا ، وأمَّا تمنُّيك موتي فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ، ثم انصرف . فقال خُفاف مُجِيباً للعبّاس عن قوله ¹ :

لعمُرُ أَيْك يا عَبَّاسُ إِنِّي
وإِنِّي قد تعاتُبْنِي سُلَيْم
أَكُلُّ الدَّهْرَ لَا تَنْفَكُ تَجْرِي
إِذَا مَا عَايَنْتَكَ بَنُو سُلَيْم
فَزَنْدُكَ فِي سُلَيْمٍ شَرٌّ زَنْدِ
أَلَا اللَّهُ ذَرُّكَ مِنْ رَيْسِ
جَرِيْتُ مُبَرِّزاً وَجَرِيْتُ تَكْبُو
وَلَمْ تَقْتُلْ أَسِيرَكَ مِنْ زُبَيْدِ
وَمُسْتَقَادِ : الزُّبَيْدِيِّ .

وإنَّ رَهْطَ خُفافَ لأموه وقالوا : اكفُفْ عن الرجل . فقال : كيف أكفُّ عن رجل يريد أن يترنا أمرنا بغير فضل . وقال رَهْطُ العبَّاس له : أيُّها الرجل ، اكفُفْ ، فقال قولاً جميلاً ، وقال العبَّاس عند ذلك ³ :

هل تعرف الطَّلَلُ القديمَ كأنَّه
وشمٌ بأسفل ذي الخيام مُرَجَّعُ

1 لم ترد في مجموع شعره باستثناء البيت الثامن والبيت الخامس ، مع أنه أفرد في المجموع قسم لشعر خفاف الوارد في الأغاني .

2 مجموع شعره : وزاؤل في سليم .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان العبَّاس بن مرداس .

بَقِيَتْ مَعَارِفُهُ عَلَى مَرِّ الصَّبَا
 دَارُ الَّتِي صَادَتْ فَوَادِكُ بَعْدَ مَا
 وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُرَاحُ إِلَى الصَّبَا
 يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ السَّفِيهُ أَلَا تَرَى
 وَأَعِيشْ مَا قَدَّرَ إِلَالَهُ عَلَى الْقَلَى
 كَرَمًا عَلَى الْخَطَرِ الْيَسِيرِ وَلَا تَرَى
 وَأَرُدُّ ذَا الضُّغْنِ اللَّثِيمِ بِرَأْيِهِ
 لِلَّهِ دَرْكٌ لَا تَمَنَّ مِمَّا تَنَّا
 لَوْ كَانَ يَهْلِكُ مَنْ تَمَنَّى مَوْتَهُ
 وَمَكُنْتَ فِي دَارِ الْهَوَانِ مَوْطَأً
 فَقَالَ خِفَافٌ مُجِيبًا لَهُ¹ :

[من الكامل]

عَجِبْتُ أَمَامَهُ إِذْ رَأَيْتَنِي شَاحِبًا
 وَتَنَفَسْتُ صُعْدًا فَقُلْتُ لَهَا : اقْصِرِي
 مَهْلًا أَبَا أَنْسٍ فَإِنِّي لِلَّذِي
 وَضَرْتُ أُمَّ شَوْوَنَ رَأْسَكَ ضَرْبَةً
 نَعْلِي حَذُوَ نِعَالِهَا وَلَرُبَّمَا
 لَا تَفْخَرْنَ فَإِنَّ عُودِي نَبْعَةٌ
 وَلَقَدْ أَقُودُ إِلَى الْعَدُوِّ مُقْلَصًا
 نَهْدَ الْمَرَائِلِ وَالِدَسِيعِ يَزِينُهُ
 وَعَلِيَّ سَابِغَةٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا

خَلَقَ الْقَمِيصَ وَأَنَّ رَأْسِي أَصْلَعُ
 إِنِّي امْرُؤٌ فِيمَا أَضُرُّ وَأَنْفَعُ
 خَلَى عَلَيْكَ ذُهَيْةً لَا تُرْفَعُ
 فَاسْتَكَّ مِنْهَا فِي اللَّقَاءِ الْمَسْمَعُ
 أَحْذُو الْعِدَا وَلِكُلِّ عَادٍ مَصْرَعُ
 أَعَيْتَ أَبَا كَرْبٍ وَعُودُكَ خِرُوعُ²
 سَلَسَ الْقِيَادَ لَهُ تَلِيلٌ أَتْلَعُ³
 شَنِجُ النِّسَاءِ وَأَبَاجِلُ لَا تُقْطَعُ⁴
 حَذَقَ الْجَنَادِبَ لَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ⁵

1 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

2 عودي نبعة : صلب شديد . وعودك خروع : لين سهل الكسر .

3 المقلص : الطويل القوائم . والقليل الأتلع : العنق الطويل .

4 النهدي : المرتفع . والمراكل : حيث تصيب رجل الراكب من الدابة . وشنج النساء : متقبض عرق النساء فلا

تسترخي رجلاه . والأباجل : عرق في الفرس والبعير .

5 السابغة : الدرع الطويلة . والقثير : رؤوس المسامير في الدرع .

زَغَفُ مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَ سَرَدَهَا ذُو فَائِشٍ وَبَنُو الْمَرَارِ وَتُبِعُ¹
 فِي فِتْيَةٍ بِيضِ الْوَجْهِ كَانَتْهُمْ أُسْدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةً طُلُعُ²
 لَا يَنْكَلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ إِنَّ الْحِمَامَ هُوَ الطَّرِيقُ الْمُهَيِّعُ³

وكان خُفَافٌ قد كَفَّ عن العَبَّاسِ ، حتى أَتاه غلامٌ من قومه ، فقال : أباي العَبَّاسُ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْكَ وَغِيًّا لَكَ ؛ فغَضِبَ خُفَافٌ ثُمَّ قَالَ : مَا يَدْعُوهُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَبَاهُ لِرَابِطُ السَّهْمِ ، وَإِنَّ أُمَّهُ لَخَفِيَّةُ الشَّخْصِ ، وَلَقَدْ طَلَبَ مَسْعَايَ لِيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ قَصِيرُ الْخَطْوَةِ أَجْذَمُ الْكَفِّ ، وَمَا ذَنْبُنَا إِلَيْهِ إِلَّا أَنَا اسْتَنْقَذْنَا أَبَاهُ مِنْ عَصِيٍّ بَنِي حِزَامٍ ، وَكَافَحْنَا دُونَهُ يَوْمَ بَنِي فِرَاسٍ ، وَنَصَرْنَا أَبَاهُ عَلَى حَرْبِ ابْنِ أُمَيَّةَ . وَقَالَ خُفَافٌ فِي ذَلِكَ⁴ : [من البسيط]

لَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ عَبَّاسٌ تَقَحُّمَهُ حَتَّى يَذُوقَ وَبَالَ الْبَغْيِ عَبَّاسُ⁵
 أَمَسْتُ عَنْ رَمِيهِ حَوْلًا وَمَقْتَلُهُ بَادٍ لَتَعَذَّرَنِي فِي حَرْبِهِ النَّاسُ⁶
 عَمْدًا أَجَرَّ لَهُ ثَوْبِي لِأَخَذَعِهِ عَنْ رَأْيِهِ وَرَجَائِي عِنْدَهُ يَاسُ⁷
 فَالآنَ إِذْ صَرَّحْتَ مِنْهُ حَقِيقَتُهُ ظُلْمًا فَلَيْسَ بِشَتْمِي شَتْمِي بَاسُ⁸
 أَجَدَّ يَوْمًا بِقَوْلِي كُلِّ مَبْتَدِئٍ كَمَا يَجْدُ بِكَفِّ الْجَازِرِ الْفَاسُ⁹
 تَأْبَى سُلَيْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا أَنْ يُحَرِّزَ السَّبْقَ عَبَّاسُ وَبِرْدَاسُ¹⁰
 أَوْدَى أَبُو عَامِرٍ عَبَّاسٌ مُعْتَرِفًا أَنَّا إِذَا مَا سُلَيْمٌ حَصَلَتْ رَاسُ¹¹

فَبَلَغَ الْعَبَّاسَ أَمْرُ خُفَافٍ ، فَالْتَقِيَ عِنْدَ أَسْمَاءَ بِنِ عُرْوَةَ بِنِ الصَّلْتِ بِنِ حِزَامٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ حَازِمٍ بِنِ الصَّلْتِ ، وَكَانَ مَأْمُونًا فِي بَنِي سُلَيْمٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : قَدْ بَلَغَنِي قَوْلُكَ يَا خُفَافُ ، وَلِعَمْرِي لَا أَشْتُمُ أَبَاكَ وَلَا أُمُّكَ ، وَلَكِنِّي رَامُ سَوَادَكَ بِمَا فِيكَ .

وَاللَّهِ مَا كُنْتُ إِلَى ذِمَّتِكَ بِالْهَيْمَانِ وَلَا إِلَى لِحْمِكَ بِالْقَرَمِ ، وَإِنْ سُلَيْمًا لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَبْجَتُ حِمَى بَنِي زُبَيْدٍ ، وَأَطْفَأْتُ جَمْرَةَ خَنْعَمٍ ، وَكَسَرْتُ قَرْنِي بَنِي الْحَارِثِ بِنِ كَعْبٍ ، وَقَلَّدْتُ بَنِي كِنَانَةَ قَلَائِدَ الْعَارِ ، وَإِنِّي يَا خُفَافُ لِأَخْفُ مِنْكَ عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ مَوْوَنَةً ، وَأَثْقَلُ مِنْكَ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَطَاةً ، وَقَالَ مُجِيبًا لَهُ¹² :

1 زغف : محكمة . والسرد : النسيج . وذو فائش : أحد ملوك اليمن .

2 المهيع : الواسع الواضح .

3 وهذه أيضاً لم ترد في مجموع شعره .

4 أجد : أقطع .

5 لم ترد في ديوانه .

إِنِّي رَأَيْتُ خُفَافاً لَيْسَ يُهْنُهُ
 مهلاً خُفَافٌ فَإِنَّ الْحَقَّ مَعْصِبَةٌ
 سَائِلٌ سُلَيْمًا إِذَا مَا غَارَةَ لَحِجَّتُ
 مَنْ خَنَعَمَ وَزَيْدٍ أَوْ بَنِي قَطَنِ
 يُنْبِئُوا مِنَ الْفَارِسِ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ
 لَا يَحْسِبُ النَّاسُ قَوْلَ الْحَقِّ مُعْتَرَفًا
 مَنْ زَارَ خَيْلَ بَنِي سَعْدِ مُسَوِّمَةً
 يَوْمَ اعْتَرَضْتُ أَبَا بَدْرٍ بِجَائِفَةٍ
 أَدْعَى الرَّئِيسُ إِذَا مَا حَرَبَكُمْ كَشَفَتْ
 حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ عَنْكُمْ عَمَائِطُهَا
 شَيْءٌ سَوَى شَتَمِ عَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ
 وَالْحَقُّ لَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ آسِي¹
 مِنْهَا فَوَارِسُ حُشْدٌ غَيْرُ أَتْكَاسٍ
 أَوْ رَهْطُ فِرْوَةٍ دَهْرًا أَوْ شَحَا النَّاسِ²
 إِذَا أَتَوْتُكَ بِحِمَامٍ غَيْرِ عَبَّاسٍ
 فَانْظُرْ خُفَافٌ فَمَا فِي الْحَقِّ مِنْ بَاسٍ
 يُهْدِي لِأَوَّلِهَا لِأَيُّ بَنِي شِمَّاسٍ
 تَعْوِي بِعَرَقٍ مِنَ الْأَحْشَاءِ قَلَّاسٍ³
 عَنْ سَاقِهَا لَكُمْ وَالْأَمْرُ لِلرَّاسِ
 أَنْشَأَتْ تَضْرِبُ أَحْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ⁴

وسعى أهل الفساد إلى خفاف فقالوا: إِنَّ عَبَّاسًا قَدْ فَضَحَكَ ، فقال خفاف⁵ : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْمُهْدِي لِي الشَّتْمَ ظَالِمًا
 أَيْ الشَّتْمَ أَنِّي سَيِّدٌ وَابْنُ سَادَةٍ
 هُمْ مَنْحُوا نَصْرًا أَبَاكَ وَطَاعَتُوا
 كَمْسُتَلْجِمٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا
 أَدْبُ عَلَى أَنْمَاطٍ بِيضَاءِ حُرَّةٍ
 وَلَسْتُ بِأَهْلٍ حِينَ أَذْكَرُ لِلشَّتْمِ
 مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمَ لِللَّحْمِ⁶
 وَذَلِكَ إِذْ تُرْمَى ذَلِيلًا وَلَا تُرْمَى⁷
 رَأَى الْمَوْتَ صِرْفًا وَالسَّيْفُ بِهَا تَهْمِي⁸
 مَقَابَلَةَ الْجَدِّينَ مَاجِدَةَ الْعَمِّ⁹

1 معصبة : مقطعة .

2 الشحا : الواسع من كل شيء ، ويقصد جميع الناس .

3 الجائفة : الطعنة التي تبلغ الجوف . وعرق قلاس : يزخر بالدم .

4 المثل «يضربُ أحماساً لأسداس» في مجمع الميداني 1 : 418 وجمهرة العسكري 2 : 4 ومستقصى الزمخشري 2 : 145 وفصل المقال 105 ويراد به السعي في المكر والخديعة .

5 مجموع شعره : 59-61 .

6 مجموع شعره : مطاعيم للجرم .

7 مجموع شعره :

هم منحوا الضرراً أباك وطاعنوا وذلك الذي يُرمى ذليلاً ولا يرمى

8 مجموع شعره : «محزما» بدل «بعد ما» و«تضمي» بدل «تهمي» . والمستلحم : الذي يركب الطريق الواسع . وتهمي : تسيل .

9 الأنماط : جمع نمط ، وهو البساط .

وَأَنْتَ لِحَنْفَاءِ الْيَدَيْنِ لَوْ أَنَّهَا
وَأَنْسِي عَلَى مَا كَانَ أَوَّلُ أَوَّلٍ
وَأُكْرِمَ نَفْسِي عَنْ أُمُورِ ذَرِيَّةِ
وَأَصْفَحُ عَمَّنْ لَوْ أَشَاءَ جَزَيْتُهُ
وَأَغْفِرُ لِلْمَوْلَى وَإِنْ ذُو عَظِيمَةٍ
فَهَذَا فِعَالِي مَا بَقِيَتْ وَأَنْسِي
تُبَاعَ لَمَّا جَاءَتْ بَزْنِدٌ وَلَا سَهْمٌ¹
عَلَيْهِ ، كَذَاكَ الْقَرَمُ يُنْتَجُ لِلْقَرَمِ
أَصُونُ بِهَا عِرْضِي وَأَسُو بِهَا كَلِمِي
فَيَمْنَعُنِي رُشْدِي وَيُدْرِكُنِي حِلْمِي
عَلَى الْبَغْيِ مِنْهَا لَا يَضِيقُ بِهَا حَزْمِي
لُوصٍ بِهِ عَقْبِي إِذَا كُنْتُ فِي رَجْمِي²

فقال له قومه : لو كان أول قولك كآخره يا خفاف لأطفأت النائرة ، وأذهبت سخائم
النمائم ، فقال العباسُ مُجيباً له³ :

أَلَا أَيُّهَا الْمُهْدِي لِي الشُّنْمُ ظَالِمًا
أَبَى الدَّمَّ عِرْضِي إِنَّ عِرْضِي طَاهِرٌ
وَأَنْسِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دَمَاوَهُمْ
وَقَالَ أَيْضًا⁶ :

إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّ لَيْشًا فِي عَرِيَّتِهِ
لَا يِيرِحُ الدَّهْرَ صَيْدًا قَدْ تَقَنَّصَهُ
مَنْ أَسَدَ خِفَانٍ فِي أُرْسَاغِهِ فَدَعُ⁷
مَنْ الرِّجَالِ عَلَى أَشْدَاقِهِ الْقَمْعِ⁸

وكان العباس وخفاف قد هما بالصلح ، وكرهت بنو سليم الحرب ، فجاء غوي من
رَهط العباس فقال للعباس : إنَّ خُفَافًا قد أنحى عليك وعلى والدك ؛ فغضب العباس ، ثم
قال : قد والله هجاني ، فكان أعظم ما عابني به أصغر عيب فيه ، ثم هجا والدي فما
ضرهما ولا نفعه ، ثم برزت له فأخفى شخصه وأتقاني بغيره ، ولو شئت لشتمت أباه
وثلبت عرضه ، ولكني وإياه كما قال شيامُ بني زُيد لابن عم له ، يقال له ثروان بن مُرَّة ،

1 حنفاء اليدين : معوجتهما .

2 رجمي : قبري .

3 ديوان العباس : 105 .

4 الغشم : الظلم .

5 الوغم : الحقد الشديد . وفي الديوان «الرغم» وفي رواية «لطلاب الشفاء» .

6 ديوان العباس : 87 .

7 فدع : اعوجاج .

8 القمع : الاحمرار .

كان أشبه الناس بخفاف :

[من الطويل]

وقد أمكنتني من ذؤابتِهِ يدي
رجاء الذي يأتي به الله في غدٍ
ولست إذا لم أهجّه بموعِدٍ

وهبت لثروان بن مرة نفسه
وأحيل ما في اليوم من سوء رأيه
ولست عليه في السقاء كنفسه

وقال¹ :

[من الوافر]

نأوا عني وقطعهم شديد
وقلت لعل حلمهم يعود
فأسقيته التي عنها يحيد
من الشحنا التي ليست تبيد
وعوف والقلوب لها وقود
وعند الله من نعم مزيد
خلق ما يرض لها ويريد²
وإن أقرب فودهم بعيد
ترقوا يا بني عوف وزيدوا
أينقصني الهبوط أم الصعود³
ككلب لا يهر ولا يصيد
شواذب ما لها في الأرض عود⁴
كان رمال صحصحتها قعود⁵
فوارس نجدة في الحرب صيد
بكللها ومن ليست تريد

أراني كلما قاربت قومي
سئمت عتابهم فصفحت عنهم
وعل الله يمكن من خفاف
بما اكتسبت يداه وجر فينا
وأنى لي بود بني خفاف
وأنى لا أزال أريد خيراً
فضاقت بي صدورهم وغصت
متى أبعد فشرهم قريب
أقول لهم وقد لهجوا بشتمي :
فما شتمي بنافع حي عوف
أتجعلني سراة بني سليم
كأنني لم أقد خيلاً عتاقاً
أجشمها مهامه طامسات
عليها من سراة بني سليم
فأوطىء من تريد بني سليم

فلما بلغ خفافاً قول العباس قال : والله ما عبت العباس إلا بما فيه ، وإنني لسليم العود ،
صحيح الأديم ، ولقد أدنيت سوادي من سواده فلم أحجم ولا نكصت عنه ، وإنني وإياه كما قال

1 ديوان العباس : 42-43 .

2 يرض : يسيل .

3 أينقصني في الديوان : أينفعني .

4 الشواذب : الضامرة . وفي الديوان : « مثلها » بدل « ما لها » .

5 الصحصح : الأرض المستوية الجرداء .

ثُرْوَان لَشِيَام بَنِي زَيْدٍ ، وَكَانَ يَلْقَى مِنْهُ مَا أَلْقَى مِنَ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : [من الطويل]

رَأَيْتُ شِيَاماً لَا يَزَالُ يَعِينِي فَلَلَّهُ مَا بَالِي وَبَالُ شِيَامٍ
فَقَصْرُكَ مُنِي ضَرْبَةً مَازِيَّةً بَكَفَ أَمْرِي فِي الْحَرْبِ غَيْرَ كَهَامٍ¹
مِنَ الْيَوْمِ أَوْ مِنْ شَيْعِهِ بِمَهْنَدٍ خَصُومٍ لِهَامَاتِ الرِّجَالِ حُسَامٍ²
فَتَقْصِرْ عَنِّي يَا شِيَامُ بَنَ مَالِكٍ وَمَا عَضُّ سَيْفِي شَاتِمِي بِحَرَامٍ
وَقَالَ خُفَافٌ³ :

[من الوافر]

أَرَى الْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ جَهْلًا يَزِيدُ
فَلَوْ نَقِضَتْ عَزَائِمُهُ وَزَادَتْ سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يَزِيدُ⁴
وَلَكِنَّ الْمَعَالِمَ أَفْسَدَتْهُ وَخُلِقَ فِي عَشِيرَتِهِ زَهِيدُ⁵
فَعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ بَنَ عَمْرُو وَكَذَبُ الْمَرْءِ أَقْبَحُ مَا يُفِيدُ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَشْيَاخٍ مَحْلُوقَةٍ تَنْوُدُ⁶
بِأَنَّكَ مِنْ مَوَدَّتِنَا قَرِيبٌ وَأَنْتَ مِنَ الَّذِي تَهْوَى بَعِيدُ
فَأَبَشِّرْ إِنْ بَقِيَتْ بِيَوْمٍ سَوْءٍ يَشِيبُ لَهُ مِنَ الْخَوْفِ الْوَلِيدُ
كَيَوْمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقَ رَكْضًا وَطَارَ الْقَلْبُ وَانْتَفَخَ الْوَرِيدُ
فَدَعِ قَوْلَ السَّفَاهَةِ لَا تَقْلُهُ فَقَدْ طَالَ التَّهْدُّدُ وَالْوَعِيدُ
رَأَيْنَا مَنْ نُحَارُهُ شَقِيًّا وَمَنْ ذَا يَا بَنِي عَوْفٍ سَعِيدُ
وَقَالَ خُفَافٌ أَيْضًا⁷ :

[من المتقارب]

أَعْبَاسُ إِنَّا وَمَا بَيْنَنَا كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يُجْبَرُ
فَلَسْتُ بِكَفٍّ لِأَعْرَاضِنَا وَأَنْتَ بِشَتْمِكُنَا أَجْدَرُ⁸

1 في الحرب في ل : في الحمي .

2 شيعه : بعده ، يعني به الغد بعده .

3 مجموع شعره : 62-63 .

4 مجموع شعره : وبادت بدل وزادت .

5 المجموع : « المعاييب . . . وخلف . . . » . وزهيد : لثيم .

6 تنود : تمايل من النعاس . وفي ل ومجموع شعره : تهود ، بمعنى تنوب .

7 مجموع شعره : 55-58 .

8 مجموع شعره : بشتمكم .

ولسنا بأهل لما قُلتُم
أراك بصيراً بتلك التي
فقصرُك مني رقيقُ الذبا
وأزرقُ في رأسٍ خطيئة
يلوح السنان على متنها
وزغفٌ دِلاصٌ حبّاه العزيرُ
فتلك وجرداءٌ خيفانةٌ
إذا أَلقت الخيلُ أذيالها
متى يبلل الماءُ أعطافها
أنهذه بالسوطِ من غربها
وأرخصُها غيرَ مذمومةٍ
أقولُ وقد شكَّ أقرابها
وأشهدُها غمراتِ الحروبِ
وقال العباس⁸ :

[من المتقارب]

خفاف أَلَم تَرَ ما بيننا
أَلَم تَرَ أَنّا نهين التلا
لأنّا نكلّف فوق التي
لنا شيمٌ غيرُ مجهولةٍ
يزيدُ استعاراً إذا يُسرُّ
دَ للسائلين وما نُعذِرُ⁹
يُكلّفها الناسُ لو تخبرُ
توارثها الأكبرُ الأكبرُ

1 قصرُك : يكفيك .

2 حبّاه العزير في ل : كءاء الغدير . والزغف : الدروع المحكمة . والدلاص : الشديدة الملوسة .

3 الخيفانة : السريعة .

4 أذيالها في ل وشعره : أولادها .

5 أنهذه : أكف . وغربها : نشاطها وحدتها .

6 أرخصها : أغسلها (بعرقها) . ويروي : وأرجعها .

7 الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصة .

8 ديوان العباس : 63-64 .

9 نهين في الديوان : وهبنا .

وخيلُ تكدَّسُ بالدَّارِعي
 عليها فوارِسُ مَخْبُورَةٌ¹
 ورَجْرَاجَةٌ مثلُ لونِ النّجو
 وبَيْضُ سَوَابِغُ مَسْرُودَةٌ²
 فقد يعلم الحَيُّ عند الصِّباح
 وبأنَّ العَقِيلَةَ بي تُسْتَرُ³
 وقد يعلم الحَيُّ عند الرها
 لِي أَنِّي أَنَا الشَّامِخُ الْمُخْطَرُ⁴
 وقد يعلم الحَيُّ عند السَّوَا
 لِي أَنِّي أَجُودُ وَأُسْتَمَطَرُ⁵
 فَأَنِّي تَعَيَّرَنِي بِالْفَخَارِ
 فها إن هذا هو المُنْكَرُ

صوت

[من الطويل]

أَلَا لَا أُبَالِي بَعْدَ رَيًّا أَوَافَقْتُ نَوَانَا نَوَى الْجَبِرَانِ أَمْ لَمْ تُوَافِقِ
 هِجَانُ الْمُحَيَّا حُرَّةُ الْوَجْهِ سُرِبَلْتُ مِنَ الْحُسْنِ سِرْبَالًا عَتِيقَ الْبِنَائِقِ
 الشعر لجَبَّهَاءِ الْأَشْجَعِيِّ⁵ ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن
 إسحاق .

1 مخبورة : مجربة .

2 رجراجة : كمية تموج من كثرتها . والحسر : الذين لا تروس ولا دروع لهم .

3 عند الصباح في ل : عند الصباح .

4 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .

5 شعراء مقلون : 23 عن الأغاني .

[379] - أخبار جبهاء ونسبه¹

جَبْهَاءُ لَقِبَ غَلَبَ عَلَيْهِ ، يُقَالُ جَبْهَاءُ وَجَبَّيْهَاءُ جَمِيعاً ، وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَيُقَالُ :
يَزِيدُ بْنُ حُمَيْمَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُقَيْلَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ رُوَيْتَةَ بْنِ سُحَيْمِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ
زَيْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ أَشْجَعٍ ، شَاعِرٌ بَدَوِيٌّ مِنْ مَخَالِفِ الْحِجَازِ ، نَشَأَ وَتَوَفَّى فِي أَيَّامِ بَنِي
أُمَيَّةَ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَنْتَجَعَ الْخُلَفَاءُ بِشِعْرِهِ وَمَدَحِهِمْ فَاشْتَهَرَ ، وَهُوَ مُقِلٌّ ، وَلَيْسَ مِنْ
مَعْدُودِي الْفُحُولِ ، وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَرَوِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ لِأَبِي رُبَيْسِ الثَّعْلَبِيِّ² وَلَيْسَ ذَلِكَ
بِصَحِيحٍ ، وَهِيَ فِي شِعْرِ جَبْهَاءَ مَوْجُودَةٌ .

[الفرزدق يستنشد]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ،
وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَحْوَلُ ، عَنْ الطُّوسِيِّ ، عَنْ
أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : قَدِيمُ جَبَّيْهَاءَ الْأَشْجَعِيُّ الْبَصْرِيُّ بِجُلُوبَةٍ³ لَهُ يَرِيدُ بَيْعَهَا ، فَلَقِيَهُ
الْفَرَزْدَقُ بِالْمَرْبِدِ ، فَقَالَ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ أَشْجَعٍ ، قَالَ : أَتَعْرِفُ شَاعِراً مِنْكُمْ
يُقَالُ لَهُ جَبْهَاءُ أَوْ جَبَّيْهَاءُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَرَوِي قَوْلَهُ⁴ : [من الكامل]

أَمِنْ الْجَمِيعِ بِذِي الْبَقَاعِ رُبُوعٌ هَاجَتْ فَوَازِكُ وَالرُّبُوعُ تَرُوعُ⁵

قال : نعم ، قال : فَأَنْشِدْنِيهَا ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ مِنْهَا : [من الكامل]

مَنْ بَعْدَ مَا نَكِرْتَ وَغَيْرَ آيَهَا قَطَّرَ وَمُسْبِلَةَ الدَّمْعِ خَرِيعُ
يَا صَاحِبِيَّ أَلَا أَرْفَعَا لِي آيَةً تَشْفِي الصَّدَاعَ فَيُذْهِلُ الْمَرْفُوعُ⁶

1 ترجمة جبهاء الأشجعي في المؤتلف والمختلف : 104-106 وسمط الآلي : 640 والمفضليات (المفضلية رقم 33/32) . وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في «شعراء أمويون» .

2 في التاج : «أبو ريس (عباد بن طهمة) هكذا بالميم ، وفي التكملة . . . وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي (شاعر) من بني ثعلبة . . . وفي اللسان وأبو الريس الثعلبي من شعراء تغلب وهو تصحيف . . .» .

3 جلوبة : إيل يحمل عليها المتاع .

4 شعراء أمويون : 21-22 .

5 بذى البقاع : يروى بذى النعاع : وهو النبات الغض الناعم .

6 شعراء أمويون : أرفعاني إنه . . .

الواح ناجية كأن تليها جذع تطيف به الرقة مبيع¹

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأقسم بالله إنك لجبهاء ، أو إنك لشيطنه .
قال الأحفش في خبره عن أصحابه : الخريع : الذاهية العقل ، شبه السحابة بها لأنها لا
تتمالك من المطر .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن عبيد المكتب قال : حدثني علي بن الصباح ،
عن ابن الكلبي ، قال : قديم جبهاء الأشجعي المدينة بجلوبة له ، فيينا هو يبيعها والفرزدق
يومئذ بالمدينة إذ مر به ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم
يقال له جبهاء أو جببهاء ؟ قال : نعم . قال : أتروي قصيدته : [من الطويل]

ألا لا أبالي بعد رياءً أوافقت نوانا نوى الجيران أم لم توافي

قال : نعم . قال : أنشدنيها ، فأنشده إياها ، فقال الفرزدق : أقسم بالله إنك لجببهاء ، أو
إنك لشيطنه .
[يله نحن إلى أوطانها]

أخبرني الحرزمي قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني عمي ، عن سليمان بن عياش ، قال :
قالت زوجة جببهاء الأشجعي له : لو هاجرت بنا إلى المدينة وبعت إليك واقترضت في العطاء
كان خيراً لك ، قال : أفعل . فأقبل بها وبإبله حتى إذا كان بحرة واقم من شرقي المدينة ،
شرعها بجوض واقم² ليسقيها ، فحنت ناقة منها ثم نزع ، وتبعها الإبل ، وطلبها ففاتته ،
فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقل ، نحن إلى أوطانها ، ونحن أحق بالحنين منها ، أنت طالق إن لم
ترجعي ، وفعل الله بك وفعل وردّها وقال³ :

قالت أنيسة دغ بلادك والتمس	داراً بطيئة ربة الآطام
تكتب عيالاً في العطاء وتفترض	وكذاك يفعل حازم الأقوام
فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا	يلوى عنيزة أو بقف بشام ⁴
إذ هن عن حسبي مداود كلما	نزل الظلام بعصبة أغتام ⁵

1 الناجية : الناقة . والتليل : العنق .

2 شرعها : أوردھا الماء . وواقم : من آطام المدينة . وحرّة واقم إلى جانبه .

3 شعراء أمويون : 26 .

4 اللوى : ما التفت من الرمل . والقف : ما ارتفع من الأرض .

5 أغتام : لا يفصحون .

إِنَّ الْمَدِينَةَ لَا مَدِينَةَ فَالزَّيْمِي
يُحَلِّبُ لَكَ اللَّبَنُ الْغَرِيضُ وَيُتَنَزَّعُ
وَتُجَاوِرِي النَّفَرَ الَّذِينَ يَنْبَلِيهِمْ
بِالذَّلِينَ إِذَا طَلَبْتَ تِلَادَهُمْ

حَقَفَ السَّادِ وَقُبَّةَ الْأَرْجَامِ¹
بِالْعَيْسِ مِنْ يَمَنِ إِلَيْكَ وَشَامِ
أَرْمِي الْعَدُوَّ إِذَا نَهَضْتَ أَرَامِي
وَالْمَانَعِي ظَهْرِي مِنَ الْغُرَامِ

[منيعته لثيمي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني مُصْعَبُ قال :
جاور جَبْهَاءُ الْأَشْجَعِيُّ فِي بَنِي تَيْمٍ ، بَطْنٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَاسْتَمْنَحَهُ مَوْلَى لَهُمْ غَنْزاً ، فَمَنْحَهُ إِيَّاهَا
فَأَمْسَكَهَا دَهْرًا ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى جَبْهَاءَ أَلَّا يَرُدَّهَا ، قَالَ جَبْهَاءُ² :

أَمْوَلِي بَنِي تَيْمٍ أَلَسْتُ مُؤَدِّيًّا
لَهَا شَعْرٌ ضَافٍ وَجِيدٌ مُقْلَصٌ

مَنْيَحْتَنَا فِيمَا تُرَدُّ الْمَنَائِحُ³
وَجِسْمٌ زُخَارِيٌّ وَضِرْسٌ مُجَالِحٌ⁴

[من الطويل]

بَلَى ، سَنَوْدِيهَا إِلَيْكَ ذَمِيمَةً
فَعَمِدَ بِهِ جَبْهَاءُ فَنَزَلَ ، وَقَالَ :

لِتَنْكِحَهَا إِنْ أَعَوَزَتْكَ الْمَنَائِحُ
لَوْ كُنْتُ شَيْخًا مِنْ سَوَاةِ نَكْحَتِهَا

قَالَ : وَهُمْ يُعَيِّرُونَ بِنِكَاحِ الْعَنْزِ .

[قوله لمن مطلقه الكبش]

أخبرني وكيع ، قال : حدثني أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ ، عَنْ مُصْعَبٍ ، قَالَ : اسْتَطَرَّقَ جَبْهَاءُ
الْأَشْجَعِيَّ مُوسَى بْنَ زِيَادٍ الْأَشْجَعِيَّ كَبِشًا ، فَوَعَدَهُ ثُمَّ مَطَّلَهُ ، فَقَالَ جَبْهَاءُ⁵ :

وَأَعَدَّنِي الْكَبِشَ مُوسَى ثُمَّ أَخْلَفَنِي
يَا لَيْتَ كَبِشَكَ يَا مُوسَى يُصَادِفُهُ

وَمَا لِمَثْلِي تُعْتَلُّ الْأَكَاذِيبُ
بَيْنَ الْكُرَاعِ وَبَيْنَ الْوَجَنَةِ الذِّيبُ

أَمْسَى بِذِي الْغُصْنِ أَوْ أَمْسَى بِذِي سَلَمٍ
فَقَحَمْتَهُ إِلَى أَبِييَاتِكَ اللَّوْبُ⁶

1 حقف : ما اعوج من الرمل . والأرجام : أرض الستار .

2 انظر المفضلية 33 وشعراء أمويون : 16-17 .

3 المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة أو الشاة تعطىها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك .

4 المقلص : الطويل . والزخاري : الكثير اللحم والشحم . والمجالح : الذي يجتلع (بقش) الشجر .

5 شعراء أمويون : 15 عن الأغاني .

6 اللوب : العطش .

فجاء والحيُّ أيقاظُ فطافَ بهم طوفين ثم أقرته الأحاليبُ
فبات ينظره حرَّانٌ مُنطويًّا كأنه طالبٌ للوترِ مكروبُ
وقام يشتدَّ حتى نال غرته طاوي الحشا ذربُ الأنيابِ مذبوب¹
بغفلةٍ من زريقٍ فاستمرَّ به ودونه آكُم الحِقْفِرِ الغرايبُ
سلَّ عنه أرخمه ييضاً وأغربةً سوداً هنَّ حنَّى أطمى سلاهي²
يردين رذي العذارى حول دمتيه كما يطوفُ على الحرضِ المعاقيبُ
فجاء يحملُ قرنيه ويندبه فكلُّ حيٍّ إذا ماتَ مندوبُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

ولها ولا ذنبَ لها حُبُّ كأطرافِ الرِّماحِ
في القلبِ يَجْرَحُ والحشا فالقلبُ مجروحُ النواحي
الشعر لوالية بن الحباب ، والغناء ليزيد ، رمل بالوسطى عن الهشامي وعمرو ، وفيه
لسبك الزامر لحن عن ابن خرداذبه .

1 مذبوب : مجنون . وذرب الأنياب : حادها .

2 السلاهي : الطوال .

[380] - أخبار والبة بن الحباب¹

والبة بن الحباب أسدي صليبة ، كوفي ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، يُكنى أبا أسامة . وهو أستاذ أبي نواس ، وكان ظريفاً شاعراً غزلاً وصافاً للشرب والعلمان المرء ، وشعره في غير ذلك مقارب ليس بالجيد ، وقد هاجى بشاراً وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً وفضّحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، ونحّل ذكره بعد .

[المهدي لا ينادمه]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبي ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري ، والحسن بن علي الأدمي جميعاً ، عن القاسم بن محمد الأنباري قال : حدّثنا يعقوب بن عمر ، قال : حدّثني أحمد بن سلمان ، قال : حدّثني أبو عدنان السلمي الشاعر ، قال² : قال المهديّ لعمارة بن حمزة : مَنْ أَرْقُ النَّاسِ شِعْراً ؟ قال : والبة بن الحباب الأسديّ ، وهو الذي يقول :

ولها ولا ذنب لها حُبُّ كَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ
في القلبِ يقدحُ والحشا فالقلبُ مَجْرُوحُ النُّوَاحِي

قال : صدقتَ والله ، قال : فما يَمْنَعُكَ عن مُنَادَمَتِهِ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : يَمْنَعُنِي قَوْلُهُ :

قُلْتُ لِسَاقِينَا عَلَى خَلْوَةٍ أَذْنِ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَاسِي
وَنَمْ عَلَى صَدْرِكَ لِي سَاعَةً إِنِّي أَمْرُؤُ أَنْكَحُ جُلَاسِي
أَفْتَرِيدُ أَنْ نَكُونَ مِنْ جُلَاسِيهِ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ؟

[شعر في أبي نواس]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة : حدّثني عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ووجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ ، فجمعتهما ، قال : حدّثني الدّعلاجيّ غلامُ أبي نواس ، قال : أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نواس قوله³ :

1 ترجمة والبة بن الحباب في تاريخ بغداد 13 : 487-490 وطبقات ابن المعتز : 87-89 والوفاء بالوفيات 4 : 247-248 والشعر والشعراء (ترجمة أبي نواس) . وانظر أعلام الزركلي .

2 انظر الخبر والشعر في طبقات ابن المعتز : 88-89 .

3 البيت في ديوان أبي نواس (الغزالي) : 41 وانظر الموشح : 241 .

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمٍ نمتَ عن ليلى ولم أنم¹

وكان قد سكر ، فقال : أخبرك بشيء على أن تكتمه ؟ قلتُ : نعم ، قال : أتدري من المعنيِّ بقوله : يا شقيقَ النفسِ من حَكَمٍ ؟ ، قلتُ : لا ، قال : أنا والله المعنيُّ بذلك ، والشعر لوالبة بن الحُبَاب ؛ قال : وما عَلِمَ بذلك غيرُكَ وأنتَ أعلم . فما حدثت بهذا حتى مات .
[أصدقاء والبة]

قال : وقال الجاحظ : كان والبة بن الحُبَاب ، ومُطِيعُ بن إياس ، ومُنْقَذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ ، وحَفْصُ بن أبي وردة ، وابن المقفّع ، ويونسُ بن أبي فروة ، وحمّادُ عَجْرَد ، وعليُّ بن الخليل ، وحمّادُ بن أبي ليلى الراوية ، وابن الزُّبرقان ، وعمارة بن حمزة ، ويزيدُ بن الفيض ، وجميلُ بن محفوظ ، وبشارُ المُرْعَث ، وأبانُ اللّاحقيّ ندماء ، يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترون ، ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً ، وكلّهم مُتَهَمٌ في دينه .
[تهاجيه مع أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ ، قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : حدّثني محمد بن القاسم ، قال : حدّثني إسحاقُ بن إبراهيم بن محمد السالمي الكوفيّ التيميّ ، قال : حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، قال : رأيتُ أبا العتاهية جاء إلى أبي ، فقال له : إنّ والبة بن الحُبَاب قد هجاني ، ومَن أنا منه ؟ أنا جرّارٌ مسكينٌ ؛ وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه ، فأجِبَ أن تكلمه أن يُمسِكَ عني . قال : فكلمَ أبي والبة ، وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك ، فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية ، فتركه ؛ ثم جاء أبو العتاهية فسأله عمّا عمل في حاجته ، فأخبره بما ردّ عليه والبة . فقال لأبي : لي الآن إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : لا تكلمني في أمره ، قال : قلت له : هذا أوّل ما يجب لك ، قال : فقال : أبو العتاهية يهجو² :

أوالبُ أنتَ في العَرَبِ كمِثْلُ الشَّيْصِ في الرُّطَبِ³
هَلُمَّ إلى المَوالِي الصَّيِّ سدّ في سَعَةٍ وفي رَحَبِ
فأنتَ بنا لعمُرُ الل ه أشبهُ منك بالعَرَبِ

1 عن ليلى في ل : عن عيني .

2 ديوان أبي العتاهية : 494-495 (عن الأغاني) .

3 الشيص : أردأ التمر .

غَضِيتُ عَلَيْكَ ثُمَّ رَأَيْتُ
لِمَا ذَكَرْتَنِي مِنْ لَوْنٍ أَجْدُ
فَقُلْ مَا شِئْتَ أَقْبَلُهُ
لَقَدْ أَخْبَرْتَ عَنْكَ وَعَنْ
فَقَالَ الْعَارِفُونَ بِهِ
أَتَانَا مِنْ بِلَادِ الرُّو
خَفِيفَ الْحَاذِ كَالصَّمْصَا
أَوَالْبُ مَا دِهَاكَ وَأَدَّ
أَرَاكَ وَلِدْتَ بِالْمِرْيَ—
فَجِئْتَ أَقْيَشِرَ الْخَدِيدِ
لَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي شَتْمِي

تُ وَجْهَكَ فَانْجَلَى غَضَبِي
سَدَادِي وَلَوْنِ أَبِي
وَإِنْ أَطْنَبْتَ فِي الْكَذِبِ
أَبِيكَ الْخَالِصَ الْعَرَبِي
مُصَاصٌ غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ¹
مُتَعَجِّراً عَلَى قَتَبِ
مِ أَطْلَسَ غَيْرَ ذِي نَشَبٍ²
تَ فِي الْأَعْرَابِ ذُو نَسَبِ
خِرَ يَا ابْنَ سَبَائِكَ الذَّهَبِ
نَ أَزْرَقَ عَارِمَ الذَّنْبِ
فَخَبَّرَنِي أَلَمْ أُصِيبَ

وقال في والبة أيضاً³ :

نَطَقْتُ بَنُو أَسَدٍ وَلَمْ تَجْهَرْ
وَأَمَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ لَوْ نَطَقْتُ
أَيُّرُومُ شَتْمِي مِنْهُمْ رَجُلٌ
وَإِبْنُ الْحُبَابِ صَلِيَّةٌ زَعَمُوا
مَا بَالُ مَنْ أَبَاؤُهُ غُرَبُ الْأَلْ
أَتَرُونَ أَهْلَ الْبَدْوِ قَدْ مُسِيخُوا

وَتَكَلَّمْتُ خَفِيًّا وَلَمْ تَظْهَرْ
لَتَرَكْتُهَا وَصَبَّاحُهَا أَغْبَرْ
فِي وَجْهِهِ عِبْرٌ لِمَنْ فَكَّرُ
وَمِنْ الْحَالِ صَلِيَّةٌ أَشْقَرُ
وَوَانِ يُحْسَبُ مِنْ بَنِي قَيْصَرُ
شُقْرًا أَمَّا هَذَا مِنَ الْمُنْكَرُ

قال : وأول هذه القصيدة :

صَرَخَ بِمَا قَدْ قَلَّتْهُ وَاجْهَرْ
مَا لِي رَأَيْتُ أَبَاكَ أَسْوَدَ غَيْرِ
وَكَأَنَّ وَجْهَكَ حُمْرَةً رِيَّةً

لَابِنِ الْحُبَابِ وَقُلْ وَلَا تَحْصَرْ
بَيْبَ الْقَذَالِ كَأَنَّهُ زُرْزُرُ⁴
وَكَأَنَّ رَأْسَكَ طَائِرٌ أَصْفَرُ

1 المصاص : الخالص من كل شيء . ومؤتشب : مختلط .

2 الحاذ : الظهر . وخفيف الحاذ : قليل المال .

3 ديوان أبي العتاهية : 459-460 (عن الأغاني) .

4 غريب : أسود . القذال : جماع مؤخر الرأس . زرزر : زرزر .

قال : وبلغ الشعرُ والبة ، فجاء إلى أبي فقال : قد كلّمتني في أبي العتاهية ، وقد رغبتُ في الصّلاح ؛ قال له أبي : هيهاتَ إنّه قد أكّد عليّ إن لم تقبل ما طلب أن أخلي بينك وبينه ، وقد فعلت . فقال له والبة : فما الرأي عندك ؟ فإنّه فضحني ، قال : تنحدر إلى الكوفة . فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله : [من الخفيف]

كان فينا يُكنى أبا إسحاقٍ وبها الركبُ سار في الآفاقِ
فتكنّى معنوهاً بعناه يا لها كنيةً أتت باتفاقِ
خلقَ اللهَ لِحياةٍ لك لا تَن فكُ معقودةً لدى الحلاقِ

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره :

قُلْ لابنِ بائعةٍ الغضارِ وابنِ الدُّواقِ والجرارِ
تَهوى عُنَيَّةً ظاهراً وهواك في أَيْرِ الحِمَارِ
تهجو مواليك الألى فكُوك من ذلِّ الإسارِ

[والبة وعليّ بن ثابت]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : حدّثني ابن أبي فنّ ، قال : كان والبة بن الحباب خليلاً لعليّ بن ثابت ، وصديقاً ودوداً ، وفيه يقول : [من السريع]

حَيَّ بها والِبةَ المصطَفَى حَيَّ كَرِيماً وابنِ حُرِّ هِجَانِ
وقاسِماً نَفْسِي فَذَتْ قاسِماً من حَدَثِ المَوْتِ وَرَيْبِ الزَّمانِ

قال : ولما مات والبة رثاه ، فقال :

بكت البريّة قاطِبةً جَزَعاً لِمَصْرَعِ والِبةِ
قامتْ لِمَوْتِ أبي أسا مةً في الرِّفاقِ النّادِبةِ

[لقاؤه أبا نواس]

قال : وكان والبة أستاذ أبي نواس ، وعنه أخذ ومنه اقتبس ؛ قال : وكان والبة قد قصّد أبا بَجِير الأسديّ وهو يتولّى للمَنْصور الأهوازَ ، فمدّحه وأقام عنده ، فألفى أبو نواس هناك وهو أُمرد ، فصَحّبه وكان حسنَ الوجّه ، فلم يزل معه ، فيقال : إنّه كشفَ ثوبه ليلةً فرأى حُمرةً أَلْيَنِيهِ وبياضهما ، فقبَلهما فضرَطَ عليه أبو نواس ، فقال له : لِمَ فعلتَ هذا ويْلَكَ ، قال : لئلاّ يضيّع قولُ القائل : ما جزاءُ مَنْ يُقبِلُ الاستِ إلاّ ضرَطَةٌ .

[شعره في صديقه أبي سلهب]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثني عمّي الفضل ، قال : حدّثني أبو سلهب

الشاعر ، قال : كان والبةُ بنُ الحبابِ صديقي ، وكان ماجناً طبعاً ، خفيفَ الروح ، خبيثَ الدين ، وكنا ذات يوم نَشربُ بَغْمَى ، فانتبه يوماً من سُكْرِهِ ، فقال لي : يا أبا سلهب ، اسمع ، ثم أنشدني ، قال :

شَرِبْتُ وَفَاتِكُ مِثْلِي جَمُوحٌ بَغْمَى بِالْكُؤُوسِ وَبِالْبَوَاطِي
يُعَاطِينِي الزَّجَاجَةَ أُرِيحِي رَخِيمُ الدَّلِّ بُورِكَ مِنْ مُعَاطِي
أَقُولُ لَهُ عَلَى طَرَبٍ : أَلْطَنِي وَلَوْ بِمُؤَاجِرِ عِلْجٍ نَبَاطِي
فَمَا خَبِرُ الشَّرَابِ بَغِيرِ فُسْقِي يُتَابَعُ بِالزَّنَاءِ وَبِاللَّوَاطِ
جَعَلْتُ الْحَجَّ فِي غُمَى وَبِنَا وَفِي قَطْرُئِلٍ أَبْدَأُ رِبَاطِي¹
فَقُلْ لِلْخَمْسِ آخِرُ مُلْتَقَانَا إِذَا مَا كَانَ ذَاكَ عَلَى الصَّرَاطِ

يعني الصَّلَوَات .

[إبليس يشي على أبي نواس]

قال : وحدثني أنه كان ليلة نائماً وأبو نواس غلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه ، فقال له : أتدري مَنْ هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشعر من الجِنَّ وأنس ، أما والله لأفْتِنَنَّ بشِعْرِهِ الثَّقَلَيْنِ ولَأَغْرِيَنَّ به أهلَ المشرق والمغرب ، قال : فعلمتُ أنه إبليس ؛ فقلتُ له : فما عندك ؟ قال : عصيتُ ربِّي في سَجْدَةٍ فأهلكَنِي ، ولو أمرني أن أسجُدَ له ألفاً لَسَجَدْتُ .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد بن إسحاق : قال : قرأتُ على أبي عن أبيه أنَّ حَكَمَ الوادي أخبره أنه دخل على محمد بن العباس يوماً بالبصرة وهو يتملّمل خمراً ، ويبيده كأس وهو يجتهد في شربها فلا يُطِيقه ، ونُدماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم ، وكان يوم نيروز ، فقال لي : يا حَكَمُ غنّني فإن أطربتني فلكَ كُلُّ ما أهدي إلي اليوم قال : وبين يديه من الهدايا أمر عظيم ، فاندفعتُ أغني في شعر والبة بن الحباب : [من المجتث]

صوت

قد قابلتنا الكؤوسُ ودأبَرْتَنَا النُّحُوسُ
واليومَ هرمزروز قد عَظَّمْتَهُ المَجُوسُ
لم نُخطِئه في حسابٍ وذاك مِمَّا نَسُوسُ

1 غَمَى وَبِنَا : ناحيتان من نواحي بغداد .

فطرب واستعاده ، فأعدته ثلاث مرّات ، فشُمّرت قدحه¹ واستمرّ في شربه ، وأمر بحمل كلّ ما كان بين يديه إلّى ، فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم .
لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالنصر عن الهشامي وإبراهيم وغيرهما .

صوت²

[من الوافر]

لقد زادَ الحَيَاةَ إلّى حُبّاً بناتي إنّهنّ من الضّعافِ
مخافةً أن يذُقن البؤسَ بعدي وأن يشرّبن رنقاً بعد صافِ
وأن يعرّين إن كُسيَ الجوّاري فييدي الصرّ عن كرمِ عِجافِ³
ولولاهنّ قد سوّمتُ مهري وفي الرّحمان للضعفاء كافِ

الشعر لعمران بن حِطّان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيباني ، وذكر المدائني أنّه لعيسى الحبّطي ، وكلاهما من الشُّرة ، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانه .

1 شمرت قدحه : خففت بالماء .

2 تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن عاتك (فاتك) الخطي (الخطي) : انظر معجم المرزباني : 95-96 وديوان شعر الخوارج : 71 .

3 المرزباني : فتنبو العين عن عرّ عِجاف . وفي رواية : عن هرل عِجاف .

[381] - أخبار عمران بن حطان ونسبه¹

هو عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ ، بن ظَبْيَانَ بن لَوْذَانَ ، بن عمرو ، بن الحارث ، بن سدّوس ، بن شَيْبَانَ ، بن ذُهَلٍ ، بن ثَعْلَبَةَ ، بن عُكَّابَةَ ، بن صَعْبٍ ، بن عَلِيٍّ ، بن بكر ، بن وائل .

وقال ابن الكلبيّ : هو عمران بن حِطَّانٍ ، بن ظَبْيَانَ ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن سدّوس . ويُكنى أبا سيمك . شاعر فصيح من شعراء الشُّرَاة ودُعَاتِهِمُ والمُقَدِّمِينَ في مذهبهم ، وكان من القَعْدَةِ ؛ لأنَّ عُمره طال فضَعُفَ عن الحرب وحضورها . فاقْتَصَرَ على الدَّعْوَةِ والتَّحْرِيزِ بلسانه .

[روايته الحديث]

وكان قبل أن يُفْتَنَ بالشُّرَاة مشتهراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُليَ بذلك المذهب فضلَّ وهلك ، لعنه الله ، وقد أدرك صدراً من الصحابة ، وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث . فما رُوي عنه ما أخبرنا به محمد بنُ العباسِ اليزيديّ ، قال : حدَّثنا الرِّياشيّ ، قال : حدَّثنا أبو الوليد الطَّيَالِسيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي صالح بن سَرْحِ اليَشْكِرِيِّ ، عن عمران بن حِطَّانٍ قال : كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضَاة ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بالقاضي العَدْلُ ، فلا يزال به ما يرى من شِدَّةِ الحِسَابِ ، حتى يتمنّى أنّه لم يَقْضِ بين اثنين في تَمَرَةٍ» .

وكان أصله من البصرة ، فلمّا اشتهرَ بهذا المذهب طلبه الحَجَّاجُ ، فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ، فهرب إلى عُمان ، وكان يتنقل إلى أن ماتَ في تواريه .

[أضلته امرأة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عَلِيٍّ العَنَزِيُّ ، قال : حدَّثنا مَنِيعُ بن أحمد السَّدُوسِيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان عمرانُ بْنُ حِطَّانٍ من أهل السَّنَةِ والعِلْمِ ، فتزوَّج امرأةً من الشُّرَاة من عشيرته ، وقال : أرَدُّها عن مذهبها إلى الحقِّ ، فأضلته وذهبت به .

1 لعمران بن حطان ترجمة في الإصابة وكامل المبرد : 1083 فما بعدها وميزان الاعتدال 2 : 276 والمؤتلف : 125-126 وخزانة البغدادى 5 : 350-362 وديوان شعر الخوارج (جمع وتحقيق إحسان عباس) : 157-158 وفيه مجموع شعره : 157-191 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[هربه من الحجاج إلى الشام]

وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عُمَرُ بن عبد الله بن جميل العتكيّ ، ومحمد بن العباس اليزيديّ ، قالا : حَدَّثَنَا الرِّياشيّ ، قال : حَدَّثَنَا الحَكَمُ بن مروان ، قال : حَدَّثَنَا الهيثم بن عديّ قال : طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسيّ ، وكان من قعدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عُماله وإلى عبد الملك .

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحسن بن عليّ الخفاف ، ومحمد بن عمران الصيرفيّ ، قالا : حَدَّثَنَا العنزيّ ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصّمد الدّارع ، قال : حَدَّثَنَا أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنيّ ، عن أخيه يزيد بن المثنيّ : أن عمران بن حطان خرج هارباً من الحجاج ، فطلبه ، وكتب فيه إلى عُماله وإلى عبد الملك ، فهرب ولم يزل يتنقل في أحياء العرب ، وقال في ذلك ¹ :

حَلَلْنَا فِي بَنِي كَعْبِ بْنِ عَمْرِو فِي رِغْلٍ وَعَامِرٍ عَوْثَانٍ²
وَفِي جَرَمٍ وَفِي عَمْرِو بْنِ مُرٍّ فِي زَيْدٍ وَحَيٍّ بَنِي الْغَدَانِ³

[عند روح بن زنباع]

ثم لحق بالشام فنزل بروح بن زنباع الجذامي ، فقال له رَوْح : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قال : من الأزد ، أزد السّراة . قال : وكان رَوْح يسمرُ عند عبد الملك فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين إنَّ في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قطّ إلّا حَدَّثَنِي به وزاد فيما ليس عندي . قال : مِمَّنْ هو ؟ قال : من الأزد ، قال : إِنِّي لَأَسْمَعُكَ تصف صفة عمران بن حطان ؛ لِأَنِّي سمعتك تذكر لغة نزاریّة . وصلاة وزهداً ورواية وحِفْظاً ، وهذه صفته . فقال رَوْح : وما أنا وعمران ! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد : فإنَّ رجلاً من أهل الشّقاق والنّفاق ، قد كان أفسد عليّ أهل العراق وحبيبهم بالشّراية ، ثم إِنِّي طلبته ، فلمّا ضاق عليه عملي تحوّل إلى الشام ، فهو يتنقل في مدائنّها ، وهو رجل ضَرَبَ طوالُ أفوه أروق⁴ ، قال : قال رَوْح : هذه والله صفة الرجل الذي عندي . ثم أنشد عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، لعنه الله ، بَقْتَلِهِ عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ⁵ :

1 شعره : 183 .

2 شعره : وفي عك .

3 شعره : وفي لخم وفي أَد بن عمرو وفي بكر ...

4 الضرب : الخفيف اللحم . والأروق : الطويل الأسنان .

5 شعره : 164 مع بعض اختلاف .

يا ضربة من كريم ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأفكر فيه ثم أحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لروح : سل ضيفك عن قائلها ، قال : نعم أنا سائله ، وما أراه يخفى على ضيفي ولا سألته عن شيء قط فلم أجده إلا عالماً به . وراح روح إلى أضيفه ، فقال : إن أمير المؤمنين سألنا عن الذي يقول :

يا ضربة من كريم ما أراد بها

ثم ذكر الشعر ، وسأله عن قائله ، فلم يكن عند أحد منهم علم ، فقال له عمران : هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب . قال : فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه ؟ قال : نعم :

لله در المرادي الذي سفكت كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
أمسى عشية غشاه بضرته مما جناه من الآثام عريانا

صلوات الله على أمير المؤمنين ، ولعن الله عمران بن حطان وابن ملجم ، فغدا روح فأخبر عبد الملك ، فقال : من أخبرك بذلك ، فقال : ضيفي ، قال : أظنه عمران بن حطان ، فأعلمه أنني قد أمرتك أن تأتيني به ، قال : أفعل . فراح روح إلى أضيفه فأقبل على عمران ، فقال له : إني ذكرت لك لعبد الملك ، فأمرني أن آتيه بك ، قال : كنت أحب ذلك منك ، وما منعني من ذكره إلا الحياء منك ، وأنا متبّعك ، فانطلق . فدخل روح على عبد الملك ، فقال له : أين صاحبك ؟ فقال : قال لي : أنا متبّعك قال : أظنك والله سترجع فلا تجده . فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى ، وإذا هو قد خلف رقعة في كوة عند فراشه ، وإذا فيها يقول¹ :

يا روح كم من أخي متوى نزلت به قد ظن ظنك من لحم وغسان
حتى إذا خفته فارقت منزله من بعد ما قيل : عمران بن حطان
قد كنت ضيفك حولا لا تروعي فيه الطوارق من إنس ولا جان
حتى أردت بي العظمى فأوحشني ما أوحش الناس من خوف ابن مروان

فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زِنْبَاعٍ فَإِنَّ لَهُ
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَّةٍ
لَكِنْ أَبْتُ ذَاكَ آيَاتٍ مُطَهَّرَةٍ

في الحادثاتِ هناتِ ذاتِ ألوانِ
وإن لقيتُ معدّيًا فعذناني
كنتُ المُقدّم في سِرِّي وإعلاني
عند التلاوة في طه وعِمران¹

[لجوء إلى زفر بن الحارث]

قال : ثم أتى عمران بن حِطّان الجزيرة ، فنزل بزُفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا ، فجعل شبابُ بني عامر يتعجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزُفر أوزاعياً . فقدم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حِطّان بالشام عند رُوح بن زنباع ، فصافحه وسلّم عليه . فقال زُفر للشامي : أتعرّفه ؟ قال : نعم ، هذا شيخ من الأزد ، فقال له زفر : أزدِيّ مرّةً وأوزاعيّ أخرى ! إن كنتَ خائفاً آمناك ، وإن كنت عائلاً أغنيك ، فقال : إن الله هو المغني ، وخرج من عنده وهو يقول² :

إِنَّ الَّتِي أَصْبَحْتَ يَغِيَا بِهَا زُفَرٌ
أَمْسَى يُسَائِلُنِي حَوْلًا لِأُخْبِرَهُ
حَتَّى إِذَا انْجَدَمَتْ مِنِّي حَبَائِلُهُ
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ رُوحٌ إِنِّي رَجُلٌ
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا
فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ هَزْزِي وَمَسْأَلَتِي
أَكْرِمْ بَرُوحَ بْنَ زِنْبَاعٍ وَأُسْرَتَهُ
جَاوَرْتَهُمْ سَنَةً فِيمَا دَعَوْتُ بِهِ
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنَعِيّ بِحَادِثَةٍ

أَعْيَتْ عِيَاءٌ عَلَى رُوحِ بْنِ زِنْبَاعٍ
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ
كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعِي³
إِمَّا صَرِيحٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ⁴
كُلُّ أَمْرٍ لِّلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعِي
مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعٍ
قَوْمًا دَعَا أَوَّلِيهِمُ لِلْعُلَا دَاعِي
عِرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ
حَسْبُ اللَّيِّبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِي

[مره إلى عُمان]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثرون ذكرَ أبي بلال مرداس بن أدية ، ويُثنون عليه ويدكرون فضله ، فأظهر فضله ويسر أمره عندهم ، وبلغ الحجّاج مكانه ، فطلبه ، فهرب

1 عند التلاوة في ل والشعر : عند الولاية .

2 شعره : 180-181 مع اختلاف يسير .

3 إهلاعي : إفراعي وترويعي .

4 فقعة القاع : من لا أصل له وقد تقدم المثل .

فنزل في روذَميسان ، طَسُوج¹ من طاسيج السَّوَاد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزد ، فقال في ذلك² : [من الطويل]

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ أَسْرُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرِ
نَزَلْتُ بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَمَا لَهُمْ عُدُوٌّ سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ
مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ يَمَانِيَّةٍ قَرَّبُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ³

قال اليزيدي : الإنس بالكسر : الاستئناس . وقال الرياشي : أراد قَرَّبُوا فخفف ، قال :

وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعَشَرٍ بَدَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ⁴
أَوْ الْحَيِّ قَحْطَانٍ وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ كَمَا قَالَ لِي رَوْحٌ وَصَاحِبُهُ زُفَرٌ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا يُسَرُّ بِنَسْبَةٍ تُقَرِّبُنِي مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ
فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَأَوَّلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شُكِرُ⁵

[من الذي حوَّله عن مذهبه ؟]

أخبرنا اليزيدي قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثنا الأصمعي عن المُعْتَمِر بن سليمان قال : كان عمران بن حِطَّان رجلاً من أهل السنة ، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نَصْل ، فقلبه عن مذهبه في مجلس واحد .

أخبرني اليزيدي ، قال : حدَّثنا الرياشي ، قال : حدَّثنا مسدَّد بن مُسرَّهَد ، قال : حدَّثنا بشر بن المُفَضَّل ، عن سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِي ، قال : حدَّثنا عمرو بن علي القلاس ، وعباس العنبري ، ومحمد بن عبد الله المخزومي ، قالوا : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن بشر بن المُفَضَّل ، عن سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : تزوَّج عمران بن حِطَّان امرأة من الخوارج فقبل له فيها ، فقال : أرَدُّها عن مذهبها فذهبت هي به .

[متخلف عن الخروج يتمثل بشعر عمران]

نَسَخْتُ عَنْ بَعْضِ الْكُتُبِ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ ، عَنْ جُوَيْرِيَّةَ قَالَ : كَتَبَ عَيْسَى الْحَبْطِيُّ إِلَى

1 الطسوج : الناحية أو القرية .

2 شعره : 182 مع بعض اختلاف .

3 شعره : طابوا بدل قربوا .

4 شعره : أتوني فقالوا .

5 شعره : والله ربنا .

رجلٍ منهم يقال له أبو خالد ، كان تخلف عن الخروج مع قطريٍّ أو غيره منهم¹ : [من الطويل]
 أبا خالدٍ أنْفُرْ فلستَ بخالدٍ وما تركَ الفرقانُ عُذْرًا لِقَاعِدِ
 أنزعِمُ أنَّ الخارجين على الهدى وأنتَ مُقيمٌ بين لصٍّ وجاحدٍ !
 فكتب إليه : ما منعني عن الخروج إلَّا بناتي والحدبِ عليهن حين سمعتُ عمران بن
 حِطَّانٍ يقول² :

لقد زاد الحياةَ إليَّ حبًّا بناتي إنهنَّ من الضَّعافِ
 ولولا ذاك قد سوَّمتُ مُهرِي وفي الرِّحمنِ للضعفاءِ كافٍ
 قال : فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ، ويقول : صدق أخِي ، إنَّ في ذلك لعُذْرًا له ،
 وإنَّ في الرِّحمنِ للضعفاءِ كافيًا .
 [رأى الأخطل في شعره]

وقال هارون : أخذتُ من خطِّ أبي عَدْنان : أخبرني أبو ثروان الخارجي ، قال :
 سمعتُ أشياخَ الحيِّ يقولون : اجتمعت الشعراء عند عبدِ الملك بن مروان فقال لهم : أبقِي
 أحدَ أشعر منكم ؟ قالوا : لا . فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بقيَ مَنْ هو
 أشعر منهم ؛ قال : مَنْ هو ؟ قال عمرانُ بن حِطَّانٍ ؛ قال : وكيف صار أشعرَ منهم ؟
 قال : لأنَّه قال وهو صادقٌ ففاقهم ، فكيف لو كذبَ كما كَذَبُوا !
 [الحجَّاج وغزاة الحرورية]

أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُويه عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن محمد بن
 عليٍّ بن حمزة الخراساني ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهَّاب ، عن يحيى بن عباد بن
 عبد الله بن الزبير ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القاري ، عن الزهري ، عن أبيه : أنَّ
 غَزَاةَ الحرورية³ ، لما دخلت على الحجَّاج هي وشبيب الكوفة تحصَّن منها وأغلق عليه قصره ،
 فكتب إليه عمران بن حِطَّان ، وقد كان الحجَّاج لَجَّ في طلبه ، قال⁴ : [من الكامل]
 أسدٌ عليٌّ وفي الحروبِ نعامٌ ريداءٌ تجفُّل من صَفِيرِ الصافرِ⁵

1 نسب البيتاني في ديوان شعر الخوارج لقطري بن الفجاءة : 119-120 يقولهما لخالد القناني أحد القعدة .

2 نسبت الأبيات لعيسى بن فاتك (عاتك) الحبطي (الخطي) ولعمران بن حطان . ونسبتهما إلى أبي خالد القناني
 أقرب إلى السياق .

3 الحرورية : الخوارج سمو بذلك لاجتماعهم في حروراء .

4 شعره : 184 .

5 الريداء : السوداء والمنقطة بالحمرة .

هَلَا بَرَزَتْ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
صَدَعَتْ غَزَالَةُ قَلْبِهِ بِفَوَارِسٍ تَرَكْتَ مَدَابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ
ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ فَتَزَلَّ عَلَى رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا محمد بن خالد أبو حرب ، قال :
حدثنا محمد بن عباد المهلي ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، قال : كان عمران بن حطان
أشدَّ الناس خصومة للحرورية حتى لقيه أعرابي حروري فخاصمه فخصمه فصار عمران
حرورياً ، ورجع عن رأيه .

قال جرير بن حازم : كان الفرزدق يقول : لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ
فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا ، يعني لجودة شعره .

[نسية كثير من الشعر إليه]

نسختُ من كتاب ابن سعد قال : أخبرني الحسن بن عليل العنزي ، قال : أخبرني أحمد بن
عبد الله بن سويد بن مسعود السدوسي ، قال : أخبرني أحمد بن مؤرج ، عن أبيه قال : حدثني
به تميم بن سواده ، وهو ابن أخت مؤرج ، قال : حدثني أبو العوام السدوسي ، قال : كان مالك
المزوم رجلاً من بني عامر بن ذهل ، وكان من الخوارج ، وكان الحجاج يطلبه . قال أبو العوام :
فدخلت عليه يوماً وهو في تواريه ، فأنشدني يقول¹ :

أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتَرَكَ الصَّبَا وَأَنْ أَزَجَرَ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنْ الْهَوَى
وَمَا عَذْرُ مَنْ يَعْمَى وَقَدْ شَابَ رَأْسُهُ وَيُصِيرَ أَبْوَابَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى
وَلَوْ قَسِمَ الذَّنْبُ الَّذِي قَدْ أَصَبْتُهُ عَلَى النَّاسِ خَافَ النَّاسُ كُلَّهُمُ الرَّدَى
فَإِنْ جَنُّ لَيْلٍ كُنْتُ بِاللَّيْلِ نَائِماً وَأُصْبِحَ بَطَّالَ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى

قال : فلما فرغ من إنشادها قال : سيغلبني عليها صاحبكم ، يعني عمران بن حطان ،
فكان كذلك ، لما شاعت رواها الناس لعمران . وكان لا يقول أحد من الشُّرَاة شيئاً
إلا نُسِبَ إليه لشهرته إلا مَنْ كان مثله في الشهرة مثل قطري وعمرو القنا وذويهما .
قال : ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج ، فنزل بججر ، فاتاه آل حكام الخنفئون ،
فقال² :

[من الخفيف]

1 شعره : 192 .

2 شعره : 193-194 .

طَيَّرُونِي مِنَ الْبِلَادِ وَقَالُوا مَالِكُ النِّصْفِ مِنْ بَنِي حَكَّامٍ¹
 نَاقَ سِيرِي قَدْ جَدَّ حَقًّا بَنَا السَّيِّ رُ وَكُونِي جَوَّالَةً فِي الزُّمَامِ
 فَمَتَى تَعْلَقِي يَدَ الْمَلِكِ الْأَسَدِ سَوْدٌ تَسْتَيْقِنِي بِأَلَّا تُضَامِي²
 قَدْ أَرَانِي وَلِي مِنَ الْحَاكِمِ النَّصِّ فُ بَحْدُ السَّنَانِ أَوْ بِالْحُسَامِ

قال : والمملك الأسود إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة لعبد الملك ، وكان ابن حكام على شرطته قال :

وَمُنِينَا بِطَمَطِمْ حَبَشِيٍّ حَالِكِ الْوَجْتَيْنِ مِنْ آلِ حَامٍ³
 لَا يُبَالِي إِذَا تَضَلَّعَ خَمْرًا أَبْجِلُ رَمَاكَ أَمْ بِحَرَامٍ⁴

قال العنزريّ : فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة ، عن أبيه ، قال : كان مالك المزوم من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذات ليلة فَسَمِعَتْ قراءته امرأة من آل حكام فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه ، فسمع الصوت أهلها ، فأتوه فضرروه ضربات ، فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربيّ ، وكان عبد الله بن حكام على شرطته فلم يُعده⁵ عليهم ، فهجاه بالآيات الماضية ، وهجاه بقصيدته التي أولها⁶ :

دَارَ سَلَمَى بِالْجِرْعِ ذِي الْآطَامِ خَبَرْنَا سَقِيَتْ صَوْبَ الْغَمَامِ
 وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عمران بن حطان .

[اعتراف الفرزدق بتفوقه]

أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهانيّ ابن عمي قال : حدثني أبو جعفر بن رستم الطبريّ النحويّ ، قال : حدثنا أبو عثمان المازنيّ قال : حدثنا عمرو بن مرة قال : مرّ عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله ، فوقف عليه ، ثم قال⁷ :

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ يُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ

1 النصف : الانصاف .

2 شعره : فمتى تلقني .

3 الطمطم : الأعجم الذي لا يفصح .

4 تَضَلَّعَ : امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .

5 لم يعده : لم ينصره .

6 شعره : 193 .

7 شعره : 176 .

فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح فضل المقسم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد
فقال الفرزدق : لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شرًا .

[أوعظ بيت قائله العرب]

وقال هارون بن الزيات : أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرقي ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم العدوي قال : حدثنا يزيد بن مرة ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن عيسى بن يزيد بن بكر المديني ، قال : اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من سماره ، فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، فقال مسلمة : أي بيت قائلته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبد الله قوله :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل أبعد

فقال مسلمة : إنه والله ما وعظني شعر قط كما وعظني شعر ابن حطان حيث يقول¹ :

فيوشك يوم أن يقارن ليلة يسوقان حنفاً راح نحوك أو غدا

فقال بعض من حضر : والله لقد سمعته أجمل الموت ثم أفناه ، وما صنع هذا غيره ، فقال مسلمة : وكيف ذاك ؟ قال : قال² :

لا يعجز الموت شيء دون خالقه والموت فإن إذا ما ناله الأجل

وكل كرب أمام الموت متضيع للموت ، والموت فيما بعده جلل

فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : رددهما علي ، فرددهما عليه حتى حفظهما .

[خلات الصدق في زوجته]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدثنا منيع بن أحمد بن مؤرج السدوسي ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : تزوج عمران بن حطان حمزة بنت عمه ليردّها عن مذهب الشراية ، فذهبت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فمما قال فيها³ : [من البسيط]

1 لم يرد هذا البيت في مجموع شعره .

2 شعره : 168 .

3 شعره : 167 وفيه «جر» بدل «حمز» .

يَا حَمَزَ إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مُثْنٍ بِخَلَاتٍ صِدْقٍ كُلُّهَا فِيكَ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ كَذِبًا فِيمَا عَلِمْتُ وَأَنْتَ لَا أَزْكِيكَ

[لا يكذب في شعره]

أخبرني الحسن قال : حدثنا محمد بن موسى ، وحدثني بعض أصحابنا ، عن العُمريّ ،
عن الهيثم بن عديّ : أَنَّ امْرَأَةً عَمْرَانَ بْنَ حِطَّانٍ قَالَتْ لَهُ : أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّكَ لَا تَكْذِبُ فِي
شَعْرِكَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَتْ : أَفَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

وَكَذَاكَ مَجْزَأَةٌ بِنِ ثَوْرٍ كَانَ أَشْجَعَ مِنْ أُسَامَةَ

أَيَكُونُ رَجُلٌ أَشْجَعَ مِنَ الْأَسَدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ مَجْزَأَةَ بِنِ ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةَ كَذَا ، وَالْأَسَدُ
لَا يَقْدِرُ عَلَى فَتْحِ مَدِينَةٍ .

صوت

[من الطويل]

نَدِيمِيَّ قَدْ خَفَّ الشَّرَابُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ سَوْرَةً فِي عَظَمِ رَأْسِي وَلَا جِلْدِي
نَدِيمِيَّ هَذَا غِيْهُمٌ فَاشْرَبْنَا بِهَا وَلَا خَيْرَ فِي شُرْبِ يَكُونُ عَلَى صَرْدٍ¹
الشَّعْرُ لَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَابْنِ سُرَيْجٍ خَفِيفِ ثَقِيلِ .

1 الغب : الزيارة يوماً بعد يوم . والصد : الخالص من كل شيء ، أي صرفاً . وفي رواية «على حرد» أي على غضب .

[382] - أخبار عمارة بن الوليد ونسبه¹

عمارة بن الوليد ، بن المغيرة ، بن عبد الله ، بن مخزوم ، بن يقظة ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، وهو أحد أزواد الركب² ، ويقال له الوحيد ، وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قرّوه وأحسنوا ضيافته ، وزودوه ما يحتاج إليه لسفره . وكان عمارة بن الوليد فخوراً معنأ³ متعرضاً لكل ذي عارضة من قریش ، فأخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، عن الحزامي ، قال : مرّ عمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو ، فوقف عليه وهو مُتَشَرِّبٌ ، فقال : [من مجزوء الرمل]

خُلِقَ الْبَيْضُ الْحَسَنُ لَنَا وَجِيَادُ الرِّيطِ وَالْأَزْرُ
كَبِيراً كُنَّا أَحَقَّ بِهِ حِينَ صَيَغَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فأجابه مسافر بن عمرو بن أمية ، فقال : [من مجزوء الرمل]

أَعْمَارَ بَنِ الْوَلِيدِ لَقَدْ يَذْكُرُ الشَّاعِرُ مَنْ ذَكَرَهُ
هَلْ أَخُو كَأْسٍ مُخَفَّفِهَا وَمَوْقٌ صَحْبِهِ سَكْرَةٌ
وَمُحْيِيهِمْ إِذَا شَرِبُوا وَمَقِيلٌ فِيهِمْ هَذَرَةٌ
خُلِقَ الْبَيْضُ الْحَسَنُ لَنَا وَجِيَادُ الرِّيطِ وَالْحَبْرَةِ
كَبِيراً كُنَّا أَحَقَّ بِهِ كُلُّ حَيٍّ تَابِعٌ أَثَرَهُ

[يرك الشراب ثم يعود]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُرَانيُّ ، قال : حدثنا العُمَريُّ ، عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية : أن عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت : لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا ، قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشراب فلا أتركه ولا أستطيع . ثم اشتدّ وجده بها فحلف ألا يشرب ؛ فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب ، ثم إنه لبس ذات يوم حلته وركب ناقته وخرج يسير ، فمرّ بخمار وعنده شرب يشربون ، فدعوه فدخل عليهم

1 لعامة بن الوليد بن المغيرة المخزومي في نسب قریش : 322 وانظر تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد 1 : 202

و4 : 105 وقد تقدم خبر مرافقته عمرو بن العاص إلى الحبشة (انظر التذكرة الحمدونية 8 : 215-217) .

2 أزواد الركب : مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة ، لأن الراكب لم يكن يتزود براح .

3 المعن : من يدخل فيما لا يعنيه .

وقد أنفذوا ما عندهم . فقال للخمّار : أطعمهم ويلك ، فقال : ليس عندي شيء ، فنحر لهم ناقته ، فأكلوا منها ، فقال : اسقيهم ، ولم يكن معهم شيء يشربون به ، فسقاهم يبردته ؛ ومكثوا أياماً ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلما رآته امرأته ، قالت له : ألم تحلف ألا تشرب ؟ ولامته ، فقال :

[من الطويل]

ولسنا بشرب أم عمرو إذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم¹
ولكننا يا أم عمرو نديمنا بمنزلة الرّيان ليس بعائم
أسرك لما صرع القوم نشوة أن اخرج منها سالماً غير غارم
خلياً كأنني لم أكن كنت فيهم وليس الخداع مرتضى في التّنادم

[ملاحاته عمرو بن العاص]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم ، قال : حدّثني عمي : أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب ، قال : قدّم رجل من تجّار الرّوم بحلة من لباس قيصر على أهل مكّة ، فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فعرضها عليه بمائة حقّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحداً ؟ قال : نعم ، عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال : لن تعدم لها غويّاً من بني سهم ، قال : قد أخذتها : فاشتراها بمائة حقّ ، يعني مائة بعير ، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم ، فناداه عمارة : أتبيع الحلة يا عمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة ، فقال :

[من الوافر]

عليك بجزر رأس أبيك إنا كفيّناك المسهمة الرّفاقا²
زووها عنكم وغلت عليكم وأعطينا بها مائة حقا
وقلتهم : لا نطيق ثياب سهم وكلّ سوف يلبس ما أطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : يا عمرو ، ما هذا التّهوّر ؟ إنك لست بعتبة بن ربيعة ، ولا بأبي سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولا سهيل بن عمر ، ولا أبي بن خلف . فقال عمرو : إلا أكن بعضهم فإنّ كلّ واحد منهم خير ما فيه في : من عتبة حلمه ، ومن أبي سفيان رأيه ، ومن سهيل جوده ، ومن أبي بن خلف نجدته ، وأمّا الوليد فوالله ما أحبّ أن في كلّ ما فيه من خيرٍ وشرٍّ ، ولكنك والله مالك عقل الوليد ، ولا بأس الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ، ولا لسان أبي الحكم ، يعني أبا جهل . وانصرف ، فأمر عمارة بجزور فنحرت على

1 أم عمرو في ل : أم عوف .

2 المسهمة : المخططة .

طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لَمَنْ هذه الجزور ؟ قيل : لعمارة ، فقال له : أطعمنا منها يا عمارة ، فضحك منه ، ثم قال :

عليك بجزر أير أيبك إنا
ومنسبة الأطايب من قريش
ونلبس في الحوادث كل زغف
فوقع الشر بينهم ، فقال عمرو :

لعمرو أيبك والأخبار تنمي
فلا تعجل عمارة إن سهما
وأورد يا عمارة إن عودي
فأجابه عمارة ، فقال :

أب مثل المغيرة والوليد
إلى عمرو بن مخزوم يعود
فما لي في الأباطح من نديد
بأنني غير مؤشيب زهيد⁴
شجاً في الحلقي من دون الوريد
وأصبر في وعا اليوم الشديد
وتطمعني المروءة في المزيد
مكان الردف من عجز القعود
له فأس وقدر من حديد
ألا يا عمرو هل لك في قريش
وجد مثل عبد الله ينمي
إذا ما عذت الأعواد نبعا
وقد علمت سراة بني لوي³
وأنني للمنابد من قريش
أحوط ذمارهم وأكف عنهم
وأبدل ما يرضن به رجال
وإنك من بني سهم بن عمرو
وكان أبوك جزاراً . . . وكانت

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني ، عن العمري ، عن أبي عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، أن عمر بن الخطاب قَسَمَ بروداً في المهاجرين .

قال العمري : هكذا ذكر أبو عوانة ، وقد حدثني الهيثم ، عن أبي يعقوب الثقفي ، عن عبد

1 المشاشة : رأس العظم اللين . والعراق : أكل اللحم عن العظم .

2 كأس دهاق : ممتلئة .

3 الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

4 مؤشيب : مختلط النسب غير صريح .

الملك بن عُمر ، قال : أخبرني مَنْ شَهِدَ ذلك : أنَّ عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعثَ إلى عمر بن الخطاب بِحُلٍّ من اليمن ، فقال عمر : عليَّ بالمحمَّدين ، فأتني بمحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ، ومحمد بن حطَّاب أخي حاطب ، وكلَّهم سمَّاه النبي ﷺ محمَّداً ، فأقبلوا ، فاطَّلَعَ محمد بن حطَّاب فيها ، فقال له عمر : يا شيبه معمر ، يعني عمَّا له قُتِلَ يوم بدر ، اكفف ، وكان زيد بن ثابت الأنصاريَّ عنده ؛ فقال له عمر : أعطهم حُلَّةً حُلَّةً . فنظر إلى أفضلها ، وكانت أمُّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ما هذا ؟ فقال : هذه لفلان ، الذي هو ربيبه ، فقال عمر : اردِّدْهُ ، وتمثَّلَ بقول عُمارَةَ بن الوليد :

أَسْرَكَ لَمَّا صرَّعَ القَوْمَ نشوَةً أن اُخْرَجَ منها سَالِماً غيرَ غارِمٍ
خَلِيّاً كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنتَ فِيهِمْ وليس الخِدَاعُ مُرْتَضًى في التَّنَادِمِ

وقال أبو عوانة : من تصافي التنادم .

ثم أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب ، ثم خلَّطها ، ثم قال : لِيُدْخِلْ كُلُّ امرئٍ يَدَهُ فليأخذ حُلَّتَهُ وما قُسِمَ له .

صوت

[من المنسرح]

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهُ
فأقبلَ من الدَّهرِ ما أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْناً بَعِيشَهُ نَفَعَهُ
لكلِّ هَمٍّ من الهمومِ سَعَةٌ والصُّبْحُ والمُسَيُّ لا فلاحَ مَعَهُ¹

الشعر للأضبط بن قُرَيْع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبابَةِ في مجرى البنصر من روايته ، وسمَّعناه يَغْنِي في طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذُكَاء وجه الرِّزَّة ، فذكر أنَّه سمعه من محمد بن يحيى المكيّ في هذه الطريقة ، ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه .

[383] - أخبار الأضيظ ونسبه¹

[الأضيظ مفرك]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني عبد الله بن طاهر ، قال : قال أبو محلم : أخبرني
 ضرار بن عيينة ، أحد بني عبد شمس ، قال : كان الأضيظ بن قريع مُفْرَكًا ، وكان إذا لقي في
 الحرب تقدّم أمام الصفّ ، ثم قال :

أنا الذي تفرّكهُ حلائلُهُ ألا فتى مُعشّقٌ أنارِلُهُ²

قال : فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن ، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك
 الأضيظ ، فأجمعن أن ذلك لأنّه بارد الكمرة ، فقالت لإحداهنّ خالتهما : أتعجز إحداكنّ إذا
 كانت ليلته منها أن تُسخن كمرته بشيء من دهن ؟ فلمّا سمع قولها صاح : يا آل عوف ، يا آل
 عوف ! فثار الناس وظنّوا أنّه قد أتى ، فقال : أوصيكم بأن تُسخنوا الكمرة فإنّه لا حُظوة
 لبارد الكمرة ، فانصرفوا يضحكون ، وقالوا : تبّاً لك ، ألهذا دعوتنا !

[بعضى ويلام]

قال أبو محلم : كانت أمّ الأضيظَ عَجِيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطُموح
 بنت دارم أمّ جُشَم وعبشمس ابني كعب بن سعد ، فعارب بنو الطُموح قوماً من بني سعد ،
 فجعل الأضيظ يدسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنصرتهم خوفاً من أن يتحزب قومه
 حزين معه وعليه ، وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأرّوه مع ذلك
 أنّهم على رأيه ، فقال في ذلك :

لكلّ همٍّ من الهُموم سَعَة	والمُسَيُّ والصُّبح لا فلاحَ معه ³
لا تحقيرنّ الفقيرَ علّك أن	تركعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَه
وصلّ جبال البعيد إن وصلَ الحبّ	لـ وأقصرَ القريبَ إن قطعَه
قد يجمع المال غيرَ آكلِهِ	ويأكل المال غيرَ مَنْ جمعه

1 ترجمة الأضيظ بن قريع في الشعر والشعراء : 298-299 والمعمرين : 7 وأمثال الضبي : 6 والسمط : 326
 وشرح شواهد المغني : 155 وخزانة البغدادي : 11 : 455-456 والمخير : 182 ، 247 .

2 المفرك : الذي تبغضه زوجاته .

3 صدر البيت في الخزانة : لكل ضيق من الأمور سعة . وفي الشعر والشعراء : يا قوم من عاذري من الخدعة .

ما بال مَنْ عَيْهٌ مُصِيبُكَ لَا يملك شيئاً من أمرِهِ وَرَعَهُ¹
 حتى إذا ما انجَلَّتْ غَوَايُهُ أَقبلَ يَلحَى وَغِيهَ فجَعَهُ
 أذودُ عن نفسه ويخدَعُنِي يا قوم مَنْ عاذِرِي من الخُدَعَةِ
 فأقبلُ من الدَّهْرِ ما أَتاك به مَنْ قَرَّ عَيْناً بَعِيشَه نَفَعَهُ

[شعره في امرأة نشزت]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدَّثنا الخَرَّاز عن المدائنيّ، قال : كان الأَضْبَطُ بن قريع قد تزوّج امرأة على مال ووصيفة، فنَشَرَتْ عليه، ففارقها ولم يعطيها ما كان ضمن لها، فلمّا احتملت أنشأ يقول :

أَلَمْ تَرَهَا بانت بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحبها الوَصَائِفُ
 ولكنّها بانت شَموسٌ بَرِيَّةٌ مذمة الأخلاق حذاء شارفُ
 لو أنّ رسولَ اللَّهِ سَلَّمَ واقفاً عليها لرامتُ وَصلَه وهو واقِفُ

أخبرنا وكيع قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : حدَّثنا الجَمَّاز : قال : أنشدت أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شعر الأَضْبَطِ :

وصلُ حبال البعيد إن وصل الحبّ حل وأقصر القريبَ إن قطعهُ

فما عرفا منه إلّا بيتاً وعجز بيت ، فالبيت الذي عرفناه :

فأقبل من الدَّهْرِ ما أَتاك به

والعجز :

يا قوم مَنْ عاذِرِي من الخُدَعَةِ

والخدعة : قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

صوت

[من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قارع سِنِّي²
 ولا مُسلمٍ مولاي عند جناية ولا خائفٍ مولاي من شرٍّ ما أَجْنِي
 الشعر لأعشى بني ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقل بالوسطى ، عن عمرو .

1 وزعه : كفه . ويروى : ما بال من سره مصابك . . .

2 في السمط (906) : ولا سالم قرني .

[384] - أخبار أعشى ربيعة ونسبه¹

الأعشى اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار : شاعر إسلامي من ساكني الكوفة ، وكان مرواني المذهب ، شديد التعصب لبني أمية .

[مديحه عبد الملك]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا عمي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمه العباس بن هشام ، عن أبيه ، قال : قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما الذي بقي منك ؟ قال : أنا الذي أقول :

[من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومي	بمُهْتَضَمٍ حَقِي ولا قارعٍ سُنِي
ولا مُسلمٍ مَولايَ عند جَنَايةٍ	ولا خائفٍ مَولايَ من شرٍّ ما أُجني
وإن فُؤادي بين جَنبي عَالِمٌ	بما أبصرت عيني وما سَمِعْتُ أذني
وفضَّلني في الشَّعرِ واللُّبِّ أَتَنِي	أقولُ على عِلْمٍ وأَعْرِفُ مَنْ أَعْنِي
فأصْبَحْتُ إذ فَضَّلْتُ مروانَ وابنه	على النَّاسِ قد فَضَّلْتُ خَيْرَ أبٍ وابن

فقال عبد الملك : مَنْ يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة ثُخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألفَ جَرِيب² ، وقال له : امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيْلاً³ فأتى زيدا فقال له : ائْتِنِي غداً ، فأتاه فجعل يردُّده ، فقال له :

يا زيدُ يا فِدَاكَ كُلُّ كاتبٍ في النَّاسِ بين حاضِرٍ وغائبٍ

1 ترجمة أعشى بني ربيعة في السمط : 906 والمؤتلف : 10-11 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776-1778 وجمهرة أنساب العرب : 324 وتاريخ ابن عساكر (تراجم عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد) : 222-224 وفيه معظم الشعر الوارد في هذه الترجمة .

2 الجريب : ثلاثة آلاف وستمئة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع .

3 عيل الرجل : من يعول من أزواج وأولاد وأتباع .

هل لك في حقِّ عليك واجب في مثله يرغب كلُّ راغبٍ
وأنت عَفٌّ طَيِّبُ المكاسبِ مُبَرِّئاً من عَيْبِ كلِّ عَائِبِ
ولستَ ، إن كَفَيْتَنِي وصاحبي طُولَ غُدُوٍّ ورواحِ دَائِبِ
وسُدَّةَ البابِ وعُفَّ الحَاجِبِ من نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سُفْيَانُ بنَ الأبرد الكليبي ، فكلَّمه سُفْيَانُ فأبطأ عليه ، فعاد إلى
سُفْيَانِ ، فقال له :
[من البسيط]

عُدْ إذ بدأتَ أبا يحيى فأنْتَ لَهَا ولا تَكُنْ حينَ هابِ النَّاسُ هَيَّابَا
واشْفَعْ شَفَاعَةَ أَنْفٍ لم يكنْ ذَنْباً فَإِنَّ منْ شَفَعَاءِ النَّاسِ أَذْنَابَا
فأتى سُفْيَانُ زَيْداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

[بحث عبد الملك على محاربة ابن الزبير]

قال محمد بن حبيب : دخل أعشى بني أبي ربيعة¹ على عبد الملك وهو يُروِّي في
الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد . فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك مُتَلَوِّماً يُنْهَضُكَ
الحَزْمُ ويقَعِدُكَ العَزْمُ ، وتَهْمُ بالإقدام وتَجَنُّحُ إلى الإحجام ، انْقَدْ لبصيرتك وأمضِ رأيك ،
وتوجَّهْ إلى عدوك ، فجدُّك مُقْبِلٌ ، وجدُّه مُدْبِرٌ ، وأصحابه له ماقِتُونَ ، ونحن لك
مُحِبُّونَ ، وكلمتُهم مُفْتَرِقةً ، وكلمتُنا عليك مُجْتَمِعةً ، والله ما توتى من ضَعْفِ جَنَانٍ ،
ولا قِلَّةِ أَعْوَانٍ ، ولا يُبْطِطُكَ عنه ناصح ، ولا يُحَرِّضُكَ عليه غاشٌّ ، وقد قلتُ في ذلك
أبياتاً فقال : هاتِها ، فإنَّكَ تنطقُ بلسانِ ودودٍ وقلبِ ناصح ، فقال :
[من الكامل]

آلُ الزُّبَيْرِ من الخِلافةِ كالتِّي عَجَلَ النَّجْدُ بِحِمْلِهَا فأحَالَهَا
أو كالضَّعَافِ من الحَمُولَةِ حُمِلَتْ ما لا تُطِيقُ فَضِيعَتِ أَحمَالِهَا
قُومُوا إليهم لا تَنَامُوا عنهم كَمَ للغَوَاةِ أَطْلُتُمُوا إِمهَالِهَا
إِنَّ الخِلافةَ فيكم لا فيهم ما زِلْتُمْ أركانَهَا وِثْمَالِهَا²
أَمَسُوا على الخِيراتِ قَفْلاً مغلَقاً فانْهَضْ يُمِينُكَ فافتَحْ أَقْفَالِهَا

فضحك عبدُ الملك وقال : صدقتَ يا أبا عبد الله ، إنَّ أبا حُبَيْبٍ لَقُفْلٌ دونَ كلِّ خيرٍ ،

1 يقال له : أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار ، و«أعشى بني أبي ربيعة» نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن
شيبان .

2 ثمالها : غيائها .

ولا نتأخر عن مُناجَرتِه إن شاء الله ، ونستعين الله عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأمر له بصلة سنّية .

[الحجّاج يَسِرُّ بكلامه بعد جفاء]

قال ابن حبيب : كان الحجّاج قد جفا الأعشى وأطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلمّا فرغ الحجّاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث ، وجعل يُوَيْخُ أهل العراق ويؤثّيهم ؛ فقال مَنْ حضر من أهل البصرة : إنَّ الرّيبَ والفتنة بدأ من أهل الكوفة ، وهم أوّل مَنْ خلع الطاعة وجاهر بالمعصية ؛ فقال أهل الكوفة : لا ، بل أهل البصرة أوّل مَنْ أظهر المعصية مع جرير بن هيمان السّدوسيّ ، إذ جاء مخالفاً من السّند . وأكثرُوا من ذلك ، فقام أعشى بني أبي ربيعة ، فقال : أصلح الله الأمير لا براءة من ذنب ، ولا ادّعاء على الله في عصمة لأحد من المصّرّين ، قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك ، فأبى الله إلّا نصرَكَ ؛ وذلك أنّهم جرّعوا وصبرت ، وكفروا وشكّرت ، وغفرت إذ قدّرت ، فوسّعهم غفو الله وعفوك فنجّوا ، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسّر الحجّاج بكلامه وقال له جميلاً ، وقال : تهياً للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاهاً ، انتهى .

[غضب الحجّاج عليه لرثائه ابن الجارود]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : بلغ الحجّاج أنّ أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود ، فغضب عليه ، فقال يعتذر إليه :

[من الطويل]

أبيتُ كأنّي من حِذار ابنِ يوسفٍ	طريدُ دمٍ ضاقتُ عليه المسالكُ
ولو غيرُ حجّاجٍ أراد ظلامتي	حمّتي من الضّيمِ السيوفُ الفواتكُ ¹
وفتيانُ صِدقي من ربيعة قُصرة	إذا احتلّفت يومَ اللّقاء النّيّازكُ ²
يُحامون عن أحسابهم بسُيوفهم	وأرماحهم واليومُ أسودُ حالِكُ

[بمدح عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سويد بن منجوف ، عن ابن موزّج ، عن أبيه ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن

1 الفواتك في ل : البواتك ، وهي القواطع .

2 قصرة : قريبو النسب . والنّيّازك : الرماح القصيرة .

مروان ، فأنشده قوله¹ : [من الوافر]

رَأَيْتُكَ أَمْسَرَ خَيْرَ بَنِي مَعْدُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسِرِ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الضَّعْفَ ضِعْفًا كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدٍ شَمْسِ

فقال له : من أي بني أبي ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بني أمانة ، قال : فإن أمانة ولد رجلين : قيساً وحارثة ، فأحدهما نجم ، والآخر خمل . فمن أيهما أنت ؟ قال : قلت : أنا من ولد حارثة ، وهو الذي كانت بكر بن وائل توجته ، قال : فقام بمخصرة في يده ، فغمز بها في بطني ، ثم قال : يا أخا بني أبي ربيعة هموا ولم يفعلوا ، فإذا حدثتني فلا تكذبني ، فجعلت له عهداً ألا أحدث قرشياً بكذب أبداً . [يمدح أسماء بن خارجة] .

أخبرني عمي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ، قال : حدثني أحمد بن الهيثم السلمي . قال : حدثني أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبي ، قال : أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه ، فقال : [من الوافر]

لَأَسْمَاءُ بِنَ خَارِجَةَ بِنِ حِصْنٍ عَلَى عِيبِ النَّوَابِ وَالْغَرَامَةِ
أَقْلُ تَعْلُلًا يَوْمًا وَيُخْلَأُ عَلَى السُّؤَالِ مِنْ كَعْبِ بِنِ مَامَةَ
وَمَصْقَلَةُ الَّذِي يَتَنَاعُ يَنْعًا رَيْحًا فَوْقَ نَاجِيَةِ بِنِ سَامَةَ

قال الكلبي : جعل ناجية رجلاً وهي امرأة ، لضرورة الشعر .

[يمدح سليمان بن عبد الملك]

قال أبو فراس : فحدثني الكلبي ، عن خدّاش ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال : [من الطويل]

أَتَيْنَا سُلَيْمَانَ الْأَمِيرَ نَزْوَرُهُ وَكَانَ امْرَأً يُحِبُّ وَيُكْرَمُ زَائِرُهُ
إِذَا كُنْتَ فِي النَّجْوَى بِهِ مُتَفَرِّدًا فَلَا الْجُودَ مُخْلِيَهُ وَلَا الْبُخْلَ حَاضِرُهُ
كَلَّا شَافَعَنِي سُوَّالِيهِ مِنْ ضَمِيرِهِ عَلَى الْبُخْلِ نَاهِيَهُ وَبِالْجُودِ آمِرُهُ²

فأعطاه وأكرمه وأمر كل من كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه .

1 في المؤلف أنه قال البيتين ومعهما ثالث لبشر بن مروان . والبيت الثالث :

وتاج الملك ليس يزال فيهم يحول فوق رأس كل رأس

2 الشطر الثاني في شرح الحماسة : عن الجهل ناهيه وبالعلم أمره .

صوت¹

[من المقارب]

نَأْتُكَ أُمَامَةً إِلَّا سُؤَالَا وَإِلَّا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالَا
يُوَافِي مَعَ اللَّيْلِ مِيعَادُهَا وَيُفْنِي مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالَا
فَذَلِكَ يَبْذُلُ مِنْ وَدَّهَا وَلَوْ شَهِدَتْ لَمْ تُوَاتِ النَّوَالَا²
فَقَدْ رِيعَ قَلْبِي إِذْ أَعْلَنُوهَا وَقِيلَ أَجَدُّ الْخَلِيطُ احْتِمَالَا
الشعر لعمر بن قميئة ، والغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى
المكي ، وذكر الهشامي وغيره أنه من منحول يحيى إلى حنين .

1 ديوان عمرو بن قميئة : 54-55 ومتهى الطلب : 154/1 .

2 الديوان : فذاك تبدل . وللييت روايات مختلفة (انظر حاشية الديوان : 54) وكذلك الحال في أكثر شعره .

[385] - أخبار عمرو بن قميئة ونسبه¹

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيباني ، عن أبي بَرْزَة : عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبي : ليس من العرب مَنْ له وَلَدٌ ، كُلُّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة ، فإنه وَلَدٌ أربعة كُلُّ واحد منهم قبيلة : شيبان بن ثعلبة ، وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وذُهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة .

وكان عمرو بن قميئة من قُدماء الشعراء في الجاهلية ، ويُقال : إنه أَوَّلُ مَنْ قال الشعر من نزار ، وهو أقدم من امرئ القيس ، ولقيهم امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه في طريقه ، وسمَّته العربُ عَمْرًا الضائع لموته في غربة وفي غير أَرْبٍ ولا مَطْلَبٍ .

نسختُ خبره من روايتي أبي عمرو الشيباني ، ومؤرِّج ، وأخبرني ببعضه الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي سعد ، عن ابن الكلبي ، فذكرت ذلك في مواضعه ، ونسبته إلى روايته ، قالوا جميعاً :

كان عَمْرُو بن قميئة شاعراً فَحْلاً مُتَقَدِّماً ، وكان شاباً جميلاً حَسَنَ الوجه مَدِيدَ القامة حسن الشعر ، ومات أبوه وخلفه صغيراً ، فكفله عَمُّه مَرْثَد بن سعد ، وكانت سبابتا قدميه ووسطيَّاهما مُلتَصِقَتَيْنِ ، وكان عَمُّه مُحِبًّا له مُعْجَباً به ، رقيقاً عليه .

[هوئله امرأة عَمُّه فامتنع عليها]

وأخبرني عَمِّي قال : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عمر العُمَرِيُّ ، عن لَقِيْطٍ وذكر مثل ذلك سائر الرواة : أَنَّ مَرْثَدَ بن سعد بن مالك عمَّ عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال ، فهوئله عَمْرًا وشَغِفَتْ به ولم تُظْهِرْ له ذلك . فغاب مَرْثَدُ لبعض أمره ، وقال لَقِيْطٌ في خبره : مضى يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ ، فبَعَثَتْ امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عَمِّه ، وقالت

1 ترجمة عمرو بن قميئة في المعمرين : 68 والمؤتلف : 254-255 والشعر والشعراء : 292-293 وخزانة البغدادي 4 : 410-412 وشرح الحماسة للرزوقي : 1776-1778 . وقد نشر لایل ديوانه (كيمبرج 1919) وأعاد دار صادر (بيروت) نشره بتحقيق د . خليل إبراهيم العطية (1994) ، وإلى هذه الطبعة نشير .

لِلرَّسُولِ : ائْتِنِي بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبُيُوتِ ، فَفَعَلَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ أَنْكَرَ شَأْنَهَا ، فَوَقَفَ سَاعَةً ، ثُمَّ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ ، وَمَا كَانَ مِثْلِي لِيُدْعَى لِمِثْلِ هَذَا ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُمْتَنِعْ مِنْ ذَلِكَ وَفَاءً لَأُمْتَنَعَنَّ مِنْهُ خَوْفَ الدَّنَاءَةِ وَالذِّكْرِ الْقَبِيحِ الشَّائِعِ عَنِّي فِي الْعَرَبِ ؛ قَالَتْ : وَاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَأَسْوَأُتَنَّكَ ، قَالَ : إِلَى الْمَسَاءَةِ تَدْعِينَنِي . ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، وَخَافَتْ أَنْ يُخْبِرَ عَمَّهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَتْ بِجَنْفَتَيْهَا فَكَفَّتْ عَلَى أَثَرِ عَمْرُو ، فَلَمَّا رَجَعَ عَمُّهُ وَجَدَهَا مُتَغَضِّبَةً ، فَقَالَ لَهَا : مَا لَكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ قَرِيبَ الْقَرَابَةِ ، جَاءَ يَسْتَأْمِنُنِي نَفْسِي وَرِيدَ فِرَاشِكَ مِنْذُ خَرَجْتَ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : أُمَّا أَنَا فَلَا أُسَمِّيهِ ، وَلَكِنْ قُمْ فَاقْتَدِ أَثَرَهُ تَحْتَ الْجَنْفَتَيْنِ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَثَرَ عَرَفَهُ .

قَالَ مُؤَرِّجٌ فِي خَبَرِهِ : فَحَدَّثَنِي أَبُو بَرَزَةَ وَعَلْقَمَةُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، قَالُوا : وَكَانَ لِمَرْثَدٍ سَيْفٌ يُسَمَّى ذَا الْفَقَارِ ، فَأَتَى لِيَضْرِبَهُ بِهِ ، فَهَرَبَ فَأَتَى الْحِيرَةَ ، فَكَانَ عِنْدَ اللَّخْمِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ يَقْوَى عَلَى بَنِي مَرْثَدٍ لِكَثْرَتِهِمْ ؛ وَقَالَ لِعَمْرُو بْنُ هِنْدٍ : إِنَّ الْقَوْمَ اطَّارَدُونِي ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلُوا إِلَّا وَقَدْ أَجْرَمْتَ ، وَأَنَا أَفْحَصُ عَنْ أَمْرِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ مُجْرِمًا رَدَدْتُكَ إِلَى قَوْمِكَ ، فَغَضِبَ وَهَمَّ بِهَجَائِهِ وَهَجَاءِ مَرْثَدٍ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ ، وَمَدَحَ عَمَّهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، انْتَهَى .

وَأَمَّا أَبُو عَمْرُو فَإِنَّهُ قَالَ : لَمَّا سَمِعَ مَرْثَدٌ بِذَلِكَ ، هَجَرَ عَمْرًا وَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَلَمْ يُعَاتِبْهُ لِمَوْضِعِهِ مِنْ قَلْبِهِ ، فَقَالَ عَمْرُو يَعْتَذِرُ إِلَى عَمِّهِ¹ :

خَلِيلِي لَا تَسْتَعْجِلْ أَنْ تَزَوِّدَا	وَأَنْ تَجْمَعَا شَمْلِي وَتَنْتَظِرَا غَدَا
فَمَا لَيْثِي يَوْمًا بِسَائِقِي مَغْنَمٍ	وَلَا سُرْعَتِي يَوْمًا بِسَائِقَةِ الرَّدَى
وَإِنْ تَنْظُرَانِي الْيَوْمَ أَقْضِرْ لُبَانَهُ	وَتَسْتَوْجِبَا مَنَّا عَلِيٍّ وَتُحْمَدَا
لِعَمْرُكَ مَا نَفْسٌ بِجِدٍّ رَشِيدَةٍ	تَوَامِرُنِي سُوءًا لِأَصْرَمِ مَرْثَدَا ²
وَإِنْ ظَهَرَتْ مِنِّي قَوَارِصُ جَمَّةٍ	وَأَفْرَعُ مِنْ لَوْمِي مِرَارًا وَأُصْعَدَا ³
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ أَنْ أَكُونَ جَنَيْتُهُ	سِوَى قَوْلِ بَاغٍ كَاذَنِي فَتَجْهَدَا
لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْمَرْءِ تَدْعُو بِخَيْلِهِ	إِذَا مَا الْمُنَادِي فِي الْمَقَامَةِ نَدَّدَا ⁴

1 ديوانه : 29-30 .

2 الديوان : تَوَامِرُنِي سَرًّا .

3 الديوان : ظَهَرَتْ مِنْهُ .

4 الديوان : تَدْعُو بِحَيْلِهِ .

عَظِيمُ رَمَادِ الْقَدْرِ لَا مُتَعَبِسٌ وَلَا مُؤَيَّسٌ مِنْهَا إِذَا هُوَ أَوْقَدَا
وَأَنْ صَرَّحَتْ كَحُلٍّ وَهَبَتْ عَرِيَّةً مِنْ الرِّيحِ لَمْ تَتْرُكْ مِنَ الْمَالِ مِرْقَدَا¹
صَبَرْتُ عَلَى وَطْءِ الْمَوَالِي وَخَطْبِهِمْ إِذَا ضَنَّ ذُو الْقَرْبَى عَلَيْهِمْ وَأُخْمَدَا²
يعني أحمد ناره بخلاً ، وروى : أجمداً . المجدد : البخيل .
وَلَمْ يَحْمِرْ فَرْجَ الْحَيِّ إِلَّا مُحَافِظٌ كَرِيمٌ مُحْيَاً مَا جَدَّ غَيْرُ أَجْرَدَا³
الأجرد : الجعد اليد البخيل .

[رأي حماد الراوية في شعره]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي الفضل بن إسحاق ، عن
الهيثم بن عدي ، قال : سألت رجلاً حماداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بردة : مَنْ
أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَمَا بَالُ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ⁴
قال : والشعر لعمر بن قميصة .

[قال في التسعين]

قال علي بن الصباح في خبره ، عن ابن الكلبي : وعمر ابن قميصة تسعين سنة ، فقال لماً
بلغها :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِنَانَ لِبْجَامِي⁵
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوءُ ثَلَاثاً بَعْدَهُنَّ قِيَامِي
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَمَا بَالُ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ
فَلَوْ أَنَّ مَا أُرْمَى بِنَبْلِ رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ⁶
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا : أَلَمْ يَكُنْ حَدِيثاً جَدِيدَ الْبَرِّي غَيْرَ كَهَامٍ⁷

1 كحل : السنة الشديدة المجذبة . وعريّة : باردة .

2 خطبهم في الديوان : وحطهم .

3 أجردا في الديوان : أحردا .

4 ديوانه : 38-39 . ومتهمي الطلب : 148/1 . وانظر الخبر والشعر في الخزنة 2 : 250-251 (عن
المعمرين) .

5 الشطر الثاني في الديوان : خلعت بها يوماً عذار لجامي .

6 الشطر الثاني في الديوان : فكيف بمن يرمى وليس برام .

7 جديد البري في الديوان : جديد البر ، والبر هو السلاح . والكهام : الكلبل البطيء .

وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامٍ
وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي : حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ
عَنْ مَجَالِدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ، فَقُلْتُ :
كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ قَمِيئَةَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِنَانَ لَجَامٍ
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ !
فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلٌ إِذَا لَا تَقِيْتُهَا وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِيَهَامٍ
وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ
فَقُلْتُ : لَسْتُ كَذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ لَبِيدٌ¹ : [مِنَ الْبَسِيطِ]

قَامَتْ تَشَكُّي إِلَى الْمَوْتِ مُجْهَشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ
فَإِنْ تُزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا وَفِي الثَّلَاثِ وَفَاءٍ لِلثَّمَانِينَ
فَعَاشَ حَتَّى يَلْغَ التَّسْعِينَ ، فَقَالَ² : [مِنَ الطَّوِيلِ]

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبِي رِدَائِيَا
فَعَاشَ حَتَّى يَلْغَ عَشْرًا وَمِائَةَ سَنَةٍ ، فَقَالَ³ : [مِنَ الْبَسِيطِ]

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وَفِي تَكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عِبرٌ
فَعَاشَ وَاللَّهِ حَتَّى يَلْغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَقَالَ⁴ : [مِنَ الْكَامِلِ]

وَعَنَيْتُ سَبْتًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ
وَيُرَوَّى : « دَهْرًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ » ، فَعَاشَ حَتَّى يَلْغَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ،
فَقَالَ⁵ : [مِنَ الْكَامِلِ]

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ ؟
فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَقَدْ قَوَّيْتُ مِنْ نَفْسِي بِقَوْلِكَ يَا عَامِرُ ، وَإِنِّي لِأَجِدُ خِفًا وَمَا بِي

1 شرح ديوان لبيد : 352 .

2 انظر شرح ديوان لبيد : 261 والبيت في قصيدة لزهير بن أبي سلمى (ديوان زهير بشرح ثعلب : 286) .

3 في الديوان 2 : 250 وفيه وفي الخزانة : بعدها عمر .

4 الديوان : 35 . والسبت : يقال إنه ثمانون سنة .

5 ديوان لبيد : 35 .

من بأس وأمر لي بصيلة ، وقال لي : اجلس يا شعبيّ فحدثني ما بينك وبين الليل ؛ فجلست فحدثته حتى أُمسيّت ، وخرجت من عنده ، فما أصبحت حتى سمعت الواقعة¹ في داره .
[مرافقته امرئ القيس]

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن طهّمان السلمي ، عن إسحاق بن مرار الشيباني ، قال : نزل امرؤ القيس بن حُجر يكره ، وائل ، وضرب قُبته ، وجلس إليه وجوه بكر بن وائل ، فقال لهم : هل فيكم أحد يقول الشعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأتوني به ، فأتوه بعمرو بن قميّة وهو شيخ ، فأنشده فأعجب به ، فخرج به معه إلى قيصر ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله² :

بكي صاحبي لمّا رأى الدرب دونه وأيقن أنّا لاحِقان بقيصر
فقلتُ له : لا تبك عينك إنّما نحاولُ ملكاً أو نموت فنُعذرا

وقال مؤرّج في هذا الخبر : إنّ امرأ القيس قال لعمر بن قميّة في سفره : ألا تركب إلى الصّيد ؟ فقال عمرو³ :

شكوتُ إليه أنّي ذو جلالَةٍ وأتني كبيرُ ذو عيالٍ مُجنّب⁴
فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً إذا سرّك لحم من الوحش فاركبوا

صوت

[من السريع]

يا آح من حرّ الهوى إنّما يعرف حرّ الحبّ من جرّبا
أصبحتُ للحبّ أسيراً فقد صعّدني الحبُّ وقد صوباً
لا شك أنّي ميّتٌ حَسرةً إن لم أزر قبلَ غدٍ زينبا
تلك التي إن نلتها لم أبلُ من شرّق الدهر أو غرباً

الشعر للمؤمّل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة ،
والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والحشامي .

1 الواقعة : الصراخ .

2 ديوان امرئ القيس (صادر) : 95 .

3 ديوان عمرو بن قميّة : 66 .

4 ذو جلالة في الديوان : ذو خلافة . والجلالة : عظم القدر . والخلالة : الحاجة والفقير والمجنّب : الفقير .
وجنب القوم : انقطعت ألبانهم .

[386] - أخبار المؤمل بن جميل¹

قد مضى نسبُ أبي حفصة في أخبار مروان ، وكان يحيى بن أبي حفصة يُكنى أبا جميل . والمؤمل بن جميل يُكنى أبا جميل . وأم جميل أميرة بنت زياد بن هُوذة بن شماس بن لؤي من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحطيثة . وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ، وكان جميل يُلقب قَتيل الهوى ، ولُقِّب بذلك لقوله² :

قُلن : من ذا ؟ قُلتُ هذا اليمان سيّ قَتيلُ الهوى أبو الخطّابِ
قُلن : بالله أنت ذاك يَقِيناً لا تقل قولَ مازحٍ لَعَابِ
إن تكن أنتَ هو فأت مُثانا خالياً كنتَ أو مع الأصحابِ

[غلامه المطرز]

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان ، عن أبيه ، وحكي أبو أحمد ، رحمه الله ، عن محمد بهذا الإسناد : أنَّ أبا جميل اشترى غلاماً مدنيّاً مُغنياً مجلوباً من مولدي السند على البراءة من كلّ عيب ، يقال له المطرّز ، فدعا أصحاباً له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل الإمامة مُغنيين ، يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة ، فلمّا أخذ القوم مجلسهم ومعهما المطرّز اندفع الشيخان فغنياً ، فقال المطرّز لأبي جميل مولاة : ويلك يا أبا جميل يا ابن الزانية ، أتدري ما فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك ! أُجِنْتُ ! ما لك ؟ قال : ما أنا فأشهد أنّك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عند رجل من أهل الإمامة يقال له بُهلُول ، وهو في بُستان له ، فقال لهم : مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم ، وقد بلغْتُكم رسالته ، وإن شاورتموني أشرتُ عليكم ؛ فقالوا : أشرْ علينا ، قال : أرى ألاّ تذهبوا إليه ، فمجلسُكم والله أنزه من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطعناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وما هي ؟ قال : تحلفون عليّ ألاّ أبرحَ ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

1 ترجمة المؤمل بن جميل في تاريخ بغداد 13 : 180 ، وانظر مصارع العشاق (صادر) 2 : 40 وأعلام الزركلي ، وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 281 .

2 في مصارع العشاق أن الذي سمي قَتيل الهوى هو المؤمل لا أبوه ، وأن الأبيات التالية له .

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحه يضره وهو يقول : ويلك أبا جميل ! اتق الله في ،
 الله الله في أمري ! أما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني ! قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم
 عذبة في بستان له يستقي منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يصبه لجيران لهم في حبيهم ، ثم
 يستقي مكانه من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سل الغلمان إذا أتيت البستان : هل
 استقيت منه ؟ فيسألهم فيجده صادقاً .

حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس ، عن أبيه : أن يحيى بن أبي حفصة زوج ابنه جميلاً
 شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم ، فولدت له المؤمل بن جميل ،
 وكان شاعراً ظريفاً غزلاً ، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدم العراق
 فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمهدي فحظي عنده ، وهو الذي يقول في شكاة
 اشتكاها عبد الله بن مالك :

ظَلَّتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ مُظْلَمَةً إِذْ قِيلَ عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُعِكَا
 يَا لَيْتَ مَا بِكَ بِي وَإِنْ تَلَيْتَ نَفْسِي لَذَاكَ وَقُلْ ذَاكَ لَكَ

وهو الذي يقول :

يَا آحَ مِنْ حَرِّ الْهَوَى إِنَّمَا يَعْرِفُ حَرَّ الْحُبِّ مَنْ جَرَّبَا
 وَذَكَرَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرَهَا وَالْغَنَاءَ فِيهَا .

صوت

[من الكامل]

إِنِّي وَهَبْتُ لظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمٍ
 مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

الشعر لمساور الوراق ، والغناء لإبراهيم بن أبي العنابس ، ثاني ثقليل بالوسطى ، أخبرني
 بذلك ذكاء وغيره .

[387] - أخبار مساور ونسبه¹

[نسبه]

هو مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال : إنه مولى حوثيل من عدوان² كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته ، وقد روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث .

أخبرني علي بن طيفور بن غالب النسائي قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ، قال : حدثنا حماد بن أسامة ، عن مساور الوراق ، قال : حدثني جعفر بن عمرو ، بن حريث ، عن أبيه ، قال : كأتني أل نظر إلى النبي ﷺ وهو على ناقته يخطب ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخاها بين كتفيه .

[ابن أبي ليلى لا يجعله في من يوصى بهم]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الأشناداني ، عن الأصمعي ، قال : كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى ، فكتب قوماً منهم لعيسى بن موسى ، وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم . فأتى مساور الوراق ، فكلّمه أن يجعله فيهم فلم يفعل ، فأنشأ يقول : [من المتقارب]

أراك تُشير بأهل الصلاح	فهل لك في الشاعر المسلم
كثير العيال قليل السوا	ل عَفْ مطاعمه مُعَدِم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة	وقد حلق العام بالمواسم
وأصبح والله في قومه	وأمسى وليس بذئ ذرهم

قال : فقال ابن أبي ليلى : لا حاجة لنا فيه ، فقال فيه مساور أبيتاً ، قال أبو بكر ابن دُرَيْد : كرهنا ذكرها صيانة لابن أبي ليلى .

[هجا من عاب شعر المرقش الأكبر]

أخبرني محمد قال : حدثني التوزي قال : كان مساور الوراق ، وحماد عجرد ، وحفص بن أبي بُردة مجتمعين ، فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر ؛ فأقبل عليه مساور فقال :

[من الطويل]

1 ترجمة مساور الوراق في تهذيب التهذيب 10 : 103-105 والوافي بالوفيات 25 : 481-482 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : عدنان .

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغل
وأنتُ كليل العود عما تتبع¹
تتبعَ لحناً في كلام مُرقش
ووجهك مبني على اللحن أجمع
فقام حفص من المجلس خجلاً ، وهاجره مدة .

[وصيته لابنه]

نسختُ من كتاب عبید الله اليزيدي بخطه : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : كان مُساوِر
الوراق من جديلة قيس ، ثم من عدوان ، مولى لهم ، فقال لابنه يوصيه : [من الكامل]

شمر ثيابك واستعدّ لقائل
واحكك جبينك للعهود بثوم
إنَّ العهودَ صفتُ لكلِّ مُشمِّر
دبر الجبين مُصفرٍ موسوم
أحسِن وصاحبُ كلِّ قارِ ناسك
حسن التَّعهد للصلاة صووم
من ضربَ حمادٍ هناك ومُسعرٍ
وسماك العتكي وابن حكيم
وعليك بالغنوي فاجلسْ عنده
حتى تُصيبَ ودِعةً لیتيم
تغنيك عن طلب البُيوع نسيئةً
وتكفَّ عنك لسان كلِّ غريم
وإذا دخلت على الرَّبيع مُسلماً
فاخصُصْ شِباةً منك بالتَّسليم

[عمل بالوصية فتعرض للعقاب]

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مُساوِرُ أن ولّاه عيسى بن موسى عملاً ، ودفع
إليه عهده ، فانكسر عليه الخراج ، فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه ، فقال
مُساوِر : [من الوافر]

وجدت دواهرَ البقال أهني
من الفرني والجدي السمين²
وخيراً في العواقب حين تُبلى
إذا كان المردُّ إلى بطين
فكنْ يا ذا المُطيف بقاضيئنا
غداً من علم ذاك على يقين
وقلْ لهما إذا عَرَضَا بعهدٍ :
برئتُ إلى عُرينة من عرين³
فإنك طالما بهرجتَ فيها
بمثل الخنفساء على الجبين

1 ثيل : وعاء قضيب البعير . والعود : المسن من الإبل .

2 دواهر البقال : لعلها ما يطعمه من البقال . والفرني : خبز ملتوت بالسكر والسمن .

3 عرينة : من اليمن . وعرين : هي من تميم . وقال جرير :

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين

[استعباره في مقبرة حميد الطوسي]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد ، قال : مرّ مُساورُ الورّاق بمقبرة حميد الطوسي وكان له صديقاً ، فوقف عليها مُستعيراً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]
أبا غانمٍ أماً ذراك فواسعٍ وقبرك معمور الجوانب مُحكمٌ
وما ينفع المقبور عُمرانُ قبره إذا كان فيه جسْمُه يتهدّمُ
[أصحاب أبي حنيفة]

أخبرني إسماعيلُ بن يونس الشَّيعيُّ قال : حدثنا الرِّياشيُّ قال : حدثنا محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عُيينة ، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب : أن حامد بن يحيى البلخيّ ، حدّث عن سفيان بن عُيينة ، وهذه الرواية أتمّ ، قال : لمّا سَمِعَ مُساورُ الورّاق لفظَ أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول : [من البسيط]
كنّا من الدّين قبل اليوم في سعةٍ حتى بُلينا بأصحاب المَقاييسِ
قومٌ إذا اجتمعوا ضجُّوا كأنّهم ثعلبٌ ضبَحَتْ بين النّواويسِ¹
فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه ، فشقّ عليهم وتوعّدوه ، فقال أبياتاً تُرضيهم وهي :

إذا ما النَّاسُ يوماً قايَسُونَا بآبَدَةٍ مِنَ الْفَتَا ظَرِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِمَقْيَاسٍ ظَرِيفٍ مُصِيبٍ مِنْ قِيَاسِ أَبِي حَنِيفَةٍ²
إذا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاها وَاثْبَتَهَا بِحِجْرِ فِي صَحِيفَةٍ

فبلغ أبا حنيفة فرضي . قال مُساورٌ : ثم دُعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحرّ ، فدخَلت فلم أجد لرجلي موضعاً من الزّحام ، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت ؛ فلما رآني قال : إِلَيَّ يا مُساور ، فجئتُ فإذا مكان واسع ، وقال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقلت في نفسي : نفعتني أبياتي اليوم . قال : وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي : هاهنا ، هاهنا ، ويوسّع لي إلى جنبه ، ويقول : إن هذا من أهل الأدب والفهم ، انتهى .
[حقوق جبراته وحقوقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدثنا أبو المعرّر عبد الأوّل بن مزيد ، أحد بني أنف الناقة ، قال : كان مُساورُ الورّاق لا يُضَيِّعُ حقّاً لجارٍ له ، فماتت بنته ، فلم يشهد لها من

1 ضبحت الثعلب : صوتت . والنواويس : القبور .

2 انظر الأبيات وجوابها في عيون الأخبار 2 : 140 ، وفيه :

أتيناهم بمقياس صحيح تلاميذ من طراز أبي حنيفة

جيرانه إلا نفرٌ يسيرٌ ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من الطويل]

تَغَيَّبَ عَنِّي كُلُّ جَافٍ ضَرُورَةً وَكَلَّ طُفَيْلِي مِنَ الْقَوْمِ عَاجِزاً¹
سَرِيعٍ إِذَا يُدْعَى لِيَوْمٍ وَلِيَمَةٍ بَطِيءٍ إِذَا مَا كَانَ حَمْلُ الْجَنَائِزِ

أخبرني محمد بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الأول ، قال : قديم جارٍ لِمُساوِرٍ الورَّاق من سفر ، فجاءهُ يُسَلِّمُ عليه ، فقال : يا جارية ، هاتي لأبي القاسم غداء . فجاءت برغيفٍ فوضَعَتْهُ على الخُوان ، فَمَدَّ يده يأكل مع مُساوِرٍ ، وقال له : يا أبا القاسم ، كُلْ من هذا الخبز ، فما أَكَلْتُ خبزاً أَطيبَ منه ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من البسيط]

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْخُبْزَ فَاكِهَةٌ حَتَّى رَأَيْتُكَ يَا وَجَّةَ الطُّبْرَازِينَ²
كَأَنَّ لِحْيَتَهُ فِي وَجْهِهِ ذَنْبٌ أَوْ شِعْرَةٌ فَوْقَ بَطْنٍ غَيْرِ مَخْتُونِ

[جزعه على صديقه أبي العيص الجرمي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : دخل مُساوِرٌ الورَّاق على أبي العيص الجرميّ يعوده وكان صديقه ، فكَلَّمَهُ فلم يُجِبْهُ ، فَبَكَى مُساوِرٌ جَزَعاً عليه ، وأدنى رأسه منه يكلّمه ، فقال أبو العيص : [من الطويل]

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَرَضَةٌ بَعْدَ نَقْهَةٍ وَتَتَعَى وَلَا تَتَعَى مَتَى ذَا إِلَى مَتَى
سَيُوشِكُ يَوْمٌ أَنْ يَجِيءَ وَلَيْلَةٌ يَسُوقَانِ حَتْفًا رَاحَ نَحْوُكَ أَوْ عَدَا
فَتُمَسِّي صَرِيحاً لَا تُجِيبُ لِلدَّعْوَةِ وَلَا تَسْمَعُ الدَّاعِيَ وَإِنْ جَدَّ فِي الدَّعَا
ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

صوت

[من الطويل]

تَنَامِينَ عَنِ لَيْلِي وَأَسْهَرُهُ وَخُدِي وَأَنْهَى جُفُونِي أَنْ تَبْثُكِ مَا عِنْدِي³
فَإِنْ كُنْتَ مَا تَذَرِينَ مَا قَدْ فَعَلْتِهِ بِنَا فَانْظُرِي مَاذَا عَلَى قَاتِلِ الْعَمْدِ
الشعر لسعيد بن حميد الكاتب ، والغناء لعريب خفيف ثقيل مُطلق بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 يروى : كل جاف ضرورة ، والضرورة الذي لم يتزوج أو لم يحج .

2 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه القأس .

3 مجموع شعره : 125 .

[388] - أخبار سعيد بن حميد ونسبه¹

[نسبه]

سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بجر ، يُكنى أبا عثمان من أولاد الدهاقين ، وأصله من النهران الأوسط ، وكان هو يقول : إنه مولى بني سامة بن لؤي ، من أهل بغداد ، بها وُلد ونشأ ، ثم كان يتنقل في السكنى بينها وبين سرّ من رأى : كاتب شاعر مُترسل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذهبه ، فأغرى به المعتصم ، وقال : إنه شعوبي زنديق ، فحبسه مدة طويلة ؛ ثم بانت براءته له أو للوائق بعده ، فخلّى سبيله .

[أبوه يهجو ابن أبي دواد]

وكان شاعراً أيضاً ، فكان يهجو أحمد بن أبي دواد ، وأنشدنيها جماعة من أصحابنا ، قال :

لقد أصبحت تنسب في إيادٍ	بأن يُكنى أبوك أبا دُوادٍ
فلو كان اسمه عمرو بن معدي	دُعيت إلى زُبيدٍ أو مُرادٍ
لئن أفسدت بالتخويف عيشي	لما أصلحت أصلك في إيادٍ
وإن تك قد أصبت طريف مالٍ	فبُخلك باليسير من الثلاثِ

[كان قوي الحافظة]

فذكر محمد بن موسى أنّ أبا يوسف بن الدقاق اللغوي أخبره أنّ حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيداً وهو صبيٌّ فقال له : امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابي ؛ قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنشدنا أرجوزةً لبعض العرب فاستحسنتها ، ولم تكن معنا مِحبرة نكتبها منها ؛ فلما انصرفنا قلت له : فأتينا هذه الأرجوزة ، فقال : لم تفتك ، أتجيب أنّ أنشدكها ؟ قلت : نعم ، فأنشدنيها وهي نيف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه ، وإنما سمعها مرةً واحدة . فلقيتُ أباه من غدي ، فقال لي : كيف رأيت سعيداً ؟ قلت له : إنك أوصيتني به ، وأنا أسألك الآن أن توصيه بي ، فضحك وسألني عن الخبر ، فأعلمته فسرَّ به .

[شغفه بالفلمان الرد]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة ، قال : حدثني ابن أبي المدور ، قال : دخل

1 ترجمة سعيد بن حميد في معجم الأدباء (عباس) : 1365-1366 والوفاي بالفويات 15 : 213 والسّمط : 161 ووفيات الأعيان 3 : 80 ، 89 وقد جمع يونس أحمد السامرائي رسائله وشعره (بغداد ، 1971) .

سعيد بن حميد يوماً على أبي العباس بن ثوبة ، وكان أبو العباس يُعاتبه على الشُّغف بالغلّمان المُرْد ، فرأى على رأسه غلاماً أمرّد حسن الوجه ، عليه منطقة وثياب حسان ، فقال له : يا أبا العباس¹ :

أزعمت أنك لا تلوّطُ فقل لنا هذا المقرطُ قائماً ما يصنع²
شهدت ملاحتَه عليك بريّة وعلى المريبِ شواهد لا تدفع
فضحك أبو العباس وقال : خذه ، لا بُورك لك فيه حتى نستريح من عتبك .

أخبرني عمّي ، رحمه الله ، قال : قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن القرات الكاتب : كان سعيد بن حميد يهوى غلاماً له من أولاد الموالى ، فغاب عنه مدّة ، ثم جاءه مسلماً ، فقال له : غبت عني هذه المدّة ثم تجيئي فلا تُقيم عندي ! فقال له : قد أمسينا ، فقال : تبيتُ ، قال : لا والله لا أقدر ، ولم يزل به حتى اتفقا على أنّه إذا سمع أذان العتمة انصرف ، فقال له : قد رضيت . ووضع النبيذ ، فجعل سعيد يحث السقي بالأرطال ، فلما قرب وقت العتمة ، أخذ رُقعة فكتب فيها إلى إمام المسجد وهو مؤدّنه قوله³ :

قل لداعي الفراق أخّر قليلاً قد قضينا حقّ الصلّة طويلاً
أخّر الوقت في الأذانٍ وقدم بعدها الوقت بكرة وأصيلاً
ليس في ساعة تؤخّرها وزر ر فنجيا بها وتأتي جميلاً
فتراعي حقّ الفتوة فينا وتعافى من أن تكون ثقيلاً

فلما قرأ المؤذن الرُقعة ضحك وكتب إليه يحلف أنّه لا يؤدّن ليلته تلك العتمة ، وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارس ، فعلم أنّها حيلة وقعت عليه وبات في موضعه . وقال سعيد في ذلك⁴ :

عرّضت بالحسب له وعرضاً حتى طوى قلبي على جمر الغضى
وأظهرت نفسي عن الدهر الرضا ثم جفاني وتولّى معرضاً
لم ينقض الحبّ بلى صبري انقضى فذاك من ذاق الكرى أو غمّضاً

1 مجموع شعره : 158 (من المنسوب إليه) .

2 المقرط : الذي يلبس القرط ، وهو قباء من طاق واحد .

3 مجموع شعره : 145-146 .

4 مجموع شعره : 135-136 .

حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى سألتُه حُويجَةً فأعرضا
وقال : لا ، قولَ مُجيبٍ يرِضا فكان ما كان وكابرنا القضا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة ، أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة .

وجدت في بعض الكتب : حدَّثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه
سعيد بن حميد ، فلما سكرُوا قام سعيد قومة بعد العصر ، فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابه
فلبسها ، وأخذ بعضدتي الباب ، وأنشأ يقول¹ :

سلام عليكم حالت الرَّاحُ بيننا وألوتُ بنا عن كلِّ مرأى ومسمع
ولم يبقَ إلا أن يَميلَ بنا الكرى ويجمع نومٌ بين جنبٍ ومضجع
فقام له أهل المجلس ، وقالوا : يا سيِّدنا ، اذهب في حفظ الله وفي ستره ، فانصرف
وودَّعهم .

[اعتذاره لفضل الشاعرة]

حدَّثني محمد بن الطَّلَّاسُ أبو الطَّيِّب ، قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال :
قرأت رقعة بخطِّ سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغْيُرِ ظَنَّتْ به ، وفي
آخرها² :

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بديلاً وبعضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ
إذا كان قلبي في يديكِ رَهِينَةً فكيف بلا قلب أصافي وأهجر !

في هذين البيتين لابن القصَّار الطنبوري رمل ، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل .

[خبره مع كعب الجارية]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني أبو علي المادرائي أنه كان في
مجلس فيه كعب جارية أبي عَكلٍ المَقِينِ ، وكان بعضُ أهل المجلس يهواها . قال : فدخل إلينا
سعيد بن حميد ، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة
فكتب رُقعةً وألقاها في حِجرها ، فإذا فيها قوله³ :

ما على أحسن خلد سق الله أن يحسنَ فعلُهُ

1 مجموع شعره : 137 .

2 مجموع شعره : 131-132 .

3 مجموع شعره : 144 .

بأبي أنتَ وأمي من مَلِكٍ قَلَّ عَذْلُهُ
 وبخيلٍ بالهوى لو كان يُسَلَى عنه بُخْلُهُ
 أَكْثَرَ الْعَاذِلُ فِي حُبِّ لك لو يَنْفَعُ عَذْلُهُ
 فهو مَشْغُولٌ بِعَذْلِي وفؤادي بِكَ شُغْلُهُ
 أَكْثَرُ الشُّكْوَى وَأَسْتَعِ لدي على مَنْ قَلَّ بِذْلُهُ

فوثبت الجارية فقَبِلَتْ رَأْسَهُ وَجَلَسَتْ إِلَى جَنْبِهِ ، فقال الرجل الذي كان يهواها : هذا والله كلام الشياطين ورُقِيَّةُ الرُّنَا ، وبهذا يَتَمَّ الألامر ، أما أنا فإني أُشهدكم ، لا قرأتُ اليوم في صَلَاتِي غيرَ هذه الأبيات لعلها تَنْفَعُنِي . فضحك سعيد وقال : بحياتي قومي فارْجِعِي إليه حتى تكون الأبيات قد نَفَعَتْه قبل أن يقرأها في صَلَاتِهِ ، وسُرِّبني بذلك ، فقامت فَرَجَعَتْ إلى موضعها .

[زيارة على غير وعد]

قال علي بن العباس : وحدثني أبو علي المادرائي : أَنَّهُ كان عنده يوماً ، فدخلت إليه جارية ، كان يهواها ، غفلةً على غير وَعْدٍ ، فسُرَّ بذلك وقال لها : قد كُنْتُ على عِتَابِكَ ، فأما الآن فلا ؛ فقالت : أما العِتَابُ فلا طاقةَ لي به ، والله ما جِئْتُكَ إلَّا عند غفلة البواب ، فقال سعيد في ذلك ¹ :

زاركَ زَوْرٌ على ارتقابِ مُغْتَنِمًا غَفْلَةَ الْحِجَابِ
 مُسْتَرًّا بِالنَّقَابِ يَبْدُو ضياءَ خَدَّيْهِ فِي النَّقَابِ
 كالشَّمْسِ تَبْدُو وقد طَوَّاهَا دُونَكَ سِتْرٌ مِنَ السَّحَابِ
 قد كان في النفسِ مِنْكَ عَتَبٌ يدعو إلى شِدَّةِ اجْتِنَابِ
 فَمِلْتُ بِالْعَتَبِ عَنْ حَبِيبِ يَضْعُفُ عَنْ مَوْقِفِ الْعِتَابِ
 وَالذَّنْبُ مِنْهُ وَأَنْتَ تَخْشَى فِي هَجْرِهِ صَوْلَةَ الْعِقَابِ

أخبرني عمِّي قال : حدثني ابن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن داود ، قال : كان أبي يَسْتَحْسِنُ قولَ سعيد بن حميد :

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بِدِيلًا ، وَبَعْضُ الظَّنِّ إِيَّامٌ وَمُنْكَرٌ

إذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر !
ويقول : لئن عاش هذا الغلام ليكون له في الشعر شأن .
في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريض أنه له .

[زيارة فضل له على غفلة]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوماً إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة ، فوثب إليها وسلم عليها ، وسألها أن تقيم عنده . فقالت : قد جاءني وحياتك رسول من القصر ، فليس يُمكنني الجلوس ، وكريهت أن أمر ببابك ولا أراك . فقال سعيد من وقته على البديهة¹ :

[من الطويل]

قربت ولا نرجو اللقاء ولا نرى لنا حيلة يُدنيك منا احتيالها
فأصبحت كالشمس المنيرة ضوؤها قريب ولكن أين منا منالها !
كظاعنة ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يلُم خيالها
تقرها الآمال ثم تعوقها مُماطلة الدنيا بها واعتلالها
ولكنها أمنيّة فلعلها وجود بها صرف النوى وانتقالها

[استرضاء فضل الشاعرة]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ؛ قال : تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياماً ، ثم كتب إليها² :

[من المتقارب]

تعالني نجدد عهد الرضا ونصفع في الحب عمّا مضى
ونجري على سنة العاشقين ونضمن عني وعنك الرضا
ويبذل هذا لهذا هواه ويصبر في حبه للقضا
ونخضع ذلاً خضوع العبيد لمولى عزيز إذا أعرضا
فإنني مذ لج هذا العتاب كأنني أبطنت جمر الغضى

فصارت إليه وصالحته .

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقیل أول بالوسطى ، وفيها لابن القصار خفيف رمل .

1 مجموع شعره : 144 .

2 مجموع شعره : 134-135 .

[دعوة تنتزه من مجلس السرور]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدثنا أبو العباس بن أبي المدور قال : بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل ، واصطبحا على غناء حسن كان عندهما ، فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمر مهم ، فقام فلبس ثيابه ، وأنشأ يقول¹ : [من الكامل]

يا ليلة بات النحوس بعيدة عنها على رغم الرقيب الراصد
تدع العواذل لا يقمن لحاجة وتقوم بهجتها بعذر الحاسد
ضن الزمان بها فلما نلتها ورد الفراق فكان أقبح وارد
والدمع ينطق للضمير مصدقاً قول المقر مكذباً للجاحد

[ردّه على عتاب ابن ثوبة]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدثني أبو العباس بن أبي المدور ، قال : كان سعيد بن حميد صديقاً لأبي العباس بن ثوبة ، فدعاه يوماً ، وجاءه رسول فضل الشاعر يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر عن أبي العباس ، فكتب إليه رُعة يعاتبه فيها معاتبه فيها بعض الغلظة ، فكتب إليه سعيد² : [من الكامل]

أقل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبل من زمن دمت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألت مُدة ولكل حال أقبلت تحویل
والمتنمون إلى الإخاء جماعة إن حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث الليالي والردى يوماً ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرن علي منك عویل
ولتفجعن بمخلص لك وامق حبل الوفاء بحبله موصول
وليذهبن جمال كل مروءة وليعفون فئاوها المأهول
ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين من لا يشاكله لدي عديل
وأراك تكلف بالعتاب وودنا باقي عليه من الوفاء دليل
ودّ بدا لذوي الإخاء جميله وبدت عليه بهجة وقبول

1 مجموع شعره : 126 .

2 مجموع شعره : 146-147 .

ولعلَّ أيام الحياة قصيرة فعَلامٌ يكثرُ عتَبُنا ويطولُ

[عتاب مظلومة له وجوابه]

أخبرني الطَّحِحِيُّ قال : حدَّثني أبو عليّ بن أبي الرعد : أنَّ سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقيّ ، فبلغه أنَّها تُواصلُ بعض أعدائه ، فهجرها مدّة ، فكتب إليه تعاتبه وتتشوّقه ، فكتب إليها¹ :

أمرِي وأمرُك شيءٌ غير مُتَّفِقٍ والهجر أفضل من وصلٍ على ملقٍ
لا أكْذِبُ اللهَ ، ما نفسي بعاليةٍ ولا خليقةُ أهل الغدرِ مِن خلقي
فإن وثقتِ بوْدٍ كنتُ أبْذله فعاوِدي سوءَ ظنِّ بي ولا تَنقي

[اعتذاره لـهبة المغنية]

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنَّه حَضَرَ سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هبةُ المغنية ، وكان سعيد يتعشّقها ويهيمُ بها ، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ، ودخلت بعد ذلك وهو في القوم ، فسَلَّمَت عليهم سواه . فقالوا لها : أتَهْجُرِينَ أبا عُثْمان ؟ فقالت : أُحِبُّ أن تسألوه ألا يكلمني ، فقال سعيد² :

اليوم أيقنتُ أنَّ الهجرَ متلفَةٌ وأنَّ صاحبه منه على خطرٍ
كيف الحياة لِمَن أُمسى على شَرْفٍ من المنيّة بين الخوفِ والحذرِ
يلومُ عَيْنِيهِ أحياناً بذنبهما ويحمِلُ الذنبَ أحياناً على القَدَرِ
تناوَنَ عنه وينأى قلبه معكم فقلبه أبداً منه على سَفَرٍ
فوثبت إليه وقبّلت رأسه ، وقالت : لا أهْجُرُك والله أبداً ما حييتُ .

[عتاب فضل ورجوعها إليه]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : غضبت فضلُ الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها³ :

يا أيّها الظالم ما لي ولكُ أهْكَذا تهْجرُ مَنْ واصلَكَ !
لا تصرفِ الرَّحمةَ عن أهلها قد يعْطِفُ المولى على مَنْ مَلَكَ

1 مجموع شعره : 140 .

2 مجموع شعره : 156 (من المنسوب إليه) .

3 مجموع شعره : 140-141 .

ظلمتَ نفساً فيكَ عَلقَتَها فدارَ بالظلمِ عليَّ الفَلَكُ
تبارَكَ اللهُ فما أَعْلَمُ اللهُ بما ألقى وما أغفلَكَ !

فراجعت وصله ، وصارت إليه جواباً للرقعة .

في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقیل وهزج ، عن ابن المعتز ، وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن الثقیل الثاني لأحمد بن أبي العلاء .

[جوابه لفضل على تشوقها إليه]

أخبرني الطوسي الطلحي قال : حدثنا محمد بن السري : أن سعيد بن حميد كان في مجلس الحسن بن مخلد ، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدة شوقها ، فقرأها وضحك ؛ فقال له الحسن بن مخلد : بحياتي عليك أقرئتها ، فدفعها إليه فقرأها وضحك وقال له : قد وحياتي ملحت فأجب ، فكتب إليها¹ : [من البسيط]

يا واصفَ الشوق عندي من شواهدهِ قلبٌ يهيم وعينٌ دمعها يكِفُ
والنفسُ شاهدةٌ بالودِّ عارِفَةٌ وأنفسُ الناسِ بالأهواءِ تأتلفُ
فكنْ على ثقةٍ مِنِّي وبينيةٍ إني على ثقةٍ من كلِّ ما تصِفُ

[فضل تميل إلى بنان]

أخبرني جحظة قال : حدثني ميمون بن هارون قال : لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرو المغني ، وعدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها وأظهر تجلداً ، ثم قال فيها² : [من البسيط]

قالوا : تعزَّ وقد بانوا فقلتُ لهم : بانَ العزاءُ على آثارِ مَنْ بانا
وكيف يملكُ سلواناً لحبِّهم مَنْ لم يُطيقْ للهوى سَتراً وكتماناً !
كانت عزائمُ صبري أستعين بها صارت عليَّ بحمدِ الله أعواناً
لا خيرَ في الحبِّ لا تبدو شواكِلهُ ولا ترى منه في العينين عُنواناً

قال أبو الحسن جحظة : وغني فيه بعض المحدثين لحناً حسناً ، وأظنه عن نفسه .

[نبروه لأبي هفان بما نسب إليه]

أخبرني الطلحي قال : حدثني أبو عيسى الكاتب : أن أبا هفان بلغه عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ، فتوعده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبلغ

1 مجموع شعره : 138 .

2 مجموع شعره : 151-152 .

سعيداً ما جرى ، فكتب إلى أبي هفان¹ :

وكيف آمنُ بأَسَ الضَّيِّغِ الهَصِيرِ² أمسى يُخَوِّفُنِي الْعَبْدِيُّ صَوْلَتَهُ
وليس يمنعني مِنْ كَيْدِهِ حَذَرِي من لَيْسَ يُحَرِّزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي
ولو أُعِنْتُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْغَيْرِ ولا أُبَارِزُهُ بِالْأَمْرِ يَكْرَهُهُ
وقَوْسُهُ أَبْدَأُ عَطْلٌ مِنَ الْوَتْرِ له سِيَهَامٌ بِلَا رِيَشٍ وَلَا عَقَبِ
وسَهْمُهُ صَائِبٌ يَخْفَى عَنِ الْبَصْرِ وكيف آمنُ مَنْ نَحَرِي لَهُ غَرَضٌ

[مع فضل الشاعرة]

أخبرني الطَّلْحِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ : أَنَّهُ سَارَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ وَهُوَ فِي دَارِ الْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، قَالَ : فَإِنِّي عِنْدَهُ إِذْ جَاءَتْهُ رُقْعَةٌ فَضَّلَ الشَّاعِرَةَ ، وَفِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ :

صوت

الصبر ينقص والسقام يزيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوكُ أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهودُ

أنا يا أبا عثمان في حال التَّلف ولم تُعْذِني ، ولا سألت عن خبري .
فأخذ بيدي فمضينا إليها ، فسأل عن خبرها ، فقالت : هوذا أموتُ وتبتريح مني ، فأنشأ يقول³ :

لا مُتُّ قَبْلِي بَلْ أَحْيَا وَأَنْتِ مَعَا ولا أَعِيشُ إِلَى يَوْمِ تَمُوتِينََا
لَكِنْ نَعِيشُ بِمَنْ نَهْوَى وَنَأْمَلُهُ وَنُغْرِمُ اللَّهَ فِينَا أَنْفَ وَاشِينَا
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَيِّتَنَا وَحَانَ مِنْ أَمْرِنَا مَا لَيْسَ يَعْدُونَا
مِتْنَا جَمِيعاً كَقُصَصِي بَانَةٍ ذَبَلَا مِنْ بَعْدِ مَا نَضَرْنَا وَاسْتَوْسَقَا حِينَا
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْنَا فِي مَضَاجِعِنَا حَتَّى نَعُودَ إِلَى مِيزَانِ مُنْشِينَا

أخبرني إبراهيمُ بنُ القاسمِ بنِ زُرْزُورٍ قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : كَانَتْ فَضْلُ الشَّاعِرَةِ تَتَعَشَّقُ سَعِيدَ بْنَ حَمِيدٍ مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ تَعَشَّقَتْ بَنَاناً ، وَعَدَلَتْ عَنْهُ ، فَقَالَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ الدَّالِيَّةُ الَّتِي

1 مجموع شعره : 130-131 .

2 العبدى : نسبة إلى عبد القيس قوم أبي هنان .

3 مجموع شعره : 152-153 .

يقول فيها :

تَنَامِينَ عَنِ لَيْلِي وَأَسْهَرُهُ وَخَلْدِي

فَلَمْ تَتَعَطَّفْ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهَا قَدْ عَشِيقَ جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِي الْقِيَانِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

يَا عَلِيَّ السَّنُ سَيِّءُ الْأَدَبِ	شَيْتَ وَأَنْتَ الْغُلَامُ فِي الطَّرَبِ
وَيَحْكُ إِنَّ الْقِيَانَ كَالشَّرْكَ أَلْ	مَنْصُوبَ بَيْنَ الْغُرُورِ وَالْعَطَبِ
لَا تَصْدِّيقَ لِلْفَقِيرِ وَلَا	يَطْلُبُنْ إِلَّا مَعَادِنَ الذَّهَبِ
بَيْنَا تَشْكِي هَوَاكَ إِذْ عَدَلْتُ	عَنْ زَفَرَاتِ الشُّكُوى إِلَى الطَّلَبِ
تَلَحَّظْ هَذَا وَذَاكَ وَذَا	لِحَظٍ مُجِيبٍ وَفِعْلٍ مُكْتَسَبِ

[فضل توعده في مرضه]

أخبرني إبراهيم قال : وحدثني أبي قال : افتصد سعيد بن حميد ، فسألتني فضل الشاعرة وسألت عريب أن نمضي إليه ، ففعلنا ، وأهدت إليه هدايا ، فكان منها ألف جذي وحمل وألف دجاجة فائقة ، وألف طبق ريحان وفاكهة ، ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحف حسان . فكتب إليها سعيد : إن سروري لا يتم إلا بحضورك ، فجاءته في آخر النهار ، وجلسنا نشرب فاستأذن غلامه لبنان فأذن له ، فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير ، حسن الوجه ، حسن الغناء ، نظيف الثياب ، شكلي¹ فذهب بها كل مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها ، فتشمر سعيد واستطير غضبا ، وتبين بنان القصصة فانصرف ، وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ، ثم أمسك ، فكتبت إليه :

يَا مَنْ أَطْلَتُ تَفْرُسِي	فِي وَجْهِهِ وَتَنْفُسِي
أُفْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلٍ	يُزْهِى بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ
هَيْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَا	تُ بَلَى أَقِرُّ أَنَا الْمُسِي
أَحْلَفْتَنِي أَلَّا أَسَا	رَقَ نَظْرَةً فِي مَجْلِسِي
فَنَظَرْتُ نَظْرَةً مُخْطِئَةً	أَتَبَعْتُهَا بِتَفْرُسِ
وَنَسِيتُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ	تُ ، فَمَا عَقُوبَةُ مَنْ نَسِيَ ؟

فقام سعيد ، فقبل رأسها وقال : لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ، وتجافى عن إساءته ؛

وَعَنَّتْ عَرِيبٌ فِي هَذَا الشَّعْرِ هَزَجًا ، فَشَرَبْنَا عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا . وَاثَّرَ بَنَانٌ فِي قَلْبِهَا وَعَلِقَتْ بِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ حَتَّى وَاصِلَتَهُ وَقَطَعَتْ سَعِيدًا .

وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز ، قال : قال لي إبراهيم بن المهدي¹ : كانت فَضْلُ الشَّاعِرَةِ مِنْ أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ خَطًّا ، وَأَفْصَحَهُمْ كَلَامًا ، وَأَبْلَغَهُمْ فِي مَخَاطَبَةِ ، وَأَثْبَتَهُمْ فِي مُحَاوَرَةٍ ، فَقُلْتُ يَوْمًا لِسَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ : أَظْنُكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ تَكْتُبُ لِفَضْلِ رِقَاعَهَا وَتُقَيِّدُهَا وَتُخْرِجُهَا ، فَقَدْ أَخَذْتُ نَحْوَكَ فِي الْكَلَامِ وَسَلَكْتُ سَبِيلَكَ . فَقَالَ لِي وَهُوَ يَضْحَكُ : مَا أُخِيبُ² ظَنُّكَ ، لَيْتَهَا تَسْلَمُ مِنِّي وَلَا أَخْذُ كَلَامَهَا وَرِسَائِلَهَا ، وَاللَّهِ يَا أَخِي لَوْ أَخَذَ أَفْضَلُ الْكُتَّابِ وَأُمَاتُهُمْ عَنْهَا لَمَا اسْتَغْنَوْا عَنْ ذَلِكَ .

صوت

[من الخفيف]

كُلُّ حَيٍّ لَا قِيَّ الْحِمَامِ فَمُودِي مَا لِحَيٍّ مُؤْمِلٍ مِنْ خُلُودٍ
لَا تَهَابُ الْمَنُونُ شَيْئًا وَلَا تُبْ سَقِيَ عَلَى وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ

الشعرُ لابن مُنَادِرٍ ، والغناء لبنان ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ صَنْعَتُهُ ، وَفِيهِ لِسَاجِي جَارِيَةٌ عُبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ أَيْضًا عَلَى مَذْهَبِ النَّوْحِ ، ابْتَدَأُوهُ نَشِيدًا .

1 ط . بيروت : إبراهيم بن المديبر .

2 ط . بيروت : ما أحسن ظنك .

[389] - أخبار ابن مناذر ونسبه¹

[نسبه]

هو محمد بن مناذر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبُوع ، ويُكْنَى أبا جعفر ، وقيل إنه كان يُكْنَى أبا عبد الله .

ووجدتُ في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يُكْنَى أبا ذَرَجٍ وقد كان له ابنٌ يُسَمَّى ذَرِجاً ، فمات وهو صَغِير وإِيَّاه عَنَى بقوله :

[من مجزوء الوافر]

كَأَنَّكَ لِلْمَنَيا يا ذَرِجُ الله صَوْرُكا
فَنَاطَ بَوَجْهِكَ الشَّعْرى وبِإِكْليْلِ قَلْدِكا

ولعلَّه اكْتَنَى به قَبْلَ وفاته .

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القَهْرمان ، وكان سليمان مَوْلى عُبَيْد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكرة عَبْدًا لثَقِيف ، ثم ادَّعى عُبَيْد الله بن أبي بكرة أنه ثَقَفِيٌّ ، وادَّعى سليمان القَهْرمان أنه تَمِيمِيٌّ ، وادَّعى ابن مناذر أنه صَلِيبِيٌّ من بني صُبَيْر بن يَرْبُوع ، فابنُ مناذر مَوْلى مَوْلى ، وهو دَعِيٌّ مَوْلى دَعِيٍّ ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قطَّ مَن عرفناه وبلغنا خبره .

[عالم باللغة]

ومحمد بن مناذر شاعر فصيح مُقَدِّم في العِلْم باللغة وإمامٌ فيها ؛ وقد أخذ عنه أَكْبَرُ أهلها ؛ وكان في أوَّل أمره يتألَّهُ ، ثم عدَلَ عن ذلك فهجأ الناس ، وتهتَكَ وخلع ، وقذَف أعراضَ أهل البصرة حتى نُفِيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك . وهذه الأبيات يرثي بها ابنُ مناذر عبد المجيد بن عبد الوهَّاب الثَقَفِيَّ . وكان عبد الوهَّاب مُحَدَّثاً جليلاً ، وقد روى عنه وجوهُ المُحدِّثين وكبراء الرُّواة ، وكان ابن مناذر يهوى عبد المجيد هذا . فكان في أيام حياته مَسْتوراً مثأَلها جميل الأمر ، فلَمَّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عليه ، وأخبارُهُما تُذَكِّر في مواضعها .

[ناسك يهتَكَ]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد النَّحويُّ ، قال : كان ابنُ مناذر مَوْلى صُبَيْر بن يَرْبُوع ، وكان إماماً في علم اللُّغة وكلام العرب ، وكان في أوَّل أمره

1 ترجمة ابن مناذر في الشعر والشعراء : 747-749 ومعجم الأدباء (عباس) 2648-2651 وبغية الوعاة 1 :

249-250 والكامل للمبرد : 1426-1428 وطبقات ابن المعتز : 119-125 ولسان الميزان 5 :

390-393 وعصر المأمون 2 : 400 .

ناسكاً ملازماً للمسجد ، كثير النوافل ، جميل الأمر إلى أن فُتِنَ بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه ، ثم ترامي به الأمر بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي إلى أن شتم الأعراض وأظهر البذاء وقذف المحصنات ، ووجبت عليه حدود ، فهرب إلى مكة وبقي بها حتى مات .

[سفيان بن عيينة يسأله عن معاني الحديث]

وكان يجالس سفيان بن عيينة ، فيسأله سفيان عن معاني حديث النبي ﷺ فيخبره بها ، ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا ، فيقول سفيان : كلام العرب بعضه يأخذ بـرقاب بعض . قال : وأدرك المهدي ومدحه ، ومات في أيام المأمون .

أخبرني علي بن سليمان ، قال : حدثني محمد بن يزيد وغيره : أن محمد بن مناذر كان إذا قيل له : ابن مناذر ، بفتح الميم ، يغضب ، ثم يقول : أمتاذر الصغرى أم مناذر الكبرى ؟ وهما كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مُفَاعِل من ناذر فهو مناذر ، مثل ضارب فهو مضارب ، وقاتل فهو مُقاتِل .

[بينه وبين المعتزلة]

قال محمد بن يزيد : ولما عدل محمد بن مناذر عما كان عليه من النسك والتأله وعظته المعتزلة فلم يتعظ ، وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخول المسجد فنبأهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه في مطايرهم ، فإذا توضؤوا به سود وجوههم وثيابهم ، وقال في توعد المعتزلة إياه¹ :

أبلغ لديك بنسي تميم مألوكاً	عني وعرج في بني يربوع ²
أنني أخ لكم بدار مضيفة	بوم وغربان عليه وقوع ³
يا للقبائل من تميم ما لكم	روى ولحم أخيك بمضيع ⁴
هبوا له فلقد أراه بنصركم	ياوي إلى جبل أشم منيع
وإذا تحزبت القبائل كنتم	يقتسي لكل ملمة وفطيع
إن أنتم لم تشاروا لأخيك	حتى ياء بوثره المتبوع

1 الأبيات في معجم الأدياء 2450 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

2 مألوكاً ومألكة : رسالة .

3 في البيت إقواء .

4 روى : خائرو النفس .

فخذوا المَعَاذِلَ بِالْأَكْفُفِ وَأَيَقِنُوا مَا عَشْتُمْ بِمَذَلَّةٍ وَخُضُوعِ
إِنْ كُنْتُمْ حُدُبًا عَلَى أَحْسَابِكُمْ سَمْعًا فَقَدْ أَسْمَعْتُ كُلَّ سَمِيعِ
أَيْنَ الصَّبِيرِيُّونَ لَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ وَأَيْنَ رَهْطُ وَكِيعِ

قال : ثم استخيا من قوله : أَيْنَ الصَّبِيرِيُّونَ ؟ لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ فقال : أَيْنَ الرِّيَاحِيُّونَ ؟ .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدثني الحسن بن عليّ ، قال : حدثني مسعود بن بِشْرٍ ، قال : قال لي ابنُ مُنَازِرٍ : ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرَّقْتُ منهم ، قال : وكان مَوْلَى صَبِيرٍ بنِ يَرْبُوعٍ ، فقلت : بنو صَبِيرٍ نَفْسَانِ ونصف ، فَمَنْ أَدْعُو منهم ؟ فقلت : ليس إلَّا إخوانهم بنو رياح ، فقلت أبياتاً حَرَضْتُهم فيها ، وحَضَضْتُ بنو رياح ، فقلت :

أَيْنَ الرِّيَاحِيُّونَ لَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ وَأَيْنَ رَهْطُ وَكِيعِ !

قال : فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطَرَدُوهم عني .

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال : حدثني محمد بن يزيد ، قال : حدثني الجاحظ ، عن مسعود بن بِشْرٍ ، عن أبي عُبيدة ، قال : ما زادت بنو صَبِيرٍ بنِ يَرْبُوعٍ قط على سَبْعَةِ نَفَرٍ ، كُلُّمَا وُلِدَ منهم مولود مات منهم مَيِّتٌ .

[عدي الأصل]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار ، قال : حدثني يعقوب بن نعيم ، قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدثني أبو عثمان المازنيّ ، قال : كان ابن مناذر من أهل عدن ، وإنما صار إلى البصرة في طَلَبِ الأدب لتوافر العلماء فيها ، فأقام فيها مدّةً ، ثم شَغِلَ بعبد المجيد بن عبد الوهَّاب الثَّقَفِيّ ، فتَطَاوَلَ أمرُهُ إلى أَنْ خَرَجَ عنها ، وكان مُقِيمًا بمَكَّةَ ، فلَمَّا مات عبد المجيد نَسَكَ ، وقوم يقولون : إنّه كان دَهْرِيًّا .

[يهجو الذين كرهوا إمامته في الصلاة في المسجد بعد تهتكه فجهوه وردّ عليهم]

وذكر أبو دعامّة ، عن عطاء الملط قال : كان ابن مناذر يومُ النَّاسِ في المسجد الذي في قبيلته ، فلَمَّا أَظْهَرَ ما أَظْهَرَهُ من الخِلاعة والمُجُونِ كَرِهُوا أَنْ يُصَلِّيَ بهم وأن يَأْتُمُوا به ، فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وَهَجَوْهُ ، وألقوا الرقعة في المِحْرَابِ ؛ فلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قرأها ، ثم قلبها وكتب فيها يقول :

تُبِّئْتُ قَافِيَةً قِيلَتْ تَنَاشَدُهَا قَوْمٌ سَاطَرَكْ فِي أَعْرَاضِهِمْ نَدْبَا
نَاكَ الَّذِينَ رَوَّوْهَا أُمَّ قَائِلُهَا وَنَاكَ قَائِلُهَا أُمَّ الَّذِي كَتَبَا

ثم رمى بها إليهم ولم يعد إلى الصلاة بهم .

[صلته بأبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثنا الحسن بن عُليّ العنزي ، قال : حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفَّار ، قال : حدثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم ، قال : دخل ابنُ مناذر المسجد الجامع بالبصرة ، فوقعت عينه على غلام مُستَنِدٍ إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقعةً ودواةً ، فكتب أبياتاً مدحه بها ، وسأل الغلام الذي التمسهُ أن يُوصِلَ الرُقعةَ إلى الفتى المُستَنِدِ إلى السارية . فذهب بها إلى الغلام ، فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول¹ :

مِثْلُ امْتِداحِكَ لي بلا وَرِقٍ مِثْلُ الجِدَارِ بُني على خُصٍّ²
والَّذِ عِنْدِي من مَدِيحِكَ لي سُودُ النِّعَالِ وَلَيِّنِ القُمْصِرِ
فإذا عَزَمْتَ فَهَيِّ لي وَرِقا فإذا فَعَلْتَ فَلَسْتُ أُسْتَعَصِي

فلما قرأها ابنُ مناذر قام إليه فقال له : ويحك ، أأنتَ أبو نواس ؟ قال : نعم ، فسلم عليه وتعانقا ، وكان ذلك أوَّلَ المودَّةِ بينهما .

[يبته وبين أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدثني أبو حاتم ، قال : اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنتَ في الشعرِ ؟ قال : أقول في الليلة إذا سَنَحَ القولُ لي ، واتَّسَعَتِ القوافي عشرةَ أبياتٍ إلى خمسة عشر . فقال له أبو العتاهية : لكنني لو شِئْتُ أن أقولَ في الليلة ألفَ بيتٍ لَقُلْتُ ، فقال ابنُ مناذر : أجلُ والله إذا أردتُ أن أقولَ مثلاً قولك³ :

ألا يا عُبَّةَ السَّاعَةِ أُموتُ السَّاعَةَ السَّاعَةَ

قلت ؛ ولكنني لا أعوِّدُ نفسي مثل هذا الكلام السَّاقِطِ ، ولا أَسْمَحُ لها به ، فحَجَلَ أبو العتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَهُ .

أخبرني به الحسن بنُ عليٍّ ، قال : حدثنا ابنُ مَهْرُوزٍ ، قال : حدثني سَهْلُ بن محمد أبو حاتم ، وأحمد بنُ يعقوب بن المنير ابنُ أختِ أبي بكر الأصم . قال ابنُ مَهْرُوزٍ : وحدثني به يحيى بنُ الحسن الرِّبَيعي ، عن غَسَّان بن المُفَضَّل ، قال : اجتمع أبو العتاهية ، وابنُ مناذر ، فاجتمع الناس إليهما ، وقالوا : هذان شَيْخَا الشعراء . فقال أبو العتاهية لابن مناذر : يا أبا

1 لم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (الغزالي) .

2 الورق : الدراهم المضروبة .

3 ديوان أبي العتاهية : 577 ومعجم الأدباء : 2649 .

عبد الله ، كم تقول في اليوم من الشعر ؟ وذكر باقي الخبر مثل المتقدم سواء .
[إعجابه بشعره]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا العباس بن ميمون طائع ، قال : سمعت الأصمعي يقول : حضرنا مأدبة ومعنا أبو مخرز خلف الأحمر ، وحضرها ابن مناذر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا مخرز ، إن يكن النابغة ، وامرو القيس ، وزهير ، قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة فقس شعري إلى شعريهم ، واحكم فيها بالحق . فغضب خلف ، ثم أخذ صحيفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مناذر مغضباً ، وأظنه هجاه بعد ذلك .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی ، قال : حدثنا عمر بن شبة : قال : حدثنا خلاد الأرقط ، قال : لقيني ابن مناذر بمكة ، فأنشدني قصيدته :

كُلُّ حَيٍّ لَاقِي الحِمَامِ فَمُوْدِي

ثم قال لي : أقرء أبا عبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن مناذر ، أتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ، ولا تقل ذلك جاهلي ، وهذا إسلامي ، وذلك قديم وهذا مُحَدَّث فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية . قال : وكان ابن مناذر ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ، ويميل إليه ويقدمه .

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن مَهْرُوزٍ ، قال : حدثني محمد بن عثمان الكزيري ، قال : أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني ، قال : قلت لابن مناذر : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : مَنْ كُنْتُ في شعره ، فقلت له : وَمَنْ ذاك ؟ فقال : عدي بن زيد ، وكان ينحو نحوه في شعره ويقدمه ويتخذُه إماماً .

[حجته لعبد المجيد الثقفي]

والأبيات التي فيها الغناء أول قصيدة لمحمد بن مناذر رثي بها عبد المجيد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكان يهواه . وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملهم في كلِّ حال ، وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشغف به . وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسننه وموضعه من العلم ، فلا يُنْكِر ذلك ، لأنَّه لم تكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابن مناذر حينئذٍ حميد الأمر حسن المروءة عفيفاً . فحدثني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن محمد حدَّان ، قال : حدثني قدامة بن نوح ، قال : قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي : إن ابن مناذر قد أفسد ابنك ، وذكره في شعره وشبَّ به ، فقال عبد الوهاب : أولاً يَرْضَى ابني أن يصحبه مثل ابن مناذر ويذكره في شعره !

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : أم عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي الذي كان يشبب به ابن منذر بانه بنت أبي العاصي ، وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس ، قال : فحدثني من رأى محمد بن منذر يوم ثالث بانه هذه ، وقد خرج جوارها إلى قبرها ، فخرج معهم نحو الجبانة بالبصرة ، قال : فقلت له : يا أبا عبد الله ، أين تريد ؟ فقال : [من المجتث]

اليوم يوم الثلاثاء ويوم ثالث بانه

اليوم تكثر فيه الظبا في الجبانه

قال أبو الحسن : ولدت بانه من عبد الوهاب بن عبد المجيد أولاده : عبد المجيد ، وأبا العاصي ، وزياداً . وزياد الذي عناه أبو نواس في قوله يشبب بجنان¹ : [من مجزوء الخفيف]

جفن عيني قد كاد يسقط من طول ما اختلج

وفؤادي من حر حب لك قد كاد أو نضج

خبريني فذلك نفس سي وأهلي متى الفرج !

كان ميعادنا خرو ج زياد فقد خرج

قال ابن عمار : قال لي النوفلي : في هذه الأبيات غناء حلو مليح ، لو سمعته لشريت عليه أربعة أرتال .

قال النوفلي : وكان لعبد الوهاب ابن يقال له : محمد ، كان أسن ولده ، ويقال : إنه كان يتعشق بانه ابنة أبي العاصي هذه امرأة أبيه ، وإن زياد بن عبد الوهاب منه ، وكان أشبه الناس به .

حدثني ابن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أبي ، قال : خرج ابن منذر يوماً من صلاة التراويح وهو في المسجد بالبصرة ، وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه ، فلم يزَل يحدثه إلى الصبح ، وهما قائمان ، إذا انصرف عبد المجيد شيعه ابن منذر إلى منزله ، فإذا بلغه وانصرف ابن منذر شيعه عبد المجيد ، لا يطيب أحدهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا . فقيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد : ابن منذر قد أفسد ابنك ، فقال : أوما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن منذر .

وفي عبد المجيد يقول ابن منذر يمدحه ، وهو من مختار ما قاله فيه ، أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن زيد من قصيدة أولها : [من مخلع البسيط]

شَيْبُ رَيْسُ الزَّمَانِ رَأْسِي لَهْفِي عَلَى رَيْبِ ذَا الزَّمَانِ
يَقْدَحُ فِي الصَّمِّ مِنْ شَرَوْرِي وَيَحْدُرُ الصَّمِّ مِنْ أَبَانٍ¹

يقول فيها يمدح عبد المجيد :

مِنِّي إِلَى الْمَاجِدِ الْمَرْجَى عَبْدُ الْمَجِيدِ الْفَتَى الْهَيْجَانِ
خَيْرِ ثَقِيفٍ أَبَاً وَنَفْساً إِذَا التَّقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ
نَفْسِي فِدَاءً لَهُ وَأَهْلِي وَكُلُّ مَا تَمْلِكُ الْيَدَانِ
كَأَنَّ شَمْسَ الضُّحَى وَبَدْرَ الدُّجَى سَى عَلَيْهِ مُعْلَقَانِ
نِيْطاً مَعاً فَوْقَ حَاجِبِيهِ وَالبَدْرُ وَالشَّمْسُ يَضْحَكَانِ
مُشْمَرٌّ ، هُمُّهُ الْمَعَالِي لَيْسَ بِرَثٌ وَلَا بِوَائِي
بَنَى لَهُ عِزَّةً وَمَجْدًا فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ بَانِيَانِ
بَانٍ تَلَقَّاهُ مِنْ ثَقِيفٍ وَمَنْ ذُرَا الْأَزْدِ خَيْرُ بَانِي
فَاسْأَلْهُ مِمَّا حَوَتْ يَدَاهُ يَهْتَزُّ كَالصَّارِمِ الْيَمَانِي

[تمريضه عبد المجيد]

أخبرني عمِّي ، قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : مَرَضَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ مَرَضاً شَدِيداً بِالبَصْرَةِ ، وَكَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ مَلَازِماً لَهُ يُمَرِّضُهُ وَيَخْدُمُهُ ، وَتَوَلَّى أَمْرَهُ بِنَفْسِهِ ، لَا يَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ . فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِهِمْ قَالَ : حَضَرْتُ يَوْماً عِنْدَهُ ، وَقَدْ أُسْخِنَ لَهُ مَاءٌ حَارٌّ لِيَشْرَبَهُ ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ فَجَعَلَ يَقُولُ : آه ! بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، فَغَمَسَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَدَهُ فِي الْمَاءِ الْحَارِّ وَجَعَلَ يَتَأَوَّهُ مَعَ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَيَدُهُ تَحْتَرِقُ حَتَّى كَادَتْ يَدُهُ تَسْقُطُ ، فَجَذَبْنَاهَا وَأَخْرَجْنَاهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَقُلْنَا لَهُ : أَمَجُنُونَ أَنْتَ ! أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ! أَيْتَفَعُ بِهِ ذَاكَ ! فَقَالَ : أَسَاعِدُهُ ، وَهَذَا جَهْدٌ مِنْ مَقِيلٍ . ثُمَّ اسْتَقَلَّ مِنْ عِلَّتِهِ تِلْكَ وَعُوفِي مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ تَرَدَّى مِنْ سَطْحِ فَمَاتَ ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزْعاً شَدِيداً حَتَّى كَادَ يَفْضُلُ أَهْلَهُ وَإِخْوَتَهُ فِي الْبَكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْجَزَعِ مَا عَجَبَ النَّاسَ لَهُ ، وَرِثَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، فَرَوَاهَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَنِيحَ بِهَا عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ ، وَكَانَ النَّاسُ يُعْجَبُونَ بِهَا وَيَسْتَحْسِنُونَهَا .

أخبرني الحسن بن عليٍّ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ التُّوشْجَانِي ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : حَضَرْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ لِابْنِ مُنَازِرٍ : أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ فِي عَبْدِ الْمَجِيدِ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ

الطويلة الدّالية . قال سفيان : بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، فلقد تفرّدت بمراثي أهل العراق .
[وفاة عبد المجيد]

فأخبرني عمي : قال : حدّثني أبو هِفَّان ، قال : قال الجَمَّاز : تزوّج عبد المجيد امرأة من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كل يوم وجوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها . فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب السّتارة قد انحلّ ، فأكبّ عليه ليشده ، فتردّى على رأسه ومات من سقطته ، فما رأيت مُصَيِّةً قطّ كان أعظم منها ولا أنكأ للقلوب .
[رثاء عبد المجيد]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال : حدّثني الحسن بن عُثَيْل العَزَيزي ، قال : حدّثني العَبَّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قال : حدّثني محمد بن عمر الخَرَّاز ، قال : قال لي ابن مُناذِر : ويحك ! لست أرى نساء تُقَيِّف يُنَحْنُ على عبد المجيد نياحةً على استواء ، قلت : فما تُجِيبُ ؟ قال : تخرجُ معي حتى أطارحك ، فطارحني القصيدة التي يقول فيها¹ : [من الخفيف]

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَذَا رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
هَذَا عَبْدُ الْمَجِيدِ رُكْنِي وَقَدْ كُنْتُ تَ بِرُكْنِ أَبِيهِ مِنْهُ شَدِيدِ

قال : فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعيتها ، ووضعنا فيها لحناً ؛ فلما كان في الليلة التي يُنَاح بها على عبد المجيد فيها ، صلّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارهم ، وقد صعد النساء على السّطح يُنَحْنُ عليه ، فسكّتن سكّنةً هنّ ، فاندفعنا أنا وهو نُنوح عليه . فلما سمعنا أقبِلن يَلْطُمْنَ ويَصْرُخُن حتى كِذْنَ يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدة تشرُّهْن علينا وإعجابهنّ بما سمعنهُ مِنَّا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدّث به النَّاسُ حتى نُقِلَ من مجلس إلى مجلس .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال لي : حدّثني موسى بن حمّاد بن عبد الله القُرشيّ ، قال : حدّثني محمد بن النعمان بن جبّلة الباهليّ ، قال : لما قال ابن مُناذِر :

لَأَقِيمَنَّ مَاتِمًا كُنُجُومَ اللَّيْلِ زُهْرًا يَلْطُمُن حُرَّ الْخُدُودِ
مُوجَعَاتٍ يَبْكِيْنَ لِلْكَبَدِ الْحَرَّى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ الْعَمِيدِ

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرّنّ قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مَاتِمًا عليه ، وقامت تصيح عليه : واي ، ويّه ، واي ، ويّه ، فيقال : إنّها أوّل مَنْ فعل ذلك وقاله في الإسلام .

1 انظر القصيدة في طبقات ابن المعتز : 122-124 وكامل المبرد : 1436 وما بعدها .

وأخبرني بهذا الخبر ابن عمار عن علي بن محمد النوفلي عن عمه : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعي ، قال : أنشدني محمد بن مَنَازِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول¹ :

[من مجزوء الكامل]

يا عَيْنَ حَقِّ لَكَ الْبُكَاءِ	١ لحادثِ الرُّزءِ الجَلِيلِ
فأبكي على عبدِ المَجيِّدِ	٢ وأعوْلي كلَّ العَوِيلِ
لا يُبْعِدُ اللهُ الفَتى الـ	فَيَاضَ ذا الباعِ الطَّوِيلِ ²
عَجِلَ الحِمَامُ بِهِ فودَّ	عَنَّا وآذَنَ بالرَّجِيلِ
لَهْفِي على الشَّعَرِ المَعْدِ	فَرَمَنكَ والْخَدَّ الأَسِيلِ ³
كَسَفْتُ لِلفَقْدِ شَمْسُنَا	والبَدْرُ آذَنَ بالأفولِ ⁴

[لم تعجب داليتَه أبا عبيدة]

حدثني عمِّي قال : حدثنا الكُرَانيُّ قال : حدثني النُّضْرُ بن عمرو عن المازني ، قال : حدثنا حيَّان : أنَّ ابن مَنَازِر دفع قصيدته الدَّالية إليه ، وقال : اعرضها على أبي عُبَيْدة ، فأتيتُه وهو على باب أبي عمرو بن العلاء ، فقرأتُ عليه منها خمسة أبيات فلم تُعْجِبْه ، وقال : دعني من هذا ، فإنِّي قد تشاغلتُ بِحِفْظِ القرآنِ عنه وعن مثله ، قال : وكان أبو عبيدة يُبْغِضُه ويُعَادِيه لأنَّه هجاه .

[هَبُودُ أمَّ عبود]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأزهر ، قال : حدثنا حمَّاد بن إِسحاق ، عن أبيه ، قال : قال ابن مَنَازِر : قلت :

[من الخفيف]

يَقْدَحُ الدَّهْرُ في شَمَارِيخِ رَضوى

ثم مكثتُ حولاً لا أدري بِمِ أتمُّمُه ، فسمعتُ قائلاً يقول : هَبُود ، قلت : وما هَبُود ؟ فقال لي : جَبِيلٌ في بلادنا ، فقلت :

[من الخفيف]

وَيَحْطُ الصُّخُورُ من هَبُودِ

قال إِسحاق : وسمِعَ أعرابيُّ هذا البيت ، فقال : ما أَجهلُ قائله بهَبُود ! والله إنَّها

1 الأبيات في طبقات ابن المعتز : 124-125 .

2 الطبقات : لا يعمدن ذاك الفتى . . .

3 الطبقات : لهفي على الثغر . . .

4 عجز البيت في الطبقات : جرعاً ومَتَ بالأفول .

لأَكِيْمَة ما تُوارِي الخارِيء ، فكيف يُحْطُ منها الصُّخُور !

أخبرني عمِّي ، قال : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا مَالِكٍ عُمَرُو بن كِرْكِرَة يقول : أنشدني ابنُ مُناذر قصيدته الدَّالية التي رثى فيها عبد المجيد ، فلمَّا بَلَغَ إلى قوله :

يَقْدَح الدَّهْرُ في شَمَارِيخ رَضْوَى وَيُحْطَط الصُّخُورَ مِنْ هَبُودٍ

قلت له : هَبُود ، أي شيء هو ؟ فقال : جبل ، فقلت : سَخِنْتَ عَيْنُكَ ، هَبُود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لا يَشْرَبُ منه شيء خَلَقَهُ اللهُ ، وقد والله خَرِيتُ فيها مَرَّات . فلمَّا كان بعد مدَّة وَقَفْتُ عليه في مَسْجِد البصرة وهو ينشدها ، فلمَّا بَلَغَ هذا البيت أنشدتها :

وَيُحْطَط الصُّخُورَ مِنْ عَبُودٍ

فقلت له : عَبُود ، أي شيء هوذا ؟ فقال : جبل بالشَّام ، فلعلَّكَ يا ابن الزَّانية خَرِيتَ عليه أيضاً ؛ فَضَحِكْتُ ثم قُلْتُ : لا ما خَرِيتُ عليه ولا رأيته ، وانصرفتُ عنه وأنا أَضْحَك .

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ ، عن العُمَرِيِّ ، عن الهيثم بن عديٍّ ، قال كان يحيى بنُ زياد يُرمَى بالزُّنْدَقَة ، وكان من أَظْرَف النَّاسِ وَأَنْظَفِهِمْ ، فكان يقال : أَظْرَفُ مِنَ الزُّنْدِيقِ .

[محمد بن زياد مزندق الظاهر]

وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يُظهر الزُّنْدَقَة تظاهراً ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

يا ابنَ زيادِ يا أبا جَعْفَرٍ أَظْهَرَتَ دِيناً غَيْرَ ما تُخْفِي
مُزَنْدَقُ الظَّاهِرِ بِاللَّفْظِ فِي باطِنِ إِسْلامٍ فَتَى عَفًى
لَسْتُ بِزُنْدِيقٍ وَلَكِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تُوسَمَ بِالظُّرْفِ

وقال فيه أيضاً :

يا أبا جَعْفَرٍ كَأَنَّكَ قَدْ صِرَ تَ عَلَى أَجْرِدِ طَوِيلِ الْجِرَانِ¹
مَنْ مَطَايا ضَوَامِرٍ لَيْسَ يَصْنَعُ نَ إِذَا ما رُكِبَ يَوْمَ رِهانٍ
لَمْ يَذَلِّكَنَ بالسُّرُوجِ وَلَا أَقْدَ رَحَ أَشْدَاقَهُنَّ جَذْبُ الْعِنانِ
قائِماتٍ مُسَوِّماتٍ لَدَى الجِيسِ سِرَ لَأَمْثالِكُمْ مِنَ الْفِتْيَانِ

[تركه الناس لحضور حلقة عتبة النحوي]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُراعي قال : حَدَّثَنَا عيسى بنُ إِسْماعِيلَ تِينَة ، عن ابن عائشة ،

قال : كان عتبة النحويّ من أصحاب سيويه ، وكان صاحب نحوٍ فهِماً بما يشرحه ويفسّره على مذاهب أصحابه ، وكان ابن منذر يتعاطى ذلك ، ويجلس إليه قومٌ يأخذونه عنه . فجلس عتبة قريباً من حلّفته ، فتقوَّض الناسُ إليه ، وتركوا ابن منذر ، فلمّا كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن منذر من حلّفته ، فوقف على عتبة ، ثم أنشأ يقول :

قَوْمُوا بِنَا جَمِيعاً لِحَلَقَةِ الْعَذَارِي
تَجْمَعْنَ لِلشِّقَاءِ إِلَى عُبْتَةَ الْخَسَارِ
مَالِي وَمَا لِعُتْبٍ إِذْ يُتَغَيَّ ضِرَارِي

قال : فقام عتبة إليه فناشده ألا يزيد ، ومنع من كان يجلس إلى ابن منذر من حضور حلّفته ، وجلس هو بعيداً من ابن منذر بعد ذلك .
[يهجو جاره ابن عمير]

حدّثني عمّي ، قال : حدّثنا الكُرانيّ ، قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة ، قال : كان لابن منذر جارٌّ يقال له ابنُ عمير من المعتزلة ، فكان يسعى بابتِنا منذر إليهم ، ويسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به ، فقال يهجوهم :

بَنُو عُمَيْرٍ مَجْدُهُمْ دَارُهُمْ وَكُلُّ قَوْمٍ فَلَهُمْ مَجْدُ
كَانَهُمْ فَفَعَّ بِدَوِيَّةٍ لَيْسَ لَهُمْ قَبْلٌ وَلَا بَعْدُ¹
بَثَّ عُمَيْرٌ لَوْمَهُ فِيهِمْ فَكُلُّهُمْ مِنْ لَوْمِهِ جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوزٍ ، عن التّوفلي بمثله ، وزاد فيه .
وعبد الله بن عمير ، أبو هؤلاء الذين هجاهم ، أخو عبد الله بن عامر لأُمّه ، أمهما دجاجة بنت إسماعيل بن الصّلت السّلمي .

[حاضر الجواب]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدّثنا الخليل بن أسد ، قال : كان ابن منذر من أخضر الناس جواباً ، قال له رجل : ما شأنك ؟ قال : عِظَمَ في أنفي .
قال : وسأله رجلٌ يوماً : ما الجرباء ؟ فأوماً بيده إلى الأرض ، قال : هذه ، يَهْزَأُ به ، وإنّما الجرباء السماء .

[خبره مع الخليل بن أحمد]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّب ، قال : حدّثنا الحسن بن عُثَيل العنزيّ ، قال :

1 فقع بدوية : يقال : فقع بقرقر (أو بقرقرة) مثل يضرب للذليل .

حدثني جعفر بن محمد عن دماذ قال : دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام ، فقال له الخليل : إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي ، وأنا سكاك السفينة ، إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتكم . فقال ابن مناذر : والله لأقولن في الخليفة قصيدة أمتدحه بها ولا أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك ، فقال في الرشيد قصيدته التي أولها¹ : [من المنسرح]

ما هيَّجَ الشوق من مُطَوِّقَةٍ أوفت على بانه تُغْنِيَا

يقول فيها :

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

قال : وأراد أن يفد بها إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجاً ليأخذ على طريق النجاج وكان الطريق قديماً ، فدخلها وعديله إبراهيم الحراني . فتحمل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثقفي ، وأبي بكر السلمي حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشده إياها ، لما بلغ آخرها كان فيها بيت يفخر فيه وهو :

قومي تميم عند السماك لهم مجد وعز فما ينالونا

فلما أنشده هذا البيت تعصب عليه قوم من الجلساء ، فقال له بعضهم : يا جاهل ، أتفخر في قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين . وقال آخر : هذه حماقة بصريّة ، فكفهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم .

[استحسن الرشيد بيتاً له فأجازه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : حدثني سهيل السلمي : أن الرشيد استسقى في سنة قحط فسقي الناس ، فسر بذلك ، وقال : لله در ابن مناذر حيث يقول :

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا

وسأل عن خبره فأخبر أنه بالحجاز ، فبعث إليه بجائزة .

[هجاء بكر بن بكّار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، عن محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثنا العنزي ، قال : حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثني محمد بن عباد المهلبی ، قال : شهد بكر بن بكّار عند غيبه الله بن الحسن بن الحصين بن الحرّ العنبري بشهادة ، فتبسم ثم قال له : يا بكر ، ما لك ولابن مناذر حيث يقول :

[من السريع]

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذه القصيدة منها البيت الثاني هنا .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ وَمَنْكَ يَا بَكْرَ بْنَ بَكَّارٍ
 فقال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، ذَاكَ رَجُلٌ مَاجِنٌ خَلِيعٌ لَا يُبَالِي مَا قَالَ ، فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ وَزَادَ
 تَبَسُّمُهُ ، وَقَبِلَ شِهَادَتَهُ ، وَقَامَ بِكَرٍ وَقَدْ تَشَوَّرَ¹ وَخَجِلَ . قَالَ الْعَنْزِيُّ : فَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ
 قَالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ مُنَازِرٍ هَذَا الشَّعْرَ الَّذِي قَالَهُ فِي بَكْرِ بْنِ بَكَّارٍ وَهُوَ : [من السريع]

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ وَمَنْكَ يَا بَكْرَ بْنَ بَكَّارٍ
 يَا رَجُلًا مَا كَانَ فِيهِمَا مَضَى لَّالَ جِمْرَانٍ بِزَوَارٍ
 مَا مَنَزَلَ أَحَدُتَهُ رَابِعًا مُعْتَزِلًا عَنْ عَرْصَةِ الدَّارِ
 مَا تَبَرَّحَ الدَّهْرُ عَلَى سَوَاءٍ تَطَرَّحُ حَبَّاءُ لِلْخُشْنَشَارِ
 يَا مَعَشَرَ الْأَحْدَاثِ يَا وَيْحَكُمْ تَعَوَّذُوا بِالْخَالِقِ الْبَارِي
 مِنْ حَرْبَةٍ نِيَطَتْ عَلَى حَقْوِهِ يَسْمَى بِهَا كَالْبَطَلِ الشَّارِي
 يَوْمَ تَمْنَى أَنْ فِي كَفِّهِ أُنْرَ أَبِي الْخَضِرِ بَدِينَارٍ

قال ابن مَهْرُؤَيْهِ فِي خَبْرِهِ : وَالْخُشْنَشَارُ هُوَ مُعَاوِيَةُ الزُّيَادِيُّ الْمُحَدَّثُ ، وَيَكْنَى أَبَا الْخَضِرِ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ .

وَقَالَ الْعَنْزِيُّ فِي حَدِيثِهِ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحِمْرَانِيُّ ، وَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الشَّعْرِ ، فَقَالَ : الْخُشْنَشَارُ : غُلَامٌ أَمْرُدٌ جَمِيلُ الْوَجْهِ كَانَ فِي مُحَلَّتِنَا ، وَهَذَا لِقَبِهِ ، وَكَانَ بَكْرُ بْنُ بَكَّارٍ يَتَعَشَّقُهُ ، فَكَانَ يَجِيءُ إِلَى أَبِي فَيُذَاكِرُهُ الْحَدِيثَ وَيُجَالِسُهُ وَيَنْظُرُ إِلَى الْخُشْنَشَارِ .

قَالَ الْعَنْزِيُّ : حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ لَقِيَ ابْنَ مُنَازِرٍ فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، مَا أُرَدْتُ إِلَى بَكْرِ بْنِ بَكَّارٍ فَفَضَحْتَهُ ، وَقُلْتُ فِيهِ قَوْلًا لَعَلَّكَ لَمْ تَتَحَقَّقْهُ ؟ فَبَدَأَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَحْلِفُ لَهُ بِيَمِينٍ مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَغْلَظَ مِنْهَا ، أَنَّ الَّذِي قَالَهُ فِي بَكْرِ شَيْءٍ يَقُولُهُ مَعَهُ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ بَكْرًا وَيَعْرِفُ الْخُشْنَشَارَ ، وَيُجْمَعُ عَلَيْهِ وَلَا يَخَالِفُهُ فِيهِ . فَانْصَرَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَغْمُومًا بِذَلِكَ قَدْ بَانَ فِيهِ ، فَلَمَّا بَعْدَ عَنَّا ، قُلْتُ لِابْنِ مُنَازِرٍ : بَرَىءَ اللَّهُ مِنْكَ ، وَتِلْكَ مَا أَكْذَبُكَ ! أَكُلُّ مَنْ يَعْرِفُ بَكْرَ بْنَ بَكَّارٍ يَقُولُ فِيهِ مِثْلَ قَوْلِكَ حَتَّى حَلَفْتُ بِهِذِهِ الْيَمِينِ ؟ فَقَالَ : سَخِنْتُ عَيْنُكَ ، فَإِذَا كُنْتَ أَعْمَى الْقَلْبَ أَيَّ شَيْءٍ أَصْنَعُ ! أَفْتَرَانِي كُنْتُ أَكْذَبُ نَفْسِي عِنْدَ الْقَاضِي ، إِنَّمَا مَوَّهْتُ عَلَيْهِ وَحَلَفْتُ لَهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْرِفُهُمَا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِي ، وَعَيْنُتُ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ قَوْلِي :

[من السريع]

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ

أَفْتَعْرِفُ أَنْتَ أَحَدًا يَعْرِفُهُمَا أَوْ يَجْهَلُهُمَا إِلَّا يَقُولُ كَمَا قُلْتَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ، إِنَّمَا مَوَّهْتُ عَلَى الْقَاضِي وَأَرَدْتُ تَحْقِيقَ قَوْلِي عِنْدَهُ .

قال مؤلف هذا الكتاب : ويكرُّ بن بكَّار رجلٌ مُحدِّثٌ ، قد روى عن ورقاء ، عن ابن أبي نُجَيْحٍ تفسير مُجاهِدٍ ، وروى حديثاً صالحاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبِي ، قال : حدَّثنا عمرُ بن شُبَّة ، قال : حدَّثنا بكرُ بنُ بكَّار عن عبد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنس : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » . أخبرني الحسن بن عليٍّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدَّثني الأحوص بن الفضل البصريُّ قال : حدَّثنا ابنُ معاوية الزُّياديُّ ، وأبوه الخُشْنَشَار الذي يقول فيه ابن مُناذِر :

تَطْرَحُ حَبًّا لِلْخُشْنَشَارِ

قال : حدَّثني مَنْ لقي ابنَ مُناذِرٍ بِمَكَّةَ فقال : أَلَا تَشْتَاكُ إِلَى الْبَصْرَةِ ؟ فقال له : أخبرني عن شمس الوزَّانين ، أَعْلَى حَالَهَا ؟ قال : نعم ، قال : وَثِيقُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ حَيٌّ ؟ قال : نعم ، قال : فَغَسَّانُ بْنُ الْفَضْلِ الْغَلَّابِيُّ حَيٌّ ؟ قال : نعم ، قال : لا ، والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ من الثلاثة . قال : وشمس الوزَّانين في طرف المِرْبَدِ بِحَضْرَةِ مَسْجِدِ الْأَنْصَارِ فِي مَوْضِعِ حَيْطَانِهِ قِصَارٌ لَا تَكَادُ الشَّمْسُ تَفَارِقُهُ .

[هَجَاءُ أَخِي عَبْدِ الْمَجِيدِ]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبِي قال : حدَّثنا عمرُ بن شُبَّة قال : كان محمدُ بن عبد الوهاب الثَّقَفِيُّ أَخُو عَبْدِ الْمَجِيدِ يُعَادِي مُحَمَّدَ بْنَ مُنَازِرٍ بِسَبَبِ مِثْلِهِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، وَكَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُوهُ وَيَسُبُّهُ وَيَقْطَعُهُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَطْلُبُ لِصَاحِبِهِ الْمَكْرُوهَ وَيَسْعَى عَلَيْهِ . فَلَقِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ مُنَازِرٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ ، وَمَعَهُ دَفْتَرٌ فِيهِ كِتَابُ الْعُرُوضِ بِدَوَائِرِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَعْرِفُ الْعُرُوضَ ، فَجَعَلَ يَلْحَظُ الْكِتَابَ وَيَقْرُوهُ فَلَا يَفْهَمُهُ ، وَابْنُ مُنَازِرٍ مُتَغَابِلٌ عَنْ فِعْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا فِي كِتَابِكَ هَذَا ؟ فَخَبَّاهُ فِي كُمِّهِ وَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ مِمَّا فِيهِ ؟ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَكَبَّيْهَ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُنَازِرٍ : يَا أَبَا الصَّلْتِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِي فَطَمِعَ فِيهِ وَصَاحَ يَا زَنْدِيقَ ، فِي كُمِّكَ الزَّنْدَقَةُ . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَأَخْرَجَ الدَّفْتَرَ مِنْ كُمِّهِ وَأَرَاهُمْ إِيَّاهُ ، فَعَرَفُوا بَرَاءَتَهُ مِمَّا قَذَفَهُ بِهِ ، وَوَثَبُوا عَلَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ ، وَانْصَرَفَ بِخِزْيٍ ، وَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُوهُ¹ :

[من الهزج]

1 في طبقات ابن المعتز أربعة من هذه الأبيات : الأول والثاني وبيتان قبل الأخير .

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِجَبَلٍ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ
 تَعَلَّقْتَ بِجَبَلٍ وَ هُنَّ الْقُوَّةُ مُنْبِتٌ
 إِذَا مَا بَلَغَ الْمَجْدَ ذَوُو الْأَحْسَابِ بَالَتْ
 تَقَاصَرَتْ عَنِ الْمَجْدِ بِأَمْرِ رَائِبٍ شَخْتٌ¹
 فَلَا تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ فَمَا أَمْرُكَ بِالْبُيُوتِ²
 وَلَا فَرَعُكَ فِي الْعِيدِ نَ عُوْدٌ نَاضِرُ النَّبْتِ
 وَمَا يُبْقِي لَكُمْ يَا قَوْمَ مُ مِنْ أَثْلَيْكُمْ نَحْتِي
 فَهَذَا فَاسْمَعِ قَرِيضاً مِنْ رَقِيقٍ حَسَنِ النَّعْتِ
 يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ قَالَ وَلَا يَرْمِيكَ بِالْبُهْتِ
 وَفِي نَعْتٍ لَوَجَعَاءِ قَدْ اسْتَرَخَتْ مِنَ الْفَتِ
 فَعِنْدِي لَكَ يَا مَأْبُورَ ن مِثْلُ الْفَالَجِ الْبُخْتِي³
 عُثْلٌ يُعْمِلُ الْكُومَ مِنْ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ
 لَهُ فَيَشْلُكُ إِنْ أَدَّ خَلَتْ وَاسِعَةُ الْخَزْتِ⁴
 وَإِلَّا فَاطْلُ وَجَعَاءِ لَكَ بِالْخَضْخَاضِ وَالزَّفْتِ⁵
 أَلَمْ يَلْفِكَ تَسَالِي لَدَى الْعَلَامَةِ الْمَرْتِ⁶
 فَقَالَ الشَّيْخُ سَرْجُوبَ سَهْ : دَاءُ الْمَرءِ مِنْ تَحْتِ
 فَخُذْ مِنْ وَرَقِ الدُّفْلَى وَخُذْ مِنْ وَرَقِ الْفَتِ
 وَخُذْ مِنْ جَعْرِ كَيْسَانَ وَمِنْ أَظْفَارِ نِسْخَتِ⁷
 فَغَرِّغْرِهِ بِهِ وَاسْغَطْ بِذَا فِي دَائِهِ أَفْتِي

قال : ونسخت : لقب أبي عبيدة ، وهو اسم من أسماء اليهود ؛ لقب به تعريضاً بأن جدّه

1 الرائب من الأمور : الذي فيه رية أو الفاتر . وشخت : دقيق ضامر .

2 في رواية : فما أصلك .

3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . والبخت : الإبل الخراسانية .

4 الخرت : الثقب .

5 الوجعاء : الدبر . والخضخاض : نطف أسود تدهن به الإبل الجربى .

6 المروت : من لا شعر في حاجبيه .

7 الجعر : ما يبس من العذرة .

كَانَ يَهُودِيًّا ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَسِخًا طَوِيلَ الْأُظْفَارِ أَبَدًا وَالشَّعْرُ ، وَكَانَ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا اللَّقَبِ .
فَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ مَهْرُوتَيْهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ ، قَالَ : لَمَّا قَالَ ابْنُ
مُنَازِيرِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِجَبَلٍ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِجَبَلٍ وَهِيَ الْقُوَّةُ مُنْبَتٌ
وَقَالَ الشَّيْخُ سَرْجُويدُ هُ : دَاءُ الْمَرْءِ مِنْ تَحْتِ

فَبَلَغَ ذَلِكَ سَرْجُويدُ ، فَجَاءَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ وَعِنْدَهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ وَجِيرَانِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَكَانَ أُعْجَمِيًّا لَا يَفْصَحُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
« بَرَكْتَ كَمَنْ كَفْتُمْ أَنْ كَسَرَ مُنَازِرَ كَفْتِ : دَاءُ الْمَرْءِ مِنْ تَحْتِ¹ ، فَكَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَفْتَضِّحُوا
مِنَ الصَّحْحِ ، وَصَاحَ بِهِ مُحَمَّدٌ : اعْزُبْ قَبْحَكَ اللَّهُ ! فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ ، فَأَقْبَلَ يَحْلِفُ لَهُ
مُجْتَهِدًا مَا قَالَ ذَاكَ ، وَمُحَمَّدٌ يَصِيحُ بِهِ : وَيْلَكَ اعْزُبْ عَنِّي ، وَهُوَ فِي الْمَوْتِ مِنْهُ ، وَكَلَّمَا زَادَهُ
مِنَ الصَّبَاحِ إِلَيْهِ زَادَهُ فِي الْعُذْرِ وَاجْتِهَدَ فِي الْإِيمَانِ ؛ وَضَحَكَ النَّاسُ حَتَّى غَلَبُوا ، وَقَامَ مُحَمَّدٌ
خَجَلًا فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَتَفَرَّقُوا .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ النَّوْفَلِيُّ : ثُمَّ مَضَى لِذَلِكَ زَمَانٌ ، وَهَجَا أَبُو نَعَامَةَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَرِيسَةَ
الْكَاتِبِ فَقَالَ فِيهِ :

وَرَوَى شَيْخُ تَعِيمٍ خَالِدٌ أَنَّ هَرِيسَةَ
يُدْخِلُ الْأَصْلَعَ ذَا الْخُرِّ جَيْنَ فِي جَوْفِ الْكَيْسَةِ

فَلَقِيَ خَالِدُ بْنُ الصَّبَّاحِ هَذَا هَرِيسَةَ ، وَكَانَ يُعَادِيهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْجِلَهُ ، فَحَلَفَ لَهُ مُجْتَهِدًا
أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِيهِ مَا قَالَهُ أَبُو نَعَامَةَ ، فَقَالَ هَرِيسَةُ : يَا بَارِدُ ! لَمْ تُرِدْ أَنْ تَعْتَذِرَ ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَشَبَّهَ
بِابْنِ مُنَازِيرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَبِأَبِي الشَّمْقَمَتِ وَأَحْمَدَ بْنِ الْمَعْدَلِ ، وَلَسْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي
شَيْءٍ .

[ضرب وأخرس]

قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ ابْنِ أَبِي سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ،
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْبَلْخِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ مُنَازِيرٍ يَوْمًا وَعِنْدَهُ رَجُلٌ ضَرِيرٌ جَالِسٌ
عَنْ يَمِينِهِ ، وَرَجُلٌ بَصِيرٌ جَالِسٌ عَنْ شِمَالِهِ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا خَبْرُكَ ؟
فَقَالَ :

[مِنَ الْخَفِيفِ]

1 يريد أن ما نسبته إليه ابن مناذر غير صحيح .

بين أعمى وأخرس أخرس الله له لسان الأعمى وأعمى البصيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

[مع سفيان بن عيينة]

ونسختُ من كتاب ابن أبي الدنيا : حدثني أبو محمد التميمي ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله ، عن الحسن بن علي ، قال : كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا ، وعنده الحسن بن علي التختاخ¹ ، ورجل من الحجة ، ورجل من أصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأذن لنا ؛ فجاء ابن مناذر فقرّب من الباب ، ثم رفع صوته فقال : [من الطويل]

بَعَمِرُوا وبالزهرى والسلف الأولى بهم ثبّت رجلاك عند المقاوم

جعلت طوال الدهر يوماً لصالح ويوماً لصباح ويوماً لحاتم

وللحسن التختاخ يوماً ودونهم خصصت حسناً دون أهل المواسم

نظرت وطال الفكر فيك فلم أجِد رحك جرت إلا لأخذ الدرهم

فخرج سفيان وفي يده عصاً وصاح : خذوا الفاسق ، فهرب ابن مناذر منه ، وأذن لنا

فدخلنا .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني أبو بكر المؤدّب ، قال : حدثني محمد بن قدامة ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر : يا أبا عبد الله ، ما بقي أحد أخافه غيرك ، وكأني بك قد ميت فرثيتني ، فلما مات سفيان بن عيينة ، قال ابن مناذر يرثيه :

راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين أكفانا

إن الذي غودر بالمنحنى هدّ من الإسلام أركاننا

لا يُعِدّنك الله من ميت ورثنا علماً وأحزاننا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال : حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له عوام ، قال : سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن ، فسأله محمد بن مناذر أن يملّيه عليه ، فتبسّم سفيان وقال له : هذا كلام سمعتك تتكلّم به فاستحسنته فكتبته عنك ، قال : وعلى ذلك أحب أن تملّيه عليّ ، فإني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي .

قال عوّام : وأنشدني ابنُ عائشة لابن مُناذر يَرثي سفيان بن عُيَيْنَةَ بقوله¹ : [من السريع]

يَجْنِي من الحِكْمَةِ نُورَها ما تَشْتَهِي الأَنْفُسُ ألوانا
يا واحدَ الأُمّةِ في عِلْمِهِ لَقِيتَ من ذي العَرْشِ غُفْرا
راحوا بسُفْيَانَ على نَعْشِهِ والعلمِ مَكْشُوفِينَ أَكْفا²

[عودة إلى المجون بعد عبد المجيد الثقفي]

أخبرني عليّ بن سليمان ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر الحنفيّ ، قال : لما ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهّاب ، خَرَجَ ابنُ مُناذر إلى مَكّة ، وتركَ النُّسكَ وعادَ للمُجُونِ والخلْع ، وقال في هذا المعنى شِعْراً كثيراً ، حتى كان إذا مَدَحَ أو فَحَرَ ، لم يجعل افتتاحَ شعره ومباديه إلاّ المُجُون ، وحتى قال في مَدَحِه للرُّشيد³ :

هل عندكم رُخْصَةٌ عن الحسن الب صُرِّي في العِشْقِ وابنِ سِيرينا⁴
إنَّ سَفاهاً بذِي الجَلالَةِ والشَّيْ بة ألا يـزالَ مَفْتوناً
وقال أيضاً في هذا المعنى⁵ :

ألا يا قمر المَسْجِد هل عندك تَنْوِيلُ !
شِفائي منك ، إن نَوَّلْتَنِي ، شَمٌّ وَتَقْبِيلُ
سَلا كُلُّ فُؤادٍ و فُؤادي بك مَشْغُولُ
لقد حُمِلت من حَبِي لك ما لا يَحْمِلُ الفِيلُ

[بينه وبين يونس النحوي]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني ابنُ مَهْزُومٍ ، قال : حدّثنا العبّاس بن الفضل الربيعيّ ، قال : حدّثني التَّوْزِيّ ، قال : قال ابنُ مُناذر ليُونُسَ النحويّ يُعَرِّضُ به : أخبرني عن جَبَلٍ أَتَنصَرَفُ أم لا ! وكان يُونُسُ من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا ابن الرّائية . فانصرفتَ ابنُ مُناذر : فأعدَّ شُهوداً يَشْهَدونَ عليه بذلك ، وصار إليه وسأله ، هل تنصرف جَبَلٍ ؟ وعَلِمَ يُونُسُ ما أراد ، فقال له : الجوابُ ما سَمِعْتَهُ أَمْس .

1 الأبيات بهذا الترتيب في معجم الأدباء : 2651 .

2 على نعشه في معجم الأدباء : على عرشه .

3 البيتان في الشعر والشعراء : 747 وطبقات ابن المعتز : 121 .

4 الطبقات : هل عندكم . . . تروى أو ابن سيرينا .

5 الأبيات ، في الشعر والشعراء : 748 وطبقات ابن المعتز : 121 .

[خبره مع حجاج الصواف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدّثني إسحاق بن عمرو السّديّ ، قال : حدّثني الحجاج الصّواف . وأخبرني الحسن بن عليّ أيضاً ، قال : حدّثني ابن مَهْرُويه ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد ، قال : حدّثني أُمَيَّة بن أبي مروان ، قال : حدّثني حجاج الصّواف الأعور ، قال¹ : خرجت إلى مكّة فكان هجيري في الطريق ابن مُناذِر ، وكان لي إلفاً وخذناً وصديقاً . فدخلتُ مكّة فسألتُ عنه ، فقالوا : لا يَبْرَحُ المسجد ، فدخلتُ المسجد فالتَمَسْتُه فوجدته بفناء زَمَرَم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشّعراء يكتبون عنه ؛ فسألتُ وأنا أقدرُ أن يكون عنده من الشّوق إليّ مثلُ ما عندي ، فرفع رأسه فردّ السّلام ردّاً ضعيفاً ، ثم رجع إلى القوم يُحدّثهم ولم يَحْفَل بي . فقلتُ في نفسي : أترأه ذهبَ عنه مَعْرِفَتِي ! فبينما أنا أفكرُ إذ طلع أبو الصّلت بن عبد الوهّاب الثّقفيّ من باب بني شَيْبَةَ داخلاً المسجد ، فرفع رأسه فنظر إليه ، ثم أقبل عليّ فقال : أتعرف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذي يقول فيه مَنْ قَطَعَ اللهُ لِسَانَهُ : [من المخرج]

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وَهِيَ الْقُوَّةُ مُنْبِتٌ

قال : فتغافل عنيّ ، وأقبل عليهم ساعة ، ثم أقبل عليّ فقال : من أيّ البلاد أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : وأين تنزل منها ؟ قلت : بحضرة بني عائش الصّوافين ، قال : أتعرفُ هناك ابنَ زانية يُقال له : حجاج الصّواف ؟ قلت : نعم تركته ينيكُ أم ابنَ زانية يُقال له : ابنُ مُناذِر ، فضحك وقام إليّ فعانقني .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولابن مُناذِر هجاءٌ في حجاج الصّواف على سبيل العبث ، وهو قوله :

إِنَّ ادِّعَاءَ الْحَجَّاجِ فِي الْعَرَبِ عِنْدَ تَقْيِيفٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
وهو ابنُ زانٍ لألف زانية وألف عِلَجٍ مُعْلَهَجٍ النَّسَبِ²
ولو دَعَاهُ دَاعٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَلَمَ النَّاسِ كُلَّهُمْ أَجِبِ
إِذَا لَقَا الْحَجَّاجَ : لَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ دَعَانِي بِالْحَقِّ لَا الْكَذِبِ

1 الخبر والشعر في طبقات ابن المعتز : 119 .

2 النسب . في ل : الحسب . والمعْلَهَج : الهجين .

رَلَوْ دَعَاهُ دَاعٍ فَقَالَ لَهُ :
 أَبُوهُ زَانٍ وَالْأُمُّ زَانِيَةٌ
 تَقُولُ : عَجَلٌ أَذْخِلُ ، لِئَانِئَكْهَا
 مَنْ نَاكَبِي فِيهِمَا فَأَوْسَعَنِي
 هَمْ حِرِي النَّيْكَ فَاثَبَغُوا لِحِرِي
 أَجِبُ أَيَّرَ الْحِمَارِ وَابْيَا
 إِذَا رَأْتَهُ قَالَتْ : فَدَيْتُكَ يَا
 إِذَا سَمِعْتُ النَّهْيَ هَاجَ حِرِي
 يَأْخُذْنِي فِي أَسَافِي وَحِرِي
 شَكْتُ إِلَى نِسْوَةٍ فَقُلْنَ لَهَا
 كَفَيْ قَلِيلاً ، قَالَتْ : وَكَيْفَ وَيَا
 أَرَى أَيُّورَ الرِّجَالِ مِنْ عَصَبٍ

مَنْ الْمُعَلَّى فِي اللُّؤْمِ ؟ قَالَ : أَبِي
 بِنْتُ زُنَاةٍ مَهْتُوكَةٌ الْحُجُبِ
 أَتْرُكُهُ فِي اسْتِي إِنْ شَفْتُ أَوْ رَكَبِي
 رَهْزاً دِرَاكاً أَعْطَيْتُهُ سَلْبِي
 أَيَّرَ حِمَارٍ أَقْضِي بِهِ أَرْبِي
 فَيْشَةُ أَيَّرَ الْحِمَارِ وَابْيَا
 قُرَّةٌ غِزْيِي وَمُتَهَى طَلْبِي
 شَوْقاً إِلَيْهِ وَهَاجَ لِي طَرْبِي
 مِثْلُ اضْطِرَامِ الْحَرِيقِ فِي الْحَطَبِ
 وَهِيَ تَنَادِي بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ :
 فِي جَوْفِ صَدْعِي كَحِجَّةِ الْجَرْبِ
 لَيْتَ أَيُّورَ الرِّجَالِ مِنْ خَشَبِ

[يهرب من البصرة هجاء إسكاف]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
 أَبُو بَجِيرٍ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَجْلِسُ إِلَى إِسْكَافِ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَا يَزَالُ يَهْجُوهُ بِالْأَبْيَاتِ
 فَيَصِيحُ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُ : أَنَا صَدِيقُكَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَبْقِ عَلَى الصَّدَاقَةِ وَابْنُ مُنَازِرٍ يُلِحُّ . فَقَالَ
 الْإِسْكَافُ : فَإِنِّي أَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْكَ وَأَتَعَاطَى الشَّعْرَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ ابْنُ مُنَازِرٍ كَمَا كَانَ
 يَفْعَلُ ، فَأَخَذَ يَعْثُ بِهِ وَيَهْجُوهُ ، فَقَالَ الْإِسْكَافُ :

كَثُرَتْ أُبُوتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ وَرَمَى الْقَضَاءُ بِهِ فِرَاشَ مُنَازِرٍ

عَبْدُ الصُّبَيْرِيِّينَ لَمْ تَكُ شَاعِراً كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْيَوْمَ نِسْبَةَ شَاعِرٍ !

فَشَاعَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ بِالْبَصْرَةِ وَرَوَاهُمَا أَعْدَاؤُهُ ، وَجَعَلُوا يَتَنَاشَدُونَهُمَا إِذَا رَأَوْهُ ، فَخَرَجَ مِنْ
 الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَجَاوَرَ بِهَا ، فَكَانَ هَذَا سَبَبَ هَرَبِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ : مَا مَرَّ بِي
 شَيْءٌ قَطُّ أَشَدَّ عَلَيَّ مِمَّا مَرَّ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَسْعَاسِ فِيَّ : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ وَرَمَى الْقَضَاءُ بِهِ فِرَاشَ مُنَازِرٍ

انْظُرْ بِكُمْ صِنْفٍ قَدْ هَجَانِي فِي هَذَا الْبَيْتِ قُبَّحَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ مَنَعَنِي مِنْ مَكَافَاتِهِ أَنِّي لَمْ أَجِدْ لَهُ
 نَبَاهَةً فَأَغَضُّهَا ، وَلَا شَرْفاً فَأَهْدِمُهُ ، وَلَا قَدراً فَأَضَعُهُ .

أخبرني عمي ، قال : حدثني الكُرانيّ ، قال : حدثني بشر بن دحية الزيّاديّ أبو معاوية قال : سمعتُ ابنَ مُناذِرٍ يقول : إِنَّ الشَّعْرَ لَيْسَهُلَ عَلَيَّ حَتَّى لَوْ شِئْتُ أَلَّا أَتَكَلَّمَ إِلَّا بِشِعْرِ لَفَعَلْتُ .

[برد شعره]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بن ميمون طابع ، قال : حَدَّثَنِي بعضُ أصحابنا ، قال : رَأَيْتُ ابنَ مُناذِرٍ بِمَكَّةَ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رَجُلٍ يَمْشِي مَعَهُ وَيُنْشِدُ :

إِذَا مَا كِدْتُ أَشْكُوها إِلَى قَلْبِي ، لَهَا شَفَعَا
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا ذَهْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا اجْتَمَعَا

فقلت : إِنَّ هَذَا لَا يُشَبِّهُ شِعْرَكَ ، فقال : إِنَّ شِعْرِي بَرَدَ بَعْدَكَ .

[يَذَمُّ امْرَأَةً مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيّ ، قال : حَدَّثَنَا بعضُ أصحابنا أَنَّ مُحَمَّدَ بن عبد الوهابِ الثَّقَفِيّ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ ثَقِيفٍ يُقَالُ لَهَا عَمَّارَةٌ ، وَكَانَ ابْنُ مُناذِرٍ يُعَادِيهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْفَ وَالشَّارَةَ وَالْبَزَّ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَارَةُ
وَالْآسَ وَالرَّيْحَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الدَّارَةِ وَالْدَّارَةَ
قُلْتُ : لِمَنْ ذَا ؟ قِيلَ : أُعْجُوبَةٌ مُحَمَّدُ زَوْجُ عَمَّارَةٍ
لَا عَمَّرَ اللَّهُ بِهَا رَبْعَهُ فَإِنَّ عَمَّارَةَ بَذَكَارَةً¹
وَيَحَلِكُ فِرْيَ وَأَعْصَبِي فَالِكِ لِي فَهَذِهِ أُخْتُكَ فَارَّارَةَ

قال : فوالله ما لَبِثْتُ عنده إِلَّا مُدْبِدَةً حَتَّى هَرَبْتُ ، وَكَانَتْ لَهَا أُخْتُ قَبْلَهَا مَتَزَوِّجَةٌ إِلَى بعضِ أَهْلِ البَصْرَةِ فَفَرَّكَهُ وَهَرَبَتْ مِنْهُ ، فَكَانُوا يَعْجَبُونَ مِنْ مُوَافَقَةِ فِعْلِهَا قَوْلَ ابْنِ مُناذِرٍ .

[فشل مع خالد أبي أمية]

قال أَبُو أَيُّوبَ : وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا أُمَيَّةَ واسمه خالد ، وهو الذي يقول فيه أَبُو نَوَاسٍ² :

[من الخفيف]

1 بذكارة : بنت زنا بالفارسية .

2 لم تعثر عليهما في ديوانه (الغزالي) .

أَيُّهَا الْمُقْبِلَانِ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَقْتُمَا أَبَا عُثْمَانَ ؟
وَأَبَا أُمَيَّةَ الْمُهَذَّبَ وَالْمَا جِدَ وَالْمُرْتَجَى لَرَيْبِ الزَّمَانِ

كان خطب امرأة من ثقيف ، ثم من ولد عثمان بن أبي العاصي ، فردَّ عنها ، وتصدَّى للقاضي أَنْ يُضَمَّنَهُ مَالاً مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ، فلم يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، ولم يَثِقْ بِهِ ، فقال فيه ابنُ منذر :

[من البسيط]

أَبَا أُمَيَّةَ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَمَا جَزَاءُ مَا كَانَ فِيمَا بَيْنَنَا الْغَضَبُ
إِنْ كَانَ رَدُّكَ قَوْمَ عَنْ فَتَاهِمُ ففِي كَثِيرٍ مِنَ الْخُطَابِ قَدْ رَغِبُوا
قَالُوا عَلَيْكَ ذُبُونٌ مَا تَقُومُ بِهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِهَا تُسْتَحْدَثُ الْكُتُبُ
وَقَدْ تَقَحَّمْ مِنْ خَمْسِينَ غَايَتُهَا مَعَ أَنَّهُ ذُو عِيَالٍ بَعْدَ مَا انْشَعَبُوا
وَفِي الَّتِي فَعَلَ الْقَاضِي فَلَا تَجِدَنَّ فَلَيْسَ فِي تِلْكَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبُ
أَرَدْتَ أَمْوَالَ أَيْتَامٍ تُضَمُّنُهَا وَمَا يُضَمَّنُ إِلَّا مَنْ لَهُ نَشَبُ

[هجاء ابن دأب]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ الْخَزَامِيَّ يَقُولُ : بَلَغَ ابْنُ مُنْذَرٍ عَنْ ابْنِ دَأْبٍ قَوْلُ قَبِيحٍ ، قَالَ : فِدْعَانِي ، وَقَالَ : اكْتُبْ :

[من الوافر]

فَمَنْ يَنْخِرِ الْوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي وَصَاةً لِلْكَهُولِ وَلِلشَّبَابِ
خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنْ ابْنِ عَوْنٍ وَلَا تَزُورُوا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ
تَرَى الْغَاوِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا مَلَاهِيَّ مِنْ أَحَادِيثِ كِذَابِ
إِذَا التَّمِسَتْ مَنَافِعُهَا اضْمَحَلَّتْ كَمَا يَرْفُضُ رَقْرَاقُ السُّحَابِ

قال : فَرُوَيْتُ ، وَافْتَضَحَ بِهَا ابْنُ دَأْبٍ . قَالَ الْخَزَامِيُّ : فَلَمَّا قَدِمْتُ الْعِرَاقَ وَجَدْتُهُمْ قَدْ جَعَلُوهَا :

[من الوافر]

خُذُوا عَنْ يُونسٍ وَعَنْ ابْنِ عَوْنٍ

[رثاء الرشيد]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ وَصَلَ ابْنَ مُنْذَرٍ مَرَّاتٍ صِلَاتٍ سَنِيَّةً ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ رثاه ابنُ مُنْذَرٍ فقال :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ كَانَ يَبْكِي لِلْعُلَا مَلِكاً وَلِلْهِمَمِ الشَّرِيفَةَ

فَلَيْبِكُ هَارُونَ الْخَلِيلُ سَفَةً لِلْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةِ

[هجاء صديقه من بني طليق]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ
قال : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلِيقٍ وَسَائِرُ بَنِي طَلِيقٍ أَصْدِقَاءَ لَابِنِ مُنَازِرٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِيُّ الْخِلَافَةَ
اسْتَقْضَى خَالِدَ بْنَ طَلِيقٍ ، وَعَزَلَ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَرِّ ، فَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُو
خَالِدًا مُجَوْنًا وَخُبْنًا مِنْهُ¹ :

أَصْبَحَ الْحَاكِمُ يَا لَلَدِّ	سَاسَ مِنْ آلِ طَلِيقٍ
جَالِسًا يَحْكُمُ فِي النَّا	سِرَ بِحُكْمِ الْجَائِلِيقِ ²
يَدْعُ الْقَصْدَ وَيَهْوِي	فِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ ³
يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا كَدَ	تَ هَذَا بِخَلِيقٍ
لَا وَلَا كُنْتَ لِمَا حُمِدَ	تَ مِنْهُ بِمُطِيقٍ
حَبْلُهُ خَبْلٌ غَرُورٍ	عِنْدَهُ غَيْرُ وَثِيقٍ

قال ابن سلام : فقلت لابن مُنَازِرٍ : ويحك إذا بلغ إخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك
هجوتهُم ما يقولون لك ؟ وبأي شيء تعتذر إليهم ؟ فقال : لا يُصَدِّقُونَ إذا بلغهم أنني
هجوتهُم بذلك ؛ لأنهم يَثْقُونَ بي .

[عادته بنو مخزوم فمدحهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوتَيْهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ
عُلَيْلٍ ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ ، قَالَ : كُنْتُ بِمَكَّةَ فَاشْتَكَيْتُ ، فَلَمْ
يَعُدَّنِي مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا بَنُو مَخْزُومٍ وَحَدَّاهُمْ ، فَقُلْتُ أَمَدَحُهُمْ :

جَاءَتْ قُرَيْشٌ تَعُوذُنِي زُمَرًا	فَقَدْ وَعَى أَجْرَهَا لَهَا الْحَفَظَةُ
وَلَمْ تَعُدَّنِي تَيْمٌ وَإِخْوَتُهَا	وَزَارَنِي الْغُرُّ مِنْ بَنِي يَقْظَةَ
لَنْ يَرَحَ الْعِزُّ مِنْهُمْ أَبَدًا	حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ مِنْ قُرْظَةِ ⁴

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذا الشعر هي : الأول والثاني والرابع والخامس مع
إضافة بيت ليس هنا : أي قاض أنت للنقض وتعطيل الحقوق

2 الشعر والشعراء والطبقات : ضحكة يحكم برأي الجائليق . والجائليق : رئيس الأساقفة .

3 بنات الطريق : كناية عن الترهات .

4 قرظه . واد بين اليمن ونجد .

[ابن عائشة وداليته في عبد المجيد]

أخبرني الحسن ، عن ابن مَهْرُؤَيْه ، عن إسحاق بن محمد النخعي ، قال : كُنَّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه : أنشدني مرثية ابن منذر في عبد المجيد فجعل يُنشدُها فكلَّمَا أتى على بيت استحسنته ، حتى أتى على هذا البيت :

لَأَقِيمَنَّ مَاتِمًا كُنْجُومَ اللَّيْلِ زُهْرًا يَخْمِشُن حُرَّ الْخُدُودِ
فقال ابن عائشة : هذا كلام لَيْن كَأَنَّهُ من كلام الْمُخَنَّثِينَ ، فلمَّا أتى على هذا البيت :

كُنْتُ لِي عِصْمَةٌ وَكُنْتُ سَمَاءً بَكَ تَحْيَا أَرْضِي وَيَخْضِرُ عُودِي
فقال : هذا بَيْتُهَا ، ثم أنشد :

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
مَا دَرَى نَعْشُهُ وَلَا حَامِلُوه مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَقَافٍ وَجُودِ
وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصِدُنَا الدَّهْ رَ فَمِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
فقال ابن عائشة : أَجْعَلْهُ زَرْعًا يَحْصِدُنَا اللَّهُ ؟ فليس هذا من كلام المسلمين ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : إِنَّهُ يَقُولُ :

يَحْكُمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَيَمُضِي لَيْسَ حُكْمُ إِلَهِهِ بِالْمَرْدُودِ
[رثاء البرامكة وغضب الرشيد عليه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوْلِي ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ بِالْإِسْنَادِ . وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ الْحَاسِبِ : حَدَّثَنِي ابْنُ الْقَدَّاحِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُدَامَةَ الْجَمَحِيِّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ مُنَازِرٍ ، قَالَ : حَجَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ إِيقَاعِهِ بِالْبِرَامِكَةِ وَحَجَّ مَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَكُنْتُ مُضِيْقًا مُمْلِقًا ؛ فَهَيَّأْتُ فِيهِ قَوْلًا أَجَدْتُ تَنْمِيقَهُ وَتَنَوَّقْتُ فِيهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ وَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِّي وَيَطْلُبُنِي . فَبَدَرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا شَاعِرُ الْبِرَامِكَةِ وَمَادَحُهُمْ ؛ وَقَدْ كَانَ الْبِشْرُ ظَهَرَ لِي فِي وَجْهِهِ لَمَّا دَخَلْتُ ، فَتَنَكَّرَ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ الْفَضْلُ : مَرَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْشِدَكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ :

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ

فقال لي : أنشد ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني ، فأنشدته¹ :

أنا بنو الأملاك من آل برمك
إذا وردوا بطحاء مكة أشرق
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى
فما صلحت إلا لجود أكفهم
إذا راض يحيى الأمر ذلت صعا به
ترى الناس إجلالاً له وكانهم
فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
يخفى وبالفضل بن يحيى وجعفر²
بمكة ما حجوا ثلاثة أقم³
وأرجلهم إلا لأعواد منبر⁴
وحسبك من راع له ومذبر⁵
غرائيق ماء تحت بازٍ مصرصر⁶

ثم أتبعته ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلل بهم نعمتك ، ولم أكن في ذلك مبتدعاً ، ولا خلا أحد من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلني فضلهم ، وأغواني رفدهم فأنيت بما أولوا ، فقال : يا غلام ، الطم وجهه ، فلطمته والله حتى سدرت⁷ وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمنك ولا تركت أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام . فسحبت حتى أخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى علي ، ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم ؛ فإذا بشاب قد وقف علي ، ثم قال : أعزز علي والله يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلي صرة وقال : تبلغ بما في هذه ، فظننتها دراهم فإذا هي مائة دينار ، قال الصولي في خبره : فإذا هي ثلاثمائة دينار ، فقلت له : من أنت جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك أبو نواس ، فاستعين بهذه الدنانير واعذرني ، فقيلتها ، وقلت : وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك .

[جعفر يكافئه على القراءة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهران⁸ ، قال : حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي ،

1 في معجم الأدباء ثلاثة أبيات منها : 3 ، 2 ، 4 . وفي طبقات ابن المعتز أربعة أبيات : 1 ، 3 ، 4 ، 5 . وبعد الأول بيت آخر :

لهم رحلة في كل عام إلى العدا وأخرى إلى البيت العتيق المستر

2 الطبقات : إذا نزلوا . . .

3 معجم الأدباء : ستظلم بغداد . . . ثلاثة أبحر .

4 الطبقات ومعجم الأدباء : فما خلقت . . . وفي الطبقات : أقدامهم بدل أرجلهم .

5 الطبقات : إذا رام . . . وناهيك . . .

6 الغرائيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي . ومصرصر : مصوت .

7 سدرت : تحيرت .

قال : حدثنا أبو معاوية الغلابي ، قال : قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : كَلَّمَنِي ابْنُ مُنَازِرٍ فِي أَنْ أُكَلِّمَ لَهُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى ، فَكَلَّمْتُهُ لَهُ ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ تَرَكَ الشَّعْرَ ، فَقَالَ : إِنْ أَحَبَّ أَنْ يَعُودَ إِلَى الشَّعْرِ أُعْطِيْتُهُ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَإِنْ أَحَبَّ أَنْ أُعْطِيَهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ أُعْطِيْتُهُ عَشْرَةَ آلَافٍ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِي : خُذْ لِي عَلَى الْقِرَاءَةِ ، فَإِنِّي لَا أَخُذُ عَلَى الشَّعْرِ وَقَدْ تَرَكْتُهُ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ ، عَنْ الرَّيَاشِيِّ ، قَالَ : قَالَ الْعُتْبِيُّ : جَاءَتْ قَصِيدَةٌ لَا يُدْرَى مَنْ قَاتِلُهَا ، فَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ :

هَذِهِ الدَّهْمَاءُ تَجْرِي فِيكُمْ
أَرْسَلَتْ عَمْدًا تَجْرُرُ الرُّسَنَا

[ألفه الرشيد ويحيى]

قال الكُرَّانِيُّ : وَحَدَّثَنِي الرَّيَاشِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ خَلْفَ بْنَ خَلِيفَةَ يَقُولُ : قَالَ لِي ابْنُ مُنَازِرٍ :
قال لي جعفر بن يحيى : قُلْ فِيَّ فِي الرَّشِيدِ شِعْرًا تَصِفُ فِيهِ الْأَلْفَةَ بَيْنَنَا فَقُلْتُ : [من الكامل]

قَدْ تُقَطِّعَ الرَّحِمُ الْقَرِيبُ وَتُكْفَرُ النُّعْمَى وَلَا كَتَقَارِبِ الْقَلْبَيْنِ
يُذْنِي الْهَوَى هَذَا وَيُذْنِي ذَا الْهَوَى فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تُرَى نَفْسَيْنِ

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نَقْلًا ؛ فَإِنَّ ابْنَ عُيَيْنَةَ رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ طَاوُسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الرَّحِمَ تُقَطِّعُ ، وَإِنَّ النُّعْمَ تَكْفُرُ ، وَلَنْ تُرَى مِثْلَ تَقَارِبِ الْقُلُوبِ» .

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّاذْكُونِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، فَحَدَّثَ عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾¹ قَالُوا سَدَادًا ، قَالَ : فَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : التَّنْزِيلُ أَيْنَ مِنَ التَّفْسِيرِ .

[شعره وشعر أبي حية النميري]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ الْعُتْبِيِّ ، عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ قَالَ : مَرَّبْنَا أَبُو حِيَةَ النَّمِيرِيَّ وَنَحْنُ عِنْدَ ابْنِ مُنَازِرٍ ، فَقَالَ لَنَا : عَلَامَ اجْتِمَعْتُمْ ؟ فَقُلْنَا : هَذَا شَاعِرُ الْمِصْرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي ، فَأَنْشَدَهُ ابْنُ مُنَازِرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ لَهُ أَبُو حِيَةَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : أَنْشِدْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْشَدْنَا أَنْتَ يَا أَبَا حِيَةَ ، فَأَنْشَدَهُمْ قَوْلَهُ :

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَيْسَنَ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَ الْبَلِيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمَ وَلِيلَةٍ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا
فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ لَهُ ابْنُ مُنَازِرٍ : مَا أَرَى فِي شِعْرِكَ شَيْئًا يُسْتَحْسَنُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فِي شِعْرِي

شيء يُعاب إلا استماعك إياه ، فكادا أن يتواثبا ، ثم افترقا .
[هجاء قاضي البصرة وأميرها]

أخبرني عمي ، قال : حدثني الكُراني ، عن ابن عائشة قال : ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة ، وعيسى بن سليمان الإمارة بها ، فقال محمد بن مناذر يهجوها بقوله : [من السريع]
الحمد لله على ما أرى خالد القاضي وعيسى أمير
لكن عيسى نوّكه ساعة ونوك هذا منجنون يدور¹
[شبرويه عبد إن غضبنا وإن رضينا]

وقال في شبرويه الزيادي ، وشبرويه لقب ، واسمه أحمد ، وسأله حاجة ، فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه :

يا سمي النبي بالعربية وسمي الليوث بالفارسية
إن غضبنا فانت عبد ثقيف أو رضىنا فانت عبد أمية
فغضب شبرويه وجعل يشتمه ، وشاع الشعر بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل لشبرويه : ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يشتم من يقول له ذلك .
[رثاء سفيان بن عيينة]

أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : سمعت محمد بن قدامة الجوهرى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول لمحمد بن مناذر : كأنك بي قد مت فرتبتني ، فلما مات ، قال ابن مناذر يرثيه² :

إن الذي غودر بالمنحنى هد من الإسلام أركاننا
راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوتين أكفانا
لا يُبعدنك الله من هالك ورثتنا علما وأحزاننا
[ابن مناذر اللغوي]

أخبرنا عمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاري ، قال : حدثنا سفيان قال : سمعت أعرابية تقول : من يشتري مني الحزاة ؟ فقلت لها : وما الحزاة ؟ قالت : تشتريها النساء للطشة والخافية والإقالات . قال عبد الله بن مروان : فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك ، فقال : الطشة : وجع يصيب الصبيان في

1 النوك : الحق . والمنجنون : الدولاب .

2 تقدمت هذه الأبيات مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

روؤسهم كالزُكام . والخافية : ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن . والإقلاط : قلة الولد . وأنشدني ابن مناذر بعقب ذلك¹ :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتٌ نَزُورُ

أي قليلة الفِراخ .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : سمعتُ محمد بن مناذر يقول : العذراء : البتول ، والبتور والبتيل واحد ، وهي المنقطعة إلى ربها .

قال : وسأله ، يعني ابن مناذر ، أبو هريرة الصيرفي بحضرتي فقال : كيف تقول : أما لا أو إِمَّا لا ؟ فقال له مُسْتَهْزِئًا به : أما لا² ، ثم التفت إلي فقال أسمعُ أعجبَ من هذه المسألة ؟

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوبَةَ قال حدَّثني العباس بن الفضل الرعي قال : حدَّثنا الثَّوْرِيُّ قال : سألتُ أبا عُبَيْدَةَ عن اليوم الثاني من النَّحر : ما كانت العرب تُسمِّيه ؟ قال : ليس عندي من ذلك علم . فلقيتُ ابن مناذر بمكة ، فأخبرته بذلك ، فعجِب وقال : أيسقط هذا عن مثل أبي عُبَيْدَةَ ! هي أربعة أيام متواليات كلها على الرَّاء : أولُها يوم النَّحر ، والثاني يوم القَر ، والثالث يوم النَّفَر ، والرابع يوم الصدر . فحدَّثته ، يعني أبا عُبَيْدَةَ ، فكتبه عن ابن مناذر . وقد روى ابن مناذر الحديث المسند ، ونقله عنه المُحدِّثون .

أخبرني عمي قال : حدَّثنا الكُرَائي ، قال : حدَّثنا الخليل بن أسد ، عن محمد بن مسعدة الدَّارِع أبي الجَهْجَهَاء ، قال : حدَّثني محمد بن مناذر الشَّاعر ، قال : حدَّثني سُفْيَان الثَّوْرِي ، عن الأغر ، عن وهب بن مُنَبِّه ، قال : كان يقال : الحياء من الإيمان ، والمئذى ، مكسور الميم مقصور ، من النفاق ؛ فقلت : إنَّ الناسَ يقولون : المذاء ، فقال : هو كما أخبرتك ، فقلت له : وما المذاء ؟ قال : اللَّيْنُ في أمرِ النِّسَاء ، ومنه دِرْعٌ مَازِيٌّ ، وعَسَلٌ مَازِيٌّ .

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوبَةَ . قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد ، قال : حدَّثني حامد بن يحيى البلخي ، قال : حدَّثني محمد بن مناذر الشَّاعر ، قال : حدَّثني يحيى بن عبد الله بن مُجَالِد ، عن الشَّعْبِي ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : لَمَّا نظرَ رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مُصْرَعُونَ ، قال لأبي بكر : «لو أنَّ أبا طالب حيٌّ لعلم أنَّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل» ، يعني قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله إن جدَّ ما أرى لتلتسين أسيافنا بالأماثل

1 هذا البيت من قطعة تنسب إلى العباس بن مرداس السلميّ وتنسب إلى غيره . انظر ديوان العباس 58-59 .

2 تقول : افعل هذا إِمَّا لا ، أي إذا كنت لا تفعل غيره .

أخبرني محمد بن خلف قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعي ، قال : حدثنا ابن منذر ، قال : حدثنا سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال علي عليه السلام : «ما قام بي من النساء إلا الحارقة أسماء» . قال ابن منذر : الحارقة : التي تجامع على جنب .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي ، عن العباس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن منذر ، عن سُفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الشيطانُ إلى عيسى ، قال : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوفِ على هذه الشَّاهقة ، فألقى نفسك منها ، فقال : ويلك ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ : يا ابن آدم ، لا تَبْلُغني بهلاكِكَ ، فَإِنِّي أَفْعَلُ ما أَشاء .

[رقعته إلى غلام في المسجد]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : نظر محمد بن منافر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات : [من السريع]

وجدتُ في الآثارِ في بعضِ ما	حدثنا الأشياخُ في المُسنَدِ
مِمَّا رَوَى الأعمشُ عن جابرٍ	وعامرِ الشَّعْبِيِّ والأسودِ
وما روى شُعْبَةُ عن عاصمٍ	وقاله حمَّاد عن فرقدٍ
وصيَّةٌ جاءت إلى كُلِّ ذي	خذُ خلا من شعرِ أسودٍ
أَنْ يَقْبَلُوا الرَّاغِبَ في وَصْلِهِم	فاقْبَلْ فَإِنِّي فيكَ لم أَزْهَدْ
نَوَّلَ فَكَمْ من جَمْرَةٍ ضَمَّها	قَلْبِي من حَبِيكَ لم تَبْرُدِ

فلَمَّا قرأها الفتى ضحك ، وقلب الرُّقعة ، وكتب في ظهرها : لستُ شاعراً فأجيبك ، ولا فاتِكاً فأساعدك ، وأنا أَعُوذُ بالله ربِّكَ من شرِّكَ .

[بينه وبين أبي العتاهية (رواية أخرى)]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله العبدي ، قال : حدثنا علي بن المبارك الأحمر ، قال¹ : لَقِيَ أَبُو العتاهية ابنَ منذرَ بمكَّةَ ، فجعل يُمازحه ويُضحكه ، ثم دخلَ على الرُّشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابنُ منذرٍ شاعرُ البصرة يقول قصيدة في سَنَةِ ، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة . فقال الرُّشيد : أدخِلْهُ إِلَيَّ ، فأدخَلْهُ إليه وَقَدَّرَ أَنَّهُ يَضَعُهُ عنده . فدخَلَ فسَلِمَ

ودعا ، فقال : ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن منذر : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنك تقول قصيدة في سنة ، وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنت أقول كما يقول : [من الهرج]

ألا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

لقلت منه كثيراً ، ولكنني الذي أقول : [من الخفيف]

إن عبد المجيد يوم تولى هـ ركناً ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود

فقال له الرشيد : هاتها فأنشدينيها ، فأنشده ؛ فقال الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد ، ما لها عيب إلا أنك قلتها في سوق ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكاد أبو العتاهية يموت غماً وأسفاً .

[يحيى بن معين يذمه]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدثنا إبراهيم بن الجندب قال : سألت يحيى بن معين ، عن محمد بن منذر الشاعر ، فقال : لم يكن بثقة ولا مأمون ، رجل سوء نفي من البصرة ؛ ووصفه بالمجون والخلاعة ؛ فقلت : إنما تكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد ، فقال : هذا نعم ، وأما الحديث فليست أراه موضعاً له .

[وفاته بعد العمى]

أخبرني الحسن ، قال : حدثني ابن مَهْرُويه : قال : حدثني علي بن محمد النوفلي قال : رأيت ابن منذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة ، قد كفّ بصره ، تقوده جويرية حرة ، وهو واقف يشتري ماء قرية ، فرأيتة وسيخ الثوب والبدن ، فلما صيرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا خلاد الأرقط قال : تذاكرنا ابن منذر في حلقة يؤنس ، فقدح فيه أكثر أهل الحلقة ، حتى نسبوه إلى الزندقة ؛ فلما صيرت في السقيفة التي في مقدم المسجد سمعت قراءة قرية من حائط القبلة ، فدنوت فإذا ابن منذر قائم يصلي ، فرجعت إلى الحلقة ، فقلت لأهلها : قلتم في الرجل ما قلتم ، وها هوذا قائم يصلي حيث لا يراه إلا الله عز وجل .

[مع أبي خيرة]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال : حدثنا أحمد بن القاسم البرقي ، قال : حدثنا أحمد بن يعقوب ، قال : حدثني أحمد بن يحيى الهذلي التمار ، عن عبد الله بن عبد

الصَّمَد الضَّبِّي قال : كُنَّا يوماً جلوساً في حَلَقَة هُبَيْرَة بن جَرِير الضَّبِّي إِذ أَقْبَلَ مُحَمَّد بن مُنَادِر في بُرْد قد كَسَتْه إِيَّاه بَانَةٌ بنت أَبِي العاصي ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وحدي ، ولم يعرف منهم أحداً ، ثم قام فَجَلَسَ إلى أَبِي خَيْرَة ، فَخاطبه مُخاطبة خفيفة ، وقام مُعَضَّباً ؛ فقال لي هُبَيْرَة : مَنْ هذا ؟ فقلتُ ، محمد بن مُنَادِر : فقال : إِنَّا لِلَّهِ ! قوموا بنا ؛ فقام إلى أَبِي خَيْرَة ، فقال له : ماذا قال لك ابنُ مُنَادِر ؟ قال : سألتني عن شيءٍ وكنتُ مشغولاً عنه فقال : يا أبا خَيْرَة إِنَّ العشائر تَغِيطُنَا¹ لِعَلِّمِكَ ، وما جعل الله عندك ، فنشدناك الله أن تكون لنا ، كما كان عَرَادَة لِبني نُمَيْر ، فإنه تعرَّض لجرير فهجَّاه فعمَّهم فقال² :

عَرَادَة من بَقِيَّة قومِ لُوطٍ أَلَا تَبَا لِمَا فَعَلُوا تَبَا

أَتَدْرِي مَنْ كان عندك آنفاً ؟ قال : لا ، قال : ابنُ مُنَادِر ، وما تعرَّضَ لأعراض قومٍ قطَّ إلَّا هتَكَّها وهتَكَّهم ، فإذا جاءك يسألك عن شيءٍ فأجبه ، ولا تعتلَّ عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيئاً ، وكلَّ ما أُرِدْتُ من جهته ففي مالي . قال : أَفَعَلُ . قال : وكان أبو خَيْرَة إِذا سألَه إنسان عن شيءٍ ولم يُعطه شيئاً يَعْتَلَّ عليه بالبول . فما شعرنا من غد إلَّا بابن مُنَادِر وقد أَقْبَلَ ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ قَصَدَ أبا خَيْرَة ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَلَمَّا رَأَى جَمْعَنَا استَحيا مِنَّا ، وَسَلَّم عَلَيْنَا وتَبَسَّم ، ثم قال : يا أبا خَيْرَة : قد قُلْتُ شِعْراً ، وقبيحٌ بمثلي أن يُسألَ عنه فلا يدري ما فيه ، وإِنِّي ذَكَرْتُ فِيهِ إنساناً فَشَبَّهْتُهُ بِالْأَفَار ، فَأَيَّ شيءٍ هو ؟ فَاحْمَرَّتْ وَجْهَ أَبِي خَيْرَة واضطرب ، وقال : هو التَّيْسُ الوَثَاب الذي يَنْزُو وقضيبه رِخْو فلا يَصِل ، فقال : جُرِيتَ خيراً . ووثب وهو يضحك ، فقمْنَا إليه وقلنا : قد عَلِمْنَا أَنَّكَ عَنِيتَ هذا الشيخ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَن تَهَبَهُ لَنَا فافْعَل ، فإنه شيخنا . قال : والله ما عَنِيتُ غيره ، وقد وهبته لكم وكرامةً ، والله لا يسمع مِنِّي أحدٌ ما قُلْتُ فيه ، ولا أذكره إلَّا بخير أبداً ، وإن كان قد أساء العِشْرَة أمس .

صوت³

[من البسيط]

لا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْيَاداً وَتَطْوِيهَا تَمْضِي بِهَا لَكَ أَيَّامٌ وَتُمْضِيهَا

ولا تَقْضُتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَا بَرِحَتْ تَطْوِي لَكَ الدَّهْرَ أَيَّاماً وَتُفْنِيهَا

الشعر لأشجع السُّلَمي ، والغناء لإبراهيم المَوْصِلي ثاني ثَقِيل مطلق في مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريض لحن من الثَقِيل الأوَّل ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

1 ل : تعظمنا .

2 البيت في النقاظ : 443 ولم يرد في ديوانه (صادر) .

3 البيت الأول مع أبيات أخرى في الشعر والشعراء : 759 وطبقات ابن المعتز : 252 .

[390] - نسب أشجع وأخباره¹

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن عليّ قالاً : حدثنا الحسن بن عليّ العنزيّ ، قال : حدثني عليّ بن الفضل السلميّ ، قال : كان أشجعُ بن عمرو السلميّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلميّ ، تزوّج أبوه امرأةً من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ؛ ثم مات أبوه ، فقَدِمَتْ به أمّه البصرة تطلب ميراث أبيه ، وكان له هناك مال فماتت بها . ورأيي أشجع ونشأ بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدَّ في الفحول . وكان الشعر يومئذٍ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع وقال الشعر ، افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخوان : أحمد وحريث ابنا عمرو ؛ وكان أحمد شاعراً ولم يكن يُقَارِبُ أشجع ، ولم يكن لحريث شعر . ثم خرج أشجع إلى الرقة والرّشيد بها ، فنزل على بني سليم فتقبّلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصّةً وأصفاه مدّحه ، فأعجب به ووصله إلى الرشيد ، ومدّحه فأعجب به أيضاً ، فأثري وحسنت حاله في أيّامه وتقدّم عنده .

[خاف أن تدركه الصلاة فابتدأ بالمدح]

أخبرني محمد بن عمران ، قال : حدثني العنزيّ ، قال : حدثني صخر بن أسد السلميّ قال : حدثني أبي أسد بن جديلة قال : حدثني أشجع السلميّ قال² : شخصت من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتني خلة ، فخرجتُ حتى لقيته مُنصرفاً من الغزو ، وكنت قد اتّصلتُ ببعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : مَنْ كان هاهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضّرنا سبعة وأنا ثامنهم ، وأمرنا بالبُكور في يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا ، وقُدِّمَ واحدٌ واحدٌ منا يُنشد على الأسنان ، وكنتُ أحدثُ القومَ شيئاً ، وأرثهم حالاً ؛ فما بُلغ إليّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدّمتُ والرّشيد على كرسيّ ،

1 ترجمة أشجع السلمي في الشعر والشعراء : 757-762 وطبقات ابن المعتز : 250-253 وتهذيب ابن

عساكر 3 : 59-63 وخزانة البغدادي 1 : 296-299 وتاريخ بغداد 7 : 45 ومعاهد التنصيص 4 : 62

وشرح الحماسة للثيريزي 2 : 169 وأوراق الصولي (قسم أخبار الشعراء) : 74-137 وهو يتفق مع نص أبي

الفرج في كثير من المواضع . وقد جمع د . خليل الحسون شعره مع دراسة له (دار المسيرة ، بيروت -

1981) .

2 انظر أوراق الصولي : 75-76 وديوانه : 187 .

وأصحابُ الأعمدة بين يديه سِمَاطان¹ ، فقال لي : أنشِدني ، فخِفْتُ أن أبتدىء من أوَّل قصيدتي بالتَّشْيِيبِ فَتَجِبَ الصلاةُ ويفوتُني ما أردتُ ، فتركتُ التَّشْيِيبَ وأنشدته من موضع المديح في قصيدتي التي أولها :

تذكّر عهدَ البيضِ وهو لها ترَبُّ وأيامُ يُصبى الغانياتِ ولا يصبُو
فابتدأتُ قولي في المديح :

إلى مَلِكٍ يَسْتَغْرِقُ المَالَ جُودُهُ مَكَارِمُهُ نَثَرَ وَمَعْرُوفُهُ سَكَبُ
وما زالَ هَارُونَ الرُّضَا بنُ مُحَمَّدٍ له من مِياهِ النَّضْرِ مَشْرَبُهَا الْعَذْبُ
متى تَبْلُغَ العِيسُ المَراسيلُ بابَه بنا فهناك الرُّحْبُ والمنزِلُ الرُّحْبُ
لقد جُمِعَت فيكَ الظُّنونُ ولم يكن بِغَيْرِكَ ظَنٌّ يَسْتَرِجُ له القَلْبُ
جَمَعَت ذَوِي الأَهْواءِ حَتَّى كَانَهُمْ على مَنَهِجٍ بَعْدَ افْتِرَاقِهِمْ رَكْبُ
بَثَّتْ على الأَعْدَاءِ أُنْباءَ ذُرِيَةِ فلم يَقَهُمْ مِنْهُمْ حُصُونٌ ولا دَرْبُ
وما زِلْتَ تَرْمِيهِمْ بِهِمْ مُتَفَرِّدًا أُنَيْسَاكَ حَزَمُ الرَّأْيِ والصَّارِمُ الغَضْبُ
جَهَذْتُ فلم أَبْلُغْ عَلاكَ بِمِدْحَةٍ وليس على مَنْ كان مُجْتَهِدًا عَتَبُ

فضحك الرشيد وقال لي : خِفْتُ أن يفوتَ وقتُ الصلاةِ فَيَنْقَطِعَ المديحُ عليك ، فبدأتَ به وتركتُ التَّشْيِيبَ ، وأمرني بأن أنشِده التَّشْيِيبَ فأنشدته إِيَّاهُ ، فأمر لكلِّ واحدٍ من الشعراءِ بعشرة آلافِ درهم وأمر لي بضِعْفِهَا .

[الرشيد يستحسن شعره]

أخبرني حبيبُ بنُ نصرِ المهلبِيِّ ، قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ شُبَّةَ ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ سَيَّارِ الجُرْجَانِيِّ وَكَانَ رَاوِيَةً شَاعِرًا مَدَّاحًا لِيَزِيدَ بنِ مَرْزُوقٍ ، قال :² دَخَلْتُ أَنَا وَأَشْجَعُ وَالتَّيْمِيُّ ، وابنُ رَزِينِ الخِرَاسَانِيِّ على الرشيدِ في قَصْرِ لَهُ بِالرَّقَّةِ ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ أَعْنَاقَ قَوْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَجَعَلْنَا نَتَخَلَّلُ الدِّمَاءَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ قَصِيدَةً بِهِ يَذْكُرُ فِيهَا نَقْفُورَ وَوَقْعَتَهُ بِيَلَادِ الرُّومِ ، فَتَرَّرَ عَلَيْهِ مِثْلَ الدَّرِّ مِنْ جُودَةِ شَعْرِهِ ، وَأَنْشَدَهُ أَشْجَعُ قَوْلَهُ³ : [من الكامل]

قَصُرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ أَلَقْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ

1 السميط : الصف .

2 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي 76-77 ، 122 .

3 ديوانه : 252-253 .

قَصُرَتْ سُقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهُدَى أَعْلَامُ
تُشَيِّ عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ وَالشَّاهِدَانِ الْحِلُّ وَالْإِحْرَامُ
أَدَّتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةَ وَقَرَابَةٍ وَشَجَّتْ بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ هَاماً لَهَا ظِلَّ السِّيُوفِ غَمَامُ
وَإِذَا سِيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعِدَى طَارَتْ لَهْنٌ عَنِ الرُّؤُوسِ الْهَامُ
وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سِيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
وَأُنْشِدْتُهُ أَنَا قَوْلِي :

زَمَنْ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قَصِيرِ

حتى انتهيتُ إلى قَوْلِي :

[من الكامل]
لَا تَبْعِدِ الْأَيَّامُ إِذْ وَرَقَ الصَّبَا خَضَلٌ وَإِذْ غَضَّ الشَّبَابِ نَضِيرُ
فَاسْتَحْسَنَ هَذَا الْبَيْتَ ، وَمَضَيْتُ فِي الْقَصِيدَةِ حَتَّى أَتَمَمْتُهَا ، فَوَجَّهْتُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ :
أَنْفِذْ إِلَيَّ قَصِيدَتَكَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْشِدَهَا الْجَوَارِي مِنْ اسْتِحْسَانِهِ إِيَّاهَا .
قَالَ : وَرَكِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا قُبَّةً وَسَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ ، فَقَالَ : أَيْنَ مُحَمَّدُ الْبَيْذَقُ ؟
وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الصَّوْتِ يُنْشِدُ الشَّعْرَ فَيُطْرِبُ بِحُسْنِ صَوْتِهِ أَشَدَّ مِنْ إِطْرَابِ الْغَنَاءِ .
فَحَضَرَ ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي قَصِيدَةَ الْجُرْجَانِيِّ ، فَأَنْشَدَهُ ، فَقَالَ : الشَّعْرُ فِي رِبْعَةٍ سَائِرِ الْيَوْمِ ،
فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْتَنْشِدْهُ قَصِيدَةَ أَشْجَعِ بْنِ عَمْرٍو ، فَأَبَى ، فَلَمْ
يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَ إِلَى اسْتِمَاعِهَا ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ

وَالَّذِي بَعْدَهُ ، قَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ خَرَسَ بَعْدَ هَذَيْنِ لَكَانَ
أَشْعَرَ النَّاسِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْخَفَّافِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوتِهِ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَشْجَعَ لَمَّا أَنْشَدَ الرَّشِيدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

[من الكامل]

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ

وَالَّذِي بَعْدَهُ ، طَرِبَ الرَّشِيدُ ، وَكَانَ مُتَكِيًا فَاسْتَوَى جَالِسًا ، وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ، هَكَذَا
تُمَدِّحُ الْمُلُوكَ .

أخبرني أحمد بن إسحاق العسكري ، والحسن بن علي ، قالا : حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي ، عن أبيه ، قال ¹ : كنتُ عند الرشيد ، فدخل إليه أشجع ، ومنصور النمرى ، فأنشد أشجع قوله :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوءُ الصُّبحِ والإِظلامِ
فإذا تَبَّه رُعنَه وإذا غفا سَلَّتْ عليه سيوفُك الأحلامِ
فاستَحَسَنَ ذلك الرشيد ، وأوماتُ إلى أشجع أن يَقْطَعَ الشَّعر ، وعلمت أنه لا يأتي بمثلِهما ، فلم يفعل . ولما أنشدَ ما بعدهما فتر الرشيد وضربَ بِمِخْصَرَةٍ كانت بيده الأرض ، واستنشدَ منصوراً النمرى ، فأنشدَه قوله ² :

ما تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي ولا جَزَعُ إذا ذَكَرْتُ شِباباً ليس يُرْتَجَعُ
فمرَّ والله في قصيدة قلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها ، فجعل الرشيد يضرب بِمِخْصَرَتِهِ الأرض ويقول : الشَّعر في ربيعةٍ سائر اليوم ، فلما خرجنا قلت لأشجع : غمزتك أن تَقْطَعَ فلم تفعل ، ويلك ! ولم تأتِ بشيء ، فهلاً مِتَّ بعد البيتين أو خَرَسْتَ ، فكنتُ تكون أشعر الناس .

[مدح جعفر بن يحيى]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثني موسى بن عيسى ، قال : اشترى جعفر بن يحيى المِرْغَاب ³ من آل الرشيد بعشرين ألف ألف درهم ، وردَّه على أصحابه ، فقال أشجع السلمي يمدحه بذلك ويقول ⁴ :

رَدُّ السِّبَاخِ نَدَى يَدَيْهِ وَأَهْلُهَا مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
قَدْ أُيْقِنُوا بِذَهَابِهَا وَهَلَاكِهِمْ وَالذَّهْرُ يُوعِدُهُمْ يَوْمٌ أُعْضِلُ ⁵
فَاغْتَكَّهَا لَهُمْ وَهُمْ مِنْ ذَهْرِهِمْ بَيْنَ الْجِرَانِ وَبَيْنَ حَدِّ الْكُلْكِ
مَا كَانَ يُرْجَى غَيْرُهُ لَفَكَاحِهَا يُرْجَى الْكَرِيمُ لِكُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ

[معارضة قصيدة لحميد بن ثور]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني أحمد بن محمد حرَّان ، عن قدامة بن نوح ،

1 انظر الخبر في أوراق الصولي : 76-77 .

2 ديوان منصور النمرى : 95 .

3 المِرْغَاب : ضيعة .

4 ديوانه : 247 (عن الأغاني) .

5 اليوم الأعضل : الذي لا يرتجى شفاء دائه .

قال¹ : جلس جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بالصَالِحِيَّةِ يشرب على مُسْتَشْرِفٍ لَهُ ، فجاءه أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي هَلَالٍ ، فاشتكى واستماح بكلامٍ فصيحٍ وَلَفْظٍ مثله يَعْطِفُ المسؤول ، فقال له جعفر بن يحيى : أَتَقُولُ الشَّعْرَ يَا هِلَالِي ؟ فقال : قد كنتُ أَقُولُهُ وَأَنَا حَدَّثْتُ أَمْلَحَ بِهِ ، ثم تَرَكَهُ لَمَّا صِرْتُ شَيْخًا ؛ قال : فَأَنْشِدُنَا لِشَاعِرِكُمْ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ ، فَأَنْشِدَهُ قَوْلَهُ² : [من الكامل]

لِمَنْ الدِّيَارُ بِجَانِبِ الْحُمْسِ كَمَحَطٍّ ذِي الْحَاجَاتِ بِالنَّفْسِ

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجعُ ، فَأَنْشِدَهُ مَدِيحًا لَهُ فِيهِ قَالَهُ لَوْفَتِهِ عَلَى وَزْنِهَا وَقَافِيَتِهَا ، فقال : [من الكامل]

ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفِعَالُهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِكٌ تَسْوَسُ لَهُ الْمَعَالِي نَفْسُهُ وَالْعَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ
فَإِذَا تَرَاءَتْهُ الْمُلُوكُ تَرَاجَعُوا جَهَرَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ هَمْسِ
سَادَ الْبَرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْأُلَى بَعْدَ الْخَلَائِفِ سَادَةُ الْإِنْسِ
مَا ضَرَّ مَنْ قَصَدَ ابْنَ يَحْيَى رَاغِبًا بِالسَّعْدِ حُلٌّ بِهِ أُمُّ النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ مَوْضِعَنَا هَذَا ، فقال : [من الكامل]

قُصُورُ الصَالِحِيَّةِ كَالْعَذَارَى لَيْسَنَ ثِيَابَهُنَّ لَيَوْمِ غُرْسِ
مُطِلَّاتٌ عَلَى بَطْنٍ كَسْتَهُ أَيَادِي الْمَاءِ وَشَيْئًا نَسَجَ غُرْسِ
إِذَا مَا الطَّلُؤُ أَثَّرَ فِي ثَرَاهُ تَنْفَسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتَغَيَّقَهُ السَّمَاءُ بِصَيْنِغٍ وَرَسِ وَتَصْحَبُهُ بِأَكُوسٍ عَيْنِ شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابي : كيف ترى صاحبنا يا هِلَالِي ؟ فقال : أرى خاطره طوعَ لسانه ، وبيان الناسِ تحَتَ بَيَانِهِ ، وقد جعلتُ له ما تصِلُنِي بِهِ ، قال : بل نُقِرُّكَ يَا أَعْرَابِيٍّ وَنَرْضِيهِ ، وأمر للأعرابيِّ بمائة دينارٍ ولأشجع بمائتين .

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، قال . حَدَّثَنِي أَبُو دَعَامَةَ ، قال : حَدَّثَنِي أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ ، قال : كنتُ ذاتَ يومٍ في مجلسٍ بعضِ إخواني أَتَحَدَّثُ وَأَنْشِدُ ، إذ دخل عليهم أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ النَّصْرِيُّ صَاحِبُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فقام له جميعُ القومِ غَيْرِي ، ولم أعرفه فَأَقُومُ لَهُ ؛ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ قالوا : أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ الشَّاعِرُ ، قال : أَنشِدْنِي بعضَ

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي 77-78 وانظر ديوان أشجع : 219-220 .

2 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 53 .

قولك ، فأنشدته . فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومن لي بجعفر بن يحيى ؟ فقال : أنا ، فقل أبياتاً ولا تطيل فإنه يملُ الإطالة . فقلت : لست بصاحب إطالة ، فقلت أبياتاً على نحو ما رسم لي ، وصيرت إلى أنس فقال : تقدمني إلى الباب ، فتقدمت ، فلم يلبث أن جاء فدخل ، وخرج أبو رُح الهذاني حاجب جعفر بن يحيى ؛ فقال أشجع : فقم ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاستشديني فأنشدته أقول : [من الكامل]

وترى الملوك إذا رأيتهُم كلُّ بعيد الصوت والجرس
فاذا بدا لهم ابنُ يحيى جعفر رجعوا الكلام بمنطق همس
ذهبت مكارم جعفر وفعاله في الناس مثل مذهب الشمس

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم : قال : وكان أشجع يحب الثياب ، وكان يكثر الخيلة كل يوم بدرهمين ، فيلبسها أياماً ، ثم يكثر غيرها ، فيفعل بها مثل ذلك . قال : فابتعت أثواباً كثيرة بباب الكرخ ، فكسوت عيالي وعيال إخوتي حتى أنفقتها . [الفضل يضعف له الجائزة]

ثم لقيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى بعد أيام ، فقال لي : أنشدني ما قلته في جعفر ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومن لي بالفضل ؟ فقال : أنا لك به ، فادخلني عليه ، فأنشدته¹ :

وما قدم الفضل بن يحيى مكانه على غيره بل قدمته المكارم
لقد أربأ الأعداء حتى كأنما على كل ثغر بالنيئة قائم

فقال لي : كم أعطاك جعفر ؟ فقلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

[قليل دائم خير من كثير منقطع]

أخبرني علي بن صالح ، قال : حدثني أحمد بن أبي فتن ، قال حدثني داود بن مهلهل قال² : لما خرج جعفر بن يحيى ليُصلح أمر الشام ، نزل في مضرته ، وأمر بإطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده قوله :

فتان باغية وطاغية جلت أمورهما عن الخطب

1 ديوانه : 261-262 .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 78-79 وديوانه : 188 .

قد جاءكم بالخيل شازبة¹ ينقلن نحوكم رحي الحرب¹
لم يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَدُورَ بِكُمْ قد قامَ هاديها على القطب

قال : فأمر له بصلة ليست بالسَّيِّئة ، وقال له : دائم القليل خير من مُنْقَطِع الكثير .
فقال له : ونزَّره أكثر من جزيل غيره . فأمر له بمثلها ، قال : وكان يُجرى عليه في كل
جمعة مائة دينار مدة مقامه بيباه .

[إسحاق الموصلي بفضل أشجع على أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرِّد ، قال : حدثني الفصل بن محمد البيزدي ،
قال : حدثنا إسحاق الموصلي ، قال : دخلت إلى الرشيد يوماً ، وهو يخاطب جعفر بن
يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رأيته مُقْبِلاً قال لجعفر بن يحيى :
أترضى بإسحاق ؟ قال جعفر : والله ما في علمه مَطْعَن إن أنصفَ ، فقال لي : أي شيء
تروي للشعراء المحدثين في الخمر ؟ أنشدني من أفضل ما عندك وأشدّه تقدماً . فعلمتُ
أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس ، فعذلتُ عنه إلى غيره ؛ لئلا أخالف أحدهما ،
فقلت : لقد أحسن أشجع في قوله² :

ولقد طعنتُ الليلَ في أعجازه
يَتَمَايَلُونَ عَلَى النِّعِيمِ كَأَنَّهُمْ
وسعى بها الظُّبْيُ الغَرِيرُ يَزِيدُهَا
والليلُ مُنْتَقِبٌ بِفَضْلِ رَدَائِهِ
فإذا أدارتها الأكفُ رأيتها
وعلى بنانٍ مديرها عَقِيَانَةٌ
تَغْلِي إذا ما الشُّعْرِيَانِ تَلْظِيَا
ولقد فَضَضْنَاهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا
بالكأسِ بين غَطَارِفِ كَالْأَنْجَمِ³
قُضِبَ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَشْلَمْ
طَبِيباً وَيَغْشِمُهَا إِذَا لَمْ تَغْشِمِ⁴
قد كاد يَخْسِرَ عَنْ أَغْرِ أَرْثَمِ⁵
تَنْثِي الْفَصِيحِ إِلَى لِسَانِ الْأَعْجَمِ
من سَكَبَهَا وَعَلَى فَضُولِ الْمِعْصَمِ
صَيْفًا وَتَسْكُنُ فِي طُلُوعِ الْمَرْزَمِ⁶
بِكْرًا وَلَيْسَ الْبِكْرُ مِثْلَ الْأَيْمِ

1 شازبة : ضامرة .

2 الأبيات في أوراق الصولي : 84-85 مع اختلاف طفيف في اللفظ ، وانظر ديوانه : 249-250 .

3 الغطارف : السادة الأشراف .

4 لم تغشم : لم تظلم .

5 الأرثم من الخيل : ما كان أبيض الشفة العليا .

6 الشعريان : نجمان ، الشعري العبور والشعري الغميصاء . والمرزم : نجم .

ولها سُكُونٌ في الإِناء وخلفها
تُعْطَى على الظَّلمِ الفَتَى بِقِيادِها
شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالْكَمِيِّ المُعْلَمِ
قَسْراً وتَظْلِمُهُ إِذا لم يَظْلَمِ

فقال لي الرشيد : قد عَرَفْتُ تَعْصُبُكَ على أَبِي نُواس ، وَإِنَّكَ عَدَلْتَ عَنْهُ مُتَعَمِّداً ، ولقد أَحْسَنَ أَشْجَعٌ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقُولُ أَبَداً مِثْلَ قَوْلِ أَبِي نُواس : [من المديد]

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نِمْتُ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَتَمِ
فقلت له : ما عَلِمْتُ ما كُنْتَ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا أَتَشَدَّدُ ما حَضَرَنِي ، فقال :
حُسْبُكَ قَدْ سَمِعْتَ الْجَوَابَ .

قال الفضل : وكان في إِسْحاقَ تَعْصُبٌ على أَبِي نُواسَ لشيءٍ جَرَى بَيْنَهُمَا .

[الوائق يعجب بشعر أَشْجَع]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قال : اصْطَلَحَ الْوَائِقُ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ، وَاتَّصَلَ شُرْبُهُ وَشَرَبْنَا مَعَهُ حَتَّى سَقَطْنَا لَجُنُونِنَا صَرَغِي ، وَهُوَ مَعَنَا عَلَى حَالِنَا ، فَمَا حَرَّكَ أَحَدٌ مِنَّا عَنْ مَضْجِعِهِ ، وَخَدِمَ الْخَاصَّةَ يَطُوفُونَ عَلَيْنَا وَيَتَفَقَّدُونَا ، وَبِذَلِكَ أَمَرَهُمْ ، وَقَالَ : لَا تَحَرَّكُوا أَحَدًا عَنْ مَوْضِعِهِ ، فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ أَفَاقَ مِنَّا ، فقام وَأَمَرَ بِإِنْبَاهِنَا فَأَنَبْنَاهَا فَقَمْنَا فَتَوَضَّأْنَا وَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، وَجِئْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ، وَهُوَ يَرُومُ شَرْبَهَا ، وَالْخَمَارُ يَمْنَعُهُ ، فَقَالَ لِي : يَا إِسْحاقُ ، أَنَشَدَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شِعْراً ، فَأَنَشَدْتُهُ قَوْلَ أَشْجَعِ السُّلَمِيِّ :

[من الكامل]

ولقد طَعَنْتَ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ
يَتَمَايَلُونَ عَنِ النَّعِيمِ كَأَنَّهُمْ
وَسَعَى بِهَا الظُّبْيُ الْغَرِيرُ يَزِيدُهَا
وَاللَّيْلُ مُتَتَقِبٌ بِفَضْلِ رِدَائِهِ
وَإِذَا أَدَارَتَهَا الْأَكْفُ رَأَيْتَهَا
وَعَلَى بَنَانِ مُدِيرِهَا عَقِيَانَةٌ
تَعْلِي إِذَا مَا الشُّعْرَيَانِ تَلَطَّيَا
وَلَقَدْ فَضَضْنَاهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا
وَلَهَا سُكُونٌ فِي الإِناء وَخَلْفُهَا
تُعْطَى عَلَى الظَّلمِ الْفَتَى بِقِيادِها
شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالْكَمِيِّ المُعْلَمِ
قَسْراً وتَظْلِمُهُ إِذا لم يَظْلَمِ
قُسْبٌ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجَمِ
قُضِبٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَتَلَمَّ
طِيباً وَيَغْشِيهَا إِذَا لَمْ تَغْشِمْ
قَدْ كَادَ يَخْسَرُ عَنْ أَغْرَارِثِهِمْ
تَشِي الْفَصِيحَ إِلَى لِسَانِ الْأَعْجَمِ
مِنْ لَوْنِهَا وَعَلَى فُضُولِ الْمَعْصَمِ
صَيْفاً وَتَسْكُنُ فِي طُلُوعِ الْمِرْزَمِ
بِكراً وَلَيْسَ الْبِكْرُ مِثْلَ الْأَيْمِ
شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالْكَمِيِّ المُعْلَمِ
قَسْراً وتَظْلِمُهُ إِذا لم يَظْلَمِ

فطرب وقال : أحسنَ والله أشجع ، وأحسنَت يا أبا محمد ، أعِدْ بحياتي ، فأعدتها وشرب كأسه ، وأمر لي بألف دينار .

[تعزية الفضل بن الربيع في ابنه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثنا أبو هفان قال : ذكر أبو دِعامَة أنَّ أشجع دخل على الفضل بن الربيع ، وقد توفي ابنه العباس والناس يُعزّونه ، فعزاه فأحسن ، ثم استأذنه في إنشاد مَرثية قالها فيه ، فأذن له فأنشده¹ :

لا تبكين بعين غير جائدة	وكل ذي حزن يبكي كما يجد
أي أمرى كان عباس لناثبة	إذا تقنّع دون الوالد الولد
لم يدينه طمع من دار مخزية	ولم يعز له من نعمة بلد
قد كنت ذا جلد في كل ناثة	فبان مني عليك الصبر والجلد
لما تسامت بك الآمال وابتهجت	بك المروءة واعتدت بك العدد
ولم يكن لفتى في نفسه أمل	إلا إليك به من أرضيه يفد
وحين جئت أمام السابقين ولم	يلل عذارك ميدان ولا أمد
وافاك يوم على نكراء مشتمل	لم ينبج من مثله عاد ولا لبُد
فما تكثف إلا عن مؤلولة	حرى ومكتتب أحشاؤه تقد

قال : فبكى الفضل وبكى الناس معه ، وما انصرفوا يومئذ يتذكرون غير أبيات أشجع .

[أحسن تعزية الرشيد في ابنه]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال : حدثني علي بن الجهم ، قال : دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له ، والناس يُعزّونه فأنشده قوله² :

نقص من الدين ومن أهله	نقص المنايا من بني هاشم
قدمته ، فاصبر على فقدِهِ ،	إلى أبيه وأبي القاسم

فقال الرشيد : ما عزاني اليوم أحد أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصيلة .

1 ديوانه : 206-207 .

2 ديوانه : 261 (عن الأغاني) .

[استثذانه على جعفر في عنته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ النُّعْمَانِ السَّلْمِيُّ قال¹ : كَتَبَ بِبَابِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَهُوَ عَلِيلٌ ، فَقَالَ لَنَا الْحَاجِبُ : إِنَّهُ لَا إِذْنَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَشْجَعُ :

[من مخلق البسيط]

لَمَّا اشْتَكَى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَارَقَنِي النَّوْمُ وَالْقَرَارُ
وَمَرَّ عَيْشِي عَلَيَّ حَتَّى كَأَنَّمَا طَعَمَهُ الْمُرَارُ
خَوْفًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى لَا حَقَّ الْخَوْفُ وَالْخِذَارُ
إِنْ يُعْفِهِ اللَّهُ لَا نُحَازِرُ مَا أَحْدَثَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

قال : فَأَوْصَلَ الْحَاجِبُ رُقْعَتَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَهُ بِالْوُصُولِ وَحْدَهُ ، وَانْصَرَفَ سَائِرُ النَّاسِ .

[استعجال الصلة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ : أَنَّ أَشْجَعَ السَّلْمِيَّ كَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَدْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ أَمَرَ لَهُ² بِهِ : [من الطويل]

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً لَهَا عَنَقٌ بَيْنَ الرُّوَاةِ فَسِيحُ³
بِأَنَّ لِسَانَ الشَّعْرِ يُنْطِقُهُ النَّدَى وَيُخْرِسُهُ الْإِبْطَاءُ وَهُوَ فَصِيحُ

فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ : لَنْ يَخْرُسَ لِسَانُ شِعْرِكَ ، وَأَمَرَ بِتَعْجِيلِ صَلَاتِهِ .

[محمد بن منصور بحب مديحه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لِأَبِيهِ فَتَى الْعَسْكَرِ ، قال : أَقْبَلَ أَشْجَعُ إِلَى بَابِ أَبِي ، فَرَأَى اِزْدِحَامَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ⁴ :

[من الهزج]

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عِلَامَاتٌ مِنَ الْبَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ الْبَا بَ نُبْلًا كَثْرَةُ الْأَهْلِ

فَبَلَغَ أَبِي بَيْتَاهُ هَذَانِ ، فَقَالَ : هُمَا وَاللَّهِ أَحَبُّ مَدَائِحِهِ إِلَيَّ .

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 79 وانظر ديوانه : 218 .

2 انظر أوراق الصولي : 79-80 وديوان أشجع : 198 .

3 العنق : السير السريع .

4 الخبر في أوراق الصولي : 80 وانظر ديوانه : 241 وقد أدرج البيتان في سياق قصيدة المدح .

[تهنئة جعفر بتوليّه خراسان]

أخبرني عمي ، والحسن بن عليّ ، قال : حدثنا الفضل بن محمد اليزيديّ ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، قال : لما وليّ الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يُهنئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنشدوه ؛ فقام أشجع آخرهم ، فاستأذنَ في الإنشاد فأذن له ، فأنشده قوله¹ :

أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ
غداً يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الهوى ويكثرُ بالكِ مُسْتَرْجِعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِيَّةٌ بَيْنَ أَقْطَارِهَا مَقَاطِيعُ أَرْضِينَ لَا تُقَطَّعُ²
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ عَيْرَانَةٍ من الرِّيحِ فِي سَيْرِهَا أُسْرَعُ³
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً وَأَيَّ فَتَى نَحْوَهُ تَنْزِعُ
فَمَا دُونَهُ لَامِرِيٌّ مَطْمَعُ وَلَا لَامِرِيٌّ غَيْرُهُ مَقْنَعُ⁴
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ وَلَا يَصْنَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
تَلَوُّدُ الْمُلُوكِ بَارَائِهِ إِذَا نَالَهَا الْحَدَثُ الْأَفْظَعُ⁵
بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ مَتَى رُمَتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمِعُ
وَكَمْ قَائِلٍ إِذْ رَأَى ثُرُوتِي وَمَا فِي فَضُولِ الْغِنَى أَصْنَعُ⁶
غَدَا فِي ظِلَالِ نَدَى جَعْفَرٍ يَجُرُّ ثِيَابَ الْغِنَى أَشْجَعُ
فَقُلْ لَخِرَاسَانَ تَحِيًّا فَقَدْ أَتَاهَا ابْنُ يَحْيَى الْفَتَى الْأَرْوَعُ

1 الأبيات في الخزانة 1 : 296-297 وأوراق الصولي 82-83 والديوان : 225-227 .

2 الدوية : الصحراء الواسعة .

3 العيرانة : الناقة النشيطة . وفي ل : ربحانة .

4 الشعر والشعراء : 760 :

5 وما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
بَارَائِهِ فِي ل : بِأَبْوَابِهِ .

6 الشعر والشعراء : بهجتي بدل ثروتني .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ضَاحِكًا ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ ، وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُ مُخَاطَبَةَ الْأَخِ أَخَاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ .

[عزل جعفر عن خراسان]

قال : ثم بدا للرَّشِيدَ فِي ذَلِكَ التَّدْبِيرِ ، فَعَزَلَ جَعْفَرًا عَنْ خُرَاسَانَ بَعْدَ أَنْ أُعْطِيَ الْعَهْدَ وَالْكِتَابَ ، وَعَقَدَ لَهُ الْعَقْدَ وَأَمَرَ وَنَهَى ، فَوَجِمَ لِذَلِكَ جَعْفَرُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَشْجَعُ فَأَنْشَدَهُ يَقُولُ¹ :

أَمْسَتْ خُرَاسَانُ تُعْزَى بِمَا أَخْطَأَهَا مِنْ جَعْفَرِ الْمُرْتَجَى
كَانَ الرَّشِيدُ الْمُعْتَلَى أَمْرُهُ وَلَّى عَلَيْهَا الْمُشْرِقَ الْأَبْلَجَا
ثُمَّ أَرَاهُ رَأْيَهُ أَنَّهُ أَمْسَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحْوَجَا
فَكَمْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ كُرْبَةٍ فِي مُدَّةٍ تَقْصُرُ قَدْ فَرَجَا
فَضَحِكَ جَعْفَرُ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ هَوَّنْتَ عَلَيَّ الْعَزَلَ ، وَقُمْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعُدْرِ ، فَسَلَّنِي مَا شِئْتَ ، فَقَالَ : قَدْ كَفَانِي جُودُكَ ذِلَّةَ السُّؤَالِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ آخَرَ .
[مدِّحِهِ فِي الْأَمِينِ وَهُوَ طِفْلٌ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي دِعَامَةَ ، عَنْ أَشْجَعٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ الْأَمِينِ حِينَ أُجْلِسَ مَجْلِسَ الْأَدَبِ لِلتَّعْلِيمِ ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِيهِ سَاعَةً ثُمَّ يَقُومُ فَأَنْشَدْتَهُ² :

مَلِكُ أَبَوِهِ وَأُمُّهُ مِنْ نَبْعَةٍ مِنْهَا سِرَاجُ الْأُمَّةِ الْوَهَّاجُ
شَرِبَتْ بِمَكَّةَ فِي رُبَا بَطْحَائِهَا مَاءَ النُّبُوَّةِ لَيْسَ فِيهِ مِزَاجُ
يَعْنِي النَّبْعَةَ . قَالَ : فَأَمَرْتُ لَهُ زُبَيْدَةً بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ : وَلَمْ يَمْلِكِ الْخِلَافَةُ أَحَدًا أَبَوَهُ وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ زَيْدَةَ .
[يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ نَهْيَكٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُثَيْلٍ الْعَنْزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُهْزَمِيُّ ، قَالَ : لَمَّا وَلَّى إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ نُهَيْكٍ الشَّرْطَةَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَشْجَعُ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :

1 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي : 87 والخزانة : 298-299 وطبقات ابن المعتز : 251 وديوانه : 195-196 مع بعض اختلاف .

2 البيتان في أوراق الصولي : 94 وانظر ديوانه : 196 .

لِمَنِ الْمَنَازِلُ مِثْلُ ظَهْرِ الْأَرْقَمِ
فَنَكَّتَ بِهَا سَتَّانَ تَعْتَوِرَانِهَا
دِمْنٌ إِذَا اسْتَبَّتْ عَيْنُكَ عَهْدَهَا
وَلَقَدْ طَعَنْتُ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ
يَتِمَّائِلُونَ عَلَى النَّعِيمِ كَأَنَّهُمْ
وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِفَضْلِ رِدَائِهِ
لَيْسِي نَهْيَكِ طَاعَةً لَوْ أَنَّهَا
قَوْمٌ إِذَا غَمَزُوا قَنَاءَ عَدُوِّهِمْ
فِي سَيْفِ إِبْرَاهِيمَ خَوْفٌ وَاقِعٌ
وَيَبِيتُ يَكْلَأُ ، وَالْعُيُونُ هَوَاجِعٌ ،
لَيْلٌ يُوَاصِلُهُ بَضْوَاءُ نَهَارِهِ
شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ
لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً
مَنْعَتْ مَهَابَتِكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا
وَنَهَجَتْ فِي سَبِيلِ السِّيَاسَةِ مَسْلُكاً
فَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ .

[يستقل جازته]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا الغلابي قال : حدثنا مهدي بن سابق قال :
أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم ، وأعطى أبا
البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أشجع ، وقد أنشده معهما ، ثلاثة آلاف درهم ، وكان ذلك في
أول اتصاله به ، فكتب إليه أشجع يقول³ :

أَعْطَيْتَ مَرْوَانَ الثَّلَاثِينَ الَّتِي دَلَّتْ رِعَاةُ⁴

1 المرزم : المصوت .

2 المضيع : صاحب الضياع الكثيرة .

3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 86-87 ، وانظر ديوانه : 195 .

4 الرعاث : عثوث الديك ، ويقصد أنه زها وتكبر .

وَأَبَا الْبَصِيرِ وَإِنَّمَا أُعْطِيتَنِي مِنْهُمْ ثَلَاثَةً¹
 مَا خَانَنِي حَوَكُ الْقَرِيبِ ضُحًى وَلَا أَتَهَمْتُ سَيُورَ الْحِدَاثَةِ
 فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ أُخْرَى .

[انتحال شعره]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بْنُ الْهَيْثَمِ الْأَنْبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هَفَانٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
 سَعِيدُ بْنُ هَرْمٍ وَأَبُو دِعَامَةَ ، قَالَا : كَانَ انْقِطَاعُ أَشْجَعٍ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ لِلْعَبَّاسِ يَوْمًا : يَا عَمُّ ، إِنَّ الشُّعْرَاءَ قَدْ أَكْثَرُوا فِي مَدْحِ مُحَمَّدٍ بِسَبَبِي وَبِسَبَبِ
 أُمِّ جَعْفَرٍ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الْمَأْمُونِ شَيْئًا ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقَعَ عَلَى شَاعِرٍ فُطْنٌ ذَهَبِي يَقُولُ فِيهِ ،
 فَذَكَرَ الْعَبَّاسُ ذَلِكَ لِأَشْجَعٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ فِيهِ ، فَقَالَ² :

يَبْعَةُ الْمَأْمُونِ آخِذَةً بَعْنَانَ الْحَقِّ فِي أَفْقَةٍ
 أَحْكَمَتْ مِرَاتُهَا عُقْدًا تَمْنَعُ الْمُخْتَالَ فِي نَفْقَةٍ
 لَنْ يَفُكَّ الْمَرْءُ رِبْقَتَهَا أَوْ يَفُكَّ الدِّينَ مِنْ عُقْقَةٍ
 وَلَهُ مِنْ وَجْهِهِ وَالِدِهِ صُورَةٌ تَمُتُ وَمِنْ خُلُقِهِ

قَالَ : فَأَتَى بِهَا الْعَبَّاسُ الرَّشِيدَ ، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَاسْتَحْسَنَهَا وَسَأَلَهُ : لِمَنْ هِيَ ؟ فَقَالَ : هِيَ
 لِي ؛ فَقَالَ : قَدْ سَرَرْتَنِي مَرَّتَيْنِ : بِإِصَابَتِكَ مَا فِي نَفْسِي ، وَبِأَنْتَاهَا لَكَ ، وَمَا كَانَ لَكَ فَهُوَ لِي ،
 وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَدَفَعَ إِلَى أَشْجَعٍ مِنْهَا خَمْسَةَ آلَافٍ دَرَاهِمٍ ، وَأَخَذَ بَاقِيَهَا لِنَفْسِهِ .

[استعجاله عطاء يحيى]

أَخْبَرَنِي عَمِّي : قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ ، قَالَ³ : وَعَدَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَشْجَعَ السُّلَمِيَّ وَعَدًّا ، فَأَخْرَجَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ
 لَهُ⁴ :

رَأَيْتُكَ لَا تَسْتَلِذُ الْمِطَالَ وَتُوفِي إِذْ غَدَرَ الْخَائِنُ
 فَمَاذَا تُؤَخِّرُ مِنْ حَاجَتِي وَأَنْتَ لَتَعْجِلِهَا ضَامِنُ !
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ احْتِبَاسَ النَّوَالِ لَمَعْرُوفٍ صَاحِبِهِ شَائِنُ !

1 منهم ثلاثة في ل والأوراق : معهم ثلاثة .

2 ديوانه : 238 .

3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 88-89 وديوانه : 266-267 .

4 انظر أوراق الصولي : 89-91 وديوانه : 262-264 .

فلم يتعجل ما أراد ، فكتب إليه :
 [من الوافر]
 رُؤيدك إن عَزَّ الفقرُ أدنى إليَّ من الثراء مع الهوانِ
 وماذا تَبْلُغُ الأيامُ مِنِّي برَّيبِ صُرُوفِها ومعِي لِساني
 فبلغ قوله جعفرًا فقال له : ويلك يا أشجع ! هذا تهذُّدٌ فلا تُعَدِّدْ مثله ، ثم كلَّم أباه ففضى حاجته ، فقال :

كفاني صُرُوفَ الدهرِ يحيى بنُ خالد
 كفاني ، كفاه الله كُلَّ مُلِمَّةٍ ،
 فأصبحتُ في رَغَدٍ من العيشِ واسعٍ
 فأصبحتُ لا أرتاعُ للحَدَثانِ
 طِلابَ فلانٍ مَرَّةً وفُلانٍ
 أَقْلَبُ فيه ناظِرِي ولِساني

[إخفاقه في العمل]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا العنزي عن ابن النطّاح قال : ولّي جعفر بن يحيى أشجعَ عملاً ، فرَفَعَ إليه أهله رَفائِعَ كثيرة ، وتطلّموا منه وشكّوه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلمّا رَجَعَ إليه من عمله مثل بين يديه ، ثم أنشأ يقول :

[من الوافر]

أُفْسِدَةُ سَعَادُ عَلِيٌّ دِينِي ولائِمَتِي على طُولِ الحَيْنِ
 وما تَدْرِي سَعَادُ إِذَا تَخَلَّتْ من الأَشْجَانِ كَيْفَ أَخُو الشُّجُونِ
 تَنَامُ وَلَا أَنَامُ لِطُولِ حَزْنِي وأَيْنَ أَخُو السُّرُورِ مِنَ الحَزِينِ !
 لقد راعَتْكَ عند قَطِينِ سَعْدِي رَواحِلُ غَادِيَاتِ بالقَطِينِ
 كَأَنَّ دُمُوعَ عَيْنِي يَوْمَ بَانُوا عِياناً سَحُ مُطَرِدٍ مَعِينِ¹
 لقد هَزَّتْ سِنَانُ الْقَوْلِ مِنِّي رِجَالُ رَفِيعَةٍ لَمْ يَعْرِفُونِي
 هُمُ جَاؤُوا حِجَابَكَ يَا ابْنَ يَحْيَى فقالوا بالذي يَهُوُونَ دُونِي
 أَطَافُوا بِي لَدَيْكَ وَغَبْتُ عَنْهُمْ وَلَوْ أَدْنَيْتَنِي لَتَجَنَّبُونِي
 وَقَدْ شَهِدْتُ عُيُونُهُمْ فَمَالَتْ عَلِيٌّ وَغُيِبَتْ عَنْهُمْ عُيُونِي
 وَلَمَّا أَنْ كَتَبْتُ بِمَا أَرَادُوا تَدَرَّعَ كُلُّ ذِي غَمَزٍ دَفِينِ
 كَفَفْتُ عَنِ المَقَابِلِ بِأَدْيَاتِ وَقَدْ هَيَّأتُ صَخْرَةَ مَنْجُونِ²

1 الأوراق : جداول من ذرى وشل معين .

2 المنجنون : دولاب الساقية .

ولو أرسلتها دَمَعَتْ رِجَالاً
 وكنت إذا هَزَزْتُ حُسَامَ قَوْلٍ
 لعلَّ الدَّهْرَ يُطْلِقُ من لِسَانِي
 فَأَقْضِي ذَيْنَهُم بوفاء قَوْلٍ
 وقد علموا جَمِيعاً أَنَّ قَوْلِي
 وَكُنْتُ إِذَا هَجَوْتُ رَئِيسَ قَوْمٍ
 بَخْطٍ مِثْلَ حَرْقِ النَّارِ باقٍ
 أُمَائِلَةً بُوْدُكَ يَا ابْنَ يَحْيَى
 يَشِيمُونَ السُّيُوفَ إِذَا رَأَوْنِي
 ولو كُشِفَتْ سَرَائِرُنَا جَمِيعاً
 عَلَامَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ نُصْحَ جَنْبِي
 وَعَسْفِي كُلِّ مَهْمَةٍ خَلَاءٍ
 وإِحْيَائِي الدُّجَى لَكَ بِالْقَوَافِي
 تَقَرَّبْ مِنْكَ أَعْدَائِي وَأَنَا
 ولو عَاتَبْتَ نَفْسَكَ فِي مَكَانِي
 وَلَكِنَّ الشُّكُوكَ نَائِنٌ عَنِّي
 فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي أَحْرَقْتَ مِنْهُمْ

وصالَتْ فِي الْأَخِشَّةِ وَالشُّوْونِ¹
 قَطَعْتُ بِمُحْجَتِي عَلَقَ الْوَيْتَيْنِ²
 لَمْ يَوْمًا وَيَسْطُ مِنْ يَمِينِي
 وَأَثْقَلَهُمْ لَصْدَقِي بِالْدَيُونِ
 قَرِيبَ حِينَ أَدْعُوهُ يَجِينِي
 وَسَمْتُ عَلَى الذُّوَابَةِ وَالْجَبِينِ
 يَلُوحُ عَلَى الْحَوَاجِبِ وَالْعُيُونِ
 رِجَالَاتُ ذَوُو ضِغْنٍ كَمِينِ
 فَإِنْ وَلَّيْتُ سُلْتُ مِنْ جُفُونِ³
 عَلِمْتَ مَنْ الْبَرِّءِ مِنَ الظُّلَمِ
 وَأَخَذِي مِنْكَ بِالسَّبَبِ الْمُتِينِ⁴
 إِلَيْكَ بِكُلِّ يَعْْمَلَةِ أُمُورِ⁵
 أَقِيمَ صُدُورَهُنَّ عَلَى الْمُتُونِ ،
 وَيَجْلِسُ مَجْلِسِي مَنْ لَا يَلِينِي !
 إِذَا لَزَلْتُ عِنْدَكَ بِالْيَمِينِ
 بُوْدُكَ ، وَالْمَصِيرُ إِلَى الْيَقِينِ
 بُنْضَجُ الْكَيِّ أَثْبَاجَ الْبُطُونِ⁶

[اتصاله بجعفر بن المنصور.]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي والحسن بن علي ، قالا : حدثنا العنزي قال : حدثنا علي بن الفضل السلمي قال⁷ : أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث ، وصله

- 1 الأخشة : جمع خشاش ، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير . والشوون : جمع شأن ، وهو عرق الدمع .
- 2 العلق : الحبل .
- 3 يشيمون السيف : يغمدونها .
- 4 الأوراق : نصح حيي .
- 5 اليعملة : الناقة النجيبة . الأمون : الناقة الموثوقة الخلق المأمونة الكلال .
- 6 الأثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شيء .
- 7 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 91 وديوانه : 234-236 .

به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف ، فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله : [من الخفيف]

اذكروا حرمة العواتك منا يا بني هاشم بن عبد مناف
قد ولدناكم ثلاث ولادا ت خلطن الأشراف بالأشراف
مهدت هاشمًا نجوم قصي وبنو فالح حُجور عفاف
إن أرماح بُهتة بن سليم لعجاف الأطراف غير عجاف
ولأسيافهم قرى غير لذ راجع في مراجع الأكفاف
معشر يطعمون من ذروة الشو ل ويسقون خمرة الأقحاف¹
يضرّبون الجبار في أخذعيه ويسقونه نقيع الذعاف²

فشاع شعره وبلغ البصرة ، ولم يزل أمره يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجه هارون الرشيد ، فأسنى جوائزه ، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء .

أخبرني عمي قال : حدثني أحمد بن المزيان قال : حدثني شيبه بن أحمد بن هشام ، قال : حدثني أحمد بن العباس الربيعي : أن الذي أوصل أشجع السلمي إلى الرشيد جلّه الفضل بن الربيع ، وأنه أوصله له وقال له : هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان ، وقد اقتطعتك عنك البرامكة ، فأمره بإحضاره وإبصاله مع الشعراء ففعل ، فلما وصل إليه أنشده قوله :

قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جمالها الأيام
فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت للملك فيه سلامة وسلام
قصر سقوف الزمن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التي نسج الربيع وزخرف الإرهام³
أدنتك من ظل النبي وصية وقرابة وشجت بها الأرحام
برقت سماؤك في العدو وأمطرت هاماً لها ظل السيف غمام
وإذا سيوفك صافحت هام العدا طارت لمن عن الرؤوس الهام
أننى على أيامك الأيام والشاهدان : الحيل والإحرام

1 الشول : الناقة . والأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من خشب .

2 الذعاف والزعاف : السم القاتل .

3 الإرهام : المطر الخفيف .

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَان : ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ ، وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
قال : فاستحسنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدح الفضل بن الربيع ،
وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدته التي أولها¹ : [من الكامل]

غَلَبَ الرُّقَادُ عَلَى جُفُونِ الْمُسْهَدِ وَغَرِقْتُ فِي سَهَرٍ وَلَيْلٍ سَرْمَدِ
قَدْ جَدَّ بِي سَهَرٌ فَلَمْ أَرْقُدْ لَهُ وَالتَّوَمُ يَلْعَبُ فِي جُفُونِ الرُّقْدِ
وَلَطَالَمَا سَهَرْتُ لِجَبِّي أَعْيُنٌ أَيْامَ أُرْعَى فِي رِيَاضِ بَطَالَةٍ
أَهْدَى السُّهَادَ لَهَا وَلَمَّا أَسْهَدِ لَهَوٌ يُسَاعِدُهُ ، الشَّبَابُ وَلَمْ أَجِدْ
وَرَدَ الصَّبَا مِنْهَا الَّذِي لَمْ يُورِدْ وَخَفِيفَةَ الْأَحْشَاءِ غَيْرَ خَفِيفَةٍ
بَعْدَ الشَّيْبَةِ فِي الْهَوَى مِنْ مُسْعِدٍ² غَضِيتَ عَلَى أَعْطَافِهَا أُرْدَافُهَا
مَجْدُولَةَ جَدَلِ الْعِنَانِ الْأَجْرَدِ خَالَفتُ فِيهِ عَاذِلًا لِي نَاصِحًا
فَالْحَرْبُ بَيْنَ إِزَارِهَا وَالْمِجْسَدِ³ أَتَقِيمُ مُحْتَمِلًا لِضَيْمِ حَوَادِثِ
فَرَشَدْتُ حِينَ عَصَيْتُ قَوْلَ الْمُرْشِدِ وَأَرَى مَخَايِلَ لَيْسَ يُخْلِفُ نَوُوهَا
مَعَ هِمَّةٍ مَوْصُولَةٍ بِالْفَرْقَدِ لِلْفَضْلِ إِنْ رَعَدْتُ وَإِنْ لَمْ تَرَعُدِ
حَتَّى جُهْدَنَ وَجُودُهُ لَمْ يَجْهَدِ لِلْفَضْلِ أُمُوالٌ أَطَافَ بِهَا النَّدَى
أَوَلَيْتَنِي فِي عَوْدِ أَمْرِكَ وَالْبَدِي يَابْنَ الرَّبِيعِ حَسَرْتُ شُكْرِي بِالتِّي
شَرَفٌ فَقَاتُ بِهِ عُيُونَ الْحُسَدِ أَوْصَلْتَنِي وَرَفَدْتَنِي وَكِلَاهُمَا
وَأَذِنْتَ لِي فَشَهِدْتُ أَفْخَرَ مَشْهَدِ وَوَصَفْتَنِي عِنْدَ الْخَلِيفَةِ غَائِبًا
أَغْنَى يَدِي عَنْ أَنْ تُمَدَّ إِلَى يَدِ وَكَفَيْتَنِي مِنْ الرُّجَالِ بَنَائِلِ

[يطلب شراء غلام رومي له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا العنزي ، قال : حدثني صخر بن أحمد
السلمي ، عن أبيه ، قال : كنت أنا وأشجع بالرقعة جلوساً ، فمر بنا غلام أمرد رومي جميل
الوجه ، فكلّمه أشجع وسأله هل يبيعه مالكه ؟ فقال : نعم ، فقال أشجع يمدح جعفر بن

1 القصيدة في أوراق الصولي : 95-96 وديوانه : 201-203 .

2 مسعد : معين .

3 المجسد : ثوب يلي الجسد .

يحيى ، وسأله ابتياعه له فقال¹ :

[من الوافر]

ومُضْطَرِبِ الْوِشَاحِ لِقُلَّتَيْهِ علائقُ ما لَوَصَّتْهَا انْقِطَاعُ
تَعَرَّضَ لِي بِنَظَرَةٍ ذِي دَلَالٍ يُرِيعُ بِمُقَلَّتَيْهِ وَلَا يُرَاعُ
لِحَاطِظٍ لَيْسَ تُحَجِّبُ عَنْ قُلُوبٍ وَأَمْرٌ فِي الَّذِي يَهْوَى مُطَاعُ
وَوُسْعِي ضَيِّقٌ عَنْهُ وَمَالِي وَضَيْقُ الْأَمْرِ يَتَّبِعُهُ اتِّسَاعُ
وَتَعَوَّلِي عَلَى مَالِ ابْنِ يَحْيَى إِلَيْهِ حَنْ شَوْقِي وَالتَّرَاعُ
وَتَنَقَّتْ بِجَعْفَرٍ فِي كُلِّ خَطْبٍ فَلَا هَلْكَ يُخَافُ وَلَا ضِيَاعُ
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : اشْتَرِهِ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَكْفِكَ فَازْدَدْ .

[رثاؤه جاريته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال : كانت لأشجع جارية يقال لها : ريم ، وكان يجد بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له إن بقيت بعده لم تعرض لغيره ، وكان يذكرها في شعره . فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي بها الرشيد² :

[من الطويل]

وليس لأحزانِ النساءِ تطاولٌ ولكنْ أحزانَ الرجالِ تطولُ
فلا تبخلي بالدَّمْعِ عَنِّي ، فَإِنَّ مَنْ يَضُرُّ بِدَمْعٍ عَنْ هَوَى لَبْخِيلُ
فلا كُنْتُ مِمَّنْ يُتَّبِعُ الرِّيحَ طَرَفَهُ دُبُوراً إِذَا هَبَّتْ لَهُ وَقَبُولُ
إِذَا دَارَ فِيَّ أَتْبَعَ الْفَيْءَ طَرَفَهُ يَمِيلُ مَعَ الْأَيَّامِ حَيْثُ تَمِيلُ
قال : وقال فيها أيضاً³ :

[من الطويل]

إِذَا غَمَّضْتَ فَوْقِي جُفُونُ حَفِيرَةٍ من الأرضِ فابْكيني بما كُنْتُ أَصْنَعُ
تَعَزُّكِ عَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ سَلْوَةٍ وَأَنْ لَيْسَ فِيمَنْ وَارَتْ الْأَرْضُ مَطْمَعُ
إِذَا لَمْ تَرَيْ شَخْصِي وَتُغْنِكَ ثُرُوتِي وَلَمْ تَسْمَعِي مِنِّي وَلَا مِنْكَ أَسْمَعُ
فَجَنِّدِي تَسْلِينَ عَنِّي وَإِنْ يَكُنْ بُكَاءُ فَأَقْصَى مَا تُبْكِينَ أَرْبَعُ

1 الأبيات في أوراق الصولي ضمن قصيدة طويلة في مدح جعفر بن يحيى : 103-104 وانظر ديوانه : 230-231 .

2 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 140 وديوانه : 245-246 .

3 أوراق الصولي : 141 وديوانه : 233 .

قَلِيلٌ وَرَبُّ الْبَيْتِ يَا رِيمُ مَا أَرَى
بِمَنْ تَدْفَعِينَ الْحَادِثَاتِ إِذَا رَمَى
فَحَيْثُ تَذَرِينَ مَنْ قَدْ رَزِيَتْهُ
فَتَاةٌ بِمَنْ وَلَّى بِهِ الْمَوْتُ تَقْنَعُ
عَلَيْكَ بِهَا عَامٌ مِنَ الْجَذْبِ يَطْلُعُ
إِذَا جَعَلْتَ أَرْكَانُ بَيْتِكَ تَنْزَعُ

[جواب أخيه أحمد على لسان ريم]

قال : فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفضل أيضاً فاختير شعره على شعر أخيه وهو¹ :

ذَكَرْتُ فِرَاقاً وَالْفِرَاقُ يُصَدِّعُ
إِذَا الزَّمَنُ الْغَرَارُ فَارَّقَ بَيْنَنَا
وَلَا كَانَ يَوْمٌ يَا ابْنَ عَمْرٍو وَلَيْلَةٌ
وَلَا كَانَ يَوْمٌ فِيهِ تَتَوَي رَهِينَةٌ
وَالطَّمُ وَجْهًا كُنْتُ فِيكَ أَصُونُهُ
وَلَوْ أَنَّي غُيِّبْتُ فِي اللَّحْدِ لَمْ تُبَلِّ
وَهَلْ رَجُلٌ أَبْصَرْتَهُ مَتَوَجِّعًا
وَلَكِنْ إِذَا وَلَّتْ يَقُولُ لَهَا : اذْهَبِي
وَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا بَيَّ لَأَبْصَرْتُ
إِلَى الْفَضْلِ فَارْحَلْ بِالْمَدِيحِ فَإِنَّهُ
وَزْرُهُ تَنْزَرُ حِلْمًا وَعِلْمًا وَسُودَدًا
وَأَبْدِعْ إِذَا مَا قَلْتُ فِي الْفَضْلِ مِدْحَةً
إِذَا مَا حَيَاضُ الْمَجْدِ قَلْتُ مِيَاهُهَا
وَإِنْ سَنَةٌ ضَنْتَتْ بِخَصْبٍ عَلَى الْوَرَى
وَمَا بَعْدَتْ أَرْضٌ بِهَا الْفَضْلُ نَازِلٌ
فَنِعَمَ الْمُنَادَى الْفَضْلُ عِنْدَ مُلِمَّةٍ
إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ سَارَتْ نَجَائِبٌ
بَذِكْرِكَ نَحْدُوها إِذَا مَا تَأَخَّرَتْ

وَأَيُّ حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ تَنْفَعُ !
فَمَا لِي فِي طَيْبٍ مِنَ الْعَيْشِ مَطْمَعُ
يُذِدُّ فِيهَا شَمْلُنَا وَيُصَدِّعُ
فَتَرَوِي بِجَسَمِي الْحَادِثَاتُ وَتَشْبَعُ
وَأُخْشِعُ مِمَّا لَمْ أَكُنْ مِنْهُ أُخْشِعُ
وَلَمْ تَزَلِ الرَّائُونَ لِي تَتَوَجَّعُ
عَلَى امْرَأَةٍ أَوْ عَيْنِهِ الدَّهْرُ تَدْمَعُ !
فَمِثْلُكَ أُخْرَى سَوْفَ أَهْوَى وَاتَّبَعُ
صَبَابَةَ قَلْبٍ غَيْمُهَا لَيْسَ يُقْشَعُ
مَنْبِيعُ الْحِمَى مَعْرُوفُهُ لَيْسَ يُمْنَعُ
وَبِأَسَا بِهِ أَنْفُ الْحَوَادِثِ يُجَدِّعُ
كَمَا الْفَضْلُ فِي بَذْلِ الْمَوَاهِبِ يُبْدِعُ
فَحَوْضُ أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْجُودِ مُتْرَعُ
فَفِي جُودِهِ مَرَعَى خَصِيبٌ وَمَشْرَعُ
وَلَا خَابَ مَنْ فِي نَائِلِ الْفَضْلِ يَطْمَعُ
لَدَفْعِ خُطُوبٍ مِثْلُهَا لَيْسَ يُدْفَعُ
لَهَا هِمَمٌ تَسْمُو إِلَيْكَ وَتَنْزَعُ
فَتَمْضِي عَلَى هَوْلِ الْمَضِيِّ وَتُسْرَعُ

وما لِّللسانِ المدحِ دونك مَشَرَعٌ ولا لِلْمَطايا دُونَ بابِكَ مَفَزَعٌ¹
إِلَيْكَ أبا العَبَّاسِ أَهْلُ مِذْحَةٍ مَطِيئُهَا ، حَتَّى تُوافِكَ ، أَشْجَعُ
فَزِعْتُ إِلَى جَذْوِكَ فِيهَا وَإِنَّمَا إِلَى مَفَزَعِ الْأَمْلَاجِ يُلْجَا وَيُفَزَعُ

قال : فَأَنْشَدَهَا أَشْجَعُ الْفَضْلَ ، وَحَدَّثَهُ بِالْقِصَّةِ ، فَوَصَلَ أَخَاهُ وَجَارَتَهُ وَوَصَلَهُ .

وقال أحمد بنُ الحارث : فَقِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو أَخِي أَشْجَعُ : مَالِكَ لَا تَمْدَحُ الْمُلُوكَ كَمَا يَمْدَحُهُمْ أَخُوكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أَخِي بَلَاءٌ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ فَخْرًا ، لِأَنِّي لَا أَمْدَحُ أَحَدًا مِمَّنْ يُرِضِيهِ دُونَ شِعْرِي وَيُثِيبُ عَلَيْهِ بِالكَثِيرِ مِنَ الثَّوَابِ إِلَّا قَالَ : أَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَشْجَعٍ ؟ فَقَدْ امْتَنَعْتُ مِنْ مَدْحِ أَحَدٍ لِّذَلِكَ .

[أخوه أحمد يهجو]

قال أحمد بنُ الحارث : وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو يَهْجُو أَخَاهُ أَشْجَعُ ، وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ مَدَحَ مُحَمَّدَ بْنَ جَمِيلٍ بِشِعْرٍ قَالَهُ فِيهِ ، فَسَأَلَ أَخَاهُ أَشْجَعُ إِصْالَهُ ، وَدَفَعَ الْقَصِيدَةَ إِلَيْهِ فَتَوَانَى عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ ، أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ جَمِيلٍ² : [من المتقارب]

وسائِلِي لِي : مَا أَشْجَعُ ؟ فَقُلْتُ : يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ
قَرِيبٌ مِنَ الشَّرِّ وَاعٍ لَهُ أَصَمُّ عَنِ الْخَيْرِ مَا يَسْمَعُ
بَطِيءٌ عَنِ الْأَمْرِ أَحْظَى بِهِ إِلَى كُلِّ مَا سَاءَ لِي مُسْرِعُ
شُرُودُ الْوَدَادِ عَلَى قُرْبِهِ يُفَرِّقُ مِنْهُ الَّذِي أَجْمَعُ
أَسْبُ بِأَنْسِي شَقِيقٌ لَهُ فَأَنْفِي بِهِ أَبَدًا أُجَدِّعُ

[إسحاق الموصلي يثاب على إنشاده شعراً لأشجع]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَقَدْ بَلَغَ الرَّشِيدَ إِطْلَاقَهُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ ، وَقَدْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يُظْهِرْ لَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ إِطْلَاقَهُ . فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ : هَلْ قَتَلْتَهُ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ لَهُ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : أَطْلَقْتُهُ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ سَأَلَنِي بِحَقِّ اللَّهِ وَبِحَقِّ رَسُولِهِ وَقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَمِنْكَ ، وَحَلَفَ لِي أَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ حَدَثًا ، وَأَنَّهُ يُجِيبُنِي مَتَى طَلَبْتُهُ . فَأَطْرَقَ سَاعَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : امْضِ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى تَجِيبَنِي بِهِ وَاخْرُجِ السَّاعَةَ ، فَخَرَجَ . قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مُهْتِنًا بِالسَّلَامَةِ فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ أَتَيْتَ مِنْ جَنَانِكَ وَلَا أَصَحَّ مِنْ رَأْيِكَ فِيمَا جَرَى ،

1 دونك مشرع في ل : دونك شاهد .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 140 .

وأنت والله كما قال أشجع¹ :

بديهته وفكرته سواء إذا ما نابه الخطب الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عني المشاور والمشير
وصدر فيه للهم اتساع إذا ضاقت بما تحوي الصدور

فقال الفضل : انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة ، فاحملوا إلى أبي محمد مثله .
قال : فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحملت إلي .

[يرثي صديقاً له من بغداد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي² إجازة ، قال : حدثني محمد بن عجلان . قال :
حدثنا ابن خلاد ، عن حسين الجعفي قال : كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له
من أهلها ، فقدمها مرة فوجده قد مات ، والنوح والبكاء في داره ، فجزع لذلك وبكى ،
وأشأ يقول³ :

ويحها هل درت على من تنوح أسقيم فؤادها أم صحيح !
قمر أطبقوا عليه ببغدا د ضريحاً ، ماذا أجن الضريح !⁴
رحم الله صاحبي ونديمي رحمة تغتدي وأخرى تروح⁵

وهذه القصيدة⁶ التي فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها ، من قصيدة يمدح بها أشجع
الرشيد ويهنئه بفتح هرقلة ، وقد مدحه بذلك وهناه جماعة من الشعراء وغني في جميعها ،
فذكرت خبر فتح هرقلة لذكر ذلك .

[فتح هرقلة]

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : كان من خبر
غزة الرشيد هرقلة أن الروم كانت قد ملكت امرأة ، لأنه لم يكن بقي في أهل زمانها من أهل
بيتها ، بيت المملكة ، غيرها ، وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافتيه
بالتعظيم والتبجيل ، وتدر عليه الهدايا ، حتى بلغ ابن لها فحاز الملك دونها ، وعاث وأفسد ،
وفاسد الرشيد ، فخافت على ملك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب ؛ لعلمها

1 تنسب هذه الأبيات إلى أشجع وكثير وغيرهما (الديوان : 272) .

2 الأبيات في أوراق الصولي : 129 من قصيدة في رثاء أحمد بن يزيد السلمي ، وانظر ديوانه : 198 .

3 الأوراق : جبل أطبقوا . . .

4 الأوراق : رحم الله أحمد بن يزيد .

5 يعني القصيدة التي منها الأبيات الرائية في الفقرة السابقة .

بالرشيد وخوفها من سَطَوته ، فاحتالت لابنها فسمّلت عَيْنَيْهِ¹ ، فَبَطَل منه المُلْك وعاد إليها ، فاستنكر ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نقفور وكان كاتبها ، فأعانوه وعَضَدوه ، وقام بأمر المُلْك وضَبَط أمر الرُّوم ، فلَمَّا قَوِيَ على أمره وتمكَّن من مُلكه كَتَب إلى الرشيد :

«من نقفور مَلِك الرُّوم إلى الرشيد مَلِك العرب ، أَمَّا بعد ؛ فَإِنَّ هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك مَوْضِع المُلوك ، ووضعت نفسها موضع السُّوقَة ، وإني واضعك بغير ذلك المَوْضِع ، وعامل على تطرُق بلادك والهجوم على أمصارك ؛ أو تُودِّي إلي ما كانت المرأة تُودِّي إليك ، والسلام» .

فلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ على الرشيد كَتَبَ إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عَبْدِ الله هَارُونَ أمير المؤمنين إلى نقفور كَلْبِ الرُّوم : أَمَّا بعد ، فقد فهمت كِتَابَكَ ، وجَوَابُكَ عندي ما تراه عِيَانًا لا ما تَسْمَعُهُ» . ثم شَخَّصَ من شهره ذلك يومُ بِلَادِ الرُّوم في جمعٍ لم يُسَمَّع بمثله ، وقُوَاد لا يُجَارُونَ نَجْدَةً ورَأْيًا . فلَمَّا بَلَغَ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرضُ بما رَحَّبَتْ ، وشاورَ في أمره .

[فصيصة أبي العتاهية في هزيمة نقفور]

وجَدَّ الرشيد يتوغَّل في بلاد الرُّوم فيقتل وَيَغْنَم وَيَسْبِي ، ويُخَرِّب الحصون ويُعْفِي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضَايِقَةٍ دُونَ قُسْطَنْطِينِيَّة ؛ فلَمَّا بَلَغَهَا وجَدَهَا وقد أَمَرَ نقفور بالشَّجَر فَقَطَّعَ ورُمِيَ به في تلك الطُّرُق ، وأُلْقِيَتْ فيه النَّارُ² . فكان أَوَّلَ مَنْ لَبَسَ ثِيَابَ النَّفَاطِينِ محمد بنُ يَزِيدَ بنِ مَرْيَدٍ ، فخاضها ، ثم اتَّبَعَهُ النَّاسُ ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَعَ له أَشَدَّ الخُضُوعِ ، وأَدَّى إليه الجزية عن رأسه فَضَلًا عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية³ :

إِمَامَ الْهُدَى أَصْبَحْتَ بِالْذِّينِ مَعْنِيًا	وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيًا
لَكَ اسْمَانِ شَقَا مِنْ رَشَادٍ وَمِنْ هُدَى	فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى رَشِيدًا وَمَهْدِيًا
إِذَا مَا سَخِطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخِّطًا	وَإِنْ تَرْضَ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيًا
بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعُلَا	فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًا

1 سملت عينيه : فقأتها بمحيدة حمّاة .

2 ل : وأشعلت فيه النيران .

3 ديوان أبي العتاهية : 674-675 .

ووشَّيتَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى فَأَصْبَحَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَوْشِيًا
وَأَنْتَ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَى التَّقَى نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًا
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَبْقَى لِهَارُونَ مُلْكُهُ وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًا
تَجَلَّلْتَ الدُّنْيَا لِهَارُونَ ذِي الرِّضَا وَأَصْبَحَ نَقْفُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيًا

فرجع الرشيد ، لَمَّا أعطاه نَقْفُور ما أعطاه ، إلى الرَّقَّة ، فَلَمَّا سَقَطَ الثَّلُجُ وَأَمِنَ نَقْفُورُ أَنْ يُغْزَى اغْتَرَّ بِالْمُهْلَةِ ، وَنَقَضَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّشِيدِ ، وَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى ، فَلَمْ يَجْتَرِءِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ ، عَلَى إِنْخَابِ الرَّشِيدِ بِغَدْرِ نَقْفُور ، فَبَدَلَ هُوَ وَبَنُوهُ الْأَمْوَالَ لِلشُّعْرَاءِ عَلَى أَنْ يَقُولُوا أَشْعَارًا فِي إِعْلَامِ الرَّشِيدِ بِذَلِكَ ، فَكُلُّهُمْ كَعٌ¹ وَأَشْفَقَ إِلَّا شَاعِرًا مِنْ أَهْلِ جُدَّةٍ كَانَ يُكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ² ، وَكَانَ مُجِيدًا قَوِيَّ النَّفْسِ قَوِيَّ الشَّعْرِ ، وَكَانَ ذُو الْيَمِينَيْنِ اخْتَصَّهُ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ وَرَفَعَ قَدْرَهُ جَدًّا ، فَإِنَّهُ أَخَذَ مِنْ يَحْيَى وَبْنَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ :

نَقَضَ الَّذِي أُعْطَاكَ نَقْفُورُ فَعَلَيْهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَدُورُ
أُبَشِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ فَتَحَ أَتَاكَ بِهِ إِلَالَهُ كَبِيرُ
فَلَقَدْ تَبَاشَرْتَ الرَّعِيَّةُ أَنْ أَتَى بِالنَّقْضِ عَنْهُ وَافِدٌ وَبَشِيرُ
وَرَجَتْ بِيَمْنِكَ أَنْ تُعْجَلَ غَزْوَةٌ تَشْفِي النَّفُوسَ نَكَالَهَا مَذْكُورُ
أَعْطَاكَ جَزِيَّتَهُ وَطَاطَأَ خَدَّهُ حَذَرَ الصَّوَارِمِ وَالرَّدَى مَحْذُورُ
فَاجْرَتْهُ مِنْ وَقْعِهَا وَكَانَتْهَا بِأَكْفْنَا شَعْلُ الضَّرَامِ تَطِيرُ
وَصَرَفَتْ فِي طُولِ الْعَسَاكِيرِ قَافِلًا عَنْهُ وَجَارُكَ آمِنٌ مَسْرُورُ
نَقْفُورُ إِنَّكَ حِينَ تَغْدِرُ أَنْ نَأَى عَنْكَ الْإِمَامُ لِحَاثِلٍ مَغْرُورُ
أُظْنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُقِلْتُ هَبْلَكَ أُمُّكَ مَا ظَنَنْتَ غُرُورُ
أَلْفَاكَ حَيْنُكَ فِي زَوَاجِرِ بَحْرِهِ فَطَمْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْإِمَامِ بُحُورُ
إِنَّ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ قَادِرٌ قَرَّبْتُ دِيَارَكَ أَوْ نَأَتْ بِكَ دُورُ³
لَيْسَ الْإِمَامُ وَإِنْ غَفَلْنَا غَافِلًا عَمَّا يَسُوسُ بِحَزْمِهِ وَيُدِيرُ

1 كَعٌ : جبن .

2 ابن الأثير (حوادث سنة 187) : أبو محمد عبد الله بن يوسف ، وقيل الحجاج بن يوسف التيمي .

3 اقتسارك : قهرك .

مَلِكٌ تَجَرَّدَ لِلجِّهَادِ بِنَفْسِهِ فَعَدَّوْهُ أَبَدًا بِهِ مَقْهُورُ
يَا مَنْ يُرِيدُ رِضَا الْإِلَهِ بِسَعْيِهِ وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ
لَا نُصَحُّ يَنْفَعُ مَنْ يَغْشَى إِمَامَهُ وَالنُّصْحُ مِنْ نُصَحَائِهِ مَشْكُورُ
نُصَحُ الْإِمَامِ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةٌ وَلَأَهْلِهِ كَفَّارَةٌ وَطَهُورُ

قال : فلما أنشده ، قال الرشيد : أو قد فعل ! وعلم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغراه في بقية من الثلج ، فافتتح هرقلة في ذلك الوقت ، فقال أبو العتاهية في فتحه إيّاها¹ : [من الوافر]

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةُ بِالْخَرَابِ مِنْ الْمَلِكِ الْمُوقِفِ لِلصَّوَابِ
غَدَا هَارُونُ يُرْعِدُ بِالْمَنَآيَا وَيُبْرِقُ بِالْمَذْكُورَةِ الْقِضَابِ
وَرَايَاتٍ يَحُلُّ النَّصْرُ فِيهَا تَمُرُ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِيرَتَ فَاسَلَمَ وَأَبْشِيرَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

قال محمد : وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقلة يفتح المدن والحصون ويخربها ، حتى أتاه على هرقلة وهي أوثق حصن وأعز جانباً وأمنه ركناً ؛ فتحصن أهلها ، وكان بابها يطل على وادٍ ، ولها خندق يطيف بها . فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله ، قال : حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وغمهم وألح بالمجانيق والسهم والعزادات² فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها أكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح ، فنادى : قد طالت موافعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلاً ، فلم يجبه أحد . فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه وعلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لقوته ، فقيل له : إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه ، وأخر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمُنْتَظَرِ له ، ثم إذا هو بالباب قد فُتِحَ وخرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحر ، وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم ، فقال الرشيد : من له ؟ فابتدره جلة القواد كهزئمة ، ويزيد بن مريد . وعبد الله بن مالك ، وخزيمة بن حازم ، وأخيه عبد الله ، وداود بن يزيد ، وأخيه ، فعزم على إخراج بعضهم ، فضجت المطوعة حتى سمع ضجيجهم ، فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنه في المشورة فأذن لهم ، فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت

1 ديوان أبي العتاهية : 491-493 .

2 العزادات : المجانيق الصغار .

ومداوسة¹ الحروب ، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العِلج لم يكبر ذلك ، وإن قتله العِلج كانت وضيعة على العسكر عجيبة وثلمة لا تُسد ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامّة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخليّنا نختار رجلاً فنخرجه إليه ، فإن ظفّر عِلْم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفّر بأعزهم على يد رجل من العامّة ، ومن أفناء الناس ليس بمن يؤمن قتله ولا يؤثر ، وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجل ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يُثلمه ، وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء . قال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا . فاختاروا رجلاً منهم يُعرف بابن الجزري ، وكان معروفاً في الثغر بالبأس والنجدة ؛ فقال الرشيد : أخرج ؟ قال : نعم ، وأستعين الله ، فقال : أعطوه فرساً ورُمحاً وسيفاً وترساً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسي أوثق ، ورُمحي بيدي أشد ، ولكني قد قبلت السيف والترس . فلبس سلاحه وأستدناه الرشيد فودّعه ، واستتبّعه الدّعاء ، وخرج معه عشرون رجلاً من المطوّعة ، فلما انقضى في الوادي قال لهم العِلج وهو يعدّهم واحداً واحداً : إنّما كان الشرطُ عشرين وقد زدتم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج إليك منا إلا رجلاً واحداً ، فلما فصل منهم ابن الجزري تأملّه الروميّ وقد أشرف أكثر الرّوم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنّه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف ؛ فقال الروميّ : أتصدّقني ، عمّا أستخبرك ؟ قال : نعم ، فقال : أنت بالله ابن الجزري ؟ قال : اللهم نعم . فكفر له² ، ثم أخذاً في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان أن يقوموا وليس يחדش واحد منهما صاحبه ، ثم تحاجزا بشيء ، فزج كل واحد منهما برمح ، وأصلت سيفه ، فتجالدا مليّاً ، واشتدّ الحرّ عليهما ، وتبلّد الفرسان ، وجعل ابن الجزري يضرب الروميّ الضربة التي يرى أنّه قد بلغ فيها فيتقيها الروميّ ، وكان ترسه حديداً ؛ فيسمع لذلك صوت منكر ، ويضربه الروميّ ضرب مُعذّر³ ؛ لأنّ ترس ابن الجزري كان ذرقة ، فكان العِلج يخاف أن يعصّ بالسيف فيعطب ، فلما يُيس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري ؛ فدخلت المسلمين كآبة لم يكتبوا مثلها قط ، وعطّعت⁴ المشركون اختيالاً وتطاولاً ، وإنما كانت هزيمته حيلة منه ؛ فأتبعه العِلج ، وتمكّن منه ابن الجزري فرماه بهوق⁵

1 مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها .

2 كفر له : وضع يده على صدره وطأ رأسه تعظيماً له .

3 المعذر : المبالغ في العذر .

4 العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

5 الوهق : حبل فيه أنشودة .

فوقع في عنقه وما أخطأه ، وركض فاستلّه عن فرسه ، ثم عطّف عليه فما وصل إلى الأرض حياً حتى فارقه رأسه . فكبر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا الباب يُغلقونه ، واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقوّد : اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع ؛ ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورمّوا بها السور ، فكانت النار تلتصق به وتأخذ الحجارة ، وقد تصدّع فتهافت . فلما أحاطت بها النيران فتحو الباب مُستأمنين ومستقبلين ، فقال الشاعر المكيّ الذي كان ينزل جُدّة : [من البسيط]

صوت

هَوْتُ هِرْقَلَةَ لَمَّا أَنْ رَأْتُ عَجَبًا حَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ
كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقل الأول بالبنصر .

[زهد في القيادة]

قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف لئِنْ ، ولكنّ قدره عظيم في ذلك الموضع والوقت ، وغنّى فيه المغنون بعد ذلك . وأعظم الرشيدُ الجائزة للجُدّيّ الشاعر ، وصُبّت الأموالُ على ابن الجزريّ وقوّد ، فلم يقبل التقويد إلاّ بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعفى ويُنزل بمكانه من الثغر ، فلم يزل به طول عمره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا أحمدُ بن عليّ بن أبي نعيم المروزيّ قال : خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فنزل بهرقلة ، فدخل عليه ابنُ جامع فغناه :

هَوْتُ هِرْقَلَةَ لَمَّا أَنْ رَأْتُ عَجَبًا حَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها ، فظنّ أنّ الطاغية قد أتاه ، فخرج يركض على فرس له وفي يده الرُّمَح ، وتبعه الناس ، فلما تبين له أنّها ماشية رجّعوا ، فغناه ابنُ جامع : [من الطويل]

صوت

رَأَى فِي السَّمَاءِ رَهْجًا فِيمَ نَحْوَهُ يَجُرُّ رُدَيْنِيًّا وَلِلرَّهْجِ يَسْتَقْرِئُ¹
تَنَاوَلَتْ أَطْرَافَ الْبِلَادِ بِقُدْرَةِ كَأَنَّكَ فِيهَا تَقْتَفِي أَثَرَ الْخِضْرِ

الغناء لابن جامع ثاني ثقل عن بذل وابن المكيّ .

1 الرهج : الغبار أو ما أثير منه والسحاب بلا ماء .

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلف الخُزاعي ، قال : حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيُّ ، عَنْ إِسْحَاقِ الْمُوصِلِيِّ ، قَالَ : لَمَّا انصرفَ الرشيد من غزاة هِرَقْلَةَ قدم الرُّقَّة في آخر شهر رمضان ، فلَمَّا عَيَّدَ جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أشجع ، فبَدَرَهُمْ وَأَنشَأَ يَقُولُ¹ : [من البسيط]

لا زلتَ تَنشُرُ أعياداً وتَطويها	تَمْضِي بِهَا لَكَ أَيَّامٌ وَتُثْنِيهَا
مُسْتَقْبِلاً زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا	أَيَّامَنَا لَكَ لَا تَفْنَى وَتُفْنِيهَا ²
وَلَا تَقْضَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَا بَرَحَتْ	يَطْوِي لَكَ الدَّهْرُ أَيَّاماً وَتَطْوِيهَا
وَلِيَهْنِكَ الْفَتْحُ وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ	إِلَيْكَ بِالنَّصْرِ مَعْقُوداً نَوَاصِيهَا
أَمَسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوِي مِنْ جَوَانِبِهَا	وَنَاصِرُ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ يَرْمِيهَا ³
مُلْكُهَا وَقَتَلْتَ النَّاكِثِينَ بِهَا	بَنَصْرٍ مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
مَا رُوِيَ الدِّينُ وَالدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ	بِمِثْلِ هَارُونَ رَاعِيهِ وَرَاعِيهَا

قال : فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : لَا يُنْشِدُنِي أَحَدٌ بَعْدَهُ ، فَقَالَ أَشْجَعُ : وَاللَّهِ لَأَمْرُهُ بِأَلَّا يُنْشِدَهُ أَحَدٌ بَعْدِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صِلَتِهِ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَصِيفٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ابْنِ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْوَرَّاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلَ أَشْجَعُ عَلَى الرَّشِيدِ ثَانِي يَوْمِ الْفِطْرِ فَأَنْشَدَهُ⁴ : [من السريع]

صوت

اسْتَقْبِلِ الْعِيدَ بِعُمْرٍ جَدِيدٍ	مَدَّتْ لَكَ الْأَيَّامُ حَبْلَ الْخُلُودِ
مُصْعِداً فِي دَرَجَاتِ الْعُلَا	نَجْمُكَ مَقْرُونٌ بِسَعْدِ السُّعُودِ
وَاطْوِ رِداءَ الشَّمْسِ مَا أَطْلَعَتْ	نُوراً جَدِيداً كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ

1 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 80-81 وديوانه : 268-269 .

2 الأوراق :

مستقبلاً بهجة الدنيا ولذتها أَيَّامها لك نظم في لياليها

العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تَفْنَى وَتُفْنِيهَا

والبيتان في الشعر والشعراء : 761 مع اختلاف في اللفظ .

3 الأوراق :

أَمَسَتْ هِرَقْلَةُ مَكْلُوماً جَوَانِبِهَا وَنَاصِرُ الدِّينِ بِالتَّدْبِيرِ يَرْمِيهَا

4 ديوانه : 203 .

تَمْضِي لَكَ الْأَيَّامُ ذَا غِبْطَةٍ إِذَا أَتَى عِيدٌ طَوَى عُمَرَ عِيدٍ
فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يُغْنَى في هذه الأبيات .

[فتح طبرستان]

أخبرني محمد بن جعفر النخوي ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد ، قال : حدثني أبو عبد الله النخعي ، قال : دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله¹ : [من المتقارب]

أَبَتْ طَبْرِسْتَانُ غَيْرَ الَّذِي	صَدَعَتْ بِهِ بَيْنَ أَعْضَائِهَا
ضَمَمَتْ مَنَاكِهَهَا ضَمَّةً	رَمَتْكَ بِمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا
سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِمِثْلِ السَّمَاءِ	تَذَلَّى الصَّوَاعِقُ فِي مَائِهَا
فَلَمَّا نَظَرْتَ إِلَى جُرْحِهَا	وَضَعْتَ الدَّوَاءَ عَلَى دَائِهَا
فَرَشْتَ الْجِهَادَ ظُهُورَ الْجِيَادِ	بَابْنَائِهِ وَبَابْنَائِهَا
بِنَفْسِكَ تَرْمِيهِمْ وَالْخِيُولُ	كَرَّمِي الْعُقَابَ بِأَفْلَائِهَا ²
نَظَرْتَ بِرَأْيِكَ لَمَّا هَمَمَ	سَتْ دُونَ الرُّجَالِ وَأَرَائِهَا

قال : فأمر له بألف دينار .

[يمن جلب الغيث]

أخبرني محمد بن جعفر ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثني أبو عمرو الباهلي البصري قال : دخل أشجع بن عمرو السلمي على هارون الرشيد حين قديم من الحج ، وقد مطير الناس يوم قدومه ، فأنشده يقول³ :

إِنَّ يُمْنَ الْإِمَامِ لَمَّا أَتَانَا	جَلَبَ الْغَيْثَ مِنْ مُتُونِ الْغَمَامِ
فَأَيْتَسَامُ النَّبَاتِ فِي أَثَرِ الْغَيْ	سَتْ بُنَوَارِهِ كَسُرْجِ الظَّلَامِ ⁴
مَلِكٌ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ مُغْضٍ	وَهُوَ مُغْضَى لَهُ مِنَ الْإِعْظَامِ
أَلْفَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ فَمَا يَنْدُ	فَكَ مِنْ سَفَرَتَيْنِ فِي كُلِّ عَامِ
سَفَرٍ لِلْجِهَادِ نَحْوَ عَدُوٍّ	وَالْمَطَايَا لِسَفَرَةِ الْإِحْرَامِ

1 ديوانه : 187 .

2 أفلاء : جمع فلاة .

3 ديوانه : 261 .

4 سُرج : جمع سراج .

طَلَبَ اللَّهُ فَهُوَ يَسْعَى إِلَيْهِ بِالْمَطَايَا وَبِالْجِيَادِ السَّوَامِي
فِيَدَاهُ يَدٌ بِمَكَّةَ تَدْعُو هُ وَأُخْرَى فِي دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ¹

[يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر ، قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : أخبرني أبو عبد الله النخعي ، قال : أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد ، وقد كان حرب وبطل ما عليه ، فقال أشجع السلمي يمدحه² :

أَجْرَى الْإِمَامُ الرَّشِيدُ نَهْرًا عَاشَ بِعُمُرَانِهِ الْمَوَاتُ³
جَادَ عَلَيْهِ بِرَيْقٍ فِيهِ وَسِرٌّ مَكْنُونُهُ الْفُرَاتُ⁴
الْقَمَّةُ دِرَّةٌ لَقُوحًا يَرْضَعُ أَخْلَافُهَا النَّبَاتُ⁵

[رؤيا الرشيد]

أخبرني جحظة ، قال : حدثني ميثون بن هارون قال : رأى الرشيد فيما يرى النائم كأن امرأة وقفت عليه وأخذت كف تراب ثم قالت له : هذه تربتك عن قليل ، فأصبح فزعاً ، وقص رؤياه ، فقال له أصحابه ، وما هذا ؟ قد يرى الناس أكثر مما رأيت وأغلظ ثم لا يضر . فركب وقال : والله إني لأرى الأمر قد قرب ، فبينما هو يسير إذا نظر إلى امرأة واقفة من وراء شبك حديد تنظر إليه ؛ فقال : هذه والله المرأة التي رأيتها ، ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علي ؛ ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه ، فضربت يديها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب . فبكى ثم قال : هذه والله التربة التي أريتها ، وهذه المرأة بعينها . ثم مات بعد مدة ، فدفن في ذلك الموضع بعينه ، اشتري له ودفن فيه ، وأتى نعيه بغداد ، فقال أشجع يرثيه⁶ :

غَرَبَتْ بِالْمَشْرِقِ الشَّمْسُ سُرُّ فَقْلٍ لِلْعَيْنِ تَدْمَعُ
مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْسًا غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

1 ل : غزوة الإسلام.

2 الأبيات في أوراق الصولي : 86 وديوانه : 193 .

3 الأوراق : باجرائه .

4 الأوراق : وسر مضمونه . . .

5 الأوراق : ألقحه درة . . .

6 ديوانه : 274 ونسبهما ابن المعتز وابن قتيبة لأبي الشيص .

[بحب الجارية ويغض مولاها]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :
 حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : كان حرب بن عمرو الثقفي نحاساً ، وكانت له
 جارية مَغْنِيَّة ، وكان الشعراء والكتّاب وأهل الأدب يبيّغدون يختلفون إليها يسمعونها ،
 ويُنفِقون في منزله النفقات الواسعة ، ويرُونه ويهدُون إليه ، فقال أشجع¹ : [من السريع]

جارية تهتزُّ أرادفها	مُشَبَّعة الخُلخال والقلب
أشكو الذي لاقيتُ من حبِّها	ويغض مولاها إلى الربِّ
من بغض مولاها ومن حبِّها	سَقِمْتُ بين البغض والحُبِّ ²
فاختلجاً في الصدر حتى استوى	أمرهما فاقْتَسَمَا قلبي
تَعَجَّلَ اللهُ شِفائي بها	وعَجَّلَ السُّقْم إلى حرب

قال مؤلف هذا الكتاب : فأخذ هذا المعنى بعضُ المُحدِّثين من أهل عصرنا ، فقال في مَغْنِيَّة
 تُعرَف بالشَّاة : [من مجزوء الوافر]

بِحُبِّ الشَّاةِ ذُبْتُ ضَنِّي	وطال لزوجهما مَفْتِي
فلو أنِّي مَلَكْتُهُمَا	لأسْعَدَ في الهوى بَخْتِي
فأَدْخِلَ في استها أُنْري	ولِحْيةَ زَوْجِها في استي

[صلاح لأهل الدِّين والدُّنيا]

أخبرني أبو الحسن الأسدي ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدثني صالح بن
 سليمان ، قال : اعتلَّ يحيى بن خالدٍ ثم عُوْفِي ، فدخل النَّاسُ يهتِنُونه بالسَّلامة ، ودخل أشجع³
 فأنشده³ : [من الوافر]

لقد قَرَعْتُ شكاةَ أبي عليٍّ	قلوبَ معاشِرٍ كانوا صحاحا
فإن يَدْفَعْ لنا الرَّحْمَنُ عنه	صُرُوفَ الدَّهرِ والأجلِ المتاحا
فقد أَمسى صلاحُ أبي عليٍّ	لأهل الدِّينِ والدُّنيا صلاحاً ⁴

1 الأبيات عدا الأخير في أوراق الصولي : 136 وديوانه : 191 .

2 الأوراق : بقيتُ بدل سَقِمْتُ .

3 الأبيات في أوراق الصولي : 80 والشعر والشعراء : 759 وديوانه : 201 .

4 الشعر والشعراء : لأهل الأرض كلهم صلاحاً .

إِذَا مَا الْمَوْتُ أَخْطَاهُ فَلَسْنَا نُبَالِي الْمَوْتَ حَيْثُ غَدَا وَرَاحَا

[إذا مرض القاضي مرضنا]

قال : فما أذن يومئذٍ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البرامكة إياه .
أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنا
محمد بن عمران الضبيّ ، قال : سمعتُ محمد بن أبي مالك الغنويّ يقول : دخلَ أشجعُ
السلميّ على عليّ بن شبرمة يعودُه ، فأنشأ يقول¹ :
[من الطويل]

إِذَا مَرَضَ الْقَاضِي مَرَضَنَا بِأَسْرِنَا وَإِنْ صَحَّ لَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِمَرِيضٍ
فَأَصْبَحْتُ ، لَمَّا اعْتَلَّ يَوْمًا ، كَطَائِرٍ سَمَا بِجَنَاحٍ لِلنَّهْوِضِ مَهِيضٍ
قال : فشكره ابنُ شبرمة وحمله على بغلة كانت له .

[هجاء أبان بن الوليد]

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه ، قال : حدثني محمد بن عمران ، قال :
سمعتُ محمد بن أبي مالك يقول : جاء أشجعُ ليدخلَ على أبان بن الوليد البجليّ ، فمنعه
حاجبُه ، وانتهره غلمانُه ، فقال فيه² :
[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْمُشَلِّيَ عَلَيَّ كِلَابَهُ وَلِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أَشْلِهِنَّ ، كِلَابُ³
رُؤَيْدِكَ لَا تَعَجَّلْ عَلَيَّ فَقَدْ جَرَى بِخَزِيكِ ظَبْيٍ أَغْضَبَ وَغُرَابُ
عِلَامٌ تَسُدُّ الْبَابَ وَالسُّرُّ قَدْ فَشَا وَقَدْ كُنْتَ مَحْجُوبًا وَمَالِكُ بَابُ
فَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْخَمَرَ سَادِرًا إِذَا لَمْ يَكُنْ دُونِي عَلَيْكَ حِجَابُ
وَلَكِنَّهُ يَمْضِي لِي الْحَوْلُ كَامِلًا وَمَا لِي إِلَّا الْأَبْيَضَيْنِ شَرَابُ⁴
مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِنْ شَخْبِ دَهْمَاءِ ثَرَّةٍ لَهَا حَالِبٌ لَا يَشْتَكِي وَحِلَابُ⁵

[الانعاظ بقبري النديمين]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة ، قال : حدثني ميمون بن هارون قال : حدثنا عليّ بن
الجهّم قال : حدثني ابنُ أشجع السلميّ ، قال : لَمَّا مرَّ أبي وعمّاي أحمدُ ويزيدُ ، وقد شربوا

1 ديوانه : 234 . (عن الأغاني) .

2 ديوانه : 189 (عن الأغاني) .

3 المشلي : المغربي .

4 الأبيضان : اللبن والماء .

5 الدهماء : الخالصة الحمراء .

حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عُقْبَة وإلى جانبه قبرُ أبي زَيْد الطائي ، وكان نصرانياً ، والقبران مختلفان كل واحدٍ منهما متوجّه إلى قِبْلَة مِلَّتِهِ ، وكان أبو زَيْد أوصى لمّا احتضر أن يُدْفَن إلى جنب الوليد بالبليخ قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما ، فأنشأ أبي يقول¹ :

مَرَرْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِي زَيْدٍ وَقَدْ لَاحَتْ بِبَلْقَعَةٍ صَلُودٌ
وَكَانَ لَهُ الْوَلِيدُ نَدِيمَ صِدْقٍ فَنَادِمٌ قَبْرُهُ قَبْرَ الْوَلِيدِ
أَنِيسَا أَلْفَةً ذَهَبَتْ فَأُمْسَتْ عِظَامُهُمَا تَأْنَسُ بِالصَّعِيدِ
وَمَا أَذْرِي بَعْنُ تَبَدُّدِ الْمَنَايَا بِأَحْمَدَ أَوْ بِأَشْجَعَ أَوْ بِزَيْدٍ
قال : فماتوا والله كما رَبَّتْهُمْ فِي الشَّعْرِ ، أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد .

صوت²

[من الخفيف]

حَيَّ ذَا الزُّورِ وَانْهَ أَنْ يَعُودَا إِنَّ بِالْبَابِ حَارِسِينَ قُعُودَا
مَنْ أَسَاوِيرَ مَا يَنْوَنُ قِيَاماً وَخَلَاخِيلَ تَذْهِلُ الْمَوْلُودَا
لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصَّبِّ حِجْ مَغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ زَيْدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنَنِي أَنْ أُحِيدَا³

الشَّعْر ليزيد بن ربيعة بن مُفَرَّغِ الحِمِيرِيِّ ، والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وذكر أحمد بن المَكِّي أَنَّهُ لِأَبِي يَحْيَى ، وذكر الهِشَامِيُّ أَنَّهُ لِفَلِيحٍ . قال : ومن هذا الصوت سُوقُ لَحْنٍ :

تَلْكَ عِرْسِي تَلُومُنِي فِي التَّصَابِي

1 ديوانه : 204 .

2 ديوان ابن مفرغ : 100-103 .

3 الشعر والشعراء : يوم أعطي من المخافة ضيماً .

[391] - أخبار ابن مفرغ ونسبه¹

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ² ، ولُقِّبَ جدُّه مفرغاً لأنَّه راهن على سقاء لَبَنٍ أن يَشْرِبَه كَلَّه فشربه كَلَّه حتى فرَّغَه ، فَلُقِّبَ مفرغاً ، ويكنى أبا عثمان ، وهو من جَمِير فيما يزعم أهلُه ، وذكرَ ابنُ الكلبي وأبو عُبَيْدَة أنَّ مفرغاً كان شَعَاباً بنبالة³ ، فادَّعى أنَّه من جَمِير . وقال علي بن محمد النوفلي : ليس أحدٌ بالبصرة من جَمِير إلاَّ آل الحجَّاج بن ناب الجَميريّ وبيتاً آخر ذكره ، ودفعَ بيتَ ابن مفرغ .

أخبرني محمد بنُ خَلَف بن المرزبان ، قال : أخبرني أحمدُ بن الهيثم القرشيّ قال : أخبرني العمريّ ، عن لَقِيط بن بكر⁴ المحاربيّ ، قال : هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الجَميريّ حليفُ قُرَيْش ، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص ، بن أُمَيَّة بن عبد شمس . قال العمريّ : وكان ابن المكِّي يقول : كان مفرغٌ عبداً للضَّحَّاك بن عبد عوف الهلاليّ فأنعمَ عليه .

قال محمد بنُ خَلَف : أخبرني محمد بنُ عبد الرحمن الأسديّ ، عن محمد بن رزين ، قال : قال الأخفش : كان ربيعة بن مفرغ شَعَاباً بالمدينة وكان يُنسب إلى جَمِير ، وإنَّما سُمِّيَ مفرغاً لتفريقه العُسَّ وكان شاعراً غزلاً محسنًا ، والسيدُّ⁵ من ولده .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أبو العِيَاء قال : سئل الأصمعيّ عن شعر

1 ترجمة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في طبقات ابن سلام : 686-693 والشعر والشعراء : 276-280 ومعجم الأدباء (عباس) 2837-2838 وأمالى الزجاجي : 229 وأنساب الأشراف 1/4 : 374 وتاريخ الطبري 2 : 161 والاكلیل 2 : 266 وجمهرة أنساب العرب : 436 وابن خلكان 6 : 342 وسير الذهبی 3 : 522 والبدایة والنهاية 8 : 295 ، 314 وخزانة البغدادي 4 : 325-335 وانظر 6 : 43-45 . وقد جمع شعره ثلاث مرات : مرة على يد شارل بيلا ومرة على يد د . داود سلوم والثالثة على يد د . عبد القدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1975) وفي هذه تخريج وافٍ مع استقصاء لمختلف القراءات في مختلف المصادر . ولذلك نكتفي بالإحالة عليها .

2 في معجم الأدباء : يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ . وقال ابن خلكان إن أكثر العلماء يسقطون زياداً .

3 الشعاب : الذي يصلح الصدوع . ونبالة : موضع باليمن . وذكر ابن خلكان أن مفرغاً كان حداداً .

4 ل : بكير وكذا سيأتي فيما بعد .

5 يقصد السيد الحميري .

تُبِعَ وَقِصَّتْهُ وَمَنْ وَضَعَهُمَا : فقال : ابن مُفَرِّغٌ ؛ وذلك أَنَّ يَزِيدَ بن معاوية لَمَّا سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ وَتَخَلَّصَهُ مِنْ عِبَادِ بن زِيَادٍ أَنْزَلَهُ الْجَزِيرَةَ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِرَأْسِ عَيْنَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ حِمِيرٍ ، وَوَضَعَ سِيرَةً تُبِعَ وَأَشْعَارَهُ ، وَكَانَ النَّحِيرُ بن قَاسِطٍ يَدْعِي أَنَّهُ مِنْهُمْ .

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ : هُوَ يَزِيدُ بن زِيَادٍ بن رِبِيعَةَ بن مُفَرِّغٍ الْيَحْصُبِيِّ ، مِنْ حِمِيرٍ ، يَحْصُبُ بن مَالِكِ بن زَيْدِ بن الْغَوْثِ بن سَعْدِ بن عَوْفِ بن عَدِيٍّ بن مَالِكِ بن زَيْدِ بن سَهْلِ بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَعِ بن حِمِيرِ بن سَبَأِ بن يَشْجُبِ بن يَعْرُبِ بن قَحْطَانَ .

أَخْبَرَنِي بِخَبْرِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَائِخِنَا ، مِنْهُمْ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بن شَبَّةَ وَمُحَمَّدِ بنِ خَلْفِ بنِ الْمَرْزُبَانِ ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَحْمَدُ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، فَمَا اتَّفَقَتْ رَوَايَاتُهُمْ مِنْ خَبْرِهِ جَمْعُهَا فِي ذِكْرِهِ ، وَمَا اخْتَلَفَتْ أَفْرَدَتْ كُلُّ مُنْفَرِدٍ مِنْهُمْ بِرَوَايَتِهِ .

[عباد بن زياد طرف ملول]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ بنِ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ مَسْلَمَةَ بنِ مُحَارِبٍ ، وَأَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ شَبَّةَ ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ الْحَسَنِ بنِ دُرَيْدٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ خَلْفِ بنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الْهَيْثَمِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عَنْ لَقِيطِ بنِ بَكِيرٍ ، قَالُوا جَمِيعًا : لَمَّا وَلِيَ سَعِيدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ خُرَاسَانَ ، اسْتَصْنَحَ يَزِيدَ بنَ رِبِيعَةَ بنَ مُفَرِّغٍ ، وَاجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَصْحَبَهُ ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَصَحِبَ عَبَّادُ بنُ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بنُ عُثْمَانَ : أَمَا إِذْ أُبَيَّتَ أَنْ تَصْحَبَنِي وَأَثَرْتَ عَبَادًا فَاحْفَظْ مَا أُوصِيكَ بِهِ : إِنَّ عَبَادًا رَجُلٌ لَيْمٍ ، فَإِيَّاكَ وَالِدَالَّةَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهَا خِدْعَةٌ مِنْهُ لَكَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَأَقْلِلْ زِيَارَتَهُ ، فَإِنَّهُ طَرَفٌ¹ مُلُولٌ ، وَلَا تَفَاخِرْهُ وَإِنْ فَاخَرَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ لَكَ مَا كُنْتُ أُحْتَمِلُهُ . ثُمَّ دَعَا سَعِيدُ بِمَالٍ فَدَفَعَهُ إِلَى ابْنِ مُفَرِّغٍ ، وَقَالَ : اسْتَغْنِ بِهِ عَلَى سَفَرِكَ ، فَإِنْ صَلَحَ لَكَ مَكَائِكَ مِنْ عَبَادٍ وَإِلَّا فَمَكَائِكَ عِنْدِي مُمَهَّدٌ فَاتَّبِعْنِي ؛ ثُمَّ سَارَ سَعِيدُ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَتَخَلَّفَ ابْنُ مُفَرِّغٍ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مَعَ عَبَادٍ .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي خَبْرِهِ ، عَنْ مَسْلَمَةَ بنِ مُحَارِبٍ : فَلَمَّا بَلَغَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ صُحْبَةَ ابْنِ مُفَرِّغٍ أَخَاهُ عَبَادًا شَقَّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سَارَ أَخُوهُ عَبَادٌ شِيعَهُ وَشِيعَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَجَعَلُوا يُوَدِّعُونَهُ وَيُوَدِّعُ الْخَارِجُونَ مَعَ عَبَادٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْ يُوَدِّعَ أَخَاهُ دَعَا ابْنَ مُفَرِّغٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَبَادًا أَنْ تَصْحَبَهُ وَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ

مُفَرِّغٌ : ولم أَصْلَحَكَ اللهُ ؟ قال : لأنَّ الشاعر لا يُقِنُّه من الناس ما يُقِنُّ بعضُهم من بعض ، لأنَّه يظنُّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعْذِرُ في موضع العُذْر ، وإنَّ عِبَاداً يقدِّم على أرض حرب فيشتغل بِحُرُوبِهِ وخِراجِهِ عنكَ ، فلا تَعْذِرُهُ أنت ، وتُكْسِبُنَا شراً وعاراً ، فقال له : لست كما ظنَّ الأمير ، وإنَّ لِمَعْرُوفِهِ عِنْدِي لشكراً كثيراً ، وإنَّ عِنْدِي ، إنَّ أَغْفَلَ أَمْرِي ، عِذراً مُمَهِّداً . قال : لا ، ولكن تَضْمَنَ لي إنَّ أَبطأً عنكَ ما تُحِبُّهُ أَلَّا تَعَجَلَ عَلَيْهِ حتَّى تَكْتُبَ إِلَيَّ ؛ قال : نعم ؛ قال : امضِ إِذَا على الطائِرِ الميمُون . قال : فقَدِمَ عِبَادُ خُرَّاسَانَ ، واشتغل بِحَرْبِهِ وخِراجِهِ ، فاستبطَّاه ابنُ مُفَرِّغٍ ولم يَكْتُبْ إلى عُبيدِ اللهِ بنِ زياد يشكوهُ كما ضَمِنَ له ، ولكنَّهُ بسطَ لِسَانَهُ فذَمَّهُ وهجَاه .

[ليت اللحى كانت حشيشاً]

وكان عِبَادٌ عَظِيمُ اللَّحْيَةِ كَانَهَا جُوالَتْ ، فسارَ يَرِيدُ بنُ مُفَرِّغٍ ، يوماً مع عِبَادٍ ، فدخلت الرِّيحُ فَنَفَسَتْهَا ، فضحك ابنُ مُفَرِّغٍ ، وقال لرجلٍ من لَخمٍ كان إلى جنبه قوله¹ : [من الوافر]

أَلَا لَيْتَ اللَّحْيَ كَانَتْ حَشِيشًا فَتَعْلِفُهَا خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ

فسعى به اللَّخْمِيُّ إلى عِبَادٍ ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا يَجْمُلُ بي عَقُوبَتُهُ في هذه السَّاعَةِ مع الصَّحْبَةِ لي ، وما أُؤَخِّرُهَا إِلَّا لِأَشْفِي نَفْسِي مِنْهُ ، لأنَّه كان يقومُ فَيَشْتُمُ أبِي في عِدَّةِ مواطن . وبلغ الخبرُ ابنَ مُفَرِّغٍ فقال : إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ المَوْتِ من عِبَادٍ . [يستأذن عباداً في الرجوع]

ثم دخل عليه فقال له : أَيُّهَا الأمير ، إِنِّي كُنْتُ مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغَكَ رَأْيُهُ فيَّ ، ورَأَيْتَ جَمِيلَ أَثَرِهِ عَلَيَّ ، وَإِنِّي اخْتَرْتُكَ عَلَيْهِ ، فلم أَحْظَ² مِنْكَ بِطَائِلٍ ، وأريدُ أَنْ تَأْذَنَ لي في الرُّجُوعِ ، فلا حَاجَةَ لي في صُحْبَتِكَ . فقال له : أَمَّا اخْتِيَارُكَ إِنِّي فَإِنِّي اخْتَرْتُكَ كما اخْتَرْتَنِي ، واستصَحْبْتُكَ حينَ سَأَلْتَنِي ، وقد أَعَجَلْتَنِي عن بلوغِ مَحَبَّتِي فيكَ ، وقد طَلَبْتَ الإِذْنَ لَتَرْجِعَ إلى قَوْمِكَ ، فَتَفْضَحْنِي فِيهِمْ ، وَأَنْتَ على الإِذْنِ قَادِرٌ بعدَ أَنْ أَقْضِيَ حَقَّكَ ، فَأَقَامَ . وبلغ عِبَاداً أَنَّهُ يَسُبُّهُ وَيَذْكُرُهُ وَيُنَالُ مِنْ عِرْضِهِ ، وأجرى عِبَادُ الخيلِ فجاء سابقاً ، فقال ابنُ مُفَرِّغٍ :

سَبَقَ عِبَادٌ وَصَلَّتْ لِحْيَتُهُ³

[بيع غلامه بُرد وجارته الأراكاة]

وطلب عليه العِلَلُ ، ودَسَّ إلى قومٍ كان لهم عليه دَيْنٌ ، فأمرهم أَنْ يقدِّمُوهُ إِلَيْهِ ، ففعلوا ،

1 ديوانه : 225 .

2 ل : أحل .

3 المصلي : الذي يجيء تالياً في السباق . وتمة الرجز : وكان خرازاً تجود قرته

فحبسه وأضرَّ به ؛ فبعث إليه أن يعني الأراكَة وُرداً ، وكانت الأراكَة قينة لابن مفرغ ، وُردٌ غلامه ، رباهما وكان شديد الضنَّ بهما . فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ المرء نفسه أو ولده ؟ فأضرَّ به عباد حتى أخذهما منه . هذه رواية مسلمة .

وأماً لقيط وعمر بن شبة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه ، فاشترهما رجل من أهل خراسان . قال لقيط : فلما دخلا منزله قال له بُرد ، وكان داهيةً أريباً : أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت . فجزع الرجل وقال له : كيف ذلك ؟ وملك ! قال : نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ ؛ والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو ابن زياد ، وهو أمير خراسان ، وأخوه أمير العراقين ، وعمه الخليفة ، في أن استبطأه ويُسبك عنك ، وقد ابتغني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك . فقال : فاشهد أنك وإياها له ، فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، على أنني أخافُ على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد ، وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا . قال : فاكتب إليه بذلك . فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه يشكر فعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يُفرج الله عنه .

قال : وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا ، يعني ابن مفرغ ، يُالي بالمقام في الحبس ، فبِع فرسه وسلاحه وأثاثه ، واقسيم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها . فقال ابن مفرغ يذكر غلامه بُرداً وجاريته الأراكَة ويبيعهما¹ : [من البسيط]

شريت بُرداً ولو مُلكتُ صفقته	لما تطلبتُ في بيعٍ له رشداً
لولا الدعي ولولا ما تعرّض لي	من الحوادث ما فارقتُه أبداً
يا بُردُ ما مسنا بردٌ أضرَّ بنا	من قبل هذا ولا بعنا له ولداً
أما الأراكُ فكانت من محارمنا	عيشاً لذيداً وكانت جنة رعداً
كانت لنا جنةً كنّا نعيشُ بها	نغني بها إن خشنا الأزل والنكد ²
يا ليتني قبل ما نابَ الزمانُ به	أهلي لقيت على غدوائه الأسد
قد خاننا زمنٌ لم نخشَ عثرته	من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غداً !

1 ديوانه : 96-99 .

2 الأزل : الضيق والشدة . والنكد : الشدة والعسر .

لَا تَهْلِكِي إِثْرَ بُرْدٍ هَكَذَا كَمَدَا
كَمْ مِنْ نَعِيمٍ أَصَبْنَا مِنْ لَذَائِهِ
قُلْنَا لَهُ إِذْ تَوَلَّى لَيْتَهُ خَلَدَا

[هربه إلى البصرة]

قالوا : وَعَلِمَ ابْنُ مُفَرَّغٍ أَنَّهُ إِنْ أَقَامَ عَلَى ذِمِّ عِبَادٍ وَهَجَائِهِ وَهُوَ فِي مَحْبَسِهِ زَادَ نَفْسَهُ شَرًّا ؛ فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ إِذَا سَأَلُوهُ عَنْ حَبْسِهِ مَا سَبَّهَ ؟ : رَجُلٌ أَذَبَهُ أَمِيرُهُ لِيُقَوِّمَ مِنْ أَوْدِهِ ، أَوْ يَكْفُفَ مِنْ غَرَبِهِ ، وَهَذَا لَعَمْرِي خَيْرٌ مِنْ جَرِّ الْأَمِيرِ ذَيْلَهُ عَلَى مُدَاهَنَةِ لَصَاحِبِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ عِبَادًا قَوْلَهُ رَقَّ لَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ السُّجُنِ ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ فِي مَدَنِهَا هَارِبًا وَيَهْجُو زِيَادًا وَوَلَدَهُ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي خَبَرِهِ : لَمَّا بَلَغَ عِبَادًا بْنُ زِيَادٍ أَنَّ ابْنَ الْمُفَرَّغِ قَالَ :

سَبَقَ عِبَادٌ وَصَلَتْ لِحِيَّتُهُ

[عباد يجبر ابن يزيد على إنشاد شعر في هجاء أبيه]

دَعَا ابْنَهُ وَالْمَجْلِسُ حَافِلٌ فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي هِجَاءَ أَبِيكَ الَّذِي هُجِيَ بِهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مَا كَلَّفَ أَحَدٌ قَطُّ مَا كَلَّفْتَنِي ، فَأَمْرٌ غَلَامًا لَهُ أَعْجَمِيًّا وَقَالَ لَهُ : قُمْ عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِنْ أَنْشَدَ مَا أَمَرْتُهُ بِهِ وَالْأَفْصَبُ السُّوْطَ عَلَى رَأْسِهِ أَبَدًا أَوْ يُنْشِدَهُ ، فَأَنْشَدَهُ أُبَيَّاتًا هُجِيَ بِهَا أَبُوهُ أَوَّلًا : [من الكامل]

قَبَحَ الْإِلَاهُ وَلَا يُقْبَحُ غَيْرُهُ وَجْهَ الْحَمَارِ رَبِيعَةَ بْنُ مُفَرَّغٍ

وَجَعَلَ عِبَادٌ يَتَضَاحَكُ بِهِ ، فَخَرَجَ ابْنُ ابْنِ مُفَرَّغٍ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَتْمُ شَيْخِي بَاطِلًا ، وَقَالَ يَهْجُوهُ بِقَوْلِهِ ¹ :

[من مجزوء الكامل]

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ
فَالرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَضْحَكُ فِي الْغَمَامَةِ
لَهْفِي عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامَةٍ
تَرَكِي سَعِيدًا ذَا النَّدَى وَالْبَيْتُ تَرَفُّعُهُ الدَّعَامَةِ
فُتِحَتْ سَمَرْقَنْدٌ لَهُ وَبَنَى بَعْرَضَتُهَا خِيَامَةً
وَتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِي عَلَا جَ ، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ ²

1 ديوانه : 207-215 .

2 بنو علاج : بطن من ثقيف .

جاءت به حَبَشِيَّةٌ سَكَاءُ تحسبها نَعَامَةً¹
 وَشَرِيتَ بُرْدًا كَيْتَنِي
 أَوْ بُومَةً تَدْعُو صَدَى بين المُشَقَّرِ وَالْيَمَامَةِ
 فَالْهَوَلُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى حَذَرَ الْمَخَازِي وَالسَّامَةِ
 وَالْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةِ²

قال : ثم لَجَّ في هجاء بني زياد حتى تغنى أهلُ البصرة في أشعاره ، فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام .

واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : معاوية ، وقال بعضهم : يزيد ، والصحيح أنه يزيد ؛ لأنَّ عَبَّادَ بن زياد إنما ولي سَجِسْتَانَ في أيام يزيد . وقال بعضهم : بل الذي ولاه معاوية ، وهو الذي ولي سعيد بن عثمان خراسان .

[عتاب معاوية على تولية يزيد]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، وعبيد الله بن محمد الرازي قالا : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن الحارث عن المدائني قال : دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال : علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني ؟ فوالله لأبي خير من أبيه ، وأمي خير من أمه ، وأنا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك ، وبنا نلت ما نلت . فقال له معاوية : أَمَا قولك : إِنَّ أَبَاكَ خير من أبيه فقد صدقت لعمرُ الله ؛ إِنَّ عُثْمَانَ لخير مني ، وأَمَا قولك : إِنَّ أُمَّكَ خير من أمه ، فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضأها بعلها وأن ينجب ولدها . وأَمَا قولك : إِنَّكَ خير من يزيد ، فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك . وأَمَا قولك : إنيكم وليتموني فما عزلتموني ، فما وليتموني ، وإنيما ولاني من هو خير منكم عمر ، فأقرتموني ، وما كنت بشس الوالي لكم ، لقد قمتُ بثأركم ، وقتلتُ قتلةً أييكم ، وجعلتُ الأمرَ فيكم ، وأغنيتُ فقيركم ، ورفعتُ الوضعَ منكم ، فكلّمه يزيد في أمره فولاه خراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

[فراهِ هاجباً بني زياد]

قالوا : فلم يَزَلْ يَنْتَقِلُ في قُرَى الشام ونواحيها ، ويهجو بني زياد ، وأشعاره فيهم تَرَدَّدَ البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية ، وقال الآخرون : إنه كتب إلى يزيد وهو

1 سكاء : صغيرة الأذنين .

2 المثل «العبد يقرع بالعصا والحُر تكفيه الإشارة» (المقامة) في مجمع المبداني 2 : 19 .

الصحيح ، يقول له : إِنَّ ابْنَ مُفَرَّغٍ هَجَا زِيَاداً وَبَنِي زِيَادٍ بِمَا هَتَكَ فِي قَبْرِه ، وَفَضَحَ بِنِيهِ طُولَ الدَّهْرِ ، وَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَذَفَهُ بِالزَّنَا وَسَبَّ وَلَدَهُ ، فَهَرَبَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَطَلَبَتْهُ حَتَّى لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَلَجَأَ إِلَى الشَّامِ يَتَمَصَّعُ لِحَوْمَنَا بِهَا ، وَيَهْتِكُ أَعْرَاضَنَا ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِمَا هَجَانَا بِهِ لَتَنْتَصِفَ لَنَا مِنْهُ . ثُمَّ بَعَثَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ ابْنُ مُفَرَّغٍ فِيهِمْ .

فَأَمَرَ يَزِيدَ بِطَلْبِهِ ، فَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، فَإِذَا شَاعَ خَبْرُهُ انْتَقَلَ حَتَّى لَفَظَتْهُ الشَّامُ ، فَأَتَى الْبَصْرَةَ وَنَزَلَ عَلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، فَالْتَجَأَ بِهِ وَاسْتَجَارَ ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : إِنِّي لَا أُجِيرُ عَلَى ابْنِ سُمَيَّةٍ فَأَعَزَلْ ، وَإِنَّمَا يُجِيرُ الرَّجُلُ عَلَى عَشِيرَتِهِ ، فَأَمَّا عَلَى سُلْطَانِهِ فَلَا ، فَإِنْ شِئْتَ أَجَرْتُكَ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَشُعْرَائِهِمْ ، فَلَا يَرِيكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُفَرَّغٍ : بِأَسْتَاةِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِيَّ ؟ هَذَا مَا لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ .

ثُمَّ أَتَى خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ فَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَأَبَى أَنْ يُجِيرَهُ ، فَأَتَى عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَوَعَدَهُ ، وَأَتَى طَلْحَةَ الطَّلْحَاتِ فَوَعَدَهُ ، وَأَتَى الْمُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ الْعَبْدِيَّ فَأَجَارَهُ ؛ وَكَانَتْ بَحْرِيَّةُ بِنْتُ الْمُنْذِرِ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ . وَكَانَ الْمُنْذِرُ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَلَيْهِ ؛ فَاعْتَرَى بِذَلِكَ وَأَدْلَّ بِمَوْضِعِهِ مِنْهُ ، وَطَلَبَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَقَدْ بَلَغَهُ وَرُودُهُ الْبَصْرَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : أَجَارَهُ الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ . فَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ فَأَتَاهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِالشَّرْطِ فَكَبَسُوا دَارَهُ . وَأَتَوْهُ بَابَنُ مُفَرَّغٍ . فَلَمْ يَشْعُرِ الْمُنْذِرُ إِلَّا بِابْنِ مُفَرَّغٍ قَدْ أَقِيمَ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَامَ الْمُنْذِرُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ فَكَلَّمَهُ فِيهِ فَقَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهُ ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَنْ تَخْفَرَ¹ جَوَارِي فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : يَا مُنْذِرُ لِمَ دَحَنْ أَبَاكَ وَلِمَ دَحَنْكَ ، وَلَقَدْ هَجَانِي وَهَجَا أَبِي ثُمَّ تُجِيرُهُ عَلَيَّ ؟ لَاهَا اللَّهُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَا أَغْفِرُهَا لَهُ . فَغَضِبَ الْمُنْذِرُ ، فَقَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ تُدَلِّ بِكَرِيمَتِكَ عِنْدِي ، إِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ لِأُبَيِّنَنَّهَا بِتَطْلِيْقِ الْبَتَّةِ . فَخَرَجَ الْمُنْذِرُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ مُفَرَّغٍ فَقَالَ لَهُ : بِسْمَا صَحَبْتَ بِهِ عِبَادًا . قَالَ : بِسْمَا صَحَبَنِي بِهِ عِبَادٌ ، اخْتَرْتُهُ عَلَى سَعِيدٍ وَأَنْفَقْتُ عَلَى صُحْبَتِهِ كُلِّ مَا أَفْذَتْهُ وَكُلِّ مَا أَمْلَكَهُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ عَقْلِ زِيَادٍ وَحِلْمٍ مُعَاوِيَةٍ وَسَمَاحَةِ قَرِيْشٍ ، فَعَدَلْتُ عَنْ ظَنِّي كُلِّهِ . ثُمَّ عَامَلَنِي بِكُلِّ قَبِيْحٍ ، وَتَنَاوَلَنِي بِكُلِّ مَكْرُوهٍ ، مِنْ حَبْسٍ وَغَرَمٍ وَشَتَمٍ وَضَرْبٍ ، فَكُنْتُ كَمَنْ شَامَ بَرَقًا خَلْبًا فِي سَحَابِ جَهَامٍ ، فَأَرَاكَ مَاءَ طَمَعًا فِيهِ فَمَاتَ عَطْشًا ، وَمَا هَرَبْتُ مِنْ أَخِيكَ إِلَّا لَمَّا خِفْتُ مِنْ أَنْ يَجْرِيَ فِيَّ إِلَى مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ صَرْتُ الْآنَ فِي يَدِكَ ، فَشَأْنُكَ فَاصْنَعْ بِي مَا أَحْبَبْتَ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ .

[معاوية أو يزيد لا يستطيع قتله]

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله ، فكتب إليه : إِيَّاكَ وَقَتْلَهُ ، وَلَكِنْ عَاقِبُهُ

1 خفر جواره : حفظه وحماه ، وتعني أيضاً حفظ عهد وغدر به .

بما يُنكِّله ويشدُّ سلطانك ، ولا تبلغ نفسك ، فإنَّ له عشيرةً هي جُندي وبطاتي ، ولا ترضى بقتله مني ، ولا تقنع إلا بالقوِّد منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنَّه الجدُّ منهم ومني ، وأنتك مُرتَهَن بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحةٌ تشفي من الغَيْظ . فورد الكتاب على عُبيد الله بن زياد ، فأمر بابن مُفرِّغ فسقِّي نبيذاً خلواً قد خلط معه الشُّبْرُم¹ . فأسهل بطنه ، وطيفَ به وهو في تلك الحال ، وقرنَ بهرةً وخنزيرةً ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية² :
أين جيسْت ؟ فيقول :

آبَسْت نبيذ است * عُصارات زيبست * سُميَّة رؤسيد است

وجعل كلِّما جرَّ الخنزيرة ضجَّت ، فجعل يقول³ :

ضجَّت سُميَّة لما لَزَّها قرني لا تجزعي إنَّ شرَّ الشِّمة الجزعُ
فجعل يُطافُ به في أسواق البصرة والصَّبيان خلفه يصيحون به . وألحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . فعرف ابنُ زياد ذلك ، فقيل : إنَّه لما به لا نأمن أن يموت ، فأمر به أن يُغسل ، ففعلوا ذلك به ، فلما اغتسل قال⁴ :

يغسل الماء ما فعلت وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي
فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبس ، وأمر بأن يُسلمَ مِحْجَماً وقَدِّموا له علوجاً ، وأمر بأن يحجمهم ، فكان يأخذُ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منه ، فتركه وردَّه إلى محبسه ، وقامت الشرط على رأسه تصبَّ عليه السياط ويقولون له : احجمهم ، فقال :

وما كنتُ حجَّاماً ولكن أحلني بمنزلة الحجَّام نأبي عن الأهل⁵
وقال عُمر بنُ شَبَّة في خبره : جمع عبَّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مُفرِّغ ، وكتب به إلى أخيه عُبيدِ الله وهو يومئذٍ وافرٌ على معاوية ، فكان فيما كتب إليه قوله⁶ :

إذا أودى معاوية بنُ حربٍ فبشَّرْ شَعْبَ قَعْبِكَ بانصِداع⁷

1 الشبرم : نبات له حب مهسل .

2 معنى هذا الكلام بالفارسية : (الأولاد يسألون) ما هذا ؟ (فيجيبهم ابن مفرغ) هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة زيب ، هذه سميت البغي .

3 ديوانه : 149 وفيه «لما مسها القرن» .

4 ديوانه : 188 .

5 ديوانه : 194 .

6 ديوانه : 156-157 .

7 الشعب : الصدع في الإناء ونحوه . والقعب : القدح الضخم الغليظ .

فأشهدُ أَنَّ أُمَّكَ لم تباشر
أبا سُفْيَانَ واضعةَ القِنَاعِ
ولكن كان أُمْرٌ فِيهِ لَبَسٌ
على وَجَلٍ شَدِيدٍ وامتناعِ

وقوله¹ :

أَلَا أبلغُ مُعاويةَ بِنَ حَرْبٍ
مُغْلَفَةً مِنَ الرَّجُلِ اليماني
أَتَغضِبُ أَنَّ يُقالَ أبوك عَفٌّ
وَتَرْضَى أَنَّ يُقالَ أبوك زاني
فأشهدُ أَنَّ رَحِمَكَ مِنَ زياد
كَرَحِمِ الفِيلِ من وَلَدِ الأَتانِ
وأشهدُ أَنَّها وَلدت زياداً
وصخرٌ من سُمَيَّةَ غَيْرُ داني²

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية ، فأنشده هذه الأشعار ، واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال : أدبه أدياً وجيئاً منكلاً ، ولا تتجاوز ذلك إلى القتل ، وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم .

قالوا جميعاً : وقال ابن مفرغ يذكر جوار المنذر بن الجارود إياه وأمانه³ :

تَرَكْتُ قُرَيْشاً أَنَّ أَجاورَ فِيهِمْ
وجاورتُ عَبْدَ القَيْسِ أَهْلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أَجارونا فكان جِوارُهُم
أعاصيرَ من قَسو العِراقِ المُبَذَّرِ
فأصبح جاري من خُزَيْمةَ قائِماً
ولا يمنع الجيرانَ غَيْرُ المُشَمَّرِ

[يستثير اليمانية لنصرته]

وقال أيضاً في ذلك⁴ :

أصبحتُ لا من بَنِي قَيْسٍ فَتَنَصَّرُنِي
قَيْسُ العِراقِ ولم تَغضَبْ لَنَا مُضَرُّ
ولم تَكَلِّمْ قُرَيْشٌ في حَلِيفِهِمْ
إِذْ غابَ ناصِرُهُ بالشَّامِ واحْتَضَرُوا⁵
والله يعلم ما تُخفي النفوس وما
سَرَى أُمِّيَّةٌ أو ما قال لي عَمْرُ
وقال لي خالِدٌ قولاً قَنِعْتُ بِهِ
لو كنت أعلم أَنَّي يَطْلُعُ القَمَرُ⁶

1 ديوانه : 230-231 .

2 الشعر والشعراء : حملت زياداً .

3 ديوانه : 135 .

4 ديوانه : 122-124 .

5 الديوان : أنصاره بالشام واحتضروا . واحتضروا : بمعنى حضروا . واحتضروا : منعوا من السفر .

6 أنى يطلع القمر : من أين يأتي الفرج .

لو أَنَّنِي شَهِدْتُني حَمِيرٌ غَضِبْتَ دُونِي فَكَانَ لَهُمْ فِيمَا رَأَوْا عَيْرٌ
أَوْ كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ تَدَارَكُنِي عَوْفُ بْنُ نُعْمَانَ أَوْ عِمْرَانُ أَوْ مَطَرٌ¹
وقال أيضاً يذكر ذلك وما فعل به ابن زياد² : [من الخفيف]

دارَ سَلَمَى بِالخَيْتِ ذِي الْأَطْلَالِ كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ
أَيْنَ مِنِّي السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي فَارْجِعِي لِي تَحِيَّتِي وَسُؤَالِي
أَيْنَ مِنِّي نَجَائِي وَجِيَادِي وَغَرَالِي ، سَقَى إِلَاهُ غَزَالِي
أَيْنَ لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي وَمَطَايَا سَيْرُتْهَا لَارْتِحَالِي
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنَا فَتَدَاعَى قَبْلِينَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ بِأَلِي³
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَأَجْبِنَا كُلُّ ذُنْبَا وَنِعْمَةٍ لَزَوَالِ
أَمْ قَضَيْنَا حَاجَاتَنَا فَلِإِلَى الْمَوْتِ تِ مَصِيرُ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصَوْمِي لِرَبِّنَا وَزَكَاتِي وَصَلَاتِي أَدْعُو بِهَا وَإِتِهَالِي
مَا أَتَيْتُ الْغَدَاةَ أَمْرًا ذَنْبًا وَلَدَى اللَّهِ كَابِرُ الْأَعْمَالِ
أَيْهَا الْمَالِكِ الْمُرْهَبِ بِالْقَتْلِ لَ بَلَّغْتَ النُّكَالِ كُلَّ النُّكَالِ
فَاخْشَ نَارًا تَشْوِي الْوُجُوهَ وَيَوْمًا يَقْذِفُ النَّاسَ بِالْذَّوَاهِي الثَّقَالِ
قَدْ تَعَدَّيْتَ فِي الْقِصَاصِ وَأَذْرَكْتَ سَتَ ذُحُولًا لِمُعْشَرِ أَقْتَالِ⁴
وَكَسَّرْتَ السَّنَّ الصَّحِيحَةَ مِنِّي لَا تُذَلِّلْنَ فَمُنْكَرٌ إِذْ لَالِي
وَقَرَّتْكُمْ مَعَ الْخَنَازِيرِ هَرًّا وَيَمِينِي مَغْلُولَةَ وَشِمَالِي
وَكَلَابًا يَنْهَشُنِي مِنْ وَرَائِي عَجَبَ النَّاسِ مَا لَهُنَّ وَمَا لِي !
وَأَطَلْتُمْ مَعَ الْعُقُوبَةِ سِجْنًا فَكَمْ السَّجْنُ أَوْ مَتَى إِرْسَالِي⁵
يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا صَنَعْتَ وَقَوْلِي رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي
لَوْ قَبِلْتَ الْفِدَاءَ أَوْ رُمْتَ مَالِي قُلْتُ : خُذْهُ فِدَاءَ نَفْسِي مَالِي

1 ل : بني نهد .

2 ديوانه : 185-193 .

3 الديوان : كل شيء .

4 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر والعداوة والحقد . وأقتال : جمع قتل ، وهو الشجاع المقاتل .

5 في الديوان : سجنني .

لو بَغَيْرِي مِنْ مَعْشَرِي لَعِبَ الدَّهْرُ
 كَمْ بَكَانِي مِنْ صَاحِبٍ وَخَلِيلٍ
 لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ الْحَلِيفَ لِلْخَمْرِ
 بَدَلًا مِنْ عِصَابَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ
 الْبَهَائِلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
 وَبَنُو التَّيْمِ تَيْمٌ مُرَّةٌ لَمَّا
 مَنَعُوا الْبَيْتَ بَيْنَ مَكَّةَ ذَا الْحِجْزِ
 وَالْبَهَائِلُ خَالِدٌ وَسَعِيدٌ
 فِي الْأُرُومَاتِ وَالذَّرَى مِنْ بَنِي الْعِيَةِ
 كُنْتُ مِنْهُمْ ، مَا حَرَّمُوا فَحَرَامٌ
 وَذَوُوا الْمَجْدِ مِنْ خِرَاعَةٍ كَانُوا
 خَذَلُونِي وَهُمْ لِذَاكَ دَعَوْنِي
 لَا تَدْعَنِي فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
 حَسْرَتَا إِذْ أَطَعْتُ أَمْرَ غَوَاتِي

رَ لَمَّا دَمَّ نُصْرَتِي وَاحْتِيَالِي
 حَافِظِ الْغَيْبِ حَامِدٍ لِلْخِصَالِ
 وَجُذَامٍ أَوْ طَيْئِ الْأَجْمَالِ¹
 أَسْلَمُونِي لِلْخَصْمِ عِنْدَ النُّضَالِ
 فَضَلُّوا النَّاسَ بِالْعُلَا وَالْفِعَالِ
 لَمَعَ الْمَوْتُ فِي ظِلَالِ الْعَوَالِ
 رَ إِذِ الطَّيْرُ عُكِّفَ فِي الظَّلَالِ
 شَمْسٌ دَجَنٍ وَوُضِّعَ كَالْهَلَالِ
 صَ قُرُومٌ إِذَا تَعَدُّ الْمَعَالِ
 لَمْ يُرَامُوا ، وَجَلُّهُمْ مِنْ حَلَالِ
 أَهْلٍ وَدِّي فِي الْخِصْبِ وَالْإِمْحَالِ
 لَيْسَ حَامِي الذَّمَّارَ بِالْخَذَالِ
 إِنَّ حَبْلَيْكَ مِنْ مَتِينِ الْحِيَالِ
 وَعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلَالِي

وقال يهجو عبَّادَ بن زيادٍ ويذكر سعيد بن عثمان² :

[من المديد]

أَيُّهَا الشَّاتِمُ جَهْلًا سَعِيدًا
 مَا أَبُوكَ مُشَبِّهًا لِأَيِّهِ
 سَادَ عَبَّادٌ وَمُلْكُ جَيْشًا
 إِنَّ عَامًا صِرْتَ فِيهِ أَمِيرًا

وَسَعِيدُ فِي الْحَوَادِثِ نَابُ
 فَاسْأَلُوا النَّاسَ بِذَاكَمُ تُجَابُوا
 سَبَّحْتَ مِنْ ذَاكَ صُمٌّ صِلَابُ
 تَمْلِكُ النَّاسَ لِعَامٍ عَجَابُ

[يمحو هجاءه بأظفاره]

قال : واتصل هجاءه زياداً وولده وهو في الحبس ، فردّه عُبيدُ الله إلى أخيه عبَّادٍ بسجستان ، ووكل به رجلاً ووجههم معه . وكان لما هرب من عبَّادٍ يهجوهُ ويكتب كلَّ ما هجَّاه به على حيطان الخانات ؛ وأمر عُبيدُ الله المُوكِّلِينَ به أن يأخذوه يمحو ما كتبه على الحيطان بأظفيره ، وأمرهم ألا يتركوه يُصَلِّيَ إلَّا إلى قِبلةِ النصارى إلى المشرق . فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات

1 الأجمال في الديوان : الأجمال .

2 ديوانه : 61-63 .

التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء ، أخذوه بأن يمحوه بأظافره ، فكان يفعل ذلك ويحكّه حتى ذهبت أظافره ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عبّاد فحبسه وضيق عليه . قال عمر بن شبة في خبره : فقال ابن مفرغ¹ :

سَرَتْ تَحْتَ أَقْطَاعِ مِنَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ !

ويروى : أَلَا طَرَقْتَنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ

أَصَابَ عَذَابِي اللَّوْنُ فَالْلَوْنُ شَاخِبٌ كَمَا الرَّأْسُ مِنْ هَوْلِ الْمَنِيَةِ أَشِيبُ
قُرْنْتُ بِخَنْزِيرٍ وَهَرٍ وَكَلْبَةٍ زَمَانًا وَشَانَ الْجِلْدَ ضَرْبُ مُشْدَبُ
وَجَرَعْتُهَا صَهْبَاءَ مِنْ غَيْرِ لَذَّةٍ تُصْعَدُ فِي الْجُثْمَانِ ثُمَّ تَصَوَّبُ
وَأُطْعِمْتُ مَا إِنْ لَا يَحُلُّ لَأَكْلٍ وَصَلَّيْتُ شَرْقًا بَيْتُ مَكَّةَ مَغْرِبُ
مِنَ الطِّفِّ مَجْنُونًا إِلَى أَرْضِ كَابِلٍ فَمَلُّوا وَمَا مَلَّ الْأَسِيرُ الْمُعَذَّبُ²
فَلَوْ أَنَّ لَحْمِي إِذْ هَوَى لَعَيْتَ بِهِ كِرَامُ الْمُلُوكِ أَوْ أُسُودُ وَأَذُوبُ
لَهَوْنٌ وَجَدِي أَوْ لَزَادَتْ بَصِيرَتِي وَلَكِنَّمَا أَوَدَتْ بِلَحْمِي أَكْلُبُ
أَعْبَادُ مَا لِلْوَمِ عَنْكَ مُحَوَّلُ وَلَا لَكَ أُمٌّ فِي قُرَيْشٍ وَلَا أَبُ
سَيَنْصُرُنِي مَنْ لَيْسَ تَنْفَعُ عِنْدَهُ رُقَاكَ وَقَرَمَ مِنْ أُمِّيَّةٍ مُصْعَبُ³
وَقُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ : مَا لَكَ وَالِدُ بِحَقٍّ وَلَا يَدْرِي أَمْرُؤُ كَيْفَ تُنْسَبُ

في أوّل هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

أَلَا طَرَقْتَنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ !

وقالت : تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبُنَا فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ !

الغناء لسياط ثاني ثقیل بالوسطی عن الهشامي .

وقالوا جميعاً : فلمّا طال مقامُ ابن مفرغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق ، وقال له : إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق ، ثم اقرأْ هذين البيتين بأرفع ما

1 ديوانه 53-59 .

2 الجنوب : الذي يقاد إلى جنب الفرس . وفي الديوان : مجلوياً .

3 القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

يُمْكِنُكَ مِنْ صَوْتِكَ ، وَكَتَبَهُمَا فِي رُقْعَةٍ ، وَهَمَّا¹ :

[من البسيط]

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً
أَضْحَى دَعْيُ زِيَادٍ فَقَعَ قَرْقَرَةً - يَالْغُجَائِبِ - يَلْهُو بَابِنَ ذِي يَزْنٍ²

فَفَعَلَ الرَّسُولُ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، فَحَمِيَّتِ الْيَمَانِيَّةُ وَغَضِبُوا لَهُ ، وَدَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلُوهُ فِيهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُ ، فَقَامُوا غَضَابًا . وَعَرَفَ مُعَاوِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِمْ ، فَزَدَهُمْ وَوَهَبَهُ لَهُمْ ، وَوَجَّهَهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ خَمَخَامٌ ، وَيُقَالُ : جَهَنَامٌ ، بَرِيدًا إِلَى عِبَادٍ ، وَكُتِبَ لَهُ عَهْدٌ ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِالْحَبْسِ فَيُخْرِجَ ابْنَ مُفَرِّغٍ مِنْهُ وَيُطْلِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ عِبَادُ فِيمَ قَدِمَ فَيَغْتَالَهُ . فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ قُرِبَتْ إِلَيْهِ بَغْلَةٌ مِنْ بَغَالِ الْبَرِيدِ فَرَكِبَهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهَرِهَا قَالَ³ :

[من الطويل]

عَدَسُ مَا لِعِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةً
فَإِنَّ الَّذِي نَجَّيَ مِنَ الْكَرْبِ بَعْدَمَا
أَتَاكَ بِخَمَخَامٍ فَأَنْجَاكَ فَالْحَقِّي
لِعَمْرِي لَقَدْ أَنْجَاكَ مِنْ هُوَّةِ الرَّدَى
سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ
وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُتَعَمِّينَ حَقِيقُ

قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ فِي خَبَرِهِ ، وَوَافَقَهُ لَقِيطُ بْنُ بَكِيرٍ : فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَكَى وَقَالَ : رَكِبْتُ مِنِّْي مَا لَمْ يُرَكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ قَطُّ ، عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا خَلْعَ يَدٍ مِنْ طَاعَةٍ وَلَا جُرْمٍ ، فَقَالَ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

[من الوافر]

أَلَا أَبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ
أَتَغَضَّبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ
فَأَشْهَدُ أَنَّ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ
وَأَشْهَدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ زِيَادًا
مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ
وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ !
كَرَّحِمِ الْفَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ
وَصَخْرٍ مِنْ سُمَيَّةَ غَيْرُ دَانٍ

1 ديوانه : 226-228 .

2 تقدم المثل «فقع قرقرة» .

3 ديوانه : 171-175 .

4 عدس : كلمة لزجر البغلة ، وبها هنا سمي البغلة . وهذا بمعنى الذي .

5 الديوان : طليق الذي . . .

6 الديوان : قضى لك خمخام بأرضك فالحقى . . . لا يؤخذ . . .

فقال : لا والذي عظم حَقُّك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما قُلْتُه ، ولقد بلغني أَنَّ عبد الرحمن بن الحَكَم قاله ونسبه إليَّ . قال : أَفَلَمْ تَقُلْ : [من الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ أُمَّكَ لم تُبَاشِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضِيعَةَ الْقِنَاعِ
ولكن كان أَمْرٌ فِيهِ لَبْسٌ عَلَى وَجَلٍ شَدِيدٍ وَارْتِبَاعٍ
أَوْ لَسْتَ الْقَائِلُ¹ :

إِنَّ زِيَاداً وَنَافِعاً وَأَبَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
إِنَّ رَجَالاً ثَلَاثَةً خُلِقُوا فِي رَحْمِ أُنْثَى مَا كُلُّهُمْ لِأَبٍ²
ذَا قُرْشِيٌّ كَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْلَى ، وَهَذَا بَزْعَمِهِ عَرَبِيٌّ

في أشعار كثيرة قُلتها في هِجَاءِ زِيَادِ وَبَنِيهِ ، اذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِكَ ، وَلَوْ إِنِّيَانَا
تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ ، فَاسْكُنْ أَيَّ أَرْضٍ شِئْتَ . فَاخْتَارَ الْمُوصِلَ فَتَزَلَّهَا ، ثُمَّ ارْتَاحَ
إِلَى الْبَصْرَةِ فَقَدِمَهَا ؛ فَدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ الصَّفْحَ وَالْأَمَانَ ،
فَأَمَّنَّهُ وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَمَّنَهُ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ
أَنَّ نَفْسَكَ لَا تَطِيبُ لِي بِخَيْرٍ أَبَدًا ، وَلِي أَعْدَاءُ لَا آمَنَ سَعِيهِمْ عَلَيَّ بِالْبَاطِلِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ
أَتْبَاعَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ شِئْتَ ؟ فَقَالَ : كَرَمَانَ . فَكُتِبَ لَهُ إِلَى شَرِيكَ بْنِ الْأَعْوَرِ وَهُوَ
عَلَيْهَا بِجَائِزَةٍ وَقَطِيعَةٍ وَكُسُوءَةٍ . فَشَخَّصَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَعَادَ
إِلَيْهَا . هَذِهِ رِوَايَةُ عُمَرَ بْنِ شَبَّةٍ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ فِي رِوَايَتِهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْهَيْثَمِ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ، وَعَنْ الْعَمْرِيِّ ، عَنْ
لَقِيْطٍ : أَنَّ ابْنَ مُفَرَّغٍ لَمَّا طَالَ حَبْسُهُ وَبَلَاؤُهُ ، رَكِبَ طَلْحَةَ الطَّلْحَاتِ إِلَى الْحِجَازِ ، وَلَقِيَ
قُرَيْشًا ، وَكَانَ ابْنُ مُفَرَّغٍ حَلِيفًا لِبَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُمْ طَلْحَةُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ أَخَاكُمْ
وَحَلِيفَكُمْ ابْنَ مُفَرَّغٍ قَدْ ابْتَلَى بِهَذِهِ الْأَعْبُدِ مِنْ بَنِي زِيَادٍ ، وَهُوَ عَدِيدُكُمْ وَحَلِيفُكُمْ وَرَجُلٌ
مِنْكُمْ ، وَوَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ عَافِيَتَهُ عَلَى يَدَيِ دُونِكُمْ ، وَلَا أَفُوزُ بِالْمَكْرَمَةِ فِي أَمْرِهِ
وَتُخَلَّوْا مِنْهَا ، فَانْهَضُوا مَعِيَ بِجَمَاعَتِكُمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدْ تَحَرَّكُوا
بِالشَّامِ . فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ ، وَعُمَرُ بْنُ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَوَجْهٌ خَزَاعَةٌ وَكُنَانَةٌ وَخَرَجُوا إِلَى يَزِيدٍ ، فَتَبَيَّنَا هُمْ يَسْمُرُونَ³ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ

1 ديوانه : 79 .

2 الديوان : مخالف في النسب .

3 ل : يسمرون .

سَمِعُوا رَاكِبًا يَتَغَنَّى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ يَقُولُ ابْنُ مُفَرِّغٍ وَيَقُولُ¹ :

[من الخفيف]

إِنَّ تَرْكِي نَدَى سَعِيدِ بْنِ عُثْمَا نَ بْنَ عَقَّانَ نَاصِرِي وَعَدِيدِي²
وَاتَّبَاعِي أَخَا الضَّرَاعَةِ وَاللُّؤَى مَ لِنَقْصٍ وَفَوْتُ شَأْوٍ بَعِيدِ
قُلْتُ وَاللَّيْلِ مُطَبِّقٌ بَعْرَاهُ : لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ تَرْكِ سَعِيدِ
لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ تَرْكِ أَخَا النَّجْدِ دةَ وَالْحَزْمِ وَالْفَعَالِ السَّدِيدِ
عَبْشَمِي أَبُوهُ عَبْدُ مَنَافٍ فَازَ مِنْهَا بِتَاجِهَا الْمَعْقُودِ
ثُمَّ جُودٌ لَوْ قِيلَ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ قُلْتُ لِلْسَّائِلِينَ : مَا مِنْ مَزِيدٍ³
قُلْ لِقَوْمِي لَدَى الْأَبَاطِحِ مِنْ آ لَ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ ذِي الْجُودِ
سَأَمَنِي بَعْدَكُمْ دَعَايُ زِيَادٍ خُطَّةُ الْغَادِرِ اللَّثِيمِ الزَّهِيدِ⁴
كَانَ مَا كَانَ فِي الْأَرَاكِ وَاجِدَ بَ بَيْرِزٍ سَنَامَ عَيْسَى وَجِيدِي
أَوْغَلَ الْعَبْدُ فِي الْعُقُوبَةِ وَالشَّدِّ سَ وَأَوْدَى بَطَارِفِي وَتَلِيدِي
فَارْحَلُوا فِي حَلِيفِكُمْ وَأَخِيكُمْ نَحْوَ غَوْتِ الْمُسْتَصْرِخِينَ يَزِيدِ
فَاطْلُبُوا النِّصْفَ مِنْ دَعَايُ زِيَادٍ وَسَلُونِي بِمَا أَدْعَيْتُ شُهُودِي⁵

قال : فدعا القوم بالراكب فقالوا له : ما هذا الذي سمعناه منك تغني به ؟ فقال : هذا قول رجل والله إن أمره لعجب ، رجل ضائع بين قریش واليمن ، وهو رجل الناس ؛ قالوا : ومن هو ؟ قال : ابن مفرغ ؛ قالوا : والله ما رحلنا إلا فيه وانتسبوا له . فضحك وقال : أفلا أسمعكم من قوله أيضاً ؟ قالوا : بلى ، فأنشدهم قوله⁶ :

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَوْ كَانَ الْأَسِيرُ ابْنَ مَعْمَرٍ وَصَاحِبَهُ أَوْ شِكْلَهُ ابْنَ أُسَيْدِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ نَالُوا أُمِّيَّةً أَرْقَلْتُ بِرَاكِبِهَا الْوَجَنَاءُ نَحْوَ يَزِيدِ
فَأَبْلَغْتُ عَذْرَاءً فِي لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ وَأَتْلَفْتُ فِيهِمْ طَارِفِي وَتَلِيدِي

1 ديوانه : 109-112 .

2 الديوان : فتى الجود ناصري وعديدي .

3 الديوان : ثم جود لو قيل : فيه مزيد ؟

4 الديوان : سنَامَ عَيْسَى : أي ذروة ما فيه من رغد وهناء .

5 النصف : الانصاف .

6 ديوانه : 113-116 .

فإن لم يُغَيِّرْهَا الإمامُ بِحَقِّهَا عَدَلْتُ إِلَى شَمِّ شَوَامِخَ صَيْدٍ
فَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً يَمْنِيَّةً كَمَا كَانَ آبَائِي دَعَا وَجْدُودِي
وَدَافَعْتُ حَتَّى أُبَلِّغَ الْجَهْدَ عَنْهُمْ دِفَاعَ امْرِئٍ فِي الْخَيْرِ غَيْرَ زَهِيدٍ
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا عِنْدَ ظَنِّي بِنَصْرِكُمْ فَلَيْسَ لَهَا غَيْرُ الْأَغْرِ سَعِيدٍ
بِنَفْسِي وَأَهْلِي ذَاكَ حَيًّا وَمَيِّتًا نُضَارٌّ وَعُودُ الْمَرْءِ أَكْرَمُ عُودٍ
فَكَمْ مِنْ مَقَامٍ فِي قَرِيشٍ كُفَيْتُهُ وَيَوْمَ يُشِيبُ الْكَاعِبَاتِ شَدِيدٍ
وَحَصْمٍ تَحَامَاهُ لُؤْيُ بْنُ غَالِبٍ شَبَّيْتُ لَهُ نَارِي فَهَابَ وَقُودِي
وَخَيْرٍ كَثِيرٍ قَدْ أَفَاتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ رُقُودٌ أَوْ شَيْبُهُ رُقُودٍ

قال : فاسترجع القوم لقوله وقالوا : والله لا نغسل رؤوسنا في العرب إن لم نغسلها بفكّه . فأغذ القوم السير حتى قدموا الشام .

[قدوم اليمانية على يزيد]

وبعث ابن مفرغ رجلاً من بني الحارث بن كعب ، فقام على سور حمص ، فنادى بأعلى صوته الحصين بن نمير ، وكان والي حمص ، بهذه الأبيات وكان عظيم الجبهة : [من البسيط]

أُبَلِّغُ لَدَيْكَ بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً عَصَّتْ بِأَيْرِ أَبِيهَا سَادَةُ الْيَمَنِ
أُمْسَى دَعْيُ زِيَادٍ فَفَقَعَ قَرْقَرَةً يَا لِلْعَجَائِبِ يَلْهُو بَابِنِ ذِي يَزَنِ !
وَالْحَمِيرِيُّ طَرِيحٌ وَسُطٌّ مَزْبَلَةٌ هَذَا لَعَمْرُكُمْ غَبْنٌ مِنَ الْغَبَنِ
وَالْأَجْبَةُ ابْنُ نُمَيْرٍ فَوْقَ مَقْرَشِهِ يَدْنُو إِلَى أَحْوَرِ الْعَيْنَيْنِ ذِي غُنَنِ¹
قَوْمُوا فَقُولُوا : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا حَقٌّ عَلَيْكَ وَمَنْ لَيْسَ كَالنَّيْنِ
فَاكْشَفْ دَعْيَ زِيَادٍ عَنْ أَكْرَمِنَا مَاذَا يُرِيدُ عَلَى الْأَحْقَادِ وَالْإِخَنِ

فاجتمعت اليمانية إلى حصين ، فعبروه بما قاله ابن مفرغ . فقال الحصين : ليس لي رأي دون يزيد بن أسد ومخرمة بن شرحبيل ، فأرسل إليهما ، فاجتمعا في منزل الحصين ، فقال لهما الحصين : اسمعا ما أهدى إلي شاعرُكم وقاله لكم في أخيكُم ، يعني نفسه ، وأنشدهم ، فقال يزيد بن أسد : قد جئتمكم بأعظم من هذا ، وهو قوله : [من الطويل]

وَمَا كُنْتُ حَجَّامًا وَلَكِنْ أَحَلَّنِي بِمَنْزِلَةِ الْحَجَّامِ نَائِي عَنِ الْأَصْلِ
فَقَالَ الْحَصِينُ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَاحِبِنَا مَرَّتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّهُ هَرَبَ

1 الأَجْبَةُ : العظيم الجبهة ، وهو الحصين بن نمير .

إليه فلم يُجِرْهُ ، وأخرى أنه أمرَ بعذابه غير مراقِبٍ لنا فيه . وقال يزيد بن أسد : إني لأظنَّ أن طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابت مفرغ ، ولقد تطلّع من نفسي شيء ، لَمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ منه . وقال مخرمة بن شُرْحَبِيل : أيها الرجالان ، اعقلا فإنه لا معاوية لكما ، واعرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة ، فاقصدا التضرع . فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية ، وقد سبقهم الرجل ، فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق ، فنارت اليمانية وتكلموا ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقدم وفد القُرَشِيِّين في أمره مع طلحة الطلحات ، فسبقوا القُرَشِيِّين ، ودخلوا على يزيد بن معاوية ، فتكلم الحصين بن نمير ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أتاها ابن زياد إلى صاحبنا لا قرارَ عليه ، وقد سامنا عبيدُ الله وعبادُ خطّة خسف ، وقلدنا قِلادة عار ، فأنصف كريمنا من صاحبه ، فوالله لئن قدرنا لنغفون ، ولئن ظلمنا لننتصرن . وقال يزيد بن أسد : يا أمير المؤمنين ، إنا لو رضينا بمثلية ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه ، لم يرضَ الله عزّ ذكره بذلك . ولئن تقرّنا إليك بما يسخطُ الله ليُباعِدنا الله منك ، وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرُبها ، وما أدري متى يقع ، وكلّ نائرة¹ تقدح في الملك ، وإن صغرت لم يؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خير من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنفٍ لا يُجدع ، ويد لا تُقطع ، فأنصفنا من ابني زياد .

وقال مخرمة بن شُرْحَبِيل ، وكان مثالها عظيم الطاعة في أهل اليمن : إنه لا يد تحجزك عن هواك ، ولو مثلت بأخينا وتوليت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يُعَاتبك فيه مُعَاتِب ، ولكن ابني زياد استخفانا بما يثقل عليك من حقنا ، وتهاونا بما تُكرِّمه منا ، وأنت بيننا وبين الله ، ونحن بينك وبين الناس ، فأنصفنا من صاحبك ، ولينفعنا بلاؤنا عندك .

فقال يزيد : إن صاحبكم أتى عظيمًا ؛ نفى زيادًا من أبي سُفْيَان ، ونفى عبادًا وعبيدَ الله من زياد ، وقلدهم طوقَ الحمامة² ، وما شجّعهُ على ذلك إلا نسبه فيكم ، وحلفه في قريش ، فأما إذ بلغ الأمر ما أرى ، وأشفى³ بكم على ما أشفى ، فهو لكم ، وعلي رضاكم .

قال : وانتهى القُرَشِيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيين : قد أتتكم بُرى الذهب من أهل العراق ، فدخلوا وسلّموا والغضبُ يتبين في وجوههم ، فظنَّ يزيدُ الظنون ،

1 النائرة : العداوة والشحناء .

2 انظر المثل «تقلدها طوق الحمامة» في مجمع المياداني 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 255 ومستقصى الزمخشري 2 : 30 .

3 أشفى : أشرف .

وقال لهم : ما لكم ؟ انفتق فتق أو حدث حدث فيكم ؟ قالوا : لا ، فسكن .

فقال طلحة الطلحات : يا أمير المؤمنين ، أما كفى العرب ما لقيت من زياد ، حتى استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها ، ويغضونك إليها ؟ إن عبيد الله وأخاه أتيّا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك ، فأصيفنا منهما إنصافاً تعلم العرب أن لنا منك خلفاً من أبيك ؛ فوالله ، لقد خبأ لك فعلهما خبيئاً عند أهل اليمن لا نحمده لك ، ولا تحمده لنفسك .

وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن زياداً ربي في شر جبر ، ونشأ في أحبب نساء ، فاثبت نصابه في قريش ، وحملتموه على رقاب الناس ، فوثب ابنه على أخينا وحليفنا وحليفك ، ففعلا به الأفاعيل التي بلغتك ، وقد غصبت له قريش الحجاز ويمن الشام ممن لا أحب والله لك غضبه ، فأصيفنا من ابني زياد .

وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه وقال : والله يا أمير المؤمنين لا أحط رجلي ، ولا أخلع ثياب سفري ، أو تنصيفنا من ابني زياد ، أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا ، ووصلت ابني زياد بقطعتنا ، وحكمت بغير الحق لهما علينا .

وقال ابن معمر : يا أمير المؤمنين ، إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك ، ورمى عن جمره أهلك ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حياً لم يرض به ، وهذا رجل له شرف في قومه ، وقد نفرأ له نفرة لها ما بعدها ، فأعيتهم وأنصيف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عز وجل .

[يزيد يطلق ابن مفرغ]

فقال يزيد : مرحباً بكم وأهلاً ، والله لو أصابه خالد ابني بما ذكرتم لأنصفته منه ، ولو رحلتهم في جميع ما تحيط به العراق لوهبتكم لكم ، وما عندي إلا إنصاف المظلوم ؛ ولكن صاحبكم أسرف على القوم . وكتب يزيد ببناء داره ، ورد ماله وتخليه سبيله ، وألاً إمرة لأحد من بني زياد عليه ؛ وقال : لولا أن في القود بعدما جرى منه فساداً في الملك لأقدته من عباد .

وسرح يزيد رجلاً من حمير يقال له خمخام ، وكتب معه إلى عباد بن زياد : نفسك نفسك ؛ وأن تسقط من ابن مفرغ شجرة فأقيدك والله به ، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيري عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأخرجه .

قالوا : فلمّا دخل على يزيد قال له : يا أمير المؤمنين ، اختر مني خصلة من ثلاث خصال ، في كلّها لي فرج ، إمّا أن تُقيدني من ابن زياد ، وإمّا أن تخلي بيني وبينه ، وإمّا أن تُقدمني فتضرب عنقي .

فقال له يزيد : قُبِحَ اللهُ ما اخترته وخيَّرْتَنِيهِ ؛ أَمَّا القَوْدُ من ابن زياد فما كنتَ لأفِيدَكَ من عامل كان عليك ، ظلمته وشتَمَ عِرْضَهُ وعِرْضِي معه ، وأَمَّا التَّخْلِيَةُ بينك وبينه فلا ، ولا كرامة ، ما كنتَ لأُخْلِيَ بينك وبين أهلي تقطعُ أعراضَهُم ، وأَمَّا ضَرْبُ عُنُقِكَ ، فما كنتُ لأضربَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكنِّي أفعُلُ ما هو خير لك مما اخترته لنفسك ؛ أعطيك دِيَّتَكَ ، فإنهم قد عرَّضوك للقتل ، وأكفَفَ عن ولدِ زياد ، فلا يبلُغني أنك ذكرتَهُم ، وانزلِ أيَّ البلاد شئتَ . وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ابن مفرَّغ يعتذر لابن زياد]

فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله ، ثم خرَجَ ذات يوم يتصَيَّد ، فلَقِيَ دِهْقَاناً على حمارٍ له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق . قال : من أيها ؟ قال : من البصرة ، ثم من الأهواز . قال : فما فعل المِسْرُقَان¹ ؟ قال : على حاله ، قال : أفتَعْرِفُ أناهيْدَ بنت أعنق ؟ قال : نعم ؛ قال : ما فعلت ؟ قال : على أحسن ما عَهِدْتُ . قال : فضرَبَ بِرِذْوَنَه وسار حتى أتى الأهواز ، ولم يعلم أهله ولا غيرهم بمسيره . ثم أتى عُبَيْدُ الله بن زياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمان فأمنه ، ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور فكتب له ووصله . وخرج فأقام بكرَّمان حتى غلب ابنُ الزُّبَيْرِ على العراق ، وهرب ابنُ زياد وكان أهلُ البصرة قد أجمعوا على قتله ، فخرج عن البصرة هارباً ، فعاد ابن مفرَّغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بني زياد ، فقال يذكر هرب عُبَيْدِ الله وترَكه أمه بقوله² :

[من الكامل]

أَعْبَيْدُ هَلَّا كُنْتَ أَوَّلَ فَارِسٍ	يوم الهياج دعا بِحَتْفِكَ دَاعٍ ³
أَسْلَمْتَ أُمِّكَ والرَّمَا حُ تَنَوَّشُهَا	يا لَيْتَنِي لك ليلة الإِفْزَاعِ ⁴
إِذ تَسْتَغِيثُ وما لِنَفْسِكَ مانِعٌ	عَبْدٌ تَرُدُّهُ بَدَارِ ضِيَاعٍ
هَلَّا عَجُوزُكَ إِذْ تُمَدُّ بِثَدْيِهَا	وتَصِيحُ أَلَّا تَنْزِعَنَّ قِنَاعِي
أَنْقَذْتَ مِنْ أَيْدِي الْعُلُوجِ كَأَنَّهَا	رَبْدَاءُ مُجْفِلَةٌ يَبْطُنُ الْقَاعِ ⁵

1 المِسْرُقَان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى .

2 ديوانه : 159-165 .

3 بحتفك في الديوان : لحينك .

4 تنوشها في الديوان : شوارع .

5 الربداء : السوداء أو التي بلون الرماد .

فركبت رأسك ثم قلت : أرى العدا
فأنجي بنفسك وابتغي نفقا فما
ليس الكريم بمن يخلف أمه
حذر المنيّة والرّماح تنوشه
متأبطاً سيفاً عليه يلمق
لا خير في هذر يهز لسانه
لابن الزبير غداة يذمر منيراً
وأحق بالصبر الجميل من امرئ
جعّد اليدين عن السّماحة والنّدى
كم يا عبيد الله عندك من دم
ومعاشير أنف أبحت حريمهم
اذكر حسينا وابن عروة هائلاً
وقال أيضاً يذكر هربه⁷ :

أقر بعيني أنه عاق أمه
وقال : عليك الصبر كوني سبيّة
وقد هتفت هند : بماذا أمرتني ؟
فقال : أقصدي للأزد في عرصاتها
أخاف تميماً والمسالخ دونها
دعته فولاًها استه وهو يهرّب
كما كنت أو موتي ؛ فذلك أقرب
إني لي وحدّني إلى أين أذهب ؟⁸
ويكر فما إن عنهم متجنّب
ونيران أعدائي عليّ تلهّب⁹

[من الطويل]

1 فركبت رأسك في الديوان : فليست سمعك .

2 الجعجاع : الموطن الضيق الخشن .

3 الكراع : الخيل .

4 اليلق : القباء المحشو .

5 يذمر : يهدد ويحض على القتال .

6 كز الأنامل : كناية عن البخل .

7 ديوانه : 64-71 .

8 هند : امرأة عبد الله بن زياد .

9 المسالخ : مواضع السلاح .

وَوَلَّى وَمَاءَ الْعَيْنِ يَغْسِيلُ وَجْهَهَا
بِمَا قَدَّمْتَ كَفَّاكَ لَا لَكَ مَهْرَبٌ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ جَرَزْتَ جَرِيرَةً
وَمِنْ حُرَّةٍ زَهْرَاءَ قَامَتْ بِسُحْرَةٍ
فَصَبْرًا عُبَيْدُ ابْنِ الْعَبِيدِ فَإِنَّمَا
وَذُقْ كَالَّذِي قَدْ ذَاقَ مِنْكَ مَعَاشِيرُ
فَلَوْ كُنْتَ حُرًّا أَوْ حَفِظْتَ وَصِيَّةً
وَقَاتَلْتَ حَتَّى لَا تُرَى لَكَ مَطْمَعًا
وَقُلْتَ لِأُمِّ الْعَبْدِ أُمُّكَ : إِنَّنِي
وَلَكِنْ أَبِي قَلْبٌ أُطِيرَتْ بَنَاتُهُ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا⁵ :

[من الوافر]

أَلَا أُبْلِغُ عُبَيْدَ اللَّهِ عَنِّي
عَلَيَّ لَكُمْ قَلَائِدُ بَاقِيَاتٍ
تَدْعِيَتِ الْخَضَارِمَ مِنْ قُرَيْشٍ
أَبْنُ لِي هَلْ يَثْرِبُ زَنْدٌ وَرَدٌ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا⁹ :

[من الوافر]

عُبَيْدُ اللَّهِ عَبْدُ بَنِي عِلَاجٍ
أَعْبَدَ الْحَارِثَ الْكِنْدِيَّ أَلَا
كَذَاكَ نَسَبُهُ وَكَذَاكَ كَانَا
جَعَلْتَ لِأَسْتِ أُمُّكَ دَيْدَبَانَا¹⁰

1 يتأوب : يرجع .

2 الديوان : ولو كنت صلب العود أو ذا حفيظة .

3 مذهب : مدافع .

4 بناته في ل : ثيا به . وآل ميسان : النبط سكان السواد .

5 ديوانه : 87-88 .

6 يسمى آل زياد عبيد بني عِلَاجٍ لأن زياداً ولد على فراش مولى لهم .

7 الخضارم : جمع خضرم ، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء .

8 زند ورد : بلد قرب واسط . والعجاج : رعاع الناس .

9 ديوانه : 221-222 .

10 الحارث : هو الحارث بن كلدة . والديديان : الرقيب .

فَتَسْتُرُ عَوْرَةَ كَانَتْ قَدِيمًا وَتَمْنَعُ أُمِّكَ النَّبْطَ الْبَطَانَا
 وَقَالَ يَهْجُو عَبْدُ اللَّهِ وَعَبَادًا ، أَنَشَدَنَاهُ جَمَاعَةً ، مِنْهُمْ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ ، عَنْ
 دِمَازٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَهَذَا مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٌ أَوَّلُهَا¹ : [من الوافر]

جَرَتْ أُمُّ الطُّبَاءِ بَيْنَ لَيْلَى وَكُلِّ وَصَالٍ حَبْلٍ لَانْقِطَاعِ
 يَقُولُ فِيهَا :

وَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ أَيَّامٍ بُؤْسٍ وَلَا أَمِيرٍ يَضِيقُ بِهِ ذِرَاعِي
 وَلَمْ تَكُ شَيْمَتِي عَجْزًا وَلَوْ مَاءً وَلَمْ تَكُ شَيْمَتِي عَجْزًا وَلَوْ مَاءً
 سِوَى يَوْمِ الْهَجِينِ وَمَنْ يُصَاحِبُ لَقَامَ النَّاسِ يُغْضِرُ عَلَى الْقَذَاعِ²
 بَكَفِّي إِذْ تُتَارَعُنِي مَتَاعِي كَذَاكَ دَوَاوُنَا وَجَعُ الصُّدَاعِ
 لِبَاشَرِ أُمِّ رَأْسِكَ مَشْرِفِي هُبِلَتْ وَأَنْتَ زَائِدَةُ الْكِرَاعِ³
 أَفِي أَحْسَانِنَا تُزْرِي عَلَيْنَا تَبَغَّيْتَ الذَّنُوبَ عَلَيَّ جَهْلًا
 فَمَا أَسْفِي عَلَى تَرْكِي سَعِيدًا جُنُونًا مَا جُنُنْتَ ابْنَ اللَّكَاعِ
 تَنَایَا الْوَبْرَ عَبْدَ بَنِي عِلَاجِ وَإِسْحَاقَ بْنَ طَلْحَةَ وَاتَّبَاعِي
 إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدِ عُبَيْدَةَ فَقَعْ قَرْقَرَةً بِقَاعِ⁴
 فَأَيَّرَ فِي اسْتِ أُمِّكَ مِنْ أَمِيرٍ وَوَدَّعَ أَهْلُهَا خَيْرَ الْوَدَاعِ
 وَلَا بُلْتُ سَمَاوُكَ مِنْ أَمِيرٍ كَذَاكَ يَقَالُ لِلْحَمَقِ الْبِرَاعِ⁵
 أَلَمْ تَرِ إِذْ تُحَالِفُ حِلْفَ حَرْبٍ فَيْئَسَ مُعَرَّسُ الرِّكْبِ الْجِيَاعِ⁶
 وَكَدْتَ تَمُوتُ أَنْ صَاحَ ابْنُ أَوَى عَلَيْكَ غَدَوَاتٍ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
 وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ وَمِثْلُكَ مَاتَ مِنْ صَوْتِ السَّبَاعِ
 أُضِغْتَ وَكُلُّ أَمْرِكَ لِلضِّيَاعِ

1 ديوانه : 150-157 وأول القصيدة فيه :

أَنَّ غَتَّ حَمَامَةَ بَطْنِ وَادٍ حَمَامًا جَاءَ مِنْ طَرَفِ الْيَفَاعِ

2 القذاع : الفحش والمشاتمة .

3 زائدة الكراع : ما دون الكعب من الدابة . والكراع من كل شيء طرفه . وأكراع الناس : السفلة .

4 تقدم هذا المثل .

5 البراع : الجبان .

6 المعرس : مكان النزول . يدعو عليه بالجذب .

إذا أودى معاويةً بنُ حَرْبٍ فبشّرْ شَعْبَ قَعْبِكَ بانصداع
فأشهدُ أنَّ أُمِّكَ لم تُبَاثِرْ أبَا سُفْيَانَ واضعةَ القِنَاعِ
ولكن كانَ أُمراً فيه لَبْسٌ على عَجَلٍ شديدٍ وارْتِياعِ

قال : وكان عباد في بعض حروبه ذات ليلة نائماً في عسكره ، فصاحت بنات آوى ،
فثارت الكلابُ إليها ، ونفر بعضُ الدّوابِّ ففرع عباد وظنّها كَيْسَةً من العدوِّ ، فركب فرسه
ودهِش ، فقال : افتحوا سيفي ، فعبّره بذلك ابن مفرّغ . ومّا قاله ابن مفرّغ في هجاء بني
زياد وغنّي فيه ¹ :

صوت

كم بالدُّروبِ وأرضِ الهندِ من قَدَمٍ ومن جَمَاجِمِ قَتلى ما هُم قُبُروا²
ومن سَرابيلِ أبطالٍ مُضَرَّجَةٍ ساروا إلى الموت ما خاموا ولا ذُعُروا³
بقُنْدُهاَرٍ ومَنْ تُحْتَمُ مَنِيَّتُهُ بقُنْدُهاَرٍ يُرْجَمُ دُونَهُ الخَبِرُ
غنّي في هذه الأبيات ابنُ جامع .

أَجَدَّ أَهْلُكَ ، لا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ مِنّا ولا منهم عَيْنٌ ولا أَثَرٌ
ولم تَكَلِّمْ قُرَيْشٍ فِي حَلِيفِهِمْ إِذْ غَابَ أَنْصَارُهُ بِالشَّامِ واحْضُرُوا
لو أَنَّنِي شَهِدْتَنِي حِمِيرٌ غَضِيبٌ إِذَا فَكَانَ لَهَا فِيمَا جَرَى غَيْرُ
رَهْطُ الْأَغَرِّ شَرَاخِيلِ بْنِ ذِي كَلْعٍ وَرَهْطُ ذِي فَائِشٍ مَا فَوْقَهُمْ بَشَرُ
قُولَا لَطْلَحَةَ مَا أَغْنَتْ صَحِيفَتَكُمْ وَهَلْ لَجَارِكَ إِذْ أَوْرَدْتَهُ صَدْرُ
فَمَنْ لَنَا بِشَقِيقٍ أَوْ بِأَسْرَتِهِ وَمَنْ لَنَا بَيْنِي ذَهْلٌ إِذَا خَطَرُوا !
هُمُ الَّذِينَ سَمَوْا وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ وَالنَّاسُ عِنْدَ زِيَادٍ كُلُّهُمْ حَلِزُ
لَوْلَاهُمْ كَانَ سَلَامٌ بِمَنْزِلَتِي أَوَّلَى لَهُمْ ثُمَّ أَوَّلَى بَعْدَمَا ظَفَرُوا

أخبرني محمد بن خلف ، عن أبي بكر العامري ، عن إسحاق بن محمد ، عن القَحْذَمِيِّ
قال : هجا سلامَ الرَّافِعِيِّ مُقَاتِلَ بْنَ مِسْمَعٍ فقال فيه :

أَبِي لَكَ يَا ذَا الْمَجْدِ أَنَّ مُقَاتِلًا زَنَى وَاسْتَحَلَّ الْفَارِسِيَّ الْمُشْعَشَعَا⁴

1 ديوانه : 120-126 .

2 الديوان : كم بالجروم .

3 خاموا : ذعروا .

4 الفارسي المشعشع : الخمر .

في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة¹ . فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس فأخرجه ؛ فضرَب به ابن مفرغ المثل في الشعر الماضي .
أخبرني محمد بن خلف بن المزيان ، قال : حدَّثني أبو عبد الله اليماني ، قال : حدَّثنا الأصمعي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : قال لي عبيد الله بن زياد : ما هُجيتُ بشيءٍ أشدَّ عليَّ من قول ابن مفرغ² :

فكَّرْ ، ففي ذاك إن فكَّرتَ مُعْتَبِرٌ هل نلتَ مكرمةً إلا بتأمير !
عاشتَ سُميَّةً ما تدرِي وقد عَمَرْتَ أن ابنها من قُريشٍ في الجَماهير³
وروى اليزيدي في روايته عن الأحول : قال أبو عبيدة : كان زياد يزعم أن أمه سُميَّة بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مائة بن تميم ، فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه⁴ : [من الوافر]

فأقسِم ما زيادٌ من قُريشٍ ولا كانت سُميَّةً من تميم
ولكن نسلُ عَبدٍ من بَغيٍّ عريقِ الأصلِ في النَّسبِ اللَّييمِ
أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ قال : أنشدني أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأبنة⁵ :

أبلغ قُريشاً قَضَها وقَضِيضَها أهلَ السَّماحةِ والحُلومِ الرَّاجِحَةِ
أنِّي ابتليت بحَيَّةٍ ساوَرْتُهُ بيدٍ لَعَمري لم تَكُنْ لي رابِحَةِ⁶
صَفَقَ المُبْخَلُ صَفْقَةً ملعونةً جرَّتْ عليه من البَلايا فادِحَةِ
شَتانَ مَنْ بطحاء مَكَّةَ دارُهُ وبنو المُضَافِ إلى السُّباحِ المالحَةِ
جَعَدْتُ أَنامِلُهُ ولأَمِ نِجارُهُ وبذاك تُخَيِّرُنا الظُّباءُ السانِحَةِ⁷
فإذا أُميَّةٌ صَلَّصَتْ أحسابُها فبنو زياد في الكلابِ النَّابِحَةِ
قالوا : يُنَاكُ ، فقلتُ : في جَوْفِ اسْتِهِ وبذاك خَبَرَنِي الصَّدوقُ الفاضِحَةِ

1 العربة : موضع .

2 ديوانه : 140 .

3 الديوان : وما علمت .

4 ديوانه : 206 .

5 ديوانه : 90-91 .

6 الحية تذكر وتوث .

7 لام نجاره : لوم أصله .

لم يبقَ أيرُّ أسودُ أو أبيضُ إلا له استك في الخلاء مصافحة
[هجا عبيد الله بعد مقتله]

وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : لما قُتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب ، قَتَلَهُ أصحابُ المختار بن أبي عبيد ويقال : إن إبراهيم بن الأَشتر حل على كتيبته فانهزموا ؛ ولَقِيَ عبيد الله فضرِبَه فقتله ، وجاء إلى أصحابه فقال : إني ضربت رجلاً فقد دُثِرَ نصفين فشرقت يداه وغربت رجلاه ، وفاح منه المسك ، وأظنه ابن مرجانة ، وأوما لهم إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ، فقال ابن مفرغ يهجو¹ :

إن الذي عاش ختاراً بذمته وعاش عبداً قتيلاً الله بالزأب²
العبد للعبد لا أصل ولا طرف ألوت به ذات أظفار وأنياب
إن المنايا إذا ما زرن طاعة هتكن عنه ستوراً بين أبواب
هلاً جموع نزار إذ لقيتهم كنت امرأة من نزار غير مرتاب
لا أنت زاحمت عن ملك فتمنعه ولا مددت إلى قوم بأسباب
ما شق جيب ولا ناحتك نائحة ولا بكتك جيداً عند أسلاب
لا يترك الله أنفاً تعطسون بها بني العبيد شهوداً غير غياب
أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي³

والقصيدة المذكورة بها غناء فيه منها ، وقال⁴ :

حي ذا الزور وانته أن يعودا إن بالباب حارسين قعودا
من أساوير ما ينون قياماً وخلاخيل تذهل المولودا⁵
وطماطيم من مشايخ جون ألبسوني مع الصباح قيودا⁶

1 ديوانه : 81-84 .

2 ختار : غادر .

3 الكودن : البرذون الهجين . والكابي : المنكب على وجهه .

4 ديوانه : 100-104 .

5 الأساوير : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس أو الجيد الرمي بالسهم . والخلاخيل : يريد بها القيود في رجله .

6 الطماطيم : الأعاجم الذي لا يفصحون . والجون : السود . وفي الديوان : «وطماطيم من سبايج غتم» . والسبايج قوم من السند كانوا بالبصرة حراس سجون . والغتم : الذين في منطلقهم عجمة .

أَيَّ بِلَوَى مَعِيشَةٍ قَدْ بَلَوْنَا فَتَنَعْنَا وَمَا رَجَوْنَا خُلُودًا
 وَدَهْوَرٍ لَقَيْنَا مُوجِعَاتٍ وَزَمَانٍ يُكْسِرُ الْجَلْمُودَا
 فَصَبَرْنَا عَلَى مَوَاطِنَ ضَيْيقٍ وَخَطُوبٍ تُصَيِّرُ الْبَيْضَ سُودَا
 ظَلَّ فِيهَا النَّصِيحُ يُرْسِلُ سِرًّا لَا تُهَالِنُ إِنْ سَمِعْتَ الْوَعِيدَا
 أَفَانَسَ مَا هَكَذَا صَبْرُ إِنْسٍ أَمْ مِنَ الْجَنِّ أَمْ خُلِقْتُ حَدِيدَا
 لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصَّبِّ حِمْيَرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدَا¹
 يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنَنِي أَنْ أَحِيدَا

قال : وهي قصيدة طويلة .

وتمثل الحسين بن علي صلوات الله عليه ، بهذين البيتين لما خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد :

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصَّبِّ حِمْيَرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدَا
 يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنَنِي أَنْ أَحِيدَا

حدثني أحمد بن عيسى أبو موسى العجلي الطار بالكوفة قال : حدثني الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا عمر بن سعيد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعيد المقبري قال : والله لرأيت حسينا عليه السلام وهو يمشي بين رجلين ، يعتمد على هذا مرة ، وعلى هذا مرة ، حتى دخل المسجد وهو يقول :

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ . . . البيتين .

قال : فقلت عند ذلك إنه لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج ، فما لبث أن خرج ، فلحق بمكة ، فلما خرج من المدينة قال : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَعِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾² . ولما توجه نحو مكة قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾³ .

[أعطاه مروان وكساه فمده]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني علي بن

1 الديوان : في وضع الصبح . والشعر والشعراء : في غلس الليل .

2 سورة القصص ، الآية : 21 .

3 سورة القصص ، الآية : 22 .

الصَّبَاح ، عن ابن الكلبي قال : لَمَّا قَدِمَ ابْنُ مَفْرُغٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ مَعَ خَمَخَامِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَيْهِ ، فَاتَّزَعَهُ مِنْ عِبَادِ بْنِ زِيَادٍ ، نَزَلَ عَلَى مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَهُوَ يَوْمئِذٍ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، فَأَعْطَاهُ وَكَسَاهُ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَاسْتَرْفَدَ لَهُ كُلَّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ ابْنُ مَفْرُغٍ يَمْدَحُهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ¹ :

وَأَقَمْتُمْ سُوقَ الثَّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الثَّنَاءِ تُقَامُ فِي الْأَسْوَاقِ
فَكَأَنَّمَا جَعَلَ إِلَالَهُ إِلَيْكُمْ قَبْضَ النَّفُوسِ وَقِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ

[ذكره بنات الدمقان في شعره]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازٌ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ ابْنُ مَفْرُغٍ يَهْوَى أَنَاهِيدَ بِنْتَ الْأَعْنَقِ ، وَكَانَ الْأَعْنَقُ دِهْقَانًا مِنَ الْأَهْوَازِ ، لَهُ مَا بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَسُرَّقٍ وَمَنَازِيرِ وَالسُّوسِ ، وَكَانَ لَهَا أَخَوَاتٌ يُقَالُ لهنَّ : أَسْمَاءُ وَالْجَمَانَةُ ، وَأُخْرَى قَدْ سَقَطَ اسْمُهَا عَنْ دِمَازٍ ، فَكَانَ يَذْكُرُهُنَّ جَمِيعًا فِي شِعْرِهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي صَاحِبَتِهِ أَنَاهِيدَ مِنْ أُبَيَاتٍ² :

سِيرِي أَنَاهِيدُ بِالْعَبْرَيْنِ آمَنَةً قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ طَبْعُ³
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ مَعَشَرًا جُبْنًا وَلَا سَقَى دَارَهُمْ قَطْرًا وَلَا رُبْعًا
السَّارِقِينَ إِذَا جَاعُوا نَزِيلَهُمْ وَالْأَخْيَيْنِ بَطُونًا كُلَّمَا شَبِعُوا
لَا تَأْمَنَنَّ حِزَامِيًّا نَزَلَتْ بِهِ قَوْمٌ لَدَيْهِمْ تَنَاهَى اللَّوْثُ وَالصَّرْعُ
جَاوِزٌ بَنِي خَلْفٍ تَحْمَدُ جَوَارَهُمْ الْأَعْظَمِينَ دَفَاعًا كُلَّمَا دَفَعُوا
وَالْمَطْعَمِينَ إِذَا مَا شَتَوَتْ أَزَمَتْ فَالنَّاسُ شَتَّى إِلَى أَبْوَابِهِمْ شَرْعُ⁴
هُمْ خَيْرُ قَوْمِهِمْ إِنْ حَدَّثُوا صَدَقُوا أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
الْمَانِعِينَ مِنَ الْمَخْزَاةِ جَارَهُمْ وَالرَّافِعِينَ مِنَ الْأَدْنَيْنِ مَا صَنَعُوا
انْزِلْ بِطَلْحَةَ يَوْمًا إِنْ مَنَزَلَهُ سَهْلُ الْمِبَاءَةِ بِالْعِلْيَاءِ مَرْتَفَعُ

وَفِي أَسْمَاءِ أُخْتِهَا يَقُولُ⁵ :

[من الطويل]

1 ديوانه : 182 .

2 ديوانه : 146-148 .

3 الطَّبِيعُ : الْعَيْبُ .

4 شرع : سواء .

5 ديوانه : 176-179 .

تَعَلَّقَ مِنْ أَسْمَاءَ مَا قَدْ تَعَلَّقَا ومثل الذي لاقى من الحبِّ أَرْقَا
وَحَسْبُكَ مِنْ أَسْمَاءَ نَائِيٍّ وَأَنْتَهَا إذا ذُكِرَتْ هَاجَتْ فُؤَاداً مُعَلَّقَا
سَقَى هَزِمُ الْإِرْعَادِ مُنْبِجِسُ الْعُرَى منازلها بالمُسْرُقَانِ فَسْرُقَا¹
وَتُسْتَرُ لَا زَالَتْ خَصِيْباً جَنَابُهَا إلى مَدْفَعِ السُّلَّانِ مِنْ بَطْنِ دُورَقَا²
إِلَى الْكَوْثَجِ الْأَعْلَى إِلَى رَامَهْرْمَزِ إلى قَرِيَّاتِ الشَّيْخِ مِنْ فَوْقِ سَفْسَقَا³
رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف .

بِلَادُ بَنَاتِ الْفَارَسِيَّةِ إِنَّهَا سَقَتْنَا عَلَى لَوْحٍ شَرَاباً مُعْتَقَا
[يترك زوجته ويلحق بآناهد]

أخبرني عمِّي ، قال : حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عدي .
وأخبرنا هاشم بن محمد قال : حَدَّثَنَا دِمَازُ أَبُو غَسَّانَ ، عن أبي عبيدة ، قالَا : لَمَّا فَصَلَ ابْنُ
مَفْرَغٍ مِنْ عِنْدِ مَعَاوِيَةَ ، نَزَلَ بِالْمَوْصِلِ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ آلِ ذِي الْعِشْرَاءِ مِنْ حَمِيرٍ ، قال الهيثم في
روايته : فَرَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، ولم يذكر ذلك أَبُو عبيدة ، فلمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي يَكُونُ الْبِنَاءُ فِي
لَيْلَتِهِ . خَرَجَ يَتَصَيَّدُ وَمَعَهُ غَلَامُهُ بُرْدٌ ، فَإِذَا هُوَ بِدَهْقَانَ عَلَى حِمَارٍ يَبِيعُ عِطْراً وَأَدَهَاناً . فَقَالَ لَهُ
ابْنُ مَفْرَغٍ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قال : مِنَ الْأَهْوَازِ ، قال : وَيْحَكَ ! كَيْفَ خَلَفْتَ الْمُسْرُقَانَ وَبَرَدَ
مَائِهِ ؟ قال : عَلَى حَالِهِ . قال : مَا فَعَلْتَ دِهْقَانَةً يَقَالُ لَهَا أَنَاهِيْدُ بِنْتُ أَعْنَقٍ ؟ قال : أَصْدِيقَةُ ابْنِ
مُفْرَغٍ ؟ قال : نَعَمْ ، قال : مَا تَجِفُّ جَفَوْنَهَا مِنَ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ . فقال لغلَامِهِ : أَيُّ بُرْدٍ ، أَمَا
تَسْمَعُ ؟ قال : بَلَى . قال : هُوَ بِالرَّحْمَنِ كَافِرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا . فقال لَهُ بُرْدٌ :
أَكْرَمَكَ الْقَوْمُ وَقَامُوا دُونَكَ ، وَزَوَّجُوكَ كَرِيْمَتَهُمْ ، ثُمَّ تَصْنَعُ هَذَا بِهِمْ ، وَتُقَدِّمُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ
بَعْدَ خِلَاصِكَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ وَلَا عَهْدٍ مِنْهُ وَلَا عَقْدٍ ؟ أَبَقِيَ أَتَيْهَا الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَقِمَّ
بِمَوْضِعِكَ ، وَأَبْنَى بِأَهْلِكَ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ ، فَإِنْ جَدَّ عَزْمُكَ كُنْتَ حَيْثُذِي وَمَا تَخْتَارُهُ . قال :
دَعْ ذَا عَنكَ ، هُوَ بِالرَّحْمَنِ كَافِرٌ إِنْ عَدَلَ عَنِ الْأَهْوَازِ وَلَا عَرَّجَ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِهَا ، وَمَضَى
لَوَجْهَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلِمَ أَهْلَهُ ، وَقَالَ قَصِيدَتَهُ⁴ :

سَمَا بَرَقَ الْجُمَانَةُ فَاسْتَطَارَا لَعَلَّ الْبَرْقَ ذَاكَ يَحْشُرُ نَارَا

1 تقدم تعريف المسرقان . وسرق : إحدى كور الأهواز .

2 تستر : أعظم مدينة في خوزستان . مدفع السلان : مجرى الأودية . ودورق : بلد بخوزستان .

3 هذه أسماء مواضع في الأهواز . وفي الديوان : إلى الكُثْبَجِ . . . إلى قريات الشيخ . . . من فوق شستقا .

4 ديوانه : 131-133 .

وعدتُ له العِشاءَ فهاج شوقي وذكرني المنازلَ والديارا
 ديارٌ للجُمَانَةِ مقفِراتٌ يلينَ وهجنَ للقلبِ اذكارا
 فلم أملك دُموعَ العَيْنِ مِنِّي ولا النفسَ التي جاشت مرارا
 بسرَّقَ فالقرى من صهرتاج فدير الراهبِ الطللِ القِفارا¹
 فقلتُ لصاحبي عرجُ قليلاً نذاكرُ شوقنا الدُرسَ البوارا
 بآية ما غدوا وهمُ جميعٌ فكاد الصبُّ ينتجر انتحارا
 فقال بكوا لفقدك منذ حينٍ زماناً ثم إنَّ الحَيَّ سارا
 بدجلة فاستمرَّ بهم سفينٌ يشقُّ صُدُورها اللُججَ الغمارا²
 كأن لم أغن في العرصاتِ منها ولم أذعر بقاعتها صوارا³
 ولم أسمع غناءً من خليل وصوتَ مُقرطَي خَلَعِ العِذارا⁴

قال : فقدم البصرة فذكر لعبيد الله بن زياد مقدمه ، فلم يعرض له ، وأرسل إليه أن أقم آمناً . فأقام بالبصرة أشهراً ، يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزور أناهيد ، ويقيم عندها .

ثم أتى عبيد الله بن زياد فقال له : إني امرؤٌ لي أعداء ، ولست آمنُ بعضهم أن يقول شيئاً عن لساني يُحفظ الأميرُ عليٌّ ، وأحبُّ أن يأذن لي أن أتحنى عنه . فقال له : حلُّ حيث شئت ، فخرج حتى قَدِم على شريك بن الأعور الحارثي وهو يومئذٍ عاملُ عبيد الله بن زياد على فارسَ وكرمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقدم بها الأهواز فأعطاه أناهيد .

[عبيد الله بن أبي بكره يكرمه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثني محمد بن الحكم ، عن عوانة : أن عبيد الله بن أبي بكره كتب إلى يزيد بن مفرغ : إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي ، فلعلك إن قدمت عليّ ألا تندم ولا يذم رأيك . فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قَدِم سجستان مُمسياً ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأمر له بمنزل وفرشٍ وخدم ، وجعل يطاوله حتى عَلم أنه قد استتم له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيئ له ؛ ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له : يا ابن مفرغ ، إنك قد تجشمت إليّ

1 صهرتاج : موضع بالأهواز .

2 الغمار : الماء الكثير .

3 الصوار : القطيع من البقر .

4 ل : وصوت مقصّب .

شَقَّةٌ بَعِيدَةٌ ، وَاتَّسَعَ لَكَ الْأَمَلُ فَرَحَلْتَ إِلَيَّ لِأَقْضِيَ عَنْكَ ذَيْنَكَ وَلَأُغْنِيكَ عَنِ النَّاسِ ، وَقُلْتَ : أَبُو حَاتِمٍ بِسَجِسْتَانَ فَمَنْ لِي بِالْغِنَى بَعْدَهُ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا كَانَ فِي نَفْسِي . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَقْلَنَّ لَيْتَكَ عِنْدِي ، وَلَأُحْسِنَنَّ صِلَتَكَ ؛ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمِائَةِ وَصِيفَةٍ وَمِائَةِ وَصِيفٍ وَمِائَةِ نَجِيَّةٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَا يُنْفِقُهُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ بَلَدَهُ سَوَى الْمِائَةِ الْأَلْفِ ، وَبِمَنْ يَكْفِيهِ الْخِدْمَةُ مِنْ غِلْمَانِهِ وَأَعْوَانِهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ مِنْ خِيفَةٍ السَّفَرُ أَلَّا تَهْتَمَّ بِخُفٍّ وَلَا حَافِرٍ ، وَكَانَ مَقَامُهُ عِنْدَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ وَشِيعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى قَرْيَةٍ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ يُقَالُ لَهَا : زَالِقُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْمَفْرُغِ ، إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُودَعِ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَلِلْمَتَكَلِّمِ أَنْ يَسْكُتَ ، وَأَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، فَأَبْقِ عَلَى الْأَمَلِ وَحَسُنْ ظَنُّكَ بِي وَرَجَائِكَ فِيَّ ، وَإِذَا بَدَأَ لَكَ أَنْ تَعُودَ فَعُدْ ، وَالسَّلَامُ .

قَالَ : وَسَارَ ابْنُ مَفْرُغٍ حَتَّى أَتَى رَامَهُرْمُزَ ، فَنَزَلَ بِقَرْيَةِ أَبَجَرَ . فَنَزَلَتْ إِلَيْهِ بِنْتُ الْأَبَجَرِ فَقَالَتْ : يَا ابْنَ مَفْرُغٍ ، لِمَنْ هَذَا الْمَالُ ؟ قَالَ : لِابْنَةِ أَعْنَقِ دَهْقَانَةِ الْأَهْوَازِ ، وَإِذَا رَسُوها فِي الْقَافِلَةِ بَكْتَابِهَا : إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الْأَوَّلِ لَتَعَجَّلْتَ إِلَيَّ وَلَمْ تَسَايِرْ ثَقْلَكَ ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي أَعْطَاكَ عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ شَغَلَكَ عَنِّي ؛ قَالَ : فَأَعْطَى رَسُوها مَالاً عَلَى أَنْ يَقُولَ فِيهِ خَيْراً ، وَقَدْ قَالَ لِابْنَةِ أَبَجَرَ فِي جَوَابِ قَوْلِهَا لَهُ¹ :

حَبَانِي عُبَيْدُ اللَّهِ يَا ابْنَةَ أَبَجَرَ	بِهَذَا ، وَهَذَا لِلْجُمَانَةِ أَجْمَعُ
يَقَرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَاهَا وَأَهْلَهَا	بِأَفْضَلِ حَالٍ ذَاكَ مَرَأًى وَمَسْمَعُ
وَحَيَّرْتُهَا قَالَتْ : لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا	فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي إِلَيْهَا تَطْلُعُ
وَقُلْتُ لَهَا لَمَّا أَتَانِي رَسُوها	وَأَيُّ رَسُولٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
أُحِبُّكِ مَا دَامَتْ بَنَجْدٌ وَشَيْجَةٌ	وَمَا رُفِعَتْ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ إِصْبَعُ ²
وَأِنِّي مَلِي يَا جُمَانَةُ بِالْهُوَى	وَصِدْقِ الْهُوَى إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُفْنِغُ

قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَتْ رُسُلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ قَالُوا لَهُ : قَدْ بَلَّغْنَا حَيْثُ أَمَرْنَا ؛ قَالَ : أَجَلٌ ؛ ثُمَّ أَمَرَ ابْنَةَ أَعْنَقِ أَنْ تَفْتَحَ الْبَابَ وَقَالَ لَهَا : كُلُّ مَا دَخَلَ دَارَكَ فَهُوَ لَكَ . وَأَقَامَ بِالْأَهْوَازِ ، وَدَعَا نِذْمَاءَ كَانُوا لَهُ مِنْ فِتْيَانِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَبْقَ ظَرِيفٌ وَلَا مُعْنٌ إِلَّا أَنَاهُ ، وَاسْتَمَاحَهُ جَمَاعَةً قَصْدُوهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ فَأَعْطَاهُمْ ، وَلَمْ يُفَارِقْ أَنَاهِيْدَ وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ . وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَكَيْفَ هُوَ وَأَخْلَاقُهُ وَجُودُهُ

1 ديوانه : 144-145 .

2 الوشيحة : عرق الشجرة .

فقال¹ :

[من الطويل]

يُسَائِلُنِي أَهْلُ الْعِرَاقِ عَنِ النَّدَى
فَتَى حَاتِمِي فِي سِجِسْتَانَ رَحْلِهِ
سَمَا لِيْنَالِ الْمَكْرُمَاتِ فَنَالَهَا
وَجَلِمَ إِذَا مَا سَوْرَةُ الْحَقْدِ أَطْلَقَتْ
وَأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ صَنِيعَةً
دَعَانِي إِلَيْهِ جُودُهُ وَوَفَاؤُهُ
فَلَمْ أَبْقَ إِلَّا جُمُعَةً فِي جَوَارِيهِ
إِلَى أَنْ دَعَانِي زَانَهُ اللَّهُ بِالْعَلَا
وَقَالَ : إِذَا مَا شِئْتَ يَا ابْنَ مُفَرَّغٍ
فَقُلْتُ لَهُ ، لَا يُبْعِدُ اللَّهُ دَارَهُ :
وَأَحْمَدْتُ وَرَدِّي إِذْ وَرَدْتُ حِيَاضَهُ
فَأَصْبَحَ لَا يَرْجُو الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ
وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ هَنَأَ رِفْدَهُ

فَقُلْتُ : عُبَيْدُ اللَّهِ حِلْفُ الْمَكَارِمِ
وَحَسْبُكَ جُوداً أَنْ يَكُونَ كَحَاتِمِ
بَشِيدَةَ ضِرْغَامٍ وَيَذَلِ الدَّرَاهِمِ
حُبَّ الْقَوْمِ عِنْدَ الْفَادِحِ الْمُتَفَاقِمِ
يُحَدِّثُهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
وَمَنْ دُونَ مَسْرَاهِ عُدَاةُ الْأَعَاجِمِ
وَيَوْمَيْنِ حَلًّا مِنْ أَلِيَّةِ آثِمِ²
فَأَنْبَتَ رِيْشِي مِنْ صَمِيمِ الْقَوَادِمِ
فَعُدَّ عَوْدَةً لَيْسَتْ كَأَضْغَاثِ حَالِمِ
أَعُودُ إِذَا مَا جِئْتُكُمْ غَيْرَ حَاشِمِ
وَكُلُّ كَرِيمٍ نَهْزَةٌ لِلْأُكَارِمِ³
سِوَاهُ لَنْفَعٍ أَوْ لِنَفْعِ الْعِظَائِمِ
سَرَاخًا وَأَعْطَى رِفْدَهُ غَيْرَ غَانِمِ⁴

[يخدع عمه ليريه أناهيد]

وَقَالَ الْهَيْثَمُ فِي خَبْرِهِ : كَانَ عَمْرُو بْنُ مُفَرَّغٍ ، عَمُّ يَزِيدَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مُفَرَّغٍ ، رَجُلًا لَهُ جَاهٌ وَقَدَّرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ وَثَرَةٍ ، وَذَا دِينَ وَفَضْلٍ وَصَلَاحٍ ، فَكَانَ يُعْنِفُ ابْنَ أَخِيهِ فِي أَمْرِ أَنَاهِيدَ عَشِيقَتِهِ ، وَيُعْذِلُهُ وَيُعَيِّرُهُ بِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ أَنَاهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، جُعِلْتُ فُداكَ ، إِنَّ لِي بِالْأَهْوَازِ حَاجَةً ، وَلِي عَلَى قَوْمٍ بِهَا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَدْ خَفْتُ أَنْ تَتَوَى⁵ عَلَيَّ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَجَشَّمَ الْعَنَاءَ مَعِيَ إِلَيْهَا حَتَّى تَطَالِبَ لِي بِحَقِّي ، وَتُعِينَنِي بِجَاهِكَ عَلَى غَرْمَائِي . وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مُفَرَّغٍ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَيْهَا ؛ إِذْ كَانَ عَامِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ ، عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ عَامِلَ الْأَهْوَازِ ، حِينَ سَأَلَ

1 ديوانه : 202-205 .

2 الألية : القسم .

3 نهزة : فرصة .

4 سراحاً : سهلاً .

5 تتوى : تهلك .

ابن مفرغ عمّه أن يخرج معه ، ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية . فلم يزل ابن مفرغ بعمّه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهيد أن تهيني وتزيني بأحسن زيتك ، واخرجني إليّ مع جواريك فإنني موافيك ، ومنزلها يومئذ بين سرق ورامهرمز .

فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم ، وجلست معهم في هيئتها وزيّها وحليها وآلتها ، فلما رآها عمّه قال له : قبحك الله ! أفهلاً إذ فعلت ما فعلت كنت عقلت مثل هذه ؟ فقال : يا عمّ ، أو قد أعجبتك ! فقال : ومن لا تعجبه هذه ؟ قال : أَلَجِدُ هذا منك ؟ قال : نعم والله . قال : فإنها والله هذه بعينها ، فقال : يا خبيث إنما أشخصتني لهذا ، يا غلام ارحل بنا . فانصرف عمّه إلى البصرة وأقام هو معها ، ولم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير .

[احتياله لقضاء ديونه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا القحذمي قال : لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدّين ، فقال لهم : انطلقوا نجلس على باب الأمير ، عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني . فانطلقوا به ، فكان أول من خرج إمّا عمر بن عبيد الله بن معمر وإمّا طلحة الطلحات . فلما رآه قال : أبا عثمان ، ما أقعدك هاهنا ؟ قال : غرمائي هؤلاء لزموني بدّين لهم عليّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : عليّ منها عشرة آلاف درهم .

ثم خرج الآخر على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خرج أحد قبلي ؟ قالوا : نعم فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعليّ مثلها . قال : ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضمّنوا أربعين ألفاً .

وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة ، فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادراً ، فلم يره حتى كاد يبلغ بيته . فقيل له : إنك مررت بابن مفرغ ملزوماً ، وقد مرّ به الأشراف فضمّنوا عنه ، فقال : واسوأناه ! إنني أخاف أن يظنّ أنني تغافلْتُ عنه ، فكرّ راجعاً ، فوجده قاعداً ، فقال له : أبا عثمان ما يجلسك هاهنا . قال : غرمائي هؤلاء يلزموني ، فقال : كم عليك ، قال : سبعون ألفاً ، قال : وكم ضمّن عنك ؟ قال أربعون ألفاً ، قال : فاستمتع بها وعليّ دينك أجمع ، فقال فيه يخاطب نفسه¹ :

[من السريع]

لو شِيتَ لم تَغْنِيْ ولم تَنْصَبِيْ عِشْتَ بِأَسْبَابِ أَبِي حَاتِمٍ
 عِشْتَ بِأَسْبَابِ الْجَوَادِ الَّذِي لَا يَخْتِمُ الْأُمُوالَ بِالخَاتِمِ
 مِنْ كَفٍّ بُهْلُولٍ لَهُ عُدَّةٌ مَا إِنْ لَمَنْ عَادَاهُ مِنْ عَاصِمٍ¹
 الْمُطْعِمِ النَّاسَ إِذَا حَارَدَتْ نَكَبَاوْهَا فِي الزَّمَنِ الْعَارِمِ²
 وَالْفَاصِلِ الْخَطَّةَ يَوْمَ اللَّجَا لِلْأَمْرِ عِنْدَ الْكُرْبَةِ اللَّازِمِ³
 جَاوَرْتَهُ حِينَئِذَا فَاحْمَدْتُهُ أَتْنِي وَمَا الْحَامِدُ كَاللَّائِمِ
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ شَامِتٍ كَاشِحٍ أَخْزَيْتَهُ يَوْمًا وَمِنْ ظَالِمٍ
 أَذَقْتَهُ الْمَوْتَ عَلَى غِرَّةٍ بِأَبْيَضٍ ذِي رَوْثِي صَارِمٍ

[يطرب لغناء بُدَيْع بشعره فبنيه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَ بُدَيْعُ الْكُوفَةِ ، فَغَنَى بِهَا دَهْرًا ، وَأَصَابَ مَالًا كَثِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ أَتَى الْأَهْوَازَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَصَحَبَ ابْنَ مُفَرَّغٍ فِي سَفِينَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَهْرِ مَعْقِلٍ تَغْنِيْ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ابْنَ مُفَرَّغٍ بِقَوْلِهِ :

سَمَا بَرَقَ الْجُمَانَةُ فَاسْتَطَارَا لَعَلَّ الْبَرْقَ ذَاكَ يَعُودُ نَارَا
 قَالَ : فَطَرِبَ ابْنُ مُفَرَّغٍ وَقَالَ : يَا مَلَأَحَ ، كُرَّ بَنَا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَكَّرَ وَهُوَ يُغْنِيهِ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَرَّرُوا مَعَهُ ، وَهُوَ يُعِيدُ هَذَا الصَّوْتَ . قَالَ : وَوَصَلَ ابْنُ مُفَرَّغٍ بُدَيْحًا وَكَسَاهُ .

صوت⁴

[من الطويل]

رَضِيْتُ الْهَوَى إِذْ حَلَّ بِي مُتَخَيِّرًا نَدِيمًا وَمَا غَيْرِي لَهُ مَنْ يُنَادِمُهُ
 أَعَاطِيهِ كَأَسِّ الصَّبْرِ يَبْنِي وَبَيْنَهُ يُقَاسِمُنِيهَا مَرَّةً وَأَقَاسِمُهُ
 يُقَالُ : إِنَّ الشَّعْرَ لِبَشَّارٌ ، وَالْغَنَاءُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ ، هَزَجٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّيِّ .

1 البهلُول : السيد الجامع لكل خير .

2 حَارَدَتِ السَّنَةُ : قَلَّ مَطَرُهَا . وَالنَّكَبَاءُ : رِيحٌ انْخَرَفَتْ عَنْ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْعَارِمُ : الشَّدِيدُ .

3 الدِّيَوَانُ : اللَّحَا ، وَهُوَ الْمَلَاخَةُ قَصْرُهُ لِمُضَرَّةِ الْوِزْنِ .

4 دِيَوَانُ بَشَّارٍ (ابن عاشور) 4 : 684 (عن الأغاني) وقد جعل فيه الثاني أولاً .

[392] - أخبار الزبير بن دحمان

[قدومه من الحجاز]

قد مضت أخبار أبيه ، ونسبه وولاه في متقدم الكتاب¹ ، وكان الزبير أحد المحسنين المتقين الرواة الضراب ، المتقدمين في الصنعة ، وقدم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنون في أيامه حزينين : أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي . وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب لما كان بينه وبين إسحاق ، وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق ، وأخوه عبد الله في حزب إبراهيم بن المهدي .

فأخبرني محمد بن يزيد قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز ، قدم منه رجل ما شئت من رجل ، عقلاً ونبلاً وديناً وأدباً وسكوناً وقاراً ، وكان أبوه قبله كذلك ، وقدم معه أخوه عبد الله . فلما وصلا إلى الرشيد ، وجلسا معنا ، تخيلت في الزبير الفضل فقلت لأبي : يا أبت ، أخلق بالزبير أن يكون أفضل من أخيه ، فقال : هذا لا يجيء بالظن والتخيل ، والجواد إنما يمتحن في الميدان ، فقلت له : فالجواد عينه فراره² ، فضحك وقال : ننظر في فراستك ، فلما غنيا بان فضل الزبير وتقدمه ، فاصطفاه أبي واصطفيته لأنفسنا ، وقرظناه ووصفناه ، وصار في حيزنا وغنى الرشيد غناء كثيراً من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن ، وسأله الرشيد أن يغنيه شيئاً من صنعته ، فالتوى بعض الالتواء وقال : قد سمع أمير المؤمنين غناء الخذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ، ومن قد عليه من الحجازيين ، وما عسى أن يأتي من صنعتي ؟ فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من صنعته ، وجد به في ذلك ، فكان أول صوت غناه منها :

صوت

ارحلاً صاحبي حان الرحيل وأبكياني فليس تبكي الطلول
قد تولّى النهار وانقضت الشم سن يعيناً وحن منها أفل

لحن هذا الصوت خفيف ثقیل .

1 في الجزء السادس : 19 .

2 المثل «الجواد عينه فراره» في مجمع الميداني 1 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 308 والدرة الفاخرة 2 : 416 . والفرار بكسر الفاء وفتحها وضمها النظر إلى أسنان الدابة لمعرفة سنّها . ويضرب المثل لمن يدلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختباره .

قال : فسمعتُ والله صنعةَ حَسَنَةٍ مُتَقَنَةٍ لا مَطْعَنَ عليها . فَطَرِبَ الرَشِيدُ واستَعَاذَ هذا الصوت ثلاثَ مرَّاتٍ ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهمٍ ، ولأخيه بعشرين ألفَ درهمٍ . ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحدَ منَّا ، وانحازَ عبدُ الله إلى جَنبةِ إبراهيم بن المهديِّ ، فكان معه . قال حمادُ : فقلتُ لأبي : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجملُ لك القول : لو كان زبيرُ مملوكاً لاشتريتهُ بعشرين ألفَ دينارٍ ، ولو كان عبدُ الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين ديناراً . فقلت : قد أُجِبْتَنِي بما يكفييني .

حدَّثني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديِّ ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخَر : أنَّ الرَشِيدَ كتب في إشخاص الزُّبير بن دحمان إلى مدينة السَّلام ، فوافاها واتَّفَقَ قدومُهُ في وقت خروج الرَشِيدِ إلى الرِّيِّ لمحاربة بِنْدَارِ هُرْمُزٍ أَصْبَهذ طَبْرِستان . فأقام الزُّبير بمدينة السَّلام إلى أن دخل الرَشِيدُ ، فلَمَّا قَدِمَ دخل عليه بالخَيْزُرَانِيَّةِ ، وهو الموضع الذي يعرف بالسُّمَّاسِيَّةِ ، فغناه في أوَّلِ غنائه صوتاً في شِعْرِ قاله هو أيضاً في الرَشِيدِ مدحه به ، وذكر خروجه إلى طبرستان وهو¹ : [من الطويل]

صوت

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُعْجِزٍ وَأَنْصَارُهُ فِي مَنَعَةِ الْمُتَحَرِّزِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يُعْصِيَ لِهَارُونَ أَمْرُهُ وَذَلَّتْ لَهُ طَوْعاً يَدُ الْمُتَعَزِّزِ
إِذَا الرَّايَةُ السُّودَاءُ رَاحَتْ أَوْ اغْتَدَتْ إِلَى هَارِبٍ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ
لَطَاعَتْ لِهَارُونَ الْعُدَاةُ لَدَى الْوَغَى وَكَبَّرَ لِلْإِسْلَامِ بِنْدَارُ هُرْمُزِ

لم أجِدْ هذا الصوت منسوباً في شيء من الكتب إلا في كتاب بَذَل ، وهو فيه غير مُجَنَس .
وذكر إبراهيم بنُ المهديِّ أنَّ الشَّعْرَ للزُّبير بن دحمان ، وهذا خطأ ؛ الشَّعْرُ لأبي العتاهية وهو موجود في شِعْرِهِ من قصيدة طويلة مدح بها الرَشِيد .

قال أبو إسحاق : فاستحسنَ الرَشِيدَ الشَّعْرَ والغناء ، وأمر له بألفِ دينار فدُفِعَتْ إليه ، ومكث ساعةً ثم غنَّى صوتاً ثانياً وهو :

صوت

وَأَحْوَرَ كَالْغُصْنِ يَشْفِي السَّقَامَ وَيَحْكِي الْغَزَالَ إِذَا مَا رَنَا
شَرِبْتُ الْمُدَامَ عَلَى وَجْهِهِ وَعَاطَيْتُهُ الْكَأْسَ حَتَّى اتَّشَى

وَقُلْتُ مَدِيحاً أَرْجِي بِهِ مِنْ الْأَجْرِ حَظّاً وَنَيْلَ الْغِنَى
وَأُعْنِي بِذَلِكَ الْإِمَامَ الَّذِي بِهِ اللَّهُ أَعْطَى الْعِبَادَ الْمُنَى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق .

قال : فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقَبَضَهُ ، وخفَّ على قلبه واستظرفه ، فأغناه في مدّة يسيرة من الأيام .

[يهيح في الرشيد ندمه على نكب البرامكة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني أبو توبة ، عن القطراني ، عن محمد بن حبيب قال : كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم ، والتنّدم على ما فعله بهم ، ففطن لذلك الزبير بن دحمان ، فكان يُغْنِيهِ في هذا المعنى ويُحرّكه ، فغناه يوماً والشعر لامرأة من بني أسد :

مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بِهِمْ يَوْمَ النَّزَالِ وَمَنْ لِلضُّمَرِ الْقُودُ¹
وَمَوْقِفٍ قَدْ كَفَيْتَ النَّاطِقِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودُ²
فَرَجَّهَ بِلِسَانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ وَقَوْلٍ غَيْرِ مُرْدُودٍ

فقال له الرشيد : أعِدْ ، فأعاده . فقال له : وَيَحَكْ ! كَأَنَّ قَائِلَ هَذَا الشَّعْرِ يَصِفُ بِهِ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ ، وَجَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى . وَبَكَى حَتَّى جَرَّتْ دُمُوعُهُ ، وَوَصَلَ الزُّبَيْرُ صِلَةً سَيِّئَةً .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد قال : كان أبي يقول : ما كان دحمان يُساوي على الغناء أربعمائة درهم ، وأشبهُ خَلَقَ اللهُ بِهِ غِنَاءَ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ . وَكَانَ يُفَضِّلُ الزُّبَيْرَ بْنَ دَحْمَانَ عَلَى أَبِيهِ وَأَخِيهِ تَفْضِيلاً بَعِيداً . وَفِي الزُّبَيْرِ يَقُولُ إِسْحَاقُ وَلَهُ فِيهِ غِنَاءٌ هُوَ :

[من الكامل]

صوت

أُسْعِدْ بِدَمْعِكَ يَا أَبَا الْعَوَّامِ صَبّاً صَرِيحَ هَوَى وَنُضْوٍ سَقَامِ
ذَكَرَ الْأَحِبَّةَ فَاسْتَحْجَنَ وَهَاجَهُ لِلشُّوقِ نَوْحُ حَمَامَةٍ وَحَمَامِ
لَمْ يُدِ مَا فِي الصَّدْرِ إِلَّا أَنَّهُ حَيّاً الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ بِسَلَامِ
وَدَعَاهُ دَاعٍ لِلْهَوَى فَجَاجَبَهُ شَوْقاً إِلَيْهِ وَقَادَهُ بِزِمَامِ

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقّة مع الرشيد يتشوّق إلى العراق .

1 ل : يوم الجدال .

2 نواصي الناس : أشرافهم .

[تشوق إسحاق لبغداد]

أخبرني عمي قال : حدثني علي بن محمد بن نصر قال : حدثني جدي عن حمدون بن إسماعيل قال : قال لي إسحاق : كنّا مع الرشيد بالرقة ، وخرج يوماً إلى ظهرها يصيد ، وكنت في موكبه أسير الزبير بن دحمان ، فذكرني بغداد وطبيها وأهلي وإخواني وحرّمي فتشوّقت لذلك تشوقاً شديداً ، وعرض لي همٌّ وفكرٌ حتى أبكاني . فقال لي الزبير : ما لك يا أبا محمد ؟ فشكوتُ إليه ما عرض لي ، وقلت :

أُسعدُ بدمعِكَ يا أبا العوّامِ صَبّاً صريعَ هوى ونضو سقامِ

وذكر باقي الأبيات ، وعلمت أنّ الخبر سينمي إلى الرشيد ، فصنعت في الأبيات لحناً ، فلما جلس الرشيد للشرب ابتدأتُ فغنيتهُ إيّاه ، فقال لي : تشوّقتَ والله يا إسحاق وشوّقتَ وبلغتَ ما أردتَ ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ، وللزبير بعشرين ألفاً ، ورحلَ إلى بغداد بعد أيام .

[غضب الفضل على إسحاق]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجّم قال : أخبرني أبي قال : قال لي إسحاق ، وأخبرني به الحسن بن علي قال : حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن إسحاق قال : جاءني الزبير بن دحمان ذات يوم مُسَلِّماً ، فاحتبسته فقال : قد أمرني الفضل بن الربيع بأن أصيرَ إليه فقلت :

أَقِمْ يا أبا العوّامِ ونحك نشربُ ونلّهو مع اللاهين يوماً ونطربُ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُهُ فخذهُ بشكرٍ واركُ الفضلَ يغضبُ

قال : فأقام عندي فشرّبنا باقي يومنا ، ثم سار الزبير إلى الفضل ، فسأله عن سبب تأخّره عنه ، فحدثه بالحديث ، وأنشده الشعر ؛ فغضب وحوّل وجهه عني ، وأمرَ عَوْنًا حاجبه ألاّ يُدخلني اليوم ولا يستأذن لي عليه ، ولا يُوصّل لي رُقعة إليه ، قال : فقلت : [من الطويل]

حَرَامٌ عليّ الكأسُ ما دُمْتَ غَضباناً وما لم يَعدْ عني رضاك كما كانا
فأحسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تزلْ تُعوّذني عندَ الإساءةِ إحساناً

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عني ، وعاد لي إلى ما كان عليه .
وأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه بهذا الخبر ، فذكر نحو ما ذكره الآخرون ، وزاد فيه : وقلت في عَوْن حاجبه :

عَوْنُ يا عَوْنُ مثلك عَوْنُ أنتَ لي عُدَّةٌ إذا كان كَوْنُ

[من الخفيف]

لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنْ رَضِيَ الْقَضُ لُ غُلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ يَرْذُونَ
فَأَتَى عَوْنَ الْفَضْلَ بِالشَّعْرَيْنِ جَمِيعاً ، فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ إِنَّمَا عَرَّضَ لَكَ
بِقَوْلِهِ : «غُلَامٌ يُرْضِيكَ» بِالسَّوْءَةِ ؛ فَقَالَ : قَدْ وَعَدَنِي مَا سَمِعْتَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْرِمَنِيهِ فَأَنْتَ
أَعْلَمُ . فَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ ، وَأَتَانِي رَسُولُهُ فَصَرْتُ إِلَيْهِ وَرَضِي عَنِّي .
[إسحاق والزبير يحْكمان حبشياً في الغناء]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ : كَانَ عِنْدِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ يَوْمًا ، فَغَنَيْتُ
لِحَنَ أَبِي :

أَشَاقَكَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ طُلُولُ تَحْمَلُ مِنْهَا جِيرةً وَحُمُولُ !
فَقَالَ لِي الزُّبَيْرُ : أَنْتَ الْأَسْتَاذُ وَابْنُ الْأَسْتَاذِ السَّيِّدُ ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَنْ أَبِيكَ هَذَا الصَّوْتُ
وَأَنَا أَغْنِيهِ أَحْسَنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ . فَغَضِبَ وَقَالَ : فَأَنَا
وَاللَّهِ أَحْسَنُ غَنَاءَ مِنْكَ . وَتَلَا حِينَئِذٍ طَوِيلًا ، فَقُلْتُ لَهُ : هَلُمَّ نَخْرُجْ إِلَى صَحْرَاءِ الرَّقَّةِ ، فَيَكُونُ
أَكَلُنَا وَشَرِبُنَا هُنَاكَ ، وَنَرْضَى فِي الْحَكَمِ بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا ، قَالَ : أَفْعَلُ . فَأَخْرَجَنَا طَعَامَنَا
وَشَرَابَنَا وَجَلَسْنَا نَشْرَبُ عَلَى الْفُرَاتِ ، فَأَقْبَلَ حَبَشِيٌّ يَحْفِرُ الْأَرْضَ بِالْبَالِ¹ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَرْضَى
بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَدَعَوْنَاهُ فَأَطْعَمْنَاهُ وَسَقَيْنَاهُ ، وَبَدَرَنِي الزُّبَيْرُ بِالْغَنَاءِ ، فَغَنَى الصَّوْتُ ، فَطَرَّبَ
الْحَبَشِيُّ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ حَتَّى طَمَعَ الزُّبَيْرُ فِيَّ ، ثُمَّ أَخَذْتُ الْعُودَ فَغَنَيْتُهُ فَتَأَمَّلَنِي الْحَبَشِيُّ سَاعَةً ثُمَّ
صَاحَ : وَآيَ شَيْطَانٍ هُوَ ! وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ ، فَمَا أَذْكَرَ أَنْتَ ضَحِكَكَ مِثْلَ ضَحْكِي يَوْمَئِذٍ ،
وَانْخَزَلَ الزُّبَيْرُ .

نسبة هذا الصوت

صوت²

[من الطويل]

أَشَاقَكَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ طُلُولُ تَحْمَلُ مِنْهَا جِيرةً وَحُمُولُ !
وَكَيْفَ أَلَذُّ الْعِيشِ بَعْدَ مَعَاشِرٍ بِهِمْ كُنْتُ عِنْدَ النَّائِثَاتِ أَصُولُ !
الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ
الْمَكِّيِّ ، وَفِيهِ لِلْحَسَنِ بْنِ مُحَرَّرٍ ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى .

1 ل : بالناب .

2 ديوان أبي العتاهية : 599 .

وهذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع . قال : أنشدنيها عبد الله بن الربيع الربيعي ، قال : أنشدنيها أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية لجدّه يمدح الفضل بن الربيع . وإنما ذكرت ذلك هاهنا لأنّ من الناس من ينسبهما إلى غيره ، فذكرت الأبيات الأول ، وفيها يقول في مدح الفضل بن الربيع : [من الطويل]

قبائل من أقصى وأدنى تجمعت
تمرّ ركاب السفر تُنسي عليهم
إليك أبا العباس حنت بأهلها
وأنت جبين الملك بل أنت سمعه
وللملك ميزان يداك تقيمه
فهنّ على آل الربيع كلول
عليها من الخير الكثير حمول
مغان وحنت السن وعقول
وأنت لسان الملك حين تقول
يزول مع الإحسان حيث يزول

[غناء الزبير بشعر ابن الأحنف]

حدثني الصولي قال : حدثني المغيرة بن محمد المهلبّي ، قال : حدثنا الزبير قال : حدثني رجل من ثقيف ، قال : غضب الرشيد على أم جعفر ، ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه ، فأرق ليّته ثم قال : افرشوا لي على دجلة ، ففعلوا ، فقعده ينظر إلى الماء وقد رأى زيادة عجيبة ، فسمع غناء في هذا الشعر¹ :

[من الطويل]

صوت

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى
وما ذاك إلا حين خبرت أنه
يكون أجاباً ماؤه فإذا انتهى
فيا ساكني شرقي دجلة كلكم
وفاضت له من مقلتي غروب²
يمرّ بوادي أنت منه قريب
إليك تلقى طيكم فيطيب
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دحمان ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامي : فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقليل : دار ابن المسيّب . فبعث إليه أن أبعث بالمغني ، فإذا هو الزبير بن دحمان ، فسأله عن الشعر فقال : هو العباس بن الأحنف ، فأحضر واستنشدّه ، فأنشدّه إياه ، وجعل الزبير يُغنيه وعباس يُنشده ، وهو يستعيدهما ، حتى أصبح ، وقام فدخل إلى أم جعفر ، فسألت عن سبب دخوله فعرّفته ، فوجهت إلى العباس بألف دينار ،

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 45 .

2 غروب في الديوان : سرّوب .

وإلى الزبير بألف دينار أخرى .
[الرشيد يفضل على المغنين]

أخبرني عمي ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن جدّه حمّدون قال : تشوّق الرشيد ببغداد وهو بالرقّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدّة ، وخلف هناك بعض جواريه ، وكانت حظيّة له فيهنّ خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها ، فتشوّقها تشوّقاً شديداً ، وقال فيها : [من المتقارب]

سَلَامٌ عَلَى النَّازِحِ الْمُغْتَرِبِ تَحِيّةٌ صَبَّ بِهِ مُكْتَبِبٌ
غَزَالٌ مَرَاتِعُهُ بِالْبَلِيخِ إِلَى دَيْرِ زَكَّى فِجْسِرِ الْخَشْبِ¹
أَيَا مَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيْفِهِ طَائِعاً مَنْ أُحِبَّ
سَأْسُورٌ وَالسُّرَّ مَنْ شِيَمَتِي هَوَى مِنْ أُحِبَّ لَمْ لَا أُحِبَّ

وجمع المغنين ، فحضر إبراهيم الموصليّ ، وابن جامع ، وفليح ، وزبير بن دحمان ، والمعلّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام ، ويحيى المكيّ ، وابنه ، وإسحاق ، وأبو زكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمل كلّ واحدٍ منكم فيه لحناً . قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحناً ، فما أعجب منها إلّا بلحن² الزبير وحده ، أعجب به إعجاباً شديداً ، وأجازته خاصّة دون الجماعة بجائزة سنّية .

غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى ، وفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالنصر ، ولابن المكيّ ثقيل أوّل بالوسطى ، ولزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى النصر ، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى ، وإسحاق رمل بالوسطى ، وللحسين بن محرز هزج بالوسطى .

صوت

[من الرجز]

يَا نَاعِشَ الْجَدِّ إِذَا الْجَدُّ عَثَرَ وَجَابِرَ الْعَظْمِ إِذَا الْعَظْمُ انْكَسَرَ
أَنْتَ رَيْبِعِي وَالرَّيْبُعُ يُتَنَظَّرُ وَخَيْرُ أُنْوَاءِ الرَّيْبِعِ مَا بَكَرُ

الشعر للعمانيّ الراجز ، والغناء لشارية خفيف رمل ، من كتاب ابن المعتزّ وروايته .

1 البليخ : نهر بالرقّة . ودير زكي : دير بالرها .

2 ل : بلحني .

[393] - نسب العماني وخبره¹

[نسبه]

اسمه محمد بن ذؤيب بن مِحنَن بن قدامة بن بَلْهِيَّة الحَنْظَلِيَّ ثم الدَّارِمِيَّ صَلِيَّة ، وقيل له : العُمانيُّ ، وهو بَصْرِيٌّ ؛ لأنَّه كان شديد صفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العبَّاسِيَّة ، ليس من نُظراء الشعراء الذين شاهدَهم في عصره . مثل أشجَع وسَلَم ومروان ، ولكنَّه كان لطيفاً داهياً مقبولاً ، فأفادَ بشعره أموالاً جليلة .

[الرشيْد يَجْزِلُ لَهُ الصَّلَة]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن جَبْرِ بن رباط الأسديّ : أنَّ عبدَ الملك بن صالح أدخل العُمانيَّ على الرشيْد فأنشده : [من الرجز]

يا ناعِشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرَ وجابرُ العَظَمِ إذا العَظَمُ انكَسَرَ
أنت رِبيعي والرَّبيعُ يُنتَظَرُ وخيرُ أنواء الرَّبيعِ ما بَكَرُ

فقال له الرشيْد : إذا يَنكُرُ عليك ربيعُنا ، يا فَضْلُ ، أعطِه خمسة آلاف دينار ، وخمسين ثوباً .

قال إسحاق : قال جَبْر : لما دخل الرشيْد الرِّقَّةَ استقبله العُمانيُّ ، فلمَّا بَصُرَ به ناداه :

هارونُ يا ابنَ الأَكْرَمينَ مَنصِباً لما تَرَحَّلْتَ فَصَرْتَ كَتَباً
من أرضِ بَغْدادَ تَوُمُّ المَغْرِبَا طابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصِّبَا
ونَزَلَ الغَيْثُ لنا حَتَّى رَبا ما كان من نَشْرِ وما تَصَوَّبَا²
فمَرَحَباً ومَرَحَباً

فقال له الرشيْد : وبك مرحباً يا عُمانيُّ وأهلاً ، وأَجْزَلَ صِلَتِهِ .

[في بيعة الأَمين]

أخبرني محمد بن جعفر النَّحويُّ صِهْرُ الميرَد المعروف بابن الصَّيْدِلاني قال : حدَّثنا محمد بنُ

1 ترجمة العماني الراجز في الشعر والشعراء : 641-642 والمحمدون : 322 والموشح : 455-456 وطبقات

ابن المعتز : 109-114 وتاريخ بغداد : 5 : 270 .

2 النشز : ما ارتفع . وتصوب : انحدر .

موسى عن حماد قال : قال العُتبيّ : لَمَّا وَجَّهَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى الْوَفْدَ مِنْ خُرَّاسَانَ إِلَى الرَّشِيدِ يَحْضُنُونَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ فَقَعَدَ لَهُمُ الرَّشِيدُ ، وَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَأَظْهَرُوا السُّرُورَ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ . وَكَانَ فَيَمُنُ حَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ ذُوَيْبِ الْعُمَانِيّ ، فَقَامَ بَيْنَ صَفُوفِ الْقَوَادِ ، ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

لَمَّا أَتَانَا خَيْرٌ مُشَهَّرُ	أَغْرُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ يُصِيرُ
جَاءَ بِهِ الْكُوفِيُّ وَالْمُبَصَّرُ	وَالرَّاكِبُ الْمُتَجِدُّ وَالْمُغَوَّرُ
يُخَبِّرُ النَّاسَ وَمَا يَسْتَخْبِرُ	قَلْتُ لِأَصْحَابِي وَوَجْهِي مُسْفِرُ
وَلِلرِّجَالِ : حَسْبُكُمْ لَا تَكْثُرُوا	فَازَ بِهَا مُحَمَّدٌ فَأَقْصِرُوا
قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا يُذَكَّرُ	فِي كُتُبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُسَطَّرُ
فَقُلْ لِمَنْ كَانَ قَدِيمًا يَتَجَرُّ :	قَدْ نُشِرَ الْعَدْلُ فِيهِمْ وَاشْتَرُوا
وَشَرَقُوا وَغَرَبُوا وَبَشَرُوا	فَقَدْ كَفَى اللَّهُ الَّذِي يُسْتَقْدَرُ
بِمَنِّهِ أَفْعَالٌ مَا قَدْ يُحَذَّرُ	وَالسَيْفُ عَنَّا مُغَمَّدٌ مَا يُشْهَرُ
وَقُلْدُ الْأَمْرِ الْأَغْرُ الْأَزْهَرُ	نَوْءُ السَّمَائِينَ الَّذِي يُسْتَمْطَرُ
بِوَجْهِهِ إِنْ كَانَ عَامٌ أَغْبَرُ	سُرْتُ بِهِ أُسِيرَةٌ وَمَنْبَرُ
وَابْتَهَجَ النَّاسُ بِهِ وَاسْتَبَشَرُوا	وَهَلَّلُوا لِرَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا
شُكْرًا وَمَنْ حَقَّهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا	إِذْ ثَبَّتْ أَوْتَادُ مَلِكٍ يَغْمُرُ
مِنْ هَاشِمٍ فِي حَيْثُ طَابَ الْعُنْصُرُ	وَطَاحَ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا يَزْفِرُ
إِنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يُقْصَرُوا	إِذْ نَهَضُوا لِمَلِكِهِمْ فَشَمَرُوا
وَعَقَلُوا وَنَزَعُوا وَأَمَرُوا	وَدَبَّرُوا فَأَحْكَمُوا مَا دَبَّرُوا
وَأُورِدُوا بِالْحَزْمِ ثُمَّ أُصْدِرُوا	وَالْحَزْمُ رَأْيٍ مِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ
إِذَا الرِّجَالُ فِي الرِّجَالِ خَيْرُوا	يَا أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمُطَهَّرُ
وَالْمُؤْمِنُ الْمُبَارَكُ الْمُوقَّرُ	وَالطَّبِيبُ الْأَعْصَانِ وَالْمُظَفَّرُ
مَا النَّاسُ إِلَّا غَنَمٌ تَنْشُرُ	إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْ بَرَاعٌ يَخْطُرُ
عَلَى قَوَاصِي طُرُقِهَا وَيَسْتُرُ	وَيَمْنَعُ الذُّئْبَ فَلَا يُنْفَرُ
فَإَمْنٌ عَلَيْنَا بَيْدٍ لَا تُكْفَرُ	مَشْهُورَةٌ مَا دَامَ زَيْتٌ يُعْصَرُ
وَانْظُرْ لَنَا وَخَلِّ مَنْ لَا يَنْظُرُ	وَاجْسِرْ كَمَا كَانَ أَبُوكَ يَجْسِرُ

[من الرجز]

لا خير في مُجَمِّمٍ لا يَظْهَرُ ولا كتابَ بَيْعَةٍ لا يُنْشَرُ¹
 وقد تَرَبُّصْتَ فليس تُعْذَرُ فليت شِعْري ما الذي تَنْتَظِرُ
 أَأَنْتَ قَائِمٌ بِهِ أَمْ تَسْخَرُ مالك في محمدي لا تَعْزِرُ
 وليتَ شِعْري والحديثُ يُؤَثِّرُ أترقُدُ الليلَ ونحن نَسْهَرُ
 خوفاً على أُمُورنا ونَضْجَرُ واللهُ واللهُ الذي يُسْتَغْفَرُ
 لأنَّ يَمُوتَ مَعْشَرٌ وَمَعْشَرُ خيرٌ لنا من فِتْنَةٍ تَسْعَرُ
 يَهْلِكُ فيها دينُهُم ويُوزَرُوا وقد وَفى القومُ الذين انْتَصَرُوا²
 لصاحبِ الرُّومِ وذاك أَصْغَرُ منه وهذا البَحْرُ لا يُكْذَرُ
 وذاكَم العِلْجُ وهذا الجَوْهَرُ يَنمي به محمَّدٌ وجَعْفَرُ
 والخُلَفَاءُ والنَّبِيُّ الأَكْبَرُ وَنَبَةٌ من هاشمٍ وعُصْرُ
 واعلمْ وَأَنْتَ المرءُ لا يُبْصَرُ واللهُ يَبْقِيكَ لنا وتَجِبُرُ
 مَنْ ذَوِي العُسرةِ حتى يُوسِرُوا أَنَّ الرِّجَالَ إِن وُلُوها آثَرُوا
 ذَوِي القَرَابَاتِ بها ، واستاثَرُوا بها ، وضَلَّ أَمْرُهُم واستَكْبَرُوا
 والمُلْكُ لا رِخْمَ له فيأصِرُ ذا رَحِمٍ والنَّاسُ قد تَغَيَّرُوا
 فأحْكِمِ الأَمْرَ وَأَنْتَ تَقْدِرُ فَمِثْلُ هذا الأَمْرِ لا يُؤْخَرُ

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أبشِّر يا عُماني بولاية محمد العهد . فقال : إي
 والله يا أمير المؤمنين ، بُشِّرِي الأرض المَجْدِيَّةَ بالغَيْثِ ، والمرأةَ النَّزُورَ بالولد ، والمرِضَ المُدْنَفَ
 بالبرء . قال : ولم ذاك ؟ قال : لأنَّه نسيج وحده ، وحامي مجده ، ومُورِي زنده . قال :
 فما لك في عبد الله³ ؟ قال : مَرَعِي ولا كالسَّعدان⁴ . فتَبَسَّمَ الرشيد وقال : قاتله الله من
 أعرابيٍّ ما أعرفه بمواضع الرغبة ، وأسرعَه إلى أهلِ البَذَلِ والعائِدة ، وأبعدَه من أهلِ الحَزَمِ
 والعَزَمِ ، والذين لا يُسْتَمْنَحُ ما لديهم بالنَّشاء ، أمَّا واللهِ إِنِّي لأعرف في عبدِ الله حَزَمَ المنصور
 ونُسْكَ المَهْدِيِّ ، وعِزَّ نَفْسِ الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها .

1 المجمع : المخفي في الصدر .

2 يوزروا : يصابون بالوزر ، وهو الذنب .

3 يعني المأمون .

4 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال :

[أرجوزة في ترشيح القاسم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثنا عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حماد ، عن أبي محمد المطبخيّ ، عن عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ ، عن جبير بن ضبيّنة الطائيّ ، قال : أخبرني الفضل قال : حضرت الرشيد يوماً وجلس للشعراء ، فدخل عليه الفضل بن الربيع وخلفه العمانيّ ، فأذناه الرشيد واستنشدته ، فأنشدته أرجوزة له فيه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع :

قُلْ لِلإمام المقتدى بأمِّه : ما قاسمٌ دونَ مدى ابنِ أمِّه¹
وقد رَضِيناه فقمُ فسمِّه

قال : فتبسّم الرشيد ثم قال : ويحك ! أما رَضِيتَ أن أوليّه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي ! فقال له العمانيّ : ما أردتُ يا أمير المؤمنين قيامك على رجلك ، إنما أردتُ قيام العزم . قال : فإنّا قد وليناه العهد ، وأمر بالقاسم أن يحضر . ومرّ العمانيّ في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها ، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه فقال له : يا قاسم ، عليك جائزة هذا الشيخ ، فقد سألنا أن نوليّك العهد وقد فعلنا ؛ فقال : حكمك يا أمير المؤمنين . فقال : وما أنا وهذا ! بل حكمك ، وأمر له الرشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة .

[أكرمه أبو الحر التميميّ فمدحه]

أخبرني محمد بن يزيد ، قال : حدّثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : دخل محمد بن ذؤيب العمانيّ على أبي الحرّ التميميّ بالبصرة ، فأطعمه وسقاه وجلّله بكساء فقال فيه : [من الرجز]

إنَّ أبا الحرِّ لَعَيْنُ الحرِّ يدفع عَنَّا سَبْرَاتِ القُرْ²
باللحم والشَّحمِ وخبزُ البرِّ ونُظْفَةُ مَكْنُونَةٍ فِي الجَرِّ³
يَشْرِبُهَا أَشْيَاخُنَا فِي السَّرِّ حتَّى نَرَى حَدِيثَنَا كَالدُّرِّ

1 قاسم بن هارون الرشيد جعله أبوه وليّاً للعهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقب المؤتمن . ومات في خلافة المأمون . وأم القوم : تقدّمهم .

2 سبرات : جمع سيرة ، وهي الغداة الباردة .

3 الجرّ : جمع جرّة .

[يمدح عبد الملك بن صالح]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد ، عن أبيه قال : قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشميَّ متوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ، ومدَّح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها :

نمَّته العرَّانينُ من هاشمٍ إلى النَّسَبِ الأوضح الأُصرَح¹
إلى نَبْعَةٍ فرعُها في السماء ومغرُسُها سرُّهُ الأبطَح

فأدخله عبدُ الملك إلى الرشيد بالرُّقَّة فأنشده :

هارونُ يا ابنَ الأكرمينَ حَسباً لَمَّا تَرَحَّلْتَ فَكُنْتَ كَكَبَا
من أرضِ بغدادَ توئمُ المغرِبَا طابَتْ لَنَا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبَا
ونَزَلَ الغيثُ لَنَا حتَّى رَبَا ما كَانَ من نَشْرِ وما تصوَّبَا
فَمَرَّجِبَا وَمَرَّجِبَا وَمَرَّجِبَا

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

[طعام محمد بن سليمان]

أخبرني عمِّي والحُسَيْن بنُ القاسم الكوكبيُّ ، قالا : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله الأزديُّ ، عن محمد بن عبد الله العامريِّ القرشيِّ ، عن العُمانيِّ الشاعر : أنَّه تغدَّى مع محمد بن سليمان بن عليٍّ ، فكان أوَّل ما قُدِّم إليهم فُرْنِيَّة² في لبن عليها سكر ، ثم تتابع الطَّعام ، فقال له : قُل فيما أَكَلْتَ شعراً تصفه ، فقال : [من الرجز]

جاؤوا بفُرْنِيٍّ لهم مَلْبُونٍ بات يُسَقَّى خالَصَ السُّمُونِ
مُصَوِّمٍ أَكُومَ ذِي غُضُونٍ قد حُشِيَتْ بالسَّكَّرِ المَطْحُونِ³
وَلَوَّنُوا ما شِئْتَ من تَلَوِينِ من بارِدِ الطَّعامِ والسَّخِينِ
ومن شرَّاسيفٍ ومن طُرْدِينِ ومن هُلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ⁴

1 العرَّانين : السادة والأشراف .

2 الفرنية : خبز مستدير .

3 مصومع : مجمع مرتفع .

4 شرَّاسيف : جمع شرسوف ، وهو الغضروف العالق بطرف الضلع المشرف على البطن . والطردين : طعام للأكراد . والهلام : طعام من لحم . والمصوص : طعام يطبخ منقوعاً في الخل .

ومن إوزٍ فائقٍ سمين . ومن دجاجٍ قيتٍ بالعجين¹
 فالشَّخْمُ في الظَّهورِ والبُطونِ وأتبعُوا ذلكَ بالجوزينِ
 وبالحَيْصِ الرُّطْبِ واللُّوزينِ وفكَّهُوا بعَبٍ وتينِ
 والرُّطْبِ الأزادِ والهَيرونِ محمد يا سيِّدَ البَيْنِ²
 ويكرِ بنتُ المصطفى الأمينِ الصادقِ المَبَارِكِ المَيِّمونِ
 وابنِ ولاةِ البَيْتِ والحُجُونِ اسمعْ لنعتٍ غيرِ ذي تَفْنينِ
 يخرجُ من فنٍّ إلى فنونٍ إن الحديثَ فيكَ ذو شُجونِ³

[العمانيّ لقب أطلق عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : حدَّثني أبو هاشم القينيّ قال : كان محمد بن ذؤيب العمانيّ الراجز من أهل البصرة ، ويكنى أبا عبد الله ، وإنَّما قيلَ له العمانيّ لأنَّه أقبل يوماً وقد خرج من عِلَّةٍ ووجهه أصفر ، فقال له بعض أصحابنا : يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العِلَّةِ كأنَّك جمل عُمانيّ . قال : وكانت جمال عُمان تحمِلُ الورسَ من اليمنِ إلى عُمان فتَصَفَّرَ ، قال : وهو من بني تميم ثم من بني فُقيم .

[عيسى بن موسى يصله]

قال : فقَدِمَ على عيسى بن موسى ، فلمَّا وصل إليه أنشدَه مديحاً له وفَدَّ إليه به ، فاستَحَسَنَه ووَصَلَه واقتطَعَه إليه وخصَّه ، وجعله في جُلُساته ، فقال العمانيّ فيه : [من الرجز]

ما كنتُ أدري ما رَخاءُ العَيشِ ولا لِبَسُ الوَشْيِ بعد الخَيشِ
 حتَّى تَمَدَّحتُ فتى قُرَيْشِ عيسى ، وعيسى عند وقتِ الهَيْشِ⁴
 حين يَخِفُّ غَيْرُهُ للطَّيْشِ زَيْنُ المقيمين وعِزُّ الجَيْشِ
 راش جَنَاحيَّ وفوق الرِّيشِ

1 قيت : من القوت ، أي أضيف إليه العجين .

2 الأزاد : نوع من الرطب . والهَيرون : البرِّي من التمر والرطب .

3 المثل «الحديث ذو شجون» في مجمع المياداني 1 : 197 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري

1 : 310 وفصل المقال : 67 .

4 الهيش : الفساد والهياج .

[في حصار هرقلة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أحمد بن علي بن أبي نعيم قال : حدثنا موسى بن صبيح المروزي قال : خرج الرشيد غازياً بلاد الروم ، فنزل بهرقلة ، ونصب الحرب عليها ، فدخل عليه العماني وهو يذكر بغداداً وطيبها وما فيه أهلها من النعمة ، فأنشده العماني قصيدة له في هذا المعنى ، يذكر فيها طيب العيش ببغداد ، وسعة النعم ، وكثرة اللذات ، يقول فيها : [من الرجز]

ثم أتوهم بالدجاج الدجج بين قديس وشواء منضج
وبعيط ليس بالملهوج فدق الكودني الديزج¹
حتى ملا أعفاج بطن نفج وقال للقينة : صبي وامزجي²

قال : فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم .

ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنقط الأبيض على الحجارة ، وتلف بالمشاقة³ ، وتوقد فيها النار ، ثم توضع في كفة المنجنيق ويرمى بها السور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تثبت في السور وتصدعه حتى طلبوا الأمان حينئذ ، فغناه ابن جامع وقال :

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنقط والنار
كان نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار

فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى .

[يصف فرساً سابقاً للمهدي]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني أبو هفان قال : حدثني أحمد بن سليمان قال : قال يزيد بن عقال : كنا وقوفاً والمهدي قد أجرى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان ، فطلب الشعراء فلم يحضر أحد منهم إلا أبو دلامة ؛ فقال له : قلده يا زندي ، فلم يفهم ما أراد فقلده عمامته ، فقال له المهدي : يا ابن اللخناء ، أنا أكثر عمام منك ؛ إنما أردت أن تقلده شعراً ، ثم قال : يا لهفي على العماني . فلم يتكلم بها حتى أقبل العماني ، فقيل له : ها هوذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين ، فقال : قدموه ، فقدّموه

1 العيط : اللحم الطري . والكودني : البيل .

2 الأعفاج : جمع عفج ، وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .

3 المشاقة : ما خلص من الكتان والقطن .

فقال : قُلْتُ فَرَسِي هَذَا ، فقال غير مُتَوَقِّف : [من الرجز]

قد غَضِبَ الغَضْبَانُ إِذْ جَدَّ الغَضَبُ وجاء يحمي حَسَباً فَوْقَ الحَسَبِ
من إرثِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المَطْلَبِ وجاءت الخَيْلُ به تَشْكُو التَّعَبُ
له عليها ما لَكُمْ على العَرَبِ

فقال له المهديُّ : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ ، وَأَمَرَ له بِعَشْرَةِ آلَافِ درهم .

صوت

[من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقِي أَنْ الذي هو رِزْقِي سوفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ ولو قَعَدْتُ أَتَانِي لا يُعِينَنِي
الشعر لِعُرْوَةَ بْنِ أَذْيَنَةَ¹ ، والغناء لُمُخَارِقِ ثَقِيلِ أَوَّلِ بالبصرة عن عمرو .

[394] - أخبار عروة بن أذينة ونسبه¹

[نسبه]

هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقبه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل² بن يغمر ، وهو الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وسُمّي يغمر بالشدّاخ لأنّه تحمّل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة ، وقال : قد شدّختُ هذه الدماء تحت قدمي ، فسُمّي الشدّاخ .

قال ابن الكلبي : الشدّاخ ، بضمّ الشين .

[شاعر وفقه ومحدث]

ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر ، وهو شاعر غزل مُقدّم ، من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود في الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس ، وعبيد الله بن عمر العدوي . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن عُمر بن شُبّة ؛ وروى جدّه مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

[علي يكره قتل رجال قريش]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن موسى قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، عن ابن دأب ، عن عروة بن أذينة ، عن أبيه قال : حدّثني أبي مالك بن الحارث قال : خرّج مع علي بن أبي طالب عليه السلام رجل من قومي كان مُضطلماً³ . فخرّجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته ، فأردت أن استأذن له من علي ، فأدركت عليّاً عليه السلام بالبصرة ، وقد هزم الناس ودخل البصرة ؛ فجنّته فقال : مرحباً بك يا ابن الفقيمة ، أبدا لك فينا بدءاً⁴ ؟ قلت : والله إن نصرتك لحق ، وإنّي لعلّ ما عهدت أحبّ العزلة ، ثم ذاكرته أمر ابن عمّي ذلك ، فلم يبعد عنه ، فكننت آتية أتحدّث إليه . فركب يوماً يطوف وركبت معه . فإني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة ، فنظر إليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال : أمسى

1 ترجمة عروة بن أذينة في الشعر والشعراء : 483-484 والمؤتلف : 69-70 والسمط : 136 والموشح : 231-233 وله مقطعات في أمالي المرتضى 1 : 408-416 وفي الزهرة وله قصائد في منتهى الطلب . وقد نشرت دار صادر (بيروت) ديوانه سنة 1996 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ل : ذهل .

3 مصطلم : مقطوع .

4 بدء : ظهور الرأي .

والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ، ثم تَمَثَّلَ : [من الوافر]

وما تَذَرِي وإن أزمعتُ أمراً بأيّ الأرض يُذَرِّكُكَ المَقِيلُ

والله إني لأكره أن تكون قریش قتلى تحت بطون الكواكب . قال : فوقع العراقيون يَشْتُمُونَ طَلْحَةَ وسَكَتَ عليّ وسَكَتُ ، حتى إذا فرغوا أقبل عليّ عليه السلام عليّ فقال : إيه يا ابن الفُقَيْمَةِ ، والله إنه وإن قالوا ما سَمِعْتَ لكما قال أخو جُعْفَى : [من الطويل]

فَنِي كَانَ يُذِنِيهِ الغِنَى من صَدِيقِهِ إذا ما هو اسْتَغْنَى وَيُعِدهُ الْفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكَلِّمَهُ بشيء فقلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال : وما مَنَعَكَ أن تقول : يا أبا الحَسَنِ ؟ فقلتُ : أَبَيْتُ ، فقال : والله إنها لأحِبُّهُمَا إليّ لولا الحَقْمَى ، وَلَوْدِدْتُ أَنِّي خَنَيْتُ بِجَبَلٍ حتى أموت قبل أن يفعل عُثْمَانُ ما فَعَلَ ، وما أعتذر من قِيَامٍ بِحَقٍّ ، وَلَكِنَّ العَافِيَةَ مِمَّا تَرَى كانت خيراً .

[حريق الكعبة]

حدَّثنا محمد خَلَفَ وَكَيْع ، والحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قالوا : حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سَعْدٍ ، عن الواقديّ ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عروة بن أذينة قال : قَدِمْتُ مع أبي مكّة يوم احترقت الكعبة ، فرأيتُ الخشبَ وقد خَلَصَتْ إليه النَّارُ ، ورأيتُ الكعبة مُتَجَرِّدَةً ، من الحريق ، ورأيتُ الرُّكْنَ قد اسودَّ وتصدّع من ثلاثة أَمْكِنَةٍ . فقلتُ : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجلٍ من أصحاب ابن الزُّبَيْرِ فقالوا : هذا احترقت بسببه ؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمَح ، فطَيَّرَتِ الرِّيحُ منه شيئاً ، فَضَرَبَتْ أَسْتَارَ الكَعْبَةِ فيما بين اليمانيّ إلى الأسود . [رزقه يأتيه]

حدَّثني محمد بن جرير الطبريّ وحَفِظْتُهُ ، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيب بن نصر المَهْلَبِيّ قالوا : حدَّثنا عُمَرُ بن شُبَّة قال : حدَّثني عمر بن محروس الوراق بن أَقْبَصَ السُّلَمِيّ قال : حدَّثنا يحيى بن عروة بن أذينة قال : أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك ، فنسبَهم ، فلما عرف أبي قال له : أنت القائل ¹ : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقِي أن الذي هو رِزْقِي سوف يَأْتِينِي

أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ ولو جَلَسْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي

هذا البيتان فقط ذكرهما المَهْلَبِيّ والجوهريّ ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات

1 القصيدة في ديوانه : 122-126 . وهناك قطعة أخرى (128-129) تشترك مع القصيدة في بعض الأبيات . والأبيات الواردة هنا بعضها موجود في الاثنتين وبعضها في هذه أو تلك .

كلّها :

[من البسيط]

وَأَنَّ حَظَّ أَمْرِي غَيْرِي سَيَبْلُغُهُ
 لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي لِمَنْقَصَةٍ
 لَا أُرْكَبُ الْأَمْرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ
 كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيَ النَّفْسَ تَعْرِفُهُ
 وَمَنْ عَدُوٌّ رَمَانِي لَوْ قَصِدْتُ لَهُ
 وَمَنْ أَخْرَجَ لِي طَوِي كَشْحًا فَقُلْتُ لَهُ :
 إِنِّي لَأَنْطَلِقَ فِيمَا كَانَ مِنْ أَرَبِي
 لَا أَبْتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبْغِي مَفَارِقَتِي
 لَا بُدَّ لَا بُدَّ أَنْ يَحْتَازَهُ دُونِي
 وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي¹
 وَلَا يُعَابُ بِهِ عِرْضِي وَلَا دِينِي
 وَمَنْ غَنِيَ فَقِيرِ النَّفْسِ مِسْكِينِ
 لَمْ يَأْخُذِ النُّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي²
 إِنَّ أَنْطِلَوَاءَكَ عَنِّي سَيُوفُ يَطْوِينِي
 وَأَكْثَرُ الصَّمْتِ فِيمَا لَيْسَ يَغْنِينِي
 وَلَا أَلَيْنُ لَسْنُ لَا يَشْتَهِي لِينِي³

فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها ؛ قال : أفلا قعدت في بيتك حين يأتيك رزقك ! وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرّسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فمضى الرسول فلاحقه وقد نزل على ماء يتغذى عليه ، فأبلغه رسالته ودفع الجائزة . فقال : قل له : صدقني ربّي وكذبك .

قال يحيى بن عروة : وفرض له فريضتين ، فكننتُ أنا في إحداها .

أخبرنا وكيع قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدّثني الزبير بن بكار قال : حدّثني أبو غزّية قال : حدّثني أنس بن حبيب قال : خرج ابن أذينة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه ، وكان ابنه مسلّم بن هشام سنة حجّ أذن لهم في الوفود عليه ، فلما دخلوا على هشام انتسبوا له وسلّموا عليه ، فقال : ما جاء بك يا ابن أذينة ؟ فقال⁴ :

[من المتقارب]

أَتَيْنَا نُمْتُ بَارْحَامِنَا
 وَجِئْنَا بِإِذْنِ أَبِي شَاكِرِ
 فَإِنَّ الَّذِي سَارَ مَعْرُوفُهُ
 بَنَجْدٍ وَغَارٍ مَعَ الْغَائِرِ

1 الغفّة : البلغة .

2 النصف : (بفتح النون وكسرهما) الإنصاف . وفي الديوان : لم آخذ النصف منه

3 الديوان : . . . يبغي مقاطعتي .

4 ديوانه : 36 .

إلى خير خَنْدِفَ في ملكها لِبَادٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ حَاضِرٍ

فقال له هشام : ما أراك إلا قد أَكْذَبْتَ نفسك حيث تقول : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإِسْرَافُ من خُلُقِي أَنْ الذي هو رِزْقِي سوف يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ ولو جَلَسْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي

فقال له ابن أذينة ما أَكْذَبْتَ نفسي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي صَدَّقْتُهَا ، وهذا من ذاك . ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة ، فلما أمر لهم هشامُ بِجَوَائِزِهِمْ فَقَدَهُ ، فقال : أين ابنُ أذينة ؟ فقالوا : غَضِبَ من تقريعك له يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِشَامُ بِجَائِزَتِهِ .

[الراعي النائم]

أخبرنا وَكَيْع قال : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عن عُرْوَةَ بن عبيد الله قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ أذِينَةَ نَازِلًا مَعَ أَبِي فِي قَصْرِ عُرْوَةَ بِالْعَقِيقِ ، وَخَرَجَ أَبِي يَوْمًا يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ وَابْنُ أذِينَةَ ، وَنَظَرَ إِلَى غَنَمٍ كَانَتْ لَهُ فِي يَدَيْ رَاعٍ يُقَالُ لَهُ كَعْبٌ ، وَهِيَ مُهْمَلَةٌ ، وَكَعْبٌ نَائِمٌ حَجَرَةً¹ ، فَجَعَلَ ابْنُ أذِينَةَ يَنْزُو حَوْلَهُ وَهُوَ يَضْرِبُهُ وَيَقُولُ² : [من الرجز]

لَوْ يَعْلَمُ الذُّبُّ بَنُومَ كَعْبٍ إِذَا لَأُمْسَى عِنْدَنَا ذَا ذَنْبٍ
أَضْرِبُهُ وَلَا يَقُولُ حَسْبِي لَا يَدُّ عِنْدَ ضَيْعَةٍ مِنْ ضَرْبٍ

[تمين فكنا المنى]

أخبرني أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ ، وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالُوا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، قَالَ : مَرَّ ابْنُ عَائِشَةَ الْمُغْنِي بِعُرْوَةَ بْنِ أذِينَةَ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ لِي أُبَيَاتًا هَزَجًا أَغْنِي فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ³ :

[من الهزج]

صوت

سُلَيْمِي أَجْمَعْتَ بَيْنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا
وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقِينَا

1 حَجَرَةٌ : نَاحِيَةٌ .

2 دِيَوَانُهُ : 9 .

3 دِيَوَانُهُ : 115 .

تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا
وَعَابَ الْبَرِّمُ إِلَيَّ لَهْ وَالْعَيْنُ فَلَ عَيْنَا¹
فَأَقْبَلَنَ إِلَيْهَا مُسَدَّ رِعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا
إِلَى مَثَلِ مَهَاةِ الرَّمِّ لَمْ تَكْسُو الْمَجْلَسَ الزَّيْنَا
تَمْنَيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَا تَمْنِينَا

قال أبو غسان : فحدثتُ أَنَّ ابْنَ عائشة رواها ثم ضحك لما سَمِعَ قوله : [من الهزج]
تَمْنَيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَا تَمْنِينَا
ثم قال : يا أبا عامر تَمْنِينُكَ لَمَّا أَقْبَلَ بِعَرْكِ وَأَذْبَرَ ذَكَرُكَ .

[امتدحه عمر بن عبد العزيز]

قال عمرُ بنُ شُبَّة : قال أبو غسان : فحدثني حمَّادُ الحُسَيْنِي قال : ذَكَرَ ابْنُ أُذَيْنَةَ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ
عبد العزيز : فقال : نِعَمَ الرَّجُلِ أَبُو عامر ، على أَنَّهُ الَّذِي يَقُولُ : [من الهزج]

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِ لَهَا يَا زُهْرٍ تَلَاقَيْنَا

وَأخبرني بهذا الخبر وكيع قال : حدثني هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزُّبَيْرِيُّ ، عن
الزُّبَيْرِ ، عن محمد بنِ يحيى ، عن إِسْحَاقَ بنِ إِبراهيم ، عن قسطلاس قال : مرَّ ابْنُ عائشة بابن
أُذَيْنَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْخَبَرَ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .

[سكينة تطعن في ادعائه العفة]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المَهْلَبِيُّ ، والحِزْمِيُّ بنُ أَبِي الْعَلَاءِ قالا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ
قال : حَدَّثَنِي أَبُو معاوية عبدُ الجَبَّارِ بنُ سعيد المساحقي ، وأخبرنا به وكيع قال : حَدَّثَنَا
أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ ، عن الحارث بنِ محمد العَوْفِيِّ قال : وَقَفْتُ سَكِينَةَ بِنْتَ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ
عليهما السلام على عُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ فِي موكبها ومعهما جواريهما ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت
الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ مُرُوءَةً ، وَأَنَّ غَزَلَكَ مِنْ وَرَاءِ عِفَّةٍ وَأَنْتَ تَقِي ؟ قال : نعم ؛ قالت :
أَفَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ² :

صوت

قالت وَأَبْتَشَتْهَا وَجَدِي فَبُحْتُ بِهِ : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَرِ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا : غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي

1 البرم : الضجر السؤوم .

2 ديوانه : 33 .

قال لها : بلى ؛ قالت ، هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم ، أو قالت : من قلب صحيح .

في هذين البيتين لعلويه رمل بالنصر ، وفيهما لإسحاق هزج بالوسطى ، وفيهما لمخارق ثقيل أول بالنصر ، عن الهشامي وعمرو بن بانه ، وذكر حبش أن الثقيل الأول لمعبد اليقطيني .
[بعض المنتصر للمعتر]

وذكر علي بن محمد بن نصر البسامي أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال : كنت جالساً بين يدي المتوكل ، وبين يديه المنتصر ، فأحضر المعتر وهو صبي صغير ، فلعب فأفرط في اللعب ، والمنتصر يرمقه كالمنكر لفعله ، فنظر إليه المتوكل عدة دفعات ، ثم التفت إلى المنتصر فقال : يا محمد :

قالت وأبشيتها وجدي فبحث به : قد كنت عندي تحب الست فاستير
قال : فاعتذر إليه المنتصر عذراً قبله وهو مقطب معرض . قال : وكان المنتصر أشد خلق الله بغضاً للمعتر ، وطعناً عليه . ولقد دخلت إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المهلب بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه ، ومع المهلب درع كأنها فضة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه درع المهلب ، فأخذها وقام فلبسها ، ورأى المعتر وعليه وشي ثقيل وما أشبه ذلك ، فتمثل ببيت جرير¹ :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجلاجله²

[طعن آخر في براءته]

أخبرني وكيع قال : حدثني هارون بن محمد قال : حدثني عبد الله بن شعيب الزبيري قال : حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة قال : مرّت امرأة بابن أذينة وهو بفناء داره فقالت له : أنت ابن أذينة ؟ قال : نعم ، قالت : أنت الذي يقول الناس إنك امرؤ صالح ، وأنت الذي تقول³ :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي عمدت نحو سقاء القوم أترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد⁴

1 ديوان جرير (صادر) : 388 .

2 الكرج : حصان خشبي يلعب عليه الأطفال ، وفي الديوان : لبست أداتي .

3 ديوانه : 29 .

4 الديوان : فمن لحر ... يتقد .

[أبو السائب يعجب بشعره]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني عمّي ، عن عروة بن عبد الله ، وأخبرنا به وكيع ، عن هارون بن الزيات ، عن الزبيريّ ، عن عمّه ، عن عروة بن عبد الله ، وذكره حماد ، عن أبيه ، عن الزبيريّ ، عن عروة هذا قال : كان عروة بن أذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمعه ينشد¹ :
[من الكامل]

صوت

جُعِلَتْ هَوَاكَ كَمَا جُعِلَتْ هَوَىٰ لَهَا	إِنَّ التّي زَعَمْتَ فُوَاذَكَ مَلَّهَا
يُيْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا	فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا وَكَلَاكُمَا
لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لِأَقْلَهَا ²	وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبُّ لَهَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتُ إِذَا لِأَظْلَهَا	وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
شَفَعَ الْفُوَاذُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّهَا ³	وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوَسَ سَلْوَةَ
بِلَبَاقَةٍ فَأَذَقَهَا وَأَجَلَّهَا	بِيضًا بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
أَرْجُو مَعُونَتَهَا وَأَخْشَى ذَلَّهَا	لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا	مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :
مِنْ أَجْلِ رِقَبَتِهَا ، فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا	فَدَنَا فَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ

قال : فأتاني أبو السائب المخزومي وأنا في داري بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال نعم ، أبيات لعروة بن أذينة ، بلغني أنك سمعتها منه ؛ فقلت له : وأية أبيات ؟ فقال : وهل يخفى القمر ؟ قوله :

إِنَّ التّي زَعَمْتَ فُوَاذَكَ مَلَّهَا

فأنشدته إياها ، فلمّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ «فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا» . قال : أحسن والله ، هذا والله الدائمُ العهد ، الصادقُ الصبابة ، لا الذي يقول :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَاهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

أذهب لا صَحِيحِكَ اللهُ ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ ، يعني قائلُ هذا البيت ، لقد عدا الأعرابي طَوْرَهُ ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك ، يعني عروة ، لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها . قال : فعرضتُ

1 ديوانه : 70-71 .

2 أقلها : هزها وأرعدھا .

3 الشطر الثاني في الديوان : شفّع الضمير إلى الفوَاذ فسَلَّهَا .

عليه الطَّعام فقال : لا ، والله ما كنتُ لَأَكُلُ بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل ، وانصرف .

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشعر المذكور فيه لعروة في البيت الأوّل والرابع من الأبيات خفيف رمَل بالوسطى ، نسبه ابنُ المَكِّي إلى ابنِ مِسْجَح ، وقيل : إنّه من مَنَحُولِهِ إليه ، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابنِ أذينة خفيف ثَقِيل لابنِ الهَرَبْد ، والبيت :

وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبًّا لَهَا لو كان تحت فراشها لأَقْلَهَا

[أبو السائب لا يعجب بشعره]

أخبرني الحِزْمِيُّ بنُ أَبِي العلاء قال : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ أَبِي بَكْرٍ المَوْمِلِيُّ قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي عبيدة قال : قلتُ لأبي السَّائِبِ المَخْزُومِيِّ : ما أحسن عُرْوَةَ بنِ أذينة حيث يقول¹ :

صوت

لَيْشُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بَغْيَرٍ دَارٍ إِقَامَةٍ لو قد أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لو كان حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظِلْعَانًا حَيًّا الْحَاطِطُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاغِيًّا يَنْضُ بِأَكْنَافِ الْحَاطِطِ مُرْكُمُ

في هذه الأبيات الثلاثة لابنِ سُرَيْجٍ ثاني ثَقِيلٍ بالبَنْصَرِ عن عمرو .
قال : فقال : لا ، والله ما أحسن ولا أَجْمَل ، ولكنه أَهْجَرُ وَأَخْطَلُ في صِفَتَيْنِ بهذه الصفة ، ثم لا يَنْدَمُ على رَحِيلِهِ . أَهْكَذَا قال كُثَيِّرٌ حيث يقول² :

صوت

تَفَرَّقَ أَهْوَاءُ الْحَجِيجِ عَلَى مِئَةٍ وَصَدَّعَهُمْ شَعْبُ النَّوَى صَبْحَ أَرْبَعِ
فَرِيقَانِ : مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ تَضْرُعِ³

في هذين البيتين للدلالِ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن الهشاميِّ وَحَبَشَ :

1 ديوانه : 83 .

2 ديوان كثير : 410-411 .

3 تضرع : جبل قرب مكة .

فلم أر داراً مثلها دار غَيْطَةٍ وملتقى إذا التفّ الحَجِيجُ بمَجْمَعٍ
أقلّ مقيماً راضياً بمكانِهِ وأكثَرَ جاراً ظاعِناً لم يُودِّعِ
انظر إليه كيف تقدّمت شهادته عِلْمَهُ وكبا لسانه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا
يرضى به ، ولكن مُكْرَةً أخوك لا بَطَلٌ¹ ؛ والعرجي كان أوفى بالعهد منهما وأولى بالصواب ،
حين تعرّض لها نافرة من منى ، فقال لها عاتياً مُستَكِيناً² :
[من الكامل]

عُوجِي عَلَى فَسْلَمِي جَبْرُ فِيمَ الصُّدُودُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
ما نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنَى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نسبته في أخبار ابن جامع في أول الكتاب .
أخبرني الحرّميُّ بنُ أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : حدّثني جعفر بن
موسى اللّهيّ قال : كان عبدُ الملِك بن مروان إذا قَدِمَ مكة أذِنَ للقرشيين في السّلام عليه ،
فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم وقال : أكَذَبْنَا إِذَا قَوْلَ الْمُلْحِي ، يعني كُثَيْرًا ، حيث
يقولُ :
[من الطويل]

تَفَرَّقَ أَهْوَاءُ الْحَجِيجِ عَلَى مِنَى وَصَدَّعَهُمْ شَعْبُ النَّوَى صُبْحَ أَرْبَعٍ
وذكر الأبيات الأربعة .

[خالد صامة يغني بشعره عند الوليد]

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأَحْفَش قال : حدّثنا محمد بن يزيد : قال حدّثنا الزُّبير ، عن
خالد صامة ، وكان أحد المغنّين قال : قَدِمْتُ على الوليد بن يزيد ، فدخلت إليه وهو في
مجلس ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل ، فجعلوا
يُغَنُّون ، حتى بلغت التوبةُ إليَّ فغَنَيْتُهُ³ :
[من الوافر]

صوت

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَارَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْسَ فِتْرُ⁴
أَرَأَيْتُ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرُضُ لِلْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي⁵

1 المثل «مكره أخوك (أخاك) لا بطل» في مجمع الميداني 2 : 318 وجمهرة العسكري 2 : 242 ومستقصى
الرمخشري 2 : 347 .

2 تقدم بيتا العرجي في ترجمته بالجزء 1 : 263 ، وفي ترجمة ابن جامع في الجزء 6 : 222 .

3 ديوان عروة : 34 .

4 الديوان : قيد فتر .

5 الديوان : تعرّض أو على المجرة يجري .

لَهُمْ مَا أَزَالُ لَهُ مُدِيمًا كَانَ الْقَلْبَ أَضْرِمَ حَرَّ جَمْرٍ¹
 عَلَى بَكْرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيداً وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ!²

فقال لي الوليد : أعد يا صام ، ففعلت . فقال لي : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قلت : عروة بن أذينة يرثي أخاه بَكْرًا . فقال لي : وَأَيُّ الْعَيْشِ لَا يَصْلُحُ بَعْدَهُ ؟ هذا العيش والله الذي نحن فيه على رَغَمِ أَنْفِهِ ، والله لقد تَحَجَّرَ واسعاً³ .

لابن سُرَيْج في هذه الأبيات ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو وابن المَكِّي وغيرهما وفيها رمل يُنسَب إلى ابن عَبَّاد الكاتب ، وإلى حاجب الحزور⁴ ، وإلى مسكين بن صدقة .

حدَّثنا الأخفش ، عن محمد بن يزيد قال : قال الزُّبَيْرِيّ : حَدَّثْتُ أَنَّ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْشَدَتْ هَذَا الشَّعْرَ فَقَالَتْ : مَنْ بَكَرَ هَذَا ؟ أَلَيْسَ هُوَ الْأَسْوَدُ الدَّحْدَاحُ⁵ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِنَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : لَقَدْ طَابَ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ حَتَّى الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ .

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدُّمَشْقِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : لَقِيَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ عُرْوَةَ بْنَ أَذِينَةَ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ⁶ :

لَا بَكَرَ لِي إِذْ دَعَوْتُ بَكْرًا وَدُونَ بَكْرٍ لَرَى وَطِينُ

حتى فرغ منها ، ثم أنشده :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي

حتى بلغ إلى قوله :

وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ !

فقال له ابن أبي عتيق : كُلُّ الْعَيْشِ وَاللَّهُ يَصْلُحُ بَعْدَهُ حَتَّى الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ . فَغَضِبَ عُرْوَةُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَحَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا ، فَمَاتَا مُتَهَاجِرَيْنِ .

1 الديوان : كَانَ الْقَلْبَ أَبْطَنَ ...

2 الديوان :

على بكر أخِي فَارَقْتُ بَكْرًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ

3 تحجر واسعاً : ضيق على نفسه . وقد ورد هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد الجزء 7 : 49 .

4 بيروت : وإلى صاحب الحرون .

5 الدحداح : القصير .

6 ديوانه : 112 .

[395] - ذكر مخارق وأخباره¹

[نسه]

هو مُخَارِق بنُ يَحْيَى بن ناووس الجزَّار مَوْلَى الرشيد ، وقيل : بل ناووس لَقَبُ أبيه يَحْيَى ،
ويكنى أبا المُهَنَّأ ، كناه الرشيد بذلك .

وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من المغنيات المحسنات المتقدّمات في الضرب ، ذكر
ذلك مُخَارِقٌ واعترف به . ونشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان منشؤه بالكوفة .
[تعلّم الغناء]

وكان أبوه جزّاراً مملوكاً ، وكان مُخَارِقٌ وهو صبيّ ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم .
فلما بان طيبُ صوته علّمته مولاهُ طرفاً من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصليُّ
منها ، وأهداه للفَضْل بن يَحْيَى ، فأخذه الرشيد منه ، ثم اعتقه .
[انتقاله من مالك لآخر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : حدّثني زكريّا مولاهم ، وأخبرني محمد بن
يحيى الصوليُّ قال : حدّثني عبّيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن
زكريّا مولاهم قال : قدِمْتُ مولاةُ مُخَارِقٍ به من الكوفة ، فنزلت المُخَرَّم² ، وصار إبراهيمُ إلى
جدّي الأصْبَغ بن سنان المُقَيّن وسيرين بن طَرْحان النّخّاس ، فقالا له : إن هاهنا امرأةٌ من أهل
الكوفة قد قدِمَتْ ومعها غلام يتغنّى ، فأحبّ أن تنفعا فيه . قال : فوجّهني مع مولاته
لأحمِلَه ، فوجدته مُتَمَرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرَّم وهو يلعب ، فَحَمَلْتُهُ خلفي وأتيتُ
به إبراهيمَ ، فتغنّى بين يديه فقال لها : كم أملكُ فيه ؟ قالت : عشرة آلاف درهم ، قال : قد
أخذته بها وهو خيرٌ منها . فقالت : أقلّني قال : قد فعلتُ ، فكم أملكُ فيه ؟ قالت : عشرون
ألفاً ، قال : قد أخذته بها وهو خيرٌ منها . فقالت : والله ما تطيبُ نفسي أن أمتنع من عشرين
ألف درهم بكَيْدٍ رطبة ، فهل لك في خصلة : تُعطيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أُستقيلكُ³
بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خيرٌ منها ، فصفقتُ على يده⁴ وباعته ؛ وأمر بالمال فأخضر ،

1 ترجمة مخارق في النجوم الزاهرة وتاريخ الطبري 8 : 521 ونهاية الأرب 4 : 312-320 وانظر مواضع
متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 المُخَرَّم : محلة كانت ببغداد .

3 أُستقيلك : أطلب فسخ البيع .

4 صفقت على يده : ضربت يدها على يده إيجاباً للبيع .

وأمر بثلاثة آلاف درهم فزِيدَت عليه ، وقال : تكون هذه لهدية تُهدِيها أو كُسوة تَكْتَسِيها ، ولا تَتَلَمِّنَ المال .

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له : ما خبرُ غلامٍ بلغني أنك اشتريته ؟ قال : هو ما بلغك ، قال ، فأرنيه ، فأحضَرَه ، فلَمَّا تَغَنَّى بين يدي الفضل قال له : ما أرى فيه الذي رأيت ، قال : أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ، ولم يكن مثله في الدنيا ولا يكون أبداً . فقال : بكم تبيعه ؟ فقال : اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم ، وهو حرٌّ لوجه الله تعالى إن بيعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار . فغَضِبَ الفضل وقال : إنما أردت أن تمنعني أو تجعله سبباً لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال له : أنا أصنع بك خصلة ؛ أبيعك نصفه بنصف هذا المال ، وأكون شريكك في نصفه وأعلمه ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال . وإلا بيعته بعد ذلك وكان الرِّيحُ بيني وبينك . فقال له الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدِمْتَ ذِكْرَه ، فلَمَّا لم تغدِرْ على ذلك أردت أن تأخذ نصفه .

وغَضِبَ ، فقال له إبراهيم : فأنا أهبه لك ، على أنه يُساوي ثلاثة وثلاثين ألفَ دينار ، قال : قد قبلته ، قال : قد وهبته لك . وغدا إبراهيم على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ما غلامٌ بلغني أنك وهبته للفضل ؟ قال : فقلت : غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ، ولا يكون مثله أبداً ، قال : فوجه إلى الفضل فأمره بإحضاره ، فوجه به إليه فتغنى بين يديه ، فقال لي : كم يُساوي ؟ قال : قلت : يُساوي خراج مصر وضياعها . فقال لي : ويلك ، أتدري ما تقول ! مبلغ هذا المال كذا وكذا . فقلت : وما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحدٌ مثله قط ! قال : فالتفت إلى مسرور الكبير وقال : قد عرفتَ يميني ألا أسأل أحداً من البرامكة شيئاً بعد فننّة¹ . فقال مسرور : فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه ، فإذا وهبه لي وكان عبدي فهو عبدي . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل فقال له : قد عرفتُم ما وقَعْتُم فيه من أمر فننّة ، وإن منعتُموه هذا الغلام قامت القيامة ، واستوهبه منه فوهبه له ، فبلغ ما رأيت . فكان علويّه إذا غضب على مخارق يقول له ، حيث يقول : أنا مولى أمير المؤمنين ، متى كنت كذلك ؟ إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور .

أخبرني ابن أبي الأزر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : كان مخارق بن ناووس الجزار ؛ وإنما لُقّب بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس² الكوفة فيطبخ فيه قدرًا باللّيل حتى تنضج . فطرح رهنه بذلك ، فدس الرجل الذي راهنه رجلاً . فألقى

1 فننّة أو فننّه : لعل اسم غلام أو جارية .

2 الناووس : المقبرة .

نفسه في النأورس بين الموتى ، فلما فرغ من الطبخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له :
 أطعمني ، فغرف مِلءَ المِغْرِفَةِ من المِرْقَةِ فصَبَّها في يد الرجل فأحرقها ، وضربها بالمِغْرِفَةِ وقال
 له : اصبر حتى نُطْعِمَ الأحياءَ أولاً ثم نتفرَّغ للموتى ، فلَقَّبَ بناورس لذلك . فنشأ ابنه
 مُخَارِقُ ، وكان يُنادي عليه إذا باع الجَزُورَ ، فخرج له صوتٌ عجيب ، فاشتراه أبي وأهداه
 للرشيْد فأمره بتعليمه فعلمه حتى بلغ المبلغ الذي بلغه .
 [يفوق ابن جامع]

وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ، ويُغني وهو واقف ، فغنى ابن
 جامع ذاتَ يوم بين يدي الرشيد¹ :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مُصَبَّغَاتٌ عَلَى أُرْسَانِ قِصَارٍ
 هَوَتْ هِرْقَلَةَ لَمَّا أَنَّ رَأَتْ عَجَبًا حَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ

فطرب الرشيد واستعاده عدّة مرّات ، وهو شعر مُدْرِح به الرشيد في فتح هِرْقَلَةَ ، وأقبل
 يومئذٍ على ابن جامع دون غيره ، فغمز مُخَارِقُ إبراهيمَ بعينه ، وتقدّمه إلى الخلاء ، فلما جاءه
 قال له : ما لي أراك مُنْكَسِرًا ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا
 الصوت ؟ فقال : قد والله أخذته ، فقال له : ويحك إنه الرشيد ، وابنُ جامع من تعلم ، ولا
 يمكن مُعَارَضَتَهُ إِلَّا بما يزيد على غِنائِهِ ، وإِلَّا فهو الموت . قال : دَعْنِي واخلاك ذم ، وعرفه
 أَنِّي أَغْنِي بِهِ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَإِلَيْكَ يُنْسَبُ ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَإِلَيَّ يعود . فقال للرشيد : يا أميرَ
 المؤمنين ، أراك متعجبًا من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر ممّا يستوجبّه . فقال : لقد
 أحسنَ ابنُ جامع ما شاء ، قال : أو لا بين جامع هو ؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال له : فإنَّ
 عبدك مُخَارِقًا يغنيه . فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هايت ، فغنّاه
 وتحفّظ فيه ، فأتى بالعجائب ؛ فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً ، وشرب ، ثم أقبل على ابن
 جامع فقال له : ويحك ، ما هذا ! فابتدأ يحلف له بالطلاق وكلّ مُحَرِّجَةٍ أنّه لم يُسمِع ذلك
 الصوت قطّ إلّا منه ، ولا صنّعه غيره ، وأنها حيلةٌ جرّت عليه . فأقبل على إبراهيم وقال :
 أصدّقني بحياتي ، فصدّقهُ عن قصّة مُخَارِقِ . فقال له : أكذلك هو يا مُخَارِقُ ؟ قال : نعم يا
 مولاي . فقال : اجلس إذن مع أصحابك ، فقد تجاوزتَ مرّبةً من يقوم ، وأعتقه ووصلّه
 بثلاثة آلاف دينار ، وأقطعه ضيعةً ومنزلاً .
 [صوت يفتقه ويغنيه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، وحدثني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال وكيع : حدثني

1 البيتان لشاعر مكّي سبق أن وردا معكوسين في ترجمة أشجع السلمي .

هارون بن مُخارق ، وقال ابنُ المَرْزبان : ذكر هارون بن مُخارق قال : كان أبي إذا غَنَى هذا الصوت¹ :

يا رَنَعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَباً زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ وَصَباً²
رَنَعَ تَبَدَّلَ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ عَفَرَ الظُّبَاءَ وَظَلَمَاناً بِهِ عُصْباً³

يكي ويقول : أنا مولى هذا الصوت ، فقلتُ له : وكيف ذاك يا أبتِ ؟ فقال : غَنَيْتُهُ مولاي الرشيد فبكى وشرب عليه رطلاً ، ثم قال : أَحَسَنْتَ يا مُخَارِقُ فَسَلْنِي حاجتك ، فقلتُ : أن تعطيني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ؛ فقال : أنت حرٌّ لوجه الله ، فأعِدِ الصوت ؛ فأَعَدُّهُ فبكى وشرب رطلاً ثم قال : أَحَسَنْتَ يا مُخَارِقُ فَسَلْنِي حاجتك ، فقلت : ضيعة تقيمني غَلَّتْهَا ، قال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوت ، فأَعَدُّهُ فبكى وقال : سَلْ حاجتك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخدام ، قال : ذلك لك ، أعِدِ الصوت ؛ فأَعَدُّهُ ، فبكى وقال : سَلْ حاجتك ، فقبِلْتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيلَ الله بقاءك ويُديمَ عزَّك ويجعلني من كلِّ سوء فداءك ، فأنَا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ أبان بن سعيد حَدَّثَهُ : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بن المهدي بعلمه فَضَّلَ مخارقاً ، وإذا تغنى مخارق بطبعه وَفَضَّلَ صوته فَضَّلَ إبراهيم ، فقال له : صدقت .
أخبرني علي بن سليمان الأُخفش قال : حَدَّثَنَا المُبَرِّدُ بهذا الخبر فقال : حَدَّثَنِي بعضُ حاشية السلطان : أنَّ إبراهيم المَوْصِلِيَّ غَنَى الرشيد يوماً هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مراراً ، فقال له : فكيف لو سمعته من عَبْدِكَ مُخَارِقُ ، فإنه أَخَذَهُ عَنِي وهو يَفْضُلُ فِيهِ الخَلْقَ جميعاً وَيَفْضُلُنِي ، فدعا بمخارق فأمره أن يُغَنِّيهِ ، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تقدَّم .

[تكنيته أبا المهنأ]

أخبرني الحسن بن علي قال : حَدَّثَنَا ابنُ أَبِي الدُّنْيَا ، عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ ، عن الحسين بن الضَّحَّاك ، عن مُخَارِقَ : أنَّ الرشيد قال يوماً للمَغْنَيْنِ وهو مُصْطَبِحٌ ، مَنْ مِنْكُمْ

1 تقدم هذا الخبر في ترجمة هلال بن الأسعر المازني ، الجزء 3 : 49 .

2 وصب : مرض . وفي رواية : نصب أي تعباً .

3 عصب : جمع عصبية .

يُغْنِي :

[من البسيط]

يا رَنَعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَباً

فَقَمْتُ فَقُلْتُ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : هَاتِيهِ ، فَنَغْنِيهِ ، فَطَرَبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :
عَلِيٌّ بِهَرَثَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُرِيدُ مِنْهُ ؟ فَجَاؤُوا بِهَرَثَمَةَ ، فَأَدْخِلْ إِلَيْهِ وَهُوَ
يَجْرُ سَيْفُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا هَرَثَمَةَ ، مُخَارِقُ الشَّارِي الَّذِي قَتَلَنَاهُ بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ مَا كَانَتْ
كُنْيَتُهُ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْمَهْنَأْ ، فَقَالَ : انصَرِفْ ، فَانصَرَفَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أَبَا
الْمَهْنَأْ لِإِحْسَانِكَ ؛ وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَانصَرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

[يجتمع الغلمان لسماعه فلا يسمعون الخليفة]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نَصْرِ الْبَسَّامِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِي
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ : رُحْنَا إِلَى الْوَاتِقِ وَأُمُّهُ عَلِيلَةُ ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ دَخَلَ إِلَى أُمِّهِ ،
وَأَمَرَ بِالْأَنْبَرِجِ ، وَكَانَ فِي الصَّحْنِ حُصْرٌ غَيْرُ مَقْرُوشَةٍ . فَقَالَ لِي مُخَارِقُ : امْضِ بِنَا حَتَّى
نَفْرَشَ حَصِيرًا مِنْ هَذِهِ الْحُصْرِ فَنَجْلِسَ عَلَى بَعْضِهِ وَنَتَكَيَّ عَلَى الْمَدْرَجِ مِنْهُ ؛ وَكَانَتْ لَيْلَةً
مُقْمِرَةً . فَمَضَيْنَا فَنَفْرَشْنَا بَعْضَ تِلْكَ الْحُصْرِ ، وَاسْتَلْقَيْنَا وَتَحَدَّثْنَا ، وَأَبْطَأَ الْوَاتِقُ عِنْدَ أُمِّهِ ، فَانْدَفَعَ
مُخَارِقُ فَنَغْنِي¹ :

[من الطويل]

أَيَا بَيْتَ لَيْلَى إِنْ لَيْلَى غَرِيْبَةً بِرَاذَانَ لَا خَالَ لَدِيْهَا وَلَا ابْنَ عَمٍّ

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الوراق فصاح : يا غلام ، فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ومشى من المجلس
إِلَى أَنْ تَوَسَّطَ الدَّارَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَادَرْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ، هَلْ حَدَّثَ فِي دَارِي شَيْءٌ ؟
فَقُلْتُ : لَا يَا سَيِّدِي ، فَقَالَ : فَمَا لِي أَصِيحُ فَلَا أَجَابَ ! فَقُلْتُ : مُخَارِقُ يُغْنِي وَالْغِلْمَانُ قَدْ
اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فَضْلٌ لِسَمَاعٍ غَيْرِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ . فَقَالَ : عُذْرٌ وَاللَّهِ لَهُمْ يَا ابْنَ
حَمْدُونَ وَأَيُّ عُذْرٍ . ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى السَّحَرِ .

[عاتكة وأُمُّهَا شَهْدَةُ]

وَذَكَرَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ مُخَارِقًا كَانَ يَنَادِي عَلَى اللَّحْمِ الَّذِي يَبِيعُهُ أَبُوهُ ،
فَيُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ عَجِيبٍ ، فَاشْتَرَتْهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ شَهْدَةَ وَعَلَّمَتْهُ شَيْئًا مِنَ الْغَنَاءِ لَيْسَ بِالكَثِيرِ ، ثُمَّ
بَاعَتْهُ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُمْ الرَّشِيدَ وَسَلَّمَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ، فَأَخَذَ عَنْهُ ، وَكَانَ
إِبْرَاهِيمَ يُقَدِّمُهُ وَيُؤَثِّرُهُ وَيَخْصِمُهُ بِالتَّعْلِيمِ لَمَّا تَبَيَّنَ مِنْهُ وَمِنْ جُودَةِ طَبْعِهِ .

1 نسب ياقوت البيت مع بيتين آخرين إلى مرة بن عبد الله النهدي . وراذان عنده يطلق على كورتين في سواد بغداد

(راذان الأعلى وراذان الأسفل) (معجم البلدان - صادر - 3 : 12) .

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال : حدثني ابن خرداذبه قال : كان مُخارق بن يحيى بن ناووس الجزار ، وكان عبداً لعاتكة بنت شهدة ، وكانت عاتكة أحدق الناس بالغناء ، وكان ابن جامع يلوذ منها بالترجيع الكثير ، فتقول له : أين يذهب بك ؟ هلّم إلى معظم الغناء ودعني من جنونك . قال : فحدثني مَنْ حَضَرهما أَنَّ عاتكة أفرطت يوماً في الردّ على ابن جامع بحضرة الرشيد ، فقال لها : أيّ أمّ العباس ، أنا ، يشهد الله ، أحبّ أن تحتك شِعْرتي بشِعْرتك ؛ فقالت له : اسكت قطع الله لسانك ، ولم تُعاود بعد ذلك أذيته . قال : وكانت شهدة أمّ عاتكة نائحة . هكذا ذكر ابن خرداذبه ، وليس الأمر في ذلك كما ذكره .

حدثني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدثنا الغلابيُّ قال : حدثني علي بن محمد النوفليّ عن عبد الله بن العباس الرّبيعيّ ، أنّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ الموصليّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرشيد ، ومعهما محمد بن داود بن عليّ ، فغنى المغنون جميعاً ، ثم اندفع محمد بن داود فغناه¹ :

صوت

أمّ الوليد سلّيتني حلّمي وقتلتني فتحلّلي إثمي²
بالله يا أمّ الوليد أمّا تخشين في عواقب الظلم³
وتركتني أبغي الطيب وما لطيبنا بالداء من علم⁴

قال : فاستحسنه الرشيد وكلّ مَنْ حضر وطربوا له . فسأله الرشيد : عمّن أخذته ، فقال : أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد . قال عبد الله بن العباس ، وهي أمّ عاتكة بنت شهدة .

الآياتُ المذكورة التي فيها الغناء لعبيد الله بن قيس الرقيّات ، وتماؤها : [من الكامل]

لله درك في ابن عمك قد زودته سقماً على سقم
في وجهها ماء الشباب ولم تُقبل بمكروه ولا جهنم

والغناء فيه لابن مُحَرِّز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقیل الأوّل بالخِصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقیل الأوّل بالبِصَر عن عمرو بن بانة ، وفيه للمالك

1 ديوان ابن قيس الرقيّات : 149-150 .

2 الديوان : أم البنين فحملني إثمي

3 الديوان : ... يا أم البنين ألم تخشي عليك عواقب الأثم

4 الديوان : ... أدعو ... وما لطبيكم ...

ثاني ثَقِيل عن الهشاميَّ وحَبَش ، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنْصر عنهما ، وثَقِيل أوَّل
للحسين بن مُحَرِّز .
[مقارنة بين المغنِّين]

وقال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزبَّات ، قال أبي : قال الواصلُ أميرُ المؤمنين : خطأ
مخارق كصواب علويِّه ، وخطأُ إسحاق كصواب مُخارق ، وما غنَّاني مُخارق قطَّ إلَّا
قدَّرتُ أنَّه من قلبي خُلِق ، ولا غنَّاني إسحاق إلَّا ظننتُ أنَّه قد زيد في ملكي ملك آخر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على جميع أصحابه : انظروا إلى
هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السَّمَط . فكانوا يتفقَّدونهم وهم وقوف ، فكَلَّمهم يسمَعُ
الغناء من المغنِّين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنَّى مخارق خرجوا عن
صُورِهِم فتحركت أرجلُهم ومناكبُهم ، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم ، وازدحموا على الحبل
الذي يقفون من ورائه .
[يستوقف الحجاج بأذانه]

قال هارون : وحَدَّثْتُ أنَّه خرج مرَّةً إلى باب الكُناسة بمدينة السَّلام ، والنَّاسُ يرحلون
للخُروج إلى مكَّة ؛ فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه :
قد جاء في الخبر أنَّ ابنَ سُرَّيج كان يتغنَّى في أيَّام الحجِّ ، والنَّاسُ يعبى فيستوقفهم بغنائه ،
وسأستوقف لكم هؤلاء النَّاس وأستلَّهِهم جميعاً ، لتعلموا أنَّه لم يكن ليُفضِّلني إلَّا بصنْعته
دون صوته ؛ ثم اندفع يؤدِّن ، فاستوقف أولئك الخلق واستلَّهاهم ، حتى جعلت الحامِلُ
يغشى بعضها بعضاً ، وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطَّرب الحُسْن ما يسمع .
[إعجاب أبي العتاهية بغنائه]

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ابنُ أخت الخاركيِّ وأبو سعيد
الرَّامهرْمُزيُّ ، وأخبرني عليُّ بنُ سليمان الأُخفش قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديُّ ، عن
أحمد بن عيسى الجلوديِّ عن محمد بن سعيد التُّرمذيِّ ، وكان إسحاق إذا ذكر محمداً وصفه
بحسن الصَّوت ، ثم قال : قد أَفْلِنَّا منه ، فلو كان يُغني لتقدَّمنا جميعاً بصوته ، قالوا : جاء أبو
العتاهية إلى باب مخارق فطرَّقه واستفتح ، فإذا مخارق قد خرج إليه ؛ فقال له أبو العتاهية : يا
حُسان هذا الإقليم ، يا حَكِيم أرض بابل ، اصبُبْ في أذني شيئاً يفرِّحْ به قلبي ، وتنعم به
نفسي ؛ فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنَّانا ، قال محمد بن سعيد : فكدت أسمى على وجهي طرباً .
قال : وجعل أبو العتاهية يبكي ، ثم قال له : يا دواء المجانين لقد رَقَّقتَ حتى كِدْتُ
أحسوك ، فلو كان الغناء طعاماً لكان غِنَاؤُكَ أدماً ، ولو كان شرباً لكان ماء الحياة .

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنِي بَعْضُ خَدَمِ السُّلْطَانِ قَالَ¹ : قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَقَدْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ : هَلْ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ تَشْتَهِيهِ ؟ قَالَ أَنْ يَحْضُرَ مَخَارِقُ السَّاعَةِ فَيُغْنِيَنِي² :

سِعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنَّ غِنَاءَ الْبَاكِياتِ قَلِيلُ
أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمْزَةَ الْعُلُوِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : لَقِيَ مَخَارِقُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَأَنْتَ الْقَائِلُ :

اصْرِفْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُ فَفَلَنَ تَرَى إِلَّا بِخَيْلًا
قَالَ لَهُ : نَعَمْ . قَالَ : بَخَلَّتِ النَّاسَ جَمِيعًا . قَالَ : فَاصْرِفْ بِطَرْفِكَ يَا أَبَا الْمُهْنَأُ . فَانْظُرْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى إِلَّا بِخَيْلًا ، وَإِلَّا فَأَكْذِبْنِي بِجَوَادٍ وَاحِدٍ ، فَالْتَفَتَ مَخَارِقُ يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : فَذَيُّتُكَ ، لَوْ كُنْتَ مِمَّا يُشْرَبُ لَذُرُرْتَ عَلَى الْمَاءِ وَشُرِبْتَ .
[يَغْنِي بَيْنَ قَبْرَيْنِ فَيَكْسِبُ الرَّهَانَ]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ نُوبَخْتٍ قَالَ : كَانَ أَبِي وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَهْلٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ نُوبَخْتٍ وَغَيْرِهِمْ وَقُوفًا بِكُنَاسَةِ الدُّوَابِّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ يَتَحَدَّثُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ مَخَارِقُ عَلَى حِمَارٍ أَسْوَدَ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ رَقِيقٌ وَرِدَاءٌ مُسَهَّمٌ ؛ قَالَ : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي مِنْ وَسْوَاسِكُمْ هَذَا ، أَيُّ شَيْءٍ لِي عَلَيْكُمْ إِنْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي بَيْنَ قَبْرَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ وَغَطَّيْتُ وَجْهِي وَغَنَيْتُ صَوْتًا ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهَذِهِ الْكُنَاسَةِ وَلَا فِي الطَّرِيقِ مِنْ مُشْتَرٍ وَلَا بَائِعٍ وَلَا صَادِرٍ وَلَا وَارِدٍ إِلَّا تَرَكَ عَمَلَهُ وَقَرُبَ مِنِّي وَاتَّبَعَ صَوْتِي ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أَرَى هَذَا ، فَقُلْ مَا شِئْتَ ؛ فَقَالَ : فَرَسُكَ الْأَشْقَرُ الَّذِي طَلَبْتَهُ مِنْكَ فَمَنْعَتَنِي ؛ قَالَ : هُوَ لَكَ إِنْ فَعَلْتَ مَا قُلْتَ . ثُمَّ دَخَلَهَا وَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ قَبْرَيْنِ وَتَغَطَّى بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ ائْتَدَعَ يُغْنِي فَغْنَى فِي شَعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ³ :

[من الكامل]

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة أبي العتاهية ، الجزء 4 : 86 .

2 ديوان أبي العتاهية : 313 .

3 ديوان أبي العتاهية : 350 .

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْإِيَّامُ أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْنَامُ !

قال : فرأيتُ الناسَ يتَقَوَّضُونَ إلى المقبرة أرسالاً¹ من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحبِ جَدْيٍ ومارٍ بالطريق ، حتى لم يبقَ بالطريق أحدٌ ؛ ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقيَ أحدٌ ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرهن . فقام فركبَ حماره ، وعاد الناسُ إلى صنائعهم ، فقال لعبد الله : أحضِرِ الفرسَ ، فقال : على أن تُقيمَ اليومَ عندي ، قال : نعم . فانصرفنا معهما ، وسلَّم الفرسَ إليه وبرَّه وأحسنَ إليه وأحسنَ رَفْده .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْإِيَّامُ أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْنَامُ !
وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ لَدَّ بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ
مَا لِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى عِبْرًا تَمُرُّ كَأَنَّهُنَّ سِيَّاهُ
تَمْضِي الْخُطُوبُ وَأَنْتَ مُنْتَبِهٌ لَهَا فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ²

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثَقِيلُ أَوَّلُ بالوسطى ، وفيه لمُخَارِقُ هَزَج بالوسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إِنَّهُ لَعُلُوبِي ، ويقال : إِنَّهُ لِمُخَارِقُ عَنِ الهشامي .

أخبرني جحظة قال : ذكر ابنُ المَكِّي المرتَجِلُ عن أبيه : أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ تُغَنِّي ، فَقَالَ : أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةَ تُغَنِّي صَوْتًا حَسَنًا فِي شَعْرِ لَكَ ، أَفَتَنْشِطُ إِلَى سَمَاعِهِ ؟ قَالَ : هَاتِيهِ ، فَغَنَّتْ لِحْنًا لِعَمْرُو بْنِ بَانَةَ فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْإِيَّامُ

فَعَبَسَ وَبَسَرَ وَقَالَ : لَا جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ صَنَعَ هَذِهِ الصَّنْعَةَ فِي شِعْرِي . قَالَ : فَإِنَّهَا تُغَنِّي فِيهِ لِحْنًا لِمُخَارِقَ ، قَالَ : فَلَتَغْنِيَهُ فَغَنَّتْهُ ، فَأَعْجَبَهُ وَطَرِبَ حَتَّى بَكَى ثُمَّ قَالَ : جَزَى اللَّهُ هَذَا عَنِّي خَيْرًا ، وَقَامَ فَانصَرَفَ .

وقد روى هذا الخبر هارونُ بنُ الزُّيَّاتِ ، عن حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ غَزْوَانَ : أَنَّهُ

1 يتقوضون أرسالاً : يجيئون ويذهبون جماعات .

2 الديوان : تأتي الخطوب ...

كان وعبيد الله بن أبي غسان ، وأبو العتاهية ، ومحمد بن عمرو الرومي ، عند ابن أبي مرزيم ومعهم مَغْنِيَةٌ يقال لها بنتُ إبليس ، فغَنَّى عبيد الله بن أبي غسان في لحن مخارق : [من الكامل]

نَادَتْ يَوْشَكَ رَحِيلَكَ الْيَّامُ

فلم يستحسنه أبو العتاهية ، ثم غَنَّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهدي فأطربه وقال : جَزَى اللهُ عَنِّي هذا خيراً .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : بلغني أَنَّ المتوَكَّل دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغَنِّي : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِنْ قَطَرِ النَّدى نَظْمُ تَ ثَرَكْ أَمْ مِنْ الْبَرْدِ
وَرِيْقُكَ مِنْ سُلَافِ الْكَرِّ م أَمْ مِنْ صَفْوَةِ الشُّهُدِ
أَيَا مَنْ قَدْ جَرَى مِنِّي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
ضَمِيرُكَ شَاهِدِي فِيمَا أَقَاسِيهِ مِنَ الْكَمَدِ

والغناء لمخارق رَمَل ، فقال لها : وَيْحَكَ ، لِمَنْ هذا الغناء ؟ فقالت : أَخَذْتُهُ مِنْ مُخَارِق ، قال : فَأَلْقِيهِ عَلَى الْجَوَارِي جَمِيعاً ، ففعلت . فلَمَّا أَخَذْنَاهُ عَنْهَا أَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا إِلَيْهِ ، ودعا بالنَّبِيذ ، وأمر بالَأُيَغْنِيَنَّهُ غَيْرَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

[مع أبي المضاء الأسدي]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال : قال عُمَرُ بْنُ نُوحِ بْنِ جَرِير : سَأَلْتُ أَبَا الْمَضَاءِ الْأَسَدِيَّ أَنْ يُنْشِدَنِي فَقَالَ : أَنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِي شَيْئاً قُلْتُهُ لِرَجُلٍ لَقِيْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ بِبَغْدَاد . فَأَعْجَبَهُ مِنِّي مَا يَرَى مِنْ دِمَائِي ، وَأَقْبَلْتُ أَحَدُتُهُ وَهُوَ يُنْصِتُ لِي ، وَأَنْشَدَهُ وَهُوَ يُحْسِنُ الْإِصْغَاءَ إِلَى إِنْشَادِي ، وَيُحَدِّثُنِي فَيُحْسِنُ الْحَدِيثَ ، حَتَّى بَلَّغْنَا مَنْزِلَهُ . فَأَذْخَلَنِي فَعْدَانِي ثُمَّ لَمْ يَرَمْ حَتَّى كَسَانِي وَسْقَانِي فَرَوَانِي ، ثُمَّ أَسْمَعَنِي وَاللَّهُ شَيْئاً مَا طَارَ فِي مَسَامِعِي شَيْءٌ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَلَمَّا خَرَجْتُ سَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي غِلْمَانُهُ : هَذَا أَبُو الْمُهْنَأُ مُخَارِق ، فَقُلْتُ فِيهِ :

أَعَادَ اللهُ يَوْمَ أَبِي الْمُهْنَأِ عَلَيْنَا إِنَّهُ يَوْمَ نَضِيرُ
تَغَيَّبَ نَحْسُهُ عَنَّا وَأَزْخَى عَلَيْنَا وَابِلُ جَوْدٍ مَطِيرُ
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقَطْرَ فَوْقِي وَأَقْدَاحاً يَحُثُّ بِهَا الْمُدِيرُ

وَأَسْعَدَنَا بِصَوْتٍ لَوْ وَعَاه
وَلِيَّ الْعَهْدِ خَفَّ بِهِ السَّرِيرُ
تَذَكَّرْتُ الْحَبِيبَ وَأَهْلَ نَجْدٍ
وَرَوْضاً نَبَتْهُ غَضٌّ نَضِيرُ

قال : فقلت له : ولم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه ؟ وكان ينبغي لك أن تنساه ؛ قال : كلا ،
إنَّ المرءَ إذا كان فيما يُحِبُّ تَذَكَّرَ أَهْلَهُ ، قلت : فما غَنَّاكَ ؟ قال : غَنَّاني : [من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِهِطْلِهِ
عَلَيْهَا فَرَوَّاهَا وَرَقَّتْ غُصُونُهَا
وَهَبَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ حَتَّى تَبَسَّمتْ
وَحَتَّى بَدَّتْ فَوْقَ الْغُصُونِ عُيُونُهَا
بَأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ بَدَتْ وَسْطَ مَجْلِسٍ
وَفِي يَدِهَا عُودٌ فَصِيحٌ يَزِينُهَا
وَقَدْ انْطَلَقَتْهُ وَالشَّمَالُ جَرِيَّةٌ
عَلَى عَقْدٍ مَا تُلْقِي عَلَيْهَا يَمِينُهَا

قال : فلم يزل يُرَدِّدُهُ عَلَيَّ حَتَّى قَضَيْتُ وَطْرِي مِنْ لَذَّتِي وَحَفِظْتُهُ عَنْهُ .

[يبيكي إبراهيم الموصلي]

أَخْبَرَنِي جَحْظَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ
وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ بَابَيْنِ لَهُ ، وَمُخَارِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُغْنِيهِ : [من الكامل]

يَا رُبَّعَ بَشْرَةٍ إِنْ أَضَرَّ بِكَ الْبَلَى
فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قال : وَاللَّحْنُ الَّذِي كَانَ يُغْنِيهِ لِمَالِكٍ ، وَفِيهِ عُدَّةُ الْحَانِ مَشْتَرَكَةٌ ، فَرَأَيْتُ دُمُوعَ أَبِي تَجْرِي
عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ وَهُوَ يَنْشِجُ أَحَرَ نَشِيجٍ . فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ هَذَا وَاللَّهِ
صَاحِبُ الْلِوَاءِ غَدًا إِنْ مَاتَ أَبُوكَ .

[إيليس يعقد له لواء الغناء]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي
هَارُونُ بْنُ مُخَارِقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ كَأَنَّ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى سُرِيرٍ فِي رَوْضَةٍ
حَسَنَةٍ قَدْ دَعَانِي ، فَقَالَ لِي : غَنَّنِي يَا مُخَارِقُ ، فَقُلْتُ : أَصَوْتًا تَقْتَرِحُهُ أَمْ مَا حَضَرَ ؟ فَقَالَ : مَا
حَضَرَ ؛ فَغَنَنْتُهُ بِصَنْعَتِي فِي : [من الطويل]

صوت

دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالًا مَعَ الَّذِي
بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ

ولحن مخارق فيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وفيه لابن سُرَيْجٍ رَمَلٌ .

قال : فقال لي : أَحَسَنْتَ يَا مُخَارِقُ ، ثُمَّ أَخَذَ وَتَرَأَ مِنْ أَوْتَارِ الْعُودِ فَلَفَّهُ عَلَى الْمِضْرَابِ ،
وَدَفَعَهُ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ الْمِضْرَابُ يَطُولُ وَيَغْلُظُ ، وَالْوَتَرُ يَنْتَشِرُ وَيَعْرُضُ حَتَّى صَارَ الْمِضْرَابُ

كالرُح ، والوتر كالعذبة عليه ، وصار في يدي علماً ؛ ثم انتبهت فحدثت برؤياي إبراهيم الموصلي ، فقال لي : الشيخ ، بلا شك ، إبليس ، وقد عقد لك لواء صنعتك ، فأنت ما حييت رئيس أهلها .

قال مؤلف هذا الكتاب : وأظن أن الشاعر الذي مدح مخارقاً إنما عني هذه الرؤيا بقوله :

لقد عقد الشيخ الذي غرّ آدمًا وأخرجته من جنّة وحدائق
لواءي فنون القريض وللغنا وأقسم لا يعطيني غير حاذق

[يصحح لنا لجواري الواثق]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، أن هارون بن مخارق حدثه فقال : كان الواثق شديد الشَّغف بأبي ، وكان قد اقتطعه عنا ، وأمر له بحجرة في قصره ، وجعل له يوماً في الأسبوع لنوبته في منزله ؛ وكان جواريه يختلِفون لذلك اليوم . قال : فانصرف إلينا مرة في نوبته فصلّى الغداة مع الفجر على أسيرة في صحن الدار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح ، فما راعنا إلا خدَم يبيض قد دخلوا فسلموا عليه وقالوا : إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة ، فأعدنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرّضه من أحدٍ منا ، وأمرنا بالمصير إليك لنصححه عليك . قال : فأمر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسي فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدُّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرّضه من أحدٍ منهم . فدعا بجاريته عَمِيم ، فردَّته عليهم ، فلم يرّضه منها ، قال : فتحوَّل إليهم ثم اندفع فردَّ الصوت على الخدَم ، فخرج الوصائفُ من حُجَر جَواريه حتى وقفن حوالى الأسيرة ، ودخل غلامٌ من غلمانِه وكان يستقي الماء ، فهجَم على الصَّحن بدلوه ، وجاءت جارية على كَتِفها جرة من جرار المزمَلات¹ ، حتى وقفت بالقرب منه ، قال : وسبقتنى عيناى فما كففت دموعهما حتى فاضت .

ثم قطع الصوت حين استوفاه ، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سعيًا إلى حُجَر الجواري ، وخرج الغلام السَّقاء يشتدُّ إلى بغلة ، ورجعت الجارية الحاملة الجرة المزملة شداً إلى الموضع الذي خرجت منه . فتبسَّم أبي وقال : ما شأنك يا هارون ؟ فقلت : يا أبتِ جعلني الله فداك ، ما ملكتُ عيني ، قال : وأبوك أيضاً لم يملك عينه .

[نام وهو يغني]

وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال : جمع إبراهيم بن المهدي المغنين ذات يوم في

1 المزملات : جمع مزملة ، وهي الجرة يبرد فيها الماء .

منزله ، فأقاموا ، فلَمَّا دَخَلُوا فِي اللَّيْلِ ثَمَلِ مُخَارِقٍ وَسَكِرَ سُكْرًا شَدِيدًا ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُغْنِيَ صَوْتًا ، فَغَنَّى هَذَا الْبَيْتَ مِنْ شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ¹ :

[من الخفيف]
 قال : سَارُوا وَأَمْعَنُوا وَاسْتَقَلُّوا وَبَرَّغَمِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَبِيلًا
 فانتَهَى مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ : وَاسْتَقَلُّوا . وَانْتَشَى نَائِمًا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : مُهْدُوهُ وَلَا تَزْعِجُوهُ ، فَمُهْدُوهُ وَنَامَ ، حَتَّى مَضَى أَكْثَرَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ مِنْ نَوْمِهِ فَاتَّبَعَهُ وَهُوَ يُغْنِي تَمَامَ الْبَيْتِ :

وَبَرَّغَمِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَبِيلًا
 وَهُوَ تَمَامُ الْبَيْتِ مِنْ حَيْثُ قَطَعَهُ وَسَكَتَ عَلَيْهِ مِنْ صَوْتِهِ .
 قال : فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَيَعْجَبُ مِنْهُ مَنْ حَضَرَهُ ، مِنْ جُودَةِ طَبْعِهِ وَذَكَائِهِ وَصَحَّةِ فَهْمِهِ .

[مفاضلة بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مِصْعَبٍ : قُلْتُ لِإِسْحَاقَ يَوْمًا : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَنِي فِي مُخَارِقِ وَإِبْرَاهِيمِ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، أَيُّهُمَا أَحَدَقُّ وَأَحْسَنُ غِنَاءً ؟ فَقَالَ لِي إِسْحَاقُ : أَجَادُ أَنْتَ ؟ وَاللَّهِ مَا تَقَارِبَا قَطَّ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى فَضْلِ مُخَارِقَ عَلَيْهِ أَنْ إِبْرَاهِيمَ لَا يُوَدِّي صَوْتًا قَدِيمًا ثَقِيلًا جَيِّدًا أَبَدًا وَلَا يَسْتَوْفِيهِ ، وَإِنَّمَا يُغْنِي الْأَهْزَاجَ وَالْغِنَاءَ الْخَفِيفَ ، وَأَمَّا الَّذِي فِيهِ عَمَلٌ شَدِيدٌ فَلَا يُصِيبُهُ .

أَخْبَرَنِي يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ قَالَ : دَخَلَ مُخَارِقٌ عَلَى سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ فَسَأَلَهُ حَاجَةً ، فَلَمَّا خَرَجَ قِيلَ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ هَذَا ؟ هَذَا مُخَارِقُ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! دَخَلَ وَلَمْ نَعْرِفْهُ ، وَخَرَجَ وَلَمْ نَعْرِفْهُ ، رُدُّوهُ ، فَرُدُّوهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : دَخَلْتَ عَلَيْنَا وَلَمْ نَعْرِفْكَ ، فَلَمَّا عَرَفْنَاكَ أَحْبَبْنَا أَلَّا تَخْرُجَ حَتَّى نَسْمَعَكَ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي أَنْ أَسْمِعَكَ ؟ فَقَالَ² :

يَا رَيْحُ مَا تَصْنَعِينَ بِالْدَّمَنِ كَمْ لَكَ مِنْ مَخَوٍ مَنَظَرٍ حَسَنِ !
 فَغَنَاهُ مُخَارِقُ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِبَعْضِ بَنِيهِ : أَبُو كَمْ هَذَا نِكْسٌ³ يَتَشَهَّى عَلَى مِثْلِي : [من المنسرح]
 يَا رَيْحُ مَا تَصْنَعِينَ بِالْدَّمَنِ

1 ديوان عمر (صادر) : 333 .

2 البيتان لعلي بن أمية وسيردان في ترجمته في الجزء 23 من الأغاني .

3 نكس : لا خير فيه .

أخبرنا يحيى بن علي قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني عمي محمد قال : سمعتُ أبي يقول وقد غنى مُخارق : نعم الفسيلة¹ غرس إبليس في الأرض .

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن محمد قال : سمع محمد بن سعيد القاريء مهديّة جارية يعقوب بن السّاحر تغني صوتاً لمخارق بحضرته ، وقد كانت أخذته عنه وهو :

ما لِقَلْبِي يزداد في اللّهُو غَيًّا والليالي قد أنضَجَتْني كَيًّا
سَهَلْتُ بعدك الحوادثُ حتّى لستُ أخشى ولا أحاذرُ شَيًّا

فأحسنَتْ فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنه : ﴿يا يحيى خذِ الكتابَ بقوة﴾² .

[خبر الذي حلف بالطلاق أن يسمعه]

حدثني عمي قال : حدثنا عبد الله قال : حدثني محمد قال³ : كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام ، فلعب مع هارون بالترد فقمّره مُخارق مائتي رطل باقلاً طرياً ، فقال مُخارق : وأنتم عندي أطعمكم من لحم جَزور من الصناعة ، يعني من صناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزار .

قال : ومراً بهارون بن أحمد فصيّلاً يُنادى عليه ، فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجّه به إلى مُخارق ، وقال : يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل ، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزورِيّةً ، وعمل من سنامه وكبدته ولحمه غُضائر⁴ شويت في التَّنُورِ ، وعمل من لحمه لونا يشبه الهريسة بشعير مقشّر في نهاية الطّيب . فأكلنا وجلسنا نشرب ، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ : يا أبا المهنّا ، الله الله فيّ ! حلف زوجي عليّ بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه ، فقال : اذهبي وجيئي به . فجاء فجلس ، فقال له : ما حمّلك على ما صنّعت ، فقال له : يا سيدي ، كنتُ سمّعت صوتاً من صنّعتك فطربْتُ عليه حتى استخفّني الطّربُ ، فحلفتُ أن أسمع منك ثقةً بإيجابك حقّ زوجتي ، وكان زوجته داية هارون بن مُخارق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال⁵ :

[من الكامل]

1 الفسيلة : النبتة الصغيرة أو العود يؤخذ من الشجرة ليغرس .

2 سورة مريم ، الآية : 12 .

3 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 67-69 .

4 غُضائر : قطع .

5 شعر الحسين بن مطير (بغداد) : 49 .

بَكْرَتْ عَلَيَّ فَهَيَّجَتْ وَجَدَا هُوجُ الرِّيحِ وَأَذْكَرَتْ نَجْدَا
أَتَحْنُ مِنْ شَوْقٍ إِذَا ذُكِرَتْ نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرْكَهَا عَمْدَا

الشعر لحسين بن مطير ، والغناء لمخارق ثقیل أول ، وفيه لإسحاق ثقیل أول آخر ،
فغناه إياه وسقاه رطلاً ، وأمره بالانصراف ، ونهاه أن يعاود ، وخرج فما لبثنا أن
عادت المرأة تصرخ : الله الله في يا أبا المهنأ ! قد أعاد زوجي المشووم اليمين أنك تغنيه
صوتاً آخر ، فقال لها : أحضره ، فأحضرته أيضاً ، فقال له : ويلك ، ما لي ولك ! أي
شيء قصتك ؟ فقال له : يا سيدي أنا رجل طروب ، وكنت قد سمعت صوتاً لك آخر
فاستغزني الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثاً أنني أسمعك منك ، قال : وما هو ؟ قال
لحناك¹ :

أَبْلَغُ سَلَامَةٍ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا وَأَنَّ صَحْبَكَ عَنْهَا رَائِحُونَ غَدَا
هَذَا الْفِرَاقُ يَقِينًا إِنْ صَبِرْتَ لَهُ أَوْ لَا فَإِنَّكَ مِنْهَا مَيِّتٌ كَمَدَا
لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي بِي سَوْفَ يَهْلِكُنِي إِنْ كَانَ أَهْلُكَ حُبُّ قَبْلِهِ أَحَدَا

فغناه إياه مخارق وسقاه رطلاً ، وقال له : احذر وئلك أن تعاود ، فانصرف . ولم تلبث
أن عاودت الصباح تصرخ : يا سيدي ، قد عاود اليمين ثلاثة ، الله الله في وفي أولادي ! قال :
هايتيه ، فأحضرته . فقال لها : انصرفي أنت ، فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد ، فدعيه يُقيم
يومه كله ، فتركته وانصرفت . فقال له مخارق : ما قصتك أيضاً ؟ قال : قد عرفتك يا
سيدي أنني رجل طروب ، وكنت سمعت صوتاً من صنعتك فاستغفني الطرب له فحلفت
أنني أسمعك منك ، قال : وما هو ؟ قال :

أَلِفَ الظَّبْيِ بِعَادِي وَنَفَى الْهَمِّ رُقَادِي
وَعَدَا الْهَجْرُ عَلَى الْوَصْدِ لَمْ بِأَسْيَافٍ حِدَادِ
قُلْ لِمَنْ زَيْفٌ وَدُّي : لَسْتُ أَهْلًا لِدَادِي

قال : فغناه إياه وسقاه رطلاً ، ثم قال : يا غلام ، مقارع ! فجيء بها ، فأمر به فطُيح ،
وأمر بضربه فضرِبَ خمسين مِرْعَةً ، وهو يستغيث فلا يكلمه ، ثم قال له : احلف بالطلاق
أنك لا تذكرني أبداً ، وإلا كان هذا دأبك إلى الليل . فحلف بالطلاق ثلاثاً على ما أمره به ، ثم
أقيم فأخرج عن الدار ، فجعلنا نضحك بقية يومنا من حُقه .

1 البيت الأول مطلع قصيدتين لعمر بن أبي ربيعة مع بعض اختلاف والبيتان التاليان ليسا في ديوانه .

[يشرف على المقابر ويغني ويبيكي]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثني إسحاق بن عمر بن بزيع قال : أتيتُ مُخَارِقاً ذات يوم ومعني زُرُورُ الكبير لُنُقِيمَ عنده ، فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له ، وهو مُشْرِفٌ على المقابر يُغْنِي هذا البيتَ ويبيكي :

أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ مُسَلِّطَةً

قال : فَاسْتَحْسَنًا مَا سَمِعْنَاهُ مِنْهُ اسْتَحْسَنَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَطَّ غِنَاءٍ غَيْرِهِ . فقال لنا : انصَرِفُوا ، فليس في فضل اليوم بعد ما رأيتم . قال محمد : وكان والله مُخَارِقٌ مِمَّنْ لَوْ تَنَفَّسَ لِأَطْرَبَ مَنْ يَسْمَعُهُ اسْتِمَاعَ نَفْسِهِ .

[الطباء تصني له]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ محمد بن أحمد بن يحيى المَكِّيَّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ مُخَارِقٌ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُنْتَزَعَاتِ ، فَنَظَرَ إِلَى قَوْسٍ مُذْهَبَةٍ مَعَ أَحَدٍ مِّنْ خَرَجَ مَعَهُ ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا ، فَكَأَنَّ الْمَسْئُولَ ضَنَّ بِهَا . قَالَ : وَسَنَحْتُ طِبَاءَ بِالقَرَبِ مِنْهُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْقَوْسِ : أَرَأَيْتَ إِنْ تَغَنَيْتُ صَوْتًا فَعَطَفْتُ عَلَيْكَ بِهِ خُدُودَ هَذِهِ الطِّبَاءِ ، أَتَدْفَعُ إِلَيَّ هَذِهِ الْقَوْسَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَانْدَفَعَ يَغْنِي :

[من المجث]

صوت

مَاذَا تَقُولُ الطِّبَاءُ أَفَرَقَةً أَمْ لِقَاءَ
أَمْ عَهْدُهَا بِسُلَيْمَى وَفِي الْبَيَانِ شِفَاءَ
مَرَّتْ بِنَا سَاحَاتٍ وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
فَمَا أَحَارَتْ جَوَابًا وَطَالَ فِيهَا الْعَنَاءُ

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِيَحْيَى الْمَكِّيُّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى .

قال : فعطفت الطُّبَاءُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفْتُ بِالقَرَبِ مِنْهُ ، مُسْتَشْرِفَةً تَنْظُرُ إِلَيْهِ مُصْغِيَةً تَسْمَعُ صَوْتَهُ . فَعَجِبَ مَنْ حَضَرَ مِنْ حَضَرَ مِنْ رَجوعها ووقوفها ، وناولها الرجلُ القوسَ فأخذها وقطع الغناء ، فعاودت الطُّبَاءُ نِفَارَهَا ، وَمَضَّتْ رَاجِعَةً عَلَى سَنَنِهَا .

قال ابن المَكِّي : وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَ يَأْلَفُ مُخَارِقًا وَيَصْحَبُهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَهُ مَرَّةً فِي طَيَّارٍ¹ لَيْلًا وَهُوَ سَكْرَانٌ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ دَجَلَةً اِنْدَفَعَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَغَنَى ، فَمَا بَقِيَ

أُحَدِّثُ فِي الطَّيَّارِ مِنْ مَلَّاحٍ وَلَا غَلَامٍ وَلَا خَادِمٍ إِلَّا بَكَى مِنْ رِقَّةٍ صَوْتُهُ ، وَرَأَيْتُ الشَّمْعَ وَالسُّرُجَ مِنْ جَانِبِي دِجْلَةَ فِي صُحُونِ الْقُصُورِ وَالدُّورِ يَتَسَاعَوْنَ بَيْنَ يَدَيِ أَهْلِهَا يَسْتَمْعُونَ غَنَاءَهُ .
[ابن الأعرابي يستكثر هبته]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الْخُزْنَبَلِيُّ قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ كَانَ يُلْزِمُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ يُحِبُّهُ وَيَأْنَسُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَخْرَجَكَ عَنِّي ؟ فَاعْتَذَرَ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ مُخَارِقٍ عِنْدَ بَعْضِ بَنِي الرَّشِيدِ ، فَوَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى صَوْتِ غَنَاءِ إِيَّاهُ ، فَاسْتَكْثَرَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ذَلِكَ وَاسْتَهْوَاهُ ، وَعَجِبَ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ غَنَّاهُ ؟ قَالَ : غَنَّاهُ بِشَعْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ¹ : [من الهزج]

صوت

بَكَتْ عَيْنِي لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحُزَنِ وَأَوْجَاعٍ
وَأَنَّى كُلَّ يَوْمٍ عَنْ لَدَمْ يَحْظِي بِي السَّاعِي

فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أُمَّا الْغَنَاءُ فَمَا أُدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنْ هَذَا وَاللَّهِ كَلَامٌ قَرِيبٌ مَلِيحٌ .
لَحْنُ مُخَارِقٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مِنْ جَامِعِ صِنْعَتِهِ ، وَفِيهِمَا لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِمَا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ لَحْنًا مَخُورِيًّا .
[خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جِحْظَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي هَيْبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ : غَنَّتْ شَارِيَةً يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ أَبِي صَوْتًا ، فَأَحَدُ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَصَبَرَ حَتَّى قَطَعَتْ نَفْسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَمْسِكِي ، فَأَمْسَكَتْ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَدْ عَرَفْتُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ ذَهَبْتَ ؛ أَرَدْتُ أَنْ تَتَشَبَّهِي بِمُخَارِقٍ فِي تَزَايِيدِهِ ، قَالَتْ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي . قَالَ : إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعُودِي ، فَإِنَّ مُخَارِقًا خَلَقَهُ اللَّهُ وَحْدَهُ فِي طَبْعِهِ وَصَوْتِهِ وَنَفْسِهِ ، يَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ كَيْفَ أَحَبَّ ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ ، وَقَدْ أَرَادَ غَيْرُكَ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَهَلِّكَ وَافْتَضَحْ وَلَمْ يَلْحَقَهُ ، فَلَا أَسْمَعُكَ تَتَعَرَّضِينَ لِمِثْلِ هَذَا بَعْدَ وَقْتِكَ هَذَا .

[غلمان المعتصم يتجمعون للاستماع إليه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ الْبِسَامِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَشْرَبُ إِلَى أَنْ سَكِرْنَا جَمِيعًا ، فَقَامَ ، فَنَامَ وَتَوَسَّدَنَا أَيْدِينَا وَنَمْنَا فِي مَوَاضِعِنَا ، ثُمَّ أَنْتَبَهَ فَصَاحَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ؛ وَسَمِعْنَا صِيَاحَهُ فَتَبَادَرْنَا نَسْأَلُ عَنْ

الغلمان ، فإذا مُخَارِقٌ قد انتَبَه قبلنا فخرج إلى الشَّطِّ يتنَسَّم الهواء ، واندفعَ يغني ، فتلاحق به الغلمان جميعاً ، فجئتُ إلى المعتصم فأخبرته وقلتُ : مُخَارِقٌ على الشَّطِّ يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضلٌ لشيءٍ غير استماعه . فقال لي : يا ابن حمدون ، عذّر والله وأيُّ عذّر ! ثم جلس بين يديه إلى السّحر .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهدي]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ أبان بن سعيد حدثه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي ومُخَارِق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا تغنى إبراهيم بعلمه فضل مُخَارِقاً ، وإذا تغنى مُخَارِق بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم ، فقال له : صدقت .

[ندم الأمين على إعطائه جنته]

نسختُ من كتاب هارون بن الزيات : حدثني هارون بن مُخَارِق عن أبيه قال : دعاني محمد الأمين يوماً وقد اصطبح فاقترح عليّ¹ :

[من البسيط]

استقبلتُ وَرَقَ الرَّيْحَانِ تَقْطِيفُهُ وَعَنْبَرَ الْهِنْدِ وَالْوَرْدِيَّةَ الْجُدَا

أَلَسْتُ تَعْرِفْنِي فِي الْحَيِّ جَارِيَةً وَلَمْ أَخُنْكَ وَلَمْ تَرْفَعِ إِلَيَّ يَدَا

فغنيته إياه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرتال ولاء ، وأمر لي بألف دينار وخلع عليّ جبّةً وشيئاً كانت عليه مذهبةً ، ودُرَاعَةً مثلها وعمامة مثلها تكاد تُعشي البصر من كثرة الذهب . فلما لبستُ ذلك ورآه عليّ نديم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ؛ فقال لبعض الخدم : قل للطباخ يأتينا بمصليّة² معقودة الساعة ، فأتي بها ، فقال لي : كُلْ معي ، وكنتُ أعرفُ الناسَ بمذهبه وبكرامته لذلك ، فامتنعتُ . فحلفَ أن آكل معه ، فحين أذخلتُ يدي في الغضارة³ رفع يده ، ثم قال : أفُ نغصتها عليّ والله وقدزنتها عندي بإدخالك يدك فيها ، ثم رَفَسَ القصعة رفسةً فإذا هي في حجري ، وودكها⁴ يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي . فقمتُ مُبادراً فنزعتها ، وبعتُ بها إلى منزلي وغيّرت ثيابي وعذتُ وأنا مغموّم منها وهو يضحك . فلما رجعتُ إلى منزلي جمعتُ كلَّ صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ، ولم أتنفع بها حتى أحرقتها فأخذتُ ذهبها ، وضرب الدَّهْرُ بعد ذلك ضربانه .

1 ديوان عمر : 112 .

2 المصليّة : الشاة المشوية .

3 الغضارة : القصعة الكبيرة .

4 الودك : الدسم المتحلب من اللحم والشحم .

[المأمون يكره مؤاكلة الرعية]

ثم دَعَانِي المأمون يوماً ، فدخلتُ إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودجاجتان ؛ فقال لي : تعالَ فكلْ ، فامتنعتُ ، فقال لي : تعالَ ويلك فساعِدْنِي . فجلستُ فأكلتُ معه حتى استوفى ، ووضع النبيذ ودعا عُلُوِيَه فجلس ، وقال لي : يا مُخَارِقُ ، أَتُغْنِي¹ :

أَقُولُ التِمَاسَ العُذْرَ لِمَا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْباً وَمَا كُنْتُ مُذْنِباً
فقلتُ : نعم يا سيدي ، قال : غَنِّه ، فغَنَيْتِه فعبس في وجهي ثم قال : قَبِّحَكَ اللهُ أَهْكَذَا يُغْنِي هذا ! ثم أَقْبَلَ على عُلُوِيَه فقال : أَتُغْنِيه ؟ قال ، نعم يا سيدي ، قال : غَنِّه ، فغَنَّاه ، فوالله ما قَارَبْنِي فيه . فقال : أَحْسَنْتَ والله ، وشَرِبَ رطلاً ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، واستعادَه ثلاثاً ، وشَرِبَ عليه ثلاثة أرتال يعطيه مع كلِّ عشرة آلاف درهم ، ثم خَذَفَ بِإَصْبَعِهِ² وقال : يَرْقُ يَمَانِي ، وكان إذا أَرَادَ قَطْعَ الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعَلِمْتُ من أين أُتِيْتُ .

فلَمَّا كان بعد أَيَّام دَعَانِي فدخلتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ؛ فقال لي : تعالَ ويلك فساعِدْنِي ، فقلتُ : الطلاق لي لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : ويلك ، أتراني بخيلاً على الطَّعَام ! لا والله ، ولكنني أردتُ أن أُؤدِّبَكَ ، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تَؤَاكَلَهَا ، أفهمت ؟ فقلتُ : نعم ، قال : فتعالَ الآن فكلْ على الأمان . فقلتُ : أكون إذا أَوَّلَ مَنْ أَضَاعَ تَأْذِيكَ إِيَّاه واستحقَّ العقوبة من قريب . فضحك حتى استغرب ، ثم أَمَرَ لي بِأَلْف دينار ، ومضيت إلى حُجْرَتِي المرسومة لي للخدمة ، وأُتِيْتُ هناك بطعام فأكلتُ ، ووضع النبيذ ودعاني وبعُلُوِيَه ، فلَمَّا جلسنا قال له : يا عليّ ، أَتُغْنِي : [من البسيط]

أَلَمْ تَقُولِي : نَعَمْ ، قالت : أَرَى وَهَمًا مَنِّي وَهَلْ يُؤْخَذُ الْإِنْسَانُ بِالْوَهَمِ³ !
فقال : نعم يا سيدي ، فقال : هَاتِه ، فغَنَّاه ، فعبس في وجهه وبَسَرَ وقال : قَبِّحَكَ اللهُ ، أَتُغْنِي هذا هكذا ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ فقال : أَتُغْنِيه يا مُخَارِقُ ؟ فقلتُ : نعم يا سيدي ، وعلمتُ أَنَّهُ أَرَادَ أن يستقيد لي من عُلُوِيَه ويرفع مِنِّي ، وإلَّا فما أَتَى عُلُوِيَه بما يُعَاب فيه ، فغَنَيْتِه ، فَطَرِبَ وشَرِبَ رطلاً ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وفعل ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ كما فعل به .
ثم أَمَرَ بالانصراف فانصرفنا ، وما عاودتُ بعد ذلك مُؤَاكَلَةَ خَلِيفَةِ إِلَى وَقْتِنَا هذا .

1 ديوان الأحوص (النجم) : 139 .

2 خذف بإصبعه : حرك إصبعه كأنه يرمي شيئاً .

3 الوهم : السهو أو الخطأ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

استقبلت ورقَ الرِّيحان تقطُفه وعَنبرَ الهِنْد والوردِيَّةَ الجدُّا
أَلستَ تعرفني في الحيِّ جاريةً ولم أُنْخَنك ولم تَمْدُدْ إليَّ يدا
الشعر ، فيما يُقال ، لِعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق ، وأصله يمانى ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

[من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُذر لما ظَلَمْتَنِي وحَمَلْتَنِي ذَنْباً وما كنتُ مُذْنِبا
هينني امرءاً إمّا يريئاً ظَلَمْتِهِ وإمّا مُسيئاً قد أناب وأَعْتبا
الشعر للأحوص ، والغناء للمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من البسيط]

أَلَمْ تَقُولِي : نَعَمْ ، قالت : أرى وهماً مِنِّي وهل يُؤْخَذُ الإنسانُ بالوَهْمِ !
قُولِي : نَعَمْ ، إِنَّ «لا» إِن قُلْتَ ، قَاتِلْتِي ماذا تُريدِينَ مِن قَتْلِي بغيرِ دَمٍ !
الغناء لسياط خفيف رمل بالينصر عن عمرو ، ولم يقع إليَّ لَمَن الشعر .

[تنافس مع علويه]

قال هارون : وحدّثني أبو معاوية الباهليُّ قال : حَضَرْتُ عُلُوِيَه ومُخارِقاً مُجتمعين في
مجلس ، فغَنَّى عُلُوِيَه صوتاً فأحسن فيه وأجاده ، فأعادَه مُخارِقَ وبرَزَ عليه وزاد ، فردّه عُلُوِيَه
وتعمَّلَ فيه واجتهد فزاد على مُخارِق . فجثا مُخارِق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزَّ
منكباه ، فما ظَنُّنا إلّا أَنَّ لأَرْضَ قد زُلْزِلَتْ بنا ، وغلب والله ما سَمِعنا على عَقولنا . ونظرتُ إلى لون
عُلُوِيَه وقد امتَقِعَ وطار دُمُه . فلَمّا فرَغ مُخارِقَ توقَّعنا أن يُغَنِّي عُلُوِيَه ، فما فعل ولا غَنَّى بقيَّة
يومه . قال : وكان مُخارِقَ إذا صاح قطع أصحاب النايات .

[أرسله الأمين إلى إسحاق ليعلمه]

أخبرني وسواسةُ بنُ المَوْصِلِيِّ ، وهو أحمد بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال : حدّثنا حمّادُ بن
إسحاق قال : قال لي مُخارِقَ : دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن

المهديّ ، فقال : غَنّني يا مُخارق ، فغَنّيته أصواتاً عديدة ، فلم يَطْرِب لها وقال : هذا كلّهُ مُعاد ، فغَنّني :

لقد أزمعتُ للبين هِنْدُ زِيالها
فقلت : لا والله ما أحسِنه ، فقال : غَنّني : [من الكامل]
لا والذي نُجِرتُ له البُذنُ
فقلتُ : لا والله ما أحسِنه ، فقال : غَنّني : [من البسيط]
يا دارَ سُعدي سقى أَطْلالك الدِّيمَا

فقلتُ : لا والله لا أحسنه ، فغضب وقال : ويلك ! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسِن منها واحداً ! فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما ذنبه ؟ إسحاقُ أستاذهُ وعليه يَعمَد ، وهو يُضايقه في صوت يُعلِّمه إِيّاه . فقلتُ : قد والله صدَقَ ، ما يُعطيني شيئاً ولا يُعلِّمنيهِ ، قال : فما دَوّاه ؟ فقد والله أعياني . فقال له إبراهيم : توكَّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسِهِ العذابَ حتى يُعلِّمه مائةَ صوت . قال : أمّا هذا فَبعيد ، ولكن اذهب إليه عني فمُرّه أن يُعلِّمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فَعَلَ وإلّا فصبِّ السَّوطَ على رأسِهِ حتى يُعلِّمك .

فَدَخَلْتُ إلى إسحاقَ ، فجلستُ بغير أمره ، وسلّمتُ سلاماً مُنكَراً . ثم أقبلتُ عليه فقلت : يا أمرك أميرُ المؤمنين أن تُعلِّمني كذا وكذا . قال : ما أحسِنه ، فقلت : إنّي أنفَذَ فيك ما أمرني به . فقال : تُنفَذُ فيّ ما أمرتَ به ، ألا تَسْتَحِي وَيَحْكُ مَنِي ومن تربيته إِيّاك ! قلت : فلا بُدَّ من أن تُعلِّمني ما أمركَ به أميرُ المؤمنين . قال : فإنّي لستُ أحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه ، هاتوها . فجاءتُ وجعلتُ تُطارحني حتى أخذتُ الأصوات الثلاثة ، وجعل كلٌّ من جاء يومئذٍ لا يحجبه لِيروني وجاريته تُطارحني .

فلَمّا أخذتُ الأصوات رَجَعْتُ إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاقُ ، فغَنّيته إِيّاها ، فطَرِب . وجعل إبراهيم بن المهديّ يقول : أحسن والله ، أحسن والله . فلَمّا فرغتُ قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانهِ ، ولقد جَهِدَتُ الجاريةُ جَهدَها أن يأخذَ عنها فلم يَتَوَجَّهْ له ، ثم اندفع فغَنّاها ، فكأنّي والله كنتُ ألعب عندما سمعتُ .

ثم أقبل على إبراهيم بن المهديّ فقال له : كم أقولُ لك : ليس هذا من علِّمك ولا ممّا تحسنه وأنتَ تكابر وتُدخِلُ نفسك فيما لا تُحسِنه . فقال : ألا تراه يا أمير المؤمنين يُصَيِّرُني مُغَنّياً ! فقال له إسحاق : ولم تجحد ذلك ؟ أو أسررتَ إليّ منه شيئاً لم تُظهِره للناس وتُعلِّمهم إِيّاه ؟ ومتى صيرتَ تأنف من هذا وأنتَ تَتَبَجَّحُ به ؟ فليتك تُحسِنه ، والله ما تَفَرِّقُ بينَ الخطأ والصواب فيه ، وإن شئتَ الآن أَلقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ علم

شئت ، فإن أجبتَ في واحدةٍ منهنّ وإلاّ علِمْتُ أنّك مُتكلّف . فقال : يا أمير المؤمنين يَسْتَقْبِلُنِي بهذا بين يديك ؟ قال : وما هذا ممّا لا أَسْتَقْبِلُكَ به ؟ فقال له محمد : نعم اختر ما شئتَ حتّى نسألك عنه . فقال : إنّما يفعل هذا الصبيان ، وانكسر حتّى رَحِمْتَهُ . فقلتُ لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلّك ترى مع هذا القول أنّه لا يُحسن ، بلى والله إنّهُ ليُحسن كلّ شيءٍ وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري ، وإنّه ليتقدّم كثيراً من الناس في كلّ شيء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول : تَشْجُهُ بيدٌ وتُدْهِنُهُ بيدٌ ، وتجرحه بيدٌ وتأسوه بيدٌ !

نسبة هذه الأصوات

صوت¹

[من الطويل]

لقد أزمعتُ لِلْبَيْنِ هِنْدُ زِيَالَهَا وَزَمُّوا إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ جِمَالَهَا
فما ظبيّةٌ أَدْمَاءُ واضحةٌ الْقَرَا تُنْصُ إِلَى بَرْدِ الظَّلَالِ غَزَالَهَا²
تَحْتُ بِقَرْنِهَا بَرِيرَ أَرَاكِ وَتَعْطُو بِظِلْفَيْهَا إِذَا الْغُصْنُ طَالَهَا³
بِأَحْسَنَ مِنْهَا مُقْلَةً وَمُقْلَدًا وَجِيدًا إِذَا دَانَتْ تَنَوُّطُ شِكَالَهَا⁴

الشَّعْرُ لكَثِيرٌ ، وَالْغِنَاءُ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، وفيه لابن سُرَيْجٍ في الثالث والثاني ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسِّيَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، عَنْ إِسْحَاقَ ، وَلِإِبْرَاهِيمَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو ، فِي الثَّانِي ثُمَّ فِي الثَّالِثِ ، وَفِي كِتَابِ حَكَمٍ : لِحَكَمٍ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، وَعَنْ حَبِشٍ لَطُونِيسَ فِيهِ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ لَحْنَ مَعْبَدٍ ثَانِي ثَقِيلٌ .

صوت

[من البسيط]

يَا دَارَ سَعْدَى سَقَى أَطْلَالَكَ الدَّيْمَا مُسْقِي الرُّوَايَا وَإِنْ هَيَّجَتْ لِي سَقَمَا
دَارٌ خَلَتْ وَعَفَتْ مِنْهَا مَعَالِمُهَا إِلَّا الثَّمَامَ وَالْأُتُوِيَّ وَالْحُمَامَا⁵
الْغِنَاءُ لَقَمًا النِّجَارِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو وَالْهَشَامِيَّ وَإِبْرَاهِيمَ .

1 ديوان كثير : 468 .

2 أَدْمَاءُ : الْبَيْضَاءُ الْبَطْنِ فِي ظَهَرِهَا غَبِرَةٌ . الْقَرَا : الظَّهَرُ بِرَنْتَصْ : تَسْوِقٌ وَتَحْتُ .

3 الْبَرِيرُ : ثَمَرُ الْأَرَاكِ . تَعْطُو : تَتَنَاوَلُ . طَالَهَا : ارْتَفَعَ عَنْهَا .

4 تَنَوُّطُ : تَعْلُقُ . الشِّكَالُ : مَا تَشْدُوهُ الْمَرْأَةُ عَلَى وَسْطِهَا تَعْلُقُ بِهِ الْحُلِيَّ .

5 الثَّمَامُ : نَبْتٌ ضَعِيفٌ لَا يَطُولُ . وَالنُّوِيَّ : الْحَفِيرُ حَوْلَ الْخِيْمَةِ يَمْنَعُ السَّيْلَ . وَالْحُمَمُ : جَمْعُ حَمَةٍ وَهِيَ الْفَحْمُ وَكُلُّ مَا احْتَرَقَ بِالنَّارِ .

صوت

[من الكامل]

لا والذي نُحِرَتْ له الْبُذُنُ وله بِمَكَّةَ قُبْلَ الرُّكْنُ
ما زِلْتُ يا سَكَنِي أَخَا أَرْقٍ مُتَكِنْفًا بِي الْهَمُّ وَالْحَزَنُ
أَخْشَى عَلَيْكَ وَبَعْضُهُ شَفَقٌ أَنْ يَفْتَنُوكَ وَأَنْتَ مُفْتِنٌ

الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البصر ، عن إسحاق وذكر الهشامي أنه
لسليمان الوادي أوله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عباد ولم يُجنسه .
أخبرني عمي : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني عبد الوهاب المؤذن قال : انحدرنا
مع المعتصم من السن¹ ونحن في حرّاقته² ؛ وحضر وقت الأذان فأذنت ، فلما فرغت من
الأذان اندفع مخارق بعدي فأذن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنيتُ والله أن دجلة أهرقت لي
ففرقتُ فيها .

[غضب المعتصم يعقبه رضى]

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن عبد الله بن حمدون قال : حدثني أبي قال :
غَضِبَ المعتصمُ على مُخَارِقٍ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْمَوْذِنِ وَيُلْزَمَهُمْ ، ففعل ذلك ، وأمهل
حتى علم أن المعتصم يشرب وأذنت العصر ؛ فدخل هو إلى السّتر حيث يقف المؤذن
للسلام ، ثم رفع صوته جهده وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ،
الصّلاة يرحمك الله . فبكى حتى جرت دموعه ، وبكى كل من حضره . ثم قال : أَدْخِلُوهُ
إِلَيَّ ، ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قط ! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه .
فأمر به فأدخِلَ إليه ، فقبل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها ،
وأمره بإحضار عودِه فأحضر ، فأعاده إلى مرتبته .

وجدتُ في بعض الكتب ، عن علي بن محمد البسامي ، عن جدّه حمدون بن إسماعيل
قال : غَنَى علويّه يوماً بين يدي إسحاق الموصلي :
[من الطويل]

هَجَرْتُكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ مِنَ الْأَذَى وَخَوْفَ الْأَعَادِي وَاتِّقَاءِ النَّمَائِمِ

فقال له إسحاق : أحسنت يا أبا الحسن أحسنت ، واستعاده ثلاثاً وشرب . فقال له علويّه :
يا أستاذ ، أين أنا الآن من صاحبي ، يعني مخارقاً ، مع قولك هذا لي ؟ فقال : لا تُرد أن تعرف

1 السن : مدينة على دجلة .

2 الحراقة : سفينة خفيفة .

هذا . قال : بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة . فقال : إذا غَنَيْتَما مَلِكاً اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك . فضجر علّويه وقال لإسحاق : أُوْفٌ مِنْ رِضَاكَ وَغَضَبِكَ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

هَجَرْتُكَ إِشْفَاقاً عَلَيْكَ مِنَ الْأَذَى وَخَوْفَ الْأَعَادِي وَاتَّقَاءِ النَّمَائِمِ
وَأَنِّي وَذَاكَ الْمَهْجَرُ لَوْ تَعَلَّمِيْنَهُ كَسَالِيَةً عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمٌ¹
الشعر لَهلال بن عمرو الأسدي ، والغناء لعلّويه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

[ثلاثة بهايون ثلاثة]

وقال الجاحظ : قال أَبُو يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيُّ : مَا رَأَيْتُ كَثَلَاةَ رِجَالٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ أَكْلاً ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ ذَابُوا كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ عَلَى النَّارِ : كَانَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ عَلَامةً نَسَّابَةً وَرَاوِيَةً لِلْمَثَالِبِ عِيَابَةً ، فَإِذَا رَأَى الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ . وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ جَوْنَقاً مُفْقِعاً² نَبِيّاً صَاحِبَ تَقَعُّرٍ ، يَسْتَوِلِي عَلَى كُلِّ كَلَامٍ لَا يَحْفِلُ بِخَطِيبٍ وَلَا شَاعِرٍ ، فَإِذَا رَأَى مُوسَى الضَّبِّيَّ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ . وَكَانَ عَلَّوِيَّةً وَاحِدَ النَّاسِ فِي الْغِنَاءِ رِوَايَةً وَحِكَايَةً وَدِرَايَةً وَصَنَعَةً وَجُودَةً ضَرْبٍ وَأَضْرَابٍ وَحُسْنَ خَلْقٍ ، فَإِذَا رَأَى مَخَارِقاً ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ عَلَى النَّارِ .

[مخارق بهوى جارية أم جعفر]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَاتِبُ ، عَنْ ابْنِ خُرْدَاذِبِهِ قَالَ : هَوِيَّ مَخَارِقٌ جَارِيَةً لِأُمِّ جَعْفَرٍ ، فَحَجَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَجَّتْ فِيهَا أُمُّ جَعْفَرٍ بِسَبَبِ الْجَارِيَةِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ فِيهِ : [من الوافر]

يُحْجُّ النَّاسُ مِنْ بَرٍّ وَتَقْوَى وَحَجُّ أَبِي الْمُهَنْنَا لِلتَّصَابِي

قال : وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ قَدْ وَهَبَ دَارَ مَخَارِقَ لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ لِيُونَاةَ خَلِيفَةَ الْأَفْشِينِ ، فَقَالَ

عِيسَى بْنُ زَيْنَبٍ فِي ذَلِكَ :

[من الكامل]

يَا دَارُ غَيْرَ رَسْمِهَا يُونَاةَ وَبَقِيَ مَخَارِقُ قَاعِداً فِي فَازَةٍ³

1 في هذا الشعر إقواء . ورائم من رأمت الناقة ولدها : عطف عليه .

2 المفقع : التشدق في الكلام .

3 الفازة : مظلة بعمودين .

لا تَجْزَعَنَّ أَبَا المَهْنَأِ إِنَّهَا دُنْيَا تُدَالِ بِذَلِكِ وَعِزَّازَةٌ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثنا عمر بن شبة . وحدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال : وجدت بخطَّ عبد الله بن الحسين : حدثني الحسن بن إبراهيم بن رياح ، قال .

وكان مخارق يهوى جارية لأُمِّ جعفر يقال لها بهارُ ، ويستر ذلك عن أُمِّ جعفر ، حتى بلغها ذلك ، فأقصته ومنعته من المرور ببابها ، وكان بها كلفاً . قال الصُّولي : في خبره : فلما علم أنَّ الخبر قد بلغ أُمَّ جعفر قطعها وتجاهاها إجلالاً لأُمِّ جعفر ، وطمعاً في السُّلُو عنها . وضاقَ ذرعُه بذلك ، فبينما هو ذاتَ ليلة في زلَّال¹ ، وقد انصرف من دار المأمون ، وأُمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذى دارها ، فرأى الشمع يزهر فيها ، فلما صار بمَسْمَعٍ منها ومراى اندفعَ فغنى² :

صوت

إِنْ تَمْنَعُونِي مَمَرِّي قُرْبَ دَارِهِمْ فسوف أنظر من بُعدٍ إلى الدَّارِ
سَيِّمِ المَهْوَى شَهْرَتٌ حَتَّى عَرِفْتُ بِهَا أَنِّي مُجِيبٌ وَمَا بِالْحُبِّ مِنْ عَارِ
مَا ضَرَّ جِيرَانَكُمْ ، وَاللَّهِ يُصْلِحُهُمْ لَوْلَا شَقَائِي ، إِقْبَالِي وَإِذْبَارِي
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْعِي وَلَوْ جَهْدُوا إِذَا مَرَرْتُ وَتَسْلِمِي بِإِضْمَارِي

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقال أُمُّ جعفر : مُخَارِقُ وَاللَّهِ ، رُدُّوه ! فصاحوا بمَلَأْجِه : قَدِّم ! فَقَدِّم ، وأمره الخَدَم بالصُّعُود ، فصعد ، وأمرت له أُمُّ جعفر بِكُرْسِيٍّ وصينية فيها نبيذ ، فشرب ، وخلعت عليه ، وأمرت الجواري فغنَّين ، ثمَّ ضربن عليه فغنى فكان أوَّل ما غنى³ :

صوت

أَغِيبُ عَنْكَ بَوْدٌ مَا يُغَيِّرُهُ نَائِي المَحَلُّ وَلَا صَرَفٌ مِنَ الزَّمَنِ
فَإِنْ أَعِشْ فَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُنَا وَإِنْ أَمُتْ فَقَتِيلُ الهَمِّ وَالْحَزَنِ

1 الزلال : قارب نهري .

2 لم نعر على أبيات العباس بن الأحنف في ديوان (صادر) .

3 ديوان العباس : 309 .

قد حسن الله في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن
الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل .

قال : فاندفعت بهار فغنت كأنها ثباينه ، وإنما أجابته عن معنى ما عرض لها
به¹ : [من البسيط]

تعتل بالشغل عنا ما تليماً بنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن
فقطيت أم جعفر أنها خاطبته بما في نفسها ، فضحكت وقالت : ما سمعنا بأملح مما
صنعتما ، وقال إسماعيل بن يونس في خبره : ووهبتها له .
وقال هارون بن الزيات : حدثني هارون بن مخارق عن أبيه : أن المأمون سأل لما قدم
مكة عن أحدث صوت صنعه ، فغناه : [من الخفيف]

صوت

أقبلت تحصب الجمار وأقبلت لرمي الجمار من عرفات
ليتني كنت في الجمار أنا المح صوب من كف زينب حصيات
الشعر للنميري ، والغناء لمخارق خفيف رمل بالنصر ، قال : فضحك ، ثم قال : لعمري
إن هذا لأحدث ما صنعت ، ولقد قنعت بيسير ، وما أظن بهار كانت تبخل عليك بأن
تحصيلك بحصاة كما تحصب الجمار . واستعاده الصوت مرات .
[المأمون يبكي لصوت في جارية له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني هارون بن مخارق قال : حدثني أبي قال : كنا
عند المأمون يوماً ، فجاءه الخادم الحرمي فأسر إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا
ساعة وعاد وتذرف . فقال لنا : دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أتخطأها ،
فوجدتها في الموت ، فسلمت عليها فلم تستطع رد السلام إلا إيماء بإصبعها ، فقلت هذين
البيتين : [من الطويل]

سلام على من لم يطق عند بيته سلاماً ، فأومى بالبنان المخضب
فما استطعت توديعاً له يسوى البكا وذلك جهد المستهام المعضب
ثم قال : غن فيها يا مخارق ، ففعلت ، فما استعادي ذلك الغناء قط إلا بكى .
[حاج يهيه حجته]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال : حدثني أحمد بن أبي العلاء قال :

حدَّثني أبي قال : حجَّ رجلٌ مع مخارق ، فلما قضيا الحجَّ وعادا ، قال له الرجل في بعض طريقه : بحقي عليك غنني صوتاً ، فغنّاه :

[من الطويل]

رَحَلْنَا فَشَرَقْنَا وراحوا فغَرَّبُوا ففاضتْ لِرَوَعَاتِ الفِراقِ عُيُونُ
فرفع الرجل يده إلى السماء وقال : اللهمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قد وهَبْتُ حَجَّتِي له .

[وفاته]

وتوفيَّ مخارق في أوَّل خلافة المتوكِّل ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق ، وذكر ابن خرداذبه أنَّ سبب وفاته أنَّه كان أكل قَنَبِيْطِيَّةً باردةً فقتلته من فوره .

صوت¹

[من الطويل]

إِذَا مِتَّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّي مُشَاشِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا²
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاقَةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوقَهَا

عروضه من الطويل ، ويُروى :

[من الطويل]

إِذَا رَحِتْ مَدْفُوناً فَلَسْتُ أَذُوقَهَا

الشعر لأبي مِخْجَنَ الثَّقَفِيِّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثَقِيلُ أوَّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لَحْنٌ لَحْنُ ذَكَرِهِ إِبراهيم ولم يُجَنِّسْه .

* * * *

1 ديوان أبي محجن .

2 المشاش : رؤوس العظام اللينة وفي الديوان : عظامي .

الفهرس

- [374] - ذكر ذي الرمة وخبره 5
- [375] - ذكر خبر إبراهيم 35
- [376] - ذكر مقتل الزبير وخبره 39
- [377] - ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد 47
- [378] - أخبار خفاف ونسبه 53
- [379] - أخبار جيهاء ونسبه 69
- [380] - أخبار والبة بن الحباب 73
- [381] - أخبار عمران بن حطان ونسبه 79
- [382] - أخبار عمارة بن الوليد ونسبه 89
- [383] - أخبار الأضبط ونسبه 93
- [384] - أخبار أعشى ربيعة ونسبه 95
- [385] - أخبار عمرو بن قميئة ونسبه 100
- [386] - أخبار المؤمل بن جميل 105
- [387] - أخبار مساور ونسبه 107
- [388] - أخبار سعيد بن حميد ونسبه 111
- [389] - أخبار ابن مناذر ونسبه 122
- [390] - نسب أشجع وأخباره 153
- [391] - أخبار ابن مفرغ ونسبه 186
- [392] - أخبار الزبير بن دحمان 219
- [393] - نسب العماني وخبره 226
- [394] - أخبار عروة بن أذينة ونسبه 234
- [395] - ذكر مخارق وأخباره 244

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 18

DAR SADER
Beirut

کتاب الایمانی

19

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد التاسع عشر

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

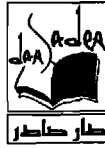
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستانية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[396] - ذكر أبي محجن ونسبه¹

أبو مِخْجَنَ عَبْدُ اللَّهِ² بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ عَنَزَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَسِيٍّ وَهُوَ ثَقِيفٌ ، وَقَدْ مَضَى نَسَبُهُ فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعٍ .
وَأَبُو مِخْجَنَ مِنَ الْمُخْضَرِّمِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ فَارِسٌ شُجَاعٌ مَعْدُودٌ فِي أَوَّلِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ؛ وَكَانَ مِنَ الْمَعَاقِرِينَ لِلخَمْرِ الْمَحْدُودِينَ فِي شُرْبِهَا .
[نفاه عمر فهرب]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَحْوَلُ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ قَالَ : لَمَّا كَثُرَ شُرْبُ أَبِي مِخْجَنَ الْخَمْرِ ، وَأَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ الْحَدَّ مِرَاراً وَهُوَ لَا يَنْتَهِي ، نَفَاهُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ يُقَالُ لَهَا حَضَوْضِي³ ، وَبَعَثَ مَعَهُ حَرَسِيًّا يُقَالُ لَهُ ابْنُ جَهْرَاءَ ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَلَحِقَ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ يَذْكُرُ هَرَبَهُ مِنْ ابْنِ جَهْرَاءَ⁴ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَجَّانِي وَخَلَّصَنِي	مِنْ ابْنِ جَهْرَاءَ وَالْبُوصِيِّ قَدْ حُبِسَا ⁵
مَنْ يَجْشَمُ الْبَحْرَ وَالْبُوصِيَّ مَرَكِبُهُ	إِلَى حَضَوْضِي فَبُئِسَ الْمَرْكَبُ التَّمْسَا
أَبْلَغُ لَدَيْكَ أَبَا حَفْصٍ مُغْلَغَلَةً	عَبْدَ الْإِلَهِ إِذَا مَا غَارَ أَوْ جَلَسَا
أَنْتِي أَكْرُ عَلَى الْأَوَّلَى إِذَا فَزَعُوا	يَوْمًا وَأَحْبَسَ تَحْتَ الرَّايَةِ الْفَرَسَا ⁶

- 1 ترجمة أبي محجن في الشعر والشعراء : 336-337 والمؤتلف : 133 والاستيعاب : 1746-1751 والإصابة : 7 : 170 وطبقات ابن سلام : 268-269 والخزانة : 8 : 405-413 وكتب التاريخ في وقعة القادسية . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وله ديوان صغير بشرح أبي هلال العسكري .
- 2 اختلف في اسمه ، فهو في المؤتلف حبيب ، وفي الإصابة والاستيعاب (وعن الثاني خزانة البغدادي) اختلف في اسمه فقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب ... وقيل كنيته اسمه .
- 3 حضوضي : عند ياقوت : «جبل في الغرب ، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاها ؛ وقال الحازمي : حضوض ، بغير الألف ، جزيرة في البحر» .
- 4 ديوانه : 9-10 .
- 5 البوصي : ضرب من السفن . وهذا يرجع قول الحازمي في حضوضي .
- 6 الأولى : مقدمة الخيل .

أَغْشَى الْهِجَا جَ وَتَغْشَانِي مُضَاعَفَةٌ مِنْ الْحَدِيدِ إِذَا مَا بَعْضُهُمْ خَنْسًا¹

[سبب آخر لنفسه]

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل ، قال ابن الأعرابي : وحدثني ابن دأب بسبب نفي عمر إياه ، فذكر أن أبا محجن هوي امرأة من الأنصار يقال لها شُمُوس ، فحاول النظر إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فأجر نفسه من عامل يعمل في حائط² إلى جانب منزلها ، فأشرف من كوة في البستان ، فرآها فأنشأ يقول³ :

ولقد نظرتُ إلى الشُمُوسِ ودُونِها حَرَجٌ مِنَ الرَّحْمَنِ غَيْرُ قَلِيلِ
قد كنتُ أَحْسَبُنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُؤْلِ

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب ، فنفاه إلى حضوصي ، وبعث معه رجلاً يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يستعين به . قال له عمر : لا تدع أبا محجن يخرج معه سيفاً ، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة وجعل جفنه في غرارة أخرى ، فيهما دقيق له .

فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصي اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء : هلم نتغذ ووثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقاً فأخذ السيف ، فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر ، فأخبره الخبر .

وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يُقاتل العجم يوم القادسية ، وبلغ عمر خبره ، فكتب إلى سعد بحبسه ، فحبسه ، فلما كان يوم أرماث ؛ والتحم القتال سأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتخلّ قيدة لُيقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا تبعه عليه ، وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد ، فأعطته الفرس ، وخلّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاءً حسناً إلى الليل ، ثم عاد إلى حبسه .

حدثني بهذا الحديث عمي عن الخراز ، عن المدائني ، عن إبراهيم بن حكيم ، عن عاصم بن غروة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرّب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن ، وكان يدمن الخمر وأمر ابن جهراء النصري ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر ، وذكر الخبر مثل الذي قبله ، وزاد فيه : وقال أبو محجن أيضاً⁴ :

[من المديد]

1 مضاعفة : درع صنعت من حلقتين حلقتين . خنس : تأخر .

2 حائط : بستان .

3 لم يرد البيت في ديوانه .

4 لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

صوت

صاحِبَا سَوَّ صَحِيَّتُهُمَا صَاحِبَانِي يَوْمَ ارْتَحِلُ
وَيَقُولَانِ : ارْتَحِلْ مَعَنَا فَأَنَادِي : إِنِّي ثَمَلُ
إِنِّي بَاكَرْتُ مُتْرَعَةً مَرَّةً رَاوُوقَهَا خَضِلُ

الغناء في البيتَيْن الأخيرين لَنَشْوٍ خَفِيفٍ رَمَلٍ وَأَوَّلُهُ :

وَيَقُولَانِ اصْطَبِيحْ مَعَنَا

قال الأصفهاني : وهذه القصة كانت لأبي مِخْجَنَ في يومٍ من أَيَّامِ حَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ يُقَالُ لَهُ : يَوْمَ أَرْمَاتٍ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهَا الْمَشْهُورَةُ يَوْمَ أَغَوَاثٍ وَيَوْمَ أَرْمَاتٍ وَيَوْمَ الْكَتَائِبِ وَخَبَرُهَا يَطُولُ جَدًّا ؛ وَلَيْسَ فِي كُلِّهَا كَانَ لِأَبِي مِخْجَنَ خَبَرٌ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَاهُنَا خَبْرَهُ ، فَذَكَرْنَا مِنْهَا مَا كَانَ اتِّصَالُهُ بِخَبَرِ أَبِي مِخْجَنَ¹ .

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى ؛ يَذْكُرُ عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ وَزِيَادٍ وَابْنِ مَخْرَاقٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ طَيْئِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْكَتَائِبِ اقْتَتَلَ الْمُسْلِمُونَ وَالْفُرْسُ مِنْذُ أَصْبَحُوا إِلَى أَنْ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ تَرَاخَفَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ ؛ وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي كَانَ فِي صَبِيحَتِهَا يَوْمَ أَرْمَاتٍ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أَغَوَاثٍ أَشْرَفُوا عَلَى الظَّفَرِ وَقَتَلُوا عَامَّةَ أَعْلَامِ الْفُرْسِ ، وَجَالَتْ خَيْلُهُمْ فِي الْقَلْبِ ، فَلَوْلَا أَنَّ رَجُلَهُمْ ثَبَتُوا حَتَّى كَرَّتِ الْخَيْلُ لَكَانَ رَأْسُهُمْ قَدْ أُخِذَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ عَنْ فَرَسِهِ ؛ وَيَجْلِسُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِتَالِ ؛ قَالُوا : فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ تَحَاجَزَ النَّاسُ ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يَتَمُونُ مِنْذُ لَدُنْ أُمَسَا .

وَسَمِعَ ذَلِكَ سَعْدُ فَاسْتَلْقَى لَيْنَامَ ، وَقَالَ لِبَعْضٍ مِنْ عِنْدِهِ : إِنْ تَمَّ النَّاسُ عَلَى الْإِنْتِمَاءِ فَلَا تُوقِظْنِي فَإِنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ؛ وَإِنْ سَكَتُوا وَسَكَتَ الْعَدُوُّ فَلَا تُنَبِّهْنِي فَإِنَّهُمْ عَلَى السَّوَاءِ ؛ وَإِنْ سَمِعَتِ الْعَدُوُّ يَتَمُونُ وَهَؤُلَاءِ سَكَتُوا فَأُنَبِّهْنِي فَإِنَّ إِنْتِمَاءَ الْعَدُوِّ مِنَ السُّوءِ .

قَالُوا : وَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ أَبُو مِخْجَنَ قَدْ حَبَسَهُ سَعْدُ بِكِتَابِ عُمَرَ ، وَقَبِدَهُ فَهُوَ فِي الْقَصْرِ ، صَعَدَ أَبُو مِخْجَنَ إِلَى سَعْدٍ يَسْتَعْفِيهِ وَيَسْتَقِيلُهُ ، فزبره² وردّه ؛ فَنَزَلَ فَاتَى سَلْمَى بِنْتَ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالَ : يَا بِنْتَ آلِ أَبِي حَفْصَةَ ، هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : تُخْلِينَ عَنِّي وَتُعِيرِينِي الْبَلْقَاءَ ، فَلَلَّهِ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجَعَ

1 قارن تاريخ الطبري (حوادث سنة 14) ، وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 455-457 .

2 زبره : منعه ونهاه .

إلى حضرتك حتى تَضْعِي رِجْلِي فِي قَيْدِي . فقالت : وما أنا وذاك ؟ فرَجَعَ يَرْسُفُ فِي قِيوده
ويقول¹ :

كَفَى حَزَنَا أَنْ تَرْدِي الْخَيْلُ بِالْقَنَا	وَأَتَرَكَ مَشْدُوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا ²
إِذَا قُمْتُ عَنَّا الْحَدِيدُ وَغُلِّقْتُ	مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُصَيِّمُ الْمُنَادِيَا ³
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ	فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِداً لَا أُخَا لِيَا ⁴
وَقَدْ شَفَّ جِسْمِي أَنْتَنِي كُلَّ شَارِقٍ	أُعَالِجُ كَبَلاً مُضْمَناً قَدْ بَرَأِيَا
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرَكَ مُوثِقاً	وَتَذْهَلُ عَنِّي أَسْرَتِي وَرِجَالِيَا
حَبِيساً عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَقَدْ بَدَتْ	وَأَعْمَالُ غَيْرِي يَوْمَ ذَاكَ الْعَوَالِيَا ⁵
وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أُخَيِّسُ بَعْدَهُ	لَسْتُ فَرَجْتُ أَلَا أَزُورُ الْحَوَالِيَا

فَقَالَتْ لَهُ سَلَمَى : إِنِّي قَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ وَرَضِيتُ بِعَهْدِكَ ، فَأُطْلِقْتَهُ وَقَالَتْ : أَمَّا الْفَرَسُ
فَلَا أُعِيرُهَا ، وَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا . فَاقْتَادَهَا أَبُو مِحْجَنٍ وَأَخْرَجَهَا مِنْ بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي يَلِي
الْخَنْدَقَ ، فَرَكِبَهَا ثُمَّ دَبَّ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ الْمِيْمَةِ ، وَأَضَاءَ النَّهَارَ ، وَتَصَافَتْ
النَّاسُ ، كَبُرَ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْقَوْمِ فَلَعِبَ بِرُوحِهِ وَسِلَاحِهِ بَيْنَ الصَّفِّينِ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ
خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقَلْبِ فَبَدَرَ أَمَامَ النَّاسِ ، فَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَلَعِبَ بَيْنَ الصَّفِّينِ بِرُوحِهِ
وَسِلَاحِهِ ، وَكَانَ يَقْصِفُ النَّاسَ لِيَلْتَذَّ قِصْفاً مُنْكَرًا ؛ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ
وَلَمْ يَرَوْهُ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : هَذَا مِنْ أَوَائِلِ أَصْحَابِ هِشَامِ بْنِ عُتْبَةَ أَوْ هِشَامٍ
بِنَفْسِهِ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنْ كَانَ الْخَضِرُ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ فَهُوَ صَاحِبُ الْبَلْقَاءِ . وَقَالَ آخَرُونَ :
لَوْلَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تُبَاشِرُ الْقِتَالَ ظَاهِرًا لَقُلْنَا هَذَا مَلَكٌ بَيْنَنَا ؛ وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ ، وَهُوَ
مَشْرُفٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ : الطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ ، وَالضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ⁶ . وَلَوْلَا مَحْبُسُ أَبِي
مِحْجَنٍ لَقُلْتُ : هَذَا أَبُو مِحْجَنٍ وَهَذِهِ الْبَلْقَاءُ . فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، فَتَحَاجَزَ
أَهْلُ الْعُسْكَرَيْنِ وَأَقْبَلَ أَبُو مِحْجَنٍ حَتَّى دَخَلَ الْقَصْرَ ، وَوَضَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَدَابَّتَهُ ، وَأَعَادَ

1 في الديوان أربعة أبيات منها ، وهي في الخزانة 8 : 407 (عن الاستيعاب) .

2 تردي : تضرب الأرض بحوافرها . وفي الديوان : تطعن وفي الخزانة : تلتقي .

3 مصاريع في الديوان والخزانة : مصارع .

4 بعد هذا البيت في الديوان بيت رابع :

فان مت كانت حاجة قد قضيتها وخلفت سعداً وحده والأمانيا

5 حبيساً في الخزانة : حبست .

6 الضبر : جمع القوائم والوثب .

رجليّه في القيد ، وأنشأ يقول¹ :

[من الوافر]

لقد علّمت ثقيفَ غيرَ فخر بأنّا نحن أكرمهم سيّوفا²
وأكثرهم دُرّوعاً سابغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً
وأنا رفدّهم في كلّ يوم فإن جحدوا فسلّ بهم عريفاً³
وليلةً قادسٍ لم يشعروا بي ولم أكره بمخرجي الزحوفاً
فإن أحبسَ فقد عرفوا بلائي وإن أطلّق أجرّعهم حُتوفاً⁴

فقلت له سلمى : يا أبا مِخْجَنَ ؛ في أيّ شيء حبّسك هذا الرجل ؟ فقال : أمّا والله ما حبّسني بحرامٍ أكلته ولا شربته ، ولكنّي كنتُ صاحبَ شرابٍ في الجاهليّة وأنا امرؤٌ شاعر يدبُّ الشعر على لساني فينفثه أحياناً ، فحبّسني لأنّي قلتُ⁵ :

[من الطويل]

إذا مِتُّ فادفني إلى أصلِ كرميّة تُروّي عِظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فإنّسي أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذوقها
ليُروى بخمر الحُصّ لحمي فإنّني أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقها⁶

قال : وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جولةً ، وسعد بن أبي وقاص في القصر لعلّة كانت به ، لم يقدر معها على حضور الحرب ، وكانت قبله عند المشي بن حارثة الشيباني ! فلما قُتل خَلَفَ عليها سعد ، فلما رأت شدّة البأس صاحت : وامُثّياه ولا مُثّني لي اليوم ، فطَمَها سعد ، فقالت : أف لك ، أجبناً وغيره ؟ وكانت مُغاضية لسعد عشيةً أرماثٍ ليلة الهداة و ليلة السّواد ، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته ، وأخبرته خبر أبي مِخْجَنَ ، فدعا به وأطلقه وقال : اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرّم ، والله إني لا أجبتُ لساني إلى صِفَةِ قبيحٍ أبداً .

[رواية أخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا : حدّثنا عمر بن

1 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثلاثة منها .

2 أكرمهم سيوفا في الديوان : أجودهم سيوفا .

3 فسل بهم عريفاً في الديوان : فسل رجلاً عريفاً .

4 في تاريخ الطبري :

فإن أحبس فذلّكم بلائي وإن أترك أذيقهم الحتوفا

5 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثمانية أبيات ليس البيت الثالث منها .

6 الحُصّ : موضع من نواحي حمص .

شَبَّةٌ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ
 الْمُهَاجِرِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ
 قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دِينَارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ ،
 وَرَوَاتُهُ أَتَمٌّ ، قَالُوا : كَانَ أَبُو مِخْجَنٍ الثَّقَفِيُّ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لِحَرْبِ
 الْأَعَاجِمِ ؛ فَكَانَ سَعْدٌ يُؤْتِي بِهِ شَارِباً فَيَتَهَدَّدُهُ فَيَقُولُ لَهُ : لَسْتُ تَارِكُهَا إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛
 فَأَمَّا لِقَوْلِكَ فَلَا . قَالُوا : فَأَتَيْتُ بِهِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْقَيْدِ ،
 وَكَانَتْ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ ؛ فَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْقُطَةَ ،
 فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ قَالَ أَبُو مِخْجَنٍ :

كفى حزنًا أن تَرْدِي الخيلُ بالقَنَا وأتركَ مَشْدودًا عليَّ وثاقيا

[يَمْتَنِعُ عَنْ شَرْبِ الْخَمْرِ]

وذكر الأبيات وسائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير ، وزاد فيه : فجاءت زَبْرَاءُ
 امرأة سَعْدٍ ، هَكَذَا قَالَ : وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا سَلَمَى ، فَأَخْبَرَتْ سَعْدًا بِخَبْرِهِ ؛ فَقَالَ سَعْدٌ : أَمَا
 وَاللَّهِ لَا أَضْرِبُ الْيَوْمَ رَجُلًا أَبْلَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِهِ مَا أَبْلَاهُمْ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَ أَبُو
 مِخْجَنٍ : قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا إِذْ كَانَ الْحَدُّ يُقَامُ عَلَيَّ وَأَطْهَرُ مِنْهَا ، فَأَمَّا إِذْ بَهَرَجْتَنِي¹ فَلَا وَاللَّهِ
 لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي خَبْرِهِ : وَقَالَ أَبُو مِخْجَنٍ فِي ذَلِكَ² : [مِنَ الْبَسِيطِ]

إن كانت الخمرُ قد عَزَّتْ وَقَدْ مُنِعَتْ وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
 فقد أبَاكِرها صِرْفًا وَأَمْزَجُهَا رِيًّا وَأَطْرَبَ أحيانًا وَأَمْتَزَجُ
 وَقَدْ تَقُومُ عَلَى رَأْسِي مُنْعَمَةٌ خَوْذٌ إِذَا رَفَعْتَ فِي صَوْتِهَا غُنْجُ
 تُرْفَعُ الصَّوْتُ أحيانًا وَتُخَفِّضُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْهَزْجُ

[ظَنَّهُ امْرَأَةً هَارِبًا]

أَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ وَالْمُهَلَّبِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : لَمَّا انصَرَفَ أَبُو مِخْجَنٍ
 لِيَعُودَ إِلَى مَحْبِسِهِ رَأَتْهُ امْرَأَةٌ فَظَنَّتْهُ مُنْهَزِمًا ؛ فَأَنْشَأَتْ تُعَيِّرُهُ بِفِرَارِهِ :

مَنْ فَارِسٌ كَرِهَ الطَّعَانَ يُعَيِّرُنِي رُمْحًا إِذَا نَزَلُوا بِمَرْجِ الصُّفْرِ³

1 بهرجتني : أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان) .

2 الديوان : 19-20 .

3 مرج الصفر : بدمشق . والبيت الذي تمثلت به المرأة لخالد بن سعيد بن العاصي (ياقوت) .

فقال لها أبو محجن :

[من الكامل]

إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى الْجِيَادِ مَبِيتُهُمْ فَدَعِيَ الرَّمَاحَ لِأَهْلِهَا وَتَعَطَّرِي

[رثاء عبيد بن مسعود]

وذكر السريّ ، عن شعيب ، عن سيف في خبره ، ووافقه رواية ابن الأعرابي عن الْمُفَضَّل : أَنَّ النَّاسَ لَمَّا التَّقَوْا مع العجم يوم قَسُ النَّاطِفِ ، كان مع الأعجم فِيلٌ يَكُرُّ عليهم ؛ فلا تقوم له الخيل ؛ فقال أبو عبيد بن مسعود : هل له مَقْتَل ؟ ف قيل له : نَعَمْ ؛ خُرْطُومُهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقِلُّ مِنْهُ مَنْ ضَرَبَهُ ؛ قال : فَأَنَا أَهَبُ نَفْسِي لِلَّهِ ، وَكَمَنْ لَهُ حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَّ إِلَيْهِ فَضَرَبَ خُرْطُومُهُ بِالسَّيْفِ ؛ فَرَمَى بِهِ ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ الْفِيلُ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ اسْتَدَارَ فَطَحَنَ الْأَعَاجِمَ وَانْهَزَمُوا ، فقال أبو محجن الثقفي يرثي أبا عبيد¹ :

[من الطويل]

أَنْتَى تَسَدَّدْتَ نَحْوَنَا أُمُّ يَوْسُفَ وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهَا فَيَافٍ مَجَاهِلُ²
إِلَى فَيْتَةٍ بِالطَّفِّ نَيْلَتْ سَرَائِهِمْ وَغُوْدِرَ أَفْرَاسٌ لَهُمْ وَرَوَاحِلُ
وَأَضْحَى أَبُو جَبْرِ خَلَاءَ بُيُوتِهِ وَقَدْ كَانَ يَغْشَاهَا الضَّعَافُ الْأَرَامِلُ
وَأَضْحَى بَنُو عَمْرٍو لَدَى الْجِسْرِ مِنْهُمْ إِلَى جَانِبِ الْأَيَّاتِ جُودٌ وَنَائِلُ
وَمَا لُمْتُ نَفْسِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّهَا لَهَا أَجَلٌ لَمْ يَأْتِهَا وَهُوَ عَاجِلُ
وَمَا رَمْتُ حَتَّى خَرَقُوا بِسِلَاحِهِمْ إِيَّاهِ بِي وَجَادَتْ بِالْذَّمَاءِ الْأَبَاجِلُ³
وَحَتَّى رَأَيْتُ مُهْرَتِي مُزَوَّرَةً مِنَ النَّبْلِ يَذْمِي نَحْرَهَا وَالشَّوَاكِلُ⁴
وَمَا رُحْتُ حَتَّى كُنْتُ آخِرَ رَاحِلٍ وَصُرُّعَ حَوْلِي الصَّالِحُونَ الْأُمَائِلُ
مَرَزْتُ عَلَى الْأَنْصَارِ وَسَطَ رِحَالِهِمْ فَقُلْتُ : أَلَا هَلْ مِنْكُمْ الْيَوْمَ قَافِلُ ؟
وَقَرَّبْتُ رَوَاحِأً وَكُوراً وَنَمْرَقاً وَغُوْدِرَ فِي الْيَسِّ بَكْرٌ وَوَائِلُ⁵
أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْرُهُمْ رَدَايَ وَمَا يَذْرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلُ

قال الأخفش في روايته ، عن الأخول ، عن ابن الأعرابي ، عن الْمُفَضَّل : قال أبو محجن

في تَرْكِهِ الْخَمَرِ :

[من الوافر]

1 الديوان : 13-15 .

2 تسددت نحونا : جازت إلينا .

3 رمت : برحت . الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في الرجل أو اليد .

4 مزوورة : منحرفة . والشواكل : جمع شاكلة ، وهي الخاصرة .

5 آليس : موقع المعركة في العراق .

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا مَنَاقِبُ تُهْلِكُ الرَّجُلَ الْحَلِيمَا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرُبُهَا حَيَاتِي وَلَا أَسْقِي بِهَا أَبَدًا نَدِيمَا

[ابنه عند معاوية]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْكُرَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عَنْ لَقِيطٍ ، عَنْ
الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ . وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي
الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ ، وَأَخْبَرَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ قَالُوا : دَخَلَ ابْنُ أَبِي مِيْحَجَنَ عَلَى
مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَيْسَ أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ :

[من الطويل]

إِذَا مِتُّ فَادْفَنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ تَرَوْنِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَذْفِنَنِّي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوقَهَا

فَقَالَ ابْنُ أَبِي مِيْحَجَنَ : لَوْ شِئْتَ لَذَكَرْتُ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا مِنْ شَعْرِهِ ؛ قَالَ : وَمَا
ذَاكَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ¹ :

[من البسيط]

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَأَلِي النَّاسَ مَا فَعَلِي وَمَا خَلَقَنِي²
أَعْطَانِي السَّنَانَ غَدَاةَ الرَّوْعِ حِصَّتَهُ وَعَامِلَ الرُّمَحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ³
وَأَطْعَنَ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عُرُضِهِ وَأَحْفَظُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ⁴
عَفُ الْمَطَالِبِ عَمَّا لَسْتُ نَائِلَهُ - وَإِنْ ظَلِمْتُ - شَدِيدُ الْحَقْدِ وَالْحَنَقِ⁵
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَتَعٍ وَقَدْ أَكْرُ وَرَاءَ الْمُحَجَّرِ الْبَرَقِ⁶
وَالْقَوْمُ أَغْلَمُ أَتَنِي مِنْ سَرَائِهِمْ إِذَا سَمَا بَصَرُ الرَّعْدِ يَدَةُ الشَّقَقِ⁷
قَدْ يُعْسِرُ الْمَرْءَ حِينًا وَهُوَ ذُو كَرَمٍ وَقَدْ يَتَوَبُّ سَوَامَ الْعَاجِزِ الْحَقِيقِ⁸

1 الديوان : 3-8 مع اختلاف في الترتيب .

2 الديوان : وسألي القوم عن ديني وعن خلقي .

3 حصته في الديوان : نخلته . والعلق : الدم .

4 الديوان :

وأكشف المأزق المكروب غمته وأكسم السرفيه ضربة العنق

5 الديوان : عفا لإياسة . . .

6 الفنع : الكثرة والمهجر : المستور .

7 الديوان : قد يعلم الناس أنا من سرائهم .

8 الديوان : قد يقتل المرء يوماً وهو ذو كرم .

سَيَكْثُرُ الْمَالُ يَوْمًا بَعْدَ قَلْتِهِ وَيَكْتَسِي الْعُودُ بَعْدَ الْيُسْرِ بِالْوَرَقِ¹

فقال معاوية : لئن كنا أسأنا لك القول لنُحَسِّنَنَّ لَكَ الصَّدَقَ ، ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النساءَ فلتَلِدْ مثلك !
[علي يفتي عمر في الحد]

أخبرني الحسن بن عليّ وعيسى بن الحسين الورّاق قالا : حَدَّثَنَا ابن مَهْرُوبٍ ، قال : حَدَّثَنِي صالح بن عبد الرحمن الهاشمي ، عن العُمريّ ، عن العتيبيّ قال : أُنِيَ عُمَرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ، بجماعة فيهم أَبُو مِخْجَنٍ الثَّقَفِيُّ وقد شربوا الخمر ، فقال : أَشْرَبْتُمُ الخمرَ بعد أن حَرَّمَهَا الله ورسوله ، فقالوا : ما حَرَّمَهَا الله ولا رسوله ؛ إِنَّ الله تعالى يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾² ؛ فقال عمر لأصحابه : ما تَرَوْنَ فيهم ، فاختلَفُوا فيهم فَبَعَثَ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَرَهُ ؛ فقال عليّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا المَيْتَةَ والدّم والحُمّ الخنزير ؛ فسكتوا ، فقال عمر لعليّ : ما ترى فيهم ؟ قال : أرى إن كانوا شَرِبُوهَا مُسْتَحِلِّينَ لها أن يُقْتَلُوا ، وإن كانوا شَرِبُوهَا وهم يُؤْمِنُونَ أَنَّهَا حَرَامٌ أن يُحَدِّثُوا ، فسألهم ؛ فقالوا : والله ما شككنا في أَنَّهَا حَرَامٌ ، وَلَكِنَّا قَدَرْنَا أن لنا نِجَاةً فيما قُلْنَاهُ ، فجعل يَحْدِثُهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِخْجَنٍ ؛ فلَمَّا جلده أنشأ يقول³ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَعْتَرُ بِالْفَتَى ولا يستطيع المرءُ صرفَ المَقَادِرِ
صَبِرْتُ فلم أَجْزَعْ ولم أَكُ كَائِعًا لحادثِ دَهرٍ في الحُكُومَةِ جَائِرٍ⁴
وإِنِّي لَدُوٌّ وَصَبْرٌ وقد مات إخوتي ولست عن الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فخلَّأَتْهَا يَبْكون حولَ المَعَاصِرِ

فلَمَّا سمع عمر قوله :

ولست عن الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ

1 الديوان : قد يكثر المال بعد الجذب . . .

2 سورة المائدة ، الآية : 93 .

3 في الطبري (حوادث سنة 18) حكاية ماثلة عن ضرار وأبي جندل وأن هذا الشعر لأبي الزهراء القريشي .

4 كائع : جبان هباب .

قال : قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر ؛ فقال له علي عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله في الشعراء : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾¹ . فقال عمر : قد استثنى الله منهم قوماً فقال : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . فقال علي عليه السلام : أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

[نبت الكرم على قبره]

أخبرنا محمد بن خلف بن المزيان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي قال : أخبرني من مر بقبر أبي مخجن الثقفي في نواحي أذربيجان ، أو قال في نواحي جرجان ، فرأيت قبره وقد نبت عليه ثلاثة أصول كرم قد طالت وأثمرت وهي معروشة ، وعلى قبره مكتوب : هذا قبر أبي مخجن الثقفي ، فوقفت طويلاً أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمية بلغها حيث يقول : [من الطويل]

إذا ميت فاذنني إلى أصل كرمية تروني عظامي بعد موتي غروها

صوت

[من الطويل]

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعا ولا الشمس إلا حاجبي يميني
مُعزيتي خلف القفا بعمودها فجُلُّ نكيري أن أقول ذريني
أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حِداج موطأ مع الطعن لا يأتي المحل لحين

غروضة من الطويل ؛ والمعزية : امرأة تكون مع الشيخ الخرف تكلوه . وقوله :

أمين على أسرارهن . . .

أي أن النساء صرن يتحدثن بين يدي أسرارهن ، ويفعلن ما كن قبل ذلك يرهبن فيهِ ؛ لأنني لا أضهرن . والحِداج والحِداج : مركب من مراكب النساء .

الشعر لزهير بن جناب الكلبي ، والغناء لأهل مكة ، ولحنه من خفيف الثقل الأول بالوسطى عن الهشامي وحش ، وفيه لحنين ثاني ثقيل بالوسطى .

[397] - أخبار زهير بن جناب ونسبه¹

[نسبه]

زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذرة بن زَيْد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كَلْب بن وبرة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .
 شاعرٌ جاهليٌّ ، وهو أحدُ المعمرين ، وكان سيِّد بني كَلْب وقائدهم في حروبهم ؛ وكان شجاعاً مظفراً ميموناً النقيبة في غزواته ، وهو أحدُ من ملَّ عُمره فشرب الخمر صِرْفاً حتى قَتَلته .
 ولم يُوجد شاعرٌ في الجاهلية والإسلام وَلَد من الشعراء أكثر مِمَّن وَلَدَ زُهَيْرٌ ، وسأذكر أَسْماءهم وشيئاً من شعرهم يعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى .
 [غزوة غطفان]

قال ابن الأعرابي : كان سببُ غزوة زهير بن جناب غطفان أن بني بغيض حين خرجوا من يَهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرضت لهم صُداء وهي قبيلة من مَدحج ؛ فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهلهم ونسائهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حريمهم فظهِروا على صُداء فأوجعوا فيهم ونكأوا² ؛ وعزَّت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصاب غنائم ؛ فلما رأوا ذلك قالوا : أما والله لتتخذنَّ حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ، ولا يُعضد شجره ، ولا يُهاج عائده³ ، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف .

ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياحُ بن ظالم . ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له بُس . وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذ سيِّد بني كَلْب ؛ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيٌّ ، ولا أُخلِّي غطفان تتخذ حرماً أبداً .

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم ، فذكر حال غطفان وما بلغه عنها ؛ وأنَّ أكرم مأثرة يعتقدها هو وقومه أن يمنعهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه ، واستمد⁴ بني القَيْن من جُشَم فابْتُوا أن يغزوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غطفان ؛ فقاتلهم فظفر بهم زُهَيْرٌ وأصاب حاجته فيهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حرمهم الذي بنوه ، فقال لبعض

1 ترجمة زهير بن جناب في الشعر والشعراء : 294-297 وطبقات ابن سلام : 35-37 والمعمرين : 24 والمؤتلف : 191 وانظر جمهرة ابن حزم : 426 وما بعدها ، والتذكرة الحمدونية 2 : 36 وما بعدها و 8 : 215-217 . وقد صنع ديوانه د . محمد شفيق البيطار ، (بيروت 1999) .

2 نكأوا : جرحوا وقتلوا .

3 لا يهاج عائده : لا يفزع من يلجأ إليه .

4 استمد : طلب المدد .

أصحابه : اضرب رقبته ، فقال : إِنَّهُ بَسَلٌ¹ ، فقال زهير : وأبيك ما بَسَلٌ عليَّ بحرام .
ثم قام إليه فضربَ عُنُقَهُ وعَطَّلَ ذلك الحَرَمَ ؛ ثم مَنَّ على غَطَفَانٍ وردَّ النساء واستاق
الأموال ؛ وقال زهيرٌ في ذلك :

ولم تُصْبِرْ لَنَا غَطَفَانُ لَمَّا تَلَاقَيْنَا وَأَحْزَرَتِ النِّسَاءُ
فَلَوْلَا الْفَضْلُ مِنَّا مَا رَجَعْتُمْ إِلَى عِذْرَاءٍ شِيَمَتْهَا الْحَيَاءُ
وَكَمْ غَادَرْتُمْ بَطْلًا كَمِيًّا لَدَى الْهَيْجَاءِ كَانَ لَهُ غَنَاءُ
فَدُونَكُمْ دُيُونًا فَاطْلُبُوهَا وَأَوْتَارًا وَدُونَكُمْ اللَّقَاءُ
فَإِنَّا حَيْثُ لَا نَخْفَى عَلَيْكُمْ لُيُوثٌ حِينَ يَحْتَضِرُ اللَّوَاءُ²
فَخَلَى بَعْدَهَا غَطَفَانُ بُسًّا وَمَا غَطَفَانُ وَالْأَرْضُ الْفَضَاءُ !
فَقَدْ أَضْحَى لِحَيِّ بَنِي جَنَابٍ فَضَاءُ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ الرُّوَاءُ
وَيَصْدُقُ طَعْنُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَعِنْدَ الطَّعْنِ يُخْتَبِرُ اللَّقَاءُ
نَفِينَا نَخْوَةَ الْأَعْدَاءِ عَنَّا بَارْمَاحٍ أَسْتَهَّهَا ظِمَاءُ
وَلَوْلَا صَبْرُنَا يَوْمَ التَّقِينَا لَقِينَا مِثْلَ مَا لَقِيتُ صُدَاءُ
غَدَاةَ تَعَرَّضُوا لِنَيْسِي بَغِيضٍ وَصِدْقُ الطَّعْنِ لِلنُّوْكَى شِفَاءُ³
وَقَدْ هَرَبْتَ حِذَارَ الْمَوْتِ قَيْنٌ عَلَى آثَارٍ مَن ذَهَبَ الْعَفَاءُ
وَقَدْ كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يُعِدَّوَا فَأَخْلَفْنَا مِنْ أَخَوَاتِنَا الرَّجَاءُ
وَأَهْلَى الْقَيْنِ عَنْ نَصْرِ الْمُوَالِي حِلَابُ النَّيْبِ وَالْمَرْعَى الضَّرَاءُ⁴

[شفي من طعنة ابن زبابة]

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي : كَانَ أَبْرَهَةَ حِينَ طَلَعَ نَجْدًا أَتَاهُ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ ، فَأَكْرَمَهُ أَبْرَهَةَ
وَفَضَّلَهُ عَلَى مَنْ أَتَاهُ مِنَ الْعَرَبِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ عَلَى ابْنِي وَائِلٍ : تَغْلِبْ وَبَكَر . فَوَلِيَهُمْ حَتَّى أَصَابَتْهُمْ
سَنَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ مَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ زُهَيْرٌ . فَأَقَامَ بِهِمْ زُهَيْرٌ فِي الْجَدْبِ ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ
النُّجْعَةِ حَتَّى يُؤَدُّوْا مَا عَلَيْهِمْ ، فَكَادَتْ مَوَاشِيَهُمْ تَهْلِكُ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ زُبَابَةَ ، أَحْدُ بَنِي
تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ رَجُلًا فَاتِكًا ، بَيَّتَ زُهَيْرًا⁵ وَكَانَ نَائِمًا فِي قُبَّةٍ لَهُ مِنْ أَدَمَ ؛ فَدَخَلَ فَالْتَفَى

1 بسل : حرام .

2 يحتضر : يمض .

3 النوكى : الحمقى .

4 الضراء : الشجر الملتف .

5 بيته : هاجمه ليلاً على غرة .

زُهَيْرًا نَائِمًا ، وَكَانَ رَجُلًا عَظِيمَ الْبَطْنِ ، فَاعْتَمَدَ التَّيْمِيُّ بِالسَّيْفِ عَلَى بَطْنِ زُهَيْرٍ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ ظَهْرِهِ مَارِقًا بَيْنَ الصُّفَاقِ ، وَسَلِمَتْ أَعْفَاجُ بَطْنِهِ¹ ، وَظَنَّ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ ؛ وَعَلِمَ زُهَيْرٌ أَنَّهُ قَدْ سَلِمَ ، فَتَخَوَّفَ أَنْ يَتَحَرَّكَ فُجِيزٌ عَلَيْهِ ، فَسَكَتَ . وَانْصَرَفَ ابْنُ زَيْبَاةَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ ، وَاللَّهِ ، قَتَلْتُ زُهَيْرًا وَكَفَيْتُكُمْوه ، فَسَرَّهْمُ ذَلِكَ . وَلَمَّا عَلِمَ زُهَيْرٌ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَنْ مِلَأٍ مِنْ قَوْمِهِ بَكَرٍ وَتَغْلِبَ ، وَإِنَّمَا مَعَ زُهَيْرٍ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الشَّرْطِ ، أَمَرَ زُهَيْرٌ قَوْمَهُ فَعَبِيَهُ بَيْنَ عَمُودَيْنِ فِي ثِيَابٍ ثُمَّ أَتَوْا الْقَوْمَ فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ بِصَاحِبِنَا مَا فَعَلْتُمْ ، فَاذْنُبُوا لَنَا فِي دَفْنِهِ ، فَفَعَلُوا . فَحَمَلُوا زُهَيْرًا مَلْفُوفًا فِي عَمُودَيْنِ وَالثِّيَابِ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا بَعُدُوا عَنْ الْقَوْمِ أَخْرَجُوهُ فَلَفَّقُوهُ فِي ثِيَابِهِ ، ثُمَّ حَفَرُوا حَفِيرَةً وَعَمَّقُوا ، وَدَفَنُوا فِيهَا الْعَمُودَيْنِ ، ثُمَّ سَارُوا وَمَعَهُمْ زُهَيْرٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ زُهَيْرٌ أَرْضَ قَوْمِهِ جَمَعَ لِيَكْرَ وَتَغْلِبَ الْجُمُوعَ ، وَبَلَغَهُمْ أَنَّ زُهَيْرًا حَيٌّ ، فَقَالَ ابْنُ زَيْبَاةَ :

طَعْنَةُ مَا طَعَنْتُ فِي غَبَشِ اللَّيْلِ لِي زُهَيْرًا وَقَدْ تَوَافَى الْخُصُومُ
حِينَ تَجَنَّبِي لَهُ الْمَوَاسِمَ بَكْرًا أَتَيْنَ بَكْرًا ، وَأَيْنَ مِنْهَا الْحُلُومُ
خَانَتْنِي السَّيْفُ إِذْ طَعَنْتُ زُهَيْرًا وَهُوَ سَيْفٌ مُضَلَّلٌ مَشْتُومٌ

[غزو بكر وتغلب]

قَالَ : وَجَمَعَ زُهَيْرُ بَنِي كَلْبٍ وَمَنْ تَجَمَّعَ لَهُ مِنْ شُدَاذِ الْعَرَبِ وَالْقَبَائِلِ ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَغَزَا بِكَرٍّ ابْنِي وَائِلَ ، وَهُمْ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْحُبِّيُّ² ، وَقَدْ كَانُوا نَذَرُوا بِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَتْ بَكْرٌ وَأَسْلَمَتْ بَنِي تَغْلِبَ ، فَقَاتَلَتْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ثُمَّ انْهَزَمَتْ ؛ وَأَسِيرَ كُلِّيبٌ وَمُهْلَهْلُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَاسْتَيْقَتِ الْأَمْوَالُ ، وَقَتَلَتْ كُلْبٌ فِي تَغْلِبَ قَتْلَى كَثِيرَةً ، وَأَسْرَوْا جَمَاعَةً مِنْ فَرَسَانِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ ، وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ فِي ذَلِكَ :

تَبَا لَتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ سَوَّقَ الْإِمَاءَ إِلَى الْمَوَاسِمِ عَطَلَا
لَحَقْتُ أَوَائِلُ خَيْلِنَا سَرَعَانَهُمْ حَتَّى أُسَرَّنَ عَلَى الْحُبِّيِّ مُهْلَهْلًا³
إِنَّا ، مُهْلَهْلُ ، مَا تَطْيِشُ رِمَاحُنَا أَيَّامَ تَنْقِفُ فِي يَدَيْكَ الْحَنْظَلَا
وَلَّتْ حُمَاتُكَ هَارِيْنَ مِنَ الْوَغَى وَبَقِيَتْ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ مُكَبَّلَا
فَلَمَّا قَهَرْتَ لَقَدْ أَسْرُتْكَ عَنُودُ وَلَيْنَ قُتِلْتَ لَقَدْ تَكُونُ مُؤَمَّلَا

1 الصفاق : الجلد الباطن . والأعجاج : معى الإنسان .

2 الحبى : موضع بتهامة .

3 سرعان الخيل : أوائلها .

وقال أيضاً يُعِيرُ بني تَغْلِبَ بهذه الواقعة في قصيدة أولها : [من الخفيف]
حي داراً تَغَيَّرَتْ بالجَنابِ أَقْفَرَتْ من كواعِبِ أترابِ
يقول فيها : [من الخفيف]

أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ من حَذَرِ الْمَوِّ ت وَإِذْ يَتَّقُونَ بِالْأَسْلَابِ
إِذْ أَسَرْنَا مُهْلَهْلًا وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمْرٍو فِي الْقَدِّ وَابْنَ شَهَابِ
وَسَبَيْنَا مِنْ تَغْلِبَ كُلِّ بَيْضَا رَقُودِ الضُّحَى بِرُودِ الرُّضَابِ
يَوْمَ يَدْعُو مُهْلَهْلٌ يَا الْبَكْرَ هَا أَهْذِي حَفِيزَةَ الْأَحْسَابِ
وَيُحَكِّمُ وَيُحَكِّمُ أُبَيِّحَ جِمَاكُم يَا بَنِي تَغْلِبَ أَمَا مِنْ ضِرَابِ
وَهُمْ هَارِبُونَ فِي كُلِّ فَجٍّ كَشَرِيدِ النَّعَامِ فَوْقَ الرُّوَابِ
وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْمَنَايَا عَلَيْهِمْ بَلْبُوثٍ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابِ
طَحَّتْهُمْ أَرْحَاوَهَا بِطَحُونِ ذَاتِ ظَفَرٍ حَدِيدَةٍ الْأَنْيَابِ
فَهُمْ بَيْنَ هَارِبٍ لَيْسَ يَأْلُو وَقَتِيلٍ مُعْفَرٍ فِي التُّرَابِ
فَضْلَ الْعِزِّ عِزُّنَا حِينَ نَسْمُو مِثْلَ فَضْلِ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ

[وفادته على ملك غسان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عمي ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال :
وقد زهير بن جَنَابٍ وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان ، فلما دَخَلَ عليه حدثاه وأنشداه ،
فأعجب بهما وناذمهما . فقال يوماً لهما : إِنَّ أُمِّي عَلِيَّةٌ شَدِيدَةُ الْعِلَّةِ ، وقد أَعْيَانِي ذَوَاوُهَا ،
فهل تعرفان لها دواء ؟ فقال حارثة : كُمَيْرَةُ حَارَّةَ ، وكانت فيه لُوثَةٌ ، فقال الملك : أَيُّ شَيْءٍ
قلت ؟ فقال له زهير : كُمَيْرَةُ حَارَّةَ تُطْعِمُهَا ، فَوَثَبَ الملك ، وقد فهم الأولى والآخِرَةَ ، يُرِيهِمَا
أَنَّهُ يَأْمُرُ بِاصْلَاحِ الْكُمَاةِ لَهَا ، وحلَّم عن مَقَالَةِ حارثة . وقال حارثة لزهير : يا زهير أَقْلِبْ مَا
شئت يَنْقَلِبْ ، فأرسلها مثلاً .

[ذهاب عقله]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْغَيْثِ الْبَاهِلِيُّ
عن أبيه قال : كان من حديث زهير بن جَنَابٍ الكلبي أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ عُمراً طويلاً حتى
ذهب عقله ، وكان يَخْرُجُ تَائِهاً لا يدري أين يذهب ، فتَلَحَّقه المرأة من أهلِه والصَّبِيُّ ،
فتردّه وتقول له : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الذُّبَّ أَنْ يَأْكَلَكَ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُ ؟ فَذَهَبَ يوماً من
أَيَّامِهِ ، ولحقته ابنة له فردته ، فرجع معها وهو يَهْدِجُ كَأَنَّهُ رَأَى¹ ، وراحت عليهم سماء في

الصيف فعلتهم منها بَغْشَةً¹ ثم أَرَدَفَهَا غَيْثٌ ، فنظر وسمع له الشَّيْخُ زجلاً مُنْكَراً . فقال :
 ما هذا يا بُنْيَةَ ؟ فقالت : عارضٌ هَائِلٌ إنْ أَصَابَنَا دُونَ أَهْلِنَا هَلَكْنَا . فقال : ائْتِيهِ لِي ،
 فقالت : أراه مُنْبَطِحاً مُسْتَلْطِحاً² ، قد ضاقَ ذَرْعاً وَرَكِبَ رَدْعاً³ ، ذا هَيْدَبٍ⁴ يطير ،
 وهَمَاهِمٍ⁵ وزَفِيرٍ ، ينهض نهضَ الطير الكسير ، عليه مثلُ شَبَارِيقِ⁶ السَّاجِ ، في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
 الدَّاجِ ، يتضحك مثل شُعْلِ النيران ، تهرب منه الطير ، وتَوَائِلُ⁷ منه الحَشْرَةُ . قال : أَيُّ
 بُنْيَةٍ ، وائلي منه إلى عَصْرِ⁸ قبل أن لا عَيْن ولا أثر .
 [تسميته بالكاهن]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حَدَّثَنِي أَبِي قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن عبيد ، عن
 ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن مشيخة من الكلبيين قالوا : عاش زهير بن جناب بن هُبَل بن
 عبد الله خمسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب ، ولم تجتمع قُضَاعَةٌ إِلَّا عليه
 وعلى حُنَّ بن زَيْد العُدْرِي ، ولم يكن في اليَمَنِ أَشْجَع ولا أخطب ولا أوجَه عند الملوك من
 زهير . وكان يدعى الكاهن ، لصحَّة رأيه .
 [تطاول عمره]

قال هشام : ذَكَرَ حَمَّادُ الرَّأوِيَّةُ أَنَّ زهيراً عاش أربعمئة وخمسين سنة ، قال : وقال
 الشَّرْقِيُّ بنُ الْقُطَامِي : عاشَ زهير أربعمئة سنة ، فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها : خذْ يَدَ جَدِّكَ ،
 فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : فُلَانُ بن فُلَانِ بن فُلَانَةٍ ، فَأَنْشَأَ يقول : [من مجزوء الكامل]

أُبْنِيَّ	إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ	أَوْرَثَكُم مَجْدًا بَيْنَهُ
وَتَرَكَكُم	أَبْنَاءَ سَا	دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرِيَّه
وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى		قَدْ نَلَّتْهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ ⁹

- 1 البغشة : المطر الخفيف .
- 2 المستلطح : الواقع على وجهه .
- 3 ركب ردعاً : سقط على عنقه .
- 4 الهيدب : السحاب الداني .
- 5 الهماهم : تردد الزفير ، مفردة همهمة .
- 6 شباريق : قطع .
- 7 توائل : تطلب النجاة .
- 8 عصر : ما يتحصن به .
- 9 التحية : الملك والبقاء . ونحية الملك : أبيت اللعن .

والموتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى
مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ الْبَجَا
ولقد شَهِدْتُ النَّارَ لِلْأَسَدِ
ولقد رَحَلْتُ الْبَاذِلَ الـ
وخطَبْتُ خُطْبَةً مَاجِدِ
ولقد غَدَوْتُ بِمُشْرِفِ الـ
فَأَصَبْتُ مِنْ بَقَرِ الْجَنَّا
فَلَيْهِلَكُنْ وَبِهِ بَقِيَّةُ
لَ وَقَدْ تَهَادَى بِالْعَشِيَّةِ¹
سَلَفَ تُوقَدُ فِي طَمِيَّةِ²
كَوْمَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّةُ³
غَيْرِ الضَّعِيفِ وَلَا الْعِيَّةِ
فَقُطِرِينَ لَمْ يَغْمِزْ شَطِيَّةُ⁴
بَ ضَحَى وَمِنْ حُمْرِ الْقَفِيَّةِ⁵

قال ابن الكلبي : وقال زهير في كبره أيضاً :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِعًا
مُعْزِيَّتِي عِنْدَ الْقَفَا بَعْمُودَهَا
أَمِينٌ عَلَى أَسْرَارِهِنَّ وَقَدْ أَرَى
فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجِ مُوْطِإٍ
قال : وقال زهير أيضاً في كبره :

إِنْ تُنْسِنِي الْأَيَّامُ إِلَّا جَلَالَةً
فَيَأْذِي بِي الْأَدْنَى وَيَشْمَتُ بِي الْعِدَا
قال : وقال زهير أيضاً :

لَقَدْ عَمُرْتُ حَتَّى لَا أُبَالِي
وَحُقٌّ لِمَنْ أَتَتْ مَائَتَانِ عَامًا
شَهِدْتُ الْمُوقِدِينَ عَلَى خَزَازِي
وَنَادِمْتُ الْمُلُوكَ مِنْ آلِ عَمْرُو
أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أُمَ مَسَائِي
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّوَاءِ
وَبِالسَّلَانِ جَمْعًا ذَا زُهَاءِ⁶
وَبَعْدَهُمْ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ

[شرب الخمر حتى مات]

قال ابن الكلبي : وكان زهير إذا قال : أَلَا إِنَّ الْحَيَّ طَاعِنٌ ، طَعَنْتُ قُضَاعَةَ ؛ وإذا قال : أَلَا إِنَّ

1 الشيخ البجال : الذي يبجله قومه . ويرى : الشيخ الكبير .

2 طمية : جبل في طريق مكة (ياقوت) .

3 وليه : كساء أو نحوه مما يلي ظهر البعير .

4 مشرف القطرين : مرتفع الجانبين . والشظية : عظم الساق .

5 القفية : الناحية .

6 خزازى : جبل . والسلان : الأودية . وذو زهاء : ذو عدد كبير .

الحيِّ مُقيم ، نَزَلُوا وَأَقَامُوا . فَلَمَّا أَنْ أُسْنُ نَصَبَ ابْنَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيمٍ لِلرِّيَاسَةِ فِي كَلْبَ ، وَطَمِعَ أَنْ يَكُونَ كَعَمَّهُ وَتَجْتَمِعَ قُضَاعَةُ كُلِّهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ زُهَيْرُ يَوْمًا : أَلَا إِنَّ الْحَيَّ طَاعَنٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَا إِنَّ الْحَيَّ مُقِيمٌ ، فَقَالَ زُهَيْرُ : أَلَا إِنَّ الْحَيَّ مُقِيمٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَا إِنَّ الْحَيَّ طَاعَنٌ ، فَقَالَ زُهَيْرُ : مَنْ هَذَا الْمَخَالِفُ عَلَيَّ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ فَقَالُوا : ابْنُ أَخِيكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيمٍ ، فَقَالَ : أَعَدَى النَّاسَ لِلْمَرْءِ ابْنَ أَخِيهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدْعُ قَاتِلَ عَمِّهِ أَوْ يَقْتُلُهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل]

وَكَيْفَ بِمَنْ لَا أُسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ تَجْمَعْ الدَّارُ أَلْفُ
أَمِيرُ شِقَاقٍ إِنْ أُقِيمَ لَا يُقِيمُ مَعِيَ وَيَرْحَلُ ، وَإِنْ أُرْحَلَ يُقِيمُ وَيَخَالِفُ
ثُمَّ شَرِبَ الْخَمْرَ صِرْفًا حَتَّى مَاتَ .

قال : وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ صِرْفًا حَتَّى مَاتَ عَمْرُو بْنُ كُثُومٍ التَّغْلِبِيُّ ، وَأَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ .

قال هشام : عاشَ هُبَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَدُّ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ سِتْمِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعِينَ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

يَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ غَنِي فِيهِ هُبَلُ لَهُ نَوَالٌ وَدُرُورٌ وَجَذَلُ¹
كَأَنَّهُ فِي الْعِزِّ عَوْفٌ أَوْ حَجَلُ

قال : عَوْفٌ وَحَجَلُ : قَبِيلَتَانِ مِنْ كَلْبَ .

[أُنْذَرَتْهُ أُخْتُهُ فَرَحَلُ]

وقال أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : كَانَ الْجُلَاحُ بْنُ عَوْفِ السَّخْمِيِّ قَدْ وَطَّأَ لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي جَنَاحِهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدُهُ ، وَكَانَتْ أُخْتُ زُهَيْرٍ مُتَزَوِّجَةً فِي بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ ، فَجَاءَ رَسُولُهَا إِلَى زُهَيْرٍ وَمَعَهُ بُرْدٌ فِيهِ صِرَارُ رَمْلٍ وَشَوْكَةُ قَتَادٍ ، فَقَالَ زُهَيْرُ لِأَصْغَابِهِ : أَتَتَكُمُ شَوْكَةُ شَدِيدَةٌ ، وَعَدَدُ كَثِيرٌ فَاحْتَمِلُوا ، فَقَالَ لَهُ الْجُلَاحُ : أَنْتَحِمِلُ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ ! وَاللَّهِ لَا نَفْعَ ، فَقَالَ زُهَيْرُ :

أَمَّا الْجُلَاحُ فَإِنِّي فَارَقْتُهُ لَا عَنْ قَلِيٍّ وَلَقَدْ تَشَيْطُ بَنَى النَّوَى
فَلَنْ طَعَنْتَ لِأَصْبَحَنَّ مُحَيِّمًا وَلَنْ أَقَمْتَ لِأَطْعَنَّ عَلَى هَوَى

قال : فَأَقَامَ الْجُلَاحُ ، وَظَعَنَ زُهَيْرُ ، وَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَقَتَلَ عَامَّةَ قَوْمِ الْجُلَاحِ وَذَهَبُوا بِمَالِهِ .

قال : واسمُ الْجُلَاحِ عَامِرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ .

ومضى زُهَيْرُ لَوَجْهِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ مَعَ عَشِيرَتِهِ مِنْ بَنِي جَنَابٍ ، وَبَلَغَ الْجَيْشُ خَبْرَهُ فَقَصَدُوهُ ،

فحاربتهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم ، فأنصرفوا عنه خائبين ، فقال زهير : [من الطويل]

أَمِنْ آلِ سَلَمَى ذَا الْخِيَالِ الْمَوْرِقُ¹ وَقَدْ يَمِيقُ الطَّيْفَ الْغَرِيبُ الْمَشْوِقُ¹
وَأَتَى اهْتَدَتْ سَلَمَى لِيُوجِهَ مَحَلَّنَا وَمَا دُونَهَا مِنْ مَهْمَةٍ الْأَرْضُ يَخْفِقُ²
فَلَمْ تَرَ إِلَّا هَاجِعاً عِنْدَ حُرَّةٍ عَلَى ظَهْرِهَا كُورٌ عَتِيقٌ وَنَمْرُقُ³
وَلَمَّا رَأَتْنِي وَالطَّلِيحَ تَبَسَّمتْ كَمَا انْهَلَّ أَعْلَى عَارِضٍ يَتَأَلَّقُ⁴
فَحَيَّيتُ عَنَّا زَوْدِنَا تَحِيَّةً لَعَلَّ بِهَا الْعَانِي مِنَ الْكَبْلِ يُطْلَقُ⁵
فَرَدَّتْ سَلَاماً ثُمَّ وَلَتْ بِحَاجَةٍ وَنَحْنُ لَعَمْرِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ أَشْوَقُ⁶
فِيَا طَيْبَ مَا رَيَّا وَيَا حُسْنَ مَنْظَرٍ لَهَوْتُ بِهِ لَوْ أَنَّ رُؤْيَاكَ تَصْدُقُ⁷
وَيَوْمَ أَتَانِي قَدْ عَرَفْتُ رُسُومَهَا فَعُجْنَا إِلَيْهَا وَالْذُمُوعُ تَرَفَّقُ⁸
وَكَادَتْ تُبَيِّنُ الْقَوْلَ لَمَّا سَأَلْتُهَا وَتُخْبِرُنِي لَوْ كَانَتْ الدَّارُ تَنْطِقُ⁹
فِيَا دَارَ سَلَمَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ غَبْرَةً فَمَا الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ¹⁰

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خلاف الجلاح عليه : [من الطويل]

أَيَا قَوْمَنَا إِنْ تَقَبَّلُوا الْحَقَّ فَانْتَهَوْا وَإِلَّا فَانْيَابَ مِنَ الْحَرْبِ تَحَرَّقُ²
فَجَاوُوا إِلَى رَجْرَاجَةٍ مُكْفَهَرَةٍ يَكَادُ الْمَدِيرُ نَحْوَهَا الطَّرْفَ يَصْعَقُ³
سُيُوفٌ وَأَرْمَاحٌ بِأَيْدِي أَعْزَةٍ وَمَوْضُونَةٌ مِمَّا أَفَادَ مُحَرَّقُ⁴
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَرَكَنَا رُئُوسَهُمْ وَقَدْ مَارَ فِيهِ الْمَضْرَحِيُّ الْمَذْلُقُ⁵
وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ مَاجِدٍ وَابْنٍ مَاجِدٍ لَهُ طَعْنَةٌ نَجْلَاءٌ لِلْوَجْهِ يَشْهَقُ⁶

وقال زهير في ذلك أيضاً :

سَائِلُ أُمَيْمَةَ عَنِّي هَلْ وَقَيْتُ لَهَا أَمْ هَلْ مَنَعْتُ مِنَ الْمَخْزَاةِ جِيرَانَا¹
لَا يَمْنَعُ الضَّيْفَ إِلَّا مَاجِدٌ بَطَلٌ إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمٌ أَيْنَمَا كَانَ²
لَمَّا أَبَى جِيرَتِي إِلَّا مُصَمِّمَةً تَكْسُو الْوُجُوهَ مِنَ الْمَخْزَاةِ أَلْوَانَا³

1 يمي : يجب .

2 تحرق : تحتك فتخرج صوتاً .

3 الرجراجة : الكنية تموج من كثرتها .

4 الموضونة : درع رقيقة النسيج .

5 المضرحي المذلق : النسر المحدد الطرف ، كناية عن مصرعه .

مَلْنَا عَلَيْهِمْ بَرْدٌ لَا كِفَاءَ لَهُ يَفْلِقُنَ بِالْبَيْضِ تَحْتَ النَّقْعِ أَيْدَانَا
إِذَا ارْجَحْنَاوْا عَلَوْنَا هَامَهُمْ قُدْمًا كَأَنَّمَا نَخْتَلِي بِالْهَامِ خُطْبَانَا¹
كَمْ مِنْ كَرِيمٍ هَوَى لِلْوَجْهِ مُنْعِفِرًا قَدْ اكْتَسَى ثَوْبُهُ فِي النَّقْعِ أَلْوَانَا
وَمِنْ عَمِيدٍ تَنَاهَى بَعْدَ عَثَرَتِهِ تَبَدُّوْا نَدَامَتَهُ لِلْقَوْمِ خَزْيَانَا

[أولاده شعراء]

وَأَمَّا الشعراء من ولد زهير : فمنهم مَصَادُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ صَهْبَانَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
[من الطويل]

تَمَنَيْتُ أَنْ تَلْقَى لِقَاحَ ابْنِ مُحَرَّرٍ وَبِكَ شَامَتَهَا الْعُيُونُ النَّوَاطِرُ
مُمْنَحَةً فِي الْأَقْرَبِينَ مُنَاحَةً وَلِلضَّيْفِ فِيهَا وَالصَّدِيقِ مَعَايِرُ
فَهَلَّا بَنَى عَيْنَاءَ عَايِنَتْ جَمْعَهُمْ بِحَالَةٍ إِذْ سُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ²

وَمِنْهُمْ حُرَيْثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
[من الوافر]

أَرَى قَوْمِي بَنِي قَطَنٍ أَرَادُوا بَلَاءً يَتْرَكُوا يَدَيَّ مَالًا
فَإِنْ لَمْ أَجْزِهِمْ غَيْظًا بَغِيطٍ وَأُورِدَهُمْ عَلَى عَجَلٍ شِلَالًا³
فَلَيْتَ التَّغْلِيْبَةَ لَمْ تَلِدْنِي وَلَا أَغْنَتْ بَمَا وَلَدْتَ قِبَالًا

وَمِنْهُمْ الْحَزْبَلُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ صَهْبَانَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
[من الكامل]

عَبَّتْ بِمُنْخَرِقِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ وَضَحُ الْهَلَالِ عَلَى الْخُمُورِ مُعْذِلِ
يَا سَلَمَ وَيَحْكُ وَالْخَلِيلِ مُعَاتِبُ أَزْمَعْتُ أَنْ تَصْلِيَ سِوَايَ وَتَبْخَلِي
لَمَّا رَأَيْتَ بَعَارِضِي وَلْتَمِي غَيْرَ الْمَشِيبِ عَلَى الشَّبَابِ الْمُبْدَلِ
صَرَّمْتُ حَبْلَ فَتَى يَهْشُ إِلَى النَّدَى لَوْ تَطْلُبِينَ نِدَاهُ لَمْ يَتَعَلَّلِ
إِنَّا لَنَصْبِرُ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْوَعَى وَنُبْذُ مَكْرَمَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وَمِنْهُمْ غُرَيْرُ بْنُ أَبِي جَابِرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
[من مجزوء الكامل]

1 ارْجَحْنَاوْا : مالوا ووقفوا . نَخْتَلِي : نقطع . الْخُطْبَان : نبت كالهليون والأخضر من ورق السم .

2 حالة : موضع .

3 شِلَالًا : متفرقين .

أُبْلِغَ أَبَا عَمْرٍو وَأَنَّ
أَنَا مَنَعْنَا أَنْ تَذِ
وَطَرَقْتَهُمْ لَيْلاً أَخَا
فَصَدَقْتَهُمْ خَبْرِي فَطَا
سَتَ عَلَيَّ ذُو النَّعَمِ الْجَزِيلَةَ
لَ بِلَادُكُمْ وَبَنُو جَدِيدَةَ
بِرْهِمَ بِهِمْ وَمَعِي وَصِيلَةَ¹
رُؤَا فِي بِلَادِهِمُ الطَّوِيلَةَ

ومنهم عَرْفَجَةُ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وهو القائل : [من الطويل]

عَفَا أَبْرُقُ الْعَرَافُ مِنْ أُمِّ جَابِرٍ
فَرَوْضُ ثُوَيْرٍ عَنْ يَمِينِ رَوِيَّةٍ
رِقَاقُ الشَّنَايَا وَالْوُجُوهِ ، كَأَنَّهَا
فَمُنْعَرَجُ الْوَادِي عَفَا فَحَفِيرُ
كَأَنَّ لَمْ تَرِيْعُهُ أَوَانِسُ حُورُ
ظِبَاءِ الْفَلَا فِي لَحْظِهِنَّ فُتُورُ

ومنهم الْمُسَيَّبُ بْنُ رِفْلٍ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ جَنَابٍ بْنِ قَيْسِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ أَبِي جَابِرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وهو القائل :

قَتَلْنَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بَعْدَمَا
وَمَا كَانَ مِنْكُمْ فِي الْعِرَاقِ مُنَافِقُ
تَجَلَّلَهُ فَحُلٌّ بِأَيْضِ صَارِمٍ
عَنْ الدِّينِ إِلَّا مِنْ قُضَاعَةِ قَاتِلَةٍ
حُسَامٍ جَلَا عَنْ شَفَرَتَيْهِ صَيَاقِلُهُ

يعني بِالْفَحْلِ ابْنَ عِيَّاشِ بْنِ شَعْبَانَ بْنِ أَبِي شَرَّاحِيلَ بْنِ غُرَيْرٍ بْنِ أَبِي جَابِرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، وهو الذي قتل يزيد بن المهلب .

ومن بني زُهَيْرِ شُعْرَاءُ كَثِيرٌ ، ذَكَرْتُ مِنْهُمْ الْفُحُولَ دُونَ غَيْرِهِمْ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

تَدْعِي الشُّوقَ إِنْ نَأَتْ
سَرْنِي لَوْ صَبَرْتُ عِنْدَ
إِنْ سَلَمِي لَوْ اتَّقَيْتُ
زَرَعْتُ فِي الْحَشَا الْهُوَى
وَتَجَنَّى إِذَا دَنَتْ
هِيَ فَتَجَزَى بِمَا جَنَتْ
رَبُّهَا فِي أَنْجَزَتْ
وَسَقَتْهُ حَتَّى نَبَتْ

الشُّعْرُ الْمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ² ، والغناء لعَرِيبٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ . وقيل : إِنَّهُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ حَمْدُونَ .
وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ لِإِسْحَاقَ فِي : إِنَّ سَلَمِي . . . وما بعده لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ .

1 وصيلة : رفقة أو سيف أو الناقة التي وصلت عشرة أبطن .

2 ديوان صريع الغواني : 308 .

[398] - نسب مسلم بن الوليد وأخباره¹

[نسبه]

هو مُسْلِمُ بن الوليد ، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمية أسعد بن زرارة الخَزْرَجِيّ . يلقَّب صريعَ الغواني ، شاعر متقدِّم من شعراء الدولة العبَّاسِيَّة ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو ، فيما زعموا ، أوَّل مَنْ قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لَقَّب هذا الجنس البديعَ واللَّطيفَ . وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كُلَّه مذهباً واحداً فيه . ومُسلِم كان مُتَفَنِّناً متصرفاً في شعره .

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : قال أبو العبَّاس محمد بن يزيد : كان مُسْلِمُ شاعراً حَسَنَ النمط ، جيِّدَ القول في الشراب ، وكثيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأبي نُوَاس في هذا المعنى . وهو أوَّل مَنْ عقد هذه المعاني الظرفية واستخرجها .

حدَّثنا أحمد بنُ عبيد الله بن عَمَّار قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : سَمِعْتُ أبي يقول : أوَّلُ مَنْ أَفسد الشعر مُسْلِمُ بن الوليد ، جاء بهذا الذي سمَّاه النَّاسُ البديع ، ثم جاء الطائي بعده ففتنَّ فيه .

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب عن عبد الله بن مُسْلِم الدينوريَّ قال : كان مُسْلِمُ بنُ الوليد وأخوه سليمان منقطعَيْن إلى يزيد بن مَزَيْد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك . وقُلِّد الفضلُ مُسْلِمًا المظالم بجرَّجان فمات بها .

[يتخلَّ بجارية لا يهواها]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان السببُ في قول مُسْلِم :

تَدْعِي الشوقَ إِنْ نَأَتْ وَتَجَنِّي إِذَا دَنَتْ

أنَّه عَلِقَ جارية ذات ذِكْرٍ وشرف ، وكان منزلُها في مَهَبِّ الشَّمال من منزله ، وفي ذلك يقول² :

[من الوافر]

1 ترجمة مسلم بن الوليد (صريع الغواني) في الشعر والشعراء : 712-720 وطبقات ابن المعتز 234-240 ومعاهد التنصيص 3 : 55 وتاريخ بغداد 13 : 96 ومعجم المرزباني : 277 والموشح : 444 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ، وانظر بروكلمان 2 : 32-33 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه د . سامي الدهان (دار المعارف بمصر) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ديوانه : 274 .

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا وَأُحْسِنُهَا إِذَا هَبَّتْ جُنُوبًا
أَهَابُكَ أَنْ أَبُوحَ بِذَاتِ نَفْسِي وَأَفْرُقُ إِنْ سَأَلْتُكَ أَنْ أُخِيبَا
وَأَهْجُرُ صَاحِبِي حُبَّ التَّجَنِّي عَلَيْهِ إِذَا تَجَنَّيْتَ الذُّنُوبَا
كَأَنِّي حِينَ أُغْضِي عَنْ سِوَاكَ أَخَافُ لَكُمْ عَلَى عَيْنِي رَقِيبَا

غنى عبد الله بن العباس الربيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبنصر عن الهشامي .
قال : وكانت له جارية يرسلها إليها ويبثها سيره ، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها ؛ فطال ذلك بينهما ؛ حتى أحببتها الجارية التي علقها مسلم ومالت إليها ، وكتلتها في نهاية الحسَن والكمال .

وكان مسلم يحبُّ جاريته هذه محبةً شديدة ، ولم يكن يهوى تلك ، إنما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة ، وأن يشيع له حديثٌ بهواها ، وكان يرى ذلك من الملاحاة والظرف والأدب ، فلما رأى مودةً تلك لجاريته هجر جاريته مظهرًا لذلك ، وقطعها عن الذهاب إلى تلك ، وذلك قوله :

وَأَهْجُرُ صَاحِبِي حُبَّ التَّجَنِّي عَلَيْهِ إِذَا تَجَنَّيْتَ الذُّنُوبَا

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وذلك قوله :

تَدْعِي الشُّوقَ إِنْ نَأَتْ وَتَجْنِي إِذَا دَنْتُ
وَأَعْدَتْنَا وَأَخْلَفْتَ ثُمَّ سَاءَتْ فَأَحْسَنْتُ¹
سَرْنِي لَوْ صَبَرْتُ عَنْ هَا فَتَجْزِي بِمَا جَنْتُ
إِنْ سَلِمَى لَوْ اتَّقَى تَ رَبَّهَا فِي أَنْجَزَتْ
زَرَعْتَ فِي الْحَشَا هَوَى وَسَقَتُهُ حَتَّى نَبَتْ

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :
لقي مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلا فيه سقطٌ ، قال : فما تحفظ
من ذلك ؟ قال : قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه ، فأنشدته² : [من الكامل]

ذَكَرَ الصُّبُوحَ سُحَيْرَةً فَارْتَاخَا وَأَمَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحَ صِيَاخَا

1 الديوان : فأساءت وأحسنست .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 1 وفيه «بسحرة» .

فقال له مسلم : فَلِمَ أَمَلَهُ وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فَأَنْشِدْنِي شَيْعاً مِنْ شَيْعِكَ لَيْسَ فِيهِ خَلَلٌ ، فَأَنْشِدْهُ مُسْلِمُ :

[من الكامل]

عاصي الشَّبَابِ فراح غير مُفَنَّدٍ وأقام بين عزيمة وتَجَلَّدٍ¹

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبیت واحد . فتشاعباً وتسائباً ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

[شعره يعجب المأمون]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : قال لي محمد بن عبد الله بن مسلم : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : اجتمع أصحابُ المأمون عنده يوماً ، فأفاضوا في ذِكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ : حَيْثُ يَقُولُ وَقَدْ رَثَى رَجُلًا² :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيْبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال³ :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال⁴ :

قَبِحَتْ مَنَازِلُهُ فَحِينَ خَبَرْتُهُ حَسُنَتْ مَنَازِلُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

وتعازل فقال :

هَوَى يَجِدُ وَحَبِيبٌ يَلْعَبُ أَنْتَ لَقَى بَيْنَهُمَا مُعَذِّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره .

[يزيد بن مزيد لا يعرف مادحه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي الخفاف قالا : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي قَعْنَبُ بْنُ الْمُخَرِّزِ ، وَابْنُ النُّطَّاحِ ، عَنْ الْقَحْذَمِيِّ قَالَ : يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ : أَرْسَلَ إِلَيَّ الرَّشِيدُ يَوْمًا فِي وَقْتٍ لَا يُرْسَلُ فِيهِ إِلَى مِثْلِي فَأَتَيْتُهُ لِابْسَاءِ سِلَاحِي ، مُسْتَعِدًّا لِأَمْرٍ إِنْ أَرَادَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ضَحِكَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا يَزِيدُ خَبَرْنِي مَنْ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ⁵ : [من البسيط]

1 غير مفند : غير ملوم .

2 ديوانه : 164 .

3 ديوانه : 320 . وفيه : تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها .

4 ديوانه : 321 .

5 ديوانه : 12 ، 13 ، 22 .

تَرَاهُ فِي الْأَمْرِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
صَافِي الْعِيَانِ طَمُوحُ الْعَيْنِ هِمَّتُهُ فَكُ الْعُنَاةِ وَأَسْرُ الْفَاتِكِ الْخَطِلِ
لِلَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين . قال : سَوَاءٌ لَكَ مِنْ سَيِّدٍ قَوْمٍ يُمدِّح بِمِثْلِ هَذَا الشَّعْرِ وَلَا تَعْرِفُ قَائِلَهُ ، وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَوَاهُ وَوَصَلَ قَائِلُهُ ، وَهُوَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ . فَانصرفتُ فدَعَوْتُ بِهِ وَوَصَلْتُهُ وَوَلَّيْتُهُ .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ، والحسن بن علي الخفاف قالا : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلِيمَانَ الْحَنْفِيُّ ذُو الْهِدْمَيْنِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ عَلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ : يَا يَزِيدُ ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ¹ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

لَا يَعْجُزُ الطَّيْبُ خَدْيَهُ وَمَقْرِقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ
قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَتَقَنَّ بِهَا فَهَنْ يَتَبَنَّعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين . فقال له هارون : أَيْقَالَ فِيكَ مِثْلُ هَذَا الشَّعْرِ وَلَا تَعْرِفُ قَائِلَهُ ! فخرج من عنده خجلاً ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا حَاجِبَهُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؟ قَالَ : مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ حَاجَبْتَهُ عَنِّي فَلَمْ تُعَلِّمْنِي بِمَكَانِهِ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ مُضِيقٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدَيْكَ شَيْءٌ تَعْطِيهِ إِيَّاهُ ، وَسَأَلْتُهُ الْإِمْسَاكَ وَالْمُقَامَ أَيَّامًا إِلَى أَنْ تَتَسَّعَ . قَالَ : فَانْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَدْخِلْهُ إِلَيَّ . فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ² :

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي عَذَلِي
رَدَّ الْبُكَاءِ عَلَى الْعَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيعٍ وَمُرْتَحَلٍ³
أَمَا كَفَى الْبَيْنَ أَنْ أُرْمَى بِأَسْهُمِهِ حَتَّى رَمَانِي بِلَحْظِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
مِمَّا جَنَّتْ لِي ، وَإِنْ كَانَتْ مُنَى صَدَقَتِ ، صَبَابَةً خُلِسُ التَّسْلِيمِ بِالْمَقْلِ⁴

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألفَ درهم ، فاقْبِضْهَا وَاعْدِرْ . فخرج الحاجبُ فقال لمُسلم : قد أمرني أَنْ أُرْهِنَ ضَيْعَةً مِنْ ضَيْعَاةٍ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، خَمْسُونَ أَلْفًا لَكَ

1 ديوانه : 12 ، 13 .

2 ديوانه : 1-3 وفيه : أُجْرِرْتُ بالبناء للمجهول .

3 الديوان : هاج البكاء . . . توديع ومرتحل .

4 الديوان : مما جنى .

وخمسون ألفاً لنفقته . وأعطاه إياها ، وكتب صاحبُ الخبر بذلك إلى الرشيد ، فأمر يزيد بمائتي ألفٍ درهم وقال : اقضِ الخمسين ألف التي أخذها الشاعر وزده مثلها . وخذ مائة ألفٍ لنفقتك . فافتك ضيعته ، وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى .
[فرج بعد ضيق]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني علي بن عبيد الكوفي ، وعلي بن الحسن كلاهما قال : أخبرني علي بن عمرو قال¹ : حدثني مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال : كنت يوماً جالساً في دكان خياط يازاء منزلي ، إذ رأيت طارقاً بياني ، فقمْتُ إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قَدِمَ من قَمٍّ ، فسُررتُ به ، وكان إنساناً لطم وجهي ، لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفق عليه . فقمْتُ فسَلَّمْتُ عليه ، وأدخلته منزلي ، وأخذتُ خفَّين كانا لي أتجملُ بهما ، فدفعتُهما إلى جاريتي ، وكتبتُ معهما رُقعة إلى بعض معارفي في السوق ، أسأله أن يبيع الخفَّين ويشتريني لي لحماً وخبزاً بشيء سمَّيته . فمَضَتِ الجارية وعادت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حدَّدته له ، وقد باع الخفَّين بتسعة دراهم ، فكانَها إنما جاءت بخفَّين جديدين . فقعدتُ أنا وضيضي نطبخ ، وسألتُ جاراً لي أنه يسقينا قارورة نبيذ ، فوجَّه بها إليَّ ، وأمرتُ الجارية بأن تغلق باب الدار مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه ، ليقى لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف . فإنا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارقٌ ، فقلتُ لجاريتي : انظري مَنْ هذا . فنظرتُ من شق الباب فإذا رجلٌ عليه سوادٌ وشاشيةٌ ومنطقةٌ ومعه شاكري² ، فخيرتني بموضعه فأكرتُ أمره ؛ ثم رجعتُ إلى نفسي فقلت : لستُ بصاحب دعاة ، ولا للسلطان عليّ سبيل . ففتحتُ الباب وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابته وقال : أنتَ مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم . فقال : كيف لي بمعرفتك ؟ قلت : الذي دَلَّكَ علي منزلي يصحِّحُ لك معرفتي . فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسَلِّه عنه . فمَضَى فسأله عني فقال : نعم هو مسلم بن الوليد . فأخرج إليَّ كتاباً من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد إليَّ ، يأمرني ألا أقضه إلا عند لقائك ، فإذا فيه : إذا لقيتَ مسلماً بن الوليد فادفعْ إليه هذه العشرة آلاف درهم ، التي أنفذتها تكون له في منزله ، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمَّل بها إلينا . فأخذتُ الثلاثة والعشرة ودخلتُ إلى منزلي والرجل معي ، فأكلنا ذلك الطعام ، وازددتُ فيه وفي الشراب ، واشتريتُ فاكهة ، واتسعتُ ووهبتُ لضيضي من الدراهم ما يُهدي به هديةً لعياله . وأخذتُ في الجهاز ، ثم ما

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة .

2 الشاشية : العمامة . والشاكري : الأجير والمستخدم .

زِلْتُ معه حتى صيرنا إلى الرِّقَّة إلى باب يزيد . فدخلَ الرَّجُلُ وإذا هو أَحَدُ حُجَّابِهِ ، فوجدَه في الحَمَّامِ ، فخرج إليَّ فجلس معي قليلاً ، ثم خَبِرَ الحاجبُ بأنَّه قد خَرَجَ من الحَمَّامِ ، فأدخلتني إليه ، وإذا هو على كرسِيٍّ جالس ، وعلى رأسِهِ وصيفة بيدها غِلاف مِرآة ، وبِيدِهِ هو مِرآة ، ومُشْطٌ يُسَرِّحُ لحيته ، فقال لي : يا مُسْلِمُ ، ما الذي بَطَأَ بك عَنَّا ؟ فقلت : أَيُّهَا الأمير ، قِلَّةُ ذاتِ اليدِ . قال : فَأَنشِدْنِي . فَأَنشَدْتُهُ قصيدتي التي مدحته فيها : [من البسيط]

أَجَزْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَرْتُ هِمَمَ الْعُدَالِ فِي عَذَلِي

فلَمَّا صيرتُ إلى قولي :

لَا يَبْقَى الطَّيْبُ خَدْيَهُ وَمَفْرِقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَهُ مِنَ الكُحْلِ

وَصَعَ المِرآةَ فِي غِلاَفِهَا ، وقال للجارية : انصرفي ، فقد حَرَّمَ علينا مُسْلِمُ الطَّيْبِ . فلَمَّا فرغْتُ من القصيدة قال لي : يا مُسْلِمُ ، أَتَدْرِي ما الذي حداني إلى أَنْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ ؟ فقلتُ : لا والله ما أدري . قال : كنتُ عند الرشيد منذُ لَيَالٍ أُعْزِمُ رَجُلِيهِ ، إذ قال لي : يا يزيد ، من القائل فيك¹ :

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَمْضِي فَيَخْتَرِمُ الأجْسَادَ والهِمَا²

كَالدَّهْرِ لَا يَنْتَشِي عَمَّا يَهُمُّ بِهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْعامًا وإِرْغامًا

فقلت : لا والله ما أدري . فقال لي الرشيد : يا سُبْحانَ الله ! أَنْتَ مُقِيمٌ على أَعْرَابِكَ ، يقال فيك مثْلُ هذا الشُّعْرِ ولا تدري مَنْ قائلُهُ ! فسألتُ عن قائله ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّكَ أَنْتَ هو ، فقمُ حتى أَدخِلَكَ على أمير المؤمنين .

ثم قام فدخلَ على الرشيد ، فما عَلِمْتُ حتى خَرَجَ عَلَيَّ الإِذْنُ فَأُذِنَ لي ، فدخلْتُ على الرشيد ، فَأَنشَدْتُهُ ما لي فيه من الشُّعْرِ ، فَأَمَرَ لي بِمائتي أَلْفِ درهم ، فلَمَّا انصرفتُ إلى يزيد أمر لي بِمائة وَتِسْعِينَ أَلْفًا ، وقال : لا يجوز لي أَنْ أُعْطِيَكَ مِثْلَ ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأَقْطَعَنِي إِقْطاعاتَ تَبْلُغُ غَلَّتْها مائتي أَلْفِ درهم .

[هجاؤه يزيد]

قال مُسْلِمٌ : ثم أَفْضَتْ بي الأمورُ بعدَ ذلك إلى أَنْ أَغْضَبَنِي فَهَجَوْتُهُ ، فشكاني إلى الرشيد ، فدَعَانِي وقال : أَتَبِيعُنِي عِرْضَ يزيد ؟ فقلت : نَعَمْ يا أمير المؤمنين . فقال لي : بِكَمْ ؟ فقلتُ : بِرَغِيفِ خبز . فغَضِبَ حتى خِفَّتْهُ على نَفْسِي ، وقال : قد كُنْتُ على أَنْ أَشْتَرِيَهُ مِنْكَ

1 ديوانه : 63 .

2 الديوان : يَمْضِي فيخترق ...

بمالٍ جسيم ، ولستُ أفعل ولا كرامة ، فقد عِلِمْتُ إحسانَه إليك ، وأنا نَفِيٌّ من أبي ، وواللهُ ثمَّ والله لئن بلغني أنَّكَ هجوتَه لأنزِعَنَّ لسانَكَ من بين فكِّكَ . فأمسكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرته بخير ولا شر .

أخبرني الحسنُ بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله اليعقوبي قال : حدَّثني البَيْدِقُ الراوية ، وكان من أهل نصيبين ، قال : دخلتُ دارَ يزيدَ بن مَزيد يوماً وفيها الخلقُ ، وإذا فتى شابٌ جالسٌ في أفناء الناس ، ولم يكن يزيدُ عرفه بَعْدُ ، وإذا هو مُسلمُ بنُ الوليد . فقال لي : ما في نفسي أن أقولَ شعراً أبداً ، فقلتُ : ولم ؟ قال : لأنني قد مدحتُ هذا الرجل بشعر ما مَدِحَ بمثله قط ، ولست أجِدُ مَنْ يُوصِلُه ، فقلتُ له : أنشدني بعضَه ، فأنشدني منه ¹ :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
يَقْرِي السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ به وَيَجْعَلُ الرُّوسَ تِيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ ²
لا يَبْعُقُ الطَّيْبُ خَدَيْهِ وَمُفَرِّقَه ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ
إذا انتَضَى سَيْفَه كانت مسالِكُه مسالكُ الْمَوْتِ في الْأَجْسامِ وَالْقَلَلِ ³
وإن خَلَّتْ بِحَدِيثِ النَّفْسِ فِكْرَتُه عاش الرِّجاءُ ومات الخَوْفُ من وَجَلِ
كاللَّيْثِ إن هِجَّتْهُ فالْمَوْتُ راحَتُه لا يَسْتَرْجِعُ إلى الْأَيَّامِ وَالذُّوَلِ
للهِ من هاشمٍ في أرضِهِ جَبَلٌ وأنتَ وابنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
صَدَّقَتْ ظَنِّي وَصَدَّقَتِ الظُّنُونُ به وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جَملي

قال : فأخذتُ منها بَيَّتَيْن ، ثم قلتُ له : أنشدني أيضاً ما لك فيه ، فأنشدني قصيدةً أخرى ابتدأوها ⁴ :

طيفَ الخيالِ حَمِدْنَا مِنْكَ إلاما داوَيْتَ سُقْمًا وقد هَيَّجْتَ أسقاما

يقول فيها :

كالدهْرِ لا يَشْنِي عَمَّا يَهُمُّ به قد أوسَعَ النَّاسَ إِنْعاماً وإِرعاماً

قال : فأنشدتُ هذه الأبياتَ يزيدَ بنَ مَزيد ، فأمر له بخمسمائةِ درهم . ثم ذكرته بالرقَّة

1 ديوانه : 9 ، 11 ، 13 ، 14 ، 22 ، 23 .

2 الديوان : يكسو السيوف دماء ... ويجعل الهام

3 الديوان : في الأبدان والقلل .

4 الديوان : 61 .

فقلت له : هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن ، تقتصر به على خمسمائة درهم ! فَبَعَثَ إليه بخمسمائة درهم أخرى . قال : فقال لي مُسْلِمٌ : جاءني وقد رَهَنْتُ طَيْلَسَانِي على رؤوس الإخوان ، فوقعت مني أحسن مَوْقِع .

[يزيد يغسل الطيب تصديقاً لقول مسلم]

أخبرني محمد بن عمران قال : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَدْرِ الْعِجْلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي فِرْعَوْنَ مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ قَالَ : رَكِبَ يَزِيدُ يَوْمًا إِلَى الرَّشِيدِ فَتَغَلَّفَ بِغَالِيَةٍ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ عَادَ فِدْعَا بِطُسْتٍ فَغَسَلَ الْغَالِيَةَ ، وَقَالَ : كَرِهْتُ أَنْ أَكْذِبَ قَوْلَ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ : [من البسيط]

لَا يَبْقَى الطَّيْبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرِقَهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ

[ينصح يزيد بتخريق كتاب جاءه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ قَالَ : كَانَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ جَالِسًا بَيْنَ يَدَيَّ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ فَأَتَاهُ كِتَابٌ فِيهِ مُهِمٌّ لَهُ ، فَقَرَأَهُ سِرًّا وَوَضَعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَ قِرَاءَتَهُ وَوَضَعَهُ ، ثُمَّ أَرَادَ الْقِيَامَ ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ¹ : [من البسيط]

الْحَزْمُ تَخْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ وَأِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

لَقَدْ أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسٍ

قال : فَضَحِكَ يَزِيدٌ وَقَالَ : صَدَقْتَ لَعْمَرِي . وَخَرَّقَ الْكِتَابَ ، وَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ .

[خبيته في انقطاعه إلى ابن يزيد بعده]

حَدَّثَنِي عَمِّي وَجَحْظَةُ قَالَا : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو مُحَلَّمٍ ، وَحَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ ، قَالَ : كَانَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ صَدِيقًا لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ وَمَدَّاحًا لَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ انْقَطَعَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدٍ ، وَمَدَّحَهُ كَمَا مَدَّحَ أَبَاهُ ، فَلَمْ يَصْنَعْ إِلَيْهِ خَيْرًا ، وَلَمْ يُرْضِهِ مَا فَعَلَهُ بِهِ ، فَهَجَرَهُ وَانْقَطَعَ عَنْهُ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَحْفِيهِ² وَيُلُومُهُ عَلَى انْقِطَاعِهِ عَنْهُ ، وَيُذَكِّرُهُ حُقُوقَ أَبِيهِ عَلَيْهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ³ : [من الطويل]

لَيْسَتْ عَزَاءُ عَنْ لِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ مُنْصِيفًا وَوَدُودًا

وَقُلْتُ لِنَفْسٍ قَادَهَا الشَّوْقُ نَحْوَهُ فَعَوَّضَهَا حُبُّ اللَّقَاءِ صُدُودًا⁴

1 الديوان : 324 .

2 يستحفيه : يستخبره .

3 ديوانه : 310 .

4 الديوان : فعوضها منه اللقاء . . .

هَبِيهَ امراً قد كان أَصْفَاكِ وَدَّهَ فمات وإلاً فاحسبِيه يَزِيدَا
لَعَمْرِي لقد وَلَّى فلم أَلَقَ بعده وفاءٍ لِدِي عَهْدٌ يُعَدُّ حَمِيدَا

[رثاء يزيد بن يزيد]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي قال : حدثني أحمد بن محمد بن أبي سعد قال : أهديت إلى يزيد بن يزيد جارية وهو يأكل ، فلما رُفِعَ الطعام من بين يديه وطعمها فلم ينزل عنها إلا ميئاً ، وهو يبرِّدُعة¹ ، فدُفِنَ في مقابر بَرْدَعة ، وكان مُسلمَ معه في صحابته فقال يرثيه² :

قَبْرُ بَرْدَعة استَسَرَّ ضَرْعُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ
أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى رَيْبَعةَ بعده حُزْنًا كَعُمُرِ الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ³
سَلَكْتَ بِكَ الْعُرْبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَا حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْمَدَى بِكَ حَارُوا⁴

ويروى :

حتى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا

هكذا أنشده الأحمش :

نَفِضْتُ بِكَ الْأَحْلَاسَ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعْتُ رُؤَادَهَا الْأَمْصَارُ⁵
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُرْنَةٍ أَتْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

[داود بن يزيد يفضح ادعاء راوية مسلم]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ جَدِّي بِحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوَابَةٍ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلَّبِيِّ يَجْلِسُ لِلشُّعْرَاءِ فِي السَّنَةِ مَجْلِسًا وَاحِدًا فَيَقْصِدُونَهُ لَذَلِكَ الْيَوْمَ وَيُنْشِدُونَهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ رَاوِيَتَهُ بِشِعْرِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ⁶ :

جَعَلَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيحُ بِهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرَ فِيهِ أَضْيَعُ الْبَيْدِ
فَقَدِمَ عَلَيْهِ يَوْمَ جُلُوسِهِ لِلشُّعْرَاءِ ، وَلَحِقَهُ بِعَقِبِ خُرُوجِهِمْ عَنْهُ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْحَاجِبِ

1 برذعة : بلد في أذربيجان .

2 ديوانه : 313 . وفي المرثي خلاف . فقل إنه يزيد بن أحمد السلمي وقيل بل مالك بن علي الخزاعي .

3 الديوان : على معد .

4 الديوان : حتى إذا سبق الردى ...

5 الديوان :

نفضت بك الآمال أحلاس الغنى واسترجعت نزاعها الأمصار

6 ديوانه : 165 . وفيه وضعته ...

وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لي على الأمير . قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انصرفم وقتك ، وانصرف الشعراء ، وهو على القيام . فقال له : ويحك قد وفدتُ على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله . قال : وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسمع ، فإن كان الأمر كما ذكرتَ أوصلتك إليه . فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئاً يقصرُ الوصفُ عنه . فدخل على داود فقال له : قد قديم على الأمير شاعرٌ بشعر ما قيل فيه مثله ، فقال : أدخل قائله . فأدخله ، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قدمتُ على الأمير ، أعزه الله ، بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه . فقال : هاتِ . فلما افتتح القصيدة وقال¹ :

لا تدعُ بي الشوقُ إنِّي غيرُ مغمودٍ نهى النهى عن هوى البيض الرعايد²
استوى جالساً وأطرق ، حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه ثم قال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم أعز الله الأمير ، قال : في كم قلته يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر ، أبالك الله . قال : لو قلته في ثمانية أشهر لكنتُ محسناً ، وقد اتهمتُك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فإن كنتَ قائلَ هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبتُ لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك . فقال : أو الإقالة ، أعز الله الأمير . قال : أقتلك . قال : الشعر لمسلم بن الوليد ، وأنا راويته والوافدُ عليك بشعره . فقال : أنا ابنُ حاتم ، إنك لما افتتحتَ شعره فقلت :

لا تدعُ بي الشوقُ إنِّي غيرُ مغمودٍ

سمعتُ كلامَ مسلم يُناديني فأجبتُ نداءه واستويتُ جالساً . ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

[ولاه الفضل بن سهل البريد في جرجان]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني مسعود بن عيسى العبدي قال : أخبرني موسى بن عبد الله التميمي قال : دخل مسلم بن الوليد الأنصاري على الفضل بن سهل لينشده شعراً ، فقال له : أيها الكهل ، إنني أجلك عن الشعر ، فسل حاجتك ، قال : بل تستم اليَدَ عندي بأن تسمع ، فأنشده³ :

1 ديوانه : 151 .

2 الديوان : الهيف الرعايد .

3 ديوانه : 304 .

دُمُوعُهَا مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ تَنْسَكِبُ وَقَلْبُهَا مُغْرَمٌ مِنْ حَرِّهَا يَجِبُ
جَدُّ الرَّحِيلُ بِهِ عَنْهَا فْفَارَقَهَا لَبِيَنَهِ اللَّهُوُ وَاللَّذَاتُ وَالطَّرَبُ
يَهْوَى الْمَسِيرَ إِلَى مَرَوْ وَيَحْزَنُ فِرَاقُهَا فَهُوَ ذُو نَفْسَيْنِ يَرْتَقِبُ
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : إِنِّي لِأُجِلَّكَ عَنِ الشَّعْرِ ، قَالَ : فَأَغْنِنِي بِمَا أَحْبَبْتَ مِنْ عَمَلِكَ ؛ فَوَلَّاهُ
الْبَرِيدَ بِجُرْجَانٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ
أَبِي السَّرِيِّ . وَأَخْبَرَنِي بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : قِيلَ لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : إِنْ فِي شَعْرِي لَبِيَتًا أَخَذْتُ مَعْنَاهُ مِنَ التَّوَرَةِ ، وَهُوَ قَوْلِي¹ : [مِنْ الْبَسِيطِ]
دَلَّتْ عَلَى عَيْنِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي
[قَدْ بَدَفَتْ شَعْرُهُ فِي الْبَحْرِ]

قَالَ الْحُسَيْنُ : وَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ جُرْجَانَ أَنَّ رَاوِيَةَ مُسْلِمٍ جَاءَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَابَ لِعَرَضٍ
عَلَيْهِ شِعْرَهُ ، فَتَغَافَلَهُ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ الدَّفْترَ الَّذِي فِي يَدِهِ ، فَقَذَفَ بِهِ فِي الْبَحْرِ ، فَلهَذَا قُلُّ شِعْرِهِ ،
فَلَيْسَ فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْهُ إِلَّا مَا كَانَ بِالْعِرَاقِ ، وَمَا كَانَ فِي أَيْدِي الْمَدُوحِينَ مِنْ مَدَائِحِهِمْ .
[يَكْرَهُ لِقَبِهِ]

قَالَ الْحُسَيْنُ : وَحَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ دِغْبَلٍ قَالَ : قَالَ أَبِي لِمُسْلِمٍ : مَا مَعْنَى قَوْلِكَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]
لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ
قَالَ : لَا تَدْعُنِي صَرِيحَ الْغَوَانِي فَلَسْتُ كَذَلِكَ ؛ وَكَانَ يُلَقَّبُ هَذَا اللَّقَبُ وَكَانَ لَهُ كَارَهُاً .
[عَتَبَ وَرَضَى]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : عَتَبَ
عِيسَى بْنُ دَاوُدَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ فَهَجَرَهُ ، وَكَانَ إِلَيْهِ مُحْسَنًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ² : [مِنْ الطَّوِيلِ]
شَكَرْتُكَ لِلنُّعْمَى فَلَمَّا رَمَيْتَنِي بِصَدِّكَ تَأْدِيبًا شَكَرْتُكَ فِي الْهَجْرِ
فَعِنْدِي لِلتَّأْدِيبِ شُكْرٌ وَلِلنَّدَى وَإِنْ شِئْتَ كَانَ الْعَفْوُ أَدْعَى إِلَى الشُّكْرِ³
إِذَا مَا اتَّقَاكَ الْمُسْتَلِيمُ بَعْدَهُ فَعَفْوُكَ خَيْرٌ مِنْ مَلَامٍ عَلَى عُذْرِ⁴

1 ديوانه : 122 .

2 ديوانه : 319 .

3 الديوان : أدنى إلى الشكر .

4 الديوان : إذا ما التقاك ...

قال : فرضي عنه وعادَ له إلى حاله .

[بخله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني ابن مَهرويه قال : حدّثني محمد بنُ الأشعث قال : حدّثني دِغِيل بنُ عليّ قال : كان مُسْلِم بن الوليد من أبخل الناس ، فرأته يوماً وقد استقبلَ الرضا عن غلام له بعد مَوْجِدَة ، فقال له : قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بديرهم .

[تهاجيه مع دعبل]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدّثني ابنُ مَهرويه قال : حدّثني محمد بنُ عمرو بن سعيد قال : خرج دِغِيل إلى خراسان لما بلغه حُظُوةُ مُسْلِم بن الوليد عند الفضل بن سَهْل . فصار إلى مَرُو ، وكسب إلى الفضل بن سَهْل¹ :

لا تَعْبَانُ بَابِ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ يَرْمِيكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ بَمَلَالٍ
إِنَّ الْمَلُولَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَفِيءَ ظِلَالٍ
قال : فدفع الفضل إلى مُسْلِم الرُقعة وقال له : انظر يا أبا الوليد إلى رُقعة دِغِيل فيك ، فلمّا قرأها قال له : هل عَرَفْتَ لَقَبَ دِغِيل وهو غُلام أُمرد وهو يُقْسَقُ به ؟ قال : لا ، قال : كان يُلقَبُ بِمَيَّاس ، ثم كسبَ إليه² :

مَيَّاسُ قُلْ لِي : أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولُ !
أَمَّا الْهِيْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَذْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقَ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِي الكوفيّ مُودَّبِي قال : حدّثني أَزْهَرُ بن محمد قال : حدّثني الحسين بن دِغِيل قال : سمعتُ أَبِي يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخِ إذ مرّت بي جارية لم أرَ أحسنَ منها وجهاً ولا قدّاً تَشْتِي في مشيها وتنظر في أعطافها ، فقلت مُتَعَرِّضاً لها³ :

دُمُوعُ عَيْنِي بِهَا أَنْبِساطُ وَنَوْمُ عَيْنِي بِهِ انْقِيَاضُ
فَأَجَابَتْنِي بِسُرْعَةٍ فَقَالَتْ : [من مخلع البسيط]
وَذَا قَلِيلٌ لَمَنْ دَهَتْهُ بَلَحْظُهَا الْأَعْيُنُ الْمِرَاضُ
فَادْهَشَتْنِي وَعَجِبْتُ مِنْهَا فَقُلْتُ : [من مخلع البسيط]

1 ديوان دعبل (نجم) : 135 .

2 ديوان مسلم : 334 ، وتروى لدعبل وأبي تمام .

3 ديوان دعبل : 96 .

فهل لِمَوْلَايَ عَطْفُ قَلْبٍ وَلِلَّذِي فِي الْحَشَا أَنْقِرَاضُ

فَأَجَابَتْنِي غَيْرَ مُتَوَقِّفَةٍ فَقَالَتْ :

[من مخلع البسيط]

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْوِدَادَ مِنَّا فَالْوُدُّ فِي دِينِنَا قِرَاضُ

قال : فما دَخَلَ أُذُنِي كَلَامٌ قَطَّ أَحْلَى مِنْ كَلَامِهَا ، وَلَا رَأَيْتُ أَنْضَرَ وَجْهًا مِنْهَا ، فَعَدَلْتُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الشَّعْرَ وَقُلْتُ ¹ :

[من الكامل]

أَتُرَى الزَّمَانَ يَسْرُنَا بِتَلَاقٍ وَيَضُمُّ مُشْتَقًا إِلَى مُشْتَقٍ

فَأَجَابَتْنِي بِسُرْعَةٍ فَقَالَتْ :

[من الكامل]

مَا لِلزَّمَانِ وَلِلتَّحَكُّمِ بَيْنَنَا أَنْتَ الزَّمَانُ فَسْرُنَا بِتَلَاقٍ

قال : فَمَضَيْتُ أَمَامَهَا أَوْمًا بِهَا دَارَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ وَهِيَ تَتَبَعُنِي ، فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَصَادَفْتُهُ عَلَى عُسْرَةٍ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ مَنَدِيلًا وَقَالَ : اذْهَبْ فِيْهِ ، وَخُذْ لَنَا مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَعُدْ ؛ فَمَضَيْتُ مُسْرِعًا . فَلَمَّا رَجَعْتُ وَجَدْتُ مُسْلِمًا قَدْ خَلَا بِهَا فِي سِرْدَابٍ ، فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِي وَثَبَ إِلَيَّ وَقَالَ : عَرَّفَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَلِيٍّ جَمِيلَ مَا فَعَلْتُ ، وَلَقَاكَ ثَوَابُهُ ، وَجَعَلَهُ أَحْسَنَ حَسَنَةٍ لَكَ ، فغَاطَنِي قَوْلُهُ وَطَنَزُهُ ² ، وَجَعَلْتُ أَفْكَرَ أَيِّ شَيْءٍ أَعْمَلُ بِهِ ، فَقَالَ : بِحَيَاتِي يَا أَبَا عَلِيٍّ أَخْبِرْنِي مَنْ الَّذِي يَقُولُ ³ :

[من الخفيف]

بِتُّ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَ رَفِيقِي جُنْبَ الْقَلْبِ طَاهِرَ الْأَطْرَافِ

فَقُلْتُ :

[من الخفيف]

مَنْ لَهُ فِي حِرِّ امَّةِ الْفُ قَرْنٍ قَدْ أَنَاَفْتُ عَلَى عُلوِّ مَنَافٍ !

وَجَعَلْتُ أَشْتُمُهُ وَأُثِبُّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَحْمَقُ ، مَنْزِلِي دَخَلْتُ ، وَمَنْدِيلِي بَعْتُ ، وَدِرَاهِمِي أَنْفَقْتُ ، عَلَى مَنْ تَحَرَّدَ أَنْتَ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ سَبَبُ حَرْدِكَ يَا قَوَادُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَهْمَا كَذَبْتُ عَلَى فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَمَا كَذَبْتُ فِي الْحَقِّ وَالْقِيَادَةِ .

[هجاء بالجملة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُويَه وَالعَزْرِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدِيِّ قَالَ :

هَجَا مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ وَيَزِيدَ بْنَ مَرْزِدٍ وَخُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ فَقَالَ ⁴ :

[من الطويل]

1 ديوان دعليل : 116 .

2 الطنزي : السخرية والتهكم .

3 ديوان مسلم : 327 .

4 ديوانه : 271 .

دُيُونُكَ لَا يُقْضَى الزَّمانَ غَرِيمُهَا ويُخْلُكُ بُخْلُ البَاهِلِي سَعِيدِ
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ أَبْخَلَ النَّاسِ كُلَّهُمْ وما قَوْمُهُ مِنْ بُخْلِهِ بِبَعِيدِ¹
يَزِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلَكِنْ مَزِيداً تَدَارَكَ فِينَا بِخْلُهُ بِزِيدِ²
خَزِيمَةُ لَا عَيْبَ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ لمَطْبِخِهِ قُفْلٌ وَبَابُ حَدِيدِ³

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدثنا الأصمعي قال : قال لي سعيد بن سلم : قدِمْتُ عليَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدَحَتْنِي بأبيات ، ما تمَّ سروري بها حتى نغصنيها مُسلمٌ بن الوليد بهجاء بلغني أَنَّهُ هجاني به ، فقلت : ما الأبيات التي مدَحْتَ بها ؟ فأنشدني :

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سَادَ قَيْساً وَسَلَمُهَا فلَمَّا تَوَلَّى سَادَ قَيْساً سَعِيدُهَا
وَسَيْدُ قَيْسٍ سَيْدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وإن مات من رَغَمٍ وَذُلٍّ حَسُودُهَا
هُمُ رَفَعُوا كَفِّكَ بِالْمَجْدِ وَالْعَلَا وَمَنْ يَرْفَعُ الْأَبْنَاءَ إِلَّا جُدُودُهَا
إِذَا مَدَّ لِلْعَلِيَا سَعِيدٌ يَمِينَهُ نَتَّ كَفَّهُ عَنْهَا أَكْفًا تَرْبِدُهَا

قال الأصمعي : فقلتُ له : فبأيِّ شيءٍ نغصها عليك مُسلم ؟ فضحك وقال : كلَّفْتَنِي شَطَطاً ، ثم أنشد⁴ :

وَأُحْبِبْتُ مِنْ حُبِّهَا الْبَاخِلِينَ حَتَّى وَمِقْتُ ابْنَ سَلَمٍ سَعِيدَا
إِذَا سَيْلَ عُرْفاً كَسَا وَجْهَهُ ثِيَاباً مِنَ النَّقْعِ صُفْراً وَسُوداً⁵
يَغَارُ عَلَى الْمَالِ فَعَلَ الْجَوَا د وَتَأْبَى خِلَافَهُ أَنْ يَجُوداً⁶

أخبرني عمي ، قال حدثنا الكُراني قال : حدثني النُّوشجاني الخليلُ بنُ أسد قال : حدثني عليُّ بنُ عمرو قال : وَقَفَ بعضُ الكُتَّابِ على مُسلمِ بنِ الوليد وهو يُنشدُ شِعْراً له في مَحْفِلٍ ، فأطال ثم انصرف ، وقال لِرَجُلٍ كان معه : ما أذري أيُّ شيءٍ أعجب الخليفةَ والخاصةَ من شِعْرِ هذا ؟ فوالله ما سَمِعْتُ منه طائلاً ، فقال مُسلم : رُدُّوا عليَّ الرَّجُلَ ، فردَّ إليه ، فأقبلَ عليه ثم قال :

1 الديوان : ... ألام الناس ... من لومه ...

2 الديوان : تدارك أقصى مجده .

3 الديوان : لا بأس به .

4 ديوانه : 270 .

5 الديوان : ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً ..

6 الديوان : يغير على المال .

[من الكامل]

أَمَّا الْهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

[فساد علاقته بدعبل]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ :
حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : كَانَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ أَسَاطِدَ دِعْبِلٍ وَعَنْهُ أَخَذَ ، وَمِنْ
بَحْرِهِ اسْتَقَى . وَحَدَّثَنِي دِعْبِلُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ يَقُولُ الشُّعْرَ فَيَعْرِضُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، فَيَقُولُ
لَهُ : إِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ لَكَ سَاقِطًا فَتُعَرِّفَ بِهِ ، ثُمَّ لَوْ قُلْتُ كُلَّ شَيْءٍ جَيِّدًا كَانَ
الْأَوَّلُ أَشْهَرَ عَنْكَ ، وَكُنْتُ أَبَدًا لَا تَزَالُ تُعَيِّرُ بِهِ ، حَتَّى قُلْتُ :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةُ سَلَكَا

فَلَمَّا سَمِعَ هَذِهِ قَالَ لِي : أَظْهَرَ الْآنَ شِعْرَكَ كَيْفَ شِئْتَ .

قَالَ الْحُسَيْنُ : وَحَدَّثَنِي أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ قَالَ : مَا زَالَ دِعْبِلُ مُتَعَصِّبًا لِمُسْلِمٍ ، مَائِلًا
إِلَيْهِ ، مُعْتَرِفًا بِأَسَاطِدِيَّتِهِ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِ جُرْجَانٌ ، فَجَفَاهُ مُسْلِمٌ ، وَهَجَرَهُ دِعْبِلُ ، فَكُتِبَ
إِلَيْهِ ¹ :

[من الطويل]

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَي مَوَدَّةٍ هَوَانَا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعَا
أُحْوَطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَجْزَعُ إِشْفَاقًا بَأَنَّ تَتَوَجَّعَا
فَصَيَّرْتَنِي بَعْدَ انْتِكَائِكَ مُتَهَمًا لِنَفْسِي عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعَا
غَشِشْتَ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أَصُولُهُ بِنَا وَابْتَذَلْتَ الْوَصَلَ حَتَّى تَقْطَعَا
وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةً وَدُّ طَالَ مَا قَدْ تَمْنَعَا
فَلَا تَلْحَقْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرْقَعَا
فَهَبْكَ يَجِينِنِي اسْتَأْكَلْتُ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَهُ فَتَشَجَّعَا

قَالَ : ثُمَّ تَهَاجَرَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَمَا التَّقْيَا حَتَّى مَاتَا .

[بينه وبين محمد بن أبي أمية]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ قَالَ : لَقِيَ
أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ مُسْلِمَ بْنَ الْوَلِيدِ وَهُوَ يَتَشَّى ، وَرَوَاتِهِ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ حَضَرَنِي شَيْءٌ . فَقَالَ : هَاتِهِ ، قَالَ : عَلَى أَنَّهُ مَزَاحٌ وَلَا تَغْضَبْ ، قَالَ : هَاتِهِ
وَلَوْ كَانَ شَتْمًا ، فَأَنْشَدْتُهُ :

[من المديد]

مَنْ رَأَى فِيمَا خَلَا رَجُلًا تَبَهُهُ أَرَبَى عَلَى جِدَّتِهِ
يَتَمَشَّى رَاجِلًا وَلَهُ شَاكِرِيٍّ فِي قُلُوبِ نِسِيَّتِهِ
فَسَكَتَ عَنْهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَضَحِكَ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَافْتَرَقَا .

قال : وكان لمحمد بَرْدُونٌ يركبُه فنَفَقَ ، فَلَقِيَهُ مُسْلِمٌ وهو راجل ، فقال : ما فعل
بَرْدُونُكَ ؟ قال : نَفَقَ ، قال : فَنُجَازِيكَ إِذَا عَلَى مَا أَسْلَفْتَنَاهُ ، ثُمَّ أُنْشَدَهُ¹ : [من السريع]
قُلْ لَابْنِ مَيٍّ لَا تَكُنْ جَازِعًا لَنْ يَرْجِعَ الْبَرْدُونُ بِالْبَيْتِ²
طَامَنَ أَحْشَاءُكَ فَقْدَانُهُ وَكُنْتَ فِيهِ عَالِي الصَّوْتِ³
وَكَُنْتَ لَا تَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِهِ وَلَوْ مِنَ الْحُشِّ إِلَى الْبَيْتِ⁴
مَا مَاتَ مِنْ سَقَمٍ وَلَكِنَّهُ مَاتَ مِنَ الشَّقْوِ إِلَى الْمَوْتِ⁵
[أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبي نواس]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَرِيرِيُّ أَنَّ
أَبَا تَمَّامٍ حَلَفَ أَلَّا يُصَلِّيَ حَتَّى يَحْفَظَ شِعْرَ مُسْلِمٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ ، فَمَكَثَ شَهْرَيْنِ كَذَلِكَ حَتَّى
حَفِظَ شَعْرَهُمَا . قَالَ : وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَرَأَيْتُ شَعْرَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ :
اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَأَنَا أَعْبُدُهُمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ .
[مسلم وأبو نواس يتناشدان]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي سَمْعَانُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ
قَالَ : حَدَّثَنِي دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : كَانَ أَبُو نُوَّاسٍ يَسْأَلُنِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ ؛
وَكَانَ مُسْلِمٌ يَسْأَلُنِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي نُوَّاسٍ ، وَكَانَ أَبُو نُوَّاسٍ إِذَا حَضَرَ تَخَلَّفَ مُسْلِمٌ ،
وَإِذَا حَضَرَ مُسْلِمٌ تَخَلَّفَ أَبُو نُوَّاسٍ ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَا ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو نُوَّاسٍ⁶ : [من الطويل]
أَجَارَةَ يَتِيمِنَا أَبُوكَ غَيُورُ وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
وَأَنْشَدَهُ مُسْلِمٌ :

لِللَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ

1 ديوانه : 282 .

2 الديوان : ليس على البردون من فوت .

3 الديوان : طأطأ أحشاءك .

4 الحش : البستان ، ونقل إلى بيت الخلا .

5 الديوان : من حنف .

6 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 480 .

فقلت لأبي نواس : كيف رأيت مسلماً ؟ فقال : هو أشعر الناس بعدي . وسألت مسلماً
وقلت : كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال : هو أشعر الناس وأنا بعده .
[ذو الرياستين يجزل له المجازة]

أخبرني الحسن قال : حدثنا ابن مَهرويه قال : حدثني إبراهيم بن عبد الخالق الأنصاري
من ولد النعمان بن بشير قال : حدثني مسلم بن الوليد قال : وجه إليّ ذو الرياستين ، فحُمِلْتُ
إليه ، فقال : أنشدني قولك¹ :

بالغمْرِ من زَيْنَبَ أَطْلالُ مَرَّتْ بِهَا بَعْدَكَ أحوالُ

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولي² :

وقائلُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ كلاًّ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَالُ

وهِمَّةُ الْمُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ هَمٌّ مَعَ الدَّهْرِ وإِشْغَالُ³

لَا جِدَّةٌ أَنْتَهَضُ عَزْمِي بِهَا وَالنَّاسُ سُؤَالُ⁴ وَإِخَالُ⁴

فاقْعُدْ مَعَ الدَّهْرِ إِلَى دَوْلَةٍ تَرْفَعُ فِيهَا حَالُكَ الحَالُ⁵

قال : فلمّا أنشدته هذا البيت قال : هذه والله الدولة التي ترفعُ حالَكَ . وأمر لي بمالٍ
عَظِيمٍ وقُلْدَنِي ، أو قال قُبْلَنِي ، جَوَزَ جُرْجَانَ⁶ .
[مجاوزه معن بن زائدة ويزيد بن مزيد]

حدثني جحظة قال : حدثني ميمون بن هارون قال : كان مسلماً بن الوليد قد انحرف عن
معن بن زائدة بعد مدحه إياه ، لشيء أوحشه منه ؛ فسأله يزيد بن مزيد أن يَهَبَهُ له ، فوعده ولم
يفعل ، فتركه يزيد خوفاً منه ، فهجاه هجاء كثيراً ، حتى حَلَفَ له الرشيد إن عاودَ هجاءه
قَطَعَ لسانه ، فمن ذلك قوله فيه⁷ :

يَا مَعْنُ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي خِزْيَةٍ حَتَّى لَفَقْتَ أَبَاكَ فِي الْأَكْفَانِ

فأشكرُ بَلَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَكَ إِنَّهُ أودى بِلُؤْمِ الْحَيِّ مِنْ شَيَانِ

1 ديوان مسلم : 335 .

2 ديوانه : 150 .

3 الديوان : عون على الدهر . . .

4 الديوان : لا حدة تنهض في عزمها .

5 الديوان : فاصبر مع الدهر . . . تحمل فيها .

6 تقدم أنّ الفضل بن سهل ولّاه بريد جرجان . وانظر ياقوت (جرجان) .

7 ديوانه : 341 .

قال : وهجا أيضاً يزيد بن مزيدَ بعد مدحه إياه فقال¹ :
 أَيْرِيدُ يَا مَغْرُورُ أَلَأَمْ مِنْ مَشَى تَرْجُو الْفَلَّاحَ وَأَنْتَ نُظْفَةَ مَزِيدَ
 إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَنْطِقِي فَاصْرُخْ بِهِ يَوْمَ الْعُرُوبَةِ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ²
 فِي مَنْ يَزِيدُ فَإِنْ أَصَبْتَ بِمَزِيدَ فَلَسَا فَهَكَ عَلَى مُخَاطَرَةٍ يَدِي
 هكذا روى جَحْظَةُ فِي هَذَا الْخَبَرِ ، وَالشُّعْرَانِ جَمِيعاً فِي يَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ ، فَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا
 أَوَّلُهُ :
 [من الكامل]

أَيْرِيدُ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي خَزِيَّةٍ

وهكذا هو في شعر مُسْلِمٍ . ولم يَلَقَ مُسْلِمٌ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ ، وَلَا لَهُ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا هِجَاءٌ .

[رثى يزيد بن مزيد]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُشَمٍ
 قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدَ قَدْ سَأَلَ مُسْلِمَ بْنَ الْوَلِيدِ عَمَّا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي عِيَالَهُ ، فَأَخْبَرَهُ فَجَعَلَهُ
 جَرَايَةً لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا تُحَاسِبُ بِهِ بَدَلًا مِنْ جَائِزَةٍ أَوْ ثَوَابٍ مَدِيحٍ . فَكَانَ يَبْعَثُ
 بِهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ رثاه مُسْلِمٌ فَقَالَ³ :

أَحَقًّا أَنْتَ أَوْدَى يَزِيدُ تَبَيَّنَ أَيُّهَا النَّاعِي الْمَشِيدُ⁴
 أَتَذَرِي مِنْ نَعِيَتٍ وَكَيْفَ دَارَتْ بِهِ شَفَتَاكَ دَارَ بِهَا الصَّعِيدُ⁵
 أَحَامِي الْمَجْدِ وَالْإِسْلَامِ أَوْدَى فَمَا لِلْأَرْضِ وَيَحْكُ لَا تَمِيدُ
 تَأْمَلُ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
 وَهَلْ شَيَّمَتِ سُيُوفُ بَنِي نِزَارٍ وَهَلْ وَضِعَتْ عَنِ الْخَيْلِ اللَّبُودُ
 وَهَلْ تَسْقِي الْبِلَادَ عُشَارُ مَزِينٍ بِدِرَّتِهَا وَهَلْ يَخْضَرُّ عُودُ⁶
 أَمَا هُدَّتْ لِمَصْرِعِهِ نِزَارٌ بَلَى وَتَقَوَّضَ الْمَجْدُ الْمَشِيدُ

1 ديوانه : 310 .

2 يوم العروبة : يوم الجمعة .

3 ديوانه : 147-149 .

4 الديوان : أحق ... تأمل .

5 الديوان :

تأمل من نعت وكيف فاهت به شفتاك كان بها الصعيد

6 عُشَارُ فِي ل وَابْنِ خُلَكَانَ : ثَقَالُ الْمَرْنِ .

وحلّ ضريحه إذ حلّ فيه
أما والله ما تنفك عني
وإن تجمّد دموع لقيم قوم
أبعد يزيد تختزن البواكي
لتبكيك قبّة الإسلام لما
ويبك شاعر لم يبق دهر
فإن يهلك يزيد فكلّ حي
هكذا في الخبر ، والقصيدة للتميمي .

[مدح الفضل بن سهل وراثته]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدّثنا الهشاميّ قال : حدّثني عبد الله بن عمرو
قال : حدّثني موسى بن عبد الله التميميّ قال : دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن
سهل ، فأنشده قوله فيه ¹ :

لو نطق الناس أو أنبأ بعلمهم
لم يبلغوا منك أذنى ما تمت به
ونبّهت عن معالي دهرك الكتب
إذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

فأمر له عن كلّ بيت من هذه القصيدة بألف درهم .

ثم قيل الفضل فقال يرثيه ² :

ذهلت فلم أنفع غليلاً بعبرة
فلما بدا لي أنه لا عيج الأسى
أقمت لك الأنواح ترتد بينها
وما كان منعي الفضل منعة واحد
ألبأس أم للجود أم لقاوم
عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت
وأكبرت أن ألقى بيومك ناعياً
وأن ليس إلا الدمع للحزن شافياً
ماتم تندبن الندى والمعاليا ³
ولكن منعي الفضل كان مناعياً ⁴
من الملك يزحم الجبال الرواسيا
وكن كاعيا فعدن مباكيا

1 ديوانه : 304 .

2 ديوانه : 346 .

3 تندبن في الديوان : يندبن .

4 منعة واحد في الديوان : منعي وحادة .

فلم أَرْ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضاحِكاً ولم أَرْ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ باكياً

[هجاء العباس بن الأحنف]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا محمد بن عجلان قال : حدثنا يعقوب بن السكيت ، قال : أخبرني محمد بن المهنا ، قال : كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب ، فذكروا مسلم بن الوليد ، فقال بعضهم : صريع الغواني ، فقال العباس : ذاك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني . وبلغ ذلك مسلماً فقال يهجو¹ : [من البسيط]

بَنُو حَنيفَةَ لَا يَرْضَى الدَّعْيُ بِهِمْ فَاتْرُكْ حَنيفَةَ وَاطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَباً
فَاذْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقَ الْحِلْمِ مُرْتَهَنٌ بِسُورَةِ الْجَهْلِ مَا لَمْ أَمْلِكِ الْغَضَبُ²
اِذْهَبْ إِلَى عَرَبٍ تَرْضَى بِنَسَبِهِمْ إِنِّي أَرَى لَكَ خَلْقاً يُشِبُّهُ الْعَرَبُ³
مُنِيَّتْ مِنِّي وَقَدْ جَدَّ الْجِرَاءُ بِنَا بَغَايَةَ مَنَعَكَ الْفَوْتَ وَالطَّلَبُ⁴

[يهب عرض خزيمة بن خازم ويمتنع عن هجائه]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت لمسلم بن الوليد : ويحك ! أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم ، ولا استحييت منا ونحن إخوانك ، وقد علمت أننا نتولاه وهو من تعرف فضلاً وجوداً ؟ فضحك ، وقال لي : يا أبا إسحاق ، لغيرك الجهل ، أما تعلم أن الهجاء أخذ بضبع الشاعر وأجدى عليه من المدح المضرع ؟ وما ظلمت مع ذلك منهم أحداً ، وما مضى فلا سبيل إلى رده ، ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا . قال : ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلم : [من الطويل]

دُيُونُكَ لَا يَقْضِي الزَّمَانَ غَرِيمُهَا وَيُخْلُكُ بُخْلُ الْبَاهِلِ سَعِيدِ
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ أَبْخَلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَمَا قَوْمُهُ مِنْ بُخْلِهِ يَبْعِيدِ

فقلت له : وسعيد بن سلم صديقي أيضاً ، فهب لي ، فقال : إن أقبلت على ما يعينك ، وإلا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة ، فأمسكت عنه راضياً بالكفاف .

[مدح وتحويل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر بن حمزة بن بريع قال : حدثني عبد الله بن الحسن

1 الديوان : 258-259 .

2 الديوان : فاقعد فأن طليق الحلم . . .

3 اذهب في الديوان : واذهب .

4 في الديوان : . . . وقد هاج الرهان بنا .

اللَّهْبِيِّ قَالَ¹ : كَانَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ مَدَّاحًا لِيَزِيدَ بْنِ مَرْزِدٍ ، وَكَانَ يُؤَثِّرُهُ وَيُقَدِّمُهُ وَيُجْزِلُ صِلَتَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ وَقَدْ عَلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٌ ، فَمَدَحَهُ وَعَزَّاهُ عَنْ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ بِيَابَهُ أَيَّامًا فَلَمْ يَرَ مِنْهُ مَا يُحِبُّ ، فَانصَرَفَ عَنْهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَبِستُ عَزَاءً عَنْ لِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ مُنْصِيفًا وَوَدُودًا
وَقُلْتُ لِنَفْسٍ قَادَهَا الشَّوْقُ نَحْوَهُ فَعَوَّضَهَا مِنْهُ اللَّقَاءُ صَدُودًا
هَبِيهِ امْرَأً قَدْ كَانَ أَصْفَاكَ وَدَّهُ وَمَاتَ وَالْأَفْحَاشِيَةَ يَزِيدًا
لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّيْتُ فَلَمْ أَلْقَ بَعْدَهُ وَفَاءً لَدَيْهِ عَهْدِي يُعَدُّ حَمِيدًا

[الفضل يجزل له العطاء ويهب له جارية أعجته]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ قَالَ : دَخَلَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ يَوْمًا عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، وَقَدْ كَانَ أَتَاهُ خَيْرُ مَسِيرِهِ ، فَجَلَسَ لِلشُّعْرَاءِ فَمَدَحُوهُ وَأَثَابَهُمْ ، وَنَظَرَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ فَقَضَاهَا ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَجَلَسَ لِلشُّرْبِ ، وَمُسْلِمٌ غَيْرُ حَاضِرٍ لَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا بَلَغَهُ حِينَ انْقَضَى الْمَجْلِسُ ، فَجَاءَهُ فَأَدْخَلَ إِلَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ² :

أَتَيْتُكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطْيَةِ عَلَيْهَا فَتَى كَالنَّصْلِ مُؤَيَّسُهُ النَّصْلِ

يقول فيها :

وَرَدْتُ رِوَاقَ الْفَضْلِ آمِلُ فَضْلَهُ فَحَطَّ الثَّنَاءُ الْجَزَلَ نَائِلُهُ الْجَزَلَ³
فَتَى تَرْتَعِي الْأَمَالَ مُزَنَةَ جُودِهِ إِذَا كَانَ مَرَعَاهَا الْأَمَانِيُّ وَالْمَطْلُ⁴
تَسَاقُطُ يُمْنَاهُ النَّدَى وَشِمَالُهُ الـ رَدَى وَغِيُونَ الْقَوْلِ مَنْطِقُهُ الْفَضْلُ⁵
أَلَحَّ عَلَى الْأَيَّامِ يَفْرِي خَطُوبَهَا عَلَى مَنْهَجِ الْفَى أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ
أَنَافَ بِهِ الْعَلْيَاءُ يَحْيَى وَخَالِدٌ فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا لَهَا مِثْلُ⁶
فُرُوعٌ أَصَابَتْ مَغْرَسًا مُتَمَكِّنًا وَأَصْلًا فَطَابَتْ حَيْثُ وَجَّهَهَا الْأَصْلُ⁷

1 تقدم الخبر والشعر في هذه الترجمة .

2 ديوانه : 263-265 .

3 الديوان : وردن رواق الفضل فضل بن جعفر .

4 الديوان : الأمانى والبطل .

5 الديوان : ردى .

6 الديوان : يحيى وجعفر .

7 الديوان : فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفًا أعناقها قصده الأصل

بكفُّ أبي العباس يُسَمَطِرُ الغنى وتُسْتَنْزَلُ النعمى ويُسْتَرْعَفُ النُّصْلُ
قال : فَطَرِبَ الْفَضْلُ طَرِبًا شَدِيدًا ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَدَّ الْأَيَّاتُ ، فَعُدَّتْ فَكَانَتْ ثَمَانِينَ بَيْتًا فَأَمَرَ
لَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : لَوْلَا أَنَّهَا أَكْثَرُ مَا وَصِلَ بِهِ الشُّعْرَاءُ لَزِدْتُكَ ، وَلَكِنَّهُ شَأْوٌ لَا
يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَجَاوَزَهُ ، يَعْنِي أَنَّ الرَّشِيدَ رَسَمَهُ لِمُرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ مَعَهُ
وَالْمُقَامِ عِنْدَهُ لِمُنَادَمَتِهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَشَرِبَ مَعَهُ . وَكَانَتْ عَلَى رَأْسِ الْفَضْلِ وَصِيفَةٌ تَسْقِيهِ
كَأَنَّهَا لُؤْلُؤَةٌ ، فَلَمَحَ الْفَضْلُ مُسْلِمًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : قَدْ ، وَحْيَاتِي يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، أَعْجَبَتْكَ ،
فَقُلْ فِيهَا أَيْبَاتًا حَتَّى أَهْبِهَا لَكَ ، فَقَالَ¹ :

إِنْ كُنْتَ تَسْقِيَنَّ غَيْرَ الرَّاحِ فَاسْقِنِي كَأْسًا أَلَذَّ بِهَا مِنْ فَيْكِ تَشْفِينِي
عَيْنَاكَ رَاحِي ، وَرِيحَانِي حَدِيثُكَ لِي وَلَوْ خَدَيْكَ لَوْنُ الْوَرْدِ يَكْفِينِي
إِذَا نَهَانِي عَنْ شَرْبِ الطَّلَا حَرَجٌ فَخَمَرُ عَيْنَيْكَ يُغْنِينِي وَيَجْزِينِي
لَوْلَا عِلَامَاتُ شَيْبٍ لَوَأْتَتْ وَعَظَّتْ لَقَدْ صَحَوْتُ وَلَكِنْ سَوْفَ تَأْتِينِي
أَرْضِي الشَّبَابَ فَإِنْ أَهْلِكَ فَعَنْ قَدَرٍ وَإِنْ بَقِيْتُ فَإِنَّ الشَّيْبَ يُشْقِينِي²
فَقَالَ لَهُ : خُذْهَا بُورُكَ لَكَ فِيهَا . وَأَمَرَ بِتَوْجِيهِهَا مَعَ بَعْضِ خَدَمِهَا إِلَيْهِ .

[جزعه على زوجته]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَتْ لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ زَوْجَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، كَانَتْ تَكْفِيهِ أَمْرَهُ وَتَسْرُهُ فِيمَا تَلِيهِ لَهُ مِنْهُ ،
فَمَاتَتْ فَجَزَعَ عَلَيْهَا جَزَعًا شَدِيدًا ، وَتَنَسَّكَ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، وَعَزَمَ عَلَى مَلَازِمَةِ ذَلِكَ ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ
بَعْضُ إِخْوَانِهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يَزُورَهُ فَفَعَلَ ، فَأَكَلُوا وَقَدَّمُوا الشَّرَابَ ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ مُسْلِمٌ وَأَبَاهُ ، وَأَنْشَأَ
يَقُولُ³ :

بُكَاءٌ وَكَأْسٌ ، كَيْفَ يَتَّفِقَانِ ؟ سَبِيلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ
دَعَانِي وَإِفْرَاطَ الْبُكَاءِ فَإِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِيهِ غَيْرَ مَا تَرَيَانِ
غَدَتُ وَالثَّرَى أَوَّلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا إِلَى مَنْزِلِ نَاءٍ لَعَيْنِكَ دَانِ
فَلَا حُزْنَ حَتَّى تَذْرِفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَتَعْرِفَ الْأَحْشَاءُ لِلْخَفَقَانِ⁴

1 ديوانه : 343-344 .

2 يشقيني في الديوان : يسليني .

3 الديوان : 241 .

4 فلا حزن في الديوان : فلا وجد .

وَكَيْفَ يَدْفَعُ الْيَأْسَ لِلوَجْدِ بَعْدَهَا وَسَهْمَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَغْتَلِجَانِ¹
[نهاجه مع ابن قنبر]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني علي بن الصباح قال : حدثني مالك بن إبراهيم قال : كان مسلم بن الوليد يهاجي الحكم بن قنبر المازني ، فغلب عليه ابن قنبر مدة وأخرسه ، ثم أتاب مسلم بعد أن انخزل وأفجم ، فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته ، فكان يهرب منه ، فإذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيمسك عن إجابته ؛ ثم جاءه ابن قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف ، وتحمل عليه بأهله وسأله الإمساك ، فوعده بذلك ، فقال فيه² :
[من الكامل]

حَلُمَ ابْنُ قَنْبَرٍ حِينَ أَقْصَرَ جَهْلُهُ هَلْ كَانَ يَحْلُمُ شَاعِرٌ عَنْ شَاعِرٍ ؟
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ الَّذِي سُمِّيَتْهُ غَالَتْكَ حِلْمُكَ هَفْوَةٌ مِنْ قَاهِرٍ
لَوْلَا اعْتِدَارُكَ لَارْتَمَى بِكَ زَاخِرٌ مَرِحُ الْعُبَابِ يَفُوتُ طَرَفَ النَّاطِرِ³
لَا تُرْتَعَنُ لِحِمِي لِسَانِكَ بَعْدَهَا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ شَفْرَةَ جَارِرٍ
وَاسْتَغْنِمَ الْعَفْوَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ لَا تَأْمَنَنَّ عُقُوبَةً مِنْ قَادِرٍ

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني محمد بن عبد الله أبو بكر العبدي قال : رأيت مسلم بن الوليد وابن قنبر في مسجد الرصافة في يوم الجمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلم فقال⁴ : [من الطويل]
أَنَا النَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مُسْكَنَةٌ فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحُ النَّارَ فَاقْدَحْ
فَأَجَابَهُ ابْنُ قَنْبَرٍ فَقَالَ :

قَدْ كُنْتَ تَهْوِي وَمَا قَوْسِي بِمُوتَرَةٍ فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِي وَالْقَوْسُ فِي الْوَتْرِ

[يلجأ إلى الدعاء على ابن قنبر]

قال : فوثب إليه مسلم وتواخزا⁵ وتواثبا ، وحجز الناس بينهما فنفرقا .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني علي بن عبيد الكوفي قال : حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال : جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى

1 الديوان : . . . والوجد بعدها .

2 ديوانه : 322 .

3 مرجع العباب في الديوان : مرجع العباب .

4 ديوانه : 309 .

5 تواخزا : تطاعنا طعنات غير نافذة .

مُسلم بن الوليد فقال له : وَئِلكَ ما لَنَا وَلَکَ ، قد فضحتنا وأخزيتنا ، تعرّضتَ لابنِ قنبرِ فهاجيته ، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخرلتَ عنه وأرعيتَه لحومنا ، فلا أنتَ سَكَتَ ووَسِعَكَ ما وَسِعَ غيرَكَ ، ولا أنتَ لَمَّا انتصرتَ انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أَصنع ؟ فَأنا أَصبرُ عليه ، فإن كَفَّ وإلاَّ تحمَّلتُ عليه بإخوانه ، فإن كَفَّ وإلاَّ وكلُّهُ إلى بغيه ، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهرَ له ليلةٌ يدعو اللهَ فيها فإنها تُهلكه . فقال له الأنصاري ، سَخِنتَ عينَكَ ! أو بهذا تَتَصِفُ مِمَّنْ هجاكَ ؟ ثم قال له : [من الكامل]

قد لاذ من خوفِ ابنِ قنبرِ مُسلمٌ بدُعاءِ والدِهِ مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثَكَلَنَكَ أُمُّكَ قد هتَكَتَ حريمنا وفضحتُ أَسْرَتنا بنِي النجارِ
عَمَمْتَ خَزَرَجنا ومِعشَرَ أوسِنا خِزيًا جَنيتَ به على الأنصارِ
فعليك من مولَى وناصرِ أُسرَةٍ وعشيرةِ غَضَبُ الإلهِ البارِ

قال : فكاد مسلم أن يموت غمًّا وبُكاءٍ وقال له : أنتَ شرُّ عليٍّ من ابنِ قنبرِ . ثم أثاب وحمي ، فهتكَ ابنَ قنبرِ ومزقه حتى تركه ، وتحملَ عليه بابه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة . ونسختُ هذا الخبر من كتابِ جُدِّي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه ، قال : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصورُ بن جُمهور قال : لما هجا ابنُ قنبرِ مُسلمَ بنَ الوليدِ أَمَسَكَ عنه مسلمٌ بعد أن أَشْلَى عليه لسانَه¹ . قال : فجاءه عمُّ له فقال له : يا هذا الرجل ، إنك عند الناس فوق ابنِ قنبرِ في عمود الشعر ، وقد بعثَ عليك لسانَه ثم أَمَسَكَ عنه ، فإِما أن قارَعته أو سالَمته . فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجدٌ يتهجَّد فيه ، وله بين ذلك دَعَوَاتٌ يدعو بهنَّ ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَوَاتِهِ ، فإِنا نُكْفاه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال : [من الكامل]

غلب ابنُ قنبرِ واللَّيْمُ مُغْلَبٌ لما اتَّقَيْتَ هِجاءَهُ بدُعاءِ
ما زال يقذفُ بالهِجاءِ ولذعه حتى اتَّقَوْهُ بدُعوَةِ الآباءِ !

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كله ، فأَمَسِكَ لسانك عني ، وتعرَّفَ خبره به هذا . قال : فبعث ، والله ، عليه من لسان مسلم ما أَسَكَّته . هكذا جاء في الأخبار .

وقد حدَّثني بخبر مناقضته ابنَ قنبرِ جماعةٌ ذكروا قصائدَهما جميعاً ، فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبرِ عليه ، لأن له عدَّةَ قصائدٍ لا نقائصَ لها ، يذكر فيها تعريده² عن الجواب ،

1 أَشْلَى لسانه : أَطْلَقَهُ .

2 تعريده : هربه .

وقصائد يذكر فيها أن مسلماً فخر على قريش وعلى النبي ﷺ ورماه بأشياء تُبيح دمه ، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها ، وجحد أشياء كان قالها فيه .
[الطرمّاح يهجو بني تميم]

فَمِمَّنْ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ عَالِماً بِشَعْرِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَخْبَارِهِ ، قَالَ : كَانَ سَبَبُ الْمَهَاجَةِ بَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْحَكَمِ بْنِ قَتِيرٍ أَنَّ الطَّرْمَاحَ بْنَ حَكِيمٍ قَدْ كَانَ هَجَا بَنِي تَمِيمٍ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من البسيط]

لَا عَزَّ نَصْرُ امْرِئٍ أَضْحَى لَهُ فَرْسٌ عَلَى تَمِيمٍ يَرِيدُ النَّصْرَ مِنْ أَحَدٍ
إِذَا دَعَا بِشَعَارِ الْأَزْدِ نَفَرَهُمْ كَمَا يُنْفِرُ صَوْتُ اللَّيْثِ بِالنَّقْدِ
لَوْ حَانَ وَرْدُ تَمِيمٍ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ : حَوْضُ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الْأَزْدُ لَمْ تَرِدْ
أَوْ أُنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا أَنْ يَعَذِّبَهَا إِنْ لَمْ تَعُدْ لِقِتَالِ الْأَزْدِ ، لَمْ تَعُدْ

وهي قصيدة طويلة ، وكان الفرزدق أجاب الطرمّاح عنها ، ثم إن ابن قنبر المازني قال بعد خبر طويل يردّ على الطرمّاح :

يَا عَاوِيَا هَاجَ لَيْثًا بِالْعَوَاءِ لَهُ شَنَّ الْبِرَاثَنَ وَرَدَّ اللَّوْنَ ذَا لِبَدٍ
أَيَّ الْمَوَارِدِ هَابَتْ جَمٌّ غَمَرْتَهُ بَنُو تَمِيمٍ عَلَى حَالٍ فَلَمْ تَرِدْ
أَلَمْ تَرِدْ يَوْمَ قَنْدَائِيلَ مُعَلِّمَةً بِالْخَيْلِ تَضْبِيرٍ نَحْوِ الْأَزْدِ كَالْأُسْدِ²
بِفَتْيَةٍ لَمْ تَنَازَعَهَا فَتَطْبَعَهَا بِلَوْمِهَا طَيِّبَةً ثَدِيًّا وَلَمْ تَلِدْ
خَاضَتْ إِلَى الْأَزْدِ بَحْرًا ذَا غَوَارِبٍ مِنْ سُمُرٍ طَوَالٍ وَبَحْرًا مِنْ قَنَاءٍ قَصْدِ
فَأَوْرَدَتْهَا مَنَايَاهَا بِمُرْهَفَةٍ مُلْسِ الْمَضَارِبِ لَمْ تُفْلَلْ وَلَمْ تَكْدِ

وهي قصيدة طويلة . وقد كان الطرمّاح قال أيضاً³ :

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ
أَرَى اللَّيْلَ يَجْلُوهُ النَّهَارُ وَلَا أَرَى عِظَامَ الْمَخَازِي عَنْ تَمِيمٍ تَجَلَّتْ

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها ، وردّ ابن قنبر ينقضها⁴ :

1 ديوان الطرمّاح : 160 .

2 قندائيل : مدينة بالهند .

3 ديوان الطرمّاح : 59-60 .

4 ديوان الفرزدق 1 : 115 .

لَعَمْرُكَ مَا ضَلُّتُ تَمِيمٌ وَلَا جَرَّتْ
وَلَا جُبْتُ بَلْ أَقْدَمْتُ يَوْمَ كَسَرْتُ
بَغَائِطُ قُنْدَابِيلَ وَالْمَوْتُ خَائِضٌ
فَمَا بَرَحْتُ تُسْقَى كُوُوسَ حِمَامِهَا
إِلَى أَنْ أَبَادَتْهُمْ تَمِيمٌ وَأَكْذَبْتُ
وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْهُمْ كُلُّ خَذَلَةٍ
عَلَى إِثْرِ أَشْيَاحٍ عَنِ الْمَجْدِ ضَلَّتْ
لَهَا الْأَزْدُ أَغْمَادَ السُّيُوفِ وَسَلَّتْ
عَلَيْهَا بَآجَالٍ لَهَا قَدْ أَظَلَّتْ
إِذَا نَهَلْتُ كَرُّوا عَلَيْهَا فَعَلَّتْ
أَمَانِي لِلشَّيْطَانِ عَنْهَا اضْمَحَلَّتْ
مُفَارِقَةٍ بَعْلًا بِهِ قَدْ تَمَلَّتْ

وهي أيضاً طويلة قال : فبلغَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ هَجَاءَ ابْنِ قَنْبَرٍ لِلْأَزْدِ وَطَيَّءَ وَرَدَّهُ عَلَى الطَّرِمَاحِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى في مناقضة رجلٍ مَيِّتٍ وإثارة الشرِّ بذكر القبائل ، لا سيما وقد أجابه الفرزدقُ عن قوله ؟ فأبى ابنُ قَنْبَرٍ إلَّا تمادياً في مناقضته ، فقال مسلم قصيدته التي أولها¹ :

آيَاتُ أَطْلَالٍ بِرَامَةٍ دُرِّسَ
أَوْحَتْ إِلَى دِرْرِ الدُّمُوعِ فَاسْبَلْتُ
يَقُولُ فِيهَا يَصِفُ الْخَمْرَ :

صَفَرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْكُرُومِ كَسَوْتُهَا
طَارَتْ وَلَا وَذَهَا الْحَبَابُ فَحَاكَهَا
وَيَقُولُ فِيهَا يَصِفُ السُّيُوفَ :

وَتَفَارِقُ الْأَغْمَادَ تَبْدُو تَارَةً
حَرْبٌ يَكُونُ وَقَوْذَهَا أَبْنَاوُهَا
مِنْ هَارِبٍ رَكِبَ النَّجَاءَ وَمُقَعَصٍ
غَضَبَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ نَفْسَهُ
إِنْ كُنْتَ نَازِلَةً الْيَفَاعَ فَنَكَّبِي
حُمْرًا وَتَخْفَى تَارَةً فِي الْأُرُوسِ⁴
لَقَعَحْتُ عَلَى عَقْرِ وَلَمَّا تَنْفَسِ
جَمَمْتُ مِنْيْثَهُ عَلَى الْمُتَنَفِّسِ
فَثَوَى فَرِيسَةً وَلُغِيَ أَوْ نُهَسِ
دَارَ الرِّبَابِ وَخَزْرَجِي أَوْ أَوْسِي⁵

1 ديوان مسلم : 130-140 .

2 الديوان :

آيات أطلال برامة درس هجن الصبابة واسترنا معرسي

3 الديوان : مزجت ولاوذا . . .

4 الديوان : ويوارق الأغمد .

5 الديوان : فجنبي .

وتجنبي الجعراء إن سيوفهم
 هل طبىء الأجال شاكراً امرئ
 أحى ، أبانفر ، عظام حفيرة
 كافات نعمتها بضعف بلائها
 وإذا افتخرت عددت سعي مآثر
 رفعت بنو النجار حلفي فيهم
 فاعقل لسانك عن شتائم قومنا
 أنخلقت فخرك من أبيك وجئتني
 أخذت عليه المحكمات طريقها

قال : فلم يُجبه ابن قنبر عن هذه بشيء ، ثم التقيا فتعابتا ، واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال مسلم يهجوه :

حلم ابن قنبر حين قصر شعره هل كان يحلم شاعر عن شاعر

[هجاء قريش والفخر بالأنصار]

وقد مضت هذه الأبيات مُتقدماً . قال : ومكث ابن قنبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف ، ثم هجا مسلم قريشاً وفخر بالأنصار فقال⁹ : [من الخفيف]

قل لمن تاه إذ بنا عز جهلاً ليس بالتيه يفخر الأحرار
 فتأهوا وأقصروا فلقد جا رت عن القصد فيكم الأنصار¹⁰

1 وتجنبي الجعراء في الديوان : وتجنبي الخفراء .

2 الديوان : حماها الأفعس . والمردس : آلة للتسوية والتكسير .

3 الديوان : أحى . . . وباقي عزها .

4 الديوان : بفضل بلائها .

5 الديوان :

رفعت بنو النجار بيتي فيهم ثم اتشيت فأفسحوا في المجلس

6 قومنا في الديوان : عرضنا .

7 وجئتني في الديوان : فجئتني .

8 الديوان : فغدا يناقض .

9 ديوانه : 315-316 .

10 الأنصار في الديوان : الأبصار .

أَيْكُمْ حَاطَ ذَا جِوَارٍ بَعَزٌ
 أَوْ رَجَا أَنْ يَفُوتَ قَوْمًا بَوْتِرٍ
 لَمْ يَكُنْ ذَاكَ فَيْكُمْ فَدَعُوا الْفَخْ
 وَنَزَارًا ففَاخِرُوا تَفَضَّلُوهُمْ
 فَبِنَا عَزَّ مِنْكُمْ الذُّلُّ وَالِدَّةُ
 حَاذِرُوا دَوْلَةَ الزَّمَانِ عَلَيْكُمْ
 فَتَرَدُّوا وَنَحْنُ لِلْحَالَةِ الْأَوَّلِ
 فَاخِرَتَنَا لَمَّا بَسَطْنَا الْفَخْ
 ذَكَرْتُ عِزَّهَا وَمَا كَانَ فِيهَا
 إِنَّمَا كَانَ عِزُّهَا فِي جِبَالِ
 أَيُّهَا الْفَاخِرُونَ بِالْعِزِّ ، وَالْعِ
 أَخْبَرُونَا مَنْ الْأَعَزُّ الْمُنْدُ
 فَلَمَّا الْعِزُّ قَبْلَ عِزِّ قُرَيْشٍ

قَبْلَ أَنْ تَحْتَوِيَهُ مِنَّا الدَّارُ
 لَمْ تَنْزَلْ تَمَطِّطِهِمُ الْأَوْتَارُ
 رُبَّمَا لَا يَسُوعُ فِيهِ افْتِخَارُ
 وَدَعُوا مَنْ لَهُ عَيْدًا نِزَارُ
 هُرُّ عَلَيْكُمْ بِرِيَّةٍ كَرَّارُ
 إِنَّهُ بَيْنَ أَهْلِهِ أَطْوَارُ
 لِي وَلِلْأَوْحَدِ الْأَذَلِّ الصَّغَارُ
 رَ قُرَيْشٌ وَفَخْرُهَا مُسْتَعَارُ
 قَبْلَ أَنْ يَسْتَجِيرَنَا مُسْتَجَارُ
 تَرْتَقِيهَا كَمَا تَرَقَّى الْوِبَارُ¹
 زُ لَقَوْمٍ سِوَاهُمْ وَالْفَخَارُ
 صُورٌ حَتَّى اعْتَلَى أَمَ الْأَنْصَارُ ؟
 وَقُرَيْشٌ تِلْكَ الدُّهُورُ تِجَارُ

[رد ابن قنبر]

[من الطويل]

وَأَفْلِقَ بِهِ الْأَحْشَاءُ مِنْ كُلِّ مُجْرِمٍ
 فَمَا هُوَ عَنْ شَتْمِ النَّبِيِّ بِمُحْرِمٍ
 قُرَيْشٍ بِأَصْدَاءِ لِعَادٍ وَجُرْهُمِ
 بِنُصْرَتِهِ فَازُوا بِحِطِّ وَمَغْنَمِ
 أَرَادَ قُرَيْشًا بِالْمَقَالِ الْمُنْذَمِ
 إِلَى نَسَبِ زَاكِ وَمَجْدٍ مُقَدَّمِ
 بَنَصْرٍ قُرَيْشٍ فِي الْحُلِّ الْمُعْظَمِ
 صُدَاءُ وَخَوْلَانٍ وَلَخْمٍ وَسَلْمِ
 قُرَيْشًا وَمَنْ يَسْتَعَصِمُ اللَّهَ يُعَصِّمِ

قال : فأنبرى له ابن قنبر يُجيبه فقال :
 أَلَا امْثُلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُسْلِمٍ
 وَلَا تَرْجِعَنَّ عَنْ قَتْلِهِ بِاسْتِثَابَةٍ
 وَلَا عَنْ مُسَاوَاةٍ لَهُ وَلِقَوْمِهِ
 وَيَفْخَرُ بِالْأَنْصَارِ جَهْلًا عَلَى الَّذِي
 وَسُمُّوا بِهِ الْأَنْصَارَ لَا عِزُّ قَائِلٍ
 وَمِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَزْكَى مَنْ انْتَمَى
 وَمَا كَانَتْ الْأَنْصَارُ قَبْلَ اغْتِصَامِهَا
 وَلَا بِالْأُلَى يعلون أَقْدَارُ قَوْمِهِمْ
 وَلَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ عَادُوا وَنَصَرِهِمْ

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي دوية كالسنور أصغر منه .

من الذلّ في باب من العزّ مبهم¹
 كريمٌ ومن لا يُنكر الظلم يُظلم
 على الخلق طراً من فصيحٍ وأعجم
 يمدّ إليهم كفّ أجذم أعسم²
 بمولى يمانيّ وبني مهذّم
 مقام به من لؤم مبنّى ومدغم
 يُاعون ما اتبعوا جميعاً بدرهم³
 ولكنّه من نسل عِلجٍ مُلْكَم
 إليهم فلم يكرّم ولم يكرّم
 مواليه لا من يدعي بالتزعم
 بقافية تستكره الجِلد بالدم
 لألف منقوش الذراع مؤشّم
 بنفِكُموه من مقامٍ ومأثم
 إذا اختلفت فيكم صوارِد أسهمي
 إذا طلعت من كلّ فجٍّ ومعلم
 ولستم بأبناء السّنام المقدّم
 فيسمو بكم مولى مُسامٍ وينتمي
 بيتكم الرثّ القصير المهذّم
 عليه وأكوي مُتّماه بميسم
 ثوتها قريشٌ في المكان المحرّم
 بذلك فاقصن أيّها العِلج وارغم
 إذا قيل للجاري إلى المجد أقدم

فعرّوا وقد كانوا وفطيون فيهم
 يسومهم الفطيون ما لا يسامه
 وإن قريشاً بالماثر فضلت
 فما بال هذا العِلج ضلّ ضلاله
 يسامي قريشاً مُسلمٍ وهم هم
 إذا قام فيه غيرهم لم يكن له
 جعاسيس أشباه القُرود لو أنهم
 وما مُسلمٌ من هؤلاء ولا إلى
 تولّى زماناً غيرهم ثمت ادعى
 فإن يك منهم فالنضير ولقهم
 وإن تدعه الأنصار مولى أسهم
 عقاباً لهم في إفكهم وادعائهم
 فلا تدعوه وانتفوا منه تسلموا
 وإلا فغضّوا الطرف وانتظروا الردى
 ولم تجدوا منها ميحاً يُجنكم
 وأنتم بنو أذنان من أنتم له
 ولا بيني الرأس الرفيع محلّه
 فكيف رضيت أن يسامي نبيكم
 سأحطيم من سامى النبيّ تطاولاً
 أعدل بيت يثربى بكعبة
 قريش خيار الله والله خصهم
 ومن يدعي منه الولاء مؤخر

1 فطيون : ملك يثرب .

2 الأعسم : من يس مفصل رسفه حتى اعوج .

3 جعاسيس : قصار ، جمع جعسوس .

[هجاء تميم]

قال : وكان مُسلم قال هذه القصيدة في قريش وَكَمَها ، فوقعت إلى ابن قنبر ، وأجابه عنها ، واستعلى عليه وهتكه ، وأغرى به السلطان ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جواب أكثر من الانتفاء منها ، ونسبتها إلى ابن قنبر ، والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها إليه ، ليعرضه للسلطان¹ ، وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة² ويهجو تميماً³ : [من الطويل]

دعوتَ أميرَ المؤمنين ولم تَكُنْ هُنَاكَ ، ولكن مَن يَخَفُ يَتَجَشَّمُ
وإنَّكَ إذ تَدْعُو الخليفةَ ناصراً لكالمترقي في السماء بسُلْمِ
كذاك الصدى تدعوه من حيث لا ترى وإن تَوَهَّمَهُ تُمْتُ في التَّوْهَمِ
هجوتَ قُرَيْشاً عامداً ونحلتني رويدك يَظْهَرُ ما تقول فيَعْلَمُ
إذا كان مِنِّي في قبلي فَأَنَّهُ على ابني لُوِيٍّ قُصْرَةٌ غير مُتَمِّمِ
سيكشِفُكَ التَّعْدِيلُ عما قَرَفْتَنِي به فتأخَّرَ عارِفاً أو تَقَدَّمَ
فإنَّ قُرَيْشاً لا تُغَيِّرُ وُدَّها ولا يُسْتَمَالُ عَهْدُها بالتَّزَعُّمِ⁴
مضى سلفُ منهم وصلَّى بِعَقْبِهِمْ لنا سلف في الأوَّلِ المُتَقَدِّمِ
جَرَوْا فَجَرَيْنَا سَابِقِينَ بِسَبْقِهِمْ كما اتَّبَعْتَ كَفَّ نواشِرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الذي يَسْعَى ليقطع بيننا كملتَمِسِ الرُّبُوعِ في جُحْرِ أَرْقَمِ
أضلكَ قَدْعُ الآبِداَتِ طَريقَها فأصبحتَ من عَمِيائِها في تَهْيِمْ⁵
وخانتك عند الجري ، لما اتَّبَعْتَهَا ، تَمِمْ فحاولتَ العُلا بالتَّعْحُمِ⁶
فأصبحتَ ترميني بِسَهْمِي وتَتَّقِي يَدِي بيدي ، أُصْلِيتَ نارَكَ فاضْرَمِ

[ابن قنبر يواصل هجاءه]

قال : ثم هجاء ابن قنبر بقصيدة أولها :

[من الخفيف]

- 1 ل : ليعرض به .
- 2 ل : فقال يهجو من .
- 3 ديوانه : 339 .
- 4 لا تغير وُدَّها في الديوان : لا يُغَادِرُ وُدَّها .
- 5 الديوان : أضلك قرع الآبِداَتِ . والقَدْعُ : المجاوزة . والتهيم : الحمل على الهيام .
- 6 ل : لما ابتغيتها . . . فحاولت الغنى .

قُلْ لِعَبْدِ النَّضِيرِ مُسْلِمِ الْوَغْدِ الدَّيْنِيُّ اللَّيْمِ شَيْخِ النَّصَابِ¹
 احْسَ يَا كَلْبُ إِذْ نَبَحْتَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَجِيبُ نَبْحَ الْكِلابِ
 أَفَارِضِي وَمَنْصِبِي مَنْصَبُ الْعِزِّ وَيَتَّبِعِي فِي ذُرْوَةِ الْأَحْسَابِ
 أَنِ احْطِ الرَّفِيعَ مِنْ سَمَكِ بَيْتِي بِمُهَاجَاةِ أَوْشَبِ الْأَوْشَابِ
 مَنْ إِذَا سِيلَ : مَنْ أَبُوهُ ؟ بَدَا مِنْهُ هَ حَيَاةٍ يَحْمِيهِ رَجْعُ الْجَوَابِ
 وَإِذَا قِيلَ حِينَ يُقْبَلُ : مَنْ أَنْتَ سَ وَمَنْ تَعْتَزِيهِ فِي الْأَنْسَابِ ؟
 قُلْتَ : هَاجِي ابْنَ قَنْبَرٍ ، فَتَسْرِبُ سَ بَذَكْرِي فَخَرًّا لَدَى النَّسَابِ

وهي قصيدة طويلة ، فلم يُجِبْه مُسلم عنها بشيء ، فقال فيه ابن قنبر أيضاً : [من الخفيف]

لَسْتُ أَنْفِيكَ إِنْ سِوَايَ تَفَاكَ عَنْ أُبَيْكَ الَّذِي لَهُ مُتَمَّاكَ
 وَلِمَاذَا أَنْفِيكَ يَا ابْنَ وَلِيدِ مِنْ أَبٍ إِنْ ذَكَرْتَهُ أَخْزَاكَ
 وَلَوْ أَنِّي طَلَبْتُ الْأُمَّ مِنْهُ لَمْ أَجِدْهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ ذَاكَ
 لَوْ سِوَاهُ أَبَاكَ كَانَ جَعَلَنَا إِنْ النَّاسُ طَاوَعُونَا أَبَاكَ
 حَاكٍ دَهْرًا بَغَيْرِ حِذْقٍ لِبُرْدِ وَتَحَوُّكَ الْأَشْعَارِ أَنْتَ كَذَاكَ²

وهي طويلة ، فلم يُجِبْه مسلم عنها بشيء ، فقال ابن قنبر أيضاً يهجوهُ : [من الخفيف]

فَخَرَّ الْعَبْدُ عَبْدُ قَيْنِ الْيَهُودِ بَضْعِيْفٍ مِنْ فَخْرِهِ مَرْدُودِ³
 فَاخْرَ الْغُرِّ مِنْ قَرِيْشٍ بِإِخْوَا نَ خَنَازِيرٍ يَشْرَبُ وَالْقُرُودِ
 يَتَوَلَّى بَنِي النَّضِيرِ وَيَدْعُو بِهِمُ الْفَخْرَ مِنْ مَكَانِ بَعِيدِ
 وَبَنِي الْأَوْسِ وَالْخَزَارِجِ أَهْلَ الدُّ لَ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ التَّلِيدِ
 إِذْ رَضُوا بِإِفْتِضَاضِ فِطْيُونٍ مِنْهُمْ كُلِّ بَكْرٍ رِيًّا الرُّوَادِفِ رُودِ
 وَبَنُو عَمَّهَا شُهُودٌ لَمَّا يَفُ حَلِ فِطْيُونُ قُبْحُوا مِنْ شُهُودِ
 خَلَفَ بَابَ الْفِطْيُونِ وَالْبَغْلِ مِنْهُمْ لَا بِذِي غَيْرَةٍ وَلَا بِنَجِيدِ
 فَإِذَا مَا قَضَى الْيَهُودِيُّ مِنْهَا نَحْبَهُ قَنَعُوا بِخِزْيٍ جَدِيدِ⁴

1 شيخ في ل : سنخ .

2 لبرد في ل : بحوك .

3 ل : علج اليهود .

4 نحبه في ل : وطراً .

قال : فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدة قصائد قالها ، ومسلم ممسك عنه لا يجيبه ، مشى إليه قوم من مشيخة الأنصار ، واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوي العلم والفضل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالوا له : ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك ؟ أنت بدأت الرجل فأجابك ، ثم عدت فكف ، وتجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسول الله ﷺ يحميها ويدب عنها ويصونها ، لغير حال أحلت لك ذلك منهم ، فما زالوا يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم ، فانقطعت .

صوت

[من البسيط]

ثلاثة تشرق الدنيا بيهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
يحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر
الشعر لمحمد بن وهيب ، والغناء لعلويه ثقل أول بالوسطى ، وفيه لإبراهيم بن المهدي
ثقل أول آخر عن الهشامي .

[399] - أخبار محمد بن وهيب¹

محمد بن وهيب الحميري صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية ، وأصله من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ، ويصف إبطانه إياها ومنشأها بها .
[يتكسب بالمدح]

وكان يستمنح الناس بشعره ، ويتكسب بالمدح ، ثم توسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ومدحه ، فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأُسنى جائزته ، ثم لم يزل مُنْقَطِعاً إليه حتى مات . وكان يتشيع ، وله مراثٍ في أهل البيت .

وهو متوسط من شعراء طبقة ، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة ، وأشياء متكلفة .
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : زعم أبو مُحَلِّم ، وأخبرني عمي ، عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، عن أبي مُحَلِّم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم : مَنْ كان منكم يُحسِن أن يقول مثل قول النعمري في الرشيد² :

خَلِيفَةَ اللَّهِ إِنَّ الْجُودَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْمَعُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مُعْتَصِماً فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَتَفَعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْقَطْرُ لَمْ تُخْلِفْ مَخَايِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيُتَسَّعُ
فَلِيَدْخُلْ وَإِلَّا فَلْيَنْصَرَفْ ، فقام محمد بن وهيب فقال : فينا مَنْ يقول مثله ، قال : وأي شيء قلت ؟ فقال :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذَّكْرُ
فَأمر بإدخاله وأحسن جائزته .

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن محمد بن

1 ترجمة محمد بن وهيب في معجم المرزباني : 357-358 وطبقات ابن المعتز : 310-313 ومعاهد التنصيص
1 : 220-230 والوافي 5 : 175 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان منصور النعمري : 95 .

مروان بن موسى قال : حدثني محمد بن وهيب الشاعر قال¹ : لما تولّى الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك الجبل قلتُ فيه شعراً وأنشدته أصحابنا دُعيل بن عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمام الطائيّ ، فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تُلقى بها الملوك ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صيرتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي :

أَجَارَتَنَا إِنَّ التَّعَفَّفَ بِالْيَاسِ وَصَبْرًا عَلَى اسْتِزْذَارِ دُنْيَا بِأَيْسَاسِ
خَرِيْبَانِ أَلَّا يَقْذِفَا بِمَذَلَّةٍ كَرِيْمًا وَأَلَّا يُحَوِّجَاهُ إِلَى النَّاسِ
أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلما دخلتُ إليه لم أنصرف إلّا بِمُحْمَلَانِ أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ . فقال لي : يا محمد إنَّ الشتاء عندنا عِلْجٌ² فأعدّ يوماً للوداع . فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إليّ ، فلما كاد الشتاء أن يشتدَّ قال لي : هذا أو أن³ الوداع ، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كلّهُ ، فلما أنشدته :

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ
قال : صدقت ، ثم قال : عُذُّوا أبيات القصيدة فأعطوه لكلّ بيت ألفَ درهم ، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لي باثنين وسبعين ألفَ درهم ، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي :

صوت

دِمَاءُ الْمُحِبِّينَ لَا تُعْقَلُ أَمَا فِي الْهَوَى حَكْمٌ يَعْدِلُ !
تَعْبُدُنِي حَوْرُ الْغَانِيَاتِ وَدَانِ الشَّبَابُ لَهُ الْأَخْطَلُ⁴
وَنَظْرَةُ عَيْنٍ تَعْلَلْتُهَا غِرَاراً كَمَا يَنْظُرُ الْأَحْوَلُ
مُقَسِّمَةٌ بَيْنَ وَجْهِ الْحَبِيبِ وَطَرَفِ الرَّقِيبِ مَتَى يَفْعَلُ

في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من لحظة ، فذكر أنّه يراه للمسدود ولم يُحقّق صانعه . قال الأصمّهانيّ : هذه الأبيات من قصيدة له في المطّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ . قال

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 220-221 .

2 عِلْج : شديد .

3 ل : يوم .

4 معاهد : الأخطل .

محمد بن وهيب : وأهدي إلى الحسن بن رجاء غلاماً فأعجب به فكتبته إليه : [من مخلع البسيط]
 ليهنك الزائر الجديد جرى به الطائر السعيد
 جاء مشوق إلى مشوق فذا ودود وذا ودود
 يوم نعيم ويوم هوى خصصت فيه بما تريد
 ألف مشوق أتاه ألف فمستفاد ومستفيد

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار بهذا الحديث ، عن يعقوب بن إسرائيل قرقرة ، عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى ، عن محمد بن وهيب ، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه ، فلم يزل يستعيدني :

أجارتنا إن القيداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس
 وأنا أعيده عليه ، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أوئل .

[أبو دلف يعجب بشعره]

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال : حدثني أبو هيفان قال : حدثني خالي قال : كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى ، فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال له أخوه معقل : يا أخي ، قد فعلت بهذا ما لم يستحقه ، ما هو في بيت من الشرف ، ولا في كمال من الأدب ، ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخي ، إنه لحقيق بذلك . أو لا يستحقه وهو القائل ¹ :

صوت

يَدُلُّ على أنني عاشق من الدمع مُستشهد ناطق
 ولي مالك أنا عبد له مُقرُّ بأنِّي له واميق
 إذا ما سموت إلى وصله تعرض لي دونه عائق
 وحارني فيه ربُّ الزمان كأنَّ الزمان له عاشق

في هذه الأبيات رمل طنُبوريّ أظنه لجحظة .

[تهنئة المطلب الخزاعي بالحج]

حدثني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : لما قدِمَ المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقاه ، ودخل إليه مهتماً بالسلامة بعد استقراره ، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة

طويلة مدحه بها ، يقول فيها¹ :

[من الطويل]

وأظهرُ إشفاقاً عليك وأُكْمُ²
وَأَنَّ النَّدى فِي حَيْثَ أَنْتَ مُحَيِّمٌ³
وَحُمٌّ لِقَاءِ بالسُّعُودِ وَمَقْدَمٌ
وَلِيْلِي مَمْدُودُ الرِّوَاقِينَ أَدهمُ⁴
وَلَا عَيْشَ حَتَّى يَسْتَهْلِلَ الْحَرَمُ
بِمُطْلَبٍ لَوْ أَنَّه يَتَكَلَّمُ
عَلَى أَنَّهَا وَالْبَاسُ خِذْنَانِ تَوَامُ
خُرَازِيَّةٌ كَانَتْ تُجَلُّ وَتُعْظَمُ⁵
خُرَازِعَةٌ إِذْ خَلَّتْ لَهَا الْبَيْتَ جُرْهُمُ
وَحَيْفُ مَيْسَى وَالْمَازِمَانِ وَزَمَزَمُ⁶
تَنَافَسُ فِي أَقْسَامِهِ لَوْ تُحَكِّمُ⁷
إِذَا كُنْتَ جَسَماً بَيْنَهُنَّ تُقَسِّمُ
نَمَا بِكَ مِنْهُ الْجَوْهَرُ الْمُتَقَدِّمُ⁸
وَقَدْ جِئْتَهُ خَيْلٌ عَلَيْكَ مُسَلِّمُ

وَمَا زِلْتُ أُسْتَرْعِي لَكَ اللَّهُ غَائِباً
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَوْدَ مَا غَيْبَ غَائِبٌ
إِلَى أَنْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ سَعْدًا سَوَانِحاً
وَوَظَلٌّ يُنَاجِيَنِي بِمَذْحِكِ خَاطِرِي
وَقَالُوا : طَوَاهِ الْحُجُّ فَاخْشَعْ لَفَقْدِهِ
سَيْفِخَرٍ مَا ضَمَّ الْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ
وَمَا خُلِقْتُ إِلَّا مِنْ الْجَوْدِ كَفَّهُ
أَعْدَتُ إِلَى أَكْنَافِ مَكَّةَ بَهْجَةً
لِيَسَالِي سُمَارُ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا
وَلَوْ نَطَقَتْ بَطْحَاوَهَا وَحَجَّوْنَهَا
إِذَا لَدَعَتْ أَجْزَاءَ جَسْمِكَ كُلِّهَا
وَلَوْ رُدُّ مَخْلُوقٌ إِلَى بَدْءِ خَلْقِهِ
سَمَا بِكَ مِنْهَا كُلِّ خَيْفٍ فَأَبْطَحِ
وَحَنَّ إِلَيْكَ الرُّكْنَ حَتَّى كَأَنَّهُ

قال : فوصله صلة سنّية وأهدى له هديّة حسنة من طُرف ما قدم به وحمله ، والله أعلم .

[انقطاعه إلى الحسن بن سهل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا :
كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعفاً مطرحاً ، إنما يتصدى للعامة
وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدّهم فيحظى باليسير . فلما هدأت الأمور واستقرت

1 الشعر في التذكرة الحمدونية 4 : 181 .

2 أُسْتَرْعِي فِي ل : اسْتَدْعِي .

3 التذكرة : فِي حَيْثُ كُنْتُ .

4 التذكرة : وَظَلُّ ... خَاطِرٍ .

5 تُعْظَمُ فِي التذكرة : وَتُكْرَمُ .

6 الْمَازِمَانُ : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ .

7 ل وَالتذكرة : إِذَا لَادَعَتْ .

8 التذكرة : خَيْفٌ وَأَبْطَحُ ... تَصَالُكٌ مِنْهُ .

واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوي مودته ومن يقرب من أنسه ، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له ، فأنشده قصيدته التي أولها :

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكتوماتهن النواظر
ملككت بها طي الضمير وتحتة شبا لوعة غضب الغرارين باتر
فأعجم عنها ناطق وهو مغرب وأعربت العجم الجفون العواطر
ألم تغدني السراء في ريق الهوى غريراً بما تجني علي الدوائر
تسلمني الأيام في غفوانه ويكلوني طرف من الدهر ناظر
حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسن الباني العلا يمت بنا عوالي المنى حيث الحيا المتظاهر
إلى الأمل المبسوط والأجل الذي بأعدائه تكبو الجدود العوائر
ومن أنبت عين الكارم كفه يقوم مقام القطر والروض دائر
تعصب تاج الملك في غفوانه وأطت به عصر الشباب المناير¹
تُعظمه الأوهام قبل عيانه ويصدر عنه الطرف والطرف حاسر
به تجتدي النعمى وتستدرك المنى وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أصابت بنا داعي نوالك مؤذناً بجودك إلا أنه لا يحاور²
قسمت صروف الدهر بأساً وناثلاً فمالك متور وسيفك واتر
ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركاناً عليها مُحيطَةٌ فأنت لها دون الحوادث سائر
وأرعن فيه للسوايق جنة وسقف سماء أنشاته الخوافر³

يعني أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها .

لها فلک فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مستطير وثائر

1 أطت : صوتت .

2 أصابت بنا في ل : أهاب بنا . . .

3 أرعن : جيش مضطرب لكثرتة .

أَجَزْتَ قَضَاءَ الْمَوْتِ فِي مُهَجِّ الْعِدَا ضُحَى فَاَسْتَبَاحَتْهَا الْمَنَايَا الْغَوَادِرُ¹
 لَكَ اللَّحْظَاتُ الْكَائِلَاتُ قَوَاصِدًا بُعْمَى وَبِالْبَأْسَاءِ وَهِيَ شَوَازِرُ²
 وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِنَفْسِكَ فَآخِرًا لِمَا انْتَسَبْتَ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَفَاخِرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريه إلى الأرض وقال : أحسنت والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا تقول في باقي دهرِكَ غير هذا كما احتججت إلى القول ؛ وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في جنبته أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره .

[هجا علي بن هشام]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثني ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الحميري الشاعر قد مدح علي بن هشام وتردد إليه وإلى بابه دفعات ، فحجبه . ولقيه يوماً ، فعرض له في طريقه وسلم عليه ، فلم يرفع إليه طرفه ، وكان فيه تية شديدة . فكتب إليه رقة يعاتبه فيها ، فلما وصلت إليه خرَّقها وقال : أي شيء يريد هذا الثقيل السيء الأدب ؟ فقل له ذلك فانصرف مُغَضَّباً ، وقال : والله ما أردت ماله ، وإنما أردت التوسل بجاهه وسيغني الله جل وعز عنه ، أما والله لئذمن مغبة فعله . وقال يهجو³ : [من البسيط]

أَزَرْتُ بِجُودِ عَلِيٍّ خِيْفَةَ الْعَدَمِ فَصَدَّ مُنْهَزِمًا عَنْ شَأْوِ ذِي الْهِمَمِ⁴
 لَوْ كَانَ مِنْ فَارِسٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ أَوْ كَانَ أَوَّلَهُ أَهْلُ الْبِطَاحِ أَوْ الرَّ
 أَيَّامَ تَتَّخِذُ الْأَصْنَامُ آلِهَةً كَبُ الْمَلْبُونِ إِهْلَالًا إِلَى الْحَرَمِ
 لَشَجَّعْتُهُ عَلَى فِعْلِ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَلَا تَرَى عَاكِفًا إِلَّا عَلَى صَنْمِ
 لَمْ تَنْدَ كَفَّاكَ مِنْ بَذْلِ النُّوَالِ كَمَا طَبَائِعُ لَمْ تَرَعُهَا خِيْفَةَ الْعَدَمِ
 كُنْتُ امْرَأً رَفَعْتُهُ فِتْنَةً فَعَلَا لَمْ يَنْدَ سَيْفُكَ مُذْ قُلْدَتَهُ بِدَمِ
 حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ عَنَّا عِمَائَتُهَا أَيَّامُهَا غَادِرًا بِالْعَهْدِ وَالذَّمِّ
 وَرُتِبَ النَّاسُ بِالْأَحْسَابِ وَالْقِدَمِ⁶

1 ضحى في ل : به .

2 شرزه : نظر إليه بمؤخرة عينه (في حال الاعراض أو الغضب) .

3 الخبر والشعر في معاهد التنصيص .

4 معاهد : أزرته عليه الجود .

5 معاهد : الأملاك والعجم .

6 عمايتها في ل : غياتها .

مات التَّخَلُّقُ وارتدَّتْكَ مُرْتَجِعاً طَبِيعَةً نَذَلَةَ الْأَحْلَاقِ وَالشَّيْءِ
كَذَلِكَ مَنْ كَانَ لَا رَأْساً وَلَا ذَنْباً كَرَّ الْيَدَيْنِ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالنَّعْمِ
هِيَاهُ لَا يَسْ بِحَمَالِ الدِّيَاتِ وَلَا مُعْطِي الْجَزِيلِ وَلَا الْمَرْهُوبِ ذِي النِّقَمِ

قال : فحدثني بعض بني هاشم أنَّ هذه الأبيات لما بلغت عليَّ بنَ هشام ندم على ما كان منه ؛ وجَزِع لها وقال : لعن الله اللجاج فإنه شرُّ خلقي تخلَّقه الناس ، ثم أقبل علي أخيه الخليل بن هشام فقال : الله يعلم أنَّي لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلَّا وأنا مُسْتَحَمٌّ منه ، أذكر قول ابنِ وهيب في :

لَمْ تَنْدَ كَفَّاكَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ كَمَا لَمْ يَنْدَ سَيْفُكَ مَذَّ قُلْدَتَهُ بِدَمٍ
حدثني محمد بن يحيى الصُّوليَّ قال : حدثني ميمون بن هارون قال : حدثني مَنْ سَمِعَ
ابنَ الأعرابيَّ يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بنِ وهيب : [من البسيط]
لَمْ تَنْدَ كَفَّاكَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ كَمَا لَمْ يَنْدَ سَيْفُكَ مَذَّ قُلْدَتَهُ بِدَمٍ
[أعرابية تسكه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني محمد بن مرزوق البصريَّ قال : حدثني
محمد بن وهيب قال¹ : جلستُ بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشتريت من
العطار خلوقاً ، فقلت له : تجدها اشتريته لابنتها وما ابتئها إلَّا خُنُفُساءَ ، فالتفت إليَّ
مُتَضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهابةً جيدها ، إن قامت فقنأة ، وإن قعدت فحصة ،
وإن مشيت فقطاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كَفْتِيَا تَكُمُ اللواتي تسمنونهنَّ
بِالْفَتَوَاتِ ، ثم انصرفت وهي تقول :
إِنَّ الْفَتَوَاتَ لِلْفَتَاةِ مَضْرُطَّةَ يَكْرُبُهَا فِي الْبَطْنِ حَتَّى تَتَلَطَّهَ²
فَلَا أَعْلَمُنِي ذَكَرْتُهَا إِلَّا أَضْحَكُنِي ذِكْرُهَا .

[عند يزيد بن هارون]

حدثني عيسى بن الحسين الورَّاق قال : حدثنا أبو هِفَّان قال : كان محمد بنُ وهيب يتردَّد إلى
مجلس يزيد بن هارون ، فلزمه عدَّة مجالس يُملِّي فيها كلَّها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم ، لا يذكر شيئاً من فضائل عليٍّ عليه السلام ، فقال فيه ابنُ وهيب : [من البسيط]
آتِي يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ أَدَالِجُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمَالِي وَإِنِ هَارُونَ

1 الخبر في معاهد التنصيص 1 : 229 . وفيه : تسمنونهن بالفتوت : وهو الأفاويه .

2 تطلطه : تسلكه .

فَلَيْتَ لِي يَزِيدَ حِينَ أَشْهَدُهُ راحاً وَقَصْفاً وَنَدْمَاناً يُسَلِّنِي
أَغْدُو إِلَى عُصْبَةٍ صَمَّتْ مَسَامِعُهُمْ عن الهدى بين زنديق ومافون
لَا يَذْكُرُونَ عَلَيّاً فِي مَشَاهِدِهِمْ وَلَا بَيْنَهُ بَنِي الْبَيْضِ الْمَيَامِينِ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أُحِبُّهُمْ كَمَا هُمْ يَبْقَيْنِ لَا يُحِبُّونِي
وَيَسْتَطِيعُونَ عَنْ ذِكْرِي أَبَا حَسَنٍ وَفَضْلَهُ قَطَّعُونِي بِالسَّكَاكِينِ
وَلَسْتُ أَتْرُكُ تَفْضِيلِي لَهُ أَبَداً حَتَّى الْمَمَاتِ عَلَى رَغْمِ الْمَلَاعِينِ

[تشيعة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني إسحاق بن محمد الكوفي ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن يوسف . وأخبرني به الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثني إسحاق ، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال : كان محمد بن وهيب يأتي أبي فقال له يوماً : إِنَّكَ تَأْتِنَا وَقَدْ عَرَفْتَ مَذَاهِبَنَا فَنَحَبُ أَنْ تَعْرِفَنَا مَذْهَبَكَ فَنَوَافِقَكَ أَوْ نَخَالَفَكَ ، فقال له : في غد أُبَيِّنُ لَكَ أَمْرِي وَمَذْهَبِي . فلما كان من غد كتب إليه : [من معزوء الرمل]

أَيُّهَا السَّائِلُ قَدْ بَيَّنْتُ إِن كُنْتَ ذَكِيًّا
أَحْمَدُ اللَّهَ كَثِيرًا بِأَيَادِيهِ عَلَيًّا
شَاهِدًا أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا دَمْتُ حَيًّا
وَعَلَى أَحْمَدَ بِالْصَّدِّ قِ رَسُولًا وَنَبِيًّا
وَمَنْحَتُ الْوَدَّ قُرْبًا هُوَ وَوَالِيَتُ الْوَصِيًّا
وَأَتَانِي خَبَرٌ مُطَرِّحٌ لَمْ يَكُ شَيْئًا
أَنْ عَلَى غَيْرِ اجْتِمَاعٍ عَقَدُوا الْأَمْرَ بَدِيًّا
فَوَقَفْتُ الْقَوْمَ تَيْمًا وَعَدِيًّا وَأُمِّيًّا
غَيْرَ شَتَامٍ وَلَكِنِّي تَوَلَّيْتُ عَلَيًّا

[اعتزازه بشعره]

حدثني جَحْظَةُ قال : حدثني علي بن يحيى الْمُتَنَجِّمُ قال : بلغ محمد بن وهيب أن دُعِبَ بن علي قال : أَنَا ابْنُ قَوْلِي¹ :

[من الكامل]

لَا تَعْجَبْنِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وَأَنَّ أَبَا تَمَّامٍ قَالَ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي :

[من الكامل]

نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ¹

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ : وَأَنَا ابْنُ قَوْلِي :

[من المديد]

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ

أَنْ يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا

لَكَ أَنْ تُبَدِيَ لَنَا حَسَنًا

وَلَنَا أَنْ نُعْمِلَ الْحَدَقَا

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ : وَهَذَا مِنْ جَيْدِ شَعْرِهِ وَنَادِرِهِ ، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ

قَوْلُهُ :

[من المديد]

نَمْ فَقَدْ وَكَّلْتَ بِي الْأَرْقَا

لَاهِيًا تُغْرِي بِمَنْ عَشِقَا

إِنَّمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَسَدِي

شَبَحًا غَيْرَ الَّذِي خُلِقَا

كَنتُ كَالنُّقْصَانِ فِي قَمَرٍ

مَاحِقًا مِنْهُ الَّذِي اتَّسَقَا

وَفَتْنِي نَادَاكَ مِنْ كَتَبٍ

أُسْعِرْتَ أَحْشَاؤُهُ حُرَقَا

غَرَقْتَ فِي الدَّمْعِ مُقْلَتُهُ

فَدَعَا إِنْسَانُهَا الْفَرَقَا

إِنَّمَا عَاقَبْتَ نَاطِرَهُ

أَنْ أَعَادَ اللَّحْظَ مُسْتَرْقَا²

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ

أَنْ يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا

لَكَ أَنْ تُبَدِيَ لَنَا حُسْنًا

وَلَنَا أَنْ نُعْمِلَ الْحَدَقَا

فَدَحَّتْ كَفَّاكَ زَنْدًا هَوَى

فِي سَوَادِ الْقَلْبِ فَاحْتَرَقَا

[بستوهب غلاماً]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ³ : دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ عَلَى

أَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ يَوْمًا وَقَدْ مَدَحَهُ ، فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ غُلَمَانًا رُوقَةً مُرْدًا وَخَدَمًا بَيْضًا قُرْهًا فِي نَهَايَةِ

الْحَسَنِ وَالْكَمَالِ وَالنِّظَافَةِ . فَدَهِشَ لِمَا رَأَى وَبَقِيَ مُتَبَلِّدًا لَا يَنْطِقُ حَرْفًا ، فَضَحِكَ أَحْمَدُ مِنْهُ

وَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ وَيْحَكَ ! تَكَلِّمْ بِمَا تَرِيدُ ، فَقَالَ :

[من الكامل]

قَدْ كَانَتْ الْأَصْنَامُ وَهِيَ قَدِيمَةٌ

كُسِرَتْ وَجَدَّعَهُنَّ إِبْرَاهِيمُ

وَلَدُنْكَ أَصْنَامٌ سَلِمْنَ مِنَ الْأَذَى

وَصَفَّتْ لَهُنَّ غَضَارَةٌ وَنَعِيمُ

وَبِنَا إِلَى صَنْمٍ نَلُودُ بِرُكْنِهِ

فَقُرْ وَأَنْتِ إِذَا هُزِزْتَ كَرِيمُ

1 نقل في ل : قَلْب .

2 اللحظ في ل : الطرف .

3 الخير والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 228 .

فقال له : اخترَ مَنْ شئت ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إياه ، فقال يمدحه : [من الكامل]

فَضَّلْتَ مَكَارِمَهُ عَلَى الْأَقْوَامِ وَعَلَا فَحَازَ مَكَارِمَ الْأَيَّامِ
وَعَلَّتْهُ أَبْهَةٌ الْجَلَالِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ بَدَا لَكَ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
إِنَّ الْأَمِيرَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامِ

[اتصاله بالمأمون]

وأخبرني جعفر بن قدامة في خبره الذي ذكرته آنفاً عنه ، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال¹ : لما قديم المأمون ، لقيه أبو محمد الحسن بن سهل ، فذخلاً جميعاً ، فعارضهما ابن وهيب وقال :

[من البسيط]

الْيَوْمَ جُدَّدَتِ التَّعْمَاءُ وَالْمِنَى فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَلَّ الْعُقْدَةَ الزَّمَنُ
الْيَوْمَ أَظْهَرَتِ الدُّنْيَا مُحَاسِنَهَا لِلنَّاسِ لَمَّا اتَّقَى الْمَأْمُونُ وَالْحَسَنُ

قال : فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حميم ، شاعر مطبوع ، اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نظرائه . فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه ، وأذن له في الإنشاد ، أنشده قوله :

[من الكامل]

طَلَلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ ذَرَأٌ فَلَا عِلْمَ وَلَا نَضْدُ
لَبِسا الْبِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأُحْبَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُ
حَيِّتُمَا طَلَلَيْنِ حَالَهُمَا بَعْدَ الْأُحْبَةِ غَيْرُ مَا عَهْدُوا
إِمَّا طَوَاكَ سَلُوْ غَانِيَةً فَهَوَاكَ لَا مَلْلَ وَلَا فَنَدُ
إِنْ كُنْتَ صَادِقَةَ الْهَوَى فَرِدِي فِي الْحُبِّ مَنْهَلِي الَّذِي أَرِدُ
أَدْمِي هَرَفَتِ وَأَنْتِ آمِنَةٌ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ ؟
إِنْ كُنْتَ فُتٌّ وَخَانَنِي سَبَبُ فَلَرُبَّمَا لَمْ يَحْظَ مُجْتَهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون :

يَا خَيْرَ مُتَسَبِّبٍ لِمَكْرَمَةٍ فِي الْمَجْدِ حَيْثُ تَبَجَّحَ الْعَدَدُ²
فِي كُلِّ أُنْمَلَةٍ لِرَاحِيهِ نَوْءٌ يَسُحُّ وَعَارِضٌ حَشِيدُ

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 224-225 .

2 تبجح في معاهد التنصيص : تبجح .

وَإِذَا الْفَنَاءُ رَعَفَتْ أَسِنَّتَهُ
عَلَقًا وَصُمُّ كَعُوبِهَا قِصْدُ¹
فَكَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ قَمَرٌ
وَكَانَتْهُ رُوحٌ تُدْبِرُنَا حَرَكَاتُهُ وَكَانُنَا جَسَدُ
فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَأْمُونُ وَقَالَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ : احْكُمْ لَهُ . فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْحُكْمِ ،
وَلَكِنْ إِنْ أُذِنَ لِي فِي الْمَسْأَلَةِ سَأَلْتُ لَهُ ، فَأَمَّا الْحُكْمُ فَلَا . فَقَالَ : سَلْ ، فَقَالَ : يُلْحَقُهُ بِجَوَائِزِ
مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ . فَقَالَ : ذَلِكَ وَاللَّهِ أَرَدْتُ . وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَدَّ أَبْيَاتُ قَصِيدَتِهِ وَيُعْطَى لِكُلِّ
بَيْتٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ ، فَعُدَّتْ فَكَانَتْ خَمْسِينَ ، فَأُعْطِيَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ : وَلَهُ فِي الْمَأْمُونِ وَالْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ خَاصَّةٌ مَدَائِحُ شَرِيفَةٌ نَادِرَةٌ ، مِنْ عَيُونِهَا
قَوْلُهُ فِي الْمَأْمُونِ فِي قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

الْعُذْرُ إِنْ أَنْصَفَتْ مُتَضَخٌ	وشهودُ جُبِّكَ أَدْمَعُ سُفْحُ
فَضَحَتْ ضَمِيرُكَ عَنْ وَدَائِعِهِ	إِنَّ الْجُفُونَ نَوَاطِقُ فُضْحُ
وَإِذَا تَكَلَّمْتَ الْعُيُونُ عَلَى	إِعْجَامِهَا فَالَسَّرَ مُفْتَضَحُ
رُبَّمَا أَبَيْتُ مُعَانِقِي قَمَرٌ	لِلْحُسْنِ فِيهِ مَخَايِلُ تَضِخُ
نَشَرَ الْجَمَالَ عَلَى مَحَاسِينِهِ	بِدَعَاً وَأَذْهَبَ هَمَّهُ الْفَرَحُ
يَخْتَالُ فِي حُلْلِ الشُّبَابِ بِهِ	مَرَحٌ وَذَاوُكَ أَنَّهُ مَرَحُ
مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفُهُ	وَيُعَلِّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ	وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتَهُ	وَجَهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

يقول فيها :

نَشَرْتَ بِكَ الدُّنْيَا مُحَاسِنَهَا	وَتَزَيَّنْتَ بِصِفَاتِكَ الْمَدْحُ
وَكَانَ مَا قَدْ غَابَ عَنْكَ لَهُ	بِإِزَاءِ طَرْفِكَ عَارِضاً شَبَحُ
وَإِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ حَادِثَةٍ	جَلَلٌ فَلَا بُؤْسٌ وَلَا تَرَحُ ²

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلُنَا : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ وَهَيْبٍ قَصَدَ
الْمُطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيَّ ، عَمَّ أَبِي ، وَقَدْ وَلِيَ الْمَوْصِلَ وَكَانَ لَهُ صَدِيقاً حَفِيّاً ،
وَكَانَ كَثِيرَ الرُّفْدِ لَهُ وَالثَّوَابِ عَلَى مَدَائِحِهِ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :

[من المتقارب]

1 معاهد : أَسْتَهَا . وَصَمَّ الْكَعُوبُ : صَلَبَةُ مَتِينَةٍ . وَقَصَدَ : قَطَعَ مِمَّا يَكْسِرُ .

2 جَلَلٌ : هَيْئَةٌ مُحَقَّرَةٌ .

صوت

دِمَاءُ الْمُحِبِّينَ لَا تُعْقَلُ أَمَا فِي الْهَوَى حَكَمٌ يَعْدِلُ
 تَعَبَّدَنِي حَوْرُ الْغَانِيَاتِ وَدَانَ الشَّبَابُ لَهُ الْأَخْطَلُ
 وَنَظْرَةُ عَيْنٍ تَلَا فَيْتُهَا غِرَاراً كَمَا يَنْظُرُ الْأَحُولُ
 مُقْسَمَةٌ بَيْنَ وَجْهِ الْحَيِّيبِ وَطَرْفِ الرَّقِيبِ مَتَى يَغْفُلُ
 أَذُمُّ عَلَى غُرَبَاتِ النَّوَى إِلَيْكَ السُّلُوْ وَلَا أَذْهَلُ¹
 وَقَالُوا عَزَاؤُكَ بَعْدَ الْفِرَاقِ إِذَا حُمَّ مَكْرُوهُهُ أَجْمَلُ
 أَقِيدِي دَمًا سَفَكَتَهُ الْعَيُونُ بِإِيْمَاضٍ كَحَلَاءٍ لَا تُكْحَلُ
 فَكُلُّ سِيَهَامِكَ لِي مُقْصِدٌ وَكُلُّ مَوَاقِعِهَا مَقْتَلُ²
 سَلَامٌ عَلَى الْمَنْزِلِ الْمُسْتَحِيلِ وَإِنْ ضَنَّ بِالْمَنْطِقِ الْمَنْزِلُ
 وَعَضْبُ الضَّرْبِيَّةِ يَلْقَى الْخُطُوبِ بِجِدٍّ عَنِ الدَّهْرِ لَا يَنْكِلُ
 تَغْلُغَلْ شَرْقاً إِلَى مَغْرِبٍ فَلَمَّا تَبَدَّتْ لَهُ الْمَوْصِلُ
 ثَوَى حَيْثُ لَا يُسْتَمَالُ الْأَرِيبُ وَلَا يُؤْلَفُ اللَّقْنُ الْحَوْلُ
 لَدَى مَلِكٍ قَابِلَتَهُ السُّعُودُ وَجَانِبَهُ الْأَنْجُمُ الْأَفْلُ
 لِأَيَّامِهِ سَطَوَاتُ الزَّمَانِ وَإِنْعَامُهُ حِينَ لَا مَوْئِلُ
 سَمَا مَالِكٌ بِكَ لِلْبَاهِرَاتِ وَأَوْحَدَكَ الْمَرْبَا الْأَطْوَلُ
 وَلَيْسَ بَعِيداً بَأَنَّ تَحْتَذِي مَذَاهِبَ آسَادِهَا الْأَشْبَلُ

قال : فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له ، وزاد في ضيافته وجراياته وجدد له صلة . فأقام عنده بركة أخرى ، ثم دخل عليه فأنشده : [من الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَى فِيءِ الْعَقِيقِ وَظَلَّهِ إِلَى قَصْرِ أَوْسٍ فَالْحَزِيرِ مَعَادُ ؟
 وَهَلْ لِي بِأَكْنَفِ الْمُصَلَّى فَسَفَحِهِ إِلَى السُّورِ مَعْدَى نَاعِمٍ وَمُرَادُ ؟
 فَلَمْ تُنْسِنِي نَهْرَ الْأُبْلَةِ نَيْتَةً وَلَا عَرَصَاتِ الْمُرَيْدِينَ بَعَادُ
 هُنَالِكَ لَا تَبْنِي الْكُوعِبُ خِيَمَةً وَلَا تَتَهَادَى كُلُّهُمْ وَسُعَادُ

1 غربات : جمع غربة .

2 مقصد : مصيب قاتل .

أَجِدِّي لَا أَلْقَى النَّوَى مُطْمَئِنَّةٌ وَلَا يَزْدَهِينِي مَضْجَعٌ وَمِهَادٌ
فَقَالَ لَهُ : أَبَيْتَ إِلَّا الْوَطْنَ وَالنِّزَاعَ إِلَيْهِ ! ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَوْقَرَ لَهُ زَوْرَقًا مِنْ
طَرَفِ الْمَوْصِلِ وَأَذِنَ لَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوَلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَاقِطَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ
الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهَيْبٍ قَالَ : كَانَ الْمَأْمُونُ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ إِذَا كَرِهَهُ الْأَمْرُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
أَلَا رُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِأَهْلِهِ وَأَمَكْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجُ
[تَغْيِيرِ ابْنِ عَبَّادٍ عَلَيْهِ]

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ : وَهَذَا الشَّعْرُ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَهَيْبٍ يَقُولُهُ فِي ابْنِ عَبَّادٍ وَزَيْرِ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ
لَهُ صَدِيقًا ، فَلَمَّا وَلَّى الْوِزَارَةَ أَطْرَحَهُ لَانْقِطَاعِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَةٌ
أُولَاهَا :

تَكَلَّمْتُ بِالْوَحْيِ الْبَنَانُ الْمُخَضَّبُ	وَلِلَّهِ شَكْوَى مُعْجِمٍ كَيْفَ يُعْرَبُ ؟
أَيِّمَاءُ أَطْرَافِ الْبَنَانِ وَوَجْهَهَا	أَبَانَا لَهُ كَيْفَ الضَّمِيرُ الْمَغِيبُ ؟
وَقَدْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ أَنْجَبَ مَرَّةً	فَأَحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ الْمُتَعَقَّبُ
فَلَمَّا تَدَبَّرْتَ الظُّنُّونَ مُرَاقِبًا	تَقَلُّبَ حَالَيْهَا إِذَا هِيَ تَكْذِبُ
بَدَأْتَ بِإِحْسَانٍ فَلَمَّا شَكَرْتُهُ	تَنَكَّرْتَ لِي حَتَّى كَأَنِّي مُذْنِبُ
وَكُلُّ فَنَى يَلْقَى الْخُطُوبَ بِعَزْمِهِ	لَهُ مَذْهَبٌ عَمَّنْ لَهُ عَنْهُ مَذْهَبُ
وَهَلْ يَصْرَعُ الْحُبُّ الْكَرِيمَ وَقَلْبُهُ	عَلِيمٌ بِمَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
تَأَنَّنَيْتُ حَتَّى أَوْضَحَ الْعِلْمُ أَنَّي	مَعَ الدَّهْرِ يَوْمًا مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ
وَأَلْحَقْتُ أَعْمَازَ الْأُمُورِ صُدُورَهَا	وَقَوْمَهَا غَمَزُ الْقِدَاحِ الْمُقَلَّبُ
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْيَأْسَ لِلْعُرْضِ صَائِنُ	وَأَنْ سَوْفَ أَغْضِي لِلْقَدَى حِينَ أَرْغَبُ
أَغَادَرْتَنِي بَيْنَ الظُّنُّونَ مُمَيَّزًا	شَوَاكِيلَ أَمْرِ بَيْنَهُنَّ مَجْرَبُ
يُقَرِّبُنِي مَنْ كُنْتُ أَصْفِيكَ دُونَهُ	بُودِي وَتَنَأَى بِي فَلَا أَتَقَرَّبُ
فَلِلَّهِ حِظِّي مِنْكَ كَيْفَ أَضَاعَهُ	سُلُوكُ عَنِّي وَالْأُمُورُ تَقَلَّبُ
أَبْعَدَكَ أَسْتَسْقِي بِوَارِقِ مُزْنَةٍ	وَإِنْ جَادَ هَطَالٌ مِنَ الْمَزْنِ هَيْدَبُ
إِذَا مَا رَأَيْتُ الْبَرْقَ أَغْضَيْتُ دُونَهُ	وَقُلْتُ إِذَا مَا لَاحَ : ذَا الْبَرْقِ خُلْبُ
وَإِنْ سَنَحْتُ لِي فُرْصَةً لَمْ أُسَامِهَا	وَأَعْرَضْتُ عَنْهَا خَوْفَ مَا أُتْرَقَبُ

تَأَدَّبْتُ عَنْ حُسْنِ الرَّجَاءِ فَلَنْ أَرَى أَعُودُ لَهُ إِنْ الزَّمَانُ مُؤَدَّبُ
وقال له أيضاً :

هَلْ أَلَمْتُ إِلَّا كُرْبَةً تَتَفَرَّجُ لَهَا مُعَقِّبٌ تُحْدِي إِلَيْهِ وَتُزَعِّجُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا عَائِدٌ مِثْلُ سَالِفٍ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا جُدَّةٌ ثُمَّ تَنْهَجُ¹
وَكَيْفَ أَشِيمُ الْبَرْقَ وَالْبَرْقُ خُلْبٌ وَيُطِمِّعُنِي رَيْعَانُهُ الْمُتَبَلِّجُ
وَكَيْفَ أُدِيمُ الصَّبْرَ لَا بِي ضَرَاعَةٌ وَلَا الرِّزْقُ مَحْظُورٌ وَلَا أَنَا مُحَرَجٌ ؟
أَلَا رُبَّمَا كَانَ التَّصَبُّرُ ذِلَّةً وَأَدْنَى إِلَى الْحَالِ الَّتِي هِيَ أَسْمَجُ
وَهَلْ يَحْمِلُ أَلَمَ الْفَتَى وَهُوَ ضَامِنٌ سُرَى اللَّيْلِ رَحَالَ الْعَشِيَّاتِ مُدْلِجُ
وَلَا صَبْرٌ مَا أَعْدَى عَلَى الدَّهْرِ مَطْلَبٌ وَأُمَكِّنَ إِدْلَاجٌ وَأَصْحَرُ مِنْهَجُ²
أَلَا رُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِأَهْلِهِ وَأُمَكِّنَ مَنْ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجُ
وَقَدْ يُرَكَّبُ الْخَطْبُ الَّذِي هُوَ قَاتِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَيْهِ مُعَرَّجُ

[المعصم يحيره على مدح الأفشين]

حدثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال³ : كان محمد بن وهيب تياهاً شديد
الذهاب بنفسه ، فلما قدم الأفشين ، وقد قتل بابل ، مدحه بقصيدته التي أولها : [من الهزج]

طُلُولٌ وَمَغَانِيهَا تُنَاجِيهَا وَتَبْكِيهَا

يقول فيها :

بَعَثْتُ الْخَيْلَ ، وَالْخَيْرُ عَقِيْدٌ فِي نَوَاصِيهَا

وهي من جيّد شعره ، فأنشدناها ثم قال : ما لها عيبٌ سوى أنّها لا أخت لها .

قال : وأمر المعصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرّقها
على يد ابن أبي ذؤاد ، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف
درهم . قال ابن أبي كامل : فقلتُ لعلّي بن يحيى المُنْجَمُ : ألا تعجب من هذا الحظّ ؟ يُعْطَى أَبُو
تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض . فقال : لذلك
علّة لا تعرفها ؛ كان ابن وهيب مُؤَدَّبَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، فلذلك وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ .

1 الجُدَّة : الطريق . تنهج : تبتلى .

2 أصر : اتسع .

3 انظر معاهد التنصيص 1 : 226 .

[شعره في مرضه]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني أبو زكوان قال ¹ : حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال : فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال : [من الطويل]

نفوسُ المنايا بالنفوسِ تشعبُ	وكلُّ له من مذهب الموت مذهبٌ ²
نُراعُ لذكرِ الموت ساعةَ ذكرِهِ	وتعترضُ الدنيا فنلهمو ونلعبُ
وآجالنا في كلِّ يومٍ وليلةٌ	إلينا على غراتنا تتقربُ
أيقنَ أنَّ الشيبَ ينعى حياته	مُدرُّ لأخلافِ الخطيئةِ مُذنبٌ ³
يقينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمرِهِ	عليه وعرفانٌ إلى الجهلِ يُنسبُ
وقد ذمَّتِ الدنيا إليَّ نعيمها	وخاطبني إعجامها وهو مُعربُ
ولكنني منها خلقتُ لغيرها	وما كنتُ منه فهو عندي مُحَبَّبُ

[رَدّه على أبي فنن والكندي]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدثني أحمد بن أبي كامل قال ⁴ : كنّا في مجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن ، فتذاكرنا شعرَ محمد بن وهيب فطعنَ عليه ابنُ أبي فنن وقال : هو متكلّف حَسودٌ ، إذا أنشد شعرًا لنفسه قرّظَه ووصفه في نصفِ يومٍ ، وشكا أنّه مَظْلومٌ مَنحوس الحَظُّ ، وأنّه لا تُقَصَّرُ به عن مراتبِ القُدماءِ حالٌ ؛ فإذا أنشد شعرَ غيره حَسَدَه ، وإن كان على نبيذٍ عَرَبِدَ عليه ، وإن كان صاحِباً عاداه واعتَقَدَ فيه كلَّ مَكروه . فقلتُ له : كلا كما لي صديق ، وما أمتنع من وصفِكُما جميعاً بالتَقَدُّمِ وحسن الشعرِ ، فأخبرني عَمَّا أسألك عنه إخبارَ مُنصفٍ ، أو يُعَدُّ متكلِّفاً من يقول : [من الطويل]

أبي لي إغضاء الجفونِ على القذى	يَقِينِي أَنْ لَا عُسْرَ إِلَّا مُفْرَجُ
ألا رُبَّما ضاقَ الفضاءُ بأهلِهِ	وَأَمَكْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَسِنَّةِ مَخْرَجُ ؟

أو يُعَدُّ متكلِّفاً من يقول : [من الطويل]

رأتُ وضحاً من مَفْرِقِ الرَّأسِ راعها	شَرِيحِينَ مُبَيَّضٌ بِهِ وَبَهِيمٌ ⁵
---------------------------------------	--

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 229-230 .

2 معاهد : بالنفوس . . . تشعبت .

3 معاهد : وهو لأخلاق الخطيئة . . .

4 انظر معاهد التنصيص 1 : 226-228 .

5 معاهد : رأت واضحاً .

فَأَمْسَكَ ابْنُ أَبِي فَنَنْ ، وَاذْفَعَ الْكِنْدِيَّ فَقَالَ : كَانَ ابْنُ وَهَيْبٍ ثَنَوِيًّا . فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ
عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ أَكَلِمَكَ عَلَى مَذْهَبِ الثَّنَوِيَّةِ قَطَّ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي اسْتَدَلْتُ مِنْ شَعْرِهِ عَلَى
مَذْهَبِهِ ، فَقُلْتُ : حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا ؟ فَقَالَ : حَيْثُ يَقُولُ ¹ :

طَلَلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ

وَحَيْثُ يَقُولُ :

تَفْتَرُّ عَنْ سِمْطَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ فِي شَعْرِهِ مِنْ ذِكْرِ الْاِثْنَيْنِ .

فَشَغَلَنِي وَاللَّهُ الصَّحْحُ عَنْ جَوَابِهِ . وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا يُوسُفَ ، مِثْلُكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ
فِيمَا لَمْ يَنْقُذْ فِيهِ عِلْمُهُ .

[يَسْتَنْجِزُ حَاجَةَ مِنْ ابْنِ الزِّيَّاتِ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ حَاجَةً فَأَبْطَأَ فِيهَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ لَهُ :

طُبِعَ الْكَرِيمُ عَلَى وَفَائِهِ وَعَلَى التَّفَضُّلِ فِي إِخَائِهِ
تُغْنِي عِنَايَتُهُ الصَّدِيقَ عَنِ التَّعَرُّضِ لَاقْتِضَائِهِ
حَسَبُ الْكَرِيمِ حَيَاوُهُ فَكِلَ الْكَرِيمِ إِلَى حَيَائِهِ

فَقَالَ لَهُ : حَسْبُكَ فَقَدْ بَلَغْتَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ ، وَالْحَاجَةُ تَسْبِقُكَ إِلَى مَنَزَلِكَ . وَوَفَى لَهُ
بَذَلِكَ .

صوت

[مِنْ الطَّوِيلِ]

وِدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى وَغَيِّ الْأَمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ يُفْعَلُ
فَتَرَجَعَ أَيَّامٌ تَقْضَتْ وَلَكْذَ تَوَلَّتْ ، وَهَلْ يُنْتَنَى مِنَ الدَّهْرِ أَوَّلُ

الشَّعْرُ لِمُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ ، وَالْغِنَاءُ لِمُقَاسَةِ بْنِ نَاصِحٍ ، خَفِيفُ رَمْلِ الْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ . قَالَ
الْهَشَامِيُّ : وَفِيهِ لِأَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيِّ رَمْلٌ .

[400] - أخبار مزاحم ونسبه¹

[نسبه]

قيل : هو مُزاحِم بنُ عَمْرُو² بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأَعلَم بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامر بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
وقيل : مُزاحِم بنُ عَمْرُو بن مُرَّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأَعلَم ، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب .

بدويُّ شاعر فصيح إسلاميٌّ ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق .
وكان جرير يصفه ويُقرِّطُه ويُقدِّمه .

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ عن إسحاق الموصليِّ قال : قال لي عُمارة بنُ عُقَيْل : كان جريرُ يقول : ما مِنْ بيتين كنتُ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ سَبَقْتُ إِلَيْهِمَا غيرَ بيتين من قول مزاحم العُقَيْليِّ³ :

وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى وَغَيَّ الْأَمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ يُفَعَّلُ
فَتَرَجِعَ أَيَّامٌ مَضَيْنَ وَلَذَّةً تَوَلَّتْ وَهَلْ يُشْنَى مِنَ الْعَيْشِ أَوَّلُ

قال المفضلُ : قال إسحاق : سَرَفُ الْهَوَى : خطؤه ، ومثله قولُ جرير⁴ : [من البسيط]

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوها ثَمَانِيَّةً مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنٌْ وَلَا سَرَفٌ

أراد أَنَّهُمْ لَا يَخْطِئُونَ مَوَاضِعَ الصَّنَائِعِ ، لَا أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ وَالتَّوَسُّطِ فِي الْجُودِ .

قال إسحاق : وواعدني زيادُ الأعرابيُّ موضعاً من المسجد ، فطلبتَه فيه فلم أجده ، فقلت له بعد ذلك : طلبتُك لموعِدك فلم أجِدك . فقال : أين طلبتني ؟ فقلت : في موضع كذا وكذا ، فقال : هناك واللهِ سَرَفْتُكَ ، أَيَّ أَخْطَأْتُكَ .

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال : أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليِّ قال :
وكان يستجيدُها ويستحسنُها :

[من الطويل]

1 ترجمة مزاحم العُقَيْلي في طبقات ابن سلام : 770-777 وخزانة البغدادي 6 : 273-275 .

2 في ابن سلام والخزانة : مزاحم بن الحارث .

3 انظر الخزانة 6 : 274 .

4 ديوان جرير (صادر) : 307 .

لِصَفَرَاءَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ شُعْبَةٌ
بِهَا حَلَّ بَيْتُ الْحُبِّ ثُمَّ ابْتَنَى بِهَا
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
أُمُتُغَيْرًا يَكِي مِنَ الْحَزَنِ وَالْجَوَى
تَضَمَّنَهُ مِنْ حُبِّ صَفَرَاءَ بَعْدَمَا
وَمَنْ يَتَهَيَّضُ جُحْنَهُنَّ فُؤَادَهُ
كَحَرَّانٍ صَادٍ ذِيدٌ عَنْ يَرْدٍ مَشْرَبٍ
جَمِي لَمْ تُبَحِّهِ الْغَانِيَاتُ صَمِيمٌ
فَبَانَتْ بُيُوتُ الْحَيِّ وَهُوَ مُقِيمٌ
دَمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعِينَ الْوَمُ
أَمْ آخَرُ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِمْ ؟
سَلَا هَيْضَاتِ الْحُبِّ فَهُوَ كَلِيمٌ¹
يَمْتُ أَوْ يَعِشُ مَا عَاشَ وَهُوَ سَقِيمٌ
وَعَنْ بَلَلَاتِ الرِّيقِ فَهُوَ يَحُومُ

[امتنع عنه من تزويجه لفقره]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدثنا أبو سعيد السُّكْرِيُّ قال : أخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أبي الدنيا العقيلي ، قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائي وأصحابنا ، قال : كان مزاحم العقيلي خطب ابنة عم له دنية² فمنعه أهلها لإملاقه وقلة ماله ، وانتظروا بها رجلاً مؤسراً في قومها كان يذكرها ولم يحقق ، وهو يومئذ غائب . فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم ، فقال لعمه : يا عم ، أقطع رحمي وتختار علي غيري لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به ؟ وقد علمت أنني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح منه لساناً ، وأجود كفاً ، وأمنع جانباً ، وأغنى عن العشيرة ! فقال له : لا عليك فإنها إليك صائرة ، وإنما أعلل أمها بهذا ، ثم يكون أمرها لك ، فوثق به . وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب . وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها ، فرغب فيها ، فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول :

[من الطويل]

نَزَلْتُ بِمُقْضَى سِيلِ حَرْسَيْنِ وَالضُّحَى
بِمُسْقِيَةِ الْأَجْفَانِ أَنْفَدَ دَمْعَهَا
فَلَمَّا نَهَاها الْيَأْسُ أَنَّ تُؤْنِسَ الْحِمَى
أَيَّا لَيْلٍ إِنْ تَشَحَّطَ بِكَ الدَّارُ غُرْبَةً
فَكَمْ ثُمَّ كَمْ مِنْ غُرْبَةٍ قَدْ رَدَدْتُهَا
يَسِيلُ بِأَطْرَافِ الْمَخَارِمِ آلَهَا³
مُقَارِبَةُ الْأَلْفِ ثُمَّ زِيَالُهَا
جَمِي الْبِشْرِ جَلَّى غُرْبَةِ الْعَيْنِ جَالُهَا
سَوَانَا وَيُعْنِي النَّفْسَ فِيكَ احْتِيَالُهَا
سَرِيعٍ عَلَى جَنْبِ الْقَمِيصِ انْهَالُهَا

1 هبضات : جمع هبضة ، وهي معاودة الهم والحزن .

2 دنية : لاصقة النسب .

3 حرسير : ماء ان لبني عقيل . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة .

خَلِيلِيَّ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانَهَا يُقَرِّبُ مِنْ لَيْلِي إِلَيْنَا احْتِيَالُهَا
فَإِنْ بَاغَى الْأَخَشِيِّينَ أَرَاكَةً عَدَتْنِي عَنْهَا الْحَرْبُ دَانٍ ظِلَالُهَا
وَفِي فَرْعِهَا لَوْ تُسْتَطَاعَ جَنَابُهَا جَنَى يَجْتَنِيهِ الْمُجْتَنِي لَوْ يَنَالُهَا
هَيْئَةً لِلَّيْلِ مُهْجَةً ظَفِرَتْ بِهَا وَتَزْوِيجُ لَيْلِي حِينَ حَانَ ارْتِحَالُهَا
فَقَدْ حَبَسُوهَا مَخِيسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى بِهَا الرِّيحَ أَقْوَامٌ تَسَاخَفَ مَالُهَا¹
فَإِنْ مَعَ الرُّكْبِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا غَمَامَةً صَيَّفَ زَعَزَعَتْهَا شِمَالُهَا

[هربه من السجن]

وقال محمد بن حبيب في خبره ، قال ابن الأعرابي : وقع بين مُزاحِمِ العُقَيْلِيِّ وبين رجل من بني جَعْدَةَ لِحَاءٍ فِي مَاءٍ فَتَشَاتَمَا وَتَضَارَبَا بِعَصِيَّيْهِمَا ، فَشَجَّهَ مُزَاحِمُ شَجَّةَ أُمَّتِهِ² ، فَاسْتَعَدَّتْ بَنُو جَعْدَةَ عَلَى مُزَاحِمٍ فَحَبَسَ حَبْسًا طَوِيلًا ، ثُمَّ هَرَبَ مِنَ السَّجْنِ ، فَمَكَثَ فِي قَوْمِهِ مَدَّةً ، وَعُزِّلَ ذَلِكَ الْوَالِي وَوَلِيَ غَيْرُهُ ، فَسَأَلَهُ ابْنُ عَمِّ لِمُزَاحِمٍ يُقَالُ لَهُ مُغَلَّسٌ أَنْ يَكْتُبَ أَمَانًا لِمُزَاحِمٍ ، فَكَتَبَهُ لَهُ ، وَجَاءَ مُغَلَّسٌ وَالْأَمَانُ مَعَهُ ، فَفَرَّ مُزَاحِمٌ مِنْهُ وَظَنُّهَا حِيلَةً مِنَ السُّلْطَانِ ، فَهَرَبَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَتَانِي بِقِرْطَاسِ الْأَمِيرِ مُغَلَّسٌ فَأَفْزَعَ قِرْطَاسُ الْأَمِيرِ فُؤَادِيَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا مَرْحَبًا بِكَ مَرْسَلًا إِلَيَّ وَلَا لِي مِنْ أَمِيرِكَ دَاعِيَا
أَلَيْسَتْ جِبَالُ الْقَهْرِ قُعْسًا مَكَانَهَا وَعَرَوَى وَأَجْبَالَ الْوَحَافِ كَمَا هِيََا³
أَخَافُ ذُنُوبِي أَنْ تُعَذِّبِيَا وَمَا قَدْ أَزَلَّ الْكَاشِحُونَ أَمَامِيَا
وَلَا أُسْتَرِيهِمْ عُقْبَةَ الْأَمْرِ بَعْدَمَا تَوَرَّطَ فِي بِهِمَاءِ كَعْبِي وَسَاقِيَا⁴

[هوِي امرأة وتزوجت غيره]

أخبرني محمد بن مَرْيَدَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جِحْظَةَ قَالَا : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ مُزَاحِمُ الْعُقَيْلِيِّ يَهُوِي امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا مَيَّةٌ ، فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهَا مِنْ مُزَاحِمٍ . فَمَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ دَخَلَ بِهَا زَوْجُهَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ : [من الطويل]
أَيَا شَفَقَتِي مَيَّيْ أَمَا مِنْ شَرِيعَةٍ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا أَنْتَمَا تُورِدَانِيَا

1 تساخف مالها : رقى حالها .

2 أمته : أصابت أم رأسه .

3 قعساً : ثابتة .

4 كعبي في ل : كفي .

ويا شَفَّتِي مَيِّ أَمَا لِي إِلَيْكَمَا سَبِيلٌ وَهَذَا الْمَوْتُ قَدْ حَلَّ دَانِيَا !
ويا شَفَّتِي مَيِّ أَمَا تَبْذُلَانِ لِي بَشِيءَ وَإِنْ أُعْطِيتُ أَهْلِي وَمَالِيَا !
فَقَالَتْ : أَعَزَّ عَلَيَّ يَا ابْنَ عَمِّ بَأْنَ تَسْأَلُ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ حِيلَ دُونَهُ ،
فَأَلَّهُ عَنْهُ . فَانصَرَفَ .

[جرير يَمْنَى شعره]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُزَيْدَ النَّحْوِيُّ قَالَ¹ : حَدَّثَنِي
عُمَارَةُ بْنُ عُقَيْلٍ قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ لَجَرِيرٍ : يَا أَبَا حَزْرَةَ ، هَلْ تُحِبُّ
أَنْ يَكُونَ لَكَ بَشِيءٌ مِنْ شِعْرِكَ شَيْءٌ مِنْ شِعْرِ غَيْرِكَ ؟ قَالَ : لَا ، مَا أُحِبُّ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ غُلَامًا
يَنْزِلَ الرُّوَاضَاتِ مِنْ بِلَادِ بَنِي عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهُ مُزَاجِمُ الْعُقَيْلِيِّ ، يَقُولُ حَسَنًا² مِنَ الشَّعْرِ لَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ ، كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي بَعْضُ شِعْرِهِ مُقَايِضَةً لِبَعْضِ شِعْرِي .

[امرأة أخرى يهواها فتتزوج غيره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
كَانَ مُزَاجِمُ الْعُقَيْلِيِّ يَهْوَى امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا لَيْلَى ، فغَابَ غَيْبَةً عَنْ بِلَادِهِ ، ثُمَّ عَادَ وَقَدْ
زُوجَتْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَتَانِي بظَهْرِ الْغَيْبِ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ	فَظَلَّتْ بِي الْأَرْضُ الْفُضَاءُ تَدُورُ
وَزَالَنِي لُبِّي وَقَدْ كَانَ حَاضِرًا	وَكَادَ جَنَانِي عِنْدَ ذَاكَ يَطِيرُ
فَقُلْتُ وَقَدْ أَقْنَعْتُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا	تَلَاقٍ وَعَيْنِي بِالْذَمِّوعِ تَمُورُ
أَيَّا سُرْعَةِ الْأَخْبَارِ حِينَ تَزَوَّجَتْ	فَهَلْ يَأْتِينَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ
وَلَسْتُ بِمُخَصَّرٍ حُبِّ لَيْلَى لِسَائِلِ	مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ أَقُولَ كَثِيرُ

صوت

[من الطويل]

لَهَا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ تِسْعَةُ أَسْهُمٍ وَلِلنَّاسِ طُرًّا مِنْ هَوَايَ عَشِيرُ³
قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّ لَيْلَى هَذِهِ الَّتِي يَهْوَاهَا مُزَاجِمُ الْعُقَيْلِيِّ هِيَ الَّتِي
كَانَ يَهْوَاهَا الْمَجْنُونُ ، وَأَنَّهَا اجْتَمَعَا هُوَ وَمُزَاجِمٌ فِي حُبِّهَا .

1 قارب بالخزاة 6 : 274 .

2 ل والخزاة : حوشياً .

3 عشير : معشار .

[امرأة رابعة هويها وتزوجت غيره]

قال الأصمغاني : وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن علي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : كان مزاحم بن مرة العقيلي يهوى امرأة من قشير يقال لها ليلى بنت موارير ، ويتحدث إليها مدة حتى شاع أمرهما ، وتحدث جوارى الحي به ، فنهاه أهلها عنها ، وكانوا متجاوزين ، وشكوه إلى الأشياخ من قومهم فنهوه واشتدوا عليه ، فكان ينقلب إليها في أوقات الغفلات ، فيتحدثان ويتشاكيان . ثم انتجعت بنو قشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نظرها غيث وأخصبها ، فبعد عليه خبرها واشتاقها ، فكان يسأل عنها كل وارد ، ويُرسل إليها السلام مع كل صادر ، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومها ، فسأله عنها فأخبره أنها خطبت فزوجت ، فوجم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال :

أتاني بظَّهر الغيب أن قد تزوجت . فظلت بي الأرض الفضاء تدور
وذكر الأبيات الماضية .

وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحم ابن أبي الأزهر ، عن حماد ، عن أبيه ، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها :

وتنشر نفسي بعد موتي بذكريها مراراً فموت مرة ونشور
عججت لرئي عجة ما ملكتها ورئي بذى الشوق الحزين بصير¹
ليرحم ما ألقى ويعلم أنني له بالذي يسدي إلي شكور
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا لأخوج مني إنني لفقيرو

[جرير والفرزدق وذو الرمة عند عبد الملك]

حدثني عمي قال : حدثني أبو أيوب المديني قال : قال أبو عدنان² : أخبرنا تميم بن رافع قال : حدثت أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان ، أو بعض بنيه ، فقال له : يا فرزدق ، أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال : لا ، إلا غلاماً من بني عقيل ، يركب أعجاز الإبل وينتفع الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة فقال له : أنت أشعر الناس ؟ قال : لا ، ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات ، يقول وخشياً من الشعر لا يُقدر على

1 عج : صاح .

2 قارن بالخزانة 6 : 274 والبيتان في طبقات ابن سلام .

مثله ، فقال : فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قوله : [من الطويل]
 خَلِيلِيَّ عُوْجَا بِي عَلَى الدَّارِ نَسْأَلِ مَتَى عَهْدُهَا بِالظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ¹
 فَعُجْتُ وَعَاجُوا فَوْقَ بَيْدَاءِ مَوْرَتٍ² بِهَا الرِّيحُ جَوْلَانِ التَّرَابِ الْمُتَخَلِّ²
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ثُمَّ قَالَ : مَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَقُولُ قَوْلًا يُوَاصِلُ هَذَا .

صوت

[من الطويل]
 أَكْذِبْ طَرْفِي عَنْكَ فِي كُلِّ مَا أَرَى وَأَسْمِعْ أُذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
 فَلَا كَبِدِي تَبْلَى وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فَيْكَ مَطْمَعُ
 لَقِيتُ أُمُورًا فَيْكَ لَمْ أَلَقَ مِثْلَهَا وَأَعْظَمُ مِنْهَا فَيْكَ مَا أَتَوَقَّعُ
 فَلَا تَسْأَلْنِي فِي هَوَاكِ زِيَادَةً فَأَيْسُرُهُ يُجْزِي وَأَدْنَاهُ يُقْنِعُ
 الشعر لبكر بن النطّاح³ ، والغناء لحسين بن مِحْرَزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ .

1 ابن سلام : عوجا بي على الربع .

2 مورت في ل : صفقت . وابن سلام :

فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت

3 مجموع شعره : 251-252 .

[401] - أخبار بكر بن النطاح ونسبه¹

[نسبه]

بكر بن النطاح الحنفي . يُكنى أبا وائل ، هكذا أخبرنا وكيع عن عبد الله بن شبيب ، وذكر غيره أنه عجلي من بني سعد بن عجل ، واحتج من ذكر أنه عجلي بقوله² : [من الطويل]

فإن يك جدّ القوم فهُر بن مالك فجدّي عجل قرم بكر بن وائل

وأنكر ذلك من زعم أنه حنفي وقال : بل قال : [من الطويل]

فجدّي لجيم قرم بكر بن وائل

وعجل بن لجيم وحنيفة بن لجيم أخوان .

وكان بكر بن النطاح صعلوكاً يُصيب الطريق ، ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دلف من الجند ، وجعل له رزقاً سلطانياً ، وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام .

[قصته مع أبي دلف]

فأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوبه قال : حدثني أبي ، قال³ : قال بكر بن النطاح الحنفي قصيدته التي يقول فيها⁴ : [من الطويل]

هنيئاً لإخواني بيغداد عيدهم وعيدي بجلوان قراع الكتائب

وأنشدها أبا دلف فقال له : إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة ، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قط ، ولا فيك ، فقال له : أيها الأمير وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأغزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً وترساً ودرعاً ورمحاً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه ، فلقية مال لأبي دلف يُحمّل من بعض ضياعه ، فأخذه وخرج

1 ترجمة بكر بن النطاح في طبقات ابن المعتز : 217-225 وفوات الوفيات 1 : 219-221 والوفاء بالوفيات 10 : 218-221 والبدابة والنهاية 10 : 208 والسمط : 520 ، 560 وتاريخ بغداد 7 : 90 وشرح الحماسة للبربري 3 : 140 والمرزوقي 1285 وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 458-460 ، 489 و4 : 45 و5 : 314 . وقد جمع شعره حاتم الضامن في «شعراء مقلون» (بيروت - 1978) .

2 شعره (عن الطبقات) : فحسبي فخراً فخر بكر بن وائل .

3 انظر طبقات ابن المعتز : 218 والبيت فيه : ومن يفتقر منا يعيش بحسامه . . .

4 شعره . 222 (عن الأغاني) .

جماعةً من غلمانه فمانعوه عنه ، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهمزوا . وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً . فلما اتصل خبره بأبي ذؤلف قال : نحن جنينا على أنفسنا ، وقد كنّا أغنياء عن إهاجة أبي وائل ؛ ثم كتب إليه بالأمان ، وسوَّغهُ المالَ ، وكتب إليه : صِرْ إلينا فلا ذنب لك ، لأننا نحن كنّا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا ؛ فرجع ولم ينزل معه يمتدحه ، حتى مات .

[الرشد يطلبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني محمد بن موسى قال : حدّثني الحسن بن إسماعيل عن ابن الحفصيّ قال : قال يزيد بن مزيد¹ : وجّه إليّ الرشد في وقت يرتاب فيه البريء ، فلما مثلت بين يديه قال : يا يزيد ، من الذي يقول : [من الطويل]

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
فقلت له : والذي شرّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذي يقول :

وإن يك جدّ القوم فهر بن مالك فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

قلت : لا والذي أكرمك وشرّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه . قال : والذي كرّمني وشرّفني إنك لتعرفه ، أتظنّ يا يزيد أنّي إذا أوطأتك بساطي وشرّفك بصنيعتي أنّي أحتملك على هذا ؟ أو تظنّ أنّي لا أراعي أمورك وأتقصّها ، وتحسب أنّه يخفى عليّ شيء منها ؟ والله إنّ عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جلّف من أجلاف ربيعة عدا طوره وألحق قريشاً ببيعة فأنتني به . فانصرفت وسألت عن قائل الشعر ، فقل لي : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابي . فدعوته وأعلمته ما كان من الرشد ، فأمرت له بألفي درهم ، وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألاّ يظهر ما دام الرشد حيّاً ، فما ظهر حتى مات الرشد ، فلما مات ظهر ، فألحقت اسمه وزدت في أنزاله² .

[شعره في جارية تدعى رامشة]

أخبرني محمد بن خلف وكيّع قال : حدّثني محمد بن حمزة العلويّ قال : حدّثني أبو غسان دماذ قال : حضرت بكر بن النطاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيّين ، وكانت للحنفيّ جارية يقال لها رامشة ، فقال فيها بكر بن النطاح³ : [من السريع]

1 طبقات ابن المعتز : 217-218 .

2 الطبقات : في عطائه ونزله .

3 شعره 248 (عن الأغاني) .

حَيْثُكَ بِالرَّامِشْنِ رَامِشْنَةً أَحْسَنُ مِنْ رَامِشْنَةِ الْآسِ
جَارِيَةً لَمْ يُقْتَسَمْ بُضْعُهَا وَلَمْ تَقُمْ فِي بَيْتِ نَخَّاسِ
أَفْسَدَتْ إِنْسَانًا عَلَى أَهْلِهِ يَا مُفْسِدَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ

وقال فيها¹ : [من الطويل]

أَكْذَبَ طَرْفِي عَنْكَ وَالطَّرْفُ صَادِقٌ وَأَسْمِعُ أُذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
وَلَمْ أُسْكُنِ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْكُنُهَا لَكِي لَا يَقُولُوا صَابِرٌ لَيْسَ يَجْزَعُ
فَلَا كَبِدِي تَبْلَى وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فَيْكُ مَطْمَعُ
لَقِيتُ أُمُورًا فَيْكَ لَمْ أَلْقَ مِثْلَهَا وَأَعْظَمُ مِنْهَا مِنْكَ مَا أَتَوَقَّعُ
فَلَا تَسْأَلْنِي فِي هَوَاكَ زِيَادَةً فَأُبَيِّرُهُ يُجْزِي وَأُذْنَاهُ يُقْنِعُ

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوبه ، عن عليّ بن الصباح ، وأظنه مرسلاً وأن بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره ، لأنه لم يسمع من عليّ بن الصباح ، قال : حدثني أبو الحسين الراوية ، قال لي المأمون : أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين ، فأنشدته :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنَّا يَعْشُ بِحُسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ
وَأَنَا لَنَلْهُوَ بِالسُّيُوفِ كَمَا لَهَتْ عَرُوسٌ بِعَقْدٍ أَوْ سِخَابٍ قَرْنُفُلٍ²

فقال : ويحك ! مَنْ يقول هذا ؟ فقلت : بكر بن النطاح ، فقال : أحسن والله ، ولكنه قد كذب في قوله ، فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه ! هلاً أكل خبز به سيفه كما قال ! [عند أبي دلف]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا ابن مهزوبه قال : حدثني أبو الحسن الكسكري قال³ : بلغني أن أبا دلف لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله ، وقد أردف منهم فارساً رفيقاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس ، فلما قديم من وجهه دخل إليه بكر بن النطاح فأنشده⁴ :

[من الكامل]

1 تقدمت هذه الأبيات برواية : «أكذب عيني عنك في كل ما أرى» .

2 سخاب قرنفل : عقد قرنفل .

3 قارن بالفوات : 219 .

4 شعره : 257 . وفي الفوات : «قالوا أينظم فارسين . . .» .

صوت

قالوا : وَيَنْظِمُ فَارَسِينَ بَطْنَةَ
يَوْمَ اللَّقَاءِ وَلَا يَرَاهُ جَلِيلًا
لَا تَعَجَّبُوا فَلَوْ أَنَّ طُولَ قَنَاتِهِ
مِثْلُ إِذَا نَظَّمِ الْفَوَارِسَ مِيلًا

قال : فأمر له أبو ذؤلف بعشرة آلاف درهم ، فقال بكرٌ فيه ¹ : [من الطويل]

له راحةٌ لو أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا
عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
ولو أَنَّ خَلَقَ اللَّهُ فِي جِسْمِ فَارِسٍ
وَبَارِزِهِ كَانَ الْخَلْقُ مِنَ الْعُمَرِ
أَبَا ذُؤَلْفٍ بُورِكَتْ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَمَا بُورِكَتْ فِي شَهْرِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

[غزله بغلام نصراني]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وعيسى بن الحسين قالوا : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثني أبو زائدة ، قال : كان بكر بن النطاح الحنفي يتعشق غلاماً نصرانياً ويُجنُّ به ، وفيه يقول ² : [من البسيط]

يا مَنْ إِذَا دَرَسَ الْإِنْجِيلَ ظَلَّ لَهُ
قَلْبُ التَّقِيِّ عَنِ الْقُرْآنِ مُنْصَرِّفًا
إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي
كَأَنَّكَ تُعَانِقُ لَأَمَّ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا

[ينصرف عن ممدوحه إذا غضب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي قال : كان بكر بن النطاح يأتي أبا ذؤلف في كل سنة ، فيقول له : إلى جنب أرضي أرضٌ تُباع وليس يحضرني ثمنها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطيه ألفاً لنفقته . فجاءه في بعض السنين فقال له مثل ذلك ؛ فقال له أبو ذؤلف : ما تفنى هذه الأرضون التي إلى جانب ضيعتك ! فغضب وانصرف عنه ، وقال ³ : [من المنسرح]

يا نَفْسُ لَا تَجْزَعِي مِنَ التَّلَفِ
فَإِنَّ فِي اللَّهِ أَعْظَمَ الْخَلَفِ
إِنْ تَقْنَعِي بِالْيَسِيرِ تَغْتَبِطِي
وَيُغْنِيكَ اللَّهُ عَنْ أَيْ دُؤْلَفٍ

قال : وكان بكر بن النطاح يأتي قُرَّة بن مُحَرِّز الحنفي بكرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ، ويُجري عليه في كل شهر يقيم عنده ألف درهم . فاجتاز به قُرَّة يوماً وهو ملازم في السوق وغرماؤه يُطالبونه بدين ؛ فقال له : ويحك ! أما يكفيك ما أعطيك حتى تستدين

1 شعره : 245 .

2 شعره : 253 (عن الأغاني) .

3 شعره : 254 .

وتُلازمَ في السَّوقِ ؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول¹ :

[من الوافر]

أَلَا يَا قُرَّ لَا تَكُ سَامِرِيًّا فَتَرَكَ مَنْ يَزُورُكَ فِي جِهَادٍ
أَتَعْجَبُ أَنْ رَأَيْتَ عَلِيَّ دَنِيًّا وَقَدْ أَدَّى الطَّرِيفُ مَعَ التَّلَادِ
مَلَأْتُ يَدَيَّ مِنَ الدُّنْيَا مِرَارًا فَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي
وَلَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَالٍ وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى جَوَادِ

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : كنت يوماً عند علي بن هشام ، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيْل ، فحدثته أَنَّ بَكْرَ بْنَ النُّطَّاحِ دخل إلى أبي دلف وأنا عنده ، فقال لي أبو دلف : يا أبا محمد أنشدني مديحاً فآخرها تَسْتَطْرِفُهُ . فبَدَرَ إِلَيْهِ بَكْرٌ وَقَالَ : أَنَا أَنُشِدُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بَيْتَيْنِ قَلْتُهُمَا فِيكَ فِي طَرِيقِي هَذَا إِلَيْكَ وَأُحْكَمُكَ ، فقال : هَاتِ ، فَإِنْ شَهِدَ لَكَ أَبُو مُحَمَّدٍ رَضِينَا ، فَأَنُشِدْهُ² :

[من الوافر]

إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ وَإِنْ كَانَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ³
وَمَا تَذَرِي إِذَا أُعْطِيَ مَالًا أَتُكْثِرُ فِي سَمَاحِكَ أَمْ تُقِلُّ

فقلت له : أَحَسَنَ وَاللَّهِ مَا شَاءَ وَوَجِبَتْ مَكَافَاتُهُ . فقال : أَمَا إِذْ رَضِيتَ فَأَعْطَوْهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ ، وَانصرفت إلى منزلي ، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إلي ، وجه بها أبو دلف . قال : فقال عُمارة لعلي بن هشام : فقد قلت أنا في قريب من هذه القصة : [من الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ أَكْفَهُمُ لِأَمْوَالِهِمْ مِثْلُ السَّنَنِ الْحَوَاطِمِ
وَأَنَّهُمْ لَا يُورِثُونَ بَيْنَهُمْ - وَإِنْ وَرِثُوا خَيْرًا - كُنُوزَ الدَّرَاهِمِ

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أبو توبة قال : كان معقل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح ، وكان بكر فاتكاً صُعلوكاً ، فكان لا يزال قد أحدث حادث في عمل أبي دلف ، أو جنى جناية ، فيهم به فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه ، فمات معقل فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله⁴ :

[من الطويل]

وَحَدَّثَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ رَأَتْ عَيْنُهُ فِيمَا تَرَى عَيْنُ حَالِمٍ

1 شعره : 239 .

2 شعره 259 .

3 الفوات : شمسي .

4 شعره : 265-266 (عن الأغاني) .

كَأَنَّ الَّذِي يَنْكِحُ عَلَى قَبْرِ مَعْقِلٍ وَلَمْ يَرَهُ يَنْكِحُ عَلَى قَبْرِ حَاتِمٍ
وَلَا قَبْرِ كَعْبٍ إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَلَا قَبْرِ جَلْفِ الْجُودِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مَعْقِلًا عَلَى كُلِّ مَذْكُورٍ بِفَضْلِ الْمَكَارِمِ

[بخله]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ قَالَ : كَانَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ
الْحَنْفِيُّ أَبُو وَائِلٍ بَخِيلًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبَادُ بْنُ الْمُرْزُوقِ يَوْمًا ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ خُبْرًا يَابَسًا قَلِيلًا بَلَا
أَذْمَ ، وَرَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشْبِعَ ، فَقَالَ عَبَادُ يَهْجُوهُ : [من السريع]

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا وَائِلٍ بَكَرَ بْنَ نَطَّاحٍ بِفَلْسَيْنِ ؟
كَأَنَّمَا الْآكِلُ مِنْ خُبْرِهِ يَأْكُلُهُ مِنْ شَحْمَةِ الْعَيْنِ

قَالَ : وَكَانَ عَبَادُ هَذَا هَجَاءً مَلْعُونًا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ : [من البسيط]

أَنَا الْمُرْزُوقُ أَعْرَاضَ اللَّثَامِ كَمَا كَانَ الْمُرْزُوقُ أَعْرَاضَ اللَّثَامِ أَبِي

[يمدح ثم يهجو]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ قَالَ¹ : كَانَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ قَصْدَ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ
فَمَدَحَهُ ، فَلَمْ يَرْضَ ثَوَابَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَالَ يَهْجُوهُ² : [من المتقارب]

فَلَيْتَ جَدَا مَالِكٍ كُلَّهُ وَمَا يُرْتَجَى مِنْهُ مِنْ مَطْلَبٍ
أَصِيتُ بِأَضْعَافٍ أَضْعَافِهِ وَلَمْ أَتَجِعْهُ وَلَمْ أَرْغَبِ
أَسَاتُ اخْتِيَارِي فَقُلْتُ الثَّوَابُ لِي الذَّنْبُ جَهْلًا وَلَمْ تُذْنِبِ

وَكَتَبَهَا فِي رَقْعَةٍ وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا قَرَأَهَا وَجَّهَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ :
الْوَيْلُ لَكُمْ إِنْ فَاتَكُمْ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ . وَلَا بَدَّ أَنْ تَنْكَفِئُوا عَلَى أَثَرِهِ وَلَوْ صَارَ إِلَى الْجَبَلِ ،
فَلَحِقُوهُ فَرَدُّوهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ دَارَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ قَامَ فَتَلَقَّاهُ وَقَالَ : يَا أَخِي ، عَجَلْتَ عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا
نَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى مَا سَلَفَ وَإِنَّمَا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِنَفَقَةٍ ، وَعَوَّلْنَا بِكَ عَلَى مَا يَتْلُوها ؛ وَاعْتَذِرْ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ ، فَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَمْدَحُهُ³ : [من الطويل]

أَقُولُ لِمُرْتَادٍ نَدَى غَيْرِ مَالِكٍ كَفَى بَذْلَ هَذَا الْخَلْقِ بَعْضُ عِدَاتِهِ

1 قارن بفوات الوفيات 1 : 220 .

2 شعره : 222-223 .

3 شعره : 232 .

فَتَى جَاد بِالْأَمْوَالِ فِي كُلِّ جَانِبٍ وَأَنْهَبَهَا فِي عَوْدِهِ وَبَدَايَةِ
 فَلَوْ خَذَلَتْ أَمْوَالُهُ جُودَ كَفِّهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ¹
 وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي الْعُمُرِ قِسْمَةَ مَالِهِ وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ²
 لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَشَارَكَهُمْ فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
 فَوَصَّلَهُ صِلَةً ثَانِيَةً لِهَذِهِ الْآيَاتِ ، وَانصَرَفَ عَنْهُ رَاضِيًا .

هكذا ذكر أبو هِفَان في خبره وأحسبه غلطاً ، لأن أكثر مدائح بَكْر بن النُّطَاح في مالك بن عليّ الخُزَاعِيّ ، وكان يتولّى طريقَ خُرَاسَانَ ، وصار إليه بكر بن النُّطَاح بعد وفاة أبي ذُكُفٍ ومدحه ، فأحسن تقبُّله وجعله في جُنْدِهِ ، وأَسْنَى لَهُ الرِّزْقَ ، فكان معه ، إلى أن قَتَلَهُ الشُّرَاةُ بِحُلَوَانَ ؛ فرثاه بَكْرٌ بعدة قصائد هي من غُرر شعره وعبونه .

[رثاء مالك الخُزَاعِيّ]

فحدَّثني عَمِّي قال : حدَّثني أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلَةَ السَّدُوسِيِّ قال : عَاثَتِ الشُّرَاةُ بِالْجَبَلِ عَيْنًا شَدِيدًا ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيّ وَقَدْ وَرَدُوا حُلَوَانَ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا فَهَزَمَهُمْ عَنْهَا ، وَمَا زَالَ يَتَّبِعُهُمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا : حَدَّانُ³ ، فَقَاتَلُوهُ عِنْدَهَا قِتَالًا شَدِيدًا . وَثَبَتَ الْفَرِيقَانِ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمْ . وَأَصَابَتْ مَالِكًا ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ أَثْبَتَتْهُ⁴ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى حُلَوَانَ ، فَمَا بَلَغَهَا حَتَّى مَاتَ ، فَدُفِنَ عَلَى بَابِ حُلَوَانَ ، وَبُنِيَتْ لِقَبْرِهِ قُبَّةٌ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ . وَكَانَ مَعَهُ بِكَرِ بْنِ النُّطَاحِ يَوْمَئِذٍ ، فَأَبْلَى بِلَاءَ حَسَنًا ، وَقَالَ بِكَرٍ يَرِثُهُ⁵ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِالْذَمَّوعِ السَّجَامِ عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ الْأَهْمَامِ
 عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصِنْدِيدِهَا وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْإِمَامِ
 لَا تَذْخَرِي الدَّمَعَ عَلَى هَالِكِ أَيَّتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعُ الْأَنَامِ
 طَابَ ثَرَى حُلَوَانَ إِذْ ضُمُنْتَ عِظَامَهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 أَغْلَقْتَ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا وَامْتَنَعْتَ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ

1 جود كفه في شعره : بذل كفه .

2 قسمة ماله في الفوات : قسمة باذل .

3 حدان : من محال البصرة القديمة .

4 أثبتته : سكنته عن الحركة .

5 شعره : 266-267 (عن الأغاني) .

وأصَبَحْتَ خَيْلَكَ بَعْدَ الْوَجَا
ارْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكِ
كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسُ الضُّحَى
وَسَائِلِي يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ
قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعْلِمًا
وَالْحَرْبُ مَنْ طَاوَلَهَا لَمْ يَكْدُ
لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ

قال : وقال أيضاً يرثيه ² :

أَيُّ أَمْرِي خَضَبَ الْخَوَارِجُ ثَوْبَهُ
يَا حُفْرَةَ ضَمَّتْ مُحَاسِنَ مَالِكِ
لَهْفِي عَلَى الْبَطَلِ الْمُعْرَضِ خَدَّهُ
خَرَقَ الْكَيْبِيَّةَ مُعْلِمًا مَتَكْنِيًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشُّرَاةُ غَدَاةَ مَصْرَعِ مَالِكِ
قَتَلُوا فَنِي الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرَمُوا مَعْدًا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرَكَوْهُ فِي رَهْجِ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ
لَا يَبْعِدَنَّ أَخُو خَزَاعَةَ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْفَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُصَحِّفُهُ وَصَدَّرُ حَسَامِيهِ

[من الكامل]

بَدَمٍ عَشِيَّةً رَاحَ مِنْ حُلُونِ
مَا فِيلِكُ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
وَجِبِينَهُ لِأُسْنَةِ الْفُرْسَانِ
وَالْمَرْهَفَاتُ عَلَيْهِ كَالنَّيْرَانِ
فَالْأَرْضُ مُوحِشَةٌ بِلَا عُمَرَانِ
شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمَ الْبُنْيَانِ
تَقَوَّى عَلَى اللَّزْبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
عَصَبِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانِي
أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِي وَبَنَانِ
وَتَمَسَّكْتُ بِالنَّخْسِ وَالتَّبْرَانِ
مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
مَحْبُورَةٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَالْمُسْلِمُونَ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ

1 في رواية : كيدر التمام .

2 شعره : 268-269 .

وَعَدَتْ تُعَقِّرُ خَيْلَهُ وَتُقَسِّمَتْ أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
أَفْتَحَمَدَ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَنْ كَانَ الْمُجِيرَ لَنَا مِنَ الْحَدَثَانِ !

[شوقه إلى بغداد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : أنشدني أبو غسان دَمَازَ لَبَكْرَ بنِ النطاح يتشوق إلى بغداد وهو بالجبل يومئذ¹ :

[من المتقارب]

نَسِيمُ الْأَدَامِ وَبَرْدُ السَّخَرِ هُمَا هَيْجَا الشَّوْقِ حَتَّى ظَهَرَ
تَقُولُ : اجْتَنِبْ دَارَنَا بِالنَّهَارِ وَزُرْنَا إِذَا غَابَ ضَوْءُ الْقَمَرِ
فَإِنَّ لَنَا حَرَسًا إِنْ رَأَوْكَ نَدِمْتَ وَأَعْطُوا عَلَيْكَ الظَّفَرِ
وَكَمْ صَنَعَ اللَّهُ مِنْ مَرَّةٍ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَمَرُوا بِالْحَذَرِ
سَقَى اللَّهُ بَغْدَادَ مِنْ بَلَدَةٍ وَسَاكِنَ بَغْدَادَ صَوْبَ الْمَطَرِ
وَبُنِيَتْ أَنْ جَوَارِي الْقُصُورِ رَصِيرْنَ ذِكْرِي حَدِيثَ السَّمَرِ
أَلَا رَبُّ سَائِلَةٍ بِالْعَرَا قِي عَنِّي وَأُخْرَى تُطِيلُ الذِّكْرَ
تَقُولُ : عَهْدُنَا أَبَا وَائِلٍ كَطَبِي الْقَلَاةِ الْمَلِيحِ الْحَوَرِ
لِيَالِي كُنْتُ أَزُورُ الْقِيَانِ كَانَ يُبَايِ بِهَارُ الشَّجَرِ

[غزل بقينة]

حدثني جعفر بن قدامة قال : حدثني ميمون بن هارون قال : كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جَوَارِي الْقِيَانِ وَتَهْوَاهُ ، وكانت لبعض الهاشمين ، يقال لها ذُرَّةٌ ، وهو يذكرها في شعره كثيراً ؛ وكان يجتمع معها في منزل رجلٍ من الجُندِ من أصحاب أبي دُلْفٍ يقال له : الفَرَز . فسعى به إلى مولاها ، وأعلمه أنه قد أفسدها وواطأها على أن تهرب معه إلى الجبل ، فمنعه من لقائها وحجبه عنها ، إلى أن خرج إلى الكَرَجِ مع أبي دُلْفٍ ، فقال بكر بن النطاح في ذلك² :

[من الخفيف]

أَهْلُ دَارٍ بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسِّ رَأَطَالُوا غَيْظِي بِطُولِ الصَّدُودِ
عَذَّبُونِي بِيَعْدِهِمْ وَابْتَلَوْا قَلْدَ سَبِي بِحَبِينٍ : طَارِفٍ وَتَلِيدِ³
مَا تَهَبُّ الشَّمَالُ إِلَّا تَنْفَسَ ت وَقَالَ الْفُؤَادُ لِلْعَيْنِ : جُودِي

1 شعره : 246-247 (عن الأغاني) .

2 شعره : 237-238 (عن الأغاني) .

3 بحين في شعره : بحزين .

قلَّ عنهم صَبْرِي ولم يرحموني فتحيَّرت كالطَّريد الشَّريدِ
وكلتني الأيامُ فيك إلى نفسٍ سي فأعييتُ وانتهى مجْهُودي
وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوري¹ : [من الكامل]

العَيْنُ تُبْدي الحُبَّ والبغضا وتظهر الإبرامَ والنقضا
دُرَّةُ ما أنصفتني في الهوى ولا رَحِمَتِ الجَسَدَ المنضى²
مرَّت بنا في قُرطُقٍ أخضرٍ يعشق منها بعضها بعضا
غَضَبِي ولا والله يا أهلها لا أشربُ الباردَ أو تَرْضَى
كيف أطاعتكم بهجري وقد جعلتُ خَدَيَّ لها أرضا !
وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري³ : [من المنسرح]

صدَّتْ فأمسى إلقاءها حلما واستبدل الطرفُ بالثُموعِ دَما
وسلَّطت حُبَّها على كَبْدي فأبدلتني بصِحةٍ سَقَما
وصيرتُ فرداً أبكي لفرقتها وأقرعُ السنَّ بعدها ندما
شقَّ عليها قولُ الوُشاة لها : أصبحت في أمرٍ ذا الفتى علما
لولا شقائِي وما بليتُ به من هَجَرها لاسترتُ فاكْتِما⁴
كم حاجةٌ في الكتاب بُحتُ بها أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَمَا

وقال فيها أيضاً ، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظَةَ⁵ : [من السريع]

بَعُدتْ عَنِّي فتغيَّرت لي وليس عندي لك تَغْيِيرُ
فَجَدَّدي ما رثُ من وَصِلنا وكلَّ ذَنْبٍ لك مَغْفُورُ
أَطِيبِ النَّفْسَ بَكتمان ما سارت به من غَدْرِكَ العيْرِ
وَعَدُكَ يا سيِّدتي غَرَّني منك وَمَنْ يَعشَقُ مَغْرُورُ
يَحزُنُّني عِلْمي بِنَفْسي إذا قال خَليلي أَنتَ مَهْجُورُ

1 شعره : 249-250 .

2 المنضى : المهزول .

3 شعره : 264-265 (عن الأغاني) .

4 شعره : ما استرت ما اكْتِما .

5 شعره : 244 (عن الأغاني) .

يا ليت من زَيْنَ هذا لها جارت لنا فيه المقاديرُ
ساقي الندامى سَقَّها صاحبي فإِنِّي وَيَحْكُ مَعْدُورُ
أَشْرَبُ الخَمَرَ على هَجْرِها إِنِّي إِذَا بالهَجْرِ مسرورُ !

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلْف إلى أَصْبَهان¹ : [من الكامل]

يا ظبية السَّيْبِ التي أَحْبَبْتُها وَمَنْحَتُها لُطْفِي وَلِينَ جَنَاحِي
عَيْنَايَ بِاِكْتِئَانٍ بَعْدَكَ لِلَّذِي أَوْدَعْتَ قَلْبِي مِنْ نُدُوبِ جِرَاحِ
سَقِيًّا لِأَحْمَدَ مِنْ أَخٍ وَلِقَاسِمٍ فَقَدْ غَدُوِي لاهِيًّا وَرَوَاحِي
وَتَرَدَّدِي مِنْ بَيْتِ فَزْرِ آمِنًا مِنْ قُرْبِ كُلِّ مُخَالِفٍ وَمُلاحِي
أَيَّامَ تَغِيْطُنِي المُلُوكُ وَلَا أَرَى أَحَدًا لَهُ كَدَلِي وَمَراحِي
تَصِفُ القِيَانُ إِذَا خَلُونَ مجَانَتِي وَيَصِفُنَ للشَّرْبِ الكِرَامِ سَمَاحِي

ومِمَّا يُغْنِي فيه من شعر بَكْرِ بن النُّطَّاح في هذه الجارية قوله² : [من الكامل]

صوت

هل يُتَلَى أَحَدٌ بِمِثْلِ يَلِيَّتِي أَمْ لَيْسَ لِي فِي العَالَمِينَ ضَرِيبُ
قالت عَنانُ وَأَبْصَرْتَنِي شَاحِيًّا : يا بَكْرُ مالِكَ قد عَلَاكَ شُحُوبُ
فَأَجَبْتُها : يا أختُ لم يَلِقَ الَّذِي لا قِيَتُ إِلَّا المَبْتَلَى أَيُّوبُ
قد كنتُ أَسْمَعُ بالهوى فَأَظُنُّهُ شَيْئًا يَلِدُ لَأَهْلِهِ وَيَطِيبُ
حتى ابْتَلَيْتُ بِخُلُوهِ وَبِمُرِّهِ فَالْخُلُوهِ مِنْهُ لِلْقُلُوبِ مُذِيبُ
والمُرَّ يَعْجِزُ مَنْطِقِي عَنْ وَصْفِهِ لِلْمُرِّ وَصَفٌ يا عَنانُ عَجِيبُ
فأَنَا الشَّقِيَّ بِخُلُوهِ وَبِمُرِّهِ وَأَنَا المَعْنَى الهَائِمُ المَكْرُوبُ
يا دُرُّ حَالِقِكِ الجَمالُ فما لَهُ فِي وَجْهِ إنسانٍ سِوَالِكِ نَصِيبُ
كلُّ الوجوه تَشَابَهَتْ وَبَهَرَتْها حُسْنًا فَوَجْهُكَ فِي الوجوه غَرِيبُ
والشمسُ يَغْرُبُ فِي الحِجَابِ ضِيَاؤُها عَنَّا وَيُشْرِقُ وَجْهُكَ المَحْجُوبُ

ومِمَّا يُغْنِي فيه من شعرِهِ فيها أيضاً³ : [من الكامل]

1 شعره : 234-235 (عن الأغاني) .

2 شعره : 219-220 (عن الأغاني) .

3 شعره : 270-271 .

غَضِبَ الحَبِيبُ عَلَيَّ فِي حُبِّي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمُذْنِبِ غَضْبَانِ
مَا لِي بِمَا ذَكَرَ الرَّسُولُ يَدَانِ بِلِ إِنْ تَمَّ رَأْيُكَ ذَا خَلَعْتَ عِنَانِي
يَا مَنْ يُتَوَقُّ إِلَى حَبِيبِ مُذْنِبٍ طَاوَعْتَهُ فَجَزَاكَ بِالْعِصْيَانِ
هَلَّا انْتَحَرْتَ فَكُنْتَ أَوَّلَ هَالِكٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِالصُّدُودِ يَدَانِ
كُنَّا وَكُنْتُمْ كَالْبَنَانِ وَكَفَّهَا فَالْكَفُّ مَفْرَدَةٌ بَغَيْرِ بَنَانِ
خُلِقَ السُّرُورُ لِمَعْشَرِ خُلِقُوا لَهُ وَخُلِقْتُ لِلْعَبْرَاتِ وَالْأَحْزَانِ

صوت¹

[من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي أَوَّلُ الْمَرْجِ هَذَا أَمْ زَمَانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرَجٍ²
إِنْ يَعْشِ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي³
مِلْكٌ يُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيَسْقِي لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِيسَا⁴ الْخَلْنَجِ
جَلَبَ الْخَيْلَ مِنْ تِهَامَةٍ حَتَّى بَلَغَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرْنَجٍ⁵
حَيْثُ لَمْ تَأْتِ قَبْلَهُ خَيْلُ ذِي الْأُكْ تَتَفَّ يُوْجِفْنَ بَيْنَ قُفٍّ وَمَرْجٍ⁶

عروضه من الخفيف . الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات ، والغناء ليونس الكاتب
ماخوري بالبصرة ، وفيه للملك ثاني ثقل بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق .

1 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 179-180 .

2 المرح : القتل . انظر شرح الأستاذ محمود محمد شاكر في الطبقات : 531-532 وحاشية الديوان .

3 الديوان : فأنا بخير . . من عيشه .

4 الديوان :

ملك يبرم الأمور ولا يـ شرك في رأيه الضعيف المزجي

والمزجي : هو الذي يدافع الأمر ليفرغ منه بأقل الجهد . والبخت الإبل الخراسانية . والعساس : جمع عس
وهو القدح الكبير . والخلنج : نوع من الشجر .

5 الديوان : وردت بدل بلغت . وزرنج : مدينة بخراسان .

6 الديوان : يرجعن . وذو الأكشاف : سابور بن هرمز . وقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ . ومرج : أرض
واسعة .

[402] - مقتل مصعب بن الزبير¹

وهذا الشعر يقوله عبيد الله بن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة عامداً لمحاربة عبد الملك بن مروان .
[عبد الملك يستشير]

وكان السبب في ذلك ، فيما أجاز لنا الحرّميّ بن أبي العلاء روايته عنه ، عن الزبير بن بكّار ، عن المدائنيّ قال : لما كانت سنة اثنتين وسبعين² ، استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومناجزة مصعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك ، وعامك هذا عام حارّ فأرح نفسك ورجلك ثم ترى رأيك . فقال : إني أبادر ثلاثة أشياء ، وهي أن الشام أرض بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي ، وأشرف أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم ، وثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفدت أعمارهم ، وأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي .

ثم دعا يحيى بن الحكم ، وكان يقول : من أراد أمراً فليشاوِر يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى في المسير إلى العراق ؟ قال : أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق ، فلعن الله العراق ! فضحك عبد الملك .
ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله ، ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزّاً ، فأقم عامك هذا .

فقال لمحمد بن مروان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصرّك الله أقمت أم غزوت ، فشمّر فإنّ الله ناصرُك . فأمر الناس فاستعدّوا للمسير ، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته : يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم ، فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه . فقال : لو وجهت أهل الشام كلّهم فعلم مصعب أنّي لست معهم هلك الجيش كلّهُ ، ثم تمثّل³ :

1 مقتل مصعب بن الزبير في كتب التاريخ الكبرى كالطبري والمسدودي والكمال والبداية والنهاية ، وانظر أنساب الأشراف والعقد .

2 الطبري والمسدودي : سنة 71 .

3 انظر الخبر وما تمثّل به عبد الملك في العقد 4/407 .

وَمُسْتَخِيرٌ عَنَّا يُرِيدُ بِنَا الرَّدَى
وَمُسْتَخْبِرَاتٍ وَالْعُيُونُ سَوَاكِبُ

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان ، ونادى
مُنَادِيهِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ سَيِّدَ النَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ . وَبَلَغَ مُصْعَبُ بْنُ
الزُّبَيْرِ مَسِيرَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ فَأَبَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَقَالُوا : عَدُونَا مُطَّلٌ عَلَيْنَا ،
يَعْنُونَ الْخَوَارِجَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِالْمَهْلَبِ وَهُوَ بِالْمَوْصِلِ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَيْهَا ، فَوَلَّاهُ قِتَالَ
الْخَوَارِجِ ، وَخَرَجَ مُصْعَبٌ فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَكُلْتُ عَامَ لِكَ بَاجُمَيْرَا تَغْرُو بَنَا وَلَا تُفِيدُ خَيْرَا¹

[سير القتال]

قال : وكان مُصْعَبٌ كَثِيرًا مَا يَخْرُجُ إِلَى بَاجُمَيْرَا يَرِيدُ الشَّامَ ثُمَّ يَرْجِعُ . فَأَقْبَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ
حَتَّى نَزَلَ الْأَخْنُونِيَّةَ² وَنَزَلَ مُصْعَبٌ بِمَسْكِنَ³ إِلَى جَنْبِ أَوَانَا⁴ وَخَنْدَقُ خَنْدَقًا ثُمَّ تَحَوَّلَ وَنَزَلَ
دِيرَ الْجَائِلِيْقِ⁵ وَهُوَ بِمَسْكِنَ ، وَبَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ ، وَيُقَالُ فَرَاسْخَانُ ، فَقَدَّمَ عَبْدُ
الْمَلِكِ مُحَمَّدًا وَبَشْرًا أَخُوَيْهِ وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى جَيْشٍ وَالْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ، وَقَدَّمَ مُصْعَبُ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ؛ ثُمَّ كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ
وَيَمْنِيهِمْ ، فَأَجَابُوهُ وَشَرَطُوا عَلَيْهِ شُرُوطًا ، وَسَأَلُوهُ وَلَايَاتٍ ، وَسَأَلَهُ وَلَايَةَ أَصْبَهَانَ أُرْبَعُونَ
رَجُلًا مِنْهُمْ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَمَنْ حَضَرَهُ : وَيُحْكَمْ ! مَا أَصْبَهَانَ هَذِهِ ! تَعَجُّبًا مِمَّنْ يَطْلُبُهَا .
وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ : لَكَ وَلَايَةُ مَا سَقَى الْفَرَاتُ إِنْ تَبِعْتَنِي ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بِالْكِتَابِ
إِلَى مُصْعَبٍ فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَخْصُصْنِي بِهِذَا دُونَ غَيْرِي مِنْ نَظَرَائِي ؛ ثُمَّ
قَالَ : فَأُطْعِمْنِي فِيهِمْ ، قَالَ : أَصْنَعُ مَاذَا ؟ قَالَ : تَدْعُوهُمْ فَتَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ . قَالَ : أَقْتُلُهُمْ عَلَى
ظَنِّ طَنْتِهِ ! قَالَ : فَأَوْقِرْهُمْ حَدِيدًا وَابْعَثْ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْمَدَائِنِ حَتَّى تَنْقُضِيَ الْحَرْبَ ، قَالَ :
إِذَا تَفْسَدَ قُلُوبُ عَشَائِرِهِمْ ، وَيَقُولُ النَّاسُ : عَيْثُ مُصْعَبُ بِأَصْحَابِهِ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلَا
تَمْدَنِّي بِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَالْمَوْسَةِ تَرِيدُ كُلَّ يَوْمٍ خَلِيلًا ، وَهُمْ يَرِيدُونَ كُلَّ يَوْمٍ أَمِيرًا .

أَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُصْعَبٍ رَجُلًا يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ شُورَى فِي الْخِلَافَةِ ، فَأَبَى
مُصْعَبٌ . فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ انصِرْ مُحَمَّدًا ، ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ انصِرْ

1 باجميرا : موضع بأرض الموصل .

2 الأخنونة : موضع من أعمال بغداد .

3 مسكن : موضع على دُجَيْلٍ عِنْدَ دِيرِ الْجَائِلِيْقِ بِهِ قَبْرُ مُصْعَبٍ .

4 أوانا : بلدة قريبة من بغداد .

5 دِيرُ الْجَائِلِيْقِ : دِيرٌ قَدِيمٌ غَرْبِي دَجْلَةَ قَرِيبٌ مِنْ بَغْدَادِ .

أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة . قال : وقدّم مُصْعَبُ إبراهيمَ بن الأَشْثَرِ ، فالتقت المقدمتان وبين
عسكر مُصْعَبٍ وعسكر ابن الأَشْثَرِ فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ،
فتناوشوا ، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس ، وقُتِلَ صاحب لواء بشر وكان يقال له
أُسَيْدٌ . فأرسل محمد إلى عبد الملك أنْ بشرًا قد ضيَّع لواءه . فصرف عبدُ الملك الأمر كله إلى
محمد ، وكفَّ الناسُ وتواقفوا ، وجعل أصحابُ ابن الأَشْثَرِ يهيمون بالحرب ومحمد بن مروان
يكف أصحابه . فأرسل عبدُ الملك إلى محمد : ناجزهم ، فأبى ، فأوفد إليه رسولا آخر وشمته ؛
فأمر محمد رجلاً فقال له : قِفْ خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتييني من قِبل عبد
الملك . وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه . فكره أن يُفسد عبد الملك
تدبيره عليه ، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أُسَيْدٍ ؛ فلما رآوه أرسلوا إلى محمد بن
مروان : هذا عبد الله بن خالد بن أُسَيْدٍ ، فقال : رُدُّوه بأشدَّ مما رددتم منْ جاء قبله ، فلما قرب
المساء أمر محمدُ بنُ مروانُ أصحابه بالحرب ؛ وقال : حرِّكهم قليلاً ، فنهاج الناس ، ووجّه
مُصْعَبُ عَتَّابَ بنَ ورقاء الرِّياحيَّ يُعَجِّزُ إبراهيمَ ، فقال له : قد قلت له : لا تُمدِّني بأحد من
أهل العراق فلم يقبل ، واقتتلوا . وأرسل إبراهيم بن الأَشْثَرِ إلى أصحابه ، بحضرة الرسول ليرى
خلافَ أهل العراق عليه في رايه ، ألا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم ؟
فقالوا : ولمَ لا تنصرف ؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً . وصبر إبراهيم بن الأَشْثَرِ
فقاتل حتى قُتِلَ . فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال : انطلق إلى عسكر مصعب فانظر
كيف تراهم بعد قتل ابن الأَشْثَرِ . قال : لا أعرف موضع عسكرهم ، فقال له إبراهيم بن
عديّ الكنانيّ : انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك . فمضى الرجل حتى أتى
عسكر مصعب ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأصبح مصعب فدنا منه ،
ودنا محمد بن مروان حتى التقوا ، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن
مروان . فدنا إلى مصعب ثم ناداه : فذاك أبي وأُمِّي ، إنَّ القوم خاذلوك ولك الأمان ، فأبى
قبولَ ذلك . فدعا محمدُ بن مروان ابنه عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريد محمد ،
فدنا منه فقال له : إنِّي لكم ناصح ؛ إنَّ القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشدته . فرجع
إلى أبيه فأخبره ، فقال : إنِّي أظنَّ القوم سيَقون ، فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم ، فقال : والله لا
تتحدّث نساء قريش أنِّي خذلتك ورغبت بنفسي عنك ؛ قال : فتقدّم حتى احتسبك ، فتقدّم
وتقدّم ناس معه فقتل وقُتلوا ، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من
أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى ، فشدّ عليه مصعب فقتله ، ثم شدّ على الناس فانفرجوا ، ثم
رجع فقمعد على مِرْفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفترجون عنه ، ثم

يرجع فيقعد على المرفقة ، حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : اعزُبْ يا كلب ، وشدَّ عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصَّب رأسه . وجاء ابن أبي فُرْوة كاتبُ مصعب فقال له : جُعِلْتُ فداك ، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس أخوك بالعبد . ورجع ابن ظبيان إلى مصعب ، فحمل عليه ، وزرق¹ زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ! فصرعه ، وقال عبيد الله لغلام له : احتزَّ رأسه ، فنزل فاحتزَّ رأسه ، فحمله إلى عبد الملك ، فيقال : إنَّه لما وضعه بين يديه سجد . قال ابن ظبيان : فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب ، قتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد ، ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت .

قال : وقال يزيد بن الرِّقاع العامليُّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام : [من الطويل]

نحنُ قتلنا ابنَ الحواريِّ مُصعباً أخا أسدٍ والمذحجيِّ اليماني²
يعني ابنَ الأشتر ، قال :

ومرَّت عُقاب الموتِ منّا بمُسلمٍ فأهوتَ له ظُفراً فأصْبَحَ ثاوياً³
قال الزُّبير : ويروى هذا الشعر للبيّث اليشكريِّ ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليِّ .

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديُّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، عن عَوَّانة قال : كان مسلم بن عمرو الباهليُّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر ، فطُعن وسقط فارث⁴ ، فلمَّا قُتِل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه : ما تصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : ليسلم لي مالي ويأمن ولدي . قال : فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لأهل الشام : هذا أكفر الناس لمعروف ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تُوِّمَّنه يا أمير المؤمنين ، فأَمَّنه ، ثم حُمِل فلم يرح الصَّحْن

1 زرقه : رماه أو طعنه بالمزراق وهو الرمح القصير .

2 الطبريُّ :

ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب أخا أسدٍ والنخعيِّ اليماني

3 الطبري : فأهوت له ناباً .

4 ارتث : حمل وبه رمق .

حتى مات ، فقال الشاعر :

[من الطويل]

نَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَ الْخَوَارِيِّ مُصْعَباً أَنَا أَسَدٌ وَالْمَذْحِجِيُّ الْيَمَانِيَا

حدثنا محمد بن العباس قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني قال : قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : بماذا تحتج عند الله عز وجل من قتلك لمصعب ؟ قال : إن تركتُ أحتج رجوتُ أن أكون أخطب من صَعَصَعَة بن صُوحان .

[مصعب وسكينة]

وقال مصعب الزبيري في خبره : قال الماجشون : فلما كان يوم قتل مصعب دخل إلى سُكَيْنَة بنت الحسين عليهما السلام فترع عنه ثيابه ، وليس غلالة وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سُكَيْنَة أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه : وأحزنه عليك يا مصعب ؛ فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه ، فقال : أوكل هذا لي في قلبك ! فقالت : إي والله ، وما كنت أخفي أكثر . فقال : لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع .

قال مصعب : وحدثني مصعب بن عثمان : أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سُكَيْنَة أعطى أباها علي بن الحسين عليهم السلام ، وهو كان حملها إليه ، أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال : قالت سُكَيْنَة : دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة . قال : وكانت قد ولدت منه بنتاً ، فقال لها سميها زبراء ، فقالت : بل أسميها باسم بعض أمهاتي ، فسمتها الرباب .

قال : فحدثني محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، عن أمه سُعدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيت سُكَيْنَة بنت الحسين بين مكة ومي قال : قفي يا بنت عبد الله ، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه ؛ قال : فلما قُتل مصعب ولي أمر مالك عروة بن الزبير ، فزوّج ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سكينة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار .

قال : ولما دخلت سُكَيْنَة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت : والله لا يتزوجني بعده قاتله أبداً . وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ودخلت بينها وبينه رَمْلَةٌ بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك ، فولدت منه ابناً فسمته عثمان ، وهو الذي يُلقب بقرين ، وربيعة ابني عبد الله بن عثمان ؛ فتزوج ربيعة العباس بن الوليد بن عبد الملك .

[رثاء مصعب]

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال
عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً¹ :

صوت

إِنَّ الرِّزْيَةَ يَوْمَ مَسَدٍ كِنَ وَالْمُصِيبَةَ وَالْفَجِيعَةَ
يَا ابْنَ الْخَوَارِيِّ الَّذِي لَمْ يَعِدْهُ يَوْمُ الْوَقِيعَةِ²
غَدَرْتُ بِهِ مُضَرُّ الْعِرَا قِ وَأَمَكَنْتُ مِنْهُ رَبِيعَةَ
تَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَهُ بِالْدَّيْرِ يَوْمَ الدَّيْرِ شِيعَةُ³
لَوْجَدْتُمُوهُ حِينَ يُدْ لَجَ لَا يُعْرَسُ بِالْمُضِيعَةِ⁴

غناه يونس الكاتب من كتابه ، ولحنه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه لموسى شهوات
خفيف رمل بالبصرة عن حبش ، وقيل : بل هو هذا اللحن ، وغلط من نسبته إلى موسى .
وقال عدي بن الرقاع العاملي يذكر مقتله⁵ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلَنَا بِأَكْنَافٍ دَجَلَةً لِلْمُضْعَبِ⁶
يَهْزُونَ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا مَعْتَدِلَ النَّصْلِ وَالشَّلْبِ
فِدَاؤُكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيْهِمُ أَبِي
وَمَا قَلْتُهَا رَهْبَةً إِنَّمَا يَحُلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمَذْنِبِ
إِذَا شِئْتُ دَافَعْتُ مُسْتَقْتِلًا أَزَاحِمُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرِبِ
فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَتِ آمِنًا وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبِ

غناه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 184 .

2 يوم الوقعة في الديوان : أهل الوقعة .

3 الديوان :

يا لهف لو كانت له بالدير يوم الدير شيعة

4 يعرس : ينزل آخر الليل للراحة . ورواية الديوان :

لوجدتموه حين يف ضب لا يعرج بالمضبعة

5 ديوان عدي بن الرقاع وانظر الطبري (حوادث سنة 71) .

6 أصحرت : برزت إلى الصحراء .

وقال ابن قيس يرثي مُصعباً¹ :

لقد أَوْرَثَ الْمِصْرَيْنِ خِزْيَاً وَذِلَّةً قَتِيلٌ بِذِيرِ الْجَائِلِيْقِ مُقِيمٌ
فَمَا قَاتَلْتُ فِي اللَّهِ بِكَرْبُنُ وَائِلٍ وَلَا صَبَرْتُ عِنْدَ الْلِقَاءِ تَمِيمٌ²
وَلَكِنَّهُ رَامَ الْقِيَامَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ³

[مصعب لا يفر]

قال الزبير : وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وعن قتله ، فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك ، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتة : [من الطويل]

فَإِنَّ الْأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأْسَوْنَ فَتَسْأَوُا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا
قال عروة : فعلمت أنّ مُصعباً لا يفر أبداً .

قال الزبير : وقال أبو الحكم بن خلاد بن قرة السدوسي : حدثني أبي قال : لما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاري قال له الناس : لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة ؟ فقال لهم : ما تنحوني ، والله ، إليه أتن ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مفراً ؟ ثم تمثل قول الكَلْحَبَةِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْمَكَارَةَ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الْهُوْنِيِّ بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا

[خطبة عبد الله بن الزبير]

قال الزبير : وحدثني المدائني عن عوانة والشرقي بن القطامي عن أبي جناب قال : حدثني شيخ من أهل مكة قال : لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إمام مكة في الطريق ؛ ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظرت إليه والكتابة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ما له لا يتكلم ؟ أترأه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيّد العرب فهو يفظع لذكره ، وغير ملوم . فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة ، يُعَزَّزُ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ؛ ألا إنه لم يذلّ والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يعزّز من كان الباطل معه ، وإن كان في العدة والعدد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 196 .

2 الديوان : فما نصحت لله ...

3 الديوان :

ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مضري ...

والكثرة . ثم قال : إنه قد أتانا خبرٌ من العراق ببلدٍ الغدر والشقاق فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قُتِلَ رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذي أحرزنا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوي من بعدُ ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر . وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعلٌ لنا وله ذلك خيرةً إن شاء الله تعالى . إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأحسره ، أسلموه لإسلام النعم المخطم¹ فقتل ، ولكن قتل لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين . إنا والله ما نموت حتف أنوفنا ، ما نموت إلا قتلاً ، قعصاً بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِلَ رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قط ، وإنما الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها آخذ الأشير البطر ، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخريف المهتر . ثم نزل .

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً :

[من الطويل]

لعمرك إن الموت منا لمولع	بكل فتى رخب الذراع أريب
فإن يك أمسى مصعب نال حتفه	لقد كان صلب العود غير هيب
جميل المحيا يوهن القرن غربه	وإن عضه دهر فغير رهوب
أتاه جمام الموت وسط جنوده	فطاروا شلالاً واستقى بذنوب ²
ولو صبروا نالوا حباً وكرامة	ولكنهم ولّوا بغير قلوب

[مصعب أشجع الناس]

قال : وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثروا في هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مصعبُ بنُ الزبير ، جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم ، وولي العراقين ، ثم زحف إلى الحرب ، فبذلت له الأمان والحياة والولاية والعفو عما خلص في يده ، فأبى قبول ذلك ، وأطرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قدماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قُتِلَ كريماً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : لما ولي مصعبُ بنُ الزبير

1 النعم المخطم : البعير الذي جعل الخطام على أنفه لاعتقاده .

2 طاروا شلالاً : فروا متفرقين .

العراق أقرَّ عبدَ العزيز بنَ عبد الله بن عامر على سِجِسْتان وأمدَّه بخيل ، فقال ابنُ قيس الرُّقِيَّات :
[من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي أَوَّلَ الْهَرْجِ هَذَا أَمْ زَمَانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرْجٍ
إِنْ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي
أَعْطَيْتِ النَّصْرَ وَالْمَهَابَةَ فِي الْأَعْدَاءِ لَدَاءَ حَتَّى أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ فِجْ
حَيْثُ لَمْ تَأْتِ قَبْلَهُ خَيْلُ ذِي الْأَكْ سِتَافٌ يُوجِفُنْ بَيْنَ قُفٍّ وَمَرْجٍ
مَلِكٌ يُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيَسْقِي لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِساسِ الْخَلَنَجِ

قال الزُّبَيْر : حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ : أَنَّ عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك ، فأقبل غِلْمانٌ لَهُ معهم عِساسِ خَلَنَجٍ فيها لبن البخت ، فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، أين هذا من عِساسِ مصعب التي تقول فيها :

مَلِكٌ يُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيَسْقِي لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِساسِ الْخَلَنَجِ

فقال : لا أَيْنَ يا أمير المؤمنين ، لو طرحتَ عِساسَكَ هذه في عُسٍّ من عِساسِ مُصْعَبٍ لَوَسَّعِهَا وَتَغْلَغَلْتَ فِي جَوْفِهِ ، فَضَحَكَ عبد الملك ثم قال : قَاتَلَكَ اللَّهُ يا ابن قيس ، فَإِنَّكَ تَأْتِي إِلَّا كَرَمًا وَوَفَاءً .

[يونس الكاتب والوليد بن يزيد]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ قَالَ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ : خَرَجَ يُونُسُ الْكَاتِبُ مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ الشَّامَ بِتِجَارَةٍ ، فَبَلَغَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ مَكَانَهُ فَأَتَتْهُ رُسُلُهُ وَهُوَ فِي الْخَانَ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ هِشَامَ ، وَالْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ ، فَقَالُوا لَهُ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ؛ قَالَ : فَذَهَبْتُ مَعَهُمْ ، فَأَدْخَلُونِي عَلَيْهِ وَلَا أَدْرِي مَنْ هُوَ إِلَّا أَنَّهُ حَسَنُ الْوَجْهِ نَبِيلٌ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، وَدَعَا بِالشَّرَابِ وَالْجَوَارِي ، فَكُنَّا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا فِي أَمْرِ عَجِيبٍ ، وَغَنِيَّتُهُ فَأَعْجَبَهُ غَنَائِي ، وَكَانَ مِمَّا أَعْجَبَهُ :
[من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي أَوَّلَ الْهَرْجِ هَذَا أَمْ زَمَانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرْجٍ

فلم يزل يستعيده إلى الصبح ، ثم اصطحب عليه ثلاثة أيام . فقلت : أيها الأمير ، أنا رجلٌ تاجر قَدِمْتُ هَذَا الْبَلَدَ فِي تِجَارَةٍ لِي ، وَقَدْ ضَاعَتْ ، وَقَدْ خَرَجَ غَدًا غَدَوَةٌ وَقَدْ رَبِحْتُ أَكْثَرَ مِنْ تِجَارَتِكَ ، وَتَمَّمْتُ شَرْبَهُ . فَلَمَّا أَرَدْتُ الْانْصِرَافَ لِحَقْنِي غِلَامٌ مِنْ غِلْمَانِهِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَأَخَذْتُهَا وَمَضَيْتُ . فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ أَتَيْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ .

قال أحمد بن الطيب ، وذكر مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ ، أنَّ يونس قال : كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردتُ أن أبُولَ ، فقامتُ فجلستُ أبُولُ على كتيب رمل ، فخطر بيالي قولُ ابن قيس :

ليتَ شِعْري أَوَّلُ الهَرْجِ هذا

فغَنِّيت فيه لحنًا استحسنته وجاءَ عجباً من العجب ، فالْقَيْتُهُ على جاريتي عاتكة ، وردَّدَتْهُ حتى أخذتُهُ ، وشاع لي في الناس . فكان أَوَّلَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْرِي وقُرِنْتُ بالفُحول من المغنِّين ، وعاشرت الخلفاء من أجله ، وأكسبني مالاً جليلاً .

صوت¹

[من المتقارب]

أَلَا نَادِ جِيرَانَنَا يَقْصِدُوا فَنَقْضِي اللَّبَانَةَ أَوْ نَعْهَدُ²

كَأَنَّ عَلَى كَبْدي جَمْرَةً حِذاراً من البَيْنِ ما تَبْرُدُ³

الشعر لكثير ، والغناء لأشعب المعروف بالطمع ، ثاني ثقل بالوسطى ، وفي البيت الثاني لابن جاعم لحن من الثقيل الأول بالبصر عن حبش .

1 ديوان كثير : 493 .

2 الديوان : ألا نادِ لجيراننا .

3 جمرة في الديوان : قرحة .

[403] - ذكر أشعب وأخباره¹

هو أشعب بن جبّير ، واسمه شُعَيْب ، وكنيته أبو العلاء ، كان يقال لأُمّه : أُمّ الخَلْدَج ، وقيل : بل أُمّ جميل ، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيْدَة . وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدَة ، وأسرّه مُصْعَب فضرب عنقه صبراً ، وقال : تخرج عليّ وأنت مولاي ؟ ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ، وتولّت تربيتَه وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفّان .

وحُكي عنه أنّه حكى عن أُمّه أنّها كان تُغري بين أزواج النبي ﷺ ، وأنّها زنت فَحِلقت وطيف بها ، وكانت تنادي على نفسها : مَنْ رآني فلا يزني ، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها : يا فاعلة ، نهانا الله عزّ وجلّ عنه فعصيناه ، أوْطِيعك وأنتِ مجلودة محلوقة راکبة على جمل !

وذكر رَضْوَان بن أحمد الصّيدلانيّ فيما أجاز لي روايته عنه ، عن يوسف بن الداية عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ عُبَيْدَة بن أشعب أخبره ، وقد سأله عن أولهم وأصلهم ، أنّ أباه وجدّه كانا مَوْلَيي عثمان ، وأنّ أُمّه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب ، وأنّ ميمونة أُمّ المؤمنين أخذتها معها لما تزوّجها النبي ﷺ ، فكانت تدخل إلى أزواج النبي ﷺ فيستظرفنها ؛ ثمّ إنّها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهنّ إلى بعض وتغري بينهنّ ، فدعا النبي ﷺ عليها فمات .

وذكروا أنّه كان مع عثمان ، رضي الله عنه ، في الدار ، فلما حُصِر جرد مماليكهُ السيوف ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : مَنْ أغمد سيفه فهو حرٌّ ، قال أشعبُ : فلما وقعت والله في أُذني كنتُ أوّلَ مَنْ أغمد سيفه ، فأعْتقتُ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شُبّة قال : حدّثني إسحاق الموصليّ قال : حدّثني الفضل بن الرّبيع قال : كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة ، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيه . وهو أشعبُ بن جبّير ، وكان أبوه مولى لآل الزّبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مُصْعَب صبراً مع مَنْ قتل .

أخبرني الجوهريّ قال : حدّثنا ابنُ مهرويه قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل البيهقيّ قال : حدّثني الثّوّزيّ ، عن الأصمعيّ قال : قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

1 ترجمة أشعب في وفيات الأعيان 2 : 471-475 وفيات الوفيات 1 : 197-201 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 75 وميزان الاعتدال 1 : 258 وتاريخ بغداد 7 : 37 . والخاص والمساوي : 597 وأخبار الظرفاء : 31 وثمار القلوب : 150 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة جانباً كبيراً من أخباره في مواضع متفرقة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : حدثنا الزُّبير بن بَكَار قال : حدثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال : حدثني محمد بن عثمان بن عفَّان قال : قلت لأشعب : لي إليك حاجة ، فحلف بالطلاق ، لابنة وَرْدان : لا سألتُه حاجة إلاّ قضاها ، فقلت له : أخبرني عن سنِّك ، فاشتدَّ ذلك عليه حتى ظننت أنّه سيُطلَّق . فقلت له : على رسنك ، وحلفتُ له إنِّي لا أذكر سنَّه ما دام حيًّا ، فقال لي : أمّا إذ فعلت فقد هَوَّنت عليّ ، أنا والله حيث حُصِر جدُّك عثمان بن عفَّان ، أسعى في الدار ألتقط السهام . قال الزُّبير : وأدركه أبي .

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي عن الهيثم بن عديّ قال : قال أشعب : كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصِر ، وكنت في شبيبتَي أُلحق الحُمُر الوحشيَّة عدوًّا .

[حدثناه على الزنا]

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا : أخبرنا المدائنيُّ قال : كان أشعب الطامع ، واسمه شُعيب ، مولى لآل الزُّبير من قبل أبيه ، وكانت أمّه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفَّان ؛ وكانت بغت فضربت وحُلقت وحُمِلت على جمل ، وطيف بها وهي تنادي : مَنْ رآني فلا يزني ، فأشرفت عليها امرأة فقالت : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلَّ عن الزنا فعصيناه ، ولسنا ندعه لقولك وأنت مخلوقة مضروبة يُطاف بك ؟

أخبرني أحمد قال : حدثنا أحمد بن مَهْرويه قال : كتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : اسم أشعب شُعيب ، ويكنى أبا العلاء ، ولكنَّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه ، وهو شُعيب بن جُبَيْر مولى آل الزُّبير ، وهم يزعمون اليوم أنّ أصلهم من العرب انتسبوا إلى ذي رعين ، وولده كثير عندنا ، وأمَّ أشعب أم الخَلندج . فزعم أشعب أنّ أمّه كان تُغري بين أزواج النبي ﷺ ورَجِهم ، وامرأة أشعب بنت وردان ، ووردان الذي بنى قبر النبي ﷺ حين بنى عُمر بن عبد العزيز المسجد .

[أشعب حسن الصوت]

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : كان أشعبُ من القراء للقرآن ، وكان قد نَسِكَ وغزا ، وكان حسنَ الصوت بالقرآن ، وربما صلَّى بهم القيام .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني أحمد بن يحيى قال :

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها ، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيري :

[من السريع]

صوت

إذا تمززت صُراجيَّةً كمثل ريح المسك أو أطيَّب¹
ثم تغنى لي بأهزاجه زيد أخو الأنصار أو أشعب
حسبت أني ملك جالس حقت به الأملاك والموكب
وما أبالي وإله الورى أشرق العالم أم غربوا

غنى في هذه الأبيات زيد الأنصاري خفيف رمل بالنصر .

[رواية أشعب الحديث]

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة .

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم قال : حدثني أبو البخري .

حدثني أشعب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلي كراع لقبلت» .

قال ابن أبي سعد ، وروى عن محمد بن عباد بن موسى عن عتاب بن إبراهيم ، عن أشعب الطامع ، قال عتاب : وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه ، قال : دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف علي وقال : يا أشعب ، ويلك لا تسأل ، فإني سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ليأتين أقوام يوم القيامة ما في وجوههم مزرعة لحم ، قد أخلقوها بالمسألة» .

ويروى عن يزيد بن موهب الرملي عن عثمان بن محمد ، عن أشعب ، عن عبد الله بن جعفر : أن النبي ﷺ تختم في يمينه .

أخبرني أحمد قال : حدثني عمر بن شبة قال : حدثني الأصمعي ، عن أشعب قال : استنشدني ابن لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الركبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ، ورأس أبيه سالم في ب² فلم ينكر ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهزوب قال : حدثني أبو مسلم عن عبد الرحمن بن الحكم ، عن المدائني قال : دفعت عائشة بنت عثمان أشعب في

1 الصراجية : إناء الخمر .

2 بت : طيلسان من خز ونحوه .

البرازين فقالت له بعد حول : أتوجهت لشيء ؟ قال : نعم ، تعلّمتُ نصفَ العمل وبقي نصفه ، قالت : وما تعلّمتُ ؟ قال : تعلّمتُ النشْرَ وبقي الطيّ .
[وهب له غلام فغشي على أمه من الفرح]

قال المدائني : وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً . فجئت إلى أمي فقالت : ما لك قد جئت خائباً ؟ فأخبرتها ، فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك ، فرجعت فقلت : يا رب أقلني ، ثم رجعت ، فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام . فجئت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فموت فرحاً ، فقلت : وهبوا لي ، قالت : أي شيء ؟ قلت : غين ، قالت : أي شيء غين ؟ قلت : لام ، قالت : وأي شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني العباس بن ميمون قال : سمعتُ الأصمعي يقول : سمعتُ أشعب يقول : سمعتُ الناس يمجون في أمر عثمان . قال الأصمعي : ثم أدرك المهدي .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الربيعي قال : حدّثني هند بن حَمْدان الأرقمي المخزومي قال : أخبرني أبي قال : كان أشعب أزرق أحول أكشف¹ أقرع .
قال : سمعتُ الأرقمي يقول : كان أشعب يقول : كنتُ أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان . والله أعلم .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثنا عيسى بن موسى قال : حدّثنا الأصمعي قال : أصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشتري به قطيفة ، ثم خرج إلى قُباء يعرفها ، ثم أقبل عليّ فيما أحسب ، شك أبو يحيى ، فقال : أتراها تُعرّف .

قال أحمد : وحدّثناه أبو محمد بن سعد قال : حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال : حدّثني الواقدي قال : كنت مع أشعب نريد المصلّى ، فوجد ديناراً ، فقال لي : يا ابن واقد قلت : ما تشاء ؟ قال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ قال : قلت : عرّفه ، قال : أم العلاء إذا طالق ، قال : قلت : فما تصنع به إذا ؟ قال : أشتري به قطيفة أعرفها .

1 أكشف : انحسر مقدم شعر رأسه .

قال : وحَدَّثني محمد بن القاسم قال : وحَدَّثنيه محمد بن عثمان الكُرَيْزِيّ ، عن الأصمعيّ : أنَّ أشعب وجد ديناراً فتحَرَّجَ من أخذه دون أن يُعرِّفه ، فاشترى به قطيفة ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : مَنْ يتعرَّف الوَبْدَةَ ؟

أخبرني أحمد الجوهريّ قال : حَدَّثني محمد بن القاسم قال : سألت العَنَزِيّ ، فقال ! الوَبْدُ من كلِّ شيء : الخَلْقُ ؛ وبَدَّ الثوبُ ووَبَدَ إذا خُلِقَ .

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حَدَّثنا عيسى بن موسى ، قال : حَدَّثنا الأصمعيّ قال : رأيت أشعب يغنيّ وكأنَّ صوته صوتُ بلبل .

[يصرف الناس عن القاص بغناؤه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حَدَّثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل ، وكانَ ثَمَّ قاصٌّ يَقُصُّ عليهم ، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق ، فتركوه وأقبلوا إليّ ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال : إنَّ هذا صرف وجوه الناس عني ، قال : وأتيتُ سالماً ، وأحسبه قال ، والقاسم ، فسألتهما بوجه الله العظيم ، فأعطاني ، وكانا يغضائني أو أحدهما يغضني في الله ، قال : قلنا : لا تجعل هذا في الحديث قال : بلى .

حَدَّثنا أحمد : قال : حَدَّثنا محمد بن القاسم قال : وحَدَّثناه قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال : أَخبرنا الأصمعيّ ، عن أشعب قال : قديم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يَقُصُّ في رُفْقته ، وفيها ألف بعير ، فخرجنا وأحرمنّا من الشَّجرة فطَرَبْتُ بالتَّلبية ، فأقبل الناس إليّ وتركوه . قال : ابنُ أمِّ حُميد ، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال : إنَّ مولاك هذا قد ضَيَّقَ عليّ معيشتي .

[يخلف ألا يأكل مضيرة]

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثنا محمد بن القاسم قال : أَخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم عن المدائنيّ قال : تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ ، فجاءوا بمَضِيرَةٍ ، فقال أشعب لخَبَّاز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : مَنْ يُصَلِّي بأهل السَّجَن ؟ قال : ليس لهم إمام ، قال : أدخلوا أشعب يصليّ بهم ، قال أشعب : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألا آكلَ مضيرةً أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : حَدَّثني قَعْنَب بن المحرز ، قال : حَدَّثنا الأصمعيّ قال : ولَّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مَكَّةَ والمدينة . قال أشعب : فلقيته بالجُحفة¹ فسَلِّمْتُ عليه ، قال : فحضر الغداء ، وأهدي إليّ جَدْيَ فطبخه

مضيرة ، وحُشيت القبة¹ قال : فأكلتُ أكلاً أتملح به ، وأنا أعرف صاحبي ، ثم أتيت بالقبة ، فشققتها ، فصاح الطباخ : إنا لله ! شقَّ القبة ، قال : فانقطعت . فلما فرغت قال : يا أشعب ، هذا رمضان قد حضر ، ولا بدَّ أن تصلي بأهل السجن ، قلت : والله ما أحفظ من كتاب الله إلّا ما أقيم به صلاتي ، قال : لا بدَّ منه ، قال : قلت : أولاً آكل جذياً مضيرة ؟ قال : وما أصنع به وهو في بطنك ؟ قال : قلت : الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة ، قال : يا غلام ، هات ريشة ذنب ديك ، قال أشعب : والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ، قال : فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلتُ ، ثم قال لي : ما رأيك ؟ قال : قلت : لا أقيم ببلدة يصاح فيها : شقَّ القبة ، قال : لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرهما عليك ، فقل ولا تشطط قال : قلت : نصف درهم كراء حمار يُبلغني المدينة ، قال : أنصفت وأعطانيه .

[بعض طرائف أشعب]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال أخبرني أبو مسلم ، عن المدائني قال : أتيت أشعبُ بفألودجة عند بعض الولاة ، فأكل منها ، فقليل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عُمِلت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا عبد الله بن شعيب الزبيري عن عمه . قال أبو بكر : وحدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عبد الله بن شعيب وهو أتم من هذا وأكثر كلاماً ، قال : جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير ، فشكا إليه ، فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب ! أنت في سينك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطي مثل هذا ؟ اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك . قال أشعب : ففعلتُ ، ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال : اذهب الآن فاطلب ، قال : فذهبتُ إلى هشام بن الوليد ، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة ، وكان رجلاً شريفاً موسيراً ، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً ، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد ، وطفق كلما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ، جزاه الله عني خيراً ، أعرف الناس بمسألة ، فعل بي وفعل ، فيقص قصته . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدو نفسه ! فضحتني في الناس ، أفكان هذا جزائي !

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال : حدَّثني شيخٌ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفرع² يبكي وقد خضب بالحناء .

1 القبة : جزء من أسفل الكرش .

2 الفرع : قرية بين مكة والمدينة .

فقالوا : يا شَيْخ ما يبكيك ؟ قال : لغربة هذا الجناح ، وكان على دار واحدة ليس بالفرع غيره .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال : أخبرني محمد بن الحسين قال : حدثني أبي ، قال : نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال : وهو يدعو ويتضرَّع ، قال : فأدمنتُ نظري إليه ، فكَلَّمَا أدمنتُ النظر إليه كَلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هَرَبْتُ فسألت عنه فقالوا : هذا أشعب .

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني محمد بن الحسين قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفَهْرِيّ قال : إنَّ أشعب مرَّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال : كأنَّ هذه الرشَّ كِسَاءُ بَرْنَكَانِي¹ فلَمَّا توسَّطه قال : أظنني والله قد صدقت ، وجلس يلمس الأرض .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثني محمد بن الحسين قال : حدثنا بعض المدنيّين قال : كان لأشعب خرقٌ في بابه ، فينام ويُخْرِج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئاً ، من الطمع .

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثنا الزُّبَيْر قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال : صلَّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروان عظيمَ الخلق والعَجِيزَة ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه ، لها صوت ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوهِم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح ، فلَمَّا انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدَّيَّة ، فقال : دِيَّةٌ ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التي تَحَمَّلْتها عنك ، والله وإلَّا شهَرْتُكَ ، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدثني سَوَّار بن عبد الله قال : حدثني مهديّ بن سليمان المنقريّ مولى لهم ، عن أشعب قال : دخلتُ على القاسم بن محمد وكان ييغضني في الله وأحبه فيه ، فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخرج عني ، فقلت : أسألك بالله لما جَدَّدْتُ² عِدْقاً ، قال : يا غلام ، جُدِّ له عِدْقاً ، فإنَّه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثنا الرياشيّ قال : حدثني أبو سلمة أيوب بن عمر ، عن المحرزيّ ، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان قال : كان لأشعب عليّ في كلِّ

1 كساء برنكاني : كساء من صوف .

2 جدَّ العدق : قطعه .

سنة دينار ، قال : فَأَتَانِي يَوْمًا بِبَطْحَانَ¹ فقال : عَجَّلْ لِي ذَلِكَ الدِّينَارَ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَخْرَجَ مِنْ بَيْتِي فَلَا أَرْجِعُ شَهْرًا مِمَّا آخَذَ مِنْ هَذَا وَهَذَا وَهَذَا .
[مباراة بين أشعب وابنه]

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَحْكِي عَنْ بَعْضِ الْمَدَنِيِّينَ قَالَ : كَبُرَ أَشْعَبُ فَمَلَهُ النَّاسُ وَبَرَدَ عِنْدَهُمْ ، وَنَشَأَ ابْنُهُ فَتَغَنَّى وَبَكَى وَأَنْدَرَ² ، فَاشْتَهَى النَّاسُ ذَلِكَ ، فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ أُلُوهُ : فِدْعَاهُ يَوْمًا وَجَلَسَ هُوَ وَعُجُوزُهُ ، وَجَاءَ ابْنُهُ وَامْرَأَتُهُ فَقَالَ لَهُ : بَلَّغْنِي أَتَيْتُكَ قَدْ تَغَنَّيْتَ وَأَنْدَرْتَ وَخَطَبْتَ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَدْ مَالُوا إِلَيْكَ فَهَلُمَّ حَتَّى أَخَايَرِكَ³ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَتَغَنَّى أَشْعَبُ فَإِذَا هُوَ قَدْ انْقَطَعَ وَأَرْعَدَ ، وَتَغَنَّى ابْنُهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنُ الصَّوْتِ مَطْرَبٌ ، وَانْكَسَرَ أَشْعَبُ ثُمَّ أَنْدَرَ فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ خَطَبَهَا فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَاحْتَرَقَ أَشْعَبُ فَقَامَ فَأَلْقَى ثِيَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، فَمَنْ أَيْنَ لَكَ مِثْلُ خُلُقِي ؟ مَنْ لَكَ بِمِثْلِ حَدِيثِي ؟ قَالَ : وَانْكَسَرَ الْفَتَى ، فَتَغَرَّتِ الْعُجُوزُ وَمَنْ مَعَهَا عَلَيْهِ .
[دفن بنت الحسين بن علي]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادٍ بْنِ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَكَانَ جَارَنَا هُنَا قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْهَلَالِيُّ ، وَكَانَ عَلَى شَرْطَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَعِنْدَهُ أَشْعَبُ يُحَدِّثُهُ قَالَ : كَانَتْ بِنْتُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عِنْدَ عَائِشَةَ بِنْتِ عُثْمَانَ تَرْبِيهَا حَتَّى صَارَتْ امْرَأَةً ، وَحَجَّ الْخَلِيفَةُ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ خَلْقٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا وَافَى الْخَلِيفَةَ إِلَّا مَنْ لَا يَصْلُحُ لَشَيْءٍ ، فَمَاتَتْ بِنْتُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ عَفِيفًا حَدِيدًا⁴ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ ، لَهُ جَارِيَةٌ مُوَكَّلَةٌ بِلَحْيَتِهِ إِذَا انْتَزَرَ لَا يَأْتُرُّزُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ جَمْعَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهَا تَحْتَ فَخْذِهِ . فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ : يَا أَخِي قَدْ تَرَى مَا دَخَلَ عَلِيٌّ مِنَ الْمَصِيبَةِ بَابَتِي ، وَغِيَّةِ أَهْلِي وَأَهْلِيهَا ، وَأَنْتَ الْوَالِي ، فَأَمَّا مَا يَكْفِي النِّسَاءَ مِنَ النِّسَاءِ فَأَنَا أَكْفِيكَهُ بِيَدِي وَعَيْنِي ، وَأَمَّا مَا يَكْفِي الرِّجَالَ مِنَ الرِّجَالِ فَكَفِينِي ، مَرْ بِالْأَسْوَاقِ أَنْ تَرْفَعَ ، وَأَمْرٌ بِتَجْرِيدِ مَنْ يَحْمِلُ نَعْشَهَا ، وَلَا يَحْمِلُهَا إِلَّا الْفُقَهَاءُ الْأَيْبَاءُ مِنَ قَرِيشٍ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ ، وَقُمْ عَلَى قَبْرِهَا وَلَا يَدْخُلْهُ إِلَّا قَرَابَتُهَا مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ

1 بطحان : واد بالمدينة

2 أندر : أتى بالنوادر .

3 أخايرك : أغلبك .

4 رجل حديد : فيه شدة .

والفضل . فأتى ابن حزم رسولها حين تغدّى ودخل ليَقِيل ، فدخل عليه فأبلغه رسالتها ، فقال ابن حزم لرسولها : أقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنّي قد سمعت الواعية¹ وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أُبرِد ، ثم أَصَلّي ، ثم أَفْذَ كُلّ ما أُمّرت به . وأمر حاجبه وصاحب شُرطته برفع الأسواق ، ودعا الحرس وقال : خذوا السيّاط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلّا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار ؛ ثم نام وانتبه وأسرج له ، واجتمع كلُّ مَنْ كان بالمدينة ، وأتى بابَ عائشة حين أُخرج النعش ، فلما رأى الناس النعش التقفوه ، فلم يملك ابن حزم ولا الحرسُ منه شيئاً ، وجعل ابن حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء : اربعوا أيّ ارفقوا فلم يسمعوا ، حتى بُلغ بالنعش القبر . فصلى عليها ، ثم وقف على القبر فنادى : مَنْ هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره إلّا مروانُ بن أبان بن عثمان ، وكان رجلاً عظيماً البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه ، سخيّف العقل ؛ فطلع وعليه سبعة قمصٍ ، كأنها دَرَج ، بعضها أقصرُ من بعض ورداءٍ عذنيّ يشمن ألفي درهم . فسَلّم وقال له ابن حزم : أنتَ لعمري قريئها ، ولكنّ القبرَ ضيقٌ لا يسعك ، فقال : أصلح الله الأمير إنّما تضيق الأخلاق . قال ابن حزم : إنّ الله ، ما ظننتُ أنّ هذا هكذا كما أرى . فأمر أربعة فأخذوا بضبعه حتى أدخلوه في القبر ، ثم أتى خراء الزنج ، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ، ثم قال : واسيّداتاه وإبنت أختاه ! فقال ابن حزم : تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنّه مخنّث ، فلم أكن أرى أنّه بلغ هذا كلّهُ ، ذلّوه فإنّه عورة ، هو والله أحقّ بالدفن منها . فلما أُدخِلَا قال مروان لخراء الزنج : تنحّ إليك شيئاً . فقال له خراء الزنج : الحمد لله ربّ العالمين ، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ . فقال لهما ابن حزم : اسكُتا قبحكما الله وعليكما لعنته ، أيكما الإنسيّ من الوحشيّ ، والله لئن لم تسكُتا لآمرنّ بكما فتدفنان ، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيّين وهو ناقةٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال : أنا خالها وأمّي سودة وأمّها حفصة ، ثم رمى بنفسه في القبر ، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح : أوّه ! أصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبي . فقال ابن حزم : دقّ الله عرقوبك وترقوتك ! اسكُت وملك ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ويحكم إني خُبرت أنّ الجارية بادن ، ومروان لا يقدر أن ينثني من بطنه ، وخراء الزنج مخنّث لا يعقل سنّة ولا دفناً ، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه ، فمن يدفن هذه الجارية ؟ والله ما أمرتني بهذا بنتُ المظلوم . فقال له جلساؤه : لا والله ما بالمدينة خلقٌ من قريش ، ولو كان في

هؤلاء خير لما بقُوا ؛ فقال : من هاهنا من مواليتهم ؟ فإذا أبو هانيء الأعْمى وهو ظنر لها ، فقال ابنُ حزم : مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ ؟ قال : أنا أبو هانيء ظنر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفن أحياءهم وأمواتهم ، فقال : أنا في طلبك ، ادخل رَحِمَكَ اللهُ ، فادفن هؤلاء الأحياء ، حتى يُدَلِّيَ عليك الموتى ؛ ثم أقبل على أصحابه فقال : إنا لله ، وهذا أيضاً أعمى لا يبصر . فنادوا : مَنْ هاهنا من مواليتهم فإذا برجلٍ يزديّ يقال له أبو موسى قد جاء ، فقال له ابنُ حزم : مَنْ أَنْتَ أيضاً ؟ قال : أنا أبو موسى صالمين ، وأنا ابن السميّط سميّطين والسعيد سعيدين ، والحمد لله ربّ العالمين . فقال ابنُ حزم : والله العظيم لتكونن لهم خامساً ، رَحِمَكَ اللهُ يا بنت رسول الله ، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأظنه سقط رجل آخر .

[أشعب وجديه]

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني اليعقوبيّ محمد بن عبد الله قال : حدّثني أبو بكر الزلال الزبيريّ ، قال : حدّثني مَنْ رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضره ويقول له : تنبح الهدية وتُبصِّص للضيف .

أخبرنا أحمد ، قال : حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن محمد الزبيريّ أبو الطاهر قال : حدّثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : غداً أشعبُ جدّاً بلبين زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال : ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته : أيّ ابنة وُردان ، إنني أُحبُّ أن تُرضيعه بلبنك . قال : ففعلت ؛ قال : ثم جاء به إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنّه لابني ، قد رضع بلبين زوجتي وقد حبّوْثك به ، ولم أرَ أحداً يستأمله سواك . قال : فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبِحَ وسُمِطَ ، فأقبل عليه أشعب ، فقال : المكافأة ، فقال : ما عندي والله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك . فلمّا يمس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد ، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه ، ثم قال : أخلني ، قال : ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك . قال : وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . قال : فارتاع جعفر وصاح : ويْلَكَ ! وفيم ؟ وترديد ماذا ؟ قال : أمّا ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامعٌ أبداً بعدك . فعجزاه خيراً وأدخله منزله ، وأخرج إليه مائتي دينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا ما تُحبّ . قال : وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يبطأ عليه ، فإذا به مُترسِّل في مَجْلِسِهِ . فلمّا رأى وجهَ أبيه نكّره ، وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل أَوْفَعَلْتَهَا بِأَشْعَبَ ؟ قتلتَ ولدَه . قال : فاستَضجك وقال : جاءني بِجَدْنِي من صفته كذا ، وخبره الخبر . فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه . قال : فكان جعفر

يقول لأشعب : رعبني ربك الله فيقول : رَوْعَةُ ابْنِكَ وَاللَّهِ إِيَّايَ فِي الْجَدِّي أَكْبَرُ مِنْ رَوْعَتِكَ أَنْتَ فِي الْمَائِثِي الدِّينَارِ .

[خالد بن عبد الله يجري عليه دون أن يعرفه]

أخبرنا أحمد قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَبِّبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ ، قَالَ : وَعُمَيْرُ لَقِبٌ وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَشْعَبٍ قَالَ : أَتَيْتُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَيْلَةَ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا أُعْطِي عَلَى مِثْلِهَا ، قُلْتَ : بَلَى جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ؟ ؛ فَقَالَ : قُمْ فَإِنْ قُدِرَ شَيْءٌ فَنَسِيكُونَ ؛ قَالَ : فَقُمْتُ ، فَإِنِّي لَقِي بَعْضَ سَيِّكِكَ الْمَدِينَةِ ، إِذْ لَقَيْتَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَشْعَبُ إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ سَاقَ إِلَيْكَ رِزْقًا فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قُلْتَ : أَشْكُرُ اللَّهَ وَأَشْكُرُ مَنْ فَعَلَهُ . قَالَ : كَمْ عِيَالُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ : قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أُجْرِيَ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ مَا كُنْتَ حَيًّا . قَالَ : مَنْ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : لَا أُخْبِرُكَ مَا كَانَتْ هَذِهِ فَوْقَ هَذِهِ ، يَرِيدُ السَّمَاءَ ، وَأُشَارُ إِلَيْهَا . قَالَ : قُلْتَ : إِنَّ هَذَا مَعْرُوفٌ يُشْكِرُ ، قَالَ : الَّذِي أَمَرَنِي لَمْ يَرِدْ شُكْرَكَ ، وَهُوَ يَتَمَنَّى أَلَّا يَصِلَ مِثْلُكَ . قَالَ : فَمَكُنْتُ أَخْذُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ . قَالَ : فَشَهِدْتُهُ قَرِيشٌ وَخَفَلَ لَهُ النَّاسُ قَالَ : فَشَهِدْتُهُ فَلَقَيْتَنِي ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ : يَا أَشْعَبُ أَنْتَ رَأْسُكَ وَلِحْيَتُكَ ! هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُكَ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْكَ مَا كُنْتَ تُعْطِيكَ ، وَكَانَ وَاللَّهِ يَتَمَنَّى مَبَاعِدَةَ مِثْلِكَ ؛ قَالَ : فَحَمَلَهُ وَاللَّهُ الْكَرْمُ إِذْ سَأَلْتَهُ أَنْ فَعَلَ بِكَ مَا فَعَلَ ، قَالَ عُمَيْرُ : قَالَ أَشْعَبُ : فَعَمِلْتُ بِنَفْسِي وَاللَّهُ حِينَئِذٍ مَا حَلَّ وَحَرَّمَ .

[خشوع أشعب]

أخبرني أحمد قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : كَانَ أَشْعَبُ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو وَقَدْ قَبِضَ وَجْهَهُ فَصَيَّرَهُ كَالصُّبْرَةِ¹ الْمَجْمُوعَةِ ، فَرَأَاهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَحَصْبَهُ وَنَادَاهُ : يَا أَشْعَبُ ، إِنَّمَا تَنَاجِي رَبَّكَ . فَنَاجَاهُ بِوَجْهِهِ طَلْقَ ، قَالَ : فَأَرْخِي لِحْيَتَهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى زَوْرِهِ ، قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَامِرٌ وَقَالَ : وَلَا كُلَّ هَذَا .

[يجز لحيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُصْعَبٌ قَالَ : جَزَّ أَشْعَبُ لِحْيَتَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَافِعُ بْنُ ثَابِتٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْبَطَالَ أَمْلَحُ مَا يَكُونُ إِذَا طَالَتْ لِحْيَتُهُ فَلَا تَجْزُزُ لِحْيَتَكَ .

[طرائف أخرى لأشعب]

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو الحسن المدائني قال : وقف أشعبُ على امرأة تعمل طبقَ خوصٍ فقال : لتكبريه فقلت : لِمَ ؟ أتريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهديني إلي فيه ، فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أحمد بن يحيى قال : أخبرنا المدائني ، قال : قالت صديقةُ أشعب لأشعب : هَبْ لي خاتمك أذكرك به ، قال : اذكرني أني منعك إياه ؛ فهو أحب إلي .

أخبرني أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مُسْلِم قال : أخبرنا المدائني قال : قال أشعب مرةً للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا ، فمضوا ، فلما أبطؤوا عنه اتبعهم ؛ يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا المدائني قال : دعا زيادُ بن عبد الله أشعبَ فغَدَى معه ، فضرب بيده إلى جَدِي بين يديه ، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام ، فغاضه ذلك ، فقال لخدمه : أخبروني عن أهل السجن أَلَهُمْ إمام يصلي بهم ؟ وكان أشعبُ من القراء لكتاب الله تعالى ، قالوا : لا ؛ قال : فأدخلوا أشعب فصيروه إماماً لهم . قال أشعبُ : أَوغير ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال أحلف لك ، أصلحك الله ، ألا أدوق جَدِيَّ أبداً ، فخلاه .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائني قال : رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلِّب مالا كثيراً فقلتُ له : ويحك ما هذا الحرص ! ولعلك أن تكونَ أيسرَ مِن تطلب منه ! قال : إني قد مهَّرتُ في هذه المسألة ، فأنأ أكره أن أدعها فتنقلت مني .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائني قال : قيل لأشعب : ما بَلَغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ اثنين يتساران قطَّ إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائني قال : قال أشعبُ لأُمِّه : رأيتُك في النوم مطبئةً بعسل وأنا مطليٌّ بعذرة . فقالت : يا فاسق هذا عَمَلُك الخبيثُ كساكه الله عزَّ وجلَّ . قال : إنَّ في الرؤيا شيئاً آخر ، قالت : ما هو ؟ قال : رأيتُني أَلطَعُك وأنت تَلطعيني ، قالت : لعنك الله يا فاسق .

أخبرنا أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائني قال : كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف ذلك ، فقالت لها جاراتها يوماً : لو سألتِه شيئاً فإنه مُوسر ؛ فلما جاء قالت : إن جاراتي ليقلن لي : ما يصلك بشيء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يقربها شهرين ، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملأاً ماء ، فقالت : اشرب هذا من الفزع ، فقال : اشربه أنت من الطمع .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى ، واللفظ لأحمد ، قال : أخبرنا المدائني عن جهم بن خلف قال : حدثني رجل قال : قلت لأشعب : لو تحدثت عندي العشيّة ؟ فقال : أكره أن يجيء ثقيل ، قال : قلت : ليس غيرك وغيري ؟ قال : فإذا صليت الظهر فأنا عندك .

فصلى وجاء ، فلما وضعت الجارية الطعام إذا بصديق لي يدق الباب ، فقال : ألا ترى قد صرت إلى ما أكره ؟ قال : قلت : إن عندي فيه عشر خصال ، قال : فما هي ؟ قال : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التسع الخصال لك ، أدخله . قال أبو مسلم : إن كرهت واحدة منها لم أدخله .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائني قال : دخل أشعب يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة . فسبح أشعب حين رآه ، وقال للحسين عليه السلام : بأبي أنت وأمي ، أتأذن لي أن أسلح عليه ؟ فقال الأعرابي : ما شئت ، ومع الأعرابي قوس وكنانة ، ففوق له سهماً وقال : والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها ؛ قال أشعب للحسين : جُعِلْتُ فداءك ، قد أخذني القولنج¹ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم ، قال أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائني قال : ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم ، فقيل له : يا أبا العلاء ، أتعرف فلاناً ؟ قال : ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم .

وجدت في بعض الكتب ، عن أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني قال : توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : لِمَ تركت غسل اليمنى ؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : أمتي غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء ، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرَّ مُحَجَّلًا مُطْلَقَ اليمنى .

وأخبرت بهذا الإسناد قال : سَمِعَ أشعب حبي المدينة تقول : اللهم لا تَمِتني حتى تغفر لي ذنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسأل الله المغفرة إنما سألتِه عمر الأبد ، يُريدُ

1 القولنج : التهاب في الأمعاء الغليظة يصعب معه خروج البراز والريح .

أنه لا يغير لها أبداً .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا المدائني ، عن فليح بن سليمان قال : ساوم أشعب رجلاً بقوس عريّة فقال الرجل : لا أنقصها عن دينار . قال أشعب : أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جوف السماء وقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا مسلم ، قال : أخبرنا المدائني قال : أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالودجة ، وأشعب حاضر ؛ قال : كل يا أشعب ، فلما أكل منها قال : كيف تجددها يا أشعب ؟ قال : أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عُمِلت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل ، أي ليس فيها من الحلاوة شيء .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائني قال : سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طمعه ، قال : قلت لصبياني مرة : هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر ، فانطلقوا يعطكم تمراً ، فمضوا ، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرني المدائني قال : بينا أشعب يوماً يتغذى إذ دخلت جارة له ، ومع أشعب امرأته تأكل ، فدعاها لتتغذى ؛ فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه ، قال : وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت ، قال : فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب ، فقالت له امرأته : يا سخي العين مالك ! قال : أدخل ؟ قالت : أتستأذن أنت ، وأنت رب البيت ؟ قال : لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه .

أخبرني بعض أصحابنا قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني مصعب قال : قال لي ابن كليب : حدثت مرة أشعب بمُلحة فيكي ، فقلت : ما يكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابتتها قُطعت ، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت ، فإنما أبكي على نفسي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : كان أشعب الطمع يُغني وله أصوات قد حُكيَت عنه ، وكان ابنه غبيدة يُغنيها ، فمن أصواته هذه :

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلّ عن الخطاب

إلى مَنْ تَفْزَعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التَّرَابِ
أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشْقِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ أَشْعَبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : كَانَتْ سُكَيْنَةُ بِنْتُ
الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : وَقَدْ كَانَتْ أَحْلَفَتْهُ أَلَّا
يَمْنَعَهَا سَفَرًا وَلَا مَدْخَلًا وَلَا مَخْرَجًا فَقَالَتْ : أَخْرَجَ بَنِي إِحْمَرَ¹ مِنْ نَاحِيَةِ عُسْفَانَ . فَخَرَجَ
بِهَا فَأَقَامَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : اذْهَبْ بَنِي نَعْتَمِرَ ، فَدَخَلَ بِهَا مَكَّةَ ، فَأَتَانِي آتٍ ، فَقَالَ : تَقُولُ لَكَ
دِيبَاجَةُ الْحَرَمِ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ : لَكَ عَشْرُونَ دِينَارًا إِنْ جِئْتَنِي بِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو
الَّيْلَةَ فِي الْأَبْطَحِ ، قَالَ أَشْعَبُ : وَأَنَا أَعْرِفُ سُكَيْنَةَ وَأَعْلَمُ مَا هِيَ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيَّ طَبَاعُ السَّوِّءِ
وَالشَّرِّ ، فَقُلْتُ لَزَيْدٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ : إِنْ دِيبَاجَةُ الْحَرَمِ أُرْسِلَتْ إِلَيَّ بِكِتَابِكِ وَكِتَابِكِ ، فَقَالَ : عِذْهَا
الَّيْلَةَ بِالْأَبْطَحِ . فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهَا فَوَاعَدْتُهَا الْأَبْطَحَ ، وَإِذَا الدِّيَابِجَةُ قَدْ افْتَرَشَتْ بَسَاطًا فِي الْأَبْطَحِ
وَطَرَحَتْ النَّمَارِقَ ، وَوَضَعَتْ حَشَايَا وَعَلَيْهَا أَنْمَاطٌ ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . فَلَمَّا طَلَعَ زَيْدٌ قَامَتْ
إِلَيْهِ ، فَتَلَقَّيْتُهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَجْلِسِهَا ، فَلَمْ نَنْشَبْ أَنْ سَمِعْنَا شَحِيحَ بَغْلَةٍ سُكَيْنَةُ .
فَلَمَّا اسْتَبَانَهَا زَيْدٌ قَامَ فَأَخَذَ بِرِكَابِهَا ، وَاخْتَبَأَتْ نَاحِيَةً ، قَامَتْ الدِّيَابِجَةُ إِلَى سُكَيْنَةَ فَتَلَقَّيْتُهَا وَقَبَّلْتُ
بَيْنَ عَيْنَيْهَا ، وَأَجْلَسْتُهَا عَلَى الْفَرَّاشِ ، وَجَلَسْتُ هِيَ عَلَى بَعْضِ النَّمَارِقِ ؛ فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : أَشْعَبُ
وَاللَّهِ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَسْتُ لِأَبِي إِنْ لَمْ يَأْتِ يَصِيحُ صِيَاحَ الْهَرَّةِ ، لَنْ يَقُومَ لِي بِشَيْءٍ أَبَدًا .
فَطَلَعْتُ عَلَى أَرْبَعِ أَصْبِيحِ صِيَاحِ الْهَرَّةِ ؛ ثُمَّ دَعَتْ جَارِيَةً مَعَهَا مَجْمَرٌ كَبِيرٌ فَحَفَنْتُ مِنْهُ وَأَكْثَرْتُ ،
وَصَبَّبْتُ فِي حَجَرِ الدِّيَابِجَةِ ، وَحَفَنْتُ لَمَنْ مَعَهَا فَصَبَّتْهُ فِي حَجُورِهَا وَرَكِبْتُ وَرَكِبَ زَيْدٌ وَأَنَا
مَعَهُمْ . فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا قَالَتْ لِي : يَا أَشْعَبُ أَفَعَلْتَهَا ؟ قُلْتُ : جَعَلْتُ فِدَاءَكَ ، إِنَّمَا جَعَلْتُ
لِي عَشْرِينَ دِينَارًا ، وَقَدْ عَرَفْتُ طَمَعِي وَشَرَّهِي ، وَاللَّهِ لَوْ جَعَلْتُ لِي الْعَشْرِينَ دِينَارًا عَلَى قَتْلِ أَبِي
لَقَتَلْتُهُمَا . قَالَ : فَأَمَرْتُ بِالرَّحِيلِ إِلَى الطَّائِفِ ، فَأَقَامْتُ بِالطَّائِفِ وَحَوَّطْتُ مِنْ وَرَائِهَا بِحِيطَانٍ
وَمَنَعْتُ زَيْدًا أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا . قَالَ : ثُمَّ قَالَتْ لِي يَوْمًا : قَدْ أَثْمَنَّا فِي زَيْدٍ وَفَعَلْنَا مَا لَا يَحِلُّ لَنَا ، ثُمَّ
أَمَرْتُ بِالرَّحِيلِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَذْنْتُ لَزَيْدٍ فَجَاءَهَا .

قَالَ الزُّبَيْرُ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : جَاءَ أَشْعَبُ إِلَى مَجْلِسِ أَصْحَابِنَا
فَجَلَسَ فِيهِ ، فَفَرَمَتْ جَارِيَةٌ لِأَحَدِهِمْ بِحُزْمَةِ عَرَّاجِينَ مِنْ صَدَقَةِ عَمْرِو ، فَقَالَ لَهُ أَشْعَبُ : فِدَيْتُكَ ،
أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى حَطْبِ قَمَرٍ لِي بِهَذِهِ الْحُزْمَةِ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أُعْطِيكَ نَصْفَهَا عَلَى أَنْ تَحْدِثَنِي بِحَدِيثِ
دِيبَاجَةِ الْحَرَمِ . فَكَشَفَ أَشْعَبُ ثَوْبَهُ عَنْ اسْتَوْفَ وَجَعَلَ يَخْنَسُ² وَيَقُولُ : إِنَّ هَذَا زَمَانًا ،

1 همران : ماء .

2 استوفز : قعد منتصباً غير مطمئن . ويخنس : يتأخر .

وجعلت خصيتاه تخطآن الأرض ، ثم قال : أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً ، وأعطاني فلان كذا ، وأعطاني فلان كذا ، حتى عدّ أموالاً ، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف .

وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أبي ربيعة¹ :

[من الطويل]

صوت

ذَهَبَتْ وَلَمْ تُلَمِّمْ بِدِيَاجَةِ الْحَرَمِ وَقَدْ كُنْتَ مِنْهَا فِي عَنَاءٍ وَفِي سَقَمٍ
جُنِنتَ بِهَا لَمَّا سَمِعْتَ بِذِكْرِهَا وَقَدْ كُنْتَ مَجْنُونًا بِجَارَاتِهَا الْقُدَمِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجْرًا بِالْحَزَنِ مِنْ حَرِّهِ أَصَمَّ
غَنَاهُ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ مِنْ رَوَايَةِ يُونُسَ غَيْرِ مَجْنَسٍ .

قال الزبير : وحدثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال : دخل رجل من قريش على سَكِينَةَ بنت الحسين عليهما السلام ، قال : فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّجٍ جالس تحت السرير . فلما رأيته جعل يقرقر مثل الدجاجة ، فجعلت أنظر إليه وأعجب . فقالت : ما لك تنظر إلى هذا ؟ قلت : إنه لعجب ، قالت : إنه لخبيث ، قد أفسد علينا أمورنا بغاوته ، فحضنته يَبْضُ دجاج ، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينقب . وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه ، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهدي التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم ، وقد ذكر في أخبار سَكِينَةَ² .

وروي عن أحمد بن الحسن البزاز : وجدت بخط ابن الوشاء عن أبي الوشاء ، عن الكديمي عن أبي عاصم قال : قيل لأشعب الطامع ، أرايت أحداً قطّ أطمع منك ، قال : نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء ، وعمي عبد العزيز بن أحمد ، وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني مصعب ، عن عثمان بن المنذر ، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرت فإذا جماعة مقبلة ، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دُفٌّ وهو يغني به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول :

[من مجزوء الوافر]

1 البيتان الأولان في ديوان عمر : 355 والثالث فيه من قصيدة أخرى ، وروايته :

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَبْعِ الْهَوَى فَكُنْ صَخْرَةً بِالْحَجَرِ مِنْ حَجَرِ أَصَمِّ

2 تقدمت أخبار سَكِينَةَ في الأغاني 17 : 34 .

ألا حيّ التي خرجت قبيل الصبح فاخترت
يقال بعينها رمد ولا والله ما رمدت

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يُخالطهم ويستقبل المرأة فيغني في وجهها وهي تبسم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها ، فقالوا : هذه جارية صريم المغنية استلحقها صريم عند موته ، واعترف بأنها بنته ، فحاكمت ورثته إلى السلطان ، فقامت لها البينة فألحقها به وأعطاه الميراث منه ؛ وكانت أحسن خلق الله غناء ، كان يضرب بها المثل في الحجاز فيقال : أحسن من غناء الصرّميّة .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا الدمشقيّ قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : وحدثني أبي قال : اجتازت جنازة الصرّميّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال : ذهب اليوم الغنائ كّلّه ، وعلى أنّها الزانية كانت ، لا رحمها الله ، شرّ خلق الله ، فقيل : يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك . قال : نعم ، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش ، فيطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا ، يشهد الله ، إلّا يسلق .

[يتحدّى الغاضري]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : قال حدثنا مصعب : بلغ أشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأن جماعة قد استطابوه ، فرقه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم . فصار إليه ، ثم قال له : قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشغلت عني من كان يألّفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ، ثم غصن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ؛ ثم أرسل وجهه وقال له : افعل هكذا وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره ، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه ؛ ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدة كسنام البعير ، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ؛ ثم نزع سراويله وجعل يمدّ جلد خصصيه حتى حكّ بهما الأرض ، ثم خلاهما من يده ومشى وجعل يخنس وهما يخطآن الأرض ؛ ثم قام فتطاول وتمتدّ وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال . فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم وقطع الغاضريّ فما تكلم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره ، إنّما أنا تلميذك وخريجتك ، ثم انصرف أشعب وتركه .

[عودة إلى أمّه]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه : أنّه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأنّ أباه

كان من ممالك عثمان ، وأن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي ﷺ بعضهن إلى بعض ، فتلقي بينهن الشر ، فتأذى رسول الله ﷺ بذلك ، فدعا الله عز وجل عليها فأماتها ، وعمر ابنها أشعب حتى هلك في أيام المهدي .

[كان من المعتزلة]

وكان في أشعب خيال ، منها أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة ، ومنها : أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه ، ومنها : أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرءاً منهم .
[ابن عمر يوقر بعيره تمراً ويغنيه]

قال إبراهيم بن المهدي فحدثني عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال : بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدق بشمرته ؛ فركبت ناضحاً ووافيته في ماله ؛ فقلت : يا ابن أمير المؤمنين ويا ابن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمراً . فقال لي : أمن المهاجرين أنت ؟ قلت : اللهم لا ؛ قال : فمن الأنصار أنت ؟ فقلت : اللهم لا ؛ قال : أفمن التابعين بإحسان ؟ فقلت : أرجو ؛ فقال : إلى أن يُحقق رجائك ؛ قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت : لا ، قال : فعلام أوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنني سائل ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن أتك سائل على فرس فلا تردّه» . فقال : لو شئنا أن نقول لك : إنه قال : لو أتك على فرس ، ولم يقل أتك على ناضح بعير لقلنا ، ولكني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه ؛ لأنني قلت لأبي عمر بن الخطاب : إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته ؟ فقال : إني سألت رسول الله ﷺ عما سألتني عنه ، فقال لي : نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيها الرجل نصيب رجالة فعلام أعطيك وأنت على بعير ؟ فقلت له : بحق أباك الفاروق ، وبحق الله عز وجل ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوقرته لي تمراً . فقال لي عبد الله : أنا موقر له لك تمراً ، ووحق الله ووحق رسوله لكن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك ، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي علي في تمرة أعطيكها لما أنفدت قسمك ، لأنني سمعت أبي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تُشدُّ الرجال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي يثرب ، ولا يُبرأ امرؤ قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله ؛ ثم قال للسودان في تلك الحال : أوقروا له بعيره تمراً ، قال : ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت : إن السودان أهل طرب ، وإن أطربتهم أجادوا حشوا غرائري ، فقلت : يا ابن الفاروق ، أتأذن لي في الغناء فأغنيك ؟ فقال لي : أنت وذلك ، فاندفعت في النصب ، فقال لي : هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه . ثم غنّيته صوتاً آخراً لطويس المغني وهو : [من الطويل]

خيليلي ما أخفي من الحب ناطق ودمني بما قلت الغداة شهيد

فقال لي عبد الله : يا هنأه ، لقد حدثت في هذا المعنى ما لم تكن نعرفه ، قال : ثم غشيته لابن سريج :

يا عينُ جودي بالدموع السفاخ وإبكي على قتلى قريش البطاح
فقال : يا أشعب ، ويحك ، هذا يحق الفؤاد ، أراد : يحرق الفؤاد ، لأنه كان ألغ لا يُبين بالراء ولا باللام . قال أشعب : وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادي هذا الصوت .

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : لقي أشعبَ صديق لأبيه فقال له : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألقى وأنت أظ¹ فإلى من خرجت ؟ قال : إلى أمي .

أخبرني الحسن بن علي قال : أخبرنا أحمد بن أبي خيشمة قال : حدثنا مُصعبُ بن عبد الله ، عن مُصعب بن عثمان قال : لقي أشعبُ سالمَ بن عبد الله بن عمر فقال : يا أشعب ، هل لك في هريس قد أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي . قال : فصير إليّ ، فمضى إلى منزله ، فقالت له امرأته : قد وجّه إليك عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك . قال : ويحك ، إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها ، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنما دعوته للناس فلنته ، وليس لي بُدٌّ من المضي إليه . قالت : إذا يغضب عبدُ الله ، قال : آكل عنده ، ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعائل ، فقال له : كُلْ يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك ، قال : ذاك أردت بأبي أنت وأمي . فقال : يا غلام ، احمل هذا إلى منزله ، فحملة ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له : ثكلتك أمك ، قد حلف عبدُ الله أن لا يُكلمك شهراً ؛ قال : دعيني وإياه ، هاتي شيئاً من زعفران ، فأعطته ودخل الحمام يمسح على وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صفره ، ثم خرج متكئاً على عصا يُرعد ، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو . فلما رآه حاجبه قال : ويحك ، بلغت بك العلة ما أرى ؟ ودخل وأعلم صاحبه فأذن له ، فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده . فجعل يزيد في الرعدة ، ويُقارب الخطو ، فجلس وما يَقْدِر أن يستقل ، فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب في غَضَبنا عليك ، فقال له سالم : ما لك ويلك ! ألم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة ؟ فقال له : وأي أكل ترى بي ؟ قال : ويلك ! ألم أقل لك كَيْت وكَيْت وتَقُل لي كَيْت وكَيْت ؟ قال له : شُبّه لك ، قال : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، والله إني لأظنّ الشيطانَ يتشبه بك . ويلك ! أجادُ أنت ؟ قال : عليّ وعليّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر . فقال له عبدُ الله : اعزُب ويحك اتبّهته ، لا أم لك ! قال : ما قلتُ إلا حقاً . قال : بحياتي

اصدقني وأنت آمن من غضبي . قال : لا وحياتك لقد صدق . ثم حدثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه .

[ابنه يذكر بعض طرائف أبيه]

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهدي : أن الرشيد لما ولّاه دمشق بعث إليه عبيدة بن أشعب ، وكان يقدم عليه من الحجاز إذا أراد أن يطرب ، وأراد أن يطرفه به ، فقدم عليه .

قال إبراهيم : وكان يحدثني أبيه بالطرائف¹ : عادله² يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لأهو بحديثه ، فأصابنا في الطريق برد شديد فدعوت بدواج سمور³ لألبسه ، فأتيت به فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب فقلت : حدثني بشيء من طمع أبيك . فقال لي : ما لك ولأبي ، ها أنا إذ دعوت بالدواج فما شككت والله في أنك إنما جئت به لي ، فضحك من قوله ، ودعوت بغيره فلبسته وأعطيته إياه ، ثم قلت له : الأبيك ولد غيرك ؟ فقال : كثير ، فقلت : عشرة ؟ قال : أكثر ، قلت : فخمسون ؟ قال : أكثر كثير ، قلت : مائة ؟ قال : دع المئين وخذ الألوف ، فقلت : ويلك ! أي شيء تقوله ؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب ، فكيف يكون له الألوف من الولد ؟ فضحك ثم قال : لي في هذا خبر ظريف ، فقلت له : حدثني به ، فقال : كان أبي منقطعاً إلى سكنية بنت الحسين ، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبة له ، فكان لا يستقر معها ، تقول له : أريد الحج فيخرج معها ، فإذا أفضوا إلى مكة تقول : أريد الرجوع إلى المدينة ، فإذا عاد إلى المدينة ، قالت : أريد العمرة ، فهو معها في سفر لا ينقضي . قال عبد الله : فحدثني أبي قال : كانت قد حلفت بما لا كفارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يلم بنسائه وجواريه إلا بإذنها ، وحج الخليفة في سنة من السنين فقال لها : قد حج الخليفة ولا بد لي من لقائه ؛ قالت : فاحلف بأنك لا تدخل الطائف ، ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب ، فحلف لها بما رضىت به من الأيمان على ذلك ؛ ثم قالت له : احلف بالطلاق ؛ فقال : لا أفعل ، ولكن ابعتني معي بثقتك ، فدعنتي وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي : اخرج معه ، وحلفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب ، فحلفت لها بما أثلج صدرها . فأذنت له فخرج وخرجت معه . فلما حاذينا الطائف قال لي : يا أشعب ، أنت

1 تقدمت هذه الأخبار في ترجمة سكينه .

2 عادله : ركب معه على نفس البعير .

3 دواج : لحاف يلبس . والسمور : حيوان يتخذ منه فرو ثمين .

تعرفني وتعرف صنائعي عندك ، وهذه ثلاثمائة دينار ، خذها بآرك الله لك فيها وأذن لي أَلَمْ بجواري . فلما سمعتها ذهب عقلي ثم قلت : يا سيدي ، هي سُكينة ، فالله الله في ! فقال : أَوَتَعْلَم سُكينة الغيب ؟ فلم يزل بي حتى أخذتها وأذنت له ، فمضى وبات عند جواريه . فلما أصبحنا رأيتُ آيات قوم من العرب قرية منا ، فلبستُ حُلَّةً وشي كانت لزيد قيمتها ألف دينار ، وركبتُ فرسه وجئتُ إلى النساء فسلمتُ فرددن وأجللني للهيئة والزي الذي لا يلبس مثله إلا أولاد الخلفاء . ونسبني فانتسبتُ نسبَ زيد ، فحدثتني وأُسن بي . وأقبل رجال الحي ، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخبّر به هابني وسلم عليّ وعظمني وانصرف ، إلى أن أقبل شيخ كبير منكر مبطون ، فلما خبّر بي ونسبي شال حاجبيه عن عينه ، ثم نظر إليّ وقال : وأبي ما هذه خلقة قُرشي ولا شمائله ، وما هو إلا عبدٌ لهم نادٍ ، وعلمتُ أنه يريد شرّاً ؛ فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ . ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قُرْبوسَ السرج ، وما شككتُ أنه يلحقني بآخر يقتلني فسلختُ ، يعلم الله ، في ثيابي فلوئها ونفذ إلى الحُلَّة فصيرها شُهرة . وأتيتُ رَحْلَ زيد بن عمرو فجلستُ أغسل الحُلَّة وأجففها ، وأقبل زيد بن عمرو ، فرأى ما لحق الحُلَّة والسرج ؛ فقال لي : ما القصة ؟ ويليكَ ! فقلت : يا سيدي الصدق أنجى ، وحدثته الحديث فاغتاظ ثم قال لي : أَلَمْ يكفِكَ أن تلبس حلتي وتصنع ما صنعت ، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني ، وجعلتني عند العرب ولأجاً جَمَاشاً¹ ، وجرى عليك ذلٌ نسب إليّ ، أنا نفياً من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أسوك وأبلغ في ذلك .

ثم لقي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سُكينة ، فسألته عن خبره كله فخبّرنا حتى انتهى إلى ذكر جواريه ، فقالت : إيه وما كان من خبرك في طريقك ؟ هل مضيتُ إلى جواريك بالطائف ؟ فقال لها : لا أدري ، سلي ثِقَتَكَ . فدعّنتني فسألتنني ، وبدأتُ فحلفتُ لها بكلّ يمين محرّجة أنه ما مرّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقتي . فقال لها : اليمينُ التي حلفتُ بها لازمة لي إن لم أكن دخلتُ الطائفَ وبِتُ عند جواريّ وغسلتُهن² جميعاً ، وأخذ مني ثلاثمائة دينار ، وفعل كذا وكذا ؛ وحدثها الحديث كله وأراها الحُلَّة والسرج . فقالت لي : أفعلتها يا أشعب ! أنا نقيّة من أبي إن أنفقتها إلا فيما يسوءك ، ثم أمرت بكبس منزلي وإحضارها الدنانير فأحضرت ، فاشتريت بها خشباً وبيضاً وسرجيناً ؛ وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقُب . فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نَقِبَ ، وخرج منه فراريح كثيرة فريّتهن وتناسلن فكنّ بالمدينة يسمين بنات أشعب ونسل

1 الجمّاش : المتعرض للنساء .

2 غسلتهن : جامعتهن .

أشعب . فهو لاء إلى الآن بالمدينة نسلٌ يزيد على الألوف ، كلهن أهلي وأقاربي .
قال إبراهيم : فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أنني ضحكتُ مثله قطّ ووصلته ،
ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنّه مات هناك .
[يسور على سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمد قال : حدثنا مُصعب بن عبد الله بن عثمان قال : قال رجل لأشعب : إنّ
سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير ، فبادر حتى لحقه فأغلق الغلام
البابَ دونه ، فتسور عليه ، فصاح به سالم : بناتي وملك بناتي ، فناداه أشعب : ﴿لقد علمتَ
ما لنا في بناتِكَ مِن حقٍّ وإنَّكَ لتعلم ما نريدُ﴾¹ ، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه .
أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال :
حدثني عمي قال : بعثتُ سَكينةَ إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء ، فاطلع أشعبُ عليه
من بيت وجعل يُقَوِّيء مثلَ ما تُقَوِّيء الدجاجة ، قال : فسبح أبو الزناد وقال : ما هذا ؟
فضحكتُ وقالت : إنّ هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا ، فحلفتُ أن يحضنَ بيضاً في هذا
البيت ولا يفارقه حتى يَنقُب ، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها .
وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سَكينة الطويل على غير هذه الرواية ، وهو
قريب منها ، وقد ذكرته في أخبار سَكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها
مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

[عبد يسلح في يده]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا مُصعب ، قال :
حدثني بعض المدنيين قال : كان لأشعب خرقٌ في بابه ، فكان ينام ثم يُخرج يده من الخرق
يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع . فبعث إليه بعضُ مَنْ كان يعبتُ
به من مُجان آل الزبير بعبدٍ له فسلح في يده ، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده .
وأخبرني به الجوهريّ ، عن ابن مَهْرُوبه ، عن محمد بن الحسن ، عن مُصعب ، عن بعض
المدنيين فذكر نحوه ولم يذكر ما فعل به الماجن .

[يغني سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني
محمد بن محمد الزُّبيريّ أبو طاهر قال : حدثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيبة قال : حدثني إسماعيل بن
جعفر بن محمد الأعرج أن أشعبَ حدثه قال : جاءني فتية من قریش فقالوا : إنا نحب أن تُسمع

سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي على ذلك جُعلاً فتنتني ، فدخلتُ على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إن لي مُجالسةً وحرمةً ومودةً وسيناً ، وأنا مولع بالترنم ، قال : وما الترنم ، قلت : الغناء ، قال : في أي وقت ؟ قلت : في الخلوة ومع الإخوان في المنزه ، فأحب أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنه ، وغنيته فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ فأعلمتهم ، قالوا : وأي شيء غنيته ؟ قلت : غنيته¹ : [من الخفيف]

قرباً مَرَبَطُ النعامِ مِنِّي لَقِحتُ حربُ وائلٍ عن حيالي

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلما رأيتُ دفعهم إليّ وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت : يا أبا عمر ، آخر ، فقال : ما لي ولك ؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيته ، فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ إليهم فأعلمتهم فقالوا : وأي شيء غنيته ؟ فقلت : غنيته قوله : [من الخفيف]

لم يُطيقوا أن يَنزِلُوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزالا

فقالوا : ليس هذا بشيء ، فرجعتُ إليه فقال : مه ؟ قلت : وآخر ، فلم أملكه أمره حتى غنيته² : [من الكامل]

غِيضُن من عَبرَاتِهِنَّ وَقَلَنَ لي : ماذا لَقِيتَ من الهوى وَلَقِينَا

فقال : نهلاً نهلاً ! فقلت : لا والله إلا بذاك السّدّاك ، وفيه تمر عَجوة من صدقة عمر . فقال : هو لك . فخرجتُ به عليهم وأنا أخطر فقالوا : مه ؟ فقلت : غنيته الشيخ :

غِيضُن من عَبرَاتِهِنَّ وَقَلَنَ لي

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا ، وكذبهم ، والله ما أعطانيه إلا استكفافاً لي حتى صمتُ . قال ابن أبي سعد : السّدّاك ، الزَّيْبِلُ الكبير . وفرض لي أيّ نَقَطَني ، يعني ما يهبه الناس للمغنين ويُسمونه النُقَط .

[أحسن تأدية للأحسان من معبد]

حدّثني الجوهريّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم قال : حدّثني قَعْنَبُ بنُ الحرز عن الأصمعيّ قال : حدّثني جعفر بن سليمان قال : قدِمَ أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغنيهم فغنى فإذا أُلحّنه مطربةً وحلقه على حاله ، فقال له جعفر بن المنصور : لَمَن هذا الشعر والغناء :

1 البيت للحارث بن عباد وقد تقدم في حرب بكر وتغلب في الأغاني 5 : 24 .

2 البيت لجريز في ديوانه (صادر) : 476 .

لِمَنْ طَلَّلَ بِذَاتِ الْجَيْءِ شِئْ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقًا ؟

فقال له : أَخَذْتُ الْغَنَاءَ عَنْ مَعْبِدٍ ، وَهُوَ لِلدَّلَالِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَخْذُ اللَّحْنَ عَنْ مَعْبِدٍ فَإِذَا سُئِلَ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِأَشْعَبٍ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ تَأْدِيَةً لَهُ مِنِّْي .
[يطرب جريراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَرْيَد قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ قَالَ : قَدِمَ جَرِيرٌ الْمَدِينَةَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ يُسْتَشْدُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ شَعْرِهِ ، فَيُنْشِدُهُمْ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ وَيَنْصَرِفُونَ ، وَلَزِمَهُ أَشْعَبُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَلَمْ يَفَارِقْهُ ، فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : أَرَأَيْكَ أَطْوَلَهُمْ جُلُوسًا وَأَكْثَرَهُمْ سُؤلاً ، وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ الْأَمْهَمَ حَسَبًا ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا حَزْرَةَ ، أَنَا وَاللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لَكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنَا أَخْذُ شِعْرَكَ فَأُحْسِنُهُ وَأُجَوِّدُهُ ، قَالَ : كَيْفَ تُحْسِنُهُ وَتُجَوِّدُهُ ؟ قَالَ ، فَاذْهَبْ فَعَنَّا فِي شَعْرِهِ وَالْغَنَاءِ لِابْنِ سُرَيْجٍ¹ : [من الكامل]

صوت

يَا أُخْتِ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

قال : فَطَرِبَ جَرِيرٌ حَتَّى بَكَى وَجَعَلَ يَزْحَفُ إِلَيْهِ حَتَّى لَصِقَتْ رُكْبَتُهُ بِرُكْبَتِهِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ تُحْسِنُهُ وَتُجَوِّدُهُ ، فَأَعْطَاهُ مِنْ شَعْرِهِ مَا أَرَادَ ، وَوَصَلَهُ بِدَنَانِيرٍ وَكِسْفَةٍ .
حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : لَقِيتُ أَشْعَبَ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَرَى أَهْلَ زَمَانِكَ هَذَا ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَ عَنْ أَحَادِيثِ الْمُلُوكِ وَيُعْطَوْنَ إِعْطَاءَ الْعَبِيدِ .
[أشعب يحب لأُمِّ عمرو بنت مروان]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : أَخْبَرَنَا مُصْعَبٌ قَالَ : حَجَّتْ أُمُّ عَمْرُو بِنْتُ مَرْوَانَ فَاسْتَحْجَبَتْ² أَشْعَبَ وَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ أَعْرَفُ النَّاسَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَجَلَسَتْ لَهُمْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَامَتْ فَدَخَلَتْ الْقَائِلَةَ . فَجَاءَ طُوَيْسٌ فَقَالَ لِأَشْعَبَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أُمِّ عَمْرٍ ، فَقَالَ : مَا زَالَتْ جَالِسَةً وَقَدْ دَخَلَتْ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا أَشْعَبُ مَلَكَتْ يَوْمِينَ فَلَمْ تَفْتَّ بَعْرَتَيْنِ وَلَمْ تَقْطَعْ شَعْرَتَيْنِ . فَدَقَّ أَشْعَبُ الْبَابَ وَدَخَلَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَنْشُدْكِ اللَّهُ يَا ابْنَةَ مَرْوَانَ ، هَذَا طُوَيْسٌ بِالْبَابِ فَلَا تَتَعَرَّضِي لِلْسَّانَةِ وَلَا تُعَرَّضِيَنِي ، فَأَذِنَتْ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَنْ كَانَ بَابُكَ غُلُقًا لَقَدْ كَانَ بَابُ أَبِيكَ

1 ديوان جرير (صادر) : 357 .

2 استحجبت : ولته الحجابة .

فُلُقًا¹ ، ثم أخرج دُفَّةً ونقر به وغنى :

[من الكامل]

ما تمنعي يَقْطِي فَقَدْ تَوْتَيْتَنِي في النوم غير مُصَرَّدٍ محسوبٍ
كان المُنَى بِلِقَائِهَا فَلَقَيْتُهَا فلهوتُ من هو امرئ مَكْذوبٍ

قالت : أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : العاجِلُ أَمْ الآجِلُ ؟ فقال : عاجِلٌ وآجِلٌ ، فأمرتُ له بكسوة .
أخبرني الجوهري قال : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :
حَدَّثَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَشْعَبَ بِحَدِيثٍ أَعْجَبَهُ فَقَالَ لَهُ : فِي حَدِيثِكَ هَذَا شَيْءٌ قَالَ :
وما هو ؟ قال : تَقْلِيْبُهُ عَلَى الرَّأْسِ .

[عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهري قال : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ
قال : بعث الوليدُ بنُ يزيدٍ إلى أشعب بعدما طَلَّقَ امرأته سَعْدَةَ فقال له : يا أشعبُ ، لك عندي
عشرة آلاف درهم على أن تبْلَغَ رسالتي سَعْدَةَ ، فقال له : أحضِرِ المَالَ حتَّى أنظرَ إليه ، فأحضر
الوليدُ بِدَرَّةً فوضعها أشعب على عنقه ، ثم قال : هاتِ رسالتك يا أميرَ المؤمنين ، قال : قل
لها : يقول لك :

أُسْعَدَةُ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وهل حتَّى القيامة من تلاقِي ؟!
بلى ولعلَّ دهرًا أن يُواتِي بموتٍ من حليلك أو طلاقٍ
فأصبحَ شامِتًا وتقرَّ عَيْنِي ويُجمَعُ شملُنَا بعد افتراقٍ

قال : فَأَتَى أَشْعَبُ الْبَابَ ، فَأُخْبِرَتْ بِمَكَانِهِ ، فَأَمَرَتْ ففَرِشَتْ لَهَا فُرْشًا وجلسَتْ فَأَذِنَتْ
له ؛ فدخل فأنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : يا سَيِّدَتِي إِنَّهَا بعشرة
آلاف درهم ؛ قالت : والله لأقتلَنَّكَ أو تبْلُغَهُ كما بَلَغْتَنِي ، قال : وما تَهَيَّيْنِ لِي ؟ قالت : بِسَاطِي
الذي تحتي . قال : قومي عنه ، فقامت فطواه ثم قال : هاتِي رسالتك جُعِلَتْ فِدَائِكَ ، قالت :
قل له :

[من الطويل]

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فقد ذهبَ لُبْنَى فما أَنْتَ صَانِعٌ ؟!

فَأَقْبَلَ أَشْعَبُ فَدَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ ، فَقَالَ : أَوَّه ! قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ ، مَا تُرَانِي
صَانِعًا بِكَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ؟ اخْتَرْ إِمَّا أَنْ أُدْلِكَ مِنْكَسًا فِي بئرٍ ، أَوْ أَرْمِيَ بِكَ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ
مِنْكَسًا ، أَوْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِعَمُودِي هَذَا ضَرْبَةً . فقال : ما كُنْتُ فاعلاً بِبِي شَيْعًا مِنْ ذَلِكَ
قال : ولم ؟ قال : لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِتُعَذِّبَ رَأْسًا فِيهِ عَيْنَانِ قَدْ نَظَرْتَا إِلَى سَعْدَةَ . فقال :

صَدَقْتَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، اخْرُجْ عَنِّي .

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزِيد ، عن حَمَاد ، عن أَبِيهِ ، عن الهيثم بن عديّ ، أنَّ سَعْدَةَ لَمَّا أَنْشَدَهَا أَشْعَبُ قَوْلَهُ :

أَسْعِدَةَ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وهل حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِي ؟ !
قالت : لا والله لا يكونُ ذلك أبداً ، فَلَمَّا أَنْشَدَهَا :

بَلَى وَلَعَلَّ دَهْرًا أَنْ يُؤَاتِي بَمَوْتٍ مِنْ حَلِيلِكَ أَوْ طَلَاقٍ
قالت : كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، بَلْ يَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهَا :

فَأَصْبَحَ شَامِتًا وَتَقَرَّرَ عَيْنِي وَيُجَمِّعُ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ
قالت : بل تكون الشَّمَامَةُ به ، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهري عن ابن مَهْرُوزٍ .
أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْكُرَّانِيُّ قال : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عديّ قال : كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فِي إِشْخَاصِ أَشْعَبَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَيْهِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ أَمَرَ بَأَنْ يَلْبِسَ ثُبَانًا وَيُحْمَلَ فِيهِ ذَنْبُ قَرْدٍ ، وَيُشَدَّ فِي رِجْلَيْهِ أَجْرَاسٌ ، وَفِي عُنُقِهِ جَلَاجِلٌ ، ففعل به ذلك . فَدَخَلَ وَهُوَ عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ضَحِكَ مِنْهُ وَكَشَفَ عَنْ أَيْرِهِ ، قال أَشْعَبُ : فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ نَائٍ مَذْهُونٌ ، فقال لي : اسْجُدْ لِلْأَصَمِّ وَيَلِّكُ ، يعني أَيْرَهُ ، فَسَجَدْتُ ، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي وَسَجَدْتُ أُخْرَى ، فقال : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : الْأَوَّلَى لِلْأَصَمِّ ، وَالثَّانِيَةِ لَخُصَيْتَيْكَ . فَضَحِكَ وَأَمَرَ بِنَزْعِ مَا كَانَ الْبَسَنِيهِ وَوَصَلَنِي ، وَلَمْ أَزَلْ مِنْ نُدَامَائِهِ حَتَّى قُتِلَ .

أخبرني محمد بن مَزِيد قال : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قال : قال رجل لأشعب إِنَّهُ أَهْدَى إِلَى زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ قُبَّةَ أَدَمَ قِيمَتُهَا عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : امْرَأَتُهُ الطَّلَاقُ لَوْ أَنَّهَا قُبَّةُ الْإِسْلَامِ مَا سَاوَتْ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ مَعَهَا جُبَّةً وَشَيْءَ حَشَوُهَا قَرُّ قِيمَتِهَا عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : أُمُّ زَانِيَةٍ لَوْ أَنَّ حَشَوَهَا زَغَبُ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ مَا سَاوَتْ عِشْرِينَ دِينَارًا .

[أشعب ووالي المدينة البخيل]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدَائِنِيُّ قال : حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِيهِ قال : حَدَّثَنِي أَشْعَبُ قال : وَلِيَ الْمَدِينَةَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ ، وَكَانَ أَبْخَلَ النَّاسِ وَأَنْكَدَهُمْ . وَأَغْرَاهُ اللَّهُ بِي يَطْلُبُنِي فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، فَإِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ هَجَمَ عَلَى مَنْزِلِي بِالشَّرْطِ ، وَإِنْ كُنْتُ فِي مَوْضِعٍ بَعَثَ إِلَى مَنْ أَكُونُ مَعَهُ أَوْ عَنْدهُ يَطْلُبُنِي مِنْهُ ، فَيُطَالِبُنِي بِأَنْ أُحَدِّثَهُ وَأُضْحِكَه ، ثُمَّ لَا أَسْكُتُ وَلَا يَنَامُ ، وَلَا يُطْعِمُنِي وَلَا يُعْطِينِي شَيْئًا . فَلَقِيتُ مِنْهُ جَهْدًا عَظِيمًا

وبلاء شديدًا . وحَضَرَ الْحَجُّ ، فقال لي : يا أشعب ، كُنْ معي ، فقلت : بأيي أنت وأمي ، أنا عليل ، وليست لي نية في الحج . فقال : عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ وقال : إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ النَّارِ ، لئن لم تخرج معي لأودِعَنَّكَ الحَبْسَ حتى أَقْدُمَ . فخرجتُ معه مُكْرَهًا ، فلَمَّا نزلنا المنزلَ أَظْهَرَ أَنَّهُ صَائِمٌ ونام حتى تشاغَلْتُ ، ثم أَكَلَ ما في سَفْرَتِهِ ، وأمر غُلامَهُ أَنْ يُطْعِمَنِي رَغِيفَيْنِ بِمِلْحٍ . فجيئتُ وعندِي أَنَّهُ صَائِمٌ ، ولم أَزَلْ أَنتَظِرُ المغربَ أَتَوَقَّعُ إِفْطَارَهُ ، فلَمَّا صَلَّيْتُ المغربَ قُلْتُ لِغُلامِهِ : ما يَنْتَظِرُ بِالْأَكْلِ ؟ قال : قد أَكَلَ منذُ زمان ، قُلْتُ : أَوَلَمْ يَكُنْ صَائِمًا ؟ قال : لا . قلت : أَفأَطْوِي أَنَا ؟ قال : قد أَعَدَّ لَكَ ما تَأْكُلُهُ فَكُلْ ، وأَخْرَجَ إِلَيَّ الرَّغِيفَيْنِ وَالْمِلْحَ فَأَكَلْتُهُمَا وَبِتُّ مَيِّتًا جوعًا ؛ وَأَصْبَحْتُ فِسرَنا حتى نزلنا المنزلَ ، فقال لِغُلامِهِ : ابْتَغِ لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ ، فابْتاعَهُ ، فقال : كَبِّبْ لِي قِطْعًا ، ففعل ، فَأَكَلَهُ وَنَصَبَ القِدْرَ ، فلما اغْبَرَّتْ قال : اغْرِفْ لِي مِنْهَا قِطْعًا ، ففعل ، فَأَكَلَهَا ؛ ثم قال : اطْرَحْ فِيهَا دُقَّةً وَأَطْعِمْنِي مِنْهَا ، ففعل ؛ ثم قال : أَلْتِ تَوَالِيَهَا وَأَطْعِمْنِي مِنْهَا ، ففعل ؛ وَأَنَا جالِسٌ أَنْظُرُ إِلَيْهِ لا يَدْعُونِي . فلَمَّا اسْتَوْفَى اللَّحْمَ كُلَّهُ قال : يا غُلامَ ، أَطْعِمِ أَشْعَبَ ، ورمى إِلَيَّ رَغِيفَيْنِ ، فجيئتُ إِلَى القِدْرِ وَإِذَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا مَرَقٌ وَعِظَامٌ . فَأَكَلْتُ الرَّغِيفَيْنِ ، وَأَخْرَجَ لِي جِرابًا فِيهِ فَاكِهَةٌ يَابِسَةٌ ، فَأَخَذْتُ مِنْهَا حَفْنَةً فَأَكَلْتُهَا ، وَبَقِيَ فِي كَفِّهِ كَفُّ لَوْزٍ بِقِشْرِهِ ، ولم يَكُنْ لَهُ فِيهِ حِيلَةٌ ، فرمى بِهِ إِلَيَّ وقال : كُلْ هَذَا يا أَشْعَبَ . فَذهَبْتُ أَكْسِرُ وَاحِدَةً مِنْهَا إِذَا بَضْرَسِي قد انْكَسَرَتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ فَسَقَطَتْ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَتَبَاعَدْتُ أَطْلُبُ حَجْرًا أَكْسِرُهُ بِهِ ، فوجدته ، فَضَرَبْتُ بِهِ لَوْزَةً فَطْفَرَتْ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ، مَقْدَارَ رَمِيَةِ حَجَرٍ ، وَعَدَوْتُ فِي طَلَبِهَا ، فبينما أَنَا فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ بَنُو مُصْنَعِبٍ ، يَعْنِي ثَابِتًا وَإِخْوَتَهُ ، يُلْبُونَ بِتِلْكَ الخُلُقِ الجَهْوَرِيَّةِ ، فَصِيحَتْ بِهِمْ : الغوثَ الغوثَ ! العِيَاذُ بِاللَّهِ وَبِكُمْ يا آلَ الزُّبَيْرِ ! الحقوني أَدْرِكُونِي ! فَرَكَضُوا إِلَيَّ ، فلما رَأَوْنِي قالوا : أَشْعَبَ ، ما لَكَ وَيْلَكَ ؟ قلت : خَذُونِي مَعَكُمْ تُخَلِّصُونِي مِنَ المَوْتِ . فَحَمَلُونِي مَعَهُمْ ، فَجَعَلْتُ أَرْفِرُ بِيَدَيَّ كَمَا يَفْعَلُ الفَرَسُ إِذَا طَلَبَ الزُّقَّ مِنْ أَتَوِيهِ . فقالوا : ما لَكَ وَيْلَكَ ؟ قلت : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ الحَدِيثِ ، زُقُونِي مَعَكُمْ ، فَقَدْ مِتُّ ضَرًّا وَجوعًا منذُ ثَلَاثَ . قال : فَأَطْعَمُونِي حَتَّى تَرَاجَعْتَ نَفْسِي ، وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ فِي مَحْمَلٍ ، ثم قالوا : أَخْبِرْنَا بِقِصَّتِكَ ، فَحَدَّثْتُهُمْ وَأَرَيْتُهُم ضِرْسِي المَكْسُورَةَ ؛ فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُصَفِّقُونَ وقالوا : وَيْلَكَ ، مِنْ أَيْنَ وَقَعْتَ عَلَى هَذَا ؟ هَذَا مِنْ أَبْخَلَ خَلَقِ اللَّهِ وَأَدْنَاهُمْ نَفْسًا ؛ فَحَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ أَنِّي لا أَدْخُلُ المَدِينَةَ ما دَامَ لَهُ بِهَا سُلْطَانٌ . فلم أَدْخُلْهَا حَتَّى عُرِّلَ .

[بينه وبين الغاضري مرة أخرى]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيْدَلَانِي قال : حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ إِبراهِيمَ قال : حَدَّثَنَا

إبراهيم بن المهديّ قال : حدّثني عبيدة بن أشعب قال : كان الغاضريّ مُنْذِرًا¹ أهل المدينة ومُضْحِكهم قبل أبي ، فأسْقَطَهُ أبي وأطْرَح . وكان الغاضريّ حَسَنَ الوجه مادَّ القامة عِبْلًا فَحْمًا ، وكان أبي قصيرًا دَمِيمًا قليلَ اللحم ؛ إلّا أنّه كان يتضَرَّم ويتوقّد ذكاءً وحبّةً وخِفّةً رُوح ، وكان الغاضريّ يحسده إلّا أنّهما متساويان ، وكان الغاضريّ لقيطًا منبوذًا لا يُعرَف له أبٌ ، فمرَّ يومًا ، ومعه فتية من قريش ، بأبي في المسجد وقد تأذّى بثيابه فنزعها ، وتجرّد وجلس غريانًا . فقال لهم الغاضريّ : أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة ! يريد خلقة أبي . فقال له أبي : إن خِلَقْتِي لَعَجِيبَة ، وأعجبَ منها أنّه زَقَنِي انسان فصيرت نضوًا² ، وزقك واحد فصيرت بُخْتِيًا³ قال : وأهلُ المدينة يسمّون المهلّوس⁴ من الفِراخ النضو والمُسْرُول⁵ البُخْتِي . فغضب الغاضريّ عند ذلك وشمته ، فسقط واستبرّد ، وترك النوادر بعد ذلك ؛ وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه ، وكان هذا سببه .

[جدي زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان زياد بن عبد الله الحارثي أبخل خلق الله ، فأولمَ وليمةً لطهر بعض أولاده . وكان الناس يحضرون ويُقدّم الطعام فلا يأكلون منه إلّا تَعَلًّا وتشعُّنًا⁶ لعِلْمِهِم به ، فقدّم فيما قدّم جدّي مشويّ فلم يعرض له أحد ، وجعل يردّده على المائدة ثلاثة أيّام والناس يجتنّبونه إلى أن انقضت الوليمة . فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال : امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدّي بعد أن ذُبِح وشويّ أطولَ عُمرًا وأمدَّ حياةً منه قبل أن يُذبح ، فضحك الرّجلُ ، وسمِعها زياد فتغافل .

[سكينة تأمر بلحق لحيته]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : حدّثني إبراهيم بن المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب قال : غَضِيتُ سَكِينَةً على أبي في شيء خالفها فيه فحلقت لتحلّقن لحيتَه ، ودعت بالحجام فقالت له : اخلّق لحيتَه ، فقال له الحجام : انفخ شدّقيك حتى أتمكّن منك . فقال له : يا ابن البظراء ، أمرتك أن تحلّق لحيتي أو تعلّمني الرّمز ! خبرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلق

1 منذر : يأتي بالنوادر .

2 زقه : أطعمه كما يطعم الطائر فراخه . والنضو : المهزول .

3 البخّي : جمل خراساني .

4 المهلّوس : المهزول .

5 المسرول : الحمام الذي في رجله ريش كاسراويل .

6 التشعث : الأكل القليل .

حِرْهَا تَنْفُخُ أَشْدَقَهُ ! فَغَضِبَ الْحِجَّامُ وَحَلَفَ أَلَّا يَحْلِقَ لِحَيْتَهُ وَانصَرَفَ . وَبَلَغَ سَكِينَةُ الْخَبِيرَ
وَمَا جَرَى بَيْنَهُمَا فَضَحِكَتْ وَعَقَّتَ عَنْهُ .

[حكاية عن بخل زياد بن عبد الله الحارثي]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَهْدَى
كَاتِبٌ لَزِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ إِلَيْهِ طَعَامًا ، فَأَتَانِي بِهِ وَقَدْ تَغَدَّى فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِهِ
وَقَدْ أَكَلْتُ ؟ ادْعُوا أَهْلَ الصُّفَّةِ¹ يَأْكُلُونَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَسَأَلَ كَاتِبَهُ : فِيمَ دَعَا أَهْلَ الصُّفَّةِ ؟
فَعَرَفَ ، فَقَالَ الْكَاتِبُ : عَرَفُوهُ أَنَّ فِي السَّلَالِ أَنْخِصَةَ وَحُلُوءًا وَدَجَاجًا وَفَرَاخًا . فَأَخْبِرَ
بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِكَشْفِهَا ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَمَرَ بِرَفْعِهَا فَرُفِعَتْ ، وَجَاءَ أَهْلُ الصُّفَّةِ فَأَعْلِمَ ، فَقَالَ :
أَضْرِبُوهُمْ عَشْرِينَ عَشْرِينَ دِرَّةً ، وَاحْبِسُوهُمْ فَإِنَّهُمْ يَفْسُدُونَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَيُؤْذُونَ الْمُصَلِّينَ ، فَكَلَّمْتُ فِيهِمْ ، فَقَالَ : حَلِّقُوهُمْ أَلَّا يُعَاوِدُوا وَأَطْلِقُوهُمْ .

[عبث أبان بن عثمان بأعرابي]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ زُبَالَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ
زَيْنَجٍ رَاوِيَهُ ابْنُ هَرْمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ وَأَعْبَثُهُمْ ، وَبَلَغَ مِنْ
عَبَثِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجِيءُ بِاللَّيْلِ إِلَى مَنْزِلِ رَجُلٍ فِي أَعْلَى الْمَدِينَةِ لَهُ لَقَبٌ يَغْضَبُ مِنْهُ فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا
فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، ثُمَّ يَهْتَفُ بِلَقَبِهِ ، فَيَسْتَمُتُهُ أَقْبَحَ شَتَمٍ وَأَبَانٍ يَضْحَكُ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ
وَعِنْدَهُ أَشْعَبُ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ جَمَلٌ لَهُ ، وَالْأَعْرَابِيُّ أَشْقَرُ أَرْزُقُ² أَزْعَرُ² غَضُوبٌ يَتَلَطَّى
كَأَنَّهُ أَفْعَى ، وَيَتَبَيَّنُ الشَّرُّ فِي وَجْهِهِ ، مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَتَمَهُ وَنَهَرَهُ . فَقَالَ أَشْعَبُ
لَأَبَانَ : هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الْبَادِيَةِ ادْعُوهُ ، فَدُعِيَ وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ يَدْعُوكَ . فَأَتَاهُ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ أَبَانُ عَنْ نَسَبِهِ فَانْتَسَبَ لَهُ ، فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا خَالِي ، حَبِيبُ إِزْدَادَ حَبَّاءَ .
فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي فِي طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلَ جَمَلِكَ هَذَا مِنْذُ زَمَانٍ فَلَمْ أَجِدْهُ كَمَا أَشْتَهِي بِهِذِهِ
الصُّفَّةِ ، وَهَذِهِ الْقَامَةُ ، وَاللُّونُ ، وَالصَّدْرُ ، وَالْوَرَكُ ، وَالْأَخْفَافُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ
ظَفَرِي بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحَبَّهُ ، أَتَبِعُهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَقَالَ : فَإِنِّي قَدْ بَذَلْتُ لَكَ بِهِ
مِائَةَ دِينَارٍ ، وَكَانَ الْجَمَلُ يُسَاوِي عَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، فَطَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَسُرَّ وَانْتَفَخَ ، وَبَانَ السُّرُورُ
وَالطَّمَعُ فِي وَجْهِهِ . فَأَقْبَلَ أَبَانُ عَلَى أَشْعَبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا أَشْعَبُ ! إِنْ خَالِي هَذَا مِنْ
أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ ، يَعْنِي فِي الطَّمَعِ ، فَأَوْسَعَ لَهُ مِمَّا عِنْدَكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ بَأَيِّ أَنْتَ وَزِيَادَةُ .
فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : يَا خَالِي ، إِنَّمَا زِدْتُكَ فِي الثَّمَنِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا الْجَمَلُ يُسَاوِي سِتِينَ دِينَارًا ،

1 أهل الصفة : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له مسكن .

2 أزعر : سبىء الخلق .

ولكن بذلت لك مائة لُقْلَة النَّقْد عندنا ، وإني أعطيك به عُروضاً تُساوي مائة ، فزاد طَمَعُ
الأعرابي وقال : قد قَبِلْتُ ذلك أيها الأمير ، فأسرَّ إلى أشعب ، فأخرج شيئاً مُعْطًى فقال له :
أخرج ما جِئْتَ به ، فأخرج جَرْدَ عمامة خَزْ خَلَقٍ تساوي أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا
أشعب ، فقال له : عِمَامَةُ الأمير تُعَرَفُ به ، ويشهدُ فيها الأعيادُ والجُمُعُ ويلقى فيها
الخُلَفَاءُ ؛ خمسون ديناراً . فقال : ضَعُها بين يدي . وقال لابن زَنْجٍ ، أثبت قيمتها . فكتب
ذلك ، ووَضِعَتِ العمامة بين يدي الأعرابي ، فكاد يدخل بعضُه في بعض غِيْظاً ، ولم يقدر على
الكلام ؛ ثم قال : هاتِ قَلَنْسُوَتِي ، فأخرج قَلَنْسُوَةَ طويلة خَلْقَةٍ قد علاها الوسخ والدَّهْنُ
وتخرَّقت ، تساوي نصف درهم ؛ فقال : قوم ، فقال : قَلَنْسُوَةُ الأمير تعلو هامته ويصلي فيها
الصَّلوات الخمس ، ويجلس للحُكْم ؛ ثلاثون ديناراً . قال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووَضِعَتِ
القَلَنْسُوَةُ بين يدي الأعرابي ، فتربَّدَ وجهه وجَحَظَتِ عيناه وهمَّ بالوُثوب ، ثم تماسك وهو
متقلِّق .

ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفَيْنِ خَلْقَيْنِ قد نُقِبا وتَقَشَّرا وتَفَتَّقا ؛ فقال
له : قوم ، فقال : خُفَا الأمير يطأ بهما الرُّوضَةُ ، ويعلو بهما منبر النبي ﷺ ؛ أربعون
ديناراً . فقال : ضَعُهما بين يدي فوضعهما . ثم قال للأعرابي : اضمِّم إليكَ متاعك ،
وقال لبعض الأعوان : اذْهَبْ فخذ الجملَ ، وقال لآخر : امْضِ مع الأعرابي فاقْبِضْ منه ما
بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابي فأخذ القماشَ فضرب به
وُجوه القوم لا يألُو في شِدَّةِ الرَّمْيِ به ، ثم قال له : اتدري أصلحك الله من أي شيء
أُموِت ؟ قال : لا ، قال : لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولدَ مثلك ؛ ثم
نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضَحِكَ أبان حتى سَقَطَ وضَحِكَ كلُّ مَنْ
كان معه . وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لَقِيَ أشعب يقول له : هَلَمْ إليَّ يا ابن الخبيثة حتى
أُكَفِّتَكَ على تقويمك المتاع يوم قَوْمٍ ، فيهرب أشعبُ منه .
[يخاف حسد العجوز على خَفَةِ موته]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن الحارث ، عن المدائني قال : حَدَّثَنِي شيخ من
أهل المدينة قال : كانت بالمدينة عجوزٌ شديدة العين ، لا تنظرُ إلى شيء تَسْتَحْسِنُهُ إِلَّا عاتته¹ ،
فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لبنته : يا بنية ، إذا مُتْ فلا تَدْبِينِي والناس
يَسْمعونك ، فتقولين : وا أبتاه أندبُك للصَّوم والصَّلوات ، وا أبتاه أندبُك للِفِقْه والقراءة ،
فِيَكْبِدُك النَّاسُ ويلعنوني . والتفت أشعبُ فرأى المرأة ، فغطَّى وجهه بكُمِّه وقال لها : يا فلانة

بِاللهِ إِنْ كُنْتُ اسْتَحْسَنْتُ شَيْئاً مِمَّا أَنَا فِيهِ فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَا تَهْلِكْنِي . فغضبت المرأة وقالت : سَخِنتَ عينك ، في أيِّ شيءٍ أَنْتَ مِمَّا يَسْتَحْسَنُ ! أَنْتَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ! قال : قد علمت ولكن قلت لئلاَّ تكُونِي قد اسْتَحْسَنْتُ خِيفَةَ الموتِ عَلَيَّ وَسُهولةَ النَّزْعِ ، فَيَسْتَدُّ مَا أَنَا فِيهِ . وخرَجَتْ من عنده وهي تشتمه ، وضَحِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ حوله من كلامه ، ثم مات .

[ضرطة بنقطة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ ، عن مصعب قال : لَاعِبُ أَشْعَبُ رَجُلًا بِالرَّدِّ ، فَأَشْرَفَ عَلَى أَنْ يَقْمَرَهُ إِلَّا بِضَرْبِ دَوِيكَيْنِ¹ ، ووقع الفصّان في يد ملاعبه ، فأصابه زَمَعٌ² وجزع ، فضرَبَ يَكِينٍ وَضَرَطَ مع الضربة فقال له أَشْعَبُ : امْرَأَتُهُ طَالِقٌ إِنْ لَمْ أَحْسِبْ لَكَ الضَّرْطَةَ بِنُقْطَةٍ حَتَّى يَصِيرَ لَكَ الْيَكَانُ دَوِيكٌ وَتَقْمَرُ . وسلم له الْقَمَرُ بسبب الضَّرْطَةِ .

[مزيد من طرائفه]

أخبرني الحسن قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ ، عن حَمَّادٍ ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه قال : قال رجلٌ لأشعب : كان أبوك أَلْحَى وَأَنْتَ أَثْطُ فإِلَى مَنْ خَرَجْتَ ؟ قال : إِلَى أُمِّي ، فَمَرَّ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْجَبُ من جوابه ، وكان رجلاً صالحاً .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيُّ قال : حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قال : سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمَ النَّبِيلَ يَقُولُ : رَأَيْتُ أَشْعَبَ وَسَّأَلَهُ رَجُلٌ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قال : مَا زُفْتُ عَرُوسٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَى زَوْجِهَا قَطُّ إِلَّا فَتَحْتُ بَابِي ، رَجَاءً أَنْ تُهْدِيَ إِلَيَّ طَمَعاً .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : تَطَلَّمت امرأةُ أَشْعَبٍ مِنْهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَقَالَتْ : لَا يَدْعُنِي أَهْدًا مِنْ كَثَرَةِ الْجِمَاعِ ، فقال له أَشْعَبُ : أَتُرَانِي أَعْلِفُ وَلَا أَرْكَبُ ، لَتَكْفُ ضِرْسُهَا لِأَكْفُ أُيْرِي .

قال : وَشَكَا خَالَ لأشعبَ إِلَيْهِ امْرَأَتَهُ وَأَنَّهَا تَخُونُهُ فِي مَالِهِ . فقال له : فَذَيْتِكَ لَا تَأْمَنُ قَحْبَةً ، وَلَوْ أَنَّهَا أَثْمَلُكَ ، فَانصرف عنه وهو يشتمه .

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ، قال : حَدَّثَنِي قَعْنَبُ بْنُ الْمُحَرِّزِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، عن جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قال : قَدِمَ عَلَيْنَا أَشْعَبُ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَأُطَافَ بِهِ فَتَيَانُ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُغْنِيَ فَعَنَاهُمْ فَإِذَا أَلْحَانُهُ مَطْرِبَةٌ وَحَلْقُهُ عَلَى حَالِهِ ، فَسَأَلُوهُ : لِمَنْ هَذَا اللَّحْنُ :

1 لعلها : دويك .

2 زمع : دهش .

[من مجزوء الوافر]

لِمَنْ طَلَّلَ بِذَاتِ الْجَبِّ شَرَّ أُمْسَى دَارِسًا خَلَقًا¹ ؟

فقال : للدلال ، وأخذته عن مَعْبُد ، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوتَ ، فإذا سُئِلَ عنه قال : عليكم بأشعب فإنه أحسنُ أداءٍ له مني .

[الحسن بن الحسن يبعث به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : ذكر الزبير بن بكار ، عن شعيب بن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال : كان الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يعبث بأبي أشدّ عبث ، وربما أراه في عبثه أنّه قد ثمل وأنه يُعْرِد عليه ، ثم يخرج إليه بسيف مَسْلُول ويُريه أنّه يريد قتله ، فيجري بينهما في ذلك كلّ مُسْتَمِع . فهجره أبي مدّة طويلة ، ثم لقيه يوماً ، فقال له : يا أشعب ، هَجَرْتَنِي وَقَطَعْتَنِي وَنَسِيتَ عَهْدِي . فقال له : بأبي أنت وأُمّي ، لو كنتَ تعربد بغير السيف ما هجرتك ، ولكن ليس مع السيف لعبٌ . فقال له : فأنا أُعْفِيكَ من هذا فلا تراه مني أبداً ، وهذه عشرة دنانير ، ولك حِمَارِي الذي تحتي أُحْمِلُكَ عليه ، وصِرْ إِلَيَّ ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً ؛ قال : لا والله أو تخرج كلّ سيف في دارك قبل أن تأكل ؛ قال : ذلك لك . قال : فجاءه أبي ، ووفى له بما قال من الهبة وإخراج السيوف ، وخلف عنده سيفاً في الدار ، فلما توسّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً ، ثم قال : يا أشعب إنّما أخرجتُ هذا السيف لخير أريدُه بك ، قال : بأبي أنت وأُمّي ، وأيُّ خير يكون مع السيف ؟ أَلَسْتَ تَذْكُرُ الشرطَ بيننا ؟ قال له : فاسمع ما أقول لك ، لست أضربك به ، ولا يلحقك منه شيء تكرهه ، وإنّما أريد أن أضجّعك وأجلس على صدرك ، ثم آخذ جِلْدَةَ حَلِقِكَ بإصبعي من غير أن أقبض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقْتَل ، فأحزها بالسيف ، ثم أقوم عن صدرك وأعطيك عشرين ديناراً . فقال : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَلَا تَفْعَلْ بِي هَذَا ! وجعل يصرخ ويكي ويستغيث ، والحسن لا يزيدُه على الحلف له أنّه لا يقتله ولا يتجاوز به أن يحزّ جِلْدَه فقط ، ويتوعده مع ذلك أنّه إن لم يفعل طائعاً فعله كارهاً ، حتى إذا طال الخطبُ بينهما ، واكتفى الحسن من المزح معه ، أراه أنّه يتغافل عنه ، وقال له : أنت لا تفعل هذا طائعاً ، ولكن أجبي ببجل فأكيفك به . ومضى كأنه يجيء ببجل ، فهرب أشعب وتسور حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسقط إلى داره ، فانفكت رجليه وأغمي عليه . فخرج عبد الله فرعاً ، فسأله عن قصته ، فأخبره ، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً ، وأقام في منزله يعالجه ويَعُوله إلى أن صلّحت حاله .

قال : وما رآه الحسنُ بنُ الحسنِ بعدها .

وأخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني عمّي قال : دعا حسنُ بنُ حسنِ بن عليّ عليهم السلام أشعبَ ، فأقام عنده ، فقال لأشعب يوماً : أنا أشتهي كبَدَ هذه الشاةَ ، لشاةٍ عنده عزيزةٌ عليه فارهيّةٌ ، فقال له أشعب : بأبي أنت وأُمّي أعطينيها وأنا أذبُحُ لك أسمنَ شاةٍ بالمدينة . فقال : أخبرك أنّي أشتهي كبَدَ هذه وتقول لي : أسمنَ شاةٍ بالمدينة ، اذبُحُ يا غلام ، فذبّحها وشوى له من كبديها وأطايبيها ، فأكل . ثم قال لأشعب من الغد : يا أشعب أنا أشتهي من كبدي نجيبٍ هذا ، لنجيب كان عنده ثمّنه ألوفُ دراهم ، فقال له أشعب : يا سيّدي في ثمن هذا والله غناي ، فأعطنيهِ وأنا والله أُطعمُكَ من كبدي كلّ جزورٍ بالمدينة . فقال : أخبرك أنّي أشتهي من كبدي هذا وتُطعمُني من غيره ! يا غلام انحر ، فنحر النّجيبُ وشوى كبده فأكلاه فلمّا كان اليوم الثالث قال له : يا أشعب ، أنا والله أشتهي أن آكلُ من كبدي . فقال له : سبحان الله أتأكلُ من أكبادِ الناس ! قال : قد أخبرتك ، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله . فقيل له : ويّلك أظننت أنّك يذبّحك ؟ فقال : والله لو أنّ كبدي وجميعُ أكبادِ العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها . وإنّما فعل حسن بالشاة والنّجيب ما فعل توطئةً للعبث بأشعب .

تمت أخباره .

صوت

[من المتقارب]

أَلَمْتُ خُنَاسُ وَالْمَأْمُهَا أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَحْلَامُهَا
يَمَانِيَّةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ تَطَاوُلُ فِي الْمَجْدِ أَعْمَامُهَا

الشعر لعوف القوافي الفزاري¹ والغناء للهدليّ رمل بالوسطى ، عن عمرو ، وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ فيه لحناً لجميلة ولم يذكر طريقته ، وفيه لأبي العباس بن حمدون خفيف ثقيلٍ مُطلقٍ في مجرى الوسطى .

[404] - أخبار عُؤَيْف ونسبه¹

[نسبه]

هو عُؤَيْف بن معاوية بن عُقْبة بن حِصْن وقيل : ابنُ عُقْبة بن عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عمرو بن جُؤَيَّة بن لَوْذَان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فَزارة بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قيس بن عِيلَان بن مُضَر بن نِزار .
وعُؤَيْف القوافي شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحدُ البيوتِ المُقدِّمة الفاخرة في العرب .

قال أبو عبيدة : حدثني أبو عمرو بنُ العلاء أنَّ العرب كانت تعدُّ البيوتات المشهورة بالكِبَر والشَّرَف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت ، ومنهم من يقول أربعة : أولها بيت آل حُذَيْفَة بن بَدْر الفزاريّ بيتُ قيس ، وبيتُ آلِ زُرارة بن عُدَس الدَّارميّين بيتُ تميم ، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بن هَمَام بيت شَيْبَان ، وبيتُ بني الدِّيَّان من بني الحارث بن كعب بيتُ اليَمَن .
وأما كِنْدَة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا مُلوَكًا .

وقال ابن الكلبي : قال كِسْرَى للنعمان : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : نعم . قال : بأيّ شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتَّصل ذلك بكمال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه . قال : فاطْلُب لي ذلك ، فطلَّبه فلم يُصِبه إلَّا في آل حُذَيْفَة بن بَدْر بيت قيس بن عِيلَان ، وآلِ حاجب بن زُرارة بيتِ تميم ، وآل ذي الجَدَّين بيت شَيْبَان ، وآل الأشعث بن قيس بيت كِنْدَة . قال : فجمع هؤلاء الرّهط ومن تبعهم من عشائريهم . فأقعد لهم الحُكَّام العُدول ، فأقبل من كلِّ قوم منهم شاعريهم ، وقال لهم : ليتكلّم كلُّ رجلٍ منكم بمآثر قومه وفعالهم ، وليقل شاعريهم فيصدق . فقام حُذَيْفَة بن بَدْر ، وكان أسنَّ القوم وأجراًهم مُقدِّمًا ، فقال : لقد عَلِمْتُ مَعَدًّا أنَّ منَّا الشَّرَف الأقدم ، والعِزُّ الأعظم ، ومآثره الصَّنيع الأكرم . فقال من حوله : ولمَ ذاك يا أبا فَزارة . فقال : السنا الدَّعَائِم التي لا ترام ، والعِزُّ الذي لا يُضَام ! قيل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]

فَزارةُ بيتُ العِزِّ والعِزُّ فيهمُ فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها

1 ترجمة عؤيف القوافي في معجم المرزباني : 127-128 والسمط : 814 وخزانة البغدادي 6 : 384-387
وقد جمع ما تبقى من شعره د. نوري حمودي القيسي في «شعراء أمويون» 2 : 135-154 ، وأخبار مرج راهط في كتب التاريخ .

ها العِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْحَسَبُ الَّذِي بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا
فَمَنْ ذَا إِذَا مَدُّ الْأَكْفُ إِلَى الْعَلَا يَمُدُّ بِأُخْرَى مِثْلَهَا فِينَالُهَا¹
فَهِيَّاهُ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ مَآثِرُ قَيْسٍ مَجْدُهَا وَقَعَالُهَا²
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ مَدَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا
وَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لَذَاكَ جَمِيعُنَا وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ عَلَى النَّاسِ حَالُهَا

ثم قام الأشعث بن قيس ، وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته بالنعمان ، فقال : لقد علمت العرب أننا نقاتل عديدها الأكثر ، وقديم زحفها الأكبر ، وأنا غيث اللزيات³ . فقالوا : لم يا أبا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بحبوجه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]
إِذَا قِسَتْ أَبْيَاتُ الرِّجَالِ بَيْنَنَا وَجَدَتْ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ يُفَاخِرُ
فَمَنْ قَالَ كَلًّا أَوْ أَتَانَا بِخُطَّةٍ يُنَافِرُنَا يَوْمًا فَنَحْنُ نُخَاطِرُ
تَعَالَوْا فَعَدُّوا يَعْلَمُ النَّاسُ أَيُّنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكَابِرُ

ثم قام بسطام بن قيس فقال : لقد علمت ربيعة أننا بُناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يُنقل . قالوا : ولم يا أبا شتيان ؟ قال : لأننا أدركهم للثأر ، وأقتلهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، وألدهم للخضم ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]
لَعَمْرِي لِبَسْطَامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا وَأَوْلَى بِبَيْتِ الْعِزِّ عِزُّ الْقَبَائِلِ
فَسَائِلُ ، أَيْتُ اللَّعْنِ ، عَنْ عِزِّ قَوْمِنَا إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مَنَاضِلِ
أَلَسْنَا أَعَزُّ النَّاسِ قَوْمًا وَأُسْرَةً وَأَضْرَبَهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ
فَيُخْبِرُكَ الْأَقْوَامُ عَنْهَا فَإِنَّهَا وَقَائِعُ لَيْسَتْ نَهْزَةً لِلْقَبَائِلِ
وَقَائِعُ عِزِّ كُلِّهَا رَبْعِيَّةٌ تَذِلُّ لَهُمْ فِيهَا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ فَضْلَهَا وَعَاذَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ قَائِلِ
وَأَنَا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِخْدَى الرِّلَازِلِ

ثم قام حاجب بن زرارة فقال : لقد علمت معدُّ أنا فرع دعامتها ، وقادة زحفها ، فقالوا له : بيم ذاك يا أبا بني تميم ؟ قال : لأننا أكثر الناس إذا نسينا عدداً ، وأنجبهم ولداً ، وأنا

1 مثلها في ل : غيرها .

2 مضت في ل : حلت .

3 اللزيات : جمع لزبة ، وهي الشدة والقحط .

أعطاهم للجزيل ، وأحبلهم للثقل ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]
 لقد عَلِمْتُ أبناءَ خِنْدِفَ أَنَّا لَنَا العِزُّ قَدْماً فِي الخُطُوبِ الأوَّائلِ
 وَأَنَا هِجَانُ أَهْلُ مَجْدٍ وَثُرُوءٍ وَعِزٌّ قَدِيمٌ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ¹
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ أَغَرَّ نَجِيبٌ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلِ
 فَسَائِلُ ، أَيْتَ اللَّعْنِ ، عَنَّا فَإِنَّا دَعَائِمُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ

ثم قام قيس بن عاصم فقال : لقد عَلِمَ هؤلاء أَنَّا أَرْفَعُهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ دَعَائِمَ ، وَأَثْبَتَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ مَقَاوِمَ . قالوا : ولِمَ ذاك يا أَخَا بَنِي سَعْدِ ؟ قال : لَأَنَّا أَمْنَعُهُم لِلْجَارِ ، وَأَدْرَكُهُم لِلشَّارِ ، وَأَنَا لَا نَنْكَلُ إِذَا حَمَلْنَا وَلَا نَرَامُ إِذَا حَلَلْنَا ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسٌ وَخِنْدِفُ كُلُّهُمَا وَجُلُّ تَمِيمٍ وَالْجُمُوعُ الَّتِي تَرَى
 بَأَنَّا عِمَادٌ فِي الْأُمُورِ وَأَتْنَا لَنَا الشَّرْفُ الضَّخْمُ الْمُرْكَبُ فِي النَّدَى
 وَأَنَا لُبُوثُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَازِقٍ إِذَا اجْتَزَّ بِالْبَيْضِ الْجَمَاجِمُ وَالطَّلَى²
 وَأَنَا إِذَا دَاعٍ دَعَانَا لِنَجْدَةٍ أَجْنِبْنَا سِرَاعاً فِي الْعَلَا ثُمَّ مَنْ دَعَا
 فَمَنْ ذَا يَوْمِ الْفَخْرِ يَعْدِلُ عَاصِماً وَقَيْساً إِذَا مَدَّ الْأَكْفُ إِلَى الْعَلَا
 فَهَيْهَاتَ قَدْ أَعْيَا الْجَمِيعَ فَعَالُهُمْ وَفَاتُوا يَوْمَ الْفَخْرِ مَسْعَاةً مَنْ سَعَى

فلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ : لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا سَيِّدٌ يَصْلَحُ لِمَوْضِعِهِ ، وَأَسْنَى حِبَاءِهِمْ .

[رجع الحديث إلى عوف القوافي]

وَأَمَّا قَبْلَ عُوفٍ : عُوفٍ الْقَوَافِي لَبَّيْتُ قَالَهُ ، نَسَخْتُ خَبْرَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ . قَالَ : أَخْبَرَنَا السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : أَقْبَلَ عُوفٍ الْقَوَافِي ، وَهُوَ عُوفٍ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ الْفَزَارِيِّ ، وَأَمَّا قَبْلَ لَهُ عُوَيْفُ الْقَوَافِي ، كَمَا حَدَّثَنِي عَمَّارُ بْنُ أَبَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُيَيْنَةَ ، بَيْتَ قَالَهُ³ :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ قَوْلًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِي
 قَالَ : فَوَقَّفَ عَلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ⁴ :

[من الوافر]

1 المهجان : الخيار والخالص من كل شيء ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

2 الطلى : الرقاب .

3 شعره : 154 .

4 شعره : 154 .

أَصْبَّ عَلَى بَجِيلَةٍ مِنْ شَقَاها هِجَائِي حِينَ أُدْرِكُنِي الْمَشِيبُ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ : أَلَا أَشْتَرِي مِنْكَ أَعْرَاضَ بَجِيلَةٍ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : بِكُمْ ؟ قَالَ : بِأَلْفِ
دِرْهَمٍ وَيَرْدُونَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَقَالَ¹ :
لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتُ بِبَجِيلَةٍ نَعَمْ الْفَتَى وَبُشْتِ الْقَبِيلَةِ
فَقَالَ جَرِيرٌ : مَا أَرَاهُمْ نَجَوْا مِنْكَ بَعْدَ .

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ أَبِي سَعِيدِ السَّكْرِيِّ فِي كِتَابِ «مَنْ قَالَ بَيْتًا فَلُقِبَ بِهِ» قَالَ : أَخْبَرَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ : وَإِنَّمَا قِيلَ لَعُوفٍ عُوفٍ الْقَوَافِي لِقَوْلِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ غَيْرَهُ
بِأَنَّهُ لَا يُجِيدُ الشُّعْرَ ، فَقَالَ أَبْيَاتًا مِنْهَا :
سَأُكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أُجِيدُ الْقَوَافِيَا
فَسُمِّيَ عُوفٍ الْقَوَافِي .

[عند الوليد بن عبد الملك]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
عَزِيزُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْأَرْقَمِ الْمُخْزُومِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ
مَشِيخَةِ قَرِيشَ ، قَالُوا : لَمْ يَكُنْ رَجُلًا مِنْ وَلَاقَةِ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ أَنْفَسَ عَلَى
قَوْمِهِ ، وَلَا أَحْسَدَ لَهُمْ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَذِنَ يَوْمًا لِلنَّاسِ فَدْخَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَأَذِنَ
لِلشُّعْرَاءِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَدَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُوفٍ الْقَوَافِي الْفَزَارِيُّ . فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ فَقَالَ :
مَا بَقِيَتْ لِي بَعْدَ مَا قُلْتُ لِأَخِي بَنِي زُهْرَةَ ! قَالَ : وَمَا قُلْتُ لَهُ مَعَ مَا قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَالَ : أَلَسْتُ الَّذِي تَقُولُ² :

يَا طَلْحَ أَنْتَ أَخُو النَّدَى وَحَلِيفُهُ إِنَّ النَّدَى مِنْ بَعْدِ طَلْحَةَ مَا تَا
إِنَّ الْفَعَالَ إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ فَبِحَيْثُ بَتَّ مِنَ الْمَنَازِلِ بَاتَا
أَوْ لَسْتُ الَّذِي تَقُولُ³ :

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
وَلَا سَارَ الْبَشِيرُ بَغْنَمَ جَيْشٍ وَلَا حَمَلَتْ عَلَى الطُّهْرِ النِّسَاءُ⁴

1 شعره : 151 .

2 شعره : 143 .

3 شعره : 142 .

4 ل : وَلَا سَارَ الْعَزِيزُ .

تَسَاقَى النِّسَاءُ بِعَدْلِكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ ذَرِيعَ الْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ
أَلَمْ تَقُمْ عَلَيْنَا السَّاعَةَ يَوْمَ قَامَتْ عَلَيْهِ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ مِنْكَ شَيْئاً ، وَلَا أَنْفَعُكَ بِنَافِعَةٍ أَبَداً ،
أَخْرَجُوهُ عَنِّي .
[قَصَّته مع طلحة أخي بني زهرة]

فلَمَّا أَخْرَجَ قَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ : وَمَا الَّذِي أَعْطَاكَ طَلْحَةَ حِينَ اسْتَخْرَجَ هَذَا
مِنْكَ ؟ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَطِيَّتِهِ ، وَلَكِنْ لَا وَاللَّهِ مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ قَطُّ
أَحْلَى فِي قَلْبِي وَلَا أَبْقَى شُكْراً وَلَا أَجْدَرَ أَلَّا أَنْسَاهَا مَا عَرَفْتُ الصَّلَاتِ مِنْ عَطِيَّتِهِ . قَالُوا : وَمَا
أَعْطَاكَ ؟ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَمَعِيَ بُضَيْعَةٌ¹ لِي لَا تَبْلُغُ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، أُرِيدُ أَنْ أَتَبَعَ قَعُوداً مِنْ
قَعْدَانِ الصَّدَقَةِ ، فَإِذَا بَرَجَلُ فِي صَحْنِ السُّوقِ عَلَى طِنْفِسَةٍ² قَدْ طُرِحَتْ لَهُ ، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ ،
وَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِبِلٌ مَعْلُوفَةٌ لَهُ ؛ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ عَامِلُ السُّوقِ ؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَأَثْبَتَنِي وَجْهَلَّتْهُ .
فَقُلْتُ : أَيَّ رَحِمَكَ اللَّهُ ، هَلْ أَنْتَ مُعِينِي بِبَصْرِكَ عَلَى قَعُودٍ مِنْ هَذِهِ الْقَعْدَانِ تَتَبَاعُهُ لِي ؟
فَقَالَ : نَعَمْ ، أَوْ مَعَكَ ثَمَنُهُ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ بُضَيْعَتِي ، فَرَفَعَ طِنْفِسَتَهُ
وَأَلْقَاهَا تَحْتَهَا ، وَمَكَثَ طَوِيلاً ، ثُمَّ قَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَيَّ رَحِمَكَ اللَّهُ ، انْظُرْ فِي حَاجَتِي فَقَالَ :
مَا مَنَعَنِي مِنْكَ إِلَّا النَّسِيَانَ ، أَمَعَكَ حَبْلٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : هَكَذَا أَفْرِجُوا ، فَأَفْرَجُوا عَنْهُ
حَتَّى اسْتَقْبَلَ الْإِبِلَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : اقْرَأْ هَذِهِ وَهَذِهِ وَهَذِهِ . فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى أَمَرَ لِي
بِثَلَاثِينَ بَكْرَةً أَدْنَى بَكْرَةٍ مِنْهَا ، وَلَا دَنِيَّةَ فِيهَا ، خَيْرٌ مِنْ بَضَاعَتِي . ثُمَّ رَفَعَ طِنْفِسَتَهُ فَقَالَ :
وَشَأْنُكَ بِيَضَاعَتِكَ فَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَى مَنْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : أَيَّ رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ ؟ فَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ إِلَّا مِنْ نَهْرَنِي وَشَتْمَنِي ، ثُمَّ بَعَثَ مَعِيَ نَفْراً فَأَطْرَدُوهَا حَتَّى أَطْلَعُوهَا
مِنْ رَأْسِ الثَّنِيَّةِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا دُمْتُ حَيًّا أَبَداً .

وهَذَا الصَّوْتُ الْمَذْكُورُ تَمَثَّلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ
مَقْتَلِهِ .

حَدَّثَنِي ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَيْسَرَةُ بْنُ سَيَّارٍ أَبُو مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّافِقِيُّ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ ؛ وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمَنْجَمُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ ؛ وَرَوَاةُ ابْنِ عَمَّارٍ أَمُّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ .
وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ أَيْضاً مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ أَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ

1 بضیعة : تصغیر بضاعة ، وهي مقدار من المال للتجارة .

2 الطنفسة : البساط والحصير .

الْيَقْطَرِيُّ¹ ، عن أبيه ، عن الْمُفَضَّل ، وهو أُمُّ الرُّوَايَات ، وَأَكْثَرُ اللَّفْظِ لَهُ قَالَ : قَالَ الْمُفَضَّلُ : خَرَجْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بْنِ حَسَنٍ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْمُرَيْدِ ، وَقَفَ عَلَى رَأْسِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صَبِيَّانَ مِنْ وَلَدِهِ ، فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ : هَؤُلَاءِ وَاللَّهِ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ ، إِلَّا أَنْ أَبَاءَهُمَا فَعَلُوا بِنَا وَصَنَعُوا ، وَذَكَرَ كَلَاماً يَحْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِيهِ بِالْإِسَاءَةِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ لَوَجْهِهِ وَتَمَثَّلَ² : [مَنْ الْمُنْسَرَحَ]

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ظَلَامَتَنَا إِنَّ بِنَا سَوْرَةً مِنَ الْقَلَقِ³
لِمِثْلِكُمْ نَحْمِلُ السُّيُوفَ وَلَا تُغَمِّرُ أَحْسَابُنَا مِنَ الدَّقَقِ⁴
إِنِّي لِأُنْمِي إِذَا انْتَمَيْتَ إِلَى عَزَّ عَزِيزٍ وَمَعَشَرٍ صُدُقِ⁵
بِيضٍ سِيَاطٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ تَكْحَلُ يَوْمَ الْهِيَاجِ بِالْعَلَقِ⁶

فَقُلْتُ : مَا أَفْحَلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، فَلِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : لِضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ ، قَالَهَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَتَمَثَّلَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتَيْلَ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلَحَقَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَاخْمَرَى⁷ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا أَتَاهُ نَعِيُّ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَتَمَثَّلَ :

نُبْتُ أَنْ بَنِي رَبِيعَةَ أَجْمَعُوا أَمْرًا خَلَاهُمُ لَتَقْتُلَ خَالِدًا
إِنْ يَقْتُلُونِي لَا تُصِيبُ أَرْمَاحُهُمْ ثَارِي وَيَسْعَى الْقَوْمُ سَعْيًا جَاهِدًا
أُرْمِي الطَّرِيقَ وَإِنْ صُدِدْتُ بِضَيْقِهِ وَأُنَازِلُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ الْجَاحِدًا

فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ؟ فَقَالَ : لِلْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، تَمَثَّلَ بِهَا يَوْمَ شَيْبِ جَبَلَةٍ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي لَقِيتُ فِيهِ قَيْسَ تَمِيمًا . قَالَ : وَأَقْبَلْتُ عَسَاكِرَ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَتِلَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَكَادَ أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ .

قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي حَدِيثِهِ : قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَقَالَ لِي : حَرَّكْنِي بِشَيْءٍ ، فَأَنْشَدْتُهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَرَارَةً بَعْدَمَا أَجَدْتُ بِسِيرٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ

1 ل: اليزيدي .

2 ديوان ضرار بن الخطاب الفهري (صادر) : 75 .

3 القلق في الديوان : الغلق ، وهو الضجر وضيق الصدر .

4 الدقق : الذين يظهرون عيوب الناس . وفي الديوان : الرفق : الضعف .

5 الديوان : حي كرام ومعشر صدق .

6 الديوان : بيض جعاد ، أي كرام .

7 باخمرى : موضع بين الكوفة وواسط .

أَبَى كُلُّ حُرٍّ أَنْ يَيْتَ بَوْتَرِهِ وَيُمْنَعُ مِنْهُ النَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمٌ
أَقُولُ لِفَتَيَانِ الْعَشِيِّ تَرَوَّحُوا عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الشَّكَاثِمُ
قَفُّوا وَقْفَةً مَنْ يَخْيَ لَا يَخْزَ بَعْدَهَا وَمَنْ يُخْتَرَمَ لَا تَتَّبِعْهُ اللَّوَائِمُ
وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ لَتَسْلَمَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمٌ

فقال لي : أَعِدْ ، فتنبَّهت وندمت ، فقلت : أوغير ذلك ؟ فقال : لا ، أعدها ، فأعدتها ؛
فتمطى في ركابيه حتى خِلته قد قطعهما ، ثم حمل فكان آخر العهد به .

هذه رواية ابن عمَّار ، وفي الرواية الأخرى : فَحَمَلَ فَطَعْنَ رَجُلًا ، وطعنه آخر ، فقلت :
أتبشير الحرب بنفسك والعسكر منوط بك ؟ فقال : إليك يا أخوا بني ضَبَّة ، كَأَنَّ عُوَيْفًا أَخَا
بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول :

أَلَمْتُ خُنَاسُ وَالْمَأْمُهَا أَحَادِيثُ نَفْسٍ وَأَحْلَامُهَا
يَمَانِيَّةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ تَطَاوَلُ فِي الْمَجْدِ أَعْمَامُهَا
وَأَنَّ لَنَا أَصْلَ جُرُومَةٍ تَرُدُّ الْحَوَادِثُ أَيَّامُهَا
تَرُدُّ الْكَيْبَةَ مَغْلُولَةً بِهَا أَقْنَاهَا وَبِهَا ذَامُهَا¹

قال : وجاءه السَّهْمُ العائر فشغله عني .

[ينشد عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عُليْل العنزي ، قال : حدثني
محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدثني أصحابنا الأسدِيُّونَ ، عن أبي بُردة بن أبي موسى
الأشعري قال : حضرت مع عُمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفت معه ، وعليه
عمامة قد سدَّ لها من خلفه ، فما عَلِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به² : [من الطويل]

أَجِئْنِي أَبَا حَفْصَ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَا

فقال له عمر : لَيْتَكَ ، ووقف ووقف الناسُ معه ، ثم قال له : فَمَهْ ؟ فقال :

فَأَنْتَ امْرُؤٌ كِلْنَا يَدِيكَ مُفِيدَةً شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ

قال : ثم مه ؟ فقال :

بَلَغْتَ مَدَى الْمُجْرِينَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْمُجْرُونَ بَعْدُ مَدَاكَ

[من الطويل]

1 الأَفَن : ضعف الرأي . والذام : العيب والنقص .

2 شعره : 150 .

فَجَدَّاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمُ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَا أَرَاكَ شَاعِرًا ! مَا لَكَ عِنْدِي مِنْ حَقٍّ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي سَائِلُ وَابْنُ
سَبِيلٍ وَذُو سَهْمَةٍ¹ . فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى قَهْرْمَانِهِ فَقَالَ : أَعْطِهِ فَضْلَ نَفَقَتِي ، قَالَ : وَإِذَا هُوَ
عُوفُ الْقَوَافِي الْفَزَارِيُّ .

[هَجَاءُ بَنِي مَرَّةَ]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : لَمَّا
كَانَ يَوْمَ ابْنِ جَرَحٍ ، وَاقْتَتَلَتْ بَنُو مَرَّةَ وَبَنُو حُنَّ بْنِ عُذْرَةَ ، قَالَ عُوفُ الْقَوَافِي لِبَنِي مَرَّةَ
يَهْجُوهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ بِتَرْكِهِمْ نَصْرَهُمْ² :

كُنَّا لَكُمْ يَا مُرَّ أُمًّا حَقِيقَةً وَكُنْتُمْ لَنَا يَا مَرَّ بَوًّا مُجَلَّدًا³
وَإِذَا نَحْنُ خِفْنَا أَنْ يَكِلَ فَيُغَمِّدَا
فَأَجَابَهُ عُقَيْلُ بْنُ عُلْفَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :
أُمَاوِيُّ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ غَدَا
وَحَقُّ نَوِيٍّ نَازِلٍ أَنْ يُزَوِّدَا
يَقُولُ فِيهَا يَخَاطِبُ عُوفًا :

إِذَا قُلْتُ : قَدْ سَاحَتِ سَهْمَا وَمَازِنَا
وَقَدْ أَسْلَمُوا أَسْتَاهُمْ لِقَبِيلَةٍ
فَمَا كُنْتُ أُمًّا بَلْ جَعَلْتُكَ لِي أَخًا
عُوفُ اسْتَهَا قَدْ رُمْتُ وَيْلَكَ مَجْدَنَا
وَلَوْ أَنَّنِي يَوْمَ ابْنِ جَرَحٍ لَقَيْتُهُمْ
وَأَبْيَاتُ عُوفٍ هَذِهِ يَقُولُهَا يَوْمَ مَرْجٍ رَاهِطٍ ، وَهِيَ الْحَرْبُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ قَيْسٍ وَكَلْبٍ .

[وَقْعَةُ مَرْجٍ رَاهِطٍ]

أَخْبَرَنِي بِالسَّبَبِ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي سَلِيمَانُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ
أَعِينِ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : كَانَ بَدْءُ حَرْبِ قَيْسٍ وَكَلْبٍ فِي فِتْنَةِ ابْنِ
الزُّبَيْرِ مَا كَانَ مِنْ وَقْعَةِ مَرْجٍ رَاهِطٍ ، وَكَانَ مِنْ قِصَّةِ الْمَرْجِ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
قَدِيمٌ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَالنَّاسُ يَمْوِجُونَ ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ عَلَى

1 سهمة : القرابة والنصيب والقسمة .

2 شعره : 145 .

3 البو : جلد ولد الناقة يحشى تبناً لتدرّ عليه .

فَنَسْرِينَ ؛ فوثب عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ . فَلَمَّا قَعَدَ زُفَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدَ الْغَادِرِ الْفَاجِرِ ، وَحَصَرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَلَى حِمَصٍ ، فَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ . وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ بَحْدَلٍ عَلَى فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ ، وَنَزَلَ هُوَ الْأُرْدُنَّ فَوَثَبَ نَابِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ عَلَى رَوْحَ بْنِ زِنْبَاعٍ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ .

[موقف الضحَّاك بن قيس الفهري]

وَكَانَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ عَامِلًا لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَلَى دِمَشْقَ حَتَّى هَلَكَ . فَجَعَلَ يَقْدُمُ رِجَالًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ؛ إِذَا جَاءَتْهُ الْيَمَانِيَّةُ وَشِيعَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أُمَوِيٌّ ، وَإِذَا جَاءَتْهُ الْقَيْسِيَّةُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ . فَلَمَّا قَدِمَ مِرْوَانُ قَالَ لَهُ الضُّحَّاكُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَقْدُمَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بَيْعَةَ أَهْلِ الشَّامِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَمَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَحُصَيْنُ بْنُ نَمِيرِ الْكِنْدِيِّانِ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ الضُّحَّاكُ ، فَأَخْبَرَهُمْ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ شَيْخُ بَنِي أُمَيَّةٍ ، وَأَنْتَ عَمُّ الْخَلِيفَةِ ، هَلُمَّ تُبَايِعْكَ . فَلَمَّا فَشَا ذَلِكَ أَرْسَلَ الضُّحَّاكُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ حُسْنَ بِلَائِهِمْ عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا يَكْرَهُونَهُ . فَاجْتَمَعَ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَخَالِدُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَقَالَ لَهُمْ : اكْتُبُوا إِلَى حَسَّانَ بْنِ بَحْدَلٍ فَلْيَسِرْ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَابِيَةَ ، وَنَسِيرَ مِنْ هَاهُنَا حَتَّى نَلْقَاهُ ، فَيَسْتَخْلِفُ رِجَالًا تَرْضَوْنَهُ . فَكُتِبُوا إِلَى حَسَّانَ ، فَأَقْبَلَ فِي أَهْلِ الْأُرْدُنِّ ، وَسَارَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَبَنُو أُمَيَّةٍ فِي أَهْلِ دِمَشْقَ . فَلَمَّا اسْتَقَلَّتِ الرَّيَّائَاتُ مِنْ جِهَةِ دِمَشْقَ ، قَالَتْ الْقَيْسِيَّةُ لِلضُّحَّاكِ : دَعَوْتَنَا لِبَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، فَلَمَّا تَابَعْنَاكَ خَرَجْتَ تَابِعًا لِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كَلْبِ تُبَايَعَ لَابْنَ أُخْتِهِ تَابِعًا لَهُ ، قَالَ : فَتَقُولُونَ مَاذَا ؟ قَالُوا : نَقُولُ : أَنْ تَنْصَرِفَ وَتُظْهِرَ بَيْعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَنُظْهِرَهَا مَعَكَ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ مَرْجَ رَاهِطٍ ، وَأَقْبَلَ حَسَّانُ حَتَّى لَقِيَ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ دِمَشْقَ ؛ فَأَتَتْهُ الْيَمَانِيَّةُ تَشْكُرُ بِلَاءَ بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَسَارُوا مَعَ مِرْوَانَ حَتَّى نَزَلُوا الْمَرْجَ عَلَى الضُّحَّاكِ ، وَهُمْ نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافٍ ، وَالضُّحَّاكُ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَلَقُوا الضُّحَّاكَ ، فَقَتَلَ الضُّحَّاكُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ أَشْرَافٌ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَقْبَلَ زُفَرُ هَارِبًا مِنْ وَجْهِهِ ذَاكَ حَتَّى دَخَلَ قَرْقِيسِيَا ، وَأَقَامَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ شَيْئًا عَلَى طَاعَةِ بَنِي مِرْوَانَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ قَرْقِيسِيَا عَلَى زُفَرٍ فَأَقَامَ مَعَهُ ، وَذَلِكَ بَعْدَ يَوْمٍ خَازَرَ¹ حِينَ قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ .

وَأَقْبَلَ زُفَرُ يَبْكِي قَتْلَ الْمَرْجِ وَيَقُولُ² :

[من الطويل]

1 خازر : نهر بين إربل والموصل يصب في دجلة .

2 الأبيات في الطبري (حوادث 64) .

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ
أُتْذَهَبُ كُلُّبٌ لَمْ تَنْلُهَا رِمَاحُنَا
فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى
أَبْعَدَ ابْنِ صَقَرٍ وَابْنِ عَمْرٍو تَتَابَعَا
فَقَالَ ابْنُ الْمِخْلَةِ الْكَلْبِيُّ يَجِيبُهُ ³ :

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ
تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
وَقَالَ ابْنُ الْمِخْلَةِ فِي يَوْمِ الْمَرْجِ :

وَيَوْمٍ تَرَى الرِّيَاطَ فِيهِ كَانَتْهَا
مَضَى أَرْبَعٌ بَعْدَ اللَّقَاءِ وَأَرْبَعٌ
طَعْنَا زِيَادًا فِي اسْتِهِ وَهُوَ مُذِيرٌ
وَنَجَّى حَبِيشًا مُلْهَبٌ ذُو عِلَالَةٍ
وَقَدْ شَهِدَ الصَّقْفَيْنِ عَمْرُو بْنُ مُحَرِّزٍ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ :

سَائِلُ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلَ الْعَجْ
عَنَا وَعَنْ قَيْسٍ غَدَاةَ الْمَرْجِ
تَسْدِيسَ أَطْرَافِ الْقَنَا الْمُعَوَجِ
مُذْ تَرَكُوا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ هَرْجِ

وَقَالَ جَوَّاسُ بْنُ الْقَعَطِلِ الْكَلْبِيُّ فِي يَوْمِ الْمَرْجِ :

هُمْ قَتَلُوا بَرَاهِطَ جَدِّ قَيْسٍ

لِمَرْوَانَ صَدْعًا بَيْنَنَا مُتَنَائِيًا ¹
وَيُتْرَكُ قَتْلَى رَاهِطٍ هِيَ مَا هِيَ
وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النَّفُوسِ كَمَا هِيَ
وَمَصْرَعٌ هَمَامٌ أَمْنَى الْأَمَانِيَا ²

[من الطويل]

عَلَى زُفْرِ دَاءٍ مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا
وَذُبْيَانٍ مَغْرُورًا وَتُبْكِي الْبَوَاكِيا ⁴

[من الطويل]

حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وَوَاقِعُ
وَبِالْمَرْجِ بَاقٍ مِنْ دَمِ الْقَوْمِ نَاقِعُ
وَتَوَّرَّ أَصَابَتُهُ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
وَقَدْ جُدَّ مِنْ يُمْنِي يَذِيهِ الْأَصَابِعُ ⁵
فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ

[من الرجز]

رَهْطَ النَّبِيِّ وَوَلَاةَ الْحَجِّ ⁶
إِذْ يُثَقِّفُونَ ثَقَفًا بِنَجِّ ⁷
إِذْ أَخْلَفَ الضَّحَّاكَ مَا يُرْجِي
لَحْمَ ابْنِ قَيْسٍ لِلضَّبَّاعِ الْعُرْجِ

[من الوافر]

سُلَيْمًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ كِلَابِ

1 الطبري : لِحسان صدعاً .

2 الطبري : أبعد ابن عمر وابن معن تتابعا ومصرع همام أمنى الأمانيا

3 الطبري والمرتزباني : الأبيات لجواس بن القعطل .

4 الطبري والمرتزباني : معذوراً وتبكي .

5 الملعب : الفرس الشديد الجري المثير للغبار . والعلالة : الجرية الثانية للفرس . وجد : قطع .

6 العج : رفع الصوت .

7 يثقفون : يطعنون . والنج : سيل الجرح .

وهم قَتَلُوا بَنِي بَدْرٍ وَعَبَسُوا وَالصِّقَ حُرٌّ وَجْهَكَ بِالتُّرَابِ
تَذَكَّرْتَ الذُّحُولَ فَلَنْ تُقْضَى ذُحُولُكَ أَوْ تُسَاقَ إِلَى الْحِسَابِ¹
إِذَا سَارَتْ قِبَائِلُ مَنْ جَنَابِ وَعُوفٍ أَشْحَنُوا شُمَّ الْمُضَابِ²
وَقَدْ حَارَبْنَا فَوَجَدَتْ حَرْبًا نَغْصُكَ حِينَ تَشْرَبُ بِالشَّرَابِ

فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ يَخْطُرُ ، فَخَرَجَ مِنْ قَرْقِيسِيَا يَتَطَرَّفُ بِوَادِي كَلْبٍ ، فَيُغَيِّرُ عَلَيْهَا وَعَلَى مَنْ أَصَابَ مِنْ قِضَاعَةِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَيَخْصُصُ كَلْبًا وَمَعَشَرَ تَغْلِبَ ، قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ ، فَجَعَلَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ يَنْتَصِفُونَ مِنْ أَهْلِ الْقَرَارِ³ كُلِّهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْ كَلْبٌ مَا لَقِيَ أَصْحَابَهُمْ ، وَأَنْتَهُمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ خَيْلِ الْحَاضِرَةِ ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُمَيْدِ بْنِ حُرَيْثِ بْنِ بَحْدَلٍ ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ تَدْمَرَ ، وَبِهِ بَنُو نُمَيْرٍ ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَ النُّمَيْرِيِّينَ خَاصِمَةٌ وَبَيْنَ الْكَلْبِيِّينَ الَّذِينَ يَتَدْمَرُ عَقْدٌ مَعَ ابْنِ بَحْدَلِ بْنِ بَعَّاجِ الْكَلْبِيِّ . فَأَرْسَلَتْ بَنُو نُمَيْرٍ رُسُلًا إِلَى حُمَيْدٍ يَنَاشِدُونَهُ الْحَرَمَةَ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِمْ ابْنُ بَعَّاجِ الْكَلْبِيِّ فَذَبَحَهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنَّا قَدْ قَطَعْنَا الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَالْحَقُّوْا بِمَا يَسْعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فَالْتَقُوا فَقَتَلَ ابْنُ بَعَّاجِ وَظَفِيرُ النُّمَيْرِيِّينَ فَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا وَأَسِيرُوا ، فَقَالَ رَاعِي الْإِبِلِ فِي قَتْلِ ابْنِ بَعَّاجِ وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ مِنَ الْكَلْبِيِّينَ⁴ : [من الطويل]

تَجِيءُ ابْنَ بَعَّاجٍ نُسُورٌ كَانَتْهَا مَجَالِسُ تَبْغِي بَيْعَةً عِنْدَ تَاجِرِ
تُطِيفُ بِكَلْبِيٍّ عَلَيْهِ جَدِيَّةٌ طَوِيلُ الْقَرَا يَقْذِفُهُ فِي الْحَنَاجِرِ⁵
يَقُولُ لَهُ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ عِلْمَهُ كَذَاكَ أَنْتِقَامَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرِ

وَقَدْ كَانَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ لَمَّا أَغَارَ عُمَيْرُ بْنُ الْحَبَابِ عَلَى الْكَلْبِيِّينَ قَالَ يُعِيرُهُمْ بِقَوْلِهِ :

يَا كَلْبُ قَدْ كَلَبَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنِّْي عَذَابٌ مُرْسَلُ
إِنَّ السَّمَاءَ لَا سَمَاةَ فَالْحَقِّي بِمَنَابِتِ الزَّيْتُونِ وَابْنِي بَحْدَلِ⁶
وَيَأْرُضُ عَكَ السَّوَاخِلِ إِنَّهَا أَرْضُ تَذَوُّبٍ بِاللُّقَاحِ وَتُهْزَلُ

1 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثَّار .

2 أَشْحَنُوا : مَلَأُوا .

3 أَهْلُ الْقَرَارِ : الْحَضَر .

4 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 131 .

5 الجدية : الدم الذي لَزَقَ بِالْجَسَدِ . وَالْقَرَا : الظَّهْر .

6 فِي الْبَيْتِ إِقْوَاء . وَانْظُرْ أَنْسَابَ الْأَشْرَافِ 5 : 308 . وَالسَّمَاءُ : مَاءُ لَبْنِي كَلْبٍ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ .

[غارة مضادة على بوادي قيس]

فجمع لهم حُمَيْدُ بْنُ الْحُرَيْثِ بْنِ بَحْدَلٍ ، ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قيس ، فأنتهى إلى ماءٍ لبني تغلب ، فإذا النساء والصبيان يكون ، فقالت لهم النساء ، وهن يحسبنهم قيساً : وَيَحْكُم ، ما ردُّكم إلينا ، فقد فعلتم بنا بأمر ما فعلتم ؟ فقالت لهم كلب : وما لكم ؟ قالوا أغار علينا بالأمر عُمَيْرُ بْنُ الْحَبَابِ ، فقتل رجالنا ، واستاق أموالنا ، ولم يشككن أن الخيل خيلُ قيس وأن عُميراً عاد إليهن . فقال بعضُ كلب حُمَيْد ، ما تريد نسوة قد أُغِيرَ عليهن وحرين ، وصبيّة يتامى ، وتدعُ عُميراً . فاتبعوه ، فبينما هم يسرون إذ أخذوا رجلاً ربيعةً للقوم¹ . فسألوه فقال لهم : هذا الجيش هاهنا والأموال ، وقد خرج عُمَيْرُ فِي فِوَارِسٍ يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب ، أخبر عنهم مُخَبِّر . فأقام حُمَيْدُ حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، ثم بَيَّتَ الْقَوْمَ بَيَاتاً . وقال حُمَيْدُ لِأَصْحَابِهِ : شِعَارُكُمْ : نحن عباد الله حقاً . فأصابوا عامة ذلك العسكر ، ونجا فيمن نجا رجلٌ عُريَانٌ قذف ثوبه وجلس على فرس عُريٍ ، فلما انتهى إلى عُمَيْرٍ ، قال عُمَيْرُ : قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُريَانُ² فلم أره ، فهو هذا ، وملك ما لك ! قال : لا أدري غير أنه لقينا قومٌ فقتلوا من قتلوا وأخذوا العسكر ، فقال : أفترفعهم ؟ قال : لا . فقصد عُمَيْرُ الْقَوْمَ وقال لأصحابه : إن كانت الأعرابُ فسيُسَارِعُونَ إلينا إذا رأونا ، وإن كانت خيولُ أهل الشام فستَقِف . وأقبل عُمَيْرُ ، فقال حُمَيْدُ لِأَصْحَابِهِ : لا يتحرَّكنَ منكم أحدٌ ، وانصبوا القنا ، فحمل عُمَيْرُ حملة لم تحرَّكهم ، ثم حمل فلم يتحرَّكوا ، فنادى مراراً : وَيَحْكُم مَنْ أَنْتُمْ ؟ فلم يتكلَّموا ، فنادى عُمَيْرُ أَصْحَابَهُ : ويلكم خيلُ بني بَحْدَلٍ وَالْأَمَانَةُ ؛ وانصرف على حاميته ، فحمل عليه فوارِسُ من كَلْبٍ يَطْلُبُونَهُ ، ولَحِقَهُ مَوْتٌ لِكَلْبٍ يُقَالُ لَهُ شَقْرُونَ ، فاطَّعْنَا ، فَجُرِحَ عُمَيْرُ وَهَرَبَ حَتَّى دَخَلَ قَرْيَسِيَا إِلَى زُفَرٍ ، وَرَجَعَ حُمَيْدُ إِلَى مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنَ الْأَسْرَى وَالْقَتْلِ ، فَقَطَعَ سِيَالَهُمْ³ وَأَنْفَهُمْ ، فَجَعَلَهَا فِي خَيْطٍ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَى الشَّامِ ؛ وَقَالَ قَائِلٌ : بل بعث بها إلى عُمَيْرٍ وَقَالَ : كيف ترى ؟ أَوْقَعِي أَمْ وَقَعَكِ ؟ فَقَالَ فِي ذَلِكَ سِنَانُ بْنُ جَابِرٍ الْجُهَنِيُّ :

لقد طار في الآفاقِ أَنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا شَقَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عِيُونُهَا
وعرَّفَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لَتَنْزِعِ إِلَّا عِنْدَ أَمْرِ يُهِنُهَا

1 ربيعة : كشاف متقدم .

2 المثل : «أنا النذير العريَان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخرة : 84 .

3 السبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة على الشفة العليا ، وقيل ما على الشارين من الشعر .

فقلتُ له : قيسُ بنُ عِيلانِ إنه
 سما بالعِناقِ الجُردُ من مَرَجِ راهطٍ
 فكان لها عَرَضُ السَّماوَةِ لَيْلَةً
 فَمَنْ يَحْتَمِلُ في شَأْنِ كَلْبٍ ضَعِيفَةٍ
 فَإِنَّا وَكَلَبًا كالْيَدِينِ متى تَضَعُ
 لقد تُرَكَّتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَلٍ
 وَقَيْسِيَّةٌ قد طَلَّقَتْها رِماحُنا

سريعٌ ، إذا ما عَضَّتْ الحربُ ، لِيُنْها
 وتَدْمُرُ يَنْوِي بَذْلَها لا يَصُونُها
 سَوَاءٌ عَلَيْها سَهْلُها وحُزُونُها
 علينا إذا ما حَانَ في الحَرْبِ حِينُها
 شِمَالُكَ في شيءٍ تُعِنُّها يَمِينُها
 كثيراً ضواحيها قليلاً دَفِينُها
 تَلَفْتُ كالصَّيْداءِ أودى جَنِينُها¹

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمر بعد ما أوقعَ بِنِي فَرَارة :

يا أُخْتَ قَيْسٍ سَلِي عَنَّا عِلانِيَّةُ
 إِنَّا ذَوُو حَسَبٍ مالٍ وَمَكْرَمَةٍ
 مِنَّا ابْنُ مُرَّةٍ عَمَرُو قد سَمِعَتْ به
 والبَحْدَلِيُّ الذي أَرَدَتْ فَوارسُهُ
 فغادرت حَلَبَساً منها بمُعْتَرِكٍ
 كائِنْ تَرَكْنَا غَداءَ العاهِ من جَزَرٍ
 ومن غوانٍ تُبَكِّكي لا حَمِيمَ لها

كَي تُخْبِرِي من بَيانِ العِلْمِ تَيَّاناً
 يَوْمَ الفَخارِ وخَيْرُ النَّاسِ فُرْساناً
 عَيْثُ الأَرامِلِ لا يُرْدِينَ ما كانا
 قيساً غَداءَ اللّوى من رملِ عَدنانا
 والجعدُ مُنْعَفِراً لم يُكْسَ أَكفانا
 للطيرِ منهم ومن ثُكلى وثُكلانا²
 بالعاهِ تدعو بني عَمٍّ وإخوانا

فلَمّا انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان ، وعبدُ الله ومُصعبُ يومئذٍ حيّان ، وعند عبد الملك حَسَّانُ بن مالِك بن بَحْدَلٍ وعبدُ الله بن مَسْعَدَةَ بن حَكَمِ الفَزاريّ ، وجيء بالطعام ، فقال عبدُ الملك لابن مَسْعَدَةَ : اذُنْ ، فقال ابنُ مَسْعَدَةَ : لا والله ، لقد أوقع حُمَيْدُ بَسْلِيمٍ وعامِرٌ وقعة لا يَنْفَعُنِي بعدها طعامٌ حتى يكون لها غَيْرٌ . فقال له حَسَّانُ : أَجَزَعْتَ أن كان بِنِي وبينكم في الحاضرة على الطَّاعَةِ والمُعَصِيَةِ ، فَأَصَبْنَا منكم يوم المَرَجِ ، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذَنْبٍ ؟ فلَمّا رأى حُمَيْدُ ذلك طلب بثأر قومهِ ، فَأَصَابَ بعضَ ما أَصابهم ، فَجَزَعْتَ من ذلك . وبلغ حُمَيْدُ قولُ ابن مَسْعَدَةَ فقال : والله لأشغَلَنَّ بَمَنْ هو أَقرب إِلَيهِ من سُلَيْمٍ وعامِرٍ .

[عوف القوافي يحزن لقتل فَرَارة]

فخرج حُمَيْدُ في نَحْوٍ من مائتي فَارِسٍ ، ومعه رَجَلاَن من كَلْبِ دِلِيلان ، حتى انتهى إلى

1 الصيِّداء : المائلة العنق .

2 العاه : جبل بأرض فَرَارة . قال ياقوت : العاه هو الموضع الذي أوقع فيه حميد بن بحدل بِنِي فَرَارة .

بني فزارَةَ أهل العمودِ لَحْمَسَ عشرة مَضَت من شَهْر رمضان ، فقال : بعثني عبد الملك ابن مروان مُصَدِّقًا : فابعثوا إلى كلِّ مَنْ يُطَبِّق أن يلقانا ، ففعلوا ، فقتلهم أو مَنْ استطاعَ منهم ، وأخذَ أموالهم ، فَبَلَغَ قتلهم نحواً من مائةٍ ونِيف ، فقال عُوَيْفُ القوافي¹ : [من الطويل]

منا الله أن ألقى حُمَيْدَ بْنَ بَحْدَل بمنزلة فيها إلى النصفِ مُعَلِّمًا²
لكيما نُعاطِيه ونَبْلُوَ بيننا سُرِّيَّةً يُعْجِمُن في الهام مُعْجَمًا³
ألا ليت أنِّي صادفتني مَنِيَّتِي ولم أرَ قَتلى العامِ يا أمَّ أَسْلَمَا⁴
ولم أرَ قتلى لم تَدْع لي بعدها يَذْنِ فما أرجو من العيشِ أَجْذَمَا⁵
وأقسِم ما ليثٌ بخفانِ خادِرٍ بأشجع من جَعْدٍ جَنَانًا ومُقَدَّمَا⁶

يعني الجَعْدُ بن عمرانَ بن عُيَيْنَةَ وقُتِل يومئذٍ .

[أسماء بن خارجة يشكو حميداً]

فلَمَّا رجع عبدُ الملك من الكوفة وقُتِل مُصْعَب ، لحقه أسماءُ بن خارجة بالنخيلة ، فكلَّمه فيما أتى حُمَيْدَ به إلى أهلِ العمود من فزارَة ، وقال : حَدَّثنا أَنَّهُ مُصَدِّقُكَ وعامِلُكَ ، فأَجَبناكَ وبَكَ عُدْنَا ، فعليك وفي ذِمَّتِكَ ما على الحرِّ في ذِمَّتِهِ ، فَأَقْدُنَا من قضاعي سَكِّير . فأبى عبد الملك وقال : أنظر في ذلك وأستشير . وحُمَيْدُ يَجُحِدُ وليست لهم بيَّة ؛ فودَاهم ألفَ ألفَ ومائتي ألف ، وقال : إني حاسِبُها في أعطياتِ قُضاة ، فقال في ذلك عَمَرُو بنُ مِخْلَةَ الكلبيّ :

صوت

خُذوها يا بَنِي دُيَّان عَقْلا على الأَجْيَادِ واعتَقِدُوا الخِداما⁵
دراهمَ من بني مَرْوانِ بيضا يُنْجِمُها لكم عامًا فعاما
وأيقِنَ أَنَّهُ يومٌ طويل على قَيْسٍ يُذَيِّقُهُمُ السَّماما
ومُخْتَبٌ أمامَ القومِ يَسْعَى كسيرحانِ التَّنَوُّفَةِ حينَ ساما⁶

1 شعره : 152 (عن الأغاني) .

2 منا الله : قَدَّر .

3 السريجية : نوع من السيوف .

4 من المثل : أَشْجَع من ليث بخفانِ خادر .

5 اعتقد الشيء : عقده . الخدام : جمع خدمة ، وهي السير الغليظ يشد في رسغ البعير .

6 مختب : مسرع . والتنوفة : الأرض الواسعة أو الصحراء .

رَأَى شَخْصاً عَلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ فَكَبَّرَ حِينَ أَبْصَرَهُ وَقَامَا
وَأَقْبَلَ يَسْأَلُ الْبُشْرَى إِلَيْنَا فَقَالَ : رَأَيْتُ إِنْساً أَوْ نَعَامَا
وَقَالَ لَخَيْلِهِ سِيرِي حُمَيْدٍ فَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ حِمَامَا
فَمَا لَاقَيْتُ مِنْ سَجْحٍ وَبَدْرٍ وَمُرَّةً فَاتَرَكَى حَطْباً حُطَامَا
بِكُلِّ مُقْلَصٍ عَبَلٍ شَوَاهٍ يَدُقُّ بِوَقْعِ نَابِيهِ اللَّجَامَا
وَكُلِّ طِمْرَةٍ مَرَطَى سَبُوحٍ إِذَا مَا شَدَّ فَارِسُهَا الْحِزَامَا¹
وَقَائِلَةٍ عَلَى دَهْشٍ وَحُزْنٍ وَقَدْ بَلَّتْ مَدَامِعُهَا اللَّثَامَا
كَأَنَّ بَنِي فَرَازَةَ لَمْ يَكُونُوا وَلَمْ يَزْعَوْا بِأَرْضِهِمُ الثُّمَامَا
وَلَمْ أَرْ حَاضِراً مِنْهُمْ بِشَاءٍ وَلَا مَنْ يَمْلِكُ النِّعَمَ الرُّكَامَا²

[انتقام فزازة]

قال : فلما أخذوا الدية انطلقت فزازة فاشترت خيلاً وسلاحاً ، ثم استتبت سائر قبائل قيس ، ثم أغارت على ماء يدعى بنات قين ، يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد ود وبنو عليم بن جناب ، وعلى قيس يومئذ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وحلحلة بن قيس بن الأشيم بن يسار أحد بني العُشراء . فلما أغاروا نادوا بني عليم : إنا لا نطلبكم بشيء ، وإنما نطلب بني عبد ود بما صنع الدليلان اللذان حملاً حميداً ، وهما المأمور ورجل آخر اسمه أبو أيوب . فقتل من العبدتين تسعة عشر رجلاً ، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً ، وساقوا أموالاً .

[عبد الملك يعرض الدية]

فبلغ الخبر عبد الملك ، فأمهل حتى إذا ولي الحجاج العراق كتب إليه يبعث إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس . فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لِكَلْب : والله لئن قتلتم رجلاً لأهريقن دماءكم . فقدم عليه من بني عبد ود عياض ومعاوية ابنا ورد ، ونعمان بن سويد ، وكان سويد أبوه ابن مالك يومئذ أشرف من قتل يوم بنات قين ، وكان شيخ بني عبد ود . فقال له النعمان : دماءنا يا أمير المؤمنين ! فقال له عبد الملك : إنما قُتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني . فقال النعمان : قُتل منا والله من لو كان أخاً لأبيك لاختير عليك في الخلافة . فغضب عبد الملك غضباً شديداً ، فقال له معاوية وعياض : يا أمير

1 المرطى : الخفيف شعر الجسم .

2 النعم الركام : النعم الضخم .

المؤمنين ، شيخ كبير مَوْتور .

فأعرض عنه عبدُ الملك وعرضَ الدِّيَّة ، وجعل خالدُ بنُ يزيد بن معاوية ومن وَلَدَتَه كلب يقولون : القَتْل ، ومن كانت أمُّه قَيْسِيَّة من بني أُمَيَّة يقولون : لا ، بل الدِّيَّة كما فُعِلَ بالقوم ، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمَقْصُورَة . فأخرجهم عبد الملك ودفع حَلْحَلَة إلى بعض بني عَبدِ وُدٍّ ، ودفع سَعِيدَ بنَ عُيَيْنَة إلى بعض بني عُلَيم ، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال : ألم تأتياني تستعداني فأعديتكما واعطيتكما الدِّيَّة ، ثم انطلقتما فأخفرتما ذِمَّتِي وصنعتما ما صنعتما . فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويُرققه ، فضرب حَلْحَلَة صَدْرَه وقال : أترى خضوعَكَ لابن الزُّرقاء نافعَكَ عنده ؟ فغَضِبَ عبدُ الملك وقال : اصبر حَلْحَلَة ، فقال له : أصبرُ من عَوْدٍ بِجَنِّيَّه جُلْبٌ¹ فقتلاً وشَقٌّ ذلك على قَيْس ، وأعظمه أهلُ البادية منهم والحاضرة ، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغنوي : [من الوافر]

لِحَلْحَلَة القَتِيل ولابن بدر	وأهل دِمَشْقَ أَنْجِيَّة تَبِينُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ أَيَّامٌ طَوَالٌ	وبعد خمودٍ فَتَتِيكُم فُتُونُ
وكلُّ صَبِيْعَةٍ رَصْدٌ لِيَوْمِ	تُحَلِّ بِه لِصَاحِبِهَا الزَّبُونُ
خليفة أُمَيَّة قُسِرَتْ عليه	تَحْمَطُ واستخفَّ بِمَنْ يَدِينُ ²
فقد أَتَيَا حُمَيْدَ ابْنِ الْمَنَيا	وكلُّ فَتَى سَتَشَعْبُه المُنُونُ

وقال رجل من بني عبد وُدٍّ :

نحن قَتَلْنَا سَيِّدَهُم بِشَيْخِنَا

وقال حَلْحَلَة وهو في السَّجَن :

لَعَمْرِي لئن شَيْخَا فَرَارَة أُسْلِمَا

وقال أَرْطَاةُ بنُ سُهَيْلَة يُحَرِّضُ قَيْسًا :

أُيَقْتَلُ شَيْخُنَا وَيُرى حُمَيْدٌ

فإن دُمْنَا بِذاك وطالَ عُمُرُ

فناكَتْ أُمُهَاقِيسُ جَهَاراً

رَخِيَّ البَالِ مُتَشِيّاً خُمُوراً³

بِنَا وَبِكُمْ ولم نَسْمَعْ نَكِيرَا

وَعَضَّتْ بَعْدَهَا مُضْرُ الأُيُورَا

1 المثل «أصبر من عود بدفيه (بجنيه) جلب» في الدرة الفاخرة : 269 وجمهرة العسكري 1 : 587 ومجمع

الميداني 1 : 408 ومستقصى الزمخشري 1 : 203 ، والجلب : جمع جلبه ، وهي القرحة عليها قشر البرء .

2 تخمط : تكبر .

3 متشياً في ل : مستبياً .

وقالت عميرة بنت حسان الكلبيّة تفخر بفعل حميد في قيس : [من الوافر]

سَمَتْ كَلْبًا إِلَى قَيْسٍ بِجَمْعٍ يَهْدُ مَنَاكِبَ الْأَكَمِ الصَّعَابِ
بِذِي لَجَبٍ يَدُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى تَضَاقُ مِنْ دَعَا بِهِلًا وَهَابٍ¹
نَفَيْنَ إِلَى الْجَزِيرَةِ فَلَّ قَيْسٍ إِلَى بَقٍّ بِهَا وَإِلَى ذُبَابٍ²
وَالْفَيْنَا هَجَيْنَ بَنِي سُلَيْمٍ يُفْدِي الْمُهْرَ مِنْ حُبِّ الْإِيَابِ
فَلَوْلَا عَدْوَةُ الْمُهْرِ الْمُفْدَى لِأَبْتٍ وَأَنْتَ مُنْخَرِقُ الْإِهَابِ
وَنَجَّاهُ حَيْثُ الرُّكُضُ مَنَا أَصِيلَانَا وَلَوْنُ الْوَجْهِ كَالْيِ
وَأَضْ كَأَنَّهُ يُطْلَى بَوْرُسٍ وَذَاقَ هُوًى كَاسِرَةِ عَقَابِ
حَمِدَتِ اللَّهُ إِذْ لَقِيَ سُلَيْمًا عَلَى دُهْمَانٍ صَقَرِ بَنِي جَنَابِ
تَرَكْنَ الرُّوقَ مِنْ فَتَيَاتِ قَيْسٍ أَيَّامِي قَدْ يَمْسُنُ مِنَ الْخِضَابِ³
فَهْنٌ إِذَا ذَكَرْنَ حُمَيْدَ كَلْبٍ نَعْنَنَ بَرَّةً بَعْدَ انْتِحَابِ
مَتَى تَذْكُرُ فَتَسَى كَلْبَ حُمَيْدًا تَرَ الْقَيْسِيَّ يَشْرُقُ بِالشَّرَابِ

[عوف يمدح عيينة بن أسماء]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، قال : أنشدني رجل من بني فزارة لعوف القوافي ، وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلّقها ، فكان عوف مُراغماً لعيينة وقال : الحرّة لا تُطلّق بغير ما بأس ، فلما حبّس الحجّاج عيينة وقيده قال عوف⁴ :

[من الكامل]

مَنْعَ الرُّقَادَ ، فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ ، خَبَرٌ أَتَاكَ وَنَامَتِ الْعَوَادُ
خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عَيِّنَةٍ مُوجِعٍ وَلَيْلَهُ تَتَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
بَلِغَ النُّفُوسَ بِلَاؤَهَا فَكَأَنَّنَا مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
سَاءَ الْأَقَارِبَ يَوْمَ ذَاكَ فَأَصْبَحُوا بِهِجِينَ قَدْ سُرُوا بِهِ الْحُسَادُ⁵

1 هلا زجر للخيّل ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .

2 بق : مدينة على الفرات . وذباب : جبل بالمدينة .

3 الروق : الجميلات .

4 شعره : 143-144 ، وانظر اختلاف الرواية في الحماسة (المرزوقي) : 262-264 .

5 هجين : موضع .

يرجون غثرة جدنا ولو أنهم
لما أتاني عن عيينة أنه
نخلت له نفسي النصيحة إنه
وذكرت أي فتى يسد مكانه
أم من يهين لنا كرائم ماله
لو كان من حصن تضاءل ركنه
لا يدفعون بنا المكارة بأدوا
عاني تظاهروا فوقه الأقياد
عند الشدائد تذهب الأحقاد¹
بالرفد حين تقاصر الأرفاد
ولنا إذا عدنا إليه معاد
أو من نضاد بكت عليه نضاد²

[يمدح عبد الرحمن بن مروان]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا عمر بن شبة قال : قال العتيبي ، سأل عوف القوافي في حمالة ، فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان وهو حديث السن ، فقال له : لا تسأل أحداً وصبر إليّ أكفك . فاتاه فاحتملها جمعا له ، فقال عوف يمدحه : [من الطويل]

غلام رماه الله بالخير يافعاً
كان الثريا علقت في جبينه
ولما رأى المجذ استعيرت ثيابه
إذا قيلت العوراء أغضى كانه
رآني فأساني ولو ضن لم ألم
على حين لا باد يرجي ولا حضر
له سيمياء لا تشق على البصر
وفي خده الشعرى وفي جيده القمر
تردى رداء واسع الذيل واتزر
ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر³

قال أبو زيد : هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاري ، يقوها في ابن أخ له ، كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء فاستأقوها ، حتى لم يبق له منها شيء ، فأتى ابن أخيه فقال له : يا ابن أخي ، إنه قد نزل بعمك ما ترى ، فهل من حلوبة ؟ قال : نعم يا عم ، يروح المال وأبلغ مرادك . فلما راح ماله قاسمه إياه وأعطاه شطره ، فقال ابن عنقاء : [من الطويل]

رآني على ما بي عميلة فاشتكى
إلى ماله حالي أسراً كما جهر

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات . قال أبو زيد : وإنما تمثلها عوف .

[يرثي سليمان ويمدح عمر]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، والحسن بن علي قال : حدثنا الغلابي ، قال : حدثنا محمد بن عبيد الله ، عن عطاء بن مضع ، عن عاصم بن الحذثان ، قال : لما مات

1 نخلت النصيحة : أخلصت .

2 حصن : جبل بأعلى نجد . ونضاد : جبل بالعالية .

3 ل : ولي كانه .

سليمان بن عبد الملك ووليَّ عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافةَ ، وفدَّ إليه عُويْفُ القوافي وقال
شِعْراً رثى به سُلَيْمان ومَدَحَ عُمَرَ فيه ، فلَمَّا دخل إليه أنشده¹ : [من الرجز]

لاحَ سحابٌ فرائنا بَرَقَهُ	ثم تدانى فَسَمِعْنَا صَعْفَهُ
وراحت الرِّيحُ تُزَجِّي بُلُقَهُ	ودهمه ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ ²
ذاك سَقَى قَبْراً فَرَوَى وَدَقَهُ	قبرَ امرئٍ عَظُمَ رِيَّ حَقَهُ
قبرَ سليمانَ الذي من عَقَهُ	وجَحَدَ الخيرَ الذي قد بَقَهُ ³
في المسلمين جَلَّه ودَقَهُ	فارق في الجحود مِنه صِدَقَهُ
قد ابتلى اللهُ بخيرِ خلقِهِ	ألْقَى إلى خيرِ قريش وَسَقَهُ
يا عُمَرَ الخيرِ المُلْقَى وَفَقَهُ	سُمِّيتَ بالفاروق فافرقَ فَرَقَهُ
وارزُق عِيالَ المُسْلِمِينَ رِزْقَهُ	واقصِد إلى الجُودِ ولا تَوَقَهُ
بَحْرُكُ عَذْبُ المَاءِ ما أَعَقَهُ	رَيْكُ فَاَلْمَحْرُومِ مَنْ لَمْ يُسَقَهُ ⁴

فقال له عمر : لَسْنَا من الشُّعْر في شيء ، ومالَكَ في بيت المال حق . فَأَلَحَّ عُويْفُ يسأله
فقال : يا مُزاحم ، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطرُهُ إِيَّاه ، ولنصْبِر على الضِّيق إلى وقتِ
العطاء . فقال له عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ سُلَيْمان بن عبد الملك : بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليَّ رضا
الرَّجُل ، فقال : ما أُولَاكَ بذلك . فأخذ بيده وانصَرَفَ به إلى منزله ، وأعطاهُ حتى رضي .

صوت

[من الكامل]

صَفراءُ يَطْوِيها الضَّجِيعُ لَصْلُها	طَيَّ الحِمَالَةَ لَيْنٌ مَثْنُها
نِعَمَ الضَّجِيعُ إِذَا النُّجُومُ تَغَوَّرَتْ	بِالْغُورِ أُولَها على أُخْرَها
عَذْبٌ مُقْبَلُها وَيَرَّ رِدْفُها	عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْنُها
يا دارَ صَهْبَاءِ التي لا تُنْتَهِي	عن حُبِّها أبدأ ولا أنْساها ⁵

الشعر لعبدِ اللهِ بن جَحْش الصعاليك ، والغناء فيه لعليِّ بن هشام ثَقِيلُ أَوَّلُ بالوسطى من
كتاب أحمد بن المكي .

1 شعره : 148-150 .

2 البلق : كل لون يخالطه بياض . والأورق : لون بين الخضرة والسواد .

3 بقه : فَرَّقَ .

4 ما أعقه : قال المبرد : مقلوب ما أقمه ، أي ما جعله شديد الملوحة .

5 صهباء في ل : صفراء .

[405] - أخبار عبد الله بن جحش

[هيامه بصهباء]

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني محمد بن يحيى أبو غسان ، عن غسان بن عبد الحميد قال : كان بالمدينة امرأة يقال لها : صهباء من أحسن الناس وجهاً ، وكانت من هذيل ، فتزوجها ابن عم لها ، فمكث حيناً معها لا يقدر عليها من شدة ارتئاقها ، فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلّقها . ثم أصاب الناس مطرٌ شديدٌ في الخريف ، فسال العقيق سبيلاً عظيماً ، وخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء معهم ، فصادت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة ، فرآها واقتربا .

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء وقد تفرّق الناس وخفوا ، فاجتاز بها ابن جحش فرآها فتهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأة تدلّ على النساء يقال لها : قُطنة ، كانت تداخل القرشيات وغيرهن ؛ فلقيها ابن جحش فقال لها : اخطبي عليّ صهباء ، فقالت : قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ؛ فشمها ابن جحش وقال لها : كلُّ مملوك له فهو حرٌّ ، لكن لم تحتالي فيها حتى أتزوجها لأضربنك بالسيف ، وكان مقداماً جسوراً ، ففرقت منه فدخلت على صهباء وأهلها ، فتحدثت معهم ، ثم ذكرت ابن عمها ، فقالت لعمّة صهباء : ما باله فارقه ، فأخبرتها خبرها ، وقالت : لم يقدر عليها وعجز عنها . فقالت لها ، وأسمعت صهباء : إن هذا ليغتري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه ، وأما والله لو كان ابن جحش لصهباء لثقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر ؛ ثم خرجت من عندهم ، فأرسلت إليها صهباء : مري ابن جحش فليخطبني ، فلقيته قُطنة فأخبرته الخبر . فمضى فخطبها ، فأنعمت له¹ ، وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هي إلا ابن جحش ، فتزوجته ودخل بها وافترضها ، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها :

[من الكامل]

نِعْمَ الضَّجِيعُ إِذَا النُّجُومُ تَغَوَّرَتْ بِالْغَوْرِ أُولَاهَا عَلَى أَخْرَاهَا
عَذْبُ مُقْبَلُهَا وَثِيرٌ رَذْفُهَا عَيْلٌ شَوَاهَا طَيْبٌ مَجْنَاهَا

صفراء يطويها الضجيج ليجنيها
لو يستطيع ضجيعها لأجنها
طَيَّ الحِمالة لَيِّن مَتْنَهَا
في الجَوْفِ حَبَّ نَسِيمِهَا ونَشَاهَا¹
يا دار صَهَباء التي لا تُنتهي
عن ذكرها أبداً ولا أنساها

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي ، قال : حدثنا عبدُ الله بن أبي سَعد قال : حدثني عبدُ الرَّحيم بن أحمد بن زيد بن الفرَج قال : حدثني محمد بن عبد الله قال : كان عبد الملك بن مروان مُعجِباً بشعر عبد الله بن جَحش ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فوردَ كتابه وقد توفّي ، فقال إخوانه لابنه : لو شَخَصْتَ إلى أمير المؤمنين عن إذنهِ لأبيكَ لعلَّه كان ينفَعُكَ ، ففعل . فبينما هو في طريقه إذ ضاع منه كتابُ الإذنِ ، فهِمَّ بالرجوع ، ثم مضى لوجهه . فلَمَّا قَدِمَ على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته ، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له : أنشدني قول أبيك :

[من المنسرح]

صوت

هل يُبلِغُنْها السلامُ أربعةً
على مصكّين من جِمالهمُ
مَنِّي وإن يَفْعَلُوا فقد نَفَعُوا
وَعَتَرِيسِينَ فِيهِمَا سَطَعُ²
قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمالَهُمُ
صُبحاً فَأَضْحَوْا بها قد انتَجَعُوا
ما كنتُ أَذْري بِوَشْكَ بَيْنَهُمُ
حتى رأيتُ الحُدادةَ قد طَلَعُوا
قد كادَ قَلْبِي ، والعَيْنُ تُبْصِرُهُمُ
لَمَّا تَوَلَّيْتُ بِالْقَوْمِ ، يَنْصَدِرُ
ساروا وَخَلَفْتُ بَعْدَهُمْ دَنَفاً
أليسَ بِاللَّهِ بِفَسَ ما صَنَعُوا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، قال : لا عليك ، فأنشدني قول أبيك : [من الوافر]

صوت

أَجَدَّ اليومَ جِيرَتُكَ الغِيارا
بِعَيْنِكَ كان ذاكَ وإن يَينُوا
رَواحاً أم أَرادوه ابْتِكارا
يَزِدُّكَ اليَينُ صَدْعاً مُسْتَطارا
بَلَى أَبَقْتُ مِنَ الجِيرانِ عِنْدِي
أَناساً ما أَوافِقُهُمُ كُثارا

1 النشا : نسيم الريح الطيبة .

2 المصك : القوي . والعتريس : الناقة القوية الغليظة . والسطع : طول العنق .

وماذا كثرة الجيران تُغني إذا ما بان مَنْ أهوى فسارا
قال : لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين ، قال : ولا عليك ، فأنشدني قولَ أبيك : [من السريع]
دارٌ لصهباء التسي لا يَشْنِي عن ذِكْرها قلبي ولا أنساها
صفراء يطويها الضَّجيجُ لصلبها طَيَّ الحماله لِيْن مَتْنَاهَا
لو يَسْتَطِيع ضَجِيعُهَا لأَجْنَهَا في القلبِ شَهْوَةٌ رِيحُهَا وَنَشاها
قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أرويه ، وإن صهباء هذه لأُمِّي ، قال : ولا عليك ،
قد يُغِيضُ الرجلُ أن يُشَبَّ بِأُمِّه ، ولكن إذا نَسَبَ بها غيرَ أبيه ، فأف لك ! وَرَحِمَ اللهُ
أباك ، فقد ضَيَّعَ أدبَه وعَقَقْتَه ؛ إذ لم تَرَوْ شِعْرَه . اخرجُ فلا شيء لك عندنا .

صوت¹

[من الطويل]

أماطت كِسَاءَ الحَزِّ عن حُرٍّ وَجْهَهَا وأَدْنَتْ على الخَدَّينِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا
من اللآءِ لم يَحْجُجْنَ يَتَغَيَّنَ حِسْبَةُ ولكن يُقَتِّلَنَّ البريء المَغْفَلَا
رَأَتْني خَضِيبَ الرَّأْسِ شَمَرْتُ مِئْزَرِي وقد عَهْدَتْنِي أَسْوَدَ الرَّأْسِ مُسِيلَا
خَطُوطًا إلى اللذاتِ أَجْرَزْتُ مِئْزَرِي كَأَجْرَارِكَ الحَبْلَ الجَوَادِ المُحْجَلَا²
صَرِيعَ الهَوَى لا يَبْرَحُ الحُبُّ قَائِدِي بِشَرٍّ فلم أَعْدِلْ عن الشَّرِّ مَعْدَلَا
لَدَى الجَمْرَةِ القُصْوَى فَرِيعَتِ وهَلَلْتُ وَمَنْ رِيعَ في حَجٍّ من النَّاسِ هَلَلَا

الشعر للعرجي ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقیل أول في الأول والثاني
والخامس والسادس من هذه الأبيات . وهو من جيد الغناء وفاخر الصنعة ، ويقال إنه أول
غناء صنعه . ولعازر المكي في الثالث وما بعده ثاني ثقیل ، عن يحيى المكي وغيره ، وفيه
خفيف ثقیل يُنسَبُ إلى معبد وإلى ابن سريج وإلى الغريض ، وفيه لإبراهيم لحن من كتبه
غير مجنس ، وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشعر من أخبار العرجي ؛ إذ كان أكثر أخباره
قد مضى سوى هذه .

1 ديوان العرجي ، 74 .

2 ويروى حطوطاً إلى اللذات أجرت مقودي .

[406] - بعض أخبار للعرجي

[امراة لم تحج حبة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا إسماعيل بن مُجَمَّع ، عن المدائني ، عن عبد الله بن سليم ، قال : قال عبيد الله بن عمر العمري : خرجت حاجاً فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم بكلامٍ رفئت فيه ، فأدنيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمة الله ، ألسنتُ حاجَةً ! أما تخافين الله ، فسفرت عن وجهه يبهر الشمسَ حسناً ، ثم قالت : تأملْ يا عمي ، فإنني مِمَّنْ عَنِ العَرُجِيِّ بقوله :

من اللاء لم يحجججنَ يَغِينَ حِسْبُهُ ولكن لَيَقْتُلَنَّ البريء المَغْفَلَا

قال : فقلتُ لها : فإنني أسألُ الله ألاَّ يعذبَ هذا الوجه بالنار . قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيَّب فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضاء أهل العراق لقال لها : اعزبي قبحك الله ، ولكنه ظرف عبَّاد الحِجاز .

وقد رُويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار .

أخبرني به وكيعٌ قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا مُصعبُ الزُّبيري ، قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابنُ أبي ذئب ، قال : بينا أبو حازم يرمي الجمارَ إذا هو بامرأةٍ مُتَشَعِّبَةٍ ، يعني حاسرة ، فقال لها : أيتها المرأةُ استري ، فقالت : إني والله من اللواتي قال فيهنَّ الشاعرُ قوله :

من اللاء لم يحجججنَ يَغِينَ حِسْبُهُ ولكن لَيَقْتُلَنَّ البريء المَغْفَلَا

وترمي بعينيها القلوبَ ولا ترى لها رَمِيَةً لم تُصمِرْ منهنَّ مَقْتَلَا

فقال أبو حازم لأصحابه : ادْعُوا الله لهذه الصُّورة الحَسنة ألاَّ يعذبها بالنار .

وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين ، قد روى عن سهل بن سعد وأبي هريرة ، وروى عنه مالكٌ وابنُ أبي ذئب ونظراؤهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمريّ ، عن العُتبيّ ، عن الحَكَم بن صَخْر قال : انصرفتُ من مِنى فسمِعتُ زَفناً¹ من بعض المَحامِل ، ثم ترنّمت جارية فتَغَنّت :

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَغِينُ حِسْبَةً ولكن لَيَقْتُلَنَّ البريء المَغْفَلَا
فقلت لها : أهذا مكان هذا يَرَحْمُكَ الله ! فقالت : نعم وإيّاك أن تكونَه .

[407] - أخبار عبد الله بن العباس الربيعي¹

[نسبه]

عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والربيع ، على ما يدَّعيه أهله ، ابن يونس بن أبي فرّوة ، وقيل إنه ليس ابنه ، وآل أبي فرّوة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط ، وُجد منبوءاً ، فكفله يونس بن أبي فرّوة ورباه ، فلما خَدَم المنصور ادَّعى إليه ، وأخباره مذكورة مع أخبار ابنه الفضل في شعر يُغنى به من شعر الفضل وهو :

كُنْتُ صَبَاً وَقَلْبِي الْيَوْمَ سَالِي

ويُكنى عبدُ الله بنُ العباس أبا العباس . وكان شاعراً مطبوعاً ، ومُغَنِّياً مُحْسِناً جَيِّدَ الصَّنْعة نادرها ، حَسَنَ الرِّوَاية ، حُلُو الشعر ظريفه ، ليس من الشعر الجيد الجزل ولا من المردول ، ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب ، من أشعار المترفين وأولاد النعم .

حدَّثني أبو القاسم الشَّيربَابُكي ، وكان نديماً لجَدِّي يحيى بن محمد ، عن يحيى بن حازم قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العباس الربيعي قال : دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه أُغْنِيه ، وقد استعاذني صوتاً فاستحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك : هذا والله يا أمير المؤمنين أولى النَّاس بإقبالِكَ عليه واستِحسانِكَ له واصطناعِكَ إِيَّاه ؛ فقال : أجل ، هذا مولاي وابن مولاي وابن مولاي لا يعرفون غير ذلك ؛ فقال له : ليس كلُّ مَوْلى ، يا أمير المؤمنين ، بوليِّ لمواليه ، ولا كلُّ مَوْلى متجملٌ بولائه ، يجمع ما جمع عبدُ الله من ظَرْفٍ وأدبٍ وصِحَّةِ عَقْلٍ وجَوْدَةِ شِعْرٍ ؛ فقال له : صدقتَ يا محمد . فلما كان من الغَدِ جِئْتُ محمد بن عبد الملك شاكراً لمَحْضَرِهِ ؛ فقلت له في أضعاف كلامي : وأفرط الوزير ، أعزه الله ، في وصفِي وتقريظي بَكُلِّ شيءٍ حتى وصفني بجَوْدَةِ الشَّعر وليس ذلك عندي ، وإنَّما أَعَيْتُ بالبيتين والثلاثة ، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ، ومحلُّه في هذا الباب المحلُّ الرفيع المشهور ؛ فقال : والله يا أخي ، لو عرفتَ مقدارَ شِعْرِكَ وقولِكَ :

يَا شَادِنَا رَامَ إِذْ مَرَّ فِي السَّعَانِينَ قَلْبِي

يقول لي : كَيْفَ أَصْبَحَ تَ كَيْفَ يُصْبِحُ مِثْلِي

لَمَا قُلْتَ هَذَا الْقَوْلَ . والله لو لم يَكُنْ لك شِعْرٌ في عُمْرِكَ كُلِّهِ إِلَّا قَوْلُكَ : « كَيْفَ يُصْبِحُ مِثْلِي » لَكُنْتَ شَاعِراً مُجِيداً .

حَدَّثَنِي جَحْظَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيَّ يَقُولُ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ غَنَّى بِالْكَنْكَلَةِ¹ فِي الْإِسْلَامِ وَوَضَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ عَلَيْهَا² :

أَتَانِي يُوْأَمِرُنِي فِي الصَّبْوِ ح لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ : غَادِهَا
[سبب دخوله في الغناء]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ : كَانَ سَبَبُ دَخُولِي فِي الْغِنَاءِ وَتَعَلُّمِي إِيَّاهُ أَنِّي كُنْتُ أَهْوَى جَارِيَةً لِعَمَّتِي رُقِيَّةَ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَكُنْتُ لَا أَقْدِرُ عَلَى مَلَازِمَتِهَا وَالْجُلُوسِ مَعَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظْهَرَ مَا لَهَا عِنْدِي فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ مَنَعِي مِنْهَا ؛ فَأَظْهَرْتُ لِعَمَّتِي أَنَّنِي أَشْتَهِي أَنْ أُتَعَلَّمَ الْغِنَاءَ وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي سِتْرٍ عَنْ جَدِّي ، وَكَانَ جَدِّي وَعَمَّتِي فِي حَالٍ مِنَ الرِّقَّةِ عَلَيَّ وَالْحُبَّةِ لِي لَا نِهَآيَةَ وَرَاءَهَا ، لِأَنَّ أَبِي تَوَفَّى فِي حَيَاةِ جَدِّي الْفَضْلِ ، فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ ، وَمَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : شَهْوَةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي إِنْ مُنِعْتُ مِنْهَا مُتُّ غَمًّا ، وَكَانَ لِي فِي الْغِنَاءِ طَبْعٌ قَوِيٌّ ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا تَخْشَاهُ ، وَاللَّهِ مَا أَحَبَّ مَنَعَكَ مِنْ شَيْءٍ ، وَإِنِّي لَكَارِهَةٌ أَنْ تَحْدِثَ ذَلِكَ وَتُشْهَرَ بِهِ فَتَسْقُطَ وَيُفْضَحَ أَبُوكَ وَجَدُّكَ ؛ فَقُلْتُ : لَا تَخَافِي ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَخَذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا أَلْهُو بِهِ ، وَلَا زَمْتُ الْجَارِيَةَ لِمَحَبَّتِي إِيَّاهَا بَعْلَةَ الْغِنَاءِ . فَكُنْتُ أَخَذُ عَنْهَا وَعَنْ صَوَابِحَاتِهَا حَتَّى تَقْدُمْتُ الْجَمَاعَةَ حِذْقًا ، وَأَقْرَزَنَ لِي بِذَلِكَ ، وَبَلَغْتُ مَا كُنْتُ أُرِيدُ مِنْ أَمْرِ الْجَارِيَةِ ، وَصِيرْتُ الْأَزِمَ مَجْلِسَ جَدِّي ، فَكَانَ يُسَرُّ بِذَلِكَ وَيَظُنُّهُ تَقَرُّبًا مِنِّي إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ وَكَدِي³ فِيهِ أَخَذَ الْغِنَاءَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَمُرُّ لِإِسْحَاقَ وَلَا لِابْنِ جَامِعٍ وَلَا لِلزَّبِيرِ بْنِ دُحْمَانَ وَلَا لِغَيْرِهِمْ صَوْتَ إِلَّا أَخَذَتْهُ ، فَكُنْتُ سَرِيعَ الْأَخْذِ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَقَدْ صَحَّ لِي وَأَحْسَسْتُ مِنْ نَفْسِي قُوَّةً فِي الصَّنَاعَةِ ، فَصَنَعْتُ أَوَّلَ صَوْتٍ صَنَعْتُهُ فِي شِعْرِ الْعَرَجِيِّ⁴ :

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَدْنَتْ عَلَى الْخَدَيْنِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا
ثم صنعت في :

أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ خُلَّةٍ سَرِفُ⁴ فَالْمُنْحَنَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُرْفُ⁴
وَعَرَضْتُهُمَا عَلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي كُنْتُ أَهْوَاهَا وَسَأَلْتُهَا عَمَّا عِنْدَهَا فِيهِمَا ، فَقَالَتْ : لَا يَجُوزُ أَنْ

1 الكنكلة : آلة عزف هندية ذات وتر واحد .

2 البيت للأعشى في ديوانه (صادر) : 58 . وفيه «يؤامرني في الشمول» .

3 وكدي : قصدي .

4 سرف والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

يكون في الصنعة شيء فوق هذا ، وكان جَوَارِي الحارث بن بُسْخَر وجواري ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيَطْرَحْنَ علي جَواري عَمَّتِي وجواري جَدِّي ويأخذن أيضاً مِنِّي ما ليس عندهن من غناء دارنا . فسمِعَني أُلقي هذين الصَّوْتَيْنِ على الجارية ، فأخذنهما مِنِّي وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتني أَنَّهُما من صنعتي ، فسألتهما أن تصحَّحهما لهنَّ ، ففعلت فأخذنهما عنها ، ثم اشتهر حتى غَنَّى الرَّشِيدُ بهما يوماً ، فاستظرفهما وسأل إسحاق : هل تعرفهما ؟ فقال : لا ، وإنهما لَمَن حسن الصنعة وجيِّدها ومُتَقَنِّها ، ثم سأل الجارية عنهما فتوقَّفت خوفاً من عَمَّتِي وحذراً أن يبلغ جَدِّي أَنَّهُما ذكرَني ، فانتهرها الرشيد ، فأخبرته بالقصة . فوجَّه من وقته فدعا بجَدِّي ، فلما أحضره قال له : يا فضل ، يكون لك ابنٌ يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين ويتداولهما جواري القيان ولا تعلِّمني بذلك ؟ كأنك رفعت قدره عن خِدْمَتِي في هذا الشأن ! فقال له جَدِّي : وحق ولائِكَ يا أَمِيرَ المؤمنين ونعمَتِكَ ، وإلا فانا نفِيُّ منهما بريء من يَبْتَغِكَ وعليَّ العهد والميثاق والعِثْق والطلاق ، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قطَّ إلا منك الساعة ، فَمَن هذا مِن ولدي ؟ قال : عبدُ الله بن العباس هو ، فأخبرني الساعة . فجاء جَدِّي وهو يكاد أن يَنشَقَّ غيظاً ، فدعاني ، فلما خرجتُ إليه شتمني وقال : يا كَلْب ، بلغ من أَمْرِكَ ومقدارك أن تَجَسُّرَ على أن تتعلَّم الغناء بغيرِ إذني ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعْتَ ، ولم تقع بهذا حتى أَلْقَيْتَ صَنَعَتِكَ على الجواري في داري ، ثم تجاوزتَهن إلى جَوَارِي الحارث بن بُسْخَر ، فاشتهرتَ وبلغ أَمْرُكَ أَمِيرَ المؤمنين ، فتَنَكَّرَ لي ولأَمَنِي وفضحتَ آبَاءَكَ في قُبُورِهِمْ ، وسَقَطَتِ الأبدُ إلا من المغنين وطبقة الخنياكرين¹ فبَكَيْتُ غَمًّا بما جرى ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قد صَدَق . فرجَمَني وضمَّنِي إليه وقال : قد صارت الآن مُصِيبَتِي في أَيْبِكَ مصيبتين : إحداهما به وقد مضى وفات ، والأخرى بك وهي موصولة بحياتي ، ومصيبة باقية العارِ علي وعلى أهلي بعدي . وبكى وقال : عزَّ علي يا بُنَيَّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبُّ ، وليست لي في هذا الأمر حيلة ، لأنَّه أَمْرٌ قد خرج عن يدي ؛ ثم قال : جِئَنِي بَعُودٍ حتى أسمعك وأنظر كيف أنت ، فإن كنتَ تصلحُ لِلخِدْمَةِ في هذه الفضيحة ، وإلا جِئْتُ بك منفرداً وعرفته خبرك واستعفيته لك . فَأَتَيْتُهُ بَعُودٍ وغَنَيْتُهُ غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل غَنِّ صَوْتِيكَ اللذين صَنَعْتَهُما ، فغَنَيْتُهُمَا فَأَسْتَحْسَنَهُمَا وبكى ، ثم قال : بَطَلْتَ والله يا بُنَيَّ وخاب أَمَلِي فيكَ ، فوَاحَزَنِي عليك وعلى أَيْبِكَ ! فقلت له : يا سَيِّدِي ، ليتني مِتَّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ ، وما لي حيلة ولكنِّي وحياتِكَ يا سَيِّدِي ، وإلا فَعَلِيَّ عهدُ الله وميثاقه والعِثْق والطلاق وكلَّ يمين

1 الخنياكرين : المطربين والموسقيين .

يَخْلِفُ بِهَا حَالِفَ لَازِمَةٍ لِي ، لَا غَنِيَتُ أَبَدًا إِلَّا لِخَلِيفَةٍ أَوْ وَلِيٍّ عَهْدٍ . فَقَالَ : قَدْ أَحْسَنْتَ فِيمَا نَبَّهْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا .

[أطرب الرشيد فأجزل مكافأته]

ثُمَّ رَكِبَ وَأَمَرَنِي ، فَأَحْضِرْتُ فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَأَنَا أُرْعِدُ فَاسْتَدْنَانِي حَتَّى صِرْتُ أَقْرَبَ الْجَمَاعَةِ إِلَيْهِ وَمَازَحَنِي وَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَسَكَّنَ مِنِّي ، وَأَمَرَ جَدِّي بِالْانْصِرَافِ وَأَمَرَ الْجَمَاعَةَ فَحَدَّثُونِي ، وَسُقِيْتُ أَقْدَاحًا وَغُنِّيَ الْمَغْنُونُ جَمِيعًا ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ بِعَيْنِهِ أَنْ أَبْدَأُ فَعَنَّنَ إِذْ بَلَغْتَ النَّوْبَةَ إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تُؤَمِّرَ بِذَلِكَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَصْلَحَ¹ وَأَجُودَ بِكَ . فَلَمَّا جَاءَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ أَخَذْتُ عُودًا مِمَّنْ كَانَ إِلَى جَنِبِي وَقَمْتُ قَائِمًا وَاسْتَأْذَنْتُ فِي الْغَنَاءِ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : غَنِّ جَالِسًا ، فَجَلَسْتُ وَغَنَيْتُ لِحَنِي الْأَوَّلِ فَطَرِبَ وَاسْتَعَادَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَنْصَافٍ ، ثُمَّ غَنَيْتُ الثَّانِي ، فَكَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ ؛ وَسَكِرَ ، فَدَعَا بِمَسْرُورٍ فَقَالَ لَهُ : احْمِلِ السَّاعَةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَثَلَاثِينَ ثَوْبًا مِنْ فَاخِرِ ثِيَابِي ، وَغَنِيَّةً مَمْلُوءَةً طَيِّبًا ، فَحُمِلَ ذَلِكَ أَجْمَعَ مَعِي .

[المتعصم يأمره بالغناء للجميع وتكفير يمينه]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَلَمْ أَزَلْ كُلَّمَا أَرَادَ وَلِيٌّ عَهْدًا أَنْ يَعْلَمَ مَنْ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْوَالِي أَوْ أَمَّ غَيْرَهُ دَعَانِي فَأَمَرَنِي بِأَنْ أُغْنِيَ ، فَأَعْرِفَهُ بِيَمِينِي ، فَيَسْتَأْذِنَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ أَذِنَ لِي فِي الْغَنَاءِ عِنْدَهُ عَرَفَ أَنَّهُ وَلِيٌّ عَهْدٌ ، وَإِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ غَيْرُهُ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمُ الْوَائِقُ ، فَدَعَانِي فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذِنَ لِي فِي الْغَنَاءِ ، فَأَذِنَ لِي ، ثُمَّ دَعَانِي مِنَ الْغَدِ فَقَالَ : مَا كَانَ غَنَاؤُكَ إِلَّا سَبِيًّا لظُهُورِ سِرِّي وَسِرِّ الْخُلَفَاءِ قَبْلِي ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَتِكَ . لَا يِلْغُنِي أَنْتَكَ امْتَنَعْتَ مِنَ الْغَنَاءِ عِنْدَ أَحَدٍ ، فَوَاللَّهِ لَعَنَ بَلْغُنِي لِأَقْتُلَنَّكَ ، فَأَعْتَقَ مَنْ كُنْتُ تَمْلِكُهُ يَوْمَ حَلَفْتُ ، وَطَلَّقَ مَنْ كَانَ يَوْجَدُ عِنْدَكَ مِنَ الْحَرَائِرِ ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِنَّ ، وَعَلِيَ الْعَوَاضَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْحَنَا مِنْ يَمِينِكَ هَذِهِ الْمَشْهُومَةُ . فَقَمْتُ وَأَنَا لَا أَعْقِلُ خَوْفًا² مِنْهُ ، فَأَعْتَقْتُ جَمِيعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ عِنْدِي مِنْ مَمَالِكِي الَّذِينَ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ فِي مِلْكِي ، وَتَصَدَّقْتُ بِجُمْلَةٍ ، وَاسْتَفْتَيْتُ فِي يَمِينِي أَبَا يَوْسُفَ الْقَاضِي حَتَّى خَرَجْتَ مِنْهَا ، وَغَنَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِخْوَانِي جَمِيعًا حَتَّى اشْتَهَرَ أَمْرِي ، وَبَلَغَ الْمُعْتَصِمُ خَبْرِي ، فَتَخَلَّصْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيَّ الْوَائِقُ لَشَيْءٍ أَنْكَرَهُ ، وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيَّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

[من الكامل]

1 ل : أُلْمَحَ .

2 ل : جَزَعًا .

أَذْكُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِلِي أَيَّامَ أَرْهَبُ سَطْوَةَ السَّيْفِ
أَدْعُو إِلَهِي أَنْ أَرَاكَ خَلِيفَةً بَيْنَ الْمَقَامِ وَمَسْجِدِ الْخَيْفِ
فَدَعَانِي وَرَضِي عَنِّي .

[أبوه يفتنظ لشربه دون غناء]

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه : حدثني سليمان بن أبي شيخ قال : دخلتُ على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو مُحْتَطِطٌ مُغْتَاظٌ وابنه عبدُ الله عنده ، فقلتُ له : مالك أمتع الله بك ؟ قال : لا يُفْلِحُ واللهُ ابني عبدُ الله أبداً . فظننتُ قد جَنَى جَنَايَةً ، وَجَعَلْتُ أَعْتَذِرُ إِلَيْهِ لَهُ . فقال : ذَنْبُهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَشْنَعُ ، فقلتُ : وما ذَنْبُهُ ؟ قال : جاءني بعضُ غلمانِي فحدثني أَنَّهُ رَأَاهُ يَقْطُرُ لَيْلٍ يَشْرَبُ نَبِيذَ الدَّاذِي¹ بِغَيْرِ غِنَاءٍ ، فَهَلْ هَذَا فِعْلٌ مِنْ يُفْلِحُ ؟ فقلتُ له وأنا أضحك : سَهَّلْتَ عَلَيَّ الْقِصَّةَ ، قال : لا تَقُلْ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَسُقُوطِ الْهِمَّةِ . فكنْتُ إِذَا رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي جُمْلَةِ الْمُغْنِيِّينَ . وشاهدتُ تَبَدُّلَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَانْخِفَاضَهُ عَنْ مَرَاتِبِ أَهْلِهِ تَذَكَّرْتُ قَوْلَ أَبِيهِ فِيهِ .
قال : وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَغْنِي بِصُنْعَتِهِ فِي شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ² :
[من الخفيف]

صوت

أَنَا عَبْدٌ لَهَا مُقَرٌّ وَمَا يَمْدُ لِمَكَ لِي غَيْرُهَا مِنَ النَّاسِ رِقَاً
نَاصِحٌ مُشْفِقٌ وَإِنْ كُنْتُ مَا أُرْ زَقَ مِنْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عِتْقَا
لَيْتَنِي مُتٌ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أَبْدأُ مَا حَيِّتُ مِنْهَا مُلْقَى
لَحْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمَلٌ .

[إسحاق يصنع له لحنًا وهو طفل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني علي بن يحيى وأحمد بن حمدون ، عن أبيه ؛ وأخبرني جَحْظَةُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيِّ ، أَنَّ إِسْحَاقَ الْمُؤَصِّلِيَّ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَابْنِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي حِجْرِهِ قَدْ أَخْرَجَ إِلَيْهِ وَلَهُ نَحْوُ السِّتَيْنِ ، وَأَبُوهُ الْعَبَّاسُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ إِسْحَاقُ لِلْوَقْتِ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هَذَا جَدًّا
مَوْزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى

1 الداذي : شراب الفساق .

2 ديوان أبي العتاهية : 584 .

أَشْبِهَ مِنْكَ سُنَّةً وَخَدًا وَشَيْمًا مَحْمُودَةً وَمَجْدًا¹
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى

قال : فاستحسن الفضلُ الأبياتَ وصنع فيها إسحاقَ لحنه المشهور ، وقال جَحْظَةً في خبره عن الهاشمي ، وهو رمل ظريف من حسن الأرمال ومُختارها ، فأمر له الفضلُ بثلاثين ألف درهم .

[الشعر والشراب ينشطان العباس بن الفضل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عبد الله بن عمر قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني بعضُ ندماء الفضل بن الربيع قال : كنَّا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجَن ، والسماءُ ترش² وهو أحسنُ يوم وأطيبه ، وكان العباسُ يومئذٍ قد أصبحَ مَهْمُومًا . فجهدنا أن ينشط ، فلم تكن لنا في ذلك حيلة ، فبينما نحن كذلك إذ دخل عليه بعضُ الشعراء ، إمَّا الرُقَاشي وإمَّا غيره من طبَقته ، فسَلَّم وأخذ بعضادتي الباب ثم قال : [من الطويل]

أَلَا أَنَعِمَ صَبَاحًا يَا أَبَا الْفَضْلِ وَارْبِعَ عَلَى مَرِيعِ الْقَطْرِ ثُلِي الْمُسْتَعِيعِ
وَعَلَّلَ نَدَامَاكَ الْعِطَاشَ بِقَهْوَةٍ لَهَا مَصْرَعٌ فِي الْقَوْمِ غَيْرُ مَرُوعِ
فَإِنَّكَ لَاقٍ كُلَّمَا شِئْتَ لَيْلَةً وَيَوْمًا يُغِصَّانُ الْجَفُونَ بِأَذْمَعِ

قال : فبَكَى العباسُ وقال : صدقتَ والله ، إِنَّ الإنسانَ لَيَلْقَى ذلك متى يشاء ، ثم دَعَا بالطعام فأكل ، ثم دَعَا بالشراب فشَرِبَ ونَشِط ، ومررنا يومًا حسنًا طيبًا .

[يوسط ابن المزيان عند المنتصر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المزيان ، قال : جاءني عبدُ الله بن العباس في خِلافةِ الْمُنتَصِر وقد سألتني عَرْضَ رُقْعَةٍ عليه ، فَأَعْلِمَ أَنِّي نَائِمٌ ، وقد كنتُ شَرِيتُ بالليل شُرْبًا كثيرًا ، فَصَلَّيْتُ الْغَدَاةَ ونِمْتُ ، فَلَمَّا انْتَبَهْتُ إِذَا رُقْعَةٌ عِنْدَ رَأْسِي وفيها مكتوب : [من الخفيف]

أَنَا بِالْبَابِ وَاقِفٌ مُنْذُ أَصْبَحُ تَ عَلَى السَّرَجِ مُمْسِكٌ بَعْنَانِي
وَبَعِينَ الْبَوَابِ كُلِّ الَّذِي بِي وَيَرَانِي كَأَنَّهُ لَا يَرَانِي

فَأَمَرْتُ بِإِدْخَالِهِ ، فَدَخَلَ ؛ فَعَرَفْتُهُ خَبْرِي واعتذرتُ إليه وعرضتُ رُقْعَتَهُ عَلَى الْمُنتَصِرِ وكَلَّمْتُهُ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ .

1 السنة : من معانيها الوجه أو الجهة والجبينان .

2 ل : تَبَش .

[يقترح صوتاً على إسحاق]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : دعا عبدُ الله بن العباسَ الربيعيُّ يوماً أبي ، وسأله أن يُبَكِّرَ إليه ففعل ، فلما دخلَ بادر إليه عبدُ الله بن العباسَ مُلتقياً وفي يده العودُ وغنّاه :

[من الكامل]

قُمْ نَصْطَبِحْ يَفْدِيكَ كُلُّ مُبْخَلٍ عَابَ الصَّبُوحَ لِحُبِّهِ لِلْمَالِ
 مِنْ قَهْوَةٍ صَفَرَاءَ صِرْفٍ مُزَّةٍ قَدْ عُنُقَتْ فِي الدَّنِّ مُذْ أحوالِ
 قال : وقُدِّمَ الطَّعامُ فأكلنا واصطَبَحنا ، واقترح أبي هذا الصوتَ عليه بقيّة يومه .

[هو وإسحاق يتناشدان الشعر]

قال : وأتيتُه في دارِهِ بالمَطيِّرة¹ عائداً ، فوجدتُه في عافية ، فجلسنا نتحدَّثُ فأنشدتُه لذي الرِّمَّةِ² :

[من الطويل]

إذا ما امروُ حاولنَ أن يَقْتِلَنَّهُ بلا إحنةٍ بين النفوسِ ولا دَحْلٍ
 تَبَسَّمَنَ عَنْ نَوْرِ الْأَقاحِيّ فِي الثَّرَى وَفَتَرَنَ عَنْ أَبْصارِ مَكْحُولَةٍ نُجْلٍ³
 وَكَشَفْنَ عَنْ أَجْيَادِ غِزْلانِ رَمْلَةٍ هِجَانٍ فَكانَ الْقَتْلُ أَوْ شَبَهُ الْقَتْلِ⁴
 وإنا لَنَرْضَى حينَ نَشْكُو بِخُلُوةٍ إِلَيْهِنَّ حاجاتِ النَّفوسِ بلا بَذْلِ
 وما الْفَقْرُ أَرزى عِنْدَهُنَّ بوَصْلِنَا وَلَكِنْ جَرَّتْ أَخلاقُهُنَّ على الْبُخْلِ

[من الكامل]

قال : فأنشدني هو :

أَتَى اهْتَدَتْ لِمُنَاحِنَا جُمْلُ وَمِنْ الْكُرَى لَعُيُونِنا كُحْلُ
 طَرَقَتْ أَخا سَفَرٍ وَناجِيَةٍ خَرَقاءَ عَرَفْنِي بِها الرِّحْلُ⁵
 فِي مَهْمَةٍ هَجَعَ الدَّلِيلُ بِهِ وَتَعَلَّلْتُ بِصَرِيفِها الْبِزْلُ⁶
 فَكانَ أَحَدْتُ مَنْ أَلَمَّ بِهِ دَرَجَتٍ على آثارِهِ النَّمْلُ

قال إسحاق : فقال لي عبد الله بن العباس : كلُّ ما يَمْلِكُ في سبيلِ الله إنْ فارَقْتُك ولم نَصْطَبِحْ على هذينَ الشَّعْرينِ ، وأنشدك وتنشدني ، ففعلنا ذلك وما غَنِينا ولا غَنِينا .

1 المطيرة : قرية من نواحي سامراء كانت منتزهاً .

2 ديوان ذي الرِّمَّة : 487 .

3 مكحولة في الديوان : مضروجة ، وهي مشقوفة واسعة ، يعني العيون .

4 الديوان : وشففن عن .

5 الناجية : الناقة السريعة . ويروى : عَرَقَ نَبْها الرِّحْل .

6 الصريف : صوت ناب البعير .

[صباح على لواط وزنا]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لقيتُ عبدَ الله بنَ العباس يوماً في الطريق فقلتُ له : ما كان خبرك أمس ؟ فقال : اصطبحتُ ، فقلت : على ماذا ومع مَنْ ؟ فقال : مع خادم صالح بن عَجَيف ، وأنتَ به عارف ، وبخبري معه ومحبتِي له عالم ، فاصطَبَحنا على زنا بنت الخسِّ لما حَمَلتُ من زنا ، وقد سُئِلت : ممَّن حَمَلت . فقلت : [من الطويل]

أشْمُ كَغَضْنِ البانِ جَعْدٌ مَرَجَلٌ شَغِفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ شَيْئاً مُدَانِيَا
ثَكِلْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ دُقْتُ كَرِيْقِهِ سُلَافاً وَلَا غَذْباً مِنَ الْمَاءِ صَافِيَا¹
وَأَقْسِمُ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ فِرَاقِهِ وَبَيْنَ أَبِي لَاخْتَرْتُ أَنْ لَا أَبَا لِيَا
فَإِنْ لَمْ أُوسِدْ سَاعِدِي بَعْدَ هَجْعَةٍ غُلَاماً هَلَالِيّاً فَشَلَلْتُ بَنَانِيَا

فقلت له : أَقَمْتَ عَلَى لَوَاطِي وَشَرِبْتَ عَلَى زِنَا ، وَاللَّهِ مَا سَبَقَكَ إِلَى هَذَا أَحَدٌ .

[فائز غلام محمد بن راشد]

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيدي قال : أَخْبَرَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدِ الْخَنَاقِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَلَى الْقَاطُولِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ ، وَكَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ : فَائِزٌ ، يُغْنِي غِنَاءً حَسَنًا ، فَأَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ وَهُمْ يَشْرِبُونَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ :

مُحَمَّدُ قَدْ جَادَتْ عَلَيْنَا بِمَائِهَا سَحَابَةٌ مُزِنٌ بَرَقَهَا يَتَهَلَّلُ
وَنَحْنُ مِنَ الْقَاطُولِ فِي مُتَرَبِّعٍ وَمُنَزَّلْنَا فِيهِ الْمَنَابِتُ مُبْقِلُ
فَمُرْ فَائِزًا يَشْدُو إِذَا مَا سَقَيْتَنِي أَعْنِ ظُطْعُنَ الْحَيِّ الْأُلَى كُنْتُ تَسْأَلُ
وَلَا تَسْقِنِي إِلَّا حَلَالًا فَإِنَّنِي أَعَافُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُحَلَّلُ

قال : فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ غُلَامَهُ فَائِزًا فَعَنَاهُ بِهَذَا الصَّوْتِ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكِرَ . قال : وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الرَّشِيدِ قَدْ عَشِقَ فَائِزًا ، فَاشْتَرَاهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُضْرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ أَلْفَ سَوْطٍ ، ثُمَّ سُئِلَ فِيهِ فَكَفَّ عَنْهُ ، وَارْتَجَعَ مِنْهُ نِصْفَ الْمَالِ ، وَطَالَبَهُ بِأَكْثَرِ فَوْجَدِهِ قَدْ أَنْفَقَهُ وَقَضَى دَيْنَهُ ، ثُمَّ حَجَرَ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الرَّشِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْجُورًا عَلَيْهِ طَوَالَ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ؛ وَكَانَ أَمْرُ مَالِهِ مُرْدُودًا إِلَى مَخْلُودِ بْنِ أَبَانَ .

[يشرب الخمر في رمضان إلى الفجر]

أخبرني الحسن بنُ علي قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوتَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ

الجرجرائي قال : اتَّفَقَ يومَ النيروز في شهر رمضان ، فشربَ عبدُ الله بن العباس بن الفضل في تلك الليلة إلى أن بدا الفجرُ أن يَطْلُعَ ، وقال في ذلك وغنَّى فيه قوله : [من المديد]

اسقني صفراءَ صافيةً ليلةَ النيروز والأحدِ
حرِّمَ الصَّوْمُ اصطباحكُما فتزوَّدْ شربها لَغَدِ

[الواثق يكفي بلحنه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهزُوبه قال : حدَّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال : قال لي محمد بن الفضل الجرجرائي : أنشدت عبد الله بن العباس الربيعي للمعلِّي الطائي :

باكرُ صَبَّوْحَكَ صَبْحَةَ النيروز واشربْ بكأسٍ مُتَرَعٍ وبِكوِزِ
ضَحِكَ الرِّبْعُ إِلَيْكَ عَنْ نُورِهِ آسٍ وَنَسْرِينِ وَمَرْمَاحُوزِ
فاستعاذنِيهما فأعذتُهما عليه ، وسألني أن أُمْلِيَهُما ، وصنَعَ فيهما لحنًا غنَّى به الواثق في يومَ نيروز ، فلم يستعِدْ غِيرَه يومئذٍ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .
[يكي لشعر جميل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى قال : أنشدني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل ، وأنشدني وهو يكي ودموعه تنحدر على لحيته .

صوت¹

[من الطويل]

فما لكُ لما خَبَّرَ الناسُ أنَّني غَدَرْتُ بظَهْرِ الغيبِ لم تَسْلِينِي
فأَحْلِفَ بَتًّا أَوْ أَجِيءَ بِشَاهِدِ من الناسِ عَدْلٍ إِنَّهُمْ ظَلَمُونِي
قال : وله فيه صَنَعَةٌ من خفيفِ الثَّقِيلِ وخفيفِ الرَّمْلِ .

[مداومة الصبوح وقول الشعر فيه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدَّثنا نَافِذٌ مولانا قال : كان عبد الله بن العباس صديقاً لأبيك ، وكان يُعَاشِرُهُ كثيراً ، وكان عبد الله بن العباس مُصْطَبِحاً دهره لا يفوته ذلك إلا في يومِ جمعة أو صَوْمِ شهر رمضان ، وكان يُكثِرُ المَذْحَ للصَّبُوحِ ويقول الشعر فيه ، ويغني فيما يقوله . قال عبيد الله فأنشدني نَافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك ، منهم حماد بن إسحاق :

صوت

وَمُسْتَطِيلٍ عَلَى الصُّهْبَاءِ بَاكَرَهَا فِي فِتْيَةٍ بِاصْطِيحِ الرَّاحِ حُذَاقِ
فَكُلُّ شَيْءٍ رَأَاهُ خَالَهَ قَدَحاً وَكُلُّ شَخْصٍ رَأَاهُ خَالَهَ السَّاقِي
قال : وَلَحْنُهُ فِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ ثَقِيلٌ . قال حماد : وكان أبي يَسْتَجِيدُ هذا الصوت من
صنعتِهِ ، وَيَسْتَحْسِنُ شِعْرَهُ وَيَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ :
فَكُلُّ شَيْءٍ رَأَاهُ خَالَهَ قَدَحاً وَكُلُّ شَخْصٍ رَأَاهُ خَالَهَ السَّاقِي
ويعجب من قوله :
[من البسيط]

وَمُسْتَطِيلٍ عَلَى الصُّهْبَاءِ بَاكَرَهَا

ويقول : وَأَيُّ شَيْءٍ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعَانِي الظَّرِيفَةُ !
قال : وَسَمِعَهُ أَبِي يَغْنِيهِ فَقَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ وَاللَّهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ خَطِيبٌ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قال
عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ : فَأَنْشَدَنِي حَمَادٌ لَهُ فِي الصُّبُوحِ :
[من المجتث]

لَا تَعْدِلُنْ فِي صَبُوحِي فَالْعَيْشُ شَرِبُ الصُّبُوحِ

مَا عَابَ مُصْطَبِحاً قَدْ طَغَى غَيْرُ وَغْدٍ شَجِيحِ

قال عَمِّي : قال عُبَيْدُ اللَّهِ دَخَلَ يَوْمًا عَبْدُ اللَّهِ بنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ عَلَى أَبِي مُسْلِمًا ، فَلَمَّا
اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ وَتَحَدَّثَا سَاعَةً قَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي شَيْعًا مِنْ شِعْرِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أُعْبِثُ وَلَسْتُ
مِمَّنْ يَقْدُمُ عَلَيْكَ بِإِنْشَادِ شِعْرِهِ ، فَقَالَ : أَتَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ الْقَائِلُ :
[من المجتث]

يَا شَادِنَا رَامَ إِذْ مَرَّ فِي السَّعَانِينَ قَتْلِي

تَقُولُ لِي : كَيْفَ أَصْبَحَ سَتَ ؟ كَيْفَ يُصْبِحُ مِثْلِي

أَنْتَ وَاللَّهِ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَغْزَلَ النَّاسِ وَأَرْقَهُمُ شِعْرًا ، وَلَوْ لَمْ تَقُلْ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ الْوَاحِدَ لَكَفَاكَ
وَلَكُنْتَ شَاعِرًا .

[شعر في ليلة مقمرة]

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَالْحُسَيْنُ بنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ الْهَشَامِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ الْعَبَّاسِ بنُ الْفَضْلِ بنِ الرَّبِيعِ
قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عَلَى دِجْلَةٍ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي ، وَأَخَذْتُ دَوَاةً وَقِرْطَاسًا وَكُتِبْتُ شِعْرًا
حَضَرَنِي وَقُلْتُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ :
[من المنسرح]

صوت

أُخْلَفَكَ الدَّهْرُ مَا تَنْظُرُهُ فَاصْبِرْ فَذَا جُلٌّ أَمْرٍ ذَا الْقَدَرِ

لَعَلَّنَا أَنْ نُدِيلَ مِنْ زَمَنٍ فَرَّقْنَا وَالزَّمَانَ ذُو غَيْرٍ¹
قال : ثم أُرْتِجَ عَلَيَّ فلم أَذِرْ ما أَقُولُ حتى يَسْتِ مِنْ أَنْ يَجِيئَنِي شيءٌ ، فالتفتُ فرأيتُ
القمر وكانت ليلة تَبِمَتِهِ فقلت :

فانظرُ إلى البَدْرِ فهو يُشَبِّهُهُ إن كان قد صَنَّ عَنْكَ بالنَّظَرِ
ثم صنعت فيه لَحْنًا من الثقيل الثاني . قال أبو عبد الله الهشامي : وهو والله صوت حَسَن .
[وصفه البرق عند الواثق]

أخبرني جَحْظَةُ عن ابن حَمْدُون ، وأخبرني به الكوكبي عن علي بن محمد بن نصر ، عن
خالد بن حمدون قال : كنّا عند الواثق في يوم دَجَن ، فلاح بَرَق واستطار ، فقال : لو في هذا
شيء ، فبَدَرَهُم عبدُ الله بنُ العباس بن الفضل بن الربيع ، فقال هذين البيتين : [من المتقارب]
أَعْنِي على لَامِعٍ بَارِقٍ حَفِي كَلْمُجِكَ بالحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ في السَّمَاءِ يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ
وصنع فيه لَحْنًا شَرِبَ فيه الواثقُ بَقِيَّةَ يومه ، واستحسن شعره ومعناه وصنعتة ، ووصل
عبد الله بصِلَةَ سَيِّئَةٍ .

حدَّثني عَمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمد بن مروان
قال : حدَّثني الحسين بن الضُّحَّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ،
وهو مُصْطَبِح ، وخادمٌ له قائمٌ يسقيه فقال لي : يا أبا علي ، قد استحسنْتُ سَقْيَ هذا الخادم ،
فإن حَضَرَكَ شيءٌ في قِصَّتِنَا هذه فقل ، فقلت² :

أَحْيَتْ صَبُوحِي فُكَاهَةُ اللَّاهِي وطاب يومي بِقُرْبِ أَشْبَاهِي
فَاسْتَرَّ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِينِهِ من قبل يومٍ مُنْغَصٍ نَاهِي
بَابَةُ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ مُتَطَيِّقٍ مُؤْتِرٍ بِالْمَجُونِ تَيَّاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ سَقْيَ لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي
طَاسًا وَكَاسًا كَأَنَّ شَارِبَهَا حَيْرَانُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالسَّاهِي

فاستَحَسَنَهُ عبدُ الله ، وغَنَّى فيه لَحْنًا مَلِيحًا ، وَشَرَبْنَا عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

[غزله بجارية نصرانية]

أخبرني عَمِّي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله أحمد بن المَرْزُبَان بن الفَيْرْزَان قال : حدَّثني شَيْبَةَ بن

1 نديل في ل : ندال .

2 أشعار الخليل الحسين بن الضحاك (فراج) : 122 .

هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قد علق جارية نصرانية قد رآها في بعض أعياد النَّصارى ، فكان لا يفارق البيع في أعيادهم شغفاً بها . فخرج في عيد ماسرجيس فظفر بها في بُستان إلى جانب البيعة ، وقد كان قبل ذلك يُرأسلها ويعرفها حبُّه لها ، فلا تقدّر على مواسلته ولا على لقاءه إلا على الطريق . فلما ظفر بها التوت عليه وأبت بعض الإباء ، ثم ظهرت له وجلست معه ، وأكلوا وشربوا ، وأقام معها ومع نسوة كنَّ معها أسبوعاً ، ثم انصرفت في يوم خميس ، فقال عبد الله بن العباس في ذلك وغنى فيه : [من الخفيف]

رُبَّ صَهْبَاءٍ مِنْ شَرَابِ الْمَجُوسِ	قهوة بابليّة خندريس
قَدْ تَجَلَّيْتُهَا بِنَايٍ وَعُودِ	قبل ضرب الشماس بالناقوس
وَعَزَالٍ مُكْحَلٍ ذِي دَلَالِ	ساحر الطرف سامري عروس
قَدْ خَلَوْنَا بِطَيْبِهِ نَجْتَلِيهِ	يوم سبت إلى صباح الخميس
بَيْنَ وَرْدٍ وَبَيْنَ آسٍ جَنِيٍّ	وسط بُستان دُر ماسرجيس
يَتَنَبَّئُ بِحُسْنِ جِيدِ غَزَالِ	وصليب مُفضض آبُوسَي
كَمْ لَثَمْتُ الصَّلِيبَ فِي الْجِيدِ مِنْهَا	كهلال مُكَلَّلٍ بِشُمُوسِ

[يتطرّب بالغراب ويستبشر بالهدد]

أخبرني عمّي قال : حدثني أحمد بن المَرْزبان ، عن شَيْبَةَ بن هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العباس يوماً جالساً ينتظر هذه النصرانية التي كان يهواها ، وقد وعدته بالزيارة ، فهو جالس ينتظرها ويتفقدها إذ سقط غراب على برّادة¹ داره فنعب مرة واحدة ثم طار ، فتطرّب عبدُ الله من ذلك ولم يزل ينتظرها يومه فلم يرها . فأرسل رسوله عشاء يسأل عنها ، فعرف أنها قد انحدرت مع أبيها إلى بغداد ، فتغنص عليه يومه ، وتفرّق من كان عنده ، ومكث مدة لا يعرف لها خبراً . فبينما هو جالس ذات يوم مع أصحابه ، إذ سقط هُدهد على برّادته ، فصاح ثلاثة أصوات وطار . فقال عبدُ الله بن العباس : وأي شيء أبقى الغراب للهذه علينا ؟ وهل ترك لنا أحداً يؤدّبنا بفراقه ؟ وتطرّب من ذلك ، فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه أنها قد قدّمت منذ ثلاثة أيام ، وأنها قد جاءت زائرة على إثر رسولها ، فقال في ذلك من وقته : [من الهزج]

سَقَاكَ اللَّهُ يَا هَذِهِ	دُ وَسَمِيًّا مِنَ الْقَطْرِ
كَمَا بَشَّرْتَ بِالْوَصْلِ	وَمَا أُنْذَرْتَ بِالْهَجْرِ

1 البرادة : إناء يبرد فيه الماء ، ولعلها هنا الموضع الذي توضع فيه أواني التبريد .

فَكَمْ ذَا لَكَ مِنْ بُشْرَى أَتَتْنِي مِنْكَ فِي سِتْرٍ
 كَمَا جَاءَتْ سُلَيْمَانَ فَأَوْفَتْ مِنْهُ بِالنَّذْرِ
 وَلَا زَالَ غُرَابُ الْبَيْتِ نَ فِي قَفَّاعَةِ الْأُسْرِ¹
 كَمَا صَرَّحَ بِالْبَيِّنِ وَمَا كُنْتُ بِهِ أَذْرِي
 وَلَحْنُهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ هَزَجٌ .

[غناء لا يعجب المتوكل]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِصْعَبٍ :
 قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّيْعِيُّ : لَمَّا صَنَعْتُ لِحْنِي فِي شِعْرِي :

[من المنسرح]
 أَلَا أَصْبَحَانِي بِبُومِ السَّعَانِينَ مِنْ قَهْوَةٍ عُنُقَتْ بِكَرْكِينٍ²
 عِنْدَ أَنْاسٍ قَلْبِي بِهِمْ كَلِفٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا دِينًا سِوَى دِينِي
 قَدْ زَيْنَ الْمَلِكُ جَعْفَرٌ وَحَكِي جُودَ أَبِيهِ وَبَأْسَ هَارُونِ
 وَأَمَّنَ الْخَائِفَ الْبَرِيءِ كَمَا أَخَافُ أَهْلَ الْإِلْحَادِ فِي الدِّينِ
 دَعَانِي الْمُتَوَكِّلُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ فِي مَجْلِسِ الْمُنَادِمَةِ غَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتُ فَقَالَ لِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ ،
 أَيْنَ غَنَاؤُكَ فِي هَذَا الشَّعْرِ فِي أَيَّامِي هَذِهِ مِنْ غَنَائِكَ فِي :

[من الطويل]
 أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزْعِ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَذْنَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا
 وَمِنْ غَنَائِكَ فِي :

أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ خُلَّةٍ سَرِفٌ فَالْمُنْحَنَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُرْفُ
 وَمِنْ سَائِرِ صَنَعَتِكَ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي اسْتَفْرَعْتَ مُحَاسِنَكَ فِيهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 إِنِّي كُنْتُ أَتَغَنَّى فِي هَذِهِ الْأَصْوَاتِ وَلِي شَبَابٌ وَطَرَبٌ وَعِشْقٌ ، وَلَوْ رُدُّوا عَلَيَّ لَغَنَيْتُ مِثْلَ
 ذَلِكَ الْغَنَاءِ ، فَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ وَاسْتَحْسَنَ قَوْلِي .
 [يعني المنتصر بشعره فلا يجيزه]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : ذَكَرَ الْمُنتَصِرُ يَوْمًا
 عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَهُوَ فِي قَرَّاحٍ³ النَّرْجِسِ مُصْطَبِحٍ ، فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اصْنَعْ
 لِحْنًا فِي شِعْرِي الْفُلَانِي وَغَنَّنِي بِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَلَفَ لَا يُغْنِي فِي شِعْرِهِ ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ، ثُمَّ

1 القفاعة : شيء من جريد النخل يلتقي به على الطير فيصاد به .

2 كركين : من قرى بغداد .

3 القراح من كل شيء : الخالص .

غنى في شعرٍ قاله للوقت وهو :

[من الكامل]

يا طيبَ يومي في قراح النرجس في مجلس ما مثله من مجلس
تُسقى مُشعَّعةً كأنَّ شعاعها نارٌ تُشبُّ لئاسٍ مُستَقْبِسِ

[يطرب المتوكل فيجيزه]

قال : فجهَد أبي بالمتنصر يوماً واختال عليه بكلِّ حيلة أن يصِلَه بشيء فلم يَفْعَل .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزبان ، قال : حدَّثني أبي قال : غَضِبَتْ قَبِيحَةٌ على المتوكل وهاجَرَتْه ، فجلس ودخلَ الجُلُساء والمُغَنُّون ، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العباس الربيعي ، وكان قد عَرَفَ الخير ، فقال هذا الشَّعرَ وغنى فيه :

[من الخفيف]

لست مِنِّي ولستُ منك فدعني وامض عني مُصاحِباً بِسَلامٍ
لم تجدِ عِلَّةً تَجَنِّي بها الذَّنْ بَ فصارَتْ تَعْتَلُّ بالأحلامِ
فإذا ما شَكَّوتُ ما بي قالت : قد رأينا خِلافَ ذا في المنامِ

قال : فَطَرِبَ المتوكل وأمر له بعشرين ألف درهم وقال له : إنَّ في حياتِكَ يا عبد الله لأنْساءَ وَجَمالاً وَبَقاءَ للمروءةِ والظرف .

[غناء بشعر السليك]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزبان قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني عبد الله بنُ العباس الربيعي قال : كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السماء حتى تأذينا ، فَضُرِبْتُ لي قُبَّةٌ تُرْكِيَّةٌ ، وطُرح لي فيها سَريرانٌ ، فَخَطَرَ بقلبي قولُ السُّلَيْك¹ :

[من الرمل]

صوت

قَرَّبَ النَّحَّامَ واعجَلْ يا غَلامَ واطرَحِ السَّرَجَ عليه واللَّجَامَ²
أبلغِ الفَتِيانَ أنِّي خائِضٌ غَمْرَةَ الضَّرْبِ فَمَنْ شاءَ أقامَ

فغَنَيْتُ فيه لَحْني المعروف ، وَغَدَوْنَا فدخلْتُ مَدِينَةً ، فإذا أنا بِرَجُلٍ يُعْنِي ، ووالله ما سَبَقَنِي إليه أحدٌ ولا سَمِعَهُ مِنِّي أحدٌ ، فما أَذْري مَنْ الرَّجُلِ ، ولا من أين كان له ، وما أرى إلَّا أنَّ الجِنَّ أوقَعَتْه في لسانه !

[عمد بن الجهم يحتمل خراجه سنة]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزبان ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني

1 ديوان السليك : 65 .

2 النحام : اسم الفرس .

عبدُ الله بنُ العباسِ الرَّبِيعيُّ قال : كنتُ عند محمد بن الجَهْمِ البرمكيِّ بالأهواز ، وكانت ضَيْعَتِي في يده ، فغَنَيْتُهُ في يومِ مهرجانٍ وقد دعانا للشُّرب : [من المنسرح]

صوت

المَهْرَجَانُ ويَوْمُ الاثْنَيْنِ يَوْمُ سُورٍ قد حُفَّ بالزَّيْنِ
ينقلُ من وَغْرةِ المَصِيفِ إلى بَرْدِ شِتَاءٍ ما بينَ فَصْلَيْنِ
محمدُ يا ابنَ الجَهْمِ وَمَنْ بَنَى للمَجْدِ نَيْتاً من خَيْرِ بَيْتَيْنِ
عِشَ أَلْفَ نَيروزٍ ومَهْرَجٍ فَرِحاً في طَيْبِ عَيْشٍ وَقُرَّةِ العَيْنِ
قال : فسرَّ بذلك واحتمل خراجي في تلك السنة ، وكان مبلَّغُهُ ثلاثين ألفَ درهم .

[إعجابه بعسليج]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْدٍ قال : حدَّثني أبو تَوْبَةَ القطرانيّ ، عن محمد بن حُسين قال : كنّا عند أبي عيسى بن الرّشيد في زمن الرّبيع ومعنا مُخَارِقٌ ، وعُلُوِيّه ، وعبدُ الله بنُ العباسِ الرَّبِيعيِّ ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخَنَرٍ ، ونحن مُصْطَلِحُونَ في طارمة¹ مضروبة على بُسْتَانِه ، وقد تَفَتَّحَ فيه وَرْدٌ وياسمين وشقائق ، والسماءُ مُتَغَيِّمةٌ غَيْماً مُطْبِقاً ، وقد بدأتُ تَرُشُّ رَشّاً ساكياً ، فنحن في أَكْمَلِ نشاطٍ وأَحْسَنِ يومٍ إذ خَرَجَتْ قَيْمَةٌ دارِ أبي عيسى فقالت : يا سيّدي ، قد جاءت عسليجٌ ، فقال : لتخرج إلينا ، فليس بحَضْرَتنا مَنْ تحتشِمْه . فخرجت إلينا جارية شَكْلَةٌ² حُلْوَةٌ ، حَسَنَةُ العقل والهيئة والأدب ، في يدها عُود . فَسَلَّمَتْ ، فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست . وغنّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها ، وظننّا أنّها لا تصنع شيئاً وخِفْنَا أن تهابنا فتحَصَرَ . فغنّت غِنَاءَ حَسَنَةٍ مُطَرَّباً مُتَقَنّاً . ولم تَدَعْ أحداً مِمَّنْ حَضَرَ إلّا غَنَّتْ صوتاً من صَنَعَتِه وأَدَتِه على غاية الإحكام . فطَرَبْنَا واستحسنّا غِنَاءَها وخطابناها بالاستِحْسان ، وألحَّ عبدُ الله بنُ العباسِ من بيننا بالافتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها ، فقال أبو عيسى : عَشِقْتُها وحياتي يا عبدَ الله ؛ قال : لا والله يا سيّدي وحياتِكَ ما عَشِقْتُها ، ولكنّي استَحْسَنْتُ كُلَّ ما شاهدتُ منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له أبو عيسى : فهذا والله هو العِشْقُ وسببُه ، ورُبُّ جِدٍّ جَرَّه اللُّعِبُ³ . وشَرِبْنَا فلَمّا

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 شكلة : ذات دلال وغزل .

3 المثل «رب جد جره اللعب» في مجمع الميادني 1 : 170 .

غَلَبَ النَّبِيُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ غَنَى أَهْزَاجاً قَدِيمَةً وَحَدِيثَةً ، وَغَنَى فِيمَا غَنَى بَيْنَهُمَا هَزَجاً فِي شِعْرِ
قَالَ فِيهَا لَوْ قَتَلَهُ ، فَمَا فَطِنَ لَهُ إِلَّا أَبُو عِيسَى وَهُوَ : [من الرمل]

صوت

نَطَقَ السُّكْرُ بِسِرِّي فَبَدَا كَمْ يُرَى الْمَكْتُومُ يَخْفَى لَا يَضِيحُ
سِحْرُ عَيْنَيْكَ إِذَا مَا رَنَّا لَمْ يَدْعُ ذَا صَبْوَةٍ أَوْ يَفْتَضِيحُ
مَلَكَتْ قَلْبِي فَأَمْسَى غَلِقاً عِنْدَهَا صَبّاً بِهَا لَمْ يَسْتَرَحْ
بِجَمَالٍ وَغِنَاءٍ حَسَنِ جَلَّ عَنْ أَنْ يَنْتَقِيهِ الْمُفْتَرَحُ
أَوْرَثَ الْقَلْبَ هُمُوماً وَلَقَدْ كُنْتُ مَسْروراً بِمَرَاهِ فَرَحُ
وَلَكُمْ مُغْتَبِقِي هَمّاً وَقَدْ بَكَرَ اللَّهْوُ بُكُورَ الْمُصْطَبِحِ

الغناء لعبد الله بن العباس هزج ، فقال له أبو عيسى : فعلتها والله يا عبد الله ، وطار طرباً
وشرب على الصوت وقال له : صحَّ والله قولي لك في عساليج ، وأنت تُكابرني حتى فَضَحَكَ
السُّكْرُ . فجحَد ، وقال : هذا غناء كنت أرويه . فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غناه إلا في
يومه ؛ وقال له : احْلِفْ بِحَيَاتِي أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى :
والله لو كانت لي لوهبتُها لك ، ولكنّها لآلِ يَحْيَى بن معاذ ، والله لئن باعوها لأملكُكَ إياها
ولو بكلِّ ما أملك ، وحياتي لتنصرفنَّ قبلك إلى منزلك ؛ ثم دعا بحافظتيها وخادم من خدمه ،
فوجّه بهما معهما إلى منزله . والتوى عبدُ الله قليلاً وتجلّد ، وجاحدنا أمره ثم انصرف .

واتصل الأمرُ بينهما بعد ذلك ، فاشترتها عمته رُقَيْة بنتُ الفضل بن الرّبيع من آلِ يَحْيَى بن
مُعَاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت . فحدّثني جعفرُ بنُ قُدّامة بن زياد عن بعض شيوخه ، سقط
عني اسمه ، قال : قالت بَذَل الكُبيرة لعبدِ الله بن العباس : قد بلغني أَنَّكَ عَشِيقَتُ جَارِيَةٍ يَقال لها
عساليج فاعرضها عليّ ، فإمّا أن عذرتُك وإمّا أن عذلتك . فوجّه إليها فَحَضَرَتْ ، وقال لبَذَل :
هذه هي ياستي فانظري واسمعي ، ثم مُرِني بما شئتِ أطعك ، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت : يا
عبدَ الله أَتُشاورُ في ؟ فوالله ما شاورتُ فيكَ لَمّا صاحبتُك . فَنَعَرْتُ بَذَل وصاحت : إيه ،
أَحَسَنْتِ والله يا صَبِيَّة ، ولو لم تُحسني شيئاً ولا كانت فيكَ خَصْلُهُ تُحَمَّد لوجب أن تُعشّقني
لهذه الكلمة ، أَحَسَنْتِ والله ؛ ثم قالت لعبدِ الله : ما ضَيَّعْتَ ، احْتَفِظْ بِصاحبتك .

[الوائق يجيزه في يوم نيروز]

حدّثني عمِّي قال : حدّثني محمد بن المَرْزبان ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بن العباس قال :
دعانا الواثقُ في يوم نَوْرُوز ، فَلَمّا دَخَلْتُ عليه غَنَيْتُهُ في شعر قلته وصنعت فيه لحناً

وهو :

[من مجزوء الرمل]

هِيَ لِلنَّيروزِ جاما ومُدَاماً وَندامى
يَحْمَدُونَ اللَّهَ والوا ثِقَ هَارُونَ الإمامى
ما رَأَى كِسْرَى أَنُوشِرْ وَأَنَّ مِثْلَ العامِ عَلامى
نَرْجِساً غَضّاً وَوَرْداً وَبَهَاراً وَخُزَامى

قال : فَطَرِبَ وَاسْتَحَسَنَ الْغِنَاءَ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَكَرَ ، وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قال : حَدَّثَنِي شَيْبَةُ بْنُ هِشَامٍ قال :
أَلَقْتُ مُتَيْمٌ عَلَى جَوَارِينَا¹ هَذَا اللَّحْنَ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَخَذَتْهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ
وَالصَّنْعَةُ لَهُ :

[من مجزوء الكامل]

صوت

إِنِّي اتَّخَذْتُ عِدْوَةً فَسَقَى إِلَالَهُ عِدْوَتِي
وَفَدَيْتُهَا بِأَقَارِبِي وَبِأَسْرَتِي وَبِجِيرَتِي
جُدِلْتُ كَجَدَلِ الْخَيْرِ ن وَثِيْتُ فَتَشْتِ
وَاسْتَيْقَنْتُ أَنَّ الْفَوْأَ دَ يُجِبُهَا فَادَّلْتُ

[يتعشَّق مصابيح]

قال : ثُمَّ حَدَّثَنَا مُتَيْمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ كَانَ يَتَعَشَّقُ مَصَابِيحَ جَارِيَةِ الْأَحْدَبِ
الْمُقَيْنِ ، وَأَنَّهُ قَالَ هَذَا الشَّعْرَ فِيهَا ، وَغَنَّى فِيهِ هَذَا اللَّحْنَ بِحَضْرَتِهَا ، فَأَخَذَتْهُ عَنْهُ .

هَكَذَا ذَكَرَ شَيْبَةُ بْنُ هِشَامٍ مِنْ أَمْرِ مَصَابِيحَ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ مِنْ جَوَارِي آلِ يَحْيَى بْنِ
مَعَاذٍ ، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ لِهَذَا الْمُقَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَهَا آلُ يَحْيَى ، وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى رُقِيَّةَ بِنْتِ
الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ .

وَحَدَّثَنَا أَيْضاً عَمِّي قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ ، عَنْ شَيْبَةَ بْنِ هِشَامٍ ، قَالَ : كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةَ الْأَحْدَبِ الْمُقَيْنِ ، وَلَمْ يُسَمِّهَا فِي هَذَا الْخَبَرِ ، فَعَاضِبُهَا فِي شَيْءٍ
بَلَغَهُ عَنْهَا ، ثُمَّ رَامَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَرْضَّاهَا فَأَبَتْ ؛ وَكُتِبَ إِلَيْهَا رُقْعَةٌ يَحْلِفُ لَهَا عَلَى بَطْلَانِ مَا
أَنْكَرَتْهُ ، وَيَدْعُو اللَّهَ عَلَى مَنْ ظَلَمَ . فَلَمْ تُجِبْهُ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا كُتِبَ بِهِ ، وَوَقَعَتْ تَحْتَ دُعَائِهِ :
آمِينَ . وَلَمْ تُجِبْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ الرُّقْعَةُ بَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا : [من مجزوء الكامل]

أُمَّا سُورِي بِالْكِبَا ب فليس يَفْنَى ما بَقِينَا
وَأَتَى الْكِتَابُ وَفِيهِ لِي آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَا

قال : وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة ، ثم انصرفت وأبت أن تبيت وتقيم ليلتها عنده . فقال هذا الشعر وغنى فيه هزجاً وهو مشهور من أغانيه وهو :

صوت

يَا مَنْ لَهُمْ أَمْسَى يُورُقُنِي حَتَّى مَضَى شَطْرُ لَيْلَةِ الْجُهَنِيِّ
عَنِّي وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهَا حَضَرَتْ كَذَاكَ مَنْ كَانَ حُزْنُهُ حَزَنِي
إِنِّي سَقِيمٌ مُؤَلَّهٌ دَنِفٌ أَسْقَمَنِي حُسْنُ وَجْهِكَ الْحَسَنِ
جُودِي لَهُ بِالشِّفَاءِ مُنِيتَهُ لَا تَهْجُرِي هَائِماً عَلَيْكَ ضَنْيِي

قال : وليلة الجهنّي ليلة تسع عشرة من شهر رمضان ، قال رجل من جهينة : إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسُميت ليلة الجهنّي .

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن المرزبان قال : حدثني شيبه بن هشام قال : دعانا محمد بن حماد بن دنقش وكان له ستارة في نهاية الوصف ، وحضر معنا عبد الله بن العباس ، فقال عبد الله وغنى فيه :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنِّي غَيْرُ مُنْقَادٍ إِلَى الْمَلَامِ وَإِنْ أَحْبَبْتَ إِرْشَادِي
فَلَسْتُ أَعْرِفُ لِي يَوْماً سُرُرْتُ بِهِ كَمِثْلِ يَوْمِي فِي دَارِ ابْنِ حَمَادٍ

[شعر يذكر فيه أعياد النصارى]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبو أيوب المديني قال : حدثني ابن المكي عن عبد الله بن العباس قال : لما صنعتُ لحنِي في شعري :

صوت

يَا لَيْلَةً لَيْسَ لَهَا صُبْحُ وَمَوْعِداً لَيْسَ لَهُ نُجْحُ
مَنْ شَادِنٍ مَرَّ عَلَى وَعْدِهِ الْمِي سِلَادُ وَالسُّلَاقُ وَالذَّبْحُ¹

هذه أعياد النصارى ، غنيتها الواثق فقال : ويلكم ، أدركوا هذا لا يتنصّر ، وتماّم هذا الشعر :

وفي السَّعَانِينَ لو أَنِّي بِهِ وكان أَقْصَى المَوْعِدِ الفِصْحُ
 فَاللهُ أَستَعْدِي عَلَى ظالمٍ لم يُغْنِ عَنْهُ الجُودُ والشُّحُ
 نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكْرِيِّ : قال أبو العتاهية : وفيه لعبد الله بن العباس
 غناء حَسَنٌ :

أنا عَبْدٌ لها مُقَرَّرٌ وما يَمُ لَكَ لي غَيْرُها من النَّاسِ رِقا
 ناصحٌ مُشْفِقٌ وإن كنتُ ما أُر زَقَ منها والحمدُ لله عِتقا
 ومن الحَيْنِ والشِّقاءِ تعلقُف تَ مَلِيكا مُسْتَكْبِراً حين يُلقَى
 إن شكوتُ الذي لَقِيتُ إِلَيْهِ صَدَّ عَنِّي وقال : بَعْدًا وسُخفا

[يشرب ويغني مفرداً]

أخبرني عَمِّي ، قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ نَصْرٍ ، عن جَدِّهِ حَمْدُونِ بنِ إِسْمَاعِيلَ قال :
 دخلتُ يوماً إلى عبدِ اللهِ بنِ العباسِ الرِّبَيعِيِّ ، وخادمٌ له يَسْقِيهِ ، ويده عودُهُ ، وهو يُغَنِّي هذا
 الصوتُ :

إذا اصْطَبَحْتُ ثَلاثاً وكان عُودِي نَدِيمِي
 والكأسُ تُغَرِّبُ ضَحْكا من كَفِّ ظَبْيِي رَحِيمِ
 فما عَلَيَّ طَرِيقٌ لطارِقَاتِ الهُمومِ

قال : فما رأيتُ أَحْسَنَ ممَّا حَكَى حالَهُ في غَنائِهِ ، ولا سَمِعْتُ أَحْسَنَ ممَّا غَنَّى .

[عشق غلام خادم المعتصم]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي سَعْدٍ قال : حَدَّثَنِي
 دوسر¹ الخراساني قال : اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً ، كان عبدُ اللهِ بنُ العباسِ بن
 الفضل بن الرِّبيعِ يَتَعَشَّقُهُ ، فسأله هَيْبَتَهُ له أو يَبِعَهُ مِنْهُ فَأَبَى ، فقال عبدُ اللهِ أَيْتاً وصنع فيها
 غناء ، وهي قوله :

يومُ سَبَّيْ فَصَرَّفَا لي المُداما واسقِياني لعلَّني أن أُنَاما
 شرَّدَ النومُ حُبَّ ظَبْيٍ غَرِيرٍ ما أَرَاهُ يَرى الحَرَامَ حَرَاما
 اشتراه يوماً بَعْلُفَةٍ يوم أَصْبَحَتَ عِنْدَهُ الدَّوابُ صِياما

فاتصلت الأبياتُ وخبرها بحزام ، فحشي أن تَشْتَهَرَ ويسمِعها المُعْتَصِمُ فيأتي عليه ؛
 فبعث بالغلام إلى عبد الله ، وسأله أن يُمَسِكَ عن الأبيات ، ففعل .

[أول لحن صمنه]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ : إِنَّهُ بَلَغَنِي لَكَ خَبَرٌ مَعَ الرَّشِيدِ أَوَّلَ مَا شَهَرْتَ بِالْغِنَاءِ ، فَحَدَّثَنِي بِهِ ، قَالَ : نَعَمْ أَوَّلَ صَوْتِ صَنْعَتِهِ¹ :

أَتَانِي يَوْمَئِذٍ فِي الصَّبْرِ ح لِبَلاً فَقُلْتُ لَهُ : غَاذِهَا فَلَمَّا تَأَتَى لِي وَضُرِبَ عَلَيْهِ بِالْكَنْكَلَةِ ؛ عَرْضَتْهُ عَلَى جَارِيَةٍ لَنَا يَقَالُ لَهَا رَاحَةَ ، فَاسْتَحْسَنَتْهُ وَأَخَذَتْهُ عَنِّي ، وَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . فَسَمِعَهَا يَوْمًا تُغْنِيهِ وَتَنَاقِي بِهِ جَارِيَةَ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَاسْتَعَاذَهَا إِيَّاهُ وَأَعَادَتْهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : صَوْتُ قَدِيمٍ ؛ فَقَالَ لَهَا : كَذَبْتَ ، لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَعَرَفْتُهُ ، وَمَا زَالَ يُدَارِيهَا وَيَتَغَاظِبُ عَلَيْهَا حَتَّى اعْتَرَفَتْ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ صَنْعَتِي . فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ غَنَاهُ يَوْمًا بِحُضْرَةِ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَنْ هَذَا اللَّحْنُ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ فَأَمْسَكَ عَنِ الْجَوَابِ وَخَشِيَ أَنْ يَكْذِبَهُ فَيَنْمِي الْخَبْرُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَخَافَ مِنْ جَدِّي أَنْ يَصْدَقَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَجِيبُنِي ؟ فَقَالَ : لَا يُمْكِنُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَاسْتَرَابَ بِالْقِصَّةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، وَتُرْبَةُ الْمَهْدِيِّ لَنْ لَمْ تَصْدُقْنِي لِأَعَاقِبِكَ عَقُوبَةً مُوجِعَةً ، وَتَوْهَمُ أَنَّهُ لَعْلِيَّةٌ أَوْ لِبَعْضِ حُرَمِهِ فَاسْتَطِيرَ غَضَبًا . فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ الْجَدَّ مِنْهُ صَدَقَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِرًّا ، فَدَعَا لَوْقَتَهُ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَیْصَنَعُ وَلَدُكَ غِنَاءَ وَيُرويه النَّاسُ وَلَا تَعْرِفُنِي . فَجَزَعَ وَحَلَفَ بِحَيَاتِهِ وَيَبْعَثُهُ أَنَّهُ مَا عَرَفَ ذَلِكَ قَطُّ ، وَلَا سَمِعَ بِهِ إِلَّا فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : ابْنُ ابْنِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، أَحْضَرْنِيهِ السَّاعَةَ . فَقَالَ : أَنَا أَمْضِي وَأُتِمِّنُّهُ ، فَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ لِلْخِدْمَةِ أَحْضَرْتُهُ ، وَإِلَّا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلَى مَنْ سَتَرَ عَوْرَتَنَا ؛ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ إِحْضَارِهِ . فَجَاءَ جَدِّي فَأَحْضَرَنِي وَتَغَيَّظَ عَلَيَّ ، فَاعْتَذَرْتُ وَحَلَفْتُ لَهُ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ مَا تَعَمَّدْتُهُ ، وَإِنَّمَا غَنَيْتُ لِنَفْسِي ، وَمَا أَدْرِي مِنْ أَيْنَ خَرَجَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ عُودٍ فَأَحْضَرُ ، وَأَمَرَنِي فَغَنَيْتُهُ الصَّوْتَ . فَقَالَ : قَدْ عَظُمْتَ مُصِيبَتِي فَيْكَ يَا بَنِيَّ ، فَحَلَفْتُ لَهُ بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ إِلَّا أَقْبَلَ عَلَى الْغِنَاءِ رِفْدًا أَبَدًا ، وَلَا أُغْنِي إِلَّا خَلِيفَةً أَوْ وَلِيَّ عَهْدٍ ، وَمَنْ لَعَلَّه أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا مَجَالِسَهُمْ ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ . فَأَحْضَرَنِي ، فَغَنَيْتُ الرَّشِيدَ الصَّوْتَ فَطَرِبَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ أَقْدَاحًا ، وَأَمَرَنِي بِالْمُلَازِمَةِ مَعَ الْجُلَسَاءِ ، وَجَعَلَ لِي نَوْبَةً ، وَأَمَرَ بِحَمْلِ عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ إِلَى جَدِّي ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاضِيَ بِهَا ، فَابْتَاعَ لِي ضِيعَتِي بِالْأَهْوَازِ ، وَلَمْ أَزَلْ مُلَازِمًا لِلرَّشِيدِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ وَفَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنَنَا .

قال ابنُ المرزبان : فكان عبدُ الله بنُ العباس سبباً لمعرفة أولياء العهد برأي الخلفاء فيهم ؛ فكان منهم الواثق ، فإنه أحبُّ أن يعرف : هل يؤليه المعتصمُ العهدَ بعده أم لا . فقال له عبدُ الله : أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك ، فقال : وما هو ؟ فقال : تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذن للجلساء والمغنين أن يصيروا إليك ، فإذا فعل ذلك فاخلعْ عليهم وعليَّ معهم ، فإنني لا أقبلُ خلعك لليمين التي عليَّ ألا أقبلُ رفقاً إلا من خليفة أو وليَّ عهد . فقعد الواثق ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذن بجلساء ، فأذن لهم ، فقال له عبدُ الله بنُ العباس : قد عليم أميرُ المؤمنين يميني ؛ فقال له : امضِ إليه فإنك لا تحنث . فمضى إليه وأخبره الخبر فلم يصدقْه ، وظنَّ أنه يُطليبُ نفسه ، فخلعَ عليه وعلى الجماعة ، فلم يقبلَ عبدُ الله خلعته ، وكتب إلى المعتصم يشكوه . فبعث إليه : اقبل الخلعة ، فإنه وليُّ عهدي . ونمى إليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد الله ، فنذرَ دمه ، ثم عفا عنه : وسرَّ الواثق بما جرى ، وأمرَ إبراهيم بنَ رياح فاقترض له ثلاثمائة ألفِ درهم ، ففرقها على الجلساء ، ثم عَرَفَ غَضَبَ المعتصم على عبدِ الله بنِ العباس واطراحه إياه ، فاطرَّحه هو أيضاً . فلما ولي الخِلافة استمرَّ على جفائه ، فقال عبدُ الله :

ما لي جُفيتُ وكنْتُ لا أُجفى أيَّامُ أرهبُ سطوةَ السيفِ
أدعوُ إلهي أن أراك خليفةً بين المقامِ ومسجدِ الخيفِ
ودسَّ منْ غناه الواثق ، فلما سمعه سأل عنه ، فعَرَفَ قائله ، فتذمَّم¹ ودعا عبد الله فبسَّطه ونادمه إلى أن مات .

وذكر العتَّابي عن ابنِ الكلبي أن الواثق كان يشتهي على عبد الله بنِ العباس : [من الخفيف]
أيُّها العاذلُ جهلاً تلومُ قبل أن ينجاب عنه الصريمُ²
وأنه غناه يوماً فأمر بأن يخلعَ عليه خلعة ، فلم يقبلها ليمينه ، فشكاه إلى المعتصم ، فكاتبه في الوقت ، فكتب إليه مع مسرور سُمَّانة : اقبل خلع هارون فإنك لا تحنث ، فقبلها وعَرَفَ الواثق أنه وليَّ عهد .
[رؤية محبوبته في يوم الشعانين]

حدثني عمِّي : قال : حدثني أحمدُ بنُ المرزبان ، قال : حدثني شيبَةُ بنُ هشام ، قال : كان عبدُ الله بنُ العباس يهوى جارية نصرانية لم يكن يصل إليها ولا يراها إلا إذا خرجت

1 تذم : استحيا .

2 الصريم : القطعة من الليل .

إلى البيعة ، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعَانِينَ ، فوقف حتى إذا جاءت فرآها ، ثم أنشدنا لنفسيه ، وغنى فيه بعد ذلك :

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداويني ولا تَلَمْ فاللُّوم يُغريني
يا نظرةً أبقتَ جَوَى قَائِلاً من شادين يومَ السَّعَانِينَ
ونظرةً من رَبِّ رَّبِّ عَيْنٍ خرجنَ في أحسنَ تَزْيِينٍ¹
خرجنَ يَمْشِينَ إلى نُزْهَةٍ عَوَاتِقاً بينَ البَسَاتِينِ²
مُزْنَرَاتٍ بهمايينها والعِيشُ ما تَحْتَ الهَمَامِينِ³

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر هزج .

[يشرب ليلة الشك من رمضان]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا محمد بن عمر الجرجانيّ ، ومحمد بن حماد كاتب راشد ، قالا : كتبَ عبدُ الله بنُ العباسِ الربيعيّ في يومِ نِيرُوزَ ، واتفقَ في يومِ الشُّكِّ بينَ شهرَيَ رمضانَ وشعبانَ ، إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَرٍ يقول :

اسقني صفراءَ صافيةً ليلةَ النِّيرُوزِ والأَحَدِ
حَرَمَ الصُّومِ اصطباحكما فتزوّدْ شربها لَغَدِ
وأُنَبِّأُ أو فادعنا عَجَلاً نشترك في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال : فجاءه محمد بن الحارث بن بُسْخُنَرٍ فشربا ليلتهما .

[صنع لنا للوائق فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدثنا أبو أيوب المدينيّ ، قال : حدثنا أحمد بنُ المكيّ ، قال : حدثنا عبد الله بنُ العباسِ الربيعيّ قال : جمع الوائقُ يوماً المُغْنينَ ليصْطَبِحَ ، فقال : بحياتي إلّا صنعتَ لي هزجاً حتى أدخل وأُخرجَ إليكم الساعة . ودخل إلى جواريه ، فقلتُ هذه الأبيات وغنيتُ فيها هزجاً قبل أن يخرجَ ، وهي :

[من الرمل]

1 الربرب : القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الأنسي .

2 عواتق : جمع عاتقة ، وهي الشابة في أوّل الإدراك خدرت في البيت ولم تن للزواج .

3 الهمايين : جمع هيمان ، وهو كيس تحمل فيه النقود .

صوت

بأبي زورٍ أتاني بالغَلَسِ قُمْتُ إجلالاً له حتى جَلَسُ
فتعاقنا جميعاً ساعةً كادتِ الأرواحُ فيها تُختَلَسُ
قلتُ : يا سُؤلي ويا بدرَ الدُّجى في ظلامِ اللَّيلِ ما خِفَتِ العَسَسُ ؟
قال : قد خِفْتُ ولكنَّ الهوى أخذَ بالروحِ مني والنَّفَسُ
زارني يَخْطُرُ في مِشيتِهِ حوله من نُورِ خَدَيْهِ قَبَسُ

قال : فلما خرج من دار الحُرَم قال لي : يا عبدَ الله ، ما صَنَعْتَ ؟ فاندفعتُ فغنيته ،
فشرب حتى سَكِر ، وأمرَ لي بخمسة آلافِ درهم ، وأمرني بطَرْجِه على الجواري ، فطرخته
عليهن .

[لحن في شعر يوسف بن الصِّقْل]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينِي ، عن حماد قال : من مَلِيح
صَنَعَةِ عبدِ الله بنِ العباسِ الرِّيعِي ، والشَّعْر لِيُوسُف بنِ الصِّقْل ، ولحنه هزج : [من المقارب]

صوت

أبعدَ الموائيق لي وبعد السؤال الحُفَي
وبعد اليمِين التي حَلَفْتُ على المصحفِ
تركتِ الهوى بيننا كضوءِ سراجٍ طُفَي
فليتِكِ إذ لم تَفَي بوعدك لم تحلفي

[غناء بشعر الأُحوص]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني يزيدُ بنُ محمد المَهَلْبِي ، قال : كان الواصل قد غضِب على
فريدةَ لكلام أخفته إياه فأغضبته ، وعرفنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصُّبوح ، فغناه
عبدُ الله بنُ العباس : [من البسيط]

صوت¹

لا تأمني الصَّرمَ مني أن تَرى كَلَفِي وإن مَضَى لصفاءِ الوُدِّ أعصارُ
ما سُمِّي القلبُ إلا من تَقَلَّبِهِ والرأيُ يُصرَفُ والأهواءُ أطوارُ
كم من ذَوِي مِقَةٍ قَبلي وقَبلكمُ خانوا فأضحوا إلى الهِجرانِ قد صاروا
فاستعاده الواصلُ مراراً ، وشرب عليه وأعجب به ، وأمر لعبد الله بألف دينار وخَلَعَ عليه .

الشعر للأخوص ، والغناء لعبد الله بن العباس هَزَج بالوسطى عن عمرو .
[المتوكل يفضل على المغنين]

وأخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، قال : غَنَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ ذَاتَ يَوْمٍ :
[من الطويل]
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلَالٌ وَمَا يَرَى له عند فِعْلِي مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ
فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رَأَى النَّاسُ كُلُّهُمْ كَمَا أَرَأَكَ لَمَا
ذَكَرُوا مُغْنِيًا سِوَاكَ أَبَدًا .

[ثناء ابن الزيات عليه]

نسختُ من كتاب لأبي العباس بن ثوبان بخطه : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَاتِمٍ
قال : قال لي عبد الله بن العباس الربيعي : دخلتُ على المعتصم أودَّعَهُ وَأَنَا أُرِيدُ الْحَجَّ ،
فَقَبَّلَتْ يَدَهُ وَودَّعْتُهُ . فقال : يا عبد الله إِنَّ فِيكَ لَخِصَالًا تُعْجِنِي كَثْرَ اللَّهِ فِي مَوَالِيٍّ مِثْلِكَ .
فَقَبَّلْتُ رِجْلَهُ وَالْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ مُحَضَّرِي وَقَالَ لَهُ :
إِنَّ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدَبًا حَسَنًا وَشِعْرًا جَيِّدًا . فَلَمَّا خَرَجْتُ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، مَا
شِعْرِي أَنَا فِي الشَّعْرِ تَسْتَحْسِنُهُ وَتُشِيدُ بِذِكْرِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ ؟ فقال : دَعْنَا مِنْكَ ، تَنْتَفِي
مِنْ الشَّعْرِ وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

يَا شَادِنَا مَرًّا إِذَا رَأَى مَ فِي السَّعَانِينَ قَتْلِي
يَقُولُ لِي : كَيْفَ أَصْبَحُ تَ ، كَيْفَ يُصْبِحُ مِثْلِي !
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ فِي هَذَا ، وَلَوْ لَمْ تَقُلْ غَيْرَ هَذَا لَكُنْتَ شَاعِرًا¹ .

[سوار يطلب منه لحناً]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ ، قال : قال أبي : قال عبد الله بن العباس
الربيعي : لَقِيتَنِي سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي ، وَهُوَ سَوَّارُ الْأَصْغَرِ ، فَأَصْغَى إِلَيَّ وَقَالَ : إِنَّ لِي
إِلَيْكَ حَاجَةً فَأَتَيْتَنِي فِي خَفِيٍّ . فَجِئْتُهُ ، فَقَالَ : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَدْ أُنْسَتْ بِكَ فِيهَا ، لِأَنَّكَ
لِي كَالْوَلَدِ ، فَإِنْ شَرِطْتَ لِي كَيْمَانَهَا أَفْضَيْتُ بِهَا إِلَيْكَ . فَقُلْتُ : ذَلِكَ لِلْقَاضِي عَلَيَّ شَرْطٌ
وَاجِبٌ . فَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ أَيْيَاتًا فِي جَارِيَةٍ لِي أَمِيلُ إِلَيْهَا وَقَدْ قَلَّتَنِي وَهَجَرْتَنِي : وَأَحْبَبْتُ أَنْ
تَصْنَعَ فِيهَا لِحْنًا وَتَسْمِعَنِيهِ ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُ وَغَنَيْتَهُ بَعْدَ الْآلِ يَعْلَمُ أَحَدٌ أَنَّهُ شِعْرِي ، فَلَسْتُ
أُبَالِي ، أَتَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ حُبًّا وَكِرَامَةً ، فَأَنْشَدَنِي :

[من الطويل]

صوت

سَلَبَتْ عِظَامِي لَحْمَهَا فَتَرَكْتُهَا عَوَارِي فِي أَجْلَادِهَا تَتَكَسَّرُ¹
 وَأَخْلَيْتُ مِنْهَا مُخَهَا فَكَانَتْهَا أَنَابِيْبُ فِي أَجْوَاهِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ
 إِذَا سَمِعْتُ بِاسْمِ الْفِرَاقِ تَرَعَّدَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَتَحَذَّرُ
 خُذِي بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفِي الثَّوْبَ فَانْظُرِي بِلَى جَسَدِي لَكِنِّي أُتَسَّرُ
 وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاوُهَا وَلَكِنَّهَا رُوحٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

اللعن الذي صنعه عبدُ الله بنُ العباس في هذا الشعر ثقیلٌ أوَّل ، قال عبدُ الله :
 فصنعتُ فيه لحنًا ، ثم عرّفته خبره في رُقعة كتبتها إليه ، وسألته وعداً يعِدني به للمصير
 إليه . فكتب إليَّ : نظرتُ في القِصة فوجدتُ هذا لا يصلح ولا ينكم عليَّ حضورُك
 وسماعي إياك ، وأسألُ الله أن يسرَّك ويُقيك . فغنيتُ الصوتَ وظهرَ حتى تغنيَ به
 الناسُ ، فلقيني سَوَّارُ يومًا فقال لي : يا ابن أخي ، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى
 سمعناه من بُعدٍ كأننا لم نعرف القِصة فيه ، وجعلنا جميعاً نضحك .

[لحن في شفاء خادم]

أخبرني عمي قال : حدثني أحمدُ بنُ المرزبان ، قال : كان بشرٌ خادمُ صالح بن عُجَيف
 عليلاً ثم برىء . فدخل إلى عبدِ الله بن العباس ، فلما رآه قام فلقاه وأجلسه إلى جانبه ،
 وشرب سروراً بعافيته ، وصنع لحنًا من الثقیل الأوَّل هو من جيّد صنعتِهِ : [من البسيط]

صوت

مَوْلَايَ لَيْسَ لِعَيْشٍ لَسْتُ حَاضِرَهُ قَدَرٌ وَلَا قِيَمَةٌ عِنْدِي وَلَا تَمَنُ
 وَلَا فَقَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا شَيْئًا إِذَا كَانَ عِنْدِي وَجْهَكَ الْحَسَنُ

[غنى الواصل بعد شفائه فأجازه]

حدثني محمدُ بن مَزِيد بن أَبِي الأَزهَر قال : حدثنا حمَّاد بن إِسْحاق قال : حدثنا
 عبدُ الله بنُ العباس الرِّيعي قال : جَمَعْنَا الْوَائِقُ يَوْمًا بِعَقِبِ عِلَّةٍ غَلِيظَةٍ كَانَ فِيهَا ، فَعُوْنِي
 وَصَحَّ جِسْمُهُ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ مَعَ الْمَغْنَنِ وَعُودِي فِي يَدِي ، فَلَمَّا وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَيْهِ مِنْ
 بَعِيدٍ ، وَصِرْتُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ صَوْتِي ، ضَرَبْتُ وَغْنَيْتُ فِي شِعْرِ قَلْبِهِ فِي طَرِيقِي إِلَيْهِ ،
 وَصَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا وَهُوَ :

1 الأجلاد : جمع جلد ، وهو الجسم والأعضاء . انظر اختلاف الروايات وتخريجها في ديوان مجنون ليلى
 (فراج) : 134 .

صوت

اسْلَمْ وَعَمَّرَكَ إِلَاهُ لَأُمَّةٍ بِكَ أَصْبَحْتَ قَهَرَتْ ذَوِي الإِلْحَادِ
لو تَسْتَطِيعُ وَقْتُكَ كُلُّ أَذْيَةٍ بِالنَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

فَضَحِكَ وَسُرَّ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَسَرَّرْتَنِي ، وَتَيْمَنْتُ بِإِيْدَائِكَ ، اذْنُ مِنِّي .
فَلَنْوْتُ مِنْهُ حَتَّى كُنْتُ أَقْرَبَ الْمَغْنَيْنِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَعَادَنِي الصَّوْتُ ، فَأَعَدَّتْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،
وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَقْدَاحٍ ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ .

[وداع مفاجيء]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ
الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَهْوَى جَارِيَةَ نَصْرَانِيَّةٍ ، فَجَاءَتْهُ يَوْمًا تُودِّعُهُ ، فَأَعْلَمَتْهُ أَنَّ أَبَاهَا يُرِيدُ
الانْحِدَارَ إِلَى بَغْدَادٍ وَالْمُضِيِّ بِهَا مَعَهُ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ وَغَنَى فِيهِ : [من مجزوء الرجز]

صوت

أَفْدِي الَّتِي قُلْتُ لَهَا وَالْبَيْنُ مَنَا قَدْ دَنَا :
فَقَدْ كُفِّ قَدْ أُنْحَلَ جِسْمِي سِي وَأَذَابَ الْبَدَنَا
قَالَتْ : فَمَاذَا حِيلَتِي كَذَاكَ قَدْ ذَبْتُ أَنَا
بِالْيَأْسِ بَعْدِي فَاقْتَنَعِ قُلْتُ : إِذَا قَلَّ الْغَنَا

[علي بن عيسى يؤجل الصوم للشرب]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ جَعْفَرِ
الْهَاشِمِيِّ ، قَالَ : دَخَلَ عَلِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي يَوْمِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَهُوَ يَوْمُ سَبْتٍ ،
وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الصَّوْمِ ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابَ مَجْلِسِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرِي : [من المنسرح]

تُصْبِحُ فِي السَّبْتِ غَيْرَ نَشْوَانٍ وَقَدْ مَضَى عَنْكَ نِصْفُ شَعْبَانَ !

فَقُلْتُ : قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الصَّوْمِ ، فَقَالَ : أَفْعَلَيْكَ وَزَرٌّ إِنْ أَفْطَرْتَ الْيَوْمَ ، لِمَكَانِي وَسَرَرْتَنِي
بِمُسَاعَدَتِكَ لِي ، وَصُمْتَ غَدًا ، وَتَصَدَّقْتَ مَكَانَ إِفْطَارِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَفْعَلُ ، فَدَعَوْتُ بِالطَّعَامِ
فَأَكَلْتُ ، وَبِالنَّبِيذِ فَشَرَبْنَا ، وَأَصْبَحَ مِنْ غَدٍ عِنْدِي ، فَاصْطَبَّحَ وَسَاعَدْتُهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ
انْتَبَهْتُ سَحَرًا وَقَدْ قَالَ هَذَا الشَّعْرَ وَغَنَى فِيهِ : [من المجتث]

شَعْبَانُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا ثَلَاثٌ وَعَشْرُ
فَبَاكَرَ الرَّاحَ صِرْفًا لَا يَسْبِقُنْكَ فَجْرُ

فإن يَفُتَكَ اصْطَبَاحُ فلا يَفُوتُكَ سَكْرُ
ولا تُنادِمُ فتى وقد شربه الدهرَ عَصْرُ

قال : فأطربني واصطبحت معه في اليوم الثالث ، فلما كان في آخر النهار سكير ، وانصرف ، وما شربنا يوماً كله إلا على هذا الصوت .
[طلب من المتوكل الشرب في آخر شعبان]

حدثني عمي قال : حدثني ابن دِهْقَانَةَ النديم قال : دخلَ عبدُ الله بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبان فأنشدَه :

عَلَّانِي نَعِمْتُ بِمُدَامٍ واسقياني من قَبْلِ شَهْرِ الصَّيَامِ
حَرَّمَ اللَّهُ فِي الصَّيَامِ التَّصَابِي فتركناه طاعةً للإمامِ
أَظْهَرَ الْعَدْلَ فَاسْتَنَارَ بِهِ الدِّي من وأحيا شرائع الإسلامِ
فأمر المتوكل بالطعام فأحضر ، وبالنديم وبالجلساء فأتى بذلك ، فاصطبَحَ وغناه عبدُ الله في هذه الأبيات ، فأمرَ له بعشرة آلافِ درهم .
[يحتال لإسقاط الربا]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا يزيد بنُ محمد المَهْلَبِيّ قال : حدثني عبد الله بنُ العباس قال : كنتُ مُقيماً بسرٍّ من رأى وقد رَكِبَنِي دَيْنٌ ثَقِيلٌ أَكْثَرُهُ عَيْنَةٌ¹ ورِباً ، فقلتُ في المتوكل :

اسقياني سَحَرًا بِالْكِبَرِ ما قضى الله ففیه الخَيْرَةُ²
أَكْرَمَ اللَّهُ الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى وأطالَ الله فينا عُمُرَهُ
إِنْ أَكُنْ أَقْعَدْتُ عَنْهُ هَكَذَا قَدَّرَ اللَّهُ رَضِينَا قَدْرَهُ
سَرَّهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ لَنَا أَلْفَ عَامٍ وَكَفَانَا الْفَجْرَةَ

وبعثتُ بالأبيات إليه ، وكنتُ مُسْتَتراً من الغُرماء . فقال لعبيد الله بن يحيى : وقّع إليه : من هؤلاء الفجرة الذين استكفيت الله شرهم ؟ فقلتُ : المعينون الذين قد رَكِبَنِي لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدّين بالرّبا . فأمر عبید الله أن يقضي ديني ، وأن يحتسب لهم رؤوس أموالهم ، ويسقط الفضل ، وينادي بذلك في سرٍّ من رأى حتى لا يقضي أحدٌ أحداً إلا رأس ماله . وسقط عني وعن الناس من الأرباح زهاء مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببها .

1 العينة : بيع الشيء لأجل زيادة على ثمنه انتظاراً للثمن ، للخلاص من الربا .

2 الكبرة : الكبير جداً .

[عتب على عدم العيادة]

حدَّثني الصُّوليُّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد الكِنديَّ قال : حدَّثني أبي قال : مرَّضَ عبدُ الله بن العباسَ بسرَّ من رأى في قَدَمَةِ قَدَمِهَا إِلَيْهَا ، فتأخَّرَ عنه مَنْ كان يَتَّقِي به ، فكتب إليهم :

أَلَا قُلْ لِمَنْ بِالْجَانِبَيْنِ بَأْنَنِي مريضٌ عَدَانِي عن زيارَتِهِمْ ما يبي
فَلَوْ بِهِمْ بَعْضُ الَّذِي بِي لَزَرْتُهُمْ وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمِي وأوصائي
وإن أَقْشَعْتَ عَنِّي سَحَابَةٌ عَلَّتِي تَطَاوَلَ عَثْبِي أن تأخَّرَ إعتابي
قال : فما بَقِيَ أَحَدٌ من إخوانه إِلَّا جاءه عائداً مُعْتَذِراً .

[غناء عند علويه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْدٍ قال : حدَّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال : سَمِعْتُ عبدَ الله بنَ العباسِ يُغَنِّي ونحن مُجْتَمِعُونَ عند علُوِيهِ بشِعْرِ في النَّصْرَانِيَّةِ التي كان يَهْوَها والصَّنْعَةُ له :

صوت

إِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنَ الظُّبْيِ كُلُّومٍ فَدَعَ اللَّوْمَ فَإِنَّ اللَّوْمَ لَوَمٌ
حَبْذا يَوْمُ السَّعَانِينَ وما نِلْتُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ لو يَدُومُ
إِنْ يَكُنْ أُعْظِمْتَ أَنْ هِمْتُ به فالذي تَرَكَبَ مِنْ عَذْلِي عَظِيمٌ
لم أَكُنْ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الهَوَى فَدَعَ اللَّوْمَ فذَا دَاءٌ قَدِيمٌ
الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى .

[يَعْلَمُ وصيفته الغناء]

حدَّثني أبو بكر الرِّبَيعيُّ قال : حدَّثني عمَّتِي ، وكانت رُبِيت في دارِ عمِّها عبدِ الله بن العباس ، قالت : كان عبدُ الله لا يفارق الصُّبُوحَ أَبَداً إِلَّا في يومِ جُمُعَةٍ ، أو شهرِ رَمَضَانَ ، وإذا حَجَّ . وكانت له وَصِيفَةٌ يُقال لها : هَيْلَانَةٌ قد رَياها وعَلِمَها الغناء ، فأذَكَرَهُ يوماً وقد اصْطَبَحَ ، وأنا في حجره جالِسةٌ والقَدَحُ في يَدِهِ اليُمْنَى ، وهو يُلقِي على الصَّبِيَّةِ صوتاً أوَّلَهُ :

صدعَ البينُ الفؤادا إذ به الصائحُ نادى

فهو يردُّدُهُ ويومِيه بجميع أعضائه إِلَيْها يُفهِمُها نَغْمَهُ ، ويُوقِعُهُ بيده على كَفْفي مرَّةً وعلى فَخِذِي أُخْرَى ، وهو لا يدري حتى أوجعَنِي . فبكَيْتُ وقلتُ : قد أوجعَنِي مِمَّا تُضْرِبُنِي وهَيْلَانَةٌ لا تأخُذُ الصوتَ وتضْرِبُنِي أنا . فضَحِكَ حتى استلقى واستَمْلَحَ قولي ، فوهب لي

ثوبَ قَصَبَ أَصْفَرَ ، وثلاثةَ دنائير جُدُّدًا . فما أنسى فَرَحِي بِذلك وقيامي به إلى أُمِّي ، وأنا أعدو إليها وأضحك فَرَحًا به .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

صَدَعَ الْبَيْنُ الْفُؤَادَا إِذْ بِهِ الصَّائِحُ نَادَى
بَيْنَمَا الْأَحْبَابُ مَجْمُوعُونَ إِذْ صَارُوا فُرَادَى
فَأَتَى بَعْضُ بِلَادَا وَأَتَى بَعْضُ بِلَادَا
كُلَّمَا قُلْتُ : تَنَاهَى حَدَّثَانُ الدَّهْرُ عَادَا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو .

صوت¹

[من الكامل]

حَضَرَ الرِّحِيلَ وَشَدَّتْ الْأَحْدَاجُ وَغَدَا بِهِنَّ مُشْمَرٌ مِزْعَاجُ²
لِلشُّوقِ نِيرَانٌ قَدْ حَنَّ بِقَلْبِهِ حَتَّى اسْتَمَرَ بِهِ الْهَوَى الْمِلْجَاجُ
أَزْعَجَ هَوَاكَ إِلَى الَّذِينَ تَحِبُّهُمْ إِنَّ الْمَحَبَّ يَسُوقُهُ الْإِزْعَاجُ
لَمْ يُدْنِيَنَّكَ لِلْحَبِيبِ وَوَصِيلِهِ إِلَّا السُّرَى وَالْبَازِلُ الْهَجْهَاجُ³
الشعر لسلم الخاسر ، والغناء لهاشم بن سليمان ثقیل أول بالوسطى .

1 شعراء عباسيون (غرونيام) : 95-96 .

2 الأحداج : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالهودج .

3 الهجهاج : الشديد الهدير .

[408] - أخبار سلم الخاسر ونسبه¹

[نسبه]

سَلَمُ بْنُ عَمْرِو مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرَّةَ ، ثُمَّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ .
بَصْرِيٌّ ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ مَتَصَرِّفٌ فِي فَنُونِ الشَّعْرِ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .
وَهُوَ رَاوِيَةٌ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ وَتَلْمِيزُهُ ، وَعَنْهُ أَخُذٌ ، وَمِنْ بَحْرِهِ اغْتَرَفَ ، وَعَلَى مَذْهَبِهِ وَنَمَطُهُ
قَالَ الشَّعْرُ .

[تلقية بالخاسر]

وُلِّقَ سَلَمٌ بِالْخَاسِرِ ، فِيمَا يُقَالُ ، لِأَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مُصْنَفًا ، فَبَاعَهُ وَاشْتَرَى بِشَمْنِهِ
طَنْبُورًا . وَقِيلَ : بَلْ خَلَّفَ لَهُ أَبُوهُ مَالًا ، فَأَنْفَقَهُ عَلَى الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ
لِخَاسِرٍ الصَّفَقَةِ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ .

[انقطاعه إلى البرامكة]

وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ، وَلَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ خَاصَّةً مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمَغْنِيِّينَ ، ثُمَّ فَسَدَ مَا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَكَانَ سَلَمٌ مُنْقَطِعًا إِلَى الْبِرَامِكَةِ ، وَإِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى خُصُوصًا مِنْ
بَيْنِهِمْ . وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ² :

إِنَّمَا الْفَضْلُ لِسَلَمٍ وَحْدَهُ لَيْسَ فِيهِ لِسَوَى سَلَمٍ دَرَكٌ³
وَكَانَ هَذَا أَحَدَ الْأَسْبَابِ فِي فَسَادِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ . وَلَسَلَمٌ يَقُولُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَقَدْ
حَجَّ مَعَ عُتْبَةَ⁴ :

وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا أَبَالِي مَتَى مَا مَتَى يَا سَلَمُ بَعْدَ ذَا السَّفَرِ
أَلَيْسَ قَدْ طُفْتُ حَيْثُ طَافَتْ وَقَبْ لَتَ الَّذِي قَبَلْتُ مِنَ الْحَجَرِ

1 ترجمة سلم الخاسر في معجم الأدباء (عباس) : 1382-1384 ووفيات الأعيان 2 : 350-352 (سالم الخاسر) وطبقات ابن المعتز : 99-105 . وقد جمع غرونيام شعره في «شعراء عباسيون» ترجمة د . محمد يوسف نجم (بيروت - 1959) .

2 ديوان أبي العتاهية : 596 .

3 درك : الإدراك واللاحق .

4 ديوان أبي العتاهية : 549 .

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبِسَ إبراهيمُ الموصلي¹ :

[من الخفيف]

سَلَمُ يا سَلَمُ ليس دونك سِرُّ حُبِسِ الموصلي فالعيش مُرُّ
ما استطاب اللذاتِ مَذ سَكَنَ المَطِّ سبقَ رأسُ اللذاتِ واللهُ حُرُّ²
تَرَكَ الموصلي مَنْ خَلَقَ اللّهُ جَمِيعاً وعيشهم مُقْشِرُّ

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُزِيَه ، قال : حدّثني عليّ بن الحسن الواسطيّ ، قال : حدّثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر . قال : لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه ، فوقع في قِسْطِ سَلَمِ مصحفٍ ، فردّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه ، فلقّب الخاسرَ بذلك .

[سلم الرابع]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُزِيَه ، قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : ورثَ سَلَمُ الخاسر أباه مائة ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقي لا شيء عنده ، فلقبه الجيران ومَنْ يعرفه بسلم الخاسر ، وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه . ثم مدح المهديّ ، أو الرشيد ، وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقّب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : كذّب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها ، وقال لهم : هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سَلَمُ الرَّابِع ، لا سَلَمُ الخاسر .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، قال حدّثني عليّ بن محمد بن النوفليّ ، عن أبيه ، قال : إنّما لُقّب سَلَمُ الخاسر لأنّه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه ، واشترى بثمانه طنبوراً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثني عمّي الفضل ، قال : قال لي الجَمّاز : سلم الخاسر خالي لَحاً³ ، فسألته : لم لقب الخاسر ؟ فضحك ، ثم قال : إنّهُ قد كان نَسَكَ مدّة يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه ، وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه ، وكان لجده قبله ، واشترى بثمانه طنبوراً . فشاع خبره وافتضح ، فكان يقال له : ويلك ! هل فعل أحد ما فعلت ؟ فقال : لم أجِد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا .

[غضب عليه بشار]

أخبرني عمّي ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن صالح المؤدّب ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، قال : حدّثني أبي ، عن أحمد بن صالح قال ، قال

1 ديوان أبي العتاهية : 535 .

2 الديوان : رأس اللذات في الناس حر .

3 لحا : ملاصقاً .

بشار بن برد¹ :

[من البسيط]

صوت

لا خَيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقي وسيلُ الملتقى نهج²
 قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهم ما في التلاقي ولا في غيره حرجُ
 مَنْ راقبَ النَّاسَ لم يظفرَ بحاجته وفاز بالطَّيِّباتِ الفاتكُ اللهج³

قال : فقال سلم الخاسر أبياتاً ، ثم أخذ معنى هذا البيت ، فسلخه ، وجعله في قوله⁴ :

[من مخلع البسيط]

مَنْ راقبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا وفاز باللَّذَّةِ الجَسورُ

فبلغ بيته بشاراً ، فغضب واستشاط ، وحلف ألا يدخلَ إليه ، ولا يفيدَه ولا ينفعه ما دام حيًّا . فاستشفع إليه بكلُّ صديق له ، وكلُّ مَنْ يَنْقُلُ عليه رُدُّه ، فكلَّموه فيه ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأدخلوه إليه فاستدناه ، ثم قال : إيه يا سلم ، مَنْ الذي يقول :

[من البسيط]

مَنْ راقبَ النَّاسَ لم يظفرَ بحاجته وفاز بالطَّيِّباتِ الفاتكُ اللهجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، قد جعلني الله فداك ! قال : فمن الذي يقول : [من مخلع البسيط]

مَنْ راقبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا وفاز باللَّذَّةِ الجَسورُ

قال : تلميذك ، وخيريجك ، وعبدك يا أبا معاذ . فاجتذبه إليه ، وقنعه⁵ بمُخَصَّرة كانت في يده ثلاثاً ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ما تُنكره ، ولا آتي شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك ، وتلميذك ، وصنيعتك ، وهو يقول له : يا فاسق ! أتجيء إلى معني قد سهرت له عيني ، وتعب فيه فكري ، وسبقتُ النَّاسَ إليه ، فتسرقه ، ثم تختصره لفظاً تُقرِّبه به ، لتزري عليَّ ، وتذهب بيتي ؟ وهو يحلف له ألا يعود ، والجماعة يسألونه . فبعد لأي وجهد ما شفَّعهم فيه ، وكفَّ عن ضربه ، ثم رجع له ، ورضي عنه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور ، قال : حدثني عبد الوهاب بن مرار ، قال : حدثني أبو معاذ النُميريُّ رواية بشار ، قال :

1 ديوان بشار : 167 .

2 نهج : واضح ، وحركها للوزن .

3 اللهج : المولع .

4 شعراء عباسيون : 104 .

5 قنعه : غشاه .

قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت :

[من البسيط]

مَنْ راقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ

قال : فقلت له يا أبا معاذ قد قال سلم الخاسر بيتاً ، هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا ، قال : وما هو . فقلت :

[من مخلع البسيط]

مَنْ راقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله لو ددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر ، رضي الله عنه ، وأنني مُغْرَمُ ألف دينار محبة مني لَهْتِكَ عَرْضِهِ وَأَعْرَاضُ مَوَالِيهِ ! قال : فقلت له : ما أخرج هذا القول منك إلا غَمٌّ . قال : أجل ، فوالله لا طَعِمْتُ اليوم طعاماً ، ولا صُمْتُ . أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبٍ ، قال : حدثني محمد بن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ ، قال : قال أبو معاذ النميري : قال بشار قصيدة ، وقال فيها :

[من البسيط]

مَنْ راقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ

فعرّفته أَنَّ سَلَمًا قَدْ قَالَ :

[من مخلع البسيط]

مَنْ راقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال : سار والله بيت سلم ، وخَمَلُ بيتنا ! قال : وكان كذلك ، لهج الناس ببيت سلم ، ولم يُنْشِدْ بيتَ بشار أحدٌ . [قوله في قصر صالح بن المنصور]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثني الحسن بن عُليّ العَنَزِيّ ، قال : حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني ، قال : لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر¹ :

[من السريع]

يَا صالِحَ الجُودِ الَّذِي مَجَدُهُ أَفْسَدَ مَجَدَ النَّاسِ بِالْجُودِ

بَنَيْتَ قَصْرًا مَشْرُفًا عَالِيًا بِطَائِرِي سَعْدٍ وَمَسْعُودِ

كَأَنَّمَا يَرْفَعُ بِنْيَانَهُ جِنُّ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدِ

لَا زِلْتَ مَسْرُورًا بِهِ سَالِمًا عَلَى اخْتِلَافِ الْبَيْضِ وَالسُّودِ

يعني الأيام والليالي ، فأمر له صالح بألف درهم .

[ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار وأخرى له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال حَدَّثَنِي محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه ، قال : حَدَّثَنِي بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل ، وكان ينادم المتوكل ، عن أبيه ، قال : كان سلم الخاسر من غلمان بشار ، فلَمَّا قال بشار قصيدته الميمية في عُمر بن العلاء ، وهي التي يقول فيها¹ :

إِذَا تَبَهَّتْكَ صَعَابُ الْأُمُورِ فَنَبِّهْ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمِ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ²

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء ، فوافاه فأنشده إياها ، فأمر لبشار بمائة ألف درهم . فقال له سلم : إنَّ خادَمَكَ ، يعني نفسه ، قد قال في طريقه فيك قصيدة ، قال : فإنَّكَ لَهُنَاكَ ؟ قال : تسمع ، ثم تَحْكُمُ ، ثم قال : هاتِ ، فأنشده³ : [من السريع]

صوت

قَدْ عَزَّنِي الدَّاءُ فَمَا لِي دَوَاءُ مِمَّا أَلَاقِي مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ
قَلْبٌ صَحِيحٌ كُنْتُ أُسْطُو بِهِ أَصْبَحَ مِنْ سَلَمَى بِدَاءِ عِيَاءِ
أَنْفَاسَهَا مِسْكٌ وَفِي طَرْفِهَا سِحْرٌ وَمَا لِي غَيْرَهَا مِنْ دَوَاءِ
وَعَدَّتْنِي وَعْدًا فَأَوْفَى بِهِ هَلْ تَصْلُحُ الْخَمْرَةُ إِلَّا بِمَاءِ

ويقول فيها :

كَمْ كُرْبَةٍ قَدْ مَسَّنِي ضَرْهَا نَادَيْتُ فِيهَا عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوَّلَ عطية سنية وصلت إليه .

[صداقه مع عاصم بن عتبة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حَدَّثَنِي ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ بِخَطِّ الفضل بن مروان : وكان عاصم بن عتبة الغساني جدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر ، كثير البرِّ به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سلم⁴ : [من مشطور الرجز]

1 ديوان بشار : 413 .

2 الدمنة : من معانيها الحقد القديم .

3 شعراء عباسيون : 92 .

4 شعراء عباسيون : 119-120 .

الجُودُ في قحطان	ما بَقِيَتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبالي	ما فَعَلَ الإخوانُ
ما ضَرَّ مُرْتَجِيه	ما فَعَلَ الزمانُ
مَنْ غَالَهُ مَخُوفٌ	فعاصِمٌ أمانُ

[يعطي ماله لعاصم]

وكان سبعين بيتاً ، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مَبْلَغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسمائة ألف درهم ، فلَمَّا حضرته الوفاة دعا عاصماً فقال له : إِنِّي مَيِّتٌ ، ولا ورثة لي ، وإنَّ مالي مأخوذ ، فَأَنْتَ أَحَقُّ به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسلم وارث . قال : وكان عاصم هذا جواداً .

أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حَدَّثَنَا عبد الله بنُ أَبِي سعد ، قال : حَدَّثَنِي محمد بن طهمان ، قال : أَخْبَرَنِي القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزِيد ، أَنَّ يَزِيدَ بنَ مَزِيد قال : ما حَسَدْتُ أَحَدًا قطُّ على شعر مُدِح به إِلَّا عاصِمَ بنَ عُتْبَةَ الغَسَّانِي ، فَإِنِّي حَسَدْتُهُ على قول سلم الخاسر فيه :

[من مشطور الرجز]

لِعاصِمٍ سَمَاءٌ	عارِضُهَا تَهَانُ
أَمْطَارُهَا اللَّجِينُ	وَالدَّرُّ وَالْعِقْيَانُ
وَنَارُهُ تَنَادِي	إِذْ خَبَّتِ النَّيرانُ
الجُودُ في قحطان	ما بَقِيَتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبالي	ما فَعَلَ الإخوانُ
صَلَّتْ لَهُ المعالي	وَالسَّيْفُ وَالسَّنَانُ

[يقدم أبا العتاهية على بشار]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال : حَدَّثَنَا يعقوبُ بنُ نَعِيم عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويَّة ، وأخبرني به الحسن بن علي ، عن ابن مَهْرُويَّة ، عن الفَرَّاسي ، عن محمد بن عمر الجرجاني ، قال : كان سلم تلميذَ بشار ، إِلَّا أَنَّهُ كان تباعدَ ما بينهما ، فكان سلم يُقَدِّمُ أبا العتاهية ، ويقول : هو أشعرُ الجنِّ والإنس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً¹ :

[من الوافر]

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرصُ أعناق الرجال
هَب الدنيا تصيرُ إليك عَفْوَاً أليس مصيرُ ذاك إلى زوالٍ

قال : وبلغ الرشيد هذا الشعرُ فاستحسنه ، وقال : لعمرى إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا ، وما فتشت عن حريص قطَّ مُغَيِّيه إلا أنكشف لي عما أذمه . وبلغ ذلك سلماً ، فغضب على أبي العتاهية ، وقال وتلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق ! زعم أنني حريص ، وقد كنت البذور وهو يطلب وأنا في ثوبي هذين ، لا أملك غيرهما . وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك .

[رده على أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال أخبرني محمد بن إسماعيل السدوسي ، قال : حدثني جعفر العاصمي ، وأخبرني عمي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن القاسم بن الحسن ، عن زكريا بن يحيى المدائني ، عن علي بن المبارك القضاعي ، عن سلم الخاسر : أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه ¹ : [من السريع]

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهدُ الناس ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحي وأمسي بيته المسجدُ
ورفض الدنيا ولم يلقها ولم يكن يسعى ويسترفدُ
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفدُ
الرزق مقسوم على من ترى يتأله الأبيض والأسودُ
كلُّ يوفى رزقه كاملاً من كفَّ عن جهده ومن يجهدهُ

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني أبو العسكر المسمعي ، وهو محمد بن سليمان ، قال : حدثني العباس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع ، قال : كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد ؛ فقال لي : قثم : يا عباس ، اطلب لي الجمار الساعة حيث كان فجئني به ، ولك سبق ² ، فطلبت ؛ فوجدته جالساً ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجب الأمير . فقام معي حتى أتى قثم ، فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده ، ثم قام إليه الجمار فواجهه ، وأنشد قول سلم الخاسر

1 شعراء عباسيون : 97 .

2 سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

فيه :

[من البسيط]

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ يُزهدُ الناسَ ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجدُ

وذكر الأبيات كلها ، فقال أبو العتاهية : من هذا أعز الله الأمير ؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر ، انتصر لخاله منك حيث قلت له :

[من الوافر]

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال : فقال أبو العتاهية للجماز : يا ابن أخي ، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالك ؛ ولا أردت أن أهتف به ، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبت من الحرص على الرزق ، والله يغفر لكما . ثم قام فانصرف .

[صلاته من الرشيد والبرامكة]

أخبرني عمي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي هفان ، قال : وصل إلى سلم الخاسر من آل برمك خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار ، ووصل إليه من الرشيد مثلها .

[يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجو فيفعل فيندم]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي عبيد الله والفضل ، عن أبيهما ، عن أبي محمد اليزيدي : أنه حضر مجلس عيسى بن عمر ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، أهجني على روي قصيدة امرئ القيس¹ :

[من المديد]

رُبَّ رامٍ من بني ثعلٍ مُتَلَجٍ كفيه في قُترة²

قال : فقلت له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد . فقلت له : يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشرِّ فلتسَعك العافية ؛ فقال : إنك لتحتجز مني نهاية الاحتجاز ، وأراد أن يوهم عيسى أنني مُفَحَمٌ عبي لا أقدر على ذلك ، فقال لي عيسى : أسألك يا أبا محمد بحقي عليك إلا فعلت . فقلت :

[من المديد]

رُبَّ مغموٍ بعافية غمط النعمة من أشرة³

1 ديوان امرئ القيس : 102 .

2 متلج : مدخل . والقترة : جمع قتر ، وهي حفيرة يكمن فيها الصائد .

3 في رواية : غمط النعماء .

وامرئ طالت سلامته فرماه الدهر من غيره
 بسهام غير مشوية نقضت منه قوى مره¹
 وكذلك الدهر منقلب بالفتى حالي من عصرة
 يخلط العسر بميسرة ويسار المرء في عسرة
 عتق سلم أمه صغرا وأبا سلم على كبره
 كل يوم خلفه رجل راح يسعى على أثره
 يولج الغرمول سبته كولوج الضب في جحرة

قال : فاعتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر . فضحك عيسى ، وقال له : قد جهد الرجل أن تدعه وصيائته ودينه فأبیت إلا أن يُدخلك في حِرْ أمك .

[يرفه مروان يتخشن]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني علي بن محمد النفيلي ، قال : سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره ، قيمته عشرة آلاف درهم ، يسرج ولجام مفضّضين ، ولباسه الخزّ والوشى ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه قرؤ كبل وقميص كرايس² وعمامة كرايس وخفّ كبل وكساء غليظ ، وهو متن الرائحة . وكان لا يأكل اللحم حتى يقرّم إليه بخلاً ، فإذا قرّم أرسل غلامه ، فاشتري له رأساً فأكله . فقال له قائل : أراك لا تأكل إلا الرأس ؛ قال : نعم ، أعرف سعره ، فأمن خيانة الغلام ، ولا أشتري لحماً فيطبخه فيأكل منه . والرأس آكل منه ألواناً : آكل منه عينيه لوناً ، ومن غلصمته³ لوناً ، ومن دماغه لوناً .

[بلي بالكيماء]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي ، قال : أخبرني أبي ، قال : كان سلم الخاسر قد بلي بالكيماء فكان يذهب

1 أشوى : لم يصب مقتلاً . والمرر : جمع مرة ، وهي طاقة الحبل .

2 فرو كبل : قصير . وكرايس : جمع كرايس ، وهو ثوب من القطن أو الثوب الخشن .

3 الغلصمة : اللحم بين العنق والرأس أو رأس الحلقوم .

بِكُلِّ شَيْءٍ لَهُ بَاطِلًا . فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَصْنَعَ¹ لَهُ عُرْفٌ أَنْ بَابَ الشَّامِ صَاحِبَ كَيْمِيَاءٍ عَجِيبًا ، وَأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا لَيْلًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَدَلَّوْهُ عَلَيْهِ .

قَالَ : فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ إِلَى مَوْضِعٍ مُعَوَّرٍ² ، فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَخَرَجَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ عَافَاكَ اللَّهُ ؟ فَقُلْتُ : رَجُلٌ مَعْجَبٌ بِهَذَا الْعِلْمِ . قَالَ : فَلَا تَشْهَرْنِي ، فَإِنِّي رَجُلٌ مُسْتَوْر ، إِنَّمَا أَعْمَلُ لِلْقَوْتِ . قَالَ ، قُلْتُ : إِنِّي لَا أَشْهَرُكَ ، إِنَّمَا أَقْتَبِسُ مِنْكَ ، قَالَ : فَارْكَمُ ذَلِكَ . قَالَ : وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَوْزٌ شَبَّهَ³ صَغِيرٌ . فَقَالَ لِي : أَقْلَعْ عُرْوَتَهُ ، فَقَلَعْتُهَا . فَقَالَ : اسْبُكْهَا فِي الْبُوطَقَةِ ، فَسَبَكْتُهَا ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا مِنْ تَحْتِ مُصَلَّاهُ ، فَقَالَ : ذَرَّهُ عَلَيْهِ ، فَفَعَلْتُ . فَقَالَ : أَفْرَغْهُ ، فَأَفْرَغْتُهُ . فَقَالَ : دَعِهِ مَعَكَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَخْرُجْ ، فَبَعَثَهُ وَعُذُّهُ إِلَيَّ . فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى بَابِ الشَّامِ ، فَبَعَثْتُ الْمُنْقَالَ بِأَحَدٍ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : اطْلُبِ الْآنَ مَا شِئْتَ . قُلْتُ : تَفِيدُنِي . قَالَ : بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْلَمَهُ أَحَدًا ، فَأَعْطَيْتُهُ . وَكُتِبَ لِي صَفَةٌ ، فَامْتَحَنْتُهَا ، فَإِذَا هِيَ بَاطِلَةٌ . فَعُدْتُ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لِي : قَدْ تَحَوَّلَ ، وَإِذَا عُرْوَةُ الْكَوْزِ الْمَشْبُوهِ مِنْ ذَهَبٍ مَرْكَبَةٌ عَلَيْهِ ، وَالْكَوْزُ شَبَّهَ . وَلِذَلِكَ كَانَ يُدْخَلُ إِلَيْهِ مَنْ يَطْلُبُهُ لَيْلًا ، لِيَخْفِيَ عَلَيْهِ ، فَانصَرَفْتُ ، وَعِلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَرَادَ بِي خَيْرًا ، وَأَنَّ هَذَا كُلَّهُ بَاطِلٌ .

[رثاء البانوكة بنت المهدي]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّرِفِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَزَازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ الْيَمَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو كَعْبٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ الْبَانُوكَةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ رَثَاها سَلَمُ الْخَاسِرِ بِقَوْلِهِ⁴ :

أَوْدَى بِيَانُوكَةَ رَيْبُ الزَّمَانِ	مُؤْنِسَةُ الْمَهْدِيِّ وَالْخِيزْرَانِ
لَمْ تَنْطَوِ الْأَرْضَ عَلَى مِثْلِهَا	مَوْلُودَةٌ حَنَّ لَهَا الْوَالِدَانِ
بَانُوكُ يَا بِنْتَ إِمَامِ الْهُدَى	أَصْبَحْتَ مِنْ زِينَةِ أَهْلِ الْجَنَانِ
بَكَتْ لَكَ الْأَرْضُ وَسُكَّانُهَا	فِي كُلِّ أَفْقٍ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ

[مجاوذه والبة]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْمُسْتَهْلِ الْأَسَدِيُّ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَمِيمٍ بْنُ حَمْزَةَ ، قَالَ : كَانَ سَلَمُ الْخَاسِرِ

1 يصنع له : يؤتبه الخير .

2 معور : لا يؤمن الشر فيه .

3 الشبه : النحاس الأصفر .

4 شعراء عباسيون : 116 .

يهاجي والبة بن الحباب ، فأرسلني إليه سلم وقال : قُلْ له¹ : [من المنسرح]

يا والبة بن الحبابِ يا حَلَقِي لَسْتُ من أَهْلِ الزَّناءِ فانطَلِقِ
تَدْخُلُ فِيهِ الْغُرْمُولَ تولجُه مِثْلَ وَلُوجِ الْمِفْتَاحِ فِي الْغَلَقِ

قال : فأتيت والبة فقلت له ذلك ، فقال لي : قُلْ له : يا ابن الزانية ، سَلْ عَنْكَ رِيعانَ التَّمِيمِيّ ، يعني أَنَّهُ ناكه ، قال : وكان رِيعانُ لُوطِيًّا آفَةً من الآفات ، وكان علامةً ظريفاً .

قال : فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجَلِيّ ، عن أحمد بن معاوية الباهليّ ، قال : سمعت رِيعانَ يقول : نَكَتُ الهَيْثَمَ بنَ عديّ ، فَمَنْ تروَنه يُقَلِّتْ مِنِّي بعده ؟

[يعتذر لمدح بعض العلويين]

وأخبرني أحمد بن العباس العسكريّ ، قال : حدثنا العَنَزِيّ ، قال : حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : كان سلم الخاسر مدح بعض العلويين ، فبلغ ذلك المهديّ ، فتوعَّده وهمّ به ، فقال سلم فيه² : [من البسيط]

إِنِّي أَتَنِي عَنْ الْمَهْدِيِّ مَعْتَبَةً تكاد من خوفها الأحشاء تضطربُ
اسمَعْ فذاك بَنُو حِواءَ كُلُّهُمْ وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقد حَلَفْتُ يَمِيناً غيرَ كاذبة يومَ الْمَغِيبةِ لم يُقَطَّعْ لها سببُ
أَلَّا يَحَالِفَ مَدْحِي غَيْرَكمْ أَبَداً ولو تَلَاقَى عَلَيَّ الْغَرَضُ وَالْحَقَبُ³
ولو ملكْتُ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرَفُها في كُلِّ نَاحِيَةٍ ما فاتها الطَلَبُ
مولاك مولاك لا تُشِمِتْ أَعادِيَه فما وراءك لي ذِكْرٌ ولا نَسَبُ

فعفا عنه .

[يحسن الرثاء دون المدح]

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدثنا العَنَزِيّ ، قال : حدثني العباسُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ ، قال : حدثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهابِ المِسمَعِيّ ، قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَرُ بنَ المثنى يقول : كان سلم الخاسر لا يحسن أن يمدح ، ولكنّه كان يحسن أن يرثي ويسأل .

1 شراء عباسيون : 108 .

2 شراء عباسيون : 93-94 .

3 الغرض : كالحزام للرحل . والحقب : حزام يلي حقو البعير .

[يعد الرثاء قبل الوفاة]

أخبرني الحسن بن عليّ . قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، قال : حدثني أبو المُستَهَلّ ، قال : دخلت يوماً على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أمّ جعفر ، وبعضها جارية غير مُسمّاة ، وبعضها أقواماً لم يموتوا ، وأمّ جعفر يومئذٍ باقية . فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدثت الحوادث فيطالبونا بأن نقول فيها ، ويستعجلونا ، ولا يَجْمَل بنا أن نقول غير الجيّد ، فنعدّ لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً ، على أنه قِيل في الوقت .

[بيت أبي العتاهية يعجب المأمون]

أخبرني محمد بن يزيد وعيسى بن الحسين ، قالا : حدثنا الزبير بن بَكَار ، قال : قال عبد الله بن الحسن الكاتب : أنشد المأمون قول أبي العتاهية : [من الوافر]

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلّ الحرصُ أعناق الرجال

فقال المأمون : صدق لَعَمْرُ الله ، إنّ الحرصَ لمفسّدة للدين والمرءة ، والله ما رأيت من رجل قطّ جرّصاً ولا شرّها ، فرأيت فيه مُصْطَبَعاً . فبلغ ذلك سلماً الخاسر ، فقال : ويلي على ابن الفاعلة يباع الخزف ، كنزَ البُذور بمثل ذلك الشعر المفكك الغثّ ، ثم ترهّد بعد أن استغنى ، وهو دائماً يهتف بي ، وينسبني إلى الحرص ، وأنا لا أملك إلّا ثوبيّ هذين . [يشترى نفسه من أبي الشمقم]

أخبرني عمّي والحسن بن عليّ ، قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال حدثنا زكريّا بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقم سلماً الخاسر بأن يهب له شيئاً ، وقد خرجتُ لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقم يهجه¹ : [من البسيط]

يا أمّ سلم هداك الله زورينا كيما ننيكك فرداً أو تنيكينا

ما إن ذكرتك إلّا هاج لي شبقٌ ومثل ذكراك أمّ السلم يُشجينا

قال : فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحبّ أن تُعفيني من استزارتك أمّي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

[شوم يعقوب بن داود]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدثني يحيى بن الحسن بن

عبد الخالق ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلَ الرَّبِيعُ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَأَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ جَالِسٌ يَغْرِضُ كِتَابًا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ : مَرُّ هَذَا أَنْ تَتَنَحَّى ، يَعْنِي الرَّبِيعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : تَنَحَّ . فَقَالَ : لَا أَفْعَلْ . فَقَالَ : كَأَنَّكَ تَرَانِي بِالْعَيْنِ الْأُولَى ! فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَرَاكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا . قَالَ : فَلَمْ لَا تَتَنَحَّى إِذَا أَمَرْتُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رُكْنُ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ قَتَلْتَ ابْنَ هَذَا ، فَلَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ حَلِيدَةٌ يَغْتَالُكَ بِهَا . فَقَامَ الْمَهْدِيُّ مَذْعُورًا ، وَأَمَرَ بِتَفْتِيْشِهِ ، فَوَجَدُوا بَيْنَ جَوْرِيهِ وَخُفِّهِ سِكِّينًا ، فَرُدَّتْ الْأُمُورُ كُلُّهَا إِلَى الرَّبِيعِ ، وَعُزِّلَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَوُلِّيَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، فَقَالَ سَلْمُ الْخَاسِرِ فِيهِ ¹ : [من مجزوء الكامل]

يَعْقُوبُ يَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ نَاحِيَةَ
أَدْخَلْتَهُ فَعَلَا عَلَيْهِ لَكَ كَذَاكَ شَوْمُ النَّاصِيَةِ

قال : وكان بلغ المهدي من جهة الربيع أنَّ ابن أبي عبيد الله زنديقٌ ، فقال له المهدي : هذا حَسَدٌ منك . فقال : افحص عن هذا ، فإن كنت مُبْطِلًا بَلَّغْتُ مَنِّي الذي يلزم من كَذْبِكَ . فَأَتَى بَابَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَرَّرَهُ تَقْرِيرًا خَفِيًّا ، فَأَقْرَأَ بِذَلِكَ ، فَاسْتَبَاهُ ، فَأَبَى أَنْ يَتُوبَ ، فَقَالَ لِأَبِيهِ : اقْتُلْهُ فَقَالَ : لَا تَطِيبْ نَفْسِي بِذَلِكَ . فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ .

قال : وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمق الناس : وهب له المهدي وصيفةً ، ثم سألَه بعد ذلك عنها ، فقال : ما وَضَعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ حَشِيَّةً قَطُّ أَوْطَأَ مِنْهَا حَاشَا السَّمَاعِ ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ لِأَبِيهِ ، أَتَرَاهُ يَعْنِينِي ، أَوْ يَعْنِيكَ ، قَالَ : بَلْ يَعْنِي أُمَّهُ الزَّانِيَةَ ، لَا يَكْنِي .

[يمدح الفضل لأخذه البيعة للمهدي]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَالرَّبِيعُ نَسِيرَ قَرِيْبًا مِنْ مَحْمِلِ الْمَنْصُورِ حِينَ قَالَ لِلرَّبِيعِ : رَأَيْتَ كَأَنَّ الْكَعْبَةَ تَصَدَّعَتْ ، وَكَأَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِحَبْلِ أَسْوَدَ فَشَدَّهَا . فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ ، حَتَّى إِذَا اعْتَلَّ قَالَ لِلرَّبِيعِ : أَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي نَوْمِي شَدَّ الْكَعْبَةَ ! فَأَيُّ شَيْءٍ تَعْمَلُ بَعْدِي ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ أَعْمَلُ فِي حَيَاتِكَ . فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ لِلْمَهْدِيِّ مَا كَانَ ، فَقَالَ سَلْمُ الْخَاسِرِ فِي الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ² :

[من البسيط]

يَا ابْنَ الَّذِي جَبَرَ الْإِسْلَامَ يَوْمَ وَهْيَ وَاسْتَنْقَذَ النَّاسَ مِنْ عَمِيَاءٍ صَيَّخُودٍ ³

1 شعراء عباسيون : 120 .

2 شعراء عباسيون : 98 .

3 الصيخود : الصخرة الشديدة . ويعني هنا الفتنة الشديدة .

قالت قريشٌ غداةً انهاضَ مُلكُهُمُ :
 أَيْنَ الرِّبيعِ وَأَعْطَوْا بِالْمَقَالِيدِ
 فقام بالأمرِ مثناسٌ بوَحْدَتِهِ
 ماضي العزيمةِ ضرابُ القماحيدِ¹
 إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا ضَاقتْ مَسالِكُهَا
 حَلَّتْ يَدُ الْفَضْلِ مِنْهَا كُلَّ مَعْقُودِ
 إِنَّ الرِّبيعَ وَإِنَّ الْفَضْلَ قَدْ بَنَى
 رواقَ مجدٍ على العباسِ ممدودِ
 قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

[حين عقدت البيعة للأمين]

أخبرني عمِّي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو هِشَانَ ، قال : حَدَّثَنِي سَعِيدُ أَبُو هُرَيْرٍ وَأَبُو دَعَامَةَ ، قالا :
 لَمَّا قَالَ سَلَمُ الْخَاسِرِ فِي الرَّشِيدِ حِينَ عَقَدَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ² :

[من الكامل]

قَدْ بَايَعَ الثَّقَلَانِ فِي مَهْدِ الْهُدَى
 مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ
 وَلَيْتَهُ عَهْدَ الْأَنْامِ وَأَمْرُهُمْ
 فَدَمَعَتْ بِالْمَعْرُوفِ رَأْسَ الْمُنْكَرِ
 أَعْطَتْهُ زُيْدَةَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[خمسائة ألف درهم لقصيدة]

أخبرني الحسنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوتِهِ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَاسَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ ، عَنْ
 أَبِيهِ ، قال : قَالَ سَلَمُ الْخَاسِرِ فِي الْمَهْدِيِّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا³ :

[من المتقارب]

لَهُ شَيْمَةٌ عِنْدَ بَذْلِ الْعَطَا
 لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِقْدَارَهَا
 وَمَهْدِيٌّ أُمَيْنًا وَالَّذِي
 حَمَاهَا وَأَدْرَكَ أَوْتَارَهَا
 فَأَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

[طلب تقديمه في الجائزة على مروان]

أخبرنا وكيعٌ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قال : حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مَزَاحِمٍ
 قال : شَهِدْتُ الْمَهْدِيَّ وَقَدْ أَمَرَ لِمَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَفَرَضَ لَهُ عَلَى
 أَهْلِ بَيْتِهِ وَجُلَسَائِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَمَرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ لِسَلَمِ
 الْخَاسِرِ ، وَقَدْ مَدَحَهُ ، بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ أَكْثَرَ مَا أُعْطِيَ
 الْمَهْدِيُّ مَرْوَانَ سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرِذْنِي وَفَضِّلْنِي عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَاهُ تَمَمَةَ ثَمَانِينَ

1 القماحيد : جمع القمحودة ، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال . ويعني ضراب الرؤوس .

2 شعراء عباسيون : 100 .

3 شعراء عباسيون : 105 .

ألف درهم ، فقال سلم¹ : [من الطويل]

ألا قُلْ لِمَ رَوَانِ أَتَتَكَ رِسَالَةٌ
حَبَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَفْحَةٍ
ثَمَانِينَ أَلْفًا حَزْتُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ
لَهَا نَبَأٌ لَا يَنْشِي عَنْ لِفَائِكَا
مُشَهَّرَةٌ قَدْ طَاطَأَتْ مِنْ حَبَائِكَا
وَلَمْ يَكُ قَسَمًا مِنْ أُولَى وَأَوَّلَاثِكَا

فأجابه مروان فقال² : [من الطويل]

أَسْلَمَ بَنَ عَمْرُو قَدْ تَعَاظَيْتَ غَايَةً
فَأَقْسِمَ لَوْلَا ابْنُ الرَّيْعِ وَرَفْدُهُ
وَمَا نِلْتَ مِذْ صُورَتَ إِلَّا عَطِيَّةً
تُقَصِّرُ عَنْهَا بَعْدَ طُولِ عَنَائِكَا
لَمَّا ابْتَلَتْ الدَّلُوءَ الَّتِي فِي رِشَائِكَا
تَقُومُ بِهَا مَصْرُورَةٌ فِي رِدَائِكَا

[يهب تركته للرشد]

حدثني وسوسة بن الموصلي ، وهو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثني حماد عن أبيه ، قال : استوهب أبي من الرشيد تركته سلم الخاسر ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحبُ الموارث ، فحصل منها خمسين ألف دينار .

أخبرني عمي ، قال : حدثني أبو هيفان ، عن سعيد بن هريم وأبي دعامة أنه رُفِعَ إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفي ، وخلف مِمَّا أَخَذَهُ مِنْهُ خَاصَةً وَمِنْ زُبْدَةِ أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ سِوَى مَا خَلَفَهُ مِنْ عَقَارٍ وَغَيْرِهِ مِمَّا اعْتَقَدَهُ³ قَدِيمًا ، فَقَبَضَهُ الرِّشِيدُ . وَتَظَلَّمَ إِلَيْهِ مَوَالِيَهُ مِنْ آلِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذَا خَادِمِي وَنَدِيمِي ، وَالَّذِي خَلَفَهُ مِنْ مَالِي ، فَأَنَا أَحَقُّ بِهِ ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا مِنْ قَدِيمِ أُمْلَاكِهِ .

[يرثي ثلاثة مئة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل ، عن القحذمي ، قال : كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة متواخين ، لا يكادون يفترون . وكان سلم الخاسر يناديهم ويمدحهم ، ويُفَضِّلُون عَلَيْهِ وَلَا يَحْجُونَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، فَتَوَفَّى مَالِكٌ ثُمَّ أَخُوهُ ثُمَّ مَعْنٌ فِي مَدَّةٍ مُتَقَارِبَةٍ ، فَقَالَ سَلَمٌ يَرِثُهُمْ⁴ : [من الخفيف]

1 شعراء عباسيون : 109 .

2 ديوان مروان : 255 .

3 اعتقده : جمعه .

4 شعراء عباسيون : 119 .

عَيْنُ جُودِي بِعَيْرَةِ تَهْنَانِ وَأَنْدَبِي مَنْ أَصَابَ رَبُّ الزَّمَانِ
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ قَوْماً كِرَاماً فَعَلَى مَالِكِ أَبِي غَسَّانِ
أَيْنَ مَعْنُ أَبُو الْوَلِيدِ وَمَنْ كَا نَ غِيَاثاً لِلْهَالِكِ الْحِيرَانِ
طَرَقْتُكَ الْمَنُونُ لَا وَاهِيَّ الْحَبِ لَ وَلَا عَاقِداً بِحِلْفِ يَمَانِ
وَشَهَابٌ وَأَيْنَ مِثْلُ شَهَابٍ عِنْدَ بَذْلِ النَّدَى وَحَرِّ الطَّعَانِ
رُبَّ خِرْقٍ رُزِئَتْهُ مِنْ بَنِي قَيْدٍ حَسْرَةٍ وَخِرْقٍ رُزِئَتْ مِنْ شِيْبَانِ¹
دَرُّ الْأَيَّامِ مَاذَا أَجَنَّتْ مِنْهُمْ فِي لَفَائِفِ الْكَتَّانِ
ذَاكَ مَعْنُ ثَوَى بَيْسْتِ رَهِيناً وَشَهَابٌ ثَوَى بِأَرْضِ عُْمَانِ
وَهُمَا مَا هُمَا لِبَذْلِ الْعَطَايَا وَلِلْفِ الْأَقْرَانِ بِالْأَقْرَانِ
يَسْبِقَانِ الْمَنُونَ طَعْناً وَضَرْباً وَيَفْكَانِ كُلَّ كَبَلٍ وَعَانِ²

أخبرني وكيع ، قال حدثني يزيد بن محمد المهلب ، قال : حدثني عبد الصمد بن المعدل ،
قال : لما أنشد سلم الخاسر الرشيد قصيدته فيه :

حَضَرَ الرَّحِيلُ وَشَدَّتْ الْأَحْدَاجُ

أمر له بمائة ألف درهم .

[جائزة الفضل بن يحيى]

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى
في يوم نيروز والهدايا بين يديه ، فأنشده³ :

[من مجزوء الوافر]

أَمِنْ رَبِّعٍ تَسَائِلُهُ وَقَدْ أَقَوْتُ مَنَازِلُهُ
بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْأَطْلَا لِحُبِّ مَا يُزَايِلُهُ
رُؤَيْدُكُمْ عَنِ الْمَشْغُو فِإِنَّ الْحُبَّ قَاتِلُهُ
بَلَابِلُ صَدْرِهِ تَسْرِي وَقَدْ نَامَتْ عَوَازِلُهُ
أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّفْضِي لِمَنْ تُرْجَى قَوَاضِلُهُ

1 الخرق : السخي الكريم .

2 الكيل : القيد . والعاني : الأسير .

3 شعراء عباسيون : 111-112 .

رَأَيْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَا قِيَّ مَا ضَمَّتْ حَمَائِلُهُ
فَلَسْتُ أَرَى فِتْيَ فِي النَّا سِ إِلَّا الْفَضْلُ فَاضِلُهُ
يَقُولُ لِسَانُهُ خَيْرًا فَتَفَعَّلَهُ أَنَامِلُهُ
وَمَهُمَا يُرْجَى مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الْفَضْلَ فَاعِلُهُ

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين . فقال لإبراهيم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسن مرئي ومسموع ، وفضل الأمير أكثر منه . فقال : خذوا جميع ما أهدي إلي اليوم فاقسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال ، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنائير ؛ ثم قال : لا ، والله ، ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقَوِّمُ ويدفع إليهم ثمنه ، ثم نهديه ، فقوم بألفي دينار ، فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .
[أحسن مديح لمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثني عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدثني القحذمي ، قال : قيل لِمَعْنِ بن زائدة : ما أحسن ما مِدَحْتَ به من الشعر عندك ؟ قال : قول سلم الخاسر¹ :

أُبْلِغُ الْفَتِيَانَ مَالِكَةً أَنْ خَيْرَ الْوُدِّ مَا نَفَعَا
أَنْ قَرَمًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ أَتَلَفْتُ كَفَاهُ مَا جَمَعَا
كَلَّمَا عُدْنَا لِنَائِلِهِ عَادَ فِي مَعْرُوفِهِ جَذَعَا²

[بديهة الفضل وفكرته سواء]

أخبرني عمي ، قال : حدثني عبد الله بن أبي سعيد ، قال : حدثني أبو توبة . وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوتَه عن أبي توبة ، قال : حَدَّثَ فِي أَيَّامِ الرِّشِيدِ أَمْرًا فَاحْتَاجَ فِيهِ إِلَى الرَّأْيِ ، فَأَشْكَلَ ؛ وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى غَائِبًا ، فَوُرِدَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ، فَأَخْبَرُوهُ بِالْقِصَّةِ ، فَأَشَارَ بِالرَّأْيِ فِي وَقْتِهِ ، وَأَتَّفَذَ الْأَمْرَ عَلَى مَشُورَتِهِ ، فَحُمِدَ مَا جَرَى فِيهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَلَمُ الْخَاسِرِ فَأَنَشَدَهُ³ :

بَدِيهَتُهُ وَفَكْرَتُهُ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ

1 شعراء عباسيون : 107 .

2 عاد جذعاً : عاد حدثاً (لارتياحه للندى) .

3 تقدم هذان البيتان في ترجمة أشجع السلمي جزء 18 : 178 منسوين له . وينسبان أيضاً إلى عنان وأبي نواس في الجزء 23 من الأغاني .

وَأَحْزَمُ مَا يَكُونُ الدَّهْرَ رَأْيًا إِذَا عَيَّ الْمَشَاوِرُ وَالْمَشِيرُ
فَأَمْرٌ لَهُ بَعْشَرَةٌ آلَافٍ دَرَاهِمٍ .

[يَشْتَرِي سَكُوتَ أَبِي الشَّمَقِ]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعِينَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْجَمَّازُ أَنَّ أَبَا
الشَّمَقِ جَاءَ إِلَى سَلَمِ الْخَاسِرِ يَسْتَمِيعُهُ فَمَنْعَهُ ، فَقَالَ لَهُ : اسْمَعْ إِذَا مَا قُلْتُهُ ،
وَأَنْشَدَهُ¹ :

حَدَّثُونِي أَنَّ سَلَمًا يَشْتَكِي جَارَةَ أُيْرَةَ
فَهُوَ لَا يَحْسُدُ شَيْعًا غَيْرَ أُيْرٍ فِي اسْتِ غَيْرِهِ
وَإِذَا سَرَّكَ يَوْمًا يَا خَلِيلِي نَيْلَ خَيْرِهِ
قُمْ فَمُرْ رَاهِبَكَ الْأَصْدَ لَعَّ يَقْرَعُ بَابَ دَيْرِهِ

فَضَحِكَ سَلَمٌ ، وَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَقَالَ لَهُ : أَحَبُّ ، جَعَلْتُ فِدَاءَكَ ، أَنْ تَصْرِفَ
رَاهِبَكَ الْأَصْلَعَ عَنْ بَابِ دَيْرِنَا .

[نَظِيرُ الرَّشِيدِ بَافْتَتَاحِهِ]

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوزٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي كَامِلٍ ،
قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو دِعَامَةَ ، قَالَ : دَخَلَ سَلَمُ الْخَاسِرِ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَأَنْشَدَهُ :

حَيَّ الْأَجِبَةَ بِالسَّلَامِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ :

حَيَّاهُمُ اللَّهُ بِالسَّلَامِ

فَقَالَ :

عَلَى وَدَاعِ أُمِّ مُقَامٍ

فَقَالَ الرَّشِيدُ : حَيَّاهُمُ اللَّهُ عَلَى أَيِّ ذَلِكَ كَانَ ، فَأَنْشَدَهُ² :

[مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

لَمْ يَتَّقْ مِنْكَ وَمِنْهُمْ غَيْرُ الْجُلُودِ عَلَى الْعِظَامِ

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : بَلْ مِنْكَ ، وَأَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِ ، وَتَطْيِيرُ مِنْهُ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ بَاقِيَ
الشَّعْرِ وَلَا أَثَابَهُ بِشَيْءٍ .

1 شعراء عباسيون : 137-138 .

2 شعراء عباسيون : 115 .

[مدح الهادي]

أخبرني محمد بن مَزِيد : قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قال : أَتَتْ وفَاةُ المهديِّ إلى موسى الهادي ، وهو بجَرْجَان ، فبُوع له هناك ، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنتين ، فهنَّاهُ بخلافة الله ، ثم أنشده¹ :

لَمَّا أَتَتْ خَيْرَ بَنِي هَاشِمٍ خِلَافَةَ اللَّهِ بِجَرْجَانٍ
شَمَّرَ لِلْحَزْمِ سَرَايِلَهُ بِرَأْيٍ لَا غَمْرٍ وَلَا وَإِنْ
لَمْ يُدْخِلِ الشُّورَى عَلَى رَأْيِهِ وَالْحَزْمُ لَا يُمَضِّيه رَأْيَانِ

[يقر بفضل بشار]

أخبرني الحسن بنُ عَلِيِّ وَعَمِّي ، قالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَّةٍ ، قال : حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ ، قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد ، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى ، فأنشده قوله فيه :

حَضَرَ الرَّحِيلُ وَشَدَّتْ الْأَحْدَاجُ

فلَمَّا انتهى إلى قوله² :

إِنَّ الْمَنَابِيا فِي السِّوْفِ كَوَامِنٌ حَتَّى يُهَيِّجَهَا فَتَى هَيَّاجُ
فقال الرشيد : كان ذلك معن بن زائدة ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله :

وَمُدْجَجٍ يَغْشَى الْمَضِيقَ بَسِيفُهُ حَتَّى يَكُونَ بِسِيفِهِ الْإِفْرَاجُ
فقال الرشيد : ذلك يزيد بن يزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفر بن يحيى ، وكان يزيد بنُ يزيدَ عدوًّا للبرامكة ، مصافياً للفضل بن الربيع . فلَمَّا انتهى إلى قوله :

نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ كَوْكَبٌ وَهَاجُ

[وصف طي المنازل]

قال له جعفر بن يحيى : من قِلَّةِ الشعر حتى تمدحَ أمير المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره ! هذا لبِشَّار في فلان التميمي ، فقال الرشيد : ما تقول يا سلم ؟ قال : صدقَ يا سيدي ، وهل أنا إلا

1 شعراء عباسيون : 117 .

2 شعراء عباسيون : 95-96 .

جُزءٍ من محاسن بشار ، وهل أنطق إلا بفضل منطقهِ ! وحياتك يا سيدي إنني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً . فضحك الرشيد ، وقال : ما أحسن الصدق ! امض في شعرك ، وأمر له بمائة ألف درهم ، ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحد غير سلم في طيننا المنازل شيئاً ؟ ، وكان الرشيد قد انصرف من الحج ، وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم ، فقال الفضل : نعم يا أمير المؤمنين ، النمرى ، فأمر سلماً يثبت قائماً حتى يفرغ النمرى من إنشاده ، فأنشده النمرى قوله¹ :

تَحَرَّقَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ مَعَ الْبُرْدِ وَحَالَتْ لَنَا أُمُّ الْوَلِيدِ عَنِ الْعَهْدِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيهما أشعر عندك يا عم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان كلام يُستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمرى ، فأمر له بمائة ألف درهم أخرى .

[أشجع السلمي يرثي سلماً]

أخبرني عمي ، قال : أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السلمي يرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله² :

يا سلم إن أصبحت في حفرة	موسداً تُربأً وأحجاراً
فرب بيت حسن قُلتَه	خلقتَه في الناس سياراً
قلدتَه ربأً وسيرتَه	فكان فخراً منك أو عاراً
لو نطق الشعر بكى بعده	عليه إعلاناً وإساراً

صوت

[من الكامل]

يا ويح من لعب الهوى بحياته	فأماته من قبل حين مماته
من ذا كذا كان الشقي بشادن	هاروت بيت لسانه ولهايته
وحياة من أهوى فإني لم أكن	يوماً لأحلف كاذباً بحياته
لأخالفن عواذلي في لذتي	ولأسعدن أخي على لذاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه ، والغناء لأبي صدقة رمل بالنصر .

1 لم يرد في مجموع شعره .

2 شعره : 218-219 .

[409] - أخبار أبي صدقة

[نسبه]

اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة ، مولى لقريش . وكان مليح الغناء ، طيب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثر الناس نادرة ، وأخفهم روحاً ، وأشدّهم طمعاً ، وألّهم في مسألة . وكان له ابن يقال له : صدقة يُغني ، وليس من المعدودين ؛ وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين ، وله صنعة جيّدة ، وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر ، وأخباره تُذكر بعد أخبار جده . وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه .

[كرة سؤاله]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : قيل لأبي صدقة ما أكثر سؤالك ، وأشدّ إلحاحك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنتي أبو صدقة ، وامراتي فاقة ، وابني صدقة !

[طرب الرشيد لغناؤه]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني ، قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بُسْخَر : قد اشتهيت أن أرى نُدْمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد ، يأكلون ويشربون ، ويتبدلون منبسطين على غير هيئة ولا احتشام ، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم ، وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يروني ، عن غير علم منهم برؤيتي إليهم . فأعد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمي سليمان وإخوتي : إبراهيم بن المهدي ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى ، فإننا مُغَلَّسون عليك غداة غد ، واسترز أنت محمد بن خالد بن برمك ، وخالداً أبا مَهْرُويه ، والخضر بن جبريل ، وجميع المغنين ، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا ، وابسط الجميع ، وأظهر برّهم ، واخلع عليهم ، ولا تدع من الإكرام شيئاً إلا فعلته بهم . ففعل ذلك الحارث ، وقدم إليهم الطعام فأكلوا ، والرشيد ينظر إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذ ، فشرّبوا . وأحضرت الخلع ، وكان ذلك اليوم يوماً شديداً البرد . فخلع على ابن جامع جبة خز طاروني¹ مبطنة بِسْمُور صيني ، وخلع على إبراهيم الموصلي جبة وشي كوفي مرتفع مبطنة

1 طاروني : نوع من الخز .

بِفَنكِ¹ ، وخلع على أبي صدقة دُرَاعَة مُلْحَم² خراساني مُحشَوَة بِقَر . ثم تَغْنَى ابن جامع ، وتغنى بعده إبراهيم ، وتلاهما أبو صدقة فغنى لابن سُرَيْج³ :

[من الطويل]

ومِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي أَكْلَفَهَا سَيْرَ الْكَلالِ مَعَ الظَّلْعِ

فَأَجَادَهُ ، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده . فقال له الحارث : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا صَدَقَة ! قال له : هذا غنائِي وقد قَرَصَنِي الْبَرْدُ ، فكيف تراه ، فديتك ، كان يكون لو كان تحت دُرَاعَتِي هذه شُعَيْرَات ؟ يعني الوبر ، والرشيذ يسمع ذلك . فضحك ، فأمر بأن يُخْلَعَ عليه دراعة مُلْحَم مَبْطُنَة بِفَنكِ ، ففعلوا ، ثم تَغْنَى الجماعة ، وغنى أبو صدقة لمعبد :

[من البسيط]

بَانَ الْخَلِيطُ عَلَى بُزْلِ مَخِيسَةٍ هَذِلِ الْمَشَافِرِ أَدْنَى سِيرِهَا الرَّمْلُ⁴

ثم تَغْنَى بعده لمعبد أيضاً⁵ :

[من البسيط]

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِوعَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حِيَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

فَأَقَامَ فِيهِمَا جَمِيعاً الْقِيَامَةَ ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً . فقال له الحارث : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا صَدَقَة ، فديتك ، وأجملت . فقال أبو صدقة : فكيف ترى ، فديتك ، الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة نُقِيطَات ؟ يعني الوشي . فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه ، وعلموا بموضعه . وعرف علمهم بذلك ، فأمر بإدخالهم إليه ، وأمر بأن يُخْلَعَ على أبي صدقة دراعة أُخْرَى مَبْطُنَة ، فخلعت عليه .

[طبعه في السؤال يغلبه]

أخبرني محمد بنُ مُزَيْد بنِ أَبِي الْأَزْهَر ، قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قال : سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ سُلَيْمَانَ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ اللَّطْفِيِّ الْفَضْلَ وَجَعْفَرًا ابْنِي يَحْيَى أَنْ يُقِيمَا عِنْدَهُ يَوْمًا ، فَأَجَابَاهُ . فَوَاعَدَ عِدَّةً مِنَ الْمَغْنِيِّينَ ، فِيهِمْ أَبُو صَدَقَة الْمَدَنِيُّ ، فقال لأبي صدقة : إِنَّكَ تُبْرِمُ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ : فَصَادِرْنِي⁶ عَلَى شَيْءٍ أَدْفَعُهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْأَلْ شَيْئاً غَيْرَهُ ، فَصَادَرَهُ عَلَى شَيْءٍ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا جَلَسُوا وَغَنُوا أَعْجَبُوا بِغَنَاءِ أَبِي صَدَقَة ، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيْجَ وَمَعْبَدَ وَابْنَ مُحَرِّزٍ وَغَيْرِهِمْ ، فغَنَاهُمْ ، ثم غَنَى ، والصنعة له رمل :

[من الكامل]

1 الفنك : دابة ذات فرو ثمين .

2 ملحم : نوع من الثياب .

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 232 .

4 البزل : جمع بازل وهو ما انشق ناه من الإبل ، أي في التاسعة من عمره . ومخيسة : مروضة مذلة .

5 البيت لجرير في ديوانه : 490 .

6 صادرني : طاليني .

يا ويح مَنْ لعب الهوى بحياته فأماته مِنْ قَبْلِ حينِ مماته
مَنْ ذا كذا كان الشقيَّ بِشادنٍ هاروتُ بين لسانه ولهاته

وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها . قال : فأجاد وأحسن ما شاء ، وطرب جعفر ، فقال له : أحسنت وحياتي ، وكان عليه دُواج¹ خز مبطن بسمور جيد ، فلما قال له ذلك شرهت نفسه وعاد إلى طبعه . فقال : لو أحسنت ما كان هذا الدُواج عليك ، ولتخلعنه عليّ ، فألقاه عليه . ثم غنى أصواتاً من القديم والحديث ، وغنى بعدها من صناعته في الرمل :

لَمْ يَطُلْ العهدُ فتنساني وَلَمْ أَغِبْ عَنْكَ فتنعاني
بَدَّلَتْ بي غيري وباهتني وَلَمْ تَكُنْ صَاحِبَ بُهْتَانٍ²
لَا وَثَقْتُ نَفْسِي بِإِنْسَانٍ بَعْدَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
أَعْطَيْتَنِي مَا شِئْتُ مِنْ مَوْثِقٍ مِنْكَ وَمِنْ عَهْدٍ وَأَيْمَانٍ

فقال له الفضل : أحسنت وحياتي ! فقال : لو أحسنت لخلعت عليّ جبة تكون شكلاً لهذا الدُواج ، فنزع جبته وخلعها عليه ، وسكروا وانصرفوا . فوثب الحسين بن سليمان ، فقال له : قد وافقتك على ما أرضاك ، ودفعته إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً ، فلم تقب ، وقد أخذت ما لك والله لا تركت عليك شيئاً مما أخذته ، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر ، فضحكا منه ، وأخلفا عليه ما ارتجعه اللطفي منه من خلعهما .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من البسيط]

بَانَ الْخَلِيطُ عَلَى بُزْلِ مُخَيَّسَةٍ هَذِلِ الْمَشَاغِرِ أَدْنَى سِيرِهَا الرَّمْلُ
مِنْ كُلِّ أَعْيَسٍ نَضَّاحِ الْقَفَا قَطِيمٍ يَنْفِي الزَّمَامَ إِذَا مَا حَنَّتِ الْإِبِلُ³

الغناء لابن عائشة ، خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامي ، وقال الهشامي

1 الدواج : لحاف يلبس فوق الثياب .

2 باهتني : حيرتني بالكذب .

3 الأعيس : البعير الأبيض يخالط بياضه شقره . والقطم : الفحل يشتهي الضراب .

خاصة : فيه لابن محرز هزج ، ولإسحاق ثقیل أول ، ووافق ابن المكي . وما وجدتُ لمعبّد فيه صنعةً في شيء من الروايات ، إلّا في المذكور .
وأما :

بان الخليط ولو طووعت ما بانا

فقد مضى في المائة المختارة ، ونُسب هناك وذُكرت أخباره .

[أحقيقه في السؤال]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، قال ¹ : كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألّهم . فقال له الرشيد : ويملك ما أكثر سؤالك ! فقال : وما يمتعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنيتي أبو صدقة ، واسم ابني صدقة ، وكانت أمي تلقب فاقة ، واسم أبي صدقة ، فمن أحقّ مني بهذا ؟
[الرشيد يعث به]

وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً ، فقال ذات يوم لمسرور : قلّ لابن جامع وإبراهيم الموصليّ وزير بن دحمان وزلزل وبرصوصا وابن أبي مريم المدنيّ : إذا رأيتموني ، طابت نفسي ، فليسالني كلّ واحدٍ منهم حاجة ، مقدارها مقدار صلته . وذكر لكلّ واحدٍ منهم مقدار ذلك ، وأمرهم أن يكموا أمرهم عن أبي صدقة . فقال لهم مسرور ما أمره به ، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أضجرتني بكثرة مسألتك ، وأنا في هذا اليوم ضجّر ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح ، ولست آمن أن تنغص عليّ مجلسي بمسألتك ، فأما أن أعفيتني من أن تسألني اليوم حاجة وإلّا فانصرف . فقال له : يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم ، ولا إلى شهرٍ حاجة . فقال له الرشيد : أما إذ شرطت لي هذا على نفسك ، فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار ، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعجّلة ، فإن سألتني شيئاً بعدها في هذا اليوم ، فلا لوم عليّ إن لم أصلك سنةً بشيء . فقال له : نعم ، وستين . فقال له الرشيد : زدني في الوثيقة فقال : قد جعلتُ أمرُ أم صدقة قمي يدك ، فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدةً ، وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة . وأشهد الله ومن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضرُوا ، وشرب القوم .

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نلتُ منك ما لم تبلغه أمنيّتي ، وكثُر إحسانك إليّ حتى كَبَت أعدائي وقتلتهم . وليست لي بمكة دار تُشبه

حالي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبي به داراً ، وأفرشها بياقيه لأفقاً عيون أعدائي وأزهق نفوسهم ، فعل : فقال : وكم قدرتَ لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلي فقال له : قد ظهرتْ نعمتك عليّ وعلى أكابر ولدي ، وفي أصاغريهم من قد بلغ ، وأريد تزويجه ، ومن أصاغريهم من أحتاج إلى أن أطهره ، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحسِن معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع ، وجعل كل واحدٍ منهم يقوم فيقول من الشاء ما يحضره ، ويسأل حاجة على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفرَّق يميناً وشمالاً . فوثب على رجله قائماً ، وقال للرشد : يا سيدي ، أ قلني ، أقال الله عثرتك ! فقال له الرشد : لا أفعل ، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلج ، والرشد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل ، الشرط أملك .

فلما عجل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشد ، وقال له : هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرجاً أم صدقة فطلّقها إن شئت واحدة ، وإن شئت ألفاً . وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزال ، وكانت صلته ألف دينار . فضحك الرشد حتى استلقى ، ثم ردّ عليه الخمسمائة الدينار ، وأمر له بألف دينار معها . وكان ذلك أكثر ما أخذه منه مذ يوم خدّمه إلى أن مات . فانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار .

[جعفر والرشد يعثان به]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدثني يوسف بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو إسحاق ، قال¹ : مُطِرْنَا ونحن مع الرشد بالرقّة مطراً مع الفجر ، واتّصل إلى غد ذلك اليوم ، وعرفنا خبر الرشد ، وأنه مقيم عند أمّ ولده المسماة بسحر ، فتشاغلنا في منازلنا . فلما كان من غدٍ جاءنا رسول الرشد ، فحضرنا جميعاً ، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي : ما صنع فيه فيخبره ، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى ، فسأله عن خبره ، فقال : كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة ، فكان أبو زكّار كلّما غنى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدور إليه أعاده ، وحكى أبا زكّار فيه وفي شمائله وحركاته ؛ ويفطن أبو زكّار لذلك فيجنّ ويموت غيظاً ، ويشتم أبا صدقة كلّ شتم حتى يضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العيب به ، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسّطنا الشراب وسئمنا من العيب به ، فقلت له : دع هذا وغنّ غناءك ، فغنى رَمَلاً ذكر أنّه من صناعته ، طربت له ، والله يا أمير المؤمنين ،

1 وهذا الخبر أيضاً ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 9 : 69-71 .

طرباً ما أذكر أنني طربتُ مثله منذ حين ، وهو : [من الخفيف]

صوت

فَتَنَّنِي بِفَاحِمِ اللّونِ جَعْدٍ وَبَغَرِ كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ
وَبُوجِهِ كَأَنَّهُ طَلْعَةُ الْبَدْرِ وَغَيْنٍ فِي طَرَفِهَا نَفْثُ سِحْرِ

فقلت له : أحسنت والله يا أبا صدقة ، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي : إني قد بنيتُ داراً حتى أنفقت عليها حَرِيَّتِي¹ ، وما أعددت لها فرشاً ، فافرشها لي ، نجدد² الله لك في الجنة ألف قصر . فتغافلتُ عنه ، وعاود الغناء ، فتعمّدت أن قلتُ له : أحسنت ، ليعاود مسألتني وأتغافل عنه ، فسألني وتغافلت . فقال لي : يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله ، وبحقّ أيلك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتّم ! فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بغيض ، اسكتْ يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة . فوثب من بين يديّ ، وظننتُ أنّه خرج لحاجة ، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفاً من أن تبتّل ، ووقف تحت السماء ، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ، ورفع رأسه وقال : يا ربُّ أنت تعلم أنني مُلِه ، ولست ناثقاً ، وعبدك هذا الذي رفعته وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي : أحسنت ، لا يقول لي : أسأت ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بنيتُ ، لم أقل : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أنني بغيض ، فاحكُم بيني وبينه يا سيدي ، فأنت خير الحاكمين .

فغلبني الضحك ، وأمرتُ به فتنحّى ، وجَهدتُ به أن يغني ، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنني أفرش له داره ، وخدعته فلم أسمّ له ما أفرشها به . فقال الرشيد : طيبٌ والله ! الآن تمّ لنا به اللهو ، وهو ذا أدعو به ، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش ، لأنك حلفت له بحياتي ، فهو يتجنّز ذلك بمحضرتي ليكون أوثق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبوارى³ ، وحاكمه إليّ . ثم دعا به فأحضر ، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى : الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري ، تقدّم فيه . فقال له جعفر : اختر ، إن شئتَ فرشتها لك بالبوارى ، وإن شئتَ بالبرديّ من الحصر ، فضجّ واضطرب .

فقال له الرشيد : وكيف كانت القصّة ؟ فأخبره فقال له : أخطأتُ يا أبا صدقة ، إذ لم

1 الحرية : المال الذي حصل بالسلب .

2 نجدد : زين .

3 البوارى : الحصر المنسوج ، بالقصب .

تُسَمَّ النَّوعَ وَلَا حَدَّدَتَ الْقِيَمَةَ ، فَإِذَا فَرَشَهَا لَكَ بِالْبُورِي أَوْ بِالْبُرْدِي أَوْ بِمَا دُونَ ذَلِكَ فَقَدْ وَفَى يَمِينَهُ ، وَإِنَّمَا خَدَعَكَ ، وَلَمْ تَفْطَنْ لَهُ أَنْتَ ، وَلَا تَوَثَّقْتَ ، وَضِيعَتُ حَقِّكَ . فَسَكَتَ ، وَقَالَ : نُوْفِّرُ الْبُرْدِيَّ وَالْبُورِيَّ عَلَيْهِ أَيْضاً ، أَعَزَّ اللَّهُ . وَغَنَّى الْمَغْنُونُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ الدَّوْرُ ، فَأَخَذَ يَغْنِي غَنَاءَ الْمَلَاحِينَ وَالْبَنَاتِينَ وَالسَّقَاتِينَ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مِنَ الْغَنَاءِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَتَيْشَ هَذَا الْغَنَاءَ وَبِئْسَ ! قَالَ : مَنْ فُرِشَتْ دَارُهُ بِالْبُورِي وَالْبُرْدِي فَهَذَا الْغَنَاءُ كَثِيرٌ مِنْهُ ، وَكَثِيرٌ أَيْضاً لِمَنْ هَذِهِ صَلَاتُهُ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَاللَّهُ وَطَرَبَ وَصَفَّقَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ ، وَقَالَ لَهُ : افْرَشْ دَارَكَ مِنْ هَذِهِ . فَقَالَ : وَحَيَاتِكَ لَا آخِذَهَا يَا سَيِّدِي أَوْ تَحْكَمَ لِي عَلَى جَعْفَرٍ بِمَا وَعَدَنِي ، وَإِلَّا مُتُّ وَاللَّهِ أَسْفَا لِفَوَاتِ مَا حَصَلَ فِي طَمْعِي وَوَعَدْتِ بِهِ . فَحَكَمَ لَهُ عَلَى جَعْفَرٍ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَبِلَهَا جَعْفَرٌ ، وَأَمَرَ لَهُ بِهَا .

[وَصُولُهُ إِلَى السُّلْطَانِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ سَبَبُ وَصُولِ أَبِي صَدَقَةَ إِلَى السُّلْطَانِ أَنَّ أَبِي لَمَّا حَجَّ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، فَاحْتَاجَ إِلَى قَطْعِ ثِيَابٍ ، فَالْتَمَسَ خِيَاطاً حَازِقاً ، فَذُلَّ عَلَى أَبِي صَدَقَةَ ، وَوُصِفَ لَهُ بِالْحِذْقِ فِي الْخِيَاطَةِ وَالْحِذْقِ فِي الْغَنَاءِ وَخَفَةِ الرُّوحِ . فَأَحْضَرَهُ فَقَطَعَ لَهُ مَا أَرَادَ وَخَاطَهُ ، وَسَمِعَ غَنَاءَهُ فَأَعْجَبَهُ ؛ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ ، فَخَلَّفَ لِعِيَالِهِ نَفَقَةً سَابِغَةً لِسَنَةِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَطَهُ بِالسُّلْطَانِ . قَالَ حَمَّادُ : فَقَالَ أَبُو صَدَقَةَ يَوْمَاً لِأَبِي : قَدْ اقْتَصَرْتُ بِي عَلَى صِنْعَةِ أَبِي إِسْحَاقَ أَبِيكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدِي ، وَأَنْتَ لَا ، رَبُّ¹ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ الصِّينِيَّةُ الْفُضَّةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ لَكَ إِذَا انْصَرَفْتَ ، فَشَكَرْهُ وَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَغْنِيهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ . فَلَمَّا أَخَذَ النَّبِيذَ فِيهِ قَامَ قَوْمَةٌ لِيَبُولَ ، فَدَعَا أَبِي بَصِينِيَّةَ رِصَاصَ فَحُولٍ قَبِينَتَهُ وَقَدَحَهُ فِيهَا ، وَرَفَعَ الصِّينِيَّةَ الْفُضَّةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَبُو صَدَقَةَ الانْصِرَافَ شَدَّ أَبِي الصِّينِيَّةَ فِي مَنْدِيلٍ ، وَدَفَعَهَا إِلَى غَلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ : بَتِ اللَّيْلَةُ عِنْدِي وَاصْطَبِحْ غَداً ، وَارْدُدْ دَابَّتَكَ . فَقَالَ : إِنِّي إِذَا لَأَحْمَقُ ، أَدْفَعُ إِلَى غَلَامِي صِينِيَّةَ فَضَّةٍ ، فَيَأْخُذُهَا وَيَطْمَعُ فِيهَا أَوْ يَبِيعُهَا ، وَيَرْكَبُ الدَّابَّةَ وَيَهْرَبُ ، وَلَكِنِّي أَبِيتُ عِنْدَكَ ، فَإِذَا انْصَرَفْتُ غَداً أَخَذْتَهَا مَعِي . وَبَاتَ وَأَصْبَحَ عِنْدَنَا مُصْطَبِحاً ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ انْصِرَافِهِ أَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمْ يَلْبِثْ مِنْ غَدٍ أَنْ جَاءَنَا وَالصِّينِيَّةُ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ وَجَّهَ بِهَا لِتُبَاعَ ، فَعَرَفُوهُ أَنَّهَا رِصَاصُ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَبِي مِنْ بَعِيدٍ ضَحِكَ ، وَعَرَفَ الْقِصَّةَ وَتَمَاسَكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو صَدَقَةَ : نِعْمَ الْخِلَافَةُ خَلَفْتَ أَبَاكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا فَعَلْتَ بِي ! قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ فَعَلْتَ بِكَ ؟ قَالَ : أُعْطِيتَنِي صِينِيَّةَ رِصَاصٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي : سَخُنْتُ عَيْنَكَ ! سَخِرْتَ امْرَأَتَكَ بِكَ ، وَأَنَا مِنْ أَيْنَ لِي صِينِيَّةَ رِصَاصٍ

فتشكك ساعة ، ثم قال : أَظُنَّ وَاللَّهِ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ . فقام . فقال له أَبِي : إِلَى أَيْنَ ؟ قال :
أَضَعُ وَاللَّهِ عَلَيْهَا السُّوْطَ فَأَضْرِبُهَا بِهِ حَتَّى تَرُدَّ الصَّيْنَةَ . فَلَمَّا رَأَى أَبِي الْجِدَّ مِنْهُ قَالَ لَهُ : اجْلِسْ
يَا أَبَا صَدَقَةَ ، فَإِنَّمَا مَزَحْتُ مَعَكَ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِوَزْنِهَا دِرَاهِمٌ .

صوت

[من مجزوء الرمل]

إِنَّ مَنْ يَمْلِكُ رِقِّي مَالِكُ رِقِّ الرُّقَابِ
لَمْ يَكُنْ يَا أَحْسَنَ الْعَالَمِ لَمْ هَذَا فِي حَسَابِي
الشعر لفضل الشاعرة ، والغناء لعريب خفيف ثقيل بالوسطى ، عن ابن المعتز .

[410] - أخبار فضل الشاعرة¹

كانت فَضْلُ جاريةً مولدةً من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولدات اليمامة . بها ولدت ، ونشأت في دار رجل من عبد القيس ، وباعها بعد أن أدبها وخرجها ، فاشتريت وأهديت إلى المتوكل . وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها ، وأن أباه وطىء أمها فولدتها منه ، فأدبها وخرجها معترفاً بها ، وأن بنه من غير أمها تواطوا على بيعها وجحدها ، ولم تكن تُعرف بعد أن أُعتقت إلا بفضل العبدية . وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أدبية فصيحة سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر . ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها .

[جواب مسكت]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان ، قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة لرجل من النّخاسين بالكركخ يقال له : حُسْنَوَيْه ، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرّحجيّ ، وأهداها إلى المتوكل ، فكانت تجلس للرجال ، ويأتيها الشعراء ، فألقى عليها أبو دُلف القاسم بن عيسى² :

قالوا عَشِيقَتَ صَغِيرَةٍ فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُرَكَبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةٍ لَوْلُوْ مَثْقُوبَةٍ نَظِمْتُ وَحْبَةً لَوْلُوْ لَمْ تُتَقَبِ

فقلت فضل مجيبة له :

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَلْدُ رُكُوبُهَا مَا لَمْ تُذَلَّلْ بِالزَّمامِ وَتُرَكَبِ
وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَصْحَابَهُ حَتَّى يُؤَلَّفَ لِلنُّظَامِ بِمُتَقَبِ

[مدحت المتوكل]

حدثني عمي ومحمد بن خلف ، قالا : حدثنا أبو العيناء ، قال : لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا زعم من باعني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدنا شيئاً من شعرك فأنشدته :

1 ترجمة فضل الشاعرة في طبقات ابن المعتز : 426 والمتنظم 5 : 6 والنجوم الزاهرة 3 : 28 وفوات الوفيات 3 : 185-187 والسمط : 656 والمستطرف من أخبار الجوارى للسيوطي : 5-56 وانظر أعلام الزركلي . وقد ترجم لها د . يونس السامرائي في «رسائل سعيد بن حميد وأشعاره» : 62-73 .
2 هذه المطارحة في الفوات 3 : 87 . وقد نسب بيتا فضل إلى مسلم بن الوليد بقافية مفتوحة «وتركبا - وتتقبا» ؛ ديوانه : 305 . وانظر مجموع شعر أبي دُلف : 50 .

استقبل الملكَ إمامُ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثين
تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سني الهجرة .

خِلَافَةً أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ بَعْدَ عِشْرِينَ
إِنَّا لَنَرْجُو يَا إِمَامَ الْهُدَى أَنْ تَمْلِكَ النَّاسَ ثَمَانِينَ
لَا قَدَسَ اللَّهُ امْرَأً لَمْ يَقُلْ عِنْدَ دُعَائِي لَكَ : آمِينَ
فاستحسن الأبيات ، وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأمر عريبَ فغنت فيها .
[شعرها في جارية]

حدثني عمي ، قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون ، قال : عرضت على المعتمد جارية تباع في خلافة المتوكل ، وهو يومئذ حديث السن ، فاشتط مولاها في السّوم ، فلم يشترها ، وخرج بها إلى ابن الأغلب ، فبيعت هناك . فلما ولي المعتمد الخلافة سأل عن خبرها ، وقد ذكرها فأعلم أنها بيعت وأولدها مولاها ، فقال لفضل الشاعرة : قولي فيها شيئاً ، فقالت :

عَلِمَ الْجَمَالِ تَرَكْنِي فِي الْحُبِّ أَشْهَرَ مِنْ عَلَمٍ
وَنَصَبْتَنِي يَا مُنْبِتِي غَرَضَ الْمَطْنَةِ وَالتُّهْمِ
فَارَقْتَنِي بَعْدَ الدَّنْ وَفَصِرْتَ عِنْدِي كَالْحُلُمِ
فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي فَارَقَتْ جَسْمِي لِفَقْدِكَ لَمْ تَلَمْ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ وَصَدَ سِتَ فَخَفَّ عَنْ قَلْبِي الْأَلَمُ
بِرِسَالَةٍ تُهْدِينَهَا أَوْ زَوْرَةٍ تَحْتَ الظُّلَمِ
أَوَّلَا فَطِيفِي فِي الْمَنَا مِ فَلَأَقْلَ مِنْ اللَّمَمِ
صِلَةَ الْحَبِّ حَيَّيْهِ اللَّهُ يَعْلَمُهُ كَرَمِ

[أشواق متبادلة]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة : [من السريع]
أَصْبَحْتُ فَرْدًا هَائِمَ الْعَقْلِ إِلَى غَزَالٍ حَسَنِ الشَّكْلِ
أُضْنِي فَوَادِي طَوَّلَ عَهْدِي بِهِ وَبُعْدُهُ مَنِي وَمِنْ وَصْلِي
مُنِيَّةُ نَفْسِي فِي هَوَى فَضْلٍ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بِهَا شَمْلِي
أَهْوَاكِ يَا فَضْلُ هَوَى خَالِصاً فَمَا لِقَلْبِي عَنْكَ مِنْ شُغْلٍ
قال : فأجابته :

[من الكامل]

صوت

الصبرُ ينقص والسقامُ يزيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوكَ أمْ أشكو إليكَ فإنه لا يستطيعُ سواهما المجهودُ
إنِّي أعوذُ بحُرمتي بكَ في الهوى من أن يطاعَ لديكَ في حَسودُ

في هذه الأبيات رمل طنبوري . وأظنه لجحظة .

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرزبان ، قال : حدثني الحسن بنُ عيسى الكوفي ، قال :
حدثنا أبو دهمان ، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المروزي ، قالا : كانت فضل الشاعرة
من أحسن الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً وأرقهم شعراً ، فكتب إليها بعضُ من كان يجمعه
وإياها مجلسُ الخليفة ، ولا تطلعه على حبها له :

ألا ليت شعري فيك هل تذكّرني فذكركِ في الدنيا إليّ حبيبُ
وهل لي نصيبٌ في فؤادكِ ثابتُ كما لكُ عندي في الفؤادِ نصيبُ
ولستُ بموصولٍ فأحيا بزورة ولا النفسُ عند اليأسِ عنكِ تطيبُ
قال : فكتبت إليه :

نعم وإلهي إنني بك صبةٌ فهل أنتَ يا من لا عدمتُ مُثيبُ
لِمَنْ أنتَ منه في الفؤادِ مصورُ وفي العينِ نُصبَ العين حين تغيبُ
فبقُ بودادِ أنتَ مظهرُ مثله على أن بي سقماً وأنتَ طبيبُ

[إجازتها الشعر]

أخبرني جعفر بنُ قدامة ، قال : حدثني يحيى بنُ علي بن يحيى المنجم ، قال : حدثني
الفضل بنُ العباس الهاشمي ، قال : حدثني بنانُ الشاعرة ، قالت : اتكأ المتوكل على يدي ويدُ
فضل الشاعرة ، وجعل يمشي بيننا ، ثم قال : أجزا لي قول الشاعر :

تعلمتُ أسباب الرضا خوفَ عتبتها وعلمها حبي لها كيف تغضبُ

فقلت له فضل :

تصدُّ وأذنو بالمودةِ جاهداً وتبعدُ عني بالوصالِ وأقربُ

فقلت أنا :

وعندي لها العتبي على كلِّ حالة فما منه لي بدٌّ ولا عنه مذهبُ

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرزبان ، قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : ألقى بعض
أصحابنا على فضل الشاعرة :

[من الطويل]

ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر
فقلت :

فوالله ما يدري أتدري بما جنت على قلبه أو أهلكته وما تدري
أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : أقيت أنا على فضل
الشاعرة :

علم الجمال تركني بهواك أشهر من علم
فقلت على البديهة :

وأجتني يا سيدي سقماً يجلل عن السقم
وتركتني غرضاً ، فديت لك ، للعواذل والتهم
صلة الحب حبيبه الله يعلمه كرم
أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدثني محمد بن الوليد ، قال : سمعت علي بن الجهم يقول :
كنت يوماً عند فضل الشاعرة ، فلحظتها لحظة استراحت بها ، فقلت : [من الرجز]
يا رب رام حسن تعرضه يرمي ولا يشعر أنني غرضه
فقلت¹ :

أي فتى لحظك ليس يمرضه وأي عقيد محكم لا ينفضه !
فضحكت ، وقالت : خذ في غير هذا الحديث .
[تشوق إلى حبيب]

حدثني عمي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرؤيه ، قال : حدثني إبراهيم بن المدبر ،
قال : كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل : [من الطويل]
وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى
ولكنني أبدي لهذا مودتي
مخافة أن يغري بنا قول كاشح
فكتب إليها سعيد² :

تنامين عن ليلى وأسهره وحدي
فإن كنت لا تدريين ما قد فعلته
وأنهي جفوني أن تبثك ما عندي
بنا فانظري ماذا على قاتل العمدي

1 ديوان علي بن الجهم : 305 .

2 تقدم بيتا سعيد بن حميد في ترجمته في الجزء 18 : 110 .

قال عُمِّي : هكذا ذكر ابن مهرويه .

وحدثني به عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى ، فذكر أنَّ بَيْتِي سعيد كانا الابتداء ، وأنَّ أبيات فضل كانت الجواب . وذكَّرَ لهما خبراً في عِتَاب عاتبها به ، ولم أحفظه ، وإنَّما سمعته يذكره ، ثم أخرج إليَّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليِّ بن الحسين ، فوجدت هذا الخبر فيه ، فقرأته عليه .

قال عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى : حضرَ سعيدُ بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبنان ، وكان سعيد يهاوها ، وتُظْهَرُ له هَوَى ، ويتمهما مع ذلك بنان ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بنان ، فغضب وانصرف ، فكتبت إليه فضل بالآيات الأولى ، وأجابها بالبيتين الآخرين ، فاتفقت رواية ابن مهرويه وعليِّ بن الحسين في هذا الخبر .

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزبان ، قال : حدثني أبو يوسف بن الدقاق الضرير ، قال : صيرتُ أنا وأبو منصور الباخريزيَّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِّبنا عنها وانصرفنا ، وما علمتُ بنا ، ثم بلغها مجيئنا وانصرفنا فكْرَهَتْ ذلك وغَمَّها ، فكتبت إلينا تعتذر : [من الطويل]
وما كنتُ أخشى أن تروا لي زلَّةً ولكنَّ أَمَرَ اللهُ ما عنه مَذْهَبُ
أعوذُ بحسن الصَّفح منكم وقَبَلنا بِصَفْحٍ وعَفْوٍ ما تعوذُ مُذْنِبُ
فكتبت إليها أبو منصور الباخريزي :
لئن أهديت عُتْبالك لي ولاخوتي فمِثْلُكَ يا فضلَ الفضائل يُعْتَبُ
إذا اعتذر الجاني محاً العذرَ ذنبه وكلُّ امرئ لا يقبل العذرَ مُذْنِبُ
[من الطويل]

[عندما يست من إيقاظ المتوكل]

حدثني عليُّ بنُ هارون بن عليِّ بن يحيى المنجم ، قال : حدثني عُمِّي عن جدِّي ، قال : قال لي المتوكل يوماً ، وفضل واقفة بين يديه : يا عليُّ ، كان بيني وبين فضل موعد ، فشرِبتُ شرباً فيه فضل ، فسكِرتُ ونمتُ ، وجاءتني للموعد ، فحسرتُني بكلِّ ما ينتبه به النائم من قرص وتحريك وغمز وكلام ، فلم أنتبه . فلما عَلِمْتُ أَنَّهُ لا حيلة لها في كَتَبَتْ رُقعةً ووضعتها على مَخَدَّتِي ، فانتبهتُ فقرأتها ، فإذا فيها :

قد بدا شَيْهَكَ يا مو لا يَـحْدُو بِالظلامِ
قُمْ بنا نَقْضِ لُبانا تِ التَّزامِ والشَّامِ
قَبْلَ أَنْ تَفْضَحْنَا عَوْ دةُ أرواحِ النَّيامِ

[تهاجي الجواري]

أخبرني محمدُ بن خلف بن المَرْزبان ، قال : حدثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت شاعرة ، وكان أبو شبل عاصم بن

وهب يعاون فضلاً عليها ، ويهجوها مع فضل . وكان القصيديّ والحفصيّ يعينان خنساء على فضل وأبي شبل ، فقال أبو شبل على لسان فضل :

خنساء طيري بِجَنَاحَيْنِ أَصْبَحْتَ مَعْشُوقَةً نَذْلَيْنِ
مَنْ كَانَ يَهْوَى عَاشِقًا وَاحِدًا فَأَنْتِ تَهْوَيْنِ عَشِيقَيْنِ
هذا القصيديّ وهذا الفتى الـ حفصيّ قد زاركِ فَرْدَيْنِ
نَعِمْتَ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَمَا يَنْعَمُ خَنْزِيرٌ بِخُشْنَيْنِ¹
فَقَالَتْ خَنْسَاءُ تَجِييْهَا :

ماذا مَقَالَ لِلْوَإِ يَا فَضْلُ بَلْ مَقَالَ خَنْزِيرَيْنِ فَرْدَيْنِ
يُكْنَى أَبَا الشَّبْلِ وَلَوْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاهُ شَيْلًا رَاثَ كُرَيْنِ²
وَقَالَتْ فَضْلُ فِي خَنْسَاءَ :

إِنَّ خَنْسَاءَ لَا جُعِلْتُ فِدَاهَا اشْتَرَاهَا الْكَسَّارُ مِنْ مَوْلَاهَا
وَلَهَا نَكْهَةٌ يَقُولُ مُحَازِيْبُ هَا أَهَذَا حَدِيثُهَا أَمْ فُسَاهَا
وَقَالَتْ خَنْسَاءُ فِي فَضْلٍ وَأَبِي شَبْلِ :

تَقُولُ لَهُ فَضْلُ إِذَا مَا تَخَوَّفْتُ رُكُوبَ قَبِيحِ الدُّلِّ فِي طَلَبِ الْوَصْلِ
جِرُّ أُمَّ فَتَى لَمْ يَلْقَ فِي الْحُبِّ ذِلَّةً فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ جِرُّ أُمَّ أَبِي الشَّبْلِ
وَقَالَتْ خَنْسَاءُ تَهْجُو أَبَا شَبْلِ :

مَا يَنْقُضِي فِكْرِي وَطُولُ تَعْجُبي مِنْ نَعْجَةٍ تُكْنَى أَبَا الشَّبْلِ
لَعِبَ الْفُحُولُ بِسُفْلِهَا وَعِجَانِهَا فَمَرَدَتْ كَمَرْدِ الْفَحْلِ
لَمَا اكْتَنَيْتَ بِمَا اكْتَنَيْتَ بِهِ وَتَسَمَّيْتَ النِّقْصَانُ بِالْفَضْلِ³
كَادَتْ بِنَا الدُّنْيَا تَمِيدُ ضَحَى وَنَرَى السَّمَاءَ تَذُوبُ كَالْمُهْلِ⁴

قال : فغضب أبو شبل لذلك ، ولم يجبها ، وقال يهجو مولاها هشاماً :
نِعْمَ مَأْوَى الْعُزَابِ بَيْتُ هِشَامِ حِينَ يَرْمِي اللَّثَامَ بَاغِي اللَّثَامِ
مَنْ أَرَادَ السَّرُورَ عِنْدَ حَبِيبٍ لِيُنَالَ السَّرُورَ تَحْتَ الظَّلَامِ

1 حشان : مثني حشّ ، وهو البستان ، ثم كني به عن مكان قضاء الحاجة .

2 كرين : مثني كر ، وهو مكيال كبير .

3 تسمت به : أخذ سمته ، أي أشبهه .

4 المهل : من معانية القطران ، والذائب من الصفر والحديد .

فهشامٌ نهاره ودجى الليل ل سوا نفسي فداء هشام
ذاك حرّ دواته ليس تخلو أبداً مَنْ تخرق الأعلام

[أعجلها طلب الخليفة عن زيارة سعيد بن حميد]

حدثني عمي ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال ¹ : زارت فضل الشاعرة سعيد بن حميد ليلة على موعد سبق بينهما ، فلما حصلت عنده جاءتها جاريتهأ مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها ، فقامت مبادرة فمضت ، فلما كان من غد كتب إليها سعيد :

ضنّ الزمان بها فلما نلتها وردّ الفراق فكان أقبح واد
والدمع ينطق للضمير مصداً قول المقرّ مكذباً للجاحد

[رثاؤها الخليفة]

حدثني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدثني ميسرة بن محمد ، قال : حدثني عبيد بن محمد ، قال : قلت لفضل الشاعرة : ماذا نزل بكم البارحة ؟ ، قال : وذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكل ، فقالت وهي تبكي :

إن الزمان بذخل كان يطلبنا ما كان أغفلنا عنه وأسهانا²
ما لي وللدهر قد أصبحت همته ما لي وللدهر ما للدهر لا كانا

[في يوم نيروز]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني محمد بن الفضل ، قال : حدثني أبو هفان ، قال : حدثني أحمد بن أبي فتن ، قال : خرجت قبيحة³ إلى المتوكل يوم نيروز ويدها كأس بلور بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتك ؟ قالت : هديتي لك في هذا اليوم ، عرفك الله بركته ! فأخذه من يدها ، وإذا على خدّها : جعفر ، مكتوباً بالمسك ، فشرب الكأس وقبل خدّها ، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت :

وكاتبه بالمسك في الخد جعفرا بنفسي سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك سطرأ بخدّها لقد أودعت قلبي من الحزن أسطراً
فيا من منها في السريرة جعفر سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

الغناء لعريب ، خفيف رمل . قال : وأمر عريب فغنت فيه . وقالت فضل في ذلك أيضاً :

[من السريع]

1 تقدم الخير والشعر في ترجمة سعيد بن حميد في الجزء 18 : 116 .

2 ذحل : ثار .

3 قبيحة : زوجة المتوكل .

سُلافةٌ كالقَمَرِ الباهرِ في قَدَحِ كالكوكبِ الزاهرِ
يُدِيرُهَا خَشْفٌ كَبْدَرِ الدَجَى فوق قَضِيبِ أَهِيْفِ ناضِرِ
على فَتَى أَرُوغٍ من هاشمٍ مثل الحسامِ المُرْهَفِ الباتِرِ
وقد رُوِيَتِ الأبياتُ الأوَّلُ لمحَبوبةِ شاعرةِ المتوَكِّلِ ، ولها أخبارٌ وأشعارٌ كثيرةٌ قد ذَكَرْتُ
بعضها في موضعٍ آخرٍ من هذا الكتاب .

[رسالة وجوابها]

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ ، قال : أخبرني أبو الفضل المُرورُودي ، قال : كَتَبْتُ فضل
الشاعرةِ إلى سعيدِ بنِ حَمِيدٍ¹ :

بَثَّتُ هَوَاكَ في بَدَنِي وروحي فَأَلَّفَ فِيهِمَا طَمَعاً يَبَاسِ
فَأَجَابَهَا سعيدٌ في رَقْعَتِهَا :
كفانا اللهُ شَرَّ اليأسِ إني يُبْغِضُ اليأسُ أَبْغِضُ كلَّ آسِي

[ميلها إلى بنان]

حَدَّثَنِي عَمِّي ؛ قال : حَدَّثَنِي ابنُ أَبِي المَدَوَّرِ الورَّاقُ ، قال : كنتُ عندَ سعيدِ بنِ حَمِيدٍ ،
وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرةِ يتشَعَّبُ ، وقد بلغه ميلُها إلى بُنانٍ وهو بين المصدق
والمكذبِ بذلك ، فأقبل على صديقٍ له فقال : أَصْبَحْتُ واللَّهِ من أَمْرِ فضلٍ في غُرُورٍ ، أَخَادَعُ
نَفْسِي بتَكْذِيبِ العِيَانِ ، وَأَمْنِيهَا ما قد حِيلَ دُونَهُ . واللَّهِ إِنَّ إِرْسَالِي إليها بعدما قد لَاحَ من
تَغْيِيرِهَا لَذُلٍّ ، وَإِنَّ عُدُولِي عنها وفي أَمْرِهَا شَبْهَةٌ لَعَجْزٍ ، وَإِنَّ تَصَبُّرِي عنها لَمِنْ دَوَاعِي التَّلَفِّ ،
وَاللَّهِ دَرُّ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

يا لَيْتَ شِعْرِي ما يَكُونُ جَوَابِي
وَتَعَجَّلْتُ نَفْسِي الظُّنُونُ وَأَشْعَرْتُ
وَتَرَوَعْنِي حَرَكَاتُ كُلِّ مُحَرِّكٍ
كَمْ نَحْوَ بابِ الدَّارِ لي مِنْ وَثْبَةٍ
أَمَّا الرُّسُولُ فَقَدْ مَضَى بكَتَابِي
طَمَعَ الحَرِيصُ وَخِيفَةَ المُرْتَابِ
والبَابُ يَقْرَعُهُ وَلَيْسَ بِيَابِي
أَرْجُو الرُّسُولَ بِمَطْمَعِ كَذَّابِ
إِنْ كَانَ ما أَخْشَاهُ رَدُّ جَوَابِي
وَالْوَيْلُ لي مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ

[غضب بنان عليها ولم يقبل اعتذارها]

حَدَّثَنِي جِحْظَةُ ، قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى المَنْجَمُ ، قال : غَضِبَ بُنانٌ على فضل الشاعرةِ في
أَمْرٍ أَتَكَرَّهُ عَلَيْهَا ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مَعْذَرَتَهَا ، فَأَنْشَدْتَنِي لِنَفْسِهَا في ذَلِكَ : [من السريع]

يا فضلُ صبراً إنها مَيِّتَةٌ يَجْرَعُهَا الكاذِبُ والصادقُ
ظنُّ بُنَانٍ أَنِّي خُتْمُهُ رُوحِي إِذَا مِن بَدَنِي طالقُ

[تجيز بيتاً لعلّي بن الجهم]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان ؛ قال : حدّثني أبو العباس المَرْوَزِيّ ، قال : قال المتوكّل لعلّي بن الجهم : قُلْ بَيْتاً ، وطالب فضل الشاعرة بأن تُجيزه ، فقال عليّ : أُجيزي يا فضل¹ :

لاذّ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا
قال : فأطرقت هنيهة ثم قالت .

فلم يزل ضارِعاً إليها تَهْطِلُ أَجْفَانُهُ رَذاذا
فعاتبوه فزاد عِشْقاً فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكّل ، وقال أحسنت وحياتي يا فضل ، وأمر لها بمائتي دينار ، وأمر عريبَ فغنت في الأبيات .

قال مؤلّف هذا الكتاب : أعرف في هذه الأبيات هزجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره ؟ ولم أره في أغاني عريب ، ولعله شدّ عنها .

صوت

[من مجزوء الوافر]

أمامة لا أراك اللـ هـ ذلّ معيشة أبدا
ألا تستصلحين فتى وقاك السوء قد فسدا
غلام كان أهلك مرّ ة يدعونه ولدا

الشعر لعبد الله بن محمد بن سالم الخياط ، والغناء للرّطّاب الجدي ، ثاني ثقبيل بالوُسْطى عن عمرو ، وفيه ليحيى المكيّ ثاني ثقبيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وأحمد بن المكيّ .

وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنّها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة ، وسألته عن صانعه فأخبرها أنّه له .

[411] - نسب ابن الخياط وأخباره

هو عبدُ الله بن محمد بن سالم بن يونس بن سالم . ذكر الزُّبير بن بَكَّار أنَّه مولَى لقريش ، وذكر غيره أنَّه مولَى لهذيل .

وهو شاعرٌ ظريفٌ ، ماجنٌ خليعٌ ، هجاءٌ خبيثٌ ، مخضرمٌ من شعراء الدولة الأموية والعباسية . وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير بن العوام مداحاً لهم ، وقدم على المهديّ مع عبدِ الله بن مصعب فأوصله إليه ، وتوصّل له إلى أن سَمِعَ شعره وأحسن صلته .

[المهديّ يجيزه ثم يضعف له الجائزة]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : حدّثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياطُ قال : دخل أبي على المهديّ فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال يمدحه :

أُخِذْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْغَى الْغِنَى وَلَمْ أُدِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَلا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُوو الْغِنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

قال : فبلغ المهديّ خبره ، فأضعف جائزته ، وأمر بحملها إليه إلى منزله .

قال الزُّبير بن بَكَّار : سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة .

[معدود في الهجائين]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة ، قال : حدّثني مصعب بن عبد الله قال : سمعتُ أبي يقول : لم يبرح هذه الثنية قطُّ أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم . قلت : مثلُ مَنْ ؟ قال : الحزِينُ الكِنَانِيّ ، والحَكَمُ بنُ عِكْرمة الدَّوْلِيّ ، وعبدُ الله بن يونس الخياطُ ، وابنه يونس ، وأبو الشدائد .

[ابنه يعق]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال : حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : كان يونس بن الخياط عاقاً لأبيه ، فقال أبوه فيه :

[من المنسرح]

يونسُ قلبي عليك يلتَهفُ والعين عبرى دموعها تكِفُ
تُلَحِّفني كسوة العقوق فلا برحتَ منها ما عشتَ تلتحفُ
أمرتُ بالخفض للجنّاح وبالر فقي فأمسى يعوقك الأنفُ

ويلك والله من زبانية إن سُلطوا في عذابهم عَفُوا
فأجابه ابنه يونس ، فقال :
[من المنسرح]

أصبح شيخِي يُزري به الخَرْفُ ما إن له حرمة ولا نَصَفُ
صِفَاتنا في العقوقِ واحدة ما خَلَّتْنا في العقوقِ نختَلِفُ
لَحَفَتَه سالفاً أباك فقد أصبحتُ مني كذاك تلتحفُ
[يهجو وضيعاً بنى داراً]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدثني طلحة بن عبد الله قال : حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : مرَّ ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضعة وخساسة الحال ، وقد شيد بابها وطرح¹ بناءها ، فقال :
[من الطويل]

أطله فما طول البناء بنافعٍ إذا كان فرغُ الوالدين قصيراً
[بينه وبين موسى بن طلحة]

أخبرني وكيعٌ قال : أخبرني إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال : أخبرني العامريُّ قال : هجا ابنُ الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيمي ، فقال :
[من الخفيف]

عجب الناسُ للعجيب المحالِ حاض موسى بنُ طلحة بن بلالِ
زعموه يحيضُ في كلِّ شهرٍ ويرى صُفرة لكلِّ هلالِ
قال : فلقية موسى ، فقال : يا هذا ، وأي شيء عليك ؟ نعم حضتُ ، وحملتُ ، وولدتُ وأرضعتُ . فقال له ابنُ الخياط : أنشدك الله ألاَّ يسمعَ هذا منك أحدٌ فيجترىء على شعري الناسُ ، فلا يكون شيئاً ، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا ، فتكافأ .
[رأي القاضي في عتق جارية]

أخبرني الحرزميُّ قال : حدثني الزبير قال : حدثني مصعب بن عثمان قال : ما رأيتُ بريقَ صلح الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم ربح القتييلة جارية إبراهيم بن أبي قتيلة ، وكان يعشقها ، وبيعت في دين عليه ، فبلغت خمسمائة دينار . فقال المغيرة بن عبد الله لابن أبي قتيلة : ويحك ! اعتقها فتقوم عليك ، فتزوجها ، ففعل . فرفع ذلك إلى أبي عمران وهو القاضي يومئذٍ فقال : أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة . أمّا نحن في الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار ، فاذهبوا فقوموها ، فإن بلغت القيمة أكثر من هذا الزمانه ، وإلاَّ فخذوا منه خمسمائة دينار . فاستحسن هذا الرأي ، وليس عليه الناس قبلاً ، فقال ابنُ الخياط

يذكر ذلك من أمر ابن أبي قتيبة وما كان من أمر جاريته : [من السريع]

يا معشر العشاق من لم يكن مثل القتيلى فلا يعشقى
لما رأى السوأم قد أهدقوا وصيح في المغرب والمشرق
 واجتمع الناس على ذرة نظيرها في الخلق لم يخلق
 وأبدت الأموال أعناقها وطاحت العسرة للمملىق
 قلب فيه الرأي في نفسه يدير ما يأتي وما يتقي
 أعتقها والنفس في شدقها للمعتق المن على المعتق
 وقال للحاكم في أمرها إن افترقنا فمتى نلتقى ؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال : قال الزبير بن بكار ، وذكر مثل ما ذكره الحرمي ، وزاد فيه : فكان فيهم ، يعني فيمن حضر ، لابتياعها موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن زيد بن علي ، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر ، وغيرهم . قال : فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها . وقال في خبره : ابن أبي قتيبة بالتاء . [يسأل سائل عنه ابنه يونس]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال : كنت ذات عشية في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في أيام الحاج ، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطعات خز ، وإذا معه جماعة . فوقف إلى جنبي فصلني ركعتين ، ثم أقبل علي ، وكان ذلك من أسباب الرزق ، فقال : يا فتى ، أتعرف عبد الله بن سالم الخياط ؟ فقلت : نعم . فلما صلينا قال : امض بنا إليه ، فمضيت به ، فاستخرجت له أبي من منزله ؛ فقال الرجل : بلغني أنك قلت شعراً في أمر العصية ؛ فقال له أبي : ومن أنت بأبي أنت وأممي ؟ فقال : أنا خزيم بن أبي الهيثم ، فقال له أبي : نعم قد قلته ، وأنشده : [من الخفيف]

اسقياني من صيرف هذي المدام ودعاني وأقصرا من ملامي
واشربا حيث شئتما إن قيساً قد علا عزها فروع الأنام
ليس والله بالشام يمان فيه روح ولا بغير الشام
يظعم النوم حين تكتحل الأعْد سين بالنوم عند وقت المنام
حذرا من سيوف ضيرغامية عا دي على الهول باسلي مقدم
من بني مرة الأطايب يكنى عند دسر الرماح بالهيثم¹

[ابنه ينافسه]

قال : فأُشْرِعَ الفتى يده إليه بشيءٍ وجزاه خيراً . قال يونس : فبادرتُ فأخذتُ بيدَ المُرِّي وقلتُ له : لا تَعَجَلْ فَإِنِّي قد قلتُ شعراً أُجود¹ من شعره . قال أبي : ويلك يا يونس يا عاضٌ بَظَرُ أمه ! تحرمني ؟ فقلتُ : دع هذا عنك ، فوالله لا تجوع امرأتِي وتشبع امرأتك . فقلتُ ليونس : ومَنْ كانت امرأةُ أبيك يومئذٍ ؟ فقال : أمِّي ، وجمعتُ والله عقوقهما معاً . فقال لي المُرِّي أنشدُ فأنشدته :

اسقياني يا صاحبي اسقياني	ودعاني من الملام دعاني
اسقياني هديتما من كُمتٍ	بنتِ عَشْرِ مَشْمُولَةٍ اسقياني
فُضَّ عنها خِتَامُهَا إِذْ سَبَاها	واضحُ الخَدِّ من بني عدنانِ
تَحَايَا بالكأسِ أَرْبَعَةً فِي الدِّ	وَرِ هَذَانِ نَاعِمَانِ وَذَانِ
ذَا لِهَذَا رِيحَانَةٌ مِثْلُ هَذَا	كَ لِهَذَا مِنْ طَيِّبِ الرِّيحَانِ
فَنَهَضْنَا لِمَوْعِدٍ كَانَ مَنَّا	إِذْ سَمِعْنَا تَجَاوِبَ الْبُكْمَانِ
فَنِعِمْنَا حَوْلَيْنِ بَهْرًا وَعَشْنَا	بَيْنَ دُفٍّ وَمَسِيعِ وَدِنَانِ
ثُمَّ هِجْنَا لِلْحَرْبِ إِذْ شَبَّتِ الْحَر	بُ فَفَزْنَا فِيهَا بِسَبْقِ الرَّهَانِ
إِنْ قِيسًا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَغَرْبٍ	خَارَجَ سَهْمُهَا عَلَى السُّهْمَانِ
مَنْعَ اللَّهِ ضَيْمَنَا بِأَبِي الْهِبِ	لِذَامِ حِلْفِ السَّمَاكِ وَالْإِحْسَانِ
وَالْيَمَانُونَ يَفْخَرُونَ أَمَّا يَدُ	رُونَ أَنَّ النَّبِيَّ غَيْرُ يَمَانِ

قال : فقال الفتى لأبي : قد وجب علينا من حقِّه مثلُ ما وجب علينا من حقِّك يا شيخ ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي ، وقسم الدنانير بيننا ، وكانت خمسين ديناراً .
[عقُ أباه فمقه ابنه]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدثنا محمدُ بنُ موسى بن حماد قال : حدثني الزبير قال : مرَّ رجلٌ بيونس بن عبد الله بن الخياط ، وهو يعصر حَلْقَ أبيه وكان عاقاً به ، فقال له : ويلك أَتُفْعَلُ هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعْزِيهِ ويسكِّنُ منه . فقال له الأب : يا أخي لا تُلِّمه ، واعلم أَنَّهُ ابني حقاً . والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه . فانصرف عنه الرجل وهو يضحك .

[محمد بن سعيد يستجيب لشكوى يونس]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن عمّه عيسى قال : شكّا عبد الله بن يونس الخياط إلى محمد بن سعيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حاله وضيقاً قد ناله ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر ، فقال يمدحه : [من السريع]

يا ابن سعيد يا عقيّد الندى	يا بارع الفضل على المفضل
حللت في الذروة من هاشم	وفي يفاع من بني نوفل
فطاب في الفرعين هذا وذا	ما اعتم من منصيك الأطول
قد قلت للدهر وقد نالني	بالتاب والمخلب والكلكل
قد عذت من ضرك مستعصماً	بهاشمي ماجد نوفلي
فقال لي أهلاً وسهلاً معاً	فرت ولم يمنع ولم يخل ¹
الدهر شقان فشق له	لين وشق خشين المنزل
وأخشن الشقين عني نفى	وشقه الأثنين ما عاش لي
فقل لهذا الدهر ما عاش لا	تبق لا ترع ولا تأتلي

[يونس يستعفي من الصلاة]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : أخذ أبي ، لما ولي الحجاز ، عبد الله بن يونس الخياط بأن يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ ، فجاءني هو ومحمد بن الضحّاك وجعفر بن الحسين اللّهيّ ، فوقف بين يدي ، ثم أنشدني :

قل للأمير يا كريم الجنس
يا خير من بالغور أو بالجلس²
وعدتني لولدي ونفسي
شغلتنني بالصلوات الخمس
فقلت له : ويلك ! أتريد أن أستعفيّ لك من الصلّة ؟ والله ما يعفيك ، وإن ذلك ليعثه على اللّجاج في أمرك ، ثم يضرّك عنده . فمضى وقال : نصبر إذن حتى يفرج الله تعالى .

[صديق يهبه القميص سكراناً ويسترده صاحياً]

أخبرني محمد بن أحمد قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا يونس بن الخياط قال : كان لأبي صديق ، وكان يدعو له يشرب معه ، فإذا سكر خلع عليه قميصه ، فإذا صبحا من غد بعث إليه

1 فرت في ل : شمت .

2 المجلس : بلاد نجد ، وأصله الأرض الغليظة .

فأخذه منه فقال أبي فيه : [من الطويل]

كساني قميصاً مرتين إذا انتشى وينزعُه مني إذا كان صاحياً
فلي فرحة في سكره بقميصه وروعاه في الصحو حصت شواثياً¹
فيا ليت حظي من سروري وروعتي تكون كفافاً لا علي ولا ليا

[مقابلة بالمثل]

أخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقني قال : قال يونس بن عبد الله الخياط لأبيه ، وكان عاقاً به : [من مجزوء الرجز]

ما زال بي ما زال بي طعن أبي في النسب
حتى ترئبت وحتي سى ساء ظني بأبي

قال : ونشأ ليونس ابن يقال له : دحيم ، فكان أعق الناس به ، فقال يونس فيه : [من المنسرح]

جلا دحيم عماية الرب والشك مني والطعن في نسبي
ما زال بي الظن والتشكك حت سى عقتي مثل ما عقت أبي

[نسب يونس]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني يونس بن الخياط قال : أنشدت سعيد بن عمرو الزبيري :

لو فاح ريح حبيبة من جبهها فاحت رياح حبيتي من ريحي

قال : فقال لي سعيد بن عمرو : والله إنني لأقول النسب ، فلا أقدر على مثل هذا . فقلت له : ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان ؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك . [يؤثر ابنه على نفسه]

أخبرني الحرمي قال : حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن الخياط قال : لما أعطى المهدي المغيرة بن حبيب ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله بن سالم ، وقال له :

ألف تدور على يد لممدح ما سوق مادحه لديه بكاسد
الظن مني لو فرضت لواحد في الأعجمين خصصتني بالواحد

قال : فقال له المغيرة : أيهما أحب إليك : أفرض لك أم لابنك يونس ؟ فقال له : أنا شيخ

كبير ، هامة اليوم أو غدي¹ ، افرض لابني يونس ، ففرض لي في خمسين ديناراً ، فلمّا خرجت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكّار بن عبد الله قال لي خليفته وخليفة أيوب بن أبي سمير ، وهما يعرضان أهل ديوان العطاء ، : أنت من هذيل وراك قد صيرت من آل الزبير فنردك إلى فرائض هذيل خمسة عشر ديناراً . فقال لهما بكّار : إنّما جعلتما لتتبعا ولا تبدعا ، أمضياه ، فأعطاني مائة وخمسين ديناراً .

[هجاه ابنه للقاضي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقني قال : حدثنا ابن أبي قباحة الزهري قال : لما عزل ابن عمران ، وهو عبد الله بن محمد بن عمران التيمي ، عن القضاء ، واستعمل هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي ، جزع ابن عمران من ذلك ، فقال بعض أصحابه ليونس بن عبد الله الخياط : اهج هشاماً بما يغض منه ، فقال :

كم تغنى لي هشام	ذلك الجلف الطويل
بعد وهن وهو في المج	لس سكران يميل
هل إلى نار بسلع	آخِر الدهر سبيل ²
قلت للندمان لما	دارت الراح الشمول
بأبي مال هشام	فكما مال فميلوا

قال : وشهرها في الناس ، وبلغ ذلك هشاماً فقال : لعنه الله ؛ إن كان لكاذباً . فقال ابن أبي قباحة : فقلت لابن الخياط : كذبت ، أما والله إنه لأمر من ذلك .

[ابنه يطن في نسيه أمام الحضور]

أخبرنا وكيع قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : قال يونس بن عبد الله بن الخياط : جئت يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له ؛ فوقفت عليهم لأغيظه ، وقلت : ألا أنشدكم شعراً بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم :

يا سائلي من أنا أو من أناسه	أنا الذي ما له أصل ولا نسب
الكلب يختال فخرأ حين يبصرني	والكلب أكرم مني حين يتسب

1 المثل «هامة اليوم أو غدي» في مجمع الميادني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .

2 سلع : جبل بالمدينة ، وآخر في هذيل . الدهر في ل : الليل .

لو قال لي النَّاسُ طُرّاً أَنْتَ الْأَمْنَا مَا وَهَمَ النَّاسُ فِي ذَاكَمُ وَلَا كَذَبُوا
قال : فوثب إليّ ليضربني ، وعدوتُ من بين يديه ، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون .
[جلد ابنه في الشراب فهجا القاضي]

أخبرني وكيعٌ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود : أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ جلد
يونسَ بنَ عبد الله بن سالم الخياطَ حدّاً في الشراب . قال : ووَلِي ابن سعيد القضاء
بالمدينة ، فقال يونسُ فيه :

بَكْتَنِي النَّاسُ لَأَنَّ	جُلِدْتُ وَسَطَ الرِّحْبَةِ
وَأَنْتَنِي أَزْنِي وَقَدْ	غَنَيْتُ فِي الْمُحْتَسِبَةِ
أَعْرِفَ فِيهِمْ بَعْصَا	مَالِكِ الْمُقْتَضِبَةِ
فَقُلْتَ لَمَّا أَكْثَرُوا	عَلَيَّ فِيمَ الْجَلْبَةِ
ذَا ابْنِ سَعِيدٍ قَدْ قَضَى	وَحَالَنَا مَقْتَرِبَةَ
لَا بَلَّ لَهُ التَّفْضِيلُ فَيَـ	حَا لَمْ أَتَلِ وَالْغَلْبَةَ
بِحُسْنِ صَوْتٍ مُطْرَبٍ	وَزَوْجَةِ مَغْتَصِبَةِ

[يستزيد الزبير بن بكار]

أخبرني الحرزميُّ ابنُ أبي العلاء ووكيعٌ ، قال الحرزميُّ قال الزبير ، وقال وكيعٌ قال الزبير بنُ
بكار : أرسل إليّ ابن الخياط يقول : إني عليلٌ¹ منذ كذا وكذا ، ومنزلي على طريقك إذا
صدرت إلى الثانية² ، وأنا أحبُّ أن أُجدد بك عهداً . قال : فجعلته على طريقي ، فوجدته على
فُرْشٍ مُضْرَبَةٍ³ ، وحوله وسائد ، وهو مسجى . فكشف ابنه الثوب عن وجهه ، وقال له :
فديتك ، هذا أبو عبد الله . فقال له : أجلسني ، فأجلسه وأسندته إلى صدره . فجعل يقول
بنفسٍ منقطع : بأبي أنت وأُمِّي ! أموتُ منذُ بضعِ عشرةِ ليلةٍ ما دخل عليّ قُرْشيٌّ غيرك وغير
الزبير بن هِشام وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن عبد الله البكري ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبَّ
قريشاً كحبي . قال الزبير : وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال : لو كنت شاباً لفعلت
بأُمِّه كذا وكذا ، لا يكني ، ثم قال :

والله لو عادت بني مُصْعَبٍ حَلَيْلَتِي قَلْتُ لَهَا : يَبْنِي

1 ل : أموت .

2 ل : البنية .

3 مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .

أَوْ وَلَدِي عَنْ حَبِّهِمْ قَصَرُوا ضَغَطَتْهُمْ بِالرَّغْمِ وَالْهُونِ
أَوْ نَظَرَتْ عَيْنِي خِلَافاً لَهُمْ فَقَاتَهَا عَمداً بِسَكِينِ

ثم أقبل على ابنه ، فقال : يا بني أقول لك في أبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن زيد¹ :

وَاللَّهِ جَارُ عُنْيٍ دَعْوَةٌ شَفَقَا مِنَ الزَّمَانِ وَشَرُّ الْأَقْرَبِ الْوَالِي
مَنْ كُلُّ أَحَدٍ عَنْهُ لَا يُقَرِّبُهُ وَسُطَّ النُّجَى وَلَا فِي الْمَجْلِسِ الْخَالِي²

[وفاته]

قال الزبير : حدثني محمد بن عبد الله البكري : أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه ، قال : فقال لي : يا أبا عبد الله ، أنا أجود بنفسي منذ كذا وكذا ولا تخرج ، ما هكذا كانت نفس عبيد ولا لبيد ولا الحطيئة ، ما هي إلا نفس كلب ؛ قال : فخرجت فما أبعدت حتى سمعت الواعية³ عليه .

صوت

[من مجزوء الرمل]

بَأَبِي مَا لَكَ عَنِّي مَائِلَ الطَّرْفِ كَلِيلًا !
وَأَرَى بِرِّكَ نَزْرًا وَتَحْفِيكَ قَلِيلًا
وَتُسْمِينِي عَدُوًّا وَأُسْمِيكَ خَلِيلًا
أَتَعْلَمْتُ سُلُوءًا أَمْ تَبَدَّلْتَ بَدِيلًا ؟
أَحْمَدُ اللَّهَ فَمَا أَغْد نِي الرَّجَا فَيْكَ فَتِيلًا

الشعر لعلي بن جبلة ، والغناء لزرزور غلام المارقي ، خفيف رمل بالنصر من راويتي الهشامي وعبد الله بن موسى . وفيه لعريب هزج ، وفيه ثقل أول من جيد الغناء . ينسب إليها وإلى علويه ، وهو بغنائها أشبه منه بغناء علويه .

1 ديوان ابن هرمة : 198 عن الأغاني .

2 النجى : المتناجون .

3 الواعية : الصراخ على الميت .

[412] - أخبار علي بن جبلة¹

هو علي بن جبلة بن عبد الله الأبنائي² ، ويكنى أبا الحسن ، ويلقب بالعكوك ، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، وبها نشأ ، وولد بالحرية³ من الجانب الغربي . وكان ضريراً ، فذكر عطاء الملقط أنه كان أكمه ، وهو الذي يولد ضريراً ، وزعم أهله أنه عمي بعد أن نشأ . [قصر شعره على أبي دلف وحيد الطوسي]

وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف . واستنفد شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر ، وجاوز الحد في ذلك . فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسئل لسانه من قفاه ؛ ويقال : بل هرب ، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه ؛ وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ . [اختلافه إلى مجالس الأدب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال : حدثني الحسين بن عبد الله بن جبلة بن علي بن جبلة قال : كان لجدي أولاد ، وكان علي أصغرهم ، وكان الشيخ يرق عليه ، فجبر فذهبت إحدى عينيه في الجدي ، ثم نشأ فأسلم في الكتاب ، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان ، فحُمِلَ على دابةٍ ونُثِرَ عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ؛ فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فإن أعتموني على هذا الصبي ، وإلا صرفت بعض أرزاقكم إليه . فقلنا : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجالس الأدب . قال : فكنا نأتي به مجالس العلم ونتشغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أتى عليه الحول حتى برع ، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله : أوسعوا للبنوي وكان ذكياً مطبوعاً ؛ فقال الشعر . [أنهم باتحال قصيدته في أبي دلف فنجح في الاختبار]

وبلغه أن الناس يقصدون أبا دلف لجوده وما كان يُعطي الشعراء ، فقصده ، وكان يسمى

1 ترجمة علي بن جبلة (العكوك) في الشعر والشعراء : 742-746 وطبقات ابن المعتز : 171-185 ومعجم الأدباء (عباس) : 2791 وابن خلكان 3 : 350-354 والسمط : 330-332 وتاريخ بغداد 11 : 359 وشذرات الذهب 2 : 30 ومراة الجنان 2 : 53 والورقة : 106 ونكت الهميان : 209 ، وانظر بروكلمان 2 : 37 وأعلام الزركلي ومواقع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . حسين عطوان (دار المعارف بمصر) .

2 ل : الأنباري .

3 الحرية : محلة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ، أحد قواد المنصور .

العَكَّوكُ ، فامتدحه بقصيدته التي أولها¹ :
 ذاد ورَدَ الغيِّ عن صدره وارعوى واللَّهُو من وَطَرِه
 يقول فيها في مدحه :

يا دواء الأرض إن فسدت ومُدِيلَ اليُسْرِ من عُسْرِه
 كلَّ مَنْ في الأرض من عَرَب بين باديهِ إلى خَضْرِه²
 مستعير منك مكرمة يكتسيها يومَ مُفْتَحَرِه
 إنما الدنيا أبو دَلَف بين مَبْداهِ ومُخْتَضَرِه³
 فإذا وَلَّى أبو دَلَفٍ وَلَّتْ الدنيا على أثرِه

فلما وصل إلى أبي دَلَف ، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ، استرابوه بها ، فقال له قائده : إنهم قد اتهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنة تزيلُ هذا ، قال : صدقت ، فامتحنوه . فقالوا له : صِف فرسَ الأمير ، وقد أجَلناكَ ثلاثاً ، قال : فاجعلوا معي رجلاً تتقون به يكتب ما أقول . فجعلوا معه رجلاً ، فقال هذه القصيدة في ليلته ، وهي⁴ :

رِيعت لمنشور على مَفْرِقِه ذمَّ لها عهد الصَّبَا حين انتسب
 أهدابُ شَيْبٍ جُدَّدَ في رأسه مكروهةُ الجِدَّةِ أنضاء العُقَبِ⁵
 أشرقَنَ في أسودَ أزرنِ به كان دُحاه لهُوى البِيضِ سببُ
 واعتقنَ أَيَّامَ الغواني والصَّبَا عن مِيتٍ مطلبُه حيُّ الأدبِ
 لم يزدجر مُرَعَوِيًّا حين ارعوى لكن يدَّ لم تتصلَّ بمطلبِ
 لم أرَ كالشَيْبِ وقاراً يُجْتَوَى وكالشَّبَابِ الغَضُّ ظِلًّا يُسْتَلَبُ
 فإزلْ لم يُتَهَجَّ بِقُرْبِه وذاهبُ أبقي جَوَى حين ذهبُ
 كان الشَّبَابُ لِمَّةَ أزهى بها وصاحباً حرّاً عزيز المصطَحَبُ
 إذ أنا أُجري سادراً في غيه لا أُعْتَبُ الدَّهْرُ إذا الدَّهْرُ عَتَبُ

1 شعره : 65-70 .

2 عرب في ل : ملك .

3 للبيت روايات مختلفة سترد في هذه الترجمة .

4 شعره : 32-36 .

5 العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

أُبْعِدُ شَأْوَ اللّهُوَ فِي إِجْرَائِهِ
وَأَذْعُرُ الرُّبْرَبَ عَنْ أَطْفَالِهِ
تَحْسِبُهُ مِنْ مَرَحِ الْعَزْ بِهِ
مُرْتَهَجٍ يَرْتَجُّ مِنْ أَقْطَارِهِ
تَحْسِبُهُ أَقْعَدُ فِي اسْتِقْبَالِهِ
وَهُوَ عَلَى إِرْهَاقِهِ وَطِيَّهِ
تَقُولُ فِيهِ حَنْبٌ إِذَا انْثَنَى
يَخْطُو عَلَى عُوجٍ تَنَاهَبِنِ الثَّرَى
تَحْسِبُهَا نَاتِمَةٌ إِذَا خَطَّتْ
شَتَا وَقَاطَ بُرْهَتِيهِ عِنْدَنَا
يَصَانُ عَصْرِي حَرُّهُ وَقَرُّهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّتْ لَهُ أَعْضَاؤُهُ
رُمْنَا بِهِ الصَّيْدَ فِرَادَيْنَا بِهِ
مَحْتَمِدِ الْجَرِي يَبَارِي ظِلَّهُ
إِذَا تَظَنَّنَا بِهِ صَدَّقْنَا
لَا يَلْغُ الْجَهْدَ بِهِ رَاكِبُهُ
ثُمَّ انْقَضَى ذَاكَ كَأَن لَمْ يَعْنِهِ

وَأَقْصِدُ الْخَوْدَ وَرَاءَ الْمُحْتَجَبِ
بَأَعُوجِي دُلْفِي الْمُنْتَسَبِ¹
مُسْتَنْفَرًا بِرُوعَةٍ أَوْ مَلْتَهَبِ
كَأَلْمَاءِ جَالَتْ فِيهِ رِيحٌ فَاضْطَرَبِ²
حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلَتْ أَكْبُ³
يَقْصُرُ عَنْهُ الْمِحْزَمَانِ وَاللَّبِّ⁴
وَهُوَ كَمَتْنِ الْقِدْحِ مَا فِيهِ حَنْبِ⁵
لَمْ يَتَوَاطَلْ عَنْ شَظْيٍ وَلَا عَصَبِ⁶
كَأَنَّهَا وَاطِئَةٌ عَلَى الرُّكْبِ
لَمْ يُوْتْ مِنْ بَرٍّ بِهِ وَلَا حَدَبِ
وَتُقْصَرُ الْخُورُ عَلَيْهِ بِالْحَلْبِ⁷
لَمْ تَنْجِسْ وَاحِدَةً عَلَى عَتَبِ⁸
أَوَابِدَ الْوَحْشِ فَأُجْدَى وَاكْتَسَبِ⁹
وَيُعْرِقُ الْأَحْقَبَ فِي شَوَاطِرِ الْخَبِ¹⁰
وَإِنْ تَظَنِّي فَوْتَهُ الْعَيْرُ كَذِبِ
وَيَلْغُ الرِّيْحُ بِهِ حَيْثُ طَلَبِ
وَكُلُّ بُقْيَا فَإِلَى يَوْمٍ عَطَبِ

1 الأعوجي : فرس من سلالة أعوج .

2 مرتهج في ل : مطرد .

3 أقعد : ما يكون في وظيفة استرخاء .

4 المحرم : الحزام . واللب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع انزلاق الرجل .

5 الحنب : احديداب في صلب الفرس .

6 الشظي : انشقاق العصب .

7 الخور : الخيرة من الإبل .

8 العتب : الظلع أو الأمر الكريه .

9 راديننا : داورنا .

10 الأحقب : حمار الوحش . والخب : نوع من العدو .

وَحَلَفَ الدَّهْرُ عَلَى أُنْبَاءِهِ
فَحَمَلَ الدَّهْرُ ابْنَ عَيْسَى قَاسِمًا
كِرُونِي السَّيْفِ انْبِلَاجًا بِالنَّدَى
مَا وَسِيتُ عَيْنٌ رَأَتْ طَلْعَتَهُ
لَوْلَا ابْنُ عَيْسَى الْقَرْمُ كُنَّا هَمَلًا
وَلَمْ يَقُمْ فِي يَوْمِ بَأْسٍ وَنَدَى
تَكَادُ تَبْدِي الْأَرْضُ مَا تَضْمُرُهُ
وَيَسْتَهْلُ أَمَلًا وَخِيفَةً
وَهُوَ وَإِنْ كَانَ ابْنُ فَرْعَى وَائِلٍ
وَيُعْلَاهُ وَعُلاَ آبَائِهِ
يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيَا بَابَ النَّدَى
لَوْلَاكَ مَا كَانَ سَدَى وَلَا نَدَى
خَذَهَا إِلَيْكَ مِنْ مَلِيءٍ بِالنَّشَا
فَأَثَرِي فِي الْأَرْضِ أَوْ اسْتَفْزَزَ بِهَا
بِالْقَدَحِ فِيهِمْ وَارْتَجَاعِ مَا وَهَبٌ¹
يَنْهَضُ بِهِ أَبْلَجُ فَرَّاجُ الْكَرْبِ
وَكِفَرَارِيهِ عَلَى أَهْلِ الرِّيبِ
فَاسْتَيْقَظَتْ بَنُوهُ مِنَ النَّوْبِ
لَمْ يُوَثِّلْ مُجْدٍ وَلَمْ يُرْعَ حَسْبُ
وَلَا تَلَاقَى سَبَبٌ إِلَى سَبَبٍ
إِذَا تَدَاعَتْ خَيْلُهُ هَلَا وَهَبٌ²
جَانِبُهَا إِذَا اسْتَهْلُ أَوْ قَطَبُ
فِيْمَسَاعِيهِ يُوَافِي فِي الْحَسْبِ³
تُحَوِي غَدَاةَ السَّبْقِ أخطَارُ الْقَصَبِ
وَيَا مُجِيرَ الرُّعْبِ مِنْ يَوْمِ الرُّهْبِ
وَلَا قَرِيْشَ عُرِفَتْ وَلَا الْعَرَبُ⁴
لَكِنَّهُ غَيْرُ مَلِيءٍ بِالنَّشَبِ
أَنْتَ عَلَيْهَا الرَّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنْبُ

قال : فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسناها من حضر ، وقالوا : نشهد أن قائل هذه قائل تلك ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم . وقد قيل : إن أبا ذؤلف أعطاه مائة ألف درهم ، ولكن أراها في دفعات ؛ لأنه قصده مرارا كثيرة ، ومدحه بعدة قصائد .

[المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي ذؤلف]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : حدثني أحمد بن أبي فتن قال : قال عبد الله بن مالك : قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حضر ممن يحفظ⁵ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولكنها مكتوبة

1 أنبائه في ل : على أحبابه . والقَدَح : الإصاغة منهم .

2 هلا وهب : لفظان لزجر الخيل .

3 ل : تراقي في الحسب .

4 السدى : المعروف .

5 ل : يروي .

عندي . قال : قم فجتني بها ، فمضى وأتاه بها ، فأنشده إياها وهي¹ :

[من المديد]

زاد وِرْد الغيِّ عن صدرِة	وارعوى واللَّهُو من وَطِرِة
وَأَبَتْ إِلَّا الْبِكَاءَ لَهُ	ضحكات الشيب في شعِرِة
نَدَمِي أَنَّ الشَّبَابَ مَضَى	لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِة
وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ سَلَمًا	لَمْ أَجِدْ حَوْلًا عَلَى غَيْرِة
حَسَرْتُ عَنِّي بِشَاشَتُهُ	وذوى المحمود من ثمرِة
وَدَمٍ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشَاءِ	لَمْ يُرِدْ عَقْلًا عَلَى هَدَرِة ²
فَأَتَتْ دُونَ الصَّبَا هَنَةً	قَلْبَتْ فُوقِي عَلَى وَتِرِة ³
جَارَتَا لَيْسَ الشَّبَابُ لَمَنْ	رَاحَ مُحْنِيًّا عَلَى كِبَرِة
ذَهَبَتْ أَشْيَاءُ كُنْتُ لَهَا	صَارَهَا جِلْمِي إِلَى صَوْرِة ⁴
دَغٌ جَدَا قَحْطَانٌ أَوْ مُضِرٌّ	فِي يَمَانِيهِ وَفِي مَضِرِة
وَامْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا	عَصَرَ الْآفَاقَ فِي عَصَرِة ⁵
الْمَنَاسِيَا فِي مَقَانِيهِ	وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجَرِة
مَلِكٌ تَنَدَّى أَنَامِلُهُ	كَاتِبِلَاجِ النَّوَى مِنْ مَطَرِة
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ	كَابْتَسَامِ الرُّوَضِ عَنْ زَهَرِة
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ	أَمِنَتْ عَدْنَانِ فِي ثَغْرِة
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ	بَيْنَ مَبَادِيهِ وَمَحْضَرِة
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ	وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِة
لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ	غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي خَفَرِة
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ	وَمُدِيلَ الْيُسْرِ مِنْ عَسَرِة
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ	بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِة

1 في القصيدة هنا حذف واختلاف . قارن بمجموع شعره في الديوان وطبقات ابن المعتز .

2 عقل : دية .

3 الفوق : موضع الوتر من السهم .

4 صار الشيء : أماله .

5 العصر : الملجأ والحمى .

مستعيرُ منك مكرمةً يكتسيها يومَ مفتخره
يقول فيها :

وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ	كَصِيَا حِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ ¹
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مَكْتَمِينَ	فِي مَذَاكِهَ وَمَشْتَجَرِهِ ²
فَرَمَتْ جِيلَوِيَه مِنْ يَدِ	طَوْتُ الْمَنْشُورُ مِنْ نَظَرِهِ ³
زَرَّتْهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ	تَحْمِلُ الْبُؤْسَى عَلَى عَقَرِهِ ⁴
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَتِهَا	كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ
وَعَلَى النُّعْمَانِ عُجَّتْ بِهِ	عَوْجَةً ذَادَتْهُ عَنْ صَدْرِهِ
غَمَطَ النُّعْمَانُ صَفْوَتَهَا	فَرَدَدَتْ الصَّفْوَى فِي كَدْرِهِ
وَلَقَرَقُورٍ أَذْرَتْ رَحاً	لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ ⁵
قَدْ تَأْتَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ	فَأَبَى الْمُحْتَمُومُ مِنْ قَدْرِهِ
وَطَغَى حَتَّى رَفَعَتْ لَهُ	خَطَّةَ شِعَاءٍ مِنْ ذِكْرِهِ

قال : فغضب المأمون واغتناظ ، وقال : لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

[أنشدها أبا دُلف بعد قتل قرقور]

قال ابن أبي فتن : وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة وقصد بها أبا دُلف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور ، وكان من أشدَّ النَّاسِ بأساً وأعظمهم . فكان يقطع هو وغلماناه على القوافل وعلى القرى ، وأبو دُلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه . فبينما أبو دُلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشقُّ الأرض بجريه ، فأيقن أبو دُلف بالهلاك ، وخاف أن يُؤلِّيَ عنه فيهلك ؛ فحمل عليه وصاح : يا فتيان ! يَمَنَّةٌ يَمَنَّةٌ ، يَوْمَهُ أَنْ مَعَهُ خَيْلاً قَدْ كَمَنَهَا لَهُ ، فَخَافَهُ قَرْقُورٌ وَعُطِفَ عَلَى يَسَارِهِ هَارِباً ، وَلَحِقَهُ أَبُو دُلف فَوَضَعَ رِجْلَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَأَخْرَجَهُ مِنْ صَدْرِهِ ، وَنَزَلَ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَحَمَلَهُ عَلَى

1 ويروى : كصياء الفجر في أمره . والإمر : النماء والكثرة . والأمر : جمع امرة ، وهي الراية والعلم الصغير من الحجارة في المفاوز .

2 المذاكي : الخيل . والمشتجر : القنا .

3 جيلويه : رجل كان ذا شوكة ، وكان بينه وبين آل أبي دُلف حرب قتل فيها أخو أبي دُلف ، إلى أن تغلب عليه أبو دُلف وقتله .

4 العقر : جمع عقرة ، يعقر الراكب دابته من كثرة إتباعه لها .

5 تكن في ل : تكد .

رحمه حتى أدخله الكرج .

قال : فحدثني مَنْ رأى ربح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر . فلما أنشده علي بن جبلة هذه القصيدة استحسناها وسُرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم .
[شهرة القصيدة]

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال : أخبرني إبراهيم بن خلف قال : بينا أبو دُلف يسير مع أخيه معقل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مرَّ بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دُلف ، قالت : ومن أبو دُلف ؟ قالت : الذي يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلف بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دُلف ولت الدنيا على أثره

قال : فاستعبر أبو دُلف حتى جرى دمعه فقال له معقل : مالك يا أخي تبكي ؟ قال : لأنني لم أقض حقَّ علي بن جبلة . قال : أولم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أنني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار . والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقّه .
[أبو تمام يعجب ببيت له]

حدثني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُونِه قال : حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال : أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائية ، فلما بلغت إلى قوله¹ : [من الهزج]
وردَّ البيضَ والبيضَ إلى الأغمارِ والحُجُبِ²

اهتزَّ أبو تمام من فرقه³ إلى قدمه ، ثم قال : أحسن ، والله لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها ويتخبها مكانه .

[شروط المأمون في مدحه]

أخبرني عمِّي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني أبو زرار الضبِّيُّ الشاعر قال : قال لي علي بن جبلة قلت لحُميد بن عبد الحميد الطوسي : يا أبا غانم ، إنني قد مدحتُ أمير المؤمنين بِمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض ، فاذكرني له . قال : فأنشيدني ، فأنشدته . قال : أشهد أنك صادق ، ما يحسن أحد أن يقول هكذا . وأخذ المدح فأدخله إلى

1 شعره : 39 .

2 البيض والبيض : السيوف والنساء . والحجب : البيوت .

3 ل : من قرنه .

المأمون ، فقال له : يا حُمَيد ، الجواب في هذا واضح ، إن شاء عَفَوْنَا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه ، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دُلْفٍ وبين شعره فينا ، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره ، وأطلنا حبسه ، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم ، وإن شاء أفلناه . فقلت له : يا سيدي ومن أنا ومن أبو دُلْفٍ حتى يمدحنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلام من الجواب في شيء ، فاعرض ما قلت لك على الرجل . فقال : أفعل . قال علي بن جَبَلَة : فقال لي حميد : ما ترى ؟ فقلت : الإقالة أحب إلي ، فأخبر المأمون بذلك . فقال : هو أعلم ، ثم قال لي حُمَيد : يا أبا الحسن أي شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلْفٍ ؟ فقلت : قولي فيك¹ : [من مجزوء الرجز]

لولا حُمَيدٌ لم يكن حسب يُعدّ ولا نسب
يا واحد العرب الذي عَزَّتْ بعزته العرب

وقولي في أبي دُلْفٍ : [من المديد]

إنما الدنيا أبو دُلْفٍ بين يديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دُلْفٍ ولَّتْ الدنيا على أثره

قال : فأطرق حُمَيد ثم قال : لقد انتقد عليك أمير المؤمنين فأجاد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم . وبلغ ذلك أبا دُلْفٍ فأضعف لي العطية ، وكان ذلك في ستر منهما ، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار . [يستحي من كثرة برأي دُلْفٍ]

أخبرني علي بن سليمان قال : حدثني محمد بن يزيد : قال : حدثني علي بن القاسم قال : قال لي علي بن جَبَلَة : زرت أبا دُلْفٍ ، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقاني ببره وأفرط ، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه . فبعث إلي بمعقل أخيه ، فأتاني فقال لي : يقول لك الأمير : لم هجرتنا ؟ لعلك استبطأت بعض ما كان مني ، فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى . فدعوت من كتب لي ، وأملت عليه هذه الأبيات ، ثم دفعتها إلى معقل ، وسألته أن يوصلها ، وهي² :

[من الطويل]

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجِرْكَ مِنْ كُفْرٍ نَعْمَةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ
وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ زَائِراً فَأَفْرَطْتُ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ

1 شعره : 31 .

2 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

فمَلَّانَ لَا آتِيكَ إِلَّا مُسَلِّمًا أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا وَفِي الشَّهْرِ
فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا تَزِيدْتِ جَفْوَةً وَلَمْ تَلْقَنِي طُولَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَشْرِ
قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْقِلَ اسْتَحْسَنَهَا جَدًّا ، وَقَالَ : جَوَّدْتَ وَاللَّهِ ، أَمَا أَنَّ الْأَمِيرَ لَيُعْجَبُ بِمِثْلِ
هَذِهِ الْمَعَانِي ، فَلَمَّا أَوْصَلَهَا إِلَى أَبِي دُفْلٍ قَالَ ؟ : لَلَّهِ دَرَّةٌ ! مَا أَشْعَرُهُ ، وَمَا أَرْقَّ مَعَانِيهِ ! ثُمَّ دَعَا
بِدَوَاةٍ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :

أَلَا رَبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطْتُهُ وَأَنْتَ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبَشْرِ
أَتَانِي يَرْجِيْنِي فَمَا حَالُ دُونِهِ وَدُونَ الْقِرَى مِنْ نَائِلِي عِنْدَهُ سِتْرِي
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَيَّ بِقَصْدِهِ إِلَيَّ وَبَرًّا يَسْتَحِقُّ بِهِ شُكْرِي
فَلَمْ أَعُدْ أَنْ أَدْنِيْتَهُ وَابْتَدَأْتُهُ بِبَشْرِ وَإِكْرَامٍ وَبَرٍّ عَلَى بَرِّ
وَزَوَّدْتُهُ مَالًا قَلِيلًا بِقَاوِهِ وَزَوَّدَنِي مَدْحًا يَدُومُ عَلَى الذَّهْرِ
ثُمَّ وَجَّهَ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعَ وَصِيفٍ يَحْمِلُ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَذَلِكَ حَيْثُ قُلْتُ
لَهُ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُفْلٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْضَرَةٍ

[رَدَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي
نَادِرُ مَوْلَانَا : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ جَبَلَةَ خَرَجَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَالِي خُرَاسَانَ ، وَقَدْ امْتَدَحَهُ ، فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُفْلٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْضَرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُفْلٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ، وَعَدَلَّ بِكَ عَنِ الدُّنْيَا الَّتِي زَعَمْتَ ؟ أَرْجِعْ مِنْ
حَيْثُ جِئْتَ ، فَارْتَحِلْ ، وَمَرَّ بِأَبِي دُفْلٍ وَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ ، فَوَصَلَهُ بِمَا أَرْضَاهُ . قَالَ نَادِرُ : فَرَأَيْتَهُ عِنْدَ
مَوْلَايِ الْقَاسِمِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ فَقَالَ ¹ :

أَبُو دُفْلٍ إِنْ تَلَقَّهِ تَلَقَّ مَاجِدًا جَوَادًا كَرِيمًا رَاجِحَ الْحِلْمِ سَيِّدًا
أَبُو دُفْلٍ الْخَيْرَاتِ أَنْدَاهُمْ يَدَا وَأَبْسَطَ مَعْرُوفًا وَأَكْرَمَ مَحْتَدَا
تَرَاثُ أَبِيهِ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَكُلَّ أَمْرٍءٍ يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا

ولستُ بِشاكٍ غَيْرَه لِتَقِصَّةٍ وَلَكِنَّمَا الْمَدْحُ مَنْ كَانَ أَمَجَدَا

[قصيدة في مدح حميد الطوسي]

قال مؤلف هذا الكتاب : والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن علي بن جبلة من قصيدة له مدح بها حميداً الطوسي ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء¹ :

ليس لي ذنب سوى أن	سي أسميك خيلاً
وأناديك عزيزاً	وتناديني ذليلاً
أنا أهواك وحالٍ	ك صروماً ووصولا
ثِقْ بوْدٌ ليس يفنى	وبعهدٍ لن يحولا
جعل الله حميداً	لبنى الدنيا كفيلاً
ملك لم يجعل الله	له فيه عديلاً
فأقاموا في ذراه	مطمئنين حُلولا
لا ترى فيهم مُقلاً	يسأل المثرى فضولا
جاذ بالأموالِ حتى	علم الجودَ البخيلاً
وبنى الفخرَ على الفخ	رِ بناءً مستطيلاً
صار للخائف أمناً	وعلى الجودِ دليلاً

[رثاء الطوسي]

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ، وفي أولها غناء من الثقيل الأول ، يقال : إنه لأبي العنبر ، ويقال : إنه للقاسم بن زُرُور² :

أَللّهُمَّ تبكي أم على الدهر تجزَعُ ؟	وما صاحب الأيام إلا مفجَعُ
ولو سَهَلْتَ عنك الأسى كان في الأسى	عزاء مُعَزٌّ لليب ومقنَعُ
تعزُّ بما عزيتَ غيرك إنها	سهام المنايا حائمات ووُقَعُ
أصبنا بيوم في حميدٍ لو أنه	أصاب عروشَ الدهرِ ظلت تضععُ

1 شعره : 93-94 .

2 شعره : 81-83 .

ولكنه لم يَبْقَ للصبر موضع
 به وبه كانت تُذَادُ وتُدْفَعُ¹
 على جبل كانت به الأرض تُمنَعُ
 وأضحى به أنفُ الندى وهو أجْدَعُ
 أمانيّ كانت في حشاه تقطعُ
 قواعدُ ما كانت على الضمير تركعُ
 ولم أذرْ أن الخلق يبيكه أجمعُ
 حِمَامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدَعُ²
 حِمَى أختها أو أن يذلَّ المُنْعُ
 وحلتْ بخطب وهيه ليس يُرْقَعُ
 تَذَادُ بِأطراف الرِّمَاح وتوزَعُ³
 فلم يدرِ في حوماتها كيف يصنعُ
 لها غيره داعي الصباح المفزعُ
 إلى عسكر أشياعه لا تُروَعُ
 مِرَاحاً ولم يرجع بها وهي ظَلَعُ
 كَنَائِبُهُ إِلَّا على النَّهَبِ ترجعُ
 حَرِيع وحاميهما الكميّ المشيعُ⁴
 ومفتاح باب الخطب والخطب أظْفَعُ
 ونائله قفَرٌ من الأرض بلقَعُ
 إلى شجوه أو يذخرُ الدَّمْعَ مَدْمَعُ
 عليه وأضحى لونها وهو أسْفَعُ
 وأجْدَبَ مرعاها الذي كان يُمرِعُ

وأدبنا ما أدب النَّاسَ قبلنا
 أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كيف تصرَّمت
 وكيف التقى مَثْوَى من الأرض ضيق
 ولما انقضت أيامه انقضت العلا
 وراحَ عدوِّ الدِّينِ جَذْلَان يبتحي
 وكان حُمَيْدٌ معقلاً ركعت به
 وكنتُ أراه كالرزايا رُزْتُهَا
 حِمَامٌ رماه من مواضع أمنه
 وليس بغزو أن تصيبَ منية
 لقد أدركتُ فينا المنايا بثأرها
 نَعَاءُ حُمَيْدًا للسرايا إذا غدت
 وللمرْهَقِ المكروبِ ضاقت بأمره
 وللبيض خلتها البُعول ولم يدع
 كأن حُمَيْدًا لم يُقَدْ جيش عسكر
 ولم يبعثُ الخيلَ المغيرةَ بالضحا
 رواجع يحملنَ النَّهَابَ ولم تكن
 هوى جبلُ الدُّنيا المنيعُ وغيثها الـ
 وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه
 فأقنعه من مُلْكِهِ ورياعه
 على أيّ شجرٍ تشتكي النفسُ بعده
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ حال ضياؤها
 وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها

1 تصرَّمت في ل : تصرفت .

2 يقدَع : يدفع ويكف .

3 نعاء حميداً : اتعه .

4 المشيع : الشجاع .

وقد كانت الدنيا به مطمئنة
فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقدّه روح الحياة كما بكى
نداه الندى وابن السبيل المدقع
وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت
عواطلَ حسرى بعده لا تقنع
وأبْقَظَ أجفاناً وكان لها الكرى
ونامت عيون لم تكن قبلُ تهجع
ولكنه مقدارُ يومٍ ثوى به
لكلّ امرئ منه زهال ومشرع
وقد رَأَى اللهُ المَلا بمحمدٍ
وبالأصل ينمي فرعُه المتفرع¹
أغرَّ على أسيفه ورماحه
تُقسَّم أنفال الخميس وتُجمع
حوى عن أبيه بذلَ راحته الندى
وطعن الكلى والزاعبية شرع²

[أبو تمام والبحري يأخذان من معانيه]

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحري أكثر معانيها فسلخه ، وجعله في قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري :

انظر إلى العلياء كيف تضام³

و :

بأيّ أسى تنثى الدموع الهوامل⁴

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها ، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة . وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه .

[كرم حميد سبب تجديده في مديحه]

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني أبو وائلة قال : قال رجل لعل بن جبلة : ما بلغت في مديح أحد ما بلغت في مديحك حميداً الطوسي . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليّ منه أنني أهديت له قصيدة في يوم نبروز فسرّ بها ، وأمر أن يحمل إليّ كل ما أهدى له ، فحمل إليّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديت له قصيدة في يوم عيد فبعث إليّ بمثل ذلك .

1 الملا في ل : الثأى . ورأى الثأى : إصلاح الفساد .

2 الزاعبية : نوع من الرماح .

3 عجز البيت : وماتم الأحساب كيف تقام

(ديوان البحري : 1949) .

4 عجز البيت : وترجى زبال من جوى لا يزابل

(ديوان البحري : 1862) .

[وصف جيش عظيم]

قال أبو وائلة : وقد كان حُميد ركب يوم عيد في جيش عظيم ولم يُر مثله ، فقال علي بن جبلة يصف ذلك¹ :

[من الطويل]

غدا بأمير المؤمنين ويُمنه	أبو غانم غَدَوَ الندى والسحاب ²
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب	أحاط به مستعلياً للمواكب
كأن سُمُو النقع والبيض فوقهم	سماوة ليل قُرنت بالكواكب ³
فكان لأهل العيد عيدٌ بنسكهم	وكان حُميد عيدهم بالمواهب
ولولا حُميد لم تَبْلُج عن الندى	يمينٌ ولم يُدرك غنى كسب كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل	ولا اعتام فيها صاحبٌ فضل صاحب ⁴
له ضحكة تستغرق المال بالندى	على عسبة تُشجي القنا بالترائب ⁵
ذهبت بأيام العلا فardاً بها	وصرمت عن مسعاك شأو المطالب
وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت	فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعد قطرها	كأنك منها شاهد كل غائب

[قصيدة في يوم نيروز]

قال : والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها⁶ :

[من البسيط]

حُميدُ يا قاسمَ الدنيا بنائله	وسيفه بين أهل النكث والدين
أنت الزمان الذي يجري تصرفه	على الأنعام بتشديد وتلين
لو لم تكن كانت الأيام قد فُتيت	والمكرمات ومات المجد مُذ حين
صورك الله من مجدي ومن كرم	وصور الناس من ماء ومن طين

[أبيات في أبي دلف]

نسختُ من كتاب بخط محمد بن العباس البيهقي : قال أحمد بن إسماعيل بن الخصيب

1 شعره : 41-42 .

2 ل : غدو الردى .

3 مجموع شعره :

كأن سمو النقع والبيض تحته سماوات ليل أسفرت عن كواكب

4 اعتام : طلب أو أخذ . والأصل فيه أخذ العيمة ، وهي خيار المال .

5 تشجي : تغص .

6 شعره : 111 .

الكتاب : دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دُلْف فقال له : هات يا علي ما معك . فقال : إنه قليل . فقال : هاته ، فكم من قليل أجود من كثير فأنشده¹ :

[من البسيط]

الله أجري من الأرزاق أكثرها على يدك فشكراً يا أبا دُلْف
أعطى أبو دُلْف والريح عاصفة حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

[أبو دُلْف يتطير من شعره]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما كان بعد مدة دخل إليه ، فقال له : هات ما معك فأنشده² :

[من السريع]

من ملك الموت إلى قاسم رسالة في بطن قرطاس
يا فارس الفرسان يوم الوغى مرني بمن شئت من الناس

قال : فأمر له بألفي درهم ، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر ؛ فقال : ليست هذه من عطايك أيها الأمير ، فقال : بلغ بها هذا المقدار ارتياحاً من تحملك ، رسالة ملك الموت إلينا .

[هجاه الهيثم بن عدي]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال : حدثني محمد بن عبد الله قال : حدثني علي بن جبلة العكوك المروزي قال : جاءني أبو يعقوب الخرمي فقال لي : إن لي إليك حاجة . قلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهيثم بن عدي . فقلت : وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد فعلت ، فما جاءني شيء كما أريد . فقلت له : كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إلي منه إساءة ، ولا له إلي جرم يحفظني ؟ فقال : تقرضني ، فإني ملي بالقضاء . قلت : نعم ، فأمهني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته :

[من البسيط]

للهيثم بن عدي نسبة جمعت آباءه فأراحتنا من العدد
اعدد عدياً فلو مد البقاء له ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد
نفسى فداء بني عبد المدان وقد تلوه للوجه واستعلوه بالعمد
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم وعرفوه بذل أين أصل عدي ؟
يا ابن الخبيثة من أهجو فأفضحه إذا هجوت وما تمني إلى أحد ؟

1 شعره : 84 .

2 شعره : 73 .

[هجاؤه يسبب طلاق امرأة الهيثم]

قال : وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب ، فركب محمد بن زياد بن عُبيد الله بن عبد المَدان الحارثيُّ ، أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد ، فسأله أن يفرق بينهما . فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عدياً في بني ثعلٍ فقدّم الدالّ قبل العين في النسبِ
قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال فهذا الشعر من قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له : ذهل بن ثعلبة فأمر الرشيد داود بن زيد أن يفرق بينهما . فأخذه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها .

[مدحه عبد الله بن طاهر واستعداته في الرحيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب قال : شخّص علي بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه في الرجوع ، فسأله أن يقيم عنده ، وكان برّه يتصل عنده ، فلمّا طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل إليه فأنشده¹ :

راعه الشيبُ إذ نزل	وكفاه من العذل
وانقضت مدّة الصبا	فانقضى اللهو والغزل
قد لعمري دملته	بخضابٍ فما اندمل
فابكٍ للشيب إذ بدا	لا على الرّبع والطلل
وصلَ الله للأُم	ير غرى الملك فاتصل
ملك عزّمه الزما	نِ وأفعاله الدول
كسروي بمجده	يَضرب الضاربُ المثل
وإلى ظلّ عزّه	يلجأ الخائف الوجل
كلُّ خلق سوى الإما	م لإنعامه حول
ليته حين جاذ لي	بالغنى جاذ بالقفَل

قال : فضحك وقال : أبيت إلا أن توحشنا . وأجزل صلته ، وإذن له .

[مدح حميد في أوّل رمضان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني أبو وائلة

السدوسيُّ قال : دخل عليُّ بن جَبَلَة العَكَّوكُ على حُمَيْد الطُّوسِيَّ في أوَّل يوم من شهر رمضان ، فأنشده¹ :

جعل الله مدخل الصوم فوزاً
فهو شهرُ الربيع للقراء
وأنا الضامنُ المليُّ لَمَن عا
وكأنِّي أرى الندامى على الخس
قد طوى بعضهم زيارة بعض

يقول فيها :

بحُمَيْدٍ وأين مثلُ حميد
جوده أظهر الساحة في الأر
ملكٌ يأمل العباد نداه
صاغه الله مطعمَ الناس في الأر

[يمدحه في شوال]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك . ثم دخل إليه ثانيَ شوال ، فأنشده⁴ :

عللاني بصفو ما في الدنان
واسبقا فاجع المنية بالعب
عللاني بشرية تذهب الهم
وانفثا في مسامع سداها الصو
قد أتانا شوال فاقتبل العي
نعم عون الفتى على نوب الده
وكوؤسٌ تجري بماء كروم

واتركا ما يقوله العاذلان
شر فكلُّ على الجديدين فاني
وتنفى طوارق الأحزان
م رقى الموصلي أو دحمان
ش وأعدى قسراً على رمضان⁵
ر سماعُ القيان والعيدان
ومطي الكؤوس أيدي القيان

1 شعره : 30 .

2 الملي في ل : الكفيل .

3 المقوي : الفقير .

4 شعره : 112-114 .

5 أعدى : أعان .

من عُقَار تُمِيت كُلَّ احْتِشَامٍ وَتَسْرُّ النَّدْمَانُ بِالنَّدْمَانِ
 وَكَأَنَّ الْمِزَاجَ يَقْدَحُ مِنْهَا شَرّاً فِي سِبَائِكَ الْعِيقَانِ
 فَاشْرَبِ الرِّاحَ وَاعْصِرْ مَنْ لَامَ فِيهَا إِنَّهَا نَعَمَ عُدَّةُ الْفِتْيَانِ
 وَاصْحَبِ الدَّهْرَ بَارْتِجَالٍ وَحَلَّ لَا تَخَفْ مَا يَجُرُّهُ الْحَادِثَانِ
 حَسْبُ مَسْتَظْهِرٍ عَلَى الدَّهْرِ رَكْنًا بِحُمَيْدٍ رِءَاءَ مَنْ الْحَدَثَانِ¹
 مَلِكٌ يَقْتَنِي الْمَكَارِمَ كَنْزًا وَتَرَاهُ مِنْ أَكْرَمِ الْفِتْيَانِ
 خُلِقْتَ رَاحَتَهُ لِلْجُودِ وَالْبَأْ سِ وَأُمُؤَالَهُ لَشُكْرِ اللِّسَانِ
 مَلَكْتَهُ عَلَى الْعِبَادِ مَعَدًّا وَأَقَرَّتْ لَهُ بَنُو قَحْطَانِ
 أُرِيحِي النَّدَى جَمِيلَ الْحَيَا يَدُهُ وَالسَّمَاحَ مَعْتَقَدَانِ²
 وَجْهَهُ مَشْرِقٌ إِلَى مَعْتَفِيهِ وَيَدَاهُ بِالْفَيْثِ تَنْفَجِرَانِ
 جَعَلَ الدَّهْرَ بَيْنَ يَوْمِيهِ قَسَمٍ مِنْ بَعْرِ جَزَلٍ وَحَرٍّ طَعَانِ
 فَإِذَا سَارَ بِالْخَمِيسِ لِحَرْبٍ كُلٌّ عَنْ نَصْرٍ جَرِيهِ الْخَافِقَانِ
 وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ لِنَوَالٍ ضَاقَ عَنْ رَحْبِ صَدْرِهِ الْأَفْقَانِ
 غَيْثٌ جَدَبَ إِذَا أَقَامَ رِيْعٌ يَتَغَشَّى بِالسَّيْبِ كُلَّ مَكَانِ
 يَا أَبَا غَانِمٍ بَقِيَتْ عَلَى الدَّهْرِ بِرٍ وَخُلِدَتْ مَا جَرَى الْعَصْرَانِ
 مَا نُبَالِي إِذَا عَدَّتْكَ الْمَنَايَا مَنْ أَصَابَتْ بِكُلْكَلٍ وَجِرَانِ
 قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ بَعَثَ الْمَطَايَا هَرَبًا مِنْ زَمَانِنَا الْخَوَانِ
 وَحَمَلْنَا الْحَاجَاتِ فَوْقَ عَتَاقٍ ضَامِنَاتٍ حَوَائِجِ الرُّكْبَانِ³
 لَيْسَ جُودٌ وَرَاءَ جُودِكَ يُتَنَاقَا بَ وَلَا يَعْتَفِي لَغَيْرِكَ عَانِي

فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ : تِلْكَ كَانَتْ لِلصُّومِ ، فَخَفَّفَتْ وَخَفَّفْنَا ، وَهَذِهِ لِلْفَطْرِ ، فَقَدْ زِدْتَنَا وَزِدْنَاكَ .

[أُحِبُّهُ جَارِيَةً رَغْمَ قُبْحِهِ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ السَّرْنَخْسِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أُخِيٍّ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ

1 الردء : العون .

2 معتقدان : معقودتان .

3 وحملنا في ل : وجعلنا .

العَكَّوكُ ، قال أحمد : وكان عليّ جارنا بالريّض¹ هو وأهله ، وكان أعمى وبه وضَح . وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح ، حدّثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ .

قال عمرو : وحدّثني العَكَّوكُ أنّ هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّتها . قال ، وذلك عنيت في قولي :

ودم أهدرت من رشٍ لم يُرد عقلاً على هدرة

[حميد يمنعه ثم يأذن له]

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلف ، يعني بالدم : دم البضع . قال : ثم قصدتُ حميداً بقصيدتي التي مدحته بها ، فلما استؤذن لي عليه أبي أن يأذن لي ، وقال : قولوا له : أي شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دُلف :

إنما الدنيا أبو دُلف بين مبداه ومحتضرة
فإذا ولي أبو دُلف ولت الدنيا على أثره

فقلت للحاجب : قل له : الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصلّتي سمعته ، فأمر بإيصالي ، فأنشدت قولي فيه² :

إنما الدنيا حميد وأياديه الجسام
فإذا ولي حميد فعلى الدنيا السلام

فأمر لي بمائتي دينار ، فشرتها في حجر عشيقتي ، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها³ :

دجلة تسقي وأبو غانم يُطعم من تسقي من الناس

فأمر لي بمائتي دينار .

[تغير الجارية التي أحبته]

حدّثني عمي قال : حدّثني أحمد بن الطيّب قال : حدّثني ابن أخي عليّ بن جبلة أيضاً : أنّ عمّه عليّاً كان يهوى جارية ، وهي هذه القينة ، وكانت له مساعدة ، ثم غضبت عليه ، وأعرضت عنه ، فقال فيها⁴ :

1 الرّيض : رضى حرب ويعرف بالحرية ، محلة ببغداد .

2 شعره : 105 .

3 شعره : 74 .

4 شعره : 85 .

تُسيء ولا تستنكرُ السوءَ إنَّها تُدلّ بما تبلوه عندي وتعرفُ
فمِنْ أين ما استعطفتها لم ترقُ لي ومن أين ما جربتُ صبري يضعفُ

[في ترك الضيافة]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عمرُ بن شُبَّة قال : تذاكرنا يوماً أقيح ما هُجي به
النَّاس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف ، فأنشدنا عليُّ بن جبلة لنفسه¹ : [من الوافر]

أقاموا اللدَّيْبَانِ على يَفَاعٍ وقالوا لا نَمِّ لللدَّيْبَانِ
فإن آتستَ شخصاً من بعيد فصقَّ بالبنانِ على البنانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرساً ويأتونَ الصلاةَ بلا أذانِ

[حميد يعطيه مالا خصَّصه للصدقة]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني حمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويه قال : حدَّثني أبي قال :
حدَّثني وهب بن سعيد المَرْزُوبِيُّ ، كاتب حميد الطُّوسِيّ ، قال : جئتُ حميداً في أوَّل يوم من
شهر رمضان ، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار ، وقال : تصدَّقوا بهذه . وجاءه ابنه أصرمُ فسَلَّم
عليه ودعا له ، ثم قال له : خادمك عليُّ بن جبلة بالباب ، فقال : وما أصنع به ؟ جئتني بأعمى
تقابلني بوجهه في أوَّل يوم من هذا الشهر . فقال : إنَّه يجيد فيك القول . قال : فأنشدني بيتاً
مما تستجيد له : فأنشده قوله² :

حَيْدِي حَيَادٍ فَإِنْ غَزَوَ جَيْشُهُ ضَمَنْتُ لِحَائِلَةِ السَّبَاعِ عِيَالَهَا³
فقال : أحسن . ائذنوا له ، فدخل فسَلَّم ، ثم أنشده قوله⁴ : [من المنسرح]

إن أبا غانم حُميداً غيث على المعتفين هامي
صوَّره اللهُ سيفَ حَتَفٍ وباب رزق على الأنامِ
يا مانعَ الأرضِ بالعوالي والنَّعم الجمَّة العظامِ
ليس من السَّوءِ في مَعَاذٍ من لم يكن منك في ذِمَامِ
وما تعمَّدتُ فيكَ وصفاً إلَّا تقدَّمتُ به أُمَامِي
فقد تناهت بِكَ المعالي وانقطعتْ مدَّةُ الكلامِ

1 شعره : 108 .

2 شعره : 99 .

3 حَيْدِي حَيَادٍ : أمر للخيل المغيرة بالروغان .

4 شعره : 107 .

أَجَدُّ شَهْرًا وَأَبْلَ شَهْرًا واسلم على الدهر ألفَ عامٍ
قال : فالتفت إليَّ حُميد ، وقال : أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره .
[يتشفع بحميد إلى أبي دُلَف]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال : حدَّثني أبو سُهَيْل عن سالم مولى
حُميد الطوسيِّ قال : جاء عليُّ بنُ جَبَلَة إلى حُميد الطوسيِّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف ،
وقد كان غضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبي دُلَف شافعاً ، وسأله في أمره ، فأجابه
واتصل الحديث بينهما وعليُّ بن جَبَلَة محجوب ، فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : أكتب
ما أقول لك ، فكتب¹ :

لا تترْكِي بابَ الدَّارِ مطرَحاً فالحرُّ ليسَ عن الأحرارِ يَحْتَجِبُ
هَبْنا بلا شافعِ جئنا ولا سبب أَلَسْتَ أَنْتِ إلى معروفِكَ السَّببُ ؟
قال : فأمر بإيصاله إليه ، ورضي عنه ووصله .

[المخزومي يتخرج من الإنشاء في حضرته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ مروان قال :
حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال : دخلت على حُميد الطوسيِّ ، فأنشدته قصيدة مدحته بها
وبين يديه رجل ضريح ، فجعل لا يمرَّ بيت إلا قال : أحسن قاتله الله ! أحسن ويحه ! أحسن
لله أبوه ! أحسن أيها الأمير . فأمر لي حُميد بِدرة ، فلما خرجتُ قام إليَّ البوابون ، فقلت :
كم أنتم ؟ عرفوني أولاً من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : عليُّ بنُ جَبَلَة
العكوك . فارفضتُ عرقاً ، ولو علمتُ أنه عليُّ بن جَبَلَة لما جسرتُ على الإنشاد بين يديه .
[رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويه قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ
عبيد بن ناصح قال : كلَّم حُميد الطوسيِّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلَة ، فيسمع منه
مدحاً مدحه به ، فقال : وأي شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ بين مَغْزاه ومَحْضَره
فإذا وَلَّى أبو دُلَفٍ ولَّت الدنيا على أثره

وبعد قوله فيك :

يا واحد العرب الذي عزَّتْ بعزِّته العربُ

أحسن أحواله أن يقول في مثل ما قاله في أبي دُلف ، فيجعلني نظيراً له . هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه ، فخيروه بين أن أسمع منه ، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دُلف وصلته ، وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه ، وبين أن أقيه وأعفيه من هذا وذا . فخيروه بذلك ، فاختر الإقالة .

[يمدح حميداً الطوسي بخير من مدحه أبا دُلف]

ثم مدح حميداً الطوسي ، فقال له : وما عساك أن تقول في بعدما قتلته في أبي دُلف ، فقال : قد قلتُ فيك خيراً من ذلك قال : هات ، فأنشده :

دجلة تسقي وأبو غانم يطعم من تسقي من الناس
الناس جسم وإمام الهدى رأس وأنت العين في الرأس
فقال له حميد : قد أجدت ، ولكن ليس هذا مثل ذلك ، ووصله .
[لا يبلغ شأو الخريمي في الرثاء]

قال أحمد بن عبيد ، ثم مات حميد الطوسي ، فثناه علي بن جبلة ، فلقيناه ، فقلتُ له : أنشدني مرثيتك حميداً ، فأنشدني :

نعاء حميداً للسرايا إذا غدت تزداد بأطراف الرماح وتوزع
حتى أتى على آخرها ، فقلتُ له : ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن ، وقد قارنته وما بلغت . فقال : وما هو ؟ فقلتُ : أردت قول الخريمي في مرثيته أبا الهيثم : [من الطويل]

وأعددتُه ذخراً لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع
فقال : صدقت والله ، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطعم في اللحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراد ما كان يطعم أن يقاربه في هذه القصيدة .
[غضب المأمون عليه]

أنخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني ابن أبي حرب الزعفراني ، قال : لما بلغ المأمون قول علي بن جبلة لأبي دُلف :

كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضرة
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخرة

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فطلب فلم يُقدّر عليه ، وذلك أنه كان بالجبل ، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه . فهرب من الجزيرة أيضاً ، وتوسط الشام فظفروا به ، فأخذوه ، وحملوه إلى المأمون ، فلما صار إليه قال له : يا ابن اللّخناء ، أنت القائل للقاسم بن عيسى :

[من المديد]

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرَةِ
مُسْتَعِيرٍ مِنْكَ مَكْرَمَةً يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مَفْتَحَرَةِ

جعلتنا مِمَّنْ يستعير المكارم منه ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد ، لأنَّ الله جلَّ وعزُّ فضِّلَكم على خلقه ، واختاركم لنفسه . وإنَّما عَنَيْتُ بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه . فقال : والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلِّ ، سَلُّوا لسانه من قَفاه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى قال : وحدَّثني أحمدُ بنُ أبي قَتَنٍ : أنَّ المأمون لما أُدْخِلَ عليه عليُّ بنُ جَبَلَةَ قال له : إني لست أستحلُّ دَمَكُ لتفضيلك أبا ذُلْفٍ على العرب كلها وإدخالك في ذلك قريشاً ، وهم آل رسول الله ﷺ وعترته ، ولكنني أستحلُّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه¹ : [من البسيط]

أنتَ الذي تنزل الأَيَّامَ منزلها وتنقل الدهرَ من حالٍ إلى حالٍ
وما مددتَ مَدَى طَرَفٍ إلى أَحَدٍ إلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
كذبتَ يا ماصٍ بَظَرٍ أُمَّهُ ، ما يقدر على ذلك أحدٌ إلَّا الله ، عزَّ وجلَّ ، الملك الواحد
القهار . سَلُّوا لسانه من قَفاه .

صوت

[من المنسرح]

لا بدُّ من سَكْرَةٍ على طَرَبٍ لعلَّ رَوْحاً يُدَالِ مِنْ كَرْبٍ
ويُروى :

لعلَّ رَوْحاً يُدِيلُ مِنْ كَرْبٍ

وهو أصوب .

فعاظنيها صهباء صافيةً تضحكُ من لؤلؤٍ على ذهبٍ
خليفةَ الله أنْتَ متخَبٌ لخير أُمٍّ من هاشمٍ وأبٍ
أَكْرِمَ بِأَصْلَيْنِ أَنْتَ فرعهما من الإمام المنصورِ في النسبِ

الشعر للثيميّ ، والغناء لسُلَيْمِ بْنِ سَلَامٍ ، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ، وفيها لنظم العمياء خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي .

* * * *

الفهرس

- [396] - ذكر أبي محجن ونسبه 5
- [397] - أخبار زهير بن جناب ونسبه 15
- [398] - نسب مسلم بن الوليد وأخباره 25
- [399] - أخبار محمد بن وهيب 57
- [400] - أخبار مزاحم ونسبه 73
- [401] - أخبار بكر بن النطاح ونسبه 79
- [402] - مقتل مصعب بن الزبير 91
- [403] - ذكر أشعب وأخباره 101
- [404] - أخبار عؤيف ونسبه 134
- [405] - أخبار عبد الله بن جحش 153
- [406] - بعض أخبار للعرجي 156
- [407] - أخبار عبد الله بن العباس الربيعي 158
- [408] - أخبار سلم الخاسر ونسبه 187
- [409] - أخبار أبي صدقة 207
- [410] - أخبار فضل الشاعرة 215
- [411] - نسب ابن الخياط وأخباره 224
- [412] - أخبار علي بن جبلة 233

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 19

DAR SADER

Beirut

کتابُ الِإِعْزَازِ

20

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد العشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

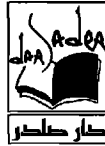
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أمثلة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AḤḤĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣṣpahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[413] - أخبار التيمي ونسبه

[أحد الخلاء المجان]

هو عبدُ الله بنُ أيُّوبَ ، ويكنى أبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُليم . ذكر ذلك ابن النطاح ، وكان له أخ يقال له أبو التَّيْحَانِ ، وكلاهما كان شاعراً ، وهما من أهل الكوفة ، وهما من شعراء الدولة العباسية ؛ أحدُ الخلاء المُجَّانِ الوصَّافين للخمر ؛ وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، وندباً لهما ، ثم اتَّصل بالبرامكة ومدحهم ، واتَّصل بيزيد بن مَزيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد .
[أكثر شعره في الخمر]

واستنفذ شعره أو أكثره في وصفه الخمر ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

شَرِبْتُ مِنَ الْخَمْرِ يَوْمَ الْخَمِيمِ	سِ بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ وَالْقَنْقَلِ ¹
فَمَا زَالَتْ الْكَأْسُ تَغْتَالِنَا	وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ
إِلَى أَنْ تَوَافَتْ صَلَاةُ الْعِشَاءِ	وَنَحْنُ مِنَ السُّكْرِ لَمْ نَعْقِلْ
فَمَنْ كَانَ يَعْرِفُ حَقَّ الْخَمِيسِ	وَحَقَّ الْمُدَامِ فَلَا يَجْهَلْ
وَمَا إِنْ جَرَّتْ بَيْنَنَا مَزْحَةٌ	تَهِيْجُ مِرَاءً عَلَى السَّلْسَلِ

وهو القائل : [من الطويل]

ولن أنتهي عن طيبِّ الرَّاحِ أو يرى
أضعتُ شبابي في الشرابِ تلذذاً
أخبرني محمد بن يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني أبو العيَّان عن محمد بن عمر ، قال : أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُ الله بنُ أيُّوبَ مولى بني تيم .
[رثاؤه ابنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن داود بن الجراح قال : قال دعبل : كان للتيميُّ أبي محمد ابنٌ يقال له حيَّان ، ومات وهو حديث السنِّ ، فجزع عليه ، وقال يرثيه :

صوت

أودى بحَيَّانَ ما لم يترك النَّاسَا فامنع فؤادك من أحبابك الياسا

1 الخمر في ل : الراح . والقنقل : المكيال الضخم .

لما رَمته المنايا إذ قصدن له أصبن مني سواد القلب والراسا
 وإذا يقول لي العوَاد إذ حضروا لا تأس أبشر أبسا حيان لا تاسي
 فبتُ أرعى نجومَ الليل مكتئباً إخال سُتته في الليل قرطاساً¹
 غنى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي ، ولحنه رمل مطلق في مجرى
 البنصر عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة :
 يا دَيْرُ هند لقد أصبحت لي آنسا وما عهدتك لي يا دَيْرُ مئناسا
 وهي مشهورة من شعره .

[يجز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه]

أنخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبّي قال : حدّثني هارونُ بنُ محمدٍ بن عبد الملك الزياتُ قال :
 حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قلت :
 وُصف الصدُّ لمن أهوى فصَدَّ
 ثم أُجِبْتُ ، فمكثت عدّة ليال لا يستوي لي تمامه . فدخل عليّ التيميّ فرآني مفكراً ، فقال
 لي : ما قصّتك ؟ فأخبرته ، فقال :

وبدا يمزح بالهجر فجَدَّ

ثم أتممتها . فقلت : [من الرمل]

ما لهُ يَعدِلُ عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحدُ
 وخرجتُ إلى مدح الفضل بن الرّبيع ، فقلت :
 قد أرادوا غرّة الفضل وهل تُطلب الغرّة في خيس الأسد²
 ملكٌ ندفع ما نخشى به وبه يصلح منا ما فسدُ
 يفعل الناسُ إذا ما وعدوا وإذا ما فعل الفضلُ وعدُ
 لإسحاق في هذا الشعر صنعة ، ونسبتها :

صوت

وُصف الصدُّ لمن نهوى فصَدَّ وبدا يمزحُ بالهجر فجَدَّ
 ما لهُ يَعدِلُ عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحدُ
 الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبنصر ، وله فيه أيضاً ثَقِيلٌ أوّل ، وفيه لَزْكَرِيّا بن

1 سنته : وجهه أو جبهته .

2 من المثل « كمبتغي الصيد في عريسة الأسد » : جمهرة العسكري 2 : 150 ، 175 وفصل المقال : 363 .

يحيى بن معاذ هَزَجَ بالبِصْر عن الهشامي وغيره . قال الهشامي : وقيل إن الهَزَجَ لإسحاق ، وخفيف الرمل لركبتي .

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال : اشتركت أنا وأبو محمد التيمي في هذا الشعر :

وُصف الصد لمن نهوى فصداً

وذكر البيتين .

[يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن مزيد]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَهْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ الرَّأْوِي الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْبَيْدَقُ وَكَانَ يَقْرَأُ شَعْرَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى الرَّشِيدِ ، قَالَ : قَالَ لِي الرَّشِيدُ يَوْمًا : أَنْشَدَنِي مَرْثِيَةَ مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ :

كَانَ الشَّمْسُ يَوْمَ أَصِيبَ مَعْنٌ	مِنَ الْإِظْلَامِ مُلَبَّسَةً جِلَالًا
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ مَعْدٌ	تَهْدُ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ الْجِبَالَ
أَقَمْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ	مُقَامًا لَا نَزِيدُ بِهِ زِيَالًا
وَقَلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ	وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالًا

قال : فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشَدَنِي قَصِيدَةَ أَبِي مُوسَى التَّيْمِيِّ فِي مَرْثِيَةِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ، فَهِيَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ ، فَأَنْشَدْتُهُ² :

أَحَقُّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ	تَبَيَّنَ أَيُّهَا النَّاعِي الْمَشِيدُ
أَتَدْرِي مَنْ نَعِيَتْ وَكَيْفَ فَاهَتْ	بِهِ شَفَتَاكَ ، كَانَ بِكَ الصَّعِيدُ
أَحَامِي الْمَجْدَ وَالْإِسْلَامَ أَوْدَى	فَمَا لِلْأَرْضِ وَبِحُكِّ لَا تَمِيدُ
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ	دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
وَهَلْ شِيَمَتْ سَيُوفُ بَنِي نَزَارٍ	وَهَلْ وُضِعَتْ عَنِ الْخَيْلِ اللَّبُودُ
وَهَلْ تَسْقِي الْبِلَادَ عِشَارُ مُزَيْنٍ	بِدِرَّتِهَا وَهَلْ يَخْضَرُّ عَوْدُ ³
أَمَّا هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ نِزَارُ	بَلَى وَتَقَوَّضَ الْمَجْدُ الْمَشِيدُ

1 ديوان مروان بن أبي حفصة : 270-271 .

2 نسبت القصيدة إلى مسلم بن الوليد (انظر ترجمته وديوانه : 147-149) .

3 العشار : النوق الحديثات التاج ، ونقله مجازاً إلى الغيم .

وَحَلَّ ضَرِيحَهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ طَرِيفُ الْمَجْدِ وَالْحَسْبُ التَّلِيدُ
 أَمَّا وَاللَّهِ مَا تَنَفَّكَ عَنِّي عَلَيْكَ بِدَمْعِهَا أَبَدًا تَجُودُ
 فَإِنْ تَجَمَّدَ دَمُوعٌ لِتِيمِ قَوْمٍ فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذِي حَسْبٍ جُمُودُ
 أَبْعَدُ يَزِيدَ تَخْتَرُنُ الْبُؤَاكِي دَمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهَا خَدُودُ ؟
 لِتَبْكِكَ قَبَّةُ الْإِسْلَامِ لَمَّا وَهَتْ أَطْنَابُهَا وَوَهَى الْعُمُودُ
 وَيَكْكَ شَاعِرٌ لَمْ يُبْقِ دَهْرٌ لَهُ نَشَبًا وَقَدْ كَسَدَ الْقَصِيدُ
 فَمَنْ يَدْعُو الْإِمَامَ لِكُلِّ خُطْبٍ يَنْوِبُ وَكُلِّ مُعْضَلَةٍ تَتَوَدُّ ؟
 وَمَنْ يَحْمِي الْخَمِيسَ إِذَا تَعَايَا بِحِيلَةِ نَفْسِهِ الْبَطْلُ النَّجِيدُ
 فَإِنْ يَهْلِكُ يَزِيدُ فَكَلَّ حَيٌّ فَرِيسٌ لِلْمَنِيَّةِ أَوْ طَرِيدُ
 أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَايَا فَتَكُنْ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودُ
 قَصْدَنَ لَهُ وَهْنٌ يَجِدُنَ عَنْهُ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ لَهَا وَقُودُ
 لَقَدْ عَزَى رِبْعَةً أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

قال : فبكى هارون الرشيد بكاءً اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سكرجة¹ لملأها من

دموعه .

[يجيز أحياناً للأمين]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عمر قال : خرج كوثر²
 خادم محمد الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجه محمد من
 جاءه به ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرَّةَ عَيْنِي وَمِنْ أَجْلِي ضَرَبُوهُ
 أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ أَحْرَقُوهُ

قال : وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الربيع : من هاهنا من الشعراء ،
 فقال : الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي ، فقال : علي به . فلما أدخل أنشده محمد هذين
 البيتين ، وقال : أجزهما ، فقال :

مَا لِمَنْ أَهْوَى شَبِيهَ فِيهِ الدُّنْيَا تَتِيهَ
 وَصَلُّهُ حَلَوٌ وَلَكِنْ هَجَرَهُ مُرَّ كَرِيهَ
 مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْفَضْ لَ عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ

مثلَ ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فقال محمد : أحسنت ، هذا والله خير مما أردنا ، بحياتي عليك يا عباسي¹ إلا نظرت ، فإن جاء على الظَّهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته . فأوقرت له ثلاثة أبغلي دراهم .

[يمدح المؤمن فيعفو عنه]

قال محمد بن يحيى : فحدثني الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثني محمد بن إدريس قال : لما قُتِل محمد الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المؤمن وامتدحه ، فلم يأذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المؤمن ، فلما سلم عليه قال له المؤمن : إيه يا تيمي .

مثلَ ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فقال التيمي : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين : [من مجزوء الرمل]

نُصر المؤمن عبد الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كانوا قديمه أكدوه

لم يعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها : [من الطويل]

جزعت ابن تيم أن أذاك مشيب وبان الشباب والشباب حبيب²

قال : فلما أنشده إياها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله ، عز وجل ، ولأخي العباسي ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

[الأمين يأمر له بمائتي ألف درهم]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني عون بن محمد الكندي قال : حدثني عباد بن محمد الكاتب عن أبي محمد التيمي الشاعر قال : أنشدت الأمين محمداً أول ما ولي الخلافة قولي :

لا بُدَّ من سكرة على طرب لعلَّ رَوْحاً يُدِيلُ من كُرب

الآيات المذكورة في الغناء . قال ، فأمر لي بمائتي ألف درهم ، صالحوني منها على مائة ألف درهم .

1 يا عباسي : المقصود هو الفضل بن الربيع .

2 أذاك في ل : علاك ، وبان الشباب في ل : وبان شباب .

[نمّني عليه الأمين مديحاً]

وأخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني محمد بن يحيى المنجّم قال : وحدّثني حسين بن الضّحّاك قال : قال لي أبو محمد التّيميّ : دخلتُ على محمد الأمين أوّل ما ولي الخلافة ، فقال : يا تيميّ ، وِدِدْتُ أَنَّهُ قِيلَ فِي مِثْلِ قَوْلِ طُرَيْحِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فِي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ : [من المنسرح]

طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التي تشجّ
فإنّي والله أحقّ بذلك منه . فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من
غد فأنشدته قصيدتي : [من المنسرح]

لا بُدَّ من سكرة على طربٍ لعلَّ رَوْحاً يُدِيل من كُربٍ
حتى انتهيت إلى قولي :

أكرّم بفرعين يجريان به إلى الإمام المنصور في النسب
فتبسّم ، ثم قال لي : يا تيميّ قد أحسنت ، ولكنّه كما قيل : مرعى ولا كالسعدان¹ ؛ ثم
التفت إلى الفضل بن الرّبيع فقال : بحياتي أوقرّ له زورقه مالاً . فقال : نعم يا سيّدي . فلمّا
خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنت مجنون ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم
صالحني على مائة ألف درهم .
[الفضل بن يحيى يجيزه]

أخبرني وكيع قال : حدّثني ابنُ إسحاق قال : حدّثني أبي قال : كنت على باب
الفضل بن يحيى ، فأتاني التّيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس ، وسألني أن أوصلها إلى الفضل ،
فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس ؛ فغضب أبو محمد وقال لي : أما كفّاك أن استخفّفت
بحاجتي حتى منعني أن أدفعها إلى غيرك ؟ فقلت له : أنا خير لك من القرطاس ، ثم دخلت
إلى الفضل ، فلمّا تحدّثنا قلت له : معي هديّة وصاحبها بالباب ؛ وأنشدته ؛ فقال : كيف
حفظتها ؟ قلت : الساعة دفعها إليّ على الباب ، فحفظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له :
فأدخله ، فأدخل ، فسأله عن القصّة فأخبره . فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ففعل ، وجعلت
أردد أبياته ، وجعلت أشيعها بالاستحسان . ثم خرج التّيميّ فقلت : خذ في حاجة الرجل ،
فقال : أمّا إذ عُنيّت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أمّا إذ أقلّلتها فعجّلها ،
فأمر بها فأحضرت . فقلت له : أليس لإعناتك إياي ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاتِه . قال :
لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المدح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة

1 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميّداني 2 : 275 وفصل المقال : 199 وجمهرة العسكري 242:2 .

آلاف درهم ، فضمامتها إلى الخمسة الآلاف ، ووجهت بها إليه .
[سكرة شعاء]

وذكر أحمد بن طاهر عن أبي هفان عن إسحاق قال : كان التيمي وأخوه أبو التيحان وابن عم له يقال له : قبيصة يشربون في حانة حتى سكرُوا وانصرفوا من غد ، فقال التيمي يذكر ذلك ويتشوق مثله :

صوت

هل إلى سكرة بناحية الحيرة شعاء يا قبيص سبيل
وأبو التيحان في كفه القرعة والرأس فوقه إكليل
وعرار كأنه بيدق الشطرنج يفتن فيه قال وقيل
الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث ، رمل بالوسطى .

[يشترى ضيعة بجائزة الأمين]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أبو العيلاء عن أبي العالية ، قال : أمر محمد الأمين لعبد الله بن أيوب بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إياها :

إني اشتريت بما وهبت لي
أرضاً أمون بها قرابتي¹
فبحسن وجهك حين أسأل قل
يا ابن الربيع احمل إليه مية
فغني بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتي يا عباسي ، احمل إليه مائة ألف . فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الآخر لك علي إذا اتسعت أيدينا .
[المأمون يعطيه ثمن جارية]

أخبرني الحسن ، قال : حدثني أبو العيلاء ، عن أبي العالية قال : عشق التيمي جارية لبعض النخاسين ، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن التيمي يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها ، فقال : وما هما ؟ فقال :

يا أبا عيسى إليك المشتكى وأخو الصبر إذا عيل شكا
ليس لي صبر على فقدانها وأعاف المشرب المشتركة
قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

[يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني أبو العيناء عن أبي العالية قال : دخل التيميَّ إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده :

[من الطويل]

ألا إنما آل الربيع ربيعٌ وغيثُ حَيَاً للمرملين مريعُ
إذا ما بدا آل الربيع رأيَهم لهم دَرَج فوق العبادِ رفيعُ
فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ثلاثة آلاف على ثلاثة أبيات]

أخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا الزبير بن بكار قال : مدح أبو محمد التيميَّ الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلي ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات :

[من الطويل]

لعمرك ما الأشرافُ في كلِّ بلدةٍ وإن عظموا للفضل إلا صنائعُ
تَرى عظماء الناس للفضل خُشَعاً إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعةً وكلُّ جليلٍ عنده متواضعُ

[ينظم في معنى للحجاج]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المنجم قال : حدَّثني إسحاق الموصليُّ عن محمد بن سلام قال : كتب الحجاجُ إلى قُتيبة بن مسلم : إنِّي قد نظرت في سِنِّي ، فإذا أنا ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدَة عام . وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريب أن يَرِدَه ، والسلام .

[من الطويل]

فسمع هذا أبو محمد التيميَّ منِّي فقال :
إذا ذهب القرن الذي أنتَ فيهِمُ وخُلِّفَت في قرنٍ فأنتَ غريبُ
وإن امرأً قد سار خمسين حِجَّةً إلى منهلٍ مِن ورده لقريبُ

[إجازة المأمون على شعر في الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدَّثني أبو دِعامَة عليُّ بن يزيد قال : حدَّثني التيميُّ أبو محمد قال : دخلتُ على الحسن بن سهل ، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه ، وعنده طاهر بن الحسين ، فقال له طاهر : هذا والله أيُّها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع :

[من المنسرح]

لا بُدَّ من سَكْرَةٍ على طَرَبٍ لعلَّ رَوْحاً يُدِيل من كُرَبٍ

خليفة الله خير منتجبٍ لخير أم من هاشمٍ وأبٍ
 خلافة الله قد توارثها آباؤه في سوائف الكتبِ
 فهي له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء في الحقبِ
 يا ابن الذرى من ذوائب الشرف الـ أقدم أنتم دعائم العربِ

فقال الحسن : عرض والله ابن اللّٰخاء بأمير المؤمنين ، والله لأعلمنه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ؟ رجل أمل رجلاً فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر ؛ ثم دعاني فخلع عليّ وحملني ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم .

[أول شعر له وصل به إلى الخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل البرجمي عن أبيه قال : قال لي أبو محمد التيمي : أول شعر عرفت به فشاع فيه ذكري ووصلت به إلى الخليفة قولي :

صوت

طاف طيفاً في المنام بمحبٍ مستهامٍ
 زورة أبقّت سقاماً وشفّت بعض السقامِ
 لم يكن ما كان فيها من حرامٍ بحرامٍ
 لم تكن إلاً فوقاً وهي في ليل التمامِ

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاق لحناً وغنى به الرشيد ، فسأله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لي شاعر ظريف ، يُعرف بالتيمي ، فطلبت وأمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذي دُعيت له فعرفته ، فأتمت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدوّن شعري .

[إسحاق يطعمه ويسقيه ويغنيه]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني عمي طيّاب بن إبراهيم الموصليّ قال : حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال : اجتزت يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أطعمك طعاماً صيفاً ، وأسقيك شرباً صيفاً وأغنيك غناء صيفاً ، فدخلت إليه ، فأطعمني لحماً مكبباً ، وشواء حاراً وبارداً مبرراً ، وأسقاني شرباً عتيقاً صيفاً ، وغنّاني وحده مرتجلاً :

[من الطويل]

ولو أنَّ أنفاسي أصابت بحرَّها حديداً إذا كاد الحديدُ يذوبُ
ولو أنَّ عيني أطلقت من وكائها لما كان في عام الجدوبِ جدوبُ¹
ولو أنَّ سلمى تطلع الشمس دونها وأمسي وراء الشمس حين تغيبُ
لحدتُ نفسي أن تريح بها النوى وقلتُ لقلبي إنها لقريبُ²
فلم تزل تلك حالي حتى حُمِلْتُ من بيتِه سكران .

[عمرو بن مسعدة يعطي حق الإذن للموصلي]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حدثنا حمادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه ، قال : دخلتُ يوماً على عمرو بن مسعدة ، فإذا أبو محمدِ التيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد ، فقال : ذاك إلى أبي محمد ، يعنيني ، وكان على التيميِّ عاتباً ، فكُره أن يمنعه لِعِلْمِهِ بما بيننا من المودة ، فقلت له : أنشد إذ جعل الأمر إليّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليّ . فتبسّم عمرو ، وأنشده التيميُّ :

يا أبا الفضل كيف تغفل عني أم تخلي عند الشدائد مني ؟
أنسيت الإخاء والعهد والودَّ ح ديثاً ما كان ذلك ظني
أنا من قد بلوت في سالف الده ر مضت شرتي ولم تفن سني
فاصطنعني لما ينوب به الده ر فإني أجوز في كل فن
أنا ليث على عدوك سلّم لك في الحرب فابتدلي وصني
أنا سيف يوم الوغى وسنان ومجنّ إن لم تثق بمجن
أنا طبّ في الرأي في موضع الرأ ي معين على الخصيم المعن
وأمين على الودائع والس ر إذا ما هويت أن تأمني
ونديم إذا أردت نديماً ومغنّ إن لم يزرك مغنّ

قال : فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلّم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديماً ؟ فقلت له : لم يكذب ، أعزّك الله . فقال : أفي هذا وحده أو في الجميع ؟ فقلت : أما في هذا فأنا أحقُّ كذبه ، والله لأعلم بالباقي . ثم أنشده :

وإذا ما أردت حجاً فرحاً ل دليل إن نام كل ضيف³

1 الوكاء في الأصل : رباط القرية ، فأطلقه مجازاً على العين .

2 تريح : ترجع .

3 الضفن : الأحق العظيم الخلق .

فقال له : إذا عزمنا على الحجِّ امتحنَّاك في هذا ، فإنِّي أراك تصلح له ، ثم أنشده :
وليبُّ على مقال أبي العبد - لاس إنِّي أرى به مسَّ جنِّ
فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو النَّاصح الشفيق ولكن - خاف هيجَ المرارِ فازورَّ عني
وظريفٌ عندَ المزاح خفيفٌ - في الملاهي وفي الصُّبا مثني
كيف باعدتَ أو جفوتَ صديقاً - لا ملولاً ، لا لا ولا متجنِّ
صرتُ بعد الإكرام والأنس أرضى - منك بالترهاتِ ما لم تُهني
لم تخني ولم أخنك ولا والد - هـ ربِّي لا خنتُ من لم يخني
إن أكن تُبتُ أو هجرت الملاهي - وسُلفاً يُجنُّها بطنُ ذنِّ
فحدِيثي كالدرِّ فُصِّل باليا - قوت يجري في جيد ظبي أغنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شيء تطوَّعتَ به ، فأين موضع حُكمي ؟
فقال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

[حنين إلى الشراب]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال :
مرَّ التيميُّ بالحيرة على خَمَّار كان يألُفه ، وقد أسنَّ التيميُّ وأرعش ، وترك النبيذ . فقال له
الخَمَّار : ويحك ! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال : نعم والله ، لولا ذلك لأكثرْتُ عندك ،
ثم أنشأ يقول :

صوت

هل إلى سكرة بناحية الح - بيرة يوماً قبل الماتِ سبيلُ ؟
وأبو التَّيْحانِ في كفه القر - عة والرأسُ فوقَه الإكليلُ
وعرارٌ كأنه يَذقُ الشَّط - رنج يفتنّ فيه قال وقيلُ

في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رَمَل بالوسطى عن الهشامي .

[يهوى غلاماً يهوى جاريته]

أخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل قال : كان أبو محمد
التيميُّ يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ،
وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه ، فقال التيميُّ :

[من السريع]

ويلي على أغيدَ ممكورٍ - وساحرٍ ليس بمسحورٍ

تؤثره الحُور علينا كما نؤثره نحن على الحور
عَلِقَ مَنْ عَلِقَ فِيهِ هَوَى منتظم الألفة مغمور
وكلُّ مَنْ تهواه في أمره مقلَّبٌ صفقة مقمور

[الأمين يأمر بملء زورقه دراهم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابنُ أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بن محمد الفارسي قال :
حدَّثنا غسان بن عبد الله عن أبي محمد التيمي قال : لما أنشدت الأمين قولي فيه : [من المنسرح]
خليفة الله خيرٌ متجبٍ لخير أم من هاشم وأبٍ
أكرم بعرفين يجريان به إلى الإمام المنصور في النسب
طرب ، ثم قال للفضل بن الربيع : بحياتي أوقر له زورقه دراهم ، فقال : نعم يا سيدي :
فلما خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني
على مائة ألف درهم ، فقبضتها .
[الخضوع لله]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله المدني قال : حدَّثني عبد الله بن
أحمد التيمي ابن أخت أبي محمد التيمي الشاعر ، قال : أنشدني خالي لنفسه قوله : [من البسيط]
لا تخضعن لمخلوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين¹
وارغب إلى الله ممّا في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون
أما ترى كلَّ مَنْ ترجو وتأمله من الخلائق مسكين ابن مسكين

صوت

[من الوافر]

ألم ترَ أنني أفنيتُ عُمري بمطلبها ومطلبها عسيرٌ ؟
فلما لم أجِدْ سبباً إليها يُقرِّبني وأعيتني الأمورُ
حججتُ وقلتُ قد حَجَّتْ جنان فيجمعُنني وإياها المسيرُ
الشعر لأبي نواس² ، والغناء للزبير بن دَحْمان ، رملٌ بالوسطى من رواية أحمد بن المكي
وبذل ، وغناني محمد بن إبراهيم قريض الجراحي ، رحمه الله ، فيه لحنٌ من خفيف الثقليل ،
فسألت عن صانعه فلم يعرف .

1 لا تخضعن في ل : لا تضرعن .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

[414] - أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة

[أبو نواس صادق في حب جنان]

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث الذي كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد ، ورثاه بعد وفاته ، وقد مضت أخبارهما . وكانت حلوّة جميلة المنظر أديّة ، ويقال : إن أبا نواس لم يصدق في حبه امرأة غيرها . [حجّت فحج]

أخبرني محمد بن خلف المَرْزبان قال : حدّثني إسحاق بن محمد عن أبي هِفان عن أصحاب أبي نواس قالوا : كانت جنان جارية حسناء أديّة عاقلة ظريفة ، تعرف الأخبار ، وتروي الأشعار . قال البيهقي خاصة : وكانت لبعض الثّقفيّين بالبصرة ، فرآها أبو نواس فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فقلت له يوماً : إن جنان قد عرّمت على الحجّ ، فكان هذا سبب حجّه ؛ وقال : أما والله ، لا يفوتني المسير معها والحجّ عامي هذا إن أقامت على عزيمتها ، فظننته عابثاً مازحاً ؛ فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة ، وما كان نوى الحجّ ، ولا أحدث عزمه له إلّا خروجها ، وقال وقد حجّ وعاد : [من الوافر]

ألم تر أنّني أفيتُ عمري	بمطلبها ومطلبها عسير ؟
فلما لم أجذ سبباً إليها	يقرّني وأعيتني الأمور
حججت وقلت قد حجّت جنان	فيجمعني وإياها المسير

قال البيهقي : فحدّثني من شاهده لما حجّ مع جنان وقد أحرم ، فلما جنّه الليل جعل يليي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كلّ من سمعه ، وهو قوله¹ : [من مجزوء الرجز]

إلهنا ما أعدلك !	ملك كل من ملك
لبّيك قد لبّيت لك	لبّيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	والليل لما أن حلك
والسباحات في الفلك	على مجاري المنسلّك

ما خاب عَبْدٌ أَمَلَكُ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
لولاكَ يا رَبُّ هَلَكُ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكُ
وَكُلُّ مَنْ أَهْلَ لَكَ سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَكَ
يا مَخْطِئاً ما أَغْفَلَكَ ! عَجَّلْ وَبادِرْ أَجَلَكَ
وَاخْتِمْ بِخَيْرِ عَمَلِكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْمَلِكَ لَكَ
وَالْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْعِزَّ لَا شَرِيكَ لَكَ

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ : كَانَتْ جِنَانُ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَبُو نَوَاسٍ جَارِيَةً لِّآلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الثَّقَفِيِّ ، وَفِيهَا يَقُولُ¹ :

جَفَنُ عَيْنِي قَدْ كَادَ يَسُ قَطُّ مِنْ طُولِ مَا اخْتَلَجَ
وَفَوَّادِي مِنْ حَرٍّ حُبُ لَكَ وَالْهَجْرِ قَدْ نَضِجَ
خَبْرِي نِي فَدَتِكَ نَفْ سَيِّ وَأَهْلِي : مَتَى الْفَرْجُ ؟
كَانَ مِيعَادُنَا خَرُو جَ زِيَادَ فَقَدْ خَرَجَ
أَنْتَ مِنْ قَتْلِ عَائِدِ بَلْ فِي أَضْيَقِ الْحَرْجِ

[رَأَاهَا مَنْصَرَفَةً مِنْ عَرَسٍ فَارْتَجَلَ شِعْرًا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْجَمَّازُ ، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ : وَحَدَّثَنِي بِهِ قَلِيبُ بْنُ عَيْسَى قَالَ : كَانَتْ جِنَانُ قَدْ شَهِدَتْ عُرْسًا فِي جَوَارِ أَبِي نَوَاسٍ ، فَانْصَرَفَتْ مِنْهُ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَنَا ، فَرَأَاهَا فَأَنْشَدَنَا بِدِيهَا قَوْلَهُ² : [مِنْ الْخَفِيفِ]

شَهِدَتْ جَلُوءَ الْعُرُوسِ جِنَانُ فَاسْتَمَالَتْ بِحُسْنِهَا النِّظَارَةَ
حَسِبُوهَا الْعُرُوسَ حِينَ رَأَوْهَا فإِلَيْهَا دُونَ الْعُرُوسِ الْإِشَارَةَ
قَالَ أَهْلُ الْعُرُوسِ حِينَ رَأَوْهَا مَا دَهَانَا بِهَا سِوَاكِ عُمَارَةَ

قال : وعمارة زوج عبد الرحمن الثقفي ، وهي مولاة جنان .

[يَعْتَذِرُ لَهَا فَكَانَ رَدُّهَا جَافِيًا]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى الصُّوْلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَا : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلْبِيُّ عَنْ

1 ديوانه : 230 .

2 ديوانه : 241 .

محمد بن عمر ، قال : غضبتُ جنانُ من كلامٍ كَلَّمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قلْ له : لا بَرِحَ الهَجْرانُ رَبْعَكَ ، ولا بَلَّغْتَ أَمْلَكَ من أَحَبَّتِكَ ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال¹ :

فَدَيْتَكَ فِيمَ عَتَبِكَ مِنْ كَلَامٍ نَطَقْتُ بِهِ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ ؟
وَقَوْلِكَ لِلرَّسُولِ عَلَيْكَ غَيْرِي فليس إلى التواصل من سبيل
فَقَدْ جَاءَ الرَّسُولُ لَهُ انْكَسَارٌ وَحَالٌ مَا عَلَيْهَا مِنْ قَبُولٍ
وَلَوْ رَدَّتْ جِنَانُ مَرَدُّ خَيْرٍ تَبَيَّنَ ذَاكَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ

[عتاب واستمالة]

قال أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أبو نواسٍ صادقاً في محبته جنانُ من بين مَنْ كان يَنْسُبُ به من النساءِ ويداعبه ، ورأيتُ أصحابنا جميعاً يُصَحِّحُونَ ذاكَ عنه ، وكان لها مُحِبّاً ، ولم تكن تُحِبُّه ، فَمِمَّا عَاتَبَهَا به حتى استمالها بصحّة حُبِّه لها فصارت تُحِبُّه بعد نُبُوها عنه قوله² :

جِنَانُ إِنْ جُدْتَ يَا مَنَائِي بِمَا آمَلْ لَمْ تَقْطُرِ السَّمَاءُ دَمًا
وَإِنْ تَمَادَيْ ، وَلَا تَمَادَيْتِ فِي مَنَعِكَ ، أَصْبَحَ بِقَفْرَةٍ رَمِيمًا³
عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أَتَى عَلَى أَنْفُسِ الْمَـ ضَايِنِ وَالْغَابِرِينَ مَا نَدِيمًا
لَوْ نَظَرْتَ عَيْنُهُ إِلَى حَجَرٍ وَلَدَ فِيهِ فُتُورُهَا سَقَمًا

[رحمته من إلحاحه]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثني محمدُ بنُ القاسم عن أبي هِفَانٍ عن الجَمَّاز ، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدّثني عَوْنُ بن محمدٍ قال : حدّثني الجَمَّاز قال : كنت عند أبي نواسٍ جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ مِمَّنْ يَدْخُلُ الثَّقَفِيّينَ ، فسألها عن جنانٍ وألحف في المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنّي أسمع : وَيَحْك ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبرمتي ، وأخرج صدري ، وضيق عليّ الطريقَ بِحَدّةِ نظره وتَهْتِكِهِ ؛ فقد لهج قلبي بذِكْرِهِ والفكرِ فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته ، ثم التفتت فأمسكت عن الكلام ؛ فسرّ أبو نواسٍ بذلك ، فلمّا قامت المرأةُ أنشأ يقول⁴ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 249 .

2 ديوانه : 233 .

3 رم : عظام بالية .

4 ديوانه : 248 .

يا ذا الذي عن جنانٍ ظلَّ يُخبرنا
قال اشتكتك وقالت ما ابتليتُ به
ويعمل الطرف نحوي إن مررتُ به
وإن وقفت له كيما يكلمني
ما زال يفعلُ بي هذا ويُدمنه
حتى لقد صار من همِّي ومن وطري

[رسالة إلى القاضي الناصح]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمَّار قال : حدَّثني عليُّ بن محمدٍ التوفليُّ وأحمدُ بن سليمان بن أبي شيخٍ قالا : قال ابن عائشة : وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عمَّار عن الغلابيِّ عن ابن عائشة : قال ابن عمَّار : وحدثت به عن الجمَّاز ، وذكره لي محمدُ بن داودَ الجراح عن إسحاق النخعيِّ عن أحمد بن عُمر¹ : أنَّ محمد بن حفص بن عُمر التيميِّ ، وهو أبو ابن عائشة ، انصرف من المسجد وهو يتولَّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يكلمها . وقال أحمدُ بن عُمر في خبره : وكانت المرأة قد جاءت برسالة جنانٍ جارية عُمارة امرأة عبد الوهاب بن عبد المجيد ، فمرَّ به عُمر بن عثمان التيميُّ وهو قاضي البصرة ، هكذا ذكر دحمُ بن عُمر وحده ، وذكر الباقر جميعاً أنَّه محمدُ بن حفص .

قال الجمَّاز : وكانت عليه ثياب بياض ، وعلى رأسه قلنسوة مُضربة فقال له : اتَّقِ الله ، قال : إنها حرمتي ، قال : فصنَّها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه دبو نواس² :

صوت

إنَّ التي أبصرتها³
أدَّت إليَّ رسالةً
من ساحر العينين
متقلِّد قوس الصبَا
فلو أنَّ أذنك بيننا
بكرأ أكلمها رسول⁴
كادت لها نفسي تسيلُ
يجذب خصره ردفٌ ثقیلُ
يرمي وليس له رسل⁴
حتى تسمع ما تقولُ

1 انظر «أخبار أبي نواس» لأبي هفان ، (فراج) .

2 ديوانه : 270 .

3 بكرأ أكلمها في الديوان : سحرأ أكلمها .

4 الرسيل : الموافق في النضال .

لرأيتَ ما استقبحتَ من أمري هو الأمرُ الجميل¹

في هذه الأبيات لحنان من الرمل وخفيفه ، كلاهما لأبي العنيس بن حمدون .
قال ابنُ عَمير : ثم وجَّه بها فالقيت في الرِّقاع بين يدي القاضي ، فلمَّا رآها ضحك ،
وقال : إن كانت رسولاً فلا بأس .

وقال ابنُ عائشة في خبره : فجاءني برُقعة فيها هذه الأبيات ، وقال لي : ادفعها إلى أبيك ،
فأوصلتها إليه ، ووضعتها بين يديه ، فلمَّا قرأها ضحك ، وقال : قل له : إني لا أتعرضُ
للشعرَاء .

[التمية عنها لا تنطلي]

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أبو عثمان أخا مولى
جنان ، وكان مولاهما أبو مَيَّة زوجُ عُمارة وهي مولانها ، وكانت له بحكمان ضيعةٌ كان ينزلها هو
وابنُ عمِّ له يقال له : أبو مَيَّة ، فقال أبو نواس فيه قوله : [من الخفيف]

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانِ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ
وَأَبَا مَيَّةَ الْمَهْذَبِ وَالْمَا جَدَّ وَالْمَرْجِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ
فَيَقُولَانِ لِي : جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ فِي حَالِهَا فَسَلُّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يَبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْدَهُمْ كِتْمَانِي

[عبث لا عشق]

فأخبرني ابنُ عَمَّار قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويَّة ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد
الملوك بن مروان الكاتبُ قالَا : كنت جالساُ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى فِي شَارِعِ أَبِي أَحْمَد ، فَأَنْشَدَنِي قَوْل
أَبِي نَوَاس : [من الخفيف]

أَسْأَلُ الْمُقْبِلِينَ مِنْ حَكَمَانِ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك ، فقلت له : لقد ضحكْتَ من أمر ، فقال : أجل ، أنا أبو
عثمان الذي قال أبو نواس فيه هذا الشعر ، وأبو مَيَّة ابنُ عَمِّي ، وجِنَانُ جاريةُ أخي ، ولم تكن في
موضعِ عِشْق ، ولا كان مذهَبَ أَبِي نَوَاسِ النِّسَاء ، ولكنه عبثٌ خرج منه .

[سبقه النابغة الجعدي إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : قال لي أبو العباس محمد بنُ يزيد : قال النَّابِغَةُ
الجَعْدِي : [من الخفيف]

1 أمري في الديوان : أمرنا .

أَكُنِّي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَبِمٍ
وهو سَبَقَ النَّاسَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَخَذُوهُ جَمِيعاً مِنْهُ ، وَأَحْسَنُ مَنْ أَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ حَيْثُ
يَقُولُ :

أَسْأَلُ الْمُقْبِلِينَ مِنْ حَكَمَانِ كَيْفَ خَلَقْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ ؟
فَيَقُولَانِ لِي جَنَانٌ كَمَا سَرَّكَ فِي حَالِهَا فَسَلَّ عَنْ جَنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يَبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْتَمَانِي

[أُنَسْتُ الْمَأْتَمَ أَشْجَانَهُ]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ ، أَنَشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ صَدَقَةَ الْأَنْبَارِيِّ لِأَبِي نُوَّاسٍ
يَذْكُرُ مَأْتَمًا بِالْبَصْرَةِ ، وَحَضَرَتْهُ جِنَانٌ¹ :

[من السريع]

يَا مُنْسِيَ الْمَأْتَمِ أَشْجَانَهُ لَمَّا أَتَاهُمْ فِي الْمُعْزِينَا
سَرَتْ قِنَاعَ الْوَشْيِ عَنْ صُورَةِ أَلْبَسَهَا اللَّهُ التَّحَاسِينَا²
فَاسْتَفْتَتْنَهُنَّ يَتِمِّثَالَهَا فَهِنَّ لِلتَّكْلِيفِ يَكِينَا
حَقٌّ لِذَلِكَ الْوَجْهِ أَنْ يَزْدَهِيَ عَنْ حَزْنِهِ مَنْ كَانَ مُحْزُونًا

[أَبْرَزَهَا لَهُ الْمَأْتَمَ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو بْنِ
أَبَانَ النَّخَعِيُّ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي نُوَّاسٍ : أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ أَشْرَفَ مِنْ دَارِهِ عَلَى مَنْزِلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الثَّقَفِيِّ ، وَقَدْ مَاتَ بَعْضُ أَهْلِهِ وَعِنْدَهُمْ مَأْتَمٌ ، وَجِنَانٌ وَاقِفَةٌ مَعَ النِّسَاءِ تَلْطِمُ وَجْهَهَا وَفِي يَدَيْهَا
خِضَابٌ ، فَقَالَ³ :

[من السريع]

يَا قَمَرًا أَبْرَزَهُ مَأْتَمٌ يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَكِي فَيُذِرِي الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ⁴
لَا تَبْكُ مِثْنًا حَلًّا فِي خُفْرَةٍ وَأَبْكُ قِتْلًا لَكَ بِالْبَابِ
أَبْرَزَهُ الْمَأْتَمُ لِي كَارَهَا بِرَغْمِ دَايَاتِ وَحِجَابِ
لَا زَالَ مَوْتًا دَابُّ أَحِبَابِهِ وَلَا تَزَلْ رُؤْيَاهُ دَابِي

1 ديوانه : 242 .

2 سرت في الديوان : حَلَّتْ ، وَسَرَتْ : أَلْقَتْ .

3 ديوانه : 242 .

4 يذري : يَنْشُرُ .

[سفيان بن عيينة يستحسن هذا الشعر]

فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدثني محمد بن القاسم ، حدثني محمد بن عائشة قال : قال لي سفيان بن عيينة : لقد أحسن بصرؤكم هذا أبو نواس حيث يقول ، وشدد الواو وفتح النون :

[من السريع]

يا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَكِي فَيُذْري الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ

قال : وجعل يعجب من قوله : ويلطم الورد بعناب .

وأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثني محمد بن محمد قال : حدثني حسين بن الضحّاك قال : أنشد ابن عيينة قول أبي نواس :

[من السريع]

يَكِي فَيُذْري الدُّرَّ مِنْ طَرَفِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ

فعجبت منه ، وقال : آمنت بالذي خلقه . وقد قيل : إنّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير

جنان .

[ربما كانت أبياته في غير جنان]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهزّويه ، قال : حدثني بعض الصيارف بالكرخ ، وسمّاه ، قال : كان حارس دُرْبِ عَوْنٍ يقال له : المبارك ، وكان يلبس ثياباً نظيفة سريّة ، ويركب حماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويكرهه بالنهار ، فإذا رآه من لا يعرفه ظنّ أنّه من بعض التجار ، وكان يصل إليه في كلّ شهر من السوق ما يسعّه ويفضّل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مبارك وحضره الناس ، فلما أخرجت جنازته خرجت بنته هذه حاسرة بين يديه ، فقال أبو نواس فيها :

[من السريع]

يا قَمَرًا أَبْرَزَهُ فِي مَأْتَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

وذكر الأبيات كلّها .

[تطلب ألا يزورها أياماً]

أخبرني محمد بن جعفر قال : حدثني أحمد بن القاسم عن أبي هفّان عن الجَمّاز واليوئى وأصحاب أبي نواس أنّ جنان وجهت إليه : قد شهرتني ، فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعضُ القالة ، ففعل ، وكتب إليها¹ :

[من المنسرح]

إِنَّا اهتجرنا للنَّاسِ إِذْ فَطِنُوا وَبَيْنَا حِينَ نَلْتَقِي حَسَنٌ¹
 نُدَافِعُ الْأَمْرَ وَهُوَ مُقْتَبِلٌ فَشَبَّ حَتَّى عَلَيْهِ قَدْ مَرَنُوا
 فَلَيْسَ يُقْذِي عَيْنَا مُعَايَنَةً لَهُ وَمَا إِنَّ تَمُجَّهَ أَذُنُ
 وَبِحِ تَقْيِفٍ مَاذَا يَضُرُّهُمْ أَنْ كَانَ لِي فِي دِيَارِهِمْ سَكَنٌ²
 أَرَيْبُ مَا بَيْنَنَا الْحَدِيثُ فَإِنْ زِدْنَا فزِيدُوا وَمَا لِذَا ثَمَنُ

[رسالة لجنان من بغداد]

أخبرني الحسن بن علي³ قال : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : بلغني
 أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ كَتَبَ إِلَى جِنَانٍ مِنْ بَغْدَادَ³ :

[من الطويل]

كَفَى حَزَنًا أَلَّا أَرَى وَجَهَ حِيلَةٍ أَزُورُ بِهَا الْأَحْبَابَ فِي حَكَمَانِ
 وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ تَنَالَ مَعَاشِرُ جِنَانًا بِمَا لَا أَشْتَهِي لِجِنَانِ
 لِأَصْبَحْتُ مِنْهَا دَانِي الدَّارِ لِاصْفَا وَلَكِنْ مَا أَخْشَى ، فُدَيْتِ ، عِدَانِي
 فَوَاحِزَنَا حُزْنًا يُؤْدِي إِلَى الرَّدَى فَأَصْبَحَ مَأْثُورًا بِكُلِّ لِسَانِ
 أُرَانِي انْقَضَتْ أَيَّامُ وَصَلِي مِنْكُمْ وَأَذِنَ فِيكُمْ بِالْوَدَاعِ زِمَانِي

[شتمته وتنقصته]

أخبرني الحسن بن علي³ قال : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْخُرَيْمِيِّ قَالَ : بلغ أبا
 نُوَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً ذَكَرَتْ لِجِنَانٍ عِشْقَهُ لَهَا ، فَشْتَمْتَهُ جِنَانٌ وَتَنْقَصْتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَقْبَحَ الذُّكْرِ ،
 فَقَالَ⁴ :

[من المنسرح]

وَإِنِّي بِأَبِي مَنْ إِذَا ذُكِرْتُ لَهُ وَطُولُ وَجْدِي بِهِ تَنْقَصُنِي
 لَوْ سَأَلُوهُ عَنْ وَجْهِ حُجَّتِهِ فِي سَبِّهِ لِي لِقَالٍ : يَعِشْقُنِي
 نَعَمْ إِلَى الْحَشْرِ وَالتَّنَادِ نَعَمْ أَعِشْقُهُ أَوْ أَلْفٌ فِي كَفَنِي
 أَصْبِيحُ جَهْرًا لَا أُسْتَسِرُّ بِهِ غَنَفْنِي فِيهِ مَنْ يُعْنَفُنِي
 يَا مَعْشَرَ النَّاسِ فَاسْمَعُوهُ وَعُؤَا : أَنَّ جِنَانًا صَدِيقَةُ الْحَسَنِ

1 اهتجرنا : تقاطعنا .

2 السكن : ما يسكن إليه .

3 ديوانه : 254 .

4 ديوانه : 291 .

[رآها في المنام بعد الحجر]

فبلغها ذلك . فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحتَه ، فكتب إليها¹ :

إذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصلُ كما كنا
يا قرّة العين فما بالنا نشقى ويلتذّ خيالنا
لوشئت إذ أحسنت لي في الكرى أتممت إحسانك يقظانا
يا عاشقين اصطّلحا في الكرى وأصبحا غُضبي وغضبنا
كذلك الأحلام غدارةً وربّما تصدقُ أحيانا

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع ، ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو .

وقال الخُرَيْمِيُّ : ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَّهَتْه بما كَرِهَ ، فغضب وهجرها مدّة ، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فردّه ، ولم يصالحها ، ورآها في النّوم تطلب صلحَه ، فقال² :

دَسْتُ له طيفها كيما تصالِحُه في النّوم حين تأبى الصلحَ يقظانا
فلم يجدْ عند طيفي طيفها فرجاً ولا رثى لتشكّيه ولا لانا
حَسِبْتُ أنّ خيالي لا يكون لِمَا أكون من أجله غضبانَ غضبانا
جِنَانٌ لا تسأليني الصلحَ سرّعةً ذا فلم يكن هيناً منك الذي كانا

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نواس في جنان³ :

أما يَفنى حديثك عن جنانٍ ولا تُبقي على هذا اللسانِ
أكلُّ الدَّهرِ قلتُ لها وقالت فكَمْ هذا أما هذا بفانٍ
جعلتَ النَّاسَ كلَّهمُ سواءَ إذا حدّثتَ عنها في البيانِ
عدوك كالصديق وذا كهذا سواءَ ، والأباعدُ كالأداني
إذا حدّثتَ عن شأنٍ تواتر عجائبه أتيتهمُ بشأنٍ⁴

1 ديوانه : 244 .

2 ديوانه : 283 .

3 ديوانه : 288 .

4 عن شأن تواتر في الديوان : عن شيء فولت .

فلو موّهت عنها بأسم أخرى علمنا إذ كنيت من انت عانٍ ؟
[بيعت ورحلت]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني يحيى بن محمد السلميّ قال : حدّثني أبو عكرمة الضبيّ : أن رجلاً قديم البصرة فاشترى جناناً من موالها ، ورحل بها ، فقال أبو نواس في ذلك¹ :

أمّا الديارُ فقلّما لبثوا بها بين استياق العيسِ والرُكبان²
وضَعُوا سِياطَ السَّوْقِ في أعناقها حتى اطلَعنَ بهم على الأوطانِ
أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال : حدّثني محمد بن سعيد الكُرانيّ قال : حدّثني أبو عثمان الأشناداني قال : كتب أبو نواس إلى جنان³ :

أكثرني المَحَوَ في كتابك واهم ه إذا ما مَحَوته باللسان⁴
وأمرّي السحاة بين ثنايا لك العذابِ المُقلّجاتِ الحسان⁵
إنّني كلّما مررتُ بسَطَرٍ فيه مَحَوٌ لطعته بلساني
تلك تَقِيلَةُ لَكُمْ من بعيد أُهديتُ لي وما بَرَحْتُ مكاني⁶

صوت

[من الطويل]

تَجَنّى علينا آلُ مكتوبةَ الذنبا وكانوا لنا سلماً فأضحوا لنا حرباً
يقولون عزّ القلبَ بعد ذهابه فقلت ألا طوباي لو أنّ لي قلباً
عروضه من الطويل . الشعر لابن أبي عُيَيْنَةَ ، والغناء لسليمان أخي جَحْظَةَ ، رمل
بالوُسْطى عن عمرو بن بانة .

1 ديوانه : 292 .

2 الركبان في الديوان : بالركبان .

3 ديوانه : 277 .

4 الديوان :

5 في الديوان : وأمرّي الحزام .
6 الديوان :

فأرى ذاك قبله من بعيد أُهديت لي وما برحت مكان

[415] - نسب ابن أبي عيينة وأخباره¹

[من المقصود بالاسم]

أبو عِيْنَةَ ، فيما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد ، اسمه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَنْ يدعى أبا عِيْنَةَ من آل المهلب فابو عِيْنَةَ اسمه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَنْ يدعى أبا رُهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد .

وابنُ أبي عِيْنَةَ هو محمد² بن أبي عِيْنَةَ بن المهلب بن أبي صُفرة . وقال أبو خالد الأسلمي : هو أبو عِيْنَةَ بن المنجاب بن أبي عِيْنَةَ ، وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً .

واسم أبي صُفرة ظالم بن سراق ، وقيل : غالب بن إسراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مُزيقياء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زائد الراكب بن الأزد .

هذا النسب الذي عليه آل المهلب ، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عُمان³ وأنهم تولوا الأزد ، فلما ساد المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه . وممن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مَزروع وابن الكلبي وسائر من جمَعَ كتاباً في المثالب وهجتهم به الشعراء فأكثر .

[أبو المهلب ليس عربياً]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : أخبرني الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي قال : أخبرني الهيثم بن عدي ، عن

1 ترجمة أبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة في طبقات ابن المعتز (288-294) ومعجم الرزباني (110-111) . وفي الشعر والشعراء (750-755) ترجمة لأخيه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . ويورد المبرد في الكامل (516-554) شعراً كثيراً للأخوين . وجميع المصادر المذكورة تنطرق إلى الأخ الآخر وتورد شيئاً من شعره ، ولكنها تشير إلى أبي عيينة باسمه وإلى عبد الله باسم «ابن أبي عيينة» . غير أن أبا الفرج يشير إلى الأول باسمه وابن أبي عيينة ، وكذلك يفعل عندما تنطرق إلى عبد الله ، مما سبب اضطراباً في عائدية الخبر والشعر . ولإيضاح بصورة عامة نقول إن ما نسب إلى ابن أبي عيينة وكان في دنيا (فاطمة) أو في هجاء خالد بن يزيد بن حاتم أو قبيصة بن روح بن حاتم فهو لأبي عيينة بن محمد ، وما كان في طاهر بن الحسين مدحاً أو ذمّاً فهو لعبد الله بن أبي عيينة ما لم يكن واضحاً بصريح التسمية .

2 محمد بن أبي عيينة هو والد أبي عيينة ، فينبغي أن تكون العبارة «هو ابن محمد . . .» .

3 انظر معجم البلدان (خوارك) في أصل أبي صُفرة وتسميته .

عبد الله بن عيَّاش الهمداني قال : وقد ابن الجلندي في الأزْد ، أزد عُمان ومواليهم وأحلافهم ، فكان فيمن وقد منهم أبو صُفرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنه كان يُصفر لِحَيْتَه ، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مَخْضُوبَةٌ مُصْفَرَّةٌ ، فقال عمر لابن الجلندي : أَكُلُّ مَنْ مَعَكَ عَرَبِيٌّ ؟ قال : لا ، فِينَا عَرَبِيٌّ وَفِينَا غَيْرُ ذَلِكَ ، فالتفت عُمَرُ ، رحمه الله ، إلى أبي صُفرة ، فقال له : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ ؟ قال : لا ، أَنَا مِنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ .

[ختن أبي صفرة وهو شيخ]

قال : وقديم الحكم بن أبي العاصي الثَّقَفِيُّ أَخُو عُثْمَانَ بِأَعْلَاجٍ مِنْ شَهْرِك¹ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمُوا ، فَأَمَرَ عُمَرُ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِي أَنْ يَخْتِنَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو صُفْرَةَ حَاضِرًا فَقَالَ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ يَطْهَرُونَ لِيُصَلُّوا ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ يَخْتَنُونَ .

قال : إِنَّا وَاللَّهِ هَكَذَا مِثْلُهُمْ ؛ قَالَ : فَسَمِعَ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي ، فَأَمَرَ بِأَبِي صُفْرَةَ فَأَجْلَسَ عَلَى جَفْنَةٍ فَخَتْنِ وَهُوَ لَشَيْخٍ أَشْمَطُ فَكَانَ بِهَا مَنْ قَالَ : لَسْنَا نَشْكُ فِي أَنَّ زَوْجَتَهُ كَذَلِكَ ؛ فَأَحْضَرَتْ وَهِيَ عَجُوزُ أَدْمَاءَ ، فَأَمَرَ بِهَا الْقَابِلَةَ فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَكَشَفَتْهَا ، وَإِذَا هِيَ غَيْرُ مَخْتُونَةٍ ، وَذَلِكَ مِنْهَا قَدْ أَحْشَفَ² ، فَأَمَرَ بِهَا فَخَفِضَتْ .

وقال في ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب على المهلب³ :

[من السريع]

نَحْنُ قَطَعْنَا مِنْ أَبِي صُفْرَةَ قُلْفَتَهُ كَيْ يَدْخُلَ الْبَصْرَةَ
لَمَّا رَأَى عُثْمَانُ غُرْمُولَهُ أَحْنَى عَلَى قُلْفَتِهِ الشُّفْرَةَ

[كتاب المثلث]

وليس هذا من الأقوال المعول عليها ، لَأَنَّ أَصْلَ الْمَثَلِابِ زِيَادٌ لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا ادَّعَى إِلَى أَبِي سَفْيَانَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تُقَرَّرُ لَهُ بِذَلِكَ مَعَ عِلْمِهَا بِنَسَبِهِ وَمَعَ سُوءِ آثَارِهِ فِيهِمْ ، عَمِلَ كِتَابَ الْمَثَلِابِ ، فَالْصَّقَ بِالْعَرَبِ كُلِّهَا كُلَّ غَيْبٍ وَعَارٍ ، وَحَقٍّ وَبَاطِلٍ ، ثُمَّ بَنَى عَلَى ذَلِكَ الْهَيْئَتِ بْنِ عَدِيِّ ، وَكَانَ دَعِيًّا ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ⁴ أَهْلَ الْبَيُوتَاتِ تَشْفِيًّا مِنْهُمْ ؛ وَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَكَانَ أَصْلُهُ يَهُودِيًّا ، أَسْلَمَ جَدُّهُ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ آلِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَانْتَمَى إِلَى وَلاَةِ بَنِي تَيْمٍ فَجَدَّدَ كِتَابَ زِيَادٍ وَزَادَ فِيهِ ؛ ثُمَّ نَشَأَ غِيلَانُ الشَّعُوبِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ زَنْدِيقًا ثَنَوِيًّا لَا يُشْكُ فِيهِ ، عُرِفَ فِي حَيَاتِهِ بِبَعْضِ مَذْهَبِهِ ، وَكَانَ يورِي عنه في

1 لعلها بلدة فارسية حرف اسمها .

2 أحشف : تقبض وصار كالحشف .

3 شعر زياد بن الأعجم (بكار) : 71 .

4 يعر : يسوء .

عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية ؛ ثم انكشف أمره بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديد التشعب والعصبية ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمّهاتهم وصنائعهم ، وبدأ منهم بالطيب الطاهر ، رسول الله ﷺ فغمّصه¹ وذكره ؛ ثم إلى ين أهل بيته الأذكىاء النجباء عليهم السلام ، ثم يبطون قريش على الولاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كل كذب وزور ، ووضع عليهم كل خير باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني .

وإنما جرّ هذا القول ، ذكر المهلب وما قيل فيه ، وأنتي ذكرته فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه ؛ وفيما مرّ عن أهل النسب ، ثم قلت ما عندي .

[عبد الملك يحرق كتاب المثالب]

أخبرني حبيب بن نصر قال : أخبرني عمر بن شبة قال : حدثني محمد بن يحيى أبو عثمان عن أبيه قال : دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له : هل عندك كتاب زياد في المثالب ؟ فتلّكأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحقي إلا جئتني به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأ عليّ ، فقرأه ، وجعل عبد الملك يتغيّظ ويغضب ممّا فيه من الأباطيل ، ثم تمثّل قول الشاعر .

وأجراً من رأيتُ بظنّهِ غيبٍ على عيب الرجال أولو العيوبِ
ثم أمر بالكتاب فأحرق .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أبي عيينة

[شاعر مطبوع غزل هجاء]

وهو شاعر مطبوعٌ ظريفٌ غزل هجاء . وأنفذ أكثر أشعاره في هجاء ابن عمّه خالد . وأخبارهما تذكر على أثر هذا الكلام وما يصلح تصدير أخباره به . وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة .

حدثني عمي والصوليُّ قالا : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدثني أبي قال : أبو عيينة اسمه كنيته ، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة . [أبوه تولى الري ثم قبض عليه]

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال : حدثني العنزيُّ قال : حدثني أبو خالد الأسلميُّ قال : أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب ، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الري لأبي جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه وغرّمه .

1 غمصه : قلل من شأنه وتهاون بحقه .

وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ : قَالَ وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ : رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لِي :

ما يلقي أبو حربٍ تعالى الله من كربٍ
فلم أَلْبَثْ أَنْ أَخَذَ الْمَنْصُورُ أَبَا حَرْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيَّ فَجَبَسَهُ ، وَكَانَ وَلَاءَهُ الرَّيِّ فَأَقَامَ بِهَا سَنِينَ .

[يَنْزِلُ بِفَاطِمَةَ وَيَكْنِي بِدُنْيَا]

أَخْبَرَنِي عِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ وَعَمِّي قَالُوا : حَدَّثَنَا الْحَزَنْبَلُ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْفَيْضُ بْنُ مَخْلَدٍ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَالَ : كَانَ أَبُو عُيَيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ يَهُوَى فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ الْمُلَقَّبِ هَزَارَ مَرَدً ، وَكَانَتْ امْرَأَةً نَبِيلَةً شَرِيفَةً ، وَكَانَ يَخَافُ أَهْلَهَا أَنْ يَذْكُرَهَا تَصْرِيحًا ، وَيَرْهَبُ زَوْجَهَا عِيسَى بْنُ سَلِيمَانَ ، فَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ فِي جَارِيَةٍ لَهَا يُقَالُ لَهَا : دُنْيَا ، وَكَانَتْ قِيَمَةُ دَارِهَا ، وَوَالِيَةُ أُمُورِهَا كُلِّهَا . وَأَنْشَدَنَا لَابِنِ أَبِي عُيَيْنَةَ فِيهَا ، وَيَكْنِي بِاسْمِ دُنْيَا هَذِهِ :

مَا لِقَلْبِي أَرْقَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ	وَلِحُبِّي أَشَدَّ مِنْ كُلِّ حَبٍّ !
وَلَدُنِيَا عَلَى جُنُونِي بِدُنْيَا	أَشْتَهِي قُرْبَهَا وَتَكْرَهُ قُرْبِي
نَزَلْتُ بِي بَلِيَّةً مِنْ هَوَاهَا	وَالْبَلَايَا تَكُونُ مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ
قُلْ لَدُنْيَا إِنْ لَمْ تُجِيبْكِ لِمَا بِي	رَطْبَةٌ مِنْ دَمُوعٍ عَيْنِي كَثْبِي
فَعَلَامَ انْتَهَرْتَ بِاللَّهِ رُسْلِي	وَتَهْدَدَتِهِمْ بِجَبَسٍ وَضَرْبٍ
أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ لَيْتَ شِعْرِي	كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ أَيُّ ذَنْبٍ ؟

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ أَبُو عُيَيْنَةَ مِنْ أَطْبَعِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ مَأْخِذًا ، مِنْ غَيْرِ أَدَبٍ مُوصُوفٍ وَلَا رَوَايَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَكَانَ يَقْرُبُ الْبَعِيدَ ، وَيُحَذِّفُ الْفَضُولَ ، وَيُقِلُّ التَّكَلُّفَ . وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَمَاتَ قَبْلَهُ .

[مَنْ التَّيَّ كَانَ يَعْشَقُهَا]

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ : أَنْتَ أَشْعَرُ أَمْ أَخْوَكُ ؟ فَقَالَ : لَوْ كَانَ لِي عِلْمِي لَكَانَ أَشْعَرَ مِنِّي . وَكَانَ يَتَعَشَّقُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ هَزَارَ مَرَدً الَّتِي تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ ، وَيُسِرُّ عَشَقَهَا ، وَيَلْقُبُهَا دُنْيَا كَسَمَانًا لِأَمْرِهَا . وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلِيلَةً نَبِيلَةً سَرِيَّةً مِنَ النِّسَاءِ ، وَكَانَ أَبُوهَا مِنْ أَشَدِّ الْفُرْسَانِ وَشُجْعَانِهِمْ . فَذَكَرَ عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّ عِيسَى بْنَ مُوسَى قَالَ لِلْمُهَلَّبِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ الْمُهَلَّبِ : أَكَانَ يَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ أَشْجَعَ أَمْ عُمَرُ بْنُ حَفْصِ هَزَارَ مَرَدً ؟ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : لَمْ أَشْهَدْ مِنْ يَزِيدَ مَا شَهِدْتَهُ ، مِنْ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَرْكُضُ فِي طَلَبِ حِمَارٍ وَحْشِيٍّ حَتَّى إِذَا

حاذاه جمع جَرَامِيزَه¹ وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحْزُرُ مَعْرِفَتَه إِمَّا بِسَيْفٍ وَإِمَّا بِسَكِّينٍ معه حتى قتله .

قال محمد بن يزيد : وَحُدِّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ أَبُو عُيَيْنَةَ يَهُوَى فَاطِمَةَ ، وقال : إِنَّمَا كَانَ جَنْدِيًّا فِي عِدَادِ الشُّطَّارِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ مِنْ أَتْبَلِ النِّسَاءِ وَأَسْرَاهَنَّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً لَهَا ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهَا مَشْهُورَةٌ مِنْ شِعْرِه ، يَقُولُهَا فِي فَاطِمَةَ هَذِهِ أَوْ جَارِيَتِهَا ، وَيَكْنِي عَنْهَا بِدُنْيَا ، فَمِمَّا اخْتِيرَ مِنْهَا قَوْلُهُ : [من الطويل]

وَقَالُوا تَجَنَّبْنَا فَقُلْتَ أَبْعَدَ مَا	غَلَبْتُمْ عَلَى قَلْبِي بِسُلْطَانِكُمْ غَضَبَا
غَضَابٌ وَقَدْ مَلَّوْا وَقَوْفِي بِيَابِهِمْ	وَلَكِنْ دُنْيَا لَا مَلُولًا وَلَا غَضْبِي
وَقَدْ أُرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنِّي بَرِيَّةٌ	وَلَمْ تَرَ لِي فِيمَا تَرَى مِنْهُمْ ذَنْبَا
وَقَالَتْ لَكَ الْعُتْبَى وَعِنْدِي لَكَ الرِّضَا	وَمَا إِنْ لَهُمْ عِنْدِي رِضَاءٌ وَلَا عُتْبَى
وَنُبِثْتُهَا تَلْهُو إِذَا اشْتَدَّ شَوْقُهَا	بَشْعَرِي كَمَا تُلْهِي الْمَغْنِيَّةُ الشَّرْبَا
فَأَحْبَبْتُهَا حُبًّا يَقْرُ بَعَيْنَهَا	وَحُبِّي إِذَا أَحْبَبْتُ لَا يَشْبَهُ الْحَبَا
فِيَا حَسْرَتَا نَغَصْتُ قُرْبَ دِيَارِهَا	فَلَا زُلْفَةً مِنْهَا أَرْجِي وَلَا قُرْبَا
لَقَدْ شِمِتَ الْأَعْدَاءُ أَنْ حِيلَ بَيْنَهَا	وَيَنِي أَلَا لِلشَّامَتَيْنِ بَنَا الْعُقْبَى
وَمِمَّا قَالَ فِيهَا وَغَنِي فِيهِ :	

[من الكامل]

صوت²

ضَيَّعْتَ عَهْدَ فَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظٍ	فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
وَنَأَيْتَ عَنْهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ	إِلَّا الْوُقُوفُ إِلَى أَوَانِ رَجُوعِكَ
مَتَخَشَّعًا يُذْزِي عَلَيْكَ دُمُوعَهُ	أَسْفًا وَيَعْجَبُ مِنْ جُمُودِ دُمُوعِكَ
إِنْ تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفُؤَادِهِ	فَيُحْسِنُ وَجْهَكَ لَا بِحَسَنِ صَنِيعِكَ ³

عروضه من الكامل ، الغناء في هذه الأبيات من الثقل الأول بالوسطى . ذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَسْخَرٍ ، وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ .

فَذَكَرَ الْعَتَابِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ جَمِيعًا ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْمَكِّيَّ حَدَّثَهُمَا قَالَ :

1 جراميزه : أطرافه .

2 في الشعر والشعراء : 754 والمرزباني : 111 لعبد الله .

3 إن تقتليه في الشعر والشعراء والمرزباني : إن تقتنيه .

حدَّثني عمرو بنُ بانه قال : ركبْتُ يوماً إلى دارِ صالح بن الرّشيد ، فاجتزأتُ بمحمد بن جعفر بن موسى الهادي ، وكان مُعاقراً للصُّبوح ، فألفيته في ذلك اليوم خالياً منه ؛ فسألته عن السبب في تعطيله إياه ، فقال : نيرانٌ عليّ غضبي ، يعني جارية لبعض النّخاسين ببغداد ، وكانت إحدى المحسنات ، وكانت بارعة الجمال ظريفة اللسان ، وكان قد أفرط في حبّها حتى عُرِف به ، فقلت له : فما تحبّ ؟ قال : تجعل طريقك على مولاها فإنّه يستخرجها إليك ، فإذا فعلتَ دفعْتَ رقتي هذه إليها - ودفع إليّ رقعة فيها : [من الكامل]

ضيعتَ عهدَ فتى لعهدك حافظٍ في حفظه عَجَب وفي تضييعك
إن سُمِّيه أن تذهبي بفؤاده فيحسّن وجهك لا يحسّن صنيعك
فقلت له : نعم ، أنا أحمَل هذه الرسالة وكرامةً ، على ما فيها ، حفظاً لروحك عليك ، فإنّي لا آمن أن يتمادى بك هذا الأمر . فأخذتُ الرّقعة وجعلتُ طريقني على منزل النّخاس ، فبعثتُ إلى الجارية : اخرجي ، فخرجت ، فدفعْتُ إليها الرّقعة ، وأخبرتها بخبري فضحكت ، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلتُ منه فجلستُ جلسةً خفيفةً ، ثم إذا بها قد وافقتني ومعها رقعة ، فيها :

صوت

وما زلتَ تعصيني وتُغري بي الرّدى وتهجّرني حتى مرّنتَ على الهجر
وتقطّع أسبابي وتنسى مودّتي فكيف ترى يا مالكي في الهوى صبري
فأصبحتُ لا أدري أياًساً تصبري على الهجر أم جدّاً البصيرة لا أدري
غنى في هذه الأبيات عمرو بنُ بانه ، ولحنه ثقيل أوّلُ بالبصرة ، ولمقاسة بن ناصح فيها
ثقيل آخر بالوسطى . لحن عمرو في الأوّل والثالث بغير نشيد .

قال : فأخذتُ الرّقعة منها وأوصلتها إليه ، وصرتُ إلى منزلي ، فصنعتُ في بيتي محمد بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً ، ثم صرتُ إلى الأمير صالح بن الرّشيد ، فعرفته ما كان من خبري ، وغنيته الصوتين . فأمر بإسراج دوابه فأسرجت ، وركب فركبته معه إلى النّخاس مولى نيران ، فما برحنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار ، وحملها إلى دار محمد بن جعفر فوهبها له ، فأقمنا يوماً عنده .

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال : حدَّثني يزيد بن محمد المهلبّي قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خليفة ورّاب¹ في حجره جالسة ، وهي صبيّة ، وهو يلقي عليها قوله : [من الكامل]

ضَيَّعَتْ عَهْدَ فَتَى لِعَهْدِكَ حَافِظٍ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
وهي تَغْنِيهِ وَيَرُدُّهُ عَلَيْهَا ، فَمَا سَمِعْتَ غَنَاءَ قَطٍّ أَحْسَنَ مِنْ غَنَائِهِمَا جَمِيعاً ، وَمَا زَالَ يَرُدُّهُ
عَلَيْهَا حَتَّى حَفَظْتَهُ .

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

[عبد الله يذمّ زواج فاطمة]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي
عُيَيْنَةَ أَخُو أَبِي عُيَيْنَةَ فِي فَاطِمَةَ ، الَّتِي كَانَ يُشَبِّبُ بِهَا أَخُوهُ ، بِنْتُ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ لَمَّا
تَزَوَّجَهَا عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ عِيسَى مَبْخَلًا ، وَكَانَتْ لَهُ مُحَابَسٌ يُحْبَسُ فِيهَا
الْبِيَّاحُ وَيَبِيعُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ ضَيْعَةٌ تُعْرَفُ بِدَالِيَةِ عِيسَى يَبِيعُ مِنْهَا الْبَقُولَ وَالرِّيَاحِينَ ، وَكَانَ
أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ السَّمَادَ بِالْبَصْرَةِ وَبَاعَهُ ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو الشَّمَقْمَقِ¹ : [من الوافر]

إِذَا رُزِقَ الْعِبَادُ فَإِنَّ عِيسَى لَهُ رِزْقٌ مِنْ اسْتَاهِ الْعِبَادِ
فَلَمَّا تَزَوَّجَ عِيسَى فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي
ذَلِكَ² :

لَدَيْهِ بِذُلٌّ عَاجِلٌ غَيْرُ آجِلٍ ³	أَفَاطِمَ قَدْ زُوِّجَتْ عِيسَى فَبَشْرِي
فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ	فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجْتَ عَنْ غَيْرِ خَبِيرَةٍ
وَإِنْ كَانَ حَرًّا الْأَصْلَ عَبْدُ الشَّمَائِلِ	فَإِنْ قُلْتَ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلٍ	وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ
وَفِي الْبَيْتِ مَنَا وَالذُّرَا وَالْكُوَاهِلِ	وَمَا قُلْتُ مَا قَالَا لِأَنَّكَ أُخْتُنَا
بَانَ صُرْتُ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلَائِلِ	لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتَهُ فِي نَصَابِهِ
عُرَا الْمَجْدِ وَاخْتَارُوا كِرَامَ الْخِصَائِلِ ⁴	إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَنَازَعُوا
إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ وَالْمَبَاقِلِ ⁵	رَأَيْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ

قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ، أَخُو أَبِي عُيَيْنَةَ شَاعِرًا ، وَكَانَ يَقْدَمُ عَلَى أَخِيهِ ،

1 شعراء عباسيون (غرونهاوم) : 134 .

2 في الكامل عشرة أبيات منها .

3 الكامل : فأيقني بذلّ لديه .

4 في الكامل :

إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا عَرَى الْمَجْدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ

5 البيّاح : نوع من السمك .

فَأَخْبَرَنِي جَحْظَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ : شَعَرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَيْنَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَعْرِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ صَدِيقًا لِإِسْحَاقَ .
[تصرّح بالقراءة]

قال محمد بن يزيد : وَمِمَّا قَالَهُ فِي فَاطِمَةَ وَصَرَّحَ بِذِكْرِ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُمَا ، وَحَقَّقَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ يَعْنِيهَا قَوْلُهُ¹ :

دَعَا مَصْرُوحٍ بِأَدْيِ السَّرَارِ	دَعَوْتُكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
وَمَحْتَرِقٌ عَلَيْكَ بِغَيْرِ نَارِ	لَأَنْسِي عَنْكَ مَشْغُولٌ بِنَفْسِي
عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ	وَأَنْتَ تَوَقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
تُذَارِينَ الْعَدُوَّ وَلَا أُدَارِي	فَأَنْتِ لِأَنَّ مَا بَلَكَ دُونَ مَا بِي
جَمَحْتَ إِلَيَّ خَالَعَةَ الْعِذَارِ	وَلَوْ وَاللَّهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي
وَبُحْتِ بِسِرِّهَا بَيْنَ الْجَوَارِي	أَلَا يَا وَهْبُ فِيمَ فَضَحْتَ دُنْيَا
غَوَادٍ نَحْوَ مَكَّةَ أَوْ سَوَارِي	أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِكُلِّ وَادٍ
كَفَضَلَ يَدَيِ الْيَمِينِ عَلَى الْيَسَارِ	لَقَدْ فَضَلْتُكَ دُنْيَا فِي فَوَادِي
فَإِنِّي لَا أَلْوَمُكَ أَنْ تَضَارِي	فَقُولِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولِي

[من ظريف شعره فيها]

قال وقال فيها ، وهو من ظريف أشعاره :
رَقَّ قَلْبِي لَكَ يَا نَوْرَ عَيْنِي
وَأَبَى قَلْبُكَ لِي أَنْ يَرَقَّا
فَأَرَاكَ اللَّهُ مَوْتِي فَإِنِّي
لَسْتُ أَرْضَى أَنْ تَمُوتِي وَأَبْقَى
أَنَا مِنْ وَجْدٍ بِدُنْيَايَ مِنْهَا
وَمِنْ الْعُدَالِ فِيهَا مُلْقَى

صوت

زَعَمُوا أَنِّي صَدِيقٌ لَدُنْيَا لَيْتَ ذَا الْبَاطِلَ قَدْ صَارَ حَقًّا
فِي هَذَا الْبَيْتِ ثُمَّ الَّذِي قَبْلَهُ ، ثُمَّ الْأَوَّلُ لِإِبْرَاهِيمَ لَحْنٌ مَخْوَرِي بِالْوُسْطَى عَنْ الْهِشَامِيِّ .
قال : وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا فِي هَذَا الْوَزْنِ ، وَفِيهِ غَنَاءٌ مَحْدَثٌ رَمَلٌ طُنْبُورِي² : [من الخفيف]
عَيْشُهَا حُلُوٌّ وَعَيْشُكَ مُرٌّ لَيْسَ مَسْرُورٌ كَمَنْ لَا يُسَرُّ

1 في الكامل خمسة أبيات منها منسوبة إلى ابن أبي عيينة .

2 الثالث والرابع في الشعر والشعراء : 753 لعبد الله بن أبي عيينة .

كَمَدٌ فِي الْحَبِّ تَسْخُنُ فِيهِ عَيْنُهُ أَكْثَرَ مِمَّا تَقَرُّ
قَلْتُ لِلْأَيْمِ فِيهَا آلُهُ عَنْهَا لَا يَقَعُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَرُّ
أَتُرَانِي مُقْصِراً عَنْ هَوَاهَا كُلُّ مَمْلُوكٍ إِذَا لِيَ حَرُّ
وَقَالَ فِيهَا أَيْضاً ، وَأَنْشَدَنَاهُ الْأَخْفَشُ عَنْ الْمُبَرَّدِ ، وَأَنْشَدَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ :
أَنْشَدَنِي عَمِّي عُبَيْدُ اللَّهِ لِأَبِي عَيْنَةَ :

[من الخفيف]

حِينَ قَالَتْ دُنِيَا عَلَامَ نَهَارَا زُرْتُ هَلَا أَنْتَظَرْتَ وَقْتَ الْمَسَاءِ
إِنْ تَكُنْ مُعْجَبًا بِرَأْيِكَ لَا تَفَدْ رَقِّ فَاسْتَحْيِ يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ
ذَاكَ إِذْ رُوحَهَا وَرُوحِي مِزَاجَا نِ كَأَصْفَى خَمِرٍ بِأَعَذَبِ مَاءِ

[البحري يأخذ معنى له]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُزَيْدَ : وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُهُ مِنْهُ وَلَمْ يَسَمِّهِ ، وَهُوَ الْبَحْرِيُّ ،
فَقَالَ ¹ :

صوت

جَعَلْتُ جَبْلُكَ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمَصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ
تَهْتَرُّ مِثْلَ اهْتِرَازِ الْغَصَنِ حَرَكَةً مَرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَاحِ
الْغَنَاءِ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِرَدِّاذٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنَصَرِ .

[غزل وفخر]

وَمِمَّا قَالَهُ أَبُو عَيْنَةَ فِي فَاطِمَةَ هَذِهِ ، وَكَتَبَ فِيهِ بِدُنْيَا قَوْلُهُ ² :

[من المتقارب]

صوت

أَلَمْ تَنْهَ قَلْبَكَ أَنْ يَعِشَقَا وَمَا لَكَ وَالْعَشَقَ لَوْلَا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهَى وَشَمُّكَ رِيحَانَ أَهْلِ التُّقَى
عَشِيقَتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَشْهَرِ مَنْ فَرَسَ أَبْلَقَا
أَذْنِيَايَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خَذِي يَدِي قَبْلَ أَنْ أُغْرَقَا
أَنَا ابْنُ الْمَهْلَبِ مَا مِثْلُهُ لَوْ أَنَّ إِلَى الْخَلْدِ لِي مَرْتَقَى
غَنَى فِيهِ أَبُو الْعَنْبَسِ بْنُ حَمْدُونَ ، وَلَحْنُهُ ثَانِي ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ ، وَفِيهِ لِعَرِيبٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ ، رَوَاهُ أَبُو
الْعَنْبَسِ عَنْهَا .

1 ديوان البحري : 442 .

2 في الكامل اثنا عشر بيتاً منها منسوبة لأبي عينة .

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخر بعقبِ النسيب بآبيه ، ويذكر مآثر المهلب بالعراق ، ولكن ممّا قاله في دنيا منها قوله :

[من التقارب]

أدُنِّيَايَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى
أَنَا لَكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ
أَلَمْ أُخْدَعِ النَّاسَ عَنْ وَصْلِهَا
بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ إِنِّي
وَيَوْمَ الْجَنَازَةِ إِذْ أُرْسِلَتْ
وَعُجْ ثُمَّ فَانْظُرْ لَنَا مَجْلِسًا
فَجِئْنَا كَغَصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ
فَقَالَتْ لِأُخْتٍ لَهَا اسْتَنْشِدِي
فَقُلْتُ أَمَرْتُ بِكَتْمَانِهِ
فَقَالَتْ بِعَيْشِكَ قَوْلِي لَهُ

ومن مشهور قوله في دنيا ، وهو ممّا تهتك فيه وصرّح وأفحش ، وهي من جيّد قوله

[من الطويل]

قصيدته التي يقول فيها :

أَنَا الْفَارِغُ الْمَشْغُولُ وَالشَّوْقُ أَفْتِي
عَجِبْتُ لِتَرْكِ الْحُبِّ دُنْيَا خَلِيَّةً
وَمَا بِالْهَلَا مَا كَتَبْتُ تَهَاوَنْتُ
وَقَدْ حَلَفْتُ أَلَّا تَخْطُ بِكَفِّهَا
أَبْخُلًا عَلَيْنَا كُلُّ ذَا وَقْطِيعَةٍ
سَلُّوا قَلْبَ دُنْيَا كَيْفَ أَطْلَقَهُ الْهَوَى
فَإِنْ جَحَدَتْ فَادْكُرْ لَهَا قَصْرَ مَعْبَدٍ
وَمَلْعَبْنَا فِي النَّهْرِ وَالْمَاءِ زَاخِرٍ
وَمِنْ حَوْلِنَا الرَّيْحَانُ غَضًّا وَفَوْقَنَا
إِذَا شَتَّتْ مَالَتْ بِي إِلَيْهَا كَأَنِّي

فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ فَرَاغِي وَعَنْ شُغْلِي
وَأَعْرَاضِهِ عَنْهَا وَإِقْبَالِهِ قُبْلِي
بِكُتْبِي وَقَدْ أُرْسِلْتُ فَانْتَهَرْتُ رُسُلِي
إِلَى قَابِلٍ خَطَأً إِلَيَّ وَلَا تَمْلِي
قَضِيَّتِ لَدُنْيَا بِالْقَطِيعَةِ وَالْبَخْلِ
فَقَدْ كَانَ فِي غُلٍّ وَثِيقٍ وَفِي كَبَلٍ¹
بِمَنْصَفٍ مَا بَيْنَ الْأُبُلَّةِ وَالْحَبْلِ²
قَرَيْنَيْنِ كَالْغَصْنَيْنِ فَرْعَيْنِ فِي أَصْلِ
ظِلَالٍ مِنَ الْكَرْمِ الْمَعْرُشِ وَالنَّخْلِ
إِلَى غَصْنِ بَانٍ بَيْنَ دِعْصَيْنِ مِنْ رَمْلِ

1 الكبل : القيد .

2 منصف : منتصف . والأبله : بلدة على شاطئ دجلة . والحبل : موضع بالبصرة .

لياليَ ألقاني الهوى فاستضفتها
وكم لذة لي في هواها وشهوة
وفي مأتى المهدي زاحمت ركنها
وبتنا على خوفٍ أسكن قلبها
فيا طيبَ طعم العيش إذ هي جارة
وإذ هي لا تعتلّ عني برقية
فقد عفت الآثارُ بيني وبينها
ولما بلوت الحبَّ بعد فراقها
وأصبحتُ معزولاً وقد كنتُ والياً
[غزل ووصف لقصر]

ومِمَّا قاله فيها وفيه غناء¹ :

[من الطويل]

صوت

ألا في سبيل الله ما حلَّ بي منك
وتركك جسمي بعد أخذك مهجتي
فهل حاكمٌ في الحبِّ يحكمُ بيننا
لُسُلِّم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوُسْطى ، وفي هذه القصيدة يقول يصف
قصرًا كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره :

لقد كنتُ يومَ القصرِ مِمَّا ظننتُ بي
يذكرني الفردوسَ طوراً فأرعوي
بغرسٍ كأبكار الجواري وتربية
وسربٍ من الغزلان يترعن حوله
وورقاء تحكي الموصلي إذا غدت
فيا طيبَ ذاك القصرِ قصرًا ومنزلًا
كأن قصورَ القوم ينظرون حوله
يُبدل عليها مستطيلًا بظله

بريئاً كما أنني بريء من الشُّركِ
وطوراً يواتيني إلى القصف والفتك
كأن ثراها ماء وردي على مسك
كما استلَّ منظوم من الدر من سلك
بتغريدها أحيب بها وبمن تحكي
بأفصح سهلٍ غير وعز ولا ضنك
إلى ملكٍ موفٍ على منير الملك
فيضحك منها وهي مطرقة تبكي

[من الطويل]

1 في الشعر والشعراء أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي التاسع والسادس والعاشر والحادي عشر .

[أشعر أهل زمانه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ ، قال : سمعت الأصمعيّ يذكر أنّ الفضل بن الربيع قال لجلسائه : مَنْ أشعر أهل عصرنا ؟ فقالوا فأكثرُوا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخُرَيْبَةِ¹ ، يعني أبا عَينَةَ :

زُرْ واديَ القَصْرِ نِعَمَ القَصْرِ والوادي وَحَبْدًا أَهْلُهُ مِنْ حاضِرِ بادِي
تُرْفًا قَراقِيرُهُ والعِيسُ واقِفَةٌ والضَبُّ والنُّونُ والمَلّاحُ والحادي

[يحذر من الزواج لأجل المال]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن مُجمع قال تزوّج سَعِيد بن عَبَادِ بن حبيب بن المهلب بنتَ سفيان بن معاويةَ بن المهلب ، وقد كان تزوّجها قبله رجلان فدفتهما ، فكتب إليه دبو عَينَةَ² :

رَأَيْتُ أَثائِهَا فرَغَيْتُ فِيهِ وَكَمْ نَصَبْتُ لغيرِكَ بالأَثاثِ³
إِلَى دارِ النُّونِ فجهَّزْتَهُمْ تَحْتَهُمْ بأربعةِ حِثاثٍ
فَصَيَّرَ أَمْرَهَا بِيَدِي أَيْيَهَا وَعَيشِكَ مِنْ حِيَالِكَ بالثَلَاثِ⁴
وَالْأَ فالسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي سَابِدًا مِنْ غَدٍ لَكَ بالمِراثِي

[يعاتب إسحاق لتأخّره عن دعوته]

أخبرني محمد بن مَزِيد الصُّوْلِيُّ قال : حدّثنا حَمَاد بنُ إِسحاق عن أبيه ، قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودَعَا أبا عَينَةَ وتَأَخَّرْتُ عنه حتى اصطَبَحنا شديداً ، وتشاغَلْتُ برَجُلٍ كان عندي من الأعراب ، وكان فصيحاً لأَكْتَبَ عنه ، وكان عنده بعضُ من يعاديني ، قال حماد : كَأَنَّهُ يَوْمِيءَ بهذا القولِ إلى إبراهيمَ بنِ المهديّ ، فسأل أبا عَينَةَ أن يعاتبني بشعرٍ يَنْسُبُني فيه إلى الخُلَفِ فكتب إليّ :

يَا مَلِيئًا بالوَعْدِ والخُلَفِ والمَطْ لِرِ بَطِيئًا عن دَعْوَةِ الأصحابِ
لَهْجًا بالأعرابِ إِنَّ لَدِينَا بعضَ مَنْ تشتهي من الأعرابِ

1 الخربة : موضع بالبصرة .

2 في الشعر والشعراء عدا الثاني .

3 فرغبت فيه في الشعر والشعراء : فطمعت فيه .

4 وعيشك في الشعر والشعراء : وشرح .

قد عرفنا الذي شُغِلَتْ به عـ نأ وإن كان غير ما في الكتابِ
قال : فكتبْتُ إلى الذي حَمَلَ أبا عِيْنَةَ على هذا ، يعني إبراهيم بن المهدي : [من الخفيف]
قد فهمتُ الكتابَ أصلحك الله هـ وعندي إليك ردُّ الجوابِ
ولعمري ما تُصَفُونَ ولا كا ن الذي جاء منكم في حسابي
لستُ آتيك فاعلمَنَّ ولا لي فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتابِ
[نسب إليه شعر منقوش على حجر]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراقيّ قال حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثني
إبراهيمُ بن إسحاق العُمريّ قال : حدَّثنا أبو هاشم الإسكندرانيّ ، عن ابن أبي لهيعة قال :
حُفِرَ حَفْرٌ في بعضِ أُنْفِيَةِ مَكَّةَ ، فوجد فيه حَجَرٌ عليه منقوش : [من الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ فيكونُ
سيكون ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالةِ مُتَعَبٌ محزونُ
يسعى القويُّ فلا ينالُ بسعيه حظاً ويحظى عاجزٌ ومهينُ
قال ابنُ أبي سعيدٍ : هكذا في الحديث ، وقد أنشدني هذه الأبيات جماعةٌ لأبي عِيْنَةَ .
[أشعر من أبي نواس]

حدَّثني عمِّي قال ، حدَّثني عمرُ بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدَّثني عليُّ بن عمرو
الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال : قال لي الفضلُ بنُ الربيع : يا أصمعيّ ، مَنْ أشعرُ أهل زمانك ؟
فقلت : أبو نواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول¹ : [من المنسرح]

أما ترى الشمسَ حَلَّت الحُمَلا وقام وزنُ الزَّمانِ فاعتدلا
فقال : والله إنَّه لَذِيهِنُ فطين ، وأشعر عندي منه أبو عِيْنَةَ .

[حاله عند زواج دنيا]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني فضلُ اليزيديّ : عن إسحاق أنَّه أنشده لأبي عِيْنَةَ في دنيا
التي كان يُشَبِّبُ بها ، وقد زُوِّجَتْ وبلغه أنَّها تُهْدَى إلى زوجها ، وكان إسحاقُ يستحسن
هذا الشعر ويستجيده : [من الطويل]

أرى عهدَها كالوردِ ليس بدائمٍ ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ
وعهدي لها كالآسِ حسناً وبهجةٍ له نَضْرَةٌ تبقى إذا ما انقضى الوردُ

فَمَا وَجَدَ الْعُذْرِيُّ إِذْ طَالَ وَجْدُهُ بَعَفَاءَ حَتَّى سَلَّ مَهْجَتَهُ الْوَجْدُ
كَوَجَدِي غَدَاةَ الْبَيْنِ عِنْدَ التَّفَاتِهَا وَقَدْ شَفَّ عَنْهَا دُونَ أَتْرَابِهَا الْبُرْدُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
وَأُنِّي لِمَنْ تَهْدَى إِلَيْهِ لِحَاسِدٌ جَرَى طَائِرِي نَحْسًا وَطَائِرُهُ سَعْدُ

[دنيا هي فاطمة]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُنْيَا الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو عُمَيْيَّةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُمَيْيَّةَ فِي شَعْرِهِ ، وَقُلْتُ : إِنْ قَوْمًا يَقُولُونَ : إِنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً لِبَعْضِ مُغْنِي الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ : لَا ، يَا بَنِي ، هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ هَزَارَ مَرْدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ قَبِيصَةَ أَخِي الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ عَيْسَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ أَخُو جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدِ ابْنِي سُلَيْمَانَ تَزَوَّجَهَا ، وَهَجَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي عُمَيْيَّةَ ، أَخُو أَبِي عُمَيْيَّةَ فَقَالَ : [من الطويل]

أَفَاطَمَ قَدْ زُوِّجْتَ عَيْسَى فَأَبْشُرِي لَدَيْهِ بِذُلٍّ عَاجِلٍ غَيْرِ آحِلٍ
فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجْتَ عَنْ غَيْرِ خَيْرَةٍ فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ
وَذَكَرَ بَاقِيَ الْأَبْيَاتِ ، وَقَدْ مَضَتْ مُتَقَدِّمًا .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ : ثُمَّ أُنْشَدَنِي أَبِي لِأَبِي عُمَيْيَّةَ يُصْرِّحُ بِنَسَبِهِ الْجَامِعِ لَهُ وَلِفَاطِمَةَ مِنْ أَبْيَاتٍ لَهُ :

وَلَأَنْتِ إِنْ مِتُّ الْمَصَابَةُ بِي فَتَجَنَّبِي قَتْلِي بِلَا وَتَرٍ
فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَلَطُّمٍ جَزَعًا خَدَّيْكَ قَائِمَةً عَلَى قَبْرِي
قَالَ أَحْمَدُ : وَأُنْشَدَنِي أَبِي أَيْضًا فِي تَصَدِيقِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْنِي بِدُنْيَا عَنْ غَيْرِهَا :

مَا لِدُنْيَا تَجْفُوكَ وَالذَّنْبُ مِنْهَا إِنَّ هَذَا مِنْهَا لَخَبٌّ وَمَكْرٌ
عَرَفْتُ ذَنْبَهَا إِلَيَّ فَقَالَتْ أَبْدَعُوا الْقَوْمَ بِالصِّيَاحِ يَفْرَوُ
قَدْ أَمَرْتُ الْفَوَادَ بِالصَّبْرِ عَنْهَا غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِي مَعَ الْحَبِّ أَمْرٌ
وَكُتِمْتُ اسْمُهَا حِذَارًا مِنَ النَّاسِ سِرٌّ وَمِنْ شَرِّهِمْ وَفِي النَّاسِ شَرٌّ
وَيَقُولُونَ بُحَ لَنَا بِاسْمِ دُنْيَا وَاسْمُ دُنْيَا سِرٌّ عَلَى النَّاسِ ذَخْرٌ

ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي أعوانٌ ذنيك أم هي بكرٌ
فتنفست ثم قلتُ أبكر شَبٌّ يا إختوتي عن الطُّوقِ عمرو¹

[ينصح جارة بترك الالتاح]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدٍ بنِ عبد الملك الزيات قال : حدَّثني أبو خالد الأسلمي قال : كان ابنُ أبي عَينَةَ المهلبِيّ صديقي ، وهو أبو عَينَةَ بنُ المنجاب بن أبي عَينَةَ ، فجاءه رجل من جيرانه كان يستقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة فقال :

خفف على إخوانك المونا إن شئت أن تبقي لهم سكنا
لا تلحفن إذا سألت ففي الـ إلحافٍ إجحاف بهم وعنا
فقام الرجل وانصرف .

[يطلب عزل أمير البصرة ويصر على الطلب]

أخبرني أبو دُلف هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثني المبرّد قال : وفَد ابنُ أبي عَينَةَ إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة ، وكان من قبله فدافعه ، وعرض عليه عَوْضاً خطيراً من حاجته ، ووعدّه أن يستصلح له ذلك الأمير ويزيله عما كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلته ، فقال ابنُ أبي عَينَةَ فيه :

يا ذا اليمينين قد أوقرتني منّا تترى هي الغاية القصوى من المنن²
ولستُ أستطيع من شكر أجيء به إلا استطاعة ذي رُوح وذِي بدنٍ
لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة أوفى من الشكر عند الله في الثمن
أنخلصتها لك من قلبي مهذبةً خذوا على مثل ما أوليت من حسن

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباري قال : حدَّثني أبي عن أبي عكرمة عامر بن عمران ، وأخبرني به عمي عن أحمد بن يزيد المهلبِيّ عن أبيه قال : كان إسماعيلُ بن سليمان والياً على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين ، فأساء مجاورة ابن أبي عَينَةَ حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسماعيل تنقصه وعينه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ، ويسعى في عزله عن البصرة ، فبعد ذلك عليه بعض البعد ، وسافر طاهرُ بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه ، فصحبه ابنُ أبي

1 المثل «شب عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 537 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل المقال : 125 .

2 أوقرتني في ل : أوليتي .

عُيِّنَ في سفره ، فتذمّم من ذلك ، وأمر بإيصاله إليه ، فلما دخل ابنُ أبي عُبَيْنَةَ إليه سأله عن حوائجه وأدناه ، وأمره برفعها فأنشده¹ :

[من المنسرح]

مَنْ أَوْحَشْتَهُ الْبِلَادُ لَمْ يُقِمِ فِيهَا وَمَنْ آتَسْتَهُ لَمْ يَرِمِ²
وَمَنْ يَبْتَ وَالْهَمُومُ قَادِحَةٌ فِي صَدْرِهِ بِالزُّنَادِ لَمْ يَنْمِ
وَمَنْ يَرِ النِّقْصَ مِنْ مَوَاطِنِهِ يُزِلُّ عَنِ النِّقْصِ مَوَاطِنُ الْقَدَمِ
وَالْقَرَبُ مِمَّنْ يَنْأَى بِجَانِبِهِ صَدَعَ عَلَى الشَّعْبِ غَيْرَ مَلْتَمِ
وَرُبَّ أَمْرٍ يَعِيا اللَّيْبُ بِهِ يَظْلُ مِنْهُ فِي حَيْرَةِ الظُّلَمِ
صَبَرَ عَلَيْهِ كَظَمٍ عَلَى مَضَضٍ وَتَرَكَهُ مِنْ مَوَاقِعِ النَّدَمِ
يَا ذَا الْيَمِينَيْنِ لَمْ أَرْزُكَ وَلَمْ أَتِكَ مِنْ خَلَّةٍ وَمِنْ عَدَمِ
إِنِّي مِنَ اللَّهِ فِي مَرَاكِ غِنَى وَمُغْتَدَى وَاسِعٍ وَفِي نَعَمِ
زَارَتِكَ بِي هِمَّةٌ مُنَازَعَةٌ إِلَى الْعَلَا مِنْ كَرَامِ الْهِمَمِ³
وَأَنْتَ لِلْجَمِيلِ مُحْتَمِلٌ فِي الْقَدْرِ مِنْ مَنَصِبِي وَمِنْ شِمِي
وَقَدْ تَعَلَّقْتُ مِنْكَ بِالذَّمِّ الـ كَبْرَى الَّتِي لَا تَخِيبُ فِي الذَّمِّ
فَإِنْ أَنْلَ بُغْيَتِي فَأَنْتَ لَهَا فِي الْحَقِّ حَقُّ الرِّجَاءِ وَالرَّحْمِ⁴
وَإِنْ يَعُقُّ عَائِقُ فَلَسْتُ عَلَى جَمِيلِ رَأْيٍ عِنْدِي بِمَتَّهِمْ
فِي قَدَرِ اللَّهِ مَا أُحْمَلُهُ تَعْوِيقُ أَمْرِي فِي اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ⁵
لَمْ يَضُقْ الصَّبْرُ وَالْفِجَاجُ عَلَى حُرِّ كَرِيمٍ بِالصَّبْرِ مَعْتَصِمِ⁶
مَاضٍ كَحَدِّ السِّنَانِ فِي طَرْفِ الـ عَامِلٍ أَوْ حَدِّ مَصْلَتِ خَدَمِ⁷
إِذَا ابْتَلَاهُ الزَّمَانُ كَشَفَهُ عَنْ ثَوْبِ حُرِّيَّةٍ وَعَنْ كَرَمِ

1 في الشعر والشعراء اثنا عشر بيتاً من هذه القصيدة 1-3 ، 7-9 ، 12-17 .

2 الشعر والشعراء :

من آتسته البلاد لم يرم عنها ومن أوحشته لم يقم

3 الشطر الثاني في الشعر والشعراء : إلى جسيم من غاية الهمم

4 الشعر والشعراء : أنل همتي . . . حق الإخاء

5 الشعر والشعراء : تعويق أمري واللوح والقلم

6 الشعر والشعراء : لم يطق السبل . . .

7 العامل : طرف الرمح مما يلي السنان . وخدم : قاطع . وفي الشعر والشعراء : أو حد مرهف .

ما ساء ظنِّي إلاّ بِوَاحِدَةٍ
لِيَهْنَ قَوْمٌ جُرَتْ المَدَى بِهِمْ
وليس كلُّ الدَّلَاءِ راجِعَةٌ
تَرْجِعُ بِالْحَمَاءِ القَلِيلَةِ أَحَدُ
ما تُنْبِتُ الأَرْضُ كلَّ زَهْرَتِهَا
ما فِي نَقْصٍ عن كلِّ مَنْزِلَةٍ

فَأَجَابَهُ طَاهِر :

مَنْ تَسْتَضْفُهُ الِهُمُومُ لَمْ يَنْمِ
ولا يَزَلْ قَلْبُهُ يَكَايِدُ مَا
وقد سَمِعْتُ الَّذِي هَتَفَتْ بِهِ
وقد عَلِمْنَا أَنَّ لَسْتَ تَصْحَبُنَا
إِلَّا لِحَقٍّ وَحُرْمَةٍ وَعَلَى
أَنْتَ امْرُؤٌ لَا تَزُولُ عن كَرَمٍ
وَأَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ جَحَاجِحَةٍ
فَمَا تَرُمُّ مِنْ جَسِيمٍ مَنْزِلَةٍ
إِنْ كُنْتَ مُسْتَسْقِيًّا سَمَاحَتُنَا
أَوْ تَرُمُّ فِي بَحْرِنَا بِذَلِكَ لَا
إِنَّا أَنْاسٌ لَنَا صَنَائِعُنَا
مَغْتَنِمُو كَسْبِ كُلِّ مَحْمَدَةٍ

[شعره في عزل والي البصرة]

فاحتكم عليه أبو عيينة في عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأمر له بمائة ألف درهم . فقال أبو عيينة في عزله إسماعيل بن جعفر عن إمارة البصرة⁵ :

[من المنسرح]

1 الودم : السيور بين آذان الدلو إلى الخشيتين .

2 الحمأة : الطين الأسود . والصبابة : بقية الماء . والأُم : اليسير .

3 المريض في ل : السليم .

4 الحُرْمُ في ل : والذم .

5 القصيدة في الكامل (543) لابن أبي عيينة وهو الذي كانت تربطه علاقة بطاهر بن الحسين لا أخوه أبو عيينة .

لا تَعْدَمِ العَزْلُ يا أبا الحسنِ ولا هُزالاً في دولة السَّمَنِ
ولا انتقِالاً من دارٍ عافية إلى ديارِ البلاءِ والمِحَنِ¹
أنا الذي إن كَفَرْتَ نِعْمته أذاب ما في جَنِيكَ من عُكَنِ²

[رد ابن زعل على هجائه لنزار]

حدَّثني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني محمد بنُ عبدِ الله الحَزَنبَلِ الأصبهانيّ قال : كان
ابنُ أبي عُيَيْنَةَ قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورة ، وفَضَّلَ عليها قحطان ، فقال ابنُ زَعْبِل
يهجوه ويردُّ عليه ، واسمه عمرو بن زَعْبِل :

بُنَيَّ أَبِي عُيَيْنَةَ ما نطقتَ به من اللَّغَطِ
على ما أنتَ ملتَحِفٌ من الأوجاعِ في الوسطِ
لِما في الدُّبُرِ من نَغَلٍ وما في العِرْضِ من سَقَطِ
أَتَتْنَا الخَمْسُ والمائتا نِ بالنعْماءِ والغِبَطِ
أُميرٍ من هلالٍ مسرٍ تطيلُ الباعِ منبَسِطِ
شريفٍ ليس بالمدخو لِ في عِرْضٍ ولا رَهْطِ³
أظنُّكَ مِن يديه وا قعاً لا شكَّ في ورَطِ
ووالي الخُرجِ فياض الـ يَدَيْنِ بنائلِ سَبَطِ⁴
له نِعَم حباك بها فلم تحفظ ولم تحُطِ
وقاضٍ من أُمير المؤ منين يقوم بالقِسْطِ
يَسْرُكُ أَنَّهُ من آ لِ قحطانٍ على شَحْطِ⁵
وأنتَ إنْ ذُكِرْتَ يقا لُ شيخُ فاسقُ الشَّمْطِ
أعبدُ من عبيد عُما ن عابَ مناقبَ السَّبَطِ
وتهجو الغرَّ من مُضرٍ كفى هذا من الشُّطَطِ

1 المِحَنِ في الكامل : والفتن .

2 لم يرد هذا البيت في الكامل .

3 عِرْض في ل : حسب .

4 سبط : ممتد .

5 آل في ل : حي .

تَيْمَمٌ فِي مُقَيَّرَةٍ مَسِيرًا غَيْرَ مَغْبُطٍ¹
 مَجُوفَةٌ مَزِينَةٌ بِوَدْعٍ لَاحٍ كَالرَّقْطِ²
 بُؤُوكَ تَجَرَّهَا بِالْقَدِّ سِمْسَمَ مَوْتَرِينَ بِالْفُوطِ³
 مَتَى غَمَسُوا مَرَادِيَهُمْ لَجِدَّ السَّيْرِ تَحْتَاطِ⁴
 وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ السُّكَا نِ يُمْسِكُهُ بِلَا غَلْطِ
 عَلَيْكَ عِبَاءٌ مَشْكُورٌ كَتَمَ بِالشُّوْكِ لَمْ تُحْطِ
 فَطَيْبَ رِيحٍ بِلَدْتِنَا فِرَارُكَ خِيفَةَ الشُّرْطِ
 وَأَنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بِكَتَمِ رَةِ التَّخْلِيطِ وَالْغَلْطِ
 تَرَى الْخُسْرَانَ إِنْ لَمْ تَرُ نِ فِي يَوْمٍ وَلَمْ تَلُطِ

[نذر المأمون دمه]

قال : وكان ابنُ أبي عيينة لما هجا زراراً بلغ شعره المأمون ، فنذر دمه ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمان ، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون .
 أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني ابن مَهْرُؤَيْه عن أبيه بِقِصَّةِ ابنِ أبي عيينة مع ابنِ زَعْبَلٍ ، فذكر نحو الخبر المتقدم .
 [يشبب بوهبة ثم بدنيا]

حدثني عمِّي قال : حدثني أحمد بن يزيد المهلبي ؛ قال : قال : حدثني أبي قال : كان ابنُ أبي عيينة يشببُ بوهبة جارية القروي ، وهي التي يقول فيها فروجٌ الزنى قوله : [من البسيط]
 يا وهب لم يبقَ لي شيءٌ أسرَّ به إلَّا الجلوسُ فتسقينني وأسقيك
 ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا ، وذكرهما جميعاً في شعره فقال : [من الخفيف]
 أرسلتُ وهبةً لما رأته بعد سقمٍ من هواها مُفِيقاً
 أتغيرتَ كأن لم تكن لي قبل أن تعرفَ دنيا صديقاً

1 المقيرة : سفينة مطلية بالقار . مغبوط : مغبوط .

2 الودع : خرز أبيض يخرج من البحر .

3 القلس : حبال السفينة .

4 مرادي : جمع مرادة ، وهي المجداف . تختلط : تسرع .

5 في معجم المرزباني (495) : فروخ الطلحي المدني ، ويقال فروخ الزنا واسمه يعقوب بن إسماعيل . وقد تقدم ذكره في الأغاني باسم فروخ الرفاء الطلحي .

قد لَعَمري كان ذاك ولكن قَطَعَتْ دُنْيَا عَلَيْكَ الطَّرِيقَا
أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ هَزَارَ مَرْدُ
البَصْرَةِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي ذَلِكَ وَفِي دُنْيَا يَكْنِي بِهَا عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ
صَاحِبَتِهِ :

هَنِيئاً لِدُنْيَا هَنِيئاً لَهَا قَدُومُ أَبِيهَا عَلَى الْبَصْرَةِ
عَلَى أَنَّهَا أَظْهَرَتْ نَخْوَةَ وَقَالَتْ لِي الْمَلِكُ وَالْقَدْرَةُ
فِيَا نَوْرَ عَيْنِي كَذَا عَاجِلاً عَلَيَّ تَطَاوَلَتْ بِالْأَمْرَةِ

قال : وهذا دليل على أَنَّهُ كَانَ يَكْنِي عَنْ فَاطِمَةَ بِدُنْيَا ، لَا أَنَّهُ كَانَ يَهْوِي جَارِيَتَهَا دُنْيَا .
قال أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ : وَفِيهَا يَقُولُ أَيْضاً :

[من البسيط]

يَا حَسَنَهَا يَوْمَ قَالَتْ لِي مُودَّعَةٌ لَا تَنْسَ مَا قُلْتَ ، مِنْ فِيهَا إِلَى أُذُنِي
كَأَنَّني لَمْ أَصِلْ دُنْيَا عَلَانِيَةً وَلَمْ أَزُرْ أَهْلَ دُنْيَا زَوْرَةَ الْخَتَنِ
جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالْرُوحُ فِي وَطَنِ وَالْجِسْمُ فِي وَطَنِ
فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّي أَنَّ لِي جَسَداً لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بَلَا بَدَنٍ
وَفِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ هَزَجٌ طُنُبُورِيٌّ مُحَدَّثٌ .

[رثاء أخيه داود]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : وَرَدَ عَلَى ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ كِتَابُ
مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ بِأَنَّ أَخَاهُ دَاوُدَ خَرَجَ إِلَيْهِ بِبَرِيدٍ ، فَمَاتَ بِهِمَاذَانِ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ عِنْدَ
ذَلِكَ يَرِثِيهِ :

[من الوافر]

أَنَاءُحَةَ الْحَمَامِ قَفِي فَنُوحِي عَلَى دَاوُدَ رَهْنًا فِي ضَرْحِ
لَدَى الْأَجْيَالِ مِنْ هَمَّازَانِ رَاحَتِ بِهِ الْأَيَّامَ لِلْمَوْتِ الْمُرْجِ
وَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ الْبَوَاكِي فَتَبَكَّيْهِ بِمُنْهَلٍ سَفُوحِ
وَكُونِي مِثْلَهُ إِذْ كَانَ حَيًّا جَوَادًا بِالْغَبُوقِ وَبِالصَّبُوحِ
أَنَاءُحَةَ الْحَمَامِ فَلَا تَشْحِي عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِالرَّجُلِ الشَّحِيحِ
وَلَا بِمُثْمَرٍ مَالًا لِلدُّنْيَا وَلَا فِيهَا بِمِغْمَارِ طَمُوحِ
يَبِيعُ كَثِيرٌ مَا فِيهَا يَبَاقِ ثَمِينٌ مِنْ عَوَاقِبِهِ رِيحِ
وَمِنْ آلِ الْمَهْلَبِ فِي بَابِ لُبَابِ الْخَالِصِ الْحُضْرِ الصَّرِيحِ

هو أبناء آخره ودنيا وأهداف المراثي والمدح

[يحب قينة في الكوفة]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه قال : قديم أبو عيينة إلى الكوفة في بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها ، وأقام بها مدة ، وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها :

لعمري لقد أعطيت بالكوفة المنى	وفوق المنى بالغانيات النواعم
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت	هواي ومثلي مثلها فلينادم
وأنشدتها شعري بدنيا فعربت	وقالت : ملول عهد غير دائم
فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفري	فقد ثبت مما قلت توبة نادم
فقلت قد استوجبنا منا عقوبة	ولكن سرعى فيك روح ابن حاتم

[شعره في بستانه وضيعته]

قال أحمد بن يزيد ، قال لي أبي : كان لابن أبي عيينة بستان وضيع في بعض قطائع المهلب بالبصرة ، فأوطنها¹ وصيرها منزله ، وأقام بها ، وفيها يقول² :

يا جنة فاقت الجنان فما	تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطناً	إن فؤادي لأهلها وطن
زوج حيتانها الضباب بها	فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر فيما نطقت به	إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة	ومن نعام كأنها سفن

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أن أبا عيينة أنشده لنفسه :

صوت

لا يكن منك ما بدا لي بعينيه	لك من اللحظ حيلة واختداعا
إن يكن في الفؤاد شيء وإلا	فدعيني لا تقتليني ضياعا
فلعلي إذا قربت تباعد	ت وأظهرت جفوة وامتناعا

1 أوطنها : اتخذها وطناً .

2 الأبيات في الشعر والشعراء (755) لأبي عيينة .

حين نفسي لا تستطيع لما قد وقعت فيه من هواها ارتجاعا
في هذه الأبيات رمل مطلق محدث .

[عبد الله يعاتب محمد بن خالد البرمكي]

أخبرني عمي قال : حدثني أحمد بن يزيد قال : حدثني أبي قال : كان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها :

أسلم وإن كان فيك عني	قبض لكفك وازورار
تلحظني عابساً قطوباً	كأنما بي إليك ثار
لو كان أمر عتبت فيه	يجوز منه لي اعتذار
أو كنت سألة حريصاً	لحان مني لك الفرار
أو كنت نذلاً عديم عقل	لا منصب لي ولا نيجار
أو لم أكن حاملاً بنفسي	ما تحمل الأنفس الكبار
وأنتي من خيار قومي	وكل أهلي فتى خيار
عذرت إن نالني جفاء	منك وإن نالني ضرار
لكن ذنبي إليك أني	قحطان لي الجد لا نزار
عليك مني السلام هذا	أوان ينأى بي المزار
ما كنت إلا كالحم ميت	دعا إلى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيى	محمد ديمة غزار
ولم يكن ما أثلت منه	بقدر ما ينجلي الغبار
قد أصبح الناس في زمان	أعلامه السفلة الشرار
يستأخر السابق المذكي	فيه ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى	يوماً وما إن له اختيار
ما قدر الله فهو آت	وفي مقاديره الخيار

[يهجو قبصة ابن روح المهلبى ، ويمدح داود ابن عمه]

أخبرني عمي قال : حدثنا أبو هفان ، قال : كان ابن أبي عيينة قد قصد قبصة بن روح بن حاتم المهلبى واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدر فيه ، فأنصرف مغاضباً ، فوجه إليه داود بن مزيد بن حاتم بن قبصة ، فترضاه ، وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ، ومعونته ،

فقال يمدحه ويهجو قبيصة¹ :

[من الكامل]

أَقْبِصَ لَسْتُ وَإِنْ جَهَدْتَ بِمُدْرِكَ	سَعِيَ ابْنِ عَمِّكَ ذِي الْعَلَا دَاوِدَ
شَتَانُ بَيْنَكَ يَا قَبِصَ وَبَيْنَهُ	إِنَّ الْمَذْمُومَ لَيْسَ كَالْحَمْدِ دَاوِدَ
اخْتَارَ دَاوُدُ بَنَاءَ حَمَامِدَ	وَاخْتَرْتَ أَكْلَ شِبَارِقٍ وَتَرِيدَ ²
قَدْ كَانَ مَجْدُ أَبِيكَ لَوْ أَحْيَيْتَهُ	رَوْحَ أَبِي خَلْفَ كَمَجْدِ يَزِيدَ
لَكِنْ جَرَى دَاوُدُ جَرَى مِرْزَ	فَحَوَى الْمَدَى وَجَرِيَتْ جَرِيَّ بَلِيدَ
دَاوُدَ عَمُودَ وَأَنْتَ مَذْمُومَ	عَجَبًا لَذَاكَ وَأَتَمَّا مِنْ عَوْدَ
وَلَرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدَ	نِصْفًا وَسَائِرُهُ لِحُشٍّ يَهُودَ ³
فَالْحُشُّ أَنْتَ لَهُ وَذَاكَ لِمَسْجِدَ	كَمْ بَيْنَ مَوْضِعِ مَسْلَحٍ وَسُجُودِ
هَذَا جَزَاؤُكَ يَا قَبِصَ لِأَنَّهُ	جَادَتْ يَدَاهُ وَأَنْتَ قُفْلُ حَدِيدَ

[شعره في مجلس صاحب بستان الجارية]

حدثني جعفر بن قدامة قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني أبي قال : كانت لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مَغْنِيَّةُ يُقَالُ لَهَا : بُسْتَانُ ، فبلغه أَنَّ أَبَا عِيْنَةَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عِيْنَةَ ذكر لبعض إخوانه محبته لها ولاستماع غنائها ، فدعاه ، وسأله أن يطرح الحِشْمَةَ بينه وبينه ، فأجابه إلى ذلك ؛ وقال لما سكير وانصرف من عنده في ذلك :

[من الوافر]

أَلَمْ تَرَنِي عَلَى كَسَلِي وَفَتْرِي	أَجَبْتُ أَبَا حَذِيفَةَ إِذْ دَعَانِي
وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى سَمَاعِ	أَجَبْتُ وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَانِي
كَأَنَّا مِنْ بَشَاشَتِنَا ظَلَّلْنَا	يَوْمَ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ

[يهجو من لم يعطه سماداً]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْه قال : حدثني محمد بن عثمان قال : كانت لعيسى بن موسى ضيعة إلى جانب ضيعة ابن أبي عيينة بالبصرة ، وكان له إلى جانب ضيعة سماد كثير ، فسأله أن يعطيه بعضه ليعمر ابن أبي عيينة به ضيعة ، فلم يفعل فقال فيه :

[من الوافر]

1 الأبيات 1 و6-8 في معجم المرزباني : 110 و 6-8 في الشعر والشعراء : 755 وطبقات ابن المعتز .

2 حماد في ل : مكارم . والشبارق : جمع شبرق ، وهو نبات متن يلقيه البحر .

3 المرزباني : وباقيه لحش .

رَأَيْتُ النَّاسَ هَمُّهُمْ الْمَعَالِي وَعَيْسَى هَمُّهُ جَمْعُ السَّمَادِ
وَرِزْقُ الْعَالَمِينَ بِكَفِّ رَبِّي وَعَيْسَى رِزْقُهُ فِي اسْتِ الْعِبَادِ¹

[هجاؤه ابن عمه خالد]

هكذا ذكره ابن مَهْرُوتِه ، وهذا بيت فاسد ، وإنما هو :

إذا رُزِقَ الْعِبَادُ فَإِنَّ عَيْسَى لَهُ رِزْقٌ مِنْ اسْتَاهِ الْعِبَادِ
ولابن أبي عَيينَةَ مع ابن عمه خالد أخبارٌ جَمَّةٌ أذكرها هاهنا والسبب الذي حمله على هجائه : أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَشُ ببعضها ، عن محمد بن يزيد المبرِّد ، وبعضها عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما فيما اتفقا عليه ، ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه إليه ، وذكرت في فصول ذلك وخلاله ما لم يأتيا به مما كتبت عن الرواة ، قالوا جميعاً : وَلِيَّ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ جُرْجَانٌ ، فسأل يزيد بن حاتم أبا عَيينَةَ أن يَصْحَبَهُ ويخرج معه ، ووعده الإحسان والولاية ، وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عَيينَةَ جندياً ، فجرد اسمه في جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلما حصل لجُرْجَانٍ أعطاه رِزْقَهُ لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته ، لموضع أبيه وسنه ومحلّه في أهله ، فدعا به ، وقال له : إنه قد بلغني أنك تريد أن تهربَ فإما أن أقمتَ لي كفيلاً برِزْقِكَ أو رددته ، فأتاه بكفيل فاعتته ، ولم يقبله ، ولم يزل يردده حتى ضجر ؛ فجاءه بما قبض من الرِزْقِ فأخذَه ، ولجَّ أبو عَيينَةَ في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه . فقال في هذا عن أحمد بن يزيد المهلبي :

[من الكامل]

دُنِيَا دَعْوَتِكَ مُسْرِعاً فَأَجِيبِي وَبِمَا اصْطَفَيْتُكَ فِي الْهَوَى فَأُثِيبِي
دُومِي أَدُمُ لَكَ بِالصَّفَاءِ عَلَى النَّوَى إِنِّي بِعَهْدِكَ وَاثِقٌ فَتَقِي بِي
وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى اشْتِيَاقِي غَبْرَتِي وَمَشِيبُ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبِي
أُبْكِي إِلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ طَرَبَتْ يَا حَسَنَ ذَاكَ إِلَيَّ مِنْ تَطْرِبِ
تُبْكِي عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَزِينَةً حُزْنَ الْحَبِيبَةِ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِ
وَأَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أَلُمُّ عَلَى الْبُكَاءِ إِنَّ الْبُكَاءَ حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبِ
أَفْلا يُنَادِي لِلْقُقُولِ بِرَحْلَةٍ تَشْفِي جَوَى مِنْ أَنْفُسٍ وَقُلُوبِ

1 تقدم هذا البيت بالرواية الأخرى لأبي الشمقمق في عيسى بن سليمان .

ما لي اصطفت على التعسف خالداً
تَبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة
يا خالد بن قبيصة هيّجت بي
لما رأيتُ ضميرَ غشك قد بدا
وعرفتُ منك خلائقاً جرّتها
خلّيتُ عنك مفارقاً لك عن قلّي
فلئن نظرتُ إلى الرّصافة مرّة
لأمرقنك قائماً أو قاعداً
ولتأتين أباك فيك قصائدٌ
وليشدن بها الإمام قصيدة
ولأودينك مثلما آذيتني

والله ما أنا بعدها بأريب
ولخالد بن يزيد من مصحوب
حرّاً فدونك فاصطبر لحروبي
وأيت غير تجهّم وقطوب
ظهرت فضائحها على التجرب
ووهبت للشيطان منك نصبي
نظراً يُفرج كربة المكروب
ولأروين عليك كلّ عَجيب
حبرتها بتشكّر مقلوب
ولتشتن وأنت غير مهيب¹
ولأشلين على نعاك ذبي²

قال أحمد بن يزيد في خبره : حدّثني أبي قال : أعرس داود بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة ، وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمّه خالد بجرّجان ، فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ، ويخبر نقله أهله إليه ، فقال أبو عيينة في ذلك :

ألا ما لعينك معتلة
وكيف بجرّجان صبر امرئ
وأطول بليلك أطول به
وراعك من خيله حاشر
يسوقك نحوهم مكرهاً
عروس ينعم من تحته
وما مُدنف بين عواده
بأوجع منّي إذا قيل لي :

وما لدموعك منهلة
وحيد بها غير ذي خلّة
إذا عسكر القوم بالأنثلة³
من القوم ليست له قبلّة
وداود بالمصر في غفلة
سريّر ومن فوقه كلّ
ينادي وفي سمعه نقله
تأهب إلى الري بالرحلة

1 ل : وليسمعن بها الأنام . . .

2 أشلى : أغرى كما تغرى الدابة أو الناقة بالمخلاة .

3 الأنثلة : قرية بالجانب الغربي لبغداد .

وما لي وللرّيّ لولا الشقا
أكلّف أجبالها شاتياً
وأهون من ذاك لو سهّلوه
تروح إلينا بها طربة
أخالدُ خذ من يدي لطمّة
جمعت خصال الردى جملة
فما لك في الخير من خلة
ولما تناضل أهل العلا
فما لك في المجد يا خالد
وأسرعت في هدم ما قد بنى
وكانت من النبع عيدانهم
فيا عجباً نبعة أنبتت
ثيابك للبعد مطوية
أجعت بنيك وأعريتهم
إذا ما دُعينا لقبض العطاء
وجلة تمر تغادى بها
وتقصي بنيك وهم بالعا
ولو كان خبز وتمر لديك
وتصبح تقلّس عن تخمة
إذا الحي راعهم رائع

١ إن كنت عنها لفي عزلة
على فارس أو على بغلة
ركوب القراقير في دجلة¹
رواح الندامى إلى دلة
تغيظ ومن قدمي ركلة
وبعت خصال الندى جملة
وكم لك في الشر من خلة
نضلت فأذعنت للنضلة
مقرطسة لا ولا خصلة²
أبوك وأشياخه قبله
نضاراً وعودك من أثلة
خلافاً وريحانة بقله³
وعرضك للشم والبدلة
ولم توت في ذاك من قلة
وهيات كيسك للغلة
فتأتي على آخر الجلة⁴
نزلهم الملح والملة⁵
لما طمعوا منك في فضلة
كان جشاءك عن فجلة⁶
فأوهن من غادة طفلة

1. القراقير : نوع من السفن ، واحدها قرقور .

2. المقرطسة : الرمية الصائبة .

3. الخلاف : شجر كالصفصاف .

4. الجلة : القفة الكبيرة .

5. أي طعامهم خبز الملة والملح . والملة : الرماد الحار .

6. القلس : خروج الطعام أو الشراب إلى الفم سواء ألقى أو أعيد إلى المعدة .

وليثٌ يصول على قِرْنِه إذا ما دُعيتَ إلى أَكَلِه
 فللهِ دَرَكٌ عندَ الخُوا نِ من فارسٍ صادقِ الحِمَلِه
 وإنْ جاءكَ النَّاسُ في حاجة تفكَّرتَ يومين في العِلَّةِ
 وتلقاهُم أبداً كالِحاً كأنَّ قد عَضَضْتَ على بَصَلِه
 فهذا نصيبي من خالِدٍ لكم هنةٌ بَتَّةً بَتَلِه¹
 وإنِّي لِصَحْبَتِهِ مَبْغُضٌ ولا خَيْرَ في صحبةِ السُّفَلِه

[مسلم بن الوليد يستكثر مجاءه لابن عمه]

حدَّثني أحمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عَمَّارِ الثَّقَفِيِّ قالَ : حدَّثني أَبُو الحَسَنِ بنُ المُنْجَمِ قالَ :
 رأيتُ مسلماً بنَ الوليدِ الأنصاريَّ يوماً عندَ أبي ، ثم خرج من عنده ، فلقيه ابنُ أبي عَينَةَ ،
 فسَلَّمَ عليه وتَحَفَّى به ، ثم قالَ له : ما خبرُكَ مع خالد ؟ قالَ : الخبر الذي تعرفه ، ثم
 أنشدَه قوله فيه ² :

يا حفصُ عاطِرُ أخاك عَاطِطٌ كأساً تُهَيِّجُ من نشاطِه
 قالَ : ومسلمٌ يتيسم من هجائه إِيَّاه حتى مرَّ فيها كَلِّها ، ثم ختمها بقوله :
 وإذا تطاولتِ الرُّؤُ سٌ فغطَّ رأسُكَ ثم طَاطِه
 فقال مسلم : مه ، إنا لله ! هتكته والله وأخزيته ، وإنما كنتُ أَظُنُّ أَنَّكَ تمزح وتهزل إلى
 آخر قولك حتى ختمته بالجدِّ القبيح ، وأفرطت فيما خرجتَ به إليه ، ثم مضى وهو يقول :
 فضحتَه والله ، هتكتَه والله !
 [ودعبل يستكره]

أخبرني عمِّي قالَ : حدَّثني أحمدُ بنُ يَزِيدَ قالَ : حدَّثني أبي قالَ : لقي دُعْبُلُ أَبَا عَينَةَ فقالَ
 له : أنشدني قولك في ابن عمِّكَ فأنشده :

يا حفصُ عاطِرُ أخاك عَاطِطٌ كأساً تُهَيِّجُ من نشاطِه
 صِرْفاً يَعودُ لِوَقْعِها كالظَّبْيِ أَطلق من رِباطِه
 صَباً طَوَتْ عنه الهُمُ مُ نَعيمه بعد انبساطِه

1 لكم هنة في بيروت : لكم هبة . وبته : مقطوعة .

2 في معجم المرزباني : 110 البيت الأول من القصيدة الطائية وفي طبقات ابن المعتز : 289 الأبيات الثلاثة الأولى والخامس .

فبكى وحقّ له البكا
جَزِعَ المَخْنُثُ خالداً
فانظُرْ إلى نزواته
دَعْنِي وإيا خالدٍ
إِنِّي وجدتُ كلامه
رجُلٌ يَعِدُّ لك الوعيد
وإذا انتظرتَ غداً
يا خالِ صَدِّ المجدِّ عند
وعِيتَ من حُللِ الندى
فإذا تطاولتَ الرؤى
لشقائقه بعد اغتباطه
لما وقعتُ على قِمَاطِه
من منطقي وإلى اختلاطه
فلاقطعنْ عُرَى نِياطِه¹
فيه مَشاوِه من ضِراطِه
إذا وطئتَ على بساطِه
فخَفِرَ البوادر من سِياطِه
لك فلن تجوزَ على صِراطِه
عُرَى اليتيم ومن رِياطِه²
وس فَعَطَّ رَأْسَكَ ثم طاطِه

فقال له دِعْبِلُ : أغرقت والله في النَّزْعِ وأسرفت ، وهتكت ابنَ عَمِّكَ وقتلته وغمضت منه ، وإنما استنشدتك وأنا أظنُّ أنَّكَ قلتَ كما يقول النَّاسُ قولاً متوسطاً ، ولو علمتُ أنَّكَ بَلَغْتَ به هذا كلُّه لما استنشدتك .

أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بنُ عليٍّ وعمِّي قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوبِه قال : حدَّثني الحسين بنُ السريِّ قال : لقي دِعْبِلُ أبا عُبَيْيْنَةَ فقال له : أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابنِ عَمِّكَ ، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بنُ يزيدَ ، وقال فيه : إِنَّمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ قلتَ فيه قولاً أَبْقَيْتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمتُ أَنَّكَ بَلَغْتَ به هذا كلُّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك ، وجعل يعيد «فَعَطَّ رَأْسَكَ ثم طاطِه» ، ويقول : قتله والله !

[مزيد من هجائه في خالد]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخْفَشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : ومن مختار ما قاله في خالد قوله :

[من البسيط]

قُلْ لِدُنْيَا بِاللَّهِ لَا تَقْطَعِينَا
لَا تَخُونِي بِالْغَيْبِ عَهْدَ صَدِيقِي
واذكرني عيشنا وإذا تنفض الرِّيدِ
واذكرني في بعض ما تذكرنا
لم تخافيه ساعةً أَنْ يَخُونَا
حُ عَلَيْنَا الْخَيْرِيَّ وَالْيَاسَمِينَا³

1 النياط : عرق يشد القلب فإذا قطع مات صاحبه .

2 الرياط : جمع رِيطَة ، وهي ثوب يشبه الملحفة .

3 الخيري : نبات أصفر الزهر ذو رائحة ذكية .

إذ جعلنا الشاهِسْفَرَامَ فراشاً
 حفظ الله إخواني حيث كانوا
 فتية نازحون عن كل عيب
 وهم الأكثرون يعلم ذاك الله
 أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنت
 وتبدلت خالداً لعنة الله
 رجل يقهر اليتيم ولا يؤ
 ويصون الثياب والعرض بال
 نزع الله منه صالح ما أع
 فلعمري المبادرين إلى مك
 إن أضيف خالد وبنيه
 وتراهم من غير نسل يصومو
 يا بني خالد دعوه وفروا
 قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها : [من الطويل]
 ألا خبروا إن كان عندكم خبر
 نفى النوم عن عيني تعرض رحلة
 فإن أشك من ليلي بجزجان طوله
 فيا حبذا بطن الخريز وظهره
 ويا حبذا نهر الأبله منظره
 وفتيان صدق همهم طلب العلا
 لعمري لقد فارقتهم غير طائع
 وقائلة ماذا نأى بك عنهم
 فيا سقراً أودى بلهوي ولذتي

من أذى الأرض والظلال غصونا¹
 من بلاد سارين أم مدلجينا
 وهم في المكارم الأولونا
 أس والأطيون للأطيينا
 ت بقربي منهم شحيحاً ضنينا
 عليه ولعنة اللاعنينا
 تي زكاة وينهر المسكينا
 ويرائي ويمنع الماعونا
 طاه آمين عاجلاً آمينا
 وفداً غادين أو رائحين
 ليجوعون فوق ما يشبعونا²
 ن ومن غير علة يحتمونا
 كم على الجوع ويحكم تصبرونا
 أنقل أم تنوي على الهمة والضجر؟
 بها الهمة واستولى بها بعده السهر
 لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
 ويا حسن واديه إذا ماؤه زخر³
 إذا مد في إبانة النهر أو جزر
 وسيماهم التحجيل في المجد والغر
 ولا طيب نفساً بذاك ولا مقيم
 فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
 ونغصني عيشي عديمك من سفر

1 الشاهسفرام : الریحان .

2 هذا البيت والذي يليه في الشعر والشعراء : 753 .

3 الخريز : المكان المظمئن بين ربوتين .

دعوني وإيّا خالدٍ بعد ساعة
 كأنّي بصدقِ القولِ لما لقيته
 دنيء به عن كلِّ خيرٍ بِلادةٍ
 له منظرٌ يُعمي العيونَ سماجة
 أبوك لنا غيثٌ يعاشُ بوَيْلِهِ
 له أثرٌ في المكرّماتِ يسرّنا
 لقد قُنعتُ قحطانُ خزيّاً بخالدٍ
 أخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدّثني
 الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة :

سيَحمله شِعري على الأبلقِ الأغرِّ
 وأعلّمته ما فيه أَلَمته الحجرُ
 لكلِّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حَسَرَ
 وإن يُختبرَ يوماً فيا سوءَ مُختَبَرٍ
 وأنتَ جرّادٌ ليس يُبقي ولا يذرُ
 وأنتَ تُعَفّي دائماً ذلك الأثرُ
 فهل لكُ فيه يُخزك الله يا مضرُ
 الزبير بن بكار قال : حدّثني عمّي قال : أنشد

[من الطويل]

لقد قُنعتُ قحطانُ خزيّاً بخالدٍ
 فقال الرشيد : بل يُوقرون ويُشكرون .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : قال لنا أبو العباس محمد بن يزيد : لم يجتمع لأحد
 المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله : [من الطويل]

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بوَيْلِهِ
 وأنتَ جرّادٌ ليس يُبقي ولا يذرُ

وقال محمد بن يزيد : ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا :

[من الطويل]

على إخوتي مني السلامُ تحيةً
 وقُلْ لهم بعد التحيّة أنتمُ
 وعزٌّ عليهم أن أقيمَ بِلدةٍ
 لئن ساءهم ما كان من فعلِ خالدٍ
 وقد علموا أن ليس مني بمُقلتٍ
 أخالدُ لا زالت من الله لعنةٌ
 أخالدُ كانت صحبتك ضلالةً
 وأرسلَ يبغي الصلحَ لما تَكَنّفتُ
 فأرسلتُ بعد الشرِّ أنّي مسلمٌ

تحيةٌ مُثنٍ بالأخوة حامدٍ
 بنفسي وما لي من طَريفٍ وتالدٍ
 أخا سَقَمٍ فيها قليلُ العوائدِ
 لقد سرّهم ما قد فعلتُ بخالدٍ
 ولا يومه المسكين مني بواحدٍ
 عليك وإن كنتَ ابن عمّي وقائدي
 عصيتُ بها ربّي وخالفْتُ والدي
 عوارضَ جنبيهِ سياطُ القصائدِ
 إلى غيرِ ما لا تشتهي غيرُ عائدٍ

1 وهذا البيت والبيتان بعده في الشعر والشعراء : 753 . وأضاف رابعاً لم يرد هنا :
 نسيء وتمضي في الإساءة دائماً فلا أنت تستحيي ولا أنت تعتذر

[أهجى شعراء عصره]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني قال : زعم القَحْذَمي أَنَّ الرشيد قال للفضل بن الربيع : مَنْ أهجى المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا ؟ قال : الذي يقول في ابن عمه¹ : [من مجزوء الرمل]

لو كما يَنْقُصُ يزدا دُ إِذَا نال السماء
خالدٌ لولا أبوه كان والكلبَ سواء
أنا ما عشتُ عليه أسوأ النَّاسِ ثناء
إِنَّ مَنْ كانَ مسيئاً لحقيقٌ أَنْ يُساءَ

فقال الرشيد : هذا ابن أبي عيينة ، ولعمري لقد صدقت .

[الهادي يرده من جيش خالد]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثني أبي قال : كان ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجُرْجَان ، فأساء به وجفاه . وكان لابن أبي عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة ، أحدهما مُهَلَّبِي والآخَرُ مَوْلى للأزد ، وكلهم شاعر ظريف ، فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرْجَان فيصيبون منهم ما يقوتهم . وولي موسى الهادي الخِلافة فكتب ابن أبي عيينة إلى مَنْ كان في خدمة الخلفاء من أهل هذه القصيدة : [من الخفيف]

كيف صَبْرِي ومَنْزِلِي جُرْجَانُ والعراقُ البلادُ والأوطانُ ؟
نَحْنُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ حُلَفَاءُ وَندامى على الهوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونَطْرِبُ لِلذَّكْرِ رِ كَمَا تُطْرِبُ النشاورُ القِيَانُ
وَإِذَا مَا بَكَى الحِمَامُ بِكَيْنَا لِيُكَاهِ كَأَنَّا صَبِيَانُ
يَا زَمَانِي المَاضِي بِيغْدَادَ عُدِّي طَالَمَا قَدْ سَرَرْتَنِي يَا زَمَانُ
يَا زَمَانِي المَسِيءُ أَحْسَنُ فَقْدِمَا كَانَ عِنْدِي مِنْ فَعْلِكَ الإِحْسَانُ
مَا يَرِيدُ العُدَالُ مِنِّي أَمَّا يُدْ رَكَ أَيْضاً بِغَمِّهِ الإِنْسَانُ
وَيَقُولُونَ أَمْلِكُ هَوَاكَ وَأَقْصِرُ قَلْتُ مَا لِي عَلَى الهوى سُلْطَانُ²
أَيُّهَا الكَاتِمُ الحَدِيثَ وَقَدْ طَا لَ بِهِ الأَمْرُ وَانْتَهَى الكِتْمَانُ

1 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء : 754 مع عكس الترتيب ، وفي طبقات ابن المعتز : 289 سبعة أبيات آخرها البيتان الأولان وليس منها الثالث والرابع .

2 أملك في ل : أملك .

قد لَعَمْرِي عَرَّضْتَ حِيناً قَبِينَ
 وَاتَّخِذْ خَالِداً عَدُوّاً مَبِيناً
 وَالْهُ عَنْهُ فَمَا يَضُرُّكَ مِنْهُ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا أَبُوهُ لَنَاءَتْ
 قُلُوبُ لَفْتَيَانِنَا الْمُقِيمِينَ بِالْبَا
 لَا تَخَافُوا الزَّمَانَ قَدْ قَامَ مُوسَى
 أَوَّلَمَ تَأْتِهِ الْخِلَافَةُ طَوْعاً
 فَهِيَ مَنْقَادَةٌ لِمُوسَى وَفِيهَا
 قُلُوبُ لِمُوسَى يَا مَالِكَ الْمُلْكَ طَوْعاً
 أَنْتَ بَحْرٌ لَنَا وَرَأْيُكَ فِينَا
 فَافْكِنَا خَالِداً فَقَدْ سَامَنَا الْخَسْرُ
 كَمْ إِلَى كَمْ يُغْضَى عَلَى الذِّلِّ مِنْهُ
 لَيْسَ بَعْدَ التَّعْرِيزِ إِلَّا الْبَيَانُ
 مَا تَعَادَى الْإِنْسَانُ وَالشَّيْطَانُ
 عَضُّ كَلْبٍ لَيْسَتْ لَهُ أَسْنَانُ
 هـ بِسَوْءٍ مَنِي يَدٌ وَلِسَانُ
 بِثَقُوا بِالنَّجَاحِ يَا فِتْيَانُ
 فَلَكُمْ مِنْ رَدَى الزَّمَانِ أَمَانُ
 طَاعَةٌ لَيْسَ بَعْدَهَا عَصِيَانُ
 عَنْ سِوَاهِ تَقَاعَسْ وَجِرَانُ
 بَقِيَادٍ وَفِي يَدَيْكَ الْعِنَانُ
 خَيْرُ رَأْيٍ رَأَى لَنَا سُلْطَانُ¹
 فَرَمَاهُ لِحَنَفِهِ الرَّحْمَنُ
 وَإِلَى كَمْ يَكُونُ هَذَا الْهُوَانُ

قال : فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلوة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

صوت

[من السريع]

أَيْنَ مَحَلُّ الْحَيِّ يَا وَادِي
 مُسْتَصْحَبٌ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةٌ
 بَيْنَ خُذُورِ الظُّنَنِ مَحْجُوبَةٌ
 وَأُسْمَرًا فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ
 خَبِرْ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي
 مِثْلَ عُقَابِ السَّرْحَةِ الْعَادِي²
 حَادَا بِقَلْبِي مَعَهَا الْحَادِي
 مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي³

الشعر لدعبل بن علي الخزاعي ، والغناء لأحمد بن يحيى المكي ، خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

1 سلطان في ل : إيسان .

2 خيفانة : فرس أو ناقة خفيفة الحركة . والسرحة : الدوحة .

3 الأزرق : النصل الشديد الصفاء . ونصب أسمرًا على العطف على خيفانة .

[416] - أخبار دُعبل بن علي ونسبه¹

[هَجَاءٌ خَبِيثُ اللِّسَانِ]

هو دُعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَزِينَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ نَهْشَلٍ بْنِ خِدَاشٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ دُعْبَلِ بْنِ أَنَسٍ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو عَامِرِ بْنِ مُزَيْقِيَا ، وَيَكْنَى أبا عَلِيٍّ .

شاعراً متقدِّماً مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أفلتَ منه كبيرٌ أحد . وكان شديد التعصب على التَّزَارِيَةِ لِلْقَحْطَانِيَّةِ ، وقال قصيدة يردُّ فيها على الكُمَيْتِ بن زيد ، ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن .

أَلَا حَيْتَ عَنَّا يَا مَرِينَا

فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ ، فَنَهَاةً عَنْ ذِكْرِ الْكُمَيْتِ بِسَوْءِ .

وناقضه أَبُو سَعْدٍ الْمَخْزُومِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ وَهَاجَاهُ ، وَتَطَاوَلَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ، فَخَافَتْ بَنُو مَخْزُومٍ لِسَانَ دُعْبَلٍ وَأَنْ يَعْتَمَّهُمُ بِالْهَجَاءِ ، فَفَوَّأَ أَبُو سَعْدٍ عَنْ نَسَبِهِمْ ، وَأَشْهَدُوا بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

[خلع عليه علي بن موسى الرضا من ثيابه]

وكان دُعْبَلٌ مِنَ الشَّيْعَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْمِيلِ إِلَى عَلِيٍّ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَقَصِيدَتُهُ : [من الطويل]

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تَلَاوَةٍ

مَنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ وَفَاخَرَ الْمَدَائِحَ الْمَقُولَةَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَقَصَدَ بِهَا أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِخُرَاسَانَ ، فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَضْرُوبَةِ بِاسْمِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ بِهَا أَهْلُ قُمَّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،

1 ترجمة دُعبل الخزاعي في الشعر والشعراء : 727-730 ووفيات الأعيان 2 : 226-230 ومعاهد التنصيب 2 : 190 وتاريخ بغداد 8 : 382 والفهرست : 229 والموشح : 299 وطبقات ابن المعتز : 264-269 ومعجم الأدباء (عباس) : 1284-1287 وتهذيب ابن عساكر 5 : 227 وشذرات الذهب 2 : 11 والرجال للكشي 313 وسير الذهبية 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 وروضات الجنات 3 : 306 وانظر بروكلمان 2 : 39-41 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد طبع ديوانه عدة مرات ، ونحن نعتمد طبعة بيروت بتحقيق د . محمد يوسف نجم .

فلم يَبْعَهَا ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنَّها إنَّما تَراد لله عزَّ وجلَّ ، وهي محرَّمة عليكم ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم ، فحلفَ ألاَّ يبيعها أو يعطوه بعضُها ليكونَ في كَفَنه ، فأعطوه فردَّ كُم ، فكان في أكفانه .

وكتب قصيدته : «مدارسُ آياتٍ» فيما يقال على ثوب ، وأحرَم فيه ، وأمر بأن يكون في أكفانه . ولم يزل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهره كله هارباً مُتَوَارِجاً .
[يحمل خشبته فلا يجد من يصلبه عليها]

حدثني إبراهيم بن أيوب قال : حدثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتيبة قال : رأيت دِعْبَلَ بنَ عليٍّ وسمعتُه يقول : أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .
[هجاه إبراهيم بن المهدي وأبي عباد]

حدثني عمِّي قال : حدثنا ميمونُ بن هارونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهدي للمأمون قولاً في دِعْبَلَ يحرِّضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنَّما تحرِّضني عليه لقوله فيك¹ : [من السريع]

يا معشرَ الأجنادِ لا تَقْنَطُوا وارضَوا بما كان ولا تسخطُوا
فسوفَ تعطَونَ حُنيَّيةً يلتذها الأَمَرَدُ والأَشْمَطُ²
والمُعبدِيَّاتِ لِقَوَادِمِ لا تَدْخُلُ الكَيْسَ ولا تُرْبِطُ³
وهكذا يَرْزُقُ قُودَه خليفةً مصحفُه الرِّبْطُ⁴

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعُ هذا عنك فقد عفوتُ عنه في هجائه إياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبَّاد ، فلمَّا رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دِعْبَلَ يَجسُرُ على أبي عبَّادٍ بالهجاء ويُحجِم عن أحد ؟ فقال له : وكانَ أبا عبَّاد أبسطَ يداً منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنَّه حَدِيد جاهل لا يؤمنُ ، وأنا أحلم وأصفح . والله ما رأيتُ أبا عبَّاد مقبلاً إلاَّ أضحكتني قول دِعْبَلَ فيه⁵ : [من الكامل]

أولى الأمور بضيعةٍ وفسادٍ أمرٌ يدبُّره أبو عبَّادٍ
وكأنَّه من دِيرِ هِرْزَلٍ مُفْلِتٍ حرَّدَ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ⁶

1 ديوان دِعْبَلَ : 97 .

2 حنينية : من أغاني حنين .

3 المعبديات : أغاني معبد .

4 الربط : العود .

5 ديوان دِعْبَلَ : 71 .

6 دير هِرْزَل : دير بقرية شرقي واسط . وحرد : غضبان .

[آيات لأبيه]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبي قال : أخبرني دعل بن علي قال : قال لي أبي علي بن رزين : ما قلت شيئاً من الشعر قط إلا هذه الآيات :

خليلي ماذا أرتجي من غد امرئ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن امرأ قد ضنّ منه بمنطق يسدّ به فقر امرئ لضنين
وبيتين آخرين وهما :

أقول لما رأيت الموت يطلبني يا ليتني درهم في كيس مباح
فيا له درهماً طالت صيانتُهُ لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح
[اشتقاق دعل ومعناه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال : حدثني أبو هفان قال : قال لي دعل قال لي أبو زيد الأنصاري : ممّ اشتق دعل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدعل ، الناقة التي معها ولدها .
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثني العنزي قال : حدثني محمد بن أيوب قال : دعل اسم محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعل : لقب لقب به .
وحدثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيباني قال : الدعل ، البعير المسن .
[بمن ختم الشعر ؟]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعتُ حذيفة بن محمد الطائي يقول : الدعل : الشيء القديم . قال ابن مهرويه : سمعتُ أبي يقول : ختم الشعر بدعل ، قال : وقال أبي : كان أبو محمّل يقول : ختم الشعر بعمارة بن عقيل .
[نقيضة تحدث رد فعل]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : سمعتُ أبي يقول : لم يزل دعل عند الناس جليل القدر حتى ردّ على الكميت بن زيد :

ألا حييت عنا يا مرينا

فكان ذلك ممّا وضعه . قال : وقال فيه أبو سعد المخزومي :

وأعجب ما سمعنا أو رأينا هجاء قاله حيّ لميت
وهذا دعل كلف معنى بتسطير الأهاجي في الكميت
وما يهجو الكميت وقد طواه الر دى إلا ابن زانية بزيت

[من الوافر]

[ظَنَّ لِقَبِهِ شَتْمًا]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي دَعْبِلُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فَلَمَّا قَمْتُ سَأَلَ رَجُلٌ لَمْ يَعْرِفْنِي أَصْحَابَنَا عَنِّي ، فَقَالُوا : هَذَا دَعْبِلُ ، فَقَالَ : قُولُوا فِي جَلِيسِكُمْ خَيْرًا ، كَأَنَّهُ ظَنَّ اللَّقَبَ شَتْمًا .

[إِفَاقَةٌ مَصْرُوعٌ بِاسْمِهِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : حَدَّثَنِي دَعْبِلُ قَالَ : صُرِعَ مَجْنُونٌ مَرَّةً فَصِيحَتْ فِي أُذُنِهِ : دَعْبِلُ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَأَفَاقَ .
وَأَخْبَرَنِي بِهِذَيْنِ الْخَبْرَيْنِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ ابْنِ مَهْرُؤَيْهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ دَعْبِلُ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ دَعْبِلُ : وَصُرِعَ مَرَّةً مَجْنُونٌ بِحَضْرَتِي فَصِيحَتْ بِهِ : دَعْبِلُ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَفَاقَ مِنْ جَنُونِهِ .

[صَحَبَتُهُ الشُّطَارُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيُّ أَبُو أَحْمَدُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو بْنِ شَيْبَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ الْخَزَاعِيُّ الْأَسْلَمِيُّ ، قَالَ الْعَنْزِيُّ : وَقَدْ كَتَبْتُ عَنْ أَبِي خَالِدٍ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ هَذَا الْخَبْرَ ، قَالَ : كَانَ سَبَبُ خُرُوجِ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ مِنَ الْكُوفَةِ أَنَّهُ كَانَ يَتَشَطَّرُ وَيَصْحَبُ الشُّطَارَ ، فَخَرَجَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْعَتَمَةِ ، فَجَلَسَا عَلَى طَرِيقِ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَارِفَةِ ، وَكَانَ يَرُوحُ كُلُّ لَيْلَةٍ بِكَيْسِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَلَمَّا طَلَعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِمَا وَتَبَا إِلَيْهِ فَجَرَحَاهُ ، وَأَخَذَا مَا فِي كُمِّهِ ، فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ رُمَانَاتٍ فِي خِرْقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ كَيْسُهُ لِيَلْتَذِيٍّ مَعَهُ . وَمَاتَ الرَّجُلُ مَكَانَهُ وَاسْتَرَى دَعْبِلُ وَصَاحِبُهُ ، وَجَدَّ أَوْلِيَاءُ الرَّجُلِ فِي طَلَبِهِمَا ، وَجَدَّ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ ، فَطَالَ عَلَى دَعْبِلِ الْإِسْتِتَارُ ، فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ هَرَبَ مِنَ الْكُوفَةِ . قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَمَا دَخَلَهَا حَتَّى كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ أَحَدٌ .

[يَهْجُو النَّاسَ لِيَخَافُوهُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ الْخَزَاعِيُّ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِدَعْبِلُ : وَيْحَكَ ! قَدْ هَجَوْتَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَاءَ وَالْقَوَادِ وَوَتَرْتَ النَّاسَ جَمِيعًا ، فَأَنْتَ دَهْرَكَ كُلَّهُ شَرِيذًا طَرِيذًا هَارِبًا خَائِفًا ، فَلَوْ كَفَفْتَ عَنْ هَذَا وَصَرَفْتَ هَذَا الشَّرَّ عَنْ نَفْسِكَ ! فَقَالَ : وَيْحَكَ ؟ إِنِّي تَأَمَّلْتُ مَا تَقُولُ ، فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُتَنَفَعُ بِهِمْ إِلَّا عَلَى الرَّهْبَةِ ، وَلَا يُبَالَى بِالشَّاعِرِ وَإِنْ كَانَ مُجِيدًا إِذَا لَمْ يُخَفْ شَرُّهُ ، وَلَمَنْ يَتَّقِكَ عَلَى عَرْضِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي تَشْرِيفِهِ ، وَغِيُوبُ النَّاسِ أَكْثَرُ مِنْ مُحَاسِنِهِمْ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ شَرَّفَتْهُ بِشَعْرِ شَرَفٍ ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَصَفَتْهُ

بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته ، اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر ؛ ويحك ، يا أبا خالد إن الهجاء المقذع أخذ بضيع الشاعر من المديح المضرع . فضحكك من قوله ، وقلت : هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدثني الحمدوي الشاعر قال¹ : سمعت دعبل بن علي يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
وسمعت أبا تمام يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
قال الحمدوي : وأنا ابن قولي في الطيلسان : [من الخفيف]

طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدي
قال الحمدوي : معنى قولنا : أنا ابن قولي ، أي أنني به عرفت .
[يسرق بيتاً ويتفوق فيه على صاحبه]

أخبرني علي بن صالح قال : حدثني أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد² : [من السريع]
مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب
فسرقه دعبل ، فقال : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه .
قال أبو هفان : فأنشدت يوماً بعض البصريين الحمقى قول دعبل .

ضحك المشيب برأسه فبكي
فجاءني بعد أيام ، فقال : قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل ، فقلت له : وأي شيء قلت ؟ فتمنّع ساعة ، ثم قال : قلت :

قهقهه في رأسك القتي³

أخبرني بهذه الحكاية الحسن بن علي عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي هفان ، قال : ذكر نحوه ،

1 انظر هذا الخبر برواية مغايرة في ترجمة محمد بن وهيب في الجزء 19 : 57 .

2 ديوان مسلم : 306 .

3 القتي : الشيب .

وزاد فيه ابن مَهْرُوتَه وَحدَّثني الحَمْدَوِيّ قال : سمع رجل قول المأمون :
 قَبْلَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ فَاعتَلَّ مِنْ شَفْتَيْهِ
 فقال :

رَقَّ حَتَّى تَوَرَّمَتْ شَفْتَاهُ إِذْ تَوَهَّمْتُ أَنْ أُقْبَلَ فَاهُ

[جارية تغني بشعر قاله قبل سبعين سنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوتَه قال : حدَّثني أبو ناجية ، وزعم أنه من
 وَلَدِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، قال : كنتُ مع دِعْبِلٍ فِي شَهْرُزُورٍ ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده
 قَيْنَةٌ محسنة فغنت الجارية بشعر دِعْبِلٍ :

[من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا ؟ لا ، أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلٌّ ، بَلْ هَلَكَا

قال : فارتاح دِعْبِلٌ لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

نسبة هذا الصوت

صوت²

[من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا لا ، أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلٌّ ، بَلْ هَلَكَا

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكََا

لا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

قال : والغناء لأحمد بن المكيّ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى مَطْلُوقٌ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوتَه قال : حدَّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن
 أختِ أَبِي بَكْرِ الْأَصَمِّ قال : كنّا في مجلس الأصمعيّ ، فأنشده رجل لدِعْبِلٍ قوله : [من الكامل]

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فاستحسنه ، فقال الأصمعيّ : إنّما سرقة من قول الحسين بن مطير الأسديّ³ : [من الخفيف]

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالْذَّهْنَاءِ ؟ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ

1 شهرزور : كورة في بلاد فارس أحدثها زور بن الضحاك . ومعنى شهر بالفارسية : مدينة .

2 ديوان دِعْبِلٍ : 337-338 .

3 شعر الحسين بن مطير (غياض) : 31 .

فارقونا والأرضُ مُلبَّسةٌ نَوُ رَ الأفاحي تُجَادُ بالأنواء
كلُّ يومٍ بأقحوانٍ جديدٍ تَضْحَكُ الأرضُ من بُكاءِ السماء

[يهجر جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثني الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثني أحمد بن خالد قال : كنّا يوماً بدار صالح رجل من عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كُنيئة¹ في سطحه ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيّدنا ، فأخذناه . فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناها . وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنّه سقط في دار صالح ، فطلبه منا ، فوجدناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ويتباهون الناس ، فجلس دعبل على المسجد وقال² : [من الكامل]

أَسَرَ المؤذّنُ صالحٌ وضيوفُهُ أَسَرَ الكميّ هفاً خلال الماقِطِ³
بَعَثُوا عليه بَنِيَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ من بين ناتفيةٍ وآخر سامِطِ
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أوثَقُوا خاقانٌ أو هزموا كتابٌ ناعِطِ⁴
نَهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أفضاؤهم بالحائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا . فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ؟ ثم أنشدنا الشعر ، وقال لي : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعتت به إلى دعبل ، وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال وناعطُ قبيلة من همدان ومُجالد بن سعيد ناعطي قال : وأصله جَبَل نزلوا به ، فنسيبوا إليه .

[ينظم الهجاء قبل أن يعرف من ينطبق عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني ابن مَهْرُوتَه قال : حدثني أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يُشَدِّدني كثيراً هجاءه قاله : فأقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استحقّه أحدٌ بعينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه في الشعر . وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُوتَه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه ، وزاد

1 كنيئة : تصغير كنة ، وهي المظلة ، وفي طبعة بيروت : كنية .

2 ديوان دعبل : 99 .

3 الماقط : المضيق في الحرب .

4 الخاقان : ملك الترك . وناعط : قبيلة من همدان .

فيه ، فيما ذكر ابن أبي كامل ، أنه كان عند صالح هذا في يوم أُخِذَ ديك دِعْبِل ، قال : وهو صالح بن بِشْرِ بن صالح بن الجارود العَبْدِي .
[أبو نضير الطوسي لم يرضه فهجاه]

أخبرني محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي العَنَزِيّ قال حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنُ أَبِي أَيُّوبَ قال : مدح دِعْبِلُ أبا نَضِيرَ بنِ حُمَيْدِ الطُّوسِيّ ، فقَصَّرَ في أمرِهِ ، ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعْبِلُ فيه يهجوهُ¹ :

أبا نَضِيرَ تَحْلُحِلْ عَن مَجَالِسِنَا فَإِنَّ فِيكَ لِمَنْ جَارَاكَ مَنَقَصَا
أَنْتَ الْحِمَارُ حَرُونَا إِنْ وَقَعْتَ بِهِ وَإِنْ قَصَدْتَ إِلَى مَعْرُوفِهِ قَمَصَا
إِنِّي هَزَزْتُكَ لَا آلُوكَ مَجْتَهِدَا لَوْ كُنْتَ سَيْفَا وَلَكِنِّي هَزَزْتُ عَصَا
[أبو تَمَامٍ يهجوهُ ويتوعده]

قال : فشكاه أبو نَضِيرَ إلى أَبِي تَمَامٍ الطَّائِيّ ، واستعان به عليه ، فقال أبو تَمَامٍ يجيب دِعْبِلًا عن قوله ، ويهجوهُ ويتوعده² :

أَدْعِبِلُ إِنْ تَطَاوَلْتَ اللَّيَالِي عَلَيْكَ فَإِنْ شِعْرِي سَمَّ سَاعَهُ
وَمَا وَفَدَ الْمَشِيبَ عَلَيْكَ إِلَّا بِأَخْلَاقِ الدَّنَاءَةِ وَالضَّرَاعَةِ
وَوَجْهُكَ إِنْ رَضِيتَ بِهِ نَدِيمَا فَأَنْتَ نَسِيجُ وَحْدِكَ فِي الرَّقَاعَةِ
وَلَوْ بُدِّلَتْهُ وَجْهًا بَوَجْهِ لَمَا صُلِّيتَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ
وَلَكِنْ قَدْ رَزَقْتَ بِهِ سِلَاحًا لَوْ اسْتَعَصَيْتَ مَا أُعْطِيتَ طَاعَةً³
مَنَاسِبَ طَبِيعٍ قُسِمَتْ فَدَعَهَا فَلَيْسَتْ مِثْلَ نِسْبَتِكَ الْمُشَاعَةِ
وَرَوْحَ مَنَكِبَيْكَ فَقَدْ أُعِيدَا حُطَامًا مِنْ زِحَامِكَ فِي خُرَاعَةٍ
قال العَنَزِيّ : يقول إِنَّكَ تَزَاحِمُ خُرَاعَةً ، تَدْعِي أَنَّكَ مِنْهُمْ وَلَا يَقْبَلُونَكَ .

[يرد على هجاء الخاركي]

أخبرني محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي العَنَزِيّ قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَيُّوبَ قال : تعرَّضَ الخَارَكِيُّ⁴ البَصْرِيُّ ، وهو رجل من الأزد ، لدِعْبِلَ بنِ عَلِيٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه

1 ديوان دعبِل : 95 .

2 ديوان أبي تمام (عزام) 4 : 387 . وفيه «أعتبة . . .» .

3 أعطيت في ل : أديت .

4 نسبة إلى جزيرة خارك بالخليج العربي .

دِعبِل¹ :

[من السريع]

وشاعرٍ عَرَضَ لي نفسَه
يَشْتُمُ عَرَضِي عِنْدَ ذِكْرِي وَمَا
فَقَلْتُ لَا بَلَّ حَبْذَا أُمُّهُ
أَكْذِبُ وَاللَّهِ عَلَى أُمِّهِ
لَخَارِكُ آبَاؤُهُ تَمَّي
أَمْسَى وَلَا أَصْبَحَ مِنْ هَمِّي
خَيْرَةُ طَاهِرَةٍ عِلْمِي
كَكَيْدِهِ كَانَ عَلَى أُمِّي

[أَجَسِرُ النَّاسِ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ قَالَ : لَقِيتُ دِعبِلَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ أَجَسِرُ النَّاسِ عِنْدِي وَأَقْدَمُهُمْ حَيْثُ تَقُولُ² : [من الكامل]
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَفْتُكَ بِمَقْعَدِ³
رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَنَا أَحْمِلُ خَشْبَتِي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلَا أَجِدُ مَنْ يَصْلِبُنِي عَلَيْهَا .

[رِثَاؤُهُ ابْنَ عَمِّهِ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : قَالَ دِعبِلُ بْنُ عَلِيٍّ يَرِثُنِي ابْنُ عَمِّ لَه مِنْ خُرَاعَةِ نَعْيِي إِلَيْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ : وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا مَا شَاءَ⁴ : [من البسيط]
كَانَتْ خُرَاعَةٌ مِلْءُ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي يَبْلُقَعَةُ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يَبَارِيهَا⁵
أَضْحَى قَرَى لِّلْمَنَآيَا إِذْ نَزَلْنَ بِهِ وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِئُهَا
حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مَهْرُؤَيْهِ عَنْ أَبِيهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ الْمَنَعِيَّ إِلَى دِعبِلِ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُطَّلَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ، وَأَنَّهُ نَعِيَ إِلَى دِعبِلِ ، وَكَانَ هُوَ بِالْجَبَلِ ، فَرثَاهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

[يَعْبُرُ أَمِيرُ الْأَهْوَازِ بِالْهَرَبِ]

أَخْبَرَنِي الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : بَلَغَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّ دِعبِلًا هَجَاهُ ، فَنَوَّعَهُ بِالْمَكْرُوهِ وَشَتَمَهُ ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَهَرَبَ مِنْ

1 الأبيات في ديوان دعبل : 194 ، برواية أخرى مختلفة في هجاء أبي تمام .

2 ديوان دعبل : 70 .

3 إشارة إلى طاهر بن الحسين الذي قتل الأمين ، وكان ولاؤه إلى خُرَاعَةٍ .

4 ديوان دعبل : 165 .

5 حسيراً : كليلاً .

زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر وبَّيْض في أيام أبي السرايا ، فقال دَعْبِلُ بن عليَّ يَعْبِرُ
إِسْمَاعِيلُ بِذَلِكَ¹ :

لقد خَلَفَ الأهوازَ من خلف ظَهْرِهِ يريدُ وراءَ الزابِ من أرضِ كَسَكِرٍ²
يهوُلُ إِسماعيلُ بالبَيْضِ والقنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفرِ
وعاينته في يوم خلَّى حريمه فيا قبحها منه ويا حسنَ منظرِ

[حكاية تشطره وهره مرة أخرى]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حَدَّثَنَا ابنُ مَهْرُوبٍ قال حَدَّثَنِي ابنُ الأَعرابيِّ عن أبي خالدِ
الأُسلميِّ قال : كان دَعْبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيُّ بالكوفة يتشطرَّ وهو شابٌّ ، وكانت له شعرة
جَعْدَةٌ ، وكان يذُهنها ويُرْجلُها حتى تكاد تَقْطُرُ دهنًا ، وكان يُصَلِّتُ³ على النَّاسِ بالليل ، فقتل
رجلاً صَيرَفِيًّا ، وظنَّ أنَّ كيسه معه ، فوجد في كُمِّه رَمَانًا ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا
رأيتُ دَعْبِلًا يَمْشي رأيتُ الشطارة في مِشيتِه وتبخره .

[تطيره من فيح الوجه]

أخبرني الحسنُ قال : حَدَّثَنَا ابنُ مَهْرُوبٍ قال : حَدَّثَنِي الحسنُ بنُ أبي السَّريِّ قال : كان
عُمَيْرُ الكاتب أقبحَ النَّاسِ وجهًا ، فلقني دَعْبِلًا يومًا بكرةً وقد خرج لحاجة له ، فلمَّا رآه دَعْبِلُ
تَطَيَّرَ من لقائه ، فقال فيه⁴ :

خَرَجْتُ مبكرًا من سرِّ مَنْ را أبادرُ حاجةً فإذا عُمَيْرُ
فَلَمْ أَثْنِ العِنانَ وقلتُ أمضي فوجهك يا عميرُ خَرًّا وخَيْرُ

[لم يرض البرذون فهجا وتوعَّد]

أخبرني الحسنُ قال حَدَّثَنَا ابنُ مَهْرُوبٍ قال : حَدَّثَنِي الحسنُ بنُ أبي السَّريِّ قال حَدَّثَنِي
دَعْبِلُ قال : مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطلبتُ منه بِرْذُونًا ، فبعث إليَّ بِبِرْذُونٍ غامزٍ ،
فكتبتُ إليه⁵ :

حملتُ على قارحِ غامزٍ فلا لِلرَّكوبِ ولا لِلثَّمَنِ⁶

1 ديوانه : 84-85 عن الأغاني .

2 كسكر : كورة من كور العراق قصبته واسط .

3 يصلت : يرفع السيف .

4 ديوان دعبل : 83 عن الأغاني .

5 ديوانه : 138 .

6 القارح : الذي شق نابه من ذوات الحافر . والغامز : الذي يطلع في مشيه .

حَمَلَتْ عَلَى زَمَنِ ظَالِعٍ فَسُوفُ تُكَافَا بِشُكْرِ زَمَنِ

فَبَعَثَ إِلَى بَرْدُونَ غَيْرِهِ فَارِهِ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ ، وَالْفَيِّ دَرَاهِمَ .

قال ابن مَهْرُؤَيْهِ وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعُكْبَرِيِّ عَنْ دِعْبِلٍ أَنَّهُ مَدَحَ يَحْيَى بْنَ خَاقَانَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَذَا الْبَرْدُونَ .

[يَهْجُو خَرِيجه لِأَنَّهُ عَابَهُ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ : قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ دِعْبِلٍ : كَانَ أَبِي يَخْتَلِفُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَهُوَ خَرَجَهُ وَفَهَّمَهُ وَأَدَّبَهُ ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ جَفَاءٌ ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ يَعِيبُهُ وَيَذْكُرُهُ ، وَيُنَالُ مِنْهُ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ¹ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا بُوْسَ لِلْفَضْلِ لَوْ لَمْ يَأْتِ مَا عَابَهُ يَسْتَفْرِغُ السُّمَّ مِنْ صَمَاءٍ قَرْضَاهُ²
مَا إِنْ يَزَالُ وَفِيهِ الْعَيْبُ يَجْمَعُهُ جَهْلًا لِأَعْرَاضِ أَهْلِ الْمَجْدِ عِيَابَهُ
إِنْ عَابَنِي لَمْ يَعْبُ إِلَّا مُؤَدِّبَهُ وَنَفْسَهُ عَابَ لَمَّا عَابَ أَدَّابَهُ
فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مَكْلُبُهُ لَصِيدَهُ فَعَدَا فَاصْطَادَ كَلَّابَهُ

[يَهْجُو أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُؤَيْهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْعِجْلِيُّ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ يَطْعُنُ عَلَى دِعْبِلٍ بِخُضْرَةِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ ، وَيَسِبُهُ تَقَرُّبًا إِلَيْهِمَا لِهَجَاءِ دِعْبِلٍ إِيَّاهُمَا ، وَتَزَوَّجَ ابْنُ أَبِي دَوَادٍ امْرَأَتَيْنِ مِنْ بَنِي عِجْلٍ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ دِعْبِلًا قَالَ يَهْجُوهُ :

غَصِبْتَ عِجْلًا عَلَى فَرَجَيْنِ فِي سَنَةٍ أَفْسَدْتَهُمْ ثُمَّ مَا أَصْلَحْتَ مِنْ نَسَبِكَ
وَلَوْ خَطَبْتَ إِلَى طُوقٍ وَأَسْرَتِهِ فزَوَّجُوكَ لَمَّا زَادُوكَ فِي حَسَبِكَ
نَكَ مِنْ هَوَيْتَ وَنَلَّ مَا شِئْتَ مِنْ نَشَبٍ أَنْتَ ابْنُ زُرْيَابٍ مَنْسُوبًا إِلَى نَشَبِكَ
إِنْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادَ اللَّهُ خَزِيئَهُمْ فزَوَّجُوكَ ارْتِغَابًا مِنْكَ فِي ذَهَبِكَ
فَذَاكَ يُوجِبُ أَنْ التَّبَعُ تَجْمَعُهُ إِلَى خِلَافِكَ فِي الْعِيدَانِ أَوْ غَرْبِكَ³

1 ديوانه : 15 .

2 صماء قرضاه : داهية تأكل كل شيء .

3 التبّع : شجر تتخذ منه القسي . والخلاف : شجر يشبه الصفصاف . والغرب : نوع من النبت الضعيف .

ولو سَكَتَ ولم تخطبْ إلى عربٍ لما نبشتَ الذي تطويه من سبيكُ
عُدَّ البيوتَ التي ترضى بخطبتها تجدَ فزارةَ العكليِّ من عربكُ
قال : فلقبه فزارة العكليِّ ، فقال له : يا أبا عليَّ ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني ،
وأنا صديقك ؟ قال : يا أخي والله ما اعتمدتُك بمكروه ، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه
الله عزَّ وجلَّ عليك لم أعتمدك به .
[عبث به جارية فهجاها]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدٍ بن عبد الملك الزياتِ قال : حدَّثني
أبو خالد الأسلميُّ الكوفيُّ قال : اجتمعتُ مع دِعبِل في منزل بعض أصحابنا ، وكانت عنده
جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء ، فوقع لها العَبَثُ بِدِعبِل والعَنَتُ والأذى له ، ونهيناها
عنه ، فما انتهت ، فأقبل علينا فقال : اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة ، فقلنا : هات ، فقد
نهيناها عنك ، فلم تنته ، فقال¹ :

تَخْضِبُ كَفًّا قُطِعَتْ مِنْ زَنْدِهَا فَتَخْضِبُ الْخَنَاءَ مِنْ مُسَوِّدِهَا
كَأَنَّهَا وَالْكَحْلُ فِي مِرْوَدِهَا تَكْحَلُ عَيْنِهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا
أَشْبَهُ شَيْءٍ اسْتَهَا بِخَلِّهَا

قال : فجلست الجارية تبكي ، وصارت فضيحة ، واشتهرت بالأبيات ، فما انتفعت
بنفسها بعد ذلك .

[جنى جناية في الكوفة فضرب ثلاثمائة سوط]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني هارون قال : حدَّثني أبي وخالدُ قالا : كان
دِعبِلُ قد جنى جنايةً بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العلاءُ بنُ منظور الأسديُّ ، وكان على
شُرطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى ، فحبسه ، فكلَّمه فيه عمُّه سليمان بن رزين ،
فقال : أضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطع يده ، فلعلَّه أن يتأدَّب بضربي إياه ، ثم
ضربه ثلثمائة سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً .

[الشرأة والصعاليك لا يؤذونه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي
كاملٍ قال : كان دِعبِل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدنيا كلها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى .
وكانت الشرأة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه . وكان إذا لقيهم

وضَعَ طعامَه وشرابه ، ودَعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقِيف وشَعَف ، وكانا مغنيين ، فأَقعدهما يغنيان ، وسقاَهم وشربَ معهم ، وأنشدَهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدني دعبل بنُ عليَ لنفسه في بُعدِ أسفاره¹ : [من الطويل]

حللتُ محلًّا يقصُرُ البرقُ دونه ويعجزُ عنه الطيفُ أن يتجشَّما
[البحريّ يَعه أشعر من مسلم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوَيْه قال : قال لي البحتريّ : دَعِبِل بنُ عليٍّ أشعر عندي من مُسلم بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ كلام دَعِبِلٍ أَدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصّب له . [شيخ فان يدبّ على ضيفه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال : بات دَعِبِلُ ليلةً عند صديق له من أهل الشام ، وباتَ عندهم رجلٌ من أهل بيت لَهْياني يقال له حَوَيّ بنُ عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حينٌ ، فقال فيه دَعِبِلٌ² :

لولا حَوَيُّ لبيت لَهْياني ما قامَ أيرُ العزبِ الفاني
له دواةٌ في سراويله يَلِيقُها النازحُ والدَّاني³

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حويّ من ذلك البلدِ ، وكان الشيخ إذا رأى دَعِبِلًا سبه ، وقال : فضحتني أخزأك الله .

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ الأشعث قال : سمعتُ دَعِبِلًا يقول : ما كانت لأحد قطّ عندي مِنّةٌ إلّا تمنّيتُ موته . [دَعِبِل والثُلج]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمدُ بنُ عُمَر الجُرْجانيُّ قال : دخل دَعِبِلُ بنُ عليٍّ الرّبيّ في أيام الرّبيع ، فجاءهم ثُلجٌ لم يَرَوْا مثله في الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه في رقعة هو :

جاءنا دَعِبِلٌ بثُلجٍ من الشعـ ر فجادت سماءنا بالثلوج

1 ديوان دعبل : 139 .

2 ديوان دعبل : 158 .

3 يليقها : يصلح مدادها ويجعلها ليقة .

نَزَلَ الرَّيِّ بَعْدَ مَا سَكَنَ الْبَرَّ دُ وَقدْ أُنِيعَتْ رِياضُ المَرُوجِ
فَكَسَانَا بِبِرْدِهِ لَا كَسَاهَ اللِّ هُ ثَوْباً مِنْ كُرْسُفٍ مَحْلُوجٍ¹
قال : فألقى الرقعة في دِهْلِيزِ دِعْبِلَ ، فلمَّا قرأها ارتحل عن الرَّيِّ .

[قصر صالح الأضجم عن حاجته فهجاه]

أخبرني محمد بنُ عِمْران قال : حَدَّثَنَا العَنَزِيُّ قال : حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَسْلَمِيُّ قال :
عَرَضْتُ لِدِعْبِلَ حَاجَةً إِلَى صَالِحِ بْنِ عَطِيَّةِ الأَضْجَمِ ، فَقَصَّرَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَلِغْ مَا أَحْبَبَهُ دِعْبِلُ
فِيهَا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ² :

أَحْسَنُ مَا فِي صَالِحٍ وَجْهَهُ فَقِسْ عَلَى الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ
تَأَمَّلْتُ عَيْنِي لَهُ خِلَقَةً تَدْعُو إِلَى تَزْنِيَةِ الْوَالِدِ
فتحمل عليه صالحُ بي وبجماعة من إخوانه حتى كفَّ عنه ، وعَرَضَ عليه قضاء الحاجة ،
فأبأها .

[يهجو بني مكلم الذئب]

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال حَدَّثَنِي محمد بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوثٍ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال :
فَخَرَّ قَوْمٌ مِنْ خِزَاعَةِ عَلِيِّ دِعْبِلَ بْنِ عَلِيٍّ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو مُكَلِّمِ الذَّئْبِ ، وَكَانَ جَدُّهُمْ جَاءَ إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ ، فَحَدَّثَهُ أَنَّ الذَّئْبَ أَخَذَ مِنْ غَنَمِهِ شاةً فَتَبَعَهُ ، فَلَمَّا غَشِيَهُ بِالسِّيفِ قَالَ لَهُ : مَا
لِي وَلَكَ تَمْنَعُنِي رِزْقَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا عَجَباً لِلذَّئْبِ يَتَكَلَّمُ ! فَقَالَ : أَعْجَبُ مِنْهُ أَنَّ
مُحَمَّدًا نَبِيَّ قَدْ بُعِثَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتَّبِعُونَهُ ، فَبَنُوهُ يَفْخَرُونَ بِتَكْلِيمِ الذَّئْبِ جَدُّهُمْ ،
فَقَالَ دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ يَهْجُوهُمْ³ :

تَهْتُمُّ عَلَيْنَا بِأَنَّ الذَّئْبَ كَلَّمَكُمْ فَقَدْ لَعَمْرِي أَبُوكُمْ كَلَّمَ الذِّبَا
فَكَيْفَ لَوْ كَلَّمَ اللَّيْثَ الْمَصُورَ إِذَا أَفْنَيْتُمُ النَّاسَ مَأْكُولاً وَمَشْرُوباً
هَذَا السُّنَيْدِي لَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ يَكَلِّمُ الْفَيْلَ تَصْعِيداً وَتَصْوِيباً

[هجاؤه ابن الزيات]

حَدَّثَنِي الحسن بن عليٍّ قال حَدَّثَنِي ابنُ مَهْرُوثٍ قال حَدَّثَنِي أَبِي قال : كَانَ دِعْبِلُ قَدْ مَدَحَ
مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتَ ، فَأَنشَدَهُ مَا قَالَهُ فِيهِ ، وَفِي يَدِهِ طُومَارٌ⁴ قَدْ جَعَلَهُ عَلَى فَمِهِ كَالْمَتَكِيِّ

1 كرسف : قطن .

2 ديوان دعبل : 76 .

3 ديوانه : 168-169 .

4 طومار : صحيفة .

عليه وهو جالس ، فلمّا فرغ أمر له بشيء لم يرضه ، فقال : يهجوهُ¹ : [من البسيط]
يا مَنْ يُقَلِّبُ طُومَاراً وَيُلْثِمُهُ ماذا يَقْبَلُكَ مِنْ حُبِّ الطَّوَامِيرِ
فيه مِثَابِهِ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ طُولاً بِطُولٍ وَتَدْوِيراً بِتَدْوِيرِ
لو كُنْتَ تَجْمَعُ أَمْوَالاً كَجَمْعِهَا إِذَا جَمَعْتَ بَيوتاً مِنْ دَنَانِيرِ
[يهجو حصين قصرا في برة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثني أبي قال : نزل دِعبِلٌ
بِحِمَصٍ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَبَرَّوهُ وَوَصَلَوْهُ سَوَى رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : أَشْعَثُ
وَلِلْآخَرِ أَبُو الصَّنَاعِ ، فَارْتَحَلَ مِنْ وَقْتِهِ مِنْ حِمَصٍ وَقَالَ فِيهِمَا يَهْجُوهُمَا² : [من الوافر]
إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِ حِمَصٍ رَأَيْتَ عَلَيْهِ عِزَّ الْإِمْتِنَاعِ
سُمُو الْمَكْرَمَاتِ بِآلِ عِيسَى أَحْلَهُمْ عَلَى شَرَفِ التَّلَاعِ
هَنَّاكَ الْخَزْرَ يَلْبَسُهُ الْمُغَالِي وَعِيسَى مِنْهُمْ سَقَطَ الْمَتَاعِ
فَسَدَدٍ لَأَسْتِ أَشْعَثُ أَيْرَ بَغْلٍ وَآخَرَ فِي حِرِّ أُمِّ أَبِي الصَّنَاعِ
فَلَيْسَ بِصَانِعٍ مَجْدًا وَلَكِنْ أَضَاعَ الْمَجْدَ فَهُوَ أَبُو الضَّبَاعِ
[شعره في الفضل بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه عن الحسين بن دِعبِلٍ قال : قال
أبي في الفضل بن مروان³ : [من الطويل]
نَصَحْتُ فَأَخْلَصْتُ النَّصِيحَةَ لِلْفَضْلِ وَقُلْتُ فَسَيَّرْتُ الْمَقَالَةَ فِي الْفَضْلِ
أَلَا إِنَّ فِي الْفَضْلِ بَنَ سَهْلٍ لَعِبْرَةٍ إِنْ اعْتَبَرَ الْفَضْلُ بَنُ مَرْوَانَ بِالْفَضْلِ
وَلِلْفَضْلِ فِي الْفَضْلِ بَنٍ يَحْيَى مَوَاعِظَ إِذَا فَكَّرَ الْفَضْلُ بَنُ مَرْوَانَ فِي الْفَضْلِ
فَأَبْقَى جَمِيعاً مِنْ حَدِيثٍ تَفُزُّ بِهِ وَلَا تَدْعُ الْإِحْسَانَ وَالْأَخْذَ بِالْفَضْلِ
فَإِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِلْمُلُوكِ قِيَمًا وَصَرْتَ مَكَانَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلِ وَالْفَضْلِ
وَلَمْ أَرْ أَيْبَاتاً مِنَ الشُّعْرِ قَبْلَهَا جَمِيعُ قَوَائِمِهَا عَلَى الْفَضْلِ وَالْفَضْلِ
وَلَيْسَ لَهَا عَيْبٌ إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ سَوَى أَنْ نَصَحِي الْفَضْلَ كَانَ مِنَ الْفَضْلِ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ بَنُ مَرْوَانَ بِدَنَانِيرٍ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ قَبِلْتُ نَصِيحَكَ ، فَكَفَنِي خَيْرَكَ وَشَرَّكَ .

1 ديوانه : 86 .

2 ديوانه : 106 .

3 ديوانه : 129 .

[نقد شاعر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : حدَّثني أبو الطَّيِّبِ الحَرَّائِيُّ قال : أنشد رجل دِعِيلَ بنَ عليٍّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ، ويقول : أيُّ شيء صنعتَ بنفسك ؟ ولم تقول الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه ؟ إلى أن مرَّ له بيت جيّد ، فقال دِعِيلُ : أحسنتَ ، أحسنتَ ما شئت . فقال له يا أبا عليٍّ : أتقول لي هذا بعدما مضى ؟ فقال له : يا حبيبي لو أن رجلاً ضرطَ سبعين ضرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتَبُويَّةٌ واحدة .

[المؤمن لا يعجب من هجائه إياه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدَّثني محمدُ بنُ حاتمٍ المؤدَّبُ قال : قيل للمؤمن : إنَّ دِعِيلَ بنَ عليٍّ قد هجأك ، فقال : وأيُّ عجب في ذاك ؟ هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني أنا ! ومن أقدم على جُنون أبي عباد أقدم على حلّمي ، ثم قال للجلساء : مَنْ كان منكم يحفظ شعره في أبي عباد فليُنشِدْنيهِ ، فأنشده بعضهم :

أولى الأمورِ بضيعةٍ وفسادٍ أمرٌ يدبُّره أبو عبادٍ
خَرِقَ على جلسائه فكأنهم حضروا للمحمةِ ويومَ جلاذٍ
يَسْطُو على كتابه بدواته فمُضْمَخٌ بِدَمٍ ونَضَحَ مدادٍ
وكأنه من دَبرِ هزَقْلٍ مُفْلِتٍ حَرِدَ يَجِرُّ سلاسلَ الأقيادِ
فاشدد أميرَ المؤمنينَ وثاقه فأصَحُّ منه بقيّةُ الحدادِ

قال : وكان بقيّةُ هذا مجنوناً في المارستان ، فضحك المؤمن . وكان إذا نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دِعِيلُ في قوله .

حدَّثني جَحْظَةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه .

[الجن تستنشد تائيته]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَمَّارٍ ومحمدُ بنُ أحمدَ الحكيمِ قالا : حدَّثنا أنسُ بنُ عبدِ اللهِ اللُّبْنَهائِيُّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ الأشقرِيُّ قال : حدَّثني دِعِيلُ بنُ عليٍّ قال : لما هَرَبْتُ من الخليفةِ بَتِّ لَيْلَةَ بَنِي سَابُورَ وحدي ، وعزمتُ على أن أعمل قصيدة في عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ في تلك الليلةِ ، فإني لفي ذلك إذ سَمِعْتُ والبابَ مردودَ عليٍّ : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمك الله ، فاقشعرَّ بدني من ذلك ، ونالني أمرٌ عظيم . فقال لي : لا تُرَع عافاك الله ؛ فإني رجل من إخوانك من الجنِّ من ساكني اليمن طراً إلينا طارئاً

من أهل العراق فَأَنْشَدَنَا قَصِيدَتَكَ :

[من الطويل]
مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍ مقفَرُ العَرَصَاتِ¹
فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، قال فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فبَكَى حَتَّى خَرَّ ، ثُمَّ قال : رَحِمَكَ اللَّهُ ! أَلَا
أُحَدِّثُكَ حَدِيثاً يَزِيدُ فِي نَيْتِكَ وَيُعِينُكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَذْهَبِكَ ؟ قلت : بلى . قال : مَكُنْتُ حِينَئِذٍ
أُسْمِعُ بِذِكْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَصُرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، قال : عليٌّ وشيعته هم الفائزون ، ثُمَّ ودَّعَنِي لِيَنْصَرِفَ .
فقلت له : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخْبِرَنِي بِاسْمِكَ فَافْعَلْ ، قال : أَنَا ظُيَّيَانُ بْنُ عَامِرٍ .
[دعا أعرابياً وأسمعه هجاءه في كلاب]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قال : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ وَأَخْبَرَنِي بِهِ
الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْرَائِيلَ عَنْ إِسْحَاقِ النَّخَعِيِّ قال : كُنْتُ جَالِساً مَعَ دُعْبَلٍ بِالْبَصْرَةِ وَعَلَى
رَأْسِهِ غِلَامُهُ ثَقِيفٌ ، فَمَرَّ بِهِ أَعْرَابِي يَرْفُلُ فِي ثِيَابٍ خَزَّ ؛ فَقَالَ لَغَلَامِهِ : ادْعُ لِي هَذَا الْأَعْرَابِيَّ .
فَأَوْمَأَ الْغَلَامُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ . فَقَالَ لَهُ دُعْبَلٌ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ قال : من بني كِلَابٍ . قال : من أَيِّ وَلَدٍ
كِلابٍ أَنْتَ ؟ قال : من وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ دُعْبَلٌ : أَتَعْرِفُ الْقَائِلَ² :
[من الطويل]

وَبُنِيتُ كِلَباً مِنْ كِلَابٍ يَسْتَنِي ومحضُ كِلَابٍ يَقْطَعُ الصَّلَوَاتِ³
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَعْلَمْ كِلَاباً بِأَنَّهَا كِلَابٌ وَأَنْتِي بِأَسْلِ النَّقَمَاتِ
فَكَانَ إِذَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْدي وَكَانَتْ إِذَا أُمِّي مِنَ الْحَبَطَاتِ⁴

قال : وَهَذَا الشَّعْرُ لِدُعْبَلٍ يَقُولُهُ فِي عَمْرٍو بْنِ عَاصِمِ الْكِلَابِيِّ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : مِمَّنَ
أَنْتَ ؟ فَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ خِزَاعَةٍ فِيهِجَوْهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا أَنْتَمِي إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ
الشَّاعِرُ⁵ :

أَنَاسٌ عَلِيُّ الْخَيْرِ مِنْهُمْ وَجَعْفَرٌ وَحَمْرَةٌ وَالسَّجَّادُ ذُو الثَّنَاتِ⁶

1 انظر تائيته في مدح آل البيت في ديوانه : 35-44 .

2 ديوانه : 45 .

3 المحض : الخالص من كل شيء ، ويريد أن الكلابي الخالص النسب يقطع الصلاة بنجاسته .

4 الحبطات : أبناء الحارث بن مالك لقب بذلك لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .

5 البيتان من تائيته .

6 رواية الديوان للصدر : ديار علي والحسين وجعفر . وذو الثنات هو علي بن الحسين . لَقَّبَ بالسجاد وذو
الثنات لأن مساجده كانت كنفنة البعير ، أي ركبته وما يمس الأرض من أعضائه .

إذا فخرُوا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ
فوثبَ الأعرابيُّ وهو يقول : ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ مرتقى .
[هجاء بني بسام]

أخبرني الكوكبيُّ قال حدثني ابن عبدوسٍ قال : سأَل دَعْبِلُ نصرَ بنَ منصورٍ بنِ بَسَّامٍ
حاجة ، فلم يَقْضِها لشغلٍ عرضَ له دونها ، فقال يهجو بني بَسَّامٍ¹ : [من المنسرح]

حواجِبُ كالحبالِ سوْدُ إلى عثانين كالمخالي
وأوجُهُ جَهْمَةٌ غِلاظُ عُظُلٍ من الحسنِ والجمالِ
أخبرني الكوكبيُّ قال حدثني ميمونُ بن هارون قال : لما ولي أحمدُ بن أبي خالدٍ
الوزارة في أيام المأمون قال دَعْبِلُ بنُ عليٍّ يهجوهُ² : [من المتقارب]

وكان أبو خالد مَرَّةً إذا باتَ متَّخِماً عاقداً³
يضيقُ بأولادِهِ بطنُهُ فيخراهُمُ واحداً واحداً
فقد ملأَ الأرضَ من سَلَحِهِ خفافسَ لا تشبه الوالدا

[هرب من المعتصم وهجاه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوثٍ قال حدثنا أبو ناجية
قال : كان المعتصمُ يُغَضُّ دَعْبِلًا لطول لسانه ، وبلغ دَعْبِلًا أَنَّهُ يريدُ اغتياله وقتله ، فهرب
إلى الجبل ، وقال يهجوهُ⁴ : [من الطويل]

بكى لِشَتاتِ الدِّينِ مَكْتَثِبٌ صَبٌّ وفاضَ بفرطِ الدمعِ من عينِهِ غَرْبٌ⁵
وقامَ إمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ فليس له دينٌ وليس له لبٌّ
وما كانت الآباءُ تأتي بمثله يُملِّكُ يوماً أو تدينُ له العُربُ
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلفِ الماضين إذ عظمَ الخطبُ
ملوك بني العباس في الكُتُبِ سبعةٌ ولم تأتُنَا عن ثامنٍ لهم كُتُبٌ

1 ديوانه : 130 .

2 ديوانه : 58 .

3 عاقدا في الديوان : قاعدا . والعاقِد : الناقة التي أقرت باللقاح فهي تعقد ذنبها . وفي رواية حاقدا : من حقد المطر إذا انحبس .

4 ديوانه : 18-19 .

5 غرب : دلو عظيمة .

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وإني لأعلي كلهم عنك رفعة
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
وفضل بن مروان يُثلم ثلثة
خيار إذا غدوا وثامنهم كلب
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
وصيف وأشناس وقد عظم الكرب¹
يظل لها الإسلام ليس له شعب²

[معارضة ابن الزيات في رثاء المعتصم]

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك
الزيات يرثيه³ :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا
لن يجبر الله أمة فقدت
فقال دعل يعارضه⁴ :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا
أذهب إلى النار والعذاب فما
ما زلت حتى عقدت بيعة من
في خير قبرٍ لخير مدفون
مثلك إلا بمثل هارون
في شرٍ قبرٍ لشرٍ مدفون
خلتلك إلا من الشياطين
أضرَّ بالمسلمين والدين

[يكم رثاء محمد بن الزيات]

قال عمي حدثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدثني محمد بن عُمَر الجُرْجَانِي قال : أنشد دِعْبِلُ بنُ
علي يوماً قول بعض الشعراء :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجواب ولم يُسمَّ قائل المُرثِيَّة ولا نسبه إلى محمد بن عبد الملك الزيات ولا
غيره .

[ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العباس]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَشُ قال حدثنا محمد بن يزيد قال : سألت دِعْبِلًا عن هذه
الآيات :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

1 وصيف وأشناس : من الأتراك الذين جعلهم المعتصم قواداً وحكاماً .

2 الشعب : إصلاح الصدع .

3 ديوان ابن الزيات (سعيد) : 76 ورواية البيت فيه :
أقول إذ غيَّوك وأصفتك عليك أيدي بالبن والطين

4 ديوانه : 158 .

فأنكر أن تكون له ، فقلتُ له : فمن قالها ؟ قال : من حشا الله قبره ناراً ، إبراهيم بن المهدي ، أراد أن يُغري بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه .
[ابن المدبر يعجبه هجاؤه ابن أبي دؤاد]

أخبرني عمي والحسن بن علي جميعاً قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدثني أبي قال : كنتُ عند أحمد بن المدبر ليلة من الليالي ، فأنشدته لدِعْبِل في أحمد بن أبي دؤاد قوله¹ :

إنَّ هذا الذي دؤادُ أبوه وإباد قد أكثرُ الأنباء
ساحقتُ أمه ولاطَ أبوه ليت شعري عنه فمن أين جاء !
جاء من بين صخرتين صلودَيَّ من عقامين يُبتان الهباء
لا سيفاح ولا نكاح ولا ما يوجبُ الأُمّهاتِ والآباء

قال : فاستعادها أربع مرّات ، فظننتُ أنه يريد أن يحفظها ، ثم قال لي : جئني بدِعْبِل حتى أوصله إلى المتوكل ، فقلتُ له : دِعْبِل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع ، وإنما غايته أن يُخملَ ذكره ، فأمسك عني ، ثم لقيتُ دِعْبِلًا فحدثته بالحديث ، فقال : لو حضرتُ أنا أحمد بن المدبر لما قدرتُ أن أقولَ أكثرَ مما قلتُ .
[بيت في هجاء المتوكل]

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني محمد بن جرير قال : أنشدني عبيد الله بن يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعْبِل يهجو به المتوكل ، وما سمعتُ له غيره فيه² :

ولستُ بقائل قذعاً ولكن لأمرٍ ما يُعدُّ لك العبيد³
قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

[هجاء المعتصم والواثق]

أخبرني الحسن قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : كنتُ مع دِعْبِل بالصيمرة⁴ وقد جاء نعي المعتصم وقيامُ الواثق ، فقال لي دِعْبِل : أمعك شيء تكتب فيه ؟ فقلت : نعم ، وأخرجتُ قرطاساً ، فأملى عليّ بديهاً⁵ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 11 .

2 ديوانه : 62 .

3 الديوان : لأمر ما تعبّدك العبيد .

4 ل : بالبصرة . والصيمرة من ديار الجبل .

5 ديوانه : 59 .

الحمدُ لله لا صبرٌ ولا جلدٌ ولا عزاءٌ إذا أهلُّ الليلِ رَقَدُوا
خليفةٌ ماتَ لم يحزنْ له أحدٌ وآخرٌ قامَ لم يفرحْ به أحدٌ

[مزق قصيدة في الحسن بن وهب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عبيدِ الله بنِ ناصحٍ قال : قلتُ لِِدِعْبِلَ ، وقد عرضَ عليَّ
قصيدة له يمدح بها الحسن بنَ وهب ، أولها :

أَعَاذَلْتِي لَيْسَ الْهُوَى مِنْ هَوَائِيَا

فقلتُ له : ويحك ، أَتَقُولُ فِيهِ هَذَا بَعْدَ قَوْلِكَ :

[من السريع]

أَيْنَ مَحَلِّ الْحَيِّ يَا حَادِي خَبِرْ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي

وبعد قولك¹ :

[من البسيط]

قَالَتْ سَلَامَةٌ أَيْنَ الْمَالُ قُلْتُ لَهَا الْمَالُ وَيَحْكُ لَأَقِي الْحَمْدَ فَاصْطَحِبَا

وبعد قولك² :

[من الرمل]

فَقَلَى أَيْمَانِنَا يَجْرِي النَّدَى وَعَلَى أَسِيْفَانَا تَجْرِي الْمُهْجُ

والله إني أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصفع قفاك ، فقال : صدقت والله ، ولقد نبهتني
وحذرتني ، ثم مرَّ قفاها .

[يهجو تلميذاً له يهجو أباه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني العَنَزِيُّ قال حدَّثني الحسينُ بنُ أبي السَّريِّ قال : غضِبَ دِعْبِلُ
على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وكان دِعْبِلُ مؤدبه قديماً ، لشيء بلغه عنه ،
فقال يهجو أباه³ :

مَا جَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ الْأَشْعَثِ عِنْدِي بِخَيْرٍ أَبَوَةٍ مِنْ عَثْعَثِ

عَبَثًا تُمَارِسُ بِي مُمَارَسَ حَيَّةٍ سَوَارَةٍ إِنْ هِجَّتْهَا لَمْ تَلْبِثِ

لَمْ يَعْلَمْ الْمَغْرُورُ مَاذَا حَازَ مِنْ خَزْيٍ لَوَالِدِهِ إِذَا لَمْ يَعْبَثِ

قال : فلقبه عثعث ، فقال له : عليك لعنةُ الله ، أيُّ شيء كان بيني وبينك حتى ضربتَ
بني المثل في خِسةِ الآباء ، فضحك ، وقال : لا شيء والله ، اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في
القافية . أولاً ترضى أن أجعلَ أباك ، وهو أسود ، خيراً من آباء الأشعث بن قيس ؟

1 ديوان دعل : 13 .

2 ديوانه : 51 .

3 ديوانه : 51 .

[العيش الذي يريده]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدثني إبراهيم بن سهل القاري ، وكان يلقب أرزة قال : حدثني دَعْبِلُ بنُ علي الخُزَاعِي قال : كتبتُ إلى أبي نَهْشَل بن حَمِيد الطوسي قوله¹ :

إنما العيشُ في مُنادمةٍ إلاخـ وإن لا في الجلوسِ عندَ الكعابِ
وبصرفٍ كأنها ألسُنُ البرِ ق إذا استعرضت رقيق السحابِ
إن تكونوا تركتم لذة العيـ ش حذار العقابِ يومَ العقابِ
فدَعُوني وما ألدَّ وأهوى وادفعوا بي في صدر يومَ الحسابِ

[يشبه علي بن موسى الرضا على تائيته]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدثني موسى بن عيسى المَرْوَزِي ، وكان منزله بالكوفة في رَحْبة طَيِّء ، قال : سمعت دَعْبِلَ بنَ علي وأنا صبي يتحدّث في مسجد المَرْوَزِيه قال : دخلتُ على علي بن موسى الرضا ، عليهما السلام ، فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت ، فأنشدته :

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٌّ مقفّرُ العرصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي :

إذا وتُروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتارِ منقبضاتِ

قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأوماً إليّ خادم كان على رأسه : أن اسكت ، فسكت ساعة ؛ ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً ، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى ، وأوماً الخادم إليّ : أن اسكت ، فسكت ؛ فمكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرّات ؛ ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه ، ولم تكن دفعت² إلى أحد بعد ، ثم أمر لي من في منزله بخلي كثير أخرجته إليّ الخادم . فقدِمْتُ العراق ، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مني الشيعة ، فحصل لي مائة ألف درهم ، فكان أوّل مال اعتقدته³ .

1 ديوانه : 34 .

2 ل : وقعت .

3 اعتقدته : جمعته .

[ثوب الرضا لكفنه]

قال ابن مَهْرُوتِه وَحدَّثني حُذَيْفَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ¹ : أَنَّ دِعْبِلًا قَالَ لَهُ : إِنَّهُ اسْتَوْهَبَ مِنَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبًا قَدْ لَبِسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي أَكْفَانِهِ فَخَلَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَبَلَغَ أَهْلَ قَمٍّ خَبْرُهَا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ أَعْطُوهُ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ الدِّرْهَمِ وَفَرَدَ كُمْ مِنْ بَطَانَتِهَا فَرَضِي بِذَلِكَ .

[هَجَاءُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُزَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَوَّعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِبَغْدَادَ ، وَقَدْ قَلَّ الْمَالُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ قَدْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَعْرَابٌ مِنْ أَعْرَابِ السَّوَادِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْغَادِ النَّاسِ ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْعَطَاءَ ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَسْوَفُهُمْ وَلَا يَرُونَ لَهُ حَقِيقَةَ إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ يَوْمًا وَقَدْ اجْتَمَعُوا وَضَجُّوا فَصَرَخَ لَهُمْ بِأَنَّهُ لَا مَالَ عِنْدَهُ . فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ غَوَّاءِ أَهْلِ بَغْدَادَ : أَخْرِجُوا إِلَيْنَا خَلِيفَتَنَا لِيُغْنِيَ لِأَهْلِ هَذَا الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ ، وَلِأَهْلِ هَذَا الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ ، فَتَكُونَ عَطَاءَ لَهُمْ ، فَأَنْشَدَنِي دِعْبِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَوْلَهُ : [مِنَ السَّرِيعِ]

يا معشرَ الأجنادِ لا تقنطوا	وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطون حُنييَّةَ	يلتذها الأُمُردُ والأشُمطُ
والمعبدِيَّاتِ لقوَادِمَ	لا تدخل الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يَرْزُقُ قوَادِهِ	خليفةٌ مُصحفُهُ البرُّبطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة² :

قد ختم الصكَّ بأرزاكم	وصحَّح العزمَ فلا تسخطوا
بِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ مشئومة	يُقتل فيها الخلق أو يُقحطُ

[متخلف يقول الشعر]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوتِه قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ ثَوَابَةِ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنِي دِعْبِلٌ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ مَتَخَلِّفٌ يَقُولُ شِعْرًا فَاسِدًا مَرْدُولًا وَأَنَا أُمَهَاهُ عَنْهُ إِذَا أَنْشَدَنِي ، فَأَنْشَدَنِي يَوْمًا :

إِنَّ ذَا الْحُبِّ شَدِيدٌ لَيْسَ يُنْجِيهِ الْفِرَارُ

1 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة .

2 لم يرد هذان البيتان في ديوانه .

ونجا مَنْ كان لا يعيش حتى من ذلّ المخازي

فقلت له : هذا لا يجوز ، البيت الأوّل على الراء ، والبيت الثاني على الزاي . فقال : لا تنقُطه ، فقلت له : فالأوّل مرفوع ، والثاني مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تنقُطه وهو يشكّله . [يستشهد بالحديث]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثنا محمدُ بنُ زكريّا بن ميمون الفرغانيّ قال : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى : لَيْسَكَ ، فأنكرته عليه . فقال : دخل زيدُ الخيل على النبيّ ، ﷺ ، فقال له : يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلّا رأيته دون وصفه ليسك ، يريد غيرك . [يُحسد شاعراً على معنى]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لي دِعْبِلُ ، وقد أنشدته قصيدةً بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصرانيّ الحرّبيّ : [من الرجز] زَنَارُهُ في خصره معقودُ كأنّه من كبدي مقدودُ فقال : والله ما أعلمني حسدتُ أحداً على شعر كما حسدتُ بكَراً على قوله : كأنّه من كبدي مقدود .

[يقول الشعر كلّ يوم خلال ستين سنة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : سمعتُ الجاحظ يقول : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول : مكثتُ نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلّا وأنا أقول فيه شعراً . [يعجب لخفة روح مفلوج عادة]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويّه قال : حدّثني أبي قال : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول : دخلتُ على أبي الحارث جُمَيْنَ ، وقد فُلج ، لأعوده ، وكان صديقي ، فقلت : ما هذا يا أبا الحارث ؟ فقال : أخذتُ من شعري ودخلت الحمام ، فغلِط بي الفالجُ ، وظنّ أنّي قد احتجمتُ . فقلت له : لو تركت خيفة الرُّوح والمجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال . [المأمون يستنشد شعر دعبيل]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيُّ قال : حدّثنا أحمدُ بن صدقة قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عمرو بنُ مسعدة قال : حضرتُ أبا دُلف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أيّ شيء تروي لأخي خُزاعة يا قاسمُ ؟ فقال : وأيُّ أخي خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا مِنْ أنفُسِهِمْ فأبو الشَّيْص ودِعْبِل وابنُ أبي الشَّيْص وداودُ بن أبي رَزِين ، وأمّا مِنْ موالِيهِمْ فظاهرُ وابنه عبدُ الله . فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن

شعره سوى دعبل ؟ هات أي شيء عندك فيه . فقال وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقرن إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاه ، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه ¹ :

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً بلؤم مطلب فينا وكن حكماً
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم فلا تحس لها لؤماً ولا كرمًا
قال : فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وأطفه وأدهاه ! وجعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال له : أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك . فأنشده عبد الله قول دعبل ² :

سقياً ورعيّاً لأيام الصبابات أيام أرفل في أثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من ليانته أصبو إلى غير جارات وكئات
دغ عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذِف برجلِك عن متن الجهالات
واقصد بكل مدح أنت قائله نحو الهداة بني بيت الكرامات
فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سفر سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه ³ :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبدة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع ⁴
كذاك الليالي صرفهن كما ترى لكل أناس جذبة وريع
ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري ، وهجيري ⁵
ومسليتي حتى أعود .

1 ديوانه : 139 .

2 ديوانه : 49 .

3 ديوانه : 104 .

4 الديوان : تأن .

5 هجيري : دأبي .

[المكاري يغنى بشعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأُخفشُ قال : حدَّثني الميردُّ ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا : قال دُعيلُ : خرجتُ إلى الجبلِ هارباً من المعتصم ، فكنتُ أسيرُ في بعضِ طريقي والمُكاري يسوقُ بي بغلاً تحتِي ، وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتغنّى المُكاري في قولي : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى
فقلتُ له ، وأنا أريدُ أنْ أتقربَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثِّ للبغلِ لئلاَّ يتعبني : تعرّف
لِمَن هذا الشعرُ يا فتى ؟ فقال : لِمَن ناك أمه وغريمُ درهمين . فما أدري أيُّ أموره أعجب : من
هذا الجوابِ أم من قلةِ الغُرمِ على عِظمِ الجناية !

[مغنية حاضرة الجواب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن الطيّب السرخسيُّ قال : حضرتُ مجلسَ محمد بن عليٍّ بن طاهرٍ وحضرته مغنية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنت : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى
ثم غنّت بعده :

لقد عَجَبْتُ سلمى وذاك عجيب

فقلتُ لها : ما أكثرَ تعجبِ سلمى هذه ! فعلمتُ أنّي أعبثُ بها لأسمعَ جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة : [من الطويل]

فهلك الفتى ألا يراح إلى ندى وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا
فعجبتُ والله من جوابها وجدته وسرعته ، وقلتُ لِمَن حضر : والله لو أجاب الجاحظ
هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من الطويل]

لقد عَجَبْتُ سلمى وذاك عجيبُ رأتُ بي شيئاً عجَلته خُطوبُ
وما شَيَّبَنِي كَبَرَةٌ غيرَ أنّي يَذهر به رأسُ الفطيمِ يشيبُ
الغناء ليحيى المكيّ ، ثَقيلُ أوّلِ الوُسْطى من كتاب أبيه أحمد .

[صنعة أحمد المكّي في شعره]

حدّثني جعفر بن قدامة قال : حدّثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكّي قال : كان أبي صديقاً لدعبل ، كثير العشرة له ، حافظاً لغيبه ، وكلّ شعر يُغنى فيه لدعبل فهو من صنعة أبي ، وغنّاني من صنعة أبيه في شعر دعبل ، والطريقة فيه خفيف ثقیل في مجرى البنصر¹ .

صوت

[من الطويل]

سرى طيف ليلي حين آن هبوب وقضيت شوقاً حين كاد يذوب¹
فلم أر مطروقاً يحلّ برحله ولا طارقاً يقري المنى ويثيب²
وانشدني عمّي هذين البيتين عن أحمد بن يحيى بن أبي طاهر وابن مَهْرُوَيْه جميعاً لدعبل .
[يتصل من أبياته في هجاء المعتصم]

حدّثني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : سألت دعبلًا من الذي يقول :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة³
فقال : من أضرم الله قبره ناراً ، إبراهيم بن المهدي . قال ابن أبي سعد : وحدّثني عبد العزيز بن سهل أنّه سأله عنها فاعترف بها .
[هجاء طاهر بن الحسين]

حدّثني عمّي قال : أنشدني ابن أخي دعبل لعمّه في طاهر بن الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه³ :

وذي يمينين وعين واحدة نقصان عَيْن ويمين زائدة⁴
نَزُرُ العطيات قليل الفائدة أَعْضَه اللهُ بِظُرِّ الوالدة⁵
[لم يرض فعلهما فهجاهما]

حدّثني جحظة قال : حدّثني ميمون بن هارون قال : كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يَرْضَ ما فعلاه ، فقال يهجوها⁴ :

ما زال عصياننا لله يُرْذِلنا حتى دُفَعنا إلى يحيى ودينار⁵

1 ديوانه : 23 .

2 يحل برحله في الديوان : يحل بطارق .

3 ديوانه : 172 .

4 ديوانه : 88 .

وَعَذِينَ عِلْجِينَ لَمْ تُقَطَّعْ ثَمَارُهَا قَدْ طَالَ مَا سَجَدَا لِلشَّمْسِ وَالنَّارِ¹

[هجاء بالجملة]

قال : وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دِعْبِل يهجوهم ، والحسن بن رجاء وأبيه
أَيْضاً² :

أَلَا فَاشْتَرَوْا مِنِّي مَلُوكَ الْمُخَزَمِ أَيْعُ حَسَنًا وَابْنِي رَجَاءَ بَدْرِهِمْ³
وَأُعْطِرْ رَجَاءَ فَوْقَ ذَاكَ زِيَادَةً وَأَسْمَحْ بِدِينَارٍ بِغَيْرِ تَنْدُمٍ
فَإِنْ رُدَّ مِنْ عَيْبٍ عَلَيَّ جَمِيعُهُمْ فَلَيْسَ يَرُدُّ الْعَيْبَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ

[هجاء الطاهريين بعد إحسانهم إليه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الطَّيِّبِ
الْحَرَّائِيُّ قَالَ : كَانَ دِعْبِلٌ مُنْحَرَفًا عَنِ الطَّاهِرِيَّةِ مَعَ مِيلِهِمْ إِلَيْهِ وَأَيَادِيهِمْ عِنْدَهُ ، فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ
فِيهِمْ⁴ :

وَأَبْقَى طَاهِرٌ فِينَا ثَلَاثًا عَجَائِبَ تُسْتَخَفُّ لَهَا الْحُلُومُ
ثَلَاثَةً أَعْبَدَ لِأَبٍ وَأُمٍّ تُمَيِّزُ عَنْ ثَلَاثَتِهِمْ أُرُومُ⁵
فَبَعْضُ فِي قَرِيشٍ مُنْتَمَاهُ وَلَا غَيْرٌ وَمَجْهُولٌ قَدِيمُ⁶
وَبَعْضُهُمْ يَهْشُرُ لآلِ كَسْرَى وَيَزْعُمُ أَنَّهُ عَلَجٌ لَيْمٌ
فَقَدْ كَثُرَتْ مَنَاسِبُهُمْ عَلَيْنَا وَكُلُّهُمْ عَلَى حَالِ زَنِيمٍ⁷

[عودة إلى قبيح الوجه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ صَالِحُ بْنُ
عَطِيَّةٍ الْأَضْجَمُ مِنْ أَبْنَاءِ الدَّعْوَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَقْبَحِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَكَانَ يَنْزِلُ وَاسِطًا ، فَقَالَ فِيهِ
دِعْبِلٌ :

أَحْسَنُ مَا فِي صَالِحٍ وَجْهُهُ فَقَسَّ عَلَى الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ

1 لم تقطع ثمارها : لم يختنا .

2 ديوانه : 187 .

3 الديوان : المخزم .

4 ديوانه : 141 .

5 ثلاثة أعبد في الديوان : ثلاثة إخوة . والأروم : الأصول .

6 ولا غير في الديوان : ولأء غير مجهول قديم .

7 الزنيم : الملحق بالقوم وليس منهم .

تَأَمَّلْتُ عَيْنِي لَهُ خِلْفَةً تَدْعُو إِلَى تَزْيِةِ الْوَالِدِ
قال : وقال فيه أيضاً ، وخاطب فيها المعتصم¹ :

[من الكامل]

قُلْ لِلْإِمَامِ إِمَامٌ آلُ مُحَمَّدٍ قَوْلَ امْرِئٍ حَدِبٍ عَلَيْكَ مُحَامٍ
أَنْكَرْتُ أَنْ تَفْتَرَّ عَنْكَ صَنِيعَةٌ فِي صَالِحِ بْنِ عَطِيَّةِ الْحَجَامِ
لَيْسَ الصَّنَائِعُ عِنْدَهُ بِصَنَائِعٍ لَكِنَّهُنَّ طَوَائِلُ الْإِسْلَامِ
أَضْرِبْ بِهِ جَيْشَ الْعَدُوِّ فَوْجَهُ جَيْشَ مَنْ الطَّاعُونَ وَالْبِرْسَامِ²

[يعرض شعره على مسلم]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ : حَدَّثَنِي
الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : قَالَ لِي دِعْبِلُ : مَا زِلْتُ أَقُولُ الشَّعْرَ وَأَعْرَضَهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، فَيَقُولُ
لِي : أَكْتُمُ هَذَا حَتَّى قُلْتُ :

[من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةُ سَلْكَ لَا ، أَيْنَ يُطَلَّبُ ضَلٌّ ؟ بَلْ هَلْكَ
فَلَمَّا أَنْشَدْتَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قَالَ : اذْهَبِ الْآنَ فَأَظْهَرِ شَعْرَكَ كَيْفَ شَتَّتَ لَمَنْ شَتَّتَ .

قال إبراهيم : وحدَّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطَّائِي ، وكان أبو سعيد الثَّغَرِيُّ اشْتَرَاهُ لَهُ
بِثَلْثَمَائَةِ دِينَارٍ لِيُنْشِدَ شَعْرَهُ ، وكان غلاماً أديباً فصيحاً ، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً ، فكان
يُنْشِدُ شَعْرَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ مَوْلَايَ أَبَا تَمَّامٍ عَنْ نَسَبِ دِعْبِلٍ فَقَالَ : هُوَ دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ
الَّذِي يَقُولُ :

[من الكامل]

ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

[تَهَاجَرَ دِعْبِلُ وَمُسْلِمُ]

قال الفتح : وحدَّثني مَوْلَايَ أَبُو تَمَّامٍ قَالَ : مَا زَالَ دِعْبِلُ مَائِلاً إِلَى مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ
مُقَرَّراً بِأُسْتَاذِيَّتِهِ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِ جُرْجَانُ فَجَفَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ فِيهِ بَخْلٌ ، فَهَجَرَهُ دِعْبِلُ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ³ :

[من الطويل]

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَيِّ مَوَدَّةٍ هَوَانَا وَقَلْبَانَا جَمِيعاً مَعَا مَعَا
أَحْطَوْتُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَيُّجَعُ إِشْفَاقاً لِأَنْ تَتَوَجَّعاً⁴

1 ديوان دعبل : 145 .

2 البرسام : التهَاب يعرض للحجاب الحاجز .

3 تقدم هذا الشعر في ترجمة مسلم بن الوليد في الجزء 19 : 39 من الأغاني .

4 أَيْجَعُ : أَحْسَ بِالْوَجَعِ .

فصيرتني بعد انتكاسك متهما
غششت الهوى حتى تداعت أصوله
وانزلت من بين الجوانح والحشا
فلا تعدلني ليس لي فيك مطمع
فهبك يميني استأكلت فقطعتها
وجشمت قلبي صبره متشجعا
ويروى : وحملت قلبي فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

[دعبل خزاعة كلها]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدثني إبراهيم بن محمد قال : حدثنا الحسين بن علي قال : قلت لابن الكلبي : إن دعبلاً قطعي¹ ، فلو أخبرت الناس أنه ليس من خزاعة ، فقال لي : يا فاعل ! مثل دعبل تنفيه خزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه . دعبل والله يا أخي خزاعة كلها .

[دعبل والمطلب بن عبد الله]

أخبرني محمد بن المَرْزبان قال : حدثني إبراهيم بن محمد الرِّاق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشَّيْص قال : حدثني دعبل قال : حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولّاها ، فصرنا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجل يُعرف بأحمد بن فلان السراج ، نسي عبد الله بن أبي الشَّيْص اسم أبيه ؛ فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولى خدمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ، ولم نعلم ، وكتمنا أنفسه . وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها . فقال : إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُشدها المطلب فإنك تنتفع بها . فقال : نعم . ووردنا مصر به ، فدخلنا إلى المطلب ، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه . فسرّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد السراج هذا ؛ وذكرنا له أمره ، فأذن له ، فدخل عليه ونحن نظنّ أنه سينشد القصيدة التي نخلناه إياها ، فلمّا مثل بين يديه عدل عنها وأنشده :

لم آتِ مطلياً إلا بمطلب وهمة بلغت بي غاية الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه في الوسائل أو ألقاه في الكتب
قال : وأشار إلى كتبي التي أوصلتها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشدّ من كل شيء مرّ

بي منه عليّ ، ثم أنشده :

[من البسيط]

رحلت عَنسي إلى البيتِ الحرامِ على ما كان من وصَب فيها ومن نَصَبِ
ألقى بها وبوجهي كلَّ هاجرة تكاد تقدحُ بين الجلدِ والعَصَبِ
حتى إذا ما قضتْ نُسْكي ثَّيت لها عطف الزَّمام فأمت سيّد العربِ
فيمتتكَ وقد ذابت مفاصلها من طول ما تعبٍ لاقت ومن نقبٍ¹
إني استجرتُ بإستارين مستليماً رُكَّنين : مطلباً والبيتَ ذا الحُجبِ
فذاك للأجل المأمولِ أَلْمسه وأنت للعاجلِ المرجوِّ والطلبِ
هذا ثنائي وهذي مصر سائحة وأنت أنتَ وقد ناديتُ من كُتبِ

[ولاه المطلب أسوان]

قال : فصاح مطلب ، لبَّيك لبَّيك : ثم قام إليه فأخذ بيده ، وأجلسه معه ، وقال : يا غلمان ، البدر ، فأحضرت ، ثم قال : الخَلع ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعينا وصدورنا وحسدناه عليه ؛ وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكنمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخرجنا صيفراً ، فمكثنا أياماً ، ثم ولَّى دِعْبِلَ بنَ عليّ أسوان ، وكان دِعْبِلُ قد هجا المطلب غيظاً منه ، فقال² :

[من المتقارب]

تعلّق مصرُ بك المخزيات وتبصّق في وجهك الموصِلُ
وعاديتَ قوماً فما ضرَّهم وشرفتَ قوماً فلم ينبُلوا
شيعارك عند الحروبِ النجاء وصاحبك الأخورُ الأفضلُ
فأنتَ إذا ما التقوا آخرُّ وأنتَ إذا انهزموا أوّلُ

وقال فيه :

اضربْ ندى طلحةِ الطلحاتِ متّداً بلسوْمِ مطلبٍ فينا وكن حكّما
تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ فلا تعدُّ لها لؤماً ولا كرمًا

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دِعْبِلُ المطلب قصيدته المشهورة التي يقول

[من المنسرح]

فيها³ :

1 النقب : الحفا .

2 هذه الأبيات من قصيدة سترد فيما بعد برواية مختلفة ، وهي في ديوانه : 126-127 .

3 ديوانه : 33 .

أبعدَ مصرٍ وبعدَ مطلبٍ ترجو الغنى إن ذا من العجبِ
إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلبِ

[بلغ المطلب هجاؤه فعزله]

قال وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ، فعزله عن أسوان ، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه . فلما أن علا المنبر وتحنح ليخطب ناوله الكتاب ؛ فقال له دِعيل : دَعني أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أمتنعَ الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً .

قال : فحدثني عبد الله بن أبي الشيص قال : قال لي دِعيل قال لي المطلب : ما تفكرت في قولك قط :

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلبِ
إلا كنتَ أحبَّ الناس إليّ ، ولا تفكرتُ والله في قولك لي :
وعاذيتَ قوماً فما ضرَّهم وقدمتَ قوماً فلم ينبُلوا
إلا كنتَ أبغضَ الناس إلي .

[معنى إستارين]

قال ابنُ المَرْزبان حَدَّثني مَنْ سألَ الرِّياشيَّ عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وإستار كذا . وأنشدنا الرياشي :

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين¹
لأصبحَ القومُ أوفاضاً فلم يجدوا يوم الترحلِ والهيجا جمالين²

[هجاؤه المطلب]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبِّي قال حَدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْدٍ قال : حَدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال : لما قصد دِعيلُ المطلب بنَ عبد الله بن مالك إلى مصر ولم يرَضَ ما كان منه إليه قال فيه :

[من المتقارب]

1 سعى : باشر جمع الصدقات . والعقال : زكاة عام من الإبل والغنم . والسبد : القليل من الشعر . يقال ماله سبد ولا لب .

2 أوفاض : فقراء .

أَمَطَّلَبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبٌ حُمَيَّا الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبِلُ
فَإِنْ أَشْفَرُ مِنْكَ تَكُنْ سَبِيَّةٌ وَإِنْ أَغْفُ عَنْكَ فَمَا تَعْقِلُ¹
سَتَأْتِيكَ إِمَّا وَرَدَتْ الْعِرَاقَ صَحَائِفُ يَأْثُرُهَا دِعْبِلُ
مَنْمَقَةٌ بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَخَازٍ تَحْطُ فَلَ تَرْحَلُ
وَضَعْتَ رَجَالاً فَمَا ضَرَّهْمُ وَشَرَّفَتْ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا
فَأَيُّهُمْ الزَّيْنُ وَسَطُ الْمَلَا عَطِيَّةٌ أَمْ صَالِحُ الْأَحْوَلُ
أَمْ الْبَاذِجَانِي أَمْ عَامِرُ أَمِينُ الْحَمَامِ الَّتِي تَزْجُلُ
تَنْوُطُ مَصْرُ بَكَ الْمَخْزِيَاتِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ
وَيَوْمَ السَّرَاةِ تَحْسِيَّتُهَا يَطِيبُ لَدَى مَثَلِهَا الْخَنْظَلُ²
تَوَلَّيْتَ رَكْضًا وَفَتِيَانَنَا صَدُورُ الْقَنَا فِيهِمْ تَعْمَلُ³
إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظُهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا
فَمِنْكَ الرُّؤُوسُ غَدَاةَ الْلِقَاءِ وَمِمَّنْ يَحَارِيكَ الْمُتَّصِلُ
شِعَارِكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَغَى إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَلُوا عَجَلُوا
هَزَائِمُكَ الْغُرُ مشهورة يُقْرَطُسُ فِيهِمْ مَنْ يَنْضِلُ⁴
فَأَنْتَ لِأَوَّلِهِمْ آخِرُ وَأَنْتَ لِآخِرِهِمْ أَوَّلُ

أخبرني عمِّي قال أنشدنا المبردُ لدِعْبِلِ يَهْجُو الْمُطَّلَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَيُعِيرُهُ بِغَلَامَيْنِ : عَلِيٌّ وَعَمْرُو ، وَكَانَ يَتَّهَمُ بِهِمَا⁵ :

[من المتقارب]

فَأَيُّرُ عَلِيٌّ لَهُ آلَةٌ وَفَقْحَةٌ عَمْرُو لَهُ دَبَّةٌ⁶
فَطُورًا تَصَادِفُهُ جَعْبَةٌ وَطُورًا تَصَادِفُهُ حَرْبَةٌ

وَأَنْشَدَنِي ابْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ لِدِعْبِلِ يَمْدَحُ الْمُطَّلَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ، وَفِيهِ غَنَاءٌ .

1 فما تعقل في الديوان : فما تفعل .

2 ويوم السَّراة في الديوان : ويوم الشراة .

3 تعمل في ل والديوان : تعمل .

4 يقرطس : يصيب الغرض . وتقرطس الرجل : هلك . ينضل : يسبق في الرمي .

5 ديوان دعبل : 17 .

6 الدبة : ظرف الزيت وغيره .

صوت¹

[من الكامل]

زَمَنِي بِمَطْلَبٍ سَقِيَتْ زَمَاناً مَا كُنْتُ إِلَّا رَوْضَةً وَجِنَاناً
كُلُّ النَّدَى إِلَّا نَدَاكَ تَكْلُفُ لَمْ أَرْضَ بَعْدَكَ كَاتِئاً مَنْ كَانَا
أَصْلَحْتَنِي بِالْبَرِّ بَلْ أَفْسَدْتَنِي فَتَرَكْتَنِي أَتَسَخِّطُ الْإِحْسَانَا

وقد أخبرني بخبره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن علي عن أحمد بن محمد حدان عن أحمد بن يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة ، فكان يَبُثُّ دعاته إلى مصر ، وخافه المطلب ، فوكل بالأبواب من يمنع الغريب دخولها .

فلما جاء دِعْبِلُ مُنْعٍ فَأَغْلَظَ لِلَّذِي مَنَعَهُ ، فَقَنَعَهُ بالسُّوْطِ وَحَبَسَهُ . فمضى رَزِينُ فَأَخْبَرَ المطلب ، فأمر بإطلاقه ، ودعا به فخلع عليه . فقال له : لا أرضى أو تقتل الموكَّلَ بالباب فقال له : هذا لا يمكن لأنه قائد من قواد السلطان . فغضب ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة ، فأجازه ، وحكى أن اسمه محمد بن الحجاج ، لا أحمد بن السراج . وسائر الخبر مثله .

[تهاجيه مع المخزومي]

وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دِعْبِلِ قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار ، فحمي لذلك أبو سعد ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ، ولجَّ الهجاء بينهما .

وروي أنه نزل بقوم من بني مخزوم ، فلم يُضَيِّفُوهُ ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ولجَّ الهجاء بينهما .

أخبرني عمِّي والحسن بن علي الخفافُ قالا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُؤَيْهِ قال : حدَّثني محمد بن الأشعث قال : حدَّثني دِعْبِلُ أنه ورزينا العروضي نزلنا بقوم من بني مخزوم ، فلم يَقْرُوهَا ، ولا أَحْسَنُوا ضيافتهما فقال دِعْبِلُ : فقلت فيهم² : [من البسيط]

عِصَابَةٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يَتُّ بِهِمْ بَحِثْ لَا تَطْمَعِ الْمِسْحَاةُ فِي الطَّيْنِ

ثم قلت لرزين : أجز فقال :

فِي مَضْغِ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ خَبْزِهِمْ عَوَضُ بَنِي النِّفَاقِ وَأَبْنَاءُ الْمَلَاعِينِ

1 ديوانه : 190 .

2 ديوانه : 90 .

قال ابن الأشعث : فكان هذا أول الأسباب في مهاجته لأبي سعد .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثني العزّي قال : حدثني علي بن عمرو الشيباني أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودعبل قصيدته القحطانية التي هجا فيها زراراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثني أحمد بن أبي كامل قال : كان سبب وقوع الهجاء بين دعبل وأبي سعد قول دعبل في قصيدة يفخر فيها بخزاعة ، ويهجو زراراً ، وهي التي يقول فيها : [من الهزج]

أتانا طالباً وغرا فاعقبناه بالوعر
وترناه فلم يرَضَ فاعقبناه بالوتر

فغضب أبو سعد ، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبل ، وهي مشهورة : [من الهزج]

وبالكرخ هوى أبقي على الدهر من الدهر
هوى والحمد لله كفاني كلفة العذر

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

[جيد المخزومي لا يروى ويروى رديء دعبل]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أحمد بن هارون قال : دخلت على أبي سعد المخزومي يوماً وهو يقول : وأي شيء ينفعني ؟ أجود الشعر فلا يروى ، ويُرذَل فيروى ، ويفضحني برديته ، ولا أفضحه بجدي . فقلت : من تعني يا أبا سعد ؟ فقال : من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله دعبلاً ! فقلت فيه : [من مجزوء الخفيف]

ليس لبس الطيلس من لباس الفوارس
لا ولا حومة الوغى كصُدورِ المجالس
ضرب أوتار نَقْنَفٍ غير ضرب القوانس¹
وظهور الجياد غير رُ ظهور الطنافس
ليس من ضارس الحرو ب كمن لم يضارس²
بأبي غرس فتية من كرام المغارس

1 نفنف : اسم غلام دعبل وكان مغنياً له . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى الخوذة .

2 ضارس في ل : مارس . وضارس : جرب .

فَتِيَّةٌ مِنْ بَنِي الْمَغْدِ مِيرةٌ شَمَّ الْمَعَاطِسِ
يُطْعِمُونَ السَّدِيفَ فِي كُلِّ شَهْبَاءٍ دَامِسٍ¹
فِي جِفَانٍ كَانَتْهَا مِنْ جِفَانِ الْعَرَائِسِ
ثُمَّ يَمْشُونَ فِي السَّنُو مِ مَشْيِ الْعَنَابِسِ²
وَيَخُوضُونَ بِاللُّو دَمَاءَ الْأَبَالِسِ
نَحْنُ خَيْرُ الْأَنْامِ عِنْدَ سَدِّ قِيَاسِ الْمُقَاسِ

فَوَاللَّهِ مَا التَفَتَ إِلَيْهَا فِي مَصْرِنَا هَذَا إِلَّا عُلَمَاءُ الشَّعْرِ : وَقَالَ هُوَ فِي³ : [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ]

يَا أَبَا سَعْدٍ قَوْصَرَةٌ زَانِي الْأَخْتِ وَالْمَرَّةِ⁴
لَوْ تَرَاهُ مُحَنَّبًا خَلَتْهُ عَقْدَ قَنْطَرَةٍ⁵
أَوْ تَرَى الْأَيْرَ فِي اسْتِهِ قَلَّتْ سَاقُ بِمِقْطَرَةٍ⁶

قال : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَوَاهُ صَبِيانُ الْكِتَابِ وَمَارَّةُ الطَّرِيقِ وَالسَّقْلُ ، فَمَا أَجْتَازَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا سَمِعْتَهُ مِنْ سِفْلَةٍ يَهْذِرُونَ بِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُنِي فَيَعِينُنِي بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي فَأَسْمِعُهُ مِنْهُ لِسَهُولَتِهِ عَلَى لِسَانِهِ .

[الْمَخْزُومِيُّ يَدُسُّ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ وَعَمِّي قَالُوا : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلِ الْعَنْزِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَاءَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ضَمْرَةَ الْخَزَاعِيِّ ، فَقَالَ لِي : إِنِّي سَأَلْتُ دَعْبِلًا أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَنَاقِضُ بِهَا الْكَمِيتَ⁷ :

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا كِفَالِكِ اللَّوْمِ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا

فَقَالَ لِي إِسْمَاعِيلُ : قَالَ لِي دَعْبِلُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ فِيهَا أَخْبَارٌ وَغَرِيبٌ ، فَلْيَكُنْ مَعَكَ رَجُلٌ يَقْرَأُهَا عَلَيَّ وَأَنْتَ مَعَهُ ، فَيَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ اخْتَرْتُ صَدِيقًا لِي يَقَالُ لَهُ :

1 السديف : شحم السنام . والشهباء : السنة المجلبة .

2 السنور : جملة السلاح . والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد .

3 ديوان دعبل : 80 .

4 قوصره : كناية عن المرأة ، والمنبوذ في لغة أهل البصرة .

5 محب : الاحديداب في ظهر البعير ووظيفه .

6 المقطرة : خشبة مخروطية توضع في ساق المحبوس .

7 ديوان دعبل : 148-150 .

عليّ ؛ فقال : أَمِنَ العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : مِنْ أَيِّ العرب ؟ قلتُ : مِنْ بني شيبانَ . قال : شيبانُ كندةٌ ؟ فقلت : بل شيبانُ ربيعةٌ . فقال لي : ويحك ! أتأثيني برجل أسمع ما يكره في قومه ؟ فقلت له : إِنَّه رجلٌ يَحْتَمِلُ ، ويحبُّ أن يسمع ما له وعليه . فقال : في مثل هذا رغبة فأتني به ، فصرنا إليه ، فلمّا لقيه قال : قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سرّرت به ؛ أن كنت رجلاً من العرب تُحبُّ أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تُغَيِّنَ . فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله :

مِنْ أَيِّ ثَنِيَّةٍ طَلَعَتْ قَرِيشٌ وكانوا معشراً متبَطِّيناً
فقال دِعْبِلُ : معاذ الله أن يكون هذا البيت لي ؛ ثم قال : لعنه الله وانتقم منه ، يعني أبا سعد المخزومي ، دَسَّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجَرَدَ البيت بحدها ؛ ثم قال لنا : أحدثكم عنه بحديث طريف :

[يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي]

جاءني يوماً ببغداد أشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء ، وبين يديّ صحيفة ودواة ، وأنا أهجوه فيها ، إذ دخل عليّ غلام لي فقال : أبو سعد المخزوميّ بالباب . فقلتُ له : كذبت . فقال ، وهو عارف بأبي سعد : بلى والله يا مولاي . فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يديّ ، وأذنت له في الدخول ، وجعلتُ أحمد الله في نفسي ، فأقول : الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هَتَكِ الأعراض وذكر القبيح ، وكان الابتداء منه . فقمْتُ إليه وسلمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديتُ له مثلاً ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحتُ والله حاسداً لك . قال : على ماذا يا أبا عليّ ؟ فقلت : بسبِّقك إياي إلى الفضل .

فقال لي : أنا اليوم في دعوى عندك ، فقلت : قل ما أُحِبُّ . فقال : إن كان عندك ما تأكله ، وإلاّ ففي منزلي شيء مُعَدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قِدْرُ أُمْسِيَّةٍ¹ . فقال : غايةً واتفاق جيد . فهل عندك شيء نشربه ، وإلاّ وجَّهت إلى منزلي ففيه شراب مُعَدّ ؟ فقلت له : عندنا ما نشرب ، فطرح ثيابه وردَّ دابته وقال : أحبُّ ألاّ يكون معنا غيرنا . فتغدَّينا وشرَبنا ، فلمّا أن أخذ الشراب منا قال : مرُّ غلاميك يغنياني . فأمرت الغلامين فغَنَّياه ؛ فطرب وفرح ، واستحسن الغناء حتى سرَّني وأطربني معه ، ثم قال : حاجتي إليك يا أبا عليّ أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي ، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعهانه مني في هجائي قد حفظا منه أشياء ولحَّناها ، فقلت له : سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئَتِ النَّائِرَةُ² ، وذهبت العداوة بيننا ، وانقطع

1 ل : مبيّة .

2 النَّائِرَةُ : الشحنة .

الشرّ. فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال لي : سألتك بالله إلا فعلتَ ، فليس يشقّ ذلك عليّ ، ولو كرهته لما سألته . فقلت في نفسي : أترى أبا سعد يتماجن عليّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد ، فقال غنّوه :

يا أبا سعد قَوْصَرَةٌ زانيَ الأخت والمرة

فغنّوه ، وهو يحرك رأسه وكتفيه ، ويطرب ويصفق ، فما زلنا يومنا مسرورين . فلما ثمل ودعني وقام فانصرف ، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعة قرطاس ، وقال : دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ ، وأمرني أن أدفعها إليك . قال : فقرأتها ، فإذا فيها :

لِدِعْبِلٍ مِّنْةٍ يَمْنُ بِهَا فَلَسْتُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَنْسَاهَا
أَدْخَلْنَا بَيْتَهُ فَأَكْرَمَنَا وَدَسَّ بِأَمْرَاتِهِ فَنَكَنَاهَا

فقال : وثلي على ابن الفاعلة ، هاتوا جليداً ودواةً . قال : فردّوها عليّ ، فعُدْتُ إلى هجائه ، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة ، فما سلّم عليّ ، ولا سلّمتُ عليه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد ، أنّه سمع دِعْبِلًا يحدث بخبره هذا مع أبي سعد ، فذكر نحو ما ذكره العنزيّ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم قال : حدّثني أحمد بن أبي كامل قال : رأيت دِعْبِلًا قد لقي أبا سعد في الرّصافة ، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما ، فشَدَّ دِعْبِلٌ على أبي سعد فقتّعه ، فركض أبو سعد بين يديه هارباً ، وركض دِعْبِلٌ في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب . قال : وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون ، فتظلموا منه إلى المأمون ، وذكروا أنّهم لا يعرفون له فيهم نسباً ، فأمرهم المأمون بنفيه ، فانتفوا منه ، وكتبوا بذلك كتاباً . فقال دِعْبِلٌ فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة¹ :

غَيْرَ أَنَّ الصَّيْدَ مِنْهُمْ قَنَعُوهُ بِخَزَايَةِ
كَتَبُوا الصَّكَّ عَلَيْهِ فَهَوَّ بَيْنَ النَّاسِ آيَةَ
فَإِذَا أَقْبَلَ يَوْمًا قِيلَ قَدْ جَاءَ النُّفَايَةَ

وقال فيه أيضاً² :

[من الطويل]

1 ديوان دعبِل : 163 عن الأغاني .

2 ديوانه : 78 وفيه «الفقرا» بدل «القفدا» .

هم كتبوا الصِّكَّ الذي قد علمته عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا¹

قال : وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبه قال : أنا عبدُ ابنِ عبد . قال : ونظر دعبل فرأى على أبي سعد قباءَ مَرَوِيًّا مصبوغاً بسواد ، فقال : هذا دعبي على دعبي .
[هجاؤه عندما اطلع على دفتر المخزومي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه قال : حدّثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال : لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك ، قال فقلت : ولم أبكك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البزاريات ؟ قلتُ : هوذا أجيتك به . فلما صليتُ الظهر جئت بالدفتري أريده ، فمررتُ بدعبل فدققتُ بابه ، فسمعتة يقول لجارية له : يا دراهم ، انظري من الباب . فقالت له : أحمد بن مروان . فقال : افتحي له . فلما دخلتُ قلت له : أيش هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سميتم جواريكم ذنانير ، فسميتنا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفتر فيه شعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذه فنظر فيه وابنه عليّ بن دعبل بن عليّ معه ، فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه :

مالت إلى قلبك أحزانه فهو مُجِمُّ الهم خزانة

قال له ابنه عليّ : فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره :

عادت إلى قلبك أحزانه ؟

فقال دعبل : صدقت والله يا بني ، أنت والله أشعر منه . قال : ثم إنه أملى عليّ دعبل إملاء² :

ما كنت أحسب أنّ الدهر يمهلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحدُ

إني لأعجبُ ممّن في حقيقته من المنيّ بحورٍ كيف لا يلدُ

فإن سمعت به بغتُ القنا عبثاً فقد أراد قنّاً ليست له عقْدُ

ثم صرّفت إلى أبي سعد ، فلما رأيته من بعيد قال : يا أحمد ، من أين أقبلت ؟ قلت : من عند دعبل . قال : وما دعبل عنده ؟ فأنشدته شعر دعبل فيه ، وأخبرته بما قال ابنه في شعره ، فقال : صدق والله ، في أيّ سنّ هو ؟ قلت : قد بلغ . فدعا بدواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت :

1 القفد : الصّفح .

2 ديوان دعبل : 60 .

لا والذي خلق الصهباء من ذهب
يقول لي دِعْبِل في بطنه حبلٌ
ودِعْبِلٌ رجلٌ ما شئتَ من رجلٍ
قال : ثم هجاني أبو سعد ، فقال :

عدوُّ راح في ثوبي صديق
له وجهانِ ظاهره ابنُ عمٍّ
يسرك معلناً ويسوء سرّاً

شريك في الصُّبوح وفي الغُبوقِ
وباطنه ابنُ زانية عتيقٍ
كذاك يكون أبناء الطريقِ

[بنو مخزوم ينفون المخزومي عنهم]

أخبرني عمِّي والحسنُ بن عليٍّ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُويِّه قال : حدَّثنا أبو ناجية ، شيخٌ من ولد زهير بن أبي سُلمي ، قال : حضرتُ بني مخزوم وهم ببغداد ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لما لَجَّ الهجاءُ بينه وبين دِعْبِل ، وقد خافوا لسان دِعْبِل ، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمهم جميعاً ، فكتبوا عليه كتاباً ؛ وأشهدوا أنه ليس منهم . فحدَّثني غيرُ واحد أنه حينئذٍ أتى بخاتمه النقاش ، فنقش عليه : أبو سعيد العبدُ ابنُ العبدِ بريء من بني مخزوم تهاوناً بما فعلوه .

[المأمون لا يستأثر على دِعْبِل]

أخبرني علي بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيد قال : كان أبو سعد المخزومي يستعلي على دِعْبِل في أوَّل أمره ، وكان يدخل إلى المأمون فيُنشده هجاء دِعْبِل له وللخلفاء ، ويحرِّضه عليه وينشده جوابه ، فلم يجد عند المأمون ما أراد فيه . وكان يقول : الحقُّ في يدك والباطل في يد غيرك ، والقول لك ممكن ، فقل ما يكذبه ، فأما القتل فإنِّي لستُ أستعمله فيمن عظم ذنبه ، أفأستعمله في شاعر ؟

[ابن أبي الشيص يهجو المخزومي]

فاعترض بينهما ابن أبي الشيص ، فقال يهجو أبا سعد :

أنا بشرتُ أبا سعد
بأبٍ صيدٍ له بال
فهُوَ يوماً من تميم
كلَّ يومٍ لأبي سعد
خزمتُ مخزومُ فاه

مد فأعطاني البشارة
أُمس في دارِ الإمارة
وهو يوماً من فزارة
مد على الأنسابِ غارة
فادعاهَا بالإشارة

قال : وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً :

[من الهزج]

أبا سعد بحق الخمس سر والمفروض من صومك
أقلت الحق في النسب عة أم تحلم في نومك
أبن لي أيها المغرور ر ممن أنت في قومك¹
فولي قائلاً لو شئت ت قد أقصرت من لومك
ودعني أك من شئت إذا لم أك من قومك

[دعبيل بهجوه]

وقال فيه دعبيل² :

[من السريع]

إن أبا سعد فتى شاعر يُعرف بالكنية لا الوالد
يُنشد في حيّ معدّ أبا ضلّ عن المنشود والناشد
فرحة الله على مسلم أرشد مفقوداً إلى فاقد

[الصبيان يصيحون بهجائه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابنُ مَهْرُؤَيْه قال : حدّثني أحمدُ بن عثمان الطبري
قال : سمعتُ دعبيلَ بنَ عليّ يقول : لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزاً ودَعَوْتُ الصبيان
فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صيحوا به قائلين :

يا أبا سعد قَوْصَرَة زانيَ الأختِ والمَرة

فصاحوا به ، فغلّبته .

[أبو سعد يحرض عليه المأمون مرة أخرى]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال حدّثني ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدّثني أحمدُ بن مروان قال :
حدّثني أبو سعد المخزوميّ واسمه عيسى بن خالد بن الوليد قال : أنشدت المأمون قصيدتي الدالية
التي رددت فيها على دعبيل قوله³ :

ويسومني المأمون خطّة عاجز أو ما رأى بالأمس رأس محمد
وأول قصيدتي :

[من الكامل]

أخذ المشيبُ من الشبابِ الأعْيِد والنائبِ من الأنامِ بمرصد⁴

1 المعرور : المصاب بالعر ، وهو الجرب ، أو هو الملطّخ بالشر .

2 ديوانه : 76 عن الأغاني .

3 ديوانه : 69 .

4 الأنام في ل : الرجال .

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أجيبك برأسه . قال : لا ، هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله بلا حجة فلا .

[يرى وجهه في المرأة فيذكر هجاء أبي سعد له]

أخبرني عمي والحسن بن علي عن أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني أبو السري عمرو الشيباني قال : نظر دِعْبِلُ يوماً في المرأة ، فجعل يضحك ، وكانت في عَنَفَتِهِ¹ سَلْعَةٌ² ، فقلت له : من أي شيء تضحك ؟ قال : نظرتُ إلى وجهي في المرأة ، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنَفَتِي ، فذكرتُ قول الفاجر أبي سعد :

وسَلْعَةٌ سَوَاءٌ بِهِ سَلْعَةٌ ظَلَمْتُ أَبَاهُ فَلَمْ يَنْتَصِرْ

[ينشده أحدهم هجاء المخزومي له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العَنَزِي قال : قال عبدُ الله بنُ الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز قال : حدثنا محمد بن علي الطالبي قال : لقيت دِعْبِلَ بنَ علي ، فحدثني أن أبا عمرو الشيباني سأله : ما هو دِعْبِلُ ؟ فقلت له : لا أدري ، فقال : إنها الناقة المسنة . قال محمد بن علي الطالبي : ثم تحدثنا ساعة ، فقلت : أما ترى لأبي سعد يا أبا علي وانهماك في هجائك ؟ فقال دِعْبِلُ : لكني لم أَقُلْ فيه إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيان والإماء ، وأنشدني قوله فيه : [من مجزوء الخفيف]

يا أبا سعد قَوْصَرَةٌ زَانِي الأَخْتِ والمِرَّةِ
لو تراه مُحِبِّباً خلته عَقْدَ قَنْطَرَةٍ
أو ترى الأَيْرَ في استه قلتُ ساقَ بِمِقْطَرَةٍ

قال محمد ، فقلت لدِعْبِلَ : دَعْ عنك ذا ، فقد والله أوجعك الرجلُ ، فإن أُجِبته بجواب مثله انتصفت ، وإلا فإن هذا اللغو الذي فخرتُ به يَسْقُطُ وتَفْضَحُ آخرَ الدَّهْرِ ، قال : ثم أنشدته قول أبي سعد فيه :

لم يبقَ لي لَذَّةٌ من طَيِّبَةٍ بَدَدِ ولا المنازلِ من خَيْفٍ ولا سَنْدٍ³
أبعدَ خمسينَ عادتُ جاهليته يا ليت ما عادَ منها اليومَ لم يعدِ

1 ل : شعره .

2 السلعة : غدة في البطن تصغر وتكبر .

3 الطية : الحاجة والوطر . بدر : متفرقة . الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . السند : ما قابلك من الجبل .

وما تُريدُ عيونُ العين من رجل
أبدى سرائره وجُداً بغانية
واستمطرتُ عبراتِ العين منزلةً
وما بكاؤك داراً لا أنيس بها
لِدِعِيلٍ وطَّرَ في كلِّ فاحشةٍ
ولي قوافٍ إذا أنزلتها بلداً
لم ينبجُ من خيرها أو شرّها أحد
إنَّ الطَّرمَّاحَ نالتَه صواعقُها
وأنتَ أولى بها إذ كنتَ وارثه
تهجو زاراً وترعى في أروميتها
إنِّي إذا رَجُلٌ دبَّت عقاربُه
زدني أزدك هواناً أنتَ موضعه
لو كنتَ متعبداً فيما تُلَفِّقه
أو كنتَ معتبداً منه على ثقةٍ
لقد تقلدْتَ أمراً لستَ نائله
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه
لا تُوعدني بقوم أنتَ ناصرهم
لله معتصم بالله ، طاعته
قال ، فلما أنشدتها دِعِلاً قال : أنا أشتُمه وهو يشتُمني ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشقَّ ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

منازلُ الحيِّ من غُمدانَ فالنَّضيدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره ، هكذا قال العَنَزِيُّ في الخبر ، ولم يأت بها .

1 الآري : عود في حائط أو حبل بحلقة تربط بها الدابة .

2 الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم . الخيطان : جماعات النعام ، واحدها خيط . الرد : الغبر .

3 الهام : نوع من البوم . والصرد : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .

4 النومان : الكثير النوم . والقعد : جمع قاعد .

[دعي على دعي]

حدَّثنا محمدٌ قال : حدَّثنا العَنَزِيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحسينِ عن محمدِ بنِ عليٍّ الطالبِيِّ قال : عبَّر دِعْبِلُ الجَسْرَ ببغداد ، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسْر ، وعليه ثوبٌ صوفٍ مشبَّه بالخَزِّ مصبوغ ، فضرب دِعْبِلُ بيده على فخذه ، وقال : دَعِيٌّ عَلَى دَعِيٍّ .

[دعبل مدخول النسب]

أخبرني محمدٌ بنُ جعفرٍ الصَيْدَلَانِيُّ صهر المبرِّد قال : حدَّثني محمدٌ بنُ موسى الضَّبِّيُّ راوية العَتَّابِيِّ ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال : بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذِكْرِ دِعْبِلٍ ، فقال : ويحك يا ضَبِّيَّ ! ، إني أريد أن أُحدِّثكَ بشيءٍ على أن تستره طول حياتي ، فقلت له : أصلحك الله أنا عندك في موضع ظُنة ؟ قال : لا ، ولكن أُطِيبُ لنفسي أن توثق لي بالآيمان لأركن إليها ، ويسكن قلبي عندها ، فأحدِّثكَ حينئذٍ .

قال : قلت : إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سرِّه إليَّ ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني . فاستحييت من مراجعته ، وقلت : فليَرِ الأميرُ رأيَه . فقال لي : يا ضَبِّيَّ ، قُلْ : والله . قلتُ : والله ، فأمرها عليَّ غَمُوساً مؤكِّدةً بالبيعة والطلاق وكلُّ ما يحلفُ به مسلمٌ . ثم قال : أشعرتُ أن دِعْبِلًا مدخول النسب ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ الله الأميرَ ، أفي هذا أخذتُ العهودَ والمواثيقَ ومغلَّظَ الآيمانَ ؟ قال : إي والله ، فقلت : ولم ؟ قال : لأنِّي رجلٌ لي في نفسي حاجة ، ودِعْبِلُ رجلٌ قد حَمَلَ نفسه على المهالك ، وحَمَلَ جِذْعَه على عنقه ، فليس يجد من يصلبه عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول في ما يبقى عَلَيَّ عاره على الدَّهرِ ، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمنُ ، وما أراها تفعل ؛ لأنَّه اليوم لسانها وشاعرها والذَّابُّ عنها والمحامي لها والرامي دونها ، فأضربه مائة سوط ، وأثقله حديدًا ، وأصبره في مُطْبِقٍ¹ باب الشام .

وليس في ذلك عِوضٌ ممَّا سار في من الهجاء وفي عقبي من بعدي . فقلت : ما أراه يفعل ويُقدِّم عليك . فقال لي : يا عاجز ، أهوَنُ عليه ممَّا لم يكن . أترأه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليَّ ؟ فقلت : فإذا كان الأمر كذا فقد وُفِّقَ الأميرُ فيما أخذه عليَّ .

قال : وكان دِعْبِلُ صديقاً لي ، فقلت : هذا شيء قد عرفته ، فمن أين ؟ قال الأميرُ : إنَّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة ، لا يتقدَّمهم غير بني أهبان مكلم الذئب . فقال : أسمع أنَّه كان أيامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبِه له ، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد ، لا يملكان غيره . ومسلمُ أستاذه وهو غلامٌ أمرُّ يخدمه ، ودعبلٌ حينئذٍ لا يقول

1 المطبق : سجن تحت الأرض .

شعراً يفكر فيه حتى قال :
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكى
[بداية شهرته]

وَعُنِيَ فِيهِ بَعْضُ الْمُغْنِيِّينَ وَشَاعَ ، فَعُنِيَ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ، إِمَّا ابْنُ جَامِعٍ أَوْ ابْنُ الْمُكَيِّ ، فَطَرِبَ الرَّشِيدُ ، وَسَأَلَ عَلَى قَاتِلِ الشَّعْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : دُعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ غَلَامٌ نَشَأَ مِنْ خُرَاعَةِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ ، فَدَفَعَهُ مَعَ مَرْكَبٍ مِنْ مَرَاكِبِهِ إِلَى خَادِمٍ مِنْ خَاصَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى خُرَاعَةٍ فَاسْأَلْ عَنْ دُعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَإِذَا ذُلَّتْ عَلَيْهِ فَأَعْطِهِ هَذَا ، وَقُلْ لَهُ : لِيَحْضُرَ إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ لَمْ يُجِبْ ذَلِكَ فَدَعِهِ . وَأَمَرَ لِلْمَغْنِيِّ بِجَائِزَةٍ . فَسَارَ الْغَلَامُ إِلَى دُعْبَلٍ ، وَأَعْطَاهُ الْجَائِزَةَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ .
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَاسْتَنْشَدَهُ الشَّعْرَ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُ ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَهُ بِمَلَاذِمَتِهِ وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقاً سَنِيّاً ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَرَّضَهُ عَلَى قَوْلِ الشَّعْرِ .
فَوَاللَّهِ مَا بَلَغَهُ أَنَّ الرَّشِيدَ مَاتَ حَتَّى كَافَاهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنَ الْعَطَاءِ السَّنِيِّ ، وَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ ، وَالرَّفْعَةَ بَعْدَ الْخُمُولِ بِأَقْبَحِ مَكَافَاةٍ . وَقَالَ فِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهَجَا الرَّشِيدَ¹ :

ليس حيٍّ من الأحياء نعلمه	من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرٍ
إلا وهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسار على جزرٍ ²
قتل وأسروا وتحريقاً ومنهبةً	فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أُميَّةَ معذورين إن قتلوا	ولا أرى ليني العباس من عذرٍ
اربع بطوس على القبر الزكي إذا	ما كنت تربع من دين على وطيرٍ
قبران في طوس خير الناس كلهم	وقبر شرهم هذا من العير
ما ينفع الرّجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرّجس من ضرٍ
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت	له يدها فخذ ما شئت أو فذر

[المأمون يصفح عنه]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأمّا الثانية فإنّ المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله³ :

[من الكامل]

1 ديوانه : 178-179 .

2 أيسار : جمع يسر ، وهم المجتمعون على الميسر .

3 ديوانه : 115-116 .

عِلْمٌ وَتَحْكِيمٌ وَشَيْبُ مَفَارِقِ طَمَسْنَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ الرَّائِقِ
وإِمَارَةٌ فِي دَوْلَةٍ مَيْمُونَةٍ كَانَتْ عَلَى اللَّذَاتِ أَشْغَبَ عَائِقِ
أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقِ
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُضْطَلَعًا بِهَا فَلْتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لُمُخَارِقِ¹

فلما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفَحْتُ عَنْ كُلِّ مَا هَجَانَا بِهِ إِذْ قَرَنَ إِبْرَاهِيمَ
بِمُخَارِقِ فِي الْخِلَافَةِ ، وَوَلَّاهُ عَهْدَهُ .

وكتب إلى أبي أن يكتبه بالأمان ، ويحمل إليه مالا ، وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ
إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقا به ، فصار إليه ، فحمله وخلع
عليه ، وأجازَه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل . فلما دخل وسلَّم عليه
تبسَّم في وجهه ، ثم قال أنشدني :

مدارسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزَلٌ وَحِيٍّ مَقْفَرُ الْعَرَصَاتِ

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد رويته ولكني أحب سماعها من فيك .
فأنشده إيَّاهَا إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَلَ لِحْيَتَهُ بدمِعه ، فوالله ما شعرنا به إلا وقد
شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأتسه به حتى كان أوَّلَ داخل ، وآخر خارج
من عنده .

[هاشمي لا يرضيه فيهجوه]

أخبرني محمد بنُ خَافِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ الْعَامِرِيُّ ، قَالَ : اسْتَدْعَى بَعْضُ
بَنِي هَاشِمٍ دِعِيلًا وَهُوَ يَتَوَلَّى لِلْمَعْتَصِمِ نَاحِيَةً مِنْ نَوَاحِي الشَّامِ ، فَقَصَدَهُ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ
بَحِثٌ ظَنٌّ وَجَفَاهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ دِعِيلٌ² :

دَلَّيْتَنِي بِغُرُورٍ وَعَدَكَ فِي مِتْلَاطِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْغُرُقِ
حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ شُهِرَ اتِّقَاصُكَ شَهْرَةَ الْبَلْقِ
أَنْشَأْتَ تَخْلَفُ أَنْ وَدَّكَ لِي صَافٍ وَجِبْلَكَ غَيْرُ مَنْحَذٍ³
وَحَسْبَتَنِي فَقْعًا بِقَرْقَرَةٍ فَوَطَّقَتْنِي وَطَقًا عَلَى حَنْقٍ⁴

1 مخارق : المغني المشهور .

2 ديوانه : 113-114 .

3 منحذق : منقطع .

4 تقدم المثل «فقع بقرقرة» أو «أذل من فقع بقرقرة» .

ونصبتني علماً على غرضٍ وظننت أرض الله ضيقةً
من غير ما جرم سوى ثقة ومودة تخو عليك بها
فمتى سألتك حاجةً أبداً وقف الإخاء على شفا جُرف
وأعد لي قفلاً وجامعة أعفك مما لا تحبُّ بها
ما أطول الدنيا وأعرضها وترميني الأعداء بالحدق
عني وأرض الله لم تضق مني بوعدكم حين قلت : ثقي
نفسى بلا من ولا ملق فاشدد بها قفلاً على غلق
هار فيه بيعه الخلق فاشدد يدي بها إلى عنقي
واسد علي مذهب الأفق وأدلني بمسالك الطرق

[اتهمه بشتم صفية بنت عبد المطلب]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني أبي قال : قديم دِعْبِل الدَّيْنُور¹ ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام كلام وعريضة على النبيذ ، فاستعدى عليه عمرو بن حميد القاضي ، وقال : هذا شتم صفية بنت عبد المطلب ، واجتمع عليه الغوغاء ، فهرب دِعْبِل ، وبعث القاضي إلى دار دِعْبِل فوكل بها وختم بابه . فوجه إليه برقعة فيها : ما رأيت قط أجهل منك إلا من ولأك ، فإنه أجهل ، يقضي في العريضة على النبيذ ، ويحكم على خصم غائب ، ويقبل عقلك أني رافضي أشتم صفية بنت عبد المطلب ؛ سخنت عينك ، أفمين دين الرافضة شتم صفية ؟ قال أبي : فسألني الزبير القاضي عن هذا الحديث فحدثته ، فقال : صدق والله دِعْبِل في قوله ، لو كنت مكانه لوصلته وبررته .

[متنك يعود إلى الندماء]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثني إبراهيم بن سهل القاري قال : حدثني دِعْبِل قال : كتبت إلى أبي نهشل بن حميد ، وقد كان نسك وترك شرب النبيذ ، ولزم دار الحرم :

[من الخفيف]

إنما العيش في منادمة الإخاء
وبصرف كأنها السن البر
وإن تكونوا تركتم لذة العي
وإن لا في الجلوس عند الكعاب
ق إذا استعرضت رقيق السحاب
شر حذار العقاب يوم العقاب

فدعوني وما ألدُّ وأهوى وادفعوا بي في نحر يوم الحساب
قال : فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي ، فنشرب بين يديه ، ويستمتع الغناء ،
ويقتصر على الأنس والحديث .
[قصيدة بالمشركة]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُؤَيْه قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المدبِّر قال : كنتُ أنا
وإبراهيمُ بنُ العباسِ رفيقَيْنِ نتكسَّبُ بالشعر قال : وأنشدني قصيدة دِعِيل في المطلبِ بن
عبد الله :

أَمَطِّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبُ سَمَامِ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبِلُ
قال ، وقال لي دِعِيل : نصفها لإبراهيمَ بنِ العباس ، كنتُ أقولُ مصراعاً فيجيزه ، ويقول
هو مصراعاً فأجيزه .

[هجاء مالك بن طوق]

قال ابنُ مَهْرُؤَيْه : وحدَّثني إبراهيمُ بنُ المدبِّر أنَّ دِعِيلاً قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه ، فلم
يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه ¹ :

إِنَّ ابْنَ طَوْقٍ وَبَنِي تَغْلِبِ لَوْ قَتَلُوا أَوْ جُرَحُوا قُصْرَةً ²
لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَةِ دِرْهَمًا يَوْمًا وَلَا مِنْ أَرْشِهِمْ بَعْرَةً ³
دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُولَةٌ مِثْلُ دَمِ الْعُذْرَةِ
وَجَوْهُهُمْ بَيِضٌ وَأَحْسَابُهُمْ سَوْدٌ وَفِي آذَانِهِمْ صُفْرَةٌ
[شعره في عبد الله بن طاهر]

حدَّثنا محمدُ بنُ عِمْران الصيرفيُّ قال : حدَّثني العنزيُّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الحسن
قال : حدَّثني عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحويُّ مؤدَّب آل طاهر قال : دخل دِعِيلُ بن
عليٍّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشده وهو ببغداد ⁴ :

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبِ إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ ⁵
فَاقْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلَحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

1 ديوانه : 79 .

2 قصره : يقصرون عن إدراك النار .

3 الأرش : دية الجراحات .

4 ديوانه : 33 .

5 الديوان : أتيت مستشفعاً بلا سبب .

قال فانتعل عبد الله ، ودخل إلى الحرم ، ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجلُ برنا ولو انتظرت كثيره لم يقليل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسَلْ ونكون نحن كأننا لم نفعِل

[هجا مالك بن طوق وهرب]

أخبرني أحمد بن عاصم الحلواني قال : حدثنا أبو بكر المدائني قال : حدثنا أبو طالب الجعفري ومحمد بن أمية الشاعر جميعاً قالوا : هجا دعل بن علي مالك بن طوق فقال¹ :

سألتُ عنكم يا بني مالك في نازح الأرضين والدائنة
طراً فلم تُعرف لكم نسبة حتى إذا قلتُ بني الزائنة
قالوا فدع داراً على يمنة وتلك ها دارهم ثانية²
لا حدَّ أخشاه على من قال أمك زائنة

وقال أيضاً فيه :

يا زائي ابن الزانِ اب من الزانِ ابن الزائنة
أنتَ المردد في الزنا ع على السنين الخالئة
ومردد فيه على كر السنين الباقيّة

[يبلعه الوالي سلحه]

وبلغت أبيات مالكاً ، فطلبه ، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان بلغه هجا دعل وابن أبي عيينة نزاراً . فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه . وأما دعل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه ، ودعا بالنطح والسيف ليضرب عنقه ، فوجد القصيدة وحلف بالطلاق على جحدها ، وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وأنّ عدواً له قالها ، إما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه ، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويكي بين يديه . فرق له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سلح ، وأمر به فالقي على قفاه ، وفتح فمه فردّ سلحه فيه والمقارع تأخذ رجله ، وهو

1 ديوان دعل : 164 وقد جعل البيت الرابع أول المقطوعة التالية .

2 ثانيه في الديوان : فانية .

يُحلفُ ألاَّ يكفَّ عنه حتى يستوفيه ويبلغه أو يقتله . فما رُفعت عنه حتى يبلِّغَ سلحه كله ، ثم خلَّاه ، فهرب إلى الأهواز .

[اغنياله]

وبعث مالكُ بنُ طُوقٍ رجلاً حَصيفاً مقداماً ، وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العَتَمَةِ ، فضرب ظهر قدمه بـُعَكَازٍ لها زجٌّ مسموم فمات من غد ، ودُفِنَ بتلك القرية .

وقيل بل حُمِلَ إلى السُّوس ، فدُفِنَ فيها ، وأمر إسحاق بنُ العباس شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيد ويكنى أبا الذَّلْفَاءِ ، فنقض قصيدتي دِعْبِلَ وابن أبي عيينة بقصيدة أولها : [من الوافر]

أما تنفك متبولاً حزيناً تحبُّ البيضَ تعصي العاذلينا
يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكر الأيام والأحوال ، ففعل ذلك وسأهاها الدامغة ، وهي إلى اليوم موجودة .

صوت¹

[من الوافر]

أَتَهَجَرَ مَنْ تُحِبُّ بِغَيْرِ جُرْمٍ أَسَاءَتْ إِذَا وَأَنْتَ لَهُ ظَلُومٌ
تَوَرَّقَنِي الْهَمُومُ وَأَنْتَ خِلْوٌ لَعَمْرُكَ مَا تَوَرَّقَكَ الْهَمُومُ

الشعر لجعيفران الموسوس ، أنشدنيه عمِّي عن عبد الله عثمان الكاتب عن أبيه عن جدِّه ، وأنشد فيه جَحْظَةً عن خالد الكاتب له ، وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحوي له . ووجدته في بعض الكتب منسوبة إلى أم الضحاك المحاربيَّة ، والقول الأول أصح . والغناء لابن أبي قباحة ، ثاني ثقل بالوسطى في مجرى البنصر . وفي أبيات آخر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الآخر صحيح ، منها : [من السريع]

ما يفعلُ المرءُ فهو أهله كلُّ امرئٍ يشبهه فعله
ولا ترى أعجز من عاجزٍ سكَّتنا عن ذمِّه بذله

الشعر لجعيفران ، والغناء لمتيم ، ومِمَّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء :

[من الكامل]

قلبي بصاحبة الشنوفٍ مُعلَّقُ وتفرُّ صاحبة الشنوفِ وألْحَقُ

[417] - أخبار جعفران ونسبه¹

[نشأته]

هو جعفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأنباوي² ، من ساكني سُرْمَن رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية ، وكان يتشيع ، ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر . أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن أبيه وأهله .

[شاعر مطبوع اختلط]

وكان جعفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت عليه الميرة السوداء ، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أذين .

[أبوه بطرده ويحرمه من الميراث]

فأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن مَهْرُويه قال : حدثني علي بن سليمان النوفلي قال : حدثني صالح بن عطية قال : كان لجعفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يقال له : علي بن أصفر ، وكان دهقان الكرّخ ببغداد ، وكان يتشيع ، فظهر على ابنه جعفران أنه خالفه إلى جارية له سرّية ، فطرده عن داره .

وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالِك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدّم فطرده ، وأخرجه من منزله . وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهد بها في ماله حتى يخرجّه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلما مات الرجل حاز ميراثه ومنع منه جعفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصي ، وسأل جعفران البينة على نسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بينة عدّة ، وأحضر الوصي بينة

1 ترجمة جعفران الموسوس في الوافي 11 : 168-171 وفوات الوفيات 1 : 297-299 وطبقات ابن المعتز :

281-282 وتاريخ بغداد 7 : 163 ، وعقلاء المجانين : 101-105 . وقد ترجم له وجمع أشعاره د .

إبراهيم النجار في شعراء عباسيون منسيون (النجار) 4 : 353-372 .

2 الوافي والفوات : الأنباري ، والنجار : الأنباوي .

عُدولاً على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه . فلم يرَ أبو يوسف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورثه ، فدفعه الوصي عن ذلك مرّات بعِلل . ثم عزم أبو يوسف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصي : أيّها القاضي ، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي ، فأبى أبو يوسف أن يقبلَ منه ، وجعل جعيفران يُحرّج عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمري ، فأبى شيء تدافعني ؟ وجعل الوصي يسأله أن يسمع منه منفرداً ، فإبى ، ويقول : لا أسمع منك إلاّ بحضرة خصمك . فقال له : أجّلني إلى غد ، فأجّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بن جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبي يوسف ، فدفعها إليه ، فلمّا قرأها دعا الوصي واستحلفه أنّه قد صدّق في ذلك ، فخلف باليمين الغموس . فقال له : اغد عليّ غداً مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصي . فلمّا أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلط منذ يومئذ .

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ، ولم أر أخباره عند أحد أكثر ممّا وجدتها عنده إلاّ ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه .

[يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً]

قال عليّ بن العباس : وذكر عبد الله بن عثمان الكاتب أنّ أباه عثمان بن محمد حدثه قال : كنت يوماً برُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضبٌ ، فوقف عليّ وقال :

استوجبَ العالمُ منّي القتلا

فقلت : ولم يا أبا الفضل ؟ فنظر إليّ نظرة منكّرة خِفْتُ منها ، وقال :

لما شعرتُ فرأوني فعلا

ثم سكّت هنيهة ، وقال ¹ :

قالوا عليّ كذبا وبطلا

قالوا المحال كذبا وجهلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفْتُ أن يؤذيه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فدَيْتِكَ حتى أقومَ معك ؛ فإنّك مغضبٌ ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إليّ ، وقال : سبحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتخشوَن مني مكافأَتهم ؟ ثم

إِنَّهُ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : [من الرجز]

لَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ جَهْلٍ جَهْلًا وَلَا مِجَازِيهِ بِفِعْلٍ فِعْلًا
لَكِنْ أَرَى الصَّفْحَ لِنَفْسِي فَضْلًا مَنْ يُرِدُ الْخَيْرَ يَجِدْهُ سَهْلًا

ثم مضى .

[يدور في الدار وحده وينشد رجزاً]

وقال عليُّ بنُ العباس ، وقال عثمان بنُ محمد : قال أبي : كُنْتُ أَشْرِفُ مَرَّةً مِنْ سَطْحٍ لِي
عَلَى جَعْفِرَانَ وَهُوَ فِي دَارٍ وَحْدَهُ وَقَدْ اعْتَلَّ ، وَتَحَرَّكَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ ، فَهُوَ يَدُورُ فِي الدَّارِ طَوِيلَ
لَيْلَتِهِ ، وَيَقُولُ¹ :

طَافَ بِهِ طَيفٌ مِنَ الْوَسْوَاسِ نَفَرَ عَنْهُ لَذَّةُ النَّعَاسِ
فَمَا يُرَى يَأْنَسُ بِالْأَنْاسِ وَلَا يَلْذُ عِشْرَةُ الْجُلَاسِ
فَهُوَ غَرِيبٌ بَيْنَ هَذَا النَّاسِ
حَتَّى أَصْبَحَ وَهُوَ يَرُدُّهَا ، ثُمَّ سَقَطَ كَأَنَّهُ بَقْلَةٌ ذَابِلَةٌ .

[بيت بنصف درهم]

قال عليُّ : وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ رَسْتَمٍ النَّحْوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ قَالَ : مَرَرْتُ
بِبَغْدَادَ ، فَرَأَيْتُ قَوْمًا مُجْتَمِعِينَ عَلَى رَجُلٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : جَعْفِرَانَ الْمَجْنُونَ ،
فَقُلْتُ : قُلْ بَيْتًا بِنِصْفِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : هَاتِهِ ، فَأَعْطَيْتُهُ ، فَقَالَ : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ ذَا الْهَمِّ وَاعْتَلَجَ كُلُّهُمْ إِلَى فَرْجٍ

[يصيح الصبيان خلفه وهو عريان]

ثم قال : زِدْ إِنْ شِئْتَ حَتَّى أَزِيدَكَ .

قال عليُّ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : غَابَ عَنَّا جَعْفِرَانُ أَيَّامًا ثُمَّ جَاءَنَا
وَالصَّبِيَّانِ يَشْدُونَ خَلْفَهُ وَهُوَ غُرْبَانٌ وَهُمْ يَصِيحُونَ بِهِ : يَا جَعْفِرَانَ يَا خَرَا فِي الدَّارِ . فَلَمَّا بَلَغَ
إِلَيَّ وَقَفَ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ² :

[من الهزج]

رَأَيْتُ النَّاسَ يَدْعُونِي بِمَجْنُونٍ عَلَى حَالِي
وَمَا بِي الْيَوْمَ مِنْ جِنٍّ وَلَا وَسْوَاسٍ بَلْبَالٍ

1 النجار : 362 .

2 النجار : 365 .

ولكن قولهم هذا إلفلاسي وإقلالي
ولو كنتُ أخا وفير رَحِيّاً ناعِمَ البالِ
رأوني حسن العقل أحلُّ المنزلِ العاليِ
وما ذاك على خبير ولكن هيبَةُ المالِ

قال : فأدخلته منزلي ، فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدير على أن تغَيِّرَ تلك
القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف¹ : [من الهرج]

رأيتُ الناسَ يرمونَ سيَ أحياناً بوسواسِ
ومَن يَضْبِطُ يا صاح مقالَ الناسِ في الناسِ
فدَعُ ما قاله الناسُ ونازع صفوة الكاسِ
فتى حُرّاً صحيح الودِّ ذا بِرٍّ وإيناسِ
فإن الخلقَ مُغرَوْنَ بأمثالي وأجناسي
ولو كنتُ أخا مالٍ أتوني بين جُلّاسي
يُحِبُّونِي وَيَخْبُونِي على العينينِ والراسِ
ويدعونِي عزيزاً غيَ رَ أنَّ الذلَّ إلفلاسي

ثم قام يبول ، فقال بعض مَنْ حضر : أيُّ شيءٍ معنى عَشَرَتنا هذا المجنون العريان ؟
والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سَكِر ؟ وفَطِنٌ جُعُيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو
يقول² : [من مجزوء الرمل]

وندامى أَكلوني إذ تغيَّتُ قليلاً
زعموا أَنِّي مجنو نَ أرى العُرَى جميلاً
كيف لا أعرى وما أبصرُ في الناسِ مثيلاً
إن يكن قد ساء كم قُر بي فخلُّوا لي سبيلاً
وأتموا يومكم سَ رَكَّم اللهُ طويلاً

قال : فرَقْنَا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذُّ إِلَّا بِقُرْبِكَ ، وأُتِيناه بثوب ،
فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

1 النجار : 361 .

2 النجار : 364 .

[يدعو على القاضي]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حَدَّثَنِي مِمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : تَقَدَّمَ جُعْفِرَانُ إِلَى أَبِي يَوْسُفَ الْأَعْوَرِ الْقَاضِي بِسَرٍّ مَن رَأَى فِي حُكُومَةٍ فِي شَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ وَقْفٍ لَهُ ، فَدَفَعَهُ عَنْهُ ، وَقَضَى عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَيْنِكَ سَوَاءٌ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى دَارِهِ .

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا أردتَ بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدَّ اللَّهُ عَلَى بَصْرِي مَا ذَهَبَ ؟ فقال له : والله لئن كُنْتُ وَهَيْتَ لِي هَذِهِ الدَّرَاهِمَ لِأَسْخَرَ مِنْكَ لَأَنْتَ الْمَجْنُونُ لَا أَنَا . أَخْبِرْنِي كَمْ مِنْ أَعْوَرَ رَأَيْتَهُ عَمِي ؟ قال : كثيراً ، قال : فهل رأيتَ أَعْوَرَ صَحَّ قَطُّ ؟ قال : لا . قال : فكيف توهَّمتَ عَلَى الْغُلَطِ ؟ فضحك وصرفه .
[مدحه بأدْلَف]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ صِهْرُ الْمُبَرَّدِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْبَرْتِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي دُلْفِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى الْعِجْلِيِّ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ لَجُعْفِرَانَ الْمَوْسُوسَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَصْنَعُ بِمَوْسُوسٍ ؟ قَدْ قَضَيْنَا حَقُوقَ الْعُقَلَاءِ ، وَبَقِيَ عَلَيْنَا حَقُوقُ الْمَجَانِينِ ! فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاءُ الْأَمِيرِ ! مَوْسُوسٌ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ ، وَإِنْ لَهُ لِسَانًا يُتَقَى وَقَوْلًا مَأْثُورًا يَبْقَى ، فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَحْجِبَهُ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ أَذَى وَلَا ثِقَلٌ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ ¹ :

يا أَكْرَمَ الْعَالَمِ مَوْجُوداً	وَيَا أَعَزَّ النَّاسِ مَفْقُوداً
لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ وَاحِدٍ	أَصْبَحَ فِي الْأُمَّةِ مَحْمُوداً
قَالُوا جَمِيعاً إِنَّهُ قَاسِمٌ	أَشْبَهَ آبَاءَ لَهُ صِيداً
لَوْ عَبَدُوا شَيْئاً سِوَى رَبِّهِمْ	أَصْبَحْتَ فِي الْأُمَّةِ مَعْبُوداً
لَا زِلْتَ فِي نِعْمِي وَفِي غِيبَةِ	مَكْرَماً فِي النَّاسِ مَعْدُوداً

قال ، فَأَمَرَ لَهُ بِكِسْوَةٍ وَبِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا جَاءَ بِالدَّرَاهِمِ أَخَذَ مِنْهَا عَشْرَةً ، وَقَالَ : تَأْمُرُ الْقَهْرَمَانُ أَنْ يُعْطِيَنِي الْبَاقِي مَفْرَقاً كُلِّمَا جِئْتُ لِكُلِّ يَضِيعُ مِنِّي ؛ فَقَالَ لِلْقَهْرَمَانِ : أَعْطِهِ الْمَالَ ، وَكُلِّمَا جَاءَكَ فَأَعْطِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَفْرُقَ الْمَوْتَ بَيْنَنَا . فَبَكَى عِنْدَ ذَلِكَ جُعْفِرَانُ ، وَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ ، وَقَالَ ² :

[من المنسرح]

1 النجار : 370 .

2 لم يرد البيتان عند النجار .

يموتُ هذا الذي أراه وكلُّ شيء له نفاذُ
 لو غيرَ ذي العرشِ دام شيءٌ لدامَ ذا المُفضِّلُ الجوادُ
 ثم خرج . فقال أبو دُلفٍ : أنتَ أعلمُ به مِنِّي . قال : وعَبَّرَ عَنِّي مدَّة ، ثم لقيني وقال : يا
 أبا الحسن ، ما فعل أميرنا وسيّدنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشوق إليك .
 فقال : أنا والله يا أخي أشوقُ ، ولكنِّي أعرفُ أهلَ العسكر وشُرَّههم وإلحاحهم ، والله ما
 أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمه أن يُخلِّيهم من العطية حتى يخرجَ
 فقيراً . فقلت : دَع هذا عنك وزرّه ، فإن كثرة السؤال لا تضرُّ بماله . فقال : وكيف ؟ أهو
 أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو يئذل لهم الخليفة كما يئذل أبو دُلفٍ وأطمعهم في
 ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومين ، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا . فقلت : هاته يا أبا
 الفضل ، فأنشأ يقول¹ :

أبا حسنٍ بلغن قاسماً بأنِّي لم أجفُه عن قلى
 ولا عن مَلالٍ لإتيانه ولا عن صُدودٍ ولا عن غنى
 ولكن تعففتُ عن ماله وأصفيته مدحتي والثنا
 أبو دُلفٍ سيّد ماجد سنيّ العطية رَحِب الفنا
 كريمٌ إذا انتابه المعتفو نَ عمَّهم بجزيل الحبا
 قال : فأبلغتها أبا دُلفٍ ، وحدّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقيته منذ أيام ؛
 فلمّا رأيته وقفتُ له ، وسلّمت عليه ، وتحفّيت به ، فقال لي : سِرَ أيّها الأمير على بركة
 الله ، ثم قال لي² :

يا مُعديّ الجود على الأموال ويا كريمَ النفس في الفعالِ
 قد صُنّتي عن ذلّة السؤالِ بجُودك الموفي على الآمالِ
 صانك ذو العزّة والجلالِ مِن غيرِ الأيّام والليالي
 قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلفٍ ويَبْرّه حتى افترقا .

[يهجو نفسه]

سمعتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ ، عمَّ أبي رحمه الله يحدثُ فحفظت الخبر ، ولا أدري أذكر له إسناداً
 فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال : كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجَاءً ، لا يسلم عليه أحد ،

1 النجار : 368 عن الأغاني .

2 ليست مما جمعه النجار .

فاطَّلَ يوماً في الحُبِّ ، فرأى وجهه قد تغيَّر ، وعفا شعره فقال¹ :

[من المجتث]

ما جَعَفَرُ لأبيه ولا له بشييه
أضحى لقوم كثير فكلَّهم يدعيه
هذا يقولُ بُني وذا يخاصمُ فيه
والأمُّ تضحكُ منهم لعلمها بأبيه

[صحة حسده في الجارية]

حدَّثني محمد بنُ الحسن الكِنديّ خطيب القادسيّة قال : حدَّثني رجل من كتاب الكوفة قال : اجتاز بي جُعيفرانُ مرّةً فقال : أنا جائع ، فأَيُّ شيءٍ عندك تُطعمني ؟ فقلت : سَلَقُ بِخَرْدَلٍ . فقال : اشتر لي معه بِطِيخاً ، فقلت : أفعل ، فادخل ، وبعثت بالجارية تجيئه به ، وقدَّمْتُ إليه الخبز والخردل والسلق ، فأكل منه حتى ضجِر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل عليّ وقد غضب فقال² :

[من مجزوء الخفيف]

[يهجو جارية مضيئه لتأخرها في شراء بطيخ له]

سَلَقْتُنَا وَخَرَدَلْت ثم وَلَّتْ فَأَدْبَرَتْ
وَأَرَاهَا بواحدٍ وافر الأيرِ قَدْ خَلَتْ

قال فخرجْتُ ، يشهد الله ، أطلبها ، فوجدتها خالية في الدّهليز بسائس لي على ما وصف .

صوت

[من الخفيف]

ولها مَرَبَعٌ بِرَقَّةٍ خَاخٍ ومَصِيفٍ بالقصرِ قصرٍ قُبَاءٍ³
كفُّنوني إن مِتُّ في درعٍ أروى واجعلوا لي مِن بئرِ عُرْوَةٍ مائي⁴
سُخْنَةٌ في الشتاء باردة الصيْفِ سراجٌ في الليلة الظلماء

الشعر للسريّ بن عبد الرحمن ، والغناء لمعبّد ، ثقیل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ : قال : وفيهما ، يعني الثالث والأوّل ، رَمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى .

1 النجار : 367 .

2 النجار : 369 عن الأغاني .

3 برقة خاخ : موضع بين الحرمين . وقصر قباء : موضع قرب المدينة .

4 بئر عروة : بالعقيق ، نسبة إلى عروة بن الزبير .

[418] - أخبار السري ونسبه¹

السريُّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاريّ ، ولجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبيّ ، ﷺ .
[شعره وشخصه]

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمُكثّر ولا فحلّ ، إلّا أنّه كان أحد الغزليّن والفتيانِ والمُنادمين على الشراب . كان هو وعُتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، وجُبَيْر بنُ أيمن ، وخالد بن أبي أيوب الأنصاريّ يتنادمون . قال : وفيهم يقول : [من الطويل]

إذا أنت نادمتِ العُتيرَ وذا الندى جُبيراً ونازعتِ الرّجاجة خالدا
أمنتَ بإذنِ الله أن تُقرعَ العصا وأن يُنهبوا من نومة السُّكرِ راقدا²
غناه الغريض ثقيلاً .

[هجا النصب والأحوص فلم يجياه]

وكان السريّ هذا هجاً الأحوص ، وهجاً نصيباً ؛ فلم يجياه .
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني الزُّبير بن بَكَّار قال : حدّثني عمّي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْدَاسيّ قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيّ قال : جلس النّصيب في مسجد النبيّ ، ﷺ ، فأنشد ، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه ، وأشار بيده ، فراه السريّ بن عبد الرحمن الأنصاريّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال : [من الوافر]

فقدتُ الشعرَ حين أتى نصيباً ألم تستحي من مقّتِ الكرام
إذا رفع ابنُ ثوبة حاجبيه حسبتُ الكلبَ يضربُ في الكعام³
قال : فقال نصيبُ : من هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عويم الأنصاريّ ، قال : قد وهبته لله عزّ وجلّ ولرسوله ، ﷺ ، ولعويم بن ساعدة . قال : وكان لعويم صحبة ونصرة .
[تشبيهه بزنب]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثني عمّي عن عبدِ الرحمن بن عبد الله العمريّ

1 للسري بن عبد الرحمن ترجمة في الوافي 15 : 141-142 .

2 قرع العصا لتنبيه الغافل كما في المثل «الذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا» . ويروى من «سكرة النوم» .

3 الكعام : الكمامة .

قال : كان السري قصيراً دميماً أزرق ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُسَبَّب بها . فخرج إلى البادية فرآها في نسوة ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابه ، وأخذ منه جُبَّته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النسوة فلم يحفلن به ، وظننَّ أنه أعرابي ، فأقبل يُقَلِّبُ بعصاه الأرضَ وينظر إليهنَّ ، فقلن له : أذهب منك يا راعي الغنم شيء فأنت تطلبه ؟ فقال : نعم . قال : فضربت زينب بكمِّها على وجهها وقالت : السري والله ، أخزاه الله ! فأنشأ يقول : [من البسيط]

صوت

ما زال فينا سقيمٌ يُسْتَطَبُّ له من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
حُزَّتِ الجمالَ ونشراً طيباً أرجأ فما تُسمِّينَ إلاَّ مسكةَ البلدِ
أما فؤادي فشيء قد ذهبَ به فما يضرُّكُ ألاَّ تحرُّبي جسدي¹

[المهدي يعجب بغزله]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي خَيْثَمَةَ قال : حدَّثنا مُصعبُ الزُّبيريُّ قال ، قال أبي : قال لي المهديُّ : أنشدني شعراً غزلاً ، فأنشدته قولَ السريِّ بنِ عبد الرحمن :

ما زال فينا سقيمٌ يُسْتَطَبُّ له من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
فأعجبته ، وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها .

[يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثني أحمدُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سلامَ الجُمحيُّ قال : كان السريُّ بنُ عبدِ الرحمنِ ينادم عُتَيْرَ بنَ سَهْلٍ بنَ عبدِ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ وجُبَيْرَ بنَ أَيْمَنَ بنَ أمِّ أَيْمَنَ مولى النبيِّ ، عليه السلام ، وخالدَ بنَ أبي أيُّوب الأنصاريِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلَّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستوراً ، فقال السريُّ : [من الطويل]

إذا أنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا النُدَى جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجةَ خالداً
أمنتَ بإذنِ الله أن تُقرَعَ العصا وأن يُنبهوا من نومةِ السكرِ راقداً

فقالوا : قبحَكَ الله ! ماذا أردتَ إلى التنبيهِ علينا والإذاعةِ لسرنا ؟ إنَّكَ لحقيقٌ ألاَّ ننادمَكَ . قال : والله ما أردتُ بكم سوءاً ، ولكنَّه شعرٌ طَفَحَ فَنَفَثَتْهُ عن صدري ، قال : وخالدُ بنُ أبي أيُّوب الأنصاريُّ الذي يقول :

صوت

أَلَا سَقْنِي كَأْسِي وَدَعْ قَوْلَ مَنْ لَحَى وَرَوْ عِظَاماً قَصْرُهُنَّ إِلَى بِلَى¹
فَإِنْ بَطُوءَ الْكَأْسِ مَوْتُ وَحِسَّهَا وَإِنْ دِرَاكُ الْكَأْسِ عِنْدِي هُوَ الْحَيَا²

الغناء في هذين البيتين هو لعبد الله بن العباس الربيعي ، خفيف رمل بالنصر عن عمرو بن بانه .

[التمثل بشعره في طلب الشراب]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثني سليمان بن أبي شيخ قال : حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال : حدثني مصعب بن عثمان قال : حدثني عبيد الله بن عروة بن الزبير قال : خرجت وأنا غلام أدور في السكك بالمدينة فانتهيت إلى فناء مَرشوش وشاب جميل الوجه جالس ، فلما رأيته دعاني ، ثم قال لي : مَنْ أَنْتَ يَا غَلامُ ؟ فقلت عبيد الله بن عروة بن الزبير . فقال : اجلس ، فجلست ، فدعا بالغداء فتغدينا جميعاً ، ثم قال : يا جارية ؛ فأقبلت جارية تنهادى كأنها مهاة ، وفي يدها قنينة فيها شراب صاف وقلة ماء وكأس ؛ فقال لها : اسقيني ؛ فصبت في الكأس وسكبت عليه ماء وناولته ، فشرب ثم قال : سقيه ؛ فصبت في الكأس وسكبت عليه ماء وناولته . فلما وجدت رائحته بكيت ؛ فقال : ما يبيك يا ابن أخي ؟ فقلت : إن أهلي إن وجدوا رائحة هذا مني ضربوني ، فأقبل على الجارية بوجهه ، وقال لها يخاطبها : [من الطويل]

أَلَا سَقْنِي كَأْسِي وَدَعْ عَنْكَ مَنْ أَيْبَى وَرَوْ عِظَاماً قَصْرُهُنَّ إِلَى بِلَى

فأخذته من يدي وأعطته ؛ فشربه ، وقمت فلما جاوزته سألت عنه فقيل لي : هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر :

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ الْعُتَيْرَ وَذَا النَّدَى جَبِيْرًا وَنَازَعْتَ الزَّجَاجَةَ خَالِدَا
أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُقْرِعَ الْعَصَا وَأَنْ يَوْقُظُوا مِنْ سَكْرَةِ النَّوْمِ رَاقِدَا
وَصَرْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ عُصْبَةٍ حَسَانِ النَّدَامَى لَا تَخَافُ الْعَرَادَا

[ابن الماجشون يصر على إخراجها]

أخبرنا وكيع قال : حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال : حدثني أبو غسان عن محمد بن يحيى بن عبد الحميد قال : كان السري بن عبد الرحمن يختلف إلى قينة ، فجاء ابن الماجشون

1 قصرهن : غائتهن .

2 البطوء : ضد السرعة .

فقال : لا أدخل حتى يخرج السري ؛ فأخرجته فقال السري :

[من الخفيف]

قَبِّحَ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتِ بَسْلَمٍ أخرجوني وأدخلوا الماخشونا
أدخلوا هِرَّةً تُلَاعِبُ قِرْدًا ما نراهم يَرَوْنَ ما يصنعونا

[شعره في الأمتين]

أخبرني الحسن قال : حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال : أنشدني أبي للسري بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد : [من مجزوء الكامل]

أَمَّةُ الْحَمِيدِ وَبَنَتُهَا ظِيَّانٍ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ
يَتَّبَعَانِ بَرِيرَهُ وَظِلَالَهُ فَهَمَا كَذَاكَ¹
حُذِيَ الْجَمَالُ عَلَيْهِمَا حَذَوُ الشَّرَاكِ عَلَى الشَّرَاكِ

[يعني أن يكون مؤذناً]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرْقِيُّ قال : حدثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزُّهْرِيُّ قال : أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد ، وهو إذ ذاك على المدينة ، للسري بن عبد الرحمن :

[من الخفيف]

لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ نَهَارًا إِنَّهُمْ يَبْصُرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ
فَيُشِيرُونَ أَوْ يُشَارُ إِلَيْهِمْ حَبْذَا كُلِّ ذَاتٍ جَبَدٍ مَلِيحٍ

قال : فأمر صالح بسد المنار ، فلم يقدر أحدٌ على أن يطلع رأسه حتى عُزل صالح . أخبرني حبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثني زبير بن بكار عن عمه : أن السري بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان ، وهو جالسٌ على بابه والناس حوله ، فأنشأ يقول :

[من الخفيف]

يَا ابْنَ عَثْمَانَ يَا ابْنَ خَيْرِ قَرِيضٍ أَبْغَنِي مَا يَكْفُنِي بَقْبَاءُ
رَبِّمَا بَلَّنِي نَدَاكَ وَجَلَّى عَنْ جَبِينِي عِجَاجَةَ الْغُرْمَاءِ
فَأَعْمَرَهُ أَرْضًا بِقْبَاءٍ ، وَجَعَلَهَا طُعْمَةً لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى مَاتَ .

[معبد يعني بشعره]

أخبرني وسوسة بن الموصلي ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عزيز بن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكة أريد المدينة ، فلما كنت قريباً من المنزل أريت

بيتاً فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حَبَان من ماء وقد جَهدني العطش ، فسَلِّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخَّر عافاك الله ؛ فقلت : يا هذا ، اسقني جرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً ، فقال : والله لا تذوق منه جرعة ولو مِتَّ ، فرجعتُ القهقري ، وأنختُ راحتي واستظللت بظلِّها من الشمس ، ثم اندفعتُ أغني ليبتل لساني : [من الخفيف]

كفّنوني إن مِتُّ في درعٍ أروى واستقوا لي من بئرٍ عروّةٍ مائي

فإذا أنا بالأسود قد خرج إليّ ومعه قدح جيشاني¹ فيه سَوِيق ملت بماء بارد ، فقال : هل لك في هذا أرب ؟ قلت : قد منعني ما هو أقلّ منه : الماء . فقال : اشرب ، عافاك الله ، ودع عنك ما مضى ، فشربت . ثم قال : أعد ، فديتك ، الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك ، بأبي وأمي ، أن أحمل لك قرّة من ماء ، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد عليّ هذا الصوت حتى أتزوّد منه ، وكلّما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، ففعل وسار معي ، فما زلتُ أغنيّه إياه ، وكلّما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

صوت²

[من مجزوء الكامل]

سَلَبُ الشَّبابِ رِداءه	عَني ويتبعُه إزاره
ولقد تحلّ عليّ حلّ	سته ويعجيني افتخاره ³
سائلُ شبابي هل مسك	تُ بسوءةٍ أو ذلّ جاره ⁴
ما إن ملكتُ المالَ إلّا	كان لي وله خياره ⁵

ويروى : هل أسأت مساكه .

الشعر لمسكين الدارمي⁶ ، والغناء لمقاسّة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبصرة عن عمرو .

1 جيشاني : منسوب إلى جيشان ، مخالف باليمن .

2 ديوان مسكين الدارمي : 36-37 .

3 الديوان : ولقد يحلّ عليّ حلّته فيعجيني فخاره

4 الديوان :

واسأل شبابي هل أهدت مساكه أو ذلّ جاره

5 الديوان : أم هل كسبت المال إلا عاد لي ...

[419] - أخبار مسكين ونسبه¹

[نسبه]

مسكينٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أنيف بنِ شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدُس بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقال أبو عمرو الشيباني : مسكينٌ بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

[سبب تلقيبه بمسكين]

قال أبو عمرو : وإنما لقب مسكيناً لقوله² :

أنا مسكينٌ لمن أنكرني ولمن يعرفني جدٌ نطقُ
لا أبيعُ الناسَ عِرْضي إنني لو أبيعُ الناسَ عِرْضي لَنفَقُ
وقال أيضاً³ :

[من الطويل]

سُميتُ مسكيناً وكانت لجاجةٌ وإني لمسكينٌ إلى الله راغبُ
وقال أيضاً⁴ :

[من الطويل]

إن أدع مسكيناً فليستُ بمنكرٍ وهل تُنكرن الشمسُ ذرَّ شعاعها
لعمرك ما الأسماءُ إلا علامةٌ منارٌ ومن خير المنارِ ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافه ، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلت منها .

[نهاجيه مع الفرزدق]

حدثني حبيب بن أوس بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال : كان

1 ترجمة مسكين الدارمي في الشعر والشعراء : 455-456 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 وخزانة البغدادى 3 : 69-73 ومعجم الأدباء (عباس) : 1299-1301 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج والطبري . وقد جمع شعره خليل إبراهيم العطية وعبد الله الجبوري (بغداد 1970) وإليه نشير .

2 ديوان مسكين الدارمي : 56 .

3 ديوانه : 24 .

4 ديوانه : 53 .

زياد قد أرعى مسكيناً الدارميَّ حمى له بناحية العذيب¹ في عام قحطٍ حتى أخصب الناسُ وأحيوا ، ثم كتب له يبرُّ وتمر وكساه . قال : فلما مات زيادُ رثاه مسكين ، فقال² : [من الوافر]

رأيتُ زيادةَ الإسلامِ ولتُ جهاراً حين ودّعنا زيادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إياه وإخافته له ، فقال³ : [من الطويل]

أمسكينُ أبكى الله عينك إنما جرى في ضلالٍ دمّعها فتحدّرا

بكيتَ على عِلجٍ بميسان ككسرى على عدّائه أو كقيصر⁴

أقولُ له لما أتاني نعيُّه : به لا بظبي بالصريمة أعفرا⁵

فقال مسكين يجيبه⁶ : [من الطويل]

ألا أيُّها المرء الذي لستُ قاعداً ولا قائماً في القوم إلا أنبري ليا

فجنّني بعمٍّ مثل عمّي أو أبٍ كمثل أبي أو خالٍ صدق كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى أو البشر من كل فرعت الروايا

قال : فأمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافأ .

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام ، فذكر نحوه بما ذكره أبو عبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خالٌ لمسكين من النمر بن قاسط ، وقد فخر به ، فقال⁷ : [من الوافر]

شريحٌ فارس النعمان عمّي وخالي البشرُ بشرُ بني هلالٍ

1 العذيب : موضع قرب القادسية .

2 ديوانه : 30 .

3 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 201 .

4 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وعدائه : زمانه .

5 المثل «به لا بظبي (بالصرائم) أعفرا» : في الدرة الفاخرة 2 : 391 ومجمع الميداني 1 : 190 ومستقصى الزمخشري 2 : 16 وجمهرة العسكري 2 : 207 ، ويضرب للشماتة . والصريمة (الصرائم) : موضع . وأعفر : ليس بالشديد البياض أو في بياضه حمرة .

6 ديوانه : 68 .

7 الديوان :

وأبائي بنو عدس بن زيد وخالي البشر بشر بني هلال

شريح فارس النعمان جدي ونازلها إذا دعيت نزال

وقاتل خاله . . .

ديوانه : 60 ، 63 .

وَقَاتِلْ خَالَهُ بِأَبِيهِ مَنْ سَمَاعَةُ لَمْ يَبِعْ حَسَبًا بِمَالٍ
وَأَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَزَنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، عَنْ أَبِيهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ،
وَزَادَ فِيهَا ، قَالَ : فَتَكَافَأَ وَاتَّقَاهُ الْفَرَزْدَقُ أَنْ يُعِينَ عَلَيْهِ جَرِيرًا ، وَاتَّقَاهُ مَسْكِينٌ أَنْ يُعِينَ عَلَيْهِ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ . وَدَخَلَ شَيْوخُ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَنِي مُجَاشِعٍ ، فَتَكَافَأَ .
وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي
عَمْرٍو قَالَ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ : نَجَوْتُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا أَخَافُ بَعْدَهَا شَيْئًا : نَجَوْتُ مِنْ زِيَادٍ
حِينَ طَلَبَنِي ، وَنَجَوْتُ مِنْ ابْنِي رُمَيْلَةَ وَقَدْ نَذَرَا دَمِي وَمَا فَاتَهُمَا أَحَدٌ طَلَبَاهُ قَطُّ ، وَنَجَوْتُ مِنْ
مَهَاجَةِ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ هَجَانِي اضْطَرَّنِي أَنْ أَهْدِمَ شَطْرَ حَسْبِي وَفَخْرِي ، لِأَنَّهُ مِنْ
بُجْبُوحَةِ نَسَبِي وَأَشْرَافِ عَشِيرَتِي ، فَكَانَ جَرِيرٌ حِينَئِذٍ يَنْتَصِفُ مِنِّي بِيَدِي وَلِسَانِي .
[أشعر ما قيل في الغيرة]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ أَبِي عِكْرَمَةَ عَامِرِ بْنِ
عِمْرَانَ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : أَشْعَرُ مَا قِيلَ فِي الْغَيْرَةِ قَوْلُ مَسْكِينِ
الدَّارِمِيِّ¹ :

أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيرُ	طُ فِيمَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تُغَرَّ
فَمَا خَيْرُ عِرْسٍ إِذَا خَفَّتْهَا	وَمَا خَيْرُ عِرْسٍ إِذَا لَمْ تُزَرَّ ²
تَغَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا	وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
وَأَنْتِي سَأَخْلِي لَهَا بَيْتَهَا	فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِنِي حُبَّهَا	فَلَنْ يُعْطِيَ الْحُبَّ سَوَاطِئَ ³ مُرَّ

[معاوية يفرض له بعد تردد]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَعْدٍ قَالَ :
حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَيُّوبُ بْنُ أَبِي
أَيُّوبَ السَّعْدِيُّ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ أَنْ يَفْرَضَ لَهُ قَائِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ
لَا يَفْرَضُ إِلَّا لِلْيَمَنِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مَسْكِينٌ وَهُوَ يَقُولُ⁴ :

[من الطويل]

1 ديوانه : 40-41 .

2 الديوان : وما خير بيت إذا لم يزر .

3 حُبَّهَا فِي الدِّيَّانِ : وَدَهَا . وَسَوَاطِئُ مُرَّ : سَوَاطِئُ مَفْتُولٍ فَتَلًا شَدِيدًا .

4 ديوانه : 29 . وَقَدْ أَصْبَحَتْ آيَاتُ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ هَذِهِ أَمْثَالًا (انظر مجمع الميداني 1 : 23 و 2 : 404

وفصل المقال : 269 ومستقصى الزمخشري 2 : 392 .

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغير سلاح
وإن ابنَ عَمِّ المرءِ فاعلم جَنَاحَهُ وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَنَاحِ
وما طالبُ الحاجاتِ إِلَّا مغرَّرٌ وما نالَ شيئاً طالبٌ كنجاحِ

قال السعديّ : فلم يزل معاوية كذلك حتى عَزَّتِ اليمنُ وكثرت ، وضُعضعتْ عدنانُ ، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً : لَهَمْتُ أَلَا أَدْعُ بالشام أحدًا من مضرَ ، بل هَمَمْتُ أَلَا أُحِلَّ حبوتي حتى أُخرج كل يزاريّ بالشام ، فبلغت معاوية ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف ، وَقَدِمَ على تَفِيقَةٍ¹ ذلك عطارِد بن حاجب على معاوية ، فقال له : ما فعل الفتى الدارميّ الصبيحُ الوجهُ الفصيحُ اللسان ؟ يعني مسكيناً ، فقال : صالح يا أمير المؤمنين . فقال : أعلمه أنِّي قد فرضت له في شَرَفِ العطاء وهو في بلاده ؛ فإن شاء أن يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنَّ عطاءه سيأتيه ، وبشره أنِّي قد فرضتُ لأربعة آلاف من قومه من خندِف ؛ قال : وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر ، ويُغزي قيساً في البرّ ، فقال شاعر اليمن :

أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بَعَكَا أَنْاسٌ أَنْتُمْ أَمْ أَبَاعُرُ
اتَّركَ قَيْسٌ آمَنِينَ بدارهم ونركبُ ظَهرَ البحرِ والبحرُ زَاخرُ
فوالله ما أدري وإنِّي لسائل أهدانُ يُحمي ضَيْمَهَا أَمْ يُحَابِرُ
أمرُ الشرفِ الأعلى من أولادِ حِمير بنو مالِك إذ تَسْتَمِرُّ المرائِرُ²
أأوصي أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصي أبوكم بينكم أن تدابروا

قال ، ويقال : إن النجاشي قال هذه الأبيات .

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدويّ عن محمد بن عائِد عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عيَّاش وغيره ، قالوا : فلَمَّا بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيتكم البحرَ إِلَّا لأنِّي أتيمن بكم ، وأنَّ في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر ، وأنا عارف بطاعتكم ونصحكم . فأَمَّا إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقْباً³ بينكم ، فرضوا فعل ذلك فيما بعد .

1 تَفِيقَةُ ذلك : على حينه وزمانه .

2 تستمر المرائر : تستحكم العزائم .

3 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

[تمثل بشر بن مروان بأبياته]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : وحدَّثني زبير عن عمّه قال : كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً ، وهو يومئذ على العراق ، فورد عليه وهو ثمل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه علم أنّه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مكاتبة زماناً . وبلغ بشراً عتبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل . ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنت لزدت فيه ، وبقيته¹ الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم . ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخاً له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عمّ المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

قال : فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه ، وقال : إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى ، فسألوا عمّن شهد ذلك المجلس ؛ فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقيل عذره ، وأقسم عليه ألاّ يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس ، وأن يعزل كاتبه عن كتابته ، ففعل .

[الثلاث التي نجا منها الفرزدق]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب القادسية قال : حدَّثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال : كان الفرزدق يقول : نجوت من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بعدهن شرّ : نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوت من ضربة رثاب بن ربيعة أبي البذل فلم تقع في رأسي ، ونجوت من مهاجرة مسكين الدارمي . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

[يفتخر بسواده ونسبه]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أبو العيْناء عن الأصمعيّ قال : خطب مسكين الدارمي فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله ، وتزوَّجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، فمرّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأة جالسة مع زوجها ، فقال² :

[من الرمل]

1 بقية : إبقاء .

2 ديوان مسكين : 22-24 .

أنا مسكينٌ لِمَن يعرفني لَوْنِي السُّمْرَةُ أَلْوَانُ الْعَرَبِ
 مَن رَأَى ظَبِيًّا عَلَيْهِ لَوْلُو وَاضِحَ الْخَدَيْنِ مَقْرُونًا بَضْبُ
 أَكْسَبَتَهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَا وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبِ
 رَبٍّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ بَيْتُهُ وَسَمِينَ الْبَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبِ
 أَصْبَحْتُ تَرْزُقُ مِنْ شَحْمِ الذُّرَا وَتَخَالَ اللَّوْمُ ذُرًّا يُتَهَبُ¹
 لَا تَلْمَهَا إِنَّمَا مِنْ نِسْوَةٍ صَخِيَاتٍ مِلْحُهَا فَوْقَ الرُّكْبِ²
 كَشَمُوسِ الْخَيْلِ يَدُو شَعْبُهَا كَلَّمَا قِيلَ لَهَا هَالٌ وَهَبُ³

[يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال : حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال : كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ، ويصليه ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس ، لحسن البقية فيهم ، وكثرة من يرشح للخلافة ، وبلغه في ذلك ذرٌّ⁴ كلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر . فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشرف الناس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول⁵ :

إِنْ أَذْغَ مَسْكِينًا فَإِنِّي ابْنُ مَعْشَرٍ مِنَ النَّاسِ أَحْمِي عَنْهُمْ وَأَذْودُ
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا تُثِيرُ الْقَطَا لَيْلًا وَهَنٌ هُجُودُ
 وَهَاجِرَةٌ ظَلَّتْ كَأَنَّ ظَبَاءَهَا إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ سَجُودُ

صوت

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد ؟

- 1 الذرى : أعلى السنام . وفي الديوان : تتفل من شحم الذرى .
- 2 المثل : «ملحه على ركبته» في مجمع الميادني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 232 . وهو مثل يضرب للذي يغضب من كل شيء ويكون سيء الخلق .
- 3 هال وهب : لفظان لزجر الخيل .
- 4 ذرء : الشيء .
- 5 ديوان مسكين : 31-34 .

بَنِي خَلَفَاءِ اللَّهِ مَهْلًا فَإِنَّمَا يُؤَوِّثُهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يَرِيدُ
إِذَا الْمُنْبَرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاهُ رَبُّهُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ
الْغَنَاءَ لِمَعْبَدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ :

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْجَدُّ صَاعِدُ لِكُلِّ أَنْاسٍ طَائِرٌ وَجُدُودُ
فَلَا زَلَّتْ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا وَلَا تَزَلْ وَفُودٌ تُسَامِيهَا إِلَيْكَ وَفُودُ
وَلَا زَالَ بَيْتُ الْمُلْكِ فَوْقَكَ عَالِيًا تُشِيدُ أَطْنَابَ لَهُ وَعَمُودُ
قُدُورِ ابْنِ حَرْبٍ كَالْجَوَابِيِّ وَتَحْتَهَا أَثَافٍ كَأَمْثَالِ الرِّثَالِ رُكُودُ¹

فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : نَنْظُرُ فِيمَا قُلْتَ يَا مَسْكِينُ ، وَنَسْتَخِيرُ اللَّهَ . قَالَ : وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةٍ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَهُ يَزِيدُ لِيَعْلَمَ مَا عَنْدهُمْ ، ثُمَّ وَصَلَهُ
يَزِيدُ وَوَصَلَهُ مَعَاوِيَةُ فَأَجْزَلَا صَلْتَهُ .

[مَعْنَى بَغْيَرِ شَطْرِ بَيْتِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سَالِمٍ
قَالَ : قَالَ لِي عَقِيدٌ : غَنِيَتِ الرَّشِيدُ :

إِذَا الْمُنْبَرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاهُ رَبُّهُ

ثُمَّ فَطِنْتُ لَخَطِيئِي ، وَرَأَيْتُ وَجْهَ الرَّشِيدِ قَدْ تَغَيَّرَ ، قَالَ : فَتَدَارَكْتُهَا وَقُلْتُ :

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُحْسِنِينَ عَقِيدُ

فَطَرِبَ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، بِحَيَاتِي قُلُ :

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيدُ

فَوَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَتَعَاظَمْتُ ذَلِكَ ، فَحَلَفْتُ لَا أُغْنِيَهُ إِلَّا كَمَا أَمَرَ ،
فَفَعَلْتُ ، وَشَرِبْتُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، وَوَصَلَنِي صَلَّةُ سَنِيَّةٍ .

[عَلَّقَتْ امْرَأَتُهُ عَلَى شَعْرِهِ فَضَرِبَهَا]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي
عَمِّي قَالَ : كَانَتْ لِمَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ امْرَأَةٌ مِنْ مَنَقَرٍ ، وَكَانَتْ فَارَكًا² كَثِيرَةَ الْخُصُومَةِ وَالْمُمَاطَةِ³ ،

1 الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء للإبل . والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

2 الفارك : المبخضة زوجها .

3 المماطة : المنازعة والمشاادة .

فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه¹ . [من الكامل]

إِنْ أَدْعَ مَسْكِيناً فَمَا قَصَّرْتُ قَدْرِي بِيُوتِ الْحَيِّ وَالْجُدُرِ
فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ تَسْمَعُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَوْلُهُ :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةً وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

فقال له : صدقت والله ، يجلس جارك فيطبخ قدره ، فتصطلي بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بجذائه كالكلب ، فإذا شبع أطعمك ، أجل والله ، إن القدر لتنزل إليه قبلك ، فأعرض عنها ، ومر في قصيدته حتى بلغ قوله : [من الكامل]

مَا ضُرَّ جَاراً لِي أَجَاوَرُهُ أَلَّا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

فقالت له : أجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما . وهذه القصيدة من جيد شعره .

صوت

[من البسيط]

يَا فَرَحْتَا إِذْ صَرَفْنَا أَوْجِهَ الْإِبِلِ نَحْوَ الْأَحْبَةِ بِالْإِزْعَاجِ وَالْعَجَلِ
نَحْنُهَا وَمَا يُوْتَيْنَ مِنْ دَابٍ لَكِنَّ الشُّوقِ حَتَّى لَيْسَ لِلْإِبِلِ

الشعر لأبي محمد اليزيدي² ، والغناء لسليمان ، ثقیل أول بالنص عن عمرو ، والهشامي .

1 ديوان مسكين : 43-45 .

2 شعر اليزيديين (غياض) : 69 .

[420] - أخبار أبي محمد ونسبه¹

أبو محمد يحيى بن المبارك ، أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم .
سمعتُ أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي يذكر ذلك ، ويقول :
نحن من رهط ذي الرمة .

[تسميته اليزيدي]

وقيل : إنهم موالي بني عدي ، وقيل لأبي محمد : اليزيدي لأنه كان فيمن خرج مع
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتى استتر أمره ، ثم اتصل بعد ذلك
ببازيد بن منصور خال المهدي ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأدب المأمون خاصة من
ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياذ .
[مكانته]

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفاً في علوم العرب . أخذ عن أبي
عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي وأكابر البصريين ، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن
العلاء ، وجود قراءته ورواها عنه ، وهي المعول عليها في هذا الوقت . وكان بنوه جميعاً في مثل
منزلته من العلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرف في علوم العرب . ولسائرهم علم جيد .
[أولاده الشعراء]

ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخباراً من كان له شعر وفيه غناء من ولده ، إذ كنا قد
شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمد بن أبي محمد ، وإبراهيم بن أبي محمد ، وإسماعيل بن أبي محمد . كل هؤلاء

1 ترجمة أبي محمد اليزيدي في طبقات ابن المعتز : 273-275 والورقة لابن الجراح : 27 ومراتب النحويين :
108 وطبقات اليزيدي : 61 وتاريخ بغداد : 14 : 146 وتاريخ أبي المحاسن : 113 والمعارف : 544-597
وأخبار النحويين البصريين : 40 وتهذيب الأزهري : 1 : 17 ومعجم الرزياني : 487 ومعجم الأدباء
(عباس) : 2827-2828 ونور القبس : 80-87 والفهرست : 56 وإنباء الرواة : 4 : 25-35 ونزهة
الألباء : 53 وابن خلكان : 6 : 183-191 وعبر الذهبي : 1 : 38 وسير الذهبي : 9 : 562 ومراة الجنان : 2 : 3
وطبقات ابن الجوزي : 2 : 375 والنجوم الزاهرة : 2 : 173 وبغية الوعاة : 2 : 340 والشذرات : 2 : 4 والبلغة :
284 وخزانة البغدادي : 11 : 73-76 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1549 وغاية النهاية : 2 : 375 . وقد
جمع د . محسن غياض شعر أبي محمد اليزيدي وأولاده وأحفاده تحت عنوان «شعر اليزيديين» (بغداد -
1972) .

ولده لصلبه ، ولكلهم شعر جيد .

ومن ولد ولده أحمد بن محمد بن أبي محمد ، وهو أكبرهم ، وكان شاعراً راوية عالمياً .
ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن محمد ، وقد روي عن أكابر أهل اللغة ، وحُمل عنهما علم كثير . وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد ، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله .
وقد حملنا نحن عنه وكثير من طلبة العلم ورواته علماً كثيراً ، فسمعنا منه سماعاً جمّاً . فأما ما أذكر هاهنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله عن عميه عبيد الله والفضل ، وأضفت إليه أشياء أخر يسيرة أخذتها عن غيره ، فذكرت ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .
[المأمون يُبين رأسي أسيرين]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال : حدثني أبي قال : كان الرشيد جالساً في مجلسه فأتني بأسير من الروم ، فقال لدُفافة العبسي : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبأ سيفه . فقال لابن فليح المدني : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبأ سيفه أيضاً . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! تقدمتني ضربة عبسية . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذ غلام : قم ، فذاك أبوك ، فاضرب عنقه ، فقام فاضرب العليج ، فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إليّ المأمون نظر مستنطق ، فقلت¹ :

أبقى دُفافة عاراً بعدَ ضربته	عند الإمام لعيس آخر الأبد
كذلك أسرته تنبو سيوفهم	كسيف ورقاء لم يقطع ولم يكْد ²
ما بال سيفك قد خاتلكَ ضربته	وقد ضربت بسيف غير ذي أود
هلا كضربة عبد الله إذ وقعت	ففرقت بين رأس العليج والجسد

[الأحوزي يفضله على الكسائي]

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره : كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد الجوهري واقفين ، فذكرا أبا محمد ، يعني أباه والكسائي ، ففضل حمويه الكسائي على أبي محمد ، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي .

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما ، فتراهما على أن من غلب أخذ برذون صاحبه ، فجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي ، فلما دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح

1 شعر اليزيديين : 47 عن الأغاني .

2 هو ورقاء بن زهير العبسي ، وقد نبأ سيفه عن خالد بن جعفر بن كلاب قاتل أبيه .

الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيتُ أحداً أعلم منه به ، فأخذ الجوهري دابةً حمويه . وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر فقال¹ : [من السريع]

يا حمويه اسمع ثناً صادقاً فيك وما الصادق كالكاذب
يا جالب الخزي على نفسه بُعداً وسحقاً لك من جالب
إن فخر الناسُ آبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأدغمتُ أباً خاملاً أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب

[يهجو سلم الخاسر]

قال إسماعيل : وحدثنني أبي قال : كنتُ ذاتَ يومَ جالساً أكتبُ كتاباً ، فنظر فيه سلمُ الخاسر طويلاً ، ثم قال² :

أير يحيى أخط من كف يحيى إنَّ يحيى بأيره لخطوطُ
فقال أبو محمد يحيى :

أُم سلم بذاك أعلمُ شيء إنها تحت أيره لضرُوطُ³
ولها تارةٌ إذا ما علاها أزملٌ من وداقها وأطيطُ⁴
أُم سلم تُعلم الشعرَ سلماً حبذا شعر أمك المنقوطُ
ليت شعري ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يُذكر لوطُ
لا يصلِّي عليه فيمن يصلِّي بل له عند ذكره تنبُّطُ

فقال له سلم : ويحك ما لك خُبثت ؟ أي شيء دَعَاكَ إلى هذا كله ؟ فقال أبو محمد : بدأتُ فانتصرتُ ، والبادي أظلم⁵ .

[يجيب سلم الخاسر إلى طلبه الهجاء]

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي حدثني عبيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي علي إسماعيل قال : قال لي أبي : قال سلمُ الخاسر يوماً : يا أبا محمد ، قل أبياتاً على قول امرئ القيس :

رُبَّ رامٍ من بني نُعلٍ

1 شعر اليزيديين : 34 .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .

3 شعر اليزيديين : 59 .

4 أزمل : صوت . ووداق : شبق . وأطيط : أنين .

5 المثل «البادي أظلم» في الدرة الفاخرة 2 : 454 وجمهرة العسكري 1 : 230 ومجمع الميداني 2 : 401

ومستقصى الزمخشري 2 : 388 .

ولا أبالي أن تهجوني فيها ، فقلت¹ :

رُبَّ مغمومٍ بعافيةٍ	غَمَطَ النِّعماءُ من أُشْرَةٍ
مُورِدٌ أَمراً يُسرَّ به	فرأى المكروه في صدرِه
وامرئٍ طالتْ سلامَتُه	فرماه الدَّهرُ من غَيْرِه
بِسِيَّامٍ غيرِ مُشويةٍ	نقضَتْ منه عُرَا مِرَّةً ²
وكذاك الدَّهرُ مختلفٌ	بِالفتى حَالين من عُصْرِه
يخلِطُ العُسرَى بِميسرِه	ويَسارُ المرءُ في عُسرِه
عَقَّ سَلَمَ أُمِّه سَفْهاً	وأبَا سَلَمَ على كِبَرِه
كلُّ يومٍ خلفَه رجلٌ	رامحٌ يسعى على أثَرِه
يُولِجُ الغُرْمولُ سَبْتَه	كَوُلُوجِ الضَّبِّ في جُحرِه

فانصرف سلمٌ وهو يشتمُه ويقول : ما يحلّ لأحد أن يكلمك .

[ينظم على قافية هائين]

قال : وقال لي يوماً أبو حنشل الشاعر : يا أبا محمد ، قل أبياتاً قافيتها على هائين ، فقلتُ له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت³ :

[من المنسرح]

قلتُ ونفسي جَمٌّ تأوَّهها	تصبو إلى إلفها وأنذهُها ⁴
سقياً لصنعاء لا أرى بلداً	أوطنه الموطنون يشبهها
خِصْباً وحُسنًا ولا كبهجتها	أعذى بلادٍ عذاً وأنزهُها ⁵
يعرفُ صنعاءَ مَنْ أقامَ بها	أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها
أبلغُ حضيراً عني أبا حنشل	عائرةً نحوَه أوجهُها
تأتيه مثلُ السهامِ عامدة	عليه مشهورةٌ أذْهدهُها ⁶

1 شعر الزبيديين : 57-58 .

2 غير مشوية : لا تخطيء وتصيب المقتل .

3 شعر الزبيديين : 88-89 .

4 أنذها : أزعجها .

5 أعذى : أطيب هواء .

6 دهنه الحجر : دحرجه . والمعنى هنا : أرسلها .

كُنِيَّتُهُ طَرَحُ نُونٍ كُنِيَّتِهِ إِذَا تَهَجَّيْتَهَا سَتَفْقَهُهَا
يريد إسقاط النون من أبي حنشل حتى يكون أبا حشل.

[شعر في مضيئه]

قال أبو عبد الله : وحدثنني عمي قال : حدثني الطَّلحي ، وكان له عِلْمٌ وأدبٌ ، قال :
اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع ، وكان قد عادنا فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسي
إلى جنب مجلس أبي محمد ؛ فقام يونس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً ، فالتفت إلي
اليزيدي فقال¹ :

وقني كالفنائه في الطرف منه إن تأملت طرفه استرخاه
فإذا الراح المَشِيحُ تلاه وضع الرمح منه حيث يشاء

[يهجو شخصاً يسأله بتنت]

قال : وحدثنني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال : كان قُتَيْبَةُ الخُرَاساني صاحبُ
عيسى بن عمر يأتيني فيسألني عن مسائل كالتعنُّت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان
أفطس ، فقلت له يوماً² :

أَمْخَبِرِي أَنْتِ يَا قُتَيْبَةُ عَنْ
بَائِي جُرْمٍ وَأَيَّ ذَنْبٍ تَرَى
فَصَيَّرْتَهُ كَفَيْشَةَ نَبْتَتْ
قد كان في ذاك شاغل لك عن
وقلت فيه أيضاً³ :

إذا عافى مَلِيكَ النَّاسِ عَبْدًا
طَلَبْتَ النَحْوَ مَذُنَ كَنْتَ طِفْلاً
فَمَا تَزْدَادُ إِلَّا النَقْصَ فِيهِ
وَكُنْتَ كَغَائِبٍ قَدْ غَابَ حِينًا

[يلفن قُتَيْبَةَ غريباً فاحشاً]

قال أبو محمد : كان عيسى بن عمر أعلمَ النَّاسِ بالغريب ، فَأَتَانِي قُتَيْبَةُ الخُرَاساني

1 شعر اليزيديين : 29 .

2 شعر اليزيديين : 56 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 40 .

[من الوافر]

فلا عافاك رُبُّكَ يَا قُتَيْبَةُ
إِلَى أَنْ جَلَّلْتَ قُبْحَتَ شَيْبَةٍ
وَأَنْتَ لَدَى الْإِيَابِ بِشَرِّ أَوْبَةٍ
فَطَالَ مَقَامُهُ وَأَتَى بِخِيَةِ

هذا ، فقال لي : أفدني شيئاً من الغريب أعاني به عيسى بن عمر ، فقلت له : أجودُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان متمثراً ، عجراماً جيداً ، وقد قال الشاعر :

إذا استكت يوماً بالأراك فلا يكن
سواك إلا المتمتر العجرام

يعني الأير . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أتى عيسى بن عمر في مجلسه ، فقال : يا أبا عمر ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك الله . فقال له قتيبة : أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمثراً عجراماً ؟ فقال : أهديه إلى نفسك ، وغضب ، وضحك كل من كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيراً . فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء ، فقال له : ويلك ! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة ؟ ومن أهلكك ودمر عليك ؟ قال : أبو محمد اليزيدي . فضحك عيسى حتى فحص برجله ، وقال : هذه والله من مزحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفاً ، فقد فضحك . فقال قتيبة : لا أعاودُ مسألتَه عن شيء .

[الخليل يصفيه الرد]

حدثني عمي قال : حدثني عبيد الله بن محمد اليزيدي قال : حدثني أخي أبو جعفر قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : صرْتُ يوماً إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاصُّ بأهله ، فقال لي : هاهنا عندي ، فقلت : أضيِّق عليك ، فقال : إن الدنيا بخذافيرها تضيقُ عن متباغضين ، وإن شيراً في شيرٍ لا يضيِّقُ عن متحابين . قال : وكان الخليل لأبي محمد صافي الوُدِّ .

[رأي عالين أحدهما في الآخر]

حدثنا اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله قال : حدثني أخي أحمد قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : كنتُ ألقى الخليل بن أحمد ، فيقول لي : أحبُّ أن يُجمع بيني وبين عبد الله بن المقفَّع ، وألقى ابن المقفَّع فيقول : أحبُّ أن يُجمع بيني وبين الخليل بن أحمد . فجمعتُ بينهما ، فمرُّ لنا أحسنُ مجلسٍ وأكثرهُ علماً ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليل فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من عِلْمٍ وأدب ، إلا أنِّي رأيتُ كلامه أكثرَ من عِلْمه ، ثم لقيتُ ابن المقفَّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبك ؟ فقال : ما شئتُ من عِلْمٍ وأدب ، إلا أنَّ عقله أكثرُ من علمه .

[بينه وبين الكسائي]

حدثنا اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله قال : حدثني أخي أحمد بن محمد قال : حدثني أبي محمد بن أبي محمد قال : قال لي أبو محمد : كنَّا مع المهدي يبلد في شهر رمضان قبل أن

يُسْتَخْلَفُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ الْكَسَائِيُّ مَعَنَا ، فَذَكَرَ الْمَهْدِيُّ الْعَرَبِيَّةَ وَعِنْدَهُ شَيْئَةٌ بَنَ الْوَلِيدُ الْعَبْسِيُّ عَمُّ دُفَافَةَ . فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : نَبِعتُ إِلَى الْبِزِيدِيِّ وَالْكَسَائِيِّ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْمَنْصُورِ خَالَ الْمَهْدِيِّ ، وَالْكَسَائِيُّ مَعَ الْحَسَنِ الْحَاجِبِ . فَجَاءَنَا الرَّسُولُ ، فَجِئْتُ أَنَا ، فَإِذَا الْكَسَائِيُّ عَلَى الْبَابِ قَدْ سَبَقَنِي . فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا تُؤْتِي مِنْ قِبَلِي حَتَّى أُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ .

فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : كَيْفَ نَسَبُوا إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا : بَحْرَانِيَّ ، وَنَسَبُوا إِلَى الْحِصْنَيْنِ¹ فَقَالُوا : حِصْنِيَّ وَلَمْ يَقُولُوا حِصْنَانِيَّ كَمَا قَالُوا بَحْرَانِيَّ ؟ فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! لَوْ أَنَّهُمْ نَسَبُوا إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا : بَحْرِيَّ لَمْ يَعْرِفْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ نَسَبُوا أَمْ إِلَى الْبَحْرِ ؟ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْحِصْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ مَوْضِعٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ : الْحِصْنُ يُنْسَبُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمَا² فَقَالُوا : حِصْنِي .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ، سَمِعْتُ الْكَسَائِيَّ يَقُولُ لِعَمْرِ بْنِ بَرْزِيعٍ ، وَكَانَ حَاضِرًا ، لَوْ سَأَلَنِي الْأَمِيرُ لِأَخْبَرْتَهُ فِيهَا بَعَلَّةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : قُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ لَوْ سَأَلْتَهُ لَأَجَابَ بِأَحْسَنَ مِمَّا أَجَبْتُ بِهِ . قَالَ : فَقَدْ سَأَلْتَهُ . فَقَالَ الْكَسَائِيُّ : لَمَّا نَسَبُوا إِلَى الْحِصْنَيْنِ كَانَتْ فِيهِ نُونَانِ ، فَقَالُوا : حِصْنِي اجْتِزَاءً بِأَحْدَى النُّونَيْنِ عَنِ الْآخَرَى ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْبَحْرَيْنِ إِلَّا نُونٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالُوا : بَحْرَانِيَّ . فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! فَكَيْفَ تَنْسَبُ رَجُلًا مِنْ بَنِي جَنْآنٍ ؟ فَإِنَّهُ يُلْزَمُهُ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ يَقُولَ : جَنْبِي . إِنَّ فِي جَنْآنٍ نُونَيْنِ ، فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ سَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْجَنْ .

قَالَ : فَقَالَ لِي الْمَهْدِيُّ وَلَهُ : تَنَاطَرَا فِي غَيْرِ هَذَا حَتَّى نَسْمَعَ . فَتَنَاطَرْنَا فِي مَسَائِلَ حَفِظَ فِيهَا قَوْلِي وَقَوْلُهُ إِلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَقُولُ : إِنَّ مِنْ خَيْرِ الْقَوْمِ أَوْ خَيْرِهِمْ نِيَّةُ زَيْدٍ ؟ قَالَ : فَأَطَالَ الْفِكْرَ لَا يَجِيبُ . فَقُلْتُ : لِأَنَّ تَجِيبَ فَتَخْطِئَ فَتَتَعَلَّمُ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْإِطَالَةِ . فَقَالَ : إِنَّ مِنْ خَيْرِ الْقَوْمِ أَوْ خَيْرِهِمْ نِيَّةُ زَيْدًا . قَالَ : فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، مَا رَضِي أَنْ يُلْحَنَ حَتَّى لَحَنَ وَأَحَالَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قُلْتُ : لِرَفْعِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِاسْمٍ إِنَّ ، وَنَصْبِهِ بَعْدَ رَفْعِهِ .

فَقَالَ شَيْئَةُ بْنُ الْوَلِيدِ : أَرَادَ بِأَوْ - بَلْ ، فَرَفَعَ هَذَا مَعْنَى . فَقَالَ الْكَسَائِيُّ : مَا أَرَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ . فَقُلْتُ : فَقَدْ أَخْطَأَ جَمِيعًا أَيُّهَا الْأَمِيرُ . لَوْ أَرَادَ بِأَوْ - بَلْ رَفَعَ زَيْدًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بَلْ خَيْرُهُمْ زَيْدًا . فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : يَا كَسَائِيُّ ، لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ مَعَ مَسَلِّمَةِ النَّحْوِيِّ وَغَيْرِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ كَمَا أَصَابَكَ الْيَوْمَ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : هَذَانِ عَالِمَانِ ، وَلَا يَقْضِي بَيْنَهُمَا إِلَّا أَعْرَابِيٌّ فَصِيحٌ يُلْقَى عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي اخْتَلَفَا فِيهَا فَيَجِيبُ . قَالَ : فَبِعتُ إِلَى فَصِيحٍ مِنْ فَصَحَاءِ الْأَعْرَابِ .

1 الحصنين : موضع وقلة بنو احي الطائف .

2 هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم (ياقوت) .

قال أبو محمد : وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابي ، وكان المهديّ محباً لأخواله ، ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر ، فقلت : أصلح الله الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات¹ :

يا أيّها السائلِ لأخبره عمّن بصنعاء من ذوي الحسبِ
جميرُ ساداتها تُقرّ لها بالفضل طراً ججاج العربِ
وإنّ من خيرهم وأكرمهم أو خيرهم نيّة أبو كربِ

قال : فقال لي المهديّ : كيف تنشده أنت ؟ فقلت : أو خيرهم نيّة أبو كرب على إعادة إنّ ، كأنّه قال : أو إنّ خيرهم نيّة أبو كرب . فقال الكسائيّ : هو والله قالها الساعة . قال ، فتبسّم المهديّ ، وقال : إنك لتشهد له وما تدري . قال : ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فألقيت عليه المسائل ، فأجاب فيها كلّها بقولي . فاستفزني السرور حتى ضربتُ بقلنسوتي الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لي شيبه : أتتكنّى باسم الأمير ؟ فقال المهديّ : والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنه فعل ما فعل للظفر ، وقد ، لعمري ، ظفر . فقلت : إنّ الله ، عزّ وجلّ ، أنطقك أيّها الأمير بما أنت أهله ، وأنطق غيرك بما هو أهله .

[هجاء شيبه بن الوليد]

قال : فلمّا خرجنا قال لي شيبه : أتخطئني بين يدي الأمير ؟ أما تعلمن ! قلت : قد سمعتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غيبها ، ثم لم أصبح حتى كتبتُ رقاعاً عدّة ، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتها فيه ، فأصبح الناس يتناشدونها ، وهي² :

عشِ بجَدٍّ ولا يضرّك نوّك إنّما عيش من ترى بالجُدودِ
عشِ بجَدٍّ وكن هَبْنَقَ القِي سيّ نوّكا أو شيبه بن الوليد³
شيب يا شيب يا جدّي بني القَع قاع ما أنت بالخليل الرشيدِ
لا ولا فيك خلّة من خلال ال خيرٍ أحرزتها لحزم وجودِ
غير ما أنّك المجيد لتقطيع مع غناء وضرب دُفّ وعودِ
فعلى ذا وذاك يحتملُ الدّه مر مجيداً له وغير مجيدِ

1 شعر اليزيديين : 35 .

2 شعر اليزيديين : 45-46 .

3 انظر ابنل : «أحق من هبنقة» في الدرة الفاخرة 1 : 135 ومجمع الميداني 1 : 217 وجمهرة العسكري 1 :

[هجا خلف الأحمر]

قال : وقال أبو محمد الزيدي يهجو خلفاً الأحمر أستاذ الكسائي ، أنشدني عمي الفضل¹ :

زعم الأحمر المقيت علي² والذي أمه تُقِرّ بمقيته
أنه علم الكسائي نحواً فلئن كان ذا كذاك فباسته

[الغساني لا يعينه فيستعين بجعفر]

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخصه إلى السن² ، فأتيت عاصماً الغساني ، وكان أثيراً عند يحيى بن خالد ، فقلت له : إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال ، وقد حضر من شخصه ما قد علمت ، فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره ليعجله إلي . فقال : نعم ، ثم عدت بعد ذلك بيومين ، فقال لي يتفخّم في لفظه : ما أصبت بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك ، أكرمك الله ، ببال .

فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس ، فقال لي : يا أبا محمد ، إني لأرأ بك أن تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول ، وقد وليت ، لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة ، فقيل له : ولم ذاك ، أصلحك الله ، فإن له قدراً وعِلماً ؟ قال : لأنه من مُضَرٍّ ، ما رأيت مُضَرّاً قط يحبّ اليمانية .

قال : فأحببت ألا أعجل ، فعدت إليه من غد فقلت : هل كان منك ، أكرمك الله ، في الحاجة شيء ؟ فقال : والله لكأنك تطلبنا بدين . فتحقّق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً ، ولا ردّدت عليك السلام إن بدأتني به . ونفضت ثوبي وخرجت .

فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يرْكُض حتى لحقني ، فقال : بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد ليتقف حتى يلحقك ، فرجعت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلمت عليه ثم سألته ، فقال لي : إن أمير المؤمنين أمرني أن أرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإني أحدثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك : أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل له : ها هنا رجل نصراني عالم ، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني ، قال : ادعوا لي المسلم .

1 شعر الزيديين : 41 . وقد ذهب جامع الشعر إلى أن البيت في علي بن المبارك (علي بن الحسن الأحمر) . غير أن علياً هذا كان تلميذ الكسائي لا أستاذه (بغية الوعاة 2 : 158-159) ، وسيرد أنه كانت ثمة مهاجرة بين أبي محمد الزيدي وخلف الأحمر . ورواية صدر البيت الأول في معجم الأدباء (2487) : زعم الأحمر المقيت لدينا . . .

2 السن : مدينة على دجلة فوق تكريت .

فلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : أَلَا تَرَى يَا هَذَا أَنَا قَدْ دَلَلْنَا عَلَى نَصْرَانِي قَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَعْلَمَ مِنْكَ ، غَيْرَ أَنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَضُمَّ إِلَى وَلَدِي مَنْ لَا يَنْبَهُهُمْ لِلصَّلَاةِ عِنْدَ وَقْتِهَا ، وَلَا يَدُلُّهُمْ عَلَى شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَمَعَالِمِهِ ؟ وَأَنْتَ ، إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلٌ ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ تَتَعَلَّمَ فِي الْيَوْمِ مَا يُعَلِّمُهُ أَوْلَادِي فِي جُمُعَةٍ ، وَفِي الْجُمُعَةِ مَا يُعَلِّمُهُمْ فِي الشَّهْرِ ، وَفِي الشَّهْرِ مَا يُعَلِّمُهُمْ فِي سَنَةٍ . ثُمَّ قَالَ لِي يَحْيَى : فَيَنْبَغِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْ نُؤَثِّرَ الَّذِينَ عَلَى مَا سِوَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ أَصَبْتُ مَنْ أَرْضَاهُ ، وَذَكَرْتُ لَهُ الْحَسَنَ بْنَ الْمُسَوَّرِ ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَأَلَنِي : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَيْرِ عَاصِمٍ وَمَا كَانَ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَسِيرَ ، وَلَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيِّ وَجْهِ أَتَقَاضَاهُ ؟ فَضَحَكَ وَقَالَ : وَلِمَ لَا تَدْرِي ؟ الْقَى صَدِيقَكَ جَعْفَرًا ، يَعْنِي ابْنَهُ ، حَتَّى يَكَلِّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَذْكُرَنِي حَاجَتَكَ ، فَقَدْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْمَضْيِ السَّاعَةِ ، فَانْتَشَيْتَ إِلَى جَعْفَرٍ وَقُلْتُ فِيهِ فِي طَرِيقِي¹ :

يَا سَائِلِي عَمَّا أُخْبِرُهُ عَنْ جَعْفَرٍ كَرَمًا وَعَنْ شَيْمَةٍ
إِنْ ابْنُ يَحْيَى جَعْفَرًا رَجُلٌ سَيِّطَ السَّمَاحِ بِلَحْمِهِ وَدَمَةٍ²
فَعَلِيهِ «لَا» أَبَدًا مُحَرَّمَةٌ وَكَلَامِهِ وَقَفَ عَلَى نَعْمَةٍ
وَتَرَى مُسَابِقَهُ لِيَدْرِكَهُ بِمَكَانِ حَذْوِ النَّعْلِ مِنْ قَدَمَةٍ
فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، وَأَنْشَدْتُهُ الْآيَاتِ ، وَأَعْلَمْتُهُ مَا أُمِرَنِي بِهِ أَبُوهُ ، فَقَالَ لِي : قُلْ بَيِّنِينَ تَذْكُرُهُ فِيهِمَا إِلَى أَنْ أَجِدَّ طَهْرًا وَاكْتَبَهُمَا حَتَّى يَكُونَا مَعِي ، فَأَذْكُرْ بِهِمَا حَاجَتَكَ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، وَأَخَذْتُ الدَّوَاءَ وَكَتَبْتُ³ :

أَحَقُّ مَنْ أَنْجَزَ مَوْعِدَهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ
وَمَنْ لَهُ إِرْثُ نَبِيِّ الْهُدَى بِالْحَقِّ لَا يُدْفَعُ عَنْ حَقِّهِ
يُنْسَبُ فِي الْهُدَى إِلَى هَدْيِهِ بِرًّا وَفِي الصَّدَقِ إِلَى صَدَقِهِ
وَمَنْ لَهُ الطَّاعَةُ مَفْرُوضَةٌ لَائِحَةٌ بِالْوَحْيِ فِي رَقِّهِ
وَالرَّائِقُ الْفَتَقِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَقْدَرُ النَّاسُ عَلَى رَتْقِهِ
قَالَ : فَأَخَذَ الشَّعْرَ ، وَمَضَى إِلَى الرَّشِيدِ فِي حَاجَتِي وَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ ، فَصَكَّ إِلَيَّ بِالْمَالِ عَلَيْهِ ، وَقَبِضْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ فِي الْغَسَّانِي⁴ :

1 شعر الزيديين : 85 عن الأغاني .

2 سيط : خلط .

3 شعر الزيديين : 62 عن الأغاني .

4 شعر الزيديين : 78-79 عن الأغاني .

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ أُمَّ أَنْتَ حَالِمٌ فَأَهْلًا بِطَيْفِ زَارٍ وَاللَّيْلِ عَاتِمٌ
 إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ جَفْوَةً وَالْأُمُّ قِيلَ الْجَرْمَقَانِيُّ عَاصِمٌ¹
 دَعَايَ أَجَاءَتْهُ إِلَى اللُّؤْمِ دَعْوَةٌ وَمَغْرَسُ سَوَاءٍ لُؤْمُهُ مُتَقَادِمٌ
 شَهِيدِي عَلَى أَنْ لَيْسَ حَرًّا صَلْبِيَّةً صَفِيحَةٌ وَجْهَ ابْنِ اسْتِهَا وَاللَّهَازِمُ
 صَفِيحَةٌ دَقَاقُ أَبَوِهِ شَبِيهِه وَجَدَّاهُ سَمَّاكَ لَيْثِمٌ وَحَاجِمٌ
 أَعَاصِمُ خَلِّ الْمَكْرَمَاتِ لِأَهْلِهَا وَأَغْضُرُ عَلَى لُؤْمٍ وَوَجْهُكَ سَالِمٌ
 فَكَيْفَ تَنَالِ الدَّهْرَ مَجْدًا وَسُوءْدًا وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَوَكَبٌ لَكَ نَاجِمٌ
 وَأَصْلُكَ مَدْخُولٌ وَفَسَقُكَ ظَاهِرٌ وَعَجَبُكَ مَهْمُوزٌ وَعَرْدُكَ عَارِمٌ
 تُصَانِعُ غَسَانًا لِيُتَلَحَّقَ فِيهِمْ وَرُبَّ دَعَايَ الْحَقَّتْهُ الدَّرَاهِمُ
 فَإِنْ رَابَ رَيْبٌ أَوْ أَصَابَتْكَ شِدَّةٌ رَجَعْتَ إِلَى ثَلَاثِي وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ
 قَالَ : وَكَانَ اسْمُ أَبِيهِ ثَلَاثِي ، فَصَيَّرَهُ صَلْتًا² .

إِذَا عَاصِمًا يَوْمًا أَتَيْتَ لِحَاجَةٍ فَلَا تَلْقَهْ إِلَّا وَأَيْرَكَ قَائِمٌ
 وَعَرَّضَ لَهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ بِأَمْرٍ وَضِيءٌ وَسَيْمٌ أَثْقَلْتَهُ الْمَأْكَمُ³
 وَإِلَّا فَلَا تَسْأَلْهُ مَا عِشْتَ حَاجَةً وَلَا تَبْكُهُ إِنْ أَعُولْتَهُ الْمَاتَمُ⁴

[يعين الغساني على استرداد ضيعته]

قال : فَلَمَّا حَدَّثَ بَيْنِي بَرْمُكُ مَا حَدَّثَ قُبِضَتْ ضَيْعَتُهُ فِي الْمَقْبُوضِ مِنْ ضِيَاعِ أَسْبَابِهِمْ ،
 فَصَارَ إِلَيَّ وَكَلَّمَنِي فِي أَمْرِهَا ، وَسَأَلَنِي كَلَامَ الْجَوْهَرِيِّ فِي ذَلِكَ ، فَقَمْتُ لَهُ حَتَّى رُدَّتِ الضَّيْعَةُ
 عَلَيْهِ ، فَجَاءَنِي يَشْكُرُنِي ، وَيَعْتَذِرُ مِمَّا جَرَى مِنْ فِعْلِهِ الْمُتَقَدِّمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : تَنَاسَ مَا مَضَى ،
 فَلَسْتُ مِمَّنْ يَكْفِيءُ عَلَى سُوءِ أَحَدٍ .

[هَجَاءُ أَبِي عُبَيْدَةَ]

قال أبو محمد : كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَجْلِسُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ إِلَى سَارِيَةٍ ، وَكُنْتُ أَنَا وَخَلْفٌ
 الْأَحْمَرُ نَجْلِسُ جَمِيعًا إِلَى أُخْرَى ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَعْضِهِ⁴ النَّاسُ لِلنَّاسِ وَأَذْكُرُهُمْ
 لِمَثَلِهِمْ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَتُرُونَ الْأَحْمَرَ وَالْبِزْيَدِيَّ إِنَّمَا يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْوَقِيعَةِ لِلنَّاسِ وَذِكْرِ

1 الجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم استقرّوا بالموصل .

2 الصلت : اللص .

3 المآكم : جمع مأكمة ، كنى بها عن الردف .

4 أعضه : كثير الأفك والبهتان .

مساويهم ؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلْفٍ : دَعِه ، فَأَنَا أَكْفِيكَه . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأَذَانِ جِئْتُ أَنَا وَخَلَفْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَكَتَبْتُ عَلَى الْجِصِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ :

صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى لُوطٍ وَشِيعَتِهِ أَبَا عُبَيْدَةَ قُلْ بِاللَّهِ آمِينَ

قال : وَأَصْبَحَ النَّاسُ ، وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَجَلَسَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا فَوْقَ رَأْسِهِ مَكْتُوبًا . وَأَقْبَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْبَيْتِ وَيَضْحَكُونَ ، وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَخَجَلَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَنكَسًا رَأْسَهُ حَتَّى انصَرَفَ النَّاسُ وَأَنَا وَخَلَفْتُ نَاحِيَةً نَظَرُ إِلَى مَا بِهِ ؛ ثُمَّ قَمْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : مَا قَالَ صَاحِبَ هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا حَقًّا ، نَعَمْ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى لُوطٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُ ، وَلَنْ أُعَاوِدَ التَّعَرُّضَ لَتِلْكَ الْجَهَةِ ، وَلَمْ يَعِدْ لَذِكْرِنَا بَعْدَ ذَلِكَ .

[عقاب يزيد بن منصور]

وقال أبو محمد : اعْتَلَلْتُ عِلَّةً مِنْ حِمَى رُبْعٍ¹ طَالَتْ عَلَيَّ أَشْهُرًا ، فَجَفَانِي يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَلَمْ يَمَرَّ بِي فِي عِلَّتِي ، وَلَمْ يَتَفَقَّدْنِي كَمَا يَنْبَغِي ؛ فَكَتَبْتُ رَقْعَةً إِلَيْهِ ضَمَمْتُهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ² :

قُلْ لِلْأَمِيرِ الَّذِي يَرْجُو نَوَافِلَهُ	مَنْ جَاءَهُ طَالِبًا لِلْخَيْرِ مَتَابَا
إِنِّي صَحْبَتُكَ دَهْرًا كُلُّ ذَاكَ أَرَى	مِنْ دُونِ خَيْرِكَ حُجَّابًا وَأَبُوبَا
وَكَمْ ضَرِيكَ أَجَاءَتْهُ شَقَاؤُهُ	إِلَيْكَ إِذَا أَتَشَبَّتْ ضَرَاؤُهَا نَابَا ³
فَمَا فَتَحَتْ لَهُ بَابًا لِمِيسِرَةٍ	وَلَا سَدَدَتْ لَهُ مِنْ فَاقَةٍ بَابَا
كَغَائِبِ شَاهِدٍ يَخْفَى عَلَيْكَ كَمَا	مِنْ غَابَ عَنْكَ فَوَافَى حَظُّهُ غَابَا

فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : جَفَوْنَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ وَأُحْوجِنَاهُ إِلَى اسْتِبْطَائِنَا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصَلَّةٍ .

[عبث خلف الأحمر به]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ أَبُو دُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَهْمِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : كَانَ خَلَفَ الْأَحْمَرَ يَعِثُ بَأَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ عِبْنًا شَدِيدًا ، وَرَبَّمَا جَدًّا فِيهِ وَأَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الْمَرْحُومِ ، فَقَالَ فِيهِ يَنْسَبُهُ إِلَى اللَّوَاطِ :

[من الكامل]

1 حِمَى الرَّبْعِ : حِمَى تَنْوِبُ يَوْمًا وَتَتْرَكَ يَوْمِينَ .

2 شَعْرُ الْيَزِيدِيِّينَ : 33 عَنِ الْأَغَانِي .

3 الضَّرِيكَ : الْفَقِيرُ الْهَالِكُ .

إِنِّي وَمَنْ وَسَجَ الْمَطْيُ لَهُ حُدَبَ الذَّرَى أَذْقَانَهَا رُجْفُ¹
يَطْرَحْنَ بِالْيَدِ السُّحَالِ إِذَا حَثَّ النِّجَاءُ الرِّكْبُ وَازْدَهَفُوا²
وَالْمُحْرِمِينَ لِصَوْتِهِمْ زَجَلٌ بِفَنَاءٍ كَعَبِيْتِهِ إِذَا هَتَفُوا
وَإِذَا قَطَعْنَ مَسَافَ مَهْمَةٍ قَذَفٍ تَعَرَّضَ دُونَهَا شَرْفُ³
وَأَفَتْ بِهِمْ خُوصَ عِزَّةٍ مِثْلُ الْقَيْسِيِّ ضَوَامِرٍ شُسْفُ⁴
مِنْنِي إِلَيْهِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ مَا إِنْ رَأَى قَوْمٌ وَلَا عَرَفُوا
فِي غَابِرِ النَّاسِ الَّذِينَ بَقُوا وَالْفُرْطِ الْمَاضِينَ إِذْ سَلَفُوا⁵
أَحَدًا كِيَحْيَى فِي الطَّعَانِ إِذَا اف تَرَشَ الْقَنَا وَتَضَعُضَ الْحَجَفُ⁶
فِي مَعْرَكٍ يُلْقَى الْكَمِيُّ بِهِ لِلْوَجْهِ مَنِبْطَحًا وَيَنْحَرِفُ
وَإِذَا أَكْبَ الْقِرْنُ يُتْبِعُهُ طَعْنًا دُورِينَ صَلاَهُ يَنْخَسِفُ⁷
لِلَّهِ دَرْكٌ أَيْ ذِي نُزُلٍ فِي الْحَرْبِ إِذْ هَمُّوا وَإِذْ وَقَفُوا
لَا تَخْطِئُ الْوَجْعَاءُ أَلْتَهُ وَلَا تُصَدُّ إِذَا هُمْ زَحَفُوا⁸
وَلَهُ جِيَادٌ لَا يُفْرِطُهَا إل لِإِحْلَالِ وَالْمُضْمَارِ وَالْعَلْفُ⁹
جُرْدُ يَهَانُ لَهَا السَّوِيْقُ وَالْ بَيَانَ اللَّقَاحِ كَأَنَّهَا نُزْفُ
مُرْدٌ وَأَطْفَالٌ تَخَالَهُمْ دُرًّا تَطَابَقَ فَوْقَهُ الصَّدْفُ
فَهُمْ لَدَيْهِ يَعْكَفُونَ بِهِ وَالْمَرْءُ مِنْهُ اللَّيْنُ وَاللُّطْفُ
وَمَتَى يَشَأْ يُجَنِّبُ لَهُ جَذَعَ نَهْدًا أَسِيلَ الْخَدِّ مُشْتَرَفُ¹⁰

1 وسج لمطي : أسرعت . ورجف : مضطربة .

2 السحال : اللجام . وازدهفوا : خفوا وعجلوا .

3 فلاة قذف : تتقاذف بالسالك .

4 خوص : غائرة العيون لضمورها . وشسف : ضامرة من الخزال .

5 الفرط : المتقدمون .

6 افترش القنا : وقع بعضها على بعض . والحجف : التروس من جلد .

7 الصلا : وسط الظهر .

8 الوجعاء : الدبر . والألة : الحربة العظيمة النصل .

9 لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .

10 يجنب : يوضع إلى جنبه . والجذع : ولد الشاة أو البقرة ومشترف : مشرف .

يَمْشِي الْعَرْضَنَةَ تَحْتَ فَارِسِهِ	عَبِلَ الشَّوَى فِي مَتْنِهِ قَطْفٌ ¹
رَبْدٌ إِذَا عَرِقتْ مَغَابِهِ	ذَهَبَ السَّكُونُ وَأُقْبِلَ الْعُنْفُ ²
فَاعْدٌ ذَاكَ لِسَرَجِهِ وَلَهُ	فِي كُلِّ غَادِيَةٍ لَهَا عُرْفُ ³
فِي حَقْوِهِ عَرْدٌ تَقْدُمُهُ	صَلْعَاءُ فِي خِرطُومِهَا قَلْفُ ⁴
جَرْدَاءُ تُشَحِّدُ بِالْبَزَاقِ إِذَا	دُعِيَتْ نَزَالٌ وَهَبٌ مَرْتَدِفُ ⁵
أَوْفَى عَلَى قَيْدِ الذَّرَاعِ شَدِيدِ	لُدَّ الْجَلْزُ فِي يَافُوخِهِ جَوْفُ ⁶
خَاطِئٌ مُمَرَّ مَتْنُهُ ضَرِمٌ	لَا خَانَهُ خَوْرٌ وَلَا قَضَفُ ⁷
عَرْدُ الْمَجْسِ بِمَتْنِهِ عُجْرُ	فِي جِذْرِهِ عَنْ فَخْذِهِ جَنْفُ ⁸
فَلَوْ أَنَّ فَيَاضاً تَأَمَّلَهُ	نَادَى بِجَهْدِ الْوَيْلِ يَلْتَهِفُ ⁹
وَإِذَا تَمَسَّحَهُ لِإِعَادَتِهِ	وَدَنَا الطَّعَانُ فَمِدْعَسُ ثَقِفُ ¹⁰
وَإِذَا رَأَى نَفَقاً رَبَا وَنَزَا	حَتَّى يَكَادُ لِعَابِهِ يَكْفُ ¹¹
لَا نَاشِئاً يُبْقِي وَلَا رَجَلاً	فِيداً وَهَذَا قَلْبُهُ كَلْفُ ¹²
يَا لَيْتَنِي أُدْرِي أَمُنْجِيَتِي	وَجَنَاءُ نَاجِيَةً بِهَا شَدَفُ ¹³
مَنْ أَنْ تَعْلَقَنِي حَبَائِلُهُ	أَوْ أَنْ يُوَارِيَ هَامَتِي لُجْفُ ¹⁴
وَلَقَدْ أَقُولُ حِذَارَ سَطُوتِهِ	إِيهَاءُ إِلَيْكَ تَوَقُّ يَا خَلْفُ ¹⁵
وَلَوْ أَنَّ بَيْتَكَ فِي ذُرَا عِلْمِ	مِنْ دُونَ قَلَّةِ رَأْسِهِ شَعْفُ ¹⁶

1 العرضنة : النشاط في المشي . وعبل الشوى : ضخم الأطراف وقطف : أثر .

2 ربذ : خفيف سريع . والمغابن : جمع مغبن ، وهو الإبط وأصل الفخذ .

3 حقوه : خصره .

4 مرتدِف : الذي يركب خلف الركب .

5 جلز الشيء : عصبه . والجوف : سعة .

6 خاطي : مكتنز . والقضف : النخافة .

7 العجر : العقد .

8 مدعس : شديد الطعن .

9 فند : خرف .

10 الشدِف : سرعة الوثب .

11 لجف : حفرة .

12 الشعف : جمع شفقة ، وهي رأس الجبل .

زَلَقِيْ أَعَالِيَهُ وَأَسْفَلُهُ وَعَرِ التَّنَائِفُ بَيْنَهَا قَذْفُ¹
لَخَشِيْتُ عَزْرَكَ أَنْ يُبَيِّنَنِي أَنْ لَمْ يَكُنْ لِيْ عَنْهُ مَنْصَرَفُ
قال الأصمعيّ: فحدّثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخى أبي عمرو بن العلاء قال: أنشدت قصيدة خلف الفائية هذه وأعرابيّ جالس يسمع، فلمّا سمع قوله: [من الكامل]
فإِذَا أَكْبَ الْقَرْنَ أَتَبَعَهُ طَعْنًا دُوَيْنَ صَلَاةٍ يَنْخَسِفُ
قال الأعرابيّ: وأبيك لقد أحبّ أن يضعه في حاقٍ مَقِيلٍ² ضرطته .
[يفضّ من هجاء خلف]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني ابنُ الفهم قال: حدّثني الأصمعيّ قال: كنتُ مع خلفٍ جالساً، فجريّ كلام في شيء من اللغة، وتكلّم فيه أبو محمدٍ اليزيديّ وجعل يشغب، فقال لي خلفٌ: دَعْنِي مِنْ هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وأخبرني من الذي يقول: [من مجزوء الكامل]
فإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي رَبَّ الْحَرْبَةِ وَالرُّمَيْحِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبَّ الدُّوَيَّةِ وَاللُّوَيْجِ
يعرّض به أنّه معلّم، وأنّه يلوّط، فغضب اليزيديّ، وقام فانصرف .
[يهجو موالیه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني طلحة الخزاعيّ قال: حدّثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفيّ قال: غاضب أبو محمد اليزيديّ موالیه بني عدي رهط ذي الرّمّة من بني تميم لأمر استنھضهم فيه، فقعدوا عنه، فقال يهجوهم³:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قَوْمِنَا	لَمَّا رَأَى بِزَّةَ أَجْبَارِهِمْ
وَحُسْنَ سَمْتٍ مِنْهُمْ ظَاهِرًا	إِعْلَانُهُمْ لَيْسَ كإِسْرَارِهِمْ
سَائِلٌ بِهِمْ أَحْمَرَ أَوْ غَيْرَهُ	يُنَبِّيكُ عَنْ قَوْمِي وَأَخْبَارِهِمْ
قَوْمٌ كَرَامٌ مَا عَدَا أَنَّهُمْ	صَوْلَتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
أُسْدٌ عَلَى الْجِيرَانِ أَعْدَاؤُهُمْ	آمَنَةٌ تَخْطُرُ فِي دَارِهِمْ
لَوْ جَاءَهُمْ مَقْتَبَسًا جَارُهُمْ	مَا قَبَسُوهُ الدَّهْرَ مِنْ نَارِهِمْ

1 التنايف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة .

2 حاق: وسط . ومقيل: موضع .

3 شعر اليزيديين: 76-77 .

وقد وترناهم فلم نخشَ مَنْ
أحسنُ قومٍ لمواليهمُ
شهادةُ الزور لهم عادة
وما لهم مجد سوى مسجدٍ
لو هُدمَ المسجدُ لم يُعرفوا
يَوْماً ولم يسمعْ بأخبارهمُ
ينهضُ في سيرة أوتارهمُ
إن أيسروا يوماً لأيسارهمُ
حقاً بها قيمة أخبارهمُ
به تعدّوا فوق أطوارهمُ

[يهنئ الرشيد ويمدح المأمون]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : أخبرني عمّي عبّيد الله قال : حدّثني عمّي إسماعيل وأخي أحمدُ قالَا : لما بلغ المأمونُ وصار في حدِّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعملَ له خطبة يقوم بها يوم الجمعة ، فعملنا له خطبته المشهورة . وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة ، فلمّا خطب بها رَقَّتْ قلوب النَّاسِ ، وأبكى من سمعه ، فقال أبو محمد اليزيديّ¹ : [من الطويل]

لِتَهْنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةً
بأنَّ وِليَّ الْعَهْدِ مَأْمُونٌ هَاشِمٌ
ولما رماه النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
رماهم بِقَوْلِ أَنْصَتُوا عَجَباً لَهُ
ولما وَعَتَ آذَانُهُمْ مَا أَتَى بِهِ
فَأَبْكَى عَيُونَ النَّاسِ أَبْلَغُ وَاغْظِ
مَهْيَبٌ عَلَيْهِ لِلوَقَارِ سَكِينَةٌ
ولا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَلْبُهُ
إذا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مَنِيرٍ
تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهُوَ حَدِيثُهُمْ
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً
إذا طَابَ أَصْلُ فِي غُرُوقِ مِشَاجِهِ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ
عليه بها شُكْرُ الْإِلَهِ وَجُوبٌ
بدا فَضْلُهُ إِذْ قَامَ وَهُوَ خَطِيبٌ
بأَبْصَارِهِمُ وَالْعُودَ مِنْهُ صَلِيبٌ
وفي دُونِهِ لِلْسَامِعِينَ عَجِيبٌ
أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَاكَ قُلُوبٌ
أَغْرُ بِطَاحِي النِّجَارِ نَجِيبٌ²
جَرِيءُ جَنَانٍ لَا أَكْعَ هَيُوبٌ³
إذا مَا اعْتَرَى قَلْبَ النِّجِيبِ وَجِيبٌ
فليس لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبٌ
تَحَدَّثَ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبٌ
إذا وَرَدَتْ يَوْماً عَلَيْهِ خُطُوبٌ
فَأَغْصَانُهُ مِنْ طَيْبِهِ سَتِيبٌ
يَقْدُمُ عَبْدُ اللَّهِ فَهُوَ أَدِيبٌ

1 شعر اليزيديين : 29-31 عن الأغاني .

2 بطاحي النجار : من قريش البطاح .

3 أكع : جبان .

كَأَنَّ لَمْ تَغْبُ عَنْ بِلْدَةِ كَانَ وَالْيَا
تَتَبَعَ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ
وَإِنِّي لِأَرْجُو يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
أُثْبِنِي عَلَى الْمَأْمُونِ وَابْنِي مُحَمَّدًا
جَنَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَارَكٌ
لَقَدْ عَمَّهَمْ جُودُ الْإِمَامِ فَكُلَّهُمْ
عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
فَسِيرَتُهُ شَخْصٌ إِلَيْكَ حَبِيبُ
فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي التَّرَاثِ نَصِيبُ
عَطَايَاكَ وَالرَّاجِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
نَوَالًا فَإِيَّاهُ بِذَاكَ تَثِيبُ
لَنَا وَلِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ خَصِيبُ
لَهُ فِي الَّذِي حَازَتْ يَدَاهُ نَصِيبُ

صوت

فلَمَّا وَصَلَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى الرَّشِيدِ أَمَرَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلابَنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِمِثْلِهِ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَخِي أَحْمَدُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّشِيدَ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ فِي الْحَجِّ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا عَادَ أَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ ¹ :

يَا فَرَحْتَا إِذْ صَرَفْنَا أَوْجِهَ الْإِبِلِ
نَحْنُ هَهُنَّ وَلَا يُؤْتَيْنِ مَنْ دَابٍ
يَا نَائِيًا قُرَيْتَ مِنْهُ وَسَاوَسَهُ
إِنْ طَالَ عَهْدُكَ بِالْأَحْبَابِ مَغْتَرِبًا
أَمَّا اشْتَفَى الدَّهْرُ مِنْ حَرَّانٍ مُخْتَبِلٍ
عِشْ بِالرَّجَاءِ وَأَمْلِ قَرَبَ دَارِهِمْ
إِلَى الْأَحْبَةِ بِالْإِزْعَاجِ وَالْعَجَلِ
لَكِنَّ الشُّوقَ حَتًّا لَيْسَ لِلْإِبِلِ
أَمْسَى قَرِينَ الْهُوَى وَالشُّوقِ وَالْوَجَلِ
فَإِنْ عَهْدُكَ بِالتَّسْهِيدِ لَمْ يَطْلُ
صَبَّ الْفَوَادِ إِلَى حَرَّانٍ مُخْتَبِلٍ
لَعَلَّ نَفْسَكَ أَنْ تَبْقَى مَعَ الْأَمَلِ

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد الزيدي وولد ولده فمنهم
[421] - محمد بن أبي محمد¹

[شعر له غنى فيه]

ومِمَّا يُغْنِي فيه من شعره قوله :

صوت²

أَتَيْتُكَ عَائِذَا بِكَ مِنْدُكَ لَمَّا ضَاقَتْ الْحَيْلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فَإِنْ سَلِمْتُ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَاقِيْتَهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

الشعر لمحمد بن أبي محمد الزيدي ، يُكنى أبا عبد الله ، والغناء لسليم بن سلام ، ثقل
أول بالنصر ، وله أيضاً فيه ماخوري . وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد الزيدي ،
كثير العشرة له ، وليس في شيء من شعره صنعة إلا له . وله يقول محمد بن أبي محمد
اليزيدي³ :

صوت

بِأَبِي أَنْتَ يَا سَلِيمَ وَأُمِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرٍ مِنْ لَا أُسْمِي
صَدًّا عَنِّي أَقْرُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ هَ لِعَيْنِي فَاشْتَدَّ غَمِّي وَهَمِّي
مَا اخْتِيَالِي إِنْ كَانَ فِي الْقَدَرِ السَّاءِ بَقِ لِلْحَيْنِ أَنْ أَمُوتَ بِسُقْمِي ؟

الغناء لسليم ، خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

[نداء أبي ظبية العكلي]

أخبرني محمد بن العباس الزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه
محمد بن أبي محمد قال : قال لي أبي : نظر إليك أبو ظبية العكلي ، وقد جاءني ، فقال لي ، وقد
أقبلت :

يَلِدُ الرِّجَالُ بَنِيَهُمْ أَوْلَادَهُمْ وَوَلَدْتَ أَنْتَ أَبًا مِنَ الْأَوْلَادِ

1 محمد بن أبي محمد الزيدي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 327-329 وتاريخ بغداد 3 : 412 .

2 شعر الزيديين : 108 .

3 شعر الزيديين : 114 عن الأغاني .

قال أبو محمد : وكتب أبو ظبية يوماً :
 أَيْحَى لَقَدْ زُرْنَاكَ نَلْتَمِسُ الْجَدَا
 وَأَنْتَ أَمْرُو يَرْجَى جَدَاهُ وَنَائِلُهُ
 وَمَا صَنَعَ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ صَانِعٌ
 فَيُحْمَدُ إِلَّا أَنْتَ بِالْخَيْرِ فَاضِلُهُ
 تَخِيرُكَ النَّاسَ الْخَلِيفَةُ لِابْنِهِ
 وَأَحْكَمْتَ مِنْهُ كُلَّ أَمْرٍ يَحَاوِلُهُ
 فَمَا ظَنُّ ذُو ظَنٍّْ مِنَ النَّاسِ عِلْمُهُ
 كَعَلَمِكَ إِلَّا مَخْطِئُ الظَّنِّ فَائِلُهُ¹
 إِلَيْكَ تَنَاهَتْ غَايَةُ النَّاسِ كُلُّهُمْ
 إِذَا اشْتَبَهَتْ عِنْدَ الْبَصِيرِ مَسَائِلُهُ

قال أبو محمد : فكتب إليه² :
 أَبَا ظَبِيَّةَ اسْمِعْ مَا أَقُولُ فَخَيْرُ مَا
 يُقَالُ إِذَا مَا قِيلَ صَدَقَ قَائِلُهُ
 إِذَا شِئْتَ فَانْهَئْ بِي إِلَى مَنْ أَرَدْتَهُ
 وَأَمَلْتَ جَدَوَاهُ فَإِنِّي مَنَازِلُهُ³
 فَإِنْ يَكُ تَقْصِيرٌ وَلَا يَكُ عَارِفًا
 بِحَقِّكَ فَاعْذِرْ لَهُ فَتَكْثُرُ عَوَازِلُهُ

[العباس بن الأحنف يمتنى بيتين له]

حدَّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال : حدَّثني عمِّي عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي
 أَخِي أَحْمَدُ عَنْ أَبِي قَالَ : صِرْتُ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، فَقَالَ لِي مَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : أَمْرُنِي
 أَخْوَكُ وَأَبِي أَنْ أَصْبِرَ إِلَيْكَ وَأَسْتَفِيدَ مِنْكَ . فَقَالَ لِي : أَتَصْبِرُ إِلَيَّ ؟ وَدِدْتُ أَنِّي سَبَقْتُكَ إِلَى بَيْتَيْنِ
 فَلْتَهُمَا وَأَنْتِي لَمْ أَقُلْ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا غَيْرَهُمَا . فَدَخَلْنِي مِنَ السَّرُورِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، فَقُلْتُ : وَمَا
 هُمَا ؟ فَقَالَ : قَوْلُكَ⁴ :

[من مجزوء الرمل]

يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي
 رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ رُ وَأَدْنَتْكَ الْأَمَانِي

[سرق معنيين من مسلم]

حدَّثني أحمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجَرَّاحُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو
 الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : مَا
 سَرَقْتُ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا إِلَّا مَعْنَيْنِ : قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ⁵ :

[من الخفيف]

1 الفائل : الخاطيء الضعيف .

2 شعر اليزيديين : 65 .

3 نهدي : نهض ومضى .

4 شعر اليزيديين : 120 .

5 ديوان مسلم : 342 .

ذاك ظني تخير الحسن في الأر كان منه وحل كل مكان
عَرَضَتْ دونه الحِجَالِ فما يد قاكَ إلّا في النومِ أو في الأمانِ
فقلت :

يا بعيد الدار موصو لا بقلبي ولساني
رُبّما باعدك الدهر رُ وأدنتك الأمانِ
وقال مسلم أيضاً¹ :
متى ما تسمعي بقتيل حُب أصيب فإنني ذاك القَتيلُ
فقلت أنا :

أتيتك عائداً بك من لك لما ضاقت الحيلُ
وصيرني هواك وبني لِحَيْنِي يُضْرَبُ المثلُ
فإن سلمت لكم نفسي فما لاقيته جَلُّ
وإن قَل الهوى رجلاً فإنني ذلك الرجلُ
[يعتب على صديق له فيجيبه]

أخبرني محمد بن العباس قال : حدثني عمي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر قال : عتب أبي ،
يعني محمد بن أبي محمد ، على يونس بن الربيع ، وكان صديقه فكتب إليه² : [من الطويل]

سأبكيك حياً لا بكيتك ميتاً بأربعة تجري عليك همولا
وأعفيك من طول اللقاء وإنني أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلاً
فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما حللت محلاً في الفؤاد جليلاً

قال ، وكتب إليه يونس :

إلى كم قد بليت وليس يلى عتاب منك لي أبداً طويلاً
إذا كثر التجنّي من خليل ولم تُذنب فقد ظلم الخليلُ

[شعر في قنفذ]

أخبرني عمي قال : حدثني الحسن بن الفهم قال : قال لي أبو سمير عبد الله بن أيوب مولى
بني أمية : بات عندي ليلة محمد بن أبي محمد اليزيدي ، فظهر لنا قنفذ ، فقلت له : قل فيه

1 ديوان مسلم : 335 .

2 شعر اليزيديين : 110 عن الأغاني .

شيئاً ، فأنشأ يقول¹ :

[من الطويل]

وطارق ليل زارنا بعد هَجْعة من الليل إلا ما تحدث سامرُ
فقلتُ لعبدِ الله ما طارقُ أتى فقال امرؤُ سبقتُ إليه المقادرُ
قَريناه صفو الزاد حين رأيته وقد جاء خفأف الحشا وهو سادرُ
جميلُ الحَيَا والرضا فإذا أبى حمته من الضيمِ الرّماح الشّواجرُ
ولستَ تراه واضعاً لسلّاحه مدى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

[حُجِبَ عن المأمون ثم أذن له]

حدّثنا اليزيديّ قال : حدّثني عمّي الفضل قال : حدّثني أبو صالح بن يزداد قال : حدّثني أبي قال : جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب : قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد . قال : فأمرَكَ ألاّ توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدفع إليه رقعة فيها² :

[من الوافر]

هديتي التحيّة للإمام إمام العدل والملك الهمام
لأنّي لو بذلتُ له حياتي وما أحوي لقلّ للإمام
أراك من الدواء الله نفعاً وعافية تكون إلى تمام
وأعقبك السلامة منه ربُّ يُريك سلامة في كلِّ عام
أتأذن في السّلام بلا كلام سوى تقبيل كَفْكَ والسلام

قال : فأوصلها ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم وحملتُ معه ألفاً دينار .

[المعتصم يستحسن شعراً قاله]

حدّثني عمّي قال : حدّثني الفضل اليزيديّ قال : حدّثني أخي أحمدُ عن أبي : قال : دخلتُ إلى المعتصم وهو ولي عهد وقد طلع القمر ، فتنفّس ثم قال : يا محمد ، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر ، فإنّه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أُحِبُّ فلك بكلّ بيت مائة دينار ، فقلتُ³ :

[من المنسرح]

صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا غابَ كما غابَ ثم قد لمعا

1 شعر اليزيديين : 104 .

2 شعر اليزيديين : 115 .

3 شعر اليزيديين : 106 عن الأغاني .

وما أرى غيرَه يشاكله فاسأله بالله عنه ما صنعا
 فرَّقَ بيني وبينه قدر هو الذي كان بيننا جمعا
 فهل له عودة فأرقبها كما رأينا شيهه رجعا
 فقال : أحسنت وحياتي ، ثم قال لعلّويه : غنّ في هذه الأبيات ، وكان حاضراً ، فغنّ
 فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعلّويه بمثلها .
 لحن علّويه في هذه الأبيات رَمَل .

[حكم المأمون له بثلاثة آلاف دينار]

حدّثني عمّي قال : حدّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدّثني أخي عن أبي قال : شكوتُ إلى
 المأمون ديناً عليّ ، فقال : إنّ عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندي ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمتَ
 بذلك فاستدع أن يكون دخولك أو إخراجك إليك ، فإنّي سأحكم لك عليه بمال . فلما
 علمت أنّهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبتُ بهذين البيتين¹ : [من السريع]

يا خيرَ ساداتٍ وأصحابِ هذا الطفيليّ على البابِ
 فصيّروا لي معكم مجلساً أو أخرجوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه ، فلما قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسلوه أن يختار . فكُتِبَ إليّ :
 أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لإنخراجه إليك فتَمْضِي معه . فكُتِبَتْ : ما كنتُ
 لأختار على أبي العباس² أحداً . فقال له المأمون : قم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن
 رأيت أن تعفيني من ذلك ، أخرجني عمّا شرفتنني به من منادمتك وتبدلني بها منادمة ابن
 اليزيدي ؟ قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيه . قال : فليحتكم . قال : أخاف أن يشتطّ أو تقصّر
 أنت ، ولكنّي أحكم فأعدل . قال : قد رضيت . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجّلة .
 قال : قد فعلت ، فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي ، وأمر عبدُ الله برَدّها إلى بيت المال .

[حرم الجارية فعوضه المأمون بالمال]

حدّثني الصوليّ قال : حدّثني عونُ بنُ محمدٍ قال : كان محمدُ بنُ أبي محمدٍ اليزيديّ يعشق
 جارية لسحاب يقال لها عليا ، وكانت من أطرف النساء لساناً وأحسنهنّ وجهاً وغناءً ،
 فأعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك في
 خلافة المأمون ؛ وكان عليّ بنُ الهيثم جوناكاً صديقاً لمحمد بن أبي محمد اليزيديّ . فبلغ المأمون

1 في شعر اليزيديين : 36 ثلاثة أبيات نسبت في المصادر إلى أبي محمد .

2 كنية عبد الله بن طاهر .

الخبر، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع علياً؟ قال: قد قلتُ في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها. قال: هاتها فأنشده¹:
[من البسيط]

أشكو إلى الله حبي للعليين وأنني فيهم ألقى الأمرين
حسبي علياً أمير المؤمنين فقد أصبحت حقاً أرى حبي له ديناً
وحب خلي وخلاصاني أبي حسن أعني علياً قريب التغلبين²
ورقتي لبني لي أصيبت به وجدي به فوق وجد الآدميين³
ورابع قد رمى قلبي بأسهمه فجرت في حبه حد المحبين
وبعض من لا أسمى قد تملكه فرحت عنه بما أعيا المداوين
أتاه بالدين والدنيا تمكنه فلم يدع لي لا دنيا ولا ديناً

قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذها عوضاً، ولقيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمت ما آل إليه أمر فلانة، فلا تذكرنها. فقلت: السمع والطاعة لأمرك.

[المأمون يقترح عليه شعراً]

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفر بن محمد اليزيدي عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:
[من الطويل]

صحيحٌ يودُّ السقمَ كيما تعودهُ وإن لم تعده عاد عنها رسولها
ليعلم هل ترعأ عند شكاته كما قد يروع المشفقات خليلها؟
قال فقلت⁴:

[من الوافر]

صحيحٌ ودّ لو أمسى عليلاً لتكتب أو يرى منكم رسولا
رآك تسومه الهجران حتى إذا ما اعتل كنت له وصولا
فودّ ضنا الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلا

1 شعر اليزيديين: 117 عن الأغاني.

2 خلاصاني: صفيني، للواحد والجمع. والمقصود هنا صديقه علي بن الهيثم.

3 يعني هنا ابناً له اسمه علي كان قد توفي.

4 شعر اليزيديين: 109.

هما موتان موت هوى وهجر
وموت الهجر شرهما سيلا

قال : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد
اليزيدي عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن
بُسَخْرَ يغنيانه ؛ فقال : أطعموا محمداً شيئاً ، فقلت : قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ؛
فقال : أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقله ، ما أحسن ما قيل في قديم
الشراب ؟ فقلت : قول الحكمي¹ :

عتقت حتى لو اتصلت بلسانٍ ناطقٍ وفمٍ

لاحتبت في القوم مائلة ثم قصت قصّة الأُمم

فقال : هذا كان في نفسي ، ثم قال : اسقوا محمداً رطلين ، وأعطوه عشرين ألف درهم ،
ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال : يا محمد :

إني وأنت رضيعا قهوة لطفت عن العيان ودقت عن مدى الفهم

لم نرتضع غير كأسٍ درّها ذهب والكأس حُرمتها أولى من الرّحم

قال : والشعر له قاله في ذلك الوقت .

ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد ، أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عبيد الله عن
أخيه أحمد² :

صوت

أنت امرؤ متجنّ ولست بالغضبان

أنت امرؤ لك شأن فيما أرى غير شاني

صرّح بما عنه أكني أكفّ عنك لساني

حسبي أسأت فهلا مننت بالغفران

[من السريع]

ومنها³ :

صوت

يا أحسن الأمة في عيني أما ترحمني

1 ديوان أبي نواس : 41 .

2 شعر اليزيديين : 121 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 118 عن الأغاني .

أما تراني كامداً موكلاً بالحزن
أما ترى فيك مداً راتي لأهل الظن
أصرف طرقي عنك خوً فأمنه أن يفضحني
يراني الله وما أكن غي وإن لم ترني

* * *

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه إبراهيم¹

صوت

[من مخلع البسيط]

لا تلخني إن منحتُ عشقاً من كان للعشق مستحقاً
ولم يقدم عليّ خلقاً ولم أقدم عليه خلقاً
يملك رقي ولست أبغي من ملكه ما حبيت عتقاً
لم أرَ فيمن هويت خلقاً أعطف منه ولا أرقاً

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدي ، والغناء لأبي العنيس بن حمدون ، خفيف ثقيل مطلق .
وفيه لعريب رمل مزموم .

[422] - أخبار إبراهيم¹

[مع عرب]

أخبرني عمي قال : حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال : حدثنا أحمد عن عمه إبراهيم قال : كنت مع المأمون في بلد الروم ، فبينما أنا في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة ، فبرقت برقاً وإذا في القبة عريب . قالت : إبراهيم بن اليزيدي ؟ فقلت : لييك ! فقالت : قل في هذا البرق أياتاً ملاحاً لأعني فيها ، فقلت² :

ماذا بقلبي من أليم الخفق إذا رأيت لمعان البرق
 من قيل الأرذن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق
 فارقته وهو أعز الخلق علي والزور خلاف الحق
 ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبغي ما حيت عتقي

قال : فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ؛ فقلت : ويحك على من هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كله للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننت أنك تستفزني ؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ، فادعها أكثر من ثلاثين رئيساً ، والله ما عليم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم .

[في سيحان]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال : حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد : أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو ، قال فكُتب في رُفقه فيها فتى من أهل البصرة ، ظريف أديب شاعر راوية ، فكان لي فيه أنس ، وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا . فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحان ، فكان أكثر مقامه به ، وغزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عرضت لي ، فكان أكثر نشاطي لها من أجله ، فوردتها ، ونظرت فيما وردت له ، ثم سألت عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بي فرحاً ، وأقمت بسيحان معه أياماً ، وقلت في بعضها وقد اصططحنا في بستانه³ :

[من البسيط]

1 ترجمة إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في معجم الأدباء (عباس) : 160-163 وتاريخ بغداد 6 : 209 ونور القيس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 562 وتهذيب ابن عساكر 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 والمقفى 1 : 332 .

2 شعر اليزيديين : 138 .

3 شعر اليزيديين : 140 .

يا مسعديّ بسيحانٍ فذيتكما حثا المدامة في أكنافٍ سيحانا
 نهر كريم من الفردوسٍ مخرجه بذاك خبرنا من كان أنبانا
 لا تحسداني رواحاً أو مياكة طيبَ المسير على سيحانٍ أحيانا
 يشطّ سيحان إنسانٍ كلّفتُ به نفسي بقي ذلك الإنسان إنسانا
 رياه ريحاننا والكأسُ معملة لا شيء أطيبُ من رياه ريحانا
 حثا شربكما حتى أرى بكما سُكراً فإنّي قد أُمسيتُ سكرانا
 ربا الحبيب وكأسٌ من معتقه يهيّجان لنفس الصبّ أشجانا
 سقيا لسيحانٍ من نهر ومن وطن وساكنيه من السكّان من كانا
 هم الذين عقدنا الودّ بينهم وبيننا وهم في ديرٍ مرّانا¹

[دعوة إلى مجلس شراب]

أخبرني محمد بن العباس قال : حدّثني عمّي عبّيد الله عن جماعة من أهلنا : أن إبراهيم بن أبي محمد اليزيديّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت له جارية مغنيّة ؛ يقال لها جاني ؛ فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب ، فقال له : لو دعوت ابن أخيك ، يعني أحمد بن محمد بن أبي محمد ، لنأثس به . فكتب إليه إبراهيم² :

يا أكرم الناس طراً وأكرم الفتيان³
 بادر إلينا لكيما تُسقى سلاف الدنان
 على غناء غزال مُهَفَّهِفٍ فَتان
 اشربْ على وجه جاني شرابك الخسرواني
 فما لجانٍ نظيرٌ ومألها من مدان
 إلّا الذي هو فرد وماله من ثان
 أعني الهلال لستُ في شهره وثمان
 للناس بدرٌ منيرٌ يرى بكلّ مكان
 وما لنا غيرُ بدر لدى أبي غسان

1 دير قرب دمشق مشرف على مزارع ورياض .

2 شعر اليزيديين : 141 عن الأغاني .

3 وأكرم في شعر اليزيديين : وأظرف .

ذَكَرَاهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَوْصُولَةٌ بِلِسَانِي
سَبَّيْتُهُ وَسَبَانِي فَحُبُّهُ قَدْ بَرَانِي
مِنْ ثَمَ لَسْتَ تَرَانِي أَصْبُو إِلَى إِنْسَانٍ

[في بعض إخوانه]

أُنْشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ عَنْ عَمِّهِ الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ فِي بَعْضِ
إِخْوَانِهِ ، وَقَدْ رَأَى مِنْهُ جَفْوَةً ، ثُمَّ عَادَ وَاسْتَصْلَحَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ¹ : [من الكامل]

مَنْ تَاهَ وَاحِدَةً فِتْنَةً عَشْرًا كَيْ لَا يَجُوزُ بِنَفْسِهِ الْقَدْرَا
وَإِذَا زَهَا أَحَدٌ عَلَيْكَ فَكُنْ أَزْهَى عَلَيْهِ وَلَا تَكُنْ غُمْرَا
أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ تَرْجُ مُنْفَعَةً مِنْهُ وَلَمْ تَحْذَرْ لَهُ ضَرَا
لَمْ يُسْتَذَلَّ وَتُسْتَذَلَّ لَهُ بَلْ كُنْ أَشَدَّ إِذَا زَهَا كِبْرَا²

[عريضة في مجلس الحنيفة]

حَدَّثَنِي عَمِّي وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوزٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي
عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ : دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ عَلَى أَبِي وَهُوَ يَشْرَبُ ، فَأَمَرَهُ
بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ . وَزَادَ فِي الشَّرْبِ فَسَكِرَ وَعَرِيدٌ ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ
صَالِحٍ صَاحِبُ الْمِصْلَى يَدَهُ ، فَأَخْرَجَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ كَتَبَ إِلَى أَبِي³ : [من الطويل]

أَنَا الْمَذْنُوبُ الْخَطَاءُ وَالْعَفْوُ وَاسِعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَّا عُرِفَ الْعَفْوُ
ثَمِلْتُ فَأَبَدْتُ مَنِّي الْكَأْسُ بَعْضُ مَا كَرِهْتُ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصُّحُورُ
وَلَوْلَا حُمَيَّا الْكَأْسِ كَانَ احْتِمَالُ مَا بَدَّهْتُ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ السُّرُورُ⁴
وَلَا سِيْمَا إِذْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ اللَّغْوُ
تَنَصَّلْتُ مِنْ ذَنْبِي تَنَصَّلَ ضَارِعٍ إِلَى مَنْ لَدَيْهِ يُغْفَرُ الْعَمْدُ وَالسَّهْوُ
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَلْفَ خَطْوِي وَاسِعًا وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ فَقَدْ قَصَرَ الْخَطْوُ

[حجبه هارون بن المأمون]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : جَاءَ عَمِّي إِبْرَاهِيمُ إِلَى هَارُونَ

1 شعر اليزيديين : 132 عن الأغاني .

2 شعر اليزيديين : لم تسترك .

3 شعر اليزيديين : 143 .

4 السُّرُورُ : الفضل والسخاء في المروءة .

ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجِب عنه ، فكتب إليه¹ :

غَبَبْتُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْقَدَرِيَّةُ فَعَلَيْكُمْ مِنْهُ السَّلَامُ تَحِيَّةُ
أَتَيْكُمْ شَوْقاً فَلَا أَلْقَاكُمْ وَهُمْ لَدَيْكُمْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةُ
هَارُونَ قَائِدُهُمْ وَقَدْ حَقَّتْ بِهِ أَشْيَاعُهُ وَكَفَى بِتِلْكَ بَلِيَّةُ
لَكِنْ قَائِدُنَا الْإِمَامُ وَرَأَيْنَا مَا قَدْ رَأَاهُ فَنَحْنُ مَأْمُونِيَّةُ

[في غلام ثمة ابنه]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنِي الْفَضْلُ قَالَ : كَانَ لِعَمِّي إِبْرَاهِيمَ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ : إِسْحَاقُ ، وَكَانَ يَأْلَفُ غُلَاماً مِنْ أَوْلَادِ الْمُوَالِي . فَلَمَّا خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى الشَّامِ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ الْغُلَامُ الَّذِي يَأْلَفُهُ فِي الْعَسْكَرِ ، وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنََّّهُ قَدْ صَحِبَ فَتًى مِنْ فَتَيَانَ الْعَسْكَرِ غَيْرِ ابْنِهِ ، فَكَتَبَ عَمِّي إِبْرَاهِيمَ إِلَى ابْنِهِ² :

قُلْ لِأَبِي يَعْقُوبَ إِنَّ الَّذِي يَعْرِفُهُ قَدْ فَعَلَ الْحُبُوبَا³
كَانَ مَحِبًّا لَكَ فِيمَا مَضَى فَالآنَ قَدْ صَادَفَ مَحْبُوبَا
يَرْكَبُ هَذَا ذَا وَذَا ذَا فَمَا يَنْفَكُ تَصْعِيداً وَتَصْوِيَا
فِرَاسُ إِسْحَاقَ فَدَيْنَاهُ قَدْ أَظْهَرَ شَيْئاً كَانَ مَحْبُوبَا
أَرَى قَرُوناً قَدْ تَجَلَّلَنَّهُ مَنْصُوبَةً شُعْبَيْنِ تَشْعِيَا
أَظْنَهُ يَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهَا إِذْ رُكِبَتْ فِي الرَّأْسِ تَرْكِيَا
يَا رَحِمَتَا لَابْنِي عَلَى ضَعْفِهِ يَحْمِلُ مِنْهُنَّ أَعَاجِيَا

[ابن أخيه يستزبد عنايته]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي فَضْلُ الْبَزِيدِيِّ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى عَمِّي إِبْرَاهِيمَ أُسْتَعِينُ بِهِ فِي حَاجَةٍ لِي ، وَأَسْتَزِيدُهُ مِنْ عَنَانِيهِ بِأُمُورِي ، وَأُطَالِبُهُ أَنْ يَتَوَفَّرَ نَصِييِي لَدَيْهِ وَفِيمَا أَبْتَغِيهِ مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ⁴ :

فَدَيْتَكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي قَرِيباً وَكَنتُ امْرَءاً أَعْجَبِيّاً غَرِيبَا

1 شعر البزيديين : 145 عن الأغاني .

2 شعر البزيديين : 127 عن الأغاني .

3 الحبوب : الإلثم .

4 شعر البزيديين : 128-130 عن الأغاني .

مع البرّ منك وما يستجر
لما إن جعلت لخلق سوا
وكنّت المقدم ممّن أودّ
تَلَطَّفَ لما قد تكَلَّمْتُ فيه
وراوض أبا حسن إن رأيت
فإن هو صار إلى ما تريد
وما لا يخالف ما تشتهي
يودك خاقان ودّاً عجيباً
وأنت تكافيه بل قد تزيد
تُثيب أخاك على الودّ منه
ولا سيمّا إذ براه إلّا
يرى المتمدّني له ردّقه
وقد فاق في العلم والفهم منه
ويبلغ فيما يقولون ليس
ولكنّه وافق الزاهدين
وإن ركب المرء فيه هوا
إذا زارت الشاة ذنباً طيباً
وعند الطبيب شفاء السقيم
ولست ترى فارساً في الأنا

به مستخفّاً إليك اللبيا¹
ك مثل نصيبك مني نصيبا
وازداد حقك عندي وجوباً
فما زلت في الحاج شهماً نجيباً
ت واحتل يرفقك حتى يجيبا
والآ استعنت عليه الحيبا
لتلفيه غير شكّ مجيباً²
كذاك الأديب يحبّ الأديبا
عليه وتجمع فيه ضروبا
وذو اللب يأنفُ ألاّ يثيبا
ه كالدر يدعو إليه القلوبا
كثيلاً وأعلاه يحكي القضايا
كما تمّ ملحاً وحسناً وطيباً³
يعاف إذا ناولوه القضايا
فخاب وقد ظنّ أن لن يخيبا
ه عاث فتطهيره أن يثوبا
فلا تأمنن على الشاق ذيبا
إذا اعتلّ يوماً وجاء الطيبا
م إلّا وتوباً يجيد الركوبا

[رفقة سفر]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثني عمّي عبّيد الله قال : وحدّثني أخي أحمد
قال : زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبادة المخنث ، فقال عمّي إبراهيم في
ذلك⁴ :

وحاكم زامل عبّاده ولم يزلّ تلك له عادة

1 ما يستجر في الشعر : وما تنجز .

2 تشتهي في الشعر : أشتهي .

3 الملح : الملاحه والحسن .

4 شعر اليزيديين : 131 عن الأغاني .

لو جاز لي حُكم لما جاز أن يحكم في قيمة بُدَاة
كم من غلام عزّ في أهله وافت قفاه منه سجادة¹

[قاضي القضاة يلوط]

وقال في يحيى أيضاً² :
وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط !

[المأمون ويحيى بن أكرم]

وأخبرني عمي حدثنا أبو العيناء قال : نظر المأمون إلى يحيى بن أكرم يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرض له إذا قمت ؛ فإني سأقوم للوضوء ، وأمره ألا يبرح ، وعُدَّ إلي بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلما غمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : ﴿لولا أنتم لكانا مؤمنين﴾³ فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدَّ إليه فقل له : ﴿أنحن صدّدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾⁴ . فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعاً ، وخرج المأمون وهو يقول : [من الطويل]
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط !
قم وانصرف ، واتق الله ، وأصلح نيتك .

[يرتجل في مجلس المأمون]

حدثنا اليزيدي قال : حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه إبراهيم قال : كنت عند المأمون يوماً وبحضرته عريب ، فقالت لي على سبيل الولع بي : يا سلعوس ، وكان جوّاري المأمون يلقيني بذلك عبثاً ، فقلت لها⁵ :

قل لعريب لا تكوني مسلعه وكوني كتريف وكوني كمونسه
فقال المأمون :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شك أن ذا منك وسوسة
قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

1 السجادة : أثر السجود في الجبهة ، وجعلها في قفاه .

2 شعر اليزيديين : 136 .

3 سورة سبأ ، الآية 31 .

4 سورة سبأ ، الآية 32 .

5 شعر اليزيديين : 135 .

مِمَّنْ غُنِّيَ فِي شَعْرِهِ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيِّ

[423] - أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ¹

فَمِنْ ذَلِكَ² :

[من البسيط]

صوت

شوقي إليك على الأيام يزداؤ
يا لهف نفسي على دهر فُجعتُ به
والقلب مُدْ غَبَتَ للأحزانِ معتادُ
كَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الْحَسَنِ أَعْيَادُ
الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد ، والغناء ليحرز هزح ، وفيه ثاني ثقل مطلق . ذكر
الهشامي أنه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو في جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعة .
وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلاً أديباً ، وكان أسنّ ولد محمد بن أبي محمد ، وكان
إخوته جميعاً يأترون علوم جدّهم وعمومتهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظنّ أنه قد روى
عنه أيضاً ، إلّا أنّي لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكره إياه فأحكيه عنه .
[كتاب عمّه لما بات عند ابن المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا الفضل بن محمد الزبيديّ قال : حدّثني أخي أبو جعفر
قال : كنتُ عند جعفر بن المأمون مقيماً ، فلما أردت الانصراف منعني ، فبت عنده ، وزارته
لما أصبحنا عريب في جواربها ؛ وبت فاحتبسها من غدٍ ؛ فاستطبتُ المقام أيضاً فأقمت ،
فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن محمد الزبيديّ³ :

[من السريع]

شردت يا هذا شرودَ البعيرِ وطالت الغيبةُ عند الأميرِ
أقمت يومئذٍ وليليهما وثالثاً تحبى ببرّ كثيرِ
يومٌ عريبٌ مع إحسانها إن طالت الأيامُ يوم قصيرِ

1 ترجمة أحمد بن محمد بن أبي محمد الزبيديّ في معجم الأدباء (عبّاس) : 434-436 وطبقات الزبيديّ : 82-86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وإنباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجوزي 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82-83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

2 شعر الزبيديين : 163 عن الأغاني .

3 شعر الزبيديين : 133-134 عن الأغاني .

لَهَا أَغَانٍ غَيْرُ مَمْلُوءَةٍ مِنْهَا وَلَا تَخْلُقُ عِنْدَ الْكَرُورِ
غَيْرُ مَلُومٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنْ تَوَثَّرَ اللَّهُوَ وَيَوْمَ السَّرُورِ
فَاجْعَلْ لَنَا مِنْكَ نَصِيباً فَمَا إِنْ كُنْتَ عَنْ مَجْلِسِنَا بِالْثَنُورِ
وَصِرْ إِلَيْنَا غَيْرَ مَا صَاغِرٍ أَصَارَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرَ الْمَصِيرِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي غِنَاءٌ وَلَا عُودُ فَعِنْدِي الْقَمَرُ بِالْثَرْدَشِيرِ¹
وَالذِّكْرُ بِالْعِلْمِ الَّذِي قَدْ مَضَى بِأَهْلِهِ حَادِثُ صَرْفِ الدَّهْوَرِ
وَهُوَ جَدِيدٌ عِنْدَنَا نَهْجُهُ أَعْلَامُهُ تَحْوِيهِ مِّنَا الصُّدُورِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مَا أَوَّلَى وَأَبْلَى وَلِرَبِّي الشُّكُورِ

[في غلام وسيم]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ قَالَ : سَمِعْتُ أَخِي أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : دَخَلْتُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَوْماً وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَادِمٌ وَضِيءٌ جَمِيلٌ وَسِيمٌ ، فَطَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ ، قُلْ فِي هَذَا الْخَادِمِ شَيْئاً ، وَصِفْ طُلُوعَ الشَّمْسِ عَلَيْهِ وَحُسْنَهَا ، فَقُلْتُ² :

قَدْ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى شَمْسٍ وَطَابَ لِي الْهَوَى مَعَ الْأَنْسِ
وَكُنْتُ أَقْلِي الشَّمْسَ فِيمَا مَضَى فَصُرْتُ أَشْتَاقُ إِلَى الشَّمْسِ

[جوابه عن اعتذار]

حَدَّثَنِي الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ قَالَ : كَتَبَ إِلَى أَخِي بَعْضُ إِخْوَانِهِ مِمَّنْ كَانَ يَأْلَفُهُ وَيَدِيمُ زِيَارَتِهِ ، ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ ، يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ تَأْخُرِهِ عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ³ :

إِنِّي أَمْرٌ أَعْزِرُ إِخْوَانِي فِي تَرْكِهِمْ بَرِّي وَإِتْيَانِي
لَأَنَّهُ لَا لَهْوٌ عِنْدِي وَلَا لِي الْيَوْمَ جَاءَ عِنْدَ سُلْطَانِ
وَأَكْثَرُ الْإِخْوَانِ فِي دَهْرِنَا أَصْحَابُ تَمْيِيزِ وَرُجْحَانِ
فَمَنْ أَتَانِي مُنْعِماً مُفْضِلاً فَشَكَرُهُ عِنْدِي شُكْرَانِ
وَمَنْ جَفَانِي لَمْ يَكُنْ لَوْمُهُ عِنْدِي وَلَا تَعْنِيفُهُ شَانِي

1 القمر : القَلْبُ فِي الْقَمَار . وَالتَّرْدَشِيرُ : التَّرْد .

2 شعر اليزيديين : 170 .

3 شعر اليزيديين : 176 .

أَعْفُو عَنِ السَّيِّئِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَاتَّبِعِ الْحَسَنَى بِإِحْسَانٍ
حَسْبُ صَدِيقِي أَنَّهُ وَاثِقٌ مَنِّي بِإِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

[ينشد المأمون في حديثه]

حَدَّثَنِي الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَمِّي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ غَاصَّ بِأَهْلِهِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غَلامٌ ، فَاسْتَأْذَنْتُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ ، فَأَنْشَدْتُهُ مَدِيحاً لِي مَدَحَتْهُ بِهِ ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ لِلشَّاعِرِ مَا دَامَ فِي تَشْيِيبٍ أَوْ وَصَفٍ ضَرْبٍ مِنَ الضَّرْبِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى مَدِيحِهِ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ إِلَّا يَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمُنْشِدِ : حَسْبُكَ تَرْفَعاً ، فَأَنْشَدْتُهُ¹ :

يَا مَنْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَلْقَاهُ وَبَذَلْتُ مِنْ وَجْدِي لَهُ أَقْصَاهُ
فَأَجَابَنِي بِخِلَافٍ مَا أَمَلْتُهُ وَلَرُبَّمَا مَنَعَ الْحَرِيبُ مِنْهُ
أَتَرَى جَمِلاً أَنَّ شَكَا ذُو صَبُوءٍ فَهَجَرْتَهُ وَغَضِبْتَ مِنْ شِكْوَاهُ
يَكْفِيكَ صَمْتُ أَوْ جَوَابُ مُؤَيَّسٍ إِنْ كُنْتَ تَكْرَهُ وَصْلَهُ وَهَوَاهُ
مَوْتُ الْحَبِّ سَعَادَةٌ إِنْ كَانَ مَنْ يَهْوَاهُ يَزْعُمُ أَنَّ ذَاكَ رِضَاهُ

فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى الْمَدِيحِ قُلْتُ :

أَبْقَى لَنَا اللَّهُ الْإِمَامَ وَزَادَهُ عِزّاً إِلَى الْعِزِّ الَّذِي أُعْطَاهُ
فَاللَّهُ مَكْرَمُنَا بَأَنَّا مَعَشَرَ عَتَقَاءَ مَنْ نَعْمُ الْعِبَادِ سِوَاهُ
فَسَرَّ بِذَلِكَ وَضَحَكَ ، وَقَالَ : جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَشْكُرُ النِّعْمَةَ ، وَيَحْسِنُ الْعَمَلَ .

[غضب المأمون ثم سكن غضبه]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ بِقَارَا ، وَهُوَ يَرِيدُ الْغَزَا فَأَنْشَدْتُهُ شِعْراً مَدَحَتْهُ فِيهِ ؛ أَوَّلُهُ² :

[من الكامل]

يَا قَصْرُ ذَا التَّخْلَاطِ مِنْ بَارَا إِنِّي حَلَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ قَارَا³
أَبْصَرْتُ أَشْجَاراً عَلَى نَهْرٍ فَذَكَرْتُ أَشْجَاراً وَأَنْهَارَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ نَعِمْتُ بِهَا بِالْقُفُوصِ أَحْيَاناً وَفِي بَارَا⁴

1 شعر اليزيديين : 177 .

2 شعر اليزيديين : 168-169 .

3 بارا : قرية كانت قرية من بغداد .

4 القفص : قرية أخرى قرية من بغداد كانت تقصد للنزهة ومجالس الفرح .

إِذْ لَا أَزَالُ أَزُورُ غَانِيَةً أَهْلُو بِهَا وَأُزُورُ خَمَّارَا
لَا أُسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا لَهْدَى وَأُجِيبُ شَطَّارَا وَدُعَارَا
أَعْصِي الصَّبِيحَ وَكُلَّ عَاذِلَةٍ وَأُطِيعُ أَوْتَارَا وَمَزْمَارَا
قال : فغضب المأمون ، وقال : أنا في وجهه عدو ، وأحضس الناس على الغزو ، وأنت
تذكرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمون عن سُكْرِي ورأيتُ خيرَ الأمرِ ما اختارَا
ورأيتُ طاعتهُ مؤديةً للفرض إعلاناً وإسرارَا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ عن عنقي ورضيتُ دارَ الجدِّ لي دارَا
وظللتُ معتصماً بطاعتهِ وجواره وكفى به جارا
إنَّ حَلَّ أرضاً فهني لي وطنٌ وأسيرُ عنها حيثما سارا
فقال له يحيى بن أكتثم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! أخبر أنه كان في سكر وخسار ،
فترك ذلك وارعوى ، وآثر طاعة خليفته ، وعلم أن الرشد فيها ؛ فسكن وأمسك .
[يجيز بيتاً للمأمون]

حدثني الصوليُّ قال : حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال : حدثني هارون بن
محمد بن عبد الملك الزيات عن أبيه قال : دعا المعتصم ذات يوم المأمون فجاءه ، فأجلسه
في بيت على سقفه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما
التركي غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجد الناس به ، ولم يكن في عصره مثله ، فصاح
المأمون يا أحمد بن محمد اليزيدي ، وكان حاضراً ، فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه
سيما التركي ، رأيت أحسن من هذا قط ؟ وقد قلت : [من السريع]

قد طلعت شمسٌ على شمسٍ وزالت الوحشة بالأنسِ
أَجِزْ يا أحمدُ ، فقلت :

قد كنت أشنا الشمس فيما مضى فصرتُ أشتاقُ إلى الشمسِ
قال : وفطن المعتصم ، فعرض على شفته لأحمد . فقال أحمد للمأمون : والله لئن لم يعلم
الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنَّ معه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم .
فقال له المأمون : كثر الله في غلمانك مثله ، إنما استحسنتم شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .
[حقوقه على المأمون]

حدثني الصوليُّ قال : حدثني عون بن محمد قال : حدثني أحمد بن محمد اليزيدي قال :
كنّا بين يدي المأمون ، فأنشدته مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابي تجب عليّ لطاعتهم

بأنفسهم فإنَّ أحمدَ مِمَّنْ تجبُّ له المِراعاةُ لنفسه وصُحبته ، ولأبيه وخدمته ، ولجَدُّه وقديم خدمته وحرمة ، وإنَّه للْعَرِيقِ في خدمتنا . فقلت : قد عَلَّمَتْنِي يا أُمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تَنَحَّيْتُ ورجعتُ إليه ، فَأَنشَدَتْهُ¹ :

لي بالخليفةِ أعظمِ السببِ فيه أمنتُ بوائِقَ العَطَبِ
ملكٌ غَذَّتْنِي كَفَّهُ وأبِي قَبْلِي وَجَدِّي كانَ قَبْلَ أَبِي
قد خَصَّنِي الرحمنُ منه بما أَسْمُو بِهِ في العجمِ والعربِ

فضحك ، وقال : قد نظمتَ يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة .

صوت

[من الطويل]

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مِنْ غُبْرِ الْهَوَى إِلَى الشَّمِّ مِنْ أَعْلَامِ مِلاَءِ نَاضِرٍ
بِعَمَشَاءَ مِنْ طَوْلِ الْبِكَاءِ كَأَنَّمَا بِهَا خَزَرَ أَوْ طَرَفُهَا مُتَخَاذِرُ

عروضه من الطويل ، والغُبرُ : البقية من الشيء ، يقال : فلان في غبر من علته . وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه ، والشَّمُّ : الطوال ، والأعلام جمع علم وهو الجبل ، قالت الخنساء² :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمَ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
وَالْخَزَرُ : ضيق العين وصغرها ، ومنه سُمِّيَ الخَزَرُ بذلك لصغر أعينهم ، قال الراجز :

إذا تخازرت وما بي من خَزَرٍ ثم كسرت الطرفَ من غيرِ عَوَرٍ
والشعر لرجل من قيس يقال له كعب ، ويلقَّب بالمخبل . والغناء لإبراهيم ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى . ومن النَّاسِ مَنْ يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرُّمَّةِ³ ، ويجعل فيه مِيةَ مكان ميلاء ، ويقال : إنَّ اللحن لابن المكيِّ ، وقد نسب إلى غيرهما ، والصحيح ما ذكرناه أولاً .

1 شعر اليزيديين : 161 عن الأغاني .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 49 .

3 ليسا في ديوانه .

[424] - أخبار المخبل القيسي ونسبه¹

[تزوج ابنة عمه وأحب أختها]

قال عبد الله بن أبي سعد الوراق ، فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلبى ، إجازة عنه :
 حدثني علي بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل ، عن
 رباح بن قطيب بن زيد الأسدي ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب ، بنت
 عم له ، وكانت أحب الناس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال : يا
 أم عمرو ، هل ترين أن الله خلق أحسن منك ؟ قالت : نعم ، أختي ميلاء ، هي أحسن مني .
 قال : فإنني أحب أن أنظر إليها ، فقالت : إن علمت بك لم تخرج إليك ، ولكن كن من وراء
 الستر ، ففعل ، وأرسلت إليها فجاءتها ، فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها ،
 فاعترضها فشكا إليها حبه ، فقالت : والله يا ابن عم ، ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في
 قلبي أكثر منه . وواعدته مرة أخرى ، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتها جالسين ،
 فمضت إلى إختوها ، وكانوا سبعة ، فقالت : إما أن تزوجوا ميلاء كعباً ، وإما أن تكفوني أمرها .
 [رحيله عندما انكشف حبه]

وبلغهما الخبر ، ووقف إختوها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم ، وكان
 منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب ، فقال كعب : [من الطويل]
 أفي كل يوم أنت من لالعج الهوى إلى الشئم من أعلام ميلاء ناظر
 بعمشاء من طول البكاء كأنما بها خزر أو طرفها متخازر
 تمنى المنى حتى إذا ملت المنى جرى واكيف من دمعها متبادر
 كما ارفض عنها بعدما ضم ضمة بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر
 [رواية شعره تدل عليه]

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشامي يريد مكة ، فاجتاز بأمر

1 ترجمة المخبل القيسي في المؤلف والمختلف : 271 ، وقال صاحبه لا أعرف نسبه ، وأورد له خمسة أبيات
 رائية ؛ وفي معجم الرزباني : 235 ، إذ ورد فيه : حجازي إسلامي أحد التميميين المشهورين بالعشق وأورد له
 بيتين يائيين وبيتاً من النونية ؛ وفي تزيين الأسواق : 170-173 ، وفيه : هو أبو خثعم كعب بن مالك أو
 عبدالله أو خثعم بن لامي بن رباح بن ضمرة ، طائي من عرب الحجاز ، وفيه أيضاً : وكان جواداً سخياً شجاعاً
 مألوف الصورة وأورد ابن حمدون في التذكرة (6 : 154-156) خبر وفاته قريباً مما في الأغاني ، وسماه
 كعب بن مالك ؛ وانظره أيضاً في مصارع العشاق (صادر) 2 : 140-143 .

عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضَلَّ الطريقَ ، فسَلَّم عليهما ثم سألهما عن الطريق ، فقالت أم عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذكر ، لما نادى : يا ميلاء ، شعر كعب هذا ، فتمثل به ، فعرقت أم عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أنت ؟ قال : رجل من أهل الشام . قالت : من أين رويت هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابي بالشام . قالت : أو تدري ما اسمه ؟ فقال : سمعت أنه كعب ، فأقسمت عليه : لا تترج حتى تعرف إخوتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم ، وقد أنعمت علينا . قال : أفعل ، وإني لأروي له شعراً آخر ، فما أدري أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أسمعتنا ، قال : سمعته يقول¹ : [من الطويل]

خليلي قد قستُ الأمورَ ورُمْتُها بنفسي وبالفتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أخفِ سوءاً للصدِّيقِ ولم أجِدْ خلياً ولا ذا البَثِّ يستويانِ
من النَّاسِ إنسانانِ ديني عليهما مليانِ لو شاءا لقد قضَيانِ²
خليلي أماً أم عمرو فمَنهما وأما عن الأخرى فلا تسلانِ
بُلينا بهجرانٍ ولم أرَ مثَلنا من النَّاسِ إنسانَيْن يهتجرانِ
أشدَّ مصافاةً وأبعدَ من قَلِي وأغصى لإواشٍ حين يكتفيانِ
تحدَّث طرفانا بما في صدورنا إذا استعجمت بالمنطقِ الشفتانِ
فوالله ما أدري أكلُّ ذوي الهوى على ما بنا أو نحن مبتليانِ ؟
فلا تعجبا مما بي اليومَ من هوى فبي كلَّ يومٍ مثلُ ما تريانِ
خليلي عن أيِّ الذي كان بيننا من الوصلِ أم ماضي الهوى تسلانِ ؟
وكنا كَرِيمِي معشرٍ حُمَّ بيننا هوى فحفظناه بحسن صيانِ
سلاه بأَمِّ العَمرو مَن هي إذ بدا به سقمٌ جَمٌّ وطولُ ضمانِ³
فما زادنا بُعدُ المدى نقضَ مِرَّةً ولا رجعا مِن عِلْمنا ببيانِ⁴
خليلي لا والله ما لي بالذي تريدان من هجرِ الحبيبِ يدانِ
ولا لي بالبين اعتلاءٍ إذا نأت كما أُنتما بالبينِ معتليانِ

1 هذا الشعر في تزوين الأسواق (28 بيتاً) ومصارع العشاق (18 بيتاً) والتذكرة الحمدونية (11 بيتاً) مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مليتان (مليان) : مقتدران .

3 ضمان : مرض ملازم .

4 المرة : قتل الحبل .

[وجد ميلاء قد توفيت فمات غماً]

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأخبروه الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، وكان كعب أظرفهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلّوه على الطريق ، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت . وكان كعب ترك بُنيّاً له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحك يا غلام ! مَنْ أبوك ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعلى أي شيء قد اجتمع الناس ؟ وأحسن قلبه بالشر . قال : اجتمعوا على خالتي ميلاء . قال : وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانه ، فدفن حذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام :

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ مَاشِياً	بمِرحابٍ حتى يُحشَرَ الثَّقَلَانِ
وَلَا لَاهِياً يَوْماً إِلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ	بِيبُضٍ لَطِيفَاتِ الْخُصُورِ رَوَانِي
يُؤْمِنُنِنَا حَتَّى تَرِيعَ قُلُوبُنَا	وَيَخْلِطَنَ مَطْلَا ظَاهِراً بِلَيَانٍ ¹
فَعَيْنِي يَا عَيْنِي حَتَّامٌ أَتَمَّا	بِهَجْرَانٍ أُمُّ الْعَمْرِو تَخْتَلِجَانِ
أَمَّا أَتَمَّا إِلَّا عَلِيٌّ طَلِيعَةٌ	عَلَى قُرْبِ أَعْدَائِي كَمَا تَرِيَانِ
فَلَوْ أَنَّ أُمُّ الْعَمْرِو أَضَحَّتْ مَقِيمَةً	بِمَصْرٍ وَجِثْمَانِي بِشَحْرِ عُمَانِ
إِذَا لَرَجُوتُ اللَّهَ يَجْمَعُ شَمْلَنَا	فَإِنَّا عَلَى مَا كَانَ مِلْتَقِيَانِ

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

من الناس إنسانانِ دُنيي عليهما	مليعانِ لو شاءا لقد قضيانِ
خليلي أماً أُمُّ عَمْرِو فمِنهما	وأماً عن الأخرى فلا تَسْلَانِ

عروضه من الطويل ، الشعر ، على ما في هذا الخبر ، لكعب المذكورة قصته ، وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخثعمي . والغناء لإبراهيم الموصلي ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العنَّس عنه ، وذكر ابن المكي أنه لعلَّويه . والأبيات التي ذكرنا أن المفضل بن سلمة وابن أبي طاهر رويها لابن الدُّمينة مع

البيتين اللذين فيهما الغناء هي¹ :

مِنْ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَنَيْتَنِي عَلَيْهِمَا
خَلِيلِي أُمًّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا
مَنْوَعَانِ ظَلَامَانِ مَا يُنْصَفَانِي
مِنْ الْبَيْضِ نَجْلَاءَ الْعَيُونِ غَذَاهُمَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا
إِذَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي
وَقَدْ رَوِي أَيْضاً أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا

لَعُرْوَةَ بْنِ حَزَامَ :

أَلَا فَاحِشِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الرُّوحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي³
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْقَيْسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي خَارِجَةُ الْمَلَلِي قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى عُرْوَةَ بْنَ حَزَامَ
يَطَافُ بِهِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ : [من الطويل]

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا
بَعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرْقَانِ
أَلَا فَاحِشِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الرُّوحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

فَقُلْتُ : زِدْنِي ، قَالَ : لَا ، وَلَا حَرْفَ .

[التغني بالصوت المنسوب إليه يهيج الواصل للإيقاع بشخصين]

وَيُقَالُ : إِنَّ الَّذِي هَاجَ الْوَالِثَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ أَنَّهُ
غَنَى هَذَا الصَّوْتَ ، أَعْنِي :

مِنْ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَنَيْتَنِي عَلَيْهِمَا
فَدَعَا خَادِمًا كَانَ لِلْمَعْتَصِمِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَصْدِقْنِي وَالْأُضْرِبْتُ عَنْقَكَ . قَالَ : سَلْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا شِئْتَ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْكَ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَيَوْمَى إِلَيْكَ
إِيمَاءُ تَعْرِفُهُ ، فَمَنْ اللَّذَانِ عَنِي ؟ قَالَ ، قَالَ لِي : إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى إِقْطَاعِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ

1 في ديوان ابن الدمينه (168-172) قصيدة نونية تشترك مع شعر المخبل في أبيات متعددة .

2 الجران : مقدم عنق البعير .

3 الروحاء : موضع قريب من المدينة .

وسليمان بن وهب ألفي دينار ، وأنه يريد الإيقاع بهما . فكان كلما رآهما يتمثل بهذين البيتين . قال : صدقتني والله ، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .
وأخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال : نظر الواصل إلى أحمد بن الخصيب يمشي ، فتمثل :

من الناس إنسانان ذنبي عليهما
وذكر البيتين ، وأشار بقوله :

خليلي أمّا أمّ عمرو فمنهما
إلى أحمد بن الخصيب . فلما بلغ هذا سليمان بن وهب ، قال : إنا لله ! أحمد بن الخصيب والله أمّ عمرو ، وأنا الأخرى . قال : ونكبهما بعد أيام . وقد قيل : إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبت في نكبتهما .

[ابن الزيات يحرض الواصل]

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عون بن محمد الكندي ، قال : كانت الخلافة أيام الواصل تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب ، فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواصل على أنها لبعض أهل العسكر ، وهي¹ :

يا ابن الخلائف والأملاك إن نسبوا	حُزّت الخلافة عن آبائك الأول
أجُزّت أم رقدت عيناك عن عجب	فيه البرية من خوف ومن وهل ²
وليت أربعة أمر العباد معاً	وكلهم حاطب في حبل مُحْتَبِل ³
هذا سليمان قد ملكت راحته	مشارك الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السند فالشحرين من عدن	إلى الجزيرة فالأطراف من ملل ⁴
خلافة قد حواها وحده فمضت	أحكامه في دماء القوم والنفل
وابن الخصيب الذي ملكت راحته	خلافة الشام والغازين والقفل
فَنِيل مصر فبحر الشام قد جريا	بما أراد من الأموال والحلل

1 لم ترد في ديوانه أن فيه (زيادات من الأغاني) .

2 الوهل : الفزع .

3 المحتبل : من يمسك الصيد بالحبال . وهو من المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 ، 398 .

4 ملل : موضع في طريق مكة .

كَأَنَّهُمْ فِي الَّذِي قَسَمْتَ بَيْنَهُمْ بُنُو الرَشِيدِ زَمَانَ الْقَسَمِ لِلدُّوَلِ
 حَوَى سُلَيْمَانُ مَا كَانَ الْأَمِينُ حَوَى مِنَ الْخِلَافَةِ وَالتَّبْلِيغِ لِلْأَمَلِ
 وَأَحْمَدُ بْنُ خَصِيبٍ فِي إِمَارَتِهِ كَالْقَاسِمِ بْنِ الرَشِيدِ الْجَامِعِ السَّبِيلِ
 أَصْبَحَتْ لَا نَاصِحَ يَأْتِيكَ مُسْتَتَرًّا وَلَا عِلَانِيَةً خَوْفًا مِنَ الْحِيلِ
 سَلْ بَيْتَ مَالِكَ أَيْنَ الْمَالُ تَعْرِفُهُ وَسَلْ خَرَجَكَ عَنْ أُمُوكِ الْجُمْلِ
 كَمْ فِي حُبُوسِكَ مِمَّنْ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ أَسْرَى التَّكْذُوبِ فِي الْأَقْيَادِ وَالْكَبْلِ
 سُمِّيَتْ بِاسْمِ الرَشِيدِ الْمُرْتَضَى فِيهِ قِسِرَ الْأُمُورُ الَّتِي تُنْجِي مِنَ الرُّكْلِ
 عِثْ فِيهِمْ مِثْلَ مَا عَاقَبَتْ يَدَاهُ مَعًا عَلَى الْبَرَامِكِ بِالتَّهْدِيمِ لِلْقَلْلِ

فَلَمَّا قَرَأَ الْوَائِقَ الشَّعْرَ غَاظَهُ وَبَلَغَ مِنْهُ ، وَنَكَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ
 الْخَصِيبِ ، وَأَخَذَ مِنْهُمَا وَمِنْ أَسْبَابِهِمَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَقَالَ
 أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَنْ¹ :

نَزَلْتُ بِالْخَائِنِينَ سَنَةً سَنَةً لِلنَّاسِ مَمْتَحِنَةً²
 سَوَّغْتَ ذَا النِّصْحِ بَغِيَّتَهُ وَأَزَالَتْ دَوْلَةَ الْخَوْنَةِ
 فَتَرَى أَهْلَ الْعَفَافِ بِهَا وَهُمْ فِي دَوْلَةٍ حَسَنَةٍ
 وَتَرَى مَنْ جَارَ هِمَّتُهُ أَنَّ يُؤَدِّيَ كُلُّ مَا احْتَجَنَتْهُ³

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لِابْنِ الزِّيَّاتِ :
 إِيهًا أَبَا جَعْفَرٍ وَلِلدَّهْرِ كَرٌّ رَاتٌ وَعَمَّا يَرِيبُ مَتَّسَعٌ
 أَرْسَلْتُ لَيْشًا عَلَى فَرَائِسِهِ وَأَنْتَ مِنْهَا فَانْظُرْ مَتَى تَقَعُ
 لَكِنَّهُ قُوَّتُهُ وَفِيكَ لَهُ وَقَدْ تَقَضَّتْ أَقْوَاتُهُ شَيْعٌ⁴

وَهِيَ أَيْيَاتُ ، وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ حَمَلَ الْوَائِقَ عَلَى الْإِيْقَاعِ بِابْنِ الزِّيَّاتِ ، وَأَمَرَ
 عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ فَقَالَ فِيهِ⁵ :

لَعَائِنُ اللَّهِ مُوَفَّرَاتٍ مُصَبَّحَاتٍ وَمَهْجُرَاتٍ

1 شعر ابن أبي فنن (شعراء عباسيون ، السامرائي) 1 : 185-186 .

2 السنة : الجذب ، وهنا يعني المحنة .

3 احتجته : حازه لنفسه .

4 اللطائف : لظنة قوته .

5 ديوان علي بن الجهم (صادر) : 81-82 .

[من المنسرح]

[من الرجز]

على ابن عبد الملك الزيات عرَضَ شَمْلَ الملِكِ للشَّتاتِ
يرمي الدواوين بتوقيعاتِ معقَّداتٍ غيرِ مفتوحاتِ
أشبه شيءَ بُرقي الحياتِ كأنَّها بالزيتِ مدهوناتِ
بعد ركوب الطوف في الفراتِ وبعد بَيعِ الزيتِ بالحباتِ
سبحانَ مَنْ جلَّ عن الصفاتِ هارون يا ابن سيِّد الساداتِ
أما ترى الأمورَ مهملاتِ تشكو إليكَ عدمَ الكفاةِ

وهي أبيات . فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقي لنا كاتب . فطرح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعين على عداوة ابن أبي دواد . فقال للواثق : أمثلُ ابن الزيات ، مع خدمته وكفايته ، يُفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنَّما ذلك على خونة أخذتَ ما اختانوه ، فهذا ذنبه ؟ وبعد ، فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تعد مكانه جماعة يقومون مقامه ، فمن لك بمن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له . وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتابه : إنَّ هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظنَّ الوزير بك مالمأة عليه ؛ فعرفه ذلك . فلما دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى ، فقال : إني والله ما أجيئك متعزراً بك من ذلة ، ولا متكثراً من قلة ، ولكن أمير المؤمنين ربك رتبة أوجب لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنَّما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائه .

صوت¹

[من الرمل]

عِشْ فَحُبِّيكَ سريعاً قاتلي والضنى إن لم تصلني واصلني
ظَفَرُ الشوقِ بقلبٍ دَنِفٍ فيك والسقمُ بجِسمٍ ناحلٍ²
فهما بينَ اكتئابٍ وضنى تَرَكاني كالقضيبيِّ الذابلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسدود ، رمل مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر جحظة أنَّ هذا الرمل أُخِذَ عنه ، وأنَّه أوَّل صوت سمعه فكتبه .

1 ديوان خالد الكاتب : 381-382 .

2 دنف في الديوان : مدنف . والدنف : الذي يلازمه المرض .

[425] - أخبار خالد الكاتب¹

[وسوسته]

هو خالد بن يزيد ، ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيش . ووسوس في آخر عمره ، قيل إن السوءاء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، ولأه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ، ومغنية تغني :

مَنْ كَانَ ذَا شَجَنِ بِالشَّامِ يَطْلُبُهُ ففِي سِوَى الشَّامِ أَمْسَى الْأَهْلُ وَالشَّجَنُ

[اتصاله بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي]

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق مختلطاً . واتصل ذلك حتى وسوس وبطل . وكان اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي . وكان سبب اتصاله بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم ، في جملة كتاب الإعطاء ، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر ، فأئس به وسر به ، وأحضره فأنشده قوله² :

يَا تَارَكَ الْجِسْمَ بِلَا قَلْبٍ إِنْ كُنْتُ أَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي ؟
يَا مُفْرِداً بِالْحَسَنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بَطُولِ الْمَجْرِ وَالْعَتَبِ
إِنْ تَكُنْ عَيْنِي أَبْصَرْتُ فِتْنَةً فَهَلْ عَلَى قَلْبِي مِنْ عَتَبِ
حَسْبِكَ اللَّهُ لَمَّا بَسِيَ كَمَا أَنْتَ فِي فِعْلِكَ بِي حَسْبِي

[اتصاله بالمتصم]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبري مطلق من رواية المشامي ، قال : فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قُتل ، ثم صحب الفضل بن مروان ، فذكره للمتصم وهو بالماحوزة³ قبل أن يُنني سر من رأى ، فقال خالد⁴ :

1 ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 والمتنظم 5 : 35 وبغية الطلب 6 : 121 ومعجم الأدباء (عباس) : 1243-1245 وابن خلكان 2 : 232 والوافي 13 : 278 والقوات 1 : 401-402 وطبقات ابن المعتز : 404-406 . وقد حقق ديوانه د . يونس السامرائي (1981) .

2 ديوانه : 482-483 .

3 الماحوزة : موضع قرب سامرا .

4 ديوان خالد الكاتب : 533 .

عَزَمَ السُّرُورُ عَلَى الْمُقَا مِ بِسْرٍ مَنْ رَأَى لِلْإِمَامِ
بَلَدُ الْمَسْرَةِ وَالْفَتُو حِ الْمُسْتَنِيرَاتِ الْعِظَامِ
وَتَرَاهُ أَشْبَهَ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
فَاللَّهُ يَعْمُرُهُ بِمَنْ أَضْحَى بِهِ عِزُّ الْأَنَامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوَانَ وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناء سُرٍّ مَنْ رَأَى شَيْءً ،
فكانت أَوَّلَ مَا أُنْشِدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الشَّعْرِ ، فَتَبَرَّكَ بِهَا وَأَمَرَ خَالِدَ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .
وَذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ ، وَذَكَرَ الْيُوسُفِيُّ صَاحِبَ الرِّسَالِ أَنَّ خَالِدًا
قَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ ¹ :

بَيْنَ صَفْوِ الزَّمَانِ عَنْ كَدَرِهِ فِي ضَحِكَاتِ الرَّبِيعِ عَنْ زَهْرِهِ
يَا سُرٍّ مَنْ رَأَى بِوَرَكْتٍ مِنْ بَلَدٍ بُورِكَ فِي تَبْتِهِ وَفِي شَجَرِهِ
غَرَسُ جُدُودِ الْإِمَامِ يَنْبِتُهُ بِأَبِكَ وَالْمَازِيَارُ مِنْ ثَمَرِهِ
فَالْفَتْحُ وَالنَّصْرُ يَنْزِلَانِ بِهِ وَالْخِصْبُ فِي تُرْبِهِ وَفِي شَجَرِهِ

فَغَنَى مَخَارِقُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، فَسَأَلَهُ الْمُعْتَصِمُ : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَقَالَ : لَخَالِدٍ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : الَّذِي يَقُولُ ² :

كَيْفَ تُرْجَى لِدَاذَةِ الْاِغْتِمَاضِ لِمَرِيضٍ مِنَ الْعَيُونِ الْمِرَاضِ

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ لَهُ ، وَلَكِنْ بَضَاعَتُهُ لَا تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ
أَبْيَاتٍ . فَأَمَرَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَبَلَغَ خَالِدًا الْخَبْرُ ، فَقَالَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
صَاحِبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقِيلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، أَعَزَّهُ اللَّهُ : إِذَا بَلَغْتُ الْمَرَادَ فِي أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ
فَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ .

[دَعِبِلَ يَنْصَحُهُ بِأَنْ يَنْتَصِرَ عَلَى الْمَقْطَعَاتِ]

قَالَ الْيُوسُفِيُّ ³ : وَلَمَّا قَالَ خَالِدُ فِي صِفَةِ سُرٍّ مَنْ رَأَى قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا ³ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

اسْقِنِي فِي جَرَائِرِ وَزِقَاقٍ لُتْلَاقِي السُّرُورِ يَوْمَ التَّلَاقِ
مِنْ سُلَافٍ كَانَ فِي الْكَأْسِ مِنْهُ عِبْرَاتٍ مِنْ مَقَاتِلِي مُشْتَاقِ

1 ديوانه : 512 .

2 ديوانه : 517 .

3 ديوانه : 521 .

في رياضٍ بِسْرٍ مَن را إلى الكرِّ خر ودَغني من سائرِ الآفاقِ
بادِّكَارَاتٍ كل فتح عظيم لإمام الهدى أبي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دِعْبِلٌ فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقَطَّعاتٍ فداخَلتَ الشعراءَ
في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغْلَبَ عليه . فقال
له خالد : لو عرفتُ النُّصَحَ منك لغيري لأطعتك في نفسي .
[هجاء الحلبيّ الشاعر]

قال اليوسفيّ : وحدثني أبو الحسن الشهرزانيّ : أن خالداً وقع بينه وبين الحلبيّ الشاعر
الذي يقول فيه البحتريّ :

سل الحلبيّ عن حلب

خلافٌ في معنى شعر ، فقال له الحلبيّ : لا تعدُّ طَوْرَكَ فأخرسَكَ ! فقال له خالد : لستَ
هناك ، ولا فيك موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنّي أجعلك ضُحْكةً سرّاً من رأى . وكان الحلبيّ
من أوسخ النَّاسِ ، فجعل يهجو جُبَّتَه وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله ¹ : [من السريع]

وشاعرٍ ذي منطقي رائق في جَبّةٍ كالعارضِ البارقي
قطعاء شلاء رقاعيّة دَهْرِيّةٌ مرقوعة العاتقي²
قدّمها العُرْيُ على نفسه لفضيلها في القَدَرِ السابق

وقوله ³ :

وشاعرٍ مُقَدِّمٍ له قومُ ليس عليهم في نصره لومُ
قد ساعده في الجوع كلُّهمُ فقَرى فكلُّ غداؤه الصومُ
يأتيكَ في جَبّةٍ مُرَقَّعةٍ أطولُ أعمارِ مثلها يومُ
وطيلسانٍ كالآل يلبسه على قميص كأنه غَيِّمُ
من حَلَبٍ في صميم سِفْلَتِها غناه فقرٌ وعزُّه ضَيِّمُ

قال : وقال فيه ⁴ :

[من المنسرح]

1 ديوانه : 521-520 .

2 شلاء : من الشلل ، وهو السواد الثابت .

3 ديوانه : 531-530 .

4 ديوانه : 511-510 .

تأه على ربّه فأفقره حتى رآه الغني فأنكره
فصار من طول جِرْفَةٍ علماً يقذفه الرزق حيث أبصره¹
يا حليلاً قضى الإله له بالتيه والفقر حين صوره
لَوْ خلطوه بالمسك وسخه أو طرّحوه في البحر كدره

[إبراهيم بن المهدي يستنشه]

حدّثني جَحْظَةٌ ، قال : حدّثني خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهدي فاستنشدني ، فقلت : أيها الأمير ، أنا غلامٌ أقول في شجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعي البلاء ، فأنشدته² :

صوت

عابتُ نفسي في هوا لك فلم أجدها تقبلُ
وأطعتُ داعيها إلي لك ولم أطلع من يعدلُ
لا والذي جعل الوجو هـ لحسن وجهك تمثلُ
لا قلتُ إنّ الصبرَ عند لك من التصايي أجملُ

لجحظة في هذه الأبيات رَمْلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَايَ عليك بإبراهيم ، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها³ :

وبكى العاذلُ من رَحْمَتِي فُبُكائي لِبُكَاءِ العاذلِ

وقال إبراهيم : يا رشيقي ، كم معك من العين ؟ قال : سِتْمَاةٌ وخمسون ديناراً . قال : اقسِمْها بيني وبين الفتى ، واجعل الكسرَ له صحيحاً . فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين ، فواراني إلى يومي هذا .

[المرء لا يهب ولده]

حدّثني جَحْظَةٌ ، قال : حدّثني خالد الكاتب قال : قال لي عليّ بن الجهم : هب لي بيتك الذي تقول فيه⁴ :

1 الحرفة : بضم الحاء وكسر ها : الحرمان وسوء الحظ .

2 ديوانه : 524 .

3 ديوانه : 382 .

4 ديوانه : 500 .

لَيْتَ مَا أَصْبَحَ مِنْ رَقْدٍ هَذَيْكَ بِقَلْبِكَ

فقلت : يا جاهل ، هل رأيت أحداً يهب ولده .

[سالم فحورب فاتحه إلى الهجاء]

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له ، وكان قد باعده ولم أعلم ، فأنشأ يقول¹ :

ظَنَ الغريبُ لغيةَ الأبدِ	حيَّ المخافة نائسيَ البلدِ
حيرانَ يُؤنسه ويكلؤه	يومَ تَوَعَّدهُ بشرٌ غدِ
سَحَّ الغرابُ له بأنكرِ ما	تغدو النحوسُ به على أحدِ
وابتاعَ أشأمه بأيمنه الـ	جَدُّ العثورُ له يداً بيدِ
حتى يُنيخ بأرضٍ مهلكةٍ	في حيثُ لم يولدُ ولم يلدِ
جزعتُ حليتهُ عليه فما	تخلو من الزفراتِ والكمِدِ
نَزَلَ الزَّمانُ بها فأهلكها	منه وأهدى اليَتمَ للولدِ
ظفرتُ به الأيَّامُ فأنحسرت	عنه بناقِرَةٌ ولم تَكَدِ ²
فتركنَ منه بعد طيِّتهِ	مثل الذي أبقيَن من لبْدِ ³

قال ، فقلت له : يا أبا الهيثم مذُكَّم دخلتَ في قول الهجاء ؟ قال : مذ سالتُ فحوربتُ ، وصافيتُ فتوقفت .

[غزل في غلام]

وقال الرياشي . كان خالد مغرمًا بالغللمان المرُود ، يُنفق عليهم كلَّ ما يُفيد ، فهويَ غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام الطائي يهواه ، فقال فيه خالد⁴ :

[من مخلع البسيط]

قَضِيبُ بانٍ جناهُ وردُ	تحمّله وَجَنَةٌ وَخَدُ
لَمْ أَثْنِ طَرْفي إِلَيْهِ إِلَّا	مات عزاءٌ وعاش وَجَدُ
مُلْكٌ طَوَّعَ النفوسَ حتى	علّمه الزهوَ حين يبدُو

1 ديوانه : 505-506 .

2 الناقرة : الداهية .

3 لبـد : آخر نسور لقمان .

4 ديوانه : 503-504 .

واجْتَمَعَ الصَّدُّ فِيهِ حَتَّى لَيْسَ لَخَلْقِي سِوَاهُ صَدُّ
فَبَلَغَ أَبَا تَمَّامٍ ذَلِكَ فَقَالَ فِيهِ أُنْبِيَاءُ مِنْهَا :
شِعْرُكَ هَذَا كُلُّهُ مَفْرُطٌ فِي بَرْدِهِ يَا خَالِدُ الْبَارِدُ
فَعَلِمَهَا الصَّبِيَّانُ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَصِيحُونَ بِهِ : يَا خَالِدُ يَا بَارِدُ حَتَّى وَسَّوَسَ . قَالَ : وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَا السَّبَبَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ غَيْرِ أَبِي تَمَّامٍ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .
[هَجَاءُ أَبِي تَمَّامٍ]

وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ هَجَا أَبَا تَمَّامٍ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ فِيهِ ¹ :
[مِنْ الْبَسِيطِ]
يَا مَعْشَرَ الْمُرْدِ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَالْمَرْءُ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذِبِ
لَا يَنْكِحَنَّ حَبِيبًا مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ وَجْعَاءَهُ أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ
لَا تَأْمَنُوا أَنْ تَحُولُوا بَعْدَ ثَالِثَةٍ فَتَرْكَبُوا عُمْدًا لَيْسَتْ مِنَ الْخَشَبِ
[جِدَّ الْأَدَبِ وَهَزَلَهُ جِدَّ]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِدُ
الْكَاتِبِ ، قَالَ : لَمَّا بُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِالْخِلَافَةِ طَلَبَنِي ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُنِي ، وَكُنْتُ
مُتَّصِلًا بِبَعْضِ أَسْبَابِهِ . فَأَدْخَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي يَا خَالِدُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ ، فَقُلْتُ : يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ شِعْرِي مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ
لَحِكْمًا» ، وَإِنَّمَا أُمَزِحُ وَأَهْزِلُ ، فَقَالَ : لَا تَقُلْ هَذَا ، فَإِنَّ جِدَّ الْأَدَبِ وَهَزَلَهُ جِدٌّ ، هَاتِ
أَنْشِدْنِي ، فَأَنْشَدْتُهُ :

عِشْ فَحُبِّيكَ سَرِيعًا قَاتِلِي وَالضُّنَى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفِيرَ الشُّوقِ بِقَلْبٍ دَنِيفٍ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجَسْمٍ نَاحِلٍ
فَهُمَا بَيْنَ اكْتِثَابٍ وَضُنَى تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ

قَالَ : فَاسْتَمْلَحَ ذَلِكَ وَوَصَلَنِي .

[يَرْكَبُ قِصَّةَ فَيَصِيحُ بِهِ الصَّبِيَّانُ]

حَدَّثَنِي حَمْرَةُ بْنُ أَبِي سَلَالَةَ الشَّاعِرِ الْكُوفِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ بَغْدَادَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فَبَيْنَا
أَنَا مَارٌّ بِجُنَيْنَةٍ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ مِبْطُنَةٌ نَظِيفَةٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قُلَنْسِيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وَهُوَ رَاكِبٌ
قَصَبَةٍ ، وَالصَّبِيَّانُ خَلْفَهُ يَصِيحُونَ بِهِ : يَا خَالِدُ يَا بَارِدُ ! فَإِذَا آذَوهُ حَمَلُ عَلَيْهِمُ بِالْقَصَبَةِ ،
فَلَمْ أَزَلْ أَطْرُدُهُمْ عَنْهُ حَتَّى تَفَرَّقُوا ، وَأَدْخَلْتُهُ بَسْتَانًا هُنَاكَ ، فَجَلَسْتُ وَاسْتَرَحْتُ ، وَاشْتَرَيْتُ لَهُ

[من المنسرح]

رُطْباً فَأَكَل ، واستنشدته فَأَنْشَدْنِي¹ :

قَدْ حَازَ قَلْبِي فَصَارَ يَمْلِكُهُ فكيف أُسْلُو وكيف أتركُهُ !
 رَطِيبُ جِسْمٍ كَالْمَاءِ تَحْسَبُهُ يَخْطِرُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مَسْلِكُهُ
 يَكَاذُ يَجْرِي مِنَ الْقَمِيصِ مِنَ الدِّ عَمَّةٌ لَوْلَا الْقَمِيصُ يُمَسِكُهُ
 فَاسْتَرَدَّتْهُ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَا حَرْفٌ .

[جبه غلام مقامر]

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ الْكَاتِبِ ، أَنَّهُ دَعَا خَالِدًا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَقَامَ
 عِنْدَهُ . وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَمَا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ حَتَّى خَرَجَ ، قَالَ : فَأَتَبَعْتُهُ رَسُولًا لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَإِذَا
 هُوَ قَدْ جَاءَ إِلَى غَلَامٍ كَانَ يَحِبُّهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَوَجَدَهُ فِي دَارِ الْقَمَارِ ، فَمَضَى إِلَيْهِ حَتَّى خَلَعَ عَلَيْهِ تِلْكَ
 الثِّيَابَ وَقَبَّلَهُ وَعَانَقَهُ وَعَادَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا جَاءَ خَالِدٌ أُعْطِيَ الْغَلَامَ الَّذِي وَجَّهْنَا بِهِ دَنَانِيرَ وَدَعَا فُجَاءَ
 بِهِ إِلَيْنَا ، وَأَخْفَيْنَاهُ وَسَأَلْنَا خَالِدًا عَنْ خَبْرِهِ فَكْتَمَهُ وَجَمَعِم . فَعَمَزْنَا الرِّسُولَ فَأَخْرَجَهُ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا
 رَأَاهُ خَالِدٌ بَكَى وَدَهَشَ . فَقُلْنَا لَهُ : لَا تُرْعَ ، فَإِنَّ مِنَ الْقِصَّةِ كَيْتَ وَكِيتَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَ
 خَبْرَكَ لَا أَنْ نَسُوءَكَ . فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَقَالَ : قَدْ بُلِّيتُ بِحَبِّهِ وَبِالْخَوْفِ عَلَيْهِ مِمَّا
 قَدْ بُلِيَ بِهِ مِنَ الْقَمَارِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِيهِ² :

[من مجزوء الوافر]

مُحِبِّبٌ شَقَّهَ أَلْمَةُ وَخَامَرَ جِسْمَهُ سَقَمَةُ
 وَبَاحَ بِمَا يُجَمِّعُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ مَكْتَمَةُ
 أَمَّا تَرْتَنِي لِمَكْتَبِ يُجِئُكَ لَحْمُهُ وَدَمُهُ
 يَغَارُ عَلَى قَمِيصِكَ حَيٍّ مَنْ تَلْبَسُهُ وَيَتَّهَمُهُ

[يدرك جنونه]

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَيْضًا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ السَّرِيِّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ أَطَالَ الْغَيْبَةَ عَنْ بَغْدَادٍ وَقَدْ وُضِئَ
 خَالِدٌ ، فَمَرَّ بِهِ فِي الرُّصَافَةِ وَالصَّبِيَّانَ يَصِيحُونَ بِهِ : يَا غَلَامَ الشَّرِيطِيِّ يَا خَالِدَ الْبَارِدِ ! وَيَرْجِعُ
 إِلَيْهِمْ فَيَضْرِبُهُمْ وَيَزِيدُ وَيُرْمِيهِمْ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا الْهَيْثَمِ ؟ قَالَ : كَمَا تَرَى ! فَقُلْتُ
 لَهُ : فَمَنْ تُعَاشِرُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : مَنْ أَحْذَرُهُ ، فَعَجِبْتُ مِنْ جَوَابِهِ مَعَ اخْتِلَالِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا قُلْتَ
 بَعْدِي مِنَ الشَّعْرِ ؟ قَالَ : مَا حَفَظَهُ النَّاسُ وَأَنْسِيَتْهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلِي³ :

[من الخفيف]

1 ديوانه : 522 .

2 ديوانه : 530 .

3 ديوانه : 160 .

كَبِدْ شَفَهَا غَلِيلُ التَّصَابِي بَيْنَ عَذَابٍ وَسَخْطَةٍ وَعَذَابٍ¹
 كُلُّ يَوْمٍ تَذْمِي بِجَرَحٍ مِنَ الشَّو قِ وَنَوْعٍ مَجْدِدٍ مِنْ عَذَابٍ²
 يَا سَقِيمَ الْجَفُونِ أَسَقَمْتَ جَسْمِي فَاشْفَنِي كَيْفَ شِئْتَ ، لَا بِكَ مَا بِي
 إِنْ أَكُنْ مَذْنِبًا فَكُنْ حَسَنَ الْعَفْ وَ أَوْ اجْعَلْ سَوَى الصُّدُودِ عَقَابِي

ثم قال : يا أبا جعفر ، جنت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ؛ وهذا كلامك لي ونظمك .

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيّب ، قال : حضرت جنازة بعض جيرانني ، فلقيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدني ، فذهب ليهرُب مني ، فغمزت على يده غمزة أوجعته ، فقال : خلّ عني أنشدك ، فأرخيت يدي عن يده ، فأنشدني³ :

لَمْ تَرَ عَيْنَ نَظَرْتُ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِهِ
 النُّورُ وَالنَّعْمَةُ وَالنَّدَى نَعْمَةٌ فِي مَخْبَرِهِ⁴
 لَا تَصِلُ الْأَلْسُنُ بِالْـ وَصَفٍ إِلَى أَكْثَرِهِ
 كَيْفَ بَمَنْ تَنْتَسِبُ الشَّـ مَسُ إِلَى جَوْهَرِهِ

[ينشد شعراً لأبي تمام ، ثم ينشد شعراً عارضه به]

حدثني عمي ، رحمه الله ، قال : مرّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إلي فقال : فرّق هؤلاء عني ، ففعلت ، وألحّت عليه جارية تصيح : يا خالد يا بارد ! فقال لها : مُرِّي يا منتنة الكُسِّ ، ويا مَنْ كُسَّهَا دُس . فقلت له : يا أبا الهيثم ، أيُّ شيء معنى «دس» هاهنا ؟ قال : تشتهي الأير الصغير والكبير والوسط ، ولا تكره منها شيئاً . وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهي ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا ، فأقبل عليّ خالد متمثلاً فقال⁵ :

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حَقِّي ولا قارِعِ سَنِي

1 وعذاب في الديوان : وعقاب .

2 الديوان : فكل الحشا بها في عذاب .

3 ديوانه : 228 .

4 النعمة بفتح النون : الترف .

5 البيت لأعشى بني ربيعة وقد تقدّم في ترجمته 18 : 105 .

فاحتَبَسْتُهُ عِنْدِي يَوْمِي ذَلِكَ . فَلَمَّا شَرِبَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، أَنْشَدْنَا لِأَبِي تَمَّامٌ¹ : [من الكامل]

أَحْبَابِهِ لِمَ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ	مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ؟
مَطَرٌ مِنَ الْعِبَرَاتِ خَدَّيْ أَرْضُهُ	حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقْلَتَايَ سَمَاءُهُ
نَفْسِي فِدَاءٍ مُحَمَّدٍ وَوِقَاؤُهُ	وَكَذِبْتُ ، مَا فِي الْعَالَمِينَ فِدَاؤُهُ
أَزْعَمْتُ أَنَّ الْبَدْرَ يَحْكِي وَجْهَهُ	وَالْغَصْنَ حِينَ يَمِيدُ فِيهِ مَأْوُهُ ²
اسْكُتْ فَأَيْنَ بِهَآؤُهُ وَكَلَّهِ	وَجَمَالُهُ وَحَيَاؤُهُ وَضِيَآؤُهُ ³
لَا تَقْرَأُ أَسْمَاءَ الْمَلَاخَةِ بَاطِلًا	فِيْمَنْ سِوَاهُ فَإِنَّهَا أَسْمَاؤُهُ ⁴

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم ، يعني خالد نفسه ، فقال⁵ : [من الوافر]

فَدَيْتُ مُحَمَّدًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ	يَحَازِرُ فِي رَوَاحٍ أَوْ عُدُوٍّ
أَيَا قَمَرَ السَّمَاءِ سَفَلْتُ حَتَّى	كَأَنَّكَ قَدْ ضَجِرْتَ مِنَ الْعُلُوِّ
رَأَيْتُكَ مِنْ حَبِيبِكَ ذَا بَعَادٍ	وَمِمَّنْ لَا يُجِيبُكَ ذَا دُنُوٍّ
وَحَسْبُكَ حَسْرَةٌ لَكَ مِنْ حَبِيبٍ	رَأَيْتَ زَمَامَهُ بِيَدَيْ عَدُوٍّ

هكذا أخبرني عمِّي عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُرَوَى لِأَبِي تَمَّامٍ .

[نوجه لصديق عليل]

وقال ابن أبي طلحة : حَدَّثَنِي الْهَلَالِيُّ ، قَالَ : مَرَرْتُ بِخَالِدٍ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ يُنْشِدُهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْهَيْثِمِ ، سَلَوْتُ عَنْ صَدِيقِكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : فَإِنَّهُ عَلِيلٌ وَمَا عُذَّتُهُ . فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ⁶ : [من الخفيف]

زَعَمُوا أَنَّنِي صَحَوْتُ وَكَلَّا	أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّنِي لَنْ أَمَلَّا
كَيْفَ صَبْرِي يَا مَنْ إِذَا ازْدَادَ تَيْهًا	أَبْدَأُ زِدَّتُهُ خَضُوعًا وَذُلَّا

ثم قال : احفظه وأبلغه عني⁷ : [من الوافر]

1 ديوان أبي تَمَّامٍ (عطية) : 381 .

2 البدر في الديوان : الطنبلي .

3 الديوان :

اسكت فأين ضيآؤه وبهآؤه وذكاؤه ووفآؤه وحياؤه

4 الديوان : لا تغني أسماء الملاحه والحجي .

5 ديوان خالد الكاتب : 535-536 وديوان أبي تمام : 415 .

6 ديوان خالد الكاتب : 360 .

7 ديوانه : 354 .

يَجْسِمِي لَا يَجْسِمُكَ يَا عَلِيلُ وَيَكْفِينِي مِنَ الْأَلَمِ الْقَلِيلُ
تَعْدَاكَ السَّقَامُ إِلَيَّ إِنِّي عَلَى مَا بِي لِعَادِيهِ حَمُولُ¹
إِذَا مَا كُنْتُ يَا أُمْلِي صَحِيحاً فَحَالَفَنِي وَسَالَمَكَ النَحْوُ
أَلَسْتُ شَقِيقَ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي عَلَى أَنِّي لِعِلَّتِكَ الْعَلِيلُ

[غزله بـغلام]

قال : وحدثني العباس بن يحيى أنهم كانوا عند علي بن المعتصم ، فغني في شعر لخالد ، فأمر بإحضاره ، وطلب فلم يوجد ، فوجه إلى غلام كان يتعشقه فأحضر ، وسأله عنه فدل عليه ، وقال : كنا نشرب إلى السحر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي ، ودكانه مألّف للعلمان المرد والمغنين . فبعث إليه فأحضر . فلما جلس أخرج علي بن المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دلنا عليك ؛ وهو يزعم أنك تعشقه ، فقال له الغلام : نعم أيها الأمير ، لو لم يكن من فضيحتي إياي إلا أنه إذا لم يوجد أحضرتُ وسُئلت عنه . فأقبل عليه خالد وقال :

يَا تَارِكَ الْجِسْمِ بِلَا قَلْبٍ إِنْ كُنْتُ أَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي
يَا مَفْرِداً بِالْحُسْنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بِطُولِ الشَّوْقِ وَالْحُبِّ
إِنْ تَكُ عَيْنِي أَبْصَرْتَ فِتْنَةً فَهَلْ عَلَى قَلْبِي مِنْ عَتَبٍ
حَسْبُكَ اللَّهُ لِمَا بِي كَمَا أَنْتَ فِي فَعْلِكَ بِي حَسْبِي

لجحظة فيه رمل ، فاستحسن علي الشعر ، وأمر له بخمسين ديناراً .

[اعتذار لغلام]

قال : حدثني ابن أبي المدور أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب ، وأنه دخل عليهم غلام من أولاد الكتاب ، فلما رأى خالداً أعرض عنه ، فقلت له : لِمَ أعرضت عن أبي الهيثم ؟ فقال : والله لو علمت أنه هاهنا ما دخلت إليكم ، ما يبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا مَنْ هَتَكَ . فقال لي خالد : أَلَا تُعِينَنِي عَلَى ظَلَمِي ؟ فقلت : بلى والله أعينك ، فأقبل على الفتى وقال² :

صوت

هَيْنِي أَسَاؤُ فَكَانَ ذَنْبِي مِثْلَ ذَنْبِ أَبِي لَهَبٍ

1 لعاديه في الديوان : لعادته .

2 ديوانه : 483 .

فَأَنَا أَتُوبُ وَكَمْ أَسَأْتُ تَ وَكَمْ أَسَأْتُ وَلَمْ تُتَّبِ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفه له حتى أقبل عليه وكلمه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسرَّ بقيَّةَ يومه .

في هذين البيتين لأبي العنَّس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

[تفاحة معضوطة]

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسي أنَّ عليَّ بن المعتصم دَعَا خالداً يوماً وهو يشرب ، وقد أخرجت إليه وصيفةٌ من وُصفاء حَظِيَّتِهِ تفاحة مَعْضُوزة مَغْلَفة بعثت بها إليه سَتُها ، فقال¹ :

أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها	تفاحةٌ خرجت بالدُّرِّ مِنْ فِيهَا
كَأَنَّمَا قُطِفَتْ مِنْ خَدٍّ مُهْدِيهَا	بيضاء في حمرة عُلَّتْ بِغَالِيَةِ
رُوحِي مِنَ السَّوِّءِ وَالْمَكْرُوهِ تَقْدِيهَا	جاءتُ بِهَا قَيْنَةً مِنْ عِنْدِ غَانِيَةِ
إِذَا لَأَسْرَعْتُ مِنْ لَحْدِي أَلْبِيهَا	لو كنتُ مِثْلًا وَنَادَنْتُ بِنِغْمَتِهَا

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات ، وغنِّي فيها ، وأمرَ لهُ بتخت ثياب وخمسين ديناراً .

[426] - أخبار المسدود¹

[شجي الصوت حاضر البديهة]

المسدودُ من أهل بغدادَ ، وكان منزله في ناحية درب الفضل ، في الموضع المعروف
بخراب المسدود ، منسوبٌ إليه .

وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن ، وكنيته أبو عليّ ، وأن أباه كان قصّاباً ، وأنه كان
مسدودَ فردٍ منخرٍ ومفتوحٍ الآخر ، وكان يقول : لو كان منخرٍ الآخر مفتوحاً لأذهلت
بغنائي أهل الحُلوم وذوي الألباب ، وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاذه .
قال جحظة : وكان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنين
بطنبور ما كسبه . وكان مع يساره وقلة نفقته يُقرض بالعينة² . وكانت له صنعة عجيبة ،
أكثرها الأهازج . قال جحظة : قال لي مخارق غلامه : قال لي ، وقد صنع هذين البيتين وهما
جميعاً هزج :

صوت

مَنْ رَأَى الْعَيْسَ عَلَيْهَا الرَّحَالُ إِضْمُ قَصْدٌ لَهَا أَمْ أَثَالُ³
لَسْتُ أَدْرِي حَيْثُ حَلُّوا وَلَكِنْ حَيْثَمَا حَلُّوا فَتَمَّ الْجَمَالُ

والآخر :

عُجْ بِنَا نَجْرَ بِطَرْفِ الْ عَيْنِ تَفَاحَ الْخُدُودِ
وَنَسَلُ الْقَلْبِ عَمَّنْ حَظُّنَا مِنْهُ الْكُدُودُ⁴

ثم قال : والله لا تركتُ بعدي من يهزج . قال جحظة : والله ما كذب !

[نفيه إلى عُمان]

أخبرني جحظة ، قال : كان الواثق قد أذن لجلسائه ألا يردُّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه ،
فغنى الواثق يوماً⁵ :

1 انظر وفيات الأعيان 2 : 268 .

2 العينة : ضرب من الربا .

3 إضم : أسفل وادي المدينة . وأثال : بلدة وواد .

4 الكدود : الكثير الكد والبخیل .

5 ديوان مجنون ليلى : 135 .

[من الطويل]

نظرتُ كأنِّي من وراء زُجاجةٍ إلى الدَّارِ مِن ماء الصبابة أنظرُ
وقد كان النبيذُ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال : أنت تنظر أبداً من وراء
زجاجة ، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن . فغضب الواصل من ذلك وكان في عينيه
بياض ، ثم قال : خذوا برجل العاض بظُر أمه ، فسحب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى
عُمان الساعة . فنفي من وقته وحدير ومعه المؤكلون . فلما سلّموه إلى صاحب البصرة ، سأله
أن يُقيم عنده يوماً ويغنيه ، ففعل .

فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال : احذروني يا أهل البصرة على حرّمكم ، فقد دخلتُ إلى
بلدكم وأنا أزنّي خلق الله . قال : فقال له الجَمّاز : أما يعني أنّه أزنّي خلق الله أمّا ؟ فغضب
المسدود ، وضرب بطنبوره الأرض وحلف ألا يغني . فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج
الجماز وكل من حضر ، فأبى وليج فأحدره إلى عُمان .

[الواصل يطلب إحضاره]

ومكث الواصل لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلما جاءه الرسول ووصل
إلى الواصل قبل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه . فأمره بالجلوس ثم قال
له : حدّثني بما رأيتَ بعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أطرف منه ، وأعاد عليه حديثه
بالبصرة . فقال له الواصل : قبحك الله ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سَوْقة وأنا ملك ، وكنت
صاحياً وكنت مُتشيئاً وبدأت القوم فأجابوك . فبلغ بك الغضب ما ذكرته وما بدأتك فتجيبني ،
وبدأتني ، من المزح ، بما لا يحتمله النظر لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها مازحة خليفة وإن أذن
لك في ذلك ، فليس كل أحد يحضره حلمه كما حضرني فيك .

[رقعة في هجاء الواصل ورقعة في حاجته]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدّثني عَوْن بنُ محمد ، قال : سمعتُ حمدون بن
إسماعيل يقول : لم يكن في الخلفاء أحد أحلم من الواصل ، ولا أصبر على أذى وخلاف . وكان
يُعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري . فوجد المسدود من ذلك ، فكان يُلغيه عنه ما يكره
ويتجاوز عنه . وكان المسدود قد هجاه ببيتين ، فكانا معه في رقعة ، وفي رقعة أخرى حاجة له
يريد أن يرفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنّها رقعة الحاجة ،
فقرأها وفيها :

مِنَ المسدودِ في الأنفِ إلى المسدودِ في العينِ
أنا طَبْلٌ له شيقٌ فيا طَبْلًا بشيقينِ

فلما قرأ الرقعة عليم أنّها فيه ، فقال للمسدود : خلطت في الرقعتين ، فهات الأخرى

وخذ هذه واحترز من مثل هذا . والله ما زاده على هذا القول .
[أجوبة موجعة]

أخبرني جحظة ، قال : تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لا ناه ولا زاجر ، يُعرض له بليلة قتل فيها المتوكّل ، فأغضى المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد : غنّ يا مسدود ، قال : نعم يا مفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابل ؟ قال : قدّامك ، أطعمك الله من ثمرها .
قال : وغنّى بين يدي المتوكّل ، فسكّته وقال لبكران الشيرى : تغنّ أنت . فقال المسدود : أنا أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكّل ما قال .
وقدّم إليه طبّاخ المتوكّل طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : أيّ شيء تشتهي حتى أجيئك به ؟ قال : خبزاً . فبلغ ذلك المتوكّل ، فأمر بالطبّاخ فضرب مائتي مفرقة .
قال جحظة : وحدثني بعض الجلساء أنّه لما وضع الطبّاخ الرغيفين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين النير ؟

قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب ، فارتبطه ليلته ، فلمّا كان من غدٍ نفق . وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب ، فيهب ما قرب أجله منها .
قال : واستوهب من بعض الرؤساء وبرا ، فأعطاه سموراً قد قرع بعضه ، فردّه وقال : ليس هذا سموراً ، هذا أشكر¹ .

صوت

[من الطويل]

أجدك ما تغفو كلوم مضيّة على صاحبٍ إلا فُجعتُ بصاحبٍ
تقطّع أحشائي إذا ما ذكرتهم وتنهلّ عيني بالدموع السواكب
عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيّاش ، والغناء لحكم ، وله في الحنان : رمل
بالنصر ، وهزج بالوسطى .

1 أشكر : لعلها أشكر . بضمّ الهزّة والكاف ، وهو الأديم الأبيض .

[427] - أخبار سلمة بن عيَّاش¹

سلمةُ بن عيَّاش مولى بني حِسل بن عامر بن لؤيٍّ . شاعرٌ بصريٌّ من مخَضرمي
الدولتين ، وكان يتدبَّر ويتصوَّن ، وانقطع إلى جعفر ، ومحمد ابني سليمان بن علي بن
عبدالله بن عباس ، ومدحهما فأكثر وأجاد . ومِمَّا مدحهما به وفيه غناء قوله : [من الطويل]

صوت

أَرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانٍ ليرق سرى بعد الهدوء يمانٍ²
يُضيء بأعلام المدينة هُمداً إلى أمجٍ فالطلح طلح قنانٍ³
غنى في هذين البيتين دحمان ، ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن
لعطرد يقول فيها : [من الطويل]

ورَدْتُ خَلِيجِي جعفرٍ ومحمدٍ وكلَّ بديءٍ من نداءه سقاني⁴
وإنِّي لأرجو جعفرأ ومحمدأ لأفضل ما يُرجى له مَلكانٍ
هُما أبنا رسول الله وابنا ابن عمه فقد كَرُم الجَدانِ والأبوانِ
ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله : [من الطويل]

صوت

أَنَارَ بَدَتَ وَهناً لعينك تَرْمِضُ ببغداد أم سارٍ من البرقِ مُومِضُ⁵
يضيء سناه مكفهرأ كأنه حناتِمُ سودأ أو عِشارُ تَمَخُضُ⁶
غنى فيهما عطرد ثقيلأ أول ؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول
فيها : [من الطويل]

-
- 1 ترجمة سلمة بن عيَّاش في الوافي 15 : 325 وانظر الحماسة الصغرى : 156 وابن الشجري : 80 وأعلام الزركلي .
 - 2 أبان : جبل .
 - 3 أمج موضع : والطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وهناك موضع آخر بين مكة واليمامة .
 - 4 بديء : عجيب .
 - 5 ترمض : تشتعل .
 - 6 الحناتم : جمع حنتم ، وهو السحابة السوداء .

وَلَوْلَا انتظاري جعفرًا ونواله لَمَا كَانَ فِي بَغْدَادَ مَا أَتَبَرَّضُ¹
 وَقَدْ وَجَدْتُ هَذَا الشَّعْرَ لِابْنِ الْمُؤَلَّى فِي جَامِعِ شَعْرِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ ، وَأُظَنَّ ذَلِكَ الصَّحِيحَ ،
 لَا مَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ أَنَّهَا لِسَلْمَةَ بْنِ عِيَّاشَ :
 [أَعْطَى الْفَرَزْدَقُ بَيْتًا]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ وَغَيْرُهُ ، قَالَ : قَالَ
 سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ ، وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : عَنْ عَسَلِ بْنِ ذَكْوَانَ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ
 الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ عِيَّاشَ مَوْلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ
 السَّجْنَ ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، وَقَدْ قَالَ قَصِيدَتَهُ² :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَغْرُ وَأَطْوَلُ
 وَقَدْ أَفْجِمَ وَأَجْبَلَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا أُرْفِدُكَ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ ذَاكَ عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، ثُمَّ
 قُلْتُ :

بَيْتُ زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِيعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
 فَاسْتَجَادَ الْبَيْتَ وَغَاضَهُ قَوْلِي لَهُ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ قَرِيشٍ ، فَقَالَ : كُلُّ أَيْرٍ
 حِمَارٍ مِنْ قَرِيشٍ ! فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، قَالَ : لِفَامٍ وَاللَّهُ رَضْعَةٌ³ ،
 جَاوَرَتْهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَمَا أَحْمَدُهُمْ . فَقُلْتُ : الْأُمُّ وَاللَّهُ مِنْهُمْ قَوْمُكَ وَأَرْضُكَ . جَاءَ رَسُولُ مَالِكِ بْنِ
 الْمُنْذَرِ وَأَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَشَاعِرُهُمْ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِكَ يَقُودُكَ حَتَّى احْتَبَسَكَ فَمَا اعْتَرَضَهُ أَحَدٌ ، وَلَا
 نَصْرَكَ . فَقَالَ : قَاتِلْكَ اللَّهُ مَا أَنْكَرَكَ ! وَأَخَذَ الْبَيْتَ ، فَأَدْخَلَهُ فِي قَصِيدَتِهِ .
 [غَزَلَهُ بِرَبْرِ الْمَغْنِيَةِ]

أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْكَرَّانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ :
 حَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ ، قَالَ : كَانَ سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ،
 وَجَارِيَةٌ تَغْنِيهِمْ وَتَسْقِيهِمْ يُقَالُ لَهَا : بِرْبَرٌ ، فَقَالَ سَلْمَةُ⁴ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلاَقِي مِنَ الْقَلِيلِ لِأَهْلِي وَمَا لَاقَيْتُ مِنْ حَبِّ بَرْبِرٍ
 عَلَى حِينٍ وَدَعْتُ الصَّبَابَةَ وَالصَّبَا وَفَارَقْتُ أَخْدَانِي وَشَمَرْتُ مِثْرَ بَرْبِرٍ

1 يتبرض : يتبع بالقليل من العيش ، ويأخذ الشيء قليلاً قليلاً .

2 بيت الفرزدق والبيت الذي رقه به سلمة في ديوان الفرزدق .

3 رضعة : لثام .

4 أكثر الشعر المنسوب إلى سلمة في بربر سبق أن ورد لمطيع بن إياس في جوهر ضمن ترجمته 13 : 193 .

نأى جعفرُ عنا وكان لِثُلِّها وأنتَ لنا في النائباتِ كجعفرٍ

[رثاء محمد بن سليمان]

قال : فقال محمد بن سليمان لِسلمة : خذها ، هي لك ، فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها فألح عليه في أخذها . فقال : أعتق ما أمْلِك إن أخذتها ، فقال له أبو سفيان : يا سخينَ العين ، أعتق ما تَمْلِك وخذها ، فهي خير من كلِّ ما تملك ، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال :

لَعَمْرُكَ لا تَعْفُو كُلُّوْمُ مَصِيبةٍ على صاحبٍ إلَّا فُجِعْتُ بِصاحبٍ
تَقَطَّعُ أَحْشائي إِذا ما ذَكَرْتكم وتَهَلَّ عيني بالدموعِ السواكِبِ
وَكُنْتُ امرءاً جَلِداً على ما يُنَوِّني ومَعْتَرِفاً بالصبرِ عِنْدَ المصائبِ
فَهَذَا أَبُو سَفِيانَ رُكْنِي ولم أَكُنْ جَزَوْعاً ولا مُسْتَكْرِراً للنوائِبِ
غَنِينا مَعاً بِضْعاً وَستينَ حِجَّةٍ خَلِيلِي صَفاءً وَدُنْياً غيرُ كاذِبٍ¹
فَأَصْبَحْتُ لَمَّا حَالَتِ الأَرْضُ دُونَهُ على قُرْبِهِ مِنِّي كَمَنْ لَمْ أَصاحبِ

وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان أنَّ محمد بن سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأنَّ أبا أيوب قد وطئها .

[بينه وبين أبي حية النميري]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدَّثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنَّه قال : قلت لأبي حية النميري أهزأ به : ويحك يا أبا حية ! أتدري ما يقول الناس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنَّي أشعر منك ، قال : إنا لله ! هلك والله الناس .

[شعر ينسب إليه في بربر]

وفي بربر هذه يقول سلمة بن عياش ، وفيه غناء ، وذكر عمر بن شبة أنَّه لمطيع بن إياس :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أظنُّ الحبَّ من وَجْدِي سيقْتُلُنِي على بَرِّرٍ

وَبَرَّزُ دُرَّةُ الْغَوَا صِرَ مَنْ يَمْلِكُهَا يُحْبِرُ
فَخَافِي اللَّهِ يَا بَرَّزُ فَقَدْ أَفْتَنَتْ ذَا الْعَسْكَرُ
يُحْسِنُ الدَّلَّ وَالشَّكْلَ وَرِيحَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرُ
وَوَجْهِ يُشَبِّهُ الْبَدْرَ وَعَيْنِي جُوذُرُ أَحْوَرُ

فيه لحكم ثلاثة ألحان : رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات ، وهزج عن أبي أيوب المدني .

[مطيع يهجو جوهر جارية بربر]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : بربر جارية آل سليمان أعتقت ، وكان لها جوار مغنيات ، فيهم جارية اسمها جوهر ، وكان في البصرة فتى يعرف بالصخاف ، حسن الوجه ، فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر ، فغاضه ذلك ، فقال :

نَاكَ وَاللَّهِ جَوْهَرَ الصَّخَّافُ وَعَلَيْهَا قَمِيصُهَا الْأَفْوَافُ¹
شَامَ فِيهَا أُيْرًا لَهُ ذَا ضُلَاع لَمْ يَخْنَهُ نَقْصٌ وَلَا إِخْطَافُ²
زَعَمُوهَا قَالَتْ وَقَدْ غَابَ فِيهَا قَائِمًا فِي قِيَامِهِ اسْتِحْصَافُ³
وَهُوَ فِي جَارَةٍ اسْتَهَا يَتَلَطَّى وَبِهَا شَهْوَةٌ لَهُ وَالتَّهَافُ
بَعْضَ هَذَا مَهْلًا تَرَفَّقَ قَلِيلًا مَا كَذَا يَا فَتَى تَنَاكَ الظَّرَافُ

قال : وقال فيها ، وقد وجَّهت بجواريتها إلى عسكر المهدي :

[من مجزوء الوافر]

خَافِي اللَّهِ يَا بَرَّزُ فَقَدْ أَفْسَدَتْ ذَا الْعَسْكَرُ
أَفْضَتِ الْفِسْقَ فِي النَّاسِ فَصَارَ الْفَسْقُ لَا يُنْكَرُ
وَمَنْ ذَا يَمْلِكُ النَّاسَ إِذَا مَا أَقْبَلْتُ بَرَّزُ
وَأَعْطَافُ جَوَارِيهَا كَرِيحَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرُ
وَجَوْهَرُ دُرَّةُ الْغَوَا صِرَ مَنْ يَمْلِكُهَا يُحْبِرُ
أَلَا يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ زِدْتَ عَلَى الْجَوْهَرُ

1 الثوب الأفواف : الرقيق .

2 في ترجمة مطيع : ذا ضلوع . إخطاف : خطأ .

3 استحصاف : شدة وانتصاب ، واستحصف الحبل : قتله .

وقد أكملك الله بحسن الدّل والمنظر
إذا غيّت يا أحسَّ من خلق الله بالمزهر¹
فهذا حزنًا يبكي وهذا طربًا يكفر
وهذا يشرب الكأس وذا من فرح ينير
ولا والله ما المهدي أولى منك بالينير
فما عشت فقي كفي لك خلع ابن أبي جعفر

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها وسلها ألا
تخلعنا ما عاشت .

قال : وفي جوهر يقول مطيع :

جارية أحسن من حليها وفيه فضل الدرّ والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر ممكورة² يا حبذا ما جلبت بربر²

قال : وقال فيها :

أنت يا جوهر عندي جوهرة في بياض الدرّة المشتهرة
وإذا غئت فنار أضرمت قدححت في كل قلب شرّة

صوت

[من الخفيف]

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
إن يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسُه بسعد السعود

الشعر لأبي العتاهية³ يمدح محمد الأمين ، والغناء لإسحاق ، ثقیل أول بالنصر عن
عمرو بن بانة وإسحاق .

1 المزهر : العود .

2 ممكورة : ممتلئة الساقين .

3 ديوان أبي العتاهية : 526 .

[428] - أخبار لأم جعفر

[أبو العتاهية ينشدها]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا العلاءي ، قال : حدثني محمد بن أبي العتاهية ، قال : لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية¹ : [من الخفيف]

يا ابن عم النبي خير البرية إنما أنت رحمة للرعية
يا إمام الهدى الأمين المصفى بلباب الخلافة الهاشمية
لك نفس أمانة لك بالخير ر وكف بالمكرمات ندية
إن نفساً تحملت منك ما حمى لت للمسلمين نفس قوية

قال : ثم خرج إلى دار أم جعفر ، فقالت له : أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين ، فأنشدها .
فقالت : أين هذا من مدائحك في المهدي والرشد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه : [من الخفيف]

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
والذي فيه ما يسلي ذوي الأح زان عن كل هالك مفقود
إن يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسُه بسعد السعود
فقالت له : الآن وفيت المدح حقّه ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم .

[أبو العتاهية يستنجز أم جعفر وظيفته]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدثني محمد بن موسى اليزيدي ، قال : حدثني محمد بن الفضل ، قال : كان المأمون يوجه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة بمائة ألف دينار جدد وألف ألف درهم ، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلته سنة ، فدفع إلي رقعة وقال : ضعها بين يديها فوضعتها ، وكان فيها² : [من الرمل]

خبروني أن في ضرب السنة جُددًا بيضاً وصفراً حسنة
سيككاً قد أحدثت لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنة
فقالت : إنا لله ! أغفلناه . فوجهت إليه بوظيفة على يدي .

[استعطاف المأمون لأم جعفر]

حدثني محمد بن موسى ، قال ، حدثنا جعفر بن الفضل الكاتب ، قال : أحسّت زبيدة

1 ديوان أبي العتاهية : 680 .

2 ديوان أبي العتاهية : 649-650 .

من المأمون بجفاء ، فوجهت إلى أبي العتاهية تعلمه بذلك ، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطّفه عليها ، فقال¹ :

صوت

ألا إنَّ ريبَ الدهرِ يُدني ويُعدُّ ويؤنس بالآلاف طوراً ويُفقدُ
أصابَتْ لريبِ الدهرِ مني يدي يدي فسَلِمْتُ للأقدارِ واللهُ أَحمدُ
وقلتُ لريبِ الدهرِ إنَّ ذهبَتْ يَدُ فقد بقيتُ والحمدُ لله لي يَدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ولي جعفرٌ لم يفقدوا ومحمدُ
الغناء لعلّويه .

قال : فحسنُ موقع الأبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه .

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب :

حدّثني هارونُ بنُ مُخارق ، قال : حدّثني أبي ، قال : ظهرتْ لأمّ جعفر جفوة من المأمون ، فبعثت إليّ بأبيات وأمرتني أن أغنيّ فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأسنت لي الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلت . فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكي ورق لها ، وقام من وقته فدخل إليها فأكبّ عليها ، وقبلت يديه ، وقال لها : يا أمّه ، ما جفوتك تعمداً ، ولكن شغلّت عنك بما لا يمكن إغفاله . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إذا حسنَ رأيك لم يوحشني شغلك ، وأتمّ يومه عندها ، والأبيات :

ألا إنَّ ريبَ الدهرِ يُدني ويُعدُّ ويؤنس بالآلاف طوراً ويُفقدُ
وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول .

[أبو العتاهية ينظم على لسانها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحسن بن عليّ الرازي ، قال : حدّثني أبو سهل الرازي عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدّم المأمون بغداد ، أوّلُه² :

لخيرٍ إمامٍ قامَ من خيرٍ عنصرٍ وأفضلٍ راقٍ فوق أعوادٍ منبرٍ³

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتّاب السلطان : أن المأمون لما قدّم مدينة السلام ، واستقرّت به الدار ، وانتظمت له الأمور ، أمرت أمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعثت بها

1 ديوان أبي العتاهية : 518-519 .

2 ديوان أبي العتاهية : 549 .

3 الديوان : وأفضل بسام على . . .

إلى علويّه ، وسألته أن يصنع فيها لحناً ، ويغني فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك ممّا عطفه عليها ، وأمرت لعلويّه بعشرين ألف درهم . وقد روي أن الأبيات التي أولها :
يا عمود الإسلام خير عمود

لعيسى بن زينب المراكبي .

[تنفس عيسى المراكبي]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدّثنا علي بن نجيج ، قال : حدّثني صالح بن الرشيد ، قال : كنّا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانة يغنيان ، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر ، وكان مشهوراً بالأبنة ، فتغنّى عقيد بشعر عيسى :

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود

لك عندي في كل يوم جديد طرفة تستفاد يا ابن الرشيد

فقال المأمون لعقيد : أتشد باقي هذا الشعر ، فقال : أصون سمع أمير المؤمنين عنه ، فقال :
هاتيه ويحك ! فقال :

كنت في مجلس أتيق ورّيحاً ن وراح ومُسِمعاتٍ وعود

فتغنّى عمرو بن بانة إذ ذا ك وهو ممسكٌ بأبَر عقيد

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود

فتنفست ثم قلت كذا كل محب صبّ الفؤاد عميد

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أُر عقيد : لأي شيء هو ؟ لا بدّ من أن يكون ذلك إشفافاً عليه ، أو على أن تكون مثله ، لعن الله تنفسك هذا يا مُريب ! قال : وإنما سُمّي المراكبي لتوليّه مراكب المنصور ، وأمّه زينب بنت بشر ، صاحب طاقات بشر بباب الشام .

صوت

[من المتقارب]

لقيت من الغانيات العُجبا لو ادرك منّي العذارى الشببا

علام يكحلن حور العيون ويحدثن بعد الخضاب الخضابا

ويترقن إلّا لما تعلمون فلا تمنعن النساء الضرابا

الشعر لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي .

[429] - أخبار أيمن بن خريم¹

[اعتزل حرب الجمل وصفيين]

وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي لأبيه صُحبة برسول الله ﷺ ، ورواية عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جد أبيه . وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان أيمن يتشيع ، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفيين وما بعدهما من الأحداث ، فلم يحضرها .

[يهول قوته فيحسده عبد الملك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني النوشجاني عن العمري عن الهيثم بن عدي ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد ، قال² : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنَّ ضُفَّ عن الجماع وازداد غرامه بهنَّ ، فدخل إليه يوماً أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوتك ؟ قال : كما أحب ، والله الحمد ، إني لآكل الجذعة³ من الضأن بالصاع من البرِّ ، وأشرب العسَّ المملوء ، وأرتحل البعير الصعب وأنصيه⁴ ، وأركب المهر الأرني⁵ فأذله ، وأفترع العذراء ، ولا يُقعدني عنها الكبير ، ولا يمنعي منها الحصر⁶ ، ولا يُروني منها الغمر⁷ ولا ينقضي مني الوطر . ففاظ عبد الملك قوله وحسده ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصده بما كره حتى أثر ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصدقتني عن حالك ؟ هل لك جرم ؟ قال : لا والله ، قالت : فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته ؟ فأخبرها ؛ فقالت : إنا لله ! من هاهنا أتيت . أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك . فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما له ؟ قالت :

1 ترجمة أيمن بن خريم في الشعر والشعراء : 453-455 وإصابة 1 : 94 وتهذيب ابن عساكر 3 : 187

وانظر طبقات ابن سلام 6 : 38-39 والمختار من شعر بشار : 211 والتذكرة الحمدونية 8 : 230-231 .

2 وردت هذه الحكاية في المختار من شعر بشار والتذكرة الحمدونية ، والخبر فيهما عن معاوية .

3 الجذعة : الصغيرة من الضأن .

4 أنصيه : أتعبه .

5 الأرني : النشيط .

6 الحصر : الضعف عن النساء .

7 الغمر : القدر الصغير .

والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حاطٍ ؟ وإنَّ له لسنين ما يعرف فراشي ، فسلية أن يفرّق بيني وبينه . فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت ذلك له ، وسأته في أمرها . فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر ، فسأله عما شكّت منه فاعترف به . فقال : أَوَلَمْ أسألك عاماً أوّل عن حالك فوصفت كَيْتَ وكَيْتَ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتجمل عند سلطانه ، ويتجلّد عند أعدائه بأكثر ممّا وصفت نفسي به ، وأنا القائل¹ : [من المتقارب]

لَقِيتُ مِنَ الْغَانِيَاتِ الْعُجَابَا	لَوْ اذْرَكَ مِنِّي الْغَوَايِ الشَّبَابَا
وَلَكِنْ جَمَعَ النِّسَاءَ الْحَسَانِ	عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلَّتْ بِالْمَدِّ لِلْغَانِيَاتِ	وَضَاعَفَتْ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا
إِذَا لَمْ تُنْلِهَنَّ مِنْ ذَاكَ ذَاكَ	جَحَدْنِكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكِتَابَا
يَذْذَنْ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدِ	وَيَصْبَحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صَبْعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالِطَنَّ كُلَّ الْخُلَا	طِ أَصْبَحْنَ مُخْرَنْطَمَاتٍ غَضَابَا ²
عِلَامٌ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعِيُونِ	وَيُحْدِثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا
وَيَعْرُكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهُنَّ	وَيُذْنِبْنَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيُفَرِّقْنَ إِلَّا لِمَا تَعْلَمُونَ	فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرْبَابَا

قال : فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أَوَلَى لك يا ابن خُرَيْم ! لقد لقيتَ منهنَّ تَرَحّاً ، فما ترى أن تصنع فما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العَيْنِ ، وأداريها لعلّي أستطيعُ إمساكها . قال : أفعل ذلك . وردّها إليه ، وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى بَرّه وتقريبه .

[يعتزل المتنازعين من بني أُمَيّة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ أبو دُلْف ، قال : حدّثنا الرياشيُّ ، قال : ذكر العُتَيْبِيُّ أنَّ منازعةً وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان ، فتعصّب لكلّ واحد منهما أخواله ، وتداعوا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه ، يقال له : ابن كُوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك ، فقال : [من الوافر]

أَقْتُلْ بَيْنَ حَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو وبين خصيمه عبدَ العزيزِ

1 الأبيات في الشعر والشعراء والمختار من شعر بشّار وعيون الأخبار 4 : 102 مع تفاوت في العدد واختلاف في اللفظ .

2 اخرنطم : رفع أنفه في استكبار وغضب .

أَتَقْتَلُ ضَلَّةً فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَيَقْبِي بَعْدَنَا أَهْلُ الْكَنُوزِ
لَعَمْرُ أَيْيِكَ مَا أُوتِيتُ رَشْدِي وَلَا وُقِفْتُ لِلْجِرَزِ الْحَرِيرِ
فَإِنِّي تَارِكٌ لِهَمَّا جَمِيعاً وَمَعْتَرِلٌ كَمَا اعْتَزَلَ ابْنُ كُوزِ

[غضبه من يحيى بن الحكم]

أخبرني عمي قال : حدثني الكرائي ، عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، قال : أصاب يحيى بن الحكم جارية في غزاة الصائفة¹ ، بها وضع² ، فقال : أعطوها أيمن بن خريم ، وكان موضحاً ، فغضب وأنشأ يقول³ :

تَرَكْتُ بَنِي مِرْوَانَ تَنْدِي أَكْفَهُمْ وَصَاحِبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِيَا
فَإِنَّكَ لَوْ أَشْبَهْتَ مِرْوَانَ لَمْ تَقُلْ لِقَوْمِي هُجْرًا أَنْ أُتَوِكَ وَلَا لِيَا
وَانصَرَفَ عَنْهُ ، فَأَتَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ ، وَكَانَ يَحْيَى مُحَمَّمًا .

[شعره في بني هاشم]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي الفضل ، قال : حدثني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مِرْوَانَ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الشُّعْرَاءِ تُشَبِّهُونَنَا مَرَّةً بِالْأَسَدِ الْأَبْخَرِ ، وَمَرَّةً بِالْجَبَلِ الْأَوْعَرِ ، وَمَرَّةً بِالْبَحْرِ الْأَجَاجِ ، أَلَا قُلْتُمْ فِينَا كَمَا قَالَ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ :

نَهَارَكُمْ مَكَابِدَةً وَصَوْمَ وَلَيْلَكُمْ صَلَاةً وَاقْتِرَاءً⁴
وَلَيْتُمْ بِالْقُرَانِ وَبِالتَزَكِّي فَاسْرَعَ فِيكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءِ
بَكِي نَجْدًا غَدَاةً غَدِ عَلَيْكُمْ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْجَوَاءَ⁵
وَحَقَّ لِكُلِّ أَرْضٍ فَارِقُوهَا عَلَيْكُمْ لَا أَبَا لَكُمْ الْبَكَاءِ
أَجْعَلْكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءَ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ
وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَرْوُسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ سَمَاءُ

1 غزاة الصائفة : الغزوة في الصيف .

2 وضع : برص .

3 في الشعر والشعراء ثلاثة أبيات .

4 اقتراء : قراءة .

5 الجواء : اليمامة ، ويطلق على أماكن أخرى .

[عبد الملك يؤذي عنه الدية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن زهير ، عن أبي همام الوليد بن شجاع ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : أصاب أيمن بن خريم امرأة له خطأ ، يعني قتلها ، فوداها عبد الملك بن مروان : أعطى ورثتها ديتها ، وكفّر عنه كفارة القتل ، وأعطاه عِدَّةَ جَوار ، ووهب له مالا ، فقال أيمن :

رَأَيْتُ الْغَوَانِيَّ شَيْئًا عَجَابًا	لَوْ أَنَسَ مِنِّي الْغَوَانِيَّ الشَّبَابَا
وَلَكِنْ جَمَعَ الْعَذَارَى الْحَسَانَ	عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلَّتْ بِالْمُدِّ لِلْغَانِيَاتِ	وَضَاعَفَتْ فَوْقَ الثِّيَابِ ثِيَابَا
إِذَا لَمْ تُتْلِهَنَّ مِنْ ذَاكَ ذَاكَ	بَغَيْنَكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكَذَابَا
يَذْدَنْ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدٍ	وَيُصْبِحَنَّ كُلُّ غِدَاةٍ صِعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالِطَنَّ كُلَّ الْخِلَاطِ	تَرَاهَنَّ مُخَرَّنَظِمَاتٍ غِضَابَا
عَلَامٌ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعِيُونِ	وَيُحْدِثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا
وَيَعْرُكَنَّ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهَنَّ	وَيَدْنَيْنَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيَغْمِزْنَ إِلَّا لَمَّا تَعْلَمُونَ	فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرَابَا

قال : فبلغني أنّ عبد الملك أنشد هذا الشعر ، فقال : نعم الشفيح أيمن له .
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، قال : قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر : ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتك ، ولا عَرَفَهِنَّ أحدٌ معرفتك . قال : فقال له : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدقَ الذي يقول¹ : [من الطويل]

صوت

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله فليس له في ودّه نصيبٌ
يُردُّ ثراءَ المالِ حيثُ علمنه وشرُّهُ الشبابِ عندَه عَجيبٌ
فقال له عبد الملك : قد لعمرى صدقتما وأحسستما ، الشعر لعَلْقَمَةَ بن عَبدَةَ ، والغناء لبَسْبَاسَةَ ، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش . وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق أخيه شأس . وخبره يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم .

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

[يهجر عبد العزيز إلى بشر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي ، قال : دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحها بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خريم فقال : كيف ترى شعر مولاي هذا ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . فقال : هو أشعر والله منك . قال أيمن أيها الأمير ؟ فقال : إي والله ، قال : لا والله ، ولكنك طرف¹ ملول . فقال له : لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك . فقال : ائذن لي أيها الأمير في الانصراف ، قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه : [من الوافر]

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى	إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ الْبَرِيدَا
وَلَوْ أَعْطَاكَ بَشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ	رَأَى حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقِمَّ بِبَشْرِ	عُمُودَ الدِّينِ إِنَّ لَهُ عُمُودَا
وَدَغَ بَشراً يُقَوِّمُهُمْ وَيُحَدِّثُ	لَأَهْلَ الزَّيْغِ إِسْلَاماً جَدِيدَا
وَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بَشْرِ	كَأَمِّ الْأَسَدِ مَذْكَاراً وَلُودَا
كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ أَبِي هِرَقْلٍ	جَلَّوْهُ لِأَعْظَمِ الْأَيَّامِ عِيدَا
يُحَالِفُ لُونُهُ دِيبَاجَ بَشْرِ	إِذَا الْأَلْوَانُ حَالَفَتِ الْخُدُودَا

يُعْرِضُ بِنَمَشٍ كَانَ بَوَاجِهَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَبَّلَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ وَوَصَلَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ أَثِيراً عِنْدَهُ . أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ وَأَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ الْعُتْبِيِّ ، قَالَ : لَمَّا أَتَى أَيْمَنُ بْنُ خَرِيمٍ بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ نَظَرَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجاً ، فَقَالَ مَنْ يُؤْذِنُ لَنَا الْأَمِيرَ أَوْ يَسْتَأْذِنُ لَنَا عَلَيْهِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ عَلَى الْأَمِيرِ حِجَابٌ وَلَا سِتْرٌ ، فَدَخَلَ وَهُوَ يَقُولُ : [من الطويل]

يُرَى بَارِزاً لِلنَّاسِ بَشْرٌ كَأَنَّهُ	إِذَا لَاحَ فِي أَثَوَابِهِ قَمَرٌ بَدْرٌ
وَلَوْ شَاءَ بَشْرٌ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونَهُ	طَمَاطُمٌ سَوْدٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ شُقُرٌ ²
أَبَى ذَا وَلَكِنْ سَهَّلَ الْإِذْنَ لِلتِّي	يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

فَضَحِكَ إِلَيْهِ بَشْرٌ ، وَقَالَ : إِنَّا قَوْمٌ نَحْبُبُ الْحُرَمَ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ وَالطَّعَامُ فَلَا ، وَأَمْرُ لَهُ بَعَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

1 طرف : لا يثبت على صحبه .

2 طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة .

[قلة غناء أهل العراق في الحرب]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دُلف ، قال : حدثني الرياشي ، قال : حدثنا الأصمعي عن المعتمد بن سليمان ، قال : لما طالت الحرب بين غزاة وبين أهل العراق وهم لا يُغنون شيئاً ، قال أيمن بن خريم :

أتى منهم مائتا فارس ¹	من السافكين الحرام العبيط ¹
وخمسون من مارات النساء	ء يسجن للمنديات المروطا ²
وهم مائتا ألف ذي قونس ³	يخط العراقان منهم أطيطا ³
رأيت غزاة إن طرحت	بمكة هودجها والغيطا
سمت للعراقين في جمعها	فلاقى العراقان منها بطيطا ⁴
ألا يستحي الله أهل العرا	ق إن قلدوا الغانيات السموطا
وخيل غزاة تسبي النساء	وتحوي النهاب وتحوي النيطا ⁵
ولو أن لوطاً أمير لكم	لأسلمتم في الملمات لوطا

صوت

[من الطويل]

تصليت أم هاجت لك الشوق زينب	وكيف تصابي المرء والرأس أشيب
إذا قربت زادتك شوقاً بقربها	وإن جانبتم لم يسر عنها التجنب
فلا اليأس إن ألمت يبدو فترعوي	ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحة	وفي الأرض عمن لا يواتيك مذهب

الشعر لحجة بن المضرب الكندي ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون . وذكر الزبير بن بكار أنه لإسماعيل بن يسار ، وذكر غيره أنه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البصير ، وفيه ثقل أول بالبصير . ذكر حبش أنه لمالك ، وذكر غيره أنه لمبعد .

1 العبيط : الدم الطري .

2 المنديات : المخزيات . والمروط : جمع مرط ، وهو كساء يؤتزر به .

3 القوس : أعلى الخوذة . ويخط : يصوت .

4 بط الجرح : شقه .

5 النهاب : الغنائم . والنبيت : النبط ، وهم قوم كانوا ينزلون أرياف الحيرة .

[430] - أخبار حجية بن المضرب¹

[مثال في تربية الأيتام]

حدثني ابن عمار ، قال : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق ، عن سعيد بن يحيى الأموي : قال : حدثني الحبر بن قحذم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما قديم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة ، قال : كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث ، قال : لما قتل معاوية بن حذيج الكندي وعمرو بن العاص أبي ، يعني محمد بن أبي بكر بمصر ، جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختلي من مصر . وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر ، وخبره أتم قال .

فقدِم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيت والدَةَ قطّ ولا والدًا أبرَّ منها . فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلسن كل واحدٍ منّا على فخذيها ، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله ، عز وجلّ ، وأثنت عليه . فما رأيت متكلماً ولا متكلّمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها ، ثم قالت : يا أخي إني لم أزل أراك مغرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيّين منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ، ولا تهمّة لك فيهما ، ولا شيء تكرهه ، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء ، وكنا صبيّين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقدرون به من قبيح أمر الصبيان ، فكنت ألطف لذلك وأحقّ بولايته ، فقد قويا على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتیان ، فهاهما هذان فضمّهما إليك ؛ وكن لهما كحجّية بن المضرب أخي كندة ، فإنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أصيبية صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطاهم عليهم ، وكان يؤثّرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفر لم يجد بداً من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب ؛ فقال : اصنعي ببني أخي ما كنتُ أصنعُ بهم . ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً ، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت ؛ فقال لامرأته : ويلك ! مالي أرى بني معدان مهزّيل ، وأرى بني سيماناً ؟ قالت :

1 ترجمة حجية بن مضرب في السمت : 204-205 وانظر خبره وأبياته في شرح الحماسة للرزوقي :

قد كنت أواصي بينهم ، ولكنهم كانوا يعشون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينب لكم ؟ قالوا : سيئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلء هذا القَدَح من لبن ، وأروهُ قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح¹ عليه راعيا إليه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإيلكما لبني معدان . فغضبت من ذلك زينب وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ؛ فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك .
[شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه]

[من الطويل]

لَجِئْنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ
وَحَطَّتْ بِفَرْدِي إِثْمِدٍ جَفَنَ عَيْنَهَا
تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانَهُ
رَحِمْتُ بَنِي مَعْدَانَ أَنْ قَلَّ مَالُهُمْ
وَكَانَ الْيَتَامَى لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُمْ
فَقُلْتُ لِعَبْدِنَا : أُرِيحَا عَلَيْهِمْ
وَقُلْتُ خَذُوهَا وَعَلِمُوا أَنَّ عَمَّكُمْ
عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خِصَاصَةً
أُحَابِي بِهَا مَنْ لَوْ قَصَدْتُ لِمَالِهِ
أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَذْعُهُ لِعَظِيمَةٍ⁷
إِلَى هَاهُنَا رَوَايَةُ ابْنِ عَمَّارٍ .

[بمحاوِل رد زينب]

وفي خير إسحاق قال : فلمَّا بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتُ حتى أتت المدينة فأسلمت ، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب . فقدم حُجَّة المدينة فطلب زينب أن تُردَّ

1 أراح : رد الإبل في الرواح .

2 الحماسة (المرزوقي) : وشد ... والتغيب . ولط : لزم .

3 إليك واغضبي في الحماسة : إليك فلومي .

4 المحصب : مكان رمي الجمار .

5 الحماسة : رأيت ... لا تسد فقورهم . والمشعب : المجبور .

6 الحماسة : ذكرت بهم عظام من لو أتته ... كل مركب .

7 الحماسة : للممة .

عليه ، وكان نصرانياً . فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته ؛ فقال له : إياك وأنَّ يُلغَ هذا عنك عمر فتلقني منه أذى . وانتشر خبر حُجَّة وفشا بالمدينة وعُلمَ فيمَ كان مقدَّمه . فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغني قصَّة ضيفك ، ولقد هممتُ به لولا تحرُّمه بالنزول عليك .
[مدحه الزبير]

فرجع الزبيرُ إلى حُجَّة فأعلمه قول عمر ، فقال حُجَّة في ذلك : [من البسيط]

إنَّ الزُّبيرَ بنَ عَوَّامٍ تداركني منه بسبب كريم سيئه عصم¹
نفسى فداؤك مأخوذاً بحُجَّتِها إذ شاطَ لحمي وإذ زلتُ بي القدم²
إذ لا يقومُ بها إلا فتى أنفُ عاري الأشاجع في عرنيته شمم³
ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كثيراً حزناً ، فقال في ذلك :
تصابيت أمَّ هاجت لك الشوق زينبُ
الآيات المذكور فيها الغناء .

صوت

[من الطويل]

خليلي هُبَّا نَصْطَبِحْ بسوادٍ ونُرُو قُلُوباً هامُهِنَّ صوادٍ
وقولا لساقينا زيادٍ يُرْقُها فقد هزَّ بعضَ القوم سقي زيادٍ
الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالنصر .

1 عصم : جمع عصمة ، وهي المنع والصيانة .

2 الحجة : معقد الإزار . وشاط لحمي : استبيح قتلي .

3 الأشاجع : أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف .

[431] - خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٌ خِلَاسِي¹ ، يقال له : زياد . كان مولداً من مولدي المدينة ، فصيحاً ظريفاً ، فجعله ساقيه ، وذكره هو وغيره في شعره . فممن ذكره من الشعراء دَعْبِلٌ ، وله يقول :

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأنخفش ، عن أبي سعيد السُّكْرِيِّ قال : كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع ، منها قوله :

وقولا لساقينا زيادٍ يُرْقِها

وكان نظيف السَّقْيِ لَبَقاً ، فقال فيه دَعْبِلٌ² :

[من الطويل]

يقول زيادٌ قِفْ بصحبيكَ مرَّةً على الرَّبْعِ ، ما لي والوقوف على الرَّبْعِ !

صوت

[من الطويل]

أدْرِها على فَقْدِ الحبيبِ فرَبَّما شربتُ على نَائِي الأحيَّةِ والفَجْعِ
فما بلغْتَنِي الكأسُ إلَّا شربُها وإلَّا سَقَيْتُ الأرضَ كأساً من الدمعِ
غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالنصر .

[نسبة الصوت إلى غير إسحاق]

قال أبو الحسن : وقد قيل : إن هذين البيتين يعني :

خليليُّ هُبَا نصطيحُ بسواد

للأخطل³ .

[زياد لا يراجع]

أخبرني علي بن سليمان ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قال لي جعفر بن معروف

1 الخِلَاسِيّ : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 ديوان دعبِل (نجم) : 105 عن الأغاني .

3 انظر حاشية القصيدة 136 في ديوان الأخطل ، وسيؤكد إسحاق أن الشعر له ، وإنما اختلط الأمر على الراوي لورود اسم زياد في قصيدة الأخطل .

الكاتب - وكان قد جاوز مائة سنة - : لقد شهدتُ إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يتغنّى هذا الصوت :

خليلي هبّا نصطبِخْ بسوادٍ

وغلامه زياد جالسٌ على مسوِّرة¹ يسقي ، وهو يومئذٍ غلامٌ أُمردٌ أصفر ، رقيق البدن حلو الوجه . ثم أخذ يراجعهُ ولا أحدٌ يستطيع يقول له : زدني ولا أنقصني .

[المنغني يحبُّ أن يقال له أحسنت]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم ، يعني جدَّ أبي ، رحمه الله ، قال : كنت ذات يوم جالساً في منزلي يسرُّ من رأى وعندي إخوان لي ، وكان طريقُ إسحاق في مُضَيِّه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي ؛ فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بالباب ، فقلتُ له : قلْ لَهُ ، ويلك ! يدخلُ ، أو في الخلقِ أحدٌ يُستأذَنُ عليه لإسحاق ؟

فذهب الغلامُ وبادرتُ أَسْعَى في أثره حتى تلقيتهُ ، فدخل وجلس منبسطاً آنساً ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إلى الشُّربِ ، فأحضرنَاه نبيذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أُنَجِّبُ أَنْ أُغْنِيَكُمْ ؟ قلنا : إي والله أطالَ اللهُ بقاءك ، إنا نحبُّ ذلك . قال : فلمَ لمَ تسألوني ؟ قلنا : هِبْنَاكَ والله ! قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعود فأحضرنَاه ، فاندفع فغننا ، فشرينا وطربنا . فلما فرغ قال : أحسنتُ أم لا ؟ قلنا : بلى والله ، جعلنا الله فداك ، لقد أحسنت . قال : فما منعكم أَنْ تقولوا لي : أحسنت !

قلنا : الهيبةُ والله لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإنَّ المنغنيَ يُحبُّ أَنْ يقال له : غَنِّ ، ويحبُّ أَنْ يقال له إذا غنَّى : أحسنت ، ثم غنَّانا صوته :

خليلي هبّا نصطبِخْ بسوادٍ

[إسحاق يعنى زياداً ويروجه]

فقلنا له : يا أبا محمد ، مَنْ هو زياد الذي عنيتَه ؟ قال : هو غلامي الواقف بالباب ، ادَّعُوهُ يا غلمان . فادخلَ إلينا ، فإذا غلامٌ خِلاسيّ ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوها . فأمسكنا عنه ، فقال : أتسألوني عنه فأعزفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أشهدكم أَنَّهُ حرٌّ لوجه الله ، وأنِّي زوَّجته أمتي فلانة ، فأعينوه على أمره . قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألفَ درهم ، أخرجناها له من أموالنا .

[رثاء إسحاق لزياد]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبي ، قال : توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه :

وقولا لإساقينا زيادٍ يُرَقِّها

فقال إسحاق يرثيه : [من الطويل]

فَقَدْنَا زياداً بعد طول صحابة فلا زال يسقي الغيث قبر زيادٍ
ستبكيك كأسٌ لم تجد من يديرها وطمأن يستبطي الزجاجاة صادٍ

[إسحاق يغني الأمين في شعر الأخطل]

أخبرني عمي ، قال : حدثني ابن المكي عن أبيه ، قال : اصطحب محمد الأمين ذات يوم ، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق ، فوجه إليه عدة رسل ، كلهم لا يصادفه ، حتى جاء أحدهم به ، فدخل منتشياً ومحمد مغضب . فقال له : أين كنت وملك ؟ قال : أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً ، فركبت إلى بعض المتنزهات ، فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد ، فذكرتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني ، فدار لي فيها لحنٌ حسن فصنعتة فيها ، وقد جئتُك به . فتبسّم ، ثم قال : هات ، فما تزال تأتي بما يُرضي عنك عند السخط ، فغنّاه :

صوت

إذا ما زيادٌ علّني ثم علّني ثلاث زجاجات لهنّ هديرُ
خرجتُ أجراً الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أميرُ

قال : بلّ على أبيك ، قَبَّحَ اللهُ فِعْلَكَ ، فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فِعْلِكَ ، وأمر له بألف دينار .

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل¹ ، والغناء لإسحاق ، رمل بالنصر . ورواية شعر الأخطل :

إذا ما نديمي علّني ثم علّني

وإنما غيره إسحاق فقال : «إذا ما زياد» .

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي : أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل : ما يدعوك إلى الخمر ؟ فوالله إن أولها لمرٌّ ، وإن آخرها لسُكْر ! قال : أجل ، ولكن بينهما حالة ، ما مُلْكُك عندها بشيء ، وقد قلتُ في ذلك :

1 المقطوعة 154 في ديوان الأخطل .

إذا ما نَدِيمِي عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ لَهْنٍ هَدِيرُ
خَرَجْتُ أُجْرُ الذِّلِّ زَهْوًا كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
قال : فجعل عبد الملك يضحك .

صوت¹

[من الطويل]

أشارتُ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مُحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ
هَنِيئًا لَكُمْ حُبِّي وَصَفْوُ مَوَدَّتِي فَقَطَّ سَيْطَ مَنْ لَحْمِي هَوَاكُ وَمَنْ دَمِي²
الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر . ويقال : إنه لابن سُرَيْج ، وقيل : إنَّ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ لابن عائشة ، والثَّقِيلَ الثَّانِي لابن سُرَيْج ، وفيه خفيف ثقيل أول ، ينسب إلى ابن سُرَيْج وإلى علي بن الجواري .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 345 .

2 الديوان : هنيئاً لكم قتلي . . . ، وسيط : خلط .

[432] - خبر لحابة مع ابن عائشة

[نحوال لتسمع غناءه]

أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن المدائني ، قال : كانت حبابه جارية يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناء ابن عائشة ، وكان ابن عائشة حديث السن ، فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه ، فلم تدر كيف تصنع ، فاختلفت هي وسلامة في صوت لمعبد ، فأمر يزيد بإحضاره ووجهه في ذلك رسوياً . فبعثت حبابه إلى الرسول سراً فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء ، ويلغهما رسالتهما بالخروج مع معبد سراً ، وقالت : قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين .

فلما قدِم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابه ، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد ، وقال لمعبد : انظر ما تأمر بك به حبابه فاتبه إليه ، فقال : نعم . فخرجوا حتى قدما على يزيد ، وبلغ الخبر حبابه فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة . فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه ، فحكم لها ، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة ، وفيه لابن سريج لحن ، ولحن ابن عائشة أشهرهما ، وهو :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فقال يزيد : يا حبيبتي ؛ أتى لك هذا ولم أسمع منك ، وهو على غاية الحسن ؟ إن لهذا لثأناً . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة ، قال : ذلك الصبي ! قالت : نعم ، وهذا أستاذي ، وأشارت بيدها إلى معبد ، فقال لمعبد : أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلّه ؟ فقال معبد : هذا ، أصلح الله الأمير ، له . فقال يزيد : لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه ، فقال معبد : هو والله معي لا يفارقني ، فقال يزيد : ويلك يا معبد ! احتملنا الساعة أمرك ، فزدتنا ما كرهنا ، ثم قال لحابة : هذا والله عملك ، قالت : أجل يا سيدي ، قال لها : هذه الشام ، ولا تحمل لنا ما تحمله المدينة . قالت : يا سيدي أنا والله أحب أن أسمع من ابن عائشة . فأخضِر ، فلما دخل قال له : هات صوتاً غنته حبابه :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

فغناه ، فقال : هو والله يا حبابه منه أحسن منه منك : قالت : أجل يا سيدي . ثم قال يزيد : هات يا محمد ما عندك ، فغنى :

[من الكامل]

صوت

قِفْ بالنازلِ قبلُ أنْ تفرَّقَا واستنطقَ الرِّبعَ المُحِيلَ المخلِقا
 عن عِلْمٍ ما فعلَ الخليطُ لعلَّه بجوابِ رَجْعِ حديثهم أنْ ينطقا
 فَيَينَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ لِمَتَّيْمٍ أَمسى وَأَصْبَحَ بالرسومِ معلقا
 كَلِفًا بِهَا أَبْدَأُ تَسْحُ دُموعُهُ وَسَطَ الدِّيارِ مسائلًا مستنطقا
 ذَرَفَتْ لَهُ عَيْنٌ يُرى إنسانُها فِي لُجَّةٍ مِنْ مائِها مغرورقا
 تُذْري مَاجِرُها الدُموعَ كأنَّها دُرٌّ وَهَى مِنْ سَلَكِهِ مستوسقا¹

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : إنَّ فيه لابن جندب وحنين الحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشة ، فأنت والله الحسنُ الوجه ، الحسنُ الغناء . وأحسنُ إليه ووصله .

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس ، وبعثت إليه حباة بَيْرٍ والطافِ وأتبعها سلامة في ذلك .

صوت²

[من الكامل]

لَمَّا سَمِعْتُ الدِّيكَ صَاحَ بِسُحْرَةٍ وَتَوَسَّطَ النِّسرانِ بَطْنِ العَقْرَبِ
 وَبَدَأَ سُهَيْلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ نُورٌ وَعَارِضُهُ هِجَانُ الرُّبَرَبِ
 نَبَّهْتُ نَدْمَانِي وَقَلْتُ لَهُ اصْطَبِخْ يَا ابْنَ الكَرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ
 صَفْرَاءُ تَبْرُقُ فِي الزَّجَاجِ كَأَنَّهُ حَدَقُ الجَرَادَةِ أَوْ لُعَابُ الجُنْدَبِ
 الشعر لأبي الهندي ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

1 مستوسق : مجتمع .

2 ديوان أبي الهندي : 15 .

[433] - أخبار أبي الهندي ونسبه¹

[شاعريته واستفراغ شعره في الخمر]

اسمه غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن رِعي . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدرك الدولتين : دولة بني أمية ، وأول دولة ولد العباس . وكان جَزَل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني . وإتماً أُخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ، ومقامه بِسِجِسْتان وبخراسان . وشغفه بالشراب ومعاقرة إياه ، وفَسَقه وما كان يَتَّهم به من فساد الدين . واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وكذّه وقصده ، ومن مشهور قوله فيها ومختاره :

سَقَيْتُ أبا المَطْرَح إِذ أَتَانِي وذو الرِّعْنَاتِ مَتَّصِبٌ يَصِيحُ²
شَرَاباً يَهْرُبُ الذُّبَابُ مِنْهُ وَيَلْتَفِعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ

[أبو نواس وغيره يأخذون معانيه في الخمر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال حدثني فضل اليزيدي أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول : وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر ، فاستحسنه وقرّظه ، فذكر عنده أبو نواس ، فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سَلَخَه هذه المعاني كلها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي ؛ ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره .

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوبَه قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد . قال : حدثني شيخ من أهل البصرة ، قال : كنا عند أبي عُبَيْدة ، فأنشد منشداً شعراً في صفة الخمر ، أنسيه الشيخ ، فضحك ثم قال : هذا أخذه من قول أبي الهندي³ : [من الطويل]

1 ترجمة أبي الهندي في الشعر والشعراء : 572-573 وطبقات ابن المعتز : 136-137 والفوات : 169-171 والسمط : 168 و208 وفي اسمه خلاف فهو غالب بن عبد المؤمن (أو ابن عبد القدوس) أو عبد المؤمن أو عبد السلام أو عبد الملك أو أزهر بن عبد العزيز أو عبد الله بن رعي بن شَبَث بن رعي . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع عبد الله الجبوري شعره (بغداد - 1970) .

2 ذو الرعئات : الديك . والرعة : عثونه .

3 ديوان أبي الهندي : 29-32 .

سَيَخِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبٍ سَالِمٍ أَبَارِيقُ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا وَصَرَ الزُّبَيْدُ
مُقَدِّمَةٌ قُرْأَ كَانَ رِقَابُهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْرَعُ لِلرَّعْدِ
جَلَّتْهَا الْجَوَالِي حِينَ طَابَ مِزَاجُهَا وَطَيَّبَتْهَا بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدُ
تَمَجَّ سَلَفًا فِي الْأَبَارِيقِ خَالِصًا وَفِي كُلِّ كَأْسٍ مِنْ مَهَاً حَسَنَ الْقَدِّ
تَضَمَّنَهَا زَقٌّ أَزْبَ كَأَنَّهُ صَرِيحٌ مِنَ السُّودَانِ ذُو شَعَرٍ جَعْدٍ⁴

[يسكر ثلاثة أيّام]

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، حدّثني بعض أصحابنا : أنَّ أبا الهنديّ اشتهى الصُّبُوح في الحانة ذات يوم ، فأَتَى خَمَّاراً بِسِجِسْتَانٍ فِي حَمْلَةٍ يَقَالُ لَهَا : كَوْهَ زِيَان ، وَتَفْسِيرُهُ : جَبَلُ الْخُسْرَانِ ، يَبَاعُ فِيهَا الْخَمْرُ وَالْفَاحِشَةُ ، وَيَأْوِي إِلَيْهَا كُلُّ خَارِبٍ وَزَانٍ وَبَغْيَةٍ ، فَدَخَلَ إِلَى الْخَمَّارِ فَقَالَ لَهُ : اسْقِنِي ، وَأَعْطَاهُ دِينَاراً ، فَكَالَ لَهُ ، وَجَعَلَ يَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ ، وَجَاءَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ عَنْهُ فَصَادَفُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالُوا لِلْخَمَّارِ : أَلْحَقْنَا بِهِ ، فَسَقَاهُمْ حَتَّى سَكَرُوا ، فَاتَّبَعَهُ فَسَأَلَ عَنْهُمْ ، فَعَرَفَهُ الْخَمَّارُ خَبْرَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا الْآنَ وَقْتُ السُّكْرِ ، الْآنَ طَابَ ، أَلْحَقْنِي بِهِمْ ، فَجَعَلَ يَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ ، وَاتَّبَعُوهَا فَقَالُوا لِلْخَمَّارِ : وَيْحَكَ ! هَذَا نَائِمٌ بَعْدَ ! فَقَالَ : لَا ، وَلَقَدْ اتَّبَعْتُهُ ، فَلَمَّا عَرَفَ خَبْرَكُمْ شَرِبَ حَتَّى سَكِرَ ، فَقَالُوا : أَلْحَقْنَا بِهِ ؛ فَسَقَاهُمْ حَتَّى سَكَرُوا . وَاتَّبَعَهُ فَسَأَلَ عَنْ خَبْرِهِمْ ، فَعَرَفَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَلْحَقَنَّ بِهِمْ ، فَشَرِبَ حَتَّى سَكِرَ . وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَةً وَذَاتِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَلْتَقُوا وَهُمْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ تَرَكَوْا هُمُ الشَّرْبَ عَمداً حَتَّى أَفَاقَ ، فَلَقُوهُ .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لولبة بن الحُبَابِ مع أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي أَخْبَارِ الْوَلْبَةِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْهِنْدِيِّ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ⁵ :

نَدَامَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ تَلَاقٍ يَضْمُهُمْ بِكُوهِ زِيَانٍ رَاحُ
وَقَدْ بَاكَرْتُهَا فَتَرَكْتُ مِنْهَا قَتِيلاً مَا أَصَابَتْنِي جِرَاحُ

1 الوطْب : سقاء اللبن . والوضر : وسخ الدسم .

2 مُقَدِّمَةٌ : عليها الفدام ، وهو مصفاة صغيرة . والقز : البعد من كل ما يستقدر . وبنات الماء : الطير ونحوه .

3 رواية الديوان :

تَمَجَّ سَلَفًا مِنْ أَبَارِيقٍ صَفَقَتْ وَطَاسَاتٍ صَفَرَتْ كُلُّهَا حَسَنَ الْقَدِّ

4 أَزْبَ : ذُو شَعَرٍ .

5 ديوان أبي الهندي : 20-22 .

وقالوا أيها الخمارُ مَنْ ذا
فقالوا هاتِ راحكَ الحِقْنَ¹
فما إنْ لَبِثْتَهُمْ أَنْ رَمَتْهُمْ²
وَحانَ تَبْهِي فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ³
رَأَوْكَ مُجَدَّلاً فَاسْتَخْبِرُونِي
فَقُلْتُ بِهِمْ فَأَلْحَقَنِي فَهَبُّوا⁴
فَقَالَ : نَعَمْ فَقَالُوا أَلْحَقْنَا⁵
فَمَا إِنْ زَالَ ذَاكَ الدَّابُّ مِنَّا⁶
نَبَيْتُ مَعاً وَلَيْسَ لَنَا لِقَاءُ⁷
فَقَالَ أَخْ تَخَوَّنَهُ اصْطَبَاحُ⁸
بِهِ وَتَعَلَّلُوا ثُمَّ اسْتَراحوا⁹
بِحَدِّ سِلَاحِهَا وَلَهَا سِلَاحُ¹⁰
فَقَالَ أَتَاخَهُمْ قَدَرُ مُتَاخُ¹¹
فَحَرَّكَهُمْ إِلَى الشَّرْبِ ارْتِيَاخُ¹²
فَقَالُوا هَلْ تَنْبَهُ حِينَ رَاحُوا¹³
بِهِ قَدْ لَاحَ لِلرَّائِي صَبَاحُ¹⁴
ثَلَاثاً يُسْتَغْبُ وَيَسْتَبَاحُ¹⁵
بَيْتٍ مَا لَنَا فِيهِ بَرَاخُ¹⁶

[مات مختنقاً أو من البرد]

أخبرني عمي الحسن بن أحمد ، قال : حدَّثني الحسن بن عُليل العنزي ، قال : قال صدقة بن إبراهيم البكري : كان أبو الهندي يشرب معنا بمرو ، وكان إذا سكر يتقلب ثقلاً قبيحاً في نومه ، فكنا كثيراً ما نشدُّ رجله لئلا يسقط من السطح . فسكر ليلة وشددنا رجله بجبل . وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلب وسقط من السطح ، وأمسكه الجبل فبقي منكساً وتخنق بما في جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً . قال صدقة : فمررت بقبوره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً⁴ : [من مخلص البسيط]

اجعلوا إنْ مِتُّ يوماً كَفَنِي وَرَقَ الْكَرْمِ وَقَبْرِي مَغْصَرَةً
إِنِّي أَرْجُو مِنَ اللَّهِ غَدَاً بَعْدَ شَرْبِ الرَّاحِ حُسْنَ الْمَغْفَرَةِ

قال : فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهندي : إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان ، فأصابه ثلج فقتله ، فوجد من غدٍ ميتاً على الطريق .

1 الديوان : فقال هاتِ أَلْحَقْنَا بِرَاحِ .

2 الديوان : فلم يتمهلوا حتى رمتهم ،

3 الديوان :

فقلت له فسرحتني إليهم حيثما والسراح هو النجاح

4 ديوان أبي الهندي : 34 .

[امتنع عن الخمر أيام الحج]

وروى حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حجَّ نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندي ، فلما حضرت أيام الموسم قال له : يا أبا الهندي ، إنا بحيث ترى ، وفدُ الله وزوار بيته ، فهب لي التبيد في هذه الأيام واحتكم علي ، فلولا ما ترى ، ما منعتك . فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام ، ووكل به نصر بن سيار بعض نقبائه فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقي نصرأ ، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويكي ، ويقول¹ :

أديرا علي الكأس إني فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع
حليف مدام فارق الراح روحه فظل عليها مستهل المدامع²
قال : وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرته الشراب ، فقال³ :

إذا صليت خمسا كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك رب الناس شيئا فقد أمسكت بالدين الوثيق
وجاهدت العدو ونلت مالا يملغني إلى البيت العتيق
فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق⁴

[لا يدفع للعواهر أجراهن]

قال إسحاق : وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك ، وكان عندها نسوة عواهر ، ففجر بهن ولم يعطهن شيئا ، فجعلن يطالبنه بجعل فلم ينفعهن ، فقال في ذلك⁵ :

آلى يميناً أبو الهندي كاذبة ليعطين زواني لست ماشينا⁶
وغرهن فلما أن قضى وطراً قال ارتحلن فأخرى الله ذا دينا

[سرعة جوابه]

أخبرني عمي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، عن أبي محلم ، قال : خطب أبو الهندي

1 ديوانه : 44 بعكس الترتيب .

2 حليف مدام في الديوان : رضيع مدام .

3 ديوانه : 45-46 .

4 بنيات الطريق : الطرق المتشعبة من الجادة .

5 ديوانه : 53 .

6 لست : موضع بعينه .

غالبُ بنُ القُدُوس بن شَبَث بن رُبَيعٍ إلى رجل من بني تميم ، فقال : لو كنتَ مثلاً أُبيك لزَوَّجتكَ ، فقال له غالب : لكنَّكَ لو كنتَ مثلاً أُبيك ما خطبتُ إليك .
قال أبو محَلَم : ومَرَّ نصر بن سيَّار بأبي الهندي ، وهو سكرانٌ يتمايل ، فوقف عليه فعذَّله وسبَّه ، وقال : ضيَّعتُ شرفكَ ، وفضحتُ أسلافَكَ . فلمَّا طال عتابه التفتَ إليه فقال : لولا أنَّني ضيَّعتُ شرفي لم تكن أنت على خراسان ، فأنصرف نصر خَجلاً .
قال أبو محَلَم : وكان بسجستان رجل يقال له : برزين ناسكاً ، وكان أبوه صُلب في خرابة¹ فجلس إليه أبو الهندي ، فطَفِقَ يعذله ويُعرض له بالشراب . فقال له أبو الهندي : أَحَدُكُمْ يَرى القَدَاةَ في عين أخيه ، ولا يرى الخشبَةَ في است أبيه² ! فأخجله .
قال أبو محَلَم : وكان أسرع الناس جواباً .

صوت

[من المتقارب]

لقد قُلْتُ حينَ قَرَّ بتِ العيسُ يا نوارُ
قَفُوا فاربِعا قليلاً فلم يربِعا وساروا
فنفسي لها حنينُ وقلبي له انكسارُ
وصدري به غليلُ ودمعي له انحدارُ

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

1 الخرابة : سرقة الإبل .

2 من المثل : « كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك » . انظر مجمع الميداني 2 :

[434] - أخبار سعيد بن وهب¹

[نسبه]

سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرة ، ثم سار إلى بغداد فأقام بها . وكانت الكتابة صناعته ، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه ، وتقدم عندهم .

[شغفه بالغلман والشراب ثم توبته]

وكان شاعراً مطبوعاً ، ومات في أيام المأمون ، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالذكر ، وكان مشغوقاً بالغلمان والشراب .

ثم تنسك وتاب ، وحج راجلاً على قدميه ، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل . ومات وأبو العتاهية حي ، وكان صديقه فرثاه .

[رثاء أبي العتاهية له]

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش . عن محمد بن يزيد . قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية . قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ، ونحن عنده ، فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال ، وهو يحذثنا لا يريد أن يقول شعراً² :

قال لي مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فعجبنا من طبعه وأنه تحدث ، فكان حديثه شعراً موزوناً .

[توبة وترهّد]

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف . قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني سيبويه أبو محمد ، قال : كان سعيد بن وهب الشاعر البصري ، مولى بني سلمة قد تاب وترهّد ، وترك قول الشعر . وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات ، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه . وكان امرأً صديق ، كثير الصلاة ، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده ، حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته .

1 ترجمة سعيد بن وهب في طبقات ابن المعتز : 256-261 والوافي 15 : 272-273 والفهرست : 123 وتاريخ بغداد 9 : 73 والموشع 400-401 والنجوم الزاهرة 2 : 188 وانظر أعلام الزركلي ومواقع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان أبي العتاهية : 415 .

[غزله بالغلمان]

أخبرني عمي ، قال : حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى ، قال : حدّثني أبو عثمان الليثي ، قال : كان سعيد بن وهب يتعشّق غلاماً يتشطّر ، يقال له : سعيد ، فبلغه أنّه توّعده أن يجرّحه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَمِيٍّ مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَعِيدٍ ؟
أَنَا بِاللَّحْمِ أَجَاهُ وَيَجَانِي بِالْحَدِيدِ

حدّثني جمحظة ، قال : حدّثني ميمون بن هارون ، قال : نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول¹ :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَنَحْنُ مِنَ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَتَبِ حَسْرَةٍ كَانْنَا لَفِظَ بَلَا مَعْنَى
يَعْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ فِي الْأَرْدَلِ وَالْأَذْنَى

أخبرني عمي ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي العلاء المغني ، قال : نظر إليّ سعيد بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين اخضرّ شاربني ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فسلمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَنْ هذا الغلام ؟ فبسم ، وقال : هذا ابن صديق لي ، فأقبل عليّ وقال :

لَا تَخْرَجَنَّ مَعَ الْغَزِيِّ لِمَغْنَمٍ إِنَّ الْغَزِيَّ يَرَاكَ أَفْضَلَ مَغْنَمٍ²
فِي مِثْلِ وَجْهِكَ يَسْتَحِلُّ ذَوُو الثَّقَى وَالْدِّينُ وَالْعِلْمَاءُ كُلُّ مُحَرَّمٍ
مَا أَنْتَ إِلَّا غَادَةٌ مَمْكُورَةٌ لَوْلَا شَوَارِبُكَ الْمُطَلَّةُ بِالْفَمِ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي دعامة ، قال : مرّ سعيد بن وهب الكسائي ، فلقيا غلاماً جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائي وأراد أن يستميله ، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلّم به ، فلم يملّ إليه . وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده ، فمال إليه الغلام ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائي ، وقال له : حدّثه وآنسه إلى أن أجيء ، وتشاغل بحاجة له . فمضى به الكسائي ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته

1 الأبيات في الروافي 15 : 272 .

2 الغزي : الجيش الغازي .

وَأَرَبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال ¹ :

[من المتقارب]

أَبُو حَسَنٍ لَا يَفِي فَمَنْ ذَا يَفِي بَعْدَهُ
أَثَرْتُ لَهُ شَادِنًا فصَايَدَهُ وَخَذَهُ
وَأَظْهَرَ لِي غَدْرَةً وَأَخْلَفَنِي وَعْدَهُ
سَأَطْلُبُ مَا سَاءَ كَمَا سَاءَ نِي جُهْدَهُ

[جزعه على ابنه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب ، من أكيس الصبيان وأحسبهم وجهاً وأدباً ، فكان لا يكاد يفارقه في كلِّ حال ، لشدة شغفه به ، وورقه عليه . فمات وله عشر سنين ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وانقطع عن لذاته . فدخلتُ إليه يوماً لأعاتبه على ذلك ، وأستعطفه ، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه ، ثم انتحب حتى رحمتُه ، وأنشدني :

[من الخفيف]

عَيْنُ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ إِذْ تَوَلَّى غَضًّا بِمَاءِ الشَّبَابِ
لَمْ يُقَارِفْ ذَنْبًا وَلَمْ يَتْلُغْ الْحَدَّ ثَمَّ مَرَجَّى مُطَهَّرِ الْأَثْوَابِ
فَقَدَّتْهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى أَتَّ رَابِهِ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَتْرَابِ
إِنْ غَدَا مُحِشًّا لِإِدَارِي فَقَدْ أَصَدَّ بَحَّ أَنْسَ الثَّرَى وَزِينَ الثَّرَابِ
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَبِيبِي فَإِنِّي بِكَ رَاجٍ مِنْهُ عَظِيمِ الثَّوَابِ

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء ، مما جئتُ إليه ، فقمْتُ ولم أخاطبه بحرف .
وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره ، يقول فيه : أنشدني سعيد بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً ، وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن حماد سواء .

[غلامان بحتكمان إليه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، قال : حدثني أبو هيفان ، قال : حدثني أبو دعامه ، قال : كان سعيد بن وهب مألُفَةً لكلِّ غلامٍ أُمِرْدَ ، وفتى ظريف ، وقينة مُحْسنة . فحدثني رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوماً وأنا عنده غلامان أُمِرْدَان ، فقالا له : قد تحاكما إليك : أيُّنا أجمل وجهاً ، وأحسن جسمًا ؟ وجعلنا لك أَجْرَ حُكْمِكَ أَنْ تَخْتَارَ أَيُّنَا حَكَمْتَ له ، فتقضي حاجتك منه . فحكم لأحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتبسَهُمَا فشربا عنده

نبيذاً ، ثم مالَ على الآخر أيضاً ، وقمتُ معه . فدخلتهما حتى فعلتُ كفعلِه ، فقال لي سعيد : هذا يومُ الغاراتِ في الحاراتِ ، ثم قال :

رئمانِ جاءَ فحكَّمانِي لا حُكْمَ قاضٍ ولا أَمِيرٍ
هذا كشمسِ الضحى جمالاً وذا كبدٍ الدُّجى المُنِيرِ
وفضلُ هذا كذا على ذا فضلُ خميسٍ على عَشِيرِ
قالا أَشِرُ بَيْننا برأِي ونجعلُ الفضلَ للمُشيرِ
تبادلا ثُمَّ قمتُ حتى أَخَذْتُ فضلي من الكبيرِ
وكان عيباً بأنْ أراني أُحْرِمُ حَظِّي من الصغيرِ
فكان مِنِّي وَمِنْ قَرِيني إِلَيْهما وثَبَّةُ المُغِيرِ
فَمَنْ رَأى حاكِماً كحُكْمي أعْظَمَ جوراً بلا نكيرِ

وقال : وشاعتِ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ ، فدعا به فاستنشدَه إياها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدُ ولا بأس عليك ، فأنشدَه . فقال له : ويلك ! اخترتَ الكبيرَ سنّاً أو قدراً ؟ قال : بل الكبيرَ قدراً . قال : لو قلتَ غيرَ هذا سقطتَ عندي واستخففتُ بك . ووصله . [مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني أبو العيْناء ، قال : دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يومٍ قد جَلَسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُهم بالجوائز حتى لم يبقَ منهم أحدٌ . فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيها الوزير ، إني ما كنتُ استعددتُ لهذه الحال ، ولا تقدّمتُ لها عندي مقدّمة فأعرِفُها ، ولكن قد حضرنِي بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فربّ قليلٌ أبلغُ من الكثيرِ ، فقال سعيد : [من الخفيف]

مَدَحَ الفضلُ نفسَه بالفعالِ فَعَلّا عن مَدِيحنا بالمقالِ

أمرُوني بمدحِه قلتُ كلا كَبُرَ الفضلُ عن مدِيحِ الرجالِ

قال : فطرب الفضلُ ، وقال له : أحسنتَ واللهِ وأجَدْتُ ! ولئن قلَّ القولُ ونَزَرَ لقد اتسعَ المعنى وكثُرَ .

ثم أمرَ له بمثل ما أعطاه كلٌّ مَنْ أنشدَه مديحاً يومئذٍ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سواهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : حدَّثت عن الخُرَيمي ، قال : كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفرأ ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخٍ خاصاً بجعفر ، ينادمُه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدثه وأثنى عليه وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكل ما يسرُّ ويُطرب ويُضحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلتُ عليه ، وقلت له : مَنْ هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلّصانه وعشيقه . قلت : وأي شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القدرُ والبرْدُ والغثاءُ .

ثم دخلتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدثتُ وندر ، وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصّة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد . فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَنْ هذا المبرّد ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته . قلت : وأي شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله ، إلا القدرُ والبرْدُ وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرفُ بسعيد وأنس من الناس جميعاً ، ولكنّي تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

[وفاء في النكبة]

حدثني عمي ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العباس : قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم : عرفتنا أيام النكبة مَنْ كنّا نجهله من الناس ، وذلك أنّنا احتجنا إلى أن نودع أموالنا ، وكان أمرها كثيراً مفريطاً ، فكنا نلقيناها على الناس إلقاء ، ونودعها الثقة وغير الثقة . فكان ممن أودعته سعيد بن وهب ، وكان رجلاً صعلوكاً لا مال له ، إنّما صَحَبنا على البطالة : فظننت أن ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بعد حين ، فجاءني والله بخواتيمه .

وأودعتُ عليّ بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندي أوثق مَنْ أودعته . فلما أمنتُ طالبتُه بالوديعة ، فجددنيها وبهتني وحلف على ذلك . فصار سعيد عندي في السماء ، وبلغتُ به كلّ مبلغ ، وسقط عليّ بن الهيثم ، فما يصل إلي ولا يلقيني .

[بحاجي جارية رجل من البرامكة]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، حدثني عمرو بن بانة . قال : كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة طريفة ، يقال لها : حسناء ، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأتي بكلّ مستحسن من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجلس إليها فحدثها طويلاً ، ثم قال لها بعد ذلك : [من الهزج]

حاجيتك يا حسنا في جنس من الشعر
 وفيما طوَّله شير وقد يوفي على الشير
 له في رأسه شق نطوف بالندى يجري
 إذا ما جف لم يجر لدى بر ولا بحر
 وإن بل أتى بالعد جب العاجب والسحر
 أجيبني لم أزد فحشا ورب الشفع والوتر
 ولكن صغت أبياتا لها حظ من الزجر

قال : فغضب مولاها وتغيَّر لونه ، وقال أَتَفَحِشُ على جاريتي وتخطبها بالخنا !
 فقالت له : خَفَّض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنما يعني القلم ، فسُرِّي عنه ،
 وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

صوت¹

[من الرجز]

دأيت أروى والديون تقضى فمطلت بعضاً وأدت بعضا
 يا ليت أروى إذ لوتك القرضا جادت بقرض فشكرت القرضا
 الشعر لرؤية بن العجاج ، والغناء لعمر بن بانة ، رمل بالوسطى .

[435] - أخبار رؤية ونسبه¹

[نسبه]

هو رؤية بن العجاج ، واسم العجاج عبدُ الله بن رؤية بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمُ بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . من رُجَّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المتقدمين منهم ، بدويّ نزل البصرة ، وهو من مُحَضَّرَمِي الدولتين .

مدح بني أمية وبني العباس ، ومات في أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجون بشعره ، ويجعلونه إماماً ؛ ويكنى أبا الجَحَّاف وأبا العجاج .

[رأي في فصاحته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عمّار ، واللفظ له ، قال : حدَّثنا عمر بن شبة : قال : حدَّثنا خلاد بن يزيد ، قال : حدَّثني يونس بن حبيب ، قال : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَةَ الضَّبْعِيّ ، قال أبو يزيد : وكان علامةً ، فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنِّي سألت رؤية عن اسمه فلم يدرِ ما هو وما معناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لرؤية أفصح من معدّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤية ، أفَتَعْرِفُ أنت رؤية ورؤية ورؤية ورؤية ؟ قال : فَضَرَبَ بغلته وذهب ، فما تكلم بشيء : قال يونس : فقال لي أبو عمرو : ما يسرّني أنكَ نَقَصْتَنِي منها .

قال ابنُ عمّار في خبره : والرؤية : اللبن الخائر ، والرؤية : ماء الفحل ، والرؤية : الساعة تمضي من الليل ، والرؤية : الحاجة ، والرؤية : شعب القدح ، قال : وأنشدني بعد ذلك² :

فأما تميمٌ تميمٌ بنُ مرٍّ فألفاهم القومُ رَوْنِي نياما
حدَّثني ابنُ عمّارٍ ، قال : حدَّثني عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني يحيى بنُ محمد بنِ أَعْيَنَ

1 ترجمة رؤية بن العجاج في طبقات ابن سلام : 761-767 والشعر والشعراء : 495-500 وخزانة البغدادى 2 : 42-47 والمؤتلف والمختلف : 175-177 ولسان الميزان 2 : 464 وابن خلكان 2 : 303-305 وبغية الطلب 7 : 114 وسير الذهبي 6 : 162 والوافي 14 : 147 ، وله أخبار منشورة في كتب الأدب كثر الدر والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . وقد نشر وليم بن الورد البروسي ديوانه سنة 1903 .

2 ديوان بشر بن أبي خازم : 190 .

الْمَرْوَزِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو عبيدة ؛ قال : شهدت شَيْلًا الصُّبُعِيَّ وَأَبَا عمرو ، فذكر نحوه .
أخبرني أبو خليفة في كتابه إِلَيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قال : قلت ليونس : هل رأيت عربياً
قطاً أفصح من رؤية ؟ قال : لا ، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لي رؤية : حتى متى أُزخرف لك كلام الشيطان ؟ أما ترى الشيب قد
بلغ في لحيتك !
[رواية الحديث]

وقد رَوَى رؤية بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ ، ورواه أبوه أيضاً .
أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني ، قال : حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن خلاد ،
قال : حَدَّثَنَا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن
حبيب ، عن رؤية بن العجاج ، عن أبيه قال : أنشدتُ أبا هريرة¹ : [من الرجز]

الحمدُ لله الذي تَعَلَّتْ بِأَمْرِه السماءُ واستَقَلَّتْ
بِإِذْنِهِ الأرضُ وما تَغَيَّتْ أَرَسَى عَلَيْهَا بِالْجِبَالِ الثَّبَتِ
الباعثُ النَّاسَ لِيَوْمِ الْمَوْتِ

قال أبو هريرة : أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن ابن شبة ، عن أبي حرب البائي ، من آل
الحجاج بن باب ، قال : حَدَّثَنَا يونس بن حبيب ، عن رؤية بن العجاج ، عن أبي الشعثاء ،
عن أبي هريرة ، قال : كنّا مع النبي ﷺ في سفرٍ وحادٍ يَحْدُو : [من الرجز]

طافَ الْخِيَالانِ فَهَاجَا سَقَمًا خِيَالُ لُبْنَى وَخِيَالُ تَكْتُمَا
قَامَتْ تَرِيكَ خَشِيَةً أَنْ تَصْرِمَا سَاقًا بَخْنَدَاءُ وَكَعْبًا أُذْرَمًا²
وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ وَلَا يَنْكُرُ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حَدَّثَنَا عبد الله بن عمرو ، عن محمد بن إسحاق
السهمي ، عن أبي عبيدة الحداد ، قال : حَدَّثَنَا رؤية بن العجاج عن أبيه ، قال : سمعت أبا
عبيدة يقول : السَّوَاكُ يُذْهِبُ وَضَرَ³ الطَّعَامِ .

1 لم ترد في ديوان رؤية ولا زياداته .

2 الساق البخنداء : الممتلئة . والأدرم : المستوي .

3 الوضر : وسخ الدسم .

[أبو مسلم يستشهده]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكُرَّانيُّ ، قال : حدثنا أبو حاتم والأشنادانيُّ أبو عثمان ، عن أبي عبيدة ، عن ربيعة بن العجاج ، قال : بعث إليَّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم ، فلما دخلتُ عليه رأى مني جَزَعاً ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافُكَ ، قال : ولمَ ؟ قلتُ : لأنَّه بلغني أنَّكَ تقتل الناسَ ، قال : إنما أقتل مَنْ يقاتلني ويريد قتلي ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلتُ : لا . فأقبلَ على جلسائه ضاحكاً ، ثم قال : أما ابن العجاج فقد رخصَ لنا ، ثم قال : أنشدني قولك :

وقَاتِمِ الأعماقِ خاويِ المخترَقِ¹

فقلت : أو أنشيدُكَ ، أصلحك الله أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته² :

قلتُ قولي مستجداً حَوْكاً لبيك إذ دعوتني لبيكا
أحمدُ ربِّا ساقني إليكا

قال : هات كلمتك الأولى ، قلت : أو أنشدك أحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته³ :

ما زال يَنِّي خندقاً ويهدمُهُ ويستجيشُ عسكراً ويهزمُهُ
ومَغْنِماً يَجْمَعُه ويقسمُه مَرَوَانُ لما أن تهاوت أنجمُهُ
وخانه في حكمه مُنْجَمُهُ

قال : دع هذا وأنشدني : وقاتم الأعماق ، قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته⁴ :

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً وشيدت رُكنَ الدِّينِ إذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته⁵ :

ما زال يأتي الأمر من أقطاره على اليميز وعلى يساره

1 الأعماق : البعيد وأطراف المفاوز . والمخترق : مكان اختراق المفازة .

2 ديوانه : 181 .

3 ديوانه : 186 .

4 ديوانه : 171 .

5 ديوانه : 174 .

مَشْمُراً لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ حَتَّى أَقْرَّ الْمَلِكَ فِي قَرَارِهِ

وَقَرَّ مِرْوَانُ عَلَى حِمَارِهِ

قال : وَيَحْك ! هَات مَا دَعَوْتُكَ لَهُ وَأَمْرَتِكَ بِإِنْشَادِهِ ، وَلَا تَنْشُدْ شَيْئاً غَيْرَهُ ، فَأَنْشَدْتَهُ :

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمَخْتَرَقِ

فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

يَرْمِي الْجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مِدَقِ

قال : قَاتِلَكَ اللَّهُ ! لَشَدَّ مَا اسْتَصْلَبْتَ الْخَافِر ! ثُمَّ قَالَ : حَسْبُكَ . أَنَا ذَلِكَ الْجُلْمُودُ الْمِدَقُ .

قال : وَجِيءَ بِمَنْدِيلٍ فِيهِ مَالٌ فَوْضِعَ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : يَا رُؤْيَةَ ، إِنَّكَ أَتَيْتَنَا وَالْأَمْوَالَ مَشْفُوهَةً¹ ، وَإِنْ لَكَ لِعُودَةٍ إِلَيْنَا وَعَلَيْنَا مُعَوَّلًا ، وَالذَّهْرُ أَطْرَقُ مُسْتَتَبٌ² ، فَلَا تَجْعَلْ بِجَنْبِكَ الْأَسِيدَةَ³ .

قال رؤْيَةُ : فَأَخَذْتُ الْمَنْدِيلَ مِنْهُ ، وَتَالَلَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَمِيًّا أَفْصَحَ مِنْهُ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُ هَذَا الْكَلَامَ غَيْرِي ، وَغَيْرَ أَبِي .

قال الْكَرَّانِيُّ : قَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْأَشْنَانِدَانِيُّ خَاصَّةً : يَقَالُ : اشْتَفَّ مَا فِي الْإِنَاءِ ، وَشَفَّهَهُ : إِذَا أَتَى عَلَيْهِ ، وَأَنْشَدَ :

وَكَاذَ الْمَالُ يَشْفَهُهُ عِيَالِي وَمَا ذُو عَيْلَتِي مَنْ لَا أَعُولُ

[يفضل الفأر على الدواجن]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي : مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ قَتِيْبَةَ ، قَالَ : كَانَ رُؤْيَةُ يَأْكُلُ الْفَأْرَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَعُوتَبَ ، فَقَالَ : هُوَ وَاللَّهِ أَنْظَفُ مِنْ دَوَاجِنِكُمْ وَدَجَاجِكُمْ اللَّوَاتِي يَأْكُلْنَ الْقَدْرَ ، وَهَلْ يَأْكُلُ الْفَأْرُ إِلَّا نَقِيَّ الْبَرِّ وَلُبَّابِ الطَّعَامِ ؟

[رحلة للفأر على الوليد بن عبد الملك]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ رُؤْيَةَ ، قَالَ : لَمَّا وَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ بَعَثَ بِي الْحَجَّاجُ مَعَ أَبِي لَنْقَاهُ ، فَاسْتَقْبَلَنَا الشَّمَالُ حَتَّى صَرْنَا بِيَابَ الْفَرَادِيسِ³ .

1 مشفوهة : نافذه .

2 المثل « لا تجعلن بجانب الأسد » في مجمع الميذاني 2 : 233 . والأسدة : العيوب كالعمى والصمم والبيكم . ومعنى المثل : لا يضيّقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم .

3 باب الفارديس : أحد أبواب دمشق .

قال : وكان خروجنا في عامٍ مُخْصِبٍ ، وكنتُ أَصْلِي الغداة ، وأجتنِي من الكَمَاة ما شئتُ ، ثم لا أَجَازُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى أَرَى خَيْراً مِنْهَا ، فَأَرْمِي بِهَا وَأَخَذَ الْآخَرَ ، حَتَّى نَزَلْنَا بَعْضَ الْمِيَاهِ ، فَأَهْدِي لَنَا حَمَلَ مُخْرِفَجٍ¹ ووطب لبني غليظٍ وزبدة كأنها رأس نعجة حَوْشِيَّة² . فَقَطَعْنَا الْحَمَلَ آرَاباً³ ، وَكَرَرْنَا عَلَيْهِ اللَّبَنَ وَالزَبْدَةَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِناهُ اتَّشَلْنَا اللَّحْمَ بِغَيْرِ خَيْرٍ .

ثم شربتُ من مرقه شَرِبَةٍ لم تزل لها ذِفْرَيَايَ⁴ ترشحان ؛ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى حَجَرٍ . فكان أَوَّلَ مَنْ لَقِينَا مِنَ الشَّعْرَاءِ جَريراً ، فَاسْتَعْهَدْنَا أَلَّا نَعِينَ عَلَيْهِ . فكان أَوَّلَ مَنْ أَذَنَ لَهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ أَبِي ثُمَّ أَنَا . فَأَقْبَلَ الْوَلِيدَ عَلَى جَرِيرٍ فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! أَلَا تَكُونُ مِثْلَ هَذَيْنِ ؟ عَقَدَا الشَّفَاهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَظْلَمُ فَلَا أَصْبِرُ .

ثم لَقِينَا بَعْدَ ذَلِكَ جَرِيرَ فَقَالَ : يَا بَنِي أُمِّ الْعَجَّاجِ ، وَاللَّهِ لَنَ وَضَعْتُ كُلَّكُمَا عَلَيَّكُمْ مَا أَغْنَى عَنْكُمَا مَقْطَعَاتِكُمَا ، فَقَلْنَا : لَا وَاللَّهِ مَا بَلَغَهُ عَنَّا شَيْءٌ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدْنَا لِمَا أَذَنَ لَنَا قَبْلَهُ ، وَاسْتَنْشِدْنَا قَبْلَهُ .

[جرير يتوعد بالهزاء]

وقد أَخْبَرَنِي بَعْضُ هَذَا الْخَبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، قَالَ : قَالَ رُوحُ بْنُ فُلَانٍ الْكَلْبِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ فَدَخَلَ جَرِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى الْعَجَّاجَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَنَ سَهَرْتُ لَكَ لَيْلَةً لِيَقْلَنَ عَنْكَ نَفْعُ مَقْطَعَاتِكَ هَذِهِ ، فَقَالَ الْعَجَّاجُ : يَا أَبَا حَزْرَةَ ، وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ مَا بَلَغْتُكَ ، وَجَعَلْتُ يَتَعَذَّرُ وَيُخْلَفُ وَيُخْضَعُ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَشَدَّ مَا اعْتَذَرْتَ إِلَى جَرِيرٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُنِي إِلَّا السُّلَاحُ لَسَلَحْتُ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَخْضَرَ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ : مَا شَبَّهْتُ لَهْجَةَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِلَّا بِلَهْجَةِ رُوَيْةٍ ، وَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ وَلَا لِأَيِّهِ فِي شَعْرِهِمَا حَرْفٌ مُدْغَمٌ قَطُّ .

[أشعر الناس]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ ذَرِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : قِيلَ لِيُونُسَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ، قَالَ : الْعَجَّاجُ وَرُوَيْةٌ ؛ فَقِيلَ لَهُ لِمَ وَلَمْ نَعْنِ الرَّجَازَ ؟ فَقَالَ :

1 الحمل المخرفج : السمين .

2 الحوشية : نسبة إلى الحوش ، وهو عندهم أرض الجن ، وإليه تنسب الإبل وغيرها .

3 الآراب : جمع إرب ، وهو العضو .

4 الذفري : العظم البارز خلف الأذن .

هما أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعرُ كلامٌ : فأجوده أشعره ، قد قال العجاج :
قد جَبَّرَ الدِّينَ إِلَاهُ فَجَبِرَ

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أُطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة ،
وكذلك عامة أراجيزهما .

[الغويون يقدون له]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمد بن سلام : عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر :
قالا : كنّا نقعد إلى رؤية يوم الجمعة في رَحبة بني تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومَرَّت بنا
عجوزٌ فلم تقدر على أن تجوزَ في طريقها ، فقال رؤية بن العجاج¹ :
تَنَحَّ لِلْعُجُوزِ عَنْ طَرِيقِهَا إِذَا أَقْبَلَتْ رَائِحَةً مِنْ سَوْقِهَا
دَعْنَهَا فَمَا النَحْوِيُّ مِنْ صَدِيقِهَا

[يسنن بالوالي على الصبيان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدّثنا
عمر بن شُبّة ، قال : حدّثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي ، قال : دخل رؤية بن
العجاج السوق وعليه بَرْنَكَانٌ² أخضر ، فجعل الصبيان يعشون به ، ويغرزون شوك النخل في
بَرْنَكَانِهِ ويصيحون به : يا مَرْدُومُ يا مَرْدُومُ ! فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الْوَزْعَةَ ، فإن
الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق ، فأرسلَ معه أعواناً فشَدَّ على الصبيان ، وهو
يقول³ :

أَنْحَى عَلَى أَمْلِكَ بِالْمَرْدُومِ أَعُورُ جَعَدٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
شَرَّابُ أَلْبَانٍ خَلَايَا الْكُومِ⁴

ففرّوا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشَّرْطُ : أينَ هُم ؟ قال : دخلوا دارَ
الظالمين ، فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤية ، وهي في صيارفة سوق البصرة .

[الراجز المتحدّي]

وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني ، قال : قديم البصرة راجزٌ من أهل المدينة ،
فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول : [من الرجز]

1 ديوانه : 181 .

2 برنكان : كساء .

3 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

4 الخلايا : المخلاة للحلب . والكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام .

مَرَوَانُ يُعْطِي وَسَعِيدٌ يَمْنَعُ مَرَوَانُ نَبْعٌ وَسَعِيدٌ خِرْوَعٌ¹

وَدِدْتُ أَنِّي رَامِيَتْ مَنْ أَحَبُّ فِي الرِّجْزِ يَدًا بِيَدٍ ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَرْجَزُ مِنَ الْعَجَّاجِ ، فَلَيْتَ الْبَصْرَةَ جَمَعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . قَالَ : وَالْعَجَّاجُ حَاضِرُ ابْنِهِ رُؤْيَةَ مَعَهُ . فَأَقْبَلَ رُؤْيَةَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ : قَدْ أَنْصَفَكَ الرَّجُلُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعَجَّاجُ وَقَالَ : هَأَنْذَا الْعَجَّاجُ ، فَهَلَمْ ! وَزَحَفَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَأَيُّ الْعَجَّاجِينَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا خِلْتُكَ تَعْنِي غَيْرِي ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ الطَّوِيلُ ، وَكَانَ يُكْنَى بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَدَنِيُّ : مَا غَنَيْتُكَ وَلَا أَرَدْتُكَ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ وَقَدْ هَتَفْتَ بِي ؟ قَالَ : وَمَا فِي الدُّنْيَا عَجَاجٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ : مَا عَلِمْتُ ، قَالَ : لَكِنِّي أَعْلَمُ ، وَإِيَّاهُ غَنَيْتُ . قَالَ : فَهَذَا ابْنِي رُؤْيَةَ ، فَقَالَ : اَللَّهُمَّ غَفِرًا ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا عَمَلٌ : وَإِنَّمَا مَرَادِي غَيْرُكُمَا ، فَضَحَكَ أَهْلُ الْحَلْقَةِ مِنْهُ ، وَكَفَّا عَنْهُ .

[محاورة زائرين]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ فِي كِتَابِهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ : عَنْ يُوسُفَ ، قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا أَنَا وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعُطَارْدِيُّ عَلَى رُؤْيَةَ : فَخَرَجَ إِلَيْنَا كَأَنَّهُ نَسْرٌ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ نُوحٍ : أَصْبَحْتَ وَاللَّهِ كَقَوْلِكَ² :

كَالْكُرْزِ الْمَشْدُودِ بَيْنَ الْأَوْتَادِ سَاقَطَ عَنْهُ الرِّيشَ كَرُّ الْإِبْرَادِ³

فَقَالَ لَهُ رُؤْيَةَ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ نُوحٍ مَا زِلْتُ لَكَ مَاقِيًا ، فَقُلْتُ : بَلْ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْجَحَّافِ كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

فَأَبْقَيْنَ مِنْهُ وَأَبْقَى الطَّرَا دُ بَطْنًا خَمِيصًا وَصُلْبًا سَمِينَا

فَضَحَكَ : وَقَالَ : هَاتِ حَاجَتَكَ .

[من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له]

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَوَقَفَ رُؤْيَةَ عَلَى بَابِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَسْتَأْذِنُ : فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَخَذَ الْإِذْرِيطُوسُ⁴ فَقَالَ رُؤْيَةَ⁵ :

يَا مُنْزَلَ الْوَحْيِ عَلَى إِدْرِيسٍ وَمُنْزَلَ اللَّعْنِ عَلَى إِبْلِيسٍ
وخالقَ الْإِنْسَانِ وَالْخَمِيسِ بَارِكْ لَهُ فِي شَرْبِ إِذْرِيطُوسٍ

1 النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام . والخروع : شجر ضعيف هش المكسر .

2 ديوانه : 28 .

3 الكرّز : البازي سقط ريشه . والإبراد : من أبرده : أي فتره .

4 الاذريطوس : دواء .

5 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

[يخطئه سلم بن قتيبة]

أخبرني الحسن بن يحيى قال : قال حماد : أخبرني أبي عن الأصمعي قال : أنشد رؤية سلم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقْعَنَ وَقْفًا

فقال له : أخطأت يا أبا الجحّاف : جعلته مقيداً فقال : أذنني أيها الأمير ذنب البعير أصفه لك كما يجب .

[جاء الخوان فارغوا]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلام ، عن عبد الرحمن بن محمد ، عن علقمة الضبيّ ، قال : خرج شاهين بن عبد الله الثقفي بروية إلى أرضه ، فقعدوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤية¹ :

يا إختوتي جاء الخوان فارغوا حنانة كعابها تُقَعِّعُ

لم أدر ما ثلاثها والأربعُ

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّمَ الطَّعام .

[بموته دفن الشعر واللغة والفصاحة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال : لقيتُ الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دَفَّنَّا الشعرَ واللغةَ والفصاحةَ اليوم ، فقلتُ : وكيف ذلك ؟ قال : قال : هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤية .

صوت

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ صَاحَ الْغَرَابُ بَيْنَهُمْ فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي يُبْدِي

فقلتُ له أَفْصَحْتَ لَا طِرْتَ بَعْدَهَا بَرِيشَ فَهَلْ لِلْبَيْنِ وَيْحَكَ مِنْ رَدٍّ

الشعر لقيس بن ذريح² ، وقد تقدّمت أخباره والغناء لعمر بن أبي الكنّات ، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

2 ديوان قيس لبني (صادر) : 42 .

[436] - أخبار عمرو بن أبي الكنّات¹

[أحسن الناس غناء]

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنّات ، مولى بني جُمَح ، مكي مغزٍ ، محسنٌ موصوفٌ بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه ، وفيه يقول الشاعر : [من الخفيف]
أحسنُ الناسِ فاعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكنّاتِ
وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لحنٌ ابتدأه :

صوت

عَفَتِ الدَّارَ بِالْهَضَابِ اللّوَاتِي بِسَوَارٍ ؛ فَمَلَتْقَى عِرْفَاتٍ²
فَالْجَرِيَّانَ أَوْحِشَا بَعْدَ أَنْسَ فِدْيَارٌ بِالرَّبْعِ ذِي السَّلِمَاتِ
إِنَّ بِالْبَيْنِ مَرَبْعاً مِنْ سَلِيمِي فإِلَى مُحْضَرِينَ فَاَلنَّخْلَاتِ

وبعده البيت الأول المذكور .

الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنّات ، وطريقته من الرمل بالوسطى . وقيل : إنه لابن سُرَيْج ، وقيل : بل لحن ابن سُرَيْج غيرُ هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابن أبي الكنّات .

ويكنى عمرو بن أبي الكنّات أبا عثمان ، وذكر ابن خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ ؛ وكان له ابن يغني أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

[الرشيد يفضله على سائر المغنين]

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزومي حدّثه قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن فروة قال : قلت لابن جامع يوماً : هل غلبك أحد من المغنين قط ؟ قال : نعم ؛ كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسولُ الرشيد

1 لعمرو بن أبي الكنّات ترجمة في نهاية الأرب 4 : 308-312 وهي قرية ممّا في الأغاني .

2 رواية في نهاية الأرب :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بين ثور وملتقى عرفات

سوار : من قرى البحرين . وثور : جبل بمكة . والباقي : أسماء مواضع . والسلمات : الحجارة .

يأمرني بالركوب ؛ فركبتُ حتى إذا صيرتُ إلى الدار ، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد وبرصوماً ؛ فسلمتُ وجلستُ قليلاً ، ثم طلع خادم فقال للفضل : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : فابعتُ إليه ؛ ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : قم فابعت في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ، فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنات ؛ فسلم وجلس إلى جنبي فقال لي : من هؤلاء ؟ قلتُ مغنون ؛ وهذا زلزل ، وهذا برصوماً . فقال : والله لأغنيك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصي فدعا بكراسي ؛ وخرجت الجواري . فلما جلس قال الخادم للمغنيين : شدوا¹ ، فشدوا عيدانهم ، ثم قال : تغن يا ابن جامع ؛ فغنى سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قال : اسكت وليغن إبراهيم الموصلي ؛ فغنى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمر القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

ثم قال : لابن أبي الكنات : غن ، فقال لزلزل : شد طبقتك ، فشد . ثم أخذ العود من يده فجسسه حتى وقف على الموضع الذي يريد ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوله : ألا لا ؛ فوالله لقد خيل لي أن الحيطان تجاوبه ، ثم رجع النغم فيه . فطلع الخصي فقال له : اسكت ، لا تتم الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحبس عمرو بن أبي الكنات ، وينصرف باقي المغنين ، فقمنا بأكسف حال وأسوأ بال ، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله : ألا لا ، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناؤه ، فما عرفه منا أحد ، ويات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف من عنده بجوائز وصيلات وطُرف سنية .

[يزحم بغنائه الحاج في عرفة]

قال هارون : وأخبرني محمد بن عبد الله عن موسى بن أبي المهاجر قال : خرج ابن جامع وابن أبي الكنات حين² دفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل : ثم اندفع يغني ، فوقف القطارات ، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، الله الله . اسكت عنا يجر الناس ، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُردلفة .

[يحتشد الناس على الجسور لغنائه]

قال هارون : وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم قال : حدثني من

1 ل : سوا .

2 نهاية الأرب : حين دفع الإمام .

أثني به قال¹ : واقفتُ ابنُ أبي الكَنَنَاتِ المدينيّ على جَسَرِ بغدادِ أيامَ الرشيدِ ، فحدّثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنّه فعله أيامَ هشام ، وهو أنّ بعض أصحابنا حدّثني قال : وقف ابن عائشة في الموسم فمرّ به بعضُ أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال : إنّي لأعرف رجلاً لو تكلمَ لحبس الناسَ ، فلم يذهب أحدٌ ولم يجرى . فقلت له : ومن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يغني² :

صوت

جَرَتْ سُنْحاً فقلتُ لها أجزِي نوى مشمولة فمتى اللقاء ؟

بنفسي مَن تذكُّره سقام أعالجه ومطلبه غناء

قال : فحبس الناسَ ، واضطربت المحامل ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة تقع . فأتني به هشام فقال : يا عدو الله أردت أن تفتن الناسَ ؟ فأمسك عنه وكان تيّاهاً . فقال له هشام : ارفق بتيهك . قال : فقال ابن عائشة : حقٌّ لِمَن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تيّاهاً . فضحك وأطلقه . قال : فنزق ابن أبي الكَنَنَاتِ ، وكان معجباً بنفسه ، وقال : أنا أفعل كما فعل ، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت ، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد .

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرق ، وامتلات الجسورُ بالناسَ ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل مَن عليها من الناسَ . فأخذ فأتني به الرشيد ، فقال : يا عدو الله أردت أن تفتن الناسَ ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام ، فأحببت أن يكون في أيامك مثله فأعجب من قوله ذلك ، وأمر له بمال ، وأمره أن يغني ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كل يوم استأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تمّ له شهر . فقال هذا المخبر عنه : وكان ابن أبي الكَنَنَاتِ كثير الغشيان لي : فلماً أبطأ توهّمته قد قتل ، فصار إليّ بعد شهر بأموال جسيمة ، وحدّثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

[سمع غناؤه على بعد ثلاثة أميال]

قال هارونُ : وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله المخزوميُّ عن عثمان بن موسى مولانا قال : كنّا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكَنَنَاتِ ، ونحن على شراينا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَن تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصورُ الحجّبيّ . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي

1 تقدم خبر ابن عائشة وإيقافه الناس في الموسم في ترجمته 2 : 132 . ونقل ابن حمدون هذا الخبر وخبر إيقاف ابن أبي الكَنَنَاتِ الناس على جسور بغداد في التذكرة الحمدونية 9 : 12-13 .

2 تقدم البيتان والشرح في ترجمة ابن عائشة ، والأول منهما لزهير في شرح ديوانه : 59 .

ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني : [من الخفيف]

أَحْسَنُ النَّاسِ فاعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكناتِ
عَفَتِ الدَّارَ بالهضابِ اللواتي بسوارٍ فملتقى عرفاتِ

فلم نلبثُ أن رأينا منصوراً من بُعدٍ قد أقبل يركضُ دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلنا له :
من أين علمت بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ
أركضُ دابتي حتى صيرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون ، وأخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد قال : بينا
أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكنات كأنه معي ،
فأمرتُ الغلامَ فأسرج لي دابتي ، وخرجتُ أريده ، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً
على الكتيب العارض ببطن عُرنة¹ يغني :

صوت

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حيناً أغضبُ
ولا تنقريني نقرة الدف مرةً فإنك لا تدرين كيف المغيبُ
فإنني وجدتُ الحب في الصدر والأذى إذا اجتماعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر
لأسماء بن خازجة الفزاري ، وقد قيل : إنه لأبي الأسود الدؤلي ، وليس ذلك بصحيح .
والغناء لإبراهيم الموصلي ، وفيه لحنٌ قديمٌ للغريض من رواية حماد عن أبيه .

[437] - أسماء بن خارجة وابنته هند

[وصبه لابنته]

أخبرني اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكار قال¹ : زوّج أسماء بن خارجة
 الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف ، فلمّا كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن
 خارجة : يا بنية ، إنّ الأمّهات يؤدّبن البنات ، وإنّ أملك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك
 بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإياك وكثرة المعاتبَةِ ، فإنّها قطيعة للودّ ،
 وإياك والغيرة فإنّها مفتاحُ الطلاقِ . وكوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً ، واعلمي أنّي
 القائل لأملك : [من الطويل]

خذني العفو منّي تستديمي مودّتي

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأة مجرّبة قد تزوّجها جماعة من أمراء العراق ،
 فقبلت من أبيها وصيّته . وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكلّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء
 يخاطب أباه² : [من الوافر]

جراك الله يا أسماء خيراً	كما أرضيت فيشلة الأمير
بصدع قد يفوح المسك منه	عليه مثل كركرة البعير ³
إذا أخذ الأمير بمشعبيها	سمعت لها أزيزاً كالصيرير
إذا لقحت بأرواح تراها	تجيد الرّز من فوق السرير

[واحدة بواحدة]

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر لعقبة الأسدي . أخبرني الجوهري وحبيب المهلب عن ابن
 شبة قال⁴ : لما قدّم الحجاج الكوفة أشار عليه محمد بن عُمير بن عطار أن يخطب إلى أسماء ابنته
 هند ، فخطبها فزوّجه أسماء ابنته ، فأقبل عليه محمد متمثلاً يقول : [من الوافر]

أمن حذر الهزال نكحت عبداً فصهر العبد أدنى للهزال

1 الوصية والشعر في التذكرة الحمدونية 3 : 339 .

2 التذكرة الحمدونية 4 : 75 .

3 كركرة البعير : القرص الصلب في صدره الذي يرك عليه .

4 انظر الخبر مفصلاً في التذكرة الحمدونية 8 : 234-235 .

فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه . ثم أقبل على الحجّاج يوماً وهندٌ جالسةٌ ، فقال : ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته فإن من شأنها كيت وكيت . فقال : أتقول هذا وهندٌ اسمعُ ؟ فقال : موافقتك أحبُّ إليّ من رضا هند . فخطبها إلى محمد بن عمير ، فزوجه إياها ، فقال أسماء لمحمد بن عمير ، وضربَ بيده على منكبه : [من الطويل]

دونك ما أسديته يا ابن حاجب سواء كعين الديك أو قذّة النسر¹
بقولك للحجّاج إن كنت ناكحاً فلا تعدّ هنداً من نساء بني بدر
فإن أباه لا يرى أنّ خاطباً كفاً له إلاّ المتسوّج من فهر
فزوجتها الحجّاج لا متكارهاً ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهر
أردتَ ضيراري فاعتمدتَ مسرتي وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيث لا يدري
فإن ترها عاراً فقد جئتَ مثلها وإن ترها فخراً فهل لك من شكر

[حبّها لعبيد الله بن زياد]

قال المدائني حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحزمي وكان كاتبَ خالدٍ القسريّ ويوسف بن عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عُبيد الله بن زياد ، وكان أباً عذرها ، فلما قتل ، وكانت معه ، لبستَ قباء ، وتقلدت سيفاً ، وركبت فرساً لعبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليلٌ ، ثم كانت بعد ذلك أشدّ خلق الله جزعاً عليه ، ولقد قالت يوماً : إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عُبيد الله بن زياد .

[بشر بن مروان يتزوجها]

فلما قدّم بشر بن مروان الكوفة دُلَّ عليها ، فخطبها ، فزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر . وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك ، وكان إذا صلّى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلاّ أعين مولاة صاحب حمام أعين بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزل هندٌ تتجسس خبره حتى عرفت . فبعثت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشدّه وأرقّه وأصفاه ، وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهيهِ ، وأرسلت إلى أخويها : مالك وعيينة . فأتياها ، وبعثت إلى بشر واعتلت عليه بعلّة ، فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدّثه ، وهند تربه وجهها . فلم يزل في ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردته ، فلزمها وبقي أعين يتبع الديار بوجهه

1 المثل «أصفي من عين الديك» في مجمع الميداني 1 : 417 والدرّة الفاخرة 1 : 250 وجمهرة العسكري 1 : 538 ومستقصى الزمخشري 1 : 210 . وقذّة النسر : ريشه . ولعلّه يشير إلى المثل «جزيته» القذّة بالقذّة .

ولا يرى بشراً ، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه ، وعلم أنه ليس فيه حظٌ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق في ذلك¹ :

[من الطويل]

فإن تك لا هندٌ بكته فقد بكت عليه الثريا في كواكبها الزهر

[يخلف عليها الحجاج]

ثم خَلَفَ عليها الحجاج ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائني عن الجرمازي عن القحذمي ، وأخبرني به من هاهنا أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن عثمان بن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي قال : كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري ، وهو قاضيه ، إلى أسماء يقول له : إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمه إلي ، وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي . فاسأل هنداً أن تطيب نفسها عنهما .

وقال عمر بن شبة في خبره : وأعلمها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أودبهما . قال أبو بردة : فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه ، فما رأيت وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها ، وجعلت تحفني وتضع بين يدي .

قال أبو زيد في خبره : فدعاني إلى الطعام ، فلم أفعل ، وجعلت تعبت بي وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت . فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماء : قد منعته الأكل فقل ما جئت له . فلما بلغت أسماء ما أرسلت به ، بكت ، فلم أر والله دموعاً قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها على محاجرها . ثم قالت : نعم أرسل بهما إليه ، فلا أحد أحق بتأديبهما منه .

وقال أسماء : إنما عبد الملك ثمره قلوبنا ، يعني عبد الملك بن بشر ، وقد أنسنا به ، ولكن أمر الأمير طاعة ، فأتيت الحجاج ، فأعلمته جوابها وما رأيته من جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها علي فرجعت وهما على حالهما . فلما دخلت قلت : إني جئت بك بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببت . قلت : قد جئت خاطباً . قال : أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على من هو خير لها مني ، وأعلمته ما أمرني به الحجاج . فقال : ها هي تسمع ما أدبت ، فسكت فقال أسماء : قد رضيت ، وقد زوجتها إياه .

فقال أبو زيد في حديثه : فلما زوجها أبوها قامت مبادرة وعليها مطرف ، ولم تستقل قائمة من ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها ، فانصرفت بذلك إلى

الحجّاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب وقال : يا أبا بردة ، إني أحبُّ أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك وأرسلتُ من سلمه إليها ، فأرسلتُ إليّ : جئتُ قاضياً ورجعتُ دلالاً فأرسلتُ إليّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثيابِ تختين . فقلت : ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمته ، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال : أبو زيد في حديثه : فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كلِّ غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كلِّ جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يذكر عددها . فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجّاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجّاج ممن يُتعرّضُ له بمثل هذا . وأتيت الحجّاج فأخبرته . فقال : قد أحسنت وأضعفت الله لك ذلك ، وأمر له بستين ألفاً ، وبضعف تلك الثياب ، وكان أول ما أصبته مع الحجّاج . وأرسل إليها : إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصادقها ، فأصلحت من شأنها ، وأتته ليلاً .

قال : المدائني : فسمعتُ أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمن زفها . فدخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة على فرشه ، فلما أن دخلت سلمت ، فأوأم إليها بقضيب كان في يده . فجلست عند رجله ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلّم ونحن وقوف ، فضربت بيدها على فخذه ، ثم قالت : ألم تبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وخرجنا وأرخصت السطور .

[طلاق هند]

قال : ثم قديم الحجّاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذي دون المحدث¹ الذي يقال له : قصر الحجّاج اليوم قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ قالت : ما أحسنه ! قال : أصدقيني ، قالت : أمّا إذ أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عُبيد الله بن زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هنداً غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلين . ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجر ، ثم هُدم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع .

[الحجّاج يحن إلى هند]

قال : القحذمي عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي : فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلمنا عليه وعُذناه معه . ثم خرجنا وتخلّف الحجّاج ، فوقفنا

ننتظره ، فلمّا خرجَ التفت فرآني ، فقال : يا محمدُ وَيْحَكَ ! رأيتُ هنداً الساعةَ فما رأيتها قطّ أجمل ولا أشبَّ منها حينَ رأيَتها ، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها . فقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، امرأةً طَلَّقَتْها علي عتبَ يرى الناسُ أنَّ نفسَكَ تتبعها ، وتكون لها الحجةُ عليك . قال : صدقت ، الصبرُ أحجى .

قال : محمدُ : والله ما كان مني ما كان نظراً ولا نصيحةً ، ولكنِّي أنفت لرجل من قريش أن تداس أمه في كلِّ وقت .

[الحية في النار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال : حججتُ ، فأنيّ لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة ، فنامت وانتهتُ وحيةً مطويةً عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها ، فهالنا ذلك وارتحلنا . فلم نزل منطوية عليها لا تضيئها حتى دخلنا الحرم فانسابت ، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أيّ شقية ، ما فعلت حيتك ؟ فقالت : في النار : قال : ستعلمين من أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنّه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائها ، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك . فأتيتُ بعضَ أهله ، فسألتهُ ذلك ، فقال : نعم ، فوجّهَ إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لي : اركب بنا ، فركبنا حتى سِرنا قدرَ ميل ، فإذا الغريضُ هناك ، فترلنا ، فإذا طعام مُعدٌّ ، وموضع حسنٌ . فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يغني ، ويوقع بقضيب¹ :

مرضتُ فلم تحفلْ عليّ جَنوبُ وأدنفْتُ والممشى إليّ قريبُ

فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننتُ أنَّ الجبال التي حولي تنطق معه : شجاً صوت ، وحُسنُ غناء . وقال لي : أُنحِبُ أن تزيدك ؟ فقلت : إي والله . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغبَ إليك وإلينا ، فأسعِفْهُ بما يريد . فاندفع يغني شعر مجنون بني عامر² :

عفا اللهُ عن ليلى الغداةَ فإنّها إذا وَلَيْتُ حكماً عليّ تجورُ

أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة ؟ إني إذاً لصبورُ

فما عَقَلْتُ لِمَا غَنَى من حسنه إلاّ بقول صاحبي : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما

1 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 8 .

2 ديوان مجنون ليلى : 139 وديوان أبي دهبل : 77-78 .

معناك في ذلك ؟ فقال : إنَّ أبا يزيد عَرَضَ بَأْتِي لَمَّا وَلِيَتْ الْحَكَمَ عَلَيْهِ جُرْتُ فِي سُؤَالِي إِيَّاهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوْتٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ لَهُ ، بَعْدَ سَاعَةٍ ، سَرًّا : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنِّي أُرِيدُ الْمَضِيَّ وَأَصْحَابِي يَرِيدُونَ الرِّحْلَةَ ، وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، حَاطَهُ اللَّهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ ، أَنْ يَزُوْدَنِي لَحْنًا وَاحِدًا . فَقَالَ لِي : يَا أبا يزيد ، أُنْعَلِمَ مَا أَنْهَى إِلَيْنَا ضَيْفُنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَرَادَكَ أَنْ تَكَلِّمَنِي فِي أَنْ أُغْنِيَهُ قُلْتُ : هُوَ وَاللَّهِ ذَلِكَ ، فَاَنْدَفَعْ يَغْنِي : [من الطويل]

خُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ

[نسبة وصية أسماء لابنته إلى أبي الأسود]

فَقَالَ : قَدْ أَخَذْنَا الْعَفْوَ مِنْكَ ، وَاسْتَدَمْنَا مَوَدَّتَكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ حَسَنٍ ؟ فَقُلْنَا : بَلَى . قَالَ : قَالَ شَيْخُ الْعِلْمِ وَفَقِيهُ النَّاسِ وَصَاحِبُ عَلِيٍّ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَخَلِيفَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى الْبَصْرَةِ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ لَابَنَتَهُ لَيْلَةَ الْبِنَاءِ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، النِّسَاءُ كُنَّ بِوَصِيَّتِكَ وَتَأْدِيكَ أَحَقَّ مَنِّي ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ . يَا بُنْيَةَ ، إِنْ أَطِيبَ الطَّيِّبُ الْمَاءُ ، وَأَحْسَنَ الْحَسَنُ الدَّهْنَ ، وَأَحْلَى الْحَلَاوَةُ الْكَحْلُ . يَا بُنْيَةَ ، لَا تَكْثُرِي مَبَاشِرَةَ زَوْجِكَ فَيَمْلُكَ ، وَلَا تَبَاعَدِي عَنْهُ فَيَجْفُوكَ وَيَعْتَلَّ عَلَيْكَ ، وَكُونِي كَمَا قُلْتُ لَأُمُّكَ : [من الطويل]

خُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ

فَقُلْتُ لَهُ : فَدَتِكَ نَفْسِي ، مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَحْسَنُ : أُحَدِّثُكَ أَمْ غِنَاؤُكَ ؟ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . وَنَهَضْتُ فَرَكِبْتُ وَتَخَلَّفَ الْغَرِيضُ وَصَاحِبُهُ فِي مَوْضِعَهُمَا ، وَأَتَيْتُ أَصْحَابِي وَقَدْ أَبْطَأْتُ ، فَرَحَلْنَا مَنْصَرَفِينَ حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَأَيْتُ فِيهِ الْحَيَّةَ مَنْطُويَةً عَلَى صَدْرِ الْمَرْأَةِ وَنَحْنُ ذَاهِبُونَ ، رَأَيْتُ الْمَرْأَةَ وَالْحَيَّةَ مَنْطُويَةً عَلَيْهَا ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ صَفَرَتِ الْحَيَّةُ ، فَإِذَا الْوَادِي يَسِيلُ عَلَيْنَا حَيَّاتٍ فَنَهَشْنَهَا حَتَّى بَقِيَتْ عِظَامًا . فَطَالَ تَعَجُّبُنَا مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَا مَا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ قَطُّ . فَقُلْتُ لَجَارِيَةٍ كَانَتْ مَعَهَا : وَيْحَكَ ! أَخْبِرِينَا عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، قَالَتْ : نَعَمْ أَثْقَلْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّ مَرَّةٍ تَلِدُ وَلَدًا ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ سَجَرَتِ التَّنُّورِ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِيهِ : فَذَكَرْتُ قَوْلَ الْغَرِيضِ حِينَ سَأَلَهَا عَنْ الْحَيَّةِ ، فَقَالَتْ : فِي النَّارِ . فَقَالَ : سَتَعْلَمِينَ مَنْ فِي النَّارِ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

[من الطويل]

فمنها :

صوت

مَرِضْتُ فَلَمْ تَحْفَلْ عَلَيَّ جَنْوْبُ وَأَدْنَقْتُ وَالْمَمَشَى إِلَيَّ قَرِيبُ

فلا يُبعد الله الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوة ستوبُ
عروضه من الطويل . الشعر الحميد بن ثور الهلالي ، والغناء للغريض من رواية حماد
عن أبيه ، وفيه إعلوّه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه
ومنها :

صوت

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكماً عليّ تجورُ
أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبورُ !
عروضه من الطويل ، والشعر ، يقال : لأبي دهب الجُمحي ، ويقال : إنه لمجنون بني
عامر ، ويقال : إنه لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى ، عن
عمرو بن بانه ، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى ، وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول
بالبنصر مجهول .

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال : قال أبو دهب : [من الطويل]
أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أضلّ بغيره له ذمة إن الذمّام كبيرُ
ولصاحب المتروك أعظمُ حرمة على صاحب من أن يضلّ بغيرُ
قال الزبير وقال عمي : هذه الأبيات لمجنون بني عامر .
قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي محمد الشيباني قال : قال عبد الملك بن
مروان لعمر بن أبي ربيعة : أنت القائل :

أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبورُ !
قال : نعم . قال فيبس الحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غدوة . قال : يا أمير المؤمنين ،
إنها من غدوات سليمان ، غدوها شهر ، ورواحها شهر .

أخبرني اليزيدي عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدثني عمر بن القاسم بن المعتمر
الزهري قال : قلت لأبي السائب المخزومي : أما أحسن الذي يقول : [من الطويل]

أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أضلّ بغيره له ذمة إن الذمّام كبيرُ
ولصاحب المتروك أعظمُ حرمة على صاحب من أن يضلّ بغيرُ ؟

فقال : بآبي أنت ، كنتُ واللهُ أُجَنِّبُكَ وتثقل عليّ ، فأنا الآن أُحِبُّكَ وتخفّ عليّ ، حيث تعرف هذا .

صوت

[من الوافر]

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِهَا شَنَارَا
كَأَنَّ مَجَامِعَ الْأُرْدَافِ مِنْهَا نَقَاءً دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا
يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَذْلِ قَلْبِي وَيَتَّبِعُ الْمَمْنَعَةَ النُّوَارَا

الخِفْرَة : الحَيَّة ، والخَفَر : الحياء . والشَّنَار : العار . والنقا : الكثيب من الرمل . درجت عليه الريح : مرّت . هار : تهافت وتداعى . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾¹ ويعاف : يكره . والنوار : الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء .
عروضه من الوافر : الشعر للسُّلَيْك بن السُّلُكَة² ، والغناء لابن سُرَيْج ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهُرَيْذ لحن من رواية بذل ، ولم يذكر طريقته . وفيه لابن طنْبُورَة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه .

1 سورة التوبة ، الآية : 109

2 شعر السليك : 55 .

[438] - أخبار السُّليكَ بن السُّلَكة ونسبه¹

هو السُّليكَ بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عمير بن يثرب ، أحدُ بني مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والسُّلَكة : أمّه ، وهي أُمّة سوداء .
[من الصعاليك العدائين]

وهو أحدُ صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يُلحَقون ، ولا تعلقُ بهم الخيل إذا عدّوا . وهم : السُّليكَ بنُ السُّلَكة ، والشَّنْفَرى ، وتَأبَّطُ شَرّاً ، وعمرو بن بَرّاق ، ونفيل بن بَراقة . وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعارهم يُغْنى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم .

فأمّا السُّليكَ فأخبرني بخبره الأَخفشُ عن السكريّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ ، قال : وقرئ لي خبره وشعره على محمد بن الحسن الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة . أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضل ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كلِّ مرويّ إلى روايه .
[يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف]

قال أبو عبيدة : حدّثني المنتجعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّليكَ بنُ عمير السعديّ إذا كان الشتاء استودع بيّض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار . وكان أدلّ من قطاة² ، يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مُضَر ، وإنما يغيرُ على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

وقال المفضل في روايته : وكان السُّليكَ من أشدّ رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم ، وكانت العرب تدعوه سَلِيكَ المقانِب³ . وكان أدلّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدّهم عدوّاً على رجله ، لا تعلقُ به الخيل ؛ وكان يقول : اللهم إنك تهتّى ما شئت لما

1 ترجمة السليكَ بن السُّلَكة في الشعر والشعراء : 281-285 والمؤتلف والمختلف : 202-203 وشرح مقامات الحريري للشريشي 1 : 388-393 وأمثال الضبي : 13-14 وفصل المقال : 270 ، 307 وكتب الأمثال الأخرى تحت الأمثال الواردة في قصته ، وانظر أعلام الزركلي ومواقع متفرقة من الكامل للمبرّد والتذكرة الحمدونية .

2 المثل «أهدى من قطاة» في مجمع الميداني 2 : 409 وجمهرة العسكريّ 2 : 353 .

3 المقانِب : جمع مقنب ، وهو جماعة من الخيل للغارة .

شئت إذا شئت . اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة . اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، فأما الهيبة فلا هيبة .
[غارة]

فذكروا¹ أنه أُمْلِقَ حتى لم يَبْقَ له شيءٌ فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمرُّ به فيذهب بإبله ، حتى أَمْسَى في ليلة من ليالي الشتاء باردة ، مُقَمَّرَةٌ فاشتمل الصماء ، ثم نام ، واشتمال الصماء : أن يَرُدَّ فَضْلُهُ ثوبه على عضده اليمنى ، ثم ينام عليها ، فبينما هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه فقال : استأسر ، فرفع السُّليكَ إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر² . فأرسلها مثلاً ، فجعل يَلْهَزه³ ويقول : يا خبيثُ استأسر . فلما آذاه بذلك أخرج السُّليكَ يده ، فضمَّ الرجل إليه ضَمَّةً ضَرَطَ منها وهو فوقه ، فقال السُّليكَ : أضرطاً وأنت الأعلى⁴ ؟ فأرسلها مثلاً ، ثم قال : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ، فقلت : لأخرجنَّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغني ، فأتيتهم وأنا غنيٌّ ؛ قال : انطلق معي . فانطلقا ، فوجدنا رجلاً قصَّته مثل قصَّتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوْفَ : جوف مراد .

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَمٌ قد ملأ كلُّ شيءٍ من كثرته ، فهابوا أن يُغَيِّرُوا فيطردوا بعضها ، فيلحقهم الطلب . فقال لهما سُلَيْكُ : كونا قريباً مني حتى آتي الرِّعاء فأعلمَ لكما عِلْمَ الحيِّ ، أَقْرَبُ أم بعيد . فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومىء⁵ إليكما به فأغيروا . فانطلق حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحيِّ ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدْرِكُوا . فقال السُّليكَ للرِّعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى غننا ، فرفع صوته وغنى⁶ :

يا صاحبي ألا لا حيٍّ بالوادي سوى عبيد وآمٍ بين أذواد⁷

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 136 .

2 المثل «الليل طويل وأنت مقمر» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 2 : 189 ومستقصى الزمخشري 1 : 344 وفصل المقال 339 وأمثال العرب للمفضل الضبيّ : 62 .

3 يلهزه : يضربه بجمع يديه .

4 المثل «أضرطاً وأنت الأعلى» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 86 وأمثال الضبيّ : 13 وفصل المقال : 339 .

5 ل : أوحى إليكما .

6 شعره : 51 .

7 آم : جمع أمة .

أَنْظُرَانِ قَرِيباً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَعْدَوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْغَادِي¹
فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ أَتَيَا السُّلَيْكَ ، فَأَطْرَدُوا الْإِبِلَ فَذَهَبُوا بِهَا وَلَمْ يَبْلُغِ الصَّرِيخُ الْحَيَّ حَتَّى فَاتَوْهُم
بِالْإِبِلِ .

[غارة أخرى]

قال المفضل : وزعموا أَنَّ سُلَيْكاً خَرَجَ وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ
زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ يُقَالُ لَهَا : عَمْرُو وَعَاصِمٌ وَهُوَ يَرِيدُ الْغَارَةَ ؛ فَمَرَّ عَلَى حَيٍّ بَنِي شَيْبَانَ فِي
رَبِيعٍ وَالنَّاسُ مَخْصَبُونَ فِي عَشِيَّةٍ فِيهَا ضَبَابٌ وَمَطَرٌ ، فَإِذَا هُوَ بَيْتٌ قَدْ انْفَرَدَ مِنَ الْبُيُوتِ وَقَدْ
أَمْسَى . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُونُوا بِمَكَانٍ كَذَا حَتَّى آتِيَ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ ، فَلَعَلِّي أَنْ أُصِيبَ لَكُمْ
خَيْراً ، أَوْ آتِيَكُمْ بِطَعَامٍ . قَالُوا : أَفْعَلْ ، فَاَنْطَلَقَ وَقَدْ أَمْسَى وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، فَإِذَا الْبَيْتُ بَيْتُ
رُؤَيْمٍ ، وَهُوَ جَدُّ حَوْشَبِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُؤَيْمٍ ، وَإِذَا الشَّيْخُ وَأَمْرَأَتُهُ بَفَنَاءِ الْبَيْتِ .

فَأَتَى السُّلَيْكُ الْبَيْتَ مِنْ مُؤَخَّرِهِ فَدَخَلَهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَاحَ ابْنُهُ بِإِبِلِهِ . فَلَمَّا أَرَاَهَا غَضِبَ
الشَّيْخُ ، وَقَالَ لِابْنِهِ : هَلَّا عَشَيْتَهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : إِنَّهَا أَبَتُ الْعِشَاءِ . فَقَالَ :
الْعَاشِيَةُ تَهْجِجُ الْآيَةَ² ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . ثُمَّ غَضِبَ الشَّيْخُ ، وَنَفَضَ ثَوْبَهُ فِي وَجْهِهَا ، فَرَجَعَتْ
إِلَى مَرَاتِعِهَا وَمَعَهَا الشَّيْخُ حَتَّى مَالَتْ بِأَدْنَى رَوْضَةٍ ، فَتَرَعَتْ ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ عِنْدَهَا لِتَتَعَشَّى ،
وَعَطَّى وَجْهَهُ بِثَوْبِهِ مِنَ الْبَرْدِ ، وَتَبِعَهُ سُلَيْكُ .

فَلَمَّا وَجَدَ الشَّيْخُ مَغْتَرّاً خَتَلَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضْرِبَهُ فَأَطَارَ رَأْسَهُ ، وَصَاحَ بِالْإِبِلِ فَطَرَدَهَا ، فَلَمْ
يَشْعُرْ صَاحِبَاهُ ، وَقَدْ سَاءَ ظَنُّهُمَا وَتَخَوَّفَا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا هُمَا بِالسُّلَيْكِ يَطْرُدُهَا فَطَرَدَاهَا مَعَهُ ،
وَقَالَ سُلَيْكُ فِي ذَلِكَ³ :

وَعَاشِيَةٌ رَاحَتْ بِطَاناً ذَعَرْتُهَا بِسُوطٍ قَتِيلٍ وَسَطَهَا يُتْسِفُ⁴
كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنُ بُرْدٍ مَحْبَرٍ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارَخُ يُتْلَهَفُ⁵
فَبَاتَ لَهَا أَهْلٌ خِلَاءُ فَنَاوَهُم وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا⁶

1 الرِّيحُ : الغَلِيَّةُ وَالْفُوزُ .

2 المَثَلُ «الْعَاشِيَةُ تَهْجِجُ الْآيَةَ» فِي مَجْمَعِ الْمِيدَانِي 2 : 9 وَجُمْهُرَةُ الْعَسْكَرِيِّ 2 : 57 وَمُسْتَقْصَى الزَّمْخَشَرِيِّ 1 : 331 وَفَصْلُ الْمَقَالِ : 516 وَأَمْثَالُ الْعَرَبِ : 63 . وَالْعَاشِيَةُ الَّتِي تَرَعَى لَيْلاً .

3 شَعْرُهُ : 59-60 .

4 الْمِيدَانِي : بِصَوْتِ قَتِيلٍ .

5 الْمَبْرَدُ الْمَحْبَرُ : الْمَوْشَى . وَهَذَا مَحْبَرٌ بِالْדَّمِ .

6 فَبَاتَ لَهَا فِي لَ : فَقَلَّتْ لَهَا .

وباتوا يظنون الظنون وصُحبتني
وما نلتها حتى تصعلكتُ حِقبة
وإذا ما علوا نشرأُ أهْلُوا وأوجفوا
وكِدْتُ لأَسبابِ المنيَةِ أعْرِفُ¹
وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيفِ ضرَّني
إذا قمتُ تغشاني ظلال فأسدِفُ²

[حيلة للغارة]

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة : خرج سُليكَ في الشهر الحرام حتى أتى عُكاظ ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ، ثم خرج متفضلاً مترجلاً ، فجعل يطوف الناس ويقول : مَنْ يصف لي منازل قومه ، وأصيف له منازل قومي ؟ فلقِيَه قيسُ بنُ مكشوحِ المراديُّ ، فقال : أنا أصيف لك منازل قومي ، وصَيف لي منازل قومك . فتواقفا وتعهدا ألا يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذُ بين مَهَبِ الجنوب والصَّبا ، ثم سِرْ حتى لا تدري أين ظلَّ الشجرة ؟ فإذا انقطعت المياه فسير أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف³ بينها الطريق ، فإنك ترد على قومي مراد وختعم .

فقال السُّليكَ : خذُ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثمَّ منازل قومي بني سعد بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأخبرهم الخبر ، فقال أبوه المكشوح : ثَكِلْتُكَ أُمُّكَ . هل تدري مَنْ لقيت ؟ قال : لقيتُ رجلاً فضلاً⁴ كأنما خرج من أهله ، فقال : هو والله سُليكَ بن سعد .

فاستعلق واستعوى السُّليكَ قومه فخرج أحماس⁵ من بني سعد وبني عبد شمس ، وكان في الربيع يعمد إلى بَيْض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز . قال : فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره . فمرَّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سُليكَ أهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتُم الماء ، ما أقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده ، وجعل يتردَّد في طلبه . فقال بعضُ أصحابه لبعض : أين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتم ، وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظَنُّهم ، فهمَّ السُّليكَ بقتل بعضهم ، ثم أمسك .

فانصرف عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . قال : ومضى السُّليكَ في بني

1 أعرف : أصبر .

2 يسدِف : تظلم عيناه من الجوع .

3 القف : المرتفع من الأرض .

4 فضل : رجل في ثوب واحد .

5 أحماس : شجعان .

مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له : صُرْد . فلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ قَدْ انصَرَفُوا بَكَى ومضى به السُّلَيْك ، حتى إذا دَنَوْا من بلاد خثعم ضَلَّتْ نَاقَةُ صُرْد في جوف الليل ، فخرج في طلبها ، فأصابه أناس حين أصبح ، فإذا هم مراد وخثعم ، فأَسْرَوْه ، ولَحَقَهُ السُّلَيْك فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وكان أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهِ قَيْسُ بن مَكشوح ، فَأَسْرَهُ السُّلَيْك بعد أن ضربه ضربةً أَشْرَفَتْ على نفسه ، وأصاب من نَعْمِهِمْ ما عجز عنه هو وأصحابه ، وأصاب أُمَّ الحارث بنتَ عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ ، واستنقذ صُرْد من أيدي خثعم ، ثم انصرف مسرعاً ، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحيّ ، وهم أكثر من الذين شهدوا معه ، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السُّلَيْك في ذلك¹ :

بَكَى صُرْدٌ لَمَّا رَأَى الْحَيَّ أَعْرَضَتْ	مَهَاوَهُ رَمَلٍ دُونَهُمْ وَسُهوبُ
وَخَوْفُهُ رَيْبَ الزَّمَانِ وَفَقْرَهُ	بِلَادُ عَدُو حَاضِرٍ وَجَدُوبُ
وَنَأْيُ بَعِيدٍ عَنِ بِلَادِ مَقَاعَسَ	وَأَنَّ مَخَارِيقَ الْأُمُورِ تَرِيبُ
فَقُلْتُ لَهُ لَا تُبَكِّ عَيْنَكَ إِنَّهَا	قَضِيَّةٌ مَا يُقْضَى لَهَا فَتُوبُ ²
سَيَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَيَّ لَحْمٌ مَغْرَضُ	وَمَاءُ قُدُورٍ فِي الْجِفَانِ مَشُوبُ ³
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَوْنَانِ لَوْنُهُ	وَطُورَانِ : بِشْرَ مَرَّةٍ وَكَذُوبُ ⁴
فَمَا خَيْرَ مَنْ لَا يَرْتَجِي خَيْرَ أَوْبَةٍ	وَيُخْشَى عَلَيْهِ مِرْيَةٌ وَحُرُوبُ ⁵
رَدَدْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ فَكَأَنَّمَا	تَلَاقَى عَلَيْهِ مَنَسِيرٌ وَسُرُوبُ ⁶
فَمَا ذَرٌّ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى أَرَيْتَهُ	قُصَارَ الْمَنَايَا وَالْغُبَارِ يَثُوبُ ⁷
وَضَارِبُ عَنْهُ الْقَوْمَ حَتَّى كَأَنَّمَا	يَصْعَدُ فِي آثَارِهِمْ وَيَصُوبُ ⁸

1 شعره : 44-46 .

2 شعره : لنا فنووب .

3 فقد الحي : شراب الحي . ومغرض : طري .

4 طوران في ل : وثاران .

5 مرية في ل : سرية ، وهي جماعة الخيل .

6 المنسر : مقدمة الجيش . والسروب : جماعات الخيل .

7 ل : حتى رأيت مصاد المنايا . ومصاد وقصار : الغاية .

8 يصوب : ينحدر .

وَقُلْتُ لَهُ خذْ هَجْمَةً حِمِيرِيَّةً وَأَهْلًا وَلَا يَبْعُدُ عَلَيْكَ شَرُوبٌ¹
 وَلَيْلَةً جَابَانٍ كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ عَلَى سَاعَةٍ فِيهَا الْإِيَابُ حَيْبٌ²
 عَشِيَّةً كَرَرْتُ بِالْحَرَامِيِّ نَاقَةً بِحَيٍّ هَلًا تُدْعَى بِهِ فَتُجِيبُ³
 فَضَارِبَتْ أَوَّلَى الْخَيْلِ حَتَّى كَانَمَا أَمِيلُ عَلَيْهَا أَيْدَعُ وَصَيْبٌ

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحناء .

[ينذر قومه فيكذبونه]

قال أبو عبيدة⁴ : وبلغني أَنَّ السُّلَيْكَ بْنَ السُّلَكَةِ رَأَتْهُ طَلَائِعُ جَيْشِ لَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَكَانُوا جَازَوْا مَنْحَدَرَيْنِ لِيَغِيرُوا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ وَلَا يَعْلَمَ بِهِمْ أَحَدٌ ، فَقَالُوا : إِنْ عَلِمَ السُّلَيْكُ بَنَاءُنَا أَنْذَرَ قَوْمَهُ ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ فَارَسِينَ عَلَى جَوَادِينَ ، فَلَمَّا هَاجَاهُ خَرَجَ يَمْحَصُ كَأَنَّهُ ظَبْيٌ ، وَطَارِدَاهُ سَحَابَةٌ يَوْمَهُ ، ثُمَّ قَالَا : إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَغْيَا ، ثُمَّ سَقَطَ أَوْ قَصَرَ عَنِ الْعَدُوِّ ، فَتَأْخُذْهُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَا وَجَدَا أَثَرَهُ قَدْ عَثَرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ فَتَزَعَهَا⁵ ، فَتَدَرَّتْ قَوْسُهُ فَانْخَطَمَتْ ، فَوَجَدَا قِصْدَةً⁶ مِنْهَا قَدْ ارْتَزَتْ⁷ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَا : مَا لَهُ ، أَخْزَاهُ اللَّهُ ؟ مَا أَشَدَّهُ ! وَهَمَّا بِالرَّجُوعِ ، ثُمَّ قَالَا : لَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ثُمَّ فُتِرَ ، فَتَبِعَاهُ ، فَإِذَا أَثَرُهُ مِتْفَاجٌ⁸ قَدْ هَالَ فَرَاغًا فِي الْأَرْضِ وَخَذَّهَا ؛ فَقَالَا : مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ ؟ مَا أَشَدَّ مِتْنَهُ ! وَاللَّهِ لَا تَتَّبِعُهُ أَبَدًا ، فَانْصَرَفَا . وَنَمَى⁹ إِلَى قَوْمِهِ وَأَنْذَرَهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ لِبَعْدِ الْغَايَةِ ، فَانْشَأَ يَقُولُ¹⁰ :

يَكْذِبُنِي الْعَمْرَانُ عَمْرُو بْنُ جَنْدَبٍ وَعَمْرُو بْنُ سَعْدٍ وَالْمَكْذُوبُ أَكْذَبُ¹¹
 لَعَمْرُكَ مَا سَاعَيْتُ مَنْ سَعَى عَاجِزٌ وَلَا أَنَا بِالْوَانِي فَفِيمَ أَكْذَبُ¹¹

1 الهجمة : مجموعة من الإبل . وشروب : شراب .

2 جابان : مخلاف باليمن .

3 كَرَرْتُ فِي ل : كَدْتُ .

4 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 345 والكامل : 738-739 والدرة الفاخرة 1 : 305 .

5 ل : فَنَزَا عَنْهَا .

6 قصده : قطعة .

7 ارتزت : ثَبَّتَتْ .

8 متفاج : متباعد ما بين رجله .

9 ل : وَتَمَّ .

10 شعره : 47-48 .

11 رواية الشعر :

سَعَيْتُ لِعَمْرِي سَعَى غَيْرِ مُعْجِزٍ وَلَا نَأْنِيءُ لَوْ أَنَّنِي لَا أَكْذِبُ

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها كراديس يهديها إلى الحي موكب¹
 كراديس فيها الحوفزان وقومه فوارس همّام متى يدعُ يركبوا
 يعني الحوفزان بن شريك الشيباني .
 تفاقدم هل أنكرن مغيرة مع الصبح يهديهن أشقر مغرب
 تفاقدم : يدعو عليهم بالتفاقد .

[يقتل زوجته]

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسُّليكَ : سُلَيْكِ المقاب ،
 وقد قال في ذلك فرار الأسدي ، وكان قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمّها فعقرها
 بالسيف ، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه ، فقال في ذلك² : [من الطويل]

لَزُوار ليلي منكم آل برثن على الهول أمضى من سُلَيْكِ المقاب
 يزورونها ولا أزورُ نساءهم ألْهفى لأولادِ الإماء الحواطِبِ

[غارة على بني عوار]

وقال أبو عبيدة : أغار السُّليكَ على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة ، فلم يظفر
 منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنّه إذا عدا لم يُتعلّق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقل لم
 يستطع العدوّ ، وظفرتم به . فأمهّلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلمّا عليم أنّه
 مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى وليجّ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيْهة ، فاستجار
 بها ، فممنّته ، وجعلته تحت درعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكاثروها فكشفت
 خمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال
 السُّليكَ في ذلك³ :

لعمرُ أبيكِ والأنباء تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا
 من الخفريات لم تفضحُ أباهَا ولم ترفعُ لإخوتها شنارَا
 كأن مجامعَ الأردافِ منها نَقاً درجت عليه الریحُ هارَا

1 الكراديس : القطع العظيمة من الخيل .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .

3 شعره : 55-56

يَعَافُ وصال ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا
وما عجزت فُكِيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا

[أطلق أسيره فأنيب]

أخبرني الأخفش عن السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي أن السُّلَيْك أخذ رجلاً من بني كنانة بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب يقال له : النعمان بن عُقْفَان ، ثم أطلقه وقال ¹ :

سمعتُ بجمعهم فرضختُ فيهم بنعمان بن عُقْفَان بن عمرو
فإن تكفر فأنني لا أبالي وإن تشكر فأنني لست أدري
قال : ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير ، وهم بماء لهم يقال له : قُبَاقِبْ ، خلف البشر ، فأتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان ، وهما سيِّدا بني كنانة ، ونائلة ابنته ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم ؛ فقالوا : صدق ؛ فقال : قد شكرتُ لك وقد رددتهم عليك .

[يسبق في شيخوخته الشباب]

فجمعتُ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال : نعم ، وأبغوني أربعين شاةً ، وأبغوني درعاً ثقيلة ، فأتوه بذلك ، فلبس الدرع ، وقال للشبان : الحقوا بي إن شئتم . وعدا ، فلاث العدو لوثاً ، وعدوا جَنَبَتَه فلم يلحقوه إلا قليلاً ، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحي هو وحده يُحْضِرُ والدرع في عنقه تضرب كأنها خِرْقَة من شدة إحضاره .

أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدّم .

[مقتله]

وقال السكري في خبر مقتله : إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها : فحة ، بين أرض عُقَيْل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالك بن عُمير بن أبي ذراع بن جُشَم بن عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها : النوار ، فقال له الخثعمي : أنا أفدي نفسي منك ، فقال له : السُّلَيْك : ذلك لك ، على ألا تخيس بي ، ولا تطلع عليّ أحداً من خثعم . فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلف امرأته رهينة معه ، فنكحها السُّلَيْك ،

وجعلت تقول : احذر خثعم ؛ فإنني أخافهم عليك ، فأنشأ يقول¹ :

[من الطويل]
تُحذِرني كي أُحذِرَ العام خثعماً وقد علّمت أنني امرؤ غير مُسلمٍ
وما خثعمُ إلا لئامٌ أذلةٌ إلى الذلِّ والإسحاق تنمي وتنمي²

قال : وبلغ ذلك شبل بن قلادة بن عمر بن سعد ، وأنس بن مدرك الخثعميين ، فخالفا إلى السُّليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل ، فأنشأ يقول³ :

[من الرجز]
مَن مبلغٍ جذمي بأنّي مقتولٌ
يا ربَّ نهبٍ قد حويتُ عُثْكَولُ⁴
وربَّ قرنٍ قد تركتُ مجدولٌ
وربَّ زوجٍ قد نكحتُ عُطْبُولُ⁵
وربَّ عانٍ قد فككتُ مكبولٌ
وربَّ وادٍ قد قطعتُ مسبولٌ

قال أنس للشبل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت اكفني القوم أكفك الرجل . قال : بل أكفيك القوم ، فشدَّ أنس على السُّليك فقتله ، وقتل شبل وأصحابه من كان معه .

وكاد الشرُّ يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك ، لأنّه كان أجاره حتى وداه أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده ، وقال :

[من البسيط]
كم من أخٍ لي كريمٍ قد فُجِعْتُ به ثم بقيتُ كأنّي بعده حَجَرُ
لا أَسْتَكِينُ على ريبِ الزَّمانِ ولا أغضي على الأمرِ يأتي دونه القدرُ
مِرْدَى حُرُوبٍ أديرُ الأمرَ حابله إذ بعضهم لأُمورٍ تعترِي جَزْرُ
قد أطعنُ الطعنةَ النجلاءُ أتبعها طَرَفًا شديدًا إذا ما يَشْخَصُ البصرُ
ويومَ حمضةٍ مطلوبٍ ذَلَفْتُ له بذاتٍ ودَقِينٍ لما يُعْفها المطرُ
وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه :

1 شعره : 67 .

2 الإسحاق : الأبعاد . ويقال سحقاً لهم .

3 شعره : 63-64 .

4 العثْكَول : العذق .

5 العطبول : الفتية الجميلة الطويلة العنق .

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعَقَلَهُ

كَمَا ذَكَرَهُ مَنْ رَوَيْنَا عَنْهُ ذَلِكَ .

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصَمِيِّ عَنْ عَمِّهِ فَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ .

[يَجْعَلُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مُوَيْلِكَ إِتَاوَةَ لِيَجِيرَهُ]

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَحَدَّثَنِي الْمُتَجَعُّ بْنُ نُبَهَانَ قَالَ : كَانَ السُّلَيْكُ يُعْطِي عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَ مُوَيْلِكَ الْخَثْعَمِيَّ إِتَاوَةً مِنْ غَنَائِمِهِ عَلَى أَنْ يَجِيرَهُ فَيَتَجَاوَزَ بِلَادَ خَثْعَمٍ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَيُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ . فَمَرَّ قَافِلاً مِنْ غَزْوَةٍ فَإِذَا بَيْتٌ مِنْ خَثْعَمٍ أَهْلُهُ خُلُوفٌ¹ وَفِيهِ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ بَضَّةٌ ، فَسَأَلَهَا عَنْ الْحَيِّ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَتَسَنَّمَهَا ، أَيَّ عَلاَهَا ، ثُمَّ جَلَسَ حَجْرَةً² ، ثُمَّ التَّقَمَ الْمَحْجَّةَ³ . فَبادَرَتْ إِلَى الْمَاءِ فَأَخْبِرَتْ الْقَوْمَ ، فَرَكِبَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكٍ الْخَثْعَمِيَّ فِي طَلَبِهِ فَلَحَقَهُ ، فَقَتَلَهُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلَنَّ قَاتِلَهُ أَوْ لِيَدِينَهُ ، فَقَالَ أَنَسُ : وَاللَّهِ لَا أُدِيهِ وَلَا كِرَامَةَ ، وَلَوْ طَلَبَ فِي دَيْتِهِ عِقَالاً لَمَا أُعْطِيَتْهُ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعَقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقْرُ⁴
غَضِبْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ وَإِذْ يُشَدُّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ⁵
إِنِّي لَتَارِكُ هَامَاتٍ بِمَجْزَرَةٍ لَا يَزِدُّهُنِي سِوَاؤُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ
أَغْشَى الْحُرُوبَ وَسِيرَالِي مِضَاعَفَةً تَغْشَى الْبَنَانَ وَسِيفِي صَارِمٌ ذَكَرُ

[غَنَاءُ بِشَعْرِهِ نَبَّهَ فَنَاتَ إِلَى وَضْعِهَا]

أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ بِمَكَّةَ ، وَكُنَّا لَا نَفْتَرِقُ وَلَا يَكْتُمُ أَحَدٌ صَاحِبَهُ سِرّاً ، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : يَا فُلَيْحُ ، إِنِّي أَهْوَى ابْنَةَ عَمِّ لِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا قَطُّ ، وَقَدْ زَارْتَنِي الْيَوْمَ فَأَحَبُّ أَنْ تَسَرَّنِي بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّي لَا أُحْتَشِمُكَ . فَقُلْتُ : أَفْعَلُ ، وَصَرْتُ إِلَيْهِمَا ، وَأَحْضَرُ الطَّعَامَ فَأَكْلُنَا ، وَوَضَعَ النَّبِيذَ فَشَرَبْنَا أَقْدَاحاً ، فَسَأَلَنِي أَنْ أُغْنِيَهُمَا ، فَكَأَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْسَانِي الْغَنَاءَ كُلَّهُ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ :

[مَنْ الْوَافِرُ]

1 خلوف : غياب الرجال وبقاء النساء في الحي .

2 حجرة : ناحية .

3 التقم المحجة : استقبلها .

4 المثل « كالثور يضرب لما عافت البقر » في مجمع المياداني 2 : 142 وجمهرة العسكري 1 : 288 ومستقصى

الزمخشري 2 : 204 وفصل المقال : 387 .

5 الوجعاء : الدبر . والثفر : السير في مؤخر السرج .

من الخفريات لم تفضح أباهما ولم تلحق بإخوتها شناراً
فلما سمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي ، أعد ، فأعدته . فوثبت وقالت : أنا إلى الله
تأبئة ، والله ما كنت لأفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً . فجهد الفتى في رجوعها فأبت
وخرجت ، فقال لي : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ فقلت : والله ما هو شيء اعتمدته ،
ولكنه ألقى على لساني لأمر أريد بك وبها . هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء ، فأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله قال :
كان إبراهيم بن سعدان يودب ولد علي بن هشام ، وكان يغني بالعود تأذباً ولعباً . قال : فوجه
إلي يوماً علي بن هشام يدعوني ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد ،
فرجعت عجباً ، فصاح بي : ادخل ، فدخلت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خذ
عوداً وغن لنا ، ففعلت ، ثم غنيت في وسط غنائي : [من الوافر]

من الخفريات لم تفضح أباهما ولم ترفع لإخوتها شناراً
فوثبت من بين يديه ، وغطت رأسها ، وقالت : إني أشهد الله ، أنني تأبئة إليه ، ولا أفضح
أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً . ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرته ، فقال لي :
ويلك ، من أين صبك الله علي ؟ هذه مغنية بغداد ، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا
اليوم ، فجئتني بهذا الصوت حتى هربت . فقلت : والله ما اعتمدت مساءتك ، ولكنه شيء
خطر على غير تعمّد .

صوت

[من الطويل]

أمسلم إني يا ابن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض
شكرتك إن الشكر حظ من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي
الشعر لأبي نخيلة الحمانى ، والغناء لابن سريج ، ثقیل بالوسطى عن يحيى المكي .

[439] - أخبار أبي نخيلة ونسبه¹

[كنيته اسمه]

أبو نُخَيْلَة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجُنَيْد ، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب ، لا يعرف له اسم² غيره ، وله كنيستان : أبو الجُنَيْد وأبو العِرماس ، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هَرَم بن يَثْرِيّ ، وقيل : بن أثري بن ظالم بن مُجاسِر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن لُؤي بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

[عقوقه أباه]

وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

[اتصاله بمسلمة]

ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغتوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ، ولقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس ، وهجا بني أمية فأكثر .

[يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى]

وكان طامعاً نطفياً ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى ويعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله المنصور بألفي درهم ، وأمره أن يُشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له ، فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده³ .

[يهجو عند المثل ويمدح عند الإجابة]

أخبرني هاشم الخُرَاعيّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : رأى أبو نُخَيْلَة على شبيب حلّة فأعجبته ، فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه : [من الرجز]

1 ترجمة أبي نخيلة الحماني الراجز في الشعر والشعراء : 501 والمؤتلف والمختلف : 296-297 وخزانة البغدادي 1 : 163-165 والسمط : 135 والموشح : 343-344 وطبقات ابن سعد : 63-64 وانظر أمالي الزبيدي : 198 وأمالي المرتضى 1 : 580 ، 582 وأعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 في الشعر والشعراء : يعمر ؛ وفي المؤتلف : يعمر بن حزن .

3 ل : وجهه .

يا قوم لا تُسودوا شيباً الملذنان الخائنَ الكذوباً¹

هل تلدُ الذِيَّةُ إلّا الذِيَا

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال :

إذا غدت سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

[يخشي لسان خالد بن صفوان]

حدثني حبيب بن نصر المهلبى عن عمر بن شبة ، قال : حدثني الرّعل بن الخطاب قال : بنى أبو نخيلة داره ، فمرّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودة وكيدة ، فوقف عليه فقال أبو نخيلة : يا ابن صفوان ، كيف ترى دارى ؟ قال : رأيتك سألت فيها إلحافاً ، وأنفقت ما جمعت إسرافاً . جعلت إحدى يديك سَطْحاً ، وملأت الأخرى سَلْحاً ، فقلت : من وضع في سَطْحِي وإلّا ملأته بَسَلْحِي ، ثم ولّى وتركه .

ف قيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن والله يركب بغلته ، ويطوف في مجالس البصرة ، ويصف أبنتي بما يعيبها . وما عسى أن يضرّ الإنسان صفةً أبنيته بما يعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

[تأدّب في البادية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف عن ابن مَهْرُوزٍ عن أبي مسلم المستملي عن الجرمازي عن يحيى بن نجيم قال : لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدّب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصييداً صالحاً وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناس . ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزلّ به حتى أغناه . قال يحيى بن نجيم : فحدثني أبو نخيلة قال : وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له :

أَمَسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتَكَ زَائِراً عَلِيٌّ لِحَافاً سَابِغَ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ

وَأُحْيَيْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

[ينشد أرجوزة لرؤبة]

قال : فقال لي مسلمة : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا والله أرجز العرب ، قال : فأنشدني من

1 الملذنان : الذي لا يصدق في مودته .

رجزك ، فكأنني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤية كان قالها في تلك السنة ، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة ، فأنشده إياها ، فنكس رأسه وتتعنت ، فرفع رأسه إلي وقال : لا تتبع نفسك ، فأنا أروى لها منك . قال : فانصرف وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفني وقربني . وما رأيت ذلك أثر فيه ، يرحمه الله ولا قرعني به حتى افترقنا .
[مزيد من مدحه لمسلمة]

وحدثني أبو نخيلة قال : لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به :

مَسْلَمَ يَا مَسْلَمَةَ الْحُرُوبِ أَنْتِ الْمَصْفَى مِنْ أذى الْعُيُوبِ
مُصَاصَةً مِنْ كَرَمٍ وَطِيبٍ لَوْلَا ثِقَافٌ لَيْسَ بِالتَّدْرِيبِ¹
تَفَرِّي بِهِ عَنْ حُجُبِ الْقُلُوبِ لَأَمَسْتَ الْأُمَّةَ شَاءَ الذَّيْبِ
فَضَحَكْتُ وَضَمَنْتِي إِلَيْهِ ، وَأَجَزَلُ صَلَاتِي .

[رجل من عشيرته يوصله إلى هشام]

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي ، قال : قال أبو نخيلة : وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذكر لي رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلت إلى القيسي بالزارية فقلت : هو أقربهما إلي ، وأجدرهما بما أحب ؛ فجلست إليه ، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له : إني مستيثك لتمسني رحيمك .

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك ، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة ، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعني عنده ، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه . فقال : ذلك كله لك علي . وفي الرجل شدة ، ليس كمن عهدت من أهله ، وإذا سئل وخطب مدحه بطلب حرم الطالب ، فأخلص له المدح ، فإنه أجدر أن ينفعك ، واغد إليه غداً فإنني منتظر بك بالباب حتى أوصلك ، والله يعينك . فصرت من غد إلى باب هشام ، فإذا بالرجل منتظر لي ، فأدخلني معه ، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله² :

[من الرجز]

1 الثقاف : آلة تسوى بها الرماح .

2 ديوان أبي النجم (صادر) : 275-276 .

إلى هشام وإلى مروان بيتان ما مثلهما بيتان
كفأك بالجوّد تباريان كما تبارى فرسا رهان
مال عليّ حَدَثُ الزّمانِ وبيع ما يغلو من الغلمان¹
بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ والمهر بعد المهر والحصان²

قال : فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام ، وتبيّنت الكراهة في وجهه ، ثم استأذنتُ فأذن لي : فأنشدته :

[من الرجز]

لما أتنى نغية كالشّهد والعسل المزوج بعد الرقد³
يا برّدها لُشْتَفٍ بالبرّد رفعت من أطمارٍ مستعدّ
وقلتُ لِلْعيسِ اعتلى وجدي ففهي تَخْدَى أبرح التّخدي⁴
كم قد تعسّفتُ بها من نجد ومُجرَهْد بعد مُجرَهْد⁵
قد أدرعن في مسير سمد ليلاً كلون الطيلسان الجرد⁶
إلى أمير المؤمنين المُجدي ربّ معدّ وسوى معدّ
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ذي المجدي والتشريف بعد المجدي
في وجهه بدرّ بدا بالسّعد أنت الهمام القرم عند الجدّ
طوّقتها مجتميع الأشدّ فانهلّ لما قمت صوب الرعد

قال : حتى أتيت عليها وهممتُ أن أسأله ، ثم عزّفتُ نفسي وقلت : قد استنصحتُ رجلاً ، وأخشى أن أخالفه فأخطيء ؛ وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً . فلما فرغتُ أقبلَ عليّ جلسائه فقال : الغلام السّعديّ أشعر من الشيخ العجّليّ ، وخرجت . فلما كان بعد أيام أتتني جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليّ جبة خز من جبابه مبطنة بسّمور ، ثم دخلتُ عليه يوماً آخر ، فكساني دوجاً⁷ كان عليه من خز أحمر مبطن بسّمور ، ثم دخلتُ عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء ، فحملتني

1 الديوان : حذب الزمان ، أي شدّته ومشقّته .

2 الوكس : البخس .

3 نغية : نغمة ، وفي رواية : لما سمعت . والرقد : الرقاد .

4 تخدّى : تسرع . وفي الخزائنة : أحسن التّخدي .

5 مجرهد : مكان لا نبات فيه .

6 سمد : مستمر . والجرد : الخلق .

7 الدواج : الثوب الواسع .

نفسى على أن قلت له :
 كسوتنيها فهي كالتجفاف¹ من خزك المصونة الكثاف¹
 كأتني فيها وفي اللحاف من عبد شمس أو بني مناف
 والخز مشتاق إلى الأفواف²

قال ، فضحك ، وكانت عليه جبة أفواف ، وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي ،
 وقال : خذها ، فلا بارك الله لك فيها .

[يغير أرجوزته لي جعلها في السفاح]

قال محمد بن هشام في خبره خاصة : فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها
 وجعلها فيه ، يعني الأرجوزة الدالية ، فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح .
 [الفرزدق بفضل السجن على شفاعته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثني أبو
 عمر الخصاف عن العتيبي قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبي أن يُشفع
 فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة في يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول : [من الرجز]

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل ، فذاك نفري ووفري
 من سبب أو حجة أو عذر يُنجي التميمي القليل الشكر
 من خلق القيّد الثقالب السمر ما زال مجنوناً على است الدهر
 ذا حسب ينمو وعقل يحري هبه لأخوالك يوم الفطر³

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عجل جيء به من عين التمر⁴ قد أفسد ،
 فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه . وإياه عنى أبو نخيلة . فلما أخرج الفرزدق سأل عمر شفع له
 فأخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريه ولو مت . انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعه دعي ،
 والله لا أخرج هكذا ولو من النار . فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال :
 وهبتك لنفسك . وكان هجاء فحبسه لذلك ، فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق ،
 فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

[كانت الشفاعة في غير الفرزدق]

وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف ، فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه أن هذه

1 التجفاف : آلة للحرب تلبسها الفرس والإنسان للوقاية .

2 الأفواف : البرود اليمانية والثياب الرقيقة .

3 يحري : ينقص .

4 عين التمر : بلدة قرية من الأنبار .

القصة كانت لأبي نُخَيْلة مع يزيد بن عُمَرَ بن هُبَيْرَة ، وأنه أتى بأسيرين من الشُّرَاة أخذوا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بن بِسْطام بن ضِرار بن القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلّم في البكريّ قَوْمُهُ فَأُطْلِقَهُ ، ولم يتكلّم في التميميّ أحدًا ، فدخل عليه أبو نُخَيْلة فقال :

الحمدُ لله وليّ الأمرِ هو الذي أخرج كلَّ غَمْرٍ¹
وكلَّ عَوَّارٍ وكلَّ وَغْرٍ من كلِّ ذي قلب نقيّ الصدرِ²
لما أتت من نحو عين التمرِ سيّئُ أثاف ، لا أثافي القديرِ
فظلّت القضبانُ فيهم تجري هَبْرًا هو الهبر وفوق الهبرِ
إنّي لمهديّ للإمامِ الغمْرِ شعري ونصح الحبّ بعد الشعرِ³

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذكرت في الخبر المتقدم .

[هجاء الضيف]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدّثني محمد بن صالح بن النّطاح قال : ذكر عن العتبيّ أنّ أبا نُخَيْلة حجّ ومعه جَرِيْب من سَوِيْق قد حلاه بِقَنْدٍ⁴ ، فنزل منزلاً في طريقه ، فأتاه أعرابيّ من بني تميم وهو يقلب ذلك السّويْق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زدني يا ابن أخ ، فقال أبو نُخَيْلة :

لَمَّا نزلنا منزلاً ممقوتاً نريدُ أن نرحلَ أو نبيتا
جئتَ ولم نذر من أين جيتا إذا سقيتَ المُرْبِدَ السّحتيتا
قلتُ ألا زدني وقد رويتا

فقام الأعرابيّ وهو يسبه .

وحدّثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلْف الخُزاعيّ قال : حدّثنا أبو غَسَّان دماذ عن أبي عبّيدة قال : كان أبو نُخَيْلة إذا نزلَ به ضيف هجاه . فنزل به يوماً رجل من عشيرته ، فسقاه سويقاً قد حلاه ، فقال له : زدني ، فزاده . فلمّا رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، وقال في الخبر قال أبو عبّيدة : السّحتيت : السويق الدُّقّاق .

1 الغمر : الحقد .

2 العوار : يعني هنا الفساد والشر . والوغر : الضغينة .

3 الغمر هنا : الكريم الخلق .

4 القند : عسل قصب السكر الجامد .

[اعتذاره من مدح الأمويين]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال : حدثني ابن عائشة قال : دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح فسلم ، واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا في شعرك ، إنما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

كنا أناساً نهربُ الأملاك
إذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباك
ثم ارتجينا بعده أخاك
ثم ارتجينا بعده إياك
وكان ما قلتُ لمن سواك
زوراً فقد كفر هذا ذاك

فضحك أبو العباس ، وأجازه جائزة سنّية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتكفر ما قبلها ، وقد كفر هذا ذاك .

وأخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة قال : حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعدل عن أبيه قال : دخل أبو نخيلة على أبي العباس ، قال وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسلمة إياه ، وكثرة مدح بني مروان حتى علم أنه قد عفا عمن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرماً منه . فلما وقف بين يديه سلم عليه ، ودعا له وأثنى ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحيماني . فقال : لا حيّاك الله ، ولا قرب دارك يا نضو السوء . ألسن القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس : [من الطويل]

أمسلم يا من ساد كل خليفة
ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض ؟
والله لولا أنني قد أمنت نظراءك لما ارتدت إليك طرفك حتى أخضيتك بدمك . فقال أبو نخيلة :

كنا أناساً نهربُ الأملاك

وذكر الأبيات المتقدمة كلها مثل ما مضى من ذكرها . فتبسّم أبو العباس ، ثم قال له : أنت شاعر وطالب خير ؛ وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفر الخطيئة ، والظفر يزيلُ الحقد . وقد عفونا عنك ، واستأنفنا الصنعة لك . وأنت الآن شاعرنا فأتسيم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان ، فقد كفر هذا ذاك ، كما قلت . ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال : يا مرزوق ، أدخله دار الرقيق فخيره جارية يأخذها لنفسه . ففعل واختار جاريةً وطفاءً¹ كثيرة اللحم فلم يحمدها ، فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذب عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتها بالأمس وهي

1 الوطفاء : الكثيرة شعر الحاجين .

كذناكونه فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول :
 إنني وجدت الكذناذنوكا غير منك فابغني منيكا
 حتى إذا حركته تحركا
 فضحك أبو العباس ، وقال : نخذ هذه الوصفة ، فإنك إذا خلوت بها تحرك من غير أن
 تحركه .
 [هرب من دين باليمامة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : أذن أبو
 نخيلة من بقال له يقال له : ماعز الكلابي باليمامة ، وكان يأخذ منه أولاً أولاً ، حتى كثر ما
 عليه وثقل ، فطالبه ماعز فمطله ، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة ، فارتحل يريد
 الموصل ، وخرج عن اليمامة ليلاً ، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث . وقد نجا أبو نخيلة وقال
 في ذلك :

يا ماعز الكراث قد خزيتا لقد خدعت ولقد هجيتا
 كدت تخصينا فقد خصيتا وكنت ذا حظ فقد مُحيتا
 ويحك لم تعلم بمن صليتا ولا بأي حَجَر رُميتا
 إذا رأيت المزد الهبوتا يركب شِدْقاً شِدْقاً هَريتاً¹
 طرُ بجناحيك فقد أتيتا حران حران فهيتاً هيتا
 والموصل الموصل أو تكرتيا حيثُ تبع النبط البيوتا²
 ويأكلون العَدَسَ المرِيتاً³

وقال أيضاً لماعر هذا :
 يا ماعز القمل ويَت الذل
 وباتَ شيطانُ القوافي يُملِي
 لا خيرَ في عِلمي ولا في جهلي
 ما زال يَقلِّيني وعِمي يغلي
 بتنا وباتَ البغل في الإصطبل
 على امرئ فحلٍ وغيرُ فحل
 لو كان أودى ماعز بنخلي
 حتى إذا العِيم رمى بالجفل⁴

1 الهبوت : القاهرة . الشدقم : الواسع وكذلك الهريت .

2 حران وهيت وتكرت : أسماء مدن .

3 المريت : المجروش .

4 العيم : شدة العطش وشهوة اللبن . وفي بيروت : وعمّ يقلّي . والجفل : الجرف والقشر . ومعناه أن الغضب
 جعله يقلّي ويرمي بالقبيح .

طَبَّقَتْ تَطْبِيقَ الْجُرَازِ النَّصْلُ¹

[يمدح الربيع وسائسه]

نسخت من كتاب اليوسفي . حَدَّثَنِي الْمُنْقُ بْنُ جَمَّاع عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَبُو نُخَيْلَةَ نَذْلًا يَرْضِيهِ الْقَلِيلُ ، وَيَسْخِطُهُ ، وَكَانَ الرَّبِيعُ يُنْزِلُهُ عِنْدَهُ ، وَيَأْمُرُ سَائِسًا يَتَفَقَّدُ فَرَسَهُ ، فَمَدَحَ الرَّبِيعُ بِأَرْجُوزَةٍ ، وَمَدَحَ فِيهَا مَعَهُ سَائِسُهُ فَقَالَ :

لَوْلَا أَبُو الْفَضْلِ وَلَوْلَا فَضْلُهُ مَا اسْتَطِيعَ بَابُ لَا يُسْنَى قُفْلُهُ

وَمَنْ صَلاحَ رَاشِدٍ إِصْطَبَلُهُ نَعِمَ الْفَتَى وَخَيْرُ فَعَلٍ فَعْلُهُ

يَسْمَنُ مِنْهُ طَرْفُهُ وَبَغْلُهُ

فَضَحِكَ الرَّبِيعُ ، وَقَالَ : يَا أَبَا نُخَيْلَةَ أَتَرْضَى أَنْ تَقْرَنَ بِي السَّائِسَ فِي مَدِيحٍ ؟ كَأَنَّكَ لَوْ لَمْ تَمْدَحْهُ مَعِيَ كَانَ يَضِيعُ فَرَسُكَ .

[يمدح الخباز]

قَالَ : وَنَزَلَ أَبُو نُخَيْلَةَ بِسُلَيْمَانَ بْنِ صَعْصَعَةَ ، فَأَمَرَ غَلَامَهُ بِتَعَهُدِهِ ، وَكَانَ يَغَادِيهِ وَيُرَاحِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْخَبْزِ وَاللَّحْمِ ، فَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ يَمْدَحُ خَبَازَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَعْصَعَةَ : [من الرجز]

بَارَكَ رَبِّي فِيكَ مِنْ خَبَازٍ مَا زِلْتَ إِذْ كُنْتَ عَلَى أَوْفَارٍ²

تَنْصَبُ بِاللَّحْمِ انْصَابَ الْبَازِ

[شعره وقد رأى اجتهد العمال في أرض له]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ تَيَّنَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُعَدَّلِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي نُخَيْلَةَ الْحِمَايِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَرْضٍ لَهُ وَقَدْ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ ، فَرَأَاهَا وَقَدْ أَضَرَّ بِهَا جَفَاءُ الْقَيْمِ عَلَيْهَا وَتَهَاوَنَهُ بِهَا ، وَكَلَّمَا رَأَاهُ الَّذِينَ يَسْقُونَهَا زَادُوا فِي الْعَمَلِ وَالْعِمَارَةِ حَتَّى سَمِعْتُ نَقِيزَ اللَّيْفِ ، فَقُلْتُ : السَّاعَةَ يَقُولُ فِي هَذَا شِعْرًا ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ التَفْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ :

شَاهِدْ مَالًا رَبُّ مَالٍ فَسَاسَهُ سِيَاسَةَ شَهْمٍ حَازِمٍ وَابْنِ حَازِمٍ

أَقَامَ بِهَا الْعَصْرَيْنِ حِينًا وَلَمْ يَكُنْ كَمَنْ ضَنَّ عَنْ عُمرَانِهَا بِالْدَّرَاهِمِ

كَأَنَّ نَقِيزَ اللَّيْفِ عَنْ سَعَفَاتِهِ نَقِيزُ رِحَالِ الْمَيْسِ فَوْقَ الْعِيَاهِمِ³

1 الجراز : السيف القاطع .

2 على أوفاز . معجل . والوفز : المكان المرتفع .

3 نقيز الرحال : صوتها ، والميس : التبخر . العياهم : جمع عيهم ، وهو الناقة الشديدة السرعة .

وأُضحتُ تغالى بالنباتِ كأنَّها على متنِ شيخٍ من شيوخ الأعاجم¹
وما الأصل ما رُوِيَ مَضْرِبَ عِرْقِهِ من الماء عن إصلاح فرع بنائهم
أخبرني بهذا الخبر محمد بنُ مزيد عن أبي الأَزهري البُوشنجي قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ
إِسْحَاقَ المَوْصِلِيُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضَة عن الأَزْرَقِ بن الخُميس² بن أَرْطاة ،
وهو ابن أخت أبي نُخَيْلَة ، فذكر قرياً مِمَّا ذَكَرَ في الخبر الذي قبله .
[يهجو ويمدح]

وأخبرني عيسى بن الحسن الورَّاق المَرْوَزِيُّ قال : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قال : حَدَّثَنِي
أَبِي قَالَ³ : ابتاع أبو نُخَيْلَة داراً في بني حِمَّان ليصَحَّحَ بها نَسَبَهُ ، وسأل في بنائها ، فأعطاه النَّاسُ
اتِّقَاءَ لَلِسَانِهِ وَشَرَّهُ ، فسأل شبيب بن شَبَّة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه ، فقال : [من الرجز]
يا قوم لا تسودوا شبيباً المَلْدَانِ الخائن الكذوبا

هل تَلَدَ الذَّيْبَةُ إِلَّا الذِّيبَا

فقال شبيبُ : ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً ، فَإِنَّهُ قد جعل إحدى يديه سطحاً ،
وملأ الأُخرى سلحاً ، وقال : مَنْ وضع شيئاً في سطحي وَإِلَّا ملأته بسلحي ، من أجل دار
يريد أن يصَحَّحَ نَسَبَهُ بها ، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيه ، فأبى شبيب أن يعطيه
شيئاً ، وحلف أبو نُخَيْلَة ألا يكفَّ عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به . فلمَّا رأى شبيب
ذلك خافه ، فبعث إليه بما سأل . وغدا أبو نُخَيْلَة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه ،
فوقف عليهم ، ثم أنشأ يقول :

إذا غَدَتْ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا
مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِهَا عَجِبْتُ مِنْ كَثَرَتِهَا وَطِيبِهَا

[حكاية انتحاله أرجوزة مرّة أخرى]

أخبرني محمد بنُ الحسن بن دُرَيْدٍ قال : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عن أبي عُبيدة قال : دَخَلَ أَبُو
نُخَيْلَة على عُمَرَ بْنِ هَبِيرَةَ ، وعنده رؤية قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أبو
نُخَيْلَة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نُخَيْلَة ، أي شيء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشدُه
أرجوزة لرؤية ، فلمَّا توسَّطها كشف رؤية الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف
أنتَ يا أبا نُخَيْلَة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أبا العجَّاج ، فمَعذرة إِلَيْكَ ما علمتُ بمكانكَ .

1 تغالى : ترفع إلى أقصى الغاية كما يغالى بالسهم .

2 ل : مخيس .

3 تقدّم خبر هجائه ومدحه شبيباً لمناسبة غير هذه .

فقال له رؤية : ألم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً ، فإذا ما غبت فشأنك به ! فضحك أبو نخيلة ، وقال : هل أنا إلا حسنة من حسناتك ، وتابع لك ، وحامل عنك . فعاد رؤية إلى موضعه فاضطجع ، ولم يراجعه حرفاً . والله أعلم .
[يريد صلة على المدح وأخرى على الشبه]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة : أن أبا نخيلة قديم على المهاجر بن عبد الله الكلابي ، وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة ، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر ، فدخل عليه فأنشده قوله فيه :
[من الرجز]

يا دارَ أم مالك ألا اسلمي	على الثنائي من مقام وانعمي
كيف أنا إن أنت لم تكلمي	بالوحي أو كيف بأن تجمجمي
تقول لي بنتي ملام اللوم	يا أبتا إنك يوماً مؤتمني
فقلت كلاً فاعلمي ثم اعلمي	أنني لِمِقات كتاب محكم
لو كنت في ظلمة شعب مظلم	أو في السماء أرتقي بسلم
لأنصب مقداري إلى مجرثمي	إني ورب الراقصات الرسم ¹
ورب حوض زمزم وزمزم	لأستين الخير عند مقدمي ²
وعند ترحالي عن مخيمي	على ابن عبد الله قرم الأفرم
فإنني بالعلم ذو ترسم	لم أدر ما مهاجر التكرم
حتى تبينت قضايا الغشم	مهاجر يا ذا النوال الخضم
أنت إذا انتجعت خير مغيم	مشارك النائل جم الأنعم
ولتسيم منك خير مقسم	إذا التقوا شتى معاً كاهيم
قد علم الشام وكل موسم	أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم	

قال ، فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضباً ، وقال يهجوهُ :
[من الرجز]
إن الكلابي اللئيم الأثرما أعطى على المدحة نابا عزماً³
ما جبر العظم ولكن تمما

1 مجرثمي : مستقري ، واجرثم : سقط من علو إلى أسفل .

2 لأستين في ل : لآتين الخير .

3 الناب العزم : التي هرلها الكبير . وعلى المدحة في ل : على مدحيه .

فبلغ ذلك المهاجرُ ، فبعث فترضاه ، وقام في أمره بما يحب ، ووصله ، فقال له أبو نُخَيْلة :
هذه صلة المديح ، فأين صلة الشَّبه ؟ فإنَّ التشابه في النَّاسِ نسبٌ . فوصله حتى أَرْضاه ، فلم
يزُلْ يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال : [من الطويل]

خليلي مالي باليمامة مقعدٌ ولا قُرَّةً للعين بعد المهاجرِ
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابنِ سبيل مززع البينِ عابرِ
فإن تكُ في ملحودة يا ابنَ وائلٍ فقد كنتَ زينَ الوفدِ زينَ المنابرِ
وقد كنتَ لولا سلكُ السيفِ لم ينم مقيم ولم تأمنُ سبيلُ المسافرِ
لَعَزَّ على الحيين قيسٌ وخندفٍ تبكِّي عليَّ والوليد وجابرِ
هوى قمرٌ من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهرِ
[خاصته أخته فهجاها]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيَّ قال : حدَّثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة قال : تزوجت أخت أبي
نُخَيْلة رجل يقال له ميار ، وكان أبو نُخَيْلة يقوم بمالها مع ماله ، ويرعى سَوامها مع سَوامه ،
ويستبدُّ عليها بأكثر منافعها ، فخاصته يوماً من وراء خدرها في ذلك . فأنشأ يقول : [من الرجز]

أُظِلُّ أرعى وتُراهِزينا مُلَمِّمًا ترى له غُضونا¹
ذا أبْنُ مَقوماً عُثونا يطعنُ طعنًا يقضِبُ الوتينا²
ويَهْتِكُ الأعفاجَ والرُّبينا يذهب ميار وتقعدينا³
وتفسدين أو تُبَدِّرينا وتمنحين استك آخرينا
أيرُ الحمارِ في استِ هذا دينا

[ولدت امرأته بنتاً فطلَّقها ثم راجعها]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة قال : تزوج أبو
نُخَيْلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغَمَّ ذلك ، فطلَّقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه
قومه فراجعها . فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحرَّكه ذلك
ورقَّ لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل ينزِيها ويقول : [من الرجز]

يا بنتَ مَنْ لم يَكُ يهوى بنتا ما كنتِ إلا خمسة أو سِتا

1 ملمم : مجتمع مدور .

2 أبْن : عقد كالتي في العود . والوتين : عرق في القلب .

3 والرُّبينا في ل : الرئينا .

حتى حللت في الحشى وحتى
لأنت خير من غلام أتى
فتت قلبي من جوى فانفتا¹
يُصبح مخموراً ويمسي سبتا²

[أحب النساء]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال :
حدثنا أبو هيفان قال : حدثني أصحابنا الأهتميون قالوا : دخل عقال بن شبة المجاشعي
على المهدي فقال له : يا أبا الشيطان ، ما بقى من حبك بنات آدم ؟ وما يعجبك منهن ؟
التي عصيت عصب الجان³ ، وجذلت جذل العنان ، واهترزت اهتراز البان ، أم التي
بدئت فعظمت وكملت فتمت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحبهما إلي التي وصفها أبو
نخيلة ، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح ، فكان إذا غشيها
صغرت عنه ، وقلت تحته ، فقال :

إني وجدت الكذناذنونكا غير منك فابغني منك

شيئاً إذا حركه تحركا

قال ، فوهب له المهدي جارية كاملة فائقة متأدبة بديعة ، فلما أصبح عقال غدا على
المهدي متشكراً ، فخرج المهدي وفي يده مشط يسرح به لحيته وهو يضحك . فدعا له عقال
وقال له : يا أمير المؤمنين مم تضحك ؟ أدام الله سرورك . قال : يا أبا الشيطان ، إني اغتسلت
أنفاً من شيء إذا حركه تحرك ، وذكرت قولك الآن لما رأيتك ، فضحكت .

[رثاء الجنيد المري]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال : حدثني أحمد بن القاسم العجلي البرقي
قال : حدثني أبو هيفان قال : حدثني رقية بنت حمل عن أبيها قالت : كان أبو نخيلة مداحاً
للجنيد بن عبد الرحمن المري ، وكان الجنيد له محباً ، يكثر رفده ويقرب مجلسه ، ويحسن
إليه . فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه :

لعمري لئن ركب الجنيد تحملوا إلى الشام من مر وراحت ركائبه⁴
لقد غادر الركب الشامون خلفهم ففى غطفانياً يعلل جانبه

1 ل : فتت في القلب جوى فانفتا .

2 أنتى : تأخر . السبت : النوم .

3 الجان : ضرب من الحيات .

4 ركائبه في ل : كائبه .

نسى كان يسري للعدو كأنما سُروب القطا في كل يوم كئابة¹
وكان كأن البدر تحت لوائه إذا راح في جيش وراحت عصائبه
[حبه لابنه علي]

أخبرنا محمد بن جعفر قال : حدثني أحمد بن القاسم قال : حدثني أبو هفان عن عبد الله بن داود عن علي بن أبي نخيلة ، قال : كان أبي شديد الرقة علي معجباً بي ، فكان إذا أكل حصني بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعني إلى جنبه ، ففاظ ذلك امرأته أم حماد الحنفية ، فجعلت تعذله وتوتبه ، وتقول : قد أقمت في منزلك ، وعكفت على هذا الصبي ، وتركت الطلب لولدك وعيالك . فقال أبي في ذلك :

ولولا شهوتي شفتي علي
ولكن الوسائل من علي
قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :
وليس كأم حماد خليل
منعمة أرى فتقر عيني
فرضيت وأمسكت عنا .

[لولا أبان هلكت نمر]

حدثني عمي قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سهل بن زكريا قال : حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال : قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه ، وفيهم أبو نخيلة : والله لوددت أنه قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله : [من الرجز]

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبعت القبيلة
وأنني أثبت على ذلك مالي كله ، فقال له أبو نخيلة : هلم الثواب ، فقد حضرني من ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم : فقال : اسمع يا طالب ما يخزيه : [من الرجز]

لولا أبان هلكت نمر نعم الفتى وليس فيهم خير

[لا يؤذن له علي أبي جعفر]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عليل العززي قال : حدثنا سلمة بن خالد المازني عن أبي عبيدة قال : وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن ، فلم يصل ، وجعلت الخراسانية تدخل وتخرج ، فتعزأ به ، فيرون شيخاً أعرايياً جلفاً فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نخيلة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

أصبحتُ لا يملكُ بعضي بعضاً أشكو العروق الآبضات أبضاً¹
 كما تشكَّى الأرحبيُّ الغرضاً كأنما كان شبابي قرضاً²
 فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟ فقال : [من الرجز]
 أكثرُ خلق الله مَنْ لا يُدرى من أيِّ خلق الله حين يُلقى
 وحلّةٌ تُنشرُ ثم تُطوى وطيلسانٌ يُشتري فيُغلى
 لعبدٍ عبدٍ أو لمولى مولى يا ويح بيت المالِ ماذا يلقى
 [مبات أبان بن الوليد]

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أنَّ أبا نخيلة قدِمَ على أبان بن الوليد فامتدحه ، فكساه
 ووهب له جارية جميلة ، فخرج يوماً من عنده ، فلقيه رجل من قومه ، فقيل له : كيف
 وجدت أبان بن الوليد يا أبا نخيلة ؟ فقال : [من الرجز]

أكثرَ والله أبانٌ ميري ومن أبانٍ الخير كلُّ خيرٍ
 ثوبٌ لجلدي وجرٌّ لأيري

[العسل والماء البارد دواء النخمة]

نسخت من كتاب اليوسفي حدثني خالد بن حميد عن أبي عمرو الشيباني قال : أقحمت
 السنة أبا نخيلة فأتى القعقاع بن ضيرار ، وهو يومئذٍ على شرطة الكوفة ، فمدحه ، وأنزله
 القعقاع بن ضيرار وابنيه وعبديه وركابهم في دار ، وأقام لهم الأنزال ، ولركابهم العلوفة .
 وكان طباخ القعقاع يجيئهم في كلِّ يوم بأربع قصاع ، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم ،
 ويأتيهم بتمر وزبد . فقال له يوماً القعقاع : كيف منزلك أبا نخيلة ، فقال : [من الرجز]

ما زال عناً قصعات أربع شهرين ذاباً ذود ورجع
 عبداي وابناي وشيخ يرفع كما يقوم الجمل المطع³

قال : وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته نخمة ، فدخل على القعقاع فسأله : كيف
 أصبحت أبا نخيلة ؟ فقال : أصبحت والله بشماً ، أمرت خبازك فأتاني بهذا الرقاق الذي كأنه
 الثياب المبلولة ، قد غمسه في الشحم غمساً ، وأتبعه يزيد كرأس النعجة الخرسية ، وتمر
 كأنه عَنز رابضة ، إذا أخذتُ التمرة من موضعها تبعها من الرُّب كالسلوك الممدودة ؛

1 الآبضات : المتقبضة .

2 الأرحبي : النجيب ، نسبة إلى قبيلة أرحب . الغرض : حزام الرجل .

3 الجمل المطع : المتقل بالحمْل .

فأمعنتني ذلك ، وأعجبني حتى بَشِمْتُ ، فهل من أقداح جِياد ؟ وبين يدي القعقاع حجَّام
واقف وسُفرة موضوعة فيها المواسي ، فإذا أتني بِشْرَابِ النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم . فقال له
القعقاع : أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بِشْرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب
ثم قال :

قد علِمَ المظَلَّ والمبيتُ أنِّي من القعقاع فيما شيتُ
إذا أتت مائدةً أتيتُ بيدع لست بها غُذيتُ
وليتُ فاستشفعتُ واستُعِدَّتُ كأنني كنت الذي ولَّيتُ
ولو تمنَّيتُ الذي أعطيتُ ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أيا ابن بيتٍ دونه البيوتُ أقصرُ فقد فوق القِرى قُريتُ
ما بين شرايبي عسلٍ منعوتُ ولا فُرات صَرِدَ بيوتُ¹
لكنني في النوم قد أريتُ رطلَ نبيذٍ مُخفَسٍ سُقيتُ²
صلياً إذا جاذبته رويتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه ، وأومأ إلى إسماعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه
حتى صلح .

[يمدح السفاح ويغضب الجالسين]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا قَعْنَبُ بنُ الحرزِ وأبو عمرو الباهليُّ قالا :
حدَّثنا الأصمعيُّ قال : دخل أبو نُخَيْلة على أبي العباس السفاح ، وعنده أبو صفوان
إسحاق بنُ مسلمٍ العُقيليُّ ، فأنشده قوله :

[من الرجز]

صادتك يومَ الرملتين شَعْفَرُ وقد يصيدُ القانصَ المزعفرُ³
يا صورةً حسنها المصورُ للرَّيم منها جيدها والمَحْجَرُ
يقول فيها في مدح أبي العباس :

حتى إذا ما الأوصياءُ عسكروا وقام من تير النبيِّ الجوهرُ
ومن بني العباس نبعٌ أصفر ينميهِ فرعٌ طيبٌ وعنصرُ

1 الصرد : الخالص . والبيوت : البارد .

2 مخفَس : سريع المفعول .

3 شعفر : اسم امرأة .

أَقْبَلَ بِالنَّاسِ الْهَوَى الْمُسْتَبْهَرُ وَصَاحَ فِي اللَّيْلِ نَهَارٌ أَنْوَرُ
 أَنَا الَّذِي لَوْ قِيلَ إِنِّي أَشْعُرُ جَلَى الضَّبَابَ الرَّجَزُ الْمَخْبَرُ¹
 لَمَّا مَضَتْ لِي أَشْهُرٌ وَأَشْهُرُ قُلْتُ لِنَفْسٍ تُزْدَهِي فَتَنْصِرُ
 لَا يَسْتَخْفَنَّكَ رَكْبٌ يَصْدُرُ لَا مُنْجِدَ يَمْضِي وَلَا مُعَوِّرُ
 وَحَالْفِي الْأَنْبَارُ فَهِيَ الْمُحْشَرُ أَوْ يَسْمَعُ الْخَلِيفَةُ الْمُطَهَّرُ
 مِنِّي فَإِنِّي كُلَّ جَنْحٍ أَحْضَرُ وَإِنَّ بِالْأَنْبَارِ غَيْثًا يَهْمُرُ
 وَالْغَيْثُ يُرْجَى وَالْدِيَارُ تَنْضُرُ مَا كَانَ إِلَّا أَنَّ أَتَاهَا الْعَسْكَرُ
 حَتَّى زَاهَا مَسْجِدٌ وَمَنْبَرُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مِرْوَانَ عَيْنٌ تَنْظُرُ
 لَا غَائِبٌ وَلَا أَنْاسٌ حُضِرُ هِيَهَاتَ أَوْدَى الْمَنْعَمُ الْمُعْقَرُ
 وَأَمَسَتْ الْأَنْبَارُ دَارًا تُعَمَّرُ وَخَرِبَتْ مِنَ الشَّامِ أَدُورُ
 حِمَصٌ وَبَابُ التَّبْنِ وَالْمَوْقَرُ وَدَمَّرَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ تَدْمُرُ
 وَوَاسِطٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَرَقَرُ مِنْهَا وَالْأَ دِيرِيَانُ الْأَخْضَرُ²

(ومنها) :

أَيْنَ أَبُو الْوَرْدِ وَأَيْنَ الْكَوْثَرُ

أَبُو الْوَرْدِ هَذِيلُ بْنُ زَفَرٍ ، وَكَوْثَرُ بْنُ الْأَسْوَدِ صَاحِبُ شَرْطَةِ مِرْوَانَ .

وَأَيْنَ مِرْوَانُ وَأَيْنَ الْأَشْقَرُ وَأَيْنَ فَلٌّ لَمْ يَقْتَ مَحِيرُ
 وَأَيْنَ عَادِيكُمْ الْمُجْمَهَرُ وَعَامِرٌ وَعَامِرٌ وَأَعْصَرُ

قال : يعني عامرَ بنَ صَعْصَعَةَ ، وَعَامِرَ بنَ رِبْعَةَ ، وَأَعْصَرَ بَاهِلَةَ وَغَنِيَّ ، قال : فغَضِبَ إِسْحَاقُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَقَالَ : هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ فِي حِرِّ أَمْلِكَ أَبَا نُخَيْلَةَ . فَأَنْكَرَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ فِيكُمْ شَرًّا مِنْ هَذَا فِي مَجَالِسِ بَنِي مِرْوَانَ . وَمَا لَهُ عَهْدٌ ، وَمَا هُوَ بَوْفِي وَلَا كَرِيمٌ . فَبَانَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَقَالَ لَهُ قَوْلًا ضَعِيفًا : إِنَّ التَّوْبَةَ تَغْسِلُ الْحَوْبَةَ ، وَالْحَسَنَاتُ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ، وَهَذَا شَاعِرُ بَنِي هَاشِمٍ . وَقَامَ فَدَخَلَ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ ، وَلَمْ يَعْطِرْ أَبَا نُخَيْلَةَ شَيْئًا .

1 المَخْبَرُ فِي ل : الْمَخْبَرُ .

2 الْقَرَقَرُ : النَّوَاحِي الظَّاهِرَةُ مِنَ الْبَلَدِ . وَالْدِيرِيَانُ : دِيرُ أَبَانَ مِنْ قَرْيَةِ غَوْطَةِ دِمَشْقَ وَوَاسِطُ : لَعْلَهُ يَقْصِدُ بَلَدَةَ الْجَزِيرَةِ ، فَجَمِيعُ الْبُلْدَانِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي بِلَادِ الشَّامِ .

[شعره في تولية المهدي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي حدثنا علي بن محمد بن سليمان التوفي قال :
 حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث قال : بينا أنا أسير مع أبي
 الفضل يعني ، سليمان بن عبد الله ، وحدي بين الحيرة والكوفة ، وهو يريد المنصور ، وقد
 هم بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى ، وهو يزور ذلك ، إذا هو بأبي نخيلة
 الشاعر ، ومعه ابنان له وعبد ، وهم يحملون متاعه . فقال له : يا أبا نخيلة ، ما هذا الذي
 أرى ؟ قال : كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد بن زرارة ، فقلت شعراً فيما
 عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى ، فسألني التحول عنه ،
 لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته . فقال سليمان : يا عبد الله ، اذهب بأبي نخيلة
 فأنزله منزلاً وأحسن نزله وبره ، ففعلت . ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر ، فلما كان
 يوم البيعة جاء بأبي نخيلة فأدخله على المنصور ، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس ، وهي
 قصيدته التي يقول فيها :

بل يا أمينَ الواحدِ الموحدِ إنَّ الذي ولاك ربَّ المسجدِ
 ليس وليَّ عهدنا بالأسعدِ عيسى فزحلفها إلى محمدِ
 من عند عيسى معهداً عن معهد حتى تؤدَّى من يدٍ إلى يدٍ

قال : فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم ، قال : ويبيع لمحمد بالعهد ، فأنصرف
 عيسى بن موسى إلى منزله . قال : فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال : جمعنا أبي
 فقال : يا بني ، قد رأيتم ما جرى ، فأئماً أحب إليكم : أن يقال لكم : يا بني المخلوع ،
 أو يقال لكم : يا بني المفقود ؟ فقلنا : لا ، بل يا بني المخلوع . فقال : وفقتم بني . وأول
 هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها :

لم يُنسني يا ابنةَ آلِ معبدِ ذكراكِ تكرارُ الليالي العودِ
 ولا ذواتُ العصبِ المورِدِ ولو طلبنَ الودَّ بالتوددِ¹
 ورُحنَ في الدُّرِّ وفي الزبرجدِ هيهاتَ منهنَّ وإن لم تعهدي
 نجديةَ ذاتِ معانٍ منجدِ كأنَّ ريتهما بعيدَ المرقَدِ²

1 العصب : نوع من البرود .

2 معان : منزل .

رَبِّا الْخَزَامِي فِي ثَرَى جَعْدِي نَدِي كَيْفَ التَّصَابِي فِعْلَ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ
وَقَدْ عَلَّنِي ذُرَّةَ بَادِي بَدِي وَرَثِيَّةً تَنْهَضُ فِي تَشَدِّي¹
بَعْدَ اتِّهَاضِي فِي الشَّبَابِ الْأَمَلِي

يقول فيها : [من الرجز]

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْمِدْ إِلَى الَّذِي يُنْدِي وَلَا يَنْدَى نَدِي
سِيرِي إِلَى بَحْرِ الْبَحَارِ الْمَزِيدِ إِلَى الَّذِي إِنْ نَفِدَتْ لَمْ يَنْفَدِ
أَوْ تَمَدَّتْ أَشْرَاعُهَا لَمْ يَتَمَدَّ²

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر :

فَقَدْ رَضِينَا بِالْغُلَامِ الْأَمْرِدِ وَقَدْ فَرَعْنَا غَيْرَ أَنْ لَمْ نَشْهَدْ
وَعَبْرَ أَنْ الْعَقْدَ لَمْ يُوَكَّدِ فَلَوْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ أَمْدُ أَمْدُ
كَانَتْ لَنَا كَرْعَةُ الْوَرْدِ الصَّدِي فَادِ لِلْبَيْعَةِ جَمْعاً نَحْشُدُ³
فِي يَوْمِنَا الْحَاضِرِ هَذَا أَوْ غَدِ وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ وَرُدَّ يُرَدِّ
وَرَدَّهُ مِنْكَ رَدَاءَ يَرْتَدِّ فَهُوَ رِدَاءُ السَّابِقِ الْمَقْلُدِ
وَكَانَ يَرُوى أَنَّهَا كَأَنَّ قَدْ عَادَتْ وَلَوْ قَدْ تَقَلَّتْ لَمْ تُرَدِّ
أَقُولُ فِي ذِكْرِ أَحَادِيثِ الْغَدِ اللَّهُ ذَرِي مَنْ أَخْرَجَ وَمَنْشَدِ
لَوْ نَلْتُ حَظَّ الْحَبَشِيِّ الْأَسْوَدِ

يعني أبا دُلَامَةَ .

[خبر آخر عن أرجوزة العهد للمهدي]

فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ ، أَنَّ
أَبَا نُخَيْلَةَ أَظْهَرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْخَدْمُ وَالْخَاصَّةُ ، وَتَنَاشَدْتُهَا الْعَامَّةُ . فَبَلَغَتْ الْمَنْصُورَ
فَدَعَا بِهِ ، وَعِيسَى بْنُ مُوسَى عِنْدَهُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ ، فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا ، وَأَنصَتَ لَهُ حَتَّى سَمِعَهَا
إِلَى آخِرِهَا . قَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ : فَجَعَلْتُ أَرَى فِيهِ السَّرُورَ ، ثُمَّ قَالَ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى : وَلَئِنْ كَانَ
هَذَا عَنْ رَأْيِكَ لَقَدْ سَرَرْتَ عَمَلَكَ ، وَبَلَغْتَ مِنْ مَرْضَاتِهِ أَقْصَى مَا يَلْبِغُهُ الْوَلَدُ الْبَارِ السَّارَّ . فَقَالَ

1 الذرّة : الشيب في ابتدائه .

2 تمدت أشراعها : نرفت مواردها .

3 كزرعة في ل : كدعة . والورد : القوم يردون الماء .

عيسى : لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقْنِي عِقَالُ بنِ شَبَّة فقال : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ سَرَرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ تَمَّ الْأَمْرُ فَلَعَمْرِي لِتَصِيْبَنَّ خَيْرًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَتِمَّ فَايْتَمَرْنَا فِي الْأَرْضِ ، أَوْ سَلَمًا فِي السَّمَاءِ . فقلتُ له :

عَلَيْتُ مَعَالِقَهَا وَصَرَ الْجَنْدُبُ¹

[خبر ثالث عن هذه الأرجوزة]

قال المدائني : وحدثني بعض موالي المنصور قال : لما أراد المنصور أن يعزب للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك ، فحدثني عبد الجبار بن عبيد الله الحِمَانيّ قال : حدثني أبو نخيلة قال : قدمتُ على أبي جعفر ، فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه ، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثي : يا أبا نُخَيْلَةَ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرِيدُ أَنْ يَقْدِمَ الْمَهْدِيَّ بَيْنَ يَدَيِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى ، فَلَوْ قُلْتَ شَيْئاً تَحْتَهُ عَلَى مَا يَرِيدُ . فقلتُ :

مَازَا عَلَى شَحْطِ النَّوَى عَنَاكَ أَمْ مَا مَرَى دَمْعَكَ مِنْ ذَكَرَاكَ ؟

وَقَدْ تَبَكَّيْتَ فَمَا أَبْكََاكَ

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خَلِيفَةُ اللَّهِ وَأَنْتَ ذَاكَ أَسْنَدٌ إِلَى مُحَمَّدٍ عَصَاكَ

فَأَحْفَظُ النَّاسَ لَهَا أَذْنَاكَ وَابْنُكَ مَا اسْتَكْفَيْتَهُ كَفَاكَ

وَكُنَّا مُنْتَظَرٌ لَذَاكَ لَوْ قُلْتَ هَاتُوا قِيلَ هَاكَ هَاكَ

[مقتله وسلخ وجهه]

قال : فأنشدته إياها ، فوصلني بألفي درهم ، وقال لي : احذر عيسى بن موسى ، فإنني أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائني : وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبره ، فجرد خلفه مولى له يقال له قَطْرِيّ ، معه عِدَّةٌ مِنْ مَوَالِيهِ ، وَقَالَ لَهُ : نَفْسُكَ نَفْسُكَ أَنْ يَفُوتَكَ أَبُو نُخَيْلَةَ . فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ مُغْذّاً لِلْسَّيْرِ ، فَلَحَقَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى خَرَّاسَانَ ، فَقَتَلَهُ وَسَلَخَ وَجْهَهُ .

ونسختُ من كتاب القاسم بن يوسف عن خالد بن حَمَلٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي نُخَيْلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَمَرَ أَبَا نُخَيْلَةَ أَنْ يَهْرُبَ إِلَى خَرَّاسَانَ ، فَأَخَذَهُ قَطْرِيّ وَكَتَفَهُ فَأَضْجَعَهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ السَّكِينِ عَلَى أَوْدَاجِهِ قَالَ : يَا ابْنَ الْخَنَاءِ ، أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

1 المثل «علقت معالقها وصرّ الجندب» في مجمع الميداني 2 : 15 وجمهرة العسكري 2 : 32 ومستقصى الزمخشري 2 : 167 وأمثال العرب : 167 ، ومعناه : قد وجب الأمر ونشب فجزع الضعيف من القوم .

عَلِقَتْ مَعَالِقَهَا وَصَرَ الْجَنْدَبُ

الآن صَرَ جَنْدَبُكَ . فقال : لعن الله ذاك جَنْدَبًا ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ، قَطَّرِي ، وَسَلَخَ وَجْهَهُ ، وَأَلْقَى جِسْمَهُ إِلَى النَّسُورِ ، وَأَقْسَمَ لَا يَرِيمُ مَكَانَهُ حَتَّى تَمَزَّقَ السَّبَاعُ وَالطُّيُورُ لَحْمَهُ ، فَأَقَامَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا عِظَامُهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

[شماتة أبي الأبرش]

أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي الْأَبْرَشِ : مَاتَ أَبُو نُخَيْلَةَ ، قَالَ : حَتَفَ أَنْفَهُ ؟ قُلْتُ : لَا ، بَلْ اغْتِيلَ فَقُتِلَ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَطَعَ قَلْبَهُ ، وَقَبَضَ رُوحَهُ ، وَسَفَكَ دَمَهُ ، وَأَرَاخَنِي مِنْهُ ، وَأَحْيَانِي بَعْدَهُ . وَكَانَ أَبُو نُخَيْلَةَ يَهَاجِي الْأَبْرَشَ ، فَغَلَبَهُ أَبُو نُخَيْلَةَ .

صوت

[من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا	فِي الْخِدْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ	مَشْيَ الْقَطَاةِ عَلَى الْغَدِيرِ
فَلْتَمْتُهَا فَتَنْفَسَتْ	كَتَنْفَسَ الظُّبْيُ الْبَهِيرِ

الشعر للمنخل الشكري ، والغناء لإبراهيم ، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو وأحمد المكي .

* * * *

الفهرس

- [413] - أخبار التيمي ونسبه 5
- [414] - أخبار أبي نواس وجنان خاصة إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة 17
- [415] - نسب ابن أبي عُيَينة وأخباره 27
- [416] - أخبار دِعل بن علي ونسبه 59
- [417] - أخبار جعيفران ونسبه 109
- [418] - أخبار السري ونسبه 116
- [419] - أخبار مسكين ونسبه 121
- [420] - أخبار أبي محمد ونسبه 129
- [421] - محمد بن أبي محمد 146
- [422] - أخبار إبراهيم 154
- [423] - أبو جعفر أحمد بن محمد 160
- [424] - أخبار المخيل القيسي ونسبه 165
- [425] - أخبار خالد الكاتب 172
- [426] - أخبار المسدود 183
- [427] - أخبار سلمة بن عيَاش 186
- [428] - أخبار لأثم جعفر 191
- [429] - أخبار أيمن بن خُريم 194
- [430] - أخبار حجية بن المضرب 200
- [431] - خبر إسحاق مع غلامه زياد 203
- [432] - خبر لحياة مع ابن عائشة 207
- [433] - أخبار أبي الهندي ونسبه 209
- [434] - أخبار سعيد بن وهب 214
- [435] - أخبار رؤية ونسبه 220
- [436] - أخبار عمرو بن أبي الكَنَات 228
- [437] - أسماء بن خارجة وابنته هند 232
- [438] - أخبار السُّليكَ بن السُّلُكة ونسبه 240
- [439] - أخبار أبي نخيلة ونسبه 251

کتابُ الْإِعْزَازِ

21

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي والعشرون

دار طائر

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

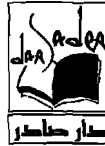
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1963

ص.ب. ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-ĀGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[440] - أخبار المنخل¹ ونسبه

[نسبه]

هو المنخل بن عمرو ، ويقال : المنخل بن مسعود ، بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواء بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل . وذكر أبو محلم النسابة : أنه المنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سواء بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر . وقال ابن الأعرابي : هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر .

[اتهامه بالترحلة]

شاعر مقل من شعراء الجاهلية ، وكان النعمان بن المنذر قد آتاهم بامرأته المتجردة ، وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سعي به إليه في أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غمض خبره ، فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنه دفنه حياً ، ويقال : إنه غرقه . والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزي وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر . وقال ذو الرمة : [من الطويل]

تُقَارِبُ حَتَّى تَطْمِيعَ النَّاعِ الصَّبَا وَلَيْسَتْ بِأَدْنَى مِنْ إِيَابِ الْمُنْخَلِ²

وقال النمر بن توكب :

وَقَوْلِي إِذَا مَا أَطْلَقُوا عَنْ بَعِيرِهِمْ تَلَاقُونَهُ حَتَّى يُوَوِّبَ الْمُنْخَلُ

[قصة قتله]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان ، قال : أخبرني أحمد بن زهير قال : أخبرني عبد الله بن كُريم قال : أخبرني أبو عمرو الشيباني قال : كان سبب قتل المنخل أن المتجردة ، واسمها ماوية وقيل : هند بنت المنذر بن الأسود الكلبية ، كانت عند ابن عم لها يقال له : حُلم ، وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبى ، وكانت أجمل أهل زمانها ، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فغشيها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجردة ، فقال المنذر لحُلم : إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 404/1-405 والمؤتلف 178 وشرح الحماسة 102/2-108 وشعراء الجاهلية 421-424 .

2 مثل : انظر المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 341/1 ، 361 وفي كتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 58 وفي كتاب مجمع الأمثال للميداني 211/1 ، 212/2 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام

بيضاء إلا عرفتها ، فهل لك أن تطلقَ امرأتَكَ المتجرّدةَ وأطلقَ امرأتي سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كل واحدٍ منهما على صاحبه عهداً . قال : فطلقَ المنذرُ امرأته سلمى ، وطلقَ حُلمَ امرأته المتجرّدة ، فتزوَّجها المنذر ولم يُطلقَ لسلمى أن تزوَّج حُلماً ، وحججها ، وهي أمُّ ابنه النُّعمانِ بنِ المنذر ، فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك :

قد خادعوا حُلماً عن حرّة خريدٍ حتى تبطنها الخداعُ ذو الحُلُمِ
قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوَّجها بعده النُّعمان بنُ المنذر ابنه ، وكان قصيراً دميماً أبرش ، وكان ممّن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذبياني ، وكان جميلاً عفيفاً ، والمُنخَلُ اليشكري ، وكان جميلاً ، وكان يُتهم بالمتجرّدة . فأما النابغة فإنَّ النُّعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها :

أُمن آلِ مَيّةٍ رائحٍ أو مغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوّدٍ
ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهذِفٍ رابي المَجسّةِ بالعَبيرِ مُقَرَّمَدٍ¹
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحَصِفٍ نزعَ الحَزورَ بالرشاءِ المحصَدِ²

[تخریضه قومه على قاتله]

فغار المُنخَلُ من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعابِن ، فهمُ النُّعمان بقتل النابغة حتى هرب منه ، وخلا المُنخَلُ بمجالسته ، وكان يهوى المتجرّدة وتهواه ، وقد ولدت للنُّعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَلُ ، وكانت العرب تقول : إنهما منه . فخرج النُّعمان لبعض غزواته ، قال ابن الأعرابي : بل خرج متصيّداً ، فبعثت المتجرّدة إلى المُنخَل فادخلته قبتها ، وجعلا يشربان ، فأخذت خلخالها وجعلته في رجله ، وأسدت شعرها فشددت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدّة إعجابها به . ودخل النُّعمان بعقب ذلك فراها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له : عِكبّ ، وأمره بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المُنخَلُ يحرّض قومه عليه :

[من الوافر]

ألا من مبلغ الحَينِ عني بأنَّ القومَ قد قتلوا أبنياً
فإن لم تثاروا لي من عِكبٍّ فلا رويتمُ أبداً صدّاً

[من الخفيف]

وقال أيضاً :

1 مقرمَد : مطلي .

2 مستحَصِف : قليل البلولة ضيق . الحَزور : الرجل القوي . المحصد : الجبل الشديد الفتل .

ظَلَّ وَسَطَ النَّدَى قَتْلَى بِلَا جُرْ مِ وقومي يُنتَجُون السَّخَالَا¹

[من شعره في المتجرّدة]

وقال في المتجرّدة :

[من الوافر]

دِيَارٌ لَّتِي قَتَلْتِكَ غَضَبًا بِلَا سَيْفٍ يُعَدُّ وَلَا نِبَالٍ
بَطْرَفٍ مَيِّتٍ فِي عَيْنِ حَيٍّ لَهُ خَبَلٌ يَزِيدُ عَلَى الْخَبَالِ

وقال أيضاً :

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلتُ على الفتا عِ الْخِدرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الكاعبِ الحسناء تر قُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ
دافعتها فتدافعتُ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ²
ولثمتُها فتنفّست كَتَنَفَسَ الظُّبْيِ الْبَهِيرِ³
ورّنتُ وقالت يا مُنَخَّ لُ هَلْ بِجِسْمِكَ مِنْ فَتَوَرٍ⁴
ما مسَّ جسمي غيرُ حَبٍّ لِكَ فَاهْدئي عني وسيري⁵
يا هندُ هل من نائلٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ⁶
وأحبّها وتُحِبَّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي
ولقد شربتُ من المدا مة بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ
فإذا سكرتُ فإنّني رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّرِيرِ⁷
وإذا صحوتُ فإنّني رَبُّ الشُّوْهِةِ وَالْبَعِيرِ
يا رَبُّ يَوْمٍ - لِلْمُنَخَّ لُ قَدْ لَهَا فِيهِ - قَصِيرِ

1 في الشعر والشعراء : ظلّ وسط العباد قتلَى . السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة يولد .

2 في الحماسة والشعر والشعراء : فدفعها فتدافعت .

3 البهير : المتتابع الأنفاس .

4 في الحماسة :

فدنت وقالت يا منخ - لُ ما بجسمك من حرورٍ

5 في الحماسة والشعر والشعراء : ما شف .

6 في الحماسة : هل ليتم .

7 فإذا سكرت في الحماسة : فإذا انتشيت ، وفي ل : فإذا شربت . والخورنق : قصر للنعمان الأكبر . في الحماسة :

والسدّير ، والسدّير : نهر بناحية الحيرة .

[رواية أخرى عن المنخل مع المتجرّدة]

وأخبرني بخبر المنخل مع المتجرّدة أيضاً علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : كانت المتجرّدة امرأة النعمان فاجرة ، وكانت تُتهم بالمنخل ، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل ، فكان يقال : إنهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث ، وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه ، وكان يأتي المتجرّدة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتُخرجه .

فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبته ، وأخذت قيداً ، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها ، وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان ؛ لأنّ الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعد ، وأقبل النعمان حينئذٍ ولم يُطل في مكثه¹ كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرّدة ، فوجدها مع المنخل قد قيّدت رجلها ورجله بالقيد ، فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذّبه ، وعكب رجل من لخم ، فعذّبه حتى قتله . وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنه :

ألا من مبلغ الحرّين عني بأنّ القوم قد قتلوا أيباً
وإن لم تثاروا لي من عكب فلا أرويتما أبداً صدياً
يطوف بي عكب في معد ويطعن بالصملة في قفياً²

[قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند]

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجصاص أنّ عمرو بن هند هو قاتل المنخل ، والقول الأوّل أصح .

[قصيدته في المتجرّدة]

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة ، وأولها قوله : [من مجزوء الكامل]

إن كنت عاذلتني فسيري نحو العراق ولا تحوري
لا تسألني عن جلّ ما لي واذكري كرمي وخيري
وإذا الرياح تناوحت بجوانب البيت الكسير³

1 ل : وجهه .

2 الصملة : الحربة .

3 الكسير : الذي له كسور ، وهي ما مسّ الأرض من هدايه .

أَفَيْتَنِي هَشَّ النَّدِيَّ بِمَرِّ قَدَحِي أَوْ شَجِيرِي¹
 الشَّجِير : القِدَح الذي لم يُصَلِّحَ حَسَنًا ، ويقال : بل هو القِدَح العَارِيَّة .
 وَنَهَى أَبُو أَفْعَى فَقَلَّ لَدُنِي أَبُو أَفْعَى جَرِيرِي²
 وَجَلَالَةَ خَطَّارَةَ هُوَجَاءَ جَائِلَةَ الضُّفُورِ³
 تَعْدُو بِأَشْعَثَ قَد وَهَى سِرْبَالُهُ بَاقِي الْمَسِيرِ⁴
 فَضْلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ قِي إِلَيْكَ عُلْقَمَةَ بَن صَبِيرِ⁵
 الْوَاهِبُ الْكُومِ الصَّفَا يَا وَالْأَوَانِسُ فِي الْخُدُورِ⁶
 يُصْفِيكَ حِينَ تَجِيئُهُ بِالْعَصْبِ وَالْحَلِيِّ الْكَثِيرِ⁷
 وَفُورَسٍ كَأَوَارِ حَرٍّ النَّارِ أَحْلَاسِ الذُّكُورِ⁸
 شَدُّوا دَوَابِرَ بِيضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ⁹
 فَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمَغِيرِ¹⁰
 وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَا تِ فُورَسٌ مِثْلُ الصَّقُورِ¹¹
 يَخْرِجُنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَا رِ يَجِفُّنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ
 فَشَفِيتُ نَفْسِي مِنْ أَوَّلِ عَيْكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ
 يَرْفُلُنَ فِي الْمَسْكِ الذَّكِيِّ وَصَائِكَ كَدَمِ النَّحِيرِ¹¹

- 1 في حماسة أبي تمام : أَفَيْتَنِي هَشَّ الْيَدِيَّ — من بمرى قدحي أو شجيري والشجير : القريب .
- 2 الجري : حَبْلُ الزَّمام .
- 3 جلالة : ناقة مسنة . خطارة : تضرب بذنبها يميناً وشمالاً . الضفور : جمع ضَفَر ، وهو ما يشد البعير به من مضفور .
- 4 باقي المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .
- 5 فضلاً : متفضلاً في ثوب واحد .
- 6 الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام . الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .
- 7 العصب : ضرب من البرود .
- 8 الحلس : الملازم .
- 9 القتير : رؤوس مسامير الدروع .
- 10 المضمرات في ل : المشتقات .
- 11 صائك : وصف من صاك به الطبيب يصيك : لرق .

يعكفن مثل أسود اللد نوم لم تعكف لزور¹
 ولقد دخلت على الفتا الخدر في اليوم المطير
 الكاعب الخساء تر قل في الدَّمَقْس وفي الحرير
 فدفعته فتدافعت مشي القطاة إلى الغدير
 ولثمتها فتنفست كتنفس الطيبي البهير
 فذنت وقالت يا منخ ل ما بجسمك من حرور؟
 ما شف جسمي غير حب لك فاهدني عني وسيري
 ولقد شربت من المدا مة بالصغير والكبير
 ولقد شربت الخمر بال خيل الإناث والذكور
 ولقد شربت الخمر بال عبد الصحيح والأسير
 فإذا سكرت فأنني رب الخورنق والسدير
 وإذا صحت فأنني رب الشويهة والبعير
 يا رب يوم للمنخ ل قد لها فيه قصير
 يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير
 ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة :
 وأحبها وتحبني
 ولم أجده في رواية صحيحة .

صوت

[من الوافر]

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله لو قبل الكتابا
 أناشده فيعرض في إباء فلا وأبي كلاب ما أصابا
 الشعر لأمية بن الأسكر الليثي ، والغناء لعبد الله بن طاهر ، رمل بالوسطى . صنعه ونسبه
 إلى لميس جاريته ، وذكر الهشامي أن اللحن لها ، وذكره غبيد الله بن عبد الله بن طاهر في
 جامع أغانيهم ووقع إلي ، فقال : الغناء فيه للدَّار الكبيرة ، وكذلك كان يكني عن أبيه ، وعن
 إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب وجواريههم ، ويكني عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في
 دور إخوته بالدَّار الصغيرة .

1 يعكفن : يمشطن أو يضفر . التَّوَم : شجر يسود كله .

[441] - أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

[نسبه]

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت بن زهرة بن زينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيام ماثورة مذكورة .

[استعمال ابنه كلاب على الأبله]

وكان له أخ يقال له : أبو لاقع الدم ، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم ، وابنه كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبي ﷺ فقال أبوه فيه شعراً ، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفُرس ، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا .

قال أبو عمرو في خبره : فأمره ﷺ بصلة أبيه وملازمته طاعته .

وكان عمر بن الخطاب استعمل كلاباً على الأبله¹ ، فكان أبواه يتتابانه ، يأتيه أحدهما في كل سنة ، ثم أبطأ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتا وأنشدها عمر ، فرق له ورده إليهما ، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى ؛ فمات وهذا أيضاً وهم من أبي عمرو ، وقد عاش كلاب حتى ولي زياد الأبله ، ثم استعفى ، فأعفاه . وسأذكر خبره في ذلك وغيره هاهنا إن شاء الله تعالى .

[شعره في ابنه كلاب لما طالت غيبته في الغزو]

فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به ، قال : حدثني الحارث بن محمد قال : حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبير عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألهما : أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمر فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

[من الوافر]

1 الأبله : بلدة غربي البصرة .

لَمَنْ شِيخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا كِتَابَ اللَّهِ إِنْ قَبِلَ الْكِتَابَا¹
 أَنَادِيهِ فَيُعْرَضُ فِي إِبَاء فَلَا وَأَيَّ كِلَابٍ مَا أَصَابَا²
 إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَادٍ إِلَى يَبَضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا³
 أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ تَكْتَفَاهُ فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطِئًا وَخَابَا⁴
 تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ وَأَمَّا مَا تُسَيِّغُ لَهَا شَرَابَا⁵
 تُمَسِّحُ مُهْرَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ أَبَاغَرَهَا الصَّعَابَا⁶

قال : تَجْنِبُهُ وَتَجْنِبُهُ وَاحِدٌ ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁶
 قال :

فَإِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ أَبَاكَ شَيْخًا يَطَارِقُ أَيْنُقَا شُرْبًا طِرَابَا⁷
 فَإِنَّكَ وَالتَّمَّاسَ الْأَجْرَ بَعْدِي كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا

[يُنشِدُ عَمْرَ شِعْرًا فَيُرَدُّ كِلَابًا عَلَيْهِ]

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ عَمْرَ ، فَلَمْ يَرُدِّدْ كِلَابًا وَطَالَ مَقَامُهُ فَاهْتَرَأُمِيَّةٌ وَخُلِطَ جَزَعًا عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ
 يَوْمًا وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَأَ
 يَقُولُ :

أَعَاذَلْ قَدْ عَذَلْتِ بَغِيرَ قَدْرِ وَلَا تَدْرِيْنَ عَاذَلْ مَا الْأَقْيِ
 فَإِنَّمَا كُنْتِ عَاذَلْتِي فَرْدِي كِلَابَا إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
 وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ كِلَابٍ غَدَاةَ غَدٍ وَأُذْنَ بِالْفِرَاقِ
 فَتَى الْفَتَيَانِ فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ شَدِيدُ الرُّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ
 فَلَا وَاللَّهِ مَا بِالْيَتِ وَجَدِي وَلَا شَفَقِي عَلَيْكَ وَلَا اشْتِيَاقِي

- 1 ذكرت في الأمالي بترتيب مخالف وبرواية مخالفة في أكثر الأبيات .
- 2 في الأمالي : أَنَادِيهِ وَوَلَانِي قَهَاه .
- 3 سَجَعَتْ فِي الْأَمَالِي : هَتَفَتْ . إِلَى فِي الْأَمَالِي : عَلَى .
- 4 أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ فِي الْأَمَالِي : فَإِنَّ مَهَاجِرَيْنِ . فَفَارَقَ فِي الْأَمَالِي : لِيَتْرَكَ .
- 5 رواية البيت في الأمالي :
- 6 تنفّض مهره شفقاً عليه ونجنبه أباعرنا الصعابا
 سورة إبراهيم ، الآية : 35 .
- 7 يطارق : يطابق . شرباً : ضامرة . وفي الأمالي :
 وإن أباك حيث علمتماه يُطارِدُ أَيْنُقَا شِسْبًا طِرَابَا

وإبقائي عليك إذا شتونا وضمتك تحت نخري واعتناقني
فلو فلق الفؤاد شديداً وجدٍ لهم سواد قلبي بانفلاق¹
سأستعدي على الفاروق رباً له دُفع الحجيح إلى بُساق²
وأدعو الله مجتهداً عليه يبطن الأخشين إلى دُفاق
إن الفاروق لم يردد كلاباً إلى شيخين هاتهما زواق

[مبلغ برّه بأبيه]

قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة ، فلما قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أوتره وأكفيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمتها فأريحها وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أُمّية من جاء به إليه ، فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهي أن أرى كلاباً فأشمه شمةً ، وأضمه ضمةً قبل أن أموت . فبكى عمر ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

[عمر يأمره أن يلزم أبويه]

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبحث إليه بلبنها ، ففعل فناوله عمرُ الإناء ، وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمر : والله يا أمير المؤمنين ، إنني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء ، فبكى عمر ، وقال : هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به ، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله ، وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لكّلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرّفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه .

[يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام]

ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري أن أُمّية كانت له إبل هائمة ، أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ، فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم ، فقال لهم : يا بني بكر ، إنما هي ثلاث ليال : ليلة بالبقعاء³ وليلة بالفرع⁴ ، وليلة بلقُف في سامر من

1 شديد في ل : حطام .

2 بُساق : موضع .

3 البقعاء : ماء لبس ، وقيل : مياه لبني السليط على مبعدة 24 ميلاً من المدينة .

4 الفرع : قرية ناحية المدينة .

بني بكر ، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه ، فَأَتَى مُزِينَةً فَأَجَارَوْه ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ صَحَّتْ
إِبله ، وسكنت ، فقال يمدح مُزِينَةَ :

تَكْنَفُهَا الْهَيْامُ وَأُخْرِجُوهَا	فَمَا تَأْوِي إِلَى إِبِلٍ صِيحَاحٍ
فَكَانَ إِلَى مُزِينَةَ مَنَتَهَا	عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جُنَاحٍ
وَمَا يَكُنِ الْجُنَاحُ فَإِنَّ فِيهَا	خَلَائِقَ يَتَمَيَّنُ إِلَى صِلَاحٍ
وَيَوْمًا فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ	تُرَاعِي تَحْتَ قَعْقَعَةِ الرَّمَاحِ
فَإِمَّا أَصْبَحَ شَيْخًا كَبِيرًا	وَرَاءَ الدَّارِ يُثْقَلُنِي سِلَاحِي
فَقَدْ أَتَى الصَّرِيخُ إِذَا دَعَانِي	عَلَى ذِي مَنَعَةٍ عَتِيدٍ وَقَاحٍ ¹
وَشَرُّ أَخِي مَوَامِرَةٍ خَذُولٌ	عَلَى مَا كَانَ مَوْتِكُلٌ وَلاَحٍ ²

[عَمَّرَ حَتَّى خَرَفَ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَزَنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ
أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خُلَافِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ عَنْ أَبِي عَمْرِو قَالَ : عُمَرُ
أُمَيَّةُ بْنُ الْأَسْكَرِ عُمَرَا طَوِيلًا حَتَّى خَرَفَ ، فَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا فِي نَادِي قَوْمِهِ وَهُوَ يَحْدُثُ
نَفْسَهُ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى رَاعِي ضَأْنٍ لِبَعْضِ قَوْمِهِ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، فَقَامَ لِيَنْهَضَ فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ،
فَضَحِكَ الرَّاعِي مِنْهُ ، وَأَقْبَلَ ابْنَاهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي عِنْدَمَا غَانِ	وَمَا الْغِنَى غَيْرَ أَنِّي مُرْعَشٌ فَإِنْ
يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا تَحْفَظَا كِبَرِي	فَإِنَّمَا أَتَمَّا وَالثَّكُلُ سَيَّانِ
هَلْ لَكُمْ فِي ثَرَاتٍ تَذْهَبَانِ بِهِ	إِنَّ الثَّرَاتَ إِيَّيَانِ بْنِ بَيَّانِ

يَقَالُ : هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ ، وَهِيَ تَرَى لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ .

أَصْبَحْتُ هَزْأً لِرَاعِي الضَّأْنِ يَسْخَرُ بِي	مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّأْنِ ³
اعْجَبْ لَغَيْرِي إِنِّي تَابِعُ سَلْفِي	أَعْمَامَ مَجْدٍ وَأَجْدَادِي وَإِخْوَانِي
وَانْعَقْ بِضَائِكَ فِي أَرْضٍ تُطَيِّفُ بِهَا	بَيْنَ الْأَسَافِ وَأَتَتْجَهَا بِجِلْدَانِ ⁴

1 عَتِيدٌ : أَيُّ شَدِيدٍ تَامَ الْخَلْقِ . وَالْوَقَاحُ : الصَّلْبُ .

2 مَوْتِكُلٌ : غَاضِبٌ هَائِجٌ .

3 هَزْأٌ فِي ل : قَرْدًا .

4 الْأَسَافُ : الْبَقَاعُ الَّتِي لَا تَبْتَ ، جَمْعُ أُسَافَةٍ . فِي الْأُمَالِي : بِجُمْدَانَ وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ مُخْتَلَفَةٌ :

انْعَقْ بِضَائِكَ فِي نَجْمٍ تَحْقَرُهُ مِنْ الْأَبَاطِحِ وَاحْبِسْهَا بِجُمْدَانَ
وَجُمْدَانَ ، اسْمُ لَوَادٍ ، وَاسْمُ جَبَلٍ .

جلذان : موضع بالطائف .

بلدة لا ينام الكالئان بها ولا يَقْرُ بها أصحابُ ألوان

[الإمام علي يمثل بشعر له]

وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، في خطبة له على المنبر بالكوفة .

حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن أبي رجاء ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ، قال : قال عبد الله بن عدي بن الخيار : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي عليه السلام حاجة ، فدخلت عليه ، فلما رأيته قال : مرحباً بك يا ابن أم قتال ، أزاراً جئتنا أم حاجة ؟ فقلت : كل جاء بي ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أجدد بك عهداً ، وسألته عن حديث فحدثني علي ألا أحدث به واحداً . فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرناً له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ﷺ ، ما ليس عند الناس ، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا ، ثم نكت كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : «المسلمون تنكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم . من أحدث حديثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعُها تترحل ، فخفض علي صلوات الله عليه ، إليه بصره ، وقال : ما يدريك ما علي مما لي ! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك ابن حائك ، منافق ابن منافق ، كافر ابن كافر . والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة ، فما فداك من واحدٍ منهما حسبك ولا مالك ، ثم رفع إلي بصره فقال : يا عبيد الله :

أصبحتُ قنّاً لراعي الضأن يلعبُ بي ماذا يريك مني راعي الضأن

فقلت : بأبي أنت وأمي ، قد كنتُ والله أحبُّ أن أسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ،

قال :

[من الطويل]

فَمَا قِيلَ لِي مِنْ بَعْدِهَا مِنْ مَقَالَةٍ وَلَا عَلَّقْتُ مِنِّي جَدِيداً وَلَا دَرَسَا

[عودة كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أُمَيَّةُ بْنُ الْأُسْكُرِ عَادَ ابْنُهُ كِلَابٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَانَ يَغْزُو مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْهَا مَغَازِيهِمْ ، وَشَهِدَ فَتُوحَاتٍ كَثِيرَةً ، وَبَقِيَ إِلَى أَيَّامِ زِيَادٍ ، فَوَلَّاهُ الْأُبَلَةَ ، فَسَمِعَ كِلَابٌ يَوْمًا عِثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ يَحْدُثُ أَنَّ دَاوُدَ نَبِيَّ اللَّهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ فِي السَّحَرِ فَيَقُولُ : ادْعُوا رَبَّكُمْ فَإِنَّ فِي السَّحَرِ سَاعَةً لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً¹ أَوْ غَرِيفاً² . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ كِلَابٌ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ ، فَاسْتَعْفَاهُ مِنْ عَمَلِهِ فَأَعْفَاهُ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَلَمْ يَزَلْ كِلَابٌ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى مَاتَ ، وَالْمَرْبِعةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَرْبِعةِ كِلَابٍ بِالْبَصْرَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ .

[شعر أُمَيَّةُ وَقَدْ ظَفَرَ بَنُو لَيْثَ بِقَوْمِهِ]

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : كَانَ بَيْنَ بَنِي غِفَارٍ قَوْمِهِ وَبَنِي لَيْثَ حَرْبٌ فَظَفَرَتِ بَنُو لَيْثَ بِغِفَارٍ ، فَحَالَفَ رَحْضَةَ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنَ خِلَافٍ بْنَ حَارِثَةَ بْنَ غِفَارٍ وَقَوْمَهُ ، جَمِيعاً بَنِي أَسْلَمَ بْنَ أَفْصَى بْنَ خُزَاعَةَ ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ الْأُسْكُرِ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي جَنْدُعَ بْنَ لَيْثَ وَفَارَسَهُمْ :

لَقَدْ طَبِيتَ نَفْساً عَنْ مَوَالِيكَ يَا رَحْضَا وَآثَرْتَ أَذْنَابَ الشَّوَالِ وَالْحَمْضَا³
تُعَلِّلُنَا بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَكُلَّ رَيْعٍ أَنْتَ رَافِضُنَا رَفْضَا
فَلَوْلَا تَأْسِينَا وَحَدُّ رَمَاحِنَا لَقَدْ جَرَّ قَوْمٌ لَحْمَنَا تَرِيّاً قَضَاً
الْقَضُ وَالْقَضِيضُ : الْحَصَا الصَّغَارُ .

[عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : افْتَعَلَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ كِتَاباً عَنْ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِأَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَالاً ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَعَاوِيَةَ خَبَرَهُ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بِأَنْ يَجْبِسَ عَمراً حَتَّى يُوَدِّيَ الْمَالَ ، فَجَبَسَهُ مَرْوَانُ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَجَاءَ إِلَى مَرْوَانَ وَسَأَلَهُ عَنِ الْخَبْرِ ، فَحَدَّثَهُ بِهِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ فِي ذِمَّتِي ، فَأُتِلِقَ عَمراً ، وَأَدَّى عَبْدُ اللَّهِ الْمَالَ عَنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُوَدِّيهِ

1 العشار : جايي عشر الأموال .

2 العريف : الرئيس أو النقيب .

3 الشوائل : جمع شائلة ، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر . والحمض : نبت ترعاه الإبل .

عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر ، ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي : [من الطويل]
فلولا تأسينا وحدَ رماحنا لقد جرّ قوم لحمنا ترّبا قَضَا
[سَيّدان يخطبان بنتاً له]

وقال ابنُ الكلبيّ : حدّثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال : اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامرُ بنُ الطُّفَيْلِ بموسمِ عُكاظَ ، فقدمَ أميةُ بنُ الأسكرِ ، ومعه بنت له من أجملِ أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرُ ، فقالت أمُّ كلابِ امرأةُ أميةَ : مَنْ هذا الرجلان ؟ قال : قال : هذا ابنُ الديّانِ ، وهذا عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ . قالت : أعرف ابنَ الديّانِ ، ولا أعرف عامراً . قال : هل سَمِعْتَ بملاعبِ الأسنّةِ ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبلَ يزيدُ فقال : يا أميةُ أنا ابنُ الديّانِ ، صاحبُ الكُتَيْبِ ، ورئيسُ مَذْحِجٍ ، ومكَلَّمُ العُقَابِ ، وَمَنْ كانَ يَصُوبُ أَصابعه فتنطِفِ دماً ، ويدلُك راحتيه فتخرجان ذهباً . قال أميةُ : بَخِ بَخِ .

فقال عامرُ : جدّي الأحزمُ ، وعمّي أبو الأصبع ، وعمّي ملاعبُ الأسنّةِ ، وجدّي الرّحّالُ ، وأبي فارسُ قرزُل . قال أميةُ : بَخِ بَخِ ، مرعى ولا كالسَّعدانِ¹ ، فأرسلها . مثلاً .
فقال يزيدُ : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رحلَ بمدحِهِ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحلون بمدحِهِم إلى قومي ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نجم يمانٍ أو برد يمانٍ أو سيف يمانٍ أو ركنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال : [من الرجز]

أُمِّي يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدَلجٍ لا تجعلنَ هوازنا كَمَذْحِجٍ
إنّك إن تلهجَ بأمرٍ تلججُ ما النّبعُ في مغرِسهِ كالْعَوْسَجِ
ولا الصَّرِيحُ المحضُ كالمُزَجِ

وقال مرةً بنُ دُودانِ العُقَيْليّ ، وكان عدوّاً لعامر بن الطُّفَيْلِ : [من الرجز]

1 انظر المثل في جمهرة الأمثال للعسكري 2/275 ، 325 ، 4/242 وفصل المقال لأبي عبيد البكري 199 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 135 ، والفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 64 وكتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي 127 وكتاب الأمثال لمجهول 112 . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه . وفي مجمع الأمثال للميداني : أنّه للخنساء . وهو في فصل المقال : 199 مثل يضرب للرجل يحمّد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى . وحكى المفضل أنّ المثل لامرأة من طيء وكان تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأوّل : فقالت : «مرعى ولا كالسَّعدان» .

يا ليت شعري عنك يا يزيد ماذا الذي من عامر تريد ؟
 لكل قوم فخرهم عتيد أمطلقون نحن أم عبيد ؟
 لا بل عبيد زادنا الهبيد¹

فزوج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحزان ولعامر بن طفيل الوسنان
 كانت إتاوة قومه لمحرق زمناً وصارت بعداً للنعمان²
 عدّ الفوارس من هوازن كلها كئفاً عليّ وجئت بالديان³
 فإذا ليّ الفضل المبين بوالد ضخم الدسيعة زانني ونماني⁴
 يا عامر إنك فارس متهور غضّ الشباب أخو ندى وقيان
 واعلم بأنك يا ابن فارس قرزل دون الذي تسمو له وتُداني
 ليست فوارس عامر بمقرّة لك الفضيلة في بني عيلان
 فإذا لقيت بني الخميس ومالكاً وبني الضباب وحيّ آل قنان
 فاسأل من المرء المئوّه باسمه والدافع الأعداء عن نجران ؟
 يُعطى المَقادة في فوارس قومه كرمًا لعمرك والكريم يمان

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحزان ولما يجيء به بنو الديان
 فخروا عليّ بحبوة لمحرق وإتاوة سلفت من النعمان
 ما أنت وابن محرق وقبيله وإتاوة اللخميّ في عيلان ؟
 فاقصد بذرعك قصد أمرك قصده ودع القبائل من بني قحطان
 إذ كان سالفنا إلتاوة فيهم أولى ففخرك فخر كل يمان
 وافخر برهط بني الحماس ومالك وابن الضباب وزعل وقيان
 وأنا المنخل وابن فارس قرزل وأبو نزار زانني ونماني

1 الهبيد : الخنظل .

2 ممن يلقبون بالمحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمر .

3 الكنف : الكثرة والانتفاف .

4 الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .

وإذا تعاظمت الأمور موازنا كنت المنوة باسمه والثاني
فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان ، فقالوا : أنت شاعر بني عامر ولم
تهج بني الديان ، فقال : [من الوافر]

تكلفني هوازن فخر قوم يقولون الأنام لنا عبيد
أبوهم مذحج وأبو أبيهم إذا ما عُدَّت الآباء هود
وهل لي إن فخرت بغير فخر مقال والأنام له شهود ؟
فإننا لم نزل لهم قطينا تجيء إليهم منا الوفود
فإننا نضرب الأحلام صفحا عن العلياء أو من ذا يكيد ؟
فقولوا يا بني عيلان كنا لكم قنأ وما عنكم محيد

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر ركيك
غث ، لا يشبه أشعار القوم . وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي .
[شعره في يوم المريسع]

وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري ، ونسخته من كتابه ، قال أبو
عمرو الشيباني : أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن
الأسكر يقال لهم : بنو زينة ، أصابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم
المريسع² في غزوته بني المصطلق ، وكانوا جيرانه يومئذ ، ومعهم ناس من بني لحيان من
هذيل ، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له : طارق ، فاتهمه بنو ليث بهم ، وأنه
ذل عليهم . وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، على قريش . فقال
أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي :

لعمرك إنني والخزاعي طارقاً كنعجة عادٍ حتفها تحفر
أثارت عليها شفرة بكرعها فظلت بها من آخر الليل تجزر
شمت بقوم هم صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسر
كانك لم تنبأ يوم ذؤالة ويوم الرجيع إذ تنحر حبر
فهلاً أباكم في هذيل وعمكم ثارتهم وهم أعدى قلوباً وأوتر

1 قطينا : أتباعاً .

2 المريسع : بئر أو ماء لخزاعة .

ويوم الأراك يوم أردف سبيكم
وسعد بن ليث إذا تُسلُّ نساؤكم
عجبت لشيخ من ربيعة مُهترٍ
أمير له يوم من الدهر منكر¹

[شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه]

فأجابه طارق الخزاعي فقال :

لعمرك ما أدري وإني لقاتل
أعنف أن كانت زينة أهلك
إلى أي من يظنني أتعدُّ² ؟
ونال بنسي لحيان شرّ ونفروا

[ابن عباس ومعاوية يتمثلان بشعره وشعر صاحبه]

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تمثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية ، وتمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها .

حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة ، قال : حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقريّ قال : حدثنا زيد بن المعدّل النمرى ، قال : حدثنا يحيى بن شعيب الخزاز ، قال : حدثنا أبو مخنف ، قال : لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فذُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سليم ، فأخذ وقتل .

وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية :

أما بعد ، فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر :

[من الطويل]

لعمرك إني والخزاعيّ طارقاً
أثارت عليها شفرة بكرّاعها
كنعجة عاد حتفها تتحفرّ
فظلّت بها من آخر الليل تُجزرُ
شمتّ بقوم هم صديقك أهلكوا
أصابهم يوم من الدهر أمعر³

فأجابه معاوية : أما بعد ، فإن الحسن قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي ، وإنك لم تصب مثلاً ، ولكن مثلاً ومثلكم كما قال طارق الخزاعي :

[من الطويل]

1 المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

2 يظنني : يتهمني .

3 الأمعر : القليل الخير ، وفي ل : أصعر .

فوالله ما أدري وإنني لصادق إلى أيّ من يظنّني أتعدّر ؟
أعنف أن كانت زينة أهليكت ونال بني لحيان شرّ ونفروا

صوت

[من الكامل]

أبنيّ إنني قد كبرتُ ورائني بصري وفيّ لمُصلحٍ مستمتعُ
فلئن كبرتُ لقد دنوتُ من البلى وحلّت لكم مني خلائقُ أربع¹

عروضه من الكامل ، والشعر لعبد بن الطيب ، والغناء لابن مُحَرِّز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق ، وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضاً .

1 في رواية المفضليات (146) :

فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً تبقى لكم منها مآثر أربع

[442] - نسب عبدة بن الطيب¹ وأخباره

[نسبه]

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العُكيلي : عبدة بن الطيب ، والطيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلّة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جُشم بن عبد شمس . ويقال : عبّشَمْسُ بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال ابن حبيب خاصة : وقد أخبرني أبو عبيدة قال : تميم كلّها كانت في الجاهليّة يقال لها : عبد تيم ، وتيم ، صنم كان لهم يعبدونه .

[شاعر مجيد]

وعبدة شاعر مُجيد ليس بالكثير ، وهو مُخَضَّرَم ، أدرك الإسلام فأسلم ، وكان في جيش النُعمان بن المُقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمداثر . وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولّها :

هل حَبْلُ خَوَلَةٍ بعد الحجرِ موصولُ أم أنت عنها بَعِيدُ الدَّارِ مشغولُ ؟
حلّت خَوِيلَةٌ في دارٍ مجاورةً أهلَ المدينة فيها الديك والفيلُ²
بقارعون رؤوس العُجُم ضاحيةً منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا ميلُ³

[أرثى بيت قالته العرب في شعره]

أخبرني محمد بن العباس الزبيدي قال : حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمّه قال : أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطيب :

فما كان قيس هلُكهُ هُلُكٌ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قوم تَهْدَمُ

1 انظر أخباره في : المفضليات (مفضلية 26 ص 134) ، والشعر والشعراء 727/2 ، والآلي 69-70 والإصابة 102-101/5 .

2 في المفضليات : المداثر ووردت كذلك في شعر عبدة بن الطيب : 58 .

3 ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والسيء الركوب . أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح .

وتمام هذه الأبيات : أنشدناه عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ عن السكريِّ والمبرِّدِ والأحول
لعبدة يرثي قيساً :

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترحمًا
نحيةً من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحطِ بلادك سلماً¹
وما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحد ولكنه بُيانُ قوم تهدماً

[يترفع عن الهجاء]

أخبرني محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيْدٍ قال : حدَّثنا أبو عثمانَ الأشنادانيُّ عن التوزيِّ عن
أبي عبيدة عن يونس قال : قال رجلٌ لخالد بن صفوان : كان عبدة بنُ الطبيب لا يُحسن
أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أتني من عيٍّ ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه
ضعة ، كما يرى تركه مروءة وشفراً ، قال :

وأجراً من رأيتُ بظَّهرٍ غيبٍ على عيب الرجالِ أولو العيوبِ

[عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعرٍ له]

أخبرني محمد بنُ القاسم الأنباريُّ قال : حدَّثنا أحمد بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابي : أنَّ
عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أيُّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ،
كانتها غرقى² البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كانتها نورُ الربيع . فقال عبد الملك :
مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب ، قال :

لما نزلنا نصبنا ظلَّ أخبية وفارَ للقومِ باللحمِ المراجيل³
ورَدَّ وأشقرُ ما يوثيه طابخه ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول⁴
ثُمَّتَ قمنا إلى جُردٍ مُسومةٍ أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

يعني بالمراجيل : المراحل ، فزاد فيها الباء ضرورة .

1 في شعر عبدة بن الطبيب 88 : ألبسته .

2 الغرقى : القشرة المتزقة بياض البيض .

3 في المفضليات : 141 .

لما وردنا رفينا ظلَّ أردية وفارَ باللحم للقوم المراجيل
وكذلك ورد في شعر عبدة بن الطبيب 73 .

4 في المفضليات :

ورداً وأشقر لم ينهته طابخه ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول
وكذلك ورد في شعر عبدة 73 يوثيه : يمعله . ولم ينهته : أي ينضجه .

صوت

[من الرجز]

إِنَّ اللَّيَالِيَّ أُسْرَعَتْ فِي نَقْضِي أَخَذَن بَعْضِي وَتَرَكَنْ بَعْضِي
 حَنَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي أَقْعَدْنِي مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ نَهْضِي
 عَرُوضُهُ مِنَ الرَّجْزِ ، الشَّعْرُ لِلْأَغْلَبِ الْعَجَلِيَّ ، وَالْغَنَاءُ لِعَمْرُو بْنِ بَانَةَ ، هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ .

[443] - أخبار الأغلب¹ ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن قتيبة ، الأغلبُ بن جُشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[إسلامه واستشهاده]

وهو أحمد المعمرين ، عُمُر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص ، فنزلها ، واستشهد في وقعة بنهاوند² ، فقبره هناك في قبور الشهداء .

[هو أول من رجز الأراجيز الطوال]

ويقال : إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب ، وإياه عني العجاج بقوله مفتخراً :

إني أنا الأغلبُ أمسى قد نشد

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بآيات يسيرة ، فكان الأغلب أول من قصّد الرجز ، ثم سلك الناس بعده طريقته .

[كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز]

أخبرنا الفضل بن الحباب الجُمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : حدّثنا الأصمعيّ . وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثنا الرياشيّ ، قال حدّثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ، ثم يرتجز :

1 انظر أخباره في : الجمحي : 148-149 والشعر والشعراء 613/2 . والاشتقاق 208 والمؤتلف 22 وأسد الغابة 105/1 والإصابة 56/1 والآلي 801-802 والخزانة 332/1-333 .

2 نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبي همدان .

قد عرَفْتَنِي سَرَحْتِي فَأُطَّتْ¹ وقد شَمِطْتُ بعدها واشمَطْتُ¹

فاعترضه رجل من بني سعد ، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ، فقال له :

قَبَحْتَ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ قَفَا² عَبْدٌ إِذَا مَا رَسَبَ الْقَوْمُ طَفَا²
كما شَرَارَ الرَّعْيِ أَطْرَافُ السَّقْفِ³

[ينقص عمر عطاءه لقبوله لإنشاد من شعره في الجاهلية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبی ، قال : حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة : أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال :

لَقَدْ سَأَلْتَ هَيْئًا مَوْجُودًا أَرْجَزًا تَرِيدُ أَمْ قَصِيدًا ؟

ثم أرسل إلى لبید فقال له : إن شئت مِمَّا عفا الله عنه ، يعني الجاهلية ، فعلت . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق لبید فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة ، وجعلها في عطاء لبید ؛ فكتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، أتقص عطائي أن أطعك ! فردّ عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبید على ألفين وخمسمائة .

أخبرني محمد بن عبد العزيز : قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا علي بن القاسم ، عن الشعبي قال : دخل الأغلب على عمر ، فلما رآه قال : هيه ، أنت القائل :

أَرْجَزًا تَرِيدُ أَمْ قَصِيدًا ؟ لَقَدْ سَأَلْتَ هَيْئًا مَوْجُودًا

فقال : يا أمير المؤمنين إنما أطعك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أن اردد عليه الخمس المائة ، وأقرّ الخمس المائة للبيد .

1 السرحة : الشجرة لا شوك فيها . أطت : صوتت .

2 أصل السالفة : مقدم عنق الفرس .

3 الرعي : ما يرعى .

[شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت
مسيلمة الكذاب : [من الرجز]

لقد لقيتُ سجاح من بعد العمى	مُلَوَّحاً في العين مجلود القرا ¹
مثل الفنيق في شبابٍ قد أتى	من اللّجيمين أصحاب القرى ²
ليس بذئ واهنة ولا نسا	نشا بلحم وبخيز ما اشترى ³
حتى شتا ينتح ذفراه الندى	خاطي البضيع لحمه خطا بظا ⁴
كأنما جمّع من لحم الخصى	إذا تمطّى بين بُرديه صأى ⁵
كأنّ عرق أيّره إذا ودى	حبّل عجز ضفّرت سبع قوى ⁶
يمشي على قوائم خمس زكا	يرفع وُسطاهنّ من برد الندى ⁷
قالت : متى كنت أبا الخير متى ؟	قال حديثاً لم يغيّرني البلى
ولم أفارق خلّة لي على قلّى	فانتُسفت فيشّته ذات الشوى ⁸
كأن في أجدادها سبع كلّى	ما زال عنها بالحديث والمنى ⁹
والخلق السّفاسف يُردى في الردى	قال : ألا ترينه قالت : أرى
قال : ألا أدخّله ؟ قالت : بلى	فشام فيها مثل محراث الغضى ¹⁰

1 القرا : الظهر .

2 الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى للكرامته على أهله ولا يركب .

3 الواهنة : ريح تأخذ في المنكين ، أو في العضد ، أو في الأُخدعين عند الكبر . النسا : عرق من الورك إلى الكمين .

4 ينتح : يخرج . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . خاطي : مكتنز . البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيع . خطا : اكتنز وبظا ، تأكيد لخطا .

5 صأى : صوّت .

6 ودى : المراد نعظ .

7 خمس زكا : خمس عدداً .

8 انتُسف اللون : التمع . وانتسف الطائر الشيء : نقره . الشوى : قحف الرأس .

9 أجدادها : أصل الأجداد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه ، وورد عند البكري : أجيادها . كلّى : من معاني الكلية : معقد حمالة القوس .

10 ورد في فصل المقال : قال ألا ألحمه . محراث : ما تحرك به النار .

يقول لما غابَ فيها واستوى لِمِثْلِهَا كُنْتُ أَحْسَبُكَ الْحَسَا¹

[من أخبار سجاح]

وكان من خبر سجاح وأدعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى ، عن أبيه عن شعيب عن سيف : أنَّ سجاح التميمية ادَّعت النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واجتمعت عليها بنو تميم ، فكان فيما ادَّعت أنه أنزل عليها : يا أيها المؤمنون المتّقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریشاً قوم ييغون .

واجتمعت بنو تميم كلّها إليها لتنصرها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلّها .

وكان مؤذنتها شُبث بن ربعي الرياحي ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة ، وقالت : يا معشر تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كلّ هامة ، وأضرموا فيها ناراً ملهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالت لبني تميم ، إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة ، وإنما جعله في مضر ، فاقصدوا هذا الجمع ، فإذا فضضتموه كررتم على قریش . فسارت في قومها وهم الدّهم² الداهم . وبلغ مسيلمة خبرها ، فضاق بها ذرعاً ، وتحصّن في حجر حصن اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نسلم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في هذا الأمر . ثم بعث إليها : إن الله ، تبارك وتعالى ، أنزل عليك وحياً ، وأنزل عليّ . فهلّمي نجتمع ، فتدارس ما أنزل الله علينا ، فمن عرف الحقّ تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك .

فبعثت إليه : أفعّل ، فأمر بقبة آدم فضربت ، وأمر بالعود المندي³ فسُجر فيها ، وقال :

1 مثل : ورد في باب «استعانة الرجل بإخوانه» «لمثل هذا كنت أحسبك الحسا» . وفي فصل المقال اختلاف ترتيب الأَشْطَار فجاءت كما يأتي :

تقذف عينه بمثل المصطكى
يقول لما غاب فيها واستوى
«لمثلها كنت أحسبك الحسا»

ورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 178/2 ، 185 ، وكتاب الأمثال لمجهول 96 ، وفصل المقال 269 والمستقصى 295/2 .

2 الدهم : العدد الكثير .

3 العود المندي : منسوب إلى مندل ، قرية بالهند .

أَكْثَرُوا مِنَ الطَّيِّبِ وَالْمَجْمَرِ¹ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ ذَكَرَتْ الْبَاهُ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبَّةِ المضروبة للاجتماع ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ : هَاتْ مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ . فَقَالَ : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِالْحَبْلِی ، أَخْرَجَ مِنْهَا نُطْفَةً تَسْعَى ، بَيْنَ صِفَاقٍ² وَحَشَا ، مِنْ بَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَأَمَوَاتٍ وَأَحْيَا ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يَكُونُ الْمُنْتَهَى . قَالَتْ : وَمَاذَا ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا أَفْوَاجًا ، وَجَعَلَ النِّسَاءَ لَنَا أَزْوَاجًا ، فَتَوَلَّجَ فِيهِنَّ الْغَرَامِيلَ إِبْلَاجًا ، وَنَخَرَجَهَا مِنْهُنَّ إِذَا شِئْنَا إِخْرَاجًا . قَالَتْ : فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : [من المهزج]

أَلَا قَوْمِي إِلَى النَّيْكِ فَقَدْ هَيَّيْ لَكَ الْمَضْجَعُ
فَإِنْ شِئْتِي فِي الْبَيْتِ وَإِنْ شِئْتِي فِي الْمُخْدَعِ
وَإِنْ شِئْتِي سَلَفْنَاكَ وَإِنْ شِئْتِي عَلَى أَرْبَعٍ³
وَإِنْ شِئْتِي بَثْلَثِيهِ وَإِنْ شِئْتِي بِهِ أَجْمَعُ

قَالَ : فَقَالَتْ : لَا ، إِلَّا بِهِ أَجْمَعُ . قَالَ : فَقَالَ : كَذَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ، فَوَاقَعَهَا . فَلَمَّا قَامَ عَنْهَا قَالَتْ : إِنَّ مِثْلِي لَا يَجْرِي أَمْرُهَا هَكَذَا ، فَيَكُونُ وَصْمَةً عَلَى قَوْمِي وَعَلَيَّ ، وَلَكِنِّي مُسَلِّمَةٌ النَّبُوَّةَ إِلَيْكَ ، فَاخْطُبْنِي إِلَى أَوْلِيَائِي يَزُوجُوكَ ، ثُمَّ أَقُوذُ تَمِيمًا مَعَكَ .

فَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ ، فَاجْتَمَعَ الْحَيَّانُ مِنَ حَنِيفَةٍ وَتَمِيمٍ ، فَقَالَتْ لَهُمْ سَجَاحٌ : إِنَّهُ قَرَأَ عَلَيَّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُهُ حَقًّا ، فَاتَّبَعْتُهُ ، ثُمَّ خَطَبْتُهَا ، فَزَوَّجُوهُ إِيَّاهَا ، وَسَلَّوْهُ عَنِ الْمَهْرِ ، فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتُ عَنْكُمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ ، فَبَنُوا تَمِيمَ إِلَى الْآنَ بِالرَّمْلِ لَا يَصِلُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : هَذَا حَقٌّ لَنَا ، وَمَهْرٌ كَرِيمَةٌ مِنَّا لَا نَرُدُّهُ . قَالَ : وَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَذْكُرُ أَمْرَ سَجَاحٍ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

أَضَحَّتْ نَبِيَّتُنَا أَنْثَى نُطِيفَ بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ ذُكْرَانَا

قَالَ : وَسَمِعَ الزُّبْرَقَانَ بْنَ بَدْرِ الْأَحْنَفُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ مُسَيْلِمَةَ وَمَا تَلَاهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَقَّ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ⁴ قَطَّ . فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ بِذَلِكَ مُسَيْلِمَةَ . قَالَ : إِذَا وَاللَّهِ أَهْلَفَ أَنْتَكَ كَذَبْتُ فَيَصَدَّقَنِي وَيَكْذِبُكَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ الزُّبْرَقَانُ ،

1 المجرم : ما يوضع فيه الجمر .

2 الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشاعر .

3 سلقها : بسطها فجامعها .

4 ل : هذه الأنبياء .

وعلم أنه قد صدق .

قال : وحُدِّثَ الحسنُ البصريُّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِنَ واللهُ أبو بحرٍ من نزولِ الوحي .
قال : فأُسلمَت سجاحٌ بعد ذلك وبعد قتلِ مسيلمة ، وحسُنَ إسلامُها .

صوت

[من السريع]

كم ليلةً فيكِ بَتُّ أسهرها	ولوعةٍ من هواك أضمرها
وخرقةٍ والدموعُ تُطفئها	ثم يعودُ الجوى فيُسعِرُها
بيضاء رُودَ الشباب قد غُمِسَتْ	في خَجَلٍ دائبٍ يعصفرها ¹
الله جار لها فما امتلأت	عيناها إلا من حيث أبصرها

الشعر للبحرِيِّ ، والغناء لعَرِيب ، رَمَلٌ مطلق من مجموع أغانيها ، وهو لحن مشهور في أيدي الناس ، والله أعلم .

[444] - أخبار البحري¹ ونسبه

[نسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ يحيى بنِ عبيد بن شَمَالِ بن جابر بن سَلَمَةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جَدِّي بن تدول بن بُحتر بن عَتود بن عَثَمَة بن سَلَامان بن ثَعْلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طَيِّئٌ بنُ أَدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .

[شاعريته وندرة هجائه]

ويكنى أبا عُبَادَة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نقيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرّف حسن فاضل نقيّ في ضروب الشعر ، سوى الهجاء ، فإنّ بضاعته فيه نزرّة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنّ السبب في قلّة بضاعته في هذا الفنّ أنّه لما حضره الموتُ دعا به ، وقال له : اجمع كلّ شيء قلته في الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بني ، هذا شيء قلته في وقت ، فشفيتُ به غيظي ، وكافأتُ به قبيحاً فعل بي ، وقد انقضى أرمي في ذلك ، وإن بقي رُوي ، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة ، وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه ، قال : فعلمت أنّه قد نصّحتني وأشفق عليّ ، فأحرقته .

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث .

وهذا ، كما قال أبو الغوث ، لا فائدة لك ولا لي فيه ، لأنّ الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط ، مثل قوله في ابن شيرزاد :

نفقتُ نَفُوقَ الحمارِ الذَّكَرَ وبان ضُراطُك عَنّا فمرّ

ومثل قوله في عليّ بن الجهم :

ولو أعطاك ربُّك ما تمنّى لزدك منه في غِلَظ الأيُورِ

1 انظر أخباره في الفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنظّم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 ومعجم الأدياء 6 : رقم (1216) : 2796 وعبر للذهبي 2 : 73 وسير الذهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحري للصولي (دمشق 1957) والموازنة للأمدي ، ويونس السامرائي : البحري في سامراء (1-2) بغداد 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحري ، بيروت 1985 .

عَلَامَ طَفِقْتَ تهجوني ملياً بما لفقت من كذبٍ وزورٍ
وأشبه هذه الأبيات ، ومثلها لا يُشاكل طبعه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبئ بركاكتها
وغثائة ألفاظها عن قِلَّةِ حَظِّه في الهجاء . وما يُعرف له هجاءٌ جيِّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قوله في
ابن أبي قماش :

مُبدِيَّةٌ للشَّنانِ والشَّنْفِ مَرَّتْ عَلَى عَزْمِهَا وَلَمْ تَقِفْ
يقول فيها لابن أبي قماش :

قد كان في الواجبِ المُحَقِّقُ أَنْ تعرفَ ما في ضميرها النُّطفِ
بما تَعاطيتَ في العيوبِ وما أوتيتَ من حكمةٍ ومن لَطْفِ
أما رأيتَ المَرِيخَ قد مازجَ الزَّهرةَ في الجِدِّ منه والشَّرَفِ
وأخبرتكَ النُّحُوسُ أَنْكَمَا في حالتي ثابتٌ ومُنْصَرَفِ
من أين أَعملتَ ذا وأنتَ على التَّقْوِيمِ والزَّيْجِ جِدٌّ مُنْعَكِفِ
أما زجرتَ الطَّيْرَ العَلا أَوْ تَعَيَّ فُتْ مَها أَوْ نظرتَ في الكَتِفِ
رُدُّتْ في هذه الصَّنَاعَةِ أَوْ أَكْدَيْتَ أَوْ رَمَتْها على الخَرْفِ
لم تَخْطُ بابَ الذَّهْلِيزِ مُنْصَرِفاً إِلَّا وَخَلْخالُها مع الشَّنْفِ¹

وهي طويلة ، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس ، وقصيدته
في يعقوب بن الفرج النصراني ، فإنها ، وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ، تجري مجرى
التَّهَكُّمِ باللفظ الطَّيْبِ الخبيث المعاني ، وهي :

تَظُنُّ شَجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ وقد خَلَجَ البَيْنُ من قد خَلَجَ
وكان البحرني يشبَّه بأبي تمام في شعره ، ويحذو مَذْهَبَهُ ، وينحو نحوه في البديع الذي
كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويُقدِّمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه
قول مُنْصِفٍ : إِنَّ جَيْدَ أَبِي تَمَّامٍ خَيْرٌ مِنْ جَيْدِهِ ، وَوَسْطَهُ وَرَدِيَّتُهُ خَيْرٌ مِنْ وَسْطِ أَبِي تَمَّامٍ
ورديته ، وكذا حكم هو على نفسه .

[مع أبي تمام]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي : قال : حدَّثني الحسين بن علي الياقطيني : قال : قلت
للبحرني : أيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي ، وردتي خير من رديته .

حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثني أبو الغوث يحيى بن البحرى : قال : كان أبي يُكنى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليّ في أيام المتوكّل بأن أقصر على أبي عبادة ، فإنها أشهر ، فاقصرت عليها .

حدَّثني محمد قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحريّ - وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد في سنة ستّ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحرى شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - : أنت والله أشعرُ من أبي تمام في هذا الشعر ، قال : كلاً والله ، إن أبا تمام للرئيسُ والأستاذُ ، والله ما أكلتُ الخبزَ إلّا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن ، فإنك تأبى إلّا شرفاً من جميع جوانبك .

حدَّثني محمد : قال : حدَّثني الحسين بن إسحاق : قال : قلت للبحريّ : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمام ، والله ما أكلتُ الخبزَ إلّا به ، ولودِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا : ولكني والله تابعٌ له أخذ منه لائذ به ، نسيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تنخفُض عند سمائه .

حدَّثني محمد بن يحيى : قال : حدَّثني سوار بن أبي شراعة ، عن البحرى : قال : وحدَّثني أبو عبد الله الألوسيّ ، عن عليّ بن يوسف¹ ، عن البحرى : قال : كان أوّلُ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صيرتُ إلى أبي تمام ، وهو بحمص ، فعرضتُ عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلما تفرّقوا قال لي : أنت أشعرُ مَنْ أنشدني ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوتُ خلةً² فكتب إلى أهل مَعرة النعمان ، وشهد لي بالخذق بالشعر ، وشفع لي إليهم وقال : امتدحهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أوّلَ مالٍ أصبته . وقال عليّ بن يوسف في خبره : فكانت نسخة كتابه : « يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائيّ ، وهو ، على بذاذته³ ، شاعر ، فأكرموه » .

[يعشق غلاماً فيلتحي]

حدَّثني جَحْظَةُ : قال : سمعتُ البُحرى يقول : كنتُ أتعشّقُ غلاماً من أهل منبج يقال له شُقران ، واتفق لي سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغيبة ، ثم عدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أوّل شعر قلته :

[من مجزوء الرمل]

1 ل : علي بن سيف .

2 الخلة : الحاجة .

3 بذاذته : سوء حاله ، وورثاة هيئته .

نَبَتَ لِحَيَّةٍ شُقْرَا نَ شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِي
حُلِقْتُ ، كَيْفَ أَتَه قَبْلَ أَنْ يُنْجِزَ وَعْدِي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان .

[بدء التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدَّثني علي بن سليمان : قال : حدَّثني أبو الغوث بن البحرّي عن أبيه ، وحدَّثني عمّي :
قال : حدَّثني علي بن العباس التُّوبَخْتِي عن البحرّي ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريتان :
قال : أول ما رأيتُ أبا تمام أني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقال مدحته
بقصيدتي :

أَأَفَاقُ صَبٌّ مِنْ هَوًى فَأَفِيقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا ؟

فسرُّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى وأجدت ، قال : وكان في مجلسه رجل
نبيل رفيع المجلس منه ، فوق كل من حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبته ركبته ، فأقبل عليّ ثم قال :
يا فتى ، أما تستحي مني ! هذا شِعْرٌ لي تنتحلّه ، وتشدّه بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّاً
تقول ! قال : نعم ، وإنما علّقه مني ، فسبقني به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه
القصيدة ، حتى شككتني ، علم الله ، في نفسي ، وبقيت متحيراً ، فأقبل عليّ أبو سعيد ، فقال : يا
فتى ، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أحلف له بكلّ مُخرِجةٍ من
الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحدٌ ، ولا سمعته منه ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئاً ،
وأطرق أبو سعيد ، وقطع بي ، حتى تمنيتُ أني سُخْتُ في الأرض ، فقامت منكسر البال أجزرُ
رجلي ، فخرجت ، فما هو إلّا أن بلغتُ بابَ الدّارِ حتى خرج الغلمان فردّوني ، فأقبل عليّ
الرجل ، فقال : الشعرُ لك يا بني ، والله ما قلته قطّ ، ولا سمعته إلّا منك ، ولكنني ظننتُ أنك
تهاونتَ بمَوْضِعي ، فأقدمتُ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك
مُضاهاتي ومُكاثرتي ، حتى عرّفتني الأميرُ نسبك وموضعك ، ولَوَدِدْتُ ألاّ تلد أبداً طائِيةً إلّا
مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعاني أبو تمام ، وضمّني إليه ، وعانقني ، وأقبل يُقرّظني ،
ولزمته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية من ذكرت .

[إشادته بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري]

وقد حدَّثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً : قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحسين بن سَندِ
الْقَطْرُبُلِّي : أن البحرّي حدّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وقد مدحه
بقصيدة ، وقصده بها ، فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحرّي في
الإنشاد وهو يومئذٍ حديث السنّ ، فقال له : يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام ؟ فقال : تأذن

ويستمع ، فقام ، فأنشده إياها ، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً لها ، فلمّا فرغ منها قال : أحسنت والله يا غلام ، فممن أنت ؟ قال : من طيّء ، فطرب أبو تمام وقال : من طيّء ، الحمد لله على ذلك ، لو ددّت أن كل طائية تلد مثلك ، وقبّل بين عينيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتي ، فأمر محمد بها ، فضمّت إلى مثلها ، ودفعت إلى البحري ، وأعطى أبا تمام مثلها ، وخصّ به ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ، ورثاها بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروي أنّه قيل له في ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفضّل المراثي المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نعمل للرجاء ، نحن نعمل اليوم للوفاء . وبينهما بُعد .

[كان بخيلاً زري الهيئة]

حدثني حكم بن يحيى الكتنجي قال : كان البحريّ من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كلّ شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلها جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يكيان ، فيرمي إليهما بثمر أقواتهما مضيقاً مقترراً ، ويقول : كلا ، أجاج الله أكبادكما ، وأغرى أجلادكما وأطال إجهادكما .

قال حكم بن يحيى : وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرّك رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانيّ الكاتب ، قال : دخلت على البحريّ يوماً فاحتبسني عنده ، ودعا بطعام له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ شاميّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلاً عفيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفت إليّ ، فقال لي : أتعرف هذا الشيخ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة حصّ اللحى مُتشابهو الألوان¹

لو يسمعون بأكلة أو شرّبة بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

[ماء من يد حسناء]

وحدثني جحظة : قال : حدثني عليّ بن يحيى المنجّم : قال : اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهي أحسن من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستيّ قبيحة ، قال : صبيّه في حلقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحريّ : قلّ

في هذا شيئاً ، فقال البحرّي : [من البسيط]

ما شَرِبْتُ من رَحِيقِ كأسِها ذَهَبٌ جاءت بها الحورُ من جَنَاتِ رِضْوَانِ
يوماً بِأَطْيَبِ من ماءِ بلا عَطَشٍ شَرِبْتُهُ عِشاً من كَفِّ بُرْهَانِ

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، وأحمد بن جعفر جحظة : قال : حدّثنا أبو الغوث بن البحرّي : قال : كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ بنصف قَيْنَةٍ دُرْدِي¹ ، وكتب إليّ : دونكها يا بني ، فإنّها تكشف القَحَطَ ، وتضبطُ الرُّهْطَ . قال الأخفش ، وتَقَيَّتُ الرُّهْطَ . [فتنه مع أحمد بن علي الإسكافي]

حدّثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال : قدِمَ البحرّي النِّيلَ² على أحمد بن عليّ الإسكافي مادحاً له ، فلم يُشِبْهُ ثواباً يرضاه بعد أن طالّت مُدَّتُهُ عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها :

ما كسبنا من أحمد بن عليٍّ ومن النِّيلِ غيرَ حُمَى النِّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أوّلها : [من الخفيف]

قِصَّةُ النِّيلِ فاسمعوها عَجَابَه

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة ، وبلغ ذلك أبي ، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجهما ولجامها ، فردّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبولُ رِفْدِكُمْ ، فكتب إليه أبي : أمّا الإساءة فمَغْفُورَةٌ وأمّا المَعذرة فمَشْكُورَةٌ ، والحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتُ ، وما يأسو جراحَكَ ، مثلُ يدِكَ وقد رددتُ إليك ما رددته عليّ ، وأضعفته ، فإن تَلَفَيْتَ ما فرط منك أثبتنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بعث به ، وكتب إليه : كلامُكَ والله أحسنُ من شعري ، وقد أسلفتني ما أخجلّني ، وحملتني ما أثقلني ، وسيأتيك ثنائي . ثم غدا إليه بقصيدة أوّلها :

ضَلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّدِّ

وقال فيه بعد ذلك :

برق أضاء العقيق من ضَرَمِهِ

وقال فيه أيضاً :

دانٍ دعا داعي الصِّبَا فاجأه

قال : ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

1 الدُرْدِيّ : ما رسب أسفل من كلّ شيء مائع .

2 النِّيل : بليدة في سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة (ياقوت) .

[شعره في نسيم غلامه]

أخبرني جمحظة قال : كان نسيمٌ غلامُ البحريّ الذي يقول فيه : [من الطويل]

دَعَا عُبْرَتِي تَجْرِي عَلَى الْجَوْرِ وَالْقَصْدِ أَظُنُّ نَسِيمًا قَارَفَ الْهَمِّ مِنْ بَعْدِي¹
خَلَا نَاطِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ فَقَدْ عَلَى فَقْدِ

غلاماً روميّاً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يُصيرَه إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فإذا حصل في ملكه شَبَّب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكفّي الناس أمره .

[خبره مع محمد بن علي القميّ وغلامه]

أخبرني عليّ بنُ سليمان الأُخفشُ قال : كتب البحريّ إلى أبي محمد بن عليّ القُميّ يستهديه نبيداً ، فبعث إليه نبيداً مع غلام له أمرد ، فجَمَّشَه² البحريّ ، فغضب الغلام غضباً شديداً ، دلّ البحريّ على أنه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه : [من المتقارب]

أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ تَجْمِيشُنَا غَلَامَكَ إِحْدَى الْهَنَاتِ الدَّيَّيَّةِ
بَعَثَ إِلَيْنَا بِشَمْسِ الْمَدَامِ تَضِيءُ لَنَا مَعَ شَمْسِ الْبَرِّيَّةِ
فَلَيْتَ الْهَدِيَّةَ كَانَ الرَّسُولُ وَلَيْتَ الرَّسُولَ إِلَيْنَا الْهَدِيَّةِ

فبعث إليه محمد بنُ عليّ الغلامَ هَدِيَّةً ، فانقطع البحريّ عنه بعد ذلك مدّة ، خجلاً ممّا جرى ، فكتب إليه محمد بن عليّ :

هَجَرْتَ كَأَنَّ الْبِرَّ أَعْقَبَ حِشْمَةً وَلَمْ أَرْ وَصْلاً قَبْلَ ذَا أَعْقَبَ الْهَجْرَا
فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من الطويل]

فَتَى مَذْحِجٌ غَفْرًا فَتَى مَذْحِجٌ غُفْرًا³

وهي طويلة . وقال فيه أيضاً :

أَمْوَاهِبٌ هَاتِيكَ أَمْ أَنْوَاءُ هُطُلٌ وَأَخَذَ ذَاكَ أَمْ إِعْطَاءُ
إِنْ دَامَ ذَا أَوْ بَعْضُ ذَا مَنْ فَعَلَ ذَا ذَهَبَ السَّخَاءُ فَلَا يُعَدُّ سَخَاءُ⁴

1 قارف في ل : قارن .

2 التجميش : المغازلة والملاعبة .

3 مذحج : أكمة ، ولدت مالكا وطيباً أمهما عندها ، فسمّوا مذحجاً .

4 فلا يعدُّ سخاء في الديوان : «فلا يُحسَّ سخاء» .

ليس الذي حَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهُ الدَّهْ
ملكٌ أَغْرَّ لآلَ طَلْحَةَ مَجْدُهُ
وشريفٌ أَشْرَافٌ إِذَا احتَكَّتْ بِهِمْ
أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ اسْمَعُ عُذْرَةَ
مَالِي إِذَا ذَكَرَ الْكَرَامَ رَأَيْتُنِي
يُضْفُو عَلَيَّ الْعَذْلُ وَهُوَ مُقَارِبٌ
إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذَا هَجَرْتُكَ حِشْمَةً
أَخْجَلْتَنِي بِنْدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ
وَقَطَعْتَنِي بِالْبَرِّ حَتَّى إِنَّنِي
صِلَّةٌ غَدَّتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ
لِيُوَاصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرِي سَائِراً
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ الثَّنَاءُ مُخَلِّداً
فَنُظِّلَ تَحْسُدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ بِي

[موته بالسكنة]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ : قَالَ : سَأَلَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ خَبَرِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَقَدْ كَانَ أُسْكِتَ ، وَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ ، فَأَخْبِرْتُهُ بِوَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّكْنَةِ ، فَقَالَ : وَيْحَهُ رُمِيَ فِي أَحْسَنِهِ .

[أَبُو تَمَّامٍ يَعْلَمُ الْبُحْتَرِيَّ الْاِسْتِطْرَادَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى : قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْبَارِيُّ : قَالَ : سَمِعْتُ الْبُحْتَرِيَّ يَقُولُ : أَنَشِدَنِي أَبُو تَمَّامٍ يَوْمًا لِنَفْسِهِ :
وسابح هطل التَّعْدَاءُ هَتَانِ على الجراءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ

[مَنْ الْبَسِيطُ]

1 وسطه الدهناء ، لكن صدرُكَ في الديوان : وسطها الدهناء لكن صدرها .

2 مجده في الديوان : نَجْرُهُ .

3 وأساءوا في الديوان : دواء .

4 الشطر الأول في الديوان : إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ حِشْمَةً .

5 متوهم في الديوان : متوهم .

6 الشطر الثاني في الديوان : تهدي به في مدحك الأعداء .

7 كما دامت في الديوان : كما دافعت .

أَظْمَى الْفُصُوصَ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ فَخَلَّ عَيْنِكَ فِي ظَمَانَ رَيَانٍ¹

فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى زَيْمٌ بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مِثْنَى وَوُحْدَانٍ²

أَيَقْنَسْتَ إِنْ لَمْ تَثْبِتْ أَنَّ حَافِرَهُ مِنْ صَخَرٍ تَذْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانٍ³

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرِيكَ أَنَّهُ يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان ، وقد فعل البحري ذلك ، فقال في صفة الفرس : [من الكامل]

مَا إِنْ يَعَافُ قَدَى وَلَوْ أوردته يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الْأَحُولِ

وكان حمدويه الأحول عدوًّا لمحمد بن علي القميّ المتمدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً . والله أعلم .

[أبو تمام ينسب به]

حدثني علي بن سليمان الأحفش : قال : حدثني أبو العوث بن البحتري : قال : حدثني أبي : قال : قال لي أبو تمام : بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلاً فيما مدحتهم به ، فأنشدني شيئاً منه ، فأنشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لي : كم أعطوك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وفوك حقك ، فلم استكثرت ما دفعوه إليك ؟

والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم أطرق قليلاً ، ثم قال : لعمرى لقد استكثرت ذلك ، واستكثرت لك لما مات الناس وذهب الكرام ، وغاضت المكارم ، فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمْتُ فقبلت رأسه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم .

[أبو تمام ينسب نفسه]

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب : قال : قال لي البحتري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فتمثل بيت أوس بن حجر :

[من الطويل]

إِذَا مُقَرَّمٌ مَنَا ذِراً حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرٍ مُقَرَّمٌ⁴

ثم قال لي : نعت والله إلي نفسي ، فقلت : أعيدك بالله من هذا القول ، فقال : إن عمري لن يطول ، وقد نشأ في طيء مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شيب بن شيب ،

1 الفصوص : المفاصل . تظما : تضر .

2 زيم : جمع زيمة ، وهي القطعة من الشيء .

3 عثمان بن إدريس .

4 المقرم : السيد المقدم ، تشبيهاً بالمقرم من الإبل . وذرا حد نابه : انكسر . والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة .

وهو من رَهْطه يتكَلَّم ، فقال : يا بُنَيَّ ، لقد نَعَى إليَّ نفسي إحسانك في كلامك ، لأنَّنا أهلُ بيت ما نشأُ فينا خَطِيبٌ قطَّ إلَّا ماتَ مَنْ قبله ، فقلتُ له : بل يُبْقِيكَ اللهُ ، ويجعلني فداءك . قال : ومات أبو تَمَّام بعد سنة .

[يضجر المتوكل من عُجبه بنفسه فيغري به الصيمري]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : حدَّثني أبو العَنَسِ الصَّيْمَرِيُّ قال : كنتُ عند المتوكل والبَحْرِيِّ يُشِيدُه : [من مجزوء الكامل]

عن أَيِّ ثَغَرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طرفٍ تَحْتَكُمُ ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْـ حتوكل بن المعتصم
المُبْتَدِي لِلْمُجْتَدِي والمنعم بن المنتقم
اسلِّمْ لِلدِّينِ مُحَمَّدٍ فإذا سلمت فقد سلِّمْ

قال : وكان البَحْرِيُّ من أبغض النَّاسِ إنشاداً ، يتشادق ويتزاور¹ في مشيه مرّة جانباً ، ومرّة القَهْقَرَى ، ويهزّ رأسه مرّة ، ومنكبيه أخرى ، ويشير بكُمّه ، ويقف عند كلِّ بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يُقْبِلُ على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحْسِنُ أحدٌ أن يقول مثله ، فضجّر المتوكل من ذلك وأقبل عليّ ، وقال : أما تسمع يا صَيْمَرِيّ ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيّدي ، فمُرّني فيه بما أحببت ، فقال : بحياتي اهْجُءْهُ على هذا الرّوْيِ الذي أنشدنيّه ، فقلت : تأمر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواقٍ وقرطاسٍ ، وحضّرني على البديهة أن قلت :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الرَّحِمِ وعلمتَ أنَّكَ تنهزمُ
يا بَحْرِيّ حَذَارٍ وَيْحَ لك من قُضَائِقِضَةٍ ضُغْمٍ²
فَلَقَدْ أَسْلَمْتَ بِوَادِيَيْ لك من المِجَا سَيْلِ الْعَرَمِ
فبأيِّ عِرْضٍ تَعْتَصِمُ وبهتَكَ جَفَّ الْقَلَمُ ؟
والله جِلْفَةٌ صَادِقٍ وبقبرِ أحمد والحرمِ
وبحقِّ جعفرِ الإمامِ مِ ابْنِ الإمامِ الْمُعْتَصِمِ

1 يتزاور : ينحرف .

2 القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة . وضغمه : عضه بملء فيه . فهو ضاغم والجمع ضُغْمٌ .

لأَصْبَرَنَّكَ شَهْرَةً بين المسيل إلى العلم
حَيَّ الطَّلُولُ بذى سَلَمٍ حيث الأراكَةُ والخَيْمِ
يا ابنَ الثَّقِيلَةِ والثَّقِيهِ ل على قُلُوبِ ذَوِي النِّعَمِ
وعلى الصغير مع الكب ير من الموالى والحَشَمِ
في أَيِّ سَلَحٍ تَرْتَطِمُ وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمُ ؟
يا ابنَ المُباحَةِ للوَرَى أَمِنَ العُفَافِ أَمِ الثُّهَمِ
إِذ رَحَلُ أَخْتِكَ لِلْعَجَمِ وفراشُ أَمَكِ في الظُّلَمِ
وباب دارِكَ حائَةً في بَيْتِهِ يُوتَى الحَكَمُ¹

قال : فغَضِبَ ، وخرج يعدو ، وجعلت أصبح به :

أدخلت رأسك في الرَّجِمِ وعلمتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ
والتوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عن عينه .
هكذا حدثني جحظة عن أبي العنيس .

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنيس ، فرأيتها قريبة اللفظ ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة ، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنيس قال هذه الأبيات ارتجالاً ، وكان واقفاً خلف البحرى ، فلما ابتداء وأنشد قصيدته : [من مجزوء الكامل]

عن أَيِّ ثَغَرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
صاح به أبو العنيس من خلفه :

في أَيِّ سَلَحٍ تَرْتَطِمُ وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمُ
أدخلتَ رأسك في الرَّجِمِ وعلمتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ

فغضب البحرى ، وخرج ، فضحك التوكل حتى أكثر ، وأمر لأبي العنيس بعشرة آلاف درهم والله أعلم .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي ، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدثني يحيى بن علي عن أبيه : أن البحرى أنشد التوكل ، وأبو العنيس الصيمري حاضر ، قصيدته :

1 مثل ورد في فصل المقال 76 وكتاب الأمثال لأبي فيد 47 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 368/1 ، و89/2 ، 101 والدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني 456/2 ، ومجمع الأمثال 72/2 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 183 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 54 وكتاب الأمثال لمجهول 80 .

عن أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ ؟
إلى آخرها ، وكان إذا أنشد يختال ، ويعجب بما يأتي به ، فإذا فرغ من القصيدة ردَّ
البيت الأوَّل ، فلمَّا ردَّه بعد فراغه منها . وقال :

عن أَيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمُ وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
قال أبو العَنَبَسِ وقد غمزهُ المتوكِّلُ أن يولع به :

في أَيِّ سَلَحٍ تَرْتَطِمُ وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَقِمُ
أدخلتَ رأسَكَ في الرَّحِمِ وعلمتَ أنَّكَ تَنْهَزِمُ
فقال نصف البيت الثاني ، فلمَّا سمع البحريُّ قوله ولَّى مُغَضَّبًا ، فجعل أبو العَنَبَسِ يصيح

به :

وعلمتَ أنَّكَ تَنْهَزِمُ

فضحك المتوكِّلُ من ذلك حتى غُلب ، وأمر لأبي العَنَبَسِ بالصَّلَّةِ التي أُعيدت للبحريِّ .
قال أحمد بن زياد : فحدَّثني أبي : قال : جاءني البحريُّ ، فقال لي : يا أبا خالد أنت
عشيرتي وابنُ عمِّي وصديقي ، وقد رأيتَ ما جرى عليَّ ، أفأُذنُّ لي أن أخرج إلى مَنبجٍ بغير إذن ،
فقد ضاع العِلْمُ ، وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعل من هذا شيئًا ، فإنَّ الملوكَ تَمزحُ بأعظم ممَّا
جرى ، ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحوًا من قولي ، ووصله ، وخلع عليه ،
فسكن إلى ذلك .

[الصيمريُّ وسخرته بعد موت المتوكِّل]

حدَّثني جحظةٌ عن عليِّ بن يحيى المُنْجَمِ : قال : لما قُتِلَ المتوكِّلُ قال أبو العَنَبَسِ
الصَّيْمِرِيُّ :

يا وحشةَ الدُّنْيَا على جَعْفَرٍ	على الهمامِ الملكِ الأزهرِ
على قَتِيلٍ من بني هاشمٍ	بين سريرِ الملكِ والمَنبرِ
واللهِ رَبِّ البَيْتِ والمَشْعَرِ	واللهِ أن لو قُتِلَ البُحْرِيُّ
لشارَ بالشَّامِ له ثائرٌ	في ألفِ نَغْلٍ من بني عَضٍّ خري
يقدمهم كُلُّ أخِي ذَلَّةٍ	على حمارٍ دابرٍ أعورٍ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحريُّ ، فضحك ثم قال : هذا الأحقُّ يرى أنَّي أجيبهُ
على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، مَنْ كان يجيبه ؟

[445] - ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

[منزلتها في الغناء والأدب]

كانت عَرِيبَ مَغْنِيَّةً مُحَسَّنَةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخطِّ والمذهب في الكلام ، ونهايةً في الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار ، والرواية والشعر والأدب ، لم يتعلَّق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُؤي في النساء بعد القيانِ الحجازياتِ القديمات ، مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن ، على قلة عددهنَّ ، نظيرُها ، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لمنَّ مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء ، ومن نشأ في قصور الخلافة وغدِّي برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامة والعرب الجفاة ، ومن غلظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حماد بن إسحاق : قال : قال لي أبي : ما رأيتُ امرأةً أُضربَ من عَرِيب ، ولا أحسنَ صنعةً ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أخفَّ رُوحاً ، ولا أحسنَ خطاباً ، ولا أسرعَ جواباً ، ولا أَلعبَ بالشَّطرنج والنرد ، ولا أجمعَ لخِصْلَةٍ حَسَنَةٍ لم أرَ مثلها في امرأةٍ غيرها . قال حماد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكرم في حياة أبي ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قلت : أفسمعتها ؟ قال : نعم هناك ، يعني في دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم مني بها ، فأخبرتُ بذلك أبي ، فضحك ، ثم قال : ما استحييتُ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

[هي وإسحاق والخليفة المعتصم]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى : قال : حدثني أبي ، قال : قال لي إسحاق : كانت عندي صنَّاجة¹ كنتُ بها مُعجِباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ، فبينما أنا ذات يوم في منزلي ، إذ أتاني إنسان يدقُّ الباب دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَنْ هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبتُ صنَّاجتي ، تجده ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إليَّ فيها . فلما مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب ، وأنا مثخنٌ ، فدخلت ، فسَلِّمت ، فردَّ عليَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي ، فقال لي : اسكن ، فسكنت ، فقال لي : غنِّ صوتاً² وقال لي : أتدري لِمَ هو ؟

1 الصنَّاجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

2 ل : فسألني عن صوت .

فقلت : أسمع ، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، ففتته وضربت ، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم ، فقلت : زدني معها عوداً آخر ، فإنه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحدث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذلك ؟ قلت : لما سمعت لِينَه عرفت أنه مُحدث من غناء النساء ، ولما رأيت جَوْدَه مقاطيعه علمت أن صاحبه ضاربة ، وقد حَفِظْتُ مقاطيعه وأجزائه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ، فلم أشك ، فقال : صدقت ، الغناء لعريب .

قال ابن المعتز : وقال يحيى بن عليّ : أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعتُه ، فأخذت منها دفاترها وصُحُفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت .

[أصواتها]

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرْداذبَه : أنه سأل عَرِيب عن صَنَعَتها ، فقالت : قد بلغتُ إلى هذا الوقت ألف صوت .

وحَدَّثني محمد بن إبراهيم¹ قريض أنه جمع غناءها من ديوانِي ابن المعتز ، وأبي العَنَبس بن حمدون ، وما أخذَه عن بدعة جاريته التي أعطاه إياها بنو هاشم ، فقابل بعضه ببعض ، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً .

وذكر العنابي أن أحمد بن يحيى حَدَّثه : قال : سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول ، وقد ذُكرت صنعة عَرِيب : صَنَعَتُها مثلُ قول أبي دُلْف في خالد بن يزيد حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

يا عينُ بَكِّي خالداً ألفاً ويُدعى واحداً

يريد أن غناءها ألف صوت في معنى واحد ، فهي بمنزلة صوت واحد .

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابن المعتز .

وهذا تحامل لا يحل ، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مردولة لينة ، وليس ذلك ممّا يَضَعُها ولا عَرِي كبير أحيد من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صَنَعَتِه النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومَعْبُد في القدماء ، ومثل إسحاق وحده في المتأخرين ، وقد عيبَ بمثل هذا ابن سُرَيْج في محله ، فبلغه أن المغنين يقولون : إنما يغني ابن سريج الأرمال والخفاف ، وغناؤه يصلح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنى بقوله :

[من الطويل]

لقد حببتُ نَعْمَ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر فالنَّفْعُ¹

ثم توفّي بعدها ، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه ، وهذا إسحاق يقول في أبيه : على عظيم محلّه في هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ، ولأبي سُمائة صوت ، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم ، وأتى بها في نهاية من الجودة ، ومائتان غناءً وسط مثل أغاني سائر الناس ، ومائتان فلسية ودِدَتْ أَنَّهُ لم يُظهرها وينسبها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولُ إسحاق في أبيه فَمَنْ يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء ، وما عَرِيَ أحد في صناعة من الصناعة من حال يَقْصُه عن الغاية ، لأنّ الكمال شيء تفرّد الله العظيم به ، والنقصان جبلة طَبَعَ بني آدم عليها ، وليس ذلك إذا وُجد في بعض أغاني عَرِيب مّا يدعو إلى إسقاط سائرها ، ويلزمه اسم الضّعف واللّين ، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلمّا شهد لأحد ، أو سلّم خلق ، وإن تقدّم وأُجمع على فضله ، من شئنه² إِيّاه وطعنه عليه ، لنفاسته في هذه الصناعة ، واستصغاره أهلها ، فقد تقدّم في أخباره مع علوّه ، ومُخارق ، وعمرو بن بانه ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ، ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إِيّاهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنّعوه ممّا يُستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع ، فإذا انضاف فعُله هذا بهم ، وتفضيله إِيّاها ، كان ذلك أدلّ دليل على التحامل ممّن طعن عليها ، وإبطاله فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك ، وهو أبو عبد الله الهشاميّ ، سبّب كان يصطنعه عليها ، فدعاه إلى ما قال ، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومّا يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستثبت ، مع علمه بالمذاهب في الصنعة ، وتقديره في معرفة النغم وعِلَلِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدّثني أبي عن إسحاق : فأما السبب الذي كان من أجله يعادياها الهشاميّ : فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ذُكر لأبي أحمد عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أنّ الهشاميّ زعم أنّ أحسن صوت صنّعه عَرِيب :

[من مجزوء الخفيف]

1 الوتائر : موضع بين مكّة والطائف .

2 ل : ثلّبه .

صاح قد لمت ظلماً

وأن غناءها بمنزلة قول أبي ذؤلف في خالد :

يا عين بكّي خالدا ألفاً ويدعى واحداً

فقال : ليس الأمر كما ذكر ، ولعريب صنعة فاضلة متقدمة ، وإنما قال هذا فيها ظلماً وحسداً ، وغمطها ما تستحقه من التفضيل ، بخبر لها معه طريف ، فسألناه عنه ، فقال : أخرجت الهشاميّ معي إلى سرّ من رأى ، بعد وفاة أخي ، يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأدخلته على المعتزّ ، وهو يشرب ، وعريب تغني ، فقال له : يا ابن هشام ، غنّ ، فقال : بُت من الغناء مذ قُتل سيدي المتوكل ، فقالت له عريب : قد والله أحسنت حيث بُت ، فإنّ غناءك كان قليلاً المعنى ، لا مُتقن ولا صحيح ولا مُطرب ، فأضحكت أهل المجلس جميعاً منه ، فخجل ؛ فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ، ويعيب صنعتها ، ويقول : هي ألف صوت في العدد ، وصوت واحد في المعنى .

وليس الأمر كما قاله ، إنّ لها لصنعة تشبّهت فيها بصنعة الأوائل ، وجوّدت ، وبرزت فيها ، منها :

أئن سكنت نفسي وقلّ عويلها

ومنها : [من السريع]

تقول همّي يوم ودّعتها

ومنها : [من البسيط]

إذا أردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها : [من مجزوء الرمل]

بأبي من هو دائي

ومنها : [من المديد]

أسلموها في دمشق كما

ومنها : [من الوافر]

فلا تتعتّي ظلماً وزورا

ومنها : [من الطويل]

لقد لام ذا الشوق الخلي من الهوى

ونسخت ما أذكره من أخبارها ، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليّ محمد بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريظ ، وأخبرني أنّ عبد الله بن المعتزّ دفعه إليه ، من جمعه وتأليفه ،

فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها ، إذ كان فيها حشو كثير ، وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموع مجموعاً ومتفرقاً ، ونسبت كل رواية إلى راويها .
[برمكية النسب]

قال ابن المعتز : حدثني الهشامي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز ، عن ابن خرداذبه قال : كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذي ربّاه ، وأدّبها ، وعلمها الغناء .

قال ابن المعتز : وحدثني غير الهشامي ، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم : أنها بنت جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة .

قال : فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب : قال : حدثني من أئق به ، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي : أن أم عريب كانت تسمى فاطمة ، وكانت قيمة لأُم عبد الله بن يحيى بن خالد ، وكانت صبيبة نظيفة ، فراها جعفر بن يحيى ، فهويها ، وسأل أُم عبد الله أن تزوجه إياها ، ففعلت ، وبلغ الخبر يحيى بن خالد ، فأنكره ؛ وقال له : أتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب ؟ اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها ، فأخرجها ، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه . ووكل بها من يحفظها ، وكان يتردد إليها ، فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستاً وتسعين سنة ، قال : وماتت أم عريب في حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية ، وجعلها داية لها ، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعها من سنيس النخاس ، فباعها من المراكبي .

قال ابن المعتز : وأخبرني يوسف بن يعقوب : أنه سمع الفضل بن مروان يقول : كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى ؟

وأخبرني جحظة قال : دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العنّس بن حمدون ، وأنا يومئذ غلام عليّ قباء ، ومنطقة ، فأنكرتني وسألت عني ، فأخبرها شروين ، وقال : هذا فتى من أهليك ، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد ، وهو يغني بالطنبور ، فأدنتني ، وقربت مجلسي ، ودعت بطنبور ، وأمرتني بأن أغني ، فغنيت أصواتاً ، فقالت : قد أحسنت يا بُني ولتكونن مغنياً ، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدین ضيغت أنت وطنبورك بين عوديهما ، وأمرت لي بخمسين ديناراً .

قال ابن المعتز ، وحَدَّثني ميمونُ بنُ هارون : قال : حَدَّثتني عَرِيبٌ قالت : بعثَ الرشيدُ إلى أهلها ، تَعْنِي البرامكة ، رسولاَ يسألهم عن حالهم ، وأمره ألا يعلمهم أَنَّهُ من قبله ، قالت : فصار إلى عَمِّي الفضل ، فسأله ، فأنشأ عَمِّي يقول :
[من الخفيف]

صوت

سألونا عن حالنا كيف أنتمُ مَنْ هوى نجمه فكيف يكون ؟
نحن قومُ أصابنا عنتُ الدهر رَ فظَلْنَا لربِّه نستكينُ

ذكرت عَرِيبٌ أَنَّ هذا الشعرَ للفضل بنِ يحيى ، ولها فيه لحنان : ثاني ثَقِيلٌ وخفيف
ثَقِيلٌ ، كلاهما بالوُسْطَى ، وهذا غَلَطٌ من عَرِيبٍ ، ولعلَّه بلغها أَنَّ الفضلَ تمثَّل بشعرٍ غير
هذا ، فأنسيته وجعلت هذا مكانه .

فأما هذا الشعرُ فللحُسَيْن بنِ الضحَّاك ، لا يُشكُّ فيه ، يرثي به محمداً الأَمِينَ بعد
قوله :

نحن قومُ أصابنا حادثُ الدهر رَ فظَلْنَا لربِّه نستكينُ
تَمْنَى من الأَمِينَ إياباً كلُّ يومٍ وأينَ منّا الأَمِينُ ؟
وهي قصيدة .

[تهرب إلى معشوقها]

قال ابن المعتز : وحَدَّثني الهشامي : أَنَّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدبها وخرَّجها
وعَلَّمها الخطَّ والنَّحوَ والشَّعرَ والغناء ، فبرعت في ذلك كلَّه ، وتزايدت حتى قالت الشعرَ ،
وكان لمولاها صديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قَوَاد خُرَّاسان ، وقيل : إِنَّه كان يكتبُ لِعَجِيفٍ
على ديوانِ الفرض ، فكان مولاها يدعوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبهُ دَيْنٌ فاستترَ عنده ، فمدَّ
عينه إلى عَرِيبٍ ، فكاتبها ، فأجابته ، وكانت المُواصلةَ بينهما ، وعَشِيقته عَرِيبٌ ، فلم تَزَلْ
تَحْتَال حتى اتخذتْ سُلماً من عَقَبٍ¹ ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتى إذا هَمَّتْ
بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدَّه ، وقد أعدَّ لها موضعاً ، لَفَّت ثيابها وجعلتها في
فراشها بالليل ، ودَثَرَتْها بِدِثَارِها ، ثم تسوَّرت من الحائط ، حتى هَرَبَتْ ، فَمَضَتْ إليه ،
فمكثت عنده زماناً ، قال : وبلغني أَنَّها لما صارت عنده بعثَ إلى مولاها يستعير منه عوداً
تُغْنِيه به ، فأعاره عودَها ، وهو لا يعلم أَنَّها عنده ، ثقةً به ، ولا يَتَّهمه بشيءٍ من أمرها ، فقال

1 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي ، وهو عيسى ابن زَيْنَب يهجو أباه ويُعَيِّرُه بها ، وكان كثيراً ما يهجوهُ :

[من مجزوء الرمل]

قاتلَ اللهَ عَرِيباً	فَعَلْتَ فِعْلاً عَجِيباً
رَكِبْتَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ	مَرْكَباً صَغْباً مَهُوباً
فَارْتَقَتْ مُتَصِلاً بِالنَّجْجِ	سَمِراً أَوْ مِنْهُ قَرِيباً
صَبِرْتُ حَتَّى إِذَا مَا	أَقْصَدَ النَّوْمُ الرَّقِيباً ¹
مَثَلْتُ بَيْنَ حَشَايَا	هَا لِكَيْلَا تَسْتَرِيباً
خَلَفاً مِنْهَا إِذَا نَوَى	دَيْ لَمْ يُلَفَّ مُجِيباً
وَمَضَتْ يَحْمِلُهَا الْخَوَى	فُ قَضِيئاً وَكَثِيباً
مُحَةً لَوْ حُرِّكَتْ خِفْ	تَ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوباً ²
فَتَدَلَّتْ لِمُحِبِّ	فَتَلَقَّاهَا حَبِيباً
جَذِلاً قَدْ نَالَ فِي الدُّدِّ	يَا مِنْ الدُّنْيَا نَصِيباً
أَيُّهَا الظُّبْيُ الَّذِي تَسَحَّ	رُ عَيْنَاهُ الْقُلُوبَا
وَالَّذِي يَأْكُلُ بَعْضَا	بَعْضُهُ حُسْناً وَطِيبَا
كُنْتَ نَهْياً لَذْثَابٍ	فَلَقَدْ أَطْعَمْتَ ذِيَا
وَكَذَا الشَّاةُ إِذَا لَمْ	يَكُ رَاعِيهَا لَبِيبَا
لَا يُبَالِي وَبِأُ الْمَرْ	عَى إِذَا كَانَ خَصِيبَا
فَلَقَدْ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ	كَشْخَانَ حَرِيباً ³
قَدْ لَعَمْرِي لَطَمَ الْوَجَةَ	وَقَدْ شَقَّ الْجُيُوبَا
وَجَرَتْ مِنْهُ دُمُوعٌ	بَلَّتْ الشَّعْرَ الْخَضِيبَا

وقال ابن المعتز : حدثنا محمد بن موسى بن يونس : أنها ملته بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تُغْنِي عند أقوام عَرَفَتْهُمْ بِبَغْدَاد ، وهي متسترة متخفية ، فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابنُ أخٍ للمراكبي بِيَسْتَانَ كانت فيه مع قوم تُغْنِي ، فسمع غناءها ، فعرفه ،

1 أقصده : أي أصابه سهمه .

2 المحّة : صفرة البيض .

3 الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال .

فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يرح حتى جاء عمه ، فليّبها¹ وأخذها ، فضربها مائة مِرْقَعَة ، وهي تصيح : يا هذا لِمَ تقتلني ! أنا لست أُصبر عليك ، أنا امرأة حُرّة إن كنتُ مملوكَةً فِيعني ، لست أُصبر على الضيقة ، فلمّا كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبّل رأسها ورجلها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم ، ثم بلغ محمداً الأمين خبرها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده ، فاضطغن لذلك عليه ، فلمّا وليّ الخلافة جاء المراكبيّ ، ومحمد راكب ، ليُقبّل يده ، فأمر بمنّعه ودفعه ، ففعل ذلك الشاكريّ ، فضربه المراكبيّ وقال له : أتمنعني من يد سيّدي أن أقبلها ؟ فجاء الشاكريّ لمّا نزل محمد فشكاه ، فدعا محمداً بالمراكبيّ ، وأمر بضرب عنقه ، فسُئل في أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطلبه بخمسمائة ألف درهم ممّا اقتطعه من نفقات الكُراع ، وبعث ، فأخذَ عَرِيب من منزله مع خَدَم كانوا له ، فلمّا قُتلَ مُحمد هَرَبَت إلى المراكبيّ ، فكانت عنده ، قال : وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لمّا هَرَبَت إليه ، ثم ملّته فهرت منه ، وهي أبيات عدّة ، هذان منها :

ورُشُوا على وَجْهي من الماء واندبُوا قَتِيلَ عَرِيب لا قَتِيلَ حُرُوبِ
فليتك إن عجلتني فقتلتني تكوينين من بعد الممات نصيبِ

قال ابن المعتز : وأمّا رواية إسماعيل بن الحسين ، خالِ المعتصم فإنّها تخالف هذا ، وذكر أنّها إمّا هربت من دارِ مولاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن ، أحدِ قوَاد خُرَاسان قال : وكان أشقر أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب ، ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس :

بأبي كلّ أزرقٍ أصهب اللون أشقرٍ
جُنّ قلبي به وليّ سن جنونني بمنكرٍ

[تذكر ناسيا]

قال ابن المعتز : وحدثني ابن المدبر قال : خرجتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنا نسير مع العسكر ، فلمّا خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرّم في العماريات على الجمّازات² وكنا رُفَقَةً ، وكنا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض

1 ليّبها : أخذ بتلايبيها ، وهي مجتمع ثيابها عند العنق . وفي ل : فكبسها .

2 العماريات : الهودج . والجمّازات جمع جمّاز وتوصف بها النياق السريعة .

هذه الجَمَازَات عَرِيب ، فقلت : مَنْ يراهنني أُمُرٌ في جنبات هذه العماريات ، وأنشد أبيات عيسى بن زئب :

قاتل الله عَرِيباً فعلت فعلاً عجيباً

فراهنني بعضهم وعدل الرّهان¹ وسيرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعاً صَوْتِي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت : يا فتى أنسيّت أجودَ الشعر وأطيبه ؟ أنسيّت قوله :

وعَرِيبٌ رَطْبَةُ الشَّفِّ رَرَيْنٌ قد نيكت ضروباً

أذهبُ فخذ ما بايَعْتَ فيه ، ثم أَلَقْتُ السَّجْفَ ، فعَلِمْتُ أَنَّهَا عَرِيب ، وبادرتُ إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .

[رقيب يحتاج إلى رقيب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : قال لنا عمر بن شبّة : كانت للمراكبيّ جارية يُقال لها مظلومة ، جميلة الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمَام ، أو إلى مَنْ تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربّما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموك يا مظلومَ لما	أقاموك الرّقيبَ على عَرِيب
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً	لما أخلوك أنت من الرّقيب
أتنهّن المريبَ عن المعاصي	فكيف وأنت من شأن المريب
وكيف يُجانِبُ الجاني ذنوباً	لديك وأنت داعيةُ الذنوب
فإن يسترّقوك على عَرِيب	فما رَقُبوك من غيب القلوب

وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدني علي بن سليمان الأُخْفَش في رَقِيبَةٍ مُغْنِيَةٍ اسْتُحْسِنَتْ وأظنه للنّاشيء :

[من المتقارب]

فديتك لو أنّهم أنصفوا	لقد منعوا العينَ عن ناظرِكَ
ألم يقرءوا ويجهّم ما يرو	ن من وحي طَرَفِكَ في مُقَلَّتِكَ
وقد بعثوك رَقِيباً لنا	فمن ذا يكون رَقِيباً عليك
تصدّين أعيننا عن سواك	وهل تنظر العينُ إلّا إليك

[من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون]

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحاق البغوي، عن إسحاق بن إبراهيم: أن خبر عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها، فأحضرها، وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول:

لكل أناس جَوهر متنافس وأنت طراز الأناس الملائع

فطرب محمد، واستعاد الصوت مراراً، وقال لإبراهيم، يا عم كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعت حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن روعها ازداد غناؤها حسناً، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، وساوم بها، ففعل، فاشتت مولاها في السوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، وانتقض أمر محمد، وشغل عنها، وشغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن اقتضتها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد، فلم نزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إلي خبرها. وأمر صاحب الشرطة أن يعجده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السياط حتى يردّها، فأخذه، وبلغها الخبر فركبت حمار مكار، وجاءت وقد جرد ليضرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكة فليعني، وإن كنت حرة فلا سبيل له علي، فرُفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها¹ عند قتيبة بن زياد القاضي، فعُدلت عنده، وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها، فسأله البيّنة على ملكه إياها، فعاد متظلماً إلى المأمون، وقال: قد طولت بما لم يُطالب به أحد في رقيق، ولا يوجد مثله في يد من اتباع عبداً أو أمة.

وتظلمت إليه زبيدة، وقالت: من أغلظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري، وأخذه عريباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذت ملكي، لأنّه لم ينقذني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي، وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقي، فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشترها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كلّ مذهب ميلاً إليها ومحبة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قُبِلَ في بعض الأيام رجلاًها ، قال : فلما مات المأمون بيعت في ميراثه ، ولم يُبَّعْ له عبدٌ ولا أمةٌ غيرها ، فاشترها المعتصم بمائة ألف درهم ، وأعتقها ، فهي مولاته .

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلّت من قصر الخلد بجبل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عدي .

وأخبرني جحظة ، عن ميمون بن هارون : أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنني حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك ، ولكنني سأوليك عملاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمي إليه بخاتمين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنّية ، فقال : يا سيدي ، إنما يتنفع الأحياء بمثل هذا ، وأما أنا فإنني ميت لا محالة ، لأن هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتغيّر عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتز : فحدثني علي بن يحيى قال : حدثني كاتب الفضل بن مروان : قال : حدثني إبراهيم بن رباح قال : كنت أتولّى نفقات المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريب ، فأمره أن يشتريها ، فاشترها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ، ففعلت ذلك ، ولم أدِر كيف أثبتها ، فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلّالها ، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمون عن ذلك ، وقال : أوجب وهب لدلّال وصائغ مائة ألف درهم ، وغلظ القصة ، فأنكرها المأمون ، فدعاني ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق ، وقلت : أيما أصوب يا أمير المؤمنين : ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مومن وثمن مغمّية ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطي ، لا تعترض على كاتبني هذا في شيء .

وقال ابن المكّي : حدثني أبي عن نحرير الخادم : قال : دخلت يوماً قصر الحرم ، فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عريب دعا بها سيدها اليوم ، فافضّها .

قال ابن المعتز : فأخبرني ابن عبد الملك البصري : أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قائلته ، ثم احتالت في

الخروج إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، حتى حَبِلَتْ منه وولدت بنتاً ، وبلغ ذلك المأمون فزَوَّجَه إِيَّاهَا .

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زررور ، عن أبيه ، وحدثني به المظفر بن كيغلغ عن القاسم بن زررور ، قال : لَمَّا وَقَفَ المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّةً صوف وختم زيقها¹ وحبسها في كَيْفٍ مَظْلَمٍ شهراً لا ترى الضوء ، يُدْخَلُ إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كلِّ يوم ، ثم ذكرها ، فَرَقَّ لها ، وأمر بإخراجها ، فلَمَّا فُتِحَ البابُ عنها ، وأُخْرِجَتْ لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني : [من الكامل]

حجبه عن بصري فمُثِّلَ شَخْصُهُ في القلبِ فهو مُحجَّبٌ لا يُحجَّبُ
فبلغ ذلك المأمون ، فعجب منها ، وقال : لن تَصْلُحَ هذه أبداً ، فزَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لو كان يَقْدِرُ أَنْ يَبْثُكَ ما به لرأيتَ أحسنَ عاتبٍ يَتَعَبُّ
حجبه عن بَصْرِي فمُثِّلَ شَخْصُهُ في القلبِ فهو مُحجَّبٌ لا يُحجَّبُ
الغناء لعَرِيبٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالوسطى .

[رقعة منها في تركة]

قال ابن المعتز : وحدثني لؤلؤُ صديقُ علي بن يحيى المنجم : قال حدثني أحمدُ بنُ جعفر بن حامد : قال : لَمَّا تَوَفَّى عَمِّي محمد بن حامد صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركته ، وجعل يُقَلِّبُ ما خَلَّفَ ، ويُخْرِجُ إليه منها الشيءَ بعد الشيءِ إلى أن أُخْرِجَ إليه سَفَطٌ مختوم ، ففَضَّ الخاتمَ ، وجعل يَفْتَحُه ، فإذا فيه رِقا عَرِيبٌ إليه ، فجعل يتصفَّحها وَيَتَسَمَّ ، فوقعت في يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتها فإذا فيها قوله : [من المجث]

صوت

ويلي عليكَ وَمِنْكَ أوقعت في الحقِّ شَكَا
زعمتُ أَنِّي خَمُونٌ جَوْرًا عَلَيَّ وَإِنْكَ

1 زيق القميص : ما أحاط منه بالعنق .

[ولم يكن ذاك مني إلا مجوناً وفتكاً]
 إن كان ما قلت حقاً أو كنت أزمعت تركاً
 فأبدل الله ما بي من ذلة الحب نسكاً

لعريب في هذه الأبيات رمل وهزج ، عن الهشامي والشعر لها .

[تجيب على قبلة بطعنة]

قال ابن المعتز : وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني ، عن يعقوب الرخامي : قال : كنا مع العباس بن المأمون بالرقّة وعلى شرطته هاشم ، رجل من أهل خراسان ، فخرج إليّ ، وقال : يا أبا يوسف ، ألقى إليك سراً لثقتي بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هاتيه ، قال : كنت واقفاً على رأس الأمين وبني حرّ شديد ، فخرجت عريب ، فوقفت معي ، وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أومأت إليها بقبلة ، فقالت : كحاشية البرد . فوالله ما أدري ما أردت ، فقلت ، قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أردت قول الشاعر :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم¹
 وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمر ، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد ، وعريب تغنيهم ، فغنت تقول :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
 فقال لها المأمون : من أشار إليك بقبلة ، فقلت له طعنة ؟ فقالت له : يا سيدي ، من يشير إليّ بقبلة في مجلسك ؟ فقال : بحياتي عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .
 [تحب أميراً وتزوج خادماً]

قال ابن المعتز : وحدثني محمد بن موسى : قال : اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين ، وعريب معه على مصلّاه ، فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغني ابتداء :

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
 تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون ، أمسكي ، فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : من فيكم أوماً إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدّقني

لأضربنَّ عُنُقَه ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدللَّ أمير المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتُ صوتاً ، وهي لا تغني ابتداءً إلاّ لمعني ، فعلمتُ أنّها لم تبدئْ بهذا الصوت إلاّ لشيء أومئ به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة ، فعلمتُ أنّها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتز : وحدّثني عليّ بن الحسين : أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّقُ أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنّها كانت لا تضرب المثلّ إلاّ بحُسن وجه أبي عيسى وحسن غنائهِ ، وكانت تزعم أنّها ما عَشِيتُ أحداً من بني هاشم وأصفتَه المحبّة من الخلفاء وأولادهم سواه .

قال ابن المعتز : وحدّثني بعضُ جوارينا : أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّقُ صالحاً المنذريّ الخادم ، وتزوّجته سرّاً ، فوجّه به المتوكّل إلى مكان بعيد في حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو :

صوت

أماً الحبيبُ فقد مضى بالرغم مني لا الرضا
أخطأتُ في تركي لمن لم ألق منه مَوْضاً

قال : فغنته يوماً بين يدي المتوكّل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن ، فأصغت إليهنَّ سرّاً من المتوكّل ، فقالت : يا سَحَاقَات ، هذا خير من عملكن .

قال : وحدّثت عن بعض جواري المتوكّل ، أنّها دخلت يوماً على عَرِيب ، فقالت لها : تعالني ويحك إليّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبلي هذا الموضع مني فإنك تجددين ريح الجنّة فأومأت إلى سالفيتها¹ ، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبّلني صالح المنذريّ في ذلك الموضع .

[ليس وقت ملام]

قال ابن المعتز : وأخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال : حدّثني حمدون بن إسماعيل ، قال : حدّثني محمد بن يحيى الوائقيّ ، قال : قال لي محمد بن حامد ليلة : أحبُّ أن تُفرِّغ لي مَضْرِبَكَ ، فإنني أريد أن أجيبك ، فأقيمَ عندك ، ففعلتُ ، ووافاني ، فلمّا جلس جاءت عَرِيب ، فدخلت .

وقد حدّثني به جحظة : قال : حدّثني أبو عبد الله بن حمدون : أنّ عَرِيبَ زارت

1 السّالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

محمد بن حامد ، وجَلَسَا جميعاً ، فجعل يُعَاتِبُهَا ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لي : يا محمد ، هذا عندك رأي ؟ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عاجز خذُ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

وقال جحظة في خبره : اجعل سراويلي مِخْنَقَتِي ، وَالصِّقْ خَلْخَالِي بِقُرْطِي ، فإذا كان غداً فاكسب إليَّ بِعَتَابِكَ في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ، ودع هذا الفضول ، فقد قال الشاعر :

صوت

دَعِيَ عَدَّ الذَّنُوبِ إِذَا التَّقِينَا تَعَالَى لَا أَعْدُ وَلَا تَعْدِي
وتمام هذا قوله :

فَأَقْسِمَ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ شِعْرِي إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ لَقُلْتُ مُدِّي
الشعر للمؤمل ، والغناء لعريب ، خفيف رمل ، وفيه لعلويه رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ من رواية عمرو بن بانة .

[مع ثمانية من الخلفاء]

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحَّاك بن الخَصِيب : قال : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَخِي أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَعِنْدَهُ عَرِيبٌ جَالِسَةٌ عَلَى دَسْتٍ مَفْرُودَةٍ لَهَا ، وَجَوَارِيهَا يَغْنَيْنَ بَيْنَ يَدَيْنَا وَخَلْفَ سِتَارَتِنَا ، فَقُلْتُ لِأَخِي ، وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ الْخُلَفَاءِ : قَالَتْ لِي عَرِيبٌ : نَاكَتَنِي مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مَا اشْتَهَيْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا الْمَعْتَزَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَشْبَهُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الرَّشِيدِ . قَالَ ابْنُ الْفَرَاتِ : فَأَصْغَيْتُ إِلَى بَعْضِ بَنِي أَخِي ، فَقُلْتُ لَهُ : فَكَيْفَ تَرَى شَهَوَاتِهَا السَّاعَةِ ، فَضَحِكَ وَلَمْ مَحْتَهُ ، فَقَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ قُلْتُمْ ؟ فَجَحَدْتُهَا . فَقَالَتْ لَجَوَارِيهَا : أَمْسِكْنَ ، فَفَعَلْنَ ، فَقَالَتْ : هُنَّ حَرَائِرُ لَنْ لَمْ تَخْبِرَانِي بِمَا قُلْتُمَا لَتَنْصَرِفْنَ جَمِيعًا ، وَهِنَّ حَرَائِرُ إِنْ حَرِذْتُ مِنْ شَيْءٍ جَرَى ، وَلَوْ أَنَّهَا تَسْفِيلُ ، فَصَدَّقْتُهَا . فَقَالَتْ : وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا ؟ أَمَّا الشَّهْوَةُ فَبِحَالِهَا ، وَلَكِنَّ الْآلَةَ قَدْ بَطَلَتْ أَوْ قَالَتْ : قَدْ كَلَّتْ ، عُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ .

[شرطان لها]

وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَوْدَّةَ : قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ : قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي : قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عَرِيبٍ يَوْمًا مُسْلِمِينَ ، فَقَالَتْ : أَقِيمُوا الْيَوْمَ عِنْدِي حَتَّى أَطْعَمَكُمُ لَوْزَنِيَّةً صَنَعْتُهَا بِدَعَةِ يَيْدِهَا مِنْ لَوْزٍ رَطْبٍ ، وَمَا حَضَرَ مِنَ الْوُظَيْفَةِ ، وَأَغْنِيَكُمْ أَنَا وَهِيَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا عَلَى شَرِيطَةٍ ، قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : شَيْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ مِنْذُ سَنِينَ ، وَأَنَا أَهْلُكَ ، قَالَتْ : ذَاكَ لَكَ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْجَوَابِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَا

هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولي ، فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو ؟ فقلت : إي والله ذاك الذي أردت . قالت : شرطي أئير صُلب ، ونكهة طيبة ، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف ، وجمال يُحمد فقد زادَ قدرُهُ عندي ، وإلاّ فهذان ما لا بدّ لي منهما .

[حببيها والهدية]

وحدّثني الحسنُ بنُ عليٍّ ، عن محمد بن ذي السِّيفين إسحاق بن كنداجيق ، عن أبيه : قال : كانت عَرِيبٌ تولع بي وأنا حديث السنّ ، فقالت لي يوماً : يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دَعْوَةٌ فابعث إليّ نصيبي منها ، قال : فاستأنفتُ طعاماً كثيراً ، وبعثتُ إليها منه شيئاً كثيراً ؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً ، فقال لي : لما بلغتُ إلى بابها ، وعرفتُ خبري أمرتُ بالطعام فأتهب وقد وَجَّهْتُ إليك برسول ، وهو معي ، فتحيّرتُ وظننتُ أنّها قد استقصرتُ فِعْلي ، فدخَلَ الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة ، فقرأتها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عجمي يا غبيّ ، ظننتُ أنّي من الأتراك وَوَحْشُ¹ الجند ، فبعثتُ إليّ بخبز ولحم وحلواء ، الله المستعانُ عليك ، يا فدتك نفسي ، قد وَجَّهْتُ إليك زَلَّةً² من حضرتي ، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ، ولا تستعمل أخلاق العامة ، في ردِّ الظّرف ، فيزداد العيبُ والعُتْبُ عليك إن شاء الله ، فكشفت المنديل ، فإذا طبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل الخلاف ، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق ، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطلّع³ وملح ، وانصرف رسولها .

[خذ الخلافة واعطني صاحب]

قال ابن المعتزّ : حدّثني الهشاميُّ أبو عبد الله ، عن رجل ذكره ، عن علويّه قال : أمرني المأمونُ وسائرُ المغنّين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بُكْرَةً ليصطبَح ، فغدونا ولقيني المراكبيُّ مولى عَرِيبٍ ، وهي يومئذٍ عنده ، فقال لي : يا أيّها الرجل الظالم المعتدي ، أما تَرِقُّ ولا ترحم ولا تستحي ؟ عَرِيبٌ هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرّات في كلّ ليلة ، قال علويّه : فقلت : أمّ الخلافة زانية . ومضيت معه ، فحين دخلت قلت : استوثق من الباب ، فإنّي أعرف خلق الله بفضول البوّابين والحُجَّاب ، وإذا عَرِيبٌ جالسةٌ على كرسيّ تطبخ ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج ، فلما رأتني قامت تعانقني وتقبّلني ، ثم

1 الوحش : الرديء من كل شيء .

2 الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .

3 الطلّع : ثمر النخل أوّل ظهوره .

قالت : أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك ، فقلت : يل قدر من هذه تكفيني ، فغرت قدراً منها ، وجعلتها بيني وبينها ، فأكلنا ودعونا بالنبيذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو : [من الطويل]

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوع يديه
وقال لي : قد بقي فيه شيء ، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى ، ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني ، فدخلت على المأمون ، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق ، وأنا أغني الصوت ، فسمع وسمع من عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألني المأمون عن خبره ، فشرحته له . فقال لي : ادن وردده ، فرددته عليه سبع مرات . فقال في آخر مرة : يا علويه . خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوع يديه
واني لمشتاق إلى قرب صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه
الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية ، والغناء لعريب ، خفيف ثقيل أول بالوسطي ، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبع إلى علويه .
[لماذا غضب الواصل والمعتصم عليها]

قال ابن المعتز : وحدثنني القاسم بن زرور : قال : حدثتني عريب قالت : كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذ أصوغ الغناء .
قال القاسم : وكانت عريب تكايد الواصل فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجود من لحنه ، فمن ذلك : [من البسيط]

لم آت عامدة ذنباً إليك بلى أقر بالذنب فاعف اليوم عن زلي
لحنها فيه خفيف ثقيل ، ولحن الواصل رمل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها : [من البسيط]
أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي بربي ولا أشكو إلى أحد
لحنها ولحن الواصل جميعاً من الثقيل الأول ، ولحنها أجود من لحنه .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى أُقِرَّ بالذنبِ فاعفُ اليوم عن زللي
فالصفح من سيِّدٍ أولى لمُعتذرٍ وقالكَ ربُّكَ يومَ الخوفِ والوجلِ
الغناء للوائق رمل ، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزداد فيه
هزجاً مطلقاً .

صوت

[من البسيط]

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمدِ حسبي بربي ولا أشكو إلى أحدٍ
أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً في ظلِّه بدنوي منكِ يا سندي
وأسالُ الله يوماً منك يُفرحني فقد كحلتُ جفونَ العينِ بالسَّهْدِ
شوقاً إليك وما تدري بما لقيت نفسي عليك وما بالقلب من كمدٍ
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى ، وللوائق ثقيل أول بالنصر .
قال ابن المعتز : وكان سببَ انحرافِ اللوائق عنها ، وكيادها إياه ، وانحرافِ المعتصم عنها أنه
وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون بيلد الروم : اقتُلْ أنت العِلجُ ثم ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي
هاهنا . تعني اللوائق ، وكان يسهر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

[تغضب على جارية تشبهها في شبابها]

قال : وحدَّثني أبو العنبر بنُ حَمْدون قال : غَضِبَتْ عَرِيبٌ عَلَى بَعْضِ جَوَارِيهَا
الْمَذْكُورَات ، وَسَمَّاهَا لِي ، فَجِئْتُ إِلَيْهَا يَوْماً ، وَسَأَلْتُهَا أَنْ تَعْفُو عَنْهَا ، فَقَالَتْ فِي بَعْضِ مَا
تَقُولُهُ ، مِمَّا تَعْتَدُ بِهِ عَلَيْهَا مِنْ ذُنُوبِهَا : يَا أَبَا الْعَنْبَسِ إِنْ كُنْتَ تَشْتَهِي أَنْ تَرَى زِنَايَ وَصَفَاقَةَ
وَجْهِِي وَجِرَاءَتِي عَلَى كُلِّ عَظِيمَةٍ أَيَّامَ شَبَابِي فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، وَاعْرِفْ أَخْبَارَهَا .
[كانت تجيد ركوب الخيل]

قال ابن المعتز : وحدَّثني القاسم بن زُرْزُور قال : حدَّثني المعتمد ، قال : حدَّثني عَرِيبٌ
أَنَّهَا كَانَتْ فِي شَبَابِهَا يُقَدِّمُ إِلَيْهَا بَرْدُونٌ ، فَتَطْفِرُ عَلَيْهِ بِلَا رِكَابٍ .
[لا تبالي بلدغ العقب وهي في الصوت]

قال : وحدَّثني الأسدي : قال : حدَّثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة : قال :

تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت ، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءت وهي محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنيه ، فولّت لتجيء بعود ، فقال لها : غنيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمى وغنّت ، فأقبلت عقرب ، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثاً ، فما نَحَّتْ يدها ، ولا سكنت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غشي عليها .
[كيف تفسل رأسها]

قال ابن المعتز : وحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَرَاتِ : قال : قالت لي تحفة جارية عريب : كانت عريب تجد في رأسها برداً ، فكانت تغلف شعرها مكان العلة بستين مثقالاً مسكاً وعنبراً ، وتغسله من جمعة إلى جمعة ، فإذا غسَلَتْه أعادته ، وتنقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تُسَرِّحه منه بالميزان .
[ترتجل معارضة لصوت]

حدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جِحْظَةَ ، عن علي بن يحيى المنجم : قال : دخلت يوماً على عريب مسلماً عليها ، فلما اطمأننت جالساً هطلت السماء بمطر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري ، وابعث إلى من أحببت من إخوانك ، فأمرت بدوابي فردّت ، وجلسنا نتحدّث ، فسألتنني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومن كان يغني ، وأي شيء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنّ صوت الخليفة كان لحناً صنعه بنان من الماخوري ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنّه :

صوت

تُجَافِي ثُمَّ تَنْطَبِقُ جَفَوْنَ حَشَوْهَا الْأَرْقُ
وَذِي كَلَفٍ بِكِي جَزَعًا وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَبِقُ
بِهِ قَلَقٌ يُمْلِمِلُهُ وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ
جَوَانِحُهُ عَلَى خَطَرٍ بِنَارِ الشَّقِّ تَحْتَرِقُ

فوجّهت رسولاً إلى بنان ، فحضر من وقته . وقد بلّته السماء ، فأمرت بخلع فاخرة ، فخلعت عليه ، وقُدِّمَ له طعام فاخر ، فأكل وجلس يشرب معنا ، وسألته عن الصوت ، فغناها إياه فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها :

أَجَابَ الْوَابِلُ الْغَدِقُ وَصَاحَ التَّرْجَسُ الْغَرَقُ
وَقَدْ غَنَى بِنَانُ لَنَا : جَفَوْنَ حَشَوْهَا الْأَرْقُ
فَهَاتِ الْكَاسَ مُرَعَةً كَانَ حُبَابُهَا حَذَقُ

قال علي بن يحيى : فما شربنا بقيّة يومنا إلّا على هذه الأبيات .

[رموز بـرموز]

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان ، عن عبد الله بن محمد المروزي : قال : قال لي الفضل بن العباس بن المأمون : زارتنى عَرِيب يوماً ومعهما عِدَّةٌ من جواربها ، فوافقتنا ونحن على شراينا ، فتحدثنا ساعة ، وسألتهما أن تُقيم عندي ، فأبَت وقالت : دَعَانِي جماعة من إخواني من أهل الأدب والظُرف ، وهم مجتمعون في جزيرة المُؤَيَّد ، فيهم إبراهيم بن المُدَبِّر وسَعِيد بن حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمْتُ على المسير إليهم ، فحلفت عليها ، فأقامت عندنا ، ودعَّت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرقة لم تزد عليها ، وهي :
أردتُ ، ولولا ، ولعلِّي .

ووجهت به إليهم ، فلما وصلت الرقعة عَيَّوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلِّي : أرجو . ووجهوا بالرقعة فصَفَّقَتْ وَنَعَرَتْ¹ وشربت رَطَلاً وقالت لنا : أترك هؤلاء وأقعِد عندكم ؟ إذا تركني الله من يديه ، ولكنِّي أُخَلِّفُ عندكم من جواربي مَنْ يكفيكم ، وأقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخَلَّفْتُ عندنا بعضَ جواربها ، وأخذت معها بعضهن ، وانصرفت .

[بلاغتها]

أخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء ، عن أبيه قال : عَتَبَ المأمون على عَرِيب ، فهجرها أياماً ، ثم اعتَلَّتْ فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم المهجر ؟ فقالت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لولا مرارة الهجر ما عُرِفَتْ حَلَاوَةُ الوَصْلِ ، وَمَنْ دَمَّ بَدْءُ الغضب أحمد عاقبة الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدثهم بالقصة ، ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً ؟

[لا تريد مَنْ يتدخل بينها وبين المأمون]

حدثني محمد بن خلف ، عن أبي العيْناء ، عن أحمد بن أبي داود ، قال : جرى بين عَرِيب وبين المأمون كلامٌ ، فكلَّمها المأمون بشيء غَضِيتَ منه ، فهجرته أياماً ، قال أحمد بن أبي داود : فدخلتُ على المأمون ، فقال لي : يا أحمد ، اقضِ بيننا ، فقالت عَرِيبُ : لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول :

[من المنسرح]

1 نعتت نعيماً ونعاراً : صاحت وصوتت بخيشومها .

وتخلِط الهجرَ بالوصالِ ولا يدخُل في الصُّلح بيننا أحدٌ

[خلوتها مع محمد بن حامد]

حدثني محمد بن خلف قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن حمدون ، عن أبيه ، قال : كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الرُّوم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رُعود وبروق ، فقال لي المأمون : اركب الساعة فرسَ التَّوبة وسِرْ إلى عَسْكَر أبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأدِّ إليه رسالتي في كيت وكيت ، قال : فركبتُ ولم تثبت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبتُ ذلك ، وجعلت أتوقاه ، حتى صكَّ ركابي ركابَ تلك الدَّابة ، وبرقت بارقة فأضاءت وجهَ الراكب ، فإذا عَرِيب ، فقلت : عَرِيب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أين أقبلت في هذا الوقت ؟ قال : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صنعتَ عنده ؟ قالت عَرِيب : يا تكش ، عَرِيب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه ، تقول لها : أي شيء عَمِلتَ عنده ؟ صَلَّيتُ معه التراويح ؟! أو قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه ، يا أحمق تعاتبنا ، وتحاذثنا ، واصطلحنا ، ولعينا ، وشرينا ، وغنينا ، وتنايكننا ، وانصرفنا ، فأخرجلتني وعاظلتني ، واقتربنا ، ومضيتُ فأدَّيت الرسالة ، ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار ، وهَمَمْتُ والله أن أُحدِّثه حديثها ، ثم هَبْتُهُ فقلت : أقدم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر ، فأنشدته :

ألا حيَّ أطلالا لواسعة الحبلِ ألوفٍ تسوي صالح القوم بالردل¹
فلو أن من أَمسى بجانب تلعة إلى جبلي طي فساقطه الحبلِ
جلوسٌ إلى أن يقصر الظلُّ عندها لراحوا وكلَّ القوم منها على وصل

فقال لي المأمون : اخفيض صوتك لا تسمعك عَرِيب فتغضب ، وتنظن أننا في حديثها ، فأمسكتُ عما أردت أن أخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : أخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي ابن الزبيدي : حدثني لأبي قال : خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرُّوم ، فرأيت عَرِيباً في هودج ، فلما رأته قالت لي : يا يزيد ، أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها :

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعانَ البرقِ

1 واسعة الحبل : أي لا ترد يد لاس .

مَنْ قَبِلَ الْأُرْدُنَّ أَوْ دِمَشْقَ لَأَنَّ مَنْ أَهْوَى بِذَاكَ الْأَفْقِ
فَإِنَّ فِيهِ وَهُوَ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَيَّ وَالزَّوْرُ خِلَافُ الْحَقِّ
ذَاكَ الَّذِي يَمْلِكُ مِنِّي رَقِي وَلَسْتُ أَبْغِي مَا حَيَّيْتُ عِتْقِي

قال : فتنفستُ تنفساً ظننتُ أنَّ ضُلُوعَهَا قد تقصَّفتُ منه ، فقلتُ : هذا والله تنفَّسَ عاشقُ ، فقالت : اسكت يا عاجز أنا أعشقتُ ، والله لقد نظرت نظرة مريية في مجلس ، فادعأها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً .

[بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها]

حدَّثني محمد بن خلف : قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر : قال : حدَّثني أحمد بن حمدون : قال : وقَعَ بين عَرِيبَ وبين محمد بن حامد شرٌّ ، وكان يجِدُ بها الوجدَ كُلَّهُ ، فكادَا يَخْرُجَانِ مِنْ شَرِّهِمَا إِلَى الْقَطِيعَةِ ، وكان في قلبها منه أَكْثَرُ ممَّا في قلبه منها ، فلقيته يوماً ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى والله ما كان وأقرحُه ، فقالت له : استبدل تسلياً ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفعلت ، فقالت : لقد طال إذا تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أصبِرْ مُكْرَهَا ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ
لَوْلَا كِرَامَتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ وَلَكُنْتُ عِنْدِي كِبْفُضِ النَّاسِ

قال : فذرفتُ عينها ، واعتذرت إليه وأعتبته ، واصطلحا ، وعادا إلى أَفْضَلِ ما كانا عليه .

[اختلاف في فن عَرِيب]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لي أبو العباس بن حمدون ، وقد تعاذبنا غناء عَرِيبَ : ليس غناؤها ممَّا يعتدُّ بكثرة ، لأنَّ سقْطَه كثير ، وصنعتها ساذجة ، فقلت له : ومَنْ يُعْرِفُ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ مِنْ مُغْنِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ سَلِمَتْ صَنَعَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى تَكُونَ مِثْلَهُ ! ثم جعلتُ أَعِدُّ ما أعرفه من جَيِّدِ صَنَعَتِهَا وَمُقَدِّمِهَا وَهُوَ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ ، حَتَّى عَدَدْتُ نَحْواً مِنْ مِائَةِ صَوْتٍ مِثْلَ لَحْنِهَا فِي :

يَا عَزَّ هَلْ لَكَ فِي شَيْخٍ فَتَى أَبْدَا

[من الطويل]

و :

سَيْسَلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةَ مَفْضَلِ

[من مجزوء الخفيف]

و :

صَاحٍ قَدْ لَمَسَ ظَالِمَا

و :

[من مجزوء الكامل]

ضحك الزمان وأشرقت

ونحو هذا ، ثم قال لي : ما خلّفتُ عَرِيبُ بعدها امرأةً مثلها في الغناء والرواية والصنعة ،
فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضاً .

[قصة لحن في بيت يتيم]

ولعريب في صنعتها :

[من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخٍ فتى أبداً

خبرٌ أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتز أنّ عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدّثه عمّن يثق به ، عن أحمد بن
عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : قال : قالت لي عريب : حجّ بي أبوك وكان مضعوفاً ، فكان
عدلي ، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستشدهم الأشعار ، وأكتب عنهم النوادر وسائر
ما أسمعهم منهم ، فوقف شيخٌ من الأعراب علينا يسأل ، فاستشدته ، فأنشدني : [من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخٍ فتى أبداً وقد يكون شبابٌ غيرُ فتیان

فاستحسنته ، ولم أكن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدني باقي الشعر ، فقال لي : هو
يتيم ، فاستحسنتُ قوله وبرّرتُه ، وحفظت البيت وغنّيت فيه صوتاً من الثقيل الأول ،
ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه . فلما كان في ذلك اليوم عشيّاً قال لي : ما كان أحسن
ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابيّ ، وقال لك : إنه يتيم . أنشدنيّه إن كنت حفظته ،
فأنشدته إياه ، وأعلمته أنّي قد غنّيت فيه ، ثم غنّيته له ، فوهب لي ألف درهم بهذا
السبب ، وفرح بالصوت فرحاً شديداً .

قال ابن المعتز : قال ابن الخصيب : فحدّثني هذا المحدث أنّه قد حضر بعد ذلك بمجلس
أبي عيسى بن المتوكّل ، ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمّار ، عن ميمون ، وقد جمعتُ
الروایتين ، إلّا أنّ ميمون بن هارون ذكر أنّهم كانوا عند جعفر بن المأمون ، وعندهم أبو
عيسى ، وكان عندهم علي بن يحيى ، وبدعة جارية عريب تغنيهم ، فذكر علي بن يحيى أنّ
الصنعة فيه لغير عريب ، وذكر أنّها لا تدعي هذا وكأبرّ فيه ، فقام جعفر بن المأمون ، فكتب
رُفعة إلى عريب ، ونحن لا نعلم ، يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة ، ففعلت ،
فكتبت إليه بخطها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

[من الطويل]

هَيَّيَّا لِأَرْبَابِ الْبُيُوتِ يُبِوتُهُمْ وَلِلْعَزَبِ الْمُسْكِينِ مَا يَتَلَبَّسُ
أَنَا الْمُسْكِينَةَ ، وَحِيدَةً فَرِيدَةً بِغَيْرِ مُؤَنَسٍ ، وَأَنْتُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذْتُمْ أَنْسِي وَمَنْ كَانَ
يُلْهِيَنِي ، تَعْنِي جَارِيَتِيهَا : بَدْعَةٌ وَتَحْفَةٌ ، فَأَنْتُمْ فِي الْقَصْفِ وَالْعَزَفِ ، وَأَنَا فِي خِلَافِ ذَلِكَ ،
هَنَاكُمُ اللَّهُ وَأَبْقَاكُمُ ، وَسَأَلْتُ ، مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ ، عَمَّا اعْتَرَضَ فِيهِ فُلَانٌ ، وَالْقِصَّةُ فِي هَذَا
الصَّوْتِ كَذَا وَكَذَا ، وَقَصَّتُ قِصَّتَهَا مَعَ الْأَعْرَابِيِّ كَمَا حَدَّثْتُ بِهِ ، وَلَمْ تَخْرُمْ حَرْفًا مِنْهَا ، فَجَاءَ
الْجَوَابُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ فَقَرَأَهُ وَضَحَكَ ، ثُمَّ رَمَى بِهِ إِلَى أَبِي عَيْسَى ، وَرَمَى بِهِ أَبُو عَيْسَى
إِلَيَّ ، وَقَالَ : اقْرَأْهُ ، وَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى جَالِسًا إِلَى جَنْبِي ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَلِبَ الرِّقْعَةَ ، فَمَنْعْتُهُ
وَقَمْتُ نَاحِيَةً ، فَقَرَأْتُهَا : فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَوَرَيْنَا الْأَمْرَ عَنْهُ لَعَلَّا تَقَعُ عَرِيدَةٌ ،
وَكَانَ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَعَلَّا لَهَا .

[قصة غرامية عن أبي محم]

قال ابن المعتز : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْفُرَاتِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
أَبِي ، قَالَ : كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ نَشْرِبُ وَغَرِيبُ حَاضِرَةٌ إِذْ غَنَّى بَعْضُ مَنْ كَانَ
هَنَّاكَ :

[من الكامل]

يَا بَدْرُ إِنَّكَ قَدْ كُسِّيتَ مِثْلَ مِثَابِهَا مِنْ وَجْهِ ذَاكَ الْمُسْتَنِيرِ اللَّائِحِ
وَأَرَاكَ تَمْصَحُ بِالْحَاقِ ، وَحَسَنُهَا بَاقٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَيْسَ بِبَارِحٍ¹

فَضَحَكَتْ غَرِيبًا وَصَفَّقَتْ وَقَالَتْ : مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْرِفُ خَبَرَ هَذَا الصَّوْتِ
غَيْرِي ، فَلَمْ يُقَدِّمِ أَحَدٌ مَنَّا عَلَى مَسْأَلَتِهَا عَنْهُ غَيْرِي ، فَسَأَلْتُهَا ، فَقَالَتْ : أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ بِقِصَّتِهِ ،
وَلَوْلَا أَنَّ صَاحِبَ الْقِصَّةِ قَدْ مَاتَ لَمَّا أَخْبَرْتُكُمْ ، إِنَّ أَبَا مُحَلِّمٍ قَدِيمَ بَغْدَادٍ ، فَزَلَ بِقَرَبِ دَارِ
صَالِحِ الْمُسْكِينِ فِي خَانٍ هُنَاكَ ، فَاطَّلَعْتُ أُمُّ مُحَمَّدِ ابْنَةُ صَالِحٍ يَوْمًا ، فَرَأَتْهُ يَبُولُ ، فَأَعْجَبَهَا
مَتَاعُهُ ، وَأَحْبَبَتْ مُوَاصَلَتَهُ ، فَجَعَلَتْ لَذَلِكَ عِلَّةً بَأَنَّ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ تَقْتَرِضُ مِنْهُ مَالًا ، وَتُعَلِّمُهُ
أَنَّهَا فِي ضَيْقَةٍ وَأَنَّهَا تَرُدُّهُ إِلَيْهِ بَعْدَ جُمُعَةٍ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَحَلَفَتْ أَنَّهُ لَوْ
مَلَكَ غَيْرُهَا لَبَعَثَتْ بِهِ ، فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ وَوَاصَلْتُهُ ، وَجَعَلْتُ الْقَرْضَ سَبِيلًا لِلْوَصْلَةِ ، فَكَانَتْ
تُدْخِلُهُ إِلَيْهَا لَيْلًا ، وَكَانَتْ أَنَا أُغْنِي لَهَا ، فَشَرِينَا لَيْلَةً فِي الْقَمَرِ ، وَجَعَلَ أَبُو مُحَلِّمٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ
دَعَا بِدَوَاةٍ وَرَقْعَةٍ ، وَكَتَبَ فِيهَا قَوْلَهُ :

[من الكامل]

يا بدرُ إنَّكَ قد كُسيْتَ مشابهاً من وَجهِ أُمِّ محمد ابنةِ صالحٍ
والبيت الآخر ، وقال لي : غَنِّي فيه ، ففعلتُ واستحسنَّاهُ وشربنا عليه ، فقالتُ لي أُمُّ محمد
في آخر المجلس : يا أُختي ، قد تنبَّلت في هذا الشعر إلاَّ أَنَّهُ سيبقى عليَّ فَضِيحةُ آخر الدهر ،
فقال أبو مُحَلِّم : وأنا أُغَيِّرُهُ ، فجعل مكان أُمِّ محمد ابنةِ صالح ، « ذاكُ المستنير اللائح » .
وغيَّيته كما غيَّره ، وأخذهُ الناسُ عني ، ولو كانت أُمُّ محمد حيَّةً لما أخبرتكم بالخبر .
[فأما نسبة هذا الصوت]

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلِّمِ النَّسَّابة ، والغناء لعريب ثَقِيلُ أوَّلِ مُطلق في مَجْرَى الوُسْطى من
رواية الهشامي وغيره ، وأبو مُحَلِّمِ اسمه عوف بن مُحَلِّم .
[تطلب من جيبها أن يزورها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، عن ميمون بن هارون : قال : كتبتُ عَرِيبَ إلى
محمد بن حامد ، الذي كانت تهواه ، تستزيره ، فكتب إليها : إني أخاف على نفسي ،
فكتبتُ إليه :

صوت

إذا كنتَ تحذُرُ ما تحذُرُ وتزعمُ أنَّكَ لا تجسُرُ
فما لي أُقيِمَ على صَبَوَتِي ويومُ لِقائِكَ لا يُقدِرُ
فصار إليها من وقته .

لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرنا في الخبر رمل ، ولشارية خفيف
رمل ، جُمعا من رواية ابن المعتز ، والبيتان الآخران :

تبَيَّنَتْ عذري وما تَعَذِّرُ وأبليتُ جسمي وما تشعُرُ
ألفَتِ السُّرُورَ وخَلَّيْتَنِي ودَمَعِي من العينِ ما يَفْتَرُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أنَّ محمد بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَهُ ، فكتبتُ
إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبتُ إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا
الصوت :

صوت

أُحِبُّتُ مَنْ شِعْرِ بَشَّارِ لِحَبِّكُمْ يَبْتَأُ ، كَلِفْتُ بِهِ مِنْ شِعْرِ بَشَّارِ
يا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا وَجَاوِرِنَا فَذَكَرْتُكَ النَّفْسُ مِنْ جَارِ¹

إذا ابتهلْتُ سألتُ اللهَ رحمتَه كُنيتُ عنكَ وما يَعْدُوكَ إضماري
الشعرُ لأبي نواسٍ منه البيتُ الأوَّلُ ، والثاني لبشارٍ ضمَّنَه أبو نواس ، والغناء لَعَرِيبٍ ثَقِيلٍ
أوَّلُ بالبَنْصَرِ ، ولعمرو بن بانه في الثاني والثالث رمل .
وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عمَّ نجاح بن سَلَمَةَ الكاتب .
[رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَشُ ، عن محمد بن يزيد النحويِّ : قال : كان
بَشَّارٌ يُشَبَّبُ بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشَّقُ غلاماً اسمه رحمة بن نجاح ، عمَّ
نَجَّاحَ بنِ سَلَمَةَ الكاتب ، وكان متقدِّماً في جماله ، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً
مدنيّاً ، وكان معهم كأحدهم ، وأكثر أبو نواس التَّشْيِيبَ برحمة في إقامته ببغداد
وشخصه عنها ، وكان بَشَّارٌ قد قال في رحمة المرأة التي يهواها :
[من البسيط]

يا رحمة الله حُلِّي في منازلنا حَسْبِي برائحة الفِرْدَوْس من فيك
يا أَطْيَبَ النَّاسِ ريقاً غيرَ مُخْتَبَرٍ إلَّا شِهادَةَ أَطرافِ المساويلِ
فقال أبو نواس ، وضمَّن بيتَ بَشَّارٍ :
أُحِبُّت من شعر بَشَّارٍ لِحُبِّكم
الآيَات الثلاثة . . .

وقال فيه :

يا مَنْ تَأَهَّبَ مُزْمَعاً لِرِواحِ مُتِمِّمُاً بَغْدَادَ غيرَ مُلاحِ
في بَطْنٍ جارِيَةٍ كَفَّتَكَ بِسِيرِها رَمَلاً وَكُلَّ سِياحَةِ السَّبَّاحِ¹
بُنيت على قَدَرٍ ولاءٍ بينها صِنْفانٍ من قارٍ ومن ألواحِ
وكأنَّها ، والماء ينضح صدرها والخِيزُرانة في يَدِ المَلَّاحِ²
جُونٌ من الغُرَبانِ يبتدرِ الدَّجى يَهْوِي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَنَاحِ
سَلَّمَ على شاطِئِي الصَّرَاةِ وأهلِها واخصُصْ هناك مَدِينَةَ الوَضَّاحِ³
واقصِدْ ، هُدَيْت ، ولا تكن متحيراً في مقصِدٍ عن طَبْسي آلِ نَجَّاحِ

1 جارية : أي السفينة . والرَّمَلُ : ضرب من السير وهو الهرولة .

2 الخيزرانة : مجداف السفينة .

3 الصَّرَاة : نهر بالعراق .

عن رحمة الرحمن وأسأل مَنْ تَرَى سيماء سيماء شاربٍ للراح
 فإذا دُفِعتَ إلى أغْبَنِّ وأثْنِ ومنعم ومكحل ورداح
 وكشمسينا وكبدرنا حاشي التي سميتها منه بنور أقاحي
 فاقصد لوقت لقائه في خلوة لتبوح عني ثم كل مباح
 واخبر بما أحببت عن حالي التي ممساي فيها واحدٌ وصباحي

قال : فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة ، ودعاه إلى منزله ، فجاءه أبو نواس والمديني لا يعرفه ، فمازحه مزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام إليه رحمة ، فعرفه أنه أبو نواس ، فأشفق المديني من ذلك ، وخاف أن يهجوّه ويشهر اسمه ، فسأل رحمة أن يكلمه في الصّبح له والإغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس وقال : [من الكامل]

أذهبُ سلمتَ من الهجاء ولذعه وأما ولغّة رحمة بن نجاح
 لولا فتورٌ في كلامك يُستهى وترفقي لك بعد واستملاحي
 وتكسرٌ في مقتلتيك هو الذي عطّفت الفؤاد عليك بعد جمّاح
 فعلمت أنك لا تمازح شاعراً في ساعة ليست بمحين مزاح

صوت

[من المتقارب]

أبكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المحول ؟
 وما أنت ويك ورسم الديار وسنك قد قاربت تكمل ؟

عروضه من المتقارب ، والشعر للكميت بن زيد الأسدي ، والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي ، ولحنه من الثقل الأول بالنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية .

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدثني الحسن بن عليل الغنزي ، عن علي بن هشام ، عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة : قال : كان بين بني أسد وبين طيء بالحصر ، وهي قرية من قاديّة الكوفة ، حرب ، فاصطلحوا وبقي لطيء دماء رجلين ، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد ، فمات قبل أن يؤدّيه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة ، فمدحه بقوله :

[من المتقارب]

أَبْكَاكَ بِالْعُرْفِ الْمَنْزُلُ وَمَا أَنْتَ وَالطَّلُّ الْمَحْوُلُ

فَأَعَانَهُ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من المتقارب]

رَأَيْتَ الْغَوَانِيَّ وَحِشًا نَفُورًا

وَأَعَانَهُ زِيَادُ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْأَسَدِيُّ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا : [من البسيط]

هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مِنْ طَلَبِ ؟

ثُمَّ جَلَسَ الْكَمَيْتُ وَقَدْ خَرَجَ الْعِطَاءُ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ يُعْطِي الْكَمَيْتَ الْمَائَتَيْنِ ، وَالثَّلَاثَ الْمِائَةَ ، وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ ، قَالَ : وَكَانَتْ دِيَّةُ الْأَعْرَابِيِّ حِينَئِذٍ أَلْفَ بَعِيرٍ وَدِيَّةُ الْحَضِرِيِّ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ قِيَمَةُ الْجَمَلِ عَشْرَةَ دِرْهَمٍ ، فَأَدَّى الْكَمَيْتُ عِشْرِينَ أَلْفًا عَنْ قِيَمَةِ أَلْفِي بَعِيرٍ .

نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

منها :

صوت

[من البسيط]

هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مِنْ طَلَبِ أَمْ لَيْسَ غَابِرُهُ الْمَاضِي بِمُنْقَلَبِ

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَلَبِ فَالذَّهْرُ يَأْتِي بِالْوَانِ مِنَ الْعَجَبِ

غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ .

[446] - ذكر معقل بن عيسى

[شاعر مغل]

كان معقلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَوَاداً ، مغنياً فهِماً بالنَّغم والوتر ، وذكره الجاحظ مع
ذكر أخيه أبي دُلْف وتَقْرِيطِه في المعرفة بالنَّغم ، وقال : إِنَّهُ من أحسن أهل زمانه وأجود طبقة
صَنَعَةٍ ؛ إذ سَلِمَ ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنما أُحْمِلَ ذكره ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل
لأبي دُلْف في عَتَب عَتَبه عليه :

أُخِيَّ مَا لَكَ تَرْمِينِي فَتَقْصِدَنِي وَإِنْ رَمَيْتُكَ سَهْمًا لَمْ يَجْزُ كَبْدِي
أُخِيَّ مَا لَكَ مَجْبُولًا عَلَى تَرْتِي كَأَنَّ أَجْسَادَنَا لَمْ تُغْذَ مِنْ جَسَدِي
وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دُلْف إلى الجبل ، ثم رجع إلى العراق ، أخبرني
بذلك علي بن سليمان الأنخفش عن أبي سَعِيدٍ السَّكْرِيِّ :

صوت

لعمري لئن قَرَرْتُ بِقُرْبِكَ أَعِينُ لَقَدْ سَخِنْتُ بِالْبَيْنِ مِنْكَ عُيُونُ
فَسِيرُ أَوْ أَقِمْ وَقِفْ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فَمَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بَحِثُ تَكُونُ
عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثَّقِيلِ
الأَوَّلِ بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، وفيه ثاني ثَقِيل يُقال : إِنَّهُ
لمخارق ، ويقال : إِنَّهُ لمعقل .

ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم ، وفيه غناء للزُّبَيْرِ بن دَحْمان من الثَّقِيلِ الأَوَّلِ
بالبنصر :

الدَّارُ هَاجَكَ رَسْمُهَا وَطَلُولُهَا أَمْ يَبْنُ سَعْدَى يَوْمَ جَدِّ رَحِيلُهَا
كُلُّ شَجَاكَ فَقُلْ لَعِينِكَ أَعُولِي إِنْ كَانَ يُغْنِي فِي الدِّيَارِ عَوِيلُهَا
ومحمد زَيْنُ الْخَلَائِفِ وَالَّذِي سَنَ الْمَكَارِمَ فَاسْتَبَانَ سَبِيلُهَا

صوت

[من الطويل]

أَلَيْسَ إِلَى أَجْبَالِ شَمْعٍ إِلَى اللَّوَى لَوَى الرَّمْلُ يَوْمًا لِلنُّفُوسِ مَعَادُ ؟

بِلَادُ بِهَا كُنَّا ، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهَا إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ
الشعر لرجل مَن عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثقل الأول بالبنصر عن
ابن المكيّ ، وقيل : إنه من منحوه إليه .
[رجل من عاد]

أخبرني ابن عَمَّار عن أَبِي سَعْد ، عن محمد بن الصَّبَّاح : قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بن سلمة بن
أبي الأشهب التيمي عن الهيثم بن عديّ : قال : أخبرني حماد الراوية : قال : حَدَّثَنِي ابنُ أخت
لنا من مراد : قال : وليتُ صدقاتِ قوم من العرب ، فبينما أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل
منهم : ألا أريك عجباً ؟ قلت : بلى ، فأدخلني في شعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام
عاد ، من فتى قد نشب في ذروة الشعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب : [من الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَى آيَاتِ شَمَخٍ إِلَى اللَّوَى لَوَى الرَّمْلُ يَوْمًا لِلنَّفُوسِ مَعَادُ ؟
بِلَادُ بِهَا كُنَّا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهَا إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه
مكتوب : يا ابن آدم يا ابن عبد ربّه ، اتق الله ، ولا تعجل في أمرك ، فإنك لن تسبق رزقك ،
ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الدليل ستمائة فرسخ ، فمن لم يصدق بذلك فليمش
الطريق على الساحل حتى يتحقّقه ، فإن لم يَقْدِر على ذلك فليَنطَحْ برأسه هذا الحجر .

صوت

[من الكامل]

يا بيت عاتكة الذي أَتَعَزَّلَ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلُ
إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِيلُ

أَتَعَزَّلُ : أَتَجَنَّبُهُ وأكون بمعزل عنه . الْعِدَا : جمع عدوّ ، ويقال عُدَا بالضمّ وَعِدَا بالكسر ،
وَأَمْنَحُكَ : أعطيك . والمنيحة : العطية . وفي الحديث أَنَّ رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله ،
فقال له النبي ﷺ : أَكُلَّ وَلَدٌ مَنَحْتَ مِثْلَ هَذَا ؟ قال : لا ، قال : فارجه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاريّ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، والغناء
لمعبد ثاني ثقل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرُج
خفيف ثقل الأول بالبنصر عن الهشاميّ وابن المكيّ وعلي بن يحيى .

[447] - الأحوص¹ وبعض أخباره

[الأحوص يعارض ابن أبي دُباكل]

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحُرْمِيَّ عن الزُّبَيْر قال : حَدَّثَنِي عمر بن أبي بكر المؤملي ، وأخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مُصْعَب الزُّبَيْرِيَّ ، عن المؤملي ، عن عمر بن أبي بكر الموصلي ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمّار بن ياسر : قال : خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج ، فلما كنّا بقُدَيْد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباكل ، فأنشدنا شيئاً من شعره ، فأرسل إليه فاتاناً ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يا بيتَ خنساء الذي أتجنب	ذهب الشباب وحبُّها لا يذهبُ
أصبحتُ أمتحكُ الصدودَ وإنني	قسماً إليك مع الصدودِ لأجُبُ
ما لي أحنَّ إلى جمالكِ قُرِيت	وأصدُّ عنك وأنتِ مِنِّي أقربُ
للهِ دُرُكٌ هل لديكِ مَعولٌ	لَمَتِمَّ أم هل لودَّكَ مطلبُ ؟
فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني	لَمُوَكَّل بهواكِ أو مُتَقَرِّبُ
إذ نحن في الزمن الرخيِّ وأنتمُ	متجاورون كلامكم لا يُرَقَّبُ ²
تبكي الحمامةُ شجوها فتَهيجُني	ويروح عازبُ همي المتأوِّبُ
وتهبُّ جاريةُ الرياحِ مِن أرضكم	فأرى البلادَ لها تُطِلُّ وتُخصِبُ
وأرى السَّميَّةَ باسمكم فيزيدني	شوقاً إليك رجائكِ المتنسِّبُ
وأرى العدوَّ يودِّكم فأودّه	إن كان يُنسب منك أولاً يُنسبُ
وأخالف الواشينَ فيك تجملاً	وهمُ عليّ ذوو ضغائن دُوبُ
ثم اتَّخذتهم عليّ وليجة	حتى غَضِيت ومثلُ ذلك يُغَضِبُ ³

قال : فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، فقدم المدينة ، فدخل عليه

1 انظر أخباره في : الجمعي 137-140 والشعر والشعراء 518/1-521 والمؤتلف 47-48 والآلي 73

والخزانة 231/1-234 .

2 كلامكم في ل : كلامكم .

3 وليجة : أصدقاء وأعوان .

الأحوصُ ، واستصحبه فأصبحه ، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض مَنْ عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدّم بالأحوص الشام ، وبها مَنْ يُنافسك من بني أبيك ، وهو من الأَفَن والسَّفَه على ما قد علمت فَيَعْيُونُكَ به . فلما رجع أبو بكر من الحجّ دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه ، فيجبهك فيشمت بك عدوّي من أهل بيتي ، ولكن خذْ هذه الثياب والدنانير ، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين ، فإذا أذن لك كتبت إليك ، فقدمت عليّ ، فقال له الأحوص : لا ولكن قد سُبِعتُ¹ عندك ، ولا حاجة لي بعطيتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمرَ بن عبد العزيز ، فأرسل إلى الأحوص ، وعمر يومئذٍ أميرُ المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثياباً فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخي هَبْ لي عِرْضَ أبي بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُبَاكل قصيدة مدح بها عمرَ بن عبد العزيز .

وقال حماد : قال أبي : سرق أبيات سليمان بأعيانها ، فأدخلها في شعره ، وغير قوافيها

[من الكامل]

فقط ، فقال :

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل	حذر العدا وبه الفؤاد موكّل
أصبحتُ أمْنُحُك الصّدودَ وإنّني	قَسَمًا إليك مع الصّدود لأُمِيلُ
فصددتُ عنك وما صددتُ لبغضةٍ	أخشى مقالةً كاشح لا يَعْقِلُ
هل عشنا بك في زمانك راجعٌ	فلقد تفاحش بعدك المتعلّل ²
إنّي إذا قُلْتُ استقام يحطّه	خُلْفٌ كما نظر الخِلاف الأَقْبَلُ ³
لو بالذي عالجت لينَ فؤاده	فأبى يُلان به لَلانَ الجندلُ
وتجنّبي بيتَ الحبيب أودّه	أرضي البغيض به ، حديث مُعْضِلُ
ولكن صددتُ لأنّ لولا رِقْبتي	أهوى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ
إنّ الشّبابَ وعشنا اللذّ الذي	كنا به زمناً نُسرُّ ونَجْذُلُ ⁴
ذهبت بشاشتُهُ وأصبحَ ذكرُهُ	حُزناً يُعلُّ به الفؤاد وينهلُ

1 سبع فلان فلاناً : شتمه ووقع فيه .

2 تفاحش في الديوان 167 : تقاعس .

3 القبل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .

4 اللذّ : اللذيق .

إِلَّا تَذْكُرَ مَا مَضَى وَصِبَابَهُ
أَوْدَى الشَّبَابُ وَأَخْلَقَتْ لَذَاتَهُ
يَكِي لِمَا قَلَبَ الزَّمَانُ جَدِيدَهُ
وَالرَّأْسُ شَامِلُهُ الْبَيَاضُ كَأَنَّهُ
وَسْفِيهِةٌ هَبَّتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ
فَأَجَبْتُهَا أَن قُلْتُ لَسْتُ مُطَاعَةً
إِنِّي كَفَانِي أَن أَعَالِجَ رِحْلَةً
بِنَوَالِ ذِي فَجَرٍ تَكُونُ سِجَالَهُ
مَاضٍ عَلَى حَدَثِ الْأُمُورِ كَأَنَّهُ
تُبْدِي الرِّجَالَ إِذَا بَدَأَ إِعْظَامُهُ
فَيَرُونَ أَنَّ لَهُ عَلَيْهِمْ سُورَةً
مُتَحَمِّلٌ يُقْلِلُ الْأُمُورَ حَوَى لَهُ
وَلَهُ إِذَا نُسِيتَ قَرِيشٌ مِنْهُمْ
وَلَهُ بِمَكَّةَ إِذْ أُمِيَّةٌ أَهْلُهَا
أَعَيْتَ قَرَانَتَهُ وَكَانَ لَزُومُهُ
وَسَمُوتَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ فَتَرَكْتَهُمْ
وَلَقَدْ بَدَأْتُ أُرِيدُ وَدَّ مَعَاشِرٍ
حَتَّى إِذَا رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعِي
زَايَلْتُ مَا صَنَعُوا إِلَيْكَ بِرِحْلَةٍ
وَوَعَدْتَنِي فِي حَاجَةٍ فَصَدَّقْتَنِي
وَشَكُوتُ غُرْمًا فَادْحَا فَحَمَلْتَهُ

مُنِيَتْ لِقَلْبٍ مَتِيٍّ لَا يَذْهَلُ
وَأَنَا الْحَزِينُ عَلَى الشَّبَابِ الْمُعْوَلُ
خَلَقًا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ مُعْوَلُ
بَعْدَ السَّوَادِ بِهِ الثَّغَامُ الْمُحْجَلُ¹
جَهْلًا تَلُومَ عَلَى الثَّوَاءِ وَتَعْذِلُ²
فَذِرِي تَنْصُحُكَ الَّذِي لَا يُقْبَلُ
عُمَرُ وَنُبُوَّةُ مَنْ يَضُنُّ وَيَخْلُ
عَمَمًا إِذَا نَزَلَ الزَّمَانُ الْمُحْمَلُ
ذُو رَوْنَقٍ عَضْبٌ جَلَاهُ الصِّقْلُ
حَذَرَ الْبُغَاثِ هَوَى لَهْنَ الْأَجْدَلِ³
وَفَضِيلَةً سَبَقَتْ لَهُ لَا تُجْهَلُ
سَبَقَ الْمَكَارِمِ سَابِقُ مُتَمَهِّلُ
مَجْدُ الْأُرُومَةِ وَالْفَعَالِ الْأَفْضَلُ
إِرْثُ إِذَا عُدَّ الْقَدِيمُ مُوْتَلُ
أَمْرًا أَبَانَ رَشَادَهُ مَنْ يَعْقِلُ⁴
لِنَدَاكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلُ
وَعَدُّوا مَوَاعِدَ أَخْلَفَتْ إِنْ حُصِّلُوا
يَأْسًا وَأَخْلَفَنِي الَّذِينَ أُؤْمَلُ
عَجَلِي وَعِنْدَكَ عَنْهُمْ مُتَحَوِّلُ
وَوَفِيَتْ إِذْ كَذَّبُوا الْحَدِيثَ وَبَدَّلُوا
عَنِّي وَأَنْتَ لِمَثْلِهِ مُتَحَمِّلُ

1 الثغام : نبت أبيض ، وأنغم الرأس : صار كالثغام بيباضاً . والمحجل من الحجل ، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه ، وفي الديوان 168 وفي ل : المحول .

2 سُحْرَة : في وقت السحر .

3 الأجْدَل : الصقر .

4 أَعَيْتَ في الديوان 169 : أغنت . قرأته في ل : قرأته . أمراً في ل : أثراً .

فَلَا شُكْرَ لَكَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي شُكْرًا تُحِلُّ بِهِ الْمَطِيَّ وَتُرْحَلُ
مِدْحًا تَكُونُ لَكُمْ غَرَائِبُ شَعْرَهَا مَبْدُولَةً وَلَغَيْرِكُمْ لَا تُبْذَلُ
فَإِذَا تَنَحَّلْتُ الْقَرِيضَ فَإِنَّهُ لَكُمْ يَكُونُ خِيَارًا مَا أُتَنَحَّلُ
وَلَعَمْرُ مَنْ حَجَّ الْحَجِيجُ لَبَيْتَهُ تَهْوِي بِهِ قُلُوصُ الْمَطِيِّ الذَّمْلُ
إِنَّ امْرَأً قَدْ نَالَ مِنْكَ قَرَابَةً يَنْغِي مَنَافِعَ غَيْرِهَا لُضْلُلُ
تَعْفُو إِذَا جَهَلُوا بِحِلْمِكَ عَنْهُمْ وَتُتِيْلُ إِنْ طَلَبُوا النَّوَالَ فَتُجْرِلُ
وَتَكُونُ مَعْقَلَهُمْ إِذَا لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْ شَرِّ مَا يَخْشَوْنَ إِلَّا الْمَعْقِلُ
حَتَّى كَأَنَّكَ يَتَّقِي بِكَ دُونَهُمْ مِنْ أَسَدٍ بَيْشَةَ خَادِرٍ مُتَبَسِّلٍ¹
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ²
وَأَرَى الْمَدِينَةَ حِينَ صِرْتُ أَمِيرَهَا أَمِنْ الْبَرِيِّ بِهَا وَنَامَ الْأَعْرَلُ

فقال عمر : ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه ، قال : لأنه مَدَحَ عمر وعَرَضَ بأخيه أبي

بكر .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الكامل]

مَا لِي أَجِنُّ إِذَا جِمَالُكَ قُرْبَتْ وَأَصَدَّ عَنْكَ وَأَنْتَ مِنِّْي أَقْرَبُ ؟
وَأَرَى الْبِلَادَ إِذَا حَلَلْتَ بِغَيْرِهَا وَحَشَا وَإِنْ كَانَتْ تُظَلُّ وَتُخَصِّبُ
يَا بَيْتَ خَنَسَاءِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ ذَهَبَ الشَّبَابَ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ
تَبْكِي الْحَمَامَةُ شَجْوَهَا فَتَهَيِّجُنِي وَيَرُوحُ عَازِبُ هَمِّي الْمَتَاوَبُ

الشعر لسليمان بن أبي دُباكُل ، والغناء لمعبد خفيف ثَقِيلُ أَوَّلُ بالبصرة ، عن عمرو . وقال ابن المكي : فيه خفيف ثَقِيلُ آخر لابن محرز ، وأَوَّلُهُ :

تَبْكِي الْحَمَامَةُ شَجْوَهَا فَتَهَيِّجُنِي

1 بَيْشَةَ : مكان اشتهر بأسده . والخادر : الذي لزم عربيته . ومتبسل : عابس غضباً أو شجاعة . وقد تضمن البيت مثلاً هو : من أسد بَيْشَةَ خَادِرٍ .

2 مَذِيقُ الْحَدِيثِ : مخلوط غير خالص . من مَذِيقِ اللَّبَنِ : إذا خلطه بالماء .

[التعريف بعاتكة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي ، وقال محمد بن كُناسة : حدثني أبو ذكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر : قال : رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتزل

وهي عمجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج¹ تملح به .
أخبرني الحرّمي عن الزبير ، عن محمد بن محمد العمري : قال : عاتكة التي يُشَبَّب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أخبرني الحرّمي ، عن الزبير ، عن إسحاق بن عبد الملك : أنَّ الأحوص كان ليئناً ، وأنَّ عاتكة التي يُنسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن زيد بن معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قُرَى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة .

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن يعقوب بن حكيم : قال : كان الأحوص ليئناً ، وكان يلزم نازلاً بالأشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فرقاً من أخيه ، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول :

يا بيت عاتكة الذي أتزل حذر العدا وبه الفؤاد موكّل

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه .

[الفرزدق وكثير يزوران الأحوص]

أخبرني الحرّمي ، عن الزبير ، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال : حدثني عبد العزيز بن عمران : قال : قدِم الفرزدق المدينة ، فقال لكثير ؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدّث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذا والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا ، ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إنَّ هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض ، قال : فانهض بنا إليه إذا ، لا أبَ لغيرك ، قال الفرزدق : فأردفتُ كثيراً ورائي على بعلتي ، وقلت : تلفف يا أبا صخر ، فمثلك لا يكون رديفاً ، فخمّر رأسه وأصق في وجهه ، فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلّا قالوا : من هذا وراءك يا أبا فراس ؟ فأقول : جارية وهبها لي الأمير ، فلمّا أكثرت عليه من ذلك ، واجتاز على بني زريق ، وكان يُغيضهم ، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومض² وقال : كذب ،

1 النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

2 أومض : أشار إشارة خفية رمزاً أو غمراً .

ولكنني كرهتُ أن أكونَ له رديفاً وكان حديثه لي مُعجباً ، فركبت وراءه ، ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته ، فقال : لا تعجل يا أبا صخر ، ههنا دوابٌ كثيرة تركبُ منها ما أردت ، فقال : دوابكم والله أبغضُ إليّ من ردفه ، فسكّتوا عنه . وجعل يتغشّم¹ عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت : والله ما قالوا لك بأساً ، فما الذي أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصباً للقرشيين من نفر اجتزتُ بهم ، قال : فقلت له : وما أنت ، لا أم لك ولقريش ، قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنتَ أحدهم فانتَ والله دعيهم ، قال : دعيهم خيرٌ من صحيح نسب العرب ، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بني الصلت بن النضر ، قلت : إنما قریش ولد فهر بن مالك ، فقال : كذبت . فقال : ما علمك يا ابن الجعراء بقریش ؟ هم بنو النضر بن كنانة ، ألم ترَ إلى النبي ﷺ انتسب إلى النضر بن كنانة ، ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه في مشربة له ، فقلنا له : أترقى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندي أم جعفر ، ولم أرها منذ أيام ، ولي فيها شغل ، فقال كثيرٌ : أم جعفر والله بعضُ عبيد الزرانيق² فقلنا له : فأنشيدنا بعضَ ما أحدثت به ، فأنشدنا قوله :

يا بيتَ عاتكة الذي أتزلُّ حذرَ العدا وبه الفؤادُ موكلٌ

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتله الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نفسه ، قال : ليس هذا إفساداً ، هذا خَسَفٌ إلى التَّخُوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلي ، وأحملك على البغلة ، وأهب لك المطرف ، وإن شئت فمنزلك ولا أرزوك شيئاً ، فقال : بل منزلي ، وأبدلُ لك ما قدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدثني ويُشددني حتى جاءت الظَّهر ، فدعا لي بعشرين ديناراً وقال : استعين بهذه يا أبا فراس على مقدمك ، قلت : هذا أشدُّ من حُمْلان بني زُرَيْق ، قال : والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد ، غير الخليفة ، قال الفرزدق : فجعلت أقول في نفسي : تالله إنه لمن قریش ، وهممتُ ألا أقبل منه . فدعتني نفسي ، وهي طَمِعَةٌ ، إلى أخذها منه ، فأخذتها .

[من هي الجعراء ؟]

معنى قول كثير للفرزدق : يا ابن الجعراء : يُعَيِّرُه بِدُعَاة ، وهي أم عمرو بن تميم ، وبها

1 يتغشّم : يتجنّى .

2 الزرنيق : النهر الصغير ، وترنق : استقى على الزرنوق بالأجرة .

يُضْرَبُ المثل في الحمافة ، فيقال : هي أحمق من دُعَّة¹ ، وكانت حاملاً ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهي لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسلاها² بين رجلها ، وقد استهل ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أَيْفَتَحَ الجعر³ فاه فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تميم يُعَيِّرُونَ بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا ابن الجعراء .

[ملاحظة بينه وبين السري]

أخبرني الحرْمِيُّ ، عن الزُّبَيْرِ قال : حَدَّثَنِي سليمان بن داود المجمعِيّ : قال : اجتاز السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عُثَيْرِ بن عُثَيْرِ بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص وهو ينشد قوله :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل

فقال السريّ :

يا بيتَ عاتكةَ المنوّةَ باسمِهِ
فوائِبُهُ الأحوصُ ، وقال في ذلك :

فَأَنْتَ وَشَتْمِي فِي أَكَارِسِ مالِك
تَدَاعَى إِلَى زَيْدٍ وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ
وَأِنَّكَ لَوْ عَدَدْتَ أَحْسَابَ مالِك
أَعَادَتَكَ عَيْدًا أَوْ تَنَقَّلْتَ كاذِبًا
وَمَا أَنَا بِالْمُحْسُوسِ فِي جِذْمِ مالِك
وَلَكِنْ أَبِي لَوْ قَدْ سَأَلْتَ وَجَدْتَهُ
فَأَجَابَهُ السريّ فقال :

سَأَلْتُ جَمِيعَ هَذَا الخلق طُرًّا
مَتَى كَانَ الأحيوَصُ مِنْ رِجَالِي

1 مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 219/1 والأمثال للمفضل بن محمد الضبي 172 وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي 29 والدرّة الفاخرة للأصبهانيّ 133/1 ، 145 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 54/1 ، 342 ، 389 ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري 79/1 ، وفي فضل المقال 183 ، 485 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 366 .

2 السّلا : جلدة يكون فيها الولد من النَّاسِ والمواشي .

3 الجعر : ما ييس من العذرة .

4 الأكارس : جمع أكراس . وهي جمع كرس بمعنى الجماعة .

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فالغيتُ ذكرها .

[شعره يسعف دليل المنصور]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس أبو الطَّيِّب ، عن أحمد بن الحارث الخَرَّاز ، عن المدائني ، وأخبرني به الحرَّمي ، عن الزُّبير : قال : حدَّثني عمِّي ، وقد جمعت روايتيهما ، أنَّ المنصورَ أمرَ الرَّبيع لما حجَّ أن يُسايِرَه برجلٍ¹ يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها ، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الرَّبيع زماناً ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهياً فإني أظنَّ جدَّك قد تحرَّك ، إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايِرَه برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتحسَّس موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ، ولا تكتمه شيئاً ، ولا تسأله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصَلَّى المنصورُ الفجر فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر² من أبيات المدينة ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : مَنْ أنتُ أولاً ؟ فقال : مَنْ لا تبلغه معرفتك ، هكذا ذكر الخَرَّاز وليس في رواية الزُّبير ، فقال : ما لك من الأهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوجتُ ، ولا لي خادمٌ ، قال : فأين منزلك ؟ قال : ليس لي منزل ، قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد أمَرَ لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقبَّلَ رجله ، فقال له : اركب ، فركب ، فلما أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأيت أن تنجِّرها لي ، قال : هيهات ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : لا أدري والله ، وفي رواية الخَرَّاز أنَّه قال : ما أمَرَ لك بشيء ، ولو أمَرَ به لدعاني ، فقال : أعطيه أو وقَّع إليَّ ، فقال الفتى : هذا همُّ لم يكن في الحساب ، فليثُتُ أيَّاماً ، ثم قال المنصور للرَّبيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الرَّبيع : إنَّه خارج بعد غد ، فاحتلَّ لنفسك ، فإنَّه والله إن فاتك فإنَّه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالْمُغْرَضِ عنه ، فلما خاف فوته أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الأحوصُ :

يا بيتَ عاتكة الذي أتعرَّل

قال : فَمَ ، قال : إنَّه يقول فيها :

إنَّ امرءاً قد نال منك وسيلةً يرجو منافعَ غيرِها المضلَّ

1 ل : يغيه رجلاً .

2 ندر : خرج .

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فقال الزبير في خبره : فقال له : لقد رأيتك أذكرت بنفسك ، يا سليمان بن مخلد ، أعطه أربعة آلاف درهم ، فأعطاه إياها ، وقال الخزاز في خبره : فضحك المنصور ، وقال : قاتلك الله ، ما أظرفك ، يا ربيع أعطه ألف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم ، فقال : ألف يُحصّل خير من أربعة آلاف لا تُحصّل .
[ابن المقفع يتمل بمطلع لاميته]

وقال الخزاز في خبره : حدّثني المدائني : قال : أخذ قوم من الزنادقة ، وفيهم ابن لابن المقفّع ، فمرّ بهم على أصحاب المدائن ، فلما رأهم ابن المقفّع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ ، فتمثّل :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَاضِلُ مُوَكَّلُ

الأيّات ، ففطنوا لما أراد ، فلم يسلموا عليه ، ومضى .

[الأحوص ومعبد وجارية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة : قال : بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجهّز إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني : فأخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب : قال : حدّثني إسماعيل بن أبي أويس : قال : حدّثني أبي : قال : حدّثنا سلمة بن صفوان الزرقني ، عن الأحوص الشاعر ، وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي : أن الزبير بن بكار حدّثه عن ابن أبي أويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأحوص ، وأخبرني به الحرّمي ، عن الزبير ، عن عمّه ، عن جرير المديني المغني ، وأبو مسكين : قالوا جميعاً : كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة ، وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري ، أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبد المغني مولى ابن قطن قال : فجهّزنا وحملنا إليه ، فلما نزلنا عُمان أبصرنا غديراً وقصوراً ، فقعنا على الغدير وتحدّثنا وذكرنا المدينة ، فخرجت جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء ، قال الأحوص : فتغنّت بمدحني في عمر بن عبد العزيز :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ

فتغنّت بأحسن صوت ما سمعته قطّ ، ثم طرّبت ، فألقت الجرة فكسرتها ، فقال معبد : غنائي والله ، وقلت : شعري والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : لآل سعيد بن العاص ، وفي خبر جرير المغني : لآل الوليد بن عقبة ، ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم ، وشغف بي ، فغلّبت بنت عمّ له طرأت عليه ، فترجّحها على أمري ،

فَعَاقَبْتُ مَنْزِلَتَهَا مَنْزِلَتِي ، ثُمَّ عَلَا مَكَانُهَا مَكَانِي ، فَلَمْ تَزِدْهَا إِلَّا ارْتِفَاعًا ، وَلَمْ تَزِدْنِي إِلَّا اتِّضَاعًا ، فَلَمْ تَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ أُخْدَمَهَا ، فَوَكَّلْتَنِي بِاسْتِقَاءِ الْمَاءِ ، فَأَنَا عَلَى مَا تَرَيَانِ ، أُخْرِجُ اسْتَقْيَ الْمَاءِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْقُصُورَ وَالْغُدْرَانَ ذَكَرْتَ الْمَدِينَةَ ، فَطَرِبْتَ إِلَيْهَا ، فَكَسَرْتَ جَرَّتِي ، فَيَعِزِّلْنِي أَهْلِي ، وَيُلُومُونَنِي . قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : أَنَا الْأَحْوَصُ ، وَالشَّعْرُ لِي ، وَهَذَا مَعْبُدٌ ، وَالْغِنَاءُ لَهُ ، وَنَحْنُ مَاضِيَانِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَنَذْكُرُكَ لَهُ أَحْسَنَ ذِكْرٍ . وَقَالَ جَرِيرٌ فِي خَبْرِهِ وَوَافِقِهِ وَكَيْعِهِ ، وَرَوَايَةِ عَمْرِ بْنِ شُبَّةٍ : قَالُوا : فَأَنْشَأْتُ الْجَارِيَةَ تَقُولُ :

إِنْ تَرَوْنِي الْغَدَاةَ أَسْعَى بِجَرٍّ	أَسْتَقْيَ الْمَاءَ نَحْوَ هَذَا الْغَدِيرِ
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي رِخَاءٍ مِنَ الْعِيْدِ	شَوْ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ وَسُرُورِ
ثُمَّ قَدْ تُبْصِرَانِ مَا فِيهِ أُمْسِي	تُوماذَا إِلَيْهِ صَارَ مَصِيرِي
فِيَاللَّهِ أَشْتَكِي مَا أَلَاقِي	مِنْ هَوَانٍ وَمَا يُجِنُّ ضَمِيرِي
أَبْلَغَا عَنِّي الْإِمَامَ وَمَا يَعِ	رِفَ صِدْقَ الْحَدِيثِ غَيْرُ الْخَبِيرِ
أَنْتَنِي أَضْرَبُ الْخَلَائِقَ بِالْعَوِي	دِ وَأُحْكَاهُمْ بِبِمِ وَزِيرِ
فَلَعَلَّ الْإِلَهَ يُنْقِذَ مِمَّا	أَنَا فِيهِ فَإِنِّي كَالْأَسِيرِ
لَيْتَنِي مِتَّ يَوْمَ فَارَقْتُ أَهْلِي	وَبِلَادِي فَزُرْتُ أَهْلَ الْقُبُورِ
فَاسْمَعَا مَا أَقُولُ لِقَاكَ	اللَّهُ نَجَاحًا فِي أَحْسَنِ التَّيْسِيرِ

فَقَالَ الْأَحْوَصُ مِنْ وَقْتِهِ :

صوت

إِنَّ زَيْنَ الْغَدِيرِ مِنْ كَسْرِ الْجَزْ	رَ وَعَنَى غِنَاءَ فَحْلٍ مُجِيدٍ
قُلْتُ : مَنْ أَنْتِ يَا طَعِينُ فَقَالَتْ :	كُنْتُ فِيْمَا مَضَى لَالِ الْوَلِيدِ

وَفِي رَوَايَةِ الدَّمَشَقِيِّ :

قُلْتُ : مَنْ أَنْتِ يَا خَلُوبُ فَقَالَتْ :	كُنْتُ فِيْمَا مَضَى لَالِ سَعِيدِ
ثُمَّ أَصْبَحْتُ بَعْدَ حَيٍّ قَرِيشٍ	فِي بَنِي خَالِدِ لَالِ الْوَحِيدِ
فَغِنَائِي لِمَعْبُدٍ وَنَشِيدِي	لَفَتَى النَّاسَ الْأَحْوَصَ الصَّنْدِيدِ
فَبَاكِتٌ ثُمَّ قُلْتُ : أَنَا الْأَحْ	حُوصُ وَالشَّيْخَ مَعْبُدٌ فَأَعِيدِي
فَأَعَادَتْ لَنَا بِصَوْتٍ شَجِيٍّ	يَتَرَكُ الشَّيْخُ فِي الصَّبَا كَالْوَلِيدِ

وَفِي رَوَايَةِ أَبِي زَيْدٍ :

فَأَعَادَتْ فَأَحْسَنْتُ ثُمَّ وَلَّتْ تَتَهَادَى فَقُلْتُ قَوْلَ عَمِيدٍ
يَعْجِزُ الْمَالُ عَنْ شِرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتِ فِي ذِمَّةِ الْهَمَامِ يَزِيدُ
وَلَكَ الْيَوْمَ ذِمَّتِي بِوَفَاءٍ وَعَلَى ذَاكَ مِنْ عِظَامِ الْعَهْدِ
أَنْ سَيَجْرِي لَكَ الْحَدِيثُ بِصَوْتِ مَعْبِدِي يَرُدُّ حَبْلَ الْوَرِيدِ¹
يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَظَنُّنِي كُلُّ خَيْرٍ بِنَا هُنَاكَ وَزَيْدِي
قَالَتِ الْقَيْنَةُ الْكَعَابُ : إِلَى الْ- لَهُ أُمُورِي وَأَرْتَجِي تَسْدِيدِي

غناه معبد ثاني ثقیل بالبصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما ، وهي طريقة هذا الصوت ، وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد .

قال الأحوص : وضع فيه معبد لحناً فأجاده ، فلما قدمنا على يزيد قال : يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه ، فغناه معبد :

إِنَّ زَيْنَ الْغَدِيرِ مَنْ كَسَرَ الْعِجْرُ رَ وَغْنَى غِنَاءٍ فَحَلَّ مُجِيدٍ

فقال يزيد : إن لهذا لقصة فأخبراني بها ، فأخبراه ، فكتب لعامله بتلك الناحية : إن لآل فلان جارية ، من حالها «ذيت وذيت» ، فاشترها بما بلغت ، فاشترها بمائة ألف درهم ، وبعث بها هدية ، وبعث معها بالطفاء كثيرة ، فلما قدمت على يزيد رأى فضلاً بارعاً فأعجب بها ، وأجازها ، وأخدمها ، وأقطعها ، وأفرد لها قصرأ ، قال : فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكسأ وطرف .

[يزيد بن عمر بن هبيرة يمثل بشعره]

وقال الزبير في خبره عن عمه ، قال : أظن القصص كلها مصنوعة ، وليس يشبه الشعر شعر الأحوص ، ولا هو من طرازه ، وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره .

أخبرني الحرثي ، عن الزبير قال : سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : قال : كنت مع يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الفرات ، فلما انهزم الناس التفت إلي فقال : يا أبا الحارث ، أمسينا والله وهم كما قال الأحوص :

أُبْكِي لَمَّا قَلَبَ الزَّمَانُ جَدِيدَهُ . خَلَقًا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ

[يتأول الناس شعره بزوال دولة الأمويين]

أخبرني الحرّميّ عن الزبير عن محمد بن محمد بن محمد العمريّ : أنَّ عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رُئيت في النوم قبل ظهورِ دولة بني العباس على بني أمية كأنّها غريانة ناشيرة شعرها تقول :

أين الشبابُ وعيشنا اللذُّ الذي كنّا به زَمناً نُسرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بشاشتُهُ وأصبحَ ذِكرُهُ حُزناً يُعلُّ به الفؤادُ ويُنهَلُ

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية ، فكان كما قالوا .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الجمحيّ ، عن شيخ من قریش : أنّه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفّان على منائم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني :

[من الكامل]

أين الشبابُ وعيشنا اللذُّ الذي كنّا به يوماً نُسرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بشاشتُهُ وأصبحَ ذِكرُهُ حُزناً يُعلُّ به الفؤادُ ويُنهَلُ

قال : فما لبثنا إلّا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم ، وقتل مروان .

قال إسحاق : المنامة : الدكان¹ وجمعها منائم .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا هندُ إنك لو علمت ستِ بعاذلَيْنِ تتابعا
قالا فلمْ أَسْمَعْ لِمَا قالوا وقلتُ بلِ اسْمَعَا
هندُ أحبُّ إليّ من مالي وروحي فارجعَا
ولقد عَصَيْتُ عَوَازِلِي وأطعتُ قلباً مُوجِعَا

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْح ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أبو العنيس أنّه لابن سريح وذكر الهشاميّ وابنُ المكّي أنّه للغريض ، وذكر حبّش أن لإبراهيم فيه رملًا آخر بالبصر ، وقال أحمد بن عُبَيْد : الذي صحّ فيه ثقيل الأوّل وخفيفه ورملة ، وذكر إبراهيم أن فيه لحنًا لابن عبّاد .

[448] - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن

عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[نسبه]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه : [من الوافر]

لعمركُ إِنِّي لأُحِبُّ داراً تحلُّ بِها سُكَيْنَةُ والرِّبابُ

ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد ، وأمُّ عبد الله بن الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمُّها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأمُّها الجرباء بنت قدامة بن رومان من طيء .

[سميت الجرباء لحسها]

أخبرني أحمد بن سعيد : قال : حدثنا يحيى بن الحسن قال : إنما سُمِّيت الجرباء لحسها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة ، وإن كانت جميلة إلا استُقبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها ، فشُبِّهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبلُ مخافة أن تُعذِّبَها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقاً ، ويقال : إن نساء بني تميم كانت لهن خطوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن ، ويروى أن أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها .

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك : قال : وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخي إني أَرْضَى هذه المرأة لك . فلا تخرجن من بيوتكم ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها . فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدت من الحسن عليه السلام ، ابنه طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

[جمال وسوء خلق]

ومن طرائف أخبار التميميات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرزمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله ، قال : كانت أم سلمة بنت

محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ له ، ويفرق منها ولا يخالفها ، فرأى يوماً منها طيبَ نفس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها ، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أحرقتُ الله قلبي . . . فحدّدت له النّظر ، وجمعت وجهها وقالت له : أحرقتُ قلبك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها : سوء خلقك ، فقال لها : حُبُّ أبي بكر الصّدّيق ، فأمسكتُ عنه .

وتزوَّج الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحسين في حياة عمّه ، وهو - عليه السلام - زوجهَ إياها .

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أخبرني الطوسي والحرمي ، عن الزبير ، عن عمّه بذلك ، وحدّثني أحمدُ بنُ محمد بن سعيّد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب : قال : حدّثني جدّي عبدُ الله بنُ موسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خطب الحسن بن الحسن إلى عمّه الحسين ، صلوات الله عليه ، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اختر يا بُنيّ أحبهما إليك ، فاستخيا الحسن ، ولم يُخرِ جواباً ، فقال له الحسين عليه السلام : فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شَبهاً بأُمّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمّه مصعب : أن الحسن لما خيره عمّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إن امرأةً ، سُكّينة مردودتها ، لمنقطعة القرن في الجمال .

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء ، عن الزبير بن بكار ، وأخبرني محمد بن العباس البزدي ، عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير ، عن الزبير ، وأخبرني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي ، وخبره أتم : قال : قال الزبير : حدّثني عمّي مصعب ولم يذكر أحداً .

[ليس لمخضوب النان يعين]

وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب ، عن عمر بن أبي الموالى قال الزبير : وحدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين : أن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جَزِع ، وجعل يقول : إني لأجد كرباً ليس إلّا هو كرب الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تقدّم على رسول الله ﷺ وهو جدُّك وعلى عليّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم ، وهم آباؤك ؟ فقال : لعمرى إن الأمر لكذلك ، ولكن كائنّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن¹ أو

مُصَرَّتَيْنِ وهو يُرَجَّلُ جُمُعَتَهُ يقول : أنا من بني عبد مناف جئتُ لأشهد ابنَ عَمِّي ، وما به إلا أن يخطبَ فاطمة بنتَ الحُسَيْنِ ، فإذا جاء فلا يَدْخُلُ عليَّ ، فصاحت فاطمة : أسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أُعْتَقْتُ كلَّ مملوك لي ، وتصدّقت بكلِّ ملك لي إن أنا تزوّجتُ بعدك أحداً أبداً ، قال : فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قضى ، فلما ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصّفة التي ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القوم : ندخله ، وقال بعضهم : لا يدخل ، وقال قوم : لا يضرّ دُخُولُهُ ، فدخل وفاطمة تصكُّ وجهها ، فأرسل إليها وصيفاً كان معه ، فجاء يتخطى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاي أبقني على وجهك فإن لنا فيه أرباباً ، قال : فأرسلت يدها في كمّها واختمرت وعُرف ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهها حتى دُفِنَ صلوات الله عليه . فلما انقضت عِدَّتُهَا خطبها فقالت : فكيف لي بِنَذْرِي ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكلّ عبد عبيّن ، وبكلّ شيء شئين ، ففعل وتزوّجته ، وقد قيل في تزويجه إياها غيرُ هذا .

أخبرني به أحمدُ بن محمد بن إسماعيل الهمدانيّ ، عن يحيى بن الحسن العلويّ ، عن أخيه أبي جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكريّ : أن فاطمة لما خطبها عبدُ الله أبَت أن تتزوّجه ، فحلفتُ عليها أمّها لتزوّجته ، وقامت في الشَّمْسِ ، وآلت لا تَبْرَحَ حتى تزوّجه ، فكرهت فاطمة أن تُحرّجَ ، فتزوّجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله وسيّداً من ساداتهم ومقدّماً فيهم فصلاً وعلماً وكرماً ، وحجسه أبو جعفر المنصور في الهاشميّة بالكوفة لمّا خرج عليه ابنه محمد وإبراهيم فمات في الحبس ، وقيل : إنّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .
[كان أجمل الناس وأفضلهم]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن عليّ بن أحمد الباهليّ : قال : سمعتُ مُصعباً الزُّبيريّ يقول : انتهى كلّ حُسْنٍ إلى عبدِ الله بن حسن ، وكان يقال : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن ، ويقال : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن .

حدّثني محمد بن الحسن الخنّعيّ الأشنانيّ والحسن بن عليّ السلوليّ قالا : حدّثنا عبّاد بن يعقوب قال : حدّثنا تلميذُ بن سليمان ، قال : رأيتُ عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُهُ يقول : أنا أقربُ النَّاسِ إلى رسولِ الله ﷺ ، ولدتني بنتُ رسولِ الله ﷺ مرّتين .

حدّثني أحمدُ بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن عبد الله بن موسى ، قال : أوّلُ مَنْ اجْتَمَعَتْ له ولادةُ الحسن عليه السلام والحسين ، صلوات الله عليهما ، عبدُ الله بن الحسن عليه السلام .

حدَّثني محمد بن الحسن الأشناني ، عن عبد الله بن يعقوب ، عن بُندقة بن محمد بن حجازة الدَّهَّان قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، فقلت : هذا والله سيِّدُ الناس ، كان مكسوراً نوراً من قرنه إلى قدِّمه .

قال عليُّ بن الحسين ، وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ، وأُمُّه أُمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن علي عليه السلام .

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن القاسم بن عبد الرزاق : قال : جاء منظورُ بنُ زِيانَ الفَزَارِيُّ إلى حسن بن حسن ، وهو جدُّه أبو أمِّه ، فقال له : لعلك أُلحِدتَ بعدي أهلاً ، قال : نعم ، تزوجت بنتَ عَمِّي الحسين بن علي ، عليهما السلام - قال : بِسْما صنعتَ ، أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت¹ ، كان ينبغي أن تتزوج في الغرب ، قال : فإنَّ الله جلَّ وعزَّ قد رزقني منها ولداً ، قال : أرنيه ، فأخرج إليه عبدَ الله بن الحسن فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، هذا والله ليثُ غاب ومعدو عليه ، قال : فإنَّ الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال : فأرنيه ، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن ، فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، وهذا دون الأوَّل ، قال : فإنَّ الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً ، قال : فأرنيه . فأراه إبراهيم بن الحسن .

[عمر بن عبد العزيز يرجو شفاعَةَ الرَّسول]

حدَّثني أبو عُبَيْدٍ محمد بن أحمد الصيرفي : قال : حدَّثنا محمد بن علي بن خَلَف قال : حدَّثنا عمر بن عبد الغفار قال : حدَّثنا سعيد بن أبيانِ القُرشيُّ قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عبد الله بن الحسن عليه ، وهو يومئذ شابُّ في إزارٍ ورداء ، فرحَّبَ به وأدناه وحيَّاه ، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه ، ثم غمز عُكْنَةَ من بطنه ، وليس في البيت حينئذٍ إلَّا أمويٌّ ، فقبل له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى ؟ قال : إني لأرجو بها شفاعَةَ محمد ﷺ .

[ينالُ جائزة]

حدَّثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي ، عن عمر بن شَبَّة ، عن إسماعيل بن جعفر الجعفري : قال : حدَّثني سعيد بن عقبة الجُهَنِّي قال : إني لعنَدَ عبدِ الله بن الحسن إذ أتاني آتٍ ، فقال : هذا رجل يدعوك ، فخرجت ، فإذا أنا بأبي عَدِيٍّ الشاعرِ الأمويِّ ، فقال : أعْلِم أبا محمد ، فخرج إليه عبدُ الله ، وهم خائفون ، فأمر له بأربعمئة دينار ، وهنْدِي² بمائتي دينار ، فخرج بستمئة دينار . وقد روى مالك بن أنس عن عبدِ الله بن الحسن الحديث .

1 أضوت : دَقَّت وضمفت .

2 الهند : المائة من الإبل .

[كان يمدل شعره]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال : حدَّثنا علي بن أحمد الباهلي عن مُصنَّب بن عبد الله قال : سئل مالك عن السَّدل¹ قال : رأيت مَنْ يَرْضَى بِفِعْلِهِ ؛ عبد الله بن الحسن يفعلُهُ ، والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج أبنيه وقتلها يطولُ ذِكْرُهُ . وقد أتى عُمر بن شُبَّة منه بما لا يزيدُ عليه أحدٌ إلاَّ اليسير ، ولكن من أخباره ما يحسنُ ذكره هاهنا فنذكرُهُ .

[السبب في حبسه وقتل ابنه]

أخبرني عُمر بن عبد الله العتكي عن عُمر بن شُبَّة ، قال : حدَّثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عُمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا : لمَّا بنى أبو العبَّاس بناءه بالأنبار الذي يدعى الرُّصافة : رصافة أبي العبَّاس قال لعبد الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلمَّا رآه تمثَّل :

ألم ترَ حَوْشَبًا أُمسى يُنِّي بناءً نَفَعَه لبني نَفِيلَةٍ²
يُؤمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمرُ نوحٍ وأمرُ الله يحدثُ كلَّ لَيْلَةٍ

فاحتَمَلَهُ أبو العبَّاس ولم يَكُنْ بها .

أخبرني عمِّي عن ابن شُبَّة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب ، وحدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن أبيه قالوا : إنَّ أبا العبَّاس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تَغْيِبِ ابنه :

أريدُ حَيَاتِهِ ويُريدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ من خَلِيلِكَ من مُرَادٍ

قال عُمر بن شُبَّة : وإنَّما كتب بها إلى محمد ، قال عمر بن شُبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مَوْلى أبي حنن ، فأجابهُ :

وكيف يُريدُ ذاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّيَاطِ مِنَ الْفَوَادِ
وكيف يُريدُ ذاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَزَنْدُكَ حينَ تَقْدَحُ من زِنَادِ
وكيف يُريدُ ذاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَأَنْتَ لِهَاشِمٍ رَأْسٌ وَهَادِ

أخبرني عُمر بن عبد الله بن شُبَّة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال : بينا أنا في سَمَرٍ أبي

1 السَّدل : إرخاء الشعر .

2 حَوْشَب : اسم رجل .

العباس ، وكان إذا تشاءب أو ألقى المروحة من يده قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسكني فلم يبق غيري ، فادخل يده تحت فراشه ، وأخرج إضبارة كتّوب وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التغلبي يدعو إلى نفسه ، فلما قرأته قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا .

أخبرنا العتكي عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : لما استخلف أبو جعفر ألح في طلب محمد والمسألة عنه ، وعمن يؤويه ، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحب لك معصية ، إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، وأنه لا ينأ في فرأيك فيه قال ابن أبي عبيدة : فأيقظ من¹ لا ينأ .

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران بن عقبة بن سلم : أن أبا جعفر دعا ، فسأله عن اسمه ونسبه ، فقال : أنا عقبة بن سلم بن نافع من الأزد ، قال : إني أرى لك هيئة وموضعاً ، وإنني لأريدك لأمر أنا به معني ، قال : أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين ، قال : فأخف شخصك ، وإثني في يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال : إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً بملكنا ، ولهم شيعّة بخراسان بقرية كذا وكذا ، يكتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وأنطاف ، فاذهب حتى تأتيتهم متكرراً بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا على رأيهم علمت ذلك ، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً ، وإن جبهك ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنس بك ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي ، ففعل ذلك ، وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته ، فقال له عقبة : الجواب ، فقال له : أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرتهم السلام ، وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عقبة حتى قديم على أبي جعفر ، فأخبره الخبر .

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال : سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنه لما حج ، فقال : لا أعلم بهما حتى تغالطا ، فأمضه² أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأي أمهاتي تمضني ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة

1 أيقظ من لا ينأ : أي سلب عليه الخليفة العيون والأرصاد .

2 أمضه : أحزنه وأحفظه .

بنت رسول الله ﷺ ، أم بفاطمة بنت الحسين ، عليهم السلام ، أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهن ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هبه لي ، فأننا المستخرج لك ابنيه ، فتخلصه منه .

قال ابن شبة : وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر ، عن علي بن رباح أخيه إبراهيم بن رباح ، عن صاحب المصلى : قال : إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس¹ ، وهو متوجه إلى مكة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس ، فأقبل على عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أبا محمد ؛ محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ، وإنني لأحب أن يأتسا بي ويأتياني فأصلهما ، وأزوجهما ، وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلاً ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحقك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، ولقد خرجا عن يدي ، فيقول : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما ، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد .

قال ابن شبة : فحدثني محمد بن عباد عن السدي بن شاهك : أن أبا جعفر قال لعقبه بن سلم : إذا فرغنا من الطعام فلحظتلك فامثل بين يدي عبد الله ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فدر حتى تغمر ظهره بإيهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عقبه ، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، وقال : يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله ، قال : لا أقالني الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

قال ابن شبة ، فحدثني أيوب بن عمر : عن محمد بن خلف المخزومي قال : أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ، فإنيهما وإياي لعنده ، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن ، فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه ، فإنه يفعل فعل الأمة ، فلم يفهم ، وغمرت عبد الله فلم ينتبه ، وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك ، وقال له : أين ابنك ؟ قال : لا أدري ، قال : لتأتينني به ، قال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ،

1 أوطاس : اسم ولد .

قال : يا ربيعُ فمُرْ به إلى الحبس .

[زوجته هند بنت أبي عبيدة]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن قال : توفي عبد الله في مَحْبَسِه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عَنَّاها عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأمها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمدّحاً ، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تحتَ عبدِ الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها .

فأخبرني الحرّميّ عن الزبير عن سليمان بن عيَّاش السعديّ قال : لما توفي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنتُه هندُ وجداً شديداً ، فكَلَّمَ عبدُ الله بن الحسنُ مُحَمَّدَ بنَ بشير الخارجيّ أن يدخل على هندَ بنتِ أبي عبيدة ، فيُعزِّيها ويؤسِّسها عن أبيها ، فدخلَ معه عليها ، فلَمَّا نظرَ إليها صاح بأبعد صوته :

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيَّ أباً مثله تسمُو إليه المفاخيرُ
وكنت إذا أُسبِلت أُسبِلت والدا يزِينُ كما زان اليدين الأساورُ

فصكَّت وجهها ، وصاحت بحَرْبها وجهها ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دخلت ؟ فقال الخارجيّ : وكيف أُعزِّي عن أبي عبيدة وأنا أُعزِّي به !

أخبرني العتكيّ ، عن ابن شَبَّة : قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان ، عن عليّ بن صالح ، قال : زَوَّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هنداً بنتَ أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنَّه كائِنْ في أولادهما ، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما ، فتزوَّج هنداً عبدُ الله بن الحسن ، وتزوَّج ريطه مُحَمَّدُ بن عليّ ، فجاءت بأبي العباس السفّاح .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شَبَّة عن ابن داحية عن أبيه قال : لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هندُ بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمِّه فاطمة : اخطُبي عليّ هنداً ، فقالت : إذا تَرَدَّدَكَ ، أَتَطْمَع في هند وقد وَرِثت ما وَرِثته ، وأنت تَرِبَ لا مالَ لك ؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند ، فخطبها إليه ، فقال : في الرُّحْبِ والسَّعة ، أمّا مِنِّي فقد زَوَّجْتُكَ ، مكانك لا تَبْرَحُ ، ودخل على هند ، فقال : يا بنية ، هذا عبد الله بن حسن ، أذاك خاطباً ، قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجته . قالت : أحسنت . قد أَجَزْتُ ما صنَعْتَ ،

وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخل على أهلك . قال : فتزيت¹ له فبات بها ممرساً من ليلته ، ولا تشعر أمه ، فأقام سبعا ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمه وعليه رذع² الطيب ، وفي غير ثيابه التي تعرف ، فقالت له : يا بني ، من أين لك هذا ؟ قال : من عند التي زعمت أنها لا تريدني .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار : قالوا : حدثنا الزبير : قال : حدثتني ظبية مولاة فاطمة : قالت : كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيراً أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها :

إِنَّ عَيْنِي تَعُودُ كَحُلِّ هِنْدٍ جَمَعْتُ كَفُّهَا مَعَ الرَّفْقِ لِينَا

صوت

[من البسيط]

يا عيدُ ما لك من شوقٍ وإِراقٍ ومِرٌّ طَيِّفٍ على الأهوالِ طَرَّاقٍ
يَسْرِي على الأَينِ والحَيَّاتِ مُحْتَفِيًا نفسي فِدَاؤُكَ من سارٍ على ساقٍ³
عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسان من همٍّ أو شوقٍ أو مرضٍ أو ذِكرٍ . والأَينِ والأَيم : ضرب من الحَيَّات . والأَين : الإعياء أيضاً ، وروى أبو عمرو :

يا عيد قلبك من شوق وإِراق

الشعر لتأبط شراً ، والغناء لابن محرز ثقیل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحَبَش ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

1 ل : فتيسرت .

2 الرذع : أثر الطيب في الجسد .

3 محتفياً في ل : محتفلاً .

[449] - أخبار تَابُط¹ شراً ونسبه

[نسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفَيان بن عُمَيْثِل بن عديّ بن كعب بن حزن . وقيل : حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .
وأُمّه امرأة يقال لها أُميمة ، يقال : إنها من بني القَيْن بَطْن مَن فَهْم ، ولدت خمسة نَفَر : تَابُط شراً ، وریش بَلْغَب ، وریش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بَوَاكِي له² ، وقيل : إنها ولدت سادساً اسمه عمرو .

وتَابُط شراً لقب لُقَب به ، ذكر الرّواة أنّه كان رأى كيشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طُول طريقه ، فلَمَّا قَرُب من الحيّ ثَقُل عليه الكَبَش ، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تَابُطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تَابُطت شراً فسَمِي بذلك .

وقيل : بل قالت له أُمّه : كلّ إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك ، فقال لها : سأتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلَمَّا راح أتى بهنّ في جراب متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعّين في بيتها ، فوثبت ، وخرجت ، فقال لها نساء الحيّ : ماذا أتاكَ به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعٍ في جراب . قلن : وكيف حَمَلَهَا ؟ قالت : تَابُطَهَا . قلن : لقد تَابُط شراً ، فلزمه تَابُط شراً .

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي مُحَلَّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها : أنّ أُمّه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غِلْمانَ الحيّ يجتنون لأهلهم الكمأة ، فيروحون بها ؟ فقال أعطيني جرابك ، حتى أجتنى لك فيه ، فأعطته ، فملأه لها أفاعي ، وذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم .

ومن ذكر أنّه إنّما جاءها بالغول محتجّ بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنّه يصف لقاءه إياها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله :
[من المتقارب]

1 انظر أخباره في : المفضليات : 27 والشعر والشعراء 312/1-314 ، والأنباري 1-2 و195-196 ، والاشتقاق 162-163 والخزانة 66/1-67 واللاي 158-159 .
2 ولا بَوَاكِي له : هو الاسم الخامس لأولاد أم تَابُط شراً .

فَأَصْبَحْتُ الْغُولُ لِي جَارَةً فَيَا جَارَتَا لَكَ مَا أَهْوَلَا¹
 فَطَالِبْتُهَا بُضْعَهَا فَالْتَوَتْ عَلَيَّ وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفْعَلَا²
 فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَن جَارَتِي فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوَى مَنَزَلَا³

[كان أعدى ذي رجلين]

أخبرني عمّي عن الحزنبيل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال : نزلت على حيّ من فهم إخوة بني عدوان من قيس ، فسألتهم عن خبر تأبط شرّاً ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصّاً ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين ، فأحدثت بها ، فقالوا : نحدثك بخبره : إنّ تأبط شرّاً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عيين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسنمها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته ، حتى يأخذه ، فيذبّحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله . وإنما سُمّي تأبط شرّاً لأته ، فيما حُكي لنا ، لَقِيَ الْغُولَ فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ رَحَى بَطْحَانَ فِي بِلَادِ هَذِيل ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا ، حَتَّى قَتَلَهَا ، وَبَاتَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَمَلَهَا تَحْتَ إِطْبِهِ وَجَاءَ بِهَا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : لَقَدْ تَأَبَّطْتَ شَرّاً ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

تَأَبَّطَ شَرّاً ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يُوَائِمُ غُفْمًا أَوْ يَشِيفُ عَلَى دَحَلٍ

يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضاً في ذلك :

[من الوافر]

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ فِتْيَانٍ فَهَمٌّ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بَطَانٍ⁴
 وَأَنْتَ قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ⁵
 فَقُلْتُ لَهَا : كَلَانَا نِضْوَانٍ أَخُو سَفَرٍ فَخَلِي لِي مَكَانِي
 فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي
 فَأَضْرَبَهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صَرِيْعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ⁶

1 لك في الديوان 164 : أنت .

2 البضع : الفرج . الشطر الثاني في الديوان 164 : بوجه تهوّل فاستغولاً .

3 الشطر الأول في الديوان : فمن سال : أين ثوت جارتني .

4 فهم : قبيلة الشاعر ، وحي بطان : اسم موضع .

5 السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .

6 الدهش : التحير . والجيران : مقدّم العنق .

فَقَالَتْ : عُدْ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : رُوَيْدًا
فَلَمْ أَنْفُكْ مُتَكَبِّمًا عَلَيْهَا
إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ قَبِيحٍ
وَسَاقَا مُخْدَجٍ وَشَوَاةٍ كَلْبٍ
مَكَانَكَ إِنَّنِّي ثَبْتُ الْجَنَانِ
لَأَنْظُرَ مُصْبِحًا مَاذَا أَتَانِي¹
كَرَأْسَ الْهَرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
وَثُوبٍ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِيَانٍ²

[لا تنهشه الحيات]

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى : قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى حَمَّادٍ : وَحَدَّثَكَ أَبُوكَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عُبَيْةٍ
اللَّهْبِيِّ : قَالَ : قِيلَ لِتَابُطٍ شَرًّا : هَذِهِ الرِّجَالُ غَلَبَتْهَا ، فَكَيْفَ لَا تَنْهَشُكَ الْحَيَاتُ فِي سُرَاكِ ؟
فَقَالَ : إِنِّي لِأَسْرِي الْبَرْدَيْنِ . يَعْنِي أَوَّلَ اللَّيْلِ وَآخِرَهُ ، لِأَنَّهَا تَمُورُ³ خَارِجَةً مِنْ حُجْرَتِهَا ،
وَأَخَرُ اللَّيْلِ تَمُورُ مُقْبِلَةً إِلَيْهَا .
[يبيع أحمق اسمه بطليسانة]

قَالَ حَمْزَةُ : وَلَقِيَ تَابُطٌ شَرًّا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو وَهْبٍ ، كَانَ جَبَانًا
أَهْوَجَ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ جَيِّدَةٌ ، فَقَالَ أَبُو وَهْبٍ لِتَابُطٍ شَرًّا ، بِمَ تَغْلِبُ الرِّجَالَ يَا ثَابِتَ ، وَأَنْتَ
كَمَا أَرَى دَمِيمٌ ضَعِيلٌ ؟ قَالَ : بِاسْمِي ، إِنَّمَا أَقُولُ سَاعَةً مَا أَلْقَى الرَّجُلُ : أَنَا تَابُطٌ شَرًّا ،
فَيَنْخَلَعُ قَلْبُهُ حَتَّى أَتَالَ مِنْهُ مَا أُرَدْتُ ، فَقَالَ لَهُ الثَّقَفِيُّ : أَقْطُ⁴ قَالَ : قَطٌّ ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ
أَنْ تَبْعَنِي اسْمَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَبِمَ تَبْتَاغُهُ ؟ قَالَ : بِهَذِهِ الْحُلَّةِ وَبِكُنْيَتِكَ قَالَ لَهُ : أَفْعَلْ ،
فَفَعَلَ ، وَقَالَ لَهُ تَابُطٌ شَرًّا : لَكَ اسْمِي وَلِي كُنْيَتِكَ ، وَأَخَذَ حُلَّتَهُ وَأَعْطَاهُ طِمْرِيَّةً ، ثُمَّ
انصرفت ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ يَخَاطِبُ زَوْجَةَ الثَّقَفِيِّ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسَنَاءُ أَنْ حَلِيلَهَا
فَهَبْهُ تَسَمَّى اسْمِي وَسُمِّيْتُ بِاسْمِهِ
تَابُطٌ شَرًّا وَاكْتَنَيْتُ أَبَا وَهْبٍ
فَأَيْنَ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الْخُطْبِ ؟⁵
وَأَيْنَ لَهُ بَأْسٌ كَبَّاسِي وَسَوْرَتِي
وَأَيْنَ لَهُ فِي كُلِّ فَادِحَةٍ قَلْبِي ؟

[يعجز عن الجماع]

قَالَ حَمْزَةُ : وَأَحَبُّ تَابُطٍ شَرًّا جَارِيَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَطَلَّبَهَا زَمَانًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لَقِيَتْهُ

1 أَنَاتَانِي فِي ل : دَهَانِي .

2 أَخْدَجَتِ النَّاقَةُ : أَلْقَتْ وَلَدَهَا لِغَيْرِ تَمَامٍ . وَالشَّوَاةُ : قَحْفُ الرَّأْسِ وَفِي ل : وَسْرَاةُ كَلْبٍ . الشَّيَانُ : جَمْعُ شَنْ ، وَهُوَ الْقَرْبَةُ الْبَالِيَةُ .

3 ل : تَدَبَّ .

4 أَقْطُ : أَيُّ بِهَذَا فَقَطْ ، وَقَطٌّ هُنَا بِمَعْنَى فَحَسَبَ .

5 فِي الدِّيَوَانِ 64 : وَسَمَّيْنِي اسْمَهُ .

ذاتَ ليلة فاجأته وأرادها ، فعجز عنها ، فلماً رأت جَزَعَه من ذلك تناومت له فأنسته وهذا ، ثم جعل يقول :

مالك من أيرٍ سُلِبَتِ الخلّة عجزت عن جارية رِفْلَةٍ¹
تمشي إليك مشيةً خوزلةً كمشية الأرخ تريد العلة²

الأرخ : الأنتى من البقر التي لم تُنتج . العلة تريد أن تُعل بعد النهل ، أي أنها قد رويت فمشتها ثقيلاً . والعلّ : الشرب الثاني .

لو أنّها راعيةً في ثُلّة تحمل نعلين لها قبلّة³
تضرب كالهراوة العبلّة

العبل : ورق الأرطى .

[قصته مع بجيلة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعيّ قال : أغار تأبط شرّاً ، وهو ثابت بن العمىث الفهميّ ، ومعه عمرو بن براق الفهميّ على بجيلة ، فأطردا لهم نَعَمًا ، ونذرت بهما بجيلة ، فخرجت في آثارها ومضيا هارِبَيْن في جبال السّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فأدخلوا لهما في قصبة العين ، رجلاً وجاءا ، وقد بلغ العطش منهما ، إلى العين ، فلماً وقفا عليها قال تأبط شرّاً لابن براق : أقلّ من الشراب فإنها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره ، إني لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال تحت قدميّ . وكان من أسمع العرب وأكيدهم . فقال له ابنُ براق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تأبط شرّاً : والله ما وجبَ قطّ ، ولا كان وجاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال : والذي أعدو بطيره ، إني لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال ، فقال له ابنُ براق : فأنا أنزل قلبك ، فنزل فبرك وشرب وكان أكلّ القوم عند بجيلة شوكة⁴ ، فتركوه وهم في الظلمة ، ونزل ثابت ، فلماً توسّط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ براق قريب منهم لا يطمعون فيه إِمّا يعلّمون من عدوّه ، فقال لهم ثابت : إنّه من أصلّف الناس وأشدّهم عجباً بعدوّه ، وسأقول

1 رِفلة : سميّة .

2 الخيزلي : نوع من المشي . وفي الديوان 199 : هرولة .

3 الثلة : جماعة الغنم . وقبلة : مأخوذة من القبل بمعنى الحول .

4 أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة .

له : استأسرُ معي ، فسيدعوه عُجبه بعدوه إلى أن يَعدُو من بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالرَّيح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يَكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنّي أُحبّ أن يصير في أيديكم كما صيرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونُصحي له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تَأبَّطُ شراً : أنت أخي في الشدّة والرّخاء ، وقد وعدني القوم أن يَمُنّوا عليك وعليّ ، فاستأسرُ ، وواسني بنفسك في الشدّة ، كما كنتَ أخي في الرّخاء ، فضحك ابنُ بَرّاق ، وعلم أنّه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيسْتَأثر من عنده هذا العدُو ؟ ثم عدا فعدا أولَ طَلَق مثل الريح الهابّة كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يَكبو ويَعثر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلمّا أن نَفَسَهم عنه شيئاً عدا تَأبَّطُ شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ بَرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً ، فقال تَأبَّطُ شراً قصيدته القافية في ذلك ، وذكرها ابن أبي سعد في [من البسيط] :
الخبر إلى آخرها :

يا عيدُ ما لك من شوقٍ وإبراقٍ	ومرّ طيفٍ على الأهوالِ طرّاقٍ
يسرى على الأئين والحياتِ محتفياً	نفسى فداؤك من سارٍ على ساقٍ ¹
طيف ابنة الحرّ إذ كنّا نواصلها	ثم اجتنبتُ بها من بعد تفراقٍ ²
لتقرعنّ عليّ السنّ من ندمٍ	إذا تذكّرت يوماً بعضَ أخلاقي
تالله آمنُ أنثى بعدما خلّفتُ	أسماء بالله من عهدٍ وميثاقٍ
مزوجة الدود بينا واصلتُ صرمتُ	الأولُ اللذّ مضى والآخِر الباقي
فالأولُ اللذّ مضى قال مودّتها	واللذّ منها هُذا غير إحقاقٍ ³
تُعطيك وعداً أمانيّ تغرّ به	كالقطرِ مرّ على صخبانِ برّاقٍ ⁴
إنّي إذا خلّة ضنّنتُ بنائلها	وأمسكتُ بضعيف الحبلِ أحذاقٍ ⁵
نجوتُ منها نجائي من بجيلةٍ إذ	ألقيتُ للقوم يوم الرّوع أرواقٍ ⁶

1 الأئين : الحية أو الذكر من الحيات . ومحتفياً : حافياً .

2 بعد تفراق في الديوان 127 : بعد التفراق .

3 اللذّ : بمعنى الذي . والهذاء : الهذيان .

4 الصخبان : الشديد الصخب وفي الديوان 128 : ضجنان وهو جبل بناحية مكّة .

5 جبل أحذاق : قطع وفي المفضليات 28 : ضعيف الرّصل .

6 ألقى أرواقه : أسرع في عدوه وفي المفضليات 28 : ألقى ليلة حبّ الرّهط ، وفي الديوان أيضاً 129 .

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها .

وأما المفضل الضبيّ فذكر أنّ تأبط شرّاً وعمرو بن براق والشنفرى ، وغيره يجعل مكان الشنفرى السليك بن السلّكة ، غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة ، وثاروا إليهم فأسروا عمراً ، وكثفوه ، وأفلتهم الآخرين عدوّاً ، فلم يقدروا عليهما ، فلما علما أنّ ابن براق قد أسير قال تأبط شرّاً لصاحبه : امض فكن قريباً من عمرو ، فإنني سأترأى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحلّ كتافه وأنجوا ، ففعل ما أمره به ، وأقبل تأبط شرّاً ، حتى ترأى لبجيلة ، فلما رأوه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يطمعهم في نفسه ، ويعدو عدوّاً خفيفاً يُقرب فيه ، ويسألهم تخفيف الفدية¹ وإعطاءه الأمان ، حتى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ، ويطلبونه وهو يُحضر إحضاراً خفيفاً ، ولا يتباعد ، حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيّه ، فإذا هما قد نجوا ، ففطنت لهما بجيلة ، فألحقتهما طلباً ففاتاهم ، فقال : يا معشر بجيلة أَعْجَبَكُمُ عَدُوُّ ابْنِ بَرَّاقِ الْيَوْمَ ، وَاللَّهِ لَأَعْدُونَ لَكُمْ عَدُوّاً تُنْسِيكُمْ بِهِ عَدُوّه ، ثم عدا عدوّاً شديداً ، ومضى وذلك قوله :

يا عَيْدُ ما لَكَ مِنْ شَوْقٍ وإِبراقِ

وأما الأصمعيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمّه : أنّ بجيلة أمهلتهم حتّى وردوا الماء وشربوا وناموا ، ثم شدّوا عليهم ، فأخذوا تأبط شرّاً ، فقال لهم : إنّ ابن براق دلائني في هذا ، وإنّه لا يقدر على العدوّ لعقر في رجله ، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكثفوا تأبط شرّاً ، ومضوا في أثر ابن براق ، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا أبو سعيد السكريّ قال : حدّثنا ابن الأثرم ، عن أبيه . وحدّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عمرو ، قال : كان تأبط شرّاً يعدّو على رجله ، وكان فاتكاً شديداً ، فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحي بطن ، فلقيته الغول فما زال يُقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه ، قال : والغول : سُبُعٌ من سباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهي تطلبه ، وتلمس غيرة منه ، فلا تقدّر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبط شرّاً :

أَلا مَنْ مَبْلَغُ فِتْيَانٍ فَهَمٌّ بما لاقيتُ عند رَحَى بَطانِ

بأنِّي قد لقيت الغولَ تهوي
فقلت لها : كلانا نضو أين
فشدت شدةً نحوي فأهوى
فأضربها بلا دهشٍ فخرت
فقلت عُذْ ، فقلتُ لها : رويداً
فلم أنفك متكماً عليها
إذا عينان في رأسٍ قبيح
وساقا مُخدجٍ وشواة كلب
بسهبٍ كالصحيفة صحصحان
أخو سقرٍ فخلني لي مكاني
لها كفي بمصقولٍ يمانِي
صريعاً لليدين وللجِرانِ
مكانك إنني ثبْتُ الجنانِ
لأنظرَ مُصبحاً ماذا أتاني
كرأسِ الهرِّ مشقوق اللسانِ
وثوبٌ من عباءٍ أو شينانِ

[يفرّ من أعدائه]

قالوا : وكان من حديثه أنّه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يغترّهم ، فيصيب حاجته ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلاً ، ثن استاق غنماً كثيرة ، فنذروا به ، فتبعه بعضهم على خيل ، وبعضهم رجالة ، وهم كثير ، فلما رآهم ، وكان من أبصر الناس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارقونا اليوم حتى يُقاتلونا أو يُظفروا بحاجتهم ، فجعل صاحبه ينظر ، فيقول : ما أتيتني أحداً ، حتى إذ دهموها قال لصاحبه : اشتدّ فإنني سأمنعك ما دام في يدي سهم ، فاشتدّ الرجل ، ولقيهم تائبط شراً ، وجعل يرميهم حتى نفدت نبله ، ثم إنّه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدّه ، فقتل صاحبه ، وهو ابن عمّ لزوجته ، فلما رجع تائبط شراً وليس صاحبه معه عرفوا أنّه قد قُتل ، فقالت له امرأته : تركت صاحبك وجئت متباطلاً ، فقال تائبط شراً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكما عرسي منيعةً ضُمَّنت
تقول : تركت صاحباً لك ضائعاً
إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة
وما كنتُ أباءً على الخِلِّ إذ دعا
وكري إذا أكرهتُ رهطاً وأهله
من اللهٍ إثمًا مُستسيراً وعالنا
وجئت إلينا فارقاً متباطلاً¹
أو اثنتين مثليتنا فلا أبنتُ آمنا
ولا المرء يدعوني مُمرّاً مُداهنا²
وأرضاً يكون العوصُ فيها عُجاهنا³

1 فارقاً متباطلاً : فارقه وجئت متخفياً .

2 إمرار الخيل : إحكام فتله . والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه .

3 رهط : اسم موضع . والعوص : اسم قبيلة . والعجاهن : من معانيه القنفذ .

ولما سمعت العوصَ تدعو تنفّرت
عصافيرُ رأسي من غُوةٍ فرأتنا¹
ولم أنتظر أن يدهموني كأنّهم
ورائي نحل في الخلية واكنا²
ولا أن تُصيب النّافذاتُ مقاتلي
ولم أك بالشّدّ الذليق مُداينا³
فأرسلتُ مثنيّاً عن الشّدّ واهناً
وقلتُ ترحزُ لا تكوننّ حائناً⁴
فأدبرت لا ينجو نجائي نقنق
يادر فرخيه سيمالاً وراجنا⁵
من الحصّ هزروفٍ يطير عفاؤه
إذا استدرج الفيّفا ومدّ المغابنا⁶
أزجُ زلوجُ هذرني زفافز⁷
هزفُ بيدُ النّاجيات الصّوافنا⁷
فرحزحت عنهم أو تجئني مينيّتي
بغبراء أو عرفاء تَقري الدّفائنا⁸
كأنّي أراها الموت لا درّ درّها
إذا أمكنتُ أنيابها والبرائنا
وقالت لأخرى خلفها وبناتها
حتوف تُنقي مخّ من كان واهنا
أخاليجُ ورّادٍ على ذي محافل
إذا نزعوا مدّوا الدّلاء الشّواطنا⁹

وقال غيره : بل خرج تأبطُ شرّاً هو وصاحبان له ، حتى أغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعماً لهم ، واتبعتهم العوص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة ، فلما رأى تأبطُ شرّاً ألا طاقة لهم بهم شمرّ وتركهما ، فقتل صاحبه ، وأخذت النعم ، وأفلتت ، حتى أتى بني القين من فهم ، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها ، فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته ، فجاء إليهم وهم يكون ، فقالت له امرأته : لعنك الله

- 1 تنفرت عصافير رأسي : كناية عن الغضب والثورة . غوة في ل : بواء ؛ وفي الديوان 214 : بوى فغوا بنا . والفراتن : جمع فرتنى وهي المرأة الزانية أو الأمة .
- 2 وكن الطائر : دخل عشه .
- 3 الشد الذليق : الحديد الماضي .
- 4 الشطر الأول في الديوان 215 : فأرسلت منبياً من الشّدّ والها . حائن : هالك .
- 5 السمال : ماء في الحوض وفيه دود . راجنا : ماء مختلطاً .
- 6 الحصّ : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . يطير عفاؤه في ل : كأن عفاه . المغابن : بواطن الأنفخذ .
- 7 أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفي : كثير الحركة . زفافز : جمع زفرف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر ، وفي ل : وقارب . الناجيات : الجياد السريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم .
- 8 غبراء : اسم أنثى الذئب . وعرفاء : اسم الضيع .
- 9 أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ذو المحافل : البئر . والشوطن : الجبال .

تركت صاحبيك وجئت مُدَّهنًا . وإنَّما قال هذه القصيدة في هذا الشأن ، وقال تَابَّطُ
شراً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً : [من الطويل]

أبعد قتيل العوص آسى على فتى	وصاحبه أو يأمل الزاد طارق ؟
أطرد فهما آخر الليل أبغي	غلالة يوم أن تعوق العوائق ¹
لعمرو فتى نلتهم كأن رداءه	على سرحية من سرح دومة سامق ²
لأطرد نهياً أو نرود بفتية	بأيمانهم سمر القنا والعقائق ³
مساعة شعث كأن عيونهم	حريق الغضا تلقى عليها الشقائق ⁴
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا	قتيل أناس أو فتاة تعانق

[تعرض لمحاولة قتله بالسم]

قال الأثرم : قال أبو عمرو في هذه الرواية : وخرج تَابَّطُ شراً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط ، فنزل على الأحل بن قنصل ، رجُل من بجيله ، وكان بينهما حِلْف ، فأنزلهم ورَحَّبَ بهم ، ثم إنَّه ابتغى لهم الذرايح⁵ ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تَابَّطُ شراً ، فقام إلى أصحابه ، فقال : إني أحبُّ ألاَّ يعلم أنا قد فطنا له ، ولكن سأبؤه حتى نحلف ألاَّ نأكل من طعامه ، ثم أغتره فأقتله لأنَّه إن علم حذرني ، وقد كان مالاً ابن قنصل رجل منهم يقال له لُكَيْزٌ قتلت فهم أخاه ، فاعتلَّ عليه وعلى أصحابه فسبَّوه وحلفوا ألاَّ يذوقوا من طعامه ولا من شرايه ، ثم خرج في وجهه ، وأخذ في بطن وادٍ فيه التَّمور ، وهي لا يكاد يسلم منها⁶ أحد ، والعرب تسمي النمر ذا اللونين ، وبعضهم يسميه السَّبَّتي ، فنزل في بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيدوا ، فهذا الوادي كثير الأروى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرأ وحده ، وغزا هذيلاً فغَنِمَ وأصاب ، فقال تَابَّطُ شراً في ذلك : [من الطويل]

أقسمت لا أنسى وإن طال عيشنا	صنيع لُكَيْزٍ والأحل بن قنصل
نزلنا به يوماً فساء صباحنا	فإنك عمري قد ترى أيَّ منزل

1 طرد القوم : أتاها ، وفي ل : أطرد نهياً .

2 لعمرو في ل : لنعم . السرحية : الشجرة . دومة : مكان . سامق : طويل ، وسامق في الديوان شائق .

3 نرود في ل : أرؤي ، وفي الديوان 123 : نزور . العقائق : جمع عقيقة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، وفي ل : العقائق .

4 مساعة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر .

5 الذرايح : جمع ذراح كزناز : دوية حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السَّموم .

6 ل : عليها .

بَكَى إِذ رَأَى نَازِلِينَ بِيَابِهِ وَكَيْفَ بُكَاءُ ذِي الْقَلِيلِ الْمُعْتَلِ¹
فَلَا وَأَيْكَ مَا نَزَلْنَا بِحَاتِمٍ وَلَا عَامِرٍ وَلَا الرَّئِيسِ ابْنَ قَوْفَلٍ²
عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو بَرَاءٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَابْنُ قَوْفَلٍ³ مَالِكُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
أَحَدُ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ .

وَلَا بِالْثَّلِيلِ رَبِّ مَرْوَانَ قَاعِدًا بِأَحْسَنِ عَيْشٍ وَالنَّفَاسِيِّ نَوْفَلَ
رَبِّ مَرْوَانَ : جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي . وَنَوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ صَخْرٍ بْنِ يَعْمَرَ
أَحَدُ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ .

وَلَا ابْنَ وَهَيْبٍ كَاسِبِ الْحَمْدِ وَالْعُلَا
وَلَا ابْنَ حُلَيْسٍ قَاعِدًا فِي لِقَاحِهِ
وَلَا ابْنَ رِيَّاحٍ بِالزُّلْفَيَاتِ دَارُهُ
أُولَئِكَ أُعْطِيَ لِلْوَلَدِ خِلْفَةً
وَلَا ابْنَ ضُبَيْعٍ وَسَطَ آلِ الْمُخَيْلِ
وَلَا ابْنَ جُزَيٍّْ وَسَطَ آلِ الْمُغْفَلِ⁴
رِيَّاحُ بْنُ سَعْدٍ لَا رِيَّاحُ بْنُ مَعْقِلٍ
وَأُدْعَى إِلَى شَحْمِ السَّدِيدِ الْمُرْعَبِلِ⁵

[يَتَّخِذُ مِنَ الْعَسَلِ مَزْلَقًا عَلَى الْجَبَلِ فَيَنْجُو مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ]

وَقَالَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ : كَانَ تَابُطٌ شَرًّا يَشْتَارُ عَسَلًا فِي غَارٍ مِنْ بِلَادِ هَذِيلَ ، يَأْتِيهِ كُلَّ
عَامٍ ، وَأَنْ هَذِيلًا ذَكَرْتَهُ ، فَرَصَدُوهُ لِابْنَانِ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ أَصْحَابُهُ تَدَلَّى ، فَدَخَلَ الْغَارَ ،
وَقَدْ أَغَارُوا عَلَيْهِمْ فَأَنْفَرُوهُمْ ، فَسَبَقُوهُمْ وَوَقَفُوا عَلَى الْغَارِ ، فَحَرَكُوا الْحَبْلَ ، فَأُطْلِعَ تَابُطٌ شَرًّا
رَأْسَهُ ، فَقَالُوا : اصْعَدْ ، فَقَالَ : أَلَا أَرَأَيْكُمْ ، قَالُوا : بَلَى قَدْ رَأَيْنَا . فَقَالَ : فَعَلَامَ أَصْعَدَ ، أَعْلَى
الطَّلَاقَةِ أَمْ الْفِدَاءِ ؟ قَالُوا : لَا شَرَطَ لَكَ ، قَالَ : فَأَرَأَيْتُمْ قَاتِلِيَّ وَأَكْلِي جَنَائِي ، لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، قَالَ :
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ نَقَبَ فِي الْغَارِ نَقْبًا أَعَدَّهُ لِلْهَرَبِ ، فَجَعَلَ يُسِيلُ الْعَسَلَ مِنَ الْغَارِ وَيُهِرِّقُهُ ، ثُمَّ عَمِدَ
إِلَى الزَّقِّ فَشَدَّهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ لَصَقَ بِالْعَسَلِ فَلَمْ يَبْرَحْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ سَلِيمًا وَفَاتَهُمْ ، وَبَيْنَ
مَوَاضِعِهِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ وَبَيْنَ الْقَوْمِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَ ، فَقَالَ تَابُطٌ شَرًّا فِي ذَلِكَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
أَقُولُ لِلْحَيَانِ وَقَدْ صَفِيرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيَّقَ الْحَجَرُ مُعَوَّرًا⁶

1 الْمُعْتَلُ : ذُو الْعِيَالِ .

2 قَوْفَلُ فِي ل : نَوْفَلُ .

3 قَوْفَلُ : أَبُو بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ .

4 اللَّقَاحُ : التَّوَقُّعُ الْحَوَامِلِ .

5 السَّدِيدُ : لَحْمُ السَّنَامِ . وَالْمُرْعَبِلُ : الْمَقْطُوعُ .

6 صَفِيرَتْ : خَلَّتْ . وَالْوَطَابُ : جَمْعُ وَطْبٍ ؛ وَهُوَ سَقَاءٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْجِلْدِ . وَمُعَوَّرُ أَيِّ بَيْنَ الْعُورِ . وَالْحَجَرُ :
النَّاحِيَةُ .

هما خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ¹ وإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ¹
 وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنَّهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِنْ ظَفِيرَتْ وَمَصْدَرُ²
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَرَلٌ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُوٌّ صَلَبٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ³
 فَيَخَالِطُ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزِيَانُ يَنْظُرُ⁴
 فَابْتُتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كُنْتُ آتِبًا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارِقْتُهَا وَهِيَ تَصْفُرُ⁴
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَلُ وَقَدْ جَدَّ جِدَّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدِيرُ⁵
 وَلَكِنْ أَخُو الْحَزَمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْحَزَمِ مُبِيرُ⁵
 فَذَلِكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا كَانَ حَوْلًا إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَخَرٌ جَاشَ مَنَخَرُ⁵
 فَإِنَّكَ لَوْ قَايَسْتَ بِاللَّصْبِ حِيلَتِي بَلْقَمَانٍ لَمْ يَقْصِرْ بِي الدَّهْرُ مُقْصِرُ⁵

[غارة يتنصر فيها على العوص]

وقال أيضاً في حديث تَابَّطُ شَرًّا : إِنَّهُ خَرَجَ فِي عِدَّةٍ مِنْ فَهْمٍ ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ
 الْأَخْنَسِ ، وَالشَّنْفَرِيُّ ، وَالْمُسَيَّبُ ، وَعَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ خَلِيفٍ ، حَتَّى يَبْتَئُوا
 الْعَوْصَ وَهُمْ حَيٌّ مِنْ بَجِيلَةٍ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَفَرًا ، وَأَخَذُوا لَهُمْ إِبِلًا ، فَسَاقَوْهَا حَتَّى كَانُوا مِنْ
 بِلَادِهِمْ عَلَى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَاعْتَرَضَتْ لَهُمْ خَثْعَمٌ وَفِيهِمْ ابْنُ حَاجِزٍ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ
 يَوْمَئِذٍ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ صَعَالِيكَ فَهَمُّ قَالُوا لِعَامِرِ بْنِ الْأَخْنَسِ : مَاذَا
 تَرَى ؟ قَالَ : لَا أَرَى لَكُمْ إِلَّا صَدَقَ الضَّرْبُ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ فَذَلِكَ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ كُنْتُمْ قَدْ
 أَخَذْتُمْ ثَأْرَكُمْ ، قَالَ تَابَّطُ شَرًّا : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَنَعَمْ رَئِيسُ الْقَوْمِ أَنْتَ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ ،
 وَإِذَا كَانَ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَكُمْ عَلَى هَذَا فَإِنِّي أَرَى لَكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ حِمْلَةً وَاحِدَةً فَإِنَّكُمْ
 قَلِيلٌ وَالْقَوْمُ كَثِيرٌ ، وَمَتَى افْتَرَقْتُمْ كَثُرَ الْقَوْمُ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي حِمْلَتِهِمْ ،
 فَحَمَلُوا ثَانِيَةً فَانْهَزَمَتْ خَثْعَمٌ وَتَفَرَّقَتْ ، وَأَقْبَلَ ابْنُ حَاجِزٍ فَاسْتَدَّ فِي الْجَبَلِ فَأَعْجَزَ ، فَقَالَ
 تَابَّطُ شَرًّا فِي ذَلِكَ :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانًا عَلَى الْعَوْصِ أَمْطَرَتْ سَمَاوُهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالْدَّمِ

- 1 في الديوان 89 : لكم خصلة إمّا فداء ومِنَّة . بالحر في الديوان 89 : المرء .
- 2 أصادي النفس عنها : أي أحدثها بها . لمورد في ل : لفرصة . وفي الديوان 141 : لخطّة حزم إن فعلت .
- 3 زَلْ : انزلق . والجَوْجُوْ : عظام الصدر .
- 4 وهي تصفر : كناية عن الندم .
- 5 اللصْب : الشعب في الجبل . لقمان : صاحب قصة النسور المشهورة ، وفي ل وفي الديوان 88 : لحيان .

وقد لاح ضوء الفجر عَرَضاً كأنه
فإن شفاء الداء إدراك ذُخْلة
وضاربتهم بالسفع إذ عارضتهم
ضرباً عدا منه ابنُ حاجرَ فارْتقى
وقال الشنفرى في ذلك :

دعيني وقولي بعد ما شئتُ إنني
خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا
سراحين فتيان كان وجوههم
نمر برهو الماء صفحاً وقد طوت
ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا
فثاروا إلينا في السواد فهجّجوا
فشنّ عليهم هزة السيف ثابت
وظلّت بفتيان معي أتقيهم
وقد خرّ منهم راجلان وفارس
يشقّ إليه كل رُبع وقلعة
فلما رانا قوما قيل أفلحوا

سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً فَاغْيَبْ
ثمانية ما بعدها مُتَعَبْ
مصايح أو لون من الماء مذهب
ثمائلنا والزاد ظنّ مُغَيَّبْ⁵
على العوص شعثاع من القوم مخرب⁶
وصوت فينا بالصباح المثوب⁷
وصمم فيهم بالحسام المسيب
بهنّ قليلاً ساعة ثم جنبوا⁸
كمي صرعناه وخوم مسلّب⁹
ثمانية والقوم رَجُلٌ ومِقْنَبْ¹⁰
فقلنا : اسألوا عن قائلٍ لا يكذب

- 1 أقرب المهر : دنا وفي الديوان 208 أقارب أي الخواصر . والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود .
- 2 الذخلة : الثأر . الحوم : الجماعة . والعرمم : الكثير .
- 3 قسر وخثعم : قبيلتان .
- 4 الوجين : شط الوادي . المديم : الممطور وفي الديوان 208 : خذر الرجل يدل : جوف الوجين .
- 5 رهواً : يسير سيراً هيناً . والتمائل : جمع ثميلة ، وهي الحب أو السويق أو التمر .
- 6 الشعشاع : الطويل . والمهرب : المدرّب على الحرب .
- 7 الهججة : صياح الجيش عند القتال . وثوب : رجع .
- 8 جنبوا : انكشفوا .
- 9 حوم : جمع . ومسلّب : عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح .
- 10 يشقّ إليه في الطرائف الأدبية وديوان الشنفرى 32 : يُشَنُّ إليه . ورجل : جمع راجل . والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين .

وقال تَابَّطَ شَرًّا فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

أَرَى قَدَمَيَّ وَقَعَهُمَا خَفِيفٌ كَتَحْلِيلِ الظَّلِيمِ حَدَا رِثَالَهُ¹
أَرَى بِهِمَا عَذَاباً كُلَّ يَوْمٍ بِخَنْعَمٍ أَوْ بَجِيلَةٍ أَوْ ثُمَالَهُ²

فَفَرَّقَ تَابَّطَ شَرًّا أَصْحَابَهُ ، وَلَمْ يَزَالُوا يِقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى انْهَزَمَتْ خَنْعَمٌ ، وَسَاقَ تَابَّطَ شَرًّا وَأَصْحَابُهُ الْإِبِلَ حَتَّى قَدَمَ بِهَا عُثْلِيَا مَكَّةَ .

[عود إلى سبب تسميته]

وقال غيره : إِنَّمَا سَمِّيَ تَابَّطَ شَرًّا بَبَيْتِ قَالِهِ ، وَهُوَ : [من الطويل]

تَابَّطَ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يُوَأَمُّ غُنْمًا أَوْ يَشِيفُ عَلَى ذَحَلٍ

[غارته على مراد]

قال : وَخَرَجَ تَابَّطَ شَرًّا يَوْمًا يَرِيدُ الْغَارَةَ ، فَلَقِيَ سَرْحًا لِمَرَادٍ فَاطْرَدَهُ ، وَنَذَرَتْ بِهِ مَرَادٌ ، فَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِ ، فَسَبَقَهُمْ إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

إِذَا لَاقَيْتَ يَوْمَ الصَّدَقِ فَارْبِعَ عَلَيْهِ وَلَا يَهْمُكَ يَوْمٌ سَوٌّ
عَلَى أَنِّي بِسَرْحِ بَنِي مَرَادٍ شَجَوْنَهُمْ سِياقًا أَيْ شَجَوِ
وَأَخْرَ مِثْلَهُ لَا عَيْبَ فِيهِ بَصَرْتُ بِهِ لِيَوْمٍ غَيْرِ زَوْ³
خَفَضْتُ بِسَاحَةِ تَجْرِي عَلَيْنَا أَبَارِيقَ الْكِرَامَةِ يَوْمَ لَهْوٍ⁴

[مع غلام من خنعم]

أَغَارَ تَابَّطَ شَرًّا وَحْدَهُ عَلَى خَنْعَمٍ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ مَرَّ بِغُلَامٍ يَتَصَيَّدُ الْأَرَانِبَ ، مَعَهُ قَوْسُهُ وَنَبْلُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَابَّطَ شَرًّا أَهْوَى لِأَخْذِهِ ، فَرَمَاهُ الْغُلَامُ فَأَصَابَ يَدَهُ الْيَسْرَى وَضَرَبَهُ تَابَّطَ شَرًّا فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

وَكَادَتْ وَيْتَرِ اللَّهُ أَطْنَابَ ثَابِتٍ تَقَوَّضُ عَنْ لَيْلٍ وَتَبْكِي النَّوَائِحُ
تَمَنَّى فَنَى مَنَا يَلَاقِي وَلَمْ يَكْدِ غُلَامٌ نَمَتَهُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّرَائِحُ⁵

1 التحليل : ضرب من المشي . والرأل : ولد النعامة . وفي البيتين في الديوان 198 رأى بدل أرى ودعا بدل حدا .

2 خنعم وبجيلة وثمانية : قبائل . وكل عام في الديوان 198 بدل كل يوم .

3 الزو : القرينان .

4 الكرامة : غطاء رأس الحب .

5 الصرائح : الخالصات النسب .

غلام نَمى فوق الخماسي قدره ودون الذي قد تَرْتَجِيهِ النَّوَاحُ¹
فإن تكُ نالتَه خطاطيف كَفّه بأبيض قصّال نَمى وهو فادِحُ²
فقد شد في إحدى يديه كِنانَه يُداوى لها في أسود القلب قَادِحُ³

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرّاً .

[قالوا لها لا تنكحيه]

قال : وخطب تأبط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل غدأ يُقَدِّد فقال تأبط شرّاً :

[من الطويل]

وقالوا لها : لا تنكحيه فإنّه لأوّل نَصْل أن يُلاقِي مَجْمَعَا
فلم تَرَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرت تأيّمها من لابس الليل أَرْوَعا⁴
قليل غرارِ النوم أكبرُ همّه دَمُ الثَّارِ أو يلقى كَمِيّاً مُقْنَعَا⁵
قليل ادّخارِ الزَّادِ إلّا تَعَلَّه وقد نَشَرَ الشُّرُوفُ والتصق المِيعَى⁶
تُناضِلُه كلُّ يشجّع نفسه وما طُبّه في طَرَفِه أن يُشجَّعا
يبيت بمغنى الوحش حتى أَلْفَنه ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
رأين فتى لا صَيْدٌ وحش يهّمه فلو صافحت إنساً لصافحَنه معا
ولكنّ أربابَ المخاض يشقّهم إذا افتقدوه أو رأوه مُشَيَّعا⁷
وإني ، ولا عِلْمٌ ، لأَعْلَمُ أنّني سألقي سِنانَ الموت يرشُقُ أضلعا⁸
على غِرّة أو جَهْرَةٍ من مُكاثِرٍ أطال يزالَ الموت حتى تَسْعَسَعَا⁹

تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشَّهْرُ ، ومنه حديثُ عُمَرُ رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال : «إنّ هذا الشهر قد تَسْعَسَعَ» .

1 الخماسي : الغلام طوله خمسة أشبار .

2 الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة الحجّاء . والقصّال : السيف القاطع .

3 الكنانة : جعبة السهام .

4 الفتيل : الخيط في شق النواة . ولباس الليل : كثير الغارات ليلاً . وأروع : ذكي الفؤاد .

5 غرار النوم : النوم الخفيف .

6 الشرسوف : الطرف اللين من الضلع ممّا يلي البطن .

7 يشقّهم : يؤزّقهم .

8 يرشق أضلعا : كناية عن الموت .

9 مكاثِر : كثير الغارات .

وكنْتُ أَظُنُّ الموتَ في الحَيِّ أو أرى أَلَدَّ وأَكْرَى أو أُمُوتَ مُقْنَعاً¹
ولستُ أَيْتُ الدَّهْرَ إلَّا على فتي أَسْلُبُهُ أو أَذْعِرُ السَّيْرَبَ أَجْمَعَا
ومَنْ يَضْرِبُ الأَبْطَالَ لا بَدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَضْرَعِ الموتِ مَضْرَعَا

[فراره بعد أن خلف صاحبيه]

قال : وخرج تَأَبَّطُ شَرًّا ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أخو المسيَّب ، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذروا بهم ، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطَّرِيق ، فقاتلوهم فَقَتِلَ صاحباً تَأَبَّطُ شَرًّا ونجاً ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح : هَرَبْتَ عن أخي وتركته وغررته ، أما والله لو كنت كريماً لما أَسْلَمْتَهُ ، فقال تَأَبَّطُ شَرًّا في ذلك :

أَلَا تِلْكَمَا عَرْسِي مَنِيعَةٌ ضُمِنَتْ من الله خِزْيَا مُسْتَسِيرَا وعاهنا
وذكر باقي الأبيات .

وإنما دعا امرأته إلى أَنْ غَيَّرْتَهُ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها ، وهي من بني القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلَمَّا أَصْبَحَ غداً إلى امرأته وهو مُدَّهَنٌ مُتَرْجَلٌ ، فلَمَّا رَأَتْهُ في تلك الحال علمت أن بات ، فغارت عليه فغيَّرتَه .
[بغير على خنعم]

وذكروا أَنَّ تَأَبَّطُ شَرًّا أَغار على خنعم ، فقال كاهن لهم : أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفأوا على أثره جَفَنَةً ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلَمَّا رَأَى أثره قال : هذا ما لا يجوز في صاحبه الأُخْذُ ، فقال تَأَبَّطُ شَرًّا :

أَلَا أَبْلُغُ بني فَهْمٍ بن عمرو على طولِ التَّنَائِي والمَقَالَةِ
مَقَالَ الكاهن الجَامِي لَمَّا رَأَى أَثْرِي وقد أَتَيْتُ مَالَةً
رَأَى قَدَمَيَّ وَقَعُهُمَا حَيْثُ كَتَحْلِيلِ الظَّالِمِ دَعَا رِثَالَةً
أَرَى بِهِمَا عَذَاباً كُلَّ عامٍ لَخْنَعَمَ أو بِجِيلَةٍ أو ثُمَالَةً
وشرُّ كان صُبًّا على هذيل إِذَا عَلِقَتْ حِيَالَهُمْ حِيَالَةً
ويَوْمُ الأزد منهم شرُّ يومٍ إِذَا بَعُدُوا فَقَدْ صَدَّقْتُ قَالَةً

1 أكرى : أزيد . المقنع : مَنْ يلبس البيضة على رأسه .

فزعوا أنّ ناساً من الأزديّين لتأبط شرّاً ريعة¹ وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيكم ، فلما دنا من القوم توجّس ، ثم انصرف ، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رآوه لا يجوز ، ومرّ قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال : تأبط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

تَتَعَتُّ حِضْنِي حَاجِزٌ وَصَحَابِي	وَقَدْ نَبَذُوا خُلُقَانَهُمْ وَتَشَنَّعُوا ²
أُظُنُّ وَإِنْ صَادَفْتُ وَعَثًّا وَأَنْ جَرَى	بِي السَّهْلُ أَوْ مَتْنٌ مِنَ الْأَرْضِ مَهْمُوعٌ
أُجَارِي ظِلَالَ الطَّيْرِ لَوْ فَاتَ وَاحِدٌ	وَلَوْ صَدَقُوا قَالُوا لَهُ هُوَ أَسْرَعُ
فَلَوْ كَانَ مِنْ فَيَّانٍ قَيْسٍ وَخِنْذِفٍ	أَطَافَ بِهِ الْقَنَاصُ مِنْ حَيْثُ أَفْرَعُوا
وَجَابَ بِلَاداً نِصْفَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ	لَا بَإِلَيْهِمْ وَهُوَ أَشْوَسُ أَرْوَعُ ³
فَلَوْ كَانَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ لَكُفَيْتُهُ	وَمَا ارْتَجَعُوا لَوْ كَانَ فِي الْقَوْمِ مَطْمَعُ

فأجابه حاجز :

فَإِنْ تَكُ جَارَيْتَ الظَّلَالَ فَرَبَّمَا	سُبِقَتْ وَيَوْمُ الْقِرْنِ عُريَانُ أَسْنَعُ ⁴
وَحَلَيْتَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ كَأَنَّهُمْ	ذَبَائِحُ عَنَزٍ أَوْ فَجِيلٌ مُصْرَعُ ⁵
تَبَكُّيَهُمْ شَجَوُ الْحَمَامَةِ بَعْدَمَا	أَرَحْتَ وَلَمْ تُرْفَعْ لَهُمْ مِنْكَ إَصْبَعُ
فَهَذِي ثَلَاثٌ قَدْ حَوَيْتَ نَجَاتَهَا	وَإِنْ تَسْجُ أُخْرَى فَهِيَ عِنْدَكَ أَرْبَعُ

[خير أيامه]

أخبرني عمي قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ ، عَنْ ابْنِ دُأْبٍ قَالَ : سئل تأبط شرّاً : أيّ يوم مرّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بَجِيلَةَ ، أَضَاءَتْ لِي النَّارُ رَجُلًا جَالِسًا إِلَى امْرَأَةٍ . فَعَمَدْتُ إِلَى سِيفِي فَذَفَنْتُهُ قَرِيبًا ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى اسْتَأْنَسْتُ ، فَنَجَحَنِي الْكَلْبُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : بَائِسٌ . فَقَالَ : ادْنُهُ ، فَذَنُوتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ جُلُحَابِ آدَمَ⁶ ، وَإِذَا أَضْوَى⁷ النَّاسَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَشَكُوتُ إِلَيْهِ الْجَوْعَ وَالْحَاجَةَ ، فَقَالَ :

1 ربوا ريعة : أقاموا عليه جاسوساً .

2 شَنَعَ الخرقه : شعنها .

3 أشوس هنا أي ينظر بمؤخر عينه غيظاً .

4 القرن : القرنين المنافس . عريان : صحو لا غيم فيه . أسنع : أفضل .

5 الفحل : فحل الإبل إذا كان كريماً .

6 جُلُحَاب : ضخم ، آدم : أَسْمَر .

7 أضوى : الضوى دَقَّ العظم وَقَلَّ اللحم .

أَكْشِفْ تِلْكَ الْقَصْعَةَ ، فَأَتَيْتُ قَصْعَةَ إِلَى جَنْبِ إِبِلِهِ ، فَإِذَا فِيهَا تَمْرٌ وَلَبَنٌ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى شَبِعْتُ ، ثُمَّ خَرَرْتُ مُتَنَاوِمًا ، فَوَاللَّهِ مَا شَعْتُ أَنْ أَضْطَجَعَ حَتَّى اضْطَجَعَ هُوَ وَرَفَعَ رِجْلَهُ عَلَى رِجْلِهِ ثُمَّ انْدَفَعَ يُغْنِي وَهُوَ يَقُولُ :

[من الكامل]

خَيْرُ اللَّيَالِي إِنْ سَأَلْتَ بَلِيلَةَ	لَيْلُ بِخَيْمَةِ بَيْنَ يَيْشَ وَعَثْرٍ ¹
لِضْجِيعِ آنَسَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا	شَهْدُ يُشَابِ بِمَزْجَةٍ مِنْ عَنَبٍ
وَضْجِيعِ لَاهِيَةِ الْأَعْبِ مِثْلَهَا	بِيضَاءَ وَاضِحَةٍ كَظِيظِ الْمُنْتَرِ
وَلَأَنْتَ مِثْلُهُمَا وَخَيْرٌ مِنْهُمَا	بَعْدَ الرُّقَادِ وَقَبْلَ أَنْ لَمْ تُسْجِرِ

قال : ثُمَّ انْحَرَفَ فَنَامَ ، وَمَالَتْ فَنَامَتْ : فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ فِي الْغُرَّةِ ، فَإِذَا عَشْرُ عَشْرَاوَاتٍ² بَيْنَ أَثَلَاتٍ فِيهَا عَبْدٌ وَاحِدٌ وَأَمَةٌ ، فَوَثِبْتُ فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، وَانْتَحَيْتُ لِلْعَبْدِ فَقَتَلْتُهُ وَهُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ انْحَرَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَوَضَعْتُ سَيْفِي عَلَى كَبِدِهِ حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنْ صُلْبِهِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ فَخِذَ الْمَرْأَةِ فَجَلَسَتْ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ مَقْتُولًا جَرَعَتْ ، فَقُلْتُ : لَا تَخَافِي ، أَنَا خَيْرُ لَكَ مِنْهُ . قَالَ : وَقُمْتُ إِلَى جُلٍّ مَتَاعِهَا فَرَحَلْتُهُ عَلَى بَعْضِ الْإِبِلِ أَنَا وَالْأَمَةُ فَمَا حَلَلْتُ عَقْدَهُ حَتَّى نَزَلْتُ بِصَعْدَةِ بَنِي عَوْفٍ بْنِ فِهْرٍ ، وَأَعْرَسْتُ بِالْمَرْأَةِ هُنَاكَ وَحِينَ اضْطَجَعْتُ فَتَحْتُ عَقِيرَتِي وَغَنَيْتُ :

[من الكامل]

بِجَلِيلَةِ الْبَجَلِيِّ بَيْتٍ مِنْ لَيْلِهَا	بَيْنَ الْإِزَارِ وَكَشْحِهَا ثُمَّ الصَّقِ
بِأَنْسَةِ طُوبَيْتٍ عَلَى مَطْوِيَّهَا	طَيِّ الْحِمَالَةِ أَوْ كَطَيِّ الْمُنْطَقِ ³
فَإِذَا تَقُومُ فَصَعْدَةً فِي رَمْلَةٍ	لَبَدَتْ بِرَيْقٍ دِيمَةٍ لَمْ تُغْدِقِ ⁴
وَإِذَا تَجِيءُ تَجِيءُ شَحْبٍ خَلْفَهَا	كَالْأَيْمِ أَصْعَدَ فِي كَيْبٍ يَرْتَقِي ⁵
كَذَبَ الْكُؤَاهِينَ وَالسَّوَاخِرُ وَالْهَنَا	أَنْ لَا وَفَاءَ لِعَاجِزٍ لَا يَتَّقِي

قال : فَهَذَا خَيْرٌ يَوْمَ لَقَيْتُهُ .

[شرايمه]

وَشَرُّ يَوْمٍ لَقَيْتُ أَنَّنِي خَرَجْتُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي بِلَادِ ثُمَالَةَ أَطُوفُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ

1 خيمة وييش وعثر : أماكن .

2 عشراوات : جمع عشاء .

3 الحمالة : حمالة السيف ، والمنطق : ما يتمنطق به .

4 الصعدة : القناة المستوية . لبدت : تلبدت .

5 الشحب : العمود .

من الفقير¹ عشيًّا إذا أنا بسبع خِلَفَات² فيهن عَبد ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَكَأَنِّي لَا أُرِيدُهُ وَحَذَرُنِي فَجَعَلَ يُلَوِّذُ بِنَاقَةٍ فِيهَا حَمْرَاء ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَثِقُ بِهَا . فَأَفُوقُ لَهُ ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَرْجُلِهَا وَجَعَلَ يَدُورُ مَعَهَا ، فَإِذَا هُوَ عَلَى عَجْرُهَا . وَأَرَمِيهِ حِينَ أَشْرَفَ فَوَضَعْتُ سَهْمِي فِي قَلْبِهِ فَخَرَّ ، وَنَدَّتِ النَّاقَةُ شَيْئًا وَاتَّبَعْتُهَا فَرَجَعْتُ فَسَقَتُهُنَّ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ رَكِبْتُ النَّاقَةَ وَطَرَدْتُهُنَّ ، وَأَخَذْتُ بُعْثُونَ³ الْحَمْرَاءَ فَوُثِبْتُ ، فَسَاعَةَ اسْتَوَيْتُ عَلَيْهَا كَرَرْتُ نَحْوَ الْحَيِّ تَرِيحَ وَتَبَعْتُهَا الْخِلَفَات ، وَجَعَلْتُ أُسْكِنُهَا وَذَهَبْتُ ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ تَطْرَحَنِي فِي أَيْدِي الْقَوْمِ رَمَيْتُ بِنَفْسِي عَنْهَا ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلِي ، وَانْطَلَقْتُ وَالذَّوْدُ⁴ مَعَهَا . فَخَرَجْتُ أَعْرَجَ ، حَتَّى انْخَسَسْتُ فِي طَرَفِ كَثِيبٍ وَجَارِزِي الطَّلَبِ ، فَمَكَثْتُ مَكَانِي حَتَّى أَظْلَمْتُ ، وَشَبَّتْ لِي ثَلَاثَةُ أَنْوَارٍ فَإِذَا نَارٌ عَظِيمَةٌ ظَنَنْتُ أَنَّهَا أَهْلًا كَثِيرًا ، وَنَارٌ دُونَهَا ، وَنُورَةٌ صَغِيرَةٌ ، فَهَوَيْتُ لِلصُّغْرَى ، وَأَنَا أَجْمِرٌ⁵ ، فَلَمَّا نَبَحَنِي الْكَلْبُ نَادَى رَجُلٌ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : بَائِسٌ ، فَقَالَ : ادْنُهُ ، فَدَنَوْتُ وَجَلَسْتُ وَجَعَلَ يُسَائِلُنِي ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِدَ مِنْكَ رِيحَ دَمٍ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، مَا بِي دَمٌ . فَوُثِبَ إِلَيَّ فَنَفَضَنِي ، ثُمَّ نَظَرَ فِي جَعْبَتِي فَإِذَا السَّهْمُ ، فَقُلْتُ : رَمَيْتُ الْعَشِيَّةَ أَرْنَبًا فَقَالَ كَذَبْتُ ، هَذَا رِيحُ دَمِ إِنْسَانٍ ، ثُمَّ وَثَبَ إِلَيَّ وَلَا أَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ نَفْسِي فَأَوْثَقَنِي كِتَافًا ، ثُمَّ عَلَّقَ جَعْبَتِي وَقُوسِي ، وَطَرَحَنِي فِي كِسْرِ الْبَيْتِ وَنَامَ ، فَلَمَّا أَسْحَرْتُ حَرَّكَتُ رِجْلِي ، فَإِذَا هِيَ صَالِحَةٌ وَانْفَتَلَ الرِّبَاطُ فَحَلَلْتُهُ ، ثُمَّ وَثَبْتُ إِلَى قُوسِي وَجَعْبَتِي فَأَخَذْتُهُمَا ثُمَّ هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ فَقُلْتُ : أَنَا ضَمِنُ الرَّجُلَ ، وَأَنَا أَحْشَى أَنْ أُطَلَّبَ فَأَدْرَكَ وَلَمْ أَقْتُلْ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ ، فَوَلَّيْتُ وَمَضَيْتُ . فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي الصَّحْرَاءِ أَحَدْتُ نَفْسِي إِذَا أَنَا بِهِ عَلَى نَاقَةٍ يَتْبَعُنِي ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ دَنَا مِنِّي جَلَسْتُ عَلَى قُوسِي وَجَعْبَتِي وَأَمْتَهُ ، وَأَقْبَلَ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَعَهْدُهُ بِي عَهْدُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْلَكَ ، مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ فَأَقْبَلَ يَشْتُمُنِي ، حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي ، وَثَبْتُ عَلَيْهِ فَمَا أَلْبَسْتُهُ أَنْ ضَرَبْتُ بِهِ الْأَرْضَ ، وَبَرَكَتْ عَلَيْهِ أَرْبَطُهُ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ : يَا لثَمَالَةٍ ، لَمْ أَرِ كَالْيَوْمِ . فَجَنَّبْتُهُ إِلَى نَاقَتِهِ وَرَكِبْتُهَا ، فَمَا نَزَعْتُ حَتَّى أَحَلَلْتُهُ فِي الْحَيِّ ، وَقُلْتُ : [من الطويل]

1 الفقير : علم على الماء .

2 الخلفات : جمع خلفاء ، وهي الناقة الحامل .

3 البعثون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

4 الذود : جماعة الإبل .

5 يجمر : يشب كالجواد في القيد .

6 يقال جواد ضمن : أي متلكي لا يسير إلا بالضرب .

أَغْرَكَ مِنِّي يَا ابْنَ فَعْلَةَ عَلَّتِي عَشِيَّةً أَنْ رَابَتْ عَلَيَّ رَوَائِي¹
 وَمَوْقَدَ نِيرَانِ ثَلَاثٍ فَشَرُّهَا وَالْأُمُّهَا إِذْ قُدْتُهَا غَيْرَ عَازِبِ²
 سَلَبْتُ سِلَاحِي بِإِسَاءٍ وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبِ
 فَإِنَّ أَكْ لَمْ أَخْضِيكَ فِيهَا فَإِنَّهَا نُيُوبُ أَسَاوِيدَ وَشَوْلُ عَقَارِبِ³
 وَيَا رَكْبَةَ الْحَمَرَاءِ شَرَّةَ رَكْبَةٍ وَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رَكْبَةٍ رَاكِبِ⁴

قال : وخرج تَابُطٌ غَازِيًا يُرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى الْأَزْدِ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ وَحده ،
 فَنذَرَتْ بِهِ الْأَزْدَ ، فَاهْمَلُوا لَهُ إِبْلًا ، وَأَمَرُوا ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي بَأْسِهِمْ : حَاجِزَ بْنَ أَبِي ،
 وَسَوَادَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ ، وَعَوْفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنْ يَتَبِعُوهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَأْخُذُوهُ أَخْذًا ،
 فَكَمَنُوا لَهُ مَكْمَنًا ، وَأَقْبَلَ تَابُطٌ شَرًّا فَبَصُرَ بِالْإِبْلِ ، فَطَرَدَهَا بَعْضَ يَوْمِهِ . ثُمَّ تَرَكَهَا وَنَهَضَ
 فِي شَيْعٍ لِيَنْظُرَ : هَلْ يَطْلُبُهُ أَحَدٌ ؟ فَكَمَنَ الْقَوْمُ حِينَ رَأَوْهُ وَلَمْ يَرَهُمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ أَحَدًا فِي
 أَثَرِهِ عَاوَدَ الْإِبْلَ فَشَلَّهَا⁵ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ وَالْغَدَ حَتَّى أَمْسَى ، ثُمَّ عَقَلَهَا ، وَصَنَعَ طَعَامًا فَأَكَلَهُ ،
 وَالْقَوْمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي ظِلِّهِ ، ثُمَّ هَيَّأَ مُضْطَجِعًا عَلَى النَّارِ ، ثُمَّ أَحْمَدَهَا وَزَحَفَ عَلَى بَطْنِهِ
 وَمَعَهُ قَوْسُهُ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ الْإِبْلِ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، وَيَأْبَى إِلَّا
 الْحَذَرَ وَالْأَخْذَ بِالْحَزْمِ ، فَمَكَثَ سَاعَةً وَقَدْ هَيَّأَ سَهْمًا عَلَى كَبِدِ قَوْسِهِ ، فَلَمَّا أَحَسُّوا نَوْمَهُ
 أَقْبَضُوا ثَلَاثَتَهُمْ يَوْمُونَ الْمِهَادَ الَّذِي رَأَوَاهُ هَيَّأَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْمِي أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ ، وَجَالَ
 الْآخِرَانِ ، وَرَمَى آخَرَ فَقَتَلَهُ ، وَأَقْلَتَ حَاجِزٌ هَارِبًا ، وَأَخَذَ سَلْبَ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَطْلَقَ عَقْلَ
 الْإِبْلِ وَشَلَّهَا حَتَّى جَاءَ بِهَا قَوْمُهُ ، وَقَالَ تَابُطٌ فِي ذَلِكَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

تُرَجَّيْ نِسَاءَ الْأَزْدِ طَلْعَةَ ثَابِتٍ أَسِيرًا وَلَمْ يَذْرِينَ كَيْفَ حَوِيلِي⁶
 فَإِنَّ الْأُلَى أَوْصَيْتُمْ بَيْنَ هَارِبٍ طَرِيدٍ وَمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ قَبِيلِ
 وَخَدْتُ بِهِمْ حَتَّى إِذَا طَالَ وَخَدَّهُمْ وَرَابَ عَلَيْهِمْ مَضْجَعِي وَمَقِيلِي⁷

1 الروائب : جمع رائبة أي الحادثة المؤذية .

2 غير عازب : غير منصرف عنها .

3 الأساويد : الحيات . وشول العقارب : العقارب التي ترفع أذنابلها .

4 الحمراء : يشير إلى ناقة . شرّة في الديوان 63 : يا شرّ .

5 شلّ الإبل : طردها .

6 الحويل : الاحتيال والمهارة .

7 الوخذ : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم .

مَهَّدْتُ لَهُمْ حَتَّى إِذَا طَابَ رَوْعُهُمْ
فَلَمَّا أَحْسُوا النَّوْمَ جَاءُوا كَأَنَّهُمْ
فَقَلَّدْتُ سَوَّارَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ
فَخَرَّ كَانَ الْفَيْلَ أَلْقَى جِرَانَهُ
وَوَضَعَ رِجْلَهُ مِنَ الْمَتْنِ مِنْ وَقَعِ حَاجِزٍ
لَأُبَيَّ كَمَا أَبَا وَلَوْ كُنْتُ قَارِنًا
فَسَرَّكَ نَذْمَانَاكَ لَمَّا تَتَابَعَا
سَتَاتِي إِلَى فَهْمٍ غَنِيمَةٍ خُلْسَةٍ
فَقَالَ حَاجِزُ بْنُ أَبِي الْأَزْدِيِّ يُعْجِبُهُ :

[من الوافر]

سَأَلْتُ فَلَمْ تُكَلِّمْنِي الرُّسُومَ

وهي في أشعار الأزدي .

[من الوافر]

فَأَجَابَهُ تَأْبُطُ شَرًّا :

لَقَدْ قَالَ الْخَلِيُّ وَقَالَ خَلْسًا
لِطَيْفٍ مِنْ سُعَادَ عَنَّاكَ مِنْهَا
وَتَلَكَ لُثْنٌ غُيِّبَتْ بِهَا رَدَاخٌ
نِيَاقُ الْقُرْطِ غَرَاءُ الثَّنَايَا
وَلَكِنْ فَاتَ صَاحِبُ بَطْنِ رَهْوٍ
بِظَهْرِ اللَّيْلِ شَدَّ بِهِ الْعُكُومُ⁸
مُرَاعَاةَ النُّجُومِ وَمَنْ يَهِيمُ
مِنْ النِّسْوَانِ مَنْطِقُهَا رَحِيمُ⁹
وَرَيْدَاءُ الشَّبَابِ وَنَعْمَ خِيمُ¹⁰
وَصَاحِبُهُ فَأَنْتَ بِهِ زَعِيمُ

1 السَّكِيلُ : وسط الوادي .

2 الأسمر : يريد السهم . والجسر : الضخم . والقذة : ريش السهم . والطميل : العريض النصل .

3 الجران : المقدم العتق . وفي الديوان 189 : فتى شهم الفؤاد . والقواء : الأرض القفر . والأسيل : المستوي الأملس .

4 الرعاع : مَنْ لَا فؤاد له . حاجز : اسم رجل . غير في الديوان 189 سوق .

5 المقارن : حامل النبل أو السيف . والذميل : نوع من السير .

6 العوص : الشدة أو الداهية .

7 ويلة في الديوان 190 : خلة .

8 الشطر الأول في الديوان 201 : يقول لي الخلي وباتَ جَلْسًا . العكوم : ما تشدَّ به الرحال .

9 الرдах : الممتلئة الجسم .

10 نياق في الديوان 202 : نياق . وخيم : الصفات .

أَوَاخِذُ خُطَّةٍ فِيهَا سِوَاءُ أَيْتُ وَلَيْلُ وَاتَرَهَا نَوْؤُمُ¹
 ثَارَتْ بِهِ وَمَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ فَظَلَّ لَهَا بِنَا يَوْمَ عَشُومُ¹
 نَجِزُ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنْخِرُهُ رَمِيمُ²
 وَإِنْ تَقَعَ النَّسُورُ عَلَيَّ يَوْمًا فَلَحْمُ الْمُعْتَفِي لَحْمِ كَرِيمِ²
 وَذِي رَحِمٍ أَحَالَ الدَّهْرُ عَنْهُ فَلَيْسَ لَهُ لَدِي رَجِمِ حَرِيمِ³
 أَصَابَ الدَّهْرُ آمَنَ مَرْوَتِيهِ فَأَلْقَاهُ الْمَصَاحِبُ وَالْحَمِيمِ⁴
 مَدَدْتُ لَهُ يَمِينًا مِنْ جَنَاحِي لَهَا وَفَرٌّ وَكَافِيَّةٌ رَحُومِ⁵
 أَوَاسِيهِ عَلَى الْإِيَّامِ إِنِّي إِذَا قَعَدْتُ بِهِ اللَّوْمَا أَلُومُ⁵

[موت أخيه عمرو]

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المُسْتَعْلَى ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها ، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تَابِطَ شَرًّا لَمَنْ حَضَرَ مِنْ قَوْمِهِ : لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلًا لبني عُتَيْرٍ فأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كَارٌّ عَلَى الْقَوْمِ وَمُنْهَنِهِمْ عَنْكُمَا ، فَاْمُضِيَا بِالْإِبِلِ . فَكَّرَ عَلَيْهِمْ فَهَنَهُمْ طَوِيلًا ، فَجَرَحَ فِي الْقَوْمِ رَئِيسًا ، ورماه رجل من بني عُتَيْرٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، فقالت بنو عُتَيْرٍ : هذا عمرو بن جابر ، ما تَصْنَعُونَ أَنْ تَلْحَقُوا بِأَصْحَابِهِ ؟ أَبْعَدُهَا اللَّهُ مِنْ إِبِلٍ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ نَلْحَقَهُمْ فَيَقْتُلَ الْقَوْمُ مِنَّا ، فَيَكُونُوا قَدْ أَخَذُوا الثَّأْرَ ، فَرَجَعُوا وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ . وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَعَهُ أَنَاسًا كَثِيرًا ، فَقَالَ تَابِطٌ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ أَخِيهِ :

[من الوافر]

وَحَرَمْتُ النِّسَاءَ وَإِنْ أَحَلَّتْ بِشُورٍ أَوْ بِمَرْجٍ أَوْ لِصَابِ⁶
 حَيَاتِي أَوْ أَزُورُ بَنِي عُتَيْرٍ وَكَاهِلَهَا بِجَمْعِ ذِي ضَبَابِ
 إِذَا وَقَعْتَ لَكَعْبٌ أَوْ خَثِيمٍ وَسِيَارُ يَسُوعٍ لَهَا شَرَابِي⁷

1 اليوم الغشوم : الظلوم لكثرة من مات فيه .

2 المعتفي : الرائد ، أو طالب الفضل .

3 أحاله الدهر عنه : تحول عنه .

4 آمن مروتيه : يعني آمن حصنيه .

5 وكافية رحوم في الديوان 204 : وكافية رحوم .

6 وحرمت النساء في الديوان 68 : وحرمت النساء . الشور : العسل . والمرج : نوع منه أيضاً . واللصاب : شجر مرّ .

7 خثيم في الديوان 70 : قُرَيْم . في الديوان : وسيار فقد ساغ الشراب .

أُظُنِّي مَيِّئاً كَمَدّاً وَلَمَّا أُطَالِغْ طُلْعَةً أَهْلَ الْكَرَابِ¹
 وَدُمْتُ مُسَيِّراً أَهْدِي رَعِيلاً أَوْمُ سَوَادَ طَوَوْدٍ ذِي نِقَابِ²
 فَاجَابَهُ أَنَسُ بْنُ حَذِيفَةَ الْهُذَلِيِّ :
 [من الوافر]

لَعَلَّكَ أَنْ تَجِيءَ بِكَ الْمَنَايَا تُسَاقُ لِغِيثَةٍ مِّنَّا غَضَابِ
 وَتَنْزَلُ فِي مَكْرَهُمْ صَرِيحاً وَتَنْزَلُ طُرُقَةَ الضَّبْعِ السَّغَابِ³
 تَأْبِطُ سَوَاةً وَحَمَلَتْ شَرّاً لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَابِ⁴

[أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو]

ثم أَنَّ السَّمْعَ بْنَ جَابِرٍ أَخَا تَأْبِطَ شَرّاً خَرَجَ فِي صَعَالِيكَ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي عُثَيْرٍ لِيُثَارَ بِأَخِيهِ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبِلَادِ هَذِيلَ لَقِيَ رَاعِياً لَهُمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُمْ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ مِنْ عُثَيْرٍ كَثِيرٍ مَالُهُمْ ، فَبَيَّنْتَهُمْ ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ ، وَاسْتَأْقُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ السَّمْعُ بْنُ جَابِرٍ :

بِأَعْلَى ذِي جَمَاجِمٍ أَهْلُ دَارٍ إِذَا طَعَنْتَ عَشِيرَتَهُمْ أَقَامُوا⁵
 طَرَقَتُهُمْ بِفَتْيَانٍ كِرَامٍ مَسَاعِيرٍ إِذَا حَمِيَ الْمَقَامُ
 مَتَى مَا أَدْعُ مِنْ فَهْمٍ تُجِنِّي وَعَدَوَانِ الْحِمَاةِ لَهُمْ نِظَامُ
 [إصابته في غارة على الأزد]

ذَكَرُوا أَنَّ تَأْبِطَ شَرّاً خَرَجَ وَمَعَهُ مَرَّةٌ بَنُ خُلَيْفٍ يَرِيدَانِ الْغَارَةَ عَلَى الْأَزْدِ ، وَقَدْ جَعَلَا الْهِدَايَةَ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا كَانَتْ هِدَايَةُ مَرَّةٍ نَعَسَ ، فَجَارَ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَمَضِيَا حَتَّى وَقَعَا بَيْنَ جِبَالٍ لَيْسَ فِيهَا جِبَلٌ مُتَقَارِبٌ ، وَإِذَا فِيهَا مِيَاهٌ يَصْبِحُ الطَّيْرُ عَلَيْهَا ؛ وَإِذَا الْبَيْضُ وَالْفَرَاخُ بظُهُورِ الْأَكَمِ ، فَقَالَ تَأْبِطُ شَرّاً : هَلَكْنَا وَاللَّاتِ يَا مَرَّةُ ، مَا وَطِئَ هَذَا الْمَكَانَ إِنْسٌ قَبْلَنَا ، وَلَوْ وَطِئْتَهُ إِنْسٌ مَا بَاضَتْ الطَّيْرُ بِالْأَرْضِ ، فَاخْتَرَايَةَ هَاتَيْنِ الْقُنَّتَيْنِ شَبَعَتْ ، وَهُمَا أَطْوَلُ شَيْءٍ يُرَيَانِ مِنَ الْجِبَالِ ، فَأَصْعَدُوهُمَا وَتَصْعَدُ أَنْتِ الْآخَرَى ، فَإِنْ رَأَيْتِ الْحَيَاةَ فَالْحِجْ بِالثُّوبِ وَإِنْ رَأَيْتِ الْمَوْتَ فَالْحِجْ بِالسَّيْفِ ، فَإِنِّي فَاعِلٌ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَقَامَا يَوْمَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ تَأْبِطَ شَرّاً أَلَاحَ بِالثُّوبِ ، وَانْغَدِرَا حَتَّى التَّقِيَا فِي سَفْحِ الْجِبَلِ ، فَقَالَ مَرَّةٌ : مَا رَأَيْتِ يَا ثَابِتُ ؟ قَالَ : دَخَانًا أَوْ جَرَادًا . قَالَ مَرَّةٌ : إِنَّكَ إِنْ جَزَعْتَ

1 الكراب : مجاري الماء في الوادي .

2 رعيلاً : أي جماعة من الفرسان .

3 المكر : موضع الكر ، أي الميدان .

4 السوأة : العورة .

5 أعلى ذي جماجم : الجبل الذي ينزلون به .

منه هلكنا ، فقال تَأَبَّطَ شَرًّا : أَمَا أَنَا فَإِنِّي سَأَخْرُجُكَ مِنْ حَيْثُ تَهْتَدِي الرِّيحُ ، فَمَكَّنَا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ ، ثُمَّ تَبِعَا الصَّوْتِ ، فَقَالَ تَأَبَّطَ شَرًّا : النَّعَمُ وَالنَّاسُ . أَمَا وَاللَّهِ لئن عُرِفْنَا لَنُقْتَلَ ، وَلئن أَعْرَفْنَا لَنُدْرَكَنَّ ، فَأَتَى الْحَيَّ مِنْ طَرَفٍ وَأَنَا مِنَ الْآخِرِ ، ثُمَّ كُنْ ضَيْفًا ثَلَاثًا ، فَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ قَلْبُكَ فَلَا رَجْعَ ، ثُمَّ أَغْرَى عَلَى مَا قِيلَ إِذَا تَدَلَّتِ الشَّمْسُ فَكَانَتْ قَدَرًا قَامَةً ، وَمَوْعِدُكَ الطَّرِيقَ . ففعلوا ، حتى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَغَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَا يَلِيهِ ، فَاسْتَقَا النِّعَمَ وَالْغَنَمَ ، وَطَرَدَا يَوْمًا وَلَيْلَةً طَرْدًا عَنِيْفًا حَتَّى أَمْسَا اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ دَخَلَا شِعْبًا ، فَنَحَرَا قُلُوصًا ، فَبَيْنَا هُمَا يَشْوِيَانِ إِذْ سَمِعَا حَسًّا عَلَى بَابِ الشَّعْبِ ، فَقَالَ تَأَبَّطَ : الطَّلَبُ يَا مُرَّةَ ، إِنْ ثَبَتَ فَلَمْ يَدْخُلْ فَهَمَّ مُجِيزُونَ ، وَإِنْ دَخَلَ فَهُوَ الطَّلَبُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَمِعَ الْحِيسَّ يَدْخُلُ ، فَقَالَ مُرَّةَ : هَلَكْنَا ، وَوَضَعَ تَأَبَّطَ شَرًّا يَدَهُ عَلَى عِضْدِ مُرَّةَ ، فَإِذَا هِيَ تُرْعَدُ ، فَقَالَ : مَا أُرْعِدْتُ عِضْدَكَ إِلَّا مِنْ قِيلِ أَمَكِ الْوَابِشِيَّةِ مِنْ هَذِيلٍ ، خَذْ بظَهْرِي ، فَإِنْ نَجَوْتُ نَجَوْتَ ، وَإِنْ قُتِلْتُ وَقُتِلْتُ . فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ أَخَذَ مُرَّةَ بظَهْرِ تَأَبَّطَ ، وَحَمَلَتْ تَأَبَّطَ فَقَتَلَ رَجُلًا ، وَرَمَوْهُ بِهِمْ فَأَعْلَقُوهُ فِيهِ ؛ وَأَفْلَتَا جَمِيعًا بَأَنْفُسِهِمَا ، فَلَمَّا أَمِنَا وَكَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، قَالَ مُرَّةَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ غَنِيمَةً أُخِذَتْ عَلَى حِينٍ أَشْرَفْنَا عَلَى أَهْلِنَا ، وَعَضَّ مُرَّةَ عِضْدَهُ ، وَكَانَ الْحَيَّ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَيْهِمْ بِجِيلَةٍ ، وَأَتَى تَأَبَّطَ امْرَأَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ جِرَاحَتَهُ وَلَوَّتْ ، فَقَالَ تَأَبَّطَ فِي ذَلِكَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَبِالشَّعْبِ إِذْ سَدَّتْ بِجِيلَةٍ فَجَّهْ
وَمِنْ خَلْفِهِ هَضْبٌ صَغَارٌ وَجَامِلٌ¹
شَدَّدْتُ لِنَفْسِ الْمَرْءِ مُرَّةَ حَزْمِهِ
وَقَدِ نُصِيتُ دُونَ النَّجَاءِ الْحَبَائِلُ
وَقُلْتُ لَهُ : كُنْ خَلْفَ ظَهْرِي فَإِنِّي
سَأُفْدِيكَ وَانْظُرْ بَعْدُ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فَعَاذَ بِحَدِّ السَّيْفِ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ
وَوَخَّلُوا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَحَاوِلُوا
وَأَخْطَأْتُهُمْ قَتَلِي وَرَفَعْتُ صَاحِبِي
عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تُؤْخِذْ عَلَيْهِ الْمُخَاتَلُ
وَأَخْطَأْتُ غَنَمَ الْحَيِّ مُرَّةَ بَعْدَمَا
حَوَتْهُ إِلَيْهِ كَفُّهُ وَالْأَنَامِلُ
يَعِضُ عَلَى أَطْرَافِهِ كَيْفَ زَوُّهُ
وَدُونَ الْمَلَا سَهْلٌ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلُ²
فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا بِتِلْكَ وَقَدْ يَرَى
لَهَا ثَمَنًا مِنْ نَفْسِهِ مَا يُزَاوِلُ
تُوَلُّوْا سَعْدِي أَنْ أَتَيْتُ مُجْرَحًا
إِلَيْهَا وَقَدْ مَنَّتْ عَلَيَّ الْمَقَاتِلُ³
وَكَاثِنٌ أَتَاهَا هَارِبًا قَبْلَ هَذِهِ
وَمِنْ غَنَمٍ فَأَيْنَ مِنْكَ الْوَلَاوِلُ

1 هَضْبُ فِي الدِّيَوَانِ 157 : صَعَابُ . الْجَامِلُ : الْجَمَالُ .

2 الزَّوْلُ : بِمَعْنَى الذَّهَابِ . وَالْمَلَا : السَّيْرُ الشَّدِيدُ .

3 مَنَّتْ عَلَيَّ الْمَقَاتِلُ : أَخْطَأْتَنِي الْمَقَاتِلُ .

[يثبت مع نلّة من أصحابه]

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلّة ، والأخذ بثأر صاحبيتهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس . فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة بن خليف والشنفري بن مالك ، والسّمع وكعب جدار ابنا جابر أخوا تأبط . فمضوا حتى أغاروا على العوص ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر : فارسين ورجلاً ، وأطردوا لهم إبلاً ، وأخذوا منهم امرأتين ، فمضوا بما غنموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلاً ، فيهم أبي بن جابر الخثعمي ، وهو رئيس القوم ، فقال تأبط : يا قوم ، لا تسلّموا لهم ما في أيديكم حتى تلبوا عُذراً ، وقال عامر بن الأخنس : عليكم بصدق الضراب وقد أدركم بثأركم ، وقال المسيب : اصدّقوا القوم الحملة ، وإياكم والفشل ، وقال عمرو بن براق : ابدّلوا مهجكم ساعة ، فإن النصر عند الصبر . وقال الشنفري : [من الرجز]

نحن الصّعاليكُ الحماةُ البزلُ إذا لقينا لا نرى نُهلّ¹

وقال مرة بن خليف : [من الرجز]

يا ثابتَ الخيرِ ويا ابنَ الأخنسِ ويا ابنَ براقِ الكريمِ الأشوسِ²
والشنفري عند حيودِ الأنفسِ أنا ابنَ حامي السّربِ في المغمسِ³
نحن مساعيرُ الحروبِ الضّرْسِ

وقال كعب جدار أخو تأبط : [من الرجز]

يا قوم أمّا إذ لقيتم فاصبروا ولا تخيموا جزعاً فتدبروا⁴
وقال السّمعُ أخو تأبط : [من الرجز]

يا قوم كونوا عندها أحرارا لا تسلّموا العونَ ولا البكارا⁵
ولا القناعيسَ ولا العشارا لختعمٍ وقد دَعَوْا غرارا⁶

1 البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه .

2 الأشوس : من ينظر بمؤخر عينه تكبراً .

3 المغمس : الأمر الشديد البالغ الشدة .

4 خام : نكص وجبن .

5 العون : جمع عون ، وهي من البقر والخيول التي تنتج بعد بطنها البكر .

6 القناعيس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس . والعشار : جمع عشراء .

ساقوهم المَوْتَ معاً أحراراً وافتخروا الدَّهْرَ بها افتخاراً
فلَمَّا سَمِعَ تَأَبَّطَ مَقَالَتهم قال : بَأبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي ، نِعْمَ الحِمَاةُ إِذَا جَدَّ الجِدُّ ، أَمَا إِذَا
أَجْمَعَ رَأْيُكُمْ عَلَى قِتَالِ القَوْمِ فَاحْمِلُوا وَلَا تَتَفَرَّقُوا ، فَإِنَّ القَوْمَ أَكْثَرُ مِنْكُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، ثُمَّ كَرُّوا الثَّانِيَةَ فَقَتَلُوا ، ثُمَّ كَرُّوا الثَّالِثَةَ فَقَتَلُوا فَانْهَزَمَتْ خَنَعَمٌ وَتَفَرَّقَتْ فِي
رُؤُوسِ الجِبَالِ ، وَمَضَى تَأَبَّطَ وَأَصْحَابُهُ بِمَا غَنِمُوا وَأَسْلَابٌ مَن قَتَلُوا ، فَقَالَ تَأَبَّطُ مِنْ
ذَلِكَ :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانًا عَلَى الْعَوْصِ أَشْرَقَتْ سِيوفُهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالْدَمِّ
الآيَات . . .

وقال الشَّنْفَرَى فِي ذَلِكَ :

دَعِينِي وَقُولِي بَعْدَ مَا شَتَّتَ إِنِّي سَيُفْدِي بِنَفْسِي مَرَّةً فَاغِيَّبُ
الآيَات . . .

وقال الشَّنْفَرَى أَيْضاً :

أَلَا هَلْ أَتَى عَنَّا سُعَادَ وَدُونَهَا مَهَامُهُ بِيَدٍ تَعْتَلِي بِالصُّعَالِكِ
بَأَنَّا صَبَحْنَا القَوْمَ فِي حُرِّ دَارِهِمْ حِمَامَ المَنَايَا بِالسُّيُوفِ الْبَوَاتِكِ¹
قَتَلْنَا بِعَمْرٍو مِنْهُمْ خَيْرَ فَارِسٍ يَزِيدَ وَسُعَدًا ، وَابْنَ عَوْفٍ بِمَالِكِ
ظَلَّلْنَا نَفَرِّي بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ وَنَرَشُقَهُمْ بِالنَّبِيلِ بَيْنَ الدَّكَادِكِ²

[يَنْهَزِمُ أَمَامَ النِّسَاءِ]

قال : وَخَرَجَ تَأَبَّطُ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَمُرَّةُ بْنُ خُلَيْفٍ ،
وَالْمُسَيَّبُ بْنُ كَلَابٍ ، وَعَامِرُ بْنُ الْأَخْنَسِ ، وَهُوَ رَأْسُ القَوْمِ ، وَكَعْبُ جِدَارٍ ، وَرَيْشُ
كَعْبٍ ، وَالسَّمْعُ وَشَرِيسُ بَنُو جَابِرٍ إِخْوَةُ تَأَبَّطُ شَرًّا ، وَسُعَدُ وَمَالِكُ ابْنَا الْأَقْرَعِ ، حَتَّى
مَرُّوا بِنَبِيِّ نَفَاثَةَ بْنِ الدَّيْلِ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ ، فَبَاتُوا فِي جَبَلٍ مُطْلٍ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا
كَانَ فِي وَجْهِ السَّحَرِ أَخَذَ عَامِرُ بْنُ الْأَخْنَسِ قَوْسَهُ ، فَوَجَدَ وَتَرَهَا مُسْتَرْخِيًا ، فَجَعَلَ
يُوتَرُهَا وَيَقُولُ لَهُ تَأَبَّطُ : بَعْضُ حَطِيطٍ وَتَرَكَ³ يَا عَامِرُ ، وَسَمِعَهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي نَفَاثَةَ ، فَقَالَ
لِبَنَاتِ لَهُ : أَنْصِتْنَ فَهَذِهِ وَاللَّهِ غَارَةُ لِبَنِي لَيْثٍ ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُتَّفَاقًا فِي قَتْلِ

1 البواتك : القواطع .

2 الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .

3 بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعه .

حُمَيْصَة بن قيس أخي بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ ، وكانت بنو نُفَائَة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلّمان لا طُبَاخ¹ بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبسوا السلاح ، فإن لنا عِدَّةً ، فواللات ما هم إلا تَابُطَ وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلما بصر بهم قال : انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلا الغارة فسلّ تَابُطَ سيفه وقال : لئن أغرمت عليهم لأتكنن على سيفي حتى أنفذه من ظهري ، فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال ، حتى مرّوا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلحقهم غلام من بني جُندع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأحنس ، أتهاب نساء بني نُفَائَة وتُغَيِّر على رجال بني ليث ؟ هذه والله إبل بلعاء بن قيس . فقال له عامر : أو كان رجالهم خلوفاً ؟ قال : نعم ، قال : أقرىء بلعاء مني السلام ، وأخبره بردي إبله ، وأعلمه أنني قد حبست منها بكراً لأصحابي ، فإننا قد أرمنا² فقال الغلام : لئن حبست منها هلبة³ لأعلمته ، ولا أطرد منها بعيراً أبداً . فحمل عليه تَابُطَ فقتله ، ومضوا بإبل إلى قومهم ؛ فقال في ذلك تَابُطَ :

ألا عَجِبَ الْفَتِيَانُ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ تقول : أراك اليوم أشعثاً أغبراً⁴
تَبَوَّعاً لَأَنَارِ السَّرِيَّةِ بَعْدَمَا رأيتك بَرَّاقَ الْمَفَارِقِ أَيْسَرَا⁵
فَقُلْتُ لَهَا : يَوْمَانِ يَوْمُ إِقَامَةٍ أهُزَّ بِهِ غُصْنًا مِنَ الْبَانِ أَخْضَرَا
وَيَوْمٌ أَهُزَّ السَّيْفَ فِي جِيدِ أَغِيدٍ لَهُ نِسْوَةٌ لَمْ تَلَقْ مِثْلِي أَنْكَرَا
يُخْفَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْزِعُ نَفْسَهُ لَقَدْ كُنْتُ أَبَاءَ الظَّالِمَةِ قَسُورَا
وَقَدْ صِيحَتْ فِي آثَارِ حَوْمٍ كَانَتْهَا عَذَارَى عَقِيلٍ أَوْ بَكَارَةُ جَمِيرَا⁶
أَبْعَدَ النَّفَائِثِينَ أَمَلِ طَرَقَةً وَآسَى عَلَى شَيْءٍ إِذَا هُوَ أَذْبَرَا⁷
أُكْفِكِفَ عَنْهُمْ صُحْبَتِي وَإِخْلَاهُمْ مِنَ الذِّلِّ يَغْرَأُ بِالتَّلَاعَةِ أَغْفَرَا⁸

1 الطباخ : الإحكام والقوة .

2 أرمّل القوم : نفذ زادهم .

3 الهلبة : شعرة من شعر الذئب .

4 اراك اليوم في الديوان 98 : لقد أصبحت .

5 تبوعاً لآثار السرية في الديوان 99 : قليل الإناء والحلوبة . الأيسر : اللين السهل .

6 الحوم : القطيع من الإبل .

7 أمل طريقة : أتجه إلى طريق وفي الديوان 164 : أزجر طائراً .

8 في الديوان : أنهنه رجلي عنهم . اليعر : الجددي . والتلاعة : ماء لبني كنانة . والأعفر : ما خالط بياضه حمرة .

فلر نالت الكفان أصحاب نوفل
ولما أبى اللبشي إلا تهكماً¹
فقلت له : حق الثناء فإنني
ولما رأيت الجهل زاد لجاجة²
دنوت له حتى كأن قميصه
فمن مبلغ ليث بن بكر بأننا³
بمهمية من بطن ظرء فعرعرا⁴
بعرضي وكان العرض عرضي أوفرا⁵
سأذهب حتى لم أجِد متأخرا⁶
يقول فلا يألوك أن تشورا⁷
تشرب من نضح الأخادع عصفرا⁸
تركنا أخاهم يوم قرين مفعرا⁹

قال : غزا تابط بن نفاثة بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف ، ليس في دارهم رجل ، وكان الخبر قد أتى تابط ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحي وهم أسفل منه ، فرأته امرأة فطرح نفسه ، فعلمت المرأة أنه تابط ، وكانت عاقلة ، فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال ، ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالة ، وكان أصحابه يتفلقون ويقولون : اغز ، وإنما كان في سرية من بين الستة إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يريد هذيل ، وانصرف عن النفاثين ، فبينما هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفاً له من هذيل ، فقال له : العجب لك يا تابط ، قال : وما هو ؟ قال : إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفاً فمكرت بك امرأة ، وأنهم قد رجعوا .

ففي ذلك يقول :

ألا عجيب الفتيان من أم مالك
تقول : لقد أصبحت أشعث أغبراً
وذكر باقي الأبيات المتقدمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي ، وكان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نفر ، بضعة وعشرين رجلاً ، فيهم عامر بن الأخنس ، وكان سيدهم ، وكان إذا خرج في غزو رأسهم ، وكان يقال له سيد الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الدليل مُمسين ، ينتظرون أن ينام الحي ، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راعٍ من الحي قد أغدير ، فمعه غدירתه⁶ يسوقها قبصر بهم

1 ظرء ، وععرع : مكانان وفي الديوان 101 : ظرء .

2 إلا تهكماً في الديوان 164 : إلا انتهاكنا .

3 تشور الرجل : فعل فعلاً قبيحاً .

4 الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر .

5 قرن : مكان .

6 الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

[من الطويل]

وبمكانهم ، فخلّى الغديرة وتبع الضراء ضراء¹ الوادي ، حتى جاء الحيّ فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتیان الحيّ فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثين : والله ما قوسي بموترة . فقالوا : فأوتر قوسك ، فوضع قوسه فأوترها ، فقال تأبط لأصحابه : اسكتوا ، واستمع فقال : أتيتم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حطيّط وتر قوس . قالوا : والله ما نسمع شيئاً ، قال : بلى والله إني لأسمعه ، يا قوم النجاء ، قالوا : لا والله ما سمعت شيئاً ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيتهم بنو نفاثة فلم يُفْلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلة عامر بن الأخنس .

قال ابن عُمَيْر : وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس ، فزعموا أنّه مات على فراشه . فلما رجع تأبط قالت له امرأته : تركت أصحابك ، فقال حينئذٍ : [من الطويل]

ألا عَجِبَ الفتيان من أمّ مالك تقول : لقد أصبحت أشعث أغبراً

[بصره غلام]

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال : والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثار بهم . فخرج في نفر من قومه ، حتى عَرَضَ لهم بيت من هذيل بين صوى² جبل ، فقال : اغنموا هذا البيت أولاً ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرب ، ولكن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها . فقال : إني أفتاءل أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضبع من يساره ، فكرهها ، وعاف³ على غير الذي رأى ، فقال : أبشري أشبعك من القوم غداً . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فوالله ما ترى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضبع عن يساره فقال : أشبعك من القوم غداً . فقال أحد القوم : والله إني أرى هاتين غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان في وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وعدّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم ، وغدوا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جارينتين وإبلًا . ثم قال تأبط : إني قد رأيت معهم غلاماً ؛ فأين الغلام الذي كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً ، فاتبعه ، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبط يقصّه⁴ وفوق الغلام سهماً حين

1 الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، أو أرض مستوية تأوي إليها السباع .

2 الصوى : جمع صوة ، وهي علامة يهتدى بها في الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

3 عاف الطير : زجرها .

4 يقصه : يقتفي أثره .

رأى أنه لا يُنْجِيه شيء ، وأمَّهله حتى إذا دنا منه قَفَزَ قفزة ، فوثَّبَ على الصَّخْرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمَعْ تَابُطَ إِلَّا الحُبْضَةَ¹ فرفع رأسه ، فانتظم السهمُ قَلْبَهُ ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأس ، فقال الغلام : لا بأس ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تَابُطَ بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتَادَة ، ويضربها تَابُطَ بِحُشَاشَتِهِ ، فيأخذ ما أصابت الضَّرْبَةُ منها ، حتى خلص إليه ، فقتله ، ثم نزل إلى أصحابه يَجَرُّ رجله ، فلما رأوه وثَّبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ، ومات في أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبْعَ ولا طائر إِلَّا مات ، فاحتمَلْتِه هُذَيْل ، فألقته في غارٍ يقال له غارُ رَحْمَانَ ، فقالت رِبْطَةُ أخته وهي يومئذٍ متزوَّجة في بني الدَّيْل : [من الرجز]

نَعَمْ الْفَتَى غَادَرْتُمْ بِرُحْمَانَ ثَابِتٌ بْنُ جَابِرٍ بْنُ سُفْيَانَ

وقال مُرَّةُ بْنُ خَلِيفٍ يَرِثِيهِ : [من البسيط]

إِنَّ الْعَزِيمَةَ وَالْعَزَاءَ قَدْ ثَوِيَا أَكْفَانَ مَيْتَ غَدَا فِي غَارِ رُحْمَانَ²
إِلَّا يَكُنْ كُرْسَفٌ كُفْنَتْ جَيْدَهُ وَلَا يَكُنْ كَفَنٌ مِنْ ثَوْبٍ كَتَّانٍ³
فَإِنَّ حُرًّا مِنَ الْأَنْسَابِ أَلْبَسَهُ رِيَشَ النَّدَى ، وَالنَّدَى مِنْ خَيْرِ أَكْفَانٍ
وَلَيْلِيَّةٍ رَأْسُ أَفْعَاهَا إِلَى حَجَرٍ وَيَوْمَ أَوْرٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ رَنَانٍ⁴
أَمْضِيَتْ أَوَّلَ رَهْطٍ عِنْدَ آخِرِهِ فِي إِثْرِ عَادِيَةٍ أَوْ إِثْرِ فِتْيَانٍ

وقالت أُمُّ تَابُطَ تَرِثِيهِ : [من الرجز]

وَابْنَاهُ وَابْنُ اللَّيْلِ

[مقتله]

قال أَبُو عَمْرِو الشَّيْبَانِيُّ : لا بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِ تَابُطَ وَهُوَ ثَابِتُ بْنُ جَابِرِ بْنِ سُفْيَانَ ، وَكَانَ جَرِيئًا شَاعِرًا فَاتَّكَأَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بَغَارَةً مِنْ قَوْمِهِ ، يُرِيدُونَ بَنِي صَاهِلَةَ بْنَ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ هُذَيْلٍ ، وَذَلِكَ فِي عَقَبِ شَهْرِ حَرَامٍ مِمَّا كَانَ يُحْرَمُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى هَبَطَ صَدْرُ آدَمَ⁵ ، وَخَفِضَ عَنْ جَمَاعَةِ بَنِي صَاهِلَةَ ، فَاسْتَقْبَلَ التَّلَاعَةَ ، فَوَجَدَ بِهَا دَارًا مِنْ بَنِي نَفَاثَةَ بْنِ عَدِيٍّ ، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا النِّسَاءُ ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَبَصُرَ الرَّجُلَ بِتَابُطَ وَخَشِيَهُ ، وَذَلِكَ

1 الحُبْضَةُ : نبضة السهم عند انطلاقه .

2 العَزَاءُ : السنة الشديدة .

3 الكُرسف : القطن .

4 أَوْرٍ : جمع أوار بمعنى الحر الشديد .

5 آدَمَ : اسم موضع .

في الضُّحَى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنَّ فَجَعَلْنَ رُؤُوسَهُنَّ جُمُماً وَجَعَلْنَ دروعهنَّ أُرْدِيَةً ، وأخذن من بيوتهنَّ عُمُداً كهَيْئَةِ السِّيوفِ فَجَعَلْنَ لها حِمَائِلَ ، ثم تَابُطْنَهَا ثم نَهَضْنَ ونَهَضْنَ معه يغريهنَّ كما يُغْرِى القوم ، وأمرهنَّ أن لا يُبْرَزْنَ خَدّاً ، وجعل هو يَبْرُزُ للقوم لِيُروهُ ، وطفق يُغْرِى وَيَصِيحُ على القوم ، حتى أَفْزَع تَابُطَ شَرًّا وأصحابه وهو على ذلك يُغْرِى في بَقِيَّةِ لَيْلَةٍ أو لَيْلَتَيْنِ من الشهر الحرام ، فَنهَضُوا في شَيْعٍ يقال له شَيْعٌ وَشَلٌّ¹ ، وَتَابُطَ يَنْهَضُ في الشَّيْعِ مع أصحابه ، ثم يقف في آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لَكُنَّا كما يطردكم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انج أدركك القوم ، وتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تَابُطَ في ذلك :

أبعد النفاثين أجزر طائراً وآسى على شيء إذا هو أدبرا
أنهني رجلي عنهم وإخالهم من الدّلّ يعراً بالتلاعة أعفرا
ولو نالت الكفان أصحاب نوفل بمهمّة من بين ظرّ وعرعرا

قال : ثم طلّوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بني قُرَيْمٍ ذنب نمار² فظلّ يراقبهم حتى أمسوا ، وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قُرَيْمٍ ، فحصرهم تَابُطَ وأصحابه حتى أمسوا . قال : وقد كانت قالت وليدة لساعدة : إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله . وانتظر تَابُطَ وأصحابه أن يغفل الشيخ ، وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفصّحهم الصبح ، ولم يقدرُوا على غِرّة مشوا إليه وغرّوه بَقِيَّةَ الشهر الحرام ، وأعطوه من مواليقهم ما أقنعه ، وشكّوا إليه الجوع ، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى . قال : ومضى تَابُطَ شَرًّا إلى ابن له ذي ذؤابة ، كان أبوه قد أمره فارتبأ³ من وراء ماله ، يقال له : سفيان بن ساعدة . فأقبل إليه تَابُطَ شَرًّا مستتراً بِمَجَنَّةٍ ، فلما خشي الغلام أن يناله تَابُطَ بسيفه وليس مع الغلام سيف ، وهو مُفَوَّقُ سهماً ، رمى مَجَنّاً تَابُطَ بِحَجَرٍ ، فظنّ تَابُطَ أنه قد أرسل سهمه ، فرمى مَجَنَّهُ عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يُخْطِرْ لَبَّتَهُ حتى خرج منه السهم ، ووقع في البطحاء حذو القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أخاطئه سفيان ؟ فحرد⁴ القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات تَابُطَ .

1 وشل : اسم جبل .

2 نمار : اسم جبل ، ونمار : اسم واد .

3 ارتبأ : اختبأ وراء ربيعة ؛ هضبة مرتفعة .

4 حرد القوم : اعتزلوا .

فَقَالَتْ أُمُّهُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ بْنِ قُضَاعَةَ ، تَرْتِيهِ : [من الوافر]

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ بَنِي قُرَيْمٍ إِذَا ضَنْتَ جُمَادَى بِالْقَطَارِ
فَنِي فَهْمٍ جَمِيعاً غَادَرُوهُ مَقِيماً بِالْحُرَيْضَةِ مِنْ نُمَارٍ¹

وَقَالَتْ أُمُّهُ تَرْتِيهِ [أَيْضاً] :

وَيْلُ أُمَّ طَرْفٍ غَادَرُوا بِرُحْمَانٍ بَثَابَتِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سَفِيَّانٍ
يَجْدُلُ الْقِرْنَ وَيُرْوِي النَّدْمَانَ ذُو مَأْقِطٍ يَحْمِي وَرَاءَ الْإِخْوَانِ²

وَقَالَتْ تَرْتِيهِ أَيْضاً : وَابْنَاهُ وَابْنُ اللَّيْلِ ، لَيْسَ بِزُمَيْلٍ³ ، شَرُوبٍ لِلْقَيْلِ⁴ ، رَقُودٍ بِاللَّيْلِ ، وَوَادِ
ذِي هَوْلِ ، أَجَزَتْ بِاللَّيْلِ ، تَضْرِبُ بِالذَّيْلِ ، بِرَجُلٍ⁵ كَالثَّوْلِ .

قَالَ : وَكَانَ تَأْبَطُ شَرّاً يَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَعْدُونَ⁶ مَ عَلَيَّ شَتْمٌ كَالْحَسَاكِلِ⁷
يَأْكُلْنَ أَوْصَالاً وَلَحَ مَا كَالشَّكَاعِي غَيْرَ جَاذِلٍ⁸
يَا طَيْرُ كُلَّنْ فَأَنَّنِي سُمٌّ لَكُنْ وَذُو دَعَاوِلٍ⁸

وَقَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ :

لَعَلِّي مَيِّتٌ كَمَدّاً وَلَمَّا أَطَالَعَ أَهْلَ ضِيمٍ فَالْكِرَابِ
وَإِنْ لَمْ آتِ جَمْعُ بَنِي خُنَيْمٍ وَكَاهِلَهَا بِرَجُلٍ كَالضَّبَابِ
إِذَا وَقَعْتُ بِكَعْبٍ أَوْ قُرَيْمٍ وَسَيَّارٍ فِيهَا سَوَّغَ الشَّرَابِ

فَأَجَابَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي قُرَيْمٍ :

تَأْبَطُ سَوَّاةٌ وَحَمَلَتْ شَرّاً لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَابِ

[من الوافر]

1 الحريضة : موضع في بلاد هذيل .

2 المأقط : مكان الحرب .

3 الزُمَيْل : الجبان .

4 القَيْل : شراب اللبن في القيلولة .

5 الرجل : جمع راجل . والثَّوْل : جماعة النحل .

6 الشتم : جمع شتم ، وهو الأسد الكريه المنظر . والحساكل ، جمع حساكل وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمى .

7 الشكاعي : جمع شكاعة ، شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل : ما عظم من أصول الشجر .

8 الدعاول : الدواهي .

لعلك أن تجيء بك المنايا تساق لفتية منا غضاب
فتصيح في مكرهم صريعاً ونصبح طرفه الضيع السّغاب
فزلتهم تهريون ولو كرهتم تسوقون الحرائم بالنّقاب
وزال بأرضكم منا غلامٌ طليعة فتية غلب الرقاب¹
ونذكر هاهنا بعد أخبار تأبط شراً أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشّنفري ونبدأ بما
يغنى فيه من شعريهما ، وننبه بالأخبار .
فأما عمرو بن براق فمما يغنى فيه من شعره قوله :

[من الطويل]

صوت

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفأ حمياً تجتنبك المظالم²
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم !
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
ولا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجمجم
عروضه من الطويل ، الشعر لابن براق وقيل ابن بريقة . والغناء لمحمد بن إسحاق بن
عمرو بن بزيغ ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي .

1 زال : نهض . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق : جمع أغلب .

2 القلب الذكي : المتوقد حماسة . والأنف الحمي : كناية عن الأنفة وإباء الضيم .

[450] - عمرو بن براق

[يسلبه حريم ماله فيسترده منه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا السكري عن ابن حبيب قال : وأخبرنا الهمداني ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، عن المفضل ، قال : أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريماً أغار على إبله وخيله فذهب بها ، وأنه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك ، قال : فخالفها ، وأغار عليه ، فاستاق كل شيء كان له ، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك :

تقول سليمى لا تعرض لتلفة	وليك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينأى الليل من جل ماله	حسام كلون الملح أبيض صارم
صموت إذا عض الكريهة لم يدغ	لها طمعاً طوع اليمين ملازم ¹
نقدت به ألفاً وساحت دونه	على النقد إذ لا تستطاع الدراهم
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم	قليل إذا نام الدثور المسالم ²
إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه	وصاح من الإفراط هأم جوائم ³
ومال بأصحاب الكرى غالبته	فإني على أمر القواية حازم
كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها	مراغمة ما دام للسيف قائم
تحالف أقوام علي ليسمنوا	وجروا علي الحرب إذا أنا سالم ⁴
أفالآن أدعى للهوادة بعدما	أجبل على الحي المذاكي الصلادم ⁵
كان حريماً إذ رجا أن يضمها	ويذهب مالي يا ابنة القوم حالم

1 صموت : صفة للسيف .

2 الدثور : الرجل البطن الخامل التووم .

3 أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب .

4 سالم : بمعنى مسلم .

5 الهوادة : الملاينة والمسألة . المذاكي الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة .

متى يجمع القلب الذكي وصارماً
 ومن يطلب المال الممنع بالقنا
 وأنفأ حمياً تجتنبك المظالم
 ويعيش ذا غنى أو تخترمه المخارم¹
 وكنت إذا قوم غروني غزوتهم
 فها صلح حتى تعثر الخيل بالقنا
 وهل أنا في ذا يالهمدان ظالم
 وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم²
 وأما الشفري فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد . ومما يغنى
 فيه من شعره قوله :

صوت

ألا أم عمرو أزمعت فاستقلت
 فوأندما بانئت أمامة بعدما
 وما ودعت جيرانها إذ تولت²
 طمعت فهبها نعمة قد تولت
 وقد أعجبتني لا سقوطاً خمارها
 إذا ما مشت ولا بذات تلفت³
 غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقل بالنصر عن عمرو بن بنة .

1 تخترمه المخارم : تهلكه المهالك .

2 أزمعت : عزم على الرحيل .

3 لا سقوط خمارها : يصفها بالتصون والتحصن .

[451] - أخبار الشنفرى ونسبه¹

[نسبه ونشأته]

وأخبرني بخبره الحرزمي بن أبي العلاء قال : حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد بن أبي المنهال المهلبى ، عن مؤرج عن أبي هشام محمد بن هشام النُميري : أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شِبابَة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلاً من فهم ، أحد بني شِبابَة فَقَدَتَهُ بنو شِبابَة بالشنفرى قال : فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره ، وكان السُّلّاميّ اتَّخَذَهُ ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشنفرى : اغسلي رأسي يا أختي وهو لا يشك في أنها أخته ؛ فَانْكَرَتْ أن يكون أختها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشنفرى : اصدقني ممّن أنا ؟ أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أمّا إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً ، وقال الشنفرى للجارية السّلامية التي لطمته وقالت : لست بأخي : [من الطويل]

ألا ليت شعري والتلهف ضلّة بما ضربت كف الفتاة هجيتها²

ولو علمت قعسوس أنساب والدي ووالدها ظلت تقاصر دونها³

أنا ابن خيار الحُجر بيتا ومنصبا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها⁴

قال : ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجله فيمن تبعه من فهم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشنفرى لبني سلامان : [من الطويل]

1 انظر أخباره في : الطرائف الأدبية 27 ، ومقصورة حازم للشريف الغرناطي 22/2 ونسخة المغتالين لابن حبيب وغ ج 21 ، والأنباري الرقمان 1 و20 وخ .

2 المهجين : اللثيم ، أو العربي الذي أمه أمة . وفي الديوان [الطرائف الأدبية] 41 : ألا هل أتى فتيان قومي جماعة بما لطمت كف الفتاة هجيتها

3 في الديوان 41 :

ولو علمت تلك الفتاة مناسبي ونسبتها ظلت تقاصر دونها
والقعسوس : اسم الفتاة .

4 وفي الديوان 41 :

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها

وإني لأهوى أن أَلْفَ عجاجتي على ذي كساء من سلامان أو بُردٍ¹
وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم وأسلك خلاً بين أرباع والسرد²

[إحدى غاراته]

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامدين من بني الرمداء فأعجزهم فأشلوا عليه كلباً لهم يقال له حبيش ولم يضعوا له شيئاً ، ومراً وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال : [من الطويل]

قتيلي فجار أتما إن قتلتما بجوف دحيس أو تبالة يا اسمعا³

يريد : يا هذان اسمعا ، وقال فيما كان يطالب به بني سلامان :

فإلا تزرني حفتي أو تلاقني أمش بدهر أو عذاف فنورا⁴
أمشي بأطراف الحماط وتارة تنفض رجلي بسبطاً فعصنصرا⁵
وأبغي بني صعب بن مر بلادهم وسوف ألقاهم إن الله يسرا⁶
ويوماً بذات الرأس أو بطن منجل هنالك تلقى القاصي المتغورا⁷

[مقتله]

قال : ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من أيدة ومع أسيد ابن أخيه ، فمر عليهم الشنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان ، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتكلم ، فقال الشنفرى : إن كنت شيئاً فقد أصبتك وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك ، وكان خازم باطحاً : يعني مبطحاً بالطريق يرصده ، فنادى أسيد : يا خازم أصبت ، يعني اسل سيفك . فقال الشنفرى : لكل

1 في الديوان 34 : وإني زعيم . لف العجاجة : كناية عن الغارة .

2 في الديوان 34 :

وأمشي لدى العضداء أبغي سراتهم وأسلك خلاً بين أرباع والسرد
والعضداء : أرض لبني سلامان .

3 دحيس ، وتبالة : مكانان .

4 في الديوان 35 : في عذاف بنورا . وعذاف مكان وبنور : جبل .

5 الحماط : ضرب من النبات . وبسط ، وعصنصر : مكانان .

6 ورد البيت في الديوان 36 كما يأتي :

أبغي بني صعب بن مر بلادهم وسوف ألقاهم إن الله أخرا

7 ذات الرأس ومنجل : مكانان . تلقى في الديوان 36 : نبغي . المتغور : الموجل في الأرض ، أو الموجل في الغارة .

أصلت ، فأصلت الشَّنْفَرى . فقطع إصبعين من أصابع خازمِ الخِنْصَر والبِنْصَر ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أُسَيْد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أُسَيْد سلاح الشَّنْفَرى وقد صرع الشَّنْفَرى خازماً وابنَ أخِي أُسَيْد ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أُسَيْدُ برجل ابن أخيه ، فقال أُسَيْد : رَجُلٌ مَن هذه ؟ فقال الشَّنْفَرى : رَجُلِي ، فقال ابن أخِي أُسَيْد : بل هي رَجُلِي يا عَمَّ فأسروا الشَّنْفَرى ، وأدَّوه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ، فقال : إِنَّمَا النشيد على المَسْرَةِ¹ ، فذهبت مثلاً ، ثم ضربوا يده فتعرَّضت ، أي اضطربت فقال الشَّنْفَرى في ذلك : [من الرجز]

لَا تَبْعَدِي إِمَّا ذَهَبَتْ شَامَهُ فَرُبَّ وَاِدٍ نَفَرَتْ حَمَامَهُ²
وَرُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهُ

ثم قال له السُّلَامِيّ : أَطْرِفُكَ³ ؟ ثم رماه في عينه فقال الشَّنْفَرى له : كَأَنَّ كُنَّا نَفْعَلُ أَي كَذَلِكَ كُنَّا نَفْعَلُ ، وكان الشَّنْفَرى إذا رمى رجلاً منهم قال له : أَطْرِفُكَ ؟ ثم يرمي عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أَيْنَ نَقْبُوكَ ؟ فقال : [من الطويل]

لَا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ⁴
إِذَا احْتَمَلْتُ رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثَمَّ سَائِرِي
هَنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ⁵

[تأبَّطَ شَرًّا يَرِثِيهِ]

وقال تَأَبَّطَ شَرًّا يَرِثِي الشَّنْفَرى :

عَلَى الشَّنْفَرى سَارِي الغمام وَرَائِحٌ غَزِيرُ الكُلَى ، وَصَيَّبُ المَاءِ بَاكِرٌ⁶
عَلَيْكَ جَزَاءٌ مِثْلُ يَوْمِكَ بِالْجَبَا وَقَدْ أَرِغْتَ مِنْكَ السُّيُوفُ الْبَوَاتِرُ⁷

1 مثل ورد في جمهرة الأمثال للعسكري 304/2 «النشيد مع المسرة» .

2 ذهبت في الديوان هلكت . والشامة : شامة سوداء كانت في يده .

3 طرف العين : أدخل فيها ما جعلها تدمع .

4 انظر المثل في مجمع الأمثال للميداني 225/1 ، 238 ، 239 ، والدرة الفاخرة للأصفهاني 150/1 ، وجمهرة

الأمثال للعسكري 411/1 ، 416 ، والمستقصى للزمخشري 71 وفصل المقال 187 والأمثال لأبي فيد 46 ،

وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 126 .

5 سمير الليالي : طول الليالي . مبسلاً بالجرائر : مرهوناً بآثاري وجرائمي .

6 الكُلَى : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السحاب .

7 العجا : مكان .

ويومك يوم العيكتين وعطفية
تجول بيز الموت فيهم كأنهم
فإنك لو لافيتني بعدما ترى
لألفيتني في غارة أنمي بها
وإن تك مأسوراً وظلت مخيماً
وحتى رماك الشيب في الرأس عانساً
وأجمل موت المرء إذ كان ميتاً
فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه الـ
إذا راع روع الموت راع وإن حمى
عظمت وقد مس القلوب الحناجر¹
بشوكك الحدى ضيق نوافر²
وهل يلقين من غييته المقابر
إليك وأما راجعاً أنا ثائر³
وأبليت حتى ما يكيدك وائر⁴
وخيرك مبسوط وزادك حاضر⁴
ولا بد يوماً موته وهو صابر⁵
حديده وشده خطوه متواتر⁵
حمى معه حر كريم مصابر⁶

[رواية أخرى في مقتله]

قال : وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتل
الحارث بن السائب الفهمي ، فأبوا أن ييؤوا بقتله⁶ ، فباء بقتله رجل منهم يقال له
حزام بن جابر قبل ذلك ، فمات أخو الشنفرى ، فأنشأت أمه تبكيه ، فقال الشنفرى ،
وكان أول ما قاله من الشعر :

ليس لوالدة هوها
تطيف وتحدث أحواله
ولا قولها لابنها دغدع⁷
وغيرك أملك بالمصرع

قال : فلما ترعرع الشنفرى جعل يُغير على الأزد مع فهم : فيقتل من أدرك منهم ، ثم قدم
منى وبها حزام بن جابر ، فقبل له : هذا قاتل أبيك ، فشده عليه فقتله ، ثم سبق الناس على
رجليه فقال :

- 1 العيكتان : جيلان .
- 2 البز : السلاح ، والحدى : موث الأحده بمعنى المرفف الحده . والضيق : جمع ضائن ، الضأن .
- 3 أنمي في الديوان 83 : أغتري .
- 4 العانس : الرجل السمين .
- 5 الشد : الحملة على الأعداء . ومتواتر : يتلو بعضه بعضاً .
- 6 باء بقتله : أقر به .
- 7 الهوى : الهمة والرأس . وفي الديوان 37 : همها .

تَلَسْتُ حَزَاماً مُهْدِياً بِمُلْبَدٍ بِيْطَنٍ مِّنَى وَسْطِ الْحَجِيجِ الْمُصَوَّتِ¹

قال : ثم إن رجلاً من الأزدي أتى أسيد بن جابر ، وهو أخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشَّنْفَرى بسوق² حُباشة ، فقال أسيد بن جابر : والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنَى أليفِ أبيدة³ ، فقعد له على الطريق هو وابنا حزام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلًا وليس نعلًا ليخفَى وطأه ، فلمَّا سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضَّبْع ، فقال أسيد : ليست الضَّبْع ، ولكنه الشَّنْفَرى ، ليضعُ كلُّ واحد منكما نعله على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبصرنا ، فقال عمَّهما : لا والله ما أبصركما ، ولكنه أطرِد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضعُ كلُّ واحد منكما نعله على مقلته . فرماهم الشَّنْفَرى فحسق⁴ في النعل ولم يتحرك الرَّمى . ثم رمى فانتظم ساقِي أسيد ، فلمَّا رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وثاقًا ، ثم إنَّهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتمارَّوا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلمَّا رأى ذلك أحدُ بني حزام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامة سوداء ، فقال الشَّنْفَرى حين قُطعت يده :

لَا تَبْعَدِي إِمَّا هَلَكْتَ شَامَةٌ فَرَبٌّ خَرَقَ قَطَعَتْ قَتَامَةٌ
وَرَبٌّ قَرَنٍ فَصَلَتْ عِظَامَةٌ

وقال تَابِطٌ شَرًّا يَرِثِهِ : [من الطويل]

لَا يِعْدَنَّ الشَّنْفَرى وَسِلَاحُهُ الـ حَدِيدُ وَشَدُّ خَطْوُهُ مُتَوَاتِرُ
إِذَا رَاعَ رَوْعَ الْمَوْتِ رَاعٌ وَإِنْ حَمَى حَمَى مَعَهُ حُرٌّ كَرِيمٌ مُصَابِرُ

قال : وذُرِعَ خَطْوُ الشَّنْفَرى ليلة قتل فوُجِدَ أَوَّلُ نَزْوَةٍ نَزَاهَا إِحْدَى وَعِشْرِينَ خَطْوَةً ، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خَطْوَةً .

قال : وقال ظالم العامري في الشَّنْفَرى وغاراته على الأزدي وعجزهم عنه ، وَيَحْمَدُ أُسَيْدَ بْنَ جَابِرٍ فِي قَتْلِهِ الشَّنْفَرى : [من الطويل]

1 حزاماً في المفضليات 111 : قتيلاً . مهدياً : مقدماً الهدى في الحج . بطن في المفضليات : جمار . المصوت : الذي يجهر بالدعاء ونحوه .

2 سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .

3 أبيدة : اسم مكان .

4 خسق في النعل : أصاب السهم النعل ، وأخطأ الهدف .

فَمَا لَكُمْ لَمْ تَدْرِكُوا رَجُلَ شَنْفَرَى وَأَنْتُمْ خِيفَافٌ مِثْلُ أَجْنَحَةِ الْغُرْبِ¹
تَعَادَيْتُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَحَقْتُمْ تَبَاطَأَ عَنْكُمْ طَالِبٌ وَأَبُو سَقْبٍ²
لِعَمْرِكَ لِلْسَّاعِي أُسَيْدُ بْنُ جَابِرٍ أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ بَنِي عَقْبِ الْكَلْبِ
قال : وَلَمَّا قُتِلَ الشَّنْفَرَى وَطُرِحَ رَأْسُهُ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَضَرَبَ جَمْعُهَا الشَّنْفَرَى بِقَدَمِهِ ،
فَعَقَرَتْ قَدَمُهُ فَمَاتَ مِنْهَا ، فَتَمَّتْ بِهِ الْمِائَةُ .

[من شعر الشنفرى]

وكان مِمَّا قاله الشَّنْفَرَى فيهم من الشعر وفي لطمة المرأة التي أنكرته الذي ذكرته
واستغني عن إعادته مَّا تقدَّم ذكره من شعر الشَّنْفَرَى ، وقال الشَّنْفَرَى في قتله حزاماً قاتل
أبيه :

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو أَجْمَعْتَ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعْتَ جَبْرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتْ³
فَقَدْ سَبَقْتَنَا أُمُّ عَمْرٍو بِأَمْرِهَا وَقَدْ كَانَ أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ أَظَلَّتْ⁴
فَوَانَدَمَا عَلَى أُمِيمَةٍ بَعْدَمَا طَمِعْتُ فَهَبْهَا نِعْمَةَ الْعَيْشِ وَلَّتْ⁵
أُمِيمَةُ لَا يُخْزِي نَتَاها حَلِيلُهَا إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتْ⁶
يَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا يُبَوِّتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ⁷
فَقَدْ أَعْجَبْتَنِي ، لَا سَقُوطٌ قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتِ تَلَفَّتْ
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْصُهُ إِذَا مَا مَشَتْ وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ⁸

النَّسِيُّ : الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنها لا
تلتفت يمينا ولا شمالاً ولا تبرج . ويروى :
تقصه على أمها وإن تكلمك

1 الغُرب : جمع غُرَاب .

2 طالب وأبو سقب : رجلان .

3 أرى في المفضليات 108 : ألا .

4 أظلت : إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل .

5 فواندما في المفضليات 108 : فواكبدا .

6 وجلت في المفضليات 108 : زلت . النثا : الحديث .

7 بالملامة في المفضليات 109 : باللممة .

8 تبت الكلام وتقطعه بما يعترىها من البهر .

فَذَقْتُ وَجَلَّتْ وَاسْبَكْرْتُ وَأَكْمَلْتُ فلو جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنْتُ¹
 تَبَيْتُ بُعِيدَ النُّومِ تُهْدِي غُبُوبَهَا لجاراتِها إذا الهدية قلْتُ²
 الغيوب : ما غبَّ عندها من الطعام أي بات ويروى : غبوقها .

فَبِتْنَا كَانَ الْبَيْتَ حُجْرَ حَوْلِنَا بريحانية راحت عِشاءً وطلَّتْ
 بَرِيحَانِيَّةٍ مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ أُمِرْتُ لها أَرْجُ مِنْ حَوْلِهَا غَيْرُ مُسْتِ
 غَدَوْتُ مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وبين الجبَا هيهاتُ أَنْشَأْتُ سُرْبِي³
 أُمْسِيَّ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ تَضِيرَنِي لَأَكْسِبَ مَالاً أَوْ الْأَقْيَ حُمِّي⁴
 إِذَا مَا أَتَنَنْتِي حَتَفْتِي لَمْ أَبَالِهَا ولم تُدْرِ خَالَاتِي الدُمُوعَ وَعَمَّتِي
 وَهْنِيَّ بِي قَوْمٍ وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي
 وَأُمٌّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ تَقَوُّهُمْ إذا أَطْعَمْتُهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقَلْتُ⁵
 تَخَافُ عَلَيْنَا الْجُوعَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ ونحن جِيعًا ، أَيَّ أَلْيٍ تَأَلَّتْ⁶
 عَفَاهِيَّةٌ لَا يَقْصُرُ السُّتْرُ دُونَهَا ولا تُرْتَجَى لِلْبَيْتِ إِنْ لَمْ تُبَيَّتْ⁷
 لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَا ثَلَاثُونَ سَلْجَمًا إذا مَا رَأَتْ أُولَى الْعَدِيِّ أَقْشَعَرَتْ⁸
 وَتَأْتِي الْعَدِيَّ بَارِزًا نِصْفُ سَاقِهَا كَعَدُوِّ حِمَارِ الْعَانَةِ الْمُتَفَلَّتْ⁹
 إِذَا فُزَّعَتْ طَارَتْ بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وراحت بما في جُفْرِهَا ثُمَّ سَلَّتْ¹⁰

1 اسبكرت : اعتدلت واستقامت .

2 غُبُوبَهَا فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 109 : غُبُوقُهَا . وَالْغُبُوقُ : مَا يَشْرَبُ بِالْعَشِيِّ .

3 فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 رَوَايَةُ الْبَيْتِ كَمَا يَأْتِي :

خَرَجْنَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وَبَيْنَ الْجَبَا هِيَهَاتُ أَنْشَأْتُ سُرْبِي

مِشْعَلُ وَالْجَبَا : جَبَلَانِ . وَالسُّرْبَةُ : الْجَمَاعَةُ .

4 الشُّطْرُ الثَّانِي فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 : لِأَنَّكِي قَوْمًا أَوْ أَصَادِفَ حُمِّي . وَالْحِمَّةُ : الْمَنِيَّةُ .

5 أَوْتَحَتْ : قَلَّتْ طَعَامُهُمْ .

6 الْجُوعُ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 110 : الْعَيْلُ . وَالْأَلْتَةُ : الْمَجَاعَةُ .

7 عَفَاهِيَّةٌ : ضَخْمَةٌ ، وَفِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 مُصْعَكِلَةٌ : أَيُّ صَاحِبَةِ صَعَالِيكَ فَقَرَاءُ .

8 رَأَتْ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 : آتَتْ . وَالْوَفْضَةُ : جَعْبَةُ السَّهَامِ . وَالسَّلْجَمُ : السَّهْمُ الْعَرِيضُ النَّصْلُ . الْعَدِي :

جَمَاعَةُ الْقَوْمِ يَعْدُونَ رَاجِلِينَ لِلْقِتَالِ وَنَحْوَهُ . وَأَقْشَعَرَتْ : تَهَيَّأَتْ لِلْقِتَالِ .

9 كَعَدُوِّ حِمَارٍ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ 111 : تَجُولُ كَعَبِيرٍ .

10 الْجَفَرُ : جَمْعُ جَفِيرٍ بِمَعْنَى جَعْبَةِ السَّهَامِ .

- حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُهُ
جُرَّازٍ من اقطار الحديد المنعَّتِ¹
تراها كأذئاب المطيِّ صوادراً
وقد نهلتُ مِن الدِّماءِ وعلَّتِ²
سنجزي سلامانَ بنَ مُفرجٍ قرَضَهُم
بما قَدَّمتُ أيديهمُ وأزَلَّتِ³
شفيناً بعبد الله بعضُ غليلنا
وعوفٍ لدى المَعْدَى أوانٍ استهلَّتِ⁴
قتلنا حزاماً مُهْدياً بمُلبَدٍ
محلَّهما بين الحجيجِ المصوَّتِ
فإنْ تُقبلوا تُقبلَ بِمَنْ نِيلَ منهمُ
وإنْ تُدبروا فأمَّ مَنْ نِيلَ فُتَّتِ
ألا لا تزرني إنْ تشكَّيتْ خلَّتِي
كفاني بأعلى ذي الحميرةِ عُدُوتِي⁵
وإني لخلوُّ إنْ أُريدتْ حلاوتي
ومرُّ إذا النفسُ الصَّدُوفُ استمرَّتِ
أبيّ لما أبى وشيكٌ مَفِيتِي
إلى كُلِّ نفسٍ تَنحّي بمودَّتِي⁶
وقال الشنفرى أيضاً :
- ومرقةٍ عَنقاءٍ يَقصُرُ دونها
أخو الضَّرُوةِ الرَّجُلُ الخفيُّ المخفَّفُ⁷
نَمِتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا
من الليل ملتَفُ الحديقةِ أسَدَفُ⁸
فَبِتُّ على حَدِّ الذَّراعينِ أحدياً
كما يَتَطَوَّى الأرقمُ المتعَطَّفُ⁹
قليلٌ جَهازِي غيرُ نعلينِ أُسحَقَتِ
صُدُورُهما مَخْصُورَةٌ لا تُخَصِّفُ¹⁰
ومِلْحَفَةٍ دَرَسٍ وَجَرْدٍ مُلَاءَةٍ
إذا أَنهجت من جانبٍ لا تَكفُّفُ¹¹

- 1 أقطار الحديد في المفضليات 111 : كأقطاع الغدير . والجرار : الفاطم .
- 2 المطي في المفضليات 111 : الحسيل .
- 3 سلامان بن مفرج : قبيلة . أزلت : من الزلل .
- 4 عبد الله وعوف : قبيلتان . المعدي : مكان . واستهلَّت : برزت للقتال .
- 5 الشطر الثاني في المفضليات 112 : شفاني بأعلى ذي البريقين عُدُوتِي . والخلَّة : الحاجة . ذو الحميرة : مكان .
- 6 مفييتي في المفضليات 112 : سريع مباءتي .
- 7 مرقة : مرتفع من الهضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق . الضَّرُوة : من ضرا بمعنى استخفى . والرَّجُل : الساعي على رجله . وفي الديوان 37 الرجل الحفي .
- 8 نَمِت في الديوان 37 : نعت .
- 9 أحدياً في الديوان 37 : مجدياً .
- 10 قليل جهازِي في الديوان 37 : وليس جهازِي . أُسحقت : بليت . مخصورة : دقيقة الوسط . لا تخصيف : لا تقبل الخرز .
- 11 في الديوان 37 : وضنيَّة جُرْدٍ وأخلاق رَنيَّة
الجرد : البالي . أَنهجت : بليت .

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مَهْنَدٌ
وَصَفْرَاءُ مِنْ نَبْعِ أَبِي ظَهِيرَةٍ
إِذَا طَالَ فِيهَا النَّزْعُ تَأَبَّى بَعْجُهَا
كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسِهَا
نَأَتْ أُمَّ قَيْسِ الْمَرْبَعَيْنِ كَلِيهِمَا
وَأَنَّكَ لَوْ تَدْرِينَ أَنَّ رُبَّ مُشْرَبٍ
وَرَدَتْ بِمَأْثُورٍ وَنَبْلٍ وَضَالَةٍ
أُرْكَبُهَا فِي كُلِّ أَحْمَرٍ عَاتِرٍ
وَتَابَعْتُ فِيهِ الْبَرِّيَّ حَتَّى تَرَكْتُهُ
بِكُفِّي مِنْهَا لِلْبَغِيضِ عُرَاضَةً
وَوَادٍ بَعِيدٍ الْعُمُقِ ضَنْكٍ جُمَاعُهُ

مِجْدُ لَأَطْرَافِ السَّوَادِ مِيقَطُ¹
تُرِنَ كَارِنَانَ الشَّجِيِّ وَتَهْتِفُ²
وَتَرْمِي بِذُرْوَيْهَا بَهَنَ فَتَقْذِفُ³
عَوَازِبُ نَحْلِ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنِفُ⁴
وَتَحْذَرُ أَنْ يَنْأَى بِهَا الْمُتَصَيِّفُ
مَخُوفٍ كَدَاءِ الْبَطْنِ أَوْ هُوَ أَخُوفُ
تَخَيَّرْتُهَا مِمَّا أَرِيشُ وَأَرْصُفُ⁵
وَأَقْذِفُ مِنْهُنَّ الَّذِي هُوَ مَقْرِفُ⁶
يَزِفُ إِذَا أَنْفَذْتُهُ وَيَزَفُفُ⁷
إِذَا بَعْتُ خَلًّا مَا لَهُ مُتَخَوِّفُ⁸
بِوَاطِنُهُ لِلْجَنِّ وَالْأَسَدِ مَأْلَفُ⁹

- 1 مجذ : قطاع ، ومقطف : قطاع .
- 2 صفراء في الديوان 38 : وحراء . و صفراء : قوس صفراء . النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . ظهيرة : معينة .
- 3 الشطر الأول في الديوان 38 : إذا آل فيها النزاع تأبى بعجزها . والعجس : مقبض القوس . ذروا القوس : طرفاها .
- 4 عجمها في الديوان 38 : عجزها . عوازب في الديوان 38 : غوارب . عوازب نحل : ذواهب نحل . مطنف : من الطنف .
- 5 المأثور : السيف المؤثر . الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة . رصف السهم : شد على مدخل سنخ نصله العقبة .
- 6 في الديوان 38 :
- 7 أركبها في كل أحمر غائر وأنسج للولدان ما هو مقرف العاتر : الشديد ، المقرف ، غير الحسن .
- 8 يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفرة : شدة الجري ، أو تحريك الريح للعشب وصوتها فيه . وفي الديوان 138 : يرِن إذا أنرفته .
- 8 العراضة : الهدية .
- 9 في الديوان 38 :

ووادٍ بعيد العمق ضنكٍ جماعه
وحوش موى زاد الذئاب مضلة

مرصد أيم مانت الرأس أخوف
بواطنه للجن والأسد مألوف

تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدى غَمَالِيلَ يَخْشَى غِيلَهَا الْمُتَعَسَّفُ¹
وَأَنِّي إِذَا خَامَ الْجَبَانُ عَنِ الرَّدى فلي حيث يُخْشَى أَنْ يُجَاوِزَ مَخْسَفُ²
وإن امرءاً أجار سعدَ بنَ مالكٍ عليَّ وأثوابِ الأَقْصِرِ يَعْنُفُ³
وقال الشنفرى أيضاً :

[من الطويل]

وَمُسْتَبَلٍ ضَافِي الْقَمِيصِ ضَعْنُهُ بَأَزْرَقَ لَا نِكْسٍ وَلَا مُتَعَوِّجٍ⁴
عَلَيْهِ نُسَارِيٌّ عَلَى خُوطٍ نَبْعَةٍ وَفُوقَ كَعْرُوبِ الْقَطَاةِ مُحَذَّرَجٍ⁵
وَقَارِبْتُ مِنْ كَفِّي ثَمَ فَرَجْتَهَا بَنَزَعَ إِذَا مَا اسْتَكْرَهَ النَّزْعُ مُخْلِجٍ⁶
فَصَاحَتْ بِكَفِّي صَبِيحَةً ثَمَ رَجَعَتْ أَنِينَ الْأَمِيمِ ذِي الْجِرَاحِ الْمُشَجِّجِ⁷
وقد روى : فناحت بكفي نوحة .

[رواية ثالثة في مقتله]

وقال غيره : لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبَّ بنو سلامان بن مُفَرِّج بن مالك بن
هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى ، وهو أحد بني
ربيعة بن الحِجْر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن
الأزد ، وهو غلام ، فجعله الذي سباه في بهمة يربعاها مع ابنة له ، فلما خلا بها الشنفرى
أهوى ليقبلها ، فصكَّت وجهه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقبله ، فوجده
وهو يقول :

أَلَا هَلْ أَتَى فِتْيَانَ قَوْمِي جَمَاعَةً بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها ؟
ولو علمتُ تلك الفتاة مناسبي ونسبها ظَلَّتْ تَقَاصِرُ دُونَهَا

1 الغماليل : الدوابي . الغيل : الأشجار الكثيفة .

2 الشطر الأول في الديوان 39 :

وَأَبَ إِذَا أُجْرَى الْجَبَانُ وَظَنَّهُ

خام : جبن وضعف . مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلَّه وقطعه .

3 الأَقْصِر : صنم مقدس .

4 ضغف الشيء : لأكه بالأنياب والنواجذ .

5 نساري : ريش نسر الخوط . النبعة : شجرة صلبة تتخذ منها سهام . الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه . والمُحَذَّرَج : الأملس .

6 مخرج : من أخرج الشيء بمعنى انتزعه .

7 المشجج : من شج رأسه .

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمِّي ابنة الخيرين لو تعلمينها
إذا ما أروم الودَّ بيني وبينها يومُ بياضُ الوجه مني يمينها

قال : فلما سمع قوله سأله : ممَّن هو ، فقال : أنا الشنْفري ، أخو بني الحارث بن ربيعة ، وكان من أقبح النَّاس وجهاً ، فقال له : لولا أنَّي أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي . فقال : عليَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخلَّى سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشددت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه ، فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهر جزءاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أفواقها من القرون والعظام ، ثم إن امرأته بنت السلامي قالت له ذات يوم : لقد خست¹ بميثاق أبي عليك ، فقال : [من الطويل]

كأنَّ قدَّ ، فلا يغررك مني تمكثي ، سلكتُ طريقاً بين يرْبغ فالسرد
وإنِّي زعيمٌ أن تثور عجاجتي على ذي كساء من سلامان أو بُرد
همُ عرفوني ناشئاً ذا مخيلة أمشي خلال الدار كالفرس الورْد²
كأنِّي إذا لم يُمس في الحي مالك بتيهاء لا أهدى السَّيْل ولا أهدي

قال : ثم غزاهم فجعل يقتلهم ، ويعرفون نبأه بأفواقها في قتالهم ، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم غزاهم غزوة ، فنذروا به ، فخرج هارباً ، وخرجوا في إثره ، فمَرَّ بامرأة منهم يلتمس الماء يعرفته ، فأطعمته أقطاً ليزيد عطشاً ، ثم استسقى فسقته رائباً ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءها القوم فأخبرتهم خبره ، ووصفت صفته وصفة نبهه ، فعرفوه ، فرصدوه على ركيٍّ لهم ، وهو ركيٍّ ليس لهم ماء غيره ، فلما جنَّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلما دنا منه قال : إنِّي أراكم ، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يُخرج رصداً إن كان ثمَّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتل منهم قتيل أن يُمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة ، قال : فرمى لَمَّا أبصر السواد ، فأصاب رجلاً فقتله ، فلم يتحرك أحد ، فلما رأى ذلك أَمِن في نفسه وأقبل إلى الركيِّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . ففُضرب بعضهم شماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبِد الرجل . فخرَّ عنده في القليب³ ، فوطئ على رقبتة فدفَّقها . وقال في قطع شماله :

[من الرجز]

1 خست بالميثاق : لم تف به .

2 الفرس الورْد : الأحمر .

3 القليب : البئر .

لا تَبْعَدِي إِمَّا ذَهَبَ شَامَةٌ فَرُبَّ وَاِدٍ نَفَرَتْ حَمَامَةٌ
وَرُبَّ قِرْنٍ فَصَلَّتْ عِظَامَةٌ وَرُبَّ حَيٍّ فَرَّقَتْ سَوَامَةٌ

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعُلّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة .

صوت

[من المتقارب]

أَلَا طَرَقَتْ فِي الدَّجَى زَيْنُ وَأَحْبَبُ بَزِينٍ إِذْ تَطَرَّقُ
عَجِبْتُ لَزَيْنٍ أَنِّي سَرْتُ وَزَيْنُ مِنْ ظَلَّهَا تَفَرَّقُ¹

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمَةَ ، والغناء لخليل المعلّم رمل بالبصر ، عن الهشاميّ وأبي أيوب المدنيّ .

[452] - أخبار الخليل ونسبه

[نسبه]

هو الخليل بن عمرو ، مكِّي ، مول بني عامر بن لؤي ، مُقِلٌّ لا تُعرف له صنعة غير هذا الصوت .

[يشتري لهو الحديث]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم ، بن مَهْرُوَيْه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني القطراني المغني ، عن محمد بن حسين ، قال : كان خليل المعلم يلقب خليلان ، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد ، فحدثني من حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ﴾¹ ثم يلتفت إلى صبيته بين يديه فيردد عليها :

اعتاد هذا القلب بلباله أن قُرِبت للبين أجماله

فضجكت ضحكاً مفرطاً لما فعله ، فالتفت إلي فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : أتكر ضجكي مما تفعل ؟ والله ما سبقت إلى هذا أحد ! ثم قلت : انظر أي شيء أخذت على الصبي من القرآن ، وأي شيء هوذا تلقي على الصبيته ، والله إنني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله .

[يسيء الأزدي فهم غناؤه]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني عبد الصمد بن المعدل قال : كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء ، وأفنهم وأفصحهم ، فدخل يوماً على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتة ، فرأى عوداً معلقاً ، فعلم أنه عرض له به ، فدعا به وأخذه فغناهم : [من الخفيف]

يا ابنة الأزدي قلبي كيب مستهام عندها ما يُنِيب²

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً ، وقد ظن أنه عرض به ، ففطن لما أراد

1 سورة لقمان ، الآية : 6 .

2 ينيب : يرجع .

فغنى :

[من مجزوء الوافر]

أَلَا هَزَيْتِ بِنَا قُرْشِيَّةَ يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
 فَسُرِّي عَنْ عَقَبَةٍ وَشَرِبَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ وَضَعَ الْعُودَ مِنْ حَجَرِهِ ، وَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ
 لَا يَغْنِي بَعْدَ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَّا لَمَنْ يَجُوزُ حَكْمُهُ عَلَيْهِ .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

يَا ابْنَةَ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَتِيبُ مُسْتَهَامُ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ
 وَلَقَدْ لَامُوا فَقُلْتُ : دَعُونِي إِنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبُ
 إِنَّمَا أَبْلَى عِظَامِي وَجِسْمِي حُبُّهَا وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
 أَيُّهَا الْعَائِبُ عِنْدِي هَوَاها أَنْتَ تَفْدِي مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

عروضه من المديد ، والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ،
 والغناء لمعبد ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لملك خفيف ثقیل
 أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم
 ينسبه إسحاق إلى أحد ، ووجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين ، وقد ذكر
 يونس أن فيه لحنين ولملك كلاهما ، ولعل هذا أحدهما ، وذكر حبش أن خفيف الرمل
 لابن سريج ، وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقیل ، وذكر الهشامي
 أن فيه لطويس هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانه أن لملك فيه ثقیلاً أول
 وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقیل آخر :

صوت

أَلَا هَزَيْتِ بِنَا قُرْشِيَّةَ م يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
 رَأَتْ بِي شَيْبَةً فِي الرَّأ سِ مَنِّي مَا أُغَيِّبُهَا
 فَقَالَتْ لِي : ابْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ وَبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا
 لَهَا بَعْلٌ خَيْبُ النَّفْسِ يَحْصُرُهَا وَيُنْجِبُهَا
 يَرَانِي هَكَذَا أَمْشِي فَيُوعِدُهَا وَيَضْرِبُهَا

عروضه من الوافر ، الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقیل بالخنصر في
 مجرى الوسطى ، وفيه ليونس ثقیل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي .

صوت

[من البسيط]

هل ما علمت وما استودعت مكنوم¹ أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم²
 أم هل كتيب³ بكى لم يقض عبرته¹ إثر الأحيّة يوم بين مشكوم¹
 يحملن أثرجة² ، نضخ العبير بها كأن تطايبها في الأنف مشموم²
 كأن فارة مسلّ في مفارقها للباسط المتعاطي وهو مزكوم²
 كأن إبريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم²
 قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح³ والقوم تصرعهم صهباء خرطوم³

الشعر لعلقمة بن عبدة ، والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني
 خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخر رمل بالخنصر في
 مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانه أن في الأربعة
 الأبيات الأول المتوالية لملك خفيف ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أول نسبة الهشامي إلى
 الغريض ، وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر ، وذكر حبش أن في الخامس
 والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

1 كتيب في شرح ديوان علقمة 33 : كبير . مشكوم : من شكيمة الفرس .

2 مقدم : مسدود . وسبا الكتان : خرقة .

3 صدح في شرح ديوان علقمة 45 : رنم . الخرطوم : السريعة الإسكار .

[453] - أخبار علقمة ونسبه¹

[نسبه]

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبید بن ربعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .
[الملك ينتقم من زيد مناة]

وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل ، وكانا لدة عصر واحد ، على بعض الملوك ، وكان زيد مناة حسوداً شراً طعناً ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكرأ داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقل معها حظاً ، فقال له : يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكر ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدي لهن ، وقد حدث نفسه بالتعرض لبنت الملك ، فغاضه ذلك ، وأمسك عنه ، ونمى الخبر إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصدق عنه ، واعتذر إليه بما قاله فيه عذراً قبله ، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه ، وكان بكر أعور العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحب أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأ عيني اليمنى ، وتضعف لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففقت ، وأمر بعيني زيد مناة ففقتا ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

[سبب تسميته]

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .
ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل ، سمي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه ، فطلقها ، فخالفه عليها ، وما زالت العرب تسميه بذلك ، وقال الفرزدق :

والفحلُ علقمةُ الذي كانت له حُلُّ الملوك كلامه يُتَنَحَّلُ

1 انظر أخباره في شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل - رواية الأعلام الشنمري تحقيق حنا نصر الجتي دار الكاتب العربي 7-14 ، والشعر والشعراء 1 : 218-222 ، والمفضليات : المفضلية 119 ، والأنباري 762-765 ، والموشح 28-30 وطبقات ابن سلام 30 ، 31 والخزانة 1 : 565-566 .

[قصيدته سخطا الدهر]

أخبرني عَمِّي قال : حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو قال : حَدَّثَنِي أَبُو السَّوَّارِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْلَى إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردّوه منها كان مردودا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمُ عِلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ ، فَأَنشَدَهُمْ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم أَمْ حَبْلُهَا أَنْ نَأْتِكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ
فقالوا : هذه سِمْطُ الدَّهْرِ ، ثُمَّ عادَ إِلَيْهِمُ الْعَامَ الْمُقْبِلَ فَأَنشَدَهُمْ :

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرُ حَانَ مَشِيبُ
فقالوا : هاتان سِمْطَا الدَّهْرِ .

[يسرقون شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ قال : سمعت أبي يقول : سرق ذو الرُّمَّةِ قوله :

يطفو إذا ما تلقتَه الجراثيم¹
من قول العجاج :

إذا تلقتَه العقاقيلُ طفا²
وسرقه العجاج من عِلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ فِي قَوْلِهِ :

يطفو إذا ما تلقتَه العقاقيلُ

[أُتِيَهُمَا أَوْصَفُ لِلْفَرَسِ هُوَ أَوْ أَمْرُ الْقَيْسِ]

أخبرني عَمِّي قال : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قال : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ لَقِيطٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قال : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قال : كانت تحت امرئ القيس امرأة من طييء تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل به عِلْقَمَةُ الْفَحْلُ بْنُ عَبْدَةَ التَّمِيمِيِّ ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فَأَنشَدَ أَمْرُ الْقَيْسِ قَوْلَهُ : [من الطويل]

خليلي مُرّاً بي على أُمِّ جُنْدُبِ

حتى مرّ بقوله :

1 الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر .

2 العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رجل الدابة .

فَللسَّوْطِ أَهْوَبٌ وَللسَّاقِ دِرَّةٌ وَللزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهَذَّبٌ¹
ويروى : أَهْوَجَ مِنْعَبٍ² .

فَأَنشَدَهَا عَلْقَمَةُ قَوْلَهُ :
[من الطويل]

ذَهَبَتْ مِنَ الْمِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ
حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَهُ حَتَّى ثَنَى مِنْ عِانِهِ يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبٍ³
فَقَالَتْ لَهُ : عَلْقَمَةُ أَشْعُرُ مِنْكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّكَ زَجَرْتَ فَرْسَكَ ، وَحَرَكْتَهُ
بِسَاقِكَ ، وَضَرَبْتَهُ بِسَوْطِكَ . وَأَنَّهُ جَاءَ هَذَا الصَّيْدُ ، ثُمَّ أَدْرَكَتَهُ ثَانِيًا مِنْ عِانِهِ ، فَغَضِبَ امْرَأُ
الْقَيْسِ وَقَالَ : لَيْسَ كَمَا قُلْتَ ، وَلَكِنَّكَ هَوَيْتَهُ ، فَطَلَّقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَلْقَمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَبِهَذَا
لُقِّبَ عَلْقَمَةُ الْفَحْلُ .

[ربيعة بن حذار يحكم له]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ ، عَنْ لَقِيطٍ قَالَ : تَحَاكَمَ عَلْقَمَةُ بْنُ
عَبْدَةَ التَّمِيمِيِّ وَالزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ السَّعْدِيِّ ، وَالْمُخَبِّلُ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ ، إِلَى رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارٍ
الْأَسَدِيِّ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ يَا زُبْرَقَانُ فَإِنَّ شَعْرَكَ كَلَحِمٍ لَا أَنْضِجُ فَيُؤْكَلُ ، وَلَا تُرِكَ نَيْئًا فَيُسْتَفْعَ
بِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَمْرُو فَإِنَّ شَعْرَكَ كَبُرْدٍ حَبْرَةٍ يَتَلَأَلُ فِي الْبَصْرِ ، فَكَلَّمَا أَعَدَّتَهُ فِيهِ نَقْصٌ ، وَأَمَّا
أَنْتَ يَا مُخَبِّلُ فَإِنَّكَ قَصَّرْتَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَمْ تَدْرِكِ الْإِسْلَامَ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلْقَمَةُ فَإِنَّ شَعْرَكَ
كَمَزَادَةٍ⁴ قَدْ أَحْكَمَ خَرْزُهَا فَلَيْسَ يَقْطُرُ مِنْهَا شَيْءٌ .

[عمر يجلد من تمثّل بشعره]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ مِنْ مَزِينَةَ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ يُتَّهَمُ بِامْرَأَتِهِ ، فَلَمَّا حَاضَى
بَابَهُ تَنَفَّسَ ثُمَّ تَمَثَّلَ :

[من البسيط]

1 الألهوب : اجتهد الفرس في العدو . الدرة : حث الفرس على العدو . الأخرج : ما خالط بياضه سواده .
مهذب : مسرع .

2 مِنْعَبٌ : الجواد يمدّ عنقه عند عدوه كالغراب .

3 في شرح ديوان علقمة 62 :

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

4 المَزَادَةُ : إنباء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

هل ما علمتَ وما استودِعتَ مكتومٌ أم حبَّلها إذ نأتكَ اليوم مصرومٌ ؟

قال : فتعلّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُمثّل : وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تُنشدّه قبل أن تبلغَ بابه ؟ ولكنك عرّضتَ به مع ما تعلم من القالة فيه ، ثم أمر به فضربَ عشرين سوطاً .

صوت

[من الطويل]

فوالله لا أنسى قتيلاً رزيتُه بجانب قوسى ما حييتُ على الأرض¹
بلى إنها تغفوَ الكلومُ وإنما نُوكَلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمْضِي²
ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رداءه ولكنه قد بُزَّ عن ماجدٍ محضٍ

الشعر لأبي خراش الهذليّ ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل أوّل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكّي أنّه لابن مسجح وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّي ، نحله ابن مسجح ، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً .

1 قوسى : بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبي خراش .

2 تغفوَ الكلوم : تندمل .

[454] - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره¹

[نسبه]

أبو خراش اسمه خُوَيْلِد بن مُرَّة ، أَحَدُ بني قِرْد ، واسمُ قِرْد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلامَ فَأَسْلَمَ وعاش بعد النبي ﷺ مدّة ، ومات في خلافة عُمَرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ، نَهَشْتُهُ أفعى فمات ، وكان مِمَّنْ يَعْدُو فيسبقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعمي والحسن بن عليّ قالوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أبي سعد قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ عُمَيْرٍ بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حَدَّثَنِي أَبُو بركة الأشجعيّ من أنفُسهم قال : خرج أبو خراش الهذليّ من أرض هُذَيْل يريد مَكَّةَ ، فقال لزوجته أُمّ خراش : ويحك إني أريد مَكَّةَ لبعض الحاجة ، وإنّك من أَفك² النساء ، وإنّ بني الدَّيْل يطلّبونني بتراتٍ فَيَاكِ وَأَنْ تَذْكُرْنِي لأحد من أهل مَكَّةَ حتى نصدر منها ! قالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مَكَّةَ وأنا أعرف السبب .

[يربصون به فيفلت منهم]

قال : فخرج بأُمّ خراش وكَمَنَ لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ ، فجلست إلى عِطَّارٍ فمرّ بها فتیان من بني الدَّيْل ، فقال أحدهما لصاحبه : أُمّ خراش ورَبّ الكعبة وإنّها لَمَنْ أَفكُ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه ، قال : فوقفا عليها فسلّما وأحفيا³ المسألة والسلام ، فقالت : مَنْ أَنتما بأبي أَنتما ؟ فقالا : رجلان من أَهْلِك من هذيل ، قالت : بأبي أَنتما . فإنّ أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيّة ، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتیانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مَحْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدُوّاً ، فكمّنوا في عَقَبَةٍ على

1 انظر أخباره في الاشتقاق 11 والكمال للمبرد 528-530 ، 1186 وفي الشعر والشعراء 663-664 ، وفي الاستيعاب 659-661 وأسَدُ الغابة 5 : 178-179 والإصابة 2 : 152 والالآي 216-217 والخزانة 1 :

211-212 .

2 أَفكُ النساء : أكذبهنّ .

3 أحفيا : أبدأ الحفاوة .

طريقة ، فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها : قَتَلْتَنِي وَرَبُّ الكعبة لِمَنْ ذَكَرْتَنِي ؟
فَقَالَتْ : وَالله ما ذَكَرْتِكَ لأحدٍ إِلَّا لِفَتَيَيْنِ مِنْ هَذِيل ، فَقَالَ لها : وَالله ما هما مِنْ هَذِيل
وَلَكِنَّهُمَا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَقَدْ جَلَسَا لِي وَجَمَعَا عَلَيَّ جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِمْ فَادْهَبِي أَنْتِ فَإِذَا
جُرْتَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْرِضُوا لَكَ لَثْلًا أُسْتَوْحِشَ فَأَفَوْتَهُمْ ، فَارْكُضِي بِعَيْرِكَ ، وَضَعِي
عَلَيْهِ الْعَصَا ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ .

قال : [فَاظْلَقْتِ] وهي عَلَى قَعُودٍ عُقْلِي يسابق الريح ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ وَقَدْ تَلَمَّحُوا
وَوَضَعُوا تَمَرًا عَلَى طَرِيقِهِ عَلَى كَسَاءٍ ، فَوَقَّفَ قَلِيلًا كَأَنَّهُ يُصْلِحُ شَيْئًا ، وَجَازَتْ بِهِمْ أُمُّ
خِرَاشٍ فَلَمْ يَعْرِضُوا لَهَا لَثْلًا يَنْفِرُ مِنْهُمْ ، وَوَضَعَتِ الْعَصَا إِلَى قَعُودِهَا ، وَتَوَاتَبُوا إِلَيْهِ وَوَثَبَ
يَعْدُو .

قال : فَرَاخَمَهُ عَلَى الْحِجَّةِ¹ الَّتِي يَسْلُكُ فِيهَا عَلَى الْعُقْبَةِ ظَنِّي ، فَسَبَقَهُ أَبُو خِرَاشٍ ، وَتَصَاحَى
الْقَوْمُ : يَا مَخْلَدُ أَخْذًا أَخْذًا .

قال : فَفَاتَ الْأَخْذَ . فَقَالُوا : ضَرْبًا ضَرْبًا ، فَسَبَقَ الضَّرْبَ ، فَصَاحُوا : رَمِيًا رَمِيًا
فَسَبَقَ الرَّمِيَّ ، وَسَبَقَتْ أُمُّ خِرَاشٍ إِلَى الْحَيِّ فَنَادَتْ : أَلَا إِنَّ أَبَا خِرَاشٍ قَدْ قُتِلَ ، فَقَامَ أَهْلُ
الْحَيِّ إِلَيْهَا ، وَقَامَ أَبُوهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ مَا كَانَتْ قِصَّتُهُ ، فَقَالَتْ : إِنَّ بَنِي الدَّيْلِ عَرَضُوا لِي
السَّاعَةَ فِي الْعُقْبَةِ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتِ ، أَوْ مَا سَمِعْتِ ؟ قَالَتْ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : يَا مَخْلَدُ
أَخْذًا أَخْذًا ، قَالَ : ثُمَّ سَمِعْتِ مَاذَا ؟ قَالَتْ : ثُمَّ سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : ضَرْبًا ضَرْبًا ، قَالَ : ثُمَّ
سَمِعْتِ مَاذَا ؟ قَالَتْ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : رَمِيًا رَمِيًا ، قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتِ رَمِيًا رَمِيًا فَقَدْ
أَفَلْتَ ، وَهُوَ مَنَا قَرِيبٌ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا أَبَا خِرَاشٍ ، فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ : يَا لَيْتَكَ ، وَإِذَا هُوَ
قَدْ وَافَاهُمْ عَلَى أَثَرِهَا . وَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ فِي ذَلِكَ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَمْ تَرْغُ فَقُلْتَ وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ هُمْ هُمْ²
رَفَوْنِي بِالْفَاءِ : سَكَنُونِي وَقَالُوا : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ .

فَغَارَرْتُ شَيْئًا وَالدَّرِيسُ كَأَنَّمَا يَزْعُرُهُ وَعَكٌّ مِنَ الْمَوْمِ مُرْدِمٌ³
غَارَرْتُ : تَلَبَّثْتُ . وَالدَّرِيسُ : الْخَلْقُ مِنَ الشَّيَابِ ، وَمِثْلُهُ الْجَرْدُ وَالسَّحْقُ وَالْحَشِيفُ .
وَمُرْدِمٌ : لَازِمٌ .

1 الْحِجَّةُ : الطَّرِيقُ .

2 لَمْ تَرْغُ فِي دِيْوَانِ الْهَذِيلَيْنِ 144/2 : لَا تَرْغُ .

3 فَغَارَرْتُ فِي دِيْوَانِ الْهَذِيلَيْنِ : 144/2 : فَعَدَيْتُ . الْوَعَكُ : أَذَى الْحُمَى ، وَعَكٌّ فِي دِيْوَانِ الْهَذِيلَيْنِ
144/2 : وَرَدَّةٌ . وَالْمَوْمُ : الْحُمَى الشَّدِيدَةُ .

تذكرتُ ما أينَ المفترُ وإنِّي
فوالله ما ربداءُ أو عِلْجُ عانةٍ
بأسرعَ مِنِّي إذ عرفتَ عديهِم
وأجودَ مِنِّي حينَ وافيتُ ساعياً
أوائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ وَحَنِّي
تَذَكَّرَ ذَخْلاً عندنا وهو فاتكُ
تقول ابنتي لما رأتني عشيّةً :
فقلتُ وقد جاوزتَ صارى عشيّةً :
فلولا دراكُ الشَّدِّ آضتُ حليّتي
ففسخَطُ أو ترضى مكاني خليفةً

بجبل الذي يُنجي من الموتِ مُعْصِمٌ¹
أَقْبُ وما إن تيسرَ رَمْلُ مُصَمِّمٌ²
كأنِّي لأولاهُم من القُربِ تَوَامٌ³
وأخطأني خلفَ الثَّيْبَةِ أُسْهُمٌ⁴
لدى المتن مشبوح الذراعين خَلَجَمٌ⁵
من القومِ يَعْرُوهُ اجتراءٌ ومَأْتَمٌ
سلمتُ وما إن كِدْتَ بالأَمْسِ تَسْلَمُ
أَجَاوَزْتُ أُولَى القومِ أم أنا أَحْلَمُ⁶
تَخَيَّرَ في خُطَابِهَا وَهِيَ أَيْمٌ⁷
وكادَ خِرَاشٌ عند ذلك يَتِيمٌ⁸

[يسبق الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالاً : حدّثنا الرياشيّ قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : حدّثني رجل من هذيل قال : دخل أبو خراش الهذليّ مكّة وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسان يريد أن يُرسلَهُما ، في الحليّة ، فقال للوليد : ما تجعلُ لي إن سبقتهما ؟ قال : إن فعلت ، فهما لك ، فأرسلا ، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعيّ : إذا فاتك الهذليّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .
وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش عليّ بن سُلَيْمان الأخفش ، عن أبي سعيد

1 تذكرت في ديوان الهذليين 144/2 : تذكر ما . بجبل : في ديوان الهذليين 144/2 : يغرّر . مُعْصِم : مستمسك .

2 العِلْج : حمار الوحش . أَقْب : دقيق الخصر ضامر البطن ؛ رَمْلٌ في ديوان الهذليين 145/2 : رَمْلٌ وهو ضرب من الشجر . مصمم : جاد في سيره .

3 لأولاهم : لأولى سراياهم .

4 في ديوان الهذليين 147/2 : يوم كَفَتُ عادياً .

5 وائل : طلب النجاة . الشد الذليق : الجري السريع . مشبوح الذراعين : عظيمها . الخلجم : الجسم العظيم .

6 صارى : جبل جنوبي المدينة .

7 آضت في ديوان الهذليين 148/2 : قاضت ، أي أتت عليها قيظة أي صَيِّفَة .

8 فسخط وعند في ديوان الهذليين 148/2 : على التوالي : ففقد ، يوم .

السكريّ ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب عن أبي عمرو .
[يمدح دية حياً ويرثه ميتاً]

وأخبرني بيغضه محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كلّ واحد منهم عن أصحابه في مواضعه ، قال السكريّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال : نزل أبو خراش الهذليّ على دُبْيَةِ السُّلَميّ ، وكان صاحبَ العُرَى التي في غطفان وكان يَسُدُّنَهَا ، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدمها وكسرها وقتل دُبْيَةَ السُّلَميّ ، قال : فلمّا نزل عليه أبو خراش أحسنَ ضيافته . ورأى في رجله نعلين قد أخلقنا ، فأعطاه نعلين من حذاء السَّبَبِ¹ فقال أبو خراش يمدحه :

حذانيّ بعد ما خَدِمْتَ نِعالِي	دُبْيَةُ إِنَّهُ نِعَمَ الْخَلِيلِ ²
مُقَابِلَتَيْنِ مِنْ صَلَوِي مُشِبٍّ	مِنْ الثَّيْرَانِ وَصَلُهَا جَمِيلِ ³
بِمِثْلِهِمَا يَرْوَحُ الْمَرْءُ لَهَوًا	وَيَقْضِي الْهَمَّ ذُو الْأَرْبِ الرَّجِيلِ ⁴
فَنَعَمَ مُعَرَّسُ الْأَضْيَافِ تُذْخِي	رَحَالَهُمْ شَامِيَّةٌ بَلِيلِ ⁵
يُقَاتِلُ جَوْعَهُمْ بِمَكَلَّلَاتٍ	مِنْ الْفَرْنِيِّ يَرْعَبُهَا الْجَمِيلِ ⁶

قال أبو عمرو : الْجَمِيلُ : الإهالة ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إِهَالَةً كانت أو شَحْمًا . وقال أبو عمرو : ولما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُرَى غطفان ، وكانت بيطن نخلة ، نَصَبَهَا ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دُبْيَةَ فقال أبو خراش الهذليّ يرثيه :

1 السَّبَبُ : الجلد المدبوغ .

2 خَدِمَ الحذاء : انقطع .

3 مقابلتين في ديوان الهذليين 140/2 : بموركتين ، أي من الورك . الصُّلوان : ما فوق الذنب من الوركين ، وهو تشية صلا ، والصلّا : الظَّهْر . من الثيران وصلهما جميل : في ديوان الهذليين 140/2 : بصرفين عقدهما جميل أي بشراكين يصرفان ، أي يصوّتان .

4 ورد البيت في ديوان الهذليين 140/2 :

بمثلها نروح نريد لهوًا ويقضي حاجة الرّجل الرّجِيل
والرجيل : القوي على المشي .

5 الشَّامِيَةُ البليل : الريح التي تهبّ من جهة الشام رطبة لينة . تُذْخِي : تسوق وتطرد وفي الديوان تُذْخِي .

6 مكَلَّلَات : مملوءات ، الفرنيّ : نوع من الخبز . يرعبها : يملؤها . الجميل : الإهالة ، وهي الشَّحْم .

ما لِدَيْبَةٍ منذَ اليوم لم أرَهُ وَسَطَ الشُّرُوبِ ولم يُلِمِّمْ ولم يطفِ¹
لو كان حيّاً لغاداهم بمُترَعَةٍ فيها الرّواويق من شيزى بني الهطف²
بنو الهطف: قوم من بني أسد يعملون الجفان .

كابي الرماد عظيمُ القِدْرِ جَفَّتُهُ حين الشتاء كحَوْضِ المنهلِ اللَّفِفِ³
المنهلُ: الذي إبله عطاش . واللِّقْفُ: الذي يضربُ الماءُ أسفله فيساقط وهو ملآن .
أُمسى سَقَامٌ خَلَاء لا أنيسَ به إلا السَّبَاعُ ومَرُّ الرّيح بالغَرْفِ⁴

[يرثي زهير بن العجوة]

وقال الأصمعيّ وأبو عمرو في روايتهما جميعاً: أُخِذَ أصحابُ رسول الله ﷺ في يوم
حُتَيْنٍ أُسارى ، وكان فيهم زهيرُ بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث ، فمرَّ به جميلُ بنُ
مَعْمَرٍ بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، وهو مربوطٌ في الأسرى ، وكانت بينهما إحنةٌ
في الجاهليّة ، فضرب عنقه ، فقال أبو خراش يرثيه :

فَجَّعَ أصحابي جميلُ بن معمرَ بذِي فَجَرٍ تأوي إليه الأرايلُ⁵
طويلُ نِجادٍ السيف ليس بخيْدِرٍ إذا قام واستنت عليه الحمائلُ⁶
إلى بَيْتِهِ يأوي الغريبُ إذا شتا ومُهتَلِكٌ بالي الدريسين عائلُ⁷
تروّحَ مَقْروراً وراحت عشيّة لها حَدَبٌ تحتَه فيوائِلُ⁸
تكاد يداه تُسَلِّمان رداءه من القُرِّ لما استقبلته الشمائلُ⁹

- 1 الشُّرُوب: القوم الذين يشربون . ودَيْبَة: كان سادناً لبعض الأصنام فضرب خالد بن الوليد عنقه .
- 2 الرواويق: جمع الراووق وهو الخمر وإناءها ، وقيل المصافي . والشيزى: الجفنة . بنو الهطف: بنو أسد بن خزيمه ، كانوا حلفاء لبني كنانة ، وكانوا يعملون الجفان .
- 3 كابي الرماد: عظيم الرماد .
- 4 سَقَام: وادٍ بالحجاز ، والغَرْف: الشجر .
- 5 أصحابي في ديوان الهذليين 148/2: أضيافي .
- 6 في ديوان الهذليين 149/2:

طويل نجاد البرّ ليس بجيدرٍ إذا اهتز واسترخت عليه الحمائلُ

البرّ: السيف ، والجيدر: القصير . والحيدر: الغليظ السمين ، واستنت: اهتزت .

7 المهتلِك: لا همّ له إلا أن يتضيّفه الناس . والدريسان: مثنى دريس ، وهو الثوب الخلق .

8 الحدب: شدّة البرد . تحتَه: تسرع به ، يوائِل: يطلب النجاة .

9 القر في ديوان الهذليين 149/2: الجود .

فما بال أهل الدار لم يتصدّعوا وقد خفّ منها اللوذعيُّ الحلالح¹
 فأقسِمُ لو لا قيتَه غيرَ موثقي لآبك بالجزع الضباعُ النواهل²
 لظلّ جميلٌ أسوأ القوم تلةً³ ولكنّ ظَهَرَ القِرْنِ للمرءِ شاغل³
 فليس كعهدي الدار يا أمّ مالكِ ولكنّ أحاطت بالرقابِ السلاسلُ⁴
 وعاد الفتى كالكهمل ليس بقائلٍ سوى الحقّ شيئاً فاستراح العواذلُ⁴
 ولم أنسَ أياماً لنا ولياليأ بحليّةٍ إذ نلقى بها ما نحاول⁴

وقال أيضاً يرثيه :

[من الطويل]

أفي كلّ ممسى ليلةً أنا قائل من الدهر لا يبعدُ قتيلٌ جميل
 فما كنتُ أخشى أن تصيبَ دماءنا قريشٌ ولما يقتلوا بقتيل
 فأبرحُ ما أمرتُم وعمرتُم مدى الدهر حتى تُقتلوا بغليل⁵

[يستنفذ أسرى بني ليث]

وقال أبو عمرو في خبره خاصة : أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القُرديّ في بضعة عشر رجلاً من بني قُرْد يطلبون الصيد فبينما هم بالمجمعة من نخلة لم يرُعهم إلا قوم قريب من عدّتهم فظنّهم القُرديّون قوماً من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر ، فعدا الهذليّون إليهم يطلبونهم وطمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر ، فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيبُ القُرديّ ، فهم بقتلها ، وعرفهم أبو خراش فاستنفذهم جميعاً من أصحابه وأطلقهم ، فقال أبو خراش في ذلك يومٌ على ابني شعوب أحد بني شِجْع بن عامر بن ليث فعله بهما :

[من الوافر]

عدونا عدوة لا شك فيها وخِلناهم ذؤيبة أو حبيباً⁶

1 يتصدّعوا في ديوان الهذليين 149/2 : يتحمّنوا . اللوذعي : الخفيف الذكيّ ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح . الحلالح : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد .

2 الجزع : منعطف الوادي .

3 تلة : صرعة .

4 حلية : مكان .

5 وعمرتُم في ديوان الهذليين 157/2 : وملكنتم .

6 ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .

فُنْعِرِي الثَّائِرِينَ بِهِمْ وَقَلْنَا شَفَاءَ النَّفْسِ أَنْ يَبْعَثُوا الْحُرُوبَا
 مَنَعْنَا مِنْ عَدِيٍّ بَنِي حَنِيفٍ صِحَابَ مُضَرَّسٍ وَابْنِي شَعُوبَا¹
 فَأَثْنُوا يَا بَنِي شِجْعٍ عَلَيْنَا وَحَقُّ ابْنِي شَعُوبِ أَنْ يُثِيْبَا
 وَسَائِلُ سَبْرَةِ الشَّجْعِيِّ عَنَّا غَدَاةُ نَخْلَاهُمْ نَجْوَاً جَنِيْبَا²
 بِأَنَّ السَّابِقَ الْقِرْدِيَّ أَلْقَى عَلَيْهِ الثَّوْبَ إِذْ وَلَّى دِيْبَا
 وَلَوْلَا ذَاكَ أَرْهَقَهُ صُهَيْبٌ حَسَامَ الْحَدِّ مَطْرُوراً خَشِيْبَا³

[يزهد زهد الهنود]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قاله : حدثنا الرياشي : قال : حدثنا الأصمعي قال : أقفر أبو خراش الهذلي من الزاد أياماً ، ثم مرَّ بامرأة من هذيل جزلة شريفة ، فأمرت له بشاة فذبحت وشويت ، فلما وجدَ بطنه ريحَ الطعام قرقر⁴ ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنك لتقرقر لرائحة الطعام ، والله لا طعمت منه شيئاً ثم قال : يا ربة البيت ، هل عندك شيء من صبرٍ أو مرٍّ ؟ قالت : تصنع به ماذا ؟ قال : أريدُه ، فأتته منه بشيء فاقتمحه ، ثم أهوى إلى بعيره فركبه ، فناشدته المرأة فأبى ، فقالت له : يا هذا ، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ، ثم مضى وأنشأ يقول :

[من الطويل]

وَإِنِّي لَأُثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي فَأَحْيَا وَلَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي وَلَا جِرْمِي⁵
 وَأَصْطَبِحَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ فَأَكْتَفِي إِذَا الزَادُ أَضْحَى لِلْمَزْلَجِ ذَا طَعْمِ⁶
 أَرْدُ شَجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلِمِينِيهِ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ⁷

1 عدي بني حنيف : جماعة العادين منهم . ومضرس : اسم رجل من بني ليث الممدو عليهم . وشعوب : اسم رجل .

2 نخلاهم في ديوان الهذليين 134/2 : تخالنا . النجو : ما أهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن . والجنيب : المبعد .

3 ذاك في ديوان الهذليين 135/2 نحن . مطروراً : مسنوناً . خشيباً : مسلولاً .

4 قرقر بطنه : صوت من الجوع

5 لأثوي الجوع : أطيل حسبه عندي حتى يملني . الجرم : الجسد .

6 صدر البيت في ديوان الهذليين 127/2 :

وأعقب الماء القراح فأنتهى

المزlj : الرجل الذي لا قدرة له على احتمال المكروه .

7 الشجاع : الثعبان .

مخافة أن أحيا برغمٍ وذلةً فللموت خيرٌ من حياةٍ على رَغمٍ

[يفتدي أخاه عروة فيلطمه]

وأخبرني عمي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي ، وقال أبو عمرو : أسرت فهُمَّ عروة بن مرةً أبا أبي خراش ، وقال غيره : بل بنو كنانة أسرتَه ، فلما دخلت الأشهر الحرم ، مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش ، فترل بسيد من ساداتهم ولم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قِراه ، فلما تحرَّم به انتسب له ، وأخبره خبر أخيه ، وسأله معاونته حتى يشتريه منهم ، فوعده بذلك ، وغدا على القوم مع ذلك الرجل ، فسألهم في الأسير أن يهبوه له ، فما فعلوا ، فقال لهم : فيبيعوني ، فقالوا : أما هذا فنعم ، فلم يزل يسأولهم حتى رضوا بما بذله لهم ، فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشاً رهينةً ، وأطلق أخاه عروة ومضيا ، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه ، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه . فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبدٌ له فقال : إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك ، فذبحها ، ولطمني لما منعه منها ، فقال له : دعه ، فلما كان بعد أيام عاد ، فقال له : قد أخذ أخرى : فذبحها ، فقال : دعه ؛ فلما أمسى قال له : إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه ، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إيلك ، لينحرها لهم فعاجله ، فوثب أبو خراش إليه ، فوجده قد أخذ الناقة ، لينحرها ، فطردها أبو خراش ، فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه ، وأخذ الناقة ، فعقرها ، وانصرف أبو خراش ، فلما كان من غدٍ لأمه قومه ، وقالوا له : بئست لعمرك الله المكافأة ، كانت منك لأخيك ؛ رهن ابنه فيك ، وفداك بماله . ففعلت به ما فعلت ، فجاء عروة يعتذر إليه ، فقال أبو خراش :

لعلك نافعي يا عرو يوماً إذا جاورت من تحت القبور
أخذت خفارتِي ولطمت عيني وكيف تُثيبُ بالمن الكبير¹
ويومٍ قد صبرتُ عليك نفسي لدى الأَشهاد مُرتدي الحرور²
إذا ما كان كسُ القوم رَوْقاً وجالت مقتلنا الرجل البصير³
بما يمتُهُ وتركتُ بكري وما أطعمت من لحم الجُرور⁴

قال معنى قوله يكرى أي يكرُّ ولدي أي أولهم .

1 خفارتِي : المال الذي أحرسه .

2 الأَشهاد : جمع شهد ، وشهد جمع شاهد . ومرتدي الحرور : لابساً الحرَّ .

3 الكس : الدق الشديد . رَوْقاً : زائداً .

4 بما يمتُهُ : بما قصدته من إحساني إليك .

[خير أخويه الأسود وأبي جندب]

وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي : كان بنو مرة عشرة ، أبو خراش ، وأبو جندب ، وعروة ، والأبج ، والأسود ، وأبو الأسود ، وعمرو ، وزهير ، وجناد ، وسفيان ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراً لا يُذكرُونَ عدواً ، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة¹ وهو غلام شاب ، فوردت عليه إبل رثاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان ، ورثاب شيخ كبير ، فرمى الأسود ضرعاً ناقة من الإبل فعفرها ، فغضب رثاب ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدهم أبو جندب ، فعرف خير أخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأسف ، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا : خذ عقل² أخيك ، واستبق ابن عمك ، فلم يزلوا به حتى قال : نعم ، اجتمعوا العقل ، فجاءوه به في مرة واحدة ، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا له ، أرحنا : أقبضه منا ، فقال : إني أريد أن أعتير فاحبسوه حتى أرجع ، فإن هلك فلا³ ما أنتم ، هذه لغة هذيل يقولون : إم بالكسر ، ولا يستعملون الضم ، وإن عشت فسوف ترون أمري ، وولّى ذاهباً نحو الحرم ، فدعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهم لا تردّه ، فخرج فقدم مكة فواعد كل خليل وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

[خير أخيه زهير]

قالوا : وأما زهير بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحرم حتى ورد ذات الأقر⁴ من نعمان ، فبينما هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثمالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثمالة ويُغير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين ، أي جليتين من ثمالة :

خذوا ذلكم بالصُّلحِ إني رأيْتُكم قتلتم زهيراً وهو مهديٌّ ومُهْمِلٌ
مهديٌّ أي أهدى هدياً للكعبة . ومهمِلٌ : قد أهملَ إليه في مراعيها .
قتلتم فتى لا يفجرُ الله عامداً ولا يجتويه جاره عامٌ يُمَحِلُ⁵

1 داءة : موضع هذيل .

2 العقل : الدية .

3 فلاً ما أنتم : أنتم تنتمون إلى أصل عظيم .

4 ذات الأقر : جبل بنعمان .

5 لا يفجر الله : لا يفجر بالله .

ولهم يقول أبو خراش : [من الرجز]

إني امرؤٌ أسألُ كيما أعلمَا مَنْ شَرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِمَا ؟
وجدتهم ثَمالةً بنَ أسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول : [من الرجز]

إليك أم ذِيَّانٍ ما ذاك من حلبِ الضَّانِ
لكن مصاع الفتيانِ بكلِّ لَينِ حَرَّانِ

[خبر أخيه عروة وابنه خراش]

قال : وأما عروة بنُ مرّةٍ وخراشُ بنُ أبي خراشٍ فأخذهما بطنان من ثَمالةٍ يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروة بن مرّةٍ وابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ ، فظفرَ بهما الثماليون ، فأما بنو رِزام فنهوا عن قتلها وأبت بنو بلال إلا قتلها ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ، فالتقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شُغل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أين خراش ؟ فقال : أفلتَ مني فذهب ، فسعى القوم في أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة ، ويذكر خلاصَ ابنه :

[من الطويل]

حمدتُ إلهي بعد عُرْوَةَ إذ نجا	خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ
فواللهِ لا أنسى قتيلاً رُزيتَه	بجانبِ قَوْمِي ما حييتُ على الأرضِ ¹
بلى إنها تعفو الكلومَ وإنما	نوكُلُ بالأدنى وإن جُلَّ ما يَمْضِي
ولم أدِرْ مَنْ ألقى عليه رداءُهُ	سوى أَنَّهُ قد سلَّ عن ماجِدٍ محضٍ ²
ولم يكُ مثلُوجِ الفؤادِ مهبطاً	أضاعُ الشابَّ في الرِّبيلةِ والخفضِ ³
ولكنَّهُ قد نازعته مجاوع	على أَنَّهُ ذو مرّةٍ صادقِ النهضِ ⁴

قال : ثم إنَّ أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَةَ بن صَبِيح ليغزوا ثَمالةً بهم طالِبِينَ بئارَ أخيهما ، فلَمَّا دَنَوْا من ثَمالةٍ أَصاب عروةَ وَرْدُ حُمَى ، وكانت به

1 حييت في ديوان الهذليين 158/2 : ما مشيت .

2 أَنَّهُ في ديوان الهذليين 158/2 : ولكنَّهُ .

3 مهبطاً في ديوان الهذليين 158/2 مَهْبِجاً والمَهْبِجُ : المنقل . والمَهْبِلُ من القول : هَبْلَكَ أَمْكَ أَي ثَكَلَكَ . ومثلوج الفؤاد : ضعيف الفؤاد . الريلة والخفض : معناها واحد أي الدعة ؛ والريلة ، كثرة اللحم وتماها .

4 مجاوع في ديوان الهذليين 158/2 مخامض .

حُمَيَّ¹ الرَّبْعَ فجعل عروة يقول :

[من الرجز]

أَصْبَحْتُ مُوروداً فَقَرَّبُونِي إِلَى سَوَادِ الْحَيِّ يَذْفِنُونِي
إِنَّ زَهيراً وَسَطَهُمْ يَدْعُونِي رَبَّ الْمَخَاضِ وَاللَّقَاحِ الْجُونِ

فلبثوا إلى أن سكنت الحُمَيَّ ، ثم بَيَّتُوا ثُمَالَةَ ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال ، فقتلوا مَنْ وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذرائي والأموال ، وجاء الصائِح إلى ثُمَالَةَ عشاءً ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابه ، وانقطعت بنو زُليفة ، فنظر الأَكْنَعُ الثُّمَالِي ، وكان مقطوع الأصبع ، إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رام بنفسي عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يَمْعَجُ² نحو عروة ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه : أي أبا خراش ، هذا والله الأَكْنَعُ وهو قاتلي ، فقال أبو خراش : أمضيه³ ، وقعد له على طريقه ، ومرَّ به الأَكْنَعُ مصمماً على عروة ، وهو لا يَعْلَمُ بموضع أبي خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضَّرْبَةُ سَحَرَهُ⁴ ، وانهزمت ثُمَالَةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثي أخاه وَمَنْ قتلته ثُمَالَةُ وكنانةً من أهله ، وكان الأصمعيّ يفضّلها :

[من الطويل]

فَقَدْتُ بَنِي لُبْنَى فَلَمَّا فَقَدْتَهُمْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَقْطَعْ عَلَيْهِمْ أَبَاجِلِي⁵
الأَبْجَلُ : عرق في الرَّجُل .

رِمَاحٌ مِنَ الْخَطِيئِ زُرُقٌ نِصَالُهَا وَلَهْفِي عَلَى عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ لَهْفَةٌ
كَرِيمٌ نَتَاهُمْ غَيْرُ لُفٍّ مَعَازِلِ⁶ وَلَا سُبَّةً لَا زِلْتَ أَسْفَلَ سَافِلِ
وَقَدْ أُمِنُونِي وَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسُهُمْ

1 حُمَيَّ الربع : التي تصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع .

2 يَمْعَجُ : يسرع .

3 أمضه : اجعله يمضي خلفك .

4 السَّحَرُ : ما اتصل بالخلقوم من رثة وغيرها .

5 بني لُبْنَى : إخوته لأنَّ اسم أمهم جميعاً لبْنَى ما عدا سفيان .

6 حُجَزَات : جمع حُجْزَةٍ وهي موضع التكة من السروايل . والنثا : الحديث . لف : جمع أَلْف ، وهو الثقيل البطيء ، أو أَلْفه العبي ، المعازل ، المجردون من السلاح .

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو الصَّلْحَ مِنِّي فَإِنَّهُ
أُصِيبَتْ هُذَيْلٌ يَا ابْنَ لُبْنَى وَجُدَّتْ
كَأَحْمَرِ عَادٍ أَوْ كُتَيْبِ بْنِ وَائِلٍ
أَنُوفُهُمْ بِاللُّؤْذَعِيِّ الْحُلَاحِلِ
رَأَيْتُ بَنِي الْعَلَاتِ لَمَّا تَصَافَرُوا
يَحُوزُونَ سَهْمِي دُونَهُمْ بِالشَّمَائِلِ

[أخبار إخوانه]

قالوا : وأما أبو الأسود فقتلته فهُمَّ بَيَاتاً تحت الليل ، وأما الأَبَحُّ فكان شاعراً ، فأمسى بدار
بَعْرَعَرَ من ضميم ، فذكر لسارية بن زنيم العبدِيَّ أحد بني عبد بن عديِّ بن الدَّيْل ، فخرج
بقوم من عشيرته يريدوه وَمَنْ معه ، فوجدوهم قد ظعنوا . وكان بين بني عبد بن عديِّ بن
الدَّيْل وبينهم حرب ، فقال الأَبَحُّ في ذلك :

لَعْمُرِكَ سَارِيَّ بْنَ أَبِي زُنَيْمٍ
لَأَنْتَ بَعْرَعَرَ الثَّارُ الْمُنِيمُ¹
تَرَكْتَ بَنِي مَعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرِ
وَأَنْتَ بَمَرْبَعٍ وَهُمْ بِضَمِيمٍ
تُسَاقِيهِمْ عَلَى رَصْفٍ وَظُرٍّ²
كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ³

رَصَفَ وَظُرَّ : ماءان ، ومربع وضميم ، موضعان .

فَلَمْ تَتْرَكْهُمْ قَصْداً وَلَكِنْ
رَأَيْتَهُمْ فَوَارِسَ غَيْرِ عَزْلٍ
فَرَقْتَ مِنَ الْمَصَالِتِ كَالنَّجُومِ
إِذَا شَرِقَ الْمُقَاتِلُ بِالْكُلُومِ

فَأَجَابَهُ سَارِيَّة ، فقال :

لَعَلَّكَ يَا أَبَحُّ حَسِبْتَ أَنِّي
أَخَذْتُكُمْ عَقْلَهُ وَتَرَكْتُموه
قَتَلْتُ الْأَسْوَدَ الْحَسَنَ الْكَرِيمَا
يَسُوقُ الظُّمِّيَّ وَسَطَ بَنِي تَمِيمَا³

عَبَّرَهُمْ بِأَخْذِ دِيَةِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَرَّةٍ أَخِيهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا بَثْرَهُ ، وَبَنُو تَمِيمٍ مِنْ هُذَيْلٍ .
قالوا : وأما جُنَادَةُ وَسَفِيَّانُ فَمَاتَا ، وَقَتْلَ عَمْرُو ، وَلَمْ يُسَمَّ قَاتِلُهُ . قالوا : وَأَمَّهُمْ جَمِيعاً
لُبْنَى إِلَّا سَفِيَّانَ بْنِ مَرَّةٍ ، فَإِنَّ أُمَّهُ أُمُّ عَمْرُو الْقِرْدِيَّةِ ، وَكَانَ أَيْسَرَ الْقَوْمِ وَأَكْثَرَهُمْ مَالاً .
وَقَالَ أَبُو عَمْرُو : وَغَزَا أَبُو خِرَاشٍ فَهَمَّا ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ عَجُوزاً ، وَأَتَى بِهَا مَنْزِلَ قَوْمِهِ ،

1 ساري : ترخيم سارية . عرعر : مكان . الثَّارُ الْمُنِيم : الثَّارُ الَّذِي أَدْرَكَهُ أَهْلُهُ اسْتَرَاخُوا وَنَامُوا . فِي هَذَا الْبَيْتِ
وَالثَّالِثِ إِقْوَاء .

2 الْمَسَافَاةُ : الْمَسَالَةُ وَالْمَصَافَاةُ . وَحَلِمَ : أَصَابَتْهُ الْحَلْمَةُ وَهِيَ دَوْدَةٌ تَأْكُلُ الْجِلْدَ ، فَإِذَا دَبَغَ وَهِيَ مَوْضِعُ الْأَكْلِ .
وَهُنَا مِثْلُ : وَرَدَ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ 150/2 وَجُمُورَةُ الْأَمْثَالِ لِلْعَسْكَرِيِّ 35/2 ، 158 ، وَالْمُسْتَقْصَى
لِلزَمَخْشَرِيِّ 216 وَكِتَابُ الْأَمْثَالِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ 343 .

3 عَقْلُهُ : دَيْتُهُ . الظُّمِّي : جَمْعُ ظُمِيَاءَ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْقَلِيلَةُ لَحْمِ الْفَخْذَيْنِ .

فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلته بيتاً صغيراً ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهب ، فقال : [من الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمَتْ بني فالج بالليث أهل الخزائم

الدولج : بيت صغير يكون للبهيم ، والليث : ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خزومة .

وقالت له : دَنَخْ مكانك إني سَأَلْكَ إِنْ وافيت أهل المواسم

يقال : دَنَخَ الرجلُ ودَمَخَ إذا أَكَبَّ على وجهه ويديه .

وقال أبو عمرو : دخلت أُميمةُ امرأةَ عروّة بن مرّة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أبا خراش تناسيتَ عروّة ، وتركت الطلبَ بثأره ، ولهُوتَ مع ابنك ، أما والله لو كنتَ المقتول ما غفلَ عنك ، ولطلبَ قاتلكَ حتى يقتله ، فبكى أبو خراش ، وأنشأ يقول :

لعمري لقد راعتُ أُميمةٌ طلعتي وإنْ ثَوَّائي عندها لقليلُ

وقالت : أراه بعد عُرْوَةٍ لاهياً وذلك رُزْءٌ لو علمتَ جليلُ

فلا تحسبي أنني تناسيتُ فقدُهُ ولكنْ صبري يا أُميمَ جميلُ¹

ألم تعلمي أنْ قد تفرّقَ قبلنا نديماً صفاءَ مالكٍ وعَقيلُ²

أبى الصبرُ أنني لا يزال يهيجُني مبيتُ لنا فيما خلا ومَقيلُ

وأنني إذا ما الصبحُ آتستُ ضوءه يعاودني قُطْعٌ عليّ ثَقيلُ³

قال أبو عمرو : فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نَفَاةَ بن عديّ بن الدَّيْل حيناً من الدهر ، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُومٌ ، فقال له أبو جندب : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل من جيرائك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانه من بني نَفَاةَ ، فقال لهم : يا قوم ، ما هذا الجوار ؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا ، أيتجاوز أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أو لم يكن بنو لحيان ، يقتلوننا ، فوالله ما قَرْتُ دماؤنا ، وما زالت تغلي ، والله إنك

1 صدر البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : ولا تحسبي أنني تناسيت عهد

2 عجز البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : خليلا صفاء مالك وعقيل

ومالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش .

3 القُطْع : انقطاع النفس وضيقه .

لثَّارِ الْمُنِيمِ ، فقال : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يُصِيبْ أَخِي إِلَّا خَيْرٌ ، وَلَكِنَّمَا هَذِهِ مَعَابَةٌ لَكُمْ ، وَفَطِنٌ لِلَّذِي يَرِيدُ الْقَوْمُ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ ، وَكَانَ بِأَسْفَلِ دِفَاقٍ¹ ، فَأَصْبَحُوا ظَاعِنِينَ ، وَتَوَاعَدُوا مَاءَ ظَرْ² ، فَفَقَدَ الرِّجَالُ إِلَى الْمَاءِ ، وَأَخْرَوْا النِّسَاءَ لِأَن يَتْبِعْنَهُمْ إِذَا نَزَلُوا ، وَاتَّخَذُوا الْحَيَاضَ لِلْإِبِلِ ، فَأَمَرَ أَبُو جَنْدَبُ أَخَاهُ جُنَادَةَ وَقَالَ لَهُ : اسْرَحْ مَعَ نَعَمِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَتَأَخَّرَ ، حَتَّى تَمَرَّ عَلَيْكَ النَّعَمُ كُلُّهَا ، وَأَنْتَ فِي آخِرِهَا سَارِحٌ بِإِبِلِكَ ، وَاتْرَكَهَا مَتَفَرِّقَةً فِي الْمَرْعَى ، فَإِذَا غَابُوا عَنْكَ فَاجْمَعْ إِبِلَكَ ، وَاطْرُدْهَا نَحْوَ أَرْضِنَا ، وَمَوْعِدُكَ نَجْدَ الْوَدَّيْنِ ، فِي طَرِيقِ بِلَادِهِ ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ أُمُّ زَيْنَبَاعَ وَهِيَ مِنْ بَنِي كَلْبِ بْنِ عَوْفٍ : اظْغَنِي وَتَمَكَّنِّي ، حَتَّى تَخْرُجَ آخِرَ ظَعِينَةٍ مِنَ النِّسَاءِ .

ثُمَّ تَوَجَّهِي ، فَمَوْعِدُكَ ثَنِيَّةٌ يَدْعَانِ مِنَ جَانِبِ النَّخْلَةِ ، وَأَخَذَ أَبُو جَنْدَبٍ دَلْوَهُ ، وَوَرَدَ مَعَ الرِّجَالِ ، فَاتَّخَذَ الْقَوْمُ الْحَيَاضَ ، وَاتَّخَذَ أَبُو جَنْدَبٍ حَوْضًا ، فَمَلَأَهُ مَاءً ، ثُمَّ قَعَدَ عِنْدَهُ ، فَمَرَّتْ بِهِ إِبِلٌ ثُمَّ إِبِلٌ ، فَكَلَّمَا وَرَدَتْ إِبِلٌ سَأَلَ عَنْ إِبِلِهِ فَيَقُولُونَ : قَدْ بَلَغْتَ ، تَرَكَانَهَا بِالضَّجْنِ³ .

ثُمَّ قَدِمَتِ النِّسَاءُ كُلَّمَا قَدِمَتْ ظَعِينَةٌ سَأَلَهَا عَنْ أَهْلِهَا ، فَيَقُولُونَ : بَلَّغْتَكَ تَرَكَانَهَا تَظْعَنَ ، حَتَّى إِذَا وَرَدَ آخِرُ النَّعَمِ وَآخِرُ الظَّعْنِ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَبَسَ أَهْلِي حَابِسٌ ، أَبْصِرْ يَا فُلَانُ ، حَتَّى أُسْتَأْنِسَ أَهْلِي وَإِبِلِي ، وَطَرَحَ دَلْوَهُ عَلَى الْحَوْضِ . ثُمَّ وَلَّى ، حَتَّى أَدْرَكَ الْقَوْمُ بَحِثَ وَعَدِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو جَنْدَبٍ فِي ذَلِكَ :

أَقُولُ لَأُمِّ زَيْنَبَاعَ أَقِيمِي
وَعَرَبْتُ الدَّعَاءَ وَأَيْنَ مِنِّي
صُدُورَ الْعَيْسِ شَطَرَ بَنِي تَمِيمٍ
أُنَاسٌ بَيْنَ مَرٍّ وَذِي يَدُومٍ
غَرِبَتِ الدَّعَاءُ : دَعَوْتُ مِنْ بَعِيدٍ .

وَحَيٌّ بِالْمُنَاقِبِ قَدْ حَمَوَهَا
وَأَحْيَاءُ لَدَى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ
لَدَى قُرَّانَ حَتَّى بَطْنِ ضَمِيمٍ
بَأَمْلَاحٍ فِظَاهِرَةِ الْأَدِيمِ⁴
أُولَئِكَ مَعَشَرِي وَهُمْ أَرْوَمِي
وَبَعْضُ الْقَوْمِ لَيْسَ بِذِي أَرْوَمٍ⁵
هَنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ
رِجَالٌ مِثْلَ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

الْأَرْمِيَةُ : السَّحَابُ الشَّدِيدُ الْوَقْعُ ، وَاحِدُهَا رَمِيٌّ ، وَالْحَمِيمُ : مَطَرُ الْقَيْظِ .

1 دِفَاقٌ : مَكَانٌ .

2 ظَرْ : مَاءٌ .

3 الضَّجْنُ : وَادٍ فِي بِلَادِ هَذِيلَ بِنْتِهَاةٍ .

4 الْمُنَاقِبُ ، وَقُرَّانٌ ، وَبَطْنُ ضَمِيمٍ ، وَأَمْلَاحٌ ، وَظَاهِرَةُ الْأَدِيمِ : أَمَكْنَةُ بَهَا آلهِ وَأَنْصَارِهِ .

5 الْأَرْوَمُ : أَصْلُ الشَّجَرَةِ .

أَقْلَ اللَّهُ خَيْرُهُمُ الْمَا يَدْعُهُمْ بَعْضُ شَرِّهِمُ الْقَدِيمِ
 الْمَا يَسْلُمُ الْجِرَانُ مِنْهُمْ وَقَدْ سَالَ الْفِجَاجُ مِنَ الْغَمِيمِ¹
 غَدَاةَ كَانَ جُنَادُ بَنِ لُبْنَى بِهِ نَضَخُ الْعَبِيرِ مِنَ الْكُلُومِ²
 دَعَا حَوْلِي نَفَاثَةً ثُمَّ قَالُوا : لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمَنِيمِ
 المنيم : الذي إذا أُذِرَكَ استراح أهله وناموا .

نَفُوا مَنْ قَتَلَتْ لِحْيَانُ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَرْبِ الْقُرُومِ
 قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس ، وكان قومه يسمونه المشثوم ، فاشتكى
 شكوى شديدة ، وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلوه قبل
 أن يستبيل³ أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أمواله ، وقتلوا امرأته ، وقد كان أبو جندب كلّم
 قومه ، فجمعوا لجارهِ غنماً ، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدّم
 مكة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن ، وقد شقَّ ثوبه عن استه ، فعرف الناس أنه يريد
 شراً ، فجعل يصيح ويقول :

إِنِّي امْرُؤٌ أَبْكِي عَلَى جَارِيَّةٍ أَبْكِي عَلَى الْكَعْبِيِّ وَالْكَعْبِيَّةِ
 وَلَوْ هَلَكْتُ بِكَيْفَا عَلَيْهِ كَانَا مَكَانَ الثَّوْبِ مِنْ حَقْوِيَّةِ⁴

فلما فرغ من طوافه ، وقضى حاجته من مكة خرج في الخلاء من بكر وخزاعة ،
 فاستجاشهم على بني لحيان ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذرائعهم سبايا ، وقال في
 ذلك :

لَقَدْ أَمْسَى بَنُو لِحْيَانٍ مِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خِزْيٍ مُبِينِ
 تَرَكْتُهُمْ عَلَى الرِّكَبَاتِ صُغْرًا يُشِييُونَ الذَّوَائِبَ بِالْأَنْبِينِ

[يشكو إلى عمر فراق ابنه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعي قال :
 حدّثني عمّي قال : هاجر خراشُ بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ،
 وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدو ، فقدم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدي عمر ،

1 الغميم : نوع من اللبن ، أو من النبات .

2 العبير : الكثير .

3 يستبيل : يتم شفاؤه .

4 الحقو : الخصر .

وشكا إليه شوقه إلى ابنه ، وأنه رجل قد انقرضَ أهله ، وقُتِلَ إخوته ، ولم يبقَ له ناصر ولا معين غير ابنه خراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول :

[من الوافر]

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي خِرَاشاً وقد يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَا
تُزِيدُ وتُزَوِّدُ واحد ، من الزاد .

يُنَادِيهِ لِيُغَبِّقَهُ كَلِيبٌ ولا يَأْتِي ، لقد سَفِهَ الوليدُ¹
فرداً إِنَاءَهُ لا شَيْءَ فِيهِ كَأَنَّ دَمَوْعَ عَيْنِيهِ الْفَرِيدُ²
وَأَصْبَحَ دُونَ غَائِقِهِ وَأَمْسَى جِبَالٌ مِنْ جِرَارِ الشَّامِ سَوْدُ
أَلا فَاعْلَمْ خِرَاشُ بَأَنَّ خَيْرَ الْمَهَا جر بعد هجرته زهيدُ
رَأَيْتَكَ وَابْتِغَاءَ الْبِرِّ دُونِي كمحصور اللبان ولا يصيدُ³

قال : فكتب عمر رضي الله عنه بَأَنَّ يُقْبَلَ خراش إلى أبيه ، وَأَلَّا يَغْزَوْ مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ شَيْخٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ .

[مصرعه]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ : قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَأَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ .

وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَخْبَرَنِي أَيْضاً هَاشِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو سَعِيدٍ السَّكْرِيُّ فِي رِوَايَةِ الْأَخْفَشِ عَنْهُ عَنْ أَصْحَابِهِ ، قَالُوا جَمِيعاً : أَسْلَمَ أَبُو خِرَاشٍ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ قَدِمُوا حُجَّاجاً ، فَتَزَلُّوا بِأَبِي خِرَاشٍ وَالْمَاءِ مِنْهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَمِّي ، مَا أَمْسَى عِنْدَنَا مَاءٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ شَاةٌ وَبُرْمَةٌ وَقِرْبَةٌ ، فَرِدُّوا الْمَاءَ ، وَكُلُوا شَاتِكُمْ ، ثُمَّ دَعَوْا بُرْمَتَنَا وَقِرْبَتَنَا عَلَى الْمَاءِ ، حَتَّى نَأْخُذَهَا ، قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِسَائِرِينَ فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ ،

1 يغبقه : يسقيه الماء .

2 الفريد : اللؤلؤ .

3 في ديوان الهذليين 171/2 :

فإنك وابتغاء البر بعدي كمخضوب اللبان ولا يصيد
واللبان : الصدر . والمخضوب : المشدود .

وما نحن بيارحين حيث أمسينا ، فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربه ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ، ثم أقبل صادراً ، فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبل مُسرِعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال : أطبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلمهم بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت :

لعمركُ والمنايا غالباتُ على الإنسانِ تطلّع كلُّ نجدٍ
لقد أهلكتِ حيّة بطنِ أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فقدٍ¹

وقال أيضاً :

لقد أهلكتِ حيّة بطنِ أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فضلٍ
فما تركتِ عدوّاً بين بُصرى إلى صنعاء يطلبُهُ بذخلٍ²

قال : فبلغ عُمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه خبرُهُ ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سبّة لأمرتُ ألا يُضافَ يمانُ أبداً ، ولكبتِ بذلك إلى الآفاق . إنَّ الرجلَ ليُضيفُ أحدهم ، فيبذل مجهودَهُ فيسخطُهُ ولا يقبله منه ، ويطلبُهُ بما لا يقدر عليه ، كأنّه يطلبه بدين ، أو يتعنته ليفضّحه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغرّمهم دينته ، ويؤدّبهم بعد ذلك بعقوبة تمسّهم جزاء لأعمالهم .

صوت

[من الطويل]

تهيمُ بها لا الدهرُ فإنِ ولا المنى سواها ولا يُنسيك نائي ولا شغلُ
كبيضةٍ أدحيٍّ بميثِ خميلةٍ يحفّها جَوْنٌ بجوْجوه صعلٍ³

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيلاً أول بالوسطى ، عن ابن المكّي .

1 أنف : مكان . وفي ديوان الهذليين 2 : 172 : ساقاً بعد فقد .

2 الذحل : الثأر .

3 الأدحي : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة . والصعل : الطويل .

[455] - أخبار ابن داره ونسبه¹

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن مسافع بن داره ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رُبَيْع بن مسافع بن داره ، وأخوه مسافع بن داره ، وكلاهما شاعر ، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن داره شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام . وأما هذان فممن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقّب بدارة بن كعب بن عديّ بن جُشَم بن عوف بن بُهَثَة بن عبد الله بن غطفان بن سعيد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللصّ وقتله وكان نديماً له وأخاً .

[يستعدي قومه على بني أسد]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسيان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : لما أُخِذ السّمهريّ العكليّ وحُيس وقُتِل ، وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع ابن داره ، فقُتِل بعد طول حبس ، فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عكلاً .

صوت

[من الطويل]

لعينيك من طول البكاء على جُمْل	إن يُمسر بالعينين سُقْمٌ فقد أتى
سواها ولا تُسلى بنأي ولا شغل	تهيم بها لا الدهرُ فإنّ ولا المنى
يُخَفِّفها جَوْنٌ بجوؤوه الصُّل	كبيضة أدحيٍّ بميث خميلة
على الشّامة العنقاء فالنّير فالذّيل ²	وما الشمسُ تبدو يومَ غيم فأشرقَتْ
بأحسن منها يوم زالت على الحمل	بدا حاجبٌ منها وضنتُ بحاجب

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 401-403 ، والمؤتلف : 116 والحامسة 1 : 366-372 ، والإصابة 3 : 161-162 والخزانة 1 : 289-294 ، 557-558 .

2 الشامة : أرض بها علامة سوداء ، وعنقاء : طويلة العنق . النير والذّيل : من جبال ضرية .

وقد كذبوا ما في المودة من إزل
على كبدي كادت بها كمداً تغلي
على نائبات الدهر مني ومن جمل
ويُضمرُ جداً كالنوافذ بالنيل¹
فأماً على جمل فإني لا أبل²
ذوات الشايا الغر والحدق النجل
لهن وإن يعطين يُحمدن بالبدل
وهل ترك الواشون والنأي من وصل
من الأول المختوم ليست من الفضل³
إذا أزيدت في ذنّها زبد الفحل
على نأيهم مني القبائل من عكل
إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
رضى قود بالسّمهري ولا عقل⁴
وتوقد نار الحرب بالخطب الجزل⁵
تلاحظ من غيظ بأعينها القبل⁶
ذوي التاج ضرّاً والملك على الوهل⁷
وطعن كأفواه المفرجة الهدل⁸
وما هي بالفرع المنيف ولا الأصل⁹

يقولون : إزل حب جمل وقربها
إذا شحطت عني وجدت حرارة
ولم أر محزونين أجمل لوعة
كلانا يذود النفس وهي حزينه
وإني لمبلي اليأس من حب غيرها
وإن شفاء النفس لو تسعف المنى
أولئك إن يمنعن فالمنع شيمه
سأميك بالوصل الذي كان بيننا
ألا سقياني قهوة فارسيه
تسني ذوي الأحلام واللب حلمهم
ويا راكباً إما عرضت فبلغن
بان الذي أمتت تجمجم فقفس
وكيف تنام الليل عكل ولم تنل
فلا صلح حتى تنحط الخيل في القنا
وجرد تعادي بالكماه كأنها
عليها رجال جالدوا يوم منيع
بضرب يُزيل الهام عن مستقره
علام تمشي فقفس بدمائكم

1 النوافذ : السهام النوافذ .

2 إلاء اليأس يعني الرجاء .

3 الأول المختوم : الدن المعتق .

4 عكل : قبيلة . والعقل : الدية .

5 نحط الخيل : زفرت وصات من الإعياء .

6 القبل : الحول .

7 الوهل : الفرع .

8 المفرجة الهدل : القرب المخروقة التي تهدلت شفاهها .

9 نمشي بدمائكم : نذهب بها بلا قود . المنيف : العالي المرتفع .

وَكُنَّا حَسِينَا فَقَعَسَا قَبْلَ هَذِهِ
فَقَدْ نَظَرْتُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَسَلَّمْتُ
رَمَى اللَّهُ فِي أَكْبَادِكُمْ أَنْ نَجْتَ بِهَا
وَأَنْتُمْ لَمْ تَتَأَرَوْا بِأَخِيكُمْ
وَبِيعُوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْخَلْيِ وَأَقْعِدُوا
أَلَا حَبْدًا مِنْ عِنْدِهِ الْقَلْبُ فِي كَبَلٍ
وَمَنْ هُوَ لَا يُنْسَى وَمَنْ كُلُّ قَوْلِهِ
وَمَنْ إِنْ نَأَى لَمْ يَحْدِثِ النَّأْيُ بَغْضَهُ

أَذَلَّ عَلَى وَقَعِ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
عَلَى النَّاسِ وَاعْتَاضَتْ بِخِصْبٍ مِنَ الْحِلِ
شِعَابُ الْقِنَانِ مِنْ ضَعِيفٍ وَمِنْ وَغَلٍ¹
فَكُونُوا نِسَاءً لِلْخُلُقِ وَلِلْكُحْلِ²
عَلَى الذَّلِّ وَابْتَاعُوا الْمَغَازِلَ بِالْبَلِّ
وَمَنْ حَبَّه دَاكٌ وَخَبَلٌ مِنَ الْخَبَلِ
لَدَيْنَا كَطَعَمِ الرَّاحِ أَوْ كَجَنَى النَّحْلِ
وَمَنْ إِنْ دَنَا فِي الدَّارِ أُرْصِدَ³ بِالْبَذْلِ³

[خبر السمهري مع نديمه ومصرعه]

وَأَمَّا خَبَرُ السَّمْهَرِيِّ وَمَقْتَلُهُ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشَ أَخْبَرَنِي بِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّكْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : لَقِيَ السَّمْهَرِيُّ بْنُ بَشْرٍ بْنُ أَقِيْشَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَقِيْشَ الْعُكْلِيِّ وَيَكْنَى أَبَا الدَّيْلِ هُوَ وَبَهْدَلٌ وَمَرْوَانُ بْنُ قَرْفَةَ الطَّائِيَانِ عَوْنُ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هَبِيرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ وَمَعَهُ خَالُهُ : أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ مِنْ طَبِيعِ الثَّلَعِيَّةِ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْحَجَّ مِنَ الْكُوفَةِ ، أَوْ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُمْ لَقَوْهُ بَيْنَ نَخْلٍ وَالْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا لَهُ : الْعُرَاضَةُ ، أَيِ مَرَلْنَا بِشَيْءٍ فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، جَفْنُ لَهِمْ⁴ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، مَا الطَّعَامُ نَزِيدٌ ، فَقَالَ : عَرْضُهُمْ⁵ ، فَقَالُوا : وَلَا ذَلِكَ نَزِيدٌ ، فَارْتَابَ بِهِمْ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَشَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ صَائِمٌ ، وَكَانَ بَهْدَلٌ لَا يَسْقُطُ لَهُ سَهْمٌ ، فَرَمَى عَوْنًا فَأَقْصَدَهُ ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ نَدَمُوا ، فَهَرَبُوا ، وَلَمْ يَأْخُذُوا إِبِلَهُ ، فَتَفَرَّقَتْ إِبِلُهُ ، وَنَجَا خَالُهُ الطَّائِي ، إِمَّا عَرَفُوهُ فَكَفَّوْا عَنْ قَتْلِهِ ، وَإِمَّا هَرَبَ وَلَمْ يَعْرِفِ الْقَتْلَةَ ، فَوَجَدَ بَعْضَ إِبِلِهِ فِي يَدَيِ شَافِعِ بْنِ وَاتِرِ الْأَسَدِيِّ .

وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْخَبْرُ فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَإِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِلَى عَامِلِ الْيَمَامَةِ أَنْ يَطْلُبُوا قَتْلَةَ عَوْنٍ ،

1 الْقِنَان : جَمْعُ قَنَةٍ . وَالْوَغْل : النَّزْلُ السَّاقِطُ .

2 الْخُلُق : نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ .

3 أُرْصِدَ بِالْبَذْلِ : كَوَفِيَ . يَبْذُلُ الْوَدَّ وَنَحْوَهُ .

4 جَفْنُ لَهِمْ : أَمْلَأُ الْجَفْنَةَ لَهِمْ طَعَامًا .

5 عَرْضُهُمْ : مِنَ الْعُرَاضَةِ بِمَعْنَى الْهَدِيَّةِ .

ويألفوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُّعَاة به أَشدَّ أخذ ، ويجعلوا لَمَن دَلَّ عليهم جُعلَه ، وأنشام¹ السمهرى في بلادِ غطفان ما شاء الله .

ثم مرَّ بنخلٍ ، فقالت عجزوز من بني فزارة : أظنَّ والله هذا العكلى الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومرَّ أيُّوب بن سلمة المخزومي بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العكلى قاتل عون ابن عمِّك ، فأخذوه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجدد وأبى أن يقرَّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أن بني عُدرة أخذوه فلما عُرِفَت إبلُ عون في يدي شافع بن واثر اتهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قِرفتنا² ، قتلْتَ عوناً ، وحبسوه بصلٍّ : ماء لبني أسد ، وجَحَدَ ، وقد كان عرف مَنْ قتلَه ، إمَّا أن يكون كان معهم ، فورى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإمَّا أن يكون أودعوها إياه ، أو باعوها منه ، فقال شافع : [من الطويل]

فإنَّ سرَّكم أن تعلموا أين نأركم فسلمى معان وابن قِرْفَة ظالمٌ
وفي السجن عكلىَّ شريك لبهدل فولُّوا ذُبابَ السَّيْفِ مَنْ هو حازمٌ
فوالله ما كنَّا جُنَاةً ولا بنا تأوَّب عوناً حتفه وهو صائمٌ³

فعرفوا مَنْ قتلَه ، فألحوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهرى في القيود والسجن ، وجَحَدَ ، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهرى أيقنت نفسه أنه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُغِلَ الناس بالصلاة فكَّ إحدى حلقتي قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد نحو الحرة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحَدَنَا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأُبُلِّيَّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأُبُلَّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، ثم هَمَسَ⁴ ليلته طلقاً ، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينما هو يمضي إذ نَعَبَ غراب عن شماله ، فتطير ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنشِش⁵ ريشه ، ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقي راعياً

1 انشام في بلاد غطفان : دخل فيها .

2 القرفة : من تتهمه بشيء .

3 تأوَّب حنقه : أصابته منيته .

4 همس : سار بالليل بلا فتور .

5 نشنش الطائر ريشه : تنفه تنفأً خفيفاً بمنقاره .

في وجهه ذلك ، فسأله : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : رجل من لَهَب من أزد شنوءة أنتجع أهلي ، فقال له : هلْ عندَكَ شيءٌ من زَجَر قومِكَ ؟ فقال : إِنِّي لَأَنس من ذلك شيئاً أي لأبصر ، فقصَّ عليه حاله غير أَنَّهُ وَرَى الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخبرَه عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهيّ : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطْرَحُ ريشه سيّصَلَب ، فقال السمهريّ : بفيك الحجر ، فقال اللّهيّ : بل بفيك الحجر ، استخبرتني فأخبرتكَ ثم تغضّب . ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاة ، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أَنَّهُ توقّف يومه وليلته فيما يعمل ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار . حتى أتى أرضَ عُذْرَةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبن ، فيحلبون له ، ولَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَحْدَبُ السعديّ : أهدُ بني مخزوم من بني عبد شمس ، وكان أشدَّ منه وألصَّ ، فعجنى جناية ، فَطَلِبَ ، فترك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاة ، وهو على نجية لا تُسَايِرُ ، فبينما السمهريّ يمشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السمهريُّ عن ذلك ، وإنّما يسأله عن أنجاهنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلا يفارق الأحدب ، أشار له إلى ناقة ، فقال السمهريّ : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحنَّ الغفلة ، فلمّا غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تطير به ، وذلك في آخر الليل ، فلمّا أصبحوا فقدوها ، وفقدوه ، فطلبوه في الأثر . وخرجوا حتى إذا كان حَجَرٌ عن يسارهما ، وهو واد في جبل ، أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَةٌ هي أوسع من الطريق ، فظنّا أن الطريق فيها ، فسارا مليّاً فيها ، ولا نجم يأتمان به ، فلمّا عرفا أنّهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدَّ الطلبُ إثرَ بعيريهما ، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أَنَّهُ سيرجع ، فقعدوا له بقم الثقب ثم كرّوا راجعين ، وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها ، فلمّا أبصر القومُ همَّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلها القومُ ، حتى كادوا يغشون السّمهريّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله :

وما كنتُ مِخياراً ولا فِرْعَ السرى ولكن حِذا حجراً بغير دليل¹
وقال الأحدب في ذلك :
لما دعاني السمهريُّ أَجَبْتُهُ بأبيضَ من ماء الحديد صقيل
وما كنتُ ما اشتدّت على السيْفِ قبضتي لأسلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي
وقال السمهريّ أيضاً :

[من الطويل]

نجوتُ ونفسي عند ليلي رهينة وقد غَمَّني داجٍ من الليل دامسُ
وغامستُ عن نفسي بأخلقٍ مقصلٍ ولا خيرَ في نفس امرئٍ لا تُغَامِسُ¹
ولو أنَّ ليلى أبصرتني غدوة ومَطَّوَيَّ والصَفَّ الذين أمارسُ
إذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالت الثوبَ الذي أنا لابسُ

فرجع إلى صحراء منيع ، وهي إلى جنب أضاخ ، والحلَّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردّد ولا يقرب الحلَّة ، وقد كان أكثر الجُعْلُ فيه ، فمرَّ بابني فائد بن حبيب من بني أسد ، ثم من بني فقّس فقال : أجيرا متكرراً ، فحلبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهرى ساعة ، وكرّر راجعاً فتحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحذثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدّحة² ، وإذا كدوح طرية ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهرى الذي جُعل فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرتة³ ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهرى ، فألقى الذي على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه ، وعالجه الآخر ، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً ، وجعل يعالجانه ، فناديا أختهما أن تعينهما ، فقالت : ألي الشُّرك في جُعْلكما ؟ قالوا : نعم ، فجاءت بجريز⁴ فجعلته في عنقه بأنشطة ثم جذبته ، وهو مشغول بالرجلين يمنعهما ، فلما استحكمت العقدة ، وراحت من علائبي⁵ خلى عنهما ، وشدّ أحدهما ، فجاء بصيرار⁶ ، فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ؛ فخرّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المرّبي ، وهو في إمارته على المدينة فأخذوا ما جعل لأخذه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدفع إليه ، فقال السمهرى : أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا ؟ ادنْ أخبرك ، فأراد الدنوّ منه ، فنودي : إيّاك والكلب ، وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمه . ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللّهبيّ وصدقه ، فقال :

[من الطويل]

1 غامست : خضت الحرب . وأخلق مقصل : سيف قاطع .

2 مكدحة : ذات خدش وسمجات .

3 مضابرتة : جمعه وشده .

4 بجريز : بجيل .

5 العلابي : أعصاب العنق .

6 الصرار : ما يشد به خلف الناقة .

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنَا هَاجِرُهُ
أَلَا طَرَقْتَ لَيْلِي وَسَاقِي رَهْنَةً
فَإِنْ أَتَيْتُ يَا لَيْلِي فَرَبَّ فَتَى نَجَا
وَمَا أَصْدَقَ الطَّيْرَ الَّتِي بَرَحَتْ لَنَا
رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةِ
فَقَالَ غُرَابٌ بِاغْتِرَابٍ مِنَ النُّوَى
فَكَانَ اغْتِرَابٌ بِالْغُرَابِ وَنِيَّةٌ
وَقَالَ السَّمْعَرِيُّ فِي الْحَبْسِ يُحْرَضُ أَخَاهُ مَالِكًا عَلَى ابْنِي فَائِدَ :

[من الطويل]

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي مَالِكًا
وَمَنْ مَبْلَغٌ خَزْمًا وَتَيْمًا وَمَالِكًا
لِيُكْوَا الَّتِي قَالَتْ بِصَحْرَاءَ مَنَعِجَ
أَتَضْرَبُ فِي لَحْمِي بِسَهْمٍ وَلَمْ يَكُنْ
وَقَالَ السَّمْعَرِيُّ يَرْقُقُ بَنِي أَسَدَ :

[من الطويل]

تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَقِيلَ بِأَرْضِهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَزُورَنَّ سَاجِرًا
بَنِي أَسَدٍ هَلْ فَيْكُمُ مِنْ هَوَادَةٍ
وَبَنُو تَمِيمٍ تَزْعُمُ أَنَّ الْبَيْتَ لِمَرْءٍ بِنِ مَحْكَانَ السَّعْدِيِّ .

[من الطويل]

وَقَالَ السَّمْعَرِيُّ فِي الْحَبْسِ يَذَمُّ قَوْمَهُ :

لَقَدْ جَمَعَ الْحَدَّادُ بَيْنَ عِصَابَةٍ
بِمَنْزِلَةِ أَمَّا اللَّيْثُ فَنَاشِئَتْ
إِذَا حَرَسِي قَعَقَعَ الْبَابَ أَرْعَدَتْ
أَلَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبِيلَتِي

تَسَائِلُ فِي الْأَقْيَادِ مَاذَا ذُنُوبُهَا ؟
بِهَا وَكَرَامُ الْقَوْمِ بَادٍ شَحُوبُهَا
فَرَائِصُ أَقْوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوبُهَا
وَلَمْ أُدْرِ مَا شَبَّانُ عُكْلٍ وَشَبَّابُهَا ؟

1 نِيَّةٌ : مِنْ نَوَى بِمَعْنَى انْتَقَلَ .

2 فِي الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ .

3 وَبِهَا : وَبِهَا .

4 سَاجِرٌ : مَكَانٌ بِالْيَمَامَةِ .

فبيلة «مَنْ» لا يقرع الباب وفدّها
نرى الباب لا نسطيع شيئاً وراءه
وإن تك عكّل سرّها ما أصابني
وقال السمهري أيضاً في الحبس :

لخير ولا يَهْدِي الصوابَ خطيئها
كأنّا قُبِيّ أسلمتها كعوبها¹
فقد كنت مصوباً على ما يريها
[من الطويل]

ألا حيّ ليلى إذ أَلَمَ لِمَامُها
تعلّل بليلى إنّما أنت هامة²
وبادر بليلى أوجه الركب إنّهم
وكيف ترجيها وقد حيلَ دونها
لأَجْتَنِبْنَهَا أو لَيَتَنَدِرُنَّني
لقد طرقت ليلي ورجلي رهينة³
فلما انتهت للخيال الذي شرى
فإلا تكن ليلى طوتك فإنه
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغيطة⁴
وقال أيضاً :

وكان مع القوم الأعادي كلامها
من الغد يدنو كلّ يوم حِمَامُها²
متى يرجعوا يحرم عليك كلامها
وأقسم أقوام مخوف قسامها
بيض عليها الأثر فعمّ كلامها³
فما راعني في السجن إلا لِمَامُها
إذا الأرض قفّر قد علاها قتامها
شبيهة بليلى حُسْنُها وقوامها
وتبلى عظامي حين تبلى عظامها
[من الطويل]

ألا طرقت ليلي وساقِي رَهِينَة⁴
فما البينُ يا سلمى بأن تشحط النوى
فإن أنج منها أنج من ذي عزيمة⁵
وقال أيضاً وهو طريد :

بأسمر مشدودٍ عليّ ثَقِيل⁴
ولكن بيناً ما يُريد عقيل⁵
وإن تكن الأخرى فتلك سبيل⁶
[من الطويل]

فلا تياساً من رحمة الله وانظروا
ولا تياساً أن تُرزقا أَرْجِيَة⁶

بوادي جُبُونَا أن تَهَبَّ شَمَال⁵
كعين المها أعناقهنّ طِوَال⁶

1 قُبِيّ : جمع قنّاء ، وقناة الرمح أعلاه ، وكعبه : أسفله .

2 هامة الغد : قصير العمر .

3 الأثر : بريق السيف ورونقه .

4 الأسمر : القيد .

5 بوادي جبونا : مكان . تهب الشمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .

6 أَرْجِيَة : خيالاً أَرْجِيَة .

من الحارثيين الذين دماؤهم حرامٌ وأما ما لهم فحلالٌ
وقال أيضاً :

[من الطويل]

ألم تر أني وابن أبيض قد جفت
طريدَيْن من حيين شتى أشدنا
وما لمتُه في أمرٍ حزمٍ ونجدةٍ
وقلتُ له إذ حلَّ يسقى ويستقي
لعمري لقد لاقت ركائبك مشرباً
لئن هي لم تَضْبَحْ عليهنَّ عالياً

[بعض أخباره]

وأخذت طيءً بهدل ومروان أخيه أشدَّ الأخذ ، وحُسِّوا ، فقالوا : إن حُسِّنا لم نقدر
عليهما ونحن محبسون ، ولكن خلُّوا عنا ، حتى نتجسَّسَ عنهما ، فنأتَيْكُم بهما ، وكنا تأبداً مع
الوحش يرميان الصَّيْدَ فهو رزقهما . ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه
فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأنَّ إليه ، ولم يُشعره أنه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام ، فلا ينكره ،
فانطلق الراعي ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاء معه الطلب ، وأكْمَنَهُمْ ، حتى إذا جاء مروان إلى
الراعي كما كان يفعل سقاه ، وحَدَّثه فلم يشعر حتى أطافوا به ، فأخذوه ، وأتوا به عثمان بن
حيان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأعطى الذي دلَّ عليه جُعْلَه ، وقتله .

[نهاية بهدل]

وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغ ذلك سيِّداً من سلمى ، من طيء ، فقال :
قد أُخيفت طيءٌ ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حلَّ بأهله
أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات¹ من قومه ، فقال لهم : إنكم بعيني الخبيث ، فإذا كان النهار
فليخرج الرجال من البيوت ، وليُخلوا النساء ، فإنه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القياب ، وطلب
الحاجة والعَلَّ² فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً ، فظنَّ بهدل
أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قبة السيِّد ، وقد أمر النساء : إن انحدرَ إليكن
رجل فإنه ابنُ عمِّكن ، فاطعمنه وادهنَّ رأسه .

وفي قبة السيِّد ابنتان له ، فسألهما : من أنتما ؟ فأخبرتهما ، وأطعمتهما ، ثم انصرف فلما راح
أبوهما أخبرتهما ، فقال : أحسستما إلى ابن عمِّكما ، فجعل ينحدرُ إليهما ، حتى اطمأنَّ ،

1 أهلات : جمع أهل .

2 العل : الشراب .

وغسلنا رأسه ، وقلناه ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خصل لِمَتِهِ إذا نَعِسَ رويداً بخمل القطيفة .

ثم إذا شددتما عليه فأقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أتما بشعره من ورائه فمدأ به إليكما ، ففعلتا ، واجتمع له أصحابه ، فكروا إلى رحلهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها ، وشدوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بهذل ترثيه : [من الطويل]

فيا ضيّعةَ الفتيانِ إذ يَعتِلُونه يبطن الشرى مثل الفنيق المسدّم¹
دعا دعوةً لما أتى أرضَ مالك ومَن لا يُجِبُّ عند الحفيظة يُسلم²
أما كان في قيسٍ من ابن حفيظة من القوم طَلَّابُ التُّراتِ غَشْمَشْم³
فيقتل جبراً بامرئٍ لم يكن به بواءٍ ولكن لا تكايل بالدم⁴

وكان دعا : يا لِمالك لِيَتَرِعوه ، فلم يجبه أحد .

[مساجلة بينه وبين الكميث]

قال : ولما قال عبدُ الرحمن بنُ داره ابن عمّ سالم بن داره هذه القصيدة يحضُّ عكلاً على بني فُقَعَسَ اعترض الكميث بن معروف الفقعسي ، فغيّره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري ، فقال قوله : [من الطويل]

فلا تُكثِرُوا فيه الضُّجَّاجَ فَإِنَّه يحا السيفُ ما قال ابنُ داره أجمعا

فقال عبد الرحمن بن داره : [من الطويل]

فيا راكباً إمّا عرضتَ فبلَّغَن مُغْلَغَلَةً عني القَبَائِلَ من عُكَلٍ
جلت حمأً عنها القِصَافُ وما جلتُ قُشِيرٌ وفي الشَّدَاتِ والحربِ ما يُجِلِي⁵
فإن يَكُ باعَ الفُقَعَسِيُّ دماءَهم بوَكْسٍ فقد كانت دماؤكم تَغْلِي
وكيف تنام الليلَ عُكَلٌ ولم يكن لها قَوْدٌ بالسّمْهَرِيِّ ولا عَقْلُ
رمى الله في أكبادهم إن نجت بها حروفُ القِنَانِ من ذليلٍ ومن غلٍ

1 يعتلونه : يقتادونه بغلظة . الفنيق : فحل الإبل . والمسدّم : الهائج .

2 الحفيظة : الحرب .

3 الغشمشم : المقدام الذي يقتحم الحروب غير هيّاب .

4 جبر بن عبيد الذي دفع بهذلاً إلى السلطان فقتله . بواء : كفاء . لا تكايل في الدم : لا تقدر الدماء بالكيل .

5 القصاف : فرس مشهورة لبني قشير . الحمم : ما خمد من النيران .

وَكُنَّا حَسْبُنَا فَقْعَسًا قَبْلَ هَذِهِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا بِأَخِيكُمْ
وَيَبْعُوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْحُلِيِّ وَاقْعِدُوا
فَإِنَّ الَّذِي كَانَتْ تُجْمَعُ فَقْعَسٌ
فَلَا سِلْمَ حَتَّى تَنْحَطَّ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
أَذَلَّ عَلَى طَوْلِ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
فَكُونُوا بَغَايَا لِلْخُلُوقِ وَلِلْكُحْلِ
عَلَى الْوُثْرِ وَابْتَاَعُوا الْمَغَازِلَ بِالنَّبْلِ
قَتِيلٌ بِلَا قَتْلَى وَتَبَلٌ بِلَا تَبَلٍ
وَتُوَقَّدَ نَارُ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ

[يقتلون ابن سعدة وأمه]

فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ مَا لَكَ أَخَا السُّمَهْرِيِّ بِخَرَّاسَانَ ، انْحَطَّ مِنْ خَرَّاسَانَ ، حَتَّى قَدِمَ بِلَادَ
عُكْلٍ فَاسْتَجَاشَ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَعَلِقُوا¹ فِي أَرْضِ بَنِي أَسَدٍ يَطْلُبُونَ الْغُرَّةَ فَوَجَدُوا بِشَادِقٍ²
رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ فَقْعَسَ ، فَقَتَلُوهُ ، وَحَزَّوْا رَأْسَهُ ، وَذَهَبُوا بِالرَّأْسِ ، وَتَرَكَوْا جَسَدَهُ ، كَمَا
قَتَلُوهَا أَيْضًا ، وَذَكَرَ لِي : أَنَّ الرَّجُلَ ابْنَ سَعْدَةَ وَالْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ هِيَ سَعْدَةُ أُمُّهُ ، فَقَالَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ :

مَا لَقَيْتُ فَقْعَسًا لَا رَأْسَ لَهُ
لَا يَتَّبَعَنَّ فَقْعَسِي جَمْلَهُ
لَا يَلْقَيْنَنَّ قَاتِلًا فَيَقْتُلَهُ
هَلَّا سَأَلْتَ فَقْعَسًا مِنْ جَدَّةٍ
فَرَدًّا إِذَا مَا الْفَقْعَسِيُّ أَعْمَلَهُ
بَسِيفُهُ قَدْ سَمَّهُ وَصَقَلَهُ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا :

لَمَّا تَمَالَى الْقَوْمُ فِي رَأْدِ الضُّحَى
نَظَرَ ابْنُ سَعْدَةَ نَظْرَةً وَيْلًا لَهَا
لَمَحًا رَأَى مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ يَافِعٍ
عَبَّرْتَنِي طَلَبَ الْحُمُولِ وَقَدْ أَرَى
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا ابْنَ سَعْدَةَ هَلْ تَرَى
نَظْرًا وَقَدْ لَمَعَ السَّرَابُ فَجَالًا³
كَانَتْ لَصَحْبِكَ وَالْمَطْيِيُّ خَبَالًا⁴
بَعْضَ الْعُدَاةِ وَجُنَّةً وَظِلَالًا⁵
لَمْ آتِهِنَّ مَكْفَفًا بَطًّا⁶
ضُبْعًا تَجَرُّ بِشَادِقٍ أَوْصَالًا⁷

1 علقوا : طفقوا .

2 ثادق : اسم واد في ديار عقيل .

3 تمالى القوم : ساروا سيراً حثيثاً .

4 ابن سعدة : هو القتيل الذي قتلوه .

5 الجنة : السلاح ونحوه .

6 الحمول : الديات .

7 سعدة : هي أم الكميت التي قتلوها مع ابنها .

[من الكامل]

أَوْصَالَ سَعْدَةَ وَالْكَمَيْتِ وَإِنَّمَا كَانَ الْكُمَيْتُ عَلَى الْكُمَيْتِ عِيَالًا

وقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أَصْبَحْتُمْ تُكَلِّي لِثَامًا وَأَصْبَحْتُ شَيَاطِينُ عُكْلٍ قَدْ عَرَاهُنَّ فَقَعَسُ
قَضَى مَالِكٌ مَا قَدْ قَضَى ثُمَّ قَلَصْتُ بِهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَجَنَاءُ عِرْمَسُ¹
فَأَضَحْتُ بِأَعْلَى ثَادِقٍ وَكَأَنَّهَا مَحَالَّةُ غَرْبٍ تَسْتَمِرُّ وَتَمْرُسُ²

[مصرعه]

وحدَّثني علي بن سليمان الأحمش أن بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن داره بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتأمروا في قتله ، فقال بعضهم : لا تقتلوه ، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونُحسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه ، فعزموا على ذلك ، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضه بهجائه ، اغتفله فضربه بسيفه ، فقتله وقال في ذلك : [من الكامل]

قُتِلَ ابْنُ دَارَةَ بِالْجَزِيرَةِ سَبْنَا وَزَعَمْتَ أَنَّ سِيَابَنَا لَا يَقْتُلُ
قال علي بن سليمان : وقد روي أن البيت المتقدم :

فَلَا تَكْثُرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
لهذا الشاعر الذي قتل ابن داره ، وهو من بني أسد ، وهكذا ذكر السكري .

صوت

[من الطويل]

كَلَانَا يَرَى الْجَوَازِءَ يَا جُمْلُ إِذْ بَدَتْ وَنَجْمَ الثَّرِيَا وَالْمَزَارُ بَعِيدُ
فَكَيْفَ بَكُمْ يَا جُمْلُ أَهْلًا وَدُونَكُمْ بِحَوْرٍ يُقَمِّصُنَ السَّفِينِ وَبِيدُ³
إِذَا قُلْتُ : قَدْ حَانَ الْقَفُولُ يَصُدُّنَا سَلِيمَانُ عَنْ أَهْوَانِنَا وَسَعِيدُ⁴
الشعر لمسعود بن خَرْشَةَ المازني ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

1 مَالِكٌ : فَقَعَسِي هَارِب . وَالْعِرْمَسُ : الصَّلْبَةُ . وَقَلَصْتُ بِهِ : نَجْتُ بِهِ .

2 المَحَالَّةُ : الْبَكْرَةُ تَعْلَقُ عَلَى الْبَيْرِ يَتَصَلُّ بِهَا الدَّلْوُ . وَالْغَرْبُ : الْكَبِيرَةُ مِنَ الدَّلَاءِ . وَتَمْرُسُ : مِنْ أَمْرَسَ الْحَبْلَ : أَعَادَهُ إِلَى مَكَانِهِ .

3 قَمَصَ الْبَحْرُ السَّفِينَةَ : جَعَلَهَا تَضْطَرِبُ .

4 سَلِيمَانُ وَسَعِيدُ : وَالْيَانُ .

[456] - أخبار مسعود بن خرشة

[نسبه وهواه]

مسعود بنُ خَرَشَةَ أَحَدُ بني خُرْقُوصِ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تميم ، قال أبو عمرو : وكان مسعودُ بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها : جُمْلُ بنتُ شَراحيل ، أُختُ تَمَّامِ بن شَراحيل المازنيّ الشاعر ، فانتجع قومُها ونأوا عن بلادهم ، فقال مسعود : [من الطويل]

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْلُ إذ بدت ونَجْمَ الثَّريا والمزارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جُمْلُ أهلاً ودونكم بُحورٌ يَمْمُضُن السَّفينَ ويبدُ¹
إذا قلت : قد حان القفولُ يصدُّنا سليمانُ عن أهوائنا وسعيدُ²

قال أبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعوداً فقال : [من الطويل]

أيا جملُ لا تشقِّي بأفْعَسَ حَنَكِلِ قليلُ الندى يسعى بكبيرٍ ومِخْلَبِ³
له أعزُّ حُوْ ثمانٍ كأنما يراهن غرَّ الخيل أو هُنَّ أنجبِ

[يسرق بلاد]

وقال أبو عمرو : وسرق مسعودُ بن خرشةَ إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ ، هو ورفقاء له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأتوا بها اليمامة لبييعوها ، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أسد ، ثم عَزَلَ ووَلَّى مكانه رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك :

يقول المرجفون : أ جاء عهدُ كفى عهداً بتنفيذ القلاصِ
أتى عهدُ الإمارة من عُقَيْلِ أغرَّ الوجه رُكْب في النواصي

1 قصص البحر السفينة : جعلها تضطرب .

2 سليمان وسعيد : واليان .

3 الأفْعَس : من برز صدره ودخل ظهره في جسمه . الحَنَكِل : القصير القامة ، أو اللثيم النذل .

حُصُونُ بني عُقِيلٍ كُلُّ عَضْبٍ إِذَا فَرَعُوا وَسَابِغَةَ دِلَاصٍ¹
وما الجارات عند المَحَلِّ فيهم ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ²

قال : وقال مسعود «وقد» طلبه والي اليمامة ، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبُيتنَّ ليلةً بوعثاء فيها للظباء مكانس³
وهل أنجُونُ من ذي لَبِيدٍ بن جابر كأنَّ بناتِ الماء فيه المُجالسُ
وهل أستمعنَّ صوتَ القَطَا تندب القطا إلى الماء منه رابع وخوامسُ

1 العضب : السِّيفُ القاطع . والسَّابِغَةُ الدِّلاص : الدَّرْعُ الصَّافِيَةُ اللَّيْنَةُ .

2 الروازح : جمع رازحة ، وهي الناقة الهزيلة ونحوها . الخماص : الجياع .

3 الوعثاء : الأرض ذات الصخور .

[457] - أخبار بحر ونسبه¹

هو بحر بن العلاء ، مولى بني أُمَيَّة ، حجازي ، أدرك دولة بني هاشم ، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد ، وقد هَرَمَ ، وكان له أخٌ يقال له عباس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات في أيام المعتصم ، وكان يلقَّبَ حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأقدمهُ الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدَّثني حنظلة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثني أحمد بن أبي خالد الأحول ، عن علي بن صالح صاحب المصلى : أنَّ الرشيد سَمِعَ من غُلُوِّهِ ومخارقٍ وهما يومئذٍ من صِغار المغنِّين في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : مِنَّ أخذتما هذه الأصوات ، فقالا : من بحر ، فاستعادهما ، وشرب عليها ، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبحر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغني ذلك الصوت ، فغناه ، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعْجِبْهِ ، واستنقله لولائه لبني أُمَيَّة ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

صوت

[من الطويل]

ألا يا لقومي للنوائب والذهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تودَّأت عليه فوارتُهُ بلماعةٍ قفَرِ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعي : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء . قلت بالكسرة ، تقول : يالَ الرجال وياللقوم . وتقول : يا للغنيمة ويا للحادثة ، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنَّه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودَّأت : قد تلمَّأت عليه ، وتلاءمت ، أي وارتته ، ويروى : تأكَّمت أي صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيف أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق .

1 انظر أخباره في الاشتقاق 320 والكامل 1246-1249 والشعر والشعراء 2 : 691-695 والمزباني 483 واللاي 249-250 ، 639-640 والتبريزي 2 : 43-52 والخزاعة 4 : 81-87 .

[458] - أخبار هذبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

[نسبه]

هو هُذْبَةُ بْنُ خَشْرَمَ بْنِ كُرْزِ بْنِ أَبِي حَيَّةَ بْنِ الْكَاهِنِ ، وهو سلمة ، بن أسحَمَ بْنِ عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم ؛ وسعد بن هُذَيْم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاة ؛ ويقال : بل هو سعد بن أسلم ، وهذيم عبد لأبيه رباه ، فقيل : سعد بن هذيم ، يعني سعداً هذا .

وهذبة شاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروي للحطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هذبة ، وكثير راوية جميل ، فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الراوية إلى الشعر كثير . وكان لهذبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوْطٌ وَسَيْحَانٌ وَالوَاسِعُ ، أمهم حَيَّةُ بنتُ أَبِي بكر بن أبي حَيَّةَ من رهطهم الأذنين ، وكانت شاعرة أيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُذْبَةُ فِي قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم . أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوختنا ، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدَّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان .

فممنَ حَدَّثَنِي به محمد بن العباس اليزيدي قال : حَدَّثَنَا عيسى بن إسماعيل العتكبي : تَبَيَّنَ قال : حَدَّثَنَا خلف بن المثني الحداني ، عن أبي عمرو والمديني .

وأخبرني الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي ، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه .

وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ ، عن ابن قتيبة .

[الحرب بين قومه وقوم زيادة بن زيد]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبيه عن عمه . وقد نسبتُ إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعتُ ما اتَّفَقُوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصّة : كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن

ذبيان وبين بني رقاش ، وهم بنو قُرّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ،
 وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدية ، أن حَوَطَ بن خشرم أخوا هدية راهن
 زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُمَا¹ من الغاية على يوم وليلة ، وذلك في
 القيظ ، فتزوّدوا الماء في الروايا والقيرب ، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت
 زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهنت أوعية زيادة ، ففني ماؤه قبل ماء
 صاحبه ، فقال زيادة :

قد جعلت نفسي في أديم مُحَرَّمِ الدِّبَاغِ ذِي هُزُومٍ
 ثم رمت بي عُرْضَ الدِّيمُومِ في بارحٍ من وَهَجِ السَّمُومِ²
 عند اطلّاع وعرة النجوم³

قال اليزيدي في خبره : المُحَرَّم : الذي لم يُدبغ ، والهزوم : الشقوق .

قال : وقال زيادةً أيضاً :

قد عَلِمْتُ سلمةً بالعميسِ ليلةً مرّمارٍ ومرّمرِيسٍ
 أن أبا المسور ذو شريسٍ يشفي صداع الأبلجِ الدُّلَيسِ⁴

العميس : موضع ، والمرمار والمرمريس : الشدة والاختلاط ، وأبا المسور يعني زيادة
 نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

[هدية وزيادة يشب كل منهما بأخت الآخر]

قال : فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إن هدية بن خشرم وزيادة بن زيد
 اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، في ركبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ،
 وكان مع هدية أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عُوجِي علينا واربعي يا فاطما ما دون أن يرى البعير قائما
 أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه .
 ألا ترين الدمع مني ساجما جذار دارٍ منك لن تلاثما

1 مطلقهما : موضع إطلاقهما .

2 العرض : الجانب . الديموم : الصحراء المترامية الأطراف . البارح : الريح الحارة صيفاً . السموم : الحر
 الشديد .

3 النجوم : جمع نجم وهو ما لا ساق له من النبات .

4 الشريس : الشراسة ، وهي سوء الخلق . الدليس : الضخمة المترهلة من الإبل .

فَعَرَجَتْ مُطَرِّدًا غُرَاهِمَا فَعَمَّا يَبْذُ الْقُطْفَ الرِّوَاثِمَا
مُطَرَّدٌ : متتابع السير ، وغُرَاهِم : شديد ، وَقَم : ضخم ، والرسيم : سير فوق العَنَق ،
والرِّوَاثِم : الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه .

كَأَنَّ فِي الْمُنَاةِ مِنْهُ عَائِمًا إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تُبَاغِمَا¹
المناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تكلم .

خَوْدًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمَاكَا مِنْهَا نَقًا مُخَالِطٌ صَرَاثِمَا
البُوص : العجز ، والمأكمتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا : ما عظم من الرمل .
والصراثم : دونه .

خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا وَمِنْ مُنَادٍ يَبْتَغِي مُعَاكِمَا
ويروى : ومن نداء ، أي رجل تناديه بتبغى أن يعينك على عكملك حتى تشده .
فغضب هذبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة ، وكانت تدعى ،
فيما روى اليزيدي ، أم حازم ، وقال الآخرون : أم القاسم ، فقال هذبة : [من الرجز]

لَقَدْ أَرَانِي وَالْغُلَامَ الْحَازِمَا نُرْجِي الْمَطْيَّ ضَمْرًا سَوَاهِمَا²
مَتَى تَظُنَّ الْقُلُوصَ الرِّوَاثِمَا وَالْجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعِيَاهِمَا³
العياهم : الشداد .

يُبْلِغُنَّ أُمَّ حَازِمَ وَحَازِمَا إِذَا هَبَطْنَ مُسْتَحِيرًا قَاتِمَا⁴
وَرَجَّعَ الْحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا أَلَا تَرَيْنَ الْحُزْنَ مِنِّي دَائِمًا⁵
حِذَارَ دَارٍ مِنْكَ لَنْ تُلَاثِمَا وَاللَّهِ لَا يَشْفِي الْفَوَادَ الْهَائِمَا
تَمْسَاحُكَ اللَّبَّاتِ وَالْمَاكَا وَلَا اللَّمَامُ دُونَ أَنْ تُلَازِمَا⁶

- 1 تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت لين .
- 2 الضمر السواهم : النياق الصلبة .
- 3 القلوص : جمع قلووص : الفتية من الإبل . والرواسم : التي تمشي الرسم . الجلة : جمع جليل وهي الناجية : السريعة . العياهم : جمع عيهم وهي الناقة السريعة .
- 4 المستحير : الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي .
- 5 المهمة : الصوت تنوم المرأة به طفلها .
- 6 المآكم : رؤوس الأفخاذ .

ولا اللّثام دون أن تُفارقا ولا الفِقَامُ دون أن تُفارقا¹
وتعلّو القوائِمُ القوائِمَا

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابّا طويلاً ، فصاح بهما القوم اركبا ، لا حملكما الله . فإنّا قوم حُجّاج ، ونخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما ، حتى أمسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه ، وهُدبة أشدهما حقناً ، لأنّه رأى أن زيادة قد ضامه ، إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله ، ورجز هو بأخته ، وهي غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتخاورا بكلمة ، حتى قضيا حجّهما ، ورجعا إلى عشيرتيهما .

[مجانهم هُدبة]

قال اليزيديّ خاصة في خبره : ثم التقى نفر من بني عامر ، من رهط هُدبة ، فيهم أبو جَبْر ، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه ، وخَشَرَمُ أبو هُدبة ، وزُفَرُ عمّ هُدبة ، وهو الذي بعث الشّرّ ، وحجّاج بن سلامة ، وهو أبو ناشِبٍ ، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفّاع وأدرعُ بوادٍ من أودية حرّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عمّ هُدبة يُعزى إلى رجل من بني رَقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال :

أدّوا إلينا زُفراً نعرفُ منه النُّظْراً
وعينه والأثْراً

قال : فغضب رَهْطُ هُدبة ، وأدّعوا حدّاً على بني رَقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَعَ إليهم أدرعُ ، فيخلو به نَفَرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمْضَوْهُ ، فلمّا خلّوا به ضربوه الحدّ ضرباً مبرِّحاً ، فراح بنو رَقاش وقد أضْمروا الحرب وغَضِبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد :

ألا أبْلغُ أبا جَبْرٍ رسولاً فما بيني وبينكم عِتَابُ
ألمْ تعلّمْ بأنّ القوم راحوا عشيةً فارقوك وهم غِضابُ

فأجابه الحجّاج بن سلامة فقال :

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرْغِماً² رَقاشَ فزاد الله رَغْماً سيالها²

1 الفقام : المباضة . والفقام : التقبيل .

2 ابن كنعاء : أدرع . السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية .

منعنا أخانا إذ ضربنا أحاكم وتلك من الأعداء لا مثل ماها

[هو زيادة يتهاديان الأشعار]

قال اليزيدي في خبره : وجعل هذبة زيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرت بعضها ، وأتيت بمختار ما فيه ، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها :

[من الطويل]

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا وقطعت حاجات الفؤاد فأصبحاً¹

اخترت منها قوله :

وأنتك للناس الخليل إذا دنت
وقد أعذرت صرف الليالي بأهلها
فلا هي تالو ما نأت وتباعدت
أطعت بها قول الوشاة فلا أرى الـ
فهللاً صرمت والحبال متينة
إذا خفت شك الأمر فارم بعزمة
وإن وجهة سدت عليك فروجها
يلام رجال قبل تجريب غيبهم
وإني لمعارض قليل تعرضي
قليل عثاري حين أذعر ، ساكن
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل
ولا تنتجع شراً إذا حيل دونه
أنا ابن رقاش وابن ثعلبة الذي
بنى العز بنياناً لقومي فماصعوا

به الدار ، والباكي إذا ما تغنيا
وشخط النوى بيني وبينك مطلباً
ولا هو يالو ما دنا وتقرباً
وشاة انتهوا عنه ولا الدهر أعتبا
أميمة إن واش وشى وتكذباً
غايته يركب بك الدهر مركبا
فإنك لاق لا محالة مذهبا
وكيف يلام المرء حتى يجرباً
لوجه امرئ يوماً إذا ما تجنباً²
جناني إذا ما الحرب هرت لتكلباً³
قراه ونوبه إذا ما تنوباً⁴
يسير وهب أسبابه ما تهيباً
بنى هادياً يعلو الهوادي أغلباً⁵
بأسياهم عنه فأصبح مصعباً⁶

1 أصحاب الفؤاد : أصابه خجل .

2 معارض : كثير الإعراض .

3 هرت : كشرت عن أنيابها . لتكلب . لتشتد .

4 نوبه : حفظ حقه في النوبة عند الركوب نحوه .

5 الهادي : العنق . الأغلب : الغليظ العنق .

6 ماصع : جالد .

فَمَا إِنْ تَرَى فِي النَّاسِ أُمًّا كَأُمِّنَا
أَتَمَّ وَأَتَمَّى بِالْبَنِينَ إِلَى الْعَلَا
مَلَكْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ وَقَدْ نَا وَلَمْ نُقَدْ
قَالَ الْيَزِيدِيُّ : تَرْتَبُ : ثَابِتٌ لَازِمٌ .

بَايَةَ أَنَا لَا نَرَى مُتَوَجًّا
وَلَا مِلْكَ إِلَّا أَتَقَانَا بِمُلْكِهِ
مَلَكْنَا مَلُوكًا وَاسْتَبَحْنَا حِمَاهُمْ
نَدَامَى وَأَرْدَا فَا فَلََمْ تَرَ سَوْقَةً

فَأَجَابَهُ هَدْبَةُ ، وَهَذَا مُخْتَارٌ مَا فِيهَا فَقَالَ :

تَذَكَّرْ شَجَوًّا مِنْ أُمِيمَةٍ مُنْصِيَا
تَذَكَّرْ حَبًّا كَانَ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا
إِذَا كَادَ يَنْسَاهَا الْفَوَادُ ذَكَرْتُهَا
عَدَا فِي هَوَاهَا مُسْتَكِينًا كَأَنَّهُ
وَقَدْ طَالَ مَا عُلِّقَتْ لَيْلَى مُغَمَّرَا
الْمُغَمَّرُ : لِلْمُغَمَّرِ أَيْ غَيْرِ حَدَثٍ .

رَأَيْتُكَ فِي لَيْلَى كَذِي الدَّاءِ لَمْ يَجِدْ
فَلَمَّا اشْتَفَى مِمَّا بِهِ كَرَّ طَيْبُهُ

[يَقْتُلُ زِيَادَةَ فَيَسْجُنُ]

فَلَمْ يَزَلْ هَدْبَةُ يَطْلُبُ غِرَّةَ زِيَادَةَ حَتَّى أَصَابَهَا فَبَيَّتَهُ فَقَتَلَهُ ، وَتَنَحَّى مَخَافَةَ السُّلْطَانِ ،
وَعَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَأُرْسِلَ إِلَى عَمِّ هَدْبَةِ وَأَهْلِهِ فَجَبَسَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ
هَدْبَةُ ذَلِكَ أَقْبَلَ حَتَّى أَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَتَخَلَّصَ عَمَّهُ وَأَهْلَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى شَخَّصَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ أَخُو زِيَادَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَأُورِدَ كِتَابُهُ إِلَى سَعِيدٍ بِأَنْ يُقَيِّدَ مِنْهُ إِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ ،

1 الخرج : الضريبة ونحوها .

2 أرداف : جمع ردف ، وهو خليفة الملك في الجاهلية .

3 منصب : متعب . مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .

4 معتب : مستوجب للعتاب واللوم .

5 الخليع : من غلب في القمار . المنتشب : من النشب ، وهو النبيل .

فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسأله قبول الدية فامتنع ، وقال : [من الطويل]

صوت

أَنْخُتُمْ عَلَيْنَا كُلَّكَ الْحَرْبِ مُرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَ
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ لَعَنَ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلْ
أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٌ كَوَيْكِبٍ رَهْنَةً رَمَسَ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ¹
كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ دِيَاتٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدْرِ حَتَّى حِينَ مِنْ كُلِّ مَدْخَلٍ
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَيُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مَوْتَلٍ²
غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ رَمْلًا بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِمَالِكِ بْنِ أَبِي
السَّمْحِ وَلَهُ فِيهِ لَحْنٌ آخَرُ .

رجع الخبر إلى سياقه

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ ، فَذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ كَرِهَ الْحُكْمَ بَيْنَهُمَا ،
فَحَمَلَهُمَا إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَنَظَرَ فِي الْقِصَّةِ ، ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى سَعِيدٍ . وَأَمَّا غَيْرُهُ فَذَكَرَ أَنَّ سَعِيداً هُوَ
الَّذِي حَكَمَ بَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْمِلَهُمَا إِلَى مَعَاوِيَةَ .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ : فَلَمَّا صَارُوا بَيْنَ يَدَيَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو زِيَادَةَ لَهُ : يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ مَظْلَمَتِي وَمَا دُفِعْتُ إِلَيْهِ ، وَجَرَى عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِي وَقُرْبَائِي وَقَتْلَ أَخِي
زِيَادَةَ ، وَتَرْوِيعَ نَسَوْتِي ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا هَذِبَةُ قُلْ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سَجَّاعَةٌ ، فَإِنْ
شِئْتَ أَنْ أَقْصَرَ عَلَيْكَ قِصَّتَنَا كَلَاماً أَوْ شِعْراً فَعَلْتُ ، قَالَ : لَا بَلْ شِعْراً ، فَقَالَ هَذِبَةُ هَذِهِ
الْقَصِيدَةُ ارْتَجَالاً : [من الطويل]

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَابِ وَالذَّهْرِ وَلِلْمَرْءِ يُرِدِي نَفْسَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَلِلْأَرْضِ كَمْ مِنْ صَالِحٍ قَدْ تَأَكَّمَتْ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِلَمَاعَةٍ قَفَرٍ
فَلَا تَنْقُصِي ذَا هَيْبَةٍ لَجَلَالِهِ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يُتْرَكْنَ لِلْقَفْرِ
حَتَّى قَالَ :

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ رَمِينَا مَنَايَا رَجَالٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ

1 النعف : المكان المرتفع . وكويكب : موضع في ديار سعد بن هزيم .

2 غير موئل : غير مقصر في طلب الوتر .

فَإِنْ تَكُ فِي أُمُورِنَا لَمْ نَضِيقْ بِهَا ذِرَاعاً ، وَإِنْ صَبِرْ فَنَصْبِرْ لِلصَّبْرِ

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَرَأَيْكَ قَدْ أَقْرَرْتَ بِقَتْلِ صَاحِبِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : هَلْ لَزِيَادَةُ وَلَدٌ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، الْمَسُورُ ، وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ لَمْ يَبْلُغْ ، وَأَنَا عَمَّهُ وَوَلِيُّ دَمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تَوْمَنُ
عَلَى أَخْذِ الدِّيَةِ أَوْ قَتْلِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْمَسُورُ أَحَقُّ بِدَمِ أَبِيهِ فَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحُبِسَ ثَلَاثَ
سِنِينَ حَتَّى بَلَغَ الْمَسُورُ .

[بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ
عَامِرِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ : دَخَلَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ عَلَى هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ السَّجَنِيِّ وَهُوَ
مَحْبُوسٌ بِدَمِ زِيَادَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدَيْنِ مِنْ ثِيَابِ كِسَاهِ إِيَّاهَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ،
وَجَاءَهُ بِنَفَقَةٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ عَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ هُدْبَةُ :
أَنْتَ يَا ابْنَ مَعْمَرٍ الَّذِي تَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

بَنِي عَامِرٍ أَنْتَى انْتَجَعْتُمْ وَكُتِّمْتُ إِذَا عُدَّدَ الْأَقْوَامُ كَالْخُصِيَّةِ الْفَرْدِ ؟
أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ يَخْلَصَ اللَّهُ لِي سَاقِي لِأَمَدَنَّ لَكَ مِضْمَارَكَ¹ ، خَذْ بُرْدِيكَ وَنَفَقَتَكَ ، فَخَرَجَ
جَمِيلٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ السَّجَنِ خَارِجاً قَالَ : اللَّهُمَّ أَغْنِ عَنِّي² أَجْدَعَ بَنِي عَامِرٍ ، قَالَ : وَكَانَتْ
بَنُو عَامِرٍ قَدْ قَلَّتْ ، فَحَالَفَتْ لِإِيَادِهِ .

[مِنْ شِعْرِهِ فِيهِ]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ : فَقَالَتْ أُمُّ هُدْبَةَ فِيهِ لَمَّا شَخَّصَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَحُبِسَ
بِهَا :

أَيَا إِخْوَتِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَكْرَمُوا أَسِيرَكُمْ إِنَّ الْأَسِيرَ كَرِيمٌ
فَرُبَّ كَرِيمٍ قَدْ قَرَاهُ وَضَافَهُ وَرُبَّ أَمُورٍ كُلُّهَا عَظِيمٌ
عَصَى جُلُهَا يَوْمًا عَلَيْهِ فَرَاضُهُ مِنْ الْقَوْمِ عَيَافٌ أَشْمُ حَلِيمٌ

[يَتَوَسَّلُونَ لَهُ فَنَفِضُ وَسَاطَتَهُمْ]

فَأَرْسَلَ هُدْبَةُ الْعَشِيرَةَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ فَكَلَّمُوهُ ، فَاسْتَمَعَ مِنْهُمْ ثُمَّ
قَالَ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

1 لأمدن لك مِضْمَارَكَ : لأوسع الميدان الذي أَلَاقِيكَ فِيهِ .

2 أَغْنِ عَنِّي : اكْفِنِي شَرَّهُ .

أبعد الذي بالنعم نعيم كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير موتلي

فرجعوا إلى هدية بالآيات فقال : لم يؤثني بعد ، فلما كانت السنة الثالثة بلغ
المسور ، فأرسل هدية إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً
وأنشأ يقول :

سأكذب أقواماً يقولون : إنني سأخذ مالاً من دم أنا ثائرة¹
فبأست امرئ واست التي زحرت به يسوق سواماً من أخ هو واثرة

ونهمض ، فرجعوا إلى هدية فأخبروه الخبر فقال : الآن أيست منه ، وذهب عبد الرحمن
بالمسور ، وقد بلغ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدية .
[لقاؤه الأخير بزوجته]

قالوا : فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها أرسل إلى امرأته ، وكان يجيها : إيتيني الليلة
أستمع بك وأودعك ، فأتته في اللباس والطيب ، فصارت إلى رجل ، قد طال حبسه ،
وأنثت في الحديد رائحته ، فحادثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوعته ،
فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته ، فتنحى عنها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأذنبتي حتى إذا ما جعلتني لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف²
فإن شئت والله انتهيت وإنني لئلا تريني آخر الدهر خائف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه جآجى يدمى حدّها والحراقف³
ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جداً وفيه يقول :

صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأيه خرجن علينا من زقاق ابن واقف⁴
تضمخن في الجادي حتى كأنما الأ نوف إذا استعرضتهن رواعف⁵

1 أنا ثائرة : أنا طالب ثاره .

2 استقلك راجف : أصابك ما أفرعك .

3 جآجى : جمع جوجو ، وهو عظم الصدر . الحراقف : جمع حرقفة ، وهو أعلى الورك .

4 في هذا البيت إقواء .

5 الجادي : الزعفران .

خرجن بأعناق الطباء وأعين الـ جاذِرٍ وارتجَّتْ لهن السَّوَالِفُ¹
فلو أنَّ شيئاً صاد شيئاً بطرفه لصِدْنُ ظباء فوقهنَّ المطارفُ
غنى فيه الغريض رملاً بالنصر من رواية حبّش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق
أنَّ فيه لحناً ليونس ، ولم يذكر طريقته في مجرده .
[يفضل السمكات على سربه]

أخبرنا الحرّميّ قال : حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال : مرَّ أبو الحارث جُمَيْنَ يوماً بسوق
المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شقَّ أجوافها : وقد
خرج شحمها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِسَ الذي يقول : [من الطويل]
فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيته خرجن علينا من زقاقِ ابنِ واقفٍ
وانتَكَسَ ولا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أحسنُ من السرب الذي وصف .
وأحسب أنَّ هذا الخير مصنوع لأنّه ليس بالمدينة زقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها
سَمَكٌ ، ولكن رويت ما روي .
[حبي ترني لحاله وهو أسير]

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أنَّ ابن كُناسة قال : مرَّ بهُذْبَةً على حَبِيٍّ ؛ فقالت : في سبيل
الله شباَبُك وجلْدُك وشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة :
تَعَجَّبُ حَبِيٍّ مِنْ أُسِيرٍ مُكَبَّلٍ صَلِيبِ الْعَصَا باقٍ على الرَّسْفَانِ²
فلا تَعَجَّبِي مِنِّْي حَلِيلَةَ مَالِكٍ كَذَلِكَ يَأْتِي الدَّهْرُ بِالْحَدَثَانِ
[يبين لزوجه أوصاف من يتزوجها بعده]

وقال النوفليُّ عن أبيه : فلمَّا مُضِيَ بِهِ مِنَ السَّجْنِ لِلْقَتْلِ ، التَفَتَ فَرَأَى امْرَأَتَهُ ؛ وكانت من
أَجْمَلِ النِّسَاءِ فقال :

أَقْلِي عَلَى اللَّوْمِ يَا أُمَّ بَوَزَعَا وَلَا تَجْزَعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
وَلَا تَنْكَحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغْمَ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بَأَنْزَعَا³
كَلِيلًا سَوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ ضِرْسِهِ أَكْيَدَ مِطْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا⁴

1 السوالف : جمع سالفَة ، وهي جانب العنق .

2 حَبِيٍّ : اسم امرأة . الرسفان : المشي الوئيد الذي يمشيه الرجل في القيد .

3 الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .

4 مِطْطَانِ العشيّات : كثير الأكل ليلاً . أروع : من الروع ، أي الخوف .

ضَرُوباً بَلَحِيهٍ عَلَى عَظَمِ زَوْرِهِ إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقَنُّعاً¹
وَحُلِّي بِذِي أُكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ وَصَبِرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ غَضَّ فَأَسْرَعَا

[زوجته تشوه جمالها بسكين]

وقال حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُصْنَعِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : لَمَّا أُخْرِجَ هُذْبَةُ مِنَ السِّجْنِ لِيُقْتَلَ ،
جَعَلَ النَّاسُ يَتَعَرَّضُونَ لَهُ وَيَخْبِرُونَ صَبْرَهُ ، وَيَسْتَنْشِدُونَهُ ، فُدْرَكَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حُسَّانَ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا هُذْبَةُ ، أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ هَذِهِ بَعْدَكَ ، يَعْنِي زَوْجَتَهُ ، وَهِيَ تَمْشِي خَلْفَهُ فَقَالَ :
نَعَمْ ، إِنْ كُنْتَ مِنْ شَرِّطِهَا ، قَالَ : وَمَا شَرِّطُهَا ؟ قَالَ : قَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]

فَلَا تَتَكَّحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغْمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا
وَكُونِي حَبِيساً أَوْ لَأَرْوَعَ مَاجِدٍ إِذَا ضَنَّ أَعْشَاشُ الرِّجَالِ تَبَرَّعَا²

فَمَالَتْ زَوْجَتَهُ إِلَى جِزَارٍ وَأَخَذَتْ شَفْرَتَهُ ، فَجَدَعَتْ بِهَا أَنْفَهَا ، وَجَاءَتْهُ تَذْمِيٌّ مَجْدُوعَةٌ
فَقَالَتْ : أَتَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هَذَا نِكَاحٌ ؟ قَالَ : فَرَسَفَ فِي قِيُودِهِ وَقَالَ : الْآنَ طَابَ الْمَوْتُ .
وَقَالَ النُّوفَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ : إِنَّهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ بِخَضْرَاءِ مَرْوَانَ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ هُذْبَةَ عِنْدِي
وَدِيعَةٌ ، فَأَمْلِئْهُ حَتَّى آتِيَهُ بِهَا ، قَالَ : أَسْرِعِي ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا ، وَكَانَ جُلُوسُ لَهُمْ
بَارِزاً عَنْ دَارِهِ فَمَضَتْ إِلَى السُّوقِ ، فَانْتَهَتْ إِلَى قَصَابٍ وَقَالَتْ : أَعْطِنِي شَفْرَتَكَ ، وَخُذْ
هَذِينَ الدَّرَاهِمِينَ وَأَنَا أَرُدُّهَا عَلَيْكَ ، فَفَعَلَ ، فَقَرَّبَتْ مِنْ حَائِطٍ ، وَأَرْسَلَتْ مِلْحَفَتَهَا عَلَى
وَجْهِهَا ، ثُمَّ جَدَعَتْ أَنْفَهَا مِنْ أَصْلِهِ ، وَقَطَعَتْ شَفَتَيْهَا ، ثُمَّ رَدَّتْ الشَّفْرَةَ ، وَأَقْبَلَتْ حَتَّى
دَخَلَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَقَالَتْ : يَا هُذْبَةُ ، أَتُرَانِي مَتَزَوَّجَةً بَعْدَمَا تَرَى ؟ قَالَ : لَا ، الْآنَ طَابَتْ
نَفْسِي بَعْدَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَرْسُفُ فِي قِيُودِهِ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبُوَيْهِ يَتَوَقَّعَانِ التَّكَلُّمَ ، فَهَمَّا بِسُوءِ
حَالٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ :

أَبْلِيَانِي الْيَوْمَ صَبِراً مِنْكُمَا إِنْ حُزْنَا إِنْ بَدَا بِأَدَى شَرٍّ
لَا أُرَانِي الْيَوْمَ إِلَّا مَيِّتاً إِنْ بَعَدَ الْمَوْتُ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ
اصْبِرَا الْيَوْمَ فَإِنِّي صَابِرٌ كُلُّ حَيٍّ لِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ

[زوجته تنكت بعدهما]

قال النُّوفَلِيُّ : فَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ عُذْرَةٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : إِنِّي لِبِلَادِنَا يَوْمًا فِي
بَعْضِ الْمِيَاهِ ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَمْشِي أَمَامِي وَهِيَ مَدِيرَةٌ ، وَلَهَا خَلْقٌ عَجِيبٌ مِنْ عَجَزٍ وَهَيْئَةٍ ،

1 الناس في الشعر والشعراء : القوم . اللحيان : العظامان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية .

2 أعشاش الرجال : من عش معروفة بمعنى قلله .

وتمام جسم ، وكال قامة ، فإذا صَبَّيَّان قد اكتنفاها يمشيان ، قد ترعرعا ، فتقدمتها ، والتفت إليها ، فإذا هي أقبحُ منظر ، وإذا هي مجدوعة الأنف ، مقطوعة الشفتين ، فسألتُ عنها فقيل لي : هذه امرأة هُدَبة ، تزوجت بعده رجلاً ، فأولدها هذين الصَّبَّيَّين .
[أخو زيادة يرفض الدية]

قال ابن قُتيبة في حديثه : فسأل سعيدُ بن العاص أخاً زيادةً أن يقبل الدية عنه ، قال : أعطيتُ ما لم يُعطه أحد من العرب أعطيتُك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداءٌ¹ ولا ذات داء ، فقال له : والله لو نَقَبْتُ لي قُبَّتكَ هذه ، ثم ملأتُها لي ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع ، فلم يزل سعيد يسأله ، ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردتُ قبول الدية لمنعني قوله :

لَنَجْدَعَنَّ بِأَيْدِينَا أَنْوَفَكُمْ وَيَذْهَبُ الْقَتْلُ فِيمَا بَيْنَنَا هَذَرًا

فدفعه حيثئذٍ ليقنتله بأخيه .

[يعرض بحبي وهو في طريقه إلى الموت]

قال حماد : وقرأتُ على أبي عن مصعب بن عبد الله بن الزبير قال : ومَرَّ هُدَبةٌ بحبي ، فقالت له : كنتُ أعدك في الفتیان ، وقد زهدتُ فيك اليوم ، لأنِّي لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت ، لكن كيف تصبر عن هذه ؟ فقال : أما والله إنَّ حُبِّي لها الشديد ، وإن شئتُ لأصفنَّ لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال :

وَجَدْتُ بِهَا مَا لَمْ تَجِدْ أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجْدُ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كِلَابٍ

رَأْتُهُ طَوِيلَ السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا كَمَا تَشْتَهِي مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ²

فانقمعت³ داخله إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدفع إلى أخي زيادة ليقنتله ، قال : فاستأذن في أن يصلِّي ركعتين ، فأذن له ، فصلاهما وخفف ، ثم التفت إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن يُظَنَّ بي الجزعُ لأطلتُهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ، ثم قال لأهله : إنَّه بلغني أنَّ القَتِيلَ يَعْقِلُ ساعة بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فَإِنِّي قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً ، ففعل ذلك حين قُتِل ، وقال قبل أن يُقَتَلَ :

[من الطويل]

إِنْ تَقْتُلُونِي فِي الْحَدِيدِ فَإِنِّي قَتَلْتُ أَخَاكَ مُطْلَقاً لَمْ يُقَيَّدِ

1 الجداء : القليلة اللبن من مرض أصابها .

2 الشمردل : الجميل الخلق .

3 فانقمعت : ولت هاربة .

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : والله لا قتلته إلا مُطلقاً من وثاقه ، فأطلق له ، فقام إليه وهزّ السيف ثم قال :
 قد علمت نفسي وأنت نعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه
 ثم قتله .

فقال حماد في روايته : ويقال : إن الذي تولى قتله ابنه المسور ، دفع إليه عمه السيف وقال له : قم فاقتل قاتل أبيك ، فقام ، فضربته ضربتين قتله فيهما .
 [كاهنة تنبأ بقتله صبرا]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي قال : بلغني أن هذبة أول من أُقيد منه في الإسلام .

قال أحمد بن الحارث الخزاز : قال المدائني : مرت كاهنة بأُم هذبة وهو وأخوته نيّام بين يديها ، فقالت : يا هذه ، إن الذي معي يُخبرني¹ عن بنيك هؤلاء بأمر . قالت : وما هو ؟ قالت : أما هذبة وحوطٌ فيقتلان صبراً² ، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمدًا ، فكان كذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبي : أخبرك مروان بن أبي حفصة قال : كان هذبة أشعر الناس منذ دخل السجن إلى أن أُقيد منه ، قال الخزاز عن المدائني : قال واسع بن خشرم يرثي هذبة لما قُتل :

يا هُذْبَ يا خَيْرَ فتيان العشيرة منْ يُفَجِّعُ بمثلِكَ في الدُّنيا فقد فُجِعَا
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ أَوْ أَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَرَعَا
 لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ أُسَلِّمْ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعَا
 وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، لما بلغه قتل أخيه محمد .

[أخبار هذبة وزباد]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حَدَّثَنَا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال : حَدَّثَنِي مصعبُ الزُّبَيْرِيُّ قال : كُنَّا بِالْمَدِينَةِ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدِنَا خَبْرُ هَذْبَةَ وَزِيَادَةَ وَأَشْعَارَهُمَا أَزْدَرَيْنَاهُ ، وَكُنَّا نَرْفَعُ مِنْ قَدْرِ أَخْبَارِهِمَا وَأَشْعَارِهِمَا وَنَعَجِبُ بِهَا .

1 تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مؤاخاته .

2 يقتل صبراً : يجس حتى يموت .

[جميل بن معمر راوية له]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : أخبرني محمد بن الحسن الأحول ، عن رواية من الكوفيّين قالوا : كان جميل بن معمر العُدريّ راوية هُدبة ، وكان هُدبة راوية الخطيئة ، وكان الخطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه .

[عائشة أم المؤمنين تدعوه بعد موته]

حدّثني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدّثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال : حدّثني أبو مُصعب الزُبيريّ قال : حدّثني المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه قال : بعث هُدبة بن خَشْرَم إلى عائشة زوج النبي ﷺ يقول لها : استغفري لي ، فقالت : إن قُتِلْتَ استغفرتُ لك .

صوت

[من الطويل]

ألم ترَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْفَةٍ بكيتُ فنادتني هُنيْدَةٌ ما ليَا ؟
فقلتُ لها : إنّ البكاءَ لراحةٌ به يشتفى مَنْ ظنَّ أن لا تلاقيا
قفي ودّعينا يا هُنيْدَ فإنّني أرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا
ويروى : أرى الركبَ قد شاموا¹ .

إذا اغرورقت عَيْناي أسبَلَ منهما إلى أن تغيب الشّعريان بكائيا²

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ، وهي فيما قيل أوّل قصيدة هجاه بها ، والغناء لابن سريج خفيف ثقیل عن الهشاميّ ، قال الهشاميّ : وفيه لمالك ثقیل أوّل ، وابتداء اللحنين جميعاً .

ألم ترَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْفَةٍ

ولعلّوّه فيه لحن من الرمل المطلق ابتداءه :

قفي ودّعينا يا هُنيْدَ فإنّني

1 شام السحاب والبرق ونحوها : نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا ، والمراد هنا النجعة والرحيل .

2 الشعريان : نجمان .

[459] - نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته¹

[نسبه]

الفرزدق لقب غَلَب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبّه وجهه بذلك ؛ لأنّه كان غليظاً جهماً . واسمه همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقّال بن محمد بن سفيان بن مُجاشيع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أبيه مالك عوف² ويقال عرف . وسُمّي دارم دارماً لأنّ قوماً أتوا أباه مالكاً في حمالة³ فقال له : قُمْ يا بحر فأتني بالخريطة ، يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها يدرم عنها ثقلاً ، والدّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءكم يدرم بها ، فسُمّي دارماً ، وسُمّي أبوه مالك غراً لجوده .

وأمّ غالب ليلى بنت حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان بن مجاشيع . وكان للفرزدق أخ يقال له هُميم ، ويلقب الأخطل ، ليست له نباهة ، فأعقب ابناً يقال له محمد ، فمات والفرزدق حيّ فرثاه ، وخبره يأتي بعد . وكان للفرزدق من الولد خبطة ولبطة وسبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ست .

وأمّ الفرزدق ، فيما ذكر أبو عبيدة ، لينة بنت قرظة الضبيّة .

[صمصمة محبي الموءودات]

وكان يقال لصمصعة محبي الموءودات ؛ وذلك أنّه كان مرّ برجلٍ من قومه ، وهو يحفر بئراً ، وامرأته تبكي ، فقال لها صمصعة : ما يبكيك ؟ قالت : يريد أن يعد ابنتي هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإني أشتريها منك بناتين

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1 : 471-482 وطبقات ابن سلام : 299-379 والموشح 156 والسمط 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشرشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني 4 : 4 وأمالى المرتضى 1 : 43 ومراة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبي 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وسرح العيون : 389 ، 464 . والبداية والنهاية 9 : 265 ، ومعجم الأدباء 6/2785-2788 .

2 ل : غرف .

3 الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تتد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملًا كان تحته فحلًا ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألاً يسمع بموءودة إلا فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة ، وقيل : أربعمائة .

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي ، عن دماذ ، عن أبي عبيدة .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا أبو سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجت باغياً ناقتين لي فارتقتين ، والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتند على وجهها ، حتى تنج ، فرفعت لي نار فسرت نحوها ، وهمت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر¹ أشعر يوقدها في مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض ، قد حبستهن ثلاث ليال . فسلمت فقال الشيخ : من أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيدنا ، فقيم أنت يا ابن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارتقتين عمي علي أثرهما ، فقال : قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجنهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك في أدنى الإبل . قال : قلت : فقيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض² قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمع صوتها ، أي أقتلنها ، فقلت : يا هذا ذرها فإنها ابتك ، ورزقها على الله ، فقال : أقتلنها ، فقلت : أنشدك الله ، فقال : إني أراك بها حفيًا ، فاشترها مني ، فقلت : إني أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتي قال : لا ، قلت : فأزيدك الأخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلا أن تزيدني جملك هذا ، فأني أراه حسن اللون شاب السن ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين³ وجمل ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسن برها وصلتها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو

1 حادر : سمين الجسم غليظ .

2 ماخض : أدركها المخاض .

3 بلقوحين : بناقتين حاملتين .

يدركها الموت ، فلما برزتُ من عنده حَدَّثتني نفسي وقلت : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فأليت ألا يلد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بَلْقُوحين وجمل ، فبعث الله عز وجلَّ محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلا أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدته التي أولها :

أبي أحدُ الغِيثين صَعْصَعَةُ الذي متى تُخلفِ الجوزاءِ والدَّلُو يُمَطِّرُ¹
أَجَارَ بناتِ الوائدينَ ومن يُجِرُ على الفقرِ يُعلمُ أنه غيرُ مُخْفِرٍ²
على حينَ لا تُحيا البناتُ وإذ همُ عكوف على الأصنام حول المدوّرِ³
المدوّر : يعني الدوّار الذي حول الصنم ، وهو طوافهم .

أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ فما حسبَ دافعتُ عنه بمُعَوِرٍ⁴
وفارقٍ ليلٍ من نساءِ أُمِّ أبي تُمارس ريحاً ليلها غيرُ مُقْمِرٍ⁵
فقلت : أجز لي ما ولدتُ فإنني أتيتك من هزلِ الحمولةِ مُقْتِرٍ⁶
هَجَفُ من العثو الرؤوس إذا بدت له ابنةٌ عامٍ يحطم العظم منكرٍ⁷
رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها إلى خُدَدٍ منها إلى شرٍّ مخفِرٍ⁸
فقال لها : فيئي فإنني بدمتي لبنتك جارٌّ من أبيها القنورِ⁹

[إسلام أبيه على يد الرسول]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي ﷺ فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي ﷺ فأخبره بفعله في الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له في ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمر غالب ، حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة ، وأدخل إليه الفرزدق ،

1 والدلو في الديوان ص 379 : والنجم .

2 غير مخفر : غير ناقض للمعهد .

3 الأصنام في الديوان 379 : الأصنام .

4 معور : المغيب .

5 الفارق : الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض .

6 هزل الحمولة : من هزل الرجل إذا مات ماشيته . مقتر : فقير مقل .

7 الهجف : الجاني . العثو : الكثير الشعر . في الديوان 380 : ضغت أي بكت .

8 خدد : شقوق .

9 القنور : الشرس الخلق .

وأظنه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ ، وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قالوا : حدّثنا الرياشيّ قال : حدّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية ، قال : حدّثني عقّال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ ، قال : حدّثني الطّفيل بن عمرو الرعيّ ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجية المجاشعيّ جدّ الفرزدق قال : قدمت على النبيّ ﷺ ، فعرض عليّ الإسلام ، فأسلمت ، وعلمّني آيات من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إنّني عملت أعمالاً في الجاهليّة هل لي فيها من أجر ؟ فقال : وما عملت ؟ فقلت : إنّني أضللتُ ناقتين لي عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ ، يعني السّمة ، فقلت : ميسم بني دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك وتجنّاهما ، وظأرتا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينما هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدت ؟ إن كان غلاماً فقد شريكنا في قوتنا ، وإن كانت جارية فادفوها ، فقالت : هي جارية : أفأندّها ؟ فقلت : وما هذا المولود ؟ قالت : بنت لي ، فقلت : إنّني أشتريها منك ، فقال : يا أبا بني تميم ، أتقول لي : أتبيعني ابتك وقد أخبرتك أنّي من العرب من مضر ؟ فقلت : إنّني لا أشتري منك رقبته ، إنّما أشتري دمه لئلاّ تقتلها ، فقال : وبم تشتريها ؟ فقلت : بناقتي هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه ، قلت : نعم ، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغت أهلي ردّدت إليك البعير ففعل ، فلمّا بلغت أهلي ردّدت إليه البعير ، فلمّا كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت : إنّ هذه مكّمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحبيت ثلثمائة وستين موءودة ، أشتري كلّ واحدة منهنّ بناقتين عُشراوين وجمل ، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البرّ ، ولك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومصدّق ذلك قول الفرزدق : [من المتقارب]

وجدّي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يُؤادِ

أخبرني محمد بن يحيى ، عن الغلابيّ ، عن العباس بن بكار ، عن أبي بكر الهذليّ قال : وفد صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم ، وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية ، فلم يدع تميماً تيّد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبيّ ﷺ : أوصني ، فقال : أوصيك بأُمّك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك ، قال : زدني ، قال : احفظ ما بين لحيك ، وما بين رجلحك .

ثم قال له عليه السلام : ما شيء بلغني عنك فعلته ؟ قال : يا رسول الله رأيت الناس يمجون على غير وجه ، ولم أدر أين الوجه ، غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يبدون بناتهم ، فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يبدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي ﷺ : إني حملت حمالات في الجاهلية والإسلام ، وعليّ منها ألف بغير ، فأديت من ذلك سبعمائة ، فقال له : إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبي حسبي ، ووفى بها .

وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطّاب ، وقد وفد إليه في خلافته . وكان صمصعة شاعراً وهو الذي يقول : أنشدني محمد بن يحيى له : [من الطويل]

إذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خذلناً مضافيا
فلا تسألن عما لديه فإنه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

[كرم أبيه]

أخبرني محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريا ؛ عن عبد الله بن الضحّاك ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة قال : تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسألوهم ، فأتيهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم من هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كل رجل منهم رجلاً ؛ والذين اختيروا عمير بن السليك ، بن قيس بن مسعود الشيباني ، وطلبة بن قيس بن عاصم المقرّي ، وغالب بن صمصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : من أنتم ؟ فانصرفوا عنه .

ثم أتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيباني ، فأتوا غالباً ، فسألوه ، فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرهن ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

وإذا ناحبت كلب على الناس أيهم أحق بتاج الماجد المتكرم¹
على نفر هم من نزار ذوي العلا وأهل الجراثيم التي لم تهدم²
فلم يجز عن أحسابهم غير غالب جرى بعنان كل أبيض خضرم³

1 ناحبت في الديوان 199/2 : نجت .

2 نزار ذوي في الديوان 199/2 : نزار ذؤابة . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي الأصل .

3 فلم يجز في الديوان 200/2 : فلم يجل . الخضرم : الكريم المعطاء .

[سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن جهم السليطي ، عن إياس بن شبّة ، عن عقّال بن صَعَصعة ، قال : أجذبت بلاد تميم ، وأصابني بني حنظلة سنة¹ في خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فنحر ناقته فأطعمهم إياها ، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرّياحي حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقليل لغالب : إنما نحر سحيم مواءة لك ، أي مساواة لك ، فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر في ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمهما بني يربوع ، فعقر سحيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنّه يوائمني ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بني يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعله ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلّها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمقلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذٍ ؛ ثم إنه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنايل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ، ورآهم عليّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس لا يحلّ لكم ، إنما أهّل بها لغير الله عزّ وجلّ . قال : فحدثني من حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذٍ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنيّ ، اردّد عليّ ، والفرزدق يردّها عليه ، ويقول له : يا أبت اعقر ، قال جهم : فلم يُغن عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطيق فعله .

[يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن]

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ، يعني أبا العيناء ، عن أبي زيد النحويّ ، عن أبي عمرو قال : جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه في وقت ، وآلى : لا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن .

[عريق في قرض الشعر]

قال محمد بن يحيى : فقد صحّ لنا أنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة ، وندع ما قبل ذلك ، لأنّ مجيئه به بعد الجمل ، على الاستظهار ، كان في سنة ست وثلاثين ، وتوفيّ الفرزدق في سنة عشر ومائة في أوّل خلافة هشام هو وجريير والحسن

البصريّ وابن سيرين في ستة أشهر ، وحُكي ذلك عن جماعة ، منهم الغلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغلابيّ ، عن ابن عائشة أيضاً ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضاً : كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودُفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

لقد ضمت الأكَفانُ من آل دارمٍ فتى فائضَ الكُفّينِ محضَ الضّرائبِ¹

[الفرزدق أشعر أم جرير]

أخبرني حبيب المهلبيّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عمران الضبيّ ، قال : حدّثني جعفر بن محمد العنبريّ ، عن خالد بن أمّ كلثوم ، قال : قيل للمفضل الضبيّ : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : قال : قلت : ولم ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال : [من الطويل]

عجبتُ لعجلٍ إذ تُهاجِي عبيدها كما آل يربوع هَجَوْا آل دارمٍ

ف قيل له : قد قال جرير :

إنّ الفرزدقَ والبَيعِثَ وأُمّه وأبا البَيعِثَ لشرّ ما إستار²

فقال : وأي شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والناس كلّهم بنو

الفاعلة !

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدّثني موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، وليس في الإسلام مثلُ حظِّ تميم في الشعر ، وأشعر تميم جرير والفرزدق ، ومن بني تغلب الأخطل .

قال يونس بن حبيب : ما ذُكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلسُ على أحدهما ، قال : وكان يونس فرزدقيّاً .

[بيتين لابن ميّادة]

أخبرني عمّي ، عن محمد بن رستم الطبريّ ، عن أبي عثمان المازنيّ قال : مرّ الفرزدق بابن ميّادة الرماح والناسُ حوله وهو ينشد :

[من الطويل]

1 الضرائب : جمع ضريبة أي الطبيعة والسجية .

2 إستار : لفظ معرّب بمعنى أربعة .

لو انَّ جميعَ النَّاسِ كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمٍ
لظَلَّتْ رقابُ النَّاسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ
فسمعه الفرزدق ، فقال : أُمَّا والله يا ابنَ الفارسيَّةِ لتُدعَنَّهُ لي أو لَأَنبِشَنَّ أُمُّكَ من قبرها ،
فقال له ابن ميادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لو انَّ جميعَ النَّاسِ كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي دارمٍ وابنِ دارمٍ
لظَلَّتْ رقابُ النَّاسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

[عود إليه هو وجريه]

أخبرني عمِّي ، عن الكرائي ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدَّثني ورقة بن معروف ، عن حماد الراوية قال : دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنيَّةٌ له يَشْمُها فقال جرير : ما هذه يا أمير المؤمنين عندك ؟ قال بُنيَّةٌ لي ، قال : بارك الله لأُمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ، ثم أقبل يزيد على جرير فقال : ما لك والفرزدق ؟ قال : إنَّه يظلمني ويغي عليّ ، فقال الفرزدق . وجدت آباءني يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأُمَّا والله لتُردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أُمَّا بك يا حمار¹ بني كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لي كفء غيره ، فجعل يزيد يضحك .

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، عن حماد الراوية قال : أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي : أتيتَ الكلبَ ، يعني جريراً ، قلت : نعم .

قال : أفأنا أشعر أم هو ؟ قلت : أنتَ في بعض وهو في بعض ، قال : لم تناصحني ، قال : قلت : هو أشعر منك إذا أرخِيَ من خناقه ، وأنتَ أشعر منه إذا خفت أو رجوت ، قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلّا في الخير والشر .

قال : وروى عن أبي الزناد عن أبيه قال : قال لي جرير : يا أبا عبد الرحمن : أنا أشعر أم هذا الخبيث ، يعني الفرزدق ، وناشدني لأخبرته² ، فقلت : لا والله ما يشاركك ولا يتعلّق بك في النسب قال : أوّه قضيت والله له عليّ ، أنا والله أخبرك : ما ذهاني ، إلّا أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً ، فسمّي عدداً كثيراً ، وأنتَ تفرد لي وحدي .

1 ل : عيار .

2 ل : إلّا أخبرته .

[خبره مع النوار]

أخبرني عبد الله قال : قال المازني : قال أبو علي الحرمازي : كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة¹ بن ناجية بن عقال المجاشعي ، وكانت ابنة عمه ، أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها ، فأرسلت إليه أن زوّجني من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوّجتك ، ففعلت ، فلما توثق منها ، قال : أرسلني إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن النوار قد ولّني أمرها ، وأشهدكم أنني قد زوّجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة ألا يطلّقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد من يحملها ، وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد ، يقال لهم بنو أم النسيّر ، فسألتهن برحم تجمعهم وإياها ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أمها : ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنفض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدّة من الإبل ، وأعين بنفقة ، فتبع النوار ، قال :

أطاعت بني أم النسيّر فأصبحت على شارب ورقاء صعب ذلولها²
وإن الذي أمسى يخبّ زوجتي كإش إلى أسد الشرى يستيّلها³

فأدركها وقد قديمت مكة ، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زيان بن سيار الفزاري ، وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قديم الفرزدق مكة اشرب الناس إليه ، ونزل على بني عبد الله ابن الزبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفّعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النوار ، فقال الفرزدق في ذلك :

صوت

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفّعت بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً مثل الشفيع الذي يأتيك غريانا
لعرّيب في هذا البيت خفيف رمل .

1 ل : ضبيعة .

2 الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما في لونها بياض إلى سواد .

3 وإن الذي أمسى في الديوان 61/2 فإن امرأ يسعى . يخبّ : يفسد . يستيّلها : يطلب بولها .

قال : وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمَكَّة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظلٌّ ولا كينٌ حتى يَجْمَعَا في أمرهما ذلك بني تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلمَّا صارا إلى البصرة رجعت إليه النّوار بحكم عشيرتها .

قال : وقال غير الحرمازيّ : إنّ ابن الزُّبير قال للفرزدق : جئني بصدّاقها وإلّا فرقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا في بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ؟ فإنّه محبوس في السجن يطالبه ابن الزُّبير بمال ، فأثاه فقصرَ عليه قصّته قال : كم صدّاقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

دعي مُغلقي الأبواب دون فعالمهم ولكن تمشي بي ، هيلت ، إلى سلم¹
إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الرجال التي تنمي²

قال : فدفعها إليه ابن الزُّبير ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

هلمّي لابن عمك لا تكوني كمختارٍ على الفرس الحمارا

قال : فجاء بها إلى البصرة ، وقد أحبلها ، فقال جرير في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلْكمُ عِرسُ الفرزدق جاحاً ولو رضيت رُبح استقرتْ

فأجابه الفرزدق ، وقال : [من الطويل]

وأُثْكَ لو لاقيتها بِطِمْرةٍ وجاءت بها جوف استقرتْ³

وقال الفرزدق وهو يخاصم النّوار : [من الوافر]

تُخاصمني وقد أولجتُ فيها كُراس الضَّبِّ يلتمس الجرادا

قال الحرمازيّ : ومكثت النّوار عنده زماناً ، ترضى عنه أحياناً ، وتخاصمه أحياناً ، وكانت النّوار امرأةً سالحة ، فلم تزل تشمئز منه ، وتقول له : ويحك ! أنت تعلم أنك إنّما تزوّجت بي ضُغطة⁴ وعلى خُدعة ، ثم لا تزال في كل ذلك ، حتى حلفت يمين مؤثقة ، ثم حنثت . وتجنّبت فراشه ، فتزوّج عليها امرأة يقال لها جُهيمه من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمّها الخميصة من بني الحارث بن عباد ،

1 ولكن تمشي بي في الديوان 221/2 ولكن تمضي لي .

2 أفعال في الديوان 221/2 أخلاق . تنمي : ترفع القدر .

3 الطمرة : الفرس السريعة العدو .

4 ضغطة : اضطراباً .

فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق ، وقال : إنها مني برىء طالق وطلّق ابنتها ، وقال :

إِنَّ الخميصةَ كانت لي ولابتها مثل الهراسة بين النعل والقدم¹
إذا أتت أهلها مني مُطلقة فلن أُرَدُّ عليها زفرة الندم
جعل يأتي النوارَ وبه رذع الخلق² وعليه الأثر فقالت له النوار : هل تزوجتها إلا هداية ، تعني حياً من أزد عُمان ، فقال الفرزدق في ذلك :

تريك نجومَ الليل والشمسُ حيةً كرامُ بنات الحارث بن عباد³
أبوها الذي قاد النعامة بعدما أبت وائلٌ في الحرب غير تَمادٍ
نساءً أبوهنّ الأعزُّ ولم تكن من الأزد في جاراتها وهدادٍ
ولم يَكُ في الحيِّ الغموضِ محلُّها ولا في العُمانيِّين رهطُ زياد⁴
عدلتُ بها ميلَ النوارِ فأصبحتُ وقد رَضيت بالنصف بعد بعادٍ

قال : فلم تزل النوار ترققه ، وتستعطفه ، حتى أجابها إلى طلاقها ، وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله ، ولا تتزوَّج رجلاً بعده ، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له ، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها ، ففعل ذلك .

قال المازني : وحَدَّثني محمد بن روح العدوي عن أبي شَفَقَل راوية الفرزدق قال : ما استصحَبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر ، وقد صحبَ النوارَ رجالاً كثيرة ، إلا أنهم كانوا يلودون بالسَّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق ، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، قال له الحسن : ما تشاء ؟ قال : اشهد أن النوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن : قد شهدنا ، فلما انصرفنا قال : يا أبا شَفَقَل ، قد ندمتُ ، فقلت له : والله إنِّي لأظنُّ أن دمك يترقق ، أتدري منْ أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجمنَّ بأحجارك ، فمضى وهو يقول :

ندمتُ ندامةَ الكسعيِّ لما غدت مني مُطلقةً نوار⁵

1 الهراسة : نوع من الشوك .

2 ردع الخلق : ربح الطيب .

3 الحارث بن عباد : فارس النعامة في حرب البسوس .

4 الحيِّ الغموض : القبيلة التي تخفى مكائنها .

5 الكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه ، وكان جريها في عدة ظباء ، فظنَّ أنها لم تصبهن ، ثم اتضح أنها أصابتهم جميعاً .

ولو أنِّي ملكْتُ يدي وقلبي لكان عليّ للقَدْرِ الخيارُ
وكانت جَنَّتِي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجهُ الضَّرارُ¹
وكنْتُ كفاقيءَ عينيهِ عمداً فأصبح ما يضيءُ له النهارُ

[خصومته لكل من يساعد النوار]

وأخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني محمد بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد : أن النوار لما كرهت الفرزدق حين زوّجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقريّ ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم : [من الطويل]

بني عاصم لا تجنبوها فإنكم ملاجيءٌ للسّواتِ دُسمَ العمائم²
بني عاصم لو كان حيّاً أبوكم للام بنيه اليوم قيسُ بن عاصم³

فبلغهم ذلك الشعر ، فقالوا له : والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة ، وخلّوه والنّوار وأرادت منافرتَه إلى ابن الزبير ، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِّها⁴ خوفاً منه . ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أمّ النّسير أكرّوها ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن يقول بنو عديّ ألم تك أم حنظلة النّوارُ
أتكم يا بني ملكان عني قوافٍ لا تُقسّمها التّجارُ

وقال فيهم أيضاً :

لعمري لقد أردى النّوارَ وساقها إلى البورِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها⁵
أطاعت بني أمّ النّسير فأصبحت على قَتَبٍ يعلو الفلاةَ دليلُها⁶
وقد سَخِطَت مِنِّي النّوارُ الذي ارتضى به قبلها الأزواجُ خابَ رحيْلُها
وإن امرءاً أَمسى يُخَبِّبُ زوجتي كساعٍ إلى أسدٍ الشرى يستبيلُها
ومن دون أبواب الأسود بَسالةٌ وبَسْطَةُ أيدٍ يمنع الضيّمَ طولُها⁷

1 أخرجهُ في الديوان 294/1 حين لج به .

2 دسم العمائم : من الدنس .

3 قيس بن عاصم كان مضرب المثل في الحلم تعلم منه الحلم أنحف بن قيس .

4 يكرى : يعطي دابة بالكرء .

5 البور أحلام خفاف في الديوان 60/2 الغور أحلام قليل .

6 الشطر الثاني في الديوان 61/2 على شارف ورقاء صعب ذلولها .

7 ومن دون أبواب في الديوان 61/2 : ومن دون أبواب . وبسطة في الديوان 61/2 وصولة .

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَالِمٌ بتأويل ما وصَّى العِبَادَ رَسُولُهَا¹
 فَدُونَكُهَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الْحَجَارَةَ قِيلُهَا
 وما جادل الأقوامَ من ذي خصومة كورهاء مشنوءٍ إليها حليلُهَا²
 فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زبَّان زوجة عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، ونزل
 الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، ومدحه بقوله : [من الكامل]

أَمْسَيْتُ قَدْ نَزَلْتُ بِحَمْزَةٍ حَاجَتِي إنَّ الْمُنُوَّةَ بِاسْمِهِ الْمُوثِقُ
 بَأَبِي عِمَارَةَ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَا وجرت له في الصالحين عُروُقُ
 بَيْنَ الْحَوَارِيِّ الْأَعَزِّ وَهَاشِمٍ ثم الْخَلِيفَةُ بَعْدُ وَالصَّدِيقِ³
 غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ابْنُ سَرِيحٍ رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ .

قال : فجعل أَمْرُ النُّوَارِ يَقْوَى ، وأَمْرُ الْفَرَزْدَقِ يَضْعَفُ ، فقال : [من البسيط]
 أَمَّا بَنُوهُ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشَفَعْتُ بِنْتُ مَنْظُورٍ بِنِ زَبَّانَا
 [ملاحظة بينه وبين ابن الزُّبَيْرِ]

وقال ابن الزُّبَيْرِ للنُّوَارِ : إن شئت فرقت بينكما ، وقتلته ، فلا يَهْجُونَا أَبَدًا ، وإن شئت
 سَيَّرْتَهُ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، فقالت : ما أريد واحدة منهما ، فقال لها : فإنه ابن عمك وهو فيك
 راغب ، فأزَوَّجَكَ إِيَّاهُ ، قالت : نعم ، فزَوَّجَهَا مِنْهُ ، فكان الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ : خرجنا ونحن
 متباعضان ، فعدنا متحابين .

قال : وكان الْفَرَزْدَقُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وقد توجَّهَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ ، إنما تريدُ أَنْ أَفَارِقَهَا
 فَتَثْبُتَ عَلَيْهَا ، وكان ابن الزُّبَيْرِ حديدًا⁴ ، فقال له : هل أنت وقومك إِلَّا جَالِيَّةٌ⁵ الْعَرَبِ ؟
 ثم أَمَرَ بِهِ فَأَقِيمَ ، وأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فقال : إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل
 الْإِسْلَامَ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه
 أَحَدٌ قَطْ ، فأجلتها من أرض يَهَامَةَ ، قال : فلقني الْفَرَزْدَقُ بَعْضَ النَّاسِ ، فقال : إيه يعيرنا ابن
 الزُّبَيْرِ بِالْجَلَاءِ ! اسمع ، ثم قال : [من الوافر]

1 الشطر الأول في الديوان 62/2 : فإن أبا بكر إمامك عالم .

2 وما جادل في الديوان 62/2 : وما خاصم . ورهاء : حمقاء ، مشنوء : مبغض .

3 في هذا البيت إقواء .

4 حديد : سريع الغضب .

5 الجالية : الذين أوجلوا : أي أبعدوا عن أوطانهم .

فإن تغضَّبَ قريشٌ أو تغضَّبَ
هُمُ عَدَدُ النُّجُومِ وكلُّ حيٍّ¹
ولولا بيت مَكَّةَ ما ثويتم
بها كثر العديدُ وطاب منكم
فمهلًا عَنْ تَلَلٍ مَنْ غَدَرْتُمْ
أعبدَ اللهَ مهلاً عَنْ أذاتي
ولكنِّي صفاةٌ لم تُدَنِّسْ
أنا ابنَ العاقِرِ الخُورَ الصِّفايا
فإنَّ الأرضَ تُوعِبُها تميمُ
سواهم لا تُعدُّ له نجومُ
بها صحَّ المَنابتُ والأرومُ²
وغيرُكم أُخِيذُ الرِّيشَ هيمُ³
بخونته وعذِّبه الحميمُ
فإنِّي لا الضَّعيفُ ولا السَّوْمُ
تَزِلُّ الطيرُ عنها والعُصُومُ⁴
بضوى حين فُتِّحت العُكُومُ⁵

قال : فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزُّبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقه ، فكان يدقُّها ، ثم قال :

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشراً
وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزبير .
ولو رَضِيت رُحَّ استِه لاسْتَقَرَّتْ

وقيل : إنَّ الذي كان تقرَّرُ عليه عشرة آلاف درهم ، وإنَّ سَلَمَ بْنَ زِيَادٍ أَمَرَ له بعشرين ألف درهم مهراً ونفقة ، فقالت له زوجته أُمُّ عَثْمَانَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي العاصِ الثَّقَفِيَّة : أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس ؟ فقال :

ألا بَكَرَتِ عِرْسِي تلومُ سفاهةً
فقلتُ لها ، والجودُ مِنِّي سَجِيَّةٌ :
ذَرِينِي فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِ شِيَمَتِي
ولا طَارِدِ ضَيْفِي إِذَا جَاءَ طَارِقاً
أَبْخَلُ ؟ إنَّ الْبُخْلَ لَيْسَ بِمُخْلِدِي
أبيعُ بني حربَ بِأَلِ خُوَيْلِدٍ !
على ما مضى مِنِّي وتَأْمُرُ بِالْبُخْلِ
وهل يمنع المعروفُ سُؤْأَلَهُ مِثْلِي ؟
ولا مُقْصِرُ طَوْلِ الحَيَاةِ عَنِ الْبَذْلِ
وقد طَرَقَ الْأَضْيَافُ شَيْخِي مِنْ قَبْلِي
ولا الجودُ يَدْنِينِي إِلَى المَوْتِ وَالْقَتْلِ
وما ذاكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْبَيْعِ بِالْعَدْلِ⁵

1 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

2 أخِيذُ الرِّيش : مهِيضُ الجَنَاح . الهيم : النوق العطاش .

3 العصوم : الأوساخ .

4 الخور : النوق الغزر ، جمع خواره . الصفايا : المتقاة . العكوم : جمع عِكَم وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام .

5 خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزُّبير .

وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بني العوام ، قُبِحَ من فحل
فإن تَظْهَرُوا لي البخلَ آلَ خُوَيْلِدٍ فما دأبكم دأبي ولا شكلكم شكلي
وإن تَقْهَرُونِي حين غابت عَشِيرَتِي فمن عجبِ الأيام أن تقهروا مثلي
فلَمَّا اصطَلَحَا ، ورضيت به ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبها قبل أن يخرج من
مكة .

ثم خرجا وهما عديلان في حمل .

[يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير]

وأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن إبراهيم بن حبيب الشَّهيد بنحو من هذه
القصة .

قال عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ : قال الفرزدق في خبره :

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرَضَتْ أنضأوه بمكان غير ممطور¹
فَأَنْتَ أُحْرَى قَرِيشَ أَنْ تَكُونَ لَهَا وَأَنْتَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْظُورٍ²
بين الحواري والصديق في شَعْبٍ تَبْتَنُ فِي طُنْبِ الْإِسْلَامِ وَالْخَيْرِ³

[يتقون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلام قال : حدثنا عبد القاهر بن السري
السلمي ، قال : كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق ، قال : فأخذناه ، فأتينا به
الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عدوى عليك
ولا قصاص ، قد برئنا إليك منه ، قال : فحلى سبيله وقال : [من الوافر]

فمن يَكُ خائفاً لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حَرامٍ
هم قَادُوا سَفِيهَهُمْ وخافوا فَلَائِدَ مِثْلِ أَطواقِ الحَمامِ

قال ابن سلام : وحدثني عبد القاهر قال : مرَّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام معنا
عنيسة مولى عثمان بن عفان ، فقال : يا أبا فراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما
حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال : أكتب معك إلى أبي ، قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ،
أبوك في النار ، اكتب إليه مع ربالويه واصطفانوس .

1 أنضأ : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل .

2 يعني منظور بن زيان جدّه لأُمّه .

3 طنب الإسلام في الديوان 252/1 طيب الإسلام . البخير : الكرم والشرف .

[يقضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه قال : أخبرني مخبر ، عن خالد بن كلثوم الكلبي ، قال : مررتُ بالفرزدق ، وقد كنت دَوَّنت شيئاً من شعره وشعر جرير ، وبلغه ذلك ، فاستجلسني ، فجلست إليه ، وعذت بالله من شره ، وجعلت أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ، ثم قلت له : إني لأذكر يوم لقَّبك بالفرزدق ، قال : وأي يوم ؟ قلت : مررت به وأنت صبي ، فقال له بعضُ من كان يجالسه : كأنَّ ابنك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأبْهته ، فسمَّأك بذلك ، فأعجبه هذا القول ، وجعل يستعيد ، ثم قال : أنشدني بعضُ اشعار ابن المراغة في ، فجعلت أنشده ، حتى انتهيت ، ثم قال : فأنشد نقائضها التي أحبته بها ، فقلت : ما أحفظها ، فقال : يا خالد ، أتَحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه ؟ والله لأهجونَّ كلباً هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة ، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشديها ، فقلت : أفعل فلزمته شهراً ، حتى حفظت نقائضها ، وأنشدته إياها خوفاً من شره .

[يكاید النّوار خدراء فتستعدي عليه جريراً]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : تزوّج الفرزدق حدّراء بنت زريق بن بسطام بن قيس الشيباني ، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته ، فجاذبها وخرج عنها مُغضباً وهو يقول :

قَامَتْ نَوَارٌ إِلَيَّ تَتَفَّي لِحِيَّتِي تَتَنَافَ جَعْدَةُ لَحْيَةِ الْخَشْخَاشِ¹

كَلَنَاهُمَا أُسْدٌ إِذَا مَا أُغْضِيَتْ وَإِذَا رَضِيَ فِهْنٌ خَيْرَ مَعَاشٍ²

قال : والخشخاش : رجل من عَنَزَة ، وجعدَةُ امرأته ، فجاءت جعدَةُ إلى النّوار ، فقالت : ما يريد مني الفرزدق ؟ أما وجد لامرأته أُسوة غيري .

وقال الفرزدق للنّوار يفضّل عليها حدراء :

لِعَمْرِي لِأَعْرَابِيَّةٍ فِي مَظْلَةٍ تَظَلُّ بِرَوْقِي بَيْتَهَا الرَّيْحُ تَخْفُقُ³

1 في الديوان 388/1 :

بكرت عليّ نوار تنفّ لحيّتي تنف الجعيدة لحية الخشخاش

2 وفي الديوان 388/1 :

كلناهما أسد إذا حرّبتها ورضاها وأبيك خير معاش

3 روقي : تشية روق ، ومن معانيه رواق البيت .

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضَيْكَ ضَيْفَةٌ¹ إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا الْمَرَايِجُ تَعْرِقُ¹
كَرِيمٍ غَزَالٍ أَوْ كَدْرَةٍ غَائِصٍ² تَكَادُ، إِذَا مَرَّتْ، لَهَا الْأَرْضُ تُشْرِقُ²

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأخزينك يا فاسق فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعره ، فقال جرير : أنا أكفيك ، وأنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِمَعْطِي الْحَكَمِ عَنْ شَفِّ مَنْصَبٍ³ وَلَا عَنْ بَنَاتِ الْحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبٍ³
وَهَنَّ كَمَا الْمَزْنُ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى⁴ وَكَانَتْ مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ الْمَشَارِبُ⁴
لَقَدْ كُنْتُ أَهْلًا أَنْ يَسُوقَ دِيَاتِكُمْ⁵ إِلَى آلِ زَيْقٍ أَنْ يَعْيَبَكَ عَائِبُ⁵
وَمَا عَدَلْتُ ذَاتُ الصَّلِيبِ ظَعِينَةً⁶ عُتْيِيَّةُ وَالرَّدْفَانُ مِنْهَا وَحَاجِبُ⁶
أَهْدَيْتَ يَا زَيْقُ بْنُ بَسْطَامٍ ظَبِيَّةً⁷ إِلَى شَرٍّ مِنْ تُهْدَى إِلَيْهِ الْقَرَائِبُ⁷
أَلَا رُبَّمَا لَمْ نُعْطِرْ زَيْقًا بِحُكْمِهِ⁸ وَأَدَّى إِلَيْنَا الْحَكَمَ وَالْقُلُوبَ لَازِبُ⁸
حَوَيْنَا أَبَا زَيْقٍ وَزَيْقًا وَعَمَّهُ⁹ وَجَدَّةُ زَيْقٍ قَدْ حَوَّنَتْهَا الْمَقَابِ⁹

فأجابه الفرزدق فقال :

تَقُولُ كَلِيبٌ حِينَ مَثَّتْ سِيَالُهَا¹⁰ وَأَعَشَبَ مِنْ مَرُوتِهَا كُلُّ جَانِبٍ¹⁰
لِسَوَاقٍ أَغْنَامَ رَعْتَهُنَّ أُمَّهُ¹¹ إِلَى أَنْ عَلَاهَا الشَّيْبُ فَوْقَ الذَّوَائِبِ¹¹
أَلَسْتُ إِذَا الْقَعَسَاءُ مَرَّتْ بِرَاكِبٍ¹² إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بَنَ قَيْسٍ بِخَاطِبٍ¹²

1 الضناك : الموتى الخلق الشديد . الضفنة : الحمقاء الكثيرة اللحم .

2 في الديوان 55/2 :

كأَمَّ غَزَالٍ أَوْ كَدْرَةٍ غَائِصٍ إِذَا مَا بَدَتْ مِثْلَ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ

3 الشف : الفضل .

4 ملاحاً : من الملوحة .

5 ذات الصليب : حدراء . عتيبة : هو ابن الحارث بن شهاب . الردفان هما عتاب بن هرمي ، وعوف بن عتاب بن هرمي . وحاجب : هو ابن زرارة .

6 زيق : أبو حدراء ، والغُل : القيد .

7 المقائب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل .

8 مَثَّتْ : أَحْصَيْتْ . سِيَالُهَا : سَنَابِلُ زَرْعِهَا . مَرُوت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به .

9 في الديوان 96/1 لسوَابٍ أَغْنَامٌ وَهُوَ الْحَسَنُ الْقِيَامُ عَلَى الْمَالِ .

10 مرت براكب في الديوان 96/1 أنسل ظهرها .

وقالوا : سمعنا أنَّ حدرَاءَ زُوِّجَتْ
على مائةٍ شُمِّ الذُّرى والغواربِ¹
فلو كنتَ من أكفَاءِ حدرَاءَ لم تُلَمْ
على دارِمِيٍّ بين ليلٍ وغالبِ
ففل مثلها من مثلهم ثُمَّ أمَّهُم
بملكك من مال مُراح وعازبِ²
وإني لأخشى إن خطبتَ إليهم
عليك الذي لاقى يسارَ الكواعبِ
ولو تنكحُ الشمسُ النجومَ بناتها
نكحنا بناتِ الشمسِ قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجريز حول زواج بنت زيق ، قال جريز أبياته
التي أولها :

يا زيقُ أنكحتَ قيناً في استه حَمَمٌ
يا زيقُ ويحك مَنْ أنكحتَ يا زيقُ³
أين الألى أنزلوا النُعمان ضاحيةً
أم أين أبناءُ شيبانَ الغرائقُ؟⁴
يا رَبِّ قائلِةٍ بعد البناء بها :
لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثنى فلم يشهد نَجِيكُما
والخوفزانُ ولم يشهدك مفروقُ⁵

والفرزدق يقول لجريز :

إن كان أنفك قد أعياك مَحْمِلُهُ
فاركب أتانك ثم اخطبُ إلى زيقِ

[خبران عن ولديه]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن زكريا بن ثبابة
الثقفِيّ قال : أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه ، فلما انتهى إلى قوله : [من الطويل]

بِفي الشَّامِتَيْنِ الصَّخْرَ إن كان مسَّني رزيةً شَيْلُ مُخْدِرٍ في الضَّرَاغِمِ

قال : يا أبا يحيى ، أرايت ابني ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوي عباءته .

[بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة]

قال إسحاق : حدَّثني أبو محمد العبدِيّ ، عن اليربوعيّ ، عن أبي نصر قال : قديم لبطة بن
الفرزدق الحيرة ، فمرَّ يقوم من بني تغلب فاستقراهم فَقَرَّوه ، ثم قالوا له : مَنْ أنت ؟ قال : ابن
شاعركم ومادِحِكُمْ ، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم :

[من الكامل]

1 شُمِّ الذرى والغوارب : عالية الأسنمة والظهور .

2 ثم أمهم بملكك في الديوان 97/1 ثم لمهم بمالك .

3 القين : الحداد . والحَم : الفحم .

4 الغرائق : جمع الغرنوق : الشاب الممتلئ الناعم .

5 الخوفزان : هو الحارث بن شريك بن الصلب ، ومفروق : هو النعمان بن عمرو الأصم .

أضحى لتغلب من تميمٍ شاعرٍ يرمي الأعادي بالقريض الأثقل
 إن غاب كعبُ بني جُعيلٍ عنهم وتَمَرَّ الشعراء بعد الأخطل¹
 يتباشرون بموتِه ووراءهم مِنِّي لهم قَطْعُ العذابِ المرسل

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذا ، قال : أنا هو ، فتنادوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .

[عمرو بن عفراء يتحدثاه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فتقل عليه الكثير ، وخشيته في القليل ، وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد كان هجاء جرير لروايته للفرزدق في قوله :

وَبُئْتُ جَوَاباً وَسَلَّمًا يَسْبِي وعمرو بن عفري ، لا سلام على عمرو
 فقال ابن عفراء للباهلي : لا يهولنك أمره ، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هم له به ، فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقبلها الفرزدق ورضي عنه ، فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال :

ستعلم يا عمرو بن عفري من الذي يُلام إذا ما الأمر غَبَّتْ عواقبه²
 نهيتُ ابنَ عفري أن يعفر أمه كعفر السلا إذ جرَّرتَه ثعالبه³
 فلو كنت ضبياً صفحتُ ولو سرتُ على قَدَمي حَيَّاته وعقاربُه
 ولكن دِيافي أبوه وأمّه بحوران يعصِرُن السليط أقاربه⁴
 ولما رأى الدهنا رمتَه جبالها وقالت دِيافي مع الشام جانبُه
 فإن تغضبَ الدهنا عليك فما بها طريقٌ لمرتاد تُقَاد رَكائبُه⁵
 تضرُّ بمال الباهلي كأنما تضرُّ على المال الذي أنت كاسيُه⁶

1 كعب بني جُعيل والأخطل : شاعران تغليبان .

2 غَبَّتْ عواقبه : بلغ مداه .

3 السلا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته . في الديوان 46/1 عفرته ثعالبه .

4 دِياف : بلد بالشام ، السليط : ما يستخرج من الحبوب من الزيوت .

5 طريق لمرتاد في الديوان 46/1 طريق لرَبَات . والرية : الجماعة الكثيرة .

6 في الديوان 46/1 :

تشمّر مال الباهلي ، كأنما تهرّ على المال الذي أنت كاسيُه

وإن امرءاً يَغْتَابُنِي لم أَطأ له حَرِيماً ولا يَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ
كَمَحْتَطَبٍ يَوْماً أَسَاوَدَ هَضْبُهُ أَتَاهُ بِهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ¹
أَحْيَنَ التَّقَى نَابِيَا وَابِيضٌ مِسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْكُرَى مَن يُجَابِيهِ²

فقال ابن عفرأ ، وأتاه في نادي قومه : اجهد جهدك ، هل هو إلا أن تسبني ، والله لا أدع لك مساة إلا أتيتها ، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته ولا تنهاني عن شيء إلا ركبته ، قال : فاشهدوا أنني أنهاه أن ينيك أمه ، فضحك القوم وخجل ابن عفرأ .

[يتفأل فيجاز]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا شعيب بن صخر قال : تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية ، فدعا الناس في وليمته ، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي ، فألقى الفرزدق عنده ، فقال له : يا أبا فراس ، انهض ، قال : إنه لم يدعني ، قال : إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتيته ، فقال الفرزدق حين دخل : [من البسيط]

كَمْ قَالَ لِي ابْنُ أَبِي شَيْخٍ وَقَلْتُ لَهُ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرُوفِ ذُبْيَانَ
إِنَّ الْقُلُوصَ إِذَا أَلْقَتْ جَاجَئَهَا قُدَّامَ بَابِكَ لَمْ نَرَحِلْ بِحِرْمَانِ³

قال : أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده ، وأعطاه ثلاثمائة درهم .

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : حدثني أبو بكر المديني قال : دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكان سيّداً سخياً شريفاً ، فقال : يا أهل المدينة ، أنتم أذل قوم الله ، قالوا : وما ذاك يا أبا فراس ؟ قال : غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم .

[يعطى عروضاً بدل النقد]

وأتى مكة ، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجهمي ، وهو سيّد أهل مكة يومئذ ، وليس عنده نقد حاضر ، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله ، فقال : والله يا أبا فراس ، ما وافقت عندنا نقداً ، ولكن عروضاً⁴ إن شئت ، فعندنا رقيق فُرْهَة⁵ ، فإن شئت أخذتهم ، قال : نعم ، فأرسل له بوصفاً من بنيته وبني أخيه ، فقال : هم لك عندنا

1 الأساود : جمع أسود وهو الحية العظيمة .

2 المسحل : جانب اللحية . في الديوان 47/1 من أحاربه .

3 الجاجيء : جمع جوجؤ ، وهو عظام الصدر .

4 العروض : جمع غرض وهو ما سوى النقد من المتاع .

5 أي عبيداً وجواري حسناً .

حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخبر وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبخر : [من البسيط]

تمشي تبخر حول البيت متخياً لو كنت عمرو بن عبد الله لم ترد

[يحتج بشعره]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثنا عامر بن أبي عامر ، وهو صالح بن رستم الخزاز ، قال : أخبرني أبو بكر الهذلي قال : إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله في كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

ولست بمأخوذٍ بلغو تقوله إذا لم تعمّد عاقداتِ العرائم

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج ، أفيجل غشيانها وإن لم يطلّقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

وذاث خليل أنكحتنا رماحنا حلالاً لمن يئني بها لم تطلق

[يهجو إبليس]

قال أبو خليفة : أخبرني محمد بن سلام ، وأخبرني محمد بن جعفر قال : أتى الفرزدق الحسن ، فقال : إني هجوت إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن ، فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس ، قال : اسكت فإنك بلسانه تنطق .

[الحسن يتمثل بالشعر]

قال محمد بن سلام : أخبرني سلام أبو المنذر ، عن علي بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتاً واحداً وهو قوله : [من البسيط]

الموت بابٌ وكلُّ الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار ؟

قال : وقال لي يوماً : ما تقول في قول الشاعر : [من السريع]

لولا جريرٌ هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيلة

أهجاه أم مدحه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مدح من هجي قومه .

وقال جرير بن حازم : ولم أسمعه ذكر شعراً قط إلا : [من الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

[الشعر ونقض الموضوع]

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر : أَيْتَوْضَأُ من الشعر ؟
فانصرف بوجهه إليه فقال :

[من الطويل]

أَلَا أَصْبَحْتُ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِزاً وَلَوْ رَضِيتُ رُحْمَ اسْتَه لَاسْتَقَرَّتْ

ثم كبر .

[من أبياته السائرة]

قال ابنُ سَلامَ : وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقَلِّداً ، والمُقَلِّدُ : المُغْنِي . المشهورُ الذي
يضرب به المثل ، من ذلك قوله :

[من الطويل]

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِيعٌ¹

وقوله :

[من الكامل]

ليس الكرام بناحليكَ أباهمُ حتى يُرَدَّ إلى عطية نَهْشَلٌ

وقوله :

[من الطويل]

وكنّا إذا الجبار صَعَرَ خَدَّه ضربه حتى تستقيم الأخادعُ²

وقوله :

[من الطويل]

وكنْتَ كذئبُ السوء لما رأى دَمًا بصاحبه يوماً أحوال على الدِّمِّ³

وقوله :

[من الطويل]

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أَنْ تَجِيءَ صغارُها بخير وقد أعيأ رُبَيْعاً كبارُها

وقوله :

[من الكامل]

أَكَلْتُ دوابَّها إلّا كامُ فمشيها مِمَّا وَجِئْنَ كَمِشِيَةِ الْإِعياءِ⁴

وقوله :

[من الطويل]

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناءَ فَيَقْعَمُ

وقوله :

[من الكامل]

1 كليب : قبيلة جرير . نهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق .

2 صَعَرَ خَدَّه : آماله تكبراً . الأخادع : جمع أُنْعَد ، وهو أحد عرقين في جانب العنق .

3 أحوال على الدم : أقبل عليه . ويضرب هذا البيت مثلاً لمن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

4 دوابر : جمع دابرة ، وهي العرغوب .

- أَحْلَمْنَا تَزِنَ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
وقوله : [من الطويل]
- وَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِتَدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرَ الْمُكَلَّفِ
وقوله : [من الطويل]
- فَإِنْ تَنْجُ مَنِّي تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالِكَ نَاجِيَا
وقوله : [من الطويل]
- تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَيَهْرَبُ مِنَّا جِهْدَهُ كُلُّ ظَالِمٍ
وقوله : [من الطويل]
- تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ حَوْلَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وقوله : [من الطويل]
- فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدَيْ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سَيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظَبَاتِهَا وَيَقْطَعْنَ أحيانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ
وكان يُدْخِلُ الكلام ، وكان ذلك يُعْجِبُ أَصْحَابَ النَحْوِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَمْدَحُ
هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : [من الطويل]
- وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وقوله : [من الكامل]
- تَاللَّهِ قَدْ سَفِهَتْ أُمِّيَّةٌ رَأْيَهَا فَاسْتَجْهَلَتْ سُهُوًا حُلَمَاءُهَا¹
وقوله : [من الوافر]
- أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعْنًا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرِ الْخِيَامِ
فَقَالُوا : إِنْ فَعَلْتَ فَأَغْنِ عَنَّا دُمُوعًا غَيْرَ رَاقِئَةِ السَّجَامِ²
وقوله : [من الطويل]
- فَهَلْ أَنْتَ إِنْ مَاتَ أَتَانِكَ رَاحِلٌ إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بِنِ قَيْسٍ فَخَاطِبُ
وقوله : [من الطويل]
- فَلَنْ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ دَلَّهِمْ عَلَى دَارِمِيِّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ

1 سفه رأيه : حملة على السفه .

2 غير راقئة السجام : دائمة الحملان .

وقوله : [من الطويل]

تعالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ ، يَا ذَنْبُ ، يَصْطَحِبَانِ

وقوله : [من البسيط]

إِنَّا وَإِيَّاكَ إِنْ بَلَّغْنَ أَرْحَلْنَا كَمَنْ يَوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَمْطُورُ

وقوله : [من الوافر]

بَنِي الْفَارُوقِ أُمِّكَ وَابْنُ أُرْوَى بِهِ عَثْمَانُ مَرْوَانَ الْمَصَابَا¹

وقوله : [من الطويل]

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبَ تَصَاهِرُهُ

وقوله : [من الطويل]

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَنَا هُمُومُ الْمَنَا وَالْهُوَجَلِ الْمُتَعَسَفِ²
وَعُضَّ زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفًا³

وقوله : [من الكامل]

وَلَقَدْ دَنْتَ لَكَ بِالتَّخَلْفِ إِذْ دَنْتَ مِنْهَا بَلَا بَخْلٍ وَلَا مَبْذُولٍ
وَكَأَنَّ لَوْنَ رُضَابٍ فِيهَا إِذْ بَدَا بَرْدٌ بِفِرْعَ بِشَامِيَةٍ مَصْقُولٍ⁴

وقوله فيها للمالك بن المنذر :

إِنَّ ابْنَ ضُبَّارِي رِبِيعَةَ مَالِكًا لِلَّهِ سَيْفٌ صَنِيعَةٌ مَسْلُوكُ
مَا نَالَ مِنْ آلِ الْمُعَلَّى قَبْلَهُ سَيْفٌ لِكُلِّ خَلِيفَةٍ وَرَسُولُ

وقوله : [من الكامل]

مَا مِنْ يَدَيَّ رَجُلٍ أَحَقُّ بِمَا أَتَى مِنْ مَكْرَمَاتٍ عَطَايَةِ الْأَخْطَارِ
مِنْ رَاحَتَيْنِ يَزِيدُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ كَفَاهُمَا وَيَشْدُ عَقْدَ جَوَارِ

وقوله : [من الطويل]

1 في الديوان 82/1 :

هو السيف الذي نصر ابن أروى به مروان عثمان المصابا

2 الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف .

3 المسحت : الكسب الخيث ، المجلف : الموقع صاحبه في الجذب .

4 البشام : نوع من الشجر ، وفي البيتين إقواء .

إذا جئتَه أعطاك عفواً ولم يكن
لدى ملك لا تنصف النعل ساقه
على ماله حال الندى منك سائلة
أجل لا ، وإن كانت طوالاً حمائله¹
وقوله :

[من الكامل]

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يسير بجانيبه نهاراً
[لا يكذب في مدحه]

قال أبو خليفة : أخبرنا محمد بن سلام قال : حدثني شعيب بن صخر ، عن محمد بن زياد ، وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة ، عن محمد بن سلام ، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال : انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرّدم وهو قائم والنّاس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك :

[من الطويل]

وكم أطلقت كفّاك من غلّ بائس
كثيراً من الأيدي التي قد تكتفت
ومن عُقدة ما كان يُرجى انحلالها
فككت وأعناقاً عليها غلالها²
قال : قلت : أنا والله أحدهم ، فأخذ بيدي وقال : أيّها النّاس سلوه عما أقول والله ما كذبت قطّ .

[يأبى حين يريد]

أخبرني جحظة قال : حدثني ابن شبة ، عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه : والله ما كذبت قطّ ولا أكذب أبداً .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول : كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدرّكة أو مروان : احمل إليّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعطِ أهله كذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إليّ ، قال : اشخص وأدفعها إلى أهلِكَ ، فأبى ، وخرج وهو يقول :

[من الطويل]

دعاني إلى جرجان والرّيّ دونه
لآتي من آل المهلب نائراً
لآتيه إنّي إذا لزور
بأعراضهم والدّائرات تدور
سأبى وتأبى لي تميمٌ وربّما
أبيتُ فلم يقدر عليّ أميرُ

[لم يمنعه أهله فدخل السجن]

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وسمعت سلمة بن عيّاش قال : حبست في السجن ، فإذا

1 لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها .

2 الغلال : جمع غل ، وهو الطوق .

فيه الفرزدق قد حبسه مَالِكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لي : مِمَّنْ أنت ؟ قلت : من قريش قال : كُلُّ أَيْرِ حِمَارٍ من قريش ؛ من أيَّهم أنت ؟ قلت : من بني عامر بن لؤي ، قال : لئام والله أذلة ، جاورتهم فكانوا شرَّ جيران ، قلت : ألا أخبرك بأذلَّ منهم وألأم ؟ قال : مَنْ ؟ قلت : بنو مُجاشع ، قال : ولمَّ وبلك ! قلت : أنت سيِّدهم وشاعرهم وابنُ سيِّدهم ، جاءك شرطي مالك ، حتى أدخلك السجن ، لم يمنعوك ، قال : قاتلك الله .

[يهجو عمر بن هبيرة]

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزْل مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس :

ولت بمسلمة الركابُ مُودَّعاً	فارعي فزارة لا هنالك المرتعُ
فسد الزمانُ وبُذلت أعلامه	حتى أمية عن فزارة تنزع ¹
ولقد علمتُ إذا فزارة أمّرت	أن سوف تطمع في الإمارة أشجعُ
وبحق ربك ما لهم ولثلهم	في مثل ما نالت فزارة مطمعُ
عزل ابنُ بشر وابنُ عمرو قبله	وأخو هراة لثلها يتوقعُ

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمره عليها مسلمة . وابن عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وأخو هراة : عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي .

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة :

أمير المؤمنين وأنت عفّ	كريمٌ لست بالطبع الحريص ²
أوليت العراق ورافديه	فزارياً أحذ يد القميص ³
ولم يك قبلها راعي مخاض	لتأمنه على وركي قُلوص
تفنن بالعراق أبو المثني	وعلم أهله أكل الخيص ⁴

1 تنزع : تكف إذاها عنها وتجاهلها .

2 عفّ كريم في الديوان 389/1 : وال شفيق . الطبع : الدنيء اللئيم .

3 أوليت في الديوان 389/1 أطعمت . أحذ : مقطوع .

4 تفنن : في الديوان 389/1 : تفيقهق .

وأنشدني له يونس :

[من البسيط]

جَهَّزَ فَإِنَّكَ مُمْتَارٌ وَمُبْتَعَثٌ
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَوْ يَعْمَى فَاطْعَمَهُ
إِنَّ الْفَزَارِيَّ لَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
يَقُولُ لَمَّا رَأَى مَا فِي إِنْائِهِمْ :

إِلَى فِزَارَةٍ عَيْرًا تَحْمِلُ الْكَمْرَ¹
أَيَّرَ الْحِمَارِ طَيْبٌ أَبْرًا الْبَصْرَ²
أَطَايِبُ الْعَيْرِ حَتَّى يَنْهَشَ الذِّكْرَ³
لِلَّهِ ضَيْفُ الْفَزَارِيِّينَ مَا أَنْتَظَرَا

فلما قديم خالد بن عبد الله القسري والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن ، فنُقِبَ له سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام ، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سِرْتَ لَيْلَةً
خَرَجْتَ وَلَمْ تَمُنْ عَلَيْكَ شِفَاعَةً
أَغْرَ مِنْ الْحَوْ اللَّهَامِيمِ إِذْ جَرَى
جَرَى بِكَ عُرْيَانُ الْحَمَاتَيْنِ لَيْلَهُ
وَمَا احْتَالَ مُحْتَالَ كَحِيلَتِهِ الَّتِي
وِظْلَمَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ خُضَّتْ هَوْلَهَا
هَمَا ظَلَمْتَا لَيْلٍ وَأَرْضٍ تَلَاقَتَا

وَلَمْ تَرَ إِلَّا بَطْنَهَا لَكَ مَخْرَجًا
ثَوَى فِي ثَلَاثِ مَظْلَمَاتٍ فَفَرَجًا
وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا
سَوَى رَبِذٍ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أُعُوجَا²
جَرَى بِكَ مَحْبُوكُ الْقَرَى غَيْرَ أَفْحَجَا³
بِهِ عَنْكَ أَرْخَى اللَّهُ مَا كَانَ أَشْرَجَا⁴
بِهَا نَفْسُهُ تَحْتَ الصَّرِيمَةِ أَوْلَجَا⁵
وَلَيْلٍ كُلُّونِ الطَّيْلَسَانِيَّ أَدْعَجَا⁶
عَلَى جَامِعٍ مِنْ هَمٍّ مَا تَعَوَّجَا

[يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضاً]

فحدثني جابر بن جندل قال : فقيـل لابن هبيرة : مَنْ سَيِّدُ الْعِرَاقِ ؟ قال : الفرزدق هجاني

- 1 ممتار : طالب ميرة . الكمر : جمع كمر ، وهو رأس القضيـب .
- 2 شفاعـة في الديوان 117/1 طلاقة . ربذ التقريب : خفيف الجري . أعوج : حصان عتيق تنسب العرب إليه جباد الخيل .
- 3 الحو : السمـر . اللهاميم في الديوان 117/1 : الجياد ، واللهاميم : جمع لـموم ، وهو السريع العدو . وفي الديوان أيضاً : جرى جري عريان . القرى : الظهر . أفحج : من الفحج ، وهو تدالي صدور قـدمي الفرس وتباعـد عقبـيه .
- 4 الحماتان : لـحمتان في ساقـي الفرس . أشرح : من أشرح العيبة : أحكم شدّها ، وفي الديوان 118/1 : أشنجا ، وأشنج : تقبض وتقلّص .
- 5 الصريمة في الديوان : الضريـحة .
- 6 الطيلساني : فيه طلـسة ، وهي السواد . أدعج : شديد الظلمة .

أميراً ومدحني سوقة . وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام : [من الطويل]

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتنا تمطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بئعة فيها الصليب لأمه وهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضاً : [من الكامل]

نزلت بجيلة واسطاً فتمكنت ونفت فزارة عن قرار المنزل¹

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمرى لمن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميراً أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود ، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية ، فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذي سماه المبارك ، فاعترض عليه الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أهلك مال الله في غير حقه على النهـر المشؤوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صيحاءاً ظهورهم وترك حق الله في ظهر مالك²
أنفاق مال الله في غير كنهه ومنعاً لحق المرملة الضرائك³

[مهر حدراء ومصرعها]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي قال : قال أعين بن لبطة : دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها ، فقال له : تزوجت أعرابية على مائة بعير ، فقال له عنبسة بن سعيد : إنما هي فراض قيمتها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً ، فقال له الحجاج : ليس غيرها ، يا كعب ، أعط الفرزدق ألفي درهم .

قال : وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل ، فاشتري الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان ، قال الفرزدق : فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم ، خرجت فوقفت في الدار فرآني ، فقال مهيم⁴ ، فقلت : إن الفضيل العنزي قد

1 بجيلة : قبيلة خالد .

2 وردت رواية البيهقي في الديوان 58/2 كالآتي :

أنتك رجال من تميم فشهدوا فضيحت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مال الله في غير حقه على نهر المشؤوم غير المبارك

3 الضرائك في الديوان 59/2 : الضوائك ، والضرائك : جمع ضريبة ، وهي الفقيرة .

4 مهيم : كلمة استفهام بمعنى ما شأنك .

بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشترت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسي ما كان أمر له به ، قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار : خسرت صفقتك ، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة حمشاء¹ الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرض بالنوار وكانت أمها وليدة :

لجارية بين السليل عروقتها وبين أبي الصهباء من آل خالد²
أحق بإغلاء المهوّر من التي ربت وهي تنزو في حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها ، فحبس بعضها ، وامتار³ عليه ما يحتاج إليه أهل البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما علمك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق ، وهو جالس ، فرحب به ، وقال له : انزل فإن حدراء قد ماتت ، وكان زيق نصرانياً فقال : قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزؤك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات ، فقال الفرزدق :

عجبت لحادينا المقّم سيره بنا موجعات من كلال وظلعا⁴
ليديننا ميمنا إلينا لقاءه حبيب ومن دار أردنا لتجمعا
ولو نعلم الغيب الذي من أماننا لكر بنا الحادي المطي فأسرعا⁵
يقولون : زر حدراء والترّب دونها وكيف بشيء وصله قد تقطعا
يقول ابن خنزير : بكيت ولم تكن على امرأة عيني إخال لتدمعا
وأهون رزء لامرئ غير جازع رزيئة مرتج الروادف أفرعا
ولست ، وإن عزت ، علي بزائر تراباً على مرموسة قد تضعععا⁶

1 حمشاء الساقين : مشوهتها

2 السليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .

3 امتار : طلب الميرة .

4 موجعات في الديوان 422/1 مُرَحَفَات .

5 الغيب في الديوان 422/1 العلم . والمطي في الديوان : الركاب .

6 مرموسة في الديوان : مرسومة .

وقيل إنّ النّوار كانت استعانت بأمّ هاشم لا بتماضر ، وأمّ هاشم أخت تماضر ؛ لأنّ تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له حُبَيْباً وثابتاً ابني عبد الله بن الزبير ، وتزوج بعدها أختها أمّ هاشم ، فولدت له هاشماً وحمة وعباداً ، وفي أمّ هاشم يقول الفرزدق :
[من الطويل]

تروحت الرّكبان يا أمّ هاشم وهنّ مُناخاتُ لهنّ حنينٌ
وحُبْسُن حتى ليس فيهنّ نافقٌ لبيعٍ ولا مركوبهنّ سمينٌ

[نشوز زوجة أخرى]

أخبرنا عبد الله قال : حدّثنا محمد بن حبيب قال : حدّثني الأصمعيّ قال : نشرت رُهِيمَة بنت غنيّ بن درهم التمرية بالفرزدق فطلقها ، وقال يهجوها بقوله :
[من الطويل]

لا ينكحنُ بعدي فتى نمريةً مرْمَلَةٌ من بعْلِها لبعادٍ¹
وبيضاء زَعراءِ المِفارِقِ شَحْنَةٌ مولَعَةٌ في خُضرةٍ وسوادٍ²
لها بَشَرٌ شَتْنٌ كَأَنَّ مَضْمَهُ إذا عانقت بَعْلًا مَضْمٌ قتادٍ³
قرنتُ بنفسِي الشَّوْمَ في وردِ حوضِها فَجَرَعْتُهُ مِلْحًا بماءِ رمادٍ
وما زلتُ ، حتى فَرَّقَ اللهُ بيننا له الحمدُ ، منها في أذى وجهادٍ
تُجدِّدُ لي ذكري عذابِ جهنَّمِ ثلاثاً تُمَسِّيني بها وتغادي

[يكي ولدأله من سفاح]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثني الحسين بن موسى قال : قال المدائنيّ : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : ما لك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍّ ما طمعتُ في واحدٍ منها ، قال : ولمَ يا لخناء⁴ ؟ قالت : لأنّك قبيح المنظر سيّء المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جرتني لعفى خبري على منظري ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضبّعت⁵ له عن مثل سنام البكر فعالجها ، فقالت : أنكاح بنسيئة ؟ هذا شرّ القضية ، قال : ويحك ، ما معي إلّا جَبْتِي ، أفتسلبيني إياها ثم تسنّمها ، فقال :

[من الرجز]

1 مرْمَلَة في الديوان 179/1 مزملة .

2 شحنة في الديوان : شحنة ، أي الغصن الملتف المشتبك ، وشحنة : نخيفة .

3 شتن : جلد خشن .

4 اللخناء : القبيحة الكلام .

5 تضبّعت : تكشفت .

أولجتُ فيها كذراع البكرِ مُدْمَلِكُ الرَّأْسِ شَدِيدَ الْأَسْرِ¹
 زاد على شيرٍ ونصفِ شيرٍ كَأَنَّني أُولِجْتُه في جَمَرٍ
 يُطِيرُ عَنْهُ نَفْيَانُ الشَّعْرِ نفى شعور النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ²
 قال : فحملتُ منه ، ثم ماتت ، فبكاه وبكى ولده منها . [من الطويل]

وَعِمْدِ سِلَاحٍ قَدْ رَزْتُ فَلَمْ أَنْحِ عليه ولم أُبْعِثْ عليه البواكيا
 وفي جوفه من دارمِ ذو حفيظةٍ لو أَنَّ الْمَنَابِيا أَنَسَّاهُ لِيَالِيا
 ولكنَّ ريبَ الذَّهْرِ يَغْتُرُّ بِالْفَتَى فلم يستطع رَدًّا لما كان جَائِيا
 وكم مثله في مثلها قد وضعته وما زلت وثاباً أُجْرُ الْمُخَازِيا
 فقال جرير يعيره : [من الطويل]

وكم لك يا ابن القَيْنِ إن جاء سائلٌ من ابنِ قَصِيرِ الْبَاعِ مِثْلُكَ حَامِلَةٌ
 وآخر لم تشعُرْ به قد أضعتَه وأوردته رِحْماً كثيراً غَوَائِلَةٌ
 [يتزوج ظبية فيعجز عنها]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال : تزوج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشيع بعد أن أسنَّ ، فضعف ، وتركها عند أمِّها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البجليّ ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسريّ ، فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه :

فلو جمعوا من الخِلَآنِ ألفاً فقالوا : أَعْطَيْنَا بِهِمْ أَبَانَا
 لقلتُ لهم : إِذَا لَغَبْتُمُونِي وكيف أُبِيعَ من شرط الزمانا³
 خليلٌ لا يرى المائة الصَّفَايا ولا الخيلَ الجيَادَ ولا القِيَانَا
 عطاءً دون أضعافِ عليها وَيُطْعَمُ ضَيْفَهُ الْعُبُطُ السَّمَانَا
 العُبطُ : الإبل التي لا وجع بها .

فما أرجو لظبية غير ربي وغير أبي الوليد بما أعانا⁴

1 مدملك الرأس : رأسه كاللندي الناهد . وشديد الأسر : قوي محكم .

2 نفیان الشعر : ما طار منه .

3 شرط الزمانا في الديوان 337/2 شرط الضمانا : التزم به وهو المهر .

4 وأبي الوليد في الديوان : ابن الوليد .

أَعَانُ بِهِجْمَةً أَرْضَتْ أَبَاهَا وَكَانَتْ عِنْدَهُ غَلَقًا رِهَانًا¹
 وَقَالَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ :

لَقَدْ طَالَ مَا اسْتَوَدَعْتُ ظَبِيَّةَ أُمِّهَا وَهَذَا زَمَانُ رُدِّ فِيهِ الْوَدَائِعُ
 وَقَالَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَبْنِي بِهَا :

أَبَادِرْ سُؤلاً بِظَبِيَّةٍ أَتَنِي أَتَنِي بِهَا الْأَهْوَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 بِمَالِئَةِ الْحِجْلَيْنِ لَوْ أَنَّ مَيِّتًا وَلَوْ كَانَ فِي الْأَمْوَاتِ تَحْتَ النِّصَائِبِ
 دَعْتَهُ لِأَلْقَى التُّرْبَ عِنْدَ انْتِفَاضِهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الرَّاسِيَاتِ الرُّوَاسِبِ
 فَلَمَّا ابْتَنَى مِنْهَا عَجَزَ عَنْهَا فَقَالَ :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعْظٍ فُجِعْتُ بِهِ حِينَ التَّقَى الرَّكْبُ الْمَخْلُوقُ وَالرَّكْبُ²
 وَقَالَ جَرِيرٌ :

وَتَقُولُ ظَبِيَّةُ إِذْ رَأَتْكَ مُحَوِّلاً - حَوِّقَ الْحِمَارُ - مِنْ الْخِبَالِ الْخَابِلِ³
 إِنَّ الْبَلِيَّةَ وَهِيَ كُلُّ بَلِيَّةٍ شَيْخٌ يُعَلِّلُ عِرْسَهُ بِالْبَاطِلِ
 لَوْ قَدْ غَلَقْتَ مِنَ الْمُهَاجِرِ سُلْماً لَنَجَوْتَ مِنْهُ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ
 قَالَ : فَنَشِزَتْ مِنْهُ ، وَنَافَرَتْهُ إِلَى الْمُهَاجِرِ ، وَبَلَغَهُ قَوْلُ جَرِيرٍ فَقَالَ الْمُهَاجِرُ : لَوْ أَتَنِي
 بِالْمَلَائِكَةِ مَعَهَا لَقَضَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ عَلَيْهَا .

[يَشِيدُ بِابْنَتِهِ مَكِّيَّةَ وَأُمِّهَا الزَّنْجِيَّةَ]

قَالَ : وَكَانَ لِلْفَرَزْدَقِ ابْنَةٌ يُقَالُ لَهَا مَكِّيَّةٌ ، وَكَانَتْ زَنْجِيَّةً ، وَكَانَ إِذَا حَمَى الْوُطَيْسُ ، وَبَلَغَ
 مِنْهُ الْهَجَاءُ يَكْتَنِي بِهَا ، وَيَقُولُ :

ذَا كُنْتُ إِذَا مَا كُنْتُ ذَا مُحَمِيَّةٍ بَدَارِمِي⁴ أُمُّهُ ضَبِيَّةٌ
 صَمَحَمَحَ يُكْنَى أَبَا مَكِّيَّةَ⁴

وَقَالَ فِي أُمِّهَا :

[مِنْ الرَّجَزِ]

1 بهجمة في الديوان 337/2 بدفعة ، والمهجمة عدد كبير من الإبل . وغلق الرهن : استحق لمن هو عنده بعد ما مضى ميعاده .

2 الركب : العانة أو أصل الفرج .

3 محوّل : من حوّل بمعنى ضعف وأعيا .

4 الصمحمح : القوي الشديد المجتمع الألواح .

يا ربَّ خَوْدٍ من بناتِ الزَّنجِ تحملُ تنوراً شديداً الوهَجِ
أَقْعَبَ مَثَلِ القَدَحِ الخَلنجِ يزداد طيباً عند طول الهَرَجِ¹
مَخَجْتُها بالأَيرِ أَيَّ مَخَجٍ²

فقال له النُّوار : رِيحُها مثل ريحِكَ .

وقال في أُمِّ مَكِّيَّةٍ يخاطب النُّوار :

[من الوافر]

فإن يَكُ خالها من آل كسرى فكسرى كان خيراً من عِقَالِ
وأكثرَ جزيَّةً تُهدى إليه وأصبرَ عند مختلفِ العوالي

قال : وكانت أُمُّ النُّوار خُرَاسانيَّةً ، فقال لها في أُمِّ مَكِّيَّةٍ :

[من الطويل]

أَغْرَكَ منها أَدَمَةُ عَرِيَّةً علت لونها إن البِجاديَّ أَحرَّ³

[يمدح سعيداً فيغضب مروان]

حدَّثني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ،
عن ابن الكلبي قال : دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية
فأنشده :

[من الوافر]

ترى الغرَّ الجحاجِجَ من قريش إذا ما الخطبُ في الحدَثانِ غالا⁴
وقوفاً ينظرون إلى سعيد كأنَّهم يرون به هلالاً

وعنده كعب بن جُعيل ، فلما فرغ من إنشاده قال كعب : هذه والله رؤياي البارحة ،
رأيتُ كأنَّ ابن مِرَّةٍ في نواحي المدينة وأنا أضَمُّ دلاذلي⁵ خوفاً منه ، فلما خرج الفرزدق خرج
مروان في أثره فقال : لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك :

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنَّهم يرون به هلالاً

فقال له : يا أبا عبد الملك إنَّكَ من بينهم صافن⁶ ، فحقق عليه مروان ذلك ، ولم تطل
الأيَّام حتى عُزِلَ سعيد ، ووُلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدماً حتى قال قصيدته التي

1 أَعْب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير . والهرج : كثرة النكاح .

2 مخجتها : أتيتها .

3 الأدمة : الجلد الأحمر . البجادي : نوع مخطط من الأكسية العربية .

4 الجحاجج : جمع جحجاج ، وهو السيد الكريم .

5 الدلاذل : أسافل القميص الطويل .

6 صفن الرجل : صف قدميه .

قال فيها :

[من الطويل]

هما ذلتاني من ثمانين قامَةً كما انقضَّ باز أقتمُ الرِّيشَ كاسرةً
 فلمَّا استوت رجلاي في الأرضِ قالتا أحَيُّ يُرجى أم قتيلٌ نُحاذرةُ
 فقلت : ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا وأقبلتُ في أعقابِ ليلِ أبادره¹
 أبادر بوابين لم يشعروا بنا وأحمر من ساجٍ تلوح مسامرة²

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ ، اخرج عن المدينة فذلك قول

جرير :

[من الطويل]

تدليت تزني من ثمانين قامَةً وقصرت عن باع الندى والمكارم

[رواية أخرى للخبر السابق]

أخبرنا ابن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الرياشي ، عن محمد بن سلام ، قال : دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية ، فدخل على سعيد ، ومثل بين يديه ، وهو معتم ، وفي مجلس سعيد الحطيئة وكعب بن جُعيل التغلبي ، وصاح الفرزدق : أصلح الله الأمير ، أنا عائد بالله وبك ، أنا رجل من تميم ، ثم أحد بني دارم ، أنا الفرزدق بن غالب ، قال : فأطرق سعيد ملياً ، فلم يجبه ، فقال الفرزدق : رجل لم يصب دماً حراماً ، ولا مالاً حراماً ، فقال سعيد : إن كنت كذلك فقد أمنت ، فأنشده : [من الوافر]

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمي لكما حلالا
 ولكني هجوتُ وقد هجاني معاشرُ قد رضختُ لهم سجالا³
 فإن يكن الهجاء أحلَّ قتلي فقد قلنا لشاعرهم وقال
 أرقْتُ فلم أنم ليلاً طويلاً أراقب هل أرى السرَّين زالا⁴
 عليك بني أمية فاستجرهم وخُذ منهم لما تخشى حيالا
 فإن بني أمية في قريش بنوا لبيوتهم عمداً طولا
 ترى الغرَّ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثنِ غالا⁵

1 الأمراس : الحبال .

2 أحمر بن ساج : أي الباب .

3 رضخت لهم : رضخت التيوس إذا أخذت النطاح .

4 السرَّين في الديوان 70/2 : السران : كوكبان .

5 الغر في الديوان 70/2 : الشم . غالا : في الديوان 70/2 : عالا : فاح : فاح وثقل .

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالاً

قال : فلماً قال هذا البيت ، قال الخطيئة لسعيد : هذا والله الشعر ، لا ما كنت تَعْلُلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جُعيل : فضلت على نفسك ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنه ليفضلني وغيري ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبْلَكَ ، وسبقت مَنْ بعدك ، ولكن طال عمرك لتبرُزَنَّ .

ثم عبث الخطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أُنَجِدْتُ أُمُّكَ ؟ قال : لا بل أُنِّي ، أراد الخطيئة : إن كانت أُمُّكَ أُنَجِدْتُ فقد أصبْتُها فولدتك إذ شابهتني في الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أُنِّي ، فوجده لَقِيناً .

[مع مخنث]

أخبرني ابن دريد قال : قال لنا أبو حاتم : قال الأصمعيّ : ومن عبثات الفرزدق أنّه لقي مُخَنَّثاً فقال له : من أين راحت عَمَّتُنَا ؟ فقال له المخنث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير :

نفاك الأغر ابن عبد العزيز وحقك تُنْفِي من المسجد

[جرير يعترف له بالغلبة]

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ما قال لي ابن القين بيتاً إلّا وقد اكتفأته ، أي قلبته إلّا قوله :

ليس الكرامُ بناحليكَ أباهم حتى يرد إلى عطية تُعْلُ
فإنّي لا أدري كيف أقول فيها .

[جرير يلقبه بالعزير]

وأخبرني ابن دريد قال : حدّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، عن عوانة بن الحكم ، قال : بينما جرير واقف في المربد وقد ركبهُ النَّاسُ وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أباً لكم لا يقذفنكم في سَوَاقِ عَمْرُ
أحين صيرتُ سِماماً يا بني لجأ وخاطرتُ بي عن أحسابها مُضْراً

فقال عمر جواب هذا : [من البسيط]

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ما خاطرتُ بك عن أحسابها مُضَرُّ
أَلَسْتَ نَزْوَةً خَوَّارٍ على أمة ؟ لا يسبق الحلباتِ اللُّؤْمُ والخورُ
وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة ، فقال جرير لما سمعها : قبحاً لك
يا ابن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولو ميتاً ، هذا شعر حظلي ، هذا شعر العزيز يعني
الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً .
[يلقب جريراً بالقرم]

وخرج غنيم بن أبي الرِّقراق حتى أتى الفرزدق ، فضحك ، وقال : إيه يا ابن أبي
الرِّقراق ، وإن عندك لخبراً ، قلت : خزي أخوك ابن قتب ، فحدثته ، فضحك ، حتى
فحص برجليه ، ثم قال في ساعته : [من الطويل]

وما أنت إن قرماً تميم تساميا أcha التيمم إلا كالوشيطلة في العظم¹
فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه ظلمت ولكن لا يدي لك بالظلم
فلما بلغ هذان البيتان جريراً قال : ما أنصفتني في شعر قط قبل هذا يعني قوله :
. . . إن قرماً تميم تساميا

[يغتصب الشعر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشي قال : كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء ، فمر يوماً
بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميم غير حرّ الغلاصم²
قال : والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك ، قال : خذه على كره مني ، فهو في
قصيدة الفرزدق التي أولها قوله :

تحن بزوراء المدينة ناقتي

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يحب فيه القطع يعني سرقة الشعر .
أخبرنا ابن دريد عن حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك بن بهلول الفقيمي قال : بينما
أنا بكازمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

1 الوشيطلة : شطية زائدة في أصل العظم .

2 الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعظم .

أَحِينٌ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نَسَاءَهَا وَجُرَّدَتْ تُجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغِمْدِ
 إِذَا رَاكِبَانِ قَدْ تَدَلَّيَا مِنْ نَعْفٍ كَاطِمَةٍ مُتَقَنَعَانِ ، فَوْقَهَا ، فَلَمَّا فَرَّغَ ذُو الرُّمَّةِ حَسَرَ الْفَرَزْدَقُ
 عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : يَا عُيَيْدُ ، اضْمَمْهَا إِلَيْكَ ، يَعْنِي رَاوِيَتَهُ ، وَهُوَ عُبَيْدُ أَخُو بَنِي رِبْعَةَ بْنِ
 حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا فِرَاسٍ إِنْ فَعَلْتَ ، قَالَ : دَعِذَا عَنْكَ ، فَانْتَحَلَهَا فِي
 قَصِيدَتِهِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ :

أَحِينٌ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نَسَاءَهَا وَجُرَّدَتْ تُجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغِمْدِ
 وَمَدَّتْ بِضْبُعِي الرِّبَابُ وَمَالِكٌ وَعَمَرُو ، وَشَالَتْ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدٍ¹
 وَمَنْ آلٍ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كَأَنَّهُ دُجِيَ اللَّيْلُ مُحَمَّدُ الْنُكَايَةِ وَالْوَرْدِ²
 وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ضَرَبَنَاهُ فَوْقَ الْأُنْثَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ³

[بحوز السبق في الفخر]

أَخْبَرَنَا ابْنُ دَرِيدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : اجْتَمَعَ الْفَرَزْدَقُ وَجَرِيرٌ
 وَكَثِيرٌ وَابْنُ الرَّقَاعِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَنْشَدُونَا مِنْ فَخْرِكُمْ شَيْئاً حَسَناً ،
 فَبَدَرَهُمُ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ :

وَمَا قَوْمٌ إِذَا الْعُلَمَاءُ عَدَّتْ عُرُوقَ الْأَكْرَمِينَ إِلَى التَّرَابِ
 بِمُخْتَلَفِينَ إِنْ فَضَّلْتُمُونَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غِضَابِ
 وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابُ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ
 فَقَالَ سُلَيْمَانُ : لَا تَنْطَقُوا ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَكُمْ مَقَالاً .

[يَتَعَصَّبُ لِابْنَتِهِ مَكِّيَّةَ]

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الضَّبِّيُّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي
 سُلَيْمَانَ الْجَوْزَجَانِيِّ قَالَ : غَابَ الْفَرَزْدَقُ فَكَتَبْتُ النُّوَارَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَكِّيَّةَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ
 يَشْكُونَ سُوءَ خُلُقِهَا وَتَبْذِيرِهَا عَلَيْهِمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

[من الطويل]

كُتِبَتْ عَلَيْهَا أَنَّهَا ظَلَمْتَكُمْ كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بَلْ تَظْلَمُونَهَا

1 بضبعي : مثني ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها ، ومدت بضبعي : أعانتني . والرباب
 ومالك وعمره وبنو سعد : قبائل .

2 الزهاء : العدد الكثير .

3 الشطر الأول في الديوان 178/1 «وكنا إذا القيسي نب عتوده» . ونب عتوده : تكبر . صعر خده : أماله
 صلفاً وتكبراً . الأنثيان : الأذنان . الكرد : العنق .

فَالَا تَعْدُوا أَتَهَا مِنْ نَسَائِكُمْ فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى وَالِدٌ لَا يَشِينَهَا
وَأَنَّ لَهَا أَعْمَامَ صَدَقَ وَأَخُوهُ وَشَيْخًا إِذَا شَاءَتْ تَنَمَّرَ دُونَهَا

[عقوق ابنه]

قال : وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لبطة ، والآخر حَبْطَة ، والثالث ،
سبطة ، وكان لبطة من العَقَّة فقال له الفرزدق :

[من الطويل]

إِنَّ أُرْعِشْتَ كَفًّا أَيْكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ جَادِبُهُ
إِذَا غَالَبَ ابْنُ الشَّبَابِ أَبَا لَهُ كَبِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
رَأَيْتُ تَبَاشِيرَ الْعُقُوقِ هِيَ الَّتِي مِنْ ابْنِ أَمْرِي مَا إِنْ يَزَالُ يُعَاتِبُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبُرْتُ وَأَنْتَنِي أَخُو الْحَيِّ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
أَصَاحَ لَغْرِبَانَ النَّجِيِّ وَأَنَّهُ لِأَزُورُ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ¹

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض : قال رؤبة بن العجاج : حجَّ سليمان بن عبد الملك ،
وحجَّت معه الشعراء ، فمرَّ بالمدينة منصرفاً ، فأتى بأسرى من الرُّوم نحو أربعمائة ، ففقد
سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن ، وعليهم السلام ، وعليه ثوبان مُمَصَّرَان² ، وهو
أقربهم منه مجلساً ، فأدناؤه إليه بطريقهم ، وهو في جامعة³ ، فقال لعبد الله بن حسن : قم ،
فاضرب عنقه فقام ، فما أعطاه أحد سيفاً ، حتى دفع إليه حَرْسِيَّ سيفاً قليلاً ، فاضربه ، فأبان
عنقه وذراعه ، وأطن⁴ ساعده وبعض الغلّ ، فقال له سليمان : والله ما ضربته بسيفك ولكن
بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه ، فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ،
فدسَّت إليه بنو عيس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فاضربه ، فأبان رأسه ، ودُفِعَ إلى الفرزدق
أسير ، فدسَّت إليه القيسيَّة سيفاً قليلاً ، فاضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ،
فضحك سليمان وضحك النَّاسُ معه . وقيل : إنَّ سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً ،
وقال : اقتله به ، فقال : لا ، بل أقتله بسيف مجاشع ، واختلط سيفه ، فاضربه ، فلم يُغْنِ
شيئاً ، فقال سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارُها وشنارها ، فقال جرير قصيدته التي
يهجوه فيها ، وأولها :

[من الطويل]

1 غريبان النجبي : قرناء السوء .

2 ممصران : مصبوغان : بصيغ أصفر .

3 جامعة : قيد يجمع اليدين إلى الرجلين .

4 أطن : قطع .

ألا حيّ ربيع المنزل المتقادم وما حُلّ مُدّ حَلَّتْ به أمّ سالم
منها :

ألم تشهد الجَوْنَيْنِ والشَّعْبَ ذا الغَضَى
تُحَرِّضُ يا ابنَ القَيْنِ قيساً ليجعلوا
بسيْفِ أبي رَغْوَانَ سيفَ مُجاشعٍ
ضربتَ به عند الإمام فارُعِشتَ
فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله :

وهل ضربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم
كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُبَاتُها
ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكُّهُمْ
إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

وقال يعرُضُ بسليمانَ ، ويعيره نُبوَّ سيفٍ ورقاءَ بن زهير العبسيَّ خالد بن جعفر ، وبنو
عبس هم أُنحوال سليمان :

فإن يلكُ سيفٌ خانٌ أو قَدَرٌ أبي
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به
كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُبَاتُها
وَأَوَّلُها :

تباشرُ يربوعٌ نبوةَ ضربةٍ
ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه
ضربتُ بها بين الطُّلا والمُحارِدِ⁵
إلى عَلَقٍ بين الحِجْلَيْنِ جامِدِ⁶

وقيل : إنَّ الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذا الأسير ، فوهبه له ،

- 1 الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية .
- 2 يوم الأرقام كان بين قيس وبني تغلب .
- 3 أبو رغوآن : كنية مجاشع جد الفرزدق . مجاشع : أحد أجداد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فُتاك العرب المشهورين .
- 4 كليب : جد جرير . ودارم : جد الفرزدق .
- 5 الطُّلا : الأعناق . والمُحارِد : مفاصل الأعناق .
- 6 العلق : ما تجمد من الدم .

فأعتقه ، وقال الأبيات التي منها : [من الطويل]

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنِّي بابتِ المِراغة ، وقد بلغه خبري ، فقال :

بسيفِ أبي رَغَوَانَ سيفٍ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ به عند الإمامِ فارِعتُ يداكِ وقالوا مُحدثٌ غيرِ صارمِ

فما لبثنا إلا أياماً يسيرة ، حتى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق ،

وقال أيضاً في ذلك : [من البسيط]

أيعجبُ النَّاسُ أنْ أضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

فما نبا السيفُ عن جَبَنِ وعن دَهْشٍ عند الإمامِ ولكنْ أُخِرَ الْقَدَرُ

ولو ضربتُ به عَمْدًا مُقْلَدُهُ لَخِرَّ جِثْمَانُهُ مَا فَوْقَهُ شَعْرٌ¹

وما يُقَدِّمُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمَعَ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَمَةَ الذِّكْرُ²

[من شعره في السجن]

وأخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة ، قال : هجا

الفرزدق خالداً القسريّ وذكرَ المبارك : النهر الذي حفره بواسط ، فبلغه ذلك ، وكتب خالد

إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدقَ فإنَّه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله : [من الطويل]

وأهلكَ مالَ اللَّهِ في غيرِ حقِّه على نهرِكَ المشؤومِ غيرَ المَبَارِكِ

الآيات ، فأرسل مالك إلى أيوبَ بن عيسى الضبيّ ، فقال : ائتني بالفرزدق ، فلم يزل

يعمل فيه حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يَمروا به على بني حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت

أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة ، فلما قيل للملك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك

غضباً ، فلما أُدخِلَ عليه قال : [من الطويل]

أقولُ لِنَفْسِي حينَ غَصَّتْ بِرِيقِهَا أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا لَهَا عِنْدَ مَالِكٍ ؟

لَهَا عِنْدَهُ أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ رُوحَهَا إِلَيْهَا وَتَنْجُو مِنْ جَمِيعِ الْمَهَالِكِ

وَأَنْتَ ابْنُ جَبَّارِي رِبِيعَةً أَدْرَكَتْ بِكَ الشَّمْسُ وَالْخَضِرَاءُ ذَاتَ الْحَبَائِكِ³

1 عمداً في الديوان 291/1 على عمد .

2 صدر البيت في الديوان 291/1 : ما يجعل السيف نفساً قبل ميتتها . الصمصامة : السيف الذي لا يتنيه الضراب .

3 الخضراء : السماء . والحبايك : جمع حبيكة ، وهي مسير النجم .

فسكن مالك ، وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي : [من الطويل]

فلو كنت قسيّاً إذا ما حبستني ولكن زنجياً غليظاً مشافرة
مَتَّ له بالرَّحْم بيني وبينه فالقيته مني بعيداً أواصرة
وقلت : امرؤ من آل ضبة فاعتزى لغيرهم لونُ استه ومحاجرة
فسوف يرى النوبي ما اجترحت له يده إذا ما الشعر عيت نوافرة
ستلقي عليك الخنفساء إذا فست عليك من الشعر الذي أنت حاذرة
وتأتي ابن زُب الخنفساء قصيدة تكون له مني عذاباً يباشرة
تعذرت يا ابن الخنفساء ولم تكن لتقبل لابن الخنفساء معاذرة
فإنكما يا بني يسار نزوتما على ثفرها ما حن للزيت عاصرة¹
لزنجة بظراء شقق بظرها زحير بأيوب شديد زوافرة²

ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً ، فأنشدني يونس في كلمة له طويلة :

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل ولعلمن من القصائد قبلي
يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل³
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي عني وتطلق لي يدك كبولي⁴
ولقد بنى لكم العللى ذروة رفعت بناءك في أشم طويل⁵
والخيل تعلم في جذيمة أنها تردى بكل سميدع بهلول⁶
فاسقوا فقد ملأ العللى حوضكم بذنوب ملتهم الرباب سجيل⁷

وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع : [من الوافر]
وقرّم بين أولاد العللى وأولاد المسامعة الكرام

1 الثفر : المهبل .

2 الزحير : أنين المرأة عند المخاض .

3 كبير في الديوان 122/2 : أسير .

4 فتجير في الديوان 122/2 : فتجز .

5 الشطر الأول في الديوان 121/2 : ولقد نمت بك للعللى سورة .

6 تردى في الديوان 123/2 : تغدو .

7 الرباب في الديوان 123/2 : الذناب .

تَحْمَطُ فِي رِبْعَةِ بَيْنِ بَكَرٍ وَعَبْدُ الْقَيْسِ فِي الْحَسْبِ اللَّهُامُ¹
 فَلَمَّا لَمْ تَنْفَعَهُ مَدِيحَةُ مَالِكٍ ، قَالَ يَمْدَحُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ : [مِنَ الطَوِيلِ]
 أَلْكِنِّي إِلَى رَاعِي الْبَرِيَّةِ وَالَّذِي لَهُ الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ نَوْرًا²
 فَإِنْ تُنْكِرُوا شَعْرِي إِذَا خَرَجْتُ لَهُ بِوَادِرُ لَوْ يُرْمَى بِهَا لَتَفْقَرًا³
 ثَبِيرَ وَلَوْ مَسَّتْ حِرَاءُ لِحَرَكَتِ بِهِ الرَّاسِيَاتِ الصَّمِّ حَتَّى تَكْوَرًا⁴
 إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قَصِيدَةً بِهَا حَرْبٌ كَانَتْ وَبَالًا مُدْمَرًا⁵
 أَيْطِقُهَا غَيْرِي وَأُرْمِي بِجُرْمِهَا فَكَيْفَ الْيَوْمَ الدَّهْرَ أَنْ يَتَغَيَّرَا
 لَنْ صَبَّرْتُ نَفْسِي لَقَدْ أُمِرْتُ بِهِ وَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَصْبَرَا
 وَكُنْتُ ابْنَ أَحْذَارٍ وَلَوْ كُنْتُ خَائِفًا لَكُنْتُ مِنَ الْعَصْمَاءِ فِي الطُّودِ أَحْذَرًا⁶
 وَلَكِنْ أَتَوْنِي آمِنًا لَا أَخَافُهُمْ نَهَارًا وَكَانَ اللَّهُ مَا شَاءَ قَدَرَا

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى قَالَ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ لِابْنِهِ لَبْطَةَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ اشْخَصْ إِلَى هِشَامٍ ، وَامْدَحْهُ بِقَصِيدَةٍ ، وَقَالَ : اسْتَغْنِ بِالْقَيْسِيَّةِ ، وَلَا يَمْنَعُكَ قَوْلِي فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ سَيَغْضِبُونَ لَكَ وَقَالَ :

بَكَتْ عَيْنُ مُحْزُونٍ فَفَاضَ سَجَامُهَا وَطَالَتْ لِيَالِي سَاهِرٍ لَا يَنَامُهَا⁷
 فَإِنْ تَبَكَ لَا تَبَكَ الْمَصِيبَاتُ إِذْ أَتَى بِهَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ جَمٌّ خِصَامُهَا
 وَلَكِنَّمَا تَبْكِي تَهْتِكُ خَالِدَ مُحَارَمٍ مَنَا لَا يَحِلُّ حَرَامُهَا⁸
 فَقُلْ لِبْنِي مَرُوانَ : مَا بَالُ ذِمَّةِ وَحَرَمَةِ حَقٍّ لَيْسَ يُرْعَى ذِمَامُهَا⁹
 أَنْتَقَتْلَ فِيكُمْ أَنْ قَتَلْنَا عَدُوَّكُمْ عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرْبِ بَاقٍ قَتَامُهَا

1 الحسب اللّهام : الذي يلتهم كل حسب غيره ، ويغطي عليه .

2 أَلْكِنِّي : أحمل عني ألوكة ؛ رسالة .

3 تفقر : تقسم فقرا .

4 تكور : تهدم .

5 الحَرْبُ : الويل والهلاك .

6 العصماء : الطيور العصماء : التي في جسمها بياض .

7 ل ، وفي الديوان 2/239 : حادث لا .

8 تهتك في الديوان 2/240 : تهتك .

9 حق في الديوان 2/240 : حل .

أَتَاكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ خَالِدٌ
فَغَيَّرَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهَا
أَرَى مُضَرَ الْمِصْرِينَ قَدْ ذَلَّ نَصْرُهَا
فَمَنْ مُبْلَغٌ بِالشَّامِ قَيْسًا وَخِنْذِفًا
أَحَادِيثَ مَنْ نَشْتَكِيهَا إِلَيْهِمْ
فَإِنْ مَنْ بَهَا لَمْ يُنْكِرِ الضَّيْمَ مِنْهُمْ
نَمَتْ مِثْلُهَا مِنْ مِثْلِهِمْ وَتُنَكَّلُوا
بِغِلْبَاءٍ مِنْ جُمْهُورِنَا مُضَرِّيَّةٍ
وَيُبِضُّ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَانَتْهَا
غَضِيْنَا لَكُمْ يَا آلَ مِرْوَانَ فَاغْضَبُوا
وَلَا تَقْطَعُوا الْأَرْحَامَ مَنْ فَإِنَّهَا
أَلَمْ تَكُ فِي الْأَرْحَامِ مَنْ وَمِنْكُمْ
فَرَعَى قَرِيشٌ مِنْ تَمِيمٍ قَرَابَةً
لَقَدْ عَلِمْتَ ابْنَاءَ خِنْذَفٍ أَتْنَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنَا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَضَرَّعَتْ
قَوَامُ قُوى الْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ
تَمِيمٌ الَّتِي تَخْشَى مَعَدَّ وَغَيْرَهَا
إِلَى اللَّهِ تَشْكُو عِزَّنَا الْأَرْضُ فَوْقَهَا
شَكْتَنَا إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ فَاسْمَعْتُ

وَفِينَا بَقِيَّاتُ الْهَدْيِ وَإِمَامُهَا¹
يَمَانِيَّةٌ حَمَقَاءُ أَنْتَ هَشَامُهَا
وَلَكِنْ عَسَى أَنْ لَا يَذِلَّ شَامُهَا²
أَحَادِيثَ مَا يُشْفَى بِبِرِّهِ سَقَامُهَا
وَمُظْلَمَةٌ يَغْشَى الْوَجُوهَ قَتَامُهَا
فَيَغْضَبُ مِنْهَا كَهْلُهَا وَغَلَامُهَا
فَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَوْرِ كَيْفَ انْتِقَامُهَا³
يُزَايِلُ فِيهَا أَذْرَعَ الْقَوْمِ هَامُهَا⁴
كَوَاكِبُ يَحْلُوها لِسَارِ ظَلَامُهَا⁵
عَسَى أَنْ أَرْوَحًا يَسُوءُ طَعَامُهَا
ذُنُوبٌ مِنَ الْأَعْمَالِ يُخْشَى أَثَامُهَا
حَوَاجِزُ أَيَّامٍ عَزِيزٍ مَرَامُهَا
وَنَجْزَى بِأَيَّامٍ كَرِيمٍ مَقَامُهَا
ذُرَاهَا وَأَنَا عِزُّهَا وَسَنَامُهَا
إِذَا عُذَّتِ الْأَحْيَاءُ أَنَا كَرَامُهَا
نَلِيهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ ضَرَامُهَا
وَهَلْ طَاعَةٌ إِلَّا تَمِيمٍ قَوَامُهَا⁶
إِذَا مَا أَبِي أَنْ يَسْتَقِيمَ هَمَامُهَا
وَتَعْلَمُ أَنَا ثِقْلُهَا وَغَرَامُهَا
قَرِيبًا ، وَأَعْيَا مَنْ سِوَاهِ كَلَامُهَا

1 أَتَاكَ فِي الدِّيَّانِ 240/2 : وَثَار .

2 عَسَى فِي الدِّيَّانِ 240/2 وَلَكِنْ قَيْسًا .

3 نَمَتْ فِي الدِّيَّانِ 240/2 يَعْدُ .

4 هَامُهَا فِي الدِّيَّانِ 240/2 : لَامُهَا .

5 وَيُبِضُّ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ فِي الدِّيَّانِ 240/2 : وَيُبِضُّ عَلَاهُنِ الدُّجَالُ ، وَهُوَ فَرْنَدُ السَّيْفِ . يَحْلُوها فِي الدِّيَّانِ : يَحْلُوها .

6 قُوى : فِي الدِّيَّانِ 241/2 : عُرى .

نصُولُ بحول الله في الأمرِ كُلِّهٖ إذا خيف من مصدوعةٍ ما التثامُها
فأعانتَه القيسيَّة وقالوا : كلِّما كان ناب من مُضَرٍّ أو شاعرٍ أو سيِّدٍ وثب عليه خالد وقال
الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً : [من الطويل]

إلى الأبرشِ الكلبِيَّ أسندتُ حاجةً توأكلها حيّاً تميمٍ ووائل
على حين أن زلت بي النعل زلَّةً فأخلف ظنِّي كُلُّ حافٍ وناعل
فدونكها يا ابن الوليد فإنها مفضلة أصحابها في المحافل
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها قيام امرئ في قومه غير خامل

فكلّم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش : [من الطويل]

لقد وثب الكلبِيُّ وثبةً حازمٍ إلى خير خلقِ الله نفساً وعُصرا
إلى خير أنباء الخليفة لم يجد لحاجته من دونها متأخراً
أبى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنّت الآباء أن يتغيّراً

وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكتب في الجاهليّة ، وذلك قول جرير بن
الخطّفي في الحلف : [من الطويل]

تميمٌ إلى كلبٍ وكتبٌ إليهمُ أحقُّ وأدنى من صُداءٍ وجميرا

وقال الفرزدق : [من الطويل]

أشدُّ جبالٍ بين حيّين مِرَّةً جبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبٍ¹
وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ولو أصبَحَتْ تغلي القدورُ من الحربِ

وقال أيضاً : [من الطويل]

ألم ترَ قيساً قيسَ عيلانَ شمَّرتْ لَنَصْرِي وحاطتني هناك قُرومُها
فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم تميماً فهم منها ومنها تميمُها
وعادتْ عدوّي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما النَّاسُ عُدَّ صميمُها

[شرطيان يعثنان به]

أخبرني ابن دريد : قال حدّثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : بينما الفرزدق
جالس بالبصرة أيام زياد في سِكَكِ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة

وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أفرّعه ، وكان جبناً ، فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر مؤلياً فعثر في طرف برده فشقه ، وانقطع شيعُ نعليه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنّهما هزئاً منه فقال : [من الطويل]

لقد خار إذ يُجري عليّ حمّاره ضيرارُ الخنا والغبريُّ بن أخوقا
وما كنتُ لو خوّفتُماني كلاكما بأميكمَا غريّاتيّن لأفرقا
ولكنّما خوّفتُماني بخادر شتيمٍ إذا ما صادف القرن مرّقا¹

[حديثه مع توبة وليل الإخيلية]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثنا القحذميّ عن بعض ولد قتيبة بن مسلم بن ابن زالان المازنيّ ، قال : حدّثني الفرزدق ، قال : لما طردني زيادٌ أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم ، فبلغه أنّي خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنّه الدجال ، فليس يكلمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن أعرفتُ خبره ، فأرسل إليّ مروانُ فقال : أتدري ما مثلك . حديث تحدّث به العرب : أن ضُبْعاً مرّت بحميّ قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتُ مرأة ، فنظرت وجهها فيها ، فلمّا نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما أطرحك أهلك² ، ولكن من شرّ ما أطرحك أميرك ، فلا تقيمَنَّ بالمدينة بعد ثلاثة أيّام ، قال : فخرجتُ أريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قسيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب³ ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أن زياداً مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتي ، فسجدتُ ، وقلت : لو رجعت ، فمدحتُ عبيدَ الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت : [من الطويل]

وقفتُ بأعلى ذي قسيّ مطيّي أميلُ في مروانَ وابن زيادِ
فقلت : عبيدُ الله خيرُهما لنا وأدناهما من رافيةٍ وسَدادِ

ومضيت لوجهي ، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياهم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأةٌ سافرة لم أرَ كحسنها وهيئتها قطّ ، فدنوتُ ، فقلت : أتأذنين في الظلّ ؟ قالت : انزل فلنك الظلّ والقرى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدعّت جاريةً لها سوداء كالرّاعية ، فقالت : ألطفه⁴ شيئاً واسعِي إلى الرّاعي ، فرُدّي عليّ شاة ، فاذبحيها له ،

1 الخادر الشّميم : الأسد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 310/2 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبيّ 215 .

3 أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .

4 ألطف فلان فلاناً : أحفقه وبرّه .

وَأُخْرِجَتْ إِلَيَّ تَمْرًا وَزَبْدًا ، قَالَ : وَحَادِثُهَا فَوَاللهُ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا قَطَّ ، مَا أَنْشَدْتُهَا شِعْرًا إِلَّا أَنْشَدْتُني أَحْسَنَ مِنْهُ ، قَالَ : فَأَعَجِبْنِي الْمَجْلِسَ وَالْحَدِيثَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ بَيْنَ بُرْدَيْنِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَمَتْ بِيرَقَعَهَا عَلَى وَجْهِهَا ، وَجَلَسَ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِوَجْهِهَا وَحَدِيثُهَا ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ غِيظٌ ، فَقُلْتُ لِلْحَيِّنِ : هَلْ لَكَ فِي الصَّرَاعِ ؟ فَقَالَ : سَوَاءٌ لَكَ¹ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَصَارِعُ ضَيْفَهُ ، قَالَ : فَأَلْحَحْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَلَيْكَ لَوْ لَاغَبَيْتَ ابْنَ عَمِّكَ ؟ فَقَامَ ، وَقَمْتُ ، فَلَمَّا رَمَى بِيرِدَهُ ، إِذَا خَلَقٌ عَجِيبٌ ، فَقُلْتُ : هَلَكْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَبِضَ عَلَى يَدِي ، ثُمَّ اخْتَلَجَنِي² إِلَيْهِ ، فَصُرْتُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ حَمَلَنِي ، قَالَ : فَوَاللهُ مَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ إِلَّا بظْهِرِ كَبْدِي وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِي ، فَمَا مَلَكْتُ نَفْسِي أَنْ ضَرَطْتُ ضَرْطَةً مِنْكَرَةً ، قَالَ : وَثُرْتُ إِلَى جَمَلِي فَقَالَ : أَنْشُدْكَ اللهُ ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : عَافَاكَ اللهُ الظِّلَّ وَالْقَرَى ، فَقُلْتُ : أَخْزَى اللهُ ظِلَّكُمْ وَقِرَاكُمْ ، وَمَضَيْتُ ، فَبَيْنَا أُسِيرُ إِذْ لَحَقَنِي الْفَتَى عَلَى نَجِيبٍ يَجْنُبُ بُخْتِيًّا³ بِرَحْلِهِ وَزِمَامِهِ ، وَكَانَ رَحْلُهُ مِنْ أَحْسَنِ الرِّحَالِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، وَاللهُ مَا سَرَّنِي مَا كَانَ ، وَقَدْ أَرَاكَ أَبْدَعْتَ أَيَّ كَلَّتْ رِكَابُكَ ، فَخَذَ هَذَا النَّجِيبَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَّعَ عَنْهُ ، فَقَدْ وَاللهُ أُعْطِيتُ بِهِ مَائَتِي دِينَارٍ قُلْتُ : نَعَمْ آخِذْهُ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ : أَنَا تَوْبَةُ بِنْتُ الْحُمَيْرِ ، وَتِلْكَ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي .

[رواية أخرى في الخبر السابق]

قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ عُقَيْلٍ يُقَالُ لَهَا لَيْلَى ، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا الشَّبَابُ ، فَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ إِلَيْهَا ، فَجَعَلَ يَحَادِثُهَا ، وَأَقْبَلَ فَتَى مِنْ قَوْمِهَا ، كَانَتْ تَأْلَفُهُ ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِحَدِيثِهَا ، وَتَرَكْتُ الْفَرَزْدَقَ ، فغَاظَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَتُصَارِعُنِي ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَخَذَ الْفَرَزْدَقَ مِثْلَ الْكَرَةِ فَصْرَعَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ، فَضَرَطَ الْفَرَزْدَقُ ، فَوَثَبَ عَنْهُ الرَّجُلُ خَجَلًا ، وَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، هَذَا مَقَامُ الْعَاثِدِ بِكَ ، وَاللهُ مَا أَرَدْتُ بِكَ مَا جَرَى ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ، مَا بِي أَنْ صَرَعْتَنِي ، وَلَكِنْ كَأَنِّي بَابِنِ الْأَتَانِ جَرِيرٍ ، وَقَدْ بَلَغَهُ خَبِيرِي هَذَا ، فَقَالَ يَهْجُونِي :

[من الطويل]

جَلَسْتَ إِلَى لَيْلَى لِتَحْظِيَ بِقُرْبِهَا فَخَانَكَ دُبْرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ

1 سَوَاءٌ لَكَ : أَتَيْتُ مَا يَشِينُ .

2 اخْتَلَجَهُ : جَذَبَهُ .

3 الْبُخْتِيُّ : وَاحِدُ الْبَخْتِ ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْخَرَّاسَانِيَّةُ .

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها كما شدَّ خرْتاً للدِّلاص قُيون¹

قالوا : فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

[يقضي يوماً كيوم دارة جلجل]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذمي ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميمي راوية الفرزدق ، أن الفرزدق قال : أصابنا بالبصرة مطر² جَوْدٌ ليلاً ، فإذا أنا بأثر دوابٍّ قد خرجت ناحية البرية ، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليكُ أن تكون معهم سُفرةً وشرابٌ ، فقصصتُ أثرهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغذذت السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت : لم أرَ كالיום قط ، ولا يوم دارة جلجل ، وانصرفتُ مستحياً منهن ، فناديتني : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء ، فانصرفتُ إليهن ، وهن في الماء إلى حلوقهن ، فقلن : بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل³ ، فقلت : إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان في طلب غيرةً ، من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أن الحي احتملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثقل⁴ ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعدما سار مع قومه غلوة ، فكمن في غيابة من الأرض ، حتى مرّ به النساء فإذا فتيات ، وفيهن عُنيزة ، فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال ، فنزلن إليه ، ونحْنُ العبيد عنهن ، ثم تجردن فاغتسمن في الغدير ، كهيتكن الساعة ، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً كسحو ما أتيكن ، وهن غوافل ، فأخذ ثيابهن ، فجمعها ، ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن ، فجمعها ، ووضعها على صدره ، وقال لهنّ كما أقول لكنّ : والله لا أعطي جارية منكنّ ثوبها ، ولو أقامت في الغدير يومها ، حتى تخرج مجردة ، قال الفرزدق : فقالت إحداهنّ ، وكانت أمجنهنّ : ذلك كان عاشقاً لابنة عمّه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكنّ واحدة ، ولكن أشتهيكنّ ، قال : فنعرن⁵ ، وصفقن

1 الكاء : الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة . قيون :

جمع قين ، وهو الحداد .

2 المطر الجود : المطر الغزير .

3 دارة جلجل : مكان أشار إليه امرؤ القيس في معلقته .

4 الثقل : المتاع .

5 نعرن : صوتن بخياشيمهنّ أصواتاً فيها غنة .

بأيديهنّ ، وقلن : خذ في حديثك ، فليست منصرفاً إلا بما تحبّ ، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس : فتأين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصرنّ دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت إحداهنّ ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فليسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت غنيزة ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يلمنه ، ويعذّله ، ويقلن : عريّتنا ، وحبستنا ، وجوّعتنا ، قال : فإن نخرت لكن مطّيتي أنا كلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط¹ سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطع لهنّ من سنامها وأطايها وكبدها ، فيلقىها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من ركوة² كانت معه ويغنيهنّ ، وينبذ إلى العبد والخدم من الكباب ، حتى شعبن ، وطربن ، فلما أراد الرّحيل قالت إحداهنّ ، أنا أحمل طفنسته³ ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حشيتّه وأنساعه⁴ ، فتقسّمن متاع راحلته بينهنّ ، وبقيت غنيزة لم يُحملها شيئاً ، فقال لها امرؤ القيس : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك أن تحمليني معك ؛ فإنّي لا أطيق المشي ، وليس من عادتي ، فحملته على غارب بعيرها ، فكان يُدخل رأسه في خدرها ، فيقبلها ، فإذا امتنعت مالَ جدّجها⁵ ، فنقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيري ، فانزل ، فذلك قوله : [من الطويل]

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أحسن حديثك يا فتى وأظرفك ، فمن أنت ؟ قال : قلت : من مُضَرّ ، قالت : ومن أيّها ؟ فقلت : من تميم ، قالت : ومن أيّها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إنخالك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رضا ، قلت : أجل ، فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحاتها بشيء لم أفهمه ، فغططن في الماء ، فتوارين ، وأبدين رؤوسهنّ ، وخرجن ، ومع كلّ واحدة منهنّ ملء كفّيهما طيناً ، وجعلت

1 اخترط سيفه : سلّه من غمده .

2 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغير .

3 الطُنْفَسَة : الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرجل .

4 الأنساع : سيور طويلة عريضة تشدّ بها الحفائب والرّحال .

5 الجدج : مركب من مراكب النساء .

يتعادين نحوي ، فضرَبَنَ بذلك الطين والحماة¹ وجهي ، وملأَن عيني وثيابي ، فوقعتُ على وجهي ، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهنّ ، فأخذنها ، وركبت الماجنة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزأها وهي تقول : زعم الفتى أنّه لا بدّ أن ينيكنا ، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي ، وجففتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي ، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسولهنّ ، وقُلن : قُلْ له تقول لك أخواتك : طلبت منا ما لم يمكننا ، وقد وجهنا إليك بزوجتك ، فيكها سائر ليلتك وهذا كسر² درهم لحمامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُيت بمثلهنّ .

[يهجو من يرثي زياداً]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا أبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدّثني الأصمعيّ ، قال : حدّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما مات زياد رثاه مسكين الدارميّ ، فقال الفرزدق :

أَمْسِكِينُ أَبْكِي اللهُ عَيْنِيكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا إِذْ تَحَدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِراً كَكَسْرَى عَلَى عِدَائِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا³
أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعْيُهُ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا⁴

[يهجو ويمدح آل المهلب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي مسلم الحرّانيّ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : حدّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق جريراً ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلم المهلب ، حتى يضع عني البحث ، وأعطيك ألف درهم ، فكلم المهلب ، فأجابه فلامه جُدّيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرة امرأة المهلب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضمرة القُشَيْرِيَّة ، فقال المهلب : إنّما اشتريتُ عرضي منه ، فبلغ ذلك

1 الحماة : الطين الأسود الكريه الرائحة .

2 الكسر : القليل .

3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . العِدَان : العهد والزمان .

4 الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . والمثل «به لا بظي أغفر» في مجمع الأمثال 90/1 وفي المستقصى 16/2 وفي فصل المقال 100 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 78 وفي رواية أخرى : «به لا بظي بالصرائم أغفر» في جمهرة الأمثال 203/1 ، 207 والأمثال لمجهول 49 .

الفرزدق ، فقال يهجو جُذيعاً : [من الكامل]

إن تبّن دارك يا جُذيع فما بنى
وأبوك ملتزم السفينة عاقدٌ
ويظلّ يدفع باستيه متقاعساً
لا تحسبنّ دراهماً جمعتها
لك يا جذيع أبوك من بُنيانٍ
خُصِيَّته فوق بنائق التُّبان¹
في البحر معتمداً على السُّكّان²
تمحو مخازيك التي يُعمّان

وقال يهجو خيرة : [من الوافر]

ألا قشر الإله بني قُشيرٍ
أرى رهطاً لخيرة لم يؤؤبوا
إذا رهزت رأيت بني قُشيرٍ
كقشر عصا المنقّح من مُعال³
بسهم في اليمين ولا الشمال
من الخيلاء مُنتفشي السبّال

فغضب بنو المهلب لما هجا جُذيعاً وخيرة ، فقالوا منه ، فهجاهم ، فقال : [من الوافر]

وكائن للمهلب من نسيبٍ
بخارك لم يُقد فرساً ولكن
عمي بالتناثف حين يُضحى
وما لله يسجد إذ يصلي
يُرى بلبانه أثر الزّيار⁴
يقود السّاج بالمسد المغار⁵
دليل اللّيل في اللّجج الغمار
ولكن يسجدون لكل نار

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ، ولأه سليمان بن عبد الملك ، خاف
الفرزدق من بني المهلب ، فقال يمدحهم : [من الكامل]

فلأمدحنّ بني المهلب مدحةً
مثل النجوم أمامها قمرأوها
ورثوا الطّعان عن المهلب والقرى
غراء قاهرة على الأشعار⁶
تجلو العمى وتضيء ليل السّاري
وخلائقاً كتدفق الأنهار

1 بنائق : جمع بنية ، وهي الزيت يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار . التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم .

2 التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم .

3 نقح العود : قشره . مُعال : أعلى .

4 الزيار : ما يشد به الرجل إلى صدر البعير ، وفي ل : الدّبار .

5 خارك : جزيرة فارسية كان منها أبو المهلب . الساج : شجر تتخذ منه المراكب . والمغار : المحكم الفتل .

6 قاهرة في الديوان 303/1 : ظاهرة .

كان المهلب للعراق وقايةً وحيا الربيع ومَعْقِلَ الْفُرَارِ¹
 وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خَضَعُ الرُّقَابِ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ
 ما زال مُدْ شَدَّ الْإِزَارَ بِكَفِّهِ ودنا فأدرك خمسة الْأَشْبَارِ²
 أيزيدُ إنَّكَ للمهلب أدركت كَفَّاكَ خَيْرَ خَلَائِقِ الْأَخْيَارِ

[يخشى بأمر يزيد بن المهلب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : حدثني الأصمعي ، قال : لما قَدِمَ يزيدُ بنُ المهلبِ واسطاً قال لأُمَيَّةَ بنِ الجعدِ ، وكان صديقَ الفرزدق : إني لأُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي بِالْفِرْزَدِقِ ، فقال للفرزدق : ماذا فاتك من يزيدَ أعظمِ النَّاسِ عَفْوَاً ، وأسخى النَّاسِ كَفْفاً ، قال : صدقت ، ولكن أخشى أن آتِيَهُ فَأُجَدَّ الْعِمَائِيَّةُ بِيَابِهِ فَيَقُومَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَيَقُولَ : هذا الفرزدق الذي هجانا ، فيضربَ عنقي ، فيبعثَ إليه يزيد ، فيضربَ عنقه ، ويبعثَ إلى أهلي ديتي ، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب ، قال : لا والله لا أفعل ، فأخبرَ يزيدَ بما قال ، فقال : أما إذ وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله .

[ماجن يعث به]

قال ابنُ حبيب : وحدثنا يعقوبُ بن محمد الزهري³ عن أبيه عن جدِّه قال : دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماكن ، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق ، فيقولُ : دعوني أنكحهُ ، حتى لا يهْجُونَا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن النَّاسِ ، فجعل يستغيث ، ويقول : ويلكم ! لا يمسّ جلده جلدِي ، فيبلغَ ذلك جريراً ، فيوجبَ عليَّ أَنَّهُ قد كان منه الذي يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كفّوه عنه .

[يفخر بالمضربة أمام حاكم يمان]

أخبرني عبيد الله قال : حدثني محمد بن حبيب قال : حدثني موسى بن طلحة قال : لما وَلِيَ خَالِدُ بن عبد الله العراق ، فقدمها وكان من أشدَّ خلق الله عَصِيَّةً على نزار فقال لبطةُ بن الفرزدق : فلبس أبي من صالح ثيابه ؛ وخرج يريد السلام عليه ، فقلت له : يا أبتِ ، إنَّ هذا الرجلَ يمانِيٌّ ، وفيه من العصبية ما قد علمت ، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن

1 وقاية في الديوان 304/1 : سكية .

2 الشطر الأول في الديوان 305/1 : ما زال مذ عقدت يده إزاره .

3 ل : الزبيري .

لعلَّ اللهُ أن يأتِكَ منه بخير ، فإنَّكَ قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ عليَّ شيئاً ؛ حتى دُفِعْنَا إلى البَوَّاب ، فأذن له ؛ فدخل ؛ وسلَّم ؛ فاستجلسه ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا ممَّا أحدثت ، فأنشدته :

يختلف الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ولا خلاف إذا ما أجمعتْ مُضرٌ¹
 فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدُّمها فيها الرؤوسُ وفيها السَّمْعُ والبصرُ²
 ولا نخالف غيرَ الله من أحد إلا السيوفَ إذا ما اغرورقَ النظرُ
 ومَن يَمَلُ يَمَلُ المأثورُ قلته بحيث يلقى خِفافِي رأسه الشعرُ³
 أما الملوكُ فإنَّا لا نلين لهم حتى يلينَ لضرس الماضي الحجرُ⁴

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك ؟ قال : اسكت ، لا أم لك فما كنت قطُّ أملاً لقلبه مني الساعة .

[يفهم المنذر بن الجارود]

أخبرني عبد الله : قال حدثني محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال : كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع ، وفيها المنذر بن الجارود العبدي ، فقال المنذر : مَن الذي يقول :

وجدنا في كتاب بني تميم أحقَّ الخيل بالركضِ المعارُ
 فقال الفرزدق : يا أبا الحكم هو الذي يقول :

أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زيرٍ وعَبْدِي لَفَسَوْتَه بُخارُ
 وجدنا الخيلَ في أبناء بكرٍ وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقارُ
 قال : فخلج المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .
 [خليفة أموي يفضلُه ويصله]

أخبرني عبد الله بن مالك : قال : حدثني محمد بن موسى قال : حدثنا الأصمعيُّ قال : دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول :

ما حملتْ ناقةٌ من معشر رجلاً مثلي إذا الريح لفتني على الكورِ⁵

1 أجمعت في ل : استجمعت .

2 في الديوان 200/1 : والرأس منَّا وفيه .

3 قلته في الديوان 200/1 : ذروته .

4 الملوك في الديوان 200/1 : العدو .

5 لفتني في ل : ألفتني . الكور : الرحل .

أَعَزُّ قَوْماً وَأَوْفَى عِنْدَ مَكْرَمَةٍ لِمُعْظَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ مَهْجُورٍ
فَقَالَ لَهُ : يَا ، فَقَالَ :
إِلَّا قُرَيْشاً فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالْإِسْلَامِ وَالْخَيْرِ
تَلْقَى وَجْهَ بَنِي مُرْوَانَ تَحْسِبُهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ مَشُوفَاتِ الدَّنَانِيرِ¹
فَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُ .

[عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد]

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأشهبَ بن ربيعة النهشليّ وبنِي فُقيّم ، فأرْفَثَ بهم² ، فاستعدوا عليه زياداً ، فحدّثني جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى بن حُصَيْلَةَ بن مغيث³ بن نصر بن خالد السُّلَميّ ثم من بني بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيْلَةَ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَخَافَنِي ؛ وَقَدْ لَفَظَنِي جَمِيعَ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو ، قَالَ : فَمَرْحَباً بِكَ يَا أبا فِرَاسٍ ، فَكَانَ عِنْدَهُ لِيَالِي ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَلْحَقَ بِالشَّامِ ، قَالَ : إِنَّ أَقَمْتَ فِي الرِّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَإِنْ شَخَصْتَ فَهَذِهِ نَاقَةٌ أَرْحَبِيَّةٌ⁴ أَمْتَعَكَ بِهَا ، وَأَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَكِبَ النَّاقَةَ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ لَيْلاً ، فَأَرْسَلَ عَيْسَى مَعَهُ مَنْ أَجَازَهُ مِنَ الْبُيُوتِ ؛ فَأَصْبَحَ وَقَدْ جَاوَزَ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ : [من الطويل]

كَفَانِي بِهَا الْبَهْزِيُّ حُمْلَانٌ مِنْ أَبِي مِنَ النَّاسِ ، وَالْجَانِي تَخَافُ جَرَائِمُهُ⁵
فَتَى الْجُودِ عَيْسَى وَالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا إِذَا الْمَالُ لَمْ يَنْفَعْ بِخَيْلٍ كَرَائِمُهُ⁶
وَمَنْ كَانَ يَا عَيْسَى يُؤْتَبُ ضَيْفُهُ فَضَيْفُكَ يَا عَيْسَى هُنِيءٌ مَطَاعِمُهُ
وَقَالَ : تَعْلَمُ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ وَأَنَّ لَكَ اللَّيْلَ الَّذِي أَنْتَ جَاشِمُهُ⁷
فَأَصْبَحْتُ وَالْمُلْقَى وَرَائِي وَحَبْلٌ وَمَا صَدَرْتُ حَتَّى عَلَا النِّجْمَ عَاتِمُهُ⁸
تَزَاوَرُ فِي آلِ الْحَقِيقِ كَأَنَّهَا ظَلِيمٌ تَبَارَى جُنْحَ لَيْلٍ نَعَائِمُهُ

1 مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .

2 أرْفَث : أفضحش .

3 ل : معتب .

4 أَرْحَبِيَّة : نسبة إلى أَرْحَب ، وهو فحل أو مكان قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .

5 الْبَهْزِيُّ : لقب عيسى بن حصيلة ، الحُمْلَان : الدواب تحمل عليها الهدايا .

6 ذُو الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا .

7 جَاشِمُهُ : متكلف السير فيه .

8 الملقى وحبيل مكانان . في الديوان 205/2 حتى تلا الليل .

رَأَتْ دُونَ عَيْنَيْهَا ثَوْبَةً فَانْجَلَى لَهَا الصَّبْحُ عَنْ صَعْلٍ أُسِيلٍ¹ مَخَاطِمُهُ¹
وَقَالَ :

تَدَارَكْنِي أَسْبَابُ عَيْسَى مِنَ الرَّدَى وَمَنْ يَكُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ
نَمْتُهُ النَّوَاصِي مِنْ سَلِيمٍ إِلَى الْعَلَا وَأَعْرَاقُ صَدَقٍ بَيْنَ نَصْرٍ وَخَالِدٍ
سَأْتَنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأَرُبُّهُ إِذَا الْقَوْمُ عَدُّوا فَضْلَهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
فَلَمَّا بَلَغَ زِيَادًا شَخْوصَهُ أَتْبَعَهُ عَلِيُّ بْنُ زَهْدَمٍ الْفَقِيمِيُّ : أَحَدَ بَنِي مَوْلَةٍ فَلَمْ يَلْحَقْهُ فَقَالَ
الْفَرَزْدَقُ :

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَنِي يَا ابْنَ زَهْدَمٍ لَأَبْتَ شُعَاعِيًّا عَلَى غَيْرِ تَمْثَالٍ²
[يُلْجَأُ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ]

فَأَتَى بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، فَجَاوَرَهُمْ ، فَأَمَّنَ ، فَقَالَ :
وَقَدْ مَثَلْتُ³ أَيْنَ الْمَسِيرُ فَلَمْ تَجِدْ لَعَوَذَتَهَا كَالْحَيِّ بِكْرِ بْنِ وَائِلٍ³
وَسَارَتْ إِلَى الْأَجْفَانِ خَمْسًا فَأَصْبَحَتْ مَكَانَ الثَّرِيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَوِّلِ
وَمَا ضَرَّهَا إِذْ جَاوَرَتْ فِي بِلَادِهَا بَنِي الْحِصْنِ مَا كَانَ اخْتِلَافُ الْقَبَائِلِ
الْحِصْنُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ .
[يَأْمَنُ زِيَادًا فِي حِمَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ]

وَهَرَبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ زِيَادٍ ، فَأَتَى سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِي بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ ، وَهُوَ
عَلَى الْمَدِينَةِ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأَمَنَهُ سَعِيدٌ ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ زِيَادًا قَالَ : لَوْ أَتَانِي
أُمَّتُهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ ، فَقَالَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لَأَتِيَهُ مَا سَاقَ ذُو حَسْبٍ وَقَرَأَ
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ أَرَادَ عَطَاءَهُمْ رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقَرَأَ
قَعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَابُ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةُ بَكْرَا
فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهُمْ سُودًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمرًا⁴

1 الشطر الأول في الديوان 205/2 : رأت بين عينيها روبة فانجلى . وروية ماء . وثوبة : مكان . الصعل : ما دق رأسه من النعام . أسيل : ناعم ، مخاطم : جمع مخطم ، وهو مقدم الأنف .

2 شعاعياً : نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق .

3 مثلت : زالت عن موضعها .

4 أدهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المخرجة : السياط .

نَمِيتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَ بَنِيهَا سُرَى اللَّيْلِ وَاسْتِعْرَاضُهَا الْبِلَدَ الْقَفْرًا¹

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بِالْمَدِينَةِ قَالَ : [من الوافر]

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي زِيَادًا مُغْلَغَلَةً يَخْبُ بِهَا الْبَرِيدُ²
بَآئِي قَدْ فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ وَلَا يُسْطَاعُ مَا يَحْمِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبٍ تَفَادَى عَنْ فَرِيَسْتِهِ الْأَسْوَدُ
فَإِنْ شِئْتُ انْتَمَيْتُ إِلَى النَّصَارَى وَنَاسَبَنِي وَنَاسَبَتِ الْيَهُودُ
وَإِنْ شِئْتُ انْتَسَبْتُ إِلَى فَقِيمٍ وَنَاسَبَنِي وَنَاسَبَتِ الْقُرُودُ
وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيَّ بَنُو فَقِيمٍ وَلَكِنْ سَوْفَ آتِي مَا تُرِيدُ

فَأَقَامَ الْفَرَزْدَقُ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَكَانَ يَدْخُلُ بِهَا عَلَى الْقِيَانِ . فَقَالَ : [من الطويل]

إِذَا شِئْتُ غَنَّانِي مِنَ الْعَاجِ قَاصِفٌ عَلَى مَعْصَمِ رِيَّانٍ لَمْ يَتَخَذْ³
لِبَيْضَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَعِشْ بِيُوسٍ وَلَمْ تَتَبِعْ حُمُولَةَ مُجَحِّدٍ⁴
وَقَامَتْ تُخَشِّنِي زِيَادًا وَأَجْفَلْتُ حَوَالِيَّ فِي بُرْدَيِّ يَمَانٍ وَمُجَسَّدٍ⁵
فَقُلْتُ : دَعِينِي مِنْ زِيَادٍ فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدٍ

[بينه وبين مسكين الدارمي]

فَلَمَّا هَلَكَ زِيَادُ رِثَاءِ مَسْكِينِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَدَسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ ، فَقَالَ⁶ :

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جَهَارًا حِينَ فَارَقَهَا زِيَادُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ :

أَمْسِكِينَ أَبْكِي اللَّهَ عَيْنِيكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا
أَتَبْكِي امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكَيْسَرَى عَلَى عِدَّائِهِ أَوْ كَقَيْصَرَا

1 الحرف : الناقة . والتي : الشحم .

2 مغلغلة : أي رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .

3 قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء التي تتخذ من العاج .

4 المجحد : القليل الخير .

5 مجسد : مطلي بالجساد وهو الزعفران أو العصفور ونحوهما مما تطل به الثياب .

6 تقدّمت هذه الأبيات في هذه الترجمة ص 241 .

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعْيُهُ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيْمَةِ أَغْفَرُ¹

فَقَالَ مَسْكِينٌ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتُ قَائِمًا وَلَا قَاعِدًا فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْبَرَى لِيَا
فَجَعَلَنِي بَعْمٌ مِثْلَ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالٍ صَدَقَ كَخَالِيَا
بَعَمْرُو بْنُ عَمْرُو أَوْ زُرَّارَةُ ذِي النَّدَى سَمَوْتُ بِهِ حَتَّى فَرَعْتُ الرُّوَابِيَا

فَأَمْسَكَ الْفَرَزْدَقُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَقُولُ : نَجَوْتُ مِنْ أَنْ يَهْجُونِي مَسْكِينٌ ، فَإِنْ أَجَبْتَهُ ذَهَبْتُ بِشَطْرِ فَخْرِي ، وَإِنْ أَمْسَكَتْ عَنْهُ كَانَتْ وَصْمَةً عَلَى مَدَى الدَّهْرِ .

[تعوذ بقبر غالب]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَازَنِيُّ ، قَالَ : كَانَ تَمِيمٌ بْنُ زَيْدٍ الْقَضَاعِيُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ غَزَا الْهِنْدَ فِي جَيْشٍ ، فَجَمَّرَهُمْ² ؛ وَفِي جَيْشِهِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ حُبَيْشٌ ، فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَلَى أُمِّهِ اشْتَاقَتْهُ ، فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَكَلِّمُهَا تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ أَنْ يُقْفَلَ ابْنُهَا ، فَقِيلَ لَهَا : عَلَيْكَ بِالْفَرَزْدَقِ ، فَاسْتَجِيرِي بِقَبْرِ أَبِيهِ ، فَاتَتْ قَبْرَ غَالِبٍ بِكَاطِمَةٍ ، حَتَّى عَلِمَ الْفَرَزْدَقُ مَكَانَهَا .

ثُمَّ أَتَتْهُ ، وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَتَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى تَمِيمَ بْنِ زَيْدٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ : [من الطويل]

هَبْ لِي حُبَيْشًا وَاتَّخِذْ فِيهِ مِنَّةً لَغُصَّةً أَمْ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا
أَتَنْتَنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْخَفَرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا
تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظْهَرٍ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا

فَلَمَّا أَتَاهُ كَتَابَهُ لَمْ يَدِرْ مَا اسْمُهُ حُبَيْشٌ أَوْ حُنَيْشٌ ، فَأَخْرَجَ دِيْوَانَهُ ، وَأَقْفَلَ كُلَّ حُبَيْشٍ وَحُنَيْشٍ فِي جَيْشِهِ ، وَهَمَّ عِدَّةً ، وَأَنْفَذَهُمْ إِلَى الْفَرَزْدَقِ .

[مكاتب يعوذ بقبر غالب]

قَالَ أَبُو خَلِيفَةَ : قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَحَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الضَّبِّيُّ ، قَالَ : ضَرَبَ مَكَاتِبَ لَبْنِي مِنْقَرٍ بِسَاطِطٍ عَلَى قَبْرِ غَالِبِ أَبِي الْفَرَزْدَقِ ؛ فَقَدِمَ النَّاسُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَكَانِهِ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

[من الطويل]

1 مثل : أشرنا إليه ص 241 .

2 جَمَّرَهُمْ : أَطَالَ مَدَّةَ غَزْوِهِمْ .

بقبر ابن لَيْلٍ غالب عُدْتُ بعدما خَشِيت الرَّدَى أو أن أُرَدَّ على قَسْرِ
فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلَى فقال لي : فِكاكَكْ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرِ
فقال الفرزدق : صدق أبي ؛ أُنخ ؛ ثم طاف له في النَّاس ؛ حتى جمع له مكاتِبته وفضلاً .
[عائذة أخرى بقبر غالب]

وكان نُفَيْعُ ذو الأهدام : أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجريز بمدحه قيساً ؛ فهجاه
الفرزدق ، فاستجارت أمه بقبر غالب ؛ وعازت من هجاء الفرزدق ؛ فقال : [من الطويل]

وَبُيِّتُ ذَا الْأَهْدَامِ يَعْوِي وَدُونَهُ	مِنَ الشَّامِ زُرْعَاتُهَا وَقُصُورُهَا
عَلَى حِينٍ لَمْ أَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً	وَلَا نَاجِئاً إِلَّا اسْتَقَرَّ عَقُورُهَا
كِلَابٌ نَبَحْنَ الْحَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	فَعَادَ عَوَاءً بَعْدَ نَبْحِ هَرِيرُهَا
عَجُوزٌ تَصَلِّيَ الْخُمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ	فَلَا وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا
لَنْ نَافِعَ لَمْ يَرَعْ أَرْحَامَ أُمِّهِ	وَكُنْتُ كَذَلِكِ لَا يَزَالُ يَعْيرُهَا ¹
لَبِئْسَ دُمُ الْمَوْلُودِ بَلَّ ثِيَابُهَا	عَشِيَّةً نَادَى بِالْغَلَامِ بِشِيرُهَا
وَأَنِّي عَلَى إِشْفَاقِهَا مِنْ مَخَافَتِي	وَأِنْ عَقَّهَا بِي نَافِعٌ لِمَجِيرُهَا
وَلَوْ أَنَّ أُمَّ النَّاسِ حَوَاءً جَاوَرَتْ	تَمِيمَ بْنَ مُرٍّ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَجِيرُهَا

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة .

[جريز يبزه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن حبيب ، قال : حَدَّثَنَا أحمد بن حاتم
المعروف بابن نصر ، عن الأصمعي ، قال : كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجريز ،
قال : فدعاني الفرزدق يوماً ، فقال : إني قلت بيت شعر والنَّوَّار طالق إن نقضه ابن المراغة² ،
قلت : ما هو ؟ قال : قلت :

فَأَنِّي أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَتَتْ تُحَاوِلُهُ

ارحل إليه بالبيت ، قال : فرحلت إلى اليمامة ، قال : ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث
بالرمل ، فقلت : إن الفرزدق قال بيتاً ، وحلف بطلاق النَّوَّار أنك لا تنقضه ، قال :
هيه ، أَظَنَّ وَاللَّهِ ذَلِكَ ؟ ما هو ؟ ويليكَ ، فَأَنشَدْتَهُ إِيَّاهُ ، فجعل يتمرغ في الرمل ، ويخشوه

1 عار : غاب أو أتلَف .

2 المِراغة : الأنان .

على رأسه، وصدره ، حتى كادت الشمس تغرب ، ثم قال : أنا أبو حذرة ، طَلَقْتُ امرأةَ الفاسق ، وقال :

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهرُ خالدٌ فجنني بمثل الدهرِ شيئاً يطاوله
ارحل إلى الفاسق ، قال : فقدمت على الفرزدق ، فأنشدته إياه ، وأعلمته بما قال ، فقال :
أقسمت عليك كما سترتَ هذا الحديث .

[هناك مَنْ هو أجفى منه]

أخبرني عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن حبيب ، قال : حدثنا الأصمعيّ وأبو عبيدة ، قال : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا فقال : يا أبا فراس أتدري مِمَّ ضحكوا ؟ قال : لا ، قال : من جفائك ، قال : أصلح الله الأمير ، حججت ؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيّ ، وعلى عاتقه الأيسر صبيّ ؛ وإذا امرأةٌ آخذةٌ بمئزره ؛ وهو يقول :

أنتَ وهبتَ زائداً ومزیداً وكهلاً أولجُ فيها الأجردا
والمرأة تقول من خلفه : إذا شئت ، فسألت : مِمَّن هو ؟ فقيل : من الأشعرين ، أفأنا أجفى أم ذلك ؟ فقال بلال : لا حيّاك الله ، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك .
[تهزمه امرأة]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثني محمد بن حبيب ، قال : حدثنا موسى بن طلحة ، عن أبي زيد الأنصاريّ ، قال : ركب الفرزدق بغلته ، فمرّ بنسوة ؛ فلما حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرطت ، فضحك منه ، فالتفت إليهنّ ، فقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلا ضرطت ، فقالت له إحداهنّ : ما حملتك أنثى أكثر من أمك ، فأراها قاست منك ضراطاً كثيراً ، فحرّك بغلته ، وهرب منهنّ ، وبهذا الإسناد قال :

[يهجو إبليس]

أتى الفرزدق الحسنَ البصريّ فقال : إني قد هجوتُ إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

[يسأل سائله فيفحمه]

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أبا فراس ، أسألك عن مسألة ، قال : سل عما أحببت ، قال : أيما أحبُّ إليك ؟ أتسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : إن سبقني فانتني ، وإن سبقته فته ، ولكن نكونُ معاً ، لا يسبقني ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سل ، قال : أيما أحبُّ إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجدَ امرأتك قابضة على أير

رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِيْهَا ، قال : فتَحَيَّرَ ، وكان قد نُهي عنهُ ، فلم يَقْبَلْ .
[لا صلح بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله قال : حَدَّثَنِي محمد بن عمران الضَّبِّي ، قال : حَدَّثَنِي الأصمعي ، قال :
اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِحَ بينهما حتى يتكافأ ، فقال لهما :
ويحكما ! قد بلغتما من السنِّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ
واحد منكما لصاحبه ذنبه ، فقال جرير : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنَّه يظلمني ، ويتعدى عليّ ، فقال
الفرزدق : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنِّي وجدت آبائي يظلمون آباءه . فسلكْتُ طريقَهُم في ظلمه ،
فقال بشرٌ : عليكما لعنة الله ، لا تصطلحان واللهُ أبداً .
[يهزأ به وبهجاته]

وأخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن عمران الضَّبِّي ، قال : حَدَّثَنَا
الأصمعي : قال الفرزدق : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرّة قال لي :
أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أَفَامُوتَ إن هجوتني ؟ قلت : لا ، قال :
أفتموت عَيْشُونَةُ ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلي إلى عنقي في حِرِّ أمك ، قال : قلتُ :
ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع ؟
[يأمره مجنون فيطيع]

أخبرني عبد الله ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن حبيب عن الأصمعي ، قال : مرَّ الفرزدقُ
بمأجل¹ فيه ماء ، فَأَشْرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حريش : نَحْ بغلتك ،
جذ الله رجليك ، قال : ولم ؟ ويلك ، قال : لأنك كذوب الخنجرة ، زاني الكَمَرَةِ ، فقال
الفرزدق لبغلته : عَدَسٌ ومضى ، وكره أن يسمع قوله الناسُ .
[هو وغيره يؤثرون القصائد القصار]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل
للفرزدق : ما اختيارك في شعرك للقصار ؟ قال : لأنِّي رأيتها أثبتَ في الصدور ، وفي
المخافل أجولُ ؛ قال : وقيل للخطيئة : ما بالُ قصارك أكثرَ من طوالك ؟ قال : لأنها في
الآذان أولجُ . وفي أفواه الناس أُغلقُ .

أخبرني عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلفة : ما لك تُقَصِّرُ
في هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة² .

1 المأجل : كل ماء في أصل جبل أو واد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 1/196 والمستقصى للزمخشري 2/62 والأمثال لمجهول 57 .

[يتنذر باسمه فيلقمه حجراً]

أخبرني عبد الله ، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي ، عن أحمد بن حاتم : أبي نصر ، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرهمي للفرزدق : أما وجدت أمك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها¹ ؟ قال : والعرب تسمي خبز الفتوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسمه ، فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم ، قال : الجهم بن سويد بن المنذر ، فقال الفرزدق : أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت ؛ لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب .

[بيتان يثيرانه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين ، قال : قديم علينا الفرزدق ، فقلنا له : قديم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها : [من الوافر]

وما زالت رفاك تسأل ضيغي وتخرج من مكانها ضيابي²
ويرقيني لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب

قال : فجعل وجهه يتغير ، وعندنا كانون ، ونحن في الشتاء ، فلما رأينا ما به قلنا : هو عليك يا أبا فراس ، فإنما هي لابن أبي جمعة³ ، فأنشئ سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه .

[مع الحسين بن علي]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرني القحزمي ، قال : لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجّهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين ، صلوات الله عليه وآله : ما وراءك ؟ قال : يا ابن رسول الله ، أنفُس الناس معك ، وأيديهم عليك ؛ قال : ويحك ، معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ، ويناشدونني الله ، قال : فلما قتل الحسين ، صلوات الله عليه ، قال الفرزدق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها ، وتبقى هيبتها ، وإن صبرت عليه ، ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر ، وأنشد في

1 السويق : طعام يتخذ من مدقوق الخنطة والشعير .

2 ضباب : جمع ضب ، والمقصود الحقد الكامن .

3 إشارة إلى كثير نفسه .

ذلك :

[من الطويل]

فإن أنتم لم تتأروا لابن خيركم فآلقوا السلاح واغزّلوا بالمغازل

[حافضة الفرزدق]

أخبرنا عبد الله بن مالك : قال : أخبرني أبو مسلم ؛ قال : حدّثني الأصمعيّ ، قال : أنشد الرّاعي الفرزدق أربع قصائد ، فقال له الفرزدق : أعيدّها عليك ، لقد أتى عليّ زمان ، ولو سمعت بيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني .

[يشرب الخمر ممزوجة باللبن]

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ ، قال : تَغَدَّى الفرزدق عند صديق له . ثم انصرف فمرّ ببني أسد ، فحدّثهم ساعة ثم استسقى ماء ، فقال فتى منهم : أو لبناً ، فقال : لبناً ، فقام إلى عُسٍّ¹ ، فصبّ فيه رطلاً من خمر ، ثم حلب عليه ، وناوله إياه ، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه² ، واحمرّ وجهه ثم ردّ العُسّ ، وقال : جزاك الله خيراً ، فإني ما علمتك تحبّ أن تُخفي³ صديقك ، وتُخفي معروفك ثم مضى .

[النّوار تحتل عليه]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن القحزميّ ، قال : كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، وتهدّدها بالهجاء والفضيحة ، فاستغاثت بالنّوار امرأته ، وقصّت عليها القصّة ، فقالت لها : واعديه ليلة ، ثم أعلميني ، ففعلت ، وجاءت النّوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت المرأة الحجلة ، واتبعها الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة ، وبقيت النّوار فيها ، فوقع بالنّوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبتة ، فلما فرغ قالت له : يا عدوّ الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنّه خدع ، فقال لها : وأنتِ هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأردأك حلالاً .

[يضنّ عليه ابن سيرة بجارية فيهجو]

أخبرني عبد الله بن مالك . قال : حدّثني محمد بن موسى ، قال : حدّثني القحزميّ قال : استعمل الحجاج الخيار بن سيرة المجاشعيّ على عُمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية

1 العسّ : القدح الكبير .

2 الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح .

3 تخفي : تحتفي .

فكتب إليه الخيار :

[من الوافر]

كُتِبَ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي لَقَدْ أَنْعَظَتْ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

فَأَجَابَهُ الْفَرَزْدَقُ :

[من الوافر]

أَلَا قَالَ الْخِيَارُ وَكَانَ جَهْلًا قَدْ اسْتَهْدَى الْفَرَزْدَقُ مِنْ بَعِيدٍ
فَلَوْلَا أَنَّ أُمِّكَ كَانَ عَمِّي أَبَاهَا كُنْتُ أَخْرَسَ بِالنَّشِيدِ
وَأَنْ أَبِي لَعَمُّ أَبِيكَ لَحَا وَأَنْتَ حِينَ أَغْضَبُ مِنْ أُسُودِي¹
إِذَا لَشَدِدَتْ شِدَّةً أَعُوجِي يَدَقُّ شَكِيمٌ مَجْدُولُ الْحَدِيدِ²

[لا يستنسخ خطأ في القرآن]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ : والسارقُ
والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عفوٌ رحيمٌ فقال : لا ينبغي
أن يكون هذا هكذا ، قال : فقليل له : إنما هو ﴿عزير حكيم﴾ قال : هكذا ينبغي أن
يكون .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال : حدثنا الأصمعي : قال : مرَّ
أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق ، وهو يهنأ³ بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق
كسد شعرك ، واطرحك الملوك ، فصرت إلى مهنة إيلك ، فقد أمرت لك بمائة بعير ، فقال
الفرزدق فيه يمدحه :

[من البسيط]

إِنَّ السَّمَاحَ الَّذِي فِي النَّاسِ كُلَّهُمْ قَدْ حَازَهُ اللَّهُ لِلْمُفْضَالِ أَسْمَاءُ
يُعْطِي الْجَزِيلَ بَلَا مَنْ يَكْذَرُهُ عَفَوًا وَيُتْبِعُ آلَاءَ بِنِعْمَاءِ
مَا ضَرَّ قَوْمًا إِذَا أَمْسَى يَجَاوِرُهُمْ أَلَّا يَكُونُوا ذَوِي إِبِلٍ وَلَا شَاءِ

[ضعف شعره عندما شاخ]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة : دخل
الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها : [من الطويل]

1 لحا : من لحق القرابة إذا دنت ، والتصقت .

2 الأعوجي : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول البعيدة .

3 يهنأ بعيراً : يطليه بالهناء ، وهي القار .

فإنَّ أبا موسى خلیلٌ محمدٍ وكفاهُ يُمنی للهدی وشمالها

فقال ابن أبي بردة : هلكت والله يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك في سعيد ، وفي العباس بن الوليد ، وسمي قوماً فقال : جئني بحسبٍ مثل أحسابهم ، حتى أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى ذرَّت أوداجه ودُعي له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلَّمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفاك الشيخ نفسه وقلَّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يحل عليه الحول حتى مات .
[قواد له من أصحابه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن همام البمامي ، قال : شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحب له : إنَّ العُلَمة قد آذنتي فأكسيني بغيّاً ، قال : من أين أصيب لك هاهنا بغيّاً ؟ قال : فلا بدَّ لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحية ؛ فقال : هل من امرأة تُقبِّل¹ ، فإنَّ معي امرأتي وقد أخذها الطَّلُق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غَطَّاه ، فلمَّا دنت منه واثبها . ثم ارتحل مبادراً ، وقال : كائنِي بابه الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال :

وكنْتَ إذا حلَلْتَ بدارِ قومٍ رحلتَ بخِزيَّةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

[ينصب بيتاً]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل : حدَّثنا بعض أصحابنا : قال : وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله :

وما بين مَنْ لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين جريزٍ غير حَزِّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتترك هذا البيت لي أو لتترك عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهي التي أولها قوله : [من الطويل]
تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتي حينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائم²

1 تقبل : تشتغل قابلة .

2 زورا اليمامة في الديوان 307/2 : لزوراء المدينة . البوَّ : جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار لتدرَّ اللبن حين تراه . رائم : عطوف .

[تستعذ بقبر أبيه]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي ، قال : جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي ، قال لها : وما هو ، قد ضمنت خلاصك منه ، قالت : إن ابناً لي أغزى إلى السُّند مع تميم بن زيد ؛ وهو واحدي قال : انصرفي ، فعلي انصرافه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تميم بقوله :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهرٍ فلا يخفى عليَّ جوابها
وهب لي حُبِيشاً واتخذ فيه مِنَّةً لحرمة أمٍّ ما يسوغُ شرابها
أتنتي فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السَّافي عليها ترابها

قال : فعرض تميم جميع مَنْ معه من الجند ، فلم يدع أحداً اسمه حُبِيش ، ولا حُنَيْش إلا وصله ، وأذن له في الانصراف إلى أهله .

[ما يشتهي]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعي ، قال : مرَّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهي يا أبا فراس ؟ قال : أشتهي شواء رَشْرَاشاً ، ونَبِيداً سعيراً¹ ، وغناء يفتق السمع .

الرَشْرَاش : الرُّطْب ، والسعير : الكثير .

[يبرم بمحبي شعره]

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدثنا محمد بن حبيب : قال : حدثني السعدي ، عن أبي مالك الزيدي . قال : أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ، فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا في ملحفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعكم بيابي ؟ والله لو أردت أن أزني ما قدّرت .

[يعاني في صنع الشعر]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا أبو مسلم ، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم ، قال : قال الفرزدق : قد علم الناس أنني فحل الشعراء . وربما أتت علي الساعة لقلع ضرسٍ من أضراسي أهون عليَّ من قول بيت شعر .

[يهجو راويته فلا يخالفه]

حدَّثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم ، عن الأصمعي ، قال : كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته في المسجد ؛ فدخلت امرأة ، فسألت عن مسألة ، وتوسّمت ؛ فرأت هيئة أبي شَقْفَل ، فسألت عن مسائلها ، فقال الفرزدق :

أبو شَقْفَل شيخ عن الحقِّ جائرٌ بباب الهدى والرّشد غيرُ بصيرٍ
فقلت المرأة : سبحان الله ؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ ؟ فقال أبو شَقْفَل : دعيه فهو أعلم بي .

[سكينة بنت الحسين تنقده وتهبّه جاريها]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائني ، قال : خرج الفرزدق حاجاً ، فمر بالمدينة ، فأتى سَكِينَةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله ، فقالت : يا فرزدق . مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تجنّبه عزيزٌ عليّ وَمَنْ زيارته لِمَامٍ
وَمَنْ أُمسي وأصبح لا أراه ويطرُقني إذا هجع النيامُ

فقال : والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه . فقالت : أقيموه . فأخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثاني . فقالت له : يا فرزدق . مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول :

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ وكُزرتُ قبرك والحبيبُ يزارُ
لا يلبث القرناء أن يتفرّقوا ليلٌ يكرّ عليهم ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيجُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وعُفَّت الأسرارُ

قال : أفأسمعك أحسن منه ؟ قالت : أخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنّها ظبيّة ، فاشتدّ عجبها بها . فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعر النَّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرَفِها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللَّبِّ حتى لا حراكَ له وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركاناً

ثم قالت : قم فأخرج . فقال لها : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك لحقاً . إذ كنتُ إنَّما جئتُ مسلماً عليك ، فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردتُ أن أسمعك شيئاً من

شعري ما ضاق به صدري . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدري ، لعلّي لا أفارق المدينة حتى أموت . فإن ميتٌ فمُري مَنْ يدفني في حِرِّ هذه الجارية التي على رأسك ، فضحكت سُكينةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمرت له بالجارية ، وقالت : أحسن صحبتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسي ، قال : فخرج وهو آخذ برِيطتها¹ .

[يطالب معاوية بتراث عمّه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثنا المدائني قال : وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحُتاتُ ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأدخل بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلما أُذِنَ للناس دخل بين السماطين² ، ومثل بين يدي معاوية ، فقال :

أبوك وعمّي يا معاوي ورثا تراثاً فيحتازُ التّراثُ أقاربه³
فما بال ميراثِ الحُتاتِ أكلته وميراثُ حرب جامدٌ لي ذائبه⁴؟
فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّة علمتَ من المولى القليلُ حلاّبه⁵
ولو كان هذا الأمرُ في ملك غيركم لأداه لي أو غصَّ بالماء شاربه⁶

فقال له معاوية : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمّه الحُتات ، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

[امرأة تهجوه فتوجهه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي حمزة الأنصاري ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُجرت ثم قُسمت ، فأغفل امرأة من بني فُقيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت :

[من الرجز]

1 الرِيطَة : الملاءة كلّها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

2 السماطين : الصفيّين .

3 يحتاز : يحوز .

4 في الديوان 45/1 : أتاكل ميراث الحُتات ظلاماً .

5 الأمر في الديوان 45/1 : الدين . حلاّيب : جمع حلوب .

6 أداه لي في الديوان 45/1 : لأبديته .

فَيْسَلَةُ هَدْلَاءُ ذَاتُ شَيْشَقٍ مشرفة اليافوخ والمحوق¹
 مُدْمَجَةٌ ذَاتُ حِفَافٍ أَخْلَقَ نبطت بحقوي قطم عشنق²
 أولجتها في سبّة الفرزدق³

قال أبو عبيدة : فبلغني أنه هرب منها ، فدخل في بيت حماد بن الهيثم ، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك :

قَتَلْتُ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ أَقْبَلَهُ ذَا تَوَمْتَيْنِ مُسَوَّرًا⁴
 حَمَلْتُ عَلَيْهِ حَمَلَتَيْنِ بَطْعَنِي فغادرته فوق الحشاي مكورًا
 تَرَى جَرْحَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ طَعَنَتْهُ يفوح كمثل المسك خالط عنبرا
 وَمَا هُوَ يَوْمَ الزَّحْفِ بَارِزَ قِرْنِهِ ولا هو ولّى يوم لاقى فادبرا
 بَنِي دَارِمٍ مَا تَأْمُرُونَ بِشَاعِرٍ برود الثنايا ما يزال مزعفرا
 إِذَا مَا هُوَ اسْتَلْقَى رَأَيْتَ جِهَازَهُ كمقطع عنق الناب أسود أحمرًا⁵
 وَكَيْفَ أَهَاجِي شَاعِرًا رَحْمَهُ اسْتُهُ أعدّ ليوم الرّوع درعًا ومجمرا

فقالت المرأة : ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا ، وعاهدت الله ألا تقول شعراً .

[كانه يريد أن يؤتى]

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعيّ قال : مرّ الفرزدق يوماً في الأزرد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه ، وأعانته على ذلك سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزرد وأولو النهى منهم ، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبي علقمة : ويلكم ! أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ؛ هذا شاعرٌ مضرٌ ولسانها ، قد شتم أعراضكم ، وهجا ساداتكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قاتله الله . إي والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأي .

[أنصاري يتحدثاه بشعر حسان بن ثابت]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : قال الكلبيّ : قال

1 هدلاء : طويلة . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها . المحوق : من الحق ، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافها .

2 أخلق : صلب . الحقو : الخصر . قطم : مجيد للنكاح مشتة له . عشنق : طويل .

3 السبّة : الإلاست .

4 التّومة : لؤلؤة تحلّى بها المرأة . مسوّراً : لابساً أساور .

5 يريد بالجهاز بضع المرأة . والناب : الناقة المسنة .

إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي والأخفش جميعاً ، عن السكري ، عن ابن حبيب ، عن أبي عبيدة والكلبي : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : قدّم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثير عزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما شخت¹ رقيق الأدمة ، في ثوبين مصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلم ، وقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق : من أنت لا أم لك ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلا فأنت منتحل كذاب ، ثم أنشده :

ألم تسأل الرّبع الجديدَ التكلما

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأبقى لنا مَرُّ الحروب ورزؤها	سيوفاً وأدراعاً وجمّاً عرمرما
متى ما تُردّنا من معدّ عصابة	وغسانَ نمنع حوضنا أن يُهدّما
لنا حاضر فعمّ وبادٍ كأنه	شماريخُ رضى عِزّة وتكرّما ²
أبى فِعْلُنا المعروفَ أن نطلق الخنا	وقائلُنا بالعُرفِ إلّا تكلّما
بكلّ فنى عاري الأشاجع لآخه	قِراعُ الكماةِ يرشح المسك والدّما ³
ولدنا بني العنقاء وابني محرق	فأكرم بذا خالا وأكرم بذا ابنما
يُسودّ ذا المالِ القليل إذا بدت	مروءته فينا وإن كان مُعدّما
وإنا لنقرّي الضيفَ إن جاء طارقاً	من الشحم ما أمسى صحيحاً مُسلّما
لنا الجفّناتُ الغرّ يلمعن بالضّحى	وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشده القصيدة ، وهي نيف وثلاثون بيتاً ، وقال له : قد أجلتك في جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضباً ، يسحب رداءه ، وما يدري أية طرقه حتى خرج من المسجد ،

1 الشخت : الضامر التحيف حلقة .

2 فعم : مملّى .

3 الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف .

فَأَقْبَلَ عَلَى كَثِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : قَاتِلَ اللَّهِ الْأَنْصَارَ مَا أَفْصَحَ لَهُجَّتْهُمْ ، وَأَوْضَحَ حُجَّتَهُمْ ، وَأَجُودَ شَعْرَهُمْ ، فَلَمْ نَزَلْ فِي حَدِيثِ الْأَنْصَارِ وَالْفِرَزْدَقِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِي إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ بِالْأَمْسِ ، فَأَتَى كَثِيرٌ ، فَجَلَسَ مَعِيَ ، وَإِنَّا لَتَتَذَكَّرُ الْفِرَزْدَقُ ، وَنَقُولُ : لَيْتَ شَعْرِي مَا صَنَعَ ؟ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا فِي حُلَّةٍ أَفْوَافٍ¹ ، قَدْ أَرَخَى غَدِيرَتَهُ ، حَتَّى جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بِالْأَمْسِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ ؟ فَنَلْنَا مِنْهُ ، وَشَتَمْنَاهُ ، فَقَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ : مَا مُنِيتُ بِمِثْلِهِ ، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ شَعْرِهِ ، فَارْقَتَهُ ، وَأَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَأَقْبَلْتُ أَصْعَدُ وَأَصُوبُ فِي كُلِّ فَنٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَكَأَنِّي مَفْحَمٌ لَمْ أَقْلُ شَعْرًا قَطُّ ، حَتَّى إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِالْفَجْرِ رَحَلْتُ نَاقَتِي ، وَأَخَذْتُ بِزِمَامِهَا حَتَّى أَتَيْتُ رِيَّانَا ، وَهُوَ جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ ، ثُمَّ نَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَخَاكُمْ أَخَاكُمْ ، يَعْنِي شَيْطَانَهُ ، فَجَاشَ صَدْرِي كَمَا يَجِيشُ الْمَرْجُلُ ، فَعَقَلْتُ نَاقَتِي وَتَوَسَّدْتُ ذِرَاعَهَا ، فَمَا عَتَمْتُ حَتَّى قَلْتُ مِائَةَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَثَلَاثَةَ عَشْرِ بَيْتًا ، فَبَيْنَا هُوَ يَنْشُدُ إِذْ طَلَعَ الْأَنْصَارِيُّ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَيْنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَعْجَلِكَ عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي وَقَّتَهُ لَكَ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَلَّا أُرَاكَ إِلَّا سَأَلْتُكَ : إِيْشَ صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ ، وَأَنْشُدْهُ قَوْلَهُ :

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كُنْتُ تَعَزُّفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حُدَرَاءٍ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
وَلَجَّ بِكَ الْمَهْجَرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَأْلَفُ

فِي رِوَايَةِ ابْنِ حَبِيبٍ : تَيَلَّفَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَأَنْشُدَهَا الْفِرَزْدَقُ ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ كَثِيْبًا ، فَلَمَّا تَوَارَى طَلَعَ أَبُوهُ أَبُو بَكْرُ بْنُ حَزْمٍ فِي مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، قَدْ عَرَفْتَ حَالَنَا وَمَكَانَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفِيْهًا مِنْ سَفَهَائِنَا رُبَّمَا تَعَرَّضَ لَكَ ، فَسَأَلْنَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ لِمَا حَفِظْتَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَوَهَبْنَا لَهُ ، وَلَمْ تَفْضَحْنَا . --
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَكَلَّمَهُ ، فَلَمَّا أَكْثَرْنَا عَلَيْهِ ، قَالَ : اذْهَبُوا ، فَقَدْ وَهَبْتُكُمْ لِهَذَا الْقُرَشِيِّ .

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْفِرَزْدَقِ : أَنْشِدْنِي أَجُودَ شَعْرٍ عَمَلْتَهُ ، فَأَنْشُدَهُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدْتُ تَعَزُّفُ

1 أفواف : ثياب رفاق موشاة مخططة .

فقال : زدني : فأنشده : [من الوافر]

ثلاثٌ واثنتانِ فتلكَ خمسٌ وواحدةٌ تميلُ إلى الشَّمام¹
فبتنَ بجانبِي مصرَّعاتٍ وبتُ أفضُّ أغلاقَ الخِتامِ²

فقال له سليمان : ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزنى عندي ، وأنا إمام ، ولا تريد مني إقامة الحدِّ عليك ، فقال : إن أخذتَ في بقول الله عز وجل لم تفعل . قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنَّهُم في كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنَّهُم يقولون ما لا يفعلون﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأتَ عنك الحدَّ وخلع عليه وأجازَه .

[يجتمع وهو وجريير بالشام]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : قديم الفرزدق الشام وبها جريير بن الخطفيّ ، فقال له جريير : ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق : إني طالما أخلفتُ ظنَّ العاجز .

[الفرزدق لعنة وجريير شهاب]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن طلحة : قال : قال أبو ميخنف : كان الفرزدق لعنةً ، أي يتلَعَن به كأنَّه لعنةٌ على قوم ، وكان جريير شهاباً من شهب النار .

[يتنذر بمحمد بن وكيع]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا الأزديّ : قال : حدَّثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء : مرَّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود ، وهو على ناقة فقال له : غدَّني ، قال : ما يحضرني غداء ، قال : فاسقني سويقاً ، قال : ما هو عندي ، قال : فاسقني نبيذاً ، قال : أو صاحبَ نبيذٍ عهدتني ، قال : فما يُقعِدك في الظلِّ ؟ قال : فما أصنع ؟ قال أطلَّ وجهك بديس³ ، ثم تحوّل إلى الشمس ، واقعد فيها ، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه ، قال أبو عمرو : فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى .

[هاشم بن القاسم يتجاهله]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي عبيدة ،

1 الشام : القبل والترشف وما إليها .

2 فضُّ الأغلاق : أي المضاجعة .

3 الديس : الأسود من كل شيء .

عن أبي العلاء : قال : أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : مَنْ أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : فأنا أبو فراس ، قلت : وَمَنْ أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق ، قلت : وَمَنْ الفرزدق ؟ قال : أوما تعرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذ النساء عندنا ، يتسمن به وهو الفتوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائككم .
[الكليّون يعبثون به]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال : مرّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً ، فأخذه ، وكان جباناً ، فقالوا : والله لتلقين منّا ما تكره ، أو لتتكحن هذه الأتان ، وأتوه بأتان ، فقال : ويلكم ! اتقوا الله ، فإنه شيء ما فعلته قط ، فقالوا : إنه لا ينجيك والله إلاّ الفعل قال : أمّا إذا أبيت فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية¹ ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لا صحبتك الله .
[أسود يستخفّ به]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفي صدر مجلسهم فتى أسود ، وعلى رأسه إكليل ، فلم يحفل بالفرزدق ولم يخف به تهاوناً ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال :
[من الطويل]

جلوسك في صدر الفراش مدلّة ورأسك في الإكليل إحدى الكبائر
وما نطفت كأس ولا لذّ طعمها ضربت على حافاتها بالمشافر²

[يرثي وكيعاً]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقّه إلى سرتة وهو يقول :

[من الطويل]

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلاّ قد أباءت على وتر
وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله تناول صديق النبيّ أباً بكر

قال : فعلق الناس الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفن ، وتركوا الاستغفار له .

1 عطية : والد جرير .

2 نطفت الكأس : قطرت .

[مِيمَتِهِ المشهورة في علي بن الحسين]

أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي ، عن حيان بن علي العنزي ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : حجَّ الفرزدق بعدما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشام بن عبد الملك قد حجَّ في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار النَّاس في الطواف ، فقال : مَنْ هذا الشاب الذي تَبْرُقُ أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تراءى فيها عذارى الحيَّ وجوهها ؟ فقالوا : هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق :

<p>والْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْجِلُّ وَالْحَرَمُ هَذَا التَّقِيُّ النَقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ بَجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ مَنْ كَفَّ أُرُوعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمُّ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ لَأَوَّلِيَّةُ هَذَا أَوْلَاهُ نَعَمُ فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمُّ عَنْهَا الْأَكْفُ وَعَنْ إِدْرَاكِهَا الْقَدَمُ وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمُّ طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ² كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ كُفِّرَ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ</p>	<p>هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَاتَهُ هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُم هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا : يُغَضِّي حَيَاءً وَيُغَضِّي مِنْ مَهَابَتِهِ بَكْفِهِ خَيْرَانُ رِيحُهَا عَيْقُ يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدَمًا وَعَظَّمَهُ أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِم مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوَّلِيَّةَ ذَا يَنْمِي إِلَى ذِرْوَةِ الدِّينِ الَّتِي قَصُرَتْ مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعُهُ يَنْشَقُّ تَوْبُ الدَّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ ، وَبَغْضِهِمْ مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ</p>
--	---

1 العرين : الأنف .

2 النبعة : شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسي . الخيم : الأصل والشرف .

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَثْمَتَهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ : هُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ كَنهِ جَوْدِهِمْ وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا¹
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَوَى بِجَبِّهِمْ وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ²

وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد ، قال : حدثنا أحمد بن القاسم البرتي ، قال :
حدثنا إسحاق بن محمد النخعي ، فذكر أن هشاماً حجَّ في حياة أبيه ، فرأى علي بن
الحسين رضي الله تعالى عنهم ، يطوف بالبيت والنَّاسُ يُفْرَجُونَ لَهُ . فقال : مَنْ هَذَا ؟ فقال
الأبرش الكلبي : ما أعرفه ، فقال الفرزدق : ولكنِّي أعرفه ، فقال : مَنْ هو ؟ فقال :
هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته

وذكر الأبيات . . . إلخ .

قال : فغضب هشامٌ فحبسه بين مكة والمدينة فقال : [من الطويل]

أَتَحْسِنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيهَا
يَقْلُبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيوبُهَا
فبلغ شعره هشاماً ، فوجّه ، فأطلقه .

[مع مالك بن المنذر]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن الهيثم بن عدي ، قال : أخبرنا أبو
روح الراسبي ، قال : لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولَّى مالك بن المنذر شرطة البصرة ،
فقال الفرزدق :

يُغْفَضُ فِينَا شُرْطَةُ الْمَصْرِ أَتَنِي رَأَيْتُ عَلَيْهَا مَالِكًا عَقَبَ الْكَلْبِ

قال ، فقال مالك : عَلَيَّ بِهِ ، فمضوا به إليه ، فقال : [من الطويل]

أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ تَغْصُ بِرِيقِهَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَهَا عِنْدَ مَالِكٍ ؟

قال : فسمع قوله حائكٌ يطلع من طرازه ، فقال : [من الطويل]

لَهَا عِنْدَهُ أَنْ يَرْجَعَ اللَّهُ رِيقَهَا إِلَيْهَا وَتَنْجُو مِنْ عَظِيمِ الْمَهَالِكِ

فقال الفرزدق : هذا أشعرُ النَّاسِ ، وليعودنَّ مجنوناً ، يصيح الصبيان في أثره فقال : فأواه
بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره .

1 كنه في الديوان 181/2 : بعد .

2 يسترب : يستزاد وينمي .

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدثنا محمد بن علي بن سعيد ، قال : حدثنا القحذمي : قال : فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عقيب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنما قلت :

ألم تَرَنِّي ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمعَ لما غصَّ من ريقه الفمُ
أعوذُ بقبر فيه أكفانُ مُنذرٍ فهن لأيدي المستجيرين محرماً¹
قال : قد عذتَ بمعاذ² ، وخلقى سبيله .

أخبرنا عبد الله قال : حدثني محمد بن موسى ، قال : كتب خالد القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه ، وهجا نهره المبارك ، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره ، فاشتدَّ مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي ، وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد ، ثم أمر به فلويَّتْ عنقه ، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلب ، والأعوان يقولون له : قوم رأسك ، فلما أتوا السجن قال : لا أتسلمه منكم ميتاً ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتاً ، فسمعوا أنه مصرَّ خاتمه وكان فيه سم ، فمات ، وتكلم الناس في أمره ، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يا بني ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عمر بن يزيد مصرَّ خاتمه في الحبس ، وكان فيه سم ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمصنَّ أبوك خاتمَه ، وقال في ذلك :

ألم يكُ قتلُ عبد الله ظلماً أباً حفص من الحرَم العظامِ
قتيلُ عداوةٍ لم يجنِ ذنباً يُقَطَّعُ وهو يهتف للإمامِ

[جرير يشفع له]

قال : وكان عُمرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن مولاتهم ونصيحتهم ، فصقَّ عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى ، حتى سمع له في الإيوان دويٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانية ، ولا نصحت ، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلب وابن الأشعث ؟ والله ما ينقُ ناعق إلاَّ أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال : فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من

1 منذر : أبو مالك .

2 بمعاذ : بذى حرمة .

بني أُمَيَّة ، فقال لعمر بن يزيد : وصل الله رحمك وأحسن جزاءك ، فلقد شددت من أنفك قومك ، وانتهزت الفرصة في وقتها ، ولكن أحسبُ هذا الرجل سيلى العراق ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس يخارُ لك¹ إن ولي ، فلم يرتدغُ عمر بقوله ، وظنَّ أنه لا يُقدم عليه ، فلمَّا ولي لم تكن له همَّةٌ غيرُهُ ، حتى قتله ، قال : ثم إن مالكا وجهَ الفرزدق إلى خالد ، فلمَّا قدم به عليه وجده قد حجَّ ، واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووافق عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يهبه لي ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إن ذلك أذلُّ له ، أصلحك الله ، وكلم أسداً ابنه المنذِرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق في ذلك :

لا فضلَ إلا فضلُ أمٍّ على ابنها كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق
تداركني من هُوَّةٍ دون قعرها ثمانون باعاً للطُّوال العَشَق²

وقال جرير يذكر شفاعته له :

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ فتطلق عنه عضَّ مَسِّ الحدائدِ³ ؟
يعودُ وكان الخبثُ منه سجيَّةً وإن قال : إني مُنتهٍ غيرُ عائِدٍ

[يهجو بني فقيم]

أخبرني عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذمي ، قال : كان سببُ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنه كان هجا بني فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها : [من الوافر]

وآب الوفدُ وفدُ بني فُقيمٍ بأخبث ما تتوب به الوفودُ
أتونا بالقرد مُعادلِها فصار الجدُّ للجدِّ السعيدُ

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقيمي والأشهب بن رميلة بأبيات ، منها قوله : [من الطويل]

تمنى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً لقد قال مِيناً يوم ذاك ومنكرا
غناءً قَلِيلٌ عن فُقيمٍ ونهشلٍ مقامُ هَجينِ ساعةً ثم أدبراً⁴

يعني الأشهب بن رميلة ، وكان الأشهبُ خطبُ إلى بني فُقيم ، فردّوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوجك ، فرجز به الأشهب ، فقال :

[من الرجز]

1 يخار لك : يختار لك .

2 الطوال والعشَق : الطويل .

3 الحدائد : القيود .

4 الهجين : غير صريح النسب .

يا عجباً هل يركبُ القَيْنُ الفرس وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسٌ¹ ؟
وإنما سلاحُه إذا جَلَسَ الكَلْبَتانِ والعَلاةُ والقَبَسُ²

[يهرب من زياد]

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاء ، فأرَفَتْ³ له ، وألَحَّ الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأَتى بكرَ بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات :

إنِّي وإن كانت تميمٌ عِمَارَتِي وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القَمَاقِمُ⁴
لَمْ تُشْرِ عَلَى أَبْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ثناء يوافي ركبهم في المواسم
همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا برأسٍ به تَدْمِي رُؤُوسُ الصَّلَادِمِ⁵
وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصي ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال :

إذا شئتُ غَنَّاني من العاجِ قاصف على معصم رِيَّانٍ لم يتخذِ
ليضاء من أهلِ المدينة لم تَعِشْ بيؤس ولم تتبعْ حَمولَةَ مُجَحَّدِ
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حوالي في بُرْدِ يمانٍ ومَجْسَدِ
فقلتُ : دعيني من زياد فإنني أرى الموتَ وَقَافاً على كلِّ مَرَصِدِ

[مروان ينفية ثم يجيزه]

فبلغ شعره مروان ، فدعاه ، وتوعده ، وأجله ثلاثاً ، وقال : اخرج عني ، فأنشأ يقول الفرزدق :

دعانا ثم أجَلَّنَا ثلاثاً كما وُعِدَتْ لِمَهْلِكِهَا ثمودُ
قال مروان : قولوا له عني : إنِّي أُجِبْتُهُ ، فقلت :

قل للفرزدق والسِّفَاهَةُ كاسِمِهَا إن كنت تارك ما أمَرْتُكَ فاجلسِ

1 القين : الحداد .

2 الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان .

3 أرَفَتْ : أفحش .

4 العمارة : الحي دون القبيلة . القرموس : السيد الرئيس . القماقم : الجواد ذو الفضل الغزير .

5 الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب .

ودع المدينة إنها محظورة والحق بمكة أو بيت المقدس

قال : وعزم على الشخوص إلى مكة ، فكتب له مروان إلى بعض عماله ، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال : [من الكامل]

مروان إن مطيتي معقولة ترجو الحباء ورُبها لم يئأس
آتيتني بصحيفة مختومة يُخشى علي بها حباء النّقرس¹
ألتي الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكراء مثل صحيفة المتلمّس

قال : ورمى بها إلى مروان ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنك أمي ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى من يقرؤها ، ثم ردّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قرئت إذا فيها جائزة ، قال : فردّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسين بن عليّ عليهما السلام بمائتي دينار ، قال : ولما بلغ جريراً أنّه أخرج عن المدينة قال : [من الوافر]

إذا حلّ المدينة فارجموه ولا تُذنوه من جدّث الرسول
فما يُحمى عليه شرابُ حدّ ولا ورهاء غائبه الحليل²

فأجابه الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

نعت لنا من الورهاء نعتاً قعدت به لأمك بالسبيل
فلا تبغي إذا ما غاب عنها عطية غير نعتك من حليل

[يموت بذات الجنب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدّثني محمد بن موسى ، قال : حدّثنا أبو عكرمة الضبيّ عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال أبو عكرمة : وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أنّ أباه أصابته ذات الجنب ، فكانت سبب وفاته .

قال : ووُصف له أن يشرب النفط الأبيض ، فجعلناه له في قدح ، وسقناه إياه ، فقال : يا بنيّ عجّلت لأبيك شراب أهل النار ، فقلت له : يا أبت ، قل : لا إله إلا الله ، فجعلت أكرّرها عليه مراراً ، فنظر إليّ وجعل يقول : [من الطويل]

فظلّت تعالى باليفاع كأنّها رماح نخاها وجهة الرّيح راكز

فكان ذا هجّيره حتى مات .

1 النقرس : الهلاك أو الداهية ، أو وجع في مفاصل الكفين .

2 الورهاء : الحمقاء .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثني شُعَيْب بن صخر ، قال : دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه ، وهو يقول : [من الوافر]

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
البيتين ، فقال بلال : إلى الله ، إلى الله .

[يتمرد في مرض موته]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعي ، قال : كان الفرزدق قد دبر عبيداً له ، وأوصى بعثتهم بعد موته ، وبدفع شيء من ماله إليهم ، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته ، وأنشأ يقول :

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى مَنْ تفرعون إذا حثوثم بأيديكم عليّ من الترابِ
فقال له بعض عبيده ، الذين أمر بعثتهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيته فيه ، والله أعلم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميدي ، عن سفيان ، عن لبطة بن الفرزدق قال : لما احتضر أبو فراس قال ، أي لبطة : أبغني كتاباً أكتب فيه وصيتي ، فأتيته بكتاب فكتب وصيته :

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي

البيتين ، فقالت مولاة له ، قد كان أوصى لها بوصية : إلى الله عز وجل ، فقال : يا لبطة ، احبها من الوصية .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

[بنظم وصيته شعراً]

وقال عوانة : قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص ، فقال :

أوصي تميماً إن قضاة ساقها ندى الغيث عن دار بدومة أو جذب
فإنكم الأكفاء والغيث دولة يكون بشرق من بلاد ومن غرب¹
إذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا لها الدار في سهل المقامة والرحب
فأعظم من أحلام عاد حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترب

1 دولة : متداولة ، لا تستقر على حال .

أَشْدُّ حِبَالٍ بَعْدَ حَيَّينَ مِرَّةً حِبَالٌ أُمِرْتُ مِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ كَلْبٍ¹

[غلام له يموت قبله]

قال : وتوفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام ، وصلى عليه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقَمْنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

[أنشد عند موته]

قال : فلم يلبث إلا أياماً حتى مات : وقال المدائني : قال لَبَطَةُ : أَعْمِيَ عَلَى أَبِي ، فبكينا ، ففتح عينيه ، وقال : أَعْلَى تَبْكُونَ ؟ قلنا : نعم ، أفعلى ابن المراغة نبكي ؟ فقال : ويحكم ! أهذا موضع ذكره ؟ وقال :

إِذَا مَا دَبَّتِ الْأَنْقَاءُ فَوْقِي وَصَاحَ صَدَى عَلِيٍّ مَعَ الظَّلَامِ²
فَقَدْ شَمِيتُ أَعَادِيكُمْ وَقَالَتْ : أَدَانِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْحَامِي ؟

[وقع نعيه على جرير]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَابِ إجازة ، قال : حدثنا محمد بن سلام ، قال : حدثنا أبو الغرَّاف ، قال : نعي الفرزدق لجرير ، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة ، فقال :

مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَرَّعْتُهُ لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ عَاشَ قَلِيلاً³

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أتتهجو ابن عمك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : والله إنني لأعلم أن بقائي بعده لقليل ، وأن نجمي لموافق لنجمه ، أفلا أرثيه ؟ قال : أبعد ما قيل لك : ألو كنت بكيته ما نسيتهك العرب .

قال أبو خليفة : قال ابن سلام : فأنشدني معاوية بن عمرو ، قال : أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها :

فَلَا وَلَدَتْ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ وَلَا ذَاتُ بَعْلٍ مَنِ نَفَاسٍ تَعَلَّتْ⁴

1 المرة : إحكام القتل .

2 النقا : الكتيب من الرمل . والصدى : رجع الصوت من الجبل أو نحوه ، أو هو طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل طالباً الثأر .

3 جرعته : سقيته المرّ ونحوه .

4 تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .

هو الوافد المأمون والرأتق الثأى إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت¹

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحوه كما ذكره ابن سلام ، وزاد فيه ، قال : ثم قام ، وبكى ، ونديم ، وقال : ما تقارب رجلان في أمرٍ قط ، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه .
[في أبي سنة مات]

قال أبو زيد : مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة ، فقبر الفرزدق بالبصرة ، وقبر جرير وأيوب السخيتاني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد .

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة ، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره في مواضع من قصائده ، ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثني ابن النطاح ، عن المدائني ، عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي : أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة .
[جرير يعني نفسه وورثه]

قال أبو عبيدة : حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي ، وأمه ابنة جرير بن عطية ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضح الراكب² ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدق بعد ما جرّعه ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظنناه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكي إلا على نفسي ، أما والله إن بقائي ؛ خلافة³ لقليل ، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول :

فجئنا بجمال الديات ابن غالب وحامي تميم كلها والبراجم

1 الثأى : الفتى .

2 من أين أوضح الراكب ؟ : من أين طلع .

3 خلافة : بعده .

بكيناكَ حَدَّثَانُ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً² بكيناكَ شَجَوًّا لِلْأُمُورِ الْعِظَائِمِ¹
وَلَا شُدَّ أَنْسَاغُ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ²

[يموت بالديلة]

وقال البلاذريّ : حَدَّثَنَا أَبُو عَدْنَانَ ، عَنْ أَبِي الْيَقْظَانَ ، قَالَ : أَسْنُ الْفِرْزَدَقِ حَتَّى قَارَبَ
الْمِائَةَ فَأَصَابَتْهُ الدُّبَيْلَةُ³ ، وَهُوَ بِالْبَادِيَةِ فَقَدِمَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَتَى بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قَيْسٍ مُتَطَبِّبٍ ؛
فَأَشَارَ بِأَنْ يُكْوَى ، وَيَشْرَبَ النَّفْطَ الْأَبْيَضَ ، فَقَالَ : أَتَعَجَّلُونَ لِي طَعَامَ أَهْلِ النَّارِ فِي الدُّنْيَا ؟
وَجَعَلَ يَقُولُ :

أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَابِ
[أبو لَيْلَى الْمُجَاشِعِيُّ يَرِثُهُ]

وقال أَبُو لَيْلَى الْمُجَاشِعِيُّ يَرِثِي الْفِرْزَدَقَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَمِيمًا وَهَدَّهَا
عَشِيَّةً قُدْنَا لِلْفِرْزَدَقِ نَعَشَهُ
لَقَدْ غَيَّبُوا فِي اللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي
نَوَى حَامِلُ الْأَثْقَالِ عَنْ كُلِّ مُثْقَلٍ
لِسَانُ تَمِيمٍ كُلُّهَا وَعِمَادُهَا
فَمَنْ لَتَمِيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ غَالِبٍ
لَتَلْبِكِ النَّسَاءِ الْمُعُولَاتُ ابْنَ غَالِبٍ
عَلَى نَكَبَاتِ الدَّهْرِ مَوْتُ الْفِرْزَدَقِ
إِلَى جَدَثٍ فِي هَوَاةِ الْأَرْضِ مُعَمَّقٍ
إِلَى كُلِّ بَدْرٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ
وَدَفَّاعُ سُلْطَانِ الْغُشُومِ السَّمَلَقِ⁴
وَنَاطِقُهَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُخَنَّقِ⁵
إِذَا حَلَّ يَوْمٌ مَظْلَمٌ غَيْرُ مُشْرِقٍ
لِجَانٍ وَعَانٍ فِي السَّلَاسِلِ مُوثِقٍ

[أعلام ماتوا سنة موته]

وقال ابن زكريّا الغلابيّ ، عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ ، قَالَ : مَاتَ الْفِرْزَدَقُ وَجَرِيرٌ فِي سَنَةِ عَشْرَةِ
وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ جَرِيرٌ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَابْنُ سِيرِينَ ،
قَالَ : فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : كَيْفَ يَفْلَحُ بَلَدٌ مَاتَ فُقَيْهَاهُ وَشَاعِرَاهُ فِي سَنَةٍ ؟ وَنَسَبَتْ
جَرِيرًا إِلَى الْبَصْرَةِ لِكَثْرَةِ قُدُومِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَقَبْرِ جَرِيرٍ بِالْيَمَامَةِ ، وَبِهَا مَاتَ ، وَقَبْرُ

1 حَدَّثَانُ الْفِرَاقِ : أَوَّلُ الْفِرَاقِ وَابْتِدَاؤُهُ .

2 الْمَهِيرَةُ : مِنْ غُولِي فِي مَهْرَهَا .

3 الدُّبَيْلَةُ : دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ الَّتِي تُصِيبُ الْجَوْفَ .

4 السَّمَلَقُ : الشَّرْسُ السَّيِّئُ الطَّيْعُ .

5 عِنْدَ الْمُخَنَّقِ : عِنْدَمَا يَمِيتُ الْمَرْءُ عَنِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ مُخَنَّقٌ .

الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم : وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق : قلما تصاول فحلان ، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض ، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما :
[من الطويل]

لعمري لئن قرما تميم تتابعا مُجِيبَيْن للداعي الذي قد دَعَاهُما
لربِّ عَدُوٍّ فَرَّقَ الدهرُ بينه وَبَيْنَهُمَا لم تُشَوِّه ضَغْمَتَاهُما¹

[يرأى في المنام]

أخبرني ابن عمّار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قنعب بن الحمرز الباهلي ، عن الأصمعي ، عن جرير يعني أبا حازم قال : رُئي الفرزدق وجرير في النوم ، فرئي الفرزدق بخير ، وجرير مُعلّق .

قال قنعب : وأخبرني الأصمعي ، عن روح الطائي ، قال : رُئي الفرزدق في النوم ، فذكر أنّه غفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر غالب .

قال قنعب : وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحويّ ، عن بطة بن الفرزدق ، قال : رأيت أبي فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعتني الكلمة التي نازعنيها الحسنُ على القبر .

[الحسن البصري في جنازة النوار]

أخبرني وكيع ، عن محمد بن إسماعيل الحساني ، عن عليّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والرواية قريب بعضها من بعض : أنّ النوار لما حَضَرها الموت أوصت الفرزدق ، وهو ابن عمّها ، أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ ، فأخبره الفرزدق ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمني ، وأخرجت ، وجاءها الحسن ، وسبقهما الناس ، فانتظروهما ، فأقبلا ، والناسُ ينتظرون ، فقال الحسن : ما للناس ؟ فقال : ينتظرون خيرَ الناسِ وشرَّ الناسِ ، فقال : إنّي لستُ بخيرهم ، ولستُ بشرّهم ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددت لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سلام . وقال وكيع في خبره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس

1 أشوى الصائد الصيد : أخطأه . والضغمة : العض العنيف .

الحسنُ يعظُ الناسَ ، فلمّا فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وقال : [من الطويل]
 لقد خاب من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى إلى النارِ مغلولَ القِلادةِ أزرَقاً¹
 أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافِني أشدَّ من القبرِ التهاباً وأضيّقاً
 إذا جاءني يومَ القيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسَوّاقٌ يَقُودُ الفرزدقا

[رواية أخرى له مع الحسن]

أخبرنا أحمد : قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا حيان بن هلال : قال : حدثنا
 خالد بن الحرّ : قال : رأيت الحسنَ في جنازة أبي رجاء العطارديّ ، فقال للفرزدق : ما
 أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال إذا تنجّو
 إن صدقت . قال : وقال الفرزدق : في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس ، فقال
 الحسن : لستُ بخير الناس ولستُ بشرُّهم .
 [يذكر ذنوبه فينشج]

أخبرنا ابن عمار ، عن أحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس ، قال :
 حدثني يزيد بن هاشم العبديّ : قال : حدثنا أبي : قال : حدثنا فضيل الرقاشيّ قال : خرجت في
 ليلة باردة ، فدخلتُ المسجدَ ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً ، فلم أعلم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى
 أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت النّوار ، وهي كَيِّنة الدّثار دَفعة
 الشّعار ، قال : إني والله ذكرتُ ذُنُوبي ، فأقلقتني ، ففرغت إلى الله عز وجلّ .
 [في المنام تنجيه شيبته من النار]

أخبرني وكيع ، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال : حدثني
 هلال بن يحيى الرازيّ : قال : حدثني شيخ كان ينزل سكة قريش : قال : رأيت الفرزدق في
 النوم فقلتُ : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن ، وقال : لولا
 شيبتك لعذبّتك بالنّار .
 [رواية أخرى في لقائه مع الحسين]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَمَاز ، عن أبي عبيدة ، عن كَبْطَة بن الفرزدق ، عن أبيه :
 قال : لقيت الحسين بن عليّ ، صلوات الله عليهما ، وأصحابه بالصفّاح ، وقد ركبوا الإبل ،
 وجنّبوا الخيل ، متقلّدين السيوفَ ، متنكبين القسيّ ، عليهم يلامق² من الدياج ، فسلمت
 عليه ، وقلت : أين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت الناس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبهم

1 مغلول القِلادة : مطبق الطوق .

2 يلامق : جمع يلمق وهو القباء ، فارسي معرّب .

معك ، وسيوفهم عليك ، والدُّنيا مطلوبة ، وهي في أيدي بني أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ،
والقضاء ينزل من السماء بما شاء .
[أبو هريرة يعظه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وأحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبة قال : حدّثني
هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شاذب قال : قيل لأبي هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا
الذي يقذف الحصنات ، ثم قال له : إني أرى عظمك رقيقاً وعِرْقك دقيقاً ، ولا طاقة لك
بالنار ، فنب ، فإنَّ التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه¹ .

أخبرني هاشم بن محمد ، عن الرياشيّ ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة ، عن صالح
المريّ ، عن حبيب بن أبي محمد ، قال : رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لي أبو هريرة : إنه
سيأتيك قوم يؤسسونك من رحمة الله ، فلا تيأس .
[موازنة بينه وبين جرير والأخطل]

قال أبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومحلّه
في الشعر أكبر من أن يُنبه عليه بقول ، أو يُدلّ على مكانه بوصف ، لأنَّ الخاص والعام يعرفانه
بالاسم ، ويعلمان تقدّمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلم
الناس في هذا قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا ، واحتجّوا بما لا مزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم
على تقديم هذه الطبقة في أيّهم أحقُّ بالتقدّم على سائرهما ، فأما قدماء أهل العلم والرواية فلم
يسوّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنّه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه ،
ولا تصرف كتصرفهما في سائرهما ، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيه ، حتى ألحقته بهما ، وهم
في ذلك طبقتان ، أمّا مَنْ كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدة أسره ، فيقدّم
الفرزدق ، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السّمج السهل الغزل
فيقدّم جريراً .

أخبرنا أبو خليفة : قال حدّثنا محمد بن سلام ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما
شهدت مشهداً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجرير ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن
سلام : وكان يونس يقدّم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدّمه تقدمة شديدة .
قال ابن سلام : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أشعر خاصّةً وجرير
أشعرُ عامّةً .

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلبيّ عن ابن شبة ، عن العلاء بن الفضل : قال : قال لي أبو البيداء : يا أبا الهذيل ، أيهما أشعر ؟ أجري أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : أَلَمْ تسمعه يقول :

ما حُمِلَتْ ناقةٌ من معشرٍ رجلاً مثلي إذا الرّيح ألقنتني على الكورِ
إلا قريشاً فإنّ الله فضلها مع النبوة بالإسلام والخير

ويقول جرير :

لا تحسبنّ مِرَاسَ الحرب إذ لَقِحت شُرْبَ الكيسيس وأكلَ الخبز بالصيّر¹ ؟
سلح والله أبو حزرة .

[ثلث اللغة من شعره.]

أخبرني هاشم الخزاعي ، عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن أبي عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

[يقرض الشعر في خلافة عثمان وعليّ.]

أخبرني هاشم الخزاعيّ ، عن أبي غسان ، عن أبي عبيدة قال : قال يونس أبو البيداء : قال الفرزدق : كنت أهاجي شعراء قومي ، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان ، فكان قومي يخشون مَعْرَةَ لساني منذ يومئذ ، ووفد بي أبي إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامّ الجمل ، فقال له : إنّ ابني هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو خير له .

[خمس وسبعون سنة في مباراة الشعراء.]

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغيّضهم ، ما ثبت له أحد منهم قطّ ، إلاّ جريراً .

[يرث الشعر عن خاله.]

أخبرني محمد بن عمران الصيّريّ : قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي ، قال : حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ ، قال : حدّثنا ابن الرازيّ ، عن خالد بن كلثوم قال : قيل للفرزدق : ما لك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعبصعّة شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قَبَل خالي ، قيل : أيّ أخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظة الذي يقول :

[من الوافر.]

1 الكيسيس : شراب يتخذ من الشعير والذرة . الصير : السمكات المملوحة .

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ بكلِّكـه أنـاخ بآخريـنا¹
فقل للشامتـين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

[يؤتبه أخواله فيمن عليهم]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني ، عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن حماد الراوية ، وأخبرني هاشم الخزاعي : قال : حدثنا دَمَاز ، عن أبي عبيدة قال : دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له : قَبَحَك اللهُ من ابن أخت ! قد عَرَضْتنا لهذا الكلب السفيف ، يعنون جريراً ، حتى يشتم أعراضنا ، ويذكر نساءنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قَبَحَك اللهُ من أخوال ! فوالله لقد شَرَّفَكُم من فخري أكثرُ مما غَضَّكُم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عَرَضْتكم لسؤيد بن أبي كاهل حيث يقول :

لقد زَرَقْتَ عيناك يا ابن مُكَعْبِرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرَقُ
ترى اللؤمَ فيهم لائئحاً في وجوههم كما لاح في خيل الحلائب أبلق²

أو أنا عَرَضْتكم للأغلب العِجْلِيَّ حيث يقول :

لن تجدَ الضَّبِّيَّ إلا فلاَّ عبداً إذانا ولقومِ ذَلَا³
مثل قفا المديـة أو أكلاَّ حتى يكون الألامُ الأَقْلاَّ

أو أنا عَرَضْتكم له حيث يقول :

إذا رأيت رجلاً من ضَبَّةٍ فنيكه عمداً في سِواءِ السِّبَّةِ⁴
إنَّ اليمانيَّ عِقاـصُ الزَّيَّةِ⁵

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول :

ولو يُذْبَحُ الضَّبِّيُّ بالسيف لم تجدْ من اللؤمِ للضَّبِّيِّ لحماً ولا دماً !

والله لما ذكرتُ من شَرَّفَكُم ، وأظهرتُ من أَيْامِكُم أكثرُ ، أَلَسْتُ القائلَ : [من الكامل]

وأنا ابنُ حنظلةِ الأغرِّ وإِنِّي في آلِ ضَبَّةٍ للمُعِـمِّ المَحْـوِلُ

1 الكلاكل : عظام الصدر .

2 الحلائب : خيول السباق . والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .

3 الفلّ : المنهزم .

4 السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .

5 العقاص : خيط تربط به الضفيرة . الزية : ربما جمع زب .

فرعان قد بلغ السماء ذراهما وإليهما من كل خوف يُعقل¹

[بنو حرام يخشون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلام ، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا : كان فتى في بني حرام بن سمالك شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلّى عنه وقال :

فمن يك خائفاً لأذاة قولي فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

[عائذة بقبر غالب]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : حدثني الحكم بن محمد ، قال : كان رجل من قضاة ثم من بني القين على السند ، وفي حبه رجل يقال له حبيش ، أو خنيس ، وطالت غيبته عن أهله ، فأثت أمه قبر غالب بكاطمة ، فأقامت عليه ، حتى علم الفرزدق بمكانها ، ثم إنهما أتت فطلبت إليه في أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعي :

هَبْ لِي خُنَيْسًا وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَّةً لَغُصَّةُ أُمِّ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا
أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْحَفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تَرَابُهَا
تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بظَهْرِ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا

فلما أتاه الكتاب لم يدر : أخنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

[مكاتب يعود بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة : قال : حدثنا محمد بن سلام : قال : حدثني أبو يحيى الضبي قال : ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب ، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدم عليه ، وهو بالمريد فقال :

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعدما خشيت الردى أو أن أردد على قسر
فخاطبني قبر ابن ليلي وقال لي : فكأك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق : صدق أبي ، أنخ أنخ ، ثم طاف في الناس ، حتى جمع له كتابته وفضلا .

1 يُعقل : يُلجأ ويُفزع .

[يحذر عن مناقضته نفسه]

أخبرني ابنُ خلفٍ وكيع ، عن هارونَ بن الزيات ، عن أحمد بن حماد بن جميل ، قال : حدثنا القحذمي ، عن ابن عيَّاش : قال : لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ، أنت الذي تقول :

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف يُقطَّعن إذ عيَّن تحت السقائف

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له :

لئن نفر الحجاج آل مُعْتَب لَقُوا ذَوْلَةً كان العدوُّ يُدأُّها¹
لقد أصبح الأحياء منهم أذلةً وفي الناس موتاهم كلوحاً سبأها²

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه .

[هل أجاز إياس شهادته ؟]

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمه ، عن بعض أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقبل له : أما والله ما أجاز شهادتك قال : بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا : أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال : وما يمنعه ألا يقبل شهادتي ، وقد قذفت ألف محصنة !

[يسرذ هبته]

أخبرنا ابن دُرَيْد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطية بن جُعَال الغداني صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بني غُدانة هجاه وعاون جريراً عليه ، وأنه أراد أن يهجو بني غُدانة ، فأتاه عطية بن جُعَال فسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهب له أعراضهم ، ففعل ، ثم قال :

أبني غُدانة إنني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جُعَال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأم أنف وسبال

فبلغ ذلك عطية ، فقال : ما أسرع ما أرتجع أخي هبته ، قَبَّحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

1 يُدأُّها : تتاح للعدو .

2 السبال : جمع سبلة ، وهي طرف الشارب ، أو طرف اللحية .

[مجنون يعث به]

أخبرني وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدثني قبيصة بن معاوية المهلبی ، عن المدائني ، عن محمد بن النضر : أن الفرزدق مرَّ بباب المفضل بن المهلب ، فأرسل إليه غِلْمة ، فاحتملوه ، حتى أدخل إليه بواسط ، وقد خرج من تيار ماء كان فيه ، فأمر به ، فألقي فيه ، بشيابه ، وعنده ابن أبي علقمة اليمامي المجنون ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكة وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : الله الله أيُّها الأمير في ، أنا في جوارك وذمتك ؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة ، فلمَّا خرج قال : قاتل الله مجنونهم ؛ والله لو مسَّ ثوبه ثوبي لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية .

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبی ، عن ابن شبة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جدِّه : قال أبو زيد : وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لي الفرزدق : ما مرَّ بي يوم قطَّ أشدَّ عليَّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلب ، وكان يوماً شديداً الحرِّ ، فما منَّا أحد إلا جلس في أبْرَن¹ . فقلنا له : إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنه يكدِّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بدَّ منه ، فأرسل إليه ، فلمَّا دخل فرآني ؛ قال الفرزدق والله . ووثب إليَّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكته ؛ فقلت لأبي عيينة : الله الله في ، أنا في جوارك ، فوالله لئن دنا إليَّ لا تبقى لي باقية مع جرير ؛ فلم يتكلَّم أبو عيينة ؛ ولم تكن لي همة إلا أن عدوتُ حتى صعدتُ إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقليل له : ولا يوم زياد كان مثل يومئذٍ ، فقال : ولا مثل يوم زياد .

[عمر بن عبد العزيز يحيره ، ثم ينفيه]

أخبرني عمي ، عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأخبرني عثمان بن خالد العثماني : أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدبة حصَّاء² فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيُّها الأمير ، إن الفرزدق قدِمَ مدينتنا هذه في هذه السنة الجلبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أن الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدَّم إليه ألاَّ يعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدِمْتَ مدينتنا

1 الأبرن : حوض ماء يتخذ من المعدن للاستحمام وهو معرَّب .

2 الحصَّاء : السنة الجرداء لا خير فيها .

هذه في هذه السنة الجدية ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، وعليه مطرف¹ خزّ أحمر وجبة خزّ أحمر ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحقّ ماشٍ وساع بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أروى أبوك فأنْتَ مُنْصَدِّعُ النَّهَارِ
هما قَمَرَا السماء وأنتَ نجمٌ به في الليل يُذْلَجُ كُلُّ سَارِ

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ، ورأى ما أعطاه إياه ، وسمع ما أمره عمر به من ألاّ يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : أَلَمْ أُنْقِذْكَ يَا فِرْزْدَقُ أَلَا تَعْرِضُ لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتكَ بعد ثلاث نكّلت بك ؛ فخرج وهو يقول :

فأَجَلَنِي ووَاعَدَنِي ثَلَاثاً كَمَا وَعِدْتَ لِمَهْلِكِهَا ثَمُودَ

قال : وقال جرير فيه :

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيز ومثلك يُنفى من المسجدِ
وشبّهتَ نفسك أشقى ثَمُودَ فقالوا : ضلّلتَ ولم تهتدِ

[يهجو من يستكثر عليه الجائزة]

أخبرني حبيب المهلبيّ ، عن ابن أبي سعد ، عن صباح ، عن النوفليّ بن خاقان ، عن يونس النحويّ قال : مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهليّ ، فأمر له بثلاثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أتعطي الفرزدق ثلاثمائة درهم ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال :

نهيتُ ابنَ عَفْرَى أَنْ يَعْفُرَ أُمَّهُ كَعَفْرِ السَّلَا إِذْ جَرَّرَتْهُ ثَعَالِبُهُ
وإنَّ امرأاً يَغْتَابُنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ حَرِيماً فَلَا يَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هَضْبُهُ أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُهُ

أَلَمَّا اسْتَوَى نَابَايَ وَابْيَضَّ مِسْجَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْكُرَى مَن أُحَارِبُهُ ؟
 فَلَوْ كَانَ ضَبَّيًّا صَفَحْتُ وَلَوْ سَرْتُ عَلَى قَدَمِي حَيَاتُهُ وَعَقَارِبُهُ
 وَلَكِنْ دِيَايَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرَانٍ يَعَصِرْنَ السَّلِيْطَ قَرَائِبُهُ

صوت

[من الطويل]

ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفٌ مُّحَسَّرٌ لَفَتَاتُهَا : هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضَا¹ ؟
 ذَاكَ الَّذِي أُعْطِيَ مَوَاقِيقَ عَهْدِهِ أَلَّا يَخُونَ وَخِلْتُ أَنْ لَنْ يَنْقُضَا
 فَكُنْ ظَفَرْتُ بِمِثْلِهَا مِنْ مِثْلِهِ يَوْمًا لَيَعْتَرِفَنَّ مَا قَدْ أَقْرَضَا²

الشعر لخالد القسريّ ، والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقیل
 أوّل بالوسطی ، عن الهشاميّ وابن المكيّ وحيش . وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإنّي أذكر
 الرواية في أنّ هذا الشعر له .

[قصّة تتعلّق بأبيات هذا الصوت]

أخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : أخبرني عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدّثني أبو
 بشر ، محمد بن خالد البجليّ : قال : حدّثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال :
 سمعت أبي يحدث : قال : حدّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ ، قال : ركب خالد
 عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرّخة ، وهي من
 الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه في زورق ، فقال لي : نشدتك الله بآبن جحوش ، هل
 سمعت غريض مكرّة يتغنّى :

[من الطويل]

ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفٌ مُّحَسَّرٌ لَفَتَاتُهَا : هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضَا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لي ، والغناء لغريض مكرّة ، وما وجدت هذا الشعر
 في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيّون ، وإنّما يوجد في الكتب
 المحدثّة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

* * * *

1 النعف ومعسر : مكانان .

2 أقرض : أسلف .

الفهرس

- [440] - أخبار المنخل ونسبه 5
- [441] - أخبار أمية بن الأسكر ونسبه 11
- [442] - نسب عبدة بن الطبيب وأخباره 22
- [443] - أخبار الأغلب ونسبه 25
- [444] - أخبار البحتري ونسبه 31
- [445] - ذكر تنف من أخبار عريب مستحسنة 43
- [446] - ذكر معقل بن عيسى 71
- [447] - الأحوص وبعض أخباره 73
- [448] - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر 85
- [449] - أخبار تأبط شرأ ونسبه 94
- [450] - عمرو بن براق 126
- [451] - أخبار الشنفرى ونسبه 128
- [452] - أخبار الخليل ونسبه 140
- [453] - أخبار علقمة ونسبه 143
- [454] - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره 147
- [455] - أخبار ابن داره ونسبه 164
- [456] - أخبار مسعود بن خرشة 176
- [457] - أخبار بحر ونسبه 178
- [458] - أخبار هلبة بن خشرم ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله 179
- [459] - نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته 193

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

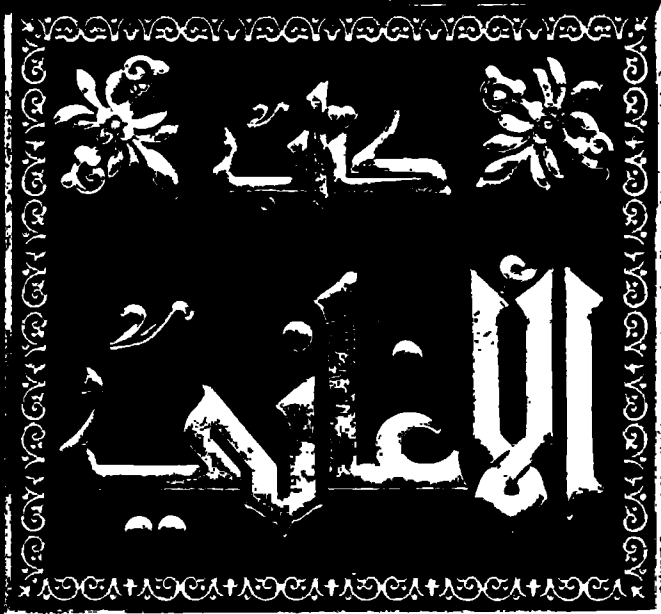
Dr. Iḥsān 'Abbās

Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 21

DAR SADER

Beirut



الأعاجيب



لأبي الفرج الأصفهاني

تسعين

الدكتور إحسان عيسى

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عيسى

دار طبع
بيروت

کتابُ الْإِعْزَازِ

22

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني والعشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

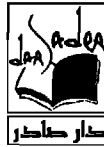
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أنسطة مخنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[460] - أخبار خالد بن عبد الله

[نسبه]

هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب ، وشق بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ، بن يشكر بن رهم بن أقزل ، وهو سعد الصبح ، بن زيد بن قسر بن عكر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن القرز ، ويقال : الفرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصهيبة وجذيمة وأشل وشهلاء وطريقاً والحارث ومالكاً وفهماً وشيبة . قال ابن الكلبي : ويقال : إن بجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خثعم ، فإنه انفرد ، فصار قبيلة على جدته ، ولم تحضنه بجيلة ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم :

وما قرئت بجيلة منك دوني بشيء غير ما دُعيت بجيلة
وما للغوث عندك أن نسينا علينا في القرابة من فضيلة¹
ولكنّا وإياكم كثرنا فصيرنا في المحل على جديلة

جديلة ها هنا موضع لا قبيلة ، وهم أهل بيت شرف في بجيلة ، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد ؛ فإن أصحاب المثلث ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ، إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له ولابنه خالد سودد وشرف وجود .

[جده كرز]

وكان يقال لكرز كرز الأعنة ، وإياه عنى قيس بن الخطيم بقوله ، لما خرج يطلب النصر على الخزرج :

فإن تنزل بندي النجدات كرز تلاقٍ لديه شرباً غير نزر

له سَجْلَانِ سَجَلٌ من صريحٍ وسجلٌ رثيئةٌ بعتيق خمر¹
ويمنعُ من أراد ولا يُعَايا مَقَاماً في المحلة وسطَ قسر²

[جده أسد بن كرز]

وكان أسدُ بن كُرْزٍ يُدْعَى في الجاهلية رَبَّ بجيلة ، وكان ممن حَرَّمَ الخمر في جاهليته
تنزهاً عنها ، وله يقول القتال السُّحْمِيّ :

فأبلغ ربنا أسدَ بن كُرْزٍ بأنَّ النَّأْيَ لم يكُ عن تقالي
وله يقول القتال يعتذر :

فأبلغ ربنا أسدَ بن كُرْزٍ بأنِّي قد ضللتُ وما اهتديتُ
وله يقول تائبٌ شراً :

وجدتُ ابنَ كُرْزٍ تستهلُّ يمينه ويُطلق أغلالَ الأسير المكبَّل³

[جده أسد وبنو سحمة]

وكان قوم من سُحْمَةِ عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فَأَطَرَدُوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد
وقعة عظيمة في الجاهلية ، وتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتال فيه عدة قصائد يعتذر إليه
لقومه ، ويستقبله فعلهم⁴ بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنَّ ذلك ليس من الغرض
المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكرها هنا لَمَعاً⁵ وسائرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب
الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها ، وسَمَّيته كتاب التعديل والانتصاف . ولبني سُحْمَةِ
يقول أسد بن كرز في هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً :

ألا أبلغا أبناء سُحْمَةَ كلُّها بني خثعم عني وذلُّ لخثعم
فما أنتم مني ولا أنا منكم فراش حريق العرفج المتضرَّم⁶

1 سجلان : مثني سجل ، وهو الدلو العظيمة . صريح : لبن صريح . الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، وفي رواية أخرى الريلة : الخفض والنعمة .

2 لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار . قسر : بطن من بجيلة .

3 تستهلُّ يمينه : تجود .

4 يستقبله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم .

5 لمعاً : جمع لمعة : بلغة من العيش .

6 العرفج : شجر يتخذ منه الوقود .

فلمستُ كمن تُزري المقالةَ عرضَه
وما جأرُ بيتي بالذليل فترتجى
وأقزلُ آبائي وقسرُ عمارتي
وأحمسُ يوماً إن دعوتُ أجابني
فمن جار مولى يدفعُ الضيمَ جاره
وكيف يخافُ الضيمَ من كان جاره
دنياً كعودِ الدوحة المترنم¹
ظلامته يوماً ولا المنهضم
هما ردياني عزتي وتكرمي
عرانين منهم أهل أيدٍ وأنعم
مع الشمس ما إن استطاع بسلم
إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي

وهي قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأن تعلم إعرافهم في العلم والشعر ،
وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

[إسلام جده أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدث
بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن
عبد الله ، قال : أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً ،
فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النُّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبتُ بجبلنا بالسراة ،
فقال الثَّقَفِيُّ : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ قال : بل الجبل جبل قسِرٍ ، به سمي أبوهم
قسِرٌ عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، اذْعُ لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك
في عقب أسد بن كُرْزٍ . وما أدري ما أقول في هذا الحديث ، وأكره أن أكذب بما رَوِيَ
عن رسول الله ﷺ ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله ﷺ دعا له بهذا
الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفين على عليٍّ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله
عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعبه ، على المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع
أخباره ، قبحه الله ولعنه ، إلا أنني أذكر الشيء كما رَوِيَ ، ومن قال على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يُقَلْ فقد تبوأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

[منافرة بين جده جرير وقضاة]

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه ، أعني

جريراً ، تباعدٌ ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجريير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه ، فرآه جريير ، ورأى أصحابه في السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جريير : ليت لي بكل بلد ابن عمٍّ عاقاً مثلَ أسد ، فقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد : [من الطويل]

تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر جريراً وقد رانت عليه حلائبه
فنفَسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما تغشاه يوم لا تَوَارى كواكبه¹
وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَالِ بنفسه وما كنتَ وصَّالاً له إذ تحاربُه
إلى أسدٍ يأوي الذليلُ بيته ويلجأ إذ أعميت عليه مذهبُه
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظَماً إذا المجتدى المسؤول ضنَّت رواجه²

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدمه مع أبيه على النبي ﷺ ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطي عن سنان بن أبي الحكم قال : سمعتُ خالد بن عبد الله القسري ، وهو على المنبر يقول : حدثني أبي عن جدِّي يزيد بن أسد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا يزيد ، أُحِبِّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك . وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيمُ الشأن . [جده يتنصر لعثمان]

ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمان قد قُتِل . [خطبة جده يزيد في صفين]

فانصرف إلى معاوية ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صفين قام في الناس فخطب خطبةً مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامة خَزٌّ سوداء ، وهو متكئٌ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، والله يعلم أنني كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونَا ريقنا ، ولم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا ويضتنا³ . وقد علمنا أن بالقوم حلماً وطغماً . فلسنا نأمن طغامهم على

1 نَفَسَ : تنفَسَ .

2 الرواجب : أصول الأصابع . معظماً : عظيماً من الأعطية والدييات . ضنت رواجه : بخلت يده .

3 البيضة : الحوزة والحمى .

ذراينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالنا حميةً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لو ددت أني ميت قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العباد رده ، فنستعين بالله العظيم ، ثم انكفأ .

[خمول أبيه عبد الله]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهة من ذكرت من آبائه ، وأهل المثالب يقولون : إنه دعني ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن من الناس عام الجماعة ، فأمنه .

[تخنته في حياته]

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان في حياته يتخنث ، ويتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائلهن إليهن ، وكان يقال له خالد الخريت¹ فقال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال : أرسلت الخريت أو قال : أرسلت الجري² فإنما يعني خالداً القسري ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

[يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته]

أخبرني بذلك الحرمي ومحمد بن مزيد وغيرهما ، عن الزبير ، عن عمه ، وأخبرني عمي : قال : حدثني الكراني ؛ عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، قال : بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري ، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما ملياً ، فأخذتهم السماء ، ومطروا ، فقام خالد وجاريتان للمراتين ، فظللوا عليهن بمطرقة³ وبردين له ، حتى كف المطر وتفرقا ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

أفي رسم دارٍ دمُك المترقُ سفاهاً وما استنطاق ما ليس ينطق ؟
بحيث التقى جمعٌ ومُفضي مُحسّرٍ معالماً قد كادت على الدهر تخلق⁴

1 الخريت : الدليل الماهر في أمر الدلالة .

2 الجري : الرسول ، أو الوكيل .

3 المطرقة : رداء من خز مربع فيه أعلام .

4 محسر : اسم مكان .

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا وذكرك رسم الدار ممّا يشوقُ
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً لنا لم يكدره علينا معوقُ
ومشى فتاة بالكساء يَكْنُها به تحت عين برقها يتألقُ
يُلُّ أعالي الثوب قطرٌ وتحتَه شعاعٌ بدا يُعشي العيونَ ويُشرقُ
فأحسنُ شيء بدء أول ليلةٍ وآخرها حُزنٌ إذا تَنَفَّرُ

الغناء في هذه الأبيات لمبعد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[خالد وابن أبي عتيق يستجزان ابن أبي ربيعة وعده]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العباس المروزيّ ، قال : حدثنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عُمر بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله : [من الطويل]

ومن كان محروباً لإهراق دمعة وهى غربها فليأتنا نَبْكِهِ غداً¹
نُعينه على الإثكال إن كان ثاكلاً وإن كان محزوناً وإن كان مُقَصِّداً²

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريّت ، وقال : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِهِ غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك غير صادق ، ثم مضى وتركه .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسري .

[يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته]

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هِفان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزيد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزامي والمثنى ومحمد بن سلام ، قالوا : خرجت هند والرباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان ملياً ، ثم أقبل إليهما خالد القسريّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمختئين ، ويترسل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبي ربيعة ، وتشوقاه ، فقالتا لخالد : يا خريّت ، وكان يعرف بذلك ، لك عندنا حُكْمُك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم

1 الغرب : مسيل الدمع من العيون .

2 المقصد : من أقصد فلان فلاناً : طعنه فلم يخطيء مقاتله .

أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تؤذنه¹ بنا ، وتعلمه أنا خرجنا في سر منه ، ومرة أن يتنكر ، ولبس لبسة الأعراب ، ليرانا في أحسن صورة ، ونراه في أسوأ حال ، فتمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك في هند والرباب وصواحباتهما قد خرجن إلى العقيق على حال حذر منك وكيماؤ لك أمرهما ؟ قال : والله إني إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبس لبسة الأعراب ، وهلم نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، وليس ثياباً جافية ، وتعمم عمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلم ، فعرفنه ، فقلن : هلم إلينا يا أعرابي ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابي : ما أظرفك ، وأحسن إنشادك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئت أنشد ضالّة لي ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسّر عما منك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالّتك ، وأنت الآن تُقدّر أنك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخريّت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوأ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمر ، ونزل إليهن ، فتحدّث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

صوت

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربعا
بيطن حليّات دوارسَ بلقعا²
إلى السّرح من وادي المغسّ بُدّلت
معالمه وبلا ونكباء زعزعا³
فبيّخلن أو يُخبرن بالعلم بعد ما
نكأن فؤادا كان قدماً مفجعاً
لهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوى
جميع وإذ لم نخش أن يتصدعا
في هذه الأبيات ثقیل أول لمعبد :

تبألهنّ بالعرفان لما رأيته
وقلن امرؤ باغٍ أكلٍ وأوضعا⁴
وقربن أسباب الهوى لمتيم
يقيس ذراعاً كلّما قسن إصبعا

[جده كان عبداً أبقاً]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل

1 تؤذنه : تعلمه .

2 حليات : جمع حلية ، وهو نبت سبط من أجود المراعي .

3 المغس : مكان النكباء . الزعزع : الريح العاتية .

4 أكل : أهرق دابته . أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها .

ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن كُرَزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان أبقاً عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تيماء ، وكان أبق ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمجمة بن شق الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طهية ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخذته بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنب ، ويقال : إنها كانت بغيّاً ، فأصابها ، فولدت له أسد بن كُرَز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لِرَقَّة كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نفرًا من أهل هجر مروا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبت ، فاشتري نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادعى إليهم وعاونه على ذلك حي من أحمر يقال لهم : بنو مُنبَة ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، سُمِّي بذلك لأن عينه أُصيبت . فكان يغطيها بخرقه ، وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شق ، فنزل كرز في بني سُحمة هارياً من ذي الرقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتال بن مالك السُّحمي فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدعى في بجيلة ، ولا تُلحقه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وكتب له ، وكان كاتباً مُفوَّهاً ، وذلك في إمارة عثمان بن عفان .

[أبو خطيب الشيطان]

فنال حظاً وشرفاً ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسم خيله : القسري ، ثم تدسَّسَ ليملك خيلاً في بلاد قسر ، فمُنعت به بجيلة ذلك أشدَّ المنع ، فلم يقدر عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد في مرتبته ، ثم ولي العراق ، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى :

ومن سَمَّاكَ باسمك يا ابن كرز ؟ وأين المولد المعروف تدري ؟

وقال بُجير بن ربيعة السُّحمي :

[من الطويل]

نفته من الشَّعْبَيْن قسر بعزها إلى دار عبد القيس نقي المزَّم¹

[ين أبيه وأبي موسى بن نصير]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال :

1 المزَّم : الدَّعي في قوم ليس منهم .

اسكت ، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نضمن الشَّهر ، ونطعم الدهر ، فقال له : تلك قَسْرٌ ، ولستَ منهم ، وإنما أنت عبدٌ أبقي ، قد كنتُ أراك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أترك منهم وأنت عبدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ، ولم يسره ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير :

جارية غير سَوومٍ في مطاولة يا ابنَ الوشائط من أبناء ذي هجر¹
لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم سوى عبيدٍ لعبد القيس أو مضر

[الكذب متوارث في أسرته]

وقال أبو عبيدة : فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال : كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان ، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهجَه في الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسته وسخاءه كانا فيه سترًا ذلك من أمره .

قال عمر بن زيد : فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري . فقلت : يا ابن أخي . لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبك فجعل يضحك .

[يطلب على المنبر أن يطعموه ماء]

أخبرني اليزيدي ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة ، واللفظ له ، قال : كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحير ، فقال : أطعموني ماء ، فقال الكميث في ذلك ، ومدح يوسف بن عمر :

خرجتَ لهم تمشي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرجاج المضبيب²

وما خالدٌ يستطعم الماءَ فاغراً بعدلِكَ والداعي إلى الموت ينعبُ¹

[أولى كذبات ابن الكلبي]

وقال ابن الكلبي : أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألتني عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغياً لبني أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هي زينب بنت عرعر بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فسُرَّ بذلك ، ووصلني .

[بنو أسد ينكرونه]

قال : قال خالد ذات يوم لحمد بن منظور الأسدي : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقليل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرَّك ، قال : آفَسُدُّ وأستنبط ما ليس مني ، وأقرَّ بالكذب على قومي ؟ فأمر خالدٌ خِدَاشاً الكنديَّ ، وكان عاملاً ، بضرب مولَى لعباد بن إياس الأسدي ، فقتله ، فرفِعَ إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبَّادٌ على خِدَاش فقتله ، وقال :

لعمري لئن جارت قضيةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوفُ بني نصر

[بتطاول على السماء]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن سحيم بن حصين قال : قتل خِدَاش الكِنديَّ رجلاً من بني أسد ، وكان الكِنديَّ عاملاً لخالد القسري ، فطُوبِ بالقَوْد ، وهو على ذَهْلِكَ² فقال : والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدن من نفسي ، ولئن أقدتُ من نفسي ليقيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، ليقيدن رسول الله ﷺ من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله ﷺ من نفسه هاهُ هاهُ ! يعرضُ بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

[أمة نصرانية]

أخبرني الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدة وأبي اليقظان ، قالوا : كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسَةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقرائتهم .

[أعشى همدان يفحش في هجائه]

فقال أعشى همدان يهجوهُ ، ويعيِّره بأمه ، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك

1 العِدَل : المعادل .

2 الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب .

الوقت قالوا ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهي كارهة ، فعيره الأعشى بذلك حين يقول :

لعمرك ما أدري وإني لسائلٌ أبظراء أم مختونة أم خالد
فإن كانت الموسيقى جرت فوق بظرها فما خُتنت إلا ومَصَّانُ قاعد¹
يرى سواة من حيث أطلع رأسه تمر عليها مرهفات الحدائد

وقال أيضاً فيه ، يرميه باللواط :

ألم ترَ خالداً يختارُ ميماً ويترك في النكاح مَشَقَّ صادٍ
ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعوبٍ وينكح كلَّ عبدٍ مستقادٍ²
ألا لعن الإله بني كُرَيزٍ فكرز من خنازير السواد³

[يكره مضر ، ويسب علي بن أبي طالب]

قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً ، ثم أتيت . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : بدأت بنسب مضر وما أتممته . فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، فأذكره ، فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم . لعن الله خالداً ومن ولّاه ، وقبحهم ، وصلوات الله على أمير المؤمنين .

[من مظاهر زندقته]

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاف ، قال : صعد خالد القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلب باطلنا حقكم ، أما آن لركم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقاً ، أمه نصرانية ، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم ، وكان أهل الذمة يشتررون الجوارى المسلمات ويطنونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغيّر عليهم .
وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق ، فقال له : العن علي بن أبي

1 مصَّان : أي ماص بظر أمه .

2 مستقاد : تابع مقود .

3 كرز : تصغير كرز جد خالد . والسواد : اسم يطلق على العراق .

طالب ولك بكل نبة دينار ففعل فأعطاه بكل نبة ديناراً .
 قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالد بن أمي . وكان يقول : والله لخالد ابن أمي
 أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .
 وقال له يوماً : أيما أعظم ركيثاً¹ أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب
 النقاخ² مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمى زمزم أم الجعلان³ .
 [ينه وبين الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ،
 قال : أتى الفرزدق خالد بن عبد الله القسري ، يستحمه في ديات حملاها ، فقال له : إيه
 يا فرزدق ، كأنني بك قد قلت : آتي الحائك بن الحائك ، فأخذعه عن ماله إن أعطاني ، أو
 أذمه إن منعني . فأننا حائك ابن حائك . ولست أعطيك شيئاً . فاذممني كيف شئت ،
 فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها :

ليتني من بجيله اللوم حتى يُعزلَ العاملُ الذي بالعراق
 فإذا عامل العراقيين ولّى عدت في أسرة الكرام العتاق

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن ، والانتفاء من
 العبودية لأهل هجر .

[يتناول على الخليفة وابنه فيعزله]

وكان خالد شديد العصبية على مضر . وبلغ هشاماً أنه قال : ما ابني يزيد بن خالد بدون
 مسلمة بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .
 [يتناول على مقام النبوة]

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعض التابعين ، فحبسه في دور آل الحضرمي ، فأعظم
 الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه ،
 والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها ، والله لأمرير المؤمنين
 أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام ، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرني أبو عبيدة الصيرفي ، قال : حدثنا الفضل بن الحسن المصري ، قال : حدثني
 عمر بن شبة ، قال : حدثني عبيد الله بن حباب ، قال : حدثني عطاء بن مسلم قال : قال

1 الركية : البثر غير مطوية .

2 النقاخ : الماء العذب الصافي المورّد .

3 الجعلان : جمع جعل .

خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبي ﷺ ، فقال : أئِماً أكرم عندكم على الرجل : رسوله في حاجته أو خليفته في أهله ؟ يُعرَضُ بأنَّ هشاماً خيراً من النبي ﷺ .

[يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة]

قال أبو عبيدة : خطب خالد يوماً ، فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء ، فسقاه الله ملحاً أجاجاً ، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه الله عَذْباً تُقَاحاً ، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنية ذي طوى وثنية الحجون ، فكان خالد ينقل ماءها ، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم . ليرى الناس فضلها . قال : فغارت تلك البئر ، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم ؟

[ينال من علي بن أبي طالب]

أخبرني أبو الحسن الأسدي : قال حدثنا العباس بن ميمون طابع ، عن ابن عائشة ، قال : كان خالد بن عبد الله زنديقاً ، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوماً عكرمة ، مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، فقال : إنه بَلَّغني أن هذا العبد يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه ، وإني لأرجو أن يسود الله وجهه كما سود وجه ذاك .

قال : حدثني مَنْ سمعه ، وقد لعن عليّاً ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال في ذكره : عليُّ بن أبي طالب بن عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين ، هل كُنيتُ . اللهم ألعن خالداً واخزِه ، وجدِّد على روحه العذاب .

[إسماعيل بن خالد يسب بني أمية في مجلس السفاح]

وقال أبو عبيدة : ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسريُّ بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين : أيسبُّ بني عمك وعمّالهم وعماتك رجلٌ اجتمع هو والخزيرُ في نسب ؟ إن بني أمية لحمك ودمك ، فكلهم ولا تؤكلهم . فقال له : صدقت . وأمسك إسماعيل فلم يُحرر جواباً .

[سليمان يضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن عبد الله أميراً على مكة فأمر رأس الحجة¹ أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشيبى² إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه

1 رأس الحجة : رأس حجة الكعبة .

2 الشيبى : نسبة إلى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

فصادف الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده¹ . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبى ما لحقه من خالده ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول :

سَلُّوا خالداً لا أكرم الله خالداً متى وليت قسرَ قريشاً تدينها²
أقبلَ رسول الله أم ذاك بعده ! فتلک قريشٌ قد أغثَ سمينها³
رَجَوْنَا هُدَاه لا هدى الله خالداً فما أمه بالأم يُهدى جنيها

فحمى سليمان وأمر بقطع يد خالده ، وكان يزيدُ بن المهلب عنده ، فما زال يُقَدِّيه ، ويقبلُ يده ، حتى أمر بضربه مائة سوط ، ويُعْفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد صببت على ظهر خالده
أُضْرَبُ في العصيان من كان طائعا
فنفستك لم فيما أتيت فإنما
وأنت ابن نصرانية طال بظرفها
فلولا يزيدُ بن المهلب خلقت
لعمري لقد صال ابن شيبه صولة
شأيب ما استهللن من سبل القطر
ويعصي أمير المؤمنين أخو قسر ؟
جزيت جزاء بالمحدرجة السمر⁴
غذت بك بأولاد الخنازير والخمر
بكفك فتخا إلى الفرخ في الوكر⁵
أرتك نجوم الليل ظاهرة تسري

[يجس الفرزدق]

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي ، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوها منها :

وأهلك ماله الله في غير حقّه
وتضرب أقواماً صيحاظاً ظهورهم
على النهر المشعوم غير المبارك
وترك حق الله في ظهر مالك

وقال ، ويقال : إنها للمفرج بن المرقع .

كأنك بالمبارك بعد شهر
يخوض غماره بُقع الكلاب⁶

1 استرفده : استعان به .

2 تدينها : تخضعها وتذلها .

3 أغث سمينها : هزل ما كان سميناً من إبلها وشائها .

4 المحدرجة السمر : السياط .

5 الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .

6 بقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة في الماء .

كذبت خليفة الرحمن عنه وكيف يرى الكذوبُ جزأ الكذاب
فأخذ خالد الفرزدق ، فحبسه ، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك ، فقال الفرزدق
في السجن :

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فجعل هداك الله نزعك خالداً
بنى بيعةً فيها الصليبُ لأمه وهدم من بغض الإله المساجداً
فبعث هشاماً إلى خالد بن سويد يأمره بإطلاق الفرزدق ، فأطلقه ، فقال الفرزدق يهجو
خالداً القسري :

ألا لعن الرحمن ظهر مطيةً أتتنا تخطى من بعيد بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد ؟

[ابن عيَّاش يشتمه]

أخبرنا الحسن ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، قال : شتم عبد الله بن
عيَّاش الهمداني خالد بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور ، فسمعه رجل من لخم ، فقدمه إلى
منصور واستعداه عليه ، فقال له منصور : ما تريد ؟ فقال ابن عيَّاش : أمرنا أيها الأمير برقية
العقرب . وفيه عجب ، لخمى يستنصر كليياً على همداني لبجلٍ دعي¹ .
[يدل على هشام]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده
فأذل ، وتمرغ² عليه ، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف
بك يا بني إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أواسيهم ولو في قميصي . فتبين الغضب
في وجه هشام ، واحتملها .
[يلقب هشاماً بابن الحمقاء]

قال المدائني : حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ،
فسمع هذا من خالد ، قال : وكان إذا ذكر هشام قال له : ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل
الشام ، فقال لهشام : إن هذا البطر الأشير الكافر لنعمتك ونعمة أيك وإخوتك يذكرك بأسوأ
الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن ما لا تنشق به الشفتان
قال : فلعله قال : ابن الحمقاء ، فأمسك الشامي ، فقال : قد بلغني كل ذلك عنه .

1 اللخمي هو الواشي . والكليبي هو منصور بن جمهور ، والهمداني هو المتكلم . والبجلي الدعي هو خالد .

2 تمرغ عليه : تلبث عنده ، وأطال التردد عليه .

[يجمع مالا كثيراً]

واتخذ خالدٌ ضيعاً كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أحبُّ جسمك وروحك ، قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخي أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعه ، فربُّ يومٍ كان يطلب فيه الدرهم ، فلا يجده .
[كان بخيلاً بطعامه]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم ، وحضر الطعام ، فأتى به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض عليَّ صكّه ، فعرفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشتري غداً كل ما يحتاجُ إليه في مطبخه ، وتهبُّ الطباخَ دراهم ، حتى لا يشتري شيئاً ، وتساءله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليوم في ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطب ، فبلغ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ؛ فاستطاب ما صنَّعَ له . فقال له الطباخ : إنك كنتَ اليوم في ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبره ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيره ثلاثين ألفاً ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .
[حيلة تاجر]

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استدعاء خالدٍ عليه ، فلاذَّ الرجلُ بيواب خالد ، وبرّه ، فقال له : سأحتال لك في أمر هذا بحيلة ، لا يدخله عليه أبداً ، قال : فافعل ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلاً شنيعاً كثيراً ، فغاض ذلك خالداً ، فلما خرج قال لبوابه : فيم أتاني هذا ؟ قال : يستعدي على فلان في دين يدعيه عليه . قال : والله إني لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلن عليّ . وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه ، وقال المدائني في خبره :
[يعرف لغة الحمير]

كان خالدٌ يوماً يخطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمَة الكلبسي ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك في شيء أوماً إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته ، وقال : قد حضرتني مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه في عيني ، يعني حُسِينا ، قال : لا بد والله منها ، قال : هاتها ، قال : أخبرني ، فلمسان إذا

ساف¹ ، ثم رفع رأسه وكرف² أي شيء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقت ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه .
[رأيه في حفظة القرآن]

قال المدائني : وقال خالد يوماً على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثم أرتج عليه ، فقال للتغليبي : قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفض عليك أيها الأمير ، لا يهولئك ذلك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقت ، يرحمك الله .
[يهب المغنية للقصاص]

وقال المدائني : حدثني أبو يعقوب الثقفي ، قال : قال خالد بن عبد الله للعريان : يا عريان ، أعجزت عن الشرط ، حتى أولي غيرك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجز ، وإن شئت فاعزلني ، فقال له : خذ لي المغنيات ، فأحضره خمساً منهن أو ستاً ، فأدخلهن إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء ؛ كأنها أشربت ماء الذهب ، فدعا لها بكرسي ، فجلست . ثم قال لها : أين البربط³ الذي كانت تضرب به ؟ فأحضر ، ثم سوته ، فغنت :

إلى خالدٍ حتى أنخنَ بخالدٍ فنعمَ الفتى يُرجى ونعمَ المؤملُ
فقال : اعدلي عن هذا إلى غيره ، فغنت :

أروحُ إلى القصّاص كل عشيّةٍ أرجي ثوابَ الله في عدد الخطأ
قال : وأقبل قاصُّ المِصر . فقال له خالد : أكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروح إليّ ، قال : خذ بيدها فهي لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبها للقصّاص ، فتحمل⁴ عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردّها ، حتى اشتراها منه بمائتي دينار .
[هشام يضيّق به ذرعاً فيقرعه]

وقال المدائني : قال خالد في خطبته : والله ما إمارة العراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً ، فغاضه جداً ، وكتب إليه : بلغني يا ابن النصرية أنك تقول : إن إمارة العراق ليست مما يشرفك ، صدقت والله ، ما شيء يشرفك ، وكيف تشرف وأنت دعي⁵ إلى

1 ساف : شم .

2 كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفله .

3 البربط : العود .

4 تحمل : توسّل .

بجيلة القبيلة القليلة الذليلة ، أما والله إني لأظن أن أول ما يأتيك ضغن¹ من قيس ، فيشد يديك إلى عنقك .

[هشام ينكل به]

وقال المدائني : حدثني شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان بن الأهم قال : لم تزل أفعال خالد به ، حتى عزله هشام ، وعذبه ، وقتل ابنه يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطاً قد شد به ، والصبيان يجرونه ، فدخلت إلى هشام يوماً ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : يا خالد ، رب خالد كان أحب إليّ قرياً ، وألذّ عندي حديثاً منك ، قال : يعني خالداً القسري ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يد ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدبته بما فرط منه ، فقال : هيهات ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدلّ فأملّ ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة ، فجلم الأديم² ، ونغل الجرح³ ، وبلغ السيل الزبي⁴ والحزام الطيبين⁵ ، فلم يبق فيه مستصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع عُذ إلى حديثك .

[عود إلى تخشته ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة]

فأما أخباره في تخشته وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، وأخبرني الحرزمي عن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعدي ، عن إبراهيم بن قدامة الحاطبي ، عن أبيه ، واللفظ لعلي بن صالح في خبره ، قالوا : قال الحاطبي : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين ، فانتظرت في مجلس قومه ، حتى إذا تفرق القوم دنوت منه ، ومعني صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تريغ⁶ عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟

1 ضغن : حاقد .

2 الأديم : الجلد . حلم : كثر دوده ، حتى تنقب وفسد . وهنا مثل : « كدابة وقد حلم الأديم » ورد في مجمع الأمثال 150/2 والمستقصى للزمخشري 216/2 والأمثال للقاسم بن سلام 343 والجمهرة للعسكري 137/2 ، 158 .

3 نغل الجرح : تعفن وفسد .

4 الزبي : جمع زبية ، وهي الربوة التي لا يصل إليها الماء وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 91/1 ، 93 ، 96 و142/12 والجمهرة للعسكري 203 ، 220 والمستقصى للزمخشري 14/2 وفصل المقال 472 .

5 الطيب : حلقة تدي الناقة . وهنا مثل : يضرب به في تفاقم الأمر .

6 تريغ : من أراغته عن الأمر وعليه : طلبه منه .

فقلت له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله ريسان العذري ، قاتله الله ، قال :
وفيمَ أحسن ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

لو جَزَّ بالسيف رأسي في مودَّتِها لَمالَ لا شك يَهوي نحوها رأسي
فقال : نعم أحسن ، فقلت : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ والله نحيّةُ بنُ جنادة العذري ،
قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينيك سَلَمي بعد مغفاهي فَبِتْ مستوهناً من بَعْدِ مسراها
فقلتُ : أهلاً وسهلاً من هَذاكِ لنا إن كنتِ تماثَلها أو كنتِ إياها
وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نحوِ أرضكم حتى أقولَ : دَنَتْ مِنّا برّياها
وقد تراخت بها عَنّا نوى قَذَفَ هيهات مُصْبِحُها من بعدِ مُمساها¹
من حُبّها أتمنّى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناعَ فينعاهي
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له وتُضمِرُ اليأسَ نفسِي ثم تَسْلَها
ولو تموت لراعنتني وقلتُ لها : يا بؤسَ للدهر ليت الدهرُ أبْقاها

ويروى :

..... لراعنتني مِنْيْتها وقلتُ يا بؤسَ ليت الدهرُ أبْقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسنَ والله ، لقد هيجتما عليّ ما كان ساكناً مني
فلأحدّثكما حديثاً خلواً : بينا أنا أوّلُ أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال : مررت
بأربع نسوة قبيلي² ، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أرَ مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل
لك أن تأتيهن متكرراً فتسمعَ من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفي
ذلك ؟ قال : تلبس لبسة الأعراب ، ثم تقعدُ على قعود ، كأنك تنشُدُ ضالة ، فلا يَشْعُرْنَ
حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجلست على قعود . ثم أتيتهن فسَلَمْتُ عليهن ، فأنسنني ،
وسألنني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكثيرٍ وجميلٍ وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما
أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنختُ قعودي ،
وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّت يدها ، فجذبت عِمامتي ،

1 قَذَفَ : بعيدة تتقاذف بمن تصيبه .

2 قبيل : متشابهات .

فألقته عن رأسي ، ثم قالت : تالله لظننت أنك خدعتنا ، نحن والله خدعناك ، أرسلنا إليك خالداً الخريّت في إتياننا بك على أقبح هيئتك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنا بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيته منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبه ، فنظرت إلى جري ، فرأيت ملء العس¹ والقسّ فصحت : يا عمراه ! فصحت : لبيك لبيك ، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا ، ففترقنا ، عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول :

ألم تعرف الأطلالَ والمتربعا بيطن حليّات دوّارسَ بلقعا
وذكر الأبيات .
انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

صوت

[من الطويل]

أنائِلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتها لنا عجبٌ لو أن رؤياك تصدّق
أنائِلُ ما للعيش بعدك لذة ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرتّق²
أنائِلُ إني والذي أنا عبده لقد جعلت نفسي من البين تُشفق
لعمرك إن البين منك يشوقني وبعض بُعادِ البين والنأي أشوق
الشعر لصخر بن الجعد الخضريّ .

أخبرنا بذلك محمد بن يزيد ، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ ، والزبير أعلم بأشعار الحجازيين .
والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لابن المكّي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

1 العس : القدح الكبير .

2 مشرب مُرتّق : مشوب غير صاف .

[461] - أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[نسبه]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضريّ ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر ، وصخرُ أحد بني جِحاش بن سَلَمَة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وَسُمِّيَ ولدُ مالك بن طريف الخُضرُ لسوادِهِم ، وكان مالك شديد الأذمة¹ . وخرج ولدهُ إليه فقيل لهم الخُضرُ ، والعربُ تسمي الأسودَ الأُخْضرَ .
[ابن ميادة يرفع عن مهاجته]

وهو شاعر فصيحٌ من مُخْضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد كان يَغْرِضُ لابن ميادة لما انقضى ما بينه وبين حَكَمِ الخُضريّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيه ، فترفع ابنُ ميادة عنه . أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ، عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرني بأخبار له متفرقة الجرميُّ بن أبي العلاء ، عن الزبير ابن بكار .

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه .

[قصته مع كأس]

قال الزبير فيما رواه هارون عنه : حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَوْن قال : كان صخرُ بن الجعد مُغرماً بكأس بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقبه أخوها وقاصٌّ ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب بابنة عمك ، وشهرتها ، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغبٌ ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجهكها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ، ولا أسمعنه منك . فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفي ، فقال له : بل والله إن لي لأشدَّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً وخرج صخرُ لموعده ، حتى نزل بأبيات القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاصٌّ فذبح ، وجمع أصحابه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقاصٌ بعث إليه : أن هلمَّ لحاجتك ، فأبطأ ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله ، فغضِب . وعِمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدِلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغْضَبٌ لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوجه كأسٌ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ،

فأَعْلَمُوهُ تَزْوِيجَ كَأْسٍ بِحَصْنٍ ، فَرَحَلُ عَنْهُمْ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ ، وَانْدَفَعَ يَهْجُوهَا بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي قَذَفَهَا فِيهَا فِيمَا قَذَفَهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ يَقُولُ :

وَأَنْكَحَهَا حَصْنًا لِيَطْمِسَ حَمَلَهَا وَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ قَبْلِ حَصْنٍ وَجَرْتُ
أَيُّ زَادَتْ عَلَى تِسْعَةِ أَشْهُرٍ ، قَالَ : وَتَرَفَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَمِيرُهَا يَوْمَئِذٍ طَارِقُ مَوْلَى عَثْمَانَ ، قَالَ : فَتَنَازَعُوا إِلَيْهِ . وَمَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ حَزْمٌ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى صَخَرٍ شَرًّا . فَقَالَ : وَفِيهِ يَقُولُ صَخَرُ :

كَفَى حَزْنًا لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي أَدَافِعُ كَأْسًا عِنْدَ أَبْوَابِ طَارِقٍ¹
أَتَنْسِينَ أَيَّامًا لَنَا بِسُوءِ قَدَرٍ وَأَيَّامَنَا بِالْجِرْعِ جِرْعُ الْخِلَاقِ
لِيَالِي لَا نَخْشَى انْصِدَاعًا مِنَ الْهَوَى وَأَيَّامَ حَزْمٍ عِنْدَنَا غَيْرُ لَائِقِ
إِذَا قُلْتُ لَا تَفْشِي حَدِيثِي تَعَجَّرْتُ زِيَادًا لَوْ دُها هُنَا غَيْرُ صَادِقٍ²
قَالَ : فَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْبَيْتَ بِقَذْفِ كَأْسٍ ، فَضَرَبَ الْحَدَّ ، وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَأَسِيفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَزْوِيجِ كَأْسٍ ، فَطَفِيقٌ يَقُولُ فِيهَا الشَّعْرُ .

[مطلوته في كَأْسٍ]

قَالَ الرَّبِيرُ : فَأَنْشَدَنِي عَمِّي وَغَيْرُهُ لَصَخَرٍ قَوْلُهُ :

لَقَدْ عَاوَدَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ عَيْدَهَا نَعَمْ إِنَّهُ قَدْ عَادَ نَحْسًا سَعُودُهَا³
وَعَاوَدَهُ مِنْ حُبِّ كَأْسٍ ضَمَانَةٌ عَلَى النَّأْيِ كَانَتْ هَيْضَةً تَسْتَقِيدُهَا⁴
وَأَتَى تَرْجِيئَهَا وَأَصْبَحَ وَصَلُهَا ضَعِيفًا وَأَمْسَتْ هَمُّهُ لَا يَكِيدُهَا
وَقَدْ مَرَّ عَصْرٌ وَهِيَ لَا تَسْتَزِيدُنِي لَمَّا اسْتَوْدِعْتُ عِنْدِي وَلَا أُسْتَزِيدُهَا
فَمَا زَلَتْ حَتَّى زَلَّتِ النُّعْلُ زَلَّةً بِرَجْلِكَ فِي زُورَاءٍ وَعَثَّ صَعُودُهَا⁵
أَلَا قُلْ لِكَأْسٍ إِنْ عَرَضَتْ لَبِيتُهَا فَأَيْنَ بُكَاءُ عَيْنِي وَأَيْنَ قَصِيدُهَا ؟
لَعَلَّ الْبُكَاءَ يَا كَأْسُ إِنْ نَفَعَ الْبُكَاءَ يُقَرِّبُ دُنْيَانَا لَنَا فَيَعِيدُهَا

1 المدافعة : المقاضاة .

2 تعجرت : تكبرت .

3 العيد : العادة .

4 الضمانة : العلة . والهيضة : المرض بعد المرض .

5 زوراء : أرض بعيدة . وعث صعودها : من وعث الطريق وعثا : تعسر سلوكه .

وكانت تنهت لوعة الود بيننا فقد أصبحت يُبساً وأذبل عودها
ويروى : وقد ذاء عودها يقال : ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالي ذات الرمس لا زال هيجها جنوباً ولا زالت سحب تجودها¹
وعيش لنا في الدهر إذ كان قلبه يطيب لديه بخل كأس وجودها²
تذكرت كأساً إذ سمعت حمامة بكت في ذراً نخل طوال جريدها
دعت ساق حر فاستجبت لصوتها مولهة لم يبق إلا شريدها³
فيا نفس صبراً كل أسباب واصل ستنمي لها أسباب هجر تبيدها
قال أبو الحسن الأخفش : ستنمي لها أسباب صرم تبيدها أجود .

وليل بدت للعين ناراً كأنها سنا كوكب للمستبين خمودها
فقلت : عساها نار كأس وعلها تشكى فأمضي نحوها وأعودها
فتسمع قولي قبل حتف يصيدني تسر به أو قبل حتف يصيدها
كأن لم نكن يا كأس إلفي مودة إذ الناس والأيام ترعى عهدها

[من شعره في تجواله]

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : لما ضرب صخر بن الجعد الحد لكأس ، وصارت إلى زوجها نديم على ما فرط منه ، واستحيا من الناس للحد الذي ضرب به ، فلحق بالشام ، فطالت غيبته بها ، ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها⁴ ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول :

مررت على خيمات كأس فأسبلت مدامع عيني والرياح تميها
وفي دارهم قوم سواهم فأسبلت دموع من الأجفان فاض مسيلها
كذاك الليالي ليس فيها بسالم صديق ولا يبقى عليها خليلها

وقال وهو بالشام :

[من الطويل]

1 ذات الرمس : مكان . الهيج : الريح .

2 قلبه في ل : فلتة .

3 ساق حر : ذكر القماري .

4 صرم النخلة : جذها .

ألا ليت شعري هل تغيَّرَ بَعْدَنَا عن العهدِ أم أُمْسَى على حالِه نجدُ ؟
وعهدي بنجدٍ منذ عشرينَ حِجَّةً ونحنُ بِدُنْيَا نَمُّ لم نَلْقَها بعدُ
به الخوصَةُ الدهماءُ تحتَ ظلالِها رياضُ بها الحوذانُ والنَّفلُ الجعدُ¹

قال : ومرَّ على غديرٍ كانت كَأْسُ تشرب منه ويحضره أهلها ويجمعون عليه ، فوقف طويلاً عليه يكي وكان يقال لذلك الغدير جَنَانُ فقال صخرُ : [من الطويل]

بليتُ كما يَنَلَى الرِّداءُ ولا أَرَى جَنَاناً ولا أَكْنافَ ذِرْوَةَ تَخَلُّقٍ²
أَلُوِي حيازيمي بِهِنَّ صِباةً كما تَلَوَّى الحَيَّةُ المُتَشَرِّقُ³

[تموت كَأْسُ فيرثها]

أخبرني عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السَّعِيدِيّ : حَدَّثَنِي سَبْرَةُ مولى يزيدَ بن العوامِ ، قال : كان صخر بن الجعد الحاربي خِذْنا لَعَوَامَ بن عقبة ، وكان عَوَامَ يَهُوَى امرأةً من قومِه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمعَ صخرُ بن الجعدُ المَريَّةَ ، قال : وِدِدْتُ أَنْ أُعِيشَ حَتَّى تَمُوتَ : كَأْسُ ، فأرثيها ، فماتت كَأْسُ ، فقال : [من الطويل]

على أُمِّ داودَ السلامُ ورحمةُ من الله يجري كلُّ يومٍ بشيرُها
غداةً غد الغادون عنها وغُودِرَتْ بِلَمَاعَةِ القِيَعانِ يَسْتَنُّ مورُها⁴
وغُيِّبَتْ عنها يومَ ذاكَ ولِيتَنِي شَهِدْتُ فيحوي مَنَكِبِي سريرُها
ويروى : فيعلو منكبي .

نَزَتْ كبدِي لما أَتاني نِيعُها فقلتُ : أَدانِ صدعُها فمُطِيرُها ؟

[أُمير المؤمنين يسأل عن قاتل شعره]

أخبرني الحِزْمِيُّ بن أبي العلاء ، قال : حَدَّثَنِي الزبير ، قال : حَدَّثَنِي خالد بن الواضح قال : قال عَبْدُ الأَعْلَى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب : سألني أُمير المؤمنين اليوم في موكبه : مَنْ الذي يقول :

ألا يا كَأْسُ قد أَفْنَيْتُ شِعْري فلستُ بِقائِلٍ إلا رجيعا ؟

1 الخوص : ورق النخل والمقل والنارجيل . الحوذان : نبات عشبي . النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر .

2 جنان ، وذروة : مكانان .

3 الحيزوم : الصدر أو وسطه . الحية المتشرق : التي تحاول الدفء عند شروق الشمس .

4 لَمَاعَةُ القِيَعانِ : فلاة يلمع السراب أو البرق في قيعانها . يستن : يسرع . المور : الغبار الذي تطير به الريح .

ولم أدر لمن الشعر ؟ فقال عبدُ الله بن مصعب : هو لصخرُ الخُضريِّ ، وأنشدَ باقيَ الأبيات ، وهي :

تُرَجِّي أن تلاقِي آلَ كَأْسٍ كما يَنْجو أخو السَّنَةِ الرِّيبِعا¹
فَلَسْتَ بِنائِمٍ إِلَّا بِحُزْنٍ ولا مُسْتِقْظاً إِلَّا مَرُوعاً
فإنَّكَ لو نظَرْتَ إذا التَّقِينَا إلى كَبِدِي رَأَيْتَ بِهَا صُدُوعاً

[من شعره حينما ندم على عدم زواجها]

قال ابنُ حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كَأْسٌ جَزَع صَخْرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك :

هنيئاً لكَأْسٍ قَطَعُهَا الحَبْلَ بعدما عقدْنَا لكَأْسٍ موثِقاً لا نَخُونُهَا
وإِشْمَاتُهَا الأعدَاءَ لَمَّا تَأَلَّبُوا حَوَالِيَّ واشتَدَّتْ عَلَيَّ ضُغُونُهَا
فإن حَرَاماً أن أَخُونَكَ مادعا يَبْلِيلُ قُمْرِيَّ الحِمَامِ وَجُونُهَا²
وقد أيقَنْتَ نَفْسِي لَقَد حِيلَ دونها ودونَكَ لو يَأْتِي بِأَسٍ يَقِينُهَا
ولكن أَبْتُ لا تَسْتَفِيقُ ولا تَرى عَرَاءَ ولا مَجْلُودَ صَبْرٍ يُعِينُهَا³
لو أَنَا إِذ الدُّنْيَا لَنَا مَطْمَئِنَّةٌ دَحَا ظِلُّهَا ثم ارجَحْنَتْ غُصُونُهَا⁴
لهونا ولكنا بَغْرَةً عِشِينَا عَجَبْنَا لِلدُّنْيَانَا فَكِدْنَا نُعِينُهَا
وكنا إِذَا نَحْنُ التَّقِينَا وما نُرَى لِعَيْنِينَ إِلَّا مِنْ حِجَابٍ يَصُونُهَا
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَأَوْسَاطِهَا حَتَّى تَمَلَّ فَنُونُهَا

[نراه كَأْسٌ في النوم]

قال ابنُ حبيب : أُرْسِلَتْ كَأْسٌ بعد أن زُوِّجَتْ إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأتَه فيما يرى النَّائم : كَأَنَّهُ يُلبِسُهَا خَمَاراً ، وأنَّ ذلك جَدَّدَ لها شَوْقاً إِلَيْهِ وَصَبَابَةً ، فقال صخر :

أَنَاثِلُ مَا رَوَّيَا زَعَمْتَ رَأَيْتَهَا لَنَا عَجَبٌ لو أَنَّ رُؤْيَاكَ تَصْدُقُ

1 السنة : الجذب والحل .

2 يَبْلِيلُ : اسم موضع . الجون جمع جِوناء : وهي الناقة السوداء .

3 مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه .

4 دحا الظل : استرخى وامتد . ارجحت : تمايلت .

أَنَّا لَوْلَا الْوُدُّ مَا كَانَ بَيْنُنَا نَضًا مِثْلَ مَا يَنْضُو الْخَضَابُ فَيَخْلُقُ¹

[يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع]

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبد الله البكري ، قال : قدم صخر بن الجعد الخُضْرِيُّ المدينة ، فَأَتَى تاجراً من تجارها ، يقال له سَيَّارٌ فابتاع منه بُرّاً وَعِطْراً ، وقال : تَأْتِينَا غُدُوَّةً فَأَقْضِيكَ ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية ، فلما أصبح سَيَّارٌ سأل عنه ، فعُرف خبره ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أَتَوْا بَغْرَ مُطَّلَبٍ ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جاهدوا من الحرِّ ، فزَلَوْا عليها ، فَأَكَلُوا تَمْرًا كان معهم ، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها ، حتى إذا بَرَدَ النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد ، فقال :

أَهْوَنُ عَلَيَّ بِسَيَّارٍ وَصَفْوَتُهُ إِذَا جَعَلْتُ صِرَارًا دُونَ سَيَّارٍ²
 إِن الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنُ فَاطِمِ الصَّحِيفَةِ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْعَارِ³
 يَسْأَلُ النَّاسُ هَلْ أَحْسَسْتُمْ جَلْبًا مُحَارِبًا أَتَى مِنْ نَحْوِ أَظْفَارٍ⁴
 وَمَا جَلَبْتُ إِلَيْهِمْ غَيْرَ رَاحِلَةٍ وَغَيْرَ رَحَلٍ وَسِيفٍ جَفْنَةٍ عَارٍ⁵
 وَمَا أُرَيْتُ لَهُمْ إِلَّا لِأَدْفَعَهُمْ عَنِّي وَيَخْرُجُنِي نَقْضِي وَإِمْرَارِي⁶
 حَتَّى اسْتَغَاثُوا بِأَرْوَى بِغْرِ مُطَّلَبٍ وَقَالَ أَوَّلُهُمْ نَصْحًا لآخرهم :

[جاريته تخذعه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابي ، قال : كان الجعد المحاربيُّ أَبُو صَخْرٍ بن الجعد قد عُمِّرَ حَتَّى خَرَفَ ، وكان يكنى أبا الصَّمُوتِ ؛ وكانت له وليدة⁷ يقال لها سمحاء⁸ ، فقالت له يوماً : يَا أبا الصَّمُوتِ ، زَعَمَ بَنُوكَ أَنَّكَ إِنْ مِتَّ

1 نضا : نصل .

2 صرار : موضع قرب المدينة .

3 قضاء : قضاء الدين .

4 الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك . أظفار : طائفة من الكواكب .

5 الإمّار : قتل الحبل ونحوه . النقض : ضد القتل .

6 الأروى : أثنى الوعل . وبهر مطلب : المكان الذي نزل فيه سيار ورقفته .

7 وليدة : جارية .

8 ل : سمحاء .

قَتَلُونِي ، قال : ولمَ ؟ قالت : ما لي إليهم ذنب غير حَبِّي لك ، فَأَعْتَقَهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ مَعَهُ ، فَمَكَّنْتُ يَسِيرًا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا الصَّمُوتِ ، هَذَا عَرَابَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْدِنِ يَخْطُبُنِي ، قَالَ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا قُلْتَ لِي ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ ذُو مَالٍ ، وَإِنَّمَا أُرِدْتُ مَالَهُ لَكَ ، قَالَ : فَأَتْنِي بِهِ ، فَأَتَتْهُ فَرَوْجَهُ إِيَّاهَا ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، وَقَوَّتُهُ بِمَا كَانَتْ تَصِيَّهُ مِنَ الْجَعْدِ ، وَكَانَتْ تَأْتِي الْجَعْدَ فِي أَيَّامٍ ، فَتَخْضِبُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ ، فَأَنْشَأَ الْجَعْدُ يَقُولُ :

[من البسيط]

أُتْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ مِنْ مَالٍ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
تَظِلُ تُنَشِّقُهُ الْكَافُورَ مَتَكُمًّا عَلَى السَّرِيرِ وَتَعْطِينِي عَلَى الْعُودِ

[من قوله لامرأته]

قال والجعدُ هو القائل لامرأته :

[من الطويل]

تُعَالِجَنِي أُمُّ الصَّمُوتِ كَأَنَّمَا تَدَاوِي حِصَانًا أَوْهَنَ الْعِظَمِ كَاسِرَةً
فَلَا تَعْجِبِي أُمُّ الصَّمُوتِ فَإِنَّهُ لِكُلِّ جَوَادٍ مَغْتَرٌّ هُوَ عَائِزَةٌ
وَقَدْ كُنْتُ أَصْطَادَ الظُّبَاءِ مُوْطَأًا وَأَضْرَبُ رَأْسَ الْقِرْنِ وَالرَّمْحِ شَاجِرَةً¹
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْعَشِّ طَارَتْ فِرَاحُهُ وَغُودِرَ فِي رَأْسِ الْمَشِيمَةِ سَائِرَةً²

[أولاده يرثونه حيًّا]

فلما كبر حَمَلُهُ بَنُوهُ ، فَأَتَوْا بِهِ مَكَّةَ ، وَقَالُوا لَهُ : تَعَبَدُ هَا هُنَا ، ثُمَّ اقْتَسَمُوا الْمَالَ ، وَتَرَكَوْا لَهُ مِنْهُ مَا يُصْلِحُهُ ، فَقَالَ :

[من الوافر]

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي جَعْدٍ رَسُولًا وَإِنْ حَالَتْ جِبَالُ الْعَوْرِ دُونِي
فَلَمْ أَرَ مَعْشَرًا تَرَكَوْا أَبَاهُمْ مِنَ الْآفَاقِ حَيْثُ تَرَكَمُونِي
فَإِنِّي وَالرَّوَاقِصَ حَوْلَ جَمْعٍ وَمَخْطِئُهُنَّ مِنْ حَصْبِ الْحَجُونِ³
لَوْ أَنِّي ذُو مَدَافِعَةٍ وَحَوْلِي كَمَا قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا كُمُونِي
إِذَا لَمَنْعَتْكُمْ مَالِي وَنَفْسِي بِنَصْلِ السَّيْفِ أَوْ لِقَتْلَتُمُونِي

[يعيا وعبداه حاضر البديهة]

وَأَخْبَرَنِي الْحِزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

1 موطأً : منحدرًا . شاجره : داخل فيه مشتبك به .

2 المشيمة : الشجرة البالية . سائره : باقيه .

3 الرواقص : الإبل التي تحمل الجحيج . جمع : علم على المزدلفة . الحجون : جبل بمعلقة مكة .

عبد الله بن عثمان البكريّ ، عن عروة بن زيد الخضريّ ، عن أبيه قال : كنتُ في ركبٍ فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الخضريين معنا ، ونحن نريد خيبر ، فنزلنا منزلاً تعشينا فيه ، فهيجنا إيلَ صخر ، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرْجُزُ ، ويقول : [من الرجز]

لقد بعثت حادياً قراصيفاً¹

فردّده قطعاً من الليل لا يُنفِده ، ولا يقول غيره ، ثم قال لنا : إني نسيت عقالاً ، فرجع يطلبه في المتعشّي ، ونزل درنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز درنٌ بيت صخر ، وقال : [من الرجز]

لقد بعثتُ حادياً قراصيفاً من منزلٍ رحلتُ عنه أنفاً

يسوقُ خوصاً رجفاً حواجفاً مثلَ القسيّ تقذفُ المقاذفاً²

حتى ترى الرباعيّ العتارفاً من شدّة السير يُزجّي واجفاً³

قال : فأدركه صخر ، وهو في ذلك ، فقال له : يا ابن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتاً أعياني ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

صوت

[من الطويل]

إذا سرّها أمرٌ وفيه مساءتي قضيتُ لها فيما تحبُّ على نفسي

وما مرّ يومٌ أرتجي منه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أمسي

الشعر لأبي حفص الشُّطرنجيّ ، والغناء لإبراهيم ثقل أول بالوسطى عن عمرو .

1 قراصفا : مسرعا .

2 خوصاً : جمع خوصاء ، وهي الناقة ونحوها غارت عينها . رجفاً : مهتزة .

3 الرباعي : من رعت الإبل : سرحت في المراعي . واجفا : مسرعا .

[462] - أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

[نشأته]

أبو حفص : عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العبّاس ، وكان أبوه من موالى المنصور فيما يقال ، وكان اسمه اسماً أعجمياً ، فلما نشأ أبو حفص وتأدّب ، غيّرهُ وسمّاه عبد العزيز .
أخبرني بذلك عمّي ، عن أحمد بن الطيّب ، عن جماعة من موالى المهديّ .
ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهِمْ ، وتأدّب ، وكان لاعباً بالشطرنج مشغولاً به ، فلُقّب به لغلَبته عليه .

[انقطاعه إلى عليّة بنت المهديّ]

فلما مات المهديّ انقطع إلى عليّة ، وخرج معها لما زوّجت ، وعاد معها لما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إختوتها وبني أخيها من الخلفاء ، فتتجلّج بعض ذلك ، وتترك بعضه ، ومّا ينسب إليها من شعر . ولها فيه غناء ، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها :

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ

وهو صوت مشهور لها .

[يخلعون عليه أحب الأوصاف]

حدّثني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدّثني أحمد بن الطيب السرخسي قال : حدّثني الكنديّ ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ ، قال : رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر ، فرأيت منه إنساناً يُلْهِيك حضوره عن كلّ غائب وتُسْلِك مجالسته عن هموم المصائب ، قُرْبُهُ غُرْس ، وحديثه أُنْس ، جدّه لَعِب ، ولَعِبِه جد ، دَيْن ماجد ، إن لبسته على ظاهره لبست مومقاً لا تملّه ، وإن تبعتته لتستبطن خبرته وقفت على مروة لا تطير الفواحش بجَنباتها ، وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ وكم من بعيد الدار مُستوجب القرب
إذا لم يكن في الحب عتب ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب ؟

تفكَّرُ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنَّ أَنَا هَوَىٰ نجا سالماً فارحُ النِّجاةِ مِنَ الْكَرْبِ¹
وَأَطِيبُ أَيَّامِ الْهَوَىٰ يَوْمُكَ الَّذِي تُرَوِّعُ بِالْتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ²

قال : وفي هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها ، فيقولها ، وتغني فيها .
قال وأنشدني لأبي حفص أيضاً :

[من الخفيف]

صوت

عَرَّضَنْ لِلَّذِي تُحِبُّ بِحَبٍّ ثُمَّ دَعَا يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ
فَلَعَلَّ الزَّمَانَ يُدْنِيكَ مِنْهُ إِنْ هَذَا الْهَوَىٰ جَلِيلٌ نَفِيسُ
صَابِرِ الْحَبِّ لَا يُصِرُّكَ فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ تَجْهَمُّ وَعَبُوسُ
وَأَقْلُ اللَّجَاجِ وَاصْبِرْ عَلَى الْجَهِّ لِإِنْ هَذَا الْهَوَىٰ نَعِيمٌ وَبُوسُ

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه .
وأما قوله :

تَحِبُّ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةَ الْحَبِّ

فقد مضت نسبته في أخبار عليّة .

[مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني أبو العباس الكاتب قال : كان الرشيد يحب ماردة جاريته ، وكان خلّفها بالرقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها :

[من المتقارب]

صوت

سَلامٌ عَلَى النَّازِحِ الْمُغْتَرِبِ نَحْيَةً صَبًّا بِهِ مَكْتَبُ
غَزَالٍ مَرَاتَعُهُ بِالْبَلِيخِ إِلَى دَيْرِ زَكَّى فَقَصْرِ الْخَشْبِ
أَيَا مَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيفِهِ طَائِعاً مَنْ أَحَبُّ

1 الكرب في ل : الحب .

2 التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه .

سَأَسْتَرُ وَالسَّتْرُ مِنْ شِمْتِي هَوَى مَنْ أَحَبُّ بَمَنْ لَا أَحِبُّ
 فلَمَّا ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي صاحب عُلْيَةِ ، فأجاب الرشيد عنها
 بهذه الأبيات ، فقال :

أَتَانِي كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي	وَفِيهِ الْعَجَائِبُ كُلَّ الْعَجَبِ
أَتَزَعُمُ أَنَّكَ لِي عَاشِقٌ	وَأَنَّكَ بِي مُسْتَهَامٌ وَصَبٌ
فَلَوْ كَانَ هَذَا كَذَا لَمْ تَكُنْ	لَتَرَكْنِي نُهْزَةً لِلْكَرْبِ
وَأَنْتَ بِيغْدَادَ تَرَعَى بِهَا	نَبَاتَ اللَّذَازَةِ مَعَ مَنْ تُحِبُّ
فِيَا مَنْ جَفَانِي وَلَمْ أَجْفُهُ	وَيَا مَنْ شَجَانِي بِمَا فِي الْكُتُبِ
كِتَابُكَ قَدْ زَادَنِي صَبَوَةً	وَأَسْعَرَ قَلْبِي بِحَرِّ اللَّهَبِ
فَهَبْنِي نَعَمْ قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى	فَكَيْفَ بِكُتْمَانِ دَمْعٍ سَرَبِ
وَلَوْلَا اتِّقَاؤُكَ يَا سَيِّدِي	لَوَافَتَكَ بِي النَّاجِيَاتُ النَّجْبُ ¹

فلَمَّا قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَذَرَهَا² إلى بغداد في
 الفرات ، وأمر المغنين جميعاً ، فغنَّوا في شعره .

قال الأصفهاني : فَمِمَّنْ غَنَّى فِيهِ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ ؛ غَنَّى فِيهِ لَحْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مَآخُورِيٌّ ،
 وَالْآخَرُ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ . وَغَنَّى بِحَيٍّ بَنَ سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ بَنَ صَغِيرِ الْعَيْنِ فِيهِ رَمْلًا . وَابْنُ
 جَامِعٍ فِيهِ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ ، وَلَفْلِيحُ بْنُ الْعَوَّاءِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَلِلْمَعْلَى خَفِيفٌ رَمْلٌ
 بِالْوَسْطَى ، وَلِحُسَيْنِ بْنُ مُحَرَّزٍ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى ، وَلَأَبِي زَكَارٍ الْأَعْمَى هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ ، هَذِهِ
 الْحِكَايَاتُ كُلُّهَا عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَقَالَ : كَانَ الْمُخْتَارُ مِنْ هَذِهِ الْأُلْحَانِ كُلُّهَا عِنْدَ الرَّشِيدِ الَّذِي
 اشْتَهَاهُ مِنْهَا وَارْتَضَاهُ لَحْنَ سَلِيمٍ .

[يصلح بين الرشيد وعُلْيَةِ بشعره]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ ، قَالَ :
 حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ كِتَابِ السُّلْطَانِ : أَنَّ الرَّشِيدَ غَضِبَ عَلَى عُلْيَةِ بِنْتِ الْمُهَدِيِّ ، فَأَمَرَتْ أَبَا
 حَفْصَ الشَّطْرَنْجِيَّ شَاعِرَهَا أَنْ يَقُولَ شِعْرًا يَعْتَذِرُ فِيهِ عَنْهَا إِلَى الرَّشِيدِ ، وَيَسْأَلُهُ الرِّضَا عَنْهَا ،
 فَيَسْتَعِظِفَ لَهَا فَقَالَ :

[من البسيط]

1 الناجيات النجب : الإبل الأصلية المسرعة .

2 حذر الشيء : دحرجه من علو إلى أسفل .

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحبه من أن يكونَ له ذنبٌ إلى أحدٍ
كانت عليّةُ أبرأ الناس كلهم من أن تُكافأ بسوءِ آخرِ الأبد¹
ما لي إذا غبتُ لم أذكر بواحدة وإن سقيمتُ فطال السقمُ لم أعدِ
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتحرّمه قد كنتُ أحسبُني قد ملأتُ يدي

فأتاها بالآيات ، فاستحسنتها ، وغنت فيها ، وألقت الغناء على جماعة من جوارى الرشيد ، فغنيته إياه في أول مجلس جلس فيه معهن ، فطرب طرباً شديداً ، وسألن عن القصة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبل رأسها ، واعتذرت ، فقبل عذرها ، وسألها إعادة الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لا جرم أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت .

[بيتان في دنائير بمائتي دينار]

حدثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانة ، قال : دخل أبو حفص الشطرنجيّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنائير صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قل في دنائير بيتين يغني فيهما ابن جامع ، ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد ، فقال أبو حفص : [من السريع]

صوت

أشبهك المسكُ وأشبهته قائمة في لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغنى فيهما ابن جامع .

قال الأصفهانيّ : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

[صديق حميم لأسرة الخليفة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبو حفص الشطرنجيّ ينادم أبا عيسى بن الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته ، وكذلك بعليّة عمّتهم .

[يعاتب عيسى بن الرشيد]

وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأمنون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه :

إخاء أبي عيسى إخاء ابن ضرة وودي وُد لابن أم والدي
ألم يأتيه أن التأدب نسبة تلاصق أهواء الرجال الأبعد
فما باله مستعذباً من جفائنا موارد لم تعذب لنا من موارد
أقمت ثلاثاً جلف حمى مضرة فلم أره في أهل ودي وعائدي
سلام هي الدنيا قروض وإنما أخوك مديم الوصل عند الشدائد

[بيتان ليسا له]

حدثني جعفر بن الحسين ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال : حدثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجي : قال : قال لي الرشيد يوماً : يا حبيبي ، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتها ، قلت : ما هما يا سيدي ؟ فمِن شرفهما استحسانك لهما ، فقال : قولك : [من الكامل]

صوت

لم ألقَ ذا شجن يوح بحبه إلا حَسِيتُك ذلك المحبوا
حذراً عليك وإنني بك واثق ألا ينال سواي منك نصيبا
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس لي ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقك والله أعجب إلي ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول :

إذا سرها أمر وفيه مساءتي قضيتُ لها فيما تريدُ على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أمسي
في البيتَيْن الأولَيْن اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشامي ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

[ينعى نفسه قبل أن يموت]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني الحسين بن يحيى ، قال ، حدثني عبد الله بن الفضل ، قال : دخلت على أبي حفص الشطرنجي شاعر علية بنت المهدي أعوده في عِلته التي مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدني لنفسه :

[من المتقارب]

صوت

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
أَلْسَنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سَ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَال مَنْ لَا يَتُوبُ؟
غَنَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِبْرَاهِيمَ هَزَجًا .
انْقَضَتْ أَخْبَارُهُ .

صوت

[من الهزج]

أَبَى لَيْلَى أَنْ يَذْهَبُ وَنِيطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ
وَنَجْمٍ دُونَهُ النَّسْرَا نِ يَنْ الدَّلْوِ وَالْعَقْرَبُ¹
وَهَذَا الصُّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ

الشعر لأُمَيمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى .

[تسرق لحن إسحاق وهو سكران]

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي ، قالا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ :
التَّقِيْتُ مَعَ دِمْنٍ جَارِيَةٍ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ يَوْمًا ، فَقُلْتُ لَهَا : أَسْمِعِينِي شَيْئًا أَخَذْتَهُ مِنْ
إِسْحَاقَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنْ جَوَارِيهِ أَخَذَ مِنْهُ صَوْتًا قَطٌّ وَلَا أَلْقَى عَلَيْنَا شَيْئًا قَطٌّ وَإِنَّمَا
كَانَ يَأْمُرُ مَنْ أَخَذَ مِنْهُ مِنَ الرِّجَالِ مِثْلَ مَخَارِقَ وَعُلُويَّةَ وَوَجْهَ الْقِرْعَةِ الْخَزَاعِيِّ وَجَوَارِي
الْحَارِثِ بْنِ بَسْخَرٍ أَنْ يَلْقُوا عَلَيْنَا مَا يَخْتَارُونَ مِنْ أَغَانِيهِمْ ، وَأَمَّا عَنْهُ فَمَا أَخَذْتُ شَيْئًا قَطٌّ إِلَّا
لَيْلَةً ، فَإِنَّهُ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْمُعْتَصِمِ ، وَهُوَ سَكَرَانٌ ، فَقَالَ لِلْخَادِمِ الْقِيَمِ عَلَى حُرْمَةٍ : جِئْنِي
بِدِمْنٍ ، فَجَاءَنِي الْخَادِمُ ، فَدَعَانِي ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ ، وَهُوَ
يَصْنَعُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

[من الهزج]

أَبَى لَيْلَى أَنْ يَذْهَبُ وَنِيطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ

1 النسران : مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية .

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عودٍ مصلحٍ معلقٍ كان يكون في بيت منامه ، فأخذه ، فغنى الصوت ، حتى صحَّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلما فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقلت : هو ذا أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أَنْتِ هَاهُنَا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمديك ، فقال : خذي العود ، فغني ، فأخذته ، فغنيتها ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميَّز غيظاً ، ثم قال : قد بقي عليك فيه شيء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقلت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلحه لنفسك ، فاضطجع في فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أياماً إذا رأني قطَّب وجهه .

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به مَنْ قُتِلَ في حروب الفِجَار¹ من قریش .

1 الفِجَار : جمع فجرة ، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَلَأن قِيساً لما انهزمت فيه قالت : « قد فجرنا » .

[463] - ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ

ونسب أميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأمها تفرخ بنت عبيد بن رواح بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي ، فولدت له أمية بنت حارثة .

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات ، ولم يكن لقريش في أولها مدخل ، ثم التحقت بها .

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ، ولم تسم باسم لشهرتها .
وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما ؛ لأنهم استحلوا فيه الحرم ، وكانت أيامه يوم نخلة ، وهو الذي لم يشهده رسول الله ﷺ منها ، وشهد سائرهما ، وكان الرؤساء فيه حرب بن أمية في القلب ، وعبد الله بن جُدعان ، وهشام بن المغيرة في المجنبتين ثم يوم شمطة ، ثم يوم العباء ، ثم يوم عكاظ ، ثم يوم الحرة .

[ما الذي أدى إلى حرب الفجار]

قال أبو عبيدة : كان أول أمر الفجار أن بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ ، فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ ، وقعد فيه وجعل يبدخ¹ على الناس ويقول : [من الرجز]

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف²

ومن يكونوا قومَه يُفطرف³ كأنهم لُجَّةُ بحرٍ مُسَدِف⁴

وبدر بن معشر باسطٌ رجله ، يقول أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف ، فهو أعز مني ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأنذرها⁴ ، ثم قال : خذها إليك

1 يبدخ : يفخر ويغالي في فخره .

2 لا يطرف : من طرف البصر : تحرك جفناه .

3 يفطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلا . مسدِف : مظلم .

4 أنذرها : فصلها .

إِيَّهَا الْمَخْدِفُ ، وهو ماسك سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوَازِنَ ، فقال : [من الرجز]
 أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذَوِي النَّغْطَرِ بِحَرٍّ بِحَوْرٍ زَاخِرٌ لَمْ يُنْزَفِ
 نَحْنُ ضَرَبْنَا رَكْبَةَ الْمَخْدِفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهُرِ الْمَعْرِفِ¹
 وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

[اليوم الثاني من أيام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول ، وكان السبب في ذلك أَنَّ شَبَاباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام ، فأرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً ، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فَضْلٌ² عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهي تحدّثهم ، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أَنْ تُسْفِرَ فَأَبَتْ ، فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها ، وشدّه إلى فوق حُجَزَتِهَا³ بشوكة ، وهي لا تعلم ، فلمّا قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعنا النظر إلى وجهك ، وجُدّت لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادتْ يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسّط حربُ بنُ أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بني عامر من مثله صاحبهم .

[اليوم الثالث من أيام الفجار الأول]

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الأول ، وكان سببه أَنَّهُ كان لرجل من بني جُشَمِ بن بكر بن هوازنٍ دَيْنٌ على رجل من بني كنانة فلواه⁴ به ، وطال اقتضاؤه إِيَّاهُ ، فلم يُعْطِهِ شيئاً ، فلمّا أَعْيَاهُ ، وافاه الجشميُّ في سوق عكاظ بِقَرْدٍ ، ثم جعل ينادي : مَنْ يبيعني مثل هذا الرُّبَاحِ⁵ بما لي على فلان بن فلان الكناني ؟ مَنْ يعطيني مثل هذا بما لي على فلان بن فلان الكناني ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلمّا طال نداؤه بذلك وتعيّره به كنانة مرّاً به رجل منهم ، ف ضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشميُّ : يا آل هوازن ، وهتف الكناني : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تجاوزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا : وقالوا : أفي رُبَاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ، وحمل ابنُ جُدْعَانَ ذلك في ماله بين الفريقين .

1 في أشهر المعرف : في أشهر الوقوف بعرفات .

2 فضل : امرأة فَضْلُ أي مختالة تُسبل من طرف ردائها .

3 الحجرة : معقد تكة السراويل .

4 لواه : ماطله .

5 الرُّباح : الذكر من القروء .

[اليوم الأول من أيام الفجار الثاني]

قال : ثم كان يوم الفجار الثاني ، وأول يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبي ﷺ ستّ وعشرون سنة ، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه ، وله أربع عشرة سنة ، وكان يناول عمومته النبل ، هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بل شهدها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر ، أن البراض بن قيس بن رافع ، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيراً فاسقاً ، خلعه قومه ، وتبرعوا منه فشرب في بني الدليل ، فخلعوه ، فأتى مكة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه فأحسن حرباً جواره ، وشرب بمكة ، حتى همّ حرب أن يخلعه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ، ممن يعرفني إلا خلعتني سواك ، وإنك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحد بعدك ، فدعني على حلفك ، وأنا خارج عنك ، فتركه ، وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

[لطيمة النعمان]

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة¹ يُجيزها له سيّد مضر ، فتباع ، ويُشترى له بثمانها الأدم والحريّ والوكاء والحذاء والبرود² من العصب³ والوشى⁴ والمُسِير⁵ والعَدَنِي ، وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة ، فلا تزال قائمة يُباع فيها ويُشترى إلى حضور الحج ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النعمان لطيمة له ، وقال : من يجيزها ؟ فقال البراض : أنا أُجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : إنما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن : أنا أُجيزها - أبيت اللعن - فقال له البراض : من بني كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى الناس جميعاً أفكلب⁶ خليع يجيزها !

[البراض يقتل عروة]

قال : ثم شخص بها ، وشخص البراض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظهريّ غطفان إلى جانب فذك ، بأرض يقال لها أواره قريب من الوادي الذي يقال له تيمّن نام عروة في ظلّ شجرة ، ووجد البراض غفلته ، فقتله وهرب في عضاريط⁴ الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض في ذلك : [من الوافر]

1 اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .

2 قد يكون العصب من الخرز في القلادة ، أو البرود اليمانية .

3 المُسِير : ثوب به خطوط من القزّ والحريّ ونحو ذلك .

4 العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

وداهية يُهال الناسُ منها شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب وأرضعتُ الموالي بالضروع
جمعتُ لها يديَّ بنصل سيفٍ أفلَ فخرٌ كالجدع الصريع¹

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

نقمتُ على المرء الكلابي فخره وكنت قديماً لا أقرُّ فخارا
علوتُ بحدِّ السيف مفرق رأسه فأسمع أهلَ الوادين خوارا

قال : وأمَّ عروة الرِّحالُ نَفيرةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحضُّ على الطلب بدمه : [من الوافر]

فأبلغُ إنَّ عرضتَ بني نُمَيْرٍ وأحوالَ القتيلِ بني هلالٍ
بأنَّ الوافدَ الرِّحالُ أضحى مقيماً عند تيمَنَ ذي الظُّلالِ

قال أبو عبيدة : فحدثني أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقي البرَّاضُ بشرَ بن أبي خازم ، فقال له : هذه القلائص لك على أن تأتي حربَ بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاماً والوليد ابني المغيرة ، فتحبرهم أنَّ البرَّاض قتل عروة ، فإنِّي أخاف أن يسبق الخبرُ إلى قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنَّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضُمرة ، قال : ومرَّ بهما الحليس بنُ يزيد أحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش من بني كنانة . والأحابيشُ من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نَفائة بن الذَّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل بن دَمَس بن محمَّد بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة ، فقال لهم الحليس : ما لي أراكم نجياً² ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتفاق منهم .

[وفاء ابن جُدعان]

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجَّهم ثم يردُّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيِّداً حكيماً مثيراً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرَّاض وقته عروة ، وأخبروا حربَ بن أمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة ، فجاء حرب إلى عبد الله بن جُدعان ، فقال له : احتبس قبلك سلاح

1 أفل : به فلول من كثرة الصراع .

2 نجياً : من النجوى أي متناجين .

هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أبا الغدَرُ تأمرني يا حرب ؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُربتُ به ، ولا رمحٌ إلا طُعِنْتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدعان في الناس مَنْ كان له قِلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أسلحتهم .

[عدم جدوى خداع هوازن]

ويُعث ابنُ جُدعان وحربُ بنُ أميَّة وهشامُ والوليدُ إلى أبي براء : إنه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكَّة ، فلمَّا كان آخرَ النهار بلغَ أبا براء قتلُ البراض عُرْوَةَ ، فقال : خدعني حربُ وابنُ جُدعان ، وركبَ فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنَّ عليهم الليل ، فكفُّوا ، ونادى الأذرمُ بن شعيب ، أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بن أميَّة في القلب ، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشامُ بن المغيرة في الأخرى ، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك ، ملاعبُ الأسيئة على بني عامر ، وكذا أمُ بن عُمير على فهم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية ، والصَّمةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصَّمة على بني جُشم ، وكانت الراية مع حرب بن أميَّة ، وهي راية قُصَيِّ التي يقال لها العُقَاب .

[ما قاله خدش بن زهير في هذه الحرب]

فقال في ذلك خِدْاشُ بن زهير :

يا شِدَّةَ ما شددنا غيرَ كاذبةٍ	على سَخِينَةَ لولا الليلُ والحرمُ ¹
إذ يَتَّقِينا هشامُ بالوليد ولو	أنَّا تَقَفْنَا هشاماً شالت الخَدَمُ ²
بين الأراكِ وبين المرج تبطحهم	زُرُقُ الأسيئة في أطرافها السُّهُمُ ³
فإن سمعتم بجيش سالكٍ سرفاً	وطُنَ مرٌّ فأخفوا الجرس واكْتَبَمُوا ⁴

[عبد الملك يستنشد شعر خدش]

وزعموا أنَّ عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد عن

1 الشِدَّة : يريد بها الهجوم . سَخِينَة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تنخذه .

2 هشام : هشام بن المغيرة ، والوليد : أخوه . شالت : ارتفعت . الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلعة المحكمة .

3 السُّهُم : الحرارة الغالبة .

4 سرف ، ووطن مر : مكانان .

قوله : «سَخِينَة» ، فقال عبد الملك : إنا قوم لم يزل يعجبنا السُّخْنُ ، فهات ، فلما فرغ قال : يا أبا قيس ، ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء .

[البراض يقدم باللطيمة]

قال : وقَدِمَ البراض باللطيمة مكّة ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيد بن الملوّح بن يعمر الكِنَاني نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمت بنو كلاب بقتله ، فمَنَعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه ، واستَغَوَتْ¹ كنانة بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم ، فلم تغثهم ، ولم يشهد الفجار أحد من هذين الحَيِّين .

[اليوم الثاني من الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني ؛ وهو يوم شمطة ، فتجمّعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة ، والأحابيش ، وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة تامة وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة وأداة ، وجمّعت هوازن ، وخرجت ، فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ، ولا شهد هذان البطنان من أيّام الفجار إلّا يوم نخله مع أبي براء عامر بن مالك ، وكان القوم جميعاً متساندين ، على كل قبيلة سيّدُهم .

[قَواد قريش ومن معهم]

فكان على بني هاشم وبني المطّلب ولَفَّهِم² الزُّبير بن عبد المطّلب ، ومعهم النبي ﷺ ، إلّا أنّ بني المطّلب ، وإن كانوا مع بني هاشم ، كان يرأسهم الزُّبير بن عبد المطّلب بن هاشم ورجل منهم ، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف ، وأمّ الزُّبير الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف ، وكان على بني عبد شمس ولَفَّها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفيان وسفيان ، ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب مُطعم بن عدي بن نوفل ، وكان على بني عبد الدار ولَفَّها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث ، وكان على بني زهرة ولَفَّها مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان ، وكان على بني تيم بن مرة ولَفَّها عبدُ الله بن جُدعان ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة ، وعلى بني سهم العاصي بن وائل ، وعلى بني جُمَح ولَفَّها أمية بن خلف ، وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل ، والخطاب بن نفيل عمّه ، وعلى بني الحارث بن فهر عبدُ الله بن الجراح أبو أبي عبيدة عامر بن

1 استغوت كنانة بني أسد : أغوتهم بجرهم إلى الحرب .

2 اللف : الجماعة والأخلاط من الناس .

عبد الله بن الجراح ، وعلى بنى بكر بلعاء بن قيس ، ومات في تلك الأيام ، وكان جثامة بن قيس أخوه مكانه ، وعلى الأحابيش الحليس بن يزيد .
[قواد هوازن ومن معهم]

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطية بن عفيف النصري على بنى نصر بن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضريبة ، وكان الخنيسق الجشمي على بنى جشم وسعيد ابني بكر ، وكان وهب بن معتب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بنى عامر بن ربيعة وحلفائهم من بنى جسر بن محارب سلمة بن إسماعيل : أحد بنى البكاء ، ومعه خالد بن هوذة : أحد بنى الحارث بن ربيعة ، وعلى بنى هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .
[هوازن تسبق قريشاً وترجع كفتها]

قال : فسبقت هوازن قريشاً ، فنزلت شمطة من عكاظ ، وظنوا أن كنانة لم توافهم ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حرب بنى كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أبيحت¹ قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدثني أبو عمرو بن العلاء : قال : كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وفي الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب في القلب ، وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة ، فلما كان آخر النهار تداعت هوازن ، وصبروا واستحروا القتل في قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلما استحروا القتل بهم قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه : ألحقوا برحمة ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس .

[الرسول ﷺ يحضر هذه الحرب]

وكان رسول الله ﷺ لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها ، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان : ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا انهزمت ؟
[شمر خدش في المعركة]

وفي ذلك يقول خدش بن زهير في كلمة له :

فأبلغ إن عرضت بنا هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ فإن لديهم حسباً وجوداً

1 ولو أبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

هُمُ خَيْرُ الْمَعَاشِرِ مِنْ قَرِيشٍ وَأُورَاهَا إِذَا قُدِحَتْ زَنُودَا
بَأْتَا يَوْمَ شَمْطَةَ قَدْ أَقْمَنَا عَمُودَ الْمَجْدِ إِنَّ لَهُ عَمُودَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِمْ عَوَابِسَ يَذْرَعْنَ النَّقَعَ قُودَا¹
فِتْنًا نَعْقِدُ السَّيِّمَا وَبَاتُوا وَقَلْنَا : صَبِّحُوا الْآنَسَ الْحَدِيدَا²
فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الْغَابِ الْوَقُودَا
وَنَادُوا : يَا لَعْمَرُو لَا تَفِرُّوَا فَقَلْنَا : لَا فِرَارَ وَلَا صُدُودَا
قوله : نَعْقِدُ السَّيِّمَا أَيُّ الْعَلَامَاتِ .

فَعَارَكُنَا الْكُمَاةَ وَعَارَكُونَا عِرَاكَ النَّمْرِ عَارَكِ الْأَسُودَا
فَوَلُّوْا نَضْرِبُ الْهَامَاتِ مِنْهُمْ بِمَا اتَّهَكُوا الْحَارِمَ وَالْحُدُودَا
تَرَكْنَا بَطْنَ شَمْطَةَ مِنْ عِلَاءٍ كَأَنَّ خِلَافَهَا مَعَزَا شَرِيدَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ هَزَمُوا وَقُلُّوَا وَلَا كَذِبَادِنَا عَنَقَا مَذُودَا³

قوله : يَا لَعْمَرُو ، يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[اليوم الثالث يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار ، وهو يوم العبلاء ، فجمع القوم بعضهم لبعض ،
والتقوا على قرن الحول بالعبلاء ، وهو موضع قريب من عكاظ ، وروؤساؤهم يومئذ على ما
كانوا عليه يوم شَمْطَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنبتين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت
كنانة .

[شعر خدش في المعركة أيضاً]

فَقَالَ خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ فِي ذَلِكَ : [من الوافر]

أَلَمْ يَلْغُكِ بِالْعِبْلَاءِ أَنَا ضَرَبْنَا خِنْدِفًا حَتَّى اسْتَقَادُوا⁴
نُبْنِي بِالْمَنَازِلِ عِزَّ قَيْسٍ وَوَدُّوا لَوْ تَسِيخُ بَنَا الْبِلَادِ⁵

وَقَالَ أَيْضاً : [من الوافر]

1 سَاهِمَةٌ : ضَامِرَةٌ . قُودَا : جَمْعُ أَقُودَ ، وَهُوَ السَّلْسُ الْقِيَادُ ، أَوْ الطَّوِيلُ الْعُنُقُ وَالظَّهْرُ .

2 صَبِّحُوا الْقَوْمَ الْحَدِيدَ : أَيُّ عَاجِلُوهُمْ بِالْحَدِيدِ بَدَلَ شَرْبِ اللَّبَنِ أَوْ الْخَمْرِ .

3 الْعُنُقُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

4 اسْتَقَادُوا : انْقَادُوا وَخَضَعُوا .

5 تَسِيخٌ : تَخَسُّفٌ .

أَلَمْ يَلْفَكْ مَا لَأَقَتْ قَرِيشٌ وَحِيٌّ بَنِي كِنَانَةَ إِذْ أَثِيرُوا¹
 دَهْنَاهُمْ بِأَرْعَنْ مَكْفَهْرٌ فَظَلُّ بَنَا بَعْقَوْتِهِمْ زَيْرٌ¹
 نَقَوْمٌ مَارِنَ الْخَطِيّ فِيهِمْ يَجِيءُ عَلَى أَسْتِنَا الْخَرِيرُ²

[اليوم الرابع يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم ، يوم عكاظ ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وفيه جمع بعضهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير .

[العنابس من أولاد أُمَيّة]

وَحَشِيتَ قَرِيشٌ أَنْ يَجْرَى عَلَيْهَا مِثْلُ مَا جَرَى يَوْمَ الْعَبْلَاءِ ، فَقَيْدَ حَرْبٍ وَسَفِيَانُ وَأَبُو سَفِيَانِ بَنُو أُمَيّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ أَنْفُسَهُمْ ، وَقَالُوا : لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَمُوتَ مَكَانَنَا ، وَعَلَى أَبِي سَفِيَانِ يَوْمَئِذٍ دِرْعَانٍ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا³ ، وَزَعَمَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ أَنَّ أَبَا سَفِيَانِ بْنِ أُمَيّةِ خَاصَةً قَيْدَ نَفْسِهِ ، فَسُمِّيَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ يَوْمَئِذٍ : الْعَنَابِسُ ، وَهِيَ الْأَسْوَدُ وَاحِدُهَا عَنَبَسَةٌ ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَبَّتِ الْفَرِيقَانِ ، حَتَّى هَمَّتْ بَنُو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ وَسَائِرُ بَطُونَ كِنَانَةَ بِالْهَرَبِ ، وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ تَلِي كِنَانَةَ ، فَحَافِظَتْ حِفَظًا شَدِيدًا ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ يَوْمَئِذٍ بَنُو الْمُغِيرَةِ ، فَإِنَّهُمْ صَبَرُوا ، وَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ مِنْ كِنَانَةَ تَذَامَرُوا⁴ فَرَجَعُوا وَحَمَلَ بِلْعَاءِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ يَقُولُ :

[من المنسرح]

إِنَّ عُكَازَ مَاوَانَا فَخْلُوهُ وَذَا الْمَجَازَ بَعْدَ أَنْ تَحْلُوهُ⁵

[مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش]

وخرج الحُلَيْسُ بْنُ يَزِيدٍ : أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْأَحَابِيشِ يَوْمَئِذٍ ، فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَازَةِ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْحَدَّثَانُ بْنُ سَعْدِ النَّصْرِيِّ ، فَطَعَنَهُ الْحَدَّثَانُ ، فَدَقَّ عَصْدَهُ وَتَحَاجَزَا .

[الدائرة تدور على قيس]

واقْتَتَلَ الْقَوْمُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَتْ قَرِيشٌ وَكِنَانَةُ عَلَى قَيْسٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَانْهَزَمَتْ

1 جيش أُرْعَنَ : عَظِيمُ جَرَارٍ . الْعَقْوَةُ : الْمَكَانُ الْمُنْفَسَحُ أَمَامَ الْحَلَةِ .

2 مَارِنَ الْخَطِيّ : الرَّمَاحُ اللَّدْنَةُ . الْخَرِيرُ : خَرِيرُ الدَّمِ الْمُنْبَثِقِ مِنَ الطَّعْنَةِ .

3 ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا : جَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا مَقْوِيَةً لِلْآخَرَى .

4 تَذَامَرُوا : حَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْقِتَالِ .

5 عَكَازٌ وَذُو الْمَجَازِ : مَكَانَانِ مَشْهُورَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

قيسٌ كلّها إلا بني نصر فإنّهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعة ، أحدُ بني دُهمان ، فعَقَلَ نفسه ونادى : يا آل هَوازن ، يا آل هَوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأَجفلوا منهزمين ، فكَرَّ بنو أُمَيَّة خاصة في بني دُهمان ومعهم الخنيسِقُ وقشعة الجشميَّانِ ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا .
[من المستجير بخباء سبيعة]

وكان مسعود بن مُعْتَبِ الثقفِيّ قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خِباء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت توصيل في خيائها ، ليتسع ، فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فإنّي لا أُمضي لك إلا مَنْ أحاط به الخباء ، فأَحْفَظُهَا¹ فقالت : أما والله إنّي لأظنّ أنّك ستودّ أن لو زدتُ في توسعته ، فلمّا انهزمت قيس دخلوا خيائها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أُمَيَّة جيرانها ، وقال لها : يا عَمّة ، مَنْ تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حوله فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخيائها ، حتى كثروا جدّاً ، فلم يبقَ أحد لا نَجاة عنده إلا دار بخيائها فَقِيلَ لذلك الموضع : مَدَارُ قيس ، وكان يُضرب به المثل ، فتغضب قيس منه ، وكان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو من ثقيف ، قد أخرج معه يومئذ بنيّه من سبيعة ، وهم عروة ولوَجّة ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون ، وهم غلمان ، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمّهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمّهم أن يفعلوا .
[رواية أخرى لخبر خباء سبيعة]

فأخبرني الحرْمِيّ والطوسيّ : قالوا : حدّثنا الزبير بن بكَار ، قال : حدّثني محمد بن الحسن ، عن الحرز بن جعفر وغيره : أنّ كنانة وقيساً لما توافوا من العام المُقبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودُ الثقفِيّ على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أمّ بنيّه خِباء ، فرآها تبكي حين تدانى النَّاس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما يُصاب غداً من قومي ، فقال لها : مَنْ دخل خبائك فهو آمن ، فجعلت توصيل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقة والشّيء ليتسع ، فخرج وهب بن مُعْتَب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنْبٌ من أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجلاً من بني كنانة ، فلمّا صُفِّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها : إنّ وهباً يأتلي ويحلف ألاّ يبقى طُنْبٌ من أطناب هذا البيت إلاّ ربط به رجلاً من كنانة ، فالحجّد الحجّد ، فلمّا هُزِمَت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَرَبُ بن أُمَيَّة .

1 أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

[قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أمية]

أنخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : لما هُزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة ، حتى أخرجوها منه ، فخرجت ، فنادت : مَنْ تعلق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمتي ، فداروا بخباثها ، حتى صاروا حلقة ، فأمضى ذلك كله حرب بن أمية لعمته ، فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل ، ويُعيرون بمدارهم يومئذٍ بخباء سبيعة بنت عبد شمس ، قال :

[شاعران يتحدثان عن الموقعة]

[من المتقارب]

وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله¹ :

ألم تسأل الناس عن شأننا
غداة عكاظ إذ استكملت
وجاءت سليم تهز القنا
وجئنا إليهم على المضمرات
فلما التقينا أذقناهم
ففرت سليم ولم يصبروا
وفرت ثقيف إلى لايتها
وقاتلت العنس شطر النها
على أن دهمانها حافظت

ولم يثبت الأمر كالخاير
هوازن في كفها الحاضر
على كل سلهبة ضامر²
بأرعن ذي لجب زاخِر³
طعاناً بسمر القنا العائر⁴
وطارت شعاعاً بنو عامر⁵
بمنقلب الخائب الخاسر⁶
ر ثم تولت مع الصادر⁷
أخيراً لدى دارة الدائر

[من الطويل]

وقال خيداش بن زهير :

أتننا قریش حافلین بجمعهم
فلما دنونا للقياب وأهلها

عليهم من الرحمن واقٍ وناصر
أتيح لنا ريبٌ مع الليل ناجر⁸

1 ديوانه : 63 ، طبعة دار صادر ، 1996 .

2 السلهبة من الخيل : العظيم الطويل العظام .

3 جيش أرعن : عظيم جرار .

4 العائر : الذي يصيب العين بالور .

5 الشعاع : المتفرق المنتشر .

6 إلى لايتها : أي إلى اللات الصنم المعبود .

7 العنس : إحدى القبائل .

8 ناجر : شديد الحرارة .

أُتِيحت لنا بكرٌ وحول لوائها كُتائبُ يخشاها العزيزُ المكائِثُ
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهم كأنَّهمُ بالمشرفِيةِ سامِرُ
وما برحت خيلٌ تثورُ وتُدعى ويلحقُ منهم أولون وآخرُ
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عمَامةٌ يومِ شرِّه متظاهِرُ¹
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازنُ وارفضتُ سليمٌ وعامرُ
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدَّها إذا أوهن الناسَ الجدودُ العوائِرُ

[اليوم الخامس يوم حرية]

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحرية² ، وهي حرَّةٌ إلى جانب عكاظ ، والرؤساء
بجاهلهم إلَّا بلعاء بن قيس ؛ فإنه قد مات فصار أخوه على عشيرته ، فاقتلوا ، فانهزمت كنانةُ
وقُتِل يومئذٍ أبو سُفْيَانُ بنُ أُمَيَّةٍ وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة ، قتلهم عُثْمَانُ بنُ أُسَيْدٍ من بني
عمرو بن عامر بن ربيعة ، وقتل ورقاء بن الحارث : أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة
وخمسة نفر .

[خداش يسجل هذه الموقعة]

وقال خداش بن زهير ، في ذلك :

لقد بَلَّوْكُمْ فَأَبْلَوْكُمْ بلاءَهمُ يوم الحرية ضرباً غير تكذيبِ
إن توعِدوني فَأِنِّي لأبْنُ عمِّكمُ وقد أَصَابُوكُم منه بشوُوبٍ³
وإن ورقاء قد أَرْدَى أبا كَنَفٍ وابني إياسٍ وعمراً وابنِ أيُّوبِ
وإنَّ عُثْمَانَ قد أَرْدَى ثمانيةً منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

[يتحدث عن مقتل والد خداش]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقي الرجل ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضهم
بعضاً . فلقي ابن مَحْمِيَّةَ بن عبد الله الديلي زهير بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إِنِّي حَرَامٌ
جثت معتمراً ، فقال له : ما تُلْقِي طِوَالَ الدَّهْرِ إلَّا قَلْتَ : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر
الليثي ، واسمه ربيعةُ بنُ عَلسٍ :

[من الوافر]

1 شره متظاهر : هجومه قوي .

2 الحرية : الأرض ذات حجارة سود كأنَّها أحرقت .

3 الشوُوب : الدفعة من المطر وهما الدماء .

تركنا ثاوياً يزقو صداهُ زهيراً بالعوالي والصفاح¹
أُتيح له ابنُ مَحْمِةَ بنِ عبدٍ فأعجله التسومُ بالبطاح²

[صلح لا يتم]

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يدي مَنْ عليه فضلٌ في القتلى ، الفضلُ إلى أهله ، فأبى ذلك وهب بن مُعْتَب ، وخالف قومه ، واندسَّ إلى هوازن ، حتى أغارت على بني كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمة بن سُعدى البكائي ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالك بن عوف ، وهو يومئذٍ أُمَرْدُ ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحرَاء الغميم ، فكانت لبني ليث أولُ النهار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائي ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمّل الجسريّ حليف بني عامر ، ثم كانت على بني ليث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحرق القتلى في بني الملوّح بن يعمر بن ليث ، وأصابوا نعماً ونساءً حينئذٍ ، فكان ممّن قُتل في حروب الفِجار من قريش العوّام بنُ خويلد ، قتله مُرّة بن مُعْتَب ، وقُتل حزام بن خويلد ، وأُحيحة بن أبي أُحَيحة ، ومعمر بن حبيب الجُمَحِيّ ، وجُرح حرب بن أُميّة ، وقُتل من قيس الصّمة أبو دريد بن الصّمة ، قتله جعفر بن الأحنف .

[صلح يتم برهائن]

ثم تراضوا بأن يعدّوا القتلى ، فیدّوا مَنْ فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألاّ يعرضَ بعضهم لبعض ، فرهن حربُ بن أُميّة ابنه أبا سفيان بن حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلْدَةَ العبدِيّ ابنه النضرُ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدَ بني الحارث بن عبد مناة ابنه الحارث ، حتى وُدیت الفضولُ ، ويقال : إنّ عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذٍ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمّوا إلى صلة الأرحام ، والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنّا موتورون ؟ فقال : على أن نديّ قتلاكم ، وتتصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك ، وساد عتبة مذ يومئذٍ ، قال : فلمّا رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم .

[النبِيُّ يشهد الفجار]

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غيرُ الزبير بن عبد المطلب ، وشهد النبي ﷺ وآلُه سائرَ الأيامِ إلّا يومَ نخلة ، وكان يناول عمّه وأهله النّبلَ ، قال :

1 يزقو : يصوت . الصدى : طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . الصفاح : السيوف .

2 التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة ، وطعن النبي ﷺ وآله أبا براء مُلاعِبَ الأُسنة ،
وسئل صلى الله عليه وآله عن مشهده يومئذٍ ، فقال : ما سرّني أنّي لم أشهده ، إنهم تعدّوا
على قومي ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرّاضَ صاحبهم ، فأبوا .
[عدد القتلى]

قال : وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن ، فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش ،
وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم ، وأنهم هم ودّوهم .
[أعمام النبي يشهدون هذه الموقعة]

وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمة والعبّاسَ بني عبد المطلب ، عليهما السلام ،
شهدوا هذه الحروب ، ولم يردّ ذلك أهلُ العلم بأخبار العرب .
[سبعة نجير بعلمها]

قال أبو عبيدة : ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعَتَب لا يُعرج على شيء حتى أتى
سُبَيْعة بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله وبك ، فقالت :
كلا ، زعمت أنك ستملاً بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .
[عود إلى الصورت وبقيته]

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومَن قُتل من قومها ،
والأبيات التي فيها الغناء منها :
[من الهزج]

أبى لَيْلِكَ لا يذهبُ	ونيط الطُّرفُ بالكوكبُ
ونجم دونه الأهوا	لُ بين الدُّلو والعقربُ
وهذا الصبحُ لا يأتي	ولا يدنو ولا يقربُ
بعقرِ عشيرةٍ منّا	كرام الخيم والمنصب ¹
أحالَ عليهمُ دهرٌ	حديدُ النَّابِ والمِخلَبُ
فحلَّ بهم وقد أمِنوا	ولم يُقَصِّرْ ولم يَشْطُبْ ²
وما عنهُ إذا ما ح	لَّ من منجى ولا مهربُ
ألا يا عينُ فابكيهم	بدمعٍ منك مستغرب ³

1 الخيم : الخصال والطباع .

2 يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .

3 مستغرب : غزير .

فإن أبك فهم عزي	وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي	وهم نسبي إذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي	وهم حصني إذا أرهب
وهم رُحمي وهم تُرسي	وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائلٍ منهم	إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطقٍ فيهم	خطيب مصقعٍ مُعرب
وكم من فارسٍ فيهم	كميٌ مُعلمٍ مُحرب ¹
وكم من مدرّءٍ فيهم	أريبٍ حوّل قلب ²
وكم من جحفلٍ فيهم	عظيم النارِ والموكب
وكم من خضرمٍ فيهم	نجيبٍ ماجدٍ مُنجب ³

صوت

[من الطويل]

أحبُّ هبوطَ الواديينِ وإنني	لمشتهرٌ بالواديينِ غريبُ
أحقاً عبادةَ الله أن لستُ خارجاً	ولا والجباً إلا عليّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة	من الناسِ إلا قيل : أنت مُريبُ
وهل ريبةٌ في أن تحنَّ نجيبةٌ	إلى إلفها أو أن يحنَّ نجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة ، وذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجعدي ، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية ، والروي والغناء لإسحاق هزج بالنصر عن عمرو .

- 1 الملع من الفرسان : من يتخذ لنفسه في الحرب علامة تميّزه . المحرب : الخبير المطلع بأمور الحرب .
- 2 المدره : خطيب القوم ، أو سيدهم .
- 3 الخضرم : السيد الجواد . المنجب : من ينجب أولاده .

[464] - أخبار مالك ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك : أحد بني جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدويّ مُقِلّ .
[يحول أخو جنوب دون حبّها]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالوا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيبانيّ ، قالوا : كان مالك بن الصَّمصامة الجعديّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه ، وكان يهوى جنوب بنت مِحْصَن الجعديّة ، وكان أخوها الأصبغ بن مِحْصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فنمى إليه بُذٌّ من خبر مالك ، فآلى يميناً جزماً : لئن بلغه أنّه عَرَضَ لها أو زارها ليقْتلنه ، ولئن بلغه أنّه ذكرها في شعر أو عَرَضَ بها ليأسرنه ، ولا يطلقه إلّا أن يجزّ ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالك ابن الصَّمصامة ، فقال :

[من الطويل]

إذا شئتَ فاقْرئيْ إلى جنَب عيهب	أجَبٌ ونضوي للقلوص جنيب ¹
فما الخلق بعد الأسر شرٌّ بَقِيَّةُ	من الصّدِّ والهجران وهي قريبُ
ألا أيّها الساقى الذي بلّ دَلَوُه	بقرّيان يَسْقِي هل عليك رقيب ²
إذا أنتَ لم تشربْ بقرّيان شربةً	وحانيةِ الجدران ظَلَّتْ تَلوبُ ³
أحبّ هبوطَ الواديين وإنّني	لمشتهر بالواديين غريبُ
أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً	ولا والجا إلّا عليّ رقيبُ !
ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ	من النّاس إلّا قيل : أنتَ مُريبُ

1 العيهب : الكساء من الصوف . أجَبٌ : مقطوع . النضو : الثوب الخلق .

2 قرّيان : موضع .

3 تلوب ، من لآب : دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه .

وهل ربة في أن تحن نجية إلى إلفها أو أن يحن نجيب

[يرأها فلا يستطيع مخاطبتها]

وقال أبو عمرو خاصة : حدثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس في مجلس فيه أخوها ، فلما رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمي عليه ، وفطن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسند بعض فتيان العشيعة إلى صدره ، فما تحرك ، ولا أحر جواباً ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجل ، فلما أفاق قال :

ألمت فما حيت وعاجت فأسرعت إلى جرعة بين المخارم فالتحري¹
خليلي قد حانت وفاتي فاحفرا برابية بين المخافر والبئر
لكيما تقول العبدلية كلما رأت جدتي : سقيت يا قبر من قبر

[جنوب ترعى عهده]

وقال المدائني في خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حسي والجمي ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصنصامة ، حتى إذا بلغته جنوب أخذ بخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول :

أريتلك إن أزمعتم اليوم نية وغالك مصطاف الجمي ومرابعة²
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي إذا ما نأى هانت عليه وذائعه

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودعت ، ولا أكون كمن هانت عليه وذائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشياً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول :

ألا إن حسيًا دونه قلّة الجمي منى النفس لو كانت تُنال شراعة³
وكيف ومن دون الورود عوائق وأصبع حامي ما أحب وماعة⁴
فلا أنا فيما صدّني عنه طامع ولا أرتجي وصل الذي هو قاطعه

1 عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الخزونة . المخارم والنحر : مكانان .

2 نية : رحلة وبعداً . غالك : أخفاك عني .

3 قلّة كل شيء : أعلاه . شرايع : جمع شريعة ، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه .

4 يريد الأصبع أخوا جنوب .

صوت

[من البسيط]

يا دارَ هندي عفاها كلُّ هطالٍ بالخبتِ مثلُ سحيقِ اليمنة البالي¹
أربٌ فيها وليٌّ ما يغيرُها والريحُ ممّا تعفُّها بأذيالِ
دارٌ وقفتُ بها صحبي أسائلُها والدمع قد بلّ مني جيبَ سربالي
شوقاً إلى الحبيّ أيامَ الجميعُ بها وكيف يطربُ أو يشتاقُ أمثالي ؟
قوله . أربٌ فيها أيّ أقام فيها وثيت ، والوليّ : الثاني من أمطار السنة ، أولها الوسمي ،
والثاني الوليّ ، ويروى :

جرت عليها رياح الصيف فاطّرت

واطّرت : تلبدت .

الشعر لعبيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن
إسحاق ، وفيه لابن جامع رمل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولحن إبراهيم
إليه .

1 عفاها : محاها . الخبت : مكان . اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

[465] - أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه¹

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيباني: هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد.

[شاعر ضائع الشعر]

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: عبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ

ولا أدري ما بعد ذلك.

[يتهم بأخته]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلاً محتاجاً، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له، ومعه أخته مارية؛ ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه²، فانطلق حزينا مهموماً للذي صنع به المالك، حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالك نظر إليه وأخته إلى جنبه، فقال:

ذَاكَ عَبِيدٌ قَدْ أَصَابَ مَيًّا يَا لَيْتَهُ أَلْقَهَا صَبِيًّا

فحملت فوضعت ضاويًا³

1 انظر ترجمته في مقدمة ديوانه 5-16 وفي الشعر والشعراء 1: 267-269 والأمازي 3: 195-196 وأمثال العسكري 93 ومختارات ابن الشجري 2: 33-35 والخزانة 1: 321-324 و4: 164-165 والبلدان 6: 282-286 والاقتضاب 348 وشعراء الجاهلية 596-615.

2 جبهه: صك جبهته، أو قابله بما لا يحب.

3 ضاويًا: مهزولاً نحيفاً.

فسمعه عبيد ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهم إن كان فلان ظلمي ، ورماني بالبهتان فأدِلني منه ، أي اجعل لي منه دَوَّةً ، وانصُرني عليه ، ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

[يهبط عليه الشعر من السماء في النوم]

فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبة¹ من شعر ، حتى ألقاها في فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعني بني مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزنية يقول :

[من الرجز]

أيا بني الزنية ما غرّمك فلكم الويلُ بسربال حَجَر

ثم استمر بعد ذلك في الشعر ، وكان شاعر بني أسد غير مدافع .

[بينه وبين امرئ القيس]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسان دَمَاز ، عن أبي عبيدة ، قال : اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حَجَرَ بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد ، أو يُمهلهم حولاً ؛ فقال : أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي ، وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رَضيتهم ؛ ولا رأيتهم كفواً لحَجَر ، وأما النظرة² فلكم ، ثم ستعرفوني في فرسان قحطان ، أحكم فيكم طبا السيوف وشبا الأسنة ، حتى أشفى نفسي ، وأنال ثأري ، فقال عبيد بن الأبرص في ذلك³ :

[من مجزوء الكامل]

صوت

يا ذا المخوفنا بقت لـ أبيه إذلالاً وحينا⁴
أزعمت أنك قد قت لمت سراتنا كذباً ومينا ؟
هلاً على حَجَر ابن أم م قطام تبكي لا علينا⁵
إننا إذا عض الثقا ف برأس صعدتنا لَوينا⁶

1 الكبة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .

2 النظرة : المهلة .

3 ديوانه : 141 .

4 الحين : الهلال .

5 حجر ابن أم قطام : هو أبو امرئ القيس .

6 الثفاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة . الصعدة : الرمح .

نحمي حقيقتنا وبعـ ضُ النَّاسُ يسقط بين بيْنَا¹
 هلاً سَأَلْتَ جموعَ كِدْ سدةَ يومٍ ولَّوْا أينَ أينا ؟
 الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي ، وفيه ليحيى المكِّي خفيف
 ثقيل : قال : وتام هذا الأبيات :

أيامَ نضربُ هامهم بيواترٍ حتى انحنينا
 وجموعَ غسانَ الملو كَ أتَيْنَهُم وقد انطَوينا
 لُحْقاً أيا طُلُهْنَ قد عالجنا أسفاراً وأينا²
 والأياطل : الخواصر أي هنّ ضوامرها ؟

نحن الأولى فاجمع جمو عَكَ ثم وجَّههم إلينا³
 واعلمْ بأنَّ جِيادَنَا آتَيْنَ لا يقضين دينا
 ولقد أبخنا ما حمي سَ ولا مُبيحَ لما حمينا
 هذا ولو قَدَرْتَ عليكَ لكَ رماحُ قومي ما انتهينا
 حتى تنوشكَ نَوْشَةً عادَاتِهِنَّ إذا انتَوينا⁴
 نُغلي السِّبَاءَ بكلِّ عا تقيةَ شمولٍ ما صَحَوْنَا⁵
 ونُهَيْنُ في لذاتنا عُظْمَ التَّلَادِ إذا انتَشينا
 لا يبلغُ الباني ولو رفعَ الدَّعائِمَ ما بَنَيْنَا
 كم من رئيسٍ قد قَتَلَ سناهُ وضيَمٍ قد أُبِينَا
 ولربُّ سَيِّدٍ معشرٍ ضخمٍ الدَّسِيعَةِ قد رَمِينَا⁶
 عِقْبَانُهُ بظلالٍ عِقَ بانٍ تُتَمِّمُ ما نوينا
 حتى تركنا شيلوه جَزَرَ السَّبَاعِ وقد مضينا⁷

1 الحقيقة : ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .

2 الأين : التعب والمشقة .

3 فاجمع جموعك في الديوان 142 جمع جموعاً .

4 تنوشك : تناولك .

5 العاتقة الشمول : الخمر المعتقة .

6 الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة .

7 الشَّلُو : بقية اللحم ونحوه . جزر السَّبَاع : ما تأكله السباع من اللحم .

إِنَّا لَعُمْرَكَ مَا يُضَا مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدِينَا
وَأَوَانِسَ مَثَلِ الدُّمَى حُورِ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَبِينَا

[الشعر على ألسنة الأفاعي]

وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه : أن عبيد بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ، فبينما هم يسرون إذا هم بشجاع يتممك¹ على الرضاء فاتحاً فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش ، فانساب في الرمل ، فلما كان من الليل ، ونام القوم نذت رواحلهم ، فلم ير لشيء منها أثر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، ففترقوا ، فبينما عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به : [من الرجز]

يَا أَيُّهَا السَّارِي الْمَضِلُّ مَذْهَبُهُ دُونَكَ هَذَا الْبَكْرُ مَنَّا فَارْكَبُهُ
وَبِكْرُكَ الشَّارِدُ أَيْضًا فَاجْتَبُهُ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَجَلَّى غِيْبُهُ
فَحُطَّ عَنْهُ رَحْلُهُ وَسَيَّيْهُ

فقال له عبيد : يا هذا المخاطب ، نشدتك الله إلا أخبرتني : من أنت ؟ فأنشأ يقول :

أَنَا الشَّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتَهُ رَمَضًا فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَأَعْقَادٍ²
فَجَدْتُ بِالْمَاءِ لَمَّا ضَنَّ حَامِلُهُ وَزِدْتَ فِيهِ وَلَمْ تَبْخُلْ بِإِنْكَادٍ
الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ³

فركب البكر وجنب بكره ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحل رحله ، وخلاه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلّم من القوم بعد ثلاث .

[يومان للمنذر بن ماء السماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدّب وعمي ، قال : حدثنا محمد بن عبيد : قال : حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي ، عن الشرقي بن القطامي : قال : كان المنذر بن ماء السماء قد ناداه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كلدّة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يجعلان في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين ، ففعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ،

1 يتممك : يتمرغ في التراب ، ويتقلب عليه .

2 الشجاع : الثعبان . رمضاً : حار الجوف من شدة العطش .

3 أوعيت : حملت في وعائك .

فأخبر بهلاكهما ، فنديم على ذلك ، وغَمَّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل
الأسديين يقول شاعر بني أسد :
[من الكامل]

يا قبرَ بينَ بيوتِ آلِ محرقٍ جادت عليك رواعدُ وبروقُ
أما البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُهُ ولئن بُكِيتَ فللبكاءِ خَلِيقُ

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريتين¹ عليهما ، فبنيا عليهما ،
وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريتين ، يُسمي أحدهما يوم نعيم ،
والآخر يوم بوئس ، فأولُ مَنْ يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شوماً² أي :
سودا ، وأولُ مَنْ يطلع عليه يوم بوئسه يعطيه رأس ظريانٍ³ أسود ، ثم يأمرُ به ، فيذبح
ويغري بدمه الغريان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

[يقتل في يوم بوئس المنذر]

ثم إنَّ عبيدَ بنَ الأبرص كان أولَ مَنْ أُشرف عليه في يوم بوئسه ، فقال : هلا كان الذبح
لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أتتكَ بجائنٍ⁴ رجلاه⁵ ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجلٌ بلغ
إناءه ، فقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حال الجريض⁶ دون
القريض ، وبلغ الحزام الطيبين⁷ . فأرسلها مثلاً ، فقال له النعمان : أسمعني ، فقال : المنايا على
الحوايا⁸ ، فأرسلها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلُكَ

1 الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما .

2 شوما : لعله جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة .

3 الظريان : حيوان أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم ، متن الرائحة .

4 الجائن : الهالك .

5 مثل ورد في مجمع الأمثال 21/1 ، 360 و 206/2 والجمهرة للعسكري 10/1 ، 119-120 والأمثال
للقاسم بن سلام 328 ، والمستقصى للزمخشري 37/1 .

6 الجريض : الغصة . مثل ورد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 250 ومجمع الأمثال للميداني
191/1 ، 204 والجمهرة للعسكري 341/1 ، 359 والمستقصى للزمخشري 55/2 وفصل المقال 44
والأمثال للقاسم بن سلام 319 ، 341 .

7 الطبيان : تننية طبي ، وهو حلمة الضرع أو الضرع كله ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حدّه ، ورد في
الجمهرة للعسكري 220/1 ، 360 و 25/2 ، وفي المستقصى 13/2 ومجمع الأمثال للميداني 42 وورد
جاوز الحزام الطيبين في مجمع الأمثال 166/1 و 124/2 .

8 الحوايا : ما استوى عليه بطن الإنسان والحيوان وهو مثل وفي الجمهرة 197/1 و 308 وفي غيرها وورد
بصيغة : البلايا على الحوايا ، والمنايا على السوايا ويروى على الحوايا : مجمع الأمثال 303/2 والجمهرة
للعسكري 359/1 و 226/2 ، 275 والمستقصى 350/1 والأمثال لأبي القاسم بن سلام 341 .

مَنْ لَيْسَ مَعَكَ¹ فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْذَرُ : قَدْ أَمْلَلْتَنِي ، فَأَرْحَنِي قَبْلَ أَنْ أَمْرَكَ ، فَقَالَ عَبِيدُ : مَنْ عَزَّ بَزَّ² فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ الْمَنْذَرُ : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :
أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ

فَقَالَ عَبِيدُ :

[من السريع]

صوت

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَلَيْسَ يُبَدِي وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ عَنَّةٌ نَكُودُ وَحَانَ مِنْهَا لَهُ وَرُودُ

فَقَالَ لَهُ الْمَنْذَرُ : يَا عَبِيدُ ، وَيْحَكَ ، أَنْشِدْنِي قَبْلَ أَنْ أَذْجَحَكَ ، فَقَالَ عَبِيدُ :

[من السريع]

وَاللَّهِ إِنْ مِتُّ لَمَّا ضَرَّنِي وَإِنْ أَعَشْتُ مَا عَشْتُ فِي وَاحِدَةٍ

فَقَالَ الْمَنْذَرُ : إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَوْ أَنَّ التُّعْمَانَ عَرَضَ لِي فِي يَوْمٍ بَوَّسٍ لَذَبَحْتَهُ ، فَاخْتَرْتُ
إِنْ شِئْتَ الْأَكْحَلَ³ ، وَإِنْ شِئْتَ الْأَبْجَلَ⁴ ، وَإِنْ شِئْتَ الْوَرِيدَ⁵ ، فَقَالَ عَبِيدُ : ثَلَاثُ خِصَالٍ
كَسَحَابَاتٍ عَادَ وَارِدُهَا شَرٌّ وَرَّادُ ، وَحَادِيهَا شَرٌّ حَادُ ، وَمَعَادُهَا شَرٌّ مَعَادُ ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ
لِمُرْتَادٍ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا مَحَالَةَ قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْخَمْرَ ، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ مَفَاصِلِي ، وَذَهَلَتْ لَهَا ذَوَاهِلِي
فَشَأْنُكَ وَمَا تَرِيدُ ، فَأَمْرُ الْمَنْذَرِ بِحَاجَتِهِ مِنَ الْخَمْرِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، دَعَا
بِهِ الْمَنْذَرُ ، لِيَقْتَلَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الطويل]

وَخَيْرَنِي ذُو الْبَوَّسِ فِي يَوْمٍ بَوَّسِهِ خِصَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَّقَ
كَأَخْيَرْتِ عَادًا مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابًا مَا فِيهَا لَدِي خَيْرَةٌ أَنْقُ⁶
سَحَابٌ رِيحٌ لَمْ تُوَكَّلْ بِلَدَةٍ فَتَرَكَهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ⁷
فَأَمْرُ بِهِ الْمَنْذَرُ ، فَفُصِّدَ ، فَلَمَّا مَاتَ غُرِّيَ بِدَمِهِ الْغُرْيَانُ .

1 مثل : ويروى «مَنْ لَا يَرْحَلُ رَحْلَكَ» . ورد في مجمع الأمثال 237/2 والجمهرة للعسكري 360/1 و376/2 ، 396 ، والمستقصى 269/2 .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 307/2 والجمهرة 226/2 ، 257 ، 288 ، 360 والمستقصى 357/2 والأمثال للمفضل بن محمد الضبيّ 124 وكتاب الفاهر للمفضل بن سلمة الضبيّ 89 .

3 الأكحل : ورید في وسط الذراع .

4 الأبجل : عرق في الرجل ، أو في اليد يلازم الأكحل .

5 الورید : عرق في العنق .

6 الأنق : الحسن الرائع .

7 الطلق : البعد .

[طائي يغد على المنذر في يوم يؤمه]

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيء ، يقال له : حنظلة بن أبي عفراء ، أو ابن أبي
عُفر ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك زائراً ، ولأهلي من خيرك مائراً¹ فلا تكن ميرتهم
قتلي ، فقال : لا بدَّ من ذلك فاسأل حاجة أقضيها لك ، فقال : تؤجلني سنة أرجع فيها إلى
أهلي ، وأحكم من أمرهم ما أريد ، ثم أصير إليك ، فأنفذ في حكمك ، فقال : ومن يكفلُ
بك حتى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه ، فعرف منهم شريك بن عمرو : أبا الحوفزان بن
شريك ، فأنشد يقول :

يا شريكُ يا ابنَ عمرو	ما من الموتِ محالة
يا شريكُ يا ابنَ عمرو	يا أخا من لا أخالة
يا أخا شيبان فُكَّ اليـ	وم رهنأ قد أنالهُ
يا أخا كلِّ مُضافٍ	وحيا من لا حيا لهُ
إنَّ شيبانَ قبيلٌ	أكرمَ الله رجالة
وأبوك الخيرُ عمرو	وشراحيلُ الحمالة
رقيك اليوم في المجـ	د وفي حُسنِ المقالة

[شريك بن عمرو يضمن الطائي]

فوئب شريك ، وقال : أبيت اللعن ، يدي بيده ، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله ،
فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ،
فأمر بشريك ، فقرَّب ، ليقتله .

[الطائي يفي بعهده]

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه ، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً
متحنطاً معه ناديتُه تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من
وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السنة .

[رواية أخرى لقصة مصرع عبيد]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا علي بن الصباح ،
عن هشام بن الكلبي ، قال : كان من حديث عبيد بن الأبرص وقته أن المنذر بن ماء المساء
بني الغريين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا

1 مائراً : طالباً الميرة : القوت .

نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي ، والآخر عمرو بن مسعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ، لا يَمُرُّنَّ أحد من وفود العرب إلّا بينهما ، وكان له يومان في السنة يوم يسمّيه يوم النعيم ، ويوم يسمّيه يوم البؤس ، فإذا كان في يوم نعيمه أتى بأول مَنْ يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، وناداه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أتى بأول مَنْ يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظربانٍ أسود ، ثم أمر به فذبح وغرّبي بدمه الغريّان ، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقي ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسديّ الشاعر ، فأُتِيَ به فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ، أبيت اللعن ، فإنّي أظنّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضل ممّا تدرك في قتله فاسمع منه ، فإن سمعت حسناً استردته ، وإن لم يعجبك فما أقدركَ على قتله . فإذا نزلت فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجابٌ ستر يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رديفه¹ : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أتتكَ بحائن رجلاه² ، فأرسلها مثلاً ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلت شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض³ ، فقال : أنشدني :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ

فقال :

[من السريع]

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فليس يُبدي ولا يعيدُ
عَنْتَ لَهُ خُطَّةٌ نَكُودُ وحان منها له ورودُ

[من المتقارب]

فقال أنشدنا :

هِيَ الْخَمْرُ تُكْنَى بِأَمِّ الطَّلَى كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدَه⁴

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا ، فأمر به ، فقتل .

[خبر نديمي المنذر]

فأمّا خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنّهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فيما ذكره خالد بن كلثوم ، فراجعه بعض القول على سُكْرِهِ ، فغضب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيّين ، فلمّا أصبح سأل عنهما ، فأخبر خبرهما فنديم على

1 الرديف : نديم السلطان الذي يشار به .

2 راجع الحاشية رقم 5 ، ص 62 .

3 راجع الحاشية رقم 6 ، ص 62 .

4 الطلى : من أسماء الخمر .

فعله ، فأمر بإيل ، فتحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما وحزن عليهما ، وبنى الغريين فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادية الأسديين :

ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمّد
وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المصنّل وعمر بن مسعود ، وفيه غناء :

صوت

يا قبر بين بيوت آل مُحرقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أما البكاء فقلّ عنك كثيرُهُ ولكن بُكيتَ فباليكاء خليقُ
الغناء لابن سريج ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من جانع أغانيه .
ومّا يغنى به أيضاً من شعر عبيد :

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو ولم يُلمن لميعاد¹
أتى اهتديت لركب طال سيرهم في سبب بين دكدك وأعقاد²
أذهب إليك فإني من بني أسد أهل القباب وأهل الجرد والنّادي³
الغناء للغريض ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه ثقیل أول بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لأبي زكار الأعمى ، وذكر حبش أنّه لابن سريج .
وفي هذه القصيدة يقول : يخاطبُ حجر بن الحارث أبا امرئ القيس ، وكان حُجّر يتوغّده في شيء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه :
أبلغ أبا كرب عني وإخوته قولاً سيذهب غوراً بعد إنجاد⁴

1 أم عمرو في الديوان : 62 . لآل أسماء لم .

2 السبب : المقازة . الدكدك : ما غلظ من الأرض ، أو فيها رمل متلبّد . أعقاد : أرض شجراء .

3 الجرد : بدل الجود .

4 الغور : ما اتخفض من الأرض . والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة .

لا أعرفنك بعد الموت تنذبنني وفي حياتي ما زودتني زادي¹
 إنَّ أَمَامَكَ يوماً أنتَ مدرُّكهُ لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادي
 فانظر إلى ظلِّ مُلكٍ أنتَ تاركهُ هل تُرسِيَنَّ أُوَاحِيه بأوتادٍ²
 الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشَّرُّ أخْبث ما أوعيتَ من زادٍ

[عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته]

أخبرنا عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاعي ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي قال : سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخزوم يكيّن على خالد بن الوليد ، فبكي ، وقال : ليقُلْ نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئْن ، فإنَّهنَّ لا يكذبن ، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي ، فقال له طلحة بن عبيد الله ، إنَّك وإيَّاه لكما قال عبيد بن الأبرص :

لا أَلْقِيَنَّكَ بعدَ الموتِ تنذبنني وفي حياتي ما زودتني زادي

[كلب في ضيافة كلب]

أخبرني عمي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد : قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبدي ، قال : حدَّثني سيف الكاتب ، قال : وَلَيْتُ وِلَايَةً ، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل ، فترلت به ، قال : فإلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ ، فإمنا ، فانتبهتُ من نومي ، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يَشَّ به ويسلِّم عليه لا أنكر من كلامهما شيئاً ، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره ، وقال له : هل عندك شيء تُطْعمنيه ؟ قال : نعم ، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام ، وليس عليه شيء ، فذهبا إليه ، فكأنِّي أسمع وُلُوغَهُما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه ، ثم سأله نبيذاً ، فقال : نعم ، لهم نبيذ في إناء آخر ليس له غطاء ، فذهبا إليه فشربا .

[الكلاب تتغنى بشعره]

ثم قال له : هل تطرني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنيه ، فيجيده ، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص .

1 أعرفنك في الديوان : 62 لأعرفنك .

2 الأواخي : جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشد فيها الشيء . والأواخي هنا : الأواصر .

صوت

[من البسيط]

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادي لآلِ أسماءٍ لم يُلمِمْ لميعادٍ
أنّى اهتديت لركبٍ طال سيرُهُم في سَبَسٍ بين دُكْدَكٍ وأَعْقَادٍ

قال : فلم يزل يغنيه هذا الصوت ، ويشربان ملياً ، حتى فنيَ ذلك التبيذ ، ثم خرج
الكلبُ الداخِل ، فَخِفْتُ واللّهُ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل ، فأمسكتُ ، وما
أذكر أنّي سمعت أحسن من ذلك الغناء .

[من البسيط]

ومّا يغني فيه من شعره قوله :

صوت

لمن جمالٌ قبيلَ الصّبحِ مزموّمه ميمّاتٌ بلاداً غيرَ معلومة
فيهنّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها بيضاء أنسةً بالحسن موسومة¹
الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشاميّ وحش .
ومنها قوله :

[من الخفيف]

صوت

دَرَّ دَرَّ الشباب والشعرِ الأس حود والضامراتِ تحت الرّحالِ²
فالخناذيدُ كالقُداحِ من الشّو حط يحملن شِكةَ الأبطالِ³
ليس رسمٌ على الدّفينِ ببالٍ فلو ذرّوة فجنبيّ أثالِ⁴
تلك عرسي قد غيرتني خِلالي ألبين تريّدُ أم لدلالِ⁵

الغناء لطويس خفيف رمل لا شكّ فيه ، وفيه ثقل أول ، ذكر علي بن يحيى أنّه لطويس
أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفي الثالث والرابع من الأبيات
لدلال خفيف رمل بالبصرة ، عن عبد الله بن موسى والهشاميّ .

1 وقد في الديوان 135 : التي .

2 الضامرات في الديوان 115 : والراتكات ومفردها : راتكة : التي تعد في خطو متقارب .

3 الخناذيد في الديوان 115 : والغناجيج ، والخناذيد : جمع خنذيد : الشجاع البهمة من الفرسان ، والغناجيج :
الواحدة عنجوج : الطويل العنق . الشوحط : شجر تتخذ منه القسي والسهام . والشكة : السّلاح .

4 أثال : اسم جبل .

5 الشطر الأول في الديوان 113 : تلك عرسي تروم قدماً زيلي .

صوت

[من الكامل]

لَمَنْ الدَّيَّارُ كَانَتْهَا لَمْ تُحَلَّلْ بِجَنُوبِ أُسْمَةٍ فَقُفَّ الْعُنْصَلُ
 دَرَسَتْ مَعَالُهَا فَبَاقِي رَسْمِهَا خَلَقَ كَعَتَوَانِ الْكِتَابِ الْمُحَوَّلِ¹
 دَارٌ لِسُعْدَى إِذْ سَعَادٌ كَانَتْهَا رَشَاءُ غَضِيضِ الطَّرْفِ رَخْصُ الْفَصْلِ²
 عروضه من الكامل ، جنوب أسمة : أودية معروفة . والقُفَّ : الكثيب من الرمل ليس
 بالمشرف ولا الممتد . والعنصل : بصل معروف .
 الشعرُ لربيعَةَ بنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيِّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي .

1 محول : أتت عليه أحوال أي سنون .

2 رخص الفصل : لينة المفاصل .

[466] - أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه¹

[نسبه]

هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .
شاعر إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممن أصفق² عليه كسرى ،
ثم عاش في الإسلام زماناً .

[يهجو ضابئ بن الحارث]

قال أبو عمرو الشيباني : كان ربيعة بن مقروم باع عَجْرَدَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، لِقْحَةً³ إلى أجل ، فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئ بن الحارث عند عَجْرَدَ ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابن مقروم يُعَرِّضُ بضابئ إنه أعان عليه وكان ضيلعه معه⁴ :
[من الوافر]

أَعَجْرُ ابن المليحة إن هُمِّي إذا ما لَجَّ عُدْالِي لَعَانِ
قوله : لعان أي عان من العناء ، عناني الشيء يَعْنِينِي ، وهو لي عانٍ .

يرى ما لا أرى ويقول قولاً	وليس على الأمور بمستعان
ويحلف عند صاحبه لشاة	أحبُّ إليَّ من تلك الثمان
وحامل ضبّ ضيغٍ لم يضرني	بعيد قلبه حلو اللسان ⁵
ولو أنني أشاء نَقَمْتُ منه	يشغِبُ من لسانٍ تِيحَانِ ⁶
ولكنني وصلتُ الحبل منه	مواصلة بحبل أبي بيان

1 انظر ترجمته في المفصليات : 180 والاشتقاق 123 والإصابة 2 : 220 والخزانة 3 : 566 .

2 أصفق عليه : أطبق عليه وجسه في المشقر .

3 اللقحة : الناقة ذات لبن .

4 ل : لعمر أبي المليحة .

5 الضب : الضغن .

6 الشنب : الشر في الخصام . والتيحان : من يتعرض للشداد والمكرمات .

تَرْفَعُ فِي بَنِي قَطْنٍ وَحَلَّتْ بيوتَ المجدِّ يبنيهنَّ باني
يعني حلَّتْ بنو قطن بيوتَ المجد .

وَضَمْرَةٌ إِنْ ضَمْرَةٌ خَيْرٌ جَارٍ إِلَى قَطْنٍ بِأَسْبَابِ مِتَانٍ
هَجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمَصْفَى صَبِيحَةٌ دِيمَسَةٌ يَجْنِيهِ جَانٌ¹

قال أبو عمرو : الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غد عند طلوع الشمس
فِيُتَبَّعُ وَيُؤْخَذُ .

[يمدح مخلصه من الأسر]

قال أبو عمرو : وَأُسَيْرَ رِبِيعَةَ بَنُ مَقْرُومٍ وَاسْتَيْقَ مَالُهُ ، فَتَخَلَّصَهُ مَسْعُودُ بْنُ سَالِمٍ بَنُ أَبِي
سَلَمَى بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُوَيْبِ بْنِ السَّيِّدِ ، فَقَالَ رِبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ فِيهِ
قَوْلُهُ :

كَفَانِي أَبُو الْأَشْوَسِ الْمُنْكَرَاتِ كَفَاهُ إِلَالَهُ الَّذِي يَحْذَرُ
أَعَزُّ مِنَ السَّيِّدِ فِي مَنْصِبٍ إِلَيْهِ الْعَزَازَةُ وَالْمَفْخَرُ²

وقال يمدحه أيضاً :

بَانَ الْخَلِيطُ فَأَمْسَى الْقَلْبُ مَعْمُوداً وَأَخْلَفْتُكَ ابْنَةَ الْحَرِّ الْمَوَاعِيدِ³
كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ بِكَرٍّ أَطَاعَ لَهَا مِنْ حَوْمَلٍ تَلَعَاتُ الْحَيِّ⁴ أَوْ أُودَا⁴
قَامَتْ تَرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْسَدِلاً تَجَلَّلَتْ فَوْقَ مَتْنِهَا الْعَنَاقِيدُ⁵
وَبَارِداً طَيِّباً عَذِيباً مَذَاقُهُ شَرِبْتُهُ مَزْجاً بِالظَّلَمِ مَشْهُوداً⁶
وَجَسْرَةً أَجْدُ تَدْمَى مَنَاسِمُهَا أَعْمَلْتُهَا بِيَّ حَتَّى تَقْطَعَ الْبِيدَا⁷

1 الهجان : الكريم الحسب .

2 السيّد : يطلق على الذئب والأسد . والأسد هو المراد .

3 في المفضليات (رقم 43) 213 : بانت سعاد ، والخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك .
معموداً : مضنى مريضاً .

4 أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحيّ : روايه العالية . حومل وأود : مكانان .

5 متناها : جانبها . والعناقيد ، عناقيد الشعر .

6 في المفضلية رقم 43 ص 213 : مقبله . الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

7 أجْد في ل : حرج . والجسرة : الضخمة . الأجد : الناقة المثينة الأضلاع . والحرج : الطويلة على وجه الأرض .
وأعملتها : سرت عليها .

كَلَّفْتُهَا ، فرأت حتماً تكلفها
 في مهمه قُذِفَ يُخشى الهلاكُ به
 لَمَّا تشكَّتْ إليّ الأيْنِ قلتُ لها :
 ما لم ألاقِ امرءاً جَزْلاً مواهبه
 وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم
 ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة
 السيّد : قبيل الممدوح من آل ضبة .

لا حلمك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا
 وقد سبقتُ لغاياتِ الجوادِ وقد
 هذا ثنائي بما أوليتَ من حسنِ
 لا زلتُ برّاً قريراً العينِ محسوداً⁷

[يتقاضى دينه بشعره]

قال أبو عمرو : كان لضايء بن الحارث البرجمي ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه
 به نَعَمًا ، واستخار الله في ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه
 ضايء فاستجار بريعة بن مقروم في مطالبته إياه ، فضمن له جواره ، فوقى عَجْرَدَ لضايء ،
 ولم يفِ ربيعة ، فقال ربيعة :

أَعَجْرُدُ إِنِّي مِنْ أُمَانِيٍّ باطلٍ
 وإنْ اختلا في نصفِ حولٍ مجرّمٍ
 وقولٍ غداً شيخٌ لذاك سوءُ
 إليكم بنى هندٍ عليّ عظيمُ
 فلا أعرفني بعد حولٍ مجرّمٍ
 وقولٍ خلا يُشكُونُني فالومُ⁸

1 ظهيرة : في المفضلية 43 ص 214 : وديقة وهي أشد الحر . الصيخود : الشديدة .

2 القذف : مترامي الأطراف . أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القنبل لا يفتأ يصيح « اسقوني » حتى يؤخذ بثأره .

3 الأين : التعب .

4 في المفضلية 214/43 : وما أبتىء .

5 موجود عليه : أي لم يطش حلمك فيوجد عليك ، أي يغضب . عطاء منكود : نزر قليل .

6 لغايات في المفضلية 214/43 : بغايات .

7 برّاً في ل وفي المفضلية 214/43 عوض .

8 يشكونني : من أشكاه : أزال سبب شكواه .

ويلتمسوا وُدِّي وعطفي بعد ما تناشدَ قولي وائلٌ وتميمٌ
وإن لم يكن إلاّ اختلافي إليكم فإني امرؤٌ عرضي عليّ كريمٌ
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم بني قَطْنٍ إنَّ المليم مُليمٌ¹
فاجتمعت عشيرةٌ عَجَرِدٍ عليه ، وأخذوه بإعطاث ربيعة ماله ، فأعطاه إياه .

[حماد الراوية يثري على حسابه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد ، وهو مُصطليح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي يُغَنُّونه ، وعلى رأسه وصيفةٌ تسقيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكالاً وجمالاً . فقال لي : يا حمّاد ، أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن وافق صفتها نَحْلَةً² . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعة بن مقروم الضَّبِّيّ :

دارٌ لسُعدى إذ سعاد كأنّها رشاً غضيض الطرفِ رخصُ المِفْصَلِ
شَمَاءٌ واضحةٌ العوارضِ طفلةٌ كالبدْرِ من خللِ السحابِ المنجلي³
وكأنّما ريحُ القَرَنُفَلِ نشرها أو حَنَوَةٌ خِلْطَتْ خُزَامِي حَوْمَلِ⁴
وكأنّ فاها بعد ما طَرَقَ الكرى كأسٌ تُصَفِّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
لو أنّها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ في رأسِ مُشْرِفةِ الدُّرَا متبَلِّلِ⁵
جَارٍ ساعاتِ النِّيامِ لرَبِّهِ حتى تَخَدَّدَ لحمه مُسْتَعْمَلِ⁶
لصَبَا لبهجتها وحسنِ حَدِيثِهَا ولهم من ناموسه بَتَنَزَلِ⁷
فقال الوليدُ : أصبتَ وصفها ، فاخترها أو ألفَ دينار ، فاخترتُ الألفَ الدينار ، فأمرها ، فدخلتُ إلى حرمِهِ ، وأخذتُ المالَ .

1 المليم : من أتى عملاً يستحقّ عليه اللوم .

2 نَحْلَةٌ : عطاء .

3 العوارض : جمع عارضة : الثنية من الأسنان ، أو صفحة الخد . طفلة : ناعمة رخصة .

4 الحنوة : الريحانة . الخُزَامِي : نبات عطري الرائحة . حومل : اسم مكان .

5 الأشمط : المختلط سواد شعره بيباض . في رأسِ مُشْرِفةِ الدُّرَا : في رأسِ قمة عالية . متبَلِّل : متعبّد .

6 جَار : مبالغة من جَار : رفع صوته . تَخَدَّدَ لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل . مستعمل : مستعمل أعضاءه في أعمال التعبّد .

7 الناموس : بيت الراهب .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده ، وحسبه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بل إن تَرَي شَمَطاً تَفَرَّعَ لِمَتَي
وَدَلَفْتُ مِنْ كَبِيرِ كَأَنِّي خَاتِلٌ
فلقد أرى حَسَنَ القَنَاةِ قَوِيمَهَا
أزْمَانَ إِذْ أَنَا والجديدُ إِلَى بَلَى
غنى بذلك معبد ثقيلاً ^{أَوَّلُ} :

ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طرادها
متقاذفٍ شَنِجٍ النَّسَا عِبْلَ الشَّوَى
لولا أَكْفَكِفُه لكان إِذا جرى
وَإِذَا جرى مِنْهُ الحَمِيمُ رَأَيْتُه
وَإِذَا تَعَلَّلُ بالسَّيَاطِ جِأُذُهَا
وَدَعَوْا : نَزَالٍ فَكُنْتُ ^{أَوَّلُ} نَازِلٍ
ولقد جمعتُ المَالَ مِنْ جَمْعِ امرئٍ
ودخلتُ أَبْنِيَةَ المُلُوكِ عَلَيْهِمُ
وَالِدٌ ذِي حَنْقٍ عَلِيٌّ كَأَنَّمَا
أَرْجِيَّتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَه
بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ القَوَائِمِ هَيْكَلٌ ³
سَبَاقِ أُنْدِيَةِ الجِيَادِ عَمَيْثِلٌ ⁴
منه العزيم يدقُ فأسَ المِسْحَلِ ⁵
يَهْوِي بِفَارِسِه هُوِيٌّ الأَجْدَلِ ⁶
أَعْطَاكَ نَائِيَه وَلَمْ يَتَعَلَّلْ
وَعَلَامَ أَرْكُبُه إِذَا لَمْ أَنْزَلِ ؟
ورفعتُ نَفْسِي عَنْ لَيْثِمِ المَأْكَلِ
وَلَشَرُّ قَوْلِ المرءِ مَا لَمْ يُفْعَلْ
تَغْلِي عِدَاوَةً صَدْرُو كَالْمِرْجَلِ
وَكُوَيْتُه فَوْقَ النُّوَاطِرِ مِنْ غَلٍ ⁷

1 تَفَرَّعَ لِمَتَي : انتشر ، وتفشَّى فيها . حنا قناتي : قوس ظهري . المسحل : جانب اللحية .

2 المبةة من كل شيء : أوله . تنقل في ل : وتبتلي .

3 أَوْظَفَةُ : جمع وظيف . مستندق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخيم .

4 متقاذف : سريع . شنج : منقبض . النَّسَا : عصب الورك يمتدُّ منه إلى الكعب . عبل الشَّوَى : مندمج الأطراف . عميثل : ضخيم قوي . أبدة الجياد : أي سياق الجياد الشاردة .

5 في مجموع شعر ربيعة بن مقروم بن ضبة ص 373 لكاد . مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد عدد 11 ، حزيران 1968 . العزيم : الجري . المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التي في حنك الفرس .

6 الحميم : العرق . الأجدل : الصقر .

7 أَرْجِيَّتُهُ : دفعته .

وَأَخِي مُحَافِظَةٌ عَصَى عُدَّالَهُ
هَشٌّ يَرَّاحُ إِلَى النَّدَى نَبْهَتُهُ
فَأَتَيْتُ حَانُوتاً بِهِ فَصَبَحْتُهُ
صَهْبَاءَ إِيْلَاسِيَّةً أَغْلَى بِهَا
وَمُعْرَسٍ عُرْضِ الرِّدَاءِ عَرَسَتُهُ
وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَيْنَهَا
فَإِذَا وَذَاكَ كَأَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ
وَلَقَدْ أَتَتْ مَائَةٌ عَلَيَّ أَعْدُهَا
فَإِذَا الشَّبَابُ كَمِيزْدَلٍ أَنْضَيْتُهُ
هَلَا سَأَلْتُ وَخُبِرْتُ قَوْمَ عَنَدِهِمْ
هَلْ نُكْرَمُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بَنَا
وَنَحُلَّ بِالثَّغْرِ الْمَخُوفِ عَدُوَّهُ
وَنُعِينُ غَارِمَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا
وَإِذَا أَمْرُؤُ مَنَا حَبَا فَكَأَنَّهُ
وَمَتَى تَقُمْ عِنْدَ اجْتِمَاعِ عَشِيرَةٍ
وَيَرَى الْعَدُوَّ لَنَا دُرُوءاً صَعْبَةً

وَأَطَاعَ لَذَّتَهُ مُعِمٌّ مُخَوِّلٌ
وَالصَّبْحُ سَاطِعٌ لَوْنُهُ لَمْ يَنْجَلِ¹
مَنْ عَاتَقِي بِمَزَاجِهَا لَمْ تُقْتَلِ²
يَسْرٌ كَرِيمٌ الْخَيْمِ غَيْرُ مُبْخَلٍ³
مَنْ بَعْدَ آخِرِ مَثَلِهِ فِي الْمَنْزِلِ⁴
وَأَصَابَنِي مِنْهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ كَلٍ
إِلَّا تَذَكَّرُهُ لَمَنْ لَمْ يَجْهَلِ
حَوْلًا فَحَوْلًا لَا بَلَاهَا مُبْتَلٍ
وَالدَّهْرُ يُيْلِي كُلَّ جِدَّةٍ مَبْدَلٍ⁵
وَشَفَاءٌ غَيْكَ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِي
وَنَسُودُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ تَنْحَلٍ⁶
وَنَرُدُّ حَالَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ⁷
وَنَزِينُ مَوْلَى ذِكْرِنَا فِي الْحَفْلِ⁸
مِمَّا يُخَافُ عَلَى مَنَاكِبِ يَنْذِلِ⁹
خَطَابُوهَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ يُفْصَلُ¹⁰
عِنْدَ النُّجُومِ مَنِيعَةً الْمُتَأَوِّلِ¹¹

1 يراح إلى الندى : يرتاح إليه .

2 العاتق : الخمر المعتقة .

3 إيلاسية : لعلها منسوبة إلى الخمَّار . وفي الخزنة 566/3 صهباء صافية القذى أغلى بها . يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر .

4 المعرس : مكان التعريس : الإقامة ليلاً .

5 المبدل : الثوب يلبس في المهنة .

6 غير تنحل : غير ادعاء وكذب وفي ل : غير تبخل .

7 العارض المهلل : السحاب المعترض في الأفق .

8 المولى : من معانيه الصديق .

9 يذبل : اسم جبل .

10 يفصل في ل : تفصل .

11 الدروء : جمع درء ، وهو التواء في الجبل . المتأول : من تأول الأمر : توسمه وتحرَّاه .

وَإِذَا الْحَمَالَةُ أَثْقَلَتْ حُمَالَهَا فَعَلَى سَوَائِمِنَا ثَقِيلُ الْحَمِيلِ¹
 وَنُحْقُ فِي أُمُورِنَا لَخْلِفْنَا حَقًّا يَبُوءُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلِ²
 وهذه جملة جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود ، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة ،
 فمن ذلك :

صوت

أُنِّى تَذَكَّرُ زَيْنَبَ الْقَلْبُ وَطِلَابُ وَصَلٍ عَزِيزَةَ صَعْبُ
 مَا رَوْضَةُ جَادِ الرَّبِيعِ هَا مَوْلِيَّةٌ مَا حَوْلَهَا جَدْبُ
 بِالَّذِ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا سِيرًا قَلِيلًا يَلْحَقِي الرِّكْبُ
 الشعر لأوس بن ذئب القرظي ، والغناء لابن سريج ثقیل أول بالسبابة في مجرى البصر
 عن إسحاق ، وزعم عمرو أن فيه لحناً من الثقیل الأول بالوسطى لمالك ، وأن فيه صنعة لابن
 محرز ، ولم يجنسها .

1 الحماله : ما يحمل في الديات ونحوها . السائمة : الماشية .

2 في الخزانه 565/3 : أمورنا لحربنا . . حق تنوء به .

[467] - أخبار أوس ونسب اليهود

النازلين يثرب وأخبارهم

أوس بن ذئب اليهودي رجل من بني قُرَيْظَةَ ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صَلَّى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولاً بنواحي يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام ، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب .
[العمالة في المدينة]

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عُمَيْنَةَ بن المنهال المهلب ، عن أبي سليمان : جعفر بن سعد ، عن العماري ، قال : كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرقوا في البلاد ، وكانوا أهل عز وبغي شديد ، فكان ساكني المدينة منهم بنو هف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له : الأرقم ، ينزل ما بين تيماء إلى فذك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبارة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهرُوا عليهم ، ولا يَسْتَبِقُوا منهم أحداً ، فقدم الجيش الحجاز ، فأظهرهم الله عز وجل على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم ؛ فإنه كان ضيقاً جميلاً ، فضنبوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ، فوجدوا موسى ، عليه السلام ، قد توفي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جل وعز عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبق منهم أحد غير غلام كان شاباً جميلاً ، فنفسنا به عن القتل ، وقلنا : نأتي به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أمرتم ألا تستبقوا منهم أحداً ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

[أول سكنى اليهود المدينة]

فلما مُنِعُوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية ، فاتخذوا

بها الآطام¹ والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً .

[بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم]

ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هارين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام ، فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ؛ ليردهم ، فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز ، فلما بلغ طلب الروم الثمد انقطعت أعناقهم عطشاً ، فماتوا ، وسمي الموضع ثمد الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلما قديم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة ، فوجدوها وبيّة² فكرهوها ، وبعثوا رائداً أمره أن ياتمس لهم منزلاً سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهي بطحان ومهزور : واديان من حرّة على تلاع أرض عذبة ، بها مياه عذبة تنبت حرّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال : قد وجدت لكم بلداً طيباً نزهاً على حرّة يصبّ فيها واديان على تلاع عذبة ومدرة³ طيبة في متأخر الحرّة ، ومدافع الشرج ، قال : فتحول القوم إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتخذوها أموالاً ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تلاع⁴ وما سقي من بعات وسمرات ، فكان ممن يسكن المدينة ، حين نزلها الأوس والخزرج ، من قبائل بني إسرائيل بنو عكرّة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو الفصيص ، فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأطم الذي يقال له : الخال .

[بطون من العرب بالمدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم : بنو الحرمان : حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بلي ، وبنو أنيف من بلي أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة ، وبنو الشظية : حي من غسان ، وكان يقال لبني قريظة وبنو النضير خاصة من اليهود : الكاهنان ، نسيبوا بذلك إلى جدّهم الذي يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمران والحسنان والقمران⁴ ، قال كعب بن سعد القرظي :

[من البسيط]

1 الآطام : جمع أطم أو أطم : الحصون ، أو كلّ بناء مرتفع .

2 وبة : تخفيف وبيّة بمعنى كثر فيها الوباء .

3 مدرة : تربة .

4 العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين . والقمران : الشمس والقمر .

بالكاهنين قررتن في دياركم^١ جمًا ثواكم ومن أجلاكم جدبا^٢
وقال العباس بن مرداس السلمي يرد على خوات بن جبير لما هجاهم : [من الطويل]
هجوت صريح الكاهنين وفيكم^٣ لهم نعم كانت مدى الدهر ترتبا^٤
[هجرة القبائل بعد سيل العرم]

فلما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : من كان ذا
جمل مفرن^٥ ووطب^٦ مدن^٣ وقرية وشن^٣ ، فلينقلب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يوم هم^٣ ويلحق
بالثني من شن^٣ ، قال وهو بالسراة ، فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومن كان ذا
فاقة وفقر ، وصبر على أزومات الدهر فليلق ببطن م^٣ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال
لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمر ، والدياج والحرير ، فليلق
ببصرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسان ثم قال لهم : ومن كان
منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلق بقصر عمان الجديد ، فكان الذين
نزلوه أزد عمان ، ثم قال : ومن كان يريد الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ، فليلق
بيثرب ذات النخل .

[الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة]

فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج ، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صرار^٤
ثم تفرقوا ، وكان منهم من لجأ إلى عفاء^٥ من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم من لجأ
إلى قرية من قراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة
في جهد وضيق في المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأن المدينة ليست بلاد نعم ،
وليسوا بأصحاب نخل. ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلا الأعذاق^٦ اليسيرة ، والمزرعة
يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً .
[أبو جبيلة يفتك باليهود]

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان ، فسأله عن

١ جمًا ثواكم : كثيرة إقامتكم .

٢ ترتبا : أمرًا ثابتًا .

٣ المفن : ذو الفن ، فلعله يعني تفنن الجمل في ضروب السير . الوطب : الإناء يُسقى فيه اللبن .

٤ صرار : موضع على قرب من المدينة .

٥ عفاء : يباب .

٦ الأعذاق : جمع عذق وهو النخلة يحملها .

قومه وعن منزلهم فأخبره بمألمهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلداً قطّ إلاّ غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه ، وقال له : أعلمهم أنّي سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ، ثم قال لليهود : إنّ الملك يريد زيارتكم فأعدّوا نزلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف ، حتى قدّم المدينة ، فنزل بذي خرّض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدّم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرفهم ، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم ، فمَنَعُوا منه حتى يطول حصاره إياهم ، فأمر بينان حائراً¹ واسع ، فبني ، ثم أرسل إلى اليهود : أنّ أبا جبيلة الملك قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبق وجه من وجوه القوم إلاّ أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبّوهم ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجابهم أن يأذنوا لهم في الحائر² ويدخلوهم ، رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلهم الجند الذين في الحائر ، حتى أتوا على آخرهم .

[سارة القريظة ترثي قوماً]

فقلت سارة القريظة ترثي من قتل منهم أبو جبيلة ، تقول : [من الوافر]

بنفسي أمة لم تُغن شيئاً	بذي خرّض تعفيها الرياحُ
كهول من قريظة أتلفتها	سيوف الخزرجية والرماحُ
رزئنا والرزية ذات ثقلٍ	يمرّ لأهلها الماء القراحُ
ولو أربوا بأمرهم لجالت	هنالك دونهم جأوا رداح ³

[الرمق يمدح أبا جبيلة]

وقال الرّمق ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني : [من مجزوء الكامل]

لم يُقَضْ دينك في الحسا نِ وقد غنيتَ وقد غنينا⁴

1 الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحرّر ، ولا يخرج .

2 الذي الحائر زيادة من ل .

3 أربوا : كانوا من ذوي الأرب بمعنى الفطنة والحدق . جأوا : أي جأوا . رداح : كثيرة العدد .

4 غنيت ، غنين : أقمّت وأقمن .

الراشقاتِ المرشقا	تِ الجازياتِ بما جُرنا ¹
أُمثال غزلانِ الصرا	ثم يأتِزرن ويرتدينا ²
الرَّيْطَ والدَّيباجَ	والزَّردَ المضاعفَ والبُرنا ³
وأبو جُبيلة خَيْرُ مَنْ	يمشي وأوفاهم يَمينا
وأبره برأ وأغل	مه بعلم الصالحينا
أبقت لنا الأيامُ والحر	بُ المهمَّةُ تعترينا
كِبشاً لنا ذَكَراً يَفُلُّ	حسامه الذَكَرَ السَّيِّنا ⁴
ومعاقلاً شُماً وأسي	افاً يَقْمَن وينحنينا
ومحلّة زوراء تُر	جِفُ بالرجالِ المُصْلِتينا ⁵

فلما أنشدوا أبا جُبيلة ما قال الرَّمق ، أرسل إليه ، فجيء به ، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء ، فلما رآه قال : «عسل طيّب ووعاء سوء»⁶ ، فذهبت مثلاً ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتل من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل إلى الشام .
[بقية خبر أبي جيلة]

وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتل أبي جُبيلة اليهود : [من الكامل]

سائل قريظة مَنْ يُقسّم سبيها	يوم العريض ومن أفاء المغنما ؟
جاءتهمُ الملحاء يخفق ظلها	وكتيبة خشناء تدعو أسلما ⁷
عمي الذي جلب الهمام لقومه	حتى أحلّ على اليهود الصليما ⁸

[مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جيلة]

يعني بقوله : «من يقسم سبيها» نسوة سباهن أبو جُبيلة من بني قريظة ، وكان رآهن

1 الراشقات : الراميات بسهام العيون . المرشقات : من أرشق الطيبي : مدّ عنقه .

2 الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .

3 الريط : الثياب اللينة الرقيقة . والبرين ، جمع برة : الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك .

4 الكبش : سيد القوام المدافع عنهم . الذكر السنين : السيف المسنون .

5 زوراء : بعيدة . المصليتين : المجردين سيوفهم .

6 مثل : وردت صيغة المثل في مجمع الأمثال 133/2 كلام كالعسل وفعل كالأسل .

7 الملحاء : الكتيبة العظيمة . الخشناء : كثيرة السلاح .

8 الصيلم : الداهية الشديدة ، أو اسم من أسماء السيف .

فأعجبته ، وأعطى مالك بن العجلان منهم امرأة .

قال أبو المنهال أحد بني المعلّى : إنهم أقاموا زمناً بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتناوئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً ، فقالوا : نفعل ، فلما جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قتل أبو جُبَيْلَةَ منا من قتل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان على غير هوى منا ، وإنما أردنا أن نمحوه ، وتعلموا حالكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقتل ، حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتسمّع فلم يسمع صوتاً فقال : أرى أسرعَ وردٍ وأبعدَ صدرٍ ، فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحدٌ ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان : [من المتقارب]

فَسَفَّهْتَ قِيْلَةَ أَحْلَامِهَا ففيمَن بقيتَ وفيمَن تَسودُ¹ ؟

فقال مالك : [من المتقارب]

فإني امرؤ من بني سالم بـ من عَوفٍ وأنت امرؤ من يهودَ

قال : وصوّرت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم ، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله : [من المتقارب]

تَحَامِي الْيَهُودَ بَتْلَعَانِهَا تَحَامِي الْحَمِيرَ بِأَبْوَاهَا²
فماذا عليّ بأن يلعنوا وتأتي المنايا بأذلالها³

[اليهود يذلّون]

قال : فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعهم ؛ وخافوا خوفاً شديداً ؛ وجعلوا كلما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : إنما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعززون بهم .

1 قيلة : أم الأوس والخزرج .

2 تحامي ، من طلب الحماية باللّعن .

3 أذلال : جمع ذلّ : بمعنى الطريق الممهد .

[يهودية تعتنق الإسلام]

وذكر أبو عمرو الشيباني أنَّ أوسَ بنَ ذئبٍ القرظيَّ كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقت ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه في الإسلام ، فقال فيها : [من الطويل]
دعنتي إلى الإسلام يوم لقيتها فقلت لها : لا بل تعالني تهوذي
فنحن على تورا موسى ودينه ونعم لعمرى الدين دين محمد
كلانا يرى أنَّ الرسالة دينه ومن يهد أبواب المرشد يرشد
ومن الأغاني في أشعار اليهود :

[من الوافر]

صوت

أعاذلتني ألا لا تعذليني	فكم من أمر عاذلة عصيت
دعيني وارشدي إن كنت أغوى	ولا تغوي زعمت كما غويت
أعاذل قد أطلت اللوم حتى	لو أنني متته لقد انتهيت
وحتى لو يكون فتى أناس	بكي من غذل عاذلة بكيت
وصفراء المعاصم قد دعنتي	إلى وصل فقلت لها : أبيت
وزق قد جررت إلى الندامي	وزق قد شربت وقد سقيت

الشعر للسموئل بن عاديا ، فيما رواه السكري عن الطوسي ، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكِّي أنَّه لمجد ، وزعم عمرة بن بانه أنَّه لمالك ، ولدخمان أيضاً في الأول والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكِّي أنَّ هذا الرمل لابن سريج ، وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى ، لأبي سعيد مولى فائد ثاني ثقیل عن يحيى المكِّي ، وزعم الهشامي أنَّ الرمل لعبد العزيز الدفاف .

[468] - أخبار السمّوع ونسبه¹

[نسبه]

هو السمّوع بن عُريّض بن عاديا ، بن حباء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكريّ عن الطوسيّ وابن حبيب ، وذكر أنّ الناس يُدرّجون عُريّضاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جدّه ، وقال عمر بن شُبّة : هو السمّوع بن عاديا ، ولم يذكر عريّضاً .

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقّال ، وهو من ولد السمّوع ، أنّ عاديا بن رفاعه بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، وهذا عندي محال ؛ لأنّ الأعرشيّ أدرك شرح بن السمّوع وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين السمّوع ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ، والله أعلم .

[من مفاخر السمّوع]

وقد قيل : إنّ أمّه كانت من غسان ، وكلّهم قالوا : إنّّه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيّماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجدّه عاديا ، واحترق فيه بئراً رويّة عذبة ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، قال السمّوع :

فبالأبلى الفرد بيتي به ويئتُ النضير سوى الأبلى

وقال السمّوع يذكر بناء جدّه الحصن :

[من الوافر]

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وماء كلّما شئتُ استقيتُ

وكانت العربُ تنزل به ، فيضيّفها ، وتمتارُ من حصنه ، وتقيم هناك سوقاً .

وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتل ، ولم يخن أمانته في أذراع أُودِعها .

[امرؤ القيس يفد عليه]

وكان السبب في ذلك ، فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبيّ ، أنّ امرأ القيس ابنَ حُجْر لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السمّوع بن عاديا بحصنه الأبلى بعد إيقاعه

1 انظر أخباره في : محاضرات الراغب 1 : 285 والمحاسن والأضداد : 47 والبيهقي 108 والشرطي 3 : 172 ونهاية الأرب 3 : 240 والعقد الفريد للملك السعيد : 86 والتذكرة الحمدونية 3 : 12-13 ، وشعر السمّوع في هذه المصادر وفي حماسة البحرني : 141 وغرر الخصائص : 32-33 .

بيني كنانة على أنَّهم بنو أسد وكراهة أصحابه لفعله ، وتفرقهم عنه ، حتى بقي وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجَّه في طلبه جيوشاً من إباد وبهراء وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنو شروان ، وخذلته جَمِير ، وتفرَّقوا عنه : فلجأ إلى السموءل ومعه أذراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأمّ الذبول ، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، ومعه بنته هند ، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بني فزارة يقال له : الربيعُ بن ضُبُع شاعر ، فقال له الفزاري : قل في السموءل شعراً تمدحه به ، فإنَّ الشعر يعجبه ، وأنشدته الربيع شعراً مدحه به وهو قوله :

[من الكامل]

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفَاخِراً وإلى السموءل زرتُه بالأُبلقِ
فأتيتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمِلُ حَاجَةً إنَّ جِئتَه في غارمٍ أو مُرْهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبِقِ

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته :

طَرَقْتُكَ هِنْدٌ بَعْدَ طَوِيلِ تَجَنُّبٍ وَهَنًا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

قال : وقال الفزاري : إنَّ السموءل يَمْنَعُ منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقديم به على السموءل ، وعرفه إِيَّاه ، وأنشده الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قُبَّةً من أَدَم ، وأنزل القوم في مجلس له بِرَاح ، فكانت عنده ما شاء الله .

[امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل]

ثم إنَّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِير الغَسَّانِي أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع بنيه وماله وأذراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمّه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأُبلق ؛ ويقال : بل الحارث بن أبي شَمِير الغَسَّانِي ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجّه بالحارث بن ظالم في خيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموءل .

[يضحي بابنه وفاء بعهد]

فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفْعَ وخرج إلى قَنَص له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابني ، قال : أفنسلّم ما قبْلَكَ أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِرُ ذمّتي ، ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارث وَسَطَ الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل في ذلك :

[من الوافر]

وَفِيَتْ بِأَدْرُعِ الْكِندِيِّ إِيَّيْ إِذَا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفِيَتْ
وَأَوْصَى عَادِيًّا يَوْمًا بِالْأَلَا تُهْدَمُ يَا سَمُوعُ مَا بَنِيَتْ
بَنَى لِي عَادِيًّا حِصْنًا حَصِينًا وَمَاءُ كُلَّمَا شَتَّتْ اسْتَقِيَتْ

[الأعشى يستجير بابنه فيجيره]

وقال الأعشى يمدح السموعل ويستجير بابنه شريح بن السموعل من رجل كلبي كان الأعشى هجاء ، ثم ظفر به ، فأسرّه ، وهو لا يعرفه ، فنزل بشريح بن السموعل ، وأحسن ضيافته ، ومَرَّ بِالْأَسْرَى ، فناده الأعشى :

[من البسيط]

شَرِيحُ لَا تُسَلِّمْنِي الْيَوْمَ إِذْ عَلِقْتُ حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقَيْدِ أَظْفَارِي
قَدْ سَرْتُ مَا يَنْ بِلِقَاءِ إِلَى عَدْنٍ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَكَرَّارِي وَتَسْيَارِي
فَكَانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا وَأَوْثَقَهُمْ عَقْدًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ
كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمَطَّرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَفِي الشَّدَائِدِ كَالْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمُوعِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ¹
إِذْ سَامَهُ خُطَّتِي خَسَفٍ فَقَالَ لَهُ : قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ
فَقَالَ : غَدَرٌ وَتُكْلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرْتُ ، وَمَا فِيهِمَا حِظٌّ لِمَخْتَارِ
فَشَكُّ غَيْرِ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : اقْتُلْ أَسِيرَكَ إِيَّيْ مَانِعٌ جَارِي
وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبِضْ ذَاتُ أَطْهَارِ
لَا سِرُّهُمْ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدْرًا وَحَافِظَاتٌ إِذَا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِي
فَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْلًا يُسَبُّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيهَا بَخْتَارٍ²

فجاء شريحُ إلى الكلبي فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المضروب فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي ، حتى أكرمك ، وأحبوك ، فقال له الأعشى : إن تمام إحسانك إلي أن تعطيني ناقة ناجية³ ، وتخليني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح ، ابعث إلي الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ، وأعطيه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه .

1 يقصد بالهمام الحارث بن ظالم .

2 ختار : غدار .

3 ناجية : سريعة .

[469] - سعية بن غريض¹

سَعِيَّةُ بن غَرِيض بن عاديَا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذي يُغْنَى فيه
قوله :

صوت

يا دارَ سُعْدَى بمفضى تلعة النعم حُيِّتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ
عُجْنَا فما كَلَّمْتَنَا الدارُ إذ سُلِّت وما بها عن جوابٍ خِلْتُ من صممٍ
وما يَجْزَعُكَ إلَّا الوحش ساكنةً وهامدٌ من رمادِ القدر والحُمَمِ²

الشعر لسَعِيَّةَ بن غَرِيضَ ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن
إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامي ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي ، ويقال : إنه لمالك ،
وفيه لابن جُوْدَرَةَ رمل عن الهشامي : وسَعِيَّةُ بن غَرِيضُ القائل ، وفيه غناء : [من السريع]

صوت

لُبَابُ هلْ عندك من نائلٍ لعاشقٍ ذي حاجةٍ سائلٍ
عَلَّلْتَهُ منك بما لم يَنْلُ يا ربُّمَا عَلَّلْتِ بِالْبَاطِلِ

الغناء لابن سُرَيْج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهرزد
خفيف رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمتيم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير
مجسّس ، وأول هذه القصيدة :

لُبَابُ يا أختَ بني مالكٍ لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لُبَابُ داوِني ولا تَقْتُلِي قد فَضَّلَ الشافي على القاتلِ
إن تسألِي بي فاسألِي خابراً والعِلْمُ قد يُلْفَى لدى السائلِ
يُنْبِئُكَ مَنْ كان بنا عالِماً عنّا وما العالمُ كالجاهلِ

1 وردت ترجمته في الجزء 3 : 90 .

2 الجزع : متعطف الوادي ، أو وسطه . والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلف مما أحرقت النار .

أنا إذا حارت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واعتلج القومُ بألبابهم في المنطق الفاصل والنائل
لا نجعلُ الباطلَ حقاً ولا نُلْظُ دون الحقِّ بالباطل¹
نخاف أن تسفَه أعلامنا فنُخْمَلَ الدهرَ مع الخامل

[معاوية يتمثل بشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي : قال : حدثني العمري ، عن العتيبي ، قال : كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر :

إننا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
لا نجعلُ الباطلَ حقاً ولا نُلْظُ دون الحقِّ بالباطل
نخاف أن تسفَه أعلامنا فنُخْمَلَ الدهرَ مع الخامل

[عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء]

أخبرني الحرثي بن أبي العلاء : قال : حدثنا الزبير بن بكار : قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أخبرني خالي يوسف بن الماجشون ، قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده : [من السريع]

إننا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واضطرعَ القومُ بألبابهم نقضي بحُكْمٍ عادل فاصل
لا نجعلُ الباطلَ حقاً ولا نُلْظُ دون الحقِّ بالباطل
نخاف أن تسفَه أعلامنا فنُخْمَلَ الدهرَ مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين .

[أصحابه يميلون مع الرعي]

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا : حدثنا أبو قلابة : قال : حدثنا الأصمعي ، عن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن رجال من الأنصار : أن سَعِيَةَ بن غريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج ، ويأتونه ، فيقيمون عنده ، ويزورونه في أوقات قد ألفت زيارتهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن ، فانتسف² من ماله حتى افتقر ، ولم يبق

1 لظ الشيء وألظ به : تمسك به ، ولزمه .

2 انتسف ماله : اقتلع من أصله .

له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانه ، وجَفَّوه ، فلمَّا أخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت راجعوه ، فقال في ذلك :

أرى الخلَّان لما قلَّ مالي وأجحفَتِ النوائِبُ ودَّعوني
فلمَّا أن غَيَّبْتُ وعاد مالي أراهم لا أبا لك راجعوني
وكان القوم خلَّانًا لمالي وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني
فلمَّا مرَّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني
ومن أشعار اليهود ويُغنى به :

صوت

[من المنسرح]

هل تعرف الدارَ خفًّا ساكنها بالحبِّجِرِ فالمُسْتَوَى إلى ثمدٍ
دار لبهناةٍ خدلَجَّةٍ تضحك عن مثل جامد البردِ¹
نعم ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ
يا مَنْ لقلبٍ متيِّمٍ سَدِمَ عانٍ رهينٍ أُحيطَ بالقفدِ²
أزجره وهو غيرُ مُزدجرٍ عنها وطرفي مقارنُ السُّهدِ
تمشي الهوينا إذا مشت فُضلاً مشي التزيفِ المبهورِ في صَعَدِ³
تظلُّ من زورٍ يَبْتَ جارتها واضعةً كفَّها على الكيدِ

الشعر لأبي الزناد اليهوديَّ العديمي ، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشاميَّ ويحيى المكي ، وفيها لمبعد خفيف ثقيل أول عن الهشامي ، وقال : أظنه من منحول يحيى بن المكي ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولابن محرز في «يا من لقلب» . وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أن فيها لحناً لمبعد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبَّة : ومن الغناء في أشعار اليهود من قُرِيْظة والنَّضير :

[من البسيط]

1 البهناة : الطيبة النفس والريح ، والضحك الخفيف الروح . الخدلَجَّة : الممتلئة الساقين والعضدين .

2 سدم : عاشق سدم : شديد العشق .

3 فضل : مختالة في مشيتها ، تفضل من ذيل رداها . التزيف : المنشي من السكر ونحوه . المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء .

صوت

دورٌ عَفَتْ بِقُرَى الْخَابُورِ غَيْرَهَا بَعْدَ الْأُنَيْسِ سِوَانِي الرِّيحِ وَالْمَطَرِ
 إِنْ تُمَسِّرِ دَارَكَ مِمَّنْ كَانَ سَاكِنَهَا وَحْشًا فَذَلِكَ صَرَفُ الدَّهْرِ وَالْغَيْرِ
 وَقَدْ تَحُلَّ بِهَا بَيْضُ تَرَائِبِهَا كَانَتْهَا بَيْنَ كُتُبَانِ النَّقَا الْبَقْرِ¹

الشعر للربيع بن أبي الحقيق ، روى ذلك السكري ، عن الطوسي ، وعن محمد بن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقیل أول بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتدأوه نشيد .

1 الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردتها تريبة .

[470] - أخبار الربيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعَاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رئاسة بني قريظة للربيع ، ورئاسة الخزرج لعمر بن النُعمان البياضي ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذٍ سلامُ بن مشكَمٍ .

[يلتقي بالنابعة الذبياني]

أخبرني عمِّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدَّثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن بن النجَّار عن أبي عبيدة قال : أقبل النابغة الذبيانيُّ يريد سوقَ بني قَيْنُقَاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطْمِهِ ، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجَّةَ ، وكانت سوقاً عظيمة ، فحاصتُ¹ بالنابعة ناقتَه ، فأنشأ يقول :

كادت تُهال من الأصوات راحلتي²

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق : أجز يا ربيع ، فقال :

والنَّفَرُ منها إذا ما أوجستُ خلُقُ

فقال النابغة : ما رأيتُ كالיום شعراً ، ثم قال :

لولا أنهنَّهها بالسَّوطِ لاجتذبت³

أجز يا ربيع ، فقال :

منِّي الزمام وإنِّي راكبٌ لَبِقُ

فقال النابغة :

قد ملَّتِ الحَبَسَ في الآطامِ واستعفت

أجز يا ربيع ، فقال :

1 حاصت ناقتَه : نفرت ، وحادت .

2 تهال : يعثرها الهول .

3 أنهنَّهها : أزجرها

إلى مناهلها لو أُنْهَها طُلُق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .

[أبان بن عثمان يتمثل بأبياته]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، ومحمد بن العباس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّه قال : حدَّثني الحزاميُّ قال : حدَّثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ ، قال : حدَّثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : قلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبان بن عثمان إلَّا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق :

سَعِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الْفِرَا
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهْيِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحِلْدَ
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا الْغَوَا
فَأَوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الْحِلْدِ
شِرٌّ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمٍ
وَعَيْبِ الرِّشَادِ ، وَلَمْ يُفْهَمْ
يَمَ لَمْ يَتَعَدَّوا وَلَمْ نُظَلَمْ
ةَ حَتَّى تَعْكَصَ أَهْلُ الدَّمِ¹
يَمِ وَاتَّشَرَ الْأَمْرُ لَمْ يُتْرَمِ

[يعاتب قوماً من الأنصار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي ، قال : حدَّثنا مُعَاذ ، عن أبي عبيدة قال ، قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه :

[من الطويل]

رَأَيْتُ بَنِي الْعَنْقَاءِ زَالُوا وَمُلْكُهُمْ
فَإِنْ يُقْتُلُوا نَنْدَمُ لَذَاكَ وَإِنْ بَقُوا
وَإِنَّا فَوْقَ الرَّأْسِ شَوْبُوبُ مُزْنَةٍ
وَأَبَوْا بِأَنْفٍ فِي الْعَشِيرَةِ مُرْغَمٍ
فَلَا بَدْ يَوْمًا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ
لَهَا بَرْدٌ مَا يَغْشَى مِنَ الْأَرْضِ يَخْطِمْ²

صوت

[من الرمل]

وَلَنَا بَشَرٌ رَوَاهُ جَمَّةٌ
تُدَلِّجُ الْجَوْنَ عَلَى أَكْنَافِهَا
مَنْ يَرُدُّهَا بِإِنَاءٍ يَغْتَرَفُ³
بَدِيلًا ذَاتِ أُمْرَاسٍ صُدْفُ⁴

1 تعكص أهل الدم : ضنوا .

2 الشؤبوب : الدفعة من المطر .

3 الرواء : الماء العذب ، أو الكثير الذي يرتوي منه .

4 تدلج : تسير ليلاً . الجون : الإبل السوداء . أكنافها : جوانبها ونواحيها . أُمْرَاس : حبال . صدف : جمع صدوف ، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك .

كَلَّ حَاجَاتِي قَدْ قَضَيْتَهَا غَيْرُ حَاجَاتِي مِنْ بطن الجُرْف¹

الجرف : موضع لهم ، بالجيم معجمة .

الشعر لكعب بن الأشرف اليهودي ، والغناء لمالك ثقیل أول عن يحيى المكي ، قال : وفيه لابن عائشة خفيف ثقیل ، ولمعبد ثاني ثقیل قال يحيى في كتابه : وقد خلط الرواة في ألحانهم ، ونسبوا لحن كل واحد منهم إلى صاحبه ، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالنصر ، وفيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

1 بطن الجرف : موضع قرب المدينة .

[471] - أخبار كعب ونسبه ومقتله

[اسمه ونسبه]

كعبُ بنُ الأشرف مُخْتَلَفٌ في نسبه ، فزعم ابن حبيب أنه من طيّء ، وأمه من بني النضير ، وأن أباه توفي وهو صغير ، فحملته أمه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بني النضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، تذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى - وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح ، وكان عدواً للنبي ﷺ يهجوهم ، ويهجو أصحابه ، ويخذل عنه العرب ، فبعث النبي ﷺ نفرأ من أصحابه ، فقتلوه في داره .

[ذكر خبره في ذلك]

كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ، ويُحَرِّضُ عليه كُفَّارَ قريش في شعره ، وكان النبي ﷺ قديم المدينة ، وهي أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة¹ والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبي ﷺ ، إذ قدم ، استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قديم النبي ﷺ يؤذونه وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم ، وأنزل في شأنهم : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ² الْآيَةَ . وَأَنْزَلَ فِيهِمْ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ³ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاصْفَحُوا ﴾ فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ وأصحابه أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبيد بن جبير ، والحرث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشية ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم ، وكان يُذَعِّرُ منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟

1 الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .

2 سورة آل عمران ، الآية : 186 .

3 سورة البقرة ، الآية : 109 .

فقالوا : جئنا لنبيعلك أدرأعاً نستنفق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتُم¹ مُذْ نزل بكم هذا الرجل ، ثم واعدتهم أن يأتوه عشاء حين تهدأ أعينُ الناس ، فجاؤوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتهم هذه بشيءٍ مما تحب ، فقال : بلى إنهم قد حدَّثوني حديثهم ، وخرج إليهم ، فاعتنقه أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعيت اليهود ومَن كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبي ﷺ ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة ، وهو سيّد من ساداتنا ، فقتل ، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤدّي به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً ، فكتبَت الصحيفة بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبي ﷺ عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

[من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمعَ صَوْتَ المذْلَجِ الساري
تلك المنازلُ من صفراءٍ ليس بها نارٌ تضيء ولا أصوات سُمَارٍ
ويروى : «ليس بها حيٌّ يُجيب» .

الشعر لبهس الجرمي ، والغناء لأحمد بن المكيّ ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي ، وقال عمرو بن بانة : فيه ثاني ثقیل بالنصر ، يقال : إنه لابن محرز ، وقال الهشامي : فيه لطياب بن إبراهيم خفيف ثقیل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الضوء .

[من الكامل]

ارفع ضعيفك لا يحزُّ بك ضعفه²

1 جهدتُم : افتقرتم ، وساءت حالكم .

2 لا يحز بك ضعفه : لا يرجع بك ضعفه عن نصرته .

[472] - أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

بَيْهَسُ بْنُ صُهَيْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَائِلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ عِلْقَمَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ بَيْهَسِ بْنِ طَرُودِ بْنِ قَدَامَةَ بْنِ جَرَمِ بْنِ الدِّيَانِ بْنِ حُلُوانِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو¹ بنواحي الشام مع قبائل جَرَمٍ وكلبٍ وعُدرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن ، وبعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

[من هي صفراء]

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القحذمي أنها كانت زوجته وولدت له ابناً ، ثم طلقها ، فتزوجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه ذنية² ، وأنه كان يهاوها فلم يزوجه ، وخطبها السدي ، وكان مؤسراً ، فزوجه .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صهيب الجرمي يهوى امرأة من قومه ، يقال لها ، صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنت عمه ذنية ، وكان يتحدث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وجده بها ، ولا يظهره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثري ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشِعراً ، فكان نساء الحي يتعرضن له ، ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فمرت به صفراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهس بن صهيب :

[من الطويل]

1 يبدو : يسكن البادية .

2 ذنية : قريب لاصق .

سقى دمنة صفراء كانت تحلها
وصاب عليها كل أسحم هاطل
أحب ترى أرضي إلي وإن نأت
على أنها غضبي علي وحبذا
وقد هاج لي حيناً فراقك غدوة
نظرت وقد زال الحمول ووازنوا
فقلت لأصحابي : أبالقرب منهم
بنوء الثريا طلها وذهاها¹
ولا زال مخضراً مريعاً جنبها²
محلل منها نبتها وترأها
رضاها إذا ما أرضيت وعتابها
وسعيت في فيفاء تغوي ذئابها³
بركوة والوادي وخفت ركابها
جری الطير أم نادی بین غرباها ؟

[يرثي صفراء]

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها ، فقال بيهس يرثيها : [من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحد
تلك المنازل من صفراء ليس بها
عفت معارفها هوج مغبرة⁴
حتى تنكرت منها كل معرفة
طال الوقوف بها والعين تسبقني
إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف
أرعى بعيني نجوم الليل مرتقباً⁵
فقد يكون لي الأهل الكرام وقد
من المواجد أعراقاً إذا نسيت
باق فيسمع صوت المدلج الساري
نار تضيء ولا أصوات سمار
تسفي عليها تراب الأبطح الهاري⁶
إلا الرماد نخيلاً بين أحجار
فوق الرداء بوادي دمعها الجاري⁷
ألهو لديهم ولا صفراء في الدار⁸
يا طول ذلك من هم وإنهار⁹
ألهو بصفراء ذات المنظر الواري⁹
لا تحرم المال عن ضيف وعن جار⁹

- 1 بنوء في ل : نجا . ونوء الثريا : مطرها .
- 2 صاب المطر ونحوه : انصب . اسحم : أسود .
- 3 الفيفاء : القفراء . وفي ل : خشناء .
- 4 هوج في ل : هوجاء . والهاري : تخفيف الهاري .
- 5 بوادي دمعها : ظواهره .
- 6 اللطف : اليسير من الطعام .
- 7 مرتقباً في ل : مرتفقاً .
- 8 الواري : السمين .
- 9 المواجد : جمع ماجده .

لم تَلَقْ بؤساً ولم يَضُرْ لها عَوَزٌ ولم تُزَخِّفْ مع الصَّالِي إلى النَّارِ¹
 كذلك الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ على الْأَنَامِ وذو نقْضٍ وإِمْرَارٍ²
 قد كاد يعتادني من ذِكْرِهَا جَزَعٌ لولا الحِيَاءُ ولولا رَهْبَةُ الْعَارِ
 سقى إِلَاهُ قُبُوراً في بني أُسْدٍ حول الرِّبِيعَةِ غَيْثاً صوبَ مَدَارٍ³
 مَنْ الذي بعد كم أَرْضَى به بدلاً أَوْ مَنْ أُحْدِثَ حَاجَاتِي وَأَسْرَارِي ؟

[يقف وصحبه على قبرها وينشد]

قال أبو عمرو : واجتاز بيهس في بلاد بني أسد ، فمر بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأحص ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صهرٌ وجلف ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ، فقال : أما والله ، حتى أظل نهارِي كُلَّهُ عنده ، وأقضي وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو ييكي : [من الطويل]

أَلَمَّا على قَبْرِ لصفراء فاقراً السَّلام وقولاً حيناً أيُّهَا الْقَبْرُ
 وما كان شيئاً غير أن لست صابراً دعاءكَ قَبِراً دونهُ حِجَجٌ عَشْرُ
 برايةٍ فيها كِرامٌ أحيّةٌ على أَنَّهَا إلّا مضاجعهم قَفْرُ
 عشيةٌ قال الرِّكْبُ من غَرَضٍ بنا تروّحُ أبا المقْدَامِ قد جنح العَصْرُ⁴
 فقلتُ لهم : يومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراء قد طال التَّجَنُّبُ والهَجْرُ
 وبِتُّ ويات الناسُ حَوْلِي هُجْداً كَأَنَّ عَلِيَّ اللَّيْلِ مِنْ طوله شهرُ
 إذا قلتُ هذا حين أهْجَعُ ساعةً تطاول بي ليلٌ كواكبُهُ زَهْرُ
 أقولُ إذا ما الجنبُ مَلَّ مكانه أشوكُ يُجَافِي الجَنْبُ أم تحته جَمْرُ ؟
 فلو أن صَخْراً من عَمَايَةِ راسياً يقاسي الذي ألقى لَقْدَ مَلَّةِ الصَّخْرِ⁵

قال : وأمّا القحذميّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي ، عن عيسى بن إسماعيل تينة عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوّجها رجل من بني أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً ممّا تقدّم ذكره .

1 لم تزخّف : من زخفت المرأة العجينة إذا أكثرت ماءه وفي ل : تزجّف .

2 النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثاني فتلّه .

3 الربيعه : مكان قبر صفراء ، صوب مدار . مطر سحابة هطّالة .

4 الغرض : الضجر والملال .

5 عماية : اسم جبل

وذكر أن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب ، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم و كلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام .
[يتهم في قتل]

قال : أبو عمرو : ولما هدأت الفتنة بعد مرج راهط ، وسكن الناس مرّ غلام من قيس بطوائف من جرم وعذرة و كلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إن بعض أحداثهم نخس «بيهس» به ناقته فألقته ، فاندقت عنقه ، فمات ؛ فاستعدى قومه عليهم عبد الملك ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجرمي ، وكان قد اتهم أنه هو الذي نخس به ، فنزل على محمد بن مروان فعاد به ، واستجاره ، فأجاره إلا من حدّ توجه عليه شهادة ، فرضي بذلك ، وقال هو متوارٍ عند محمد :

لقد كانت حوادثُ مغضلاتُ	وأيّامُ أغصّت بالشّرابِ
وما ذنبُ المعاشِرِ في غلامٍ	تقطّر بين أحواض الجِبابِ ¹
على قوداءِ أفرطها جلالُ	وغضّ فهي باقيةُ الهبابِ ²
ترامت باليدين فأرهقته	كما زلّ النّطيح من القبابِ ³
فأنّي والعقاب وما أرجي	لكالساعي إلى وضّح السّرابِ
فلما أن دنا فرج برّي	يكشّف عن مخفّقة يتبابِ
من البلدان ليس بها غريبُ	تخبّ بأرضها زلّ الذّئابِ ⁴
فظنّني بالخليفة أنّ فيه	أماناً للبريء وللمصابِ
وأنّ محمداً سيعود يوماً	ويرجع عن مراجعة العتابِ ⁵
فيجير صبيّتي ويحوط جاري	ويؤمن بعدها أبداً صحابي
هو الفرعُ الذي بُنيت عليه	بيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

1 تقطر : وقع على قطره من علو . الجباب : اسم مكان .

2 القوداء : الطويلة العنق والظهر . أفرطها جلال : ضخمة .

3 القباب في ل : الحقاب .

4 زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين .

5 ويرجع في ل : ويعجل .

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أُمِّنَ بيَهْسَ بن صهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

صوت

[من الكامل]

نزل المشيبُ فما له تحويلُ ومضى الشَّبابُ فما إليه سبيلُ
ولقد أُراني والشَّبابُ يقودني ورداؤه حسنٌ عليَّ جميلُ
الشعر للكميت بن معروف الأسديّ ، والغناء لمعبد خفيف ، ولحنه من القدر الأوسط ،
من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[473] - أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[نسبه]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكُمَيْت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدويّ ، أمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة .

[في أسرته شعراء وشواعر]

والكميت أحد المُرقيين في الشعر ، أبوه معروف شاعر ، وأمّه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر ، وابنه معروف بن الكميت شاعر .

فأما أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساور بن هند :

[من الطويل]

إِنَّ مُنَاخِي أُمَسِرَ يَا ابْنَ مُسَاوِرٍ	إِلَيْكَ لَمِنْ شَرِّبِ النَّقَاحِ الْمَصْرَدُ ¹
تَبَاعَدْتَ فَوْقَ الْحَقِّ مِنْ آلِ فُقْعَسٍ	وَلَمْ تَرْجُ فِيهِمْ رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ ²
وَقُلْتَ غِنَى لَا فَقْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ	وَكُلُّ فَتَى لِلنَّائِبَاتِ بِمَرْصَدِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَحَلَّ يَبُوتِكُمْ	مَعَ الْحَيِّ بَيْنَ الْغُورِ وَالْمُتَنَجِّدِ
فَلَوْلَا رِجَالُ مَنْ جَذِيمة قَصْرَةٌ	عَدَدْتُ بِلَائِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُ اْعْدُدِ ³

[أمه توثبه وترثيه]

وأمّه سعدة القائلة له ، وقد تزوّج بنتَ أبي مَهْشُوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ،

فغضبت سعدة وقالت فيه :

[من الطويل]

عَلَيْكَ بِأَنْقَاضِ الْعِرَاقِ فَقَدْ عَلَتْ	عَلَيْكَ بِتَخْدِينِ النِّسَاءِ الْكِرَائِمِ ⁴
لِعَمْرِي لَقَدْ رَاشَ ابْنُ سَعْدَةَ نَفْسَهُ	بَرِيشَ الذَّنَابِي لَا بَرِيشَ الْقَوَادِمِ ⁵

1 النقاخ : الماء العذب البارد . المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب .

2 آل فقعس : قبيلة الشاعر .

3 قصرة : داني النسب .

4 بتخدين النساء : باتخاذهنّ أخدامنا .

5 القوادم : ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر .

بَنَى لَكَ مَعْرُوفٌ بِنَاءً هَدَمْتَهُ وَلِلشَّرَفِ الْعَادِيٍّ بَانٍ وَهَادِمٌ¹
وهي القائلة ترثي ابنها الكُمَيْتَ :

[من الطويل]

لَأُمِّ الْبِلَادِ الْوَيْلُ مَاذَا تَضَمَّنْتَ بِأَكْنَافِ طُورِي مِنْ عَفَافٍ وَنَائِلِ
وَمِنْ وَقَعَاتِ بِالرَّجَالِ كَأَنَّهَا إِذَا عَنَّتِ الْأَحْدَاثُ وَقَعُ الْمَنَاصِلِ²
يُعْزِي الْمُعْزِي عَنْ كُمَيْتٍ فَتَنْتَهِي مَقَالَتُهُ وَالصَّدْرُ جَمُّ الْبَلَابِلِ

[أخوه يرثيه]

وَأَعَشَى بَنِي أَسَدٍ أَخُو الْكُمَيْتِ ، وَاسْمُهُ خَيْثَمَةُ ، الَّذِي يَقُولُ يَرِثِي الْكُمَيْتَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ :

[من البسيط]

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ مَنْجَدِبٌ كُلُّ أَمْرٍ عَنْ أَخِيهِ سَوْفَ يَنْشَعِبُ³
فَلَا يُغْرِتُكَ مِنْ دَهْرٍ تَقْلُبُهُ إِنَّ اللَّيَالِي بِالْفَتَيَانِ تَنْقَلِبُ
نَامَ الْخَلِيُّ وَبَتُّ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَمَا تَزَاوِرُ يَخْشَى دَفَّهُ النَّكِبُ⁴
إِذَا رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي أَحَدْتُهَا عَمَّنْ تَضَمَّنَ مِنْ أَصْحَابِي الْقُلُوبُ⁵
مِنْ إِخْوَةٍ وَبَنِي عَمِّ رَزُتْهُمْ وَالدَّهْرُ فِيهِ عَلَى مَسْتَعْتَبٍ عَتَبُ
عَاوَدْتُ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ أَكَابِدُهُ حَتَّى تَكَادُ بَنَاتُ الصَّدْرِ تَلْتَهَبُ⁶
هَلْ بَعْدَ صَخْرٍ وَهَلْ بَعْدَ الْكُمَيْتِ أَخٌ أَمْ هَلْ يَعُودُ لَنَا دَهْرٌ فَنُصْطَحِبُ ؟
لَقَدْ عَلِمْتُ وَلَوْ مُلِيتَ بَعْدَهُمْ أَنِّي سَأَنْهَلُ بِالشَّرْبِ الَّذِي شَرَبُوا⁷

[ابنه معروف يتنزل]

ومعروف بن الكُمَيْتِ القائل :

[من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي جَلْدًا فَهَيَّجَنِي بِالشَّيْبِ مَنَزِلَةً مِنْ أُمِّ عَمَّارٍ

1 معروف : أبو الكُمَيْتِ . العادي : العتيق .

2 عَنَّتْ فِي ل : عَيَّتْ .

3 منجدب : مطاوع جدبه : ذمه ، وعابه .

4 مرتفقًا : متكأً على مرفقي . تزاور : مال وانحرف . دفه : جنبه . النكب : المصاب في منكبه .

5 القلب : جمع قليب بمعنى البئر .

6 أكابده في ل : أكيد به . بنات الصدر : كناية عن الضلوع .

7 ولو ملئت : ولو أمهلت .

كانت منازل لا ورهَاء جافيةٍ على الحدوج ولا عَطْلاً بمقفار¹
وما تجاوزنا إذ نحنُ نسكنها ولا تَفَرُّقُنَا إلَّا بمقـَـدارٍ

صوت

[من الطويل]

أرقتُ لبرق دُونَه شَذَوَانٍ يمانٍ وأهوى البرقَ كلُّ يمانِي²
فليت القلاصَ الأَدمَ قد وخذت بنا بوايدِ يمانٍ ذي رُباً ومَحاني³
الشعر ليعلى الأحولِ الأزديّ ، وجدت ذلك بخطّ أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر
الأزد ، وقال عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : هي ليعلى الأحول ، كما روى غيره ، قال :
ويقال : إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزديّ من بني خنيس ، ويقال : إنها لجوّاس بن حيّان من
أزد عمان .
وأول هذه القصيدة ، في رواية أبي عمرو ، أبيات فيها غناء أيضاً وهي : [من الطويل]

صوت

أُوَحِكُما يا واشييّ أُمّ مَعْمَرٍ بَمَنْ وإلى مَنْ جئتما تَشِيانِ ؟
بَمَنْ لو أراه عانياً لفديتُهُ ومَنْ لو رأي عانياً لفَداني
لِعَرِيب في هذين البيتين ثَقِيل أوّل ، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه
وجامع صنعته ، وقال ابنُ المَكِّي : لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلّها .

1 الورهاء : المرأة الكثيرة الشحم . الحدوج : جمع جدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

2 شذوان : مثني شذا : شجر تتخذ من المساويك .

3 القلاص الأدم : النوق السمراء .

[474] - أخبار يعلى ونسبه

[نسبه]

يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس ، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان ، ورالان هو يشكر ، ويشكر لقب لُقْب به ، بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوزان بن كهف الظلام ، هكذا وجدته بخط المبرّد ، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .
[شاعر فاتك خليع]

شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني في خلافة عبد الملك بن مروان .
قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحول الأزديّ لصّاً فاتكاً خارباً ، وكان خليعاً ، يجمع صعاليك الأزديّ وخلعاءهم ، فيغيّر بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السابلة ، فشكّي إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن مخزوم الكناني ثم الفقيميّ ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان والي مكة ، فأخذ به عشيرته الأزديين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحيّ فعرفوه أنّه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنّه لو أخذ به سائر الأزديّ ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضاره ، وضّم إليهم شرطاً يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به .
[يسلمه قومه إلى الحاكم]

فلما اشتدّ عليهم في أمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس .
[قصيدته في سجنه]

فقال في محبسه : [من الطويل]

أرقتُ لبرقٍ دونَه شذوانٍ يمانٍ وأهوى البرقَ كلُّ يمانٍ
فبتُّ لدى البيت الحرام أشيمه ومطوّاي من شوقٍ له أرقان¹
المطوّ : الصاحب .

إذا قلتُ : شيماه يقولان وأهوى يصادف منّا بعض ما تريان
جرى منه أطرافُ الشرى فمشيعٌ فأيانُ فالحيّان من دمران²

1 أشيم من شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره .

2 مشيع وأيان ، ودمران : أماكن .

فمَرَّانُ فالأَقْباصُ أَقْباصُ أَمَلَجِ فمَوانٍ من ودايهما شَطْنانٍ¹
 هنالك لو طَوَّقْتما لوجدتما صديقاً من اخوانٍ بها وغوانٍ
 وعزفُ الحمامِ الورقِ في ظلُّ أَيْكَةٍ وبالحِجِّي ذِي الرُّودَيْنِ عزفُ قِيانٍ²
 ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَنِي لدى نافعٍ قُضِّيَنَ منذ زمانٍ
 وما بِيَ بغضٌ للبلادِ ولا قَلَى ولكنَّ شوقاً في سواه دَعائي
 فليتَ القِلاصِ الأدم قد وخذت بنا بوادٍ يمانٍ يُنَبِّتُ السُّدرَ صدره
 يدافعنا من جانبيه كليهما وأسفله بالمرخ والشَّبهانِ³
 وليت لنا بالجوز واللوز غيلة عزيفان من طرفائه هَدِيانٍ⁴
 الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى في موضع : من بطن حلية : من حبّ
 جيحة .

وليت لنا بالدَّيْكِ مُكَّاءَ روضة على فَنٍّ من بطن حلية داني⁵
 وليت لنا من ماء حزنة شربة مبردة باتت على طهمانٍ⁶
 ويروى : من ماء حمياء .

صوت

[من الكامل]

إنَّ السَّلامَ وحَسَنَ كُلِّ تحيَّةٍ تغدو على ابن مجزٍ وتروح
 هلا فَدَى ابنَ مجزٍ متفحَّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شَجِيحٌ⁷
 الشعر لجَوَّاسِ العُذْرِيِّ ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثَقِيل بالوسطى عن يحيى المَكِّيِّ
 والهشاميَّ من رواية حمَّاد عن أبيه ، في أخبار سائب خاثر وأغانيه .

- 1 مران وأملج : مكانان . أقباص : جمع قَبِص : مجتمع الرمل الكثير . ماوان : تشنية ماء . شطنان : بعيدان .
- 2 الرُّودين : تشنية رود : الرِّيح اللينة .
- 3 المرخ والشَّبهان : مكانان .
- 4 عزيفان : تشنية عزيف : صوت الرياح حين تسفي الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل .
- 5 المكاء : طائر .
- 6 طهمان : مكان .
- 7 شنج اليدين : مقبوضهما ، كناية عن البخل .

[475] - نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

هو جَوَّاسُ بن قُطَيْبَةَ العُدْرِيُّ ، أَحَدُ بن الأَحَبِّ رهطِ بُثَيْنَةَ ، وَجَوَّاسُ وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَمِيلًا ابنا عَمِّها ذُنَيْةً ، وهما ابنا قُطَيْبَةَ بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنَّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة .

[ينافر جميل بن معمر فترجح كفته]

وكان جَوَّاسُ شريفًا في قومه شاعراً ، فذكر أبو عمرو الشيباني : أَنَّ جَمِيلَ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ لما هاجى جَوَّاسًا تنافرا إلى يهود تَيْمَاءَ ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ في نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعِرُ الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أهلك ما شئت ، ولا تذكرُ أنت يا جميل أباك في فخر ؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْمَاءَ ، عليه شملةٌ لا تُوارِي استه ، ونَفَرُوا¹ عليه جَوَّاسًا ، قال : وَنَشِبَ الشُّرَّينَ جَمِيلَ وجَوَّاسَ ، وكانت تحته أُمُّ الجُسَيْرِ أختُ بُثَيْنَةَ التي يذكرها جميل في شعره ، إذ يقول : [من الخفيف]

يا خَلِيلِي إِنَّ أُمَّ جُسَيْرٍ حين يدنو الضَّجِيعُ من عَلَلَةٍ
روضةٌ ذاتُ حَنَوَةٍ وخِزَامِي جَادَ فيها الرِّيعُ من سَبِيلَةٍ²

[قوم جميل يثأرون منه]

فغضب لجميل نفراً من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جَوَّاسَ ليلاً وهو في بيته ، ففضربوه وعَرَّوْا امرأته أُمَّ الجُسَيْرِ في تلك الليلة ، فقال جميل : [من الطويل]

ما عَرَّ جَوَّاسَ اسْتُها إذ يَسْبُهُم بصَقْرِي بني سُفْيَانَ قَيْسَ وعاصِمِ³
هما جَرَدَا أُمَّ الجُسَيْرِ وأَوْقعا أَمْرٌ وأدهى من وَقِيعَةٍ سَالِمِ
يعني سالم بن دارة .

1 نَفَرُوا : نصروا ، وفضلوا .

2 الحنوة : بنات سهل أو الرمحان ، أو نوع من الآذريوان . الخزامى : نبت طيب الرائحة . السبل : المطر .

3 عَرَّ : ساء وضرَّ .

فقال جواس : [من الطويل]

ما ضُربَ الجَّوَّاسُ إِلَّا فُجَاءَةً على غفلةٍ من عَيْنِهِ وهو نائمٌ
فإِلَّا تُعْجَلُنِي المِثْلُ يَصْطَبِحُ بكأسِكَ حِصْنًا كَمِ حُصْنَيْنِ وعاصِمُ
ويعطي بنو سفيان ما شئتُ عَنوةً كما كنت تُعْطِينِي وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

[جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم]

وقال أبو عمرو الشيباني : حجَّ مروانُ بن الحكم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن معمر ، وجواسُ بن قطبة ، وجواسُ بن القَعْطَل الكلبِيّ ، فقال لجميل : انزل فسُق بنا ، فنزل جميل فقال :

[من الرجز]

يا بُنَّ حَيٍّ وَدَعِينَا أَوْصِلِي وهَوْنِي الأَمْرَ فزوري واعجلي
ثُمْتُ أَيَّأ ما أُرِدْتُ فافْعَلِي إني لآتي ما أتيتُ مُوتلي¹

فقال له مروان : عدَّ عن هذا ، فقال :

[من الرجز]

أنا جميلٌ والحِجَارُ وطني فيه هوى نَفْسِي وفيه شَجَنِي
هذا إذا كان السَّيَاقُ دَدَنِي²

[جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان]

فقال لجواس بن قطبة : انزل أنت يا جواس فسُق بنا ، فنزل فقال : وقد كان بلغه عن مروان أنه توعدّه إن هاجى جميلاً :

[من الطويل]

لستُ بعبدٍ للمطايا أسوقها ولكنني أرمي بهنّ الفياض
أتاني عن مروان بالغيب أنه مبيحٌ دمي أو قاطعٌ من لسانيا³
وفي الأرض منجاة وفُسحةٌ مذهب إذا نحن رققنا لهنّ الماثانيا⁴

فقال له مروان : أما إنَّ ذلك لا ينفعُك إذا وجب عليك حقٌّ ، فاركب لا ركبت .

[جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان]

ثم قال لجواس بن القعطل ، ويقال بل القصّة كلّها مع جواس بن قطبة : انزل فارجز

1 موتلي : من أَلَا الشيء أَلَا : استطاعه .

2 الددن : اللهو .

3 مبيح في ل : مقيد .

4 رققنا في ل : رفقنا . الماثاني ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، وهنا أناشيد الحداء .

بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات :

[من الطويل]

يقول أميرى : هل تسوقُ ركبنا
تكرمتُ عن سَوْقِ المَطِيِّ ولم يكن
جعلتُ أُمِّي رَهْنًا وَعِزِّي سَادِرًا
إلى شَرِّ بيت من قُضَاعَة منصياً
فقلتُ : أتخذُ حَادٍ لَهْنٍ سَوَائِيَا
سِيَاقُ المَطَايَا هِمَّتِي وَرَجَائِيَا
إلى أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يَكُونُوا كِفَائِيَا¹
وفي شَرِّ قَوْمٍ مِنْهُمْ قَدْ بَدَأَ لِيَا
فقال له : اركب لا ركبَتَ .

[عود إلى الصوت وخبر بن مجرز]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جَوَّاسُ بْنُ قُطَيْبَةَ العَدْرِيُّ عُلْقَمَةَ بْنَ مَجْرَزٍ قَالَ أَبُو
عَمْرِو الشَّيْبَانِيُّ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ عُلْقَمَةَ بْنَ مَجْرَزٍ الْكِنَانِيَّ ثُمَّ
الْمَدَلَجِيَّ فِي جَيْشٍ إِلَى الْحَبْشَةِ ، وَكَانُوا لَا يَشْرَبُونَ قَطْرَةً مِنْ مَاءٍ إِلَّا بِإِذْنِ الْمَلِكِ ، وَإِلَّا قُوتَلُوا
عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ الْجَيْشُ عَلَى مَاءٍ قَدْ أُلْقَتْ لَهُمْ فِيهِ الْحَبْشَةُ سُمًّا ، فَوَرَدُوهُ مَغْتَرِبِينَ ، فَشَرَبُوا مِنْهُ ،
فَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَكَانُوا قَدْ أَكَلُوا هُنَاكَ تَمْرًا ، فَنَبَتْ ذَلِكَ النَّوَى الَّذِي أَلْقَوْهُ نَخْلًا فِي
بِلَادِ الْحَبْشَةِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ نَخْلُ ابْنِ مَجْرَزٍ ، فَأَرَادَ عَمْرُ أَنْ يَجْهَزَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عَظِيمًا
فَشَهِدَ عِنْدَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : اتْرَكُوا الْحَبْشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ ، وَقَالَ : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ بَحْرًا مِنْ نَارٍ ، فَقَالَ جَوَّاسُ الْعَدْرِيُّ يَرِثِي عُلْقَمَةَ بْنَ مَجْرَزٍ :

[من الكامل]

إِنَّ السَّلَامَ وَحُسْنَ كُلِّ تَحِيَّةٍ
فَإِذَا تَجَرَّدَ حَافِرَاكَ وَأَصْبَحَتْ
وَتَخَيَّرُوا لَكَ مِنْ جِيَادٍ ثِيَابَهُمْ
فَهُنَاكَ لَا تُغْنِي مَوَدَّةُ نَاصِحٍ
هَلَا فَدَى ابْنِ مَجْرَزٍ مَتَفَحَّشٌ
مَتَمَرِّعٌ وَرِعٌ وَلَيْسَ بِمَاجِدٍ
تَغْدُو عَلَى ابْنِ مَجْرَزٍ وَتَرَوْحُ
فِي الْفَجْرِ نَائِحَةً عَلَيْكَ تَنُوحُ
كَفْنَاً عَلَيْكَ مِنَ الْبَيَاضِ يَلُوحُ
حَذْرًا عَلَيْكَ إِذَا يُسَدُّ ضَرِيحُ
شَنْجُ الْيَدِينِ عَلَى الْعَطَاءِ شَحِيحُ
مَتَمَلِّحٍ وَحَدِيثُهُ مَقْبُوحُ²

[من الطويل]

وفيمن هلك مع ابن مجرز يقول جَوَّاسُ :

أَلْهَفِي لِفَتَيَانٍ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ
دَنَانِيرُ وَافَتْ مَهْلِكَ ابْنِ مُجْرَزٍ

1 الرَّهْنُ : هُوَ رَهْنٌ مَالٍ وَنَحْوُهُ ، أَيْ سَائِسٌ .

2 الْمُتَمَرِّعُ : طَالِبُ الْمَرْعِ : الْخَصْبِ . وَرِعٌ : جَبَانٌ . مَتَمَلِّحٌ : يَتَكَلَّفُ الْمَلَاةَ .

صوت

[من المتقارب]

أَحْبَبْنَا بِأَبِي أَنْتُمْ وَسَقَيْتُمْ لَكُمْ حَيْثَمَا كُنْتُمْ
 أَطْلَعْتُمْ عَذَابِي بِمِيعَادِكُمْ وَقَلْتُمْ نَزُورُ فَمَا زَرْتُمْ
 فَأَمْسَكَ قَلْبِي عَلَى لَوْعَتِي وَنَمَتْ دُمُوعِي بِمَا أَكُتُمْ
 فَفِيمَ أَسَأْتُمْ وَأَخْلَفْتُمْ وَقَدَّمَا وَفَيْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ

الشعر لإبراهيم بن المدبر ، والغناء لعريب خفيف ثقیل .

[476] - أخبار إبراهيم بن المدبر

[نشأته]

أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر شاعرٌ كاتبٌ متقدّم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدّمهم وذوي الجاه والمتصرّفين في كبل الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكّل يقدّمه ويؤثّره ، ويفضّله ، وكانت بينه وبين عريبٍ حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عريب ، وأذكر باقيها هاهنا .

[بين يدي المتوكّل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدّثني إبراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكّل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي ، وأذن للناس في الوصول إليه ، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم ، فلمّا رأني استدناني ، حتى قمت وراء الفتح ، ونظر إليّ مُسْتَنْطِقاً فأنشدته :

يَوْمَ أَتَانَا بِالسُّرُورِ	فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ
أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ	وَوَفَيْتُ فِيهِ بِالْأَذْوَارِ
لَمَّا اعْتَلَلْتُ تَصَدَّعْتُ	شُعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مَلْتَهَبِ الْفَوَا	دِ وَبَيْنِ مَكْتَبِ الضَّمِيرِ
يَا عُدَّتِي لِلدُّنْيِ وَالْدُّنْيِ	لَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَلْ	لَامَاقَ بِالْدَّمْعِ الْغَزِيرِ
لَمْ لَمْ أُمْتُ جَزْعاً لَعَم	رُكَّ إِنْسِي عَيْنُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَالِكَ كَالسَّيِّ	نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلُ أَلْ	عَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينَ غَدَ	ضُ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَا	فَ وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ ¹

قد حَالَفْتُكَ وَعَاقَدْتُكَ لَكَ عَلَى مَطَاوِلَةِ الدُّهُورِ
يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ يَا ضِيَاءَ الْمُسْتَنِيرِ
يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ لَهُ بِهِدْيُ وَنُورِ
لِلَّهِ أَنْتَ فَمَا نَشَأُ هَذَا مِنْكَ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ
حَتَّى نَقُولَ وَمَنْ يَقْرُ بِكَ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ نَصِيرِ
الْبَدْرُ يَنْطَلِقُ بَيْنَنَا أَمْ جَعَفَرٌ فَوْقَ السَّرِيرِ !
فَإِذَا تَوَاتَرَتِ الْعَظَا ثُمَّ كُنْتَ مَنْقَطَعَ النَّظِيرِ
وَإِذَا تَعَذَّرَتِ الْعَطَا يَا كُنْتَ فَيَاضَ الْبُحُورِ
تُضْمِي الصَّوَابَ بِلَا وَزِيرِ سِرٍّ أَوْ ظَهِيرٍ أَوْ مُشِيرٍ¹

فقال المتوكل للفتح : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيَنْطَلِقُ عَنْ نَبْيةٍ خَالِصَةٍ ، وَوَدَّ مَحْضُ ، وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ ، فَتَقَدَّمَ بَأَن يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بَن يَحْيَى بَأَن يُؤَلِّيهَ عَمَلًا سَرِيًّا يَنْتَفِعَ بِهِ .

[المتوكل ينتفض عليه ويودعه السجن]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَدْبَرِ وَلِيَّ لِعَبِيدِ اللَّهِ بَن يَحْيَى بَن خَاقَانَ عَمَلًا ، فَلَمْ يَحْمَدْ أَثَرَهُ فِيهِ ، وَعَمِلَ عَلَى أَنْ يَنْكَبَهُ . وَبَلَغَ أَحْمَدُ ذَلِكَ فَهَرَبَ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ مَنَحْرِفًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، شَدِيدَ النَّفَاسَةِ² عَلَيْهِ بِرَأْيِ الْمُتَوَكِّلِ فِيهِ ، فَأَغْرَاهُ بِهِ ، وَعَرَفَهُ خَيْرَ أَخِيهِ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ مَالًا جَلِيلًا ، وَذَكَرَ أَنَّهُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ أَخِيهِ ، وَأَوْغَرَ صَدْرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِي حَبْسِهِ ، فَقَالَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ : [مَنْ الْوَافِر]

تَسْلِي لَيْسَ طَوْلُ الْحَبْسِ عَارًا وَفِيهِ لَنَا مِنَ اللَّهِ اخْتِيَارُ
فَلَوْلَا الْحَبْسُ مَا بُلِيَ اصْطِبَارُ وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا عُرِفَ النَّهَارُ
وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعْقِبَاتُ وَلَا السُّلْطَانُ إِلَّا مُسْتَعَارُ³
وَعَنْ قَدْرِ حُبْسَتُ فَلَا نَقِيضُ وَفِيمَا قَدَّرَ اللَّهُ الْخِيَارُ
سَيُفْرَجُ مَا تَرَيْنَ إِلَى قَلِيلٍ مَقْدَرُهُ وَإِنْ طَالَ الْإِسَارُ

1 ظهير : معين .

2 النفاسة : نفست عليه الشيء إذا ضننت به ، ولم تحب أن يصل إليه .

3 معقبات : يعقب بعضها بعضاً بالخير والشر أو بالنور والظلام .

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسنة مختارة ، منها قوله في قصيدة أولها : [من الكامل]
أدموعها أم لؤلؤ متناثر
يندى به ورد جنبي ناضر
يقول فيها :

لا تؤيسنك من كريم نبوة
هذا الزمان تسومني أيامه
إن طال ليلى في الأسار فطالما
والحبس يحجبني وفي أكتافه
عجباً له كيف التقت أبوابه
هلا تقطع أو تصدع أو وهى
فالسيف ينبو وهو غضب باتر¹
خسفاً وهانذا عليه صابر
أفنت دهرأ ليلى متقاصر
مني على الضراء ليث خادر²
والجود فيه والريع الباكر ؟
فعدرتنه ؛ لكنه بي فاجر

ومنها قوله في قصيدة أولها :

ألا طرقت سلمى لدى وقعة الساري
هو الحبس ما فيه علي غضاضة
يقول فيها :

ألست ترين الخمر يظهر حسنها
وما أنا إلا كالجواد يصونه
أو الدرّة الزهراء في قعر لجة
وهل هو إلا منزل مثل منزلي
فلا تنكري طول المدى وأذى العدى
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا
وإني لأرجو أن أصول بجعفر
وبهجتها بالحبس في الطين والقار⁴
مقومه للسبق في طي مضار
فلا تجتلي إلا بهول وأخطار
وبيت ودار مثل بيتي أو داري ؟
فإن نهايات الأمور لإقصار
يقدره في علمه الخالق الباري
فأهضم أعدائي وأذك بالثار

[يشي على من خلاصه من سجنه]

فأخبرني عمي عن محمد بن داود : أن حبسه طال ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة

1 ينبو : يبعد في ضربه .

2 أكتافه : نواحيه جمع كتف . الضراء : الشدة والضيق . خادر : ملازم لأجمته .

3 الطرق : الضرب على الباب ليلاً . وقعة الساري : نومه آخر الليل . نازح : بعيد .

4 القار : ما يدهن به سداد الدنان .

مع عَضَل¹ عبيد الله وقصده إياه ، حتى تَخَلَّصَه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجَوَّدَ المسألة في أمره² ، ولم يلتفت إلى عبيد الله ، وبذل أن يحتملَ في ماله كلُّ ما يطالبُ به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استغاثَ به ومدَّحَهُ ، فقال : [من الطويل]

دعوتك من كَرَبٍ فليبتَ دعوتي	ولم تعترضني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلَّتْ أوردتُ هِمَّتِي	وقد أعجزتني عن هُمومي المَصادرُ ³
نمى بك عبدُ الله في العزِّ والعلا	وحاز لك المجدَ المؤثَّلَ طاهرُ
فأنتم بنو الدنيا وأملاكُ جوها	وساستُها والأعظمون الأكابرُ ⁴
مآثرُ كانتَ للحُسَيْنِ ومُصْعَبِ	وطلحة لا تحوي مَداها المفَاخيرُ
إذا بذلوا قِلَ الغيوثُ البواكرُ	وإن غَضِبوا قِلَ الليوثُ الهواصرُ ⁵
تطيعكمُ يَوْمَ اللقاء البواترُ	وتزهو بكمُ يومَ المقامِ المنابرُ
وما لكمُ غيرَ الأسرةِ مجلسُ	ولا لكمُ غيرَ السيوفِ مَخاصرُ ⁶
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها	وسركَ منها أولٌ ثم آخرُ
كلامُ أميرِ المؤمنين وعطفه	فما لي بعد الله غيرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ فالنجحُ واقع	والأ فأنِّي مخلصُ الودِّ شاكرُ

[عريب تكاتبه وتشفع له]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كتبتَ عَرِيبُ مِنْ سُرٍّ مَنْ رَأَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ كِتَاباً تَشَوُّقُهُ فِيهِ ، وَتَخْبِرُهُ بِاسْتِحَاشِهَا لَهُ ، وَاهْتِمَامِهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَنَّهَا قَدْ سَأَلَتِ الْخَلِيفَةَ فِي أَمْرِهِ ، فَوَعَدَهَا بِمَا تُحِبُّ ، فَأَجَابَهَا عَنْ كِتَابِهَا ، وَكُتِبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : [من الطويل]

لعمرك ما صوتُ بديعٍ لمعبَدٍ	بأحسنَ عندي من كتابِ عَرِيبِ
تأملتُ في أَثْنائِهِ خَطُّ كَاتِبِ	ورقَةً مشتاقٍ وَلَفْظَ خَطِيبِ

1 عضل : منع .

2 جَوَّدَ المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .

3 حلت : منعت الماء .

4 جوها في ل : شرقها .

5 الهواصر : الكواسر المحطمة .

6 المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

وراجعتني من وصلها ما استرقني وزهدني في وصل كل حبيب
فصرتُ لها عبداً مُقراً بملكها ومستمسكاً من وُدّها بنصيب

[يحبها وهي مشغولة بمظفر]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : كان علي بن يحيى النجّم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسرّ من رأى على حال أنس ، وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية المغنية من جوارى القيان ، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومزحه وتجميشه¹ ، وهي مقبلة على فتى كان أمرّد من أولاد الموالي يقال له مظفر ، كانت تهواه ، وكان أحسن الناس وجهاً ، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا ، فكتب إليه علي بن يحيى يقول :

لقد فتنّت نبت فتى الظرف والندى بمقلة ريم فاتر الطرف أحور
وشدو يروق السامعين ويملاً ال قلوب سروراً موزني متخير
فأصبح في فخّ الهوى متقنصاً عزيز على إخوانه ابن المدبر
ولم تدّر ما يلتقى بها ولو أنها درت روحت من - ترّه المتسرر
وذاك بها صبّ ونبت خلية ومشغولة عنه بوجه مظفر
ولو أنصفت نبت لما عدلت به سواء وحازت حسن رأى ومخير

[من الطويل] فكتب إليه إبراهيم بن المدبر :

طرّبتُ إلى قطر بلّ وبلشكر² وراجعتُ غياً ليس عني بمقصير²
وذكرني شعر أتاني موزق³ حبائب قلبي في أوائل أعصري
فنهنت نفسي عن تذكر ما مضى وقلت : أفيقي لات حين تذكر³
أبا حسن ما كنت تعرف بالخنا ولا يعلو في المكان المؤخر
وما زلت محمود الشائل مرتضى الخ سلاتي معروفاً بعرف ومنكر
أترمي بنبت من جفاها تخيراً وباعدها عنه برأي موقر ؟
ودافعها عن سرّها وهي تشتكي إليه تبارج الهوى المتسرر

1 التجميش : المغازلة بالقرص واللعب .

2 قطر بلّ : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر . بلشكر : من قرى بغداد .

3 نهنت : كفت وزجرت .

ولو كان تباعاً دواعي نفسه
على أنه لو حصص الحق باعها
بلؤلؤة زهراء يشرق ضوءها
إلى الله أشكو أن هذا وهذه
وأنت فقد طالبتها فوجدتها
وحاولت منها سلوة عن مظفر
نصحتك عن ود ولم أك جاهداً

فكتب إليه علي بن يحيى المنجم :

لعمري لقد أحسنت يا ابن المدبر
ظرفت ومن يجمع من العلم مثل ما

ولا إبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة منها قوله :

نبت إذا سكنت كان السكوت لها
وإنما أقصدت قلبي بمقلتها

وقوله :

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم
ألا صليني فإني قد شغفت بكم

[خاتماً عرب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له
عرب ، وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أبي العنبر بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين
من شعبان على شرب ، فلما سكر اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العنبر ، ويقيم عنده
من غدٍ إن لم ير الهلال ، وأخذ الخاتمين منه رهناً . ورئي الهلال في تلك الليلة ، وأصبح
الناس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبي العنبر يطالبه بالخاتمين ، فدافعه ، وعيث به ،
فكتب إليه من غدٍ :

كيف أصبحت يا جعلت فداكا
إنني أشتكى إليك جفاكا

قد تَمَادَى بِكَ الْجَفَاءُ وَمَا كُنْتُ حَقِيقاً وَلَا حَرِيّاً بِذَاكَ
 كُنْ شَبِيهاً بِمَنْ مَضَى جَعَلَ اللَّهُ لَهُ لَكَ الْعُمَرَ دَائِماً وَرَعَاكَ
 إِنَّ شَهْرَ الصِّيَامِ شَهْرُ فَكَاكِ أَنْتَ فِيهِ وَنَحْنُ نَرْجُو الْفَكَاكِ
 فَارْدِدِ الْخَاتَمِينَ رِداً جَمِيلاً قَدْ تَنَعَّمْتَ فِيهِمَا مَا كَفَاكَ¹
 يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَةَ دَاعٍ يَرْتَجِي نُجْحَ أَمْرِهِ إِذْ دَعَاكَ
 يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العنّس المخاطب بهذا الشعر :
 خَاتَمَايَ اللَّذَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَبْدِ سِرٌّ قَدْ شَارَفَا لَدَيْهِ الْهَلَاكَ
 وَهُوَ حُرٌّ وَقَدْ حَكَكَ كَمَا أَنْتَ لَكَ فِي الْمَكْرُمَاتِ تَحْكِي أَبَاكَ
 فَبَعَثَ بِالْخَاتَمِينَ إِلَيْهِ .

[عرب تزوره ؛ وتستزير أبا العنّس]

وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ قَالَ : زَارَتْ عَرِيبُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ وَهُوَ فِي دَارِهِ عَلَى الشَّاطِئِ فِي
 الْمَطِيرَةِ² وَاقْتَرَحَتْ عَلَيْهِ حُضُورَ أَبِي الْعَنْسِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ : [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

قُلْ لَابَنِ حَمْدُونَ ذَاكَ الْأَرِيبِ وَذَاكَ الظَّرِيفِ وَذَاكَ الْحَسِيبِ
 كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَكْوَى عَرِيبِ لَوْجِدِ شَدِيدِ وَشَوْقِ عَجِيبِ
 وَشَوْقِي إِلَيْكَ كَشَوْقِ الْغَرِيبِ إِلَى أَرْضِهِ بَعْدَ طَوْلِ الْمَغِيبِ
 وَيَوْمِي إِنْ أَنْتَ تَمَمْتَهُ بِقُرْبِكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ
 حَبَانِي الزَّمَانُ كَمَا أَشْتَهِي بِقُرْبِ الْحَبِيبِ وَيُعْدِ الرَّقِيبِ
 فَمَا زِلْتُ أَشْرَبُ مِنْ كَفِّهِ وَأُسْقِيهِ سَقِي اللَّطِيفِ الْأَدِيبِ
 وَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهِ بِقَوْلٍ عَفِيفٍ وَقَوْلٍ مَرِيبِ
 إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي وَجْهُ الصَّبَاحِ كَوَجْهِكَ ذَاكَ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ
 فَلَا تُخْلِنَا يَا نَظَامَ السَّرُورِ رَمَنْكَ فَأَنْتَ شِفَاءُ الْكَيْبِ
 وَغَنٌّ لَنَا هَزَجاً مُنْسِكاً تَخِيفُ لَهُ حَرَكَاتُ اللَّيْبِ
 فَإِنَّكَ قَدْ حُزْتَ حَسَنَ الْغَنَاءِ وَقَدْ فُزْتَ مِنْهُ بِأَوْفَى نَصِيبِ

1 تنعمت : تمتعت . وفي ل : تولّمت .

2 المطيرة : قرية من متزهات بغداد وسامراء .

وكن بآبي أنت رجعت الجواب فداؤك أنفسنا من مجيب

[يعجبه اللحن فيكملة]

أخبرني جعفر قال : غنى أبو العنيس بن حمدون يوماً عند إبراهيم : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنني سألتك بالذي أدنى إليك من الوريد
إلا وصلت حبالنا وكفينا شر الوعيد

فزاد فيه إبراهيم قوله : [من مجزوء الكامل]

الهجر لا مستحسن بعد الموائق والعهود
وأراك مغرأة به أفما غرضت من الصدود¹
إنني أجدد لذتي ما دمت في يوم جديد
شربي معتقة الكرو م ونزهتي وزد الخدود

فغنى هذه الأبيات أبو العنيس متصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأولان ليسا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزوم² لأبي العنيس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعرب ثاني ثقيل بالوسطى .

[يكمل لحناً آخر]

قال جعفر : وغنته يوماً كراعاً بسر من رأى ونحن حضور عنده : [من السريع]

يا معشر الناس أما مسلم يشفع عند المذنب العاتب ؟
ذاك الذي يهرب من وصلنا تعلقوا بالله بالهارب

فزاد فيهما قوله : [من السريع]

ملكته حبلي ولكننه ألقاه من زهد على غاري

1 مغرة : مولعة من أغرى بالشيء أوقع به . غرضت : ضجرت ومللت .

2 مزوم من الزم وهو شد الأوتار .

وقال إني في الهوى كاذبٌ فانتقم الله من الكاذبِ

[عود إلى حبس المتوكل له]

حدثني عمي ، قال : حدثني محمد بن داود قال : كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون¹ في أيام نكبته يسأله إذا كَارَ المتوكلَ والفتح بأمره : [من الرمل]

كم ترى يلقى على ذا بدني قد بلي من طول همٍ وضني² !
أنا في أسرٍ وأسبابٍ ردَى وحديدٍ فادحٍ يكلمني
يا ابن حمدون فتى الجود الذي أنا منه في جنّي وردٍ جنّي
ما الذي ترقُّبه أم ما ترى في أخٍ مضطَّهِدٍ مرتَهَنٍ !
وأبو عمرانَ موسى حنقٌ حاقِدٌ يطْلُبُني بالإخْنِ³
وعبيدُ الله أيضاً مثله ونجاحٌ بي مُجِدٌّ ما يني
ليس يشفيه سوى سفكٍ دمي أو يراني مُدرَجاً في كَفَنِي
والأميرُ الفتحُ إن أذكرته حرَمَتي قامَ بأمرِي وعُني
فألُ صدقٍ حين أدعو باسمه وسرورٍ حين يغرُّو حَزَنِي
قل له : يا حُسَنَ ما أوليتني ما لِمَا أوليتني من ثَمَنٍ
زاد إحسانَكَ عندي عِظْماً أنَّهُ بادٍ لِمَن يعرفني
لستُ أدري كيف أجزيكَ به غيرَ أنِّي مُثْقَلٌ بالثَمَنِ
ما رأى القومُ كذُوبي عندهم عَظُمَ ذَنْبِي أنِّي لم أخُنْ
ذاك فعلي وراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنَنِ
سنةٌ صالحةٌ معروفةٌ هي مِنَّا في قديمِ الزَمَنِ
ظَفيرُ الأعداءِ بي عن حيلةٍ ولعلَّ اللهَ أن يُظْفِرَني
ليتَ أنِّي وهُمٌ في مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للْفَطَنِ
فترى لي ولهم ملحمةً يَهْلِكُ الخائنُ فيها والدَّني

1 حمدون : أحد ندماء المتوكل .

2 ضني : تعب .

3 أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قوَّاد المتوكل .

والذي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِفَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي
 قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَإِنِّهِ وَلَعِيسَى حَرْكُوه يَا بَنِي¹
 يعني يا بني الزانية ، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه .

[هل جرب الخمر من فمها ؟]

حدثني محمد بن يحيى الصولي : قال : كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة
 بالبكرية بسرٍّ مَنْ رَأَى فَقَالَ فِيهَا : [من السريع]

غادرت قلبي في إَسَارٍ لَدَيْكَ فَوَيْلَتَا مِنْكَ وَوَيْلِي عَلَيْكَ
 قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ أَنِّي أُعَانِي الْمَوْتَ شَوْقًا إِلَيْكَ
 مُنِّي بِفِكَ الْأَسْرِ أَوْ فَاقْتُلِي أَيُّهُمَا أَحَبُّتِ مِنْ حُسْنَيْكَ
 قَدْ كُنْتُ لَا أُعْذِي عَلَى ظَالِمٍ فَصَرْتُ لَا أُعْذِي عَلَى مُقْتَلِكَ
 الْخَمْرُ مِنْ فَيْكَ لَمَنْ ذَاقَهُ وَالْوَرْدُ لِلنَّظِيرِ مِنْ وَجْتَيْكَ
 يَا حَسْرَتَا إِنْ مِتُّ طَوَعَ الْهَوَى وَلَمْ أَتَلْ مَا أُرْتَجِيهِ لَدَيْكَ

وأنشدها أبو عبد الله بن حمدون هذه الأبيات ، وغنت بها ، وجعل يكرّر قوله :

الْخَمْرُ مِنْ فَيْكَ لَمَنْ ذَاقَهُ

ويقول : هذا والله قولٌ خبير مجرب ، فاستحيت من ذلك ، وسبت إبراهيم ، فبلغه
 ذلك ، فكتب إلى أبي عبد الله يقول :

أَلَمْ يَشْقُكَ التَّمَاعُ الْبَرْقِ فِي السَّحَرِ ؟ بَلَى وَهَيْجٌ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ ذِكْرِ
 مَا زَالَ دَمْعِي غَزِيرَ الْقَطْرِ مُنْسَجِمًا سَحًا بِأَرْبَعَةٍ تَجْرِي مِنَ الدُّرِّ
 وَقُلْتُ لِلْفَيْثِ لِمَا جَادَ وَإِلَهُهُ وَمَا شَجَانِي مِنَ الْأَحْزَانِ وَالسَّهَرِ
 يَا عَارِضًا مَاطِرًا أَمْطِرْ عَلَى كَبْدي فَإِنَّهَا كَبَدٌ حَرَّى مِنَ الْفِكَرِ
 لَشَدِّ مَا نَالَ مِنِّْي الدَّهْرُ وَاعْتَلَقْتُ يَدُ الزَّمَانِ وَأَوْهَتْ مِنْ قُوَى مِرْرِي²
 يَا وَاحِدِي مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَيَا غِنَايَ وَيَا كَهْفِي وَيَا وَزْرِي
 أَحِينَ أَنْشَدْتَ شِعْرِي فِي مُعَذِّبِي أَمَا رَأَيْتَ لَهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَصْرِ ؟

1 يقصد عيسى بن إبراهيم النصراني كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .

2 مررّي : قواي ، جمع مرّة .

وما شفعتَ بها شعري وقلت به
لبئس مستنصحا في مثل ذلك يا
واليوم يوم كريم ليس يُكرمه
نشدتك الله فاصبحه بصحبته
واجمع نداماك فيه واقترح رملًا
يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم
يا غادراً يا أحب الناس كلهم
ويا رجائي ويا سؤلي ويا أمني
ويا مُنأي ويا نوري ويا فرحي
لا تقبلي قول حسادي علي ولا
أداني الله من دهرٍ يُضعفني
إن يحجبوا عنك في تقديرهم بصري
يا قوم قلبي ضعيف من تذكرها
الله يعلم أنني هائم ذئف

في ريقها البارِد السلسال ذي الخصر¹
نفسى فداؤك من مستنصح غدير
إلا كريم من الفتيان ذو خطر
مباكِراً فالذُّ الشرب في البكر
صوتاً تغنيه ذات الدل والخفر
بين الهموم ارتياح الأرض للمطر
إلي والله من أنثى ومن ذكر
ويا حياتي ويا سمعي ويا بصري
ويا سروري ويا شمسي ويا قمري
والله ما صدقوا في القول والخبر
فقد حُجبت عن التسليم والنظر²
فكيف لم يحجبوا ذكري ولا فكري ؟
وقلبها فارغ أقسى من الحجر
بغادة ليتها حظي من البشر

[مجلس من مجالسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الله بن محمد المروزي ، قال :
حدثني الفضل بن العباس بن المأمون ، قال : زارتني عريب يوماً ومعهما عدة من جواربها ،
فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثت معنا ساعة ، وسألتهما أن تقيم عندنا ، فأبت ، وقالت : قد
وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم ، وهم في جزيرة المريد ، منهم
إبراهيم بن المدبر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، فحلفت عليها ، فأقامت .
ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطرًا واحدًا : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أردت ،
ولولا ، ولعلي .

ووجهت الرقعة إليهم ، فلما وصلت قرؤها ، وعيوا بجوابها ، فأخذها إبراهيم بن
المدبر ، فكتب تحت أردت «ليت» وتحت لولا «ماذا» ؟ وتحت لعلي «أرجو» ووجه

1 الخصر : البرد .

2 أداني : نصرني .

بالرقعة إليها ، فلمّا قرأتها طرِبَتْ ونعرت¹ ، وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم ؟ تركني الله إذاً من يديه ، وقامت فمضتْ وقالت لكم فيمن أتخلفه عندكم من جوارِي كفاية² .
[عرب تتدل في حبه عند مكاتبتها]

أخبرني محمد بن خلف : قال : حدّثني عبد الله بن المعتزّ ، قال : قرأت في مكاتبات لعريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبر مكتابة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتكَ ، قدّمتُ قبلك ، وعذرتك ، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتب إليه أيضاً : أستوهب الله حياتك ، قرأت رقعتك المسكينة التي كلّفتها مسألتك عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوّد نفسك ، جعلني الله فداها ، هذا الجفاء ، والثقة مني بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتب إليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء : قَبِلَ اللهُ صَوْمَكَ وتلقاه بتبليغك ما التمس ، كيف ترى نفسك ؟ ، نفسي فداؤك ، ولم كدّرت جسمك في آب ، أخرجه الله عنك في عافية ، فإنّه فظّ غليظ وأنت محرور³ ، وإطعام عشرة مساكين أعظم لأجرِك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتك دوني ، لأنّ نيّتي في الصوم كاذبة .

أخبرني جعفر بن قدامة قال : اتّصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسي ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدّة ، فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

إلى الله أشكو وحشتي وتفجّعي	وبعد المدى بيني وبين عريب
مضى دونها شهران لم أحلّ فيهما	بعيش ولا من قربها بنصيب
فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي	ولست إذا أبصرتها بغريب
وإنّ حبيباً لم يَرَ الناس مثله	حقيق بأن يُفدى بكلّ حبيب

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتزّ ، وهو من مشهور غنائها .

1 نعت : صوت بخيشومها .

2 تخلف فلان فلاناً : جعله خليفته .

3 محرور : يجد بصدرة حرارة .

[عود إلى مكاتبات عريب]

وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر ، وقد كتب إليها يشكو علته : كيف أصبحت أنعم الله صباحك ومبيتك ؟ وأرجو أن يكون صالحاً ، وإنما أردت إزعاج قلبي فقط .

وكتبت إليه تدعو له في شهر رمضان : أفديك بسمعي وبصري وأهل الله هذا الشهر عليك باليمن والمغفرة ، وأعانك على المفترض فيه والمتنفل ، وبلغك مثله أعواماً ، وفرج عنك وعني فيه :

قال وكتبت إليه : فداؤك السمع والبصر والأُم والأب ومن عرفني وعرفته . كيف ترى نفسك وقيتها الأذى ؟ وأعمى الله شائتك ، ومقه¹ الله عند هذه الدعوة ، وأرجو أن تكون قد أحييت إن شاء الله ، وكيف ترى الصوم ؟ عرفك الله بركته ، وأعانك على طاعته ، وأرجو أن تكون سالماً من كل مكروه بحول الله وقوته ، وواشوقي إليك وواحشتي لك ، ردك الله إلى أحسن ما عودك ، ولا أشمت بي فيك عدواً ولا حاسداً . وقد وافاني كتابك لا عدمته إلا بالغنى عنه بك ، وذكرت حامله ، فوجهت رسولي إليه ليدخله ، فأسأله عن خبرك ، فوجدته منصرفاً ، ولو رأيته لفرشت خدي له ، وكان لذلك أهلاً .

وكتبت إليه وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه : وهب الله لنا بقاءك ممتعاً بالنعم ، ما زلت أمس في ذكرك ، فمرة بمدحك ، ومرة بشكرك ، ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً . اجحد ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتاب ونفاقهم ، فأما خبرنا أمس فأما شربنا من فضلة نبيلك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا حُسابنا إليك ، فارفع حُسابناك إلينا ، وخبرنا من زارك أمس وأهلك ، وأي شيء كانت القصّة على جهتها ؟ ولا تُخطرف ، فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك ، وعن حالك ، وقُل الحق ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنك لا تحسن أن تؤدبه ، والحق أقول إنه يعتريك كُراز² شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولي عقوبة ، وإن عدت سمعت أكثر من هذا ، والسلام .

[شماعة]

حدّثني عمي قال : حدّثني محمد بن داود قال : كان عيسى بن إبراهيم النّصراني

1 مقه : أي أهلكه .

2 الكُراز هنا : الانزواء ، والانقباض ، والكُراز أصله من شدة البرد .

المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعي على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ، فلما زالت ، ومات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم وحبس ونهبت داره فقال فيه إبراهيم بن المدبر :

قل لأبي الشر إن مررت به مقالة غريت من اللبس
ألبسك الله من قوارعه آخذة بالخناق والنفس
لا زلت يا ابن البظراء مرتها في شر حال وضيق محبس
أقول لما رأيت منزله متهاً خالياً من الأنس¹
يا منزلاً قد عفا من الطفس وساحة أخليت من الدنس²
من لا قتراف الفحشاء بعد أبي الشر ——— ومن للقيح والنجس³ ؟

أخبرني جعفر بن قدامة قال : ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية ، فكان أكثر مقامه بمنج³ ، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلو⁴ ورعبان⁵ ، وخلف بمنج جارية كان يتحفظها مغنية يقال لها غادر ، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدلو⁴ ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دبر يعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب :

أيا ساقينا وسط دبر سليمان أديرا الكؤوس فانهلاني وعلائي⁶
وخصاً بصافيتها أبا جعفر أخي وذا ثقتي بين الأنام وخلصاني
وميلاً بها نحو ابن سلام الذي أود وعودا بعد ذاك لنعماني
وعماً بها الندمان والصحب إنني تنكرت عيشي بعد صحي وإخواني
ولا تترك نفسي تمت بسقامها لذكرى حبيب قد شجاني وعنائي⁷

1 الأنس : المؤانسين : جمع أنيس .

2 الطفس : الدنس .

3 منج : من أعمال حلب شمالي الشام .

4 دلو : بلدية من نواحي حلب .

5 رعبان : مدينة بين حلب وحمص .

6 دبر سليمان : قرب دلو مطلق على مرج العين .

7 لذكرى حبيب في ل : لذكرى حبيباً .

تَرَحَّلْتُ عَنْهُ عَنْ صُدُودٍ وَهَجْرَةٍ
 وَفَارَقْتُهُ وَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا
 وَلَيْلَةَ عَيْنِ الْمَرْجِ زَارَ خِيَالَهُ
 فَأَشْرَفْتُ أَعْلَى الدَّيْرِ أَنْظُرَ طَامِحاً
 لَعَلِّي أَرَى أَبْيَاتَ مَنْبِجِ رُؤْيَا
 فَقَصَّرَ طَرْفِي وَاسْتَهْلُ بِعَبْرَةٍ
 وَمِثْلَهُ شَوْقِي إِلَيْهِ مِقَابِلِي
 وَأَقْبَلَ نَحْوِي وَهُوَ بَاكِ فَأَبْكَانِي
 بَلُوعَةَ مَحْزُونٍ وَغُلَّةَ حَرَّانِي
 فَهَيَّجَ لِي شَوْقاً وَجَدُّدَ أَشْجَانِي¹
 بِالْمَحِ آمَاقٍ وَأَنْظُرَ إِنْسَانٍ
 تُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي وَتَكْشِفُ أَحْزَانِي
 وَفَدَّيْتُ مِنْ لَوْ كَانَ يَدْرِي لِفَدَائِي
 وَنَاجَاهُ قَلْبِي بِالضَّمِيرِ وَنَاجَانِي

[يَهْدِي شِعْرَهُ إِلَى أَخِيهِ]

قَرَأْتُ عَلَى ظَهْرِ دَفْتَرٍ فِيهِ شِعْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ أَهْدَاهُ مَجْمُوعاً إِلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ ، فَلَمَّا وَصَلَ
 إِلَيْهِ قَرَأَهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِ بِخَطِّهِ :

أبا إسحاقَ إن تكن الليالي
 عطفنَ عليك بالخطبِ الجسيمِ
 فلم أرَ صَرْفَ هذا الدهرِ يجري
 بمكروهٍ على غيرِ الكريمِ

[وفاء عريب له]

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : اجْتَمَعْتُ مَعَ عَرِيبٍ فِي
 مَجْلِسِ أَنَسِ بْنِ بَسْرٍ مَنْ رَأَى عِنْدَ أَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ يَوْمَئِذٍ بِبَغْدَادَ ، فَمَرُّ
 لَنَا أَحْسَنُ يَوْمَ ، وَذَكَرْتُهُ عَرِيبَ فَتَشَوَّقْتُهُ وَأَحْسَنْتُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالذِّكْرَ لَهُ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ
 مِنْ غَدَ ، وَشَرَحْتُهُ لَهُ ، فَأُجَابَنِي عَنْ كِتَابِي وَكُتِبَ فِي آخِرِهِ :

أَتَعْلَمُ يَا مَيْمُونُ مَاذَا تُهَيِّجُهُ
 وَوَصَفَ عَرِيبٍ فِي كَرِيمٍ وَفَائِهَا
 بَذَكَرَكَ أَحِبَابِي وَحَفِظْتُهُمُ الْعَهْدَا
 عَلَيْهِمَا سَلَامِي إِنْ تَكُنْ دَارُهَا نَاتُ
 وَإِجْمَالُهَا ذِكْرِي وَإِخْلَاصُهَا الْوُدَّ ؟
 فَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الَّذِي بَيْنَنَا جَدًّا
 وَسَكَنَ رَبُّ الْعَرْشِ سَاكِنَهَا الْخُلْدَا
 وَأَسْعَدَ فِيمَا أُرْتَجِيهِ لَهُ الْجَدََّا
 وَرَأَيْ أَصِيلٍ يَصْدَعُ الْحَجَرَ الصُّلْدَا
 وَخَصَّ أَبَا عَيْسَى الْأَمِيرَ بِنِعْمَةٍ
 فَمَا تَمُّ مِنْ مَجْدٍ وَطَوَّلٍ وَسُودَدَ

[يُصَلِّحُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرِيبٍ]

حَدَّثَنِي جِحْظَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ

وابن منارة والقاسم وابن زُرُور في بستان بالمطيرة وفي يوم غيم يُهريق رذاذه وَيَقْطُرُ أَحْسَنَ قَطْرٍ ، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلا بعريبٍ قد أُقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا ، فخرج حافياً ، حتى تلقاها وأخذ بركابها¹ ، حتى نزلت وقبّل الأرض بين يديها ، وكانت قد هجرته مدةً لشيء أنكرته عليه ، فجاءت وجلست وأقبلت عليه مبتسمة ، وقالت : إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى مَنْ هَاهُنَا لَا إِلَيْكَ . فاعتذرَ وَشِيعْنَا² قوله ، وشفعنا له . فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتت ، واصطبحنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم :

صوت

بأبي من حَقَّقَ الظنَّ به فأتانا زائراً مُبتدياً
كان كالغَيْثِ تراخى مُدَّةً وأتى بعد قُنُوطِ مُروياً
طاب يومانِ لنا في قُربه بعد شهرين لهجرٍ مضياً
فأقرَّ اللهُ عَيْنِي وَشَفَى سَقَمًا كان لجسْمي مُبلياً

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَلَ وَهَزَجَ بالوسطى .

[من شعره في عريب]

أنشدني الصولي رحمه الله لإبراهيم بن المدبر في عريب :

[من المديد]

زعموا أنِّي أَحَبُّ عَرِيَا صدقوا والله حُبًّا عَجيباً
حلٌّ من قلبي هواها مَحَلًّا لم تَدْعُ فِيهِ لَخْلُقِ نَصِيباً
ليقلَّ من قَدْ رَأَى النَّاسَ قَدْماً : هل رَأَى مِثْلَ عَرِيْبٍ عَرِيْباً ؟
هي شمسٌ والنساءُ نُجُومٌ فإذا لاحتْ أَفْلَنَ غُيُوباً

وأنشدني الصولي أيضاً له فيها .

[من المتقارب]

ألا يا عَرِيْبُ وَوُيَّتِ الرَّدى وجنَّبكَ اللهُ صَرْفَ الزَّمَنِ
فإنَّكَ أَصْبَحْتَ زَيْنَ النِّسَاءِ وواحدة النَّاسِ فِي كُلِّ فَنٍّ
فقرُّكُ يُدْني لذيذَ الحَيَاةِ وبعْدُكَ يَنْفِي لذيذَ الوَسَنِ

1 الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع رُكْبُ .

2 شِيعْنَا : قوينا .

فَنِعَمَ الْجَلِيسُ وَنِعَمَ الْأُنَيْسُ وَنِعَمَ السَّمِيرُ وَنِعَمَ السَّكَنُ

وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لَهُ : [من السريع]

إِنَّ عَرِيباً خُلِقَتْ وَحْدَهَا فِي كُلِّ مَا يَحْسُنُ مِنْ أَمْرِهَا
وَنِعْمَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ يَقْصُرُ الْعَالَمُ عَنْ شُكْرِهَا
أَشْهَدُ فِي جَارِيَتَيْهَا عَلَى أَنَّهُمَا مُحْسِنَتَا ذَهْرِهَا
فَبَدْعَةٍ تُبَدِّعُ فِي شَدْوَاهَا وَتُخَفِّفُ تُخَفِّفُ فِي زَمْرِهَا
يَا رَبُّ أَمْتَعْنَاهَا بِمَا خَوَّلَتْ وَامْدُدْ لَنَا يَا رَبُّ فِي عَمْرِهَا

[أبو شراعة يودعه]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَيَاضِ سَوَارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ الْقِيسِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِيِّ يَتَوَلَّى الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ مُحْسِناً إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ إِحْسَاناً يَعْثَمُهُمْ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ نَفْعُهُ ، وَيَخْصُنَا مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَجْزَلِ نَصِيبٍ ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنِ الْبَصْرَةِ شَيْعُهُ أَهْلُهَا ، وَتَفَجَّعُوا لِفِرَاقِهِ وَسَاءَ لَهُمْ صَرْفُهُ ، فَجَعَلَ يَرِدُّ النَّاسَ مِنْ تَشْيِيعِهِمْ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْأُنْسِ بِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا أَبِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا شُرَاعَةَ ، إِنَّ الْمَشِيعَ مَوْدُّعٌ لَا مَحَالَةَ ، وَقَدْ بَلَغْتَ أَقْصَى الْغَايَاتِ ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَنْصَرَفْتَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ إِلَى أَبِي شُرَاعَةَ مَا أَمَرْتُكَ لَهُ بِهِ ، فَأَحْضِرْ ثِيَاباً وَطِيباً وَمَالاً ، فَوَدَّعَهُ أَبِي ثُمَّ قَالَ :

[من الرمل]

يَا أَبَا إِسْحَاقَ سَرٌّ فِي دَعَاةٍ وَامْضِ مَصْحُوباً فَمَا مِنْكَ خَلْفُ
لَيْتَ شَعْرِي أَيْ أَرْضُ أُجْدَبْتُ فَأَغِيثَ بَكَ مِنْ جَهْدِ الْعَجْفِ¹ ؟
نَزَلَ الرَّحْمُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ وَحُرْمَنَّاكَ لِلذَّنْبِ قَدْ سَلَفُ²
إِنَّمَا أَنْتَ رَبِيعٌ بَاكِرٌ حَيْثُمَا صَرَفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفُ

[قلبه عند عريب]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ طَلْحَةَ الْكَاتِبُ قَالَ : قَرَأْتُ جَوَاباً بِخَطِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ فِي أَضْعَافِ رُقْعَةٍ كَتَبْتُهَا إِلَيْهِ عَرِيبٌ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ كَتَبَ تَحْتَ فِصْلِ مِنَ الْكِتَابِ تَسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ خَبْرِهِ :

[من الطويل]

وساء لتموه بعدكم كيف حاله وذلك أمر بيّن ليس يُشْكَلُ

1 العجف : الهزال الشديد .

2 الرَّحْم : الرحمة .

فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكم ولكن عن الجسم المخلف فاسألوا

[لا سرور في غيابها]

أخبرني علي بن العباس قال : حدثني أبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبر ، فزارته بدعة وتحفة وأخرجتنا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها : بنفسي أنت وسمعي وبصري ، وقل ذلك لك ، وأصبح يومنا هذا طيباً ، طيب الله عيشك ، قد احتجبت سماؤه ورق هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك ، لا فقدت ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنه وطيبه مني نشاطاً ولا طرباً لأمر صدتني عن ذلك ، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثت إليك بدعة وتحفة ليونسك وتسراً بهما . سرّك الله وسرّني بك !

فكتب إليها يقول :

[من المنسرح]

كيف السرور وأنت نازحة عني وكيف يسوغ لي الطرب !
إن غبت غاب العيش وانقطعت أسبابه وألحت الكرب

وأنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافياً حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه ، يطاء الحمار على بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها ، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ، ثم قال :

[من الطويل]

ألا رب يوم قصر الله طولَه بقرب عريب حبذا هو من قرب
بها تحسن الدنيا وينعم عيشها وتجتمع السراء للعين والقلب

[من شعره في جاريته عريب]

حدثني علي بن سليمان قال : أنشدني أبي قال : أنشدني إبراهيم بن المدبر ، وقد كتب إلى بدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخرتا عنه فكتب إليهما :

[من مجزوء الكامل]

قل يا رسول هذه ولهذه بأبي هما
قد كان وصلكما لنا حسناً فقيم قطعتما ؟
أعريب سيده النساء بهجرنا أمرتكما ؟
كلأ وبيت الله بل هذا جفاء منكما

[صوت له غثه عريب]

وأنشدني علي بن العباس لإبراهيم بن المدبر ، وفيه لعريب هزج ، وقال :

[من الهزج]

ألا يا بأبي أتم نأت دار بنا عنكم

فإن كنتم تبدلتم فما من بدّل منكم
وإن كنتم على العهد فأحسّتم وأجملتم
ويا ليت المنى حقّت فنبديها ولا نكنتم
فكنتم حيثما كنّا وكنا حيثما كنتم

[من شعره في سجنه]

وحدّثني عليّ قال : حدّثني أبي قال : دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غيم ، فلاح برق من قطب الشمال ونحن نتحدّث ، فقطع الحديث ، وأمّسك ساعة مفكراً ، ثم أقبل عليّ فقال :

[من مجزوء الخفيف]

بارق شرّد الكرى لاح من نحو ما ترى
هاج للقلب شجوه فاعتري منه ما اعتري
أيّها الشادن الذي صاد قلبي وما درى¹
كن عليماً بشيقوتي فيك من بين ذا الورى

[عود إلى جاري عريب]

وحدّثني عن أبيه قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر فزارته بدعة وتُحفّة وأقامتا عنده ، فأنشدنا يومئذ :

[من الخفيف]

أيّها الزائران حيّاكما الله هـ ومن أتما له بالسّلام
ما رأينا في الدهر بدرأ وشمساً طرّقا ثم رجّعا بالكلام
كيف خلّفتما عريباً سقاها الله هـ ربّ العباد صوب الغمام
هي كالشمس والحسان نجوم ليس ضوء النهار مثل الظلام
جمعت كلّ ما تفرّق في النّا سر وصارت فريدة في الأنام

[شعره في سجنه]

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس :

[من الطويل]

وإنّي لأستنشي الشمال إذا جرت حنيناً إلى الألف قلبي وأحبابي²
وأهدي مع الريح الجنوب إليهم سلامي وشكوى طول حُرني وأوصابي

1 الشّادن : ولد الظبي .

2 أستنشي : أشمّ .

فيا ليت شعري هل عريبٌ عليمةٌ بذلك أو نام الأجنة عما بي ؟

[يعاتب صديقه أبا الصقر]

حدثني عمي ، عن محمد بن داود قال : كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر
إسماعيل بن بلبل فلم يرضَ فعله لما نكب ولا نيابته عنه فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لا تُطِلْ عذلي عناء	إن في العذلِ بلاء
لست أبكي بطن مر	فكدياً فكداء ¹
إنما أبكي خليلاً	خان في الودِّ الصفاء
يا أبا الصقر سقاك الله	ه تهتانا رواء ²
وأدام الله نعماً	ك وملاك البقاء ³
لم تجاهلت ودادي	وتناسيت الإخاء ؟
كنت برّاً فعلى رأ	سي تعلّمت الجفاء
لا تميلن مع الرى	ح إذا هبت رُخاء
ربما هبت عقيماً	ترك الدنيا هباء ⁴

[حلم يتحقق]

أخبرني علي بن العباس قال : حدثني أبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته
عريب . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العنّس وقد غنى في هذا الشعر وأنت
تراسلينه فيه :

يا خليلي أرقنا حزننا لسنا برقي تبدى مؤهنا⁵

وكأنّي أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول :

وجلا عن وجهٍ دعدٍ مؤهنا عجباً منه سناً أبدى سنا

فقالت : ما أملح والله الابتداء والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العنّس

1 بطن مر : من نواحي مكة يجتمع عنده وادي النخلتين . فكدياً : بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعين . فكداء : بأعلى مكة عند الحصص .

2 تهتانا : مطراً متتابعاً . رواء : كثيراً مروباً .

3 ملاك : أمتك .

4 عقيماً : لا تخير فيها .

5 موهن ، نحو نصف الليل .

وسلّه عني وعنك الحضور ، فكتب إليه إبراهيم : [من الرمل]

يا أبا العباس يا أفتى الورى زارنا طيفك في سكر الكرى
وتغنى لي صوتاً حسناً في سنا برق على الأفق سرى
وعريباً عندنا حاصلة زين من يمشي على وجه الثرى
نحن أضيافك في منزلنا نتمناك فكن أنت القرى

قال : فسار إليهما أبو العنيس ، وحدّثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وغنّيا فيه بقية

يومهما : [من الطويل]

صوت

ألا حيّ قبل الين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق إليه وشائقه
ومن لا تواتي داره غير فينة ومن أنت تبكي كل يوم تفرقه¹

الشعر لقيس بن جرّوة الطائيّ الأجيّ ، قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على إبل لطىء
فحرّض زُرارة بن عدس عمرو بن هند على طييء وقال له : إنهم يتوعّدونك ، فغزاهم
واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أواره² وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلق
بعض أخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقیل أول بالوسطى عن الهشاميّ ومن مجموع غناء إبراهيم .

1 الفينة : الحين .

2 أواره : اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين .

[477] - ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أواره]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه ، وذكر أنَّ أحمد بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طييء . قال : وحدثني محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قالوا : كان من حديث يوم أواره أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار¹ الكندي وهو الذي يقال له مُضَرَّط الحجاره ، أنه كان عاقد هذا الحي من طييء على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأنَّ عمرو بن هند غزا اليمامة ، فرجع مُنْفِضاً² فمرَّ بطييء ، فقال له زُرارة بن عُلس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن ! أصيب من هذا الحي شيئاً ، قال له : ويلك ! إنَّ لهم عقداً ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً³ .

[قيس بن جروة يتهدده عمرو بن هند]

فقال في ذلك الطائي ، وهو قيس بن جروة أحد الأجييين قال : [من الطويل]

ألا حيي قبل البين من أنت عاشقهُ	ومَنْ أَنْتَ مشتاقٌ إليه وشائقهُ
ومَنْ لا تواتي داره غير فينة	ومَنْ أَنْتَ تبكي كلَّ يومٍ تفرقه
وتعدو بصحراء الثوية ناقتي	كعدو النحوص قد أمخت نواهقه ⁴
إلى الملك الخير ابن هند تزوره	وليس من الفوت الذي هو سابقه
وإن نساء هُنَّ ما قال قائلٌ	غنيمة سوء بينهنَّ مَهَارِقُهُ ⁵
ولو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنب	رَدَدْنَا وهذا العهد أَنْتَ مُعَالِقُهُ ⁶

1 المرار : شجر تأكله الإبل .

2 منفضاً : نافذ الزاد .

3 الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلا في الإناث .

4 الثوية : موضع قرب الكوفة . النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها . أمخت : صار لها مخ . النواحق : عظام

شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع ، أي سميعة .

5 المهرق : ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر .

6 معالقه : متعلق بدمتك .

فهبك ابنَ هند لم تُعَقِّك أمانةً وما المرء إلا عَقْدُه ومَوَائِقُه^٦
وكنا أناساً خافضين بنعمةٍ يسيل بنا تلح المِلا وأبارقُه^١
فأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصهوةٍ حرامٌ عليَّ رَمْلُه وشقائقُه^٢
وأقسم جَهْداً بالمنازلِ من مِنى وما خبٌّ في بطحائِهِنَّ ذَرادِقُه^٣
لئن لم تَغَيِّر بعضَ ما قد فعلتُم لأنتحينَ العظم ذو أنا عارِقُه^٤

فسمي عارقاً بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند ، فقال له زُرارة بن عُدَس : أبيت اللعن ، إنه يتوعّدك . فقال عمرو بن هند لثُرملة بن شُعَاث الطائي ، وهو ابن عمّ عارق : أيهجوني ابن عمك ويتوعّدني ! قال : والله ما هجاك ، ولكنه قد قال : [من الكامل]

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارِكُم لكسا الوجوه غضاضةً وهوانا^٥
وسلاسلا يبرقن في أعناقكم وإذا لقطّع تلکم الأقرانا^٦
ولكان عادته على جيرانه ذهباً ورِيطاً رادِعا وجِفا^٧

قالوا : الرادع : المصبوغ بالزعفران ، وإنما أراد ترملة أن يُذهب سَخيمته ، فقال : والله لأقتلنه . فبلغ ذلك عارقاً ، فأنشأ يقول :

من مبلغُ عمرو بنَ هندی رسالةً إذا استحقبتها العيس تُنضى على البعدِ^٨
أيوعدني والرمْل بيني وبينه ؟ تبينُ رويداً ما أُمامة من هندی
ومن أجلى دوني رِعانٌ كأنّها قنابل خيل من كَميت ومن ورْدٍ^٩

- 1 تلح : جمع تلعة . الملا : الصحراء . أبارق : جمع أبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .
- 2 أحتل : أنزل . صهوة : برج يتخذ في أعلى الراية . شقائق : جمع شقيقة ؛ وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .
- 3 الخيب : سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه . درادق : جمع دردق كعسكر : صغار الإبل .
- 4 لأنتحين : لأقصدن ، يريد لأصين هذا العظم .
- 5 عرق العظم : أخذ اللحم الذي عليه كَلَه .
- 6 الشطر الثاني في ل : ما إن كساكم غصة وهوانا .
- 7 الأقران : جمع قرن : حبل .
- 8 استحقبتها : حملتها على حقبة الرجل . الإبل العيس : البيضاء جمع أعيس . تنضى : تهزل .
- 9 رعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدّم الخيل . قنابل : جمع قنبل ، جماعة من الخيل ، وفي ل : قبائل . كَميت : تصغير كمت ، وهو من الخيل ما خالط حمرة سواد غير خالص . ورد : أحمر ضارب إلى الصفرة .

غدرت بأمر أنست كنت اجتذبتنا عليه وشُرُّ الشيمة الغدرُ بالعهد¹
فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامه إذا هو أُمسى حلبةً من دمِ الفصد²

فبلغ عمرو بن هند شعره هذا ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من طيء من بني عدي بن
أخزم ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، فيهم رجل من الأجييين يقال له قيس بن جحدر ،
وهو جد الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ،
وكذلك كان يصنع ، فسأله إياهم ، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ، لأنه كان من
الأجييين من رهط عارق ، فقال حاتم : [من الطويل]

فككت عدياً كلّها من إسارها فأنعم وشفعني بقيس بن جحدر
أبوه أبي والأمّهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومغشري
فاطلقه .

[مالك بن المنذر]

قال : وبلغنا أنّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ، ويقال : بل كان أخاً له
صغيراً ، يقال له : مالك عند زُرارة ، وإنه خرج ذات يوم يتصيد ، فأخفق ، ولم يصب
شيئاً ، فرجع ، فمرّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارم ، يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن
عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنة زُرارة بن عدس ، فولدت له سبعة غلمة ، فأمر
مالك بن المنذر بناقعة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويد نائم ، فلمّا انتبه شدّ على مالك
بعضاً فضربه بها ، فأمه³ . ومات الغلام ، وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة وعلم أنّه لا
يأمن ، فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط⁴ بمكة ، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن
قيس بن سويد ، وكانت طيء تطلب عشرات زُرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي
الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مَلَقَط الطائي يقول : [من مجزوء الكامل]

من مبلغ عمراً بأن المرء لم يُخلق صُبارة⁵
وحوادث الأيام لا تبقى لها إلا الحجارة

1 اجتذبتنا في ل : اجتذبتنا .

2 حلبة : مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .

3 أمّه : شج رأسه .

4 اختطّ : نزل خطّة بمكة .

5 صُبارة : الحجارة الملس .

أَنْ ابْن عِجْزَةَ أُمِّهِ بالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارَةِ
قال هشام : أَوَّلُ ولد المرأة يقال له : زُكْمَةٌ ، والآخِر : عِجْزَةٌ .
تسفي الرياحُ خلَّاله سَحْيًا وَقَدْ سَكَبُوا إِزَارَةً¹
فاقتل زُرَّارَةً لا أَرى في القوم أَفْضَلَ مِنْ زُرَّارَةٍ

[مرب زرارة وعودته]

فلما بلغ هذا الشعرُ عمرو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زُرَّارَةَ ،
فَهَرَبَ ، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حُبْلَى فقال : أَذْكَرُّ
في بطنك أم أنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرَّارَةُ الغادر الفاجر ؟ فقالت : إن
كان ما علمتُ لطِيبُ العَرَقِ سمين المَرَقِ ويأكل ما وَجَدَ ، ولا يسأل عما فَقَدَ ، لا ينام ليلةً
يَخَافُ ، ولا يشبع ليلةً يُضَافُ . فَبَقِرَ بطنها .

فقال قوم زُرَّارَةَ لزرارة : والله ما قتلْتَ أخاه ، فَأَتِ الملك ، فاصدقه الخير ، فَأَتَاهُ زُرَّارَةَ ،
فأخبره الخبر فقال : جئني بسويد ، فقال : قد لحق بمكَّةَ ، قال : فعليَّ بينه السبعة ، فَأَتَيْ بنيه
ويأثمهم بنت زُرَّارَةَ وهم غِلْمَةٌ بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا
عنقه ، وتعلَّقَ بزُرَّارَةَ الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرَّارَةَ : يا بعضي دع بعضاً² ، فذهبت مثلاً .
وَقَتِلُوا .

[عمرو ينكل بني نميم]

وَأَلَى عمرو بن هند بأليَّةٍ ليَحْرِقَنَّ من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدهم وبعث على
مقدمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتَّاب بن مِلْقَط ، فوجدوا القوم قد نَذَرُوا ، فَأَخَذُوا منهم
ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أَوَارَةِ من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ،
حتى انتهى إلى أَوَارَةِ ، فَضْرِبَتْ فيه قَبْطُهُ ، فأمر لهم بأخذود فحفر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلما
احتدمت وتلظَّتْ ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

[إن الشقي وافد البراجم]

وأقبل راكب من البراجم ، وهم بطن من بني حنظلة ، عند المساء ، ولا يدري بشيء مما
كان يُوضع له³ بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد

1 سحياً في ل : كشحيه . وسحياً : قشراً .

2 مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام ، ورد في مجمع الأمثال 410/2 والجمهرة للعسكري 420/2 ، 423
والمستقصى 405/2 وفصل المقال 209 والأمثال للقاسم بن سلام 139 .

3 الإيضاع : حمل الدواب على العدو السريع .

أَقْوَيْتُ¹ ثَلَاثًا لَمْ أَذُقْ طَعَامًا ، فَلَمَّا سَطَعَ الدَّخَانُ ظَنَنْتُهُ دَخَانَ طَعَامٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ :
مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ الْبَرَاكِمِ ، قَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاكِمِ² فَذَهَبَ مِثْلًا ، وَرُمِيَ بِهِ
فِي النَّارِ ، فَهَجَّتِ الْعَرَبُ تَمِيمًا بِذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ الصَّعْقِ الْعَامِرِيُّ : [مَنْ الْوَافِر]

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَايَةَ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

[مثل من شجاعة المرأة]

وَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ لَا يَرَى أَحَدًا ، فَقِيلَ لَهُ : أَيَّتَ اللَّعْنِ ! لَوْ تَحَلَّلْتَ بِامْرَأَةٍ مِنْهُمْ ، فَقَدْ
أَحْرَقَتْ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ رَجُلًا . فَدَعَا بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا
الْحَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ قَطَنَ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأُظْنُكَ أَعْجَمِيَّةً ، فَقَالَتْ :
مَا أَنَا بِأَعْجَمِيَّةٍ وَلَا وَلَدْتَنِي الْعَجَمُ . [مَنْ الرَّجَز]

إِنِّي لِبِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ سَادَ مَعْدًا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
إِنِّي لِأَخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ إِذَا الْبِلَادُ لُفَّعَتْ بِجَمْرَةٍ

قَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ تَلْدِي مِثْلَكَ لَصَرَفْتُكَ عَنِ النَّارِ ، قَالَتْ : أَمَا وَالَّذِي
أَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ وَسَادَكَ ، وَيَخْفِضَ عِمَادَكَ ، وَيَسْلِبَكَ مُلْكَكَ ، مَا قَتَلْتُ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهَا تُدِيَّ
وَأَسْفَلَهَا دُمِّي قَالَ : أَقْذِفُوهَا فِي النَّارِ ، فَالْتَفَتَتْ ، فَقَالَتْ : أَلَا فَتَى يَكُونُ مَكَانَ عَجُوزٍ ! فَلَمَّا
أَبْطَؤُوا عَلَيْهَا قَالَتْ : صَارَ الْفَتَيَانُ حُمَمًا³ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا فَأَحْرِقَتْ ، وَكَانَ زَوْجُهَا يَقَالُ لَهُ
هَوْدَةَ بْنُ جَرُولَ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ .

[لَقِيطُ يَعْيَرُ بَنِي مَالِك]

فَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَعْيَرُ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بِأَخْذٍ مِنْ أَخْذِ مَنْهُمْ الْمَلِكُ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُمْ
وَنَزُولِهِمْ مَعَهُ :

لَمَنْ دِمْنَةٌ أَقْفَرْتُ بِالْجَنَابِ إِلَى السَّفْحِ بَيْنَ الْمَلَا فَالْهَضَابِ⁴
بَكَيْتَ لِعَرْفَانَ آيَاتِهَا وَهَاجَ لَكَ الشُّوقَ نَعْبُ الْغَرَابِ

1 أقويت : نفذ زادي .

2 مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . ويُروى راكب البراجم . ورد في مجمع الأمثال 29/1 والدرر الفاخرة
259/1 ، 260 والجمهرة 10/1 ، 121 ، 122 والمستقصى 405/1 وفصل المقال 452 .

3 مثل . ورد في مجمع الأمثال 394/1 والمستقصى 137/2 .

4 الجنب والسفح والملا والهضاب : مواضع .

فأبلغ لديك بني مالك مغلفةً وسراً الرّباب¹
 فإن امرءاً أنتم حوّلته تحفون قَبْتَه بالقياب
 يهينُ سراتكمُ عامداً ويقتلكم مثل قتل الكلاب
 فلو كنتمُ إبلاً أُمِلحت لقد نزعتُ للمياه العذاب²
 ولكنكم غنمٌ تُصطَفى ويترك سائرُها للذئاب
 لعمر أبيك أبي الخير ما أردتَ بقتلهم من صواب
 ولا نعمةً إن خيرَ الملو لك أفضلهم نعمةً في الرقاب

[شعر الطرماح في أواره]

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا : [من البسيط]

واسأل زُرارة والمأمور ما فعلت قتلى أواره من رعلان واللدد³
 ودارمأ قد قذفنا منهم مائة في جاحم النار إذ يُلقون بالخد⁴
 ينزون بالمشتوي منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تَقد

[زرارة يريد الثأر من ابن ملقط]

قال : فحدثني الكلبي عن المفضل الضبيّ قال : لما حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنّه لم يبق لي عند أحد من العرب وتر ، إلّا قد أدركته ؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقط الملك علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأَيْكم يضمّن لي طلب ذلك من طيّء ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عم . ومات زُرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة من طيّء ، فقاتوهم ، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تامة وقال في ذلك شعراً .

[لقيط بن زُرارة يخطب بنت ذي الجدين]

وكان زُرارة بن عدس بن زيد رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خيلاء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانَه وهو يومئذ شاب . فقال له زُرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنّما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحت بنت ذي

1 مغلفة : أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد .

2 أُمِلحت : وردت ماء ملحاً .

3 رعلان : حصن . واللدد : موضع .

4 جاحم : شديد الاشتعال . الخدد : جمع خدة أي حفرة .

الجدّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليّ ألا يمس رأسي غَسْل ، ولا آكلَ لحمًا ، ولا أشرب خمرًا ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له : يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسَلّما على ناديمهم ثم قال لقيط : أفياكم قيس بن خالد ذو الجدّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأياكم هو ؟ قال قيس : أنا قيسٌ ، فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ابنتك ، وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلاّ أصابه بشرٌ وسمِع به ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بن زُرارة بن عُدَس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك يا ذا القُصّة ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : ولم يا عمّ ؟ فوالله إنّك لرُغبة¹ وما بي من نِضاة ، أي ما بي عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك ، فأعجب قيساً كلامه ، وقال : كفاء كريم ؛ إني زوّجتُك ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر² ولا ناب³ ولا كزوم⁴ ؛ ولا تبيت عندنا عزبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أمّ الجارية : أنّني قد زوّجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القُدور ، فاصنعها واضربي لها ذلك البَلق⁵ ، فإن لقيطُ بن زُرارة لا يبيت فينا عزبا . وجلس لقيط يتحدّث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأردّها للقاح وأهزلّها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبّها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً ، فذهب إلى البَلق فجلس فيه ، وبعثت إليه أمّ الجارية بمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي بها إليه ، فوالله لئن ردّها ما فيه خير ، ولئن وضعها تحته ما فيه خير ، فلمّا جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردّها عليها ، فلمّا رجعت الجارية إليها ، خبّرتها بما صنع ، فقالت : إنّهُ لخليقٌ للخير ، فلمّا أمسى لقيط أهديت الجارية إليه . فمازحها بكلام اشمأزت منه ، فنام وطرح عليه طرفَ خَمِيصة⁶ ، وباتت إلى جنبه ، فلمّا استثقل انسلّت فرجعت إلى أمّها ، فانتبه لقيط ، فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك⁷ وإياك أن يُسمع رُعاؤُها .

1 رغبة : يرغب فيك الناس .

2 مظائر : ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظلمة .

3 الناب : الناقة المسنة .

4 الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هراً .

5 البلق : الفسطاط .

6 الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

7 البعير يطلق على الناقة أيضاً .

[لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى]

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط ، حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ، ثم انصرف لقيط من عند كسرى ، فأتى أباه ، فأخبره خبره .

[لقيط يعود إلى زوجته ثم تميم منه]

وأقام يسيراً ، ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجوا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط :

انظر قراد وهاتا نظرة جزعا عرض الشقائق هل بيئت أظلعانا
فيهن أترجّة نضخ العبير بها تكسى ترائبها شذرا ومرجانا¹

فخرجنا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أن زوجك فارس مضر ، وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمishi عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً ، قالت له : أما والله لقد ربيتني صغيرة ، وأقصيتني كبيرة ، وزودتني عند الفراق شراً زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحي من العرب إلا قالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القباب ، والخيل العراب² ، قالت : يا لقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياماً يطعم وينحر ، ثم بنى بها ، فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة³ ، فبعث إليها أبوها أنحاً لها فحملت ، فلما ركب بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً⁴ ، فوالله ما رأيت مثل لقيط ، لم تخمishi عليه امرأة وجهاً ولم تحلقي عليه شعراً ، فلولا أنني غريبة لخمشت وحلقت ، فحجب الله بين نسائككم ، وعادى بين رعاككم ، فاثنوا عليها خيراً .

1 الأترجة : ثمر شجر من فصيلة الليمون . نضخ : أثر طيب يبقى في الثوب وغيره . شذراً : قطعاً من الذهب .

2 العراب : خلاف البراذين واحدها عربي .

3 يوم جبلة : يوم بين بني عبس وذبيان ابني بغيض .

4 ل : شراً .

[زوجة لقيط في عصمة غيره]

ثم مضت حتى قدمت على أبيها ، فزوجها من قومه ، فجعل زوجها يسميها تذكر لقيطاً ، وتخزن عليه ، فقال لها : أي شيء رأيت من لقيط أحسن في عينك ؟ قالت : خرج يوم دجن وقد تطيب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضح دماء ، فضمني ضمة ، وشممني شمة ، فليتني ميتة ثمّة ، فلم أرَ منظرًا كان أحسن من لقيط ، فمكث عنها حتى إذا كان يوم دجن شرب ، وتطيب ، ثم ركب ، فطرد البقر ، ثم أتاها وبه نضح دم والطيب وريح الشراب ، فضمها إليه وقبلها ، ثم قال لها : كيف ترين ؟ أنا أم لقيط فقالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان¹ فذهبت مثلاً ، وصداء : ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها ، وقد ذكرها التميمي في شعره :

إنني وتهيامي بزنب كالذي يُخالس من أحواض صداء مشرباً
يرى دون برد الماء هولاً وذادةً إذا اشتدّ صاحوا قبل أن يتحبباً²
يقول : قبل أن يروى يقال : تحببت من الشراب أي رويت ، وبضعت منه أيضاً أي رويت منه ، والتحبب : الرّي .

صوت

[من الطويل]

وكاتبية في الخد بالمسك جعفرأ بنفسي مخط المسك من حيث أثراً³
لئن كتبت في الخد سطرًا بكفها لقد أودعت قلبي من الحب أسطراً
فيا من لملوك الملك يمينه مطيع لها فيما أسر وأظها
ويا من هواها في السريرة جعفرأ سقى الله من سقيا ثنايك جعفرأ

الشعر لمحبة شاعرة المتوكل ، والغناء لعريب خفيف رمل مطلق .

1 السعدان : أطيب المراعي للإبل . وهنا مثل ويروى كصدي : ورد في مجمع الأمثال 277/2 وفصل المقال 199 ، 201 والجمهرة للعسكري 91/2 ، 241 ، 255 والمستقصى 339/2 وورد مرعى ولا كالسعدان في مجمع الأمثال 225/2 ، 242 ، 275 والمستقصى 344/2 وفصل المقال 199 والقاسم بن سلام 135 ومواطن أخرى .

2 اشتد في ل : شد .

3 المخط : القلم يخط به المسك .

[478] - أخبار محبوبة

[محبوبة أجمل من فضل]

كانت محبوبة مؤلدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها ، وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعف ، ومَلَكها المتوكل وهي بكر ، أهداها له عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده مدة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغني غناء ليس بالفاخر البارِع .

[حاضرة البديهة]

أخبرني بذلك جحظة عن أحمد بن حمدون . وأخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني علي بن يحيى المنجم : كان علي بنُ الجهم يُقرب من أنس المتوكل جداً ، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمة وأحاديث خلواته ، فقال له يوماً : إنني دخلت على قبيحة ، فوجدتها قد كتبت اسمي على خدّها بغالية¹ ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ ، فقل في هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء الستّر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمئة وصيفة إلى المتوكل ، قال : فدعا علي بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكر ولا روية :

وكتابةً بالمسك في الخدّ جعفرًا	بنفسي مخطّ المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخدّ سطرًا بكفّها	لقد أودعت قلبي من الحبّ أسطرا
فيا مَنْ لملوك لِمَلِك يمينه	مطيع له فيما أسرّ وأظهرها
ويا مَنْ منها في السريرة جعفرُ	سقى الله من سقيا ثناياك جعفرًا

قال : وبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأمر المتوكل بالآيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغني فيها ، قال علي بن يحيى ، قال علي بن الجهم بعد ذلك : تحيرتُ والله ، وتقلّبتُ خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

[شعرها في تفاحة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني ابن خرداذبه قال حدثني علي بنُ الجهم : قال :

كنتُ يوماً عند المتوكل وهو يشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلفة فقبلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب ، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها ، وضحك ضحكاً شديداً ، ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها :

يا طيبَ تُفاحة خلوتُ بها	تُشعل نارَ الهوى على كِبدي
أبكي إليها وأشتكي دَنفي	وما ألقى من شدة الكمدِ
لو أن تُفاحةً بكت لبكت	من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لقيتُ	نفسي من الجهدِ فارحني جسدي

قال : فوالله ما بقي أحد إلا استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكل فغني في هذا الشعر صوتُ شربٍ عليه بقية يومه .

[وفاؤها للمتوكل بعد موته]

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم : أن جوارِي المتوكل تفرقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدة منهن ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطحب يوماً وأمر بإحضار جوارِي المتوكل ، فأحضرن ، عليهن الثياب الملونة ، والمذهبة والحلي ، وقد تزينَ وتعطرُن إلا محبوبة فإنها جاءت مرهاء¹ متسلبة² ، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة ، حزناً على المتوكل . فغني الجوارِي جميعاً ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يا محبوبة غني فأخذت العود ، وغنت وهي تبكي ، وتقول :

أيُّ عيشٍ يطيبُ لي	لا أرى فيه جعفرًا
ملكاً قد رآته عَيِّ	سني قتيلاً معفراً ³
كلُّ مَنْ كان ذا هُيا	مٍ وحزنٍ فقد برا ⁴
غير محبوبةٍ التي	لو ترى الموت يُشتري
لاشترته بملكها	كلُّ هذا لتُقبِرا

1 مرهاء : غير مكحلة .

2 متسلبة : لابسَة ثياب الحداد .

3 معفراً : ممروعاً في التراب أو مضروباً به الأرض .

4 برا : تخفيف من برا ، أي شفي من المرض .

إِنْ مَوْتَ الكَيْبِ أَصْدَ لَحْ مِنْ أَنْ يَعمَرَ

فاشتد ذلك على وصيف ، وهمم بقتلها . وكان بغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأن تكون بحيث تختار من البلاد ، فخرجت من سر من رأى إلى بغداد ، وأخملت ذكرها طول عمرها .

خصام وصلح في المنام ؛ ثم في اليقظة [

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني ملاوي الهيمى قال : قال لي علي بن الجهم : كانت محبوبة أهديت إلى المتوكل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب مغنية محسنة ، فحظيت عند المتوكل ، حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيدخل رأسه إليها ، ويحدثها ، ويراه في كل ساعة . فغاضبها يوماً ، وهجرها ومنع جواريه جميعاً من كلامها ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعه العزة ، وامتنعت من ابتدائه إذلالاً عليه بمحلها منه . قال علي بن الجهم : فبكرت إليه يوماً فقال لي : إني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأنني قد صالحتها ، فقلت : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، وأناملك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينما هو يحدثني وأجيبه إذا بوصيفة قد جاءت ، فأسرت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرت هذه إلي ؟ قلت : لا ، قال : حدثني أنها اجتازت بمحبة الساعة وهي في حجرتها تغني ، أفلا تعجب من هذا ؟ إني مغاضبها ، وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها ، قم بنا يا علي حتى نسمع ما تغني . ثم قام ، وتبعته ، حتى انتهى إلى حجرتها فإذا هي تغني وتقول : [من المنسرح]

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأنني ركبت معصية ليست لها توبة تخلصني
فهل لنا شافع إلى ملك قد زارني في الكرى فصالحني
حتى إذا ما الصباح لاح لنا عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل ، وأحسنت بمكانه . فأمرت خدامها ، فخرجوا إليه ، وتنحنينا وخرجت إليه ، فحدثته أنها رأت في منامها ، وقد صالحها ، فانتبهت ، وقالت هذه الأبيات ، وغنت فيها . فحدثها هو أيضاً بروياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كل واحد منّا بجائزة وخيلة .

ولما قُتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها ، فإنها لم تنزل حزينه متسلية هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مراث كثيرة .

صوت

[من البسيط]

يا ذا الذي بعذايي ظلّ مفتخراً هل أنت إلاّ مليكٌ جارٍ إذ قدّرا
 لولا الهوى لتجازينا على قدّرٍ وإن أُفِقَ منه يوماً ما فسوف تَرى
 الشعر يقال إنّه للوائق ، قاله في خادم له غضب عليه ، ويقال : إنّ أبا حفص الشّطرنجي
 قاله له .

والغناء لُعبيدة الطنبوريّة رمّل مطلق ، وفيه لحن للوائق آخر ، قد ذكر في غنائه .

[479] - أخبار عبيدة الطنبورية

[نشأتها]

كانت عبيدة من المحسنات المتدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاق وحسبها بشهادته . وكان أبو حشيشة¹ ، يعظمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات ، وقرأت عليه خبرها فيه فقال : كانت من المحسنات ، وكانت لا تخلو من عشق ، ولم يعرف في الدنيا امرأة أعظم منها في الطنبور ، وكانت لها صنعة عجيبة ، فمنها في الرمل :

كن لي شفيعاً إليك إن خفّ ذاك عليك
وأعيني من سؤالي سواك ما في يديك
يا مَنْ أُعِزُّ وأهوى مالي أهون عليك ؟

[تغنى بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال ، لي علي بن الهيثم اليزيدي : كان أبو محمد ، يعني أبي رحمة الله إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، يألفني ويدعوني ، ويعاشرني ، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرّ بي ، وأنا مشرف من جناح لي ، فوقف وسلّم عليّ . وأخبرني بقصته ، وقال : هل تنشط اليوم للمسير إليّ ؟ فقلت له : ما على الأرض شيء أحب إليّ من ذلك ، ولكنّي أخبرك بقصتي ، ولا أكتمك . فقال : هايتها ، فقلت : عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، وقد دعونا عبيدة الطنبورية ، وهي حاضرة ، والساعة يجيء الرجال ، فامض في حفظ الله ، فإنّي أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاً عرضت عليّ المقام عندك ؟ فقلت له : لو علمت أنّ ذلك ممّا تنشط له والله لرغبت إليك فيه ، فإن تفضلت بذلك كان أعظم لئنتك ، فقال : أفعل ، فإنّي قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة ، ولكن لي عليك شريطة ، قلت : هايتها ، قال : إنها إن عرفنتي وسألتموني أن أغني بحضرتها لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جيلتها ، فقلت : أفعل

1 أبو حشيشة : محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء ، وله كتاب في الطنبوريين .

ما أمرت به ، فنزل وردّ دابته وعرفتُ صاحبيّ ما جرى ، فكتماها أمره وأكلنا ما حضر ،
وقدّم النبيذ ، فغنتُ لحناً لها تقول :

قريبٌ غيرُ مقتربٍ ومؤتلفٌ كمجتنبٍ
له ودّي ولي منه دواعي الهَمِّ والكُربِ
أواصله على سببٍ ويهجرني بلا سببٍ
ويظلمني على ثقةٍ بأنّ إليه مُتقلبي

فطرب إسحاق ، وشرب نصفاً ، ثم غنّت وشرب نصفاً ، ولم يزل كذلك حتى والى
بين عشرة أنصاف ، وشربناها معه ؛ وقام ليصلي ، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام :
ويحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متّ ، قالت : ولم ؟ قال : أتدريّن من المستحسنُ
غناءكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا
تعرفيه أنّك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأتُ تغني ، فلحققتها هيبةً له ، واختلاط ،
فنقصتُ نقصاناً بيّناً ، فقال لنا : أعرفتموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرفها إيّاك
هارون بن أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذا ، فنصرف ، فإنه لا خيرَ في عشرتكم الليلة ولا
فائدة لي ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدّثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة منهم العباس بن أبي العنّيس ، فذكر مثله وقال
فيه : إنّ الصوت الذي غنّته :

يا ذا الذي يعذابي ظلّ مفتخراً

[المسدود يأبى أن يغني قبلها]

حدّثني جحظة قال : حدّثني محمد بن سعيد الحاجب قال : حدّثني ملاحظٌ غلام أبي
العبّاس بن الرشيد . وكان في خدمة سعيد الحاجب ، قال : اجتمع الطنبوريّون عند أبي
العبّاس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدود وعبيدة ، فقالوا للمسدود : غنّ ، فقال : لا
والله ، لا تقدّمتُ ، عبيدة ، وهي الأستاذة ، فما غنّي حتى غنّت .

[لم تدخل عليه بعد أن تزوّج]

وحدّثني جحظة ، قال : حدّثني شرائح الخزاعيّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر
وساباط شرائح مشهور قال : كانت عبيدة تعشقني فتزوّجتُ فمرّت بي يوماً فسألتهما الدُخولَ
إليّ فقالت يا كشخان¹ ، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مصلحة ! ولم تدخل .

[ما كتب على طنبورها]

وحدَّثني جحظة قال : وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب
بأبنوس :

كل شيء سوى الخيانة في الحب يُحتمل

[لا تردّ يد لاس]

وحدَّثني جحظة وجعفر بن قدامة ، وخبر جعفر أتم ، إلا أنني قرأته على جحظة ،
فعرفه ، وذكر لي أنه سمعه ، قالاً جميعاً : حدَّثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال : كان
علي بن أحمد بن بسطام المروزي ، وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وشبيب أحد النفر الذي
سترهم المنصور خلف قبة يوم قتل أبا مسلم ؛ وقال لهم : إذا صفقت فخرجوا فاضربوه
بسيوفكم . ففعل وفعلوا ، فكان علي بن أحمد هذا يتعشق عبيدة الطنبورية وهو شاب
وأنفق عليها مالا جليلاً ، فكتبت إليه أسأله عن خبرها ومن هي ؟ ومن أين خرجت ؟
فكتب إلي : كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغساني ، نديم عبد
الله بن طاهر ، وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكل
رجل منهم مائة ألف دينار ، وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء ، يختلف إلى أبي
السمراء ، وكان صباح صاحب أبي السمراء ، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم
يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات ، وشرب ، وغنى وإنس ، وكان لعبيدة صوت
حسن وطبع جيد ، فسمعت غناء الزبيدي ، فوقع في قلبها واشتهته ، وسمع الزبيدي
صوتها ، وعرف طبعها فعلمها ، وواظب عليها ، ومات أبوها ، ورقت حالها ، وقد
حذقت الغناء على الطنبور ، فخرجت تغني ، وتقنع باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة
الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمت وكبر حظها ، واشتهاها الناس . وحلّت
تكتها ، وسمحت ، ورغب فيها الفتیان ، فكان أول من تعشّقها علي بن الفرج الرّحجي
أخو عمر ، وكان حسن الوجه كثير المال ، فكنّت أراها عنده ، وكنا نتعاشر على
الفروسيّة ، ثم ولدت من علي بن الفرج بنتاً ، فحجّجها لأجل ذلك ، فكانت تحال في
الأوقات بعلّة الحمام وغيره ، فتلمّ بمن كانت تودّه ويودّها ، فكنّت ممن تلمّ به ، وأنا
حينئذ شاب قد ورثت عن أبي مالا عظيماً وضياعاً جليلاً ، ثم ماتت بنتها من علي بن
الفرج ، وصادف ذلك نكبتهم واختلال حال علي بن الفرج ، فطلقها فخرجت ، فكانت
تخرج بدنيارين للنهار وديارين لليل ، واعترت¹ بأبي السمراء ، ونزلت في بعض دوره .

1 اعترت بفلان : اعترضت للمعروف .

وتزوَّجت أمُّها بوكيل له ، فتعشَّقت غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغني بالمعرفة غناءً مليحاً ، وكان حسن الوجه ، لا عيب في جماله إلاَّ أنه كان متغيِّراً النكهة ، وكانت شديدة الغلظة لا تحرم أحداً ولا تكرهه ، من حدُّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلَّقت شاباً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطَّاب ، مشروط الوجه أفسطس قبيحاً شديد الأذمة ، فقيل لها : أي شيء رأيت في أبي كرب ؟ فقالت : قد تمتعت بكلِّ جنس من الرِّجال إلاَّ السودان ، فإنَّ نفسي تبشعهم ، وهذا بين الأسود والأبيض ، وبينه فارغ لما أُريد ، وهو صفعاني¹ إذا أردت ووكيلي إذا أردت . قال : وكان لها غلام يضرب عليها يقال له عليّ ويلقَّب ظئر عبيدة ، فكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغل الطحَّان يصلح للحمل والطَّحن والركوب .

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنيهم مع جواريه ، وإنَّما عرفها من داري ، لأنَّه بعث يدعوني ، فدخل غلامه ، فراها عندي ، فوصفها له فكتب إليَّ يسألني أن أجيبه بها معي . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقي وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلاَّ وقد عقدت بين الجماعة مودةً ، وكان جواريه عمرو بن بانة يشتنن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، فيقول لهنَّ : ابعثن إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنَّ ، فإنَّه يميل إليها ، وهو صديقي وأخشى أن يظنَّ أنَّي قد أفسدتها عليه ، ولم يكن به هذا إنَّما كان به الدَّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ، وكان عمرو من أبخل النَّاس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها : [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابني ظلُّ مفتخراً

وكان صوتُ علَّويه ومُخارق عليها :

[من مجزوء الوافر]

قريبٌ غير مقترَب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتهما .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبرمكته وتوقيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه ، وماتت عبيدة من نزف أصابها ، فأفرط حتى أتلَّفها .

[إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة]

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن الناس مَنْ ينسبه إلى إسحاق : [من البسيط]
 أُمست عبيدةً في الإحسانِ واحدةً فاللهُ جارٌ لها من كلِّ محذورٍ
 من أحسنِ الناسِ وجهاً حين تُبصرُها وأحذقِ الناسِ إن غُنت بطُنبورٍ
 أخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال : سمعت
 إسحاق يقول : الطُنبور إذا تجاوز عبيدةً هَذيان .

صوت

[من السريع]

سَقِمْتُ حتَّى ملَّنِي العائدُ وذبتُ حتَّى شِمْتَ الحاسدُ
 وكنتُ خِلْواً من رسيسِ الهوى حتَّى رماني طرفُك الصائدُ
 الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدته في شعر محمد بن أمية له ، والغناء
 لأحمد بن صدقة الطُنبوري ، رمل مطلق .
 وقد مضت أخبارُ خالِد الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر هاهنا أخبارَ أحمدَ بن صدقة .

[480] - أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة ، وكان أبوه حجازياً مغنياً ، قدم على الرشيد ، وغنى له ، وقد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب .

وكان أحمد بن صدقة طنبورياً محسناً مقدماً حاذقاً حسن الغناء مُحكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين ، وكان ينزل الشام ، فوصف للمتوكل ، فأمر بإحضاره ، فقدم عليه وغناه ، فاستحسن غناؤه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناس وكثر من يدعوه ، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافاً .

[جحلة يشيد به]

أخبرني بذلك جحلة وقال : كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوت المتقدم ذكره ووصفه وقرظه ، وذكر بعده هذا الصوت :

وشادن ينطق بالظرفِ حُسْنُ حبيبي منتهى الوصفِ
 هام فؤادي وجرت عَبرتي لا بُعدَ الإلفِ من الإلفِ
 قال : وهو رَمَلٌ مطلق ، ولو حلفتُ أَنهما ليسا عند أحد من مغني زماننا إلا عند واحد ما
 حنثت ، يعني نفسه .
 [خبره مع خالد بن يزيد]

حدثني محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني أحمد بن صدقة قال : اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب ، فقلت له : أنشدني بيتين من شعرك حتى أغني فيهما . قال : وأيُّ حظ لي في ذلك ؟ تأخذُ أنتِ الجائزةَ وأحصلُ أنا الإثم !
 فحلفت له أنني إن أفدتُ بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظاً ، أو أذكرتُ به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أما الحظ من جهتك فأتى أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة ، ثم أنشدني :

تقول سلا فمن المذنبُ ومن عينه أبداً تدْرِفُ ؟
 ومن قلبه قَلِقَ خافقُ عليك وأحشاؤه ترجفُ ؟

فلما جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حظي له ، فحضرتُ مع المغنين ، فلما طابت نفسه وجَّهتُ إليه بتفاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : يا

سيدي ، سلوت . وعلم الله أنني ما عرفت شيئاً من الخير .
[غضب المأمون]

وانتهى الدور إليّ ، فغنيّت البيتين ، فاحمرّ وجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لي : يا ابن الفاعلة ، ألك عليّ وعلى حرمي صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدي ما السبب ؟ . فقال لي : من أين عرفت قصّتي مع جاريتي ؟ فغنيّت في معنى ما بيننا ، فحلفت له أنني لا أعرف شيئاً من ذلك ، وحدثته حديثي مع خالد ، فلمّا انتهيت إلى قوله ، «أنت أنزل من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها .
[دخوله على المأمون في يوم السعائين]

أخبرني محمد قال : حدثنا حمّاد قال : حدثني أحمد بن صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعائين¹ ، وبين يديه عشرون وصيفة ، جلباً روميّات مزّنات² ، قد ترينّ بالدياج الروميّ ، وعلقن في أعناقهنّ صلبان الذهب ، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لي المأمون : ويلك يا أحمد ! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنيّ فيها .
ثم أنشدني قوله :

[من الهزج]

طبّاء كاللدنانير	مِلاح في المقاصير
جَلَاهُنَّ السّعائينُ	علينا في الزنانير
وقد زرفن أصداعاً	كأذاب الزراير
وأقبلن بأوساطٍ	كأوساط الزناير

فحفظتها ، وغنيّته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقص الصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند³ ، إلى الإيلا حتى سكر ، فأمر لي بألف دينار ، وأمر بأن يُنثر على الجوّاري ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتبهت معهنّ .
[يغضب فيسترضيه الفضل]

حدثني جحظة قال حدثني جعفر بن المأمون قال : اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلّق في ذلك اليوم رأسه ، فاستعجلوا بسلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكَّرجة⁴ خردل ، فصبّها على رأس أحمد بن

1 يوم السّعائين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .

2 مزّنات : لابسات الزنار وهو خاص بالنصارى ، والمجوس يتزيّنون به .

3 الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدي في حلقات وهو معرّب .

4 سُكَّرجة : صحفة للطعام .

صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجيء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولما كان من غد جمعهما الفضل بن العباس ، فتقدم المسدود ، ودخل أحمد وطُنبور المسدود موضوع ، فجسه ، ثم قال : مَنْ كان يسبح في هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد خلع عليهما ، وحملهما .
[نهائيه على أيدي الأعراب]

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنية له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .
[كان أبخر]

قال جحظة : وقال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة وكانت له صديقة فقطعته فعيّره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر :

[من الكامل]

هربت صديقة أحمد هربت من الرّيق الرّدي
هربت فإن عادت إلى طُنبوره فاقطعْ يدي

صوت

[من الطويل]

ألم تعلموا أنّي تُخاف عَرامتي وأنّ قَناتي لا تَليْنُ على القَسْرِ
وإنّي وإياكم كَمَنْ نَبّه القَطَا ولو لم تُنبّه باتت الطيرُ لا تَسْري
أناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالواني ولا الضَّرْعُ الغُمْرِ¹
أظُنُّ صرُوفَ الدَّهْرِ والجهلِ منكم ستحملكم مني على مَرَكَبٍ وَغَرٍ

الشعر للحارث بن وُعلة الجَرَمي ، والغناء لابن جامع ثَقِيل بالبَصَر عن عمرو ، وفيه لسيّاط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنّسه ، وقيل إنّ الشعر لوعلة نفسه .

1 الضَّرْع : الجبان . والغُمَر : الغبي ، والذي لا يجرب الأمور .

[481] - أخبار الحارث بن وعله

[نسبه]

الحارث بن وعله بن عبد الله بن الحارث بن بلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جرم بن زيان ، وهو علاف¹ ، وإليه تنسب الرّحال العلافيّة ، وهو أوّل من اتخذها ، بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة ، ومن نسبه معدّياً ، ومن نسبه جيمريّاً .

والرّحال العلافيّة¹ مشهورة عند الناس ، قد ذكرتها الشعراء في أشعارها ، قال ذو الرّمة :

وليل كجلباب العروس أدّرعته بأربعة والشّخصُ في العين واحدُ
أحمّ علافيّ وأبيض صارم وأعيس مهريّ وأروغ ماجدُ

وكان وعله الجرّميّ وابنه الحارث من فرسان قضاعة وأنجاده وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعله الكلاب الثاني² ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقريّ ، وطلبه ، ففاته ركضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

[ابن الأشعث وعبد الملك يتملّان بشعره وشعريّه]

فأخبرني عمّي قال : حدّثني الكُرانيّ ، قال : حدّثنا العمريّ عن العُتيبيّ قال : كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج مبتدئاً : أمّا بعد ، فإن مثلي ومثلك كما قال القائل :

سائل مُجاوَر جَرَم هل جنيتُ لها حرباً تفرّق بين الجيرة الخلط ؟
أم هل دلفتُ بجرار له لَجَبٌ يَغشى الأماعيز بين السّهل والفرط ؟³

والشعر لوعله الجرّميّ ، هذا مثلي ومثلك ، فسأملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

1 علاف : رجل من الأزدي وهو زيان أبو جرم من قضاعة .

2 الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما لتمييم على مذبح .

3 الفرط : واحد الأفراط : وهي آكام شبيهات بالجمال .

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أما بعد ؛ فإنني قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولعمري الله لقد صدق ، وخلع سلطان الله يمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدين غريباً ، كما ولدته أمه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال : وعلى أن مثلي ومثله ما قال الآخر :

أناةً وجلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بألواني ولا الضرع الغمر

أظنَّ صروفَ الدهر والجهل منهم ستحميهم مني على مركبٍ وغير

فليت شعري أسما عدوَّ الرحمن لدعائم دين الله يهدمها ؟ أم رام الخلافة أن ينالها ؟ وأوشك أن يوهن الله شوكته ، فاستعن بالله ، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي ، والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن ولة .
[يخذه قومه وينصره آخرون]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال : حدثني طلحة بن عبد الله الطَّلحي ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبيدة قال : قتلْتُ نَهْدَ أخا ولة الجرمي ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بمُخلفاء [من] بني نمر ، وكانوا له حلفاء وإخواناً ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك :

سائل مُجاوِرَ جَرم هل جنيتُ لها حرباً تُزِيلُ بين الجيرة الخُلُط¹

أم هل علوتُ بجُرَّارٍ له كَجَبٍّ يغشى المخارمَ بين السهل والقرُط²

حتى تركتُ نساءَ الحي ضاحيةً في ساحة الدَّارِ يستوقِذْنَ بالغُبطِ³

[يقر من قيس بن عاصم عند غزوه لليمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا الرياشي قال : خرج رجل من بني تميم ، يقال إنه قيس بن عاصم قال الرياشي : وحقق أبو عبيدة أنه قيس ، يوم الكلاب ، يلتمس أن يصيب رجلاً من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة

1 الخلط : خليط وهم القوم الذين أمرهم واحد .

2 المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .

3 ضاحية : بارزة .

الجَرْمِيَّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يساري أقصدُ لي ، قال : هيهات منك اليمن ، قال : العراقُ مني أبعد ، قال : إنك لن ترى أهلك العامَ ، ولا أهلك تراهم ، وجعل وعلّة يركضُ فرسه ، فإذا ظنَّ أنها قد أُعيت وثب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجري وهو يُجارِها ، فإذا أُنْيا وثب فركبها ، حتى نجا . فسأل عنه قيس ، فعرف أنّه وعلّة الجرميَّ ، فانصرف وتركه ، فقال وعلّة في ذلك : [من الطويل]

فَدَى لَكَمَا رَحِلِي أُمِّي وَخَالْتِي	غَدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ
نَجَوْتُ نَجَاءَ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ	كَأَنِّي عِقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنٍ كَاسِرٍ ¹
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا	تَنَازَعَنِي مِنْ ثُغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرُ
فَإِنْ أَسْتَطِعَ لَا تَلْتَبِسْ بِي مُقَاعَسٌ	وَلَا يَرْنِي مِيدَانَهُمُ وَالْمَحَاضِرُ
وَلَا تَكُ لِي جَرَّارَةٌ مُضْرِيَّةٌ	إِذَا مَا غَدَتِ قَوْتَ الْعِيَالِ تُبَادِرُ

أما قوله : «تحزّ الدوابر» فإنّ أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتبعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعّوهم في مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتهم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون ، وهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المأمور ويزيد بن مخزّم . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقاص ، فقتل اليزيدون أربعتهم في الواقعة ، وأسير عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته الرّباب برجل منها ، وقد ذُكر خبرُ مقتله متقدماً في صوت يغنى فيه وهو :

أَلَا لَا تُلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا

وأما قوله : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا

فإنّ بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمة يا آل كعب ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهلُ اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميّزوا بها من أهل اليمن .

صوت

[من البسيط]

والله لا نظرت عيني إليك ولو سالت مسارئها شوقاً إليك دما
 إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ من خان أو ظلما
 سماجة لمحب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرما
 الشعر لعل بن عبد الله الجعفري ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقیل أول مطلق
 ابتداؤه نشيد ، وكان إبراهيم بن أبي العنيس يذكر أنه لأبيه .

[482] - أخبار علي بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[نسبه]

هو علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمه ولادة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية : شاعر ظريف حجازي ، كان عمر بن الفرج الرُّحَجيّ حمله من الحجاز إلى سر من رأى مع من حمل من الطالبين فحبسه المتوكل معهم .

[يجبسه المتوكل]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقاني قال : حدثنا عمر بن عثمان الزهري المعروف بابن أبي قباحة قال : رفع عمر بن الفرج علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري إلى المتوكل أيام حج المنتصر ، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم ، وكان أغلظ لعمر بن الفرج .

[يتديث في شعره]

قال علي بن عبد الله : مكثت في الحبس مدة ، فدخل علي رجل من الكتاب يوماً فقال : أريد هذا الجعفري الذي تديث في شعره فقلت له : إلي فأنا هو ، فعدل إلي وقال : جعلت فداك ! أحب أن تنشدي بيتك للذين تديث فيهما ، فأنشدته : [من الطويل]

ولما بدا لي أنها لا تودني وأن هواها ليس عني بمنجل
تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق حارات الهوى فترق لي

قال : فكتبهما ، ثم قال لي : اسمع ، جعلت فداك ، بيتين قلتها في الغيرة ، فقلت : هاتيهما فأنشدني :

ربما سرني صدودك عني في طلايلك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاح غيري فإذا ما خلوت كنت التمني

[لا يخفض جينه إلا لله]

حدثني اليزيدي قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العباس بن عيسى العقيلي أن علي بن عبد الله الجعفري أنشده : [من المجث]

والله والله ربي وتلك أقصى يميني
لو شئت ألا أصلي لما وضعت جبیني

[أيهما يدع]

حدثنا اليزيدي قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العباس بن عيسى قال : حدثني علي بن عبد الله الجعفري قال : مررت بي امرأة في الطواف ، وأنا جالس أنشد صديقاً لي هذا البيت :

أهوى هوى الدين والذات تعجيني فكيف لي بهوى الذات والدين ؟
فالتفتت المرأة إلي وقالت : دع أيهما شئت وخذ الآخر .

[عود إلى الصوت]

حدثنا اليزيدي قال : حدثنا محمد بن الحسن الزرقني قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : أنشدني علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري لنفسه :

والله لا نظرت عيني إليك ولو سالت مسارئها شوقاً إليك دماً
إلا مفاجأة عند اللقاء ولا نازعتك الدهر إلا ناسيا كليماً
إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ من خان أو ظلماً
سماجةً لمحِبٍّ خان صاحبه ما خان قطُّ محبٍّ يعرف الكرمأ
قال عبد الله بن شبيب وأنشدني علي بن عبد الله لنفسه :

[من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليُلمني اللوم
وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً ما من يهون عليك من يكرم
أشبهت أعدائي فصيرت أحبيهم إذ صار حظي منك حظي منهم

صوت

[من الطويل]

أتعرف رسم الدار من أم معبدٍ نعم فرماك الشوق قبل التجلّد

فيا لكَ مِنْ شوقٍ ويا لكَ عِبرَةً سوابقُها مِثلُ الجُمانِ المبدؤِ
الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة ، والغناء لجميلة ، خفيف ثقیل بالبصر عن
ابن المكي .
وذكر الهشامي أنَّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول ، وآته يظنه من منحول يحيى إليه .

[483] - أخبار عتيبة ونسبه

[نسبه]

عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، لم يقع إليّ من نسبه غير هذا ، وهو شاعر مُقلٌّ غير معدود في الفحول ، مُخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام هجاء خبيث اللسان بذي .

وابنُ فسوة لقب لزمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقب بفسوة ، إنّما لقب هو بهذا ، وقد اختلف في سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصلي عن أبي عمرو الشيباني : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه .

[لماذا لقب بابن فسوة]

أنّ عتيبة بن مرداس كان فاحشاً كثير الشرّ قد أدرك الجاهلية ، فأقبل ابن عمّ له من الحجّ ، وكان من أهل بيت منهم يقال لهم : بنو فسوة ، فقال لهم عتيبة : كيف كنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضباً ، فركب راحلته وقال : بمس لعمر الله ما حييت به ابن عمك ، قديم عليك من سفر ، ونزل دارك ! فقام إليه عتيبة مُستحياً ، وقال له : لا تغضب يا ابن عمّ ، فإنّما مازحتك ! فأبى أن ينزل ، فقال له : انزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فأتسمي به ، وظنّ أنّ ذلك لا يضره ، قال : لا أفعل أو تشتريه مني بمحضّر من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وأعطاه بُرداً وجمالاً وكبشين ، وقال لهم عتيبة : اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النبز وأخذت الثمن ، وائي ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمّه يومئذٍ ، وغلبت عليه وهجيّ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء :

أودى ابنُ فسوة إلّا نَعته الإبلا

وعُمّر عمراً طويلاً ، وإنّما قال : [من البسيط]

أودى ابنُ فسوة إلّا نَعته الإبلا

لأنّه كان أوصفَ الناس لها ، وأغراهم بوصفها ، ليس له كبير شعر إلّا وهو مُضمّن وصفها .

[سبب آخر للتسمية]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : إنّما سُمّي عتيبة بنُ مرداس ابن فسوة ، لأنّه كان له جارٌّ من عبد القيس ، فكان يتحدثُ إلى ابنته ، وكان

لها حظٌّ من جمال ، وكانت تُعجبه ويهيم بها ، فكان أحداثُ بني تميم ، إذا ذكروا العبدِيَّ ، قالوا : قال ابن فسوة ، وفعل ابن فسوة ، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعَمِلَ على التحوُّلِ عنهم ، وبلغ ذلك عتيةً ، فاتاه فطلب إليه أن يقيم ، وأن يحتمل اسمه ، ويشتريه منه ببيعير ، فلم يفعل ، قال : العبدِيَّ : فتحوَّلْتُ عنهم وشاع في النَّاسِ أنَّه قد ابتاع منِّي وغلب عليهِ ، فأنشأ عتية يقول من كلمة له :

وَحَوَّلَ مولانا علينا اسمَ أمِّه ألا رُبَّ مولَى ناقصٍ غير زائدٍ

[ابن عباس ينهره]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وابن جُعَلْبَةَ ، قالوا : أتى عتيةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ، عبدُ الله بن العباس عليهما السلام وهو عامل لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ، وتحت يومئذٍ شَمِيلَةُ بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانيَّة ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ما جاء بك إليَّ يا ابن فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقْصَرٌ أو وراءك مَعْدَى ؟ جئتكَ لتعينني على مروءتي ، وتصلِّ قرابتي ، فقال له ابن عباس : وما مروءة من يعصي الرحمن ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتكَ لأعيننكَ على الكفرِ والعصيان ، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه من حضر ، وحبسه يومه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

[الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه]

فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام ، فلقي الحسن بن علي عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضَه بما أرضاه ، فقال عتية يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عباس رضي الله عنهما :

أتيتُ ابنَ عباس فلم يقضِ حاجتي ولم يَرَجُ معروفي ولم يخشَ منكرِي
حُبِسْتُ فلم أنطق بعذرٍ لحاجةٍ وسدَّ خصاص البيت من كلِّ منظرٍ¹

وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه
وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه
فلو كنتُ من زهران لم ينس حاجتي
وكان حليفاً لجَميل بن مَعمر القُرشي :
وباتتُ لعبد الله من دون حاجتي
ولم يَقترُب من ضوء نارٍ تحثُّها
تُطالع أهلَ السوق والبابُ دونها
إذا هي هَمَّت بالخروج يردُّها
وجدت بخطَّ إسحاق الموصلي مُجَيَّر : محير . والمحير : المصهرج⁴ . والخيار :
الصهروج .

فليت قلوصي عُرِيتُ أو رحلتُها
إلى ابنِ رسول الله يأمرُ بالتقى
إلى معشر لا يخصِفون نعالهم
فلما عرفتُ البأسَ منه وقد بدتُ
تَسَنَّمْتُ خُرْجوجاً كان بُغامها
فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أُنخْتُها
فلا تَدْعُنِّي إذ رحلتُ إليكمُ
إلى حَسَن في داره وابنِ جعفرِ
وللَّذين يدعو والكتابِ المطهرِ
ولا يلبسون السَّبتَ ، ما لم يُخَصِّر⁵
أَيادي سبَا الحاجاتِ للمتذكِّرِ
أُحْيِحُ ابن ماء في يراعٍ مُفَجَّر⁶
إلى ابنِ رسول الأُمّةِ المتخيرِ
بَنِي هاشم أن تُصْدروني بِمَصْدِرِ

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري ، وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عَمَّار ، عن
عمر بن شُبّة ، عن المدائني مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شُبّة المدائني في إسناده .

1 القليب : البئر البعيدة الغور .

2 حزور : رجل قوي .

3 مستفلك : مستدير . الذفري : العظم الشاخص خلف الأذن .

4 مصهرج : أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض ، والبيوت ونحوها .

5 يخصفون : يخرزون . السبت : الجلد المدبوغ . يخصر : يدق وسطه .

6 الحرجوج : الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج . أحيح : ابن ماء : طائر يكثر وجوده
حول الماء .

[عامر بن الكريز يهينه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابي : كان عتيبة بن مرداس السلمي شاعراً خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه ، وكان يقدّم على أمراء العراق وأشرف الناس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدم علي ابن عامر بن كُريز ، وكان جواداً ، فلمّا استوذّن له عليه أرسل إليه : إنك والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً ، وأمر به فلُكِرَ وأُهينَ فقال ابنُ فسوة :

[من الطويل]

وكائن تخطّت ناقتي وزميلها	إلى ابن كُريز من نحوسٍ وأسعدٍ
وأغبر مسحول التراب ترى له	حيا طردته الريح من كل مطرد ¹
لعمرك إني عند باب ابن عامر	لكالطّبي عند الرميّة المتردّد ²
فلم أر يوماً مثله إذ تكشّفت	ضبايته عني ولما أقيد

[ثم يطيب خاطره]

فبلغ قوله ابن عامر ، فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له ، وأحسن القوم رِفْدَه ، وقالوا : هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير يرضيه ، فقال : رُدُّوه فرّد ، فقال له : إيه يا عتيبة ، أردد عليّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلّا خيراً قال : هاته فقال : قلت³ :

[من الطويل]

أتعرف رسم الدار من أمّ معبدٍ	نعم فرماك الشوق قبل التجلّد
فيا لك من شوقٍ ويا لك عبّرة	سوابقها مثل الجمان المبدّد
وكائن تخطّت ناقتي وزميلها	إلى ابن كُريز من نحوسٍ وأسعدٍ
فتى يشتري حُسن الثناء بماله	ويعلم أنّ المرء غير مغلّد
إذا ما ملّمت الأمور اعترينه	تجلّى الدجى عن كوكب متوقّد ⁴

فتبسّم ابن عامر وقال : لعمري ما هكذا قلت ، ولكنه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضِيَ وانصرف .

1 مسحول : ناعم .

2 عند في ل : بعد .

3 ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد في المجهرات .

4 اعترينه في ل : اعتلينه .

[ابن الأعرابي يستحسن أبياتاً له]

قال : وأنشدنا ابن الأعرابي له يعقب هذا الخبر ، وكان يستحسن هذه الأبيات ويستجيدُها :

منعمة لم يغذها أهلُ بلدةٍ	ولا أهلُ مصرٍ فهي هيفاءُ ناهدٍ
فريعت فلم تخبا ولكن تأودتْ	كما انتصرتْ مكحولُ المدامعِ فارِدٌ ¹
وأهوت لتنتاش الرواق فلم تقم	إليه ولكن طأطأته الولايدُ ²
قليلة لحم الناظرين يزبها	شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردٌ
تناهى إلى هو الحديث كأنها	أخو سقمٍ قد أسلمته العوائد
تري القُرطَ منها في قناة كأنها	بمهلكة لولا البرا والمعائدُ ³

[يرثي صريعاً في بر]

وقال أبو عمرو الشيباني : أغار رجل من بني تغلب يقال له الهذيل يعقب مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نعمةً كثيراً ، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سفار⁴ ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رباح في إبل لهما قد أوردهما ، فأراد الهذيل أخذها ، فتنفرقت ، فنفرت أصحابه في طلبها ، وهو قائم على رأس ركية من سفار ، فرماه أحدهما فقتله فوقع في الركية فكانت قبره . ويقال : بل رماه عبدُ أسود لمالك بن عروة المازني ، فقال عتبية بن مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك :

من مبلغ فتیان تغلب أنه	خلا للهذيل من سفارٍ قليلُ ؟
إذا صوت الأصداء صوت وسطها	فتي تغلبي في القليب غريبُ
فأعددت يربوعاً لتغلب إنهم	أناسٌ غدتهم فتنةٌ وحروبُ
حويت لقاح ابني نعيم بن قعنب	وإنك إن أحرزتها لكسوبُ

[بشر بن كهف يمنعه]

وقال أبو عمرو أيضاً : كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوج أخت بشر بن كهف أحد

1 انتص : سار .

2 الرواق : مقدم البيت أو الفسطاط . وتنتاش : تتناول .

3 البرا : جمع برة ، وأصلها برة : الخلخال . المعاهد : جمع معقاد ، وهو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي .

4 سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

بني خُرَاعة بن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرعيه فأبى ، ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك :
[من الطويل]

مَنْ يَكُ أَرْعَاهُ الْحِمَى أَخَوَاتُهُ فَمَا لِي مِنْ أُخْتٍ عَوَانٍ وَلَا يَكْرِ
وَمَا ضَرُّهَا أَنْ لَمْ تَكُن رَعَتْ الْحِمَى وَلَمْ تَطْلُبِ الْخَيْرَ الْمُنْعَ مِنْ بَشَرٍ
مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ قَبْضَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صِفْرِ
يَجِدُ مُهْرَةً مِثْلَ الْقَنَاقَةِ طَمِيرَةً وَعَضْبٌ إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْمُهْرِ¹
فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنْهَا حِمَاكُمْ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ لَهَا مَا بَيْنَ إِبْطٍ فَالْكَذْرِ²
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَتْنِي بِفَضْلِ ابْنِ عَمِّهِ فَلَعْنَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى بَشَرٍ

[يسرقون ثيابه]

وقال أبو عمرو الشيباني ، ونسخته أيضاً من خطِّ إسحاق الموصلي ، وجمعت الروایتين : إن ابن فسوة نزل بيني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عِيَّةً له فيها ثيابه وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك . فركب معه فرسان منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صرمة³ ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد بقوله : [من الطويل]

جَزَى اللَّهُ قَوْمِي مِنْ شَفِيعٍ وَشَاهِدٍ جَزَاءَ سَلِيمَانَ النَّبِيِّ الْمَكْرُمِ
هُمْ الْقَوْمُ لَا قَوْمَ ابْنِ دَارَةَ سَالِمٍ وَلَا ضَابِيٍّ إِذْ أُسْلِمَا شَرًّا مُسْلِمٍ
وَمَا عِيَّةُ الْجَوْزَاءِ إِذْ غَدَرْتُ بِهَا سَرَاةَ بَنِي قَيْسٍ بِسَرٍّ مَكْتُمِ
إِذَا مَا لَقِيتُ الْحَيَّ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ عَلَى زَمٍّ فَانْزِلْ خَائِفًا أَوْ تَقَدَّمُ⁴
أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارَهُمْ شِعَاعًا كُلَّحِمِ الْجَاذِرِ الْمُتَقَسِّمِ
لَقَدْ دَنَسَتْ أَعْرَاضُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ كَمَا دَنَسَتْ رَجُلُ التَّقِيِّ مِنَ الدَّمِ
لَهُمْ نِسْوَةٌ دُسِّمُ الثِّيَابِ مَوَاجِنُ يَنَادِينَ مَنْ يَتَاغَى عَوْدًا بِدِرْهِمِ
إِذَا أَيْمٌ قَيْسِيَّةٌ مَاتَ بَعْلُهَا وَكَانَ لَهَا جَارٌ فَلَيْسَتْ بِأَيْمِ

1 الطمرة : الفرس الجواد . المهر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .

2 إبط : موضع ببلاد كلب بن وبرة . الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم .

3 الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

4 زم : بر لبني سعد بن مالك .

يُمَشِّي ابْنُ بَشْرٍ بَيْنَهُنَّ مَقَابِلَا بَأْيَرُ كَأْيَرِ الْأَرْجَحِيِّ الْمَخْرَمِ
 إِذَا رَاحَ مِنْ أَيْيَاتِهِنَّ كَأَنَّمَا طَلَيْتَ بَتْنُومَ قَفَاهُ وَخِمْمِمْ¹
 وفيه رواية إسحاق :

تسوق الجواري مَنْخَرَاهُ كَأَنَّمَا دَلَكْنَ بَتْنُومَ قَفَاهُ وَخِمْمِمْ

صوت

[من المنسرح]

قد طَالَ شَوْقِي وَعَادَنِي طَرِبِي مِنْ ذَكَرِ خَوْدِ كَرِيمَةِ النَّسَبِ
 غَرَاءَ مِثْلَ الْهَلَالِ صُورَتَهَا أَوْ مِثْلَ تِمْثَالِ صُورَةِ الذَّهَبِ
 ويروى : «بيعة الرُّهْب» الشعر لعبد الله بن العجلان النُّهْدِيُّ ، والغناء لمالك ولحنه من
 القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً
 خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميُّ أَنَّهُ لابن مسحج .

1 التنوم : شجر مشمر ورقه مع الخل يقلع التآليل . خممخ : نبت له شوك دقيق .

[484] - أخبار عبد الله بن العجلان

[نسبه]

هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

[قصته تشبه قصة قيس ولبنى]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال : كان عبد الله بن العجلان النهدي سيّداً في قومه وابن سيّد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نهدي مالاً ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان ، التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نهدي ، وكانت أحبّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكنت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد ، فقال له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلقها ، وتزوج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فأبى ألا يكلمه أبداً حتى يطلقها فأقام على أمره ، ثم عمد إليه يوماً ، وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صبر إليّ ، فقالت له هند : لا تمض إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنما يريدك لأنّه بلغه أنّك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلقني ، فنمّ مكانك ، ولا تمض إليه . فأبى وعصاها ، فتعلقت بثوبه ، فضربها بمسواك ، فأرسلته ، وكان في يدها زعفران ، فأثّر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وأثبه ، وضعفه ، وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم ، فتناولوه بالسنتهم ، وعيروه بشغفه بها وضعفه حزمه ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح خبر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسف عليها أسفاً شديداً ، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العجلان ذيقاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ ، وقال في طلاقه إياها :

[من مجزوء الكامل]

فَارَقْتُ هَنداً طَائِعاً فَنَدِمْتُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
فَالْعَيْنُ تَذْزُرِي دَمْعَةً كَالدُّرِّ مِنْ أَمَاقِهَا
مَتَحَلِّياً فَوْقَ الرِّدَا مَا يَجُولُ مِنْ رَقَاقِهَا
خَوْذَ رِدَاحٍ طَفْلَةً مَا الْفَحْشُ مِنْ أَخْلَاقِهَا
وَلَقَدْ أَلَدْتُ حَدِيثَهَا وَأُسْرُ عِنْدَ عِنَاقِهَا

وفي هذه القصيدة يقول :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةً بَيْرُ لِ الْأَذْمِ أَوْ بِحَقَاقِهَا
فَاسْقِي بَنِي نَهْدٍ إِذَا شَرَبُوا خِيَارَ رِقَاقِهَا
فَالْخَيْلُ تَعْلَمُ كَيْفَ نَدُّ حَقِّهَا غَدَاةَ لِحَاقِهَا
بِأَسِنَّةٍ زُرْقٍ صَبَحَ سَنَا الْقَوْمِ حَدَّ رِقَاقِهَا
حَتَّى تَرَى قِصْدَ الْقَنَا وَالْبَيْضَ فِي أَعْنَاقِهَا

[شعره في غارة شنها قومه]

قال أبو عمرو الشيباني : لما طلق عبد الله بن العجلان هندا أنكِحت في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعا ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحريش وبنو قشير ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهد أمواهم ، وقتل في المعركة ابن معاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له ، وقُرط وجُدعان ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية ومُسَحِّقة بن المجمع الجعفي ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك :

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي الْعَجْلَانِ عَنِّي فَلَا يُنْبِيكَ بِالْحَدَثَانِ غَيْرِي
بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا الْخَيْرَ قُرْطَا وَجَرْنَا فِي سَرَاةِ بَنِي قَشِيرِ
وَأَفْلَتْنَا بَنُو شَكْلِ رَجَالاً حُفَاةً يَرِثُونَ عَلَى سُمِيرِ

[قيسة ترثي قتي قيس]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم :

أَصَبْتُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ بَنَ زَيْدٍ قُرُوماً عِنْدَ قَعْقَعَةِ السِّلَاحِ
إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَكَانَ مَحَلًّا وَحَارَدَ فِيهِ إِخْوَانُ السَّمَاحِ

[من الوافر]

أهانوا المالَ في اللَّزَباتِ صبراً وجادوا بالتالي واللقاح
فبكي مالِكاً وإبكي بجيراً وشداداً لمشتجرِ الرِّماح
وكعباً فاندبیه معاً وقُرطاً أولئك معشري هُدُوا جناحي
وبكي إن بكيتِ على حُسيلٍ ومرداس قتيلِ بني صباح

[حسيل يغدره أسيره]

قال : وأسر عبد الله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد ، فمنَّ عليه ، وأطلقه ، ووعدته الوحيدِي الثوابَ فلم يَفِر فقال عبد الله :

[من الوافر]

وقالوا لن تنالَ الدَّهرَ فقراً إذا شكرتكَ نعمتكَ الوحيدُ
فيا ندما ندمت على رِزام ومُخْلِفيهِ كما خُلِعَ العُودُ

قال أبو عمرو : ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك خمسَ عَشْرَةَ ناقةً على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجية ، وزودته تمرأً ووطبأً من لبن ، فركب فجداً في السير ، وفني اللبن ، فأتاها والحَيُّ خلوف في غزو وميرة ، فنزل بهم ، وقد ييس لسانه ، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم ، وأوما لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إياه ، فابتلَّ لسانه ، وتكلم ، وقال لهم : أتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذرکم ، فاجتمعت بنو نهد واستعدت ووافتهم بنو عامر فَلَاحِقُوهم على الخيل ، فاقتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك :

[من الطويل]

عاوَدَ عيني نصبُها وغرورها أهِمَّ عَناها أم قَذاها يعورها
أم الدَّارِ أُمستْ قد تعفَّتْ كأنها زبورُ يمانٍ رَقشتْهُ سطورُها
ذكرت بها هنداً وأترابها الألى بها يكذب الواشي ويُغصى أميرُها
فما مُعولٌ تبكي لفقد أليفها إذا ذكرته لا يكفُ زفيرُها
بأعزر مني عبرة إذ رأيتهَا يحث بها قبل الصبح بغيرُها
ألم يأتِ هنداً كيفما صنُعُ قومها بني عامر إذ جاء يسعى نذيرُها
فقالوا لنا إننا نحبُّ لقاءكم وإنَّا نحيي أرضكم ونزورُها
فقلنا : إذا لا نَنكُلُ الدَّهرَ عنكم بصمُّ القنا اللائي الدماء تُميرُها

فلا غرو أن الخيل تنحط في القنا
تمطر من تحت العوالي ذكورها¹
تأوّه مما مسّها من كربة
وتصفي الخدود والرماح تصورها²
وأربابها صرعى يبرقة أخرج
تجرّهم ضبّعانها ونسورها
فأبلغ أبا الحجاج عني رسالة
مغلغلة لا يغلبك بسورها
فأنت منعت السلم يوم لقيتنا
بكفك تَسْدي غيّه وتبهرها
فذوقوا على ما كان من فرط إحنة
حلائبنا إذ غاب عنا نصيرها

[نهاية حبه]

قال أبو عمرو : فلما اشتد ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سراً من أبيه مخافاً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يهرب ما بينهم من الشر والترات ، حتى نزل بني نمير ، وقصد خباء هند ، فلما قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض ، وزوجها يسقي ، ويذود الإبل عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتد إليها ، وأقبلت تشتد إليه ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ما حالهما ، فوجدهما ميتين .

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض بني نهد أن عبد الله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوفه الثارات وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحج ، وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثر كفتها في ثوبه بخلق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبي عمرو .

وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن قال : حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال : [من الطويل]

ألا إن هندا أصبحت منك محرماً
وأصبحت كالمقصور جفن سلاحه
وأصبحت من أدنى حُموتها حما
يقلب بالكفسين قوساً وأسهما
ثم مدّ بها صوته فمات .

1 تنحط : تزفر . تمطر : تسرع .

2 تصورها : تميلها .

[الشعر له أم لمسافر]

قال ابن سيرين : فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية ، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكة ، وهل حدث بعده شيء ، فقال : لا ، إلا أنني تزوجتُ هنداً بنت عتبة ، فمات مسافراً أسفاً عليها ، ويدل على صحة ذلك قوله :

وأصبحت من أدنى حموتها حما

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحماً وليس النميري المتزوج هنداً النهديّة ابن عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحماؤها ، والقول الأول على هذا أصح .

[من شعره في هند]

[من الطويل]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند :

فقلبي مذ شطّط بها الدار مدنف	ألا أبلغاً هنداً سلامي فإن نأت
بأنعم في أهل الديار تطوّف	ولم أرَ هنداً بعد موقف ساعة
ديب القطا أو هنّ منهنّ أقطف	أتّ بين أتراب تمايس إذ مشت
ذكياً وبالأيدي مداك وميسوف	يا كيرن مِرآة جلياً وتارة
سراة الضحى مني على الحي موقف	أشارت إلينا في خفاة وراعها
مئيت بذى صول يغار ويعنف	وقالت : تباعد يا ابن عمي فإنني

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أنشدنا فضل الزبيديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء :

[من الطويل]

ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا	خليليّ زورا قبل شحط النوى هنداً
أغياً يلاقي في التعجل أم رُشدا	ولا تعجلا ، لم يذر صاحب حاجة
وإن لم تكن هند لوجهيكما قصدا	ومراً عليها بارك الله فيكما
ولكننا جزنا لللقاكم عمدا	وقولا لها ليس الضلال أجازنا

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يا ظيعة البلد براني طول ذا الكم

فردِّي يا معذَّبتي فؤادي أو خُذِي جسدي
 بُليتُ لَشِقْوَتِي بَكُمُ غلاماً ظاهِرَ الجَلَدِ
 فشِيبَ حُبُّكُمْ رَأْسِي وبَيَضَ هَجْرُكُمْ كِبِدِي

الشعر للمؤمِّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثقل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن

إسحاق .

[485] - أخبار المؤمل ونسبه

[نسبه]

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصصهم ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا الرذولين ، وفي شعره لين ، وله طبع صالح .

[يتمنى العلى فيسمى]

وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :

شفَّ المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يُخلق له بصرُ
يقال : إنه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى .

[المهدي يفتق ويرد ما استعاده المنصور]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى : قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني ، قال : حدثني أبو قدامة ، قال : حدثني المؤمل قال : قدمت على المهدي وهو بالري ، وهو إذ ذاك ولي عهد ، فامتدحته بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه يعذله ويلومه ، ويقول له : إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر ، فطلب ، ولم يقدر عليه ، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجه إلى مدينة السلام ، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان ، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً ، فجعل لا يمر به قافلة ، إلا تصفح من فيها ، حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل ، فتصفحهم ، فلما سأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر ، أهد زوار الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبت ، قال المؤمل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر .

فقبضَ عليَّ ، وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً ، قد ظَفَرنا به ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأدخلتُ إليه ، فسَلَّمْتُ تسليم فزع ، مَرَوَّع ، فردَّ السلام ، وقال : ليس لك هاهنا إلاَّ خَيْرٌ ، أنتَ المؤملُ بنُ أميل ؟ قلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤملُ بنُ أميل ، قال : أتيتَ غلاماً غِراً كريماً ، فخدعته فانخدع ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، أتيتَ غلاماً غِراً كريماً ، فخدعته فانخدعَ قال : فكأنَّ ذلك أعجبهُ ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدته : [من الوافر]

هو المهديُّ إلاَّ أن فيه	مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما	أنارا مُشكِلانِ على البصير
فهذا في الظلامِ سراجُ ليلٍ	وهذا في النهارِ ضياءُ نورٍ
ولكن فضَّلَ الرحمن هذا	على ذا بالمنابرِ والسَّريِرِ
وبالمُلْكِ العزيزِ فذا أميرٌ	وماذا بالأُميرِ ولا الوزيرِ
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا	مُنيرٌ عند نقصانِ الشهورِ
فيا ابن خليفة الله المصنَّى	به تعلو مفاخرةُ الفُخُورِ
لئن قُتَّ الملوكَ وقد توافوا	إليكَ مِنَ السَّهولةِ والوعورِ
لقد سبق الملوكَ أبوكَ حتَّى	بقوا من بين كابٍ أو حَسيرٍ ¹
وجئتَ مصلياً تجري حثيثاً	وما بك حين تجري من قُتورٍ ²
فقال الناس ما هذان إلاَّ	كما بينَ الخلقِ إلى الجديرِ
لئن سبق الكبيرُ لأهلُ سَبَقِ	له فضلُ الكبيرِ على الصَّغيرِ
وإن بلغ الصَّغيرُ مَدَى كبيرٍ	فقد خُلِقَ الصَّغيرُ مِنَ الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطيه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي . قال المؤملُ : فخرج معي الربيع ، وخطَّ ثِقْلِي ، ووَزَنَ لي من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذَ الباقي .

فلَمَّا وَلِيَ المهديُّ الخلافةَ وَلَّى ابن ثوبانَ المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُصافة ، فإذا

1 كاب : عاثر من كبا يكو .

2 مصلياً : تالياً للسابق .

ملاً كساءه رقاعاً رفعها إلى المهديّ ، فرُفَعَتْ إليه رُقعة ، فلمّا دخل بها ابنُ ثوبان جعل المهديّ ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضحكك ، فقال له ابنُ ثوبان : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ما رأيك ضحكك من شيء من هذه الرّقاع إلّا من هذه الرُقعة ، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم ، فردّوها إليّ وانصرفت .

[يباع موسى وهارون ليأخذ بدرّة ونصفاً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال : حدّثني الحكم بن موسى السلوليّ ، قال : حدّثني سعد بن أخي العوفيّ قال : قدِمَ على المهديّ في بيعة ابنه موسى وهارون المؤمّل بنُ أميل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السلوليّ وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحميريّ من الكوفة ، فقدِمَا على المهديّ في عسكره ، فأنشده المؤمّل :

هاك بياعنا يا خير وال	فقد جُذنا به لك طائعتنا
فإن تفعلْ فأنت لذاك أهلٌ	ففضلك يا ابنَ خيرِ النَّاسِ فينا
وعدْلُكَ يا ابن وارث خيرِ خلق	نبيُّ الله خيرِ المرسلينا
فإن أبا أليك وأنت منه	هو العباسُ وارثه يقينا
أبان به الكتابُ وذاك حقٌ	ولسنا للكتابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غير شكٌ	ها بالعدلِ أكرمُ خاتمينا
فدونكها فأنت لها محلٌ	حباك بها إلهُ العالمينا
ولو قيدتْ لغيركم اشمازتْ	وأعيتْ أن تُطِيعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألفَ درهم ، فجيء بالمال ، فألقي بينهما ، فأخذ كل واحد منهما بدرّة¹ ، وصدع الأخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً .

[يتلف في ضحك كل مال]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبد الله بن أمّين عن أبي محمد اليزيديّ ، عن المؤمّل بن أميل قال : صيرت إلى المهديّ بجرجان فمدحته بقولي :

تعزّ ودع عنك سلمى وسيرٌ
حيثاً على سائراتِ البغالِ

وكلّ جوادٍ له مِئعةٌ يَخْبُ بسرّك بعدَ الكلالِ¹
إلى الشمسِ شمسِ بني هاشمٍ وما الشمسُ كالْبَذْرِ أو كالهلالِ
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ ويُتلف في ضحكه كلُّ مالٍ

فاستحسنها المهديُّ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوسات ، يُغني ، فغني في الشعر لرُفقاءه ، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً ، فدخل عليه ، فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثمّ ذكر باقي الخبر على ما تقدّم قبله ، وزاد فيه : أن المنصور قال له : جئت إلى غلام حدّث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غير جيّد وأعطاك من رقيقِ المسلمين مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاث ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألفَ درهم ، وأعطه ألفين ، ولا تعرض لشيءٍ من الأثاث والدّواب والرقيق ، ففي ذلك غناؤه . فأخذتُ والله مني بخواتمها ، ووُضعت في الخزائن ، فلما وليّ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلمين . فلما رأيَ ضحك وقال : مَظْلَمَةٌ أعرِفها ، ولا أحتاج إلى بيّنة عليها ، وجعل يضحك ، وأمر بالمالِ فردّ إليّ بعينه ، وزاد فيه عشرة آلاف .

[لاحم فيه ولا دم]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدّثني حذيفة بن محمد الطائيّ قال : حدّثني أبي قال : رأيت المؤمل شيخاً مُصَفراً نحيفاً أعمى ، فقلت له : لقد صدقت في قولك :

وقد زعموا لي أنّها نذرتُ دمي وما لي بحمدي الله لحم ولا دم
فقال : نعم ، فديتك ، وما كنت أقول إلاّ حقّاً .

قال محمد بن القاسم : وحدّثني عبد الله بن طاهر أن أوّل هذا الشعر :

حلمتُ بكم في نَوْمتي ففضبتُم ولا ذنب لي إن كنتُ في النّومِ أحلُمُ
سأطردُ عني النّومَ كيلاً أراكم إذا ما أتاني النّومُ والنّاسُ نوّمُ
تُصارِمُنّي واللهُ يعلمُ أنّني أبرُّ بها من والديها وأرحمُ

صوت

وقد زعموا لي أنَّها نذرتُ دمي وما لي بحمدِ اللهِ لحمٌ ولا دمٌ
 يرى حُبُّها لحمي ولم يُبق لي دماً وإن زعموا أنَّي صحيحٌ مسلمٌ
 فلم أرَ مثلَ الحُبِّ صحَّ سَقيمه ولا مثلَ مَنْ لا يعرفُ الحُبَّ يسقُمُ
 ستقتلُ جليداً بالياً فوقَ أعظمِ وليس يُبالي القتلُ جليداً وأعظمُ
 في هذه الأبيات التي أولها :

وقد زعموا لي أنَّها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي .
 أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدَّثني محمد بن أحمد بن علي ،
 قال : لما قال المؤمِّل :

شفَّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ ليت المؤمِّل لم يُخلَقْ له بصَرُ
 عَمي ، وإِري في منامه : هذا ما تمنيت .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال حدَّثني علي بن الحسن
 الشيباني : قال : رأى المؤمِّل في منامه قائلاً يقول : أنت المتألِّي على الله ألاَّ يعذبَ المحيِّين
 حيث تقول :

يَكفي المحيِّين في الدنيا عذابُهُم والله لا عذَّبْتَهُم بعدها سَرُّ
 فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوَّ الله ، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له : أنت
 القائل :

شفَّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ ليت المؤمِّل لم يُخلَقْ له بصَرُ
 هذا ما تمنيت ، فانتبه فرعاً ، فإذا هو قد عَمي .

[لا ترضى مضر يقتله]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعب الزُّبيري قال : أنشدَ
 المهدي قولَ المؤمِّل :

قتلتِ شاعراً هذا الحيَّ من مُضِرٍ والله يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ
 فضحك ، وقال : لو علمنا أنَّها فعلت ما رَضينا ، ولَغَضبنا له وأنكرنا .

صوت

[من الطويل]

بكيتُ حذارَ الين علماً بما الذي إليه فؤادي عند ذلك صائرُ
 وقال أناس لو صبرتَ وإنني على كلِّ مكروه سوى الين صابرُ
 الشعر لأبي مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع
 صنعتة ورواية الهشاميّ .
 قال الهشاميّ : وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ، ولسليم ثقيل أوّل .

[486] - أخبار أبي مالك ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي ، هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخدمه فأحمد مذهبه ، ولحظته عناية من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أحب ، وهو صالح الشعر ، متوسط المذهب ، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

[يرثي أباه]

أخبرني أبو ذؤلف هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي مع الرشيد ، وكان أبوه مقيماً بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريق ، وقطعوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل ديار مضر ، وكان يقال له جئال ، إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدهم وهم غارون¹ ، فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطلبه فيمن طلب من الجناة ، وطمع في ماله ، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه :

والذي نابني فظيع جليل	فيم يلحى على بكائي العذول
رى فقلبي بيئه مشغول	عد هذا الملام عني إلى غي
ل عليه فراح وهو قتيل	راعني والذي جنت كف جيا
هبلتني إن لم أرعك الهبول ²	أيها الفاجعي بركني وعزي
ت نهاري علي غالتك غول	سومتني خطئة الصغار وأظلم
لم يدلني من الزمان مُدِيل ³	ما عداني الجفاء عنك ولكن

1 غارون : غافلون .

2 هبلتني الهبول : تكلفتني أُمي .

3 لم يدلني : لم ينصرني .

زال عنا السرور إذ زلت عنا
ورأينا القريب منا بعيداً
ورمانا العدو من كل وجه
يا أبا النضر سوف أبكيك ما عشد
حملت نعتك الملائكة الأب
غير أنني كذبتك الود لم تق
رضيت مقلتي بإرسال دمي
أسواك الذي أجود عليه
عثر الدهر فيك عثرة سوء
قل إن ضن بالحياء فإني
إن بالسفح من ضباعة قومي
لا يزورون جارهم من قريب
حفرة حشوها وفاء وحلم
وعفاف عما يشين وحلم
ويمين بنائها غير جعد
وامرو أشرق صفيحه خدي

وازدهانا بكائنا والعويل¹
وجفانا صديقنا والخليل
وتجنى على العزيز الذليل
ت سوياً وذاك مني قليل
رار إذ ما لنا إليك سبيل
طر جفوني دماً وأنت قتيل
وعلى مثلك النفوس تسيل
بدمي إنني إذا لبخيل
لم يقل مثلها المعين المقليل
بعده للحياء قال ملول
ليس منهم ، وهم أداني ، وصول²
وهم في التراب صرعى حلول
وندى فاضل ولب أصيل
راجع الوزن بالرواسي يميل
وجين صلت وخد أسيل³
ه عليه بشاشة وقبول

صوت

[من الطويل]

لئن مصر فانتني بما كنت أرتجي
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه
الشعر لأبي دهمان ، والغناء لابن جامع ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي . انتهت أخبار
مالك ونسبه .

1 ازدهانا : استخفنا وأذهب وقارنا .

2 ضباعة : اسم جبل من جبال طيء .

3 جعد : قصير . صلت : واضح .

[487] - أخبار أبي دهمان

أبو دهمان الغلابي شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس . ومدح المهدي ، وكان طيباً ظريفاً مليحاً النادرة .
[لا يروح باسم محبته]

وهو القائل لما ضرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة :

لولا الذي أحدث الخليفة في آل عشاق من ضربهم إذا عَشِقُوا
لُبَحْتُ باسم الذي أُحِبُّ ول كُنِّي امرؤ قد ثَنَيْتَ الفَرْقُ

[يجيد التقليد]

حدثني بذلك الصوليُّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية . وأخبرني جَحْظَةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأبي دهمان : ألا أحدثك بظريفة ؟ قال : بلى ، قال : كنّا عند فلان ، فمدّ رجله هكذا ، فضرط ، ومدّ الحديث رجله يحكيه فضرط ، فقال له أبو دهمان : يا هذا أنت أحمقُ خلق الله بحكاية .
[رجل يتيه عليه وهو أمير]

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون : بلغني أنّ أبا دهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديق له يسايره ، فقام الناس إليه ودعّوا له إلّا ذلك الرجل ، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره : أما ترى ذلك الرجل في النظارة وترى تيهه عليّ ؟ فقال له : وكيف يتيه عليك وأنت الأمير ! قال : لأنّه قد ناكني وأنا غلام .
[غلامه يتعجل موته]

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، قال : مرض أبو دهمان مرضاً أشقى منه على الموت ، فأوصى وأملّى وصيته على كاتبه ، وأوصى فيها بعق غلام كان له واقفاً ، فلما فرغ غدا الغلام بالرقعة ، فأتربها ، ونظر إليه أبو دهمان ، فقال له : نعم أتربها يا ابن الزانية ، عسى أن يكون أنجع للحاجة ، لا شفائي الله إن أنجحت ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبيع .

صوت

[من الطويل]

يُكْرُ كما كَرَّ الكُليبيّ مُهرَه وما كَرَّ إلّا خيفةً أن يُعَيَّرَا

فلا صلح حتى ترحف الخيل والقنا بنا وبكم أو يصدر الأمر مصدرا

الشعر لأبي حُزابة التميمي ، والغناء لابن جامع ثاني ثقل بالنصر .
وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابة رجلاً من بني كليب بن يربوع يقال له ناشرة اليربوعي ،
قُتِل بسجستان في فتنة ابن الزبير ، وكان سيّداً شجاعاً .
[يرثي ناشرة اليربوعي]

أنشدني جعفر بن قدامة قال : أنشدني أبو هفان وأحمد بن أبي طاهر قالا : أنشدنا
عبد الله بن أحمد العدوي لأبي حُزابة يرثي ناشرة اليربوعي وقُتِل بسجستان في فتنة ابن
الزبير قال :

لعمري لقد هدّت قريش عروشنا بأبيض نفاع العشيّات أزهر
وكان حصاداً للمنايا زرعنه فهلاً تركن النبت ما كان أخضرا
لحا الله قوماً أسلموك وجرّدوا عناجيج أعطتها يمينك ضمراً¹
أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن أفخرا
يكرّ كما كرّ الكلبيّ مهرة وما كرّ إلا خشية أن يُعيرا
يُريد ما كان في هؤلاء القوم من يكرّ كما كرّ ناشرة الكلبيّ مهرة ؟

[488] - أخبار أبي حزابة ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .
شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي¹ حضر¹ وسكن البصرة ، ثم اكتب في الديوان ، وضرب
عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج
على عبد الملك ، وأظنه قتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء .

[أبطأت عليه جائزة طلحة]

فأخبرنا الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنا
محمد الهيثم الشامي قال : حدثني عمي أبو فراس عن العذري قال : دخل أبو حزابة على
طلحة الطلحات الخزاعي ، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان ، وكان أبو
حزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزة من جهته ، ورأى ما يُعطى غيره من الجوائز ،
فأنشده :

وأدليت ذلوي في دلاء كثيرة فجن ملاء غير ذلوي كما هيا
وأهلكني ألا تزال رغبة تقصر دوني أو تحل ورائيا
أراني إذا استمرت منك سحابة ليمطرني عادت عجاجاً وسافيا

قال : فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ، ووقعت في حجره ، ويقال : بل أعطاه
أربعة أحجار ، وقال له : لا تُخدع عنها ، فباعها بأربعين ألفاً . ومات طلحة بسجستان .
[بخيل يخلف كرمياً]

ثم ولي من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن علي بن عدي وكان شحيحاً
فقال له أبو حزابة² :

يا ابن علي برح الخفاء قد علم الجيران والأكفاء

1 حضر وحضري بمعنى واحد .

2 الأبيات في الحيوان 1 : 255 برواية فيها اختلاف :

يا ابن علي برح الخفاء أنت لغير طلحة الفداء
قد علم الأشراف والأكفاء أنك أنت الناقص للفداء

.....
بنو علي كلهم سواء كأنهم زينة جراء

أَنْتَ أَنْتَ النَّذْلُ وَاللَّفَاءُ أَنْتَ لَعَيْنُ طَلْحَةَ الْفِدَاءِ¹
 بَنُو عَدِي كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَانَتْهُمْ زَيْنَةُ جِرَاءِ²

[رثاء ومجاء]

قال ثم وليها بعد عبد الله بن عليّ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز أيام الفتنة ، فاستأذنه أبو حزابة أَنْ يَأْتِيَ الْبَصْرَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَدِمَهَا ، وَكَانَ النَّاسُ يَحْضُرُونَ الْمَرْبِدَ ، وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَيَتَحَادَثُونَ سَاعَةَ مِنَ النَّهَارِ ، فَشَهِدَهُمْ أَبُو حُزَابَةَ ، وَأَنشَدَهُمْ مَرثِيَةً لَهُ فِي طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ يَضْمِنُهَا ذِمًّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهِيَ قَوْلُهُ : [من الرجز]

هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ الْجَنَابُ الْأَخْضَرُ وَالنَّائِلُ الْغَمْرُ الَّذِي لَا يُنْزَرُ
 وَارَاهُ عَنَا الْجَدْتُ الْمَغُورُ قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ غَدَاةَ اسْتَعْبَرُوا³
 وَالْقَبْرِ بَيْنَ الطَّلِحَاتِ يُحْفَرُ أَنْ لَنْ يَرَوْا مِثْلَكَ حَتَّى يُنْشَرُوا
 أَنَا أَتَانَا جَرَزٌ مَحْمَرُ أَنْكَرَهُ سَرِيرُنَا وَالْمُنْبَرُ
 وَالْمَسْجِدُ الْمُحْتَضَرُ الْمُطَهَّرُ وَخَلَفَ يَا طَلْحَ مِنْكَ أَعُورُ
 بَلِيَّةٌ يَا رَبَّنَا لَا نَسْخَرُ أَقْلُ مِنْ شَبْرَيْنِ حِينَ يُشْبَرُ
 مِثْلُ أَبِي الْقَعْوَاءِ لَا بَلْ أَقْصَرُ

قال : وَأَبُو الْقَعْوَاءِ حَاجِبٌ لَطْلِحَةَ كَانَ قَصِيرًا .

[بِسِ الْقَابِ]

فَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلَامَةَ ، وَسَلَامَةُ أُمُّهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بَنَ مَرَّةً قَيْسَ : بِمَسْمَا قُلْتَ ! أَتَشَاهُرُ النَّاسَ بِشَتْمِ قَرِيشٍ ؟ فَقَالَ لَهُ ، إِنِّي لَمْ أَعَمْ ، إِنَّمَا سَمَّيْتُ رَجُلًا وَاحِدًا ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ عَوْنَ حَتَّى اتَّصَرَفَ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ أَمَرَ عَوْنَ ابْنَ أَخٍ لَهُ ، فَدَعَا أَبَا حُزَابَةَ فَأَطْعَمَهُ ، وَسَقَاهُ ، وَخَلَطَ فِي شَرَابِهِ شُبْرُمًا⁴ فَسَلَحَهُ ، فَخَرَجَ أَبُو حُزَابَةَ وَقَدْ أَخَذَهُ بَطْنُهُ ، فَسَلَحَ عَلَى بَابِهِمْ وَفِي طَرِيقِهِ ، حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ ، وَمَرَضَ أَشْهَرًا ، ثُمَّ غَوِيَ ، فَركبَ فَرَسًا لَهُ ، ثُمَّ أَتَى الْمَرْبِدَ فَإِذَا عَوْنُ بْنُ سَلَامَةَ وَاقِفٌ ، فَصَاحَ بِهِ ، فَوَقَفَ ، وَلَوْ لَمْ يَقِفْ كَانَ أَخْفَ لَهْجَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حُزَابَةَ : [من الرجز]

1 اللفاء : الخسيس .

2 زينة : كلاب .

3 المغور : البعيد الغور .

4 الشبرم : شراب مسهل .

يا عون قف واستمع الملامة لا سلم الله على سلامة
 زنجية تحسبها نعاماً شكاء شأن جسمها دمامة
 ذات حير كرىشتي حمامة بينهما بظفر كرأس الهامة
 أعلمتها وعالم العلامة لو أن تحت بظرها صمامة
 لدفعت قدامها أمامة

فكان الناس يصيحون به :

أعلمتها وعالم العلامة

[أبو حُرابة ينشد طلحة]

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس ، عن
 الهيثم بن عدي قال : كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل
 وقُتِل معها يومئذ ، وعلى بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني
 خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمويًا ، وكانت بنو أمية مكرمين له .

فأنشد أبو حُرابة يوماً طلحة :

يا طَلَحْ يَا بِي مَجْدُكَ الْإِخْلَافُ وَالْبَخْلَ لَا يُعْتَرَفُ اعْتِرَافاً¹
 إِنْ لَنَا أَحْمَرَةٌ عِجَافاً يَأْكُلْنَ كُلُّ لَيْلَةٍ إِكْفَافاً²

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهم ، وقال له : هذه مكانُ أحمرتك .

[يأبي الوقوف باب يزيد]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال : حدثني العمري ، عن لقيط قال : قيل لأبي
 حُرابة : لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك ، وشرَّفَكَ ، وألحقَكَ بعُلَية أصحابه ، فلست
 دونهم ، وكان أبو حُرابة يومئذ غلاماً حَدَثًا ، وكان معاوية حيًّا ، ويزيدُ أميراً يومئذ ،
 فلما أكثر قومه عليه في ذلك وفي قولهم : إِنَّكَ سَتَشْرَفُ بمصيرك إليه قال : [من الطويل]

يُشْرَفُنِي سَيْفِي وَقَلْبٌ مُجَانِبٌ لِكُلِّ لَيْمٍ بَاخِلٍ وَمَعْلَهِجٍ³

1 اعترفه : سأل عن حاله .

2 الإكاف : برذعة .

3 معلهج : أحق ليم .

وَكَرِّيَ عَلَى الْأَبْطَالِ طِرْفًا كَأَنَّهُ ظَلِيمٌ وَضُرِبِي فِرْقَ رَأْسِ الْمَدَجِّجِ
وَقَوْلِي إِذَا مَا النَّفْسُ جَاشَتْ وَأَجْهَشَتْ مَخَافَةَ يَوْمٍ شَرُّهُ مَتَأَجِّجِ
عَلَيْكَ غَمَارَ الْمَوْتِ يَا نَفْسُ إِنِّي جَرِيءٌ عَلَى دَرِّ الشَّجَاعِ الْمُهْجَجِ¹

[ثم يقف؛ فلا يصل إليه]

فلما أكثر عليه قومه ، وعنفوه في تأخره أتى يزيد بن معاوية ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع ، وقال : والله لا يراني ما حملت عيناى الماء إلا أسيراً أو قتيلاً ، وأنشأ يقول :

فَوَاللَّهِ لَا آتِي يَزِيدَ وَلَوْ حَوْتُ أَنَا مُلَّهُ مَا بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبِ
لَأَنَّ يَزِيدًا غَيْرَ اللَّهِ مَا بِهِ جَنُوحٌ إِلَى السُّوءِ مُصِيرٌ عَلَى الذَّنْبِ
فَقُلْ لِبَنِي حَرْبٍ تَقُوا اللَّهَ وَحَدَّهُ وَلَا تُسْعِدُوهُ فِي الْبَطَالَةِ وَاللَّعْبِ
وَلَا تَأْمِنُوا التَّغْيِيرَ إِنْ دَامَ فَعْلُهُ وَلَمْ يَنْهَهُ عَنْ ذَاكَ شَيْخُ بَنِي حَرْبِ
أَيَسِّرُهَا صِرْفًا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ مَعْتَقَةٌ كَالْمَسْكِ تَخْتَالُ فِي الْعُلْبِ
وَيَلْحَى عَلَيْهَا شَارِبِيهَا وَقَلْبُهُ يَهِيمُ بِهَا إِنْ غَابَ يَوْمًا عَنِ الشَّرْبِ²

[يرهن سرجه لبييت]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن المدائني قال : لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج ، وكان معه أبو حُرَابة فمروا بدستبي³ وبها مستراد⁴ الصناجة⁵ ، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلا بمائة درهم ، فبات بها أبو حُرَابة ورهن عندها سرجه ، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن ، فلما أقبل صاح به وقال : [من الرجز]

أَمْرٌ عِضَالُ نَابِنِي فِي الْعَجِّ كَأَنَّنِي مَطَالِبٌ بَخْرَجٍ⁶
وَمُسْتَرَادٌ ذَهَبْتُ بِالسَّرَجِ فِي فِتْنَةِ النَّاسِ وَهَذَا الْهَرْجِ

فعرف ابن الأشعث القصّة ، وضحك ، وأمر بأن يُفتك له سرجه ، ويُعطى معه ألف

1 المهجج : الداهية .

2 الشرب : جماعة الشاربين .

3 دستبي : كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمدان .

4 مستراد : موضع كمراد .

5 الصناجة : اللاعبون بالأوتار أو المغنون .

6 العجج : الصباح والضوضاء .

درهم ، وبلغت القصّة الحجاجُ فقال : أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ، ولا ينكر !
ظفرتُ به إن شاء الله .

[لا يثبه على المدح فيهجوه]

أخبرني عمي ، قال حدثنا الكُرانيّ عن العُمريّ ، عن العُتبيّ قال : مدح أبو حُرابة عبد الله بن
علي العبّسميّ وهو على سِجستان فلم يُثبه فقال يهجوه : [من مجزوء الكامل]

هَبَّتْ تُعَاتِبُنِي أَمَا	مَةُ فِي السَّمَاحَةِ وَالْفَضَالِ
وَأَيَّتْ عِنْدَ عِتَابِهَا	إِلَّا خَلَائِقَ ذِي النَّوَالِ
أَعْطَى أَخِي وَأَحْوَطَهُ	جُهْدِي وَأَبْدُلْ جُلِّيَّ مَالِي
وَأَقِيهِ عِنْدَ تَشَاوُرِ الْأَبْطَا	لِ بِالْأَسْلِ النَّهَالِ
حِفْظًا لَهُ وَرِعَايَةً	لِلْخَالِيَاتِ مِنَ اللَّيَالِي
إِذْ نَحْنُ نَشْرَبُ قَهْوَةً	دِرْيَاقَةً كَدَمِ الْغَزَالِ ¹
حَمَاءٌ يُذْهِبُ رِيحُهَا	مَا فِي الرُّؤُوسِ مِنَ الْخَبَالِ
وَإِذَا تَشَعَّشَعَ فِي الْإِنَا	ءَ رَمَتْ أَخَاهَا بِاغْتِيَالِ ²
وَعَلَا الْحَبَابُ فَخَلَّتْهُ	عِقْدًا يُنْظَمُ مِنْ لَآلِي
تَشْفِي السَّقِيمَ بِرِيحِهَا	وَتُمِيتُهُ قَبْلَ الْإِجَالِ ³
تِلْكَ الَّتِي تَرَكْتُ فَوْأًا	دَ أَيَّ حُرَابَةٍ فِي ضَلَالِ
لَا يَسْتَفِيقُ وَلَا يُفِي	حَقَّ نَزِيفِهَا فِي كُلِّ حَالِ
وَإِذَا الْكِمَاءُ تَنَازَلُوا	وَمَشَى الرِّجَالُ إِلَى الرِّجَالِ
وَبَدَتْ كَتَائِبُ تَمْتَرِي	مُهْجَ الْكَتَائِبِ بِالْعَوَالِي ⁴
فَأَبُو حُرَابَةٍ عِنْدَ ذَا	كَ أَخُو الْكَرِيهَةِ وَالنُّزَالِ
يَمْشِي الْعَرْضَةَ مُعَلِّمًا	بِالسَّيْفِ مَشِيًّا غَيْرَ آلِ ⁵

1 درياقة : شفاء .

2 تشعشع : تمزج وتخلط .

3 الإجال : جمع أجل .

4 تمترى : تستخرج .

5 جاعلاً لنفسه علامة ليتحدّى الأبطال في النزال .

كالليث يترك قرنه متجدلاً بين المجال
إني نذير بني تميم م من أخي قيل وقال
من لا وجود ولا يسو د ولا يجير من الهزال
وتراه حين يجيئه السوء ل يولع بالسعال
متشاغلاً متنحنحاً كالكلب جمح للعطال¹
فارفض قريشاً كلها من أجل ذي الداء العضال

يعني عبد الله بن علي العبشمي .

[بشيد بشجاعة التميميين]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثني محمد بن الهيثم الشامي قال : حدثني عمي أبو فراس ، عن العذري قال : دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج ، وقد قدما بسيستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لما قدماها هرب ، ولم يبق بسيستان من أصحابه إلا سعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حزابة : إن الرجل قد هرب منكما ، ولم يبق من أصحابه أحد ، وإنما بسيستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له : ما لهم عندنا أمان ، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة . فلم يجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصروهم أهل الشام ، فاستقتلت بنو تميم ، فكانوا يخرجون في كل يوم إليهم ، فيواقعونهم ، ويكبسونهم بالليل ، وينهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلما رأى قتلهم قال : أما كنتم إلا ما أرى ! قالوا : نعم ، فإن شئت أن نُقبلك الصلح أقتلك ، وعُدنا للحرب ، فقال : أنا غني عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حزابة في ذلك :

لله عيناً من رأى من فوارس أكر على المكروه منهم وأصبرا
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا ولكن لقوا طمأ من البحر أخضرا²

1 جمح : الجمع : الكبر والفخر ويبدو أن معناها هنا : الانتصاب . العطال : الملازمة في السفاد للكلاب ونحوها .

2 طمأ : غمراً .

فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم ذرى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبناهم فوارس كهمس¹ حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا¹

صوت

[من المتقارب]

إذا الله لم يسق إلا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكراً من الغيث في الزمن المنجل
تكفكه بالعشي الجنوب² وتفرغه هزة الشمال²
كان الرباب دوين السحاب³ نعام تعلق بالأرجل³

الشعر لزهير السكب التميمي المازني ، والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبصرة عن الهشامي

وحبش .

1 كهمس : أبو حي من ربيعة .

2 تفرغه في ل : وتفرعه .

3 الرباب : السحاب الأبيض .

[489] - نسب زهير السكب وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن عروة بن جُلْهُمَة بن حَجْر بن خُزَاعِيٍّ ، شاعر جاهليٌّ . وإنما لُقِّبَ السَّكْبُ
ببيت قاله وقال فيه :

بَرْقٌ يُضِيءُ خِلَالَ الْبَيْتِ أُسْكُوبُ¹

[يتشوق إلى أبناء عمومته]

أخبرني يحيى بن عليٍّ بن يحيى إجازة قال : حَدَّثَنَا أَبُو هِفَانٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هُرَيْمٍ عَنْ أَبِيهِ
قال : كان زهير بن عروة المازنيُّ الملقَّبَ بالسَّكْبِ جاهليًّا ، وكان من أشراف بني مازن
وأشدائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه في شيء ذمه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم
من بني تميم ، فلحقه فيهم ضيمٌ ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأبَتْ نفسه ذلكَ عليه ،
فقال يتشوقُ ناساً منهم كانوا بني عمِّه ذنيةً يقال لهم بَنُو حَنْبَلٍ :

إذا الله لم يسقى إلا الكرام	فسقى وجوة بني حنبل
مُلْتًا أَحْمَ دواني السحاب	هزيم الصلاصل والأزمل ²
تكركره خضخضات الجنوب	وتفرغه هزة الشمال ³
كأنَّ الربابَ دوينَ السحاب	نعام تعلّق بالأرجل
فنعَم بَنُو العمِّ والأقربون	لدى حُطْمَةِ الزمن المُنحل ⁴
ونعم المواسونَ في النائبا	ت للجار والمعتفى المُرمل ⁵

1 أُسْكُوبُ : المطر .

2 ملتا : دائم المطر لا ينقطع . أحْم : أسود . صلاصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل : صلصلة . الأزمل : الصوت المختلط .

3 تكركره : تجمعه بعد تفرقه . خضخضات : جمع خضخضة : وهي تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشمال . وتفرغه في ل : تفرقه .

4 حطمة : الشدة .

5 المعتفى : السائل . المرمِل : الذي نفذ زاده .

ونعم الحماة الكفاة العظيم
 إذا غاِظُ الأمر لم يُحلل¹
 ميامين صبرٍ لدى العضلاتِ
 على مَوجعِ الحدثِ المعضِلِ
 مباديلُ عفواً جزيلَ العطاء
 إذا فَضلةُ الزَّادِ لم تُبذل²
 همُّ سبقوا يومَ جريِّ الكرامِ
 ذوي السبقِ في الزمنِ الأوَّلِ
 وساموا إلى المجدِ أهلَ الفعَالِ
 فطالبوا بفعلهم الأطولِ

[أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي : قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه
 قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرِّبابِ فقال : أما تراه معلقاً بالسحابِ كالذيل له ،
 أما سمعت قول صاحبنا السَّكَب :
 [من المتقارب]

كَأَنَّ الرِّبابَ دُونَيْنِ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعْلُقُ بِالْأَرْجْلِ

صوت

[من المتقارب]

سلا عن تذكُّره تُكْتَمَا وكان رَهِينَا بِهَا مُغْرَمَا
 وأقصرَ عنها وآثارُهَا تذكُّره داءُهَا الأَقْدَمَا
 الشعر للنمير بن تولب ، والغناء لخزرج خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى عن الهشامي .

1 غاِظُ الأمر : الأمر المجهد الشاق .

2 عفواً : فضلاً وزائداً .

[490] - أخبار النمر بن تولب ونسبه¹

[اسمه ونسبه]

هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل ، واسم عكل عوف بن عبد مناف ، بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مقلٌ مخضرم أدركَ الجاهليّة ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ ، وكتبَ له كتاباً ، فكان في أيدي أهله ، ورَوَى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه ، وكان النمرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وُفُرسانهم .

[أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس]

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : أخبرنا محمد بن حبيب قال : قال الأصمعيّ : كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّي النمرَ بن تولب الكيسَ لجوْدَةِ شعره وحُسْنِهِ .

أخبرنا محمد بن خلف المَرْبُان قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد قال : أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحِيّ ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلام قال : كان النمر بن تولب جواداً لا يُليقُ² شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسمّيه الكيسَ لحُسْنِ شعره .

أخبرني هاشمُ بنُ محمد أبو ذُلف الخزاعيّ قال : أخبرنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال حدَّثنا قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير أَخِي مُطَرِّف ، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : وفد النمر بن تولب على النبي ﷺ وكتبَ له كتاباً ، أخبرناه قُرّة بن خالد السُّدُوسيّ وسعيد بن إِيَّاس الجريريّ ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير أَخِي مُطَرِّف .

[يحظى بكتاب نبوي]

وأخبرني عمِّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، عن

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 309 وفي كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج7 ق1 ص 26 والمعرين 63 والجمعي 36-38 والآل 284-285 والخزانة 1 : 152-156 ، وله ترجمة ضافية في شعر النمر بن تولب صنعة نوري حمودي القيسيّ . مطبعة المعارف بغداد ص 5-22 .

2 لا يُليق : لا يقي شيئاً لجوده وسخائه .

قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ، واللفظ قريبٌ بعضُهُ من بعض ، قال :
بينما نحنُ بهذا المريد جلوس ، يعني مريدُ البصرة ، إذ أتى علينا أعرابيٌّ أشعثُ الرأس ، فوقفَ
علينا ، فقلنا : والله لكانَ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجل ، وإذا معه قطعة من
جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبه لي رسول الله ﷺ ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب ، بسم
الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله ﷺ لبني زُهَيْر ، هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ،
وقال الباقر : لبني زُهَيْر بن أقيش ، حيٌّ من عَكل ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأنِّي
رسول الله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم
وسهم النبي والصّفي¹ فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

[يشكون في روايته ، فيغضب]

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» . وقالوا
جميعاً في الخبر : فقال له القوم : حدّثنا رَحِمَكَ اللهُ ، ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال :
سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «صَوْمُ شهر الصَّبَر ، وصَوْمُ ثلاثة أَيَّام من كلِّ شهر يُذهِبُ
كثيراً من وَحَرٍ الصدر» . فقال له القوم : ألّنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال :
أراكم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ ، لا حدّثتكم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصحيفة ،
وانصاع³ مُدبراً . قال يزيد بن عبد الله : فقل لي بعد ما مضى : هذا النمر بن تولب العُكَلِيّ
الشاعر .

[مثل من كرمه]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال : أخبرنا محمد بن
سلام ، قال : خرج النمر بن تولب بعد ما كبر في إبله ، فسأله سائل ، فأعطاه فحلَّ إبله ،
فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته ، وعذّلتها ، وقالت : فهلاً غيرَ
فحل إبلك ؟ فقال لها :

دَعِينِي وَأَمْرِي سَأُكْفِيكِ
وَكُونِي قَعِيدَةً بَيْتِ ضُبَاعٍ⁴
فَإِنَّكَ لَنْ تَرَشُدِي غَاوِيًا
وَلَنْ تَدْرَكِي لَكَ حِطًّا مُضَاعًا

وقال أيضاً في عذلها إياه :

[من المديد]

1 الصفي : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .

2 وحر : حقد وغيظ .

3 انصاع : انفتل راجعاً .

4 ضباع : يرجح أنها مرخم «ضباعة» زوجته .

بَكَرَتْ بِاللَّوْمِ تَلْحَاناً فِي بَعِيرٍ ضَلَّ أَوْ حَانَا
عَلِقَتْ لَوْاً تُكَرِّرُهَا إِنَّ لَوْاً ذَاكَ أَعْيَانَا

قال : وأدرك الإسلام فأسلم .

[تخذه زوجه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا محمد بن سلام قال : كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب ، وكان سيِّداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم ، يقال لها جَمْرَة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته¹ ، فحبسها ، حتى استقرت ، وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيامها : أزرني أهلي فإنني قد اشتقت إليهم ، فقال لها : إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك ، فوافقتة لترجعن إليه . فخرج بها في الشهر الحرام ، حتى أقدمها بلاد بني أسد ، فلما أطل على الحي تركته واقفاً ، وانصرفت إلى منزل بعلها الأول ، فمكثت طويلاً ، فلم ترجع إليه ، فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف وقال :

جزى الله عنا جَمْرَة ابنة نوفل جزاء مُغِلٍّ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ²
لهان عليها أَمْسٍ مَوْقِفُ رَاكِبٍ إِلَى جَانِبِ السَّرْحَاتِ أَخِيْبٍ خَائِبٍ
وقد سألتُ عَنِّي الْوَشَاةَ لِيَكْذِبُوا عَلَيَّ وَقَدْ أَبْلَيْتَهَا فِي النَّوَائِبِ³
وصدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ
وقال فيها أيضاً :

[من المتقارب]

كلّ خليلٍ عليه الرعا ثُ وَالْحَبَلَاتُ كَذُوبٌ مَلِيقٌ⁴
الحبيلات : واحدها حَبَلَة ، وهي جنس من الحلي قَدَرُ ثَمَرِ الطَّلَحِ .
وقامتُ إِلَيَّ فَأَحْلَفْتُهَا بِهِذِي قَلَائِدَهُ تَخْتَفِقُ⁵
بأن لا أخونك فيما علمت فَإِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ الْخُلُقِ
وقال فيها أشعاراً كثيرة يطول ذكرها .

1 فركته : أبغضته .

2 مغل : خائن .

3 أبليتها : أحسنت إليها .

4 الرعات : مفردها رعثة .

5 تختفق : تتحرك وتضطرب .

[يشبه حاتمًا في شعره]

أخبرني اليزيديّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان أبو عمرو يُشَبِّهُ شِعْرَ النمر بِشِعْرِ حاتم الطائيّ .

[أفنى الشعراء]

أخبرني الحسين بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا مُصْعَبُ بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ قال : بلغني أنّ صالحَ بنَ حسان قال يوماً لجلسائه : أيُّ الشعراء أفنى ؟ قالوا : عمر بن أبي ربيعة ، وقالوا : جميل ، وأكثرُوا القول ، فقال : أفتأهم النمر بن تولب حين يقول :

أهيمُ بدَّعد ما حييتُ وإنْ أمُتُ فواحزنا مَنْ ذا يَهيمُ بها بعدي !

[جمرة توصيه بولده منها]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، عن محمد بن سلام قال : حجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةً منه فنزل بمِنى ، ونزلت جمرةً مع زوجها قريباً منه ، ففرقه ، فبعثت إليه بالسلام ، وسألته عن خبره ، ووصّته خيراً بولده منها فقال :

فحَيِّيتِ عن شَحَطٍ بخيرِ حَدِيثنا ولا يَأْمَنُ الأَيَّامُ إلَّا المُضَلَّلُ
يودُّ الفتى طولَ السَّلامةِ والغنى فكيف يرى طولَ السَّلامةِ يفعلُ !

[شعره بين يدي الرسول]

أخبرني ابنُ المرزبان قال : حدّثنا أبو محمد اليزيديّ ، عن الأصمعيّ . وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال : لما وفد النمر بن تولب على النبيّ ﷺ أنشده :

يا قوم إنني رجلٌ عندي خَبَرٌ لله من آياته هذا القَمَرُ
والشمسُ والشعريّ وآياتٌ أُخَرُ من يتسام بالهدى فالخبثُ شَرٌ¹
إنّا أتيناك وقد طال السفرُ نَقودُ خَيْلاً رُجُعاً فيها ضَرَرٌ²
نُطعمُها اللحمَ إذا عَزَّ الشَّجَرُ

قال اليزيديّ ، عن ابن حبيب خاصة ، قال الأصمعيّ : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن ، والعرب تقول : اللبن أحد اللحمين . وقال ابن حبيب : قال ابن الأعرابي : كانت العرب إذا لم تجد العلفَ دَقَّتْ اللحمَ اليابسَ ، فأطعمته الخيل .

1 الشعري : نجم في السماء وهما شعريان : الكبير والغميضاء ، ويعدونهما أختي سهيل .

2 رجعاً : كليلة .

[يتسلى عن جمره]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني قال : حدثنا العُمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عيَّاش ، وأخبرنا ابنُ المَرْزبان قال : أخبرني عيسى بنُ يونس قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس قال : لما فارق النمر بن تولب ، امرأته الأسدية جزع عليها ، حتى خيفَ على عقله ومكث أياماً لا يطعمُ ، ولا ينام ، فلما رأت عَشيرته منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونه ، ويصبرونه ، وقالوا : إن في نساء العرب مندوحةً ومتسعاً ، وذكروا له امرأة من فخذة الأذنين يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جَمْرَةٍ وفيها يقول : [من الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكَلْتُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

والناسُ يروون هذا البيتَ لُنصيب وهو خطأ .

أخبرني اليزيدي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه . وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ ، عن ابن قتيبة ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، عن حماد بن ربيعة أنه قال : أظرف الناس النمر بن تولب حيث يقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكَلْتُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

[يرثي جمره]

أخبرني ابن المَرْزبان قال : أخبرني عبد الله بن محمد قال : أخبرني محمد بن سلام قال : لما بلغ النمر بن تولب أن امرأته جَمْرَةٌ تُوفيت ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزَامُ أو حَرَام ، فقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْرَةً جَاءَ مِنْهَا بَيَانُ الْحَقِّ إِنْ صَدَقَ الْكَلَامُ
نَعَاهَا بِالْهِنْدِيِّ لَنَا حَزَامُ حَدِيثُ مَا تَحْدُثُ يَا حَرَامُ
فَلَا تَبْعُدْ وَقَدْ بَعْدَتْ وَأَجْرَى عَلَى جَدَّتِي تَضَمَّنَهَا الْغَمَامُ

قال الأصمعي : يقال بَعِدَ وَابْتَعَدَ .

[يهذي في كبره]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا الرياشي ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو ، وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دُلْف الخُزاعي قال : حدثنا أبو غَسَّانَ دِمَاز ، عن أبي عبيدة ، أبي عمرو قال : أدرك النمر بن تولب النبي ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ، وعُمِّر ، فطال عمره ، وكان جواداً واسعَ القِرَى كثيرَ الأضياف وهاباً لِمَالِهِ ، فلما كبر

خَرِفَ وأَهِتِر¹ ، فَكانَ هِجِيراهُ² : اصْبَحُوا الرَّاكِبَ ، اغْبِقُوا الرَّاكِبَ اقْرُوا ، انْحَرُوا
للضيف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا في حِمالته كذا وكذا ، لعادته بذلك ، فلم يزل
يَهْذِي بهذا وشبهه مدّة خَرْفة حتى مات .

[خرق أفضل من خرف]

قال : وَخَرِفَتْ إمْرَأَةٌ مِنْ حَيٍّ كرامٍ عظيمٍ خطرهم وخطرُها فيهم ، فَكانَ هِجِيرَها :
زَوَّجُونِي ، قولوا لزوّجي يدخل ، مهّدوا لي إلى جانب زوجي ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وقد
بلغه خبرُها : ما لِهَجَ به أخو عُكل النمر بن تولب في خَرْفه أَفْخَرُ وأَسْرَى ، وأَجْمَلُ ممّا لَهَجَتْ
به صاحبتُكم . ثم تَرَحَّم عليه .

[يرثى أخاه]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ العامريُّ ، قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغيرةِ الأَثَرَمِ ،
عن أَبِي عبيدة قال : مات الحارث بن تولب ، فرثاه النمر فقال : [من الطويل]

لا زال صوبٌ مِنْ ربيعٍ وصيفٍ	يجودُ على حِسِّي الغمِيمِ فيثربٍ ³
فوالله ما أَسْقَى البِلادَ لَحْبَها	ولكنّما أَسْقَيْكَ حارِ بنِ تولبٍ
تَضَمَّنَتْ أدواءَ العِشيرةِ بينها	وأنت على أَعوادِ نَعشٍ مُقَلَّبٍ
كَأَنَّ امْرَأَةً فِي النَّاسِ كُنْتَ ابْنَ أُمِّه	على فَلَجٍ مِنْ بطنِ دجلةٍ مطنِبٍ ⁴

[يتمثل بأبياته]

قال حماد الراوية : كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثل به ، فمن ذلك
قوله :

لا تَغْضِبْنِ على امرئٍ في مالِه	وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكٍ فاغْضَبِ
وَإِذا تَصَبَّكَ خِصاصةٌ فارِجُ الغِنى	وإلى الذي يعْطِي الرِغائبَ فارْغِبِ ⁵

وقوله :

تَلَبَّسْ لِدَهْرِكَ أَثوابَه فلن يَتَنى النَّاسُ ما هُدَّما

1 أهتر : فقد عقله من الكبر .

2 هجيراه : ديدنه وعادته .

3 صيف : مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع . الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

4 فلج : نهر صغير .

5 وإذا في الشعر والشعراء 310/1 ومتى .

وأحب حبيبك حباً رويدا فليس يعولك أن تصرماً
وأبغضُ بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكما

وقاله : [من الطويل]

أعاذلُ إن يصبح صدأي بقفرة بعيد نآني ناصري وقريبي
تري أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذي أفيت كان نصبي

[يعنى صديقه من الدية ويتحملها]

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال : محمد بن حبيب : كان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها ، فلما رآهم ، وسأله تبسم ، فقال النمر :

تبسم ضاحكاً لما رأي وأصحابي لدى عن التمام
فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ، ونفساً تأمرني ألا أفعل ، فقال النمر :

أما خليلي فإنني غير معجله حتى يؤامر نفسه كما زعما
نفس له من نفوس الناس صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما
ثم قال النمر لأصحابه : لا تسألوا أحداً ، فالدية كلها علي .

[قصة سيف كالذي وصف النمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي قال : جاء أعرابي إلى أبي ، وهو مستتر بسوقية¹ قبل مخرجه ، ومعه سيف قد علاه الصدا ، فقال : يا ابن رسول الله ، إني كنت ببطن قديد² ، أرعى إبلي وفيها فحل قظيم³ ، قد كنت ضربته ، فحقد علي وأنا لا أدري ، فخلا بي فشده علي يريدني ، وأنا أخضر ، ودنا مني حتى أن لغامه ليسقط على رأسي لقربه مني . فأنا أشتد ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبه عني به ، إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنه السيل ، فظننته عوداً بالياً ، فضربت بيدي إليه ، فأخذته فإذا سيف ، فذبت به البعير عني ذباً ، والله ما أردت به الذي بلغت منه ، فأصبت خيشومه

1 سوقية : موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

2 قديد : موضع قرب مكة .

3 القطم : الصَّوول .

فرميت بفقمة¹ ، فعلمت أنه سيف جيد ، وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قتلوا في وقعة قديد² ، وها هوذا قد أهديته لك يا ابن رسول الله قال : فأخذه منه أبي ، وسر به . وجلس الأعرابي يُحادثه ، فبينما هو كذلك إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاؤها ، فقال له : أبي : يا أعرابي هذه الغنم والرعاة لك مكافأة لك عن هذا السيف ، قال : ثم أرسل به إلى المدينة ، أو أرسل إلى قين³ فأتي به من المدينة ، فأمر به فحُلِّي ، فخرج أكرم سيوف الناس ، فأمر فأتخذ له جفن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلما كان اليوم الذي قُتل فيه ، قاتل بغير ذلك السيف ، قال : وبقي ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد . فزرتها يوماً وهي بينبع في جماعة من أهل بيتي ، وكانت عند ابن عمها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلام ، فخرجت إلينا ، وكانت برزة⁴ تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدثهم ، فجلست تحدثنا ، وأمرت مولى لها ، فنحَرَ لنا جزوراً⁵ ليهيئ لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجزور في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلخ ، فقالت : إني لا أرى في هذه الجزور ، مضريراً حسناً . ثم دعت بالسيف ، وقالت : يا حسن ، فدتك أختك ، هذا سيف أبيك ، فخذهُ واجمَع يدك في قائمهِ ، ثم اضرب به أثناءها من خلفها ، تريد عراقيتها ، وقد أثبتّها للبروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذت السيف ثم مضيت نحوها ، فضربت عراقيتها فقطعتها ، والله ، أربعتها وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقت عليه أن ينكسر إن اجتذبتهُ فحفرتُ عنه ، حتى استخرجته ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قول النمر بن تولب :

[من البسيط]

أبقى الحوادثُ والأيتامُ من نمرٍ أسباد سيفٍ كريمٍ أثره بادٍ⁶
تظلّ تحفر عنه الأرضُ مدفعاً بعد الذراعين والقيدِ والهادي⁷

ويروى : تظلّ تحفر عنه إن ظفرت به

1 الفقم : اللحي وطرف الخطم .

2 وقعة قديد : وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .

3 القين : الحداد والصيقل .

4 برزة : متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .

5 جزور : بعير أو ناقة تجزر .

6 أسباد : مفردة سيد وهو البقية .

7 في شعر النمر بن تولب 53 : إن ضربت به . الهادي : العنق وجمعه هواد .

[يشكو المشيب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ ، عن أبي عبيدة قال : قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت لا يحملُ بعضي بعضاً أشكو العروقَ الآبضات أبضاً¹
كما تشكّي الأرحبيّ الغرضاً كأنما كان شبابي قرضاً²

[من توسلاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال : حدثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه :

أعذني ربّ من حصّر وعيٍّ ومن نفسٍ أعالجها علاجاً
ومن حاجات نفسٍ فاعصمني فإن لمضمّرات النفسِ حاجا
فأنت وليّها وبرئتُ منها إليك فما قضيتَ فلا خلاجاً³

[عود إلى فتوته]

ثم قال : كان النمر أفتى خلق الله ، فقلت : وما كانت فتوته ؟ قال : أوليس فتى من يقول :

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتُ فواحرزنا من ذا يهيم بها بعدي

صوت

[من الطويل]

أيا صاحبي رحلي دنا الموتُ فانزلاً برايةٍ إنني مقيمٌ لياليا
وخطأً بأطراف الأسنّة مضجعي وردّاً على عينيّ فضلَ ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنتُ عن بابي خراسان نائياً⁴

1 الآبضات : الشادات . وفي شعر النمر بن تولب 70 : النليات .

2 الأرحبيّ : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب .

3 خلاجاً : نزاعاً وشكاً .

4 هامتي : رأسي .

فيا ليتَ شِعري هل أُبَيِّنَ لَيْلَةً بجنبِ الغضا أُرْجِي القِلاصَ النواجي¹
الشعر لمالك بن الرِّيب ، والغناء لمعبد مَّا لا يشكُّ فيه من غنائه ، خفيف ثقيل أَوَّل
بالوسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن
عائشة من رواية عليّ بن يحيى ، وفيه لابن سريج هَزَج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن
المكيّ ، وفيه لإبراهيم رَمَل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأَوَّل والثالث من
الأيّاتِ ، ولإبراهيم ثقيل أَوَّل في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ ، وقيل : إنّ الرَّمَل
المنسوب إليه لنبيه .

1 النواجي : جمع ناجية أي سريعة .

[491] - أخبار مالك بن الرب ونسبه¹

[نسبه]

هو مالك بن الرب بن حوط بن قُوط بن حِسل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

[لص قاطع طريق]

وكان شاعراً فاتكاً لصاً ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية .

[الوالي يريد استصلاحه]

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام ابن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصاص وحَمَّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا : استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان ، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقيه بها مالك بن الرب المازني ، وكان من أجمل الناس وجهاً ، وأحسنهم ثياباً فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له : ما لك ، ويحك تُفسد نفسك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيك واستصحبك ، أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيها الأمير ، أكفُّ كفاً لم يكفُّ أحدٌ أحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر .

[داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه]

قالوا : وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الرب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حُرْذبة ، أحد بني أثالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز : [من الرجز]

اللهُ نجاكَ من القصيم وبطنِ فلج وبني تميم

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 353/1 ، والخزانة 1 : 317-321 وشواهد المغني 215-216 واللائي

ومن أبي حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسموم
ومن شيطانٍ الأحمرِ الزَّئيم ومن غويثٍ فاتحِ العُكُوم¹
فساموا² الناسَ شراً ، وطلبهم مروانُ بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهربوا
فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم ،
فهربوا منه .
[يتوعد من يتوعدُه]

ويلغ مالكُ بنَ الرِّيب أنَّ الحارث بن حاطب يتوعدُه فقال :

[من الوافر]

تألَّى حِلْفَةً في غير جُرْمٍ أميرٍ حارث شيهُ الصَّرارِ³
عليَّ لأجلَدَنَ في غير جُرمٍ ولا أدنى فينفعني اعتذاري
وقلتُ وقد ضمنتُ إليَّ جأشي تحلُّلٌ لا تألُّ عليَّ حارٍ
فإنِّي سوف يكفينيك عَزمي ونصُّ العيسِ بالبلدِ القفارِ⁴
وعنسٌ ذات معجمة أمونٌ علنداة موثَّقة الفقارِ⁵
تزيِّف إذا تواهقت المطايا كما زاف المشرف للخطرِ⁶
وإن ضريت بلحييها وعامت تفصم عنهما حلقُ السفارِ⁷
مراحاً غير ما ضغنٍ ولكن لجاجا حين تشتبهُ الصحاري
إذا ما استقبلت جؤنا بهيما تفرج عن مخيصة حضارِ⁸
إذا ما حال روض رباب دوني وتثليث فشأنك بالبكاري⁹

1 الزئيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه . العكوم : جمع عكم وهو الحمل .

2 ل : فسعروا .

3 الصرار : ما يشدُّ فوق خلف الناقة من خيط .

4 نص العيس : إجهادي النوق على السير الشديد وفي ل : ونصّي .

5 العنس : الناقة الصلبة القوية . ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير . أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال . علنداة : ضخمة شديدة طويلة .

6 تزيِّف : تسرع في تمايل . تواهقت : تبارت وتنافست .

7 تفصم : تكسر من غير انفصال . السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .

8 مخيصة : مذلة منقاد . حضار : جمعت قوة وجودة سير .

9 رباب : أرض بين ديار بني عامر والحارث بن كعب . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

وَأَنيَابٌ سِيُخْلِفُهُنَّ سَيْفِي وَشَدَّاتُ الْكَمِيِّ عَلَى التَّجَارِ¹
 فَإِنْ أَسْطَعَ أَرِخَ مِنْهُ أَنَاسِي بَضْرِيَّةٌ فَاتَكَ غَيْرَ اعْتَدَارِ
 وَإِنْ يُقْلَتْ فَإِنِّي سَوْفَ أَبْغِي بَنِيهِ بِالْمَدِينَةِ أَوْ صِرَارِ²
 أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ مَرَّوَانٍ عَنِّي فَإِنِّي لَيْسَ دَهْرِي بِالْفِرَارِ
 وَلَا جَزَعٍ مِنَ الْحَدَثَانِ يَوْمًا وَلَكِنِّي أُرُودُ لَكُمْ وَبَارِ
 وَبَار : أَرْضٌ لَمْ يَطَأْ أَحَدٌ ثَرَاهَا .

بِهَزْمَارٍ تَرَادُّ الْعَيْسُ فِيهَا إِذَا أَشْفَقَنَ مِنْ قَلَقِ الصَّفَارِ³
 وَهَنْ يَحْشَنُ بِالْأَعْنَاقِ حَوْشَا كَأَنَّ عِظَامَهُنَّ قِدَاحُ بَارِ⁴
 كَأَنَّ الرَّحْلَ أُسَارَ مِنْ قَرَاهَا هَلَالَ عَشِيَّةٍ بَعْدَ السَّرَارِ⁵
 رَأَيْتُ وَقَدْ أَتَى بُحْرَانُ دُونِي لِلَّيْلِ بِالْغُمِيمِ ضَوْءُ نَارِ⁶
 إِذَا مَا قُلْتُ : قَدْ خَمَدَتْ زَهَاها عُصِي الرُّنْدِ وَالْعَصْفِ السَّوَارِ⁷
 يُشَبُّ وَقُودَهَا وَيَلُوحُ وَهْنَا كَمَا لَاحَ الشُّبُوبُ مِنَ الصُّوَارِ⁸
 كَأَنَّ النَّارَ إِذْ شُبَّتْ لِلَّيْلِ أَضَاءَتْ جَيْدَ مُغْزَلَةِ نَوَارِ⁹
 وَتَصْطَاذُ الْقُلُوبَ عَلَى مَطَاهَا بَلَا جَعْدَ الْقُرُونِ وَلَا قِصَارِ¹⁰
 وَتَبْسَمُ عَنْ نَقْيِ اللَّوْنِ عَذْبُ كَمَا شَيْفَ الْأَقَاحِي بِالْقَطَارِ¹¹
 أَتَجَزَعُ أَنْ عَرَفْتَ بَيْطَنَ قَوْ وَصَحْرَاءَ الْأَذْيِهِمْ رَسَمَ دَارِ¹²

- 1 أنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة .
- 2 صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .
- 3 بهزمار في ل : بمومة . الصفار : تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع .
- 4 يحشن : يرمين .
- 5 أسار : أبقي . والقرا : الظهر . السرار : آخر الشهر .
- 6 الغميم : ماء لبني سعد .
- 7 الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور . العصف : جمع عصوف وهي الريح الشديدة .
- 8 الشبوب : الشاب من البقر . الصوار ، كغراب : القطيع من البقر .
- 9 مغزلة : ذات غزال . نوار : نفور .
- 10 القرون الجمعدة : القصيرة ، والقرون : الضفائر . قصار : اسم من قصر .
- 11 شيف : جلي ، ومنه درهم مشوف مجلو .
- 12 بطن قو : واد بين البصرة والمدينة .

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم مراعٍ بين دخلَ إلى سَرارٍ¹
إذا حلُّوا بعائجةٍ خلَاء يُقَطِّفُ نَوْرَ حَنَوْتِهَا العذاري²

[يقتل حارسه ويخلص صديقه]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاريّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاماً له ، فجعلَ يسوق مالكا . فتغفلَ مالكٌ غلامَ الأنصاريّ ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيف حتى قتله ، وجعل يقتل مَنْ كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حردبة ، فتخلّصه ، وركباً إبلَ الأنصاريّ ، وخرجا فراراً من ذلك هارين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قدِم عليه سعيد بن عثمان ، فاستصحبه .

[شعره في مهره]

فقال مالك في مهره ذلك :

أحقّاً على السلطان أمّا الذي لَهُ فيُعْطِي وأمّا ما يَراؤُ فيمنعُ
إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينه وأعرضُ سهبٌ بين يبرين بلقعُ³
من الأدمى لا يستجمُّ بها القطا تكلُّ الرياحُ دونه فتقطعُ⁴
فشانكم يا آل مروان فاطلبوا سقاطي فما فيه لباغيه مَطمعُ⁵
وما أنا كالعير المقيم لأهله على القيد في بُحبوحة الضيّم يرتعُ
ولولا رسولُ الله أن كان منكم تبينَ مَنْ بالنّصف يرضى ويقنعُ

وقال أيضاً :

لو كنتم تنكرون الغدرَ قلت لكم يا آل مروان جاري منكم الحكمُ
وأتقيكم يمينُ الله ضاحيةً عند الشهودِ وقد توفي به الذمُّ

[من البسيط]

1 مراعٍ : موضع قريب من حزن بني يربوع . سرار : واد .

2 الحنوة : نبت طيب الريح .

3 يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بخذاء الأحساء .

4 الأدمى : موضع ببلاد سعد .

5 سقاطي : عثاري وسقوطي .

لا كنتُ أحدثُ سوءاً في إمارتكم ولا الذي فات مني قبل ينتقمُ
نحنُ الذين إذا خفتُم مجلَّةً قلتُم لنا : إنا منكم لتعتصموا¹
حتى إذا انفرجتْ عنكم دجنتها صرتم كجرمٍ فلا إلَّ ولا رجمُ

وقال مالكٌ حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده : [من الطويل]

غلامٌ يقول السيف يُثقل عاتقي إذا قادني وسَطَ الرجال المجحدل²
فلولا ذبابُ السيفِ ظلُّ يقودني ينسعه شئُ البنان حزنيل³

[أراد اغتيال مالك فاغاله]

قالوا : وبينا مالك بن الرب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو ، فانتفض به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك :

أدلجتُ في مهمٍ ما إن أرى أحداً حتى إذا حان تعريسُ لمن نَزلا
وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني مهما تنم عنك من عينٍ فما غفلا⁴
والسيفُ بيني وبين الثوب مشعره أخشى الحوادثُ إنِّي لم أكن وكِلا⁵
ما نمتُ إلا قليلاً نمته شئراً حتى وجدتُ على جُثماني الثُقلا⁶
داهية من دواهي الليل يبتني مُجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويتُ نفحاً له والليل سائرهُ إلا توخيتُهُ والجرس فانخزلا⁷
لما نسي الله عني شرَّ عدوته رقدت لا مُبْتَأً دُعراً ولا بعلا⁸
أما ترى الدار قفراً لا أنيسَ بها إلا الوحوشَ وأمسى أهلها احتملا

1 مجللة : نازلة عامة .

2 جحدل فلان فلاناً : صرعه .

3 النسعة : قطعة من سير أو جبل من آدم تشد به الرجال . شئن : غليظ . حزنيل : قصير وثيق الخلق .

4 عين في ل : ليل .

5 مشعره : جاعله شعاري .

6 شعراً : قلقاً .

7 نفحاً : ضرباً . انخزل : انقطع .

8 بعلاً : دهشاً فرقاً .

بين المنيفة حيث استنّ مدفعها
وقد تقول وما تخفى لجارتها
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها
خذها فإنني لضرب إذا اختلفت
وقال مالك في ذلك أيضاً :

[من الكامل]

يا غاسلاً تحت الظلام مطيةً
أننى أنختُ لشابك أنيابه
لا يستريح عزيمةً يرمى بها
حرباء تنصّبهِ وبيت هواجر
لم يدر ما غرفُ القصور وفيوها
يقظ الفؤاد إذا القلوب تأنست
حيث الدجى متطلعاً لغفوله
فوجدته بُتَ الجنان مُشيّعاً
ففراق أبيض كالعقيقة صارماً
فركبتَ ردعك بين ثني فائزٍ
متخايلاً لا بلّ وغير مخايل
مستأنس بدجى الظلام مُنازلٍ³
حصاءً تحسر عن عظام الكاهل
عاري الأشاجع كالحسام الناصل⁴
طاوٍ بنخل سوادها المتمايل
جزعاً ونُبة كلُّ أروع باسل
كالذئب في غلس الظلام الخايل
ركّاب منسج كلُّ أمر هائل⁵
ذا رونق يغشى الضريبة فاصل⁶
يعلوه به أثر الدماء وشائل⁷

[رجل حرب لا سانس ليل]

قال : وانطلق مالك بن الربيع مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجده ، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : أذن مني فلانة ، لناقة كانت لسعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبس⁸ بها حتى

1 المنيفة : ماء لثميم على فليح بين نجد واليمامة . استنّ : وضع . مدفعها : مسيلها ومجرها . فردة : جبل في ديار طيء . قبلاً : عياناً .

2 يختل البطلا : أي ينزع أعلى البيضة .

3 شابك : الأسد المشبك الأنياب .

4 عاري الأشاجع : رؤوس الأصابع ، جمع أشجع .

5 مشيعاً : شجاعاً .

6 العقيقة : البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف .

7 الردع في الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خرّ لوجهه على دمه . فائز : المراد به السيف .

8 أبس : مسح ضرعها .

درت ، ثم حلبها ، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره درة ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد للملك : هل لك أن تقوم بأمر إيلي ، فتكون فيها ، وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك ، وأضع عنك الغزو ؟ فقال مالك في ذلك : [من الطويل]

إني لأستحي الفوارس أن أرى بأرض العدا بو المخاض الروائم¹
وإني لأستحي إذا الحرب شمرت أن أرخي دون الحرب ثوب المسلم
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتقي في السلم جرّ الجرائم
ولا المتأني في العواقب للذي أهم به من فاتكات العزائم
ولكنني مستوحّد العزم مقدّم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل جميع الفؤاد عند حلّ العظام

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان ، علم أنه ليس بصاحب إيل ، وأنه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

[مالك والذئب]

قالوا : وبينما مالك بن الرب ليلة نائم في بعض مغاراته إذ بيته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد ، فلم يرح ، فوثب إليه بالسيف ، فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك : [من الطويل]

أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة تغادى بك الركبان شرقاً إلى غرب
فأنت وإن كنت الجريء جنانه منيت بضيرغام من الأسد الغلب
بمن لا ينام الليل إلا وسيفه رهينة أقوام سراع إلى الشغب
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقاً تخالطني أني امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنزجر نهنت غربك بالضرب²
فصرت لقى لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجي من الكرب
ألا رب يوم رب لو كنت شاهداً هالك كرّي عند معمة الحرب
ولست ترى إلا كميّاً مجدلاً يدها جميعاً تثبتان من الترب
وآخر يهوي طائر القلب هارباً وكنت امرأة في الهيج مجتمع القلب

1 الروائم : جمع رائم ورائمة : عطوف على ولدها .

2 نهنت : كففت .

أُصُولُ بذي الزَّرِينِ أَمْشِي عِرْضَنَهُ
إِلَى الْمَوْتِ وَالْأَقْرَانُ كَالْإِبِلِ الْجُرْبِ¹
أَرَى الْمَوْتَ لَا أَنْحَاشُ عَنْهُ تَكَرَّمَا
وَلَوْ شِئْتُ لَمْ أُرْكَبْ عَلَى الْمَرْكَبِ الصَّعْبِ
وَلَكِنْ أَبْتُ نَفْسِي وَكَانَتْ أُبْيَّةً
تَقَاعَسُ أَوْ يَنْصَاعُ قَوْمٌ مِنَ الرَّعْبِ

[ابنته تخشى فراقاً لا لقاء بعده]

قال أبو عبيدة : لما خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفرُك أو يحولَ الموتُ بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول :

[من الخفيف]

وَلَقَدْ قُلْتُ لِابْنَتِي وَهِيَ تَبْكِي
وَهِيَ تُذَرِّي مِنَ الدَّمْعِ عَلَى الْخَدَّيْ
عَبْرَاتٍ يَكِدْنَ يَجْرَحْنَ مَا جُرُ
حَذَرَ الْحَتَفِ أَنْ يَصِيبَ أَبَاهَا
اسْكُنْتِي قَدْ حَزَزْتَ بِالْدمْعِ قَلْبِي
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدَافِعَ عَنِّي
لَيْسَ شَيْءٌ يَشَاوُهُ ذُو الْمَعَالِي
وَدَعَيْتِي أَنْ تُقَطَّعِي الْآنَ قَلْبِي
أَنَا فِي قَبْضَةِ إِلَهِ كُنْتُ
كَمْ رَأَيْتُ امْرَأَةً أَتَتْ مِنْ بَعِيدٍ
فَدَعَيْتِي مِنْ اتِّحَابِكِ إِنِّي
حَسْبِيَ اللَّهُ ثُمَّ قَرَّبْتُ لِلَّهِ

بِدُخِيلِ الْهُمُومِ قَلْباً كَهَيْئَةٍ
مِنْ مَنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غُرُوباً
نَبْهَةً أَوْ يَدْعُنَ فِيهِ نُدُوباً
وَيَلَاقِي فِي غَيْرِ أَهْلِ شَعُوبِ²
طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكَ الْقُلُوبَا
رَيْبَ مَا تَحْذِرِينَ حَتَّى أَهْوََا
بِعَزِيزٍ عَلَيْهِ فَادْعِي الْمُجِيبَا
أَوْ تُرِينِي فِي رَحْلَتِي تَعْذِيبَا
تُ بَعِيداً أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيبَا
وَمَقِيماً عَلَى الْفَرَاشِ أُصِيبَا
لَا أَبَالِي إِذَا اعْتَزَمْتُ النَّحِيبَا
بِئْسَ عِلَاقَةً أَنْجِبَ بِهَا مَرْكُوبَا³

[خروجه من أجل ضربة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزَاعِي قال : حَدَّثَنَا دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ سَبَبُ خُرُوجِ مَالِكِ بْنِ الرِّيبِ إِلَى خُرَاسَانَ وَاسْتِثَابِهِ مَعَ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ ، هَرَباً مِنْ ضَرْطَةٍ ، فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَرَّ مَالِكُ بِلَيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ ، فَجَلَسَ إِلَيْهَا يَحَادِثُهَا طَوِيلاً ، وَأَنْشَدَهَا . فَأَقْبَلَتْ

1 الزرين : الحدين . عرضة : أي أَمْشِي بقوة .

2 شعوب : علم على المنية .

3 علا : ناقة مشرفة .

عليه ، وأعجبت به حتى طمِع في وصلها ، ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها ، كأنه نصلُ سيف ، فجلس إليها ؛ فأعرضت عن مالك وتهاوت به ، حتى كأنه عندها عُصفور ، وأقبلت على صاحبها ملياً من نهارها ، فغاظه ذلك من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : توبةُ بن الحمير ، فقال : هل لك في المصارعة ؟ قال : وما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا ؟ قال : لا بدَّ منه ، فظنُّ أن ذلك لخوفه منه ، فزداد لجاجاً ، فقام توبةُ فصارعه ، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرَطَةً هائلة ، فضحكت ليلي منه . واستحيا مالك ، فاكتب بخراسان وقال : لا أقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثت عني بهذا الحديث ، فلم يزل بخراسان حتى مات ، فقبّره هناك معروف¹ .

[يتذكر مع أصحابه ماضيهم]

وقال المدائني ، وحديثي أبو الهيثم : قال : اجتمع مالك بن الرب وأبو حردبة وشيظان يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سرّقتنا ، فقال أبو حردبة : أعجب ما صنعت ، وأعجب ما سرقت أني صحبتُ رُفْقَةً فيها رجل على رَحْل ، فأعجبنِي ، فقلت لصاحبي ، والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رضيتُ أو آخذَ عليه جُعالة ، فرمقته ، حتى رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، فقدته ، وعَدَلْتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيرته في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث ، أنخت البعيرَ وصرعته ، فأوثقت يده ورجله ، وقدتُ الجمل ، فغيبته ثم رجعت إلى الرُفْقَةِ ، وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يسترجعون ، فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ، فقلت : أنا أعلم الناسَ بأثره ، فجعّلوا لي جُعالة ، فخرجت بهم أتبع الأثرَ ، حتى وقفوا عليه ، فقالوا : ما لك ؟ قال : لا أدري ، نَعَسْتُ ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ، فقَاتَلْتُهُمْ ، فغَلَبُونِي .

قال أبو حردبة ؛ فجعلت أضحك من كذبه ، وأعطوني جُعالتي ، وذهبوا بصاحبهم . وأعجب ما سرقت أنه مرَّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل ، وهو على الناقة ، فقلت : لآخذنهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فدرت ، فأخذتُ الجملَ ، فحللته ، وسقته ، فغيبته في القَصِيمِ ، وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه ، ثم انتبه ، فالتفت ، فلم يرَ جملَه ، فنزل وعَقَلَ راحلته ، ومضى في طلب الجمل . ودُرَّتْ فحللت عِقالَ ناقته ، وسقتهَا .

فقالوا لأبي حردبة : ويحك ! فحتّام تكون هكذا ! قال : اسكتوا ، فكأنكم بي وقد تبت ، واشتريتُ فرساً ، وخرجتُ مجاهداً ، فبينما أنا واقف إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة

1 يُروى هذا الخبر فيما سبق مع رجل آخر .

رِشاء ، فوقع في نحري ، فمِتُّ شهيداً . قال : فكان كذلك : تاب ، وقديم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الروم ، فأصابه سهم في نحره فاستشهد .

ثم قالوا لشيظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ، ورأيت فيها ، فقال : نعم كان فلان (رجل من أهل البصرة) له بنتٌ عمٌ ذاتُ مالٍ كثير ، وهو وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تتزوَّجَه ، فحلف ألا يزوَّجَها من أحدٍ ضراراً لها ، وكان يخطبُها رجلٌ غنيٌّ من أهل البصرة ، فحرَّصت عليه ، وأبى الآخر أن يزوَّجَها منه ، ثم إن وليَّ الأمر حجَّ ، حتى إذا كان بالدَّو¹ ، على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سنّام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرت ، أو وردت ، مات الوليُّ ، فدفن بربابة ، وشيّد على قبره ، فتزوَّجت الرجل الذي كان يخطبها . قال شيظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزَ ومتاع ، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتهم حتى نزلوا ، فلمّا ناموا بيّتهم ، وأخذت من متاعهم . ثم إنَّ القوم أخذوني ، وضربوني ضرباً شديداً ، وجردوني ، قال : وذلك في ليلة قَرّة ، وسلبوني كلّ قليل وكثير ، فركوني عُرياناً ، وتماوت لهم ، وارتحل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيته ، فنزعت لوحه ، ثم احتفرت فيه سرباً ، فدخلت فيه ، ثم سددت عليّ باللوح ، وقلت : لعلّي الآن أدفأ فأتبعهم . قال : ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرُفقة ، فمرَّ بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن بُضْعُ فلانة ؟ قال شيظاظ : فعرفت صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر ، وقلت : بلى وربّ الكعبة لأحميها ، فوقع والله على وجهه مَعْشياً عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها ، وعليها كلّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجَّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعهم يحدثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أن الميِّت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسكّيه وكفنه . فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجبون منه فعاقلهم يكذبه ، والأحقّ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصّة ، فأضحكُ منهم كالمتعجب .

[مغامرة أخرى لشيظاظ]

قالوا : فردنا ، قال : فأنّا أزيدكم أعجبَ من هذا وأحقّ من هذا ؛ إنّي لأمشي في الطريق أبغي شيئاً أسرقه ، قال : فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، قال : وكان هناك شجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له ، فقلت له : أسمعُ ؟

قال : نعم ، قلتُ : إنَّ المقيِل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابِّ فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي . قال : ورمقته ، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره ، فاستقته ، حتى إذا برزت به ، قطعتُ طَرَفَ ذَنبِه وأذنيه ، وأخذتُ الحمارَ ، فخبأته وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام بطلب الحمارَ ، ويقفو أثره ، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى طَرَفِ ذَنبِه وأذنيه ، فقال : لعمري لقد حُدِّرْتُ لو نفعني الحذر ، وأستمرَّ هارباً خوف أن يُخسَفَ به ، فأخذتُ جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار ، واستمرَّ فألحق بأهلي .

[الحجاج يصلب شظائلاً]

قال أبو الهيثم : ثم صلب الحجاجُ رجلاً من الشُّراة بالبصرة ، وراح عشياً ، لينظر إليه ، فإذا برجل بإزائه مُقبِل بوجهه عليه ، فدنا منه ، فسمعه يقول للمصلوب : طال ما ركبتُ فأعقِبَ ، فقال الحجاج : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا شِظَاظُ اللَّصِّ قال : لا جرم ! والله ليعقبتك ، ثم وقف ، وأمر بالمصلوب ، فأنزل وصلَّبَ شِظَاظاً مكانه .

[مات مالك حتف أنفه]

قال ابنُ الأعرابي : مَرَضَ مالِكُ بن الرب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه ؛ فلما أُشرف على الموت تخلف معه مُرَّةُ الكاتب ورجل آخر من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما :

أيا صاحبي رَحلي دنا الموتُ فانزلا برابية إني مقيمٌ لياليا
ومات في منزله ذلك ، فدفناه ، وقبره هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه .

قال أبو عبيدة : الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ، ولدهُ الناس عليه .

صوت

[من الطويل]

فما بيضةً بات الظليمُ يحفُّها ويرفعُ عنها جُوجُواً مُتجافيا
بأحسنَ منها يوم قالتُ : أظاعنُ مع الرُّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا¹
وهبتُ شمالاً آخر الليل قَرَّةً ولا ثوب إلا بُرْدُها وردائيا²

1 أظاعن في الديوان : أراحل .

2 الشطر الأول في الديوان : وهبت لنا ريح الشمال بقرة .

وما زال بُردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنْهَجَ الثوبُ بالياً¹
 الشعر لعبد بني الحسحاس ، والغناء لابن سُرَيْج في الأوّل والثاني من الأبيات ثاني ثقل
 بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفي الثالث والرابع لمُخارق خفيف ثقل عمله على
 صنعة إسحاق في :

أماويّ إن المال غادٍ ورائحُ

وكاذَه بذلك ليقال إنَّ لحنه أخذه منه ، وألقاه على عجز عُمر ، فألقته على النَّاس ، حتى
 بلغ الرشيدَ خبره ، ثم كشفه فعلم حقيقته ؛ ومَن لا يعلم بنسبه إلى غيره ، وقد ذكر حبَّش أنَّه
 لإبراهيم ، وذكر غيره أنَّه لابن المكيّ .
 وقد شرحتُ هذا الخبر في أخبار إسحاق .

1 أنْهَجَ : خلق ويلي . الثوب في الديوان : البرد .

[492] - أخبار عبد بني الحسحاس

[نسبه]

اسمه سُحَيْم ، وكان عبداً أسوداً نوبياً أعجمياً مطبوعاً في الشعر ، فاشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحسحاسُ بنُ نَفَاثَةَ بنِ سَعِيدِ بنِ عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة .

قال أبو عبيدة ، فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي حاتم عنه : كان عبدُ بني الحسحاس عبداً أسوداً أعجمياً ، فكان إذا أنشد الشعر ، استحسَنه أم استحسَنه غيره منه ، يقول : أَهْشَنْتُ وَاللَّهِ ، يريد أحسنتُ واللَّهِ ، وأدرك النبي ﷺ ، ويقال : إنه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة .

[يستشهد الرسول بيت له]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن أن النبي ﷺ تمثل :

كفى بالإسلام والشيبِ ناهياً

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً
فجعل لا يطيقه ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسولُ الله ﷺ ﴿وما علمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾ .
قال محمد بن خلف وحدثني أحمد بن شداد عن أبي سلمة التَّبُودَكِيِّ عن حماد بن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروي عن أبي بكر الهذلي أن اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة .
[كان أسود الوجه]

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان عبدُ بني الحسحاس حُلُوَ الشعرِ رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول :

وما ضَرَّ أَثوابي سوادي وإنني
لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه
كُسيْتُ قَمِيصاً ذا سوادٍ وتحتَه
قَمِيصٌ من القوهي بيضُ بَنائِقَه¹
ويروى : وتحتَه قَمِيصٌ من الإحسان .

1 القوهي : منسوب إلى قوهستان ، ويطلق القوهي على الثوب الأبيض . البنائِق : جمع بنية أي ما يحيط بالعنق من الثوب .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : أنشدني مُصعب بن عبد الله الزُّبيري لعبد بني الحسحاس ، وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ، قال : [من البسيط]

أشعارُ عبد بني الحسحاس قُمنَ له عند الفخارِ مقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَمًا أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ

وقال الأثرم : حدثني السريُّ بنُ صالح بن أبي مسهر قال : أخبرني بعضُ الأعراب ، أن أوّل ما تكلم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنتم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول : [من الرجز]

أنعتُ غيثاً حسناً نباته كالحبشي حوله نباته

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق¹ بالشعر بعد ذلك .

[بيت له يستحسنه عمر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطّابِ قوله : [من الطويل]

عُميرة ودّع إن تجهّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال عمر : لو قلتَ شعركَ كلّهُ مثلَ هذا لأعطيتكَ عليه .

[لا حاجة لعثمان به]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال : حدثنا الزُّبير بن بكار قال : حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدثني خالي يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند ، فكتب إلى عثمان : إني قد اشتريتُ غلاماً حبشياً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : «لا حاجة لي إليه ، فاردده ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه ، إن شِيعَ أن يتشَبَّب² بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم» ، فردّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذر الحزامي هذا الخبر عن ابن الماجشون قال : كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ، مثل ما رواه الزُّبير ، إلّا أنّه قال فيه : إن جاع هَرَّ ، وإن شِيعَ فَرَّ .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَرَ قوله : [من الطويل]

1 ل : نطق .

2 ل : ينسب .

تُوسِّدُنِي كَفًّا وَتَنْتِي بِمِعْصَمٍ عَلِيٍّ وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا
فَقَالَ عُمَرُ : وَيْلَكَ إِنَّكَ مُقْتُولٌ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ
مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ : أَنْشَدَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ عُمَرَ قَوْلَهُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْ قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ لَأَجَزْتُكَ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا
مَعَاذُ بْنُ مَعَاذٍ وَأَبُو عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ ، أَنَّ عَبْدَ بَنِي الْحَسْحَاسِ أَنْشَدَ
عُمَرَ هَذَا وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الَّذِي قَبْلَهُ .

[كَانَ قَبِيحَ الْوَجْهِ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ،
ابْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : كَانَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَبِيحَ الْوَجْهِ ، وَفِي قَبْحِهِ
يَقُولُ :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً بَوَاجِهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلٍ
فَشَبَّهْتَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقَهُ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

[كَانَ يَشِيبُ بِنِسَاءِ مَوَالِيهِ]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : أَتَى عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ عَبْدَ بَنِي الْحَسْحَاسِ
لِيَشْتَرِيَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ فَقَالُوا : إِنَّهُ شَاعِرٌ وَأَرَادُوا أَنْ يَرْغَبُوهُ فِيهِ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ ؛ إِذِ
الشَّاعِرُ لَا حَرِيمَ لَهُ ، إِنْ شَبِعَ تَشَبَّبَ¹ بِنِسَاءِ أَهْلِهِ ، وَإِنْ جَاعَ هَجَاهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ غَيْرُهُ ، فَلَمَّا
رَحَلَ قَالَ فِي طَرِيقِهِ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

أَشُوقًا وَلَمَّا تَمَضَى لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمُطَيُّ بِنَا شَهْرًا ؟
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى مَالِكًا أَنْ يَبْعَنِي بِشَيْءٍ وَلَوْ أُمَسْتُ أَنْامُلُهُ صِفْرًا
أَخْوَكُمُ وَمَوْلَى مَالِكُمْ وَحَلِيفُكُمْ وَمَنْ قَدْ تَوَى فِيكُمْ وَعَاشَرَكُمْ ذَهْرًا
فَلَمَّا بَلَغَهُمْ شَعْرُهُ هَذَا رَثُوا لَهُ ، فَاسْتَرَدَّوهُ .

فكان يشبُّ بنسائهم ، حتى قال : [من الكامل]

ولقد تحدَّرَ من كريمةٍ بعضِكم عَرَقٌ على متن الفِراش وطيب¹

قال : فقتلوه .

أخبرني الحرَّميُّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها : فلما استردَّوه نَشِبَ يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني مَنْ رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبُّ بأخت مولاه وكانت غليَّة ، ويقول :

[من المنسرح]

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جَمالٍ لوجهه تَبَعُ
ما يَرْتَجِي خاب من محاسنها أَمَّا لَهُ في القِياح مُتَسَعُ
غَيْرُ مَنْ لونها وصفرها فارتدَّ فيه الجمال والبدعُ
لو كان ينبغي الفداء قلتُ له : ها أنا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثنا أبو بكر العامريُّ ، عن عليِّ بن المغيرة الأثرم قال : قال أبو عبيدة : الذي تنهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشقِّ الثياب وشِدَّةِ المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحيم :

كأن الصُّبَيْرِيَّاتِ بومَ لقيننا ظباءٌ حنَّ أعناقهنَّ في المكائِسِ
فكم قد شققنا من رداء مُنِيرٍ ومن برقعٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ
إذا شقَّ بردٌ شقٌّ بالبرد بُرُقِعَ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ²

فيقال : إنه لما قال هذا الشعر اتَّهمه مولاه ، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه ، فلما اضطجع تنفَّس الصُّعداء ، ثم قال :

[من السريع]

يا ذِكرَةً ما لك في الحاضرِ تذكُّرها وأنتَ في الصادرِ
من كلِّ بيضاء لها كعُثْبٌ مثلُ سنامِ البكرة المائرِ

قال : فظهر سيِّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً ، وقال له : ما لك ؟ فلجلَجَ في منطقه ، فاستراب به ، فأجمعَ على قتله ، فلما وردَ الماء خرجت إليه صاحبته ، فحادثته ، وأخبرته بما

1 الشطر الأول في الديوان : فلقد تحدَّر من جبين فتاتكم . متن في الديوان : على ظهر .

2 على ذاك في الديوان : دواليك .

يرادُ به ، فقام ينفض ثوبه ويُعفي أثره ، ويلقُط رَضاً¹ من مَسْكِيهَا² كان كَسَرَهَا في لِعِبِهِ معها ،
وَأَنشأ يقول :

صوت

أَتَكْتَمُ حَيْثُمُ عَلَى النَّأْيِ تُكْتَمُ تَحِيَّةَ مَنْ أَمْسَى بِجُبِكَ مُغْرَمًا
وَمَا تُكْتَمِينَ إِنْ أَتَيْتِ ذَنِيَّةً وَلَا إِنْ رَكَبْنَا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مَحْرَمًا
وَمِثْلُكَ قَدْ أَبْرَزْتُ مِنْ خِدْرِ أُمِّهَا إِلَى مَجْلَسٍ تَجْرُ بُرْدًا مَسْهُمًا
الغناء للغريض ثقیل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكِّي ثاني ثقیل ، قال : [من الطويل]

وماشية مشي القطاة اتبعها من الستر تخشى أهلها أن تكلمًا
فقلت : صه يا ويح غيرك إنني سمعت حديثاً بينهم يقطر الدما
فنفضت ثوبها ونظرت حولها ولم أخش هذا الليل أن يتصرماً
أعفي بأثار الثياب مبيتها وألقط رَضاً من وقوف تحطماً³

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلما رآته امرأة كانت بينها وبينه مودةً ثم فسدت ، ضحكت به
شماتة فنظر إليها وقال :

فإن تضحكي مني فيا رب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج
فلما قدّم ليقتل قال :

شُدُّوا وثاقَ العبد لا يُفْلِتْكُمْ إِنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
فلقد تحدر من جبين فتاتكم عَرَقٌ عَلَى مَتْنِ الْفَرَّاشِ وَطِيبُ

[بحرق في أخدود]

قال : وَقُدِّمَ فَقُتِلَ . وذكر ابن دُأْب أَنَّهُ حُفِرَ لَهُ أَخْدُودٌ ، وَأُلْقِيَ فِيهِ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الْحَطَبُ
فَأُحْرِقَ .

[أصابهن كلهن إلا واحدة]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الْأَزْهَر قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
المدائني عن أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ يَسْمَى حَيَّةً ، وَكَانَ لِسَيِّدِهِ بِنْتُ

1 رضا : كسراً .

2 مسكها : من سوارها أو بخلخالها .

3 وقوف : جمع وقف أي ، سوار من ذبل أو عاج .

بكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أسرخ أيها الرجل إيلك ، ولا تكليها إلى العبد ، فكان فيها أياماً ، ثم قال له : كيف تجدك ؟ قال : صالحاً ، قال : فرُخ في إيلك العشيّة ، فراح فيها ، فقالت الجارية لأبيها : ما أحسبك إلا قد ضيعت إيلك العشيّة ، أن وكلتها إلى حيّة ، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظلّ شجرة ، وهو يقول :

يا ربُّ شجورٍ لك في الحاضر تذكُّرها وأنتَ في الصادرِ
من كلِّ حمراءِ جماليّةٍ طيّبةٍ القادمِ والآخر¹

فقال الشيخ : إنّ لهذا² لشأناً ، وانصرف ، ولم يُره وجهه . وأتى أهل الماء ، وقال لهم : تعلّموا والله أنّ هذا العبد قد فضحنا ، وأخبرهم الخبر ، وأنشدهم ما قال ، فقالوا : اقله ، فنحن طوعك ، فلمّا جاءهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلت وفعلت ، فقال : دعوني إلى غد حتى أعذّر³ها عند أهل الماء ، فقالوا : إنّ هذا صواب فتركوه ، فلمّا كان الغد اجتمعوا فنادى : يا أهل الماء ، ما فيكم امرأة إلا قد أصبّتها إلا فلانة فإني على موعد منها ؛ فأخذوه فقتلوه .

ومّا يغنى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس ، وقال : إنّ من الناس من يرويهما لغيره :

تجمعن من شتى ثلاثاً وأربعاً وواحدةً حتى كملن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني بقيّة ما أبقين نصلاً يمانيا
يعذن مريضاً هنّ قد هجن داءه ألا إنّما بعضُ العوائد دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول ، والذي ابتدأه «تجمعن من شتى ثلاث» لبنان . والذي أوّله : «وأقبلن من أقصى الخيام» . ذكر الهشامي أنّه لإسحاق وليس يشبه صنّعه ولا أدري لمن هو ؟
[مخارق يكيد لإسحاق]

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أنّ مخارقاً عملَ لحناً في هذا الشعر :
وهبت شمالاً آخرَ الليل قرّةً ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا

1 جمالية : جميلة .

2 لهذا في ل : لذين .

3 أعذرها : أثبت لها عذراً .

على عمل صنعة إسحاق في :

أماويّ إن المال غاد ورائح

ليکید به إسحاق ، وألقاه على عجوز عُمير الباذ عيسى ، وقال لها : إذا سئلت عنه فقولي : أخذته من عجوز مدنية ، ودار الصوت حتى غنيّ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويحك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنيهِ كُلَّهُ ، فحلف له بكلّ يمين يرضاه أنّه لم يفعلْ وتضمنَ له كشفَ القصّة ، ثم أقبل على مَنْ غَنّاهم الصوتَ فقال : عمّن أخذته ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمّن أخذه فعرفه ، ولم يزل يكشف عن القصّة ، حتى انتهت من كلّ وجه إلى عجوز عمير ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أخذته من عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمير ، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلّ مُحْرِج من الأُيُمان ألاّ يكلمه أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيده وعداوته أو يصدّقه عن حال هذا الصوت وقصّته ، فصدّقه عُمير عن القصّة ، فحدّث بها الواصل بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أراد به إسحاق .

صوت

[من الطويل]

ثلاثة أبيات فبيتٌ أحبُّه وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

ألا أيّها البيتُ الذي حيلَ دونه بنا أنتَ من بيتِ وأهلكَ من أهل

الشعر لجميل ، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبِئصر من جامع أغانيه ، وفيه رَمَل مجهول ذكره حبّش لعلّويه ولم أجِد طريقته .

[493] - متمم العبدى والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدثني متمم العبدى قال : خرجت من مكة زائراً لقبر النبي ﷺ ، فإني لیسوق الجُحفة¹ إذا جُويرية تسوقُ بعيراً ، وتترنم بصوت مליح طيب حلو في هذا الشعر :

ألا أيّها البيتُ الذي حِيلَ دونه بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل
بنا أنت من بيتٍ وحولك لذة وظلُّك لو يُسطاعُ بالبارد السهل
ثلاثة أبيات فبيتٌ أحبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي

فقلت : لمن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكوة الموقاة بالكيلة الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحة لسانها ورقة ألفاظها ، فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرهما وأجلهما ، ولي أم ، قلت : وأين أمك ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع ، قال : فإذا امرأة تبيع الخرز على ظهر الطريق بالجُحفة ، فأتيتها ، فقلت : يا أمّاه ، استمعي مني ، فقالت لها : يا أمّة ، فاستمعي من عمي ما يلقيه إليك ، فقالت : حيّاك الله ، هيه ، هل من جائية خبر² ؟ قلت : أهذه ابتك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلت : أفترّوجينها ؟ قالت : ألعلة رغبته فيها ؟ فما هي والله من عندها جمال ، ولا لها مال ، قلت : لحلاوة لسانها وحسن عقلها ، فقالت : أينما أمك بها ؟ أنا أم هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها ، قالت : فإياها فخاطب ، فقلت : لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا ، فقالت : ما ذاك عندها ، أنا أخبر بها ، فقلت : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أمك ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندك ؟ قالت : أوكيس حسبك أن قلت : إني أستحي من الجواب في مثل هذا ، فإن كنت أستحي في شيء فلم أفعله ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك ، لا والله لا يشد عليّ رجل حيّواه وأنا أجد مذقة³ لبن أو بقلّة ألين

1 الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام .

2 مثل : ويروى : هل من مغربة خبر . ورد في مجمع الأمثال 404/2 ، والمستقصى 390/2 ، والأمثال لمجهول

. 119

3 مذقة : لبن مخلوط بالماء .

بها معاي ، قال : فورد والله عليّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوَّجكِ والإذن فيه إليك ، وأعطني الله عهداً أنّي لا أقربكِ أبداً إلّا عن إرادتك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لي في هذا إرادة أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بعده بُعد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأمّها معي إلى العراق ، وأقامت معي نحواً من ثلاثين سنة ما ضمنتُ عليها حواي قط ، وكانت قد علّقتُ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربّما ترنّمت بها ، فأشتهيها ، فقلت : دعيني من أغانيك هذه فإنّها تبعثني على الدُّنوّ منك . قال : فما سمعتها رافعةً صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقتُ الدُّنيا ، وإن أمّها عندي حتى الساعة ، فقلت : ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

صوت

[من الخفيف]

أيّها الناسُ إن رأيي يُريني	- وهو الرأي - طوفةٌ في البلادِ
بالعوالي وبالقنابل تَردي	بالبطاريق مِشِيَةً العُوداً ¹
وبجيش عرمرمٍ عربيّ	جَحْفَلٍ يستجيبُ صوتَ المنادي
من تميمٍ وخندفٍ وإباد	والبهاليل جَمِيرٍ ومُرادٍ
فإذا سرتُ سارتُ النَّاسُ خَلْفِي	ومعِي كالجبالِ في كلِّ وادٍ
سَقَنِي ثم سقَّ حميرٌ قومي	كأسَ خميرٍ أُولي النهي والعِمادِ

الشعر لحسان بن تبيّع ، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

1 تردّي : تُسرّع . البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل .

[494] - أخبار حسان بن تبع

[يطوف الأرض كلها]

أخبرني بخبر حسان الذي من أجله قال هذا الشعر علي بن سليمان الأخفش عن السكري ،
عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي . وعن أبي عبيدة وأبي عمرو ، وابن الكلبي وغيرهم ، قال :
كان حسان بن تبع أحول أعسر¹ ، بعيد الهمة شديد البطش ، فدخل إليه يوماً وجوه قومه ، وهم
الأقيال من حمير ، فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم : [من الخفيف]

أيها الناس إن رأيي يُريني وهو الرأي طوفة في البلاد
بالعوالي وبالقنابل تَردي بالبطاريق مشية العواد

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً ، ثم قال لهم : استعدوا لذلك ، فلم يراجع أحد لهيبته ،
فلما كان بعد ثلاثة خرج ، وتبعه الناس ، حتى وطىء أرض العجم ، وقال : لأبلغن من البلاد
حيث لم يبلغ أحد من التبابعة ، فجال بهم في أرض خراسان ، ثم مضى إلى المغرب ، حتى بلغ
رومية² ، وخلف عليها ابن عم له ، وأقبل إلى أرض العراق ، حتى إذا صار على شاطئ
الفرات ، قالت وجوه حمير : مالنا نفني أعمارنا مع هذا ! نطوف في الأرض كلها ، ونفرق
بيننا وبين بلدنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا ! فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا !

فكلموا أخاه عمراً ، وقالوا له : كلم أخاك في الرجوع إلى بلده ، ومملكه . قال : هو أعسر
من ذلك وأنكر ، فقالوا : فاقتله ، ونملكك علينا ، فأنت أحق بالملك من أخيك ، وأنت أعقل
وأحسن نظراً لقومك ، فقال : أخاف ألا تفعلوا ، وأكون قد قتلت أخي ، وخرج الملك عن
يدي ، فوائقوه ، حتى تلج³ إلى قوهم ، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذا رعين ،
فإنه خالفهم ، وقال : ليس هذا برأي ، يذهب الملك من حمير . فشجعه الباقون على قتل
أخيه ، فقال ذو رعين : إن قتلت بادي ملكك .

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة ، فقال : يا عمرو : إني
مستودعك هذا الكتاب ، فضعه عندك في مكان خريز ، وكتب فيه : [من الوافر]

1 أعسر : يعمل بيده اليسرى .

2 رومية : مدينة بالمداثن بنيت وسميت بأحد الملوك .

3 تلج إلى قوهم : استراح .

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنُو سَعِيدٍ مَنْ بَيْتٍ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَإِنْ تَكُ حِمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ إِلَهِ لَذِي رُعَيْنٍ

[قتله أخوه فامتنع منه النوم]

ثم إنَّ عَمْرًا أَتَى حَسَّانَ أَخَاهُ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوَى عَلَى مُلْكِهِ . فَلَمْ يَبَارِكْ فِيهِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّهْرَ ، وَامْتَنَعَ مِنَ النَّوْمِ ، فَسَأَلَ الْأَطْبَاءَ وَالْكَهَّانَ وَالْعِيَّافَ ، فَقَالَ لَهُ كَاهِنٌ مِنْهُمْ : إِنَّهُ مَا قَتَلَ أَخَاهُ رَجُلٌ قَطُّ إِلَّا مُنِعَ نَوْمُهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : هُوَ لَاءَ رُؤْسَاءِ حِمِيرٍ حَمَلُونِي عَلَى قَتْلِهِ لِيَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيَّ وَلَا لِأَخِي .

فَجَعَلَ يَقْتُلُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنٍ وَأَيَّقَنَ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ لَهُ ذُو رُعَيْنٍ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي أَعْلَمْتُكَ مَا فِي قَتْلِهِ ، وَنَهَيْتُكَ وَبَيَّنْتُ هَذَا ؟ قَالَ : وَفِيمَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي الْكِتَابِ الَّذِي اسْتَوْدَعْتُكَ .

فَدَعَا بِالْكِتَابِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ ذُو رُعَيْنٍ : ذَهَبَ دَمِي عَلَى أَخِي بِالْحَزْمِ ، فَصُرْتُ كَمَنْ أَشَارَ بِالْخَطَا ، ثُمَّ سَأَلَ الْمَلِكَ أَنْ يُنْعِمَ فِي طَلَبِهِ ، فَفَعَلَ ، فَأَتَيْتُ بِهِ فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ الْبَيْتَانِ ، فَلَمَّا قَرَأَهُمَا قَالَ : لَقَدْ أَخَذْتَ بِالْحَزْمِ ، قَالَ : إِنِّي خَشِيتُ مَا رَأَيْتُكَ صَنَعْتَ بِأَصْحَابِي .

[ذو شناتر وذو نواس]

قَالَ : وَتَشَتَّتَ أَمْرُ حِمِيرٍ حِينَ قُتِلَ أَشْرَافُهَا ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ ، حَتَّى وَثَبَ عَلَى عَمْرُو لَخْنِيْعَةُ يَتُوفُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوَى عَلَى مُلْكِهِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو شَنَاتَرُ¹ الْحَمِيرِيِّ ، وَكَانَ فَاسِقًا يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فَيُلَوِّطُ بِهِمْ ، وَكَانَتْ حِمِيرٌ إِذَا لَبِطَ بِالْغَلَامِ لَمْ تَمْلِكْهُ ، وَلَمْ تَرْتَفِعْ بِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَشْرَبَةٌ² ، يَكُونُ فِيهَا يَشْرَفُ عَلَى حَرَسِهِ ، فَإِذَا أَتَى بِالْغَلَامِ أَخْرَجَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ وَفِي فِيهِ السَّوَاكُ ، فَيَقْطَعُونَ مَشَافِرَ نَاقَةِ الْمَنْكُوحِ وَذَنْبَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ صَبِيحَ بِهِ : أَرَطْبُ أُمِّ يَاسٍ³ ؟ فَمَكَثَ بِذَلِكَ زَمَانًا .

حَتَّى نَشَأَ زُرْعَةُ ذُو نَوَاسٍ ، وَكَانَتْ لَهُ ذُوَابَةٌ ، وَبِهَا سَمِيَّ ذَا نَوَاسٍ ، وَهُوَ الَّذِي تَهَوَّدَ ، وَتَسَمَّى يُوسُفَ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَخْدُودِ بَنَجْرَانَ ، وَكَانُوا نَصَارَى ، فَحَرَقَهُمْ ، وَحَرَقَ الْإِنْجِيلَ ، وَهَدَّمَ الْكِنَائِسَ ، وَمِنْ أَجْلِهِ غَزَتِ الْحَبْشَةُ الْيَمْنَ ، لِأَتْنَهُمْ نَصَارَى ، فَلَمَّا غَلَبُوا عَلَى الْيَمَنِ اعْتَرَضَ الْبَحْرَ ، وَاقْتَحَمَهُ عَلَى فَرَسٍ فَغَرِقَ .

1 شناتر : أصابع بلغة حمير .

2 مشربة : عرفة مرتفعة .

3 ياس : يابس أو يبيس .

فلما نشأ ذو نواس قيل له : كَأَنَّكَ وَقَدْ فَعِلَ بِكَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخَذَ سِكِّينًا لَطِيفًا خَفِيفًا
وَسَمَّهُ ، وَجَعَلَ لَهُ غِلَافًا ، فَلَمَّا دَعَا بِهِ لَخْنِيعَةً جَعَلَهُ بَيْنَ أُخْمَصِهِ وَنَعْلِهِ ، وَأَتَاهُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يُقَالُ
لَهَا : سَرَابٌ ، فَأَتَانَحَاهَا ، وَصَعِدَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَامَ يَجَامِعُهُ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ انْحَنَى زُرْعَةً ، فَأَخَذَ
السَّكِينُ فَوَجَّأَ بِهَا بَطْنَهُ ، فَقَتَلَهُ ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَجَعَلَ السَّوَاكُ فِي فِيهِ ، وَأَطْلَعَهُ مِنَ الْكُوَّةِ ،
فَرَفَعَ الْحَرَسُ رُؤُوسَهُمْ ، فَرَأَوْهُ ، وَنَزَلَ زُرْعَةً ، فَصَاحُوا : زُرْعَةُ يَا ذَا نَوَاسَ ، أَرَطَبَ أُمَ يِيَّاسَ ؟
فَقَالَ : سَتَعْلَمُ الْأَحْرَاسُ اسْتُ ذِي نَوَاسَ ، رَطَبَ أُمَ يِيَّاسَ ؟ وَجَاءَ إِلَى نَاقَتِهِ ، فَرَكِبَهَا ، فَلَمَّا
رَأَى الْحَرَسُ أَطْلَاعَ الرَّأْسِ صَعَدُوا إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَتَلَ . فَأَتَوْا زُرْعَةً ، فَقَالُوا : مَا يَنْبَغِي أَنْ
يَمْلِكُنَا غَيْرُكَ بَعْدَ أَنْ أَرَحْتَنَا مِنْ هَذَا الْفَاسِقِ ، وَاجْتَمَعَتْ حَمِيرٌ إِلَيْهِ ، ثُمَّ كَانَ مِنْ قَصَّتِهِ مَا
ذَكَرْنَاهُ آنَفًا .

صوت

[من البسيط]

يا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيْ إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا¹
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلُمَائِهَا الطُّنْبَا²
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا
الشَّعْرُ لُمْرَةً بَنَ مُحْكَانَ السَّعْدِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَابْنَ سُرَيْجٍ ، رَمَلَ بِالْوُسْطَى ، وَلَهُ فِيهِ أَيْضًا
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى كِلَاهُمَا عَنْ عَمْرٍو ، وَذَكَرَ حَبَّشَ أَنَّ فِيهِ لِمُعَبَّدٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

1 الْقُرْبُ : جَمْعُ قَرَابٍ وَهُوَ غَمْدُ السِّيفِ .

2 الطَّنْبُ : الْحَبْلُ الطَّوِيلُ يَشُدُّ بِهِ السَّرَادِقُ وَجَمْعُهُ أَطْنَابُ .

[495] - أخبار مرة بن محكان

[نسبه]

هو مرة بن محكان ولم يقع إلينا باقي نسبه ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم .
شاعر مُقِلّ إسلاميٍّ من شعراء الدولة الأموية ، وكان في عصر جرير والفرزدق ، فأخملا
ذكره ، لنباهتهما في الشعر .

[ينحر مائة بعير]

وكان مرة شريفاً جواداً وهو أحد من حُبِسَ في المناخِرة والإطعام . أخبرني الحسن بن
عليٍّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان مرة بن محكان
سخياً ، وكان أبو البكر يوائمه في الشرف ، وهما جميعاً من بني الرُّبيع ، فأنهب مرة بن
محكان ماله الناسَ ، فحبسه عبيد الله بن زياد ، فقال في ذلك الأبيُّ الرِّياحيّ : [من الطويل]

حبستَ كريماً أن يجودَ بماله سعى في نأى من قومه متفاقم
كأنَّ دماء القوم إذ علقوا به على مكفهرٍ من ثنايا المخارم
فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب هداك الله أعظم حاتم

قال : فأطلقه عبيد الله بن زياد ، فذبح أبو البكر مائة شاة ، فنَحَرَ مرة بن محكان مائة
بعير ، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مرة :

شرى مائةً فأنهبها جواداً وأنت تناهب الحذف القهّاد

الحذف : صغار الغنم . والقهّاد : البيض .

أخبرني أحمد بن محمد الأسديّ أبو الحسن ، قال : حدثنا الرياشيّ قال : سئل أبو عبيدة
عن معنى قول مرة بن محكان :

ضمي إليك رجال القوم والقربا

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : كان الضيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله ،
وبقى سلاحه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مرة بن محكان يخاطب امرأته : ضمي
إليك رجال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ، فإنهم عندي في عزٍّ وأمنٍ من الغارات والبيات ،
فليسوا ممن يحتاج أن يبيتَ لأبسا سلاحه .

[مصعب بن الزبير يقتله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن
يونس ، قال : كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه رجلٌ

من بني تميم ، يقال له مُرَّة بن مُحكان ، رجلاً ، فلماً أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرَّة بن مُحكان يقول :

أَحَارِ تَبَّتْ فِي الْقَضَاءِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا إِمَامٌ جَارٍ فِي الْحُكْمِ أَقْصَدًا¹
وَأِنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحُكْمِ فَاحْتَفِظْ وَمَهْمَا تَصْنَبُهُ الْيَوْمَ تُدْرِكُ بِهِ غَدَا
فَإِنِّي مِمَّا أُدْرِكُ الْأَمَرَ بِالْأُنَى وَأَقْطَعُ فِي رَأْسِ الْأَمِيرِ الْمُهْنَدًا²

فلماً وَلِيَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ دَعَاهُ ، فَأَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَقْطَعَنَّ السَّيْفَ فِي رَأْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَهُ فِي رَأْسِي ، وَأَمْرٌ بِهِ فَحِيسٌ ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ جَامِعٍ ، عَنْ يُونُسَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى الْغَرِيضِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي جِئْتُكَ قَاصِداً الطَّائِفَ أَسْأَلُكَ عَنْ صَوْتِ تُغْنِيَنِي إِيَّاهُ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : لَحْنُكَ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

تَشْرَبَ لَوْنَ الرَّازِقِيِّ بِيَاضُهُ أَوْ الزَّعْفَرَانَ خَالِطَ الْمَسْكِ رَادِعُهُ
فَقَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، هَذَا الصَّوْتُ قَدْ نَهْتَنِي الْجَنُّ عَنْهُ ، وَلَكِنِّي أَغْنِيكَ فِي شِعْرِ مُرَّةِ بْنِ مُحكَانَ ، وَقَدْ طَرَقَهُ ضَيْفٌ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَّةٍ ، فَأَنْزَلَهُمْ ، وَنَحَرَ لَهُمْ نَاقَتَهُ ، ثُمَّ غَنَاهُ قَوْلُهُ : [مِنْ الْبَسِيطِ]
يَا رِبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّيْ إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا
فَأُطْرِبُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْغَرِيضُ : هَذَا لَحْنٌ أَخَذْتَهُ مِنْ عَبِيدِ بْنِ سُرَيْجٍ ، وَسَأُغْنِيكَ لَحْنًا عَمَلْتَهُ فِي شَعْرِ عَلَى وَزْنِ هَذَا الشَّعْرِ وَرَوِيَهُ لِلْحَطِيطَةِ ، ثُمَّ غَنَاهُ :

مَا تَقَمَّوْا مِنْ بَغِيضٍ لَا أَبَا لَهُمْ فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو أَيْنَقًا شُرْبَا
جَاءَتْ بِهِ مِنْ بِلَادِ الطُّورِ تَحْمَلُهُ حَصَاءٌ لَمْ تَتْرُكْ دُونَ الْعَصَا شَذْبَا
فَقَامَ الْقَرَشِيُّ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : فَدَتِكَ نَفْسِي وَأَهْلِي ، لَوْ لَمْ أَقْدُمْ مَكَّةَ لَعِمْرَةَ وَلَا لَبِيرَ وَتَقَوَى ، ثُمَّ قَدَمْتُ إِلَيْهَا لِأُرَاكَ وَأَسْمَعَ مِنْكَ لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً . ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَشَائِخِ الْكِتَابِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْعَتَّاسِ بْنِ حَمْدُونَ يَوْمًا ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ فَأَقَامَ ، وَأَتَاهُمُ أَبُو الْعَتَّاسِ بِالطَّعَامِ ، فَأَكَلُوا ، ثُمَّ قَدَّمَ الشَّرَابَ فَشَرَبُوا ، وَغَنَاهُمْ أَبُو الْعَتَّاسِ يَوْمَئِذٍ هَذَا الصَّوْتُ :

أَلَا مُتَّ لَا أُعْطِيتَ صَبْرًا وَعِزْمَةً غَدَاةَ رَأَيْتَ الْحَيَّ لِلْبَيْنِ غَادِيَا

1 أَقْصَدُ : قَتَلَ مَكَانَهُ .

2 بِالْأُنَى : الْحِلْمَ .

ولم تعتصر عينيك فكهةً مازح
كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا
فأحسن ما شاء ، ثم ضرب ستارته وقال :

يا ربة البيت غني غير صاغرة

فاندفعت عرفان ، فغنت :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رجال القوم والقربا
قال : فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائهما يومئذ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ألا مت لا أعطيت صبراً وعزماً غداة رأيت الحي للين غاديا
ولم تعتصر عينيك فكهةً مازح كأنك قد أبدعت إذ ظلت باكيا
فصيرت دمعاً أن بكيت تلدداً به لفراق الألف كفوا موازيا
لقد جل قدر الدمع عندك أن ترى بكاءك للبين المشت مساويا
الشعر لأعرابي أنشدناه الحرمي بن أبي العلاء ، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب
الديناري عن إسحاق الموصلي لأعرابي .

قال الديناري : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب ، وهو قائله وأظن هذا
الشعر له ، والغناء لعمر بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه .

صوت

[من الطويل]

فإن تك من شيبان أمي فإنني لأبيض من عجل عريض المفارق
وكيف بذكري أم هارون بعدما خبطن بأيديهن رمل الشقائق
كأن نقاً من عالج أزرّت به إذا الزل ألهاهن شد المناطق
وإنّا لتغلي في الشتاء قدورنا ونصبر تحت اللأمعات الخوافي

عروضه من الطويل والشعر للعدّيل بن الفرخ العجلي ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من
أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المربة لحن من كتاب إبراهيم ،
وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي وحّش ، وقال حبش خاصة : فيه للهدلي أيضاً ثاني
ثقيل بالوسطى .

[496] - أخبار العدليل ونسبه

[نسبه]

الْعُدَيْلُ بْنُ الْفَرَّخِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سُمَى بْنِ الْحَارِثِ ، وَهُوَ الْعُكَّابَةُ¹ ، بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عِجْلٍ بْنِ لُجَيْمِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنَبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ الْعُكَّابَةُ اسْمَ كَلْبٍ لِلْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عِجْلٍ ، فَلَقِبَ بِاسْمِ كَلْبِهِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَانَ عِجْلٌ مِنْ مُحَمَّقِي الْعَرَبِ ، قِيلَ لَهُ : إِنْ لَكَ لِكَلِّ فَرَسٍ جَوَادٍ اسْمًا وَإِنْ فَرَسَكَ هَذَا سَابِقَ جَوَادٍ ، فَسَمِّهِ ، فَسَمَّاهُ ، فَفَقَّأَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ : قَدْ سَمَّيْتَهُ الْأَعْوَرُ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

رَمْتَنِي بَنُو عَجَلٍ بَدَاءَ أَبِيهِمْ وَهَلْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ ؟
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تَضْرِبُ بِالْجَهْلِ

[هو ودائع]

وَالْعُدَيْلُ شَاعِرٌ مُقِلٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ لَهُ ثَمَانِيَةُ إِخْوَةٍ ، وَأُمُّهُمْ جَمِيعًا امْرَأَةً مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ شَاعِرًا فَارِسًا : أَسْوَدُ وَسَوَادَةُ وَشَمْلَةُ ، وَقِيلَ سَلْمَةُ ، وَالْحَارِثُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَأُمِّهِمْ دَرَمَاءُ .

وَكَانَ لِلْعُدَيْلِ وَإِخْوَاتِهِ ابْنُ عَمٍّ يُسَمَّى عَمْرًا ، فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عَمٍّ لَهُمْ بَغِيرَ أُمِّهِمْ ، فَفَضَّيُوا وَرَصَدُوهُ لِيَضْرِبُوهُ ، وَخَرَجَ عَمْرُو وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُسَمَّى دَابِغًا ، فَوَثِبَ الْعُدَيْلُ وَإِخْوَتُهُ ، فَأَخَذُوا سَيُوفَهُمْ ، فَقَالَتْ أُمُّهُمْ : إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكُمْ ، فَقَالَ لَهَا ابْنُهَا الْأَسْوَدُ : وَأَيُّ شَيْءٍ تَخَافِينَ عَلَيْنَا ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ حَمَلْنَا بِأَسْيَافِنَا عَلَى هَذَا الْحِنْوِ حِنْوُ قُرَاقِرٍ² لَمَا قَامُوا لَنَا فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا عَمْرًا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ دُعِرَ مِنْهُمْ وَنَاشَدَهُمْ ، فَأَبَوْا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ سَوَادَةُ فَضْرَبَ عَمْرًا ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، وَضْرَبَهُ عَمْرُو فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَقَالَ سَوَادَةُ :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي رَجُلًا بِرَجُلٍ تَأْبَى لِلْقِيَامِ فَلَا تَقُومُ

وَقَالَ عَمْرُو لِدَابِغٍ : اضْرِبْ وَأَنْتَ حَرٌّ ، فَحَمَلَ دَابِغٌ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَحَمَلَ عَمْرُو ، فَقَتَلَ آخَرَ ، وَتَدَاوَلَاهُمْ ، فَقَتَلَا مِنْهُمْ أَرْبَعَةً ، وَضْرَبَ الْعُدَيْلُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، وَهَرَبَ

1 ل : العباب .

2 قراقر : موضع ، معجم البلدان 4 : 317 .

دابع ، حتى أتى الشام ، فداوى¹ ربيعة بن النعمان الشيباني للعدیل ضربته ، ومكث مدة . ثم خرج العدیل بعد ذلك حاجاً ، فقیل له إن دابعاً قد جاء حاجاً ، وهو یرتحل ، فیاخذ طریق الشام ، وقد اکتري ، فجعل العدیل علیه الرصد ، حتى إذا خرج دابع ركب العدیل راحلته وهو متلثم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العدیل ويقول : [من الرجز]

يا دار سلمى أقفرت من ذي قار
وهل بإقفار الديار من عار
وقد كسین عرقاً مثل القار
يخرجن من تحت خلال الأوبار

فلحقه العدیل ، فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، ويسير رويداً ، ودابع يمشي رويداً ، وتقدمت إبله فذهبت ، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين ، ثم قال له العدیل : والله لقد استرخى حقب² رحلي ، أنزل فأغیر الرحل ، وتعتني . فنزل فغیر الرحل ، وجعل دابع يعينه ، حتى إذا شد الرحل أخرج العدیل السيف ، فضربه حتى برّد ، ثم ركب راحلته فنجا ، وأنشأ يقول :

ألم تَرني جللتُ بالسيفِ دابعاً
وإن كان ثاراً لم يُصبه غليلي
بوادي حنين ليلة البدر رعتُه
بأبيض من ماء الحديد صقيلي
وقلتُ لهم : هذا الطريقُ أمامكم
ولم أك إذ صاروا لهم بدليل³

[جرثومة العنزي يعير العدیل]

وقال أبو اليقطان : كان العدیل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه :

أهاجي بني جِلانٍ إذ لم يكن لها
حديثٌ ولا في الأولين قديمٌ
فأجابه جرثومة فقال :

وإن امرءاً يهجو الكرام ولم ينل
من الثأر إلا دابعاً للثيم
أَتطلبُ في جِلانٍ وترأ ترومُه
وفاتك بالأوتار شرٌ غريم⁴
[العدیل يهرب من الحجاج]

قالوا : واستعدى مولى دابع على العدیل الحجاج بن يوسف ، وطالبه بالقود فيه ، فهرب العدیل من الحجاج إلى بلد الروم ، فلمّا صار إلى بلد الروم ، لجأ إلى قيصر ، فأمنه ، فقال في الحجاج :

أخوفُ بالحجاج حتى كأنما
يُحرّكُ عظم في الفؤاد مهيضُ

1 ل : فودى .

2 الحقب : الخزام يلي حقو البعير .

3 أك في ل : آل .

4 في هذا البيت إقواء .

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض¹
مهائم أشباه كأن سربها ملاء بأيدي الراحضات رحيض²

فبلغ شعره الحجاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثن به أو لأغزيتك جيشاً يكون أوله عندك
وأخره عندي ، فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما أدخل عليه : أنت القاتل :
ودون يد الحجاج من أن تنالني . . . فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ قال : بل أنا القاتل أيها
الأمير :

[من الطويل]

فلو كنت في سلمى أجاً وشعابها لكان لحجاج علي سبيل
خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى و خليل
بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول
فخلّى سبيله ، وتحمل دية داغ في ماله .

[الحجاج يعفو عن العديل]

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنوي قال : أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن
أبي عثمان البقظري قال : خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجه
الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال : إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر
مني ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب
الحجاج إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

[من الطويل]

لئن أرتج الحجاج بالخلل بابه لئن أرتج الحجاج بالخلل بابه
فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله
يداه يذ بالعرف تنهب ما حوت يداه يذ بالعرف تنهب ما حوت
إذا ما أتاه المرملون تيقنوا إذا ما أتاه المرملون تيقنوا
أقام على العافين حراس بابه أقام على العافين حراس بابه
هلموا إلى سيب الأمير وعرفه هلموا إلى سيب الأمير وعرفه

1 الناعجات : السارعات .

2 الراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .

3 المرملون : من نفذ زادهم .

وليس كعلاجٍ من ثمودَ بكفٍّ من الجودِ والمعروفِ جِذْمَ مطوَحٍ
فقال له يزيدُ : عَرَضْتَ بنا وَخاطَرْتَ بدمِك ، وبالله لا يصلُ إليك وأنتَ في حَيْرِي ،
فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وقال له : الحقُّ بعلياء نجد ، واحذر أن
تعلقك حبالُ الحجاج أو تحتجك محاجته ، وابعث إليَّ في كلِّ عام ، فلك عليَّ مثلُ هذا ،
فارتحل . وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديل ، فقاته ، وقال لما
نجا : [من الطويل]

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساطُ لأيدي الناعجاتِ عريضُ
قال : ثم ظفّر به الحجاج بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدني قولك :

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال : لم أقل هذا أيها الأمير ، ولكني قلت :

إذا ذكِر الحجاجُ أضمرتُ خيفة لها بين أحناء الضلوع نفيضُ
فتبسم الحجاج ، وقال : أولى لك ! وعفا عنه ، وفرض له .

[سادات بكر يشفعون له عند الحجاج]

وقال أبو عمرو الشيباني : لما لجَّ الحجاج في طلب العديل لفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان
هرب إليه ، فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بادئون جميع ، منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو
يشكر ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتسلمونني ، هكذا وأنتم أعزُّ العرب ؟ قالوا :
لا والله ، ولكنَّ الحجاج لا يُراغم ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفيت ، وأن حادنا في
أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهيك لنا . فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى
الحجاج ، فقالوا له : أيها الأمير ، إننا قد جنّينا جميعاً عليك جناية لا يُغفر مثلها ، وها نحن قد
استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإما وهبت فأهل ذلك أنت ، وإما عاقبت ، فكنتَ المسلطَ الملك
العاذل . فتبسم ، وقال : قد عفوت عن كلِّ جرم إلا جرّم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ،
فقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيت ألا تكدر منك
باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول من تهب ! قال : قد فعلت فهاتوره قبّحه الله ، فأتوه به ، فلما
مثل بين يديه أنشأ يقول :

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابها	لكان لحجاج عليّ دليلُ
بنى قبة الإسلام حتى كأنما	هدى الناس من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكم الناس ألجأ حكمه	إلى الله قاض بالكتاب عقولُ

خليلٌ أمير المؤمنين وسيفه
به نصر الله الخليفة منهم
ويروى : به نصر الله الإمام عليهم .

فأنت كسيف الله في الأرض خالد
وجازيت أصحاب البلاء بلاءهم
وصلت بمراق العراق فأصبحت
أقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول .

أذقت الحمام ابني عباد فأصبحوا
ومن قطري نلت ذاك وحوله
إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي
وما خفت شيئاً غير ربي وحده
تري الثقلين الجن والأنس أصبحا
على طاعة الحجاج حين يقول

فقال له الحجاج : أولى لك فقد نجوت ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر
قبائل وائل ، ويذكر دفعها عنه ، ويفتخر بها :
[من الكامل]

صرم الغواني واستراح عواذلي
وذكرت يوم لوى عتيق نسوة
لعب النعيم بهن في أظلاله
وصحوت بعد صباة وتمائل
يخطرن بين أكلة ومراحل
حتى لبسن زمان عيش غافل

صوت

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى
وإذا خبان خدودهن أريننا
ورمينني لا يسترن بجنة
يلبسن أريّة الشباب لأهلها
وإذا عطّلن فهن غير عواطل
حدق المها وأجدن سهم القاتل
إلا الصبا وعلمن أين مقاتلي
ويجرن باطلهن جبل الباطل

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى من رواية يحيى المكي ،
وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج .

1 مراق : قرية كثيرة النخيل والآبار والعيون على طريق البصرة .

2 في هذا البيت إقواء .

بِيضُ الْأَنْثُوقِ كَأَنَّهُنَّ ، وَمَنْ يُرِدْ
 زَعَمَ الْغَوَائِي أَنْ جَهْلَكَ قَدْ صَحَا
 وَرَأَاكَ أَهْلَكَ مِنْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ
 وَإِذَا تَطَاوَلَتِ الْجِبَالُ رَأَيْتَنَا
 وَإِذَا سَأَلْتَ ابْنِي نَزَارِ بَيْنَا
 حَدِيثَ بَنِي بَكْرٍ عَلَيَّ وَفِيهِمْ
 خَطَرُوا وَرَائِي بِالْقَنَا وَتَجَمَّعَتْ
 إِنَّ الْفَوَارِسَ مِنْ لُجَيْمٍ لَمْ تَزَلْ
 مَتَعَمِّمٌ بِالتَّاجِ يَسْجُدُ حَوْلَهُ
 أَوْ رَهْطُ حَنْظَلَةَ الَّذِينَ رَمَاحُهُمْ
 قَوْمٌ إِذَا شَهَرُوا السُّيُوفَ رَأَوْا لَهَا
 وَلَكِنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ
 أَوْلَادُ ثَعْلَبَةَ الَّذِينَ لِيْلِهِمْ
 وَلَمْ جَدُّ يَشْكُرْ سُورَةَ عَادِيَّةَ
 وَيَسُو الْقِدَارِ إِذَا عَدَدَتْ صَنِيعَهُمْ
 وَإِذَا فَخَرْتُ بِتَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ
 وَلِتَغْلِبَ الْغُلَبَاءُ عَزَّ بَيْنُ
 تَسْطُو عَلَى النُّعْمَانِ وَابْنِ مُحَرَّقٍ
 بِالْمَقْرِبَاتِ يَتَنَ حَوْلَ رِحَالِهِمْ
 أَوْلَادُ أَعُوجَ وَالصَّرِيحِ كَأَنَّهَا
 يَلْقِظُنَ بَعْدَ أَزْوَاجِهِنَّ عَلَى الشَّبَا
 بِيضَ الْأَنْثُوقِ فَوَكَّرُهَا بِمَعَاقِلِ¹
 وَسَوَادَ رَأْسِكَ فَضْلُ شَيْبٍ شَامِلٍ
 وَلَقَدْ تَكُونُ مَعَ الشَّبَابِ الْخَاذِلِ
 بِفُرُوعِ أَرْعَنَ فَوْقَهَا مُتَطَاوِلِ
 مَجْدِي وَمَنْزِلَتِي مِنْ ابْنِي وَائِلٍ
 كُلُّ الْمَكَارِمِ وَالْعَدِيدِ الْكَامِلِ
 مِنْهُمْ قِبَائِلُ أُرْدِفُوا بِقِبَائِلِ
 فِيهِمْ مَهَابَةٌ كُلُّ أَبِيضٍ نَاعِلِ²
 مِنْ آلِ هَوْدَةَ لِلْمَكَارِمِ حَامِلِ³
 سُمُّ الْفَوَارِسِ حَتْفَ مَوْتٍ عَاجِلِ⁴
 حَقًّا وَلَمْ يَكُ سَلْهُا لِلْبَاطِلِ
 بَسَطَ الْمُفَافِخِرَ لِلْسَّانِ الْقَائِلِ
 حِلْمَ الْحَلِيمِ وَرَدُّ جَهْلِ الْجَاهِلِ
 وَأَبَ إِذَا ذَكَرُوهُ لَيْسَ بِخَامِلِ
 وَضَحَ الْقَدِيمُ لَهُمْ بِكُلِّ مُحَافِلِ
 فَذَكَرَ مَكَارِمَ مِنْ نَدَى وَشَمَائِلِ⁵
 عَادِيَّةَ وَيَزِيدَ فَوْقَ الْكَاهِلِ
 وَابْنِي قَطَامَ بَعِزَّةٍ وَتَنَاوِلِ
 كَالْقَدِّ بَعْدَ أَجَلَةٍ وَصَوَاهِلِ
 عِقْبَانُ يَوْمِ دُجْنَةٍ وَمَخَايِلِ
 عَلَقَ الشَّكِيمُ بِالسُّنِّ وَجَحَافِلِ

1 الأنثوق : العقاب .

2 لجيم بن صعب بن وائل .

3 آل هودّة: هو هودّة بن علي وفد على كسرى وقاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

4 رهط : من بني عجل بن لجم .

5 وشمائيل في ل : وأوائل .

قوم هم قتلوا ابن هندٍ غنوة
منهم أبو حنشرٍ وكان بكفه
ومهلل الشعراء إن فخرُوا به
حجب المنية دون واحد أمه
وأبى مجالسة السباب فلم يكن
حتى أجاز على الملوك فلم يدغ
في كل حي للهديل ورهطه
بيض كرائم ردهن لغنوة
أبناؤهن من الهديل ورهطه
وقنا الرماح تذودُ ورَدَ الناهل
ريُّ السنان وريُّ صدرِ العامل
وندى كليبٍ عند فضلِ النائل
من أن تبيتَ وصدرها ببلابل
يُستبُّ مجلسه وحقُّ النازل
حرباً ولا صعرأ لرأس مائل
نعم وأخذُ كريمةٍ بتناول
أسلُ القنا وأخذنَ غيرَ أرامل
مثلُ الملوك وعشنَ غيرَ عوامل

وقال أبو عمرو أيضاً: قال العُدَيْلُ لرجل من موالى الحجاج كان وجهه في جيش إلى بني عجل يطلب العُدَيْل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إليه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته وأخذ حليهن ، فدخل العُدَيْل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول :

صوت

سلبت بناتي حليهن فلم تدغ
سيوراً ولا طوقاً على النحر مُذهبا
هكذا في الشعر : سلبت بناتي ، والغناء فيه : سلبت الجواري حليهن .
وما عزَّ في الآذان حتى كأنما
تُعْطَل بالبيض الأوانسَ رربا
عواطلُ إلا أن ترى بخدودها
قسامة عتق أو بنانا مُخَضَّباً¹
فككت البرين عن خدال كأنها
برادي غيل ماؤه قد تنضَّباً²
من الدر والياقوت عن كل حرَّة
تري سيمطها بين الجمان مُثَقَّباً
دعون أمير المؤمنين فلم يجب
دعاء ولم يُسمعن أمّاً ولا أبا

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمد النصيبى الهمداني ثان ثقل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقل أول بالسبابة والوسطى ، نسبه ابن المكّي إلى عبد الرحيم الدقاف ، ونسبه الهشامي إلى عبد الله بن العباس .

1 قسامة : حُسن .

2 البرين : جمع برة ، وهي هنا الخلخال . خدال : السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة . برادي : جمع بردي ، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفت . غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .

[رجل من قوم العدیل يُصيب أنف عجلي]

وقال أبو عمرو الشيباني : أصاب رجل من رهط العدیل من بني العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبار ، فقال العدیل في ذلك ، وكان عدوًّا له : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ جَبَّاراً وَمَارِناً أَنْفَهُ لَهُ ثُلَمٌ يَهُونُ أَنْ يَتَنَحَّأَ
وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَهُ فَكَأَنَّمَا يَرَى النَّاسَ أَعْدَاءَ إِذَا هُوَ أَطْلَعَا
كُلُّوا أَنْفَ جَبَّارٍ بِكَارٍ فَإِنَّمَا تَرْكَنَاهُ عَنْ فَرْطٍ مِنَ الشَّرِّ أَجْدَعَا¹
مَعَاقِدُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَتُوفِهِمْ بِكَارٍ وَثِيئاً تَرْكَبُ الْحَزْنَ ظُلُمَاً

قال : وكان رجل من رهط العدیل أيضاً ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية ، وهما يشريان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العدیل وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبار ويد وكيع ؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون من فعل بهم ، فلجأ إلى عُفَيْر بن جُبَيْر بن هلال بن مُرَّة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العدیل في ذلك : [من الطويل]

تَرَكْتُ وَكِيْعاً بَعْدَمَا شَابَ رَأْسُهُ أَشْلُ الْيَمِينِ مُسْتَقِيمَ الْأَخَادِعِ
فَشَرَّبْتُ بِهَا وَرَقَ الْإِفَالِ وَكُلُّ بِهَا طَعَامَ الذَّلِيلِ وَانْجَحِرُ فِي الْمَخَادِعِ²

فَقَالَتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لِلْفَرَخِ أَبِي الْعَدِيلِ : يَا فَرَخُ ، أَنْصِفْ قَوْمَكَ ، وَأَعْطِهِمْ حَقَّهُمْ ، فَرَكَبَ إِلَيْهِمُ الْفَرَخُ ، وَمَعَهُ حَسَّانُ بْنُ وَقَّافٍ وَدِينَارُ (رَجُلَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ) فَأَسْرَتْهُ بَنُو الطَّاغِيَةِ ، وَانْتَزَعُوهُ مِنَ الرِّجْلَيْنِ ، وَتَوَجَّهُوا بِهِ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَرَجَعَ حَسَّانُ وَدِينَارُ إِلَى قَوْمِهِمَا مُسْتَنْفِرِينَ لَهُمْ ، فَرَكَبَ الْغَفِيرُ فِي طَلَبِ بَنِي الطَّاغِيَةِ ، فَأَدْرَكُوا مِنْهُمْ رَجُلًا فَأَسْرَوْهُ بَدَلَ الْفَرَخِ . ثُمَّ إِنَّ عُفَيْرًا لَحِقَ بِهِمْ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ الْجِرَاحَةَ بِسَبْعِينَ بَعِيرًا ، وَأَخَذَ الْفَرَخَ مِنْهُمْ فَأَطْلَقَهُ ، فَقَالَ الْعَدِيلُ فِي ذَلِكَ :

مَا زَالَ فِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لِحَارِهِمْ عَلَى عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ مُعْطٍ وَمَانِعُ
هُمْ اسْتَنْقَدُوا حَبَّانًا قَسْرًا وَأَنْتُمْ لِإِثَامِ الْمَقَامِ وَالرَّمَاخِ شَوَارِعُ
غَدَرْتُمْ بِدِينَارٍ وَحَسَّانٍ غَدْرَةً وَبِالْفَرَخِ لَمَّا جَاءَكُمْ وَهُوَ طَائِعُ
فَلَوْلَا بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ لَأَصْبَحَتْ عَلَيَّ شَدَادَاتُ قَبْضَتِهِنَّ الْأَصْبَاعُ

1 بكاراً : مبادرين مسرعين .

2 وَرَق : جمع أورك وهو ما في لونه بياض إلى سواد . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

أَلَا تَسْأَلُونَ ابْنَ الْمُشْتَمِّ عَنْهُمْ جُعَامَةً وَالْجِرَانُ وَافٍ وَظَالِعٌ¹
وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو النَجْمِ
لِلْعَدِيلِ بْنِ الْفَرَخِ : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

فَإِنْ تَكُ مِنْ شِيْبَانٍ أُمِّي فَإِنِّي لِأَبْيَضُ عَجَلِيَّ عَرِيضُ الْمَفَارِقِ ؟
أَكُنْتَ شَاكًّا فِي نَسَبِكَ حِينَ قُلْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْعَدِيلُ : أَفَشَكَكَتْ فِي نَفْسِكَ أَوْ شَعْرَكَ
حِينَ قُلْتَ :

أَنَا أَبُو النَجْمِ وَشَعْرِي شَعْرِي لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِنُّ صَدْرِي
فَأَمْسَكَ أَبُو النَجْمِ وَاسْتَحْيَا .

[العديل ومالك بن مسمع]

أَخْبَرَنِي أَبُو دُكْفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ : حَمَلُ
زِيَادًا إِلَى مَعَاوِيَةَ مَالًا مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَفَزَعَتْ تَمِيمَ وَالْأَزْدَ وَرَبِيعَةَ إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ ، وَكَانَتْ
رَبِيعَةُ مَجْتَمِعَةً عَلَيْهِ كَاجْتِمَاعِهَا عَلَى كُلِّبٍ فِي حَيَاتِهِ ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ ، وَقَالُوا : يَحْمِلُ الْمَالُ ،
وَنَبَقِيَ بِلَا عَطَاءٍ . فَرَكِبَ مَالِكُ فِي رَبِيعَةٍ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَلَحِقَ بِالْمَالِ فَرْدَهُ ، وَضَرَبَ
فُسْطَاطًا بِالْمَرِيدِ ، وَأَنْفَقَ الْمَالُ فِي النَّاسِ حَتَّى وَقَاهُمْ عَطَاءَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ الْآنَ أَنْ
تَحْمِلُوا فَاحْمِلُوا ، فَمَا رَاجِعُهُ زِيَادٌ فِي ذَلِكَ بِحَرْفٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْبَصْرَةَ
جَمَعَ مَالًا ؛ لِيَحْمِلَهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى مَالِكٍ ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِ ، فَفَعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ زِيَادٌ ،
فَقَالَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرَخِ فِي ذَلِكَ :

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظَلَامَةٍ دَعُونَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَكِرَا
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ إِذَا شَاءَ جَاوَوْا دَارِعِينَ وَحُسْرًا²
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَمِنْ مَنْزِلٍ مِنْ أُمَّ سَكُنَ عَشِيَّةً ظَلَلْتُ بِهِ أَبْكِي حَزِينًا مُفَكِّرًا
مَعِيَ كُلِّ مُسْتَرْخِي الْإِزَارِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى مِنْ جَنٍّ غِيلٍ وَعَبَقْرًا³
يُزْجِي الْمَطَايَا لَا يَبَالِي كَلَالَهَا مُقَلَّصَةٌ خَوْصًا مِنَ الْأَيْنِ ضُمْرًا⁴

1 ظالع : غامز في مشيه .

2 حَسْرَ : جمع حاسر : مَنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ .

3 غِيلٌ وَعَبَقْرٌ : مَكَانَانِ تَزْعَمُ الْعَرَبُ أَنَّهُمَا مِنْ مَسَاكِنِ الْجَنِّ .

4 خَوْصٌ : جَمْعُ خَوْصَاءٍ أَيْ غَاثِرَةِ الْعَيْنِ . مِنَ الْأَيْنِ : مِنَ النَّعْبِ .

[العديل شاعر بكر بن وائل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال : حدّثني عبدة بن عصمة بن معبد القيسيّ قال : حدّثني جدّي أبو أميّ فراس بن خنيدف ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن شقيق قال : لقيتُ الفرزدقَ منصرفه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبا فراس : مَنْ شاعرُ بكر بن وائل ممّن خلفته خلفك ؟ قال : أميم بن عجل ، يعني العديل بن الفرخ ، على أنّه ضائع الشعر ، سروق للبيوت . [مدح أو تخريض]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ ، عن حماد الراوية قال : لما قدِمَ الحجاجُ العراقَ قال العديل بن الفرخ :

دعوا الجُبْنَ يا أهلَ العراقِ فإنّما	يُهان ويُسبى كلُّ مَنْ لا يقاتلُ
لقد جرّدَ الحجاجُ للحقّ سيفه	ألا فاستقيموا لا يميلنّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضلوعهم	كَنَزُوا القِطَا ضُمّتْ عليه الجبائلُ
وأصبح كالبازي يقلّبُ طرفه	على مرّقب والطيرُ منه دواحل ¹

قال : فقال الحجاج ، وقد بلّغته ، لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نقول : إنّ مدحك ، فقال : كلاً ولكنّه حرّض عليّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرب وقال : [من الطويل]

أخوَفُ بالحجاجِ حتى كأنّما	يُحرّكُ عَظْمٌ في الفؤادِ مَهِضُ
ودون يدِ الحجاجِ من أن تنالني	بسَاطٍ لأيدي الناعماتِ عَرِيضُ
مهائمُه أشباه كأنّ سرائها	مُلاءً بأيدي الغاسلاتِ رَحِيضُ

فجد الحجاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأَتى واسطاً ، وتنكّر ، وأخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول : [من الطويل]

هأنذا ضاقتْ بي الأرضُ كلّها	إليكَ وقد جوّلتُ كلَّ مكانٍ
فلو كنتُ في ثهلان أو شُعْبَتِي أجاً	لخلتُك إلا أن تصدّ تراني ²

فقال له الحجاج : العديل أنت ؟ قال : نعم ، أيها الأمير ، فلّوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : إيه .

1 دواحل : معناها فارة ومسترة .

2 ثهلان : جبل لنمير .

بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال : لا بساط إلا عفوك ، قال : اذهب حيث شئت .

[حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فiras قال : حدثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش قال : كان حوشب بن يزيد بن الحُوَيْث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعكرمة بن ربعيّ البكريّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب ، وكاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده . قال : وقَدِمَ عبد العزيز بن يسار مولى بُجَير ، قال : وهو زوج أمّ شُعْبَةَ الفقيه ، بسفائن دَقِيق ، فأتاه عكرمة فقال له : الله الله فيّ ، قد كاد حوشب أن يستعليّني ، ويغلبني بماله ، فَبَغْنِي هذا الدقيق بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه ربحاً ، فقال : خذه ، وأعطاه إِيَّاه ، فدفعه إلى قومه ، وفرّقه بينهم ، وأمرهم بَعَجْنَه كُلّه ، فَعَجَنُوهُ كُلّه ، ثم جاء بالعجين كُلّه ، فجمعه في هُوَّة عظيمة ، وأمر به ، ففُطِيَ بالحشيش ، وجاء بِرَمَكَةٍ¹ ، فقرَّبَها إلى فرس حوشب ، حتى طَلَبَها ، وأفلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يَتَبَعُها ، حتى أَلْقَوْها في ذلك العجين وتبعها الفرس ، حتى تورَّطَا في العجين وبقياً فيه جميعاً ، وخرج قومُ عكرمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين ، أدرَكوا فرسَ حوشب ، فقد غرق في خميرة عكرمة ، فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرة يفرقُ فيها فرس ، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلا ركبُ ينظر ، وجاؤوا إلى الفرس ، وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه ، فما أخرج إلا بالعمد والحبال ، وغلب عليه عكرمة ، وافتضح حوشب ، فقال العدِيل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما : [من الطويل]

وعكرمة الفياضُ فينا وحوشبُ هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما رئيسٌ ولا الأقيالُ من آلِ حميرا

قال : وفي حوشب يقول الشاعر :

وأجودُ بالمالِ من حاتمٍ² وأنحرُ للجزرِ من حوشبِ

[شعر العدِيل بين السهل والفحل]

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو مَحْموم فقال : أنشدني يا أصمعيّ شعراً مَليحاً ، فقلت :

1 الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

2 مثل : ورد في الدرر الفاخرة 107/1 ، 126 وجمهرة الأمثال للعسكري 298/1 و336 ، ومجمع الأمثال

للميداني 182/1 ، والمستقصى للزمخشري 53/1 .

أرصبناً فحلاً تُريده يا أمير المؤمنين أم شجياً سهلاً ؟ فقال : بل عزلاً بين الفعل والسهل ،
فأنشدته للعدیل بن الفرخ العجليّ :

صحا عن طلاب البيض قبل مشييه	وراجع غَضَّ الطرف فهو خفيضُ
كأنِّي لم أرَ الصُّبا و يروُقني	من الحيّ أخوى المقتلين غَضِيضُ
دعاني له يوماً هوى فأجابهُ	فؤادٌ إذا يلقي المراضَ مريضُ
لمُستأنساتٍ بالحديث كأنَّه	تهلُّ غُرٌّ برُقهنَّ وميضُ

فقال لي : أعدّها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفظها .

[موته وروثاء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدّثني الرياشيّ ، عن محمد بن سلام ، قال : قدّم
العدیل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مسمع الجحدريّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ،
واستطابها ، وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادم الفرزدق ،
ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدتُ مثلَ العدِيل حليلاً	قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائل
وما زال مذ شدّتْ يداهُ إزاره	به تفتح الأبوابُ بكرُ بن وائل

صوت

[من المنسرح]

إني بذهماء عزٍّ ما أجدُ	عاودني من حبابها زوّدُ
عاودني حبّها وقد شحطتُ	صرفُ نواها فإنني كمدُ

قوله : «عزٍّ ما أجد» أي : شدٌّ ما أجد . وحبّائها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛
والزوّدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذي تصرفُ إليه قصدّها إذا نأت .
والكمد : شدة الحزن .

الشعر لصخر الغيّ الهذليّ ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ ، وذكر إسحاق
عن أبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هذيل يخلفون في هذه القصيدة فيرويهما بعضهم
لصخر الغيّ ، ويرويهما بعضهم لعمرّو ذي الكلب ، وأنّ الهيثم بن عديّ حدّثه عن حماد الراوية
أنّها لعمرّو ذي الكلب .

الفهرس

- [460] - أخبار خالد بن عبد الله 5
- [461] - أخبار صخر بن الجعد ونسبه 25
- [462] - أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه 33
- [463] - ذكر الخير في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أميمة بنت عبد شمس 40
- [464] - أخبار مالك ونسبه 55
- [465] - أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه 58
- [466] - أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه 70
- [467] - أخبار أوس ونسب اليهود النازلين يثرب وأخبارهم 77
- [468] - أخبار السموع ونسبه 84
- [469] - سعية بن غريض 87
- [470] - أخبار الربيع بن أبي الحقيق 91
- [471] - أخبار كعب ونسبه ومقتله 94
- [472] - أخبار يهس ونسبه 96
- [473] - أخبار الكميث بن معروف ونسبه 101
- [474] - أخبار يعلى ونسبه 104
- [475] - نسب جواس وخبره في هذا الشعر 106
- [476] - أخبار إبراهيم بن المدبر 110
- [477] - ذكر الخير في هذه الغارات والحروب 131
- [478] - أخبار محبوب 140
- [479] - أخبار عبيدة الطنبورية 144
- [480] - أخبار أحمد بن صدقة 149
- [481] - أخبار الحارث بن وعلة 152
- [482] - أخبار علي بن عبد الله بن جعفر ونسبه 156
- [483] - أخبار عتيبة ونسبه 159
- [484] - أخبار عبد الله بن العجلان 166
- [485] - أخبار المؤمل ونسبه 172
- [486] - أخبار أبي مالك ونسبه 178
- [487] - أخبار أبي دهمان 180
- [488] - أخبار أبي حزابة ونسبه 182
- [489] - نسب زهير السكب وأخباره 189
- [490] - أخبار النمر بن تولب ونسبه 191
- [491] - أخبار مالك بن الربيع ونسبه 201
- [492] - أخبار عبد بني الحسحاس 213
- [493] - متمم العبدى والجويرة 220
- [494] - أخبار حسان بن تيع 222
- [495] - أخبار مرة بن محكان 225
- [496] - أخبار العدیل ونسبه 228

کتاب العلاج

لأبي الفرج الأصفهانی

تسقیق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعائین الأستاذ بکر عباس

دار طکر
بیروت

کتابُ الْإِعْزَازِ

23

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث والعشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

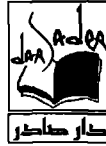
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1363

ص.ب. ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[497] - أخبار صخر الغي ونسبه¹

[نسبه]

هو صخرُ بن عبد الله الخيثميّ ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغي لخلاعه ، وشدة بأسه ، وكثرة شرّه . فمن روى هذه القصيدة له ، ذكر أنّ السبب فيها أن جاراً لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة ، وقيل : إنه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلّم إلى قومه ، ويعتهم على مطالبته بدم جارهم المزنيّ والإدراكِ بثأره ، فبلغ ذلك صخرّاً فقال هذه القصيدة يذكرُ أبا المثلّم وما فعله ، فأولّها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول :

ولستُ عبداً للموعدينَ ولا أقبلُ ضيماً أتى به أحدُ
جاءت كبيرٌ كيما أخفَرها والقوم صيّدٌ كأنّهم رَمِدوا
في المزنيّ الذي حششتُ به مالَ ضريكِ تِلادُهُ نَكِدُ²
إن أمتسِكهُ فبالفداء وإن أقتل بسيفي فإنّه قودُ
ولصخرُ وأبي المثلّم في هذا مناقضات وقصائدُ قالها ، وأجاب كلُّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

[الأعلم العداء]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنّه حدّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : كان الأَعلم أخو صخر الغيّ أحدَ صعاليك هذيل ، وكان يعدو على رجله عدواً لا يُلحق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخير ، حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السُّطاع³ ، في يوم من أيّام الصيف شديد الحرّ ، وهو متأبّط قربة لهم فيها ماء ،

1 انظر أخباره في : الإصابة : 3 : 259 .

2 ضريك : الفقير السيء الحال .

3 سِطاع : جبل بينه وبين مكّة مرحلة ونصف من جهة اليمن .

فَأَيَسْتَهَا السَّمُومَ ، وَعَطِشُوا حَتَّى لَمْ يَكَادُوا أَنْ يَبْصُرُوا مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الْأَعْلَمُ لَصَاحِبِيهِ : أَشْرَبْ مِنَ الْقَرْبَةِ لَعَلِّي أَنْ أَرِدَ الْمَاءَ فَأَرْوِي مِنْهُ وَانْتَظِرَانِي مَكَانَكُمَا ، وَكَانَتْ بَنُو عَدِيَّ بْنِ الدَّيْلِ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَهُوَ مَاءُ الْأَطْوَاءِ ، يَتَفَيَّوْنَ بِنَخْلٍ مُتَأَخَّرٍ عَنِ الْمَاءِ قَدَرُ رَمِيَةِ سَهْمٍ . فَأَقْبَلَ يَمْشِي مُتَلَثِّمًا ، وَقَدْ وَضَعَ سَيْفَهُ وَقَوْسَهُ وَنَبْلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا بَرَزَ لِلْقَوْمِ مَشَى رُويْدًا مُشْتَمِلًا ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : مَنْ تَرَوْنَ الرَّجُلَ ؟ فَقَالُوا : نَرَاهُ بَعْضَ بَنِي مُدَلَجِ بْنِ مَرَّةٍ .

ثُمَّ قَالُوا لِبَعْضِهِمْ : الْقَوَّ الْفَتَى ، فَاغْرَفْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ ؟ هُوَ آتِيكُمْ إِذَا شَرِبَ ، فَدَعُوهُ فَلَيْسَ بِمَفِيتِنَا ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى رَمَى بِرَأْسِهِ فِي الْحَوْضِ مُذْثِرًا عَنْهُمْ بَوَاجِهِ ، فَلَمَّا رَوَى أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَعَادَ نِقَابَهُ ، وَرَجَعَ فِي طَرِيقِهِ رُويْدًا ؟ فَصَاحَ الْقَوْمُ بَعْدَ لَهُمْ كَانَ عَلَى الْمَاءِ : هَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ الَّذِي صَدَرَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالُوا : فَهَلْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ مُشَقَّقُ الشَّفَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا الْأَعْلَمُ ، وَقَدْ صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ مَقْدَارُ رَمِيَةِ سَهْمٍ آخَرَ ، فَعَدَّوْا فِي أَثَرِهِ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : جُدَيْمَةُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ مِثْلُهُ عَدُوًّا ، فَأَغْرَوْهُ بِهِ ، وَطَرَدُوهُ فَأَعْجَزَهُمْ ، وَمَرَّ عَلَى سَيْفِهِ وَقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ ، فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ مَرَّ بِصَاحِبِيهِ فَصَاحَ بِهِمَا فَضَبِرَا¹ مَعَهُ ، فَأَعْجَزُوهُمْ ، فَقَالَ الْأَعْلَمُ فِي ذَلِكَ : [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ بِالْ	حَلْيَاءَ دُونَ قَدَى الْمَنَاصِبِ ²
وَفَرَيْتُ مِنْ فَزَعٍ فَلَا	أَرْمِي وَلَا وَدَّعْتُ صَاحِبَ ³
يُغَرُونَ صَاحِبَهُمْ بِنَا	جَهْدًا وَأُغْرِي غَيْرَ كَاذِبِ
أُغْرِي أَخِي صَخْرًا لِيُعْ	حِزْمَهُ وَمَدُّوَا بِالْحَلَاثِبِ ⁴
وَحَشِيتُ وَقَعَ ضَرْبِي	قَدْ جُرِّتُ كُلَّ التَّجَارِبِ ⁵
فَأَكُونُ صَيْدَهُمْ بِهَا	لِلذِّبِ وَالضَّبْعِ السَّوَاغِبِ

1 ضبرا معه : عدوا معه .

2 قدى : قدر . المناصب : الأغراض والمرامي .

3 فريت : تحيرت ودهشت .

4 أخي صخرًا في الديوان : «أبا وهب» . الخلائب : الجماعات جمع حلبة .

5 ضربة : سيف .

جَزْرًا وَلِلطَّيْرِ الْمُرْبُ — — — — — وَالذَّنَابِ وَلِلثَّعَالِبِ¹

وهي قصيدة طويلة .

صوت

[صخر يرثي أخاه أبا عمرو]

وقالوا جميعاً : خرج صخرُ الغيِّ وأخوه أبو عمرو في غَزَاةٍ لهما ، فباتا في أرض رَمَلَةٍ ، فنهشت أخاه أبا عمرو حَيَّةٌ ، فمات ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لعمري أبي عمرو لقد ساقه المنا إلى جدثٍ يُوزَى له بالأهاضِبِ
لحِيَّةٍ جُحِرٍ في وجارٍ مقيمة تنمى بها سوقُ المنا والجوابِ²
أخي لا أخا لي بعده سبقتُ به منيته جمعُ الرُقَى والطبائبِ
وذلك ممَّا يُحدث الدهرُ إنَّه له كلَّ مطلوبٍ حثيثٍ وطالبٍ

يوزى له : يمني له . والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال .

وقال الأثرم عن أبي عبيدة . خرج صخرُ الغيِّ في طائفةٍ من قومه يقدمها خوفاً من أبي المثلِّم ، فأغار على بني المصطلق من خزاعة ، فانتظر بقية أصحابه ، ونذرت به بنو المصطلق ، فأحاطوا به فقال : [من الرجز]

لو أن أصحابي بنو معاوية أهلُ جنوب النخلة الشامية³
ورهُطُ دُهمانٍ ورهُطُ عادية ما تركوني للذئاب العاوية

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول : [من الرجز]

لو أن أصحابي بنو خناعة أهلُ الندى والمجدِ والبراعة
تحتَ جلودِ البقرِ القراعه لمنعوا من هذه البراعة⁴

وقال أيضاً وهو يقاتلهم : [من الرجز]

1 المربة : المقيمة الملازمة .

2 الوجار : كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض . تنمى : ارتفع .

3 جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية .

4 القراعة : الصلبة . البراعة : الضعيف ، وفي الديوان : «المراعة» .

لو أَنَّ حولي من قَريم رَجُلًا بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبِلَ¹
لمنعوني نَجدة وَرِسْلا سفع الوجوه لم يكونوا عَزْلا

[مقتل صخر ورثاؤه]

يقول : منعوني بنَجدة وشِدَّة وعلى رِسلهم بأهونِ سَعي . قال : فلم يزلُ يُقاتلهم حتى قَتَلوه .

[رثاء أبي المثلِّم له]

ويبلغ ذلك أبا المثلِّم ، فقال يرثيه :
لو كان للدهر مالٌ عند مُتله لكان للدهرِ صخرٌ مالٌ قُنيانِ
أبي الهزيمة آتٍ بالعزيمة مُتـ للافُ الكريمة لا سِقْطٌ ولا واني
حامي الحقيقة نَسألُ الوديقة معـ تاقُ الوسيقة جَلْدٌ غيرِ ثُنيانِ²
رَقَاء مَرْقبة ، مُنَاعٌ مَغلبة رَكابُ سلهبة ، قطاعُ أَقرانِ³
هباطُ أوديةِ شَهادُ أندية حمالُ ألويةِ سرحانِ فتيانِ
السرحان : الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب .

يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضُّرابُ ويكـ في القائلينَ إذا ما كُبلَ العاني
فيترك القرنَ مصفراً أَنامله كأنَّ في رِيطتيه نضخَ إِرْقانِ
الإِرْقان : اليرقان ، يعني صُفْرته .

يعطيك ما لا تكاد النفسُ تسلِّمه من التَّلاذِ وهوبٌ غيرُ مَنَّانِ⁴

1 قريم : حي من هذيل .

2 نَسأل : مسرع . الوديقة : شدة الحر . الوسيقة : الطريدة .

3 رقاء في ل والديوان : «رَبَاء» بمعنى علا وارتفع . سلهبة : جسيمة طويلة . أَقران : جمع قرن ، وهو الحبل .

4 تسلِّمه في الديوان : ترسله .

[498] - نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[نسبه]

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبّه ، أحد بني كاهل بن لحيان بن هذيل .
قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ : إنّما سُمّي ذا الكلب لأنّه كان له
كلبٌ لا يفارقه .

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنّه قال : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، إنّما خرج غازياً ومعه
كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتت عليه .

قال : ومن الناس من يقول له عمرو الكلب ، ولا يقول فيه : « ذو » .

قال : وكان يغزو بني فُهْم غزواً متّصلاً ، فنام ليلة في بعض غزواته ، فوثب عليه نمران
فأكّلاه فادّعت فُهْم قتله ، هكذا في هذه الرواية .

[عمرو ذو الكلب وأمّ جليحة]

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأنخفش ، قال : حدّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن
حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل وغيرهم من الرّواة قالوا :
كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذليّ ، وكان من رجالهم ، أنّه كان قد علق امرأة من فُهْم
يقال لها : أمّ جُليحة ، فأحبّها وأحبّته ، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، وطلبوا دمه ، إلى
أن جاءها عامّاً من ذلك ، فنذرُوا به ، فخرجوا في أثره ، وخرج هارباً منهم فتبعوه يومهم
ذلك ، وهم على أثره ، حتى أمسى ، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلماء ، فبينما هو يسيرُ
على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ والله الطريق وإنّ النارَ لعلّ الطريق ،
فحارَ وشكّ ، وقصد للنار ، حتى أتاها ، وقد كان يصيحُ ، فإذا رجل قد أوقدَ ناراً ليس معه
أحدٌ ، فقال له عمرو ذو الكلب : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من عدّوان ، قال ، فما اسم هذا
المكان ؟ قال السدُّ ، فعلم أنّه قد هلك وأخطأ ، والسدُّ شيء لا يجاوز ، قال : ويلك ! فلم
أوقدتَ ، فوالله ما تشتوي ، ولا تصطلي ، وما أوقدتَ إلّا لمنيّة عمرو الشقيّ ، هل عندك شيء
تطعمني ؟ قال : نعم ، فأخرج له ثمرات قد نقّأها في يده ، فلمّا رآها قال : ثمرات ، تتبعها

عبرات من نساء خَفَرَات ، ثم قال : اسقني ، قال : ماذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ، ولكن اسقني ماء قَرَاحاً ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ صَبَاحاً ، ثم انطلق ، فَأَسَدَ فِي السَّدِّ ، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره ، حيث أخطأ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً في السَّدِّ ، فلما ظهرُوا لِلسَّدِّ عَلِمُوا أَنَّهُ فِي الْغَارِ فَنَادَوْهُ ، فقالوا : يا عمرو ، قال : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج ، قال : فَلِمَ دَخَلْتُ إِذْنٌ ؟ قالوا : بلى ، فأخرجُ ، قال : لا أخرجُ ، قالوا : فَأَنْشِدُنَا قَوْلَكَ : [من الوافر]

وَمَقْعِدِ كُرْبَةٍ قَدْ كُنْتُ مِنْهَا مَكَانَ الْإِصْبَعَيْنِ مِنَ الْقِبَالِ¹

قال : ها هي ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أَقْتَلْتَهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؟ فقال : أَجَلْ ، ولقد بقيتُ معي أربعة أسهم كأنها أنيابُ أُمِّ جُلَيْحَةَ لا تصلون إليَّ أو أَقْتُلَ بِكُلِّ سَهْمٍ مِنْهَا رَجُلًا مِنْكُمْ ، فقالوا لعبدِهم : يا أبا نِجَاد ، ادخُلْ عليه ، وأنت حرٌّ ، فتهيَّأ للدخول أبو نِجَاد عليه ، فقال له عمرو : ويلك ! يا أبا نِجَاد ، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك ؟ فنكصَ عنه ، فلما رأوا ذلك صعدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سَلَبَهُ ، فرجعوا به إلى أُمِّ جُلَيْحَةَ وهي تَتَشَوَّفُ ، فلما رأوها قالوا لها : يا أُمِّ جُلَيْحَةَ ، ما رأيكِ في عمرو ، قالت : رأيي والله أنكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنِيْعاً ، ووضعتُموه صَريعاً ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتُم ، ولكن كنتم فعلتُم ، لربَّ نَدِيٍّ مِنْكُمْ قَدْ افْتَرَشَهُ ، وَضَبَّ قَدْ احْتَرَشَهُ² ، فطرحوا إليها ثِيَابَهُ ، فَأَخَذَتْهَا ، فَشَمَّتْهَا ، فقالت : رِيحُ عِطْرٍ وَثُبُ عَمْرٍو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزَةٍ³ جَافِيَةٍ ، ولا عانةَ وَافِيَةٍ ، ولا ضَالَّةً⁴ كافية .

[أخته ترضيه]

وقالت رَيْطَةُ أُخْتُ عَمْرٍو ذِي الْكَلْبِ تَرْثِيهِ :

[من البسيط]

كُلُّ امْرِئٍ لِحَالِ الدَّهْرِ مَكْرُوبٌ وَكُلُّ مَنْ غَالِبَ الْأَيَّامِ مَغْلُوبٌ⁵

1 القبال : الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

2 احترشه : صاده .

3 الحجة : موضع التكة من الإزار .

4 الضلة : المراد بها السلاح .

5 محال : قوة .

وكلُّ حيٍّ وإن عزوا وإن سلّموا يوماً طريقهم في الشرِّ دُعبوب¹
 أبلغ هذيلًا وأبلغ مَنْ يُبلغها عني رسولاً وبعضُ القول تكذيب²
 بأنَّ ذا الكلبِ عمراً خيرهم نسباً بطن شريان يعوي حوله الذيب³
 الطاعنُ الطعنة النجلاء يتبعها مُثعنجرٌ من نجيع الجوف أسكوب⁴
 والتاركُ القرنَ مصفراً أنامله كأنه من نقيع الورس مخضوب⁵
 تمشي النسورُ إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهنَّ الجلايب⁶
 والمخرجُ العاتقَ العذراء مُدعنة في السبي ينفح من أردانها الطيب⁷

صوت

[من البسيط]

يا دارَ عمرةٍ من مُختلها الجرعا هاجت لي الهمُّ والأحزان والوجعا⁶
 أرى بعيني إذا مالت حمولتهم بطن السلوطح لا ينظرن من تبع⁷
 طوراً أراهم وطوراً لا أبينهم إذا ترَفَّع حِذَجُ ساعة لمعا

الشعر للقيط الإيادي يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم ، والغناء لكردم بن مَعبد هَزَجَ بالبصرة

من روايتي حبش والهشامي .

1 دُعبوب : الطريق الموطوءة .

2 القول في ل : الغي .

3 بطن شريان : موضع أو واد باليمن يُقال إن به قبر عمرو .

4 مُثعنجر : سائل . أسكوب : منسكب أو مسكوب .

5 نقيع في ل : نجيع .

6 الجرع : الرملة لا تنبت شيئاً ، وهي موضع هنا .

7 السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .

[499] - خبر لقيط ونسبه¹

والسبب في قوله الشعر

[نسبه]

هو لقيط بن يعمر² . شاعر جاهلي قديم مُقلّ ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقطع من الشعر لطافٍ متفرقة .

[غزو كسرى لإياد]

أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال : حدّثني القاسم بن محمد الأنباري قال : حدّثني أحمد بن عبيد قال : حدّثني الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال : كان سبب غزو كسرى إياداً أنّ بلادهم أُجذبت ، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد³ ونواحيها ، فأقاموا بها دهرًا حتى أخصبوا وكثروا ، وكانوا يعبدون صنماً يقال له : ذو الكعنين ، وعبدته بكر بن وائل من بعدهم ، فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق⁴ والخورنق ، واستطالوا على الفُرات ، حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم من أرض السواد ، ويغزون ملوك آل نصر ، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عروساً قد هُديت⁵ إلى زوجها ، فولّي ذلك منها سفهاؤهم وأحدّثهم ، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم ، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبرون إليهم في القراقير⁶ ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول :

[من الرجز]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 199/1 ، 201 والاشتقاق لابن دريد 104 والمؤتلف 175 .

2 في الشعر والشعراء : ابن معمر وأورد محمود محمد شاكر أنّ مختارات ابن الشجري وجمهرة اللغة لابن دريد أوردته «يعمر» كما في الأغاني وكذلك في ديوانه في حين ورد في مصادر أخرى «معيد» .

3 سنداد : منازل لإياد ، أسفل الكوفة .

4 بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .

5 هديت : زفت إلى بعليها .

6 القراقير : جمع قرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

بس مناخ الحلقات الذهب في ساحة القُرُور وسط اليم¹
وعبروا الفرات ، وتبعهم الأعاجم ، فقالت كاهنة من إباد تسجع لهم : [من الرجز]
إن يقتلوا منكم غلاماً سلماً أو يأخذوا ذاك شيخاً هماً²
تُخضّبوا نحورهم دماً وتُرووا منهم سيوفاً ظماً
فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحنن يابل لأبيه فلقيته الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا
الإبل ولقيتهم إباد في آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .
قال : وحدّثني بعض أهل العلم أنّ إباداً بيّنت ذلك الجمع حين عبروا شطّ الفرات
الغربيّ ، فلم يفلت منهم إلّا القليل ، وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم ، فكانت كالتلّ
العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمي دَيْر الجَماجِم ، وبلغ كسرى الخير ، فبعث
مالك بن حارثة : أحد بني كعب بن زهير بن جُشم في آثارهم ، ووجّه معه أربعة آلاف
من الأساورة . فكتب إليهم لقيط :

يا دارَ عمرة من مُحتلّها الجرعا هاجت لي الهمم والأحزان والوجعا
وفيهما يقول ، قال الشرقي بن القطاميّ أنشدنيها أبو حمزة الثماليّ :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غُيراً	على نسائكُم كِسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مدلّته	إن طار طائرکم يوماً وإن وقعا
هو الفناء الذي يجتث أصلکم	فَمَنْ رأى مثلَ ذا رأيا وَمَنْ سَمِعَا
فقلّدوا أمرکم لله درُکم	رَحَبَ الذراع بأمر الحرب مُضطلّعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده	ولا إذا حلّ مكروه به خَشعا
لا يَطعم النوم إلّا ريثَ يبعثه	همّ يكادُ حشاه يقطع الضلّعا
مسهدُ النوم تعنيه تُغورُکم	يرومُ منها إلى الأعداء مُطلّعا
ما انفكّ يحلبُ هذا الدهرَ أشطره	يكون متبعاً طوراً ومتبعا
فليس يشغلّه مالٌ يُثمّره	عنکم ولا ولد يبغي له الرّفعا

1 الحلقات : جمع حلقة : الإبل الموسومة بالحلقات .

2 ذاك في ل : ذلك .

حتى استمرت على شزير مريته مستحكيم السن لا قحما ولا ضرعا¹
 كإلك بن قنان أو كصاحبه زيد القنا حين لاقى الحارثين معا²
 إذ عابه عائب يوماً فقال له : دمت لجنبك قبل الليل مضطجعا³
 فساوروه فالقوه أخوا علي في الحرب يختيل الرئبال والسبعا
 عبل الذراع أيأ ذا مزابنة في الحرب لا عاجزا نكسا ولا ورعا⁴
 مستجداً يتحدى الناس كلهم لو صارعوه جميعاً في الوري صرعا
 هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا
 وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب :

[من الوافر]

كتاب في الصّحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إباد
 بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يحبسكم سوق النقاد⁵

[موقعة مرج الأكم]

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبي بالأعاجم حتى لقي إباداً ، وهم غارون لم يلتفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم ثقة بأن كسرى لا يقدم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له مرج الأكم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر بهم ، وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات ، ولحقت إباداً بأطراف الشام ولم تتوسطها خوفاً من غسان يوم الحارثين ، ولا اجتماع قضاة وغسان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدة عليهم ، فأقاموا ، حتى أمّنوا . ثم إنهم تطرفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر :

[من الكامل]

- 1 استمرت : استحكمت وقويت . شزر : ما يقتل على غير وجهه ، أي من اليسار . المرية : طاقة الحبل ، أي أنه متين . قحماً : شيخاً فانياً عجوزاً . ضرعاً : ضعيفاً ذليلاً مستكيناً .
- 2 الحارثين : الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريين .
- 3 مثل : ويروى دمت لنفسك . ورد في : مجمع الأمثال 1/265 ، والجمهرة للعسكري 1/443 ، 444 وفصل المقال 31 ، والمستقصى للزمخشري 2/81 .
- 4 الورع : الجبان الضعيف .
- 5 النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفردة نقد .

حَلُّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

صوت

[من الطويل]

الليّن يا ليلي جِمَالِكِ تُرَحِّلُ لَيَقْطَعَنَّ مِنَّا الْبَيْنُ مَا كَانَ يُوَصِّلُ
تُعَلِّلُنَا بِالْوَعْدِ ثُمَّتْ تَلْتَوِي بِمَوْعِدِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْمَعْلِلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَبْلَ أَصْبَحَ وَاهِنًا وَأُخْلِفَ مِنْ لَيْلِي الَّذِي كُنْتُ آمِلُ
فَلَا الْحَبْلُ مِنْ لَيْلِي يُوَاتِيكَ وَصْلُهُ وَلَا أَنْتَ تَنْهَى الْقَلْبَ عَنْهَا فَيَذْهَلُ
عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، الشَّعْرُ لُنْصِيبِ الْأَصْغَرِ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لِيَحْيَى الْمَكِّيَّ خَفِيفَ
رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ ، وَكَذَا نَسَبَتْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِ .
وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ فِي نَسَخَتِهِ أَنَّ خَفِيفَ الرَّمْلِ لِمَالِكٍ وَأَنَّهُ بِالْوَسْطَى ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ
لِابْنِ الْمَكِّيِّ .

[500] - أخبار نُصَيْب الأصغر

[نشأته]

نُصَيْبُ مولى المهديّ ؛ عبدٌ نشأ باليمامة ، واشترى للمهديّ في حياة المنصور : فلمّا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصَيْب مولى بني مروان ، فأعتقه ، وزوّجه أمةً له يقال لها : جعفرّة . وكانه أبا الحُجَناء ، وأقطعه ضيعةً بالسواد ، وعمر بعده .

[يمدح الرشيد]

وهذه القصيدة يمدحُ بها هارون الرشيد ، وهي من جيّد شعره وفيها يقول : [من الطويل]

خليليّ إنّي ما يزالُ يشوقني	قَطِرُنُ الحِمَى والظاعنُ المتحمّلُ
فأقسمتُ لا أنسى لياليَ منيعٍ	ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحيّ مأسَلُ ¹
أمنَ أجلِ آياتٍ ورسمِ كأنّه	بقيةٌ وحىٍ أو رداً مُسلسَلُ ²
جرى الدّمْعُ من عينيكَ حتى كأنّه	تحدرُ دُرٌّ أو جُمانٌ مُفصّلُ
فيا أيُّها الزنجيُّ ما لكَ والصِّبَا	أفقٌ عن طِلابِ البيضِ إن كنتَ تعقلُ
فمثلكَ من أحبوشةِ الزّنجِ قُطعتْ	وسائلُ أسبابٍ بها يُتوسَّلُ ³
قصداً أميرَ المؤمنين ودونَه	مهامهُ مَوماً من الأرضِ مَجْهَلُ
على أرحبيّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ	شمائلُها ممّا تحلُّ وتُرحَلُ ⁴
إلى ملكٍ صلتَ الجَبينَ كأنّه	صَفِيحَةٌ مَسنون جلا عنه صَيقلُ ⁵

1 منيع : واد يدفع في بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيام العرب . مأسَل : دارة من دارات العرب ، ذكرت في شعر لبيد .

2 مسلسل : رديء النسيج .

3 أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة .

4 أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

5 صلت : واضح .

إذا انبلج البابان والسترُ دونه بدا مثل ما يبدو الأغرُ المحجلُ
شريكان فينا منه عينٌ بصيرة كلوه وقلبٌ حافظ ليس يغفلُ
فما فات عينيه وعاه بقلبه فآخِرُ ما يرعى سواءً وأوّلُ
وما نازعت فينا أمورك هفوةً ولا خطلة في الرأي والرأي يخطلُ
إذا اشتبهت أعناقُه بيئت له معارفُ في أعجازه وهو مُقبلُ
لئن نال عبدُ الله قبلُ خلافةً لأنت من العهد الذي نلتَ أفضلُ
وما زادك العهدُ الذي نلتَ بسطةً ولكن بتقوى الله أنتَ مُسرّبُ
وريثَ رسولَ الله عضواً ومفصلاً وذا من رسول الله عضوٌ ومفصلُ
إذا ما دهتنا من زمانٍ مُلمّةً فليس لنا إلا عليك المعولُ
على ثقةٍ منا تحنُّ قلوبنا إليك كما كنّا أباك نُؤملُ

وهي قصيدة طويلة ، هذا مختار من جميعها .

[يذكر في مال المهدي فيوثقه بالحديد]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدثني أبي ، قال : وجه المهديّ نصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبليّ مهريّة ، ووجهه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار ، قال : فمدّ أبو الحجناء يده في الدنانير يُنفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوّاري والتزويج ، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ ، فكتب المهديّ في حمّله موثقاً في الحديد .

[يتشفع بشعره إلى المهدي]

فلما دخل على المهديّ أنشده شعره : وقال :

[من الطويل]

تأوّنني ثقلٌ من الهمّ موجعُ فأرقّ عيني والخلّيون هُجّعُ
هُموم توالّت لو أطافَ يسيرُها يسلمى لظلت شُمها تتصدّعُ
ولكنّها نيطت فناءً بحملها جهير المنايا حائن النفس معجزُ
وعادت بلادُ الله ظلماءَ حديساً فخلّت دُجى ظلمائها لا تقشّعُ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ
تَلَمَّسْتُ هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي فَلَمْ أَجِدْ
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ مِنِّي وَأَقْطَعْتُ
لَنْ لَمْ تَسْغِنِي يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
طَبِعْتُ عَلَيْهَا صَبْغَةً ثُمَّ لَمْ تَزَلْ
تَغَايِكَ عَنْ ذِي الذَّنْبِ تَرْجُو صِلَاخَهُ
وَعَفْوَكَ عَمَّنْ لَوْ تَكُونُ جَرِيمَةً
وَأَنْتَ لَا تَنْفَكُ تُنْعِشُ عَائِراً
وَحَلَمَكَ عَنْ ذِي الْجَهْلِ مِنْ بَعْدَمَا جَرَى
فَقِيهِنَّ لِي إِمَّا شَفَعْنَ مَنَافِعُ
مُنَاصِحَتِي بِالْفَعْلِ إِنْ كُنْتَ نَائِياً
وِثَانِيَّةُ ظَنِّي بِكَ الْخَيْرَ غَائِباً
وِثَالِثَةُ أَنْتِي عَلَى مَا هَوَيْتَهُ
وِرَابِعَةُ أَنْتِي إِلَيْكَ يَسُوقُنِي
وِإِنِّي لِمَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ جَفَوْتَهُ
وِإِنِّي لِمَوْلَاكَ الضَّعِيفُ فَأَعْفِنِي

سَوَاكَ مُجِيراً مِنْكَ يُدْنِي وَيَمْنَعُ
سِوَى رَحْمَةٍ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشْفَعُ
لَعَفْوِكَ عَنْ جُرْمِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
لَمَّا عَجَزْتُ عَنِّي وَسَائِلُ أَرْبَعُ
عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالَّذِينَ تُطَبِّعُ
وَأَنْتَ تَرَى مَا كَانَ يَأْتِي وَيَصْنَعُ
لَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ نَكْبَاءُ زَعَزَعُ
وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ حِينَ يَكْبُو وَيَخْمَعُ¹
بِهِ عَنَقٌ مِنْ طَائِشِ الْجَهْلِ أَشْنَعُ²
وَفِي الْأَرْبَعِ الْأُولَى إِلَيْهِنَّ أَفْرَعُ
إِذَا كَانَ دَانٍ مِنْكَ بِالْقَوْلِ يَخْدَعُ
وَإِنْ قُلْتَ عَبْدٌ ظَاهِرُ الْغَشِّ مُسَبِّعُ³
وَإِنْ كَثُرَ الْأَعْدَاءُ فِيَّ وَشَنُّعُوا
وَلَائِي فَمَوْلَاكَ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ
أَتَى مُسْتَكِيناً رَاهِباً يَتَضَرَّعُ
فَإِنِّي لَعَفْوٍ مِنْكَ أَهْلٌ وَمَوْضِعُ

[المهدي يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوجَه]

فقطع المهدي عليه الإنشاد ، ثم قال له : وَمَنْ أَعْتَقَكَ يَا ابْنَ السُّودَاءِ ! فَأَوْماً بِيَدِهِ إِلَى
الهادي ، وقال : الأَمِيرُ مُوسَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ لِمُوسَى : أَعْتَقْتَهُ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمْضَى الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِحَدِيدِهِ ، فَقُلْتُ عَنْهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ عِدَّةً مِنْ

1 يخمخ : يمرج في المشي .

2 العنق : ضرب من السير .

3 مسيع : خبيث .

الخلع الوشي والخز والسود والبياض ، ووصله بألفي دينار ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفره جميلة فائقة من روقة¹ الرقيق .

فقال له سالم قيّم الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درهم ، فقال قصيدته :

آأذن الحي فانصاعوا بترحال
فهاج بينهم شوقي ولبالي
وقام بها بين يدي المهدي فلما قال :

ما زلت تبذل لي الأموال مجتهداً
زوجتني يا ابن خير الناس جارية
زوجتني بضّة بيضاء ناعمة
حتى توهمت أن الله عجلها
فسألني سالم ألفاً فقلت له
حتى لأصحت ذا أهلي وذا مال
ما كان أمثالها يهدى لأمثالي
كانها درة في كف لآل
يا ابن الخلائف لي من خير أعمالي
أنى لي الألف يا قُبْحَت من سأل

أراد : من سائل ، كما قالوا : شاكي السلاح وشائك .

هيهات ألك إلا أن أجيء بها
فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم .

[ابته تبكي حين رآته مقيداً]

قال ابن أبي سعد : وحدثني غير محمد بن عبد الله ؛ أنه حبس باليمن مدة طويلة ، ثم أشخص إلى المهدي ، فقال وهو في الحبس ، ودخلت إليه ابنته حنناء ، فلما رأت قيوده بكت ، فقال :

لقد أصبحت حنناء تبكي لوالدي
أحنناء صبراً ، كل نفس رهينة
أحنناء أسباب المنايا بمرصد
أحنناء إن أفليت من السجن تلقني
بدرّة عين قل عنه غناؤها
بموت ومكوت عليها بلاؤها
فإلاً يعاجل غدوها فمساؤها
حُتوف منايا لا يُردّ قضاؤها

1 روقة الرقيق : جمع رائقة ، أي حسان الرقيق .

أُحْجِنَاءُ إِنْ أَضْحَى أَبُوكَ وَدَلَّوْهُ
تَعَرَّتْ عُرَا مِنْهَا وَرَثَ رِشَاؤُهَا
لَقَدْ كَانَ يُدْلي فِي رِجَالٍ كَثِيرَةٍ
فِيْمَتَحَ مَلَأَى وَهِيَ صَفْرٌ دِلَاؤُهَا
أُحْجِنَاءُ إِنْ يَصْبَحُ أَبُوكَ وَنَفْسُهُ
قَلِيلٌ تَمْنِيهَا قَصِيرٌ عَزَاؤُهَا
لَقَدْ كَانَ فِي دُنْيَا تَفِيًّا ظِلُّهَا
عَلَيْهِ وَمَجْلُوبٌ إِلَيْهِ بَهَاؤُهَا

[يمدح ثمامة العبيسي]

قال ابن أبي سعد : ولما دخل نُصَيْبٌ على المهديِّ مُقَيِّدًا رَفَذَهُ ثَمَامَةُ بن الوليد العبيسيّ عنده واستعطفه له ، وسوَّغَ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نُصَيْبٌ في متقدِّم الأيَّام منقطعاً إلى أخيه شَيْبَةَ فقال فيه :

[من الكامل]

أُثْمَامُ إِنَّكَ قَدْ فَكَّكَ ثُمَامَا
حَلَقًا بَرْنَيْنٍ مِنَ النَّصِيبِ عِظَامَا
حَلَقًا تَوَسَّطَهَا الْعَمُودُ فَلَزَّهَا
لَوْلَا ثَمَامَةٌ وَإِلَالُهُ لِدَامَا¹
اللَّهُ أَنْقَذَنِي بِهِ مِنْ هُوَّةٍ
تِيهَاءٍ مُهْلِكَةٍ تَكُونُ رِجَامَا
فَلَأَشْكُرَنَّكَ يَا ثَمَامَةُ مَا جَرْتُ
فِرْقُ السَّحَابِ كَنَهْوَرَا وَرُكَامَا²
وَلَأَشْكُرَنَّكَ يَا ثَمَامَةُ مَا دَعْتُ
وُرْقُ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصُونِ حَمَامَا
وَخَلَفْتَ شَيْبَةَ فِي الْمَقَامِ وَلَا أَرَى
كَمَقَامِ شَيْبَةَ فِي الرِّجَالِ مَقَامَا
أَغْنَى إِذَا التَّمَسَّ الرِّجَالُ غَنَاءَهُ
فِي كُلِّ نَازِلَةٍ تَكُونُ غَرَامَا
وَأَعْمُ مَنْفَعَةٍ وَأَكْرَمُ حَائِطَا
تَهْدِي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامَا
لَا يَبْعَدُنْ ابْنُ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ
قَدْ نَالَ مِنْ كُلِّ الْأُمُورِ جِسَامَا³
لَوْ مِنْ سِوَى رَهْطِ النَّبِيِّ خَلِيفَةً
يُدْعَى لَكَانَ خَلِيفَةً وَإِمَامَا

[يكي شَيْبَةَ أَخَا ثَمَامَةَ]

قال ابن أبي سعد : ودخل نُصَيْبٌ على ثَمَامَةَ بعد وفاة أخيه شَيْبَةَ ، وهو يفرِّقُ خِيَلَهُ على النَّاسِ ، فأمر له بفِرسٍ منها ؛ فأبى أَنْ يَقْبِلَهُ ؛ وبكى ، ثم قال :

[من البسيط]

- 1 لَزَّهَا : أَصْقَهَا .
- 2 كَنَهْوَرَا : قِطْعًا مِنَ السَّحَابِ . رُكَامَا فِي ل : جِهَامَا وَهُوَ سَحَابٌ لَا يَمُطِرُ ، وَالرُّكَامُ : التُّرَاكُمُ الْمُتَجَمِّعُ .
- 3 نَالَ مِنْ كُلِّ الْأُمُورِ فِي ل : قَدْ كَانَ نَالَ مِنَ الْأُمُورِ .

يا شَيْبَةَ الْخَيْرِ إِمَّا كُنْتُ لِي شَجَنًا آلَيْتُ بَعْدَكَ لَا أَبْكِي عَلَى شَجَنِ
أُضْحَتُ جِيَادُ أَبِي الْقَعْقَاعِ مُقْسَمَةً فِي الْأَقْرَبِينَ بَلَا مَنْ وَلَا تَمْنُ¹
وَرَثْتَهُمْ فَتَعَزَّوْا عَنْكَ إِذْ وَرَثُوا وَمَا وَرِثْتُكَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

فَجَعَلَ ثُمَامَةً وَمَنْ عِنْدَهُ حَاضِرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ يَكُونُ .

وَشَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ هَذَا وَأَخُوهُ مِنْ وَجْهِ قَوَادِ الْمَهْدِيِّ .

[اليزيدي يهجو شيبَةَ]

وَفِي شَيْبَةَ يَقُولُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ يَهْجُوهُ ، وَكَانَ عَارِضَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّحْوِ بِحَضْرَةِ

الْمَهْدِيِّ :

[مِنْ الْخَفِيفِ]

عِشْ بِجَدِّ فَلَنْ يَضُرَّكَ نَوْكُ إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْقَيْ سَيِّ جَهْلًا أَوْ شَيْبَةَ بْنَ الْوَلِيدِ

أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَبِيهِ .

[يَهْجُو مَنْ لَا يَجِيزُهُ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشَرَ
الْبَجَلِيُّ عَنْ النَّضْرِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : أَتَى نَصِيبٌ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
وَهُوَ يَتَقَلَّدُ صِنْعَاءَ لِلْمَهْدِيِّ ، فَمَدَحَهُ ، فَلَمْ يُبَيِّهِ ، وَاسْتَكْسَاهُ بُرْدًا فَلَمْ يَكْسُهُ ، فَقَالَ
يَهْجُوهُ :

[مِنْ الطَّوِيلِ]

سَأَكْسُوكَ مِنْ صِنْعَاءٍ مَا قَدْ كَسَوْتَنِي مَقْطَعَةً تَبْقَى عَلَى قَدَمِ الدَّهْرِ
إِذَا طُوِيَتْ كَانَتْ فُضُوحُكَ طَيِّهَا وَإِنْ نُشِرَتْ زَادَتْكَ خَزْيًا عَلَى النَّشْرِ²
أَغْرَكَ أَنْ يَبْضُتَ بَيْتَ حَمَامَةٍ وَقُلْتُ : أَنَا شَبْعَانُ مُتَفَجِّ الْخَضْرِ³
لَقَدْ كُنْتُ فِي سَلْحٍ سَلَحْتُ مَخَافَةَ الْ حَرُورِيَّةِ الشَّارِبِينَ دَاعٍ إِلَى الضَّرِّ⁴

1 مَنْ فِي ل : حَمَل .

2 خَزْيًا فِي ل : طَيِّهَا .

3 مُتَفَجِّج : مُرْتَفِع .

4 الْحَرُورِيَّةُ : طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْيَمَنِ ، كَانَتْ مِنْ أَتْبَاعِ نَجْدَةَ بْنِ عُوَيْمِر .

ولكنه يأبى بك البهرُ كلِّما جريتَ مع الجاري وضيقُ من الصدر¹

[مساجلة حول فرس]

قال النضر: وكان النُصيبُ مَلْعُونًا ، هَجَاءً ، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي فرساً فقبَّله ، ثم نديم خَوْفًا من ثِقَلِ الثَّوابِ ، فجعل يَعييبُ الفرسَ ، ويذكر بُطَاهُ وعَجْزَهُ ، فبلغ ذلك النُصيبَ ، فقال :

أعبتَ جوادنا ورغبتَ عنه وما فيه لعمركُ من مَعَابِ
وما بجوادنا عجزٌ ولكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثَّوابِ

فأجابه الربيعُ فقال :

رُويَدُكَ لا تكن عَجَلًا إلينا أتاك بما يسوءُك من جوابِ
وجدتُ جوادكم فذمًّا بطيئًا فما لَكُمْ لدينا من ثَّوابِ²

فلما كان بعد أيام رأى النُصيبُ الفرسَ تحتَ الربيعِ فقال له :

أخذتَ مُشَهَّرًا في كلِّ أرضٍ فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ
فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ
وجاريةً أضَلَّتْ والدَّنيها مولدةً وبيضاً وافياتِ
فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ
فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ فمَنَّمَةَ البيوتِ مُقَطَّعاتِ

فأجابه الربيعُ فقال :

بعثتَ بمقرِفٍ حَظِيمٍ إلينا بطيء الحُضُرِ ثم تقولُ : هاتِ⁴

فقال النُصيبُ :

في سبيلِ الله أودى قَرَسِي ثم عُلِّلْتُ بأَيَّاتِ هَزَجٍ
كنتُ أرجو من ربيع فرجاً فإذا ما عنده لي من فَرَجٍ

1 البهر : تتابع النفس من شدة الجري وانقطاعه من الإعياء .

2 القدم : الغليظ الجاني الأحمق .

3 الترهات : الأباطيل ومفردها ترمة .

4 المقرِف : ليست أمه عربية ولا أبوه . حطم : متكسر ، والحطم داء في قوائم الدابة والحضر : شدة عدو الفرس .

[بيض الدراهم بدل بيض الغواني]

قال : ثم خرج الربيعُ إلى مكّة ، وقد كان وعد النصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم ففعل ، فقال النصيب :

[من الطويل]

ألا أبلغا عني الربيعَ رسالةً ربيعَ بني عبد المَداني الأكارمِ
أعزّت عليك البيضُ لما أرغتها فرغتَ إلى إعدادِ بيض الدراهمِ¹
ألم ترَ أنّي غيرُ مستطرفٍ الغنى حديث وأنّي من ذُوبة هاشمِ
وأنت لم تهبطُ من الأرضِ تلعّةً ولا نجوةً إلّا بعهدي وخاتمي

[شعر حول طبق تمر]

قال : ثم قديم الربيعُ فأهدى إلى دُفافةَ بن عبد العزيز العبسيّ طبق تمر ، فقال فيه دُفافة :

[من الطويل]

بعثتَ بتمرٍ في طيّبي كأنّما بعثتَ بياقوتٍ توقّد كالجمِ
فلو أن ما تُهدي سنيّاً قيلته ولكنّا أهديتَ مثلك في القدرِ
كانّ الذي أهديتَ من بُعدٍ شقّةً إلينا من الملقى على ضيفّة الجسرِ

[من الطويل]

فأجابه الربيعُ فقال :

سَل الناسَ إما كنتَ لا بدّ طالباً إليهم بالأّ يحملوك على القدرِ
فإنّك إن تُحمّل على القدرِ لا تنل يدَ الدهرِ من برّ فتيلٍ ولا بحرِ
لقد كنتَ منّي في غدير وروضة وفي غسلِ جمٍّ وما شئتَ من خميرِ
وما كنتَ منّاءً ولكنّ كفرتني وأظهرتَ لي ذمّاً فأظهرتُ من عذري
لعمري لقد أعطيتَ ما لستَ أهله ولا أهلٌ ما يُلقى على ضيفّة الجسرِ

[من الطويل]

فبلغتْ أبياتهما نصيباً ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة :

رضيتكما حريصاً ومنعاً ولم يكن يهيجكما إلّا الحقييرُ من الأمرِ
متى يجتمع يوماً حريصٌ ومانع فليس إلى حميدٍ سبيلٌ ولا أجرِ

1 أرغتها : طلبتها . رغت : ملئت وخذت .

أحارٍ بن كعبٍ إنَّ عيساً تغلَّغَتْ
إلى السُرِّ من نجرانٍ في طلبِ التَّمْرِ
فكيفَ ترى عيساً وعيسٌ حريصةٌ
إذا طمِعتْ في التَّمْرِ من ذلك العَبْرِ¹
لقد كُتِّمَّا في التَّمْرِ لله أنتمَا
شبيهين بالمُلقي على ضِفَّةِ الجِسْرِ

[يرتجل مطولة في مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدثت من غير وجه : أنَّ النُّصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلماً ، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه ، فهم يُنشدونه ، ويأمر لهم بالجوائز ، ولم يكن امتدحه ، ولا أعدَّ له شيئاً . فلما فرغوا ، وكان يُروِّي قولاً في نفسه ، استأذن في الإنشاد ، ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله :

طرقك مئةً والمزار شطيب	وتثيك الهجران وهي قريب
لله مئة خلة لو أئتها	تجزى الوداد بوذها وتثيب
وكان مئة حين أتلع جيدها	رشاً أغن من الظباء ريب
نصفان ما تحت الموزر عاتك	دغص أغر وفوق ذاك قضيب ²
ما للمنازل لا تكاد تجيب	أنى يجيك جندل وجوب ³
جادتك من سبل الثريا ديمة	رياً ومن نوء السماك ذنوب
فلقد عهدت بك الحلال بغيطة	والدهر غص والجناح خصيب
إذ للشباب علي من ورق الصبا	ظل إذ غصن الشباب رطيب
طرب الفؤاد ولات حين تطرب	إن الموكل بالصبا لطروب
وتقول مئة ما ليثلك والصبا	واللون أسود حالك غريب
شاب الغراب وما أراك تشيب	وطالبك البيض الحسان عجيب
أعلاقه أسبابهن وإنما	أفنان رأسك فلفل وزيب

1 القبر من الشيء : الكثير .

2 العاتك : الخالص من الألوان المحمر من الطيب .

3 جوب : وجه الأرض الصلب .

لا تهزئي مني فَرَّتْ عَائِبٍ ما لا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ
ولقد يصاحِبُنِي الكرامُ وطالما يسمو إليَّ السَّيِّدُ المحجوبُ
وأَجُرُّ من حُللِ الملوكِ طرائفاً منها عليَّ عَصَائِبُ وَسَيِّبُ¹
وَأَسَالِبُ الحِسناءَ فضلَ إزارها فأصورُها وإزارُها مَسْلُوبُ²
وأقولُ منقوحَ البديِّ كأنَّه برَدُّ تنافسه التَّجَارُ قَشِيبُ³

يقولُ فيها في مدح الفضل :

والبرمكيُّ إذا تقاربَ سنُّه أو باعدتَه السنُّ فهو نجيبُ
خرِقَ العطاء إذا استهلَّ عطاؤه لا مُتَبِّعٌ مَنَّا ولا مَحسوبُ
يا آلَ برمكٍ ما رأينا مثلكم ما منكم إلا أَعْرُ وَهوبُ
وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هَيْتُهُ لجلاله إنَّ الجليلَ مَهيبُ
قَادَ الجيَادَ إلى العِدا وَكَانَتْهَا رَجُلُ الجِرادِ تَسْوِقُهُنَّ جُنُوبُ
قُبَاً تُبَارِي فِي الْأَعْنَةِ شُرْبَا تَدْعُ الحَزُونَ كَأَنَّهُنَّ سُهوبُ⁴
من كلِّ مضطربِ العنانِ كأنَّه ذُئِبٌ يبادِرُهُ الفريسةُ ذِيبُ
تهوي بكلِّ مغاورٍ عادته صِدْقُ اللِّقاءِ فما لَه تَكْذِيبُ
حتى صَبَّحَنَ الطَّالِبِيَّ بِعَارِضٍ فِيهِ المُنَايَا تَغْتَلِي وتُؤَبُ
خاف ابنُ عبد الله ما خَوَّفَتْهُ فَجَفَاكَ ثُمَّ أَتَاكَ وَهُوَ مُنِيبُ
ولقد رآكَ الموتُ إِلَّا أَنَّهُ بِالظَّنِّ يُخْطِئُ مَرَّةً وَيُصِيبُ
فرمى إِلَيْكَ بِنَفْسِهِ فَنَجَا بِهَا أَجَلٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي مَكْتُوبُ
فكسوته ثوبَ الأمانِ وإنَّه لا حَبْلُهُ وَاهٍ ولا مَقْضُوبُ
شِمْنَا إِلَيْكَ مَخِيلَةً لَا خُلْبًا فِي الشَّيْمِ إِذْ بَعْضُ البُرُوقِ خَلُوبُ

1 سيب : جمع سبيبة وهي شقة رفيقة من الثياب ، وقيل من الكتان خاصة .

2 أصورها : أميلها .

3 البدي : البديهة . ومنقوح الكلام ، مهذبه ومحرره وفي ل : مقترح .

4 قبا : ضواير ، مفرد أقب أو قباء . شرباً : خشنة يابسة ، جمع شارب .

إِنَّا عَلَى ثِقَةٍ وَظَنٍّ صَادِقٍ مِمَّا نُوَمِّلُهُ فَلَيْسَ نَخِيبُ

[يجيزه الفضل فيشكره]

قال : فاستحسنها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فقبضَها ، وَوَثَبَ قائماً ، وهو

يقول :

إِنِّي سَأَمْتَدِحُ الْفَضْلَ الَّذِي حُنَيْتْ	مَنَا عَلَيْهِ قُلُوبُ الْبِرِّ وَالضَّلَعُ
جَادَ الرَّبِيعُ الَّذِي كُنَّا نُوَمِّلُهُ	فَكَلْنَا بِرَبِيعِ الْفَضْلِ مَرْتَبِعُ
كَانَتْ تَطُولُ بَنَا فِي الْأَرْضِ نَجَعْتَنَا	فَالْيَوْمَ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ نَتَجَعُ
إِنْ ضَاقَ مَذْهَبُنَا أَوْ حَلٌّ سَاحَتَنَا	ضَنْكَ وَأَزَمَ فَعِنْدَ الْفَضْلِ مَتَسَعُ ¹
مَا سَلَّمَ اللَّهُ نَفْسَ الْفَضْلِ مِنْ تَلْفٍ	فَمَا أَبَالِي أَقَامَ النَّاسُ أَمْ رَجَعُوا
إِنْ يَمْنَعُوا مَا حَوَتْ مَنَا أَكْفَهُمْ	فَلَنْ يَضُرَّ أَبَا الْحَجَنَاءِ مَا مَنَعُوا
أَوْ حَلَّوْنَا وَزَادُوا عَنْ حِيَاضِهِمْ	يَوْمَ الشُّرُوعِ فَفِي غُدْرَانِكَ الشَّرْعُ ²
يَا مُمْسِكَا بِعُرَا الدُّنْيَا إِذَا خَشِيتِ	مِنْهَا الزَّلَازِلُ وَالْأَمْرُ الَّذِي يَقَعُ
قَدْ ضَرَسْتِكَ اللَّيَالِي وَهِيَ خَالِيَةٌ	وَأَحْكَمْتِكَ النَّهْيَ وَالْأَزْلَمُ الْجَذْعُ ³
فَغَادِرَا مِنْكَ حَزْناً عَنْ مُعَاسِرَةٍ	سَهْلَ الْجَنَابِ يَسِيراً حِينَ يَتَّبَعُ
لَمْ يَفْتَلِتْكَ نَقِيراً عَنْ مُخَادَعَةٍ	دَهْيُ الرِّجَالِ وَلِلْسَوَالِ تَنَخَّدُ ⁴
فَأَنْتَ مُضْطَلِّعٌ بِالْمَلِكِ تَحْمِلُهُ	كَأَبْرُوكَ بِثِقَلِ الْمَلِكِ مُضْطَلِّعُ

[يمدح زبيدة في موسم الحج]

قال ابن أبي سعد : لَمَّا حَجَّتْ أُمُّ جَعْفَرٍ زُبَيْدَةُ لَقِيَهَا النَّصِيبُ ، فترجَّلَ عن فرسه وأنشأ

يقول :

سَيَسْتَبْشِرُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ وَزَمَزَمَ بِأَمِّ وَلِيِّ الْعَهْدِ زَيْنِ الْمَوَاسِمِ

1 أزم : شدة .

2 حلأونا : منعونا الشرب .

3 الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذي لا يهرم .

4 دهى : أي الدهاء ، وهو جودة الرأي والبصر بالأمور .

ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنها
بنو هاشم زين البرية كلها
سليلة أملاك تفرغت الذرى
فوالله ما ندري : أفضل حديثها
يظنّ الذي أعطته منها رغبة
ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم¹
وأمّ ولي العهد زين هاشم
كرام لأبناء الملوك الأكارم
عليهم به تسمو أم المتقادم
يقصّ عليه الناس أحلام نائم

فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس ، فأعطيه بلا سرج ؛ فخلقها لما رحلت

وقال :

لقد سادت زيدة كل حي
تقى وسماحة وخلوص مجد
إذا نزلت منازلها قريش
بلغت من المفاخر كل فخر
وأعطيت اللهى لكن طرقي
وميت ما خلا الملك الهماما
إذا الأنساب أخلصت الكراما
نزلت الأنف منها والسناما
وجاوزت الكلام فلا كلاما
يريد السرج منكم واللجاما

فأمرت له بسرج ولجام .

[الحجباء ابنته تنشد المهدي]

قال ابن أبي سعد : خرج المهديّ يتنزّه بعيسى باذ² ، وقديم النصيب ، ومعه ابنته حجباء ،
فدخل على المهديّ ، وهي معه ، فأنشدته قولها فيه :

[من الخفيف]

رُبّ عيش ولذة ونعيم
بسط الله فيه أبهى بساط
ثم من ناضر من العُشب الأخضر
مدّه الله بالتّحاسين حتى
وبهاء بمشرق الميّدان
من بهار وزاهر الحوذان³
ضُرّ يزهو شقائق النعمان
قصرت دون طولهِ العَيْنان⁴

1 المحصَّب : موضع رمي الجمار بمنى .

2 عيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد .

3 بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .

4 التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

خُفِّقَتْ حَافَتَاهُ حَيْثُ تَنَاهَى بِخِيَامٍ فِي الْعَيْنِ كَالظُّلْمَانِ
زَيْنُوا وَسَطَهَا بِطَارِمَةٍ مِثْ لِرِ الثَّرِيَّا يَحْفُهَا النَّسْرَانِ¹
ثُمَّ حَشَوْهُ الْخِيَامَ بِيَضٍ كَأَمَّا لِرِ الْمَهَا فِي صَرَائِمِ الْكُتْبَانِ²
يَتَجَاوِزْنَ فِي غِنَاءٍ شَجِيٍّ «أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَانِ»³
فَبَقِصَرَ السَّلَامُ مِنْ سَلَمِ الدِّ هُ وَأَبْقَى خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ
وَلَدِيهِ الْغِزْلَانُ بَلْ هُنَّ أَبْهَى عِنْدَهُ مِنْ شَوَادِنِ الْغِزْلَانِ
يَالَهُ مَنْظَرًا وَيَوْمَ سُرُورٍ شَهِدْتُ لَذَّتِيهِ كُلُّ حَصَانٍ

فَأَمَرَهَا الْمَهْدِيُّ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَلَهُ بِمِثْلِهَا .

[الحجناء تمدح العباسة بنت المهدي]

قال : ثُمَّ دَخَلْتُ الْحَجَنَاءُ عَلَى الْعَبَّاسَةِ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ ، فَأَنْشَدَتْهَا تَقُولُ : [من الطويل]

أَتَيْنَاكِ يَا عَبَّاسَةَ الْخَيْرِ وَالْحَيَا وَقَدْ عَجَزَتْ أَذْمُ الْمَهَارِيِّ وَكَلَّتْ⁴
وَمَا تَرَكْتُ مِنْ السُّنُونِ بَقِيَّةً سَوَى رِمَّةٍ مِنْهَا مِنَ الْجَهْدِ رَمَتْ
فَقَالَ لَنَا مَنْ يَنْصَحُ الرَّأْيَ نَفْسَهُ وَقَدْ وَلَّتِ الْأَمْوَالُ عَنَّا فَقَلَّتْ
عَلَيْكِ ابْنَةُ الْمَهْدِيِّ عُذْوِي بِبَابِهَا فَإِنْ مَحَلَّ الْخَيْرِ فِي حَيْثُ حَلَّتْ

فَأَمَرْتُهَا بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَكُسُوةٍ وَطِيبٍ ، فَقَالَتْ : [من البسيط]

أَغْنِيْتِنِي يَا ابْنَةَ الْمَهْدِيِّ أَيَّ غَنَى بِأَعَجَرِينَ كَثِيرٍ فِيهِمَا الْوَرَقُ

أَيَّ : أَغْنَيْتِنِي عَلَى عَقْبِ مَا أَغْنَانِي أَخْوَكِ . بِأَعَجَرِينَ : بِكَيْسِينَ .

مِنْ ضَرْبِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مُحَكَّكَةً مِثْلَ الْمَصَائِيحِ فِي الظُّلْمَاءِ تَأْتَلِقُ

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 صرائم الكتبان : جمع صريمة ، وهي قطعة من الرمل .

3 نخلتنا حلوان : يطلق هذا الاسم على جملة قرى ، والمراد هنا حلوان العراق . وهذا الشطر في مطلع قصيدة مطيع بن إياس التي يقول فيه :

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَان وَابْكِيَانِي مِنْ رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ

4 أدم : جمع آدماء ، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً .

أَمَّا الْحَسُودُ فَقَدْ أَمْسَى تَغِيْظُهُ غَمًّا وَكَادَ بَرَجَعَ الرِّيقُ يَخْتِنِقُ
وَذُو الصَّدَاقَةِ مَسْرُورٌ بِنَا فَرَحٍ بَادِي الْبِشَارَةِ ضَاحٍ وَجْهُهُ شَرِيقُ

[يمدح إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد : كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقاً للنصيب ، وقدم قدمه من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً وتَمَرّاً ، فيحملونه على إيلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها : مَسْرُورَة ، فأردفها خلفه ، ومضى وهو يقول :

إِذَا احْتَقَبُوا بُرّاً فَأَنْتَ حَقِيقَتِي مِنْ الْبَشَرِيَّاتِ الثَّقَالِ الْحَقَائِبِ¹
ظَفَرْتُ بِهَا مِنْ أَشْعَثِيْ مُهَذَّبٍ أَغْرَ طَوِيلِ الْبَاعِ جَمُّ الْمَوَاهِبِ
فَدَى لَكَ يَا إِسْحَاقُ كُلُّ مَبْخَلٍ ضَجُورٍ إِذَا عَضَّتْ شِدَادُ النَّوَائِبِ
إِذَا مَا بَخِيلُ الْقَوْمِ غَيَّبَ مَالَهُ فَمَالُكَ عِدُّ حَاضِرٍ غَيْرُ غَائِبِ²
إِذَا اكْتَسَبَ الْقَوْمُ الثَّرَاءَ فَإِنَّمَا تَرَى الْحَمْدَ غُنْماً مِنْ كَرِيمِ الْمَكَاسِبِ

وقال فيه أيضاً :

فَتَى مِنْ بَنِي الصَّبَّاحِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَمَا اهْتَزَّ مَسْنُونُ الْغِرَارِ عَتِيقُ
فَتَى لَا يَذُمُّ الضَّيْفُ وَالْجَارُ رِفْدَهُ وَلَا يَجْتَوِيهِ صَاحِبٌ وَرَفِيقُ³
أَغْرَ لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ مَوَارِدُ إِلَى بَيْتِهِ تَهْدِيهِمْ وَطَرِيقُ
وَإِنْ عُدَّ أَنْسَابُ الْمُلُوكِ وَجَدَتْهُ إِلَى نَسَبِ يَعْلُوهُمْ وَيَفُوقُ
فَمَا فِي بَنِي الصَّبَّاحِ إِنْ بَعُدَ الْمَدَى عَلَى النَّاسِ إِلَّا سَابِقُ وَعَرِيقُ
وَإِنِّي لِمَنْ شَاحَتْهُمْ لُمُشَاحِنٌ وَإِنِّي لِمَنْ صَادَقْتُمْ لَصَدِيقُ

[يمدح خزيمه بن خازم]

قال : وكان النصيب إذا قديم على المهدي استهده القواد منه ، وسأله أن يأمره بزيارتهم ،

1 البشريات في ل : المسريات .

2 القوم في ل : المال . مالك عد : أي كثير ، ولعل تشبيهه بالماء العد وهو الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البحر .

3 يجتويه : يكرهه .

فكان فيمن استزاره خُزَيْمَةُ بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : [من الوافر]

وجدْتُكَ يا خُزَيْمَةُ أُرِيحِيًّا بما تحوي وذا حَسَبٍ صَمِيمٍ
تميمٌ كانَ خيرَ بني معدٍّ وأنتَ اليومَ خيرُ بني تميمٍ
سوى رهطِ النبيِّ وهم أديمٌ وأنتَ قُدِّدْتَ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا أَفْضَلَ الناسِ عُوداً عندَ مَعْجَمِهِ إذا تَفاضَلَ يوماً مَعْجَمُ العُودِ
إِنِّي لواحدُ شعِرٍ قد عُرِفْتُ به وذا خُزَيْمَةُ أَضحى واحدَ الجودِ
إن يعطكَ اليومَ معروفاً يَعِدُكَ غداً فأنتَ في نائلٍ منه وموعودِ
وقد رأينا تَمِيماً غيرَ مُكْرَهَةٍ أَلَقْتَ إِلَيْكَ جميعاً بالمقاليدِ
فأنتَ أَكْرَمُها نفساً وأَفْضَلُها إنَّ الصناديدَ أبناءَ الصناديدِ

قال : وكان في غزاة سَمالو¹ مع المهديّ ، فوقف به فرسه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد الله بن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجَنَّبُ² فقال له : قد ترى قيامَ فرسي تحتي ، فاردُّدْ إليَّ جَنِيْبَكَ حتى يتروَّحَ فرسي ساعة ، فسكَّتْ ، ولم يُجِبْهُ فقال فيه : [من الطويل]

أُنادي بأعلى الصوتِ جَعْدًا وقد يَرى مكاني ولكن لا يُجِيبُ وَيَسْمَعُ
ولم يَرِنِّي أَهلاً لِحُسْنِ إجابة ولا سُوءِها إِنِّي إلى الله أَرْجِعُ
فلو أَتَيْتُ جازيتُ جَعْدًا بِفعله لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوْضِعُ
ولكنني جافيتُ عنه لغيره بِحُسْنِ الذي يَأْتِي إِلَيَّ وَيَصْنَعُ
رَأَيْتُكَ لم تحفظَ قِرابَةً بيننا وما زالتِ القُرْبى لدى الناسِ تَنْفَعُ

[لا يريد شريكاً]

قال : وسألَ عُبَيْدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إِيَّاه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال : [من البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعْتُ به وقد تملَّقتُه لو ينفعُ الملقُ

1 سمالو : من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس .

2 فرس يجنب : يُقاد إلى آخر .

فَعَادَ يَسْأَلُ مَا أَصْبَحْتُ سَائِلَهُ فَكُنَّا سَائِلَ فِي الْحِرْصِ مُتَفِقُ
أَحِينَ سَارَ مَدِيحِي فِيكُمْ طُرْقًا وَحَيْثُ غَنَّتْ بِهِ الرُّكْبَانُ وَالرُّفُقُ
قَطَعْتَ حَبْلَ رَجَاءٍ كُنْتُ آمِلُهُ فِيمَا لَدَيْكَ فَأَضْحَى وَهُوَ مُنْحَذِقُ¹
قَدْ كَانَ أَوْرَقَ عُودِي مِنْ أَيْكَ فَقَدْ لَحَيْتُ عُودِي فَجَفَّ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
مَنْ نَازَعَ الْكَلْبَ عَرْقًا يَرْتَجِي شَيْعًا كَمَصْطَلٍ بِحَرِيقٍ وَهُوَ يَحْتَرِقُ²

[الفضل بن يحيى يستقل ما أعطاه]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : كَسَبَ إِلَيَّ أَبُو
مُحَمَّدٍ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ : أَنْشَدْتُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى قَوْلَ أَبِي الْجَحْنَاءِ
نُصَيْبٍ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبِرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسَرَّ بِهَا الثَّرَى أَشَرَ النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ³
فَإِذَا نَكِرْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

قَالَ : فَأَعْجِبَهُ الشَّعْرُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، كَانِي وَاللَّهِ لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ ،
وَمَا لَهُ عِنْدِي عَيْبٌ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكَافُهُ عَلَيْهِ . قَالَ : قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، وَقَدْ
وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ بِمُكَافَأَةٍ لَهُ ، فَكَيْفَ
ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ !

[جود الفضل جعل الناس كلهم شعراء]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ قَالَ :
كَانَ أَبِي يَسْتَمْلِحُ قَوْلَ نُصَيْبٍ وَقَدْ رَأَى كَثْرَةَ الشُّعْرَاءِ عَلَى بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى . فَلَمَّا
دَخَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ

1 منحذق : منقطع . وفي ل : منخرق .

2 عَرْقًا : عظمًا .

3 أَشَرَ النَّبَاتِ : ازدهر .

[من الطويل]

ويقول : ما في الدنيا أحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنه قد أخذ منهم مالا جليلاً ولكن قلما سمعتُ بطبقته مثله .

صوت

[من الكامل]

طاف الخيالُ ولان حينَ تطرُبِ أن زار طيف موهباً من زينبِ
 طرقتُ فنفرتِ الكرى عن نائمٍ كانتُ وسادته ذراعَ الأرحبي¹
 فبكى الشبابَ وعهده وزمانه بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأشيبِ
 عروضة من الكامل ، الشعر لأبي شُرَاعَةَ القَيْسِيِّ ، والغناء للدَّعَامَةِ البَصْرِيِّ خفيف رَمَل
 بالبنصر من كتاب الهشاميّ .

1 الأرحبيّ : الجمل المنسوب إلى أرحب ، وهي قبيلة من همدان .

[501] - أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما كتب به إلينا ابنه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شراعة من أخباره ونسبه ، أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نعيم بن خالد بن عبدة بن مالك بن مرة بن عبّاد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل : شاعرٌ بصريٌّ من شعراء الدولة العبّاسيّة جيّد الشعر جزله ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللفظ ، وهو كالبدويّ الشعر في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكانت به لؤثة وهوج .

وأُمّه من بني تميم من بني العنبر ، وابنه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شراعة أحدُ الشعراء الرّواة ، قديم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عند أصحابنا قطعاً من الأخبار واللّغة ، وفاتني فلم ألقه ، وكتب إليّ وإلى أبي ، رحمه الله ، بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .
[يهب نعله ويمشي حافياً]

فمنها ما حكاه عنه أنّه كان جواداً لا يُليق¹ شيئاً ، ولا يُسأل ما يقدر عليه إلاّ سمح به ، وأنّه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً ، فعثر فذميت إصبعُه فقال في ذلك :

وإن نقيت نعلاي أو خفيت رجلي ²	ألا لا أبالي في العُلا ما أصابني
من النكب يدمي في المواساة والبذل ³	فلم تر عيني قط أحسنَ منظراً
إذا بقيت عندي السراويل أو نعلي ⁴	ولست أبالي من تأوب منزلي

1 لا يُلِيق : لا يمسك .

2 نقيت نعلاي : رقت أو ثقيت .

3 من النكب يدمي : وهو صدم الحجارة الرّجل .

4 تأوب منزلي : زارني ليلاً .

[أخوه يقول إنه مجنون فينشد شعراً]

قال : وبلغه أن أخاه يقول : إن أخي مجنون ، قد أفقرنا ونفسه ، فقال : [من الطويل]

أَنْتَبِرُ مَجْنُوناً إِذَا جُدْتُ بِالَّذِي مَلَكْتُ وَإِنْ دَافَعْتَ عَنْهُ فَعَاقِلُ¹
فَدَامُوا عَلَى الزُّورِ الَّذِي قُرِفُوا بِهِ وَدَمْتُ عَلَى الْإِعْطَاءِ مَا جَاءَ سَائِلُ¹
أَبَيْتُ وَتَأَبَى لِي رَجَالُ أَشْحَةً عَلَى الْمَجْدِ تَنْمِيهِمْ تَمِيمٌ وَوَائِلُ²

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

أُتِنُ كُنْتُ فِي الْفَتَيَانِ آلِوتَ سِيدَا كَثِيرَ شُحُوبِ اللَّوْنِ مُخْتَلِفَ الْعَصَبِ
فَمَا لَكَ مِنْ مَوْلَاكَ إِلَّا حِفَاطُهُ وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِاللِّسَانِ وَبِالْقَلْبِ
هُمَا الْأَصْغَرَانِ الذَّائِدَانِ عَنِ الْفَتَى مَكَارِهِهِ وَالصَّاحِبَانِ عَلَى الْخَطْبِ
فَالْأُطْلُقُ سَعْيَ الْكَرَامِ فَإِنِّي أَفْكُ عَنْ الْعَانِي وَأُصْبِرُ فِي الْحَرْبِ

[قصة لحن]

أخبرني عمي قال : أخبرني ميمون بن هارون قال : حدثني إبراهيم بن المنذر قال : كان عندي أبو شُرَاعَةَ بالبصرة ، وأنا أتولأها ، وكان عندي عمير المغني المدني ، وكان عمير بن مرة غَطَفَانِيًّا ، وكان يغني صوتاً يُجِيدُهُ ، واختاره عليه وهو :

أَتَحْسِبُ ذَاتَ الْخَالِ رَاجِيَةً رَبًّا وَقَدْ صَدَعْتُ قَلْبًا يُجَنُّ بِهَا حَبًّا
فَاقْتَرَحَهُ أَبُو شُرَاعَةَ عَلَى عُمَيْرٍ ، فَقَالَ : أُعْطِنِي دَرَاهِمَ ، حَتَّى أَقْبَلَ اقْتِرَاحَكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو شُرَاعَةَ : أَخْذُ الْمَغْنَى مِنَ الشَّاعِرِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الشَّاعِرِ ، وَلَكِنِّي أَعْرَضْتُكَ لِأَيِّ إِسْحَاقٍ ، فَغَنَاهُ إِيَّاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقَدْ شَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ . وَقَالَ : [من الطويل]

عَدَوْتُ إِلَى الْمُرِيِّ عِدْوَةً فَاتِلِكِ مِيعَنَ خَلِيعٍ لِلْعَوَازِلِ وَالْعُذْرِ³
فَقَالَ لَشَيْءٍ مَا أَرَى قَلْتُ : حَاجَةً مُغْلَغَلَةً بَيْنَ الْمَخْنَقِ وَالنَّحْرِ⁴

1 قرفوا به : وصموا .

2 رجال أشعة : جمع شحيح ، أي بخيل .

3 مِيعَنَ : مبالغ في العناء والتجشّم .

4 مغلغلة : داخلة ممعنة . المخنق : موضع الخناق .

فَلَمَّا لَوَانِي يَسْتَثِيب زَجْرَتُهُ وَقَلْتُ : اغْتَرِفْ إِنَّا كَلَانَا عَلَى بَحْرِ
أَلَيْسَ أَبُو إِسْحَاقَ فِيهِ غِنًى لَنَا فَيُجِدِي عَلَى قَيْسٍ وَأُجِدِي عَلَى بَكْرِ
فَغَنَّى بِذَاتِ الْخَالِ حَتَّى اسْتَخَفَّنِي وَكَادَ أَدِيمُ الْأَرْضِ مَنْ تَحْتَنَا يَجْرِي

[ابن المديني يعطيه عشرة آلاف درهم]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ قَالَ : كَانَ أَبُو شُرَاعَةَ صَدِيقًا لِابْنِ الْمَدِينِ أَيَّامَ تَقْلُدِهِ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ حَاجَةٌ يَسْأَلُهُ إِلَّاهَا ، وَلَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهُ ، فَلَمَّا عَزَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدِينِ شَيْعَةَ النَّاسِ ، وَشَيْعَهُ أَبُو شُرَاعَةَ ، فَجَعَلَ يَرُدُّ النَّاسَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا شُرَاعَةَ غَايَةُ كُلِّ مَوَدِّعٍ الْفِرَاقُ ، فَانصَرَفَ رَاشِدًا مَكْلُوءًا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي وَاللَّهِ وَلَا مَلْلٍ ، وَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَعَانَقَهُ أَبُو شُرَاعَةَ ، وَبَكَى ؛ فَاطَالَ ، ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

[من الرمل]

يَا إِسْحَاقَ سِرٌّ فِي دَعَايَ وَامضِ مَصْحُوبًا فَمَا مِنْكَ خَلْفُ
لَيْتَ شَعْرِي أَيُّ أَرْضٍ أُجِدْتُ فَأُغِيثَتْ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْعَجْفُ
نَزَلَ الرَّحْمُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ وَحُرْمَتِكَ لِذَنْبٍ قَدْ سَلَفُ
إِنَّمَا أَنْتَ رَيْبِعٌ بَاكِرٌ حَيْثُمَا صَرَفَهُ اللَّهُ اتصَرَفُ

[خلاف حول هلال رمضان]

قَالَ أَبُو الْفَيَاضِ سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ : دَخَلَ أَبِي عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِينِ وَعِنْدَهُ مُنَجِّمٌ ، فَمَارَاهُ¹ ابْنُ الْمَدِينِ فِي رُؤْيَا الْهِلَالِ لَشَهْرِ رَمَضَانَ ؛ فَحَكَمَ الْمُنَجِّمُ بِأَنَّهُ يُرَى ، وَحَلَفَ إِبْرَاهِيمُ بِعِتْقِ غِلْمَانِهِ أَنَّهُ لَا يُرَى ، فَرُئِيَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَأَعْتَقَ غِلْمَانَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ النَّاسُ يَهْتَشُونَهُ بِالشَّهْرِ ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو شُرَاعَةَ يَقُولُ :

[من الخفيف]

أَيُّهَا الْمَكْتَرُ التَّجَنُّسِي عَلَى الْمَا لِ إِذَا مَا خَلَا مِنْ السُّؤَالِ
أَفْنَيْتَا فِي الذِّينِ أَعْتَقْتَ بِالْأَمْرِ سِ مَوَالِيكَ أَمْ مَوَالِي الْهِلَالِ
لَمْ يَكُنْ وَكَذَلِكَ الْهِلَالُ وَلَكِنْ تَتَأَلَّى لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
إِنَّمَا لَذْتَكَ فِي الْمَالِ شَتَّى صَوْنُكَ الْعِرْضَ وَابْتِدَالُ الْمَالِ

ما نُبالي إذا بقيتَ سليماً من تولّتْ به صروفُ الليالي

[لا يدعى فيغضب]

قال أبو الفياض : وكان أبو شُراعةَ صديقَ السُّدري ، فدعا يوماً إخوانه ، وأغفل أبا شُراعةَ . فمرَّ به الرياشي ، فقال : يا أبا شُراعةَ ، أَلستَ عِنْدَ السُّدري معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرَّ به جماعة من إخوانه ، فسألوه عن مثل ذلك ، ومرَّ به عيسى بن أبي حرب الصَّفار ، وكان ممن دُعِيَ ، فجلس وحَلَفَ ألاَّ يبرَحَ حتى يأتِيه السُّدري ، فاعتذر إليه ، ويدعوه ، فقال أبو شُراعةَ :

أَيْرَ حمارٍ في حِرٍّ أمَّ شِعْري	ونُصِيتاه في حِرٍّ أمَّ قَدْري
إنَّنا لم أَشْفَعْهُما بِوَفْرِ	لو كنتُ ذا وَفَرٍ دَعاني السُّدري
أو كان من همِّ هشامٍ أُمري	أو راح إبراهيمُ يُطْري ذكري
وابن الرياشي الضعيفُ الأسر	يخافُ إنَّ أَرَدَفَ أَلَّا يَجْري
وأنتَ يا عيسى سقاكَ المُسْري	نعمَ صديقُ عُسْرةٍ ويُسرِّ

[لا يستعين بإخوانه في بناء داره]

قال أبو الفياض : سقطتُ دارنا بالبصرة ، ففوتَبَ أبي على بنائِها ، وقيل له : استعن بإخوانك إن عجزتَ عنه فقال :

[من الطويل]

تَلومُ ابنةَ البكريِّ حينَ أُووبها	هَربلاً وبعضَ الآبِينَ سَمينُ
وقالتُ : لحاكَ اللهُ تَسْتَحْسِنُ العَرا	عن الدارِ إنَّ النَّائِباتِ فُنونُ
وحولكَ إخوانُ كرامٍ لَهم غِنى	فقلتُ لإخواني : الكَرامُ عُيونُ
ذَرِني أُمْتُ قَبلَ احتِلالِ حِلَّةٍ	لها في وُجوهِ السَّائِلينَ غُضونُ
سأفْدي بِمالِي ماءً وَجَهيَّ إِنني	بما فيه من ماءِ الحِياءِ ضَينُ

[في ليالي شهر رمضان]

قال سَوَّار بن أبي شُراعة : كان إخوانُ أبي يجتمعون عند الحُسين بن أيوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان ، فيهمُ الرياشي والجَمَّاز ، فقال أبي في ذلك : [من البسيط]

لو كنتُ من شِيعَةِ الجَمَّاز أَقعدني مقاعداً قُربَهُنَّ الرِيفُ والشَّرْفُ

لكنني كنت للعباس متبعاً وليس في مركب العباس مرتدفاً
قد بقيت من ليالي الشهر واحدة فعاودوا مالح البقال وانصرفوا

[طلاقه ليلة عرس نديمه]

قال : وتزوج نديم لأبي شراة يقال له بيان امرأة ، فاتفق عرسه في ليلة طلق فيها أبو شراة امرأته ، فعوتب في ذلك ، وقيل : بات بيان عروساً ، وبت عزباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأت عرسَ بيانٍ فهبت تلومني رويدك لوماً فالمطلق أحوطُ
رويدك حتى يرجع البرُّ أهله ويرحمُ ربُّ العرس من حيث يُغبطُ
إذا قال للطحّان عند حسابه أعذ نظراً إنني أظنك تغلطُ
فما راعه إلا دعاءً وليدةً هلم إلى السواق إن كنت تنشطُ
هنالك يدعو أمه فيسبها ويلتبس الأجر العقوق فيحبطُ
فإذا العلاء إنني لفضلك شاكرُ أبيت وحيداً كلما شئت أضرتُ

[يشمت في بيان]

قال : ثم بلغه عن بيان هذا أنه عجز عن امرأته ، ولم يصل إليها ، ولقي منها شراً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رمى الدهرُ في صحبي وفرق جلاسي وباعدهم عني بظعنٍ وإعراسِ
فكلهم يبغي غلافاً لأيره وأقعدني عن ذاك فقري وإفلاسي
فشكراً لربي خان بيان أيره وأسعى بأيري في الظلام على الناسِ
يمسحه بالكف حتى يقيمه وهل ينفع الكفان من ثقل الرأسِ

[أولادنا أكبادنا]

وقال أبو الفياض سوار : نظر إلي أبي يوماً وقد سألت عمي حاجة فردني ، فبكى ، ثم قال :

جبي لإغناء سوارٍ يُجشمني خوص الدجى واعتساف المهمة البيدي
كي لا تهون على الأعمام حاجته ولا يعلل عنها بالمواعيدي
ولا يولّهم إن جاء يسألها أكتاف معرضة في العيس مردودي

إذا بكى قال منهم ذو الحِفاظ له لقد بُليت بخلقٍ غيرِ محمودٍ
[يصف صنع النبيذ]

قال : وتَمَارَى أَبُو شُرَاعَةَ وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ فِي النَّبِيذِ ، فَجَعَلَ الْبَغْدَادِيُّ يَذُمُّ نَبِيذَ التَّمْرِ
وَالدَّبْسِ ، فَقَالَ أَبُو شُرَاعَةَ :

إذا انتخبْتَ حَبَّهُ وَدَيْسَهُ ثم أَجَدْتَ ضَرِبَهُ وَمَرَسَهُ¹
ثم أَطَلْتَ فِي الْإِنَاءِ حَبْسَهُ شَرِبْتَ مِنْهُ الْبَابِلِيُّ نَفْسَهُ
[دراهمه تغني عن سؤال بخيلين]

قال : وَأَعُوذُ أَبَا شُرَاعَةَ يَوْمَئِذٍ النَّبِيذُ ، فَطَلَبَ مِنْ نَدِيمَيْنِ كَانَا لَهُ ، فَاعْتَلَّ أَحَدُهُمَا بِحَلَاوَةِ
نَبِيذِهِ ، وَالْآخَرُ بِحُمُوضَتِهِ ، فَاشْتَرَى مِنْ نَبَازٍ يَقَالُ لَهُ : أَبُو مَظْلُومَةٍ دَسْتِيجَةٍ² بِدِرْهَمَيْنِ ، وَكُتِبَ
إِلَيْهِمَا :

سُيْغَنِي عَنْ حَلَاوَةِ دِبْسٍ يَحْيَى وَيُغْنِي عَنِ حُمُوضِ أَبِي أُمَيَّةَ
أَبُو مَظْلُومَةٍ الشَّيْخُ الْمُؤَلَّى إِذَا اتَّزَنْتُ يَدَاهُ دِرْهَمِيَّةَ
أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ أَبُو شُرَاعَةَ قَبِيحَ الْوَجْهِ
جَدًّا ، فَنَظَرَ يَوْمًا فِي الْمَرَاةِ ، فَأَطَالَ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَحْمَدُ عَلَى الشَّرِّ غَيْرُهُ .
[يؤثر النبيذ على امرأته]

قال سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ : حَلَفَ أَبِي الْأَ لَا يَشْرَبُ نَبِيذًا بِطَلَاقِ امْرَأَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ ، فَهَجَرَهُ
حَوْلَيْنِ ، ثُمَّ حَبِثَ ، فَشَرِبَ ، وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فَمَنْ كَانَ لَمْ يَسْمَعْ عَجِيْبًا فَإِنِّي عَجِيبُ الْحَدِيثِ يَا أُمَيْمَ وَصَادِقُهُ
وَقَدْ كَانَ لِي أَنْسَانُ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَكُلُّ إِذَا فَتَشْتَنِي أَنَا عَاشِقُهُ
عَزِيزَةُ وَالْكَأْسُ الَّتِي مِنْ يُحَلِّهَا تُخَادِعُهُ عَنْ عَقْلِهِ فَتَصَادِقُهُ
تَحَارَبَتَا عِنْدِي فَعَطَّلْتُ دَنَّهَُا وَأَكْوَابُهَا وَالذَّهْرُ جَمٌّ بَوَائِقُهُ³
وَحَرَّمْتُهَا حَوْلَيْنِ ثُمَّ أَرْزَلَنِي حَدِيثُ النَّدَامَى وَالنَّشِيدُ أَوَافِقُهُ

1 انتخبته حبه : دنه وزيره . ضربه ومرسه : نغمه من الماء ودعكه باليد .

2 دسْتِيجَةٌ : إِنْاءٌ مِنْ زَجَاجٍ .

3 بَوَائِقُهُ : جَمْعُ بَائِقَةٍ بِمَعْنَى مُصِيبَةٍ .

فلما شربت الكأس بانث بأختها فبان الغزال المستحب خلأته
فما أطيب الكأس التي اعتضت منكم ولكنها ليست برسم أعانته

[في مجلس الحسن بن رجاء]

قال أبو الفياض : قال أبي : قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز ، فصادفت بياه
دعبل بن علي الخزاعي وجماعة من الشعراء ، وقد اعتل عليهم بدني لزمه ومصادرة¹
فكتب إليه :

المال والعقل شيء يستعان به على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم أنني منهما عطل إذا تأملتني يا ابن الدهاقين
هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل سواك يصلح للدنيا وللدين

قال : فوعدنا وعداً قرّبه ، ثم تدافع ، فكتب إليه :

آذنت جبتي بأمر قبيح من فراق الطليسان الفسيح
فكأنني بمن يزيد على الجب في ظل دار سهل بن نوح
أنت روح الأهواز يا ابن رجاء أي شيء يعيش إلا بروح

فأذن لي وللجماعة ، وقضى حوائجنا .

[يخدع أبناء سعيد بناعة عجفاء]

قال أبو الفياض وحدّثني أبي قال : حججت ، فأتيت دار سعيد بن سلم ، فنحرت فيها
ناقة ، وقلت :

وردت دار سعيد وهي خالية وكان أبيض مطعماً ذرى الإبل
فارتحت فيها أصيلاً عند ذكرته وصحبتني بمنى لاهون في شغل
فابتعت من إبل الجمال دهشة موسومة لم تكن بالحقة العطل²
نحرتها عن سعيد ثم قلت لهم : زوروا الحطيم فإنني غير مرتحل
قال : وبلغت الأبيات وفعلني ولده ، فأحسنوا المكافاة ، وأجزلوا الصلة ، قال : فقال له

1 مصادرة : مطالبة .

2 دهشة : ناقة كبيرة وفي ل : دوسرة . الحقة : الناقة التي دخلت في السنة الرابعة . والعطل : هي التي لا سمه لها ولا قلائد .

صديق له : وأنت أيضاً قد استجدتَ لهم النَحِيرَةَ ! فضحك ، ثم قال : أَعْرَكَ وصفِي لها ؟
أشهدُ الله أنِّي ما بلغتُ بها دار سعيد إلا بينَ عَمودَيْنِ .
[هو خير من تعوله أمه]

وقال أبو الفَيَّاض : كان أبو أَمَمة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ، وأمُّه
سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ، صديقاً لأبي شُرَاعَة ، وكانت أمُّه سُعدى تعوله ، فكان
أبو شُرَاعَة لا يزال يعبثُ به ، وبلغه أنَّ أبا أَمَمة يقول : إنَّما معاشُ أبي شُرَاعَة من السلطان
ورفده ، ولولا ذاك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عَيَّرَتَنِي نَائِلَ السُّلْطَانِ أَطْلُبُهُ يا ضَلَّ رَأْيُكَ بَيْنَ الْخُرْقِ وَالنَّزَقِ
لَوْلَا امْتِنَانُ مِنَ السُّلْطَانِ تَجْهَلُهُ أَصْبَحْتُ بِالسُّودْفِي مُقْعَوْعَسٍ خَلَقِ¹
السُّود : مَوْضِعُ تَنْزَلِهِ بِاهْلَةٍ بِالْبَادِيَةِ .

رَثَّ الرَّدَا بَيْنَ أَهْدَامِ مَرْقَعَةٍ يَبِيتُ فِيهَا بَلِيلُ الْجَائِعِ الْفَرِقِ
لَا شَيْءَ أَثْبَتُ بِالْإِنْسَانِ مَعْرِفَةً مِنْ الَّتِي حَزَمَتْ جَنْبِيهِ بِالْخِرْقِ
فَأَيْنَ دَارُكَ مِنْهَا وَهِيَ مُؤَمَّنَةٌ بِاللَّهِ مَعْرُوفَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّقَقِ
وَأَيْنَ رِزْقُكَ إِلَّا مِنْ يَدَيِّ مَرَّةٍ مَا بَتَّ مِنْ مَالِهَا إِلَّا عَلَى سَرَقِ
تَبِيتَ وَلَهْرٌ مَمْدُوداً عِيُونَكَمَا إِلَى تَطْعُمِهَا مَخْضَرَةُ الْحَدَقِ
مَا بَيْنَ رِزْقَيْكُمَا إِنْ قَاسَ ذُو فِطْنٍ فَرَقٌ سِوَى أَنَّهُ يَأْتِيكَ فِي طَبَقِ
شَارِكُهُ فِي صَيْدِهِ لِلْفَارِ تَأْكُلُهُ كَمَا تُشَارِكُهُ فِي الْوَجْهِ وَالْخَلْقِ

[أبو أَمَمة يفحسه في برمة طفشيل]

قال أبو الفَيَّاض : وزاره أبو أَمَمة يوماً فوجد عنده طَفْشِيلاً فَأَكَلَهُ كُلَّهُ ، فقال أبو شُرَاعَة
يمازحه :

عَيْنُ جُودِي لِبُرْمَةِ الطَّفْشِيلِ وَاسْتَهْلَيْ فَالْصَبْرُ غَيْرُ جَمِيلِ²
فَجَعَلْتَنِي بِهَا يَدٌ لَمْ تَدْعُ لِلذَّ رَّ فِي صَحْنٍ قَدَرَهَا مِنْ مَقِيلِ

1 مقعوعس خلق : بال قديم .

2 الطفشيل : نوع من المرق .

كان والله لحمها من فصيل راتع يرتعي كريمَ البقول
 فخلطنا بلحمه عَدَسَ الشَّا م إلى جِمَصٍ لنا مَبْلُول
 فأتتنا كأنَّها روضةٌ بالحَزْ ن تدعو الجيرانَ للتَّطْفِيل
 ثم أكفأتُ فوقها جفنةَ الحي وعلقتُ صَحْفَتِي في زَبِيل¹
 فَمَنَى اللهُ لي بفظٍ غليظٍ ما أراه يُقَرُّ بالتَّنْزِيل
 فانتحى دائباً يُدْبِلُ منها قلتُ : إن الثريدَ للتَّديِيل²
 فتغنَّى صوتاً ليوضحَ عِنْدِي حيٍّ أمَّ العلاء قبلَ الرَّحِيل

[نبيذ مُزج بالماء]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَحْفَش قال : حدَّثني سَوَّار بنُ أبي شُراعة قال : كتب أبي
 إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتيبة يستهديه نبيذاً ، فكتب إليه سعيد : إذا
 سألتني ، جعلني الله فداءك ، حاجة فاشطُط ، واحتكم فيها حُكْم الصَّبِيِّ على أهله³ ، فإن
 ذلك يسرُّني ، وأسارع إلى إجابتك⁴ فيه . وأمر له بما التمس من النبيذ ، فمزجه صاحبُ
 شرابه ، وبعث به إليه . فكتب إليه أبو شُراعة : أَسْتَنْسِي⁵ الله أجلك ، وأستعيذه من
 الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك ، إنه لذلك وليّ ، وبه مليّ .
 أتاني غلامك المليحُ قدّه ، السعيدُ بملكك جدّه بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ، ولا
 مُزورٍ عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويبين عن فضلك ، فوالله ما أَوْضَح لي خفياً ، ولا
 زادني بك علماً ، وإذا أنت تسأل فيه أن تهب ، وتحب أن تُحمد ، ولا غرو⁶ أن تفعل
 ذلك ، ومن كَتَب أخذته ، وعن كَلالة وغير كَلالة ورثته ، موسى أبوك ، وسعيد جدُّك ،
 وعمرو عمك ، ولك دار الصِّلَة ، ودار الضيافة ، وصاحب البَغْلَة الشَّهْبَاء⁷ وحصين بنُ

1 زيل : قفة أو جراب .

2 يدبّل : يكبر اللقمة للفم .

3 مثل .

4 ل : محبتك .

5 أَسْتَنْسِيء : أسأل الله أن يطيل أجلك .

6 لا غرو : لا عجب .

7 الشهبة : بياض يخالطة سواد .

الحُمَامُ وعروة بن الورد ، ففي أيّ غلوات¹ المجدِ يطمع قَرِينُكَ أن يستولي على المدى ،
والأمدُ دونك . وكتابك إليّ أن أتحكّم عليك تحكّم الصبيّ على أهله ، فلشدّ ما جرت إليّ
معروفك ، ودللت على الأنس بك ، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب
العتيق ، والمنظر الأنيق الذي يسرّ القلب ، ويلائم الروح ، ويطردُ الهمّ : [من المتقارب]

تَدِبُّ خلال شؤون الفتى ديبب دَبَى النملة المنتعش²
إذا فُتِحت فَعَمَّتْ ريحها وإن سيلَ خَمَّارها قال : خُشْ
خُشْ : كلمة فارسية تفسيرها : طَيِّب .

فإن كنتَ رعيّة لها عهداً ، وحفظتَ لها عندك يداً ، فانظر ربّ الخانوت فامطله دينه ،
واقطع السبب بينك وبينه ، فقد أساء صُحبتَها ، وأفسد بالماء حِسَّها ، وسلط عليها عدوّها ،
واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله : [من الطويل]

يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها فيقعد وسطَ القوم لا يتكلّم
وقد بسطتَ قدرتك لسانك ، وأكثرتُ لك الحمد ، فدونك نُهزة البديهة منه : [من الطويل]
وبادرُ بمعروف إذا كنت قادراً زوال افتقار أو غنى عنك يُعقبُ
وقد بعثتُ إليك بقرابة مع الرسول ، وأنشأتُ في أثرها أقول : [من الطويل]

إليك ابن موسى الجودُ أعملتُ ناقتي مجلّةً يصفو عليها جلالها³
كتومُ الوجي لا تشتكي ألمَ السرى سواء عليها موتُها واعتلالُها
إذا شربتُ أبصرتُ ما جوفُ بطنها وإن ظمئتُ لم يبد منها هزالُها
وإن حملتُ جِملًا تكلفتُ جِملها وإن حُطَّ عنها لم أقل كيف حالها⁴
بعثنا بها تسمو العيون وراءها إليك وما يُخشى عليها كلالُها
وغنى مُغنيناً بصوتٍ فشاقتني «متى راجعٌ من أمّ عمرو خيالها»

1 غلوات : جمع غلوة ، أي قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه .

2 ديبى النملة : أصغر النمل والجراد .

3 مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

4 لم أقل في ل : لم أتّل .

أَحِبُّ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ عِيلَانَ كُلَّهَا ويعجبني فُرسانها ورجالها
ومالي لا أَهْوَى بقاء قَبِيلَةٍ أبوك لها بدرٌ وأنت هلالها

قال : فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، واستملحه في شعره ، وبصاحب شرابه ، وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلاثمائة دينار .
[مساجلة حول جارية]

أخبرني الأخفش عن المبرد وسوار بن أبي شراة جميعاً : أنَّ أبا الفَيَّاض سوار بن أبي شراة كان يَهْوَى قَيْنَةً بالبصرة يقال لها : مَلِيحَةٌ ، فدُعِيَتْ ذاتَ يومٍ إلى مجلسٍ لم يكن حاضره ، وحضر أبو عليُّ البصير ذلك المجلس ، فجمَّشها بعضُ مَنْ حضر ، فلم تَلْتَفِتْ إليه ، وعرف أبو عليُّ ذلك فكتب إلى أبي الفَيَّاض :

لك عندي بِشارةٍ فاستمعها وأجِبني عنها أبا الفَيَّاضِ
كنتُ في مجلسٍ مَلِيحَةٌ فيه وهي سَقَمُ الصَّحاحِ برءِ المِراضِ
وقديماً عهدتني لستَ في حقِّ لك والذبُّ عنك ذا إغماضِ
فتغفلتُها تغفُّلَ خَصَمٍ وتأمَّلْتُها تأمُّلَ قاضِ
ورمَّتْها العيونُ من كلِّ أَفقٍ وتشاكروا بالوَحْيِ والإيماضِ
من كهولٍ وسادَةٍ سَمَحاءِ باللهِها باخلينَ بالأعراضِ¹
وصفاتُ القِيانِ أولها الغد رُ عليه في وَصلهنَّ التَّراضِ
فتشوّفُ ذاكَ منها وأعدد تُ نكيري وسوّرتي وامِتِعاضي
فحمتُ جانبَ المِزاجِ وعمَّتْهُ م جميعاً بالصَّدِّ والإعراضِ
وكفاني وفاؤها لك حتّى آذنَ الليلُ جمعَهم بَارِفِضاضِ

فأجابهُ أبو الفَيَّاض :

ليتَ شعري ماذا دَعَاكَ إلى أن هجّتَ شوقي وزدّتَ في إمراضِ
ذكّرْتَنِي بِشِراكِ داءٍ قديمٍ من سَقامِ عليٍّ لا شكَّ قاضي
إن تَكُنْ أَحسنتُ مَلِيحَةً في وَصْدٍ لي وعاصتَ رِياضَةَ الرُّواضِ

وَأَقَامَتْ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَمْ تَرِ
فَعَلَى صَحَّةِ الْوَفَاءِ تَعَاقَدُ
وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَفَافِ ثِيَابُ
لَيْسَ حَظِّي مِنْهَا سِوَى النَّظَرِ الْخَدِّ
لِحَظَاتٍ يَقَعْنَ فِي سَاحَةِ الْقَدِّ
وَابْتِسَامُ كَالْبَرْقِ أَوْ هُوَ أَخْفَى
لَا أَخَافُ انْتِقَاضَهَا آخَرَ الدَّهْرِ
فَأَبْنُ لِي أَلَسْتَ تَحْمَدُ ذَاكَ
عَ لَوْحِي مِنْهُمْ وَلَا إِيْمَاضِ
نَا وَصُونَ النُّفُوسِ وَالْأَعْرَاضِ
هَنْ أَبْهَى مِنْ حَالِيَاتِ الرِّيَاضِ
لِ وَائِي بِهِ لَجَذْلَانُ رَاضِ
بِ وَتُوقِعِ السَّهَامِ فِي الْأَعْرَاضِ
بَيْنَ سَيْتِي تَحْرِزُ وَانْقِبَاضِ
سِرِّ بَغْدَرٍ وَلَا تَخَافُ انْتِقَاضِي
وَدَّ وَقَاكَ الرَّدَى أَبُو الْفِيَّاضِ

[يهجو بني سدوس]

قال أبو الفيَّاض : اتصل بأبي شُرَاعَةَ أَنَّ أَبَا نَازِرَةَ السَّدُوسِيَّ يَغْتَابُهُ ، وَكَانَ مَعَ آلِ أَبِي
سُفْيَانَ بْنِ ثَوْرٍ فَقَالَ يَهْجُوهُمْ :

لَعَنَ إِلَاهُ بَنِي سَدُوسٍ كُلَّهُمْ
وَرَمَى بِمَنْجُوفٍ وَرِيَّةٍ قَافٍ¹
قَدْ سَبَّيْتُ عُضْرُوطَهُمْ فَسَبَّيْتُهُمْ
ذَنْبُ الدَّنِيِّ يُنَاطُ بِالْأَشْرَافِ²

[لا يخرج من شتيمة إلى وليمة]

قال أبو الفيَّاض : وَكَانَ بَيْنَ بَعْضِ بَنِي عَمَّنَا وَبَيْنَ أَبِي شُرَاعَةَ وَحِشَّةٌ ، ثُمَّ صَالَحُوهُ ،
وَدَعَوْهُ إِلَى طَعَامِهِمْ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : أُمِثْلِي يَخْرُجُ مِنْ صَوْمٍ³ إِلَى طُعْمٍ ، وَمِنْ شَتِيْمَةٍ إِلَى وَلِيْمَةٍ :
وَمَا لِي وَلَكُمْ مَثَلٌ إِلَّا قَوْلُ الْمُتَلَمَّسِ .

[من الطويل]

فَإِنْ تَقَبَّلُوا بِالْوَدِّ تَقَبَّلْ بِمِثْلِهِ
وَالْأَفَاتَا نَحْنُ أَبَى وَأَشْمَسُ⁴

[من الوافر]

وقال فيهم :

بَنِي سَوَّارَ إِنْ رَأَيْتَ ثِيَابِي
وَكُلَّ عَنِ الْعَشِيرَةِ فَضْلُ مَالِي

1 منجوف : سهم عريض . قاف : اسم جبل والمراد داهية نكراء .

2 عضروطهم : لئيمهم .

3 ل : صرم .

4 وأشمس في ل : وأشوس .

فمَطَّرَحَ ومَتْرُوكَ كَلَامِي وَتَجَفُّونِي الْأَقَارِبُ وَالْمَوَالِي
 أَلَمْ أَكُ مِنْ سَرَاةِ بَنِي نَعِيمٍ أَحَلُّ الْبَيْتِ ذَا الْعَمَدِ الطَّوَالِ
 وَحَوْلِي كُلُّ أَصِيدٍ تَغْلِبِي أَبِي الضَّيْمِ مَشْرَكُ النِّوَالِ
 إِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ فَغَيْرُ مَغْنٍ وَيُغْنِي حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي
 وَأَبْقُونِي فَلَسْتُ بِمُسْتَكِينٍ لَصَاحِبِ ثَرَوَةٍ أُخْرَى اللَّيَالِي
 وَلَا بِمَمْسُوحِ الْمُثْرَيْنِ كَيْمَا أَمْسَحُ مِنْ طَعَامِهِمْ سِيَالِي¹
 أَنَا ابْنُ الْعَنْبَرِيَّةِ أَزَّرْتَنِي إِزَارَ الْمَكْرَمَاتِ إِزَارَ خَالِي
 فَإِنْ يَكُنِ الْغِنَى مَجْدًا فَإِنِّي سَادَعُو اللَّهَ بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ

صوت

[من الطويل]

إِذَا أَبْصَرْتُكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ وَأَوْقَعْتُ شَكًّا فِيكَ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
 وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْمُوكَ لَقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرُّكْبُ
 الشعر لعبد الله بن محمد بن البواب ، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري ، رَمَلٌ مطلق في
 معجى البينصر رواية الهشامي .

1 السَّبَال : جمع سبلة ، وهي الدائرة وسط الشفة العليا ، أو طرف الشارب .

[502] - أخبار ابن البوّاب

[نشأته]

هو عبدُ الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى . وجّه بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سبكة بها ، فاحتطّوها ونزلوها طول أيام بني أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العبّاسية إلى الربيع ، فخدموه .
وكان عبدُ الله بن محمد هذا يخلفُ الفضلَ بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلفُ الربيع في أيام أبي جعفر ، وكان معه فرّاه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قباء خزّ ، وكساه تحتَه قباء كَتَّان مرقوع القَبْ ، وقال له : هذا يَخْفَى تحت ذاك .

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البوّاب عن أبيه .
وكان عبد الله صالح الشعر قليله ، وراوية لأخبار الخلفاء عالماً بأموهم ، روى عنه أبو زيد عُمر بن شبة ونظراؤه ، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتى أخبار من روايته .
[يمدح المأمون بعد أن نال منه]

قال أحمد بن القاسم اليوسفيّ : حدّثني محمد بن عبد الله البوّاب قال : حدّثني أبي قال :
حجبت موسى وهارون خليفة للفضل بن الربيع .
وخدم محمداً الأمين فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرض به ، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال : حدّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال : حدّثني الحسين بن الضحّاك قال : لما أتى المأمون بشعر ابن البوّاب الذي يقول فيه :
[من الطويل]

صوت

أبْخَلَ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ	عَلِيٌّ وَقَدْ أَفْرَدَتْهُ بِهِوَى فَرْدٍ
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ	فَمَلَّكَه وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ	مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

لعلّويه في هذه الأبيات رَمَلٌ بالوسطى .

قال : فقال المأمون : أليس هو القاتل :

[من الطويل]

أعينيَّ جوداً وإكياً لي محمداً ولا تدخراً دمعاً عليه وأسعداً
فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

هيهات ، وواحدة بواحدة ! ولم يصِلْه بشيء .

[بينه وبين إسحاق]

هكذا روي عن الحسين بن الضحاك . وقد روي أنَّ هذين الشعرين جميعاً للحسين ، وأنَّ قولَ المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدثني جزء بن قطن . وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق ، قالاً جميعاً : وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شرٌّ فقال ابن البواب شعراً ذميماً رديئاً ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليعيِّره به وهو :

[من الخفيف]

إنما أنت يا عنان سراج زيتُه الظُّرفُ والفَتيلةُ عقلُ
قاده للشقاء مني فوادي رجلُ حُبٍّ لكم وللحبِّ رجلُ
هَضَمَ اليوم حُبكم كلَّ حُبٍّ في فوادي فصار حُبُّك فُجُلُ
أنت ربحانةٌ وراحٌ ولكن كلُّ أنثى سواكِ خَلٌّ وبَقْلُ

وقال حماد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له :

[من الكامل]

الشعر قد أعيا عليك فنخله وخُذ العَصَا واقعدْ على الأبوابِ

فجاء ابنُ البواب إلى إبراهيمَ جدِّي فشكا أبي إليه فقال له : ما لك ولَه يا بُني ؟ فقال له أبي : تعرَّضَ لي فأجبتَه ، وإن كَفَّ لم أرجع إلى مساءته . فتتاركا .

[يهوى جارية اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم ، أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرني : إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال : كان بالكُرخ نخاس يُكنى أبا عُمير ، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنَّ ظُرفٌ وأدب ، وكان عبد الله بن محمد البواب يَأْلَفُ جاريةً منهنَّ يقال لها : عبادة ، ويكثرُ غَشِيانُ منزل أبي عُميرٍ من أجلها ، فضاق ضيقةً شديدةً ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصِّرَ عما كان يستعملُه من برِّهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعته نفسُه إلى لقاءها وزيارتها ، وصعِبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب في منزله جماعةً ممَّن كان يَأْلَفُ جواريه ، فرحَّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعاً ،

واستبطأوا زيارته ، وعاتبوه على تأخّره عنهم ، فجعل يجمعهم في عذره ، ولا يصرّح ، فأقام عندهم ، فلما أخذ فيه النيذ أنشأ يقول :

لو تشكّى أبو عمير قليلاً لأتيناه من طريق العيادة
ففضينا من العيادة حقاً ونظرنا في مُقَلَّتِي عبادة

فقال له أبو عمير : مالي ولك يا أخي ؟ انظر في مُقَلَّتِي عبادة متى شئتَ غير ممنوع ، ودعني أنا في عافية ، لا تتمنّي لي المرض لتعودني .

[شعره في صديق مدمن]

وقال أحمد بن القاسم : كان عبد الله بن إسماعيل بن عليّ بن ربيعة يَألف ابن البوّاب ، ويعاشره ، فشربَ عنده يوماً حتى سكر ونام ، فلما أفاق في السّحر أراد الانصراف ، فحلف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوى جارية له من جوارِي عمرو بن بانه ، فبعث إلى عمرو بن بانه فدعاه وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها ، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يتململ خُمَاراً . فلما رآها نشيط ، وجلس فشرب ، وتمموا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بن البوّاب في ذلك :

[من المديد]

وكريم المجد محض أبوه	فهو الصفو الباب النضار
هاشمي لقروم إذا ما	أظلمت أوجه قوم أناروا
رمت القهوة بالنوم وهنا	عينه فالجفن فيه انكسار
فهو من طرفي يُفدّيك طورا	ويعاطيك اللواتي أداروا
ساعة ثم انتنى حين دبّت	ومشت فيه السلاف العقار
وأبت عيني اغتماضاً فلما	حان من أخرى النجوم انحدار
قلت : عبد الله حاذرت أمرا	ليس يُغني خائفه الحذار
فاستوى كاهنَدواني لما	أن رأى أن ليس يُغني الفرار
قلت : خذها مثل مصباح ليل	طُيرت في حافتيه الشرار
أقبلت قطراً نطافا ولما	يُتعب العاصر منها اعتصار
هي كالياقوت حمراء شيبّت	وعلا الحمرة منها اصفرار

كاللدنانير جرى في ذراها
فِضَّةٌ فالحسنُ منها قُصارُ¹
تُنطِقُ الخُرسُ وبالصمتِ ترمي
مَعشراً نطقاً إذا ما أحراروا

[يمدح المأمون]

قال أحمد : وحدثنني يعقوبُ بنُ العباس الهاشميُّ أبو إسماعيل النقيب قال : لما طال
سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحه بها ، ودسَّ مَنْ غَنَاهُ في بعضِها ، لما وجد
فيه نشاطاً . فسأل مَنْ قائلُها ؟ فأخبرَ به فرضيَ عنه ، وردّه إلى رسمه من الخدمة ،
وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة ، وهي قوله :

هل للمحبِّ مُعِينُ	إذ شطَّ عنه القرينُ
فليس يَكِي لَشَجْوِالِ	حزينٍ إلَّا الحزينُ
يا ظاعناً غابَ عَنَّا	غَدَاةَ بَانَ القطينُ
أَبكى العيونَ وكانتُ	به تَقَرُّ العيونُ
يا أَيُّهَا المأمون الـ	مبارك الميمونُ
لقد صفتَ بك دُنْيَا	للمسلمين ودينُ
عليكَ نُور جلالُ	ونور مُلك مبینُ
القول منك فِعَالُ	والظنُّ منك يَقِينُ
ما مِن يديكَ شِمالُ	كلتا يديكَ يَمِينُ
كأَنَّمَا أَنتَ في الجُورِ	دِ والتقى هارونُ
مَنْ نالَ من كلِّ فضلٍ	ما ناله المأمونُ
تألَّفَ النَّاسَ مِنْهُ	فضلٌ وجودٌ ولينُ
كالبدْر يَبْدو عليه	سكينةٌ وسكُونُ
فالرزقُ من راحتيه	مقسَّمٌ مَضمُونُ
وكلَّ خَصْلَةٍ فضلٍ	كانتُ ، فَمَنه تكونُ

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات ، أنشدنيها الأخفش وهي

قولُه :

[من الطويل]

أَفِقْ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَعَذَّبُ كَمْ تَصْبُو فَلَا النَّأْيُ عَنْ سَلْمَاكَ يُسْلِي وَلَا الْقُرْبُ
أَقُولُ غَدَاةً اسْتَخْبِرْتَ مِمَّ عَلَّتِي مِنْ الْحَبِّ كَرْبٌ لَيْسَ يَشْبَهُهُ كَرْبُ
إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ فَأَدْخَلْتُ شَكَا فَيْكَ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْمُوكَ لِقَادَهُمْ نَسِمْكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ

فقال الأخفش مثل هذا البيت الأخير قول الشاعر :

[من المنسرح]

وَاسْتَوْدَعْتَ نَشْرَهَا الدِّيارُ فَمَا تَزْدَادُ طَيِّباً إِلَّا عَلَى الْقَدَمِ

[بخشى العين على ساقيه]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق : قال : رأيتُ محمد بن عبد الله البواب وقد جاء إلى أبي مسلماً فاحتبسه ، ورأيتُه وهو شيخ كبير ، وكان ضخماً طويلاً عظيم الساقين كأنهما دَنَانٌ ، وكان يشدُّ في ساقيه خرزاً أسود لئلاً تصيبهما العينُ .

[يملق فيغنيه أبو دلف]

وقال محمد بن القاسم : أَمَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بن محمد البَوَّاب حين جفاه الخليفة ، وعلتُ سِنُهُ عن الخِدْمَةِ ، فرحل إلى أبي دُلْفٍ القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين ألفَ درهم ، وعاد بها إلى بَغْدَاد ، فما نَفِدَتْ حتى مات وهي قوله :

[من الكامل]

طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ رَبَابُ وَنَأَتْ فُلَيْسَ لَهَا إِلَيْكَ مَابُ
وَتَصَرَّمْتُ مِنْهَا الْعَهْدُ وَغُلَّقْتُ مِنْ دُونِ نَيْلِ طَلَابِهَا الْأَبْوَابُ
فَلَأْصَدِفَنَّ عَنِ الْهَوَى وَطَلَابِهِ فَالْحَبُّ فِيهِ يَلِيَّةٌ وَعَذَابُ
وَأَخْصُ بِالْمَدْحِ الْمَهْذَبُ سَيِّداً نَفَحَاتُهُ لِلْمُجْتَدِينَ رَغَابُ¹
وإِلَى أَبِي دُلْفٍ رَحَلْتُ مَطِيَّتِي قَدْ شَفَّهَا الْإِرْقَالُ وَالْإِتْعَابُ²
تَعْلُو بِنَا قُلُلَ الْجِبَالِ وَدُونَهَا مَّا هَوَتْ أَهْوِيَّةٌ وَشِعَابُ³

1 رَغَاب : جمع رَغِيبة ، بمعنى واسعة .

2 الْإِرْقَال : الإسراع .

3 أَهْوِيَّة : هوة .

فإذا حللت لدى الأمير بأرضه	نلت المني وتقضت الآرابُ
ملكُ تأثّل عن أبيه وجده	مَجْدًا يُقَصِّرُ دونه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به	خضعتَ لفضلٍ قديمه الأحسابُ
قومٌ علّوا أملاك كل قبيلة	فالناس كلهم لهم أذئابُ
ضربتُ عليه المكرماتُ قبائها	فعلا العمودُ وطأتِ الأطنابُ
عَقِمَ النساءُ بمثله وتعطلت	من أن تُصمّنَ مثله الأطلابُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

صغيرُ هواكَ عذبني	فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي	هوى قد كان مشتركا
وحبسُ رضاك يقتلني	وقتي لا يحلُّ لكَا
أما ترثي لمكتيبٍ	إذا ضحك الخلي بكى

الشعر لحمد بن عبد الملك الزيات والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي .

[503] - أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات ، وأصله من جبَل¹ ويكنى أبا جعفر . وكان أبوه تاجراً من تجّار الكرخ المياسير ، فكان يحثّه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابة وطلبها ، وقصد المعالي ، حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، وهو أوّل مَنْ تولى ذلك وتمّ له .

أخبرني الأخفش علي بن سليمان قال : حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال : كان جدّي موسراً من تجّار الكرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ، ويخالط الكتّاب ، ويلزم الدّواوين ، فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ؛ وليضرنّك ، لأنك تدع عاجل المنفعة . وما أنت فيه مكفي² ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلمنّ أيّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أنا أم أنت ؟ ثم شخّص إلى الحسن بن سهل بفم الصلح² ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّهما حينَ تناءى خطوُهما أخنسُ موشى الشوى يرمى القُلل³

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا ألومك بعدها . على ما أنت فيه .

1 جبَل : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربي بغداد .

2 فم الصلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

3 أخنس : ثور وحشي ، موشى الشوى : ملون الأطراف .

[دخوله على الحسن بن سهل]

أخبرني جحظة والصوليّ ، قالاً : حدثنا ميمون بن هارون : قال : لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مثّل بين يديه وقال له : [من البسيط]

لم امتدحك رجاء المالِ أطلبه لكنّ لتلبسني التّحجيلَ والغُرا
وليس ذلك إلّا أنّني رجلٌ لا أطلب الورْدَ حتى أعرف الصّدرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مقلّ وصاحب قصار ومقطعات ، وكان محمد شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

[ينصف خصمه من نفسه]

فحدثني عمي رحمه الله قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : جلس أبي يوماً للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً ، فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم تدنيني إليك ؛ فإنني مظلوم . فأدناه ، فقال : إني مظلوم ، وقد أعوزني الإنصاف ، قال : ومن ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك ؛ فأذكر حاجتي ؟ قال : ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولاً ؟ قال : يحجبني عنك هييتي لك وطول لسانك ؛ وفصاحتك ، وأطراد حجتك ، قال : فقيم ظلمتك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن ، فإذا وجب عليها خراج أدّيته باسمي لئلاّ يثبت لك اسم بملكها ، فيبطل ملكي ، فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أؤدّي خراجها ، وهذا بما لم يسمع في الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بيّنة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه ، حتى أجيب ؟ قال : قد أمّنتك ، قال : البيّنة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى الشيء ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، أيش هذه الأشياء إلّا العمي والحصر والتغطرس¹ ؟ فضحك ، وقال : صدقت ، والبلاء موكلّ بالمنطق ، وإنّي لأرى فيك مصطنعاً ، ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كُر حنطة² وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته ، وصيره من أصحابه ، واصطنعته .

1 التغطرس : التعامي عن الشيء .

2 كر حنطة : أربعون أردباً .

[يهدي إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدّثني أحمد بن محمد الطالقانيّ قال : حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : لما وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة ، اقترض من مياسير التجّار مالاً ، فأخذ من جدّي عبد الملك عشرة آلاف درهم ، وقال له : أنا أردّها إذا جاءني مال ، ولم يتمّ أمره فاستخفى ، ثم ظهر ورَضِيَ عنه المأمونُ ، فطالبه الناسُ بأموالهم ، فقال : إنّما أخذتها للمسلمين ، وأردت قضاءها من فيهم ، والأمر الآن إلى غيري ، فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، فأقرأه أياها وقال : والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنّ هذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ، فيتدبّر ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعضَ المال ، ونجم عليّ بعضه ، ففعل أبي ذلك بعد أن حلّفه إبراهيمُ بأوكد الإيمان ألاّ يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفّى له أبي بذلك ، ووفّى إبراهيمُ بأداء المال كلّهُ .

[من الطويل]

والقصيدة قوله :

ألم ترَ أن الشيءَ للشيءِ علّةٌ	تكونُ له كالنّارِ تُقدَح بالزّندِ
كذلكَ جرّنتُ الأمورَ وإنّما	يدلّك ما قد كان قبلُ على البعدِ
وظنّني بإبراهيم أنّ مكانه	سيُبعث يوماً مثلَ أيّامه النّكدِ
رأيتَ حُسَيْنًا حين صار محمد	بغير أمانٍ في يديه ولا عقدي
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ	فصيّره بالقاع مُنْعَفِر الخدِ
إذا لم تكن للجنّد فيه بقيّةٌ	فقد كان ما خُبرتُ من خبرِ الجُدي
هُم قتلوه بعد أن قتلوا له	ثلاثين ألفاً من كهول ومن مُردِ
وما نصرّوه عن يدِ سلفتٍ له	ولا قتلوه يوم ذلكَ عن حقدِ
ولكنّه الغدرُ الصّراح وخِفةُ الد	حُلوم وبعدُ الرأي عن سننِ القصدِ
فذلك يوم كان للناسِ عبرةٌ	سيبقى بقاء الوحي في الحجر الصلّدي ¹

وما يوم إبراهيم إن طال عمره
تذكر أمير المؤمنين مقامه
أما والذي أمست عبداً خليفة
إذا هز أعواد المنابر باسته
فوالله ما من توبة نزعت به
ولكن إخلاص الضمير مقرب
أتاك بها طوعاً إليك بأنفه
فلا تترك للناس موضع شبهة
فقد غلطوا للناس في نصب مثله
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت
ومن سك تسليم الخلافة سمعه
وأي امرئ سقى بها قط نفسه
وتزعم هذي النابتة أنه
يقولون سني وأية سنة
وقد جعلوا رخص الطعام بعهد
إذا ما رأوا يوماً غلاء رأيتهم
واقباله في العيد يوجف حوله
ورجالة يمشون بالبيض قبله
فإن قلت قد رام الخلافة غيره
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه

بأبعد في المكروه من يومه عندي
وأيمانه في الهزل منه وفي الجد
له شر أيمان الخليفة والعبد
تغنى بليلى أو بمئة أو هند
إليك ولا ميل إليك ولا ود
إلى الله زلقى لا تخيب ولا تكدي
على رغمه واستأثر الله بالحمد
فإنك معجز بحسب الذي تسدي
ومن ليس للمنصور باب ولا المهدي
بيعه الركبان غورا إلى نجد
ينادي به بين السماطين من بعد
ففارقتها حتى يغيب في اللحد
إمام لها فيما تسر وما تبدي¹
تقوم بجون اللون صعل القفا جعد²
زعيماً له باليمن والكوكب السعد
يحنون تحنانا إلى ذلك العهد
وجيف الجياد واصطفاق القنا الجرد³
وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد
فلم يوت فيما كان حاول من جد
على خطا إذ كان منه ولا عمد⁴

1 النابتة : طائفة من الحشوبة أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام .

2 صعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل .

3 يوجف حوله : يسرع . وفي الديوان اصطكاك وهي بمعنى الاصطفاق .

4 على خطا في الديوان : على عمد .

ولم أرضَ بعد العفو حتى رفعته
فليس سواءَ خارجي رمى به
تعاونت له من كل أوبٍ عصابةً
ومن هو في بيت الخلافة تلتقي
فمولاك مولاه وجندك جنده
وقد رابني من أهل بيتك أنني
يقولون لا تبعد من ابن مُلمّة
فدانا وهانت نفسه دون ملكنا
على حين أعطى الناس صفق أكفهم
فما كان فينا من أبي الضيم غيره
وجرد إبراهيم للموت نفسه
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده
فهذه أمور قد يخاف ذوو النهى

وللغم أولى بالتعهد والرّد¹
إليك سفاة الرأي والرأي قد يُردي
متى يُورِدُوا لا يُصدروه عن الورْد
به وبك الآباء في ذروة المجدي
وهل يجمع القين الحسامين في غمدي²
رأيت لهم وجدا به أيما وجد
صبور عليها النفس ذي مرة جلد
عليه لذي الحال التي قل من يفدي³
علي بن موسى بالولاية والعهد
كريم كفى ما في القبول وفي الرّد
وأبدي سلاحاً فوق ذي مِيعَة نهدي⁴
فليس بمذموم وإن كان لم يُجدي
معبّتها والله يهديك للرشد

[يزري يحيى بن خاقان]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني عبد الله بن الحسين القطريلي ، عن جعفر بن محمد بن خلف قال : قال لي المعلّى بن أيوب : كيف كان محلّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقداره ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهول الألفاظ ، عليل المعاني سخيف العقل ، ضعيف العقدة⁵ ، واهي العزم مأفون الرأي .

[لا يلبس القباء]

قال عبدُ الله : ولما تولّى محمد بن عبد الملك الوزارة ، اشترط ألا يلبس القباء ، وأن

1 رفعته في الديوان : رُفدته .

2 مثل .

3 الشطر الثاني في الديوان : عليه على الحين الذي قل من يفدي .

4 ذو مِيعَة : أوّل جري الفرس ونشاطه . نهد : جسيم مشرف .

5 العقدة : الولاية .

يلبس الدُّرَاعَةَ¹ ويتقلَّد عليها سيفاً بحمائل ، فأجيب إلى ذلك .
[من لا يرحم لا يرحم]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني أبو ذَكْوَان ، قال : حدّثني طَمَّاس ، قال ميمونُ بنُ هارون : كان محمد بن عبد الملك يقول : الرَّحْمَةُ خَوْرٌ في الطبيعة ، وَضَعْفٌ في المُنَّة ، ما رَحِمْتُ شيئاً قطّ . فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلمّا وُضِع في الثَّقَل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رَحِمْتُ شيئاً قطّ فترَحِم ! هذه شهادتك على نفسك وحكّمك عليها .

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثني أبو ذَكْوَان ، قال : حدّثني طَمَّاس ، قال : جاء أبو دَنَقَش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضرُ ، فدخل ليَلْبِس ثيابه ، ورأى ابن دَنَقَش الحاجب غِلْمَاناً لهم رُوقَةٌ² فقال : وهو يظنُّ أنّه لا يسمع : [من الكامل]
وعلى اللواط فلا تلومن كاتياً إنّ اللواط سَجِيَّةُ الْكِتَابِ

فقال محمد له :

وكما اللواط سَجِيَّةُ الْكِتَابِ فكذا الخلاق سَجِيَّةُ الْحُجَّابِ³

[لا اعتذار مع القصاص]

فاستحيا ابن دَنَقَش ، واعتذر إليه ، فقال له : إنّما يقع العُذْر لو لم يقع الاقتصاص فأما وقد كافأتك فلا .

[يرثي سكرانة]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني محمد بن موسى ، قال : أنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً ، يرثي بها سكرانةً أمّ ابنه عُمَر ، وجعل الحسنُ يتعجّب من جودتها ، ويقول :

يقول لي الْخِلَآنُ لو زرتَ قبرها فقلتُ : وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

1 الدُّرَاعَةُ : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة .

2 غلمان لهم رُوقَةٌ : حسان .

3 الخلاق : داء الأبنة .

على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبر

[اعتذاره إلى عبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقى ، قال : استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أموره ، واتَّهمه بعدوله عن شيء أرادَه إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول :

أترعُم أنَّني أهوى خليلاً سواكَ على التَّداني والبِعادِ
جحدتُ إذا مُوالاتي عليّاً وقلتُ بأنَّني مولى زيادِ

[واحدة بواحدة]

قرأت في بعض الكتب : كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصفهانيّ يخلفُ عمرو بنَ مسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالد بن يزيد بن يزيد : إنَّ المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فحم ، ويخاطب امرءاً غير ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أمير المؤمنين ينفخُ بالزُّق كأنَّه حدَّاد ، وأبطل الكتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجري أمرَكَ على الأريح فالأريح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ : الحمد لله ، قد أظهرَ من سخافة اللفظ ما دلَّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السِّلَع ، ورُجحان الميزان ، ونُقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد ، وحَقَّدها عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

[أدعاء له أم عليه]

أخبرني الأخفش عن المبرِّد قال : نظر رجل كان يُعادي يونس النحويّ إليه وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغتَ ما أرى ؟ فعلم يونس أنَّه قال له ذلك شامتاً ، فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمد بنُ عبد الملك الزيات : فجعله في شعر فقال :

وعائب عابني بِشيبٍ لم يَعدُ لَمَّا أَلَمَّ وَقَتُهُ

فقلتُ إذ عابني بشيبي : يا عائبَ الشيبِ لا بلغته

[منديل تحت عمامته]

وذكر أبو مروان الخزازي أنَّ أبا دُهمان المغني سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دَبَقِيًّا¹

فجعلهُ تحتَ عِمَامَتِهِ ، وبلغَ محمداً ، فقال فيه :

[من الرمل]

ونديم سارقٍ خاتلني وهو عندي غيرُ مذموم الخلق
ضاعفَ الكورَ على هامته وطوى منديلنا طيَّ الخرق
يا أبا دُهمانَ لو جاملتنا لكفيناك مؤوناتِ السرِّق

[ترجوه فتحرمه]

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ، قال : كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة ويُطلان ما نذره من ذلك ورجوعه ، فجعل يحدثنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول : — [من البسيط]

ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فُحْرَمُهُ قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي
ما لي إذا غبتُ لم أذكرْ بصالحية وإن مرِضْتُ فطال السُّقْمُ لم أعدِ

[يتبادلان المدح]

أخبرني الصولي ، قال : حدثني عون بن محمد الكِندي ، قال : حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفني محمد بن عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له نظيرٌ في ملاحاة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك ، فلقبته فشكرته ، وقلت : جُعِلْتُ فِدائك ! أتصف شعري وأنت أشعرُ الناس ؟ أَلستَ القائلَ :

[من الوافر]

ألم تعجب لمكتيبِ حزيني خدين صباة وحليف صبر
يقول ، إذا سألتَ به ، بخير وكيف يكون مهجورٌ بخير

قال : وأين هذا ، من قولك ؟

يقولُ لي كيفُ أصب — حتَ كيفُ يُصبح مثلي

1 دَبَقِيًّا : نسبة إلى دَبَق . قرية كانت بين الفرما وتينس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهي ثياب رقيقة تكور عمام ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

ماءٌ ولا كصداء¹ ، ومرعى ولا كالسعدان² .

أخبرني الصولي ، قال : حدثني عون بن محمد : قال : لقي الكنجي³ محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجي⁴ :

هذا وأنت ابنُ زياتٍ تُصغّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابنَ عطارٍ
[لا يتصف من ساقط أحق]

فبلغ ذلك محمداً ، فقال : كيف يُتصف من ساقط أحق ، وضّعه رَفْعُهُ ، وعقابه ثوابه .
[أضيع مبة]

أخبرني الصولي ، قال : أخبرني عبدُ الله بن محمد الأزدي ، قال : حدثني يعقوبُ بن التّمار ، قال : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أُخِرْك عنّا ؟ قال : موتُ أخي ، قال : بأيّ علّة ؟ قال : عضّبتُ إصبعه فأرة ، فضرّيته الحُمرة³ ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أُنذَلُ قاتلاً ، ولا أُضيعُ مبةً ، ولا أظرفُ قِتلةً من أخيك .
[خمسون بيتاً في بيت]

أخبرني عمّي عن أبي العيناء ، قال : كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دواد ، ويهجوه ، فكان أحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ، ويصلّهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين ، كانا أجودَ ما هجّيَ به ، وهما⁴ :

أحسن من خمسين بيتاً سُدى جمعُك إيّاهنَّ في بيتٍ
ما أحوجَ الناسَ إلى مطرّة تذهبُ عنهم وضرّ الزيتِ

- 1 مثل : يضرب في باب الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة الآخر والصداء : ركية ليس أعذب منها . وهو يضرب للرجل يحمّد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى .
- 2 وهو عن قصة لامرأة تزوجت من رجل آخر فسأها زوجها عن زوجها الأول .
- 3 مثل : وهو شبيه في قصته ومغزاه بالمثل الأول . والسعدان : نبت من أفضل ما يُرعى .
- 3 الحُمرة : ورم من جنس الطواعين ينشأ من اتساخ جرح .
- 4 وردت في الخزّانة برواية مختلفة قليلاً هي :

أحسن من تسعين بيتاً سُدى جعلك معناهن في بيت
ما أحوجَ الملك إلى مطرّة تغسل عنه وضرّ الزيت

وكان ابن أبي دواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلّا وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً
رُكِبَ فيهم ، قَلَّ قوله أو كَثُرَ .
[أبو تمام يمدحه]

أخبرنا الصوليّ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسى عن الحسن بن وهب ، قال : أنشد أبو تمام
محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها :
[من الطويل]
لهان علينا أن نقولَ وتفعل¹

فأثابه عليها ووقع عليه : [من الطويل]

رأيتك سهلَ البيعِ سمحاً وإنما
فأما الذي هانت بضائعُ بيعه
هو الماءُ إن أجمّته طاب ورده
يُغالي إذا ما ضنّ بالشيءِ بائعُه
فيوشك أن تبقى عليه بضائعُه
ويُفسدُ منه أن تباحَ شرائعُه

فأجابه أبو تمام وقال : [من الطويل]

أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعراً
فقد كنتُ قبلي شاعراً تاجراً به
فصرتَ وزيراً والوزارة مكرعٌ
وكم من وزير قد رأينا مُسلّطاً
ولله قوسٌ لا تطيش سهامها
أساميخُ في بيعي له من أبايعه
تُسهلُ من عادتُ عليك منافعُه
يُغصّ به بعدَ اللذّةِ كارعُه
فعاد وقد سُدّتْ عليه مطالعُه
ولله سيفٌ لا تُفلُّ مقاطعُه

[راشد الكاتب يطلب منه هدية]

حدّثني الصوليّ ، قال : حدّثني محمد بن يحيى بن عباد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حجّ
محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون ، فلما قدّم كعب إليه راشدُ الكاتبُ قوله : [من النسرَح]

لا تنسَ عهدي ولا مودّتيه
إن غبتَ عنا فلم تغب كثرة الـ
التمر والنقل والمساويك والقسم
واشتقْ إلى طلعتي ورؤيتي
ذكر فلا تغفلن هديتي
ب وخير النعال حُسنُ شيء

فإن تجاوزتَ ما أقولُ إلى العَصْدِ
فأجابه محمد بن عبد الملك :

إِنَّكَ مِنْنِي بِحَيْثُ يَطْرُدُ النَّاطِ
وَلَا وَمَنْ زَادَنِي تَوَدُّدُهُ
مَا أَحْسَنَ التَّرْكَ وَالْخِلَافَ لِمَا
يَا بَأْيَ أَنْتَ مَا نَسِيتُكَ فِي
نَاجِيَتُ بِالذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ لَكَ اللَّهُ
حَتَّى إِذَا مَا ظَنَنْتُ بِالْمَلِكِ الْقَدِ
قَمْتُ إِلَى مَوْضِعِ النِّعَالِ وَقَدْ
وَقَلْتُ لِي صَاحِبٌ أُرِيدُ لَهُ
فَانْقَطَعَ الْقَوْلُ عِنْدَ وَاحِدَةٍ
فَقُلْتُ عِنْدِي لَكَ الْبَشَارَةُ وَالشُّكُ
ثُمَّ تَخَيَّرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَصْدِ
مَوْشِيَّةً لَمْ أَزَلْ يَبِائِعُهَا
يَرْفَعُ فِي سَوْمِهِ وَأَرْغِيهِ
وَقَدْ أَتَاكَ الَّذِي أُمِرْتَ بِهِ

[المعتصم يأخذ برذونه فيقول في ذلك شعراً]

بِ فَذَلِكَ الْمَأْمُولُ مِنْكَ لِيَهْ¹
[من المنسرح]

رُ مِنْ تَحْتَ مَاءِ دَمْعِيَّةٍ
عَلَى صِيحَابِي بِفَضْلِ غَيْبِيَّةٍ
تَرِيدُ مِنْنِي وَمَا تَقُولُ لِيَهْ
يَوْمَ دُعَائِي وَلَا هَدِيَّةِي
هُ لَدَى الْبَيْتِ رَافِعاً يَدِيَهْ
أَدْرُ أَنْ قَدْ أَجَابَ دَعْوِيَّةٍ
أَقَمْتُ عَشْرِينَ صَاحِباً مَعِيَهْ
نَعْلًا لَوْ مِنْ جُلُودِ رَاحِيَهْ
قَالَ الَّذِي اخْتَارَ يَا بِشَارِيَّةٍ
رُ وَقَلًّا فِي جَنْبِ حَاجِيَّةٍ
بِ الْيَمَانِي بِفَضْلِ خَيْرِيَّةٍ
أَرْغَبُ حَتَّى زَهَا عَلِيَّ يَهْ
حَتَّى التَّقَى زَهْدَهُ وَرَغْبِيَّةٍ
فَاعْزِرْ بِكَثْرِ الْإِنْعَامِ قَلْبِيَهْ

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : كان
لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُر مثله فراهةً وحسنًا ، فسعى به محمد بن خالد
حِيلَوِيَه إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، ووصف له فراهته² ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه ، فقال محمد بن
عبد الملك يرثيه :

كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
عَنَا فَوَدَّعْنَا الْأَحْمُ الْأَشْهَبُ³

1 العصب : ضرب من البرود .

2 فراهته : حسنه ونشاطه .

3 الأحم الأشهب : الأسود .

دبَّ الوشاة فابعدوك ورثما
 لله يوم نأيت عني ظاعنا
 نفس مفرقة أقام فريقها
 فالآن إذ كملت أداتك كلها
 واختير من سرّ الحدائد خيرها
 وغدوت طنان اللجام كأنما
 وكان سرجك إذ علاك غمامة
 ورأى علي بك الصديق جلالة
 أنساك لا زالت إذا منسية
 أضمرت منك اليأس حين رأيته
 ورجعت حين رجعت منك بحسرة
 بعد الفتى وهو الأحب الأقرب
 وسلبت قربك أي علق أسلب
 ومضى لطيفته فريق يجنب
 ودعا العيون إليك لون معجب
 لك خالصاً ومن الحلي الأغرب
 في كل عضو منك صنع يضرب
 وكأنما تحت الغمامة كوكب
 وغدا العدو وصدوره يتلهب
 نفسي ولا زالت يميني تنكب
 وقوى حالي من قواك تقضب
 لله ما فعل الأحم الأشهب

[ناظر ضعيف البصر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، رضوان الله عليه ، قال : حدثني محمد بن ناصح
 رحمه الله عليه ، قال : لحقت غلات أهل البت¹ آفة في أيام محمد بن عبد الملك من جراد
 وعطش ، فتنظلم إليه جماعة منهم ، فوجه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم ، وكان في بصره
 ضعف ، فكتب إليه محمد بن علي البتي :

أتيت أمراً يا أبا جعفر
 لم يأت به بر ولا فاجر
 أغثت أهل البت إذ أهلكوا
 بناظر ليس له ناظر

فبلغه ، فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر .

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أخبرني الصولي رضي الله عنه قال : حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد عن أبيه رضي الله
 عنهما قال : قال علي بن جبلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان قد قصد أبا دلف
 القاسم بن عيسى في بعض أمره :

[من البسيط]

1 البت : قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان .

يا بائع الزيت عرّج غير مرموق
 من رام شتمك لم ينزع إلى كذب
 أبوك عبدٌ وللأم التي فلقت
 إن أنت عدّدت أصلاً تُسبُّ به
 ولن تطيق بحولٍ أن تُزيل شجاً
 الله أنشاك من نوكٍ ومن كذب
 ماذا يقول امرؤ غشاك مدحته
 لتُشغلن عن الأبطال والسوق
 في مُنتماك وأبداه بتحقيق
 عن أم رأسك هن غير مخلوق
 يوماً فأمك مني ذات تطليق
 أثبتته منك في مستنزل الريق
 لا تعطفن إلى لؤم لمخلوق
 إلا ابن زانية أو فرخ زنديق

فأجابه محمد :

[من البسيط]

اشمخ بأنفك يا ذا السيء الأدب
 وارفع بصوتك تدعو من بذى عدن
 ما أنت إلا امرؤ أعطى بلاغته
 فاجمخ لعلك يوماً أن تعض على
 إنني اعتذرت فما أحسنت تسمع من
 صبراً أبا دلفٍ في كل قافية
 يا رب إن كان ما أنشأت من عرب
 إن التعصّب أبدى منك داهية
 ما شئت واضرب قذال الأرض بالذنب
 ومن يقالي قلا بالويل والحرب¹
 فضل العذار ولم يربح على أدب²
 لجسم دلّاصية تشيك من كتب³
 عذري ومن قبل ما أحسنت في الطلب
 كالقدر وقفاً على الجارات بالعقب⁴
 شروى أبي دلفٍ فاسخط على العرب⁵
 كانت تحجب دون الوهم بالحجب

فأجابه علي بن جبلة :

[من البسيط]

نبّهت عن سنية عينيك فاصطبر
 واسحب بذيلك هل تقفو على أثر⁶

1 قالي قلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، بلد أبي علي القالي صاحب الأمالي .

2 يربح : يقف .

3 لجسم دلّاصية : ملساء براقّة .

4 العقب : جمع عقبة ، أي شيء من المرق يرده مستعير القدر .

5 شروى : مثل .

6 تقفو : تمحو .

إِنْ يَرَحْضَ اللَّهُ عَنِّي عَارَ مُطَلَّبِي
إِنِّي ودَعَوَاكَ أَنْ تَأْتِي بِمَكْرُمَةٍ
فَارْدَدَ جُفُونَكَ حَسْرَى عَنْ أَبِي ذُلْفٍ
لَا يَسْخَطُنْ أَمْرُوهُ إِنْ ذَلَّ مِنْ حَسَبٍ
لَمْ آتِ سَوْءًا وَلَمْ أُسْخَطْ عَلَى أَحَدٍ
أَقْصِرْ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ سَطْوَةٍ جَمَحَتْ
إِلَيْكَ رِفْدًا أَلَا فَاثْجِدْ بِهِ وَغُرٍ
كَمُنْبِضِ الْقَوْسِ عَنْ سَهْمٍ يَلَا وَتَرٍ
وَلَا مَلَامَةً أَنْ تَعْشَى عَنْ الْقَمَرِ
فَاللَّهُ أَنْزَلَهُ فِي مُحَكَّمِ السُّورِ
إِلَّا عَلَى طَلَبِي فِي مُجْتَدَى عَسْرِ¹
إِنْ لَمْ تُقْصِرْ بِهَا مَالَتْ إِلَى الْقَصْرِ

[من المنسرح]

فأجابه محمد بن عبد الملك :

يَا أَيُّهَا الْعَائِي وَلَمْ يَرِ لِي
هَلْ لَكَ وَتَرٌ لَدَيَّ تَطْلُبُهُ
فَالْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالثَنَاءُ لَنَا
وَلِلْحُسُودِ الثُّرَابُ وَالْحَجَرُ
عِيًّا أَمَا تَنْتَهِي فَتَزْدَجِرُ
فَأَنْتَ صَلَدٌ مَا فِيكَ مَعْتَصِرُ
وَلِلْحُسُودِ الثُّرَابُ وَالْحَجَرُ

وهي طويلة يقول فيها :

تَعِيشُ فِينَا وَلَا تَلَايُنُنَا
تُغْلِي عَلَيْنَا الْأَشْعَارَ مِنْكَ وَمَا
كَمَا تَعِيشُ الْحَمِيرُ وَالْبَقَرُ
عِنْدَكَ نَفْعٌ يُرْجَى وَلَا ضَرَرُ

[غزل بغلام]

أَخْبَرَنِي عَمِّي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ نَصْرِ الْكَاتِبِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي
عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ مُحَمَّدٌ : اجْتَازَ بَدِيعُ غَلَامٍ عُمَيْرُ الْمَأْمُونِيِّ بِمُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ ، وَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ يُحِبُّهُ وَيُجَنُّ بِهِ جَنُونًا
فَقَالَ :

رَاحَ عَلَيْنَا رَاكِبًا طِرْفُهُ
قَدْ لَيْسَ الْقُرْطُوقَ وَاسْتَمْسَكَتْ
وَقُلْدَ السِّيفِ عَلَى غُنْجِهِ
أَقُولُ لَمَّا أَنْ بَدَأَ مُقْبِلًا
أَغْيَدُ مِثْلُ الرِّشَاءِ الْآنَسِ
كَفَّاهُ مِنْ ذِي بُرْقٍ يَابِسٍ²
كَأَنَّهُ فِي وَقْعَةِ الدَّاحِسِ
يَا لَيْتَنِي فَارَسُ ذَا الْفَارَسِ

1 اجتدى : سأل حاجته .

2 القرطوق : القباء .

[سماء تعوقني عن سماء]

أخبرني الأَخْفَشُ ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : دَامَتِ الْأَمْطَارُ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى ، فَتَأَخَّرَ
 الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ وَزِيرٌ ، وَالْحَسَنُ يَكْتُبُ لَهُ ،
 فَاسْتَبْطَأَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ يَقُولُ : [من الخفيف]

أَوْجَبَ الْعَذَرَ فِي تَرَاحِيِ اللَّقَاءِ	مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ
لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا أَقُولُ وَأَشْكُو	مِنْ سَمَاءٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءِ
غَيْرِ أَنِّي أَدْعُو عَلَى تِلْكَ بِالتُّكْلِ	لِئَلَّا وَأَدْعُو لَهُذِهِ بِالْبَقَاءِ
فَسَلَامَ إِلَالِهِ أَهْدِيهِ غَضًّا	لَكَ مِنِّْي يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ

[عتاب]

أخبرني الصُّوْلِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، قال : اعْتَلَّ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ، فَتَأَخَّرَ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيْامًا كَثِيرَةً ، فَلَمْ يَأْتِهِ رِسُولُهُ ، وَلَا تَعَرَّفَ خَبْرَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
 الْحَسَنُ قَوْلَهُ : [من الخفيف]

أَيْ هَذَا الْوَزِيرُ أَيْدِكَ اللَّـ	هُ وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءٍ طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ	سَ لَكَيْمًا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
إِنِّي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلًا	مَا تَرَى مَرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ مُوجِبَ التَّعَمُّدِ فِي الصَّخْرِ	هَ مِنْنًا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأً	وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلًا
فَلَمَّاذَا تَرَكْتَنِي غُرْضَةَ الظَّنِّ	مِنْ الْخَاسِدِينَ جِيلًا فَجِيلًا
أَلِذْنِبِ فَمَا عَلِمْتُ سِوَى الشُّكِّ	رَ قَرِينًا لِنَيْتِي وَدَخِيلًا
أَمْ مَلَالٍ ، فَمَا عَلِمْتُكَ لِلصَّاحِبِ	حَبِّ مِثْلِي عَلَى الزَّمَانِ مَلُولًا
قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالْشِّفَاءِ فَمَا أَعَزَّ	حَرْفُ مِمَّا أَنْكَرْتَ إِلَّا قَلِيلًا
وَأَكَلْتُ الدَّرَاجَ وَهُوَ غِذَاءٌ	أَفَلَنْتَ عَلْتَنِي عَلَيْهِ أَفُولًا ¹
بَعْدَمَا كُنْتُ قَدْ حَمَلْتُ مِنَ الْعَدَا	ةِ عَيْنًا عَلَى الطَّبَاعِ ثَقِيلًا

ولعلِّي قَدِمْتُ قَبْلَكَ آتِيه
لَكَ غَدًا إِنْ وَجَدْتُ فِيهِ سَبِيلًا
فأجابه محمد بن عبد الملك :
[من الخفيف]

دفع الله عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمْتُ
إِنِّي أُرْتَجِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا
أَنْ أَكُونَ الَّذِي إِذَا أَضْمَرَ الْإِخْذَ
ثُمَّ لَا يَبْذُلُ الْمَوْدَّةَ حَتَّى
فَإِذَا قَالَ كَانَ مَا قَالَ إِذْ كَا
فَاجْعَلْنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُدْ
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْ

قال : وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه : [من البسيط]

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر
ماذا تراه دهاه قلت : أيلول
شهر تجد حبال الوصل فيه فما
عقد من الوصل وهو محلول

[مساجلة بينهما]

قال : وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال : [من البسيط]

إني بحول امرئ أعليت رتبته
وأنت عُدَّتْهُ فِي نَيْلِ هِمَّتِهِ
مَا غَالَنِي عَنْكَ أَيْلُولُ بِلَذَّتِهِ
الَلِيلُ لَا قِصْرَ فِيهِ وَلَا طَوْلُ
وَالْعُودُ مُسْتَنْطَقٌ عَنْ كُلِّ مَعْجِيَةٍ
لَكِنْ تَوَقَّعْ وَشَكَّ الْبَيْنَ عَنْ بَلَدِهِ
مَا لِي إِذَا شَمَرْتُ بِي عَنْكَ مَبْتَكِرًا
فَحِظُّهُ مِنْكَ تَعْظِيمٌ وَتَبْجِيلُ
وَأَنْتَ فِي كُلِّ مَا يَهْوَاهُ مَأْمُولُ
وَطَيْبُهُ وَلَنَعَمَ الشَّهْرُ أَيْلُولُ
وَالْجَوْ صَافٍ وَظَهَرَ الْكَأْسَ مَرْحُولُ
يُضْحِي بِهَا كُلُّ قَلْبٍ وَهُوَ مَتْبُولُ
تَحْلُهُ فَوَكَاهُ الْعَيْنُ مَحْلُولُ
دُهُمُ الْبَغَالِ أَوْ الْهَوَجُ الْمَرَاثِيلُ¹

إِلَّا رَعَايَاتُكَ اللَّاتِي يَعُودُ بِهَا حَدُّ الْحَوَادِثِ عَنِّي وَهُوَ مَفْلُولٌ

قال : وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مُسْنَأَةٍ¹ ، فعدل عن المسنأة لئلا يضيق
لحمد الطريق ، فظنَّ محمد أنه أشفقَ على نفسه من المسنأة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على
طريقه ، وظنَّ بنفسه أن يصيبها ما يصيبه ، فقال له محمد : [من الخفيف]

قَدْ رَأَيْتُكَ إِذْ تَرَكْتَ الْمُسْنَأَ وَحَاذَيْتَنِي يَسَارَ الطَّرِيقِ
وَلِعَمْرِي مَا ذَاكَ مِنْكَ وَقَدْ جَدَّ بِكَ الْجِدُّ مِنْ فِعَالِ الشَّقِيقِ

[مساجلة أخرى]

فقال له الحسن : [من الخفيف]

إِنْ يَكُنْ خَوْفِي الْخُتُوفَ أَرَانِي أَنْ تَرَانِي مَشَبَّهَا بِالْعُقُوقِ
فَلَقَدْ جَارَتْ الظُّنُونُ عَلَى الْمُسْدِ فَقِي وَالظَّنُّ مَوْلَعٌ بِالشَّقِيقِ
غَرَّرَ السَّيِّدُ الْأَجْلُ وَقَدْ سَا رَ عَلَى الْحَرْفِ مِنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ
فَأَخَذْتُ الشَّمَالَ بُقْيَا عَلَى السَّيِّدِ سَدَ إِذْ هَالَنِي سُلُوكُ الْمَضِيقِ
إِنَّ عِنْدِي مَوْدَّةً لَكَ حَازَتْ مَا حَوَى عَاشِقٌ مِنَ الْمَعْشُوقِ
طَوْدٌ عَزَّ خَصَصْتُ مِنْهُ بَيْرٌ صَارَ قَدْرِي بِهِ مَعَ الْعَيُّوقِ²
وَبِنَفْسِي وَإِخْوَتِي وَأَبِي الْبَرِّ رَرَّ وَعَمِّي وَأُسْرَتِي وَصَدِيقِي
مَنْ إِذَا مَا رُوِّعْتُ أَمَّنْ رَوْعِي وَإِذَا مَا شَرِّقْتُ سَوَّغَ رِيقِي

[يفتخر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش والصولي ، قالا : حدَّثنا المبرِّد ، قال : استسقى
الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب
إليه : [من مجزوء الكامل]

لَمْ تَلَقَ مِثْلِي صَاحِبَا أَنْدَى يَدَا وَأَعَمَّ جُودَا
يَسْقِي النَّدِيمَ بِقَفْرَةٍ لَمْ يُسَقَ فِيهَا الْمَاءُ عُودَا

1 مسنأة : سدّ يعترض به الوادي .

2 العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

صفراء صافية كأنَّ بكأسها دُرّاً نَضِيدا
وأجودُ حين أجودُ لا حصيراً بذاك ولا بليدا
وإذا استقلَّ بشكرها أوجبتُ بالشُّكر المزيدا
خُذها إليك كأنَّما كُسيَتْ زُجَاجَتُها عُقودا
واجعل عليك بأن تقو مَ بشكرها أبداً عهدا

[يوم سرور لا يكمل]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني أحمد بن محمد الأنصاريّ ، قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسن بن وهب في آخر أيام المأمون ، فجاءه ودخلا حماماً له ، وأقاما على لهما ، ثم طُلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه : [من السريع]

سقياً لنضِر الوجهِ بَسَامِهِ مُهذَّبِ الأخلاقِ قَمَقَامِهِ¹
تكسبه شُكراً على أنَّها مُطبَّقةُ السنِّ لِلوَامِهِ²
زُرناه في يوم علا قدره من سائرِ الأيامِ في عامِهِ
أسعده الله وأحظى به وجاده الغيثِ بإِرهَامِهِ³
فكان مسروراً بنا باذلاً لرُحْلِهِ الرحبِ وحمَامِهِ
نخدمه وهو لنا خادم بفضلِهِ من دون خُدَامِهِ
ثم سقانا قهوةً لم يدغْ أطيبَ منها بقرى شامِهِ
صهباء دَلَّتْ على دَنِّها وحدَّتْ عن ضعفِ إسلامِهِ

فأجابه محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى : [من السريع]

وزائرٍ لَدُنَّا يَوْمُهُ لو ساعد الدهرُ بِإِتِمَامِهِ
ماذا لقينا من دواوينه وخطّه فيها بأَقْلَامِهِ

1 القمام : السيّد .

2 إطباق السن : كتابة عن الصمت .

3 إلهام : الغيث .

أُسِّرَ ما كُنَّا فَمَنْ مازَحَ أو شارِب قد عَبَّ في جامِهِ
 فارَقنا فالنَّفْس مطروفة بواكف الذَّمع وسجَّامِهِ
 وعاد بالمدح لنا منعمًا به إلى سالف إنعامِهِ
 ليت - وأتَّى لي بها مُنيَّة - لو كنت فيه بعض قُوَّامِهِ
 يَشْكُر ما نال على أَنه لا يُشْكِرُ الحرُّ لِحَمَّامِهِ
 أَمْسَحَ فيه وأَدْنو له من خلفه طوراً وقُدَّامِهِ
 جعلت نفسي جَنَّةً للصَّبَا وبعث إسلامي بإسلامِهِ
 فصار ما يشرب حِلاً له وصرت مأخوذاً بآثامِهِ

[ابن الزيات في قيوده]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب ، قال : سمعت القاسم بن ثابت يحدث عن أبيه ، قال :
 قال أحمد الأحول : لما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطَّفت في الوصول إليه ، فرأته
 في حديد ثقيل ، فقلت له : أعزُّ عليَّ ما أرى ، فقال : [من الرمل]

سَلْ دِيَارَ الحَيِّ ما غَيَّرَها ومحاهَا ومحَا منظرَها
 وهي اللاتي إذا ما انقلبت صَيَّرَتْ مَعروفَها مُنكَرَها
 إِنما الدُّنيا كظِلٍّ زائلٍ نحمد الله كذا قدرَها

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لَمَن هو ؟

ومَّا يَغْنَى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات :

[من مجزوء الرمل]

صوت

ظالمسي ما علمتُهُ مُعتدٍ لا عدمتُهُ
 مُطْمِئني بالوصالِ مم تتعَّ حين رُمتُهُ
 مُرْصِدٌ بالخلافِ وال حَمَّع من حيثُ سَمَتُهُ¹
 هاجرٌ إن وصلتُهُ صابرٌ إن صرمتُهُ
 كم وكَم قد طويتُ ما بي وكَم قد كَتمتُهُ

1 أرصد له شيئاً : أعدّه له .

رُبَّ هَمٍّ طَوِيَتْ فِيهِ كُ وَغِيظٍ كَظَمْتُهُ
وَحَيَاةٍ سَمَّمْتُهَا وَالهوى ما سَمَّمْتُهُ
رُمْتُ شَيْئًا هَوَيْتُهُ لَيْسَ لِي مَا حَرَمْتُهُ
قَالَ إِذْ صَرَّحَ الْبُكَاءُ بِمَا قَدْ سَتَرْتُهُ
لَوْ بَكَى طَوِيلَ دَهْرِهِ بِدَمٍ مَا رَجِمْتُهُ

الغناء لأبي العنيس بن حمدون خفيف ثقیل بالنصر .

صوت

[من الهزج]

إِذَا أَحْبَبْتُ لَمْ أَسْلُ وَإِنْ وَاصَلْتُ لَمْ أَقْطَعْ
وَإِنْ عَاتَبَنِي النَّاسُ تَصَامَمْتُ فَلَمْ أَسْمَعْ
وَقَدْ جَرَّبْتُ مَا ضَرَّ وَقَدْ جَرَّبْتُ مَا يَنْفَعُ
فَمَا مِثْلُ الْهَوَى أَنْهَ كُ لِلْجِسْمِ وَلَا أَضْرَعُ
وَلَا كَالْهَجْرِ فِي الْقَرَبِ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا أُسْرَعُ
وَإِنْ أَوْجَعَنِي الْعَذْلُ فَنِيرَانُ الْهَوَى أَوْجَعُ
وَهَذَا عَدَمُ الْعَقْلِ فَمَا أَطْطِيعُ أَنْ أَصْنَعُ
وَلَا وَاللَّهِ مَا عِنْدِي لَمَّا قَدْ حُلَّ بِي مَدْفَعُ
وَلَا فِيَّ لَهْجَرَانِ — كُ لَوْلَا ظَلَمَكُم مَوْضِعُ

الغناء لعريب الحنان : خفيف ثقیل بالنصر ، وهزج بالوسطى .

[يمدح الحسن بن وهب]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : حدّثني الحسن بن رجاء ، قال : قدّم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصلح ، وامتدحه بقصيدته التي أوّلها :

[من الرجز]

كَأَنَّهَا حِينَ تَنَاءَى خَطْوُهُ أَخْنَسَ مَوْشِي الشَّوَى يَرْعَى الْقُلُلُ¹

1 الأخنس : ذكر البقر الوحشي . موشي الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدتها أيّ مرادٍ ومنّاخٍ ومحلّ
سيف أمير المؤمنين المنتضى وحصن ذي الرياستين المُقْبِلِ
آباؤك الغرّ الألى جدّهم كسرى أنوشروان والناس همَلِ
من كلّ ذي تاجٍ إذا قال مضى كلّ الذي قال وإن همّ فعَلِ
فأين لا أينَ وأنى مثلكم أنتم الأملاك والناس خولُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يتنكر للحسن بن سهل فيخجله]

قال : ومرض الوراق ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذٍ وزيره ، والحسن بن سهل متعطّل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلّم في العلّة وعلاجها وما يصلح للوراق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : من أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إنّي كنت أستصحب من أهل كلّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلّا ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمان قلت فيّ :

فأين لا أينَ وأنى مثلكم أنتم الأملاك والناس خولُ

فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعدّل عن الجواب .

[عسى أمور بعد ذلك تكون]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : حدّثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يريد يومئذٍ منزله ، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح ، فرأى فيها قبة مشيدة ، فقال :

أما القبابُ فقد أراها شَيِّدَتْ وعسى أمورٌ بعد ذاك تكون
عبدٌ عرّت منه خلائقُ جهله إذ راح وهو من الثّراء سميّ

فما كان إلّا أيام حتى أوقع به .

[ابن أبي دواد يكيد له]

أخبرني عمي قال : حدثني الحسن بن علي بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال : كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي دواد ، فكفَّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه بعد مدة ، ثم وزر للمتوكل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق ، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكل ، وقام وقعد في أمره حتى وُلِّي ، وعمَّه بيده ، وألبسه البردة ، وقُبِّل بين عينيه ، وكان المتوكل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفائه له فيتجهَّمه محمد ، ويُغلظ له الردَّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصي ، يعادي أمير المؤمنين ، ثم يسألني أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح نفسك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق : إنَّ جعفرًا يدخل إليَّ وله شعر قفًا وطُرة مثل النساء ، فقد ضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب شعرهما وجهه ، فلمَّا دخل إليه المتوكل فعل ذلك به ، وتجهَّمه بالقبيح ، فلمَّا ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويَجِدُ عنده لذلك موقعاً واستماعاً ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلُّها من عينٍ وورقٍ وأثاثٍ وضيعةٍ إلَّا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فنديم على ذلك ، ولم يجد منه عوضاً ، وكان أمره ممَّا يُعتدُّ على أحمد بن أبي دواد ، ويقول : أطمعتني في باطل ، وحملتني على أمر لم أجِد منه عوضاً .

[دندن الكاتب يتبأ بما حدث له]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : زعم محمد بن عيسى الفساطيطي ، أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له ، فقال دندن :

راح الشقيّ بخلعة النُكرِ مثل الهدْيِ لليلة النُحرِ¹

1 الهدى : الضحية ونحوها .

لا تمّ شهر بعد خلّعه حتى تراه طافيّ الجمرِ
ويُرى يُطامن من إساءته يَهْوِي لهُ بِقَواصم الظهْرِ

فكان الأمر كما قال .

[في التنوير]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى : فلما قبض عليه المتوكلّ استعمل له تنوّراً حديد ، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرّك إلّا دخلت في جسده ، ثم أحماه له وجعله فيه ، فكان يصيح : ارحموني ! فيقال له : اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف في الطبيعة ، وخوّز في المنة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تشوّنني ، فشوّوك .

[موت ومكايده]

أخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ : قال : قال العباس بن طومار : أمر المتوكلّ عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد أحمي تنوّراً حديد ، وجعله فيه ، فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيرانني ، وكانت صاحبةً لي ، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم ، فبرأت هي ومرض هو بعد أيام ، فدخلت إليه صاحبتني وهو بالنزع ، فقالت : ويّ يا فلان ؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفنناه في ذلك القبر ، والعقبى لك . قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أن مات .

[الحسن بن وهب يرثيه]

قال الصوليّ : وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك ، وكان في حياته ينتفي¹ منها ، ويججدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطّه :

[من الوافر]

يكاد القلب من جزع يطيرُ إذا ما قيل قد قُتِلَ الوزيرُ
أمير المؤمنين هَدَمَتْ ركناً عليه رَحَاكُم كانت تدورُ

1 ينتفي منها : يتنصّل منها .

ويُخرب حين تَضْطرب الأمورُ	سُيلى الملك من جزعٍ عليه
فقد كُوِيَتْ بفعلكم الصدورُ	فمهلاً يا بني العباس مهلاً
لكم في كلِّ ملحمة عقيـرُ	إلى كم تنكُبون الناسَ ظلماً
وليس كذليكم يُجزَى النصيرُ	جزيتم ناصراً لكم المنايا
وذلك من فعالكم شهيرُ	فكنتم سائقاً أرسا إليكم
قريباً لا يحاوله البصيرُ	وكان صلاحه لو شئتموه
لئلاً تعدلوا ولأن تجوروا	كان الله صيركم ملوكاً

[504] - أخبار أبي حشيشة

[نسبه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمد بن أمية بن أبي أمية ، يكنى أبا جعفر ، وكان أهله جميعاً متّصلين بإبراهيم بن المهديّ ، وكان هو من بينهم مَعْنِيّاً بالطُّنبور ، يُغْنِي أحسن غِنَاءٍ وَخَدَمَ جماعة من الخلفاء أولهم المأمون ، ومن بعده إلى المعتمد .
[أبو صالح يكتب له في استاره]

وله يقول أبو صالح بن يزداد وكتب بها في استاره :
[من الوافر]
جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ أَبِي أُمِيَّةٍ أَرَى الْأَيَّامَ قَدْ حَكَمَتْ عَلَيْهِ
وَمَلَّتِي الصَّدِيقُ وَخَانَ عَهْدِي فَمَا أَقْرَأَ لَكُمْ كُتُبًا إِلَيَّ
فَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ كَمَا بَدَأَ لِي فَهَذَا وَإِلَالِهِ هُوَ الْبَلِيَّةُ
وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أَيَّامَ حياته ، وكان أبوه وجده وأخواله كُتُباً .

وَقَرَأَتْ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ جَحْظَةً مَا ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي حَشِيشَةَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي أَخْبَارِ
مَرَاتِبِ الطُّنْبُورِيِّينَ وَالطُّنْبُورِيَّاتِ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : شَاهَدْتُ أَبَا حَشِيشَةَ مَدَّةً ، وَكَانَ
يَتَغَنَّى فِي أَشْعَارِ خَالِدِ الْكَاتِبِ وَبَنِي أُمِيَّةٍ ، وَكَانَتْ مَعَهُ فَقَرَّ مِنْ الْأَحَادِيثِ يَضَعُهَا مَوَاضِعَهَا ،
وَكَانَتْ لَهُ صِنْعَةٌ تَقْدَمُ فِيهَا كُلُّ طُنْبُورِيٍّ ، لَا أَحَاشِي مِنْ قَوْلِي ذَلِكَ ، فَمِنْهَا : [من الطويل]

كَأَنَّ هُمُومَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا عَلَيَّ وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ
وَلِي شَاهِدًا عَدْلٍ شُهَادٌ وَعَبْرَةٌ وَكَمْ مُدْعِرٌ لِلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ شَاهِدٍ
وهو خفيف رَمَلٍ مطلق . قال جَحْظَةُ : ورأيتُه فِي الْقَدَمَةِ الَّتِي قَدِمَهَا مَعَ ابْنِ الْمَدْبَرِيِّينَ
يَدِي الْمُعْتَمِدَ ، وَقَدْ غَنَاهُ مِنْ شَعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ نَصْرٍ .

صوت

[المجث]

حُرِّمَتْ بِذَلِكَ نَوَالِكُ وَاسْوَأَاتَا مِنْ فِعَالِكُ

لَمَّا مَلَّتْ وَصَالِي آيَسْتَنِي مِنْ وَصَالِكُ

فوهبَ له مائتي دينار .

واللحن رَمَلٌ مطلق .

[عريب تفضله على علويه ومخارق]

أخبرني جَحْظَةُ فيما قرأته عليه ، قال : حَدَّثَنِي ابنُ نُوبُخت : يعني عليَّ بنَ العباس قال : رأيته وقد حضرتُ عَرِيبُ عند ابن المدبر ، وهو يُعْنَى ، فقالت له عَرِيب : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخَانُ ما قلتُ لهما هذا ، تَعْنِي عُلُوِيَّةٌ وَمُخَارِقًا .
[يَهْدُدُ بِالْجَلْدِ إِنْ تَكَلَّمَ]

حَدَّثَنِي أَبُو حَشِيشَةَ ، قال : هجم عليَّ خادِمٌ أَسْوَدُ ، فقال لي : الْبِسْ ثِيَابَكَ ، فعلمتُ أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أمير ، فلم أراجعه ، حتى لبستُ ثيابي ، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بي في رِواقٍ فيه حُجَرٌ تفوحُ منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءني بمائدة كأنها جَزَعَةٌ يمانية قد نشرت في عراصها الحِجْرَةُ¹ ، فأكلتُ وسقاني رطلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طُناير ، فقال لي : اخترْ ، فاخترتُ واحداً ، وأخذ بيدي ، فأدخلني إلى دار فيها سَمَاعَةٌ وفيها رجلان على أحدهما قَبَاءٌ غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلْحَمٌ² وخَزَّ ، فقال لي صاحب الخَزَّ : اجلس ، فجلست ، فقال : أَكَلْتَ وشربت ؟ فقلت : نعم . قال : عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُعْنِي ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُعْنِي بصنعتك :
[من الخفيف]

يا كثيرَ الإقبالِ والإنصافِ وملولاً ولو أشأ قلت خافٍ

وهو رَمَلٌ مطلق ، فغَنِيَّتُهُ إِيَّاهُ ، وجعلَ يطلبُ مِنِّي صوتاً بعد صوت من صَنَعْتِي ، فأغْنِيهِ ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأسقى بالأنصافِ المختونة³ إلى أن صلَّوا العشاءَ الآخرة ، وهم لا يشربون إلا على الصوتِ الأوَّلِ لا يريدون غيره ، ثم أومأ إليَّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لي صاحبُ القَبَاءِ منهما : أتعرفني ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وهذا محمد بن راشد الخنَّاق ، والله لئن بلغني أنك تقولُ : إِنَّكَ رأيَتي لأضربنكَ

1 الحبرة : كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .

2 مُلْحَمٌ : جنس من الثياب .

3 المختونة : الناقصة .

مائتي سَوَوط ؛ انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرِّ ، فما فعل .

حدثني جحظةُ قال : حدثني أبو حشيشة : قال : وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، فصرْتُ إليه وهو في داره التي على طرف الخندق ، فدعا بجُونة¹ ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودعا بستارة وقال : تغنّ بصنعتك :

عَادِ الهَوَى بالكأسِ برداً فأطعِ إمارة من تبدّى

وهو خفيف رَمَل مطلق .

فغنّيته مراراً ، ثم ضرب الستارة ، وقال : قولوه ، فقالتْه جاريةٌ فأحسنّت غاية الإحسان ، فضحك ثم قال : كيف تراه ؟ فقلت : قد والله بغضوه إليّ ، فازداد في الضحك ، وأنا أرمقُ جَبَّةَ خَزْ خَضِرَاء كانت عليه ، فقال : كم ترمقُ هذه الجَبَّة ؟ يا غلامُ كانت عشرة أثواب خَزْ فقطعت منها هذه الجَبَّة ، فهاتِ التسعة فجيء بها ، فدفعها إليّ فكنت أبيعُ رُدَالَهَا بستينَ ديناراً .

حدثني جحظةُ قال : حدثني أبو حشيشة أن بني الجعيد الإسكافيين كانوا أوّل مَنْ اصطنعه ، وأنّهم كانوا يسمّونه الظّريف ، وأنّ أوّل منزل إبتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبره ، وتفاقم أمره . قال : وكانوا آكلِ الناس ، رأيتُ رجلاً منهم ، وقد أكل هو وابن عمّ له اثنين وعشرين رأساً كبيراً ، وشربا ، فسكروا وناما ، ثم انتبها في وقت الظّهر ، فدعوا بالطعام ، فعادا إلى الأكل ، ما أنكر مِنْهُمَا شيئاً .

[المأمون أوّل خليفة سمعه]

ونسختُ من كتاب ألفه أبو حشيشة ، وجمع فيه أخباره مع مَنْ عاشه ، وخدم من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال : أوّل مَنْ سمعني من الخلفاء المأمون ، وهو بدمشق ، وصفني له مخارق ، فأمر بإشخاصي إليه ، وأمر لي بخمسين ألفَ درهم أتجهزُ بها ، فلما وصلتُ إليه أداني ، وأعجبَ بي ، وقال للمعتصم : هذا ابنُ مَنْ خدمك وخدم آباءك وأجدادك يا أبا إسحاق ، جدُّ هذا أُمّية كاتب جدّك المهديّ على كتابة السرِّ وبيت المال والخاتم ، وحجّ المهديّ أربعَ حجَج كان جدُّ هذا زميله فيها .

[يضرب لغناؤه بشعر فيه ذكر الشيب]

[من الرمل]

واشتهى المأمون من غنائي :

صوت

كان يُنهي فنّه حين انتهى وانجلت عنه غيابات الصبا
خلع اللهو وأضحى مُسبلاً للنهي فضل قميص وردا
كيف يرجو البيض من أوله في عيون البيض شيب وجلا
كان كحلا لمّا قهيها فقد صار بالشيب لعينيها قذى

الشعر لدعبل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحَرِّز رَمَل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نهاني أن أُغني ما فيه ذكرُ الشيب من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأولين ؛ لأنّ المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ويكرهه جدّاً من المغنين ، وأمر ألاَّ يغنيه أحدٌ بشعر قيل في الشيب أو فيه ذكر له ، فسكرت يوماً ، فمررت في الشعر كله ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسن أدب هذا الفتى ! فتقفني¹ مُخارق نقفة صلبة ، فما عدت بعدها لذكر شيء فيه الشيب .

[لكلّ خليفة صوت يحبه]

وذكر أبو حشيشة في كتابه هذا ممّا كان يشتيهه عليه المأمون وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرة ، ولا فائدة في ذكرها هاهنا لأنّها طويلة ، فذكرت ممّا كان يختاره عليه كلّ خليفة صوتاً . قال أبو حشيشة : كان المعتصم يشتيه عليّ : [من مجزوء الكامل]

صوت

أسرفت في سوء الصنيع وفتكت بي فتك الخليع
وولعت بي مُتمرّداً والعذر في طرف الولوع
صبرت حبك شافعاً فأتيت من قبل الشقيع

الشعر لأصرم بن حميد ، والغناء لأبي حشيشة .

[من مجزوء الكامل]

قال : وكان الواثق يختار من غنائي :

1 النقف : أشد الضرب بعضاً ونحوها .

يا تاركِي متلدّد العُدَّ سوّاد جَذلانَ العُدّاق¹
 انظُرْ إليّ بعينِ را ضِ نظرةً قبلَ المماتِ
 خلّيتَنِي بينَ الوعيِّ يدِ وِينِ السَّينَةِ الوُشاةِ
 ماذا يُرَجِّي بالحِيا قِ مُنْعَصُ رُوحِ الحِياةِ

الشعر لمحمد بن سعيد الأسديّ ، والغناء لأبي حشيشة خفيف رمل .

قال : وكان المتوكّل يحبُّني ، ويستخفُّني ، وكانت أغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرةً منها :

صوت

أطعتُ الهوى وخلعتُ العِذارا وباكرتَ بعدَ الفَراحِ العُقارا²
 ونازعكَ الكأسَ من هاشم كريمٌ يحبُّ عليها الوَقارا
 فتى فرّقَ الحمدُ أمواله يَجُرُّ القميصَ ويُرخي الإزارا
 رأى اللهُ جعفرَ خيرَ الأنام فملّكه ووقاهُ الحِذارا
 الشعرُ والغناءُ لأبي حشيشة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ :

صوت

قالوا عشقتُ فقلتُ أحسنَ من مَشى والعشوقُ ليسَ على الكَريمِ بَعارِ
 يا مَنْ شكوتُ إليه طولَ صبابتي فأجابني بتجَهُّمِ الإنكارِ
 قال : وكان المستعين يشتهي عليّ :

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعُ وفيضَ الدّموعِ وغَمَزَ اليَدِ
 وخَدَيّ مُضافاً إلى خَدّها قياماً إلى الصُّبحِ لم نَرُقْدِ
 الشعرُ لمحمد بن أبي أمية والغناء لأبي حشيشة .

1 متلدّد العواد : متحير الزائرين .

2 العقار : الخمر .

قال : وأخبرني محمد بن علي بن عَصْمَة ، وكان إليه الزهدُ في الدنيا كلها ، قال : حضرتُ المعتزُ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلبُني منه ، فكتب إليه محمد : إني عليلٌ ، لا فضلَ فيَّ للخدمة ، قال أبو عَصْمَة : فقال لي المعتزُ : يا أبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلتُ له : يا سيدي ، أنا أعلم الناس بخبره ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمة أمير المؤمنين ، قال : ثم ذكرني المعتمد . وحرَّضه عليُّ ابنُ حَمْدُون ، فكتب إلى أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ أمير بغداد ، في إشخاصي ، فشخصني إليه من ساعتِي ، فأكرمَني ، وأذن لي مجلسي ، وأمر لي بجائزة ، واشتهد عليّ :

قلبي يُحبُّك يا مُنى قلبي وُبغضُ من يُحبُّك
لأكونَ فرداً في هوا لك فليت شعري كيفَ قلبُك

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعة لأبي حشيشة رمل .

[مع إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهدي أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخر وعمر بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه ، وقال : الطُّنبور كُلُّه باطل ، فإن كان فيه شيء حقّ فهذا . وأشتهي أن يسمعي . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضيتي لم يزد ذلك في قدرِي ، وإن لم يرضيني بقيتُ وصمةً آخرَ الدهر ، وكان يطلبُني من محمد بن الحارث بن بسخر خاصة ، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيح ، فكنْتُ أفرُّ منهما ، حتى صيرتُ بسرٍّ مَنْ رأى ، وأنا في تلك الأيام منقطعٌ إلى أبي أحمد بن الرشيد ، ونحن في مضاربٍ لم نكن سكناً المنازل بعدُ ، فوافي إلى أبي أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهدي فأبلغه السلام ، وقال : يقول لك عمُّك : قد أعيتني الحيلُ في هذا الخبيث ، وأنا أحبُّ أن أسمع ، وهو يهربُ مني ، فأحبُّ أن تبعثَ به إليّ ، وتكونَ رَئِبُ معه تُؤنسه . فقال لي : أبو أحمد : لا بدُّ أن تمضيَ إلى عمِّي ، فجهدتُ كلَّ الجهد أن يُعفيني ، فأبى ، فلما رأيتُ أنه لا بدَّ لي منه لبستُ ثيابي ، ومضيتُ إليه ، وهو نازل في دسكرة ، فرحَّب بي وقرَّب ، وبسطَني كلَّ البسط ومعِي رَئِبُ ، ودعا بالنبيذ ، وأمرَ خَدَمًا له كباراً ، فجلسوا معي وشربوا وسقَوْنِي . وعرض لي بكلِّ حيلة أن أُغنيَ ، فهبته هيبة شديدة ، وحَصِرْتُ . وشرب ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن

وجلسن ، وقال لهنّ : قُلْنَ : [من المنسرح]

صوت

كَيْفَ احْتِيَالِي وَأَنْتَ لَا تَصِلُ عَيْلِ اصْطَبَارِي وَقُلْتَ الْخَيْلُ
إِنْ كَانَ جِسْمِي هَوَاكَ يُنَجِّلُهُ فَإِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ يَتَكَلَّمُ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبي حشيشة رمل . وكان يسمّيه الرُّهبانيّ ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبانٍ في الليل يردّدونه ، فغنّاه عليه .

فقالته إحداهنّ ، فذهب عقلي ، وسمعت شيئاً لم أسمع مثله قطّ ، فقال : يا خليلي ، أهذا لك ؟ فقلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، وأخذتني رِعدة ، ثم قال لهنّ : إِيه ، قُلْنَ : [من مجزوء الخفيف]

صوت

رَبُّ مَا لِي وَلِلْهَوَى مَا لِهَذَا الْهَوَى دَوَا
حَازَ طَرْفِي الَّذِي هَوَى الـ حُسْنُ قَلْبِي وَمَا حَوَى

الشعر لخالد ، والغناء لأبي حشيشة رمل .

فَفَتَنَتْهُ فَسَمِعْتُ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنَ الْأَوَّلِ ، فقال : يا خليلي ، هذا لك ؟ قلت : نعم يا سيّدي ، قال : هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رطلاً آخر ، فقلت : يا نفس ، دعالك الرجل يسمعك ، أو يُسمعك ، وقويت عزمي ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا :

صوت

لَنْ لَجَّ قَلْبُكَ فِي ذِكْرِهِ وَلَجَّ حَبِيبُكَ فِي هَجَرِهِ
لَقَدْ أَوْرَثَ الْعَيْنَ طَوْلَ الْبُكَاءِ وَعَزَّ الْفَوَادُ عَلَى صَبْرِهِ
فَإِنْ أَذْهَبَ الْقَلْبَ وَجَدَ بِهِ فَجَسْمُكَ لَا شَكَّ فِي إِثَرِهِ
وَأَيُّ مُحِبٍّ تَجَافَى الْهَوَى بِطُولِ التَّفَكُّرِ لَمْ يُبْرِ

فجعل يُردّد البيت الأوّل والبيت الأخير ، وقال لي : لا تَخْرُجَنَّ يا خليلي من هذا إلى غيره ، فلم أزل أردده عليه ، حتى شرب ثلاثاً ، واسترحت ساعةً ، وشربت وطابت نفسي ، ثم استعادي فغنّيته ، فأعجب به خلافاً الأوّل ، فنظر إليّ وضحك ، ولم يقل شيئاً ، وشرب رطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لي : يا خليلي ، ما أشكّ في أنّك قد أوحشت ابني منك ،

فامض في حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً ، فلما وافيت أبا أحمد ، وبصر بي من بعيد قال : حنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بل سمسيم وشهد ، أنج على رغم أنف من رغم ، فقال : ويحك ، أتراني لا أعرف فضلك ، ولكن أحببت أن أستعين برأيه على رأيي فيك ، وقصصت عليه القصة ، فسرّه ذلك ، ولم يرض حتى دس إليه محمد بن راشد الخناق ، فسأله عني ، فقال : ما ظننت أن يكون في صناعته مثله .
[إسحاق يركبه]

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنائي فاستحسنه ، فسأل عني ، فقال : غناء الطنبور كله ضعيف ، وما سمعت فيه قط أقوى ولا أصح من هذا .
[موت أبي حشيشة]

حدثني جحظة ، قال : كان سبب موت أبي حشيشة بسراً من رأى ، أن قلماً غلام الفضل بن كاووس صار إليه في يوم بارد ، فدعاه إلى الصبح ، فقال له : أنا لا آكل إلا طعاماً حاراً ، وليس عندك إلا فضيلة من مجلية ، قال : تساعدني ، وتأكل معي ، فأكل منها ، فجمدت دم قلبه ، فمات ، فحمله إبراهيم بن المدبر إلى بناته وما كسبه بسراً من رأى معه ، فاقتسمته بينهن .

صوت

[من المنسرح]

سَقِيَا لِقَاطُولَ لَا أَرَى بِلْدَا أَوْطَنَهُ الْمُوطُونُ يُشْبِهُهَا
أَمْنَا وَخَفِضَا وَلَا كَبْهَجِيهَا أَرْغُدُ أَرْضٍ عَيْشًا وَأَرْفُهَا

البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفي ، والثاني يقال : إنه لعمرى الوراق ، ويقال إنه لأبي نواس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعريب خفيف رمل . وكان الشعر : «سَقِيَا لبغداد» فغَيَّرته عريب وجعلت مكانه «سَقِيَا لِقَاطُول» .

[505] - أخبار عنان

كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، واشتراها الناطفي ، وربّاه ، وكانت صفراء جميلة الوجه ، شكلة¹ مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتتصف منهم .

[مساجلة فاحشة بينها وبين أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرّد النحويّ وعليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنا أبو هيفان عن الجمّاز قال : دخل أبو نواس يوماً على عنان جارية الناطفي ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالت : هات فقال :

[من مجزوء الرمل]

إن لي أيراً خبيثاً	لونه يحكي الكميّتا
لورأى في الجو صدعاً	لنزا حتّى يموتا
أو رآه فوق سقفي	لتحول عنكبوتا
أو رآه جوفاً بحر	خلته في البحر حوتا

قال : فما لبثت أن قالت :

[من مجزوء الرمل]

زوّجوا هذا بالفي	واظنّ الألف قوتا
إنني أخشى عليه	إن تمادى أن يموتا
بادروا ما حلّ بالمس	كين خوفاً أن يفوتا
قبل أن يتكس الدّ	اء فلا يأتي ويوتى

قال : ودخل إليها يوماً ، فقال :

[من المجتث]

ماذا ترين لصّب	يريد منك قطيرة
----------------	----------------

فأجابته :

[من المجث]

إيأيَ تَعْنِي بهذا عليك فاجْلُدْ عُمَيْرَةَ

فقال لها :

[من المجث]

أُرِيدُ هذا وأُخْشِي على يدي منكُ غَيْرَةَ

قال : ففجِلْتُ وقالت : تَعِسْتُ ، وتَعِسَ مَنْ يَغَارُ عليك .

[تطارح أبا حنشل]

أخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ : قال : حدّثنا عمر بن شُبّة : قال : حدّثني أبو أحمد بن معاوية : قال : سمعت أبا حنشل يقول : قال لي الناطفيّ : لو جئتَ إلى عنان فطارحتها ، فعزمتُ على الغدوّ ، فبِتُ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ :

[من الطويل]

أَحَبُّ المِلاحِ البيضَ قلبي ورُبّما أَحَبُّ المِلاحِ الصُّقرِ من وَلَدِ الحَبَشِ
بَكيتُ على صفراءَ منهنّ مرّةً بكاءً أَصابَ العينَ مِنِّي بالْعَمَشِ

فقلتُ :

[من الطويل]

بَكيتُ عليها أَنَّ قلبي يَحِبُّها وَأَنْ فُوادي كالجَنّاحين ذُو رَعَشِ
تَعَنَيْتُنا بالشَّعْرِ لما أَتَيْتُنا فدونك خذهُ محكماً يا أبا حنشل

[هي أشعر الجن والإنس]

أخبرني أحمدُ : قال : حدّثني عمر بن شُبّة : قال : حدّثني أحمد بن مُعاوية : قال : سمعتُ مروان بن أبي حفصة يقول : لَقِيتُ الناطفيّ ، فدعاني إلى عنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُك بأشعر الناس ، مروان بن أبي حفصة ، فوجدها عليلّة ، فقالت له : إنّي عن مروان لفي شغل ، فأهوى إليها بسوط فضربها به ، وقال لي : ادخل ، فدخلتُ وهي تبكي ، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلتُ :

[من السريع]

بكتُ عنانُ فجرى دمعُها كالدرّ إذ يسبقُ من خِيطِها

فقلت وهي تبكي :

[من السريع]

فليت مَنْ يَضْرِبُها ظالماً تَبَيَسَ يُمنّاهُ على سَوِطِها

فقلت : أعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أشعر منها .

[تجيز ما لا يجاز]

أخبرني الجوهري ، قال : حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية : قال : قال لي رجل :
تصفحتُ كُتُباً ، فوجدت فيها بيتاً جَهدت جهدي أن أجد مَنْ يُجيزه ، فلم أجد ، فقال لي
صديق : عليك بعنان جارية الناطفي ، فجتتها فأنشدتها :
[من الطويل]

صوت

وما زال يشكو الحبّ حتى رأيتُهُ تنفّسَ في أحشائه وتكلّمًا
فما لبثت أن قالت :
ويكي فأكبي رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دماً
في هذين البيتين لحن من الرّمل ، أظنه لجحظةً أو لبعض طبقة .
[تعاين شاعراً]

قرأتُ في بعض الكتب : دخل بعضُ الشعراء على عنان جارية الناطفي ، فقال لها مولاهما
عايه ، فقالت :

سَقياً لبغداد لا أرى أبداً يسكنه الساكنون يُشبهها
فقال :
كانتْها فِضّةٌ مُموّهةٌ أَخْلَصَ تمويها مُموّها
فقالت :

أمنٌ وخفض ولا كَبَّهَجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهها
فانقطع .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني ابن أبي سعيد قال : حدثني مسعود بن
عيسى ، قال : أخبرني موسى بن عبد الله التميمي ، قال : دخل أبو نواس على الناطفي ،
وعنان جالسةً تبكي ، وخدّها على رَزّةٍ من مصراع الباب ، وقد كان الناطفيّ ضربها ، فأومأ
إلى أبي نواس أن يحركها بشيء ، فقال أبو نواس :

[من المنسرح]

عنان لو جُدّت لي فإني من عمري في آمن الرسول بما

فردت عليه عنان : [من المنسرح]

فإن تمادى ولا تماديت في قطعك حبلِي أكن كمن ختما

فرد عليها أبو نواس فقال : [من المنسرح]

علقت من لو أتى على أنف س الماضين والغابرين ما ندما

فردت عليه : [من المنسرح]

لو نظرت عينها إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

[لا بديل لخاتمتها]

أخبرني ابن عمار ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرونه : قال : حدثني محمد بن أبي مروان الكاتب : قال : أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطفي خاتماً فصه أحمر ، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نواس ، فطلبته منه عنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فصه أخضر ، فاتهمته في ذلك ، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد ، فقال : [من السريع]

فدتك نفسي يا أبا جعفر	جارية كالقمر الأزهر
تعلقنتني وتعلقتهما	طفلين في المهدي إلى المكبر
كنت وكنت نهدي الهوى	بخاتميننا غير مستنكر
حنت إلى الخاتم مني وقد	سلبتني إياه مذ أشهر
فأرسلت فيه فغالطتها	بخاتم في قدّه أخضر
قالت : لقد كان لنا خاتم	أحمر أهده إلينا سري
لكنه علّق غيري فقد	أهدى له الخاتم لا أمري
كفرت بالله وآياته	إن أنا لم أهجره فليصبر
أو فأت بالخرج من تهمتي	إياه في خاتميننا الأحمر
فاردّده تردد وصلها إنّه	قرة عيني يا أبا جعفر
فإنني متهم عندها	وأنت قد تعلم أنني بري

قال : فرد إليه الخاتم ، وبعث إليه معه بألفي درهم .

[الرشيد أشعر منها]

أخبرني ابن عمار وعلي بن سليمان الأحفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن

المازنيّ عن الأصمعيّ ، وقال ابن عمّار في خبره عن بعض أصحابه ، أظنّه المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : ما رأيتُ أثر النبذ في وجه الرشيد قطُّ إلاّ مرّةً واحدة ، فإنّي دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشطرنجيّ ، فرأيتُ التّخثر¹ في وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيت بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم ، قال : فأشفقتُ ، ومنعتني هيبتة ، قال : فقال أبو حفص :

كلّما دارتِ الزجاجةُ زادتِ ه اشتياقاً وحرقةً فبكائكِ

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالتِ الهيبة عنيّ ، فقلتُ :

[من الخفيف]

لم يملكِ الرجاءُ أن تحضريني وتجاغتُ أمنيّتي عن سواكِ

فقال : لله درك ! لك عشرون ألف درهم ، قال : فأطرق مليّاً ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال :

أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال :

[من الخفيف]

فتمنّيتُ أن يغشّيني اللـ ه نعاسا لعلّ عينيّ تراكِ

[الأصمعيّ يصرف الرشيد عنها]

أخبرني ابنُ عمّار والأخفشُ قالا : حدّثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنيّ : قال : قال الأصمعيّ : بعثتُ إليّ أمّ جعفر أنّ أمير المؤمنين قد لهج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفته عنها فلك حكمك . قال : فكنْتُ أريغ² لأنّ أجد للقول فيها موضعاً ، فلا أجده ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب ، فانخرلتُ ، فقال : ما لك يا أصمعيّ ؟ قلت : رأيتُ في وجه أمير المؤمنين أثرَ غضبٍ ، فلعنَ الله منَ أغضبه ! فقال : هذا الناطفيّ والله ، لولا أنّي لم أجزّ في حكم قطّ متعمداً لجعلتُ على كلّ جبلٍ منه قطعةً ، وما لي في جاريته أربّ غير الشعر ، فذكرتُ رسالة أمّ جعفر ، فقلتُ له ، أجلّ والله ما فيها غير الشعر ، أفسرَ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق ؟ فضحك حتى استلقى ، واتّصل قولي بأمّ جعفر فأجزلتُ لي الجائزة .

1 التّخثر : غشيان النفس .

2 أريغ : أطلب .

[الرشيد يلج في طلبها]

أخبرني عمي والحسن بن علي ، قالا : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثني محمد بن هارون ، عن يعقوب بن إبراهيم : أن الرشيد طلب من الناطقي جاريته ، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فقال : أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ بالدينار سبعة دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَلُ إليه ، فذكروا أنها دخلت مجلسه ، فجلست في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إن هذا قد اعتاص علي في أمركِ ، قالت : وما يمنعك أن توفيه وترضيه ؟ فقال : ليس يقنع بما أعطيه ، وأمرها بالانصراف . فبلغني أن الناطقي تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه ، فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاه ، فلما مات بعث مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدٍ قد جللها ، فنودي عليها : من يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كبد رطبة ، وعلى الرجل دين ، فأشاروا ببيعها ، قال : فبلغني أنها كانت تقول ، وهي في المصطبة : أهان الله من أهاني ، وأذل من أذلني ، فلكرها مسرور بيده ، وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم ، فجاء رجل ، فقال : علي زيادة خمسة وعشرين ألف درهم ، فلكره مسرور ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفاً ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، وطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العين ، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً . وأولدها ابنين ، قال : أظنهما ماتا صغيرين ، ثم خرج بها إلى خراسان ، فمات هناك وماتت عنان بعده .

[أبو نواس يُشَبِّبُ بها]

قال : وأنشدنا لأبي نواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن يزيد ويذكر عنان في تشبيها :

عنان يا من تشبه العينا أنتِ على الحب تلومينا
حُسنك حُسن لا أرى مثله قد ترك الناس مجانينا

[بينهما وبين العباس بن الأحنف]

أخبرني عمي : قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي : قال : حدثني أحمد بن القاسم العجلي : قال : حدثني أبو القاسم النخعي قال : كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطقي ، فجاءني يوماً ، فقال : امض بنا إلى عنان جارية الناطقي ، فصرنا إليها ، فرأيتها

كالمهاجرة له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ العباس فقال :

[من مجزوء الرمل]

قال عباسٌ وقد أُجِدَّ هِد من وجدٍ شديدٍ
ليس لي صبرٌ على الهَجْد رٍ ولا لَذْع الصدودِ
لا ولا يَصْبِر للهَجْد رٍ فؤادٌ من حديدٍ

فقال عنان :

[من مجزوء الرمل]

مَنْ تراهُ كان أغنى منك عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لك مني فيه إرغامُ الحسودِ
فاتخذ للهَجْرٍ إن شئ تَ فؤاداً من حديدٍ
ما رأيناك على ما كنتَ تعجني بجليدٍ

فقال العباس :

[من مجزوء الرمل]

لو تجودينَ لَصَبُّ راح ذا وجدٍ شديدٍ
وأخي جهلٍ بما قد كان يَجْنِي بالصدودِ
ليس مَنْ أحدثَ هَجْراً لصديقي بسديدٍ
ليسَ منه الموتُ إن لَمْ تصليه بِبَعِيدٍ

قال : فقلتُ للعباس : ويحك ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بتأنيبي عليها ، فلم أبرحُ حتى ترضيتُها له .

[أبو نواس يفض الرشيد فيها]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ : قال : حدثنا الحارثُ بن يحيى بن حمَد بن أبي مَيَّة : قال : حدثني يحيى بن محمد : أنَّ الرشيد كان يساوم بعتان جارية النطافي ، فبلغ ذلك أمَّ جعفر ، فشقَّ عليها ، فلدست إلى أبي نواس أن يحتال في أمرها فقال يهجوها :

[من السريع]

إن عِنانَ النطافي جاريةٌ أصبح جرَّها للنَّيكِ ميدانا
ما يشتريها إلا ابنُ زانية أو قَلْطَبانٌ يكون من كانا¹

فبلغ ذلك الرشيد ، فكان يقول : لعن الله أبا نواس ، وقبحه فلقد أفسد عليّ لذتي في عنان
بما قال فيها ، ومنعني من شرائها .

صوت

[من السريع]

ما لي وللخمير وقد أُرعِشْت مِنِّي يَمِينِي هَاتِ بِالْيُسْرِ
حتى تَرَانِي مَائِلاً مُسْنِداً لا أُسْتَطِيعُ الكَأْسَ بِالْأُخْرَى
الشعر للحسن بن وهب ، والغناء لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ ، خفيف ثقيل بالوسطى ،
وفيه أيضاً له خفيف رمل بالنصر .

[506] - أخبار الحسن بن وهب¹

[نسبه]

هو الحسن بن وهب بن سعيد ، كاتب شاعر مترسل فصيح أديب ، وأخوه سليمان بن وهب فحل من الكتاب ويكنى أبا علي ، وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نجابة مشهورة تستغني عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنهم من بني الحارث بن كعب ، وأصلهم نصارى ، وفي بني الحارث نصارى كثير .

[قول البحري فيه]

وفي الحسن بن وهب يقول البحري :

يا أخا الحارث بن كعب بن عمرو
أشهوراً تصوم أم أياما

وكان البحري مداحاً لهم ، وله في الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته : [من الوافر]

أناة أيها الفلك المدار
أنهت ما تطرق أم جبار
نزلنا منزل الحسن بن وهب
وقد درست مغانيه القفار

يقول فيها يصف صبوحة كانوا قد اصطبحوه :

أقمنا ، أكلنا أكل استلاب
هناك وشربنا شرب يدار
تنازعنا المدامة وهي صيرف
وأعجلنا الطبايع وهي نار
ولم يك ذاك سخفاً غير أنني
رأيت الشرب سخفهم الوقار

أخبرني الصولي ، وذكر ذلك عن جماعة من الكتاب : أن الحسن بن وهب كان أشد تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتب عليه أخاه الحسن وابنه أحمد بن سليمان . وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سارقيقا» .

1 أنظر أخباره في : الفهرست : 136 ، والسمط 506 وابن خلكان 2 : 15-18 ومصورة ابن عساكر 4 :

604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والفوات 1 : 367 وفي معجم الأدياء

[يتباهون بحفظ أشعاره]

أخبرني عمي : قال : حدثني عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتابِ بِسْرٌ مَنْ رَأَى ، قال : كُنَّا نتهادى ونحن في الديوانِ أشعارَ الحسن بن وهب ، وتباهى بحفظها ، قال : وأنشدني له ، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيام الواصل :
[من الكامل]

خطبَ أبا أيوبَ جلَّ محلُّه فإذا جزعتَ من الخطوبِ فمن لها
إنَّ الذي عَقَدَ الذي انعقدتْ به عَقْدُ المكاره فيكَ يُحسِّن حلَّها
فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتقَ ما ترى وعسى بها أن يَنجَلِيَ ولعلَّها

قال : وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بِسْرٌ مَنْ رَأَى :
[من الطويل]

خليليَّ من عبدِ المَدانِ تروِّحاً ونُصّاً صدورَ العيسِ حَسْرَى وطُلْحاً¹
فإنَّ سليمانَ بن وهبِ بِلْدَةٍ أَصابَ صَمِيمَ القلبِ مِنِّي فَأَقْرَحاً
أَسْأَلُ عَنْهُ الحارسينَ لِحَبْسِهِ إذا ما أَتَوْنِي : كيف أُمسى وأُصبحاً
فلا يُهنِئُ الأعداءُ أَسْرَ ابنِ حُرَّةٍ يَراه العِدا أُنْدَى يَمِيناً وأُسمَحاً
وأنهضَ للأمرِ الجليلِ بعِزْمَةٍ وأَقْرَعَ للبابِ الأَصْمِ وأُفتَحاً

أخبرني محمد بن يحيى الصولي : قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد : قال : وجّه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالوصل خِلْعاً فيها خَزٌّ وَوَشْيٌ ، فامتدحه بقصيدة أولها :
[من المنسرح]

أبو عَلِيٍّ وَسْمِيٌّ مُتَجِجَةٌ فَاخْلُلْ بِأَعْلَى واديه أَوْ جَرَعَةٍ
ثم وصف الخِلْعَةَ فقال :

وقد أَتَانِي الرَسُولُ بِاللَّيْسِ الْفَخْزِ مِمَّ لَصِيفِ امرئٍ وَمُرْتَبِعَةٍ
لو أَنَّهَا جُلَّتْ أَوْيَساً لَقَدْ أَسْرَعَتِ الكِبْرِيَاءَ فِي وَرَعَةٍ
رائقُ خَزٍّ أَجِيدَ سَابِرِهِ سَكَبَ تَدِينِ الصُّبَا الْمُدَّرِعَةِ
وسرُّ وَشْيٍ كَأَنَّ شِعْرِي أَحْيَا نَأْسِبُ العِيونِ مِنْ بِدْعَةٍ

1 النص : استخراج جهد الناقة في السير . وحسر وطلح البعير : أعيا وتعب .

تركتني ساهر الجفون على أزلّم دهرٍ يُحسنها جذعة

يعني الدهر ، والدهر يقال له : الأزلّم الجذع ، والأزلّم : الطويل ، والجذع : الجديد :
يقول : هو قديم سالف ، ويومّه جديد ، قال لقيط الإيادي : [من البسيط]

يا قوم ييضتكم لا تفضحن بها إني أخاف عليها الأزلّم الجذعا¹

[موقفه من سجن أخيه]

أخبرني الصوليّ : قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : لما حبس محمد بن عبد الملك
الزيات سليمان بن وهب ، وطالبه بالأموال وقت نكته قال الحسن بن وهب : [من الطويل]

خليليّ من عبد المدان تروّحا ونصّا صدور العيس حسرى وطلّحا

فإنّ سليمان بن وهب بمنزل أصاب صميم القلب مني فأقرحا

أسائل عنه الحارسيّن لحبسه إذا ما أتوني كيف أمسى وأصبحا

فلا يهنئ الأعداء حبس ابن حرّة يراه العدا أندى يمينا وأسمحا

وقولا لهم صبرا قليلا وأصبحوا فما أقرب الليل البهيم من الضحا

قال : وقيل له وسليمان محبوس : كيف أصبحت ؟ قال . أصبحت والله قليل
النشاط ، كالّ القريحه ، صديء الدهن ، ميت الخاطر من سوء فعل الزمان ، وتوارد
الأحزان ، وتغيّر الإخوان ، قال : وآلى ألاّ يذوق طعاماً طيباً ، ولا شرب ماء بارداً ، ما
دام أخوه محبوساً ، فوفى بذلك .

[من قوله في حاج]

أخبرني الصوليّ : قال : أخبرني أبو الأسود : قال : كان للحسن بن وهب جارّ هاشميّ ،
يلقب بالطير ، فحجّ سنة من السنين ، ورجع آخر الناس ، فقال فيه الحسن : [من الوافر]

أينقص أم يزيد من الرقاعة أخو حُمّي له الدنيا مشاعة

يحجّ على الجمال ولو تجلّى لمكة جاءها في بعض ساعة

[الدمع حزن حلول]

أخبرني الصوليّ : قال : حدثنا الطالقانيّ : قال : حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب . قال :
رآني عمّي الحسن ، وأنا أبكي لفراق بعض الأبي فقال : [من السريع]

1 بيضة البلد : السيّد وبيضة القوم : أصلهم .

إبك فما أنفع ما في البكا لأنه للوجد تسهيل
وهو إذا أنت تأملتَه حزن على الخدين محلول

[لأته عن خلق]

أخبرني الصوليّ: قال: حدثنا علي بن الصباح: قال بلغ الحسن بن رجاء أن الحسن بن وهب عابه بحبّ الغلمان، وكان الحسن بن وهب أشدّ حباً لهم منه، فقال: مثلي ومثله كما قال حسان بن ثابت:

وإني لأغنى الناس عن فضل صاحب يرى الناس ضلّالاً وليس بمُهتدٍ

[المسؤول أوج من السائل]

أخبرنا محمد: قال: حدثنا الحزنبلي: قال: كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستمّحه، فوقع في رُقعته:

الجود طبعي ولكن ليس لي مال فكيف يحتال مَنْ بالرهن يحتال

[نكره النار]

أخبرني الحسن بن عليّ: قال: حدثني محمد بن موسى بن حمّاد: قال: كنت أكتب في حدائتي بين يدي الحسن بن وهب، وكان شديد الشغف ببنات جارية محمد بن حمّاد كاتب راشد، فكنا يوماً عنده، وهي تغنى، وبين أيدينا كائون فحم، فتأذت به، فأمرت أن يباعده، فقال الحسن:

بأبي كرهت النار حتى أبعدت فعلمت ما معنك في إبعادها
هي ضرة لك بالتماع ضيائها وبحسن صورتها لدى إبعادها
وأرى صنيعلك في القلوب صنيعها في شوكةا وسيلها وقتادها¹
شركتك في كل الجهات بحسنها وضيائها وصلاحها وفسادها

[تفاجئه بنات]

أخبرني الصوليّ: قال: حدثني الحسين بن يحيى: قال: كنا عند الحسن بن وهب، فقال: لو ساعدنا الدهر لجاؤنا بنات، فما تكلم بشيء حتى دخلت، فقال: إني وإياك لكما قال علي بن أمية:

1 السيل: شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض، وقيل إنه ما طال من السمر.

وفاجأتني والقلب نحوكِ شاخِصٌ وذكركِ ما بين اللسانِ إلى القلبِ
فيا فرحةً جاءت على إثرِ تَرْحَةٍ وبأ غفلتنا عنها وقد نزلتُ قُربِي

[تخونه شجاعته أمام بنات]

قرأتُ في بعض الكتب : دخلتُ يوماً بناتُ علي الحسن بن وهب ، وهو مخمور ،
فسلمتُ عليه ، وقبّلتُ يده ، فأراد تقبيلَ يدها ، فمنعته فرُعِشَ ، فقال : [من الطويل]

أقولُ وقد حاولت تقبيلَ كفِّها وبِي رِعدةٌ أهُتِزُّ منها وأُسْكِنُ
فديتُكِ إنِّي أُشجِعُ الناسَ كلِّهم لدى الحربِ إلّا أنِّي عنكِ أُجِبُّ

[بنات داؤه ودواؤه]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدّثني محمدُ بن موسى : قال : جاءت بناتُ تسألُ الحسن بن
وهب من علّةِ نالته ، فحين رآها دعا برطلٍ ، فشرّبه على وَجْهها ، وقال : قد عوفيتُ ،
فأقيمي اليوم عندي ، فأبت وقالتُ : عند مولاي دَعوةٌ ، فأمر بإحضار مائتي دينار ،
فأحضرتُ فقال : هذه مائة لمولاي ، فابعثي بها إليه ومائة لك ؛ فقالت : أمّا هو فأبعث
بمائة إليه ؛ وأمّا أنا فوالله لا أخذتُ المائة الأخرى ، ولأنّ صدقنّ بمثلها لعافيتكِ ولكن
أكتبُ إليه رقعةً تقوم بعذري ؛ فأخذ الدواة ؛ وكتب إلى مولاها : [من الخفيف]

ضرةُ الشمس والقمرُ	متعني من النّظرِ
متعني بجلّسةٍ	منك يا أحسن البَشَرِ
أشترها إن بعته	يها بسمعي وبالبَصَرِ
أذهب السقمَ سقمُ طر	فكُ ذي الغنّج والحورِ
فأديمي السرورَ لا	تمزجي الصفو بالكدرِ
ليس يُبقي عليّ حُبُّ	كُ هذا ولا يذرُ
وأنا منه فأنعمي	بمقامٍ على خطرِ
وتغنّي فذاك كلُّ	مُغنٍ لكّي أُسرّ
ربيع سلمي بذِي بقر	عرضة الريح والمطر ¹

[عمه يحب بنات]

حدَّثني أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان ، والحكايتان متفقتان متقاربتان ، أخبرني الصولي : قال : حدَّثني الحسين بن يحيى : قال : حدَّثني أحمد بن سليمان بن وهب قال : قال لي أبي : قد عزمت على معاتبة عمك في حبّه لبنات ، فقد شهّر بها وافتضح ، فكن معي ، وأعني عليه ، وكان هواي مع عمي ، فمضيتُ معه فقال له أبي ، وقد أطال عتابه : يا أخي ، جعلتُ فداك ! الهوى الذُّ وأمتع ، والرأي أصوبُ وأنفع ، فقال عمي متمثلاً :

إذا أمرتك العاذلاتُ بهجرها أبتُ كبدٌ عمّا يقلنَ صديعُ
وكيف أطيع العاذلاتِ وحبّها يؤرّقني والعاذلاتُ هُجوعُ

فالتفت إليّ أبي ينظرُ ما عندي ، فتمثّلت :

وإنّي ليلحاني على فرطِ حبّها رجالٌ أطاعتهم قلوبُ صحّاحُ

فنهض أبي مُغضباً وضمّني عمي إليه ، وقبّلني ، وانصرفتُ إلى بناتٍ ، فحدّثتها بما جرى وعمي يسمع ، فأخذتِ العودَ ، فغنتُ :

يلومك في مودّتها أناسٌ لو أنّهم برأيك لم يلوموا

فيه ثقیل أول .

[عجوز لا تعود إلى لومه]

قال أحمد بن سليمان ، وعذّلتُه عجوزٌ لنا ، يقال لها : منى ، فقال لها : قومي ، فانظري إليها ، واسمعي غناءها ، ثم لوميني ، فقامت معه ، فرأتها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومك فيما بعدَ هذا ، فأنشأ يقول :

ويومٍ سها عنه الزمانُ فأصبحتُ نواظرُه قد حار عنها بصيرُها
خلوتُ بمن أهوى به فتكاملتُ سُعودٌ أدارَ النحسَ عنّا مُديرُها
أما تعذريني يا منى في صبايتي بمن وجهُها كالشمس يلمع نورُها

[تعمت الوسيلة بنات]

قال أحمد بن سليمان : كان لعمي كاتب يعرف بإبراهيم : نصرانيٌّ يأنس به ، فسأل بناتَ مسألتهَا عمي أن يجعل رزقه ألفَ درهم في الشهر ، فلمّا شرب أقداحاً ، وطربَ وثبتَ قائمةً

وقالت : يا سيدي لي حاجة ، فوثب عمي ، فقام لقيامها ، فقالت : تجعلُ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم في الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلستُ فأنشأ يقول :

قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقمِ لأجلَ خلقاً غيرها فأقوموا
شفعت لإبراهيمَ في أرزاقه فوددتُ أني كنتُ إبراهيمَا
فأجبتُها إنني مطيعٌ أمرها وأراه فرضاً واجباً محتوماً
ما كان أطيبَ يومنا وأسرَّه لو لم يكن بفراقها مختوماً
قال : ثم إنَّ عمي صار إلى أبي ، فأخبره الخبر ، فأمر أن يجعلَ لإبراهيمَ من ماله ألفَ درهم أخرى لشفاعتها .

[بنات لا تزوره في علته]

أخبرني الصولي : قال : حدثني إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتلَّ الحسن بن وهب فلم تعلم بناتُ بذلك ، وتأخرت عن عيادته ، فكتب إليها :

عليلٌ أنتِ أغللتِ فلو أنك عللتِ
بوغدٍ أن تزوريه إذا ما مُمكنُ نلتِ
قريباً لنفيت الداء عنه حينَ واعدتِ
وما ضرركِ لو جاء رسولُ منك أرسلتِ
فيحككي لكِ ما قال كما يحكي الذي قُلتِ
أما والله لو أنَّ الـذي يُحملُ حُمْلَتِ
لما احتاج إلى التعلـيم فيما قد تجاهلتِ

[في الشفائين الشفاء]

أخبرني الصولي : قال أحمد بن إسماعيل : قال : حدثني أحمد بن عبيد الله بن جميل : قال : أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علّة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها ققص شفائين¹ ، وكتب إليها :

شفاءٍ أنينٍ بالشفائين أملتُ لكم نفسُ من أهدى الشفائين عامداً

1 الشفائين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهي المنظر .

كُلُّوْهَا يَكِلُ الداءُ عَنْكُمْ فَإِنِّي أَزُورُكُمْ لِلشُّوقِ لَا زُرْتُ عَائِداً

[يهجو سيدها]

أخبرني عمي : قال : حدثني ميمون بن هارون : قال : كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم الجمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاهما أصدقاء له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتبت إليها ثانياً يقول :

يَوْمَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَأْيِي أَنْ سَتِ وَعِنْدَ الْوَضِيعِ لَا كَانَ قَوْمٌ
سَقَلْ مِثْلَهُ يَسُومُونَهُ الْخَسْفَ فَافْ وَيَرْضَاهُ وَهُوَ لِلوَعْدِ سَوِّمٌ
فَامْنَعِيهِمْ مِنْكَ الْبِشَاشَةَ حَتَّى يَتَغَشَّاهُمْ مِنَ الْبَرْدِ نَوْمٌ
وَلِيَكُنْ مِنْكَ طَوْلُ يَوْمِكَ لِلَّهِ صِلَاةٌ إِلَى الْمَسَاءِ وَصَوْمٌ
وَارْفَعِي عَنْهُمْ الْغِنَاءَ وَإِنْ نَا لَكَ عَذْلٌ مِنَ الْوَضِيعِ وَلَوْمْ
وَإِذَا كَرِي مُغْرَمًا بِحَبِّكَ أُمْسَى هُمُ أَنْ يُدِيلَهُ مِنْكَ يَوْمٌ¹

[يصف البرق]

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون ، قال : كان الحسن بن وهب يشرب عند محمد بن عبد الله بن طاهر ، فعرضت سحابة ، فبرقت ورعدت ، وقطرت ، فقال الحسن :

هَظَلْتَنَا السَّمَاءُ هَظْلًا دِرَاكًا عَارِضُ الْمَرْزَمَانِ فِيهَا السَّمَاءُ²
قُلْتُ لِلْبَرْقِ إِذْ تَأَلَّقَ فِيهَا يَا زِنَادَ السَّمَاءِ مِنْ أَوْرَاكَ
أَحْبَبًا نَأْيْتَهُ فَبَكَكَ فَهُوَ الْعَارِضُ الَّذِي اسْتَبَكَكَ
أَمْ تَشَبَهْتَ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي جُودِهِ فَلَسْتَ كَذَاكَ

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا أبو العيَّاء ، قال : طلب محمد بن عبد الملك الزيات الحسن بن وهب ، وكان قد اصطحب مع بنات فكتب إليه : يا سيدي ، أنا في مجلس بهي ، وطعام هني ، وشراب شهي ، وغناء رضي ، أفأتحولُ عنه إلى كد الشقي ، ووثبت بنات لتقوم ، فردّها

1 أدالنا من عدونا : غلبنا عليه .

2 المرزمان : نجمان في السماء مع الشعريين .

وكتب :

[من المجتث]

ما بانَ عنكَ الذي يَدُ تَ عنه لا عاشَ بَعْدَكَ
 إن لم يكنَ عنده الصب رُ والسُّلوُ فَعِنْدَكَ
 وما وَجَدْتَه إلَّا عبدَ الرجاءِ وعبدَكَ

فاستلمها الرسولُ ، ومضى بها إلى محمد ، فوقع فيها : [من المجتث]

أبا عليٍّ أراك إله في الأمرِ رُشدَكَ
 إن لم تكنَ عندي اليو مَ كنتُ بالشوقِ عندَكَ
 فاهدمَ محلَّكَ عندي واجهَدْ لذلكَ جَهْدَكَ
 فلسْتُ أزدادُ إلَّا رعايةً لك وُدَّكَ
 وانعمَ بمن قُلتَ فيها عبدَ الرجاءِ وعبدَكَ
 أزيلَ نحسُكَ فيها وأطْلَعَ الله سَعْدَكَ

وردَّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلمَّا قرأها خَجَل ، وحلفَ ألا يشربَ النبيذَ شهراً ، ولا يفارقَ مجلسَ الوزير .

[آخر عهده بينات]

أخبرني عمِّي عن إبراهيم بن المدبر ، قال : ولدتُ بناتُ من مولاها ولداً وسمَّته بإبراهيم ، فأبغضها الحسنُ بن وهب ، وكتبَ إليها :

[من الخفيف]

تُجِجُ المَهْرَةَ الهِجَانُ هَجِيناً ثم سَمَى الهَجِينَ إبراهيمَا
 بخليلِ الرحمنِ سَمِيَتْ عَبْدَا أم قريعَ الفَتَيَانِ ذاكَ الكَرِيمَا

وبعثَ بالبيتينَ إليها ، وكان آخرَ عهده بها .

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصوليُّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً رومياً لأبي تمام ، وكان أبو تمام يعشقُ غلاماً خَزَرِيّاً للحسن ، فرأى أبو تمام يوماً الحسنَ يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقتَ إلى الرومِ لتركُضنَّ إلى الخزر ، فقال له الحسنُ : لو شئتُ لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : ما أشبهك إلَّا بدادود ، ولا أشبهُ نفسي إلَّا بخصميهِ ، فقال له : لو كان هذا منظوماً حَفِظْناه ، فأما المنشور فهو عارضٌ لا حقيقة له ، فقال

أبو تمام :

[من البسيط]

أبا عليٍّ لصرفِ الدَّهرِ والغيَرِ
أعندك الشمسُ لم يخطِ المغيبُ بها
أذكرتني أمر داود وكنت فتى
إن أنت لم تترك السيرَ الحثيثَ إلى
إن الغزال له مني محلٌّ هوَى
ورُبُّ أَمْنَع منه جانباً وحيى
جردتُ منه جنودَ العزمِ فأنكشفتُ
سبحانَ من سبَّحته كلُّ جارحةٍ
أنت المقيمُ فما تعدو رواحلهُ
واللحوادث والأَيامِ والغيَرِ
وأنت مضطربُ الأحشاء للقمرِ
مُصرفُ القلبِ في الأهواءِ والذِّكرِ
جاذرُ الرِّومِ أعنقنا إلى الخزيرِ¹
يحلُّ مني محلُّ السمعِ والبصرِ
أمسى ولكنه مني على خطَرِ
منه غيابتُها عن نكَّةِ هدَرِ
ما فيك من طمَحانِ الأيَرِ والنظرِ
وأيرُهُ أبداً منه على سَفَرِ

[غلامه وغلَام أبي تمام]

قال الصوليُّ : فحدَّثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبي تمام : غلامُك أطوعُ للحسن بن وهب من غلام الحسن لك ، قال : أجلُ والله ؛ لأنَّ غلامي يجد عنده ما لا يجده غلامه عندي ، وأنا أعطي غلامه قِيلاً وقِلاً ، وهو يعطي غلامي ثياباً ومالاً .

[ابن الزيات يتجسَّس عليه]

أخبرني الصوليُّ قال : حدَّثني أبو الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدَّثني أبي . وحدَّثني الفضلُ الكاتبُ المعروف بفنجاج : أنَّ الحسن بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما ، فتقدَّم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب ، بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبي تمام على الحِجامة ، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنيئذٍ مطبوخ ، فوجَّه إليه بمائة دَنٍّ ومائة دينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه :

[من الخفيف]

ليت شعري يا أملح الناس عندي هل تداويت بالحجامة بعدي
دفع الله عنك لي كل سوء باكر رائح وإن خنت عهدي
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي فبدا منه غير ما كنت أبدي
وخلعت العذار فليعلم النا س بأنني إياك أصفى بوذي
وليقولوا بما أحبوا إذا كن ت وصولا ولم ترعني بصد
من عذيري من مقتلتيك ومن إشد راق وجه من دون حمرة خد

قال : ووضع الرقعة تحت مُصلاه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبر الرقعة ، فوجه إلى الحسن ، فشغله بشيء من أمره ، وأمر من أخذ الرقعة من تحت مُصلاه ، وجاءه بها ، فقرأها ، وكتب في ظهرها :

[من الخفيف]

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كنت في المقال مُحققاً يا ابن وهب لقد تَغَيَّرت بعدي
وتشبهت بي وكنت أرى أنني أنا العاشق المتيم وخدي
أترك القصد في الأمور ولولا غمرات الهوى لأبصرت رُشدي
وأحب الأخ المشارك في الحب وإن لم يكن به مثل وجدي
كنديمي أبي علي وحاشا لنديمي مثل شقوة وجدي

صوت

إن مولاي عبد غيري ولولا شؤم جدِّي لكان مولاي عبدي
سيدي سيدي ومولاي من أو رثني ذلَّة وأضرع خدي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل ، أظنه لجحظة أو غيره من طبقة .

قال : ثم وضع الرقعة في مكانها ، فلما قرأها الحسن قال : إنا لله ! افتضحنا عند الوزير ، وحدث أبا تمام بما كان ، ووجه إليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك ، وقالوا له : إنما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة ، فتضاحك وقال : ومن يظن بكما غير هذا ! فكان قوله أشد عليهما من الخبرة .

[يتشغل عن أبي تمام]

قرأتُ في بعض الكتب : كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمامَ عشرةَ متصلة ، فندب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي ، فتشغلَ عن عشرة أبي تمام ، فكتب إليه أبو تمام :

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر
ماذا تراه دهاه ؟ قلت : أيلول
شهرٌ كأنَّ حبالَ الحجر منه فلا
عقدٌ من الوصل إلا وهو محلول

فأجابه الحسن :

ما عاقني عنك أيلول بلذته
وطيبه ولنعم الشهر أيلول
لكن توقع وشك البين عن بليد
تحتله ووكاء العين محلول

[يهجو الغنوي وابن أبي دواد]

وقرأت فيه : كان بين الحسن بن وهب وبين الهيثم الغنوي وأحمد بن أبي داود تباعدٌ ، فقال يهجوها :

سألت أبي وكان أبي خبيراً
بسكان الجزيرة والسواد
فقلت لهم : أهيثم من غني
فقال كأحمد بن أبي دواد
فإن يك هيثم من جذم قيس
فأحمد غير شك من إباد

[مجاملة]

أخبرني عمي : قال : حدثني عمر بن نصر الكاتب ، قال : كتب الحسن بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصير إليه فكتب إليه محمد :

وقيتك كل مكروه بنفسي
وبالأذنين من أهلي وجنسي
أتأذن في التأخر عنك يومي
على أن ليس غيرك لي بأنس

فأجابه الحسن بن وهب ، فقال :

أقم لا زلت تُصبح في سرور
وفي نعيم مواصلة وتُمتسي
فما لي راحة في حبس من لا
أراه يكون محبوساً بحبسي

وكان الحسن يومئذٍ معتقلاً في مطالبة يطالب بها .
وجدت في بعض الكتب بغير إسناد .

[صاحب غير مؤتمن]

كان الحسن بن وهب يعشق بنات ، جارية محمد بن حماد الكاتب ، وكان له معها أخبار كثيرة ، وكان لا يصبر عنها ، فقدم الحسن بن إبراهيم بن رباح من البصرة ، واتصل به خبرها ، ووصفها له الحسن بن وهب ، وصار به إليها ، فاتم ليلته معها ، ومرت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسن بن إبراهيم بن رباح ، وخاتله في أمرها ، فكتب إليه الحسن بن وهب :

لا جميل ولا حسن	خنت عهدي ولم أحن
كملت إذ فعلت هـ	لذا أعاجيب ذا الزمن
فإلى الله أشتكى	ما بقلبي من الحزن
رب شكوى من الصدي	ق إلى غير ذي شجن
بأبي أنت يا حسن	يا أبا الطول والمن
أي رأي أراك خت	لي في الشادين الأغن
يتخطى إليه ذو	ني في حالك الدجن
فترى منه سنة	تعالى عن السنن
مع كشفي لك الحدي	ث الذي عنك لم يصن
واعتمادي زعمت من	ك على أحصن الجنن
وعلى خير صاحب	وعلى خير ما سكن
خجلي من إساءة	فضحت حسن كل ظن
ثم ممن جرت إلى	من وفيمن وعند من
إن تكن تلك هفوة	فهي كالشيء لم يكن
أو تكن بعث خلتي	بمواف من الثمن
درة البحر من عدن	ذخر سيف بن ذي يزن
لم يكن قط مثلها	في معد ولا عدن

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مواصلتها وسماعها وحظر عليها ، فلم يكن الحسن بن وهب يلقاها ، فغلظ ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الأبيات :

[من الكامل]

أنكرت معرفتي جعلت لك الفدا
 أنا ذو منعت جفونه أن ترقدا
 وبريت لحم عظامه فتجردا
 أنا ذا فإن لم تعرفيني بعد ذا
 أشكو إلى الله الفؤاد المقصدا
 وغريرة ما كنت من إشفاقها
 يا ظبية في روضة مؤلّية
 هل تجزين الودّ مني مثله
 إني وإن جعل القريض يجول بي
 لعلّ يقين أن قلبك موجع
 وكما علمت إذا لبست المجسدا
 وحبوت جيدك من حليلك عسجدا
 وشكوت وجدك في الغناء شكاية
 سيما إذا غنيتني بتعمّد
 أثوى فأقصر ليلة ليزودا

[صاحبه يرثي لحاله]

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أنه قد بلغ منه . فكتب إليه : [من الطويل]

فدى لك آباي وحق بأن تفدى
 ولا تلحنني في عشرة إن عثرتها
 وعهدك يا نفسي يقيك من الردى
 يمين امرئ بر صدوق مبرأ
 سيوى ما به أزداد عندك زلفة
 فدى لك قصداً من ملامك لي قصدا
 فلا والذي أُمسيّت أدعى له عبدا
 فأعظم به عندي وأكرم به عهدا
 من الإثم ما حاولت هزلاً ولا جدّاً
 ويكسبني منك المودة والحمدا

أرى الغيَّ إن أومأت للغَيِّ طاعةً
وأسعى لما تسعى وأتبعُ ما ترى
إذا أنا لم أمتحك صفوَ مودّتي
ومن ذا الذي أرعى وأشكُرُ والذي
وأنت ثِمالي والمعول والذي
وآثرُ خلقِ الله عندي ومَن له
فلا تحسبني مائلاً عن خَلِقتي
معاذ إلهي أن أرى لك خاذلاً
بأحسن مَن أبصرتُ شخصاً وصورةً
بمالكةٍ أُمري وإن كنتُ مالكاً
إذا سألتني أن أقيم عَشِيَّةً
تراشِفني صفوَ المودّة تارةً
قنعتُ بها لما وثقتُ بحبّها
ولو بُذِلتُ لي جَنّةُ الخلد منزلاً

لأمركَ فضلاً عن سيوى الغيِّ لي رُشداً
وفي كلِّ ما يُرضيك أَسْتغْرِقُ الجُهدا
فمن ذا الذي أَصفي له غيركَ الوُدَّ
يُؤمِّل خيراً بعدُ مِنِّي أو رِفداً
أشدَّ به أزرى فيعصِمُني شدّاً
أيادي وودِّ لستُ أحصيها عدّاً
لك الدهرَ حتى أَسكنَ القبرَ واللُحدا
ولكنَّ عذري واضحٌ أنَّ بي وجداً
وأملح خلقِ الله كلَّهم قَدّاً
لها ففؤادي ليس من حُبّها يهدا
لأونسها لا أَسطيعُ لها رَدّاً
وأجني إذا ما شئتُ من خدّها وردا
فلا زينبا أبغي سواها ولا هنداً
وقلتُ: اجتنبها لاجتنبتُ لها الخُلدا

[الحسن يكتب إليها]

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه نديم فكتب إليه : [من مجزوء الخفيف]

حسنٌ يشكو إلى حسن
وهوى أُمستُ مطاليه
وحبيبٌ في محلّته
فإذا ما رام زورثه
عجباً للشمس لم ترها
أتراها بعدنا صرّمت
فقدماً كان مطلعها

فقد طعم النوم والوسن
قرنتُ باليأس في قرن
معه في الدار لم يبين
فهو كالغادين في الطعن
مقلتي حولاً ولم ترني
حبنا هذا من اليمين
بيدي سيف بن ذي يزن

[من المديد]

فكتب إليه ابن رباح :

حَسَنٌ يَفْدِي بِمُهِجَتِهِ حَسَنًا مِنْ حَادِثِ الزَّمَنِ
وَيَقِيهِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ دَخِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
هَآكَ عَيْنِي فَاكِدِ وَاقِيَةً عَيْنُكَ الْعَبْرَى عَلَى الشُّجَنِ
وَفَوَادِي فَاغْلَمْهُ حَزَنًا مِنْ صُرُوفِ الْهَمِّ وَالْفَتَنِ
إِنْ تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا حُجِبَتْ عَنْ سَلِيلِ الْمَجْدِ مَنْ يَمَنِ
فَهِيَ حَيْرَى عَنْ مَطَالِعِهَا فِي سَوَى قَوْمِ ابْنِ ذِي يَزَنِ

[رواية عن عشقه]

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضر دار محمد بن حماد ، ولا يسمع غناء بنات جاريته إلا مع الحسن بن وهب لا يستأثر بها عليه .

وقال محمد بن داود الجراح : حدثني بعض أصحابنا : أنَّ الحسن بن وهب ، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد ، وكان الحسن بن وهب يتعشقها ، فأفسدها عليه الحسن بن مخلد ، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا . وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتضح خبره مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إلي بروايته .

[أبو تمام يستسقيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني عبد الرحمن بن أحمد ، قال : وجدت بخط محمد بن يزيد : كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبياً : [من الوافر]

جَعَلْتُ فِدَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدِي بَعْقِبِ الْهَجَرِ مِنْهُ وَالْبَعَادِ
لَهُ لَمَّةٌ مِنَ الْكِتَابِ بَيَضٌ قَضَوْا حَقَّ الزِّيَارَةِ وَالْوِدَادِ
وَأَحْسِبُ يَوْمَهُمْ إِنْ لَمْ تَجِدْهُمْ مُصَادِفُ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمَادِ
فَكَمْ يَوْمٍ مِنَ الصُّهْبَاءِ سَارٍ وَآخَرَ مِنْكَ بِالْمَعْرُوفِ غَادِ
فَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى غَلِيلِي وَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى تِلَادِي
فَيْسُقِي ذَا مَذَانَبَ كُلِّ عِرْقٍ وَيَنْزِعُ ذَا قَرَارَةَ كُلِّ وَادِ
دَعْوَتُهُمْ عَلَيْكَ وَكُنْتَ مِمَّنْ نُعِيْنُهُ عَلَى الْعَقْدِ الْجِيَادِ

[هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل]

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنّ نبيذاً .

قال محمد بن داود بن الجراح : زار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمام ، فقال :

أَغَصَّكَ اللَّهُ أبا نهشل

ثم قال للحسن أجِرْ : فقال :

بَخَذَ رِيمَ شَادِنٍ أَكْحَل

ثم قال : أَجِرْ يا أبا نهشل ، فقال :

نَظْمُعُ فِي الْوَصْلِ فَإِنْ رَمَتَهُ صَارَ مَعَ الْعَيُوقِ فِي مَنَزِلٍ¹

[من كسبه إلى أبي تمام]

أخبرني جعفر بن محمد بن قدامة بن زياد الكاتب : قال : كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام ، وقد قدّم من سفر : جُعِلَتْ فِدَاكَ ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى عليّ من مقدمك ، وبلغ الوطر كلّ الوطر بانضمام اليد عليك . وإحاطة الملك بك ، وأهلاً وسهلاً ، فقرّب الله داراً قرّبتك ، وأحيا ركاباً أدّتك ، وسقى بلاداً يلتقي ليّها ونهارها عليك ، وجعلك الله في أحسن معاقله ، وأيقظ محارسه وأبعدها على الحوادث مرأماً برحمته .

[يدافع عن أبي تمام]

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدّثنا محمد بن موسى : قال : قال رجل للحسن بن وهب : إنّ أبا تمام سرّق من رجل يقال له مُكَنَف من ولد زهير بن أبي سلمى ، وهو رجل من أهل الجزيرة قصيدته التي يقول فيها :

كَانَ بَنِي الْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

تُوْفِّيتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّقَرِ السَّقَرُ

فقال الحسن : هذا دِعْبِلُ حكاة ، وأشاعه في الناس ، وقد كذب ، وشعرُ مكيفٍ عندي ، ثم أخرجه ، وأخرج هذه القصيدة بعينها ، فقرأها الرجل فلم يجد فيها شيئاً ممّا قاله أبو تمام في قصيدته : ثم دخل دِعْبِلُ على الحسن بن وهب ، فقال له : يا أبا عليّ ، بلغني أنّك قلتَ في أبي

تَمَّامٌ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فَهَبْهُ سَرَقَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ كُلُّهَا ، وَقَبَلْنَا قَوْلَكَ فِيهِ ، أَسْرَقَ شَعْرَهُ كُلَّهُ ؟
أَتَحْسَنُ أَنْتَ أَنْ تَقُولَ كَمَا قَالَ :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيَكُمْ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مُحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ¹
وَأَنْجَدْتُمْ مَنْ بَعْدَ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِتِي نَجْدٍ

فَانْخَزِلْ دِعْبِلَ وَاسْتَحْيَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : النَّدَمُ تَوْبَةٌ ، وَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ تَوَفَّى ، وَلَعَلَّكَ
كَنتَ تُعَادِيهِ فِي الدُّنْيَا حَسْداً عَلَى حَظِّهِ مِنْهَا ، وَقَدْ مَاتَ الْآنَ ، فَحَسِبُكَ مِنْ ذَكَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَصْدَقَكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ، مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ قَطَّ إِلَّا أَنِّي سَأَلْتُهُ أَنْ يَنْزِلَ لِي عَنْ شَيْءٍ اسْتَحْسَنْتُهُ
مِنْ شَعْرِهِ ، فَبَخِلَ عَلَيَّ بِهِ ، وَأَمَّا الْآنَ فَأَمْسِكُ عَنْ ذَكَرِهِ ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ يَضْحَكُ مِنْ قَوْلِهِ
وَاعْتَرَفَهُ بِمَا اعْتَرَفَ بِهِ .

[اليزيدي يهجو محمد بن حماد]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ : قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخْعِيُّ : قَالَ كَب
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادِ الْكَاتِبِ يَهْجُوهُ ، وَيَعِيرُهُ بِعَشْقِ
الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِبَاحٍ وَالْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ جَارِيَتِهِ وَتَغَايُرِهَا عَلَيْهَا : [مِنْ الْخَفِيفِ]

لِي خَلِيطَانِ مُحْكَمَانِ يُجِيدَا نِ لِمَا يِعْمَلَانِهِ حَاذِقَانِ
وَاحِدٌ يَعْمَلُ الْقِسِيَّ فَيَأْتِي لَكَ بِهَا فِي اسْتِقَامَةِ الْمِيزَانِ
وَفَتَى يَعْمَلُ السَّكَائِينَ فِي الْقَرِّ نِ مَقَرٌّ بِحَذَقِهِ الثَّقَلَانِ
وَهُمَا يَطْلُبَانِ قَرْنًا عَلَى رَأْسِ لَكَ فَانْظُرْ فِي بَعْضِ مَا يَسْأَلَانِ
قُلْتُ : هَلْ يُؤَلِّمُ الْفَتَى قَطْعُ مَا فِيهِ هَ تَرِيدَانِ أَيُّهَا الْفَتَيَانِ
فَأَجَابَا بِلُطْفٍ قَوْلٍ وَفَهْمٍ قَمَ فَإِنَّا إِذَا لَنُوكِي مَدَانِ²
فَاقْطَعِ الْآنَ مَا بِرَأْسِكَ مِنْهَا إِنْ فِيمَا تَرَى لِحَضُ بَيَانِ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُسَمَّى اسْمُ سَوْءٍ فَيَقَالُ انْظُرُوا إِلَى الْقَرْنَانِ³

1 الوشيعة : المكوكة .

2 نوکی : جمع أنوك .

3 القرنان : الديوث .

صوت

[من الكامل]

قد كان عتبك مرةً مكتوماً فالיום أصبحَ ظاهراً معلوماً
نال الأعادي سؤلهم لا هُنثوا لما رأونا ظاعناً ومُقيماً
والله لو أبصرتني لأدّيتَ لي والدمع يجري كالجمانِ سُجوماً¹
هبني أسأتُ فعادةً لك أن تُرى مُتجاوزاً مُتطاولاً مَظلوماً

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعبيد بن الحسن الناطفي اللطفي ، ثاني ثقل
بالوسط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنه لرذاذ ، وفيه ثقل أول مجهول .

[507] - أخبار أحمد بن يوسف¹

[اسمه ونسبه]

هو أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائل والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكان يتولّى ديوان الرسائل للمأمون ، ويُكنى أبا جعفر ، وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخريجته ، فذكر محمد بن داود بن الجراح أنّ أحمد بن سعيد حدثه عن موسى بن عبد الملك : قال : وهب لي أحمد بن يوسف ألف درهم تفريق عن ظهر يدي .

[أخوه القاسم يمدح البهائم ويرثيها]

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمي إلى بني عجل ، ولم يكن أخوه أحمد يدعي ذلك .
وكان القاسم قد جعل وكّده² في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك ، منها قوله يرثي شاة :

عينُ بكّي لعزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء³

وقوله في الشاهمرك⁴ :

أقفرت منك أبا سعد في عِراض وديار

وقوله في السنور :

ألا قل لمجة أو ماردة تبكي على الهرة الصائدة

1 انظر أخباره في : كتاب بغداد لابن أبي طاهر : 128 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري : 304 والفهرست : 139 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 والوافي 8 : 279 وفي معجم الأدباء 2 : 560-569 .

2 الوكد : المراد والهم .

3 الأدماء : البيضاء .

4 الشاهمرك : الدجاج قبل أن يبيض .

وقوله في القُمَرِيِّ : [من المجتث]

هل لامرئ من أمان من طارق الحدّثان

[يتبنّى جارية للمأمون]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع : قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد : قال : حدّثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أنّ الهشاميّ قال : كان أحمد بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمها مؤنّسة ، فأراد المأمون أن يسافر ويحمّلها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغنّين ، فغنّاه به ، فلمّا سمعته قرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو :

قد كان عَتَبُكَ مرّة مكتوما

[يعتب على جارية]

وقال محمد بن داود : حدّثني أحمد بن أبي خيثمة الأطروش قال : عتب أحمد بن يوسف على جارية له ، فقال :

[من المنسرح]

وعاملٍ بالفُجور يأمرُ بالـ سِرٌّ كهادٍ يخوض في الظُّلمِ
أو كطبيبٍ قد شَفَّه سَقَمٌ وهو يُداوي من ذلك السَّقَمِ
يا واعظُ الناسِ غير متعظ نفسك طهّر أو لا فلا تُلمِ

[يقول شعراً على لسان مؤنّسة]

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد : عَتَبَ المأمون على مؤنّسة ، فخرج إلى الشَّامِسيّة¹ متنزّهاً ، وخلفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجّت أن يذكرها إذا صار في متنزّهه ، فيرسلَ في حملها ، فلم يفعلْ ، وتمادى في عتبه ، فسألتُ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعه فقال :

[من البسيط]

يا سيّدا فقدُه أغرى بي الحزنا لا ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وسنا
لا زلتُ بعدك مطوّياً على حُرْقٍ أشنا المقامَ وأشنا الأهلَ والوطنا
ولا التذذتُ بكأسٍ في مُنادمةٍ مذ قيل لي : إن عبد الله قد طَعَنّا

ولا أرى حسناً تبدو محاسنه إلا تذكرتُ شوقاً وجهك الحسن
وبعثت به إلى إسحاق الموصليّ ، فغناه به ، وقيل : بل بعثت به إلى سندس ، فغنته به ؛
فاستحسن ذلك ، وقال : لمن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤتسة يا سيدي تترضاك ،
وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضاها ، ورضي عنها .

ووجدت في هذا الكتاب قال : كنّا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس ؛ وعندنا
قيّنة ، فتحلاها¹ أحمد بن يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل : [من مجزوء الرمل]

أنا رهنٌ للمنايا بين إبرامٍ ونقضٍ
من هوى ظبي غريّر مونق المنظرِ غَضٍ
ليتها جادت بتقيب لـ لخدّيهَا وعَضٍ
إن عجزتم عن شراها لي بفرضٍ أو بقرضٍ
فتمنّوا لي جميعاً أنّها قَبْرٌ لبعضي

[يستقي الفضل]

أخبرني عمي : قال : حدثنا الحسن بن عليل : قال : ذكر مسعود بن أبي بشر أنّ أحمد بن
يوسف دخل يوماً على الفضل بن سهل أو أخيه في يوم دجن ، فأطال مخاطبته ، وكان
أحمد بن يوسف آنساً به ، ففتح دواته وكتب إليه : [من الوافر]

صوت

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ وأحسيه سيأتينا بهطل
فوجه الرأي أن تدعو برطلٍ فتشربه وتدعو لي برطل

ودفعها إليه فقرأها ، وضحك ، وقال : إن كان هذا عين الرأي قبلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا
بالطعام والشراب ، فأتموا يومهم .

الغناء في هذين البيتين للقاسم بن زرّور ثاني ثقليل بالوسطى .

[يعشق محمد بن سعيد]

ومّا يغنى فيه من شعره : [من الخفيف]

1 تحلاها : أي وجدها حلوة .

صوت

صدَّ عنيَّ محمدُ بنُ سعيدٍ أحسنَ العالمينَ ثانيَ جيدٍ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكنَّ يتجنَّى لحسنه في الصدودِ

الغناء فيه لزرزور خفيف رمل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه ،
ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتاب بسرَّ من رأى ، وكان أحمدُ يتعشَّقه .
ومن شعره الذي يُغنى فيه :
[من المنسرح]

صوت

كم ليلةٍ فيكَ لا صباحَ لها أحبَّتها قابضاً على كيدي
قد غصَّت العينُ بالدموعِ وقد وضعتُ خديَّ على بنانِ يدي
كأنَّ قلبي إذا ذكرْتُكم فريسةً بين ساعديَّ أسدٍ

الغناء لشارية من رواية طبَّاع ، وفيه خفيف رمل ، ذكر حبش أنَّه لأحمد النصيبيّ ، وهو
خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صدقة أو بعض طبَّقه .

صوت

[من الكامل]

الراحُ والنَّدمانُ أحسنُ منظراً في كلِّ ملففٍ الحدائقِ رائقِ
فإذا جمعتَ صفاءه وصفاءها فأرجمُ بكلِّ مُلمةٍ من حاليقِ

الشعر للعطوي ، والغناء لبنان ثقيل أول بالوسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف
ثقيل .

[508] - أخبار العطوي

[نسبه]

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ،
ويكنى أبا عبد الرحمن بصري المولد والمنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبي دواد ، وتقرّب إليه
بمذهبه وتقدّمه فيه بقوة جداله عليه ، فلما توفّي أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ،
ومراثٍ كثيرة .

[يرثي ابن أبي دواد]

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كثرة أخي العطوي :

أَحْطَطْتَهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ	وزفقتَه للمنزلِ المهجورِ
هَلَّا بِيَعُضْ خِصَالُهُ خَنْطَتَهُ	فيضوعُ أفقِ منازلِ وقبورِ
تَاللَّهِ لَوْ مِنْ نَشْرِ أَخْلَاقٍ لَهُ	يُعْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
خَنْطَتَ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى وَعَلَا الرُّبَا	لِتُزَوِّدُوهُ عُذَّةً لِنُشُورِ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ	ذَهَبَتْ بِهِ رِيحاً صَباً وَدُبُورِ
وَإِذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ	قَدْ كَانَ خَيْرَ مُصَاحِبٍ وَعَشِيرِ
وَاللَّهِ مَا أُبْتُتُهُ لِأَزِيدَهُ	شُرفاً وَلَكِنْ نَفْثَةُ الْمَصْدُورِ

وأنشدني الأخفش للعطوي أيضاً يرثي أحمد بن أبي دواد قال :

وَلَيْسَ صَرِيرُ النِّعَشِ مَا تَسْمَعُونَهُ	وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
وَلَيْسَ نَسِيمُ الْمَسْكِ رِيّاً خَنُوطُهُ	وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءِ الْمُخْلَفُ

[جمله الكتاب إماماً]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ، فقال : كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبق إليه ، ذهب
فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخفّ شعره على كل لسان ، ورؤي ،
واستعمله الكتّابُ ، واحتذوا معانيه ، وجعلوه إماماً .

[فذارة وإدمان]

قال ابن داود : وحَدَّثني المبرِّدُ : قال : كان العَطَوِيُّ ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطقُ بالشعر ، ثم ورد علينا شعره لما صار إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ، وكُنَّا نتهاداه ، وكان مقتراً عليه رزقه ، دَفِيراً¹ وسيحاً ، منهوماً بالنبيذ ، وله فيه في وصف الصُّبُوحِ وذكر الندامى والمجالس أحسنُ قول ، وليس له قولٌ يَسْقُطُ ، فمن ذلك قوله :
[من مجزوء الرجز]

فِيئِي إِلَى أَهْدَى السُّبُلِ	قَوْلًا وَعِلْمًا وَعَمَلٌ
قَاتَلَهَا اللَّهُ لَقَدْ	سَامَتْكُمَا إِحْدَى الْعُضُلِ ²
تَقُولُ هَلَا رِحْلَةَ	تَنْقُلُنَا خَيْرَ نَقْلِ
أَخْشَى عَلَى جَائِلَةِ الْآمِ	سَالِ جَوَّالِ الْأَجَلِ

[في جمع المال ونفاد العمر]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأُخْفَشُ : قال : حَدَّثني محمد بن يزيد : قال : سمع العَطَوِيَّ رجلاً يحدِّثُ أَنَّ رجلاً قال لعمر بن الخطَّابِ : إِنَّ فلاناً قد جمعَ مالاً ، فقال عمر بن الخطَّابِ : فهل جمعَ له أيَّاماً ؟ فأخذ العطويُّ هذا المعنى فقال :
[من البسيط]

أَرْفَهُ بَعِيشُ فَتَى يَغْدُو عَلَى ثِقَةٍ	إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ
فَالْعِرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يُدْنِسُهُ	وَالْوَجْهَ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ
جَمَعَتْ مَالاً فَفَكَّرَ هَلْ جَمَعَتْ لَهُ	يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ
الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لَوَارِثُهُ	مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا حِينَ تُنْفِقُهُ

[يتمنى كاساً وندماناً]

ومن قوله في الندمان والنَّبِيذِ مَّا يَغْنَى فِيهِ مَا أَتَشَدَّنِيهِ الْأُخْفَشُ وَغَيْرُهُ مِنْ شِيوخنا :

صوت

فكم قالوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ يطوفُ بها قُضِيبٌ في كُتَيْبٍ
وَنُدْمَانٌ تُسَاقُطُنِي حَدِيثاً كلحظِ الحِبِّ أَوْ غَضِّ الرَقِيبِ

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزة خفيف رمل .

1 دفر : تن .

2 العضل : جمع عضلة وهي الداهية .

[يستقي نبذاً]

أخبرني عمي : قال : حدثني كثرة أخو العَطَوِي قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكتاب ، ومعهم قينة يقال لها : مصباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا في قَصَفٍ وعَرَفٍ إلى أن انقطع نبذهم ، فبقوا حيارى ، وكانوا قريباً من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه :

يا ابن من طاب في المواليد مذآ ٤ دم جرّاً إلى الحسين أبيه
أنا بالقرب منك عند كريم ٥ قد ألحّت عليه شهبُ سنيه¹
عنده قينة إذا ما تغنّت عاد منا الفقيه غير فقيه
تزدهيني وأين مثلي في الفه سم تغنيه ثم لا تزدهيه
مجلس كالرياض حسناً ولكن ليس قطب السرور واللهو فيه
فأقمه بما به يمتري دنّ عجزوز خمارة ممتريه
وبأشياحك الكرام إلى السؤد دد موسى بسن جعفر وأبيه
إن تحشمتني وإن كان إلّا مثل ما يأنس الفتى بأخيه

قال : فلما وصلت الرقعة إلى أبي العباس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نفدت في أخفض عيش .
[كأس وقينة]

حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب : قال : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَوِي بعد وفاة عمي أحمد بن الخصيب بنسنتين ، وكان صديقه وصنيعته ، فجلس عندي يحادثني حديثه ، ويبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندي ، فحلف ألا يفعل إلّا بعد أن أحضره من وقتي ما راج من الطعام ، ولا أتكلّف له شيئاً ، ففعلت وجئته بما حضر ، فقال لي : ما فعلت عُقْدُ ؟ قلت : باقية ، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي ، والساعة تسمع غناءها ، فقال لي : عجّل إذن فإنّ النهار قصير ، ثم أنشأ يقول :

أدر الكأس قد تعالى النهار ما يُميتُ الهموم إلّا العقار

صاح هذا الشتاء فاغذُ عليها إنَّ أيامه لـ إذاً قصارُ
أيَّ شيء ألدَّ من يوم دَجْنٍ فيه كأس على الندامى تُدارُ
وقيانُ كأنَّهنَّ ظيلاءُ فإذا قلنَ قالتِ الأوتارُ

[أحسن يوم وأطيبه]

حدثني عمي : قال : حدثني كثرة : قال : كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشَّق جارية من جواري القيان يقالُ لها : غَنَعَتْ ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماع يسير ، فأرسل إليها يوماً ، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعر ، فقال :

يوم مطيرٌ وعيش نضيرُ وكأسٌ تدورُ وقدرٌ تفورُ
وغنعتُ تأتي إذا جئتنا فسمع منها غناء يَصُورُ¹
وعندي وعندك ما تشتهي هـ شعرٌ يمرُّ وعلمٌ يدورُ
وإذ كان هذا كما قد وصفتُ فإن التفرَّق خطبٌ كبيرُ
فقم نصطيحُ قبل فوت الزمانِ فإنَّ زمانَ التلهي قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبه فمرَّ لهما أحسنُ يوم وأطيبه .

[أعرابي يصف مجلس شراب]

وهذا الشعر أخذَه العطويُّ من كلام إسحاق ، أخبرني به وسوسة بن الموصلي عن حماد عن أبيه : قال : كان يألُفني بعضُ الأعراب وكان طيباً ، فجاءني يوماً ، فقلت له : لم أرك أُمس ، فقال : دعاني صديق لي ، فقلتُ : صف لي ما كنتم فيه ، فقال لي : كنَّا في مجلسٍ نظامه سرور بين قدور تفور ، وكأس تدور ، وغناء يصور ، وحديث لا يجور وندامى كأنهم البدور .

قال إسحاق : وقلت لأعرابي : كان يألُفني : أين كنت بالأُمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوك سُرَّ من رأى ، فأدخلني إلى قُبَّة كايوان كسرى ، وأطعمني في قِصاع تترى ، وغنَّني جارية سكرى ، تلعب بالمضرب كأنه مِذرى ، فيا ليتني لقيتها مرَّة أخرى .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أُمس فلم أجذك فأين كنت ؟ قال : كنتُ

عند صديق لي ، فأطعمني بناتِ التَّنَّانير ، وأطعمني أمهاتِ الأَبَازير¹ وحلواءِ الطَّنَاجِير² ،
وسقاني زُعَافِ القَوَارِير ، وأُسمِعي غناءَ الشَّادِنِ الغَرِير ، على العيدانِ والطَّنَّانير ، قد مُلِكتُ
بأوقارِ الدراهمِ والدَّنَّانير .

[في مجلسِ شرابٍ وغناء]

قرأت في بعض الكتب بغير إسناد : أنَّ العَطَوِيَّ كان يوماً جالساً في منزله ، وطرقه صديقٌ
له ممن كان يغني بِسُرٍّ مَنْ رَأَى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جِواريَّ اليومَ ونبيذاً يكفيك ،
وحسبك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلامٌ أَمْرَدٌ أَحْسَنُ من القمر ، فاحتسبه وكتب
العَطَوِيَّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب :

يومنا طيب به حسنُ القصِّ	ف وحثُّ الأُرطالِ والكاساتِ
ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه	ورشاشاً يبلُّ في الساعاتِ
ولدينا ظبيٌّ غريِّرٌ ظريفٌ	قد غَنِينا به عَن القَيْناتِ
إن تَخَلَّفتَ بعد ما تصلُّ الرِّقعة	سعةً عَنَّا فَأَنْتَ في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال :

أنا في إثر رُفعتي فاعلمنْ ذا	ك على أنسي من البَيَّاتِ
فافهم الشرطَ بيننا لا تقل لي	قد تناقَلْتُ فأنصرفْ بحياتي
لا لسوء لكن لأمتع نفسي	بحديثِ الظبيِّ الغريِّرِ المواتي

صوت

[من الطويل]

أيا بيتَ ليلى إنَّ ليلى مريضةٌ	برادان لا خالٌ لديها ولا ابنُ عمٍّ
ويا بيتَ ليلى لو شهدتك أَعولتُ	عليك رجالٌ من فَصيحٍ ومن عَجَمٍ
ويا بيتَ ليلى لا يَبْسُتَ ولا تَزَلْ	بلادُك سَقياها من الواكِفِ الدَّيَمِ

الشعر لمرة بن عبد الله النُّهْدِي ، والغناء لأحمد النُّصَيْبِيَّ ثَقِيلُ أَوَّلُ بالوسطى ، يقال إنَّه
لَحْنين .

1 الأَبَازير : جمع أَبَازر وهي التوابل .

2 الطَّنَاجِير : القدور .

[509] - أخبار مَرَّة ونسبه

[نسبه]

هو مَرَّة بن عبد الله بن هليل بن يسار : أحد بني هلال بن عَصَم بن نصر بن مازن بن خزيمة بن نهد ؛ وليلي هذه من رهطه ، يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد بن خالد بن عمرو بن سَلَمَة .

[يهجو مَن يخطبها]

نسختُ خبرها من كتاب ابن أبي السَّريِّ قال : حدَّثني ابن الكلبي عن أبيه : قال : كانت امرأة من بني نهد ، يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد ، وكان لها ابن عمٌّ يقال له مَرَّة بن عبد الله بن هليل يهواها ، واشتدَّ شغفه بها فخطبها ، وأبوا أن يزوجوه ، وكان لا يخطبها غيره إلاَّ هجاه ، فخطبها رجل من بني نهشل ، يقال له : إران ، فقال مَرَّة يهجوهُ : [من الطويل]

وما كنتُ أخشى أن تصيرَ بمرَّة	من الدَّهر ليلي زوجةً لإران
لمن ليس ذا لبٍّ ولا ذا حفيظةٍ	لعرس ولا ذا منطقٍ وبيان
لقد بليتُ ليلي بشرُّ بليَّةٍ	وقد أنزلتُ ليلي بدار هوانٍ

[تنمى إليه فبرئها]

قال : فتزوجها المنجابُ بن عبد الله بن مسروق بن سَلَمَة بن سعد ، من بني زوي بن مالك بن نهد ، فخرج إلى البعثِ براذان ، وهي إذ ذاك مَسْلُحَةٌ لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذان ودُفِنَتْ هناك . فقدم رجلان من بَجيلة من مكبتهما براذان من بني نهد ، وكانت بَجيلة جيرانَ بني نهد بالكوفة ، فمرا على مجلسهم ، فسألوهما عن براذان من بني نهدي ، فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلي ومَرَّة في القوم ، فأنشأ يقول :

أيا ناعِيَّ ليلي أما كان واحدٌ	من النَّاس ينعاهَا إليَّ سواكما
ويا ناعِيَّ ليلي ألم نك جيرة	ندامى ذوي حقٍّ فالأ نَهاكما

ويا ناعمي ليلي لقد هجئنا لنا
ويا ناعمي ليلي لجلت مُصيبةٌ
ولا عشتما إلا حليفِي بِلِيَّةِ
فأشمتَ والأَيَّامَ فيها بوائِقُ
تجاوبَ نوحٍ في الدِّيارِ كلاكما
بنا فقدُ ليلي لا أُمرَّت قواكما¹
ولا ميتٌ حتى يُشترى كَفَنًا كما
بموتكما إني أُحبُّ رَدَاكما

وقال فيها أيضاً :

[من الطويل]

كأنَّكَ لم تُفجَّع بشيءٍ تعدُّه
ولم ترَ بؤساً بعد طولِ غضارَةٍ
سقى جانبي راذان والساحةَ التي
ولا زال خِصْبٌ حيث حلتْ عظامها
وإن لم تكلمنا عظام وهامةٌ
ولم تصطبِرْ للنائباتِ من الدهرِ
ولم ترمكِ الأَيَّامُ من حيثُ لا تدري
بها دَفَنُوا ليلي مُلثٌ من القَطْرِ²
براذان يُسقى الغيثُ من هَطْلٍ غَمِرٍ
هناك وأصداءُ بَقَيْنَ مع الصخرِ

وقال فيها :

[من الطويل]

أيا قبر ليلي لا يَبِسَتْ ولا تَزَلْ
ويا قبر ليلي غُيِّبَتْ عَنْكَ أُمُّهَا
ويا قبر ليلي كم جمالٍ تُكِنُّهُ
بلاذُكٍ تَسْقِيها من الواكفِ الدَّيْمِ
وخالَتْها والناصحون ذَوو الذَّمِّ
وكم ضَمَّ فيكَ من عَفَافٍ ومن كرمٍ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناء .

[هل كان تزوجها]

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أنَّ مرَّةً كان تزوجها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرب عليه البعث إلى خراسان ، فخلفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبعثه ، ثم قدِم بعد حول ، فلقِي فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذي يَفناء الدَّار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبَّ عليه يبكي ، ويندبها ، وترك مكتبه ، ولزِم قبرها يغدو ويروح إليه ، حتى لحق بها .

1 أُمرَّت : اشتدَّت .

2 مُلثٌ : دائم ، شديد الهطل .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

بَأَبِي أَنْتَ يَا ابْنَ مَنْ لَا أُسْمِي لِبَعْضٍ مَا
 يَا شَبِيهَ الْهَلَالِ مِثْلُ لُكْ فِي الْأَفْقِ أَنْجُمَا
 رَاقِبِ اللَّهَ فِي أَسْرِ يَبْرِكُ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمَا
 الشعر لعليّ بن أمية والغناء لعمر الميّدانيّ رَمَل مطلق .

[510] - أخبار علي بن أمية

[نسبه]

علي بن أمية بن أبي أمية ، وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدي ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدم خبر أخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب .

[لحن يثير ضجة]

فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار : قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات : قال : حدثني محمد بن علي بن أمية : قال : لما قدم علي بن أمية ، وقال : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا ريح ما تصنعين بالدمن ؟	كم لك من محو منظر حسن
محوت آثارنا وأحدثت آ	ثاراً برنع الحبيب لم تكن
إن تك يا ريح قد بليت من	الريح فإني بال من الحزن
قد كان يا ريح فيك لي سكن	فصرت إذ بان بعده سكني
شبهت ما أبلت الرياح من آ	ثار حبيبي الثأى بلا بدن
يا ريح لا تطمسي الرموس ولا	تمحي رسوم الديار والدمن
حاشاك يا ريح أن تكوني على	العاشق عوناً لحادث الزمن

كثر الناس فيه ، وغناه عمرو الغزال ، فقال أبو موسى الأعمى : [من مجزوء البسيط]

يا رب خذني وخذ علياً وخذ	يا ريح ما تصنعين بالدمن
عجل إلى النار بالثلاثة والرا	بع عمرو الغزال في قرن

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أهل بيت ، وهم إخوتي ، ولا أحب أن أنشب بيني وبينهم عداوة وشرّاً ، فأتى أمية فقال : إني قد أذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً ، وقد جئتكم مستجيراً بك من

فتيانك ، فدعا بعلي بن أمية ، فقال : يا هذا ، عمك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله ، قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضَجَرنا نحن والله منه كما ضَجَرْتَ أنت وأكثر ، وأنت آمين من أن يكون منا جوابٌ ، وأتى محمد بن أمية ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أبو موسى ، فأخذ علي بن أمية رقعة فكتب فيها :

كم شاعرٍ عند نفسه فطِن ليس لدينا بالشاعر الفطِن
قد أخرَجَتْ نفسه بفُصَّتْها يا ربحُ ما تصنعين بالدمن

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبي موسى ، وقُلْ له : يقول لك مولاك : اذكرني بهذا إذا انصرفت إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التي بعثت بها إلي ، فقال : والله ما بعثت إليك رقعة ، وأظنّ الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال : يا غلام ، لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى علي بن أمية ، فقال : نشدتك الله أن تريد على ما كان ، فقال له : أنت آمن .

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى .

[بسر المغني عمرو الغزال]

وقال يوسف بن إبراهيم : حدّثني إبراهيم بن المهديّ : قال : حدّثني محمد بن أيوب المكيّ : أنّه كان في خدمة عبيد الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخفياً لعمرو الغزال ، محباً له ، وكان عمرو يستحقّ ذلك بكلّ شيء ، إلّا ما يدّعيه ويتحقّق به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أديباً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كلّ ما يحتاج إليه من آلة الفتوة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحقّ ، ولم يدّع ما لا يستحقّه ، وأنّه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشكّ في أن صنعتهما مثل صنعته ، وكان عبد الله قليلَ الفهم بالصناعة ، فكان يظنّ أنّه قد ظفّر منه بكنز من الكنوز ، فكان أخطى الناس عنده من استحسان غناء عمرو الغزال وصنعتة ، ولم يكن في ندماؤه من يفهم هذا ، ثم استزار عبيد الله بن جعفر أخاه عيسى ، وكان أفهم منه ، فقلت له : استعن برأي أخيك في عمرو الغزال ؛ إنّهُ أفهم منك ، وكانت أمّ جعفر كثيراً ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أخوه يُعرّف الرشيد أنّه

ضعيف عاجز لا يستحق ذلك ، فلما زاره عيسى أسمعته غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةً عين¹ ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عبيد الله بصيرة فيه ، ويجعله عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمت ما أراد ، وعرفت أن عمراً الغزال أول داخل على الرشيد ، فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني ، لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجه إليه وأقبل يلومني ويقول : ما أظنك إلا قد فرقت بيني وبين عمرو ، وكنت غنياً عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعتته :

يا ريح ما تصنعين بالدمن كم لك من محو منظر حسن

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه ، ووصله بألف دينار ، وصار في عداد مُعْنِي الرشيد ، إلا أنه كان يلزم عبيد الله إذا لم يكن له نوبة ، فأقبلتُ أتعجب من ذلك ، واتصلت خدمته إياه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوماً من الشماسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقية الخضر بن جبريل ، وكان في الناس في العسكر ، فعاتبه عبيد الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أفعل ذلك جهلاً بحقك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكننا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحك ؟ قال : أنت على نهاية السرف في محبة عمرو الغزال ، وأنا على نهاية السرف في بغضه وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به ، وأنا أتوهم أنني إن عاشرتُه ساعة متّ ، وتقطعت نفسي غيظاً وكمداً ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً ، فقال له عبيد الله : إذا كان هذا هكذا فانا أعفيك منه إذا زرتني ، فصر إليّ آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبيد الله حتى قال لحاجبه لا تدخل اليوم أحداً ، ولا تستأذن عليّ لخلق بته ودخلنا ، فلما وضعت المائدة لم يأكل ثلاث لقم ، حتى دخل الحاجب فوقف بين يديه ، وأقبل عمرو الغزال خلفه ، فرآه من أقصى الصحن ، فقال له عبيد الله : ثكلتك أمك ! ألم أقل لك لا تدخل عليّ أحداً من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالق ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكل من خلق الله لم يدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو ؛ فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخل متى شاء ، وعلى كل حال . قال : ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على

المائدة وتغيّر وجهه الخضر ، وبانت الكراهة فيه ، فما أكل أكلاً فيه خير ، وتبين عبید الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدّم النبيذ ، فجعل الخضر يشرب شرباً كثيراً لم أكن أعهدّه يشرب مثله ، فظننت أنه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال ، وعمرو يتغنّى ، فلا يقتصر وكلما تغنّى قال له عبید الله : لمن هذا الصوت يا حبيبي ؟ فيقول : لي وعندنا يومئذ جوار مطربات محسنات ، وهو يقطع غناءهنّ بغناهنّ ، وتبينت في وجه الخضر العريدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت : هذا لي ، فوثب الخضر وكشف استه وخري في وسط المجلس على بساط خز لم أر لأحد مثله ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبید الله ، وقال له : يا خضر أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ؟ قال إي والله أيّها الأمير ، ثم وضع رجليه على سلحه ، ثم أخرجهما فمشى على البساط مُقبلاً ومُدبراً ، حتى خرج وقد لوّثه ، وهو يقول : هذا كلّ لي ، وتفرّقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها ، وشاع الخبر ، حتى بلغ الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ، ودعا الخضر ، وجعله في نُدماه منذ يومئذ ، وقال : هذا أطيب خلق الله ، وانكشف عنده عوار عمرو الغزال واسترحنا منه ، وأمر أن يُحجّب عنه ، فسقط منذ يومئذ ، وقد كان الجوّاري والغلمان أخذوه ولَهجوا به ، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصلي وابن جامع قبل ذلك فسقط غناؤه أيضاً منذ يومئذ ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلّا صنعته في :

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن

ولولا إعجاب الرشيد به لسقط أيضاً .

[أية ريح يعني]

حدّثني الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم عن أبي هِفان : قال : كنّا في مجلس ، وعندنا قينة تغنّي ، وصاحب البيت يهواها ، فجعلت تكايد ، وتومئ إلى غيره بالمرح والتّجميش¹ ، وتغيّظه بجهدا ، وهو يكاد يموت قلقاً وهماً وتغنّص عليه يومه ، ولجّت في أمرها ، ثم سقط المضرب عن يدها ، فأكبّت على الأرض لتأخذه ، فضرطت ضرطَةً سمعها جميع من حضر ، وخجلت ، فلم تدّر ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت : أيش

1 التّجميش : الملاعبة .

تشتهي أن أغني لك ؟ فقال : غني :

[من مجزوء البسيط]

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن

فخجلت وضحك القوم وصاحبُ الدار : حتى أفرطوا ، فبكتُ وقامتُ من المجلس ،
وقالت : أنتم والله قوم سيفل ، ولعنة الله عليّ من يُعاشركم ، وغضيتُ وخرَجْتُ ، وكان ، علِمَ
الله ، سببَ القطيعة بينهما وسلو ذلك الرجل عنها .

[من الرسول]

أخبرني ابن عمّار وعمّي الحسن بن عليّ ، قالوا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :
حدّثنا الحسين بن الضحّاك : قال : كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا عليّ بن أمية ، فعلقتُ
نفسه بقينة دعيت لنا يومئذٍ ، فأقبل عليها فقال لها : اتغنين قوله : [من الخفيف]

خبريني من الرسول إليك ؟ واجعليه من لا ينم عليك
وأشيرني إليّ من هو باللحظ ليخفي على الذين لديك

فقلت : نعم ، وغنّته لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقلت :

وأقلّي المزاح في المجلس اليوم فإن المزاح بين يديك

ففطن لما أرادت وسرّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ،
اسقني ، فسقاها ، وفطن بن أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول ،
فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردّد في الرسائل بينهما .

[511] - أخبار عمر الميداني

[متقدم في الصنعة والأداء]

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل الميدان¹ فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعلياً ابني أمية وأبا حشيشة ، ينادمهم ويغني في أشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء .

حدثني جحظة : قال : سمعت ابن دقاق في منزل أبي العنّس بن حمدون يقول : سمعت أبا حشيشة والمسدود ، ومن قبلهما من الطنبوريين ، فما سمعت منهم أصح غناء ولا أكثر تصرفاً من عمر الميداني .

[مائدة إسحاق وجائزته]

حدثني جحظة : قال : حدثني علي بن أمية : قال : دخلت يوماً على عمر الميداني ، وكان له بقال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه إذا أعسر ، ويتصرف في حوائجه ، فإذا حصلت له دراهم دفعها إليه يقبض منها ما رأى ، لا يسأله عن شيء ، فوجدت عنده يومئذ هذا البقال ، فقال لنا عمر : معي أربعة دراهم تعطوني منها لعلف حماري درهماً ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أحببتم . وعندي نبيذ ، وأنا أغنيكم ، والبقال يُحضّرنا من الأبقال اليابسة ما في حانوته . فوجهنا بالبقال . فاشتري لنا بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم فاكهةً وريحاناً . وجاءنا من حانوته بجوائح السكّاج² ونقل . فبينما نحن نتوقع الفراغ من القدر إذا بفراق³ يدق الباب . فأدخله عمر : فقال له : أجب الأمير إسحاق بن إبراهيم . فحلف علينا عمر بالطلاق ألا نبرح ، ومضى هو ؛ وأكلنا السكّاج وشربنا وانصرف عشاء . وبكر إليّ رسوله في السحر أن صير إليّ ، فصرت إليه ، فقلت : أعطيني خبرك من النعل إلى النعل⁴ . قال : دخلت فوضعت بين يدي مائدة

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 السكّاج : لحم يطبخ بخل .

3 الفراق : الرسول .

4 من النعل إلى النعل : أي القصة من البداية إلى النهاية .

كَانَتْهَا جَزْعَةٌ¹ يَمَانِيَّةٌ قَدْ فُرِشَتْ فِي عِرَاصِهَا الْحَبِيرُ فَأَكَلْتُ وَسُقِيتُ رَطْلِينَ ، وَدُفِعَ إِلَيَّ طُنْبُورٌ . فَدَخَلْتُ إِلَى إِسْحَاقَ ، فَوَجَدْتَهُ فِي الصَّدْرِ جَالِسًا ، وَخَلْفَهُ سِتَارَةٌ . وَعَنْ يَمِينِهِ مُخَارِقٌ وَعَنْ يَسَارِهِ عَلْوِيَّةٌ . فَقَالَ لِي : أَنْتَ عُمَرُ الْمِيدَانِيَّ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَأَكَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : هَاهُنَا أَوْ فِي مَنْزِلِكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ هَاهُنَا ، قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَغَنِّ بِصَوْتِكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ فِيَّ :

يَا شَبِيهَ الْهَلَالِ كُلِّ ل فِي الْأَفْقِ أَنْجُمَا

وَهُوَ رَمَلٌ مُطْلَقٌ ، فَغَنَيْتُهُ فَضَرَبَ السِتَارَةَ . وَقَالَ : قَوْلُهُ أَنْتُمْ ، فَقَالُوهُ ، فَقَالَ : لِمُخَارِقٍ وَعَلْوِيَّةٌ : كَيْفَ تَسْمَعَانِ ؟ فَقَالَا : هَذَا وَاللَّهِ ذَا ، وَذَا ذَاكَ . فَرَدَدْتُهُ مَرَارًا . وَشَرِبَ عَلَيْهِ . وَقَالَ لِي : أَنَا الْيَوْمَ عَلَى خُلُوةٍ وَلَكَ عَلَيَّ دَعَوَاتٌ ، فَانصَرَفَ الْيَوْمَ بِسَلَامٍ . فَخَرَجْتُ وَدَفَعْتُ إِلَى الْغَلَامِ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ . فَهِيَ هَذِهِ ، وَاللَّهِ لَا اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بِدِرْهَمٍ . فَلَمْ نَزَلْ عِنْدَهُ نَقْصِيفٌ حَتَّى نَفِذَتْ .

صوت

[من الهزج]

أَمِينَ الْخَالِقِ الْبَارِي وَرَاعِي كُلِّ مَخْلُوقٍ
أَدِرُّ رَاحَكَ فِي الْمَعْشُوقِ ق مِنْ رَاحَةِ مَعْشُوقٍ

الشعر لأبي أيوب سليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرْزُورٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ مِنْ جَامِعِ غَنَائِهِ الْمَأْخُوذِ عَنْ أَبِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ .

1 الجزع اليماني : من الأحجار الثمينة .

[512] - أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه

تصلح لهذا الكتاب¹

[ينكر الانتساب إلى الحارث]

قد تقدّم نسبُه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كعب . وأن أصلهم من قرية يقال لها : سار قرمقا من طَسُوج² خُسْرُوسابور من سواد واسط ، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتاب .

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثني الحسن بن يحيى وعَوْنُ بن محمد الكِنديّ ، أن جعفر بن محمد كان وزير المهدي في أوّل أمره ، فبلغه عنه تشييع فكرهه ، وقال : هذا رافضي لا حاجة لي فيه ، واستوزر جعفر بن محمد بن عمار ، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهدي ، ثم قديم موسى بن بَغا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فاستوزر المهدي سليمان بن وهب ولقب الوزير حقاً ؛ لأنّ من كان قبله كان غير مستحقّ للوزارة ، ولا مستقلاً بها .

[ينصفه ويعطيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدّثني الحسن بن يحيى بن الجَمّاز : قال : لما استوزر سليمان بن وهب جلس للنّاس ، فدخل عليه شاعر يقال له : هارون بن محمد البالسيّ ، فذكر مظلمة له ببلده ، ثم أنشده :

زَيْدَ فِي قَدْرِكَ الْعَلِيِّ عَلَوْ
يَا ابْنَ وَهْبٍ مِنْ كَاتِبٍ وَوَزِيرٍ

1 انظر أخباره في ترجمة الحسن بن وهب التي مرّت آنفاً وسليمان بن وهب ترجمة ضمن ترجمة الحسن بن وهب في معجم الأدباء 3 : 1019-2022 .

2 طَسُوج : الناحية .

أسفر الشرق منك والغرب عن ضو
من العدل فاق ضوء البدور
أنشر الناس غيثكم بعدما كا
نوا رفاتاً من قبل يوم النشور
شرّد الجور عدلكم فسرحنّا
بينكم بين روضة وغدير
[أنت عين الإمام والقِرْم مو
سى بك تفتّر عابسات الأمور]

فوقع في ظلامته [بما أراد] ووصله بمائتي دينار .

[يزيد المهلب يمدحه فيزيده جائزته]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدثنا أحمد بن الخصب : قال : لعهد ييزيد بن محمد المهلب عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهدي ، وقد أجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قوله :

وهبتم لنا يا آل وهب مودة
فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثّل
فمن كان للآثام والذل أرضه
فأرضكم للأجر والعزّ منزل
رأى الناس فوق المجدي مقدار مجديكم
فقد سألوكم فوق ما كان يسأل
يقصر عن مسعاكم كل آخر
وما فاتكم ممن تقدّم أوّل
بلغت الذي قد كنت أملت لكم
وإن كنت لم أبلغ بكم ما أوثّل

فقطع عليه سليمان الإنشاد ، وقال له : يا أبا خالد ، فأنت والله عندي كما قال عمارة بن عقيل لآبته :

أفقه مسروراً إذا أبت سالماً
وأبكي من الإشفاق حين تغيب

فقال له يزيد : فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوّل ، وتمّ فقال : [من الطويل]

ومالي حق واجب غير أنني
بجودكم في حاجتي أتوسّل
وأنكم أفضلتكم وبررتكم
وقد يستمّ النعمة المتفضّل
وأوليتكم فعلاً جميلاً مقدّماً
فعودوا فإنّ العود بالحرّ أجمل¹
وكم ملحف قد نال ما رام منكم
ويمنعنا من مثل ذاك التجمّل

وعودتمونا قبلَ أن نَسْأَلَ الغِنَى ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُذِلُّ
فقال له سليمانُ : لا تبرحِ واللهِ إلَّا بقضاءِ حوائجِكَ كائنةً ما كانت ، ولو لم أَسْتَفِدْ من
كُتْبَةِ أمير المؤمنين إلَّا شُكْرَكَ لرَأَيْتُ جنابِي بذلك مُمرِعاً ، وغرسي مُثْمِراً ، ثم وَقَعَ له في رِقَاعِ
كثيرةٍ كانت بين يديه .

[رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً]

أخبرني محمد : قال : حَدَّثَنَا الْحَزَنُ بْنُ قَالَ : لَمَّا وَلَّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارته قام
إليه رجل من ذوي حرفته ، فقال : أنا ، أَعَزَّ اللهَ الوزير ، خادِمُكَ ، المؤمِّلُ دولتَكَ ، السعيدُ
بأيامِكَ ، المطويُّ القلبَ على وَدِّكَ ، المنشورُ اللسانَ بمدحِكَ ، والمرتهنُ بشكرِ نعمتِكَ ، وقد
قال الشاعر :

وَقِيْتُ كُلَّ أَدِيبٍ وَدَّنِي ثَمَنًا إلَّا المؤمِّلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي
فإنِّي ضامنٌ أَلَّا أَكافِهَهُ إلَّا بتسويغِهِ فَضْلِي وإنعامِي

وإنِّي لَكَمَا قال القَيْسِيُّ : ما زلتُ أمتطي النهارَ إِلَيْكَ ، وأُستدِلُّ بفضلكَ عليكَ ، حتى إذا
جَنَّنِي الليلُ ، فَقَبَضَ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقامَ بَدَنِي ؛ وسافرَ أُمْلِي ، والاجتهادُ [عذر] ، وإذا
بلغتُكَ فهو مرادي فقط . فقال له سليمان : لا عليكَ : فإنِّي عارفٌ بوسيلتِكَ ، محتاجٌ إلى
كفایتِكَ ، ولستُ أُوخِّرُ عن أُمْرِي النظرَ في أَمْرِكَ وتَوَلَّيْتُكَ ما يحسنُ أثرَهُ عليكَ .
[القاضي أحد شهودها]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال : ما رأيتُ أَظْرَفَ من سليمانَ بن وهب ، ولا
أَحْسَنَ أَدَباً : خرجنا نلتقاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغَا ، فقال لي : هاتِ الآنَ يا أبا
الحسن ، حَدِّثْنِي بعجائبِكُم بعدي ، وما أَظُنُّكَ تَحْدِثُنِي بأعجبَ من خبرِ ضَرْطَةِ أبي وهب
بمحضرةِ القاضي ، وما سِيرَ من خبرها ، وما قيل فيها ، حتى قيل :

ومن العجائبِ أَنَّها بشهادةِ الْقَاضِي فليس يُزِيلُهَا الإنكارُ

وجعل يضحك .

[يعترف بفضل ابن ثوبة]

قال علي بن الحسين الأصفهاني : حضرتُ أبا عبد الله الباقرَ ، وهو يتقلدُ ديوانَ
المشرق ، وقد تقلدَ ابنُ أبي السلاسل ماسِيزانَ ومِهْرَجانَ قُذْفٌ¹ ، وجاءه يأخذُ كُتْبَهُ ،

1 ماسيزان ومهرجان قذف : كورتان من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همدان .

فجعل يرصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العُمالَ ، فقال ابن أبي السلاس : كأنك استكثرتَ لي هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنتَ تكتب لأبي العباس بن ثوبة ، ثم صرتَ صاحب ديوان ، فقال له الباقتاني : يا جاهل يا مجنون ، لولا أنه قبيح عليّ مكافأةً مثلك لراجعتُ الوزير ، أيده الله ، في أمرك ، حتى أزيلَ يدك ، ومن لي أن أجد مثل ابن ثوبة في هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدثنا ، فقال : دخلت مع أبي العباس بن ثوبة إلى المهندي ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعُمال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العُمال ، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوبة ، ثم قال له : أنت اليوم أخذُ ذهناً مني فهلّم نتعاون ، فدخلنا بيتاً ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف آخر ، فكتبنا الكتب التي أمر بها سليمان ما احتاج أحدهما إلى نسخة ، وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنه وقرّظه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهندي ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ يا سليمان ، ونعم الرجلُ أنتَ لولا المعجلُ والمؤجلُ ، وكان سليمان إذا ولّي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً ، وأجل له مالاً إلى أن يتسلم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً ، فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقوله ، وإن كان حقاً ، وقد علمت أن الأصول محفوظة ، فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ؛ من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا فلا بأس ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده ، بياقي ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العباس بن ثوبة : كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلنا حاطب في حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيد ملكك ، أنفضي ما تأمر به على ما خيَّلت أم نقول بالحق ؟ قال : بل قل الحق يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، الملك يقين ، والمصادرة شك ، أفترى أن أزيلَ اليقين بالشك ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدت للرجل بالملك ، وصادرتَه عن شك فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعل المصادرة صلحاً ! فإذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقين بالشك ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصول إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بد لك من عمال على أعمالك ، وكلهم يرتزق ، ويرتفق ، فيحوز رفقَه ورزقَه إلى منزله ، فاجعله أحد عمالك ؛ ليصرف

هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود إليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ، فلما خرجا من حضرة المهدي قال له سليمان : عهدي بهذا الرجل عدوك ، وكل واحد منكما يسعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى بُت عنه في هذا الوقت نيابةً أحييته بها ، وتخلصت نفسه ونعمته ؟ فقال : إنما كنت أعاديته ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني ، فأما وهو فقير إلي فلا . فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سليمان : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النية لك . ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً . ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً ما بقي . ثم قال الباقراني : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب من كان يكتب له ؟ [من شعره في نكته]

أخبرني محمد بن يحيى الباقراني : قال : حدثنا الحسين بن يحيى الباقراني قال : كنت آلف سليمان بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأحادثه . وكان يخصني ويأنس بي . فأنشدني لنفسه يذكر نكته في أيام الوراق :

صوت

نوابُ الدهر أدبتني وإنما يُوعظُ الأريبُ
قد ذقتُ حُلُوماً وذقتُ مرّاً كذاك عيشُ الفتى ضروبُ
ما مرَّ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلا وليَ فيهما نصيبُ

فيه رمل محدث لا أعرف صانعه .

[بينه وبين علي بن يحيى]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى أن جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه :

جفاني أبو أيوب نفسي فداؤه فعاتبته كيما يرعَ ويُعْتَبَا
فوالله لولا الضنُّ مني بوّده لكان سهيلٌ من عتاييه أقربَا

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإنّي لدانٍ من بعيدٍ تقريباً
فكيف بخيلٍ لي أضين بوّده وأصفيه وداً ظاهراً ومُغَيّاً

[من الطويل]

عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه فما زال في كلّ الخصال مهذباً
ولكنّ أشغالاً عَرَت وتواترت فلماً رأيت الشغلَ عاق وأتعباً
وكنْتُ إلى عذر الأخلَاء إنهم كراماً وإن كان التواصلُ أوجباً
فإن يطلّب مني عتابك أوبةً يبرّ تجدني بالأمانة مُعْتَباً

[قبلة بقيلة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمّه : قال : كان سليمان بن وهب ، وهو حَدَث ، يتعشّق إبراهيم بن سوار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأملحهم أدباً وظرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق جاريةً مُغْنِيّة ، يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوماً فسكّر إبراهيم ، ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبله ، فلماً انتبه لامتّه ، وقالت : كيف أصفوك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبلك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان :

[من المجتث]

قل للذي ليس لي من جوى هواه خلاصُ
أئنّ لثمتك سرّاً وأبصرتنّي رُخاصُ
وقال لي ذاك قوم على اغتيابي حِراسُ
هجرتنّي وأتّني شتيمّةً وانتقاصُ
وسرّ ذاك أناساً لهم علينا اختِراسُ
فهاك فاققصْ منّي إنّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

[مساجلة بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصوليّ عن أحمد بن الخصيب : قال : حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض من وعده أن يصرفه من أصحابه ، وفيها :

[من الرجز]

هَبْنِي رَضِيْتُ مِنْكَ بِالْقَلِيلِ أَكَانَ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّنْزِيلِ
أَوْ خَبِرَ جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ أَوْ حُجَّةٍ فِي فِطْرِ الْعُقُولِ
مُسْتَحْسَنٌ مِنْ رَجُلٍ جَلِيلٍ عَالٍ لَهُ حِظٌّ مِنَ الْجَمِيلِ

ينقصُ ما أُشاع بالتطويل والقول دونَ الفعل بالتحصيل
ليس كذا وصف الفتى النبيل

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتي دينار وكتب في رقعة : [من الرجز]

ليس إلى الباطل من سبيل إلا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل فاطم الذي كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزيل وعُد من القول إلى الجميل
وعف في الكثير والقليل تحظ من الرتبة بالجزيل

[هل كان مرثياً]

أخبرني محمد بن يحيى عن عبد الله بن الحسين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى
سليمان بن وهب ، وهو يتولّى شيئاً من أعمال الضياع : [من الهزج]

أطال الله إسهادك في الآجل والعاجل
أما ترعى لمن أمّ ل فضلاً حرمة الآمل
وعندي عاجل من رش وأنت العالمُ الشاه
لُدتُ أني كاتب عامل ل دون العاجز البازل
فما أفشي لك السرّ فعّال الأخرق الجاهل

قال : فضحك وأجلسه وكتب في رقعته : [من الهزج]

أين لي ما الذي تخط وما تُعطي إذا ولي
بُ شرحاً أيّها البازل ت تعجلاً وما الآجل
أفي الإسلاف تنقيص وفي الموقوف تضمين
أم الوزن له كامل أم الوعد به حاصل
هل ميقاته الغلّة في العام أو القابل
أين لي ذاك وارد رُق عتي يا كاتباً عامل

[مع سلة رطب]

فلما قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردَّ الرقعة عليه ، وولاه سليمانُ ما التمس . أخبرني
محمد بن يحيى عن موسى البربري قال : أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سليمان بن عبد الله بن
طاهر سلالَ رُطب من ضيعته وكتب إليه يقول :

أذن الأميرُ بفضلِهِ وبجوده ونبيلِهِ
لوليِّهِ في بِرِّهِ بجَنَاهُ سَكَّرَ نَحْلِهِ
فبعثتُ منه بسَلَّةٍ تحكي حلاوةَ عَدْلِهِ

[قلبه يصم السمع]

أخبرني محمد الباقراني : قال : كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلب ، فاعتمد عليه اعتماداً
شديداً ، فصرَّ القلمُ في يده ، فقال :

إذا ما حَدَدْنَا وانتَضَيْنَا قَواطِعاً أَصمَّ الذكيَّ السمع منها صريرُها
تَظَلَّ المَنايا والعَطايا شَوارِعاً تدورُ بما شِئْنَا وتمضي أُمُورُها
تَسَاقُطُ في القَراطاس منها بدائعُ كمثل اللَّآلي نَظْمُها وتَثيرُها
تَقُودُ أَيْبَاتِ البَيانِ بِفَطنَةٍ تَكشِفُ عن وَجهِ البَلاغة نورُها
[إذا ما خطوبُ الدهر أُرخت ستورُها تجلَّت بنا عَمَّا تُسرِّ ستورُها]

[يرثي أخاه الحسن]

قال : وأنشدني له يرثي أخاه الحسن :

مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأصبحت لآلي الحجا والقول ليس لها نظمُ
وأضحى نجيُّ الفكر بعدَ فراقه إذا همَّ بالإفصاح مَنطِقُه كَظُمُ

وذكر ابن المسيب أن جماعة تذاكروا لما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله :
أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعهم ، فلما استقصى ذلك نكبهما
لكثرة ما لهما ، فقال ابن الرومي وكان حاضراً :

ألم ترَ أنَّ المَالَ يُتَلَفُ رَبُّهُ إذا جَمَّ آتِيهِ وسُدَّ طريقُهُ
ومَن جاور الماءَ الغَزيزَ مَجْمُهُ وسُدَّ مَفيضُ الماءِ فهو غَريقُهُ

[من الطويل]

[البحري يرثيه]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالَب ، فرثاه جماعة من الشعراء ، فممن جُوِّدَ
في مرثيته البحتري حيث يقول :

هذا سليمان بن وهب بعدما	طالت مساعيه النجوم سموكا
وتنصف الدنيا يدبر أمرها	سبعين حولاً قد تمنن دكيكا ¹
أغرّت به الأقدار بغتة ملمة	ما كان رس حديثها مأفوكا
أبلغ عبيد الله فارغ مذحج	شرفاً ومُعطي فضلها تمليكاً
إن الرزية في الفقيد فإن هفا	جزع بلبك فالرزية فيكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً	لحميمه في التراب أو متروكا
بلغ الإدارة إذ فداك بنفسه	وتود لو تغديه لا يفديكا
لو ينجلي لك ذخرها من نكبة	جلل لأضحكك الذي يبكيكا

صوت

[من الطويل]

لقد برز الفضل بن يحيى ولم يزل	يسامي من الغايات ما كان أرفعا
يراه أمير المؤمنين لملكه	كفيلاً لما أعطى من العهد مقنعا
قضى بالتى شدت هارون ملكه	وأحيت ليحيى نفسه فتمتعا ²
فأمست بنو العباس بعد اختلافها	وآل علي مثل زندي يد معا
لئن كان من أسدى القريض أجاده	لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقي يقوله في الفضل بن يحيى لما قديم يحيى بن عبد الله بن
الحسين على أمان الرشيد وعهده . والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقل بالنصر عن أحمد بن
المكي ، وكان الرشيد أمره أن يغني في هذا الشعر ، وإياه عنى أبان بقوله :

لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

1 دكيكا : تاماً .

2 نفسه في ل : ملكه .

[513] - أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[نسبه]

أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ لَاحِقِ بْنِ عَفِيرِ مَوْلَى بَنِي رَقَاشَ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : بَنُو رَقَاشَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُنْسَبُونَ إِلَى أُمِّهِمْ ، وَاسْمُهَا رَقَاشَ ، وَهُمْ : مَالِكُ ، وَزَيْدُ مَنَاةَ ، وَعَامِرُ ، وَبَنُو شَيْيَانِ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ .
[صنيعة البرامكة]

أَخْبَرَنِي عَمِّي : قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيلِ الْعَنْزِيُّ : قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَهْرَانَ مَوْلَى الْبِرَامِكَةِ : قَالَ : شَكَا مِرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ تَغْيِيرَ الرِّشِيدِ عَلَيْهِ وَإِمْسَاكَ يَدِهِ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَتَشْكُو الرِّشِيدَ بَعْدَ مَا أُعْطَاكَ ؟ قَالَ : أَوْ تَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ هَذَا أَبَانُ الْإِلَاحِقِيِّ ، قَدْ أَخَذَ مِنَ الْبِرَامِكَةِ بِقَصِيدَةٍ قَالَهَا وَاحِدَةٌ مِثْلَ مَا أَخَذَتْهُ مِنَ الرِّشِيدِ فِي دَهْرِي كُلِّهِ ، سَوَى مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْبَاهِهِمْ بَعْدَهَا ، وَكَانَ أَبَانُ نَقَلَ لِلْبِرَامِكَةِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ ، فَجَعَلَهُ شِعْرًا ، لَيْسَ هَلْ حَفَظَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، أَوَّلُهُ :

هَذَا كِتَابُ أَدَبٍ وَمَحَنَةٍ وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ
فِيهِ احْتِيَالاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعْتُهُ الْهِنْدُ

فَأَعْطَاهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارَ ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارَ ، وَلَمْ يَعْطِهِ جَعْفَرُ شَيْئًا ، وَقَالَ : أَلَا يَكْفِيكَ أَنْ أَحْفَظَهُ فَأَكُونَ رَاوِيَتَكَ ؟ وَعَمِلَ أَيْضًا الْقَصِيدَةَ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَبْدَأَ الْخَلْقِ وَأَمْرَ الدُّنْيَا وَشَيْئًا مِنَ الْمُنْطَقِ ، وَسَمَّاها ذَاتَ الْحُلَلِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَنْسِبُهَا إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لِأَبَانَ .
[بينه وبين أبي نواس]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ صَهْرُ الْمُبَرِّدِ : قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هِفَّانَ : قَالَ : حَدَّثَنِي الْجَمَّازُ ، قَالَ : كَانَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ قَدْ جَعَلَ امْتِحَانَ الشُّعْرَاءِ وَتَرْتِيبَهُمْ فِي الْجَوَائِزِ إِلَى أَبَانَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، فَلَمْ يَرْضَ أَبُو نَوَاسِ الْمَرْتَبَةَ الَّتِي جَعَلَهُ فِيهَا أَبَانُ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ

بذلك :

[من المجتث]

جالستُ يوماً أباناً لا درّ درُّ أبانٍ
حتى إذا ما صلاةُ الأُ ولى دنت لأوانٍ
فقام ثم بها ذو فصاحة وبيانٍ
فكلّما قال قلنا إلى انقضاء الأدانٍ
فقال : كيف شهدتم بذا بغير عيانٍ
لا أشهدُ الدهرَ حتى تعاينَ العينانِ
فقلت : سبحانَ ربِّي فقال : سبحانَ ماني

فقال أبانُ يجيبه :

[من مجزوء الرمل]

إن يكن هذا النّوasi بلا ذنبٍ هجانا
فلقد نكناه حيناً وصفعناه زمانا
هانئ الجربى أبوه زاده الله هوانا
سائل العباسَ واسمع فيه من أمك شانا
عجنوا من جُلنارٍ ليكيذك عجانا

جُلنار أم أبي نواس ، وتزوجها العباسُ بعد أبيه .

[هو والمعدّل يتهاجيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ : قال : حدّثنا أبو قلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبانُ اللاحقيّ صديقاً للمعدّل بن غيلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعدّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفسّاء الذي تُهجى به عبدُ القيس ، وبالقِصر ، وكان المعدّل قصيراً ، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيّنة المهلبيّ ، فقال له أخوه عبد الله ، وهو أسنّ منه : يا أخي إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بدّ من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرهما بينهما ، وإلا فرّقه على النّاس ، فقال أبان يهجو المعدّل :

[من الطويل]

أحاجيكم ما قوس لحم سيهاؤها من الريح لم توصّل بقيد ولا عقَب¹

وليسَ بشريانٍ وليسَ بشَوْحَطٍ وليسَ بنعٍ لا وليسَ من الغرب¹
 ألا تلك قوسُ الدَّحْدَحِيَّ معذِلٍ بها صارَ عبدِيّاً وتمَّ له النسب²
 تصكُّ خياشيمَ الأنوفِ تعمُّداً وإن كان راميهَا يريدُ بها العُقْبَ
 فإن تفتخر يوماً تميمٌ بحاجِبٍ وبالقوسِ مضموماً لكسرى بها العربُ
 فحَيُّ ابنِ عمروٍ فاخرونَ بقَوْسِهِ وأسهمه حتى يغلبَ مَنْ غلبَ

قال أبو قلابة : فقال المعذِّل في جواب ذلك : [من الطويل]

رأيتُ أباناً يومَ فطُرِ مصلياً فقسَّمَ فكري واستفزني الطربُ
 وكيف يصليَ مظلمُ القلبِ ، دينُهُ على دينِ ماني إنَّ ذاك من العجبِ

[يهجرُ أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا عَوْْنُ بن محمد الكندي : قال : كان لأبي النضير جوارٍ يغني ، ويخرجن إلى جِلَّةِ أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوهُ بذلك ، فمن ذلك قوله :

غضِبَ الأحقُّ إذ مازحُته كيف لو كنا ذكرنا المزدغة
 أو ذكرنا أنَّه لاعبها لعبة الجِدِّ يمزحُ الدغدغة³
 سودَّ اللهَ بخمسٍ وجهه دُغِنَ أمثالُ طين الرذغة⁴
 خُنُفَسَاوَانِ وبتنا جُعِلِ والتي تفتُرُ عنها وزغة
 يكسرُ الشَّعْرَ وإن عاتبته في مجالٍ قال : هذا في اللغة

وأنشدني عمِّي : قال : أنشدني الكُراني : قال : أنشدني أبو إسماعيل اللاحقي لجده أبان في هجاء أبي النضير ، [وأخبرني الصوليَّ أنه وجدها بخط الكُراني] : [من الهزج]

إذا قامت بواكيك وقد هتَكَنَ أستاذك

1 الشريان والشوحط والنبع . أشجار تصنع منها القسي .

2 الدحدحي : القصير .

3 الدغدغة : الزرغة .

4 دغرن : سود ، جمع دغناء .

أَيْشِينَ عَلَى قَبْرِ كَأَمْ يَلْعَنُ أَحْجَارَكَ
وَمَا تَتْرَكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا زَرْتَ غَدًا نَارَكَ
تَرَى فِي سَقَرِ الْمَثْوَى وَابْلِيسَ غَدًا جَارَكَ
لَمَنْ تَتْرَكَ زَقَّتِكَ وَذَنْتِكَ وَأَوْتَارَكَ
وَحَمْسًا مِنْ بَنَاتِ اللَّيْلِ لَقَدْ أَلْبَسْنَ أَطْمَارَكَ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَقْبَحَ إِذْ وَلَّيْتَ أَدْبَارَكَ

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

قِيَانُ أَبِي النُّضَيْرِ مِثْلُجَاتٌ غِنَاءٌ مِثْلُ شَعْرِ أَبِي النُّضَيْرِ
فَلَا هَمْدَانَ حِينَ نَصِيفِ نَبْغِي وَلَا الْمَاهَيْنِ أَيَّامَ الْحُرُورِ¹
وَلَا نَبْغِي بِقَرْمِيسِينَ رَوْحَا وَلَا نُبْلِي الْبَغَالَ مِنَ الْمَسِيرِ
فَإِنْ رَمَتْ الْغِنَاءَ لَدَيْهِ فَاصْبِر إِذَا مَا جِئْتَهُ لِلزُّمْهَرِيرِ

[يهجو المعدل]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدثنا أبو خليفة وأبو ذكوان والحسن بن علي النهدي : قالوا : كان المعدل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد ، فوهب للمعدل بن غيلان له بيضة عنبر وزنها أربعة أرتال ، فقال أبان بن عبد الحميد :

[من السريع]

أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَقَدْ أَصْلَحَا إِنِّي لَا آلُوكُ أَنْ أَنْصَحَا
عِلَامٌ تُعْطِي مَنْوِيَّ عَنَبٍ وَأَحْسِبُ الْخَازِنَ قَدْ أَرْجَحَا
مَنْ لَيْسَ مِنْ قِرْدٍ وَلَا كَلْبَةٍ أَبْهَى وَلَا أَخْلَى وَلَا أَمْلَحَا
[رَسُولٌ يَأْجُوجُ أَتَى عَنْهُمْ يَخْبِرُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَقْبَحَا]
مَا بَيْنَ رَجُلَيْهِ إِلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ فَلَا شَبَّ وَلَا أَفْلَحَا

[على باب الفضل بن يحيى]

أخبرني الصولي : قال : حدثنا أبو العيَّاء : قال : حدثني الحرمازي : قال : خرج أبان بن

1 همدان والماهين وقرميسين : بلاد فارسية معروفة .

عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدةً مديدة لا يصل إليه فتوسَّلَ إلى مَنْ وصلَ له شعراً إليه ، وقيل : إنَّه توسَّلَ إلى بعض بني هاشم ممَّن شخص مع الفضل ، وقال له :

يا غزير الندى ويا جوهراً الجوى	هر من آل هاشم بالبطاح
إنَّ ظنِّي وليس يُخِلِّفُ ظنِّي	بك في حاجتي سبيلُ النِّجاح
إن من دونها لمُصمَّتُ بابٍ	أنت من دون قفله مفتاحي
تاقت النفسُ يا خليلَ السَّماح	نحو بحرِ الندى مُجاري الرياح
ثم فكَّرتُ كيف لي واستخرتُ الله	ه عند الإساء والإصباح
وامتدحتُ الأميرَ أصلحَه الله	ه بشعرٍ مشهَّر الأوضاح

فقال : هاتِ مديحك ، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزنِ وقافيته : [من الخفيف]

أنا مَن بُغِيَةُ الأميرِ وكنزٌ	من كُنوزِ الأميرِ ذو أرباح
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ	ناصحٌ زائدٌ على النصَّاح
شاعرٌ مُفلقٌ أخفُّ من الرِّيش	ه مِمَّا يكون تحت الجَناح

وهي طويلة جداً يقول فيها :

إن دَعاني الأميرُ عاينَ مني شِعْرياً كالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ¹

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خُصَّ بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

[يصل إلى الرشيد على حساب آل علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي : قال : حدَّثني عليُّ بن محمد النوفلي : أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريدُ أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة ، فقالوا له : إنَّ لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمِّهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فاسلُكه حتى نفعل ، قال : لا أَسْتَحِلُّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدنيا إلَّا بما لا

يحلّ ، فقال أبان : [من الطويل]

نشدتُ بحقّ الله مَنْ كان مسلماً أعمُّ بما قد قتلته العُجم والعربُ
أعمُّ رسولِ الله أقربُ زلفَةً لديه أم ابنُ العمِّ في رتبة النسبِ
وأيهما أولى به وبعهده ومَنْ ذا له حقُّ التُّراث بما وجبُ
فإن كان عباسٌ أحقُّ بتلكمُ وكان عليٌّ بعد ذلكَ على سببِ
فأبناءِ عباسٍ همُ يرثونه كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حجبُ

وهي طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرّشيد ، وخصَّ به .

[بينه وبين عنان]

أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبي العيّن عن أبي العباس بن رستم قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنانَ جارية النّاطقيّ ، وهي في خيش ، فقال لها أبان :

[من المجث]

العيشُ في الصيف خيشُ

فقلت مُسرعة : [من المجث]

إذ لا قتالٌ وجيشُ

فأنشدتها أنا لجريّر قوله : [من الطويل]

طللتُ أوارِي صاحبيّ صبابتي وهل عِلقتني من هواك عُلوقُ

فقلت مُسرعة : [من الطويل]

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتُ بأسراره عينٌ عليه نطوقُ

[مائدة بطيئة]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عثمان بن لاحق : قال : أولمَ محمد بن خالد ، فدعا أبان بن عبد الحميد والعتبيّ ، وعبيد الله بن عمرو ، وسهل بن عبد الحميد ، والحكم بن قنبر ، فاحتبس عنهم الغداء ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزكم الله حاجة ؟

يمازحهم بذلك ، فقال أبان : [من السريع]

حَاجَتُنَا فَاعْجَلْ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ الْحَشَاوِي كُلِّ طُرْدِينٍ¹

فقال ابن قنبر بعد ذلك : [من السريع]

وَمِنْ خَبِيصٍ قَدْ حَكَتْ عَاشِقًا صُفْرَتُهُ زَيْنَ بَتْلُوَيْنِ

فقال عبيد الله بن عمرو : [من السريع]

وَاتَّبِعُوا ذَاكَ بِأَبْيَةِ فَإِنَّكُمْ آيَيْنُ آيَيْنِ²

فقال سهل : [من السريع]

دَعْنَا مِنَ الشَّعْرِ وَأَوْصَافِهِ وَاعْجَلْ عَلَيْنَا بِالْأَخَاوِينِ³

فأحضر الغداء ، وخلع عليهم ووصلهم .

[يشب بعلام تركي]

أخبرني الصولي : قال : حدثنا محمد بن زياد : قال : حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد : قال : اشترى جارٌ لجدي أبان غلاماً تركياً بألف دينار ، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَنِي ، وَالْجَاهِلُ الْمَغْدُورُ مَنْ غُرَّ بَلَيْتِ
نَلْتُ مِمَّنْ لَا أُسَمِّي وَهُوَ جَارِي بَيْتَ بَيْتِ
قُبْلَةً تُنْعَشُ مَيْتًا إِنِّي حَيٌّ كَمَيْتِ
نَتْسَاقِي الرِّيقَ بَعْدَ الشِّبْ
لَا أُسَمِّيهِ وَلَكِنْ رَبِّ مِنْ رَاحِ كُمَيْتِ
هُوَ فِي كَيْتٍ وَكَيْتِ

وكان اسمه يتك .

[بعض عمارة على الحرب من زوجها]

وقال أبو الفياض سوار بن أبي شُراعة : كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد ، وكان عدواً لأبان ، فتزوج بعمارة بنت عبد الوهاب الثقفي ، وهي

1 الحشاوي : لم ترد في المعاجم ، ولعلها ما يُحشى . وطردين : طعام للأكراد .

2 الآيين : العادة ، والعرف المتبع في جماعة من الناس .

3 الأخاوين : جمع إخوان .

أُخْتُ عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه ، ورثاه ، وهي مولاة جِنان التي يُشَبَّبُ بها أبو نواس ، ويقولُ فيها :

خَرَجْتُ تَشْهَدُ الزَّفَافَ جِنَانُ فَاسْتَمَالَتْ بِحُسْنِهَا النَّظَارَةَ
قَالَ أَهْلُ الْعُرُوسِ لَمَّا رَأَوْهَا مَا دَهَانَا بِهَا سِوَى عَمَّارَةَ

قال : وكانت موسرة ، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوهُ ويحذِّرها منه : [من السريع]

لَمَّا رَأَيْتَ الْبَزَّ وَالشَّارَةَ وَالْفَرْشَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَارَةَ
وَاللُّوزَ وَالسَّكَّرَ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الدَّارِ وَذِي الدَّارَةِ
وَأَحْضَرُوا الْمُلْهَيْنِ لَمْ يَتْرَكُوا طَبْلًا وَلَا صَاحِبَ زَمَارَةَ
قُلْتُ : لِمَذَا ؟ قِيلَ أُعْجِبُهُ مُحَمَّدٌ زَوْجُ عَمَّارَةَ
لَا عَمَرَ اللَّهُ بِهَا بَيْتَهُ وَلَا رَأَتْهُ مُدْرِكًا ثَارَةَ
مَاذَا رَأَتْ فِيهِ وَمَاذَا رَجَتْ وَهِيَ مِنَ النِّسْوَانِ مُخْتَارَةَ
أَسْوَدَ كَالسَّفُودِ يُنْسَى لَدَى التَّنَّةِ وَرَبْلٌ مَحْرَاكُ قَيَّارَةَ¹
يُجْرِي عَلَى أَوْلَادِهِ خَمْسَةَ أَرْغَفَةَ كَالرِّيشِ طَيَّارَةَ
وَأَهْلُهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَوْفِهِ إِنْ أَفْرَطُوا فِي الْأَكْلِ سَيَّارَةَ
وَيَحْكُو فِرْيَ وَأَعْصَبِي ذَاكَ بِي فَهَذِهِ أُخْتُكَ فَرَّارَةَ
إِذَا غَفَا بِاللَّيْلِ فَاسْتَيْقَظِي ثُمَّ اطْفِئِي إِنْكَ طَفَّارَةَ
فَصَعَّدَتْ نَائِلَةً سُلَّمًا تَخَافُ أَنْ تَصْعَدَهُ الْفَارَةَ
سُرُورُ غَرَّتْهَا فَلَا أَفْلَحَتْ فَإِنَّهَا اللَّخْنَاءُ غَرَّارَةَ
لَوْ نَلَتْ مَا أَبْعَدَتْ مِنْ رَيْقِهَا إِنْ لَهَا نَفْثَةٌ سَحَّارَةَ

قال : فلَمَّا بَلَغَتْ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ عَمَّارَةَ هَرَبَتْ فَحَرَّمَ الثَّقَفِيُّ مِنْ جِهَتِهَا مَالًا عَظِيمًا ، قال :
وَالثَّلَاثَةُ الْأَبْيَاتُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

فَصَعَّدَتْ نَائِلَةً سُلَّمًا

زَادَهَا فِي الْقَصِيدَةِ بَعْدَ أَنْ هَرَبَتْ .

1 القَيَّارَةُ : أَصْلُهُ الْقَيْرُ وَهُوَ الرِّفْتُ .

[ابن منذر يهجو]

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وإيلة ، قال : كان أبان اللاحقي يُولعُ بابن مُناذر ، ويقول له : إنما أنت شاعر في المراثي ، فإذا متّ فلا تَرثني ، فكثر ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر :

غُنْجُ أَبَانٍ وَلَيْنُ مَنْطِقِهِ يخبر النَّاسَ أَنَّهُ حَلَقِي¹
دَاءٌ بِهِ تُعَرَفُونَ كُلُّكُمْ يَا آلَ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي الْأُفُقِ
حَتَّى إِذَا مَا الْمَسَاءُ جَلَّلَهُ كَانَ أَطْيَاؤُهُ عَلَى الطُّرُقِ
فَفَرَّجُوا عَنْهُ بَعْضَ كَرْتِهِ بِمَسْبِطٍ مُطَوَّقِ الْعُنُقِ

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه ، وسُعيَ بينهما ، فأمسك عنه .

[أكان يهودياً]

أخبرني الصُّوليّ ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال : جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدحُ في الأنساب ولا نَسَبُ له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفلَ السلطانُ كلَّ شيءٍ حتى أغفلَ أخذَ الجزية من أبان اللاحقيّ ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنَّ أكثرهم يدَّعي حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصليّ به ، فبلغ ذلك أباناً فقال :

لَا تَتِمَّنْ عَنْ صَدِيقٍ حَدِيثاً وَاسْتَعِذْ مِنْ تَسْرُّرِ النَّمَامِ
وَاحْفَظِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلِ وَالتَّفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

[أكان كافراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال : كنّا في مجلسِ أبي زيد الأنصاريّ ، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جاري ، فما فقدتُ قرآنه في ليلة قطّ .

[يقضي على جاره المريض]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعي عن دَماذ : قال : كان لأَبان جَارٌ ، وكان يعاديه ، فاعتَلَّ
عَلَّةً طويلة وأرجف أَبانُ بموته ، ثم صَحَّ من عِلَّتِهِ ، وخرج ، فجلس على بابهِ ، فكانت عِلَّتُهُ
من السُّلِّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أَبان :

[من الهزج]

أبا الأطولِ طَوَّلْتَ	وما يُنجيك تطويلُ
بك السُّلُّ ولا والد	ما يبرأ مسلولُ
فلا يغرزكَ من طِبِّ	ك أقوالٍ أباطيلُ
أرى فيكَ علاماتٍ	وللأسباب تأويلُ
هزالاً قد برى جسـ	حكّ والمسلولُ مهزولُ
وذيَّاناً حوائِكَ	فموقوذاً ومقتول ¹
وحُمَّى منك في الظَّهر	فأنت الدهرُ مَمْلُولُ
وأغلاماً سيوى ذاك	تواريهما السراويلُ
ولو بالفيلِ ممَّا بـ	ك عُشرٌ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيكَ	قُلاعٌ أم دَمَاميلُ ²
وما زال مُناجيك	يُولِّي وهو مَبْلُولُ
لئن كان من الجَوْفِ	لقد سالَ بِكَ النُّيلُ
وذا داء يُزجِّيك	فلا قالَ ولا قيلُ

فلَمَّا أنشدَه هذا الشعرَ أَرعِدَ ، واضطرب ، ودخل منزله ، فما خرج منه بعد ذلك ، حتى

مات .

صوت

[من الخفيف]

ما تزال الدِّيارُ في بُرْقَةِ النِّجـ مد لسُعدى بقرقرى تُبَكِّيني³

1 الموقوذ : الصريع .

2 القلاع : داء يصيب الفم .

3 قرقرى : موضع باليمامة .

قد تحيلتُ كي أرى وجهَ سَعْدَى فإذا كلَّ حيلةَ تعينني
 قلتُ لما وقفتُ في سُدَّةِ البَا ب لسُعدى مَقالةَ المسكينِ
 افعلي بي يا رَبَّةَ الخِدرِ خَيْراً ومن الماءِ شربةً فاسقيني
 قالتِ : الماءُ في الرُّكيِّ كثيرٌ قلتُ : ماءُ الرُّكيِّ لا يُرويني
 طرحتُ دونيَ السُّتورَ وقالتُ : كلُّ يومٍ بعلّةٍ تأتيني

الشعر لتويت اليماميّ ، والغناء لأبي زَكَار الأعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتدأه نشيد من
 رواية الهشاميّ .

[514] - أخبار تويت ونسبه

[نسبه]

تُوِّيت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلُولِيّ من أهل اليمامة ، لم يقع لي غير هذا وجدته بخط أبي العباس بن ثَوَابَة ، عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه .

وتُوِّيت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبنِي أبي حفصة وذويهم ، ولم يَفِدْ إلى خليفة ، ولا وجدتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره ، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتوفي بها .

[حبيته تضره]

قال عبد الله بن شبيب : كانت تُوِّيت يهوى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سَعْدَى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعره من وراء وراء ، ولم تره ، فمرَّ بها يوماً ، وهي مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَمِيمًا ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضرَبته ، وخرَقن ثيابه ، فاستعدى عليهن فلم يُعِدِه الوالي ، فأنشأ يقول :

[من المنسرح]

إنَّ الغواني جَرَحْنَ في جسدي من بعد ما قد فرَغْنَ من كَيْدي
وقد شَقَقْنَ الرِّداءَ ثُمَّتْ لم يُعِدِ عليهنَّ صاحبُ البلدِ
لم يُعِدِنِي الأُحولُ المشومُ وقد أبصرَ ما قد صنَّعن في جَسدي

[ترق له]

قال : فلمَّا جرى هذا بينه وبينها عقدَ له في قلبها رِقَّة ، وكانت تتعرَّضُ له إذا مرَّ بها ، واجتاز يوماً يفنائها فلم تتوارَ عنه ، وأرته أنَّها لم تره ، فلمَّا وقفَ مَلِيًّا سترت وجهها بخمارها ، فقال تُوِّيت :

[من الطويل]

ألا أيُّها الثَّارُ الذي ليسَ نائماً على تِرةٍ إن مُتَّ من حُبِّها غداً
خذوا بدمي سَعْدَى فسعدى مِنِّيها غداةَ النَّقا صادتُ فَواداً مُقَصِّداً¹

بآية ما ردت غداة لقيتها على طرف غيبتها الرداء المورداً

[فانثته نَحَج]

قال ابن شبيب : ولقيها راحلة نحو مكة حاجة ، فأخذ بخطام بعيرها وقال : [من الكامل]

قل للتي بكرت تريد رَحِيلاً للحج إذ وجدت إليه سبيلاً
ما تصنعين بحجة أو عُمْرة لا تُقبِلان وقد قتلت قتيلاً
أحيي قتيلاً ثم حُجِّي وانسُكي فيكون حجك طاهراً مقبولاً

فقلت له : أرسل الخطام ، خييك الله وقبحك ، فأرسله ، وسارت .

[يهجو زوجها]

قال عبد الله بن شبيب : ثم تزوجها أبو الجنوب يحيى بن أبي حفصة ، فحجبها ، وانقطع ما كان بينها وبين تويت ، فطفق يهجو يحيى فقال : [من الوافر]

عناء سيق للقلب الطروب فقد حُجبت معذبة القلوب
أقول وقد عرفت لها محلاً ففاضت عبرة العين السكوب
ألا يا دار سعدى كلمينا وما في دار سعدى من مُجيب
ولما ضمها وحوى عليها تركت له بعاقبة نصيبي
وقلت : زحام مثلك مثل يحيى لعمرك ليس بالرأي المصيب
فما لك مثل لئله تدرى وما لك مثل بخل أبي الجنوب¹
إذا فقد الرغيف بكى عليه وأتبع ذاك تشقيق الجيوب
يعذب أهله في القرص حتى يظّلوا منه في يوم عَصيب²

وقال أيضاً :

ألا في سبيل الله نفس تقسمت شعاعاً وقلباً للحسان صديق
أفاقت قلوب كُنْ عذبن بالهوى زماناً وقلبي ما أراه يُفريق
سَرَقَتْ فؤادي ثم لا ترجعينه وبعض الغواني للقلوب سروق

1 لئله تدرى في ل : ما جنيت بدأ .

2 القرص : أي قرص العجين .

عَرُوفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتُ
ورُدَّتْ جِمالُ الحيّ وانشَقَّتِ العصا
ندمتُ على ألاّ تكوني جَزِيتي
لعلّك أن ننأى جميعاً بغلّة
عصيتُ بك الناهين حتى لو أنّني
أموتُ لما أرعى عليّ شَفِيقُ

[من مختار قوله في سعدى]

ومن مختار قول تويت في سعدى هذه ممّا أخذته من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة
أولها :
[من الوافر]

سنرضي في سعيدي عاذلينا
يقول فيها :

لقيتُ سعيّدَ تمشي في جوارِ
سلبنَ القلبِ ثم مضينَ عني
فقلتُ وقد بقيتُ بغير قلب
فما تجزين يا سعيدي مُجِباً
وقالت إذ شكوتَ المظلَّ منها
ومن هذا الذي إن جاء يشكو
فهنّ فواعلٌ بي غير شك
بعروة والذي بسهامٍ هندي
بجرعاء النقا فلقيتُ حيناً
وقد ناديتهنّ فما لَوْننا
بقلبي يا سعيدي أين أيننا
يهيم بكم ولا تقضينَ دُننا
لعمرك من سمعتَ له قضينا
إلينا الحبّ من سقمٍ شَفِيننا
كما قبلي فعُلنَ بصاحِبِيننا
أصيب ، فما أقدنَ ولا ودُننا²

ومن مختار قوله فيها :

سلِ الأطلالَ إن نفع السؤالُ
عن الخوَدِ التي قتلتك ظلماً
أصابك مُقتلانٍ لها وجيدٌ
وإن لم يربّع الركبُ العِجالُ
وليس بها إذا بطّشت قتالُ
وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلالُ

1 ننأى في ل : بنا .

2 يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبه هند .

أَعَارِكِ مَا تَبَلَّتْ بِهِ فُؤَادِي مِنْ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدِ الْغَزَالُ
أَيَا ثَارَاتِ مَنْ قَتَلْتَهُ سَعْدِي دَمِي ، لَا تَطْلُبُوهُ ، لَهَا خَلَالُ
أَرْقُ لَهَا وَأُشْفِقُ بَعْدَ قَتْلِي عَلَى سَعْدِي وَإِنْ قَلَّ النَّوَالُ
وَمَا جَادَتْ لَنَا يَوْمًا يَبْذُلُ يَمِينٌ مِنْ سَعَادَ وَلَا شِمَالُ

ومن قوله فيها أيضاً :

[من الكامل]

يَا بِنْتَ أَزْهَرَ إِنْ ثَارِي طَالِبٌ بَدَمِي غَدًا وَالثَّأْرُ أَجْهَدُ طَالِبِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِرَاكِبٍ مُتَعَصِّبٍ يَنْعَى قَتِيلَكَ فَافْزَعِي لِلرَّاكِبِ
فَلَأَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ رَمِيتِي عَنْ قَوْسٍ مَتَلَفَةٍ بِسَهْمٍ صَائِبِ
لَا تَأْمَنِي شَمَّ الْأَنْوَفِ وَتَرْزِهِمْ وَتَرَكْتَ صَاحِبَهُمْ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ
مَنْ كَانَ أَصْبَحَ غَالِبًا لَهْوَى الَّتِي يَهْوَى فَإِنْ هَوَاكِ أَصْبَحَ غَالِبِي
قَالَتْ وَأُسْبِلَتْ الدَّمُوعُ لِتَرْبِهَا لَمَّا اغْتَرَرْتُ وَأَوْمَأْتُ بِالْحَاجِبِ
قُولِي لَهُ : بِاللَّهِ يُطْلِقُ رَحْلَهُ حَتَّى يُزَوِّدَ أَوْ يَرْوَحَ بِصَاحِبِ

وقال فيها أيضاً :

[من الكامل]

أَرْقُ الْعَيْنَ مِنَ الشَّوْقِ السَّهَرُ وَصَبَا الْقَلْبُ إِلَى أُمِّ عُمَرَ
وَاعْتَرَنِي فِكْرَةٌ مِنْ حُبِّهَا وَجَّ هَذَا الْقَلْبِ مِنْ طُولِ الْفِكْرِ
قَدَرٌ سَيِّقَ فَمَنْ يَمْلِكُهُ أَيْنَ مَنْ يَمْلِكُ أَسْبَابَ الْقَدَرِ
كُلُّ شَيْءٍ نَالَنِي مِنْ حُبِّهَا إِنْ نَجَتْ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ هَذَرُ

وقال أيضاً :

[من الكامل]

يَا لِلرُّجَالِ لِقَلْبِكَ الْمُتَطَرِّفِ وَالْعَيْنُ إِنْ تَرَّ بَرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
وَلِحَاجَةِ يَوْمٍ الْعَبِيرِ تَعَرَّضَتْ كَبُرَتْ فَرْدُ رَسُولُهَا لَمْ يُسْعَفِ
يَا بِنْتَ أَزْهَرَ مَا أَرَاكِ مُيَبِّتِي خَيْرًا عَلَى وَدِّي لَكُمْ وَتَلَطُّفِي
إِنِّي وَإِنْ خُبِرْتُ أَنَّ حَيَاتِنَا فِي طَرَفِ عَيْنِكَ هَكَذَا لَمْ تَطْرِفِ
لِيُظِلُّ قَلْبِي مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ مِثْلَ الْجَنَاحِ مَعْلَقًا فِي نَفْنَفٍ¹

وَلِيْظَلَّ فِي هَجَرِ الْأَحْبَةِ طَالِبًا لِرِضَاكِ مِمَّا جَارَ إِنْ لَمْ تُسْعِفِي
كَأَخِي الْفَلَاةَ يَغُرُّهُ مِنْ مَائِهَا قَطْعُ السَّرَابِ جَرَى بِقَاعٍ صَفْصَفِ
أَهْرَاقَ نُطْفَتِهِ فَلَمَّا جَاءَهَا وَجَدَ الْمَنِيَّةَ عِنْدَهَا لَمْ تُخْلِفِ

صوت

[من الطويل]

أُمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ بِقَرِيكَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى يَا ابْنَ حَارِثٍ
إِمَامٌ حَوَى إِرْثَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَوَارِثٍ
الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخر ، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه
وعن الهشامي .

[515] - أخبار محمد بن الحارث

[مروءة أبيه]

مولى المنصور ، وأصله من الرّي من أولاد المرازبة ، وكان الحارث بن بسخر أبو ربيع القدر عند السلطان ، ومن وجوه قواده وولاه الهادي ، ويقال الرشيد ، الحرب والخراج بكور الأهواز كلها .

فأخبرني حبيب المهلبّي : قال حدثني النوفلي عن محمد بن الحارث بن بسخر : قال : كنت بالدّير ، وكان رجل من أهلها يعرض عليّ الحوائج ويخدمني فيكرمني ، ويذكر قديمنا ، ويترحم على أبي ، فقال لي رجل من أهل تلك الناحية : أتعرف سبب شكر هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدثني ، وكان يعرف بابن بانه ، بأن أباك الحارث بن بسخر اجتاز بهم يريد الأهواز فتلقاها بدجلة العراء ، وأهدى له صقوراً وبواشق صائدة ، فقال له : الحقّ بي بالأهواز ، فقال له يوماً : إنني نظرت في أمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجِد شيئاً منها يرتفق منه بما قدّرت أن أبرك به ، وقد ساومني التجّار بالأهواز بالأرز ، وقد جعلته لك بالسعر الذي بذلوه ، وسيأتونني ، فأعلمهم بذلك ، فقلت : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألف دينار ، فصرت إلى الحارث فأعلمته ، فقال لي : أرضيت بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

ولما قفل الحارث من الأهواز مرّ بالمدائن ، فلقية الحسين بن مُحَرِّز المدائني المغني فغناه :

قد علم الله علا عرشه أني إلى الحارث مُشتاقُ
فقال له : دعني من شوقك إليّ ، وسلني حاجةً فإنني مُبادر ، فقال له : عليّ دين مائة ألف درهم ، فقال : هي عليّ ، وأمر له بها ، وأصعد .
[كان من أصحاب إبراهيم بن المهدي ويسير على منهاجه]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدي والمتعصّبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهدي أخذ الغناء ، ومن بحره استقى ، وعلى منهاجه جرى .

[جاسوس غير أمين]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، عن محمد بن هارون الهاشمي ، عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : قال : كان المأمون قد ألزم أبي رجلاً ينقل إليه كل ما يسمعه من لفظ جدّاً وهزلاً شعراً وغناء ، ثم لم يثق به ، فألزمه مكانه محمد بن الحارث بن بسخر ، فقال له : أيها الأمير ، قل ما شئت واصنع ما أحببت ، فوالله لا بلغتُ عنك أبداً إلا ما تحب ، وطالت صحبته له ، حتى أمّنه وأنس به ، وكان محمد يغني بالمعزفة فنقله أبي إلى العود ، وواظب عليه حتى حذّقه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أنا عبدك وخيرُجك وصنيعتك ، فاخصمني بأن أرويَ عنك صنعتك ، ففعل ، وألقى عليه غنائه أجمع ، فأخذه عنه ، فما ذهب عليه شيء منه ولا شدّ .

[يفني للوائق]

وقال العتّابي : حدّثني محمد بن أحمد بن المكيّ : قال : حدّثني أبي : قال : كان محمد بن الحارث قليل الصنعة ، وسمّعه يغني اللوائق في صنّعه في شعر له مدحه به وهو : [من الطويل]
أُمنتَ بإذنِ الله من كلِّ حادثٍ بقربك من خير الوري يا ابنَ حارثٍ
فأمر له بألفي دينار .

وذكر علي بن محمد الهاشمي ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر :

صوت

أصبحتُ عبداً مُسترقاً أبكي الألى سكّناً دِمَشقاً
أعطيتهم قلبي فَمَنْ يَبقى بلا قلبٍ فابقى

[يهب لحنه لغيره]

وطرحه على المسدود ، فغنّاه ، فاستحسنه محمد بن الحارث منه لطيب مسموع المسدود ، ثم قال : يا مسدود ، أتحبُّ أن أهبه لك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فكان يُغنيهِ ، ويدّعيهِ ، وهو لمحمد بن الحارث .

وقال العتّابي : حدّثني شروين المغني المدادي . أن صنّعة محمد بن الحارث بلغت عشرة أصوات ، وأنّه أخذها كلّها عنه ، وأن منها في طريقة الرَّمَل ، قال : وهو أحسن ما صنّعه .

صوت

[من التقارب]

أَيَا مَنْ دَعَانِي فَلَيْبَتُهُ يَبْذُلُ الْهُوَى وَهُوَ لَا يَبْذُلُ
يُدِلُّ عَلَيَّ بِحُبِّي لَهُ فَمَنْ ذَاكَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ

لَحْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ فِي هَذَا الصَّوْتِ رَمَلٌ مُطْلَقٌ ، وَفِيهِ لِيَزِيدُ حَوْرَاءَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ وَفِيهِ لِسُلَيْمٍ لَحْنٌ وَجَدْتُهُ فِي جَمِيعِ أَغَانِيهِ غَيْرَ مُجَنَسٍ .

[مع ابن العباس الربيعي]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ : قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ : قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بِسَخْرٍ فِي مَنْزِلِهِ ، وَنَحْنُ مُصْطَبِحُونَ فِي يَوْمٍ غَيْمٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْنَا رُقْعَةٌ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ ، وَقَدْ اجْتَازَ بِنَا مُصْعِدًا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وَهُوَ فِي سَفِينَةٍ ، فَفَضَّهَا مُحَمَّدٌ ، وَقَرَأَهَا ، وَإِذَا فِيهَا :

مُحَمَّدٌ قَدْ جَادَتْ عَلَيْنَا بَوْدَقُهَا سَحَائِبُ مُزْنٍ يَرْقُهَا يَتَهَلَّلُ
وَنَحْنُ مِنَ الْقَاطُولِ فِي مُتَرَبِّعٍ لَهُ مَسْرَحٌ سَهْلُ الْحَلَّةِ مُبْقِلُ¹
فَمُرُّ فَائِزًا تَقْدِيكَ نَفْسِي يُغْنِنِي أَعَنْ ظُعْنُ الْحَيِّ الْأَلَى كُنْتَ تَسْأَلُ
وَلَا تَسْقِنِي إِلَّا حَلَالًا فَإِنِّي أَعَافُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُحَلَّلُ

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ مُسْتَعَجِلًا حَافِيًا ، حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ فَتَلَقَّاهُ ، وَحَلَفَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَهُ ، وَسَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَاصْطَبَحَا يَوْمَئِذٍ ، وَغَنَّا فَائِزَ غَلَامُهُ هَذَا الصَّوْتَ ، وَكَانَ صَوْتُهُ عَلَيْهِ ، وَغَنَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَجَوَارِيهِ وَكُلٌّ مِنْ حَضَرَ يَوْمَئِذٍ ، وَغَنَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ أَيْضًا أَصَوَاتًا وَصَنَعَ يَوْمَئِذٍ هَذَا الْهَزَجَ ، فَقَالَ :

[من الكامل]

يَا طَيْبَ يَوْمِي بِالْمَطِيرَةِ مُعْمِلًا لِلْكَأْسِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ²

1 القاطول : موضع على دجلة .

2 المطيرة : قرية من نواحي سامراء وكانت من منزهات بغداد .

فِي فِتْيَةٍ لَا يَسْمَعُونَ لِعَاذِلٍ قَوْلًا وَلَا لِمُسَوِّفٍ أَوْ رَائِثٍ

[عجائز أبي أساتذة مخارق]

حدَّثني وسواسه¹ : قال : حدَّثني حماد بن إسحاق : قال : كان أبي يستحسنُ غناء جوارِي الحارث بن بسختر ، ويعتمدُ على تعليمهنَّ لجَواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنَّ أو على غيرهنَّ صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنَّ . ولقد غنَّى مُخارقٌ يوماً بين يديه صوتاً ، فتزايد فيه الزوائدُ التي كان يستعملُها ، حتى اضطرب . فضحك أبي ، وقال : يا أبا المُهنَّا ، قد ساء بعدي أدبُك في غنائِك فالزم عجائز الحارث بن بسختر يُقوِّمنَ أودَكَ .

صوت

[من الوافر]

بَنانٌ يَدٌ تُشِيرُ إِلَى بَنانٍ تَجَاوَبَتَا وَمَا يَتَكَلَّمَانِ

جَرَى الْإِيْماءُ بَيْنَهُمَا رَسولاً فَأَحْكَمَ وَحْيُهُ الْمُتَنَاجِيانِ

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُ لَغَضَضْتَ طَرْفاً عَنِ الْمُتَنَاجِيَيْنِ بِلَا لِسَانٍ

الشعر لِماني المَوْسوسِ ، والغناء لِعُمَرَ المَيْداني هَزَج ، وفيه لَعَرِيبٌ لَحْنٌ مِنَ الهَزَجِ أَيْضاً .

1 وسواسه : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي .

[516] - أخبار ماني الموسوس

[نسبه]

هو رجلٌ من أهل مصر ، يكنى أبا الحسن واسمه محمد بن القاسم ، شاعر لّين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الغزل ، وماني لقب غلب عليه ، وكان قديم مدينة السلام ، ولقيه جماعة من شيوخنا ، منهم أبو العباس محمد بن عمار وأبو الحسن الأسدي وغيرهما .
[ينشد للريان البصري]

فحدثني أبو العباس بن عمار ، قال : كان ماني يالفني ، وكان مليح الإنشاد حلوه ، رقيق الشعر غزله ، فكان يُنشدني الشيء ، ثم يُخالط ، فيقطعه ، وكان يوماً جالساً إلى جنبي ، فأنشدني للريان البصري :

ما أنصفتك العيون لم تكفر	وقد رأيت الحبيب لم يقفر
فابك دياراً حلّ الحبيب بها	فباع منها الجفاء باللطف
ثم استعارت مسامعاً كسد الد	وم عليها من عاشق كلف
كأنها إذ تقنعت يلى	شمطاء ما تستقل من خرف
يا عين إما أريتني سكناً	غضبان يزوي بوجه منصرف
فمثليه للقلب مُتسماً	في شخص راض علي منعطف
إن تصفيه للقلب مُنقبضاً	فانت أشقى منه به فصفي
يقال بالصبر قتل ذي كلف	كيف وصبري يموت من كلف
إذا دعا الشوق عبرة لهوى	فأي جفن يقول لا تكفي
ومُستراذ للهو تنفسح الـ	مقلّة في حافيه مؤتلف
قصرت أيامه على نفر	لا من بالندى ولا أسفر
بحيث إن شئت أن ترى قمراً	يسعى عليهم بالكأس ذا نطف ¹

1 نطف : جمع نطفة وهي القليل من الماء .

قال : فسألتُهُ أَنْ يَمْلِيها عَلَيَّ ، ففعل ، ثم قال : اكتب ، فعارضه أَبُو الحسن المصري : يَعْنِي «ماني» نفسه فقال :

[من المنسرح]

أَقْفَرَ مَغْنَى الدِّيارِ بِالنَّجَفِ	وَحُلْتُ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ لَطْفِ
طَوَيْتُ عَنْهَا الرِّضَا مَذْمُومَةً	لَمَّا انطوى غَضُّ عَيْشِها الْأَنْفِ
حَلَلْتُ عَنْ سَكْرَةِ الصَّبَابَةِ مِنْ	خَوْفِ إلهي بِمَعزِلٍ قَدْ فُذِفِ ¹
سَمِعْتُ وَرَدَ الصَّبَا فَقَدْ يَمْسَتْ	مَنِّي بَناتُ الْخَدُورِ وَالْخَرْفِ ²
سَلَوْتُ عَنْ نُهْدٍ نُسَيْنَ إِلَى	حَسَنِ قَوامٍ وَاللَّحْظِ فِي وَطْفِ
يَمْدَدَنَ حَبْلَ الصَّبَا لَمَّا أَلْفَتْ	رَجُلَهُ قَدْ مُحُولَ وَالذَّنْفِ
وَمُدْنَفٍ عَادَ فِي النُّحُولِ مِنَ الْوَجْدِ	سَدَ إِلَى مِثْلِ رِقَّةِ الْأَلْفِ
يُشَارِكُ الطَّيْرَ فِي النَّحِيبِ وَلَا	يُشْرِكُهُ فِي النُّحُولِ وَالْقَضْفِ ³
وَمُسِمِعَاتٍ نَهَكَنَ أَعْظَمُهُ	فَهُوَ مِنَ الضَّمِيمِ غَيْرُ مُتَصِفِ
مَفْتَخَرَاتٍ بِالْجَوْرِ عُجْبًا كَمَا	يَفْخَرُ أَهْلُ السَّقَاهِ بِالْجَنْفِ
وَقَهْوَةٍ مِنْ نِتَاجِ قُطْرُبُلٍ	تَخْطِفُ عَقْلَ الْفَتَى بِلَا عُنْفِ
تَرْجِعُ شَرْخَ الشَّبَابِ لِلْخَرْفِ الـ	فَغَانِي وَتُدْنِي الْفَتَى مِنَ الشَّعْفِ

[يصفع المؤذن]

قال : فبينما هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كُنَّا بِإِزَائِهِ قد صَعِدَ المِئذنة لِيُؤذِّنَ فَأَمْسَكَ عَنِ الْإِنْشَادِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ شَيْخًا ضَعِيفَ الْجِسْمِ وَالصَّوْتِ ، فَأَذَّنَ أَذَانًا ضَعِيفًا بِصَوْتٍ مَرْتَعِشٍ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ ماني مُسْرِعًا ، حَتَّى صَارَ مَعَهُ فِي رَأْسِ الصَّوْمَعَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِلَحْيَتِهِ ، فَصَفَعَهُ فِي صَلَاحَتِهِ صَفْعَةً ظَنَنْتُ أَنَّه قد قَلَعَ رَأْسَهُ ، وَجاءَ لها صَوْتُ مَنْكَرٍ شَدِيدٍ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : إِذَا صَعِدْتَ المِنارةَ لِتُؤذِّنَ ، فَعَطِّطْ⁴ ، وَلَا تَمَطِّطْ ، ثُمَّ نَزَلَ وَمَضَى يَعدُّو عَلَى وَجْهِهِ . وَلَقِيتُ عَتًّا مِنْ عَتَبِ الشَّيْخِ وَشَكَّوْهُ إِتَّيَّيَ إِلَى أَبِي وَمَشايِخِ الجِيرانِ ،

1 بمعزل : بمعرك

2 الخرف : هز اليدين في تبختر .

3 القفض : النحافة .

4 عطط من العططة وهي تتابع الأصوات واختلافها ، وهي أيضاً حكاية صوت .

يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين ، فيكتبُ هذيانَهُم ، ويسلّطهم على المشايخ فيصفّعونهم في الصوامع إذا أذنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنّي إنّما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ما عمله ولا أحيطُ به علماً .
[الجارية تغني وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البراء : حدّثني أبي قال : عزم محمد بنُ عبد الله بن طاهر على الصُّبوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالثُ نأْسٍ به ونلذُّ في مجاورته فمَن ترى أن يكون ! فقال ابنُ طالوت : لقد خَطَرَ ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبريء من ثِقَلِ المؤانسين ، خفيفَ الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أُمِرتَه ، قال : مَن هو ؟ قال : ماني الموسوس ، قال : ما أسأت الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره ، فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة برقع الكرخ فوافى به بابُ محمد بن عبد الله ، فأدخل ، ونظّف ، وأخذ من شعره ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل على محمد بن عبد الله ، فلما مثّل بين يديه سلّم ، فردّ عليه ، وقال له : أما حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعزُّ الله الأمير : الشوق شديد ، والودُّ عتيّد ، والحجابُ صعب ، والبوابُ فظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهّلتُ علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطّفتَ في الاستمذان ، وأمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أطيّع قبل أن يدخل ، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المهديّ ، يقال لها : منوسة ، وكان يحبّ السماعَ منها ، وكانت تُكثر أن تكونَ عنده ، فكان أوّل ما غنّته :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحملّوا دُموعي على الخدين من شدّة الوجْدِ
وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهم بواكرُ تُحدى لا يَكُنْ آخرَ العهدِ

فقال ماني : أيّاذنُ لي الأمير ؟ قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنتُ والله ، فإن رأيتَ أن تزيدني مع هذا الشعر هذين البيتين :

[من الطويل]

وقمتُ أداري الدمعَ والقلبُ حائرٌ بمقلّةٍ موقوفٍ على الضّرِّ والجَهْدِ
ولم يُعِدني هذا الأميرُ بعدله على ظالمٍ قد لَجَّ في الهجرِ والصّدِّ

فقال له محمد : ومن أي شيء استعديت يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلم أيها الأمير ،
ولكن الطرب حرك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنت : [من الخفيف]

حجبوها عن الرياح لأنني قلت : يا ريح بلغيتها السلاماً
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منوها يوم الرياح الكلاماً

قال : فطرب محمد ، ودعا برطل فشربه فقال ماني : ما كان على قائل هذين البيتين لو
أضاف إليهما هذين البيتين : [من الخفيف]

فتنفست ثم قلت لطيفي : ويك إن زرت طيفها إلما
حيها بالسلام سرّاً وإلا منوها لشيقوتي أن تناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم غنت : [من الخفيف]

يا خليلي ساعة لا تريما وعلى ذي صباية فأقيما
ما مررنا بقصر زينب إلا فضح الدمع سيرك المكتوما

قال ماني : لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذي
لب فيصدران إلا عن استحسان لهما ، فقال محمد : الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة عن كل
رهبة ، فهات ما عندك ، فقال : [من الخفيف]

ظبية كالللال لو تلحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما
وإذا ما تبسمت خلت ما يبدو من الثغر لؤلؤاً منظوما

[الحن الحسن يطيب الشعر]

فقال محمد : إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسواً لحناً حسناً تغني
به منوسة وأشباهاها ، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب ، فقال : ذلك
إليها .

[يصف منوسة]

فقال له ابن طلوت : يا أبا الحسين ، كيف هي عندك في حسنها وجمالها وغنائها وأدبها ؟
قال : هي غاية ينتهي إليها الوصف ، ثم يقف ، قال : قل في ذلك شعراً ، فقال : [من السريع]

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت طاووسة

وَجُرَتْ إِنْ شَبَّهَتْهَا بَانَةً فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَغْرُوسَةٌ
وغيرُ عَذْلٍ إِنْ عَدَلْنَا بِهَا لَوْلَاؤُهُ فِي الْبَحْرِ مَنْفُوسَةٌ
جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرُهُ تَلَحُّفُهَا بِالنَّعْتِ مَحْسُوسَةٌ

فقال له ابنُ طالوت : وجب شكرُك يا ماني ، فساعدك دهرُك ، وعطف عليك إلفُك ،
ونلتَ سرورُك ، وفارقتَ محذورُك ، والله يديم لنا ولك بقاء من يبقائه اجتمع شملُنا ، وطاب
يومُنا .

[إذا زرت فخفف]

فقال ماني : [من المديد]

مُدْمِنُ التَّخْفِيفِ مَوْصُولُ وَمُطِيلُ اللَّبْسِ مَمْلُولُ

فأنا أَسْتودِعُكُمْ اللهَ ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلَّة ، ثم كان كثيراً ما
يبحث يطلبه إذا شَرِب ، فيبره ، ويصله ، ويقيمُ عنده .

[يشبب بعلام]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني المبرِّد ، قال : حدَّثني بعض الكتاب مَنَّ كان
ماني يلزمه ، ويكثرُ عنده ، قال : لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عني ، فقال : ما
قطعني عنك إلا أنِّي هائم ، قلت : بِمَنْ ؟ قال بِمَنْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ السَّاعَةَ رَأَيْتَهُ
فَعَذَّرْتَنِي ، قلتُ : فأنا معك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطَّاق ، فأراني غلاماً جميلَ الوجه
بين يدي بزَّاز في حانوته ، فلما رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف ماني طويلاً
ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول :

[من البسيط]

ذَنبِي إِلَيْهِ خَضُوعِي حِينَ أَبْصِرُهُ وَطُولُ شَوْقِي إِلَيْهِ حِينَ أَذْكُرُهُ
وَمَا جَرَحْتُ بِطَرْفِ الْعَيْنِ مُهْجَتَهُ إِلَّا وَمِنْ كَبْدِي يَقْتَصُّ مَحْجَرُهُ
نَفْسِي عَلَى بُخْلِهِ تَفْدِيهِ مِنْ قَمَرٍ وَإِنْ رَمَانِي بِذَنْبٍ لَيْسَ يَغْفِرُهُ
وَعَاذِلْ بِاصْطِبَارِ الْقَلْبِ يَا مُرْنِي فَقُلْتُ : مَنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ أَصْبِرُهُ¹

ومضى يعدو ويصيح : الموت مخبوء في الكتب .

1 قَلْبٌ أَصْبِرُهُ فِي ل : صبر فأهجره .

صوت

[من الرجز]

وشادنِ قلبي به مَعمودُ شيمتهُ الهجرانُ والصُدودُ
 لا أَسأَمُ الحِرصَ ولا يَجودُ والصبرُ عن رؤيته مَفقودُ
 زَنارُهُ في خَصَرِهِ مَعقودُ كأنه من كَيْدِي مَقْدودُ

عروضه من الرجز ، والشَّعْرُ لبكر بن خارجة ، والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، خفيف رَمَل
 بالوسطى .

[517] - أخبار بكر بن خازفة

[كان ورقاً]

كان بكر بن خازفة ، رجلاً من أهل الكوفة ، مولى لبني أسد ، وكان ورقاً ضيق العيش ، مقتصراً على التكسب من الورقة ، وصرف أكثر ما يكسبه إلى النيذ ، وكان معاقراً للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم ، وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً طبعاً ماجناً .

[يتعشق هدهداً]

فذكر أبو العنيس الصيمري أن محمد بن الحجاج حدثه قال : رأيت بكر بن خازفة يبكر في كل يوم بقنيتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة ، فلا يزال يشربه فيه على صوت هدهد كان يأوي إلى ذلك الخراب ، إلى أن يسكر ، ثم ينصرف ، قال : وكان يتعشق ذلك الهدهد .

وحدثني عمي عن ابن مهيويه عن علي بن عبد الله بن سعد ، قال : كان بكر بن خازفة يتعشق غلاماً نصرانياً ، يقال له : عيسى بن البراء العبادي الصيرفي ، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم ، ويسمي دياراتهم ، ويفضلهم .

[دعبل يحسده على بيتين قالهما]

قال : وحدثني [من شهد دعبل] وقد أنشدني قوله في عيسى بن البراء النصراني العبادي :

زُناؤه في خصره معقود كأنه من كيدي مقدود

فقال دعبل : ما يعلم الله أنني حسدت أحداً قط كما حسدت بكراً على هذين البيتين .

[الجاحظ يكتب أبياتاً له وهو قائم]

وحدثني عمي عن الكرائي ، قال : حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة ، وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر يشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق ، فبكى طويلاً ، وقال :

[من الخفيف]

يا لقومي لما جنى السلطان لا يكونن لما أهان الهوان
 قهوة في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفران
 قهوة في مكان سوء لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان
 من كُميت يُيدي المزاج لها لو لو نظم والفصل منها جُمان
 فإذا ما اصطبحتها صغرت في الـ قَدِر تختالها هي الجرذان
 كيف صبري عن بعض نفسي وهل يضـ برُ عن بعض نفسه الإنسان

قال : فأنشدتها الجاحظ ، فقال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلا أن تعمّديني ، وقد كان نقرس ، فعمدته ، فقام ، فكتبها قائماً .
 [الخمير تفسد عقله]

وقال محمد بن داود بن الجراح في « كتاب الشعراء » : قال لي محمد بن الحجاج : كانت الخمرة قد أفسدت عقل بكر بن خارجة في آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بلدرهم وبلدرهيم ونحو هذا فاطرح ، وما رأيت قط أحفظ منه لكل شيء حسن ، ولا أروى منه للشعر .

قال : وأنشدني بعض أصحابنا له في حال فساد عقله :

هب لي فديتك درهماً أو درهمين إلى الثلاثة
 إني أحب بني الطفيل ل ولا أحب بني علانة¹

قال ابن الجراح حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني بعض أصحابنا الكوفيّين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده ، فممت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : ما لك ؟ فاشرب فالدار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أي شيء ؟ قال : في الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظنني غزاً لا فيشب عليّ ويقطعني ويأكلني ، فقلت له : ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدني له ، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها : [من البسيط]

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي

1 بنو الطاميل : نسبة إلى عامر بن الطفيل ، وبنو علانة نسبة إلى علقة بن علانة .

إنَّ القراطيسَ من قلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأس
ومما يغنى فيه من شعر بكر بن خازجة :
[من السريع]

صوت

قلبي إلى ما ضررتني داعي يُكثير أحزاني وأوجاعي
لقلَّ ما أبقى على ما أرى يوشك أن ينعاني الساعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
أسلمني الحبُّ وأشياعي لما سعى بي عندها الساعي
لما دعاني حبُّها دعوةً قلت له : ليِّك من داع

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثقيلاً أوّل ، وفيه لعبد الله بن العباس هزج ، جميعاً عن
الهشاميّ ، وقيل : إن فيه لحناً لابن جامع .
وقد ذكر الصوليّ في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعبّاس بن
الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان أنّها لبكر بن خازجة .

صوت

ويلى على ساكن شطّ الصّراء من وجنتيه شمتُ برق الحياه¹
ما ينقضي من عجب فكرتي في خصلة فرط فيها الولاه
ترك المحبين بلا حاكم لم يُقعدوا للعاشقين القضاء

الشعرُ لإسماعيل القراطيّسيّ والغناء لعبّاس بن مقام خفيف رمل بالوسطى .

[518] - أخبار إسماعيل القراطيبي

[كان مألفاً للشعراء]

هو إسماعيلُ بن مَعْمَر الكوفيّ ، مولى الأشاعثة ، وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزله . ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإياه يعني أبو العتاهية بقوله : [من الهزج]

لقد أَمَسَى القراطيبي رئيساً في الكشّاحين¹

[وجهه في المرأة]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيبي :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ واسوأتاه
أمثلَ هذا يتغني وصلنا أما يرى ذا وجهه في المرأة

[وجه أبي العتاهية أيضاً]

أخبرني ابنُ عمّار عن ابن مَهْرُويه ، عن عليّ بنِ عمران ، قال : قال القراطيبي : قلت للعبّاس [بن الأحنف] : هل قلت في معنى قولي :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ : واسوأتاه

قال : نعم ، وأنشدني : [من السريع]

جارية أعجبها حسنُها فمثلها في الناس لم يُخلَقِ
خبرتها أنّي مُحبٌّ لها فأقبلتْ تضحكُ من منطقي
والنفتتْ نحو فتاةٍ لها كالرشا الوَسنانِ في قُرطُ²

1 الكشّاحين : جمع كشّاح وهو الديوث .

2 قرطى : القباء .

قالت لها : قولي لهذا الفتى انظر إلى وجهك ثم اعشق

[يهجو الفضل]

أخبرني الحسن بن مَهْرُويه ، قال . حدَّثني أحمد بن بشر المَرْتَدِيّ ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسيّ الفضل بن الربيع ، فحرّمه فقال :

[من الهزج]

ألا قلّ للذي لم يهد ه الله إلى نفع
لئن أخطأت في مدحي لك ما أخطأت في منعي
لقد أحللت حاجاتي بوايد غير ذي زرع

[بيته متدى العاشرين]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد عن أبي هفّان عن الجمّاز ، قال : اجتمع يوماً أبو نواس وحُسينُ الخليع وأبو العتاهية في الحَمّام وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسيّ :

[من الهزج]

ألا قوموا بأجمعكم إلى بيت القراطيسي
لقد هيّا لنا النّزل غلام فارة طوسي
وقد هيّا الزّجاجات لنا من أرض بلقيس
والوانا من الطير والوانا من العيس
وقينات من الحور كأمثال الطواويس
فنيكوهن في ذاكم وفي طاعة إبليس

صوت

[من البسيط]

أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيت بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فالويل إن رضيت والعول إن غضبت إن لم يتم الرضا فالقلب في تعب

الشعر لأبي العبر الهاشمي ، أنشدنيه الأخفش وغيره من أصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجراح ، والغناء لعلية بنت المهديّ ثاني ثقل بالوسطى عن الهشاميّ .

[519] - أخبار أبي العبر ونسبه

[نسبه]

هو أبو العباس محمد بن أحمد ، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعر المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام ، إلى أن ولي المتوكل الخلافة ، فترك الجِدَّ ، وعاد إلى الحُقم والشهرة به ، وقد نيف على الخمسين ، ورأى أن شعره مع توسّطه لا ينفق مع مشاهدته أبا تمام الطائي والبحري وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم .

[شاعر هازل]

حدّثني عمّ أبي عبد العزيز بن أحمد ، قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعمرّ إلى خلافة المتوكل ، وكسب بالحق أضعافاً ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدِّ ، ونفقَ نفاقاً عظيماً ، وكسب في أيام المتوكل مالاً جليلاً ، وله فيه أشعارٌ حميدة ، يمدحه بها ، ويصف قصره وبرج الحمام والبركة كثيرة المحال ، مُفرطة السقوط ، لا معنى لذكرها ، سيما وقد شهرت في الناس .

فحدّثني محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثني الزبير بن بكّار ، قال : قال لي عمّي : ويحك ! ألا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا قد شهّر به نفسه وفضّح عشيرته ! والله إنّه ليعرّ بني آدم جميعاً ، فضلاً عن أهله والأدنين ! أفلا يردّعه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنّه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنّما يتجاهل ، وإن له لأدباً صالحاً وشعراً طيباً ، ثم أنشدته :

[من المديد]

لا أقول الله يظلمني	كيف أشكو غير متهم
وإذا ما الدهر ضغضني	لم تجدني كافر النعم
قنعت نفسي بما رزقت	وتناهت في العلا هيم

ليس لي مال سوى كرمي وبه أمني من العدم

فقال لي : ويحك ! فلم لا يلزم هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله يا عم لو رأيت ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرته ، فإن ما استملحت له لم ينفق به ، فقال عمي ، وقد غضب ، أنا لا أعذره في هذا ولو حاز به الدنيا بأسرها ، لا عذرتني الله إن عذرته إذن !
[الهزل ينفق]

وحدثني مدرك بن محمد الشيباني ، قال : حدثني أبو العنيس الصيمري ، قال : قلت لأبي العبر ونحن في دار المتوكل : ويحك ! أيش يحملك على هذا السخف الذي قد ملأت به الأرض خطباً وشعراً وأنت أديب ظريف مليح الشعر ؟ فقال لي : يا كشيخان ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت ؟ أنت أيضاً شاعر فهم متكلم فلم تركت العلم ، وصنعت في الرقاعة نيفاً وثلاثين كتاباً ، أحب أن تخبرني لو نفق العقل أكنت تقدم على البحتري ، وقد قال في الخليفة بالأمس :

عن أي ثغر تبسم وبأي طرف تحتكم

فلما خرجت أنت عليه وقلت : [من مجزوء الكامل]

في أي سلع ترتطم وبأي كف تلتطم
أدخلت رأسك في الرجم وعلمت أنك تنهزم

فأعطيت الجائزة وحرم ، وقرئت وأبعد ، في حير أمك وحير أم كل عاقل معك ! فتركته ، وانصرف .

[لا خير في الشعر الفاتر]

قال مدرك : ثم قال لي أبو العنيس : قد بلغني أنك تقول الشعر ، فإن قدرت أن تقوله جيداً ، جيداً ؟ وإلا فليكن بارداً ، بارداً ، مثل شعر أبي العبر وإياك والفاتر فإنه صفع كله .
[مذهبان متناقضان]

حدثني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني أبو العناء ، قال : أنشدت أبا

[من مجزوء الكامل]

العبر :

ما الحب إلا قبلة أو غمز كف وعضد
أو كتب فيها رقي أنفذ من نفث العقد

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا حُبِّهِ فَإِنَّمَا يَبْغِي الْوَلَدُ
مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكَذَا إِنْ نُكِّحَ الْحُبُّ فَسَدَ

فقال لي : كذب المأبون : وأكل من خراي رطلين وربعا بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلت :

باضَ الحبُّ في قلبي فواويلي إذا فَرَّخَ
وما ينفعني حُبِّي إذا لم أكنس البريخُ
وإن لم يطرح الأصلدُ معُ خُرْجيه على المطبخُ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلتُ : عجباً من العجب ، قال : ظننت أنك تقول : لا ، فأبلى يدي وأرفعها . ثم سكت ، فبادرتُ ، وانصرفتُ خوفاً من شره .
[يُملئ على من معه]

حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي ، قال : كان أبو العبر يجلس بسرٍّ مَنْ رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجَّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاعة فيها ماء ، وحمأة ، وقد سُدَّ مجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خُفٌّ ، وفي رجله قَلَسِيَّتَانِ ، ومُستمليه في جوف بئر ، وحوله ثلاثة نفرٍ يَدُقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلْبَةُ ، ويقلَّ السماع ، ويصيح مُستمليه من جوف البئر من يكتب¹ ، عذَّبكَ الله ، ثم يملئ عليهم ، فإن ضحك أحدُ مَنْ حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مُروءة رشَّشَ عليه بالقصبة من مائها ، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفضَ المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم ذرهمين . قال : وكانت كنيته أبا العباس ، فصيرها أبا العبر ، ثم كان يزيد فيها في كلِّ سنة حرفاً ، حتى مات ، وهي أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك .

[أبوه يحلف ألا يكلمه أبداً]

حدثني جحظة ، قال : رأيت أبا العبر بسرٍّ مَنْ رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يكلمه ، فقال له بعض إخوانه : لم هجرت ابنك ؟ قال : فضحني ، كما تعلمون ، بما يفعله بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك ، حتى يُهَجِّنِي وَيُؤَذِّنِي ، ويضحك الناس مني ، فقالوا له : وأي

شيء من ذاك ؟ وبماذا هجنتك ؟ قال : اجتاز عليّ منذ أيام ومعه سلّم ، فقلت له : ولأي شيء هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك ، فأخجلني ، وأضحك بي كلّ مَنْ كان عندي ، فلمّا أن كان بعد أيام اجتاز بي ومعه سمكة ، فقلت له : إيش تعمل بهذه ؟ فقال : أنيكها ، فحلفت لا أكلمه أبداً .

[مذهبه في الكتابة]

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز ، قال : سمعت رجلاً سأل أبا العبر عن هذه المحالات التي لا يتكلّم بها : أي شيء أصلها ؟ قال : أبكر ، فأجلس على الجسر ، ومعي دواة ودرج ، فأكتب كلّ شيء أسمعُه من كلام الزاهب والجائي والملاحين والمكاريين ، حتى أملأ الدرج من الوجهين ، ثم أقطعه عرضاً وطولاً وألصقه مخالفاً ، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحقّ منه .

[مذهبه في الصيد]

أخبرني عمّي ، قال : رأيت أبا العبر واقفاً على بعض آجام سرّ من رأى ، ويده اليسرى قوس جلاّهُق¹ ، وعلى يده اليمنى باسق ، وعلى رأسه قطعة رثة في حبل مشدود بأنشطة ، وهو غريان ، في أيره شعر مفتول مشدود فيه شيصّ قد ألّقه في الماء للسمك ، وعلى شفّته دوشاب² ملطّخ ، فقلت له : خرب بيتك ، أيش هذا العمل ؟ فقال : أصطاد يا كَشْخان يا أحقّ بجميع جوارحي ، إذا مرّ بي طائر رميته عن القوس ، وإن سقط قريباً منّي أرسلتُ إليه الباسق ، والرثة التي على رأسي يجيء الحداً ليأخذها فيقع في الوهق³ والدوشاب أصطاد به الذباب ، وأجعله في الشصّ ، فيطلبه السمك ، ويقع فيه ، والشصّ في أيري ، فإذا مرّت به السمكة أحسستُ بها ، فأخرجتها .

[عبث]

قال : وكان المتوكّل يرمي به في المنجنيق إلى الماء ، وعليه قميص حرير ، فإذا علا في الهواء صاح : الطريق الطريق ، ثم يقع في الماء ، فتخرجه السباح ، قال : وكان المتوكّل يجلسه على الرّلاقة ، فينحدر فيها ، حتى يقع في البركة ، ثم يطرح الشبكة ، فيخرجه كما يخرج السمك ،

1 الجلاّهُق : بندق يرمى به .

2 دوشاب : عصير عنب .

3 الوهق : حبل يرمى به في أنشطة للدبّة ، مفرد أوهاق .

ففي ذلك، يقول في بعض حماقاته :

[من مجزوء الرجز]

ويأمر بي المَلِكُ فيطرَحُنِي في البِرَكِ
ويصطادُنِي بالشَّبَكِ كأَنِّي من السَّمَكِ
ويضحك كك كك كك كك كك كك كك كك

[عنه مع إسحاق]

وحدثني جعفر بن قدامة ، قال : قدم أبو العيرَ بغداد في أيام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح في الحبس ، لي نصيحة ، فأخرج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتك ، قال : على أن تؤمنني ؟ قال : نعم ، قال : الكشكية ، أصلحك الله ، لا تطيب إلا بالكشك ، فضحك إسحاق وقال : هو ، فيما أرى ، مجنون ، قال : لا ، هو أمتخط حوت ، قال : أيش هو أمتخط حوت ؟ ففهم ما قاله ، وتبسّم ثم قال : أظنُّ أني فيك مأثوم ، قال : لا ، ولكنك في ماء بصل ، فقال : أخرجوه عني إلى لعنة الله ، ولا يقيم ببغداد ، فأرّده إلى الحبس ، فعاد إلى سرّ من رأى .

[من شعره في غلام]

وله أشعار ملاح في الجِدِّ ، منها ما أنشدنيهِ الأخفش له يخاطب غلاماً أُمردَ : [من الخفيف]

أيّها الأُمردُ المولّع بالهَجِ سرّ أفق ما كذا سبيلُ الرِشادِ
فكأنّي بحُسن وجهك قد أَلَّ جس في عارضيك ثوبَ جِدادِ
وكأنّي بعاشِقيك وقد بُدِّلَ ستَ فيهم من خُلطة يِيعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقب ضُ السَّمْعُ عن حديثِ مُعادِ
فاغتمم قبل أن تصيرَ إلى كا نَ وتُضحِي في جُملة الأُضدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجراح له ، وفيه رَمَلٌ طُبُوريّ محدثٌ أظنه لجحظة .

[من غزله المستملح]

صوت

[من السريع]

داء دفينٌ وهوىٌ بادي أظلمَ فجازيك بمرصادِ
يا واحدَ الأُمة في حُسنه أشتَمَ بي صدك حُسادي

قد كدتُ ممّا نال مني الهوى أخفى على أعين عُوادي
عبدك يُخيي موته قبله تجعلها خاتمة الزاد

[الحماسة أنفق]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثني أحمد بن عليّ الأنباري : قال : كنّا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلبيّ بسرّ من رأى ، فجرى ذكر أبي العبر ، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه ، فقلت ليزيد : كيف كان عندك ، فقد رأيته ؟ فقال : ما كان إلاّ أدياً فاضلاً ، ولكنه رأى الحماسة أنفق وأنفع له ، فتحامق .

[يهجو قاضين أعورين]

فقلت له : أنشدك أبياتاً له أنشدنيها ، فانظر لو أراد دِعيل ، فإنّه أهجى أهل زماننا ، أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته قوله : [من الوافر]

رأيتُ من العجائب قاضيين هما أحذوثة في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين فذاً كما اقتسما قضاء الجائنين
هما قالُ الزمانُ بهلك يحيى إذا افتُح القضاء بأعورين¹
وتحسب منهما من هز رأساً لينظر في موارِس وذنين
كانك قد جعلتَ عليه دناً فتحت بزّاله من فردٍ عَيْن²

فجعل يضحك من قوله ، ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

[نصيحة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن مهرويه : قال : حدّثني ابن أبي أحمد ، قال : قال لي أبو العبر : إذا حدّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بتنفٍ إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل .

[بغضه لعل قتل]

وقال محمد بن داود : حدّثني أبو عبد الله الدوادبي ، قال : كان أبو العبر شديد البغض لعلّي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، وله في العلويين هجاء قبيح ، وكان سبب ميته

1 الأعوران : حيان بن بشر وسوار بن عبد الله .

2 الإيزال : موضع ثقب الدف .

أنّه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيين يقول في عليّ ، صلوات الله عليه ، قولاً قبيحاً استحلّ به دمه ، فقتله في بعض الآجام ، وغرقه فيها .

صوت

[من الطويل]

لقد طال عهدي بالإمام محمدٍ وما كنت أخشى أن يطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريبةٌ فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي
فيا ليت أن العيْدَ لي عادَ مرّةً فإنّي رأيت العيْدَ وجهك لي يُنْدي
رأيتك في بُرْدِ النبيّ محمد كبدر الدُّجى بين العِمامة والبرْد
الشجر لمروان بن أبي حفصة الأصغر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر .

[520] - أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

[كتيه]

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . قد تقدّم خبره ونسبه ،
ويكنى مروان الأصغر أبا السَّمط ، وكان يتشبه بجده في شعره .
[كان يتقرب إلى المتوكل بهجاء آل أبي طالب]

ويمدح المتوكل ، ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكّن منه وقرب إليه ، وكسب
معه مالا كثيرا ، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهب أبيه في كل أمر ، فطرده
وحلف ألا يدخل إليه أبدا لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .
فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا : حدّثنا الحسن بن عُليل العنزي قال :
حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال : دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل
فأنشده قوله :

سلام على جُملي وهيّات من جُملي ويا حَبذا جُملي وإن صرمت حَبلي
وهي من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أبوكم عليّ كان أفضلَ منكم أباه ذوو الشورى وكانوا ذوي عدلٍ
وساء رسولَ الله إذ ساء بنته بخِطْبته بنتَ اللعينِ أبي جهلٍ
أراد على بنت النبي تزوجاً بينت عدوّ الله ، يا لك من فِعْلٍ
فدّم رسولُ الله صِهْرَ أبيكم على منبرِ الإسلامِ بالمنطقِ الفصلِ
وحكّم فيها حاكمينَ أبوكم هما خلعاها خلَعَ ذي النعلِ للنعلِ
وقد باعها من بعده الحسنُ ابنه فقد أبطلا دعواكما الرئّةَ الحبلِ
وخلّيتُموها وهيّ في غير أهلها وطالبتُموها حيث صارتُ إلى الأهلِ

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني أبو هاشم الجبائي ، قال : دخل أبو السمط على المتوكل فأنشده قوله :
[من مجزوء الكامل]

الصَّهْرُ ليس بوارثٍ والبنتُ لا تَرِثُ الإمامةَ
لو كان حقُّكم لهم قامت على النَّاسِ القيامةُ
أصبحت بين مُحبِّكم والمبغضين لكم علامةُ

فحشا المتوكل فمه بجوهر لا يُدرى ما قيمته .

وحدثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال : أنشد أبو السمط المتوكل قوله : [من الكامل]

إنِّي نزلتُ بساحة المتوكل ونزلتُ في أقصى ديارِ الموصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كنا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

[أبو العنيس ينقد شعره]

فقال أبو العنيس الصِّيمريّ : كانت له طيورٌ هُدًى¹ تحمل إليه كتبه ، فضحك المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصِّيمريّ ولم يعط أبا السمط شيئاً ، فماتا متهاجرين .

[مدح المتوكل وولاة عهده]

أخبرني عمِّي والحسن بن عليّ قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوثٍ قال : حدثنا حماد بن أحمد البتيّ قال : أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب قال : لما صرتُ إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولالة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولي : [من الطويل]

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدٍ ويا حبذا نجدٌ على النَّسائيِّ والبعديِّ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها لعلِّي أرى نجداً وهيئاتُ من نجدٍ
بلاذٌ بها قومٌ هواهُمُ زيارتي ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلما استتممتها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

[بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب]

أخبرني عليّ بن أبي العباس بن أبي طلحة قال : حدثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال : حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكل ليلة وقد غنى بين يديه عمر الطنبوري في

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان .

قولي :

[من مجزوء الكامل]

يا مقلتي قتلتماني فبقيتُ رحمةً مَنْ يراني
مَنْ ذا ألوم وأتما بيدِ الهوى أَسلمتُماني

قال : ولم يغنه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنا أيدي الخطور ب وغالنا ريبُ الزمانِ

كراهةً أَنْ يَنْطِيرَ منه ، فجعل ينظر إليَّ وأنا واقف ، ثم قال لي : ويلك يا خالد ،
تهرب منّا ونحنُ نطلبك ، وأنت في غياباتِ صيواتك وغَزلك . يا غلام اسقيه ثلاثة أقداح
في القدح المُبرم ، وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أَنْ يضعه مِنْ يَدِهِ ،
فقلت :

[من مجزوء الرمل]

سيدي لا تَسْقني أكثرَ مِنْ رطلِ نبيذٍ
إنَّ شُرْبِي للذي يؤلّني غيرَ لذيذٍ

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعه ، فقلت :

[من مجزوء الرمل]

سيدي حوصلتي ضيّـ سيقّة عن شربِ رطلٍ
فمتى زدتُ عليه خفتُ أَنْ يذهبَ عقلي

فقال الفتح : هو كما قال يا سيدي لا يُطيق الشرب .

وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكّل ، قولاً على البديهة ، فقلت له : هو يا سيدي
شيخ الشعراء ومادحك ، وآباؤه مدّاح آبائك ، فأنشأ يقول :

[من المجتث]

يا ليت [لي] ألفَ عينٍ عيناى لا تكفيانِ

فقلت له : سَخُنْتَ عينك ، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة ،
أقول :

[من مجزوء الكامل]

يا عين أنت بليتني فأراحتني الرحمن منك

وأنت تتمنى ألفَ عين . ثم قال لي المتوكّل : اهجه ، فقلت : إنَّ الرجل لم يعرض لي ، فأقبل
هو عليّ وقال : قل ما شئت ، وما عسى أَنْ تقول ؟ فقلت :

[من الهزج]

زاد البَرْدُ يومين فقال الناس : ما القصّة

فقلنا : أنشدونا شعـ ر مروان بن أبي حفصة
فتى من شهوة النيك بحلقوم استه غصة
ولو يُرمى بِبَطِيخٍ لوافى دبره رصة

قال : فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أمر لي بجائزة فأخذتها وانصرفت .

[يستدعيه المتوكل من اليمامة]

قال ابن أبي طاهر : حدثني مروان بن أبي الجنوب قال : لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دؤاد بقصيدة مدحته فيها وذكرت فيها ابن الزيات بيتين وهما : [من الطويل]

وقيل لي : الزيات لاقى حِمَامَه فقلت : أتاني الله بالفتح والنصر
لقد حفر الزياتُ بالبغي حُفرة فألقاه فيها الله بالكفر والغدر

قال : فذكرني ابن أبي دؤاد للمتوكل ، فأمر بإحضاري ، فقبل له : نفاه الوائق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمَل ، فقال له ابن أبي دؤاد : عليه ستة آلاف دينار دين ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لي بها وبالحملان والمعونة ، فقدمت عليه وأنشدته قولي :

صوت

رحل الشبابُ وليته لم يرحل والشيبُ حلّ وليته لم يحل
فلما بلغتُ إلى هذا البيت :

كانت خلافة جعفر كنبة جاءت بلا طلبٍ ولا بتمحل
وهبَ الإله لك الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل

فأمر لي بخمسين ألف درهم .

وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقیل بالوسطى .

والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السمط في المنتصر لما ولي الخلافة .

[يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له]

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد ،

والحسن بن عليّ قالاً : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنِي الْمَرْزِيَانُ بْنُ الْفَرَّوْرَانِ حَاجِبَ الْمُنْتَصِرِ قَالَ : إِنَّ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ الْأَصْغَرَ الْمَكْنَى أَبَا السَّمْطِ اسْتَأْذَنَ عَلَى الْمُنْتَصِرِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَذْنُ لِلْكَافِرِ ابْنِ الرَّائِيَةِ ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ :

وَحَكَّمُ فِيهَا حَاكِمِينَ أَبُوكُمْ هُمَا خَلَعَاهُ خَلْعَ ذِي النَّعْلِ لِلنَّعْلِ

قولوا له : وَاللَّهِ لَا وَصَلْتَ إِلَيَّ أَبَدًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلَ عَمِلَ هَذَا الشَّعْرَ : [من الطويل]
لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
وَذَكَرَ الْآيَاتُ كُلَّهَا .

قال : وسأل بنان بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنّى به المنتصر ، فلما سمعه سأل عن قائلها ، فأخبرته ، فقال : أما الوصول إليّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى الإمامة .

[حرّضه المتوكّل على علي بن الجهم فأعنته وهما]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنُ زِيَادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ الْكَاتِبُ قَالَ : لَمَّا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الْمُتَوَكَّلِ :

اغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ واجعل المهرجان أَيْمَنَ عِيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر ، فغمزه المتوكّل على عليّ بن الجهم وأمره أن يُعَنِّتَهُ . فقال له : يَا عَلِيُّ ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

واجعل المهرجان أَيْمَنَ عِيدِ

المهرجان عيد أمّ يومٍ هو ، إنّما العيد ما تَعَبَّدَ اللَّهُ بِهِ النَّاسُ مِثْلَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى وَالْجُمُعَةِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ . فَأَمَّا الْمَهْرَجَانِ وَالنِّيْرُوزُ فَأَيْمَانُهَا أَعْيَادُ الْمَجُوسِ ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي أُمَّتِهِ : اجْعَلِ الْمَهْرَجَانَ عِيدًا .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله :

نَحْنُ أَشْيَاعُكُمْ مِنْ آلِ خِرَاسَا نِ أُولُو قُوَّةٍ وَبِأَسْ شَدِيدِ

[من الخفيف]

نحن أبناء هذه الخِرْق السُّو دِ وأهل التَّشْيَع المَحْمُود

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التَّشْيَع المحمود ما قَتَلَ قحطبةُ جدَّك وصَلَّبه في عداوة بني العباس . فقال له المتوكل : ويلك ، أَقتل قحطبةُ جدَّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : بجيأتي الأمرُ كما قال مروان ؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأَيُّ ذنبٍ لعلِّي بن الجهم ؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكل وقال : شهدتَ والله بها عليه ، فقال مروان في ذلك : [من الرمل]

غَضِبَ ابْنُ الْجَهْمِ مِنْ قَوْلِي لَهُ	إِنَّ فِي الْحَقِّ لِقَوْمٍ مَغْضَبَةٌ
يَا ابْنَ جَهْمٍ كَيْفَ تَهْوَى مَعْشَرًا	صَلَبُوا جَدَّكَ فَوْقَ الْخَشْبَةِ
يَا إِمَامَ الْعَدْلِ نَصَحِي لَكُمْ	نُصَحُ حَقًّا غَيْرُ نَصَحِ الْكَذْبَةِ
إِنْ جَدِّي مِنْ رَفَعْتُمْ ذِكْرَهُ	بِكِرَامَاتٍ لَشُكْرِي مُوجِبَةٌ
وَإِنْ جَهْمٌ مَن قَتَلْتُمْ جَدَّهُ	وَتَوَلَّى ذَاكَ مِنْهُ قَحْطَبَةٌ
فَخِرَاسَانُ رَأَتْ شَيْعَتَكُمْ	أَنَّهُ أَهْلٌ لَضَرْبِ الرَّقَبَةِ
أَتَرَاهُ بَعْدَهَا يَنْصَحُكُمْ	لَا وَرَبُّ الْكُفَّةِ الْمُحْتَجِبَةِ

[هجا علي بن الجهم فلم يجبه]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال : حدَّثني جعفر بن هارون قال : حدَّثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال : بلغ المتوكلَ أَنَّ علي بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوجه ، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته ، وعن نسب سامة بن لؤي ، فحدَّث بها ، ثم انتهى حديثهم بأنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يَدْخُلَاهُمَا فِي قَرِيشٍ ، وَأَنَّ عثمان رضي الله عنه أَدْخَلَهُمْ فِيهِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه أَخْرَجَهُمْ مِنْهُ ، فَارْتَدُّوا مَعَ الْحَارِثِ ، وَأَنَّهُ قَتَلَ مَنْ ارْتَدَّ مِنْهُمْ ، وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ ، وَبَاعَهُمْ مِنْ مَصْقَلَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْجَهْمِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْقَوْمُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ . هذه الدعوى من الرافضة ، وشتم القوم . وكان منهم أبو السَّمَط فقال له : [من المديد]

إِنَّ جَهْمًا حِينَ تَنْسِبُهُ لَيْسَ مِنْ عُجْمٍ وَلَا عَرَبٍ
لَجَّ فِي شَتْمِي بِلا سَبَبٍ سَارِقٌ لِلشُّعْرِ وَالنَّسَبِ

من أناسٍ يدعون أبا ماله في الأرض من عقب
فغضب علي بن الجهم ولم يجبه ؛ لأنه كان يحتقره ويستركه¹ ، وأوماً إليه المتوكل أن
يزيده فقال :

أنتم من قريش يا ابن جهم وقد باعوكم في من يزيد
أترجو أن تكاثرنا جهاراً بنسبتكم وقد بيع الجدود

قال : وما زال مروان يهجو علي بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .
[مدح ابن أبي دواد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثني
الجمّاز أبو عبد الله قال : دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتماثل
قليلاً ، فأنشده :

لسانُ أحمد سيفٌ مسّه طبعٌ من عِلّةٍ فجلاه عنه جاليها²
ما ضرَّ أحمدَ باقي عِلّةٍ دَرَسَتْ والله يُذهِبُ عنه رسمَ باقيها
قد كان موسى على عِلّاتٍ منطقهُ رسائلُ الله إذ جاءت يُودّيها
موسى بن عمران لم ينقص نبوتهُ ضعفُ اللسانِ وقنماً كان يُمضيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه .
[رأى ذا اليمين]

أخبرني عمي قال : حدثني مُتَوَجّج قال : قال أبو السمط : دخلت على عبد الله بن
طاهر فقال : إني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين ، فبت أرقاً حزناً باكياً ، فارثته في
مقاميك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء عِلّتي ولك حُكْمُكَ ، ففكرت هنيهة ثم
قلت :

إنّ المكارم إذ تولّى طاهرٌ قطع الزمانَ يمينها وشمالها
لو كافحتهُ يدُ المنون مُجاهراً لاقت لوقع سيفه آجالها

1 يستركه : يستضعفه .

2 الطّبع : الدنس وغيره وللسيف الصدا .

أُرْسِي عِمَادَ خَلِيفَةٍ فِي هَاشِمٍ وَرَمَى عِمَادَ خِلَافَةٍ فَأَزَالَهَا
بَكَتِ الْأَعْيُنُ وَالْأَسِنَّةُ طَاهِرًا وَلَطَالَمَا رَوَى النَّجِيعُ نِهَالَهَا
لَيْتَ الْمَنُونِ تَجَانَبَتْ عَنْ طَاهِرٍ وَلَوْتُ بِذِرْوَةِ مَنْ تَشَاءُ حِبَالَهَا
مَا كُنْتُ لَوْ سَلِمْتُ يَمِينًا طَاهِرٍ أَدْرِي وَلَا أَسْلُ الْحَوَادِثَ مَا لَهَا

فقال : أحسنت والله فاحتكم ، فقلت له : خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً ، وأصلح حالي ، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي . فأمر لي بها وقال : ربنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عدٌّ وعدٌّ بعد عدٌّ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لَا تَلْمَنِي أَنْ أُجْزِعَا سَيِّدِي قَدْ تَمَنَعَا
وَا بِلَائِي إِنْ كَانَ مَا بَيْنَنَا قَدْ تَقَطَّعَا
إِنَّ مُوسَى بِفَضْلِهِ جَمَعَ الْفَضْلَ أَجْمَعَا

الشعر ليوسف بن الصَّبِيقِل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بِالْبِنْصَر .

[521] - أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

[نسبه]

هو يوسف بن الحجاج الصَّيقل ، يقال : إنه من ثَقِيف ، ويقال : إنه مولى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجراح أنه كان يلقب لَقْوَةً¹ وأنه كان يصحب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروي له ، وأبوه الحجاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخنا ، منهم ابن منيع ، والحسن بن الطيب الشجاع ، وابن عفير الأنصاري ، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

[قصة هذا الصوت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيبي ، عن ابن شَبَّة ، قال : قال أحمد بن صالح الهشامي : قال لنا يوسف بن الصَّيقل يوماً ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : صنع الله لكم ، ثم أقبل على إبراهيم الموصلي ، فقال له : كنّا نهزل ، فنأخذ الرغائب ، وهؤلاء المساكين الآن يجدُّون ، فلا يُعطون شيئاً ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جداً وأنت تُغنيهِ هذا الصوت :

واستدارت رحالهم بالرديني شُرعا

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنني أريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إليّ فقال : اصنع في هذا الوزن شعراً ، فقلت :

لا تلمني أن أجزعا سيدي قد تمنعا

فغنيته فيه بذلك اللحن ، ومَرَّت به إبل يُنقل عليها ، فقال أوقروها لهما مالا ، فأوقرت مالا وحُمِل إلينا ، فاققسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كل واحد منا ستين ألف درهم .

1 اللقوة : داء يعوج منه الوجه . ومن معانيها لعقاب أيضاً .

نسبة هذا الصوت الذي غناه صوت

[من مجزوء الخفيف]

فارسٌ يضربُ الكتَّ حيةً حتَّى تصدَّعا
في الوغى حينَ لا يرى صاحبُ القوسِ منزعا
واستدارتُ رحالهمْ بالردَّنيَّ شرَّعا
ثم ثارتُ عَجاظُ تحتها الموتُ مُنقعا

في هذه الأبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيْج وإلى سباط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبصير .

[الهادي أم الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله العبديّ ، فذكر مثل هذه القصّة إلاّ أنّه حكى أنّها كانت بالرقّة ، لا بجرجان ، وأنّ الرشيد كان صاحبها لا موسى .
[يفاجئ الرشيد بمدحه فيجيزه]

أخبرني الحسن بن عليّ العنزيّ ، عن محمد بن يونس الربيعيّ ، قال : حدَّثني أبو سعيد الجنديسابوريّ ، قال : لما ورد الرشيد الرقّة خرج يوسف بن الصيقل ، وكمن له في نهر جافّ على طريقه ، وكان هارون خدم صغارٍ يسميهم النمل يتقدّمونه ، بأيديهم قسيّ البندق ، يرمون بها من يعارضه في طريقه ، فلم يتحرّك يوسف ، حتى وافته قبة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدم الصغار يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كفّوا عنه ، فكفّوا ، وصاح به يوسف يقول :

[من الهرج]

صوت

أغيشاً تحملُ النّا قةً أم تحملُ هرونا
أم الشمسُ أم البدرُ أم الدنيا أم الدّينا
ألا كلّ الذي عدّد ت قد أصبح مقرونا

على مفريق هارون فده الأدميونا

فمدَّ الرشيدُ يده إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدي ؟ اذنُ مني ،
 فدنا ، وأمر له بفرسٍ ، فركبه ، وسار إلى جانب قَبته يُنشدُه ، ويحدثُه ، والرشيدُ يضحكُ ،
 وكان طيِّبَ الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر بأن يُغنى في الأبيات : الغناء في هذه الأبيات لابن
 جامع خفيف رَمَلَ بالبنصر عن الهشامي :
 [نواهي المذهب]

وقال محمد بن دواد : كان يوسف فاسقاً مجاهرّاً باللواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها
 قوله :

لا تَبَخَلْنَ على الندي	م برِّذْ ذي كَشَحٍ هَضِيمٍ
تعلُّو وينظُر حَسْرَةً	نَظَرَ الحمارِ إلى القُضِيمِ ¹
وإذا فرغْتَ فلا تقم	حتى تُصَوِّتَ بالنَّديمِ
فإذا أجابَ فقلْ هُـ	مَّ إلى شهادةِ ذي الغريمِ
واتبعْ للذَّكَ الهوى	ودعِ الملامَةَ للمُليمِ

قال : وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلاماً له ، فخاطبه به .

ومن مشهور قوله في هذا المعنى :

لا تَنِيكَنَّ ما حييتَ	غُلاماً مكابرةً
لا تمرُّنْ باسته	دُون دَفْعِ المَؤامِرةِ
إنَّ هذا اللواطَ دينٌ	تراه الأساورة ²
وهمُ فيه منصِفُو	ن بِحُسْنِ المعاشرةِ

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات :

ضع كذا صدرك لي يا سيدي وأتخذُ عندي إلى الحشر يدا

1 القضييم : شعر الدابة .

2 الأساورة : جمع إسوار وأسوار من الفرس وهو الفارس المقاتل أو القائد أو جيّد الرمي بالسهم .

إِنَّمَا رِدْفَكَ سَرْجٌ مُّذْهَبٌ كُثِفَ الْبَزِيونُ عَنْهُ فَبَدَأَ¹
 فَأَعْرَنِيهِ وَلَا تَبْخُلْ بِهِ لَيْسَ يُبْلِيهِ رُكُوبِي أَبَدَا
 بَلْ يَصْفِيهِ وَيَجْلُوهُ وَلَا أَثَرٌ تَرَاهُ فِيهِ أَبَدَا
 فَادْنُ يَا حَبُّ وَطَبِّ نَفْساً بِهِ إِنَّ ذَاكَ الدِّينَ تُقْضَاهُ غَدَا

[لا يحبّ القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدّثني عمر بن شُبّة عن أحمد بن صالح الهاشمي ،
 قال : هجا يوسف بن الصيقل القيان ، فقال :

احذر فديتك ما حيي ست حائل المتشاكلات
 فلهنّ يُفْلِسُنّ الفتى وكفى بهنّ مُفْلِسَاتِ
 ويل امرئٍ غرّ تجي ه رقاغنّ مُحْتَمَاتِ
 ورقاعهنّ إليهم بُرقي القحَابِ مُسْطَرَاتِ
 وعلى القيادة رُسُلُهُ من إذا بُعِثْنَ مدرّباتِ
 يهدمنّ أكياسَ الغنيّ من المئنة والهيّاتِ
 حفر العلوجُ سَوَاقِيَا للماء في الأرضِ المَوَاتِ
 فيصيرُ من إفلاسه ومن الندامة في سُبَاتِ

قال : وشاعت هذه الأبيات وتهاذاها الناس ، وصارت عبثاً بالقيان لكلّ أحد ، فكانت
 المغنية إذا عثرت قالت : تعس يوسف !
 [الموالي يتعصبون له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : أخبرني عيسى بن الحسن الآدمي : قال : حدّثني
 أحمد بن أبي فتن ، قال : أحضر الرشيدُ عشرة آلاف دينار من ضرب السنّة فقرّقها ، حتى
 بقيت منها ثلاثة آلاف دينار ، فقال : اتئوني شاعراً أهّبها له ، فوجدوا منصوراً النمرّي
 ببابه ، فأدخل إليه ، فأنشدّه ، وكان قبيح الإنشاد ، فقال له الرشيد : أعانك الله على
 نفسك ، انصرف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد دخلت إليك دَخْلَتَيْنِ ، لم تُعْطِنِي فِيهِمَا
 شيئاً ، وهذه الثالثة ، ووالله لئن حرمتني لا رفعتُ رأسي بين الشعراء أبداً . فضحك

الرشيد ، وقال : خذها ، فأخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضهم بعضاً ، فقال : كأتي قد عرفت ما أردتم إنما أردتم : أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل ، وكان يوسف منقطعاً إلى الموالي يناديهم ، ويمدحهم ، فكانوا يتعصبون له ، فقالوا : إي والله يا أمير المؤمنين ، فقال : هاتوا ثلاثة آلاف دينار ، فأحضرت ، فأقبل على يوسف ، فقال : هات ، أنشدنا ، فأنشده يوسف :

تصدت له يوم الرصافة زينب

فقال له : كأنك امتدحتنا فيها ، فقال : أجل ، والله يا أمير المؤمنين فقال : أنت ممن يوثق ببيته ، ولا تتهم موالاته ، هات من ملحك ، ودع المديح ، فأنشده أوفوه : [من المجث]

صوت

العفو يا غضبان ما هكذا الخلان
هبني ابتليت بذنب أما له غفران
وإن تعاظم ذنب ففوقه الهجران
كم قد تقررت جهدي لو ينفع القران
يا رب أنت على ما قد حل بي المستعان
ويلي ألت تراني أهذي بها يا فلان

فقال الرشيد : ومن فلان هذا وملك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : ولم لم تشيدي كما قلت يا نبطي ؟ فقال : لأنني غضبان عليه . قال : وما أغضبك ؟ قال : مدت دجلة ، فهدمت داري وداره ، فبنى داره ، وعلاها ، حتى سترت الهواء عني ، قال : لا جرم ، ليعطينك الماص بظر أمه عشرة آلاف درهم ، حتى تبني بناء يعلو على بنائه ، فتستر أنت الهواء عنه ، ثم قال له : خذ في شعرك ، فأنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ، ليس هذا بشعر ما هو إلا لعب ، أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة الآلاف الدينار ، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً ، فقال : أستأمره ، ثم أقفل ، فقالوا له : أعطه إياها بضمنا ، فإن أمضيت له وإلا كانت في أموالنا ، فدفعها إليه بضمناهم ، فأمضيت له ، فكان يوسف يقول بعد ذلك : كنا نلعب ، فنأخذ مثل هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ، فلا تأخذون شيئاً !

صوت

[من الكامل]

هَبْتُ قُيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ هَنَدْتُ قَوْلُ وَدْمُعُهَا يَجْرِي
أَنْتَى اعْتَرَاكَ وَكُنْتَ فِي عَهْدِي لَا سَرَبَ الدَّمْعِ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ

الشعرُ لرجل من الشُّرَاة يقال له : عمرو بن الحصين مولى بني تميم ، يقوله في عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارج طالبَ الحق ، ومن قُيْلَ من أصحابه معه يرثيهم . والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشامي .

[522] - خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[كان مجتهداً عابداً]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد الخزامي ، وخلاد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو بن هشام ، وعبد الله بن محمد الثقفي ، ويعقوب بن داود الثقفي ، وحريم بن أبي يحيى : أن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضر موت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان يقول قبل أن يخرج : لقيني رجل ، فأطال النظر إليّ ، وقال : ممن أنت ؟ فقلت : من كندة ، فقال : من أيّهم ؟ فقلت : من بني شيطان ، قال : والله لتملكن ، وتبلغن خيلك وادي القرى¹ ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك .

[إلى حضرموت]

فذهبت أتخوف ما قال ، وأستخير الله ، فرأى باليمن جوراً ظاهراً ، وعسفاً شديداً ، وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب إلى عبدة بن مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له : كودين مولى بني تميم ، وكان ينزل في الأزدي ، وإلى غيره من الإباضية بالبصرة يُشاورهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ؟ والله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ، ويخصّ بالشهادة منهم من يشاء . وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة ، وبلغ بن عقبة السقوري في رجال من الإباضية ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه : إذا خرجتم فلا تغلّوا ، ولا تغدروا ، واقتدوا

1 وادي القرى : بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرتهم ، فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيث لأعمالهم .

فدعا أصحابه ، فبايعوه ، فقصدوا دار الإمارة ، وعلى حَضْرَمَوْت إِبْرَاهِيم بن جَبَلَة بن مَخْرَمَة الكِنْدِيّ ، فأخذوه ، فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه ، فَأَتَى صَنْعَاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بِحَضْرَمَوْت ، وكثُرَ جمعه ، وسمّوه «طالب الحق» .

[ثم إلى صنعاء]

فكتب إلى مَنْ كان من أصحابه بصنعاء : إني قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حَضْرَمَوْت عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين ، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر ، وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء ، مسير عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زَمْل ، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدّة وجمع كثير ، فعسكر على مسيرة يوم من أبين¹ وخلف فيها الأثقال ، وتقدّمت المقاتلة ، فلقيّه عبد الله بن يحيى بلخج ، قرية من أبين ، قريباً من الليل ، فقال الناسُ للقاسم : أيها الأمير ، لا تقاتل الخوارج ليلاً ، فأبى ، وقاتلهم ، فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً ، وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوماً ، ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء ، وخندق وخلف بصنعاء الضحّاك بن زَمْل ، فأقبل عبد الله بن يحيى ، فنزل جُوين² على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه القاسمُ يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن ، فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا ، فرجع يزيد إلى القاسم ، فاستأذنه في بيّتهم ، فأبى أن يأذن له ، فقال يزيد : والله لئن لم تُبَيِّنْهُمْ لِيَعْمَنَكَ ، فأبى أن يأذن له ، وأقاموا يومين لا يلتقون ، فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناسُ على الخندق ، فغلبتهم الخوارج عليه ، ودخلوا عسكرهم ، والقاسمُ يُصَلِّي ، فركب ، وقاتلهم الصلّتُ بن يوسف ، فقتل في المعركة ، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم ،

1 أبين : مخلاف باليمن .

2 جوين : كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان كُويان فعربت فقيل جوين .

فمنعه عبد الله بن يحيى ، وأتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر ، فأخبره الخبر فقال للقاسم¹ :

ألا ليت شعري هل أذودن بالقنا وبالهذونيات قبل مماتي
وهل أصبحن الحارثين كليهما بطعن وضرب يقطع اللهوات

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة ، فحبسهما ، وجمع الخزائن والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم ، فأرسلهما ، وقال لهما : حبستكما خوفاً عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شئتما أو اشخصا ، فخرجا .

[خطبته بعد فتح اليمن]

فلما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس ، فحمد الله جلّ وعزّ وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، ووعظ ، وذكّر ، وحذّر ، ثم قال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما : الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالاً لا ينبغي به بديلاً ، ولا نشترى به ثمناً قليلاً ، وحرّمنا الحرام ، ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول . من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شكّ في أنّه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائض بينات ، وآيات مُحْكَمَات ، وآثار مُقْتَدَى بها ، ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد ؛ عدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الربّ ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأعداء الله . أيها الناس إنّ من رحمة الله أن جعل في كلّ فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى ، ويصبرون على الأثم في جنب الله تعالى ، يقتلون على الحقّ في سالف الدهور شهداء ، فما نسيتهم ربهم ، وما كان ربك نسياً . أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلّكم الله بالقيام به ، فأبلوا لله بلاء حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

1 ورد البيتان في معجم الشعراء على النحو الآتي :

ألا ليت شعري هل أدوسن بالقنا تبالة أو نجران قبل مماتي
وهل أصبحن الحارثين كليهما بسم زعاف يقطع اللهوات

[يوجه أتباعه إلى مكة]

قالوا : وأقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أشهراً ، يُحسنُ السَّيرةَ فيهم ، ويُلينُ جانبَه لهم ، ويكفُّ عن النَّاسِ ، فكثُرَ جمعه ، وأتته الشُّرَاةُ من كلِّ جانب ، فلمَّا كان وقتُ الحجِّ وجَّهَ أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلج بن عُقبة ، وأبرهة بن الصَّبَّاح إلى مكة في تسعمائة ، وقيل : بل في ألف ومائة ، وأمره أن يقيمَ بمكة إذا صدرَ الناسُ ، ويوجَّهَ بلجاً إلى الشام ، وأقبل المختار إلى مكة ، فقلدِمها يومَ التَّروية ، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمُّه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم .

[هدنة بين المختار وعبد الواحد]

وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمد بن جرير الطَّبْرِيِّ ، قال : حدَّثنا العباس بن عيسى العَقِيلِي ، قال : حدَّثنا هارون بن موسى العواري ، قال : حدَّثنا موسى بن كثير مولى الساعديين ، قال : كان أولُ أمر أبي حمزة ، وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السُّلَمِيّ من أهل البصرة أنّه كان يوافي في كلِّ سنة يدعو إلى خلافةِ مروان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى في آخر سنة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، إني أسمع كلاماً حسناً ، وأراك تدعو إلى حق ، فانطلقْ معي ، فإني رجلٌ مطاعٌ في قومي ، فخرج به ، حتى ورد حَضْرَمَوْتَ ، فبايعه أبو حمزة على الخِلافة ، قال : وقد كان مرُّ أبو حمزة بمعدن بني سليم ، وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأمر به فجُلِدَ أربعين سوطاً ، فلمَّا ظهر أبو حمزة بمكة تغيبَ كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعيه ، قال : فلمَّا كان في العام المقبل تمامَ سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ حُرُمِيَّةٍ في رؤوس الرِّماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا وذكر المدائني أنّهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رؤوهم ، وقالوا لهم : ما لكم ؟ وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم .

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ، وهو يومئذٍ على المدينة ومكة والموسم ، ودعاهم إلى الهدنة ، فقالوا : نحن بحجنا أضنَّ وعليه أشحُّ ، فصالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض ، حتى ينفر الناس النَّفر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ ، فوقفوا على حِدةِ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالنَّاسِ ، فلمَّا كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد : إنَّك قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملتَ عليهم

الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس¹ ، فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ، عليهم السلام ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري ، وربيعة بن عبد الرحمن ، في رجال من أمثالهم ، فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة ، فأخذوهم ، فدخل بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطواني² ، قد ربطه الحورة في قفاه ، فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو ، فنسبهما ، فلما انتسبا له عبس في وجهيهما وبسر ، وأظهر الكراهة لهما .

ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما ، فلما انتسبا له هش إليهما ، وتبسم في وجهيهما ، وقال : والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبيكما ، فقال له عبد الله بن حسن بن حسن : والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا ، ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة ، وهذا ربيعة يخبركها ، فلما ذكر ربيعة نقض العهد ، قال بلج وإبراهيم ، وكنا قائدين له : الساعة الساعة ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، وقال : معاذ الله أن نقض العهد أو نخيس به ، والله لا أفعل ولو قطعت رقبتني هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد .

[المختار بدخل مكة]

فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد ، وخطى مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال هارون : وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتا هجيت بها عبد الواحد لشاعر لم نخفل به :

زار الحجيج عصابة قد خالفوا	دين الإله ففر عبد الواحد
ترك الإمارة والحلائل هاربا	ومضى يُخبط كالبعير الشارد
لو كان والده تخير أمه	لصفت خلافته بعرق الوالد
ترك القتال وما به من علة	إلا الوهون وعرفة من خالد

1 مثل يضرب للقلة .

2 قطواني : نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالديوان ، وضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً .
[انتصاره في قديد]

قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضمرة أنسُ بنُ عياض أنه كان فيمن اكتتب ، قال : ثم محوتُ اسمي .

قال هارون : وحدثنني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا ، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزرٌ منحورة ، فمضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلّق لوائهم بسمرة ، فانكسر الرمح ، وتشاءم الناس بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قديداً¹ ، فنزلوها ليلاً ؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمينر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مغترّون ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلاّ القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أن خزاعة دلتُ أبا حمزة على عورتهم ؛ وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلة على قريش ، وهم كانوا أكثرَ الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأصيب منهم عدد كثير .
[اليمنيون يشمتون بقريش]

قال العباس : قال هارون : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش ، فقال له ابنه : الحمد لله أذلّهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظنُّ أن من نزل على عمان من الأزد عريي ، قال : وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشي لابنه : يا بني ، هلّمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا أبت ، فحملا عليهما ، فقتلتهما ، ثم قال لابنه : أيُّ بني تقدّم ، فقأتلا . حتى قُتلا .

وقال المدائني : القرشي كان عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، والمتكلم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فلان² الجيش المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيمُ على حميمها النواح ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها ، فتنصرف ، حتى ما ييقى عندها امرأة ، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أصحابه :

1 قديد : موضع قرب المدينة .

2 فلان : جمع فل ، وهم المنهزمون ويجمع على فلول .

يا لهفَ نفسي ولهفٌ غير نافعةٍ على فوارسَ بالبطحاء أنجادٍ
عمرؤ وعمرؤ وعبدُ الله بينهما وابناهما خامسٌ والحارث السادي¹

[جيش من الأغمار يحارب الخوارج]

قال المدائني في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار ، أغمار لا علم لهم بالحرب ، فخرجوا في الصبغات والثياب الناعمة واللهمج ، لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم .

[يبيع سبي الطائف فينهمز]

وقال رجل من قريش : لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف ، فلنسيبهم ، ثم قال : من يشتري مني سبي أهل الطائف ؟ فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل : من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين ، فدخل منزله ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقي الباب ، فقال لها : غاقِ باقي دهمسا ، ولم تفهم الجارية قوله ، حتى أوماً إليها بيده ، فأغلقت الباب ، فلقب أهل المدينة بعد ذلك «غاقِ باقي» .

[أموي وقريشي]

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة ، فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، فرحب به ، وضحك إليه ، ومر به عمار بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، فلم يكلمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته ، أمأها ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله ! مر بك شيخ من شيوخ قريش ، فلم تنظر إليه ، ولم تكلمه ، ومر بك غلام من بني أمية ، فضحكك إليه ولاطفته ! أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر ؟ قال : فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم ، ونكب فرسه ومضى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحزرت نفسي هذه الأكلب من الشراة إنني لعاجز . وقاتل يومئذ عمار بن حمزة بن

مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثَّل : [من الطويل]

وَأَنسِي إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِذْنِهِ عَلَى الْأُذُنِ مِنْ نَفْسِي إِذَا شَتُّ قَادُرُ
والشعر للأغر بن حماد اليشكري .

[أبو حمزة يحمس أصحابه]

قال : وَلَمَّا بَلَغَ أَبَا حَمْزَةَ إِقْبَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَكَّةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الصَّبَّاحِ ،
وَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ بَلْجُ بْنُ عَقْبَةَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وَافَاهُمْ فِي صَبِيحَتِهَا ،
وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ نَزُولٌ بِقُدَيْدٍ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّكُمْ لَأَقْوَمُكُمْ غَدًا ، وَأَمِيرُهُمْ ، فِيمَا بَلَّغْنِي ،
ابْنُ عَثْمَانَ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ ، وَبَدَّلَ سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ وَضَحَ الصُّبْحُ
لِذِي عَيْنَيْنِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَوُطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ . وَصَبَّحَهُمْ
غَدَاةَ الْخَمِيسِ لَتَسْعٍ أَوْ لَسَعٍ خُلُونِ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِعَلَامِهِ :
أَبْغِنَا عِلْفًا . قَالَ : هُوَ غَالٍ ، قَالَ : وَيَحْتَكَ ! الْبَوَاكِي عَلَيْنَا غَدًا أَعْلَى .
[رسول أبي حمزة إلى أهل المدينة]

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَمْزَةَ بَلْجُ بْنُ عَقْبَةَ ؛ لِيَدْعُوهُمْ ، فَأَتَاهُمْ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا ، فَذَكَرَهُمْ
اللَّهُ ؛ وَسَأَلَاهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنْهُمْ ؛ وَقَالَ لَهُمْ : خَلُّوا لَنَا سَبِيلَنَا ؛ لِنَسِيرَ إِلَى مَنْ ظَلَمَكُمْ ؛
وَجَارٍ فِي الْحُكْمِ عَلَيْكُمْ ؛ وَلَا تَجْعَلُوا حَذَنًا بِكُمْ ؛ فَإِنَّا لَا نَزِيدُ قِتَالَكُمْ ؛ فَشَتَمَهُمْ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ ، وَقَالُوا : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، أَنْحُنُ نُخَلِّيكُمْ وَنَدْعُكُمْ تُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ! فَقَالَتْ
الْخَوَارِجُ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، أَنْحُنُ نَفْسُدُ فِي الْأَرْضِ ! إِنَّمَا خَرَجْنَا لِنُكْفِيَ أَهْلَ الْفُسَادِ ، وَنُقَاتِلَ
مَنْ قَاتَلَنَا وَاسْتَأْثَرَ بِالْفِيءِ ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَاخْلَعُوا مَنْ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ طَاعَةً ، فَإِنَّهُ
لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ ، وَادْخُلُوا فِي السَّلَامِ ، وَعَاوَنُوا أَهْلَ الْحَقِّ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ : مَا
تَقُولُ فِي عَثْمَانَ ؟ قَالَ : قَدْ بَرَى الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ قَبْلِي ، وَأَنَا مَتَّبِعُ آثَارَهُمْ ، وَمُقْتَدٍ بِهِمْ ،
قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِكَ ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ .
[الآن حلت لكم دماؤهم]

فَرَجَعَ إِلَى أَبِي حَمْزَةَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : كُفُّوا عَنْهُمْ ، وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ . حَتَّى يَبْدَأَ وَكُمُ
بِالْقِتَالِ ، فَوَاقَفُوهُمْ ، وَلَمْ يُقَاتِلُوهُمْ . فَرَمَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي عَسْكَرِ أَبِي حَمْزَةَ بِسَهْمٍ ،
فَجَرَحَ رَجُلًا ، فَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ : شَأْنُكُمْ الْآنَ بِهِمْ ، فَقَدْ حُلَّ قِتَالُهُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، وَثَبَتَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَرَايَةَ قَرِيشَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَطِيعٍ .

ثم اكشف أهل المدينة ، فلم يتبعوهم ، وكان على مُجَنَّبَتِهِمْ¹ ضميرُ بن صخر بن أبي الجَهْم بن حُذَيْفَة ، فكرَّ وكرَّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلاً ، ثم انهزموا ، فلم يُعدوا . حتى كُرُوا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزموهم هزيمة لم تُبقَ منهم باقية ، فقال له عليّ بن الحُصَيْن : أتبع القوم . أو دَعْنِي أَتَبِعُهُمْ ، فَأَقْتَلَ المَدْبِرَ ، وَأَذْفَفَ² على الجريح ، فَإِنْ هُوَ لَاءَ شَرٌّ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الشَّام ، فَلَوْ قَدْ جَاءَ وَكَ غَدًا لَرَأَيْتَ مِنْ هُوَ لَاءَ مَا تَكْرَهُ ، فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ ، وَلَا أَخَالَفُ سِيرَةَ أَسْلَافِنَا . وَأَخِذَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ أُسْرَاءَ ، فَأَرَادَ إِطْلَاقَهُمْ ، فَمَنَعَهُ عَلِيّ بن الحُصَيْن ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ لِأَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ سِيرَةً ، وَهَؤُلَاءَ لَمْ يُوَسِّرُوا وَهُمْ هُرَابٌ ، وَإِنَّمَا أُسِرُوا وَهُمْ يَقَاتِلُونَ ، وَلَوْ قُتِلُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ يَحْرَمُ قَتْلُهُمْ ، وَكَذَلِكَ الْآنَ قَتْلُهُمْ خِلَالٍ ، فَدَعَا بِهِمْ ، فَكَانَ إِذَا رَأَى رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ قَتَلَهُ ، وَإِذَا رَأَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَطْلَقَهُ ، فَأَتَيْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ ، فَتَنَسَبَهُ ، فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَأَلَ الْأَنْصَارَ عَنْهُ ، فَشَهِدُوا لَهُ ، فَأَطْلَقَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَرَشِيٌّ وَمَا حُدَاوَةٌ³ هَذَا حُدَاوَةُ أَنْصَارِيٍّ ، وَلَكِنْ قَدْ أَطْلَقْتُهُ .

قال : وَبَلَغَتْ قَتْلِي قُدَيْدُ الْفَيْنِ وَمَاتَيْنِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ مِنْ قَرِيشٍ أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ ثَمَانُونَ ، وَمِنْ الْقَبَائِلِ وَالْمَوَالِي أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ ، قَالَ : وَكَانَ فِي قَتْلِي قَرِيشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ ، خَرَجَ يَوْمَئِذٍ مَقْنَعًا ، فَمَا كَلَّمَ أَحَدًا ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سُمَيُّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الَّذِي يَرُوي عَنْهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَدَخَلَ بَلَجَ الْمَدِينَةِ بِغَيْرِ حَرْبٍ ، فَدَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَرَجَعَ أَبُو حَمَزَةَ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ آلِ سُرَاقَةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، فَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ : لَعَنَ اللَّهُ السُّرَاقِيَّ ، وَلَعَنَ بَلَجًا الْعِرَاقِيَّ .

[ناتحة المدينة تبكي قتلى قديد]

وقالت ناتحة أهل المدينة تبكيهم :

[من مجزوء الكامل]

ما للزمان وما ليْه أفنت قُدَيْدُ رِجَالِيْه

1 ل : حاميتهم .

2 أذفف : أجهز .

3 حداوة : شبه .

فَلَا بُكَيْنَ سَرِيرَةً وَلَا بُكَيْنَ عَلَانِيَةً
وَلَا بُكَيْنَ إِذَا خَلَوْ تَ مَعَ الْكَلَابِ الْعَاوِيَةِ
وَلَا ثَنِينَ عَلَى قُدَيْ دَ بِسَوْءِ مَا أَبْلَانِيَةِ

في هذه الأبيات هزج قديم يشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته .

[عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد]

وقال عمرو بن الحسن الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة ودخولهم إياها ، وأنشدنيها الأخفش عن السكري والأحول وثعلب لعمر وهذا ، وكان يستجيدها ويُفضِّلُها :

[من الكامل]

يَمْرِي سَوَابِقَ دَمْعِكَ الْمَتَسَاكِبِ	مَا بَالُ هُمُكَ لَيْسَ عَنْكَ بِعَازِبِ
عَبْرَى تُسَرُّ بِكُلِّ نَجْمٍ دَائِبِ	وَتَبِيتُ تَكْتَلِيءُ النُّجُومَ بِمَقْلَبِ
لَمْ أَقْضِ مَنْ تَبَعَ الشُّرَاقَ مَآرِبِي	حَذَرَ الْمَنِيَّةِ أَنْ تَجِيءَ بِدَاهَةِ
عَبَلُ الشَّوَى أُسْوَانُ ضَمْرِ الْحَالِبِ ¹	فَأَقُودُ فِيهِمْ لِلْعِدَا شَنْجَ النَّسَا
مَاءُ الْحَسِيكِ مَعَ الْحِلَالِ اللَّاتِبِ ²	مُتَحَدِّراً كَالسَّيِّدِ أَخْلَصَ لَوْنَهُ
بُورَا إِلَى جَبْرِيتٍ وَمَعَايِبِ	أُرْمِي بِهِ مِنْ جَمْعِ قَوْمِي مَعْشَرَا
لَفَّ الْقَدَاحَ يَدَ الْمُفِضِ الضَّارِبِ	فِي فِتْيَةٍ صَبْرٍ أَلْفُهُمْ بِهِ
كَأْسُ الْمُنُونِ تَقُولُ : هَلْ مِنْ شَارِبِ	فَنَدُورُ نَحْنُ وَهُمْ وَفِي مَا بَيْنَنَا
سُمُرٌ وَمُرْهَفَةٌ نُصُولِ قَوَاضِبِ	فَنَظْلُ نَسْقِيهِمْ وَنَشْرَبُ مِنْ قَنَّا
نَجْلَاءُ بَيْنَ رُهَائِبٍ وَتَرَائِبِ ³	بَيْنَا كَذَلِكَ نَحْنُ جَالَتْ طَعْنَةُ
ظُبَا سِنَانٍ كَالشُّهَابِ الثَّاقِبِ ⁴	جَوْفَاءٍ مِنْهَرَةً تَرَى تَامُورَهَا
حَفْضٌ لَقَى تَحْتَ الْعَجَاجِ الْعَاصِبِ	أَهْوَى لَهَا شَيْقَ الشَّمَالِ كَأَنَّنِي
نَفْسِي الْمُنُونِ لَدَى أَكْفٍ قَرَائِبِ	يَا رَبِّ أَوْجِبْهَا وَلَا تَتَعَلَّقْنِ

1 شنج النسا : لم تسترخ رجلاه . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .

2 اللاتب : اللازق مثل اللازب .

3 لعل رهايب جمع رهابة وهي عظيم في الصدر مشرف على البطن وقد ورد جمعها في لسان العرب على رهاب .

4 منهرة : واسعة . وتامور : الدم وله معنى الخمر والإبريق .

كَمْ مِنْ أُولَى ثِقَةٍ صَحَبْتُهُمْ شَرَوْا
مَتَاوَهُينَ كَأَنَّ فِي أَجْوَافِهِمْ
تَلْقَاهُمْ فِتْرَاهُمْ مِنْ رَاكِعٍ
يَتَلَوُ قَوَارِعَ تَمْتَرِي عِبْرَاتِهِ
سِيرٌ لِحَائِقَةِ الْأُمُورِ أَطْبَةُ
وَمُبْرئينَ مِنَ الْمَعَايِبِ أَحْرَزُوا
عَرَوْا صَوَارِمَ لِلْجَلَادِ وَبَاشَرُوا
نَاطُوا أُمُورَهُمْ بِأَمْرِ أَخٍ لَهُمْ
مُتَسْرِبِلِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَانَتْهُمْ
قِيدَتْ مِنْ أَعْلَى حُضْرَمُوتَ فَلَمْ تَزَلْ
تَحْمِي أَعْنَتَهَا وَتَحْوِي نَهْبَهَا
حَتَّى وَرَدْنَ حِيَاضَ مَكَّةَ قُطْنَا
مَا إِنْ أَتَيْنَ عَلَى أَخِي جَبْرِيَّةٍ
فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ لَهَا مِنْ هَامِهِمْ
سَائِلُ يَوْمٍ قَدِيدَ عَنْ وَقَعَاتِهَا

[خطبة أبي حمزة في أهل المدينة]

وقال هارون بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى عنه :
ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ،
فرقي المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه : وقال : يا أهل المدينة ، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ،
فأسأتم ، لعمر الله ، فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم :
هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم ،
فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ، ليختار المسلمون لأنفسهم ؛ فقلتم : لا تفعلون ،

1 لَقَمَ الطريق : وسطه .

2 السلهب من الخيل : ما طالت عظامه .

3 القارب : طالب الماء ليلاً

فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهرُ نحنُ وأنتم نأتِ بمن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنةَ نبيه ، وإن نظفرُ نعدلُ في أحكامكم ، ونحملُكم على سنة نبيكم ، ونقسمُ فيكم بينكم ، فإن أبيتم ، وقاتلتُمونا دونهم ، فقاتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتُم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغني غنى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

[خطبة أخرى جامعة مانعة]

قال هارون : وأخبرني يحيى بن زكريا : أنَّ أبا حمزة خطب بهذه الخطبة : رقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمون يا أهل المدينة ، أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرأ ولا بطراً ولا عبثاً ولا هواً . ولا لدولة مُلك نريد أن نخوض فيه ، ولا ثارٍ قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وغُت القائل بالحق ، وقُتِل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجَبنا داعي الله ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾¹ فأقبلنا من قبائل شتى ، النفرُ منا على بعير واحد ، عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون في الأرض ، فأوانا الله ، وأيدنا بنصره ، وأصبحنا ، والله ، بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحُكم القرآن ودَعَوْنَا إلى طاعة الشيطان ، وحُكم مروان ، وآل مروان ، شتان ، لعمري الله ، ما بين الغي والرشد ، ثم أقبلوا يُهرعون ، ويَرِفُونَ ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ، وغَلَّتْ بدمائهم مراجله ، وصَدَقَ عليهم ظنه ، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائب بكل مهتد ذي روثق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبتلون . وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يُسْحِتْكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة : إن أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة ، الناسُ منا ونحن منهم إلا مشركاً عابداً وثن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهل المدينة ، من زعم أن الله تعالى كلَّفَ نفساً فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يُوتها فهو لله عدو ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في

كتابه على القوي للضعيف فجاء التاسع ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه مكابراً مُحارباً لربه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟ يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ، قلتُم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحابُ رسول الله ﷺ ، إلا شباباً أحداثاً ! شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسهم بموت غداً بأنفس لا تموت أبداً ، قد خلطوا كلامهم بكلامهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، مُنحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلّموا مرّوا بآية خوفٍ شهقوا خوفاً من النار ؛ وإذا مرّوا بآية شوقٍ شهقوا شوقاً إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد أنضيت ؛ وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوّقت ؛ وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة ؛ فطوبى لهم وحسن مآب ! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله ، وكم من يدٍ قد أئنت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راحياً وساجداً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله من تقصيرنا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب .

[مرتكب الكبيرة كافر]

قال هارون : وحديثي جدّي أبو علقمة ، قال : سمعت أبا حمزة على منبر النبي ﷺ يقول : «مَنْ زَنَى فهو كافر» ، وَمَنْ سَرَقَ فهو كافر ، وَمَنْ شَكَّ أَنَّهُ كافر فهو كافر : [من الكامل]

بَرَحَ الخفاءُ فَأَيْنَ ما بكَ يذهبُ

[خطبة له في أهل المدينة]

قال هارون : قال جدّي : كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة ، حتى استمال الناس ، وسمع بعضهم كلامه في قوله : مَنْ زَنَى فهو كافر ، قال هارون : قال جدّي : وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المدينة ؛ ما لي رأيتُ رسمَ الدّين فيكم عافياً ، وآثاره دارسة ! لا تقبلون عليه عِظَةً ، ولا تفقهون من أهله حُجَّةً ، قد بليت فيكم جدّته ، وانطمست عنكم سنّته ، ترون معروفه مُنكراً ، والمُنكر من غيره معروفاً ، إذا انكشفت لكم العبر ، وأوضحت لكم النُّذر ، عميت عنها أبصاركم ، وصمّت عنها أسماعكم ، ساهين في غمرة ، لاهين في غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر ، وتنقبض عن الحق إذا ذُكِر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل ، كلّموا وقعت عليها موعظة زادتها

عن الحق نُفُوراً ، يحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشدَّ قسوة من الحجارة ، أو لم تَلِنْ لكتاب الله الذي لو أنزلَ على جَبَلٍ لرأيتَه خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خَشْيَةِ الله ! يا أَهْلَ المَدِينَةِ ، ما تُغْنِي عَنْكُمْ صِحَّةُ أَيْدَانِكُمْ إِذَا سَقَمَتْ قُلُوبُكُمْ إِنَّ اللهَ قد جعل لكلِّ شيءٍ غَالِباً يُقَادُّ له ، ويطيعُ أمرَه ، وجعل القلوبَ غَالِبَةً على الأبدانِ ، فإذا مالت القلوبُ مَيْلاً كانت الأبدانُ لها تَبَعاً ، وإنَّ القلوبَ لا تَلِينُ لأهلِها إِلَّا بِصِحَّتِها ، ولا يَصَحِّحُها إِلَّا المَعْرِفَةُ باللهِ وقُوَّةُ النِّيَّةِ ، ونفاذُ البصيرة . ولو استشعرتُ تقوى الله قُلُوبُكُمْ لاستعملتُ بطاعة الله أَيْدَانَكُمْ . يا أَهْلَ المَدِينَةِ ، دارُكم دارُ الهِجْرَةِ ، ومَثْوَى رسولِ الله ﷺ ، لَمَّا نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قِوارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهَّمَتْ له ، فنقله إلى قوم ، لَعَمْرِي لم يكونوا أمثالكم ، مُتَوَازِرِينَ مع الحقِّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصبرون للضَّرَّاءِ رجاء ثوابِها ، فنصروا الله ، وجاهدوا في سبيله ، وآوَوْا رسولَ الله ﷺ ، ونصروه ، وأتبعوا النورَ الذي أنزلَ معه ، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصةً ، قال الله تعالى لهم ولأَمْثَلِهِمْ وَلَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ : ﴿وَمَنْ يُوَقِّعْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ﴾¹ وأنتم أبناءُهم ، ومَنْ بَقِيَ من خَلْفِهِمْ ، تَتْرَكُونَ أَنْ تَقْتَدُوا بِهِمْ ، أو تأخذُوا بِسِتِّهِمْ ، عُمِيَ القلوبُ ، صَمَّ الآذانُ ، اتَّبَعْتُمُ الهوى ، فأرداكم عن الهدى وأَسْهَأَكُمْ ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكُمْ فتزْدَجِرُوا ، ولا تعِظُكُمْ فتعْتَبِرُوا ، ولا تُوقِظُكُمْ فتَسْتَيْقِظُوا ، لبئس الخَلْفُ أنتم من قوم مَضَوْا قَبْلَكُمْ ، ما سِرْتُمْ بِسِيرَتِهِمْ ، ولا حَفِظْتُمْ وَصِيَّتَهُمْ ، ولا احتذيتُم مِثَالَهُمْ ، لو شَقَّتْ عَنْهُمْ قُبُورُهُمْ ، فَعَرِضَتْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُكُمْ لَعَجِبُوا كَيْفَ صُرِفَ الْعَذَابُ عَنْكُمْ . قال : ثم لَعَنَ أَقْوَاماً .

[خطبة أخرى]

قال هارون : وحَدَّثَنِي داود بن عبد الله بن أبي الكِرَامِ ، وأَخْرَجَ إِلَيَّ خُطَّابُ ابن فضالة النحويُّ بهذا الخبر : أَنَّ أبا حمزة بلغه أَنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ يَعْيِیُونَ أَصْحَابَهُ لِحِدَاثَةِ أَسْنَانِهِمْ ، وخَفَةَ أَحْلَامَهُمْ ، فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ ؛ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ؛ وَعَلِيهِ كِسَاءٌ غَلِيظٌ ؛ وَهُوَ مُتَنَكِّبٌ قَوْساً عَرَبِيَّةً فَحَمَدَ الله ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ وَآلِهِ ، ثم قال : يا أَهْلَ المَدِينَةِ ، قد بلغنني مقاتلتكم في أَصْحَابِي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وَقَلَّةِ عَقُولِكُمْ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكُمْ ، ويحكم ! إِنَّ رسولَ الله ﷺ أنزلَ عليه الكتابُ ، وَبَيَّنَّ لَهُ فِيهِ السُّنَنُ ، وشرع له فيه الشرائع ، وَبَيَّنَّ لَهُ فِيهِ ما

يأتي وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يحجم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، وقد أذى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة ، ثم قام من بعده أبو بكر ؛ فأخذ بسنته ، وقاتل أهل الردة ؛ وشمر في أمر الله ؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ؛ ثم ولي بعده عمر ، فأخذ بسنة صاحبيه ، وجند الأجناد ؛ ومصر الأمصار ؛ وجبى الفياء ؛ فقسّمه بين أهله ؛ وشمر عن ساقه ، وحسر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ؛ وفتح المدائن والحصون ؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ؛ ثم أحدث أحداثاً أبطل آخر منها أولاً ، واضطرب حبل الدين بعدها ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه ؛ حتى مضوا على ذلك ، ثم ولي علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ؛ ولم يرفع له مناراً ومضى ؛ ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقيّة من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسفك الدم الحرام ، وأخذ عباد الله خولاً ، ومال الله ذولاً ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً¹ ، وأحلّ الفرج الحرام ، وعمل بما يشتهي ؛ حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ، ثم ولي بعده ابنه يزيد ؛ يزيد الخمر ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القروء ، فخالف القرآن ، وأتبع الكهان ، ونادم القرد ، وعمل بما يشتهي حتى مضى على ذلك لعنه الله ، وفعل به وفعل ، ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله ﷺ وآله ، وابن لعينه ؛ فاسق في بطنه وفرجه ، فالعنوه والعنوا آباءه ثم تداولها بنو مروان بعده ؛ أهل بيت اللعنة ، طرداء رسول الله ﷺ وآله ، وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان ، فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، وأخذوا عباد الله عبيداً ، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر . فيا لها أمة ، ما أضعفها وأضعفها ! والحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ؛ قد نبذوه وراء ظهورهم ، لعنهم الله ؛ فالعنوهم كما يستحقون ؛ وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ؛ فبلغ ؛ ولم يكذ ؛ وعجز عن الذي أظهره ، حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر ، ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف

سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤنس رُشدُهُ ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾¹ فامرُ أمة محمدٍ في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، مأبونٌ في بطنه وفرجه ، يشربُ الحرام ، ويأكلُ الحرام ، ويلبسُ الحرام ، ويلبسُ بردتين قد جيكتا له ، وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حِلِّها وصُرِفَتْ في غير وجهها ، بعد أن صُرِفَتْ فيها الأبشار² ، وحُلِقَتْ فيها الأشعار ، واستحلَّ ما لم يحلُّ الله لعبده صالح ، ولا لنبيٍّ مرسل ، ثم يُجلسُ حَبَابَةً عَنْ يمينه ، وسَلَامَةً عَنْ شِمَالِهِ تَغْنِيَانِهِ بِمِزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وخالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سَوْرَتُهَا على عقله مزقَ حُلَّتِيهِ ، ثم التفت إليهما فقال : أَتَأْذَنَانِي لِي أَنْ أُطِيرَ؟ نَعَمْ ، فَطِيرُ إِلَى النَّارِ ، إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ وَنَارِهِ حَيْثُ لَا يَرُدُّكَ اللَّهُ .

ثم ذكر بني أُمَيَّةَ وأعمالهم وسيرهم فقال : أَصَابُوا إِمْرَةً ضَائِعَةً وَقَوْمًا طَغَامًا جُهَّالًا ، لَا يَقُومُونَ لِلَّهِ بِحَقٍّ ، وَلَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى ، وَيُرَوْنَ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَرَابٌ لَهُمْ ، فَمَلَكُوا الْأَمْرَ ، وَتَسَلَّطُوا فِيهِ تَسَلَّطَ رُبُوبِيَّةٍ ، بَطَشُهُمْ بِطَشِ الْجَبَابِرَةِ ، يَحْكُمُونَ بِالْهَوَى ، وَيَقْتُلُونَ عَلَى الْغَضَبِ ، وَيَأْخُذُونَ بِالظَّنِّ ، وَيُعْطِلُونَ الْحُدُودَ بِالشَّفَاعَاتِ ، وَيُؤْمِنُونَ الْخَوْنَهُ وَيُقْصُونَ ذَوِي الْأَمَانَةِ ، وَيَأْخُذُونَ الصَّدَقَةَ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا عَلَى غَيْرِ فَرَضِهَا ، وَيَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، فَتِلْكَ الْفَرْقَةُ الْحَاكِمَةُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، فَالْعَنُوهُمْ ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ !

وَأَمَّا إِخْوَانُنَا مِنْ هَذِهِ الشَّيْعَةِ فَلَيْسُوا بِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ ، لَكِنْ سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾³ شَيْعَةُ ظَاهَرَتْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَعْلَنْتِ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى نَظَرِ نَافِذٍ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا عَقْلٍ بَالِغٍ فِي الْفِقْهِ ، وَلَا تَفْتِيْشٍ عَنْ حَقِيقَةِ الصَّوَابِ ، قَدْ قَلَّدُوا أَمْرَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَجَعَلُوا دِينَهُمْ عَصِيَّةَ لِحِزْبٍ لَزَمُوهُ ، وَأَطَاعُوهُ فِي جَمِيعِ مَا يَقُولُهُ لَهُمْ ، غَيًّا كَانَ أَوْ رُشْدًا ، أَوْ صَلَاحًا أَوْ هُدًى ، يَنْتَظِرُونَ الدَّوْلَ فِي رَجْعَةِ الْمَوْتَى ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ قَبْلَ السَّاعَةِ ، وَيَدْعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ

1 سورة النساء ، الآية : 6 .

2 الأبشار : الجلود .

3 سورة الحجرات ، الآية : 13 .

لمخلوق ، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، ينقمون المعاصي على أهلها ، ويُعلمون إذا ظهرُوا بها ، ولا يعرفون المخرجَ منها ، جُفأة في الدين ، قليلة عقولُهم ، قد قلدوا أهل بيتٍ من العرب دينهم ، وزعموا أنَّ مواليتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنى يُؤفكون﴾¹ فأَيُّ هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون ؟ أو بأيِّ مذاهبهم تَقْتَدون ؟ وقد بلغني مقاتلكم في أصحابي ، وما عبتُموه من حَدائث أسنانهم ، وبحكم ! وهل كان أصحابُ رسول الله ، ﷺ وآله ، المذكورون في الخير إلاَّ أحداثاً شَبَاباً . شَبَابٌ والله مكهَلون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجلُهُمْ ، أنضاء عبادَة قد² نظر الله إليهم في جَوْف الليل مُنَحْنِيَةً أَصْلَابُهُمْ على أجزاء القرآن ، كلِّما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الجنة بكى شَوْقاً ، وكلِّما مرَّ بآية من ذكر النار شهِقَ خوفاً ، كأنَّ زفيرَ جهنَّمَ بين أذنيه ، قد أَكَلَتِ الأرضُ جباههم ورُكَبهم ، ووصلوا كلالَ الليل بكلال النّهار مصفرةً ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام ، أنضاء عبادَة ، مُوقِفون بعهد الله ، مُنتَجِرُونَ لوعد الله ، وقد شَرَوْا أنفسهم ، حتى إذا التقت الكتيتان وأبرقت سيوفُها وفُوقَتْ³ سهامُها ، وأُشْرِعَتْ رماحُها لقوا شَبَا الأُسْتَةِ ، وشائك السهام ، وطَبَاقَ السيوفِ بُنَحورهم ووجوههم وصُدُورهم ، فمضى الشَّابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُقْ فرسه ، واختضبت محاسنُ وجهه بالدماء ، وغُفِرَ جبينُه بالثرى ، وانحطَّتْ عليه الطير من السماء ، وتمزقته سباعُ الأرض ، فكم من عين في مِنقار طائر ، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْفِ الليل من خوف الله ! وكم من وجهٍ رقيق وجَبِين عتيق قد فُلِقَ بِعَمَد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الإخوان ! رحمةُ الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحَهم الجنان .

[مروان يغزوهم]

قال هارون : بلغني أَنَّهُ بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُدَلِي ، وإنسان سُرَاقِي وبشكسْتُ الذي كان معلِّمَ النحو ، ثم خرج ، وخَلَّفَ بالمدينة بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي ، وكان مروان قد بعثَ ابنَ عطية .

1 سورة التوبة ، الآية : 30 .

2 بهم نخافة وهزال من العبادة ، والنضو في الأصل : البعير المهزول .

3 الفوق : موضع السهم من الوتر .

قال هارون : حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الزُّهْرِيُّ أَنَّ مِرْوَانَ انْتَخَبَ مِنْ عَسْكَرِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَ عَطِيَّةَ ، فَأَمَرَهُ بِالْجَدِّ فِي السَّيْرِ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَفَرَساً عَرَبِيّاً ، وَبَغْلاً لِثَقْلِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْضِيَ ، فَيَقَاتِلَهُمْ .
[يتفأء بغلام]

وقال المدائني : بعث عبد الملك بن عطية السعدي ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف ، معه فرسان من أهل الشام ووجوهم ، منهم شعيب البارق ، ورومي بن ماعز المري ، وقيل : بل هو كلابي ، وفيهم ألف من أهل الجزيرة ، وشرطوا على مروان أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : فخرج ؛ حتى إذا نزل بالمعلّى . فكان رجل من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول : لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية ؛ فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابن من ؟ فقلت : ابن أفلح ، قال : أعربي أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى من . قلت : مولى أبي الغيث ، قال : فأين نحن ؟ قلت : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : بغالب ، قال : فما كلمني ، حتى أردفني خلفه ، ثم مضى بي ، حتى أدخلني على ابن عطية ، فقال : سل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القول الذي قلت ، فسر بذلك ؛ ووهب لي دراهم .

[أبو صخر الذهلي يستبشر بابن عطية]

وقال أبو صخر الذهلي حين بلغه قدوم ابن عطية : [من الرجز]

قُلْ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَا تَعْجَلُوا	أَتَاكُمْ النُّصْرُ وَجَيْشٌ جَحْفَلُ
عَشْرُونَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُسَرَّبِلٌ	يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ الْقَوَى مُسْتَبِيلُ
دُونَكُمْ ذَا يَمَنِ فَأَقْبِلُوا	وَوَاجَهُوا الْقَوْمَ وَلَا تَسْتَخْجِلُوا
عَبْدُ الْمَلِكِ الْقَلْبِيُّ الْحَوْلُ	أَقْسَمَ لَا يُفْلَى وَلَا يُرَجَّلُ
حَتَّى يَبِيدَ الْأَعْوُرُ الْمُضَلَّلُ	وَيَقْتَلَ الصَّبَّاحُ وَالْمُفْضَلُ

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم .

[ابن عطية يتنصر على بلج]

قال المدائني عن رجاله : وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن

عطية ، فلقية بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ، ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة ، وذكر بني أمية وظلمهم ، فستهم أهل الشام ، وقالوا : أتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقتلتم ، فحمل عليهم بلج وأصحابه ، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطية في عصبية صبروا معه ، ونادى يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكروا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل بلج وأكثر أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به ، فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابن عطية رأس بلج على رُحْم ، قال : واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما فررنا من الزحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأننا لكم فئة وإليّ انصرفتم .

[أهل المدينة ينقضون على الخوارج]

قال المدائني : وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف رجلاً يقال له : المفضل عليها ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم ، فلم يجد كبير أمر ؛ لأنّ القتل قد كان شاع في الناس ، وخرج وجوه أهل البلد عنه ؛ فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشراة ؛ فقتل المفضل وعامة أصحابه ؛ وهرب الباقيون ؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد ؛ فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي :

ليت مروان رآنا يوم الاثنين عشيّة
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفيّة

قال : فلما قدم ابن عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك الله ! إنني جمعت قضّي وقضيي¹ ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا من امتنع من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقيين ، فلقية أهل المدينة بقضّهم وقضيّهم .

[مصرع أبي حمزة وزوجته]

قال : وأقام ابن عطية بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكة ؛ ثم توجه إليه فقال له علي بن

1 مثل : يقال إذا جاء القوم كلهم «جاءوا قضهم بقضيّهم» ، فصل المقال 198 .

حُصَيْنَ العَنْبَرِيَّ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَشْرْتُ عَلَيْكَ يَوْمَ قُدَيْدٍ وَقَبْلَهُ أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى كُلَّهُمْ ، فلم تفعل ، وعَرَفْتُكَ أَنَّهُمْ سَيَغْدِرُونَ فلم تقبل ؛ حتى قَتَلُوا الْمُفَضَّلَ وَأَصْحَابَنَا الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ ؛ وَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَنْ تَضَعَ السَّيْفَ فِي هَؤُلَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ كَفَرَةُ فَجْرَةٍ ؛ وَلَوْ قَدِمَ عَلَيْكَ ابْنُ عَطِيَّةٍ لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَقَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ ؛ وَأَقْرَأُوا بِالْحُكْمِ ؛ وَوَجِبَ لَهُمْ حَقُّ الْوَلَايَةِ ؛ قَالَ : إِنَّهُمْ سَيَغْدِرُونَ ؛ فَقَالَ : أَبْعِدْهُمْ اللَّهُ ، ﴿فَمَنْ نَكْتًا فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾¹ . قَالَ : وَقَدِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَطِيَّةٍ مَكَّةَ ، فَصَبَّرَ أَصْحَابَهُ فِرْقَتَيْنِ ، وَلَقِيَ الْخَوَارِجَ مِنْ وَجْهَيْنِ ؛ فَصَبَّرَ طَائِفَةً بِالْأَبْطَحِ ؛ وَصَارَ هُوَ فِي الطَّائِفَةِ الْآخَرَى بِإِزَاءِ أَبِي حَمْزَةَ ؛ فَصَارَ أَبُو حَمْزَةَ أَسْفَلَ مَكَّةَ ؛ وَصَبَّرَ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ بِالْأَبْطَحِ فِي ثَمَانِينَ فَارِسًا ، فَقَاتَلَهُمْ أَبْرَهَةُ : فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَقَبَةِ مِثْنَى ؛ فَوَقَفُوا عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ كَرُّوا ؛ وَقَاتَلَهُمْ ؛ فَقُتِلَ أَبْرَهَةُ : كَمَنْ لَهُ هَبَّارُ الْقُرَشِيِّ ؛ وَهُوَ عَلَى خَيْلٍ دَمَشَقَ عِنْدَ بئرِ مَيْمُونٍ ؛ فَقَتَلَهُ ؛ وَتَفَرَّقَ الْخَوَارِجُ ؛ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ يَقْتُلُونَهُمْ ؛ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وَالتَقَى أَبُو حَمْزَةَ وَابْنُ عَطِيَّةٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ فَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ مَعَ ابْنِ عَطِيَّةٍ ؛ فَقُتِلَ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى فَمِّ الشَّعْبِ وَقُتِلَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ ؛ وَهِيَ تَرْتَجِزُ وَتَقُولُ :

أَنَا الْجُعَيْدَاءُ وَبَنْتُ الْأَعْلَمَ مِنْ سَالٍ عَنْ إِسْمِي فِإِسْمِي مَرِيَمُ
بَعْتُ سَوَارِيَّ بِسَيْفٍ مِخْذَمٌ²

[صَلَبَ أَبِي حَمْزَةَ وَأَبْرَهَةَ]

قَالَ : وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ فَأَسْرَ أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ ؛ فَدَعَا بِهِمْ ابْنُ عَطِيَّةٍ ؛ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! مَا دَعَاكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ هَذَا ؟ قَالُوا : ضَمِنَ لَنَا الْكُتَّةُ : يَرِيدُونَ الْجَنَّةَ ، وَهِيَ لَغْتُهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَصَلَبَ أَبَا حَمْزَةَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ عَلَى فَمِّ الشَّعْبِ : شَيْعِبَ الْخَيْفِ ، وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحَصِينِ دَارًا مِنْ دُورِ قَرِيشٍ ، فَأَحْدَقَ أَهْلُ الشَّامِ بِالْأَدَارِ فَأَحْرَقُوهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ ، فَقَاتَلَهُمْ وَأَسِيرَ فَقُتِلَ ، وَصُلِبَ مَعَ أَبِي حَمْزَةَ ، وَلَمْ يَزَالُوا مُصَلَّبَيْنِ حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَحُجَّ مَهْلَهْلُ الْهَجِيمِيِّ فِي خِلَافَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَنْزَلَ أَبَا حَمْزَةَ لَيْلًا ، وَدَفَنَهُ ، وَدَفَنَ خَشْبَتَهُ .

1 سورة الفتح ، الآية : 10 .

2 مخذم : قاطع .

[مصرع مخنثين]

قال المدائني: وكان بمكة مُحَنَّثَان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صقرة ، فكان صقرة يرجف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجف بالإباضية ، فعرف الخوارج أمرهما ، فوجهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنما كنت أنا وسبكت نتكايد ونتكاذب ، فقتلوه ، وغداً يجيء أهل الشام ، فيقتلونني ، فلما دخل ابن عطية مكة عرف خبرهما ، فأخذ صقرة ، فقتله .

[مذهب ابن عطية]

وقال هارون في خبره : أخبرني عبد الملك بن الماجشون ، قال : لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فصاح ابن عطية : نضعه في جرف الجوالق¹ ، قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ؛ ونفجر بأمته ، [ثم أجاب] في أشياء بلغني أنه سألها عنها ؛ فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم ؛ حتى أمسوا ؛ فصاحت الشراة : ويحك ، يا ابن عطية ! إن الله ، جل وعز ، قد جعل الليل سكناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتلهم ؛ حتى قتلهم جميعاً .

[أهل المدينة يجهزون على من بقي منهم]

قال هارون : أخبرني موسى بن كثير أن أبا حمزة خطب أهل المدينة ؛ وودعهم ؛ ليخرج إلى الحرب ؛ فقال : يا أهل المدينة ؛ إنا خارجون لحرب مروان ؛ فإن نظهر نعدل في أحكامكم ؛ ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم بينكم ، وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ، قال : ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله ، فقتلوهم ، فكان بشكست ممن قتلوا ، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلونني ؟

قال : وأنشدني بعض أصحابنا :

[من المتقارب]

لقد كان بشكستُ عبد العزيز من أهل القراءة والمسجدِ
فبعداً لبشكستِ عبد العزيز وأما القرآنُ فلا يبعدِ

[القتل للشاري والشاري معاً]

قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل : ويلك ! أتدري من ترمي مع اختلاط الناس ؟ قال : والله ما أبالي من رميت ؟ إنما هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أبالي أيهما قتلت !
[مصرع طالب الحق]

وقال المدائني : لما قتلَ ابنُ عطيةَ أبا حمزة بعث برأسه مع عروة بن زيد بن عطية إلى مروان ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي ؛ واستعمل على مكة روميَّ بنَ عامر المري . وأتى فلُ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابه . وقد لقبوه طالبَ الحق ، يريد قتالَ ابنِ عطية ، وبلغ ابنَ عطية خبره ، فشخصَ إليه ، فالتقوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالهم ، وتشاغلو بالنهب ، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتل منهم نحو مائة رجل ، وقتل قائدًا من قوادهم يقال له : يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين ، فذمرهم¹ ابن عطية ، فكروا ، وانضمَّ بعضهم إلى بعض . وقاتلوا حتى أمسوا ، فكفَّ بعضهم عن بعض ، ثم التقوا من غد في موضع كثيرِ الشجر والكرم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرقَ القتلى في الشراة ، فترجلَ عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قُتلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فنفروا في كلِّ وجه . ولحقَ من نجا منهم بصنعاء ؛ وولوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهذلي :

[من الطويل]

قتلنا دُعيساً والذي يكتني الكُنى أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليمانيا
وأبرهةَ الكِنديَّ خاضتُ رماحنا وبلغاً صبحناه الحُتوفَ القواضيا
وما تركتُ أسيفنا منذ جُرُدتُ لمروانَ جبَّاراً على الأرض عاديا

[مطولة في رثاء الشراة]

قال المدائني : وبعثَ عبدُ الملك بن عطيةَ رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان . وقال عمرو بن الحصين ، ويقال : الحسن العنبري ، مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة . وهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار : [من الكامل]

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ
 أَنْ أَبْصُرَتْ عَيْنِي مَدَامَعَهَا
 أَنْتَى اعْتِرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا
 أَقْدَى بَعِينِكَ مَا يُفَارِقُهَا
 أَمْ ذِكْرُ أَخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ
 فَأَجَبْتُهَا بَلْ ذَكَرُ مُصْرَعِهِمْ
 يَا رَبُّ أَسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ
 فِي فِتْنَةٍ صَبَرُوا نَفُوسَهُمْ
 تَاللَّهِ أَلْقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ
 أَوْفَى بِذِمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا
 مَتَاهِلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ
 صُمْتُ إِذَا احْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ
 إِلَّا تَجِيهِهُمْ فَإِنَّهُمْ
 مَتَأَوُّونَ كَأَنَّ جَمْرَ غَضَا
 تَلْقَاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ
 فَهْمٌ كَأَنَّ بِهِمْ جَوَى مَرَضٍ
 لَا لَيْلُهُمْ لَيْلٌ فَيَلْبَسُهُمْ
 إِلَّا كَذَا خُلْسًا وَأَوْنَةً
 كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فُجِعَتْ بِهِ
 مَتَأَوُّهُ يَتَلَوُّ قَوَارِعَ مِنْ
 نَصِيبِ تَجِيْشٍ بِنَاتٍ مُهْجَتِهِ
 ظِمَانٌ وَقْدَةٌ كُلُّ هَاجِرَةٍ

هَنْدٌ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
 يَنْهَلُ وَاكِفُهَا عَلَى النَّحْرِ
 سَرَبَ الدَّمُوعِ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ
 أَمْ عَائِرٌ أَمْ مَا لَهَا تُذَرِّي¹
 سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ عَلَى خُبْرٍ
 لَا غَيْرُهُ عِبْرَاتُهَا تَمْرِي
 ذَا الْعَرْشِ وَاشْتَدُّ بِالتُّقَى أَزْرِي
 لِلْمُشْرِفِيَةِ وَالْقَنَا السُّمْرِ
 حَتَّى أَكُونَ رَهِينَةَ الْقَبْرِ
 وَأَعِيفَ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 نَاهِينَ مَنْ لَاقَوْا عَنِ النُّكْرِ
 وَزُنَ لِقَوْلِ خَطِيْبِهِمْ وَفَرٍ
 رُجُفَ الْقُلُوبِ بِحَضْرَةِ الذُّكْرِ
 لِلْخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي
 لَخْشُوعِهِمْ صَدَرُوا عَنِ الْحَشْرِ
 أَوْ مَسَّهُمْ طَرْفٌ مِنَ السَّحْرِ
 فِيهِ غَوَاشِي النُّومِ بِالسُّكْرِ
 حَذَرَ الْعِقَابِ وَهُمْ عَلَى ذُعْرِ
 قَوَامٍ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
 آيَ الْقُرْآنِ مَفْزَعُ الصَّدْرِ
 بِالمَوْتِ جَيْشُ مُشَاشَةِ الْقَدْرِ²
 تَرَكَ لَذَّتِهِ عَلَى قَدْرِ

1 عائر: ما أعل العين كالعوار .

2 مشاشة القدر: العظم المش في أطراف المفاصل .

تَرَكَ ما تهوى النفوسُ إذا رُغِبُ النفوسِ دَعَتْ إلى النَّذْرِ
 ومبرأً من كلِّ سَيِّئَةٍ عَفَّ الهوى ذي مِرَّةٍ شَرِّ¹
 والمصطلي بالحربِ يسعُها بغارها وبفتيةٍ سَعَرِ
 يجتاحها بأفلٍ ذي شُطْبٍ غضبِ المضاربِ قاطعِ البَتْرِ²
 لا شيءٌ يلقاه أسراً له من طعنةٍ في ثَغْرَةِ النَّحْرِ
 نجلاء مُنْهَرَةٍ تَجِيشُ بما كانت عواصي جَوْفِهِ تَجْرِي
 كخيلِكَ المختارِ أَذْكَ به من مقتدٍ في الله أو مُشْرِ
 خواص غمرة كلِّ مَتَلَفَةٍ في الله تحت العِثْرِ الكُذْرِ³
 تَرَكَ ذي النَّخَوَاتِ مُخْتَضِياً بنجيعه بالطَّعْنَةِ الشَّرِّ
 وابنِ الحصينِ وهل له شَبَّةٌ في العرفِ أَنَّى كان والنُّكْرِ
 بسامةٍ لم تُحْنِ أَضْلَعُهُ لذوي أُخُوَّتِهِ على غِمْرِ
 طلق اللسانِ بكلِّ مُحْكَمَةٍ رَأْبُ صَدْعِ الْعَظَمِ ذي الْوَقْرِ
 لم يَنْفِكَكَ في جوفِهِ حَزَنٌ تغلي حرارته وتَسْتَشْرِ
 ترقى وآونةٌ يُخَفِّضُهَا بَتْنَفْسِ الصَّعْدَاءِ وَالزَّفْرِ
 ومُخَالَطِي بَلَجٍ وَخَالِصَتِي سُمُّ الْعَدُوِّ وَجَابِرِ الْكَسْرِ
 نِكَلُ الْخَصُومِ إِذَا هُمْ شَغِبُوا وسِدَادِ ثَلَمَةِ عَوْرَةِ الثَّغْرِ
 والخائضُ الغمراتِ يَخْطِرُ في وسطِ الْأَعَادِي أَيْمًا خَطَرِ
 بِمَشْطَبٍ أو غيرِ ذي شُطْبٍ هَامَ الْعِدَا بِذُبَابِهِ يَفْرِي
 وَأَخِيكَ أَبْرَهَةَ الْهَجَانِ أَخِي الـ حَرْبِ الْعَوَانِ مُلْقِحِ الْجَمْرِ
 بِمُرْشَةٍ فَرْعٍ تَنْجُ دَمًا نَجَّ الْغَوِيَّ سُلَافَةَ الْخَمْرِ
 والمضاربِ الْأَخْذُودِ ليس لها حَدٌّ يَنْهِنُهَا عَنِ السَّحْرِ

1 الشَّرِّ : من القتل وتعني القوة والشدة .

2 العضب : القاطع .

3 العثر : الغبار .

ووليَّ حكمهم فجِعتُ به
قَوَّالٌ مُحْكَمٌ وذِي فَهَمٍ
ومسيَّبٍ فاذا كُرَّ وصيَّته
فكلاهُما قد كان مُحْتَسِباً
في مُخْبِتِينَ ولم أَسْمَهُمْ
وهمُ مَساعِرُ في الوَغَى رُجُحٌ
حتى وَفَوْا لَهِ حيث لَقُوا
فتخالَسوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ
وَأَسْنَةً أُثْبِتَنَ فِي لُدُنٍ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وفوقَهُمْ خِرْقٌ
فتفرَّجَتْ عَنْهُمْ كَأَنَّهُمْ
فشعارُهُمْ زيرانُ حَرْبِهِمْ
صرعى فَحَاجِلَةٌ تنوشُهُمْ

عمرو فَوَاكِيدِي على عَمْرٍو
عَفَّ الهوى مُتَثَبِّتِ الأَمْرِ
لا تَنْسَ إِذَا كُنْتَ ذَا ذُكْرِ
لِلَّهِ ذَا تَقْوَى وَذَا بِرٍ
كانوا يَدِي وَهُمْ أُولُو نَصْرِي
وخيَّارٌ مَنْ يَمْشِي على العَقْرِ¹
بعهودٍ لا كَذِبٍ ولا غَدْرِ
وعُدَاتِهِمْ بقواضِبِ بُشْرِ
خَطِيئَةً بِأَكْفِهِمْ زَهْرٍ
يُخْفِقْنَ مِنْ سُودٍ وَمِنْ حُمْرٍ
لم يُغْمِضُوا عَيْناً على وَثْرِ
ما بينَ أَعْلَى الشَّخْرِ فَالْحِجْرِ²
وخواصِّ لُحْمَانِهِمْ تَفْرِي³

[ابن عطية يتوجّه إلى صنعاء]

قال المدائني : وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتل من بها من الخوارج ، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة ، وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية ، وتوجّه إلى صنعاء ، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم ، وكذلك كان مروان شرط لهم ، فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها ، فأخذ أهل صنعاء أثقاله وحملين من مال كان معه ، فسلكوا ذلك إلى ابن عطية ، وتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى في كل موضع يقتلهم ، وأقام بصنعاء شهراً ، ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع ، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند ، فبعث إليه ابن عطية بن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، فلقيه بالحرب ، فهزمه ، وقتل عامة أصحابه ،

1 العفر : التراب .

2 الحجر : بلد بأعلى المدينة .

3 فحاجلة : جمع فحجل وهو الأفحج . خواص : ضباغ جمع خامعة .

وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى بن كَرْب الحميري بساحل البحر ، وانضمت إليه شذاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِندي في الوضاحية ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرَمَوْت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبد الله بن معبد الجرْمي ، فصار في جيش كثير ، واستفحل أمره ، وبلغ ابن عطية الخبر ، فاستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبد الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلُّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة . وأتاهم ابن عطية ، فقاتلهم يومه كله ، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حذرَ عسكريه في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً . ثم أصبح ، فقاتلهم حتى انتصف النهار . ثم تحاجزوا ، فلما أمسوا ، تبع عسكريه . وأصبح الخوارج ، فلم يروا للقوم أثراً . فاتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن ، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه ، ونصب ابن عطية عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادَّة والميرة ، وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال .

[مصرع ابن عطية]

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجُّل إلى مكَّة ، ليحجَّ بالنَّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يردَّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولي عليهم من يختارون ، وسألموه ، فرضي بذلك ، وسألمهم وشخص إلى مكَّة متعجِّلاً مخفياً . ولما نفذ كتابُ مروان نديمَ بعد ذلك بأيَّام ، وقال : إنا لله ! قتلنا والله ابنَ عطية ؛ هو الآن يخرج مخفياً متعجِّلاً ، ليلحق الحجَّ ، فيقتله الخوارجُ . فكان كما قال : تعجَّل في بضعة عشر رجلاً ، فلما كان بأرض مُراد تلفَّت عليه جماعةٌ ، فمن كان من تلك الجماعة إباضياً عرفه ، فقال : ما تنتظر بهذا أن ندرك ثارَ إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضياً ظنَّه من الإباضية ، وأنه منهزم ، فلما علم أنَّهم يريدونه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجِّ ، فلم يلتفتوا إلى ذلك . وقتلوه ، ونصبت الإباضية رأسه ، فلما فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحجِّ ، فأخذوا من الإباضية رأسه ، ودفنوه مع جسده .

قال المدائني : خرج إليه جُمُانة وسعيد ابنا الأحنس ، في جماعةٍ من قومهما من كِنْدَة ، وعرفه جُمُانة لما لقيَه ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان ، يقال له : رُمَّانة .

وثلاثة من مُراد ، وخمسة من كِنْدَة ، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه . وتوجّه باقيهم في طريق آخر ، فقصدوا حيث توجّه ابن عطية ، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم ، فأدركوهم فقتلوهم ، وأدرك سعيدٌ وجُمّانة وأصحابُهما ابنَ عطية ، فعطف عبد الملك على سعيد ، فضربه وطعنه جُمّانة ، فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد ، فقعد على صدره ، فقال له ابنُ عطية : هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال : يا عدوّ الله ، أترى الله كان يمهلك ؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقِّ وأبا حمزة وبلجاً وأبرهة ! فقتله وقتل أصحابه جميعاً . وبعثوا برأسه إلى حضرموت ، وبلغ ابنُ أخيه ، وهو بصنعاء ، خبره . فأرسل شُعبياً البارقيّ في الخيل . فقتل الرجال والصبيان . وبقر بطون النساء ، وأخذ الأموال ، وأخرب القرى ، وجعل يتبع البريء والنّطف¹ . حتى لم يبقَ أحدٌ من قتلة ابن عطية ولا من الإباضية إلّا قتله ، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمر إلى بني هاشم ، وقام بالأمر أبو العباس السفّاح .

* * * *

الفهرس

- [497] - أخبار صخر الغيّ ونسبه 5
- [498] - نسب عمرو ذي الكلب وأخباره 9
- [499] - خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر 12
- [500] - أخبار نُصَيْب الأصغر 16
- [501] - أخبار أبي شراة ونسبه 33
- [502] - أخبار ابن البوّاب 46
- [503] - أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه 52
- [504] - أخبار أبي حشيشة 76
- [505] - أخبار عنان 84
- [506] - أخبار الحسن بن وهب 92
- [507] - أخبار أحمد بن يوسف 111
- [508] - أخبار العطوي 115
- [509] - أخبار مرّة ونسبه 120
- [510] - أخبار علي بن أميّة 123
- [511] - أخبار عمر الميداني 128
- [512] - أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب 130
- [513] - أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه 139
- [514] - أخبار تويت ونسبه 150
- [515] - أخبار محمد بن الحارث 155

- [516] - أخبار ماني الموسوس 159
- [517] - أخبار بكر بن خارجة 165
- [518] - أخبار إسماعيل القراطيسي 168
- [519] - أخبار أبي العبر ونسبه 170
- [520] - أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر 177
- [521] - أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه 185
- [522] - خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله 191

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ ‘ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān ‘Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa‘āfīn and Bakr ‘Abbās

Vol. 23

DAR SADER
Beirut



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

تَسْبِيح

الدكتور احمد بن عبد الله
الدكتور احمد بن عبد الله

کتاب
بیروت

کتابُ الْإِعْزَازِ

24

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع والعشرون

دار طائر

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

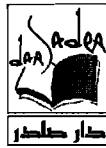
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AḤḤĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[523] - خبر عبد الله بن أبي العلاء

عبدُ اللهِ بنُ أبي العلاء ، رجلٌ من أهلِ سُرَّ مَنْ رَأَى . وكان يأخذُ عن إِسحاقَ وطبقته قَبْرَع ، وله صنعةٌ يَسِيرَةٌ جَيِّدَةٌ .

[حسن الوجه والزِّي]

وابنهُ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي العلاء ، أحدُ المُحْسِنِينَ المُتَقَدِّمِينَ ، أخذَ عن مُخَارِقٍ وَعُلُوِيَّه وطَبَقَتَيْهِمَا . وعُمِّرَ إلى آخِرِ أَيَّامِ المَعْتَصِدِ . وكانت فيه عُرْبَةٌ .

وكان عبدُ اللهِ بنُ أبي العلاء حَسَنَ الوجهِ والزِّي ، ظريفاً شَكِلاً .

حدَّثني ذَكَاءُ وجهُ الرُّزَّةِ قال : قال لي ابنُ المَكِّي المُرْتَجِلُ : كان يُقَوِّمُ دابةَ عبدِ اللهِ بنِ أبي العلاء وثيابه إذا ركب ألفَ دينارٍ .

[يعتذر عن البقاء عند إِسحاق]

قال : وقال لي ابنُ المَكِّي : حدَّثني أبي ، قال : نظرَ أحمدُ بنُ يُوْسُفَ الكاتبُ إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي العلاء عند إِسحاق ، وهو يُطَارِحُهُ ، فأقامَ عند إِسحاق ، وسأله احتباسَ عبدِ اللهِ عنده ، فأمره بذلك ، فاعتلَّ عليه . وقال : أريدُ أن أَشِيعَ غازياً يَخْرُجُ من جيراننا ، فقال له أحمدُ بنُ يُوْسُفَ :

[من الكامل]

لا تَخْرُجَنَّ مع الغَزَاةِ مُشِيعاً إِنَّ الغَزِيَّ يَراكَ أَفْضَلَ مَغْمَرٍ
وَدَعَ الحَجِيجَ ولا تُشِيعَ وَفَدَهُمُ أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الحَجِيجِ المَحْرَمِ
ما أَنْتَ إِلَّا غَادَةٌ مَمْكُورَةٌ لولا شَوَارِبُكَ المُحِيطَةُ بالقَمَرِ

وقد رُوِيَ أَنَّ هذا الشعرَ لسعيدِ بنِ حُمَيْدٍ¹ في عبدِ اللهِ بنِ أبي العلاء . وهو الصَّحِيحُ .
فأقسمَ عليه إِسحاقُ أن يُقِيمَ ، فأقامَ .

وقال لي جعفرُ بنُ قَدَامَةَ ، وقد تجاذبنا هذا الخبرَ : حدَّثني حمَّادُ بنُ إِسحاقَ ، عن أبيه : أَنَّ العِشْرَةَ اتَّصَلَتْ بَيْنَ عبدِ اللهِ وَبَيْنَ أحمدَ بنِ يُوْسُفَ ، وَتَعَشَّقَهُ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ جُمْلَةً مِنَ المَالِ ، حَتَّى اشْتَهَرَ بِهِ ، فَعَاتَبَهُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ المَلِكِ الزِّيَّاتِ ، في ذلك ، فقال له :

[من السريع]

1 تقدمت هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة سعيد بن وهب منسوبة إليه في الجزء 20 : 215 .

لا تعذِّلني يا أبا جَعْفَرٍ عَذْلُ الْأَخِلَاءِ مِنَ اللُّومِ
إِنَّ اسْتَهْ مُشْرِبَةً حُمْرَةً كَانَتْهَا وَجَنَةُ مَكْظُومِ

وقد قيل : إِنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِأَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ فِي مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

[أبوه سقاء]

وَكَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ قَدْ أَوْلَعَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ ، يَهْجُوهُ وَيَذْكُرُ أَنَّ أَبَاهُ أَبَا الْعَلَاءِ هُوَ
سَالِمُ السَّقَاءِ ، وَفِيهِ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ :

[من الخفيف]

كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أُنَيْقٍ جَمِيلِ فَاتَانَا ابْنُ سَالِمٍ مُخْتَلَا
فَتَغْنَى صَوْتاً فَأَخْطَأَ فِيهِ وَابْتَدَأَ ثَانِياً فَكَانَ مَحَالَا
وَابْتَغَى خِلْعَةً عَلَى ذَاكَ مِنَّا فَخَلَعْنَا عَلَى قَفَاهُ النَّعَالَا

وفيه يقول هذا الشاعرُ ، أَنشدناه ابْنُ عَمَّارٍ وَغَيْرُهُ :

[من الوافر]

إِذَا ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ أَقِيمَ عَنَّا فَاهْلًا بِالْمَجَالِسِ وَالرَّحِيقِ
قَفَاهُ عَلَى أَكْفِ الشَّرْبِ وَقَفَّ وَجِلْدُهُ وَجْهَهُ مِيدَانُ رَيْقِ

صوت

[من المتقارب]

أَفَاطِمَ حَيَّيْتُ بِالْأَسْعَدِ مَتَى عَهْدُنَا بَلْ لَا تَبْعُدِي
تَبَارَكَ ذُو الْعَرْشِ ، مَاذَا نَرَى مِنْ الْحُسْنِ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ
فَإِنْ شِئْتَ آلَيْتُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالرُّكْنِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
أَنْتَ مَا دَامَ عَقْلِي مَعِي أُمْدُ بِهِ أُمْدُ السَّرْمَدِ

الشعر لأُمِّةَ بْنِ أَبِي عَائِذٍ¹ . والغناء لحَكَمِ الْوَادِي ، هَزَجٌ خَفِيفٌ ، بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي
مَجْرَى الْوُسْطَى ، عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه لِلأَبَجَرِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى ، عَنْ عَمْرِو . وقال ابْنُ
الْمَكِّي² : فِيهِ هَزَجٌ ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ لِعَمْرِ الْوَادِي . وفيه لِفُلَيْحٍ لَحْنٌ مِنْ رِوَايَةِ بَذَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ
طَرِيقَتَهُ .

1 شرح أشعار الهذليين : 493 ، وفيه في البيت الأخير : «نسيك» .

2 ل : ابن الكلبي

[524] - نسب أمية بن أبي عائد وأخباره¹

أمية بن أبي عائد العمرى ، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .
شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية . وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في سائر النسخ .
[مدح لبني مروان]

وكان أمية أحد مداحي بني مروان ؛ وله في عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان قصائد مشهورة .

فذكر ابن الأعرابي وأبو عبيدة جميعاً : أنه وفد إلى عبد العزيز إلى مصر قاصداً له وقد امتدحه بقصيدته التي أولها² :

ألا إن قلبي مع الظاعنين حزين فمَن ذا يُعزي الحزينا
فيا لك من روعة يوم بانوا بمن كنت أحسب ألا يبيننا

في هذين البيتين للحسين بن مُحَرِّزٍ خفيف ثقيل ، عن الهشامي .
وفي هذه القصيدة يقول :

إلى سيد الناس عبد العزيز زِ أَعْمَلْتُ للسَّيْرِ حَرْفاً أمونا³
صهايبة كعلاة القيوم نِ من ضَرْبِ جَوْهرٍ ما يُخْلِصُونَا⁴
إذا أزدت من تباري البطي خِلْتَ بها خَبْلاً أو جُنونا⁵
توم النواعش والفرقدَيْن تُنصَّبُ للقَصْدِ منها الجينَا⁶

1 ترجمة أمية بن أبي عائد في الشعر والشعراء : 558 والإصابة 1 : 117 والخزانة 2 : 435-436 والسمط : 482 .

2 شرح أشعار الهذليين : 515-520 .

3 الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . الأمون : التي أمن أن تكون ضعيفة .

4 صهايبة : في بياضها حمرة . والعلاة : السندان . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد . ومن ضرب جوهر : أي من خالصة .

5 بها خبلاً في شرح أشعار الهذليين : بها أخيراً .

6 النواعش : بنات نعش .

إلى مَعْدِنِ الخيرِ عبدِ العزيزِ
تَرى الأُدَمَ والعِيسَ تحتَ المسو
تَسِيرُ بمدحِي عبدَ العزيزِ
مُحَبَّرَةٌ من صَرِيحِ الكلا
وكان امرءاً سَيِّداً ماجداً
يُصَفِّي العَتِيقَ وَيَنفِي الهَجِينَا⁵
تُبَلِّغُنَا ظُلْعاً قَد حَفِينَا¹
حَ قد عُدنَ من عَرَقِ الأَينِ جُونَا²
سِرِ رُكبانُ مَكَّةَ والمُنَجِدُونَا³
مَ ليس كَمَا لَفَّقَ المُحَدِّثُونَا⁴

[نشوته إلى أهله]

قال : وطلال مُقامه عند عبدِ العزيز ، وكان يَأْنَسُ به ، ووصله صِلات سَيِّئَةٌ ، فتشَوَّقَ إلى الباديةِ وإلى أهله ، فقال لعبدِ العزيز⁶ :

[من الطويل]

مَتى رَاكِبٌ من أَهْلِ مِصرَ وأَهله
بَلَى إِنَّها قَد تَقَطَّعَ الخُرْقَ ضُمَّرَ
مَتى ما تُجْزِها ابنَ مروانَ تَعْتَرِفُ
وَباتَتْ تَوَمُّ الدَّارَ من كُلِّ جانبِ
فَلَمَّا رَأَتْ أَلَّا خُرُوجَ وَأَنَّمَا
تَمَطَّطَتْ بِمَجْدُولٍ سَيَطِرُ فَطالَعَتْ
بِمَكَّةَ من مِصرَ العَشِيَّةَ راجِعُ
تُبَارِي السُّرى والمُعْصِفونَ الزَّعازِعُ
بِلادَ سُلَيْمَى وهي خِوصاءُ ظالِعِ⁷
لنُخْرُجَ واشتَدَّتْ عليها المِصَارِعُ⁸
لها من هَواها ما تُجِنُّ الأَضالِعُ
وماذا من اللُّوحِ اليماني تَطالِعُ⁹

فقال له عبدُ العزيز : اشْتَقْتُ ، والله ، إلى أَهْلِكَ يا أُمِّيَّةُ . فقال : نعم ، والله ، أَيُّها الأَمِيرُ ، فَوَصَلَهُ وإِذْنُ له .

[من المتقارب]

وَمِمَّا يُغْنِي فِيهِ مِنْ شَعْرِ أُمِّيَّةَ :

1 ظلعاً في شرح أشعار الهذليين : ظلماً .

2 جون : سود .

3 شرح شعر الهذليين : وسار بمدحة . . .

4 شرح أشعار الهذليين : كما لصق . . .

5 شرح أشعار الهذليين :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ ماجد سيد تصفي وتنفي

6 شرح أشعار الهذليين : 531 .

7 الشطر الأول في ل وشرح أشعار الهذليين : متى ما يجوزها ابن مروان . والخواصاء : الغائرة العينين . وفي شرح أشعار الهذليين : بلاد سليم .

8 وباتت توأم في شرح أشعار الهذليين : وباتت تروم .

9 بمجدول سبطر في ل : بمجد مسبطر . والسبطر : السريع .

صوت

تَمُرُّ كَجَنْدَلَةٍ الْمُنَجَّيْهِ قِي يُرْمَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فَمَاذَا تُخَطِّفُ مِنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وَإِكَامٍ تَوَالِي
وَمِنْ سَيْرِهَا الْعَنْقُ الْمُسَبِّطُ وَالْعَجْرَفَةُ بَعْدَ الْكَلَالِ
الغناء لابن عائشة¹ . وقد ذكر في أخباره مع غريبه ، وأحاديث لابن عائشة في معناه .

صوت

[من الطويل]

أُمَّ نُهَيْكَ ارْفَعِي الطَّرْفَ صَاعِدًا وَلَا تْيَاسِي أَنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بَائِسُ
سَيُغْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وَبَعْلُ الَّتِي لَمْ تَخْطَ فِي الْحَيِّ جَالِسُ
سَأَكْسِبُ مَالًا أَوْ تَبِيتَنَ لَيْلَةً بِصَدْرِكَ مِنْ وَجْدٍ عَلِيٍّ وَسَاوِسُ
وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمَمْنَعَ بِالْقَنَا يَعِشُ مُثْرِيًا أَوْ يُودِ فِيمَا يَمَارِسُ
الشعر : لعبد الله بن أبي معقل الأنصاري² . والغناء : لسليم ، خفيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى ،
عن عمرو . وقد ذكر ابن المكي أن فيه لإبراهيم لحنًا من الهزج بِالْوُسْطَى ، وذكر الهاشمي
وَحَبَشَ أَنْ فِيهِ لإبراهيم ثاني ثَقِيلٌ ، وذكر حَبَشَ أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ .

1 تقدمت الأبيات وشرح أبي الفرج في ترجمة ابن عائشة في الجزء 2 : 142 .

2 ورد بعض هذه الأبيات في التذكرة الحمدونية 8 : 124 وهي في السمت 2 : 46 وأبيات من القصيدة نفسها
سترد بعد قليل ، وفي الشعر والشعراء : 123 ، ويشار في المرجعين إلى الشاعر باسم : عبد الله بن نهيك وهو
اسم جده .

[525] - أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ أبي معقل بن نُهَيْك بن إِسَاف بن عديّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ، وهو النَّبَيْتُ ، بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نُبَس بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .

شاعر مُقِلٌ حجازيٌّ من شعراء الدولة الأموية .

وكان يقال لأبيه : مُنْهَبُ الْوَرِق . وقيل : بل جدُّه المسمَّى بذلك ، لأنَّه كَسَبَ مَالاً ، فعجب أهلُ المدينة من كَثْرَتِهِ ، فأَبَاحَهُمْ إِيَّاه فنهبوه .

[البيتان الأولان ليسا لجدّه]

أخبرني الحرّميُّ بنُ أبي العلاء قال : حدّثني أبو بكر عبدُ الله بن جعفر بن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريُّ قال : حدّثني جدِّي مُصْعَب¹ بن عبد الله ، عن ابنِ القَدَّاح أنَّه قال : هذان البيتان ، يعني قوله :

أُمُّ نُهَيْكٍ ارفعي الطرف صاعداً . . .

والذي بعده لعبدِ الله بن أبي معقل بن نُهَيْك بن إِسَاف ، والناس يروونهما لجدّه . وليس ذلك بصحيح ؛ هما لعبدِ الله .

وكان عبّاد بن نُهَيْك بن إِسَاف ، عمّه ، أدرك النبيَّ ﷺ ، وصَحْبِهِ ، وصَلَّى معه إلى القِبْلَتَيْنِ ، وصَلَّى معه الظهرَ ، وصَلَّى معه ركعتين منها إلى بيتِ المقدس ، وركعتين إلى الكعبة .

وأدرك النبيَّ ، ﷺ ، وآلَهُ ، وهو شيخٌ كبيرٌ لا فضلَ فيه ، فوضع عنه الغزو .

وكان نُهَيْك بن إِسَاف يُهاجي أبا الخَضراء الأشهليَّ في الجاهلية . وأشعارُهما موجودةٌ في أشعارِ الأنصار .

[قومه يعادونه ليساره]

أخبرني الحرّميُّ بنُ أبي العلاء قال : قال : حدّثني عبدُ الله بن جعفر عن جدّه مُصْعَب ، عن ابنِ القَدَّاح قال : كان ابنُ أبي معقلٍ محسوداً في قومه ، يُجاهرونه بالعداوة ، ليساره

1 هذه الأبيات هي أبيات الشعر والشعراء التي أشرنا إليها : 123 .

وسعة ماله ، ويجسدونه . وكان بنى قصراً في بني حارثة ، وسمّاه : «مُرْغَمًا» وقال له قائل : ما لك ولقومك ؟ فقال : ما لي إليهم ذنبٌ إلاّ إني أثريتُ وكنتُ مُعديماً ، وبنيتُ مُرْغَمًا ، وأنكحتُ مريمَ ومريمَ ، يعني ابنته مريم و بنت ابنه مريم .

فأمّا ابنته مريم فتزوجها حبيبُ بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، و بنتُ ابنه مسكين بن عبد الله بن أبي معقل ، وهي مريم ، تزوّجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام .

[مريم الكبرى والصغرى]

أخبرني الحرّميُّ قال : حدّثنا الزبيرُ بن بكار قال : حدّثني عمي مُصَنَّبٌ قال : خطبَ محمدُ بن خالد بن الزبير وحبيبُ بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي معقل ابنته مريم ، فأرغبه حبيبٌ في الصّدّاقِ فزوَّجه إياها ، ثم شَبَّتْ مريمُ بنتُ مسكين بن عبد الله بن أبي معقل ، فبرعت في الجمال . ولَقِيَ محمدُ بن خالد يوماً فقال له : يا ابن خالدي ، إن تكن مريمُ قد فاتتكَ فقد يفعتُ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجمال ، وقد أثرتك بها . قال : فتزوَّجها على عشرين ألفاً .

[يرحل طلباً للفتى]

وقال ابنُ القدّاح : كان ابنُ أبي معقل كثيرَ الأسفارِ في طلبِ الرُّزقِ ، فلامته امرأته أمُّ نُهَيْكٍ ، وهي ابنة عمّه ، على ذلك ، وقد قَدِمَ من مصر ، فلم يلبث أن قال لها : جهّزيني إلى الكوفة ، إلى المغيرة بن شُعْبَةَ ، فإنّه صديقي وقد وليها . فجهرته ثم قالت : لن تزال في أسفارك هذه تتردّد حتى تموت ، فقال لها : أو أثري . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أُمُّ نُهَيْكٍ ارْقَعِي الطَّرْفَ صَاعِداً ولا تياسي أن يُثْرِيَ الدَّهْرَ بائِسُ

وهي قصيدة فيها ممّا يُغْنَى فيه قوله : [من الطويل]

صوت

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
فَمِنْهُمْ تَحْرِيكُ الْكُمَيْتِ عِنَانُهُ إِذَا ابْتَدَرَ النَّهَبَ الْبَعِيدَ الْفَوَارِسُ
وَمِنْهُمْ سَبْقُ الْعَاذِلَاتِ بِشْرَبَةِ كَأَنَّ أَخَاها ، وَهُوَ يَقْظَانُ ، نَاعِسُ
وَمِنْهُمْ تَجْرِيدُ الْأَوَانِسِ كَالدُّمَى إِذَا ابْتَزَّ عَنْ أَكْفَالِهِنَّ الْمَلَابِسُ

الغناء في هذه الأبيات : لمقاسة بن ناصح ، ثَقِيلُ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ . وفيها للحُسَيْن بن مُحَرِّزٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ من جامع أغانيه . وهو لحنٌ معروفٌ مشهورٌ .

قال ابن القَدَّاح : ثم قَدِمَ المدينة ، فلم يزل مُقيماً بها حتى ولي مُصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ العراقَ ، فوفدَ إليه ابن أبي مَعْقِلٍ ، وَلَقِيَهُ ، فدخل إليه يوماً وهو يندبُ الناسَ إلى غزوة زَرْجٍ ويقول : مَنْ لها ؟

[يصيب مالاً من غزوة زرنج]

فوثبَ عبد الله أبي مَعْقِلٍ وقال ¹ : أنا لها : فقال له : اجلس ، ثم ندبَ الناس ، فانتدبَ لها مرةً ثانيةً ، فقال له مُصعبٌ : اجلس ، ثم ندبهم ثالثةً ، فقال له عبدُ الله : أنا لها ، فقال له : اجلس . فقال له : أدنني إليك حتى أَكَلِّمَكَ ، فأدناه ، فقال : قد علمتُ أَنَّهُ ما يمنعُكَ مِنِّي إلاَّ أَنَاكَ تعرفُني ، ولو انتدبَ إليها رجلٌ ممَّن لا تعرفه لبعثته ، فلعلَّكَ تحسُدُني أن أُصيبَ خيراً أو أُستشهدَ فأستريحَ من الدُّنيا وطلبيها . فأعجبه قوله وجزالته فولاه ، فأصابَ في وجهه ذلكَ مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : أَلَمْ أَخْبِرْكَ في شعري أَنَّهُ : [من الطويل]

سَيُغْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وَبَعْلُ التِّي لَمْ تَحْظَ فِي الْحَيِّ جَالِسُ

فَقَالَتْ : بلى والله ، لقد أَخبرتني وصدقَ خَيْرُكَ .

قال : وفي هذه الْغَزَاةِ يقول ابنُ قيسِ الرقيَّاتِ ² :

صوت

إِنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نَرْجِي
مَلِكٌ يُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيَسْقِي لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِساسِ الْخَلْنَجِ
جَلَبَ الْخَيْلَ مِنْ تِهَامَةٍ حَتَّى بَلَغَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرْجٍ ³

صوت

[من البسيط]

يَقْتُلُنَا بِجَدِيدٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي
فَهْنٌ يَبْذَنُ مَنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي
الشعر : للقُطامي ⁴ . والغناء : لإسحاق . خفيف ثقيلٍ أوَّل بالوسطى وفيه رمل مجهول .

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 8 : 124-125 .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 180 .

3 زرنج : قصبة سجستان .

4 ديوان القطامي : 81 .

[526] - ذكر نسب القطامي وأخباره¹

[نسه]

القطاميّ لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، واسمه عُمَيْرُ بن شَيْيم ، وكان نصرانيّاً ، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقِلٌّ مُجِيدٌ .

[الأخطل يفضلُه على نفسه]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثَنَا الكِرانيّ قال : حَدَّثَنَا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عبد الله بن عيَّاش ، عن مُجالد ، عن الشَّعبيّ قال : قال عبدُ الملِكِ بن مروان ، وأنا حاضرٌ ، للأخطل : يا أخطلُ ، أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ بشعرِكَ شاعرٌ من العربِ ؟ قال : اللهم لا ، إلاّ شاعراً منّا مُغْدَفَ القناع² ، خاملَ الذِّكر ، حديث السنّ ، إن يكن في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولودِدْتُ أَنِّي سَبَقْتُهُ إلى قوله :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلُمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي
فَهُنَّ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي

[تلقّيه بصريع الغواني]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن صالح بن النطّاح قال : القطاميّ أوّلُ مَنْ لُقِبَ «صريع الغواني» بقوله :

صَرِيعَ غَوَانٍ راقِهْنِ ورُقْنَه لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَابِ

[هجاء عاريه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : نزل القطاميّ في بعض أسفاره بامرأة من مُحاربِ قيسٍ ، فنسبها ، فقالت : أنا من قوم يشتَوون القَدَّ من الجُوع ، قال : وَمَنْ هَؤُلاءِ ويَحْلِكُ ؟ قالت : مُحاربٌ ، ولم تَقْرِهِ ، فبات عندها بأسوأ ليلةٍ ، فقال فيها قصيدةً أوّلُها³ :

1 ترجمة القطامي في الشعر والشعراء : 609 وخزانة البغدادي 12 : 370-371 والمؤتلف : 251 ومعجم المرزباني : 73-74 وطبقات ابن سلام : 534-540 وانظر بروكلمان 1 : 236-237 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه بارت (لندن - 1902) وطبع مرة أخرى بتحقيق السامرائي ومطلوب ، وإلى هذه الطبعة نشير .

2 مغدّف القناع : قناعه مرسل على وجهه .

3 ديوان القطامي : 42-47 .

نأتِكَ بليلى نِيَّةً لم تُقَارِبِ - وما حُبُّ ليلي من فَوَادِي يَذَاهِبِ
يقول فيها :

ولا بُدَّ أَنْ الضَّيْفَ يُخْبِرُ مَا رَأَى مُخْبِرُ أَهْلِ أَوْ مُخْبِرُ صَاحِبِ
سَاخِرُكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمِّ مَنْزِلِ تَضَيَّفْتُهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ فِرَاسِبِ¹
تَلَفَّفْتُ فِي طَلِّ وَرِيحٍ تَلْفُفِي فِي طَرِمَسَاءَ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ²
إِلَى حَيَزُونٍ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا تَلَفَّتِ الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ تَخَالُ وَمِضْ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبِ³
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامٌ مَطِيَّةٍ تُرِيحُ بِمَحْسُورٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبِ⁴
تَقُولُ وَقَدْ قَرِئْتُ كُورِي وَنَاقَتِي إِلَيْكَ فَلَا تَذَعُرْ عَلَيَّ رَكَائِبِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا : مَنْ الْحَيُّ قَالَتْ : مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ
مَنْ الْمُشْتَوِينَ الْقِدِّ مِمَّا تَرَاهُمْ جِياعاً وَرِيفُ النَّاسِ لَيْسَ بِعَازِبِ⁵
فَلَمَّا بَدَأَ حِرْمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مُنَاخُ السَّوْءِ ضَرْبَةً لِأَرْبِ

[قصيدة رفعت ذكره]

قال أبو عمرو بن العلاء : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقُطَامِيِّ وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ لِيَمْدَحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ . وَقِيلَ : بَلْ
قَدِمَهَا فِي خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشُّعْرَ لَا يَنْفَقُ عِنْدَ هَذَا وَلَا يُعْطِي عَلَيْهِ
شَيْعاً ، وَهَذَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاْمْتَدِحْهُ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي
أَوَّلَهَا⁶ :

إِنَّا مُجِيئُكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ⁷
فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ

1 سَاخِرُكَ فِي الدِّيَّانِ : لِمَخْبِرِكَ . وَالْعَذِيبِ وَرَاسِبِ : مَوْضِعَان .

2 الطَرِمَسَاءُ : الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ .

3 وَمِضْ فِي الدِّيَّانِ : وَبِص . وَالْوَبِص : الْبَرِيقُ .

4 مَطِيَّةٌ فِي الدِّيَّانِ : مَطِيَّتِي .

5 الْقَدِّ : جِلْدٌ وَلَدُ النَّاقَةِ سَاعَةٌ يُولَدُ وَيَشْوِي وَيُؤْكَلُ فِي الْجَدْبِ . الدِّيَّانُ : وَرِيفُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَاضِبٍ .

6 الدِّيَّانُ : 23-30 .

7 الطَّيْلُ : الدَّهْرُ .

أمرتُ لكَ بخمسينَ ناقةً مُوقرةً بُراً وتمراً وثياباً ، ثم أمرَ بدفع ذلك إليه .
وفي أول هذه القصيدة غناءً نسبته :

[من البسيط]

صوت

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلِّمُ¹
الغناء لسليم ، هزج بالينصر . وقيل : إنه لغيره .

[أشعر الناس]

أخبرني ابنُ عَمَّار قال : حدَّثنا محمد بن عباد قال : قال أبو عمرو الشَّيباني : لو قال
القطاميُّ بيته :

[من البسيط]

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلِّمُ
في صفة النساء لكان أشعر الناس .

[من الطويل]

ولو قال كُثِيرٌ² :

فقلتُ لها : يا عِزُّ كُلِّ مَصِيْبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا النَفْسُ ذَلَّتْ
في مراثية أو صفة حَرْبٍ لكان أشعر الناس .

[بيد الإبطاء والعجلة]

وأخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال : حدَّثني مَيْمُونُ بن هارون قال : حدَّثني رجلٌ
كان يُدِيمُ الْأَسْفَارَ ، قال : سافرتُ مَرَّةً إِلَى الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ الْبَرِّ ، فَجَعَلْتُ أُمَثِّلُ بِقَوْلِ
القطاميِّ :

[من البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
ومعني أعرابيٌّ قد استأجرت منه مَرَكَبِي ، فقال : ما زاد قائلُ هذا الشعرِ على أَنْ تَبْطَأَ النَّاسَ
عن الحِزْمِ ، فَهَلَّا قَالَ بَعْدَ بَيْتِهِ هَذَا :

وَرُبَّمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ بَطُوهُمْ وَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجَلُوا

[غارة زفر على المصيح]

وكان السببُ في أسر القطاميِّ ، على ما حكاه مَنْ ذَكَرْنَا ، وذكر ابن الكلبي عن عُرام بن

1 رهواً : برفق . والبيت في وصف الإبل .

2 ديوان كثير : 97 .

حازم بن عطية الكلبى قال : أغار زُفر بن الحارث على أهل المصيص ، وبه جماعة من الحاج وغيرهم ، وقد أصاب أول النهار أهل ماء يقال له : حصف ، وفيه سيد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن أبي جبلة ، فأسره . فأتى به قرقيسيا ، ثم من عليه ، وقتل عفيف بن حسان بن حصين من بني الجلاح . ثم مضى زُفر إلى المصيص فاجتمع من بها إلى عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا . فقال لهم زُفر : إني لا أريد دماءكم ، فأعطوا بأيديكم . فأبوا وقتلوا فقتل منهم جماعة كثيرة ، وقتل معهم رجلان من تغلب ، يقال لأحدهما : جسّاس ، والآخر غني ، وهو أبو جسّاس . وقد قالت له امرأته : يا أبا جسّاس ، هؤلاء قومك فأتهم حين اجتمعوا وامتنعوا ، فقال : اليوم نزارى وأمس كلبى ! ما أنا بمفارقهم . فقاتل حتى قُتل ، فكانت القتلى يوم المصيص من كلب ثمانية عشر رجلاً والتغلبيين ، وبقي الماء ليس فيه إلا النساء . فلما انصرف عنهم زُفر أراد النساء أن يجررن القتلى إلى بئر يقال لها : كوكب . فلما أردن أن يجررن رجلاً قالت وليته من النساء : لا يكون فلان تحت رجالكن كلهم . فأتت أم عمير بن حسان ، وهي كبسة بنت أبي ، فأغلقت في رجله رداءها ، ثم قالت : اجسر عمير فإن أباك كان جسوراً ؛ ثم ألقت عليه التراب والحطب ليكون بينه وبين أصحابه شيء . ثم جعلن كلما ألقين رجلاً ألقين عليه التراب والحطب حتى وارتهن القلب . ولما بلغ حميد بن حرث بن بحدل ما لقي قومُه أُقبل حتى أتى تدمر ليجمع أصحابه ، وليغير على قيس . فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير ، وهم يومئذ بيطن الجبل ، وهو على مياه لهم ، إلى حميد بن حرث بن بحدل ، حتى قدِم وراءه يتهيا للغارة ، واجتمعت إليه كلب ، وقالوا له : إن كنت تبرتنا ببراءتنا ، وتعرف جوارنا أقمتنا ، وإن كنت تتخوف علينا من قومك شيئاً لحقنا بقومنا . فقال : أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة ؟ فاحتبسهم فيها ، وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له : مطر بن عوص ، وكان فاتكاً ؛ فأراد حميداً على قتلهم ، فأبى وكرة الدماء . فلما سار حميد ، وقد عاد زُفر أيضاً مغيراً ، ليرده عما يريد ، فنزل قرية له ، وبلغه مسير زُفر فاغتاظ وأخذ في التعبئة . فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعاً له انتهازاً لدماء الذين في يده من النُميريين ، فقال : ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قُتل أهل مصيص ؟ فقال وهو لا يعقل من الوجدي : اذهب فاقتلهم . فخرج مطر يركض إلى تدمر ، تخوفاً ألا يبدوا له ، فلما أتى تدمر قتلهم . وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال : أين مطر حتى أوصيه ؟ قالوا : انصرف ، قال : أدركوا عدو الله ، فإني أخاف على من بيده من النُميريين .

وبعث فارساً يركض يمنع مطراً عن قتلهم ، فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الأسرى

إِلَّا رَجُلَيْنِ ، وَكَانُوا سِتِّينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الرَّسُولُ رِسَالَةَ حُمَيْدٍ قَالَ النَّمِيرَيَانِ الْبَاقِيَانِ : خَلَّ عَنَّا فَقَدْ أَمِرَتْ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِنَا . فَقَالَ : أَبْعَدْ أَهْلَ الْمَصِيخِ ! لَا وَاللَّهِ لَا تُخْبِرَانِي عَنْهُمَا ، ثُمَّ قَتَلَهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ زُفَرٌ قَتْلَ النَّمِيرَيَيْنِ بَسَطَ يَدَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَ مِنْ كَلْبٍ ، وَاسْتَحْلَى الدَّمَاءَ ، وَأَخَذَ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْجِيوشِ ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهِ كَلْبٌ لِلصَّيْدِ ، فَلَمْ يُدْرِكْ بِهِ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَلْقَ حُمَيْدٌ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى قَرْقِيسِيَاءَ .

وَذَكَرَ بَعْضُ بَنِي نَمِيرٍ أَنَّ زُفَرَ أَغَارَ عَلَى كَلْبٍ يَوْمَ حَفِيرٍ وَيَوْمَ الْمَصِيخِ وَيَوْمَ الْفَرَسِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ . قَالَ : وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ زُفَرٌ فِي يَوْمِ الْإِكْلِيلِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَاسْتَأْتَقَ نَعْمًا كَثِيرَةً .

وَذَكَرَ عَرَّامٌ قَالَ : قَتَلَ زُفَرٌ يَوْمَ الْإِكْلِيلِ جُبَيْرَ بْنَ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي الْجُلَّاحِ ، وَحَسَّانَ بْنَ حُصَيْنٍ مِنْ بَنِي الْجُلَّاحِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ طُفَيْلٍ بْنِ مُطَيْرٍ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ ، وَعَمْرُو بْنَ حَسَّانَ بْنِ عَوْفٍ مِنْ بَنِي الْجُلَّاحِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ جَبَلَةَ بْنِ عَوْفٍ ، أَخُوَانِ لَأُمٍّ . وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كَلْبٍ تَرْثِيهِمْ :

أَبْعَدَ مَنْ دَلَّيْتِ فِي كَوَكَبٍ يَا نَفْسُ تَرْجِينَ ثَوَاءَ الرِّجَالِ

[غارات ابن الحباب]

قَالَ لَقِيْطٌ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ بَنِي نَمِيرٍ قَالَ : أَغَارَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ عَلَى كَلْبٍ فَأَصَابَهُمْ يَوْمَ الْغَوِيرِ وَيَوْمَ الْمُهْلِ وَيَوْمَ كَابَةِ . فَأَمَّا يَوْمُ الْغَوِيرِ فَإِنَّهُ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي نَمِيرٍ يُقَالُ لَهُ كَلِيبُ بْنُ سَلَمَةَ عَيْنًا لَهُ ، لِيَعْلَمَ لَهُ عِلْمَ ابْنِ بَحْدَلٍ ، وَكَانَتْ أُمُّ النَّمِيرِيِّ كَلْبِيَّةً ، فَكَانَتْ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ ، فَكَانَ الْحُسَامُ بْنُ سَالِمٍ طَرِيدًا فِيهِمْ فَنَذَرُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا فَرَسَهُ ، فَلَقِيَ كَلِيبُ بْنُ سَلَمَةَ رَجُلًا مِنْ بَنِي كَلْبٍ فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ حُمَيْدِ بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ كَلِيبٌ : كَذَبْتَ ! أَنَا أَحْدَثُ بِهِ عَهْدًا مِنْكَ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَرَكْتَهُ أَنْتَ ؟ قَالَ بَغْوِيرِ الضَّبْعِ ، قَالَ : لَكِنِّي فَارَقْتُهُ أَمْسَ ، فَخَرَجَ النَّمِيرِيُّ يَسُوقُ الْكَلْبِيَّ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقْتُلَهُ لَقَتَلْتُهُ ، أَوْ أَخَذَهُ لَأَخَذْتُهُ ، فَخَرَجَ يَسُوقُهُ ، حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْقَوْمِ أَنْكَرَهُمْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَى هَؤُلَاءِ أَصْحَابَنَا . قَالَ : وَيَسْتَبْدِرُهُ النَّمِيرِيُّ فَيُطْعِمُهُ عِنْدَ نَاغِضٍ¹ كَتَفَهُ الْيَمْنَى ، حَتَّى أَخْرَجَ السَّنَانَ مِنْ حَلْمَةِ الثَّدْيِ ، وَأَخْطَأَ الْمَقْتَلَ ، وَحَرَّكَ الْكَلْبِيَّ فَرَسَهُ مُوَلِّيًا ، فَاتَّبَعْتُهُ الْخَيْلُ حَتَّى يَدْفَعَ إِلَى ابْنِ بَحْدَلٍ فَانْهَزَمَ . فَقَتَلُوا مِنْ كَلْبٍ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَاتَّبَعَ عُمَيْرُ بْنُ بَحْدَلٍ يَقُولُ لِفَرَسِهِ :

[من الرجز]

أَقْدِمُ صِدَامُ إِنَّهُ ابْنُ بَحْدَلٍ¹

لَا تُدْرِكُ الْخَيْلَ وَأَنْتَ تَذَالُ²

أَلَّا تَمَرُّ مِثْلَ مَرِّ الْأَجْدَلِ³

قال : فمضى حُمَيْدٌ حَتَّى يَدْفَعَ إِلَى الْغَوِيرِ⁴ ، وَقَدْ كَادَ الرُّمَحُ يَنَالُهُ ، فَانْطَلَقَ يُرِيدُ الْبَابَ ، فَطَعَنَ عَمِيرُ الْبَابَ وَكَسَرَ رُمْحَهُ فِيهِ ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْ تِلْكَ الْخَيْلِ غَيْرُ حُمَيْدٍ وَشَيْلِ بْنِ الْخَيْتَارِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَشَرَ بَنَ مَرْوَانَ قَالَ لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ : كَيْفَ تَرَى خَالِي طَرَدَ خَالَكَ ؟ .

وَقَالَ عُمَيْرٌ :

عَلَى سَابِحِ غَوْجِ اللَّبَانِ مُثَابِرٌ⁵

دِقَاقُ الْهُوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَابِرِ⁶

تَرَامِي بِهِ فَوْقَ الرُّمَاحِ الشَّوَاجِرِ

قَصَّتْ وَطَرًا مِنْ عَبْدٍ وَدٍّ وَعَامِرٍ

وَأُفْلِتْنَا رَكْضًا حُمَيْدُ بْنُ بَحْدَلٍ

وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبَاً شَوَازِبًا⁷

إِذَا انْتَقَصَتْ مِنْ شَأْوِهِ الْخَيْلُ خَلْفَهُ

تُسَائِلُ عَنْ حَيٍّ رُفِيدَةً بَعْدَمَا

وَقَالَ شَيْلُ بْنُ الْخَيْتَارِ :

مِنْ جَرِيهَا وَحَيْثُ الشَّدُّ مَذْعُورٌ⁸

كَأَنَّهُ يَنْجِيعُ الْوَرَسِ مَمْكُورٌ⁹

قَبْلَ التَّقَرَّةِ وَالْمَغْرُورِ مَغْرُورٌ¹⁰

أَبْطَالُ قَيْسٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ مَشْجُورٌ¹⁰

مَاضِي الْعَيْنَانِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَنْصُورٌ

نَجَّى الْحُسَامِيَّةَ الْكِبْدَاءَ مُبْتَرِكٌ

مِنْ بَعْدِ مَا التَّقَى السَّرْبَالَ طَعَنَتْهُ

وَلَّى حُمَيْدٌ وَلَمْ يَنْظُرْ فَوَاسِرَهُ

فَقَدْ جَزَعَتْ غَدَاةَ الرُّوْعِ إِذْ لَقِيعَتْ

يَهْدِي أَوَائِلَهَا سَمَحَ خَلَائِقُهُ

1 صدام : اسم الفرس .

2 يدال : يقارب الخطو بتثاقل .

3 والأجدل : الصفر .

4 الغوير : ماء لبني كلب في السماوة .

5 غوج اللبان : واسع جلدة الصدر .

6 قب : ضامرة البطون . والشواذب : الضامرة من غير هزال .

7 مبترك : سريع .

8 التثق : ابتل . وممكور : مصبوغ .

9 التقرة : الثبات والسكون .

10 مشجور : مربوط .

يَخْرُجْنَ مِنْ بَرَضِ الْإَكْلِيلِ طَالِعَةً كَانَتْهُنَّ جَرَادُ الْحَرَّةِ الزُّرُورِ¹

وذكر زياد بن يزيد بن عُمَيْرِ بن الحُبَابِ ، عن أشياخ قومه ، قال : أغار عُمَيْرُ بن الحُبَابِ على كَلْبِ ، فلفقي جمعاً لهم بالإكليل في سِتْمَاةٍ أو سَبْعِمَاةٍ ، فقتل منهم فأكثر ، فقالت هند الجُلَاحِيَّةُ تُحَرِّضُ كَلْباً :

أَلَا هَلْ ثَائِرٌ بِدَمَاءِ قَوْمِ أَصَابَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ
وَهَلْ فِي عَامِرٍ يَوْمًا نَكِيرٌ وَحَيِّي عَبْدٍ وَدٍّ أَوْ جَنَابِ
فَإِنْ لَمْ يَنَازِرُوا مَنْ قَدْ أَصَابُوا فَكَانُوا أَعْبَاداً لِبَنِي كِلَابِ
أُبْعَدَ بَنِي الْجُلَاحِ وَمَنْ تَرَكْتُمْ بِجَانِبِ كَوْكَبٍ تَحْتَ التَّرَابِ
تَطِيبُ لِفَائِرٍ مِنْكُمْ حَيَاةً أَلَا لَا عِيشَ لِلْحَيِّ الْمُصَابِ

فاجتمعوا فقاتلهم عُمَيْرٌ ، وأصاب فيهم ، ثم أغار فلفقي جمعاً منهم بالجوف فقتلهم ، ثم أغار عليهم بالسَّامِوَةِ فقتل منهم مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، فقال عُمَيْرٌ :

أَلَا يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي الْجُلَاحِ سَقِيتِ الْغَيْثَ مِنْ قُلُلِ السَّحَابِ
أَلَمَّا تُخْبِرِي عَنَّا بَأْسًا نُرْدُ الْكَبِشَ أَغْضَبَ فِي تَبَابِ
أَلَا يَا هِنْدُ لَوْ عَايَنْتِ يَوْمًا لَقَوْلِكَ لَا مُنْتَعَتٍ مِنَ الشَّرَابِ
غَدَاةً نَدُوسُهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى أَبَادَ الْقَتْلُ حَيَّ بَنِي جَنَابِ
وَلَوْ عَطَفْتَ مَوَاسَاةً حُمِيدًا لَعُودِرَ شِلْوُهُ جَزَرَ الذُّثَابِ

وذكر زياد بن يزيد بن عُمَيْرِ بن الحُبَابِ ، عن أشياخ قومه ، قال : خرج عُمَيْرٌ فأغار على قومه أيضاً يومَ القُوَيْرِ ، فلما دنا من القُوَيْرِ وصار بين حُمَيْدٍ ودمشق دعا رجلاً من بني نُمَيْرٍ ، وقال له : سير الآن حتى تأتي حُمَيْدَ بْنَ بَحْدَلٍ ، فقل له : أَجِبْ ، فإن قال : مَنْ ؟ فقل : صَاحِبَ عَقْدٍ خرج قبل ذلك بيومين من دمشق ، فإن جاء معك فلا تهجه حتى تأتيني به ، فنكون نحن الذين نلي منه ما نريد أن نلي ، فإنه إن ركب الحُسَامِيَّةَ لم يُدْرِك . فأتاه النُمَيْرِيُّ فقال : أَجِبْ ، فقال : وَمَنْ ؟ قال : فلان بن فلان صاحبَ العَقْدِ . قال : فركب ابنُ بَحْدَلٍ الحُسَامِيَّةَ . ثم خرج يسيرُ في أثرِ النُمَيْرِيِّ ، حتى طلعَ النُمَيْرِيُّ على عُمَيْرٍ ، فقال النُمَيْرِيُّ في نفسه : أَقْتُلْهُ أَنَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَقْتُلَهُ عُمَيْرٌ لِقَتْلِهِ الحُسَامِ بْنِ سَالِمٍ . فعطف عليه ، وولَّى حُمَيْدٌ ، واتبَعَهُ عُمَيْرٌ وأصحابه ، وتركَ العسكرَ ، وأمرهم عُمَيْرٌ أن يميلوا إلى القوم ، فذلك

1 البرض : ما يخرج قليلاً . والزور : مائلة الرقاب .

حيث يقول لفرسيه :

أقدم صيداًم إنّه ابنُ بحدل

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف .

ثم أغار عليهم يوم دهمان كما ذكر عون بن حارثة بن عدي بن جبلة أحد بني زهير عن أبيه ، قال : أغار عُميرٌ على كلبٍ ، فأخذ الأموال ، وقتل الرجال ، وبلغ ابن بحدلٍ مخرجهُ من الجزيرة ، فجمع له ، ثم خرج يعارضهُ ، حتى إذا دنا منهم بعث العين يأخذُ لهم أثر القوم . فأتاه العينُ فأخبره أنّ عُميراً قد أتى دُهمانَ فاستباح فيهم ، ثم خلفَ عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم ، فقال حميدٌ لأصحابه : تهيئوا للبيات ، وليكن شعارُكم : «نحن عبادُ الله حقاً حقاً» . فبيّتهم فقتل فيهم فأوجع . وانقلب عُميرٌ حين أصبح ، إلى عسكره ، حتى إذا أشرف على عسكره رأى ما أنكرهُ من كثرة السوادِ ، فقال لأصحابه : إني أرى شيئاً ما أعرفهُ ، وما هو بالذي خلفنا ، فلما رآهم ابن بحدلٍ قال لأصحابه : احملوا عليهم ، فقتل من الفريقين جميعاً ، فقال ابن مِخلابة :

حُميداً شفى كلباً فقرّت عيونُهُ

لقد طار في الآفاق أن ابن بحدلٍ

[من الوافر]

وقال مُنذِر بن حسان :

تُنادي وهي سافرةُ النقابِ

وباديةِ الجواعِرِ من نُميرٍ

وقيسٌ بئسَ فتیان الضرابِ

تنادي بالجزيرة : يا لقيسٍ

والفأ بالتلاع وبالروابي

قتلنا مِنْهُم مائتين صبراً

يُفدي المهرَ من حُبِّ الإيابِ

وأفلتنا هَجينُ بني سليمٍ

لغودِرَ وهو غريالُ الإهابِ

فلولا الله والمهرُ المُفدى

ثم سار عُميرٌ ، وجمعَ لهم أكثر مما كان تجمع ، فأغار عليهم ، فقتل منهم مقتلةً ، واستاق الغنائمَ وسبى . فلما سمعت كلبٌ بإيقاعِهِ تحمّلت من منازلها هاربةً منه ، فلم يَبْقَ مِنْهُم أحدٌ في موضع يقدر عُميرٌ على الغارة عليه إلا أن يخوضَ إليهم غيرهم من الأحياء ، ويخلف مدائن الشام خلف ظهره ، وصاروا جميعاً إلى الغوير ، فقال عُميرٌ في ذلك :

[من الرجز]

يُشبعُ أولادَ الضباع العُرج¹

بشرُ بني القَيْنِ بطعنٍ شرج

وعُقبتي للكُورِ بعد السرج

ما زال إمراري لهم ونسجي

حَتَّى اتَّقَوْنِي بِالظُّهُورِ الْفُلْجِ هَلْ أُجْزِينَ يَوْمًا يَوْمَ الْمَرْجِ
ويومِ دُهمَانَ ويومِ هَرْجِ

وقال رجلٌ من نُمَيْرٍ :

أُخِذْتُ نِسَاءَ عَبْدِ اللَّهِ قَهْرًا
صَبَّخْنَاهُمْ بِخَيْلٍ مُقَرَّبَاتٍ
يُكَيِّنُ ابْنُ عَمْرٍو وَهُوَ تَسْفِي
وَسَعْدٌ قَدْ دَنَا مِنْهُ حِمَامٌ
وَقَدْ قَالَتْ أُمَامَةُ إِذْ رَأَتْني
وَقَدْ فَقَدَتْ مُعَانِقِي زَمَانًا
لَقَدْ بَدَّلَتْ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ
فَقُلْتُ لَهَا كَذَلِكَ مِنْ يُلَاقِي

وَمَا أَغْفِيَتْ نِسْوَةَ آلِ كَلْبٍ
وَطَعْنٍ لَا كَيْفَاءَ لَهُ وَضَرْبٍ¹
عَلَيْهِ الرِّيحُ تُزْبَأُ بَعْدَ تَرْبٍ
بِأَسْمَرٍ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ صُلْبٍ
بُلِيَّتُ وَمَا لُقِيْتُ لِقَاءَ صَحْبٍ
وَشَدَّ الْمُعَصِّمِينَ فَوَيْقَ حَقْبٍ
وَأَثَارًا بِجِلْدِكَ يَا ابْنَ كَعْبٍ
عِتَاقَ الْخَيْلِ تَحْمِلُ كُلَّ صَعْبٍ

وقال المجير بن أسلم القشيري :

أَصْبَحْتُ أُمَّ مَعْمَرٍ عَذَلْتَنِي
فَدَعَيْنِي أَفِيدُ قَوْمَكَ مَجْدًا
كُلَّ حَيٍّ أَذَقْتُ نَعْمَى وَيُوسَى
وَصَدَمْنَا كَلْبًا قَبِينَ قَتِيلٍ
وَأَتَوْنَا بِكُلِّ أَجْرَدٍ صَافٍ

فِي رُكُوبِي إِلَى مُنَادِي الصَّبَاحِ
تَنْدُبِينِي بِهِ لَدَى الْأَنْوَاحِ
بَيْنِي عَامِرَ الطُّوَالِ الرَّمَاكِ
أَوْ سَلِيبٍ مُشَرِّدٍ مِنْ جِرَاحِ
وَرَجَالٍ مُعَدَّةٍ وَسِلَاحِ

وقال أيضاً :

أُبْلِغْ عَامِرًا عَنِّي رَسُولًا
هَلُمَّ إِلَى جِيَادٍ مُضْمَرَاتٍ
وَسُورٍ فِي الْمَهْزَةِ ذَاتِ لَيْنٍ
إِذَا حَشَدْتُ سُلَيْمَ حَوْلَ بَيْتِي
فَمَنْ هَذَا يُقَارِبُ فَخْرَ قَوْمِي

وَأُبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي جَنَابٍ
وَبَيْضٍ لَا تُفَلُّ مِنَ الضَّرْبَاتِ
نَقِيمٌ بِهِنَّ مِنْ صَعَرِ الرِّقَابِ
وَعَامِرُهَا الْمَرْكَبُ فِي النَّصَابِ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْجُو اغْتِصَابِي؟

وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

[من الكامل]

1 الخيل المقربات : التي تقرب معالفا ومرابطها لكرامتها .

يا كلبُ قد كَلَبَ الزَّمانُ عليكمُ
أَيُّهُونَا يا كلبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ
إِنَّ السَّماوَةَ لا سَماوَةَ فَالحَقِي
فجَنُوبَ عَكَّا فَالسَّواحِلِ إِنَّها
أَرْضُ المَذَلَّةِ حَيْثُ عَقَّتْ أُمُكُمْ
وقال عُمر بن الحُبَاب :

وَأصابَكُمْ مِنِّي عَذابٌ مُرْسَلٌ
يَوْمَ اللِّقَاءِ أَمْ الهَوِيلُ الأوَّلُ
بِالغَوْرِ فالأَفْحاصِ بِمَسِّ المَوِيلِ
أَرْضٌ تَذُوبُ بها اللِّقَاحُ وَتَهْزُلُ
وَأبُوكُمْ أَوْ حَيْثُ مُزِعَ بِمُحْدَلٍ¹

[من الوافر]

وَرَدَّنَ على الغَوْرِ غَوِيرِ كَلْبٍ
أَقَرَّ العَيْنَ مَضْرُوعُ عَبدٍ وَدٍّ
وقائِمَةُ تُنادِي يا لَكَلْبِ
وقال عُمرِ أَيْضاً :

كَانَ عُبُونُها قُلْبُ انْتِراحٍ
وَمَا لَاقَتْ سَراةُ بَنِي الجُلَاحِ
وَكَلْبٌ بِمَسِّ فِتْيَانِ الصَّبَاحِ

[من الطويل]

وَكَلْبٌ تَرَكْنا جَمْعَهُم بَيْنَ هارِبٍ
وَأَفْلَتْنا لَمَّا التَّقِينا بِعاقِدِ
وَأَقْسِمُ لو لا قَيْتَهُ لَعَلُّوْتهُ
وقال عُمرِ أَيْضاً :

جِذَارَ المَنيا أَوْ قَتِيلِ مُجَدَّلٍ
على سابِحٍ عَندَ الجِراءِ ابْنُ مُحْدَلٍ
بِأَبْيَضَ قِطاعِ الضَّرِيَةِ مِقْصَلِ

[من الطويل]

وَكَلْبًا تَرَكْناهُمْ فُلُولًا أَذِلَّةً
وقال جَهْمُ القَشِيرِيِّ :

أَدْرنا عَلَيْهِم مِثْلَ راعِيَةِ البَكْرِ²

[من السريع]

يا كَلْبُ مَهْلاً عَنِ بَنِي عامِرٍ
وَلَّى حُمَيْدٌ وَهُوَ في كُرْبِيَةٍ
بالأُمِّ يَفْدِيها وَقَدْ شَمَرَتْ
هَلْأُ صَبَرْتُمْ لَلقَنا ساعَةً
وقال عُمرِ³ :

فليس فيها الجَدُّ بِالعاثِرِ
على طَوِيلٍ مَتْنُهُ ضامِرٍ
كاللَّبْوةِ المَطُولَةِ الكاسِرِ
وَلَمْ تَكُنْ بِالمَاجِدِ الصابِرِ

[من الطويل]

وَأَفْلَتْنا رَكنُضاً حُمَيْدُ بَنُ بِحَدَلٍ

على سابِحِ غَوْجِ اللَّبانِ مُثابِرِ

1 عقت : حملت . مزع : تقطع وتفرق .

2 المثل «كراغية البكر» في جمهرة العسكري 2 : 156 وانظر مجمع الميداني 2 : 141 وفصل المقال : 458

ومستقصى الزمخشري 2 : 211 .

3 تقدمت هذه الأبيات عدا الثالث منها .

إذا انتقصت من شأوه الخيلُ خلفه
لذن غدوة حتى نزلنا عشيّة
وقال عُمير :

يا كلبُ لم تتركْ لكم أزمأحنا
يا كلبُ أحرمتنا السماوة فانظري
ولقد صككنا بالفوارس جمعكم
ولقد سبقت بوقعية ترككم

وقال زفر بن الحارث :

جزى الله خيراً كلما ذرّ شارق
وحلحله المغوار لله جدّه
بني عبْدٍ وُدٌ لا نطالبُ ثأرنا
ولكن بيضَ الهندِ تسعُرُ نارنا
أبادتكم فرسان قيس فما لكم
بأيديهم بيض رِقاق كأنّها
فسبّوهم إن أنتم لم تطالبوا
وما امتنع الأقوامُ عنا بنأيهم

وقال عُمير :

شقيت الغليل من قضاة عتوة
جزيناهم بالمرج يوماً مشهراً
فلم يبق إلا هارب من سيوفنا

وقال ابن الصّفّار المحاربي :

عظمت مصيبة تغلب ابنة وائل
شمتوا وكان الله قد أخزاهم
وبكم بدأنا يال كلب قتلتهم

ترامى به فوق الرّماح الشّواجر
يمر كمرّ يخ الغلام المخاطر

[من الكامل]

يلوى السماوة فالغويز مرادا
غير السماوة في البلاد بلادا
وعديدكم يا كلب حتى بادا
يا كلب بالحرب العوان يعادا

[من الطويل]

سعيداً ولاقتنه التحية والرحب
فلو لم ينله القتل بادت إذن كلب
من الناس بالسّطان إن شبت الحرب
إذا ما خبت نار الأعادي فما تخبو
عديداً إذا عدّ الحصى لا ولا عقب
إذا ما انتضوها في أكفهم الشهب
بثأركم قد ينفع الطالب السب
سواء علينا النأي في الحرب والقرب

[من الطويل]

فضل لها يوم أغرّ مُحجّل
فلاقوا صباحاً ذا وبال وقتلوا
والأ قتيل في مكر مُجدل¹

[من الكامل]

حتى رأت كلب مصيبتها سوى
وتريد كلب أن يكون لها أسا
ولعلنا يوماً نعود لكم عسى

أُخْتُتْ عَلَى كَلْبٍ صُدُورُ رِمَاحِنَا مَا يَنْ أَقْبِلَةَ الْغَوِيرِ إِلَى سُوَا¹
وَعَرَكْنَ بَهْرَاءَ بَنِ عَمِرٍ وَعَرَكَةً شَفَتِ الْغِيلَ وَمَسَّهُمْ مَنَا أَدَى

وقال الراعي² :

مَتَى نَفْتَرُشْ يَوْمًا عَلِيمًا بَغَارَةً يَكُونُوا كَعَوْصٍ أَوْ أَذَلٍّ وَأَضْرَعًا³
وَحَيَّ الْجَلَّاحَ قَدْ تَرَكْنَا بَدَارِهِمْ سَوَاعِدَ مُلْقَاةٍ وَهَامًا مُصْرَعًا
وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَ كَلْبٍ وَلَمْ نَدْعُ لِبَهْرَاءَ فِي ذِكْرِ مِنَ النَّاسِ مَسْمَعًا
قَتَلْنَا لَوْ أَنَّ الْقَتْلَ يَشْفِي صُدُورَنَا بَتْدَمَرُ الْفَأْ مِنْ قُضَاعَةٍ أَقْرَعًا⁴

وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لِعَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ⁵ :

أَقْرَ الْعُيُونَ أَنَّ رَهْطَ ابْنِ بَحْدَلٍ أَذِيقُوا هَوَانًا بِالذِّي كَانَ قُدَمَا
صَبَحْنَاهُمُ الْبَيْضَ الرَّقَاقَ ظُبَاتُهَا بِجَانِبِ خَبْتِ الْوَشِيحِ الْمَقُومَا
وَجَرْدَاءَ مَلَّتْهَا الْغَزَاةُ فَكَلَّهَا تَرَى قَلِقًا تَحْتَ الرَّحَالَةِ أَهْضَمَا
بِكَلِّ فَتَى لَمْ تَأْبِرِ النَّخْلَ أُمُّهُ وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْغَرَائِرِ مِعْكَمًا⁶

وهذه الحروب التي جرت : بينات قَيْن⁷ . فلَمَّا أَلَحَّ عَمِيرٌ بِالْغَارَاتِ عَلَى كَلْبٍ رَحَلَتْ حَتَّى نَزَلَتْ غَوْرِي⁸ الشَّامَ ، فَلَمَّا صَارَتْ كَلْبَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي صَارَتْ قَيْسَ ، انصرفت قَيْسُ فِي بَعْضِ مَا كَانَتْ تَنْصَرِفُ مِنْ غَزْوِ كَلْبٍ ، وَهَمَّ مَعَ عَمِيرٍ ، فَنَزَلُوا بِبَنِي مِنْ أَثْنَاءِ الْفُرَاتِ بَيْنَ مَنَازِلِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَفِي بَنِي تَغْلِبَ امْرَأَةٌ مِنْ تَمِيمٍ يُقَالُ لَهَا : أُمُّ دُوَيْلٍ نَاكِحَةٌ فِي بَنِي مَالِكِ بْنِ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ ، وَكَانَ دُوَيْلٌ مِنْ فَرَسَانِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَكَانَتْ لَهَا أَعْنَزُ بِمَحْنِيَةٍ⁹ ، فَأَخَذُوا مِنْ أَعْنَزِهَا ، أَخَذَهَا غِلَامٌ مِنْ بَنِي الْحَرِيشِ ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى عَمِيرٍ فَلَمْ يُشَكِّهِمْ ، وَقَالَ : مَعْرَةٌ

1 الغوير وسوا : ماءان .

2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 168 .

3 نفرش : نصيب ونسبيح . عليم : أبو بطن . وعوص : قبيلة من كلب .

4 أَلَفْ أَقْرَع : تامة .

5 في ترجمة عقيل بن علفة أبيات على نفس الوزن والروي للحصين بن همام . وانظر ترجمة الحصين والحماسة رقم 41 في شرح المرزوقي .

6 المعكم : المكتنز اللحم .

7 بنات قَيْن : موضع .

8 الغوري : ما انخفض من الأرض .

9 ل : بمحنية .

الجند ، فلما رأى أصحابه أنه لم يقدِّعهم وثبوا على بقية أعزها فأخذوها وأكلوها ، فلما أتاها دُوَيْلٌ أخبرته بما لقيت ، فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش ، فلقي جماعة منهم فقاتلوه ، فخرج رجلٌ من بني الحريش ، زعمت تغلبُ أنه مات بعد ذلك ، وأخذ دُوداً¹ لامرأة من بني الحريش يقال لها : أمُّ الهيثم ، فبلغ الأخطل الواقعة ، فلم يذُر ما هي ، وقال وهو براذان² :

أتاني ودوني الزَّبايانِ كلاهما ودجلةُ أنباءُ أمرٍ من الصَّبرِ
أتاني بأن ابني نزارٍ تهادياً وتغلبُ أولى بالوفاء وبالغدرِ

فلما تبين الخبر قال³ :

وجاءوا بجمعٍ ناصريٍّ أمِّ هيثمٍ فما رجَعُوا من دُودِها ببيعيرٍ
فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بإزاء الخابور ، فقتلوا منهم ثلاثة نفرٍ ، واستأفوا خمسةً وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب ، فأَتوا زُفر بن الحارث وذكروا له القرابة والجوار ، وهم بقرقيسيا ، وقالوا : اتنا برحالنا ورُدُّ علينا نعمنا . فقال : أما النعمُ فَرُدُّها عليكم ، أو ما قدرنا لكم عليه ، ونكمل لكم نعمكم من نَعَمِنَا إن لم نصبها كُلِّها ، وندي لكم القتلى . قالوا له : فدع لنا قريبات الخابور ، ورجُل قيساً عنها ، فإن هذه الحروب لن تُطفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زُفرٌ ، وأبوا هم أن يرضوا إلا بذلك . فناشدَهم الله وألحَّ عليهم ، فقال له رجلٌ من النمر كان معهم : والله ما يسرُّني أنه وقاني حربَ قيسٍ كلبٍ أبقعُ تركته في غنمي اليوم . وألحَّ عليهم زُفرٌ يطلب إليهم ويُناشدهم ، فأبوا فقال عميرٌ : لا عليك ، لا تُكثر ، فوالله إني لأرى عيونَ قومٍ ما يريدون إلا محاربتك . فانصرفوا من عنده ، ثم جمعوا جمعاً ، وأغاروا على ما قُرب من قرقيسيا من قُرى القيسية . فلقبهم عميرُ بن الحُبَاب ، فكان النُميريُّ الذي تكلم عند زُفرٍ أوَّلَ قتيلٍ ، وهزَمَ التغلبيُّين ، فأعظم ذلك الحيان جميعاً قيسٌ وتغلبُ ، وكرهوا الحربَ وشماتة العدو .

فذكر سليمانُ بن عبد الله بن الأصم : أن إياس بن الخزاز ، أحد بني عُتيبة بن سعد بن زُهَيْر ، وكان شريفاً من عيونِ تغلب ، دخل قرقيسيا لينظرُ ويُناظر زُفرَ فيما كان بينهم ، فشَدَّ عليه يزيدُ بن بحرن القرشي فقتله . فتذمَّ زُفرٌ من ذلك ، وكان كريماً مجمعاً لا يُحبُّ

1 الذود : قطع من الإبل من ثلاث إلى خمس عشرة .

2 راذان : منطقة في سواد العراق . والبيتان في ديوان الأخطل : المقطوعة 301 .

3 ديوان الأخطل : المقطوعة 36 .

الفرقة . فأرسل إلى الأمير ابن قَرْشَة بن عمرو بن رُبَيْع بن زُفَر بن عُتَيْبَة بن بَعَج بن عُتَيْبَة بن سعد بن زُهَيْر بن جُشَم بن الأَرْقَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنَم بن تَغْلِب ، فقال له : هل لك أن تَسُود بني نزار فتقبلَ مِنِّي الدِّيَة عن ابن عمِّك ؟ فأجابه إلى ذلك . وكان قَرْشَة من أشرف بني تغلب ، فتلافى زفر ما بين الحَيَّين ، وأصلح بينهم ، وفي الصدور ما فيها . فوفدَ عمير على المصعب بن الزبير ، فأعلمه أنه قد أولجَ قضاة بمدائن الشام . وأنه لم يبقَ إلَّا حيٌّ من ربيعة أكثرهم نصارى ، فسأله أن يولِّيه عليهم . فقال : اكتب إلى زفر ، فإن هو أراد ذلك وإلَّا ولأك . فلما قدِم على زفر ذكر له ذلك فشقَّ عليه ذلك ، وكرِه أن يليهم عميرٌ فيحيف بهم ويكون ذلك داعيةً إلى منافرتِه . فوجهَ إليهم قوماً ، وأمرهم أن يرفقوا بهم . فاتوا أخلاطاً من بني تغلبَ من مشارقِ الخابورِ فأعلموهم الذي وجَّهوا به ، فأبوا عليهم ، فانصرفوا إلى زفر ، فردَّهم وأعلمهم أن المصعب كتب إليه بذلك ، ولا يجدُ بدءاً من أخذ ذلك منهم أو محاربتهم ، فقتلوا بعضَ الرسل .

وذكر ابن الأصم : أن زفر لما أتاه ذلك اشتدَّ عليه ، وكرِه استفسادَ بني تغلب ، فصير إليهم عُميرُ بن الحُبَاب فلقِيهم قريباً من ماكِسين على شاطئِ الخابور ، بينه وبين قَرْفِيسيا مسيرة يوم ، فأعظم فيها القتل .

[أسر القطامي]

وذكر زيادُ بن يزيدَ بن عُمير بن الحُبَاب : أن القتل استحرَّ بيني عَتَاب بن سَعْد ، والنَّير ، وفيهم أخلاطُ تَغْلِب ، ولكنَّ هؤلاء معظمُ النَّاس ، فقتلوهم بها قتلاً شديداً ، وكان زفرُ بن يزيد أخو الحارث بن جُشَم له عشرون ذكراً لصلْبِه ، وأصيب يومئذٍ أكثرهم ، وأسِر القطاميُّ الشاعرُ وأخذت إبلُه . فأصاب عميرٌ وأصحابه شيئاً كثيراً من النِّعم ، ورئيس تَغْلِب يومئذٍ عبد الله بن شريح بن مُرَّة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتَاب بن سعد بن زهير بن جُشَم . فقتل ، وقتل أخوه ، وقتل مُجاشيعُ بن الأجلح ، وعمرو بن معاوية من بني خالدِ بن كعب بن زهير ، وعبدُ الحارث بن عبد المسيح الأوسيُّ ، وسعدان بن عبدِ يسوعَ بن حرب ، وسعد ودُّ بن أوس من بني جُشَم بن زهير . وجعل عُميرُ يصيحُ بهم : « ويلكم لا تَسْتَبِقُوا أحداً » . ونادى رجلاً من بني قُشَيْرٍ يقال له النَّدَار : « أنا جازٌ لكلِّ حاملٍ أتتني ، فهي آمنة » ، فأتته الحبالي ، فبلغني أن المرأة كانت تشدُّ على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيهاً بالحلي بما جعلَ لهنَّ . فلما اجتمعنَ له بقر بطونهنَّ فأفطع ذلك زفرَ وأصحابه ، ولام زفرُ عُميراً فيمن بقر من النساء ، فقال ما فعلته ولا أمرتُ به ، فقال في ذلك الصفارُ المحاربيُّ :

بقرنا مِنكم أَلْفِي بَقِيرِ فلم تتركِ الحاملةِ جَنِيناً

وقال الأخطلُ يذكر ذلك¹ :

[من الوافر]

فليت الخيلَ قد وطئتُ قُشيراً
فنجزيهم ببيغهم علينا
سنابكها وقد سَطَعَ الغبارُ
بني بُنى بما فعلَ الغدارُ

وقال الصَّفَّار :

[من الطويل]

تمنيتُ بالخابور قيساً فصادفتُ
منايا لأسبابٍ وفاقٍ إلى قَدْرِ

وقال جرير² :

نبئتُ أنَّك بالخابور مُمتنعٌ
ثم انفرجتَ انفراجاً بعدَ إقرارِ

[من الوافر]

فقال زُفرُ بنُ الحارثِ يُعَاتِبُ عُميراً بما كان منه في الخابور :

ألا مَنْ مُبلغٌ عني عُميراً
أتركُ حسيّ ذي كَلْعٍ وَكَلْبِ
رسالة عاتِبٍ وعليكَ زاري
وتجعلُ حَدَّ نالِكَ في نزارِ
كُمُعتمدٍ على إحدى يديه
فخانتُهُ بوهي وانكسارِ

[زفر يفك أسير القطامي]

ولما أُسِرَ القُطاميُّ أتى زفر بقرقيسيا فخلَّى سبيله ، وردَّ عليه مائة ناقة ، كما ذكر أدهمُ بن عِمْران العبدِيّ ، فقال القطاميُّ يمدحه³ :

[من الوافر]

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا ضُبَاعا
قَفِي فادِي أُسِيرِكَ إِنَّ قَوْمِي
ولا يَكُ موقفٌ منكِ الوداعا
وقومك لا أرى لهم اجتماعا
وَتَغْلَبَ قد تَبَايَنَتِ انْقِطَاعا
تَزِيدُ سَنًا حريقَتِها ارتفاعاً⁴
يَبِتُ وإِنَّمَا بدأ انصداعاً⁵
إلى مَنْ كان منزله يَفَاعا
فَأَصْبَحَ سَبْلُ ذَلِكُ قد تَرَقَّى

1 لم يرد البيتان في ديوان الأخطل .

2 ديوان جرير (صادر) : 242 .

3 ديوان القطامي : 31-38 .

4 الديوان : وصاروا حريقهما .

5 يهاض : يكسر بعد جبر . ويبت : ينقطع . أي أن الكسر بدأ صدعاً ثم أصبح كلاً ما جبر انكسر .

فلا تَبْعِدْ دِماءَ ابْنِي نِزارٍ ولا تَقَرَّرْ عِيونُكَ يا قَضاعا
وَمَنْ يَكُنْ اسْتِلامَ إلى ثَوِيٍّ فقد أَحَسَنْتَ يا زَفْرُ المَناعا¹
أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي وبعْدَ عَطائِكَ المائَةِ الرُتَعا²
فلو بِيَدَيَّ سِوَاكَ غِداةَ زَلَّتْ بِيَ القَدَمَانِ لَمْ أَرْجُ اِطْلاعا³
إِذْ هَلَكْتُ لو كَأَنْتَ صِغارٌ من الأَخلاقِ تُبَدِّعُ اِبْتِداعا⁴
فَلَمْ أَرِ مُنْعِمِينَ أَقْلٌ مَنَّا وأَكْرَمَ عِندَما اصْطَبَعُوا اصْطِناعا
مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بَنِي نُفَيلٍ أَبْتَ أَخلاقُهُمْ إِلَّا اتِّساعا
بَنِي القَرَمِ الَّذِي عَلِمْتُ مَعَدًّا تَفَضَّلَ قَوْمُها سَعَةً وباعا
وقال أيضًا⁵ :

[من الرجز]

يا زَفْرُ بَنِ الحارِثِ ابْنَ الأَكْرَمِ قد كُنْتُ في الحَرْبِ قَدِيمَ المُقَدِّمِ⁶
إِذْ أَحْجَمَ القَوْمُ وَلَمَّا تُحْجِمِ إِنَّكَ وابْنُكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي
وَحَقَّنَ اللهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِن بَعْدِ ما جَفَّ لِسانِي وفَمِي⁷
أَنْقَذْتَنِي مِن بَطْلٍ مُعَمِّمٍ والخِيلُ تَحْتَ العارِضِ المُسَوِّمِ
وَتَغْلِبُ يَدْعُونَ يا لِلْأَرْقَمِ

وقال أيضًا⁸ :

يا ناقُ خُبَيٍّ خَبِيًّا زَوْرًا وَقَلْبِي مَنسَمَكُ المَغْبَرَا⁹

- 1 استلام : فعل ما يلام عليه . والثوي : الضيف والمقيم . وفي الديوان : فقد أكرمت .
- 2 الرتاع : التي ترعى كيف شاءت في خصب وسعة .
- 3 لم أرج اطلاعا : لم أرج نجاة .
- 4 تبددع ابتداعا في ل : تنتزع انتزاعاً ، وهي رواية .
- 5 ديوان القطامي : 122-123 .
- 6 قديم المقدم في الديوان : كريم المقدم .
- 7 الديوان :

بعد العوالي بعدما ذب فمي وحققن الله بأيديكم دمي

8 ديوان القطامي : 120-121 .

9 زور : شديد .

وعارضي الليل إذا ما اخضرًا سوف تلاقين جواداً حراً¹
 سيد قيس زفر الأغراً ذاك الذي بايع ثم براً
 ونقض الأقوام واستمرًا قد نفع الله به وضراً²
 وكان في الحرب شهاباً مرًا

وقال أيضاً³ : [من الرجز]

كان في المركب حين راحا بدرأ يزيد البصر انفصاحاً⁴
 ذا بلج ساواك أنى امتاحا وقر عيناً ورجا الرباحا
 ألا ترى ما غشي الأركاحا وغشي الخبور والأملحا⁵
 يصفقون بالأكف الرّاحا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور بذكر أخبار القطامي⁶ : [من البسيط]

ما اعتاد حب سليمى حين معتاد ولا تقضى بواقي دنيها الطادي⁷
 بيضاء مخطوطة المتين بهكنة رياء الروادف لم تمغل بأولاد⁸
 ما للكواعب ودغن الحياة كما ودعني واتخذن الشيب ميعادي
 أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عنّي غير صدّاد
 إذ باطلي لم تقشع جاهليته عني ولم يترك الخلان تقواي
 كية الحي من ذي القيضة احتملوا مستحقين فواداً ماله فادي⁹

1 الديوان : وعارضي الليل إذا ما اخضرًا أخبرك البارح حين مرا

2 نقض في الديوان : ونقض .
 3 ديوان القطامي : 173-174 .

4 الديوان :

كان في المركب حين لاحا بدرأ يزيد النظر انفصاحا
 أفلح ساق يديك امتاحا

5 الأركاح : الأفنية .

6 ديوان القطامي : 78-87 .

7 الطادي : الثابت القديم .

8 مخطوطة المتين : ممدودتهما . المغل من النساء : التي تحمل كل سنة قبل فطام الصبي .

9 مستحق : محتمل . وفي الديوان : ذي الغضبة ويروى : ذي الغيضة ، وهو مكان .

بَانُوا وَكَانُوا حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ
 يَقْتُلُنَا بِمَحْدِثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِمِّنَ بِهِ
 يَقُولُ فِيهَا فِي مَدْحِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ :
 مَنْ مُبْلَغُ زُفَرِ الْقَيْسِيِّ مِدْحَتُهُ
 إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ
 مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبَقَيْتَ مَعْرِفَتِي
 فَلَنْ أَثْبِيكَ بِالنِّعْمَاءِ مَشْتَمَةً
 فَإِنْ هَجَوْتُكَ مَا تَمَّتْ مَكَارِمَتِي
 وَمَا نَسِيتُ مَقَامَ الْوَرْدِ تَحْسِبُهُ
 لَوْلَا كِتَابُ مَنْ عَمِرُوا تَصُولُ بِهَا
 إِذْ لَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا كُلَّ سَلْهَبَةٍ
 إِذِ الْفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكَايَتِهِمْ
 إِذْ يَعْتَرِكُ رِجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي
 فَقَدْ عَصَيْتَهُمْ وَالْحَرْبُ مُقْبِلَةٌ
 وَالصَّيْدُ آلُ نَقِيلٍ خَيْرُ قَوْمِهِمْ
 الْمَانِعُونَ غَدَاةَ الرُّوعِ جَارَهُمْ
 وَفِي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي¹
 مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي
 مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
 مِنْ الْقُطَامِيِّ قَوْلًا غَيْرَ إِفْنَادٍ²
 وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي³
 وَقَدْ تَعَرَّضَ مَنِّي مَقْتَلٌ بَادِي⁴
 وَلَنْ أُبَدِّلَ إِحْسَانًا بِإِفْسَادٍ⁵
 وَإِنْ مَدَحْتُ فَقَدْ أَحْسَنْتُ إِصْفَادِي⁶
 بَيْنِي وَبَيْنَ خَفِيفِ الْغَابَةِ الْغَادِي⁷
 أُرْدِيتُ يَا خَيْرَ مَنْ يَنْدُو لَهُ النَّادِي⁸
 وَسَابِحٍ مِثْلَ سَيِّدِ الرَّدْهَةِ الْعَادِي⁹
 حَوْلِي شُهُودٌ وَمَا قَوْمِي بِشُهَادِي
 وَلَوْ أُطْعَمْتَهُمْ أَبْكَيْتَ عُوَادِي
 لَا بَلْ قَدَحْتُ زَنَادًا غَيْرَ صَلَادٍ¹⁰
 عِنْدَ الشِّتَاءِ إِذَا مَا ضَنَّ بِالزَّادِ
 بِالْمُشْرِفِيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمُنَادٍ¹¹

1 وكانوا حياتي في الديوان : وكانت حياتي .

2 إفناد : كذب .

3 الهادي : العنق .

4 استبقيت معرفتي : استبقيتني لمعرفةك إتيائي .

5 الديوان : ولن أكافئ .

6 إصفاذي : إعطائي .

7 الورد : فرس كان للزفر بن الحارث والغابة هنا : الرماح .

8 يندو : يجتمع .

9 سلهبة : الفرس الطويل . والسيد : الذئب . الردهة : أكمة كثيرة الحجارة أو نقرة في الجبل .

10 الصلاد : الزند الذي لا يوري .

11 المناد : الموج .

أَيَّامَ قَوْمِي مَكَانِي مُنْصِبٌ لَهُمْ وَلَا يَظُنُّونَ إِلَّا أَنَّنِي رَادِي¹
فَانْتَأَشَنِي لَكَ مِنْ غَمَاءَ مَظْلَمَةٍ حَبْلٌ تَضُمَّنْ إِصْدَارِي وَإِرَادِي²
وَلَا كَرْدَكَ مَالِي بَعْدَمَا كَرَبْتُ تُبْدِي الشَّمَاتَةَ أَعْدَائِي وَحُسَادِي
فَإِنْ قَدَّرْتُ عَلَى خَيْرٍ جَزَيْتُ بِهِ وَاللَّهُ يَجْعَلُ أَقْوَاماً بِمِرْصَادِي

قال ابن سلام: فلما سمع زفر هذا قال: لا أقدرك الله على ذلك.

وقال أيضاً³: [من الوافر]

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ زُفَرٍ بَنَ عَمْرٍو وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا نَطَقَ الْحَكِيمُ
أَبِي مَا يُقَادُ الدَّهْرَ قَسْرًا وَلَا إِلَهَوى الْمَصْرَفِ يَسْتَقِيمُ
أَنُوفٌ حِينَ يَغْضَبُ مُسْتَعِزٌّ جَنُوحٌ يَسْتَبِدُّ بِهِ الْعَزِيمُ⁴
فَمَا آلَ الْحَبَابِ إِلَى نُفِيلٍ إِذَا عُدَّ الْمُهْلُ وَالْقَدِيمُ⁵
كَأَنَّ أَبَا الْحَبَابِ إِلَى نُفِيلٍ حِمَارٌ عَضَّةٌ فَرَسٌ عَذُومٌ⁶
بَنَى لَكَ عَامِرٌ وَبَنُو كَلَابٍ أَرُومًا مَا يُوَازِيهِ أَرُومُ

[أحسن الناس ابتداء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ، قال: حدثني علي بن يحيى المنجّم، قال: سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون: أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

أَلَا عِمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

وحيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي الإسلاميين القطامي، حيث يقول:

إِنَّا مُحْيِيوكَ فَاسْلُمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ

وفي المحدثين بشَّار، حيث يقول:

1 منصب: متعب. ورادي: هالك.

2 غناء في الديوان: غيراء.

3 ديوان القطامي: 113-115.

4 مستعز: عزيز النفس. والعزيم والعزيمة واحد.

5 آل الحباب: آل عمير بن الحباب. ونفيل: الرهط الذين يتنسب إليهم زفر بن الحارث. والمهل: المتروك المنسي.

6 الفرس العذوم: العضوض.

أَبَى طَلَلٌ بِالْجَزْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَا وماذا عليه لو أجاب مُتِيماً
وبالْفُرْعِ آثَارٌ لِهِنْدٍ وَبِاللَّوَى مَلَايِبُ مَا يُغْرِفْنَ إِلَّا تَوْهُمَا

[الشعبي يفضل على الأخطل]

نسختُ مِنْ كتابِ أحمد بن الحارث الخِرَازِ ، ولم أسمعهُ من أحدٍ ، وهو خيرٌ فيه طولٌ اقتصرتُ منه على ما فيه من خبرِ القطاميِّ ، قال أحمد بن الحارث الخِرَازِ : حدثني المدائنيُّ ، عن عبد الملك بن مُسلم ، قال¹ : قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ للأخطل ، وعنده عامرُ الشَّعبيِّ : أُتِجِبُ أَنْ لَكَ قِياضاً² بشعرك شعرَ أحدٍ من العربِ أم تحبُّ أَنْكُ قلتَه ؟ قال : لا والله يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ أَيْبَاتاً قَالَهَا رَجُلٌ مَنَا مُغْدَفُ الْقِنَاعِ ، قَلِيلُ السَّمَاعِ ، قَصِيرُ الذَّرَاعِ ، قال : وما قال ؟ فأنشد قولَ القطاميِّ :

[من البسيط]

إِنَّا مُحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلاً وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّبَهُ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
إِنْ تَرْجِعِي مِنْ أَبِي عَثْمَانَ مُنْجِحَةً فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ³
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْراً قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَأَمَّ الْمَخْطِئُ الْهَبْلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِّيَ بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

حتى أتى على آخرها : قال الشَّعبيُّ : فقلتُ له : قد قال القطاميُّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قلتُ : قال⁴ :

[من الكامل]

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهَا قَرِيبَ الْمُعْنَى⁵
قَطَعْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِدَايَةِ حَسَنٍ مُعَلَّقُ تَوَمَّتِيهِ مُطَوَّقٍ⁶
وَمُصْرَعَيْنِ مِنَ الْكَلَالِ كَأَنَّمَا بَكَرُوا الْغُبُوقَ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُعْتَقِ⁷

1 تقدم هذا الخبر والشعر في ترجمة النابغة النيباني في الجزء 11 : 17 .

2 قياضاً : مقايضة .

3 الخطاب للناقة .

4 ديوان القطامي : 105-112 .

5 أعنق : سار سيراً سريعاً . ويعني أَنَّ المكان الذي أعنقت منه قريب .

6 الجداية : الغزال . والتومة : اللؤلؤة . ويعني هنا الحبة في القرط .

7 الرحيق : الخمر .

مُتَوَسِّدِينَ ذِرَاعَ كُلِّ شِمْلَةٍ وَمُفَرَّجٍ عُرْقِ الْمَقْدِّ مُنَوِّقٍ¹
 وَجِئْتُ عَلَى رُكْبٍ تَهْدُ بِهَا الصَّغَا وَعَلَى كَلَاكِلَ كَالنَّقِيلِ الْمُطَرَّقِ²
 وَإِذَا سَمِعْنَ إِلَى هَمَاهِمِ رُقَقَةٍ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَابِرٍ لَمْ تَخْفَي³
 جَعَلْتُ تَمِيلُ خُدُودَهَا آذَانَهَا طَرِباً بَهَنً إِلَى حُدَاءِ السُّوقِ
 كَالْمُنْصِتَاتِ إِلَى الزَّمِيرِ سَمِغْنَه مِنْ رَائِعٍ لِقُلُوبِهِنَّ مُشَوِّقٍ⁴
 فَإِذَا نَظَرْنَ إِلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ هَقّاً كَشَاكِلَةِ الْحِصَانِ الْأَبْلَقِ⁵
 وَإِذَا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجَةٍ حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لَمْ يَلْحَقِ
 وَإِذَا يُصَيِّكُ ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ، حَدَثٌ حَدَاكَ إِلَى أُخَيْكَ الْأَوْثَقِ⁶
 لَيْتَ الْهُمُومَ عَنِ الْفَوَادِ تَفَرَّجَتْ وَخَلَا التَّكَلُّمُ لِلْسَانَ الْمُطَلَّتِ⁷

قال : فقال عبدُ الملك بن مروان : ثكِلت القطاميُّ أمُّه ، هذا والله الشعرُ . قال : فالتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال لي : يا شعبيُّ ، إن لك فنوناً في الأحاديث ، وإنما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإن رأيتَ ألاَّ نَحْمِلَنِي عَلَى أَكْتافِ قَوْمِكَ فَأَدْعِهِمْ حَرْبِي فَقُلْتُ : وكرامةً ، لا أعرضُ لك في شعر أبداً ، فأَقْلَنِي هذه المرة .

ثم التفتُ إلى عبد الملك بن مروان ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين : أسألك أن تستغفرَ لي الأخطلُ ، فإنِّي لا أعاودُ ما يكره . فضحك عبدُ الملك بن مروان وقال : يا أخطلُ إنَّ الشعبيَّ في جوارِي . فقال : يا أمير المؤمنين : قد بدأته بالتحذير ، وإذا ترك ما نكره لم نعرض له إلاَّ بما يُحِبُّ . فقال عبد الملك بن مروان للأخطلُ : فعليَّ ألاَّ يعرضَ لك إلاَّ بما يحبُّ أبداً . فقال له الأخطلُ : أنت تتكفلُ بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال عبدُ الملك بن مروان : أنا أكفلُ به ، إن شاء الله تعالى .

- 1 الرواية السابقة : كل نجبية . الشملة : الناقة الخفيفة . المفرج : ما بان مرقفه عن إبطه . والمقد : ما بين الأذنين . والمنوق : الجمل الذي أحسنت رياضته .
- 2 النقيط : رقايع النعل والخف . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض .
- 3 همهم رُقَقَةٍ في الديوان : همهاً من رققة . والهمهم : الكلام الخفي . غوابر : بواق . وتخفق : تغيب .
- 4 إلى الزمير في الديوان : إلى الغناء .
- 5 اللهق : البياض دون لمعان . والشاكلة : الخاصرة .
- 6 وإذا يُصَيِّك في الديوان : وإذا أصابك .
- 7 لَيْتَ في الديوان : لئن .

صوت

[من البسيط]

يا ابنَ الذينَ سَمَا كِسْرَى لَجْمَعُهُمْ فَجَلُّوا وَجْهَهُ قَاراً بِذِي قَارٍ¹
 دَوْخُ خُرَاسَانَ بِالْجُرْدِ الْعِتَاقِ وَبِالْبِ يَضِرُّ الرِّقَاقَ بِأَيْدِي كُلِّ مِسْعَارٍ

الشَّعْرُ لأبي نَجْدَةَ ، واسمه لُجَيْمُ بنِ سَعْدٍ ، شاعِرٌ من بني عَجَلٍ .
 أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ من أَهْلِهِ . وَكَانَ أَبُو نَجْدَةَ هَذَا معَ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ دُلْفٍ بنِ
 أَبِي دُلْفٍ ، مَنْقُطِعاً إِلَيْهِ .
 والغناء لَكُنَيْزِ دُبَّةَ ، وَلَحْنُهُ فِيهِ خَفِيفٌ بِالْبَنْصَرِ ، ابْتِدَاؤُهُ نَشِيدٌ .

[مناسبة هذا الشعر]

وَكَانَ سَبَبُ قَوْلِهِ هَذَا الشَّعْرُ أَنَّ قَائِداً من قُوَادِ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّجَا إِلَى عَمْرُو بنِ
 اللَّيْثِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِخُرَاسَانَ ، فَعَمَّ ذَلِكَ أَحْمَدَ وَأَقْلَقَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو نَجْدَةَ ، فَأَنشَدَهُ
 هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَبَعْدَهُمَا :

يَا مَنْ تَيَمَّمَ عَمراً يَسْتَجِيرُ بِهِ أَمَا سَمِعْتَ بَيْتَ فِيهِ سَيَّارٍ
 الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ²

فَسَرَّ أَحْمَدَ بِذَلِكَ ، وَسَرَّيْ عَنْهُ ، وَأَمَرَ لأبي نَجْدَةَ بِجَائِزَةٍ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحْمَهُ ، وَغَنَّى فِيهِ
 كُنَيْزُ لَحْنِهِ هَذَا ، وَهُوَ لَحْنٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ فِي عَصْرِنَا هَذَا ، فَأَمَرَ لَكُنَيْزَ أَيْضاً بِجَائِزَةٍ ، وَخَلَعَ
 عَلَيْهِ وَحْمَهُ .

سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بنَ الْمَرْزُبَانَ يُحَدِّثُ أَبِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمَذَاكِرَةِ ،
 وَكَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ آلِ الْمَرْزُبَانِ مَوَدَّةٌ قَدِيمَةٌ وَصِيهَةٌ .

1 ذو قار : ماء ل بكر بن وائل قرب الكوفة .

2 المثل « كالمستجير (كالمستغيث) من الرمضاء في النار » في مجمع الميداني 1 : 375 ، 2 : 149 وجمهرة
 العسكري 2 : 160 وفصل المقال : 377 . وعمرُو في البيت الأول هو عمرو بن الليث المذكور في الخبر ،
 وفي البيت الثاني هو عمرو بن الحارث الذي طلب منه كليب أن يغيبه بشربة ماء فنزل وأجهز عليه .

[527] - خبر وقعة ذي قار¹

التي فُخِرَ بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها علي بن سليمان الأخفش ، عن السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبي ، عن خراش بن إسماعيل . وأضفتُ إلى ذلك رواية الأثرم عن أبي عبيدة ، وعن هشام أيضاً ، عن أبيه ، قالوا : كان من حديث ذي قار أن كسرى أبرويز بن هرمز لما غضِبَ على النعمان بن المنذر أتى النعمان هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان² ، فاستودعه ماله وأهله وولده ، وألفَ شِكَّةً ، ويقال : أربعة آلاف شِكَّةً ، قال ابن الأعرابي : والشِكَّةُ : السلاحُ كُلُّهُ ، ووضع وضائع عند أحياء من العرب ، ثم هربَ وأتى طَبِئاً لصهره فيهم .

وكانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارثة . فأبوا أن يدخلوه جبلهم ، وأتته بنو رواحة بن ربيعة بن عنبس ، فقالوا له : «أبيت اللعن ، أقم عندنا ، فإننا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا» . فقال : ما أحبُّ أن تهلكوا بسبيي ، فجزيتم خيراً .

ثم خرج حتى وضع يده في يد كسرى ، فحبسه بساباط³ ، ويقال بخانقين - وقد مضى خبره مشروحاً في أخبار عدي بن زيد ، قالوا : فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير على السَّوَادِ . فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدئين ، بن عبد الله بن عمرو إلى كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلاً وطُعْمةً ، على أن يضمَّنَ له على بكر بن وائل ألا يدخلوا السَّوَادَ ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطعهُ الأُبُلَّةَ وما والاها .

وقال : هل تكفيك أغراب قومك ؟ . . وكانت له حُجْرة⁴ فيها مائة من الإبل للأضياف ، إذا نُحِرَتْ ناقة رُدَّتْ مكانها ناقة أخرى وإياه عني الشَّمَاحُ بقوله : [من البسيط]

1 خبر وقعة ذي قار في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي وفي الخزائن والعقد والنقائض وأيام العرب في الجاهلية وغيرها . وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 15-18 .

2 في الطبري عن أبي عبيدة أن هانيء بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، إنما هو هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود .

3 ساباط : بلد قرب سمرقند .

4 الحجرة : حظيرة الإبل .

فادْفَعْ بِأَلْبَانِهَا عَنْكُمْ كَمَا دَفَعْتَ عَنْهُمْ لِقَاحُ بَنِي قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ¹

قال : فكان يأتيه مَنْ أتاها منهم فَيُعْطِيهِ جُلَّةَ تَمَرٍ وَكَرْبَاسَةً² ، حتى قَدِمَ الحارثُ بن وَعلة بن مجالد بن يَثْرِبِيٍّ بن الدِّيَّانِ بن الحارث بن مالك بن شيان بن ذُهَلِ بن ثعلبة ، والمكسَّر بن حنظلة بن حُيَيٍّ بن ثعلبة بن سَيَّار بن حُيَيٍّ بن حاطبة بن الأسعد بن جَذِيمة بن سَعْدِ بن عجل بن لُجَيْم ، فأعطاها جُلَّتِي تَمَرٍ وَكَرْبَاسَتَيْنِ ، فغَضِبَا وأبَيَا أَنْ يَقْبَلَا ذلك منه ، فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائلٍ ، ثم أغارا على السَّوَادِ ، فأغار الحارثُ على أسافل رُودَمِيسان³ وهي من جَرْدٍ ، وأغار المكسَّر على الأنبار ، فلقى رجل من العباديين من أهل الحيرة ، قد نُتِجَتْ بعض نُوقِهِم ، فحملوا الحُوراء على ناقةٍ ، وصَرَّوْا⁴ الإبل . فقال العباديُّ : لقد صَبَّحَ الأنبارُ شَرًّا ، جَمَلٌ يَحْمِلُ جَمَلًا ، وجَمَلٌ بُرَّئُهُ⁵ عودٌ ، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل .

قال : وأغار بُجَيْرُ بن عائذ بن سُوَيْدِ العجليِّ ، ومعه مَفْرُوقُ بن عمرو الشَّيبانيُّ على القادسيَّة وطِيرِناذ ، وما والاهما ، وكلُّهم ملأ يَدَيْهِ غِيْمَةً . فَأَمَّا مَفْرُوقٌ وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فمَوَتْ منهم خمسة نفرٍ مع مَنْ مَوَتْ من أصحابهم ، فدَفِنُوا بالدُّجَيْلِ ، وهو رِحلة⁶ من العُذَيْبِ يسيرةً ، فقال مفروقٌ : [من الطويل]

أَتَانِي بِأَنْبَاطِ السَّوَادِ يَسُوقُهُمْ إِلَيَّ وَأَوْدَتْ رَجُلَتِي وَفَوَارِسِي⁷
فلَمَّا بَلَغَ ذلك كِسْرَى اشْتَدَّ حَتَقُهُ على بكرٍ بن وائلٍ ، وبلغه أن حَلَقَةً⁸ النُّعْمَانِ وولَّده وأهله عندهم ، فأرسل كِسْرَى إلى قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وهو بالأبْلَةِ فقال : غررتني من قومِكَ ، وزعمتَ أَنَّكَ تكفينيهم ، وأمر به فحُبِسَ بساباطٍ ، وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش إليهم ، فقال قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وهو محبوسٌ ، من أبيات :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي ذُهَلٍ رَسُولاً فَمَنْ هَذَا يَكُونُ لَكُمْ مَكَانِي

1 ديوان الشَّمَاخ : 119 .

2 الجلة : القفة الكبيرة . والكرباسة : ثياب خشنة .

3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وروذ : من أسماء بعض القرى .

4 صروا الإبل : شدوا ضروعها فلا ترضعها أولادها .

5 البرة : حلقة تجعل في أنف البعير .

6 ل : مروحة .

7 الرحلة : جمع رجل .

8 الحلقة : الدروع والسلاح .

أَيَاكُلُّهَا ابْنُ وَعَلَةَ فِي ظَلِيفٍ وَيَأْمَنُ هَيْثُمُ وابْنَا سِنَانٍ¹
 وَيَأْمَنُ فِيكُمْ الذُّهْلِيُّ بَعْدِي وَقَدْ وَسَمُوكُمْ سِمَةَ الْبَيَانِ
 أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمِي وَمَنْ ذَا يَبْلُغُ عَنْ أُسِيرٍ فِي الْإِيوانِ

يعني الإيوان .

تَطَاوَلَ لَيْلُهُ وَأَصَابَ حُزْنًا وَلَا يَرْجُو الْفِكَاكَ مَعَ الْمِنَانِ
 يعني بالهَيْثُمُ وابْنِي سِنَانٍ : الهَيْثُمُ بْنُ جَرِيرٍ بْنِ يَسَافٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَدُوسٍ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَأَبُو عِلْبَاءَ بْنِ الهَيْثُمِ .

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ يُنْذِرُ قَوْمَهُ² :

أَلَا لَيْتَنِي أَرَشْتُ سِلَاحِي وَبَغَلْتِي لِمَنْ يُخْبِرُ الْأَنْبَاءَ بِكَرِّ بْنِ وَاثِلٍ³
 وَيُرَوِّى : لِمَنْ يُعْلَمُ الْأَنْبَاءَ .

فَأَوْصِيَهُمْ بِاللَّهِ وَالصُّلْحَ بَيْنَهُمْ لَيْنَصًا مَعْرُوفًا وَيُزَجَرَ جَاهِلٌ⁴
 وَصَاةَ أَمْرٍءٍ لَوْ كَانَ فِيكُمْ أَعَانَكُمْ عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ فِيهَا الْغَوَائِلُ
 فَأَيَّامَكُمْ وَالطُّفَّ لَا تَقْرُبْنَهُ وَلَا الْبَحْرَ إِنَّ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ وَاصِلٌ⁵
 وَلَا أُحْبِسُنْكُمْ عَنْ بُغَا الْخَيْرِ إِنَّنِي سَقَطْتُ عَلَى ضِرْغَامَةٍ فَهُوَ آكِلٌ⁶
 رَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ :

..... إِنَّ الْمَاءَ لِلْقَوْدِ وَاصِلٌ

أَيُّ أَنْتَهُ مُعَيَّنٌ لَهُمْ ، يَقُودُ الْخَيْلَ إِلَيْكُمْ .
 قَالَ : وَقَالَ قَيْسٌ أَيْضًا يُنْذِرُهُمْ :

[من الطويل]

تَعَنَّاءُكَ مِنْ لَيْلِي مَعَ اللَّيْلِ خَائِلٌ وَذِكْرُهَا فِي الْقَلْبِ لَيْسَ يُزِيلُ
 أَحَبُّكَ حُبُّ الْخَمْرِ مَا كَانَ حُبُّهَا إِلَيَّ وَكُلُّ فِي فَوَادِي دَاخِلُ
 أَلَا لَيْتَنِي أَرَشْتُ سِلَاحِي وَبَغَلْتِي فَيُخْبِرَ قَوْمِي الْيَوْمَ مَا أَنَا قَائِلُ

1 في ظليفي : بغير حق .

2 الأبيات في معجم المرزباني : 201 .

3 عجز البيت في المرزباني : لأن تعلم الأنباء والعلم واثل ، وبه يزول الإقواء .

4 المرزباني : لينطق معروف .

5 المرزباني : للقود واصل .

6 لم يرد هذا البيت عند المرزباني .

فإِنَّا ثَوَيْنَا فِي شُعُوبٍ وَإِنَّهُمْ غَزَتْهُمْ جُنُودٌ جَمَّةٌ وَقِبَائِلُ
وإِنَّ جُنُودَ الْعُجْمِ يَنْبِي وَيَنْكُم فَيَا فَلَجِي يَا قَوْمُ إِنْ لَمْ تَقَاتِلُوا¹

قال : فلَمَّا وَضَحَ لكسرى واستبانَ أَنَّ مالَ النُّعمانِ وحُلَقَتَهُ وولَدَهُ عند ابنِ مَسْعُودٍ ، بعثَ إليه كسرى رجلاً يخبره أَنَّهُ قال له : إِنَّ النُّعمانَ إِنَّمَا كان عاملي ، وقد استودَعَكَ مالَهُ وأهلَهُ والحلقةَ ، فأبعثَ بها إليَّ ولا تكلفني أَن أبعثَ إليك ولا إلى قومِكَ بالجنودِ ، تقتلُ المقاتلةَ وتَسبي الذريةَ . فَبَعَثَ إليه هانيءٌ : إِنَّ الذي بلغكَ باطلٌ ، وما عِنْدِي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمرُ كما قيل فإنَّما أنا أحدُ رجلين ؛ إمَّا رجلٌ استودِعَ أمانةً ، فهو حقيق أن يردَّها على مَنْ استودَعَهُ إيَّاهَا ، ولن يُسَلِّمَ الحرُّ أمانتهُ أو رجلٌ مكذوبٌ عليه ، فليس ينبغي للملكِ أن يأخذهُ بقول عدوٍّ أو حاسدٍ .

قال وكانت الأعاجمُ قوماً لهم حِلْمٌ ، وقد سَمِعُوا ببعضِ عِلْمِ العربِ ، وعَرَفُوا أَنَّ هذا الأمرَ كائنٌ فيهِم .

فلَمَّا ورد عليه كِتَابُ هانيءٍ بهذا حملته الشَّقَقَةُ أن يكونَ ذلك قد اقترَبَ ، فأقبلَ حتى قطعَ الفُراتَ ، فنزلَ غَمْرُ بني مُقاتلٍ . وقد أَحْنَقَهُ ما صنعتَ بكرُ بنِ وائلٍ في السَّوادِ ومنَعُ هانيءٍ إيَّاه ما مَنَعَهُ .

قال : ودَعَا كِسرى إِيَّاسَ بنَ قَبِيصَةَ الطائيِّ ، وكان عامِلَهُ على عينِ الثَّمرِ وما والاها إلى الحيرةَ ، وكان كسرى قد أَطعمه ثلاثين قريةً على شاطئِ الفراتِ ، فَأَتاه في صَنائِعِهِ من العَرَبِ الذين كانوا بالحيرةِ فاستشارَهُ في الغارةِ على بكرِ بنِ وائلٍ ، وقال : ماذا تَرى ؟ وكَم تَرى أن نُغزِيَهُم من الناسِ ؟ فقال له إِيَّاسٌ : إِنَّ الملكَ لا يَصْلُحُ أن يَعْصِيَهُ أحدٌ من رَعِيَّتِهِ ، وإن تَطِيعَنِي لم تُعلمَ أحداً لأَيِّ شيءٍ عبرتَ وقطعتَ الفُراتَ ، فَيَرَوْا أَنَّ شيئاً من أمرِ العربِ قد كَرَبَكَ ، ولكن تَرْجِعْ وتَضْرِبْ عَنْهُمْ ، وتَبِعْ عليهم العيونَ حتى تَرى غِرَّةً منهم ثم ترسلَ حَلْبَةً من العجمِ فيها بعضُ القبائلِ التي تَلِيَهُم ، فيُوقِعُونَ بِهِم وقعةَ الدَّهْرِ ، ويأتونَكَ بِطَلَبِكَ . فقال له كسرى : أَنتَ رجلٌ من العربِ ، وبكرُ بنِ وائلٍ أخوالكَ ، وكانت أُمُّ إِيَّاسٍ ، أُمَامَةُ بنتُ مَسْعُودٍ ، أختُ هانيءِ بنِ مَسْعُودٍ ، فَأَنتَ تتعصَّبُ لَهُم ، ولا تَأْلُوهُم نَصْحاً . فقال إِيَّاسٌ : رَأَيْتُ الملكَ أَفْضَلَ . فقامَ إليه عمرو بنُ عديٍّ بنَ زَيْدِ العباديِّ ، وكان كاتبَهُ وترجمانَهُ بالعربيةَ في أُمُورِ العربِ ، فقال له : أَقِمْ أَيُّهَا الملكُ ، وأبعثَ إِلَيْهِم بالجنودِ يَكْفُوكَ . فقامَ إِلَيْهِ النُّعمانُ بنُ زُرْعَةَ بنِ هَرَمِيٍّ ، من ولدِ السَّفَّاحِ التَّغْلِبِيِّ ، فقال : أَيُّهَا الملكُ ، إِنَّ هذا الحَيَّ من

بكر بن وائل إذا قاطلوا بذئ قار تهافتوا تهافت الجراد في النار . فعقد للثعمان بن زُرعة على تغلب والنمير ، وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قُضاعة وإياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر ، فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد للهامرزي على ألف من الأساورة¹ ، وعقد لخنايرين على ألف ، وبعث معهم باللطيمة ، وهي غير كانت تخرج من العراق فيها البر والعطر والألطف ، توصل إلى باذام عامله باليمن ، وقال : إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى اليمن ، وأمر عمرو بن عدي أن يسير بها ، وكانت العرب تخفيهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن . وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم الثعمان بن زُرعة ، فإن أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم ، فاقبلوا منهم ، وإلا فقاتلوهم . وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم ، يوم الصفقة² ، فالعرب وجلة خائفة منه . وكانت حرقة بنت حسان بن الثعمان بن المنذر يومئذ في بني سنان ، هكذا في هذه الرواية .

وقال ابن الكلبي : حرقة بنت الثعمان ، وهي هند ، والحرقة لقب ، وهذا هو الصحيح .
فقال تنذروهم :

ألا أبلغ بني بكر رسولا	فقد جد النفير بعنقير ³
فليت الجيش كلهم فداكم	ونفسي والسري وذا السري
كأنني حين جد بهم إليكم	معلقة الذوائب بالعبور ⁴
فلو أنني أطقت لذاك دفعا	إذن لدفعته بدمي ويري ⁵

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانيء بن مسعود حتى انتهى إلى ذي قار ، فنزل به . وأقبل الثعمان بن زُرعة ، وكانت أمه قليفة بنت الثعمان بن معديكرب التغلبي ، وأمها الشقيقة بنت الحارث الوصاف العجلي ، حتى نزل على ابن أخته مرة بن عمرو بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن قيس بن سعد بن عجل ، فحمده الله الثعمان وأثنى عليه ثم قال : إنكم أحوالي وأحد طرفي ، وإن الرايد لا يكذب أهله⁶ ، وقد أتاكم ما لا قيل لكم به من أحرار

1 الأساورة : جمع أسوار ، وهو الفارس من الفرس .

2 تقدم خبر يوم الصفقة في الأغاني 17 : 228 .

3 عنقير : داهية .

4 العبور : تعني الشرى العبور .

5 الرير : مخ العظام وفي رواية : وزيري ، وهو ما أحكم فتلته من الأوتار ، وتعني بذلك عروقه .

6 المثل «الرايد لا يكذب أهله» في مجمع الميداني 2 : 233 وجمهرة العسكري 1 : 472 .

فارس ، وفُرسان العرب ، والكثيبتان : الشهباء والدَّوسر ، وإن في هذا الشرَّ خياراً . ولأنَّ
يفتدي بعضكم بعضاً خيراً من أن تُصطلموا¹ ، فانظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من
أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم . فقال له القوم : ننظرُ في أمرنا . وبعثوا إلى من يليهم من
بكر بن وائل ، وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجهلتين .

قال الأثرم : جلَّهة الوادي : ما استقبلَكَ منه واتَّسع لك . وقال ابنُ الأعرابي : جلَّهة
الوادي : مقدَّمه ، مثل جلَّهة الرأس إذا ذهب شعره ، يقال : رأس أجَله .

قال : وكان مرداسُ بن أبي عامر السُّلَميُّ مُجاوراً فيهم يومئذٍ ، فلما رأى الجيوش قد
أقبلتُ إليهم حمَل عياله فخرج عنهم ، وأنشأ يقولُ يحرضُهم بقوله : [من البسيط]

أبلغ سراً بني بكرٍ مغلَّلةً	إنِّي أخافُ عليهم سرَّية الدَّارِ ²
إنِّي أرى الملكَ الهامُزَ مُنْصَلِيتاً	يُزجِي جِباداً وركباً غير أبرارِ ³
لا تَلْقُطُ البعرَ الحَوْلِيَّ نِسْوَتُهُمْ	للجائزين على أعطانٍ ذي قارِ ⁴
فإن أُبَيْتُمْ فإنِّي رافعٌ ظُغني	ومُنْشِبٌ في جبال اللُّوبِ أَظْفاري ⁵
وجاعِلٌ بيننا ورداً غوارِبُه	ترمي إذا ما ربا الوادي بتيارِ

ربا : ارتفع وطال ، وقوله : ورداً غوارِبُه : أراد البحر .

قال علي بن الحسين الأصفهاني : هذه الحكايةُ عندي في أمرِ مرداس بن أبي عامرٍ خطأ ؛
لأنَّ وقعةَ ذي قار كانت بعد هجرة النبي ﷺ ، وكانت بين بَدْرٍ وأحدٍ ومرداس بن أبي
عامرٍ وحربُ بن أُمَيَّة أبو أبي سفيان ماتا في وقتٍ واحدٍ ، كانا مرّاً بالقرية ، وهي غِيضةٌ ملتفةٌ
الشَّجر ، فأحرقا شَجَرها ليتخذاها مزرعةً ، فكانت تخرجُ من الغِيضة حَيَّاتٌ بيضٌ فتطيرُ حتى
تغيبُ . ومات حربٌ ومرداسٌ بعقب ذلك ، فتحدَّث قومُهما أنَّ الجِنَّ قتلتهما لإحراقهما
منازلَهُم من الغِيضة ، وذلك قبل مَبْعَثِ النبي ﷺ ، بحين . ثم كانت بين أبي سفيان وبين
العبَّاس بن مرداس مُنازعةٌ في هذه القرية ، ولهما في ذلك خبرٌ ليس هذا مَوْضِعُه . وأظنُّ أنَّ
هذه الأبياتَ للعبَّاس بن مرداس بن أبي عامر .

1 اصطلموا : استوصلوا .

2 السرية : جماعة الخيل المغيرة ، أو السرعة في قضاء الأمر .

3 في رواية : غير أعيار أو أعرار ، والأولى جمع غير وهو الحمار الوحشي ، والثانية : جمع عر وهو الغلام .

4 أعطان : مبارك الإبل .

5 جبال اللوب : موضع .

رجع الحديث إلى سياقه في حديث ذي قار .

قال : وجعلت بكر بن وائل حين بَعَثُوا إِلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ بَكْرِ لَا تُرْفَعُ لَهُمْ جَمَاعَةٌ إِلَّا قَالُوا : سَيِّدُنَا فِي هَذِهِ . فَرُفِعَتْ لَهُ جَمَاعَةٌ ، فَقَالُوا : سَيِّدُنَا فِي هَذِهِ ، فَلَمَّا دَنَوْا إِذَا هُمْ بِعَبْدِ عَمْرِو بْنِ بَشَرَ بْنِ مَرْثَدٍ ، فَقَالُوا : لَا . ثُمَّ رُفِعَتْ لَهُمْ أُخْرَى ، فَقَالُوا : فِي هَذِهِ سَيِّدُنَا ، فَإِذَا هُوَ جَبَلَةُ بْنُ بَاعْثِ بْنِ صَرِيمِ الْيَشْكُرِيِّ ، فَقَالُوا : لَا .

فَرُفِعَتْ أُخْرَى ، فَقَالُوا : فِي هَذِهِ سَيِّدُنَا ، فَإِذَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ وَعَلَةَ بْنِ مُجَالِدِ الدُّهْلِيِّ فَقَالُوا : لَا . ثُمَّ رُفِعَتْ لَهُمْ أُخْرَى ، فَقَالُوا : فِي هَذِهِ سَيِّدُنَا ، فَإِذَا فِيهَا الْحَارِثُ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ عَثْمَانَ التَّيْمِيُّ ، مِنْ تَيْمِ اللَّهِ ، فَقَالُوا : لَا . ثُمَّ رُفِعَتْ لَهُمْ أُخْرَى أَكْبَرُ مِمَّا كَانَ يَجِيءُ ، فَقَالُوا : لَقَدْ جَاءَ سَيِّدُنَا ، فَإِذَا رَجُلٌ أَصْلَحُ الشَّعْرِ ، عَظِيمُ الْبَطْنِ ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً ، فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَيَّارِ بْنِ حُثَيِّ بْنِ حَاطِطَةَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَجَلٍ . فَقَالُوا : يَا أَبَا مَعْدَانَ ، قَدْ طَالَ انْتِظَارُنَا ، وَقَدْ كَرِهْنَا أَنْ نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ ، وَهَذَا ابْنُ أَخِيكَ النُّعْمَانُ بْنُ زُرْعَةَ قَدْ جَاءَنَا ، وَالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ . قَالَ : فَمَا الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكُمْ ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ مَلُوكُكُمْ ؟ قَالُوا : قَالَ : إِنَّ اللَّخْيَ أَهْوَنُ مِنَ الْوَهْيِ¹ وَإِنْ فِي الشَّرِّ خِيَارًا ، وَلَأَنْ يَفْتَدِيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصْطَلَمُوا جَمِيعًا .

قال حنظلة : ففَبَحِ اللَّهُ هَذَا رَأْيًا ، لَا تَجْرُ أَحْرَارُ فَارَسَ غُرْلَهَا² بِيْطَحَاءِ ذِي قَارٍ وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ .

ثُمَّ أَمَرَ بِقَبِيئِهِ فَضُرِبَتْ بِوَادِي ذِي قَارٍ ، ثُمَّ نَزَلَ وَنَزَلَ النَّاسُ فَطَافُوا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِهَانِيءِ بْنِ مَسْعُودٍ : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، إِنْ ذَمَّتْكُمْ ذَمَّتْنَا عَامَةً ، وَإِنَّهُ لَنْ يَوْصَلَ إِلَيْكَ . حَتَّى تَفْنَى أَرْوَاحُنَا ، فَأَخْرِجْ هَذِهِ الْحَلْقَةَ فَفَرَّقْنَاهَا بَيْنَ قَوْمِكَ ، فَإِنْ تَظَفَّرَ فَسْتَرِدُّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ تَهْلِكَ فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ .

فَأَمَرَ بِهَا فَأَخْرِجَتْ ، فَفَرَّقَهَا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ قَالَ حَنْظَلَةُ لِلنُّعْمَانِ : لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لِمَا أَبْنَتْ إِلَى قَوْمِكَ سَالِمًا . فَرَجَعَ النُّعْمَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْقِتَالِ ، وَبَاتَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَرْبِ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْبَلَتِ الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُمْ ، وَأَمَرَ حَنْظَلَةُ بِالظُّعْنِ جَمِيعًا فَوَقَفَهَا خَلْفَ النَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، قَاتِلُوا عَنْ طُعْنِكُمْ أَوْ دَعُوا ، فَأَقْبَلَتِ الْأَعَاجِمُ يَسِيرُونَ عَلَى تَعْبِئَةٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ بَنُو قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ انْصَرَفُوا فَلَحِقُوا بِالْحَيِّ فَاسْتَخَفُّوا فِيهِ ، فَسَمِّيَ : «حَيٌّ

1 اللخي : العطاء . والوهي : الوهن والهلاك .

2 الغرل : جمع غرلة ، وهي القلفة .

بني قيس بن ثعلبة» قال : وهو على موضع خفي فلم يشهدوا ذلك اليوم .
 وكان ربيعة بن غزالة السُّكُونِي ، ثم التَّجِيبِي ، يومئذ هو وقومه نزولاً في بني شيبان ،
 فقال : يا بني شيبان ، أما لو أني كنتُ منكم لأشرتُ عليكم برأيٍ مثل عروة العِكم¹ .
 فقالوا : فأنت والله من أوسطنا ، فأشير علينا . فقال : لا تُشهدوا هذه الأعاجم فتُهْلِككم
 بُشَّابها ، ولكن اتكردسوا لهم كراديس² ، فيشدَّ عليهم كُردوس³ ، فإذا أقبلوا عليه شدَّ
 الآخر ، فقالوا : فإنك قد رأيت رأياً ، ففعلوا .

فلما التقى الزحفان ، وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل ،
 إنَّ النُّشَّاب الذي مع الأعاجم يعرفكم ، فإذا أرسلوه لم يُخطِكم ، فعاجلوهم باللقاء ،
 وابدءوهم بالشدة .

ثم قام هاني بن مسعود فقال : يا قوم ، مهلك معذور خير من نجاء معرور³ وإن
 الحذر لا يدفع القدر ، وإنَّ الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية⁴ ، واستقبال الموت
 خير من استدبارة ، والطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر ، يا قوم ، جدوا فما
 من الموت بد ، فتح لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آل بكر ، شدوا
 واستعدوا ، وإلا تشدوا تردوا .

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همام فقال : يا قوم ، إنما تهابونهم
 أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ، فعليكم بالصبر ، فإن
 السنة تُردي الأعنة ، يا آل بكر قدموا قدماً .

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال :

يا قوم لا تغرركم هذي الخرق ولا وميض البيض في الشمس برق
 من لم يقاتل منكم هذي العنق فجنبوه الراح واسقوه المرق⁵

1 العكم : ما جمع وشد لإحكام الربط . وهذا من الأمثال .

2 الكردوس : الجماعة الكبيرة من الخيل .

3 النجاء المعرور : الفرار الذي يلحق العار .

4 من المثل «لا ينفع حذر من قدر» في مجمع المدياني 2 : 237 . والمثل «النية ولا الدنية» في مجمع المدياني 2 :

303 وجمهرة العسكري 2 : 225 وأمثال القاسم بن سلام : 197 . أما باقي أقواله فهي في حكم الأمثال

ولكن لم ترد في كتب الأمثال .

5 العنق : الجماعة . وفي رواية : فجنبوه اللحم . . .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وِضِينَ¹ راحلة امرأته فقطعته ، ثم تبع الظعنَ يقطعُ وُضْنَهُنَّ لئلاَّ يفرَّ عنهن الرجال ، فسميَ يومئذٍ : مُقَطَّعُ الوِضِينَ .
والوِضِينَ : بِطَانُ الناقةِ .

قالوا : وكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنابرين ، وكانت بنو شيبان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامُرز ، وكانت أفناء بكر بن وائل في القلب . فخرج أسوارٌ من الأعاجم مُسوِّرٌ ، في أذنيه دُرَّتَان ، من كتيبة الهامُرز يتحدَّى الناسَ للبراز ، فنادى في بني شيبان فلم يبرز له أحدٌ ، حتى إذا دنا من بني يَشْكُرَ برز له يزيدُ بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشدَّ عليه بالرُّمَح ، فطعنه فدقَّ صُلْبُهُ ، وأخذ جليته وسلاحه ، فذلك قولُ سُوَيْدِ بن أبي كاهل يفتخرُ² :

ومناً يزيدُ إذ تحدَّى جموعكم فلم تقربوه ، المرزبانُ المشهرُ³
وبارزُهُ مناً غلامٌ بصارمٍ حُسامٍ إذا لاقى الضَّريبةَ يبتُرُ

ثم إنَّ القومَ اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآه الناسُ ، إلى أن زالت الشمس . فشدَّ الحوفزان ، واسمه الحارث بن شريك ، على الهامُرز فقتله ، وقتلت بنو عجل خنابرين ، وضرب الله وجوهَ الفُرسِ فانهزموا ، وتبعتهم بكر بن وائل ، فلحق مرثدُ بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس ، النعمان بن زرة ، فأهوى له طعناً ، فسبقه النعمانُ بصدرِ فرسه فأفلته ، فقال مرثدُ في ذلك :

وحيلَ تبارى للطعانِ شهدها فأغرقتُ فيها الرُمَحَ والجمعُ مُحجِمٌ
وأفلتني النعمانُ قابَ رماحنا وفوقَ قطاةٍ المهرِ أزرَقُ لهذَمُ⁴

قال : ولحق أسودُ بن بُجَيْرِ بن عائد بن شريك العجلي النعمانَ بن زرة ، فقال له : يا نعمانُ ، هلمَّ إليَّ ، فأنا خيرَ أسيرٍ لك ، وخير لك من العطش ، قال : ومنَ أنتَ ؟ قال : الأسودُ بن بُجَيْرِ ، فوضع يدهُ في يده ، فجزَّ ناصيته ، وخلَّى سبيله ، وحمله الأسودُ على فرسٍ له ، وقال له : انجُ على هذه ، فإنها أجودُ من فرسك . وجاء الأسودُ بن بُجَيْرِ على فرس النعمانِ بن زرة . وقُتِلَ خالد بن يزيدَ البهراني ، قتله الأسودُ بن شريك بن عمرو ، وقُتِلَ يومئذٍ عمرو بن عديّ بن زيِّدِ العباديُّ الشاعر ، فقالت أمُّه ثريته :

- 1 الوِضِينَ : حزام الرجل .
- 2 تقدمت ترجمة سويد بن أبي كاهل في الأغاني وفيها بعض أبيات هذه القصيدة في الجزء 13 : 72 .
- 3 عجز البيت في ترجمة سويد : فلم تفرحوه المرزبان المسور . وفي الطبري : فلم تقرِّبوه المرزبان المسورا .
- 4 قطاة المهر : عجزه . واللهمز : القاطع .

وَنَجَّ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ مِنْ رَجُلٍ حَانَ يَوْمًا بَعْدَمَا قِيلَ كَمَلْ
كَانَ لَا يَعْقِلُ حَتَّى مَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ يَأْكُلُ النَّاسَ عَقْلُ
أَيْهِمْ ذَلَاكَ عَمَرُو لِلرَّدَى وَقَدِيمًا حَيِّنَ الْمَرْءَ الْأَجْلُ
لَيْتَ نَعْمَانٌ عَلَيْنَا مَلِكٌ وَبُنَيَّ لِي حَيٍّ لَمْ يَزَلْ
قَدْ تَنْظَرْنَا لِعَاذِ أُوَيْةً كَانَ لَوْ أَغْنَى عَنِ الْمَرْءِ الْأَمَلُ
بَانَ مِنْهُ عَضْدٌ عَنْ سَاعِدٍ بُوَسَّ لِلدَّهْرِ وَبُوَسَّى لِلرَّجُلِ

قال : وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تميم الله يقال له : «أبو ثور» فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يُعزُّ رجلاً ولا يُدله ، وما كنت لأقطع رجمه فيها ، فقال إياس : [من الطويل]

غَذَاها أَبُو ثَوْرٍ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا دَخِيسَ دَوَاءً لَا أَضِيْعُ غِذَاوُهَا¹
فَأَعَدَدْتُهَا كَفْوَاً لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ إِذَا أَقْبَلْتُ بَكَرٌ تُجَرُّ رِشَاوُهَا

قال : وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليتهم ، حتى أصبحوا من الغد ، وقد شاربوا السَّوَادَ ودخلوه ، فذكروا أن مائة من بكر وائل ، وسبعين من عجل ، وثلاثين من أفناء بكر بن وائل ، أصبحوا وقد دخلوا السَّوَادَ في طلب القوم ، فلم يُقِلَّتْ منهم كبيرٌ أحدٍ وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسَّموها بينهم ، وقسَّموا تلك اللُّطائِمَ بين نسائهم . فذلك قول الديان² بن جندل :

إِنْ كُنْتَ سَاقِيَةً يَوْمًا عَلَى كَسْرٍ فَاسْقِي فَوَارِسَ مِنْ ذُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَا
وَاسْقِي فَوَارِسَ حَامُواً عَنْ دِيَارِهِمْ وَاعْلِي مَفَارِقَهُمْ مِسْكَاً وَرِيحَانَا

قال : فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياس بن قبيصة . وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيشٍ إلا نزعَ كفيه ، فلما أتاه إياس سألته عن الخبر ، فقال : هزمتنا بكر بن وائل ، فأتيناك بنسائهم ، فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، وإن إياساً استأذنه عند ذلك ، فقال : إن أخي مريضٌ بعين التمر ، فأردت أن آتيه ، وإتما أراد أن يتنحى عنه . فأذن له كسرى ، فترك فرسه «الحمامة» وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة ، وركب نجيةً فلحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخورثق ، فسأل : هل دخل على الملك

1 دخيس : مكتنزة .

2 ل : الدهان .

أحد؟ فقالوا: نعم، إياس، فقال: ثكلت إياساً أمه! وظن أنه قد حدثه بالخبر، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم وقتلهم، فأمر به فنزع كتفاه.

[الرسول عليه السلام يشيد بنصر العرب]

قال: وكانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدرٍ بأشهر، ورسول الله ﷺ، بالمدينة، فلما بلغه ذلك قال: «هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبني نصرُوا».

قال ابن الكلبي: وأخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبي ﷺ، فقال: «ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرُوا».

وروي أن النبي ﷺ، مثلت له الوقعة وهو بالمدينة، فرفع يديه فدعا لبني شيبان، أو لجماعة ربيعة بالنصر، ولم يزل يدعو لهم حتى أري هزيمة الفرس.

وروي أنه قال: «إياها بني ربيعة، اللهم أنصر بني ربيعة» فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي ﷺ، ودعوته لهم، وقال قائلهم: «يا رسول الله وعذك»، فإذا دعوا بذلك نصرُوا.

[الفخر بعد النصر]

وقال أبو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار¹:

لولا فوارسُ لا ميلٌ ولا عزٌّ
ما زلتُ مفترساً أجسادَ أفتية
إنَّ الفوارسَ من عجلٍ هم أنفوا
لاقوا فوارسَ من عجلٍ بشكَّتها
قد أحسنتُ ذهلُ شيبانٍ وما عدلتُ
هم الذين أتوهم عن شمائلهم
فأجابه الأعشى فقال⁴:

أبلغ أبا كلبة التيمي مألكة
شيبانُ تدفعُ عنك الحربَ آونةً
فأنت من معشرٍ، والله، أشرارٍ
وأنت تنبحُ نبحَ الكلبِ في الغارِ

1 في الطبري أربعة أبيات من هذه القصيدة منها البيتان الأول والأخير هنا.

2 الطبري: ما قاطوا.

3 الطبري: نحن أتيناهم من عند أشملهم.

4 لم يرد البيتان في ديوان الأعشى.

وقال بُكَيْرُ الْأَصَمُّ¹ :

[من الكامل]

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا فَاسْقِي عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَيْعَةَ كُلَّهَا وَمُحَلِّمًا سَبَقُوا بِأَنْجَدٍ غَايَةِ الْأَيَّامِ²
زَحَفُوا بِجَمْعٍ لَا تُرَى أَفْطَارُهُ لَقِحتَ بِهِ حَرْبٌ لَغِيرِ تَمَامٍ
عَرَبٌ ثَلَاثَةُ آلْفٍ وَكُتَيْبَةٌ أَلْفَانِ عُجَمَ مِنْ بَنِي الْفَدَامِ³
ضَرَبُوا بَنِي الْأَحْرَارِ يَوْمَ لَقُوهُمْ بِالْمَشْرِفِ عَلَى شُؤْنِ الْهَامِ⁴
وَعَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَأَوْقَعَ وَقْعَةً ذَهَبَتْ لَهُمْ فِي مُعْرِقٍ وَشَامِ⁵

وقال الْأَعشى⁶ :

فَذَى لِبْنِي ذُهِلَ بَنَ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَقَلْتُ
هُمْ ضَرَبُوا بِالْخِنْوِ حِنُوَ قَرَارِي مُقَدِّمَةَ الْهَامِزِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ

[من الطويل]

وقال بَعْضُ شُعْرَاءِ رَيْعَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ :

أَلَا مَنْ لِلَّيْلِ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ وَهُمْ سَرَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ جَانِبُهُ
أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنْ جَيْشًا عَرَمَرَمًا بِأَسْفَلِ ذِي قَارٍ أُبِيدَتْ كِتَابَتُهُ
فَمَا حَلَقَةُ النُّعْمَانِ يَوْمَ طَلَبَتْهَا بِأَقْرَبَ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ تَرَاقِبُهُ

وقال الْأَعشى⁷ :

[من البسيط]

حَلَفْتُ بِالْمَلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالْعَزِّ يَ وَيَالَلَّاتِ تُسَلِّمُ الْحَلَقَةَ
حَتَّى يَظُلَّ الْهَمَامُ مُنْجَدِلًا وَيَقْرَعُ النَّبْلُ طُرَّةَ الدَّرَقَةِ

٢

1 هذه الأبيات في الطبري مع اختلاف في الترتيب .

2 الطبري : سبقاً بغاية أمجد الأيام . وفي ل : سبقاً لغاية أفضل الأقسام .

3 الطبري :

عرباً ثلاثة آلاف وكتيبة ألفين أعجم من بني الفدّام

وفيه البيت التالي قبل هذا البيت فنصب . وقيل : كان سقاء الأعاجم إذا سقوا قدموا (أي غطوا) أفواههم (اللسان) .

4 الطبري : على مقيل الهام .

5 الطبري :

شد ابن قيس شدة ذهبت لها ذكرى له في معرق وشام

6 البيتان في الطبري وديوان الأعشى (صادر) : 33 .

7 لم يرد البيتان في ديوانه .

وقال ابن قرد الخنزير التيمي :

ألا أبلغ بني ذهل رسولا
هزرت الحاملين لكي يعودوا
وجدت الرقد رقد بني لجيم
هم ضربوا الكتاب يوم كسرى
وهم ضربوا القباب بيطن فلج

وقال الأعشى في ذلك ² :

لو أن كل معد كان شاركنا
لما أتونا كأن الليل يقدمهم
بطارق وبنو ملك مرزبة
من كل مرجانية في البحر أحرزها
وظعننا خلفنا تجري مدايعها
يحسرن عن أوجه قد عاينت عبراً
ما في الخدود صدود عن وجوههم
عوداً على بدئهم ما إن يلبثهم
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم

وقال حریم بن الحارث التيمي :

[من الوافر]

فلا شتما أردت ولا فسادا
إذا يوم من الحدثن عادا¹
إذا ما قلت الأرفاد زادا
أمام الناس إذ كرهوا الجلادا
وذاذوا عن محارمنا ذبادا

[من البسيط]

في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف
مطبّق الأرض تغشاها لهم سدف
من الأعاجم في آذانها النطف³
تيارها ووقاها طينها الصدف⁴
أكبادها وجلأ مما ترى تجف⁵
ولاحها غيرة ألوانها كسف⁶
ولا عن الطعن في اللبّات منحرف⁷
كر الصقور بنات الماء تختطف
ملنا ببيض فظلّ الهام يقتطف⁸
حتى تولوا وكاذ اليوم يتتصف

[من الطويل]

1 هرر : ضرب ضرباً شديداً .

2 ديوان الأعشى : 112 مع اختلاف في الترتيب والرواية .

3 بطارق في الديوان : ججاجح .

4 أحرزها تيارها في الديوان : أخرجها غواصها .

5 وجلأ في الديوان : وجف .

6 الديوان :

حواسر عن خدود عاينت عبراً ولاحها وعلاها غيرة كسف

7 لم يرد هذا البيت والذي يليه في الديوان .

8 لما في الديوان : إذا .

وإنَّ لُجَيْمًا أَهْلُ عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَأَهْلُ أَيْادٍ لَا يُنَالُ قَدِيمُهَا
 هُمْ مَنَعُوا فِي يَوْمٍ قَارٍ نِسَاءَنَا كَمَا مَنَعَ الشَّوَلُ الْهَيْجَانَ قُرُومُهَا¹
 إِذَا قِيلَ يَوْمًا أَقْدِمُوا يَتَقَدَّمُوا وَهَلْ يَمْنَعُ الْمَخْزَاةَ إِلَّا صَمِيمُهَا
 قال : ولم يزل قيسُ بن مسعود في سِجْنٍ كسرى بساباطَ ، حتى مات فيه .

صوت

[من الطويل]

خَلِيلِيَّ مَا صَبَّرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ وَمَا طَاقَتِي بِالْهَمِّ وَالْعَبْرَاتِ
 تَسَاقَطُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى إِثْرِ مَا قَدْ فَاتَهَا حَسَرَاتِ
 الشعر : للْقَحِيْفِ الْعُقَيْلِيِّ . وَالْغِنَاءُ : لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ، رَمَلَ الْوُسْطَى ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
 بَانَةَ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ الرَّمْلَ لَعَلَّوِيَّهِ ، وَأَنَّ لَحْنَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوُسْطَى .

[528] - أخبار القحيف ونسبه¹

القُحَيْفُ بن حُمَيْرٍ ، أَحَدُ بني قُشَيْرِ بن مالك بن خَفَاجَةَ بن عُقَيْلِ بن كَعْبِ بن رِبِيعَةَ بن عامِرِ بن صَعَصَعَةَ . شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الإسلام .
[تشبيه بخرقاء]

وكان يشبَّبُ بخرقاء التي كان ذو الرُّمَّةُ يُشبَّبُ بها² .
فأخبرني محمد بن خَلْفِ بن وكيع ، وعمِّي ، قالَا : حَدَّثَنَا هَارُونُ بن محمد بن عبدِ الملِكِ ، عن العَدَوِيِّ ، عن أَبِي الحَسَنِ المدائِنِيِّ ، عن الصَّبَّاحِ بن الحَجَّاجِ عن أبيه³ ، قال : مررتُ بخرقاء وهي بفلجٍ فقالت : أَقْضَيْتِ حَبْلَكَ وَأَتَمَمْتِهِ ؟ فقلتُ : نعم ، فقالت : لم تفعل شيئاً ، فقلت : ولِمَ ؟ فقالت : لَأَنْتَ لم تُلِّمِ بي ولا سَلَّمْتَ عليَّ ، أو ما سَمِعْتَ قولَ ذي الرُّمَّةِ : [من الوافر]
تمامُ الحجِّ أن تَقِفَ المَطَايَا على خرقاء واضِيعَةِ اللثامِ
فقال : هيهات يا خرقاء ، ذهب ذاك منك ، فقالت : لا تَقُلْ ذاك ، أما سمعتَ قولَ القُحَيْفِ عَمَّكَ :

وخرقاء لا تَزْدَادُ إِلَّا مَلَا حَةً وَلَوْ عُمِّرْتُ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ
أخبرني الحرَّمِيُّ بنُ أَبِي العَلَاءِ قال : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال : حَدَّثَنَا عبدُ الله بن إبراهيم الجمحي قال : حَدَّثَنِي أَبُو الشَّيْبِلِ المَعْدِيُّ قال : نَسَبَ ذُو الرُّمَّةِ بخرقاء البَكَّائِيَّةَ ، وكانت أَصْبَحَ من القَبَسِ ، وبقيت بقاءً طويلاً ، فنسب بها القُحَيْفُ العُقَيْلِيُّ فقال :
وخرقاء لا تَزْدَادُ إِلَّا مَلَا حَةً وَلَوْ عُمِّرْتُ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ
أخبرني حَبِيبُ بن نَصْرِ المَهَلْبِيِّ قال : حَدَّثَنَا عمرُ بن شَبَّةٍ قال : حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ دِمَاز قال : كَبُرَتْ خرقاء حتى جاوزت تسعين سنة ، وأُحِبَّتْ أن تنفَقَ ابنتها وتخطِبَ ، فَأَرْسَلَتْ إلى القُحَيْفِ العُقَيْلِيِّ ، وسألته أن يشبَّبَ بها ، فقال :

1 ترجمة القحيف العقيلي في طبقات ابن سلام : 791-797 وذكره باسم القحيف بن سليم العقيلي ومعجم المرزباني : 211 وفيه القحيف بن حمير (بالحاء) والمؤتلف : 129 وفيه القحيف بن خمير (بالخاء) وكذلك في الخزائن 10 : 139 .

2 تقدم الخبر وشعره في خرقاء في ترجمة ذي الرمة جزء 18 : 28 .

3 في ترجمة ذي الرمة هو الحجاج بن عمير بن يزيد .

لَقَدْ أَرْسَلْتُ خَرْقَاءَ نَحْوِي جَرِيَّهَا لِتَجْعَلَنِي خَرْقَاءَ مِمَّنْ أَضَلَّتْ¹
 وَخَرْقَاءَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا مَلَا حَةً وَلَوْ عُمُرْتُ تَعْمِيرَ نُوْحٍ وَجَلَّتْ
 [عشق عسبة ثم رحل حياء من كذبه]

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني: كان القحيف العُقَيْلِي يتحدّث إلى امرأة من عبّس، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقاً، وكان يخبرها أنّ له نعماً ومالاً، وهويته العَبْسِيَّة، وكان من أجمل الرجال وأشطهم²، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إيّاها في ماله ارتحل عنهم، وقال:

تَقُولُ لِي أُخْتُ عَبْسٍ: مَا أَرَى إِلَّا وَأَنْتِ تَزْعُمُ مَن وَالَاكِ صِنْدِيدُ
 فَقُلْتُ يَكْفِي مَكَانَ اللَّوْمِ مُطْرِدُ فِيهِ الْقَتِيرُ بِسَمْرِ الْقَيْنِ مَشْدُودُ³
 وَشِكَّةٌ صَاغَهَا وَفَرَاءٌ كَامِلَةٌ وَصَارُمٌ مِّنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ مَقْدُودُ
 إِنِّي لِيرْعَى رَجَالٍ لِي سَوَامُهُمْ لِي الْعَقَائِلُ مِنْهَا وَالْمَقَاجِيدُ

[شعره حول عدوان المهير]

وقال أبو عمرو: كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولّى عليّ بن المهاجر بن عبد الله الكلبيّ اليمامة. فلما قُتِلَ الوليد بن يزيد جاءه المهير بن سلمى الحنفيّ فقال له: إنّ الوليد قد قُتِلَ، وإنّ لك عليّ حقاً، وكان أبوك لي مكرماً، وقد قُتِلَ صاحبك، فاختر خصلةً من ثلاث: إنّ شئت أن تُقيمَ فينا وتكونَ كأحدنا فافعلْ، وإن شئت أن تتحوّلَ عنّا إلى دارِ عمك، فتزنيّها أنتَ ومن معك إلى أن يرد أمرُ الخليفة المولّي فتعملَ بما يأمرُ به، فافعل. وإن شئتَ فخذ من المال المجتمع ما شئتَ والحق بدار قومك. فأئفَ عليّ بن المهاجر من ذلك ولم يقبله، وقال للمهير: أنتَ تعزّلني يا ابن اللّخاء؟ فخرج المهير مُغَضِباً، والتفّ معه أهلُ اليمامة، وكان مع عليّ ستمائة رجل من أهل الشام ومثلهم من قومه وزوّاره. فدعاهم المهير وذكر لهم رأيه، فأبوا عليه وقتلوه. وجاء سهمٌ عائرٌ فوقَ في كبدِ صانعٍ من أهل اليمامة. فقال المهير: احمِلوا عليهم، فحملوا عليهم فانّهزموا، وقُتِلَ منهم نفرٌ، ودخلوا القصر وأغلقوا البابَ وكان من جذوع. فدعا المهير بالسَّعْف فأحرقه، ودخل أصحابه فأخذوا ما في القصر، وقامَ عبدُ الله بنُ النُّعْمان القَيْسِيّ في نفرٍ من قومه فحموا بيتَ المالِ ومنعوا منه، فلم يقدّر عليه المهير، وجمع المهير جيشاً يريد أن يغزو بهم بني عُقَيْل وبني كِلَابٍ، وسائر بطون

1 جريها: رسولها.

2 أشطهم: أطولهم وأكثرهم اعتدال قامة.

3 القتير: رؤوس المسامير. وسمر: شد الشيء بالمسمار. والقين: الحداد.

بني عامر ، فقال القحيف بن حُمَيْر لما بلغه ذلك : [من الوافر]

صوت

أَمِنْ أَهْلِ الْأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعٌ نَعَمْ سَقِيًّا لَهُمْ لَوْ تَسْتَطِيعُ¹
 زيارتهم ، ولكنْ أَحْضَرْتَنَا هُمُومٌ مَا يَزَالُ لَهَا مُشِيعُ
 غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمَ ، فيما ذكره هو في كتابه ، ولم يذكر طريقته :
 كَأَنَّ الْبَيْنَ جَرَّعَنِي زُعَافًا مِنْ الْحَيَاتِ مَطْعَمُهُ فَطِيعُ
 وماءٌ قَدْ وَرَدْتُ عَلَى جِبَاهُ حَمَامٌ حَائِمٌ وَقَطَأُ وَقُوعُ²
 وَمَا يَغْنَى فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ : [من الوافر]

صوت

جَعَلْتُ عِمَامَتِي صِلَةً لِدُلُوي إِلَيْهِ حِينَ لَمْ تَرِدِ النَّسُوعُ³
 لَأَسْقِيَ فِتْيَةً وَمُنْقَبَاتٍ أَضُرَّ بِنَقِيهَا سَقَرٌ وَجِيعُ⁴
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ سُلَيْمٌ ، خَفِيفٌ رَمَلِيٌّ بِالْوَسْطَى ، ذكر ذلك
 حَبَش : [من الوافر]

لَقَدْ جَمَعَ الْمُهَيَّرُ لَنَا فَقُلْنَا : أَتَحْسَبُنَا تَرَوُّعُنَا الْجُمُوعُ
 سَرَّهَبْنَا حَنِيفَةً إِنْ رَأَتْنا وَفِي أَيْمَانِنَا الْبَيْضُ اللَّمُوعُ
 عَقِيلٌ تَغْتَزِي وَيُنُو قُشَيْرٌ تَوَارَى عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
 وَجَعْدَةٌ وَالْحَرِيشُ لِيُوثُ غَابٍ لَهُمْ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ صَرِيعُ
 فَنَعَمْ الْقَوْمُ فِي اللَّزَبَاتِ قَوْمِي بَنُو كَعْبٍ إِذَا جَحَدَ الرَّبِيعُ⁵
 كُهُولٌ مَعْقِلُ الطُّرْدَاءِ فِيهِمْ وَفَتِيَانٌ غَطَارِفَةٌ فُرُوعُ
 فَمَهْلًا يَا مُهَيَّرُ فَأَنْتَ عَبْدٌ لِكَعْبٍ سَامِعٌ لَهُمْ مُطِيعُ
 قَالَ : وَبَعَثَ الْمُهَيَّرُ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يَقَالُ لَهُ : الْمُنْدَلِفُ بْنُ إِدْرِيسَ الْحَنْفِيُّ ، إِلَى الْفَلَجِ ،

1 عفت ربوع في ل : هوى يربح .

2 قد وردت في ابن سلام : قد يظل .

3 ابن سلام : لتبلغ إذ تقاصرت النسوع . وصلة لدلوي في ل : صلة لبردي .

4 منقبات في ابن سلام : منفهات أي متعبات وأضر بينها سفر رجيع . والني : الشحم والنقي : مخ العظام .
 والسفر الرجيع : السفر المتتابع .

5 اللزبات : الشدائد . وجحد الربيع : لم يطل .

وهو منزلٌ لبني جَعْدَةَ ، وأمره أن يأخذَ صَدَقَاتِ بني كَعْبٍ جميعاً . فلَمَّا بلغهم خبره في أطرافهم يستصْرِخُونَ عليه . فَأَتَاهُم أَبُو لَطِيفَةُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْعَقِيلِيُّ فِي عَالَمٍ مِنْ عَقِيلٍ ، فَقَتَلُوا الْمُنْدَلِفَ وَصَلَبُوهُ ، فَقَالَ الْقُحَيْفُ فِي ذَلِكَ :

أَتَانَا بِالْعَقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ
وَحَالَفَنَا السُّيُوفَ وَمُضْمَرَاتِ
تَعَادَى شَرْباً مِثْلَ السَّعَالِي
وَقَالَ أَيْضاً ، وَيُرْوَى لِنَجْدَةِ الْخَفَاجِيِّ :

فَحَنُّ النَّبْعِ وَالْأَسْلُ النَّهَالُ¹
سَوَاءٌ هُنَّ فِينَا وَالْيَعَالُ²
وَمِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ لَهَا نِعَالُ³
لَقَدْ مَنَعَ الْفَرَائِضَ عَنْ عَقِيلٍ
تَرَى مِنْهُ الْمُصَدِّقَ يَوْمَ وَافِي

[من الوافر]

[نظرة فاسقة في الحِج]

قَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي أَخْبَارِهِ : وَنَظَرَ بَعْضُ فَقَهَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْقُحَيْفِ ، وَهُوَ يُحِجُّ النَّظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ ، فَتَنَاهَا عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ ؟ تَنْظُرُ هَذَا النَّظَرَ إِلَى غَيْرِ حُرْمَةٍ لَكَ وَأَنْتَ مُحَرَّمٌ ؟ فَقَالَ الْقُحَيْفُ :

[من الطويل]

أَقْسَمْتُ لَا أَتَسَى وَإِنْ شَطَطَتِ النَّوَى
وَلَا الْمِسْكُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ وَلَا الْبَرَى
يَقُولُ لِي الْمُفْتَنِي وَهُنَّ عَشِيَّةُ
تَقَى اللَّهَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ يَا فَتَى
وَإِنَّ صَبَاً ابْنَ الْأَرْبَعِينَ لَسَبَّةُ
عَوَاكِفَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَرُبَّمَا
عَرَانِيَهُنَّ الشَّمُّ وَالْأَعْيُنُ النَّجَلَا
ضَمَمَنْ وَقَدْ لَوَيْنَهَا قُضْباً خُدَلَا⁴
بِمَكَّةَ يُلْمِحُنَّ الْمَهْدَبَةَ السُّحْلَا⁵
وَمَا خِلْتَنِي فِي الْحِجِّ مُلْتَمِساً وَصَلَا
فَكَيْفَ مَعَ اللَّائِي مِثْلَنْ بَنَا مِثْلَا⁶
رَأَيْتَ عَيُونَ الْقَوْمِ مِنْ نَحْوِهَا نُجَلَا

1 العقيق هنا : واد باليمامة . والصريخ : المستغيث . والنبع : شجر تعمل منه القسي . والأسل : شجر كثير الأغصان دقيقها وبلا ورق . والنهال : جمع نهل ، وهي العطاش (إلى الدم) .

2 ومضمرات في ابن سلام : وصافيات .

3 ابن سلام :

شعير زادها وفقيت قت ومن ماء الحديد لها نعال

وشرباً في ل : في الوغى ، والشرب : الضامرة .

4 البرى : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . والخذل : المتلفة الساق .

5 المهدة السحل : الثياب الرقيقة ذات الأهداب .

6 مثلن بنا : نكلن بنا .

صوت¹

[من الهزج]

كَفَفْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمَ إِخْوَانُ²
 عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
 فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ وَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ³
 وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدَا لِإِدْنَاهُمْ كَمَا دَانُوا
 الشعر : للفيند الزماني ، والغناء : لعبد الله بن دحمان ، خفيف رمل بالبِصَر ، عن بَدَل
 والهشامي وابن المكي .
 وتَمَامُ هذا الشعر :

شَدَدْنَا شِدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ⁴
 بِضَرْبٍ فِيهِ تَفْجِيعٌ وَتَأْيِيمٌ وَإِرْنَانُ⁵
 وَطَعْنٍ كَفَمِ الرِّقِّ غَدَا وَالرِّقُّ مَلَانُ⁶
 وَفِي الْعُدَاوِ لِلْعُدَا لِتَوْهَيْنَ وَإِقْرَانُ⁷
 وَبَعْضُ الْحَلَمِ عِنْدَ الْجَهِّ لِرَ لِلذَّلَةِ إِذْعَانُ
 وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيَّةٌ مِنْ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ
 قوله : دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا ، أَي جَزَيْنَاهُمْ .
 ومثله قول الآخر :

إِنَّا كَذَاكَ نَدِينُ النَّاسَ بِالذِّينِ
 والتأْيِيمُ : تركُ النساءِ أَيامِي . والإِرْنَانُ والرَّثَّةُ : البُكَاءُ والعَوِيلُ .
 والإِقْرَانُ : الطَّاقَةُ لِلشَّيْءِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أَي مُطَبِّقِينَ .

- 1 هذه هي القصيدة الثانية في حماسة أبي تمام (انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 32-38) .
- 2 كَفَفْنَا فِي الحماسة : صَفَحْنَا .
- 3 الحماسة : قَامَسَى .
- 4 الشطر الأول في الحماسة : مشينا مشية الليث .
- 5 الحماسة :

بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهٍ — بَيْنَ وَتَخْضِيعِ وَإِقْرَانِ

- 6 غَدَا : سَالَ .
- 7 لم يرد هذا البيت في الحماسة .

[529] - أخبار الفند الزماني ونسبه¹

[نسبه]

الفند : لقبٌ غلبَ عليه ، شبه بالفند من الجبل ، وهو القطعة العظيمة ، لعظم خلقه .
 واسمه : شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .
 وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدادين ، وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة
 السنة . فأبلى بلاء حسناً ، وكان مشهده في يوم التحالق² الذي يقول فيه طرفة³ : [من الرمل]
 سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم
 يوم تبدي البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النعم⁴
 [هو والشیطانان في بني شيبان]

وقد مضى خبره في مقتل كليب : فأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثني عمي
 عن العباس بن هشام عن أبيه قال : أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بني تغلب إلى بني حنيفة
 يستنجدونهم ، فوجهوا إليهم بالفند الزماني في سبعين رجلاً ، وأرسلوا إليهم : إنا قد بعثنا
 إليكم ألف رجل⁵ .

وقال ابن الكلبي : لما كان يوم التحالق أقبل الفند الزماني إلى بني شيبان ، وهو شيخ كبير
 قد جاوز مائة سنة ، ومعه بتان له شيطانان من شياطين الإنس ، فكشفت إحداهما عنها
 وتجردت ، وجعلت تصيح بيني شيبان ومن معهم من بني بكر :
 وعَا وعَا وعَا وعَا
 حرَّ الجواد والتظي⁶
 ومليت منه الربي

1 ترجمة الفند الزماني في خزنة البغدادي 3 : 434-435 و 7 : 119-120 والسمط : 578-579 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

2 المثل «يوم التحالق» أو «يوم تحلاق اللمم» في مجمع الميداني 2 : 439 وهو اليوم الذي حلقت فيه بنو بكر رؤوسها استبسالاً للموت وليكون ذلك علامة بينهم وبين نساءهم .

3 ديوان طرفة : 90 (صادر) .

4 أسوق : جمع ساق ، وهو لغة في أسوق . والأعراج : جمع عرج ، وهو قطعة من الإبل نحو ثمانين أو أكثر .

5 لذلك سمي الفند الزماني : عديد الألف .

6 حر الجواد : بضم الجيم : جهده العطش من الحر . وفي رواية : «حر الجياد والمطا» ، والمطا : الظهر .

يَا حَبْنًا يَا حَبْنًا
الْمُلْحِقُونَ بِالضُّحَى

ثم تجرّدت الأخرى وأقبلت تقول¹ :

[من مجزوء الرجز]

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَائِقُ وَنَفْرِشِ النَّمَارِقُ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقُ

قال : والتقى الناس يومئذ ، فأصعد عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابنته على جمل له في ثنية قصّة² ، حتى إذا توسّطها ضرب عرقوبي الجمل ، ثم نادى : [من الرجز]

أَنَا الْبُرْكُ أَنَا الْبُرْكُ أَنْزِلْ حَيْثُ أُدْرِكُ

ثم نادى : ومحلوفة لا يمرّ بي رجل من بكر بن وائل إلّا ضربته بسيفي هذا ، أفني كلّ يوم تفرّون فيعطف القوم ؟ فقاتلوا حتى ظفروا فانهزمت تغلب .

قال ابن الكلبى : ولحق الفند الزماني رجلاً من بني تغلب يقال له : مالك بن عوف ، قد طعن صبيّاً من صبيان بكر بن وائل ، فهو في رأس قناته ، وهو يقول : يا ويس أم الفرخ³ ، فطعنه الفند وهو وراءه ردف⁴ له فأنفذها جميعاً ، وجعل يقول⁵ : [من الهزج]

أَيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفْنُ بِالِي⁶
تَفْتَيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشُّكَّةَ أَمْثَالِي⁷
تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى عَلَى جُهْدٍ وَإِعْوَالِ⁸
كَجِيبِ الدُّفْنِسِ الْوَرَهَا ءَ رِيْعَتٍ بَعْدَ إِجْفَالِ⁹

ويروى : قد ريعت بإجفال .

1 نسب هذا الرجز في الطبري إلى امرأة من بني عجل في وقعة ذي قار .

2 قصة : موضع .

3 ويس : بمعنى ويح .

4 يعني أنه عندما طعن الرجل كان وراء الرجل ردف فانتظمهما .

5 هذه الأبيات وردت في الحماسة 176 وبعضها في خزنة البغدادى 7 : 119 .

6 ما هنا زائدة . وكأنه يعجب من هول الطعنة (انظر شرح الحماسة والخزانة) . اليفن : الفاني .

7 الشكة : السلاح كلّهُ ، وفي رواية «السكة» بفتح السين فيكون معناها الطعنة .

8 المأتم الأعلى : الأفضع شأنًا .

9 الدفنس : الحمقاء . والورهاء : المتساقطة العقل الضعيفة التماسك .

[530] - أخبار عبد الله بن دحمان

عبدُ الله بن دَحْمَانِ الأشقرُ المُنْعِي . وقد تقدّم خبرُ أبيه وأخيه الزُّبَيْرِ¹ .

[يتعصب لإبراهيم بن المهدي]

وكان عبدُ الله في جَنَبَةِ إبراهيم بن المهدي ومتعصباً له ، وكان أخوه الزُّبَيْرُ في جَنَبَةِ إِسْحَاقَ الموصليّ ومتعصباً له ، فكان كلُّ واحدٍ منهما يرفع من صاحبه ويُشيدُ بذكره . فعلا الزُّبَيْرُ بتقديم إِسْحَاقَ له ، لتمكُّنِ إِسْحَاقَ وقبول النَّاسِ منه ، ولم يرتفع عبدُ الله بذكر إبراهيم له ، مع غُضِّ إِسْحَاقَ منه ، وكان الزُّبَيْرُ على كلِّ حالٍ يتقدّم أخاه عبدَ الله .

فأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : كان أبي كثيراً ما يقولُ : ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ومعرفةً ممّن يقولُ : إنّ دَحْمَانَ كان فاضلاً ، والله ما يساوي غناؤه كلّهُ فَلَسَيْنِ ، وأشبهُ الناس به صوتاً وصنعةً وبلادةً وبرداً ابنه عبدُ الله ، ولكنَّ المحسنَ ، والله ، المَجْمِلُ المؤدِّي الضاربَ المطربَ : ابنه الزُّبَيْرُ .

وقال يوسف بن إبراهيم : كان أبو إِسْحَاقَ يُوَثِّرُ عبدَ الله بن دَحْمَانَ ويقدمه ، وإذا صنع صوتاً عرضه على أبي إِسْحَاقَ فيقومه له ويصلحه ، مضادةً لأخيه الزُّبَيْرِ في أمره ؛ لئلا يلبس الزُّبَيْرُ إلى إِسْحَاقَ وتعصُّبه له ، وأوصله إلى الرشيد مع المغنين عدّة مرّاتٍ ، أخرج له في جميعها جائزة .

صوت²

[من البسيط]

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي ثَمَّ مَصْرَعُهُ لَا يَبْعَدُ الرُّمَحُ ذُو النَّصْلَيْنِ وَالرَّجُلُ³
التَّارِكُ الْقِرْنَ مُصْفِراً أَنَامِلُهُ كَأَنَّهُ مِنْ عُقَارٍ قَهْوَةٍ ثَمِلُ⁴

1 في الجزئين 6 : 19 و 18 : 219 .

2 شرح أشعار المهذلين (أشعار) : من قصيدته في الجزء 3 : 1280-1285 .

3 أشعار : أقول لما أتني الناعيان به .

4 مصفراً أنامله : أي نزف دمه كله .

ليس بعلٌ كبيرٌ لا شبابٌ له لكن أثيلةٌ صافي الوجه مُقتبلٌ
يُجيبُ بعدَ الكرى لئيك داعيةٌ مجذامةٌ لهواه قُلقلٌ عجلٌ

قوله : لا يَبْعَدُ الرُّمَحُ ، يَعْنِي ابْنَهُ الَّذِي رَثَاهُ ، شَبَّهَهُ بِالرُّمَحِ فِي نَفَاذِهِ وَحِدَّتِهِ . وَالنَّصْلَانِ : السِّنَانُ وَالزُّجُ . وَالرَّجُلُ : يَعْنِي بِهِ ابْنَهُ أَيْضاً مِنَ الرَّجُلَةِ ، يَصِفُهُ بِهَا ، أَوْ أَنَّهُ عَنَى : لَا يَبْعَدُ الرَّجُلُ وَرَمَحُهُ . وَالْعَلُّ : الْكَبِيرُ السَّنُّ الصَّغِيرُ الْجِسْمِ ، وَيُقَالُ أَيْضاً لِلْقَرَادِ : عَلٌّ . وَالْمُقْتَبِلُ : الْمَقْبِلُ . وَقَوْلُهُ : مَجْذَامَةٌ هَوَاهُ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقْطَعُ هَوَاهُ وَلَا يَتَّبِعُهُ فِيمَا يَغُضُّ مِنْ قَدْرِهِ . وَقُلُقُلٌ : خَفِيفٌ سَرِيعٌ ، وَالْمُتَقَلِّقُ ، الْخَفِيفُ .

الشعر للمتنخل الهذلي . والغناء : لمعبد ، وله فيه لحنان : أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول ، بإطلاق الوتر في مَحَرَى البِنْصَرِ ، عَنْ إِسْحَاقَ ، وَالْآخَرُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ ، عَنْ عَمْرٍو .

وذكر الهشامي أنَّ فيه للغريض لحناً من الثقيل الأول ، ابتداءؤه :

ليس بعلٌ كبيرٌ لا شبابٌ له

والذي بعده : وَأَنْ لَجَمِيلَةً فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وفيه ثاني ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَأَظْنُهُ لِيَحْيَى الْمَكِّيُّ .

وقال حبشٌ : فِيهِ لِمَعْبِدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبِنْصَرِ .

[531] - أخبار المختل ونسبه¹

[نسبه]

الْمُتَخَلُّ لَقَبٌ ، واسمه مالكُ بنُ عُوَيْمِرَ بنِ عثمانَ بنِ سُؤَيْدِ بنِ حُبَيْشٍ² ، بنِ خُناعةَ بنِ الدَّيْلِ بنِ عاديةَ بنِ صَعْصعةَ بنِ كعبِ بنِ طابخةَ بنِ لِحْيَانِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ بنِ نِزار . هذه رواية ابن الكلبي وأبي عمرو .

وروى السُّكَّرِيُّ عن الرياشي عن الأصمعي ، وعن ابن حبيب ، عن أبي عُبَيْدةَ وابن الأعرابي : أنَّ اسمه مالكُ بنُ عُوَيْمِرَ بنِ عثمانَ بنِ حُبَيْشِ بنِ عاديةَ بنِ صَعْصعةَ بنِ كعبِ بنِ طابخةَ بنِ لِحْيَانِ بنِ هُذَيْلِ ، ويكنى أبا أثيلة . من شعراء هُذَيْلِ وفُحُولِهِمْ وفُصَحَائِهِمْ .

وهذه القصيدة يرثي بها ابنه أثيلة ، قتلته بنو سعد بن فُهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ .

[مقتل ابنه أثيلة]

وكان من خَيْرِ مَقْتَلِهِ فيما ذكر أبو عمرو الشيباني : أَنَّهُ خَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ يُرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى فُهْمٍ ، فَسَلَكُوا التَّجْدِيَّةَ ، حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا السَّرَاةَ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ فُهْمًا . فَقَالَ : أَلَا أَذْلكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلكُمْ ، وَعَلَى قَوْمٍ دَارَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دَارِ فُهْمٍ ؟ هَذِهِ دَارُ بَنِي حَوْفٍ عِنْدَكُمْ ، فَانصَبُوا عَلَيْهِمْ عَلَى الْكِدَاءِ حَتَّى تُبَيِّتُوا بَنِي حَوْفٍ . فَقَبِلُوا مِنْهُ وَانْحَرَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَسَلَكُوا فِي شَيْعٍ فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ حَتَّى نَفَذُوهُ ، ثُمَّ سَلَكُوا عَلَى السَّمَرَةِ ، فَمَرُّوا بِدَارِ «بَنِي قُرَيْمٍ» بِالسَّرَوِ ، وَقَدْ لَصَقَتْ سَيْوفُهُمْ بِأَغْمَادِهِمْ مِنَ الدَّمِ . فَوَجَدُوا إِيَّاسَ بْنَ الْمُقَعَّدِ فِي الدَّارِ ، وَكَانَ سَيِّدًا ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ ؟ فَقَالُوا : أَتَيْنَا بَنِي حَوْفٍ ، فَدَعَا لَهمْ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ ، حَتَّى إِذَا أَكَلُوا وَشَرَبُوا دَلَّهمْ عَلَى الطَّرِيقِ وَرَكِبَ مَعَهُمْ ، حَتَّى أَخَذُوا سَنَنَ قَصْدِهِمْ . فَأَتَوْا بَنِي حَوْفٍ ، وَإِذَا هُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا مَعَ بَطْنٍ مِنْ فُهْمٍ لِلرَّحِيلِ عَنْ دَارِهِمْ ، فَلَقِيَهُمْ أَوَّلٌ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى الْخَيْلِ فَعَرَفُوهُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ وَأَطْرَدُوهُمْ وَرَمَوْهُمْ ، فَأَثْبَتُوا أَثِيلَةَ جَرِيحًا وَمَضَوْا لَطِيفَتِهِمْ ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَأَدْرَكُوهُ وَلَا تَحَامُلَ بِهِ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ ، وَدَفَنُوهُ فِي مَوْضِعِهِ .

1 ترجمة المختل الهذلي في الشعر والشعراء : 552-553 والمؤتلف : 129 والسمط : 724 والعيني 3 : 517 وشعره في الجزء الثالث من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين : خنيس .

فلما رجعوا سألمهم عنه المتنخل ، فدأمجوه¹ وسترؤه .

ثم أخبره بعضهم بخبره ، فقال يرثيه² :

[من البسيط]

ما بال عينك تبكي دمعها خضيلُ
لا تفتأ الدهر من سح بأربعة
تبكي على رجل لم تبل جدته
وقد عجبت وهل بالدهر من عجب
ويل أمه رجلاً تأبى به غبناً
خال : من الخلاء ، ويروى : خذل .

السالك الثغرة يقظان كالثما
والتارك القرن مصفراً أنامله
مجدلاً يتسقى جلده دمه
ليس بعل كبير لا شباب به
يجيب بعد الكرى لبك داعيه
حلو ومُر كعطف القذح مرته
فاذهب فأني فني في الناس أحرزه
فلو قتلت ورجلي غير كارهة الـ

مشي الهلوك عليها الخيل الفضل⁶
كانه من عقار قهوة ثمل
كما يقطر جذع الدومة القطل⁷
لكن أثيلة صافي الوجه مقبل
مجدامة هواه قلقل عجل
في كل آين أتاه الليل ينتعل⁸
من حنفيه ظلم دُعج ولا جبل⁹
إذلاج فيها قبض الشد والنسل¹⁰

1 دأمجوه : كتموا أمره .

2 هذه هي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل .

3 الأخراب : عرى المزايدة ، وأحدثها خربة . وفي الديوان : الأخرات ، جمع خرت ، وهو الثقب .

4 الصاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئاً أحرقه .

5 لم تبل جدته : أي مات شاباً . وخلي عليك فجاجاً : أي كان يسد كل مكروه فلما مات خلى فجاجاً ينفذ منها الشر . وعليها في الديوان «عليك» .

6 الثغرة والثغر واحد ، وهو مكان الخوف . والهلوك : الفنجة المتكسرة . والخيل : درع يخاط أحد شقيه ويترك الآخر . والفضل : التي ليس لثوبها إزار . فالخيل : ثوب . الفضل امرأة ، ورفعها على المجاورة .

7 الدومة في الديوان : النخلة . والجذع القطل : العود المقطوع .

8 الديوان : بكل إني حذاه الليل ينتعل . ومعناه أنه يسري في كل ساعة من الليل .

9 أحرزه من حنفيه : منع حنفيه .

10 عدو قبض : شديد . والنسل : من نسلان الذئب ، وهو ضرب من المشي نحو الهدج .

إِذَنْ لَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي غَزَاتِهِمْ أَوْ لَابْتَعَثْتُ بِهِ نَوْحًا لَهُ زَجَلٌ¹
أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي النَّاعِيَانِ بِهِ : لَا يَبْعَدُ الرَّيْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ وَالرَّجُلُ
رُحْجٌ لَنَا كَانَ لَمْ يُفْلَلْ تَنُوهُ بِهِ تُوفَى بِهِ الْحَرْبُ وَالْعَزَاءُ وَالْجُلُّ²
رَبَاءٌ شَمَاءٌ لَا يَدْنُو لِقُلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ إِلَّا النَّوْبُ وَالسَّبَلُ³

[يرثي أباه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان عمرو بن عثمان ، أبو المنتخل يُكنى أبا مالك ، فهلك ، فراثهُ
المنتخل فقال⁴ :

[من المتقارب]

أَلَا مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ أَفِي أَمْرِنَا أَمْرُهُ أَمْ سِوَاهُ
فَوَاللَّهِ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ بَوَاهٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ⁵
وَلَا بِأَلَدٍّ لَهُ نَارِعٌ يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا⁶
وَلَكِنَّهُ هَيِّنٌ لِّئِنْ كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ عَرَدَتْ نَسَاهُ⁷
إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمَا وَكَلَتْ إِلَيْهِ كِفَاهُ
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

[تمثل بشعره]

حدَّثني أبو عبيد الصِّمْرِيقُ قال : حدَّثنا الفضلُ بن الحسن البصريُّ قال : حدَّثنا أحمد بن
راشِدٍ قال : حدَّثني عَمِّي سعيد بن خَيْثَمٍ قال : كان أبو جعفرٍ محمد بن عليٍّ ، عليهما السلامُ ،
إِذَا نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ زَيْدٍ تَمَثَّلَ :

لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ بَوَاهٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ
وَلَا بِأَلَدٍّ لَهُ نَارِعٌ يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا

1 لأعملتُ في الديوان : إذن لأعلمت .

2 ل : الحرب والضرء . والجلل : الأمور العظيمة ، جمع جَلَى .

3 الديوان : لا يأوي لقلَّتْهَا . . . وإلا الأوب . والأوب : رجوع النحل . والمطر وفي رواية «إلا العقاب وإلا . . .» . والمعنى أن هذه الهضبة لا يعلوها لارتفاعها إلا العقاب والنحل والمطر .

4 شرح اشعار الهذليين : 1276-1277 مع اختلاف في الترتيب .

5 الديوان : لعمرك ما .

6 يعادي أخاه في الديوان : يغاري أخاه .

7 عرد نسا : شديد ساقه .

ولكنه هيئن ليئن كعالية الرُمح عَرْدُ نَسَاءِ
إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ ومهما وکَلَتْ إِلَيْهِ كِفَاءُ
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ
ثم يقول : «لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد ، اللهم اشدُّ أُرِّي بِزَيْدٍ» .

[أجود طائية]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الرياشي ، عن الأصمعي قال : أجود طائية
قالتها العرب قصيدة المتنخل¹ :

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فِينَعَابٍ عِرْقٍ عَلامَاتٍ كَتَخْبِيرِ النَّمَاطِ
كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهَا قُبِيلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيَاطِ
في هذين البيتين غناء :

صوت²

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيهَا هَجَرَ لَيْلِي قَدْ بَلَغَتْ بِي الْمَدَى وَزِدَتْ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الْهَجَرُ³
وَيَا حُبُّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشَرُ
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأُضْحَكُ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلْيَقَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الزَّجَرُ⁴

الشعر : لأبي صخر الهذلي . والغناء : لمعبد في الأول والثاني من الأبيات ، ثاني ثقیل
بالوسطى عن عمرو ، ولابن سريج في الرابع والخامس ثقیل أول ولعرب فيهما أيضاً ثقیل
أول آخر ، وهو الذي فيه استهلال . وللوائق فيهما رمل ، ولابن سريج أيضاً ثاني ثقیل في
الثالث وما بعده ، عن أحمد بن المكِّي ، وذكر ابن المكِّي أنَّ الثقیل الثاني بالوسطى لجده يحيى
المكِّي .

1 هذان البيتان من قصيدة تتألف من أربعين بيتاً ، وهما الأول والتاسع والعشرون في شرح أشعار الهذليين : 1266-1277 .

2 هذه الأبيات من رائية أبي صخر الهذلي المشهورة (شرح أشعار الهذليين 2 : 956-959 وأمالي القالي 1 : 148-150) وقد نسب بعض أبياتها إلى مجنون ليلى (ديوانه : 130-132) .

3 الأمالي : فيا حب ليلى .

4 شرح أشعار الهذليين : أغبط الوحش .

[532] - أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه¹

[نسبه]

هو عبدُ الله بن سَلَمٌ² السَّهْمِيُّ ، أحد بني مُرْمِضٍ³ وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السُّكْرِيِّ ، وهي أتمُّ النسخِ ممَّا يَأْتُرُهُ عن الرِّياشي عن الأصمعي ، وعن الأثرم عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وكان موالياً لبني مروان ، متعصباً لهم ، وله في عبد الملك بن مروان مدائح ، وفي أخيه عبد العزيز ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وحَبَّسه ابنُ الزُّبير إلى أن قُتِل .

[كان أموي الهوى غاضباً على ابن الزبير]

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجون ، مولى بني أمية ، لقيته بالرقّة ، قال : حدّثني الفيض بن عبد الملك قال : حدّثني مولاي عن أبيه ، عن مسَلَمَةَ بن الوليد القرشي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما ظهر عبدُ الله بن الزُّبير بالحجاز وغلب عليها ، بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم في مرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهذلي ، في هذيل . وقد جاءوا ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهوأة في بني أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال : علامَ تمنعني حقاً لي ؟ وأنا امرؤُ مُسلمٌ ، ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً ، ولا أخرجتُ من طاعة يداً ؟ قال : عليك بني أمية فاطلب عندهم عطاءك .

قال : إذن أجدهم سباطاً⁴ أكفهم ، سَمَحَةً أنفسهم ، بُذلاءً لأموالهم ، وهابين لمجتديهم ، كريهةً أعراقهم ، شريفةً أصولهم ، زاكيةً فروعهم ، قريباً من رسولِ الله ، ﷺ ، نسبهم وسببهم ؛ ليسوا إذا نسيوا بأذئاب ولا وشائط⁵ ولا أتباع ، ولا هم في قریش

1 ترجمة أبي صخر الهذلي في الشعر والشعراء : 467 (الحاشية) وخزانة البغدادى 3 : 261-263 والسمط :

399 والعيني 1 : 62 وأمالى القالى 1 : 146 وشعره في الجزء الثاني من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : سلمة .

3 أشعار : أحد بني مُرْمِضٍ بفتح الراء وأضاف الشارح : وفي موضع آخر بكسر الميم والكسر الصواب .

4 سبط الكف : سمح سخى .

5 وشائط : دخلاء .

كفِّعَةِ القاع¹ ، لَهْمُ السُّودُدُ في الجاهليَّةِ ، والمُلْكُ في الإسلام ، لا كَمَن لا يُعَدُّ في غيرها ولا نفيرها² ، ولا حُكْمُ آباؤِه في نفيرها ولا قِطْميرها³ ، ليسَ من أحلافها المطَّيِّين ، ولا من ساداتها المطَّعِمين ، ولا من جُوداتها الوهايين ، ولا من هاشمها المتخبين ، ولا عبد شمسها المسوِّدين . وكيف تُقابلُ الرؤوسُ بالأذنانِ ؟ وأين النُّصلُ من الجفن ؟ والسُّنَنُ من الزُّجْ ؟ والذُّنابُ من القُدَامى ؟ وكيف يُفضَّلُ الشَّحِيحُ على الجَوادِ ، والسُّوقَةُ على المُلْكِ ، والمُجِيعُ بخُلاٍّ على المطَّعِمِ فضلاً ؟ فغَضِبَ ابنُ الزُّبَيْرِ حتَّى ارتعدتُ فرائضُه ، وعَرِقَ جبينُه ، واهتز من قَرْنِه إلى قَدَمِه وامتقعَ لونُه ، ثم قال له : يا ابن البوالة على عقيبها ، يا جَلْفُ ، يا جاهِلُ ، أما والله لولا الحرماتُ الثلاثُ : حُرْمَةُ الإسلام ، وحُرْمَةُ الحَرَمِ ، وحُرْمَةُ الشهر الحرامِ ، لأخذتُ الذي فيه عيناك .

ثمَّ أَمَرَ به إلى سجنِ عارمٍ ، فَحُبِسَ به مُدَّةٌ ، ثم استَوْفَيْتِه هُذَيْلٌ ومن له بين قريشٍ خُؤُولَةٌ في هُذَيْلٍ ، فأطلقه بعد سنةٍ ، وأقسم ألاَّ يُعْطِيَه عطاءً مع المسلمين أبداً .
[عبد الملك يقربه ويصله]

فلَمَّا كان عام الجماعةِ وولِّيَ عبدُ الملكِ وحجَّ ، لقيه أبو صخر ، فلَمَّا رآه عبدُ الملكِ قرَّبَه وأدناهُ ، وقال له : إنَّه لم يخفَ عليَّ خبرُكَ «مع الملحد» ولا ضاع لكَ عندي هَوَاكَ وموالاتُكَ ؛ فقال : أما إذ شفى اللهَ منه نفسي ، ورأيتُه قَتيلَ سيفك ؛ وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتوكَ السِّتْرِ ، مفرَّقَ الجمعِ ، فما أبالي ما فاتني من الدنيا .

ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد ، فأذن له ، فمَثَلَ بين يديه قائماً ، وأنشأ يقول⁴ :

عَفَّتْ ذاتُ عِرْقٍ غُصْلُها فَرِثاًمُها ⁵	فدهناؤها وَحْشٌ وأجلى سَواُمُها ⁵
على أَنَّ مَرَسى خِيمةَ خَفَّ أَهْلُها	بأَبْطَحِ مِحْلالٍ وَهِيَّاتَ عَامُها ⁶
إذا اعتَلَجَتْ فيها الرِّياحُ فأذْرجَتْ	عَشِيّاً جَرى في جانبيها قُماُمُها

1 تقدم هذا المثل الذي يضرب في الذلة جزء 18 : 82 .

2 المثل «لا في العير ولا في النفير» في الفاخر : 177 ومجمع الميداني 2 : 221 وجمهرة العسكري : 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

3 النفير : نقرة في النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة على النواة ، وكلاهما حقير .

4 أشعار : 953-956 مع اختلاف في الترتيب .

5 عصل وراثم ودهناء : أسماء مواضع .

6 في أشعار الهذليين «سوى» بدل «على» وبأبهر بدل بأبطح ، والأبهر : اللين من الأرض .

وإنَّ معاجي في الدِّيار وموقفي بدارسة الرِّبعين بال ثُمَامُهَا¹
 لجهلٍّ ولكنِّي أسْلِي ضَمَانَةً يُضَعِّفُ أَسْرَارَ الْفَوَادِ سَقَامُهَا²
 فَأَقْصِرُ فَلَا مَا قَدْ مَضَى لَكَ رَاجِع وَلَا لَذَّةُ الدُّنْيَا يَدُومُ دَوَامُهَا³
 وَفَدَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي رَمَى بِجَأَوَاءِ جُمْهُورٍ تَسِيلُ إِكَامُهَا⁴
 مِنْ أَرْضِ قُرَى الزَّيْتُونِ مَكَّةَ بَعْدَمَا غُلِينَا عَلَيْهَا وَاسْتَحِلَّ حَرَامُهَا
 يقول : رَمَى مَكَّةَ بِالرَّجَالِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَهِيَ أَرْضُ الزَّيْتُونِ .

وَإِذَا عَاثَ فِيهَا النَّاكِثُونَ وَأَفْسَدُوا فَخِيفَتْ أَقَاصِيهَا وَطَارَ حَمَامُهَا
 فَشَجَّ بِهِمْ غَرَضَ الْفَلَاقَةِ تَعَسُّفًا إِذَا الْأَرْضُ أَخْفَى مُسْتَوَاهَا سَوَامُهَا⁵
 فَصَبَّحُهُمْ بِالْخَيْلِ تَزَحَّفُ بِالْقَنَا وَيَبْضَاءُ مِثْلَ الشَّمْسِ يَبْرُقُ لِأَمَامِهَا⁶
 لَهُمْ عَسْكَرٌ ضَافِي الصُّفُوفِ عَرْمَرَمَ وَجُمْهُورَةٌ يَشْنِي الْعَدُوَّ انْتِقَامُهَا⁷
 فَطَهَّرَ مِنْهُمْ بَطْنَ مَكَّةَ مَاجِدًا أَبِي الضَّمِيمِ وَالْمِلَاءِ حِينَ يُسَامُهَا⁸
 فَدَعَا ذَا وَبَشَّرَ شَاعِرِيَّ أُمَّ مَالِكٍ بِأَبْيَاتِ مَا خَزِي طَوِيلُ عُرَامُهَا⁹
 شَاعِرِيَّ أُمَّ مَالِكٍ : رَجُلَانِ مِنْ كِنَانَةَ كَانَا مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، يَمْدَحَانِهِ وَيَحْرُضَانِهِ عَلَى أَبِي
 صَخْرٍ ، لِعَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنِهِ .

- 1 أشعار : بوانية البندين بال ثمامها . والبندان : شرط الخيام التي تشد بها ، واحدها بند .
- 2 أشعار : أسلي زمانة .
- 3 أشعار : تمور إكامها .
- 4 أشعار :

وَأَلْحَدَ فِيهَا الْفَاسِقُونَ وَأَفْسَدُوا فَخَافَتْ فَوَاشِيَهَا وَطَارَ حَامَاهَا
 الفواشي : المال الراعي .
 5 أشعار :

- يشج وَأَمَّا إِذَا يَخْفَى مِنْ أَرْضِ عِلَامِهَا
- 6 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . ولأمها : مخفف لأمها ، وهي أداة الحرب .
- 7 أشعار :

- له عسكر طاحي الصفاف عرمم وَجُمْهُورَةٌ يَزْهِي الْعَدُوَّ احْتِدَامُهَا
- 8 أشعار : أَبِي شِبَاةَ الضَّمِيمِ حِينَ يُسَامُهَا .
- 9 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . وشاعرا أم مالك هما رجلان من كنانة كانا يمدحان ابن الزبير ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه .

فَإِنْ تَبَدُّ تُجَدِّعُ مَنْخِرَكَ بِمُدِّيَةِ مُشْرِشْرَةَ حَرَى حَدِيدِ حُسَامُهَا¹
وإن تخفَ عَنَّا أَوْ تَخَفْ مِنْ أَذَاتِنَا تَنُوشُكَ نَابَا حَيَّةٍ وَسِمَامُهَا²
فَلَوْلَا قَرِيشٌ لَاسْتَرَقَّتْ عَجُوزُكُمْ وَطَالَ عَلَى قُطْبِي رَحَاها احْتِزَامُهَا
قال : فَأَمَرَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِمَا فَاتَهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَمِثْلِهِ صِلَةً مِنْ مَالِهِ ، وَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ .

[رثاء حي]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ أَبِي سَعِيدِ السُّكَّرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ قَالَا : كَانَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ مُنْقَطِعاً إِلَى أَبِي خَالِدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ؛ مَذَاحاً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : ارْثَنِي يَا أَبَا صَخْرٍ وَأَنَا حَيٌّ ، حَتَّى أَسْمَعَ كَيْفَ تَقُولُ ، وَأَيْنَ مَرَاتِيكَ لِي بَعْدِي مِنْ مَدِيحِكَ إِيَّايَ فِي حَيَاتِي ؟ .

فَقَالَ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ يُعْقِلُكَ اللَّهُ وَيَقْدِمَنِي قَبْلَكَ ، فَقَالَ : مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ . قَالَ : فَرثَاهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا³ :

[من الطويل]

أَبَا خَالِدٍ نَفْسِي وَقْتُ نَفْسِكَ الرَّدَى وَكَانَ بِهَا مِنْ قَبْلِ عَثْرَتِكَ الْعَثْرُ
لِتَبْكِكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ قَلَائِصُ أَضْرَّ بِهَا نَصْرُ الْهَوَاجِرِ وَالزَّجَرُ⁴
سَمَوْنَ بَنَّا يَجْتَنِينَ كُلَّ تَنُوفَةٍ تَضِلُّ بِهَا عَنْ بَيِّضِهِنَّ الْقَطَا الْكُدْرُ
فَمَا قَدِمَتْ حَتَّى تَوَاتَرَ سَيْرُهَا وَحَتَّى أُنِيخَتْ وَهِيَ ظَالِعَةٌ دُبُرُ⁵
فَفَرَّجَ عَنْ رُكْبَائِهَا الْهَمَّ وَالطَّوَى كَرِيمُ الْحَيَا مَاجِدٌ وَاجِدٌ صَقْرُ
أَخُو شَتَوَاتٍ تَقْتُلُ الْجَوْعَ دَارُهُ لَمَنْ جَاءَ لَا ضَيْقُ الْفِنَاءِ وَلَا وَعْرُ
وَلَا تَهْنِئَةُ الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ وَلَا بَلٌّ هَامَ الشَّامِتِينَ بِكَ الْقَطَرُ⁶
وإن تُمَسِّرَ رَمْسًا بِالرُّصَافَةِ ثَاوِيًا فَمَا مَاتَ يَا ابْنَ الْعِيصِ نَائِلُكَ الْغَمْرُ⁷

1 أشعار :

وإن تبد تجدد منخريك بمديّة مشرشرة حرى رميض حسامها

2 أشعار :

فإن تبد أو تستخف تغض على أذى ويخطفك نابا حية وسمامها

3 أشعار : 950-953 .

4 أشعار : أضربها طول المنصة والزجر .

5 أشعار : وهي داهفة دبر .

6 أشعار : فلا نفع الفتيان .

7 أشعار : أيامك الزهر .

3 • كتاب الأغاني - ج 24

وذي ورقٍ من فضل مالِك ماله وذي حاجةٍ قد رِثتَ ليس له وفرٌ
فأَمسى مُرِيحاً بعدَ ما قد يؤوبه وكَلَّ به المولى وضاقَ به الأمرُ
قال : فأضعفَ له عبدُ العزيز جائزَتَه ووصلَه ، وأمرُ أولاده فرَوا القصيدة .

[رثاء ابنه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان لأبي صَخْرٍ ابنٌ يقالُ له داودُ لم يكن له ولدٌ غيرُهُ ، فماتَ ،
فجَزِعَ عليه جزعاً شديداً حتى خُوِلَطَ ، فقال يرثيه¹ :

[من الطويل]

لقد هاجَنِي طيفٌ لداودَ بعدما دَنَتْ فاستَقَلَّتْ تالِياتُ الكواكبِ
وما في ذُهلِ النفسِ عن غيرِ سَلوةٍ رَوَّاحٌ من السُّقَمِ الذي هو غالي²
وعندكَ لو يحيا صدَاكَ فَنَلْتَقِي شِفَاءٌ لَمَنْ غادرتَ يومَ التَّنَاضِبِ
فهلْ لَكَ طِبٌّ نافعِي من عَلاقةٍ تُهَيِّمُنِي بين الحشا والتَّرائبِ
تَشْكِيَتُهَا إِذْ صَدَّعَ الدَّهْرُ شَعْبَنَا فَأَمَسْتُ وَأَعَيْتَ بِالرُّقَى والطَّبَائِبِ³
ولولا يَقِينِي أَنَّمَا المَوْتُ عَزْمَةٌ مَنْ اللهُ حَتَّى يُعْنُوهُ لِلْمَحَاسِبِ⁴
لَقَلْتُ لَهُ فيما أُلِمُّ بِرُمْسِهِ : هَلْ أَنْتَ غَدَاً غَايَ مَعِي فَمُصَاحِبِي
وماذا تَرى في غَائِبٍ لَا يُعْجِنِي فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَلَيْسَ بِآئِبٍ⁵
سَأَلْتُ مَلِيكِي إِذْ بَلَاني بِفَقْدِهِ وَفَاةً بِأَيْدِي الرُّومِ بَيْنَ المَقَانِبِ⁶
تَنَوَّنِي وَقَدْ قَدَّمْتُ ثَأْرِي بِطَعْنَةٍ تَجِيشُ بِمَوَارٍ مِنَ الجوفِ ثَائِبٍ⁷
فقد خِفْتُ أَنْ أَلْقَى المَنَايا وَأَنْتِي لَتَابِعٌ مَنْ وَافَى حِمَامَ الجَوَالِبِ
ولمَّا أَظَاعِنِ فِي العَدُوِّ تَنْفَلاً إِلَى اللهِ أَبْغِي فَضْلَهُ وَأُضَارِبِ
وَأَعْطِفْ وراءَ المُسْلِمِينَ بِطَعْنَةٍ عَلَى دُبُرِ مُجَلٍّ مِنَ العِيشِ ذَاهِبٍ⁸

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 916-923 .

2 النفس في أشعار : الناس .

3 أشعار : فأَمَسْتُ قد أَعَيْتَ .

4 أشعار : ولولا يَقِينِ .

5 لا يَعْجِنِي : لا يَزُورُنِي غَيا .

6 المقانِب : جمع مقنَب ، وهو الجماعة من الخيل للغارة .

7 أشعار : تَجِيشُ بِقِلاصٍ ، والقِلاصُ والموارِ بمعنى ، وهو الجرح الذي يفيض بشدة . وثاعِب : جارٍ .

8 بطعنة في أشعار : بشدة .

[رده على من عابه]

وقال أبو عمرو : بلغ أبا صخر أن رجلاً من قومه عابه وقدح فيه ، فقال أبو صخر في ذلك¹ :

ولقد أتاني ناصحٌ عن كاشح	بعداوةٍ ظهرتْ وقُبِحَ أقاويل ²
أفحِينَ أحكمني المشيبُ فلا فتى	عُمُرٌ ولا قَحْمٌ وأعصلَ بازلي ³
وليسَتْ أطوارَ المعيشةِ كُلِّها	بمؤبّداتٍ للرجالِ دواغل ⁴
أصَبَحْتَ تنقُصُنِي وتقرُعُ مرّوتي	بطراً ولم يرعَبْ شِعَابَكَ وإيلي ⁵
وتنلِكَ أظفاري ويركُ مسحلي	بري الشَّسِيبِ من السَّراءِ الذَّابِلِ ⁶
فتكونَ للباقيينَ بعدك عِبرةٌ	واطاً جَينِكَ وطأةَ المُثاقِلِ

[شعره في امرأة تزوجت ورحلت]

وقال أبو عمرو : وكان أبو صخر الهذلي يهوى امرأة من قضاة ، مجاورةً فيهم ، يقال لها ليلى بنت سعد ، وتكنى أم حكيم ، وكانا يتواصلان برهةً من دهرهما ، ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه ، فقال في ذلك أبو صخر⁷ :

ألم خيال طارق متأوب	لأُم حكيم بعدما نمت موصب ⁸
وقد دنت الجوزاء وهي كأنها	ومرزمها بالغور ثور ورير ⁹
فبات شرايبي في المنام مع المنى	غريض اللّمي يشفي جوى الحزن أشنب ¹⁰

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 927-930 .

2 أشعار : «بل قد» بدل من «ولقد» و«زغر» بدل و«قيح» .

3 أعصل بازلي : اشتد نابي .

4 أشعار :

ولبست أطوار المعيشة كلها وعرفت من حق وراع عواذلي

وذبت عن أفناء خندف كلها بمؤبّدات للرجال عداملي

مؤبّدات : وحشيات ، يعني شعره . وعدامل : قديمة .

5 لم يرعَب : لم يملأ .

6 الشسيب : القوس . والسراء : شجر تتخذ منه القسي . والمسحل : مثل المبرد .

7 من قصيدة في «شرح أشعار الهذليين» 936-938 .

8 موصب : من الوصب ، وهو الوجع والألم .

9 المرزم : نجم من نجوم المطر ، وهما مرزمان .

10 الغريض : ماء المطر وكل أبيض طري .

قُضَاعِيَّةٌ أَدْنَى دِيَارٍ تَحُلُّهَا قَنَاءُ وَأَتَى مِنْ قَنَاءِ الْمُحَصَّبِ¹
 سَرَّاجُ الدُّجَى تَغْتَلُّ بِالْمَسْكِ طِفْلَةً فَلَا هِيَ مِتْفَالٌ وَلَا اللَّوْنُ أَكْهَبُ²
 دَمِيثَةٌ مَا تَحْتَ الثِّيَابِ عَمِيمَةٌ هَضِيمُ الْحَشَا بِكُرِّ الْمَجَسَّةِ ثَيْبُ³
 تَعَلَّقَتْهَا خَوْدًا لَذِيذًا حَدِيثُهَا لِيَالِي لَا تُحْمَى وَلَا هِيَ تُحَجَّبُ⁴
 فَكَانَ لَهَا وَدِّي وَمُخَضُّ عِلَاقَتِي وَلِيدًا إِلَى أَنَّ رَأْسِي الْيَوْمَ أَشِيبُ⁵
 فَلَمْ أَرْ مِثْلِي أَيَّاسَتْ بَعْدَ عِلْمِهَا بُوْدِّي وَلَا مِثْلِي عَلَى الْيَاسِ يَطْلُبُ⁶
 وَلَوْ تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسْبُ⁷
 لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَلَوْ كُنْتُ رِمَّةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلٍ يَهْشُ وَيَطْرَبُ⁸

[الرائية المشهورة]

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناء المذكور من مختار شعر هذيل ، وأولها⁸ : [من الطويل]
 لِلَّيْلِ بِذَاتِ الْجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطْرُ⁹
 وَقَفْتُ بِرَسْمِهَا فَلَمَّا تَنَكَّرَا صَدَفْتُ وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرِبَ هَمْرُ¹⁰
 وَفِي الدَّمْعِ إِنْ كَذَبْتُ بِالْحُبِّ شَاهِدُ يُبَيِّنُ مَا أُخْفِيَ كَمَا بَيَّنَّ الْبَدْرُ¹¹
 صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وَشَفَّهَا عَجَارِيفُ نَائِي دُونَهَا غُلْبَ الصَّبْرِ¹²
 إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلِينَ رِدَّةً سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرِ¹³
 وهذا البيت خاصة رواه الزبير بن بكار لنصيب :

- 1 وأتى في أشعار : وأدنى .
- 2 تغتل : تتعطر ، من الغالية . وميتفال : ميتة الريح . وأكهب : أغبر .
- 3 عميمة : طويل . وبكر المجسة : حسنة الجسم لم تتغير ، فكأنها بكر وهي ثيب .
- 4 خوداً في أشعار : بكراً . و«لا تعدى» بدل «لا تحمي» ، أي لا تشغل .
- 5 أشعار : فكان لها أدنى وريقة معني . وأدى : لغة هذيل في ودي . وريقة معني : أولها .
- 6 سبسب في أشعار : منكب .
- 7 رمسي في أشعار : صوتي .
- 8 هذه هي القصيدة التي أشرنا في أول الترجمة ، وفيها اختلاف كبير في الرواية والترتيب عما في شرح أشعار الهذليين والأمازي .
- 9 أشعار : عكس موضعي الجيش والبين . وعفر بدل سطر .
- 10 أشعار : عجاريف ما تأتي . وعجاريف الدهر : حوادثه .
- 11 الخليلين في أشعار : الحبيبين .

إذا فلتُ هذا حينَ أَسْلُو يَهيجُنِي
وإني لتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ فَتْرَةٌ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى
صَدَقْتُ أَنَا الصَّبُّ الْمَصَابُ الَّذِي بِهِ
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى
فِيهَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغَتْ بَيْتِي الْمَدَى
وَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
عَجِبْتُ لَسَعِي الدَّهْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ
كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلُهُ الْقَطْرُ¹
وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
تَبَارَيْخُ حُبٍّ خَامَرَ الْقَلْبَ أَوْ سِحْرُ
أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ
أَلْيَفَيْنَ مِنْهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا الزُّجْرُ²
وَزِدْتَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بَلَغَ الْهَجْرُ
وَيَا سُلُوءَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
لَنَا أَبَدًا مَا أَوْزَقَ السَّلْمُ النَّضْرُ³

صوت

وإني لآتيها لكيما تُثَيِّنِي
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
تَكَادُ يَدِي تُنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَأَوْذُنُهَا بِالصُّرْمِ مَا وَضَحَ الْفَجْرُ
فَأُبْهَتَ لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا نُكْرَ⁴
وَيَنْبْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخُضْرُ⁵

في هذه الأبيات ثقیلٌ أوّلٌ قديمٌ مجهولٌ ، وفي البيت الأخير لعريب خفيفٌ ثقیلٌ ، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر ، وهو :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبُّهَا عَامِرِيَّةً
لَهَا كُنْيَةُ «عَمْرُو» وَلَيْسَ لَهَا «عَمْرُو»⁶

[الهادي يشقّ ثيابه طرباً]

أخبرني محمد بن مزید قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدّثني أبي عن جدّي قال : دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطبّحٌ ، فقال لي : يا إبراهيم غنّني ، فإن أطربتني فلكَ

1 الشطر الأول في أشعار : إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها .

2 أشعار : لا يروعهما الزعر .

3 فليست في أشعار : أليس .

4 فجاءة في أشعار : بخلوة .

5 لمستها في أشعار : مستتها .

6 لم يرد هذا البيت في شرح أشعار الهذليين ، وهو مما نسب إلى المجنون .

حكّمك ، فغنيته : [من الطويل]

وإنسي لتعروني لذكرائك فترةً كما انتفض العصفور بلكه القطرُ
فضرب بيده إلى جنب دُرّاعته فشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره .

ثم غنيته : [من الطويل]

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسدُ الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الزجرُ
فشق دُرّاعته حتى انتهى إلى آخرها .

ثم غنيته : [من الطويل]

فيا حبّها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشرُ
فشقّ جبّة كانت تحت الدُرّاعة حتى هتكها .

ثم غنيته : [من الطويل]

عجبت لِسْعِي الدهرِ بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
فشقّ قميصاً كان تحت ثيابه حتى بدا جسّمه . ثم قال : أحسنت والله فاحتكم . فقلتُ :
تهب لي ، يا أمير المؤمنين ، عين مروان بالمدينة ، فغضب حتى دارت عيناه في رأسه ، ثم قال :
لا ، ولا كرامة ، أردت أن تجعلني أهدوثة للناس ، وتقول : أطربته فحكمتني ، فحكمتُ ،
فأمضى حكّمي .

ثم قال لإبراهيم الحرّاني : خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت مال الخاصة فإن أخذ كل
شيء فيه فلا تمنعه منه ، فدخلت معه فأخذت مالاً جليلاً وانصرفت .

ومما يُغنى فيه من شعر أبي صخر الهذلي قوله من قصيدة له¹ :

صوت

بيد الذي شَغَفَ الفؤادَ بكم فرجُ الذي ألقى من همٍ
همٌ من أجلك ليس يكشفهُ إلا مَلِكٌ جائزُ الحكمِ²
فاستيقني أن قد كلّفتُ بكم ثم أفعلي ما شئت عن علمٍ

1 هذه الأبيات من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين مع اختلاف في الترتيب : 972-972 .

2 أشعار : كرب من أجلك ... ملك الناس

قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَمَاتِ لَنَا فَعَجَلْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصُّرْمِ
الشعر لأبي صخر الهذلي . والغناء للغريض ، ثقیلٌ أَوَّلُ الْوُسْطَى ، عن عمرو . وفيه
لسياط ثقیلٌ أَوَّلُ آخِرٍ بِالْبِنْصَرِ ، ابتداؤه نشيدٌ :

فَاسْتَيْقَنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ
وهكذا ذكر الهشاميُّ أيضاً ، وذكر أنَّ لحن الغريض ثاني ثقیلٍ ، وأنَّ فيه لابن جامعٍ
خفيفَ رملٍ .

[النظام والغلام]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسنِ الحرون قال : حدَّثني
الكِسْرِيُّ قال : لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ النَّظَّامَ غَلاماً أَمَرَدَ فَاسْتَحْسَنَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، لَوْلَا أَنَّهُ
قَدْ سَبَقَ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ مَا جَعَلُوا بِهِ السَّبِيلَ لِمِثْلِي إِلَى مِثْلِكَ فِي قَوْمِهِ : « لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ
يَكْتَبَرَ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ ، كَمَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَصْغُرَ عَنْ أَنْ يَقُولَ » لَمَّا أُنْسِتُ إِلَى مَخَاطَبَتِكَ ،
وَلَا هَشِيشْتُ لِمُحَادَثَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ سَبَبُ الْإِخَاءِ ، وَعَقْدُ الْمَوَدَّةِ ، وَمَحَلُّكَ مِنْ قَلْبِي ¹ مَحَلُّ
الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ . فَقَالَ لَهُ الْغَلامُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ : لَقِينَ قُلْتَ ذَاكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ لَقَدْ
قَالَ الْأَسَازُ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ : « الطَّبَائِعُ تُجَاذِبُ ² مَا شَاكَلَهَا بِالْمَجَانِسَةِ ، وَتَمِيلُ إِلَى مَا يُوَافِقُهَا
بِالْمُؤَانِسَةِ » وَكَيْفَانِي مَائِلٌ إِلَى كَيْفَانِكَ بِكَلِيَّتِي ، وَلَوْ كَانَ مَا أَنْطَوِي لَكَ عَلَيْهِ عَرَضاً مَا
اعْتَدَدْتُ بِهِ وَدّاً ، وَلَكِنَّهُ جَوْهَرُ جِسْمِي ، فَبِقَاؤُهُ بَقَاءُ النَّفْسِ ، وَعَدَمُهُ بَعْدَمُهَا ، وَأَقُولُ كَمَا
قَالَ الْهَذَلِيُّ :

فَاسْتَيْقَنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ
فَقَالَ لَهُ النَّظَّامُ ، إِنَّمَا خَاطَبْتُكَ بِمَا سَمِعْتُ ، وَأَنْتَ عِنْدِي غَلامٌ مُسْتَحْسَنٌ ، وَلَوْ عَلِمْتُ
أَنَّكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لَرَفَعْتُكَ إِلَى رَتَبَتِهَا .
قال أبو الحسن الأخفشُ : فَأَخَذَ أَبُو دُلْفٍ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ ³ :

[من الوافر]

أَحْبَبْتُ يَا جِنَانُ وَأَنْتَ مِنِّي مَحَلُّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ نَفْسِي لَخَفْتُ عَلَيْكَ بِادَرَةِ الزَّمَانِ ⁴

1 ل : مسألتي .

2 ل : توافق .

3 تقدمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دُلْفٍ جزء 8 : 177 .

4 ل : من ريب الزمان .

لإقدامي إذا ما الخيلُ خامتُ وهابَ كُماثها حرَّ الطَّعان¹
وتمام أبيات أبي صخر الميمية التي ذكرتُ فيها الغناء الأخيرَ وخبره أنشدنيها الأخفشُ
عن السَّكريِّ عن أصحابه :

ولمَّا بقيتْ لِيَتَقَيَّنَ جَوَى	بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضَرِّعُ جِسْمِي ²
وَيَقَرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ	مَا لَا يُقَرُّ بَعِيْنَ ذِي الْحَلَمِ
أَطْلَالُ نَعْمٍ إِذْ كَلِفْتُ بِهَا	يَا دِينَ هَذَا الْقَلْبَ مِنْ نَعْمٍ ³
وَلَوْ أَنَّنِي أُسْقَى عَلَى سَقَمِي	بِلَمَى عَوَارِضِهَا شَفَى سَقَمِي
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِنَبْلِ مُقْتَدِرٍ	يَسِطُ الْفَوَادَ بِهَا وَلَا يُدْمِي ⁴
يَرْمِي فَيَجْرَحُنِي بِرَمِيَّتِهِ	فَلَوْ أَنَّنِي أُرْمِي كَمَا يَرْمِي ⁵
أَوْ كَانَ قَلْبٌ إِذْ عَزَمْتُ لَهُ	صُرْمِي وَهَجْرِي كَانَ ذَا عَزَمٍ ⁶
أَوْ كَانَ لِي غَنَمٌ يَذْكُرُكُمْ	أَمْسَيْتُ قَدْ أَثَرْتُ مِنْ غَنَمٍ

[العجوز التي تحسن الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، عن أبي عبد الله الأنصاري ، عن
غُرَيْرِ بْنِ طَلْحَةَ الْأَرْقَمِيِّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
وَالنُّسْكِ : هَلْ لَكَ فِي أَحْسَنِ النَّاسِ غَنَاءً ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . وَكَانَ عَلِيٌّ يَوْمَئِذٍ طَيْلَسَانٌ لِي أُسْمِيهِ
مِنْ غِلْظِهِ وَثَقَلِهِ «مُقَطَّعُ الْأَرْزَارِ» . فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا إِلَى الْجَبَانَةِ ، إِلَى دَارِ مُسْلِمِ بْنِ
يَحْيَى الْأَرْتِ صَاحِبِ الْخَمْرِ ، مَوْلَى بَنِي زُهْرَةَ فَأَذِنَ لَنَا . فَدَخَلْنَا بَيْتًا طَوْلُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
ذِرَاعًا فِي مِثْلِهَا ، وَسَمَكُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، مَا فِيهِ إِلَّا نَمْرَقَتَانِ قَدْ ذَهَبَتْ
مِنْهُمَا اللَّحْمَةُ وَبَقِيَ السَّدَى ، وَفِرَاشٌ مَحْشُوٌّ لَيْفًا⁷ ، وَكُرْسِيَّانِ مِنْ خَشَبٍ قَدْ تَقَلَّعَ
عَنْهُمَا الصَّنِيعُ مِنْ قِدَمِهِمَا⁸ وَبَيْنَهُمَا مِرْفَقَتَانِ مَحْشُوتَانِ بِاللَّيْفِ . ثُمَّ طَلَعْتُ عَلَيْنَا عَجُوزٌ

1 خامت : نكصت .

2 مضرع في ل : مسقم .

3 دين : عادة .

4 يسط : يحل في وسطه .

5 الشطر الأول في أشعار : يرمي فلا تشويك رميته .

6 أشعار : ولو ان قلبي .

7 ل : ريشاً .

8 ل : فوقهما .

كَلْفَاءُ¹ عَجْفَاءُ ، كَأَنَّ شَعْرَهَا شَعْرُ مَيْتٍ ، عَلَيْهَا قَرَقُلٌ² هَرَوِيٌّ أَصْفَرُ غَسِيلٍ³ ، كَأَنَّ وَرَكِيهَا فِي خِيَطٍ مِنْ رَسْحِهَا⁴ حَتَّى جَلَسْتُ . فَقُلْتُ لِأَبِي السَّائِبِ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : اسْكُتْ : فَتَنَاولْتُ عَوْدًا فَضَرَبْتُ ، وَغَنَّتُ :

بِيدِ الَّذِي شَغَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ فَرَجَ الَّذِي أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ
قَالَ غُرَيْرٌ : فَحَسُنَتْ ، وَاللَّهِ ، فِي عَيْنِي ، وَجَاءَ نَقْلًا وَصَفَاءً ، فَأَذْهَبَ الْكَلْفَ مِنْ
وَجْهِهَا ، وَزَحَفَ أَبُو السَّائِبِ وَزَحَفْتُ مَعَهُ . ثُمَّ غَنَّتُ : [من الكامل]

صوت

بَرِحَ الْخَفَاءُ فَأَيَّ مَا بِكَ تَكْتُمُ وَلَسَوْفَ يَظْهَرُ مَا يُسَرُّ فَيُعْلَمُ
مِمَّا تَضْمَنَ مِنْ غُرَيْرَةٍ قَلْبُهُ يَا قَلْبُ إِنَّكَ بِالْحِسَانِ لَمُغْرَمُ
يَا لَيْتَ أَنَّكَ يَا حُسَامُ بَارِضُنَا تُلْقِي الْمَرَاثِي دَائِمًا وَتُخَيِّمُ
فَتَذُوقَ لَذَّةَ عَيْشِنَا وَنَعِيمَهُ وَنَكُونَ أَجْوَارًا فَمَاذَا تَنْقِمُ

الغناء لحكم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامي .

فَقَالَ أَبُو السَّائِبِ : إِنْ نَقِمَ هَذَا فَيَعْصُ بَطْرُ أُمِّهِ . وَزَحَفَ وَزَحَفْتُ مَعَهُ ، حَتَّى قَارَبْتُ
النَّمْرَقَةَ وَرَبَّتِ الْعَجْفَاءُ فِي عَيْنِي كَمَا يَرُبُّو السَّوَيْقُ شَيْبَ بَمَاءِ قَرْنَةٍ .
ثُمَّ غَنَّتُ : [من المنسرح]

صوت

يَا طُولَ لَيْلِي أَعَالِجُ السَّقَمَا إِذَا حَلَّ دُونَ الْأَحْبَةِ الْحَرَمَا
مَا كُنْتُ أَخْشَى فِرَاقَ بَيْنِكُمْ فَالْيَوْمَ أَضْحَى فِرَاقُكُمْ عَزَمَا

الغناء للغريض ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا ، وَلَهُ أَيْضًا فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ
فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ جَمِيعًا ، عَنْ إِسْحَاقَ .

قَالَ غُرَيْرٌ : فَأَلْقَيْتُ طِيلَسَانَ وَتَنَاولْتُ شَاذْكَوْنَةَ⁵ ، فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي وَصِيحْتُ كَمَا

1 كلفاء : في وجهها حمرة كدرة أو نمش كالسمسم .

2 قرقل : قميص بلا كمين .

3 غسيل : مغسول .

4 الرشح : قلة لحم العجز ، والمرأة رسحاء .

5 الشاذكونة : مضربة النجاد .

يُصَاحُ بِالْمَدِينَةِ : الدَّخْنُ¹ بِالنَّوَى ، وَقَامَ أَبُو السَّائِبِ ، وَتَنَاوَلَ رُبْعَةً² فِيهَا قَوَارِيرُ دُهْنٍ كَانَتْ فِي الْبَيْتِ ، فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَصَاحَ ابْنُ الْأَرْتِ صَاحِبُ الْعَجَارِيَةِ ، وَكَانَ الثُّغَّ : «قَوَالِيِي» ، يَرِيدُ : قَوَارِيرِي قَوَارِيرِي ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو السَّائِبِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَحَرَّكَ رَأْسَهُ مَرَحًا فَاضْطَرَبَتِ الْقَوَارِيرُ وَتَكَسَّرَتْ ، وَسَالَ الدَّهْنُ عَلَى وَجْهِ أَبِي السَّائِبِ وَظَهَرَ وَصَدْرُهُ ؛ ثُمَّ وَضَعَ الرُّبْعَةَ وَقَالَ لَهَا : لَقَدْ هِجَبْتَ لِي دَاءً قَدِيمًا .

قَالَ : وَمَكُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَيْهَا سَنِينَ ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمِينَ ، وَقَالَ : ثُمَّ بَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ هِشَامٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، فَاشْتَرَيْتَ لَهُ الْعَجْفَاءَ وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ .

صوت

[من الطويل]

أَلَا هَلْ إِلَى رِيحِ الْخَزَامِيِّ وَنَظَرِي	إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ ³
فَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضِيحٍ	حَنِينِي إِلَى أَطْلَالِكُنَّ طَوِيلُ
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ	بَكُنَّ ، وَجَدَوَى خَيْرِ كُنَّ قَلِيلُ
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي	وَقَوِي ، فَهَلْ فِي ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ ؟

الشعر : لِيَحْيَى بْنُ طَالِبِ الْخَنْفِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَعْلُوبِهِ ، خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ، عَنْ عَمْرِو .
وَفِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ لَحْنٌ مَآخُورِيٌّ بِالْوَسْطَى ، وَفِيهِ لَعَرِيبَ رَمَلٌ ، وَلَتِيمٌ خَفِيفُ رَمَلٍ آخِرُ عَنْ
الْمُشَامِيِّ . وَفِيهِ لِابْنِ الْمَكِّيِّ خَفِيفُ ثَقِيلٍ مِنْ كِتَابِهِ وَذَكَرَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ أَنَّ لَحْنَ عَرِيبَ وَمَتِيمَ جَمِيعًا
مِنْ الرَّمَلِ .

1 ل : الدجر ، وهو اللوباء .

2 الربة : جونة العطار .

3 قارن بديوان مجنون ليلى : 221 وهي في السمط : 363 وأمالى القالي : 1 : 123 ومصارع العشاق : 1 : 294

ومعجم البلدان (قرقرى) ليحيى بن طالب . قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخل كثير .

[533] - أخبار يحيى بن طالب¹

يحيى بن طالب : شاعرٌ من أهل اليمامة ، ثم من بني حنيفة . لم يقعَ إليَّ نسبه . وهو من شعراء الدولة العباسية مُقِلٌّ ، وكان فصيحاً شاعراً غزلاً فارساً .
[هربه من دين]

وركيه دَيْنٌ في بلده فهرب إلى الرِّيِّ ، وخرج مع بَعَثٍ إليها ، فمات بها ، وقد ذَكَرَ ذلك في هذه القصيدة فقال :

أريدُ رجوعاً نحوكم فيصُدُّني إذا رُمْتُه دَيْنٌ عليَّ ثَقِيلُ
حدَّثني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حمَّادُ بن إسحاق عن أبيه قال : غنَّى أبي الرشيد في شعر يحيى بن طالب :

ألا هل إلى شَمِّ الخُزامى ونَظَرِ إلى قَرقرى قبل المماتِ سَبِيلُ
فأَطرِبُه ، فسأله عن قائل الشعر ، فذكره له وأعلمه أَنه حيٌّ ، وأَنه هرب من دَيْنٍ عليه ، وأنشده قوله :

أريدُ رجوعاً نحوكم فيصُدُّني إذا رُمْتُه دَيْنٌ عليَّ ثَقِيلُ
فأمر الرشيدُ أن يُكتب إلى عامل الرِّيِّ بقضاء دَيْنِه ، وإعطائه نفقةً ، وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب .
[شاعر ظريف غزل]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع وعَمِّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني الجهمُ بن المغيرة قال : كنَّا عند حُرْشٍ² بن ثُمَالِ القُرَيْظِيِّ بَضْرِيَّةً³ فمرَّت بنا جارية صفراءُ مُولَّدةٌ ، فقال لي حُرْشُ : استفتحْ كلامها فانظر فإنها ظَرِيفَةٌ ، فقلتُ لها : يا جارية ، أين نَشأتِ ؟ قالت : بقرقرى ، فقلتُ لها : أين من شَعْبِ⁴ ؟ فضحكت ثم

1 ليحيى بن طالب الحنفي أخبار في أمالي القالي 1 : 123 ومعجم البلدان (قرقرى) وانظر التذكرة الحمدونية 1 : 247 و 6 : 71 .

2 ل : جرش .

3 ضرية : قرية كانت عامرة على طريق مكة من البصرة .

4 شعيب : اسم ماء باليمامة ، انظر معجم البلدان (شعيب) وفيه أبيات يحيى مع اختلاف في الرواية .

قالت : بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطْنِ ، قلتُ : فمن الذي يقول : [من البسيط]

يا صاحِبِي فَدَتُ نَفْسِي نُفُوسَكَمَا عُوْجَا عَلَيَّ صُدُورَ الْأُبْغُلِ السُّنَنِ¹
ثم ارفعا الطَّرْفَ نَنْظُرُ صُبْحَ خَامِسَةٍ لَقَرَقَرَى يَا عَنَاءَ النَّفْسِ بِالْوَطَنِ
يا ليت شعري والإنسانُ ذو أَمَلٍ والعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيَاناً مِنَ الْحَزَنِ
هل أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلْخَدِّ مِرْفَقَةً على شَعْبَعَبَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطْنِ

فالتفتتُ إلى حُتْرَش بن ثمال فقالت : أَخْبِرْهُ بِقَائِلِهَا ، فقال : ما أَعْرِفُهُ ، فقالت : بَلَى ، هذا يقوله شاعرنا وظريفُ بلادنا وَغَزَلُهَا . فقال لها حُتْرَشُ : وَيَحْكُ ، وَمَنْ ذَلِكَ ؟ فقالت : أَشْهَدُ إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهُ وَأَنْتَ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ إِنَّهَا لَسَوَاءٌ ، ذلك يحكى بن طالب الحنفي ، أقسم بالله ما مَنَعَكَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ إِلَّا غِلْظُ الطَّبْعِ ، وجفاء الخُلُقِ . فجعل يضحكُ من قولها وتعجبنا منها .

[يرفض ركوب البحر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَاز ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قال رجل ليحيى بن طالب الحنفي : لو ركبْتَ معي في البحر ، وشَغَلْتُ مَالَكَ فِي تِجَارَاتِهِ لَأَثَرِيتَ وَحَسُنْتَ حَالُكَ ، فقال يحيى بن طالب² :

لَشَرُّكَ بِالْأَنْقَاءِ رَنْقاً وَصَافِياً أَعَفْتُ وَأَعْفَى مِنْ رُكُوبِكَ فِي الْبَحْرِ
إذا أَنْتَ لَمْ تَنْظُرْ لِنَفْسِكَ خَالِياً أَحَاطَتْ بِكَ الْأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي

[وفاته مرة أخرى]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو قَالَ : غَنَّى الرَّشِيدُ يَوْماً بِشَعْرِ يَحْيَى بْنِ طَالِبٍ :

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخُرَامِيِّ وَنَظْرَةِ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ
وذكر الخبر كما ذكره حمادُ بن إِسْحَاقَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ وَصُولِ الْبَرِيدِ

بشهر .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ : كَانَ يَحْيَى بْنُ طَالِبٍ يُجَالِسُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ وَيَأْلَفُهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مَعَ الْوَالِي الْيَمَامَةِ إِلَى مَكَّةَ ،

1 السنن : التي تسير سيراً شديداً .

2 قارن الأبيات بما في معجم البلدان (قرقرى) وأمالى القالي 1 : 123 .

وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخير ، فلمّا صار إلى مكّة عَزَلَ الوالي ، فَلَوى يحيى بماله مدّة ، فضاقت صدره ، وتَشَوَّقَ إلى الإمامة وصاحبته التي كان يتحدث إليها ، فقال : [من الطويل]
تصَبَّرْتُ عنها كارهاً وهجرتها وهجرانها عندي أمرٌ من الصَّبْرِ

صوت

إذا ارتَحَلْتُ نحو الإمامة رُفْقَةً دعاني الهوى واهتاج قلبي للذِّكْرِ
كَأَنَّ فؤادي كُلَّمَا عَنَ ذِكْرُهَا جَنَاحَا غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إِلَى وَكْرِ
الغناء للزفّ ، ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشاميّ في هذين البيتين .
وقال فيها :

مُدَايِنَةُ السُّلْطَانِ بَابُ مَذَلَّةٍ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْقَنَاعَةِ وَالْفَقْرِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْظُرْ لِنَفْسِكَ خَالِياً أَحَاطَتْ بِكَ الْأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا تَذْهَبُ
[أمنية التمني]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد عن أبيه ، قال : قال أبو الذّيّال الحنفيّ : خرج يحيى بن طالب الحنفيّ من الإمامة يُريد خراسان على البريد ، فقال وهو بقومس¹ : [من الطويل]

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَنَحْنُ بِقُومِسَ نُرَاوِحُ أَكْتَفَ المَحْذَفَةِ الجُرْدِ
بَعْدُنَا وَعَهْدِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ قَرْقَرَى وَفِيهَا الْأَلَى نَهْوَى وَزِدْنَا عَلَى البُعْدِ

أخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثني عبد الله بن بشر ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس الكلابيّ قال : كنتُ مع أبي ونحن قاصِدُونَ الإمامة ، فلمّا رأيناها لَقِينَا رجلاً ، فقال له أبي : أين قَرْقَرَى ؟ قال : وراءك ، قال : فأين شَعْبَعَب ؟ قال : بإزائه ؛ قال : أرني ذلك ، فأراه إيّاها حتى عَرَفَهُ ، فقال لي : ارجع بنا إلى الموضع ، فقلت له : يا أبت قد تَعِينَا وتَعَيْتَ رَكَائِنَا ، فما لك هناك ؟ قال : إِنَّكَ لِأَحْمَقُ ، ارجع ويملك ، فرجعتُ معه حتى أتى شَعْبَعَب ، وصار إلى الحوض والعَطْن ، وأناخ راحِلَتَهُ ، وقال لي : أُنِخْ ، فَانْخُتْ ؛ ونزل فنظَرُ إلى شَعْبَعَب وقَرْقَرَى ساعة ، ثم اضطجع بين الحوض والعَطْن اضطِجَاعَةً ، ويده تحت خَدِّهِ ، ثم قام فركب ، فقلت : يا أبت ما أردت بهذا ؟ فقال : يا جاهلُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ يحيى بن طالب :

1 البيتان في معجم البلدان (قوس) مع اختلاف في الرواية .

هل أَجَعَلَنَ يَدِي لِلْخَدِّ مِرْفَقَةً على شَعْبَعَبَ بين الحَوْضِ والعَطَنِ
أَفَلَيْسَ عَجْزاً أَنْ نَكُونَ قَدْ أَتَيْنَا عَلَيْهِمَا وَهْمَا أُمْنِيَةَ الْمُتَمَنِّي فلا ننال ما تَمَنَّاهُ مِنْهُمَا ، وقد
قَدَرْتُ عَلَيْهِ ؟ فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ .
[يحمل مغارم قومه]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو
الْعَالِيَةِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ قَالَ : كَانَ يَحْيَى بْنُ طَالِبٍ جَوَاداً ، شَاعِراً ، جَمِيلاً ، حَمَلًا
لَأَنْتَقَالَ قَوْمِهِ وَمَغَارِمَهُمْ ، سَمَحاً يَقْرِي الْأَضْيَافَ ، مَا تَشَاءُ أَنْ تَرَى فِي فِتْنَى خَصَلَةٍ جَمِيلَةٍ إِلَّا
رَأَيْتَهَا فِيهِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبْرِهِ ، وَسَلَّيْتُهِ وَقُلْتُ لَهُ مَا طَابَتْ بِهِ
نَفْسُهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي قَوْلَهُ ¹ :

مَا أَنَا كَالْقَوْلِ الَّذِي قُلْتَ إِنْ زَوَى مَحَلِّيَ عَنْ مَالِي حِذَارَ النَّوَائِبِ
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ قَابَلْتُ بِوَادِي كُحَيْلٍ كُلِّ مَاشٍ وَرَاكِبِ
حَلَلْتُ عَلَى رَأْسِ الْيَفْعَاعِ وَلَمْ أَكُنْ كَمَنْ لَازَ مِنْ خَوْفِ الْقَرَى بِالْحَوَاجِبِ
فَلَا تَسْأَلِ الضَّيْفَانَ مَنْ هُمْ وَأَذْنُهُمْ هُمُ النَّاسُ مِنْ مَعْرُوفٍ وَجْهِ وَجَانِبِ
وَقُولُوا إِذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ بِنَجْوَةٍ أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحْيَى بْنُ طَالِبِ
قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : كُحَيْلٌ : نَخْلٌ بِنَاحِيَةِ فَرَانَ دُونَ قَرَقَرَى ، وَهَنَّاكَ كَانَ مَنْزَلُ يَحْيَى بْنِ
طَالِبٍ .

صوت²

وقد جمع معه كل ما يُغْنِي فِيهِ مِنَ الْقَصِيدَةِ :

لَمُخْتَلِفَا الْأَهْوَاءِ مُصْطَحِبَانِ لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بُصْرَى وَنَاقَتِي
وَمَا لَكَ بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ مَتَى تَحْمِلِي شَوْقِي وَشَوْقَكَ تَظْلَعِي
أَبَالَيْنِ مِنْ عَفْرَاءٍ تَتَّحِبَانِ أَلَا يَا غُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ خَبْرَا

1 انظر معجم البلدان (قرقرى) .

2 هذه الأبيات من نونية عروة بن حزام وهي من مجموع شعره 9-27 ، وقد كثرت الإضافات والروايات في
هذه القصيدة واختلف ترتيب أبياتها في المصادر التي أوردتها أو اقتبست منها . وقد نسب بعضها إلى ابن الدمينه
والمجنون وغيرهما .

فإن كان حقاً ما تقولان فانهضاً بلحيمي إلى وكرنيكما فكلاني
ولا يعلمن الناس ما كان ميسري ولا يأكلن الطير ما تذران
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانيها ولا رقية إلا وقد رقياني
وقالا : شفاك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان
كان قطاة علقت بجناحيها على كبدي من شدة الخفقان

الشعر لعروة بن حزام ، والغناء لإبراهيم الموصلي في الأربعة أبيات الأول ؛ ثقیل أول
بالوسطى ، ولعريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هزج مطلق في مجرى البنصر ،
عن إسحاق ، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقیل أول ينسب إلى أبي العنبر بن
حمدون ، وإلى غيره .

[534] - أخبار عروة بن حزام¹

[نسه]

هو عروة بن حزام بن مُهاصِر ، أحد بني حزام بن ضَبَّة بن عبد كَبِير بن عُدْرَةَ . شاعِرٌ إسلاميٌّ ، أحدُ المَئِثِمِينَ الذين قتلهم الهوى ، لا يُعرَفُ له شعرٌ إلَّا في عَفْرَاءِ بنتِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر ، وتَشْبِيهِ بها .

[عروة وعفراء]

أخبرني بخبرها جماعةٌ من الرواة ؛ فمنهُ ما أخبرني به الحسنُ بن عليٍّ بن محمد الآدميُّ قال : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدَّثني موسى بن عيسى الجعْفَرِيُّ ، عن الأسباطِ بن عيسى العُدْرِيِّ .

وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرداسيُّ ، ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر ، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجاله .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة . وأخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزبيرُ بن بكارٍ عمَّن أسند إليه . وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قُتَيْبَةَ . وقد سَقْتُ رواياتهم وجمعتها .

قال الأسباط بن عيسى ، وروايته كأنها أتم الروايات وأشدُّها اتِّساقاً ، أدركتُ شيوخَ الحِمْيِّ يذكرون أنَّه كان من حَدِيثِ عُرْوَةَ بنِ حِزَام وعفراء بنت عقال : أنَّ حِزَاماً هَلَكَ وترك ابنه عروة صغيراً في حِجْرِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر . وكانت عفراءُ تَرْبِيّاً لعروة ، يلعبان جميعاً ، ويكونان معاً ، حتى أَلِفَ كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه إلفاً شديداً . وكان عقالٌ يقول لعروة ، لما يرى من إلفهما : أبشِرْ ، فإن عفراءَ امرأتك² ، إن شاء الله . فكانا كذلك حتى لَحِقَتْ عفراءُ بالنساء ، ولحق عُرْوَةُ بالرجال . فأتى عُرْوَةُ عمَّةٌ له يقال لها : هندُ بنتُ مُهاصِر ، فشكا إليها ما به من حبِّ عفراء ، وقال لها في بعض ما يقول لها : يا عمَّة ، إني لأُكَلِّمُكَ وأنا منك مُسْتَحِر ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضَعْتُ ذَرْعاً بما أنا فيه ، فذهبتُ عمَّتُه إلى أخيها فقالت له :

1 ترجمة عروة بن حزام في الشعر والشعراء : 519-523 وذيل الأُمالي : 157-162 وخزانة البغدادي 3 : 215-218 والقوات 2 : 447-450 ومصارع العشاق 1 : 317-321 وتزيين الأسواق 1 : 46 وقد جمع شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد (1961) ونشرا فصلاً منها .
2 ل : أَمَتَكَ .

يا أخي ، قد أتيتك في حاجة أحبُّ أن تُحسن فيها الردَّ ، فإنَّ اللهَ يَجُركَ بصلَّةِ رحمكَ فيما أسألكَ . فقال لها : قولي ، فلنَ تسألي حاجةً إلَّا ردُّتُكَ بها . قالت : تُزوِّجُ عُرْوَةَ ابنَ أخيكَ بابتك عفراء . فقال : ما عنه مذهبٌ ، ولا هو دونَ رجُلٍ يُرغَبُ فيه ، ولا بنا عنه رغبةٌ ؛ ولكنَّه ليس بذِي مالٍ ، وليست عليه عَجَلَةٌ . فطابت نفسُ عُرْوَةَ ، وسكَنَ بعضَ السُّكونِ .

[أم عفراء تريد رجلاً موسراً]

وكانت أمُّها سيِّئَةَ الرَّأيِ فيه ، تريدُ لابتها ذا مالٍ ووفرٍ ، وكانت عُرْوَةَ ذلك كمالاً وجمالاً ، فلمَّا تكاملتْ سنُّه وبلغَ أشدُّه عَرَفَ أنَّ رجُلًا من قومِه ذا يسارٍ ومالٍ كثيرٍ يخطبُها ، فأتى عمُّه ، فقال : يا عمِّ ، قد عَرَفْتَ حَقِّي وقرابتي ، وإنِّي وَلَدُكَ ورَيْتُ في حِجْرِكَ ، وقد بلغني أنَّ رجلاً يخطبُ عفراءَ ، فإنَّ أسعَفْتَه ، بطلبته قتلتنِي وسَفَكَتَ دمي ، فأتشدُّكَ اللهُ ورحمي وحَقِّي . فرقَّ له وقال له : يا بُنَيَّ ، أنت مُعْدِمٌ ، وحالنا قَريبةٌ من حالكَ ، ولستُ مُخْرِجُها إلى سِوَاكَ ، وأمُّها قد أبَتْ أن تزوِّجها إلَّا بمهرٍ غالٍ ، فاضطربَ واسترزَقَ اللهُ تعالى .

فجاء إلى أمِّها فألطفها وداراها ، فأبَتْ أن تُجيبه إلَّا بما تَحْتَكِمُه من المهرِ ، وبعد أن يَسُوقَ شَطْرَه إليها ، فوعدها بذلك .

وعلم أنَّه لا يَنْفَعُه قِرابَةُ ولا غيرها إلَّا بالمالِ الذي يطلبونه ، فَعَمِلَ على قَصْدِ ابنِ عمِّ له مُوسِرٍ كان مُقيماً باليمن¹ . فجاء إلى عمِّه وامرأته فأخبرهما بِعَزْمِهِ ، فصوباهُ ووعدها ألاَّ يُحْدِثَا حَدَثًا حتَّى يعودَ .

[ابن عمِّه يعينه]

وصار في ليلةٍ رَحِيلَه إلى عَفراءَ ، فجلس عندها ليلةً هو وجَوَارِي الحَيِّ يتحدَّثون حتَّى أصبحوا ، ثم ودَّعها وودَّع الحَيَّ وشدَّ على راحلته ، وصَحَّبَه في طريقه فَيَّانٍ من بني هِلَالٍ بنِ عامرٍ كانا يَأْلِفَانِه ، وكان حَيَّاهُم متجاوِرينَ ، وكان في طولِ سفره ساهياً يَكَلِّمَانِه فلا يفهمُ ، فِكْرُهُ في عَفراءَ ، حتَّى يُرِدَّ القولُ عليه مراراً ، حتَّى قَدِمَ على ابنِ عمِّه . فلقيه وعَرَفَه حاله وما قَدِمَ له ، فوصَّلَه وكَساه ، وأعطاه مائةً من الإبلِ ، فانصرفَ بها إلى أهله .

[زواج عفراء]

وقد كان رجلٌ من أهل الشَّامِ من أسبابِ بني أُمَيَّةٍ نزل في حيِّ عَفراءَ ، فَنَحَرَ وَوَهَبَ وأَطْعَمَ ، وكان ذا مالٍ عظيمٍ . فرأى عَفراءَ ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فأعجبته وخطبها إلى أبيها ، فاعتذرَ إليه وقال : قد سَمَّيْتُها إلى ابنِ أخٍ لي يَعْلَمُها عِنْدِي ، وما إليها لغيره سَبِيلٌ .

فقال له : إني أرغبك في المهر ، قال : لا حاجة لي بذلك . فعدّل إلى أمّها ، فوافقَ عندها قبولاً ، لبذله ورغبةً في ماله . فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقال فآذنته¹ وصحّبت معه ، وقالت : أيّ خير في عروة حتى تُحبسَ ابنتي عليه وقد جاءها الغنيّ يطرقُ عليها بابها ؟ والله ما ندري أعروة حيّ أم ميتّ ؟ وهل ينقلبُ إليك بخير أم لا ؟ فتكون قد حرمتَ ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاد لي خاطباً أجبتُه . فوجهتُ إليه أن عدّ إليه خاطباً . فلما كان من غدٍ نحرَ جُزراً عدّةً ، وأطعم ووهب وجمعَ الحيّ معه على طعامه ، وفيهم أبو عفراء ، فلما طعموا أعاد القول في الخطبة ، فأجابه وزوّجه ، وساق إليه المهر ، وحوّلتُ إليه عفراء وقالت قبل أن يدخلَ بها :

يا عُرُو إنَّ الحيَّ قد نقضوا عَهْدَ الإلِه وحاولُوا الغدرا

في أبيات طويلة .

فلما كان الليلُ دخلَ بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتحل بها إلى الشام ، وعمد أبوها إلى قبرٍ عتيقٍ ، فجدّده وسوّاه ، وسألَ الحيّ كتمانَ أمرها . [يعرف الحقيقة فيرحل إليها]

وقدِمَ عروة بعد أيام ، فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر ، فمكثَ يختلفُ إليه أياماً ، وهو مُضنى هالكٌ ، حتى جاءته جاريةٌ من الحيّ فأخبرته الخبر . فتركهم وركب بعضَ إبله ، وأخذ معه زاداً ونفقةً ، ورحل إلى الشام فقدمها ، وسألَ عن الرجل فأخبر به ، ودلَّ عليه ، فقصده وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته . فمكثَ أياماً حتى أنسوا به ، ثم قال لجاريةٍ لهم : «هل لك في يدٍ تولينيها؟» قالت : نعم . قال : تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك . فقالت : سوّاة لك ، أما تستحي لهذا القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها : ويحك ! هي والله بنتُ عمّي ، وما أخذتُ منّا إلّا وهو أعزُّ على صاحبه من الناس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبحيها² ، فإذا أنكرتُ عليكِ فقولي لها : اصطبِح ضيفك قبلك ، ولعلّه سقطَ منه . فرقتُ الأمّة وفعلتُ ما أمرها به .

فلما شربتُ عفراءَ اللبن رأيتُ الخاتمَ فعرفته ، فشهِقْتُ ، ثم قالت : اصدّقيني عن الخبر ، فصدّقته . فلما جاء زوجها قالت له : أتدري من ضيفك هذا ؟ قال : نعم ، فلان بن فلان ، للنسب الذي انتسبَ له عروة . فقالت : كلا والله يا هذا ، بل هو عروة بن حزام ابنُ عمّي ، وقد كتمَ نفسه حياءً منك .

1 ل : فآذنته واستصحبته معه .

2 ل : في صبحها .

وقال عمر بن شُبَّة في خبره : بل جاء ابنُ عمِّ له فقال : أترَكُم هذا الكلب الذي قد نَزَلَ بِكُمْ هكذا في داركم يفضَحُكم ؟ فقال له : ومنَ تعني ؟ قال : عُرْوَةُ بن حزام العُذْرِيُّ ضيفُك هذا . قال : أوِ إنَّه لعُرْوَةٌ ؟ بل أنتَ والله الكلبُ ، وهو الكَرِيمُ القَرِيبُ .

قالوا جميعاً : ثم بَعَثَ إليه فدَعَاهُ ، وعَاتَبَهُ على كتمانِهِ نفسه إِيَّاهُ ، وقال له : بالرخب والسَّعَةِ ، نشدْتُكَ اللهَ إن رِمْتُ¹ هذا المكان أبداً ، وخرج وتركهُ مع عفراء يتحدَّثَان . وأوصى خادِمًا له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمعه منهما عليه ، فلمَّا خَلَاوا تشاكيا ما وَجَدَا بعد الفراقِ ، فطالت الشَّكْوَى ، وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ ، ثم أَتَتْهُ بشرابٍ وسأَلَتْهُ أن يشربَه . فقال : والله ما دَخَلَ جَوْفِي حَرَامٌ قطُّ ، ولا ارتكَبْتُهُ منذُ كُنْتُ ، ولو استحلَّلتُ حراماً لَكُنْتُ قد استحلَّلتُهُ منك ، فأنْتِ حظِّي من الدُّنْيَا ، وقد ذَهَبَتْ مِنِّي ، وذَهَبَتْ بعدُكَ فما أَعِيشُ ! وقد أَجْمَلَ هذا الرجلُ الكَرِيمُ وأَحْسَنَ ، وأنا مستحيي منه ، والله لا أَقِيمُ بعد علمِهِ مكاني ، وإني عالِمٌ أَنِّي أرحلُ إلى مِنِّي . فبَكَتُ وبكى ، وانصرف .

[حمل نفسه على اليأس]

فلَمَّا جاء زوجها أَخْبَرَهُ الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء ، امنعي ابنَ عمِّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو والله أَكْرَمُ وأَشَدُّ حياءً من أن يُقِيمَ بعد ما جَرى بينكما ، فدَعَاهُ وقال له : يا أخي ، اتَّقِ اللهَ في نفسك ، فقد عَرَفْتُ خَبْرَكَ ، وإنَّكَ إن رَحَلْتَ تَلِفْتَ ، والله لا أَمْنَعُكَ من الاجتماع معها أبداً ، ولَعَنَ شَيْتَ لأفارقَها ولأنزَلَني عنها لك . فجزأه خيراً ، وأثنى عليه ، وقال : إنَّما كان الطَّمَعُ فيها آفَتِي ، والآن قد يَسْتُ وقد حملتُ نفسي على اليأس والصَّبْر ، فإنَّ اليأس يُسْلِي ، ولي أمورٌ ، ولا بُدَّ لي من رجوعي إليها ، فإن وَجَدْتُ من نفسي قوَّةً على ذلك ، وإلَّا رَجَعْتُ إليكم وزُرْتُكم ، حتى يقضيَ اللهُ من أَمْرِي ما يشاء . فزوَّده وأكرَّموه وشيَّعوه ، فانصرف . فلَمَّا رَحَلَ عنهم نُكِسَ بعد صلاحِهِ وتمائِلِهِ ، وأصابَهُ غَشْيٌ وخَفَقَانٌ ؛ فكان كَلِّمَا أُغْمِيَ عليه الثَّغْيَى على وجهِهِ خِمارٌ لعفراء زوَّدَتْهُ إِيَّاهُ ؛ فَيُفَيِّقُ .

[هو وعُرفَ البِمامة]

قال : وَلَقِيَهُ في الطريق ابنُ مكحولٍ عَرَّافُ البِمامة ، فرآه وجلسَ عنده ؛ وسأَلَهُ عَمَّا به ؛ وهل هو خَبَلٌ أو جُنُونٌ ؟ فقال له عُرْوَةُ : أَلَكَ عِلْمٌ بالأوجاع ؟ قال : نعم ؛ فأنشأ يقول² :

[من الطويل]

1 رمت المكان : بارحته .

2 هذه الأبيات من القصيدة الثانية في مجموع شعره : 28-31 .

وما بي من خبلٍ ولا بي جنةٌ ولكنَّ عمي يا أخي كذوبٌ¹
 أقولُ لعرَّافِ اليمامةِ داوِني فإنَّكَ إن داوِيتني لطيبٌ²
 فواكِداً أُمست رُفاتاً كأنما يلذَّعُها بالموقداتِ طيبٌ
 عشيَّةٌ لا عَفراءَ منك بعيدةٌ فتسلو ولا عَفراءَ منك قريبٌ³
 عشيَّةٌ لا خلفي مكرٌّ ولا الهوى أمامي ولا يهوى هوى غريبٌ
 فوالله لا أنساكِ ما هبت الصبا وما عَقبتُها في الرِّياحِ جُوبٌ
 وإني لتغشاني لذكركِ هِرةٌ لها بينَ جلدي والعظامِ ديبٌ⁴

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلائين بقصته :

خليلي من عليا هلال بن عامرٍ بصنعاء عوجا اليوم وانتظرائي
 ولا تزهدا في الذخر عندي وأجملا فإنكما بي اليوم مُبتليانِ
 ألما على عَفراءٍ إنكما غداً بوشك النوى والبينِ معترفانِ
 فيا واشي عَفراءٍ وبحكما بمن وما وإلى من جئتما تشيانِ
 بمن لو أراه عانياً لفديته ومن لو رأي عانياً لفداني
 متى تكشيفا عني القميصَ تبينا بي الضر من عَفراءٍ يا فتيانِ
 إذن ترى لحماً قليلاً وأعظماً يلين قلباً دائماً الخفقانِ
 وقد تركتني لا أعني لحدثٍ حديثاً وإن ناجيته ونجاني
 جعلت لعرَّافِ اليمامةِ حكمه وعرَّافٍ حَجَرٍ إن هما شفياني
 فما تركا من حيلةٍ يعرفانها ولا شربةٍ إلا وقد سقياني
 ورشاً على وجهي من الماء ساعةً وقاما مع العوادِ يبتدرانِ
 وقالوا : شفاكَ اللهُ والله ما لنا بما ضُمنتُ منك الضلوعُ يدانِ
 فويلي على عَفراءٍ ويلاً كأنه على الصَّدْر والأحشاء حدُّ سينانِ

1 شعره : عمي الحميري .

2 شعره : وقلت . . . فإنك إن أبرأتني .

3 شعره :

عشيَّة لا عَفراءَ دان مزارها فترجى ولا عَفراءَ منك قريب

4 شعره : لتغشاني لذكركِ رعدة .

أُحِبُّ ابْنَةَ الْعُدْرِيِّ حُبًّا وَإِنْ نَأَتْ
وَدَانَيْتُ فِيهَا غَيْرَ مَا مُتَدَانِي

صوت

إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجَرَهَا حَالُ دُونِهِ
شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدِلَانِ
غَنَّتْهُ شَارِيَةٌ ؛ وَلَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ :
إِذَا قُلْتُ : لَا ، قَالَا : بَلَى ، ثُمَّ أَصْبَحَا
تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءٍ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
جَمِيعاً عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَرَيَانِ
فِيَا رَبِّ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى الَّذِي
وَلَا لِلجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا
تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءٍ
عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدْقَةِ الْخَفْقَانِ

والذي بعده ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، يُقَالُ إِنَّهُ لِأَبِي الْعَنْبَسِ بْنِ حَمْدُونَ .

[عفراء ترثيه]

قال : فلم يزل في طريقه حتى ماتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى حَيْهٍ بِثَلَاثِ لَيَالٍ . وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته ، فَجَزَعَتْ جَزَعاً شَدِيداً ، وَقَالَتْ تَرْثِيهِ :

[من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمُحِيُونَ وَبِحَكْمِ
بِحَقِّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامِ
فَلَا تَهْنَأُ الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
وَلَا رَجَعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلَامِ
وَقُلْ لِلْحَبَالَى لَا تُرْجَيْنَ غَائِباً
وَلَا فَرِحَاتٍ بَعْدَهُ بِغَلَامِ

قال : ولم تزل تردُّدُ هذه الأبيات وتندبُه بها ، حتى ماتت بعده بأيامٍ قلائِلَ .

وذكرَ عَمْرُ بْنُ شُبَّةٍ فِي خَبَرِهِ : أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِتَزْوِيجِهَا حَتَّى لَقِيَ الرَّفْقَةَ الَّتِي هِيَ فِيهَا ، وَأَنَّهُ كَانَ تَوَجَّهَ إِلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ بِالشَّامِ ، لَا بِالْيَمَنِ¹ ، فَلَمَّا رَأَاهَا وَقَفَ دَهْشاً ، ثُمَّ قَالَ : [من الطويل]

فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً
فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أُكَادُ أُجِيبُ
وَأَصْدَفُ عَنْ رَأْيِي الَّذِي كُنْتُ أَرْتَأِي
وَأَنْسَى الَّذِي أُرْزِعْتُ ، حِينَ تَغِيبُ²
وَيُظْهِرُ قَلْبِي عُذْرَهَا وَيُعِينُهَا
عَلِيٍّ فَمَا لِي فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ
وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ شِفَائِهَا
قَرِيباً ، وَهَلْ مَا لَا يُنَالُ قَرِيبُ ؟

1 ل : لا بالري .

2 شعره : وأصرف .

حَلَفْتُ بِرَبِّ السَّاجِدِينَ لِرُبِّهِمْ خُشُوعاً ، وَفَوْقَ السَّاجِدِينَ رَقِيبُ
لَنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِياً إِلَيَّ حَبِيباً إِنَّهَا لِحَبِيبُ

وقال أبو زيد في خبره : ثم عادَ من عندِ عفرَاء إلى أهله ، وقد ضَنِي ونَحَلَ . وكانت له أخواتٌ وخالةٌ وجدَّةٌ ، فجعلنَ يعِظُنهُ ولا يَنْفَعُ ، وجئنَ بأبي كُحَيْلَةَ رباح بن شدَّاد مولى بني نُعَيْلَةَ ، وهو عَرَّاف حَجَرٌ ، ليداوِيَهُ فلم يَنْفَعُهُ دواؤُهُ .

وذكر أبو زيد قصيدته النونية التي تقدَّم ذكرُها وزاد فيها : [من الطويل]

وعَيْنَانِ مَا أَوْفَيْتُ نَشْراً فَتَنْظُرَا مَاقِيَهُمَا إِلَّا هُمَا تَكْفِيَانِ
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَوْماً لَصَاحِبِي ضُحَى وَقُلُوصَانَا بِنَا تَخْدَانِ
أَلَا حَبْذاً مِنْ حُبِّ عَفْرَاءٍ وَادِياً نَعَامٌ وَوُزْلٌ حَيْثُ يَلْتَقِيَانِ

وقال أبو زيد : وكان عُرْوَةُ يَأْتِي حِيَاضَ الْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ إِبِلُ عَفْرَاءٍ تَرْدُهَا فَيُلْصِقُ صَدْرَهُ بِهَا ، فَيَقَالُ لَهُ : مَهْلاً ، فَإِنَّكَ قَاتِلُ نَفْسِكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ . فلا يَقْبَلُ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى التَّلَفِّ ، وَأَحْسَنَ بِالْمَوْتِ .

فجعل يقول¹ : [من الطويل]

بِسَى الْيَأْسِ وَالذَّاءِ الْهَيَامُ سَقِيَّتُهُ فَإِيَّاكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا

[روايات أخرى في وفاته]

أخبرني الحِزْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجِشُونِ ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ فِي أَرْضِ عُذْرَةَ إِذَا بِامْرَأَةٍ تَحْمِلُ غُلَاماً جَزْلاً ، لَيْسَ يُحْمَلُ مِثْلُهُ ، فَعَجِبْتُ لَذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَلْتُ بِهِ ، فَإِذَا لَهُ لَحِيَّةٌ ، فَدَعَوْتُهَا فَجَاءَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَجْهَكَ ! مَا هَذَا ؟ فَقَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ بِعُرْوَةَ ابْنِ حِزَامٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ : هَذَا وَاللَّهِ عُرْوَةُ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ عُرْوَةُ ؟ فَكَلَّمَنِي وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ وَتَدُورَانِ فِي رَأْسِهِ ، وَقَالَ : نَعَمْ أَنَا وَاللَّهِ الْقَاتِلُ : [من الطويل]

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَقَالَا : نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الذَّاءِ كُلَّهُ وَقَامَا مَعَ الْعُوَادِ يَتَدِيرَانِ
فَعَفْرَاءُ أَحْظَى النَّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً وَعَفْرَاءُ عَنِّي الْمُعْرِضُ الْمُتَوَانِي

قال : وذهبت المرأة ، فما بَرَحْتُ من الماء حتى سمعتُ الصَّيْحَةَ ، فسألتُ عنها ، فقيل : ماتَ عُرْوَةُ بنُ حزام .

قال عبدُ الملك : فقلتُ لأبي السائب : ومن أيِّ شيء مات ؟ أظنه شَرِق ، فقال : سَخُنْتُ عيناك ، بأيِّ شيء شَرِق ؟ قلت : بريقه ، وأنا أريد العبثُ بأبي السائب ، أفرى أحداً يموتُ من الحبِّ ؟ قال : والله لا تُفلحُ أبداً ، نعم يموتُ خوفاً أن يتوبَ اللهُ عليه !

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا الكرايُّ ، عن العمريِّ ، عن الهيثم بن عديٍّ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير قال : ولأني عثمانُ ، رضي اللهُ عنه ، صدقاتِ سعدِ هذَيم ، وهم : بلي ، وسلامانُ وعُذرة ، وضبةُ بن الحارثِ ، ووائلٌ : بنو زيد ، فلما قبضتُ الصدقةَ قسَمْتُها في أهلها ، فلما فرغتُ وانصرفتُ بالسهمين إلى عثمان ، رضي اللهُ عنه ، إذا أنا ببيتٍ مُفَرَّدٍ عن الحيِّ ، فمِلْتُ إليه ، فإذا أنا بفتى راقِدٍ في فناء البيت ، وإذا بعَجُوزٍ من ورائه في كِسْرِ البيتِ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ عليَّ بصوتٍ ضعيفٍ ، فسألته : ما لك ؟ فقال¹ :

كَانَ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ

وذكر الأبيات النونية المعروفة ، ثم شهقَ شهقةً خفيفةً كانت نفسه فيها . فنظرتُ إلى وجهه فإذا هو قد قَضَى فقلت : أيتها العجوزُ ، مَنْ هذا الفتى منك ؟ قالت : ابني ، فقلت : إنِّي أراه قد مضى . فقالت : وأنا والله أرى ذلك . فقامت فنظرتُ في وجهه ثم قالت : فاذ وربِّ ومحمدٍ ، فقلت لها : يا أمَّاه ، مَنْ هو ؟ فقالت : عُرْوَةُ بن حزام ، أحدُ بني ضَبَّة ، وأنا أمُّه . فقلت لها : ما بلغ به ما أرى ؟ قالت : الحبُّ ، والله ما سمعتُ له منذ سنَّةٍ كلمةً ولا أُنَّةً إلا اليومَ ، فإنه أقبل عليَّ ثم قال :

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِياً أَبَداً فاليومَ إنِّي أراني اليومَ مَقْبُوضاً
يُسَمِّعَنِيهِ فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إذا علوتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضاً

قال : فما بَرَحْتُ من الحيِّ حتى غَسَلْتُهُ ، وكَفَّيْتُهُ ، وصَلَّيْتُ عليه ، ودَفَنْتُهُ .

[رواية أخرى في وفاة عفرأ]

وذكر أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره ، هذه القصةَ عن عُرْوَةَ بن الزبير ، فقال هذين البيتين بحضرته :

مَنْ كَانَ مِنْ أُخَوَاتِي بَاكِياً أَبَداً

قال : فحضرته فبرزن ، والله ، كأنهن الدُّمى ، فشققن جُيوبهنَّ ، وضربن خُدودهنَّ ، فأبكين كلَّ مَنْ حضر . وقضى من يومه .

وبلغ عفراء خبره ، فقامت لزوجها فقالت : يا هناء ، قد كان من خيرِ ابن عمِّي ما كان بَلْعَك ، ووالله ما عرفتُ منه قطُّ إلاَّ الحسنَ الجميلَ ، وقد مات فيَّ وبسببي ، ولا بُدَّ لي من أن أندبه وأقيم مأتماً عليه . قال : أفعلِي . فما زالت تندبه ثلاثاً ، حتى توفيت في اليوم الرابع .

وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرهما ، فقال : لو علمتُ بحال هذين الحُرَيْنِ الكريمَيْنِ لجمعتُ بينهما .

وروي هذا الخبر عن هارون بن موسى القرويِّ ، عن محمد بن الحارث المخزوميِّ ، هم هشام بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان شاهداً ذلك اليوم . ولم يذكر النعمان بن بشير في خبره .

[طلب عفراء بعد أن رفضها]

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصَيْن بن بَرَّاق ، عن أمِّ جميل الطائيَّة : أنَّ عفراء كانت يتيمةً في جِجَرِ عمِّها عمه ، فعرضها عليه فأبأها ، ثم طال المدى ، وانصرف عروة في يوم عيد ، بعد أن صلَّى صلاةَ العيد ، فراها وقد زينت ، فرأى منها جمالاً بارعاً ، وقدمت له تحفةً فنال منها وهو ينظر إليها ، ثم خطبها إلى عمه فمنعه ذلك ، مكافأةً لما كان من كراهيته لها لما عرضها عليه ، وزوجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام ، وتمادى في حبِّها حتى قتله .

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سليمان بن عبد العزيز بن عمران الزهريِّ قال : حدثني خاتمة المكيِّ : أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت . قال : فلدنوتُ منه ، فقلت : مَنْ أنت ؟ فقال : الذي أقول :

[من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ أنتَ رامٍ بلادها بعينين إنساناهما غرقانٍ
ألا فاحيلاني بارك الله فيكما إلى حاضر الرُّوحاء ثم ذراني

فقلتُ له : زدني ، فقال : لا والله ولا حرفاً .

[يقتله الحب عند ابن عباس]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني أبو سعيد السكري قال : حدثني محمد بن حبيب قال : ذكر الكلبي ، عن أبي صالح ، قال : كنت مع ابن عباس بعرفة ، فأتاه فتیان يحملون بينهم فتى لم يبق منه إلا خياله ، فقالوا له : يا ابن عم رسول الله ، اذع له ! فقال : وما به ؟ فقال الفتى :

بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة
تكاذ لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مغول
على ما به عود هناك صليب
قال : ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات .
فقال ابن عباس :

هذا قتل الحب لا عقل ولا قود

ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله ، جل وعز ، في عشيتة إلا العافية ، مما ابتلي به ذلك الفتى . قال : وسألنا عنه فقليل : هذا عروة بن حزام .

صوت¹

[من الطويل]

أعالي أعلى الله جدك عاليا
وأسقى برئائك العضاة البواليا
أعالي ما شمس النهار إذا بدت
بأحسن مما تحت برذلك عاليا
أعالي لو أن النساء بيلدة
وأنت بأخرى لا تبعثك ماضيا
أعالي لو أشكو الذي قد أصابني
إلى غصن رطب لأصبح ذاويا²

الشعر للقتال الكلابي .

وقد أدخل بعض الرواة الأول من هذه الأبيات مع أبيات سحيم عبد بني الحسحاس التي أولها :

فما بيضة بات الظلیم يحفها³

في لحن واحد . وذكرت ذلك في موضعه ، وأفرده على جدته ، وأتيت به على حقيقته .

1 ديوان القتال الكلابي : 94 .

2 ذاويا في الديوان : باليا .

3 تمام البيت : ويرفع عنها جوجوا متجافيا وقد تقدم شعر سحيم في ترجمته .

والغناء لابن سُرَيْج ، ثاني ثَقِيل بالسَّبَابَةِ في مجرى الوُسْطَى . وذكر الهِشَامِيُّ أَنَّ فيه لأبي كامل ثاني ثَقِيل ، لا أدري أهذا يعني أم غيره . ووافقَه إبراهيمُ في لحن أبي كامل ولم يُجَنِّسه ، وزعم أَنَّ فيه لحنًا آخر لابن عَبَّاد ، وفيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، ذكر ابن المَكِّي أَنَّهُ لمَعْبِدٌ . وذكر الهِشَامِيُّ أَنَّهُ ليحيى منحولٌ إلى مَعْبِدٍ . وذكر حَبَشٌ أَنَّهُ لَطُوَيْسٌ .

وفي هذه القصيدة يقول القتالُ :

[من الطويل]

أَعَالِي أَخْتِ الْمَالِكِيِّينَ نَوَّلِي	بِمَا لَيْسَ مَفْقُودًا وَفِيهِ شَفَائِيَا
أَصَارِمَتِي أُمُّ الْعَلَاءِ وَقَدْ رَمَى	بِي النَّاسُ فِي أُمِّ الْعَلَاءِ الْمَرَامِيَا
أَيَا إِخْوَتِي لَا أَصْبِحَنَّ بِمُضِلَّةٍ	تُشِيبُ إِذَا عُدْتُ عَلَيَّ النَّوَاصِيَا
فَرَادٍ لَدَيْكَ الْقَوْمَ وَاشْعَبْ بِحَقِّهِمْ	كَمَا كُنْتَ لَوْ كُنْتَ الطَّرِيدَ مُرَادِيَا ¹
وَشَمَّرْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْكَ غَضَاضَةً	وَلَا تَنْسَ يَا ابْنَ الْمَضْرَحِيِّ بِلَائِيَا

ولهذه القصيدة أخبارٌ تُذكر في مواضعها هاهنا إن شاء الله تعالى .

1 الديوان : وأتبعته فيكم إذا كان حقهم . وراود : فعل أمر من راد بمعنى راود .

[535] - أخبار القتال ونسبه¹

[نسبه]

القتال لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، لتمرُّده وفتكِه . واسمه : عبد الله بن المَضْرَحِيَّ بن عامر الهَصَّان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة . ويكنى أبا المُسَيَّب ، وأمه عَمْرَة بنتُ حُرْقَة بن عوف بن شَدَّاد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وقد ذكرها في شعره وفخر بها ، فقال : [من الطويل]

لقد وَلَدَتْنِي حُرَّةٌ رَّعِيَّةٌ من اللاء لم يحضُرَنَّ في القَيْظِ ذَيْبُيَا²

[قتل أبا عالية وهرب]

نسختُ من كتابٍ لمحمد بن داوُد بن الجَرَّاح خبره ، وذكر أنَّ عبد الله بن سليمان السُّجِسْتَانِيَّ دَفَعَهُ إليه وأخبره أَنَّهُ سَمِعَهُ من عُمَر بن شَبَّة وأجاز له روايته ، وأخبرني بأكثر رواية عمر بن شَبَّة هذه الأَخْفَشُ عن السَّكْرِيَّ عنه في أخبار اللُّصُوص وجمعتُ ذلك أجمع . قال عمر بن شَبَّة : حَدَّثَنِي حُمَيْد بن مَالِك بن يسار المِسْمَعِيَّ قال : حَدَّثَنِي شَدَّاد بن عُقْبَة بن رافع بن زَمْل بن شُعَيْب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وكانت أُم رافع جنوبَ بنتِ القتال .

وحدَّثَنِي شيخٌ من بني أبي بكر بن كلاب ، يكنى أبا خالد ، أيضاً بحديث القتال ، قال أبو خالد : كان القتالُ ، قتالُ ربيعةَ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، يتحدث إلى ابنة عمِّ له يقال لها العالية بنت عبيد الله . وكان لها أخٌ غائبٌ يقال له : زياد بن عبيد الله . فلَمَّا قَدِمَ رأى القتالَ يتحدث إلى أخته ، فنهاه وحلف : لئن رآه ثانيةً ليقْتُلنه . فلَمَّا كان بعد ذلك بأيَّامٍ رآه عندها ، فأخذ السيفَ وبَصُرَ به القتالُ ، فخرج هارباً ، وخرج في إثره ، فلَمَّا دنا منه ناشده القتالُ باللهِ والرحمِ ، فلم يلتفت إليه . فبينما هو يسعى ، وقد كاد

1 ترجمة القتال الكلبي في الشعر والشعراء : 594-595 والمؤتلف : 252 وخزانة البغدادي والسمط : 12 وأسماء المغتالين : 303 وألقاب الشعراء : 312 والمحرر لابن حبيب : 213 ، 226 ونسب قريش : 219 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقق إحسان عباس ديوانه (بيروت ، 1961) بمقدمة ضافية وتخريج كثير ، وإليه نشير .

2 ذَيْبُيَا في الديوان : دندنا . ودندن : الخشب اليابس إذا اسودَّ من القدم . وذذب : ركية في ديار أبي بكر بن كلاب .

يَلْحَقُهُ ، وَجَدَ الْقِتَالَ رُمَحاً مَرْكُوزاً ، وَقَالَ السَّكْرِيُّ : وَجَدَ سَيْفًا ، فَأَخَذَهُ وَعَطَفَ عَلَى زِيَادٍ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ ¹ :

[من الطويل]

نَهَيْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْشَمٍ ²
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُتِّهِ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَذْنِ مُقَوِّمٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدِمٍ

[من الطويل]

وقال أيضاً ³ :

نَهَيْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَا وَذَكَرْتُهُ بِاللَّهِ حَوْلًا مُجَرَّمًا
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُتِّهِ وَمَوْلَايَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَقَدُّمًا
أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِأَبْيَضَ صَارِمٍ حُسَامٍ إِذَا مَا صَادَفَ الْعَظَمَ صَمَمًا
بَكْفٍ أَمْرِي لَمْ تَخْذُمِ الْحَيَّ أُمُّهُ أَخِي نَجْدَاتٍ لَمْ يَكُنْ مُتَهَضِّمًا ⁴

ثم خرج هارباً ، وأصحاب القتيل يطلبونه ، فمرَّ بَابَنَةِ عَمٍّ لَهُ تُدْعَى زَيْنَبَ ، مُتَّحِيَةً عَنِ الْمَاءِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : وَنَحَكَ ! مَا ذَهَاكَ ؟ قَالَ : أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَكَ ! فَأَلْقَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا ، وَأَلْبَسَتْهُ بُرْقَعَهَا ، وَكَانَتْ تَمْسُ حِنَاءً ، فَأَخَذَ الْحِنَاءَ فَلَطَّخَ بِهَا يَدَيْهِ وَتَنَحَّتَ عَنْهُ ، وَمَرَّ الطَّلَبُ بِهِ ، فَلَمَّا أَتَوْا الْبَيْتَ قَالُوا وَهْمُ يَطْنُونَ أَنَّهُ زَيْنَبُ ؟ : أَيْنَ الْخَبِيثُ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : أَخَذَ هَاهُنَا ، لَغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ . فَلَمَّا عَرَفَ أَنْ قَدْ بَعُدُوا أَخَذَ فِي وَجْهِ آخَرَ ، فَلَجَّحَ بَعْمَايَةَ ، وَعَمَايَةَ جَبَلٍ ، فَاسْتَرَفِيهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ ⁵ :

[من الطويل]

فَمَنْ مُبْلَغٌ فِتْيَانٍ قَوْمِي أَنَّنِي تَسَمَّيْتُ لَمَّا شَبَّتِ الْحَرْبُ زَيْنَبًا ⁶
وَأَرَخَيْتُ جِلْبَابِي عَلَى نَبْتٍ لِحْيَتِي وَأَبْدَيْتُ لِلنَّاسِ الْبَنَانَ الْمُخْضَبَا

[من الطويل]

وقال أيضاً ⁷ :

1 ديوان القتال : 89 .

2 نهيت في الديوان : نشدت ، أي استحلقت . والمقامة بيننا : وأهل المجلس بيننا حاضرون (عن التبريزي) .
وسعر وهيشم : رجلان .

3 ديوانه : 90 .

4 متهضمًا : تهضم حقوقه وهو ساكن .

5 ديوان القتال : 35 .

6 الديوان : ألا هل أتى فتيان قومي .

7 ديوانه : 45 .

جَزَى اللَّهُ عَنَّا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَمَايَةَ خَيْرًا أُمَّ كُلِّ طَرِيدٍ¹
 فما يزدهيها القَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدٍ
 حَمَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عَنَقَاءٍ عَيْطَلٍ وَكُلُّ صَفَا جَمِّ الْقِلَاتِ كَوْوِدٍ²

فمكث بعمامة زماناً يأتيه أخ له بما يحتاج إليه ، وألفه نمر في الجبل كان يأوي معه في شعب .

[مصاحبة النمر]

وأخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدثني محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبي ، قال : كان القتال الكلابي أصاب دماً ، فطلب به ، فهرب إلى جبل يقال له عماية ، فأقام في شعب من شعابه ، وكان يأوي إلى ذلك الشعب نمر ، فراح إليه كعادته ، فلما رأى القتال كثر عن أنيابه ، ودلح لسانه فجرد القتال سيفه من جفنه ، فرد النمر لسانه ، فشام القتال سيفه ، فريض بإزائه ، وأخرج برائه ، فسئل القتال سهامه من كينته ، فضرَبَ يده وزار ، فأوتر القتال قوسه ، وأنبض وترها ، فسكن النمر وألفه .

فقال ابن الكلبي في هذا الخبر ، ووافقه عمر بن شبة في روايته : كان النمر يضطاد الأروى فيجيه بما يضطاده ، فيلقيه بين يدي القتال ، فيأخذ منه ما يقوته ، ويلقي الباقي للنمر فيأكله . وكان القتال يخرج إلى الوحش فيرمي بنبله ، فيصيب منه الشيء بعد الشيء ، فيأتي به الكهف ، فيأخذ لقوته بعضه ، ويلقي الباقي للنمر . وكان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب ، ثم يتنحى القتال عنه ويرد النمر ، فيقوم عليه القتال حتى يشرب . فقال القتال في ذلك من قصيدة له³ :

ولي صاحب في الغار يعدل صاحباً أبا الجون إلا أنه لا يُعَلَّلُ
 أبو الجون : صديق له كان يأنس به ، فشبهه به . وفي رواية عمر بن شبة : أخي الجون ، فإن القتال كان له أخ اسمه الجون ، فشبهه به :

كِلَانَا عَدُوٌّ لَا يَرَى فِي عَدُوِّهِ مَهْزَاً وَكُلُّ فِي الْعَدَاوَةِ مُجْمَلٌ⁴

1 عماية : جبل بنجد .

2 عنقاء : صفة للهضبة لارتفاعها . والعيطل : الهضبة الطويلة . والصفاء : الصخر الأملس والقلات : جمع قلت ، وهي النقرة في الجبل .

3 ديوان القتال : 77-78 مع اختلاف في الترتيب .

4 مهزاً في الديوان : محزاً .

إذا ما التَقَيْنَا كان أنسُ حَدِيثِنَا صِمَاتًا وَطَرَفٌ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلُ¹
لنا مَوْرِدٌ قَلْتُ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ شَرِيعَتُنَا : لَأَيْنَا جَاءَ أَوَّلُ²
تَضَمَّنْتَ الْأَرْوَى لنا بِشِوَانِنَا كِلَانَا له منها سَدِيفٌ مُخْرَدَلُ³
فَأَغْلِبْهُ فِي صَنْعَةِ الزَّادِ إِنَّنِي أَمِيطُ الْأَذَى عنه وما إنْ يُهْلَلُ⁴
أَيُّ مَا يَسْمِي اللَّهُ تعالى عِنْدَ صَبْدِهِ .

[وليمة كاذبة]

أخبرني اليزيدي قال : حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي ، وأخبرني به محمد بن جعفر الصَّيدلاني ، عن الفضل ، عن إسحاق . وأخبرني به وسوسة بن الموصلي عن حماد ، عن أبيه ، قال : قال أبو المجيب أو شداد بن عقبة : دعا رجلٌ من الحمي يقال له أبو سفيان القتال الكلابي إلى وليمة ، فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النهار ، وكانت عنده فقرة من حُور ، فقال لامرأته⁴ :

فإنَّ أبا سُفْيَانَ ليس بمُؤْمِلٍ فقُومِي فِهَاتِي فِقْرَةً من حُورَاكِ
قال إسحاق : فقلتُ له : ثمَّ مَهْ ؟ قال : لم يَأْتِ بعده بشيءٍ ، إِنَّمَا أُرْسَلَهُ يَتِيمًا . فقلتُ له : لِمَهْ ؟ أَفَلَا أَزِيدُكَ إِلَيْهِ بَيْتًا آخَرَ لَيْسَ بِدُونِهِ ؟ قال : بلى ، فقلتُ :

فَبَيْتُكَ خَيْرٌ من بَيوتٍ كَثِيرَةٍ وَقَدْرُكَ خَيْرٌ من وَلِيمةِ جَارِكَ
فقال : بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ، وَاللَّهِ لَقَدْ أُرْسَلْتَهُ مَثَلًا ، وما انتظرتُ به العربُ ، وإنَّكَ لَبَرٌّ طراز ما رأيتُ بالعراق مثله ، وما يُلامُ الخليفةُ أنْ يُدْنِكَ وَيُوتِرَكَ وَيَتَمَلَّحَ بِكَ ، ولو كان الشَّبَابُ يُشْتَرَى لَابْتَعْتَهُ لَكَ بِإِحْدَى يَدَيَّ وَيُمْنَى عَيْنِي ، وَعَلَى أَنَّ فِيكَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَقِيَّةً تَسْرُ الْوُدُودَ ، وَتُرْغِمُ الْحُسُودَ .

[كبر وشب ولداه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثني عمر بن شبة قال : كان للقتال ابنان ، يقال لأحدهما المسيب ، وللآخر عبد السلام ، ولعبد السلام يقول⁵ :

[من البسيط]

1 المعابل : جمع معبل ، وهو النصل الطويل العريض . وأطحل : بلون الطحال .

2 الديوان : وكانت لنا قلت بأرض مضلة .

3 الديوان : بطعامنا بدل بشوائنا . . . نصيب ومأكل . والسديف : الشحم .

4 ديوان القتال : 72 .

5 ديوان القتال : 53 .

عبد السلام تأمل هل ترى طعناً
لا يُعِدُّ اللهُ فتياناً أقولُ لهم
ألا ترونَ بأعلى عاصمٍ طعناً
إني كبرتُ وأنتَ اليومَ ذو بصرٍ
بالأبرقِ الفرْدِ لما فاتني نظري¹
نكبتُ فحلّين واستقبلن ذا بقرٍ²

[يغظه عدم الطلب بالنار]

وقال أبو زيد عُمر بن شُبَّة من رواية ابن داود عنه : حدّثني سَعِيد بن مالك قال : حدّثني شَدَّاد بن عُقبة قال : اقتتل بنو جَعْفَر بن كِلاب وبنو العَجَلان بن كَعْب بن ربيعة بن صَعَصعة ، فقتلت بنو جَعْفَر بن كِلاب رجلاً من بني العَجَلان . قال شَدَّاد : وكانت جدّة القتال أم أبيه عجلائيّة ، وهي خوّلة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان . فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان في الطلب بئاريهم من بني جعفر ، وجعل يحضّهم ويحرّضهم ، فقال في ذلك ، وقد بلغه أنّهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول ، فعيّرهم بما فعلوا وقال³ :

لعمري لحي من عُقيلٍ لقيتهم
عليهم من الحوكِ اليمانيّ بزة
أحبُّ إلى نفسي وأملحُ عندها
إذا ما لقيتم عُصبة جعفرية
فلستم بأخوالي فلا تصلُّبني
قصارُ العِمادِ لا ترى سَرواتهم
قتلتم فلماً أن طلبتم عُقِلتم
بخطمة أو لاقيتهم بالمناسك⁴
على أرحبيّات طوالِ الحوارك⁵
من السّروات آل قيس بن مالك
كرهتم بني اللّكعاء وقع النيازك⁶
ولكنّا أمي لإحدى العواتك⁷
مع الوفد جثّامون عند المبارك
كذلك يؤتى بالذليل كذلك

[حكاية اغتيال السجّان]

وقال ابن حبيب : خرج ابن هُبَّار القرشيُّ إلى الشام في تجارة أو إلى بعض بني أمية ،

- 1 فاتني في الديوان : فاتهم .
- 2 الديوان : يا هل تراءى بأعلى عاصم ظعن .
- 3 ديوان القتال : 71 .
- 4 خطمة : جبل يصب رأسه في واد .
- 5 أرحبيات : نوق منسوبة إلى أرحب . والحوارك : جمع حارك ، وهو الظهر .
- 6 اللكعاء : الحمقاء . وفي الديوان : وقع السنايك .
- 7 في الحديث «أنا ابن العواتك بن سليم» . ولعل القتال يعني أنّ أخواله من سليم وينفي أنّ يكونوا من بني العجلان (انظر الفائق 3 : 113 واللسان : عتك) .

فاعترضه جماعةٌ فيهم القتال الكلابيُّ وغيره ، فقتلوه وأخذوا ماله . وشاع خبره ، فاتَّهم به جماعةٌ من بني كلاب وغيرهم من قتاك العرب ، فأخذوا وحبسوا ، أخذهم عامل مروان بن الحكم ، فوجههم إليه وهو بالمدينة ؛ فحبسهم ليبحث عن الأمر ، ثم يقتل قتلة ابن هبار . فلما خشي القتال أن يعلم أمره ، ورأى أصحابه ليس فيهم غناء ، اغتال السَّجَّان فقتله ، وخرج هو ومن كان معه من السَّجَّان فهربوا ، فقال يذكر ذلك¹ :

[من الطويل]

أُثِمِّمَ أَثِيبي قبل جدِّ التَّزِيلِ أَثِيبي بوضلي أو بصُرمٍ مُعْجَلٍ²
أُثِمِّمَ وقد حُمِلْتُ ما حُمِلَ امرؤُ وفي الصُّرمِ إحسانٌ إذا لم تُنَوِّلِ³

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

وإني وذكري أمَّ حَسَّانَ كالفتى متى ما يذُقْ طَعَمَ المَدَامَةِ يَجْهَلُ⁴
ألا حَبَا تِلْكَ البلادُ وأهلها لو أنَّ عَذَابِي بالمدينة يَنْجَلِي⁵
برزتُ لها من سِجْنِ مَرْوان غُدُوَّةَ فأنستُها بالأَيِّمِ لم تَحْوَلِ⁶
وأنستُ حَيًّا بالمطالي وجاملاً أبابيلَ هَطَلِي بين راعٍ ومُهْمَلِ⁷
نظرتُ وقد جَلَّى الدُّجَى طامِسَ الصُّوَى بسلعٍ وقرْنُ الشمسِ لم يترجَّلِ⁸
وشبَّتْ لنا نارٌ لِلَّيْلِ صباحه يذَكِّي بَعُودَ جَمْرُهَا وَقَرْنُفَلِ⁹
يُضيءُ سَنَاهَا وَجَهَ لَيْلِي كأنما يُضيءُ سَنَاهَا وَجَهَ أَدْمَاءِ مُغْزَلِ¹⁰
علا عَظْمُهَا واستعجَلَتْ عن لِدَاتِهَا وشبَّتْ شَبَاباً وَهْيَ لَمَّا تُسْرَبَلِ¹⁰
ولما رَأَيْتُ البابَ قد حِيلَ دُونَهُ وخِفْتُ لِحاقاً من كتابٍ مُوجَّلِ

1 ديوان القتال : 73-76 .

2 التزيل : الرحيل .

3 لم تنوِّل في الديوان : لم ينول .

4 أم حَسَّان في الديوان : أم حيان .

5 البلاد في الديوان : الديار .

6 لها في الديوان : بها ، أي بالمدينة .

7 المطالي : أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب . والجمال : القطيع من الجمال . وقيل الحي العظيم . هطلى : جماعات متفرقة : وأبابيل : جماعات .

8 طامس في الديوان : طاسم ، أي طامس . ولم يترجل : لم يرتفع .

9 صباحه في الديوان : شيافة .

10 غلا عَظْمُهَا : سمنت . وفي الديوان : وترَّبل : يربو جسمها .

حملتُ على المكروه نفساً شريفةً
وكلّيتُ باب السّجن ليس بمُنتهية
إذا قلتُ رفّهني من السّجن ساعةً
يَشُدُّ وثاقاً عابساً ويغلّني
فقلتُ له والسيفُ يعضبُ رأسه
عرفتُ نِدائي من نِدائه وشيمتي
تركتُ عِناقَ الطّير تحجلُ حَوْلَهُ
وقال أبو زيد في خبره : وأنشدني شدّادُ للقتال الكلابيُّ يذكرُ قتلَ ابنِ هَبّارٍ⁷ : [من الطويل]
تركتُ ابنَ هَبّارٍ لدى الباب مُسنّداً
وأصبحَ دُوني شابّةً وأرومها⁸
بسيفِ امرئٍ ما إن أُخبرَ باسمه
وإن حَقَرْتُ نفسي إليّ هُمومها⁹
هكذا روى ابنُ حبيبٍ وعمرُ بنُ شُبّة .

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الشَّاهِنِيِّ بِخَطِّهِ فِيهِ شَعْرٌ لِلْقِتَالِ وَأَخْبَارٌ مِنْ أَخْبَارِهِ قَالَ : حُبِسَ
الْقِتَالُ فِي دَمِ ابْنِ عَمِّهِ الَّذِي قَتَلَهُ ، فَحُبِسَ زَمَاناً فِي السَّجْنِ ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَ ابْنِ هَبَّارٍ الْقُرَشِيِّ وَبَيْنِ
ابْنِ عَمِّ لَهُ مِنْ قَرِيشٍ إِخْتَنَ ، فَبَلَغَ ابْنُ عَمِّهِ أَنَّ الْقِتَالَ مُحْبُوسٌ فِي سِجْنِ الْمَدِينَةِ . فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ :
أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَا أَخْرَجْتُكَ أَتَقْتُلُ ابْنَ عَمِّي الْمَعْرُوفَ بِابْنِ هَبَّارٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُرْسِلُ
إِلَيْكَ بِحَدِيدَةٍ فِي طَعَامِكَ ، فَعَالِجُ بِهَا قَيْدَكَ حَتَّى تَفْكَهُ ثُمَّ الْبَسَهُ حَتَّى لَا تُنْكَرَ ، فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى
الْوُضُوءِ فَاهْرُبْ مِنَ الْحَرَسِ ، فَإِنِّي جَالِسٌ لَكَ وَمَخْلَصُكَ وَمُعْطِيكَ فَرَساً تَنْجُو عَلَيْهِ ، وَسَيْفاً

1 الديوان : رددت . . . نفساً شريسة . وشريسة : ذات شراسة شديدة عسرة .

2 الديوان : تدارك بها نعي .

3 الديوان :

يَشُدُّ وَثَاقِي عَابِساً وَيَغْلِي
مِزْلَ : ملطخ بالدم .

4 الديوان :

أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْضِبُ رَأْسَهُ أَنَا ابْنُ أَبِي أَسْمَاءَ غَيْرِ التَّنَحَّلِ

5 المسحل : العزم الصارم . والريح التي تغشاه هي ريح الأنفة .

6 عدواء : أرض صلبة .

7 ديوان القتال : 86 .

8 شابّة : جبل بنجد . أروم : جبل لبني سليم .

9 الديوان : لن أخبر الدهر باسمه . وانظر حاشية محقق الديوان .

تمتنع به ، فإن خلّصك ذلك وإلا فأبعدك الله ، فقال : قد رَضِيتُ .

قال : وكان أهلُ المدينة يُخرجون المحتَسِبِينَ إذا أَمْسَوْا لِلوُضوءِ ، ومعهم الحرسُ ، ففعل ما أمره به ، وأتاه القُرشيُّ فخلّصه وآواه ، حتى أَمْسَكَ عنه الطَّلَبُ . ثم جاء به وأعطاه سيفاً ، فقتل ابنَ عمِّه المعروفَ بابنِ هَبَّارٍ ، ووهب له نَجِيّاً ، فنجّا عليه وقال : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هَبَّارٍ لدى البابِ مُسْنِداً وأصبحَ دُونِي شَابَةً وأرومها
سَيْفِ امرئٍ لا أُخبرُ الناسَ بِاسْمِهِ ولو أَجْهَشْتُ نفسي إليَّ هُمومها

[هجاء عليه بنت شيبه وقومها]

وقال : أبو زيدٍ عُمَرُ بنُ شَيْبَةَ فيما رواه عن أصحابه : مَرَّ القَتَالُ بِعُليّةِ بنتِ شيبَةَ بنِ عامرٍ بنِ ربيعةَ بنِ كَعْبٍ بنِ عمرو بنِ عبدِ بنِ أبي بكرٍ وأخويها : جَهْمٍ وأويس ، فسألها زماماً فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهُ ؛ وكانت جَدَّتُهُمْ أُمُّ أَبِيهِمْ أُمّةٌ يُقالُ لها أُمُّ حُدَيْرٍ ، وكانت لقريظة بن حُدَيْفَةَ بنِ عَمَّارٍ بنِ ربيعةَ بنِ كَعْبٍ بنِ عبدِ بنِ أبي بكرٍ . فولدتُ له أُمُّ هُوَلَاءَ ، واسمها نَجِيبةٌ ، فولدتُ له عُليّةُ هذه ، فقال القَتَالُ يَهْجُوهُمْ¹ :

[من البسيط]

يا قَبَّحَ اللهُ صَبِياناً تَجِيءُ بِهِمْ أُمُّ الهَنْبِيرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي²
مَنْ كُلِّ أَعْلَمَ مُنْشَقٌّ مَشافِرُهُ وَمُوذَنٍ مَا وَفَى شَيْراً بِمِشْبَارٍ³
يا وَنِجَ شِمَاءٍ لَمْ تَنْبِذْ بِأَحْرَارٍ مثلي إذا اعتراني بَعْضُ زُوَّارِي
إِنَّ القَرِيطِينَ لَمْ يَدْعُوكِ كَنْتَهُمْ فَأَقْصِرِي آلَ مَسْعُودٍ وَدِينَارٍ⁴
أُمّاً إِمَامَةٍ فَمَا يَدْعُونَنِي وَلِداً إذا تُحَدِّثُ عَنْ نَقْضِي وإِمَارِي
يا بِنْتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لَوْ وَهَبْتُ لَنَا ثَنْتَيْنِ مِنْ مُحْكَمٍ بِالْقِدِّ أُوْتَارِي⁵
إِمّاً جَدِيداً وَإِمّاً بِالْيَأْ خَلَقاً عادَ العَذَارَى لِقَطْعِهِ بِأَسْيَارِ
لَكَانَ رَدْءاً قَلِيلاً وَاعْتَجَنْتُ لَهُ صَهْبَاءَ مَقْعَهَا حَاجِي وَأَسْفَارِي⁶

1 الأبيات من قصيدتين منفصلتين في ديوان القتال 54-58 . ثم جمعهما المحقق في رواية واحدة عن الأغاني : 60-59 .

2 أم الهنبر : الضبع في لغة فزارة . وقال ابن دريد أم الهنبر : أتان . وقيل أم الهنبر في البيت امرأة من بني كلاب .

3 مؤذن في الديوان : مؤذن (بالدال) ، وهو القصير العنق الضيق المنكبين .

4 الديوان : كنيتهم بدل كنتهم . وفانصر بني آل مسعود .

5 أوتاري في الديوان : أوباري .

6 مقعها : شربها أشدَّ الشرب .

أنا ابنُ أسماءَ أعمامي لها وأبي
قد جَرَّبَ النَّاسُ عُودِي يَقرعون به
ما أَرَضَعَ الدَّهْرُ إِلَّا ثَنِيَّ وَاضِحَةٍ
يَسْتَلِبُ القِرْنَ مُهْرِيهِ وَصَعْدَتُهُ
من آلِ سُفْيَانَ أَوْ رِقَاءَ يَمْنَعُهَا
يَمْنَعُهَا كُلُّ مَذْرُورٍ ، بَصْعَدَتِهِ
تَسْمَعُ فِيهِمْ إِذَا اسْتَسْمَعْتَ وَاعِيَةً
طِوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا
وَالْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّا مِنْ خِيَارِهِمْ
فَرَا بَسْيرِي وَبَرْدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنِي
أَمَّا الرُّوَاسُ أَطْلَحَا فَتَعْرِفُنِي
وَلَمْ أَتَزَعْ بَنِي السَّودَاءِ فِيهِمْ
فَكُلُّ سَوْدَاءٍ لَمْ تُحَلِّقْ عَقِيْقَتُهَا
لَقَدْ شَرْتَنِي بَنُو بَكْرِ فَمَا رِيْحَتْ
إِنَّ العُرُوقَ إِذَا اسْتَنْزَعَتْهَا نَزَعَتْ
أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ المَهْلَبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : أَنَشَدَنِي الْأَصْمَعِيُّ لِلْقِتَالِ
رَأْيَةً يَقُولُ فِيهَا :

إِنَّ العُرُوقَ إِذَا اسْتَنْزَعَتْهَا نَزَعَتْ والعِرْقُ يَسْرِي إِذَا مَا عَرَّسَ السَّارِي

- 1 الإِمْوَانُ : جمه أمة .
- 2 الديوان : لا أَرْضِع . . . لَوَاضِحُ الخَد .
- 3 لم يرد هذا البيت في القصيدتين وورد في ما نقل عن الأغاني : 59 .
- 4 العَوَّار : الضعيف .
- 5 هذا البيت والذي بعده ما نقل عن الأغاني فقط . وفيه مدروء بدل مذرور .
- 6 أنضية : جمع نضو ، وهو عظم العنق . وأزفار : أحمال ، واحد زفر . ويضرب مثلاً للرجل فيقال : إنه لزفر أي جمال أُنْقَالَ .
- 7 الديوان : قد يعلم القوم أنني من خيارهم . . . وغير مشبار .
- 8 الأبيات الخمسة التالية مما لم يرد في الديوان في ما نقل عن الأغاني .

قد جَرَّبَ النَّاسُ غَوْدِيَّ يَقْرَعُونَ بِهِ فَأَقْصَرُوا عَنْ صَلِيبٍ غَيْرِ خَوَّارٍ
فَقَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ وَأَجَادَ ، لَوْلَا أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِقَوْلِهِ إِنَّهُ طَلَبَ جُعْلًا فَلَمْ يُعْطَهُ ، وَكَانَ فِي
دَنَاءَةِ نَفْسِهِ يُشَبِّهُ الْخَطِيئَةَ ، وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا شَجَاعًا .

[هجاء قومه مرة أخرى]

وَقَالَ السَّكْرِيُّ فِي رِوَايَتِهِ : زَوْجُ الْقَتَالِ ابْنَتُهُ أُمُّ قَيْسٍ ، وَاسْمُهَا قَطَاةٌ ، رَذَاذُ بْنُ الْأَخْرَمِ بْنِ
مَالِكِ بْنِ مُطَرَفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ زَمَانًا ، وَوُلِدَتْ لَهُ
أَوْلَادًا . ثُمَّ أَغَارَهَا فَشَكَتْ إِلَى أَبِيهَا ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ وَرَمَاهُ بِخَادِمِهَا ، وَجَاءَ رَذَاذُ بِالْبَيْتَةِ عَلَى
قَذْفِهِ إِيَّاهُ بِالْأَمَةِ فَأَقِيمَ لِيُضْرَبَ ، فَلَمْ تَنْتَصِرْ لَهُ عَشِيرَتُهُ ، وَقَامَتْ عَشِيرَةُ رَذَاذٍ فَاسْتَوْهَبُوا حَدَّهُ
مِنْ صَاحِبِهِمْ ، فَوَهَبَهُ لَهُمْ . وَكَانَتْ عَشِيرَةُ الْقَتَالِ تُبَغِضُهُ لَكَثْرَةِ جُنَايَاتِهِ ، وَمَا يَلْحَقُهَا مِنْ
أَذَاهُ ، وَلَا تَمْنَعُهُ مِنْ مَكْرُوهِ ، فَقَالَ يَهْجُو قَوْمَهُ² :

إِذَا مَا لَقَيْتُمْ رَاكِبًا مُتَعَمِّمًا	فَقُولُوا لَهُ : مَا الرَّاكِبُ الْمُتَعَمِّمُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ فَإِنَّهُ	لَيْيَمُ الْمُحْيَا حَالِكُ اللَّوْنِ أَدْهَمُ
دَعَوْتُ أَبَا كَعْبٍ رَبِيعَةَ دَعْوَةً	وَفَوْقِي غَوَاشِي الْمَوْتِ تُنْحَى وَتَنْجُمُ ³
وَلَمْ أَكُ أَدْرِي أَنَّهُ تُكَلُّ أُمِّهِ	إِذَا قِيلَ لِلْأَحْرَارِ فِي الْكُرْبَةِ اقْدُمُوا
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ قَوْمٍ كَرَامٍ أَعَزَّةٍ	لَحَامِيَتْ عَنِّي حِينَ أَحْمَى وَأَضْرَمُ
دَعَوْتُ فَكُمْ أَسْمَعْتُ مِنْ كُلِّ مُؤَذِّنٍ	قَبِيحِ الْمُحْيَا شَانَهُ الْوَجْهِ وَالْفَمُ ⁴
سِوَى أَنَّ آلَ الْحَارِثِ الْخَيْرِ ذَبُّوا	بِأَعِطَ لَا وَغُلَّ وَلَا مُتَهَضَّمُ
أَلَا إِنَّهُمْ قَوْمِي وَقَوْمُ ابْنِ مَالِكٍ	بَنُو أُمِّ ذَنْبٍ وَابْنُ كَبِشَةَ خَيْثُمُ
وَلَكِنَّمَا قَوْمِي قِمَاشَةٌ حَاطِبٍ	يُجَمِّعُهَا بِالْكَفِّ ، وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ ⁵

[وجد عند امرأته رجلاً فطلقها]

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَحَدَّثَنِي شَدَّادُ بْنُ عَثِمَةَ قَالَ : كَانَتْ عِنْدَ الْقَتَالِ بِنْتُ وَرْقَاءَ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ
الْهَضَّانِ ، وَكَانَ جَارًا لِبَنِي الْحَصِينِ بْنِ الْخَوَرِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَتْ لَهَا

1 أغارها : تزوج عليها فأثار غيرتها .

2 ديوان القتال : 85 .

3 الغواشي : حالات الإغماء .

4 مؤذن في الديوان : مؤذن (بالدال) .

5 قماشة : فئات الأشياء يطلق على أراذل الناس .

ضَرَّةٌ عنده يقال لها أُمُّ رِيَّاح بنتُ ميسرة بن نفير بن الهصَّان ، وهي أُمُّ جنوب بنت القتال . فخرج القتال في سَفَرٍ له ، فلمَّا آب منه أَقبل حين أَنَاخَ إلى أهله ، فوجد عند بنت ورقاء جريرَ بن الحُصَيْنِ . فلمَّا رأى جريرَ القتالَ نهض ، فسأل القتالَ عنه ، فقالت له امرأته أُمُّ رِيَّاح ، وهي صفية ويقال صُفَيْفة بنت الحارث بن الهصَّان : إِنَّ هذا البيتَ لبيتٌ لا نزال نسمع فيه ما لا يُعجبنا فطلَّق القتالُ بنتَ ورقاء ، وهي حاملٌ ، فولَدَت له بعد طلاقها المسيَّبَ ابنه .

وقال السُّكْرِيُّ في خبره : فقال القتالُ في ذلك ¹ :

ولمَّا أَنْ رَأَيْتُ بنِي حُصَيْنٍ بِهِمْ جَنَفٌ إِلَى الجَارَاتِ بَادٍ
خَلَعْتُ عِذارها وَلَهَيْتُ عنها كَمَا خُلِعَ العِذارُ مِنَ الجَوَادِ
وقلت لها : عَلَيْكَ بنِي حُصَيْنٍ فما بيني وبينك من عَوَادٍ
أُنَادِيهَا بِأَسْفَلِ وَاِرِدَاتٍ نَكِدْتُ أَبَا المُسَيَّبِ مَنْ تُنَادِي ²
وفي رواية السُّكْرِيِّ :

أُنَادِيهِمَا وما يَوْمٌ كِيَوْمٍ قَضَى فِيهِ امرؤٌ وَطَرَ الفُؤَادِ
فَرُحْتُ كَأَنِّي سَيْفٌ صَقِيلٌ وَعَزَّتْ جَارَةٌ ابْنِ أَبِي قُرَادٍ

[يرفض قبول عقل ضربة أنفه]

قال : ثم إِنَّ كلابَ بن ورقاء بن حُذَيْفة بن عَمَّار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر ، نحر جزوراً وصَنَعَ طعاماً وَجَمَعَ القومَ عليه وقال : كلُوا أَيُّها الفتيانُ ، فَإِنَّ الطَّعامَ فيكم خيرٌ منه في الشُّيوخ . فقال القتالُ : أَنَا وَاللَّهِ خَيْرٌ للفتيان منك ، أرى المرأةَ قد أعجبتُ أَحَدَهُمْ فَأُطْلِقُهَا له . وفي القوم جريرُ بنُ الحُصَيْنِ الذي كان وَجَدَهُ عند امرأته ، فرفع جريرُ السُّوطَ فضرب به أنف القتال .

ثم إِنَّهُمْ أعطوا القتالَ حَقَّهُ فلم يقبله حتى أدرك ابنه : المُسَيَّبُ وعبدُ السلام .

وقال السُّكْرِيُّ : حتى احتلم ولده الأربعة ، وهم : حبيب ، وعبد الرحمن ، وعبد الحيِّ وعُمَيْرُ ، وأُمُّهُمْ : رِيَّاء بنتُ نَفَرٍ بن عامر بن كعب بن أبي بكر . فحَمَلَهُمْ على الخيل حين أَظْلَمَ اللَّيْلُ ، ثم أَتى بهم بنِي حُصَيْنِ فلقي لِقَاحاً لهم ثمانين ، فأشْمَرَهَا ³ وبات يسوقُها ، لا تتخلفُ

1 ديوان القتال : 47 .

2 رواية الديوان تطابق رواية السُّكْرِيِّ .

3 أشمرها : أطلقها وأرسلها .

ناقةً إلا عقرها حتى حبسها على الحصى ، حين طلعت الشمسُ ، والحصى ماءً لعبدِ الله بن أبي بكر . فحبسها وزجرهم عنها ، حتى جاء بنو حُصَيْن فعقلوا له من ضربته أربعين بكرةً وأهدرت الضربةُ ، وإنما أخذ الأربعين بكرةً مُكرهاً ، لأنَّ قومه أجبروه على ذلك .

قال شدَّادُ : وفي ابنه عبد السلام ، يقولُ :

عبدُ السلام تأمل هل ترى ظُعناً إني كبرتُ وأنت اليوم ذو بَصَرٍ
لا يُبعد الله فتياناً أقولُ لهم بالأبرقِ الفردِ لما فاتني نظري
يا هل تَرَوْنَ بأعلى عاصمٍ ظُعناً نكبنَ فخلينِ واستقبلنِ ذا بقرٍ
صلَّى على عمرةِ الرحمنِ وابنتِها ليلي وصلَّى على جاراتها الأخرِ¹
هُنَّ الحرائِرُ لا ربَّاتُ أحمرةٍ سودُ المهاجرِ لا يقرآنُ بالسُّورِ

قال أبو زيد : وحدثني شدَّاد بن عُقبة قال : أتى الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ومُخصن بن الحارث بن الهِصان في نفر من بني أبي بكر القتال وهو محبوبٌ ، فشرطوا عليه ألا يذكر عاليةً في شعره ، وهي التي ينسبُ بها في أشعاره ، فضمنَ ذلك لهم ، فأخرجوه من السَّجْن عشاءً . ثم راح القوم من السَّجْن ، وراح القتال معهم ، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوقُ بهم ويقولُ² :

قلتُ له يا أحرُم بن مالٍ
إن كنت لم تُزِرْ على وصالي³
ولم تجِدني فاحِشَ الخلالِ
فارفعْ لنا من قُلُوصِ عِجالِ
مُسْتوسِقاتٍ كالقِطَا عِجالِ
لعلنا نطرُقُ أمَّ عالٍ
تخيِّرِي خيِّرَ في الرِّجالِ
بين قصيرٍ باعُهُ تَبالٍ⁴

1 لم يرد هذان البيتان فيما تقدَّم ، وهما في شعر الراعي النميري (ديوانه (فايبرت) 122) وفيه عزةٌ بدل عمرة .

2 ديوان القتال : 83 .

3 وصالي في الديوان : الوصال .

4 تبال : قصير .

وَأُمُّهُ رَاعِيَةُ الْجَمَالِ
تَبَيَّتْ بَيْنَ الْقَدْرِ وَالْجِعَالِ¹
أُذَاكَ أُمُّ مُنْخَرِقِ السَّرْبَالِ²
كَرِيمٌ عَمٌّ وَكَرِيمٌ خَالٌ
مُتْلِفٌ مَالٍ وَمُفِيدٌ مَالٍ³
وَلَا تَزَالُ أَخْرَجُ اللَّيَالِي
قُلُوصُهُ تَعَثُرُ فِي النَّقَالِ⁴

النَّقال : المناقلة .

قال شَدَّادٌ : فنزل القومُ فربطوه ، ثم آلوا أَلَّا يَحْلُوهُ حتى يُوثِقَ لهم يمين أَلَّا يذكرها أبداً ، ففعل وحلَّوه .

قال : وهي امرأةٌ من بني نصر بن معاوية ، وكانت زوجة رجلٍ من أشراف الحبي .

[قتل أمة عمه لئلا تحمل منه]

قال : وحدثني أبو خالد ، قال : كانت لعم القتال سُرِّيَّةٌ ، فقال له القتال : لا تطأها ، فإننا قومٌ نُبْغِضُ أَنْ تَلِدَ فِينَا الْإِمَاءُ ، فعصاه عمه . فضربها القتال بسيفه فقتلها ، فادعى عمه أَنَّهُ قَتَلَهَا وَفِي بَطْنِهَا جَنِينٌ مِنْهُ ، فمَشَى الْقِتَالُ إِلَيْهَا فَأَخْرَجَهَا مِنْ قَبْرِهَا ، وَذَهَبَ مَعَهُ بِقَوْمٍ عُدُولٍ ، وَشَقَّ بَطْنَهَا وَأَخْرَجَ رَحِمَهَا حَتَّى رَأَوْهُ لَا حَمْلَ فِيهِ ، فَكَذَّبُوا عَمَّهُ . فقال ، في ذلك⁵ :

[من الرجز]

أَنَا الَّذِي انْتَشَلْتُهَا انْتِشَالاً ثُمَّ دَعَوْتُ غِلْمَةً أَزْوَالاً

فَصَدَعُوا وَكَذَّبُوا مَا قَالَا

وقال وأنشدني له أيضاً⁶ :

[من الرجز]

أَنَا الَّذِي ضَرَبْتُهَا بِالْمُنْصُلِ عِنْدَ الْقَرْيَنِ السَّائِلِ الْمَفْضَلِ⁷

ضَرْباً بِكَفِّي بَطَلِي لَمْ يَنْكُلِ

1 ل : تبیت بین القت والجمال . والجمال في الديوان : والجمال .

2 الديوان : منخرق .

3 مفيد مال : مستفيدة .

4 النقال : الأرض ذات الحجارة .

5 ديوان القتال : 84 .

6 ديوان القتال : 84 .

7 القرين : تصغير قرن ، وهو حد ريوه تشرف على وهدة صغيرة .

[بنت المحلق تتزوج غيره]

وقال السكري في روايته : أراد القتال أن يتزوج بنت المحلق بن حاتم ، فتزوجها عبد الرحمن بن صاغر البكائي . فلقي مولاة لها يقال لها جون ، فقال لها : ما فعلت ؟ قالت : تزوجها عبد الرحمن بن صاغر ؛ فقال : ما لها ولعبد الرحمن ؟ فقالت له : ذاك ابن فارس عرّاد . قال : فأنا ابن فارس ذي الرّحل ، وأنا ابن فارس العوّاء ثم انصرف وأنشأ يقول¹ :

يا بنتَ جونِ أبانتُ بنتُ شدّادِ نعمَ لعمرى لِغورٍ بعدَ إنجادِ
لَطَلَعَ الشَّمْسُ ما هذا بِمُنْخَدِرٍ نحو الرّبيعِ ولا هذا بِإِصْعادِ
قالتَ فوارسُ عَرّادٍ ، فقلتُ لها : وفيمَ أُمِّي من فُرسانِ عَرّادٍ²
فُرسانُ ذي الرّحلِ والعوّاءِ وابنتُها فدَى لهم رهطُ رَدّادٍ وشدّادِ

[حض لقومه ولوم]

والقصيدة التي في أولها الغناء المذكور ، يقولها القتال يحض أخاه وعشيرته على تخلّصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله ، واحتمال العقل عنه ، ويلومهم في قعودهم عن المطالبة بثأر لهم قبل بني جعفر بن كلاب .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة ، عن حميد بن مالك عن أبي خالد الكلابي ، قال : كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر أسلم فحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ ، فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية . والسعدية : ماء لعمر بن سلمة ، والشقراء : ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ ، وهي رجة طولها تسعة أميال في ستة أميال ، فأقطعه إياها ؛ فأحماها ابنه جحوش . فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحد بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ، فأزعاهم . فحملوا نَعَمَهم مع خيلهم بغير إذنه ، فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم منه ، فقاتلوه . فكانت بينهم شجاعة بالعصي والحجارة ، من غير رمي ولا طعان ولا تساييف . فظهر عليهم جحوش ، ثم تداعوا إلى الصلح ومشت السُّفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات . فتواعدوا للصلح بالغداة ، وأخ لجحوش يقال له سعيد في حلقه سيلة ، وهو شنج متنج عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقيه . فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه ، يقال

1 ديوانه : 46 .

2 عراد : اسم فرس .

لأحدهما : مُحَرِّز بن يَزِيد ، ولآخر : الأخدر بن الحارث . فلقِيَهُم قُرَاد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك ، وابنُ عمِّه أبو ذرَّ بن أشهل ، ورجلٌ آخر من الجعفرِيَّين . فحمل قُرَادُ على سَعِيدٍ فطعنَهُ فقتله ، فحذف مُحَرِّز بن يَزِيد فَرَسَ قُرَادَ فَعَقَرَهَا ، فأردفه أبو ذرَّ خلفَهُ ، ولحقُوا بأصحابهم الجعفرِيَّين . وأوقد جَحَوَّشُ بن عمرو نارَ الحرب في رأس جرعاء طويِلَةٍ ، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر ، وخرج قُرَادُ هارباً إلى بشر بن مروان ، وهو ابنُ عمِّته ، حتَّى إذا كان بالقنان ، حميت عليه الشمسُ ، فأناخ إلى بيتِ امرأةٍ من بني أسدٍ ، فقال¹ في بيتها . فبينما هو نائمٌ إذ نَبَّهَتْهُ الأَسَدِيَّةُ فقالت له : ما دهاك ويحك ؟ انظر إلى الطَّيْرُ تحوم حولَ ناقتك . فخرج يمشي إلى ناقته ، فإذا هي قد خدجت ، والطَّيْرُ تَمَزَّقُ ولدها . فجاء فأخبرها ، فقال : إنَّ لكَ لخبراً فاصدقني عنه ، فلعلَّه أن يكون لك فيه فائدة . فأخبرها أنَّه مطلوبٌ بدمٍ ، فهو هاربٌ طريدٌ . قالت : فهل وراءك أحدٌ تشفق عليه ؟ فقال : أخٌ لي يقال له جبأة وهو أحبُّ النَّاسِ إليَّ . قالت : فإنَّه في أيدي أعدائك ، فارجع أو امض ، فخرج لوجهه إلى بشر .

قال : ولما حرَّض القتالُ قومَه على الطَّلَبِ بثَّارهم في الجعفرِيَّين وغيرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر ، فقال لهم الجعفرِيُّون : يا قومنا ، ما لنا في قتالكم حاجة ، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة ، فاقتلوه . فرضوا بذلك فأخذوا جبأة ، فلما صاروا بأسود العين قدَّمه جَحَوَّشُ فضرب عنقه بأخيه سعيدٍ ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويِلَةٍ² :

فيا لأبي بكر ويا لجَحَوَّشِ	ولله مَوْلٍ دَعْوَةٍ لا يُجَابُهَا
أني كلُّ عامٍ لا تزالُ كنيَّةُ	ذُوئِيَّةٌ تهفُو عليكم عِقَابُهَا
لهم جَزَرٌ منكم عَيْبٌ كأنَّه	وقاعُ الملوك فتكُها واغتصابُها ³
وأنتم عديدٌ في حديدٍ وشيكةٍ	وغابِ رماحٍ يوجِفُ القلبَ غابِها ⁴
يُسْقَى ابن بشر ثم يمسح بطنه	وحولِي رجالٌ ما يسوغُ شرابُها
فما الشرُّ كلَّ الشرِّ لا خير بعده	على النَّاسِ إلَّا أن تذلَّ رقابُها

1 قال : قضى وقت القيلولة .

2 ديوان القتال : 33 مع اختلاف في الترتيب .

3 الجزر : ما يباح للذبح . وصاروا لهم جزراً : قتلوهم . الوقاع : الموافقة في الحرب .

4 يوجف القلب غابها في الديوان : يكسف الشمس غابها .

نساء ابن بشرٍ بُدِّنٌ ونساؤنا بلایا علیها کلَّ یومٍ سیلابها¹
 تنام فتقضي نومة الليل عرسه وأمُّ سعیدٍ ما تنامُ کلابها²
 فإن نحن لم نغضب لهم فنثيبهم وكلَّ یَدٍ مُوفٍ إلینا ثوابها
 فنحن بنو اللائي زعمتم وأنتم بنو مُحصناتٍ لم تدنسُ ثيابها

صوت³

[من مجزوء الوافر]

ألا لله دَرَكٌ مِنْ فتی قَوْمٍ إذا رَهِبُوا
 وقالوا : بَمَنْ فَتَى لِلْحَرْ بٍ يَرْقُبْنَا وَيَرْتَقِبُ⁴
 فكنتَ فتاهمُ فيها إذا يُدعى لها يثبُ⁵
 ذكرتُ أخِي فعاودَنِي صُداغُ الرَّأسِ والوَصْبُ⁶
 كما يعتادُ ذاتُ البَوِّ بعد سُلُوها الطَّرْبُ⁷
 فدمعُ العينِ من بُرحا ما في الصَّدْرِ يَنْسَكِبُ
 كما أودى بماءِ الشَّنَّةِ المَخْرُوزَةِ السَّرْبُ⁸
 على عَبْدٍ بن زهرة طُو لَ هذا اللَّيْلِ أَكْثَبُ

الشعر لأبي العيال الهذلي والغناء لمعبد ثقیل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق وابن المكي وغيرهما مما لا يشك فيه من صناعته . وفي الثالث والرابع من الأبيات لملك خفيف ثقیل عن الهشامي ، ومن الناس من ينسبه إلى معبد أيضاً . وفي الأول والثاني والثالث لمعبد أيضاً خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانه ، وذكر الهشامي وحماد بن إسحاق أنه لابن عائشة ، وفيه لملك هزج بالهنصر فيما ذكر حبش .

1 بدِّن : ضخم من السمنة . وبلايا : جمع بلية ، وهي النائحة . والسلاب : ثياب الحزن .

2 الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد في متن القصيدة في الديوان وألحقت في الزيادات .

3 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : 424-426 مع اختلاف في الترتيب .

4 للحرب في أشعار : للشعر .

5 الشطر الثاني في أشعار : إذا تدعى لها تثب .

6 أشعار : رداغ السقم والوصب . والرداغ : النكس أو معاودة المرض . والوصب : التعب من المرض .

7 ذات البَوِّ : الناقة التي مات ولدها فحشي جلده لتأمره . والطرب : خفة وضيق في النفس .

8 الشنة : القرية الخلق الصغيرة . والسرب : ما سال من الماء .

[536] - أخبار أبي العيال ونسبه¹

أبو العيال بن أبي عنترة ، وقال أبو عمرو الشيباني : ابن أبي عنبر بالباء² ، ولم أجِدْ له نسباً يتجاوز هذا في شيء من الروايات . وهو أحد بني خناعة بن سعد بن هذيل ، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه . شاعرٌ فصيحٌ مُقدِّمٌ ، من شعراء هذيل ، مُخضرمٌ ، أدرك الجاهلية والإسلام ، ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعُمِّرَ إلى خلافة معاوية . وهذه القصيدة يرثي بها ابن عمه عبد بن زهرة ، ويقال : إنه كان أخاه لأمه أيضاً .

[يصف معركة فبكا معاوية]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي فيما قرأته عليه من شعر هذيل ، عن الرياشي ، عن الأصمعي . ونسخت أيضاً خبره الذي أذكره من نسخة أبي عمرو الشيباني قال : كان عبد بن زهرة غزا الروم في أيام معاوية .

وقال أبو عمرو خاصة : مع يزيد بن معاوية في غزاته التي أغزاه أبوه إياها ، فأصيب في تلك الغزاة جماعة من المسلمين من رؤسائهم وحماهم ، وكان شوكة الروم شديدة ، قُتِل فيها عبد العزيز بن زُرارة الكلابي ، وعبد بن زهرة الهذلي وخلق من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم . وكان أبو العيال حاضراً تلك الغزاة فكتب إلى معاوية قصيدة قرأها وقرئت على الناس ، فبكى الناس وبكى معاوية بكاء شديداً جزعاً لما كُتِبَ به .

[من الكامل] والقصيدة³ :

مِنْ أَبِي الْعِيَالِ أَخِي هَذِيلٍ فَاعْلَمُوا قُولِي وَلَا تَتَجَمَّعُوا مَا أُرْسِلُ⁴
أُبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ آيَةً يَهْوِي إِلَيْهِ بِهَا الْبَرِيدُ الْأَعْجَلُ
وَالْمَرْءَ عَمراً فَاتِهِ بِصَحِيفَةٍ مِنِّي يُلُوحُ بِهَا كِتَابٌ مُنْمَلٌ
لَا تَتَجَمَّعُوا : لَا تَكْتُمُوا . وَالْمُنْمَلُ : كَأَنَّ سَطْرَهُ آثَارُ نَمَلٍ .

1 ترجمة أبي العيال الهذلي في الشعر والشعراء : 560 والإصابة 7 : 143 وشرح أشعار المهلهلين 2 : 405 .

2 شرح أشعار المهلهلين : ابن أبي عثير ، وقال الأصمعي : ابن أبي عثير .

3 أشعار : 433-435 مع اختلاف في الترتيب .

4 فاعلموا في أشعار : فاسمعوا .

وإلى ابنِ سَعْدٍ إِنَّ أُوْخِرَهُ فَقَدْ أَرْزَى بِنَا فِي قَسَمِهِ إِذْ يَعْدِلُ¹
 وإلى أولي الأحلام حيثُ لقيتهم أهلِ البقيّةِ والكتابِ المنزلِ²
 في ديوان الرجل : حيثُ البقيّةِ والكتابِ المنزلِ .

أَنَا لَقِينَا بَعْدَكُمْ بِدِيَارِنَا مِنْ جَانِبِ الْأَمْزَاجِ يَوْمًا يُسَالُ³
 أَمْرًا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ وَدُونَهُ مُهَجُّ النُّفُوسِ وَلَيْسَ عَنْهُ مَعْدِلُ⁴
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ تَرَى مِنَّا فَتًى يَهْوِي كَعِزْلَاءِ الْمَزَادَةِ تُرْغَلُ⁵
 تُرْغِلُ : تَدْفَعُ دَفْعًا .

أَوْ سَيِّدًا كَهَلًا يَمُورُ دِمَاغُهُ أَوْ جَانِحًا فِي رَأْسِ رُمْحٍ يَسْعَلُ⁶
 يَسْعَلُ : يَشْرِقُ بِالْدَمِ .

وَتَرَى النَّبَالَ تَعِيرُ فِي أَقْطَارِنَا شُمْسًا كَانَ نِصَالَهُنَّ السُّنْبُلُ⁷
 وَتَرَى الرِّمَاحَ كَأَنَّمَا هِيَ بَيْنَنَا أَشْطَانُ بَثْرٍ يُوْغِلُونَ وَنُوْغَلُ⁸
 حَتَّى إِذَا رَجَبٌ تَوَلَّى فَانْقَضَى وَجُمَادَيَانِ وَجَاءَ شَهْرٌ مُقْبَلُ⁹
 شُعْبَانَ قَدَرْنَا لَوْفَتِ رَحِيلُهُمْ تِسْعًا يُعَدُّ لَهَا الْوَفَاءُ وَتَكْمَلُ¹⁰
 وَتَجَرَّدَتْ حَرْبٌ يَكُونُ جِلَابُهَا عَلَقًا وَيَمْرِيهَا الْغَوِيُّ الْمُبْطَلُ¹¹
 فَاسْتَقْبَلُوا طَرْفَ الصَّعِيدِ إِقَامَةً طَوْرًا وَطَوْرًا رِحْلَةً فَتَحْمَلُوا¹²

[خصامه مع بدر بن عامر]

قال الأصمعيُّ وأبو عمرو : وكان أبو العيال وبدرُ بنُ عامر ، وهما جميعاً من بني خناعة بن سعد بن هذيل يسكنان مِصْرَ ، وكانا خَرَجَا إليها في خلافةِ عمرَ بن الخطّابِ رضوانُ الله عليه ، وأبو العيالِ معه ابنُ أخٍ له . فبينما ابنُ أخي أبي العيال قائم عند قوم

1 يعدل : يحمّد عن الحق .

2 البقيّة : المرجع الحسن في المروءة والدين .

3 يسأل : يسأل عنه لشدّته .

4 عزلاء المزادة : قمها . وترغل : تدفع بالدم .

5 يمور : يذهب ويحيى . جانح : ذاتي الصدر .

6 تولى في أشعار : تجلّى .

7 العلق : الدم . يمرّيه : يدرها حتى تحلب .

8 الصعيد : التراب . تعير تذهب كذا وكذا . وفي شرح أشعار الهذليين : فتقلّوا .

يَنْتَضِلُونَ إِذْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ ، فَكَانَ فِيهِ بَعْضُ الْهَيْجِ ، فَخَاصَمَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْعِيَالِ ، وَاتَّهَمَ
بَدْرُ بْنُ عَامِرٍ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ ضِلَعُهُ مَعَ خُصَمَائِهِ ، فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ فِي مَجْلِسٍ فَنَتَأَثَّرَ
فَقَالَ بَدْرُ بْنُ عَامِرٍ¹ :

بَخِلْتُ فُطَيْمَةً بِالَّذِي تُؤَلِّينِي إِلَّا الْكَلَامَ وَقَلَّ مَا يُجَدِّينِي
وَلَقَدْ تَنَاهَى الْقَلْبُ حِينَ نَهَيْتُهُ عَنْهَا وَقَدْ يَغْوِي إِذَا بَعْصِينِي
أُفْطِئِمُ هَلْ تَذَرِينَ كَمْ مِنْ مَتَلَفٍ جَاوَزْتُ لَا مَرَعَى وَلَا مَسْكُونٍ
يقول فيها :

وَأَبُو الْعِيَالِ أَخِي وَمَنْ يَعْزِضُ لَهُ مِنْكُمْ بِسُوءِ يَوْذُنِي وَيَسُونِي
إِنِّي وَجَدْتُ أَبَا الْعِيَالِ وَرَهْطَهُ كَالْحِصْنِ شَدَّ بِجَنْدَلٍ مَوْضُونٍ²
أَعْيَا الْغَرَانِيقَ الدَّوَاهِي دُونَهُ فَتَرَكْتُهُ وَأَبْرَرَ بِالتَّحْصِينِ³
أَسْدٌ تَفِرُّ الْأَسْدُ مِنْ وَثْبَاتِهِ بِعَوَارِضِ الرُّجَازِ أَوْ بِعُيُونٍ⁴
وَلِصَوْتِهِ زَجَلٌ إِذَا آنَسَتْهُ جَرَّ الرَّحَى بِشَعِيرِهِ الْمَطْحُونِ⁵
وَإِذَا عَدَدْتَ ذَوِي الثَّقَاتِ وَجَدْتَهُ مِمَّنْ يَصُولُ بِهِ إِلَيَّ يَمِينِي
فَأَجَابَهُ أَبُو الْعِيَالِ فَقَالَ :

إِنَّ الْبَلَاءَ لَدَى الْمَقَاوِسِ مُعْرِضٌ مَا كَانَ مِنْ غَيْبٍ وَرَجْمٍ ظَنُونٍ
فِي الدِّيَوَانِ : لَدَى الْمَقَاوِسِ مَخْرَجٌ : وَالْمَقَاوِسُ الْحَبْلُ الَّذِي يُمَدُّ بِهِ عَلَى صُدُورِ الْخَيْلِ أَيْ
فَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَسَيَخْرُجُ عِنْدَ الْوُجْهِانِ وَالْعُدُوِّ .
وَإِذَا الْجَوَادُ وَنَى وَأَخْلَفَ مِنْسَرًا ضُمُرًا فَلَا تُوقِنُ لَهُ بَيَقِينَ⁶
لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مَا تَقُولُ جَعَلْتَنِي كَنَزٍّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ غَيْرَ ضَنِينٍ⁷

1 أشعار : 407-423 .

2 أشعار : كالحصن شيد بأجر موضون . وموضون : مرصوص .

3 أبر : غلب . أي هذا الحصن أعيا المجانيق .

4 من وثباته في أشعار : من عرواته ، وهي القشعريرة من الحمى . الرجاز وعيون موضعان .

5 آنسته : رأيته . وفي أشعار الهذليين : بجريتها المطحون ، والجرين : ما طحته .

6 ونى : ضعف . وأخلق منسراً : أي جماعة الخيل .

7 غير ضنين في أشعار : غير ظنين .

- ولقد رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا وَأَنْتَ تُعِينُ مَنْ يَبْغِينِي¹
هَلَاً دَرَأْتَ الْخَصْمَ حِينَ رَأَيْتَهُمْ جَنَفَاً عَلَيَّ بِالسُّنَنِ وَعُيُونِ
وَزَجَرْتَ عَنِّي كُلَّ أَشْوَسٍ كَاشِحٍ تَرَعَ الْمَقَالَةَ شَامِخَ الْعَرْنَيْنِ²
فَأَجَابَهُ بَدْرُ بْنُ عَامِرٍ فَقَالَ :
أَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى مَنِيحَةَ وَاحِدٍ حَتَّى تَخَيِّطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي³
حَتَّى أَصِيرَ بِمَسْكَنِ أَثْوَى بِهِ لِقَرَارِ مُلَحَدَةِ الْعَدَاءِ شَطُونِ⁴
وَمَنْحَتِي جَدَاءَ حِينَ مَنْحَتِي شَحَصاً بِمَالِكَةِ الْحِلَابِ لِيُونِ⁵
الشَّحْصُ : مَا لَيْسَ فِيهِ لَبَنٌ مِنَ الْمَالِ .
وَحَبَوْتُكَ النَّصْحَ الَّذِي لَا يُشْتَرَى بِالْمَالِ فَانْظُرْ بَعْدُ مَا تَحْبُونِي
وَتَأْمَلُ السَّبَبَ الَّذِي أَحْذُوكَهُ فَانْظُرْ بِمَثَلِ إِمَامِهِ فَاحْذُونِي⁶
فَأَجَابَهُ أَبُو الْعِيَالِ :
أَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى شِبَابَ قَصِيدَةٍ أَبْداً فَمَا هَذَا الَّذِي يُنْسِينِي⁷
وَأَلْسُوفَ تَنْسَاهَا وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَبَعٌ لِأَبِيَةِ الْعِصَابِ زَبُونِ⁸
وَمَنْحَتِي فَرَضِيَّتَ رَأْيٍ مَنِيحَتِي فَإِذَا بِهَا وَاللَّهِ طَيْفُ جُنُونِ⁹
جَهْرَاءَ لَا تَأَلَوْ إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَراً وَلَا مِنْ حَاجَةٍ تُغْنِينِي¹⁰
قَرَبَ حِذَاكَ قَاحِلاً أَوْ لَيْنَا فَمَنْ فِي التَّخْصِيرِ وَالتَّلْسِينِ¹¹

- 1 رَمَقْتُكَ : رَمَيْتُكَ بِبَصَرِي خَفِيَّةً . وَالْوَاوُ فِي «وَأَنْتَ» مَقْحَمَةٌ كَقَوْلِهِمْ : رَتْنَا وَلَكَ الْحَمْدُ .
- 2 أَشْعَارُ : كُلُّ أَهْلُخ ، وَالْأَهْلُخُ : الْأَهْوَجُ الْفَخُورُ . وَكَاشِحٌ : مِغْضٌ . وَتَرَعَ : عَجَلَ بِقَوْلِ السُّوءِ ، أَوْ كَثِيرِ الْمَقَالَةِ جَاهِلٌ .
- 3 الْمَنِيحَةُ : الْمَعَارَةُ . وَيَقْصِدُ هُنَا الْقَصِيدَةَ . وَتَخَيِّطُ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي : يَدُو الشَّيْبَ فِي رَأْسِي .
- 4 الْمَسْكَنُ هُنَا : الْقَبْرِ . وَالْعَدَاءُ : الصَّخْرُ . وَشَطُونٌ : مَعُوجٌ .
- 5 جَدَاءٌ : لَا لَبَنَ فِيهَا .
- 6 السَّبَبُ : النِّعَالُ الْمَدْبُوعَةُ .
- 7 أَشْعَارُ : لَا أَنْسَى مَقَالَ .
- 8 زَبُونٌ : تَدْفَعُ بِرَجْلَيْهَا ، أَيْ تَتْبَعُ أُخْرَى .
- 9 أَشْعَارُ : حِينَ مَنْحَتِي . . . فَإِذَا بِهَا وَأَبْيَكُ .
- 10 جَهْرَاءُ : لَا تَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ . وَأَشْعَارُ الْهَذْلَيْنِ : وَلَا مِنْ عِيَلَةٍ .
- 11 أَشْعَارُ : قَافِلاً بَدَلَ قَاحِلاً . . . وَالتَّلْسِينُ بَدَلَ وَالتَّلْسِينِ .

وارجع منيحتك التي أتبعتهها هوعاً وحَدَّ مُذْلَقٍ مُسْنُونٍ¹
 ولهما في هذا المعنى نقائض طوال يطول ذكرها ، وليست لها طلاوة إلا ما يُستفاد في شعر
 أمثالهما من الفصاحة ، وإنما ذكرت ما ذكرت هاهنا منها لأنني لم أجِد لهذا الشاعر خبراً غير
 ما ذكرته .

صوت

[من الوافر]

أَلَمْ تَسْأَلْ بَعَارِمَةَ الدِّيَارِ عَنْ الْحَيِّ الْمَفَارِقِ أَيْنَ سَارَا
 بَلَى سَاءَ لَتُهَا فَأَبَتْ جَوَاباً وَكَيْفَ سُؤَالُكَ الدِّمَنِ الْقَفَارَا
 الشعر للرّاعي² والغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ جَامِعٍ
 وَإِسْحَاقَ .

1 الهوع : القيء ، أو العداوة . والمذلق والمسنون : المحدد .

2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 140-151 .

[537] - نسب الراعي وأخباره وخبر ابنه جندل¹

[نسبه]

هو عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ قَطَنَ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُمَيْرِ بْنِ عامرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مُضَرَ. وَيُكْنَى أَبَا جَنْدَلٍ، وَالرَّاعِي لِقَبِّ غَلَبَ عَلَيْهِ، لِكَثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ، وَجُودَةِ نَعْتِهِ إِيَّاهَا. وَهُوَ شَاعِرٌ فَحَلَ مِنْ شِعْرَاءِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مُقَدِّمًا مُفَضَّلًا حَتَّى، اعْتَرَضَ² بَيْنَ جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ، فَاسْتَكْفَهُ جَرِيرٌ فَأَبَى أَنْ يَكُفَّ، فَهَجَاهُ فَفَضَحَهُ.

وقد ذكرتُ بعضَ أخباره في ذلك مع أخبار جرير، وأتممتها هنا.

[يمدح سعيد بن عبد الرحمن]

وقصيدةُ الرَّاعِي هذه يمدح بها سعيدَ بنَ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَتَّابِ بنِ أُسَيْدِ بنِ أَبِي العيصِ بنِ أُمَيَّةَ، وفيها يقولُ :

[من الوافر]

تُرَجِّي مِنْ سَعِيدِ بَنِي لُؤَيٍّ	أُخِي الْأَعْيَاصِ أَنْوَاءُ غَزَارَا
تَلَقَّى نَوَاهُنَّ سِرَارَ شَهْرٍ	وَخَيْرُ النَّوْءِ مَا لَقِيَ السَّرَارَا
خَلِيلٌ تَغْزِبُ الْعِلَاتُ عَنْهُ	إِذَا مَا حَانَ يَوْمًا أَنْ يُزَارَا
مَتَى مَا تَأْتِيهِ تَرْجُو نَدَاهُ	فَلَا بُخْلًا تَخَافُ وَلَا اعْتِدَارَا
هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي نَسَبَتْ قُرَيْشٌ	فَصَارَ الْمَجْدُ فِيهَا حَيْثُ صَارَا
وَأَنْضَاءُ أَنْخَنَ إِلَى سَعِيدِ	طُرُوقًا ثُمَّ عَجَلْنَ أَيْتَكَارَا ³
عَلَى أَكْوَارِهِنَّ بَنُو سَبِيلِ	قَلِيلٌ نَوْمُهُمْ إِلَّا غَرَارَا ⁴

1 ترجمة الراعي النُمَيْرِي فِي الشَّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ : 327-320 وطبقات ابن سلام : 502-521 والمؤتلف : 177-178 وخزانة البغدادي 3 : 150-151 والسمط : 49 وحيث وردت ترجمة جرير ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع ديوانه رابنهرت فايبرت (بيروت - 1980) كما جمعه نوري حمودي القيسي وهلال ناجي وعلى الأولى نعتمد .

2 ل : اعتن .

3 أَنْضَاءُ : جمع نَضْو ، وهو البعير المهزول .

4 بنو السبيل : الغرباء .

حَمِدَنَ مَزَارَهُ وَلَقِينَ مِنْهُ عَطَاءٌ لَمْ يَكُنْ عِدَّةً ضِمَارًا

[تفضيله الفرزدق على جرير]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّكَّرِيُّ عَنِ الرَّيَاشِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : وَذَكَرَهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ حَجْنَاءٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَاعِي الْإِبِلِ يَقْضِي لِلْفَرَزْدَقِ عَلَى جَرِيرٍ وَيُفْضِلُهُ ، وَكَانَ رَاعِي الْإِبِلِ قَدْ ضَخَّمَ أَمْرَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ خَرَجَ جَرِيرٌ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ : أَلَا تَعْجَبُونَ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَقْضِي لِلْفَرَزْدَقِ عَلَيَّ وَيُفْضِلُهُ وَهُوَ يَهْجُو قَوْمَهُ وَأَنَا أَمْدَحُهُمْ ؟ قَالَ جَرِيرٌ : ثُمَّ ضَرَبْتُ رَأْيِي فِيهِ ، فَخَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ أَمْشِي إِلَيْهِ . قَالَ : وَلَمْ يَرْكَبْ جَرِيرٌ دَابَّتَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِسِرِّي إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَانَ لِرَاعِي الْإِبِلِ وَالْفَرَزْدَقِ وَجُلَسَائِهِمَا حَلَقَةٌ بِأَعْلَى الْمِرْبَدِ بِالْبَصْرَةِ يَجْلِسُونَ فِيهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ أُتَعَرِّضُ لَهَا لِأَلْقَاهُ مِنْ حِيَالٍ حَيْثُ كُنْتُ أَرَاهُ .

ثُمَّ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِهِ لِقِيَّتِهِ ، وَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ ، حَتَّى إِذَا هُوَ قَدْ مَرَّ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ ، وَابْنُهُ جَنْدَلٌ يَسِيرُ وَرَاءَهُ رَاكِبًا مُهْرًا لَهُ أُخْرَى مَحْذُوفُ الذَّنْبِ وَإِنْسَانٌ يَمْشِي مَعَهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ السَّبَبِ . فَلَمَّا اسْتَقْبَلَتْهُ قُلْتُ لَهُ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا جَنْدَلٍ . وَضَرَبْتُ بِشِمَالِي إِلَى مَعْرِفَةِ بَغْلَتِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، إِنَّ قَوْلَكَ يُسْتَمَعُ ، وَإِنَّكَ تَفْضُلُ عَلَيَّ الْفَرَزْدَقَ تَفْضِيلًا قَبِيحًا ، وَأَنَا أَمْدَحُ قَوْمَكَ وَهُوَ يَهْجُوهُمْ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَلَيْسَ مِنْكَ ، وَلَا عَلَيْكَ كُلْفَةٌ فِي أَمْرِي مَعَهُ ، وَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ هَيْئٌ ، وَأَنْ تَقُولَ إِذَا ذُكِرْنَا : كِلَاهُمَا شَاعِرٌ كَرِيمٌ ، فَلَا تَحْمِلْ مِنْهُ لَائِمَةً وَلَا مَنِي . قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَهُوَ واقِفٌ عَلَيَّ لَا يَرُدُّ جَوَابًا لِقَوْلِي ، إِذْ لَحِقَ بِالرَّاعِي ابْنُهُ جَنْدَلٌ ، فَرَفَعَ كِرْمَانِيَّةً مَعَهُ ، فَضَرَبَ بِهَا عَجْزَ بَغْلَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْكَ واقِفًا عَلَى كَلْبٍ بَنِي كَلْبٍ ، كَأَنَّكَ تَخْشَى مِنْهُ شَرًّا أَوْ تَرْجُو مِنْهُ خَيْرًا ، فَضَرَبَ الْبَغْلَةَ ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، فَزَحَمَتْنِي زَحْمَةً وَقَعَتْ مِنْهَا قَلَنْسُوتِي . فَوَاللَّهِ لَوْ يَعُوجُ عَلَيَّ الرَّاعِي لَقُلْتُ : سَفِيَّةٌ غَوِيٌّ ، يَعْنِي جَنْدَلًا ابْنَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَا وَاللَّهِ مَا عَاجَ عَلِيٌّ ، فَأَخَذْتُ قَلَنْسُوتِي فَمَسَحْتُهَا وَأَعَدْتُهَا عَلَى رَأْسِي وَقُلْتُ :

أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَيْرُ فِي اسْتِ أَيْكَ غَابَا

قَالَ : فَسَمِعْتُ الرَّاعِي يَقُولُ لِابْنِهِ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ طَرَحْتَ قَلَنْسُوتَهُ طَرْحَةً مَشْوُومَةً . قَالَ جَرِيرٌ : وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَتْ الْقَلَنْسُوتُ بَأْغِيظَ أَمْرِهِ إِلَيَّ لَوْ كَانَ عَاجَ عَلِيٍّ .

[معاناة جرير في النظم]

فَانْصَرَفَ جَرِيرٌ مُغْضَبًا حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ وَمَنْزَلُهُ فِي عُلْيَةِ قَالَ : ارْفَعُوا إِلَيَّ بَاطِيَةَ مِنْ نَبِيذٍ ، وَأَسْرِجُوا لِي ، فَأَسْرِجُوا لَهُ وَأَتَوْهُ بِبَاطِيَةٍ مِنْ نَبِيذٍ فَجَعَلَ يُهَيِّمُ فَسَمِعَتْهُ عَجُوزٌ فِي

الدَّارِ . فطلعتُ في الدَّرَجَةِ حتَّى إذا نَظَرْتُ إليه فإذا هو على الفِراشِ عُريانَ لَمَّا هو فيه .
فانحدرتُ فَقَالْتُ : ضيفُكم مجنونٌ ، رأيتُ منه كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذهبي لِطِيبَتِكَ ،
نحنُ أَعْلَمُ به وبما يُمارس . فما زالَ كذلك حتَّى كان السَّحَرُ فإذا هو يُكَبِّرُ ، قد قالها
ثمانينَ بيتاً ، فلَمَّا بَلَغَ إلى قوله :

فَغَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاباً

فذاكَ حينَ كَبَّرَ ، ثم قال : أَخْزَيْتُهُ وَاللَّهِ أَخْزَيْتُهُ وَرَبَّ الكَعْبَةِ ثم أَصْبَحَ ، حتَّى إذا
عَرَفَ أَنَّ النَّاسَ قد جَلَسُوا في مجالسهم بِالْمُرَيْدِ . وكان جَرِيرٌ يَعْرِفُ مَجْلِسَ الرَّاعِي
ومَجْلِسَ الْفَرَزْدَقِ . فدعا بِدَهْنٍ فَادَّهَنَ وَأَصْلَحَ وَجْهَهُ وَكَشَفَ رَأْسَهُ ، وكان حَسَنَ
الشَّعْرِ ، ثم قال : يا غُلامُ أُسْرِجْ لي ، فَأَسْرَجَ لَهُ حَصاناً ، ثُمَّ قَصَدَ مَجْلِسَهُمْ ، حتَّى إذا
كانَ بِمَوْضِعِ السَّلَامِ ، لم يُسَلِّمْ ، ثم قال : يا غُلامُ ، قُلْ لِعَبِيدِ الرَّاعِي : أَبْعَثْكَ نِسْوَتُكَ
تُكْسِيَهُنَّ الْمَالَ بِالْعِراقِ ؟ والذي نفسُ جَرِيرٍ بيده ، لَتَرْجِعَنَّ إِلَيْهِنَّ بما يَسُوهُنَّ ولا
يَسْرَهُنَّ . ثم اندفع في القَصيدة فَأَنْشَدَهَا . فَكَسَّ الْفَرَزْدَقُ رَأْسَهُ ، وَأَطْرَقَ راعِي الْإِبِلِ ،
فلو انشَقَّتْ لَهُ الْأَرْضُ لَسَاخٌ فِيها ، وَأَرَمَ الْقَوْمُ² ، حتَّى إذا فرغَ منها ، سارَ ، فوثبَ راعِي
الْإِبِلِ من ساعته فركِبَ بَغْلَتَهُ بِشَرٍّ وَعَرٍّ³ . وتفرَّقَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ، وصعدَ الرَّاعِي إلى منزله
الذي كان يَنْزِلُهُ ، ثم قال لأَصْحابِهِ : رِكَبْكُمْ رِكَبَكُمْ ، فليس لكم هاهنا مُقامٌ ،
فَضْحَكُم وَاللَّهِ جَرِيرٌ . فقال له بعضُهم : ذلكَ شوْمُكَ وشوْمُ جَنْدَلِ ابْنِكَ . قال : فَمَا
اشْتَغَلُوا بِشَيْءٍ غَيْرِ تَرْحَلَهُمْ . قالوا : فسيرنا وَاللَّهِ إلى أَهْلِنَا سِيراً ما سارَه أَحَدٌ ، وهم
بِالشَّرِيفِ⁴ ، وهو أَعْلَى دارِ بَنِي نُمَيْرٍ ، فحلفَ راعِي الْإِبِلِ أَنْتَهُمْ وَجَدُوا في أَهْلِهِمْ قَوْلَ
جَرِيرٍ :

فَغَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

يَتَنَاشَدُهُ النَّاسُ ، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ ما بَلَغَهُ إِنسانَ قَطُّ ، وَإِنَّ لَجَرِيرٍ لأَشْياعاً من الْجِنِّ . فتشاءمت
به بنو نُمَيْرٍ ، وَسَبَّوْهُ وَسَبَّوا ابْنَهُ ، فَهُمْ إلى الآنَ يَتَشَاءَمُونَ بِهِمْ وَيُولَدُهُمْ .
[أخْزاه وفضحه]

وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قال : حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو ، عن أَبِي

1 ل : لتؤوين .

2 أرم القوم : سكتوا .

3 عر : شدة .

4 الشريف : أرض بني نمير .

عُبَيْدَةَ بِمِثْلِهِ أَوْ نَحْوِ مَنْهُ ، وَقَالَ فِي خَبَرِهِ : أَجِئْتُ تُوقِرُ بِإِلَـكَ لَيْسَائِكَ بَرًّا وَتَمَرًّا ؟ وَاللَّهِ لَأَحْمَلَنَّ إِلَى أَعْجَازِهَا كَلَامًا يَبْقَى مِيسَمُهُ عَلَيْهِنَّ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَسُوءُكَ وَإِيَّاهُنَّ اسْتِمَاعُهُ .
وَقَالَ فِي خَبَرِهِ أَيْضًا : فَلَمَّا قَالَ :

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ

وَتَبَّ وَثْبَةً دَقَّ رَأْسُهُ السَّقْفُ ، فَجَاءَ لَهُ صَوْتُ هَائِلٍ ، وَسَمِعَتْ عَجُوزٌ كَانَتْ سَاكِنَةً فِي غُلُوِّ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ صَوْتَهُ ، فَصَاحَتْ : يَا قَوْمَ ، ضَيَّفُكُمْ وَاللَّهُ مَجْنُونٌ . فَجِئْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَحْبُو وَيَقُولُ : غَضَضْتُهُ وَاللَّهُ ، أَخْزَيْتُهُ وَاللَّهُ ، فَضَحْتُهُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟ فَأَنْشَدَنَا الْقَصِيدَةَ ، ثُمَّ غَدَا بِهَا عَلَيْهِ .

[الحجاج يسأل جريراً : ما لك وللراعي]

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ؛ عَنْ النَّهْشَلِيِّ ، عَنْ مِسْحَلِ بْنِ كُسَيْبٍ ؛ عَنْ جَرِيرٍ فِي خَبَرِهِ مَعَ الْحَجَّاجِ لَمَّا سَأَلَهُ عَمَّنْ هَجَاهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ قَالَ : قَالَ لِيَ الْحَجَّاجُ : مَا لَكَ وَلِلرَّاعِي ؟ فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، قَدِمَ الْبَصْرَةَ ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَمَلٌ ، فَلَبَغْنِي أَنَّهُ قَالَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ :

[من الكامل]

يَا صَاحِبِي دَنَا الرَّوَاحُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفَرْزَدُقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرَا

وَقَالَ أَيْضًا فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

رَأَيْتُ الْجَحْشَ جَحْشَ بَنِي كَلِيبٍ تَيْمَمَ حَوْضَ دِجْلَةَ ثُمَّ هَابَا
فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ : يَا أَبَا جَنْدَلُ ، إِنَّكَ شَيْخٌ مُضَرٌّ ، وَقَدْ بَلَّغْنِي تَفْضِيلُكَ الْفَرْزَدُقَ عَلَيَّ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي وَفَضَّلْتَنِي كُنْتُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، لِأَنِّي مَدَحْتُ قَوْمَكَ وَهَجَاهُمْ .

وَذَكَرَ بَاقِي الْخَبَرِ نَحْوًا مَّا ذَكَرَهُ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَقَالَ فِي خَبَرِهِ : فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَهْلَكَ بَعَثُوكَ مَائِرًا ، وَبَسَّسَ وَاللَّهِ الْمَائِرُ أَنْتَ ، وَإِنَّمَا بَعَثْنِي أَهْلِي لِأَقْعِدَ لَهُمْ عَلَى قَارِعَةِ هَذَا الْمَرْيَدِ ، فَلَا يَسْبُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَبَبْتُهُ ، فَإِنَّ عَلِيَّ نَذَرًا إِنْ كَحَلْتُ عَيْنِي بِغَمَضٍ حَتَّى أَخْزَيْكَ ، فَمَا أَصْبَحْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِمِميني . قَالَ : ثُمَّ غَدَوْتُ عَلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِعَيْنَيْهِ ، فَمَا فَارَقَنِي حَتَّى أَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا بَلَغْتَ قَوْلِي :

أَجَنْدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو نَمِيرٍ إِذَا مَا الْأَيُّرُ فِي اسْتِ أَيْبِكُ غَابَا

قَالَ : فَأَرْسَلَ يَدِي ثُمَّ قَالَ : يَقُولُونَ شَرًّا وَاللَّهُ .

[توقع الفرزدق لبيت جرير]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحُرُونَ قَالَ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَنْشَدَ جَرِيرُ الرَّاعِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَالْفَرْزَدُقُ حَاضِرٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ فِيهَا قَوْلَهُ :

بها برصٌ بأسفل إسكتيها

عَطَى الفرزدق عَنفَقَتَهُ بِيَدِهِ ، فقال جرير :

كَعَنَفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا

فقال الفرزدق : أَخْزَاكَ اللَّهُ ، والله لقد علمتُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ غَيْرَهَا . قال : فسمع رجل كان حاضراً أبا عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ بِهَا ، فحلفَ يميناً جزماً أَنَّ الْفَرَزْدَقَ لَقَنَّ جَرِيْرًا هَذَا الْمِصْرَاعَ بتغطية عَنَفَقَتِهِ ، ولو لم يفعل لما انتبه لذلك ، وما كان هذا بيتاً قاله مُتَقَدِّماً ، وإنما انتبه لذلك .
[قتله الكمد من الهجاء]

أخبرنا أبو خليفة قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْغَرَّافِ قَالَ : الَّذِي هَاجَ التَّهَاجِي بَيْنَ جَرِيرٍ وَالرَّاعِي أَنَّ الرَّاعِي كَانَ يُسْأَلُ عَنْ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ . فيقول : الْفَرَزْدَقُ أَكْرَمُهُمَا وَأَشْعَرُهُمَا ؛ فَلَقِيَهُ جَرِيرٌ فَاسْتَعْذَرَهُ مِنْ نَفْسِهِ .
ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم ، وزاد فيه : أَنَّ الرَّاعِي قَالَ لابنه جَنْدَلٌ لَمَّا ضَرَبَ بَغْلَتَهُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ كَلْبَ بَنِي كَلِيبٍ أَرَادَ حِيَاضَ دِجْلَةَ ثُمَّ هَابَا

وَنَفَرَتِ الْبَغْلَةُ فَرَحْمَتُهُ حَتَّى سَقَطَتْ فَلَنَسُوهُ جَرِيرٌ . فقال الرَّاعِي لابنه : أَمَا وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ فَعْلَةً مَشْوُومَةً عَلَيْكَ وَلِيَهْجُوْنِي وَإِيَّاكَ ، فَلَيْتُهُ لَا يُجَاوِزُنَا وَلَا يَذْكُرُ نِسْوَتَنَا . وَعَلِمَ الرَّاعِي أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ وَنَدِمَ ، فَتَزَعَمَ بَنُو نَمِيرٍ أَنَّهُ حَلَفَ أَلَّا يُجِيبَ جَرِيْرًا سَنَةَ غَضَبًا عَلَى ابْنِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ سَنَةٌ . ويقول : غَيْرَ بَنِي بُعَيْرٍ : إِنَّهُ كَمِدَ لَمَّا سَمِعَهَا فَمَاتَ كَمِدًا .
[معرّف لجريير بالغلبة]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ وأبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّكْرِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدَانَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَعْدَانَ وَالْمُفَضَّلِ وَعُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو خَلِيفَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي الْبَيْدَاءِ قَالُوا جَمِيعاً :
مَرَّ رَاكِبٌ بِالرَّاعِي وَهُوَ يَتَغَنَّى :

وَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيَتْهُ بِقَافِيَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقْطُرُ الدَّمَا
خُرُوجٍ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَأَ هُنْدُوَانِي إِذَا هُزَّ صَمَمًا

فسمعها الرَّاعِي فَاتَّبَعَهُ رُسُولًا ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ يَقُولُ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ ؟

قال جرير ، فقال الرَّاعِي ، أَوْلَامُ أَنْ يَغْلِبَنِي هَذَا ؟ وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ عَلَى صَاحِبِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَا أَغْنَوْا فِيهِ شَيْئًا .

قال ابنُ سلام خاصّةً في خبره : وهذان البيتان لجريز في البَعِيث ، وكذلك كان خبره معه ، اعترضه في غير شيء .
[لا يحتذي ولا يعارض]

أخبرنا أبو خليفة قال : أخبرنا محمد بنُ سلام ، قال : كان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه ، وكان يُقالُ له في شعره : كأنه يعتسِفُ الفلاةَ بِغيرِ دليل ، أي أنّه لا يحتذي شعرَ شاعر ، ولا يعارضه ، وكان مع ذلك بذياً هجاءً لعشيرته ، فقال له جريز : [من الوافر]

وَقَرَضْتُكَ فِي هَوَازَانَ شَرُّ قَرَضٍ تَهْجُنُهُمْ وَتَمْتَدِّحُ الْوُطَابَا

[نسب بامرأة من بني عبد شمس]

أخبرنا أبو خليفة ، قال : أخبرنا محمد بنُ سلام قال : قال أبو الغرّاف : جاورَ راعي الإبل بني سَعْد بن زَيْد مَنَاءَ بن تَمِيم ، فَنسَبَ بامرأة منهم من بني عبد شمس ، ثم أحد بني وابشي ، فقال¹ :

بَنِي وَابْشِي قَدْ هَوَيْنَا جَوَارِكُمْ وَمَا جَمَعَتْنَا نِيَّةً قَبْلَهَا مَعَا
خَلِيطَيْنِ مِنْ حَيِّينَ شَتَّى تَجَاوَرَا جَمِيعاً وَكَانَا بِالتَّفَرُّقِ أُمْتَعاً²
أَرَى أَهْلَ لَيْلَى لَا يَبَالِي أَمِيرُهُمْ عَلَى حَالَةِ الْمُحْزُونِ أَنْ يَتَصَدَّعَا

وقال فيها أيضاً :

صوت

تَذَكَّرْ هَذَا الْقَلْبُ هِنْدَ بَنِي سَعْدٍ سَفَاهاً وَجَهْلًا مَا تَذَكَّرُ مِنْ هِنْدٍ
تَذَكَّرْ عَهْدًا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا قَدِيمًا وَهَلْ أَبْقَتْ لَكَ الْحَرْبُ مِنْ عَهْدٍ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوُسْطَى ، وذكر الهشامي أنّه لنبیه ، وذكر قمري وذكاء وَجْهَ الرِّزَّةِ أَنَّهُ لَبْنَان .

قال ابنُ سلام : فلما بلغهم شعره أزعجوه ، وأصابوه بأذى ، فخرج عنهم وقال فيهم³ :

أَرَى إِسْلَى تَكَالَأُ رَاعِيَاهَا مَخَافَةَ جَارِهَا الدُّنْسِ الدَّمِيمِ⁴

1 ديوان الراعي : 165-166 .

2 من حَيِّينَ فِي الدِّيَّان : من شعيعين .

3 ديوان الراعي : 252 .

4 الشطر الثاني فِي الدِّيَّان : مخافة جارها طبق النجوم .

وقد جاورتهم فرأيت سعداً شعاع الأمر عازية الحلوم
مغانيم القرى سرقاً إذا ما أجنّت ظلمة الليل البهيم¹
فأمي أرض قومك إن سعداً تحملت المخازي عن تميم

[قدومه على عبد الملك]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن عبد القاهر بن السري ، قال : وفد الراعي إلى عبد الملك بن مروان ، فقال لأهل بيته : تزوّحوا إلى هذا الشيخ فإني أراه منجياً .
[جنبد يدافع عنه]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : قديم جنبد بن الراعي على بلال بن أبي بردة ، وقد مدحه ، وكان يكثر ذكر أبيه ووصفه ، فقال له بلال : أليس أبوك الذي يقول في بنت عمه ، وأمها امرأة من قومه² :
[من الطويل]

فلما قضت من ذي الأراك لبانةً أرادت إلينا حاجة لا نزيدها

وقد كان بعد هجاء جرير إياه مغلباً ؟ فقال له جنبد : لئن كان جرير غلبه لما أمسك عنه عجزاً ، ولكنه أقسم غضباً عليّ ألاّ يجيبه سنة ، فأين أنت عن قوله في عدي بن الرقاع العاملي³ :

لو كنت من أحد يهجي هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً وابنا نزار وأنتم بيضة البلد⁴

قال : فضحك بلال وقال له : أمّا في هذا فقد صدقت .

[لا يطلب حاجة لنفسه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الرحمن ، عن ابن عائشة قال : لما أنشد عبيد بن حصين الراعي عبد الملك بن مروان قوله⁵ :

فإن رفعت بهم رأساً نعشتهم وإن لقوا مثلاً من قابل فسدوا

1 سرقاً في الديوان : سرف .

2 ديوان الراعي : 94 وفيه «من ذي الإناء» .

3 ديوانه : 79 .

4 بيضة البلد : مثل . ورد في مجمع الأمثال للميداني (صادر) 1 : 269 .

5 ديوانه : 66 .

قال له عبدُ الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تردّ عليهم صدقاتهم فتتعهشهم ، فقال عبد الملك : هذا كثير ، قال : أنت أكثر منه ، قال : قد فعلتُ ، فسألني حاجةً تخصّك ، قال : قد قضيتُ حاجتي . قال : سل حاجتك لنفسك ؟ قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة .
[بنو سعد يعطونه مال العنبري]

حدّثني أحمدُ بن محمد بن سعيد الهمداني قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي ، قال حدّثنا إسماعيل بن يعقوب ، عن عثمان بن نُمَيْر ، عن أبيه قال : كنتُ عند العباس بن محمد في يومٍ شاتٍ ، فدخل عليه موسى بن عبد الله بن حسن ؛ فقال له العباس بن محمد : يا أبا الحسن ، ما لي أراك مُتغيّراً ؟ فقال له موسى : والله إنّي لأغرق ممّا كان اليوم ؛ قال : وما كان يا أبا الحسن ؟ فقال : ذاك أن أمير المؤمنين أخرج لي وللعباس بن الحسن خمسين ألفاً ؛ للعباس منها ثلاثون ألفاً ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أخو بني العنبر ، وجاور هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مناة ، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذوا مالَ العنبري فأعطوه الراعي ، فقال العنبري في ذلك :

أَبْقَطَعَ مَوْصُولٌ وَيُوصَلُ جَانِبُ أَسْعَدُ بْنُ زَيْدٍ عَمَرَكِ اللَّهُ أَجْمَلِي
فَإِنَّا بِأَرْضٍ هَاهُنَا غَيْرَ طَائِلِ مَتَى تَعْلَفُوا بِالرَّغْمِ وَالْخُسْفِ نَأْكُلِ

قال : فقال له العباس : إنكم نازعتم القوم ثوبهم . وكان عباس وأهله أعواناً له على حذية منكم ، ومع ذلك فعباس الذي يقول لبنت حيدة المحاربية يرثيها :

أَتَتْ دُونَ الْفِرَاشِ فَأَبْشَرْتَنَا مَصِيبتنا بأخت بني حُدَادِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَا يَعْنِي سِوَانَا عَشِيَّةً نَحْوَهَا يَحْدُوهُ حَادِي
فَإِنَّ خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمُرْجَى وَغَيْثَ النَّاسِ فِي الْإِزْمِ الشَّدَادِ
تَطَاوَلَ لَيْلُهُ فَعْدَاكَ حَتَّى كَأَنَّكَ لَا تَنْوِبُ إِلَى مَعَادِ
يَظَلُّ ، وَحَقُّ ذَاكَ ، كَأَنَّ شَوْكَأ عَلَيْهِ الْعَيْنُ تَطْرِفُ مِنْ سُهَادِ
فَلَيْتَ نَفْسَنَا حَقّاً فَدَتْهَا وَكُلَّ طَرِيفٍ مَالٍ أَوْ تِلَادِ

وجندل بن الراعي شاعر ؛ وهو القائل ، وفي شعره هذا صنعة :

صوت

طَلَبْتُ الْهَوَى الْغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيَّةٍ مَا كَفَانِيَا
وَقُلْتُ لِحِلْمِي لَا تَنْزَعْنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذْعُرْ عَلَيَّ الْغَوَانِيَا

الشعر لجندل بن الرّاعي ، والغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر ؛ عن عمرو من جامع إسحاق . وقال الهشامي : وله فيه أيضاً ثاني ثقيل ، وهو لحن مشهور ، وما وجدناه في جامعهم ، ولعله شدّ عنه أو غلط الهشامي في نسبته إليه ، وقال حبش : فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل .

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني أبو عبد الله الهشامي قال : قال إسحاق : قال أبو عبيدة : كانت لجندل بن الرّاعي امرأة من بني عُقيل ، وكان بخيلاً ، فنظر إليها يوماً وقد هزلت وتخذد لحمها ، فأنشأ يقول :

عُقَيْلِيَّةُ أُمًّا أَعَالِي عِظَامِهَا فَعُوجٌ وَأُمًّا لَحْمِهَا فَقَلِيلُ

فَقَالَتْ مُجِيبَةً لَهُ عَنْ ذَلِكَ :

عُقَيْلِيَّةُ حَسَنَاءُ أَزْرَى بِلَحْمِهَا طَعَامٌ لَدَيْكَ ابْنِ الرَّعَاءِ قَلِيلُ

فجعل جندل يسبها ويضربها وهي تقول : قلت فأجبت ، وكذبت فصدمت ، فما غضبك ؟

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أَصْبَحَ الْجَبَلُ مِنْ سَلَا	مَةَ رَأً مُجَذَا
جَبَا أَنْتِ يَا سَلَا	مَةُ الْفَيْنِ جَبَا
ثُمَّ الْفَيْنِ مُضْعَفِي	نِ وَالْفَيْنِ هَكَذَا
فِي صَمِيمِ الْأَحْشَاءِ مِنِّي	وَفِي الْقَلْبِ قَدْ حَذَا
حَذَوَةٌ مِنْ صَبَابَةٍ	تَرْكُنْهُ مُفْلَذَا ¹

الشعر لعمّار ذي كُبار والغناء لحكم الوادي هَزَج بالوسطى عن الهشامي . قال الهشامي وذكر يحيى المكي أنه لسليم الوادي لا الحكم .

[538] - أخبار عمار ذي كبار ونسبه¹

هو عَمَّار بن عَمْرُو بن عبدِ الأكبر يُلقَّب ذا كُبار ، هَمْدَانِي صُلَيْبِيَّةٌ ، كُوفِيٌّ ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحَزَنِي .

وكان لَينَ الشعرِ مَاجِنًا خَمِيرًا مُعَاقِرًا للشراب ، وقد حُدَّ فيه مَرَّاتٌ ، وكان يَقُولُ شعراً ظريفاً يُضَحِّكُ من أكثره ، شديد التَّهافتِ جَمَّ السخف ، وله أشياء صالِحَةٌ نذكرُ أجودَها في هذا الموضع من أخباره ومُنتخب أشعاره ؛ وكان هو وحمَّاد الراوية ومُطِيعُ بن إِيَّاس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يَفْتَرِقُونَ ، وكلَّهم كان مُتَّهَمًا بِالزُّنْدَقَةِ .

[بلازم الكوفة]

وعَمَّار مَمَّنْ نشأ في دولة بني أُمَيَّة ، ولم أسمع له بخبر في الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، ولا كان مع شَهْوَةِ النَّاسِ لشِعْرِهِ ، واستطابتهم إِيَّاهُ ينتجع أحداً ولا يَبْرَحُ الكُوفَةَ لعِشَاءِ بَصَرِهِ وَضَعْفِ نظره .

فأخبرني محمد بنُ مُزَيْدٍ قال : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ إِسْحَاقَ ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ عن حَمَّادِ الرَّائِيَةِ ، وأخبرني به محمد بن خَلْفِ بنِ المَرْزُبَانِ قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الهيثمِ الفَرَّاسِيّ قال : حَدَّثَنَا العَمْرِيّ عن الهيثم بن عديّ عن حَمَّادِ الرَّائِيَةِ ، وَلَفْظُ الرَّجُلَيْنِ كالْمُتَقَارِبِ قال : استقدمني هشامُ بن عبد الملك في خِلافَتِهِ ، وأمر لي بِصِلَةٍ سَنِيَّةٍ وَحُمْلَانٍ² فلَمَّا دَخَلْتُ عليه استَشَدَّنِي قَصِيدَةُ الْأَفْوهِ الْأَوْدِيِّ³ :

لنا معاشيرُ لم يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ وإن بَنَى قَوْمُهُمْ ما أَفْسَدُوا عَادُوا
قال : فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، ثم اسْتَشَدَّنِي قَوْلَ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ :

أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ
فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، ثم اسْتَشَدَّنِي قَوْلَ عَدِيٍّ بنِ زَيْدٍ :

أرواحٌ مودَّعٌ أم بُكُورُ

1 لعمار ذي كبار ترجمة في الوافي 22 : 396 وذكره الأستاذ محمود محمد شاكر في حاشية طبقات ابن سلام

(360) باسم عمار ذو كنار وفي فهرست الطبقات عمار ذو كنار .

2 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

3 ديوان الأفوه الأودي (صادر) : 64 .

فأنشدته إياها ، فأمر لي بمنزل وجراية ، وأقمتُ عنده شهراً ، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده ، ثم أمر لي بجائزة وخيلة وحملان ، وردّني إلى الكوفة ، فعلمتُ أن أمره مُقْبِلٌ . ثم استقدمني الوليد بن يزيد بعده ، فما سألني عن شيء من الجدِّ إلا مرة واحدة ، ثم جعلتُ أنشدّه بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، ولا يَهْشَ إلى شيء منه ، حتى جرى ذكر عمار بن ذي كبار فتشوّقه وسأل عنه ، وما ظننت أن شعر عمار شيء يُرادُّ أو يُعبأ به . ثم قال لي : هل عندك شيء من شعره ؟ فقلت : نعم أنا أحفظ قصيدة له ، وكنت لكثرة عبثي به قد حفظتها ، فأنشدته قصيدته التي يقول فيها :

حَبَّذا أَنْتِ يَا سَلا	مَةُ أَلْفَيْنِ حَبَّذا
أَشْتَهِي مِنْكَ مِنْكَ مِنْ	لِكَ مَكَاناً مُجَنَّبَدا ¹
مُفْعَماً فِي قُبَالَةٍ	بَيْنَ رُكْنَيْنِ رَبَّدا
مُدْغِماً ذَا مَنَاقِبَ	حَسَنَ الْقَدِّ مُحْتَذِي
رَإِيأً ذَا مَجَسَّة	أَخْنَساً قَدْ تَقَفَّفَدا
لَمْ تَرَ الْعَيْنُ مِثْلَهُ	فِي مَنَامٍ وَلَا كَذا
تَامِكاً كَالسَّنَامِ إِذْ	بُذَّ عَنْهُ مُقَدَّذا ²
مِلْءَ كَفِّي ضَجِيعِهَا	نَالَ مِنْهَا تَفَحَّذا
لَوْ تَأَمَّلْتَهُ دُهْشَ	تَ وَعَايَنْتَ جِهْهَدا ³
طَيِّبَ الْعَرَفِ وَالْمَجَسِّ	ةَ وَاللَّسْرِ هَرَبَدا ⁴
فَأَجَا فِيهِ فِيهِ فِي	هَ بِأَيْرِ كَمِثْلِ ذَا ⁵
لَيْتَ أُرِي وَلَيْتَ حِ	رَكَ جَمِيعاً تَأَخَّدا
فَأَخَذَ ذَا بِشَعْرِ ذَا	وَأَخَذَ ذَا بِقَعْرِ ذَا

قال : فضحك الوليد حتى سقط على قفاه ، وصَفَّقَ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، وأمر بالشراب فأحضر ، وأمرني بالإنشاد ، فجعلتُ أنشدّه هذه الأبيات وأكررها عليه ، وهو يشرب ويصفق

1 محبذ : مرتفع مستدير كالقبة .

2 تامل : ممتلئ مرتفع . ومقذذ : مخلوق .

3 الجهيد : الخير بغوامض الأمور .

4 الهريد : أحد القائمين على بيت النار عند المجوس .

5 أجا : مخفف وجأ بمعنى دفع .

حتى سَكِرَ ، وأمر لي بِحُلَّتَيْنِ وثلاثين ألف درهم ، فقبضْتُها . ثم قال لي : ما فعل عَمَّار ؟ فقلتُ : حيَّ كَمَيْتٌ ، قد عَشِيَ بَصَرُهُ ، وَضَعُفَ جِسْمُهُ ، ولا حَرَاكَ به . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقلت له : ألا أخير أمير المؤمنين بشيء يفعلُه لا ضررَ عليه فيه ، وهو أحبُّ إلى عَمَّار من الدنيا بخدافيرها لو سيقَت إليه ؟ فقال : وما ذاك ؟ قلت : إنَّه لا يزال يُنصَرِفُ من الحانات وهو سَكِرَان ، فترفعُه الشرطُ ، فيضربُ الحدَّ ، فقد قُطِعَ بالسَّيَاط ، وهو لا يدَعُ الشَّرَابَ ولا يكفُّ عنه ؛ فتكتبُ بالأُ يَعرَضُ له . فكتب إلى عاملِه بالعِراقِ ألا يرفعَ إليه أحد من الحَرَسِ عَمَّاراً في سَكْرٍ ولا غيرِه إلا ضُربَ الرفعُ له حدَّين وأُطلقَ عَمَّاراً .

فأخذتُ المالَ وجِئتُ به ، وقلتُ له : ما ظننتُ أن الله يُكسِبُ أحداً بشُركِ نَقِيرٍ ولا يسألُ عنه عاقل ، حتى كَسَبْتُ بأوضع شيء قُلَّتْهُ ثلاثين ألفاً . قال : عزَّ عليّ فذلِكَ لقلَّةِ شُركِكَ يا ابن الزَّانية ، فهات نصيبي منها . فقلت : لقد استغنيتُ عن ذلك بما خصصتَ به ، ودفعتُ إليه العشرة آلاف درهم . فقال : وَصَلَكَ اللهُ يا أخي وَجَزَاكَ اللهُ خيراً ، ولكنَّها سَبَبُ هلاكِي وقَتْلِي ، لأنِّي أشربُ بها ما دامَ مَعِي منها درهم ، وأضربُ أبداً حتى أموت . فقلت له : لقد كفيتك ذلك ، وهذا عهد أمير المؤمنين ألا تُضربَ ، وأن يُضربَ كلُّ مَنْ يرفعُك حدَّين . فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بهذا من فرحي بالمال ، فجريتُ خيراً من أخ وصديقٍ ؛ وقبضُ المال ، فلم يزل يشربُ حتى مات ، وبقيتُه عنده .

[خلافه مع امرأته]

نسختُ من كتابِ الحزْبِ المُشتمِلِ على شعر عَمَّار وأخبارِه : أنَّ عَمَّاراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دُومَةُ بنتُ رباح ، وكان يُكنِّيها أُمُّ عَمَّار وكانت قد تخلَّقت بخُلُقِه في شُربِ الشَّرَابِ والمُجُونِ والسُّفهِ ، حتى صارت تُدْخِلُ الرجالَ عليها وتُجمِعُهُم على الفَوَاحِش ، ثم حَجَّتْ في إمارة يوسف بن عُمر ، فقال لها عَمَّار :

أتقي الله قد حَجَجْتَ وتُوبي	لا يكونَنَّ ما صَنَعْتَ خَبالاً
ويلك يا دُومُ لا تدُومي على الخَمِّ	ولا تُدْخِلِي عليكَ الرُّجالاً
إنَّ بالمُصرِ يوسفُ فاحذريه	لا تصيري للعالمين نَكالاً
وثَقِيفٌ إن تَثَقَّفَكَ بِحَدِّ	لم يُساوِ الإهابُ منك قِبالاً ¹
قد مَضَى ما مَضَى وقد كان ما كا	ن وأودى الشَّبَابُ منك فزالاً

قال : فضربته دُومَة وخرقت ثيابه ، ومنتفت لحيتيه ، وقالت : أتجعلني غرضاً لشعرك ؟ فطلّقتها واشترى جاريةً حسناء ، فزادت في أذاه وضربه غيرَةً عليه . فشكاها إلى يوسف بن عمر ، فوجه إليها بخدم من خدمه ، وأمرهم بضربها وكسر نبيذها ، وإغرامها ثيابَ عمار ، ففعلوا ذلك ، وبلغوا منها الرضا لعمار ، فقال في ذلك عمار : [من مجزوء الرمل]

إن عرسِي لا هداها	الله بنت لرباح
كل يوم تفرع الجُلاً	س منها بالصباح
وربوخ حين تُوتى	وتهيأ للنكاح
كلب دُباغ عَقُور	هر من بعد نباح
ولها لون كذاجي اللب	ل من غير صباح
ولسان صارم كالسب	ف مَشحُود النواحي
يقطع الصخر ويفري	ه كما تفري المساحي
عجل الله خلاصي	من يديها وسراحي
تُعِبُ الصاحبَ والجا	ر وتبني مَنْ تلاحِي
زعمت أني بخيل	وقد آخى بن سَمَاحي
ورأت كفي صِفراً	من تلادي ولقاحي
كلبت بنت رباح	حين همت باطراحي
حاتم لو كان حياً	عاش في ظل جناحي
ولقد أهكتُ مالي	في ارتياحي وسماحي
ثم ما أبقيتُ شيئاً	غير زادي وسلاحي
وكُميت بين أشطا	ن جواد ذي مراح
يسبق الخيل بتقريب	وشد كالرباح
ثم غارت وتجت	وأجدت في الصباح
لايتباعي أملح النس	وان من فيء الرماح
دُمِيَةُ المِخْرابِ حُسناً	وحكت بِيض الأداحي
هي أشهى لصندى الظم	آن من برد القراح
قلت : يا دُومَة بيني	إن في البين صلاحي

فَأَنَا الْيَوْمَ طَلِيقٌ مِنْ إِسَارِي ذُو ارْتِيَا ح
لَسْتُ عَمَّنْ ظَفِرَتْ كَفٌّ سِي بِهَا الْيَوْمَ بِصَا ح
أَنَا مَجْنُونٌ يَرِيمٌ مُخْطَفُ الْخَصْرِ رَدَا ح
مُشَبَّعُ الدَّمْلَجِ وَالْخَلَا لَ جَوَالِ الْوِشَا ح
إِنَّ عَمَّارَ بْنَ عَمْرٍو ذَا كُبَارِ ذُو امْتِدَا ح
وَهَجَاءَ سَارٍ فِي الدُّ لَاسٍ لَا يَمَحُوه مَاحِي
أَبْدَأُ مَا عَاشَ ذُو رُوحٍ وَنُودِي بِالْفَلَا ح

[هجاء بائع الرؤوس]

قال : وكان لعمَّار جَارٌّ يبيع الرؤوس يقال له غُلامٌ أَبِي داود ، فَطَرَقَ عَمَّاراً قَوْمٌ كانوا يعاشرونه وَيَدْعُونَهُ فَقَالُوا : أَطْعَمْنَا وَاسْقَيْنَا ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَوْمِئِذٍ ، فَبَعَثَ إِلَى صَاحِبِ الرُّؤُوسِ يَسْأَلُهُ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ أَرُوسٍ لِيُعْطِيَهُ ثَمَنَهَا إِذَا جَاءَهُ شَيْءٌ ، فَلَمْ يَفْعَلْ . فَبَاعَ قَمِيصاً لَهُ وَاشْتَرَى لِلْقَوْمِ مَا يُصْلِحُهُمْ وَشَرَبُوا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ خَرَجَ إِلَى الْحَلَّةِ ، وَأَهْلُهَا مُجْتَمِعُونَ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

[من الهزج]

غُلامٌ لِأَبِي دَاوُدَ دَ يُدْعَى سَالِقَ الرُّوسِ
وَفِي حُجْرَتِهِ قَمَلٌ كَأَمْثَالِ الْجَوَامِيسِ
فَمَنْ ذَا يَشْتَرِي الرُّوسَ وَقَدْ عَشَّشَ فِي الرُّوسِ
رُؤُوسٌ قَدْ أَرَا حَتَّ كَرُؤُوسٍ فِي النَّوَامِيسِ
تُحَاكِي أَوْجَةَ الْمَوْتَى وَرِيحاً كَالْكَرَابِيسِ¹
يُنْقِي الْقَمَلَ مِنْهُمْ إِذَا بَاعَ بَتَدْلِيسِ

قال : فَشَاعَتِ الْأَبْيَاتُ فِي النَّاسِ ، فَلَمْ يَقْرُبْ أَحَدٌ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَلَا اشْتَرَى مِنْهُ شَيْئاً ، فَقَامَ مِنْ مَوْضِعِهِ ذَلِكَ ، وَعَطَّلَ حَانُوتَهُ .

[يعتذر للأمير عن فجوره بعجزه]

قال : وَحَضَرَ عَمَّارَ ذُو كُبَارٍ مَعَ هَمْدَانَ لَقَبُضَ عَطَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا كُنْتُ لَأَعْطِيكَ شَيْئاً . فَقَالَ : وَلِمَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تُنْفِقُ مَالَكَ فِي الْخُمُورِ وَالْفُجُورِ ، فَقَالَ : هِيَاهُ ذَلِكَ ، وَهَلْ بَقِيَ لِي أَرْبٌ فِي هَذَا وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

[من مجزوء الخفيف]

أَيْرُ عَمَّارٍ أَصْبَحَ الـ	يَوْمَ رِخْوًا قَدْ أَنْكَسَرَ
الِدَاءُ يُرَى بِهِ	أَمْ مِنْ أَلْهَمٍ وَالضَّجَرُ
أَمْ بِهِ أُخِذَتْ فَقَدْ	تُطْلِقُ الْأُخْذَةَ النُّشْرُ
فَلَيْسَ كَانَ قَوْسَ الْيَدِ	يَوْمَ أَوْ عَضُّهُ الْكَبِيرُ
فَلَقَدْ قَضَى وَنَا	لِ مَنْ اللَّبْدَةُ الْوَطْرُ
وَلَقَدْ كُنْتُ مُنْعِظًا	أَبْدًا قَائِمَ الذِّكْرِ
وَأَنَا الْيَوْمَ لَوْ رَأَى الْحَوْ	رَ عِنْدِي لَمَا انْتَشَرَ
سَاقِطٌ رَأْسُهُ عَلَى	خُصْيَتَيْهِ بِهِ زَوْرُ
كَلَّمَا سَمِعْتُهُ النَّهْوُ	ضَ إِلَى كُورَةِ عَثَرُ

قال : فضحك خالدٌ ، وأمر له بغطائه ، فلما قبضه قضى منه دينه ، وأصلح حاله ، وعاد لشأنه ، وقال :

أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَيْرُ عَمَّارٍ	قَدْ قَامَ وَاسْبَطَرُ
أَخَذَ الرُّزْقَ فَاسْتَشَا	طَ قِيَامًا مِنَ الْبَطَرُ
فَهُوَ الْيَوْمَ كَالشُّطَا	ظَ مِنَ النَّعْظِ وَالْأَشْرُ
يَتْرُكُ الْقِرْنَ فِي الْمَكِ	رَ صَرِيحًا وَمَا فَتَرُ
يُشْرِغُ الْعُودَ لِلطَّعَانِ	إِذَا انْصَاعَ ذُو الْخَوَرُ
سَلَّمَ نِعَمَ الضَّجِيعِ أَنْ	سَ لَنَا لَيْلَةَ الْخَصَرُ
لَيْلَةَ الرَّعْدِ وَالْبَرُو	قِ مَعَ الْغَيْمِ وَالْمَطَرُ
لَيْتَنِي قَدْ لَقِيتُكُمْ	فِي خِلَاءٍ مِنَ الْبَشَرِ
فَنَشَرْنَا حَدِيثَنَا	عِنْدَكُمْ كُلَّ مُنْتَشَرِ
خَالِيًا لَيْلَةَ التَّمَا	مَ بِسَلْمَى إِلَى السَّحَرِ
فَهِيَ كَالدُّرَّةِ النَّقِيَّةِ	سَ وَالْوَجْهَ كَالْقَمَرِ

[صديقه تركه يفرق]

قال : وخرج عمارٌ في بعض أسفاره ، ومعه رجلٌ يُعرف بدندان ، فلما بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ ، وأرادا العبور فلم يجدوا مَعْبَرًا . فقال له دندان : أنا أعبرك ، فنزل معه فلما توسَّطا الفرات خلَّى عنه ، فبعد جهدي ما نجا ، فقال عمارٌ في ذلك :

[من الرمل]

كَادَ دُنْدَانُ بَأْنَ يَجْعَلَنِي يَوْمَ نَابِاذَ طَعَاماً لِلسَّمَكِ
قُلْتُ : دُنْدَانُ أَغْثَنِي فَمَضَى وَأَنَا أَعْلُو وَأَهْوِي فِي الدَّرَكِ
وَلَقَدْ أَوْقَعَنِي فِي وَرْطَةٍ شَيَّتْ رَأْسِي وَعَايَنْتُ الْمَلِكِ
لَيْتَ دُنْدَانَ بِكَفِّي أُسْدٍ أَوْ قَتِيلًا ثَاوِيًا فِيمَنْ هَلَكَ

[عند خالد القسري]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح ، عن أبي اليقظان قال : دَخَلَ عَمَّارٌ ذُو كُبَّارٍ عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ بِالْكُوفَةِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَ بِهِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

أَخْلَقْتُ رِيْطِي وَأَوْدَى الْقَمِيصُ وَإِزَارِي وَالْبَطْنُ طَاوٍ خَمِيصُ
قال : خالد : فَصْنَعْ مَاذَا ؟ مَا كُلُّ مَنْ أَخْلَقْتَ ثِيَابَهُ كَسَوْنَاهُ ، فَقَالَ :
وَحَلَا مَنَزِلِي فَلَا شَيْءَ فِيهِ لَسْتُ مِمَّنْ يُخْشَى عَلَيْهِ اللُّصُوصُ
فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : ذَلِكَ مِنْ سُوءِ فَعْلِكَ وَشُرْبِكَ الْخَمْرِ بِمَا تُعْطَاهُ ، فَقَالَ :
وَاسْتَحْلُ الْأَمِيرُ حَبْسَ عَطَائِي خَالِدٌ إِنَّ خَالِدًا لِحَرِيصُ
فَقَالَ خَالِدٌ وَقَدْ غَضِبَ : عَلَى مَاذَا تُكِلْتِكَ أُمُّكَ ؟ قَالَ :

ذُو اجْتِهَادٍ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْحَيِّ وَلَكِنْ فِي رِزْقِنَا تَعْوِيصُ¹
فَقَالَ : عَلَى مَاذَا تَقْبِضُ الْعَطَاءَ وَلَا غَنَاءَ فَيْكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَالَ :
رَخِصَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ لَذِي الْعُدِّ رَ وَمَا عِنْدَ خَالِدٍ تَرْخِيصُ
فَقَالَ : أَوْ لَمْ نَرْخِصْ لَذِي الْعُدْرِ أَنْ يَقِيمَ وَيَبْعَثَ مَكَانَهُ رَسُولًا ؟ فَقَالَ :

كَلَّفَ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ بَدِيلاً هَلْ لَهُ عَنْهُ مَعْدَلٌ أَوْ مَحِيصُ
الْعَلِيلَ الْكَبِيرَ ذَا الْعَرَجِ الظَّا لَعَّ أَغْشَى بَعْنُهُ تَلْحِيصُ²
يَا أَبَا الْهَيْثَمِ الْمُبَارَكَ جُدْ لِي بَعْطَاءَ مَا شَانَهُ تَنْغِيصُ
وَبِرْزَقِي فَإِنَّا قَدْ رَزَحْنَا مِنْ ضَيَاعٍ وَلِلْعِيَالِ بَصِيصُ
كَبْصِيصِ الْفَرَّخَيْنِ ضَمَّهُمَا الْعُشُّ وَغَاذِيَهُمَا أُسِيرٌ قَنِيصُ

1 تعويص : صعوبة وشدة .

2 تلحيص : التصاق جفني العين من الرمذ .

قال : فَذَمَعَتْ عَيْنَا خَالِدَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِعَطَائِهِ .

وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها :

[من الخفيف]

وتَرَى الْبَيْتَ مُقَشَّعاً قِوَاءً	من نَوَاحِيهِ ذَوْرُقٌ وَأَصْبِصُ ¹
وَبِجَادٍ مُمَزَّقٍ وَخِوَانٍ	نَذَرْتُ رَجُلَهُ وَأُخْرَى رَهِيصُ ²
وَلَقَدْ كَانَ ذَا قَوَائِمٍ مُلْسٍ	تَوَكَّلَ اللَّحْمُ فَوْقَهُ وَالْخَيْصُ ³
شَطَطَنْتْ هَكَذَا شَوَارِدُ بِالْمِصْ	رَ وَعَنْيَ لَمْ يُلْهِهِ التَّرْبِصُ ³
وَتَوَلَّى فِي كُلِّ بَحْرِ وَبَرٍ	هُمُّهُ الْعَرَسُ فِيهِ وَالتَّحْصِصُ ⁴
مُتَعَالٍ عَلَيَّ آخِرُ مَحَبُّو	رٌ يُغَادِيهِ بَطَّةٌ وَمَصُوصُ ⁵
وَشِوَاءٍ مُلْهَنُوجٍ وَرُؤُوسٍ	وَصَبُودٌ قَدْ حَازَهَا التَّنْقِصُ ⁶
ثُمَّ لَا بُدَّ يَلْتَقِي الْوِزْنَ بِالْقِسْدِ	طَرِدُ لَدَى الْحَشْرِ فَاحْذَرُوا أَنْ يُوْصُوا ⁶
أَكْثَرُوا الْمَلِكَ جَانِباً وَاجْمَعُوهُ	سَوْفَ يُودِي بِذَلِكَ التَّنْقِصُ ⁷

[مدح جراؤه جبة ومائتا درهم]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْحَزَنِيلِ : أَنَّ عَمَّاراً وَقَفَ عَلَى عَاصِمِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ
الْمَخْزُومِيِّ فَقَالَ لَهُ :

[من مجزوء الرمل]

عَاصِمُ يَا ابْنَ عَقِيلٍ	أَفْسَحُ الْعَالَمِ بَاعاً
وَارِثُ الْمَجْدِ قَدِيماً	سَامِياً يَنْمِي ارْتِفَاعاً
عَنْ هُبَيْرٍ وَابْنِهِ جَعْدٍ	لَدَى فَاحْتَلَّ التَّلَاعُ
فَقَالَ لَهُ عَاصِمُ : أَسَمِعْتَ يَا عَمَّارُ فَقُلْ فَقَدْ أُبْلَغْتَ فِي الثَّنَاءِ ، فَقَالَ :	
اَكْسُنِي أَصْلَحَكَ اللّٰهُ	هُ قَمِيصاً وَصِقَاعاً ⁷

1 قِوَاءٌ : لَا أُنَيسُ فِيهِ .

2 رَهِيصٌ : وَاهِنٌ .

3 التَّرْبِصُ : الْمَكْتُ وَالْإِنْتِظَارُ .

4 الْعَرَسُ : الْإِقَامَةُ فِي الْفَرَحِ . التَّحْصِصُ : الْبَيَانُ وَالظُّهُورُ .

5 الْمَصُوصُ : لَحْمٌ يَنْقَعُ فِي الْخَلِّ وَيَطْبَخُ .

6 يَبُوصُوا : يَهْرَبُوا وَيَسْتَرَوُا .

7 صِقَاعٌ : مَا يَبْقَى الرَّأْسِ .

وأُرْحَنِي مِنْ ثِيَابٍ بِالْيَاسِ تَتَدَاعَى
طَالَ تَرْفِيعِي لَهَا حَتَّى لَقَدْ صَارَتْ رِقَاعَا
كُلُّهَا لَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرَ قَمَلٍ تَتَسَاعَى
لَمْ تَزَلْ تُؤَلِّي الَّذِي يَرَى جُوكَ بَرًّا وَاصْطِنَاعَا

فَنَزَعَ عَاصِمٌ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ غَلَامَهُ فَجَعَلَ تَحْتَهَا قَمِيصًا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَائَتِي دِرْهَمٍ .

[ذاليتها مضحكة رغم مردولها]

فَأَمَّا الْقَصِيدَةُ الذَّالِيَّةُ ، الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا الْوَلِيدُ ، وَسَأَلَ حَمَادًا الرَّأْيِيَّةَ عَنْهَا فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ الْمَرْدُولُ ، وَلَكِنَّهَا مُضْحِكَةٌ طَيِّبَةٌ مِنَ الشَّعْرِ الْمَرْدُولِ وَفِيهَا يَقُولُ : [من مجزوء الخفيف]

أَنْتَ وَجَدَا بِهَا كَمُغْضٍ سِي جُفُونٍ عَلَى الْقَدَى
لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ مِنَ النَّدَى سَاسَ قَوْلًا كَنَحْوِ ذَا
تَحْتَ حَرٍّ وَصَلْتُهُ صَارَ شَعْرًا مُهْذَا¹
قَوْلَ عَمَّارٍ ذِي كُبَا رِ فِيهَا حُسْنٌ مَا اخْتَذَى
عَلَّلَانِي بِذِكْرِهَا وَاسْقِيَانِي مُحَدَا²
تَرَكْتُ الْأَذْنَ سُخْنَةً أَرْجُونَا بِهَا خَدَا³

[من صالح شعره]

وَمِنْ صَالِحِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

[من الهزج]

شَجَا قَلْبِي غَزَالٌ ذُو دَلَالٍ وَاضِحُ السُّنَّةِ
أُسَيْلُ الْخَدِّ مَرْبُوبٌ وَفِي مَنْطِقِهِ غَنَّةُ
أَلَا إِنَّ الْعَوَانِي قَدْ بَرَى جِسْمِي هَوَاهُنَّ
وَقَالُوا : شَفَّكَ الْحَوْرُ هَوَى قَلْتُ لَهُمْ : إِنَّهُ
وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ مُعْنَى بِأَذَاهُنَّ
أَرَاخَ اللَّهَ عَمَّارًا مِنْ الدُّنْيَا وَمِنْهَنَّةُ

1 مهذذ : من المذ وهو السرعة في القراءة .

2 المحذذ : السريع النفاذ .

3 الخذا : الاسترخاء .

بَعِيدَاتٍ قَرِيبَاتٍ
فَقَدْ أَذْهَلَ مِنِّي الْعَقْلَ
يُمْنَيْنِ الْأَبَاطِيلَ
فَلَا كَانَ وَلَا كُنَّةً
وَالْقَلْبَ شَجَاهَنَّةً
وَيُحْجِذُنَ الَّذِي قُلْنَةَ

وقوله أيضاً :

[من الكامل]

يَا دَوْمُ دَامْ لَنَا صَلَاحُكُمْ
مَنْ كُلُّ دَانٍ مُسْبِلٍ هَاطِلٍ
تَرِدُ الْوَحُوشُ إِلَيْهِ سَارِعَةً
قَلَقْتُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ كَبْدِي
وَتَرَكْنِي لِعَوَازِلِي غَرَضاً
بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ عَلِمْتَ بِهِ
أَخْفِيئُهُ حَتَّى وَهَى جَلْدِي
يَا أَحْسَنَ الثَّقَلَيْنِ كُلَّهُم
يَصْبُو الْحَلِيمُ لِحُسْنِ بَهْجَتِهَا
تَفْتَرُّ عَنْ سِمْطَيْنِ مِنْ بَرْدٍ
كَالْأَقْحَوَانِ لَغَبِّ سَارِيَةٍ
حُمَ اللَّثَاثِ يَرُوقُ نَاطِرُهُ
تَوْمِي بِكَفٍّ رَطْبَةٍ خُضِيَتْ
وَبِمَقْلَةٍ حَوَراءَ سَاجِيَةٍ
وَالْجَيْدُ مِنْهَا جَيْدٌ مُغْزَلَةٌ
وَكُدُمِيَةِ الْحَرَابِ مَائِلَةٌ
وَسَقَاكِ رُبِّي صَفْوَةَ الدَّيْمِ
مُتَابِعِ سَحٍّ مِنَ الرَّهْمِ¹
وَالطَّيْرُ أَفْوَاجاً مِنَ الْقَحْمِ²
وَصَدَعَتْ صَدْعاً غَيْرَ مُلْتَمِمْ
كَاللَّحْمِ مُتَرَكّاً عَلَى الْوَضْمِ³
إِنِّي لِحُبِّكَ غَيْرُ مُكْتَمٍ
وَبَرَى فَوَادِي وَاسْتَبَاحَ دَمِي
وَأَتَمَّ مَنْ يَخْطُو عَلَى قَدَمٍ
وَيَزِيدُهُ أَلْماً إِلَى أَلَمٍ
مُتَفَلِّجٍ عَنْ حُسْنِ مَبْتَسَمٍ
جُنَحَ الْعِشَاءِ يُنِيرُ فِي الظُّلَمِ
مَا عَيْبَ مِنْ رَوْقٍ وَلَا قَصَمٍ⁴
وَأَتَامَلِ يَنْطَفِنَ كَالْعَنَمِ
وَبِحَاجِبٍ كَالنُّونِ بِالْقَلَمِ
تَحْنُو إِلَى خِشْفٍ بِذِي سَلَمٍ⁵
وَالْفَرْعُ جَثْلُ النَّبْتِ كَالْحُمَمِ⁶

1 الرهم : المطر الدائم .

2 القحمة : جمع قحمة ، وهي القحط أو السنة الشديدة .

3 الوضم : ما يندق عليه اللحم .

4 الروق : طول الأسنان . والقصم : انكسار الشئ .

5 المغزلة : الظبية التي لها غزال صغير هو الخشف .

6 الجثل : الكثير المتلف .

وَكأنَّ رِيقَتَهَا إِذَا رَقَدَتْ رَاحَ يَفُوحُ بِأَطِيبِ النَّسَمِ

[رواية أخرى لإنشاء ذاليتها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الحسن بن أحمد بن طالب الدّيناريّ قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، قال : قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار : وأمر يوسف بن عمر بحمليّ ، على البريد ، فقلت : يسألني عن مآثر طرفيه قرّيش أو ثقيف ، فنظرت في كتابي ثقيف وقرّيش حتى حفظتهما . فلما قدّمت عليه سألتني عن أشعار بليّ ، فأنشدته منها ما حفظته ، ثم قال لي : أنشدني في الشّراب ، وعنده قوم من وجوه أهل الشام . فأنشدته لعمار ذي كُبار :

أصبح القومَ قهوةً في أباريقَ تُحتدَى
من كميتٍ مُدّامةٍ حبّذا تلك حبّذا
ترك الأذنَ شربها أرجواناً بها حبّذا

فقال : أعدّها ، فأعدّها ، فقال لخدمه : خذوا آذانَ القومِ ، قال : فأتينا بالشّراب فسقينا حتى ما درّينا متى نَقِلنا ، ثم حملنا فطرحنا في دار الضيفان ، فما أيقظنا إلا حرّ الشّمس . وجعل شيخ من أهل الشّام يشتمني ويقول : فعّل الله بك وفعل ، أنت صنعت بنا هذا .

صوت

[من مجزوء الكامل]

شَطَطٌ ولم تُثَبِّ الرِّيابُ ولعلّ للكيفِ الثَّوابُ
نَعْبُ الغُرابُ فراغتني بالبين إذ نَعْبُ الغُرابُ

عروضه من الضرب الثالث من العروض الثالثة من الكامل .
والشعر : لعبد الله بن مُصعب الزبيريّ ، والغناء لحكم الوادي ، ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

[539] - أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه¹

[نسبه]

عبدُ الله بن مُصْعَب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب .

شاعراً فصيحاً خطيباً ذو عارضة وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل ؛ وقد نادم أوائلَ الخلفاء من بني العباس ، وتولَّى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قُتل محمد استتر عنه ، وقيل : بل كان استأجره مدّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وأمنَ الناسَ جميعاً فظهر .

[المهدي يعجب بشعره]

أخبرني الحرّميُّ بنُ أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار ، قال : حدّثنا عمِّي وفُليح بن إسماعيل ، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال : دخلتُ على المهدي ، وإذا هو يكتبُ على الأرض بفحمة قولَ عبدِ الله بن مُصْعَب :

فإنَّ يحجبُها أو يحلَّ دُونَ وِصلِها	مقالةٌ واشٍ أو وعيدُ أميرٍ
فلن يَمْنَعُوا عينيَّ من دائم البكا	ولم يُخرجُوا ما قد أجنَّ ضميري
وما بَرِحَ الواشون حتى بدت لنا	بُطُونُ الهوى مقلوبةً لظهورٍ
إلى الله أشكو ما ألاقى من الجوى	ومن نفسٍ يعتادني وزفيرٍ

ويقول أحسنَ والله عبدُ الله بن مصعب ما شاء .

وهذه الأبيات تُنسب إلى المجنون أيضاً² ؛ وفيها بيتان فيهما غناء ليزيد خوراء خفيف رمل بالوُسْطى من رواية عمرو بن بانه . ويُقال : إنّه للزبير بن دحمان ، وذكر حبش أنَّ فيهما لإسحاق خفيف ثقیل أول بالوُسْطى .

1 ترجمة عبد الله بن مصعب الزبيري في نسب قريش : 250 وجمهرة نسب قريش : 334 وجمهرة أنساب العرب : 125 والمجرب لابن حبيب : 189 والمعارف : 224 ونور القبس : 114 وتاريخ خليفة : 414 وتاريخ الإسلام 5 : 38 والنجوم الزاهرة 10 : 311 .

2 انظر ديوان مجنون ليلى : 169 وديوان قيس ليني (صادر) : 51 .

[هوى مع عزوف عن اللهو]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ ؛ قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ . وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ كِتَابِ أَبِي سَعْدٍ الْعَدَوِيِّ ، عَنْ أَبِي الطَّرْمَاحِ مَوْلَى آلِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ أَهْلِ ضَرِيَّةَ ، وَرَوَيْتُهُ أَنَّمْ .
 أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُصْعَبٍ لَمَّا وَلِيَ الْيَمَامَةَ مَرَّ بِالْحَوَّابِ يَوْمًا ، وَهُوَ مَاءٌ لِبْنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ ، فَرَأَى عَلَى الْمَاءِ جَارِيَةً مِنْهُمْ ، فَهَوَّيَهَا وَهَوَّيْتَهُ ، وَقَالَ :

يا جُمْلُ لِلْوَالِهِ الْمُسْتَعْبِرِ الْوَصِيبِ	مَاذَا تَضَمَّنَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ نَصَبٍ
أَتَيْتُ أَتَيْتَ لَهُ لِلْحَيْنِ جَارِيَةَ	فِي غَيْرِ مَا أُمِّ مِنْهَا وَلَا صَقِبٍ ¹
جَارِيَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ كَلِفْتُ بِهَا	مَنْ يَجْلُ عَنْ الْحَصَاءِ وَالْحَوَّابِ ²
مَنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ إِلَّا تَعَرَّضَهَا	حِينَئِذٍ لَذَلِكَ إِنْ الْحَيْنُ مُجْتَلِي
قَامَتْ تَعَرَّضُ لِي عَمْدًا فَقُلْتُ لَهَا	يَا عَمْرُكَ اللَّهُ ، هَلْ تَدْرِينَ مَا حَسْبِي
بَيْنَ الْحَوَارِيِّ وَالصَّدِيقِ فِي نَسَبٍ	يَنْهَى عَنِ الْفُحْشِ مِثْلِي غَيْرَ مُؤْتَشَبٍ ³
وَلَا أَدْبُ إِلَى الْجَارَاتِ مُنْسَرِبًا	تَاللَّهِ إِنِّي لِعِزْهَاءَ عَنِ الرَّيْبِ ⁴

فَخَطَبَهَا ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تُنْكِحُ الرَّجُلَ امْرَأَةً شَبَّ بِهَا قَبْلَ خِطْبَتِهِ ، فَلَمْ يَزُوجْهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا يَثَسْت مِنْهُ قَالَتْ :

[من الطويل]

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي ذَكَرْتُ ابْنَ مُصْعَبٍ	فَإِنْ قِيلَ عَبْدُ اللَّهِ ، خَفَّ فُتُورُهَا
أَلَا لَيْتَنِي صَاحِبْتُ رَكْبَ ابْنِ مُصْعَبٍ	إِذَا مَا مَطَايَاهُ اتَّلَاثَتْ صَدُورُهَا ⁵
لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالْيَمَامَةُ دُونَهُ	فَكَيْفَ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ قَصُورُهَا

قَالَ أَبُو الطَّرْمَاحِ فِي خَبَرِهِ : وَكَانَ لَهَا إِخْوَةٌ شُرُسٌ غَيْرٌ فَقَتَلُوهَا .

أَخْبَرَنَا بَعْضُ هَذِهِ الْقِصَّةِ ابْنُ عَمَّارٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَمْرِو الزَّهْرِيِّ ، وَذَكَرَ الشُّعْرَيْنِ جَمِيعًا وَالْأَلْفَاظُ قَرِيبَةً .

1 الصقب : الجوار .

2 الحوب : مخفف الحوَّاب .

3 غير مؤتشب : غير مختلط النسب .

4 العزهاة : العازف عن اللهو .

5 اتلاثت : استقامت .

[ملاحظة في حضرة المهدي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبي عمر الزهري ، قال : حدثني أبي : أن عبد الله بن مُصعبَ خاصمَ رجلاً من ولد عُمر بن الخطاب بحضرة المهدي ، فقال له عبد الله بن مُصعب : أنا ابنُ صفية ، قال ، هي أدنك من الظلِّ ولولاها لكنتَ ضاحياً وكنتَ بين الفرث والحوية¹ . قال : أنا ابنُ الحواري . قال له العمري : بل أنت ابنُ وردان المكاربي . قال : وكان يُقال : إن أمه كانت تهوى رجلاً يكره الحمير يقال له وردان ، فكان من يسبُّه ينسبه إليه ، وقال فيه الشاعر :

أتدعى حواري الرسول سفاهةً وأنتَ لوردانِ الحميرِ سليلُ

فقال : والله لأنّا بأبي أشبه من التمرة بالتمرة والغراب بالغراب . قال له العمري : كذبت ، وإلا فأخبرني ما بال آل الزبير تُط² اللحي وأنت ألحي وما لهم سُمرًا جعاداً وأنت أحمر سبط ؟ قال : ألي تقول هذا يا ابن قتيل أبي لؤلؤة ؟ قال العمري : يا ابن قتيل ابن جرموز على ضلالة ، أتعبرني أن قتل أبي رجل نصراني وهو أمير المؤمنين قائماً يُصلي في محرابه وقد قتل أباك رجلٌ مسلمٌ بين الصفيين يدفعه عن باطل ، ويدعوه إلى حق ؟ فأنا أقول : رحم الله ابن جرموز ، فقل أنت : رحم الله أبا لؤلؤة ، ثم أقبل على المهدي فقال : ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول عائذ الكلب في عمر بن الخطاب ، وقد عرفت ما كان بينه وبين أبيك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله من المودة ، وتعلم ما بين جدّه عبد الله بن الزبير وبين جدّك عبد الله بن العباس من العداوة . فأعين يا أمير المؤمنين أولياءك على أعدائك . فوثب رجلٌ من آل طلحة فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تكف هذين السفهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله ﷺ وآله . وتكلم الناس بينهما وتوسطوا كلامهما وأكثروا ، فأمر المهدي بكفهما والتفريق بينهما .

[لقب عائذ الكلب]

قال النوفلي : وكان عبد الله بن مُصعب يُلقب عائذ الكلب لقوله :

[من الكامل]

ما لي مرّضتُ فلم يعدني عائذُ منكم ويمرضُ كلبكم فأعودُ
وأشدُّ من مرضي عليّ صدودُكم وصدودُ عبدي عليّ شديدُ
فلقّب عائذ الكلب .

1 الفرث : بقايا الطعام في المعدة . والحوية : ما تحوي الأمعاء .

2 ط : جمع أنط ، وهو الخفيف اللحية .

قال ابنُ عَمَّارٍ : هكذا حَفِظَني عن النَّوْفَلِيِّ ، وقد يَزِيدُ القَوْلُ وينقص .
لَحَكَمَ الوادي في هذين البيتين اللذين أوَّلَهُما :

ما لي مَرَضْتُ فلم يَعُدَّنِي عائدٌ منكم ويمرض كُتُبُكم فأعوذُ

لحنان خفيف ثَقِيلٌ بالوُسْطَى ، عن إبراهيم وَحَبَشَ ، ورَمَلَ بالوُسْطَى عن الهشامي .

[يُحسد شاعراً أَقبل عليه المهدي]

أخبرنا أَحْمَدُ بنُ عُبيدِ اللهِ بنِ عَمَّارٍ ، قال : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ سُلَيْمانَ بنِ أَبِي شَيْخٍ ،
قال : أَنشد الأَحْيَيْهُ المَهْدِيَّ قصيدةً مَدَحَه بها ، وكان عبد الله بن مُصْعَبٍ حاضراً ،
فحسده على إقبال المهدي عليه ، وكان المهدي يُحِبُّه ، فجعل يخاطب المهدي ويحدثه ،
فقال له : أَمْسِكْ فما يَشْغَلُنِي كلامُكَ عنه ، فقطع الأَحْيَيْهُ الإنشاد ، ثم أَقبل على
المهدي فقال له :

عَبْدُ مَنْصَفٍ أَبُو أبُوئَنَا وَعَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ تَوْمُ
بَحْرانِ خَرَّ العَوَامُ بَيْنَهُمَا فَالْتَطَمَا وَالْبِحَارُ تَلْتَطِمُ

فقال له المهدي : كَذَلِكَ هُوَ ، فَذَع هذا المَعْنَى وَعُدَّ إلى ما كنت فيه ، وَخَجَلِ عَبْدُ اللهِ فما
انتفع بنفسه يومئذٍ .

قال ابنُ عَمَّارٍ : فَحَدَّثَنِي بعضُ شُيُوخِنَا قال : كُنْتُ عند مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللهِ الزُّبَيْرِيِّ
يوماً وقد جرى ذِكْرُ الأَحْيَيْهِ ، فَأَنشدته هذين البيتين ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، ثم قال لي : نعم ،
قد كان خاطب أبي بهما فَأَمْضَهُ ، فلمَّا قَمْنَا عنه قال لي : وَيَحْكُ ، أَنشد رجلاً كُنتُ
تَعَلِّمُ منه وتأخذ عنه هِجاءَ في أبيه ؟ فقلتُ له : دَعْنِي فَإِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَغُضَّ من كِبَرِهِ
قال : وكان في مُصْعَبِ بعضُ ذلك .

صوت

[من البسيط]

زارتُ سُلَيْمَى وكان الحيُّ قد رَقَدَا ولم تَخَفْ من عدوِّ كاشِحٍ رَصَدَا
لقد وَفَّتْ لك سَلَمَى بالذي وَعَدَتْ لكنَّ عَقْبَةً لم يُوفِ الذي وَعَدَا
عروضه من البسيط ، الشعر لابن مُفَرِّغِ الحَمِيرِيِّ¹ ، والغناء لابن سُرَيْجٍ رمل بالوُسْطَى
عن أَحْمَدِ بنِ المَكِّيِّ ، وفيه لَعوادُ لحن من كتاب إبراهيم غير مُجَنَس .

1 ديوان ابن مفرغ : 107 عن الأغاني .

وقد تقدّمت أخبار ابن مفرّغ مُستقصاة فيما قبل هذا من الكتاب ، فاستغنى عن إعادتها
ها هنا وإعادة شيء منها ، إذ كان قد مضى منها ما فيه كفاية والله الحمد .

صوت

[من الكامل]

ما شأنُ عَيْنِكَ طَلَّةُ الأُجْفَانِ مِمَّا تَفِيضُ مَرِيضَةُ الْإِنْسَانِ
مَطْرُوفَةٌ تَهْمِي الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا وَشَلٌّ تَشْلُشُلُ دَائِمُ التَّهْتَانِ¹
الشعر لعمارة بن عقيل ، والغناء لمُتِمِّمِ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى .

1 الوشل هنا : الماء الكثير . وتشلشل : تقطر .

[540] - أخبار عمارة ونسبه¹

[نسبه]

عُمارةُ هو ابنُ عَقِيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي ، وقد تقدّم نسبه ونسبُ جدّه في أوّل الكتاب . ويُكنى عُمارةُ أبا عَقِيل ، شاعرٌ مُقدّمُ فصيح ، وكان يسكن باديةَ البصرة . ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيُجزلون صلته ، ويمدح قوادهم وكتّابهم فيحظى منهم بكلّ فائدة ، وكان النحويّون بالبصرة يأخذون عنه اللّغة .

[مكانته في الشعر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : سمعتُ محمد بن يزيد يقول : خُيِّمت الفصاحةُ في شعر المُحدّثين بعُمارة بن عَقِيل .

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي ، والحسن بن عليّ ، والصّوليّ قالوا : حدّثنا الحسن بن عَلِيل العنزيّ قال : سمعتُ سلّم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول : كان جدّي أبو عمرو يقول : خُيِّم الشعرُ بذِي الرُّمّة ، ولو رأى جدّي عُمارة بن عَقِيل لعلم أنّه أشعر في مذاهب الشعراء من ذِي الرُّمّة . قال العنزيّ : ولعمري لقد صدّق .

وسمعتُ سلّمًا يقول : هو أشدُّ استواءً في شعره من جرير ، لأنّ جريراً سَقَطَ في شعره وضعُف ، وما وجدّوا لعمارة سَقَطَةً واحدةً في شعره .

قال العنزيّ : وحدّثني أحمد بن الحَكَم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء قال : أتيتُ عُمارة أسأله عن شيءٍ أكتبه عنه ، فقال لي : مَنْ أنت ؟ فقلتُ أنا ابنُ الحَكَم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال لي : كان أبوك صديقي ، ثم أنشدني : [من الوافر]

بَنَى لَكُمْ الْعَلَاءُ بِنَاءً صِدْقٍ وَتَعَمَّرُ ذَاكَ يَا حَكَمَ بْنَ بَشْرٍ
فَمَا مَذْحِي لَكُمْ لِأَصِيبَ مَا لَأُ وَلَكِنْ مَذْحُكُمْ زَيْنٌ لِشُعْرِي

1 ترجمة عمارة بن عَقِيل في الشعر والشعراء (ترجمة جرير) وطبقات ابن المعتز : 316-319 والمرزباني : 78 وجمهرة أنساب العرب : 226 وألقاب الشعراء 1 : 453 ونزهة الألباء : 136 وخزانة البغدادي وتاريخ بغداد 5 : 276 وكتاب بغداد : 154 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقّق ديوانه شاكر العاشور ولكن لم يتيسّر لنا .

[الهجاء لا يقتل أحداً]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثنا أبو ذَكْوَان قال : حدَّثنا أبو مُحَلَّم قال : هَجَا عُمَارَةُ بن عَقِيل امرأة ، ثم أته في حاجة بعد ذلك ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خَفِّضْ عليك يا أخي ، فلو ضَرَّ الهِجَاءُ أحداً لَقَتَلْتُكَ وُقِلْتُ أَبَاكَ وَجَدَّكَ .

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان عُمَارَةُ هَجَاءً خَبِيثَ اللِّسَانِ ، فهجا فِرْوَةَ بن حَمِيصَةَ الأَسَدِيَّ وطال التَّهَاجِي بينهما ، فلم يغلب أحدهما صاحبه حتى قُتِلَ فِرْوَةُ .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا أبو ذَكْوَان قال : قال لي عُمَارَةُ : ما هاجيت شاعراً قطَّ إلا كُفِّيتُ مؤونته في سنةٍ أو أقلَّ من سنةٍ ، إما أن يموت ، أو يُقْتَلَ ، أو أُفْجِمَهُ ، حتى هاجاني أبو الرُّذَيْنِي العُكْلِيَّ ، فَخَنَقَنِي¹ بالهَجَاءِ ، ثم هجا بني نُمَيْرٍ فقال : [من الوافر]

أَتَوَعَّدُنِي لِتَقْتُلَنِي نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلْتُ نُمَيْرٌ مَنُ هَجَاها

فَكَفَانِيهِ بَنُو نُمَيْرٍ فَقَتَلُوهُ ، فَقَتَلْتُ بَنُو عُكْلٍ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، أَرْبَعَةُ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ . وَقَتَلْتُ لَهُمْ شَاعِرَيْنِ : رَأْسَ الْكَلْبِ وشاعراً آخر .

[المأمون يقف على ما وقع بينه وبين فِرْوَةَ بن حمصة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني العنزيُّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدِيُّ قال : حدَّثني عُمَارَةُ بنُ عَقِيلٍ قال : كنتُ جالِساً مع المأمون ، فإذا أنا بهاتفٍ يَهْتِفُ من خلفي ويقول :

نَجَّى عُمَارَةَ مِنَّا أَنْ مُدَّتْهُ	فيها تراخٍ وَرَكْضُ السَّابِحِ النَّقِيلِ
ولو ثَقِفْنَاهُ أَوْهَيْنَا جَوَانِحَهُ	بذابلٍ من رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلِ
فإن أعناقكم للسيِّفِ مَحَلَّةٌ	وإنَّ مالكم المرعيَّ كَالْهَمَلِ ²
إذ لا يُوطَّنُ عَبْدُ اللَّهِ مُهْجَتَهُ	على التَّزَالِ وَلَا لِصَبَا بَنِي حَمَلِ

قال : وهذا الشُّعْرُ لَفِرْوَةَ بن حَمِيصَةَ فِيَّ . قال : فدَخَلَنِي من ذلك ما الله يَعْلَمُهُ ، وما ظَنَنْتُ أَنْ شَعَرَ فِرْوَةَ وَقَعَ إِلَى مَنْ هُنَالِكَ . ثم خَرَجَ عَلَيَّ بنُ هِشَامٍ من المجلس وهو يَضْحَكُ ، فقلتُ : يا أبا الحَسَنِ ، أَتَفْعَلُ بِي مِثْلَ هَذَا وَأَنَا صَدِيقُكَ ؟ فقال : ليس عليك في هذا شيء . فقلتُ : من أين وَقَعَ إِلَيْكَ شَعْرُ فِرْوَةَ ؟ قال : وهل بَقِيَ كِتَابُ إِلَّا وهو عِنْدِي ؟ فقلتُ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهَجَى فِي دَارِكَ وَبَحْضَرْتِكَ ؟ فَضَحَكُ ، فقلتُ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُصِفْنِي ، فقال :

1 ل : فخيشي .

2 علة في ل : مختلة .

دَعُ هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل ، وما كان بينك وبينه ، فأنشدته قصيدتي فيه ، فلما انتهيت إلى قولي :

ما في السَّوِيَّةُ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرٍ

أعجب المأمون هذا البيت فقال لي المأمون : ألهذه القصيدة نقيضه ؟ قلت : نعم ، قال : فهاتها . فقلت له : أؤذي سمعي بلساني ؟ فقال : علي ذلك ، فأنشدته إياها ، فلما بلغت إلى قوله :

وَابْنُ الْمَرَاغَةِ جَاحِرٌ مِنْ خَوْفِنَا بِأَدِ بِمَنْزِلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاعِرِ
يَخْشَى الرِّيحَ بَأَنَّ تَكُونَ طَلِيعَةً أَوْ أَنْ تَحُلَّ بِهِ عَقُوبَةُ قَادِرٍ

فقال لي : أوجعك يا عمارة ، فقلت : ما أوجعته به أكثر .

[بيت له يقضي على فروة]

أخبرني محمد قال : حدثني الحسن قال : حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال : حدثني عمارة قال : إنما قتل فروة قولي له :

ما في السَّوِيَّةُ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرٍ

فلما أحاطت به طييء وقد كان في معاذ وموئل ، وكان كثير الظفر بهم كثير العفو عنهم قدر عليه منهم ، فقالوا له : والله لا عرضنا لك ولا أوصلنا إليك سوءاً فامض لطيتك¹ ولكن الوتر معك فإن لنا فيهم ثأراً . فقال فروة : فأنا إذا كما قال ابن المراغة :

ما في السَّوِيَّةُ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرٍ

فلم يزل يحمل أصحابه وينكي² في القوم حتى اضطروهم إلى قتله ، وكان جمعهم أضعاف جمعه .

[يبالغ في وصف نفسه بالكرم]

أخبرني محمد قال : حدثني الحسن قال : حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال : قيل لعمارة : أقتلت فروة ؟ فقال : والله ما قتلته ولكني أقتلته أي سببت له سبباً قتل به .

أخبرني محمد قال : حدثنا الحسن قال : حدثني محمد بن عبد الله قال : حدثني عمارة قال : رُحْتُ إلى المأمون ، فكان ربما قُرب إليَّ الشيء من الشراب أشربه بين يديه ، وكان يأمر بكتب كثير مما أقوله ، فقال لي يوماً : كيف قلت : قالت مُفَدَّاة ؟ ونظر إليَّ نظراً منكراً . فقلت : يا أمير

1 ل : لكلمتك .

2 ينكي : يقهرهم بالقتل والجرح .

المؤمنين ، مفدّة امرأتي ، وكانت نظرت إليّ وقد افتقرت وساءت حالي ، قال : فكيف قُلتَه ؟
فأنشدته :

قالت مُفدّة لَمَّا أَنْ رَأَتْ أَرْقِي والهَمُّ يَغْتَادُنِي مِنْ طَيفِهِ لَمَمٌ
أَنْهَبْتُ مَالَكَ فِي الْأَدْنَيْنِ آصِرَةً وَفِي الْأَبَاعِدِ حَتَّى حَقَّكَ الْعَدَمُ
فَاطْلُبْ إِلَيْهِمْ تَجِدْ مَا كُنْتُ مِنْ حَسَنِ تُسَدِّي إِلَيْهِمْ فَقَدْ ثَابَتْ لَهُمْ صِرْمٌ¹
فَقُلْتُ : عَاذَلْتَنِي ، أَكْثَرْتَ لِإِيْمَتِي وَلَمْ يَمُتْ حَاتِمٌ هُزْلاً وَلَا هَرَمٌ

قال : فنظر إليّ المأمونُ مُغَضِباً وقال : لقد عَلَتْ هِمَّتُكَ أَنْ تَرْقَى بِنَفْسِكَ إِلَى هَرَمٍ وَقَدْ
خَرَجَ مِنْ مَالِهِ فِي إِصْلَاحِ قَوْمِهِ .

[يوسط عمرو بن مسعدة ليؤذن له بالانصراف]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدّثني العزريّ قال : حدّثني محمد بن عبد الله قال :
حدّثنا عمارة قال : استشفّعتُ بِعَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ فِي أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْإِنْصِرَافِ ، فَقَالَ : مَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ لِأَنَّكَ تُنْشِدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَلَوْتَ بِهِ وَتُخْبِرُهُ عَنْ وَقَائِعِكَ وَفِعَالِكَ ثُمَّ تُخْبِرُهُ أَنَّكَ
مَظْلُومٌ ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ . ثُمَّ تَذَكَّرْنَا فَقَالَ : أَمَا تَذَكَّرُ أَبَا الرَّازِيِّ حِينَ أَوْقَعَ
بِقَوْمِكَ وَأَوْقَعُوا بِهِ ، ثُمَّ تَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُغَضِباً فَنَقُولُ : [من الطويل]

عَلَامَ نِزَارُ الْخَيْلِ تَفْأَى رُؤُوسَنَا وَقَدْ أَسْلَمْتُ مَعَ النَّبِيِّ نِزَارُ²

وهي أبياتٌ قالها حين قتلهم أَبُو الرَّازِيّ ، وَكَانَ عُمَارَةُ قَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَأْمُونِ فَنَظَرَ إِلَى
رُؤُوسِ أَصْحَابِهِ ، فَدْخَلَ فَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : وَأَكْرَهُ أَنْ تَتْبَعَكَ نَفْسِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجِدُ
عَلَى مَنْ كَلَّمَهُ فِيكَ ، فَعَلَيْكَ بِعَمْرٍو بْنِ مَسْعُودَةَ وَأَبِي عَبَّادٍ فَإِنَّهُمَا يَكْتُبَانِ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَخْلُوانَ مَعَهُ وَيُمَازِحَانِهِ ، فَاتَيْتُ أَبَا عَبَّادٍ فَذَكَرْتُ لَهُ التَّشَوُّقَ إِلَى الْعِيَالِ ، وَسَأَلْتُهُ
الِاسْتِثْنَاءَ . فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ : مُقَامُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظَنِّكَ ، وَمَا أَفْعَلُ مَا
يَكْرَهُهُ . فَذَهَبْتُ مِنْ فُورِي إِلَى عَمْرٍو بْنِ مَسْعُودَةَ ، فَدْخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَخْتَضِبُ ،
فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ الْأَمْرَ فَقَالَ : يَا أَبَا عَقِيلَ ، لَقَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِي سَاعَةٍ مَا أَظْهَرَ فِيهَا لِأَحَدٍ ، وَلِي
حَاجَةٌ ، قُلْتُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَلْفُ دِرْهَمٍ تُجْعَلُ لَكَ فِي كَيْسٍ تَشْتَرِي بِهَا عَبْدًا يُؤْتِسَكَ فِي
طَرِيقِكَ ، وَلَسْتُ أَقْصُرُ فِيمَا تَحِبُّ . فَتَلَعَّمْتُ سَاعَةً وَتَلَكَّأْتُ ، فَقَالَ : حَقّاً ، لَنْ لَمْ تَأْخُذْهَا
لَا كَلِمَتِكَ ، فَأَخَذْتُهَا وَانْصَرَفْتُ وَأَنَا أَقُولُ : [من الكامل]

1 صرم : جمع صرمة ، وهي القطعة من الإبل أو النخل .

2 فأي رأسه : فلقه .

عمرُو بنُ مسعدةَ الكريمُ فعَّالهُ
 من لم يُزَمِّمْ والداه ولم يكن
 بصْرته سُبُلَ الرِّشَادِ فما اهْتدى
 وعرفت إذ عَلِقَتْ يَدَي بَعْنَانِهِ
 لو كان يعلم إذ يُشِيخُ تَحْرِقِي
 عرف المَصْدَقُ رأيهُ أَنِّي امرؤُ
 وَأَصُونُ عِرْضِي بالسَّخَاءِ وإنْ غَدْتُ
 خَيْرٌ وَأَمَجْدُ من أَبِي عِبَادِ
 بالرَّيِّ عِلْجَ بِطَارِقٍ وَحَصَادِ
 لسبيلِ مَكْرُمَةٍ ولا لَرَشَادِ
 أَنِّي عَلِقْتُ عِنَانََ غَيْرِ جَوَادِ
 في كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَلين قِيَادِي
 يُفْنِي العطاءَ طَرَائِفِي وتِلَادِي
 غَيْرَ المَاجِرِ شَعْنًا أَوْلَادِي

[بينه وبين السَّجِسْتَانِي فِي اللُّغَةِ]

أخبرني محمد بنُ يحيى قال : حَدَّثَنَا العَنْزِيّ قال : حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ خَالِدٍ قال : أَنشَدَ
 عُمَارَةَ قَصِيدَةً لَهُ ، فَقَالَ فِيهَا : الأَرِيَا حُ والأُمَطَارُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَاتِمِ السَّجِسْتَانِي : هَذَا لَا
 يَجُوزُ ، إِنَّمَا هُوَ الأَرَوَا حُ ، فَقَالَ : لَقَدْ جَذَبَنِي إِلَيْهَا طَبِيعِي ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَاتِمٍ ، قَدْ
 اعْتَرَضَهُ عِلْمِي ، فَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُمْ : رِيَا حُ ؟ فَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : هَذَا خِلَافُ ذَلِكَ ،
 قَالَ : صَدَقْتُ ، وَرَجَع .

[يُرِيدُ الْخَلْعَةَ مَعَ السِّيفِ]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيّ ، قَالَ : قَدِيمُ عُمَارَةَ
 الْبَصْرَةِ أَيَّامَ الْوَاتِقِ ، فَأَتَاهُ عِلْمَاءُ الْبَصْرَةِ وَأَنَا مَعَهُمْ ، وَكُنْتُ غَلَامًا ، فَأَنشَدَهُمْ قَصِيدَةً يَمْدَحُ
 فِيهَا الْوَاتِقَ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَبَقِيْتُ فِي السَّبْعِينَ أَنَهَضُ صَاعِدًا فَمَضَى لِدَاتِي كُلَّهُمْ فَتَشَعَّبُوا

بَكَى عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ . فَقَالُوا لَهُ : أَمَلْهَا عَلَيْنَا ، قَالَ : لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَنْشِدَهَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنِّي مَدَحْتُ رَجُلًا مَرَّةً بِقَصِيدَةٍ فَكَتَبَهَا مِنِّي رَجُلٌ ثُمَّ سَبَقَنِي بِهَا إِلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ
 الْوَاتِقُ فَلَمَّا قَدِمَ أَتَوهُ وَأَنَا مَعَهُمْ فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ حَدَّثَنَهُمْ فَقَالَ : أَدَخَلَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْوَاتِقِ ، فَأَمَرَ لِي بِخَلْعَةٍ وَجَائِزَةٍ ،
 فَجَاءَنِي بِهِمَا خَادِمٌ ، فَقُلْتُ : قَدْ بَقِيَ مِنْ خِلْعَتِي شَيْءٌ قَالَ : وَمَا بَقِيَ ؟ قُلْتُ : خَلْعٌ عَلَيَّ
 الْمَأْمُونِ خِلْعَةً وَسِيفًا . فَرَجَعَ إِلَى الْوَاتِقِ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَمَرَ بِإِدْخَالِي ، فَقَالَ : يَا عُمَارَةُ ، مَا تَصْنَعُ
 بِسَيْفٍ ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ بِهِ بَقِيَّةَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ بِمِقَالِكَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَكِنْ لِي شَرِيكَ فِي نَخِيلٍ لِي بِالْيَمَامَةِ ، رُبَّمَا خَانَنِي فِيهِ فَلَعَلِّي أُجْرِبُهُ عَلَيْهِ .

فضحك وقال : نأمرُ لك به قاطعاً ، فدفع إليّ سيفاً من سيوفه .

[اتصاله بالمأمون]

أخبرنا الصُّوفيُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلبِيّ قال : حدَّثني النّخعيّ قال : لما قَدِمَ عُمارةُ إلى بغدادَ قال لي : كَلِّم لي المأمون ، وكان النّخعيُّ من ندماء المأمون ، قال : فما زِلْتُ أَكَلِّمُهُ حتّى أوصلتهُ إليه ، فأنشدَه هذه القصيدة :

[من الكامل]

حَتّامَ قلبك بالحِسانِ مُوكَّل كَلِفٌ بِهِنَّ وهنٌّ عنه ذَهَلُ

[يقدم غلاماً من ربيعة على شيخ بني تميم]

فلَمّا فرَغ قال لي : يا نَخَعِيّ ، ما أدري أكثر ما قال إلّا أن أقيسَه¹ ، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم : حدَّثني الصُّوفيُّ ، قال : حدَّثني الحسن ، قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن آدم العبدِيّ قال : كانت بنو تميم اجتمعَت ببغداد على عُمارة حين قال شِعْرةُ الذي يُقدِّم فيه خالدُ بن يزيد على تميم بن خزيمة ، فقالوا له : قطعَ الله رَحِمَكَ وأهانَكَ وأذلَكَ ، أتقدِّم غلاماً من ربيعة على شيخٍ من بني تميم ، تميم بن خزيمة ، وهو مع ذلك من بيت تميم ؟ ولاؤمه ، فقال :

[من الطويل]

صَهُّوا يا تَمِيمُ إنَّ شَيانَ وائِلٍ بطرفهم عنكم أضنُّ وأرغَبُ
إن سُمْتُ بِرِذْوَنًا بطرفِ غَضِيَّتِم عليّ وما في السُّوقِ والسَّوْمِ مَغْضَبُ
فإن أكرمتْ أو أنجبتْ أمَّ خالدٍ فزئد الرياحيين أورى وأثقب²

قال : ثمَّ حدَّثنا عُمارةُ قال : قال لي عليّ بن هشامٍ ، وفيه عصبيةٌ على العرب : قد علمتَ مكانك مِنِّي ، وقيامي بأمرِكَ ، حتّى قَرَبْتُ أميرُ المؤمنين المأمون ، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببُها ، وهاهنا من بني عمِّكَ مَنْ هو أقربُ إليكَ ، وأجدرُ أن يُعِينَنِي على ما قَبْلُ³ أميرُ المؤمنين لك . فقلت : ومَنْ هو ؟ قال : تميمُ بنُ خزيمة ، قال : قلتُ : آتِه . قال : وخالدُ بنُ يزيد بن يزيد ، قلت : سَأَتِيهِمَا . فبعثَ معي شاكِرياً ، من شاكِريته ، حتّى وقفَ بي على باب تميم . فلَمّا نظرَ إليّ غِلْمانُهُ أنكَروا أمرِي . فدنا الشّاكِرِيُّ فقال : أعلِمُوا الأميرَ أن عليّ الباب ابنَ جريرِ الشّاعرِ جاء مُسلِّماً فتوانوا ، وخرجَ غلامٌ أعَرَفَ أَنَّهُ غلامُ الأمير ، فحَجَبَنِي ، فداخِلَنِي من ذاك ما اللهُ به عالِم . فقلتُ للشّاكِرِيِّ : أين منزل خالد ؟ فقال :

1 ل : أفتشه .

2 الرياحيين في ل : الحصينيين .

3 قبل : كفل .

أتبعني فما كان إلا قليلاً حتى وقف بي على بابه ، ودخل بعضُ غلمانهِ يطلبُ الإذن ، فما كان إلا قليلاً حتى خرج في قميصهِ وردائه ، يتبعه حشمُهُ . فقال لي بعضُ القوم : هذا خالد قد أقبل إليك . قال : فأردت أن أنزل إليه ، فوثب وثبةً فإذا هو معي أخذُ بعضدي يُريد أن أتكئ عليه . فجعلت أقول : جعلني الله فداك ، أنزل ، فيأبى حتى أخذ بعضدي ، فأنزلني وأدخلني ، وقرب إلي الطعامَ والشراب ، فأكلتُ وشربت ، وأخرج إلي خمسة آلاف درهم وقال : يا أبا عقيل ، ما آكل إلا بالدين ، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين ، فإن صحت لي ، لم أدع أن أغنيك ، وهذه خمسة أثوابٍ خزٌ قد آثرتك بها ، كنتُ قد أدخرتها . قال عمارة ، فخرجتُ وأنا أقول :

أُتْرِكُ إِنْ قَلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زيارته إنني إذا للثيمُ
فليت بثوبيه لنا كان خالدٌ وكان ل بكرٍ بالثراء تميمُ
فيصبح فينا سابقٌ مُتمهلٌ ويصبح في بكرٍ أغمٌ بهيمُ
فقد يُسلعُ المرءُ اللثيمُ اصطناعه ويعتلُ نقدُ المرء وهو كريمُ

قال اليزيدي : يُسلع : أي تكثر سلعته . والسلعة : المتاع .

أخبرني الصولي ، قال : حدثني الحسنُ قال : حدثني محمد بن عبد الله قال : حدثني عمارة قال : لما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعرُ قال لي : يا أبا عقيل ، أبلغك أن أهلي يرتضون مني ببديل كما رضيت بنو تميم بتميم بن خزيمة ؟ فقلت : إنما طلبتُ حظَّ نفسي وسقتُ مكرمةً إلى أهلي لو جاز ذلك ، فما زال يُضاحكني .
[أشد ما هجي به]

أخبرني الصولي قال : حدثنا الحسن قال : سمعتُ عبد الله بن محمد النباجي يقول : سمعتُ عمارة يقول : ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ عليَّ من بيت فروة :

وابنُ المراغة جاجرٌ من خوفنا بالوشم منزلة الدليل الصاغر

[مدح يوجب حقاً]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدثني النباجي قال : لما قال عمارة يمدح خالداً :

تأبى خلايقُ خالدٍ وفعاله إلا تجنَّب كلَّ أميرٍ عائبٍ
فإذا حضرتَ البابَ عند غدائه أذنَ الغداه لنا برغم الحاجبِ

لقيه خالدٌ فقال له : أوجبتَ والله عليَّ حقاً ما حييت .

[هجاء الأشراف]

قال العنزيُّ : وسمعتُ سلَمَ بن خالد يقول : قلتُ لعمارة : ما أجودُ شِعركَ ؟
قال : ما هجوتُ بهُ الأشرافَ . فقلتُ : ومنَ هم ؟ قال : بنو أسد ، وهل هاجاني
أشرفُ من بني أسد ؟

قال العنزيُّ : وحدثني أبو الأشهب الأسديُّ من ولدِ بشر بن أبي خازم قال : لما أنشد
فروةُ بنُ حميصَةَ قولَ عمارة فيه :

ما في السَّوِيَّةِ أن تجرَّ عليهمُ وتكونَ يومَ الرُّوعِ أوَّلَ صادرِ

قال : والله ما قتلني إلا هذا البيت .

فلما تكاثرت عليه الخيلُ يومَ قُتِلَ قيل له : انجُ بنفسِكَ ، قال : كلاً والله ، لا حققتُ قولَ
عمارة ، فصبرَ حتى قُتِلَ .

وكان فروةُ من أحسنِ النَّاسِ وجهاً وشِعراً وقَدّاً ، لو كان امرأةً لانتَحَرَت عليه بنو أسد .

[أكرم هجاء]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ ، قال : حدثني العنزيُّ ، قال : حدثني عليُّ بنُ مُسلم
قال : أنشدتُ يعقوبَ بنَ السَّكيت قصيدةَ عمارة التي رَدَّ فيها على رجاء بن هارون أخي
بني تيم اللات بن ثعلبة التي أولُها :

حَيِّ الدِّيارَ كأنَّها أَسْطَارُ بالوخي يَدْرُسُ صُحُفَها الأَخْبَارُ

لِعَبِّ اللَّيْلِ بجديدها وتنفَّستْ عرصاتِها الأرواحُ والأمطارُ

قال أبو عليٍّ : وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال : الأرياح ، فردَّه عليه أبو حاتم
السَّجستانيُّ وهو يتغيَّظ ، فلما بلغ إلى قوله :

وجموعُ أسعدٍ إذ تَعْضُ رؤوسَهم يَبْضُ يَطِيرُ لوقِعِهم شَرَارُ

حتى إذا عَزَمُوا الفِرَارَ وأسلموا يَبْضاً حواصِنَ ما بهنَّ قَرَارُ

لَحِقتْ حَفِيفَتُنَا بهنَّ ولم نزلْ دُونَ النِّساءِ إذا فَرِغْنَ نِغَارُ

قال ابنُ السَّكيت : لله دَرُّه ، ما سمعتُ هِجاءً قطَّ أَكْرَمَ من هذا .

[عود إلى الدفاتر القديمة]

أخبرني محمد بن يحيى قال : وقدَّ عمارة على المتوكل ، فعمل فيه شِعراً ، فلم يأتِ بشيء ،
ولم يُقارب ، وكان عمارة قد اختلَّ وانقطعَ في آخرِ عُمُرِه ، فصار إلى إبراهيم بن سَعدان
المؤدَّب ، وكان قد روى عنه شِعْرُه القديم كُلُّه ، فقال له : أَحِبُّ أن تخرجَ إليَّ أشعاري كُلِّها

لأنقلَ ألفاظها إلى مدح الخليفة ، فقال : لا والله أو تُقاسمني جائزتك . فحلف له على ذلك ، فأخرج إليه شعره ، وقلب قصيدة إلى المتوكل ، وأخذ بها منه عشرة آلاف درهم ، وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها : والله أعلم .

صوت¹

[من الطويل]

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلِلَّهِ دَرِّي أَيُّ أَهْلِي أَتَّبِعُ
أَقَامَ الَّذِينَ لَا أُبَالِي فِرَاقَهُمْ وَشَطَّ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَتَوَقَّعُ
الشعر للمتلمس ، والغناء لمتيم خفيف ثقيل بالوسطى .

[541] - أخبار المتلمس ونسبه¹

[نسبه]

المتلمس لقب غلب عليه بيت قاله وهو² :

[من الطويل]

فهذا أوانُ العرضِ جُنَّ ذبابُهُ زَنَابِيرُهُ والأزرقُ المتلمسُ

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيِّ بن
أَحْمَس بن ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار .

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحويّ عنه : ضُبَيْعَات العرب ثلاثٌ
كلُّها من ربيعة : ضُبَيْعَة بن ربيعة وهم هؤلاء ، ويقال : ضُبَيْعَة أضجم ، وضُبَيْعَة بن قيس بن
ثعلبة ، وضُبَيْعَة بن عِجْل بن لُجَيْم .

قال : وكان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبَيْعَة أضجم ، وكان سيدها
الحارث بن الأضجم ، وبه سُمِّيَتْ ضُبَيْعَة أضجم ، وكان يقال للحارث حارث الخير بن
عبد الله بن دَوْفَن بن حرب ، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنّه أصابته لقوة³ فصار أضجم ، ولُقِّبَ
بذلك ، ولُقِّبَتْ به قبيلته .

ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبَيْعَة فصارت في عَنَزَة ، وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن
نزار ، وكان يلي ذلك فيهم القُدار أحد بني الحارث بن الدُّول بن صُبَّاح بن عَتِيكَ بن
أَسْلَم بن يذكر بن عَنَزَة .

ثم انتقلت الرئاسة عنهم ، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكل وهو عمرو .
هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني رحمه الله⁴ .

* * * *

1 ترجمة المتلمس في الشعر والشعراء : 112-116 وطبقات ابن سلام : 131-132 وخزانة البغدادي 7 :
301-305 وانظر أيضاً ترجمة طرفة 2 : 419-422 ، ومجمع الميداني 1 : 270 ، ومواضع متفرقة من
التذكرة الحمدونية ومقدمة ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي (صادر - بيروت) .

2 ديوان المتلمس (صادر) : 105 .

3 اللقوة : داء يصيب الوجه فيعرج منه الشدق . والأضجم : الأعوج .

4 أجريت محاولات لاستيفاء ترجمة المتلمس من غير كتاب الأغاني . وقد آثرنا أن نقي كتاب الأغاني كما وضعه
أبو الفرج . وفي المراجع عنه وعن صحيفته ما يغني .

الفهارس العامة

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

- مقدمة التحقيق : أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني 5
- I - أبو الفرج 5
- 1 - توطئة موجزة 5
- 2 - متى ولد علي بن الحسين ؟ 5
- 3 - النسبة إلى أصفهان 6
- 4 - تشيع أبي الفرج 6
- 5 - المرحلة البغدادية 6
- 6 - وفاة أبي الفرج 8
- II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني 9
- 1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه 9
- 2 - كتب في الأنساب 10
- 3 - مؤلفات في مجالات أخرى 10
- 4 - دواوين جمعها 10
- 5 - كتاب الأغاني الكبير 10
- المصادر والمراجع 16
- المراجع الحديثة 16
- مقدمة المؤلف 23
- 1 - ذكر المائة الصوت المختارة 27
- 2 - [الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة] 30
- 3 - خبر أبي قطيفة ونسبه 31

- 4 - ذكر معبد وبعض أخباره 46
- 5 - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه 62
- 6 - أخبار ابن سريج ونسبه 167
- 7 - ذكر نصيب وأخباره [- 108هـ] 214
- 8 - أخبار ابن مُحَرِّز ونسبه 245
- 9 - أخبار العرجي ونسبه 249

الجزء الثاني

- 10 - أخبار مجنون بني عامر ونسبه 5
- 11 - ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله 63
- 12 - خبر الخطيئة ونسبه والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر 101
- 13 - أخبار ابن عائشة ونسبه 132
- 14 - أخبار ابن أرطاة ونسبه 158
- 15 - أخبار ابن ميادة ونسبه 171
- 16 - أخبار حنّين الحيريّ ونسبه 223
- 17 - ذكر الغريض وأخباره 235
- 18 - أخبار الحكم بن عبدل ونسبه 265

الجزء الثالث

- 19 - ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه 5
- 20 - ذكر طويس وأخباره 22
- 21 - ذكر الدارمي وخبره ونسبه 34
- 22 - أخبار هلال بن الأسعر ونسبه 38
- 23 - أخبار عروة بن الزرد ونسبه 51
- 24 - ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره 62
- 25 - ذكر قيل مولى العبلات 77
- 26 - [خبر غريض اليهودي] 80
- 27 - ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 82
- 28 - خبر زيد بن عمرو ونسبه 84
- 29 - [خبر زهير بن جناب] 88
- 30 - [سعية بن غريض] 90
- 31 - أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه 92
- 32 - أخبار بشّار بن برد ونسبه 94
- 33 - أخبار يزيد حوراء 176
- 34 - أخبار عكاشة العمي ونسبه 180
- 35 - أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه 187
- 36 - أخبار الحادرة ونسبه 190

- 37 - أخبار ابن مِسْجَح ونسبه 194
- 38 - أخبار ابن المولى ونسبه 200
- 39 - أخبار عَطَرْد ونسبه 212
- 40 - أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه 217
- 41 - أخبار الأبيجر ونسبه 238
- 42 - أخبار موسى شَهَوَات ونسبه وخبره في هذا الشعر 243

الجزء الرابع

- 43 - ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره 5
- 44 - أخبار فريدة 90
- 45 - ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره 96
- 46 - أخبار حسّان بن ثابت ونسبه 105
- 47 - ذكر الخبر عن غزاة بدر 127
- 48 - نسب علس ذي جدن وأخباره 156
- 49 - أخبار طويس ونسبه 157
- 50 - ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 161
- 51 - ذكر خبر الدلال وقصته حين خُصِيَ ومن خُصِيَ معه
والسبب في ذلك وسائر أخباره 190
- 52 - ذكر طريق وأخباره ونسبه 212
- 53 - ذكر ابن مشعب وأخباره 225
- 54 - ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه 231
- 55 - ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية 240
- 56 - ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره 249
- 57 - أخبار فليح بن أبي العوراء 251
- 58 - ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه 257
- 59 - ذكر أخبار يونس الكاتب 277
- 60 - أخبار ابن رُهيمة 283
- 61 - أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه 285

الجزء الخامس

- 62 - ذكر النابغة الجعديّ ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر 5
- 63 - [حرب بكر وتغلب] 24
- 64 - ذكر الهذلي وأخباره 42
- 65 - ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره 48
- 66 - ذكر مالك بن أبي السّمح وأخباره ونسبه 68
- 67 - النّهديّ في هذا الشعر وخبر الوليد بن عُقبّة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب . . . 79
- 68 - ذكر باقي خبر الوليد بن عُقبّة ونسبه 82
- 69 - نسب إبراهيم الموصليّ وأخباره 102
- 70 - شيء من ذكر ابن هرّمة أيضاً 168
- 71 - أخبار إسحاق بن إبراهيم 173

الجزء السادس

- 72 - أخبار الصِّمَّة القشيري ونسبه 5
- 73 - أخبار داود بن سَلَم ونسبه 11
- 74 - أخبار دَحْمَان ونسبه 19
- 75 - أخبار أَعْشى هَمْدَان ونسبه 27
- 76 - أخبار أَحْمَد النَّصْبِي ونسبه 50
- 77 - أخبار حَمَّاد الراوية ونسبه 55
- 78 - أخبار عبادل ونسبه 71
- 79 - [الوابصي وأخباره] 86
- 80 - [عودٌ إلى أخبار نصيب] 88
- 81 - أخبار المرقش الأكبر ونسبه 93
- 82 - وأما المرقش الأصغر 99
- 83 - خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب
وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه 103
- 84 - أخبار سياط ونسبه 109
- 85 - ذكر نبيه وأخباره 115
- 86 - أخبار سُلَيْم 117
- 87 - أخبار ابن عبَّاد 122
- 88 - أخبار يحيى المكيّ ونسبه 124
- 89 - أخبار النَّميريّ ونسبه 136
- 90 - أخبار وضَّاح اليمن ونسبه 148

- 91 - أخبار بشار وعَبْدَة خاصة 170
- 92 - أخبار الأحوص مع أم جعفر 179
- 93 - [عاتكة بنت شهدة] 184
- 94 - ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه 187
- 95 - ذكر حَكَم الوادي وخبره ونسبه 197
- 96 - ذكر ابن جامع وخبره ونسبه 204
- 97 - ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه 239
- 98 - ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكَم 250

الجزء السابع

- 99 - أخبار الوليد بن يزيد ونسبه 5
- 100 - ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه 65
- 101 - أخبار أبي كامل 69
- 102 - أخبار يزيد بن ضبة ونسبه 72
- 103 - أخبار إسماعيل بن الهريذ 79
- 104 - نسب نابغة بني شيبان 81
- 105 - أخبار أبي ذهبل ونسبه 87
- 106 - أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه 111
- 107 - أخبار أبي زكار الأعمى 175
- 108 - أخبار السيد الحِميري 177
- 109 - [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة] 212
- 110 - ذكر مُتَيْم الهشامية وبعض أخبارها 222

الجزء الثامن

- 111 - نسب جرير وأخباره 5
- 112 - نسب جميل وأخباره 66
- 113 - ذكر يزيد بن الطَّثَرِيَّة وأخباره ونسبه 113
- 114 - ذكر جميلة وأخبارها 134
- 115 - ذكر عنتره ونسبه وشيء من أخباره 168
- 116 - [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجمي] 175
- 117 - ذكر أبي ذُلَف ونسبه وأخباره 177
- 118 - أخبار سعيد بن عبد الرحمن 193
- 119 - أخبار البرُذان 199
- 120 - ذكر الأخطل وأخباره ونسبه 201
- 121 - ذكر سائب خاثر ونسبه 230
- 122 - ذكر جرَّادَتَيَّ عبد الله بن جُدعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدعان 235
- 123 - ذكر سَلَامَةِ القَسِّ وخبرها 240
- 124 - أخبار العَبَّاس بن الأحنف ونسبه 253

الجزء التاسع

- 125 - ذكر أخبار كثير ونسبه 5
- 126 - أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر 31
- 127 - ذكر مُسافر ونسبه 38
- 128 - فأما خبر عمارة بن الوليد
والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرتة 43
- 129 - الأرمال الثلاثة المختارة 48
- 130 - ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره 59
- 131 - أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة 78
- 132 - أخبار الأعشى ونسبه 80
- 133 - نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره
- 134 - [بعض أخبار لمغنين وشعراء] 97
- 135 - [مدن معبد] 102
- 136 - ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه 104
- 137 - ذكر الشماخ ونسبه وخبره 118
- 138 - ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره 133
- 139 - [من مدن معبد] 163
- 140 - ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر 168
- 141 - نسبة أصوات معبد في قتيلة 176
- 142 - نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدماً . . . 178
- 143 - أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم 186

- 144 - ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره 189
- 145 - نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره 199
- 146 - [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز] 202
- 147 - [غناء الوليد بن يزيد] 204
- 148 - [غناء الوائق] 205
- 149 - [غناء المنتصر]
- ومن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصرُ 223
- 150 - [غناء المعتز بالله] 227
- 151 - أخبار عدي بن الرُّقاع ونسبه 228
- 152 - أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جرى هذا المجرى 236
- 153 - [غناء المعتمد] 239
- 154 - ذكر بعض أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 240
- 155 - [غناء المعتضد] 255

الجزء العاشر

- 156 - أخبار دريد بن الصمة ونسبه 5
- 157 - أخبار المعتضد في صناعة هذا اللحن وغيره من الأغاني 34
- 158 - أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه 36
- 159 - صناعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث 58
- 160 - أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه 60
- 161 - [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي] 79
- 162 - أخبار أبي النجم ونسبه 120
- 163 - أخبار عليّة بنت المهدي ونسبها وتنف من أحاديثها 129
- 164 - أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه 148
- 165 - ومن عرفت له صناعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي 154
- 166 - أخبار عبد الله بن محمد ونسبه 158
- 167 - ومن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل 161
- 168 - أخبار علي بن الجهم ونسبه 162
- 169 - أخبار أبي دلامة ونسبه 188
- 170 - [أخبار عبد الله بن المعتز] 217
- 171 - نسب زهير وأخباره 226
- 172 - ذكر المرار وخبره ونسبه 246

الجزء الحادي عشر

- 173 - أخبار النابغة ونسبه 5
- 174 - أخبار الحارث بن حلزة ونسبه 29
- 175 - نسب عمرو بن كلثوم وخبره 35
- 176 - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل 41
- 177 - ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره 47
- 178 - خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا 51
- 179 - مقتل زهير بن جذيمة العبسي 56
- 180 - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب 65
- 181 - خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة 85
- 182 - [خبر يوم رحرحان] 88
- 183 - وهذا يوم شعب جبلة 92
- 184 - [مقتل عمليق وسببه] 113
- 185 - [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري] 117
- 186 - أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها 122
- 187 - نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره 136
- 188 - ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله 141
- 189 - ذكر الأقيشر وأخباره 169
- 190 - أخبار ابن الغريزة ونسبه 187

- 191 - أخبار أعشى بني تغلب ونسبه 189
- 192 - أخبار أبي النضير ونسبه 192
- 193 - أخبار العبلي ونسبه 198
- 194 - أخبار أبي جلدة ونسبه 209
- 195 - أخبار علويه ونسبه 224
- 196 - نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره 245

الجزء الثاني عشر

- 197 - أخبار الأعشى وبنو عبد المدان وأخبارهم مع غيره 5
- 198 - أخبار عبد الله بن الحشرج 17
- 199 - أخبار الطرمّاح ونسبه 25
- 200 - أخبار يهس ونسبه 33
- 201 - أخبار محمد بن الحارث بن بسخر 34
- 202 - أخبار معن بن أوس ونسبه 38
- 203 - أخبار الحسين بن عبد الله 45
- 204 - أخبار فضالة بن شريك ونسبه 48
- 205 - أخبار مروان الأصغر 53
- 206 - أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه 59
- 207 - [خبر مقتل الوليد بن طريف] 64
- 208 - [بعض أخبار عبد الله بن طاهر] 68
- 209 - [أخبار متفرقة] 76
- 210 - أخبار أبي زيد ونسبه 86
- 211 - [أخبار متفرقة عن الخطيئة وغيره] 96
- 212 - أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما 100
- 213 - [بعض أخبار لابن أبي عتيق] 109
- 214 - نسب المتوكل الليثي وأخباره 111
- 215 - نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره 119
- 216 - [خبر النشماش اللص] 121

- 217 - خبر كثيرٍ وخندق الأسديّ الذي من أجله قال هذا الشعر 123
- 218 - [أخبار منظور بن زبّان] 137
- 219 - خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر 141
- 220 - [قصة يوم الكلاب الأول] 150
- 221 - خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 154
- 222 - أخبار أبي وجزة ونسبه 172
- 223 - أخبار عقيل بن علفّة 183
- 224 - أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 195
- 225 - أخبار دُقاق 203
- 226 - نسب يزيد بن الحكم وأخباره 207
- 227 - أخبار أبي الأسود الدؤليّ ونسبه 215
- 228 - أخبار أبي نفيس ونسبه 244
- 229 - أخبار سويد بن كراع ونسبه 248

الجزء الثالث عشر

- 230 - أخبار أبي الطمّحان القينيّ 5
- 231 - أخبار الأسود بن يعفر ونسبه 11
- 232 - أخبار أرطاة بن سهية ونسبه 20
- 233 - أخبار جعفر بن غلبة الحارثيّ ونسبه 31
- 234 - أخبار العُجَير السلوليّ ونسبه 39
- 235 - أخبار خزيمة بن نهد ونسبه 51
- 236 - نسب المغيرة بن حَبَاء وأخباره 55
- 237 - أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه 69
- 238 - أخبار العتابيّ ونسبه 74
- 239 - أخبار الأبيرد ونسبه 87
- 240 - أخبار منصور النمرّيّ ونسبه 97
- 241 - نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره 110
- 242 - أخبار ناهض بن ثومة ونسبه 122
- 243 - أخبار المخبل ونسبه 132
- 244 - أخبار غيلان بن سلمة ونسبه 140
- 245 - أخبار حاجز ونسبه 147
- 246 - أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه 153
- 247 - أخبار عبد الصمد بن المعدّل ونسبه 159

- 248 - أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه 183
- 249 - أخبار مسعدة بن البختری ونسبه 190
- 250 - أخبار مطيع بن إياس ونسبه 193
- 251 - أخبار محمد بن كناسة ونسبه 237
- 252 - أخبار قلم الصالحية 244
- 253 - أخبار الشمردل ونسبه 247

الجزء الرابع عشر

- 254 - أخبار الحُصَيْن بن الحُمَام ونسبه 5
- 255 - أخبار محمد بن يسير ونسبه 14
- 256 - أخبار ديك الجنّ ونسبه 33
- 257 - أخبار قيس بن عاصم ونسبه 46
- 258 - أخبار محمد بن حازم ونسبه 60
- 259 - أخبار ابن القَصَّار ونسبه 73
- 260 - أخبار معبد اليعقطيني 75
- 261 - أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه 78
- 262 - أخبار أبي الأسد ونسبه 85
- 263 - أخبار قيس بن الحُدَادِيَّة ونسبه 93
- 264 - أخبار ابن قُتَيْبٍ ونسبه 103
- 265 - أخبار الأسود ونسبه 108
- 266 - أخبار عليّ بن الخليل 112
- 267 - أخبار محمد الزَّفّ 120
- 268 - أخبار أبي الشَّيْل ونسبه 124
- 269 - أخبار عَنَّث 136
- 270 - أخبار عبد الله بن الزَّيْبِر ونسبه 140
- 271 - أخبار ثابت قطنَة 167
- 272 - أخبار كعب الأشقرِيّ ونسبه 179
- 273 - أخبار العباس بن مرداس ونسبه 192
- 274 - أخبار حمّاد عَجْرَد ونسبه 205
- 275 - أخبار حُرَيْث ونسبه 249

الجزء الخامس عشر

- 276 - أخبار جعفر بن الزبير ونسبه 6
- 277 - ذكر خبر مضاض بن عمرو 11
- 278 - ذكر أخبار بصيص جارية ابن نفيس وأخبارها 21
- 279 - ذكر أحيحة بن الجلاح ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر 28
- 280 - ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث 40
- 281 - نسب عدي بن نوفل وخبره 52
- 282 - نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية 54
- 283 - [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم] 73
- 284 - أخبار حبابة 85
- 285 - أخبار أبي الطفيل ونسبه 102
- 286 - أخبار حسان وجبل بن الأيهم 109
- 287 - خبر بديع في هذا الصوت وغيره 119
- 288 - نسب ابن الزبير وأخباره وقصة غزوة أحد 122
- 289 - ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره 140
- 290 - ذكر خبر قس بن ساعدة ونسبه وقصته في هذا الشعر 164
- 291 - ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره 168
- 292 - [الحطيم والعلاء الحضرمي] 171
- 293 - [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى] 177
- 294 - ذكر علي بن أديم وخبره 179
- 295 - ذكر عمرو بن بانه 181

- 296 - [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة] 187
- 297 - [كثير وقطام] 192
- 298 - ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره 194
- 299 - [يزيد والحسين] 198
- 300 - [الأحوص ومطر] 200
- 301 - ذكر متمم وأخباره وخير مالك ومقتله
- [واستطراد بقصة جذيمة والزباء] 203
- 302 - أخبار الحزین ونسبه 219
- 303 - [جرير والفرزدق وضربة الرومي] 232
- 304 - نسب الطفيل الغنوي وأخباره 237
- 305 - نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره 242
- 306 - نسب لبید وأخباره 246
- 307 - أخبار زياد الأعجم ونسبه 260

الجزء السادس عشر

- 308 - أخبار شارية 5
- 309 - أخبار الحسين بن مطير ونسبه 14
- 310 - أخبار النعمان بن بشير ونسبه 22
- 311 - أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه 40
- 312 - أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه 55
- 313 - أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه 69
- 314 - ذكر سُدَيْف وأخباره 90
- 315 - أخبار الحسين بن عليّ ونسبه 92
- 316 - أخبار الفضل بن العباسّ الهبيّ ونسبه 115
- 317 - [خليدة المكيّة] 126
- 318 - أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد 128
- 319 - أخبار حمزة بن بيض ونسبه 133
- 320 - أخبار كعب بن مالك الأنصاريّ ونسبه 150
- 321 - [مالك بن أبي كعب الأنصاري] 156
- 322 - أخبار عيسى بن موسى ونسبه 161
- 323 - أخبار الرقاشيّ ونسبه 164
- 324 - أخبار ابن درّاج الطُفَيْليّ 169
- 325 - أخبار ربيعة الرّقبيّ ونسبه 172
- 326 - ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العباسّ بن عبد المطلب 181

- 327 - ذكر أم حكيم وأخبارها 187
- 328 - الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر وعلقمة
ونخير الأعشى وغيره معهما فيها 193
- 329 - أخبار أبي العباس الأعمى 204
- 330 - أخبار أبي حنيفة النميري ونسبه 210
- 331 - أخبار أحمد بن يحيى المكي 213
- 332 - [طرائف تتعلق بغزل جرير] 217
- 333 - أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها 220
- 334 - أخبار عبد يغوث ونسبه 224
- 335 - أخبار ذات الخال 234
- 336 - نسب حُجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر 243
- 337 - أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه 247
- 338 - ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه 257
- 339 - أخبار أبي تمام ونسبه 265
- 340 - أخبار أبي الشيص ونسبه 279

الجزء السابع عشر

- 341 - ذكر الكُميت ونسبه وخبره 5
- 342 - خبر ابن سريج مع سكينه بنت الحسين عليهما السلام 34
- 343 - خبر لييد في مريثة أخيه 44
- 344 - ذكر خبر العبّاس وفوز 52
- 345 - ذكر بذل وأخبارها 58
- 346 - أخبار كعب بن زهير ونسبه 63
- 347 - أخبار ابن الدُّمَيْنَة ونسبه 71
- 348 - نسب المقنّع الكنديّ وأخباره 82
- 349 - خبر لإسحاق وابن هشام 84
- 350 - نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره 88
- 351 - خبر مقتل حُجر بن عديّ 99
- 352 - [أخبار لعمر بن أبي ربيعة] 115
- 353 - أخبار عزّة الميلاء 118
- 354 - ذكر نسب الربيع بن زياد [وحرب داحس والغبراء] 130
- 355 - [خبر ليزيد بن معاوية] 151
- 356 - ذكر شريح ونسبه وخبره 155
- 357 - خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إيّاها 159
- 358 - أخبار الخطيئة مع سعيد بن العاص 162
- 359 - أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه 166
- 360 - [من أخبار عروة بن الزُّبير] 174

- 361 - أخبار زيد الخيل ونسبه 177
- 362 - [خبر لابن قيس الرقيّات] 196
- 363 - ذكر فند وأخباره 200
- 364 - أخبار نبيه ونسبه 202
- 365 - [حلف الفضول] 207
- 366 - نسب أمية بن أبي الصلت وخبره في قوله هذا الشعر 217
- 367 - [يوم الصفقة] 228
- 368 - [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة] 232
- 369 - ذكر أبي عطاء السندي 234
- 370 - ذكر خالد ورملة وأخبارهما وأنسابهما 245
- 371 - [خبر للأحوص] 252
- 372 - ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصة بنت الجودي 255
- 373 - أخبار حاتم ونسبه 260

الجزء الثامن عشر

- 374 - ذكر ذي الرمة وخبره 5
- 375 - ذكر خبر إبراهيم 35
- 376 - ذكر مقتل الزبير وخبره 39
- 377 - ذكر أخبار دنائير وأخبار عقيد 47
- 378 - أخبار خفاف ونسبه 53
- 379 - أخبار جبهاء ونسبه 69
- 380 - أخبار والبة بن الحجاب 73
- 381 - أخبار عمران بن حطان ونسبه 79
- 382 - أخبار عمارة بن الوليد ونسبه 89
- 383 - أخبار الأضبط ونسبه 93
- 384 - أخبار أعشى ربيعة ونسبه 95
- 385 - أخبار عمرو بن قميثة ونسبه 100
- 386 - أخبار المؤمل بن جميل 105
- 387 - أخبار مساور ونسبه 107
- 388 - أخبار سعيد بن حميد ونسبه 111
- 389 - أخبار ابن مناذر ونسبه 122
- 390 - نسب أشجع وأخباره 153
- 391 - أخبار ابن مفرغ ونسبه 186
- 392 - أخبار الزبير بن دحمان 219
- 393 - نسب العماني وخبره 226
- 394 - أخبار عروة بن أذينة ونسبه 234
- 395 - ذكر مخارق وأخباره 244

الجزء التاسع عشر

- 396 - ذكر أبي محجن ونسبه 5
- 397 - أخبار زهير بن جناب ونسبه 15
- 398 - نسب مسلم بن الوليد وأخباره 25
- 399 - أخبار محمد بن وهيب 57
- 400 - أخبار مزاحم ونسبه 73
- 401 - أخبار بكر بن التّطاح ونسبه 79
- 402 - مقتل مصعب بن الزُّبير 91
- 403 - ذكر أشعب وأخباره 101
- 404 - أخبار عُوفٍ ونسبه 134
- 405 - أخبار عبد الله بن جحش 153
- 406 - بعض أخبار للعرجي 156
- 407 - أخبار عبد الله بن العباس الرّبيعي 158
- 408 - أخبار سلم الخاسر ونسبه 187
- 409 - أخبار أبي صدقة 207
- 410 - أخبار فضل الشاعرة 215
- 411 - نسب ابن الخياط وأخباره 224
- 412 - أخبار علي بن جبلة 233

الجزء العشرون

- 413 - أخبار التيمي ونسبه 5
- 414 - أخبار أبي نواس وجنان خاصة إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة 17
- 415 - نسب ابن أبي عيينة وأخباره 27
- 416 - أخبار دِعلج بن علي ونسبه 59
- 417 - أخبار جعيفران ونسبه 109
- 418 - أخبار السري ونسبه 116
- 419 - أخبار مسكين ونسبه 121
- 420 - أخبار أبي محمد ونسبه 129
- 421 - محمد بن أبي محمد 146
- 422 - أخبار إبراهيم 154
- 423 - أبو جعفر أحمد بن محمد 160
- 424 - أخبار المخبل القيسي ونسبه 165
- 425 - أخبار خالد الكاتب 172
- 426 - أخبار المسدود 183
- 427 - أخبار سلمة بن عيَّاش 186
- 428 - أخبار لأثم جعفر 191
- 429 - أخبار أيمن بن خُريم 194
- 430 - أخبار حجية بن المضرب 200

- 431 - خبر إسحاق مع غلامه زياد 203
- 432 - خبر لحبابة مع ابن عائشة 207
- 433 - أخبار أبي الهندي ونسبه 209
- 434 - أخبار سعيد بن وهب 214
- 435 - أخبار رؤية ونسبه 220
- 436 - أخبار عمرو بن أبي الكنات 228
- 437 - أسماء بن خارجة وابنته هند 232
- 438 - أخبار السليلك بن السلكة ونسبه 240
- 439 - أخبار أبي نخيلة ونسبه 251

الجزء الحادي والعشرون

- 440 - أخبار المنخل ونسبه 5
- 441 - أخبار أُمّية بن الأسكر ونسبه 11
- 442 - نسب عبدة بن الطيب وأخباره 22
- 443 - أخبار الأغلب ونسبه 25
- 444 - أخبار البحريّ ونسبه 31
- 445 - ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة 43
- 446 - ذكر معقل بن عيسى 71
- 447 - الأحوص وبعض أخباره 73
- 448 - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام
- ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر 85
- 449 - أخبار تأبط شراً ونسبه 94
- 450 - عمرو بن براق 126
- 451 - أخبار الشنفرى ونسبه 128
- 452 - أخبار الخليل ونسبه 140
- 453 - أخبار علقمة ونسبه 143
- 454 - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره 147
- 455 - أخبار ابن داره ونسبه 164
- 456 - أخبار مسعود بن خرشة 176
- 457 - أخبار بحر ونسبه 178
- 458 - أخبار هدبة بن خشرم ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله 179
- 459 - نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته 193

الجزء الثاني والعشرون

- 460 - أخبار خالد بن عبد الله 5
- 461 - أخبار صخر بن الجعد ونسبه 25
- 462 - أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه 33
- 463 - ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ
ونسب أميمة بنت عبد شمس 40
- 464 - أخبار مالك ونسبه 55
- 465 - أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه 58
- 466 - أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه 70
- 467 - أخبار أوس ونسب اليهود النازلين يثرب وأخبارهم 77
- 468 - أخبار السموءل ونسبه 84
- 469 - سعية بن غريض 87
- 470 - أخبار الربيع بن أبي الحقيق 91
- 471 - أخبار كعب ونسبه ومقتله 94
- 472 - أخبار بيهس ونسبه 96
- 473 - أخبار الكميت بن معروف ونسبه 101
- 474 - أخبار يعلى ونسبه 104
- 475 - نسب جواس وخبره في هذا الشعر 106
- 476 - أخبار إبراهيم بن المدبر 110
- 477 - ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب 131
- 478 - أخبار محبوبه 140

- 479 - أخبار عبيدة الطنبورية 144
- 480 - أخبار أحمد بن صدقة 149
- 481 - أخبار الحارث بن وعله 152
- 482 - أخبار علي بن عبد الله بن جعفر ونسبه 156
- 483 - أخبار عتيبة ونسبه 159
- 484 - أخبار عبد الله بن العجلان 166
- 485 - أخبار المؤمل ونسبه 172
- 486 - أخبار أبي مالك ونسبه 178
- 487 - أخبار أبي دهمان 180
- 488 - أخبار أبي حزابة ونسبه 182
- 489 - نسب زهير السكب وأخباره 189
- 490 - أخبار النمر بن تولب ونسبه 191
- 491 - أخبار مالك بن الرب ونسبه 201
- 492 - أخبار عبد بني الحسحاس 213
- 493 - متمم العبدى والجويرية 220
- 494 - أخبار حسان بن تبع 222
- 495 - أخبار مرة بن محكان 225
- 496 - أخبار العديل ونسبه 228

الجزء الثالث والعشرون

- 497 - أخبار صخر الغي ونسبه 5
- 498 - نسب عمرو ذي الكلب وأخباره 9
- 499 - خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر 12
- 500 - أخبار نُصَيْب الأصغر 16
- 501 - أخبار أبي شراة ونسبه 33
- 502 - أخبار ابن البواب 46
- 503 - أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه 52
- 504 - أخبار أبي حشيشة 76
- 505 - أخبار عنان 84
- 506 - أخبار الحسن بن وهب 92
- 507 - أخبار أحمد بن يوسف 111
- 508 - أخبار العطوي 115
- 509 - أخبار مرة ونسبه 120
- 510 - أخبار علي بن أمية 123
- 511 - أخبار عمر الميداني 128
- 512 - أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب 130
- 513 - أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه 139
- 514 - أخبار تويت ونسبه 150

- 515 - أخبار محمد بن الحارث 155
- 516 - أخبار ماني الموسوس 159
- 517 - أخبار بكر بن خارجة 165
- 518 - أخبار إسماعيل القراطيسي 168
- 519 - أخبار أبي العبر ونسبه 170
- 520 - أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر 177
- 521 - أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه 185
- 522 - خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله 191

الجزء الرابع والعشرون

- 523 - خبر عبد الله بن أبي العلاء 5
- 524 - نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره 7
- 525 - أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه 10
- 526 - ذكر نسب القطامي وأخباره 13
- 527 - خبر وقعة ذي قار التي فُخِر بها في هذا الشعر 35
- 528 - أخبار القُحَيْف ونسبه 49
- 529 - أخبار الفند الزماني ونسبه 54
- 530 - أخبار عبد الله بن دحمان 56
- 531 - أخبار المتنخل ونسبه 58
- 532 - أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه 62
- 533 - أخبار يحيى بن طالب 75
- 534 - أخبار عروة بن حزام 80
- 535 - أخبار القتال ونسبه 91
- 536 - أخبار أبي العيال ونسبه 107
- 537 - نسب الراعي وأخباره وخبر ابنه جندل 112
- 538 - أخبار عمار ذي كبار ونسبه 121
- 539 - أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه 132

137	540 - أخبار عمارة ونسبه
146	541 - أخبار المتلمس ونسبه
147	الفهارس العامة
149	فهرس الموضوعات

KITĀB AL-AGHĀNĪ

by

ABU AL-FARAJ 'ALĪ B. AL-ḤUSAYN
AL-IṢPHAḤĀNĪ

Edited by

Dr. Iḥsān 'Abbās
Dr. Ibrāhīm al-Sa'āfīn and Bakr 'Abbās

Vol. 24

DAR SADER
Beirut

کتاب الایمانی

25

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الفهارس العامة

المجلد الخامس والعشرون

دار طاهر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

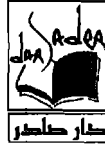
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

كِتَاب AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

فهرس المائة الصوت المختارة

- القَصْرُ فالنخلُ فالجماءُ بينها
أشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيروُنْ
غناء معبد في شعر أبي قطيفة
[من البسيط] 1 : 27 ، 30
- تَشْكِي الكُمَيْتُ الجَرِي لما جَهْدَتْهُ
وَيَيْنَ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَا
لحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة
[من الطويل] 1 : 27 ، 60
- أَهَاجَ هَوَاكَ المنزلُ المتَقَادِمُ
نَعَمْ ، وبه مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ
لحن ابن محرز في شعر نصيب
[من الطويل] 1 : 27 ، 28 ، 213
- إذا ما طَوَاكَ الدهرُ يا أُمَّ مالكِ
فشأنَ المنايا القاضياتِ وشانِيا
لحن ابن محرز في شعر المجنون
[من الطويل] 1 : 27 ، 269
- إلى جِنْدَاءٍ قد بَعَثُوا رسولاً
لِيَحْزُنَهَا فلا صُجِبَ الرَّسُولُ
لحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي
[من الوافر] 1 : 28 ، 248
- حَيِّيا أُمَّ يَغَمَّرا
قَبْلَ شَخْطٍ مِنَ النُّوى
غناء ابن سريج
[من مجزوء الخفيف] 1 : 179
- دَعِيَ القَلْبَ لا يَزْدَدُ خَبَالاً مع الذي
به مِنْكَ أو داوِي جَوَاهِ المُكْتَمَا
غناء معبد في شعر الأحوص وقيل سعيد بن عبد الرحمن
[من الطويل] 1 : 190
- رُبَّ رَكْبٍ قد أَنَاخُوا عِنْدَنَا
يَشْرَبُونَ الخمرَ بالماءِ الزَّلَالِ
غناء ابن محرز في شعر عدي بن زيد العبادي
[من الرمل] 2 : 62
- عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسْحِلَانُ فحَامِرَةٌ
تَمَشَّى بِهِ ظُلُمَاتُهُ وجَاذِرَةٌ
غناء ابن عائشة في شعر الخطيفة
[من الطويل] 2 : 99

- حَنَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِّي
غناء ابن عائشة في شعر عبد الرحمن بن أَرْطاة المَخَارِبِي
بعضَ الحَيْنِ فَإِنْ شَجَوْتُكَ شَائِقِي
[من الكامل]
157 : 2
- يَا خَلِيلِي هَجَّرَ كَيْ تَرُوحَا
غناء حنين في شعر ابن ميادة
هَجَّتُمَا لِلرَّوَّاحِ قَلْبًا قَرِيحَا
[من الخفيف]
170 : 2
- رَاعَ الْفَوَادَ تَفَرَّقُ الْأَحْبَابِ
غناء الغريض في شعر عمر بن أَبِي ربيعة
يَوْمَ الرِّحْلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي
[من الكامل]
233 : 2
- لَقَدْ حَثُّوا الْجِمَالَ لِيَهْ
غناء الغريض في شعر الحكم بن عبدل الأسدي
رَبُّوْنَا مِنَّا فَلَمْ يَحْلُوا
[من مجزوء الوافر]
262 : 2
- أَجَدَّ يِعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا
غناء طويس في شعر قيس بن الخطيم
فَتَهَجَّرَ أُم شَانِنَا شَانُهَا
[من المتقارب]
280 : 2
- يَا لَقَوْمِي قَدْ أُرْقَنْتِي الْهُمُومُ
غناء طويس في شعر ابن قيس الرقيات
فَفَوَادِي مِمَّا يُجِنُّ سَقِيمُ
[من الخفيف]
32 : 3
- حُجِبَ الْأَلَى كَنَّا نُسَرَّ بِقُرْبِهِمْ
غناء قفا النجَّار لشاعر مجهول
يَا لَيْتَ أَنَّ حِجَابَهُمْ لَمْ يُقَدَّرِ
[من الكامل]
33 : 3
- أَفِقْ يَا دَارِمِي فَقَدْ بُلَيْتَا
غناء وشعر سعيد الدارمي
وَأِنَّكَ سَوْفَ تُوشِكُ أَنْ تَمُوتَا
[من الوافر]
33 : 3
- يَا رَنْعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبَا
غناء عَزَّور الكوفي في شعر هلال بن الأسعر المازني
زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ وَصَبَا
[من البسيط]
37 : 3
- وَحِلَّ كُنْتُ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ
غناء سباط في شعر عروة بن الورد
إِذَا نَظَرْتَ وَمُسْتَمِعًا سَمِيعَا
[من الوافر]
50 : 3
- أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا
غناء قيل مولى العبلات في شعر ذي الإصبع العدواني
فَخَالَني دُونَهُ بَلْ خِلَّتُهُ دُونِي
[من البسيط]
79 ، 61 : 3

- لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مختلفانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
غناء الهذلي في شعر ذي الإصبع العدواني [من البسيط] 79 : 3
- ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يُجِرْ بِكَ ضَعْفُهُ يوماً فَتَدْرِكَهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
غناء ابن صاحب الوضوء في شعر غريض أو [من الكامل] 79 : 3
السموئل أو غيرهما
- يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا مِنْ حُبٍّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرًا
غناء يزيد حوراء في شعر بشار [من مجزوء الكامل] 93 : 3
- يَا لَيْلَةَ جَمَعْتَ لَنَا الْأَحْبَابَا لَوْ شِئْتَ دَامَ لَنَا النِّعِيمُ وَطَابَا
غناء عبد الرحيم الدقاف في شعر عكاشة العمي [من الكامل] 179 : 3
- بَكَرَتْ سُمِيَّةٌ غُدُوَّةً فَتَمَتُّعِي وَغَدَتْ غَدُوٌّ مُفَارِقٍ لَمْ يَرْبِعْ
غناء سعيد بن مسجح في شعر الحادرة الثعلبي [من الكامل] 188 : 3
- سَلَا دَارَ لَيْلَى هَلْ تُبَيِّنُ فَتَنْطِقُ وَأَنْتَى تَرُدُّ الْقَوْلَ بِيَدَايَ سَمَلَقُ
غناء عطرّد في شعر ابن المولى [من الطويل] 199 : 3
- إِنْ امْرَأً تَعْتَادُهُ ذِكْرٌ مِنْهَا ثَلَاثُ مِئَنِي لَذُو صَبْرِ
غناء الأبيجر في شعر الحارث بن خالد المخزومي [من السريع] 216 : 3
- حَمَزَةُ الْمُبْتَاعُ بِالْمَالِ الثَّنَا وَيَرَى فِي بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنَ
غناء معبد في شعر موسى شهوات [من الرمل] 242 : 3
- يَا وَحَيْ نَفْسِي لَوْ أَنَّهُ أَقْصَرَ مَا كَانَ عَيْشِي كَمَا أَرَى أَكْدَرَ
غناء فريدة في شعر أبي العتاهية [من السريع] 254 : 3
- بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقَهَا أَكْفُ عَيْنِي وَالدمْعُ سَابِقَهَا
غناء الهذلي في شعر أمية بن أبي الصلت [من المنسرح] 95 : 4

- تَبَلَّتْ فَوَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامٍ
غناء موسى بن خازجة الكوفي في شعر حسان بن ثابت [من الكامل] 104 : 4
- أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا أَرَاكَ تُفِيقُ طَالَمَا قَدْ تَعَلَّقْتَكَ الْعُلُوقُ
غناء بابويه الكوفي في شعر عمر بن أبي ربيعة [من الخفيف] 190 : 8 ، 153 : 4
- لِمَنْ رَنَعَ بِذَاتِ الْجَيْ شَرَّ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقَا
غناء الدلال المخنث في شعر الأحوص [من المزج] 159 : 4
- يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْهَا ذَاكَرَهَا إِلَّا تَرَقَّرَقَ مَاءُ الْعَيْنِ أَوْ دَمْعَا
غناء يحيى بن واصل المكي في شعر الأحوص [من البسيط] 210 : 4
- كَالْبَيْضِ بِالْأَذْحَى يَلْمَعُ فِي الضُّحَى فَالْحُسْنُ حَسَنٌ وَالنَّعِيمُ نَعِيمٌ
غناء أبي سعيد مولى فائد في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من الكامل] 211 : 4
- وَيَحْيَى غَدَاً إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَحْذَرُ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
غناء ابن مشعب الطائفي في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من المنسرح] 224 : 4
- لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
غناء أبي سعيد مولى فائد في شعره أو شعر المجنون [من الطويل] 233 : 4
- مُهَاجَةً لَوْ أَنَّ الذَّرَّ تَمَشَّى ضِعَافُهُ عَلَى مَتْنِهَا بَضُتْ مَدَارِجُهُ دَمَا
غناء فليح بن أبي العوراء في شعر حميد بن ثور الهلالي [من الطويل] 247 : 4
- أَفَاطِمَ إِنْ النَّأْيَ يَسْلِي ذَوِي الْهَوَى وَنَائِيكَ عَنِّي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجْدَا
غناء يونس الكاتب أو غيره في شعر إبراهيم بن هرمة [من الطويل] 255 : 4
- أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ عَنِّي وَالْغَزَلُ
غناء عمر الوادي في شعر ابن ربيعة المدني [من الرمل] 279 : 4
- أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ وَلِلْمَاءِ مَمْنُوعًا مِنَ الْحَائِثِ الصَّدَى
غناء يونس في شعر إسماعيل بن يسار أو غيره [من الطويل] 284 : 4
- أَلَمْ بِنَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمَهْجُدُ وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ فِي الْجَوِّ تَصْعَدُ
غناء الهذلي [من الطويل] 44 : 5

- عَلَّلَ الْقَوْمَ يَشْرُبُوا كِي يَلْدُوا وَيَطْرُبُوا
غناء مالك بن أبي السَّمْع في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات [من مجزوء الخفيف] 47 : 5
- يَا قَلْبُ وَيَحْكَ لَا تَذْهَبْ بِكَ الْحَرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهَوَاهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا
غناء صباح الخياط في شعر عبيد الله بن قيس أو وضاح اليمن [من البسيط] 147 : 6 ؛ 67 : 5
- فَالَا تَحَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
غناء ابن محرز في شعر رجل من نَهْد أو الوليد بن عقبة [من الطويل] 78 : 5
- رَبَّمَا نَبْهَنِي الْإِخْد سَوَانُ وَاللَّيْلُ بِهَيْمُ
غناء إبراهيم الموصلي في شعره [من مجزوء الرمل] 101 : 5
- يَا دَارَ سَعْدَى بِالْجَزْعِ مِنْ مَلَلٍ حَيَّيْتُ مَنْ دِمْنَةٍ وَمَنْ طَلَلٍ
غناء مرزوق الصراف في شعر ابن هرمة [من المسرحة] 167 : 5
- تَوَلَّى شَبَابُكَ إِلَّا قَلِيلًا وَحَلَّ الْمَشِيبُ فَصَبْرًا جَمِيلًا
غناء إسحاق الموصلي في شعره [من المتقارب] 172 : 5
- أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتَلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ذَلَّتِ
غناء إسحاق الموصلي في شعر الصَّمَّة القشيري [من الطويل] 285 : 5
- قُلْ لِأَسْمَاءَ أَنْجِزِي الْمِيعَادَا وَانْظُرِي أَنْ تُزَوِّدِي مِنْكَ زَادَا
غناء دحمان في شعر داود بن سلم [من الخفيف] 10 : 6
- وَأَتِي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنْ أُجِئُهُ وَأَكْثَرَ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
غناء دحمان في شعر الأَحْوَص [من الطويل] 181 ، 26 : 6
- حَيَّا حَوَلَةَ مَنْنِي بِالسَّلَامِ دُرَّةَ الْبَحْرِ وَمِصْبَاحَ الظَّلَامِ
غناء أحمد النَّصِيبِي في شعر أعشى همدان [من الرمل] 26 : 6
- تَكْرُّ مِنْ سَعْدَى وَأَقْفَرُ مِنْ هَنْدٍ مَقَامُهُمَا بَيْنَ الرَّغَامِينَ فَالْفَرْدِ
غناء عبادل فحش شعر حماد الراوية [من الطويل] 54 : 6

- لَيْسَتْ نَعَمْ مِنْكَ لِلْعَافِينَ مُسَجَّلَةً
غناء شهية مولاة العلات في شعر ابن هرمة
[من البسيط]
74 : 6
- فِي حَاضِرٍ لَجِبٍ بِاللَّيْلِ سَامِرُهُ
غناء حنين في شعر ابن هرمة
[من البسيط]
87 : 6
- بَزِينَبُ النُّجْمِ قَبْلَ أَنْ يَرَحَلَ الرِّكْبُ
غناء كردم بن معبد في شعر نصيب
[من الطويل]
88 : 6
- النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوَجُوهُ دَنَا
غناء ابن عائشة في شعر المرقش الأكبر
[من السريع]
92 : 6
- نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حَبًّا أَمْ حَكِيمٌ
غناء سباط في شعر صالح بن عبدالله أو غيره
[من الطويل]
101 : 6
- جُهْدِي وَأَعْذَرْتُ فِيهِ كُلَّ إِعْذَارٍ
غناء الرطاب
[من البسيط]
113 : 6
- يَا أُمَّ عَمْرُو لَقَدْ طَالَبْتُ وَدَّكُمُ
غناء دُكَيْن
[من مخرج البسيط]
113 : 6
- أَمْسَى قَلْبِي بِهِ صُدُوعُ
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي
غناء نبيه في شعر عبدالله بن هارون العروضي
[من مجزوء الكامل]
114 : 6
- قَدْ زَانَ مَنْطَقَهُ الْبَيَانُ
وَقَفْتُ عَلَى رَنْعٍ لِسُعْدَى وَعَبْرَتِي
غناء سُلَيْم
[من الطويل]
116 : 6
- تَرْقَرُقُ فِي الْعَيْنَيْنِ ثُمَّ تَسِيلُ
وَمَنْ السَّفَاهَةِ وَالْعَلَاقِ
غناء ابن عباد الكاتب في شعر سعيد بن عبدالرحمن
[من مجزوء الكامل]
121 : 6 ؛ 8 : 192
- صُوبُ رَبِيعٍ صَادِقِ الرَّعْدِ
يَا طَلًّا غَيْرَهُ بَعْدِي
غناء يحيى المكي
[من السريع]
123 : 6

- أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بَذِي الرِّبِّيَّ الْجَمِيلَ مِنَ الْأَثَاثِ
غناء الغريض في شعر النميري [من الوافر] 135 : 6
- يَا صَاحِ إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ سَتُ وَزُرْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
غناء المعلي بن طريف مولى المهدي في شعره [من مجزوء الكامل] 168 : 6
- أَلَا طَرَدَ الْهَوَى عَنِّي رُقَادِي فَحَسْبِي مَا لَقِيتُ مِنَ الشُّهَادِ
غناء سليم أو يمني في شعر بشار [من الوافر] 169 : 6
- أَرْسَلْتُ أُمَّ جَعْفَرٍ لَا تَزُورُ لَيْتَ شِعْرِي بِالْغَيْبِ مَنْ ذَا دَهَاها
غناء أم جعفر المدنية في شعر الأحوص [من الخفيف] 178 : 6
- صَاحٍ قَدْ لُمْتَ ظَالِمًا فَانْظُرْ إِنْ كُنْتَ لَائِمًا
غناء مالك في شعر عمر بن أبي ربيعة [من مجزوء الخفيف] 183 : 6
- وَلَوْ أَنَّ مَا عِنْدَ ابْنِ بُجْرَةَ عِنْدَهَا مِنَ الْخَمْرِ لَمْ تَبْلُلْ لَهَاتِي بِنَاطِلِ
غناء حكم الوادي في شعر أبي ذؤيب الهذلي [من الطويل] 186 : 6
- أَمَعَارِفُ الدَّمَنِ الْقِفَارِ تَوَهَّمُ وَلَقَدْ مَضَى حَوْلَ هُنَّ مُجَرَّمُ
غناء ابن جامع في شعر نصيب [من الكامل] 202 : 6
- سَقَانِي فَرَوَانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي سَلَامُ بَنِ مِشْكَمِ
غناء سليمان أخي بابويه الكوفي في شعر أبي سفيان بن حرب [من الطويل] 238 : 6
- مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَبَا كَامِلٍ أَنِّي إِذَا مَا غَابَ كَالْهَامِلِ
غناء أبي كامل في شعر الوليد بن يزيد [من السريع] 252 : 6
- أَتَانِي سِنَانٌ بِالْوَدَاعِ لِمُؤْمِنٍ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
غناء سنان الكاتب في شعر الوليد بن يزيد [من الطويل] 54 : 7
- أُمَّ سَلَامَ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا شَرِقَتْ بِالْدموعِ مِنِّي الْمَاقِي
غناء عمر الوادي في شعر الوليد بن يزيد [من الخفيف] 64 : 7

- سُلِّمَى تِلْكَ فِي الْعَيْرِ قَفِي نُخْبِرُكَ أَوْ سِيرِي
غناء إسماعيل بن هريذ في شعر يزيد بن ضبّة أو الوليد بن يزيد [من الهزج] 71 : 7
- امْدَحْ الكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَاهْجُ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ
غناء أبي كامل في شعر نابغة بني شيبان أو الوليد بن يزيد [من الرمل] 80 : 7
- يَا عَمْرُ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عَمْرَا وَعَزَمْتِ مِنَّا النَّأْيَ وَالهَجْرَا
غناء فزار المكيّ في شعر أبي دهبل الجمحي [من الكامل] 86 : 7
- أَلَا أَيُّهَا الشَّادُنُ الْأَكْحَلُ إِلَى كَمْ تَقُولُ وَلَا تَفْعَلُ
غناء أبي زكّار الأعمى في شعر الحسين بن الضحّاك [من المتقارب] 110 : 7
- مَا جَرَتْ خَطَرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فَيْلُكُ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
غناء محمد نعجة الكوفي في شعر السيّد الحميري [من الخفيف] 198 : 8 ؛ 176 : 7
- فَلَا زِلْنِ حَسْرَى ظُلْعًا لِمَ حَمَلْنَهَا إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ
غناء متيّم مولاة علي بن هشام في شعر كثير أو غيره [من الطويل] 212 : 7
- إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي طَرَفَهَا مَرَضَ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا
غناء ابن محرز في شعر جرير [من البسيط] 232 : 7
- أَتَبِعْتُهُمْ مَقْلَةً إِنْسَانُهَا غَرِقَ هَلْ مَا تَرَى تَارِكًا لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا
وفي شعر جرير أيضاً [من البسيط] 232 : 7
- رَحَلَ الْخَالِيطُ جِمَالَهُمْ بِسَوَادِ وَحَدَا عَلَى إِثْرِ الْبَخِيلَةِ حَادِي
غناء إبراهيم الموصلي في شعر جميل [من الكامل] 65 : 8
- أَمْسَى الشَّبَابُ مُودَّعًا مَحْمُودَا وَالشَّيْبُ مُؤْتِفٌ الْمَحَلِّ جَدِيدَا
غناء إسحاق الموصلي في شعر يزيد بن الطّبريّة [من الكامل] 112 : 8
- شَأْنُكَ الْمَنَازِلُ بِالْأَبْرَقِ دَوَارِسَ كَالْعَيْنِ فِي الْمُهَرَّقِ
غناء جميلة في شعر الأحرص [من المتقارب] 133 : 8

- يا دارَ عَبلَةٍ من مَشارِقِ مَأسَلٍ دَرَسَ الشَّوْنُ وَعَهدُها لم يَنجَلِ
غناء أبي دلف في شعر عترة أو عبد قيس بن خفاف البرجمي [من الكامل] 167 : 8
- أَمّا القَطاةُ سَوفَ أَنتَها نَعَتاً يُوافِقُ مَنها بَعضَ ما فيها
غناء معبد في شعر أوس بن غلفاء الجمحي أو غيره [من البسيط] 184 : 8
- مَنْ لِقَلْبٍ أَضحى بِكم مُستَهاما خائِفاً لِلوُشاةِ يُخفَى الكَلاما
غناء رياض جارية أبي حماد [من الخفيف] 191 : 8
- راحَ صُحبي وعادَ القلبَ دا من حَبيبِ طِلابِهِ لي عَنا
غناء نافع بن طنبورة [من الخفيف] 191 : 8
- أَكْرَعُ الكَرعَةَ الرَويَّةَ مِنها ثَمَ أَصحُو وما شَقِيتُ غَليلى
غناء البردان في شعر الأحوص [من الخفيف] 198 : 8
- لِمَن الدِّيارُ بِحائِلِ فَوَعالِ دَرَسَتْ وَغَيرَها سِنونَ خَوالى
غناء سائب خاتر في شعر الأخطل [من الكامل] 200 : 8
- أَراعَكَ بالخابورِ نوقٌ وأَجمال ودارَ عَفَتها الرِّيحُ بِعَدي بِأَذِالِ
غناء ابن محرز في شعر الأخطل [من الطويل] 229 : 8
- أَقفَر مَن أَهلِهِ مَصِيفُ فَبَطَنُ نَخَلَةٍ فالعَريفُ
غناء جرادتي بن جُدعان في شعر أبي فرعة الكنانى [من مخلع البسيط] 233 : 8
- قَد لَعَمَري بِتُ لَيلي كأخي الداءِ الوَجيعِ
غناء سلامة القس في شعرها أو شعر الأحوص [من مجزوء الرمل] 239 : 8
- وَإني لَيرِضيني قَليلُ نَوالِكم وإن كَنتُ لا أَرْضى لَكم بِقَليلِ
غناء سليمان الفراري في شعر العباس بن الأحنف [من الطويل] 252 : 8
- أَلا هَلْ أَسيرُ المالكِيةَ مُطَلَقُ فَقدَ كاد لو لم يُعَفِّهِ اللهُ يَغَلِقُ
غناء أحمد بن المكِّي في شعر عقيل بن علفة [من الطويل] 182 : 12

- سَلَا أُمَّ عَمْرٍو فِيمَ أَضْحَى أُسِيرُهَا تُفَادِي الْأَسَارَى حَوْلَهُ وَهُوَ مَوْثِقُ
 غناء دُقاق في شعر شبيب بن البرصاء [من الطويل] 12 : 194
- تَكَاشَرْنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي
 غناء إبراهيم الموصلي في شعر يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل] 12 : 206
- أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَوْفٍ وَحُبُّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يَعَشَقُ عَجُوزًا يُفْنَدِ
 غناء علويه في شعر أبي الأسود الدؤلي [من الطويل] 12 : 214

فهرس القوافي

- قافية الألف المقصورة -

القافية	البحر	القائل	المجلد / الصفحة
أتى	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	231 : 12
بلى	الطويل	خالد بن أبي أيوب	118 : 20
ترى	الطويل	شاعر تميمي سعدي	136 : 19
تهوى	الطويل	أبو العتاهية	52 : 4
الخطا	الطويل	-	21 : 22
الصبا	الطويل	وضاح اليمن	164 : 6
قضى	الطويل	دختنوس بنت لقيط	101 : 11
كالفتى	الطويل	حنظلة بن أبي عفراء الطائي	160 : 10
منى	الطويل	أبو العيص الجرمي	110 : 18
منى	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	52 ، 49 : 9 ؛ 112 : 1
هوى	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	219 : 5 ؛ 185 ، 181 ، 180 : 1
			52 ، 50 ، 48 : 9
الهوى	الطويل	مالك المزموم	85 : 18
نما	الكامل	السموأل أو غريض اليهودي أو سعية بن عريض أو زيد بن عمرو بن نفيل أو ورقة بن نوفل أو زهير بن جناب أو عامر بن المجنون مدرج الريح	92 ، 80 ، 79 : 3
النوى	الكامل	ورقة بن نوفل أو غريض اليهودي أو زهير بن جناب أو غيرهم	21 : 19 ؛ 81 : 3
الندى	الكامل	ورقة بن نوفل أو غيره	82 : 3
المشتكى	الكامل	ابن هرمة	261 : 4
المنى	الكامل	أبو وجزة السعدي	181 : 12
نوى	الكامل	-	204 : 17
سوى	الكامل	ابن الصفار الحاربي	23 : 24
أحوى	الهزج	إسحاق الموصلي	274 ، 222 : 5
الشكلى	معجز الوافر	جويرية بنت خالد	180 : 16
أتى	الرجز	الشماخ	152 : 12 ؛ 125 : 9
النجاء	الرجز	سويد بن أبي كاهل	69 : 13

117 : 13	عبدالله بن الحجاج	الرجز	المصطفى
266 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	يلقى
27 : 21	الأغلب العجلي	الرجز	القرى
54 : 24	-	الرجز	والتظى
127 : 16	المهاجر بن خالد او خالد بن المهاجر	الرميل	الحشى
12 : 16	خديجة بنت المأمون	السريع	الحشى
83 : 17	إسحاق الموصلي	السريع	الردى
179 : 1	-	مجزوء الخفيف	النوى
280 : 4	ابن دهيمة	مجزوء الخفيف	والهوى
117 ، 87 ، 80 : 10	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	النوى
251 ، 197 ، 196 : 5	إسحاق الموصلي	المتقارب	البلى
237 : 5	أبو القنافذ	المتقارب	الخطا
189 : 6	عبد الرحمن بن حنبل	المتقارب	سدى
45 : 13	العجير السلولي	المتقارب	يُرتدى
73 : 14	-	المتقارب	مضى
58 : 18	العباس بن مروان	المتقارب	مضى
59 : 18	خفاف بن ندبة	المتقارب	كفى
114 : 20	جعيفران الموسوس	المتقارب	قلى

- قافية الهمزة الساكنة -

191 : 19	سلم الخاسر	السريع	النساء
246 : 4	أبو سعيد مولى فائد	المتقارب	كداء

- قافية الهمزة المضمومة -

29 : 2	مجنون ليلى	الطويل	فناء
78 : 17 ؛ 39 : 2	-	الطويل	غزاء
83 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	بداء
56 : 1	-	البسيط	شاؤوا
57 : 1	-	البسيط	عداء
244 : 4	-	البسيط	أبناء
156 ، 155 : 7	أبو نواس	البسيط	الداء
156 : 7	أبو نواس	البسيط	شاءوا
217 : 8	الفرزدق	البسيط	فتنخاء
213 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	البسيط	الداء

230 : 1	نصيب بن رباح	الوافر	وعاء
119 : 2	دثار بن شيبان	الوافر	الرواء
136 : 2	زهير بن أبي سلمى	الوافر	اللقاء
136 : 2	-	الوافر	عناء
38 : 3	هلال بن الأسعر	الوافر	الفناء
122 ، 121 ، 108 : 4	حسان بن ثابت	الوافر	الجزاء
123 ، 122 : 4	حسان بن ثابت	الوافر	وقاء
123 : 4	حسان بن ثابت	الوافر	الدلاء
133 : 5	إبراهيم الموصلي	الوافر	ضياء
82 : 7	نابغة بني شيبان	الوافر	الغطاء
83 : 7	نابغة بني شيبان	الوافر	الفداء
188 : 7	السيد الحميري أو كثير	الوافر	والعناء
203 : 8	الأخطل	الوافر	الهجاء
238 ، 235 : 8	أمية بن أبي الصلت	الوافر	الحياء
13 : 9	كثير	الوافر	سواء
224 : 9	يزيد المهلبى	الوافر	والعزاء
193 : 10	أبو دلامة	الوافر	اللواء
241 : 10	زهير بن أبي سلمى	الوافر	فالحساء
242 : 10	-	الوافر	عناء
118 : 11	الجعد بن مهجع	الوافر	داء
155 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الوافر	السماء
26 : 15	-	الوافر	العفاء
229 : 16	شاعر عبقسي	الوافر	كفاء
56 : 18	أبو عمرو بن بدر	الوافر	النساء
16 : 19	زهير بن جناب	الوافر	النساء
137 : 19	عوف القوافي	الوافر	السماء
197 : 20	أيمن بن حريم	الوافر	واقتراء
231 : 20	-	الوافر	اللقاء
20 : 16	الحسين بن مطير	الكمال	الاقذاء
37 : 21	البحري	الكمال	إعطاء
197 : 16	قحافة بن عوف	الرجز	اللواء
182 : 22	أبو حزابة التميمي	الرجز	والأكفاء
219 : 9	-	مجزوء الرمل	ماء

أداء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 104
الرجاء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 111
أسماء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 123
السماء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 124
وخلاء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 123 ، 124
شعواء	الخفيف	عبيد الله بن قيس الرقيات	5 : 51
الظلمات	الخفيف	عبيد الله بن قيس الرقيات	5 : 52
الرجاء	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	5 : 63
خنساء	الخفيف	أبو زيد الطائي	5 : 91
الجوزاء	الخفيف	أبو زيد الطائي	5 : 92
الملساء	الخفيف	-	6 : 231
عناء	الخفيف	-	8 : 191
الثواء	الخفيف	الحارث بن حلزة	11 : 28
والضحاك	الخفيف	الحارث بن حلزة	11 : 31
عناء	الخفيف	-	12 : 75
الدعاء	الخفيف	محمد بن يسير	14 : 21
شعواء	الخفيف	عبيد الله بن قيس الرقيات	17 : 197
استرخاء	الخفيف	أبو محمد اليزيدي	20 : 133
لقاء	المجث	-	18 : 259

- قافية الهمزة المضمومة مع الهاء المضمومة -

أعداؤه	الكامل	أبو تمام	20 : 180
--------	--------	----------	----------

- قافية الهمزة المضمومة مع ها -

وسماؤها	الطويل	إبراهيم بن العباس	10 : 50
جهلاؤها	الطويل	يزيد بن الحكم الثقفي	12 : 209
جزاؤها	الطويل	يزيد بن الحكم الثقفي	12 : 209
غناؤها	الطويل	نصيب الأصغر	23 : 19
غذاؤها	الطويل	إياس بن قبيصة	24 : 44
بكاؤها	الكامل	العلبي	11 : 197 ، 199
وساؤها	الكامل	العلبي	11 : 207

- قافية الهمزة المكسورة -

والشاء	البسيط	الحسين بن الضحاك	7 : 112 ، 155
مرهاه	البسيط	الحسين بن الضحاك	7 : 155

217 : 8	جرير	البيسط	بصحراء
254 : 21	الفرزدق	البيسط	أسماء
231 : 1	نصيب بن رياح	الوافر	دواء
248 : 3	موسى شهورات	الوافر	للجلاء
17 : 8	جرير	الوافر	الشتاء
164 : 10	علي بن الجهم	الوافر	القضاء
55 : 12	علي بن الجهم	الوافر	القضاء
55 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الوافر	أدعياء
240 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الوافر	الدلاء
228 : 13	مطيع بن إياس	الوافر	ثراء
235 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	إخاء
30 : 18	خرقاء العامرية	الوافر	السماء
20 : 19	زهير بن جناب	الوافر	مسائي
191 : 7	السيد الحميري	الكامل	ماء
185 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	الصحراء
123 : 10	أبو النجم العجلي	الكامل	الاحياء
103 : 14	ابن عم مسلم بن الوليد	الكامل	بدعاء
48 : 19	عم لمسلم بن الوليد	الكامل	بدعاء
214 : 21	الفرزدق	الكامل	الإعياء
24 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	الحياء
232 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	الشقاء
243 ، 242 : 15	-	مجزوء الرمل	قبا
132 : 3	بشار	الخفيف	لللقاء
135 : 3	بشار	الخفيف	الفقرء
186 : 7	السيد الحميري	الخفيف	الكساء
100 : 10	الأحوص	الخفيف	عزاء
100 : 10	الأحوص	الخفيف	كداء
184 : 10	علي بن الجهم	الخفيف	الشتاء
89 : 12	أبو زيد الطائي	الخفيف	المكاء
104 : 14	ابن قنبر	الخفيف	هجائي
64 : 20 ؛ 16 : 16	الحسين بن مطير	الخفيف	الإحساء
45 : 18	عاتكة بنت زيد	الخفيف	الأعداء
248 : 19	علي بن جبلة	الخفيف	البقاء
35 : 20	ابن أبي عيينة أو عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	الخفيف	المساء

115 : 20	السري بن عبد الرحمن	الخفيف	قبا
119 : 20	السري بن عبد الرحمن	الخفيف	بقبا
120 : 20	السري بن عبد الرحمن	الخفيف	مائي
214 : 21	-	الخفيف	الأحياء
66 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	الأنواء
41 : 23	القاسم بن يوسف	الخفيف	الجللاء
229 : 7	مرادة شاعرة علي بن هشام	المجتث	دماء

- قافية الهمزة المكسورة ومعها دكا، -

103 : 2	الحطيئة	الطويل	أوليكَا
79 : 4	أبو العتاهية	الطويل	بوفائيكَا
37 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	غلوائيكَا
212 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	قضائيكَا
201 : 19	سلم الخاسر	الطويل	لقائيكَا
201 : 19	مروان بن أبي حفصة	الطويل	عنائيكَا

- قافية الهمزة المكسورة ومعها ده، -

76 : 4	أبو العتاهية	الطويل	جزائِه
23 : 15	طريف العنبري	الكامل	وورائِه
141 : 16	أبو عروبة المدني أو غيره	الكامل	وورائِه
82 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	بدوائِه
209 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الكامل	بلائِه
72 : 19	محمد بن وهيب	مجزوء الكامل	إخائِه

- قافية الهمزة المكسورة ومعها ها -

155 : 6	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	وعنائِها
128 : 12	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	وعنائِها
129 : 12	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	وثنائِها
205 ، 201 : 17	نبيه بن الحجاج	مجزوء الكامل	عدوائِها
52 : 8	عمر بن لجأ	الرجز	خرشائِها
181 : 18	أشجع السلمي	المتقارب	أعضائِها

- قافية الهمزة المفتوحة -

217 : 8	الأخطل	البسيط	إرخاء
175 : 9	أبو عثمان المازني «بكر»	الكامل	بناء
57 : 20	ابن أبي عينة	مجزوء الرمل	السماء

129 : 22	إبراهيم بن المدير	مجزوء الرمل	بلاء
41 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	الإخاء
66 : 13	زياد الأعجم	الخفيف	جناء
78 : 20	دعبل الخزاعي	الخفيف	الأنباء
31 : 23	نصيب الأصغر	الخفيف	شعراء

- قافية الهمزة المفتوحة ومعها ها -

6 : 3	قيس بن الخطيم	الطويل	إزاءها
8 : 3	قيس بن الخطيم	الطويل	لقاءها
215 : 21	الفرزدق	الكامل	حلماءها

- قافية الباء الساكنة -

255 ، 34 ، 33 : 9	ابن هرمة	الطويل	بالغضب
140 : 23	أبان اللاحقي	الطويل	عقب
141 : 23	المعدل بن غيلان	الطويل	الطرب
144 : 23	أبان اللاحقي	الطويل	والعرب
118 : 2	الزبرقان بن بدر	مجزوء الكامل	عائب
128 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الكامل	السبب
240 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الكامل	نسب
252 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الكامل	العرب
181 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الكامل	لهب
6 : 23	الأعلم الهذلي	مجزوء الكامل	المناصب
53 ، 38 : 22 ، 182 : 5	أميمة بنت عبد شمس	الهزج	بالكوكب
134 : 4	طالب بن أبي طالب	الرجز	المقاتب
88 : 7	أبو دهيل الجمحي	الرجز	والحسب
73 : 11	الحارث بن ظالم	الرجز	محروب
6 : 15	صقر بن الزبير	الرجز	الباب
233 : 18	العماني	الرجز	الحسب
234 : 19	علي بن جبلة	الرجز	انتسب
104 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	ووصب
106 ، 105 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	باللعب
137 : 2	امرؤ القيس	الرمل	لعب
139 : 2	امرؤ القيس	الرمل	أقب
90 : 4	-	الرمل	من أحب

61 : 6	-	الرمل	لعب
34 : 7	الوليد بن يزيد	الرمل	وذهب
173 : 11	الأقشير	الرمل	عجب
178 : 11	الأقشير	الرمل	تنتسب
178 : 11	الأقشير	الرمل	القصب
113 : 16	الفضل بن العباس	الرمل	العرب
114 : 16	الفضل بن العباس	الرمل	ولعب
114 : 16	الفضل بن العباس	الرمل	عجب
116 : 16	الفضل بن العباس	الرمل	الكرب
123 : 16	الفضل بن العباس اللهي	الرمل	المطلب
126 : 20	مسكين الدارمي	الرمل	العرب
63 : 20	مسلم بن الوليد	السريع	المشيب
221 : 10	ابن المعتز	مجزوء الخفيف	والغضب
19 : 10	دريد بن الصمة	المتقارب	والنصب
13 : 12	-	المتقارب	الكرب
189 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	المتقارب	العرب
95 : 14	قيس بن الحداية	المتقارب	صعب
34 : 22 ؛ 225 : 18	هارون الرشيد	المتقارب	مكتسب
35 : 22	أبو حنص الشطرنجي	المتقارب	العجب

- قافية الباء المضمومة -

86 ، 79 ؛ 8 ؛ 90 ؛ 4	جميل	الطويل	الحب
169 : 4	الأحوص	الطويل	الكلب
90 ، 89 ، 88 ؛ 6	نصيب	الطويل	القلب
92 : 6	نصيب	الطويل	كعب
129 : 6	-	الطويل	القلب
94 ، 93 ؛ 10	العباس بن الأحنف	الطويل	الحب
105 : 10	دعبل أو إبراهيم بن المهدي	الطويل	كلب
106 : 10	-	الطويل	كعب
83 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	شارب
78 : 12	نصيب الأكبر	الطويل	القلب
235 : 16	نصيب	الطويل	الحرب
236 : 16	العباس بن الأحنف	الطويل	الشعب
154 : 18	أشجع السلمي	الطويل	يصبو

154 : 18	أشجع السلمي	الطويل	سكبُ
149 : 19	حلحلة بن قيس	الطويل	كلبُ
76 : 20	دعبل الخزاعي ونسبت لإبراهيم بن المهدي	الطويل	غربُ
45 : 23	ابن البواب	الطويل	القلبُ
50 : 23	ابن البواب	الطويل	القربُ
23 : 24	زفر بن الحارث	الطويل	والرحبُ
205 : 1	-	الطويل	المغيبُ
212 : 1	عبدالله بن سعيد	الطويل	مصحبُ
16 : 2	مجنون ليلى	الطويل	وأعجبُ
36 : 2	مجنون ليلى	الطويل	يتنصبُ
61 : 2	مجنون ليلى	الطويل	يكذبُ
126 : 2	-	الطويل	المهذبُ
265 : 2	يحيى بن نوفل	الطويل	ونحجبُ
57 : 3	عروة بن الورد	الطويل	أعجبُ
151 : 3	بشار	الطويل	تشعبُ
192 : 3	الحادرة الثعلبي	الطويل	مغربُ
207 : 3	ابن المولى	الطويل	أشيبُ
22 : 5	النايفة الجعدي	الطويل	وتجلبُ
227 ، 223 : 6	عمرو الوراق	الطويل	يعذبُ
19 : 8	قبضة الكلب	الطويل	تفضبُ
21 : 9	كثير	الطويل	كوكبُ
35 : 9	نصيب	الطويل	متقلبُ
35 : 9	نصيب	الطويل	وأحجبُ
66 : 9	امروء القيس	الطويل	يشربُ
181 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تغربُ
17 ، 8 ، 7 ، 6 : 11	النايفة الذبياني	الطويل	مذهبُ
27 : 11	النايفة الذبياني	الطويل	كوكبُ
28 : 11	النايفة الذبياني	الطويل	وأقربُ
53 : 11	زهير بن جذيمة	الطويل	يسلبُ
77 : 11	جوشن الكندي	الطويل	يتلهبُ
17 : 12	نايفة بني جعدة	الطويل	ويقربُ
84 ، 78 : 12	كثير	الطويل	ونغربُ
85 : 12	كثير	الطويل	نهربُ

211 : 13	مطيع بن إياس	الطويل	نطربُ
149 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	متقضبُ
158 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	عربُ
250 : 14	حريث بن عئاب	الطويل	وثعلبُ
178 : 15	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	زينبُ
224 : 15	الحزین الديلي	الطويل	أتجنبُ
238 : 15	طفيل الغنوي	الطويل	نركبُ
240 : 15	طفيل الغنوي	الطويل	أكذبُ
262 : 15	زياد الأعجم	الطويل	المهلبُ
87 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	فأغلبُ
119 : 16	الفضل بن العباس	الطويل	مشعبُ
188 : 16	يحيى بن الحكم	الطويل	وزينبُ
12 : 17	الكميت	الطويل	شزبُ
13 : 17	الكميت	الطويل	تخطبُ
18 : 17	الكميت	الطويل	المضيبُ
22 ، 19 : 17	الكميت	الطويل	يغضبُ
23 : 17	الكميت	الطويل	مشعبُ
23 : 17	الكميت	الطويل	أثقلبُ
24 : 17	الكميت	الطويل	يلعبُ
104 : 18	عمرو بن قميئة	الطويل	مجنبُ
197 : 18	ابن مفرغ	الطويل	مطلبُ
205 : 18	ابن مفرغ	الطويل	يهربُ
222 : 18	إسحاق الموصلي	الطويل	ونطربُ
70 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	يعربُ
71 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	مذهبُ
217 : 19	بنات الشاعرة	الطويل	مذهبُ
217 : 19	-	الطويل	تغضبُ
217 : 19	فضل الشاعرة	الطويل	وأقربُ
219 : 19	أبو منصور الباخريزي	الطويل	يعتبُ
219 : 19	فضل الشاعرة	الطويل	مذهبُ
238 ، 232 : 20	أسماء بنت خارجة أو أبو السود الديلي	الطويل	أغضبُ
246 : 20	السليك بن السليكة	الطويل	أكذبُ
118 ، 105 : 21	الشنفرى	الطويل	فأغيبُ

13 : 22	الكميت	الطويل	المضيبُ
54 : 22	مالك بن الصمصامة الجعدي أو ابن الدمينه	الطويل	غريبُ
42 : 23	أبو شراة	الطويل	يعقبُ
67 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	موصبُ
142 : 24	عمارة بن عقيل	الطويل	وأرغبُ
221 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	قاربُ
7 : 2	مجنون ليلى	الطويل	الأقاربُ
215 : 2	ابن ميادة	الطويل	محاربُ
32 : 4	نصيب	الطويل	الحقائبُ
98 : 5	الحليس بن نعيم النهدي	الطويل	تحاربُ
63 : 8	جرير	الطويل	راغبُ
63 : 8	جرير	الطويل	المشاربُ
64 : 8	جرير	الطويل	طالبُ
247 : 9	جرير	الطويل	راغبُ
165 : 11	ليلى الأخيلية	الطويل	المراتبُ
133 : 12	كثير	الطويل	فالمساربُ
237 : 12	أبو الأسود الذؤلي	الطويل	الثعالبُ
43 : 14	ديك الجن	الطويل	مذاهبُ
254 : 16	سعيد بن حميد	الطويل	قاضبُ
92 : 19	-	الطويل	سواكبُ
121 : 20	مسكين الدارمي	الطويل	راغبُ
209 : 21	جرير	الطويل	راغبُ
215 : 21	الفرزدق	الطويل	فخاطبُ
132 : 6	-	الطويل	خضابُ
71 : 8	جميل	الطويل	سيابُ
184 : 18	أشجع السلمي	الطويل	كلابُ
113 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أغيبُ
32 : 2	مجنون ليلى	الطويل	حبيبُ
47 : 2	مجنون ليلى	الطويل	قريبُ
49 : 2	مجنون ليلى	الطويل	تطيبُ
41 : 2	مجنون ليلى	الطويل	غروبُ
41 : 2	مجنون ليلى أو محمد بن أمية	الطويل	ذنوبُ
47 : 2	مجنون ليلى	الطويل	حبيبُ

180 : 2	ابن ميادة	الطويل	تصيبُ
181 : 2	امرؤ القيس	الطويل	عسيبُ
181 : 2	ابن ميادة	الطويل	نعوبُ
150 ، 122 : 3	بشار	الطويل	جنوبُ
231 : 3	عبيد بن موهب	الطويل	كسوبُ
174 : 4	الأحوص	الطويل	أجيبُ
189 : 4	الأحوص	الطويل	لسوبُ
61 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	الطويل	قريبُ
115 : 5	إبراهيم الموصلي	الطويل	طبيبُ
26 : 6	الأحوص	الطويل	حيبُ
180 : 6	الأحوص	الطويل	فأجيبُ
181 : 6	الأحوص	الطويل	حيبُ
44 : 7	أبو الأقرع	الطويل	ديبُ
125 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	حيبُ
118 : 8	وحشية الجرمية	الطويل	طبيبُ
118 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	فأجيبُ
128 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	حيبُ
185 : 8	حميد بن ثور الهلالي	الطويل	شعوبُ
188 : 8	العجير	الطويل	وسهوبُ
75 : 9	امرؤ القيس	الطويل	عسيبُ
181 : 11	الأقيشر	الطويل	قطوبُ
195 : 12	أرطاة بن سهية	الطويل	جنيبُ
201 : 12	أرطاة بن سهية	الطويل	مريبُ
21 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	جنيبُ
21 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	رسوبُ
23 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	يصيبُ
47 : 13	العجير السلولي	الطويل	يثوبُ
47 : 13	ابن الدمينه أو العجير السلولي	الطويل	تطيبُ
66 : 13	حباء بن عمرو	الطويل	غريبُ
107 : 13	منصور النمري	الطويل	نصيبُ
107 : 13	العتابي	الطويل	غروبُ
107 : 13	منصور النمري	الطويل	عزوبُ
119 ، 109 : 13	عبد الله بن الحجاج الثعلبي	الطويل	طروبُ

119 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	شعوبُ
133 : 13	المخبل السعدي	الطويل	وجيبُ
134 : 13	المخبل السعدي	الطويل	خبوبُ
137 : 13	المخبل السعدي	الطويل	وأتوبُ
167 : 14	ثابت قطنة	الطويل	لخطيبُ
56 : 15	صخر بن عمرو	الطويل	تصيبُ
109 : 15	علقمة الفحل	الطويل	مشيبُ
18 : 16	الحسين بن مطير	الطويل	خبوبُ
184 : 16	صخر بن عمرو	الطويل	صليبُ
78 : 17	-	الطويل	تطيبُ
164 : 17	الحطيئة	الطويل	نجيبُ
224 : 18	العباس بن الأحنف	الطويل	غروبُ
217 : 19	محب لفضل الشاعرة	الطويل	حبيبُ
217 : 19	فضل الشاعرة	الطويل	مثيبُ
9 : 20	التيمي	الطويل	حبيبُ
12 : 20	التيمي	الطويل	غريبُ
14 : 20	-	الطويل	يذوبُ
84 : 20	-	الطويل	خطوبُ
85 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	يذوبُ
144 : 20	أبو محمد اليزيدي	الطويل	وجوبُ
198 : 20	علقمة بن عبدة	الطويل	طيبُ
200 : 20	حجية بن المضرب أو إسماعيل بن يسار أو أحمد بن يسار	الطويل	أشيبُ
239 ، 237 : 20	حميد بن ثور	الطويل	قريبُ
245 : 20	السليك بن السلكة	الطويل	وسهوبُ
144 : 21	علقمة الفحل	الطويل	مشيبُ
54 : 22	مالك بن الصمصامة أو ابن الدمينه	الطويل	غريبُ
55 : 22	مالك بن الصمصامة	الطويل	جنيبُ
163 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	قليبُ
131 : 23	عمارة بن عقيل	الطويل	تغيبُ
84 : 24	عروة بن حزام	الطويل	كذوبُ
85 : 24	عروة بن حزام	الطويل	أجيبُ
89 : 24	عروة بن حزام	الطويل	تذوبُ

84 : 4	أبو العتاهية	المديد	تنسكبُ
196 : 18	ابن مفرغ	المديد	نابُ
141 : 21 ؛ 54 : 1	عبدالرحمن بن أبي بكر	المديد	ينيبُ
139 : 13	غيلان بن سلمة	المديد	عجيبُ
141 : 21 ؛ 254 ، 256 : 17	عبدالرحمن بن أبي بكر	المديد	ينيبُ
227 : 1	ذو الرمة	البسيط	شنبُ
227 : 1	الكميت	البسيط	والشنبُ
244 : 1	نصيب	البسيط	تضطربُ
198 : 2	ابن ميادة	البسيط	الشربُ
198 : 2	ابن ميادة	البسيط	طنبُ
32 : 3	ذو الرمة	البسيط	ندبُ
180 : 3	جرير	البسيط	الخشبُ
217 : 4	طريح بن إسماعيل	البسيط	عجبُ
231 : 5	لعله إسحاق الموصلي	البسيط	عشبُ
272 : 5	إسحاق الموصلي	البسيط	تنسكبُ
66 : 6	الأخطل	البسيط	مختضبُ
97 : 8	جميل	البسيط	ذنبُ
186 : 8	العباس بن يزيد بن الأسود أو لبعض بني مرة	البسيط	عجبُ
212 : 8	الأخطل	البسيط	تجبُ
178 : 10	علي بن الجهم	البسيط	نسبُ
178 : 10	علي بن الجهم	البسيط	ويتحبُ
81 : 13	العتابي	البسيط	أربُ
276 : 16	أبو تمام	البسيط	تحتجبُ
25 : 17	الكميت	البسيط	اللعبُ
27 : 18	ذو الرمة	البسيط	تشبُ
143 : 18	ابن منذر	البسيط	الغضبُ
35 : 19	مسلم بن الوليد	البسيط	يجبُ
43 : 19	مسلم بن الوليد	البسيط	الكتبُ
179 : 19	سلم الخاسر	البسيط	تضطربُ
230 : 19	يونس الخياط	البسيط	نسبُ
252 : 19	علي بن جبلة	البسيط	يحتجبُ
224 : 21	الفرزدق	البسيط	والركبُ
102 : 22	أعشى بني أسد خيثمة بن معروف	البسيط	ينشعبُ

246 : 9	الأصم الباهلي	البيسط	ظنوبُ
56 : 14	الأخطل بن ربيعة	البيسط	مكتوبُ
243 : 17	أبو عطاء السندي	البيسط	تعذيبُ
71 : 18	جبهاء الأشجمي	البيسط	الأكاذيبُ
10 : 23	ربطة أخت عمرو ذي الكلب	البيسط	مغلوبُ
119 : 6	أبو نواس	مخلع البسيط	الريبُ
104 : 10	-	مخلع البسيط	يجيبُ
63 : 12	ابن سيابه	مخلع البسيط	يجيبُ
62 : 14	محمد بن حازم	مخلع البسيط	العيوبُ
134 : 23	سليمان بن وهب	مخلع البسيط	الأريبُ
63 : 14	محمد بن حازم	مخلع البسيط	السحابُ
43 ، 8 : 2	مزاحم بن الحارث	الوافر	الترابُ
40 : 8	الفرزدق	الوافر	والصنابُ
68 : 9	امروء القيس	الوافر	يصابؤا
168 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	الوافر	الرضابُ
169 : 12	عبدالحميد بن عبيدالله	الوافر	عذابُ
130 : 13	ناهض بن ثومة	الوافر	أرابؤا
69 : 14	محمد بن حازم	الوافر	والطلابُ
93 ، 91 : 16	الحسين بن علي بن أبي طالب	الوافر	والربابُ
178 : 17	زيد الخيل	الوافر	الضرابُ
85 : 21	الحسين بن علي بن أبي طالب	الوافر	والربابُ
182 : 21	عبدالرحمن بن زيد	الوافر	عتابُ
223 : 1	نصيب بن رباح	الوافر	أؤوبُ
76 : 2	عدي بن زيد	الوافر	والغريبُ
130 : 5	الأحوص	الوافر	الغريبُ
139 : 5	ابن هرمة	الوافر	عريبُ
140 : 5	ابن هرمة	الوافر	نكوبُ
140 : 5	ابن هرمة	الوافر	الثقوبُ
240 : 5	ابن هرمة	الوافر	عريبُ
37 : 8	جرير	الوافر	والذنوبُ
100 : 9	الأحوص	الوافر	القلوبُ
100 : 9	سلامة	الوافر	الحبيبُ
100 : 9	عبدالرحمن بن حسان	الوافر	نصيبُ

171 : 10	علي بن الجهم	الوافر	يريبُ
155 : 13	رجل دوسي	الوافر	تروبُ
41 : 14	البحتري	الوافر	الندوبُ
78 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الوافر	مريبُ
84 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الوافر	تعيبُ
280 : 16	أبو يعقوب الخريمي	الوافر	قريبُ
137 : 19	عويف القوافي	الوافر	المشيبُ
106 : 24 ، 134 : 2	أبو العيال الهذلي	مجزوء الوافر	رهبوا
209 : 1	-	مجزوء الوافر	تخبوا
156 : 5	العباس بن الأحنف	الكامل	يتجنبُ
135 : 16	حمزة بن بيض	الكامل	المغربُ
32 : 17	-	الكامل	حوشبُ
240 : 18	-	الكامل	وأرغبُ
54 : 21	-	الكامل	يتعتبُ
54 : 21	-	الكامل	يحببُ
73 : 21	سليمان بن أبي دباكل	الكامل	يذهبُ
76 : 21	سليمان بن أبي دباكل	الكامل	أقربُ
62 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الكامل	الأشهبُ
141 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	فتشعبوا
127 : 22	إبراهيم بن المدير	الكامل	الطربُ
76 : 22	أوس ذبي	الكامل	صعبُ
50 : 23	ابن البواب	الكامل	مآبُ
259 : 8	العباس بن الأحنف	الكامل	نصيبُ
89 : 19	بكر بن النطاح	الكامل	ضريبُ
216 : 22	عبد بني الحسحاس	الكامل	وطيبُ
217 : 22	عبد بني الحسحاس	الكامل	قريبُ
24 : 23	نصيب الأصغر	الكامل	قريبُ
159 ، 158 ، 157 : 4	علس ذو جذن	مجزوء الكامل	غضابُ
131 : 24	عبد الله بن مصعب	مجزوء الكامل	الثوابُ
49 : 5	مروان بن الحكم	الرجز	الركبُ
246 : 12	أبو نفيس	الرجز	وحصبوا
27 : 19	مسلم بن الوليد	الرجز	معذبُ
125 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	القرائبُ

196 : 6	أبو ذؤيب	الرجز	والحساب
163 : 17 ؛ 108 : 2	عبيد بن الأبرص	الرجز	الأريب
105 : 6	حارثة بن بدر	مجزوء الرجز	فاذهبوا
22 : 3	-	مجزوء الرمل	القريب
23 ، 22 : 3	-	مجزوء الرمل	أذوب
244 : 8	الأحوص	الخفيف	غرب
218 : 9	-	الخفيف	غضاب
121 : 14	-	الخفيف	الكتاب
197 ، 195 : 17	عبيد الله بن قيس الرقيات	الخفيف	الغراب
47 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الخفيف	ويطربوا
50 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الخفيف	مصعب
281 : 4	ابن رهيمة	السريع	تنسب
238 : 11	-	السريع	المطلب
61 : 14	محمد بن حازم	السريع	المذنب
65 : 14	محمد بن حازم	السريع	القلب
240 : 14	حماد عجرد	السريع	تغضبوا
103 : 19 ؛ 23 : 15	عبد الله بن مصعب	السريع	أطيب
239 : 16	إبراهيم الموصلي	السريع	يكذب
72 ، 68 : 14	محمد بن حازم	المجتث	حرب
56 ، 55 ، 54 : 5 ؛ 242 : 4	عبيد الله بن قيس الرقيات	المنسرح	غضبوا
54 ، 52 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	المنسرح	تنسكب
210 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي أو حمزة بن بيض	المنسرح	والحسب
138 : 16	حمزة بن بيض	المنسرح	أشب
139 : 16	حمزة بن بيض	المنسرح	والحسب
28 : 17	الكميت	المنسرح	ينتسب
12 : 12	رجل من جذام	المتقارب	ثاقب
283 : 4	ابن رهيمة	المتقارب	أرهب
260 : 8	العباس بن الأحنف	المتقارب	يعتب
194 : 11	أبو النضير	المتقارب	زينب
171 ، 170 : 12	عبد الله بن معاوية الجعفري	المتقارب	تعجب
63 : 14	محمد بن حازم	المتقارب	يجنب
104 : 15	أبو الطفيل عامر	المتقارب	مذنب
140 ، 134 : 16	حمزة بن بيض	المتقارب	المرحب

الخطوبُ	المتقارب	أبو حفص الشطرنجي	22 : 38
- قافية الباء المضمومة مع الكاف الساكنة -			
يُجْبِكُ	مجزوء الرمل	أحمد بن يوسف الكاتب	23 : 81
- قافية الباء المضمومة مع الهاء الساكنة -			
أَقَارِيءُ	الطويل	مجنون ليلى	2 : 46
مَلَاعِبُ	الطويل	ابن ميادة	2 : 197
كَوَاكِبُ	الطويل	بشار	3 : 98 ، 136
مِشَارِيءُ	الطويل	بشار	3 : 107
تَعَاتِبُ	الطويل	بشار	3 : 137 ، 138 ، 166
نَادِبُ	الطويل	بشار	3 : 137 ، 138
تَنَاسِبُ	الطويل	بشار	3 : 165
رَاكِبُ	الطويل	رجل من نهد حزن أو سهل بن رزاح	5 : 78 ، 79
مِرَازِيءُ	الطويل	الوليد بن عقبة	5 : 78 ، 80 ، 99 ، 15 : 202
يِرَاقِبُ	الطويل	الوليد بن عقبة	5 : 80
صَاحِبُ	الطويل	الفضل بن عباس بن عتبة أو أبوه العباس بن عتبة	5 : 81
مَنَاهِيءُ	الطويل	الوليد بن عقبة	5 : 98
وَنَخَاطِبُ	الطويل	إسحاق الموصلي	5 : 165
جَوَانِبُ	الطويل	زيان بن سيار	5 : 249
غَالِبُ	الطويل	المرقش الأكبر	6 : 198
غَالِبُ	الطويل	ابن ميادة	6 : 220 ، 225
مِشَارِيءُ	الطويل	جميل	8 : 107
جَوَانِبُ	الطويل	إسحاق الموصلي	12 : 35
مَذَاهِبُ	الطويل	أبو النشاش	12 : 121
تَحَارِبُ	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	12 : 231
ثَاقِبُ	الطويل	أبو الطمحان القيني	12 : 254
كَوَاكِبُ	الطويل	أبو الطمحان القيني	13 : 8
غِيَاهِبُ	الطويل	أبو تمام الطائي	16 : 264
طَالِبُ	الطويل	أبو تمام	16 : 270
وَأَخَاطِبُ	الطويل	ذو الرمة	18 : 15
ذَوَائِبُ	الطويل	ذو الرمة	18 : 37
سَالِبُ	الطويل	ذو الرمة	18 : 38
كَتَائِبُ	الطويل	أبو نخيلة الحماني	20 : 264

211 : 21	الفرزدق	الطويل	عواقبه
215 : 21	الفرزدق	الطويل	يقاربه
230 : 21	الفرزدق	الطويل	جاذبه
258 : 21	الفرزدق	الطويل	أقاربه
282 : 21	الفرزدق	الطويل	ثعالبه
8 : 22	جعده بن عبدالله الخزاعي	الطويل	حلائبه
46 : 24	بعض ربيعة	الطويل	جانبه
61 : 22	-	الرجز	فاركبه

- قافية الباء المضمومة مع الهاء المضمومة -

225 : 16	رجل يماني	الرجز	أربابه
225 : 16	غلام سعدى	الرجز	شبابه
35 : 7	الوليد بن يزيد	الرميل	رئه

- قافية الباء المضمومة مع ها -

214 : 2	ابن ميادة	الطويل	رقابها
216 : 2	ابن ميادة	الطويل	غضابها
216 : 2	ابن ميادة	الطويل	وربابها
217 : 2	عبدالرحمن بن جهيم	الطويل	كعابها
174 : 2	عبدالرحمن بن جهيم	الطويل	شبابها
129 : 8	يزيد بن الطثيرة	الطويل	نصابها
28 : 9	كثير	الطويل	شبابها
102 : 11	دختنوس بنت لقيط	الطويل	ضرابها
159 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	ثوابها
85 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	شبابها
279 ، 248 : 21	الفرزدق	الطويل	شربها
256 : 21	الفرزدق	الطويل	جوابها
97 : 22	بيهس الجرمي	الطويل	وذهابها
105 : 24	القتال الكلابي	الطويل	يجابها
56 : 2	مجنون ليلي	الطويل	هبوبها
93 : 4	-	الطويل	حبيبها
6 : 6	الصمة القشيري	الطويل	هبوبها
116 : 8	يزيد بن الطثيرة	الطويل	يصيبها
124 : 8	فديك بن حنظلة الجرمي	الطويل	قلوبها

141 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	يعيها
219 : 9	-	الطويل	حبيها
265 : 21 ، 222 : 15	الفرزدق	الطويل	منيتها
234 : 17	أبو عطاء السندي	الطويل	استيها
38 : 18	ذو الرمة	الطويل	هبوبها
170 : 21	السمهري العلكي	الطويل	ذنوبها
141 : 21	عبيدالله بن قيس الرقيات	مجزوء الوافر	موكبها
30 ، 27 : 15	أحيحة بن الجلاح	المنسرح	يطالبها
98 ، 85 ، 37 : 15	أحيحة بن الجلاح	المنسرح	ترائبها
94 : 2	عدي بن زيد	المنسرح	عواقبها

- قافية الباء المكسورة -

160 ، 158 ، 156 : 16 ، 49 : 1	مالك بن أبي كعب أو الخزرجي أو المرادي	الطويل	كعب
259 : 1	أبو عدي العلي	الطويل	بالرئب
259 : 1	أبو عدي العلي	الطويل	والخصب
259 : 1	العرجي	الطويل	القلب
93 : 2	عبدالعزى الكلبي	الطويل	ذنب
164 : 2	عبدالرحمن بن أرطاة ابن سيحان	الطويل	الجرب
169 : 2	ابن سيحان عبدالرحمن بن أرطاة	الطويل	جدب
157 : 3	الكميت	الطويل	الخطب
167 : 3	بشار	الطويل	قلبي
179 : 3	جارية يزيد بن حوراء	الطويل	قلبي
179 : 3	يزيد بن حوراء	الطويل	كرب
22 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	عتب
171 : 6	بشار	الطويل	قلبي
223 : 7	الصمة عبدالله القشيري	الطويل	وبالقرب
88 : 8	جميل	الطويل	الشغب
206 : 8	الأخطل	الطويل	غضب
217 : 8	الأخطل	الطويل	القرب
258 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	الشرب
27 : 9	كثير	الطويل	لهب
138 : 9	قيس بن زريح	الطويل	القلب
139 : 9	قيس بن زريح	الطويل	الخطب

153 : 9	قيس بن زريح	الطويل	سقب
139 ، 137 : 10	علية بنت المهدي	الطويل	القرب
144 : 10	علية بنت المهدي	الطويل	الحب
226 : 11	-	الطويل	شعب
231 ، 226 : 11	-	الطويل	وبالقرب
102 : 12	محمد بن أمية	الطويل	الحب
193 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	كلب
128 : 13	ناهض بن ثومة	الطويل	كعب
28 : 14	محمد بن يسير	الطويل	الكتب
70 : 14	محمد بن حازم	الطويل	العتب
104 : 14	ابن قنبر	الطويل	الصب
239 : 16	إبراهيم الموصلي	الطويل	حبي
30 : 17	الكميت	الطويل	للشعب
214 ، 213 : 17	لمس بن سعد البارقي	الطويل	صحي
24 : 18	ذو الرمة	الطويل	كلب
96 : 21	تأبط شرا	الطويل	وهب
133 : 21	ظالم العامري	الطويل	الغرب
236 : 21	الفرزدق	الطويل	كلب
265 : 21	الفرزدق	الطويل	الكلب
270 : 21	الفرزدق	الطويل	جذب
33 : 22	أبو حفص الشطرنجي	الطويل	القرب
127 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	قرب
185 : 22	أبو حزابة التميمي	الطويل	غرب
207 : 22	مالك بن الربيع	الطويل	غرب
34 : 23	أبو شراة	الطويل	العصب
96 : 23	علي بن أمية	الطويل	القلب
128 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	وأحبابي
173 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تغرب
26 ، 15 : 2	مجنون ليلى	الطويل	مذهب
23 ، 13 : 2	مجنون ليلى	الطويل	المحصب
155 : 4	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	متغضب
172 : 4	الأحوص	الطويل	مصعب
134 : 5	إبراهيم الموصلي	الطويل	مذهب

211 ، 210 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	ونظرب
251 : 5	-	الطويل	المعذب
261 : 5	مجنون ليل	الطويل	التجنب
178 : 7	قاسم الخياط غلام السيد الحميري ونسبها له	الطويل	سبب
70 : 8	جميل	الطويل	مرقب
136 : 8	امرؤ القيس	الطويل	التجنب
136 : 8	امرؤ القيس	الطويل	المحصب
139 ، 138 : 8	امرؤ القيس	الطويل	المعذب
137 : 8	امرؤ القيس	الطويل	تدرب
137 : 8	امرؤ القيس	الطويل	مذنب
137 : 8	امرؤ القيس	الطويل	مهذب
138 : 8	-	الطويل	مسبب
138 : 8	علقمة الفحل	الطويل	مغرب
139 : 8	علقمة الفحل	الطويل	التجنب
139 : 8	امرؤ القيس	الطويل	منعب
139 : 8	علقمة الفحل	الطويل	ملهب
166 ، 165 : 8	الأحوص أو طفيل الغنوي	الطويل	منصب
9 : 9	كثير	الطويل	المقرب
10 : 9	الأحوص أو سراقه البارقي	الطويل	المتكذب
35 ، 34 : 9	نصيب	الطويل	ومغرب
182 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	متغضب
218 : 9	المجنون	الطويل	المحصب
253 : 9	جميل	الطويل	مرقب
72 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	المخضب
69 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	تغلب
73 : 11	الفرزدق	الطويل	المتنهب
222 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	واغضب
117 : 13	عوين بن عبدالله بن الحجاج	الطويل	جندب
148 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	مصعب
169 ، 168 : 14	حاجب الفيل	الطويل	المهلب
244 : 14	حماد عجرد	الطويل	مريب
48 : 15	-	الطويل	يطرب
49 : 15	-	الطويل	لزينب

193 : 15	امرؤ القيس	الطويل	تطيب
224 : 15	الحزين الديلي	الطويل	المحجب
236 : 15	طفيل الغنوي	الطويل	منصب
239 : 15	طفيل الغنوي	الطويل	والتحوب
240 : 15	طفيل الغنوي	الطويل	يحجب
263 ، 262 : 15	زياد الأعجم	الطويل	المهلب
69 : 17	الشماخ	الطويل	يشر
222 : 18	إسحاق الموصلي	الطويل	ونطرب
269 : 18	المأمون الخليفة	الطويل	المخضب
202 : 20	محبة بن المضرب	الطويل	والتجنب
145 : 21	امرؤ القيس	الطويل	متعب
145 : 21	علقمة الفحل	الطويل	منخلب
145 : 21	امرؤ القيس	الطويل	مهذب
176 : 21	مسعود بن خرشة	الطويل	ومحلب
196 : 22	النمر بن تولب	الطويل	فيثرب
26 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	أيابي
115 : 14	أبو دلامة	الطويل	لشراب
185 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الطويل	بي
190 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	كلاب
47 : 1	-	الطويل	الناكب
193 : 1	-	الطويل	عائب
221 : 1	الفرزدق	الطويل	بالعصائب
244 : 1	كثير	الطويل	السحائب
189 : 2	ابن ميادة	الطويل	المراكب
198 : 2	شقرا	الطويل	جائب
217 : 2	سماعة بن أشول	الطويل	وعازب
9 : 3	قيس بن الخطيم	الطويل	راكب
9 : 3	قيس بن الخطيم	الطويل	لاعب
204 : 3	ابن المولى	الطويل	الكواعب
206 : 3	ابن المولى	الطويل	المواهب
206 : 3	ابن المولى	الطويل	غالب
249 : 5	لعله إبراهيم الموصلي	الطويل	شارب
271 : 5	إسحاق إبراهيم المصمعي	الطويل	جائب

121 : 6	-	الطويل	خاطب
205 : 6	معن بن زائدة	الطويل	مناجب
226 ، 221 : 6	حاتم الطائي	الطويل	راكب
248 : 6	أبو سفيان بن حرب	الطويل	القواضب
60 : 7	النابعة الذبياني	الطويل	المصاعب
63 : 8	الفرزدق	الطويل	وغالب
241 : 9	الفرزدق	الطويل	الأقارب
247 : 9	الفرزدق	الطويل	بخاطب
247 : 9	الفرزدق	الطويل	مقارب
12 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	الذنائب
12 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	ناشب
14 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	عواذب
13 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	الكواكب
14 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	بصاحب
77 : 11	ابن عتاب الكلبي	الطويل	محارب
17 : 12	زياد الأعجم	الطويل	الأشاهب
83 : 13	العتابي	الطويل	منافسي
146 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	القرائب
150 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	والأثائب
93 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	الأقارب
109 : 15	النابعة الذبياني	الطويل	الكواكب
190 : 16	يزيد بن هشام	الطويل	الدوائب
270 : 16	أبو تمام	الطويل	السواكب
95 : 17	قيس بن الخطيم	الطويل	كالكواكب
12 : 18	ذو الرمة	الطويل	بالمقارب
57 : 18	مالك بن عوف النصري	الطويل	للأقارب
79 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	الكتائب
245 : 19	علي بن جبلة	الطويل	والسحائب
188 ، 185 : 20	سلمة بن عياش	الطويل	بصاحب
247 : 20	قران الأسدي	الطويل	المقائب
112 : 21	تأبط شرا	الطويل	روائي
199 : 21	الفرزدق	الطويل	الضرائب
209 : 21	الفرزدق	الطويل	جانب

210 : 21	الفرزدق	الطويل	وغالب
215 : 21	الفرزدق	الطويل	وعازب
224 : 21	الفرزدق	الطويل	جانب
193 : 22	النمر بن تولب	الطويل	كاذب
7 : 23	صخر الغي	الطويل	بالأهاضب
29 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	الحقائب
13 : 24	القطامي	الطويل	الدوائب
14 : 24	القطامي	الطويل	صاحب
14 : 24	القطامي	الطويل	بذاهب
66 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	الكواكب
78 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	النوائب
237 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	بقريب
111 : 3	بشار	الطويل	نصيبي
231 ، 228 : 3	الحارثة بن خالد	الطويل	شبيب
204 ، 202 : 4	-	الطويل	طروب
18 : 6	داود بن سلم	الطويل	غروب
159 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	بنجيب
80 : 12	-	الطويل	شبيب
221 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	مريب
98 : 19	رجل من بني أسد بن عبد العزى	الطويل	أريب
50 : 21	حاتم بن عدي الخراساني	الطويل	حروب
170 : 21	السمهري العلكي	الطويل	غريب
121 ، 113 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	عريب
197 : 22	النمر بن تولب	الطويل	وقريبي
99 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المديد	عتابي
215 : 20	أبو العتاهية	المديد	وهب
182 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	المديد	عرب
210 : 1	كثير بن كثير السهمي	البسيط	بمطلب
115 : 4	عمرو بن الأهم	البسيط	تصب
156 : 3	بشار	البسيط	خطب
194 : 5	إسحاق الموصلي	البسيط	بالأدب
194 : 5	أحمد بن هشام	البسيط	والطرب
213 : 7	عبدالله بن علقمة	البسيط	بالكذب

18 : 10	دريد بن الصمة	البيسط	كلب
115 : 11	الأسود بن عباد	البيسط	العجب
184 : 11	زيد بن ظبيان	البيسط	نسب
180 : 12	أبو وجزة السعدي	البيسط	والطرب
108 : 13	منصور النمرى	البيسط	يشب
109 ، 108 : 13	منصور النمرى	البيسط	الحسب
147 : 13	حاجز الأزدي	البيسط	والحسب
56 : 14	عمرو بن الأهم	البيسط	تصب
61 : 14	محمد بن حازم	البيسط	والكتب
66 : 14	-	البيسط	للغضب
128 : 14	أبو الشبل البرجمي	البيسط	الكتب
145 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	البيسط	الطرب
174 : 14	ثابت قطنة	البيسط	العرب
121 ، 116 : 16	الفضل بن العباس	البيسط	الخطب
84 : 19	عباد بن الممزق	البيسط	أبي
247 : 19	ذهل بن ثعلبة	البيسط	النسب
88 : 20	أحمد بن الحجاج	البيسط	الرتب
177 : 20	خالد الكاتب	البيسط	والكذب
70 : 21	الكميت بن زيد الأسدي	البيسط	بمنقلب
64 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	البيسط	بالذنب
169 : 23	أبو العبر	البيسط	الغضب
133 : 24	عبدالله بن مصعب	البيسط	نصب
169 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن ابن أرتاة	البيسط	أصحابي
210 : 18	ابن مفرغ	البيسط	بالزأب
93 : 2	-	البيسط	مطلوب
20 : 3	أبو قيس بن الأسلت	البيسط	بتكذيب
39 : 13	العجير السلوي	البيسط	مطلوب
27 : 14	محمد بن يسير	البيسط	الطيب
189 : 14	كعب الأشقري	البيسط	النوب
213 : 14	حماد عجرد	البيسط	والذنب
51 : 22	خداش بن زهير	البيسط	تكذيب
114 . 18	سعيد بن حميد	مخلع البيسط	الحجاب
21 : 24	رجل من نمير	الوافر	كلب

52 : 24	القحيف العقيلي أو نجدة الخفاجي	الوافر	وضرب
148 : 1	ابن زياد المكي	الوافر	جرب
42 : 3	حاجب بن ذبيان	الوافر	رباب
56 : 4	أبو العتاهية	الوافر	تباب
196 : 7	السيد الحميري	الوافر	وللحجاب
197 : 7	السيد الحميري	الوافر	وللتصابي
40 : 8	جرير	الوافر	والصناب
136 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	الغراب
152 : 8	عبدالله بن جعفر	الوافر	جواي
241 : 9	الفرزدق	الوافر	الرباب
17 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	خضاب
105 : 12	محمد بن أمية	الوافر	الجواب
152 : 12	غلقاء أو سلمة بن الحارس	الوافر	الثواب
188 : 13	عبدالرحمن بن الحكم	الوافر	التراب
64 : 14	محمد بن حازم	الوافر	بالصواب
67 : 14	محمد بن حازم	الوافر	الثواب
70 : 14	محمد بن حازم	الوافر	للمحساب
197 : 14	العباس بن مرداس	الوافر	واقتراب
198 : 14	العباس بن مرداس	الوافر	للمضارب
129 : 15	حسان بن ثابت	الوافر	صواب
163 : 17	الخطيئة	الوافر	جناب
184 : 17	زيد الخيل	الوافر	وناب
185 : 17	طفيل الغنوي	الوافر	واعتصاب
185 : 17	زيد الخيل	الوافر	والكلاب
186 : 17	طفيل الغنوي	الوافر	الرعاب
236 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	السراب
143 : 18	ابن مناذر	الوافر	وللشباب
177 : 18	أبو العتاهية	الوافر	للمصواب
267 : 18	أحمد بن هشام	الوافر	للتصابي
114 : 19	-	الوافر	الخطاب
143 : 19	جواس بن قعطل	الوافر	كلاب
150 : 19	عميرة بنت حسان	الوافر	الصعاب
265 : 20	أبو نخيلة الحماني	الوافر	الخطاب

265 : 20	أبو نخيلة الحماني	الوافر	والركاب
114 : 21	تأبط شرا	الوافر	لصاب
115 : 21	أنس بن حذيفة الهذلي	الوافر	بالنقاب
115 : 21	أنس بن حذيفة الهذلي	الوافر	غضاب
124 : 21	شاعر من بني قريم	الوافر	المصاب
124 : 21	تأبط شرا	الوافر	فالكراب
229 : 21	الفرزدق	الوافر	التراب
252 : 21	كثير	الوافر	ضبابي
273 ، 270 : 21	الفرزدق	الوافر	الخطاب
18 : 22	الفرزدق أو المفرج بن المزمع	الوافر	الكلاب
99 : 22	بيهس الجرمي	الوافر	بالشراب
22 : 23	نصيب الأصغر	الوافر	معاب
22 : 23	الربيع بن عبد الله	الوافر	جواب
19 : 24	عمير بن الحباب	الوافر	السحاب
19 : 24	هند الجلاحية	الوافر	الحباب
20 : 24	منذر بن حسان أو ابن طرامة	الوافر	النقاب
21 : 24	المجير بن أسلم	الوافر	جناب
240 : 1	نصيب بن رباح	الوافر	الربيب
96 ، 72 : 2	عدي بن زيد	الوافر	شيب
23 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	وشيب
42 ، 36 : 10	إبراهيم بن العباس	الوافر	المغيب
120 : 12	الأفوه الأودي	الوافر	الصبيب
23 : 21 ، 29 : 20	-	الوافر	العيوب
116 : 23	العطوي	الوافر	كثيب
151 : 23	تويت اليمامي	الوافر	القلوب
63 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الوافر	الحب
117 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الوافر	العنب
198 ، 197 : 15	يزيد بن معاوية	مجزوء الوافر	تجب
74 : 18	أبو العتاهية	مجزوء الوافر	الرطب
239 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الوافر	والحجب
145 : 22	-	مجزوء الوافر	كمجتنب
142 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	متعجب
161 : 8	-	الكامل	مغرب

170 : 9	حميدة بنت النعمان	الكامل	الثعلب
170 : 9	روح بن زنباع	الكامل	الجورب
108 : 12 ؛ 142 : 10	عترة بن شداد أو خرز بن لوزان	الكامل	وتخضبي
205 : 10	أبو دلالة	الكامل	المشجب
106 : 12	محمد بن أمية	الكامل	أعجب
108 : 12	خرز لوزان «الحارس بن لوزان» أو عترة	الكامل	تذهب
88 : 13	الأبيرد الرياحي	الكامل	الجنذب
51 : 17	ليبد	الكامل	الأجرب
50 : 17	ليبد	الكامل	لم تصقب
215 : 19	فضل الشاعرة	الكامل	وتركب
215 : 19	أبو دلف القاسم	الكامل	يركب
209 : 20	أبو الهندي	الكامل	العقرب
196 : 22	النمر بن تولب	الكامل	فاغضب
32 : 23	أبو شراة	الكامل	زينب
232 : 2	عدي بن زيد	الكامل	الآتب
174 : 6	بشار	الكامل	راهب
255 : 8	العباس بن الأحنف	الكامل	مراقب
256 : 8	العباس بن الأحنف	الكامل	العاتب
54 : 10	إبراهيم بن العباس	الكامل	مناكب
85 ، 84 : 10	عدي بن زيد	الكامل	للشارب
153 : 23	تويت اليمامي	الكامل	طالب
200 : 23	عمرو بن الحصين	الكامل	المتساكب
143 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	عائب
15 : 3	حسان بن ثابت	الكامل	الصلب
186 : 4	الأحوص	الكامل	صب
19 : 10	دريد بن الصمة	الكامل	حسبي
229 : 10	أبو سلمى والد زهير	الكامل	كعب
157 ، 152 : 13	دريد بن الصمة	الكامل	الخطب
54 : 15	دريد بن الصمة	الكامل	حسبي
179 : 15	علي بن أديم	الكامل	لبي
170 : 17	مالك بن أسماء	الكامل	القاسب
158 : 18	أشجع السلمي	الكامل	الخطب
242 : 13	محمد بن كناسة	الكامل	بأديب

45 ، 41 ، 39 : 16	حسان بن ثابت أو ضرار بن الخطاب أو عمرو بن شقيق أو مكرز بن حفص	الكامل	وهوب
125 : 19	-	الكامل	محسوب
50 : 20	ابن أبي عيينة	الكامل	فأثيمي
158 : 2	أرطاة بن سيحان	الكامل	الكرب
168 : 10	علي بن الجهم	الكامل	منقلب
245 : 16	سدوس بن شيان	الكامل	حسب
164 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	الكامل	العطب
117 ، 116 : 17 ؛ 122 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	والجلباب
150 : 2	جميل	الكامل	بجوابي
234 ، 232 : 2	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	أطراي
140 : 3	بشار	الكامل	أوابي
172 : 3	بشار	الكامل	المنتاب
169 : 5	ابن هرمة	الكامل	كلابي
105 : 6	حارثة بن بدر الغداني	الكامل	الأعراب
133 : 6	-	الكامل	وركلي
39 : 7	الوليد بن يزيد	الكامل	المتحجب
77 : 8	جميل	الكامل	بجوابي
180 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	الانصاب
194 : 10	أبو دلامة	الكامل	وضراب
203 : 11 ؛ 204 : 2	العبي	الكامل	الاطراب
231 ، 226 : 11	-	الكامل	خضاب
80 : 13	العتابي	الكامل	الأسباب
116 : 13	عبدالله بن الحجاج	الكامل	شهاب
64 : 14	محمد بن حازم	الكامل	صواب
193 : 15	لعله كثير	الكامل	الألباب
236 : 15	العباس بن مرداس	الكامل	شهاب
154 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الكامل	الغلاب
222 : 19	محمد بن أبي أمية	الكامل	يكتابي
47 : 23	إسحاق الموصلي	الكامل	الأبواب
57 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الكامل	الحجاب
57 : 23	ابن دنقش الحاجب	الكامل	الكتاب
38 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	الرطاب

175 : 6	بشار	مجزوء الكامل	الرقيب
216 : 6	مكن العذري أو سلامة القس	مجزوء الكامل	الكثيب
249 : 8	رجل من العرب	مجزوء الكامل	الكثيب
103 : 10	-	مجزوء الكامل	والرياب
76 : 7	يزيد بن ضبة	الهزج	الشعب
77 : 7	يزيد بن ضبة	الهزج	يصبي
31 : 17	الكميت	الهزج	ترب
239 : 19	علي بن جبلة	الهزج	والحجب
30 : 20	-	الهزج	كرب
175 : 2	ابن ميادة	الرجز	مركبي
173 : 8	عنترة العبسي	الرجز	محرب
114 : 11	-	الرجز	معجب
71 : 3	-	الرجز	عضب
237 : 18	عروة بن أذينة	الرجز	ذنب
95 : 18	أعشى بني ربيعة	الرجز	وغائب
227 : 5	إسحاق الموصلي	الرجز	وطيب
254 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	العيوب
30 : 4	أبو العتاهية	الرجز	الشباب
229 : 19	يونس الخياط	مجزوء الرجز	النسب
280 : 4	ابن رهيمة	مجزوء الكامل	ولبي
136 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الرمل	شبابي
214 : 19	فضل الشاعرة	مجزوء الرمل	الرقاب
163 : 5	إبراهيم الموصلي	مجزوء الرمل	بي
44 : 7	الوليد بن زيد	مجزوء الرمل	المشيب
245 ، 107 : 14	ابن قنبر	مجزوء الرمل	بخصيب
25 : 6	دحمان المغني أو أحد ولديه	السريع	الحب
132 : 10	علية بنت المهدي	السريع	العيب
183 : 18	أشجع السلمي	السريع	والقلب
181 ، 172 : 20	خالد الكاتب	السريع	ذنب
263 : 8	العباس بن الأخنف	السريع	يعتب
93 : 7	أبو دهل الجمحي	السريع	بالباب
23 ، 22 : 20	أبو نواس	السريع	أتراب
23 : 20	أبو نواس	السريع	بعتاب

150 : 20	محمد بن أبي محمد	السريع	الباب
174 : 11	الأقشير	السريع	الذاهب
182 : 5	إبراهيم الموصلي	السريع	بتعديبي
131 : 20	أبو محمد الزبيدي	السريع	كالكاذب
117 : 22	إبراهيم بن المدبر	السريع	غاربي
117 : 22	-	السريع	العائب
175 : 1	-	المنسرح	فالرحب
187 : 3	عبدالرحيم الدفاف	المنسرح	مكتسب
269 : 4	ابن هرمة	المنسرح	النسب
174 : 6	بشار	المنسرح	نصي
175 : 6	بشار	المنسرح	والحرب
18 ، 17 : 7	الوليد بن يزيد	المنسرح	العنب
154 : 8	-	المنسرح	الحسب
37 : 9	-	المنسرح	العجب
227 : 13	مطيع بن إياس	المنسرح	والنجب
33 : 14	ديك الجن	المنسرح	الطرب
39 : 15	-	المنسرح	كرب
213 : 15	عمرو بن عدي	المنسرح	أبي
284 : 16	أبو الشيص	المنسرح	لعب
120 : 18	فضل الشاعرة	المنسرح	الطرب
140 : 18	ابن مناذر	المنسرح	العجب
199 : 18	ابن مفرغ	المنسرح	العجب
229 : 19	يونس الخياط	المنسرح	نسب
16 : 20	التميمي	المنسرح	وَأَب
12 ، 10 ، 9 : 20 ؛ 254 : 19	التميمي	المنسرح	كرب
90 : 20	دعبل الخزاعي	المنسرح	العجب
90 : 20	دعبل الخزاعي	المنسرح	بمطلب
106 : 20	دعبل الخزاعي	المنسرح	الأدب
136 : 20	أبو محمد الزبيدي	المنسرح	الحسب
165 : 22	عبدالله بن العجلان	المنسرح	الحسب
204 : 4	جميل	الخفيف	حسي
166 : 6	وضاح اليمن	الخفيف	بلي
177 : 6	بشار	الخفيف	بجنب

144 : 10	علية بنت المهدي	الخفيف	لربي
215 : 13	مطيع ابن إياس	الخفيف	نحبي
30 : 20	ابن أبي عيينة	الخفيف	حب
72 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	والتراب
108 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	أتراب
157 ، 156 ، 154 ، 152 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	والكتاب
155 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	متاب
162 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	بالثياب
234 : 2 ، 162 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	عذاب
163 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الرباب
163 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	وسحاب
212 : 1	كثير بن كثير بن الصلت	الخفيف	التسكاب
129 : 9 ، 224 : 2	كثير بن كثير السهمي	الخفيف	التسكاب
234 : 2	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الاطراب
286 : 4	إسماعيل بن يسار	الخفيف	الجواب
287 : 4	إسماعيل بن يسار	الخفيف	العلاب
288 : 4	إسماعيل بن يسار	الخفيف	التراب
149 : 5	الرشيد	الخفيف	بي
166 : 5	رجل يرثي إبراهيم الموصلي	الخفيف	الأحباب
269 : 5	إسحاق الموصلي	الخفيف	الجواب
269 : 5	ابن أبي عيينة	الخفيف	الأصحاب
63 : 6	حماد الراوية أو مطيع بن إياس	الخفيف	الشراب
63 : 6	حماد الراوية أو مطيع بن إياس	الخفيف	الأوصاب
127 : 7	الحسين بن الضحاك	الخفيف	شهاب
198 : 8 ، 176 : 7	السيد الحميري	الخفيف	أصحابي
246 : 8	-	الخفيف	أياب
98 : 9	الأحوص	الخفيف	الأوصاب
193 : 11	عنان جارية الناطفي	الخفيف	حجاب
193 : 11	أبو النضير	الخفيف	الأوصاب
237 : 11	-	الخفيف	الركاب
112 : 12	المتوكل اللثي	الخفيف	بالأذنان
152 ، 149 : 12	غلفاء	الخفيف	الظراب
80 : 13	العتابي	الخفيف	بي

170 : 13	عبدالصمد بن المعدل	الخفيف	الكتاب
169 : 13	عبدالصمد بن المعدل	الخفيف	أصحابي
169 : 13	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الركاب
169 : 13	معديكرب بن الحارث	الخفيف	الظراب
19 : 14	محمد بن يسير	الخفيف	أصحابي
226 : 14	حماد عجرد	الخفيف	أطرابي
187 : 15	أبو العتاهية	الخفيف	الأنساب
241 : 16	البراء بن قيس	الخفيف	الكلاب
187 : 17	زيد الخيل	الخفيف	دوآب
270 : 17	حاتم الطائي	الخفيف	للثواب
105 : 18	المؤمل بن جميل	الخفيف	الخطاب
18 : 19	زهير بن جناب	الخفيف	أتراب
18 : 19	زهير بن جناب	الخفيف	بالأسلاب
55 : 19	الحكم بن قنبر	الخفيف	النصاب
39 : 20	إسحاق الموصلي	الخفيف	الجواب
38 : 20	ابن أبي عينة	الخفيف	الأصحاب
105 ، 80 : 20	دعبل الخزاعي	الخفيف	الكعاب
179 : 20	خالد الكاتب	الخفيف	وعتاب
217 : 20	سعيد بن وهب	الخفيف	الشباب
219 : 10	ابن المعتز	الخفيف	قريب
44 : 18	عاتكة بنت زيد	الخفيف	النجيب
46 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الخفيف	معجب
182 ، 178 : 13	عبدالصمد بن المعدل	مجزوء الخفيف	المهلب
176 : 6	بشار	المجتث	وأثبي
145 ، 142 : 2	الناطقة الجعدي	المتقارب	سلهب
163 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء المتقارب	الأخيـب
96 : 19 ، 227 ، 224 : 9	عدي بن الرقاع	المتقارب	للمصعب
224 : 9	-	المتقارب	للملعب
17 : 12	ناطقة بني جعدة	المتقارب	الأشهب
84 : 19	بكر بن النطاح	المتقارب	مطلب
96 : 19	عدي بن الرقاع	المتقارب	للمصعب
238 : 22	-	المتقارب	حوشب
135 : 22	لقيط بن زرارة	المتقارب	فالهضاب

152 : 7	أبو شهاب	المتقارب	الكاعب
172 : 14	ثابت قطنة	المتقارب	العاقب
168 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	المتقارب	بالحاجب
116 : 22	إبراهيم بن المدبر	المتقارب	الحسب

- قافية الباء المكسورة ومعها كاف ساكنة -

69 : 20	دعبل الخزاعي	البسيط	نسيك
176 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الرمل	بقلبك
168 : 13	عبدالصمد بن المعذل	المنسرح	كتيك
168 : 13	صديق لعبدالصمد بن المعذل	المنسرح	نسيك

- قافية الباء المكسورة مع الهاء الساكنة -

80 : 13	العتابي	المديد	طلية
127 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	غضية
169 : 15 ؛ 173 : 2	شماطيط	الرجز	انتية
253 : 13	الشمردل بن شريك	الرجز	مآية
177 : 5	أبو تمام	المنسرح	أدية
196 : 17	عبدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	شعية

- قافية الباء المكسورة مع الهاء المكسورة -

17 : 6	داود بن سلم	الرجز	عيوبه
253 : 13	الشمردل بن شريك	الرجز	مآيه

- قافية الباء المكسورة مع ها -

109 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الكامل	بجوابها
102 : 11	دختنوس بنت لقيط	مجزوء الكامل	وشبابها
261 ، 253 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	خطيبها
210 : 6	الأعشى	المتقارب	بأبوابها
7 : 12 ، 255 : 11			
38 : 10	إبراهيم بن العباس	المتقارب	أترابها
90 : 10	-	المتقارب	بها

- قافية الباء المفتوحة -

107 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	صبا
76 : 11	عقيل بن علفة	الطويل	غصبا
64 : 13	صخر بن حبناء	الطويل	شغبا

64 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	ذبا
73 : 14	-	الطويل	الرحبا
173 : 14	ثابت قطنة	الطويل	غلبا
35 : 16	النعمان بن بشير	الطويل	سكبا
234 : 16	إبراهيم الموصلي	الطويل	حبا
244 : 17	خالد بن يزيد بن معاوية	الطويل	قلبا
247 : 17	خالد بن يزيد بن معاوية	الطويل	قربا
247 : 17	-	الطويل	صلبا
26 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	حربا
31 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	غصبا
183 : 21	زيادة بن زيد	الطويل	فأصحبنا
34 : 23	-	الطويل	حبا
158 : 3	بشار	الطويل	المهذبنا
241 : 3	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	تصوبا
170 : 4	الأحوص	الطويل	مركبا
141 : 5	إبراهيم الموصلي	الطويل	مذهبنا
50 : 6	العديل بن الفرخ	الطويل	مذهبنا
118 : 7	أبو نواس	الطويل	كوكبا
154 : 8	-	الطويل	وقربا
40 : 11	عمرو بن كلثوم	الطويل	أبا
69 : 12	جميل	الطويل	وأنصبا
250 : 12	سويد بن كراع	الطويل	المنقبا
242 : 13	أبو سماك الأسدي	الطويل	زينبا
155 : 14	عبد الله بن الزبير الأسدي	الطويل	متشعبنا
156 : 14	عبد الله بن الزبير الأسدي	الطويل	المهلبنا
198 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	تغيبنا
201 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	وملعبنا
202 : 14	خوات بن جبير	الطويل	وأقربنا
202 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	ترتبنا
71 : 15	صخر بن عمرو	الطويل	تغضبنا
161 : 15	أعشى ياهلة	الطويل	مصعبنا
220 ، 219 : 16	نائلة بنت الفرافصة	الطويل	اركبنا
161 : 17	شرح القاضي	الطويل	زينبا

14 : 18	جرير	الطويل	المنبأ
263 ، 262 : 18	الأحوص	الطويل	مذنبأ
84 : 20	-	الطويل	فيعجبا
184 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	مجلبا
79 : 22	العباس بن مرداس	الطويل	ترتبا
139 : 22	ضرار التميمي السعدي	الطويل	مشربا
234 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	مذهبا
134 : 23	سليمان بن وهب	الطويل	تقربا
134 : 23	علي بن يحيى	الطويل	ويعتبا
91 : 24	القتال الكلابي	الطويل	ذنبأ
92 : 24	القتال الكلابي	الطويل	زينبا
185 : 3	عكاشة العمي	الطويل	زريابا
280 : 15	الحسين بن مطير	الطويل	والرغائبأ
77 : 14	-	الطويل	قريبأ
76 : 14	-	الطويل	وندوبا
221 : 14	حماد عجرد	المديد	بابأ
221 : 14	حماد عجرد	المديد	الصوابأ
125 : 22	إبراهيم بن المدبر	المديد	عجيبأ
40 : 2	مجنون ليلي	البسيط	خربأ
117 : 2	الخطيئة	البسيط	الذنبأ
131 : 2	الخطيئة	البسيط	شذبأ
247 : 18 ، 50 ، 49 ، 37 : 3	هلال بن الأسعر	البسيط	وصبأ
224 : 3	مرة بن محكان	البسيط	وجبأ
173 : 4	الأحوص	البسيط	حلبأ
189 : 13 ، 71 : 6	مسعدة بن البخترى	البسيط	اجتنبأ
166 : 8	عمرو بن أحر بن العمد	البسيط	كلبأ
136 : 13	زرارة بن المخبل	البسيط	غلبأ
106 : 15	أبو الطفيل عامر	البسيط	عجبأ
160 : 15	عمرو بن معديكرب أو سهل بن الحنظلية	البسيط	غربأ
70 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	رجبأ
75 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	والحسبأ
124 : 18	ابن مناذر	البسيط	ندبأ
44 : 19	مسلم بن الوليد	البسيط	نسبأ

79 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	فاصطحبا
79 : 22	كعب بن سعد القرظي	البيسط	جدبا
227 ، 226 ، 224 : 22	مرة بن محكان	البيسط	والقربا
226 : 22	الحطيئة	البيسط	شزبا
80 : 15	عبدالرحمن بن حسان	البيسط	أذنابا
95 : 18	أعشى بني ربيعة	البيسط	هيابا
140 : 20	أبو محمد اليزيدي	البيسط	متتابا
72 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	الذيا
31 ، 17 ، 10 ، 6 : 8	جرير	الوافر	غضابا
54 ، 31 ، 26 ، 24 ، 23 ، 17 ، 7 : 8	جرير	الوافر	كلابا
114 : 24			
116 ، 115 : 24 ، 16 : 8	راعي الابل النميمي	الوافر	هابا
17 : 8	العباس بن يزيد الكندي	الوافر	غضابا
115 ، 113 : 24 ، 23 ، 16 : 8	جرير	الوافر	غابا
17 : 8	جرير	الوافر	يصابا
24 : 8	جرير	الوافر	أصابا
116 : 24 ، 26 : 8	جرير	الوافر	شابا
55 : 8	جرير	الوافر	العرايا
137 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	الترابا
82 : 11	الحارث بن ظالم	الوافر	ثوابا
82 : 11	الحارث بن ظالم	الوافر	الرقابا
82 : 11	الحارث بن ظالم	الوافر	والقبابا
109 : 11	عروة الرحال	الوافر	عتابا
151 : 12	الفرزدق	الوافر	الكلابا
209 : 12	يزيد بن الحكم	الوافر	الخضابا
211 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الوافر	الشبابا
152 : 18	جرير	الوافر	تبابا
12 ، 10 : 21	أمية بن الأسكر	الوافر	الكتابا
216 : 21	الفرزدق	الوافر	المصابا
117 : 24	جرير	الوافر	الوطابا
152 : 6	وضاح اليمن	الوافر	والحبيا
221 ، 219 : 8	الأخطل	الوافر	العجيا
241 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	أديا

26 : 19	مسلم بن الوليد	الوافر	جنوباً
26 : 19	مسلم بن الوليد	الوافر	الذنبون
152 : 21	أبو خراش الهذلي	الوافر	حبياً
47 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الوافر	غلباً
117 : 14	علي بن الخليل	مجزوء الوافر	العرباً
38 ، 37 : 17	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	نصباً
145 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	قلباً
141 : 10	-	الكامل	ومنقباً
152 : 13	حاجز الأزدي	الكامل	أشعباً
152 : 13	حاجز الأزدي	الكامل	تنكباً
223 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	الواهباً
179 : 3	عكاشة العمي	الكامل	وطاباً
182 : 3	عكاشة العمي	الكامل	أتراباً
177 : 11	الأقيشر	الكامل	وكتاباً
191 : 13	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	كساباً
250 : 14	أوفى بن حجر	الكامل	الاحساباً
170 : 17	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	كساباً
37 : 22	العباس بن الأحنف	الكامل	المحبوباً
46 : 6	أعشى همدان	مجزوء الكامل	عتباً
140 ، 138 : 2	-	مجزوء الكامل	زينباً
280 : 4	ابن ربيعة	مجزوء الكامل	متعباً
224 : 5	-	مجزوء الكامل	مؤبياً
61 : 6	-	مجزوء الكامل	زينباً
131 : 10	عليه بنت المهدي	مجزوء الكامل	متعباً
146 : 3	بشار	الهزج	رباً
238 : 16	إبراهيم الموصلي	الهزج	صباً
199 : 16	لييد	الرجز	معجباً
226 : 16	قيس بن عاصم	الرجز	راكباً
214 : 4	عامر بن الظرب	الرجز	غلباً
230 ، 226 : 18	العماني	الرجز	كتباً
189 : 2	ابن ميادة	الرجز	والخليياً
261 ، 253 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	الكذباً
233 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرجز	كذباً

طربا	الرمل	-	48 : 15
الصبا	الرمل	دعبل	79 : 23
وشابا	مجزوء الرمل	لعله الوليد بن عقبة	86 ، 84 : 5
عذابا	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	33 : 7
أنابا	مجزوء الرمل	مطيع بن إياس	204 : 13
عذابا	مجزوء الرمل	محمد بن كناسة	241 : 13
عجيبا	مجزوء الرمل	عيسى بن زينب	51 ، 49 : 21
جندبا	السريع	حماد عجرد	220 : 14
جريا	السريع	المؤمل بن جميل	106 ، 104 : 18
الحوبا	السريع	إبراهيم بن أبي محمد	157 : 20
ومحتلبا	المنسرح	بشار	153 : 3
الأديا	المنسرح	ابن عبدل الأسدي	142 : 16
أجابا	المنسرح	عمر بن أبي ربيعة	170 : 17
فأجابا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	53 ، 52 : 1
أجابا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	161 : 1
الربابا	الخفيف	-	151 : 5
ثيابا	الخفيف	العباس بن الأحنف	267 : 8
بي	الخفيف	-	215 : 16
نصيبا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	119 : 1
مصيبا	الخفيف	إسماعيل بن عمار	248 : 11
مصيبا	الخفيف	أبو جلدة اليشكري	214 : 11
القلوبا	الخفيف	مطيع بن إياس	203 : 13
كهييا	الخفيف	مطيع بن إياس	204 : 13
الركوبا	الخفيف	عبيدالله بن قيس الرقيات	96 : 15 ، 205 : 13
كهييا	الخفيف	مالك بن الربيع	208 : 22
جانبا	مجزوء الخفيف	إسحاق الموصلي	91 ، 87 : 10 ، 279 ، 204 ، 131 : 5
الشبابا	المتقارب	أيمن بن خريم	198 ، 196 ، 194 : 20
صاحبنا	المتقارب	عمر بن أبي ربيعة	122 ، 104 : 1
غريبا	المتقارب	إبراهيم بن أبي محمد	157 : 20

- قافية الباء المفتوحة مع الكاف الساكنة -

ذَنَبُكَ	مجزوء الرمل	علي بن الجهم	220 : 9
----------	-------------	--------------	---------

- قافية الباء المفتوحة مع الهاء الساكنة -

69 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	قرضانة
238 : 14	-	الوافر	شينة
238 : 14	حماد عجرد	الوافر	وخينة
81 : 11	الحارث بن ظالم	الكامل	عكابة
227 : 14	والبه بن الحجاب	مجزوء الكامل	الكاذبة
76 : 18	علي بن ثابت	مجزوء الكامل	والبة
248 : 11	إسماعيل بن عمار	الهزج	يأبوبة
26 : 11	النابعة الذبياني	الرجز	صلبة
156 : 13	هند بنت خالد	الرجز	الحبيبة
231 : 19	يونس الخياط	مجزوء الرجز	الرحبة
127 : 14	أبو شبل البرجمي	الرمل	الكتبة
182 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الرمل	مغضبة
6 : 13	سلامة بن صبيح	السريع	سلهبة
47 : 15	-	السريع	مسطبة
268 : 1	الوليد بن يزيد	المنسرح	الخشبة
192 : 7	السيد الحميري	المتقارب	قبة
91 : 20	دعبل الخزاعي	المتقارب	دبة

- قافية الباء المفتوحة مع ها -

219 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	قلبها
52 : 10	إبراهيم بن العباس	الكامل	عواقبها

- قافية التاء الساكنة -

144 : 13	غيلان بن سلمة	الطويل	فتزيت
161 : 13	عبدالصمد بن المعذل	المديد	تركت
233 : 16 ، 94 ، 93 : 10	إبراهيم بن المهدي	البيسط	اقتربت
233 : 16	نسبه إلى إبراهيم الموصلي		
117 : 19	-	مجزوء الوافر	فاختمرت
110 : 5	إبراهيم الموصلي	السريع	يليت
110 : 5	العباس بن الأحنف	السريع	نسيت
26 ، 25 ، 24 : 19	مسلم بن الوليد	مجزوء الخفيف	دنت
115 : 20	جعفران الموسوس	مجزوء الخفيف	فأدبرت
193 : 18	شعر فارسي ابن مفرغ	-	روسيدياشت

- قافية التاء المضمومة -

55 : 4	أبو العتاهية	الطويل	أُتلفتُ
232 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	فأنتُ
230 : 5	أم محمد الأعرابية	الطويل	لقيبُ
117 : 11	-	الطويل	فأموتُ
207 : 16	أبو العباس الأعمى	الطويل	لكسيتُ
133 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	غويتُ
142 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	ودعوتُ
217 : 15	جذيمة الأبرش	المديد	شمالأتُ
33 : 4	أبو العتاهية	البسيط	قلتُ
69 : 4	محمد بن أبي العتاهية	مخلع البسيط	قوتُ
182 : 18	أشجع السلمي	مخلع البسيط	المواتُ
13 : 3	أبو قيس بن الأسلت	الوافر	أتيتُ
184 : 3	عكاشة العمي	الوافر	وفيتُ
191 : 5	-	الوافر	انتشيتُ
193 : 5	-	الوافر	ارعويتُ
86 : 22 ؛ 89 : 9 ؛ 232 : 6	السموأل بن عاديا	الوافر	وفيتُ
174 : 16	ربيعة الرقي	الوافر	جريتُ
196 : 16	عامر بن الطفيل	الوافر	حييتُ
95 : 17	أبو قيس بن الأسلت	الوافر	أتيتُ
84 : 22	السموأل	الوافر	استقيتُ
83 : 22	السموأل بن عاديا	الوافر	عصيتُ
6 : 22	القتال السحمي	الوافر	اهتديتُ
86 : 10	-	الكامل	متُ
98 : 2	عدي بن زيد	الهزج	فتهاونتُ
28 : 7	الوليد بن يزيد	الهزج	تناهيتُ
30 : 4	أبو العتاهية	الرجز	يموتُ
267 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	شيتُ
35 : 12	محمد بن الحارث بن بسخر	السريع	نكتُ
36 : 14	ديك الجن	الخفيف	وصلتُ

- قافية التاء المضمومة مع الهاء الساكنة -

147 : 3	بشار	مجزوء الكامل	أُبيتُ
---------	------	--------------	--------

147 : 3	بشار	مجزوء الكامل	اشترتُهُ
167 : 3	بشار	مجزوء الكامل	فديتُهُ
169 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	مجزوء الكامل	فاجعأتُهُ
44 : 6	نسب لأعشى همدان	مجزوء الخفيف	تجارَتُهُ

- قافية التاء المضمومة مع الهاء المضمومة -

214 : 22	عبد بني الحسحاس	الرجز	بنأتُهُ
70 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	مجزوء الخفيف	لاعدمتُهُ

- قافية التاء المضمومة ومعها ها -

158 : 8	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	أطريتُها
---------	------------------	----------	----------

- قافية التاء المكسورة -

11 : 8 ؛ 234 ، 196 : 1	الأحوص	الطويل	قرتِ
15 : 24 ؛ 77 : 17 ؛ 38 : 2	كثير	الطويل	ذلتِ
244 : 9 ؛ 251 : 3	جعفر بن الزبير أو جرير	الطويل	لاستقرتِ
214 ، 206 ، 202 : 21	أو عبدالله بن الزبير		
105 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	أضلتِ
208 : 9 ؛ 233 : 5	أعرابي	الطويل	وعلتِ
210 : 9 ؛ 233 : 5	أعرابي	الطويل	غنتِ
234 : 5	-	الطويل	واكدتِ
285 : 5	الصمة القشيري	الطويل	ذلتِ
226 ، 221 : 6	الخنساء	الطويل	أقشعرتِ
126 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	وميتِ
65 : 8	حرير	الطويل	تعلتِ
129 : 8	طخيم الأسدي	الطويل	برتِ
22 : 9	كثير	الطويل	زلتِ
23 : 9	كثير	الطويل	استذلتِ
213 : 9	كثير	الطويل	حلتِ
208 : 9	كثير أو أعرابي	الطويل	واكدتِ
209 ، 208 : 9	أعرابي أو كثير	الطويل	لفضتِ
138 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	فتخلتِ
237 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	تمنتِ
154 : 13	الطفيل بن عمرو	الطويل	نجتِ
143 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	جلتِ

15 : 251	طفيل الغنوي	الطويل	فزلت
16 : 108	كثير	الطويل	قرت
17 : 10	الكميت	الطويل	شلت
18 : 28	القحيف العقيلي	الطويل	أضلت
18 : 30 ؛ 24 : 49	القحيف العقيلي	الطويل	وجلّت
19 : 50	الفرزدق	الطويل	ضلت
19 : 49	الطرماح بن حكيم	الطويل	ضلت
21 : 170	السمهري العكلي	الطويل	تمنت
21 : 170	السمهري العكلي أو مرة بن محكان	الطويل	زلت
21 : 202	الفرزدق	الطويل	لاستقرت
21 : 271	جرير	الطويل	تعلت
21 : 132 ، 135	الشنفرى	الطويل	المصوت
21 : 127 ، 133	الشنفرى	الطويل	تولت
22 : 26	صخر بن الجعد	الطويل	وجرت
23 : 28	حجناء بنت نصيب	الطويل	وكلت
24 : 46	الأعشى	الطويل	وقلت
24 : 50	القحيف العقيلي	الطويل	أضلت
4 : 265	ابن هرمة	الطويل	المنابت
2 : 107	الحطيئة	الطويل	الخفرات
5 : 109 ؛ 6 : 132 ، 143 ، 144 ، 145	النميري	الطويل	خفرات
6 : 138 ، 139 ، 141	النميري	الطويل	حذرات
6 : 144	سعيد بن المسيب أو النميري	الطويل	للجمرات
6 : 137 ، 140	النميري	الطويل	عطرات
11 : 131	النميري الثقفي	الطويل	معتمرات
14 : 157	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	القصبات
20 : 75	دعبل الخزاعي	الطويل	النقعات
20 : 75	دعبل الخزاعي	الطويل	الصلوات
20 : 75 ، 80 ، 104	دعبل الخزاعي	الطويل	العرصات
20 : 80	دعبل الخزاعي	الطويل	منقبضات
23 : 193	القاسم بن عمر	الطويل	مما تي
24 : 48	القحيف العقيلي	الطويل	والعبرات
3 : 175	بشار	البسيط	بالغفاريات
20 : 83	دعبل الخزاعي	البسيط	لذاتي

12 : 9	سراقة البارقي	الوافر	مصمّنات
152 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	حياة
152 : 12	أبو حنش عصم بن النعمان	الوافر	صنّيعات
44 : 12	معن بن أوس	الوافر	حمات
214 : 16	-	الوافر	جائحات
239 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	خاليات
22 : 23	الربيع بن عبد الله	الوافر	هات
22 : 23	نصيب الأصغر	الوافر	مشهراتي
61 : 20	أبو سعد المخزومي	الوافر	لميت
183 : 18	-	مجزوء الوافر	مقتي
164 : 6	وضاح اليمن	الكامل	فأدلت
234 : 10	زهير بن أبي سلمى	الكامل	أضلت
155 : 15	كاسبة بن حرقوص	الكامل	فارتدت
48 : 18 ، 160 : 5	-	الكامل	خضت
230 : 1	نصيب بن رباح	الكامل	ثابت
171 : 1	-	الكامل	وحماتي
13 : 7	الوليد بن يزيد	الكامل	لذاتي
176 : 6	بشار	مجزوء الكامل	وجيرتي
174 : 19	-	مجزوء الكامل	عدوتي
235 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الكامل	فتشت
101 : 5	الوليد بن عقبة	مجزوء الكامل	هات
226 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الكامل	الهات
180 : 23	محمد بن سعيد الأسدي	مجزوء الكامل	العداة
188 : 23	يوسف بن الصيقل	مجزوء الكامل	المتشاكلات
112 : 3	بشار	الهمزج	الزيت
33 : 7	الوليد بن يزيد	الهمزج	شيت
140 ، 137 ، 136 : 18	ابن منذر	الهمزج	الصلت
29 : 5	جحذر بن ضيعة أو صخر بن عمرو السلمي	الرجز	لمتي
222 : 20	العجاج	الرجز	واستقلت
26 : 21	الأغلب العجلي	الرجز	واشمطت
37 : 10	إبراهيم بن العباس	الرجز	الأموات
127 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	المباركات
170 : 20 ، 176 : 10	علي بن الجهم	الرجز	ومهجرات

الولاء	مجزوء الرمل	السيد الحميري	7 : 199
الموحشات	مجزوء الرمل	السيد الحميري	7 : 199
القضاة	مجزوء الرمل	السيد الحميري	7 : 195 ، 199
علاء	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	7 : 57
وهنات	مجزوء الرمل	حماد عجرد	14 : 219
بليت	مجزوء الرمل	أبان اللاحقي	23 : 145
للفوت	السريع	أبو العتاهية	4 : 43
بالليت	السريع	مسلم بن الوليد	12 : 103
بيت	السريع	أحمد بن أبي داود	23 : 60
لجاجاتي	السريع	العباس بن الأحنف	17 : 55
الفوت	المنسرح	قيس بن ذريح	9 : 161
والملاات	المنسرح	أبو العتاهية	4 : 47
والمحامة	المنسرح	أبو العتاهية	4 : 47
متعتي	الخفيف	بشار	3 : 162
الحرما	الخفيف	سديف	4 : 245
الملاة	الخفيف	أحيحة بن الجلاح	15 : 36
عرفات	الخفيف	النميري محمد	18 : 269
عرفات	الخفيف	-	20 : 229 ، 232
الكنات	الخفيف	-	20 : 229 ، 232
البيات	الخفيف	صديق للعطوي	23 : 119
والكاسات	الخفيف	العطوي	23 : 119
بيروت	الخفيف	الوليد بن يزيد	7 : 35
ومنيتي	مجزوء الخفيف	إبراهيم الموصلي	5 : 104
تناهت	مجزوء الخفيف	إبراهيم بن العباس	10 : 42
فعلتي	المتقارب	بشار	3 : 125

- قافية التاء المكسورة ومعها كاف ساكنة -

صليت	المنسرح	إسحاق الموصلي	5 : 218 ، 16 : 272
------	---------	---------------	--------------------

- قافية التاء المكسورة ومعها هاء ساكنة -

جدته	المديد	محمد بن أمية أو ابن أبي أمية	12 : 109 ، 19 : 40
حياته	الوافر	محمد بن أبي العتاهية	4 : 89
عللته	الهرج	الحسن بن وهب	23 : 98
بمقته	الخفيف	أبو محمد اليزيدي	20 : 137

173 : 13	عبد الصمد بن المعذل	مجزوء الخفيف	زوجته
297 : 4	إبراهيم بن إسماعيل بن يسار	المتقارب	غيبته

- قافية التاء المكسورة ومعها هاء المكسورة -

85 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	عداته
165 : 7	الحسين بن الضحاك	البسيط	بذلتيه
65 : 4	أبو العتاهية	الكامل	جدته
209 ، 206 : 19	شاعر حجازي	الكامل	ممايه
228 : 11	-	المنسرح	بطلعته

- قافية التاء المكسورة ومعها ها -

255 ، 36 : 9	مسافر بن أبي عمرو	مجزوء الكامل	لنوابها
243 ، 242 : 11 ؛ 148 : 8 ؛ 162 : 5	عمر بن أبي ربيعة	الرملي	حجرتها

- قافية التاء المفتوحة -

18: 4	أبو العتاهية	الطويل	ونسيتا
241 : 8	القس	البسيط	فاتا
218 : 17	الحميري (ذو جدن)	البسيط	فاتا
172 : 9	حميدة بنت النعمان	الوافر	فراتا
33 : 3	الدارمي سعيد	الوافر	تموتا
25 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	هديتا
43 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	الثباتا
137 : 19	عوف القوافي	الكامل	ماتا
204 : 6	بعض شعراء قریش	مجزوء الكامل	ماتا
263 : 20 ؛ 160 : 3	بشار ونسبت لأبي نخيلة الحماني	الرجز	ستا
223 : 20	رؤبة	الرجز	بنيتا
259 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	هيجيتا
257 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	نيتا
84 : 23	أبو نواس	مجزوء الكامل	الكميتا
84 : 23	عنان	مجزوء الرمل	قوتا
163 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	متا
36 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	كتتا
235 ، 234 ، 231 : 4	أبو سعيد مولى فائد	الخفيف	ماتا
107 ، 88 : 10			

- قافية التاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

وقته مخلع البسيط محمد بن عبد الملك الزيات 58 : 23

- قافية التاء الساكنة -

وخنث الرمل هارون الرشيد 236 : 16 ؛ 194 : 5
خنث الرجز إبراهيم الموصلي 239 ، 238 : 16

- قافية التاء المضمومة -

الحوادث الطويل إبراهيم بن العباس أو إسحاق الموصلي 38 : 10
مباحث الطويل أبو دلالة 191 ، 187 : 10
الخبيث الوافر ابن أبي الزوائد 81 : 14
ثلاث الخفيف - 219 : 9 ؛ 146 : 5

- قافية التاء المضمومة ومعها هاء ساكنة -

أحداثه الخفيف ديك الجن 36 : 14

- قافية التاء المكسورة -

حارث الطويل محمد بن الحارث بن بسخر 156 ، 154 : 23
الأثاث الوافر النعميري 140 ، 135 : 6
بالأثاث الوافر ابن أبي عيينة 38 : 20
عثث الكامل دعلج الخزاعي 79 : 20
الحارث الكامل عبدالله بن العباس الربيعي 157 : 23
والأحدث السريع حماد عجرد 235 : 14
كالناكث السريع عمر بن أبي ربيعة 156 : 15 ؛ 203 ، 200 : 1
الرائث المتقارب عبيدالله بن عبدالله بن عتبة 110 : 9
الباحث المتقارب حماد عجرد 235 : 14

- قافية التاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

رعاة مجزوء الكامل أشجع السلمي 165 : 18
الثلاثة مجزوء الكامل بكر بن خارجة 166 : 23

- قافية الجيم الساكنة -

وهاج الرجز أبو نخيلة 5 : 7
أزواج الرجز أشعب 68 : 7
الداخ الرجز حميدة بنت النعمان 172 : 9
شميرج الرجز بعض سليم 213 : 2

138 : 7	الحسين بن الضحّاك	الرمل	بالدعج
133 ، 132 : 10	علية بنت المهدي	الرمل	لسمج
79 : 20	دعبل الخزاعي	الرمل	المهج
22 : 23	نصيب الأصغر	الرمل	هزج
18 : 20 ؛ 127 : 18	أبو نواس	مجزوء الخفيف	اختليج
111 : 20	جعيفران الموسوس	مجزوء الخفيف	فرج
45 : 12	-	المقتضب	حرج
32 : 21	البحثري	المتقارب	خليج

- قافية الجيم المضمومة -

124 : 3	بشار	الطويل	ينهج
67 : 5	-	الطويل	منضج
104 ، 103 ، 89 : 7 ؛ 77 : 5	أبو دهبل الجمحي	الطويل	تفرج
89 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	وأدلجو
104 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	ومخرج
104 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	أحوج
188 : 8	حميد بن ثور	الطويل	تشحج
188 : 8	ليلى الأحيلىة	الطويل	بهرج
69 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	مخرج
70 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	وتزعج
71 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	مفرج
64 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	المديد	حرج
66 ، 65 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	المديد	دعج
190 ، 189 : 19 ؛ 139 : 3	بشار بن برد	البسيط	اللهج
139 : 3	بشار بن برد	البسيط	ونتهج
184 : 11	الأقيشر أو أبو محجن الثقفي	البسيط	والحرج
10 : 19	أبو محجن الثقفي	البسيط	والحرج
189 : 19	بشار بن برد	البسيط	نهج
86 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	مرتوج
19 : 5	مدرك العبسي	الوافر	انفراج
283 : 4	أبان اللاحقي	مجزوء الوافر	الفرج
283 : 4	أبان اللاحقي	مجزوء الوافر	ودج
235 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الوافر	ودج
164 : 18	أشجع السلمي	الكامل	الوهاج

186 : 19	سلم الخاسر	الكامل	مزعاج
205 : 19	سلم الخاسر أو بشار	الكامل	وهاج
205 : 19	سلم الخاسر	الكامل	هياج
162 : 16	أبو الشدائد الفزاري	الرجز	دجوا
20 : 7	الحارث بن خالد	السريع	مخرج
221 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	يعتلج
223 ، 221 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	والولج
134 : 5	-	المنسرح	حرج
16 : 20	طريح بن إسماعيل	المنسرح	تشج
259 : 16	أبو دواد الايادي	الخفيف	اضريح

- قافية الجيم المكسورة -

211 : 2	ابن ميادة	الطويل	تزوج
123 : 9	الشماخ	الطويل	منضج
18 : 12	قدامة بن الأحرز	الطويل	حشرج
209 : 12	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يلجج
137 : 21	الشنفرى	الطويل	متعوج
184 : 22	أبو حزابة التميمي	الطويل	ومعلج
217 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	المفرج
181 : 10	علي بن الجهم	الطويل	الدرارج
269 : 4	ابن هرمة	البسيط	مهتاج
39 : 11	عمرو بن كلثوم	البسيط	ناج
86 : 16	عروة بن أذينة	البسيط	يأجوج
200 : 10	أبو دلامة	الوافر	ساجي
170 : 11	الأقيشر	الوافر	السراج
117 : 13	عبدالله بن الحجاج	الوافر	ناجي
206 : 18	ابن مفرغ	الوافر	علاج
119 : 14	علي بن الخليل	محزوء الوافر	المهج
136 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو جميل عروة بن أذينة أو عبيد بن أوس	الكامل	تخرج
265 : 15 ، 24 : 12	زياد الأعجم	الكامل	الحشرج
199 : 17	عمران بن عصام	الكامل	بالعوسج
204 : 17	نبيه بن الحجاج	الكامل	افحج
181 : 4	جرير	الكامل	تناجي

25 : 8	جرير والفرزدق	الكامل	الاحداج
49 : 8	جرير	الكامل	الحجاج
167 : 17	أسماء بن خارجة	الكامل	الحجاج
143 : 19	رجل عذري	الرجز	الحج
225 : 21	الفرزدق	الرجز	الوهج
185 : 22	أبو حنابة التميمي	الرجز	بخرج
20 : 24	عمير بن الحباب	الرجز	العرج
17 : 21 ؛ 8 : 12	يزيد بن عبد المذان	الرجز	كمذحج
232 : 18	العماني	الرجز	منضج
8 : 15	جعفر بن الزبير	الرجز	ونحارج
39 : 16	حميدة بنت النعمان بن بشير	الرجز	ذاتاج
157 : 5	إبراهيم الموصلي	معزوء الرمل	بمزاج
240 : 3 ؛ 239 : 2 ؛ 262 ، 181 ، 180 : 1	العرجي	السريع	تخرجي
363 : 1	العرجي	السريع	مدحج
241 ، 240 : 2	العرجي	السريع	تحجج
197 : 13	عبدالله بن معاوية	المنسرح	فرج
130 : 14	أبو شبل البرجمي	المنسرح	والدعج
9 : 15	جعفر بن الزبير	المنسرح	سمج
5 : 15	جعفر بن الزبير	المنسرح	فرج
12 : 24 ؛ 279 : 4	عبدالله بن أبي معقل	الخفيف	نرجي
99 ، 90 : 19	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	هرج
99 : 19	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	الخليج
256 : 16	أبو دواد الأيادي	الخفيف	بالباج
71 : 20	-	الخفيف	باللوج
60 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	المتقارب	تلجج
134 : 8	عبد الرحمن بن أرطاة	المتقارب	الخزرج

- قافية الجيم المكسورة مع ها -

81 : 6	ابن هرمة	المتقارب	مهتاجها
81 : 6	ابن هرمة	المتقارب	ومحتاجها
81 : 6	ابن هرمة	المتقارب	هداجها

- قافية الجيم المفتوحة -

240 : 17	أبو عطاء السندي	الطويل	ملهوجا
----------	-----------------	--------	--------

219 : 21	الفرزدق	الطويل	مخرجا
65 : 7	الوليد بن يزيد	المديد	فاختلجا
143 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	حرجا
143 : 1	عمر بن أبي .	البيسيط	نهجا
27 : 14	محمد بن يسـ	البيسيط	ارتججا
27 : 14	محمد بن يسير	البيسيط	الللججا
199 : 22	النمر بن تولب	الوافر	علاججا
71 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	وادلاججا
210 : 11	أبو جلدة الشكري	الرجز	منجى
35 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	فهاججا
164 : 18	أشجع السلمي	السريع	المرتجى

- قافية الجيم المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

16 ، 14 ، 11 : 6	ابن ربيعة	مجزوء الرمل	السماجة
------------------	-----------	-------------	---------

- قافية الحاء الساكنة -

98 : 4	أمية بن أبي الصلت	مجزوء الكامل	جحاجح
40 : 7	الوليد بن يزيد	الرمل	سنح
173 : 19	عبدالله بن العباسي الربيعي	الرمل	يضح
24 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	مليح
119 : 19 ؛ 171 : 1	-	السريع	البطاح
31 : 10	دريد بن الصمة	المتقارب	ممتدح

- قافية الحاء المضمومة -

201 : 2	عقال بن هاشم	الطويل	يمزح
201 : 2	ابن ميادة	الطويل	يسبح
188 : 5	ذو الرمة	الطويل	مطرح
36 : 12 ؛ 280 ، 278 : 5	ذو الرمة	الطويل	وتسنح
15 : 15 ؛ 56 : 6	ابن مقبل	الطويل	المضبح
226 : 8	جرير	الطويل	تسرح
120 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	ينفح
40 : 13	العجير السلولي	الطويل	ولقح
154 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	وتمرح
281 : 17	ذو الرمة	الطويل	يرمح
13 : 18	ذو الرمة	الطويل	صيدح

13 : 18	الفرزدق	الطويل	وصيدحُ
22 : 18	ذو الرمة	الطويل	المبرحُ
26 : 18	ذو الرمة	الطويل	يبرحُ
230 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	يفتحُ
112 : 2	صخر بن أعبي	الطويل	سالحُ
254 : 5	المرار	الطويل	رائحُ
216 : 9	أعرابي	الطويل	مازحُ
164 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	وصفائحُ
151 : 10	-	الطويل	الجوائحُ
39 : 11	عمرو بن كلثوم	الطويل	قارحُ
209 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	النوابحُ
132 : 12	كثير	الطويل	راجعُ
39 : 12	معن بن أوس	الطويل	صوالحُ
189 ، 185 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	سايحُ
71 : 18	جبهاء الأشجعي	الطويل	سارحُ
71 : 18	مولى تيم	الطويل	المناكحُ
71 : 18	جبهاء الأشجعي	الطويل	المنائحُ
106 : 21	تأبط شرا	الطويل	النوائحُ
97 : 23	-	الطويل	صحائحُ
213 : 8	الأعطل	الطويل	قروحُ
112 ، 111 ، 103 : 9	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	الطويل	أليحُ
112 : 9	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	الطويل	تصيحُ
223 : 9	المنتصر الخليفة	الطويل	جموحُ
120 : 13	عبد الله بن الحجاج	الطويل	صفوحُ
267 : 15	زياد الأعجم	الطويل	ويروحُ
162 : 18	أشجع السلمي	الطويل	فسيحُ
74 : 17	أم أبان والدة مزاحم	الطويل	جراحُ
166 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	الريحُ
273 : 17	رجل نبيتي	البسيط	الريحُ
45 : 10	إبراهيم بن العباس	البسيط	وأقداحُ
97 : 3	-	الوافر	يصيحُ
148 : 5	-	الوافر	روحُ
210 : 20	أبو الهندي	الوافر	يصيحُ

59 ، 58 ، 41 ، 32 : 2	مجنون ليلى	الوافر	يراحُ
203 : 2	ابن ميادة	الوافر	المناحُ
100 : 8	عبدالله بن قطبة	الوافر	صباحُ
127 : 13	ناهض بن ثومة	الوافر	التضاحُ
211 : 20	أبو الهندي	الوافر	راحُ
80 : 22	سارة القرظية	الوافر	الرياحُ
85 ، 84 : 14	أبو الأسد	مجزوء الوافر	صبحُ
243 : 8 ؛ 197 : 3	الأحوص	الكامل	فيسججُ
253 : 13	الشمردل بن شريك	الكامل	تبرحُ
67 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	سفعُ
67 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	المدحُ
209 : 4	-	الكامل	وبريحُ
168 : 6	وضاح اليمن	الكامل	صحيحُ
108 ، 105 : 22	جواس العذري	الكامل	وتروحُ
31 : 5	سعد بن مالك	مجزوء الكامل	فاستراحوا
82 : 9	-	الرجز	جماحُ
9 : 15	جعفر بن الزبير	الرجز	صلاحُ
81 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرمل	الجموحُ
175 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	السريع	نجعُ
53 ، 52 ، 51 : 6	أعشى همدان	السريع	النازحُ
81 : 7	نابغة بني شيبان	المنسرح	طلحُ
174 : 18	أشجع السلمي	الخفيف	صحيحُ
131 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الخفيف	يصرحُ
237 : 9	المعتز الخليفة	مجزوء المتقارب	تبرحُ

- قافية الحاء المكسورة -

167 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	فالطلعُ
60 : 3	عروة بن الورد	الطويل	رُزحُ
25 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	بأروحُ
155 : 13	مربان بن سعد الدوسي	الطويل	مسرَحُ
47 : 19 ؛ 103 : 14	مسلم بن الوليد	الطويل	فاقدحُ
59 ، 58 : 2	مجنون ليلى	الطويل	الأباطحُ
111 : 2	الحطيئة	الطويل	فأضحى
77 : 4	أبو العتاهية	الطويل	النوائحُ

76 : 8	جميل	الطويل	بالقوادح
25 : 9	كثير	الطويل	الذرارح
121 : 9	الشماخ	الطويل	النواكح
9 : 13	أبو الطمحن القيني	الطويل	الجوانح
52 : 21	-	الطويل	الملائح
200 : 2	ابن ميادة	الطويل	رباح
200 : 2	شقران	الطويل	قباح
278 : 2	الحكم بن عيذل	الطويل	رياح
74 : 17	أم أبان والدة مزاحم	الطويل	سلاح
246 : 17	يزيد بن معاوية	الطويل	بصحاح
125 ، 124 : 20	مسكين الدارمي	الطويل	سلاح
151 : 5	-	الطويل	قروح
214 : 5	إسحاق الموصلي	البيسط	بأقداح
48 : 11 ، 35 : 9	أوس بن حجر	البيسط	بالراح
46 : 11	أوس بن حجر	البيسط	لواح
30 : 12	رجل من يشكر	البيسط	والطرماح
257 : 16	داود بن أبي داود	البيسط	واصباح
265 : 17	حاتم الطائي	البيسط	بزحراح
265 : 17	مالك بن جبار	البيسط	ناح
35 : 20	البحري	البيسط	والراح
61 : 20	علي بن رزين	البيسط	مياح
220 : 14	حماد عجرد	مخلع البيسط	سفوح
14 : 21	أمية بن الأسكر	الوافر	صحاح
27 : 5	جساس بن مرة	الوافر	القراح
27 : 5	فضلة بن مرة أخو جساس	الوافر	السلاح
34 : 6	أعشى همدان	الوافر	السلاح
34 : 6	أعشى همدان	الوافر	الأداحي
83 ، 82 ، 80 ، 78 ، 77 : 6	ابن هرمة	الوافر	الجناح
78 : 6	ابن هرمة	الوافر	لمستراح
25 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	اللقاح
50 : 8	جرير	الوافر	الجماح
34 : 8	عقيلة بنت الضحاك	الوافر	الصباح
66 : 15 ، 218 ، 50 ، 31 ، 7 : 8	جرير	الوافر	راح

174 : 9	جرير	الوافر	بالنجاح
12 : 14	الحصين بن الحمام	الوافر	مراح
116 : 14	علي بن الخليل	الوافر	واللواحي
52 : 22	الشويعر الليثي	الوافر	والصفاح
167 : 22	امراة من بني قيس	الوافر	السلح
22 : 24	عمير بن الحباب	الوافر	انتزاح
46 : 20	ابن أبي عيينة	الوافر	ضريح
261 ، 260 : 15	زياد الأعجم أو الصلتان العبدي	الكامل	الرائح
67 : 21	أبو ملحم النسابة	الكامل	صالح
66 : 21	أبو ملحم النسابة	الكامل	اللائح
209 : 2	ابن ميادة	الكامل	كالزاح
91 ، 90 : 3	سعية بن غريض أو لأبيه غرض	الكامل	أنواحي
89 : 19	بكر بن النطاح	الكامل	جناحي
68 : 21	أبو نواس	الكامل	ملاحي
69 : 21	أبو نواس	الكامل	نجاح
229 : 19	يونس الخياط	الكامل	ريحي
148 : 2	-	مجزوء الكامل	المازح
27 : 3	ابن زهير المخنث	مجزوء الكامل	الصباح
168 ، 46 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	مجزوء الكامل	السلح
46 : 12	حسين بن عبدالله عبيدالله	مجزوء الكامل	بالسلح
73 ، 72 : 18	والبة بن الحباب	مجزوء الكامل	الرماح
143 : 20	خلف الأحمر	مجزوء الكامل	والرميح
165 : 4	الأحوص	الرجز	يفقح
249 : 10	المرار بن سعيد	الرجز	لم تفتح
124 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الرمل	لرياح
40 : 4	أبو العتاهية	السريع	الراح
225 : 13	مطيع إياس	السريع	صباح
117 : 14	علي بن الخليل	السريع	والراح
215 : 14	حماد عجرد	السريع	صاح
203 : 13	مطيع بن إياس	المنسرح	السفح
20 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	الصلاح
204 : 10	أبو دلالة	الخفيف	بسماح
214 : 10	أبو دلالة	الخفيف	النصاح

29 : 14	محمد بن يسير	الخفيف	الألواح
86 : 17	ابن عائشة	الخفيف	الفقاح
143 : 23	أبان اللاحقي	الخفيف	بالطاح
143 : 23	أبان اللاحقي	الخفيف	أرباح
21 : 24	المجبر بن أسلم	الخفيف	الصباح
41 : 15	محمد بن الأشعث	الخفيف	منيع
119 : 20	السري بن عبد الرحمن	الخفيف	السطوح
39 : 23	أبو شراة	الخفيف	الفسيح
167 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	المجتث	الصوبح
230 : 18	العماني	المتقارب	الأصريح

- قافية الحاء المفتوحة -

94 : 14	مالك بن عوف النصر	الطويل	ووقحا
94 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	جنحا
157 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	فأسمحا
94 ، 93 : 23	الحسن بن وهب	الطويل	وطَّلحا
216 : 7	سلمى بنت عميس	الطويل	جارحا
43 : 12	معن بن أوس	الطويل	تراوحا
85 : 17	إسحاق الموصلي	المديد	وصباحا
219 : 4	طريح	البسيط	صلحا
104 : 12	محمد بن أمية	البسيط	نفحا
13 : 14	محمد بن يسير	البسيط	ترحا
97 : 2	عدي بن زيد	الوافر	أراحا
126 : 2	شاعر من بني أنف الناقة	الوافر	البطاحا
183 : 18	أشجع السلمي	الوافر	صحاحا
204 : 7	السيد الحميري	الوافر	القيبحا
180 ، 181 ، 205 ، 206 ؛	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	مطلحا
61 : 6 ؛ 137 ، 139 ، 166 ؛	أو جعفر بن الزبير		
	أو عبد الرحمن بن أرطاة أو أبو دهب الجمحي		
76 : 12	-	مجزوء الوافر	فرحا
154 ، 145 : 3	بشار	الكامل	جرحا
169 : 3	بشار	الكامل	صبعا
176 : 10	علي بن الجهم	الكامل	سمحا
124 : 7	أبو نواس	الكامل	صياحا

123 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	رواحا
26 : 19	أبو نواس	الكامل	صياحا
33 : 4	-	الرجز	المسحا
203 : 10	أبو دلالة	الرجز	قدحا
29 : 24	القطامي	الرجز	انفضاحا
142 : 23	أبان اللاحقي	السريع	انصحا
100 : 9	عبد الرحمن بن حسان	السريع	تباريحا
149: 3	بشار	السريع	طاحا
163 : 3	بشار	السريع	جحجحا
166 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرملة	الخفيف	أبوها
170 : 2	ابن ميادة	الخفيف	قريحا
17 : 6	داود بن سلم	المتقارب	النجاحا
39 : 9	ابن هرمة	المتقارب	شحا
188 : 6	أبو دؤيب	المتقارب	نجيحا

- قافية الحاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

209 : 18	ابن مفرغ	الكامل	الراجعة
118 : 11	الجعد بن مهجع	الرجز	ولوحة
201 : 10	أبو دلالة	المتقارب	البارحة
244 : 12	-	المتقارب	وحوحة

- قافية الحاء المفتوحة ومعها ها -

72 : 4	أبو العتاهية	الكامل	قداحها
72 : 4	عبيد الله بن إسحاق الهاشمي	الكامل	صلاحها

- قافية الخاء الساكنة -

172 : 23	أبو العبر	الهمزج	فرخ
----------	-----------	--------	-----

- قافية الخاء المضمومة -

238 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	شبح
----------	---------------	--------	-----

- قافية الخاء المكسورة -

236 : 3	الحارث بن خالد	الوافر	السّاخ
---------	----------------	--------	--------

- قافية الدال الساكنة -

148 : 6	وضاح اليمن	الطويل	جمد
165 : 6	وضاح اليمن	الطويل	الحرذ

100 : 7	أبو دهيل الجمحي	الطويل	ولد
60 : 4	أبو العتاهية	الكامل	حامد
168 : 15	طريح بن إسماعيل	مجزوء الكامل	قائد
49 : 15	-	مجزوء الكامل	فرد
262 : 16	أبو ذؤاد الإيادي	مجزوء الكامل	وارد
128 : 2	الحطيئة	الرجز	الد
27 ، 66 ، 8	جميل	الرجز	الأشد
99 : 8	جميل	الرجز	معد
227 : 20	روية	الرجز	الإبراد
147 : 10	أبو عيسى بن الرشيد	مجزوء الرجز	الجلد
35 : 11	هاتف في المنام	مجزوء الرجز	الأسد
171 : 23	-	مجزوء الرجز	وعضد
228 : 11 ؛ 131 ، 130 : 5 ؛ 134 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرميل	تجد
97 ، 83 ، 2	عدي بن زيد	الرميل	ومقد
288 : 4	إسماعيل بن يسار أو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	الرميل	بالرشد
195 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الرميل	الصمد
170 : 11	الأقيشر	الرميل	أحد
170 : 11	الأقيشر	الرميل	والعدد
6 : 20	إسحاق الموصلي	الرميل	أحد
6 : 20	إسحاق الموصلي	الرميل	فجد
183 : 20	-	مجزوء الرمل	الخدود
180 : 18	أشجع السلمي	السريع	الخلود
228 : 13	مطيع بن إياس	المتقارب	يعتمد
82 : 22	مالك بن العجلان	المتقارب	يهود
82 : 22	يهودي	المتقارب	تسود

- قافية الدال المضمومة -

42 : 2	مجنون ليلي	الطويل	بُعد
115 : 2	الحطيئة	الطويل	شدوا
109 : 2	الحطيئة	الطويل	حمد
129 : 2	الحطيئة	الطويل	نجد
193 : 3	الحاذرة الثعلبي	الطويل	نجد
109 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	العبد
144 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	هند

219 : 9	الوائق الخليفة	الطويل	بدُ
188 : 10	أبو دلالة	الطويل	الوردُ
243 ، 234 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	يغدو
178 : 12	أبو وجزة السعدي	الطويل	سعدُ
178 : 12	أبو المزاحم	الطويل	العبدُ
19 : 14	محمد بن يسير	الطويل	القفدُ
222 ، 209 : 14	حماد عمجد	الطويل	بردُ
177 : 16	أبو الشمقمق	الطويل	والمجدُ
39 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	عهدُ
28 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	نجدُ
79 : 4	أبو العتاهية	الطويل	مجردُ
44 : 5	-	الطويل	تصعدُ
156 : 8	-	الطويل	مقصدُ
118 : 9	مزد بن ضرار	الطويل	مزدُ
91 : 11	المخيل السعدي	الطويل	أبردُ
20 : 12	عبدالله بن الحشرج	الطويل	وينفدُ
230 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	أرشدُ
130 : 12	كثير	الطويل	يحمسدُ
216 : 13	مطيع بن إياس	الطويل	محمدُ
216 : 14	حماد عمجد	الطويل	تسجدُ
258 : 16	دواد بن أبي دواد	الطويل	متلدُدُ
258 : 16	أبو دواد الإيادي	الطويل	تعمدُ
276 : 17	حاتم الطائي	الطويل	يترددُ
192 : 20	أبو العتاهية	الطويل	ويفقدُ
241 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	القلائدُ
206 : 3	ابن المولى	الطويل	رواعدُ
52 : 3	عروة بن الورد	الطويل	واحدُ
35 : 6	أعشى همدان	الطويل	المواعدُ
62 : 6	هفان بن همام	الطويل	الرواعدُ
56 : 9	حميد بن ثور	الطويل	الأبعادُ
73 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	والدُ
63 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	زاهدُ
7 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	جاهدُ

23 : 17	المستهل بن الكميت	الطويل	لراكذ
20 : 19	زهير بن جناب	الطويل	العوائذ
5 : 20	التيحي	الطويل	حد
220 : 21	الفرزدق	الطويل	خالذ
152 : 22	ذو الرمة	الطويل	واحد
163 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	ناهد
141 : 3	بشار	الطويل	جواد
68 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	معاد
71 : 21	رجل من عاد	الطويل	معاد
91 : 1	جميل	الطويل	فيعود
150 : 2	جميل	الطويل	قعود
248 : 2	جميل	الطويل	بعيد
257 ، 256 ، 253 : 2	جميل	الطويل	ونيزد
256 ، 253 : 2	جميل	الطويل	تريد
75 : 8 ؛ 258 : 2	جميل	الطويل	يعود
92 : 8	جميل	الطويل	شهيد
111 : 9	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	الطويل	شديد
118 : 9	جبل بن جوال	الطويل	ونيزد
155 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	لسعيد
155 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	تعود
92 : 10	-	الطويل	وأجود
146 : 10	علية بنت المهدي	الطويل	شهود
121 : 11	معشوقة الجعد بن مهجع	الطويل	يريد
240 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	مريد
107 : 16	جميل	الطويل	لسعيد
250 : 17	شديد بن شداد	الطويل	شديد
118 : 19	-	الطويل	شهيد
126 : 20	مسكين الدارمي	الطويل	وأذود
127 : 20	-	الطويل	عقيد
176 ، 175 : 21	مسعود بن خرشة	الطويل	بعيد
209 : 1	-	المديد	بعدوا
228 : 1	نصيب بن رباح	البسيط	الكبد
83 : 3	ورقة بن نوفل أو غيره	البسيط	أحد

224 ، 219 : 6	-	البيسط	الفردُ
102 : 7	أبو دهبِل الجمحي	البيسط	رقدوا
263 : 8	العباس بن الأحنف	البيسط	رقدوا
163 : 11	ليلي الأخيلية	البيسط	الصمُدُ
199 : 12	شبيب بن البرصاء	البيسط	الفقدُ
48 : 13	العجير السلولي	البيسط	معتقدُ
39 : 14	ديك الجن	البيسط	جلدُ
74 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البيسط	والكندُ
118 : 16	الفضل بن العباس	البيسط	ويدُ
239 : 18	عروة بن أذينة	البيسط	ابتردُ
161 : 18	أشجع السلمي	البيسط	يجدُ
97 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	أحدُ
79 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	رقدوا
118 : 24	الراعي النميري	البيسط	فسدوا
46 : 7	الأفوه	البيسط	تنقادُ
178 : 10	علي بن الجهم	البيسط	وإرعادُ
119 : 12	الأفوه الأودي	البيسط	عادوا
160 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	البيسط	معتادُ
121 : 24	الأفوه الأودي	البيسط	عادوا
236 : 1	أبو دهبِل	البيسط	والجودُ
136 : 3	بشار	البيسط	معقودُ
273 : 5	-	البيسط	حيدُ
98 : 7	أبو دهبِل الجمحي	البيسط	محسودُ
99 : 7	أبو دهبِل الجمحي	البيسط	جلمودُ
98 : 7	أبو دهبِل الجمحي	البيسط	معمودُ
99 : 7	أبو دهبِل الجمحي	البيسط	والجودُ
98 : 10	الأخطل	البيسط	تصريدُ
35 : 12	لعله علي بن يحيى المنجم	البيسط	محمودُ
15 : 13	الأسود بن جعفر	البيسط	تغريدُ
20 : 14	محمد بن يسير	البيسط	ممدودُ
18 : 16	الحسين بن مطير	البيسط	معبودُ
18 : 16	الحسين بن مطير	البيسط	الجودُ
176 : 20	خالد الكاتب	مخلع البسيط	ونخدُ

114 : 20	جعيفران الموسوس	مخلع البسيط	نفاذ
59 : 19	محمد بن وهيب	مخلع البسيط	السعيد
247 : 21 ؛ 122 : 20	مسكين الدارمي	الوافر	زياد
47 : 22	خدش بن زهير	الوافر	استفادوا
221 : 1	الفرزدق	الوافر	العبيد
176 : 2	ابن ميادة	الوافر	تزيد
113 : 2	الحطيئة	الوافر	السعيد
176 : 2	عقبة بن كعب	الوافر	يزيد
25 : 4	بشار بن برد	الوافر	بعيد
22 : 4	أبو العتاهية	الوافر	يريد
110 : 5	إبراهيم الموصلي	الوافر	جديد
80 : 5	رزاح رجل من نهد	الوافر	رقود
110 : 5	-	الوافر	والنجد
222 : 5	-	الوافر	برود
36 : 5	جرير العجلي أو الأخطل	الوافر	تبيد
96 : 6	المرقس الأكبر	الوافر	هجو
40 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	عنيد
259 : 8	العباس بن الأحنف	الوافر	البعيد
44 : 8	جرير	الوافر	قيود
213 : 8	الأخطل	الوافر	العبيد
223 : 8	الأخطل	الوافر	البعيد
39 : 11	عمرو بن كلثوم	الوافر	نريد
10 : 12	مرة بن دودان	الوافر	عبيد
164 : 12	-	الوافر	يصيد
117 : 13	الأسود بن يعفر	الوافر	وتستفيد
190 : 15	أبو العتاهية	الوافر	يريد
204 : 16	أبو العباس الأعمى	الوافر	الشهيد
282 ، 268 : 21 ؛ 110 : 16	الفرزدق	الوافر	ثمود
173 : 16	ربيعة الرقي	الوافر	تجو
42 : 19	مسلم بن الوليد أو التيمي	الوافر	المشيد
66 : 18	خفاف بن ندبة	الوافر	يزيد
65 : 18	العباس بن مرداس	الوافر	شديد
7 : 20	التيمي	الوافر	المشيد

78 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	العبيدُ
162 : 21	أبو خراش الهذلي	الوافر	البعيدُ
19 : 21	مرة بن دودان	الوافر	عبيدُ
267 : 21	الفرزدق	الوافر	الوفودُ
247 : 21	الفرزدق	الوافر	البريدُ
168 : 22	عبدالله بن العجلان النهدي	الوافر	الوحيدُ
183 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الوافر	يزيدُ
116 : 2	الخطيئة	الكامل	يحمدُ
101 : 4	أمية بن أبي الصلت	الكامل	مرصدُ
102 : 4	أمية بن أبي الصلت	الكامل	متوردُ
70 : 6	الطرماح	الكامل	البرجدُ
171 : 10	علي بن الجهم	الكامل	يغمدُ
173 : 10	علي بن الجهم	الكامل	أحمدُ
173 : 11	الأقيشر	الكامل	يتفصدُ
109 : 11	مالك بن حمار الفزاري	الكامل	تطرُدُ
30 : 12	الطرماح بن حكيم	الكامل	البرجدُ
124 : 16	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	أشهدُ
124 : 16	الفضل بن العباس	الكامل	القعددُ
186 : 3	عكاشة العمي	الكامل	شواهدُ
164 : 5	العباس بن الأحنف	الكامل	وتكابدُ
164 : 5	العباس بن الأحنف	الكامل	الراكدُ
256 : 8	العباس بن الأحنف	الكامل	الوالدُ
166 : 13	الحمدوي	الكامل	واجدُ
65 : 6	أبو الغول أو حماد بن الزبرقان أو بشار	الكامل	حمادُ
150 : 19	عوف القوافي	الكامل	العوادُ
130 : 6	-	الكامل	هجدوُ
29 : 15	تبع الأخير أبو كرب	الكامل	عودُ
103 : 18 ، 256 ، 247 : 15	لبيد	الكامل	لبيدُ
46 ، 44 : 18	عاتكة بنت زيد	الكامل	المعمودُ
103 : 18	لبيد	الكامل	خلودُ
217 : 19 ، 119 : 18	فضل الشاعرة	الكامل	بعيدُ
135 ، 134 : 24	عبدالله بن مصعب	الكامل	فأعودُ
66 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	نضدُ

66 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	العدد
210 : 14	حماد عجرد	الهزج	الصلد
210 : 14	حماد عجرد	الهزج	برد
213 ، 210 : 14	حماد عجرد	الهزج	القرد
96 : 5	-	الرجز	سعيد
18 : 21 ؛ 9 : 12	مرة بن دودان	الرجز	تريد
197 : 16	قحافة بن عوف	الرجز	الصدود
165 : 23 ؛ 82 : 20	بكر بن خارجة	الرجز	مقدود
164 : 23	بكر بن خارجة	الرجز	والصدود
208 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الرجز	حماد
208 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الرمل	يزيد
207 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الرمل	مجيد
132 : 18	ابن مناذر	السريع	مجد
194 ، 193 : 19 ؛ 60 : 4	سلم الخاسر	السريع	يزهد
193 : 11	أبو النضير	السريع	جاهد
177 : 20	أبو تمام	السريع	البارد
148 : 22	خالد الكاتب أو محمد بن أمية	السريع	الحاسد
147 : 5	صديق لزلزل	السريع	معمود
255 : 1	-	المنسرح	فالجمد
174 : 3	أبو هشام الباهلي	المنسرح	مفتقد
227 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	رغد
225 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	فالجمد
228 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	جهدوا
226 ، 224 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	غد
226 : 4	طريح بن إسماعيل	المنسرح	والوتد
133 : 6	-	المنسرح	كمد
166 ، 149 : 6	وضاح اليمن	المنسرح	يتمد
132 : 16	حمزة بن بيض	المنسرح	أحد
63 : 21	لعلها عريب	المنسرح	أحد
239 : 22	صخر الغي	المنسرح	زود
5 : 23	صخر الغي	المنسرح	أحد
177 : 3	أبو مالك الأعرج	الخفيف	جديد
144 ، 143 : 9	قيس بن ذريح	الخفيف	شديد

80 : 13	العتابي	الخفيف	جديد
89 : 14	أبو الأسد	الخفيف	طريد
239 : 14	حماد عجرد	الخفيف	داوود
53 : 14	قيس بن عاصم المنقري	الخفيف	المولود
40 : 15	محمد بن الأشعث	الخفيف	شديد
153 : 10	أبو عيسى بن الرشيد	مجزوء الخفيف	يرقد
77 ، 75 ، 69 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	أبعد
102 ، 77 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	ينشد
107 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	والمورد
72 ، 71 : 6	-	المتقارب	يجمد
52 : 13	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	الفرقد
154 : 15	عمرو بن معديكرب	المتقارب	الأسود
100 : 19	كثير	المتقارب	نعهد
30 : 4	أبو العتاهية	المتقارب	خالد
217 : 7	ضرار بن الخطاب	المتقارب	خالد

- قافية الدال المضمومة ومعها هاء ساكنة -

283 : 5	محمد بن عمرو الجرجاني	الطويل	عوائد
251 : 13	الشمردل بن شريك	الطويل	أعوائد
34 ، 6 : 18	مسعود بن عقبة أخو ذي الرمة	الطويل	وافد
202 : 5	-	المديد	جدد
141 : 15	عمرو بن معديكرب	مجزوء الوافر	رشد
233 : 1	نصيب بن رباح	الكامل	ترد
70 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الكامل	ترد
52 : 16	ربيعة بن مكرم	الرجز	وارد

- قافية الدال المضمومة ومعها هاء مضمومة -

178 : 16	ربيعة الرقي	الطويل	تدود
----------	-------------	--------	------

- قافية الدال المضمومة ومعها ها -

152 : 4	هند بنت عتبة	الطويل	يريدها
151 : 4	الخنساء	الطويل	هجوها
11 : 5	أوس بن مغراء	الطويل	جلودها
66 : 7	كثير	الطويل	يعيدها
66 : 7	كثير	الطويل	وسهوها

29 : 21 ؛ 67 : 7	كثير	الطويل	نهودها
89 : 8	جميل	الطويل	ووليدها
30 : 9	نصيب	الطويل	وسودها
30 : 9	كثير	الطويل	بعيدها
202 : 9	-	الطويل	خلودها
176 : 12	أبو وجزة السعدي	الطويل	جديدها
186 : 12	ابن عقيل بن علفة	الطويل	يقودها
149 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	عديدها
147 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	موجودها
148 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	وسودها
103 : 15	أبو الطفيل عامر	الطويل	عديدها
104 : 15	خزيمة الأسدي	الطويل	وسودها
20 : 16	الحسين بن مطير	الطويل	عقودها
83 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	عودها
38 : 19	امراة باهلية	الطويل	سعيدها
26 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	سعودها
118 : 24	الراعي النميري	الطويل	نزيدها
221 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	غدها

- قافية الدال المكسورة -

192 : 1	ابن عمارة السلمي	الطويل	عمد
224 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	والبعد
233 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	السعد
267 : 1	-	الطويل	بعدي
18 : 2	مجنون ليلي	الطويل	بعدي
186 : 2	أخو عذرة	الطويل	العبد
252 ، 250 : 2	كثير	الطويل	جهدي
104 : 3	بشار أو ابن الخياط	الطويل	يعدي
133 : 3	بشار	الطويل	بجدي
215 : 3	-	الطويل	الوجد
230 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	العهد
16 : 5	عبدالله بن ثور	الطويل	نهد
44 : 5	الأحوص أو عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فالنهد
152 : 5	يزيد بن الطثيرة	الطويل	وجد

161 : 5	أعرابية	الطويل	الوجد
257 : 5	-	الطويل	الحمد
272 : 5	-	الطويل	الرندي
16 : 6	-	الطويل	هند
24 : 6	-	الطويل	وحدى
54 : 6	حماد الراوية	الطويل	قالفردي
181 ، 180 : 6	الأحوص	الطويل	بعدي
193 : 6	أبو ذؤيب	الطويل	غند
115 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	بالعبد
46 : 23 ؛ 126 ، 113 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	فرد
	أو ابن البواب		
126 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	بالعهد
131 ، 130 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	كالورد
148 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	ردى
160 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	العمد
81 : 8	جميل	الطويل	وللبعد
81 : 8	جميل	الطويل	عهد
87 : 8	-	الطويل	وردي
101 ، 100 : 8	جميل	الطويل	الفرد
109 : 8	جميل	الطويل	رشدي
151 : 8	-	الطويل	عندي
193 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الطويل	عمد
144 ، 143 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	المهد
203 : 10	أبو دلامة	الطويل	رغد
24 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	جعد
23 : 12	عبدالله بن الحشرج	الطويل	القصد
19 : 12	عبدالله بن الحشرج	الطويل	التلد
52 : 12	مروان الأصغر	الطويل	عهدي
178 : 23 ؛ 53 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الطويل	والبعد
78 : 12	نصيب الأكبر	الطويل	بعدي
240 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	ولاود
18 : 13	الأسود بن يعفر	الطويل	الميدي
47 ، 45 : 14	قيس بن عاصم المنقري	الطويل	الورد

177 : 14	ثابت قطنة	الطويل	الرفد
161 : 14	الفرزدق	الطويل	الجهدي
137 : 14	—	الطويل	الورد
56 : 14	النمر بن تولب	الطويل	المرد
120 : 15	—	الطويل	الرعد
207 : 16	أبو العباس الأعمى	الطويل	نجد
277 : 16	أبو تمام	الطويل	برد
108 : 16	نصيب	الطويل	بعدي
186 : 16	أم حكيم بنت يحيى	الطويل	بردي
46 : 17	سراقة بن عوف	الطويل	العهد
61 : 17	—	الطويل	وحدى
62 : 17	—	الطويل	يجدى
79 : 17	ابن الدمينه	الطويل	وجد
14 : 18	ذو الرمة	الطويل	الغمدي
15 : 18	الفرزدق	الطويل	الكردي
88 : 18	عمارة بن الوليد	الطويل	جلدي
218 : 19 ، 120 ، 110 : 18	سعيد بن حميد	الطويل	عندي
218 : 19	فضل الشاعرة	الطويل	والجد
224 : 19	ابن الخياط	الطويل	يعدي
206 : 19	النمري (منصور)	الطويل	العهد
223 : 20	قيس بن ذريح	الطويل	ييدي
211 : 20	أبو الهندي	الطويل	الزبد
229 : 21	ذو الرمة	الطويل	الغمدي
37 : 21	البحثري	الطويل	بعدي
138 : 21	الشنفرى	الطويل	فالسرد
138 : 21	الشنفرى	الطويل	فالسرد
129 : 21	الشنفرى	الطويل	برد
186 : 21	جميل	الطويل	الفرد
132 : 22	عارق الطائي قيس بن جروة	الطويل	البعدي
199 ، 195 ، 194 : 22	النمر بن تولب	الطويل	بعدي
109 : 23	أبو تمام	الطويل	برد
54 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الطويل	بالزبد
176 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الطويل	عهدي

161 : 23	-	الطويل	الوجد
161 : 23	ماني الموسوس	الطويل	والجهد
77 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	الجرد
117 : 24	الراعي التميمي	الطويل	هند
47 : 1	-	الطويل	لمبعد
137 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	توسد
112 : 2	طرفة	الطويل	تزود
129 : 2	الحطيئة	الطويل	الخفيد
130 : 2	الحطيئة	الطويل	موقد
130 : 2	الحطيئة	الطويل	المتجرد
266 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	المقيد
273 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	المتجرد
274 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	واليد
45 : 3	هلال بن السمر	الطويل	يدي
66 : 3	بنت ذي الإصبع	الطويل	مبلد
170 : 4	الأحوص	الطويل	بسيد
183 : 4	-	الطويل	تزود
247 : 4	أبو سعيد مولى فائد	الطويل	أكمد
293 ، 284 : 4	إسماعيل بن يسار أبو الغول بن عبدالله	الطويل	الصدي
284 : 4	إسماعيل بن يسار	الطويل	بمهندي
294 : 4	إسماعيل بن يسار	الطويل	يرشد
105 : 7	أبو دهبل هو ضمن شعر أبي دهبل	الطويل	المتهجج
106 ، 105 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	وسرد
230 ، 229 : 7	مولى فائد والعبلي	الطويل	أكمد
269 : 8	طرفة	الطويل	الصدي
128 : 9	عروة بن قيس	الطويل	أربد
225 : 9	الحسين بن الضحاك	الطويل	المجدد
10 ، 8 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	موعد
10 ، 9 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	الغد
10 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	غد
44 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	محمد
226 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	بمخلد
228 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يسود

49 : 11	أوس بن حجر	الطويل	مقعد
106 : 11	مرداس بن أبي عامر	الطويل	باليد
218 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	مسدد
102 : 12	محمد بن أمية	الطويل	مفسدي
99 : 15 ، 237 ، 214 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	يفند
71 : 14	محمد بن حازم	الطويل	ومزود
223 : 14	بشار	الطويل	عجرد
100 : 15	كثير	الطويل	بالتجلد
207 : 15	مالك بن نويرة	الطويل	الغد
119 : 16	دريد بن الصمة	الطويل	المقلد
267 : 16	أبو تمام	الطويل	مرقد
180 : 17	زيد الخيل	الطويل	منجد
241 : 17	أبو عطاء السندي	الطويل	معد
65 ، 58 : 18	شباب	الطويل	يدي
88 : 18	عمارة بن الوليد	الطويل	جلدي
87 : 18	—	الطويل	أبعد
190 : 21	هدية بن خشرم	الطويل	يقيد
268 ، 247 : 21	الفرزدق	الطويل	يتخذ
83 : 22	أوس بن ذبي	الطويل	تهودي
101 : 22	معروف بن الكميت	الطويل	المصرد
162 ، 157 : 22	عتيبة	الطويل	التجلد
162 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	وأسعد
95 : 23	حسان بن ثابت	الطويل	بمهندي
274 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	ووسائد
186 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	راشد
45 : 6	أعشى همدان	الطويل	ماجد
30 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	خالد
226 ، 225 : 7	علي بن هشام	الطويل	وساعد
37 : 8	جرير	الطويل	وحاسد
230 : 9	بنت عدي بن الرفاع	الطويل	واحد
246 : 9	الفرزدق	الطويل	خالد
121 : 10	الفرزدق	الطويل	واحد
62 : 11	الفرزدق	الطويل	شاهد

67 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	بخالد
56 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	الموارد
85 : 13	العتابي	الطويل	وتالد
188 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	زائد
97 : 14	قيس بن الحداية	الطويل	خالد
216 : 14	محمد بن الفضل السكوني	الطويل	عامد
217 : 14	حماد عجرد	الطويل	المشاهد
128 : 14	أبو الشبل البرجمي	الطويل	خالد
211 : 15	متمم بن نويرة	الطويل	خالد
233 : 15	الفرزدق	الطويل	شاهد
234 : 15	الفرزدق	الطويل	والحدائد
6 : 17	الطرماح	الطويل	القصائد
84 : 18	عيسى الحبطي	الطويل	لقاعد
56 : 20	ابن أبي عينة	الطويل	حامد
221 ، 215 : 21	الفرزدق	الطويل	خالد
19 : 22 ، 220 : 21	الفرزدق	الطويل	بخالد
246 : 21	الفرزدق	الطويل	بواحد
267 : 21	جرير	الطويل	الحدائد
15 : 22	أعشى همدان	الطويل	خالد
37 : 22	أبو حفص الشطرنجي	الطويل	ووالد
160 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	زائد
76 : 23	-	الطويل	واحد
206 : 20 ، 241 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	زياد
132 : 6	-	الطويل	واد
203 : 21 ، 254 : 9	الفرزدق	الطويل	عباد
71 : 14	محمد بن حازم	الطويل	بحصاد
203 : 20	إسحاق الموصلي أو الأخطل	الطويل	صوادي
237 : 21	الفرزدق	الطويل	زياد
222 : 21	الفرزدق	الطويل	ببعاد
131 : 3	بشار	الطويل	صعيد
245 ، 244 : 3	موسى شهوات	الطويل	سعيد
246 : 3	موسى شهوات	الطويل	وتليدي
83 : 4	أبو العتاهية	الطويل	وجنود

270 : 5	جميل	الطويل	ووعيدي
49 : 12	فضالة بن شريك	الطويل	تليد
200 : 18	ابن مفرغ	الطويل	أسيد
44 ، 38 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	سعيد
93 : 24	القتال الكلابي	الطويل	طريد
27 ، 26 : 3	فارغة بنت حسان بن ثابت	المديد	تكيد
	أو خولة بنت ثابت أو ابن زهير المخنث		
147 : 7	الحسين بن الضحاك	المديد	الكميد
179 ، 166 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	المديد	والأحد
209 : 13	مطيع بن إياس	المديد	الأعادي
111 : 14	علي بن الخليل	المديد	نقاد
120 ، 119 ، 118 : 4	حسان بن ثابت	البيسط	البلد
11 : 5	كعب بن جعيل	البيسط	أود
206 : 6	-	البيسط	الأبد
144 : 8	-	البيسط	بلد
101 : 9	سلامة	البيسط	والجسد
222 ، 221 : 9	-	البيسط	أحد
145 : 10	-	البيسط	الأبد
195 : 10	أبو دلالة	البيسط	أسد
5 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	الفند
22 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	الأميد
23 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	البرد
24 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	وحد
25 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	فقد
25 : 11	النابعة الذبياني	البيسط	الأسد
245 : 11	محمد بن الأشعث	البيسط	والأبد
31 : 2	الطرماع بن حكيم	البيسط	ترد
178 : 12	أبو وجزة السعدي	البيسط	أحد
23 : 13	أرطاة بن سهية	البيسط	الأسد
179 : 13	أبو تمام	البيسط	العدد
90 : 14	أبو الأسد	البيسط	يدي
39 : 15	محمد بن الأشعث	البيسط	والأبد
201 : 15	الأحوص	البيسط	والرشد

116 : 16	الأحوص	البيسيط	أحد
211 : 16	أبو حية النميري	البيسيط	أحد
31 : 17	الأعور الكلبي	البيسيط	والأحد
190 : 17	زيد الخيل	البيسيط	أسد
49 : 19	الطرماح بن حكيم	البيسيط	أحد
49 : 19	الحكم بن قنبر	البيسيط	لبد
246 : 19	علي بن جبلة	البيسيط	العدد
100 : 20	أبو سعد المخزومي	البيسيط	سند
117 : 20	السري بن عبد الرحمن	البيسيط	الأحد
130 : 20	أبو محمد الزبيدي	البيسيط	الأيد
60 ، 59 ، 21	-	البيسيط	أحد
71 : 21	معقل بن عيسى	البيسيط	كبدي
213 : 21	الفرزدق	البيسيط	تزد
36 : 22	أبو حفص الشطرنجي	البيسيط	أحد
136 : 22	الطرماح بن حكيم	البيسيط	واللد
59 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	البيسيط	يدي
118 : 24	الراعي النميري	البيسيط	أحد
281 : 16	أبو نواس	البيسيط	كالورد
43 : 1	أبو قطيفة	البيسيط	عباد
209 : 3	ابن المولى	البيسيط	الصادي
243 : 4	ابن هرمة	البيسيط	النادي
276 : 4	ابن هرمة	البيسيط	ميلادي
242 : 5	إسحاق الموصلي	البيسيط	بميعاد
21 : 8	جرير	البيسيط	الغادي
64 : 8	جرير	البيسيط	وعوادي
211 : 9	إسحاق الموصلي	البيسيط	وأولادي
16 : 10	دريد بن الصمة	البيسيط	بصراد
143 : 10	علية بنت المهدي	البيسيط	غادي
75 ، 71 : 12	أخت عمرو بن عاصية	البيسيط	صادي
	أو أخت مسعود بن شداد أو مسعود بن شداد		
74 ، 73 ، 72 : 12	أخت عمرو بن عاصية	البيسيط	بالرادي
185 : 14	كعب الأشقر	البيسيط	أطواد
208 : 14	بشار	البيسيط	وامداد

211 : 14	بشار	البيسط	حماد
175 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	البيسط	ارشادي
38 : 20	ابن أبي عيينة	البيسط	بادي
242 : 20	السليك بن السلكة	البيسط	أذواد
198 : 22	النمر بن تولب	البيسط	بادي
197 : 23	-	البيسط	انجاد
13 ، 12 : 24	القطامي	البيسط	بادي
29 : 24	القطامي	البيسط	الطادي
104 : 24	القتال الكلابي	البيسط	أنجاد
61 : 22	هاتف	البيسط	واعقاد
68 ، 66 : 22	عبيد بن الأبرص	البيسط	لميعاد
66 : 22	عبيد بن الأبرص	البيسط	انجاد
172 ، 171 : 3	بشار	البيسط	داوود
267 : 4	ابن هرمة	البيسط	عبود
97 : 10 ، 250 : 5	إسحاق الموصلي	البيسط	مسدود
42 : 7	حسان بن ثابت	البيسط	الصيد
43 : 7	حسان بن ثابت	البيسط	كالجلاميد
17 : 10	عوف بن معاوية	البيسط	مجهودي
145 : 10	علية بنت المهدي	البيسط	وتسهدي
196 : 10	أبو ذلامه	البيسط	داود
243 : 10	بشامة بن الغدير	البيسط	والجود
121 : 13	عبدالله بن الحجاج	البيسط	العود
22 : 14	محمد بن يسير	البيسط	الجود
275 : 16	أبو تمام	البيسط	القوم
239 : 17	أبو عطاء السندي	البيسط	بالجود
221 : 18	امراة أسدية	البيسط	القوم
27 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	الجود
33 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	البيد
34 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	الرعادي
199 : 19	سلم الخاسر	البيسط	صبخود
31 : 22	الجعد الحاربي	البيسط	محمود
30 : 23	نصيب الأصغر	البيسط	العود
37 : 23	أبو شراة	البيسط	البيد

36 : 24	الشماخ	البسيط	مسعود
220 : 2	ابن ميادة	الوافر	نجد
233 ، 231 : 2	-	الوافر	لصيد
271 ، 270 : 2	الحكم بن عبدل	الوافر	وقصد
99 : 3	بشار	الوافر	ومرد
233 : 6	الأعشى	الوافر	عبيد
19 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	وبعدي
181 ، 180 : 7	السيد الحميري	الوافر	دعد
253 : 12	أبو الطمحان القيني أو المسجاح بن سباع الضبي	الوافر	لصيد
38 : 14	ديك الجن	الوافر	عهد
86 : 14	أبو الأسد	الوافر	عبد
140 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الوافر	بعدي
150 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الوافر	وأسد
57 : 21	المؤمل	الوافر	تعدي
163 : 21	أبو خراش الهذلي	الوافر	نجد
32 : 1	عبدالله بن فضالة	الوافر	الجواد
33 : 1	عبدالله بن فضالة	الوافر	سواد
167 : 1	-	الوافر	فساد
234 : 1	كثير	الوافر	السفاد
190 : 3	الحادرة الثعلبي	الوافر	هادي
92 : 4	-	الوافر	يغادي
94 : 4	-	الوافر	فالشماد
277 : 5	إسحاق الموصلي	الوافر	فؤادي
169 : 6	بشار	الوافر	السهاد
131 ، 127 ، 115 : 12 ؛ 155 ، 154 : 6	كثير	الوافر	فؤادي
42 ، 41 : 7	جميل	الوافر	واد
175 : 7	-	الوافر	يغادي
237 ، 236 : 8	أمية بن أبي الصلت	الوافر	النجاد
22 : 10	دريد بن الصمة أو عمرو بن معديكرب	الوافر	المنادي
22 : 10	عمرو بن معديكرب	الوافر	مراد
48 : 12	عبدالله بن فضالة أو أبوه فضالة بن شريك	الوافر	سواد
51 : 12	فضالة بن شريك أو ابنة عبدالله	الوافر	الصفاد
135 : 12	كثير	الوافر	يغادي

82 : 15	عبد الرحمن بن الحكم	الوافر	سواد
152 : 15	عمرو بن معديكرب	الوافر	القياد
153 : 15	عمرو بن معديكرب	الوافر	مراد
237 : 16	هارون الرشيد	الوافر	ودادي
75 : 17	مصعب بن عمرو	الوافر	فؤادي
132 : 17	الربيع بن عماره أو هي في الربيع وعماره	الوافر	زياد
143 : 17	قيس بن زهير	الوافر	زياد
54 : 18	العباس بن مرداس	الوافر	للرشاد
55 : 18	خفاف بن ندبة	الوافر	بمستفاد
59 : 18	العباس بن مرداس	الوافر	للفساد
60 : 18	خفاف بن ندبة	الوافر	الأعادي
83 : 19	بكر بن النطاح	الوافر	جهد
33 : 20	أبو الشمقمق	الوافر	العباد
50 : 20	ابن أبي عيينة	الوافر	السماد
89 : 21	عمرو بن معديكرب	الوافر	مراد
89 : 21	عبدالله بن حسن بن الحسن	الوافر	الفؤاد
15 : 22	أعشى همدان	الوافر	صاد
14 : 23	لقيط الأيادي	الوافر	أياد
58 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الوافر	والبعاد
103 : 23	الحسن بن وهب	الوافر	والسواد
107 : 23	أبو تمام	الوافر	والبعاد
101 : 24	القتال الكلاي	الوافر	بادي
101 : 24	القتال الكلاي	الوافر	الفؤاد
119 : 24	العباس بن الحسن	الوافر	حداد
14 : 2	مجنون ليلى	الوافر	للهود
91 : 2	عمرو بن آله	الوافر	العبيد
163 : 3	بشار أبو العباس الأعمى	الوافر	بعود
248 : 3	—	الوافر	بعيد
150 : 4	الأسود بن المطلب	الوافر	الهجود
97 : 5	أشجع السلمي	الوافر	صلود
54 : 7	يزيد بن أبي مساحق	الوافر	للوليد
87 : 9	الأعشى	الوافر	عبيد
57 : 11	خالد بن جعفر بن كلاب	الوافر	الوريد

65 : 11	خالد بن جعفر بن كلاب	الوافر	وليد
21 : 13	أرطاة بن سهية	الوافر	الحديد
177 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الوافر	يزيد
72 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الوافر	سود
206 : 16	أبو العباس الأعمى أو بشار بن برد	الوافر	بعود
253 : 16	محمد بن صالح العلوي	الوافر	سعيد
257 : 16	قيس بن زهير	الوافر	دواد
91 : 18	عمرو بن العاص	الوافر	الوليد
91 : 18	عمارة بن الوليد	الوافر	والوليد
111 : 18	حميد بن سعيد	الوافر	دواد
185 : 18	أشجع السلمي	الوافر	صلود
254 : 21	الخيار بن سبرة	الوافر	بعيد
254 : 21	الفرزدق	الوافر	بعيد
27 : 3	عمارة بن الوليد	مجزوء الوافر	كبدي
160 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	كمدي
297 : 4	محمد بن يسار	مجزوء الوافر	أحد
253 : 18	-	مجزوء الوافر	البرد
170 : 22	المؤمل بن أميل	مجزوء الوافر	الكمدي
54 : 2	مجنون ليلي	الكامل	ميرد
34 : 3	الدارمي سعيد	الكامل	متعبد
103 : 4	أمية بن أبي الصلت	الكامل	حرمدي
126 : 4	الحارث بن هشام	الكامل	مزبد
183 ، 181 : 4	الأحوص	الكامل	الأسعد
182 : 4	الأحوص	الكامل	غدي
292 : 4	إسماعيل بن يسار	الكامل	الملحد
6 : 5	حبيب بن وائل	الكامل	مفندي
202 : 7	السيد الحميري	الكامل	محمد
202 : 10	أبو دلامة	الكامل	والأبعد
8 : 11	الناطقة الذبياني	الكامل	مزود
10 : 11	الناطقة الذبياني	الكامل	باليد
11 : 11	عبد القيس بن خفاف أو مرة بن سعد بن قريع أو للناطقة	الكامل	كالمرود
140 : 12	الجحاف السلمي	الكامل	يوجد

174 : 12	أبو وجزة السعدي	الكامل	دد
192 : 14	صوت من صنم	الكامل	المسجد
221 : 14	حماد عجرد	الكامل	المقعد
79 : 15	عبد الرحمن بن الحكم	الكامل	تصطيد
79 : 15	عبد الرحمن بن حسان	الكامل	المتصيد
54 : 16	اهبان بن عاديا	الكامل	موسد
73 : 16	حامد بن بشير الخارجي	الكامل	أوغد
77 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الكامل	مبرد
239 : 17	أبو عطاء السندي	الكامل	المرقد
239 : 17	نصر بن سيار	الكامل	يشهد
266 : 17	حاتم الطائي	الكامل	يمجد
45 ، 41 : 18	عاتكة بنت زيد	الكامل	معر
170 : 18	أشجع السلمي	الكامل	سرم
27 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	وتجلد
42 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	مزيد
67 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	بمقعد
99 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	محمد
99 : 20	أبو سعد المخزومي	الكامل	بمرصد
6 : 21	النابعة الذبياني	الكامل	مزود
212: 2	ابن ميادة	الكامل	الواحد
48 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الكامل	الواحد
175 : 6	بشار	الكامل	فاسد
267 : 16	أبو تمام	الكامل	تالد
56 : 17	العباس بن الأحنف	الكامل	العاهد
116 : 18	سعيد بن حميد	الكامل	الراصد
221 : 19	سعيد بن حميد	الكامل	وارد
229 : 19	ابن الخياط	الكامل	بكاسد
195 : 23	-	الكامل	الواحد
134 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	الوجد
204 : 2	ابن ميادة	الكامل	الأسد
63 : 4	أبو العتاهية	الكامل	المجد
241 : 5	أعرابي	الكامل	نجد
167 : 16	الرقاشي	الكامل	عهدي

169 : 17	مالك بن أسماء	الكامل	أسد
176 : 20	خالد الكاتب	الكامل	البلد
260 : 2	سعيد بن عبد الرحمن	الكامل	غادي
63 : 3	الأسود بن يعفر	الكامل	الأعواد
285 : 5	أحمد بن إبراهيم	الكامل	الأعواد
65 : 8	جميل	الكامل	حادي
183 : 10	علي بن الجهم	الكامل	بوساد
90 : 11	عوف بن عطية بن الخرع	الكامل	واد
80 : 12	العرجي	الكامل	بالانجاد
173 : 12	أبو وجزة السعدي	الكامل	المهادي
193 : 12	عقيل بن علفة	الكامل	سواد
11 : 13	الأسود بن يعفر	الكامل	الأعواد
12 : 11 ، 13	الأسود بن يعفر	الكامل	وسادي
13 : 13	الأسود بن يعفر	الكامل	ميعاد
255 : 13	الشمردل بن شريك	الكامل	الأحقاد
12 : 16	إبراهيم بن المهدي	الكامل	الأمجاد
183 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الكامل	الألحاد
74 : 60 ، 20	دعبل الخزاعي	الكامل	عباد
146 : 20	أبو ظبية العكلي	الكامل	الأولاد
15 : 23	-	الكامل	أطواد
141 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	عباد
36 : 6	أعشى همدان	الكامل	ثمود
38 : 6	أعشى همدان	الكامل	وسعيد
34 : 7	الوليد بن يزيد	الكامل	عميد
54 : 10	إبراهيم بن العباس	الكامل	والتأييد
176 : 14	ثابت قطنه	الكامل	سديد
186 : 14	كعب الأشقري	الكامل	يزيد
49 : 20	ابن أبي عيينة	الكامل	داود
151 : 22	-	مجزوء الكامل	الردى
180 : 15	علي بن أديم	مجزوء الكامل	السواد
165 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطاة	مجزوء الكامل	سعيد
117 : 22	-	مجزوء الكامل	الوريد
117 : 22	إبراهيم بن المدبر	مجزوء الكامل	والعهود

198 : 13	مطيع بن إياس	الهرج	الراد
199 : 13	مطيع بن إياس	الهرج	حماد
164 : 4	عاصم بن ثابت	الرجز	أجر
269 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	العود
269 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	محمد
246 : 10	المرار بن سعيد	الرجز	الأحد
121 : 3	بشار	الرجز	بعدي
7 : 4	أبو العتاهية	الرجز	المجد
46 : 7	الوليد بن يزيد	الرجز	والجهدي
220 : 8	-	الرجز	جعدي
220 : 8	أبو سواج	الرجز	بعدي
128 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	نجد
255 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	الرقدي
237 : 3	الحارث بن خالد	الرجز	خالد
237 : 3	عيسي	الرجز	خالد
141 : 4	عمير بن الحمام	الرجز	المعاد
179 : 12	أبو وجزة السعدي	الرجز	الصندي
11 : 18	ذو الرمة	الرجز	وليدي
12 : 18	ذو الرمة	الرجز	بالوحيدي
211 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الرجز	فعدي
36 : 9	-	مجزوء الرمل	المهدي
34 : 21	البحتري	مجزوء الرمل	بعدي
54 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	زاد
258 : 18	-	مجزوء الرمل	رقادي
186 ، 185 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	مجزوء الرمل	نادي
197 : 15	آدم بن عبد العزيز	مجزوء الرمل	أسيد
216 : 20	سعيد بن وهب	مجزوء الرمل	سعيدال
90 : 23	العباس بن الأحنف	مجزوء الرمل	شديد
90 : 23	عنان	مجزوء الرمل	الصدود
123 : 6	-	السريع	الرعد
192 : 7	السيد الحميري	السريع	بالجلدي
243 : 14	محمد بن أبي العباس السفاح	السريع	بالمريدي
150 : 18	ابن مناذر	السريع	المسند

67 : 1	عمر بن أبي ربيعة	السريع	الواحد
37 : 6	أعشى همدان	السريع	آمل
54 : 18	خفاف بن نديّة	السريع	الخالِد
86 ، 72 : 20	دعبل	السريع	بالشاهد
99 : 20	دعبل الخزاعي	السريع	الوالِد
202 : 6	الدارمي	السريع	عواد
79 ، 58 : 20	دعبل الخزاعي	السريع	الغادي
175 : 23	أبو العبر	السريع	بمرصاد
180 : 18	أشجع السلمي أو هو الخلود	السريع	الخلود
190 : 19	سلم الخاسر	السريع	بالجود
239 : 5	إسحاق الموصلي	المنسرح	والولِد
147 : 8	-	المنسرح	الصعد
45 : 9	خولة بنت ثابت	المنسرح	والسهد
224 : 10	ابن المعتز	المنسرح	تعد
86 : 14	أبو الأسد	المنسرح	الأيد
48 : 17	لييد	المنسرح	ولِد
43 : 17	لييد	المنسرح	والأسد
124 : 17	حسان بن ثابت	المنسرح	نقد
125 : 17	حسان بن ثابت	المنسرح	الغرد
125 ، 122 ، 121 ، 120 : 17	حسان بن ثابت	المنسرح	أحد
49 : 18	-	المنسرح	اللبد
141 : 22	محبوبة	المنسرح	كبدى
114 : 23	أحمد بن يوسف	المنسرح	كبدى
89 : 22	أبو الذيال اليهودي	المنسرح	السند
150 : 23	تويت اليمامي	المنسرح	كبدى
206 ، 205 : 4	جميل	الخفيف	بعدي
102 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	بعدي
102 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الخفيف	يجد
99 : 5	-	الخفيف	مهادي
98 : 5	الوليد بن عقبة	الخفيف	فؤادي
182 : 7	السيد الحميري	الخفيف	العباد
202 : 9	-	الخفيف	رقادي
235 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	فسادي

198 : 15	يزيد بن معاوية	الخفيف	زياد
86 : 18	عمران بن حطان	الخفيف	العباد
222 ، 221 : 22	حسان بن تبع	الخفيف	البلاد
174 : 23	أبو العبر	الخفيف	الرشاد
130 : 3	بشار	الخفيف	رود
248 : 3	موسى شهوات	الخفيف	يزيد
36 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	للوليد
251 : 11	إسماعيل بن عمار	الخفيف	هجوم
204 : 11	العلي	الخفيف	بعيد
205 : 11	العلي	الخفيف	أسيد
215 : 16	-	الخفيف	وجود
131 : 18	ابن مناذر	الخفيف	عود
131 ، 130 : 18	ابن مناذر	الخفيف	هوب
145 ، 129 : 18	ابن مناذر	الخفيف	الخدود
121 : 18	ابن مناذر	الخفيف	خلود
151 ، 145 ، 129 : 18	ابن مناذر	الخفيف	بالمهدود
145 : 18	ابن مناذر	الخفيف	عودي
145 : 18	ابن مناذر	الخفيف	بالمرود
200 : 18	ابن مفرغ	الخفيف	وعديدي
55 : 19	الحكم بن قنبر	الخفيف	مردود
87 : 19	بكر بن النطاح	الخفيف	الصدود
136 : 20	أبو محمد اليزيدي	الخفيف	بالجدود
193 ، 191 ، 190 : 20	أبو العتاهية أو عيسى بن زينب	الخفيف	وجود
193 : 20	عيسى بن زينب	الخفيف	وعود
83 ، 82 : 21	الأحوص	الخفيف	مجيد
21 : 23	أبو محمد اليزيدي	الخفيف	بالجدود
114 : 23	أحمد بن يوسف	الخفيف	جيد
182 : 23	علي بن الجهم	الخفيف	شديد
181 : 23	علي بن الجهم	الخفيف	عيد
98 : 15	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	مجزوء الخفيف	مقصود
75 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	ندي
27 : 10	دريد بن الصمة	المتقارب	الأرد
90 : 11	شريح بن الأحوص	المتقارب	يهندي

110 : 16	جرير	المتقارب	تهتد
196 : 21	الفرزدق	المتقارب	يواد
282 ، 227 : 21	جرير	المتقارب	المسجد
80 : 23	محمد بن أمية	المتقارب	اليد
211 : 23	-	المتقارب	والمسجد
6 : 24	أمية بن أبي عائد	المتقارب	تبعدي

- قافية الدال المكسورة ومعها كاف مكسورة -

175 : 6	بشار	السريع	وعدك
---------	------	--------	------

- قافية الدال المكسورة ومعها هاء ساكنة -

77 : 4	-	مجزوء الرمل	بصدة
--------	---	-------------	------

- قافية الدال المكسورة ومعها هاء مكسورة -

45 : 4	أبو العتاهية	السريع	بأولاده
--------	--------------	--------	---------

- قافية الدال المكسورة ومعها ها -

37 : 17	الحارث بن خالد	الطويل	صدودها
39 : 17	الحارث بن خالد	الطويل	ويديها
95 : 23	الحسن بن وهب	الكامل	أبعادها
70 : 20	دعبل الخزاعي	الرجز	مسودها
177 ، 159 : 19	-	المتقارب	غادها

- قافية الدال المفتوحة -

230 : 1	نصيب بن رياح	الطويل	بُعدا
26 : 2	مجنون ليلى	الطويل	جلدا
52 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ردا
52 : 2	مجنون ليلى	الطويل	جهدا
144 : 3	بشار	الطويل	عدا
231 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	جلدا
255 : 4	إبراهيم بن هرمة	الطويل	وجدا
257 : 4	ابن هرمة	الطويل	قفدا
232 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	بعدا
240 : 5	أحمد بن المدبر	الطويل	صدا
240 : 5	-	الطويل	الوردا
212 : 9	إسحاق الموصلي	الطويل	بعدا

234 : 11	المرقش الأكبر	الطويل	هندا
235 : 11	المرقش الأكبر	الطويل	قصدا
256 : 16	محمد بن صالح العلوي	الطويل	جدا
81 : 17	المقنع الكندي	الطويل	حدا
124 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	العهدا
170 : 22	عبدالله بن العجلان النهدي	الطويل	بعدا
105 : 23	ابن رياح الحسن بن إبراهيم	الطويل	قصدا
116 : 1	عمر بن أبي ربيعة وهو للأحوص	الطويل	جلمدا
10 : 22 ؛ 116 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	غدا
157 : 1	-	الطويل	مخلدا
125 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	ومقصدا
176 : 4	الأحوص	الطويل	وأمردا
222 : 5	-	الطويل	مبردا
47 : 6	أعشى همدان	الطويل	فتخمدا
114 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	المهندا
23 : 22 ؛ 126 : 7	الحسين بن الضحاك أو ابن البواب	الطويل	وأسعدا
200 : 7	السيد الحميري	الطويل	المؤكددا
45 : 8	جرير	الطويل	أقودا
46 : 8	جرير	الطويل	مقيدا
45 : 8	جرير	الطويل	المقيدا
123 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	مذودا
8 : 9	الأحوص	الطويل	متلدا
19 : 9	كثير	الطويل	المبردا
52 : 9	الأحوص	الطويل	وأمردا
93 : 9	الأعشى	الطويل	محمددا
93 : 9	الأعشى	الطويل	المسهدا
84 : 12	الأحوص	الطويل	وفندا
191 : 12	داود المري	الطويل	مهنددا
19 : 13	حطائط بن يعفر	الطويل	مقعدا
10 : 14 ؛ 255 : 13	الحصين بن الحمام	الطويل	غدا
27 : 16 ؛ 75 : 15	الأخطل	الطويل	يتهددا
92 : 89 ؛ 15	الأحوص	الطويل	يتجلدا
189 : 17	زيد الخيل	الطويل	نددا

193 : 17	- زيد الخيل	الطويل	يزودا
20 : 18	الراعي	الطويل	فعددا
87 : 18	عمران بن حطان	الطويل	غدا
101 : 18	عمرو بن قمئة	الطويل	غدا
141 : 19	عقيل بن علفة	الطويل	يزودا
141 : 19	عريف القوافي	الطويل	مجلدا
241 : 19	علي بن جبلة	الطويل	سيدا
226 : 22	مرة بن محكان	الطويل	أقصدا
150 : 23	تويت اليمامي	الطويل	غدا
209 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	عائدا
44 : 12	الحسين بن عبدالله بن عبيدالله	الطويل	الرواعدا
97 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	صاعدا
118 ، 117 ، 116 : 20	السري بن عبد الرحمن أو غيره	الطويل	خالدا
19 : 22	الفرزدق	الطويل	خالدا
98 : 23	الحسن بن وهب	الطويل	عامدا
45 ، 32 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	وودودا
142 ، 86 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	غدا
129 : 6 ، 289 ، 247 ، 246 : 2			
247 : 2	الأحوص أو عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	غدا
258 : 18	-	البيسيط	غدا
124 : 2	الحطيئة	البيسيط	بعدا
61 : 6 ، 138 : 2	-	البيسيط	وعدا
62 : 7	أبو محجن مولى خالد القسري	البيسيط	كمدا
231 : 7	-	البيسيط	ويدا
148 : 8	-	البيسيط	الكبدا
207 : 8	أبو حية النميري	البيسيط	شهدا
175 : 12	أبو وجزة السعدي	البيسيط	أحدا
252 : 12	سويد بن كراغ ونسب للحطيئة	البيسيط	صددا
171 : 14	ثابت قطنة	البيسيط	نكددا
173 : 14	ثابت قطنة	البيسيط	شهدا
189 : 18	ابن مفرغ	البيسيط	رشددا
263 ، 261 : 18	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	الجددا
135 ، 30 : 24	ابن مفرغ الحميري	البيسيط	رصدا

272 : 2	الحكم بن عبدل	البيسط	كادا
277 : 2	الحكم بن عبدل	البيسط	سادا
202 : 7	لعله السيد الحميري	البيسط	أوتادا
177 : 10	علي بن الجهم	البيسط	وايرادا
92 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسط	موجودا
229 ، 225 ، 220 : 6	عمر بن أبي ربيعة	البيسط	عيدا
208 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	البيسط	عيدا
71 : 22	ربيعة بن مكرم	البيسط	المواعيدا
27 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	لحدا
157 : 10	عبدالله بن محمد الأمين	الوافر	وكدا
203 : 2	ابن ميادة	الوافر	ارتدادا
187 : 9	جرير	الوافر	البعادا
198 : 9	الأشهب بن رميلة أو ابن أبي رميلة الضبي	الوافر	سعادا
232 : 9	عدي بن الرقاع	الوافر	جوادا
242 : 9	الفرزدق	الوافر	الجرادا
92 : 13	الأمير الرباعي	الوافر	التقادا
263 ، 259 : 15	زياد الأعجم	الوافر	وزادا
265 : 15	زياد الأعجم	الوافر	جوادا
202 : 21	الفرزدق	الوافر	الجرادا
225 : 22	شاعر تميمي	الوافر	القهادا
47 : 24	ابن قرد الخنزير التيمي	الوافر	فسادا
217 : 1	أيمن بن خريم	الوافر	البريدا
207 : 7	السيد الحميري	الوافر	يزيدا
107 : 12	محمد بن أمية	الوافر	حديدا
13 : 14	معية بن الحمام	الوافر	يزيدا
253 : 15	بنت لبيد بن ربيعة	الوافر	الوليدا
199 : 20	أيمن بن خريم	الوافر	البريدا
46 : 22	خداش بن زهير	الوافر	والوليدا
42 : 9	مسافر بن أبي عمرو	مجزوء الوافر	الرفدا
214 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الوافر	فغدا
235 : 14	حماد عجرد	مجزوء الوافر	فغدا
223 : 19	ابن الخياط عبدالله	مجزوء الوافر	أبدا
162 : 5	-	الكامل	الرقدا

244 : 11 ؛ 176 : 9	الأعشى	الكامل	الرقدا
176 : 9	الأعشى	الكامل	موعدا
244 ، 242 : 11 ؛ 176 : 9	الأعشى	الكامل	الأمردا
144 : 12	ابن صفار	الكامل	عدا
172 : 14	ثابت قطنة	الكامل	صدودا
105 : 23	الحسن بن وهب	الكامل	سيدا
139 : 19	الأحوص بن جعفر بن كلاب	الكامل	خالدا
258 : 18	الحسين بن مطير	الكامل	نجدا
202 : 9	-	الكامل	وودادا
23 : 24	عمير بن الحباب	الكامل	مرادا
240 ، 239 : 11	-	الكامل	بلدا
185 : 6	-	الكامل	عييدا
32 : 8 ؛ 108 : 6	جرير	الكامل	برودا
8 : 8	جرير	الكامل	قودا
61 : 8	جرير	الكامل	أودا
112 : 8	يزيد بن الطثرية	الكامل	جديدا
122 : 8	يزيد بن الطثرية	الكامل	محمودا
122 : 8	يزيد بن الطثرية	الكامل	أملودا
174 : 10	علي بن الجهم	الكامل	وحديدا
175 : 14	ثابت قطنة	الكامل	كنودا
176 : 14	ثابت قطنة	الكامل	شهودا
266 : 16	أبو تمام	الكامل	وعديدا
78 : 23 ؛ 186 : 3	عكاشة العمي	مجزوء الكامل	تيدي
221 : 8	أبو سواج	مجزوء الكامل	مسمقدا
34 : 11	الحارث بن حازة	مجزوء الكامل	عمدا
36 : 16	عبدالله بن النعمان	مجزوء الكامل	شاهدا
46 ، 44 : 21	أبو دلف	مجزوء الكامل	واحد
133 : 6	-	مجزوء الكامل	جديدا
68 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	مجزوء الكامل	جودا
250 : 21	رجل من اليمامة	الرجز	الأجردا
46 : 3	هلال بن الأسمر	الرجز	رويدا
11 : 5	العجاج	الرجز	استعدا
11 : 5	أوس بن مغراء	الرجز	ريدا

162 : 19 ، 209 : 5	إسحاق الموصلي	الرجز	جدا
216 : 15	الزباء	الرجز	حديدا
252 : 15	الأغلب العجلي	الرجز	موجودا
26 : 21	الأغلب العجلي	الرجز	قصيدا
82 : 12	-	مجزوء الرجز	عددا
53 : 4	أبو العتاهية	الرمل	الرشدا
123 : 7	الحسين بن الضحاك	الرمل	رقدا
187 : 23	يوسف بن الصيقل	الرمل	يدا
188 ، 187 : 9	-	مجزوء الرمل	فعادا
34 : 5	سعد بن مالك	السريع	واحدا
113 : 20	جعيفران الموسوس	السريع	مفقودا
202 : 9	-	المنسرح	والودادا
108 : 14	الأسود بن عمارة أو أبوه عمارة الوليد النوفلي	الخفيف	جدا
63 : 20	الحمدوي	الخفيف	لتهدى
12 ، 10 ، 6	داود بن سلم	الخفيف	زادا
47 : 12	فضالة بن شريك	الخفيف	تليدا
174 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الخفيف	المشيدا
33 : 15	تبع الأخير أبو كرب	الخفيف	ورودا
210 ، 185 : 18	ابن مفرغ	الخفيف	قعدا
60 ، 59 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	غدا
182 : 10	علي بن الجهم	المتقارب	الردى
184 : 10	علي بن الجهم	المتقارب	أبعدا
184 : 10	علي بن الجهم	المتقارب	ملحدا
184 : 10	علي بن الجهم	المتقارب	أولدا
61 ، 53 : 15	الخنساء	المتقارب	لصخر الندى
76 : 20	دعبل الخزاعي	المتقارب	قاعدا
226 : 2 ، 247 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	العقودا
55 : 7	الوليد بن يزيد	المتقارب	عميدا
140 : 8	امرؤ القيس	المتقارب	عميدا
38 : 19	مسلم بن الوليد	المتقارب	سعيدا

- قافية الدال المفتوحة ومعها كاف ساكنة -

100 : 23	الحسن بن وهب	المجث	بعذك
547 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	المجث	رشدك

- قافية الدال المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

45 : 12	الحسين بن عبدالله بن عبيدالله	الطويل	عابدة
229 : 19	ابن الخياط	الكامل	بكاسدة
79 : 14	ابن أبي الزوائد	مجزوء الكامل	عبيدة
17 : 4	أبو العتاهية	الرجز	والجدة
85 : 20	دعبل الخزاعي	الرجز	زائدة
215 : 7	-	الرجز	ووهدة
217 : 7	-	الرجز	بغادة
205 : 10 ؛ 169 : 6	أبو دلالة	مجزوء الرمل	فؤادة
213 ، 208 : 10	أبو دلالة	مجزوء الرمل	عبيدة
36 : 22 ؛ 50 : 18 ؛ 209 : 6	أبو حفص الشطرنجي	السريع	قاعدة
63 : 22	عبيد بن الأبرص	السريع	واحدة
84 ، 31 : 4	أبو العتاهية	السريع	بالوحدة
158 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	السريع	عادة
48 : 23	ابن البواب	الخفيف	العيادة
188 : 15 ؛ 21 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الخفيف	زائدة
218 : 14	حماد عجرد	المقارب	الفاصلة
111 : 23	القاسم بن يوسف	المقارب	الصائفة
65 : 22	عبيد بن الأبرص	المقارب	جمعة
217 : 20	سعيد بن وهب	مجزوء المقارب	بعدة

- قافية الدال المفتوحة ومعها ها -

235 ، 239 : 9 ؛ 198 : 1	عدي بن الرقاع	الكامل	إبلادها
235 ، 230 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	أزدادها
233 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	مدادها
235 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	منادها
235 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	وسنادها

- قافية الدال المضمومة -

146 : 3	بشار	الطويل	تنبذ
---------	------	--------	------

- قافية الدال المكسورة -

127 : 2	ضليء البرجمي	الطويل	لذيذ
143 : 5	إبراهيم الموصلي	الكامل	نافذ
179 : 23	خالد بن يزيد الكاتب	مجزوء الرجز	نبيل

246 : 5	علي بن هشام	مجزوء الرمل	والتذاذ
246 : 5	علي بن هشام	مجزوء الرمل	معاذ
195 : 11	أبان اللاحقي	الخفيف	لذاذ

- قافية الذال المفتوحة -

223 : 19	فضل الشاعرة	مخلع البسيط	رذاذا
223 : 19	علي بن الجهم	مخلع البسيط	ملاذا
221 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	الرداذا
224 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	حبذاذا
81 : 14	ابن أبي الزوائد	الخفيف	الخيذاذا
131 : 24 ؛ 53 : 7 ؛ 70 : 6	عمار ذو كنان «ذو كبار»	مجزوء الخفيف	تحنذي
45 : 7	عمار ذو كنان	مجزوء الخفيف	مجنبذا
219 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الخفيف	ومنقذا
120 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الخفيف	مجدذا
122 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الخفيف	حبذا
129 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الخفيف	على القذى

- قافية الراء الساكنة -

240 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	صفّر
45 : 6	أعشى همدان	الطويل	مضرّ
183 : 7	السيد الحميري	الطويل	والمطرّ
84 : 8	جميل	الطويل	الحذرّ
70 : 9	امرؤ القيس	الطويل	وبالجزرّ
219 : 10	لعله ابن المعتز	الطويل	والمدرّ
137 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	اثمرّ
121 : 11	الجعد بن مهجع	الطويل	عمرّ
28 : 13	لبيد	الطويل	اعتذرّ
113 : 15	جبله بن الأيهم	الطويل	والبصرّ
117 ، 115 : 15	جبله بن الأيهم	الطويل	ضررّ
259 : 16	لبيد	الطويل	مضرّ
266 : 15	زياد الأعجم	الطويل	والنشرّ
268 : 17	حاتم الطائي	الطويل	الأشرّ
83 : 18	عمران بن حطان	الطويل	والخفرّ
151 : 19	ابن عنقاء الفزاري	الطويل	جهرّ

البصر	الطويل	ابن عنقاء الفزاري أو عوف القوافي الفزاري	19 : 151
مضرب	الطويل	ابن أبي عيينة	20 : 56
تذمر	الطويل	ابن أبي عيينة	20 : 56
والضجر	الطويل	ابن أبي عيينة	20 : 55
بربر	مجزوء الوافر	سلمة بن عياش أو مطيع بن إياس	20 : 188
العسكر	مجزوء الوافر أو الهزج	مطيع بن إياس	13 : 219 ، 220 ، 20 : 189
تحصر	الكامل	أبو العتاهية	18 : 75
تظهر	الكامل	أبو العتاهية	18 : 75
مدابر	مجزوء الكامل	أمية بن أبي الصلت	8 : 238
منذر	مجزوء الكامل	المخيل السعدي	13 : 139
بصائر	مجزوء الكامل	قس بن ساعدة	15 : 165
يحابر	مجزوء الكامل	جذيمة الأبرش	15 : 217
صاعر	مجزوء الكامل	الكميت	17 : 9
لعائر	مجزوء الكامل	الكميت	17 : 13
المصائر	مجزوء الكامل	الكميت	17 : 14 ، 19 ، 27
ناشر	مجزوء الكامل	الكميت	17 : 17
تمتصر	الرجز	الحكم الخضري	2 : 191
منفطر	الرجز	ابن ميادة	2 : 193
جزر	الرجز	-	9 : 107
فجير	الرجز	العجاج	10 : 120 ، 122
ذكر	الرجز	أبو النجم العجلي	10 : 122
الشجر	الرجز	عمرو بن كلثوم	11 : 38
يسر	الرجز	زينب بنت عرفة	12 : 177
زفر	الرجز	ضرار بن الأزور	13 : 20
انكسر	الرجز	العماني	18 : 225 ، 226
نثر	الرجز	الأغلب العجلي	21 : 25
القمر	الرجز	النمر بن تولب	22 : 194
عور	الرجز	كعب رجل من قيس	20 : 164
الدار	الرجز	جرير	8 : 47
واعيار	الرجز	الحماني (رجل من بني حمان)	8 : 47
والشر	مجزوء الرجز	معاوية بن عبادة	11 : 98
بتار	مجزوء الرجز	هند بنت عتبة	15 : 129
كالدينار	الرجز	ربيعة بن مكرم	16 : 41

229 : 22	العديل بن الفرخ	الرجز	عار
182 ، 181 ، 180 ، 95 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	الأغر
182 ، 181 ، 180 : 1	عبد الرحمن بن حسان	الرمل	بخير
183 ، 182 : 1	عبد الرحمن بن حسان	الرمل	والسهر
183 ، 182 : 1	عبد الرحمن بن حسان	الرمل	البقر
180 ، 179 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	عمر
207 : 1	-	الرمل	حضر
73 : 2	عدي بن زيد	الرمل	سمر
14 : 3	حصان بن ثابت	الرمل	الحضر
118 : 3	بشار	الرمل	الدرر
82 : 9	طرفة	الرمل	بقر
128 ، 127 : 11	لعلها عائشة بنت طلحة	الرمل	الخبر
181 : 11	الأقيشر	الرمل	مضر
237 : 11	-	الرمل	وطمر
237 : 11	-	الرمل	وحمر
224 : 14	-	الرمل	بمحجر
166 : 15	الحزين بن الحارث	الرمل	قبر
189 : 21	هدبة بن خشرم	الرمل	شر
153 : 23	تويت اليمامي	الرمل	عمر
125 : 14	أبو الشبل البرجمي	مجزوء الرمل	بمنكر
4 : 4	أبو العتاهية	السريع	غور
211 : 13	مطيع بن إياس	السريع	الحقير
148 : 18	ابن مناذر	السريع	أمير
160 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	السريع	الأمير
254 : 3	أبو العتاهية	المنسرح	أكدر
161 : 10 ؛ 49 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	فكر
97 : 3	بشار	مجزوء الخفيف	والنظر
65 : 4	أبو نواس	مجزوء الخفيف	والخور
18 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الخفيف	المطر
96 : 23	الحسن بن وهب	مجزوء الخفيف	النظر
126 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الخفيف	انكسر
126 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الخفيف	واسبطر
177 : 1	يزيد بن معاوية	التقارب	مضر

210 : 4	-	المتقارب	تعذر
98 : 6	مرقس الأكبر	المتقارب	بصر
173 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	اعتذر
225 : 9	الحسين بن الضحاك	المتقارب	المتنصر
161 : 12	ابن هرمة	المتقارب	القمر
261 : 16	-	المتقارب	البقر
87 : 19	بكر بن النطاح	المتقارب	ظهر
123 : 20	مسكين الدارمي	المتقارب	تغر
100 : 20	أبو سعد المخزومي	المتقارب	يتنصر
153 : 17	ابن عباس	الكامل	الأبحر

- قافية الراء المضمومة -

224 : 1	أبو صخر الهذلي	الطويل	الذكر
36 : 2	مجنون ليلى	الطويل	عمرو
46 : 2	مجنون ليلى	الطويل	الخضر
66 : 3	بنت ذي الإصبع	الطويل	والجزر
121 : 5	أبو صخر الهذلي	الطويل	القطر
121 : 5	أبو صخر الهذلي	الطويل	الدهر
148 : 5	أبو نواس	الطويل	أثر
148 : 5	أبو الشيص	الطويل	الصبر
155 ، 153 : 5	ذو الرمة	الطويل	القطر
187 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	سحر
238 : 5	حاتم الطائي	الطويل	والذكر
142 : 6	التميري	الطويل	ذعر
226 ، 221 : 6	عمرو بن معديكرب	الطويل	عمرو
162 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	بدر
214 : 7	عبدالله بن علقمة	الطويل	صبر
20 : 8	جرير	الطويل	ققر
218 : 9	-	الطويل	الدهر
44 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	أجر
145 : 10	عليه بنت المهدي	الطويل	السفر
152 : 10	-	الطويل	عذر
223 : 10	ابن المعتز	الطويل	الخمير
224 : 10	عبيدالله بن طاهر	الطويل	والعذر

224 : 10	ابن المعتز	الطويل	الدهرُ
190 : 11	أعشى بني تغلب	الطويل	نزرُ
190 : 11	أعشى بني تغلب	الطويل	وزرُ
57 : 12	عوف بن ملحم	الطويل	العمرُ
138 : 12	منظور بن زبان	الطويل	والخمرُ
227 : 12	حاتم الطائي	الطويل	الزجرُ
36 : 13	نجبة بن كليب	الطويل	الصبرُ
94 ، 86 : 13	الاييرد الرياحي	الطويل	الجمرُ
7 : 14	الحصين بن الحطام	الطويل	القطرُ
40 : 14	ديك الجن	الطويل	الفجرُ
57 : 14	عبادة بن مرثد	الطويل	حمرُ
156 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	بشرُ
144 : 15	العباس بن مروان	الطويل	عمرو
271 : 16	أبو تمام	الطويل	السمرُ
276 : 16	مكنف أبو سلمى	الطويل	عذرُ
276 : 16	أبو تمام	الطويل	عذرُ
172 : 17	أيمن بن خريم	الطويل	قدرُ
172 : 17	أيمن بن خريم	الطويل	سترُ
274 ، 259 : 17	حاتم الطائي	الطويل	والذكرُ
273 : 17	حاتم الطائي	الطويل	العذرُ
26 : 18	ذو الرمة	الطويل	الخمرُ
35 : 18	ذو الرمة	الطويل	القطرُ
235 : 18	أنخو جعفي ولعله عمرو بن معديكرب	الطويل	الفقرُ
199 : 20	أيمن بن خريم	الطويل	بدرُ
98 : 22	بيهس الجرمي	الطويل	القبرُ
57 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الطويل	لها قبرُ
108 : 23	أبو تمام	الطويل	البدرُ
61 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	الدهرُ
65 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	العثرُ
68 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	سطرُ
69 : 24	مجنون ليلي	الطويل	عمرو
70 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	الأمرُ
70 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	الدهرُ

70 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	القطرُ
128 ، 73 ، 68 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فيخصرُ
103 ، 72 ، 68 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فمهجرُ
68 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فيخسرُ
74 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تسهرُ
74 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	ومعصرُ
74 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	يذكرُ
74 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	سمرُ
112 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	وأنورُ
235 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	المتأخرُ
39 : 2	-	الطويل	أبصرُ
239 : 2	العباس بن الأحنف	الطويل	وبكرُوا
142 : 3	بشار	الطويل	تزفرُ
142 : 3	بشار	الطويل	مطهرُ
51 : 4	أبو العتاهية	الطويل	وبكرُ
201 : 4	العرجي	الطويل	يخبرُ
120 : 5	مروان بن أبي حفصة	الطويل	تقصرُ
24 : 7	قيس بن ذريح	الطويل	أقدرُ
24 : 7	قيس بن ذريح	الطويل	منكرُ
181 : 7	منسوب للسيد الحميري	الطويل	ويففرُ
225 : 8	الأخطل	الطويل	المتقطرُ
244 ، 241 : 8	القس	الطويل	مقصرُ
260 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	أخضرُ
260 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	وبكرُوا
22 : 9	كثير	الطويل	يتغيرُ
32 : 9	عبدالله بن عبدالله بن طاهر	الطويل	تعسرُ
77 : 9	-	الطويل	تمطرُ
109 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	أعذرُ
109 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	أكثرُ
152 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	منظرُ
151 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	أقدرُ
210 : 9	-	الطويل	ومحضرُ
172 : 10	علي بن الجهم	الطويل	يعذرُ

107 : 11	مرداس بن عامر	الطويل	أكثر
241 : 11	الخليفة المأمون	الطويل	أحور
71 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	أغبر
71 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	أحمر
71 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	حضر
72 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	يتتر
137 : 13	المخيل السعدي	الطويل	أعسر
250 : 14	حريث بن عناب	الطويل	تخطر
240 : 16	ذو الرمة	الطويل	الموثر
49 : 17	ليبد	الطويل	جعفر
78 : 17	-	الطويل	مبصر
96 : 17	ذو الرمة	الطويل	فتبهر
97 : 17	أبو قيس بن الأسلت	الطويل	فتعذر
266 : 17	حاتم الطائي	الطويل	أجدر
21 : 18	ذو الرمة	الطويل	فتذكر
114 ، 113 : 18	سعيد بن حميد	الطويل	ومنكر
182 : 19	سوار بن عبدالله	الطويل	تنكسر
184 : 20	لعله المجنون	الطويل	أنظر
20 ، 19 : 21	أمية بن الأسكر	الطويل	تنحفر
21 ، 20 : 21	طارق الخزاعي	الطويل	أتعذر
103 : 21	تأبط شرا	الطويل	معور
225 : 21	الفرزدق	الطويل	أحمر
43 : 24	سويد بن أبي كاهل	الطويل	المشهر
98 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	طائر
189 ، 185 : 1	كثير	الطويل	الأباعر
27 : 2	مجنون ليلى	الطويل	طائر
30 : 2	مجنون ليلى	الطويل	حاسر
34 : 2	مجنون ليلى	الطويل	عاذر
47 : 2	مجنون ليلى	الطويل	طائر
120 : 2	أبو علاثة التيمي	الطويل	عامر
238 : 2	-	الطويل	باكر
171 : 3	بشار	الطويل	المنابر
174 : 4	الأحوص	الطويل	السرائر

295 : 4	إسماعيل بن يسار	الطويل	مخامر
87 : 5	الوليد بن عقبة	الطويل	ثائر
5 : 6	الصمة القشيري	الطويل	عامر
5 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	يفاجر
8 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	وعامر
64 : 6	-	الطويل	شاعر
25 : 8	الفرزدق	الطويل	فاجر
249 : 8	-	الطويل	المسافر
40 : 9	أبو طالب بن عبد المطلب	الطويل	المقابر
156 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	صابر
77 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	المقابر
64 ، 61 ، 50 : 11	ورقاء بن زهير	الطويل	أبادر
110 : 11	معقر بن أوس بن حمار البارقى	الطويل	الأباعر
157 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	الدوائر
162 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	المعاير
119 : 12	الأفوه الأودي	الطويل	عائر
158 : 12	الأعشى	الطويل	المقابر
236 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	وفاجر
241 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	وناصر
70 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	حاضر
9 : 14	الحصين بن الحمام	الطويل	لخاسر
15 : 14	محمد بن يسير	الطويل	أناظر
15 : 14	محمد بن يسير	الطويل	وتكابر
197 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	ضامر
21 ، 17 ، 16 ، 14 ، 10 : 15	مضاض بن عمرو	الطويل	سامر
	أو الحارث بن عمرو بن مضاض		
	أو عمرو بن الحارث بن مضاض		
85 : 15	معقر بن حمار	الطويل	المسافر
196 : 15	آدم بن عبد العزيز	الطويل	قادر
202 : 15	ورقاء بن زهير	الطويل	أبادر
203 : 15	مالك بن نورية	الطويل	الأصاغر
32 : 16	بشير بن سعد	الطويل	ومحاضر
82 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	الدوائر

82 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	المفاخرُ
166 : 16	الرقاشي	الطويل	المعايرُ
230 : 16	وعلة بن عبدالله الجرمي	الطويل	فاجرُ
180 : 17	زيد الخيل	الطويل	طائرُ
191 : 17	زيد الخيل	الطويل	شاعرُ
23 : 19	مصادر بن أسعد	الطويل	النواظرُ
61 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	النواظرُ
61 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	المتظاهرُ
135 : 19	شاعر كندي	الطويل	يفاجرُ
124 : 20	النجاشي أو غيره	الطويل	أباغرُ
149 : 20	محمد بن أبي محمد	الطويل	سامرُ
92 : 21	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	المفاخرُ
130 : 21	تأبط شرا	الطويل	باكرُ
132 : 21	تأبط شرا	الطويل	متواترُ
50 : 22	خداش بن زهير	الطويل	وناصرُ
113 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	المعاذرُ
154 : 22	وعلة الجرمي	الطويل	الدوايرُ
177 : 22	أبو مالك الأعرج	الطويل	صائرُ
198 : 23	الأغر بن حماد اليشكري أو عبدالله بن سبرة	الطويل	قادرُ
227 : 11 ؛ 173 : 6 ؛ 228 : 5	بشار	الطويل	اسطارُ
173 : 6	بشار	الطويل	الدارُ
140 : 24	عمارة بن عقيل	الطويل	نزارُ
237 ، 156 : 1	نصيب	الطويل	جديرُ
194 : 1	جميل	الطويل	وكسيرُ
237 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	أطيرُ
31 : 2	مجنون ليلى	الطويل	بصيرُ
49 : 2	مجنون ليلى	الطويل	لصبورُ
59 ، 58 : 2	قيس بن ذريح	الطويل	خبيرُ
180 : 6 ؛ 174 : 4	الأحوص أو عروة بن حزام	الطويل	أدورُ
281 : 4	ابن رهيمة	الطويل	عشيرُ
201 : 5	ابن ياسين	الطويل	قديرُ
182 ، 179 : 6	الأحوص	الطويل	لفقيرُ
180 : 6	السائب بن عمرو	الطويل	صبورُ

180 : 6	الأحوص	الطويل	أدور
239 : 20 ؛ 108 : 7	أبو دهبيل الجمحي أو للمجنون	الطويل	لصبور
239 : 20 ؛ 108 : 7	أبو دهبيل الجمحي	الطويل	تجور
232 : 7	-	الطويل	ونشير
22 : 8	جرير	الطويل	وصدور
21 : 8	الأعور النبهاني	الطويل	جرير
121 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	وفجور
130 : 8	-	الطويل	صبور
50 : 9	الأحوص	الطويل	أحير
50 : 9	الأحوص	الطويل	أدور
137 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	خبير
239 : 9	المعتز الخليفة أو بنان المغني	الطويل	أمير
42 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	نصير
153 : 10	الأخطل	الطويل	هدير
158 : 11	ليلي الأخيلىة	الطويل	سيغور
78 : 12	الأحوص	الطويل	أدور
84 : 12	الأحوص	الطويل	سيزور
156 : 12	أعرابي	الطويل	طهور
45 : 13	العجير السلولي	الطويل	وكسير
101 : 13	منصور النمري	الطويل	يطير
200 : 13	-	الطويل	قدير
213 : 14	حماد عجرد	الطويل	ضري
223 : 14	حماد عجرد	الطويل	كثير
7 ، 6 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	تدور
162 : 15	بشر بن ربيعة	الطويل	أمير
238 : 15	نافع بن خليفة الغنوي	الطويل	نصير
282 : 16	أبو نواس	الطويل	يسير
24 : 19	عرفجة بن جنادة	الطويل	فحفير
40 : 19	أبو نواس	الطويل	عسير
77 ، 76 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	تدور
76 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	عشير
77 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	ونشور
225 : 19	ابن الخياط	الطويل	قصير

207 ، 206 : 20	الأخطل	الطويل	هدير
217 : 21	الفرزدق	الطويل	لزوّر
139 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المديد	صدرُوا
89 : 18 ، 38 : 9	عمارة بن الوليد	المديد	والأزر
101 : 12	محمد بن أمية	المديد	والمطر
34 : 20	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	المديد	يسر
138 ، 137 : 14	-	المديد	نقار
48 : 23	ابن البواب	المديد	النضار
195 : 5	إسحاق الموصلي	المديد	النضير
197 : 5	إسحاق الموصلي	المديد	كبير
129 : 1	نصيب بن رباح	البيسيط	فقر
240 : 1	نصيب بن رباح	البيسيط	مضر
122 ، 121 : 2	الحطيئة	البيسيط	شجر
120 : 11 ، 170 : 6 ، 166 : 3	بشار	البيسيط	اثر
186 : 3	عكاشة العمي	البيسيط	قصر
227 : 3	الحارث بن خالد	البيسيط	القدر
194 : 4	-	البيسيط	السهر
73 ، 71 : 6	-	البيسيط	الشعر
87 : 6	ابن هرمة	البيسيط	والعكر
132 : 6	الأخطل	البيسيط	غير
216 ، 214 : 6	يزيد بن مفرغ	البيسيط	قبروا
231 : 6	-	البيسيط	فانشمروا
187 : 7	جعفر بن عفان الطائي	البيسيط	خطر
225 : 7	علي بن الجهم	البيسيط	يستتر
17 : 8	جرير	البيسيط	عمرو
20 : 8	جرير	البيسيط	الشعر
52 : 8	جرير	البيسيط	غرر
52 : 8	عمر بن لجأ	البيسيط	مضر
60 : 8	جرير	البيسيط	الذكر
60 : 8	جرير	البيسيط	عمر
211 ، 210 : 8	الأخطل	البيسيط	غير
224 ، 211 : 8	الأخطل	البيسيط	الشر
211 : 8	الأخطل	البيسيط	زفر

213 : 8	الأخطل	البسيط	ذكرُ
219 ، 218 ، 215 : 8	الأخطل	البسيط	قدرُوا
167 : 8	عمرو بن أحمَر بن العمرد	البسيط	ضررُ
223 : 8	الأخطل	البسيط	مضرُ
255 : 8	العباس بن الأحنف	البسيط	تذرُ
203 : 9	يزيد بن عبد الملك	البسيط	وطرُ
218 : 9	المجنون	البسيط	وابتدرُوا
226 : 9	يزيد المهلي	البسيط	ينتصرُ
85 : 10	عمرة بنت دريد	البسيط	يتندرُ
76 : 10	مروان بن أبي حفصة	البسيط	مطرُ
169 : 10	علي بن الجهم	البسيط	يسترُ
19 : 11	ليلى أخت المنتشر الباهلي	البسيط	محتقرُ
41 : 11	الأخطل	البسيط	الخبرُ
43 : 11	الأخطل	البسيط	غيرُ
44 : 11	الأخطل	البسيط	صدرُ
44 : 11	الأخطل	البسيط	الظفرُ
44 : 11	جرير	البسيط	الخمرُ
120 : 11	-	البسيط	اثرُ
45 : 11	الأخطل	البسيط	قدرُوا
28 ، 26 : 13	أرطاة بن سهية	البسيط	ذكرُ
28 : 13	الربيع بن قعنَب	البسيط	الأرزُ
56 : 13	المغيرة بن حبناء	البسيط	الدرُ
181 : 13	-	البسيط	أذرُ
181 : 13	عبد الصمد بن المعذل	البسيط	يعتذرُ
32 : 14	محمد بن يسير	البسيط	والعكرُ
130 : 14	أبو الشبل البرجمي	البسيط	المطرُ
179 : 14	كعب الشكري	البسيط	السهرُ
183 : 14	كعب الأشقري	البسيط	الحمرُ
68 : 15	ابن أحمَر	البسيط	خصرُ
95 : 15	يزيد بن عبد الملك	البسيط	وطرُ
234 : 15	الفرزدق	البسيط	المطرُ
256 ، 247 : 15	ليد	البسيط	عمرُ
68 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	وترُ

79 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البيسط	عسر
153 : 16	عبدالله بن رواحة	البيسط	نصروا
103 : 18	لييد	البيسط	عمر
194 : 18	ابن مفرغ	البيسط	مضر
208 : 18	ابن مفرغ	البيسط	قبروا
56 : 19	محمد بن وهيب	البيسط	والقمر
57 : 19	محمد بن وهب	البيسط	والقمر
250 : 20	أنس بن مدرك الخشعمي	البيسط	البقر
249 : 20	أنس بن مدرك الخشعمي	البيسط	حجر
228 : 21	الفرزدق	البيسط	مضر
227 : 21	جرير	البيسط	عمر
244 : 21	الفرزدق	البيسط	مضر
90 : 22	الربيع بن أبي الحقيق	البيسط	والمطر
115 : 22	إبراهيم بن المنبر	البيسط	ينثر
176 ، 172 : 22	المؤمل بن أميل	البيسط	بصر
176 : 22	المؤمل بن أميل	البيسط	مضر
176 : 22	المؤمل بن أميل	البيسط	سقر
93 : 2	سليط بن سعد	البيسط	سمنار
190 : 2	ابن ميادة	البيسط	عمار
100 : 3	بشار	البيسط	النار
164 : 20 ؛ 17 : 16 ؛ 7 : 11 ؛ 252 : 9	الخنساء	البيسط	نار
232 : 11	-	البيسط	وامرار
84 : 12	الأحوص	البيسط	اكتار
99 ، 57 : 15	الخنساء	البيسط	الدار
85 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البيسط	وامرار
37 : 17	عمر بن أبي ربيعة	البيسط	مقدار
38 : 17	عمر بن أبي ربيعة	البيسط	اضرار
187 : 17	زيد الخيل	البيسط	جرار
202 : 17	الأعشى	البيسط	جار
180 : 19	الأحوص	البيسط	اعصار
213 : 21	-	البيسط	الدار
281 : 5	إسحاق الموصلي	البيسط	معمور
128 : 6	-	البيسط	معذور

135 : 8	زهير بن أبي سلمى	البسيط	معدور
135 : 8	زهير بن أبي سلمى	البسيط	مذكور
14 ، 13 : 10	دريد بن الصمة	البسيط	مغرور
14 : 10	دريد بن الصمة	البسيط	الجماهير
138 : 12	حجر بن معاوية بن عينة	البسيط	منظور
74 : 13	العتابي	البسيط	وتطهير
77 : 13	العتابي	البسيط	معمور
85 ، 84 : 13	العتابي	البسيط	الأعاصير
230 : 13	مطيع بن إياس	البسيط	وطنجير
162 : 15	عمرو بن معديكرب	البسيط	المقادير
216 : 21	الفرزدق	البسيط	مطور
162 : 18	أشجع	مخلع البسيط	والقرا
48 : 20	عبدالله بن محمد بن أبي عينة	مخلع البسيط	وازورار
190 ، 189 : 19 ؛ 48 : 7 ؛ 139 : 3	سلم الخاسر	مخلع البسيط	الجسور
55 : 10	إبراهيم بن العباس	مخلع البسيط	مغير
130 : 14	أبو الشبل البرجمي	مخلع البسيط	مجير
42 : 1	أيمن بن حريم	الوافر	ضرار
12 : 2	مجنون ليلى	الوافر	الخيار
155 : 3 ؛ 97 : 2	عدي بن زيد	الوافر	السرار
96 : 3	بشار	الوافر	تضار
96 : 5	-	الوافر	فباروا
9 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	النهار
241 : 9	الفرزدق	الوافر	النوار
241 : 9	الفرزدق	الوافر	نوار
240 : 10	زهير بن أبي سلمى	الوافر	يسار
244 : 10	الخنساء أخت زهير بن أبي سلمى	الوافر	الفضار
134 : 13	امراة مالك بن أمية	الوافر	ضمار
67 : 15	بشر بن أبي خازم	الوافر	القرار
224 : 15	الحزين الديلي	الوافر	الحمار
107 : 16	نصيب	الوافر	الصغار
149 : 17	شداد بن معاوية	الوافر	تعار
150 : 17	حذيفة بن بدر	الوافر	الغبار
17 : 18	جرير	الوافر	النوار

203 : 21	الفرزدق	الوافر	نوارُ
204 : 21	الفرزدق	الوافر	النوارُ
244 : 21	-	الوافر	المعارُ
244 : 21	-	الوافر	بخارُ
111 : 22	إبراهيم بن المدبر	الوافر	اختيارُ
92 : 23	البحثري	الوافر	جبارُ
27 : 24	الأخطل	الوافر	الغبارُ
52 : 3	عروة بن الورد	الوافر	الفقييرُ
85 : 3	زيد بن عمرو بن نفيل	الوافر	الصبورُ
15 : 6	داود بن سلم	الوافر	المسيرُ
189 : 7	السيد الحميري	الوافر	غزيرُ
208 : 7	السيد الحميري	الوافر	بشيرُ
218 : 8	الأخطل	الوافر	قصيرُ
113 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الوافر	يسيرُ
123 : 9	أبو صرمة الأنصاري	الوافر	الفقييرُ
140 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	الفطورُ
156 : 10	-	الوافر	مجيرُ
18 : 16 ، 12	عبدالله الحشرج	الوافر	تضيرُ
61 : 13	زياد الأعجم	الوافر	العبورُ
185 : 13	العباس بن مرداس	الوافر	كثيرُ
159 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الوافر	منيرُ
252 : 16	محمد بن صالح العلوي	الوافر	الخبيرُ
113 : 89 ، 17	امراة كندية	الوافر	يسيرُ
149 : 18	العباس بن مرداس	الوافر	نزورُ
174 : 18	أشجع	الوافر	الكبيرُ
253 : 18	أبو المضاء الأسدي	الوافر	نضيرُ
16 : 20	أبو نواس	الوافر	عسيرُ
203 : 19	سلم الخاسر أو أشجع أو عنان أو أبو نواس	الوافر	الكبيرُ
17 : 20	أبو نواس	الوافر	عسيرُ
31 : 21	البحثري	الوافر	الأيورُ
48 : 22	خداس بن زهير	الوافر	أثيروا
74 : 23	الحسن بن وهب	الوافر	الوزيرُ
68 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	عميرُ

64 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الوافر	ينتظرُ
11 : 6	داود بن سلم	الكامل	معمُرُ
183 : 11	الأقيشر	الكامل	يتمرمرُ
146 : 12	الجحاف السلمي	الكامل	يصبرُ
146 : 12	الجحاف السلمي	الكامل	يضجروا
125 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	فصابرُ
112 : 22	إبراهيم بن المديبر	الكامل	ناضرُ
112 : 22	إبراهيم بن المديبر	الكامل	باترُ
245 : 5	إسحاق الموصلي	الكامل	والقدرُ
158 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	بشرُ
263 : 1	العرجي	الكامل	سفرُ
242 : 18 ، 236 ، 227 ، 222 : 6			
62 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الكامل	فالغمرُ
231 : 8	أبو بكر بن المسوار أو الحارث بن خالد	الكامل	والقطرُ
	أو بعض القرشيين		
172 : 8	عترة العبسي	الكامل	عجرُ
127 : 12	أبو زيد الطائي	الكامل	الهجرُ
241 : 13	محمد بن كناسة	الكامل	العفرُ
253 ، 252 ، 251 : 17	الأحوص	الكامل	زهرُ
128 : 20	مسكين الدارمي	الكامل	والجدُرُ
115 : 2	امرأة الحطيئة	الكامل	صفارُ
184 : 3	عكاشة العمي	الكامل	نارُ
57 : 5	جميل	الكامل	وغرارُ
138 : 5	العباس بن الأخنف	الكامل	تعارُ
138 : 5	العباس بن الأخنف	الكامل	مدراُرُ
138 : 5	العباس بن الأخنف	الكامل	الأقْدَارُ
257 : 21 ، 112 : 16 ، 48 ، 29 : 8	جرير	الكامل	يزارُ
256 : 8	العباس بن الأخنف	الكامل	كبارُ
266 : 8	العباس بن الأخنف	الكامل	تعارُ
176 : 14	ثابت قطنه	الكامل	وساروا
34 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	الأخطارُ
217 : 21	الفرزدق	الكامل	نهارُ
132 : 23	-	الكامل	الانكارُ

144 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	الأحبار
133: 3	بشار	الكامل	أمير
145 : 3	بشار	الكامل	مشير
51 ، 15 : 8	سراقة بن مرداس	الكامل	جرير
51 ، 15 : 8	جرير	الكامل	أمير
51 : 8	سراقة البارقي	الكامل	ويجور
51 : 8	جرير	الكامل	تفتير
108 : 8	جميل	الكامل	يسير
175 : 11	الأقيشر	الكامل	نذور
155 : 18	أحمد بن سيار	الكامل	نضير
176 : 18	أبو محمد من جدة	الكامل	تدور
41 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الكامل	الناظر
221 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الكامل	الزار
123 : 3	بشار	مجزوء الكامل	نظير
202 : 3	ابن المولى	مجزوء الكامل	نظير
130 : 3	أبو زيد صديق لبشار	الهزج	عذر
145 : 7	الحسين بن الضحاك	الهزج	خمر
77 : 10	مروان بن أبي حفصة	الهزج	والاجر
254 : 13	الشمردل بن شريك	الرجز	السمر
227 : 18	العماني	الرجز	يصر
267 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	الزعفر
117 : 21	كعب حذار أو جدار أخو تأبط شرا	الرجز	فتدروا
183 : 22	أبو حزابة التميمي	الرجز	لا ينز
128 : 2	الحطيئة	الرجز	وحجر
39 : 12	معن بن أوس	الرجز	ومور
265 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	خير
100 : 8	جميل	الرجز	خوار
141 : 3	بشار	الرجز	والسرور
14 : 13	الأسود بن يعفر	الرجز	خفير
258 : 2 ، 135 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الرجز	فانشمروا
40 : 10	إبراهيم بن العباس	الرمل	تغفر
179 : 10	علي بن الجهم	مجزوء الرمل	الفرار
224 : 10	ابن المعتز	مجزوء الرمل	اتشار

81 : 20	-	مجزوء الرمل	القرارُ
111 : 23	القاسم بن يوسف	مجزوء الرمل	وديارُ
206 : 5	إسحاق الموصلي	مجزوء الرمل	مجيرُ
211 : 3	ابن المولى	السريع	جعفرُ
212 : 13	مطيع بن إياس	السريع	أبصرُ
190 : 20	مطيع بن إياس	السريع	والجوهرُ
214 : 3	-	السريع	وافرُ
152 : 6	وضاح اليمن	السريع	صابرُ
242 : 8	القس	السريع	زاجرُ
63 : 23	محمد بن علي البتي	السريع	فاجرُ
176 : 6	بشار	السريع	زورُ
225 : 14	حماد عجرد	السريع	خيرُ
34 : 16	النعمان بن بشير	السريع	أواميرُ
283 : 16	أبو الشيص	السريع	مذرورُ
88 : 19	بكر بن النطاح	السريع	تغييرُ
127 : 3	بشار	المنسرح	ضجرُ
171 : 6 ؛ 167 : 3	بشار	المنسرح	الخيرُ
231 ، 230 : 6	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	تنتظرُ
231 : 6	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	اثمروا
201 : 13	مطيع بن إياس	المنسرح	ضجرُ
65 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	المنسرح	فتزدجرُ
188 : 19 ؛ 112 : 5	أبو العتاهية	الخفيف	مرُ
173 : 6	بشار	الخفيف	تستقرُ
40 : 20	ابن أبي غينة	الخفيف	ومكرُ
177 : 4	الأحوص	الخفيف	قصارُ
76 : 5	الأحوص	الخفيف	دارُ
98 ، 78 : 9	الأحوص	الخفيف	نارُ
99 : 9	موسى شهوات أو الأحوص أو لييد	الخفيف	والانارُ
200 : 13	-	الخفيف	وساروا
51 : 19	مسلم بن الوليد	الخفيف	الأحرارُ
117 : 23	العطوي	الخفيف	العقارُ
227 ، 89 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	الموفورُ
98 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	تصيرُ

97 : 4	أمية بن أبي الصلت	الخفيف	زور
132 : 5	الوليد بن يزيد	الخفيف	فقير
25 : 6	حسان بن ثابت	الخفيف	المحظور
25 : 6	حسان بن ثابت	الخفيف	الحضور
248 : 6	أبو سفيان بن حرب	الخفيف	مذكور
223 : 10	ابن المعتز	الخفيف	مغرور
160 : 13	أبان اللاحقي	الخفيف	أطير
15 : 16	نهار بن توسعة	الخفيف	وشهور
15 : 16	نهار بن توسعة	الخفيف	البحور
242 : 16	حجر بن عمرو آكل المرار	الخفيف	مغرور
214 : 20	سعيد بن وهب	المضارع	نوار
183 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	المجث	وعشر
245 : 2	عمر بن أبي ربيعة أو التميمي أز يزيد بن معاوية	التقارب	تصبر
247 : 3	موسى شهوات	التقارب	يذكر
30 : 6	أعشى همدان	التقارب	تقصر
11 : 10	دريد بن الصمة	التقارب	فالأصغر
155 : 12	الحزين الديلي	التقارب	تذكر
170 : 15	العباس بن الأحنف	التقارب	أنظر
153 : 17	بلحاء العذري	التقارب	مجهر
27 : 18	الراعي	التقارب	أبصر
57 : 18	العباس بن مرداس	التقارب	أخبر
57 : 18	خفاف بن ندبة	التقارب	منكر
66 : 18	خفاف بن ندبة	التقارب	يجبر
67 : 18	العباس بن مرداس	التقارب	يسعر
67 : 21	عريب	التقارب	تجسر
67 : 21	عريب	التقارب	تشعر
71 : 22	ربيعة بن مقروم	التقارب	يحذر
75 : 13 ، 53 : 10	إبراهيم بن العباس أو العتايي	التقارب	الناظر
118 : 23	العطوي	التقارب	تفور

- قافية الراء المضمومة ومعها هاء ساكنة -

41 : 1	أبو قطيفة	الطويل	وحاضرة
178 ، 115 ، 110 ، 99 : 2	الحطيئة	الطويل	وجاذرة
177 : 2	ابن ميادة	الطويل	وجاذرة

14 : 4	أبو العتاهية	الطويل	حناجرة
83 : 5	-	الطويل	ناصره
119 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	ناصره
120 ، 119 : 7	أبو العتاهية أو سلم الخاسر	الطويل	بوادرة
120 ، 119 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	وأواخره
132 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	ذاكرة
133 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	عشائره
226 : 9	يزيد المهلي	الطويل	ومصادره
11 : 12	يزيد بن عبد المدان	الطويل	ومصادره
156 : 12	أعرابي	الطويل	مشفرة
201 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	مصادره
34 : 13	إياس بن يزيد	الطويل	تحاذره
105 : 15	-	الطويل	كاسره
202 : 15	ورقاء بن زهير	الطويل	أبادره
13 : 16	الحسين بن مطير	الطويل	سراثره
109 ، 108 ، 106 : 16	الفرزدق	الطويل	كاسره
98 : 18	أعشى بني ربيعة	الطويل	زائره
170 : 21	السمهري العكلي	الطويل	زائره
187 : 21	عبد الرحمن بن يزيد	الطويل	ناثره
216 : 21	الفرزدق	الطويل	تصاهره
233 : 21	الفرزدق	الطويل	مشفرة
31 : 22	الجعد المحاربي	الطويل	كاسره
100 : 5 ، 278 : 4	عبيد بن حنين أو عبدالله بن أبي كثير	المجزوء الكامل	ودوره
120 : 20	مسكين الدارمي	المجزوء الكامل	أزاره
206 : 10	أبو دلامة	الخفيف	ودماره

- قافية الراء المضمومة ومعها هاء مضمومة -

163 : 23	ماني الموسوس	البسيط	أذكره
261 : 5	إسحاق الموصلي	مجزوء الوافر	أذكره

- قافية الراء المضمومة ومعها هاء -

58 ، 57 ، 53 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الطويل	ونهارها
53 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الطويل	غرارها
58 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الطويل	بحارها

156 : 8	كثير	الطويل	عارها
72 : 12	امراة من هذيل	الطويل	إسارها
191 : 15	كثير	الطويل	وعرارها
192 : 15	كثير	الطويل	عارها
214 : 21	الفرزدق	الطويل	كبارها
44 : 2	مجنون ليلي	الطويل	أزورها
196 : 3	توبة بن الحمير	الطويل	وأسيرها
156 : 5	إبراهيم الموصللي	الطويل	نورها
28 : 6	—	الطويل	أيورها
193 : 6	أبو ذؤيب	الطويل	وشعيرها
194 : 6	خالد بن زهير	الطويل	عشورها
13 : 8	جرير	الطويل	يجيرها
13 : 8	غسان بن ذهيل	الطويل	جيرها
183 : 9	طريف العنبري	الطويل	عيرها
184 : 9	طريف العنبري	الطويل	سفورها
141 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	مريها
141 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	سفورها
143 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	مطيرها
144 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	أزورها
165 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	نخورها
197 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	مريها
51 : 14	قيس بن عاصم المنقري	الطويل	أمورها
16 : 16	الحسين بن مطير	الطويل	فقيرها
249 : 16	محمد بن صالح العلوي	الطويل	فتورها
249 : 21	الفرزدق	الطويل	وقصورها
249 : 21	الفرزدق	الطويل	يجيرها
28 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	بشيرها
168 : 22	عبدالله بن العجلان النهدي	الطويل	يعورها
97 : 23	الحسن بن وهب	الطويل	بصيرها
137 : 23	سليمان بن وهب	الطويل	صيرها
30 : 21	البحري	المنسرح	أضمها

- قافية الرءاء المكسورة -

260 : 1	العرجي	الطويل	نصر
224 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	بكر
228 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	وكي
242 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	والقطري
244 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	والستري
258 : 1	العرجي	الطويل	الوتر
260 : 1	شاعر من بني نصر	الطويل	الدهري
17 : 2	مجنون ليلى	الطويل	صبر
36 : 2	مجنون ليلى	الطويل	يدري
59 : 2	قيس بن ذريح	الطويل	والشر
101 : 2	الخطيئة	الطويل	بكر
195 : 2	حكم الخضري	الطويل	عصر
196 : 2	ابن ميادة	الطويل	عشر
218 : 2	ابن ميادة	الطويل	الصفري
245 : 2	المرار الأسدي	الطويل	بكر
46 : 3	هلال بن الأسعر	الطويل	الفجر
65 : 3	بنت ذي الإصبع	الطويل	والعطي
145 : 3	بشار	الطويل	تجري
145 : 3	بشار	الطويل	زهر
153 : 3	بشار	الطويل	وبالبشر
169 : 3	بشار	الطويل	أمر
192 : 3	خداش بن زهير	الطويل	جسر
230 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	فالحضر
62 : 4	أبو العتاهية	الطويل	بالوفر
73 : 4	-	الطويل	الصبر
74 : 4	أبو العتاهية	الطويل	الدهري
78 : 4	أبو العتاهية	الطويل	الفقر
258 : 4	ابن هرمة	الطويل	نصري
159 : 5	-	الطويل	الخزير
165 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	القبر
255 : 5	لعله إسحاق الموصلي	الطويل	بالثغر
6 : 6	الصمة القشيري	الطويل	الجمري

115 : 6	-	الطويل	بالصبر
215 : 7	عبدالله بن علقمة	الطويل	الصدر
215 : 7	حبيشة بنت حبيش	الطويل	واليسر
110 ، 81 : 8	جميل	الطويل	النشر
113 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	طثر
163 : 8	حذافة بن غانم	الطويل	البدر
183 : 8	أبو دلف العجلي	الطويل	بالبشر
183 : 8	علي بن جبلة	الطويل	بالكفر
205 : 8	الأخطل	الطويل	نصر
208 : 8	الأخطل	الطويل	والخضر
213 : 8	الأخطل	الطويل	الدهر
225 ، 224 : 8	الأخطل	الطويل	الأمير
233 : 8	-	الطويل	القطر
5 : 9	أبو سلمة	الطويل	شهر
108 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	الحشر
108 : 9	عبدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	بكر
109 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	عشر
110 : 9	جامع بن مرخية	الطويل	وزير
137 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	والشر
143 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	البدر
6 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	الصبر
56 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	الدهر
76 ، 66 : 10	رجل من بكر بن وائل	الطويل	التقدير
	أو للجني من تيم		
76 : 10	العجني رجل من تيم	الطويل	الدهر
149 : 10	أبو عيسى بن الرشيد	الطويل	الدهر
197 : 10	أبو دلامة	الطويل	وللقصر
223 : 10	خزاعي جارية الضبط	الطويل	بالشذر
247 : 10	المرار بن سعيد	الطويل	تدري
249 : 10	المرار بن سعيد	الطويل	العفر
19 : 11	الخنساء	الطويل	صخر
74 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	مثري
91 : 11	عياض بن مرثد بن أسيد	الطويل	الأسير

213 : 11	موسى بن حابر الحنفي	الطويل	والفزري
216 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	بكري
221 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	السكري
137 : 12	زيان بن سيار	الطويل	قدر
167 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	الطويل	فقري
187 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	ظهري
199 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	والغدري
151 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	بعد
159 : 13	المعدل بن غيلان	الطويل	الفقري
176 : 13	عبد الصمد بن المعدل	الطويل	الصفري
50 : 14	الزبرقان بن بدر	الطويل	بالغدري
55 : 14	قيس بن عاصم المنقري	الطويل	والفحري
87 : 14	أبو الأسد	الطويل	البحري
104 : 14	ابن قنبر	الطويل	يدري
105 : 14	ابن قنبر	الطويل	صدري
106 : 14	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	ويستشري
115 : 14	مسلم بن الوليد	الطويل	القيري
170 : 14	ثابت قطنة	الطويل	والكفري
189 : 14	كعب الأشقري	الطويل	البري
183 : 14	كعب الأشقري	الطويل	بكري
234 : 14	حماد عجرد	الطويل	صدري
144 : 15	العباس بن مرداس	الطويل	عمري
230 : 15	الحزين الديلي	الطويل	بالنكري
231 : 15	الحزين الديلي	الطويل	اليسري
263 : 15	زياد الأعجم	الطويل	مصري
269 : 15	زياد الأعجم	الطويل	بالشعري
73 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	القطري
151 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الطويل	يسري
221 : 16	ناثلة بنت الفرافصة	الطويل	مصري
51 : 17	العباس بن الأحنف	الطويل	قبري
54 : 17	العباس بن الأحنف	الطويل	والهجري
171 : 17	مالك بن أسماء	الطويل	الدهري
229 : 17	شاعر سعدي	الطويل	النحري

179 : 18	-	الطويل	يستقري
27 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	القبر
35 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	الهجر
82 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	البحر
181 : 19	-	الطويل	أجر
218 : 19	-	الطويل	الدهر
218 : 19	فضل الشاعرة	الطويل	تدري
240 : 19	علي بن جبلة أو غيره	الطويل	بالكفر
241 : 19	أبو دلف القاسم	الطويل	بالشر
32 : 20	-	الطويل	الهجر
234 : 20	أسماء بن خارجة	الطويل	النسر
185 ، 178 : 21	هدية بن خشرم	الطويل	يدري
211 : 21	جرير	الطويل	عمرو
279 ، 249 : 21	عبد مكاتب	الطويل	قسر
263 : 21	الفرزدق	الطويل	وتر
14 : 22	عباد بن إياس	الطويل	نصر
18 : 22	الفرزدق	الطويل	القطر
56 : 22	مالك بن الصمصامة	الطويل	فالنحر
151 : 22	الحارث بن وعله أو وعله أبوه	الطويل	القسر
153 : 22	الحارث بن وعله أو أبوه	الطويل	الغمر
164 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	يكري
21 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	الدهر
23 : 23	دفاقة بن عبد العزيز	الطويل	كالجمر
23 : 23	الربيع بن عبد الله	الطويل	القدر
34 : 23	أبو شراة	الطويل	والعذر
23 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	الأمر
121 : 23	مرة النهدي	الطويل	الدهر
180 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الطويل	والنصر
22 : 24	عمير بن الحباب	الطويل	البكر
25 : 24	الأخطل	الطويل	الصبر
27 : 24	الصفار المخاري	الطويل	قدر
76 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	البحر
77 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	الصبر

107 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تنغير
161 : 1	الثريا بنت علي بن عبد الله	الطويل	وعنبر
92 : 2	أبو الطمحان القيني	الطويل	المكفر
184 : 2	ابن ميادة	الطويل	جحدر
51 : 3	عروة بن الورد	الطويل	مجزر
105 : 3	بشار	الطويل	مقصير
248 : 3	موسى شهوات	الطويل	متامر
66 : 11	لعله الحارث بن ظالم	الطويل	جعفر
105 : 11	حنظلة بن الشرقي أبو الطمحان	الطويل	يغدر
156 : 11	ليلى الأخيلية	الطويل	المتفجر
222 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	يتستر
40 : 12	معن بن أوس	الطويل	محضر
147 : 12	تميم بن الحباب	الطويل	متغير
210 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الطويل	فشمير
221 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	التأخير
10 : 13	أبو الطمحان القيني	الطويل	معشري
43 : 13	العجير السلولي	الطويل	فاقصر
44 : 13	العجير السلولي أو عروة بن الورد	الطويل	ومجزري
238 : 15	نافع بن خليفة الغمري	الطويل	نصير
266 : 15	جارية	الطويل	التحسّر
266 : 15	رجل كان يعشق جارية	الطويل	فاعذري
214 : 17	أبو الطمحان بن القيني	الطويل	معشري
249 : 17	خالد بن يزيد	الطويل	مخدر
270 : 17	حاتم الطائي	الطويل	جحدر
146 : 18	ابن مناذر	الطويل	منظر
194 : 18	ابن مفرغ	الطويل	المشقر
68 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	كسكر
187 : 20	سلمة بن عياش	الطويل	بربر
193 : 20	أبو العتاهية	الطويل	منبر
195 : 21	الفرزدق	الطويل	يمطر
114 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	بمقصير
114 : 22	علي بن يحيى المنجم	الطويل	أحور
115 : 22	علي بن يحيى المنجم	الطويل	المشهر

جحدري	الطويل	حاتم الطائي	133 : 22
منكري	الطويل	عتيبة بن مرداس	160 : 22
جابر	الطويل	ابن ميادة	205 : 2
بشاعري	الطويل	صفوان بن المعطل	119 : 4
عامر	الطويل	ابن هرمة	274 : 4
الغوايري	الطويل	الصمة القشيري	7 : 6
مكاشري	الطويل	الوائق الخليفة	221 : 9
المسافري	الطويل	جرير	62 : 10
عامر	الطويل	ليلي الأخيلية	164 ، 140 : 11
ناظري	الطويل	ليلي الأخيلية	153 : 11
وعامر	الطويل	الأخطل	147 ، 146 ، 143 : 12
الخواطري	الطويل	الجحاف السلمي	146 : 12
جابر	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	228 : 12
وناصري	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	241 : 12
بطاهري	الطويل	المخيل السعدي	137 : 13
النواصري	الطويل	العتبي	129 : 14
عامر	الطويل	عبدالله بن الزبير الأسدي	153 : 14
بطاهري	الطويل	المخيل	161 : 15
صاغري	الطويل	زياد الأعجم	269 : 15
المواقري	الطويل	إبراهيم بن بشير	37 : 16
وعامر	الطويل	زيد الخيل	178 : 17
الدوائري	الطويل	عروة بن زيد الخيل	184 : 17
الأباعري	الطويل	-	26 : 18
المقادري	الطويل	أبو محجن الثقفي	13 : 19
تاجري	الطويل	راعي الإبل	144 : 19
المهاجري	الطويل	أبو نخيلة الحماني	262 : 20
عامر	الطويل	الشنفري	130 : 21
الكبيائري	الطويل	الفرزدق	263 : 21
مثابري	الطويل	عمير بن بحدل	22 ، 18 : 24
بجباري	الطويل	ابن ميادة	205 : 2
الداري	الطويل	-	231 : 5
والقاري	الطويل	إبراهيم بن المدبر	112 : 22
الداري	الطويل	إبراهيم بن المدبر	112 : 22

184 ، 182 : 2	ابن ميادة	الطويل	كثير
39 : 6	أعشى همدان	الطويل	بشير
148 : 9	قيس بن ذريح أو عبدالله بن مصعب	الطويل	أمير
159 : 10	عبدالله بن محمد الأمين	الطويل	ضميري
159 : 10	أبو نهشل بن حميد	الطويل	وأميري
60 : 13	المفضل بن المهلب	الطويل	أمير
129 : 13	عمارة بن عقيل	الطويل	هرير
26 : 16	أعشى همدان	الطويل	بشير
257 : 21	الفرزدق	الطويل	بصير
25 : 24	الأخطل	الطويل	بيعر
132 : 24	عبدالله بن معصب أو مجنون ليلي	الطويل	أمير
87 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	عشر
88 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	الذكر
85 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	بصري
85 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البيسيط	النظير
28 : 4	أبو العتاهية	البيسيط	والحضر
202 : 5	لعله إسحاق بن إبراهيم بن مصعب	البيسيط	للمطر
242 : 5	إسحاق الموصلي	البيسيط	كبير
105 : 6	أم عمران	البيسيط	السحر
144 : 7	الحسين بن الضحاك	البيسيط	فكري
174 : 7	الحسين بن الضحاك	البيسيط	والقدر
194 : 7	السيد الحميري	البيسيط	والبقير
208 : 7	السيد الحميري	البيسيط	معتذر
35 : 8	جرير	البيسيط	المطر
178 : 8	أبو دلف العجلي	البيسيط	البصر
254 : 8	العباس بن الأحنف	البيسيط	بمنتصر
257 ، 256 : 8	العباس بن الأحنف	البيسيط	والبصر
211 : 9	إسحاق الموصلي	البيسيط	كبير
21 : 10	دريد بن الصمة	البيسيط	الوتر
189 : 12	عقيل بن علفة	البيسيط	كبير
104 : 13	منصور النمري	البيسيط	والخطر
103 : 14	ابن قنبر	البيسيط	الوتر
239 ، 238 : 18 ، 25 : 15	عروة بن أذينة	البيسيط	فاستتر

277 : 16	أبو تمام	البيسط	والعبر
215 ، 208 ، 207 : 17	رجل يمني	البيسط	والنفير
117 : 18	سعيد بن حميد	البيسط	خطير
119 : 18	سعيد بن حميد	البيسط	المهصر
47 : 19	الحكم بن قنبر	البيسط	الوتر
20 : 20	أبو نواس	البيسط	الخير
103 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	مضر
13 : 22	أبو موسى بن نصير	البيسط	هجر
119 : 22	إبراهيم بن الملبير	البيسط	ذكر
64 : 23	علي بن جبلة	البيسط	أثر
101 : 23	أبو تمام	البيسط	والعبر
95 : 24	القتال الكلاي	البيسط	بصر
39 : 1	الأحوص	البيسط	النار
44 : 2	مجنون ليلى	البيسط	النار
103 ، 102 : 2	الخطيئة	البيسط	وإدباري
168 : 4	الأحوص	البيسط	وإشعاري
269 : 5	إدريس بن أبي حفصة	البيسط	وزواري
8 : 6	الصمة القشيري	البيسط	الزاري
13 ، 12 : 6	داود بن سلم	البيسط	وأوطاري
113 : 6	-	البيسط	اعذار
233 : 6	الأعشى	البيسط	أظفاري
192 : 7	السيد الحميري	البيسط	واري
204 ، 195 : 7	السيد الحميري	البيسط	النار
125 : 8	يزيد بن الطثرية	البيسط	الدار
209 : 8	الأخطل	البيسط	الدار
228 : 8	الأخطل	البيسط	النار
88 : 9	الأعشى	البيسط	أظفاري
173 ، 172 : 9	حميدة بنت النعمان	البيسط	والدار
246 : 10	المساور بن هند	البيسط	النار
71 : 11	عم الحارث بن ظالم	البيسط	ضاري
158 : 11	ليلى الأخيلية	البيسط	وللجار
32 : 12	بيهس الجرمي	البيسط	الساري
139 : 12	جفیر العبسي	البيسط	سيار

164 : 13	عبد الصمد بن المعزل ^١	البيسيط	أعيار
73 : 15	الأخطل	البيسيط	الدار
39 : 16	حميدة بنت النعمان بن بشير	البيسيط	والدار
166 : 16	الرقاشي	البيسيط	وللجار
30 : 17	الأعور الكلبي	البيسيط	النار
30 : 17	الكميت	البيسيط	بالنار
74 : 17	ابن الدمية	البيسيط	بحفار
98 : 17	أبو قيس بن الأسلت	البيسيط	غدار
238 : 17	أبو عطاء الهندي	البيسيط	النار
238 : 17	أبو عطاء الهندي	البيسيط	سيار
267 : 17	حاتم الطائي	البيسيط	عار
32 : 18	ذو الرمة	البيسيط	أثاري
34 : 18	ذو الرمة	البيسيط	النار
179 : 18	شاعر من جدة	البيسيط	والنار
232 : 18	-	البيسيط	والنار
246 : 18	-	البيسيط	قصار
268 : 18	العباس بن الأحنف	البيسيط	الدار
85 : 20	دعبل الخراعي	البيسيط	ودينار
68 ، 67 : 21	أبو نواس	البيسيط	بشار
30 : 22	صخر بن الجعد	البيسيط	سيار
86 : 22	الأعشى	البيسيط	أظفاري
97 ، 95 : 22	بيهس الجرمي	البيسيط	الساري
102 : 22	معروف بن الكميت	البيسيط	أم عمار
60 : 23	الكتنجي	البيسيط	عطار
27 : 24	جرير	البيسيط	إقرار
34 : 24	أبو نجدة لجيم بن سعد	البيسيط	قار
34 : 24	أبو نجدة لجيم بن سعد	البيسيط	سيار
40 : 24	مرداس بن أبي عامر أو عباس ابنه	البيسيط	الدار
45 : 24	الأعشى	البيسيط	أشرار
45 : 24	أبو كلبة التيمي	البيسيط	قار
98 : 24	القتال الكلابي	البيسيط	واري
99 : 24	القتال الكلابي	البيسيط	الساري
132 : 3	بشار	البيسيط	قوارير

186 : 3	عكاشة اللمي	البيسط	كافور
251 : 3	الفرزدق	البيسط	مطور
90 : 5	أبو زيد الطائي	البيسط	وتقديري
82 : 8	جميل	البيسط	منظور
127 : 8	يزيد بن الطثرية	البيسط	العواوير
242 : 9	الفرزدق	البيسط	مطور
76 : 10	مروان بن أبي حفصة	البيسط	منصور
77 : 10	مسلم بن الوليد	البيسط	محدور
144 : 10	علية بنت المهدي	البيسط	منصور
205 : 14	بشار	البيسط	زنابير
209 : 18	ابن مفرغ	البيسط	بتأمير
73 : 20	دعبل الخزاعي	البيسط	الطوامير
277 : 21	جرير	البيسط	بالصير
148 : 22	إسحاق بن إبراهيم الموصلبي أو غيره	البيسط	محدور
207 : 21	الفرزدق	البيسط	مطور
277 ، 244 : 21	الفرزدق	البيسط	الكور
218 : 20	سعياء بن وهب	مخلع البيسط	أمير
49 : 7 ، 210 : 1	عروة بن أذينة	الوافر	فتر
268 ، 267 ، 266 : 1	العرجي	الوافر	ثغر
50 : 7	عروة بن أذينة	الوافر	بكر
20 : 10	الخنساء	الوافر	بدر
24 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	ستري
106 : 11	الحارث بن الأبرص	الوافر	صدري
212 : 13	مطيع بن إياس	الوافر	أبي
18 : 15	-	الوافر	وصبري
55 : 15	الخنساء	الوافر	بكر
70 : 15	صخر بن عمرو	الوافر	بشر
142 : 15	عمر بن معديكرب	الوافر	بقدير
228 : 15	الحزبن الدبلي	الوافر	صبر
141 : 16	العرجي	الوافر	ثغر
187 : 16	شاعر كوفي	الوافر	بشر
242 : 18	عروة بن أذينة	الوافر	فتر
248 : 20	السليك بن السليكة	الوافر	عمرو

نزي	الوافر	قيس بن الخطيم	5 : 22
تدري	الوافر	قيس بن القتال	12 : 22
غيري	الوافر	عبدالله بن العجلان الهندي	167 : 22
صبر	الوافر	محمد بن عبد الملك الزيات	59 : 23
بشري	الوافر	عمارة بن عقيل	137 : 24
يسار	الوافر	ابن ميادة	211 : 2
السوار	الوافر	ابن ميادة	212 : 2
وجار	الوافر	بشار	115 : 3
الجدار	الوافر	بشار	146 : 3
الزاري	الوافر	إسحاق الموصلي	212 : 9 ، 272 ، 232 : 5
وانحداري	الوافر	جرير	60 ، 53 : 8
الحمار	الوافر	فاخنة بنت عدي	138 : 11
قفار	الوافر	العبلي	199 : 11
الحمار	الوافر	أرطاة بن سهية	29 : 13
الجواري	الوافر	الربيع بن قعنّب	28 : 13
جاري	الوافر	العجير السلوي	49 : 13
نزاري	الوافر	مالك بن زهير	52 : 13
الإزار	الوافر	عزبل الخنعمي	149 : 13
تطاري	الوافر	زياد الأعجم	262 : 15
قصار	الوافر	زياد الأعجم	268 : 15
غفار	الوافر	محمد بن بشير الخارجي	79 : 16
الجدار	الوافر	أبو حية النميري	212 : 16
السرار	الوافر	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	34 : 20
بالقطار	الوافر	أم تأبط شرا	124 : 21
الزيار	الوافر	الفرزدق	242 : 21
الكبار	الوافر	الفرزدق	282 : 21
الصرار	الوافر	مالك بن الرب	202 ، 22
زاري	الوافر	زفر بن الحارث	27 : 24
الذكور	الوافر	عمرو بن السليح	90 : 2
وزور	الوافر	عروة بن الورد	29 : 3
مستطير	الوافر	عروة بن الورد	54 : 3
ضري	الوافر	مهلهل	26 : 5
زير	الوافر	مهلهل	37 ، 26 : 5

28 : 5	مهلهل	الوافر	العبير
71 : 13 ؛ 28 : 5	مهلهل	الوافر	مدير
39 ، 35 : 5	مهلهل	الوافر	تحوري
194 : 11 ؛ 256 : 5	إسحاق الموصلي	الوافر	البصير
10 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	الكبير
34 : 8	عقيلة بنت الضحاك	الوافر	الخبير
208 : 8	-	الوافر	الكبير
164 ، 10	البحري	الوافر	النفي
53 : 13	الحارث بن قراد	الوافر	بشهرزور
98 : 13	منصور النمري	الوافر	شطير
98 : 13	منصور النمري	الوافر	الصغير
99 : 13	منصور النمري	الوافر	للكفور
99 : 13	منصور النمري	الوافر	الزبور
100 : 13	منصور النمري	الوافر	الأمو
180 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الوافر	بالأمير
84 : 15	الأخطل	الوافر	بشير
88 : 17	أبو قيس بن الأسلت	الوافر	الفقي
233 : 20	عقبة الأسدي	الوافر	الأمير
154 : 21	أبو خراش الهذلي	الوافر	القبور
173 : 22	المؤمل بن أميل	الوافر	المنير
142 : 23	أبان اللاحقي	الوافر	البصير
39 : 24	حرقة بنت النعمان	الوافر	بعنفير
127 : 5	-	مجزوء الوافر	هكر
255 : 1	العرجي	الكامل	الأحمر
257 : 1	العرجي	الكامل	الأشقر
257 : 1	العرجي	الكامل	المعسر
186 : 2	الحكم الخضري	الكامل	محجر
260 ، 259 : 2	جميل أو عمر بن أبي ربيعة	الكامل	تذكري
33 : 3	-	الكامل	يقدر
26 : 3	بشار	الكامل	فافخر
118 : 4	حسان بن ثابت	الكامل	يندر
222 : 4	طريح بن إسماعيل	الكامل	جوهر
225 : 4	العرجي	الكامل	مقمر

226 : 4	العرجي	الكامل	الأحمر
74 : 8	جميل	الكامل	المسور
74 : 8	جميل	الكامل	تذكري
24 : 10	مالك بن الصمة	الكامل	كركر
111 : 10	-	الكامل	المشتري
20 : 13	أرطاة بن سهية	الكامل	الأزور
20 : 13	متمم بن نوية	الكامل	الأزور
180 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الكامل	المفطر
114 : 14	مسلم بن الوليد	الكامل	المخير
166 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الكامل	الأكثر
70 : 15	صخر بن عمرو	الكامل	المدير
207 : 15	متمم	الكامل	الأزور
237 : 15	أعصر بن سعد	الكامل	منكري
36 : 16	جميل	الكامل	لتغوي
10 : 19	خالد بن سعيد بن العاصي	الكامل	الصفير
11 : 19	أبو محجن الثقفي	الكامل	وتعطري
27 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	المخير
200 : 19	سلم الخاسر	الكامل	جعفر
110 : 21	-	الكامل	وعثر
176 : 2	ابن ميادة	الكامل	بالحاجر
126 : 9	-	الكامل	الجازر
208 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الكامل	الطائر
81 : 15	عبد الرحمن بن حسان	الكامل	كالفاجر
254 : 16	محمد بن صالح العلوي	الكامل	الدائر
84 : 18	عمران بن حطان	الكامل	الصفار
141 : 18	رجل اسكافي	الكامل	مناذر
51 ، 47 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	شاعر
139 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	صادر
143 ، 139 : 24	فروة بن حميصه	الكامل	الصاغر
138 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	الأمير
138 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	الخصر
147 : 2	رجل من قریش	الكامل	الصبر
175 : 2	الحكم بن عبدل	الكامل	الدهر

228 ، 216 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	صبر
228 ، 227 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	الخمير
26 : 4	-	الكامل	الغمير
296 : 4	إسماعيل بن يسار	الكامل	بكر
85 ، 84 : 5	الخطيفة	الكامل	بالعذر
85 : 5	رجل من عجل	الكامل	يدر
68 : 6	زهير بن أبي سلمى	الكامل	دهر
201 : 10 ، 126 : 9	أبو دلالة	الكامل	وفر
325 : 10	زهير بن أبي سلمى	الكامل	دهر
237 : 10	زهير بن أبي سلمى	الكامل	الحضير
62 : 13	العتابي	الكامل	بالخطر
171 : 13	عبد الصمد بن المعزل	الكامل	صبري
206 : 13	مطيع بن إياس	الكامل	عصر

- لفظ قافية أخرى هو : (دهر) -

218 ، 207 : 13	مطيع بن إياس	الكامل	دهر
----------------	--------------	--------	-----

- قافية أخرى لقافية : عصر -

60 : 14	محمد بن حازم	الكامل	الدهر
231 : 14	حماد عمجد	الكامل	يسر
133 : 15	حسان بن ثابت	الكامل	الكفر
117 : 16	الفضل بن العباس	الكامل	النفر
279 : 17	حاتم الطائي	الكامل	بدر
40 : 20	ابن أبي عيينة	الكامل	وتر
73 : 23	دندن الكاتب	الكامل	النحر
213 ، 190 : 23	عمرو بن الحصين	الكامل	يجري
47 : 3	هلال بن الأسعر	الكامل	النار
261 : 4	ابن هرمة	الكامل	المعصار
234 ، 232 : 4	أبو سعيد مولى فائد	الكامل	الأشجار
6 : 8	جرير	الكامل	أستار
234 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	نهار
247 : 11	إسماعيل بن عمار	الكامل	لزاري
131 : 13	المخبل السعدي	الكامل	وصحار
138 : 13	المخبل السعدي	الكامل	الأبرار

80 : 14	ابن أبي الزوائد	الكامل	الأحرار
184 : 14	كعب الأشقر	الكامل	الأمصار
26 : 16 ؛ 75 : 15	الأخطل	الكامل	وحمار
83 : 15	النعمان بن بشير	الكامل	الثرثار
35 ، 31 : 16	النعمان بن بشير	الكامل	الأنصار
90 : 16	سديف	الكامل	الأحرار
269 : 16	أبو تمام	الكامل	قار
272 : 16	أبو تمام	الكامل	قار
68 : 17	كعب بن زهير	الكامل	الأنصار
129 : 17	الربيع بن زياد	الكامل	نهار
142 : 17	الربيع بن زياد	الكامل	الساري
145 ، 142 : 17	الربيع بن زياد	الكامل	الأطهار
48 : 19	أنصاري خزرجي	الكامل	الأسحار
199 : 21	جرير	الكامل	أستار
216 : 21	الفرزدق	الكامل	الأخطار
242 : 21	الفرزدق	الكامل	الأشعار
80 : 23	-	الكامل	بعار
74 : 10	مروان بن أبي حفصة	الكامل	لجري
168 : 10	أبو علي البصير	الكامل	لنكير
23 : 14	محمد بن يسير	الكامل	ثبير
131 : 16	خالد بن المهاجر	مجزوء	الحصار
76 : 18	والبة بن الحباب	مجزوء	والجرار
184 : 3	عكاشة العمي	مجزوء	القصير
74 ، 49 : 4	أبو العتاهية	مجزوء	والسدير
7 : 21 ؛ 272 : 20 ؛ 12 : 11	المنخل اليشكري	مجزوء	المطير
8 : 21	المنخل اليشكري	مجزوء	تحوري
110 : 22	إبراهيم بن المدبر	مجزوء	الكبير
130 : 3	بشار	الهرج	القدر
166 : 7	الحسين بن الضحاك	الهرج	الهجر
169 : 19	عبد الله بن العباس الربيعي	الهرج	القطر
93 : 20	دعبل الخزاعي	الهرج	بالوعر
93 : 20	أبو سعد المخزومي	الهرج	الدهر
220 : 20	سعيد بن وهب	الهرج	الشعر

197 : 15	آدم بن عبد العزيز	الهزج	مختار
74 ، 71 : 7	يزيد بن ضبة	الهزج	سيرى
150 : 22	المأمون الخليفة	الهزج	المقاصير
279 : 2	أبو النجم العدلي	الرجز	شعري
66 : 8	راجز قضاعي	الرجز	حمير
66 : 8	—	الرجز	تنزير
101 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	تعقير
197 : 16	لبيد	الرجز	منفر
135 : 22	الحمرء بنت ضمرة	الرجز	كابير
125 : 8	يزيد بن الطثرية	الرجز	قمير
51 : 10	إبراهيم بن العباس	الرجز	بيدر
61 : 10	أبو حفصة يزيد جد مروان	الرجز	الشر
35 : 11	هاتف في المنام	الرجز	النجر
229 : 18	العماني	الرجز	القر
257 : 20	أبو نخيلة	الرجز	غمر
256 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	ووفري
266 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	خيرى
223 : 21	القرزدق	الرجز	الأسر
235 : 22	أبو النجم	الرجز	صدري
36 : 23	أبو شراة	الرجز	قدرى
115 : 23	العطوي	الرجز	المهجور
64 : 12	الوليد بن طريف	الرجز	بنارى
121 : 16	عقرب	الرجز	الأوتار
132 : 18	ابن منذر	مجزوء	العداري
68 : 2	عدي بن زيد	الرمل	الأصار
68 : 2	عدي بن زيد	الرمل	الخصار
74 : 2	عدي بن زيد	الرمل	وانتظاري
86 : 2	عدي بن زيد	الرمل	واصطهاري
136 : 16	حمزة بن بيض	الرمل	ذري
228 : 14	حماد عمجد	مجزوء	بخير
38 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء	ليسار
252 : 11	إسماعيل بن عمار	مجزوء	وحمارى
86 : 7	نايفة بني شيان	مجزوء	بحفير

21 : 14	محمد بن يسير	مجزوء الرمل	الغري
252 : 3	الوليد بن يزيد أو عمر بن أبي ربيعة أو العرجي	السريع	المقفر
253 : 3	الوليد بن زيد أو عمر ابن أبي ربيعة أو العرجي	السريع	أذكر
179 : 17	زيد الخيل	السريع	يضجر
42 : 21	أبو العنيس الصيمري	السريع	الأزهر
87 : 23	أبو نواس	السريع	الأزهر
75 : 3	ذو الأصبع	السريع	الزاهر
191 : 16 ؛ 7 : 7	شاعر حجازي	السريع	شاكِر
191 : 16 ؛ 7 : 7	الوليد بن يزيد	السريع	شاكِر
215 : 14	حماد عجرد	السريع	الكافر
201 ، 200 ، 192 : 16	الأعشى	السريع	والواتر
222 : 19	فضل الشاعرة	السريع	الزاهر
218 ، 216 : 22	عبد بني الحسحاس	السريع	الصادر
22 : 24	جهم القشيري	السريع	بالعائر
70 : 4	أبو العتاهية	السريع	العمر
85 ، 70 : 4	أبو العتاهية	السريع	الصبر
255 : 4	-	السريع	صدري
118 : 6	-	السريع	والكبر
37 : 10	إبراهيم بن العباس	السريع	عذري
104 : 12	محمد بن أمية	السريع	النشر
31 : 14	محمد بن يسير	السريع	بحري
241 : 14	محمد بن أبي العباس السفاح	السريع	الهجر
248 : 14 ؛ 174 : 3	أبو هشام الباهلي	السريع	دار
247 : 14	بشار	السريع	النار
247 : 14	حماد عجرد	السريع	الباري
134 : 18	ابن مناذر	السريع	بكار
15 : 20	التيمي	السريع	بمسحور
83 : 12 ؛ 113 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	النظر
83 : 12 ؛ 126 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	والهجر
279 : 2	الحكم بن عبلد	المنسرح	حجر
167 : 3	بشار	المنسرح	السكر
77 : 12	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	خفر
83 : 12	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	عمر

168 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	المنسرح	بالنظر
167 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	المنسرح	القدر
187 : 19	أبو العتاهية	المنسرح	السفر
279 : 2	الحكم بن عبدل	المنسرح	شعري
131 : 14	أبو الشبل البرجمي	المنسرح	والنور
178 : 3	أبو العتاهية	الخفيف	لأمر
38 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	عمري
44 : 6	أعشى همدان	الخفيف	بسير
110 : 7	أبو دهب الجمحي	الخفيف	وعمر
68 : 15	دريد بن الصمة	الخفيف	ستري
60 : 15	خفاف بن عمير	الخفيف	ذكر
203 : 17	نبيه بن الحجاج	الخفيف	وهتر
212 : 19	-	الخفيف	در
91 : 2	-	الخفيف	الثرائر
249 : 3	موسى شهاوات	الخفيف	الجوار
241 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الخفيف	اعتذاري
132 : 3	بشار	الخفيف	التبكير
146 : 10	-	الخفيف	حبير
83 : 13	-	الخفيف	وأسير
14 : 14	محمد بن رياح	الخفيف	يسير
39 : 14	ديك الجن	الخفيف	منير
206 : 14	عمرو بن سندي	الخفيف	للمسير
246 : 16	حجر بن عمرو	الخفيف	مقرو
82 : 21	جارية مغنية	الخفيف	الغدير
130 : 23	هارون بن محمد العباسي	الخفيف	ووزير
50 : 21	عريب	مجزوء الخفيف	اشقر
218 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الخفيف	وجعفر
65 : 14	محمد بن حازم	المجث	بخمر
276 ، 205 : 5	إسحاق الموصلي	المجث	الأنباري
194 : 7	السيد الحميري	المتقارب	الأعور
200 : 7	السيد الحميري	المتقارب	أعذر
182 : 8	-	المتقارب	مقتر
170 ، 169 : 11	الأفيشر الأسدي	المتقارب	المنبر

155 : 12	الحزين الديلي	المتقارب	جعفر
111 : 15	النابعة أو حسان بن ثابت	المتقارب	الأكبر
89 : 16	سديف	المتقارب	يعذر
190 : 3	زيان بن سيار	المتقارب	حائر
190 : 3	الحادرة الثعلبي	المتقارب	غادر
236 : 18 ؛ 191 : 16	عروة بن أذينة	المتقارب	شاكِر
50 : 26	ضرار بن الخطاب	المتقارب	كالخابر

- قافية الراء المكسورة ومعها كاف مكسورة -

94 : 24 ؛ 178 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	جارِك
94 : 24 ؛ 178 : 5	أبو زياد الكلابي أو القتال الكلابي	الطويل	حواريك
213 : 5	-	الطويل	بالفوارِك

- قافية الراء المكسورة ومعها كا -

120 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	قصرِكا
---------	------------------	--------	--------

- قافية الراء المكسورة ومعها هاء ساكنة -

181 : 8	علي بن جبلة	المديد	ومحتضِرَة
252 ، 250 ، 241 ، 240 ، 239 : 19			
73 : 9	امرؤ القيس	المديد	فترَة
132 : 20 ؛ 194 : 19	أبو محمد اليزيدي	المديد	أشِرَة
194 : 19	امرؤ القيس	المديد	ستِرَة
234 : 19	علي بن جبلة	المديد	عسرَة
237 ، 234 : 19	علي بن جبلة	المديد	وطِرَة
250 : 19	علي بن جبلة	المديد	هدِرَة
254 ، 253 : 19	علي بن جبلة	المديد	حضِرَة
204 : 19	أبو الشمقمق	مجزوء الرمل	أيرَة
163 ، 143 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	حورَة
173 : 20	خالد الكاتب	المنسرح	زهرَة

- قافية الراء المكسورة ومعها هاء مكسورة -

38 : 14	ديك الجن	الكامل	بهجرِه
223 : 20	رؤبة	الرجز	يسارِه
179 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الرجز	منظرِه
146 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	منظرِه
82 : 23	خالد الكاتب	المتقارب	هجرِه

259 : 8	العباس بن الأحنف	المتقارب	بأسرارِه
- قافية الرء المكسورة ومعها ها -			
3 : 14	ديك الجن	الكامل	زهرِها
126 : 22	إبراهيم بن المدبر	السريع	أمرِها
218 : 8	الأخطل	المتقارب	وأعيارِها
186 : 10	علي بن الجهم	المتقارب	بأسرارِها
- قافية الرء المفتوحة -			
48 : 2	مجنون ليل	الطويل	صَبْرًا
188 : 2	حكم الخضري	الطويل	والجمرا
188 ، 178 : 2	ابن ميادة	الطويل	صبرا
179 : 2	ابن ميادة	الطويل	الذكرا
179 : 2	ابن ميادة	الطويل	وقرا
182 : 2	ابن ميادة	الطويل	قفرا
188 : 2	ابن ميادة	الطويل	الخزرا
188 : 2	عملس بن عقيل أو علفة بن عقيل	الطويل	سترا
189 : 2	عملس بن عقيل أو علفة بن عقيل	الطويل	صقرا
189 : 2	ابن ميادة	الطويل	وكرا
189 : 2	ابن ميادة	الطويل	صقرا
219 : 2	-	الطويل	سيرا
239 : 3	-	الطويل	سطرا
213 : 7	عبدالله بن علقمة	الطويل	صبرا
126 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	أجرا
114 : 10	لعله إبراهيم بن المهدي	الطويل	خمرا
167 : 10	علي بن الجهم	الطويل	وقرا
117 : 11	الجعد بن مهجع	الطويل	أجرا
117 : 11	رجل من عذرة	الطويل	أجرا
183 : 11	الأقيشر	الطويل	ذكرا
55 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الطويل	الشعرا
101 : 15	-	الطويل	قفرا
151 : 15	امرأة عمرو بن معديكرب	الطويل	غمرا
227 : 15	الحزين الديلي	الطويل	عمرا
227 : 15	الحزين الديلي	الطويل	نزرا

166 : 16	الرقاشي	الطويل	سترا
13 : 18	ذو الرمة	الطويل	نزرا
97 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	الفقرا
37 : 21	محمد بن علي	الطويل	الهجرا
246 : 21	الفرزدق	الطويل	وقرا
215 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	عشرا
200 : 2	شقران	الطويل	مقصرا
56 : 3	عروة بن الورد	الطويل	اقدرا
196 : 3	كعب بن جعيل	الطويل	يتعفرا
7 : 5	النايفة الجعدي	الطويل	يتذكرا
9 : 5	النايفة الجعدي	الطويل	مظهرا
9 : 5	النايفة الجعدي	الطويل	يكدرا
9 : 5	النايفة الجعدي	الطويل	نيرا
93 : 6	أبو زيد الطائي	الطويل	مُعَوِّرا
14 : 6	داود بن سلم	الطويل	معذرا
14 : 6	داود بن سلم	الطويل	يؤمرا
20 : 8	جرير	الطويل	أبجرا
48 : 8	جرير	الطويل	تعذرا
100 : 8	جعفر بن سراقه القرني	الطويل	ويعشرا
10 ، 7 : 9	كثير	الطويل	أزهرا
59 : 9	امرؤ القيس	الطويل	بيقرا
107 : 11	مرداس بن أبي عامر	الطويل	ومحضرا
175 : 11	الأقيشر	الطويل	فأبصرا
234 ، 233 : 11	حاتم الطائي	الطويل	تخييرا
53 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الطويل	تخييرا
29 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	أثرا
70 : 13	زياد الأعجم	الطويل	تطهرا
87 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	وتخييرا
91 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	منظرا
52 : 14	علي بن قيس بن عاصم	الطويل	حضرا
163 : 14	عبدالله بن الزبير الأمدي	الطويل	أزهرا
207 : 14	بشار	الطويل	أصحرا
105 : 15	أبو الطفيل عامر	الطويل	تكسرا

72 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	أديرا
109 : 16	الفرزدق	الطويل	أخضرا
97 : 17	أبو قيس بن الأسلت	الطويل	نورا
233 : 17	أبو عطاء السندي	الطويل	فأكثرأ
271 : 17	حاتم الطائي	الطويل	أحمرا
43 : 18	عاتكة بنت زيد	الطويل	وأصبرا
44 : 18	عاتكة بنت زيد	الطويل	أغبرا
104 : 18	امروء القيس	الطويل	بقيصرا
140 : 221 ؛ 239 : 22	فضل الشاعرة	الطويل	أثرا
	أو محبوبية الشاعرة		
247 : 21 ؛ 122 : 20	الفرزدق	الطويل	فتحدرا
121 : 120 ؛ 21	تأبط شرا	الطويل	أغبرا
123 : 21	تأبط شرا	الطويل	أديرا
129 : 21	الشنفري	الطويل	فنورا
234 : 21	الفرزدق	الطويل	نورا
236 : 21	جرير	الطويل	وحميرا
236 : 21	الفرزدق	الطويل	وعنصرا
241 : 21	الفرزدق	الطويل	تحدرا
259 : 21	الفرزدق	الطويل	مسورا
267 : 21	الفرزدق	الطويل	ومنكرا
181 : 22	أبو حنابة التميمي	الطويل	أزهرا
180 : 22	أبو حنابة التميمي	الطويل	يعبرا
187 : 22	أبو حنابة التميمي	الطويل	واصبرا
236 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	فعسكرا
236 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	مفكرا
238 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	يغمرا
22 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	وناظرا
192 : 17	الحطيئة	الطويل	الأخايرا
236 : 13 ؛ 273 : 5	مطيع بن إياس	الطويل	أجوارا
47 : 13	حسين بن عبدالله بن عبيدالله	الطويل	عارا
228 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	الجارا
43 : 22	البراء بن قيس	الطويل	فخارا
239 : 9	الخليفة المعتز	الطويل	أميرا

18 : 15	-	الطويل	فقيرا
95 ، 94 : 2	عدي بن زيد	المديد	حارا
116 : 14	علي بن الخليل	المديد	اقصارا
36 : 4	أبو العتاهية	البسيط	انبهرا
210 : 4	الأحوص	البسيط	محتضرا
240 : 8	ابن قيس الرقيات	البسيط	القمر
140 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	الظفرا
18 : 13	الأسود بن يعفر	البسيط	البصر
62 : 13	زياد الأعجم	البسيط	القمر
190 : 13	الفرزدق	البسيط	واعتكرا
265 : 15	الفرزدق	البسيط	القدر
190 : 21	هدبة بن خشرم	البسيط	هدرا
219 : 21	الفرزدق	البسيط	الكمر
143 : 22	الوائق أو أبو حفص الشطرنجي	البسيط	قدرا
53 : 23	محمد عبد الملك الزيات	البسيط	والغررا
132 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	عطارا
132 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	تذكارا
254 : 4	السليك بن السليكة	الوافر	شنارا
91 : 5	أبو زيد الطائي	الوافر	الديارا
106 : 24 ؛ 226 : 5	الراعي النميري	الوافر	سارا
181 : 14 ؛ 81 : 6	كعب الأشقري	الوافر	غزارا
10 : 8	جرير	الوافر	الديارا
17 ؛ 18 ؛ 43 : 8	جرير	الوافر	كبارا
43 : 8	جرير	الوافر	الحوارا
17 : 18 ؛ 42 : 8	ذو الرمة	الوافر	القطارا
53 : 8	عمر بن لجأ	الوافر	انحدارا
60 : 8	عمر بن لجأ	الوافر	الحمارا
202 : 21 ؛ 242 : 9	الفرزدق	الوافر	الحمارا
202 : 11	العبلي	الوافر	جارا
178 : 14	كعب الأشقري أو ثابت قطنة	الوافر	الحصارا
187 : 14	كعب الأشقري	الوافر	عذارا
255 : 21 ؛ 111 : 16	الفرزدق وجرير	الوافر	عارا
218 ، 213 : 18	ابن مفرغ	الوافر	نارا

154 : 19	عبدالله بن جحش	الوافر	ابتكلرا
247 ، 240 : 20	السليك بن السلكة	الوافر	شنارا
247 : 20	السليك بن السلكة	الوافر	عوارا
112 : 23	الراعي النميري	الوافر	غزارا
149 : 19	أرطاة بن سهية	الوافر	خمورا
79 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	حذرا
203 ، 200 ، 79 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	ظهرا
80 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	فابتكرا
131 : 6	-	مجزوء الوافر	شكرا
226 : 12	مطيع بن إياس	مجزوء الوافر	الشجرا
171 : 12	أبو وجزة السعدي	الكامل	بالكرى
90 ، 86 : 7	أبو دهل الجمحي	الكامل	والهجرا
94 : 15	-	الكامل	صعرا
156 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	الكامل	القندرا
82 : 24	عفراء بنت عقال	الكامل	الغندرا
203 : 3	ابن المولى	الكامل	نزارا
71 : 4	أبو العتاهية	الكامل	خمارا
62 : 11	خالد بن جعفر بن كلال	الكامل	أحرارا
45 : 17	عامر بن الطفيل	الكامل	غارا
162 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	الكامل	قارا
163 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	الكامل	اختارا
233 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	دثورا
16 : 8	راعي الإبل	الكامل	جريرا
227 : 8	جرير	الكامل	معمورا
162 : 11	ليلى الأخيلية	الكامل	مشهورا
254 : 18 ، 40 ، 39 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	معمورا
41 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	مورا
41 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	وثيرا
41 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	قحورا
42 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	مهجورا
115 : 24	الراعي النميري	الكامل	جريرا
107 ، 93 : 3	بشار	مجزوء الكامل	بكرا
75 : 13	العتابي	مجزوء الكامل	وحسرى

131 : 8	القحيف	الرجز	مجازرا
124 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	شرا
92 : 19	-	الرجز	خير
28 : 24	القطامي	الرجز	المغبرا
182 : 21	أدرع بن زيد	الرجز	والأثرا
91 : 17	حضير اللكنائب	الرجز	الخيارا
117 : 21	السمع بن جابر أخو تأبط شرا	الرجز	البكارا
71 : 3	-	الرجز	زمهريرا
258 : 5	إسحاق الموصلي	الرجز	الوكورا
64 : 17	كعب بن زهير	الرجز	شعيرا
223 : 9	المنتصر الخليفة	مجزوء الرجز	الخمرا
54 : 10	إبراهيم بن العباس	الرمل	قدرا
130 : 22	إبراهيم بن المدير	الرمل	الكرى
224 : 2	الأحوص	مجزوء الرمل	نارا
129 : 5	إبراهيم الموصلي	مجزوء الرمل	وقورا
109 : 10	إبراهيم بن المهدي	مجزوء الرمل	يسيرا
66 : 10	أبو الشمقمق	السريع	أذفرا
212 : 14	حماد عجرد	السريع	العنبرا
221 : 14	حماد عجرد	السريع	مستعبرا
91 : 23	الحسن بن وهب	السريع	بالأخرى
206 : 19	أشجع السلمي	السريع	واحجارا
106 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	مارا
237 : 2 ؛ 125 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الأوطارا
9 : 9 ؛ 238 : 14			
209 : 4	إسماعيل بن يسار	الخفيف	وازورارا
30 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	واستنارا
31 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	عقارا
49 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	واعتمارا
200 : 13	-	الخفيف	وسارا
245 : 14	حماد عجرد	الخفيف	اقرارا
246 : 14	حماد عجرد	الخفيف	الأشعارا
94 ، 93 : 15	جرير	الخفيف	الديارا
107 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	يفورا

108 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	حفيرا
83 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	تهجيرا
10 : 17	الكميت	الخفيف	الصفيرا
14 : 17	الكميت	الخفيف	نضيرا
19 : 17	الكميت	الخفيف	أخيرا
138 : 18	ابن مناذر	الخفيف	البصيرا
128 : 22	إبراهيم بن المديبر	مجزوء الخفيف	تري
141 : 22	محبوبة	مجزوء الخفيف	جعفرا
116 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	يخيرا
151 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	أمطرا
227 : 1	الكميت	المتقارب	الوبارا
125 : 11	الحزين الديلي	المتقارب	الضفقارا
70 : 15	الكميت	المتقارب	عشارا
80 : 23	أبو حشيشة	المتقارب	العقارا
257 : 8	العباس بن الأحنف	المتقارب	نظيرا
83 : 9	الأعشى	المتقارب	العبيرا
51 : 12	فضالة بن شريك	المتقارب	كثيرا
213 : 13	مطيع بن إياس	المتقارب	الضميرا
267 : 15	زياد الأعجم	المتقارب	يسيرا

- قافية الراء المفتوحة مع الكاف الساكنة -

109 ، 79 ، 69 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	حذرَكْ
79 ، 77 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	خبرَكْ
141 : 23	أبان اللاحقي	الهزج	استارَكْ
55 : 24	عوف بن مالك	الرجز	البرَكْ
174 : 23	أبو العبر	المتقارب	البرَكْ

- قافية الراء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

48 : 14	العباس بن مدراس	الطويل	بكرَة
98 : 18 ؛ 38 : 9	مسافر بن أبي عمرو	المديد	ذكرَة
31 : 15	عمرو بن مالك بن النجار	المديد	وطرَة
226 : 12 ؛ 89 : 1	أبو الأسود الدؤلي	الوافر	المغيرَة
210 : 13 ؛ 128 : 3	سعد بن القعقاع	الوافر	التجارة
46 : 10	إبراهيم بن العباس	الكامل	ومختصرة

97 : 7	أبو دهبيل الجمحي	مجزوء الكامل	عمازة
133 : 22	عمرو بن ثعلبة بن ملقط	مجزوء الكامل	صبارة
60 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	أميرة
35 : 3	الدارمي سعيد	الهزج	وبالصخرة
159 : 7	الحسين بن الضحاك	الهزج	والنصرة
30 : 5	-	الرجز	أشرة
170 ، 169 : 8	عترة العبسي	الرجز	حرّة
57 : 5	-	الرجز	الدرّة
31 : 5	مهلهل بن ربيعة	الرجز	مرّة
168 : 17	الحجاج	الرجز	بفرة
65 : 3	-	الرجز	فزارّة
60 : 16	-	الرجز	بالظهيرّة
74 : 9	امروء القيس	مجزوء الرجز	مثنعجرة
221 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرجز	المواجرة
157 : 7	الحسين بن الضحاك	الرمل	الأخرة
190 : 20 ، 226 ، 220 : 13	مطعم بن إلياس	الرمل	المشتهرة
184 : 19	عبد الله بن العباس الربيعي	الرمل	الخيرة
212 : 20	أبو الهندي	الرمل	معصرة
98 : 20	ابن أبي الشيص	مجزوء الرمل	البشارة
178 : 13	عبد الصمد بن المعزل	مجزوء الرمل	العقيرة
106 : 20	دعبل الخزاعي	السريع	قصرّة
169 : 7	الحسين بن الضحاك	السريع	والزائرة
250 : 11	إسماعيل بن عمار	السريع	آخرة
121 : 16	الفضل بن العباس	السريع	التاجرة
146 : 23 ، 142 : 18	ابن مناذر	السريع	الحازة
131 : 14	أبو الشبل البرجمي	السريع	وخنزيرة
19 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	كدرة
30 : 14	محمد بن يسير	المنسرح	قدرة
34 : 14	ديك الجن	المنسرح	نظرة
133 : 20	أبو محمد اليزيدي	المنسرح	خيرة
168 ، 46 : 12	عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر	الخفيف	قدرة
146 : 23 ، 18 : 20	أبو نواس	الخفيف	النظارة
100 ، 99 ، 96 ، 94 : 20	دعبل الخزاعي	مجزوء الخفيف	والمرّة

66 : 4	أبو عيينة	مجزوء الخفيف	ساحرة
187 : 23	يوسف بن الصيقل	مجزوء الخفيف	مكابرة
84 : 23	أبو نواس	المجتث	قطيرة
85 : 23	عنان	المجتث	عميرة
85 : 23	أبو نواس	المجتث	غيرة
212 : 5	لعله للمأمون	المتقارب	المعزرة
49 : 11	أوس بن حجر	المتقارب	ناظرة
178 : 13	عبد الصمد بن المعدل	المتقارب	والخمرة
46 : 20	ابن أبي عيينة	المتقارب	البصرة
219 : 1	نصيب بن رباح	المتقارب	غامرة

- قافية الرء المفتوحة ومعها هاء مضمومة -

175 : 20	خالد الكاتب	المنسرح	فأنكره
----------	-------------	---------	--------

- قافية الرء المفتوحة ومعها ها -

37 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	سعيها
70 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الرملي	منظرها
156 : 8	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	أوطارها
154 : 17	شريح القاضي	المتقارب	زوارها
200 : 19	سلم الخاسر	المتقارب	مقدارها

- قافية الزاي الساكنة -

187 : 2	الرماح	الرجز	نكر
---------	--------	-------	-----

- قافية الزاي المضمومة -

127 : 2	الشماخ	الطويل	الجنائز
269 : 21	الفرزدق	الطويل	راكر

- قافية الزاي المكسورة -

117 : 6	إسحاق الموصلي	الطويل	محز
220 : 18	أبو العتاهية	الطويل	المتحز
108 : 22	جواس العذري	الطويل	ابن مجز
110 : 18	مساور الوراق	الطويل	عاجز
14 : 12	يزيد بن عبد المدان	البسيط	حازي
248 : 3	موسى شهوات	البسيط	مغموز
196 : 20	أيمن بن خريم	الوافر	عبد العزيز

ويكوز	الكامل	المعلّى الطائي	166 : 19
بشيداز	الهزج	إبراهيم الموصلي	111 : 5
أوفاز	الرجز	أبو نخيلة الحماني	260 : 20
الجوازي	الخفيف	إسحاق الموصلي	275 ، 243 : 5

- قافية الزاي المفتوحة -

حزّا	السريع	أبو الشيص	284 : 16
------	--------	-----------	----------

- قافية الزاي المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

فازة	الكامل	عيسى بن زينب	267 : 18
------	--------	--------------	----------

- قافية السين الساكنة -

أنس	الطويل	رجل من ثمالة	29 : 10
الحمس	الرجز	أبو إياس بن حرمة	102 : 11
نجس	الرجز	الأشهب بن رميلة	268 : 21
دس	الهزج	خالد الكاتب	179 : 20
جلس	الرمل	عبدالله بن العباس الربيعي	

- قافية السين المضمومة -

المتعبس	الطويل	شبيب بن البرصاء	202 : 12
أكيس	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	232 : 12
القلمس	الطويل	عبدالله بن الزبير الأسدي	157 : 14
فمعرس	الطويل	الحزين بن الحارث	167 : 15
بيهس	الطويل	المتلمس	217 : 15
حابس	الطويل	ذو الرمة	32 : 18
يتلمس	الطويل	لعلها عريب	66 : 21
ققس	الطويل	ابن دارة عبد الرحمن	175 : 21
واشمس	الطويل	المتلمس	44 : 23
والوساوس	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	83 : 1
يسابس	الطويل	المرقس الأكبر	98 : 6
قايس	الطويل	عمر بن لجأ	52 : 8
فلايس	الطويل	جميل	83 : 8
ويابس	الطويل	عمر بن لجأ	221 : 8
الطوامس	الطويل	درطاة بن سهية	25 : 13
المجالس	الطويل	عبدالله بن الزبير الأسدي	144 : 14
دامس	الطويل	السمهري العكلي	169 : 21

177 : 21	مسعود بن خرشة	الطويل	مكائسُ
11 ، 9 : 24	عبدالله بن أبي معقل	الطويل	بائسُ
12 : 24	عبدالله بن أبي معقل	الطويل	جالسُ
60 : 17	علي بن هشام	الطويل	يخيسُ
239 : 6	مرداس بن أبي عامر	البسيط	دساسُ
172 : 10	فضل الشاعرة	البسيط	الناسُ
62 : 18	خفاف بن ندبة	البسيط	عباسُ
25 : 15	غريز بن طلحة	البسيط	جعاميسُ
51 : 4	أبو العتاهية	الوافر	يواسوا
180 : 11	الأقشير	الوافر	خمسُ
93 : 12	أبو زيد الطائي	الوافر	خسيسُ
93 : 12	أبو زيد الطائي	الوافر	نفيسُ
210 : 12 ؛ 264 : 5	أخو ثقيف شاعر	الكامل	متنفسُ
279 : 17	حاتم الطائي	الكامل	سنبسُ
101 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	المرسوسُ
245 : 13	علي بن الجهم	مجزوء الرمل	النفوسُ
277 : 4	مسعود بن خالد	السريع	المجلسُ
54 : 17	العباس بن الأخنف	السريع	نكسُ
34 : 22	أبو حفص الشطرنجي	الخفيف	إيليسُ
280 ، 279 ، 221 : 5	ابن ياسين	مجزوء الخفيف	الأوانسُ
77 : 18	والبة بن الحباب	المجتث	النحوسُ

- قافية السين المضمومة ومعها ها -

26 : 7 ؛ 201 : 6	الوليد بن يزيد	مجزوء الخفيف	حبسُها
26 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الخفيف	أنسُها

- قافية السين المكسورة -

186 : 3	عكاشة العمي	الطويل	النكسُ
117 : 5	أبو حفص الشطرنجي	الطويل	نفيسي
6 : 6	الصمة القشيري	الطويل	أمسُ
32 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن طاهر	الطويل	النكسُ
214 : 11	أبو جلدة الإشكري	الطويل	ترسي
10 : 16	عبدالله بن المعتز	الطويل	العرسُ
271 : 17	حاتم الطائي	الطويل	ينيسي

نفسي	الطويل	أبو حفص الشطرنجي	22 : 32 ، 37
مؤسي	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	12 : 238
القلانس	الطويل	أبو دلامة	10 : 189
المجالس	الطويل	الأسود بن يعفر	13 : 17
وداحس	الطويل	دريد بن الصمة	18 : 56
المكانس	الطويل	عبد بني الحسحاس	22 : 216
وفوارسي	الطويل	مفروق الشيباني	24 : 36
وابأسي	الطويل	دريد بن الصمة	10 : 16
بأس	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	132 : 219
بابساس	الطويل	محمد بن وهيب	19 : 58
الياس	الطويل	محمد بن وهيب	19 : 59
وأعراس	الطويل	أبو شراعة	23 : 37
والخرس	البيسيط	أبو العتاهية	4 : 84
رأسي	البيسيط	ريسان العذري	1 : 129 ، 22 : 23
باس	البيسيط	الخرين الكناني	1 : 159
والناس	البيسيط	الحطيئة	2 : 112 ، 113
الكاسي	البيسيط	الحطيئة	2 : 120
بأكياس	البيسيط	الحطيئة	2 : 119
الناس	البيسيط	الحطيئة	2 : 125
وجلاسي	البيسيط	أبو العتاهية	3 : 134
وذاباس	البيسيط	-	5 : 73
بمقياس	البيسيط	-	5 : 142 ، 10 : 140
بعياس	البيسيط	داود بن سلم	6 : 12
بأس	البيسيط	الحسين بن الضحاك	7 : 172
عباس	البيسيط	أبو دلامة	10 : 191
بالياس	البيسيط	أبو دلامة	10 : 204
درباس	البيسيط	إسماعيل بن عمار	11 : 251
بوسواس	البيسيط	-	14 : 123
وأملاسي	البيسيط	حمزة بن بيض	16 : 148
عباس	البيسيط	العباس بن الأحنف	17 : 56
مرداس	البيسيط	العباس بن مرداس	18 : 63
بالناس	البيسيط	مسلم بن الوليد	19 : 32
قاسي	البيسيط	بكر بن خارجة	23 : 166

228 : 5	جرير	البيسط	القناعيس
61 : 8	جرير	البيسط	مأنوس
59 : 8	جرير	البيسط	مغروس
229 : 9	جرير	البيسط	مرموس
229 : 9	جرير	البيسط	الضغائيس
134 : 10	إسماعيل بن يسار أو إسحاق الموصلي	البيسط	النواقيس
109 : 18	مساور الوراق	البيسط	المقائيس
167 : 13	عبد الصمد بن المعدل	مخلع البسيط	عروس
292 : 4	إسماعيل بن يسار	الوافر	أنس
20 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	ونفسي
129 : 17	الخنساء	الوافر	شمس
98 : 18	أعشى بني ربيعة	الوافر	أمس
157 : 18	أشجع السلمي	الوافر	عرس
103 : 23	محمد بن معروف الواسطي	الوافر	وجنسي
103 : 23	الحسن بن وهب	الوافر	وتمسي
224 : 8	الأخطل	الوافر	رؤاس
50 : 16	عمرو بن معديكرب	الوافر	نواس
222 : 19	فضل الشاعرة	الوافر	بباس
222 : 19	سعيد بن حميد	الوافر	آسي
104 : 2	الخطيئة	الكامل	المجلس
269 : 21 ؛ 110 : 16	الفرزدق	الكامل	يباس
168 : 6	المعل بن طريف	مجزوء الكامل	المقدس
120 : 18	فضل الشاعرة	مجزوء الكامل	وتنفسى
50 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	البجس
50 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	معربي
50 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	الارؤس
171 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الكامل	مجلس
268 : 21	مروان بن الحكم	الكامل	فالمجلس
159 : 8	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	رمسي
132 : 16 ؛ 104 ، 85 ، 84 : 10	خالد بن المهاجر	الكامل	والجلس
214 : 10	أبو دلالة	الكمس	أمسي
101 : 11	عوف بن المتفق أو جزء بن خالد بن جعفر	الكامل	أمس
112 : 14	علي بن الخليل	الكامل	جلس

114 : 14	علي بن الخليل	الكامل	الفرس
157 : 18	أشجع السلمي	الكامل	الشمس
157 : 18	حميد بن ثور	الكامل	بالنفس
158 : 18	أشجع السلمي	الكامل	والجرس
266 : 5	إسحاق الموصلي	الكامل	الأنفاس
64 : 21	العباس بن الأخنف	الكامل	اليأس
53 ، 52 : 17	العباس بن الأخنف	الهزج	عباس
112 : 20	جعفران الموسوس	الهزج	بوسواس
169 : 23	إسماعيل القراطيبي	الهزج	القراطيبي
125 : 24	عمار ذو كبار	الهزج	الروس
117 : 21	مرة بن خليف	الرجز	الأشوس
32 : 10	مسهر بن يزيد الحارثي	الرجز	يابس
46 : 16	ربيعة بن مكدم	الرجز	الفارس
228 : 19	يونس الخياط	الرجز	بالجلس
200 : 10	أبو دلالة	الرجز	القرطاس
111 : 20	جعفران الموسوس	الرجز	النعاس
227 : 20	رؤبة	الرجز	إيليس
180 : 21	زيادة بن زيد	الرجز	ومرميس
114 : 11	عفراء بنت عفار	الرجز	بالعروس
225 : 13	حماد بن العباس	مجزوء الرمل	أياس
231 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	أياس
65 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	السريع	الأنس
240 : 14	شاعر مصري	السريع	الدبس
161 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	السريع	الأنس
163 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	السريع	الشمس
163 : 20	المأمون الخليفة	السريع	بالأنس
258 : 8	العباس بن الأخنف	السريع	القاسي
258 : 8	العباس بن الأخنف	السريع	بالناس
40 : 14	ديك الجن	السريع	الناس
60 : 14	محمد بن حازم	السريع	افلاس
81 : 19	بكر بن النطاح	السريع	الأس
246 : 19	علي بن جبلة	السريع	قرطاس
253 ، 250 : 19	علي بن جبلة	السريع	الناس

94 ، 92 ، 85 : 12	أبو زبيد الطائي	المنسرح	فرس
123 : 22	إبراهيم بن المدير	المنسرح	الليس
185 : 15	-	المنسرح	الناس
205 ، 203 : 16	أبو العباس الأعمى	الخفيف	أنسي
246 ، 241 : 4	سديف أو شبل بن عبدالله	الخفيف	العباس
249 : 6	-	الخفيف	وسواسي
54 : 17	العباس بن الأحنف	الخفيف	برأسي
169 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الخفيف	خنديس
93 : 20	أبو سعد المخزومي	مجزوء الخفيف	الفوارس
212 : 6	رجل من قريش	المجث	رسي
203 : 11 ؛ 239 ، 237 ، 235 : 4	العبلي	المتقارب	ترمس
204 ، 201 : 11 ؛ 238 ، 237 : 4	العبلي	المتقارب	الأنفس
95 : 10	إبراهيم بن المهدي	المتقارب	أملس
96 : 17	خفاف بن ندبة	المتقارب	المرمس
54 : 10	إبراهيم بن العباس	المتقارب	العروس

- قافية السين المكسورة ومعها هاء مكسورة -

113 : 14	صالح بن عبد القدوس	السريع	رميه
212 : 14	حماد عجرد	السريع	أميه

- قافية السين المكسورة ومعها ها -

229 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	ضراسها
----------	-------------------	--------	--------

- قافية السين المفتوحة -

251 ، 242 ، 240 : 8	عبيدالله بن قيس الرقيات	الطويل	ولا نفسا
16 : 21	-	الطويل	درسا
74 : 9	امرؤ القيس	الطويل	أبو سا
173 : 11	الأقشير	الطويل	عابسا
190 : 14	يزيد بن معاوية	الطويل	الكنائسا
190 : 14	يزيد بن معاوية	الطويل	حابسا
191 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	فراكسا
191 : 14 ؛ 200 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	حابسا
201 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	الكوادسا
201 : 14	عمرو بن معديكرب	الطويل	كوانسا
176 : 13	أحمد بن المعذل	البيسيط	درسا

5 : 19	أبو محجن الثقفي	البسيط	حبسا
207 : 17	العباس بن مرداس	البسيط	أنفاسا
6 : 20	التيمي	البسيط	مئناسا
5 : 20	التيمي	البسيط	الياسا
173 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الوافر	القلوسا
200 : 10	أبو دلالة	الكامل	نخاسا
172 : 6 ؛ 114 : 3	بشار	مجزوء الكامل	خمسا
117 : 3	بشار	مجزوء الكامل	همسا
71 : 3	ذو الأصبع	مجزوء الكامل	لميسا
53 : 17 ؛ 255 : 8	العباس بن الأحنف	الهزج	الناسا
40 : 8	جرير	الرجز	مضرسا
116 : 11	أسامة بن لؤي	الرجز	وممسي
240 : 6	هاتف	مجزوء الرجز	مخالسا
184 : 7	السيد الحميري	السريع	الدارسا
273 : 2	الحكم بن عبدل	الخفيف	ياسا
182 : 11	الأقشير	الخفيف	نعاسا
39 : 15	-	الخفيف	خندريسا
78 : 4	أبو العتاهية	المجث	لباسا
8 : 5	النابعة الجعدي	المتقارب	مراسا
265 ، 212 : 5	إسحاق الموصلي	المتقارب	أنامسا
8 ، 7 : 5	النابعة الجعدي	المتقارب	أناسا
78 : 9	امرؤ القيس	المتقارب	النفوسا

- قافية السين المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

159 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	الطويل	كموئسة
159 : 20	المأمون الخليفة	الطويل	وسوسة
137 : 18	أبو نعام	مجزوء الرمل	هريسة
162 : 23	ماني الموسوس	السريع	طاووسة
225 : 15	الحزين الديلي	المنسرح	الشكسة

- قافية السين المفتوحة ومعها هاء مضمومة -

38 : 23	أبو شراعة	الرجز	ومرسه
---------	-----------	-------	-------

- قافية السين المفتوحة ومعها ها -

268 : 8 ؛ 42 : 4	أبو العتاهية	السريع	قسها
------------------	--------------	--------	------

- قافية الشين الساكنة -

85 : 23	عنان	الطويل	رعرش
85 : 23	أبو حنش	الطويل	الحيش
84 ، 80 : 7	نابغة بني شيان ونسب للوليد بن يزيد	الرملي	بالعش
84 : 7	نابغة بني شيان	الرملي	تطش
83 : 7	نابغة بني شيان	الرملي	وطش
42 : 23	أبو شراعة	المتقارب	المتعش

- قافية الشين المضمومة -

203 : 10	أبو دلالة	البسيط	برش
213 : 7	عبدالله بن علقمة	الوافر	حبش

- قافية الشين المضمومة ومعها ها -

128 : 3	بشار	الطويل	رشاشها
---------	------	--------	--------

- قافية الشين المكسورة -

208 : 21	الفرزدق	الكامل	الخشخاش
231 : 18	العماني	الرجز	الحيش
232 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	حشيش
150 : 3	بشار	السريع	الغش
205 : 12	عيسى بن زينب	السريع	العش
164 : 7	الحسين بن الضحاك	السريع	بالنكاريش
249 : 11	إسماعيل بن عمار	المتقارب	كندش

- قافية الشين المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

198 : 13	مطيع بن إبليس	المرج	خشة
174 : 11	الأقيشر	المتقارب	عائشة

- قافية الصاد المضمومة -

61 : 5 ، 91 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو عبدالله بن قيس	الطويل	تنقص
165 : 14	الزبير بن عبدالله بن الزبير	الطويل	وينقص
239 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	بصيص
25 : 4	أبو العتاهية	الكامل	غقص
153 : 7	الحسين بن الضحاك	السريع	يرقص
127 : 24	عمار ذو كبار	الخفيف	خميص
128 : 23	عمار ذو كبار	الخفيف	واصيص

خُلَاصُ المجث ابن سيابة أو سليمان بن وهب 12 : 59 ، 23 : 135

- قافية الصاد المكسورة -

176 : 21	مسعود بن خرشة	الوافر	القلاص
218 : 21	الفرزدق	الوافر	الحريص
42 : 16	عبدالله بن جذل الطعان	الكامل	معيص
125 : 18	أبو نواس	الكامل	نخص
214 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	وانتقاصي
214 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	القلاص
191 : 12	عقيل بن علفة	الرجز	القميص
43 : 11	-	مجزوء الرجز	خصصاص
189 : 1	-	مشطور الرجز	بالصياصي

- قافية الصاد المكسورة ومعها هاء مكسورة -

توصيه المتقارب - 17 : 241

- قافية الصاد المفتوحة -

40 : 6	أعشى همدان	الطويل	عَصَا
81 : 9	الأعشى	الطويل	ناقصا
89 : 9	الأعشى	الطويل	خمائصا
66 : 20	دعبل	البسيط	منتقصا
22 : 15	عبدالله بن مصعب	السريع	بصبصا

- قافية الصاد المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

القصة المزج خالد بن يزيد الكاتب 23 : 179

- قافية الضاد الساكنة -

ارتمض الرجز - 6 : 192

- قافية الضاد المضمومة -

186 : 20	سلمة بن عياش	الطويل	مومضُ
82 : 12	-	الطويل	مريضُ
238 ، 231 ، 230 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	عريضُ
231 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	نفيضُ
237 ، 229 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	مهيضُ
239 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	خفيضُ
172 : 9	حميدة بنت النعمان	البسيط	فياضُ

36 : 19	دعبل الخزاعي	مخلع البسيط	انتقباضُ
36 : 19	-	مخلع البسيط	المراضُ
53 : 1	الفرزدق	الكامل	مراضُ
177 : 15 ؛ 84 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الأبغاضُ

- قافية الضاد المضمومة ومعها هاء ساكنة -

218 : 19	علي بن الجهم	الرجز	ينقضُة
218 : 19	فضل الشاعرة	الرجز	غرَضُة

- قافية الضاد المضمومة ومعها ها -

128 : 9	الشماخ	الطويل	مراضُها
---------	--------	--------	---------

- قافية الضاد المكسورة -

258 ، 253 ، 251 : 20 ؛ 176 ، 175 : 1	أبو نخيلة	الطويل	الأرضِ
139 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	والحمضِ
268 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	عرضي
270 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	خفضِ
279 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	قرضي
156 : 21 ؛ 263 : 5	أبو خراش الهذلي	الطويل	بعضِ
56 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الطويل	عرضي
56 : 12	علي بن يحيى المنجم	الطويل	بالخفضِ
202 : 15	-	الطويل	بعضِ
156 ، 146 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	الأرضِ
184 : 18	أشجع السلمي	الطويل	بمريضِ
137 ، 133 : 16	أبو الجون السحيمي	البسيط	بيضِ
	أو أبو الحويرث السحيمي		
137 : 16	حمزة بن بيض	البسيط	تغميضي
83 : 17	المقنع الكندي	البسيط	تحريضي
11 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	بعضِ
87 : 14	أبو الأسد	الوافر	فيضِ
113 : 13	عبدالله بن الحجاج	الوافر	فيضي
135 : 13	المخبل السعدي	الوافر	بغيفضِ
226 : 14 ؛ 200 : 13	حماد عجرد	الوافر	المريضِ
282 ، 281 ، 280 : 16	أبو الشيص	الكامل	براضي
285 : 16	أبو الشيص	الكامل	انقاضِ

62 : 3	ذو الإصبع	الهزج	الأرض
74 ، 64 : 3	ذو الإصبع	الهزج	والنقض
74 : 3	ذو الإصبع	الهزج	بمضي
24 : 21	الأغلب العجلى	الرجز	بعضي
123 : 14	أبو الشبل البرجمي	معزوء الرمل	مراض
113 : 23	أحمد بن يوسف	معزوء الرمل	ونقض
155 : 3	يشار	الخفيف	راضي
172 : 11	الأقيشر	الخفيف	الفياض
173 : 20	خالد الكاتب	الخفيف	المراض
43 : 23	أبو علي البصير	الخفيف	الفياض
43 : 23	أبو الفياض سوار بن أبي شراة	الخفيف	أمراض

- قافية الضاد المفتوحة -

60 ، 54 : 2	مجنون ليل	الطويل	قَبْضا
60 : 2	مجنون ليل	الطويل	الغضا
16 : 21	أمية بن الأسكر	الطويل	والحمضا
17 ، 16 : 21	أمية بن الأسكر	الطويل	قضا
131 : 2	الحطيفة	الطويل	بغضا
87 : 24	عروة بن حزام	البسيط	مقبوضا
186 : 4	-	الوافر	عريضا
262 : 5	ابن أذينة	معزوء الوافر	مبيضا
186 : 1	-	الكامل	أعرضا
283 : 21	خالد القسري أو عمر بن أبي ربيعة	الكامل	المعرضا
56 : 21	عريب	معزوء الكامل	الرضا
67 : 4	أبو العتاهية	الهزج	بغضا
220 : 9	الخليفة الواثق	الرجز	ومرضى
112 : 18	سعيد بن حميد	الرجز	الغضى
290 : 20	رؤية	الرجز	بغضا
266 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	أبضا
199 : 22	النمر بن تولب	الرجز	أبضا
122 : 7	الحسين بن الضحاك	الرمل	والرضا
131 : 1	عمر بن أبي ربيعة	معزوء الرمل	القريضا
88 : 19	يكر بن النطاح	السريع	والنقض
246 : 4	أبو سعيد مولى فائد	الخفيف	مهيضا

مضى	المتقارب	سعيد بن حميد	18 : 115
- قافية الضاد المفتوحة ومعها هاء ساكنة -			
فضة	السريع	الحسين بن الضحاك	7 : 137
- قافية الطاء الساكنة -			
بخطط	الرمل	الحسين بن الضحاك	7 : 161
- قافية الطاء المضمومة -			
قنوط	الطويل	إبراهيم بن أبي محمد	20 : 159
يلوط	الطويل	إبراهيم بن أبي محمد	20 : 159
أحوط	الطويل	أبو شراعة	23 : 37
فالماط	الوافر	عبدالله الحجاج	13 : 119
تسخطوا	السريع	دعبل الخزاعي	20 : 60 ، 81
لخطوط	الخفيف	سلم الخاسر	20 : 131
لضروط	الخفيف	أبو محمد الزبيدي	20 : 131
عطعط	المتقارب	ابن أبي الزوائد	14 : 79
- قافية الطاء المكسورة -			
الخطط	البسيط	وعلة الجرمي	22 : 152 ، 153
السياط	الوافر	المتنخل الهذلي	6 : 109
الخلاط	الوافر	عمرو بن معديكرب	15 : 155
وبالبواط	الوافر	والبة بن الحباب	18 : 77
النماط	الوافر	المتنخل الهذلي	24 : 61
اللغط	مجزوء الوافر	عمرو بن زعبل	20 : 44
الماقط	الكامل	دعبل بن علي	20 : 65
ملط	الرجز	أبو النجم العجلي	10 : 123
الأمشاط	الرجز	توبة بن الحمير	11 : 147
- قافية الطاء المكسورة ومعها هاء ساكنة -			
نشاط	مجزوء الكامل	ابن أبي عيينة	20 : 53
شمطة	الخفيف	عبدالله بن معاوية	12 : 166 ، 13 : 197
شرطة	الخفيف	مطيع بن إباس	12 : 166 ، 12 : 197
سقطه	الخفيف	عمارة بن حمزة	13 : 197
- قافية الطاء المكسورة ومعها هاء مكسورة -			
خيطة	السريع	مروان بن أبي حفصة	23 : 85

85 : 23	عنان	السريع	سوطه
- قافية الطاء المفتوحة -			
200 : 20	أيمن بن خريم	التقارب	البيطا
- قافية الطاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -			
240 : 17	إبراهيم بن الأشتر	البسيط	معتاة
240 : 17	أبو عطاء السندي	البسيط	لطااة
63 : 19	أعرابية	الرجز	ثلطة
- قافية الظاء المضمومة -			
260 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	واعظ
- قافية الظاء المكسورة -			
43 : 1	أبو قطيفة	الكامل	الإناظر
- قافية الظاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -			
32 : 14	ديك الجن	المنسرح	الحفظة
144 : 18	ابن مناذر	المنسرح	الجفظة
- قافية العين الساكنة -			
227 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	أستمع
13 : 4	أبو العتاهية	الكامل	قنع
29 : 21	مسيلمة الكذاب	الهرج	المضجع
71 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الهرج	أقطع
196 : 10	رجل من الخوارج	الرجز	وقع
34 ، 26 : 10 ، 255 ، 46 : 9	دريد بن الصمة	مشطور الرجز	واضع
69 ، 68 : 13	سويد بن أبي كاهل	الرمل	اتسع
182 : 18	أشجع السلمي	مجزوء الرمل	تدمع
- قافية العين المضمومة -			
40 : 1	أبو قطيفة	الطويل	تصدع
114 : 1	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	أربع
233 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	متمتع
236 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	فترجع
44 : 4	أبو العتاهية	الطويل	يتوقع
50 : 4	أبو العتاهية	الطويل	تلمع

117 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	وتسمعوا
176 : 4	الأحوص	الطويل	مطمع
229 : 5	-	الطويل	يتقطع
19 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	تفرع
19 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	ستقلع
20 : 7	حمزة بن بيض	الطويل	ستقلع
19 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	تطبع
19 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	فأسمعوا
241 : 8	القس	الطويل	تصنع
52 : 9	الأحوص	الطويل	مطمع
97 ، 95 : 9	عمرو بن سعيد بن زيد أو المجنون	الطويل	مرجع
141 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	ترجع
149 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	أتوقع
166 : 9	كثير	الطويل	يتقطع
35 : 12	لعله محمد بن الحارث بن بسخر	الطويل	مولع
46 : 13	العجير السلولي	الطويل	ومربع
226 : 14	حماد عجرد	الطويل	تتبع
12 : 15	مضاض بن عمرو	الطويل	موجع
20 : 15	-	الطويل	مرجع
246 : 15	أوس بن حجر	الطويل	أجمع
106 : 16	كثير	الطويل	أربع
146 : 16	حمزة بن بيض	الطويل	ويمنع
156 : 16	برذع بن عدي	الطويل	ويجمع
209 : 16	أبو العباس الأعمى	الطويل	أربع
273 : 16	أبو تمام	الطويل	ومربع
15 : 17	-	الطويل	تقشع
101 : 17	كعب بن مالك	الطويل	يزرع
6 : 18	مسعود أخو ذي الرمة	الطويل	فاوجعوا
108 : 18	مساور الوراق	الطويل	تتبع
172 : 18	أحمد بن عمرو	الطويل	تنفع
171 : 18	أشجع السلمي	الطويل	أصنع
215 : 18	ابن مفرغ	الطويل	أجمع
81 ، 78 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	تسمع

242 : 19	علي بن جبلة	الطويل	مفجعُ
253 : 19	علي بن جبلة	الطويل	وتوزعُ
253 : 19	الخريمي	الطويل	مولعُ
109 : 21	تأبط شرا	الطويل	تشنعوا
109 : 21	حاجز الأزدي	الطويل	أشنعُ
204 : 22	مالك بن الريب	الطويل	فيمنعُ
17 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	هجعُ
30 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	ويسمعُ
117 : 1	الحارث بن خالد	الطويل	بلاقعُ
117 : 1	أبو ربيعة المصطلق	الطويل	فينابعُ
118 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	صانعُ
117 : 1	المخزومي	الطويل	ساطعُ
161 : 1	-	الطويل	ضائعُ
57 ، 5 : 2	ليلي المجنون	الطويل	فراجعُ
24 : 2	مجنون ليلي	الطويل	المطامعُ
30 : 2	مجنون ليلي	الطويل	المضاجعُ
32 : 2	مجنون ليلي	الطويل	نازعُ
165 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرقطاة	الطويل	رائعُ
165 : 2	-	الطويل	واسعُ
70 : 3	ذو الإصبع	الطويل	المرائعُ
92 : 3	النابعة	الطويل	نوازعُ
153 : 5	ذو الرمة	الطويل	رواجعُ
141 : 6	الشميري	الطويل	هواجعُ
23 : 7	-	الطويل	صائعُ
54 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	راجعُ
14 : 8	جرير	الطويل	ساطعُ
15 : 8	جرير	الطويل	لامعُ
52 : 8	جرير	الطويل	لامعُ
57 : 8	جرير	الطويل	ضارعُ
51 : 9	الأحوص	الطويل	لقائعُ
56 : 9	كعب بن جعيل	الطويل	الأصابعُ
66 : 9	امرؤ القيس	الطويل	الروادعُ
80 : 9	جهنم	الطويل	راضعُ

157 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	طامعُ
160 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	واقعُ
160 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	طائعُ
83 : 10	—	الطويل	نازِعُ
250 : 10	النابعة الذبياني	الطويل	نوازِعُ
6 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	واسعُ
28 : 11	النابعة الذبياني	الطويل	الدوافعُ
133 : 11	—	الطويل	نافعُ
39 : 12	معن بن أوس	الطويل	القوارِعُ
44 : 12	معن بن أوس	الطويل	ومربعُ
211 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الطويل	تابعُ
231 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	نازِعُ
16 : 13	الأسود بن يعفر	الطويل	ورافعُ
49 : 14	قيس بن عاصم المنقري	الطويل	الودائعُ
98 ، 91 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	نافعُ
107 ، 103 ، 101 : 15	أبو الطفيل عامر	الطويل	نوازِعُ
254 : 15	ليبد	الطويل	والمصانعُ
249 : 16	محمد بن صالح العلوي	الطويل	القوارِعُ
49 : 17	ليبد	الطويل	والمصانعُ
76 : 17	ابن الدمينة	الطويل	جامعُ
76 : 17	ابن الدمينة	الطويل	صانعُ
7 : 18	هشام بن عقبة أخو ذي الرمة	الطويل	راجعُ
36 ، 35 : 18	ذو الرمة	الطويل	رواجعُ
36 : 18	ذو الرمة	الطويل	نافعُ
125 : 19	—	الطويل	صانعُ
143 : 19	ابن المخلاة الكلبي	الطويل	وواقعُ
12 : 20	التيمي	الطويل	صنائعُ
214 : 21	الفرزدق	الطويل	الأخادِعُ
214 : 21	الفرزدق	الطويل	ومجاشعُ
224 : 21	الفرزدق	الطويل	الودائعُ
235 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	ومانعُ
8 : 24	أمية بن أبي عائذ	الطويل	راجعُ
8 : 2	معاذ بن كليب المجنون	الطويل	تبوعُ

19 : 8	جرير	الطويل	وجميعُ
19 : 8	جرير	الطويل	قبوُ
19 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ربيعُ
91 : 8	جميل	الطويل	وربيعُ
93 : 8	جميل	الطويل	لوربيعُ
158 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	وربيعُ
31 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	وأبوُ
132 : 17	سلمة بن الخرشب	الطويل	ربيعُ
7 : 18	هشام بن عقبة	الطويل	رجوُ
7 : 18	ذو الرمة	الطويل	وربيعُ
12 : 18	ذو الرمة	الطويل	رجوُ
12 : 20	التميمي	الطويل	مريعُ
83 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	رجوُ
97 : 23	-	الطويل	صديقُ
124 : 5 ؛ 97 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المديد	الدموُ
178 : 1	الأحوص	البسيط	رجعوا
136 : 3	منصور النمرى	البسيط	الشرُ
113 : 4	الزيرقان بن بدر	البسيط	الربعُ
114 : 4	حسان بن ثابت	البسيط	تبعُ
168 : 4	الأحوص	البسيط	مضطجعُ
245 : 4	-	البسيط	والطمعُ
58 : 7	العباس بن الوليد بن عبد الملك	البسيط	تندفعُ
190 : 10	أبو دلامة	البسيط	صنعوا
101 : 13	منصور النمرى	البسيط	تجتمعُ
106 ، 105 ، 101 : 13	منصور النمرى	البسيط	يرجعُ
	أو منصور بن بجرة		
102 : 13	منصور النمرى	البسيط	يتفَعُ
103 : 13	منصور النمرى	البسيط	فيتسَعُ
269 : 17	حاتم الطائي	البسيط	نفَعوا
64 : 18	العباس بن مرداس	البسيط	فدَعُ
212 : 18	ابن مفرغ	البسيط	طبعُ
57 : 19	النمرى منصور	البسيط	تجتمعُ
66 : 23	نصيب الأصغر	البسيط	والضلعُ

183 : 14	زياد الأعجم	البسيط	مصروعُ
123 : 17	حسان بن ثابت	البسيط	فموضوعُ
212 : 12	يزيد بن الحكم الثقفى	مخلع البسيط	تضيغُ
212 : 12	جارية مغنية	مخلع البسيط	صدوعُ
171 : 18	أشجع السلمي	الوافر	انقطاعُ
239 : 1	كثير	الوافر	فالبقيغُ
6 : 10	عمرو بن معديكرب	الوافر	هجوغُ
183 ، 182 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الوافر	القطوعُ
158 ، 156 : 15	عمرو بن معديكرب	الوافر	تستطيعُ
159 : 15	ابن هرمة	الوافر	القريعُ
132 : 17	قيس بن زهير أو حاتم	الوافر	صنيعُ
51 : 24	القحيف العقيلي	الوافر	تستطيعُ
239 : 16	إبراهيم الموصلي	مجزوء الوافر	هجعوا
63 : 1	أبو ذؤيب	الكامل	مسيغُ
123 : 2	الحطيئة	الكامل	ينفعُ
219 : 4	طريح بن إسماعيل	الكامل	مضلعُ
257 : 5	نصيب الأصغر	الكامل	وتنفغُ
180 ، 62 : 6	جرير	الكامل	تجزغُ
191 ، 188 : 6	أبو ذؤيب	الكامل	يجزغُ
192 : 6	أبو ذؤيب	الكامل	أربعُ
51 : 7	الوليد بن يزيد	الكامل	موضعُ
203 : 7	السيد الحميري	الكامل	يسمعُ
206 : 7	السيد الحميري	الكامل	الأروعُ
67 : 8	زيادة بن زيد	الكامل	وتضعضوا
254 : 11	إسماعيل بن عمار	الكامل	تنزغُ
198 : 12	شبيب البرصاء	الكامل	تطلعُ
111 : 13	عبدالله بن الحجاج	الكامل	موجعُ
113 : 13	عبدالله بن الحجاج	الكامل	أوسعُ
251 : 14	حريث بن عئاب	الكامل	يتركعُ
60 : 18	العباس بن مرداس	الكامل	مرجعُ
61 : 18	خفاف بن ندبة	الكامل	أصلعُ
112 : 18	سعيد بن حميد	الكامل	يصنعُ
21 : 21	عبدة بن الطيب	الكامل	مستمعُ

218 : 21	الفرزدق	الكامل	المرتع
31 : 23	نصيب الأصغر	الكامل	وتنفع
101 : 100 ، 16	بعض المدينيين	الكامل	الرابع
206 : 16	أبو العباس الأعمى	الكامل	الشيخ
81 : 12	-	الكامل	سريع
247 : 13	الشمردل بن شريك	الكامل	موجوع
33 : 15	تبع الأخير أبو كرب	الكامل	تزيغ
69 : 18	جبهاء الأشجعي	الكامل	تروغ
69 : 18	جبهاء الأشجعي	الكامل	خريع
238 : 16	إبراهيم الموصلي	الفرج	الوجع
222 : 11	أبو جلدة اليشكري	الرجز	المصقع
177 : 12	أبو وجزة السعدي	الرجز	جلنفع
227 : 20	-	الرجز	خروج
228 : 20	رؤية	الرجز	تقعقع
266 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	رجع
230 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	رقيع
254 : 4	-	السريع	تهجع
210 : 186 ، 7	السيد الحميري	السريع	بلقع
193 : 7	السيد الحميري	السريع	أربع
185 : 184 ، 9 ؛ 177 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المنسرح	ارتفعوا
50 : 9 ؛ 182 : 4	الأحوص	المنسرح	البيع
289 : 4	الأحوص	المنسرح	صنعوا
21 : 6 ؛ 289 : 4	الأحوص	المنسرح	ربعوا
50 : 9	الأحوص	المنسرح	واتبع
154 : 19	عبدالله بن جحش	المنسرح	نفعوا
216 : 22	عبد بني الحسحاس	المنسرح	تبع
120 : 20	إبراهيم بن العباس	المنسرح	متسع
113 : 6	-	المنسرح	صدوع
159 : 12	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	الأضلاع
102 : 16	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	الأوجاع
151 : 139 ، 15	عمرو بن معد يكرب	الخفيف	هجوغ
151 : 15	-	الخفيف	منوع
11 : 16	-	مجزوء الخفيف	أصنع

201 : 1	الأحوص	المتقارب	تدمعُ
78 : 4	أبو العتاهية	المتقارب	ازمعوأ
67 : 12	أخت الوليد بن طريف	المتقارب	بلقعُ
136 : 16	حمزة بن بيض	المتقارب	يخدعُ
137 : 16	حمزة بن بيض	المتقارب	أطمعُ
163 : 18	أشجع السلمي	المتقارب	بلقعُ
173 : 18	أحمد بن عمرو السلمي	المتقارب	ينفعُ

– قافية العين المضمومة ومعها ها ساكنة –

216 : 1	نصيب بن رياح	الطويل	روائعةُ
221 : 2	ابن ميادة	الطويل	هاجعةُ
254 ، 252 : 2	–	الطويل	مدامعةُ
226 : 22 ؛ 263 : 2	–	الطويل	رادعةُ
202 : 8	الأخطل	الطويل	رافعةُ
110 : 9	عبدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	أطالعةُ
56 : 22	مالك بن الصمصامة	الطويل	ومرابعةُ
61 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الطويل	بائعةُ
61 : 23	أبو تمام	الطويل	أبايعةُ
185 : 2	–	الرجز	وتدفعُ

– قافية العين المضمومة ومعها هاء مضمومة –

142 : 7	الحسين بن الضحاك	البسيط	يصرعهُ
---------	------------------	--------	--------

– قافية العين المضمومة ومعها هاء –

121 : 20	مسكين الدارمي	الطويل	شعاعها
149 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	طلوعها
225 : 11	لعلة المجنون	الطويل	شقيعها
159 : 13	المعذل بن غيلان	الطويل	أستطيعها

– قافية العين المكسورة –

181 ، 180 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	الظنح
45 : 21 ؛ 179 ، 178 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فالنقع
204 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	الربع
55 : 1	كثير	الطويل	ونودع
132 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	المقطع
163 : 4	نجيب بن عدي	الطويل	ممنزع

179 : 4	الأحوص	الطويل	أتخشع
179 : 4	الأحوص	الطويل	دع دع
97 : 5	الوليد بن عقبة	الطويل	ظلع
88 : 8	جميل	الطويل	ونودع
88 : 8	جميل	الطويل	مطمع
118 : 11	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	مهجع
27 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	المرجع
28 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	ومجزع
37 : 15	خالد بن جعفر	الطويل	تمنع
113 : 18	سعيد بن حميد	الطويل	ومسمع
242 ، 241 : 18	كثير	الطويل	أربع
163 : 19	الرقاشي أو غيره	الطويل	المشعشع
277 : 2	أعشى همدان أو غيره	الطويل	الأكارع
16 : 8	جرير	الطويل	ساطع
149 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	مسامي
195 : 14	حبيرة بنت سفيان	الطويل	بالفجائع
213 : 20	أبو الهندي	الطويل	الراضع
235 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	الأخادع
13 : 13	الأسود بن يعفر	الطويل	وزماع
152 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	سريع
215 : 14	حماد عجرد	المديد	للقلاع
158 : 12	أعرابي أو ابن قيس الرقيات	البسيط	مخترع
225 : 15	الحزين الديلي	البسيط	ومن ضرع
269 : 17	حاتم الطائي	البسيط	فاصطنع
124 : 4	حسان بن ثابت	البسيط	قطاع
171 : 9	حميدة بنت النعمان	البسيط	زنباع
171 : 9	روح بن زنباع	البسيط	زنباع
233 : 9	عدي بن الرقاع	البسيط	زنباع
29 : 10	دريد بن الصمة	البسيط	زنباع
62 : 11	ورقاء بن زهير	البسيط	الراعي
82 : 18	عمران بن حطان	البسيط	زنباع
171 : 11	الأقيشر	البسيط	مخلوع
171 : 11	أبو الضحاك التميمي	البسيط	ممنوع

183 : 14	زياد الأعجم	البسيط	ترفيح
96 : 15	-	البسيط	سلع
36 : 9	عوف بن الأحوص	البسيط	بالكراع
141 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	القلاع
26 : 14	دواد بن أحمد	الوافر	داعي
258 : 17	عبد الرحمن بن أبي بكر	الوافر	الوداع
193 : 18	ابن مفرغ	الوافر	بانصداع
199 : 18	ابن مفرغ	الوافر	القناع
207 : 18	ابن مفرغ	الوافر	لانتقطاع
73 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	الامتناع
151 : 2	-	الوافر	بالخشوع
43 : 22	البراض بن قيس	الوافر	ضلوعي
188 : 3	الحادرة الثعلبي	الكامل	يربع
96 : 10	إبراهيم بن المهدي	الكامل	طامع
139 : 16	حمزة بن بيض	الكامل	طائم
276 : 16	مكنف أبو سلمى	الكامل	القعقاع
204 : 18	ابن مفرغ	الكامل	داعي
146 : 17	ناجية بنت ضمضم	الكامل	مودوع
123 : 18	ابن منذار	الكامل	يربوع
124 : 18	ابنة منذار	الكامل	وكيع
79 : 23	أصرم بن حميد	مجزوء الكامل	الخليع
169 : 23	إسماعيل القراطيسي	الهمزج	نفع
260 : 18 ؛ 261 : 8	العباس بن الأحنف	الهمزج	وأوجاع
127 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	أصنع
73 : 11	الحارث بن ظالم	الرجز	الراعي
77 : 11	الحارث بن ظالم	الرجز	تراعي
250 ، 239 : 8 ؛ 46 : 1	الأحوص	مجزوء الرمل	الوجيع
249 ، 248 : 8	الأحوص أو سلامة	مجزوء الرمل	بخشوع
82 : 15	عبد الرحمن بن حسان	السريع	واسع
211 : 1	عمر بن أبي ربيعة	السريع	الراعي
167 : 23 ؛ 261 : 8	العباس بن الأحنف أو بكر بن خارجة	السريع	وأوجاعي
262 : 8	العباس بن الأحنف	السريع	أضلاعي
87 : 17	أبو قيس بن الأسلت	السريع	تهجاع

89 : 17	أبو قيس بن الأسلت	السريع	أسماعي
28 : 14	محمد بن يسير	المنسرح	والبدع
167 : 6	وضاح اليمن	المنسرح	اتباع
274 : 16	أبو تمام	الخفيف	ومساعي
161 : 4	الأحوص	الخفيف	الرجيع
166 : 4	الأحوص	الخفيف	بيديع
138 : 9	قيس بن ذريح	الخفيف	دموعي
37 : 15	أحيحة بن الجلاح	الخفيف	بالدروع
88 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الخفيف	عمي وعي
195 : 14	العباس بن مرداس	المقارب	الأجرع
131 : 21	الشنفرى	المقارع	دَع دَع

- قافية العين المكسورة ومعها كاف مكسورة -

33 ، 32 ، 31 : 20 ؛ 37 : 12	ابن أبي عينية	الكامل	تضييعك
-----------------------------	---------------	--------	--------

- قافية العين المكسورة ومعها هاء ساكنة -

93 : 23	أبو تمام	المنسرح	جرعة
---------	----------	---------	------

- قافية العين المفتوحة -

225 : 13	-	الطويل	سلعا
227 ، 221 : 6 ؛ 130 ، 96 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تتقنعا
130 ، 103 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	بلقعا
24 ، 11 : 22 ؛ 105 : 8 ؛ 208 : 4			
108 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أصبعا
9 ، 7 : 6 ؛ 43 : 2	مجنون ليلى أو قيس بن ذريح	الطويل	معا
172 : 4	الأحوص	الطويل	مجمعا
8 ، 7 : 6	الصمة القشيري	الطويل	مدمعا
9 : 6	الصمة القشيري أو يزيد بن الطثرية	الطويل	ورجعا
260 : 8	العباس بن الأخنف	الطويل	وتسمعا
18 : 8	جرير	الطويل	أودعا
129 : 9	أخو همدان	الطويل	مقطعا
145 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	مقنعا
201 : 9	الأشهب بن رميلة	الطويل	وتجزعا
248 : 9	الفرزدق	الطويل	وظلعا
12 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	أجمعا

75 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	مطمعا
78 : 11	قراد بن حنش الصاردي أو ربيع بن قعنب	الطويل	أقرعا
139 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	تدمعا
213 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	ومزرعا
220 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	ممنعا
251 : 12	سويد بن كراع	الطويل	مفزعا
96 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	مدمعا
142 : 13	غيلان بن سلمة	الطويل	تطلعا
19 : 16	الحسين بن مطير	الطويل	مربعا
258 : 17 ، 210 ، 209 ، 202 : 15	متمم بن نيرة	الطويل	يتصدعا
208 ، 205 : 15	متمم بن نيرة	الطويل	أروعا
208 : 15	متمم بن نيرة	الطويل	فأوجعا
40 : 17	متمم بن نيرة	الطويل	فاضرعا
97 : 17	ابن الطثرية	الطويل	فتسرعا
208 : 18	سلام الرافي	الطويل	المشعشعا
87 : 20 ، 39 : 19	دعل الخراعي	الطويل	معا
97 : 19	الكلجة	الطويل	تقطعا
107 : 21	تأبط شرا	الطويل	مجمعا
129 : 21	الشنفري	الطويل	اسمعا
175 ، 173 : 21	الكميت بن معروف أو رجل من بني أسد	الطويل	أجمعا
188 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	فأوجعا
189 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	بأنزعا
221 : 21	الفرزدق	الطويل	وظلعا
235 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	يتخنعا
138 : 23	أبان اللاحي	الطويل	ارفععا
24 : 24	الراعي	الطويل	واضرعا
117 : 24	الراعي النمري	الطويل	معا
96 : 2	عدي بن زيد	الطويل	روادعا
220 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	المضاجعا
261 : 17	غنية بنت عفيف	الطويل	جائعا
152 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	جميعا
152 : 7	أبو شهاب	الطويل	سريعا
203 : 19	سلم الخاسر	المديد	نفعا

198 : 1	عدي بن الرقاع	البسيط	فامتنا
25 : 2	مجنون ليلى	البسيط	طمعا
99 : 3	الأعشى أو أبو عمرو بن العلاء	البسيط	والصلعا
210 : 4	الأحوص	البسيط	دمعا
211 : 4	الأحوص	البسيط	قطعا
100 ، 99 : 7	أبو دهبيل الجمحي	البسيط	نزعا
155 : 8	الأعشى	البسيط	فالفرعا
257 : 8	العباس بن الأحنف	البسيط	صنعا
57 : 10	-	البسيط	شفعا
208 : 11	أبو جلدة الإشكري	البسيط	متسعا
211 : 11	أبو جلدة الإشكري	البسيط	رجعا
84 : 12	الأحوص	البسيط	تبعا
18 : 14	محمد بن يسير	البسيط	والملعا
104 : 14	ابن قنبر	البسيط	وجعا
282 : 16	الأعشى	البسيط	قرعا
127 : 17	-	البسيط	وقعا
128 : 17	الأصمعي	البسيط	والصلعا
128 : 17	الأعشى	البسيط	فالفرعا
152 ، 150 : 17	يزيد بن معاوية	البسيط	فزعا
229 : 17	الأعشى	البسيط	طبعا
191 : 21	واسع بن خشرم	البسيط	فجعنا
13 ، 11 : 23	لقيط الأيادي	البسيط	والوجعا
94 : 23	لقيط الأيادي	البسيط	الجدعا
81 : 11	الحارث بن ظالم	البسيط	أرباعا
50 : 3	عروة بن الورد	الوافر	سميعا
41 : 12	معن بن أوس	الوافر	الصنيعا
43 : 16	ابن جندل الطعان	الوافر	وجيعا
14 : 17	الكميت	الوافر	والقطيعا
28 : 22	صخر بن الجعد	الوافر	رجيعا
232 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الوافر	ذراعنا
238 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	استطعا
27 : 24	القطامي	الوافر	الوداعا
142 : 18	ابن منذر	مجزوء الوافر	شفعا

67 : 10	الوليد بن يزيد	الكامل	اترعا
102 : 16 ؛ 249 : 3	أنس بن زنيم	الكامل	خدعا
	أو عبدالله بن همام السلوي		
169 : 15	مؤمل بن أميل	الكامل	مطواعا
189 : 16	عدي بن الرقاع	الكامل	طلعا
84 : 21 ؛ 82 : 12	عبدالله بن الحسن بن الحسن	مجزوء الكامل	تتابعا
247 : 16	هند بنت أبي عبدة	الرجز	وتنفعا
149 : 12	قبيلة تغلب	الرجز	فاجعا
230 : 13	مطيع بن إياس	الرمل	متبعا
128 : 24	عمار ذو كبار	مجزوء الرمل	باعا
17 : 7	الوليد بن يزيد	السريع	اترعا
216 : 13	مطيع بن إياس	السريع	معا
67 : 3	ذو الأصبع	المنسرح	جدعا
67 : 3	ذو الأصبع	المنسرح	تسعا
110 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	المنسرح	نفعا
183 : 10	علي بن الجهم	المنسرح	صنعا
50 : 11	أوس بن حجر	المنسرح	وقعا
62 : 12	-	المنسرح	شبعنا
123 : 16	-	المنسرح	معا
149 : 20	محمد بن أبي محمد	المنسرح	طلعا
217 : 9	العباس بن الأخنف	الخفيف	السماعا
36 : 12	إسحاق الموصلي	الخفيف	قناعا
47 : 20	ابن أبي عيينة	الخفيف	واختدعا
27 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	سميعا
81 : 76 ؛ 12 : 147 ؛ 5	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	البقيعا
133 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الخفيف	مدمعا
185 : 184 ؛ 23	يوسف بن الصيقل	مجزوء الخفيف	تمنعا
185 : 23	-	مجزوء الخفيف	شرعا
186 : 23	-	مجزوء الخفيف	تصدعا
10 : 7	عبد الصمد بن عبد الأعلى	المتقارب	المرجعنا
192 : 22	النمر بن تولب	المتقارب	ضباعا

- قافية العين المفتوحة ومعها كاف ساكنة -

88 : 4	محمد بن أبي العتاهية	مجزوء الخفيف	أجمَعَكْ
--------	----------------------	--------------	----------

- قافية العين المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

39 : 4	أبو حبش	الوافر	والصناعة
66 : 20	أبو تمام	الوافر	ساعة
94 : 23	الحسن بن وهب	الوافر	مشاعة
96 : 19	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	والفجعية
151 : 125 ، 18	أبو العتاهية	الهزج	الساعة
108 : 11	حرمة العكلي	الرجز	الدعة
248 : 15	ليبد	الرجز	دعة
134 : 17	ليبد	الرجز	مقرعة
7 : 23	صخر النفي	الرجز	والبراعة
46 : 16	ربيعة بن مكرم	الرجز	ربيعة
26 : 6	-	الرمل	معة
178 : 6	يشار	السريع	الدامعة
92 : 18	الأضبط بن قريع	المنسرح	جمعة
93 : 18	الأضبط بن قريع	المنسرح	معة
94 : 18	الأضبط بن قريع	المنسرح	قطعة
94 : 18	الأضبط بن قريع	المنسرح	نفعة
244 : 5 ؛ 55 : 4	أبو العتاهية أو إسحاق الموصلي	الخفيف	والدراعة
32 : 15	أنصاري أو يهودي	المتقارب	والمصنعة
156 : 12	شاعر	المتقارب	دراعة

- قافية العين المفتوحة ومعها ها -

195 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الطويل	واصطناعها
87 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	أضاعها

- قافية الغين المضمومة -

15 : 8	البلع العنبري	الكامل	تمرغ
222 : 10	ابن المغتر	المتقارب	الوالغ

- قافية الغين المكسورة -

190 : 18	-	الكامل	مفرغ
33 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	البلاغ

- قافية الغين المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

141 : 23	أبان اللاحقي	الرمل	المزدغة
----------	--------------	-------	---------

- قافية الفاء الساكنة -

242 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	رؤفُ
142 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الكامل	تتفُ
262 : 16	دواد بن أبي دواد	مجزوء الكامل	مرهفُ
99 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	خلفُ
100 : 11	شريح بن الأحوص	الرجز	تعترفُ
100 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	والرغفُ
87 : 5	الوليد بن عقبة	الرجز	أوصافُ
15 : 14	محمد بن يسير	الرمل	ترفُ
209 : 16	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	مختلفُ
92 : 22	كعب بن الأشرف	الرمل	يغترفُ
35 : 23 ؛ 126 : 22	أبو شراة	الرمل	خلفُ
223 : 2	حنين الحيري	المنسرح	القصفُ
101 : 10	إبراهيم بن المهدي	المتقارب	فانكشفُ

- قافية الفاء المضمومة -

40 : 1	أبو العباس الأعمى	الطويل	حتفُ
57 : 3	عروة بن الورد	الطويل	أخوفُ
44 : 5	-	الطويل	تهتفُ
67 : 8	جميل	الطويل	منصفُ
68 : 8	جميل	الطويل	ترعفُ
253 ؛ 252 : 9 ؛ 70 : 8	الفرزدق	الطويل	وقفوا
85 : 8	جميل	الطويل	تشرفُ
85 : 8	جميل	الطويل	تهتفُ
159 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	يوصفُ
261 : 21 ؛ 110 : 16 ؛ 249 : 9	الفرزدق	الطويل	تعرفُ
254 ؛ 251 : 9	جرير	الطويل	ويسعفُ
22 : 12	عبدالله بن الحشرج	الطويل	وألفُ
10 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	تنكفُ
147 : 15	عيينة بن حصن	الطويل	والتضيفُ
251 : 19	علي بن جبلة	الطويل	وتعرفُ
242 : 20	السليك بن السلكة	الطويل	يتسيفُ
135 : 21	الشنفري	الطويل	المخففُ

215 : 21	الفرزدق	الطويل	المكلفُ
216 : 21	الفرزدق	الطويل	المتعسفُ
170 : 22	عبدالله بن العجلان النهدي	الطويل	مدنفُ
226 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	ملاطفُ
283 : 5	مصعب بن عبدالله الزبيري	الطويل	واكفُ
38 : 16 ؛ 170 : 9	حميدة بنت النعمان	الطويل	المطارفُ
94 : 18	الأضبط بن قريع	الطويل	الوصائفُ
21 : 19	زهير بن جناب	الطويل	ألفُ
187 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	راجفُ
8 : 13	أبو الطمحان القيني	الطويل	آلفُ
104 : 2	الحطيئة	الطويل	حفيفُ
220 : 2	ابن ميادة	الطويل	ومصيفُ
220 : 2	ابن ميادة	الطويل	نصيفُ
230 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	تطوفُ
164 : 17	الحطيئة	الطويل	وشنوفُ
162 ، 161 : 17	الحطيئة	الطويل	وكيفُ
73 : 19 ؛ 50 : 8	جرير	البسيط	سرفُ
212 : 11	أبو جلدة اليشكري	البسيط	خلفُ
190 : 14	كعب الأشكري	البسيط	الصلفُ
248 : 14	حريث بن عتاب أو إسماعيل بن يسار	البسيط	كلفُ
249 : 14	حريث بن عتاب	البسيط	فتنصرفُ
185 ، 184 : 16	جويرية بنت خالد	البسيط	الصدفُ
118 : 18	سعيد بن حميد	البسيط	يكفُ
36 : 23	أبو شراة	البسيط	والشرفُ
47 : 24	الأعشى	البسيط	الشرفُ
168 : 8	عترة العبسي	البسيط	معروفُ
269 : 15	زياد الأعجم	الوافر	الجوافُ
96 : 11	معقر بن أوس بن حمار البارقي	الوافر	الخليفُ
67 : 13	المغيرة بن جنباء	الوافر	والظروفُ
122 : 14 ؛ 28 : 6	أعشى همدان	الكامل	مجذفُ
48 : 6	أعشى همدان	الكامل	وأعرفُ
242 : 14	محمد بن أبي العباس السفاح	مجزوء الكامل	يسعفُ
245 : 16	بشر بن أبي خازم	الكامل	ترجفُ

223 : 3 ؛ 163 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو للحارث بن خالد	الكامل	يجفُ
113 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	التلفُ
162 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	هتفُ
141 : 20	خلف الأحمر	الكامل	رجفُ
20 : 17 ؛ 102 : 10 ؛ 37 : 7	رجل قرشي أو أخو معللة أو الكميت	الكامل	تشرِفُ
172 : 13	أبو قلابة الجرمي	المزج	الوصفُ
153 : 16	-	الرجز	تعجيفُ
153 : 16	كعب بن مالك	الرجز	النقيفُ
32 ، 5 : 3	قيس بن الخطيم	المنسرح	قضفُ
222 : 9 ؛ 24 ، 16 : 3	قيس بن الخطيم	المنسرح	نزفُ
17 : 3	مالك بن العجلان	المنسرح	أنفوا
18 : 3	درهم بن يزيد	المنسرح	والأسفُ
13 : 3	درهم بن يزيد	المنسرح	أنفُ
32 ، 30 ، 18 : 3	قيس بن الخطيم	المنسرح	وقفوا
19 : 3	حسان بن ثابت	المنسرح	قذفُ
30 ، 19 : 3	قيس بن الخطيم	المنسرح	أنفُ
242 : 14	قيس بن الخطيم	المنسرح	ترفُ
170 ، 159 : 19	-	المنسرح	فالخرفُ
225 : 19	يونس الخياط	المنسرح	نصفُ
224 : 19	ابن الخياط	المنسرح	تكفُ
233 : 8	أبو فرعة الكناني	المنسرح	فالعرِفُ
26 : 15	-	المنسرح	مذروفُ
189 : 20 ؛ 220 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	الأفوافُ
220 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	استحِصافُ
77 : 2	ابن أبي زيد	الخفيف	ضعيفُ
282 ، 281 ، 221 : 5	-	مجزوء الخفيف	يساعفُ
281 : 5	-	مجزوء الخفيف	آلفُ
149 : 22	خالد الكاتب	المتقارب	تذرفُ

- قافية الفاء المكسورة -

244 : 1	جميل	الطويل	وموجِفُ
164 ، 163 ، 16 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أَرْطاة	الطويل	المتحلفُ
160 : 11	ليلي الأخيلىة	الطويل	مكلفُ

14 : 13	الأسود بن يعفر	الطويل	فاصر في
14 : 13	الأسود بن يعفر	الطويل	ننغف
40 : 1	أبو قطيفة	الطويل	آلف
53 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	زعانف
32 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	المقاذف
41 : 12	معن بن أوس	الطويل	بخائف
50 : 12	فضالة بن شريك	الطويل	عارف
188 ، 187 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	واقف
280 : 21	الفرزدق	الطويل	السقائف
63 : 12	أخت الوليد بن طريف	الطويل	منيف
65 ، 62 : 12	أخت الوليد بن طريف	الطويل	طريف
211 : 9 ، 232 : 5	إسحاق الموصلي	البسيط	ننصرف
182 : 8	-	البسيط	قف
134 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	شرف
141 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	وانصرف
211 : 10	أبو دلالة	البسيط	والنجف
187 : 14	عمرو بن عمير اليماني	البسيط	علف
246 : 19	علي بن جبلة	البسيط	دلف
151 : 21	أبو خراش الهذلي	البسيط	يطف
214 : 5	زهراء الكلاية	البسيط	أدناف
10 : 10	دريد بن الصمة	البسيط	وإجاف
32 : 15	أحيحة بن الجلاح	الوافر	لهف
198 : 6	رجل من قریش	الوافر	وبالجفاف
67 : 17	بجير بن زهير	الوافر	وإف
55 : 18	العباس بن مرداس	الوافر	خفاف
84 ، 78 : 18	عمران بن حطان أو عيسى الحبطي	الوافر	الضعاف
122 : 6	-	الوافر	بالمثيف
68 : 16	حسان بن ثابت	الوافر	ثقيف
47 : 9	-	الكامل	المكثف
153 : 23	تويت اليماني	الكامل	تذرف
208 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الكامل	بالطائف
134 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	الحلف
130 : 10	عليه بنت المهدي	الكامل	يكفي

178 ، 162 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الكامل	السيف
42 : 16	حسان بن ثابت أو غيره	الكامل	الأجواف
44 : 23	أبو شراة	الكامل	قاف
145 : 6	النميري	مجزوء الكامل	بالطائف
241 : 14 ؛ 282 : 4	محمد بن أبي العباس السفاح أو ابن رهيمة	مجزوء الكامل	واشترافي
107 : 12	محمد بن أمية	مجزوء الكامل	خاف
241 : 14	ابن رهيمة	مجزوء الكامل	مصاف
41 : 10	إبراهيم بن العباس	الفرج	الحرف
41 : 10	دعبل	الفرج	الظرف
41 : 10	رزين بن علي	الفرج	قصير
124 : 7	الحسين بن الضحاك	الفرج	الحليف
40 : 22	بدر بن معشر	الرجز	يطرف
41 : 22	رجل من هوازن	الرجز	ينزف
172 : 2	ابن ميادة	الرجز	تخافي
256 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	الكتاف
149 : 22	-	السريع	الوصف
131 : 18	ابن مناخر	السريع	تخفي
207 : 6	-	المنسرح	العصف
82 : 19	بكر بن النطاح	المنسرح	الخلف
32 : 21	البحري	المنسرح	والشنف
159 : 23	الريان البصري أو الهذيل البصري	المنسرح	يقف
160 : 23	ماني الموسوس	المنسرح	لطف
64 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	الطواف
198 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الخفيف	اتلاف
46 : 9	-	الخفيف	الأطراف
21 : 17	الكميت	الخفيف	الظراف
169 : 18	أشجع السلمي	الخفيف	مناف
37 : 19	لعله مسلم بن الوليد	الخفيف	الأعطاف
37 : 19	دعبل الخراعي	الخفيف	مناف
77 : 23	-	الخفيف	جافي
69 : 2	أعشى بن قيس بن ثعلبة	الخفيف	كالسيوف
125 : 14	أبو الشبل البرجمي	الخفيف	ذروف

الحفي	مجزوء المتقارب	يوسف بن الصقيل	180 : 19
- قافية الفاء المكسورة ومعها كاف ساكنة -			
بظرفك	مجزوء الرمل	إبراهيم الموصلي	126 : 5
- قافية الفاء المفتوحة -			
المقارفا	الطويل	روح بن زنباع	170 : 9
الزغفا	البسيط	أبو دهب الجمحي	88 : 7
منصرفا	البسيط	بكر بن النطاح	82 : 19
خافا	البسيط	إسحاق الموصلي	124 : 5
سيوفا	الوافر	أبو محجن الثقفي	9 : 19
أسفا	مجزوء الوافر	الوليد بن يزيد	30 : 7
سلفا	مجزوء الوافر	عبد الصمد بن المعذل	158 : 13
شغفا	الكامل	وضاح اليمن	165 : 6
الحتفا	الكامل	بشار	174 : 6
طرفا	مجزوء الكامل	وضاح اليمن أو بشار	165 : 67
الحفا	الرجز	الحكم بن عبدل	277 : 2
رجفا	الرجز	الخطفي بن بدر	5 : 8
طففا	الرجز	رجل من بني سعد	26 : 21
طففا	الرجز	العجاج	144 : 21
قراصفا	الرجز	صخر بن الجعد ودرن مولى الخضرين	32 : 22
استكفا	الرجز	جميل	97 : 8
اعترفا	الرجز	أبو حزابة التميمي	184 : 22
حليففا	الرجز	-	187 : 2
دنفا	مجزوء الرجز	مطيع بن إياس	211 : 13
خلففا	الرمل	العباس بن الأحنف	48 : 6
شفي	السريع	ربيعة الرقي	180 : 16
خُلففا	المنسرح	-	45 : 5
صلفا	المنسرح	مطيع بن إياس	214 : 13
وقوفا	الخفيف	ربيعة الرقي	171 : 16
قرقفا	مجزوء الخفيف	الحسين بن الضحاك	137 : 7
صفا	مجزوء الخفيف	محمد بن حازم	59 : 14
الصففا	المتقارب	عبدالله بن موسى الهادي	154 : 10
خنفا	المتقارب	أبو وجزة السعدي	181 : 12

- قافية الفاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

109 : 18	مساور الوراق	الوافر	ظريفة
143 : 18	ابن مناذر	مجزوء الكامل	الشريفة
16 : 15 ، 7	الوليد بن زيد	الخفيف	بالرصافة

- قافية القاف الساكنة -

131 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	نطق
63 : 22	عبيد بن الأبرص	الطويل	برق
262 : 16	أم داود	مجزوء الكامل	مولق
161 : 6	وضاح اليمن	مجزوء الكامل	يفيق
120 : 10	رؤية	الرجز	المخترق
40 : 16	ربيعة بن مكرم	الرجز	واعتنق
42 : 24	عمرو بن جبلة	الرجز	برق
55 : 24 ؛ 128 : 15 ؛ 246 : 12	هند بنت عتبة	الرجز	النمارق
83 : 2	عدي بن زيد	الرملي	وأرق
139 : 3	بشار	الرملي	الحمق
54 : 4	أبو العتاهية	الرملي	اتق
59 : 4	أبو العتاهية	الرملي	فسرق
231 : 14	حماد عجرد	الرملي	لحق
121 : 20	مسكين الدارمي	الرملي	نطق
59 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الرملي	الخلق
193 : 22	النمر بن تولب	المتقارب	ملق
161 : 13	عبد الصمد بن المعذل	مجزوء المتقارب	يصدق

ل

- قافية القاف المضمومة -

115 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	ونشفق
9 : 22 ؛ 161 : 8 ؛ 118 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	ينطق
82 : 2	الأعشى	الطويل	محزرق
213 : 199 ، 200 ، 213	ابن المولى أو الأعشى	الطويل	سملق
110 : 6	ابن جندب	الطويل	يخفق
44 : 8	نصيب	الطويل	متعرق
106 : 8	جميل	الطويل	سملق
144 : 8	ذو الرمة	الطويل	مهرق
11 : 9	الأحوص	الطويل	المتفلق

11 : 9	كثير	الطويل	معلق
85 : 9	الأعشى	الطويل	تحرق
85 : 9	الأعشى	الطويل	معشق
86 : 9	الأعشى	الطويل	اعرقوا
208 : 21 ؛ 246 : 9	الفرزدق	الطويل	تخفق
92 : 10	-	الطويل	يتفرق
132 : 10	عليه بنت المهدي	الطويل	يتخرق
217 : 10	الأعشى	الطويل	يسنق
182 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	يغلق
194 ، 182 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	موثق
182 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	فمعتق
35 ، 30 : 13	جعفر بن علفة	الطويل	مغلق
42 : 13	العجير السلوي	الطويل	المروق
207 : 14	بشار	الطويل	ستبرق
249 : 14	حريث بن عئاب	الطويل	منطق
229 : 15	الحزين الديلي	الطويل	معلق
208 : 16	أبو العباس الأعمى	الطويل	وتحمقوا
268 : 16	دعبل الخزاعي	الطويل	لأحق
64 : 17	كعب بن زهير	الطويل	أبلق
64 : 17	زهير بن أبي سلمى	الطويل	وتعنق
42 : 18	عبدالله بن أبي بكر الصديق	الطويل	المطوق
22 : 19	زهير بن جناب	الطويل	المشوق
22 : 19	زهير بن جناب	الطويل	تحرق
278 : 21	سويد بن أبي كاهل	الطويل	أزرق
29 ، 24 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	تصدق
28 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	تخلق
23 : 2	مجنون ليل	الطويل	شائق
39 : 2	مجنون ليل	الطويل	لشائق
96 : 4	ربيعة بن أمية	الطويل	بقوا
90 : 8	جميل	الطويل	وشائق
185 : 12	لعله جثامة بن عقيل بن علفة	الطويل	شفائق
9 : 13	أبو الطمحنان القيني	الطويل	عاشق
102 : 21	تأبط شرا	الطويل	طارق

67 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	شناقُ
67 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	فأطاقوا
27 : 2	مجنون ليلى	الطويل	تضيّقُ
53 : 2	مجنون ليلى	الطويل	لصديقُ
181 : 2	ابن ميادة	الطويل	طريقُ
148 : 3	بشار	الطويل	أفوقُ
148 : 3	بشار	الطويل	بريقُ
157 : 3	—	الطويل	أموقُ
168 : 3	بشار	الطويل	لخليقُ
249 : 4	حميد بن ثور	الطويل	وتروقُ
250 : 4	حميد بن ثور	الطويل	ويتوقُ
132 : 9 ؛ 126 : 5	مضر بن قرط أو قيس بن ذريح أو جرير	الطويل	رفيقُ
6 : 6	الصمة القشيري	الطويل	لصديقُ
155 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	شقيقُ
89 : 8	جميل	الطويل	وتيقُ
155 : 8	—	الطويل	وتشوقُ
132 : 9	قيس بن ذريح أو جرير	الطويل	صديقُ
150 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	تضيّقُ
184 : 11	قريظة بن يقظة	الطويل	طليقُ
184 : 11	الأقيشر	الطويل	طريقُ
188 : 12	لعله عقيل بن علفة	الطويل	طريقُ
46 : 13	العجير السلوي	الطويل	رقيقُ
186 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	لحقيقُ
198 : 18	ابن مفرغ	الطويل	طليقُ
29 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	عتيقُ
144 : 23	جرير	الطويل	علوقُ
144 : 23	عنان جارية الناطفي	الطويل	نطوقُ
151 : 23	تويت اليمامي	الطويل	صديقُ
232 : 3	الحارث بن خالد	البسيط	علقُ
229 : 3	الحارث بن خالد	البسيط	الشفقُ
67 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	البسيط	انطلقوا
251 : 5	الأصمعي أو ابن المنذر العروضي	البسيط	فانفرقوا

74 : 6	طريح	البسيط	منطلق
75 : 6	طريح أو ابن هرمة	البسيط	خلق
75 : 6	ابن هرمة	البسيط	والشفق
76 : 6	ابن هرمة	البسيط	يندلق
147 : 6	وضاح اليمن	البسيط	انطلقوا
157 : 8	-	البسيط	الرفق
82 : 10	الدارمي	البسيط	العتق
244 : 10	المضرب بن كعب بن زهير	البسيط	الطرق
222 : 11	أبو جلدة الإشكري	البسيط	غرقوا
60 : 13	المغيرة بن حبناء	البسيط	العوق
144 : 13	غيلان بن سلمة	البسيط	طبق
182 : 14	زياد الأعجم	البسيط	خلقوا
75 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	حق
50 : 18	عنترة	البسيط	الحدق
91 : 22	الربيع بن أبي الحقيق أو النابغة الذبياني	البسيط	خلق
28 : 23	حجناء بنت نصيب	البسيط	الورق
30 : 23	نصيب الأصغر	البسيط	الملق
249 ، 248 : 9 ؛ 63 : 8	جرير	البسيط	زيق
61 : 21	عريب	مجزوء الوافر	الفرق
61 : 21	-	مجزوء الوافر	الأرق
35 : 1	قتيلة بنت الحارث	الكامل	موفق
76 : 4	أبو العتاهية	الكامل	يتخلق
73 : 9	امرؤ القيس	الكامل	تطرق
170 : 9	حميدة بنت النعمان	الكامل	ملصق
246 : 10	المرار بن سعيد	الكامل	يخنق
108 : 20	جعفران الموسوس	الكامل	والحق
85 : 22	امرؤ القيس	الكامل	تطرق
183 : 10	علي بن الجهم	الكامل	الرق
66 ، 62 : 22 ؛ 139 : 5	رجل من بني أسد	الكامل	وبروق
205 : 21 ؛ 242 : 9	الفرزدق	الكامل	الموثوق
193 : 5	-	مجزوء الكامل	روق
260 : 5	إسحاق الموصلي أو أبو العتاهية	الهزج	الصدق
250 : 15	ليبيد	الرجز	والحقائق

22 : 5	النابعة الجعدي	الرجز	العتاقُ
155 : 8	-	السريع	بتنطقُ
211 : 14	بشار	السريع	والمائقُ
223 : 19	فضل الشاعر	السريع	والصادقُ
155 : 23	-	السريع	مشتاقُ
244 ، 242 : 11 ؛ 162 : 5	-	المنسرح	والخلقُ
128 : 12 ؛ 155 : 6	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	القلقُ
267 : 8	العباس بن الأخنف	المنسرح	عشقوا
240 ، 239 : 11	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	نطقوا
31 : 12	الطرماح بن حكيم	المنسرح	أرقوا
129 : 12	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	الحمقُ
180 : 22	أبو دهمان الغلابي	المنسرح	عشقوا
190 : 8 ؛ 153 : 4	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	العلوقُ
133 : 4	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	تشوقُ
37 : 7 ؛ 59 : 6	عدي بن زيد	الخفيف	إبريقُ
52 : 7 ؛ 68 ، 59 : 6	عدي بن زيد	الخفيف	تستفيقُ
60 : 6	عدي بن زيد	الخفيف	يفيقُ
175 ، 46 : 9 ؛ 49 : 1	الأعشى	الخفيف	الأطواقُ
13 : 6	داود بن سلم	الخفيف	إسحاقُ
139 : 21	ابن ربيعة	المتقارب	تطرقُ
59 : 19	محمد بن وهيب	المتقارب	ناطقُ
161 : 13	عبد الصمد بن المعدل	مجزوء المتقارب	بصدقُ

- قافية القاف المضمومة ومعها هاء ساكنة -

231 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	ذائقةُ
213 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	ذائقةُ
200 : 4	-	الطويل	وشائقةُ
113 : 10 ؛ 223 : 7 ؛ 143 ، 130 : 6	النميري	الطويل	لواحقهُ
134 ، 133 : 11	كثير	الطويل	توامقةُ
79 : 12	كثير	الطويل	ناعقةُ
131 ، 130 : 22	عارف الطائي أو قيس بن جروة	الطويل	وشائقةُ
38 : 23	أبو شراة	الطويل	وصادقةُ
224 : 5	وضاح اليمن	الهمزج	أنحلاقةُ

- قافية القاف المضمومة ومعها هاء مضمومة -

طريقه	الطويل	ابن الرومي	138 : 23
يرزقه	البيسط	العطوي	116 : 23

- قافية القاف المضمومة ومعها ها -

بروقها	الطويل	جميل	111 : 8
طريقها	الطويل	يزيد بن الطثيرة	124 : 8
عنقها	الطويل	فديك بن حنظلة الجرمي	124 : 8
يطيقها	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	238 : 12
وعليقها	الطويل	محمد بن صالح العلوي	249 : 16
عروقها	الطويل	أبو محجن الثقفي	14 ، 12 ، 9 : 19 ؛ 270 : 18
سابقها	المنسرح	أمية بن أبي الصلت	95 : 4

- قافية القاف المكسورة -

السحقي	الطويل	أبو العتاهية	187 : 15 ؛ 21 : 4
الخرقي	الطويل	إسحاق الموصلي	225 : 5
المحلق	الطويل	كثير	8 : 9
بأسواق	الطويل	منسوب إلى الجن	119 : 9
الممزق	الطويل	جزء بن ضرار أو الجن أو الشماخ	119 : 9
وطلق	الطويل	قيس بن ذريح	136 : 9
بموق	الطويل	أفتون التغلبي	37 : 11
موق	الطويل	إسماعيل بن عمار	250 : 11
محقي	الطويل	كثير	125 ، 123 ، 122 : 12
المعلق	الطويل	كثير	124 : 12
المرقي	الطويل	ابن هرمة	162 : 12
المتفلق	الطويل	ابن هرمة	162 : 12
وترقي	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	235 : 12
المطوق	الطويل	جعفر بن علي	38 : 13
المنفرق	الطويل	الزبير بن الأشيم	164 : 14
بروق	الطويل	ثابت قطنة	177 : 14
الفرزدق	الطويل	زياد الأعجم	269 ، 268 : 15
عوق	الطويل	كعب بن زهير	65 : 17
المتفلق	الطويل	زهير بن أبي سلمى	65 : 17
أخرق	الطويل	ذو الرمة	33 : 18

52 : 18	خفاف بن ندبة	الطويل	نلتقي
267 : 21	الفرزدق	الطويل	الفرزدق
273 : 21	أبو ليلى المجاشعي أو جرير	الطويل	الفرزدق
213 : 21	الفرزدق	الطويل	تطلق
109 : 2	الخطيئة	الطويل	بالعواتق
218 ، 216 ، 212 : 7	عبدالله أو عمرو بن علقمة	الطويل	البوائق
227 ، 220 ، 212 : 7	كثير أو أبو جندب الهذلي	الطويل	الأصاديق
	أو سليمان بن أبي دباكل		
219 ، 215 : 7	عبدالله بن علقمة	الطويل	بالخوانق
220 : 7	كثير أو سليمان بن أبي دباكل	الطويل	علائقي
171 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	شقائقي
240 : 16	ذو الرمة	الطويل	الحقائقي
70 ، 68 : 18	جبهاء الأشجعي	الطويل	توافقي
255 : 18	-	الطويل	وحدائقي
26 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	طارق
235 ، 227 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	المفارق
223 : 8	الأخطل	الطويل	بمطيق
36 : 5	مهلهل	المديد	بساقبي
132 : 10	محمد بن حميد الطوسي أبو جعفر	المديد	لمخلوق
45 : 6	أعشى همدان	البسيط	أنق
129 : 11	-	البسيط	الخلق
234 : 12	أبو الأسود الدؤلي	البسيط	ومنطلق
12 : 19	أبو محجن الثقفي	البسيط	خلفي
117 : 18	سعيد بن حميد	البسيط	ملقي
214 : 22	عبد بني الحسحاس	البسيط	والورق
176 : 13	عبد الصمد بن المعذل	البسيط	إسحاق
284 : 16	أبو الشيص	البسيط	إسحاق
44 : 16	أم عمرو أخت ربيعة بن مكرم	البسيط	راقي
167 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	البسيط	حذاق
98 ، 93 : 21	تأبط شرا	البسيط	طراق
247 : 9	الفرزدق	البسيط	زقي
186 : 11	الأقيشر	البسيط	نيقي
186 : 11	الأقيشر	البسيط	البطارقي

41 : 13	العجير السلولي	البيسط	ممدوق
167 : 14	حاجب الفيل	البيسط	وتخنيق
18 : 15	-	البيسط	السوق
64 : 23	علي بن جبلة	البيسط	والسوق
265 : 1	العرجي	الوافر	مساقي
266 : 1	العرجي	الوافر	الترافي
45 : 1	أبو قطيفة	الوافر	العراق
84 : 5	الحطيئة	الوافر	بالنفاق
126 ، 125 : 19 ؛ 23 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	تلاقي
27 : 10	عمرة بنت دريد	الوافر	عقاق
131 : 12	كثير	الوافر	الوداق
12 : 21	أمية بن الأسكر	الوافر	ألاقي
73 : 6	ابن هرمة	الوافر	وبالحقوق
160 : 6	وضاح اليمن	الوافر	الطروق
238 : 8	عبدالله بن جدعان	الوافر	بمستفيق
162 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	صديق
39 : 10	إبراهيم بن العباس	الوافر	الشقيق
168 : 10	علي بن الجهم أو إبراهيم بن العباس	الوافر	الشقيق
173 : 11	الأقيشر	الوافر	فسوقي
236 : 11	ابن هرمة	الوافر	والحقوق
74 : 12	عرعة بن عاصية	الوافر	الشفيع
226 : 17	أمية بن عبد شمس	الوافر	ونوق
98 : 20	أبو سعد المخزومي	الوافر	الغبوق
213 : 20	أبو الهندي	الوافر	فسوقي
6 : 24	-	الوافر	والرحيق
216 : 4	طريح بن إسماعيل	الكامل	الملثق
241 : 5	حمزة بن مضر	الكامل	المونق
106 : 6	شاعر الأزارقة	الكامل	الأزرق
73 : 9	الربيع بن ضبع	الكامل	المزلق
170 : 9	روح بن زنباع	الكامل	المنطق
152 : 10	-	الكامل	تخلق
18 : 11	القطامي	الكامل	المعني
26 : 13	زميل الفزاري	الكامل	يصدق

26 : 13	أرطأة بن سهية	الكامل	والحق
149 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الكامل	المحرق
155 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الكامل	تلحق
110 : 21	تأبط شرا	الكامل	الصق
35 : 22	الربيع بن ضبع	الكامل	بالأبلق
32 : 24	القطامي	الكامل	المعني
156 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطأة	الكامل	شائقي
159 ، 157 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطأة	الكامل	الشارق
160 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطأة	الكامل	العاتق
81 : 10	جرير	الكامل	الطارق
160 : 10	-	الكامل	العاشق
104 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	الرائق
114 : 23	العطوي	الكامل	رائق
145 ، 6 ، 222 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	الشرق
87 : 15 ، 132 : 11			
133 : 11	الحارث بن خالد	الكامل	بالوسق
87 : 15	الحارث بن خالد	الكامل	والصدق
104 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	الفرق
103 : 2	الحطيئة	الكامل	الحباق
263 : 5	إسحاق الموصلي	الكامل	بفراق
116 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	بتلاق
117 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	المراق
20 : 8	جرير	الكامل	بطلاق
142 : 13	غيلان بن سلمة	الكامل	بطلاق
49 : 10	ابن دريد	الكامل	بالمخراق
45 : 16	عبدالله بن جذل الطعان	الكامل	وفواق
84 : 17	إسحاق الموصلي	الكامل	بالمشتاق
212 : 18	ابن مفرغ	الكامل	الأسواق
37 : 19	دعبل الخزاعي	الكامل	مشتاق
37 : 19	-	الكامل	بتلافي
140 : 2	الوليد بن يزيد أو ابن رهيمة	مجزوء	مفارقة
141 : 2	الوليد بن يزيد أو ابن رهيمة	مجزوء	العاشق
192 : 8 ، 121 : 6	سعيد بن عبد الرحمن	مجزوء	والعلاق

196 : 11	أبو النضير	مجزوء الكامل	الوثاق
129 : 23	سليمان بن وهب	الهزج	مخلوق
259 : 21	امرأة من فقيم	الرجز	والمحوق
184 : 15	الحسين بن الضحاك	الرجز	الخلق
63 : 21 ؛ 154 : 20	إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي	الرجز	البرق
229 : 5	إسحاق الموصلي	الرجز	بالمحاق
144 : 18	ابن منذر	مجزوء الرمل	طليق
226 : 19	ابن الخياط	السريع	يعشق
168 : 23	العباس بن الأحنف	السريع	يخلق
174 : 20	خالد الكاتب	السريع	البارق
139 : 19	ضرار بن الخطاب	المنسرح	القلقي
179 : 19	سلم الخاسر	المنسرح	فانطلق
147 : 23	ابن منذر	المنسرح	حلقي
165 : 9	الحارث بن خالد المخزومي	الخفيف	برق
75 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	الخلاقي
97 : 3	بشار	الخفيف	الأعناق
76 : 18 ؛ 11 : 4	والبة بن الحباب	الخفيف	الآفاق
26 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	الفراق
94 : 6 ؛ 35 ، 34 : 5	مهلهل	الخفيف	العناق
173 : 6	بشار	الخفيف	بالتلاقي
64 : 7	الوليد بن يزيد أو عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي	الخفيف	الماقمي
203 : 12	عيسى بن زينب	الخفيف	بالعشاق
63 : 16	مهلهل	الخفيف	معلق
170 : 17	مالك بن أسماء	الخفيف	الرفاق
173 : 17	إسماعيل بن يسار	الخفيف	عناق
173 : 20	خالد الكاتب	الخفيف	التلاقي
16 : 22	الفرزدق	الخفيف	بالعراق
40 : 1	أبو قطيفة	الخفيف	العقيق
68 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الخفيف	الطريق
68 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	بالعقوق
134 : 5	إبراهيم الموصلي	المتقارب	العققي
143 ، 133 : 8	الأحوص	المتقارب	المهرق
240 : 17	أبو عطاء السندي	المتقارب	بالأبلي

84 : 22	السموأل	المتقارب	الأبلي
143 : 5	إبراهيم الموصلي	المتقارب	عائق

– قافية القاف المكسورة ومعها هاء ساكنة –

166 : 18	أشجع السلمي	المديد	أفقه
138 : 20	أبو محمد اليزيدي	السريع	خلقه

– قافية القاف المكسورة ومعها ها –

167 : 22	عبدالله بن العجلان النهدي	مجزوء الكامل	فراقها
226 : 20	رؤية	الرجز	سوقها
278 : 2	الحكم بن عبدل	المتقارب	بتصداقها
93 : 10	إبراهيم بن المهدي	المتقارب	براووقها

– قافية القاف المفتوحة –

94 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	ولاحقا
247 : 12	سويد بن كراع	الطويل	برقا
164 : 8	العرجي	الطويل	عمدقا
162 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	حققا
213 : 18	ابن مفرغ	الطويل	أرقا
237 : 21	الفرزدق	الطويل	أخوقا
275 : 21	الفرزدق	الطويل	أزرقا
34 : 20	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	المديد	يرقا
34 : 20	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	المديد	حقا
277 : 5	–	المديد	فاحترقا
264 : 8	العباس بن الأحنف	المديد	قلقا
265 ، 264 : 8	علي بن يحيى	المديد	خفقا
65 : 19	محمد بن وهيب	المديد	رمقا
65 : 19	محمد بن وهيب	المديد	عشقا
45 : 20	ابن أبي عيينة	المديد	مفيقا
260 : 5	–	البسيط	علقا
76 : 6	زهير بن أبي سلمى	البسيط	اعتنقا
265 : 8	العباس بن الأحنف	البسيط	فرقا
238 ، 233 ، 227 : 10	زهير بن أبي سلمى	البسيط	طرقا
233 : 10	زهير بن أبي سلمى	البسيط	علقا
97 : 14	قيس بن الخدادية أو حماد الراوية	البسيط	افترقا

17 : 13	الأسود بن يعفر	البسيط	مسروقاً
154 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	مخلع البسيط	مستحقاً
90 : 18	عمرو بن العاص	الوافر	الرقاقا
91 : 18	عمارة بن الوليد	الوافر	والعراقا
85 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	الأرقا
132 ، 124 : 19 ؛ 195 ، 194 ، 159 : 4	الأحوص	مجزوء الوافر	خلقا
20 : 6	الأحوص	مجزوء الوافر	قلقا
20 : 6	الأحوص	مجزوء الوافر	خرقا
112 ، 108 : 16	الأحوص	الكامل	حلقا
209 : 20	-	الكامل	المخلقا
34 : 21	البحثري	الكامل	شفيقا
156 : 23	-	مجزوء الكامل	دمشقا
48 ، 38 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الكامل	الطريقا
53 : 17 ؛ 255 : 8	العباس بن الأحنف	المزج	الخلقا
47 : 17	امرأة سلوية	الرجز	حقا
89 : 10 ؛ 268 : 8 ؛ 85 ، 81 ، 61 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	حقا
231 : 11	أبو يعقوب الخريمي	الخفيف	حقا
176 ، 162 : 19	أبو العتاهية	الخفيف	رقا
176 ، 162 : 3	بشار	الخفيف	موقا
154 : 4	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	خلوقا
35 : 20	ابن أبي عيينة	المتقارب	الشقا
36 : 20	ابن أبي عيينة	المتقارب	أغرقا

- قافية القاف المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

90 : 9	الأعشى	الطويل	بارقة
91 ، 90 : 9	الأعشى	الطويل	ووامقة
90 : 9	الأعشى	الطويل	وطارقة
55 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الوافر	خلقة
44 : 10	-	مجزوء الوافر	خلقة
216 ، 214 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الكامل	رقيقة
217 : 6	عبيد بن الأبرص	المنسرح	خلقة
135 : 16	حمزة بن بيض	المنسرح	والحدقة
46 : 24	الأعشى	المنسرح	الحلقة
162 : 10	كعب بن لؤي	الخفيف	العلاقة

- قافية القاف المفتوحة ومعها هاء مضمومة -

152 : 19	عوف القوافي	الرجز	صَعْفَةٌ
----------	-------------	-------	----------

- قافية الكاف الساكنة -

69 : 20	دعبل الخزاعي	البسيط	نَسِيكَ
18 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	فَعَالِكُ
42 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	جَمَالِكُ
99 : 20	ابن أبي الشيص	الهزج	صَوْمِكُ
24 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرجز	لَكَ
17 : 20	أبو نواس	مجزوء الرجز	مَلِكُ
6 : 17	يزيد بن طعمة	الرمل	المَعْتَرِكُ
187 : 19	أبو العتاهية	الرمل	دَرِكُ
176 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الرمل	بِقَلْبِكُ
222 : 9	-	السريع	أَرَاكَ
117 : 18	سعيد بن حميد	السريع	وَاصِلِكُ
272 : 16 ؛ 218 : 5	إسحاق الموصلي	المنسرح	صَلْتِكُ
168 : 13	عبد الصمد بن المعدل	المنسرح	كَبِيكُ
168 : 13	صديق لعبد الصمد بن المعدل	المنسرح	نَسِيكُ
36 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الخفيف	سَلِكُ
76 : 23	علي بن محمد بن نصر	المجتث	فَعَالِكُ
100 : 23	الحسن بن وهب	المجتث	بَعْدُكَ
100 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	المجتث	رَشْدُكَ

- قافية الكاف المضمومة -

97 : 18	أعشى بني ربيعة	الطويل	المَسَالِكُ
22 : 14	محمد بن يسير	المديد	تَتْنَهَكُ
239 : 10	زهير بن أبي سلمى	البسيط	سَلَكُوا
239 : 10	زهير بن أبي سلمى	البسيط	فَدَكُ
77 : 4	أبو العتاهية	الكامل	مَلِكُ
55 : 24	عوف بن مالك	الرجز	أَذْرُكُ

- قافية الكاف المضمومة ومعها هاء ساكنة -

15 : 4	أبو العتاهية	الطويل	مَالِكَةُ
178 : 20	خالد الكاتب	المنسرح	أَتْرَكَةُ

- قافية الكاف المضمومة ومعها ما -

83 : 14	ابن أبي الزوائد	الطويل	مدانكُما
120 : 23	مرة النهدي	الطويل	سوانكُما

- قافية الكاف المكسورة -

37 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	عنكُ
37 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	الشركُ
217 : 7	ضرار بن الخطاب	الطويل	مسلكُ
193 : 11	أبو النضير	الطويل	برملكُ
27 : 12	ذو الرمة	الطويل	الفواركُ
99 : 12	امرأة من أهل الكوفة	الطويل	هالكُ
184 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	العواركُ
184 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	كالكُ
125 : 14	أبو الشبل البرجمي	الطويل	مالكُ
210 : 15	متمم بن نويرة	الطويل	فاركُ
70 : 17	ابن الدمينة	الطويل	شمالكُ
233 ، 231 : 17	حسان بن ثابت	الطويل	هنالكُ
118 : 21	الشنفرى	الطويل	بالصعالكُ
232 ، 220 : 21	الفرزدق	الطويل	المباركُ
265 ، 232 : 21	الفرزدق	الطويل	مالكُ
265 : 21	رجل حائك	الطويل	المهالكُ
95 : 24	القتال الكلابي	الطويل	بالمناسكُ
177 : 10	علي بن الجهم	البيسيط	المماليكُ
45 : 20 ، 38 : 15	فروج الرفاء	البيسيط	واسقيكُ
88 : 18	عمران بن حطان	البيسيط	فيكُ
68 : 21	بشار	البيسيط	فيكُ
31 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	أراكُ
257 : 8	العباس بن الأحنف	الوافر	سواكُ
80 : 17	ابن الدمينة	الوافر	بذاكُ
121 : 11	عبيد الله بن قيس الرقيات	الكامل	أبكى
122 : 11	عبيد الله بن قيس الرقيات	الكامل	بالسكُ
49 : 12 ، 183 : 11	الأقيشر	الكامل	شريكُ
179 : 23	خالد بن يزيد الكاتب	مجزوء الكامل	منكُ

119 : 20	السري بن عبد الرحمن	مجزوء الكامل	الأراك
193 : 11	أبو النضر	الهزج	وأهوالك
41 : 16	أم سيار أم ربيعة بن مكدم	الرجز	كذلك
198 : 16	قحافة بن عوف	الرجز	الهوالك
84 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الرجز	أرواك
130 : 11	حادي سكينه بنت الحسين	الرجز	أبوك
178 : 6	بشار	مجزوء الرمل	فذاك
174 : 6	بشار	السريع	أفالك
173 : 6	بشار	السريع	وعدك
133 : 10	الرشيد الخليفة	السريع	والملك
83 : 16	محمد بن بشير الخارجي	السريع	مالك
119 : 22	إبراهيم بن المدبر	السريع	عليك
83 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	الفلك
118 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	بالنسك
118 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	الفلك
64 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	كفالك
200 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	رضاك
88 : 23	الأصمعي	الخفيف	سواك
88 : 23	أبو حفص الشطرنجي	الخفيف	فبكاك
88 : 23	الرشيد	الخفيف	تراك
128 : 23 ؛ 103 : 12	محمد بن أمية	الخفيف	عليك
103 : 12 ؛ 127 : 23	محمد بن أمية	الخفيف	يديك
98 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	السماك
51 : 21	الناشيء أو غيش	المتقارب	ناظريك
196 : 15	آدم بن عبد العزيز	المتقارب	لذاك

- قافية الكاف المفتوحة -

120 : 7	الحسين بن الضحاك	الطويل	بكفكا
228 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	أخالكا
66 : 17	كعب بن زهير	الطويل	دلكا
68 : 17	كعب بن زهير	الطويل	لكا
103 : 2	الحطيئة	الطويل	أولكا
53 : 18 ؛ 62 : 15 ؛ 214 : 2	خفاف بن ندبة	الطويل	مالكا
64 : 3	-	الطويل	هالكا

72 : 3	ذو الإصبع	الطويل	كذلكا
79 : 4	أبو العتاهية	الطويل	بوفائكا
37 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	غلوائكا
212 : 11	أبو جلدة الشكري	الطويل	قضائكا
236 ، 222 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	هنالكا
235 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	خلالكا
193 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	مشاركا
64 : 15	خفاف بن ندبة	الطويل	ذلكا
197 : 17	عبدالله بن قيس الرقيات	الطويل	مباركا
201 : 19	سلم الخاسر	الطويل	لقائكا
201 : 19	مروان بن أبي حفصة	الطويل	عنائكا
140 : 19	عويص القوافي	الطويل	وراك
55 : 10	إبراهيم بن العباس	البيسط	أعاديكا
104 : 13	منصور النمرى	مخلع البيسط	بلاك
71 : 2	عدي بن مرينا	الوافر	قواكا
65 : 13	صخر بن حبناء	الوافر	كذاك
64 : 13	المغيرة بن حبناء	الوافر	نثاك
122 : 18	ابن مناذر	مجزوء الوافر	صوركا
51 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	مجزوء الوافر	احتنكا
153 : 15	-	مجزوء الوافر	يأتيلك
64 : 19 ؛ 16 : 16	دعبل الخزاعي	الكامل	فبكي
103 ، 87 ، 84 ، 64 ، 63 : 20			
87 ، 64 : 20 ؛ 281 : 16	دعبل الخزاعي	الكامل	هلكا
106 : 18	المؤمل بن جميل	الكامل	وعكا
138 : 23	البحري	الكامل	سموكا
51 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الكامل	يراكا
54 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	إليكا
66 : 4	أبو العتاهية	الهزج	لشانيكا
222 : 14	حماد عجرد	الهزج	أذنيكا
264 ، 259 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	منيكا
97 : 8	مكين العذري	الرجز	دراكا
120 : 16	-	الرجز	ممشاك
258 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	والأوركا

271 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	ذكر اكا
271 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	عصاكا
223 : 20	رؤية	الرجز	لييكا
11 : 20	التيمي	الرمل	شكا
195 : 11	حماد عجرد	السريع	بالكا
170 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	النسكا
234 ، 232 : 4	أبو سعيد مولى قائد أو الدارمي	الخفيف	وراكا
41 : 7	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	لذاكا
129 ، 128 : 7	الحسين بن الضحاك	الخفيف	أراكا
55 : 19	الحكم بن قنبر	الخفيف	منتماكا
115 : 22	إبراهيم بن المدبر	الخفيف	جفاكا
99 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	السماكا
224 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الخفيف	مالكا
54 : 21	عريب	المجث	شكا
144 : 22	-	المجث	عليكا
159 : 10	عبدالله بن محمد الأمين	المتقارب	لكا
224 : 13	حماد عجرد	المتقارب	مالكا

- قافية الكاف المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

169 : 13	عبد الصمد بن المعذل	المنسرح	والحركة
----------	---------------------	---------	---------

- قافية الكاف المفتوحة ومعها هاء -

241 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	إدراكها
----------	-------------------	--------	---------

- قافية اللام الساكنة -

232 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	الكسل
188 : 15 ، 23 : 4	يحيى بن نوفل	الطويل	سعل
230 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	فضل
8 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	مختبل
8 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	النفل
183 : 20	-	المديد	أنال
124 : 21	تأبط شرا	مجزوء الكامل	كالجسائل
70 : 7	الوليد بن يزيد	الهرج	البازل
136 : 23	-	الهرج	والعاجل
136 : 23	سليمان بن وهب	الهرج	البازل

256 : 1	العرجي	الرجز	سريال
213 : 2	ابن ميادة	الرجز	عسل
131 : 8	القحيف	الرجز	حمل
157 : 13	رجل من دوس	الرجز	للقيل
102 : 14	قيس بن الحدادية	الرجز	المنازل
95 : 17	-	الرجز	الرعيل
21 : 19	هيل بن عبدالله	الرجز	وجذل
249 : 20	الناسك بن السلكة	الرجز	عشكول
71 ، 52 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الرجز	القليل
72 : 23	-	الرجز	خول
18 : 24	عمير بن الحباب	الرجز	نذال
137 : 10	علية بنت المهدي	مجزوء الرجز	منفصل
155 : 10	عبدالله بن موسى الهادي	مجزوء الرجز	مختيل
155 : 10	عبدالله بن موسى الهادي	مجزوء الرجز	المقل
35 : 11	هاتف	مجزوء الرجز	شمردل
116 : 23	العطوي	مجزوء الرجز	وعمل
89 : 3	مدرج الریح	الرميل	كالخليل
124 ، 108 : 3	بشار	الرميل	الجميل
279 : 4	ابن رهيمة	الرميل	والغزل
223 : 5	أعشى همدان	الرميل	الإبل
43 : 6	أعشى همدان	الرميل	عزل
102 : 7	أبو دهبيل الجمحي	الرميل	تشتعل
5 : 12 ، 84 : 9	ليبيد	الرميل	أضل
49 ، 41 ، 38 : 13	العجير السلولي	الرميل	نهل
121 : 15	عبدالله بن الزبيري	الرميل	فعل
254 : 15	ليبيد	الرميل	وعجل
178 ، 176 : 17	زيد الخيل	الرميل	بالذليل
44 : 24	أم عمرو بن عدي بن زيد	الرميل	كمل
124 : 14	أبو الشبل البرجمي	مجزوء الرمل	المحلل
98 : 2	عدي بن زيد	السريع	الأحول
215 : 11	زياد الأعجم	السريع	حال
80 : 13	العتابي	السريع	سؤال
115 : 14	علي بن الخليل	السريع	المعال

17 : 24	امراة من كلب	السريع	الرجال
103 ، 102 : 13	منصور النمري	المسرح	بالباطل
47 : 9	-	مجزوء الخفيف	الدول
247 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الخفيف	العدل
146 : 22	-	مجزوء الخفيف	يحتمل
166 ، 165 : 13	الجماز	المجث	المعدل
146 : 6	النميري أو خالد بن يزيد بن معاوية	المتقارب	الحل
147 : 6	النميري أو خالد بن يزيد بن معاوية	المتقارب	العسل
202 : 8	الأخطل	المتقارب	الجعل
66 : 9	امرؤ القيس	المتقارب	الجب
42 : 10	إبراهيم بن العباس	المتقارب	الأجل
49 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء المتقارب	الأمل
35 : 16	النعمان بن بشير	المتقارب	كالخل

- قافية اللام المضمومة -

31 : 2	مجنون ليلي	الطويل	أهل
187 : 2	الحكم الخضري	الطويل	عقل
269 : 2	الحكم بن عبد	الطويل	العدل
222 : 4	زهير بن أبي سلمى	الطويل	النخل
229 : 4	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يالوا
95 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	عقل
101 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	العزل
39 : 16 ؛ 170 : 9	حميدة بنت النعمان بن بشير	الطويل	بغل
	أو مالك بن أسماء		
66 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	الفضل
227 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	قبل
236 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	فالنقل
233 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	النعل
238 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	والبدل
186 : 12	علقة بن عقيل بن علفة	الطويل	قبل
192 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	القتل
186 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	نيل
163 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	بعل
228 : 15	الحزين الديلي	الطويل	فضل

24 : 16	عبدالله بن همام السلولي	الطويل	تتلو
77 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	كبلُ
31 : 17	ذو الرمة	الطويل	أهلُ
45 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	الجزلُ
45 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	النصلُ
163 : 21	ابن دارة عبد الرحمن	الطويل	شغلُ
185 : 1	الأخطل	الطويل	ليفعلوا
42 : 11 ؛ 189 : 1	الأخطل	الطويل	يتسربلوا
63 : 17 ؛ 107 : 2	كعب بن زهير	الطويل	جروُلُ
59 ، 56 : 3	عروة بن الورد	الطويل	وتمولوا
188 : 3	العباس بن الأحنف	الطويل	تقولوا
111 : 6 ؛ 64 : 5 ؛ 211 ، 202 : 3	ابن المولى	الطويل	تبذلُ
102 : 4	أمية بن الصلت	الطويل	وتنهلُ
111 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	يعدلُ
116 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	علُ
168 : 4	الأحوص	الطويل	المثملُ
214 ، 31 : 8	جرير	الطويل	المقتلُ
78 : 8	كثير	الطويل	مرسلُ
145 ، 144 ، 95 : 8	جميل	الطويل	أجملُ
95 : 8	جميل	الطويل	وتحملوا
122 : 8	يزيد بن الطثيرة	الطويل	مكملُ
151 : 8	معن بن أوس	الطويل	فأعقلُ
32 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	مشلشلُ
74 : 10	مروان بن أبي حفصة	الطويل	أشبِلُ
161 : 10	علي بن الجهم	الطويل	وتعدلُ
179 : 11	الأقيشر	الطويل	يفعلُ
223 : 11	أبو جلدة يشكري	الطويل	يتذللُ
15 : 12	عيد المدان	الطويل	فالمتنخلُ
29 : 12	كثير	الطويل	يتقلقلُ
37 : 12	معن بن أوس	الطويل	منزلُ
94 : 12	أبو زيد الطائي	الطويل	ويحملُ
145 : 12	الأخطل	الطويل	والمعولُ
144 : 12	جرير	الطويل	أعجلُ

118 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	ومعولٌ
247 : 14	حماد عمجد	الطويل	تولولٌ
26 : 15	-	الطويل	اتنصلٌ
78 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	أجملٌ
118 : 16	الفضل بن العباس	الطويل	يتبذلو
147 : 16	حمزة بن بيض	الطويل	أسألٌ
176 : 16	ربيعة الرقي	الطويل	المتقولٌ
7 : 17	الكميت	الطويل	المعولٌ
16 : 17	الكميت	الطويل	مقبلٌ
26 ، 21 : 17	الكميت	الطويل	أولٌ
28 : 17	الكميت	الطويل	تحجلٌ
73 ، 72 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	يفعلٌ
157 : 23 ؛ 165 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الطويل	يتهللٌ
5 : 21	النمر بن تولب	الطويل	المنخلٌ
155 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	ومحملٌ
21 : 22	-	الطويل	الموئلٌ
126 : 22	إبراهيم بن المدبر	الطويل	يشكلٌ
194 : 22	النمر بن تولب	الطويل	المضللٌ
205 : 22	مالك بن الربيع	الطويل	المجحدلٌ
15 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	يوصلٌ
16 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	المتحملٌ
131 : 23	يزيد بن محمد المهلي	الطويل	أتوصلٌ
131 : 23	يزيد بن محمد المهلي	الطويل	يوئلٌ
23 : 24	عمير بن الحباب	الطويل	محجلٌ
93 : 24	القتال الكلابي	الطويل	يعللٌ
51 : 2	مجنون ليلي	الطويل	غافلٌ
167 : 4	الأحوص	الطويل	القبائلٌ
237 : 4	أبو سعيد مولى فائد	الطويل	الهيكلٌ
166 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	وابلٌ
81 : 6	ابن هرمة	الطويل	ونائلٌ
152 : 8	النايفة	الطويل	ووابلٌ
157 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	البلايلٌ
167 : 10	علي بن الجهم	الطويل	قائلٌ

45 : 11	مروان بن أبي حفصة	الطويل	ونائل
25 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	والوسائل
33 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	نحاول
105 : 13	منصور النمرى	الطويل	متحامل
106 : 13	منصور النمرى	الطويل	مزائل
115 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	حبائل
149 : 13	حاجز الأزدي	الطويل	ناضل
186 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الطويل	الغوائل
238 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	تبادل
160 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	العوامل
179 : 22 ؛ 19 : 15	أبو دهمان الغلابي	الطويل	آمل
255 : 15	ليبد	الطويل	زائل
147 : 16	حمزة بن بيض	الطويل	وآمل
202 : 16	الخطيئة	الطويل	الخبائل
203 : 16	الخطيئة	الطويل	الحوامل
120 ، 117 : 17	حسان بن ثابت	الطويل	ووابل
281 : 17	حاتم الطائي	الطويل	مواسل
281 : 17	حاتم الطائي	الطويل	الغوائل
11 : 19	أبو محجن الثقفي	الطويل	مجاهل
116 : 21	تأبط شراً	الطويل	وجامل
151 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	الأرامل
237 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	يقاتل
34 : 23	أبو شراة	الطويل	فعاقل
37 : 24	قيس بن مسعود بن قيس	الطويل	يزايل
42 ، 37 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	مال
228 : 11	الخلنجي القاضي	الطويل	قالوا
235 : 16	العباس بن الأحنف	الطويل	حال
14 : 7	-	الطويل	مقال
231 : 15	الحزين الديلي	الطويل	هلال
171 : 21	السمهري العلكي	الطويل	شمال
51 : 2	مجنون ليلى	الطويل	دليل
119 : 3	بشار	الطويل	وأصيل
187 : 3	-	الطويل	أقول

191 : 3	الحادرة الثعلبي	الطويل	ومحيلُ
86 : 4	أبو العتاهية	الطويل	خليلُ
250 : 4	حميد بن ثور	الطويل	دليلُ
206 : 5	أعرابي بن عقيل	الطويل	رحيلُ
208 ، 206 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	سبيلُ
111 ، 110 : 6	ابن جندب	الطويل	همولُ
116 : 6	—	الطويل	تسيلُ
225 ، 220 : 6	السموأل أو شريح بن سموأل	الطويل	فليلُ
80 : 8	جميل	الطويل	رسولُ
93 : 8	جميل	الطويل	سبيلُ
96 : 8	جميل	الطويل	جميلُ
119 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	سبيلُ
7 : 9	كثير	الطويل	لطويلُ
109 : 9	عبيدالله بن عبيدالله بن عتبة	الطويل	أقولُ
148 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	سبيلُ
194 : 9	—	الطويل	جميلُ
229 : 9	عدي بن الرقاع	الطويل	تقولُ
229 : 9	جرير	الطويل	طويلُ
131 : 10	علية بنت المهدي	الطويل	سبيلُ
143 : 11	ليلى الأخيلية	الطويل	سبيلُ
9 : 13	أبو الطمحان القيني	الطويل	وتقولُ
35 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	يحولُ
35 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	محولُ
37 : 13	علبة بن ربيعة	الطويل	لطويلُ
37 : 13	أم جعفر بن علبة	الطويل	ذليلُ
91 : 15	—	الطويل	أقولُ
213 : 15	أبو خراش الهذلي	الطويل	وعقيلُ
229 : 15	الحزين الديلي	الطويل	بخيلُ
84 : 17	إسحاق الموصلي	الطويل	خليلُ
19 : 18	رجل خياط	الطويل	حلولُ
171 : 18	أشجع السلمي	الطويل	تطولُ
223 : 18	أبو العتاهية	الطويل	وحولُ
224 : 18	أبو العتاهية	الطويل	حلولُ

251 : 18	أبو العتاهية	الطويل	خليلٌ
159 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	لقليلٌ
171 : 21	السمهري العلكي	الطويل	ثقليلٌ
230 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	سبيلٌ
76 ، 75 ، 74 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	سبيلٌ
75 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	الطويل	ثقليلٌ
120 : 24	امراًة جندل بن الراعي	الطويل	قليلٌ
120 : 24	جندل بن الراعي	الطويل	فقليلٌ
134 : 24	-	الطويل	سليلٌ
65 : 6	الشنفرى	المديد	يستهلٌ
7 : 19	أبو محجن الثقفي	المديد	أرتحلٌ
163 : 6	وضاح اليمن	المديد	ومسولٌ
70 : 12	محمد بن يزيد الحصني	المديد	سراويلٌ
275 : 2	الحكم بن عبدل	البسيط	شملوا
226 : 3	الحارث بن خالد	البسيط	الإبلٌ
194 : 5	القطامي	البسيط	ويتعلٌ
83 : 9 ، 259 : 5	الأعشى	البسيط	نزلٌ
224 ، 219 : 6	الأعشى	البسيط	الكللٌ
26 : 9	كثير	البسيط	جملٌ
32 : 9	-	البسيط	البطلٌ
83 : 9	الأعشى	البسيط	خضلٌ
83 : 9	الأعشى	البسيط	رجلٌ
83 : 9	الأعشى	البسيط	الوحدٌ
114 : 9	الأعشى	البسيط	الرجلٌ
116 : 9	الأعشى	البسيط	عزلٌ
117 : 9	الأعشى	البسيط	زجلٌ
133 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	النصلٌ
205 : 9	أبو العتاهية	البسيط	الشمٌ
32 ، 15 ، 14 : 24 ، 128 : 17 ، 17 : 11	القطامي	البسيط	الطيلٌ
226 : 12	أبو الأسود الدؤلي	البسيط	والعملٌ
61 : 14	محمد بن حازم	البسيط	متصلٌ
72 : 14	محمد بن حازم	البسيط	الرجلٌ
275 : 16	أبو تمام	البسيط	سملٌ

96 : 17	الأعشى	البسيط	عجلُ
251 : 17	شاعر قيس	البسيط	والجبلُ
87 : 18	عمران بن حطان	البسيط	الأجلُ
209 ، 208 : 19	—	البسيط	الرمْلُ
15 : 24	القطامي	البسيط	الزللُ
15 : 24	القطامي	البسيط	تتكُلُ
15 : 24	أعرابي	البسيط	عجلوا
56 : 24	المتنخل الهذلي	البسيط	والرجلُ
59 : 24	المتنخل الهذلي	البسيط	منزلُ
95 : 23	الحسن بن وهب	البسيط	يحتالُ
57 : 4	أبو العتاهية	البسيط	معقولُ
140 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	مخبولُ
170 ، 169 : 14	حاجب الفيل أو ثابت قطنة	البسيط	مجهولُ
238 : 15	طفيل الغنوي	البسيط	مأكولُ
157 : 16	مالك بن أبي كعب الخزرجي	البسيط	وتحميلُ
66 ، 62 : 17	كعب بن زهير	البسيط	مكبولُ
67 : 17	كعب بن زهير	البسيط	مسلولُ
68 : 17	كعب بن زهير	البسيط	تهليلُ
68 : 17	كعب بن زهير	البسيط	الأباطيلُ
202 : 17	الأعشى	البسيط	تفضيلُ
22 : 21	عبدة بن الطيب	البسيط	مشغولُ
23 : 21	عبدة بن الطيب	البسيط	المراجيلُ
67 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	البسيط	أيلولُ
67 : 23	الحسن بن وهب	البسيط	وتبجيلُ
103 : 23	الحسن بن وهب	البسيط	أيلولُ
83 : 19	بكر بن النطاح	الوافر	ظلُ
257 : 15	ليبد	الوافر	فالقفالُ
152 : 23	تويت اليمامي	الوافر	العجالُ
52 : 24	القحيف العقيلي	الوافر	النهالُ
248 ، 28 : 1	العرجي	الوافر	الرسولُ
229 : 1	نصيب بن رياح	الوافر	يقولُ
262 : 1	العرجي	الوافر	والشكولُ
63 : 4	أبو العتاهية	الوافر	مزيلُ

63 : 4	-	الوافر	عقولُ
253 : 5	إسحاق الموصلي	الوافر	يستطيعُ
148 : 20 ؛ 120 : 6	مسلم بن الوليد	الوافر	القتيلُ
109 : 7	أبو دهب الجمحي	الوافر	وبيلُ
223 : 8	الأخطل	الوافر	قبولُ
137 : 9	قيس بن ذريح	الوافر	الحلولُ
212 : 11	أبو جلدة الشكري	الوافر	الثقلُ
101 : 12	محمد بن أمية	الوافر	السيولُ
200 : 14	العباس بن مرداس	الوافر	الرسولُ
36 : 15	أحيحة بن الجلاح	الوافر	الوبيلُ
235 : 15	عتيبة بن الحارث	الوافر	سبيلُ
164 : 16	أبو نواس	الوافر	الرسولُ
186 : 17	عروة بن زيد الخيل	الوافر	سبيلُ
235 : 18	-	الوافر	المقلُ
148 : 20	يونس بن الربيع	الوافر	طويلُ
181 : 20	خالد الكاتب	الوافر	القليلُ
224 : 20	-	الوافر	أعولُ
150 : 21	أبو خراش	الوافر	الخليلُ
223 : 2	-	مجزوء الوافر	والطللُ
263 : 2	الحكم بن عبدل	مجزوء الوافر	السبلُ
8 : 16 ؛ 24 : 15 ؛ 264 ، 262 : 2	الحكم بن عبدل	مجزوء الوافر	يثلوا
148 ، 146 : 20 ؛ 120 ، 119 : 6	محمد البيزدي	مجزوء الوافر	الحيلُ
243 : 12	أبو نفيس بن يعلى	مجزوء الوافر	تنتقلُ
246 : 1	-	الكامل	تشغلُ
181 : 4	الفرزدق	الكامل	تجعلُ
132 : 5	إبراهيم الموصلي	الكامل	المبطلُ
187 : 20 ؛ 33 : 8	الفرزدق	الكامل	وأطولُ
227 ، 214 : 21 ؛ 38 : 8	الفرزدق	الكامل	تعتلُ
132 : 13 ؛ 59 : 9	الفرزدق	الكامل	وجرولُ
47 : 11	حارثة بن بدر	الكامل	يجهلُ
144 : 19	زفر بن الحارث	الكامل	مرسلُ
187 : 20	سلمى بن عياش أو الفرزدق	الكامل	نهشلُ
81 ، 78 ، 77 ، 74 ، 72 : 21	الأحوص	الكامل	موكلُ

83 : 21	الأحوص	الكامل	معولٌ
84 : 21	الأحوص	الكامل	ونجذلٌ
143 : 21	الفرزدق	الكامل	يتتجلٌ
175 : 21	رجل من أسد	الكامل	يقتلٌ
278 : 21	الفرزدق	الكامل	المخولٌ
22 : 24	زفر بن الحارث	الكامل	مرسلٌ
107 : 24	أبو العيال الهذلي	الكامل	أرسلٌ
142 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	ذهلٌ
69 : 17	المثلث	الكامل	مثلٌ
237 ، 219 ، 218 : 3 ؛ 88 : 1	الحارث بن خالد	الكامل	العقلٌ
220 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	يعلو
227 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	السهلٌ
164 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الكامل	كحلٌ
111 : 6	—	الكامل	قليلٌ
56 ، 38 : 8	جرير	الكامل	قليلٌ
242 : 8	الأحوص	الكامل	غولٌ
108 : 12 ؛ 143 : 10	جرير	الكامل	فيحولٌ
45 : 16	عبدالله بن جندل الطعان	الكامل	يزولٌ
242 : 16	إبراهيم الموصلي	الكامل	قليلٌ
116 : 18	سعيد بن حميد	الكامل	ويميلٌ
36 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	مجهولٌ
39 : 19	مسلم بن الوليد	الكامل	جليلٌ
216 : 21	الفرزدق	الكامل	مسلولٌ
216 : 21	الفرزدق	الكامل	مصقولٌ
100 : 22	الكميت بن معروف	الكامل	سبيلٌ
175 : 20	خالد الكاتب	مجزوء	تقبلٌ
93 : 11	دختنوس بنت لقيط	مجزوء	مثلٌ
93 : 11	دختنوس بنت لقيط	مجزوء	وذلوا
20 : 20	أبو نواس	مجزوء	رسولٌ
139 : 18	ابن مناذر	الهرج	تنويلٌ
148 : 23	أبان اللاحقي	الهرج	تطويلٌ
154 : 14	عمير بن ضابيء	الرجز	نعثلٌ
117 : 21	الشنفري	الرجز	نهللٌ

208 : 23	أبو صخر الهذلي	الرجز	جحفلُ
98 : 11	رجل من بني أسد	الرجز	الرحائلُ
242 : 1	نصيب بن رياح	الرجز	فضلُ
67 : 15	-	الرجز	يعولُ
278 : 16	أبو الشيص	مجزوء الرجز	فعلوا
163 : 23	ماني الموسوس	الرمْل	مملولُ
238 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	جهولُ
230 : 19	يونس الخياط	مجزوء الرمل	الطويلُ
269 : 5	إسحاق الموصلي	السريع	تسألُ
41 : 14	ديك الجن	السريع	موئلُ
185 : 15 ؛ 214 : 3	-	السريع	الوابِلُ
174 : 10	علي بن الجهم	السريع	الباطلُ
215 : 9	-	السريع	الليلُ
25 : 15	ابن أبي الزوائد	السريع	الهللُ
41 : 19	مسلم بن الوليد	السريع	أحوالُ
41 : 19	مسلم بن الوليد	السريع	مالُ
190 : 7	السيد الحميري	السريع	تضليلُ
95 : 23	الحسن بن وهب	السريع	تسهيلُ
235 : 1	نصيب بن رياح	المنسرح	قبلُ
215 : 6	أشجع أو سلم الخاسر	المنسرح	معتدلُ
215 : 6	أشجع أو سلم الخاسر	المنسرح	والسبلُ
215 : 6	أبو سفيان بن حرب	المنسرح	نفلُ
10 : 13	الأسود بن يعفر	المنسرح	والحللُ
152 : 17	-	المنسرح	وكلُ
88 : 23	خالد الكاتب	المنسرح	الحيلُ
47 : 23	ابن البواب	الخفيف	عقلُ
89 ، 88 : 5 ؛ 229 : 4	أبو زيد	الخفيف	عجالُ
6 : 13	قيسية بن كلثوم	الخفيف	الجمالُ
67 ، 66 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	وأقولُ
67 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الخفيف	غولُ
205 : 5	إسحاق الموصلي	الخفيف	الغليلُ
247 ، 215 : 5	إسحاق الموصلي	الخفيف	طويلُ
85 : 14	أبو وجزة السعدي	الخفيف	المطلولُ

134 : 14	أبو شبل البرجمي	الخفيف	النحولُ
210 ، 208 : 14	بشار	الخفيف	جليلُ
219 : 18	لعله الزبير بن دحمان	الخفيف	الطلولُ
15 ، 11 : 20	التيمي	الخفيف	سيلُ
178 : 22	أبو مالك الأعرج	الخفيف	جليلُ
133 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	محولُ
156 : 10	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	مرسلُ
187 : 10	علي بن الجهم	المجث	سيلُ
110 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	تفعلُ
162 ، 136 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	مستقبلُ
39 : 10	إبراهيم بن العباس ودعل	المتقارب	ومستقتلُ
13 : 17	الكميت	المتقارب	الأسهلُ
68 ، 58 : 19	محمد بن وهيب	المتقارب	يعدلُ
90 : 20	دعل الخزاعي	المتقارب	ينبلوا
89 : 20	دعل الخزاعي	المتقارب	الموصلُ
106 ، 91 : 20	دعل الخزاعي	المتقارب	ومستقبلُ
70 ، 69 : 21	الكميت بن زيد	المتقارب	المحولُ
157 : 23	—	المتقارب	يبذلُ
51 ، 50 : 13	خزيمة بن نهد	المتقارب	الزنجبيلُ

— قافية اللام المضمومة ومعها هاء ساكنة —

156 : 2	الحطيئة	الطويل	قائلُ
187 : 2	ابن ميادة	الطويل	وأسافلُ
268 : 4	ابن هرمة	الطويل	هاملُ
273 : 4	ابن هرمة	الطويل	بواطلةُ
98 : 5	الحطيئة	الطويل	ونائلُ
7 : 8	جرير	الطويل	مقاتلةُ
56 : 8	جرير	الطويل	وجلاجلُ
77 : 8	جميل	الطويل	بلابلُ
118 ، 117 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	غياطلُ
123 ، 118 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	أناملُ
119 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	جائلةُ
131 : 8	أخت يزيد بن الطثرية أو أمه أو وحشية الجرمية	الطويل	غوائلُ

90 : 13 ؛ 132 : 8	الأبیرد الریاحی أو العجیر السلولی أو أخت یزید بن الطثریة	الطویل	وأباجلة
151 : 8	-	الطویل	هاملة
123 : 9	الشمّاخ	الطویل	شاغلة
73 : 10	مروان بن أبی حفصة	الطویل	ونائلة
159 : 11	لیلی الأخیلة	الطویل	باطلة
160 : 11	لیلی الأخیلة	الطویل	نوافلة
160 : 11	لیلی الأخیلة	الطویل	یطاوله
225 : 12	أبو الأسود الدؤلی	الطویل	مقاتلة
226 : 12	أبو الأسود الدؤلی	الطویل	سائلة
40 : 13	العجیر السلولی أو أخت یزید بن الطثریة	الطویل	وبادلة
40 : 13	العجیر السلولی	الطویل	جافلة
50 : 13	العجیر السلولی	الطویل	یجادله
66 : 13	حبّناء بن عمرو	الطویل	تخاوله
50 : 13	الشمردل بن شریك أو العجیر السلولی	الطویل	شاغلة
89 : 13	الأبیرد الریاحی	الطویل	عواذلة
134 : 13	المخبیل السعدی	الطویل	مجاهلة
246 : 13	الشمردل بن شریك	الطویل	شاغلة
248 : 13	الشمردل بن شریك	الطویل	ورواحله
251 : 13	الشمردل بن شریك	الطویل	عاملة
139 : 14	عبدالله بن الزبیر الأسدی	الطویل	هواملة
142 : 14	عبدالله بن الزبیر الأسدی	الطویل	مقاتلة
143 : 14	عبدالله بن الزبیر الأسدی	الطویل	نائلة
144 : 14	عبدالله بن الزبیر الأسدی	الطویل	یزائلة
27 : 15	-	الطویل	تزاولة
27 : 15	-	الطویل	أحاوله
227 : 15	الحزین الدلیلی	الطویل	عواذلة
72 : 16	محمد بن بشیر الخارجی	الطویل	كاهلة
269 : 16	أبو تمام	الطویل	مناهلة
6 : 18	ذو الرمة	الطویل	أوائلة
239 : 18	جریر	الطویل	وجلاجله
24 : 19	المسیب بن رفل	الطویل	باطلة
147 : 20	أبو ظبیه العکلی	الطویل	ونائلة

147 : 20	أبو محمد اليزيدي	الطويل	قائِلَة
217 : 21	الفرزدق	الطويل	سائِلَة
223 : 21	جرير	الطويل	حامِلَة
249 : 21	الفرزدق	الطويل	تِحاوِلَة
250 : 21	جرير	الطويل	يِطاوِلَة
154 : 8	-	الكامل	أَمَلَة
82 : 13	العتابي	مجزوء الكامل	وفعلَة
190 : 2	ابن ميادة	الرجز	أَوَلَة
128 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	أَوَلَة
93 : 18	الأضبط بن قريع	الرجز	أَنازِلَة
113 : 18	سعيد بن حميد	مجزوء الرمل	فعلَة
215 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	ووصلَة

- قافية اللام المضمومة ومعها ها مضمومة -

202 : 19	سلم الخاسر	مجزوء الوافر	منازِلَة
132 : 6	-	الكامل	منزِلَة
260 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	قفِلَة
108 : 20	جعيفران الموسوس	السريع	فعلَة
140 : 21 ؛ 77 : 5	عمر بن أبي ربيعة	السريع	أَجْمالَة

- قافية اللام المضمومة ومعها ها -

222 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	شمالِها
37 ، 31 : 2	مجنون ليلي	الطويل	حيالِها
41 : 8	ذو الرمة	الطويل	تنالِها
42 : 8	جرير رُفد به هشاماً المرثي	الطويل	رحالِها
42 : 8	ذو الرمة	الطويل	ظلالِها
44 : 8	جميل	الطويل	سلالِها
120 : 8	حكيم بن أبي الخلاف	الطويل	سعالِها
149 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	مقالِها
143 : 11	توبة بن الحمير	الطويل	نحالِها
143 : 11	ليلى الأنخيلية	الطويل	ينالِها
203 : 14	عمرة بنت مرداس	الطويل	زوالِها
196 : 16	عبد عمرو بن شريح	الطويل	وبالِها
180 : 17	امرأة زيد الخيل	الطويل	رعالِها

15 : 18	ذو الرمة	الطويل	تنالها
16 : 18	جرير أو هشام المرثي	الطويل	رجالها
115 : 18	سعيد بن حميد	الطويل	احتياؤها
74 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	آلها
134 : 19	شاعر فزاري	الطويل	نضالها
217 : 21	الفرزدق	الطويل	انخلالها
255 : 21	الفرزدق	الطويل	وشمالها
280 : 21	الفرزدق	الطويل	يدالها
42 : 23	أبو شراة	الطويل	جلالها
72 : 8	جميل	الطويل	سبيلها
204 : 21 ؛ 242 : 9	الفرزدق	الطويل	عقولها
196 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	سيولها
31 : 18	ذو الرمة	الطويل	قليلها
151 : 20	-	الطويل	رسولها
201 : 21	الفرزدق	الطويل	ذلولها
27 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	تميلها
159 : 6	وضاح اليمن	الكامل	بعلها
261 : 16	أبو دواد الأيادي	الكامل	زيالها
71 : 21	معقل بن عيسى	الكامل	رحيلها
15 : 15	الحسين بن مطير	الرجز	سؤالها

- قافية اللام المكسورة -

103 ، 101 : 8 ؛ 243 : 2 ؛ 94 ، 92 : 1	جميل	الطويل	البخل
102 : 8 ؛ 242 : 2 ؛ 93 ، 92 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	قتلي
94 ، 93 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أهلي
104 ، 103 ، 70 : 8 ؛ 37 : 4 ؛ 93 : 1	جميل	الطويل	قبلي
56 : 2	مجنون ليل	الطويل	فالنخل
166 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أوطاة	الطويل	ذحل
211 ، 202 : 2	ابن ميادة	الطويل	أهلي
203 : 2	عبد السلام بن القتال أو هو للقتال	الطويل	والرمل
220 : 2	ابن ميادة	الطويل	شغل
243 : 2	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أجلي
243 : 2	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	الجزل
55 : 3	عروة بن الورد	الطويل	بالرحل

57 : 3	عروة بن الورد	الطويل	أهلي
183 : 3	عكاشة العمي	الطويل	الحبل
185 : 3	عكاشة العمي	الطويل	حجل
188 : 4	كثير عزة	الطويل	الخيـل
119 : 5	أبو النضير	الطويل	النصل
208 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	خدل
215 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	النحل
225 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	الفضل
56 : 7	ابن أبي عقب	الطويل	الرمـل
213 : 7	عبدالله بن علقمة	الطويل	أهلي
219 : 7	حييثة بنت حبيش	الطويل	مثلي
14 : 8	جرير	الطويل	مثلي
94 : 8	جميل	الطويل	فضل
220 : 22 ؛ 103 : 8	جميل	الطويل	أهل
107 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	مثلي .
107 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	الوصل
118 : 9	الشماخ	الطويل	غسل -
170 : 9	روح بن زبـاع	الطويل	البغل
245 : 9	سلم بن زياد	الطويل	بالبحـا
61 : 10	أبو حفصة يزيد جد مروان	الطويل	القتـل
55 : 11	الكميت بن زيد	الطويل	الأصل
114 ، 112 : 11	عفيرة بنت عفار	الطويل	النمل
123 : 11	جميل	الطويل	والخبل
185 : 11	الأقيشر	الطويل	جعل
192 ، 191 : 11	أبو النضير	الطويل	والنصل
218 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	الحبل
105 : 12	محمد بن أمية	الطويل	عذلي
184 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	قبلي
223 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الطويل	مثل
247 : 13	الشمردل بن شريك	الطويل	جزل
120 : 14	-	الطويل	بالمطل
138 ، 136 : 14	جميل	الطويل	عزلي
162 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	عجل

170 : 14	حاجب الفيل	الطويل	البرزل
177 : 14	ثابت قطنة	الطويل	قبلي
215 : 15	المتملس	الطويل	والخيل
89 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	بالعذل
108 : 16	جميل	الطويل	عقلي
280 : 16	مسلم بن الوليد	الطويل	الجهل
17 : 17	الكميت	الطويل	والمثلي
55 : 17	العباس بن الأحنف	الطويل	فعل
57 : 17	عبدالله بن العباس الربيعي	الطويل	قتلي
87 : 17	إسحاق الموصلي	الطويل	بالفضل
194 : 17	زيد الخيل	الطويل	عجل
195 : 17	حريث بن زيد الخيل	الطويل	المحل
263 : 17	حاتم الطائي	الطويل	شكلي
33 : 18	ذو الرمة	الطويل	رحلي
201 ، 193 : 18	ابن مفرغ	الطويل	الأهل
164 : 19	ذو الرمة	الطويل	زحل
220 : 19	خنساء جارية هشام المكفوف	الطويل	الوصل
36 : 20	ابن أبي عيينة	الطويل	شغلي
73 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	الفضل
63 : 21	-	الطويل	بالرذل
106 ، 95 : 21	تأبط شرا	الطويل	ذحل
164 : 21	ابن دارة عبد الرحمن	الطويل	جميل
173 : 21	ابن دارة عبد الرحمن	الطويل	عكل
219 : 22	جميل	الطويل	شكلي
228 : 22	-	الطويل	عجل
33 : 23	أبو شراة	الطويل	رجلي
177 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الطويل	حيلي
181 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الطويل	للنعل
136 ، 102 : 3	امروء القيس	الطويل	البالي
229 : 8	الأحطل	الطويل	بأذيال
31 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	واقفال
246 : 21	الفرزدق	الطويل	تمثال
262 : 1	العرجي	الطويل	المشلل

107 : 2	مزد بن ضرار	الطويل	اتنحل
126 : 2	عبدالله بن أبي ربيعة	الطويل	متوكل
127 : 2	امرؤ القيس	الطويل	يئبل
190 : 2	ابن ميادة	الطويل	وحرمل
166 : 4	الأحوص	الطويل	واعدل
187 : 4	امرؤ القيس	الطويل	مقتل
70 : 5	عبد الرحمن بن زيد	الطويل	وجندل
101 : 5	الوليد بن عقبة	الطويل	وانحل
54 : 9 ، 193 : 5	امرؤ القيس	الطويل	فاجملي
151 : 6	وضاح اليمن	الطويل	بمنزل
54 : 9	امرؤ القيس	الطويل	فحومل
58 : 9	امرؤ القيس	الطويل	فاقتلي
69 : 9	امرؤ القيس	الطويل	لقرمل
83 : 9	امرؤ القيس	الطويل	مقتل
106 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	زمل
224 : 9	المنتصر الخليفة	الطويل	أبذل
174 : 10	علي بن الجهم	الطويل	المفضل
174 : 11	أعرابي من تميم	الطويل	المضل
174 : 11	الأقيشر	الطويل	بالمثل
190 : 11	أعشى بني تغلب	الطويل	منهل
21 : 12	عبدالله بن الحشرج	الطويل	محفل
194 : 13	-	الطويل	نوفل
251 : 13	الشمردل بن شريك	الطويل	ديكل
6 : 14	-	الطويل	جندل
98 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	نوفل
198 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	فافصل
26 : 15	-	الطويل	منزل
97 : 17	امرؤ القيس	الطويل	المفضل
191 : 17	الخطيئة	الطويل	مهلهل
78 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	المترحل
81 ، 80 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	يسأل
5 : 21	ذو الرمة	الطويل	المنخل
102 : 21	تأبط شرا	الطويل	قنصل

185 : 21	عبد الرحمن بن زيد	الطويل	بكلكل
187 : 21	عبد الرحمن بن زيد	الطويل	وجندل
240 : 21	امرؤ القيس	الطويل	فانزل
6 : 22	تأبط شرا	الطويل	المكبل
156 : 22	علي بن عبدالله الجعفري	الطويل	بمنجلي
22 : 24	عمير بن الحباب	الطويل	مجدل
93 : 24	القتال الكلابي	الطويل	مجمل
96 : 24	القتال الكلابي	الطويل	معجل
119 : 24	العنبري	الطويل	اجملي
135 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	زائل
148 : 1	ابن زياد المكي	الطويل	لسائل
21 ، 11 : 2	مجنون ليلى	الطويل	منازل
104 : 2	الحطيئة	الطويل	القبائل
191 ، 185 : 2	ابن ميادة	الطويل	قابل
191 : 2	ابن ميادة	الطويل	البدائل
192 : 2	ابن ميادة	الطويل	الفضائل
53 : 3	عروة بن الورد	الطويل	الأوائل
48 : 4	أبو العتاهية	الطويل	الحيائل
122 ، 121 ، 116 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	الغوافل
139 : 4	أبو طالب بن عبد المطلب	الطويل	والحلائل
173 : 4	الأحوص	الطويل	رسائل
54 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الطويل	ونائل
75 : 5	-	الطويل	سنابل
90 : 5	الوليد بن عقبة	الطويل	وائل
106 : 5	أبو العتاهية أو إبراهيم الموصلي	الطويل	السلاسل
236 : 5	ذو الرمة	الطويل	المنازل
186 : 6	أبو ذؤيب	الطويل	بناطل
190 : 6	أبو ذؤيب	الطويل	بالأوائل
119 : 11 ، 191 : 6	أبو ذؤيب	الطويل	مطائل
228 : 6	-	الطويل	المناهل
13 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	بالنوافل
119 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	بالتبادل
120 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	المقابل

51 : 9	الأحوص	الطويل	رسائلي
71 : 9	امرؤ القيس	الطويل	بالمناهل
192 : 9	الأحوص	الطويل	باطل
206 : 9	ذو الرمة	الطويل	المنازل
207 : 10	أبو دلالة	الطويل	سائلي
69 : 11	حاجب بن زرارة	الطويل	وائل
70 : 11	عامر بن مالك	الطويل	الأوائل
74 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	خاذل
28 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	طائل
37 : 13	علبة بن ربيعة	الطويل	أقاتل
43 : 13	العجير السلوي	الطويل	واصل
52 : 13	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	لوائل
59 : 13	زياد الأعجم	الطويل	بناسل
113 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	حابل
141 : 13	عمار بن غيلان	الطويل	بغافل
190 : 13	الفرزدق	الطويل	نائل
152 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	الفواضل
161 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	الزلازل
163 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	وائل
175 : 15	عفيف بن المنذر	الطويل	الجلائل
155 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الطويل	بغافل
9 : 18	ذو الرمة	الطويل	العواذل
9 : 18	ذو الرمة	الطويل	بغافل
19 : 18	ذو الرمة	الطويل	الخواذل
149 : 18	أبو طالب بن عبد المطلب	الطويل	بالأمائل
80 ، 79 : 19	بكر بن النطاح	الطويل	وائل
136 : 19	شاعر تيمى	الطويل	الأوائل
135 : 19	شاعر شيباني	الطويل	القبائل
40 ، 33 : 20	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	الطويل	آجل
157 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	أباهجلي
236 : 21	الفرزدق	الطويل	ووائل
246 : 21	الفرزدق	الطويل	وائل
253 : 21	الفرزدق	الطويل	بالمغازل

102 : 22	سعدة بنت فريد	الطويل	ونائل
239 : 22	الفرزدق	الطويل	الحلائل
37 : 24	قيس بن مسعود	الطويل	وائل
182 : 11	الأقيشر	الطويل	بعيال
63 : 5 ؛ 111 : 1	كثير	الطويل	بقليل
253 : 9 ؛ 70 : 8 ؛ 188 ، 187 : 4	كثير	الطويل	سبيل
187 : 4	كثير	الطويل	بقفول
270 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	لرحيل
270 : 5	جميل	الطويل	بخيل
89 : 8	جميل	الطويل	جديل
252 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	بقليل
193 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	ثقليل
213 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الطويل	قتيل
146 : 14	-	الطويل	بقتيل
268 : 15	زياد الأعجم	الطويل	خليل
198 : 16	الحطيئة	الطويل	وحجول
112 : 21	تأبط شرا	الطويل	حويلي
152 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	جميل
168 : 21	الأحذب السعدي	الطويل	صقيل
168 : 21	السمهري العكلي	الطويل	دليل
171 : 21	السمهري العكلي	الطويل	ثقليل
215 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	جميل
229 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	غليلي
36 : 7	الوليد بن يزيد	المديد	الهلال
175 : 20	خالد الكاتب	المديد	العاذل
241 : 16	إبراهيم الموصلي	مجزوء المديد	البال
31 : 19 ؛ 24 : 4	مسلم بن الوليد	البسيط	أمل
264 : 4	ابن هرمة	البسيط	كاللحل
257 : 5	إسحاق الموصلي	البسيط	زلي
236 : 9	المعتز الخليفة	البسيط	علل
30 ، 28 : 19 ؛ 65 : 12	مسلم بن الوليد	البسيط	عذلي
82 : 13	العتابي	البسيط	حيلي
28 : 19	مسلم بن الوليد	البسيط	عجل

32 ، 30 ، 28 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	الكحل
40 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	الجبل
145 ، 128 : 20	أبو محمد اليزيدي	البيسط	والعجل
60 ، 59 : 21	—	البيسط	زلي
39 : 23	أبو شراة	البيسط	الإبل
138 : 24	فروة بن حمصة	البيسط	النقل
162 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرتاة	البيسط	البال
9 : 8 ؛ 154 : 3	جرير	البيسط	أشبالي
58 : 4	أبو العتاهية	البيسط	بالي
205 : 7	السيد الحميري	البيسط	وال
62 ، 9 : 8	جرير	البيسط	العالى
254 : 19 ؛ 182 : 8	علي بن جبلة	البيسط	حال
101 : 9	الأحوص	البيسط	مال
101 : 9	الأحوص	البيسط	بال
101 : 9	الأحوص	البيسط	بالسالي
101 : 9	سلامة	البيسط	أوصالي
101 : 9	سلامة	البيسط	حال
49 : 11	أوس بن حجر	البيسط	والعالى
69 : 12	معل الطائي	البيسط	للمال
105 ، 102 : 14	ابن قنبر	البيسط	الحال
136 : 14	أوس بن حجر	البيسط	محال
182 : 14	كعب الأشقرى	البيسط	اخوالي
55 ، 49 : 14	قيس بن عاصم المنقرى	البيسط	اجمال
28 : 15	أحيحة بن الجلاح	البيسط	المال
232 : 19	ابن هرمة	البيسط	الوالى
19 : 23	نصيب الأصفر	البيسط	وبلبالي
111 : 24	عبيد بن الأبرص	البيسط	البالي
210 : 10	أبو دلالة	البيسط	انقيل
241 : 10	زهير بن أبي سلمى	البيسط	مغلول
126 : 14	أبو الشبل البرجمي	البيسط	ومفعول
126 : 14	أبو الجهم أحمد بن يوسف	البيسط	الغرايل
171 : 14	ثابت قطنة	البيسط	الفيل
138 : 15	مبعد الخزاعي	البيسط	الأبائيل

76 : 20	دعبل الخزاعي	مخلع البسيط	كالمخالي
155 : 5	أبو العتاهية	الوافر	جهلي
113 : 23 ؛ 139 : 14 ؛ 121 : 7	أحمد بن يوسف الكاتب	الوافر	بهطل
135 : 7	الحسين بن الضحاك	الوافر	سهل
77 : 11	ابن أم كهف الطائي	الوافر	نعل
142 : 12	زفر بن الحارث أو غيره	الوافر	بليل
7 : 13	أبو الطمحان القيني	الوافر	ردل
163 : 21	أبو خراش الهذلي	الوافر	فضل
238 : 1	نصيب بن رياح	الوافر	بانتحال
112 : 2	الحطيئة	الوافر	الليالي
215 : 2	ابن ميادة	الوافر	كلال
273 ، 272 : 2	الحكم بن عبدل	الوافر	حبالي
116 : 3	بشار	الوافر	الثقال
198 ، 194 ، 193 : 19 ؛ 60 : 4	أبو العتاهية	الوافر	الرجال
67 : 4	أبو العتاهية	الوافر	الحبال
68 : 4	أبو العتاهية	الوافر	خيالي
78 : 4	أبو العتاهية	الوافر	زوال
215 : 4	حسان بن ثابت	الوافر	رغال
15 : 5	بحير بن عبداز بن سلمة	الوافر	هلال
186 : 7	السيد الحميري	الوافر	صالي
47 : 8	جرير	الوافر	هلال
14 : 9	كثير	الوافر	السؤال
26 : 9	كثير	الوافر	بلال
26 : 9	كثير	الوافر	خالي
30 : 10	دريد بن الصمة	الوافر	الثقال
210 : 10	أبو دلامة	الوافر	والضلال
210 : 10	أبو دلامة	الوافر	جمالي
243 : 10	بشامة بن الغدير	الوافر	الثقالي
78 : 12	الأحوص	الوافر	أبالي
148 : 12	عمير بن الحباب	الوافر	كالجبال
196 : 12	شبيب بن البرصاء	الوافر	والثقالي
181 : 13	عبد الصمد بن المنذل	الوافر	حال
172 : 14	ثابت قطنة	الوافر	المعالي

70 : 15	صخر الغي	الوافر	الحلال
83 : 15	مسكين الدارمي	الوافر	كالظلال
83 : 15	عبد الرحمن بن حسان	الوافر	آلي
257 : 15	ليبد	الوافر	فالقفال
86 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الوافر	تبالي
148 : 17	الحارث بن زهير	الوافر	العوالي
148 : 17	حنش بن عمرو	الوافر	آلي
178 : 17	زيد الخيل	الوافر	حيال
243 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	شمال
122 : 20	مسكين الدارمي	الوافر	هلال
233 : 20	-	الوافر	للهزال
7 : 21	المنخل الإشكري	الوافر	نبال
79 : 21	السري بن عبد الرحمن	الوافر	رجالي
225 : 21	الفرزدق	الوافر	عقال
242 : 21	الفرزدق	الوافر	معالي
6 : 22	القتال السحمي	الوافر	تقالي
43 : 22	ليبد بن ربيعة	الوافر	هلال
10 : 23	عمرو ذو الكلب	الوافر	القبال
44 : 23	أبو شراعة	الوافر	مالي
44 : 1	أبو قطيفة	الوافر	جبل
113 : 5	أبو العتاهية	الوافر	عويل
127 : 5	إسحاق الموصلي	الوافر	سبيل
14 : 18 ، 41 : 8	جرير	الوافر	القتيل
79 : 8	جميل	الوافر	النحول
176 : 8	حاتم الطائي	الوافر	طويل
194 : 12	أرطاة بن سهية	الوافر	الويل
183 : 14	كعب الأشقر	الوافر	الفصيل
252 : 15	الوليد بن عقبة	الوافر	عقيل
19 : 20	أبو نواس	الوافر	جميل
269 : 21	جرير	الوافر	الرسول
269 : 21	الفرزدق	الوافر	بالسبيل
28 : 3	-	مجزوء الوافر	حبلي
133 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	كالخلل

202 : 196 ، 1	جرير	الكامل	العذلي
127 : 2	حسان بن ثابت	الكامل	المقبلي
172 : 3	يعقوب بن داود	الكامل	فارحلي
217 : 3	عبد الرحمن بن خالد	الكامل	متحمل
256 : 5	ربيعة بن مقروم	الكامل	هيكلي
11 : 8	جرير	الكامل	العذلي
34 : 8	جرير	الكامل	الأسفلي
72 : 8	جميل	الكامل	التهليل
167 : 8	عترة العبيسي أو عبد قيس بن خفاف	الكامل	ينجلي
170 : 8	عترة العبيسي	الكامل	بمنزلي
171 : 170 ، 8	عترة العبيسي	الكامل	بالمنصل
172 : 8	عترة العبيسي	الكامل	المأكل
126 : 17 ؛ 13 : 11 ؛ 214 : 9	حسان بن ثابت	الكامل	المفضل
214 : 213 ، 9	حسان بن ثابت	الكامل	تقتل
97 : 11	رجل من يربوع أو دختنوس بنت لقيط	الكامل	نهشلي
216 : 11	أبو جلدة اليشكري	الكامل	معزلي
57 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الكامل	الموصل
240 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	وتبذلي
222 : 14	جرير	الكامل	الأخطلي
114 : 109 ، 15	حسان بن ثابت	الكامل	الأولي
110 : 15	حسان بن ثابت	الكامل	فحومل
47 : 16	دريد بن الصمة	الكامل	يقتل
156 : 18	أشجع السلمي	الكامل	الأعزلي
23 : 19	الحزنبل بن سلامة	الكامل	معذلي
63 : 20 ؛ 65 : 19	أبو تمام	الكامل	الأولي
124 : 10	جرير	الكامل	العذلي
107 : 20	عبدالله بن طاهر	الكامل	يقللي
39 : 21	البحثري	الكامل	الأحول
79 : 21	السري بن عبد الرحمن	الكامل	واعجلي
211 : 21	الفرزدق	الكامل	الأثقل
220 : 21	الفرزدق	الكامل	المنزلي
57 : 22	ربيعة بن مقروم	الكامل	العصل
73 : 22	ربيعة بن مقروم	الكامل	المنجلي

178 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الكامل	الموصل
180 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الكامل	يحلل
102 : 7	أبو دهل الجمحي	الكامل	الكامل
84 ، 73 : 8	جميل	الكامل	واصل
224 : 21	جرير	الكامل	الخابل
206 : 22	مالك بن الرب	الكامل	مخايل
232 : 22	العديل بن الفرخ	الكامل	وتمايل
67 : 24	أبو صخرة الهذلي	الكامل	أقاول
196 : 1	جرير	الكامل	العدل
220 : 1	نصيب بن رياح	الكامل	للبخل
46 ، 27 : 2	مجنون ليلى	الكامل	شغلي
104 ، 103 ، 102 : 2	الحطيثة	الكامل	ذهل
212 : 3	عباد بن سلمة	الكامل	مثلي
215 ، 212 : 3	امرؤ القيس بن عابس	الكامل	شكلي
37 : 4	أبو العتاهية	الكامل	الرحل
235 : 4	الدارمي	الكامل	الثقل
134 : 6	-	الكامل	جهلي
55 : 11	رياح بن الأسك	الكامل	قولي
63 : 11	رياح بن الأسك	الكامل	للخيل
112 : 12	المتوكل الليثي	الكامل	النبل
156 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الكامل	عكل
169 : 17	مالك بن أسماء	الكامل	العقل
220 : 19	خنساء جارية هشام المكفوف	الكامل	الشبل
117 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	خلال
195 : 2	حكم الخضري	الكامل	بلال
172 : 3	أبو العتاهية	الكامل	ترحال
219 : 3	كثير	الكامل	بوالي
14 : 4	أبو العتاهية	الكامل	رحالي
87 : 7	عبدالله بن الزبير	الكامل	بعيال
139 : 16 ، 162 : 8	الكميت	الكامل	الأكفال
200 : 8	الأخطل	الكامل	خوالي
280 : 21 ، 211 : 8	الفرزدق	الكامل	جعال
222 : 8	الأخطل	الكامل	الأعمال

229 : 8	الأخطل	الكامل	المحتال
135 : 13	المخيل السعدي	الكامل	نخصالي
135 : 13	المخيل السعدي	الكامل	وفعال
151 : 13	حاجز الأزدي	الكامل	بمثال
86 : 14	ابن أبي الزوائد	الكامل	بجمال
189 : 16	جرير	الكامل	الأحوال
242 : 16	إبراهيم الموصلي	الكامل	حالي
272 : 16	أبو تمام	الكامل	العذال
285 : 16	الكميت	الكامل	الأحول
29 : 17 ، 286 : 16	الكميت	الكامل	أشغال
136 : 17	جرير	الكامل	العقال
203 : 17	نبيهة بن الحجاج	الكامل	مال
36 : 19	دعبل الخزاعي	الكامل	بملال
164 : 19	-	الكامل	للمال
215 : 21	الفرزدق	الكامل	نجهل
160 : 3	بشار	الكامل	بالتفضيل
52 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء	همول
112 ، 11 : 8	جميل	الكامل	قفول
6 : 19	أبو محجن الثقفي	الكامل	قليل
216 : 21	الفرزدق	الكامل	ميدول
233 : 21	الفرزدق	الكامل	قبلي
130 : 15	-	مجزوء	علي
210 : 3	ابن المولى	مجزوء	زوال
131 : 10	عليه بنت المهدي	مجزوء	الدلال
68 : 14	محمد بن حازم	مجزوء	الحال
186 : 22	أبو حزابة التميمي	مجزوء	والفضال
119 : 14	علي بن الخليل	مجزوء	الخليل
130 : 18	ابن مناذر	مجزوء	الجليل
109 : 6	محمد بن أبان الضبي	الهرج	وجل
129 : 14	أبو الشبل البرجمي	الهرج	وصلي
237 : 14	حماد عجرد	الهرج	للبدل
25 : 15	-	الهرج	الدل
162 : 18	أشجع السلمي	الهرج	البذل

11 : 4	أبو العتاهية	الهزج	آمال
27 : 7	الوليد بن يزيد	الهزج	أحوال
111 : 20	جعفران الموسوس	الهزج	حالي
55 : 24	الفند الزماني	الهزج	بالي
198 : 3	—	الرجز	تزلزل
51 : 7	الوليد بن يزيد	الرجز	أرجل
54 : 7	الوليد بن يزيد	الرجز	الأحول
25 : 10	دريد بن الصمة	الرجز	الأعصل
125 ، 124 ، 121 ، 120 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	المجرل
121 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	ونهشل
124 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	الأحول
128 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	الأدحل
107 : 22	جميل	الرجز	واعجلي
103 : 24	القتال الكلابي	الرجز	المفضل
78 : 11	عويف القوافي	الرجز	كامل
185 : 10	علي بن الجهم	الرجز	الفيل
197 : 16	ليبد	الرجز	قبلي
259 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	الاصطبل
199 : 9	رباب بن رميلة	الرجز	شوال
73 : 13	سويد بن أبي كاهل	الرجز	طحال
24 : 18	ذو الرمة	الرجز	السريال
114 : 20	جعفران الموسوس	الرجز	الفعال
102 : 24	القتال الكلابي	الرجز	وصالي
185 : 10	علي بن الجهم	الرجز	الغليل
135 : 23	—	الرجز	والتنزيل
136 : 23	سليمان بن وهب	الرجز	تعديل
101 ، 99 : 12 ، 69 : 4	محمد بن أمية	الرمل	تفعلي
41 : 5	جليلة بنت مرة أو فاطمة بنت ربيعة	الرمل	تسأل
177 ، 164 : 20	خالد الكاتب	الرمل	واصلي
62 : 2	عدي بن زيد	الرمل	الزلال
87 : 2	عدي بن زيد	الرمل	زوال
179 : 23	خالد بن يزيد الكاتب	مجزوء الرمل	رطل
190 : 15 ، 23 ، 20 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرمل	بالضلال

44 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرمل	مالي
209 : 4	-	مجزوء الرمل	خليلي
34 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	سبيل
196 ، 193 : 15	آدم بن عبد العزيز	مجزوء الرمل	الطويل
194 : 15	آدم بن عبد العزيز	مجزوء الرمل	السلسيل
158 : 10	عبدالله بن محمد الأمين	السريع	المقفل
228 : 19	يونس الخياط	السريع	المفضل
108 : 23	أبو نهشل بن حميد	السريع	منزل
108 : 23	أبو تمام والحسن بن وهب	السريع	أكحل
37 : 4	أبو العتاهية	السريع	الساحل
68 : 4	أبو العتاهية	السريع	السائل
69 : 4	أبو الشمقمق	السريع	داخل
252 : 6	الوليد بن يزيد	السريع	كالهامل
119 : 11	امرؤ القيس	السريع	نابل
220 : 11	قتادة بن معرب	السريع	الباطل
106 : 14	ابن قنبر أو العتابي	السريع	الجاهل
107 : 14	ابن قنبر أو العتابي	السريع	وبالباطل
87 : 22	سعية بن عريض	السريع	بالآجل
87 : 22	سعية بن عريض	السريع	سائل
88 : 22	سعية بن عريض	السريع	للقائل
189 : 15 ، 19 : 4	أبو العتاهية	السريع	عذل
104 : 12	محمد بن أمية	السريع	الليل
129 : 14	أحمد بن المنجم	السريع	النمل
216 : 19	رجل يزدي	السريع	الشكل
19 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	كسل
167 : 5	ابن هرمة	المنسرح	طلل
169 : 5	ابن هرمة	المنسرح	ابلي
171 ، 170 ، 169 ، 168 : 5	ابن هرمة	المنسرح	الاجل
171 : 5	ابن الكوسج	المنسرح	حمل
170 : 5	ابن هرمة	المنسرح	جمل
161 : 6	وضاح اليمن	المنسرح	الأجل
215 : 6	كعب بن مالك	المنسرح	الفشل
103 ، 102 : 13	منصور النمري	المنسرح	بالباطل

104 : 13	منصور النمري	المنسرح	الذابل
164 : 13	عبد الصمد بن المعذل	المنسرح	بالي
44 : 15	إسماعيل بن عمار	الخفيف	بعل
203 : 17	نبيه بن الحجاج	الخفيف	حولي
50 ، 46 : 18	عقيد مولى صالح	الخفيف	ومطر
149 : 1	عبدالله بن قيس	الخفيف	الرجال
152 : 1	كثير	الخفيف	أحوال
72 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	السؤال
175 : 4	الأحوص	الخفيف	ومالي
123 : 19 ؛ 218 : 16 ؛ 38 ، 31 : 5	الحارث بن عباد	الخفيف	حيال
38 : 5	الحارث بن عباد	الخفيف	وخالي
107 : 5	إبراهيم الموصلي	الخفيف	حيالي
216 : 5	الفضل بن الربيع	الخفيف	حال
162 : 6	وضاح اليمن	الخفيف	الدلال
76 : 11	الأعشى ميمون	الخفيف	السعالي
179 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الخفيف	مزال
227 : 14	حماد عجرد	الخفيف	ومالي
28 : 14	محمد بن يسير	الخفيف	البوالي
68 : 22 ؛ 191 : 14	عبيد بن الأبرص	الخفيف	الرجال
283 : 16	أبو الشيص	الخفيف	مزال
187 : 17	عامر بن الطفيل	الخفيف	الرجال
193 : 18	ابن مفرغ	الخفيف	البوالي
195 : 18	ابن مفرغ	الخفيف	الأغلل
225 : 19	ابن الخياط	الخفيف	بلال
218 : 20	سعيد بن وهب	الخفيف	بالمقال
35 : 23	أبو شراة	الخفيف	السؤال
163 ، 39 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الرحيل
252 : 4	عبدالله بن مصعب الزبيري	الخفيف	الرسول
231 : 7	-	الخفيف	للخليل
198 : 8	الأحوص	الخفيف	غليلي
169 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	عطبول
101 : 12	محمد بن أمية	الخفيف	الطلول
162 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الخفيف	مسدول

174 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الخفيف	سبيل
36 : 21	البحثري	الخفيف	النيل
40 : 23	أبو شراعة	الخفيف	جميل
94 : 9	-	مجزوء الخفيف	البلابل
181 ، 167 ، 158 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	المجث	قتلي
59 : 23	عبدالله بن العباس الربيعي	المجث	مثلي
143 ، 142 : 2	أمية بن أبي عائد	المتقارب	القتال
144 : 2	أمية بن أبي عائد	المتقارب	وجال
144 : 2	أمية بن أبي عائد	المتقارب	انتقال
144 : 2	أمية بن أبي عائد	المتقارب	اندمال
144 : 2	أمية بن أبي عائد	المتقارب	التلال
41 : 6	أعشى همدان	المتقارب	النضال
174 : 22	المؤمل بن أميل	المتقارب	البغال
9 : 24	أمية بن أبي عائد	المتقارب	القتال
251 : 5	طياب بن إبراهيم الموصلي	المتقارب	الموصلي
207 : 6	-	المتقارب	المسبل
5 : 20	التيحي	المتقارب	والقنفل
189 ، 188 : 22	زهير السكب	المتقارب	حنبل
190 : 22	زهير السكب	المتقارب	بالأرجل
148 : 1	عبله بنت عبيد	المتقارب	قاتلي
71 ، 31 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء المتقارب	ناتلي
70 : 31 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء المتقارب	البابلي

- قافية اللام المكسورة ومعها كاف ساكنة -

75 : 2	عدي بن زيد	مجزوء الكامل	بمالك
18 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	فعالك
76 : 23	علي بن محمد بن نصر	المجث	فعالك

- قافية اللام المكسورة ومعها هاء ساكنة -

238 : 13	محمد بن كناسة	الرجز	عياله
68 : 8	جميل	الخفيف	جللة
106 : 22	جميل	الخفيف	عللة

- قافية اللام المكسورة ومعها هاء مكسورة -

268 : 16	أبو تمام	الكامل	سؤاله
----------	----------	--------	-------

137 : 23	سليمان بن وهب	مجزوء الكامل	وينيله
238 : 13	محمد بن كناسة	الرجز	عياله
240 : 17	أبو عطاء السندي	الرجز	قذاله
169 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	المتقارب	جُمْلِه
167 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	المتقارب	أجلِه

- قافية اللام المكسورة ومعها هاء -

275 : 4	ابن هرمة	المتقارب	بأموالها
82 : 22	مالك بن العجلان	المتقارب	بأبوالها

- قافية اللام المفتوحة -

234 : 1	كثير	الطويل	بعلا
158 : 3	لعله عطاء الملط	الطويل	جهلا
158 : 3	بشار	الطويل	خبلا
217 ، 216 : 5	الأخطل	الطويل	العذلا
249 : 9 ؛ 64 : 8	جرير	الطويل	أهلا
93 : 8	جميل	الطويل	نبلا
98 : 8	جواس بن قطنة	الطويل	ثقلا
228 : 8	عمرو بن شاس	الطويل	وحلا
218 : 10	-	الطويل	هزلا
91 : 11	مقدام أخو بني عدس	الطويل	هزلا
79 : 12	كثير	الطويل	حقلا
117 : 12	الأفوه الأودي	الطويل	حقلا
117 : 12	كثير	الطويل	مهلا
94 : 15	كثير	الطويل	أهلا
95 : 15	كثير	الطويل	العقلا
119 : 12	الأفوه الأودي	الطويل	حجلا
172 : 17	مالك بن أسماء	الطويل	مهلا
52 : 24	القحيف العقيلي	الطويل	النجلا
186 : 1	-	الطويل	يتحوللا
261 : 1	العرجي	الطويل	مهلهلا
198 : 3	بشار	الطويل	مؤثلا
11 : 5	الأخطل	الطويل	فيصلا
12 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	مضللا

13 : 5	ليلي الأخيلية	الطويل	مجهلا
13 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	محجلا
13 : 5	ليلي الأخيلية	الطويل	تشملا
14 : 5	ليلي الأخيلية	الطويل	المذللا
18 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	مفلقلا
26 : 5	رجل من بني بكر بن وائل ونسب للأعشى	الطويل	وتخيلا
30 : 5	البكري من بكر بن وائل	الطويل	تحللا
29 : 5	البكري من بكر بن وائل	الطويل	أعزلا
34 : 5	البكري بن بكر بن وائل	الطويل	معضلا
36 : 5	البكري من بكري بن وائل	الطويل	مجدلا
95 : 11	نابعة بني جعدة	الطويل	أقبلا
180 : 11	الأقيشر	الطويل	سفرجلا
52 : 14	سوار بن حيان المنقري	الطويل	أشكلا
52 : 14	سوار بن حيان	الطويل	وثيتلا
37 : 16	عبد الخالق بن أبان	الطويل	تأثلا
145 : 16	حمزة بن بيض	الطويل	مجهلا
252 : 16	محمد بن صالح العلوي	الطويل	فعجلا
170 ، 159 ، 155 : 19	العرجي	الطويل	مهلهلا
157 ، 156 : 19	العرجي	الطويل	المغفلا
61 : 7	لوليد بن يزيد	الطويل	مالا
268 : 15 ، 187 : 14	كعب الأشقري	الطويل	حاللا
268 : 15	زياد الأعجم	الطويل	تلالا
110 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	غليلا
111 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	دلولا
106 : 20	محمد بن أبي محمد	الطويل	هولا
106 : 14	ابن قنير	المديد	كملا
96 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	صهلا
108 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	تبلا
165 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	فعلا
101 : 3	بشار	البسيط	مثلا
11 : 7	الوليد بن يزيد	البسيط	الدخلا
240 : 11	الأخطل	البسيط	واتعلا
76 : 16	محمد بن بشير الخارجي	البسيط	السبلا

98 : 20	أبو سعد المخزومي	البسيط	بخلا
205 : 22	مالك بن الريب	البسيط	نزلا
70: 4	أبو العتاهية	البسيط	والمالا
96 : 4	أمية بن أبي الصلت	البسيط	أحوالا
12 : 5	النايفة الجعدي	البسيط	ذيالا
12 : 5	النايفة الجعدي	البسيط	أزوالا
91 : 11 ؛ 13 : 5	النايفة الجعدي	البسيط	زالا
17 : 5	النايفة الجعدي	البسيط	سربالا
252 : 15	لبيد	البسيط	سربالا
216 : 17	أمية بن أبي الصلت	البسيط	محلالا
223 : 17	أمية بن أبي الصلت	البسيط	أحوالا
135 : 17 ؛ 249 : 15	الربيع بن زياد العبسي	البسيط	طولا
135 : 17 ؛ 249 : 15	النعمان بن المنذر	البسيط	الأباطيلا
79 : 5	عامر بن زهير بن جناب أو أبوه زهير بن جناب	الوافر	ضلالا
240 : 8	القس	الوافر	قالا
251 : 8	القس	الوافر	خبالا
71 : 10	مروان بن أبي حفصة	الوافر	زوالا
38 : 11	عمرو بن كلثوم	الوافر	هالا
103 : 11	نافع بن الخنجر	الوافر	هزالا
210 : 11	أبو جلدة الإشكري	الوافر	زالا
59 : 12	ابن سيابة	الوافر	والجمالا
110 : 12	المتوكل الليثي	الوافر	عجالا
113 : 12	المتوكل الليثي	الوافر	والمطالا
117 : 12	المتوكل الليثي	الوافر	الجمالا
143 : 12	جرير	الوافر	بالا
109 : 13	منصور النمري	الوافر	مقالا
106 : 14	ابن قنبر	الوافر	الفعالا
138 : 17	ذو الرمة	الوافر	جدالا
24 : 18	ذو الرمة	الوافر	بلالا
23 : 19	حريث بن عامر	الوافر	مالا
7 : 20	مروان بن أبي حفصة	الوافر	جلالا
225 : 21	الفرزدق	الوافر	غالا
227 ، 225 : 21	الفرزدق	الوافر	هللا

226 : 21	الفرزدق	الوافر	ضللا
156 : 6	وضاح اليمن	الوافر	أثيلا
54 : 4	أبو العتاهية	الوافر	الخليلا
227 ، 207 : 8	الأخطل	الوافر	يطولا
212 : 8	الأخطل	الوافر	العقولا
68 : 11	قيس بن زهير بن جذيمة	الوافر	الخليلا
68 : 11	الحارث بن ظالم	الوافر	التبولا
116 : 16	الحزین الدلی	الوافر	قليلا
64 : 17	زهير بن أبي سلمى	الوافر	ثقيلا
75 : 17	ابن الدمينه	الوافر	قليلا
151 : 20	محمد بن أبي محمد	الوافر	رسولا
154 : 4	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الوافر	مثلا
110 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	يعقلا
205 ، 187 ، 146 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	تسألا
185 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	معقلا
95 : 6	المرقش الأكبر	الكامل	تفعلا
21 : 7	سعد بن مرة بن جبیر	الكامل	قفلا
214 : 8	جرير	الكامل	الأخطلا
229 : 10	أبو سلمى والد زهير	الكامل	تسهلا
17 : 19	زهير بن جناب	الكامل	عطلا
278 : 16	أبو تمام	الكامل	عاقلا
120 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	عقلا
153 : 6	وضاح اليمن	الكامل	الوصلا
142 : 2	ابن المولى	الكامل	جلالا
174 : 2	رجل من مازن	الكامل	رجالا
174 : 2	ابن ميادة	الكامل	ورجالا
276 : 2	-	الكامل	خلخالا
276 : 2	-	الكامل	مجالا
134 : 3	أبو العتاهية	الكامل	ورمالا
204 : 3	ابن المولى	الكامل	ضللا
32: 4	أبو العتاهية	الكامل	حبلا
270 : 4	الفرزدق	الكامل	وسعلا
62 : 7	الأخطل	الكامل	خيالا

204 : 8	الأخطل	الكامل	شمالا
228 : 8	جرير	الكامل	الأمثالا
37 : 11	الأخطل	الكامل	الأغلا
215 : 11	أبو جلدة البشكري	الكامل	ملا
142 : 12	جرير	الكامل	وبالا
218 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	الأعمالا
45 : 14	ديك الجن	الكامل	لالا
174 : 21	ابن دارة عبد الرحمن	الكامل	فجالا
69 : 3	ذو الإصبع	مجزوء الكامل	جميلا
62 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	الخليلا
64 : 8	جرير	الكامل	قليلا
61 : 9	الوليد بن عدي	الكامل	جليلا
143 : 10	عليه بنت المهدي	الكامل	عديلا
166 : 10	علي بن الجهم	الكامل	مجهولا
192 : 10	أبو دلالة	الكامل	تحويلا
194 : 10	أبو دلالة	الكامل	عديلا
49 : 10	ابن الرومي	الكامل	هزيلا
203 : 10	أبو دلالة	الكامل	جميلا
61 : 12	ابن سيابة	الكامل	المأمولا
169 : 14	حاجب الفيل	الكامل	مقتولا
38 : 18	جرير	الكامل	هديلا
251 : 18	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	بخيلا
82 : 19	بكر بن النطاح	الكامل	جليلا
272 ، 271 : 21	جرير	الكامل	قليلا
151 : 23	تويت اليمامي	الكامل	سبيلا
126 : 6 ؛ 208 ، 207 : 4	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	فعلا
125 : 7	الحسين بن الضحاك	الكامل	الأملا
188 : 15 ؛ 21 : 4	أبو العتاهية	الهزج	حالا
23 : 4	أبو العتاهية	الهزج	خلخالا
100 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	مقبلا
222 : 1	نصيب بن رباح	الرجز	طائلا
67 : 9	امرؤ القيس	الرجز	الحلالا
157 : 17	عمرو بن العاص	الرجز	فصلا

110 : 20	جعيفران الموسوس	الرجز	فحلا
111 : 20	جعيفران الموسوس	الرجز	فعلا
278 : 21	الأبلى العجلي	الرجز	ذلاً
8 : 23	صخر الغي	الرجز	النبلا
103 : 24	القتال الكلابي	الرجز	أزوالا
30 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	المصلى
57 : 1	-	مجزوء الرمل	المحिला
232 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الرمل	كليلا
242 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الرمل	خليلا
112 : 20	جعيفران الموسوس	مجزوء الرمل	قليلا
96 : 1	عمر بن أبي ربيعة	السريع	والمنزلا
185 : 9	عمر بن أبي ربيعة	السريع	منزلا
237 : 16	-	السريع	الملا
228 : 7	-	السريع	تبلى
36 : 7	الوليد بن يزيد	المنسرح	الغزلا
93 : 9	الأعشى	المنسرح	مهلا
84 : 9	الأعشى	المنسرح	الرجلا
252 : 11	إسماعيل بن عمار	المنسرح	جهلا
253 : 11	معان بن أنحى إسماعيل بن عمار	المنسرح	عجلا
126 : 14	أبو الشيل البرجمي	المنسرح	وصلا
39 : 20	أبو نواس	المنسرح	فاعتدلا
125 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	لشغلا
143 : 2	الحارث بن خالد المخزومي	الخفيف	وسهلا
235 : 3 ؛ 145 : 2	الحارث بن خالد المخزومي	الخفيف	خيلا
235 : 3	الحارث بن خالد	الخفيف	وأهلا
169 : 6	-	الخفيف	المعلى
180 : 20	خالد الكاتب	الخفيف	أملا
5 : 12	الأعشى	الخفيف	الرجلا
164 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	أحالا
161 : 4	الأحوص	الخفيف	الأبدالا
33 : 5	مهلهل	الخفيف	القتالا
13 : 11	المنخل	الخفيف	السخالا
49 : 10	إبراهيم بن العباس	الخفيف	والعذالا

123 : 19	-	الخفيف	النزالا
7 : 21	المنخل	الخفيف	السحالا
6 : 24	-	الخفيف	مختالا
123 : 24	ذو كبار	الخفيف	خبالا
97 ، 89 ، 87 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	طويلا
249 : 3	موسى الشهوات	الخفيف	مخيلا
101 : 4	أمية بن أبي الصلت	الخفيف	الوعولا
104 : 4	أمية بن أبي الصلت	الخفيف	يزولا
37 : 5	مهلهل	الخفيف	غليلا
77 : 6	مهلهل	الخفيف	الفحوللا
11 : 11	عبد القيس بن خفاف ومرة بن سعد بن قريع ونسباه للنابعة	الخفيف	الجهولا
219 : 16	-	الخفيف	النزولا
205 : 17	نبيه بن الحجاج	الخفيف	جميلا
112 : 18	سعيد بن حميد	الخفيف	طويلا
256 : 18	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	سييلا
66 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	طويلا
67 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	الخفيف	عليلا
121 : 2	الخطيئة	المتقارب	السجالا
87 : 3	زيد بن عمرو بن نفيل	المتقارب	زلالا
197 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	المتقارب	ضلالا
99 : 18	عمرو بن قميئة	المتقارب	خيالا
34 : 3	الدارمي سعيد	المتقارب	الجميلا
107 : 7 ، 78 : 3	بشامة بن عمرو الغدير	المتقارب	جفولا
241 : 4	-	المتقارب	وييلا
143 ، 106 : 5	إبراهيم الموصلي	المتقارب	ثقيلا
203 ، 172 : 5	إسحاق الموصلي	المتقارب	جميلا
216 ، 187 : 5	كعب بن زهير	المتقارب	مثولا
255 : 9 ، 269 : 8	كنثير	المتقارب	الطلولا
23 : 10	الصمة أبو دريد بن الصمة	المتقارب	وييلا
43 : 10	أحمد بن سيف ونسب لإبراهيم بن العباس	المتقارب	الرسولا
234 : 10	زهير بن أبي سلمى	المتقارب	مثولا
235 : 10	زهير بن أبي سلمى	المتقارب	الفؤولا

192 : 12	عقيل بن علفة	المتقارب	رسولا
224 : 12	أبو الأسود الدؤلي	المتقارب	خليلًا
136 : 13	بشامة بن عمرو	المتقارب	السبيلا
159 : 3	بشار	المتقارب	أولا
157 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	مقبلا
95 : 21	تأبط شرا	المتقارب	أهولا

- قافية اللام المفتوحة ومعها كاف ساكنة -

42 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	جمالُكْ
24 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرجز	لَكَ
17 : 20	أبو نواس	مجزوء الرجز	ملكُ
117 : 18	سعيد عبد الرحمن	السريع	ولاصِلُكْ
36 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الخفيف	سلِكُ

- قافية اللام المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

72 : 9	عامر بن جوين	الطويل	ومرسَلَة
29 : 15	أحمحة بن الجلاح	المديد	خبِلَة
106 : 21	تأبط شرا	الوافر	رثالَة
108 : 21	تأبط شرا	الوافر	والمقالَة
89 : 21	تأبط شرا	الوافر	نفيلَة
5 : 22	تأبط شرا	الوافر	بجيلَة
203 ، 201 : 4	المغيرة بن عمرو بن عثمان	الكامل	أملَة
232 : 12	أبو الأسود الدؤلي	مجزوء الكامل	محالَة
209 : 10	بشار	مجزوء الكامل	والرذالَة
222 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	أبالَة
258 : 16	أبو دواد الأيادي	مجزوء الكامل	المحالَة
24 : 19	غزير بن أبي جابر	مجزوء الكامل	الجزيلَة
99 : 11	معقل بن عامر	الرجز	ومعبِلَة
99 : 11	رجل من بني عامر	الرجز	وحنظَلَة
198 : 11	شاعر من ضبة	الرجز	حملَة
72 : 15	عمرو بن ذكوان أو عامر الحصفني	الرجز	اليعملَة
174 : 21	عبدالرحمن بن دارة	الرجز	جدلَة
84 : 3	زيد بن عمرو بن نفيل	الرجز	المحلَة
108 : 6	أم حكيم النخارجية	الرجز	وغسلَة

97 : 21	تأبط شرا	الرجز	رفلة
142 : 4	أبو البختری العاصي	الرجز	سيلة
213 : 21 ؛ 137 : 19	عویف القوافي	الرجز	القبيلة
200 : 17	-	الرمل	بالمسلة
196 : 11	أبو النضير	مجزوء الرمل	له
228 : 14	مطیع بن إياس	الخفيف	نحلة
228 : 14	حماد عجرد	الخفيف	حلة
87 : 7	أبو دهيل الجمحي	المتقارب	سائلة
51 : 70	ابن أبي عينة	المتقارب	منهله

- قافية اللام المفتوحة ومعها هاء مضمومة -

156 : 6	وضاح الیمن	الكامل	فأضله
---------	------------	--------	-------

- قافية اللام المفتوحة ومعها هاء -

87 : 8	جميل	الطويل	فحلها
206 : 8	كثير	الطويل	استقالها
121 ، 120 : 9	الشماخ	الطويل	سبالها
122 : 9	الشماخ	الطويل	بدا لها
191 : 11	أعشى بني تغلب	الطويل	ومصالها
15 : 17	الكميت	الطويل	اقتبالها
265 : 18	كثير	الطويل	جمالها
182 : 21	الحجاج بن سلامة	الطويل	سبالها
240 : 18	عروة بن أذينة	الكامل	هوى لها
93 : 23	الحسن بن وهب	الكامل	فمن لها
241 : 18	عروة بن أذينة	الكامل	لأقلها
201 : 2	شقران	الكامل	نضالها
112 ، 72 ، 59 : 10 ؛ 226 : 9	مروان بن أبي حفصة	الكامل	هلالها
88 ، 72 ، 68 ، 67 : 10	مروان بن أبي حفصة	الكامل	دلالها
101 : 13			
73 : 10	مروان بن أبي حفصة	الكامل	وحلالها
188 : 11	أعشى تغلب	الكامل	وخلالها
174 : 16	ربيعة الرقي	الكامل	ما قالها
285 : 16	الأعشى	الكامل	جربالها
96 : 18	أعشى بني ربيعة	الكامل	فأحالها

251 : 19	علي بن جبلة	الكامل	عيالها
183 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	الكامل	وشمالها
43 : 4	أبو العتاهية	السريع	نالها
65 ، 57 : 15 ؛ 72 : 9 ؛ 214 : 2	الخنساء	المتقارب	سريالها
28 : 4	أبو العتاهية	المتقارب	أدلالها
72 : 9	عامر بن جوين أو الخنساء	المتقارب	وتحلأها
16 : 12	زينب بنت مالك بن جعفر	المتقارب	أثقالها
12 : 14	الحصين بن الحمام	المتقارب	أمثالها

- قافية الميم الساكنة -

102 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	فانصرم
134 : 11 ؛ 152 : 8 ؛ 250 : 2	عمرو بن شأس	الطويل	ذم
252 : 2	عمرو بن شأس	الطويل	العمم
7 : 4	أبو العتاهية	الطويل	والعدم
274 : 4	ابن هرمة	الطويل	الحكم
198 : 5	-	الطويل	بالجلم
159 : 6	وضاح اليمن	الطويل	اللمم
157 : 8	-	الطويل	فانصرم
136 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	رغم
138 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	العمم
119 : 23 ؛ 248 : 18	مرة النهدي	الطويل	ابن عم
116 : 19	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	سقم
121 : 23	مرة النهدي	الطويل	الديم
92 : 6	المرقش الأكبر	الكامل	عنم
93 : 6	المرقش الأكبر	الكامل	قلم
94 : 6	المرقش الأكبر	الكامل	ملهم
218 : 19	فضل الشاعرة	مجزوء الكامل	السقم
218 ، 216 : 19	فضل الشاعرة أو أحمد بن أبي طاهر	مجزوء الكامل	علم
171 : 23 ؛ 42 ، 41 ، 40 : 21	البحري	مجزوء الكامل	تحتكم
40 : 21	أبو العنيس الصيمري	مجزوء الكامل	تنهزم
42 ، 41 : 21	أبو العنيس الصيمري	مجزوء الكامل	تلتقم
171 : 23	أبو العنيس الصيمري	مجزوء الكامل	تلتطم
102 : 2	الحطيئة	مجزوء الكامل	عالم
9 : 11	المرقش السدوسي أو خرز بن لوزان	مجزوء الكامل	وحاتم

82 : 12	-	مجزوء الكامل	عاصم
127 : 22	إبراهيم بن المدير	الهمزج	عنكم
12 : 8	جرير	الرجز	السلم
177 : 12	أبو وجزة	الرجز	ورحم
178 : 12	عبيد بن أبي وجزة	الرجز	كالزلم
171 ، 170 : 15	رشيد بن رميض	الرجز	حطم
52 : 16	ربيعه بن مكرم	الرجز	انسج
53 ، 52 : 16	عمرو بن معديكرب	الرجز	البهم
207 : 17	قيس بن شيبه	الرجز	الكرم
210 : 23	مريم امرأة أبي حمزة الشاري	الرجز	مريم
98 : 10	أبو العالية الخزري	الرجز	اليوم
100 : 11	شأس بن أبي بلى	الرجز	القوم
100 : 11	لقيط بن زرارة	الرجز	اليوم
126 : 16	هشام بن عروة	الرجز	اليوم
31 : 5	مهلهل	الرجز	هام
95 ، 67 : 2	عدي بن زيد	الرم	القدم
140 : 3	بشار	الرم	ونعم
176 : 6 ؛ 104 : 3	بشار	الرم	ألم
54 : 24 ؛ 30 : 5	طرفة	الرم	اللم
177 : 6	بشار	الرم	الذم
69 : 7	الوليد بن يزيد	الرم	أنم
28 : 10	دريد بن الصمة	الرم	بهم
242 : 13	دنانير جارية ابن كناسة	الرم	للمتهم
158 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الرم	دم
254 : 15	ليبد	الرم	نعم
185 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الرم	لوم
171 : 19	السليك بن السلكة	الرم	واللجام
39 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرمل	كتنم
126 : 9 ؛ 18 : 6	داود بن سلم	السريع	قنم
78 : 14	ابن أبي الزوائد	السريع	الأجم
52 : 10	إبراهيم بن العباس	السريع	هشام
16 ، 15 : 11	النابعة الذبياني	السريع	التمام
125 ، 124 : 17	حسان بن ثابت	السريع	الخيام

85 : 19	بكر بن النطاح	السريع	الهمام
221 : 10	ابن المعتز	السريع	هموم
143 : 20	أبو محمد اليزيدي	السريع	أخيارهم
128 : 1	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	ألم
243 ، 242 : 14	محمد بن أبي العباس السفاح أو حماد عجرد	مجزوء الخفيف	الألم
13 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	أجمعهم
159 : 10	عبدالله بن محمد الأمين	المجتث	متين
219 : 13	مطيع بن إياس	المجتث	يتكلم
121 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	ألم
121 : 1	عمر بن أبي ربيعة	المتقارب	الحكم
77 : 2	عدي بن زيد	المتقارب	عام
95 : 3	بشار	المتقارب	العلم
113 : 3	بشار	المتقارب	خدم
191 : 19 ؛ 134 : 3	بشار	المتقارب	نم
195 : 5	إسحاق الموصلي	المتقارب	الديم
133 : 6	-	المتقارب	الألم
139 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	صرم
149 : 7	الحسين بن الضحاك	المتقارب	رحم
216 : 8	الأخطل	المتقارب	لم
174 : 9	الأعشى	المتقارب	يتن
31 : 10	رجل من بني الحارث بن كعب بن مذحج	المتقارب	نعم
127 : 11	امرؤ القيس	المتقارب	والمتنسم
179 : 11	الأقيشر	المتقارب	وعن
97 : 13	أبو نعيمة النمرى	المتقارب	الرخم

- قافية الميم المضمومة -

11 : 2	مجنون ليل	الطويل	حجنم
198 : 4	-	الطويل	رسم
111 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	ظلم
112 : 9	عريب	الطويل	الجرم
112 : 9	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	الطويل	طعم
42 : 12	معن بن أوس	الطويل	حلم
216 : 16	-	الطويل	إثم
137 : 23	سليمان بن وهب	الطويل	نظم

143 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	أندم
45 : 1	أبو قطيفة	الطويل	المسلم
212 : 2	ابن ميادة	الطويل	مقسم
188 : 3	أبو دهبل	الطويل	وأوهوا
20 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	معدم
73 : 6	—	الطويل	محرم
91 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	ألوم
107 ، 91 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	نتكلم
108 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	وأوهوا
18 : 8	جفنة الهزاني	الطويل	وأكرم
80 : 8	كثير	الطويل	مصمم
125 : 8	فديك بن حنظلة الجرمي	الطويل	نظلم
219 : 11	أبو جلدة اليشكري	الطويل	ملوم
200 : 12	شبيب البرصاء	الطويل	محكم
72 : 13	سويد بن أبي كاهل	الطويل	وعلقم
121 : 15	نصيب	الطويل	أعجم
120 : 15	نصيب	الطويل	متقدم
120 : 15	نصيب	الطويل	محرم
119 ، 118 : 15	نصيب أو المجنون	الطويل	تنقم
118 : 15	نصيب	الطويل	أبرم
186 : 17	عروة بن زيد الخيل	الطويل	يعلم
109 : 18	مساور الوراق	الطويل	محكم
60 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	وأكم
214 : 21	الفرزدق	الطويل	فيفعم
271 : 21	الفرزدق	الطويل	وتقدموا
266 : 21	الفرزدق	الطويل	القم
148 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	هم
175 : 22	المؤمل بن أميل	الطويل	أحلم
48 : 23	—	الطويل	يتكلم
43 : 24	مرثد بن الحارث	الطويل	محجم
100 : 24	القتال الكلابي	الطويل	التمعنم
213 ، 28 ، 27 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	معالم
122 : 16 ، 100 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	عارم

176 ، 174 ، 172 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	عارم
247 ، 213 : 1	نصيب بن رياح	الطويل	حاتم
50 : 2	مجنون ليل	الطويل	لناتم
157 : 2	الأعشى	الطويل	سائم
171 : 2	ابن ميادة	الطويل	الأعاجم
172 : 2	الحكم الخضري	الطويل	الكرائم
175 ، 171 : 2	ابن ميادة	الطويل	التمايم
209 : 2	ابن ميادة	الطويل	العمائم
198 : 3	-	الطويل	حالم
115 : 6	عمرو بن براق	الطويل	المظالم
175 : 8	عبد قيس بن خفاف البرجمي	الطويل	البراجم
266 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	ظالم
7 : 9	الحزين الديلي	الطويل	وأراقم
76 : 11	حارث بن ظالم	الطويل	سالم
10 : 9	الحزين الديلي	الطويل	قائم
40 : 9	هشام بن المغيرة	الطويل	حالم
79 ، 46 : 9	الأعشى	الطويل	واجم
245 ، 244 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	العظامم
76 ، 71 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	نادم
135 : 11	عوف القوافي	الطويل	الشكائم
79 : 12	كثير	الطويل	عالم
191 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	الدراهم
248 : 12	سويد بن كراع	الطويل	لائم
250 : 12	سويد بن كراع	الطويل	دارم
34 : 13	-	الطويل	قائم
92 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	الأداهم
96 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	حالم
174 : 15	عفيف بن المنذر	الطويل	عالم
226 : 15	الحزين الديلي	الطويل	قائم
32 : 16	النعمان بن بشير	الطويل	العمائم
158 : 18	أشجع السلمي	الطويل	المكارم
139 : 19	-	الطويل	حالم
139 : 20	أبو محمد اليزيدي	الطويل	عاتم

125 : 21	عمرو بن براق	الطويل	المظالمُ
126 : 21	عمرو بن براق	الطويل	نائمُ
167 : 21	شافع بن واطر	الطويل	ظالمُ
107 : 22	جواس العذري	الطويل	نائمُ
176 ، 175 : 22	المؤمل بن أميل	الطويل	ولا دمُ
70 : 13	زياد الأعجم	الطويل	وسنامُ
176 ، 175 : 1	قيس بن ذريح أو غيره	الطويل	تحومُ
78 ، 76 : 17 ؛ 38 : 2	أميمة امرأة ابن الدمينه	الطويل	يلومُ
151 : 2	—	الطويل	ويسيمُ
210 : 2	ابن ميادة	الطويل	حيمُ
79 : 4	أبو العتاهية	الطويل	مقيمُ
259 : 4	ابن هرمة	الطويل	لمشومُ
278 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	وسيمُ
283 : 5	إدريس بن أبي حفصة	الطويل	مقيمُ
90 : 8	جميل	الطويل	رجومُ
226 : 15 ؛ 134 : 12 ؛ 157 : 8	كثير	الطويل	لسقيمُ
186 : 8	مزاحم العقيلي	الطويل	وسمومُ
263 : 8	العباس بن الأخنف	الطويل	ملومُ
146 : 9	قيس بن ذريح أو غيره	الطويل	عظيمُ
146 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	يتيمُ
245 : 10	المرار بن سعيد الفقعسي	الطويل	حليمُ
134 ، 133 : 12	كثير	الطويل	رسومُ
134 : 12	كثير	الطويل	أشيمُ
138 : 12	منظور بن زبان	الطويل	لعظيمُ
187 : 12	علفة بن عقيل بن علفة	الطويل	كريمُ
31 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	حليمُ
124 : 13	نصيح بن نهيك	الطويل	قسيمُ
48 : 14	منقوسة بنت زيد الفوارسي الضبي	الطويل	لكريمُ
115 : 14	—	الطويل	ملومُ
77 : 17	ابن الدمينه	الطويل	كليمُ
277 : 17	حاتم الطائي	الطويل	وخيمُ
71 : 19	محمد بن وهيب	الطويل	وبهمُ
74 : 19	مزام العقيلي	الطويل	صميمُ

97 : 19	عبيد الله بن قيس الرقيات	الطويل	مقيم
186 : 21	أم هذبة بن خثرم	الطويل	كريم
72 : 22	ربيعة بن مقروم	الطويل	سورم
229 : 22	جرثومة العنزي	الطويل	للثيم
229 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	قديم
143 : 24	عمارة بن عقيل	الطويل	للثيم
30 : 14	محمد بن يسير	المديد	تضطرم
178 : 19	-	المديد	الصريم
252 : 1	العرجي أو أبو جراب العبلي	البيسط	الوهم
101 : 9	الأحوص	البيسط	يضطرم
15 : 10	دريد بن الصمة	البيسط	صمم
64 : 10	يحيى بن أبي حفصة	البيسط	القدم
235 : 10	زهير بن أبي سلمى	البيسط	والديم
250 : 10	بدر بن سعيد أخو المزار	البيسط	هضم
54 : 13	المغيرة بن حبناء	البيسط	وخم
57 : 13	المغيرة بن حبناء	البيسط	والعلم
58 : 13	المغيرة بن حبناء	البيسط	صمم
79 : 15	عبد الرحمن بن الحكم	البيسط	حرم
223 ، 222 ، 220 ، 218 : 15	الحزين الديلي أو الفرزدق	البيسط	شمم
	أو داود بن سلم أو خالد بن يزيد		
264 : 21 ، 221 ، 220 : 15	الفرزدق	البيسط	والحرم
222 : 15	داود بن سلم أو الفرزدق	البيسط	يستلم
222 : 15	داود بن سلم أو خالد بن يزيد مولى قثم	البيسط	قثم
223 : 15	الحزين الديلي	البيسط	السأم
161 ، 160 : 16	عيسى بن موسى الهاشمي	البيسط	عمم
198 : 16	الحطيئة	البيسط	أمم
44 : 22	خدأش بن زهير	البيسط	والحرم
204 : 22	مالك بن الربيع	البيسط	الحكم
140 : 24	عمارة بن عقيل	البيسط	لمم
160 : 7	-	البيسط	محروم
27 : 12	ذو الرمة	البيسط	مسجوم
123 : 16	-	البيسط	مخزوم
146 ، 142 : 21	علقمة الفحل	البيسط	مصروم

240 : 12	أبو الأسود الدؤلي	الوافر	ملء
61 : 6 ؛ 138 ، 137 : 2	جرير	الوافر	البشام
221 : 2	ابن ميادة	الوافر	حرام
285 : 5	أحمد بن إبراهيم	الوافر	الحمام
45 : 7	نصر بن يسار	الوافر	ضرام
257 : 21 ؛ 112 : 16 ؛ 29 : 8	جرير	الوافر	لما
48 : 8	جرير	الوافر	انتقام
38 : 16 ؛ 171 : 9	عمرة بنت النعمان	الوافر	جذام
163 : 10	علقمة الخصي	الوافر	السنام
21 : 11	النابعة الذبياني	الوافر	الهام
62 : 14	محمد بن حازم	الوافر	الثام
116 : 14	علي بن الخليل	الوافر	الذمام
26 : 15	-	الوافر	السلام
198 : 15	الأحوص	الوافر	حام
200 : 15	الأحوص	الوافر	رمام
202 ، 201 ، 200 : 15	الأحوص	الوافر	السلام
123 : 16	-	الوافر	هشام
167 : 16	الرقاشي	الوافر	تنام
115 : 21	السمع بن جابر	الوافر	أقاموا
195 : 22	النمر بن تولب	الوافر	الكلام
210 : 1	-	الوافر	البهيم
55 ، 42 : 4	أبو العتاهية	الوافر	الظلول
163 : 5	-	الوافر	والحميم
83 : 6	ابن هرمة أو أبو المنهال أو نفيلة الأشجعي أو معمر بن العنبر	الوافر	كوم
85 : 6	نفيلة الأشجعي أبو المنهال	الوافر	وسيم
202 : 8	الأحطل	الوافر	لثيم
206 : 21 ؛ 243 : 9	الفرزدق	الوافر	تميم
191 : 10	السيد الحميري أو أبو العطاء السندي	الوافر	لثيم
191 : 10	أبو دلالة	الوافر	الحكيم
192 : 10	أبو عطاء السندي	الوافر	كريم
192 : 10	أبو دلالة	الوافر	رجيم
183 : 11 ؛ 213 : 10	أبو دلالة أو الأقيشير	الوافر	مستقيم

237 : 10	زهير بن أبي سلمى	الوافر	قديم
149 : 11	عبدالله بن الحمير	الوافر	الغريم
215 : 11	أبو جلدة اليشكري	الوافر	زعيم
77 : 13	العتابي	الوافر	قديم
10 : 14	البرج بن الجلاس	الوافر	النجوم
209 : 16	أبو العباس الأعمى	الوافر	يتيم
149 : 17	قيس بن زهير	الوافر	يريم
86 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	الحلوم
108 : 20	جعفران الموسوس أو أم الضحاك المحاربية	الوافر	ظلم
113 : 21	تأبط شرا	الوافر	العكوم
158 : 21	الأبح بن مرة	الوافر	المنيم
228 : 22	سودة بن الفرخ	الوافر	نقوم
97 : 23	-	الوافر	يلوموا
31 : 24	القطامي	الوافر	الحكيم
67 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الوافر	والحلم
187 ، 184 : 1	ابن أذينة	الكامل	يتكلم
272 : 2	الحكم بن عبدل	الكامل	تعلم
59 : 16 ، 117 : 4	حسان بن ثابت	الكامل	معدم
202 : 6	نصيب	الكامل	مجرم
196 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الكامل	يترنم
73 : 24 ، 196 : 8	سعيد بن عبد الرحمن	الكامل	فيعلم
109 : 11	سنان بن أبي حارثة	الكامل	صلدم
61 : 13	المنيرة بن حبناء	الكامل	يعلم
157 : 22 ، 282 ، 281 ، 19 : 16	أبو الشيص	الكامل	متقدم
	أو علي بن عبدالله الجعفري		
20 : 17	المستهل بن الكميت	الكامل	أسحم
241 : 18	عروة بن أذينة	الكامل	هم
236 : 14	حماد عمجد	الكامل	لازم
60 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الكامل	الرسم
61 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	الكامل	اللحم
101 : 7	أبو دهبل الجمحي	الكامل	عقم
169 ، 167 : 9	الحارث بن خالد المخزومي	الكامل	الخطم
173 : 9	الحارث بن خالد المخزومي	الكامل	ظلم

244 ، 241 : 8	القس	الكامل	حرام
243 : 8	القس	الكامل	سقام
53 : 13	الزرقاء بنت زهير	الكامل	وملام
41 : 14	ديك الجن	الكامل	الأيام
205 : 16	أبو العباس الأعمى	الكامل	أيتام
169 ، 154 : 18	أشجع السلمي	الكامل	الأيام
156 : 18	أشجع السلمي	الكامل	والأظلام
252 : 18	أبو العتاهية	الكامل	استصمام
176 : 3	أبو العتاهية	الكامل	نسيم
178 : 3	أبو العتاهية	الكامل	ورسيم
211 : 4	طريح بن إسماعيل	الكامل	نعيم
169 : 5	ابن هرمة	الكامل	للثيم
208 : 8	الأخطل	الكامل	المكتوم
91 : 9	الأخطل	الكامل	ملفوم
92 : 9	الأخطل	الكامل	المزكوم
156 : 9	قيس بن ذريح	الكامل	قديم
112 : 11	لبيد	الكامل	وتميم
111 : 12	المتوكل الليثي	الكامل	قديم
258 : 15	لبيد	الكامل	رسوم
274 : 16	أبو تمام	الكامل	ونعيم
81 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الكامل	وهوم
65 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	إبراهيم
237 : 8	أمية بن أبي الصلت	مجزوء الكامل	الكرام
181 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الهزج	صرم
148 : 12	شعيب بن مايل	الرجز	أجذم
84 : 3	زيد بن عمر بن نفيل	الرجز	قائم
165 : 13	عبد الصمد بن المعذل	الرجز	والحماحم
220 : 10	عبدالله بن العباس الربيعة	الرمل	لوم
220 : 10	ابن المعتز	الرمل	يقيم
250 : 19	علي بن جبلة	مجزوء الرمل	الجسام
101 : 5	إبراهيم الموصلي	مجزوء الرمل	بهيم
124 : 5	إبراهيم الموصلي	مجزوء الرمل	أهيم
143 : 8	الأحوص أو البحتري	مجزوء الرمل	يلوم

217 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	عظيم
230 : 14	مطيع بن إياس	مجزوء الرمل	عديم
217 : 9 ؛ 291 : 4	إسماعيل بن يسار	السريع	والمرزوم
290 : 4	إسماعيل بن يسار	السريع	أكرم
168 : 15	-	السريع	دائم
181 : 3	عكاشة العمي	المنسرح	والصميم
274 : 203 ، 204 ، 5	إسحاق الموصلي	المنسرح	والديم
253 : 11	إسماعيل بن عمار	المنسرح	الحكم
182 : 14	زياد الأعجم	المنسرح	صمم
135 : 24	الأحبحي	المنسرح	توم
174 : 20	خالد الكاتب	المنسرح	لوم
182 : 9 ؛ 99 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	نعم
99 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	قوم
41 : 1	أبو قطيفة	الخفيف	فبرام
41 : 1	أبو قطيفة	الخفيف	أنام
163 : 17 ؛ 261 : 16 ؛ 108 : 2	أبو دواد الإيادي	الخفيف	الإعدام
164 : 3	بشار	الخفيف	أوام
178 : 6	بشار	الخفيف	المستهام
74 : 14	-	الخفيف	الأسقام
144 : 17	أبو دواد	الخفيف	المدام
157 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الهموم
32 : 3	حسان بن ثابت	الخفيف	الخصوم
32 : 3	عبيد الله بن قيس الرقيات	الخفيف	سقيم
33 : 3	عبيد الله بن قيس الرقيات	الخفيف	الغريم
133 : 9	عمرو بن سنه	الخفيف	محموم
244 : 17	أبو عطاء السندي	الخفيف	ذميم
17 : 19	ابن زلياة	الخفيف	الخصوم
212 : 14	بشار	مجزوء الخفيف	الغنم
36 : 3	-	المتقارب	يستطعم
16 : 12	زينب بنت مالك بن جعفر	المتقارب	الأكرم
144 : 17	قيس بن زهير	المتقارب	أوهم
109 : 22	إبراهيم بن المنبر	المتقارب	كنتم
235 : 12	أبو الأسود الدؤلي	المتقارب	صارم

269 : 15	زيد الأعجم	المتقارب	الآثم
----------	------------	----------	-------

- قافية الميم المضمومة ومعها هاء ساكنة -

51 : 8 ، 2	مزاحم بن الحارث المجنون أو مجنون ليلى	الطويل	تمائم
35 : 10	إبراهيم بن العباس الصولي	الطويل	عزائم
251 : 14	حريث بن عتاب	الطويل	نصائم
238 : 15	باهلي	الطويل	مناسم
218 : 18	بشار	الطويل	ينادم
245 : 21	الفرزدق	الطويل	جرائم
178 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الوافر	سقم
50 : 1	خالد بن المهاجر	الكامل	قدم
128 : 2	الحطيئة	الرجز	يعلم
223 : 20	رؤية	الرجز	ويهزم
191 : 21	عبد الرحمن بن زيد	الرجز	أرحم
206 : 4	-	المنسرح	تلم

- قافية الميم المضمومة ومعها هاء مضمومة -

71 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الوافر	الائمة
--------	--------------	--------------	--------

- قافية الميم المضمومة ومعها ها -

47 : 2	مجنون ليلى	الطويل	حسامها
62 : 8	الفرزدق	الطويل	تمامها
108 : 16 ، 76 : 8	جميل	الطويل	كلامها
264 : 15	زيد الأعجم	الطويل	كلامها
33 : 32 ، 18	ذو الرمة	الطويل	حمامها
171 : 21	السمهري العكلي	الطويل	كلامها
234 : 21	الفرزدق	الطويل	ينامها
63 : 24	أبو صخر الهذلي	الطويل	سوامها
150 : 5 ، 19 : 2	مجنون ليلى	الطويل	نسيمها
55 : 2	مجنون ليلى	الطويل	صريمها
269 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	جسيمها
221 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	ألومها
114 : 113 ، 5	-	الطويل	سجومها
105 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	حميمها
14 : 8	جرير	الطويل	أميمها

13 : 8	البيث	الطويل	لثيمها
22 ، 21 ، 20 : 9	كثير	الطويل	غريمها
72 : 15	هاشم بن حرملة	الطويل	أضيئها
236 : 21	الفرزدق	الطويل	قرومها
48 : 24	حريم بن الحارث	الطويل	قديسها
98 ، 97 : 24	القتال الكلابي	الطويل	وأرومها
267 : 2	الحكم بن عبدل	الكامل	أنامها
258 ، 245 : 15	لبيد	الكامل	فرجامها
253 : 15	لبيد	الكامل	أقلامها
144 : 16	حمزة بن بيض أو ابن عبدل الأسدي	الكامل	وامامها
230 : 5	-	الرجز	كرامها
278 ، 268 : 17	حاتم الطائي	المتقارب	شتامها
133 : 19	عوف القوافي	المتقارب	وأحلامها
140 : 19	عوف القوافي	المتقارب	وأسقامها

- قافية الميم المكسورة -

100 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	على علم
168 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أوطاة	الطويل	الطعم
205 : 2	ابن ميادة	الطويل	لحم
207 ، 205 : 2	ابن ميادة	الطويل	البهم
207 ، 205 ، 191 : 2	ابن ميادة	الطويل	الدحم
86 ، 35 : 4	أبو العتاهية	الطويل	الحتم
57 : 8	عمر بن لجأ	الطويل	بالقرم
57 : 8	جرير	الطويل	العظم
99 : 8	خوات العذري	الطويل	النجم
165 : 9	-	الطويل	العجم
245 : 9	الفرزدق	الطويل	سلم
18 : 10	دريد بن الصمة	الطويل	وللرحم
50 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	ظلمي
153 : 13	الطنبل بن عمرو	الطويل	فهم
6 : 14	رجل من الجوشن	الطويل	سهم
264 : 17	حاتم الطائي	الطويل	العظم
63 : 18	خفاف بن ندبة	الطويل	الشم
64 : 18	العباس بن مرداس	الطويل	ترمي

153 : 21	أبو خراش الهذلي	الطويل	جرمي
202 : 21	الفرزدق	الطويل	سلم
228 : 21	الفرزدق	الطويل	العظم
243 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	تسلم
165 : 17 ؛ 126 ، 108 : 2	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يشتم
214 : 21 ؛ 57 : 6 ؛ 173 : 4	الفرزدق	الطويل	الدم
؛ 100 : 5 ؛ 298 : 4	النابعة الجعدي	الطويل	بالدم
202 : 15 ؛ 99 : 10			
23 : 5	النابعة الجعدي	الطويل	تقدم
249 ، 238 : 6	أبو سفيان بن حرب	الطويل	مشكم
109 : 7	أبو دهبل الجمحي	الطويل	والتكريم
228 : 7	علي بن هشام	الطويل	التكلم
18 : 8	جرير	الطويل	مغرم
191 : 9	كثير	الطويل	مجرم
225 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	فالمثل
229 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	بالدم
232 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	منشم
239 : 10	زهير بن أبي سلمى	الطويل	تعلم
207 : 20 ؛ 237 : 11	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تتكلم
28 : 12	ذو الرمة	الطويل	مسدم
39 : 21 ؛ 54 : 14	أوس بن حجر	الطويل	مقرم
56 : 14	خاقان بن الأهم	الطويل	محرم
199 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	يظلم
154 : 15	كبشة أخت عمرو بن معديكرب	الطويل	دمي
167 : 16	الرقاشي	الطويل	متيم
208 : 16	-	الطويل	معمم
52 : 19	الحكم بن قنبر	الطويل	مجرم
54 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	يتجشم
86 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	بدرهم
249 : 20	السليك بن السلكة	الطويل	مسلم
118 ، 104 : 21	تأبط شراً	الطويل	بالدم
197 : 21	الفرزدق	الطويل	المتكرم
55 : 21	-	الطويل	المسهم

173 : 21	ابنة بهدل بن قرفة	الطويل	المسدم
6 : 22	أسد بن كرز	الطويل	لخثعم
12 : 22	بجير بن ربيعة السحمي	الطويل	المزني
92 : 22	الربيع بن أبي الحقيق	الطويل	مرغم
164 : 22	عتيبة بن مرداس	الطويل	المكرم
92 : 24	القتال الكلابي	الطويل	وهيثم
64 : 1	عبدالله بن الزبيري	الطويل	عاتم
218 : 1	نصيب بن رباح	الطويل	التعائم
230 : 1	شاعر حجازي	الطويل	البهائم
114 : 2	الحطيثة	الطويل	المعاصم
166 : 2	خالد بن عقبة	الطويل	الأعاجم
200 : 21 ؛ 175 : 2	الفرزدق	الطويل	دارم
192 : 2	إسحاق الموصلي	الطويل	قائم
268 : 2	الحكم بن عبدل	الطويل	بالدراهم
104 : 3	بشار	الطويل	حاكم
149 ؛ 108 : 3	بشار	الطويل	بسالم
115 : 4	حسان بن ثابت	الطويل	وراغم
115 : 4	عطارد بن حاجب	الطويل	المواسم
110 : 5	أوس بن مغراء	الطويل	مزاحم
240 ؛ 179 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	خازم
255 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	حازم
62 : 7	الأصبغ بن ذؤالة	الطويل	وهاشم
199 : 21 ؛ 6 : 8	الفرزدق	الطويل	دارم
28 : 8	جرير	الطويل	للغلاصم
58 : 8	جرير	الطويل	للمراجم
166 : 8	عمرو بن أحمز بن العمرد	الطويل	صارم
173 : 8	عترة العبيسي	الطويل	دمي
13 : 9	كثير	الطويل	ظالم
34 : 33 : 9	جرير	الطويل	العمائم
233 : 15 ؛ 89 : 9	جرير	الطويل	ظالم
241 : 9	الفرزدق	الطويل	العمائم
72 : 11	الحارث بن ظالم	الطويل	الأعاضم
83 : 11	قيس بن زهير	الطويل	ظالم

125 : 11	عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر	الطويل	نائم
213 : 11	الفرزدق	الطويل	اللهازم
13 : 12	رجل من هوازن	الطويل	وهاشم
38 : 12	معن بن أوس	الطويل	بنائم
49 : 12	فضالة بن شريك	الطويل	عاصم
144 : 12	الجحاف السلمي	الطويل	الأرقام
144 : 12	الجحاف السلمي	الطويل	لائمي
184 : 12	عقيل بن علفة	الطويل	بالجمام
185 : 12	علفة بن عقيل بن علفة	الطويل	العمام
185 : 12	الحرياء بنت عقيل بن علفة	الطويل	والقوائم
27 : 13	—	الطويل	نائم
255 ، 228 : 21 ؛ 251 : 13	الفرزدق	الطويل	رائم
250 : 13	الشمردل بن شريك والفرزدق	الطويل	الحلاقم
58 : 14	زيد الخيل	الطويل	عاصم
96 : 14	ابن الأحب العدواني	الطويل	العظام
230 : 15	الحزين الديلي	الطويل	عاصم
231 : 15	جرير	الطويل	الجمام
233 : 15	الفرزدق	الطويل	دارم
233 : 15	جرير	الطويل	سالم
234 : 15	الفرزدق	الطويل	المغارم
110 : 16	جرير	الطويل	والمكارم
177 ، 173 ، 172 : 16	ربيعة الرقي	الطويل	ابن حاتم
178 : 16	ربيعة الرقي	الطويل	حاتم
188 : 17	زيد الخيل	الطويل	العظام
194 : 17	زيد الخيل	الطويل	اللهازم
7 : 18	مسعود بن عقبة	الطويل	سالم
7 : 18	ذو الرمة	الطويل	بالصرائم
8 : 18	ذو الرمة	الطويل	القوائم
19 : 18	رجل خياط	الطويل	سالم
19 : 18	ذو الرمة	الطويل	الصرائم
90 : 18	عمارة بن الوليد	الطويل	كالغنائم
92 : 18	عمارة بن الوليد	الطويل	غارم
138 : 18	ابن مناذر	الطويل	المقاوم

18 : 216	ابن مفرغ	الطويل	المكارم
18 : 266 ، 267	هلال بن عمرو الأسدي	الطويل	النمائم
19 : 83	بكر بن النطاح	الطويل	حالم
19 : 83	عمارة بن عقيل	الطويل	الحواطم
20 : 47	ابن أبي عيينة	الطويل	النواعم
20 : 260	أبو نخيلة الحماني	الطويل	حازم
21 : 159	أبو خراش الهذلي	الطويل	الخزائم
21 : 200	ابن ميادة	الطويل	ظالم
21 : 215	الفرزدق	الطويل	ظالم
21 : 204	الفرزدق	الطويل	العمائم
21 : 210	الفرزدق	الطويل	الضراغم
21 : 213	الفرزدق	الطويل	العزائم
21 : 226	حرير	الطويل	والمكارم
21 : 228	الشمردل	الطويل	الغلاصم
21 : 255	الشمردل	الطويل	الحلاقم
21 : 268	الفرزدق	الطويل	القماقم
21 : 272	جرير	الطويل	والبراجم
22 : 101	سعدة بنت فريد	الطويل	الكرائم
22 : 106	جميل	الطويل	وعاصم
22 : 207	مالك بن الربيع	الطويل	الروائم
22 : 225	الأبيرد الرياحي	الطويل	متفاقم
23 : 23	نصيب الأصغر	الطويل	الأكارم
23 : 27	نصيب الأصغر	الطويل	المواسم
8 : 99	جميل	الطويل	أزام
8 : 141	امرؤ القيس	الطويل	دامي
11 : 194	أبو النضير	الطويل	هشام
15 : 256 ، 18 : 102 ، 103	عمرو بن قميئة	الطويل	لجام
16 : 30	النعمان بن بشير	الطويل	بسلام
16 : 31	الحصين بن سعد	الطويل	طعامي
17 : 86	إسحاق الموصلي	الطويل	وعام
18 : 58 ، 66	ثروان بن مرة	الطويل	شهام
18 : 102	عمر بن قميئة	الطويل	برامي
24 : 85	عفراء بنت عقال	الطويل	حزام

193 : 1	-	الطويل	سقيم
106 ، 102 ، 101 : 6	صالح بن عبدالله العشمي	الطويل	حكيم
	أو قطري بن الفحاة أو عبدة بن هلال		
	أو عمرو القنا أو حبيب بن سهم التميمي		
217 : 9	الواثق الخليفة	الطويل	غريمي
30 : 13	أرطاة بن سهية	الطويل	حكيم
175 : 17	-	الطويل	صميمي
180 : 9 ؛ 154 : 4	عمر بن أبي ربيعة	المديد	كالسقم
133 : 10	خالد الكاتب	المديد	سقمي
160 ، 74 : 18 ؛ 20 : 16	والبة ونسبه أيضاً لأبي نواس	المديد	أنم
152 : 20	أبو نواس	المديد	وقم
170 : 23	أبو العبر الهاشمي	المديد	منهم
38 : 2	الأحوص	البسيط	سَلَم
191 : 2	حكم الخضري	البسيط	الدهم
276 : 2	عبد الملك بن مروان	البسيط	الحرم
87 : 22 ؛ 91 : 3	سعية بن غريض	البسيط	والقدم
265 : 4	ابن هرمة	البسيط	اللحم
274 : 4	ابن هرمة	البسيط	أبو الحكم
78 : 5	-	البسيط	رحم
118 : 5	أبو النضير	البسيط	أنم
100 : 7	أبو دهل الجمحي	البسيط	كرم
254 : 9	الفرزدق	البسيط	والقدم
97 : 10	إبراهيم بن المهدي	البسيط	تلم
158 : 11	ليلي الأخيلية	البسيط	والبهم
68 : 12	عبدالله بن طاهر	البسيط	مهتضم
81 : 13	العتابي	البسيط	والحكم
252 : 13	الشمردل بن شريك	البسيط	عم
79 : 15	عبد الرحمن بن حسان	البسيط	الحكم
87 : 15	الحارث بن خالد	البسيط	الحرم
90 : 15	الأحوص	البسيط	منصرم
213 : 16	-	البسيط	أقم
265 : 16	أبو تمام	البسيط	دمي
77 : 17	-	البسيط	سلم

263 ، 262 : 18	-	البيسط	بالوهم
62 : 19	محمد بن وهيب	البيسط	الهمم
63 : 19	محمد بن وهيب	البيسط	بدم
152 : 20	المأمون الخليفة	البيسط	الفهم
6 : 21	النابعة الذبياني	البيسط	الحلم
114 ، 72 : 1	النابعة	البيسط	الحامي
66 : 6 ؛ 114 : 2	الخطيئة أو حماد الراوية	البيسط	حام
114 : 2	الخطيئة	البيسط	بسظام
11 : 7	الوليد بن يزيد	البيسط	واقدامي
246 : 9	الفرزدق	البيسط	همام
96 ، 95 : 12	الخطيئة	البيسط	فالدام
41 : 14	ديك الجن	البيسط	والجام
239 : 16	محرز بن المكبر	البيسط	لأقوام
132 : 23	-	البيسط	وأيامي
91 : 14 ؛ 120 : 3	بشار	البيسط	تسليم
294 : 4	إسماعيل بن يسار	البيسط	تسليمي
167 : 8	عمرو بن أحمر بن العمرد	البيسط	مظلوم
37 : 11	شاعر من بكر بن وائل	البيسط	كثوم
123 : 16	-	البيسط	مخزوم
151 : 17	يزيد بن معاوية	البيسط	كثوم
122 ؛ 14 ؛ 96 : 13	منصور النمري	مخلع البسيط	بالسلام
251 : 19	علي بن جبلة	مخلع البسيط	هامي
55 : 2	مجنون ليلي	الوافر	قوم
186 : 14	كعب الأشقري	الوافر	زم
167 : 2	ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطأة	الوافر	الحرام
201 : 2	شقران	الوافر	للكعام
27 : 4	أبو العتاهية	الوافر	الهمام
122 : 4	-	الوافر	بالخطام
11 : 5	النابعة الجعدي	الوافر	تهام
213 : 5	إبراهيم الموصلي	الوافر	الهمام
115 : 7	الحسين بن الضحاك	الوافر	الجسام
140 : 7	الحسين بن الضحاك	الوافر	بالسلام
153 : 7	الحسن بن رجاء	الوافر	الصيام

154 : 7	الحسين بن الضحاك	الوافر	والمدام
71 : 9	امروء القيس	الوافر	شمام
125 : 9	الفرزدق	الوافر	أمامي
171 : 9	ابن عم روح بن زنباع	الوافر	جذام
164 : 10	علي بن الجهم	الوافر	أمام
166 : 11	ليلي الأخيلية	الوافر	كرام
41 : 12	معن بن أوس	الوافر	كرام
40 : 12	الفرزدق	الوافر	سنام
90 : 13	سلمان العجلي	الوافر	رام
90 : 13	الأبيرة الرياحي	الوافر	رامي
82 : 15	أبو واسع	الوافر	بالخطام
109 : 16	الفرزدق	الوافر	القرام
110 : 16	الفرزدق	الوافر	الشمام
48 : 17	ليبد	الوافر	الخصام
56 : 17	أبو نواس	الوافر	والسلام
30 ، 29 ، 28 : 18	ذو الرمة	الوافر	اللاثام
116 : 20	السري بن عبد الرحمن	الوافر	الكرام
149 : 20	محمد بن أبي محمد	الوافر	الهام
279 ، 207 : 21	الفرزدق	الوافر	حرام
275 : 21	الفرزدق	الوافر	الخيام
233 : 21	الفرزدق	الوافر	الكرام
266 : 21	الفرزدق	الوافر	العظام
197 : 22	النمر بن تولب	الوافر	التمام
49 : 24	ذو الرمة	الوافر	اللاثام
180 : 3	كعب بن معدان	الوافر	تميم
34 : 6	أعشى همدان	الوافر	تميم
84 : 6	ابن هرمة	الوافر	الذميم
87 ، 86 : 6	ابن هرمة	الوافر	ريم
6 : 8	جرير	الوافر	والمشيم
112 : 9	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	الوافر	الرسوم
207 : 10	أبو دلامة	الوافر	الرحيم
222 : 10	ابن المعتز	الوافر	الصميم
102 : 11	معقل بن عامر	الوافر	الكريم

56 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	الوافر	استقيمي
61 : 13	زياد الأعجم	الوافر	تميم
62 : 13	زياد الأعجم	الوافر	لوم
62 : 13	المغيرة بن حبناء	الوافر	تسيم
151 : 13	أخت حاجز الأزدي	الوافر	والبهيم
9 : 14	الحصين بن الحمام	الوافر	للمليم
66 : 14	محمد بن حازم	الوافر	كريم
71 : 15	الخنساء	الوافر	حميم
45 : 16	عبدالله بن جذل الطعان	الوافر	كالصريم
171 : 17	الجعدي	الوافر	بهيم
209 : 18	ابن مفرغ	الوافر	تميم
158 : 21	الأبح بن مرة	الوافر	بضم
160 : 21	أبو جندب الهذلي	الوافر	تميم
124 : 22	أحمد بن المدبر	الوافر	الجسيم
30 : 23	نصيب الأصغر	الوافر	صميم
117 : 24	الراعي النميري	الوافر	الذميم
190 : 13	مسعدة بن البخري	مجزوء الوافر	سلمي
111 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	وسلمي
232 ، 230 : 2 ؛ 180 : 1	عترة بن شداد	الكامل	والمعصر
232 : 3	الحارث بن خالد	الكامل	تستعجم
236 : 11 ؛ 72 ، 71 : 6	ابن هرمة	الكامل	فتنتهم
175 : 6	بشار	الكامل	متيم
38 ، 37 : 17 ؛ 153 : 8	عترة العبسي	الكامل	الهيثم
163 : 9	عترة بن شداد	الكامل	توهم
229 : 10	عترة بن شداد	الكامل	ضمضم
236 : 11	-	الكامل	لم
47 : 16	ربيعة بن مكلم	الكامل	الأخرم
169 : 16	بشر بن أبي خازم	الكامل	بالصليم
39 : 17	الحارث بن خالد	الكامل	تستعجم
160 ، 159 : 18	أشجع السلمي	الكامل	كالأنجم
165 : 18	أشجع السلمي	الكامل	يقدم
5 : 24 ؛ 216 : 20	سعيد بن وهب أو أحمد بن يوسف	الكامل	مغتم
195 : 3	ابن الرقاق العاملي	الكامل	الناعم

232 ، 231 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	القاسم
231 : 9	عدي بن الرقاع	الكامل	النائم
236 : 14	حماد عجرد	الكامل	القائم
130 : 24	عمار ذو كبار	الكامل	الديم
100 : 13 ؛ 73 : 10 ؛ 155 : 3	مروان بن أبي حفصة	الكامل	الأعمام
45 : 4	أبو العتاهية	الكامل	أمامي
152 ، 104 : 4	حسان بن ثابت	الكامل	بسام
125 : 4	حسان بن ثابت	الكامل	هشام
126 : 4	حسان بن ثابت	الكامل	ولجام
111 ، 109 ، 106 : 16 ؛ 28 : 8	جرير	الكامل	بسلام
236 : 9	بنان الغني	الكامل	قوام
236 : 9	المعتز الخليفة	الكامل	النمام
78 : 10	جعفر بن عفان الطائي	الكامل	الأعمام
138 : 17 ؛ 66 : 11	امرؤ القيس	الكامل	الأيام
71 : 13	سويد بن أبي كاهل	الكامل	الأقوام
99 : 13	مروان بن أبي حفصة	الكامل	زحام
11 : 14	البرج بن الجلاس	الكامل	حمام
11 : 14	الحصين بن الحمام	الكامل	صمام
268 : 16	أبو تمام	الكامل	الأقدام
70 : 18	جبهاء الأشجعي	الكامل	الآطام
221 : 18	إسحاق الموصلي	الكامل	سقام
66 : 19	محمد بن وهيب	الكامل	الأيام
87 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	محامي
46 : 24	بكير الأصم	الكامل	همام
224 : 3	-	الكامل	العظم
13 : 5	النايفة الجعدي	الكامل	شتمي
249 : 18 ؛ 184 : 6	عبيدالله بن قيس الرقيات	الكامل	أثمي
71 : 24 ؛ 177 : 8	أبو صخر الهذلي	الكامل	علم
266 ، 256 : 8	العباس بن الأحنف	الكامل	الجسم
96 : 10	الحارث بن ويلة	الكامل	عظمي
172 : 10	علي بن الجهم	الكامل	الجهم
46 : 13	العجير السلولي	الكامل	الضخم
106 : 18	مساور الوراق	الكامل	على علم

250 : 18	عبيد الله بن قيس الرقيات	الكامل	سقم
73 ، 70 : 24	أبو صخر الهذلي	الكامل	أهم
72 : 24	أبو صخر الهذلي	الكامل	جسمي
87 : 4	أبو العتاهية	الكامل	همومي
92 : 9	الأعشى	الكامل	الزكوم
117 ، 115 : 15	حسان بن ثابت	الكامل	باللوم
108 : 18	مساور الوراق	الكامل	بثوم
79 : 7	-	مجزوء الكامل	الحرام
237 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	الغلام
186 ، 185 : 15	-	مجزوء الكامل	جذام
204 : 19	سلم الخاسر	مجزوء الكامل	مقام
204 : 19	سلم الخاسر	مجزوء الكامل	العظام
173 : 20	خالد الكاتب	مجزوء الكامل	للإمام
170 : 16	ابن دراج الطفيلي	مجزوء الكامل	تريمي
187 : 23	يوسف بن الصيقل	مجزوء الكامل	هضم
38 : 4	أبو العتاهية	منهوك الكامل	بالحلم
65 ، 63 ، 62 : 1	عبد الله بن الزبيرى أو أبو نهشل أو عمر بن أبي ربيعة	الهرج	سهم
68 : 7	أبو رقية	الرجز	أعجمي
97 : 8	جميل	الرجز	الأكرم
186 : 12	عقيل بن علفة	الرجز	يكلم
262 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	وأنمي
28 : 24	القطامي	الرجز	المقدم
126 : 3	بشار	الرجز	غمي
194 : 9	دكين الراجز	الرجز	العظائم
13 : 23	-	الرجز	أليم
252 : 5	-	الرجز	الحمام
127 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	بالسهم
226 : 20	رؤبة	الرجز	تميم
180 : 21	زيادة بن زيد	الرجز	هزوم
201 : 22	-	الرجز	تميم
42 ، 26 : 6	أعشى همدان	الرمل	الظلام
281 : 4	ابن رهيمة	مجزوء الرمل	وأمي

165 : 16	أبو دلف	مجزوء الرمل	جمامي
165 : 16	الرقاشي	مجزوء الرمل	هامي
219 : 19	فضل الشاعرة	مجزوء الرمل	بالظلام
13 : 20	التيمي	مجزوء الرمل	مستهام
217 : 14	حماد عجرد	مجزوء الرمل	بذميم
135 : 1	عمر بن أبي ربيعة	السريع	يظلم
145 : 1	عمر بن أبي ربيعة	السريع	كلثم
196 : 7	السيد الحميري	السريع	لازم
161 : 18 ؛ 151 : 10	أشجع السلمي	السريع	هاشم
218 : 18	ابن مفرغ	السريع	حاتم
208 : 6	العباس بن الأحنف	السريع	والصرم
173 : 13	عبد الصمد بن المعذل	السريع	والأم
30 : 14	محمد بن يسير	السريع	سهمي
67 : 20	دعبل الخزاعي	السريع	تنمي
250 : 16	محمد بن صالح العلوي	السريع	السقام
6 : 24	محمد بن عبد الملك الزيات	السريع	اللوم
19 : 5	النابعة الجعدي	المنسرح	قدم
22 : 20 ؛ 20 : 5	النابعة الجعدي	المنسرح	مكتوم
33 : 5	مهلهل	المنسرح	أدم
75 ، 68 : 5	الحسين بن عبدالله	المنسرح	الظلم
75 ، 68 : 5	الوليد بن يزيد	المنسرح	الظلم
47 : 12 ؛ 74 : 5	الحسين بن عبدالله بن عبيدالله	المنسرح	تلم
201 : 6	النابعة الجعدي	المنسرح	الظلم
167 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	الحرم
156 ، 155 : 15 ؛ 153 : 8	ابن سريج	المنسرح	سقمي
8 : 9	كثير	المنسرح	الحكم
143 : 13	غيلان بن سلمة	المنسرح	حسم
244 ، 239 ، 236 : 13	محمد بن كناسة	المنسرح	والكرم
141 : 16	حمزة بن بيض	المنسرح	أقم
42 : 20	ابن أبي عيينة	المنسرح	يرم
43 : 20	طاهر بن الحسين	المنسرح	السقم
50 : 23	-	المنسرح	القدم
112 : 23	أحمد بن يوسف	المنسرح	الظلم

146 : 20	محمد بن أبي محمد	الخفيف	أسمي
18 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	الأنام
180 : 10	علي بن الجهم	الخفيف	الأيام
216 : 10	أبو دلالة	الخفيف	كهام
14 : 17	الكميت	الخفيف	كهشام
22 : 17	الكميت	الخفيف	الإسلام
28 : 17	الكميت	الخفيف	اللوام
28 : 17	الكميت	الخفيف	اتهام
86 : 18	مالك المزموم	الخفيف	حكام
86 : 18	مالك المزموم ونسبت لعمران بن حطان	الخفيف	الغمام
181 : 18	أشجع السلمي	الخفيف	الغمام
171 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	الخفيف	بسلام
184 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	الخفيف	الصيام
220 : 19	أبو الشيل	الخفيف	الثام
226 : 19	ابن الخياط	الخفيف	ملامي
128 : 22	إبراهيم بن المدبر	الخفيف	بالسلام
147 : 23	أبان اللاحقي	الخفيف	النمام
69 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	قديم
205 ، 199 : 11	العبي	الخفيف	مخزوم
191 ، 190 : 16	الوليد بن يزيد	الخفيف	حكيم
247 : 3	موسى شهبوات	مجزوء الخفيف	الفواطم
176 : 19	عبدالله بن العباس الربيعة	المجث	نديمي
195 : 1	-	المتقارب	محرم
30 : 11	الحارث بن حلزة	المتقارب	الأقصم
203 ، 192 : 14	سراقة بن مرداس	المتقارب	تسامي
244 : 14	محمد بن أبي العباس السفاح	المتقارب	المغرم
107 : 18	مساور الوراق	المتقارب	المسلم
92 : 22	الربيع بن أبي الحقيق	المتقارب	مغرمي
137 : 5	حماد الراوية	المتقارب	عام

- قافية الميم المكسورة ومعها هاء ساكنة -

138 : 20	أبو محمد اليزيدي	الكامل	شيمية
126 : 5	إبراهيم الموصلي	مجزوء الرمل	علمية

- قافية الميم المكسورة ومعها هاء مكسورة -

229 : 18	العماني	الرجز	أُمِّ
69 : 23	الحسن بن وهب	السريع	قمقامي
69 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	السريع	بإتمامي
- قافية الميم المفتوحة -			
185 : 4	الأحوص	الطويل	النجما
185 : 4	الأحوص	الطويل	نعما
187 : 4	الأحوص	الطويل	سقما
82 : 5	الوليد بن عقبة	الطويل	قدما
48 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	والرغما
79 : 21	الأحوص	الطويل	النجما
149 ، 60 ، 27 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	يتكلما
35 : 10 ؛ 193 : 5			
186 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو الأحوص	الطويل	كلثما
	أو سعد بن عبد الرحمن		
190 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو الأحوص	الطويل	المكتما
	أو سعيد بن عبد الرحمن		
178 : 9 ؛ 190 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	تصرما
191 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو الأحوص	الطويل	والدما
	أو سعيد بن عبد الرحمن		
190 : 1	الأحوص أو سعيد بن عبد الرحمن	الطويل	تصرما
202 ، 197 : 1	الأحوص	الطويل	متيما
202 : 2	ابن ميادة	الطويل	مكرما
6 : 5 ؛ 63 : 3	المتلمس	الطويل	ليعلما
77 : 3	أبو دهبل الجمحي	الطويل	وأعتما
106 : 7 ؛ 77 : 3	أبو دهبل الجمحي	الطويل	ملزما
103 : 3	بشار	الطويل	متيما
112 : 3	بشار	الطويل	الدما
175 : 4	الأحوص	الطويل	أسلما
247 : 4	حميد بن ثور	الطويل	دما
248 : 4	حميد بن ثور	الطويل	يلملما
66 : 5	-	الطويل	وأسقما

144 : 5	إبراهيم الموصلي	الطويل	أثرما
226 ، 221 : 6	عروة بن الورد أو حاتم الطائي	الطويل	ومطعما
225 ، 220 : 6	-	الطويل	مقسما
234 : 6	-	الطويل	كلثما
116 : 24 ، 9 : 8	جرير	الطويل	الدا
119 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	مسلمما
146 : 8	حاتم الطائي	الطويل	منمنما
146 : 8	حاتم الطائي	الطويل	وتصرما
146 : 8	حاتم الطائي	الطويل	ومعصما
147 : 8	حاتم الطائي	الطويل	تبسما
252 ، 251 ، 250 : 9 ، 232 : 8	حسان بن ثابت	الطويل	دما
45 : 9	عمرو بن العاص	الطويل	ابنما
176 : 9	الأعشى	الطويل	فتصرما
54 ، 53 : 14 ، 151 : 10	عمدة بن الطيب	الطويل	يترحما
212 : 10	أبو دلامة	الطويل	تخطما
79 : 11	الأسود بن المنذر	الطويل	وأنعما
79 : 11	ضمرة بن ضمرة	الطويل	مسلمما
84 : 12	كثير	الطويل	تبسما
131 : 12	كثير	الطويل	معصما
132 : 12	كثير	الطويل	تجهما
135 : 12	كثير	الطويل	التيما
192 : 12	الحصين بن الحمام المري	الطويل	تقحما
199 : 12	عوف القوافي	الطويل	تخرما
199 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	علقما
199 : 12	أرطاة بن سهية	الطويل	أثلما
202 : 12	شبيب بن البرصاء	الطويل	فأشتما
50 : 13	العجير السلولي	الطويل	معلمما
175 : 13	عبد الصمد بن المذلل	الطويل	ميتما
194 : 13	إياس بن مسلم	الطويل	مخرما
240 ، 237 : 13	محمد بن كناسة	الطويل	أدهما
8 : 14	الحصين بن الحمام	الطويل	ومأثما
22 ، 21 ، 59 ، 54 : 14	عبدة بن الطيب	الطويل	تهدما
	أو مرداس بن عبدة بن منبه		

110 ، 109 ، 108 ، 107 : 14	الأسود بن عمارة	الطويل	مريما
122 : 14	-	الطويل	يلملمما
141 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	محرما
194 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	يمما
200 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	مسلمما
48 : 16	ربطة بنت جذل الطعان	الطويل	قدما
136 : 16	نعمزة بن بيض	الطويل	تخطما
73 : 17	ابن الدمينه	الطويل	أظلمما
264 : 17	حاتم الطائي	الطويل	يفنما
25 : 18	حاتم الطائي	الطويل	ومطعمما
254 : 18	-	الطويل	المكتما
147 : 19	عويف القوافي	الطويل	معلمما
149 : 19	رجل من بني عبد ود	الطويل	دما
71 : 20	دعبل الخزاعي	الطويل	يتجشمما
260 : 21	حسان بن ثابت	الطويل	عرمرما
217 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	تكلمما
86 : 23	-	الطويل	وتكلمما
86 : 23	عنان	الطويل	دما
217 : 22	عبد بني الحسحاس	الطويل	مغمرما
24 : 24	زفر بن الحارث	الطويل	قدما
32 : 24	بشار	الطويل	متيمما
92 : 24	القتال الكلابي	الطويل	مجرما
233 : 13	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	جناكما
83 : 14	ابن أبي الزوائد	الطويل	مداكما
166 ، 165 ، 163 : 15	قس بن ساعدة أو عيسى بن قدامة	الطويل	كراكما
	أو الحسن بن الحارث أو نصر بن غالب		
274 : 21	أبو ليلى المجاشعي	الطويل	دعاهما
120 : 23	مرة النهدي	الطويل	سواكما
100 : 6	المرقش الأصغر	الطويل	دائما
28 : 8	الفرزدق	الطويل	المناسما
67 : 9	امرؤ القيس	الطويل	دارما
50 : 10	إبراهيم بن العباس	الطويل	الرواغما
113 : 11	هزيلة الجديسية	الطويل	ظالمما

249 ، 248 : 12	خالد بن علقمة	الطويل	الأشائما
62 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	نائما
224 : 15	الحزین الدلی	الطويل	الأشائما
198 : 16	لبید	الطويل	ظالما
95 : 17	خفاف بن ندبة	الطويل	واقما
152 : 17	-	الطويل	التمائما
134 : 20	أبو محمد اليزيدي	الطويل	العجارما
169 : 22 ؛ 42 ، 40 ، 39 : 9	مسافر بن أبي عمرو أو هشام بن المغيرة أو عبدالله بن عجلان	الطويل	حما
278 : 21	مالك بن نويرة	الطويل	دما
194 : 4 ؛ 54 : 1	النابعة الذبياني	البيسيط	أضما
234 : 3	الحارث بن خالد	البيسيط	قلما
273 : 17	النابعة الذبياني	البيسيط	البرما
265 : 18	-	البيسيط	سقما
89 ، 83 : 20	دعبل الخزاعي	البيسيط	حكما
157 ، 155 : 22	علي بن عبدالله بن جعفر	البيسيط	دما
197 : 22	النمر بن تولب	البيسيط	زعما
31 : 19	مسلم بن الوليد	البيسيط	أسقاما
31 : 19	مسلم بن الوليد	البيسيط	وارغاما
30 : 19	مسلم بن الوليد	البيسيط	والهاما
247 : 8	الأحوص	الوافر	الغراما
12 : 9	السيد الحميري	الوافر	المقاما
91 : 9	الأعشى	الوافر	كراما
97 : 11	عامر بن الطفيل	الوافر	نياما
112 : 11	عامر بن الطفيل	الوافر	حساما
112 : 12	المتوكل الليثي	الوافر	حماما
112 : 2	الحطيئة	الوافر	السلاما
128 : 13	ناهض بن ثوبة	الوافر	السلاما
148 : 13	حاجز الأزدي	الوافر	ظلاما
160 : 13	المعذل بن غيلان	الوافر	ذماما
199 : 17	عمران بن عصام	الوافر	والسلاما
147 : 19	عمرو بن مخلدة	الوافر	الخدما
135 : 22	ابن الصعق العامري	الوافر	الطعاما

77 : 23	نصيب الأصغر	الوافر	الهماما
54 : 14	قيس بن عاصم	الوافر	الكريما
12 : 19	أبو محجن الثقفي	الوافر	الخليما
158 : 21	سارية بن أبي زنيم	الوافر	الكريما
57 ، 56 : 1	—	الكامل	ومسلحا
289 : 4	إسماعيل بن يسار	الكامل	مغرما
289 : 4	إسماعيل بن يسار	الكامل	فسلما
187 : 7	السيد الحميري	الكامل	درهما
14 : 13	الأسود بن يعفر	الكامل	وأكرما
81 : 22	الصامت بن أصرم	الكامل	المغنما
208 : 7	السيد الحميري	الكامل	إحداهما
207 : 7	السيد الحميري	الكامل	فمحاها
115 : 5	—	الكامل	سلاما
22 : 6	كثير أو عبد الصمد بن علي أو إسماعيل بن يسار	الكامل	حماما
158 : 6	وضاح اليمن	الكامل	علاما
131 : 9	عمر بن أبي ربيعة	الكامل	وزماما
179 : 9	امراة من آل أبي سفيان	الكامل	كماما
166 : 14	ثابت قطنة أو كعب الأشقري	الكامل	حماما
20 : 23	نصيب الأصغر	الكامل	عظاما
98 : 23	الحسن بن وهب	الكامل	فأقوما
110 : 23	أحمد بن يوسف الكاتب	الكامل	معلوما
152 ، 150 : 4	هند بنت عتبة	مجزوء الكامل	راهما
127 : 22	إبراهيم بن المدبر	مجزوء الكامل	هما
39 : 15	—	مجزوء الكامل	الخليما
151 : 3	بشار أو عمرو الظالم	الهزج	باما
236 : 16	هارون الرشيد	الهزج	اليوما
220 : 1	قطية بنت بشر	الرجز	دما
29 : 5	رجل من بكر بن وائل	الرجز	تكرما
55 : 5	—	الرجز	تجشما
222 : 20	—	الرجز	تكتما
262 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	عرزما
156 : 21	أبو خراش الهذلي	الرجز	الموسما
269 : 5	إدريس بن أبي حفصة	الرجز	عالما

72 : 15	أعرابي	الرجز	هاشما
180 : 21	زيادة بن زيد	الرجز	قائما
181 : 21	هدبة بن خشرم	الرجز	سراهما
103 ، 101 : 4	أمية بن أبي الصلت	الرجز	ألما
10 : 12	الديان	الرجز	آلما
164 : 4	عاصم بن ثابت	الرجز	القداما
67 : 12 ، 11 : 11	-	الرجز	والاقداما
12 : 13	حرير بن سهم التميمي	الرجز	والأعماما
196 : 16	مروان بن سراقه	الرجز	الأحكاما
103 ، 101 ، 100 : 4	أمية بن أبي الصلت	مجزوء الرجز	لديكما
168 ، 163 : 16	الرقاشي	مجزوء الرجز	صمما
174 : 3	بشار	مجزوء الرمل	لطمما
33 : 7	الوليد بن يزيد	مجزوء الرمل	عما
49 : 15	-	مجزوء الرمل	المناما
174 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	مجزوء الرمل	وندما
166 : 6	وضاح اليمن	السريع	أولما
10 ، 9 : 5	النابعة الجمدي أو لأمية بن أبي الصلت	المنسرح	ظلمما
55 : 5	-	المنسرح	أما
57 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	فطمما
58 : 5	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	دما
17 : 6	داود بن سلم	المنسرح	قثما
182 : 15 ، 132 : 7	إسحاق الموصلي	المنسرح	علمما
133 ، 132 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	مكتما
254 : 11	إسماعيل بن عمار	المنسرح	بهما
150 : 12	امرؤ القيس	المنسرح	عصما
183 ، 182 : 15	الحسين بن الضحاك	المنسرح	مكتما
123 : 16	-	المنسرح	ضرمما
123 : 16	-	المنسرح	الظلمما
123 : 16	-	المنسرح	مضطرمما
198 : 17	عبيدالله بن قيس الرقيات	المنسرح	انهدمما
88 : 19	بكر بن النضاح	المنسرح	دما
19 : 20	أبو نواس	المنسرح	دما
86 : 23	أبو نواس	المنسرح	بما

87 : 23	عنان	المنسرح	حتما
87 : 23	أبو نواس	المنسرح	ندما
87 : 23	عنان	المنسرح	سنا
73 : 24	-	المنسرح	الحرما
238 : 2 ، 201 ، 194 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	أما
201 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	هما
238 : 2 ، 202 : 1	-	الخفيف	فتزما
18 : 7	الوليد بن يزيد	الخفيف	هشاما
191 : 8	-	الخفيف	الكلاما
225 : 14	حماد عجرد	الخفيف	أماما
176 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الخفيف	أناما
92 : 23	البحثري	الخفيف	أعواما
162 : 23	-	الخفيف	السلاما
162 : 23	ماني الموسوس	الخفيف	إلماما
207 : 1	-	الخفيف	قوما
208 : 16	أبو العباس الأعمى	الخفيف	جسيما
100 : 23	الحسن بن وهب	الخفيف	إبراهيمما
162 : 23	-	الخفيف	فأقيما
162 : 23	ماني الموسوس	الخفيف	هشيمما
183 : 6	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	لائما
82 : 23	خالد الكاتب	مجزوء الخفيف	وما
122 : 23	علي بن أمية	مجزوء الخفيف	ما
129 : 23	-	مجزوء الخفيف	أنجما
245 : 12	-	المتقارب	شيخاهما
190 : 22	النمر بن تولب	المتقارب	مغرما
196 : 22	النمر بن تولب	المتقارب	هدما
22 : 13	أرطاة بن سهية	المتقارب	الخداما
230 : 14	حماد عجرد	المتقارب	السلاما
221 : 20	بشر بن أبي خازم	المتقارب	نياما

- قافية الميم المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

163 : 13	عبد الصمد بن المعدل	البيسيط	منسجمة
68 : 22	عبيد بن الأبرص	البيسيط	معلومة
34 : 8	عقيلة بنت الضحاك	الوافر	والكرامة

205 : 10	أبو دلالة	الوافر	كرامة
105 : 11	قيس بن زهير	الوافر	بالكرامة
98 : 18	أعشى بن ربيعة	الوافر	والغرامة
63 : 9	عبيد بن الأبرص	مجزوء الكامل	الندامة
49 : 15	-	مجزوء الكامل	حمامة
88 : 18	عمران بن حطان	مجزوء الكامل	أسامة
190 : 18	ابن مفرغ	مجزوء الكامل	برامة
178 : 23	مروان بن أبي حفصة	مجزوء الكامل	الأمامة
168 : 13	عبد الصمد بن المعذل	مجزوء الكامل	أميمة
6 : 10	سلمه بن دريد	الرجز	توسمة
202 : 8	كعب بن جميل	الرجز	ألحمة
202 : 8	الأخطل	الرجز	أمة
139 ، 130 : 21	الشنفري	الرجز	حمامة
132 : 21	الشنفري	الرجز	قتامة
184 : 22	أبو حزابة التميمي	الرجز	سلامة
74 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرجز	الملامة
77 : 14	ابن أبي الزوائد	المنسرح	ومعترمة
82 : 14	ابن أبي الزوائد	المنسرح	ملتثمة
270 : 4	ابن هرمة	المتقارب	فاطمة
8 : 7	الوليد بن يزيد	المتقارب	المعجمة
180 : 11	الأقيشر	المتقارب	لحة

- قافية الميم المفتوحة ومعها ها -

276 : 4	ابن هرمة	الطويل	نظامها
---------	----------	--------	--------

- قافية النون الساكنة -

167 : 6	وضاح اليمن	الطويل	والحزن
150 : 6	وضاح اليمن	مجزوء الكامل	اليمن
151 : 6	وضاح اليمن	مجزوء الكامل	فثن
215 : 7	-	الرجز	يفزعن
49 : 16	ربيعة بن مكرم	الرجز	تمنعن
55 : 5	-	الرجز	ولادان
46 : 6	أعشى همدان	الرجز	عبدالرحمن
40 : 8	ذو الرمة	الرجز	غيلان

125 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	حيان
151 : 12	سفيان بن مجاشع	الرجز	حران
226 : 16	رجل سعدي	الرجز	الريان
122 : 21	ربطة بنت جابر أخت تأبط شرا	الرجز	سفيان
124 : 21	أم تأبط شرا	الرجز	سفيان
156 : 21	أبو خراش الهذلي	الرجز	الضان
30 : 1	-	الرجز	المسنون
66 : 9	امرؤ القيس	الرجز	يমানون
145 : 15	عمرو بن معديكرب	الرجز	مجنون
246 : 17	يزيد بن معاوية	الرجز	تضجين
25 : 10	دريد بن الصمة	مجزوء الرجز	ودجن
244 ، 242 : 2 ، 144 ، 92 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	مؤتمن
196 : 17 ، 223 : 4			
152 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	وبطن
119 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	الحزن
143 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الرمل	الوطن
247 ، 242 : 3	موسى شهوات	الرمل	غبن
247 : 3	موسى شهوات	الرمل	مرتتهن
58 : 4	أبو العتاهية	الرمل	بدن
59 : 4	أبو العتاهية	الرمل	حسن
59 : 4	هارون الرشيد	الرمل	فطن
276 : 5	إسحاق الموصلي	الرمل	وحزن
40 : 10	أبان بن عبد الحميد	الرمل	فافتن
86 ، 62 : 2	عدي بن زيد	مجزوء الرمل	المجدون
35 : 4	أبو العتاهية	السريع	الزمن
170 : 3	بشار	السريع	والصولجان
115 : 4	قيس بن عاصم	السريع	والسيلحون
57 : 14	قيس بن عاصم المنقري	السريع	يصلحون
134 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الخفيف	فتن
141 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الخفيف	السكن
104 : 23	الحسن بن وهب	مجزوء الخفيف	أخن
106 : 3	بشار	المتقارب	أجن
68 : 20	دعبل الخزاعي	المتقارب	للثمن

الزمنُ	المتقارب	إبراهيم بن المديبر	125 : 22
جوانُ	المتقارب	العرجي	66 : 1
عسقلانُ	المتقارب	الوليد بن يزيد	204 : 9

- قافية النون الساكنة ومعها هاء مضمومة -

عنه	الرجز	عمر بن أبي ربيعة	208 : 1
-----	-------	------------------	---------

- قافية النون المضمومة -

وأسكنُ	الطويل	حسن بن وهب	96 : 23
القرائنُ	الطويل	أبو قطيفة	42 : 1
كائنُ	الطويل	أبو قطيفة	43 : 1
كائنُ	الطويل	قيس بن ذريح	136 : 9 ؛ 58 : 2
وأداجنُ	الطويل	كثير	250 ، 248 : 2
الدواهنُ	الطويل	كثير	132 ، 131 : 12
وجناجنُ	الطويل	كثير	192 : 15
كائنُ	الطويل	عبدالله بن أبي بكر الصديق	43 : 18
قمحطانُ	الطويل	الأسود بن عمارة	110 ، 109 : 14
أدانُ	الطويل	معن بن أوس	39 : 12
كئينُ	الطويل	-	170 : 1
جنونُ	الطويل	مجنون ليلي	27 ، 26 : 2
سمينُ	الطويل	ابن ميادة	204 : 2
وعيونُ	الطويل	-	106 : 3
دينُ	الطويل	كثير	65 : 5
حزينُ	الطويل	-	151 : 5
حزينُ	الطويل	كثير	230 : 9 ؛ 124 : 7
زيونُ	الطويل	جرير	18 : 8
يزينُ	الطويل	أمية بن أبي الصلت	236 : 8
حنينُ	الطويل	الفرزدق	222 : 21 ؛ 245 : 9
يكونُ	الطويل	قيس بن ذريح	158 : 9
وتلينُ	الطويل	أبو جلدة الشكري	216 : 11
حنينُ	الطويل	كثير	130 : 13
حزينُ	الطويل	أعرابي أو ابن الدمينه	33 : 2
شوونُ	الطويل	محمد بن أمية	107 : 12
سمينُ	الطويل	العجير السلولي	42 : 13

270 : 18	-	الطويل	عيونُ
61 : 20	علي بن رزين	الطويل	مكينُ
71 : 21	معقل بن عيسى	الطويل	عيونُ
238 : 21	الفرزدق وجريز	الطويل	يخونُ
36 : 23	أبو شراة	الطويل	سمينُ
12 : 4	أبو العتاهية	المديد	الزمنُ
17 : 4	أبو العتاهية	المديد	الكفنُ
189 : 4	الأحوص	البسيط	الحزنُ
226 : 3	الحارث بن خالد	البسيط	قمنُ
56 : 6	ابن مزاحم الثمالي	البسيط	السفنُ
259 : 8	العباس بن الأخنف	البسيط	والزمنُ
137 : 10	-	البسيط	واحزنُ
66 : 19	محمد بن وهيب	البسيط	الزمنُ
182 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	البسيط	ثمنُ
172 : 20	-	البسيط	والشجنُ
31 : 16	سعد بن الحصين	البسيط	غسانُ
243 : 18	عروة بن أذينة	مخلع البسيط	وطينُ
143 : 3	بشار	الوافر	خنانُ
226 : 1	نصيب بن رباح	الوافر	تكونُ
31 ، 22 ، 13 ، 12 : 2	المجنون	الوافر	مكينُ
147 : 2	-	الوافر	والحصونُ
27 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	السنونُ
239 : 10	زهير بن أبي سلمى	الوافر	الظنونُ
239 : 10	زهير بن أبي سلمى	الوافر	يهونوا
17 : 11	النابعة الذبياني	الوافر	العيونُ
5 : 11	النابعة الذبياني	الوافر	الظنونُ
6 : 14	غصين بن حي	الوافر	اليقينُ
149 : 19	علي بن الغدير	الوافر	تبينُ
172 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الوافر	ذقنُ
278 : 2	الحكم بن عبدل	الكامل	أهونُ
234 : 14	حماد عجرد	الكامل	معانُ
52 : 4	أبو العتاهية	الكامل	رهينُ
240 : 6 ؛ 26 : 5	العباس بن مرداس	الكامل	ملعونُ

المكتون	الكامل	أبو تمام	16 : 266
فيكون	الكامل	ابن أبي عيينة أو غيره	20 : 39
تكون	الكامل	محمد بن عبد الملك الزيات	23 : 72
ظعنوا	الكامل	مطيع بن إياس	13 : 211
البيان	مجزوء الكامل	عبدالله بن هارون العروضي	1 : 114 ، 116
تطحن	مجزوء الكامل	أبو العتاهية	4 : 42 ، 78
الخدئين	مجزوء الكامل	محمد بن كناسة	13 : 241
دحمان	الهزج	أعشى بني سليم	6 : 19
إخوان	الهزج	الفند الزماني	24 : 53
فتان	مشطور الرجز	مطيع بن إياس	6 : 198 ؛ 13 : 195 ، 196
غسان	مشطور الرجز	سلم الخاسر	19 : 192
تهتان	مشطور الرجز	سلم الخاسر	19 : 192
الزمن	المنسرح	الحسين بن الضحاك	7 : 164
حسن	المنسرح	أبو نواس	20 : 24
ثمن	المنسرح	ابن أبي عيينة	20 : 47
الهجران	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	1 : 84 ؛ 15 : 178
سكران	الخفيف	ابن هرمة	4 : 276
نعمان	الخفيف	عبد الرحمن بن حسان	15 : 80 ؛ 16 : 28
والأوطان	الخفيف	ابن أبي عيينة	20 : 57
الهوان	الخفيف	بكر بن خارجة	23 : 166
كون	الخفيف	إسحاق الموصلي	5 : 210 ، 226 ؛ 18 : 222
يكون	الخفيف	الحسين بن الضحاك	7 : 115 ؛ 21 : 48
المحزون	الخفيف	أبو طالب بن عبد المطلب	9 : 39
الهجون	الخفيف	-	15 : 68
حزين	الخفيف	العباس بن الأحنف	17 : 55
نستكين	الخفيف	الحسين بن الضحاك	21 : 48
الخلان	المجث	يوسف بن الصيقل	23 : 189
القرين	المجث	ابن البواب	23 : 49
الخائن	المتقارب	أشجع السلمي	18 : 166

- قافية النون المضمومة ومعها هاء ساكنة -

تطحنه	المتقارب	أبو العتاهية	4 : 53
-------	----------	--------------	--------

- قافية النون المضمومة ومعها هاء مضمومة -

248 ، 246 : 16	محمد بن صالح العلوي	الكامل	أشجانُهُ
254 : 16	محمد بن صالح العلوي	الكامل	لمعانُهُ
97 : 20	أبو سعد المخزومي	السريع	خزانُهُ

- قافية النون المضمومة ومعها ها -

243 ، 8 : 2	مجنون ليلي	الطويل	بينها
26 : 2	مجنون ليلي	الطويل	عيونها
196 ، 194 ، 173 : 2	الحكم الخصري	الطويل	حنينها
196 : 2	ابن ميادة	الطويل	وعينها
221 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	يهينها
221 : 3	الحارث بن خالد	الطويل	يهينها
112 : 8	بثينة معشوقة جميل	الطويل	حينها
128 : 8	يزيد بن الطثيرة	الطويل	يستدينها
18 : 9	كثير	الطويل	يزينها
233 : 11	-	الطويل	لينها
88 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	يهينها
254 : 18	-	الطويل	غصونها
145 : 19	سنان بن جابر	الطويل	عيونها
18 : 22	الفرزدق	الطويل	تدينها
29 : 22	صخر بن الجعد	الطويل	نخونها
20 : 24	ابن مخلاة	الطويل	عيونها
25 ، 22 : 16 ؛ 13 : 3 ؛ 280 : 2	قيس بن الخطيم	المتقارب	شأنها
24 ، 12 : 3	حسان بن ثابت	المتقارب	أديانها
12 : 3	قيس بن الخطيم	المتقارب	فرسانها

- قافية النون المكسورة -

139 : 6	النميري	الطويل	بالحرز
9 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	والمرز
19 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	تبنى
63 : 10	يحيى بن أبي حفصة	الطويل	التنن
110 ، 109 : 10	إبراهيم بن المهدي	الطويل	عني
110 : 10	إبراهيم بن المهدي	الطويل	سني
151 : 14	عبدالله بن الزبير الأسدي	الطويل	تعني

200 : 14	العباس بن مرداس	الطويل	النتن
7 : 15	جعفر بن الزبير	الطويل	الركن
97 : 17	ابن الزبير الأسدي	الطويل	للطعن
179 : 20 ، 95 ، 94 : 18	أعشى بني ربيعة	الطويل	سني
219 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	وخلصاني
220 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	خفان
219 : 5	محمد بن راشد الخناق	الطويل	إخوان
64 : 9	الأسدي	الطويل	خدان
153 : 12 ، 67 : 9	امرؤ القيس	الطويل	غدران
123 : 22	إبراهيم بن المدير	الطويل	وعلائي
27 : 12	الطرماح بن حكيم	الطويل	للقرائن
112 : 17	-	الطويل	القرائن
67 : 1	ضبارة بن الطفيل	الطويل	الرجوان
35 : 2	مجنون ليلى	الطويل	رآني
47 : 3	هلال بن الأسعر	الطويل	دعاني
120 : 6	النميري أو العديل بن الفرخ	الطويل	مكان
224 ، 220 : 6	-	الطويل	هجان
31 : 7	امرؤ القيس	الطويل	تبتدران
215 : 8	يزيد بن معاوية	الطويل	الشجيان
215 : 8	الأخطل	الطويل	فيلتقيان
258 : 8	العباس بن الأحنف	الطويل	نهاني
139 : 9	قيس بن ذريح	الطويل	حوان
215 ، 213 ، 212 : 9	أعرابي	الطويل	مؤتلفان
77 ، 73 : 13 ، 92 : 10	العتابي	الطويل	القدمان
110 : 11	معقر بن أوس بن حمار البارقي	الطويل	ستان
106 : 12	محمد بن أمية	الطويل	فدعاني
115 : 12	المتوكل الليثي	الطويل	أبان
116 : 12	معن بن حمل	الطويل	مكان
121 : 12	أبو النشماش	الطويل	الرجوان
115 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	وشجاني
115 : 13	عبدالله بن الحجاج	الطويل	الظربان
122 : 13	ناهض بن ثومة	الطويل	الحدثان
189 ، 184 : 13	النجاشي	الطويل	دواني

138 ، 136 : 14	علي بن عمرو الأنصاري وينسب لعروة بن حزام	الطويل	جدلان
56 : 15	صخر بن عمرو	الطويل	ومكاني
83 : 16	محمد بن بشير الخارجي	الطويل	الأخوان
145 : 17	ابنة مالك بن بدر	الطويل	فرسان
32 : 18	ذو الرمة	الطويل	هوان
167 : 18	أشجع السلمي	الطويل	للحدثان
46 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	مختلفان
24 : 20	أبو نواس	الطويل	حكمان
186 : 20	سلمة بن عياش	الطويل	يماني
188 : 21	هدبة بن خشرم	الطويل	الرسفان
216 : 21	الفرزدق	الطويل	يصطحبان
103 : 22	يعلى الأحول أو غيره	الطويل	تشيان
104 ، 103 : 22	يعلى الأحول أو غيره	الطويل	يماني
237 : 22	العديل بن الفرخ	الطويل	مكاني
120 : 23	مرة النهدي	الطويل	لاران
78 : 24	عروة بن حزام	الطويل	مصطحبان
84 : 24	عروة بن حزام	الطويل	وانتظرائي
86 : 24	عروة بن حزام	الطويل	تكفان
86 : 24	عروة بن حزام	الطويل	شفياني
87 : 24	عروة بن حزام	الطويل	الخفقان
88 : 24 ، 168 : 20	عروة بن حزام أو المخبل القيسي	الطويل	غرفان
166 : 20	المخبل القيسي	الطويل	زمان
167 : 20	المخبل القيسي	الطويل	الثقلان
168 ، 167 : 20	المخبل القيسي أو ابن الدمينه	الطويل	قضياني
189 : 4	الأحوص	الطويل	وحيني
72 : 8	جميل	الطويل	دفين
246 : 8	-	الطويل	وجبين
20 ، 14 : 19	زهير بن جناب	الطويل	بيميني
166 : 19	جميل	الطويل	تسليني
136 : 7	الحسين بن الضحاك	المديد	لترحمي
111 : 10	أبو نواس	المديد	السكن
61 : 17	-	المديد	والحرز

106 : 23	ابن رباح	المديد	الزمن
89 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	عدن
90 : 1	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	اليمن
37 : 4	أبو العتاهية	البسيط	مرتهن
134 : 4	الأحوص	البسيط	زمن
134 : 4	الأحوص	البسيط	رسني
262 : 4	ابن هرمة	البسيط	قرن
263 : 4	ابن هرمة	البسيط	الزمن
270 : 5	إسحاق الموصلي	البسيط	بالسفن
81 : 6	ابن هرمة	البسيط	الهجن
130 : 7	الحسن بن الضحاك	البسيط	غصن
201 : 7	السيد الحميري	البسيط	يمن
104 : 9 ؛ 35 : 8	جرير	البسيط	زمني
150 : 8	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	عدن
258 : 8	العباس بن الأحنف	البسيط	للبدن
173 : 9	-	البسيط	قطن
28 : 10	عبدالله بن عبد المدان	البسيط	حضر
82 : 10	الأحوص	البسيط	رسني
181 : 10	علي بن الجهم	البسيط	سكن
90 : 12	أبو زيد الطائي	البسيط	والعطن
75 : 14	-	البسيط	الحزن
227 : 17	ابن عباد الرازي	البسيط	لليمن
201 ، 198 : 18	ابن مفرغ	البسيط	اليمن
268 : 18	العباس بن الأحنف	البسيط	الزمن
269 : 18	العباس بن الأحنف	البسيط	للبدن
41 : 20	ابن أبي عيينة	البسيط	المنن
46 : 20	ابن أبي عيينة	البسيط	أذني
21 : 23	نصيب الأصغر	البسيط	شجن
76 : 24	يحيى بن طالب الحنفي	البسيط	السنن
78 : 24	يحيى بن طالب	البسيط	والعطن
170 ، 167 : 2	عبد الرحمن بن أرطاة	البسيط	بيهتان
169 : 2	عبد الرحمن بن أرطاة	البسيط	بوسنان
154 : 3	بشار	البسيط	سمان

162 : 5	—	البسيط	تدلان
229 : 7	سويد بن عامر المصطلقى أو أبو قلابة اللسان مادة سني	البسيط	إنسان
205 : 9	يعقوب بن إسحاق الربيعي	البسيط	أقصاني
206 : 9	يعقوب بن إسحاق الربيعي	البسيط	وتنساني
206 : 9	يعقوب بن إسحاق الربيعي	البسيط	وأحراني
220 : 10	ابن المعتز	البسيط	حياني
78 : 11	قراد بن حنش الصادري	البسيط	جوفان
242 ، 241 : 11	—	البسيط	يدلان
79 : 13	—	البسيط	ذنبان
22 : 14	محمد بن يسير	البسيط	إخواني
240 ، 239 : 16	إبراهيم الموصلي	البسيط	زيدان
210 : 17	—	البسيط	جدعان
81 : 18	عمران بن حطان	البسيط	وغسان
35 : 19	مسلم بن الوليد	البسيط	أعطاني
14 : 21	أمية بن الأسكر	البسيط	فاني
15 : 21	أمية بن الأسكر	البسيط	الضان
36 : 21	البحثري	البسيط	رضوان
38 : 21	أبو تمام	البسيط	خوان
65 : 21	شيخ من الأعراب	البسيط	فتيان
122 : 21	مرة بن خليف	البسيط	رخمان
212 : 21	الفرزدق	البسيط	ذبيان
8 : 23	أبو المثلث الهذلي	البسيط	قتيان
116 : 5	إبراهيم الموصلي	البسيط	يومين
208 : 7	السيد الحميري	البسيط	الغويين
237 : 9	المعتز الخليفة	البسيط	سكرين
60 : 12	ابن سيابة	البسيط	ذراعين
207 : 14	بشار	البسيط	شريكين
90 : 20	—	البسيط	عقالين
51 ، 30 ، 27 : 1	أبو قطيفة	البسيط	جيرون
37 : 1	أبو العباس الأعمى	البسيط	اللين
21 : 2	مجنون ليلي	البسيط	حين
20 : 2	مجنون ليلي	البسيط	يليني

25 : 2	مجنون ليلي	البيسط	بالمجانين.
28 : 2	مجنون ليلي	البيسط	حين.
29 : 2	مجنون ليلي	البيسط	يعتيني
79 ، 61 : 3	ذو الإصبع العدواني	البيسط	دونى
72 : 3	ذو الإصبع العدواني	البيسط	هارون
79 : 3	ذو الإصبع العدواني	البيسط	تأسوني
79 : 3	ذو الإصبع العدواني	البيسط	ويقليني
34 : 4	أبو العتاهية	البيسط	فاستزيريني
41 : 4	أبو العتاهية	البيسط	تولينى
240 : 4	ذو الإصبع العدواني	البيسط	تروينى
272 : 4	ابن هرمة	البيسط	دين
198 : 7	السيد الحميري	البيسط	وللدين
31 : 8	جرير	البيسط	مأفون
100 : 8	جميل	البيسط	جون
171 : 8	-	البيسط	البراذين
64 : 10	يحيى بن أبي حفصة	البيسط	للدين
245 : 11	إسماعيل بن عمار	البيسط	رامين
50 : 12	فضالة بن شريك	البيسط	العين
105 : 12	محمد بن أمية	البيسط	يكفينى
182 : 13	عبد الصمد بن المعذل	البيسط	الصين
88 : 14	أبو الأسد	البيسط	التباين
91 : 14	أبو الأسد	البيسط	يؤذيني
174 : 14	ثابت قطنة	البيسط	يؤذيني
239 : 14	حماد عجرد	البيسط	وللدين
43 : 15	إسماعيل بن عمار	البيسط	رامين
44 : 15	إسماعيل بن عمار	البيسط	البراذين
45 : 15	إسماعيل بن عمار	البيسط	فزيني
50 : 15	شراة بن الزندبوز	البيسط	عين
105 : 15	ذو الإصبع العدواني	البيسط	دين
94 : 16	الرباب بنت امرئ القيس	البيسط	مدفون
110 : 18	مساور الوراق	البيسط	الطبرزين
237 ، 235 ، 233 : 18	عروة بن أذينة	البيسط	يأتيني
46 : 19	مسلم بن الوليد	البيسط	تشفينى

63 : 19	محمد بن وهيب	البسيط	هارون
245 : 19	علي بن جبلة	البسيط	والدين
16 : 20	التيمي	البسيط	بالدين
92 : 20	دعبل الخزاعي	البسيط	الطين
92 : 20	رزين العروضي	البسيط	الملاعين
157 : 22	علي بن عبدالله الجعفري	البسيط	والدين
39 : 23	أبو شراعة	البسيط	السلاطين
127 ، 125 ، 123 : 23 ؛ 256 : 18	علي بن أمية	مجزوء البسيط	حسن
123 : 23	أبو موسى الأعمى	مجزوء البسيط	بالدمن
124 : 23	علي بن أمية	مجزوء البسيط	الفطن
166 : 13	الحمدوي	مخلع البسيط	قيان
128 : 18	ابن منذر	مخلع البسيط	الزمان
9 : 3	النابعة	الوافر	المجن
191 : 15 ؛ 23 : 4	أبو العتاهية	الوافر	حزني
87 : 4	أبو العتاهية	الوافر	مني
200 : 10	أبو دلالة	الوافر	ديني
149 : 16	حمزة بن بيض	الوافر	ديني
223 : 22	ذو رعين	الوافر	عين
175 : 23	أبو العبر ونسب للجماز	الوافر	الخافقين
34 : 1	نابعة بني جعدة	الوافر	العنان
123 : 2	دثار بن شيبان	الوافر	فمنياني
274 : 2	الحكم بن عبدل	الوافر	تعذراني
106 : 3	بشار	الوافر	الجنان
7 : 5	النابعة الجعدي	الوافر	الخنان
8 : 5	النابعة الجعدي	الوافر	فاني
114 : 5	-	الوافر	رماني
165 : 5	ابن سيابة أو أبو الأسد	الوافر	والقيان
210 : 6	-	الوافر	رماني
211 : 6	سوار بن المضرب	الوافر	زمان
178 ، 177 : 8	أبو دلف العجلي	الوافر	الجبان
51 : 10	إبراهيم بن العباس	الوافر	العيان
250 : 10	المرار بن سعيد	الوافر	ثمان
81 : 11	الحارث بن ظالم	الوافر	أراني

105 : 11	جرير	الوافر	أرجوان
186 : 11	ابن الغريزة النهشلي	الوافر	كناني
186 : 11	ابن الغريزة النهشلي أو غيره	الوافر	بان
187 : 11	ابن الغريزة النهشلي	الوافر	بالجوزجان
189 : 11	أعشى بني تغلب	الوافر	الجبان
219 : 11	أبو جلدة اليشكري	الوافر	الغواني
248 : 11	إسماعيل بن عمار	الوافر	نهاني
187 : 13	عبد الرحمن بن الحكم	الوافر	الهمجان
187 : 13	عبد الرحمن بن الحكم أو ابن مفرغ	الوافر	اضحجان
25 : 14	محمد بن يسير	الوافر	شحجاني
90 : 14	أبو الأسد	الوافر	والقيان
42 : 15	محمد بن الأشعث	الوافر	ثاني
196 : 15	آدم بن عبد العزيز	الوافر	أدروسفان
207 : 15	مالك بن نويرة	الوافر	أراني
237 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	المثاني
237 : 17	حماد الراوية	الوافر	بالمعاني
80 : 18	عمران بن حطان	الوافر	عوثبان
167 : 18	أشجع السلمي	الوافر	الموان
198 ، 194 : 18	ابن مفرغ	الوافر	اليماني
251 : 19	علي بن جبلة	الوافر	للديبان
25 : 20	أبو نواس	الوافر	اللسان
49 : 20	ابن أبي عيينة	الوافر	دعاني
99 ، 95 : 21	تأبط شرا	الوافر	بطان
70 : 22	ربيعة بن مرقوم	الوافر	لعاني
158 : 23	ماني الموسوس	الوافر	يتكلمان
36 : 24	قيس بن مسعود	الوافر	مكاني
71 : 24	أبو دلف	الوافر	الجبان
105: 2	الخطيعة	الوافر	البنين
125 ، 117 : 9	الشماخ	الوافر	القرين
125 : 9	الشماخ	الوافر	باليمين
126 : 9	الشماخ	الوافر	الوتين
127 : 9	الشماخ	الوافر	عين
128 : 9	الشماخ	الوافر	حرون

128 : 9	الشمّاخ	الوافر	قنين
143 : 11	الصحفي من بني صحمة	الوافر	تعرفني
171 : 11	أبو الضحّاك التميمي	الوافر	هجين
171 : 11	الأقشير	الوافر	الأكرمين
229 : 11	إبراهيم الموصلّي	الوافر	وليند
55 : 12	علي بن الجهم	الوافر	ودين
157 : 12	الشمّاخ	الوافر	باليمين
93 : 13	الأبيرد الرياحي	الوافر	الحرون
93 : 13	سحيم بن وثيل الرياحي	الوافر	الظنون
125 : 15	الشمّاخ	الوافر	باليمين
244 : 16	سدوس بن شيان	الوافر	باليقين
108 : 18	مساور الوراق	الوافر	السمين
167 : 18	أشجع السلميّ	الوافر	الحنين
161 : 21	أبو جندب الهذلي	الوافر	مين
31 : 22	الجعد المحاريبي	الوافر	دوني
89 : 22	سعية بن عريض	الوافر	ودعوني
240 : 16	إبراهيم الموصلّي	مجزوء الوافر	يلثمني
43 : 16	كعب بن زهير	الكامل	الظاعن
30 : 14	محمد بن يسير	الكامل	قبضتي
20 : 14	محمد بن يسير	الكامل	الأخوين
147 : 18	ابن مناذر	الكامل	القلبين
85 : 2	المغيرة بن شعبة	الكامل	النعمان
267 : 2	الحكم بن عبدل	الكامل	العرجان
76 : 3	ذو الإصبع	الكامل	الفتيان
152 : 3	بشار	الكامل	الشیطان
183 : 3	عكاشة العمي	الكامل	دعاني
250 : 3	-	الكامل	عمان
96 : 4	أمية بن أبي الصلت أو ابنة القاسم	الكامل	عاداني
167 : 4	الأحوص	الكامل	شاني
169 : 4	الأحوص	الكامل	والشنان
122 : 5	-	الكامل	بزمان
268 : 5	إسحاق الموصلّي	الكامل	الفتيان
14 : 8	الأخطل	الكامل	أخوان

النشوان	الكامل	جرير	14 : 8
الألوان	الكامل	جرير	39 : 8
الجلمان	الكامل	فتى من كلاب	129 : 8
الشیطان	الكامل	جرير	214 : 8
النشوان	الكامل	جرير	226 : 8
السلطان	الكامل	الأخطل	226 : 8
أحزاني	الكامل	الأحوص	100 : 9
مروان	الكامل	رجل من باهلة	69 : 10
سبيان	الكامل	مروان بن أبي حفصة	75 ، 71 ، 69 : 10
الرحمن	الكامل	مروان بن أبي حفصة	75 ، 71 : 10
البحران	الكامل	الفرزدق	37 : 11
بزمان	الكامل	جرير	42 ، 41 : 11
حصان	الكامل	الأخطل	41 : 11
الوسنان	الكامل	يزيد بن عبد المدان	9 : 12
الديان	الكامل	عامر بن الطفيل	9 : 12
لاقاني	الكامل	مروان الأصغر أبو السمط	54 : 12
حصان	الكامل	-	81 : 12
يلحاني	الكامل	الأخطل	202 : 12
وعلائي	الكامل	يزيد بن الحكم الثقفي	211 : 12
الفرسان	الكامل	غيلان بن سلمة	141 : 13
تفشاني	الكامل	غيلان بن سلمة	145 : 13
الأغصان	الكامل	عبد الصمد بن المعذل	171 : 13
الحسان	مجزوء الكامل	مطيع بن إياس	203 : 13
النعمان	الكامل	المغيرة بن شعبة	59 ، 54 : 16
مكان	الكامل	هارون الرشيد أو العباس بن الأحنف	237 : 16
الأكفان	الكامل	مسلم بن الوليد	41 : 19
حلوان	الكامل	بكر بن النطاح	86 : 19
غضبان	الكامل	بكر بن النطاح	90 : 19
والركبان	الكامل	أبو نواس	26 : 20
الوسنان	الكامل	يزيد بن عبد المدان	18 : 21
الديان	الكامل	عامر بن الطفيل	18 : 21
الألوان	الكامل	-	35 : 21
بنيان	الكامل	الفرزدق	242 : 21

136 : 24	عمارة بن عقيل	الكامل	الإنسان
109 : 24	بدر بن عامر	الكامل	يجديني
109 : 24	أبو العيال الهزلي	الكامل	ظنون
110 : 24	أبو العيال الهذلي	الكامل	ينسيني
110 : 24	بدر بن عامر	الكامل	قروني
266 : 2	الحكم بن عبدل	مجزوء الكامل	الزمان
27 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	شاني
283 : 5	-	مجزوء الكامل	الزمان
262 : 16	دوادة بنت أبي دواد	مجزوء الكامل	واحتنان
179 : 23	خالد بن يزيد الكاتب	مجزوء الكامل	يراني
249 ، 242 : 15 ، 228 : 3	الحارث بن خالد	مجزوء الكامل	والحجوان
243 : 15	الحارث بن خالد	مجزوء الكامل	يميني
124 : 5	إبراهيم الموصلي	الهزج	وجيراني
184 : 20	المسدود المغني	الهزج	العين
168 : 23	أبو العتاهية	الهزج	الكشاحين
46 : 16	ربيعة بن مكرم	الرجز	ساكن
96 : 5	سعيد بن العاص	الرجز	جن
78 : 10	الغول	الرجز	مني
121 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	جشمتني
229 : 10	أبو سلمى والد زهير	الرجز	مني
107 : 22	جميل	الرجز	شجني
95 : 5	جندب قاتل الساحر	الرجز	الشیطان
68 : 7	عمر الوادي	الرجز	عثمان
99 : 13	مروان بن أبي حفصة	الرجز	يوجداني
40 : 18	عبد الرحمن بن سليمان	الرجز	الأيمان
255 : 20	أبو النجم	الرجز	بيتان
98 : 8	جميل	الرجز	صليني
230 : 18	العماني	الرجز	السمون
157 : 21	عروة بن مرة أخو أبي خراش	الرجز	يدفتوني
152 : 20	محمد بن أبي محمد	مجزوء الرجز	ترحمني
66 : 1	يزيد بن عبد الملك	مجزوء الرجز	امسكيني
118 : 22	إبراهيم بن المدبر	الرمل	وضني
115 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الرمل	حزني

الأصبهاني	مجزوء الرمل	بشار	3 : 162
عناني	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	4 : 90 ؛ 7 : 32
ثاني	مجزوء الرمل	ابن سيابة	5 : 112 ، 161 ؛ 12 : 58
ولساني	مجزوء الرمل	محمد اليزيد	6 : 120 ؛ 20 : 148
		أو أبوه يحيى بن المبارك اليزيد	
غنياني	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	7 : 71 ؛ 9 : 98
سقاني	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	7 : 71
أصبهاني	مجزوء الرمل	الوليد بن يزيد	9 : 97
الزواني	مجزوء الرمل	حماد عجرد	14 : 221
شني	مجزوء الرمل	بشار	3 : 161
زفرتين	مجزوء الرمل	بشار	3 : 161
الطرفين	مجزوء الرمل	-	5 : 231
لجين	مجزوء الرمل	الحسين بن الضحاك	7 : 154
فكوني	مجزوء الرمل	-	6 : 25
بدون	مجزوء الرمل	أبو الشبل البرجمي	14 : 131
خدين	مجزوء الرمل	إبراهيم الموصلي	16 : 241
جيراني	السريع	أبو عطاء السندي	17 : 242
قحطان	السريع	أبو عطاء السندي	17 : 243
هجان	السريع	علي بن ثابت	18 : 76
والخيران	السريع	سلم الخاسر	19 : 196
بجرجان	السريع	سلم الخاسر	19 : 205
قتنعاني	السريع	-	19 : 209
واتياني	السريع	أحمد بن محمد بن أبي محمد	20 : 161
الفاني	السريع	دعبل الخزاعي	20 : 71
القيين	السريع	بشار	3 : 143
الحضين	السريع	أبو جلدة اليشكري	11 : 217
الاسكتين	السريع	الحضين بن المنذر	11 : 217
بنصفين	السريع	مطيع بن إياس	13 : 210
بفلسين	السريع	عباد بن المزمق	19 : 84
زين	السريع	عبدالله بن العباس الربيعي	19 : 172
نذلين	السريع	أبو شبل	19 : 220
فردين	السريع	خنساء جارية هشام	19 : 220
لين	السريع	بشار	3 : 134

المساكين	السريع	إسماعيل بن عمار الأسدي
هارون	السريع	أو محمد بن الأشعث 11 : 244 ، 15 : 40 : 247
تهجين	السريع	علي بن الجهم 13 : 245
الدين	السريع	علي بن الخليل 14 : 118
ويسقيني	السريع	حماد عجرد 14 : 236
يغريني	السريع	محمد بن حمزة بن نصير 15 : 241
بيني	السريع	عبدالله بن العباس الربيعي 19 : 179
بالأخاوين	السريع	ابن الخياط عبدالله 19 : 231
آيين	السريع	سهل بن عبد الحميد 23 : 145
بتلوين	السريع	عبدالله بن عمرو 23 : 145
طردين	السريع	ابن قنبر 23 : 145
شجن	المنسرح	أبان اللاحق 23 : 145
غصن	المنسرح	بشار 3 : 169
يكن	المنسرح	علي بن هشام أو مراد شاعرتة 9 : 219
يحن	المنسرح	محمد بن كناسة 13 : 243
بالسمن	المنسرح	ابن أبي الزوائد 14 : 78
سنن	المنسرح	حماد عجرد 14 : 247
الجهني	المنسرح	أبو الشيص 16 : 280
تنقصني	المنسرح	عبدالله بن العباس الربيعي 19 : 175
السمن	المنسرح	أبو نواس 20 : 24
يكلمني	المنسرح	ابن أبي عيينة 20 : 44
شعبان	المنسرح	محبوبة 22 : 142
بكر كين	المنسرح	عبدالله بن العباس الربيعي 19 : 183
مدفون	المنسرح	عبدالله بن العباس الربيعي 19 : 170
مدفون	المنسرح	محمد بن عبد الملك الزيات 20 : 77
بالأظعان	الخفيف	دعبل الخزاعي 20 : 77
زمان	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 80 ، 81 ، 15 : 177
كفاني	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 81
عاني	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 81 ، 82 ، 9 : 180
بلساني	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 82
يلتقيان	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 80 ، 84 ، 15 : 177
الأظعان	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة 1 : 97 ، 160
		عمر بن أبي ربيعة 1 : 108

111 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الأظعان
160 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الركبان
95 : 3	حماد عجرد	الخفيف	الإنسان
129 : 3	بشار	الخفيف	الميزان
156 : 3	أبو نواس	الخفيف	مكان
205 : 3	ابن المولى	الخفيف	الأحزان
249 : 3	موسى شهوات	الخفيف	فاني
22 ، 21 : 20 ؛ 143 : 18 ؛ 20 : 5	أبو نواس	الخفيف	عثمان
32 : 5	الحارث بن عباد	الخفيف	اليدان
125 : 5	إبراهيم الموصلي أو الحسين بن الضحاك	الخفيف	براني
143 : 5	إبراهيم الموصلي	الخفيف	زمان
142 : 6	مسلم بن الوليد	الخفيف	مكان
140 : 7	الحسين بن الضحاك	الخفيف	الإخوان
143 : 7	الحسين بن الضحاك	الخفيف	بالأمان
226 : 7	العباس بن الأحنف	الخفيف	المهجران
254 : 8	العباس بن الأحنف	الخفيف	لساني
266 : 8	مخلد الموصلي	الخفيف	يدان
152 : 10	-	الخفيف	للإنسان
175 : 11	الأقيشر	الخفيف	إخواني
234 ، 233 : 13	-	الخفيف	فتفترقان
234 : 13	-	الخفيف	دعاني
237 : 14 ؛ 234 : 13	حماد عجرد	الخفيف	حلوان
235 : 13	أحمد بن إبراهيم الكاتب	الخفيف	مؤتلفان
237 : 14 ؛ 232 ، 192 : 13	مطيع بن إياس	الخفيف	الزمان
236 : 14	حماد عجرد	الخفيف	قحطان
114 ، 107 : 15	حسان بن ثابت	الخفيف	فالصمان
116 : 15	حسان بن ثابت	الخفيف	الجولان
187 : 15	أبو العتاهية	الخفيف	قأبكياتي
261 : 15	أحمد بن محمد الخثعمية	الخفيف	تبكيان
30 : 16	النعمان بن بشير	الخفيف	المهون
179 : 16	ربيعة الرقي	الخفيف	البنان
242 ، 235 : 17	أبو عطاء الندي	الخفيف	لساني
131 : 18	ابن منذر	الخفيف	الجران

163 : 19	عبدالله بن العباس الربيعي	الخفيف	بعاني
202 : 19	سلم الخاسر	الخفيف	الزمان
227 : 19	يونس الخياط	الخفيف	دعاني
248 : 19	علي بن جبلة	الخفيف	العاذلان
26 : 20	أبو نواس	الخفيف	باللسان
148 : 20	مسلم بن الوليد	الخفيف	مكان
27 : 23	حجاء بنت نصيب	الخفيف	الميدان
109 : 23	إبراهيم بن محمد اليزيدي	الخفيف	حاذقان
190 : 15 ؛ 22 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	أوجعتني
148 : 6	وضاح اليمن	الخفيف	بهجن
26 : 16 ؛ 74 : 15	عبد الرحمن بن حسان	الخفيف	بالتمني
36 : 17 ؛ 33 : 17	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	قتلني
15 : 20	التميمي	الخفيف	جن
14 : 20	التميمي	الخفيف	ضفن
15 : 20	التميمي	الخفيف	عني
14 : 20	التميمي	الخفيف	مني
156 : 22	علي بن عبدالله الجعفري	الخفيف	مني
129 : 11	-	الخفيف	عيني
176 : 11	الأقيشر	الخفيف	حين
177 : 11	الأقيشر	الخفيف	ولديني
67 : 2	عدي بن زيد	الخفيف	جيرون
227 : 2	حتين الحيري	الخفيف	والصبيون
266 : 4	ابن هرمة	الخفيف	يؤذني
276 : 4	ابن هرمة	الخفيف	يكييني
166 : 5	إسحاق الموصلي	الخفيف	المحزون
76 : 15 ؛ 93 : 7	أبو دهبيل أو عبد الرحمن بن حسان	الخفيف	جيرون
97 : 93 : 7	أبو دهبيل الجمحي	الخفيف	جيرون
205 : 12	أبو موسى الأعمى	الخفيف	المنون
212 : 15	جذيمة الأبرش	الخفيف	بهجين
22 : 20 ؛ 15	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	البطون
258 : 16	أبو دواد الأيادي	الخفيف	تشكوني
148 : 23	تويت اليمامي	الخفيف	تبكييني
106 : 23	الحسن بن وهب	مجزوء الخفيف	والوسن

178 : 8	أبو دلف العجلي	مجزوء الخفيف	بالحاسن
56 : 10	إبراهيم بن العباس	المجث	الخلان
205 : 13	مطيع بن إياس	المجث	براني
152 : 20	محمد بن أبي محمد	المجث	بالغضبان
155 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	المجث	الفتيان
112 : 23	القاسم بن يوسف	المجث	الحدثان
140 : 23	أبو نواس	المجث	أبان
179 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	المجث	تكفيان
157 : 22	علي بن عبدالله الجعفري	المجث	يميني
198 : 7	السيد الحميري	المتقارب	يلعبان
283 : 16	أبو الشيص	المتقارب	مخضوبتان
145 : 5	جارية سوداء	المتقارب	وعذبتني

- قافية النون المكسورة ومعها هاء ساكنة -

23 ، 7 : 2	مجنون ليل	مجزوء الكامل	بحسنة
31 : 14	جعفران الموسوس	المجث	عجانه

- قافية النون المكسورة ومعها هاء مكسورة -

51 : 4	أبو العتاهية	الكامل	سلطان
76 : 4	أبو العتاهية	الكامل	هجران
164 : 16	الرقاشي	الرجز	ندمان
40 : 18	-	الرجز	يمينه

- قافية النون المكسورة ومعها ها -

57 : 5	يحيى بن خالد البرمكي	الطويل	بعدينها
222 : 10	ابن المعتز	المتقارب	يحيطانها

- قافية النون المفتوحة -

223 ، 218 : 6	أبو نواس	الطويل	عندنا
74 : 11	رجل من بني عجل	الطويل	خيائنا
6 : 17	-	الطويل	الرهادنا
108 ، 100 : 21	تأبط شرا	الطويل	وعالنا
222 : 18 ، 210 : 5	إسحاق الموصلي	الطويل	كلنا
104 : 2	لقيط	الطويل	سنيانا
193 : 22	التمر بن تولب	المديد	حانا
186 : 1	ذو الإصبع العدواني	البسيط	حزنا

179 : 10	علي بن الجهم	البسيط	والوطنا
37 : 16	شبيب بن يزيد	البسيط	قمنا
112 : 23	أحمد بن يوسف	البسيط	وسنا
164 : 2 ، 45 : 1	أبو قطيفة أو خالد بن عقبة	البسيط	عفانا
135 ، 134 : 2	عمر بن أبي ربيعة	البسيط	تبيانا
136 : 2	أوس بن مغراء	البسيط	صوفانا
114 : 3	بشار	البسيط	سكرانا
166 : 3	بشار	البسيط	أحيانا
232 : 7 ، 238 : 3	جرير	البسيط	قتلانا
257 : 21 ، 31 ، 29 ، 7 : 8			
201 : 21 ، 244 ، 243 : 9 ، 251 : 3	الفرزدق	البسيط	زبانا
102 : 4	أمية بن أبي الصلت	البسيط	ومسانا
124 ، 19 : 6	أعشى بني سليم	البسيط	خصيانا
124 : 6	أبان اللاحقي أو ابنه حمدان	البسيط	بهتانا
170 : 6	بشار	البسيط	كانا
148 : 7	الحسين بن الضحاك	البسيط	مديانا
151 : 7	الحسين بن الضحاك	البسيط	كانا
202 : 7	-	البسيط	عفانا
232 : 7	جرير	البسيط	إنسانا
233 : 7	جرير	البسيط	أركاننا
268 : 8	العباس بن الأحنف	البسيط	خراسانا
147 : 9	قيس بن ذريح	البسيط	وليانا
243 ، 239 : 9	الفرزدق	البسيط	عرياننا
219 : 10	ابن المعتز	البسيط	أزماننا
216 : 11	أبو جلدة الشكري	البسيط	صوحانا
25 : 13	أرطاة بن سهية	البسيط	كانا
142 : 13	غيلان بن سليمة	البسيط	ودهمانا
228 : 13	-	البسيط	تغشاننا
29 : 21 ، 57 : 14	قيس بن عاصم	البسيط	ذكرانا
244 ، 204 : 14	حماد عجرد	البسيط	وعيدانا
81 : 18	عمران بن حطان	البسيط	رضواننا
81 : 18	عمران بن حطان	البسيط	إنسانا
118 : 18	سعيد بن حميد	البسيط	باننا

22 : 19	زهير بن جناب	البسيط	جيرانا
146 : 19	سنان بن جابر	البسيط	تبيانا
208 : 19	-	البسيط	أقرانا
221 : 19	فضل الشاعرة	البسيط	وأسهانا
25 : 20	أبو نواس	البسيط	يقظانا
155 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	البسيط	سيحانا
115 : 22	إبراهيم بن المديبر	البسيط	إنسانا
138 : 22	لقيط بن زرارة	البسيط	أظلعنا
44 : 24	الديان بن جندل	البسيط	شيانا
234 : 1	نصيب بن رباح	البسيط	ملمونا
86 : 2	عدي بن زيد	البسيط	تصيرونا
271 : 2	الحكم بن عبدل	البسيط	الثلاثينا
123 : 5	العباس بن الأخنف	البسيط	لينا
208 : 7	السيد الحميري	البسيط	المحلينا
199 : 10	أبو دلالة	البسيط	المصلينا
15 : 15	مضاض بن عمرو	البسيط	تسيرونا
105 : 15	أبو الطفيل عامر	البسيط	وتبكيننا
256 ، 247 : 15	ليبد	البسيط	سبعينا
192 : 17	الحطيئة	البسيط	تأتينا
103 : 18	ليبد	البسيط	سبعينا
119 : 18	سعيد بن حميد	البسيط	تموتينا
198 : 19	أبو الشمقمق	البسيط	تلنكيننا
140 : 20	أبو محمد الزبيدي	البسيط	آميننا
151 : 20	محمد بن أبي محمد	البسيط	الأمرينا
213 : 20	أبو الهندي	البسيط	شيننا
72 : 7	يزيد بن ضبة	الوافر	أردنا
9 : 14	الحصين بن الحمام	الوافر	زيننا
152 : 23	تويت اليمامي	الوافر	علينا
152 : 23	تويت اليمامي	الوافر	حيننا
30 : 12	حميد اليشكري	الوافر	زماننا
30 : 12	الطرماح بن حكيم	الوافر	دعاننا
185 : 14	كعب الأشقر	الوافر	عماننا
206 : 18	ابن مفرغ	الوافر	كاننا

أبانا	الوافر	الفرزدق	223 : 21
حينا	الوافر	عمر بن أبي ربيعة	151 ، 113 : 1
فنولينا	الوافر	عمر بن أبي ربيعة	118 : 1
فتكحلينا	الوافر	كثير بن كثير السهمي	239 : 2 ، 166 : 1
العالمينا	الوافر	الحطيئة	105 : 2
سخونا	الوافر	ابن ميادة	207 : 2
جنونا	الوافر	زهير	263 ، 262 : 2
تصبحينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	157 : 3
فألمسينا	الوافر	بشار أو أبو العباس الأعمى	206 : 16 ، 163 : 3
الأشعرينا	الوافر	النايفة الجعدي	21 : 5
امطلينا	الوافر	ابن قيس الرقيات	63 ، 62 : 5
المؤمنينا	الوافر	الحسين بن الضحاك	113 : 7
أجمعينا	الوافر	السيد الحميري	210 : 7
لظالمونا	الوافر	مياد الجرمي	116 : 8
متحرجونا	الوافر	فديك بن حنظلة الجرمي	125 : 8
يقتلوننا	الوافر	امرؤ القيس	61 : 9
مصقديننا	الوافر	عمرو بن كلثوم	61 : 9
المرجئوننا	الوافر	عون بن عبد الله	104 : 9
خانقيننا	الوافر	المعتز الخليفة	239 : 9
الأندريننا	الوافر	عمرو بن كلثوم	34 : 11
القرينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	38 : 11
لقينا	الوافر	أبو جلدة اليشكري	210 : 11
تعشقيننا	الوافر	إبراهيم بن المهدي	205 : 12
الشامتينا	الوافر	أبو الأسود الدؤلي	239 : 12
تنفعينا	الوافر	أرطاة بن سهية	19 : 13
بقينا	الوافر	أرطاة بن سهية	30 : 13
مستكيننا	الوافر	جعفر بن علبة	36 : 13
الظنوننا	الوافر	خزيمة بن نهد	52 : 13
مجنبينا	الوافر	عمرو بن مالك اليزيدي	53 : 13
تفحريننا	الوافر	غيلان بن سلمة	143 : 13
الظنوننا	الوافر	خزيمة بن مالك	238 : 13
معينا	الوافر	أحمد بن عبد الوهاب	244 : 13
مهزميننا	الوافر	فروة بن مسك	141 : 15

172 : 15	عبدالله بن حذف	الوافر	أجمعينا
183 : 15	-	الوافر	نحرمينا
213 : 15	عمرو بن عدي أو عمرو كلثوم	الوافر	اليمنينا
217 : 15	عدي بن زيد	الوافر	الأولينا
240 : 16	أوس بن مغراء	الوافر	متناسبيننا
11 : 17	الكميت	الوافر	تأممينا
30 : 17	الكميت	الوافر	مصلميننا
33 : 17	الكميت	الوافر	محصبينا
115 ، 114 : 17	عمر بن أبي ربيعة	الوافر	قرينا
114 : 17	عمر بن أبي ربيعة	الوافر	فزودينا
115 : 17	عمر بن أبي ربيعة	الوافر	فتوليننا
241 : 17	أبو عطاء السندي	الوافر	تعوليننا
188 : 18	ابن مفرغ	الوافر	المسلمينا
94 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	الأربعينا
95 : 20	دعبل الخزاعي	الوافر	متنبطيننا
108 : 20	أبو الذلقاء	الوافر	العاذليننا
278 : 21	العلاء بن قرظة	الوافر	بآحرينا
174 : 22	المؤمل بن أميل	الوافر	طائعيننا
26 : 24	الصفار المحاربي	الوافر	جنينا
78 : 1	عمر بن أبي ربيعة أو موسى شهوات	الكامل	تشيعنا
41 : 20	ابن أبي عيينة	الكامل	سكنا
151 : 16	كعب بن مالك الأنصاري	الكامل	التيباننا
92 : 20	دعبل الخزاعي	الكامل	وجناننا
132 : 22	عارف الطائي قيس بن جروة	الكامل	وهواننا
44 : 8 ، 46 : 4 ، 172 : 1	جرير	الوافر	معينا
218 ، 217 ، 216 : 16			
219 ، 218 ، 217 : 16 ، 181 ، 180 : 1	جرير	الكامل	ولقينا
123 : 19			
47 : 4	جرير	الكامل	فيينا
207 : 5	إسحاق الموصلي	الكامل	قطينا
44 : 8	جرير	الكامل	فيينا
44 : 8	جرير	الكامل	قطينا
45 : 10	إبراهيم بن العباس	معجزو الكامل	كانا

208 : 3	ابن المولى	مجزوء الكامل	السنينا
171 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الكامل	المسلمينا
229 : 14	حماد عجرد	مجزوء الكامل	تعليمينا
258 : 15	ليبد	مجزوء الكامل	وطينا
258 : 15	ليبد	مجزوء الكامل	البنينا
175 : 19	عبدالله بن العباس الريمي	مجزوء الكامل	بقينا
80 : 22	الرمق أو الرقيق	مجزوء الكامل	غنينا
233 : 14	حماد عجرد	الهزج	إنسانا
238 : 18 ، 155 ، 154 ، 152 : 2	عروة بن أذينة	الهزج	تلاقينا
237 : 18 ، 155 ، 154 : 2	عروة بن أذينة	الهزج	أينا
238 : 18	عروة بن أذينة	الهزج	تمنينا
128 : 12 ، 154 : 6	عبيدالله بن قيس الرقيات	الهزج	مجنونا
240 : 16	إبراهيم الموصلي	الهزج	مفتونا
186 : 23	يوسف بن الصقيل	الهزج	هرونا
59 : 16	النعمان بن المنذر	الرجز	ومازنا
93 : 17	محمود وليبد ابنا خليفة	الرجز	رحانا
122 : 16	عبد الملك بن مروان	الرجز	التقينا
11 : 18	مية محبوبة ذي الرمة	الرجز	يمينا
263 : 20	أبو نخيلة الحماني	الرجز	غضونا
183 : 19	عبدالله بن العباس الريمي	مجزوء الرجز	دنا
147 : 18	ابن مناذر	الرمل	الرسنا
129 : 22	إبراهيم بن المدبر	الرمل	سنا
129 : 22	-	الرمل	موهنا
160 : 13	المعذل بن غيلان	مجزوء الرمل	أباننا
140 : 23	أبان اللاحقي	مجزوء الرمل	هجانا
194 : 15	آدم بن عبد العزيز	مجزوء الرمل	دينا
49 : 16	-	مجزوء الرمل	لدينا
229 : 13	مطيع بن إياس	مجزوء الرمل	العالمينا
86 : 15	-	مجزوء الرمل	راجعينا
173 : 16	ربيعة الرقي	مجزوء الرمل	الأمينا
145 : 15	عمرو بن معديكرب	السريع	ديدنا
229 : 16	علقمة بن سباع	السريع	مازنا
169 : 7	الحسين بن الضحاك	السريع	إنسانا

69 : 12	موسى بن خاقان	السريع	وإحسانا
161 : 13	عبد الصمد بن المعذل	السريع	أذاناً
224 : 14	حماد عجرد	السريع	إحسانا
139 : 18	ابن مناذر	السريع	ألوانا
138 : 18	ابن مناذر	السريع	أكفانا
148 : 18	ابن مناذر	السريع	أركاناً
25 : 20	أبو نواس	السريع	كانا
216 : 19	فضل الشاعرة	السريع	وثلاثينا
22 : 20	أبو نواس	السريع	المعزينا
89 : 23	أبو نواس	السريع	تلومينا
90 : 23	أبو نواس	السريع	ميدانا
48 : 4	أبو العتاهية	المنسرح	المحبينا
133 : 18	ابن مناذر	المنسرح	تغنينا
133 : 18	ابن مناذر	المنسرح	أسقينا
133 : 18	ابن مناذر	المنسرح	ينالونا
139 : 18	ابن مناذر	المنسرح	سيرينا
63 : 5 ، 110 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	المهنا
144 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	أجنا
170 : 165 ، 17	مالك بن أسماء	الخفيف	ونغني
170 : 17	مالك بن أسماء	الخفيف	وزنا
112 : 5	أبو عيينة بن محمد	الخفيف	ظغيانا
105 : 8	جميل	الخفيف	فرانا
200 : 17	عبيد الله بن قيس الرقيات	الخفيف	وكفانا
111 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	واشتفينا
88 : 84 ، 157 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	التقينا
254 : 1	العرجي	الخفيف	إلينا
223 : 3	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	زينا
169 : 17 ، 114 : 1	مالك بن أسماء	الخفيف	الياسمين
151 : 150 ، 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	الضاعتينا
156 : 153 ، 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	للتاظرينا
154 : 151 ، 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	العالمينا
95 : 9	إسماعيل بن يسار	الخفيف	الحزونا
52 : 15	إسماعيل بن يسار أو عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	وفتونا

54 : 20	ابن أبي عيينة	الخفيف	تذكرنا
119 : 20	السري بن عبد الرحمن	الخفيف	الماجشونا
93 : 21	عبدالله بن الحسن بن الحسن	الخفيف	لينا
52 : 17	العباس بن الأحنف	المجث	وزينا
217 : 13	عمرو بن سعيد	المتقارب	باطنا
220 : 18	-	المتقارب	رنا
47 : 10	إبراهيم بن العباس	المتقارب	عوانا
29 : 17	المستهل بن الكميث	المتقارب	الراشدينا
227 : 20	-	المتقارب	سمينا
7 : 24	أمية بن أبي عائد	المتقارب	الحزينا
7 : 24	أمية بن أبي عائد	المتقارب	أمونا

- قافية النون المفتوحة ومعها هاء ساكنة -

201 : 20	أحمد بن أبي فتن	المديد	ممتحنة
229 : 16	صفية بنت الخرع	البسيط	موضونة
63 : 10	يحيى بن أبي حفصة	الكامل	جنة
33 : 1	عبيدالله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	أنه
44 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	حسنه
207 : 4	عبيدالله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	مهنة
43 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الكامل	مروءة
28 : 14	محمد بن يسير	مجزوء الكامل	المظنة
165 : 14	الزبير بن عبدالله الزبير	مجزوء الكامل	أينه
129 : 24	عمار ذو كبار	الهزج	السنة
139 : 23	أبان اللاحقي	الرجز	دمنة
191 : 20	أبو العتاهية	الرمل	حسنه
135 : 3	أبو الشمقمق	مجزوء الرمل	لتنه
173 : 3	أبو الشمقمق	مجزوء الرمل	سفينة
227 : 2	-	الخفيف	المدينة
16 : 7	الوليد بن يزيد	المجث	برنة
127 : 18	ابن منذر	المجث	بأنه

- قافية النون المفتوحة ومعها هاء مضمومة -

226 : 16	رجل ضبي	الرجز	وتنتجونه
----------	---------	-------	----------

- قافية النون المفتوحة ومعها هاء -

137 ، 128 : 21	الشنفرى	الطويل	هجينها
229 : 21	الفرزدق	الطويل	تظلمونها

- قافية الهاء الساكنة -

151 : 12	السفاح سلمة بن خالد	الرجز	تحلوه
48 : 22	بلعاء بن قيس	الرجز	تحلوه
167 : 23	إسماعيل القراطيسي	السريع	الحياة
168 : 23	إسماعيل القراطيسي	السريع	وأسواتاة
60 : 24	المتنخل الهذلي	المتقارب	سواه
60 : 24	المتنخل الهذلي	المتقارب	قواه
58 : 1	-	-	علوه

- قافية الهاء المضمومة -

130 : 10 ؛ 115 : 6	نبيه أو علية بنت المهدي	الكامل	رباه
162 : 20	أحمد بن محمد بن أبي محمد	الكامل	أقصاه
169 : 7	الحسين بن الضحاك	مجزوء الرمل	فحماه
167 : 13	عبد الصمد بن المعذل	مجزوء الرمل	متنهاه
11 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الرمل	أخوه
8 : 20	الأمين الخليفة	مجزوء الرمل	ضربوه
9 : 20	التيمي	مجزوء الرمل	أخوه
9 : 19	التيمي	مجزوء الرمل	ظلموه
53 : 4	أبو العتاهية	السريع	وعافاه
223 : 10	ابن المعتز	السريع	فيأباه
25 : 14	محمد بن يسير	السريع	مثواه
253 : 3 ؛ 101 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	هواه
254 : 3	عمر بن أبي ربيعة	الخفيف	نواه
248 : 5 ؛ 52 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	سواه
74 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	أرواحه
75 : 4	أبو العتاهية	الخفيف	أقماءه
64 : 20	-	الخفيف	فاه

- قافية الهاء المضمومة ومعها هاء -

132 : 20	أبو محمد اليزيدي	المنسرح	وأندهُها
86 ، 83 : 23	عنان	المنسرح	يشبهُها

86 : 23	-	المنسرح	مموهها
86 ، 83 : 23	عمر الوادي أو أبو نواس أو عنان	المنسرح	وأرفهها

- قافية الهاء المكسورة -

80 : 4	إبراهيم بن المهدي	الكامل	ساهي
80 : 4	أبو نواس	مجزوء الرمل	الملاهي
168 : 19 ؛ 145 ، 122 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	أشباهي
170 : 7	الحسين بن الضحاك	المنسرح	ناهي

- قافية الهاء المفتوحة -

167 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	مداها
231 : 15	الحزين الديلي	الطويل	سراها
28 : 7	الوليد بن يزيد	المديد	أباها
23 : 22 ؛ 129 : 1	جنادة العذي أو تحية بن جنادة	البسيط	مسراها
53 : 2	مجنون ليلى	البسيط	غلاها
40 : 10	إبراهيم بن العباس	البسيط	وأخرها
51 : 18	عقيد أو الموصلي	البسيط	ينساها
51 : 18	الموصلي	البسيط	بذكرها
58 : 1	-	الوافر	أراها
141 : 1	عمر بن أبي ربيعة	الوافر	حماها
18 : 2	مجنون ليلى	الوافر	فاها
61 : 2	مجنون ليلى	الوافر	سواها
48 : 3	هلال بن الأسعر	الوافر	عصاها
137 : 5	قيس بن ذريح	الوافر	بكاهها
106 : 6	شاعر الأزارقة	الوافر	لحاهها
29 : 7	الوليد بن يزيد	الوافر	فسائلاها
161 : 7	أبو العتاهية	الوافر	حشاها
161 : 7	الحسين بن الضحاك	الوافر	صداها
131 : 8	القحيف	الوافر	فتاها
187 : 8	العجير السلولي أو غيره	الوافر	انتحاها
140 ، 136 : 12	رجل من فزارة	الوافر	وهجرتهاها
138 : 24	أبو الرديني العكلي	الوافر	هجاها
216 : 4	طريح بن إسماعيل	الكامل	يلقاها
141 : 15	فروة بن مسيك	الكامل	نساها

152 : 19	عبدالله بن جحش	الكامل	مثناها
153 : 19	عبدالله بن جحش	الكامل	أخرها
155 : 19	عبدالله بن جحش	الكامل	أنساها
64 : 4	أبو العتاهية	الهزج	واها
52 : 16	ربيعة بن مكدم	الرجز	حواها
52 : 16	عمرو بن معديكرب	الرجز	وجاها
93 : 17	-	الرجز	فتاها
179 : 16	ربيعة الرقي	المنسرح	ورباها
96 : 20	أبو سعد المخزومي	المنسرح	أنساها
20 : 14	محمد بن يسير	المنسرح	تضييعوها
258 : 1	العرجي	الخفيف	ولداها
178 : 6	الأحوص	الخفيف	دهاها
59 : 15	الخنساء	الخفيف	كراها
232 : 16	وعلة بن عبدالله الجرمي	الخفيف	أخاها
220 : 19	فضل الشاعرة	الخفيف	مولاها

- قافية الواو المضمومة -

94 ، 34 : 4	أبو العتاهية	الطويل	خلو
156 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	الطويل	العفو
46 : 4	أبو العتاهية	الكامل	هو

- قافية الواو وبعدها «ها» -

20 : 14	محمد بن يسير	المنسرح	تضييعوها
---------	--------------	---------	----------

- قافية الواو المكسورة -

206 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الطويل	دوي
212 : 12	طرفة بن العبد	الطويل	جوي
	وهو ليزيد بن الحكم الثقفي		
213 : 12	يزيد بن الحكم الثقفي	الطويل	مُزَوِي
229 : 14	يحيى بن زياد	الهزج	حَذَوِي
229 : 14	مطيع بن إياس	الهزج	نَحَوِي
229 : 14	مطيع بن إياس	الهزج	المروِي
229 : 14	حماد عجرد	الهزج	حقوِي
180 : 20	خالد الكاتب أو أبو تمام	الوافر	غدو
113 : 6	-	الخفيف	حلو

106 : 21	تأبط شرا	الخفيف	سُو
- قافية الواو المفتوحة ومعها هاء ساكنة -			
43 : 10	إبراهيم بن العباس	مجزوء الكامل	مُرُوَّة
- قافية الياء الساكنة -			
198 : 16	السندري	الرجز	الجعفريُّ
104 : 11	حصين بن عمرو بن معاوية	الرجز	الرذِي
- قافية الياء المضمومة -			
71 : 9	امرؤ القيس	الوافر	العصيُّ
239 : 13	دنانير جارية ابن كناسة	الوافر	عليُّ
- قافية الياء المكسورة -			
172 : 8	عنتره العبسي	الوافر	الهدِيُّ
120 : 16	الفضل بن العباس	الرجز	بدريُّ
246 : 14	حماد عجرد	الخفيف	وعليُّ
- قافية الياء المفتوحة -			
175 : 18	أبو العتاهية	الطويل	رَبَا
97 : 19	سليمان بن قته	الطويل	التأسيا
269 ، 27 : 1	مجنون ليلى	الطويل	وشانيا
91 : 8 ، 45 ، 10 : 2	جميل أو مجنون ليلى	الطويل	المراسيا
10 : 2	جميل أو مجنون ليلى	الطويل	هيا
24 : 2	مجنون ليلى	الطويل	عاديا
44 ، 25 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ابتلائيا
26 : 2	مجنون ليلى	الطويل	لمايا
27 : 2	مجنون ليلى	الطويل	فؤاديا
35 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ليا
35 : 2	مجنون ليلى	الطويل	المناديا
45 : 2	مجنون ليلى	الطويل	اللياليا
45 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ليا
49 : 2	مجنون ليلى	الطويل	ثمانيا
50 : 2	مجنون ليلى	الطويل	يمانيا
50 : 2	مجنون ليلى	الطويل	مايا
60 : 2	مجنون ليلى	الطويل	تداويا

173 : 2	الحكم الخضري	الطويل	باليا
211 : 2	ابن ميادة	الطويل	ماليا
221 : 2	ابن ميادة	الطويل	غاليا
85 : 3	ورقة بن نوفل	الطويل	حاميا
98 : 3	أبو هشام الباهلي	الطويل	فاقيا
197 : 4	مجنون بني عامر	الطويل	بجبالبا
205 ، 204 : 4	مجنون بني عامر	الطويل	بداليا
236 ، 233 ، 231 : 4	أبو سعيد مولى فائد أو المجنون	الطويل	ولاليا
233 : 4	أبو سعيد مولى فائد أو المجنون	الطويل	سلاميا
239 : 5	-	الطويل	وردائيا
6 : 6	الصمة القشيري	الطويل	والمطاليا
50 : 7	الوليد بن يزيد	الطويل	فيافيا
26 : 8	جرير	الطويل	يمانيا
27 : 8	جرير	الطويل	انتقاليا
36 : 8	جرير	الطويل	باقيا
37 : 8	جرير أو يزيد بن معاوية	الطويل	ولاليا
91 : 8	جميل أو المجنون	الطويل	باليا
92 : 8	جميل	الطويل	ليا
96 : 8	حواس بن قطبة	الطويل	سوائيا
110 : 8	جميل	الطويل	هيا
127 : 8	يزيد بن الطثرية	الطويل	لياليا
212 : 8	زفر بن الحارث	الطويل	هي
27 : 9	كثير	الطويل	دوائيا
37 : 9	-	الطويل	علانيا
153 : 9	قيس بن ذريح والمجنون	الطويل	تلاقيا
63 : 10	القلاخ بن حزن	الطويل	بواليا
140 ، 139 : 11	عمرو بن شأس	الطويل	هاديا
158 : 11	ليلي الأخيلية	الطويل	ساعيا
231 ، 226 ، 225 : 11	-	الطويل	ليا
230 : 11	الفرزدق	الطويل	ماليا
16 : 12	زينب بنت مالك بن جعفر	الطويل	يمانيا
147 : 12	عمير بن الحباب	الطويل	المناديا
167 ، 153 : 12	عبدالله بن معاوية الجعفري	الطويل	بداليا

153 : 12	عبدالله بن معاوية بن عبدالله الجعفري	الطويل	المساويا
32 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	حماميا
33 : 13	جعفر بن علبة أو مالك بن الريب	الطويل	بواكيا
37 : 13	معاذ بن كليب	الطويل	العواليا
37 : 13	جعفر بن علبة	الطويل	الذواريا
55 : 13	المغيرة بن حبناء	الطويل	لاقيا
88 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	لاهما
87 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	كاسيا
88 : 13	حارثة بن بدر	الطويل	كاسيا
88 : 13	الأبيرد الرياحي	الطويل	ولاليا
101 : 14	قيس بن الحدادية	الطويل	المطاليا
69 : 15	صخر بن عمرو	الطويل	مابيا
84 : 15	يزيد بن معاوية	الطويل	دعانيا
256 ، 247 : 15	ليبد	الطويل	ردائيا
209 : 16	أبو حية النميري	الطويل	اللياليا
223 : 16	عبد يغوث الحارثي	الطويل	تلاقيا
227 : 16	عبد يغوث الحارثي	الطويل	المساعيا
227 : 16	عبد يغوث الحارثي	الطويل	يمانيا
228 : 16	عبد يغوث الحارثي	الطويل	ولاليا
239 : 16	امراة	الطويل	النواصيا
253 : 16	محمد بن صالح العلوي	الطويل	صاديا
256 : 17	عبد الرحمن بن أبي بكر	الطويل	وماليا
23 ، 22 ، 20 : 18	ذو الرمة أو كثيرة أم سلهمة	الطويل	باديا
21 : 18	ذو الرمة	الطويل	باقيا
103 : 18	ليبد	الطويل	ردائيا
147 : 18	أبو حية النميري	الطويل	اللياليا
10 ، 8 : 19	أبو محجن الثقفي	الطويل	وثاقيا
43 : 19	مسلم بن الوليد	الطويل	ناعيا
75 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	فؤاديا
75 : 19	مزاحم العقيلي	الطويل	توردانيا
95 ، 94 : 19	يزيد بن الرقاع البعيث	الطويل	اليمانيا
136 : 19	عويف القوافي	الطويل	القوافيا
143 : 19	ابن المخلاة الكلبي	الطويل	باقيا

متناثبا	الطويل	زفر بن الحارث	143 : 19
مدانبا	الطويل	بنت الخس	165 : 19
صاحبا	الطويل	ابن الخياط	229 : 19
ليا	الطويل	مسكين الدارمي	248 : 21 ؛ 122 : 20
ضلالبا	الطويل	أيمن بن خريم	197 : 20
القيافبا	الطويل	السمهري العكلي	172 : 21
مالبا	الطويل	الفرزدق	192 : 21
مصافبا	الطويل	صعصعة بن ناجية	197 : 21
ناجبا	الطويل	الفرزدق	215 : 21
البواكبا	الطويل	الفرزدق	223 : 21
القيافبا	الطويل	جواس العذري	107 : 22
سوائبا	الطويل	جواس بن القعطل أو جواس بن قطنة العذري	108 : 22
هبا	الطويل	أبو حزابة التميمي	182 : 22
ليالبا	الطويل	مالك بن الرب	211 ، 199 : 22
متجافبا	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	211 : 22
ناهبا	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	214 : 22
ورائبا	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	215 : 22
ثمانبا	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	218 : 22
وردائبا	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	218 : 22
غادبا	الطويل	أعرابي	227 ، 226 : 22
اليحانبا	الطويل	أبو صخر الهذلي	212 : 23
ببا	الطويل	عروة بن حرام	86 : 24
البوالبا	الطويل	القتال الكلابي	89 : 24
شفائبا	الطويل	القتال الكلابي	90 : 24
كفانبا	الطويل	جندل بن الراعي	119 : 24
لديا	الوافر	أبو العتاهية	36 : 4
علبا	الوافر	محارب بن دثار	190 : 7
جنبا	الوافر	منصور النمري	191 : 7
والوصبا	الوافر	أبو الأسود الدؤلي	191 : 7
علبا	الوافر	أبو الأسود الدؤلي	233 : 12
حبا	الوافر	محمد بن صالح العلوي	255 : 16
أببا	الوافر	المنخل يشكري	8 ، 6 : 21
سربالبا	الكامل	أبو النجم العجلي	126 : 10

178 : 15	علي بن أديم	مجزوء الكامل	شيا
241 : 16	إبراهيم الموصلي	الهرج	العليا
220 : 10	ابن المعتز	الرجز	فاستويا
35 : 15	أحيحة بن الجلاح	الرجز	ماليا
83 : 11	رجل من ضريّ	مجزوء الرجز	قطاميا
125 : 22	إبراهيم بن المدبر	الرمّل	مبتديا
64 : 19	محمد بن وهب	مجزوء الرمل	ذكيا
136 ، 135 ، 91 : 10	-	السريع	حيا
73 : 18	والبة بن الحباب	السريع	راسيا
216 : 20	سعيد بن وهب	السريع	الدنيا
243 : 4	سديف	الخفيف	الجليا
176 : 10	علي بن الجهم	الخفيف	عليا
86 ، 85 : 11	عمرو بن الاطنابة	الخفيف	ريا
86 : 11	الحارث بن ظالم	الخفيف	عليا
87 : 11	الحارث بن ظالم	الخفيف	بديا
87 : 11	الحارث بن ظالم	الخفيف	غويا
172 ، 168 : 11	الأقيشر الأسدي	الخفيف	سريا
204 ، 11	العيلي	الخفيف	دويا
162 : 12	ابن هرمة	الخفيف	عييا
163 : 12	ابن هرمة	الخفيف	بديا
209 : 13	مطيع بن إبّاس	الخفيف	زكريا
119 : 17	ابن الاطنابة	الخفيف	ريّا
257 : 18	-	الخفيف	كيّا
216 : 5	ابن ياسين	مجزوء الخفيف	البواليا
39 : 14	ديك الجن	المتقارب	الدانيا
103 : 5	إبراهيم الموصلي	وزن عامي	خمرّيّا

- قافية الياء ومعها كاف مكسورة -

132 : 10	علية بنت المهدي	السريع	تجنيلك
----------	-----------------	--------	--------

- قافية الياء ومعها هاء ساكنة -

64 : 15	الخنساء	الطويل	بدهيّة
38 : 23	أبو شراة	الوافر	أميّة
76 : 23	أبو صالح بن يزداد	الوافر	عليّة

124 : 3	أبو جعفر المنصور	الوافر	العظاية
124 : 3	بشار	الوافر	واعظاية
11 : 20	التمي	الكامل	قرايتة
157 : 20	إبراهيم بن أبي محمد	الكامل	نحية
88 : 3	زهير بن جناب	مجزوء الكامل	بقية
185 : 7	السيد الحميري	مجزوء الكامل	الزكية
185 : 7	السيد الحميري	مجزوء الكامل	المطية
19 : 19	زهير بن جناب	مجزوء الكامل	بنه
10 ، 5 : 4	أبو قابوس	مجزوء الكامل	بعنايه
273 : 5	إسحاق الموصلي	مجزوء الكامل	بدايه
114 : 14	علي بن الخليل	مجزوء الكامل	وكرهية
199 : 19	سلم الخاسر	مجزوء الكامل	ناحية
107 : 20	دعبل الخزاعي	مجزوء الكامل	زانية
199 : 23	-	مجزوء الكامل	رجالية
102 : 14	قيس بن الحدادية	الرجز	غالية
212 : 15	عمرو بن عدي	الرجز	قية
128 : 2	الحطيئة	الرجز	المرية
40 : 13	العجير السلولي	الرجز	العشية
163 : 16	أبو الشدائد الفراري	الرجز	ذي نية
161 : 21	أبو جندب الهذلي	الرجز	والكعبية
224 : 21	الفرزدق	الرجز	ضبية
135 : 3	أبو الشمقمق	الرجز	لسانية
7 : 23	صخر الغي	الرجز	الشامية
25 : 11	بنت الخس	مجزوء الرجز	معية
25 : 11	زرقاء اليمامة	مجزوء الرجز	قدية
64 : 5	عبيد الله بن قيس الرقيات	مجزوء الرمل	رقية
55 : 12	مروان الأصغر أبو السمط	مجزوء الرمل	قرشية
74 : 14	-	مجزوء الرمل	يدية
209 : 23	أبو البيضاء سهل	مجزوء الرمل	عشية
96 : 20	دعبل الخزاعي	مجزوء الرمل	بخزاية
129 : 3	بشار	السريع	جيرانية
135 ، 86 : 10	علية بنت المهدي أو أبو العتاهية	السريع	ناحية
172 ، 161 : 13	عبد الصمد بن المعذل	السريع	الثانية

107 : 20	دعل الخزاعي	السريع	الدائنة
61 : 23	راشد الكاتب	المنسرح	وروثية
62 : 23	محمد بن عبد الملك الزيات	المنسرح	دمعية
73 : 5	-	الخفيف	الجوشنة
126 : 16	-	الخفيف	المكية
148 : 18	ابن منذر	الخفيف	بالفارسية
191 : 20	أبو العتاهية	الخفيف	للرعية
177 : 6	بشار	مجزوء الخفيف	قيادية
37 : 14	ديك الجن	مجزوء الخفيف	معادية
195 : 15	آدم بن عبد العزيز	مجزوء الخفيف	ثمانية
172 : 6 ؛ 118 : 3	بشار	المقارب	بالية
171 : 9	حميدة بنت النعمان	المقارب	زانية
172 : 9	روح بن زباع	المقارب	بالية
204 : 10	أبو دلامة	المقارب	وافية
167 : 13	عبد الصمد بن المعدل	المقارب	بستانية
128 : 14	أبو المستهل	المقارب	بسمورية
128 : 14	أبو المستهل	المقارب	عمورية
129 : 14	إحدى الجواري	المقارب	وارية
181 : 15	عيسى بن زينب	المقارب	جافية
38 : 16	حميدة بنت النعمان بن بشير	المقارب	الجالية
37 : 21	البحري	المقارب	الدنية

- قافية الياء ومعها هاء مضمومة -

8 : 20	التميمي	مجزوء الرمل	تية
--------	---------	-------------	-----

- قافية الياء ومعها هاء مكسورة -

59 : 21 ؛ 232 : 11	أبو العتاهية	الطويل	يدي
157 : 3	بشار	البسيط	تهدي
148 : 5	-	البسيط	فيه
46 : 4	أبو العتاهية	الوافر	لديه
75 : 4	أبو العتاهية	مجزوء الكامل	وتيه
124 : 3	بشار	الهمز	مواليه
146 : 9	-	الهمز	بواديه
104 : 13	منصور النمري	الهمز	محانيه

52 ، 50 : 15	النعمان بن بشير أو عدي بن نوفل	الهرج	بواديه
20 : 16	يزيد بن معاوية	الهرج	أواتيه
21 : 16	النعمان بن بشير	الهرج	أخفيه
153 : 17	رفيقة	الهرج	فيه
109 : 10	إبراهيم بن المهدي	مجزوء الرمل	مقلتيه
209 : 14	حماد عجرد	السريع	آتيه
209 : 14	حماد عجرد	السريع	التيه
117 : 23	العطوي	الخفيف	أييه
39 : 10	إبراهيم بن العباس	المجثث	لديه
64 : 20	المأمون الخليفة	المجثث	شفتيه
115 : 20	جعيفران الموسوس	المجثث	بشبيه
142 : 7	الحسين بن الضحاك	مقتضب	التيه

- قافية الياء ومعها ها -

54 : 2	مجنون ليلي	البسيط	أعنيها
55 : 2	ليلي المجنون	البسيط	ويرضيها
177 : 3	أبو العتاهية	البسيط	يكفيها
29 : 4	أبو العتاهية	البسيط	تأتيها
217 : 5	أعرابي	البسيط	واديها
205 : 7	السيد الحميري	البسيط	أعاديها
39 : 7	الوليد بن يزيد	البسيط	فيها
184 : 8	أوس بن غلفاء أو مزاحم أو العباس بن يزيد أو العجير أو عمرو بن عقيل	البسيط	غاشيها
188 ، 184 : 8	عمرو بن عقيل التميمي أو أوس بن غلفاء أو مزاحم أو العباس بن يزيد أو العجير	البسيط	فيها
34 : 10	-	البسيط	فيها
72 : 12	أخت عمرو بن عاصية ونسب لجنوب أخت عمرو ذي الكلب	البسيط	صاليها
69 : 13	أبو كاهل الإشكري	البسيط	خوافيها
121 : 13	ناهض بن ثومة	البسيط	حيها
137 : 14	البحري	البسيط	فيها
71 : 17	مزاحم بن عمرو	البسيط	يخفيها
73 : 17	ابن الدمينه	البسيط	أخافها
152 : 18	أشجع السلمي	البسيط	وتمضيها

180 : 18	أشجع السلمي	البسيط	وتثنيها
67 : 20	دعل الخزاعي	البسيط	حواشيها
182 : 20	خالد الكاتب	البسيط	فيها
183 : 23	مروان بن أبي حفصة الأصغر	البسيط	جالها
37 : 14	ديك الجن أو السليك بن مجمع	الكامل	بيديها
70 : 19	محمد بن وهيب	المزج	وتبكيها
125 : 10	أبو النجم العجلي	الرجز	إليها
198 : 10	أبو دلامة	مجزوء الرمل	لأبيها
236 : 12	أبو الأسود الدؤلي	المقارب	للمجتنبيها

فهرس الشعراء

- أ -

- إبراهيم بن محمد اليزيدي : 109/23 .
 إبراهيم بن هرمة : 255/4 .
 الألبق العجلي : 278/21 .
 الأبيد الرباحي : 8 / 132 ؛ 86/13 ، 87 ، 88 ،
 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 96 ؛
 225/22
 ابن الأحب العدواني : 96/14 .
 الأحذب السعدي : 168/21 .
 ابن أحر : 68/15 .
 أحمد بن إبراهيم الكاتب : 235/13 ؛ 285/5 .
 أحمد بن أبي داود : 60/23
 أحمد بن أبي طاهر : 216/19 ، 218 .
 أحمد بن أبي فتن : 201/20 .
 أحمد بن الحجاج : 88/20 .
 أحمد بن المدير : 124/22 ؛ 240/5 .
 أحمد بن المعتدل : 176/13 .
 أحمد بن المنجم : 129/14 .
 أحمد بن سيار : 155/18 .
 أحمد بن سيف : 43/10 .
 أحمد بن عبد الوهاب : 244/13 .
 أحمد بن عمرو السلمي : 172/18 ، 173 .
 أحمد بن محمد الخنظمة : 261/15 .
 أحمد بن محمد بن أبي محمد : 160/20 ، 161 ،
 162 ، 163 ، 164 .
 أحمد بن هشام : 194/5 ؛ 267/18 .
 أحمد بن يسار : 200/20 .
 أحمد بن يوسف الكاتب : 121/7 ؛ 113/13 ؛
 14 ؛ 139 ؛ 216/20 ؛ 81/23 ، 110 ،
 112 ، 113 ، 114 ؛ 5/24 .
 الأحوص (أبو محمد) : 39/1 ؛ 64 ، 116 ،
 178 ، 186 ، 190 ، 191 ، 196 ، 197 ،
 201 ، 202 ، 234 ؛ 38/2 ؛ 224 ، 247 ؛
- آدم بن عبد العزيز : 193/15 ، 194 ، 195 ،
 196 ، 197 .
 أبان اللاحقي : 283/4 ؛ 124/6 ؛ 195/11 ؛
 160/13 ؛ 138/23 ، 139 ، 140 ، 141 ،
 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 147 ، 148 .
 أبان بن عبد الحميد : 40/10 .
 أم أبان والددة مزاحم : 74/17 .
 الأبح بن مرة : 158/21 .
 إبراهيم الموصلي : 101/5 ، 103 ، 104 ، 106 ،
 107 ، 110 ، 111 ، 115 ، 116 ، 124 ،
 125 ، 126 ، 129 ، 132 ، 133 ، 134 ،
 141 ، 143 ، 144 ، 156 ، 157 ، 163 ،
 182 ، 213 ، 249 ؛ 93/10 ، 94 ؛
 229/11 ؛ 233/16 ، 234 ، 238 ، 239 ،
 240 ، 241 ، 242 .
 إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي : 154/20 ، 155 ،
 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ؛ 63/21 .
 إبراهيم بن إسماعيل بن يسار : 297/4 .
 إبراهيم بن الأشر : 240/17 .
 إبراهيم بن العباس الصولي : 35/10 ، 36 ، 37 ،
 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ،
 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ،
 54 ، 55 ، 56 ؛ 75/13 ؛ 120/20 .
 إبراهيم بن المدير : 109/22 ، 110 ، 111 ،
 112 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ،
 118 ، 119 ، 121 ، 123 ، 124 ، 125 ،
 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 .
 إبراهيم بن المهدي : 80/4 ؛ 93/10 ، 94 ، 95 ،
 96 ، 97 ، 101 ، 105 ، 109 ، 110 ،
 114 ؛ 205/12 ؛ 12/16 ، 233 .
 إبراهيم بن بشير : 37/16 .

- 27 ، 25/24 ، 207 ، 206 ، 203/20
الأخطل بن ربيعة : 56/14 .
أخو عذرة : 186/2 .
أدرع بن زيد : 182/21 .
إدريس بن أبي حفصة : 283 ، 269/5 .
ابن أذينة : 262/5 ؛ 187 ، 184/1 ؛
أرطاة بن سهية : 199 ، 195 ، 194/12 ؛
19/13 ، 26 ، 25 ، 23 ، 22 ، 21 ، 20 ،
27 ، 28 ، 29 ، 30 ؛ 149/19 .
أرطاة بن سيحان : 158/2 .
أسامة بن لؤي : 116/11 .
إسحاق بن إبراهيم المصعبي : 271/5 .
إسحاق الموصلي : 292 ، 55/4 ؛ 192/2 ؛
124/5 ، 172 ، 166 ، 165 ، 131 ، 127 ،
178 ، 179 ، 186 ، 187 ، 194 ، 195 ،
196 ، 197 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ،
207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ،
214 ، 215 ، 218 ، 219 ، 220 ، 222 ،
225 ، 227 ، 229 ، 232 ، 239 ، 240 ،
241 ، 242 ، 243 ، 244 ، 245 ، 247 ،
250 ، 251 ، 253 ، 255 ، 256 ، 257 ،
258 ، 260 ، 261 ، 263 ، 265 ، 266 ،
268 ، 269 ، 270 ، 272 ، 273 ، 274 ،
275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ؛ 117/6 ؛
128 ، 132/7 ؛ 211/9 ؛ 212 ، 38/10 ؛
87 ، 91 ، 97 ، 134 ؛ 194/11 ؛ 35/12 ؛
36 ، 182/15 ؛ 272/16 ؛ 83/17 ؛ 84 ،
85 ، 86 ، 87 ؛ 221/18 ؛ 222 ؛
162/19 ؛ 6/20 ؛ 39 ، 203 ؛ 148/22 ؛
206 ، 94/24 ؛ 47/23 .
إسحاق بن الضحاك : 48/21 ؛ 115/7 .
إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : 202/5 .
أبو الأسد : 87 ، 86 ، 85 ، 84/14 ؛ 88/13 ؛
89 ، 90 ، 91 ، 165/5 .
أسد بن كرز : 6/22 .
- 197/3 ؛ 134/4 ، 159 ، 161 ، 165 ،
166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 172 ،
173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 179 ،
181 ، 182 ، 183 ، 185 ، 186 ، 187 ،
189 ، 194 ، 195 ، 210 ، 211 ، 289 ؛
44/5 ، 76 ، 130 ، 20/6 ، 21 ، 26 ،
178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ؛ 11/8 ؛
133 ، 143 ، 165 ، 166 ، 198 ، 239 ،
242 ، 243 ، 244 ، 247 ، 248 ، 249 ،
250 ؛ 8/9 ، 10 ، 11 ، 50 ، 51 ، 52 ،
78 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 192 ؛
10/82 ، 100 ، 78/12 ؛ 84 ، 89/15 ؛
90 ، 92 ، 198 ، 200 ، 201 ، 202 ؛
16/108 ، 112 ، 116 ؛ 17/251 ، 252 ؛
253 ، 262/18 ؛ 263 ، 180/19 ؛ 181 ،
21/72 ، 74 ، 77 ، 78 ، 79 ، 81 ، 82 ،
83 ، 84 .
الأحوص بن جعفر كلاب : 92 ، 89 ، 79/11 ؛
94 ، 95 ، 97 ؛ 195/16 ؛ 196 ؛
17/130 ؛ 19/139 .
أحيحة بن الجلاح : 30 ، 29 ، 28 ، 27/15 ؛
32 ، 35 ، 36 ، 37 ، 85 ، 98 .
الأحيجي : 135/24 .
أخت عمرو بن عاصية : 72/12 .
أخت عمرو ذي الكلب : 72/12 .
الأخطل التغلبي : 36 ، 11/5 ؛ 189 ، 185/1 ؛
216 ، 217 ؛ 6/66 ، 132 ؛ 7/62 ، 14/8 ؛
200 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ،
207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ،
213 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ،
221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ،
227 ، 228 ، 229 ، 231 ؛ 9/91 ، 92 ؛
10/98 ، 153 ؛ 11/37 ، 41 ، 42 ، 43 ،
44 ، 45 ؛ 12/143 ، 145 ، 146 ، 147 ،
202 ؛ 15/73 ، 75 ، 84 ؛ 16/26 ، 27 ؛

- أسد الأسدي : 64/9 .
 أسماء بن خارجة : 167/17 ؛ 232/20 ، 234 ، 238 .
 إسماعيل القراطيسي : 163/23 ، 167 ، 169 .
 إسماعيل بن عمار الأسدي : 244/11 ، 245 ، 247 ، 248 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ؛ 40/15 ، 43 ، 44 ، 48 .
 إسماعيل بن يسار : 209/4 ، 284 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 295 ، 296 ؛ 22/6 ، 95/9 ، 215 ، 217 ؛ 134/10 ؛ 248/14 ؛ 173/17 ؛ 200/20 .
 أبو الأسود الدؤلي : 114/1 ، 89 ؛ 191/7 ؛ 214/12 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243 ؛ 99/15 .
 الأسود بن المطلب : 150/4 .
 الأسود بن المنذر : 79/11 .
 الأسود بن جعفر : 15/13 .
 الأسود بن عباد : 115/11 .
 الأسود بن عمار : 107/14 ، 108 ، 109 ، 110 .
 الأسود بن يعفر : 63/3 ؛ 10/13 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 16 ، 17 ، 18 .
 أشجع السلمي : 97/5 ؛ 215/6 ؛ 151/10 ؛ 152/18 ، 154 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 169 ، 170 ، 171 ، 174 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ؛ 203/19 ، 206 .
 أشعب : 68/7 .
 الأشهب بن رميلة : 198/9 ، 201 ؛ 268/21 .
 الأصمغ بن ذؤالة : 62/7 .
 أصرم بن حميد : 79/23 .
 الأصم الباهلي : 246/9 .
 الأصمعي : 251/5 ؛ 128/17 ؛ 88/23 .
 الأضبط بن قريع : 92/18 ، 93 ، 94 .
 ابن الإطنابة (عمرو بن عامر بن زيد مناة) : 119/17 .
 أعشى باهلة : 161/15 .
 أعشى بني ربيعة : 94/18 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ؛ 179/20 .
 أعشى بني أسد خيثمة بن معروف : 102/22 .
 أعشى بني تغلب : 188/11 ، 189 ، 190 ، 191 .
 أعشى بني سليم : 19/6 ، 124 .
 أعشى همدان : 277/2 ؛ 223/5 ؛ 26/6 ، 28 ، 30 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 51 ، 52 ، 53 ؛ 122/14 ؛ 15/22 ؛ 26/16 .
 الأعشى بن قيس بن ثعلبة : 49/1 ؛ 69/2 ، 82 ، 157 ؛ 99/3 ، 199 ، 200 ، 213 ؛ 26/5 ، 259 ؛ 210/6 ، 219 ، 224 ، 233 ؛ 155/8 ؛ 46/9 ، 79 ، 81 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 114 ، 116 ، 117 ، 174 ، 175 ، 176 ؛ 217/10 ؛ 11 ؛ 242/11 ، 244 ، 255 ؛ 5/12 ، 7 ، 158 ؛ 192/16 ، 200 ، 201 ، 282 ، 285 ؛ 96/17 ، 128 ، 202 ، 229 ؛ 86/22 ؛ 45/24 ، 46 ، 47 .
 أعصر بن سعد : 237/15 .
 الأعلم الهذلي : 6/23 .
 الأعور الكلبي : 30/17 ، 31 .
 الأعور النبھاني : 21/8 .
 الأغر بن حماد اليشكري : 198/23 .
 الأغلب العملي : 252/15 ؛ 24/21 ، 25 ، 26 ، 27 .

- أفنون التغلبي : 37/11 .
 الأفوه الأودي : 45/7 ؛ 117/12 ، 119 ، 120 ؛ 121/24 .
 أبو الأقرع : 44/7 .
 الأقيشر الأسدي : 213/10 ؛ 168/11 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ؛ 49/12 .
 امرؤ القيس : 127/2 ، 137 ، 139 ، 181 ؛ 102/3 ، 136 ؛ 187/4 ؛ 193/5 ؛ 31/7 ، 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261 ، 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ، 308 ، 309 ، 310 ، 311 ، 312 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 322 ، 323 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 329 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 334 ، 335 ، 336 ، 337 ، 338 ، 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343 ، 344 ، 345 ، 346 ، 347 ، 348 ، 349 ، 350 ، 351 ، 352 ، 353 ، 354 ، 355 ، 356 ، 357 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 ، 362 ، 363 ، 364 ، 365 ، 366 ، 367 ، 368 ، 369 ، 370 ، 371 ، 372 ، 373 ، 374 ، 375 ، 376 ، 377 ، 378 ، 379 ، 380 ، 381 ، 382 ، 383 ، 384 ، 385 ، 386 ، 387 ، 388 ، 389 ، 390 ، 391 ، 392 ، 393 ، 394 ، 395 ، 396 ، 397 ، 398 ، 399 ، 400 ، 401 ، 402 ، 403 ، 404 ، 405 ، 406 ، 407 ، 408 ، 409 ، 410 ، 411 ، 412 ، 413 ، 414 ، 415 ، 416 ، 417 ، 418 ، 419 ، 420 ، 421 ، 422 ، 423 ، 424 ، 425 ، 426 ، 427 ، 428 ، 429 ، 430 ، 431 ، 432 ، 433 ، 434 ، 435 ، 436 ، 437 ، 438 ، 439 ، 440 ، 441 ، 442 ، 443 ، 444 ، 445 ، 446 ، 447 ، 448 ، 449 ، 450 ، 451 ، 452 ، 453 ، 454 ، 455 ، 456 ، 457 ، 458 ، 459 ، 460 ، 461 ، 462 ، 463 ، 464 ، 465 ، 466 ، 467 ، 468 ، 469 ، 470 ، 471 ، 472 ، 473 ، 474 ، 475 ، 476 ، 477 ، 478 ، 479 ، 480 ، 481 ، 482 ، 483 ، 484 ، 485 ، 486 ، 487 ، 488 ، 489 ، 490 ، 491 ، 492 ، 493 ، 494 ، 495 ، 496 ، 497 ، 498 ، 499 ، 500 ، 501 ، 502 ، 503 ، 504 ، 505 ، 506 ، 507 ، 508 ، 509 ، 510 ، 511 ، 512 ، 513 ، 514 ، 515 ، 516 ، 517 ، 518 ، 519 ، 520 ، 521 ، 522 ، 523 ، 524 ، 525 ، 526 ، 527 ، 528 ، 529 ، 530 ، 531 ، 532 ، 533 ، 534 ، 535 ، 536 ، 537 ، 538 ، 539 ، 540 ، 541 ، 542 ، 543 ، 544 ، 545 ، 546 ، 547 ، 548 ، 549 ، 550 ، 551 ، 552 ، 553 ، 554 ، 555 ، 556 ، 557 ، 558 ، 559 ، 560 ، 561 ، 562 ، 563 ، 564 ، 565 ، 566 ، 567 ، 568 ، 569 ، 570 ، 571 ، 572 ، 573 ، 574 ، 575 ، 576 ، 577 ، 578 ، 579 ، 580 ، 581 ، 582 ، 583 ، 584 ، 585 ، 586 ، 587 ، 588 ، 589 ، 590 ، 591 ، 592 ، 593 ، 594 ، 595 ، 596 ، 597 ، 598 ، 599 ، 600 ، 601 ، 602 ، 603 ، 604 ، 605 ، 606 ، 607 ، 608 ، 609 ، 610 ، 611 ، 612 ، 613 ، 614 ، 615 ، 616 ، 617 ، 618 ، 619 ، 620 ، 621 ، 622 ، 623 ، 624 ، 625 ، 626 ، 627 ، 628 ، 629 ، 630 ، 631 ، 632 ، 633 ، 634 ، 635 ، 636 ، 637 ، 638 ، 639 ، 640 ، 641 ، 642 ، 643 ، 644 ، 645 ، 646 ، 647 ، 648 ، 649 ، 650 ، 651 ، 652 ، 653 ، 654 ، 655 ، 656 ، 657 ، 658 ، 659 ، 660 ، 661 ، 662 ، 663 ، 664 ، 665 ، 666 ، 667 ، 668 ، 669 ، 670 ، 671 ، 672 ، 673 ، 674 ، 675 ، 676 ، 677 ، 678 ، 679 ، 680 ، 681 ، 682 ، 683 ، 684 ، 685 ، 686 ، 687 ، 688 ، 689 ، 690 ، 691 ، 692 ، 693 ، 694 ، 695 ، 696 ، 697 ، 698 ، 699 ، 700 ، 701 ، 702 ، 703 ، 704 ، 705 ، 706 ، 707 ، 708 ، 709 ، 710 ، 711 ، 712 ، 713 ، 714 ، 715 ، 716 ، 717 ، 718 ، 719 ، 720 ، 721 ، 722 ، 723 ، 724 ، 725 ، 726 ، 727 ، 728 ، 729 ، 730 ، 731 ، 732 ، 733 ، 734 ، 735 ، 736 ، 737 ، 738 ، 739 ، 740 ، 741 ، 742 ، 743 ، 744 ، 745 ، 746 ، 747 ، 748 ، 749 ، 750 ، 751 ، 752 ، 753 ، 754 ، 755 ، 756 ، 757 ، 758 ، 759 ، 760 ، 761 ، 762 ، 763 ، 764 ، 765 ، 766 ، 767 ، 768 ، 769 ، 770 ، 771 ، 772 ، 773 ، 774 ، 775 ، 776 ، 777 ، 778 ، 779 ، 780 ، 781 ، 782 ، 783 ، 784 ، 785 ، 786 ، 787 ، 788 ، 789 ، 790 ، 791 ، 792 ، 793 ، 794 ، 795 ، 796 ، 797 ، 798 ، 799 ، 800 ، 801 ، 802 ، 803 ، 804 ، 805 ، 806 ، 807 ، 808 ، 809 ، 810 ، 811 ، 812 ، 813 ، 814 ، 815 ، 816 ، 817 ، 818 ، 819 ، 820 ، 821 ، 822 ، 823 ، 824 ، 825 ، 826 ، 827 ، 828 ، 829 ، 830 ، 831 ، 832 ، 833 ، 834 ، 835 ، 836 ، 837 ، 838 ، 839 ، 840 ، 841 ، 842 ، 843 ، 844 ، 845 ، 846 ، 847 ، 848 ، 849 ، 850 ، 851 ، 852 ، 853 ، 854 ، 855 ، 856 ، 857 ، 858 ، 859 ، 860 ، 861 ، 862 ، 863 ، 864 ، 865 ، 866 ، 867 ، 868 ، 869 ، 870 ، 871 ، 872 ، 873 ، 874 ، 875 ، 876 ، 877 ، 878 ، 879 ، 880 ، 881 ، 882 ، 883 ، 884 ، 885 ، 886 ، 887 ، 888 ، 889 ، 890 ، 891 ، 892 ، 893 ، 894 ، 895 ، 896 ، 897 ، 898 ، 899 ، 900 ، 901 ، 902 ، 903 ، 904 ، 905 ، 906 ، 907 ، 908 ، 909 ، 910 ، 911 ، 912 ، 913 ، 914 ، 915 ، 916 ، 917 ، 918 ، 919 ، 920 ، 921 ، 922 ، 923 ، 924 ، 925 ، 926 ، 927 ، 928 ، 929 ، 930 ، 931 ، 932 ، 933 ، 934 ، 935 ، 936 ، 937 ، 938 ، 939 ، 940 ، 941 ، 942 ، 943 ، 944 ، 945 ، 946 ، 947 ، 948 ، 949 ، 950 ، 951 ، 952 ، 953 ، 954 ، 955 ، 956 ، 957 ، 958 ، 959 ، 960 ، 961 ، 962 ، 963 ، 964 ، 965 ، 966 ، 967 ، 968 ، 969 ، 970 ، 971 ، 972 ، 973 ، 974 ، 975 ، 976 ، 977 ، 978 ، 979 ، 980 ، 981 ، 982 ، 983 ، 984 ، 985 ، 986 ، 987 ، 988 ، 989 ، 990 ، 991 ، 992 ، 993 ، 994 ، 995 ، 996 ، 997 ، 998 ، 999 ، 1000 .
- أمية بن الأسكر : 10/21 ، 12 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 19 ، 20 .
 أمية بن عبد شمس : 226/17 .
 أميمة امرأة ابن الدمينه : 38/2 ، 76/17 ، 78 .
 أميمة بنت عبد شمس : 182/5 ؛ 38/22 ، 53 .
 أنس بن حذيفة الهذلي : 115/21 .
 أنس بن زعيم : 102/16 ؛ 249/3 .
 أنس بن مدرك الخشعمي : 249/20 ، 250 .
 أنصاري خزرجي : 48/19 .
 أهبان بن عاديا : 54/16 .
 أوس بن حجر : 35/9 ؛ 46/11 ، 48 ، 49 ، 50 ؛ 54/14 ، 136 ؛ 246/15 ؛ 39/21 .
 أوس بن ذئب : 76/22 ، 83 .
 أوس بن غلفاء : 184/8 ، 188 .
 أوس بن مغراء : 136/2 ؛ 11/5 ، 110 ؛ 240/16 .
 أوفى بن حجر : 250/14 .
 أبو إياس بن حرمة : 102/11 .
 إياس بن قبيصة : 44/24 .
 إياس بن مسلم : 194/13 .
 إياس بن يزيد : 34/13 .
 أيمن بن خريم الأسدي : 42/1 ، 217 ؛ 172/17 ؛ 194/20 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 .
- ب -
- بشينة معشوقة جميل : 112/8 .
 بجير بن ربيعة السحمي : 12/22 .
 بجير بن زهير : 67/17 .
 البحري : 143/8 ؛ 164/10 ؛ 41/14 ، 137 ؛ 35/20 ؛ 30/21 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ؛ 92/23 ، 138 ، 171 .
 بحير بن عبدالله بن سلمة : 15/5 .
 أبو البخري العاصي : 142/4 .
 بدر بن سعيد أخو المرار : 250/10 .
 بدر بن عامر : 109/24 ، 110 .

بكر بن النطاح : 78/19 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ،
 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 .
 بكر بن خازجة : 8/261 ، 8/20 ، 8/23 ، 164 ،
 165 ، 166 ، 167 .
 بكير الأصم : 46/24 .
 البلتع العنبري : 15/8 .
 بلحاء العذري : 153/17 .
 بلعاء بن قيس : 48/22 .
 بنان المغني : 9/236 ، 239 .
 بنت الخس : 165/19 .
 ابنة بهدل بن قرفة : 173/21 .
 ابن البواب : 7/113 ، 7/126 ، 22/23 ، 23/45 ،
 47 ، 48 ، 49 ، 50 .
 أبو البيضاء سهل : 23 : 209 .
 ييهس الجرهمي : 12/32 ، 22/95 ، 97 ، 98 ،
 99 .

- ت -

أم تأبط شرًا : 124/21 .
 تأبط شرًا : 21/89 ، 21/93 ، 21/95 ، 21/96 ، 21/97 ، 21/98 ،
 99 ، 100 ، 102 ، 103 ، 104 ، 106 ،
 107 ، 108 ، 109 ، 110 ، 112 ، 113 ،
 114 ، 116 ، 118 ، 120 ، 121 ، 123 ،
 124 ، 130 ، 132 ، 22/5 ، 6 .
 تبع الأخير أبو كرب : 15/29 ، 33 .
 تحية بن جنادة : 1/129 ، 22/23 .
 أبو تمام الطائي : 5/177 ، 13/179 ،
 16/264 ، 16/265 ، 16/266 ، 16/267 ، 16/268 ،
 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ،
 275 ، 277 ، 278 ، 19/65 ، 20/63 ،
 20/66 ، 177 ، 180 ، 21/38 ، 23/61 ،
 93 ، 101 ، 107 ، 108 ، 109 .
 التميمي : 16/20 .
 تميم بن الحباب : 12/147 .
 أبو النجم العجلي : 10/125 .

بدر بن معشر : 40/22 .
 البراء بن قيس : 16/241 ، 22/43 .
 البرج بن الجلاس : 14/10 ، 11 .
 بردغ بن عدي : 16/156 .
 بشار بن برد : 3/26 ، 93 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ،
 99 ، 100 ، 101 ، 103 ، 104 ، 105 ،
 106 ، 107 ، 108 ، 111 ، 112 ، 113 ،
 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ،
 120 ، 121 ، 122 ، 124 ، 125 ، 126 ،
 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 132 ،
 133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 138 ،
 139 ، 140 ، 141 ، 143 ، 144 ، 145 ،
 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 151 ،
 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ،
 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ،
 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ،
 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ،
 176 ، 198 ، 4/25 ، 5/228 ، 6/165 ،
 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ،
 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 10/209 ، 11/11 ،
 120 ، 227 ، 14/91 ، 205 ، 207 ، 208 ،
 210 ، 211 ، 212 ، 223 ، 247 ،
 16/206 ، 18/218 ، 19/189 ، 190 ،
 191 ، 205 ، 20/263 ، 21/68 ، 24/32 .
 بشار أبو العباس الأعمى : 3/163 .
 بشار ونسبت لأبي نخيلة الحماني : 3/160 ،
 20/263 .
 بشامة بن عمرو الغدير : 10/243 ، 13/136 .
 بشر بن أبي خازم : 15/67 ، 16/169 ، 245 ،
 20/221 .
 بشر بن ربيعة : 15/162 .
 بشير بن سعد : 16/32 .
 البعث : 8/13 .
 أبو بكر بن المسوار : 8/231 .
 البكري بن بكر بن وائل : 5/29 ، 30 ، 34 ، 36 .

، 51 ، 50 ، 49 ، 48 ، 47 ، 46 ، 44 ، 43
 ، 59 ، 58 ، 57 ، 56 ، 55 ، 54 ، 53 ، 52
 ، 214 ، 65 ، 64 ، 63 ، 62 ، 61 ، 60
 ، 33/9 ؛ 228 ، 227 ، 226 ، 218 ، 217
 ، 229 ، 187 ، 132 ، 104 ، 89 ، 34
 ؛ 254 ، 251 ، 249 ، 248 ، 247 ، 244
 ، 42 ، 41/11 ؛ 143 ، 124 ، 81 ، 62/10
 ، 143 ، 142 ، 108/12 ؛ 105 ، 44
 ، 231 ، 94 ، 93 ، 66/15 ؛ 222 ، 144
 ، 111 ، 110 ، 109 ، 106/16 ؛ 233
 ؛ 219 ، 218 ، 217 ، 216 ، 189 ، 112
 ، 152 ، 38 ، 17 ، 16 ، 14/18 ؛ 136/17
 ، 202 ، 199/21 ؛ 123 ، 73/19 ؛ 239
 ، 224 ، 223 ، 214 ، 211 ، 209 ، 206
 ، 251 ، 250 ، 238 ، 236 ، 227 ، 226
 ، 273 ، 272 ، 271 ، 267 ، 257 ، 255
 ، 113 ، 27/24 ؛ 144/23 ؛ 282 ، 277
 . 117 ، 116 ، 115 ، 114
 جرير العجلي : 44/8 ؛ 36/5 .
 جرير والفرزدق : 25/8 .
 جرير بن سهم التميمي : 12/13 .
 جزء بن خالد بن جعفر : 101/11 .
 جزء بن ضرار : 119/9 .
 جساس بن مرة : 27/5 .
 الجعد المحاربي : 31/22 .
 الجعد بن مهجع : 121 ، 118 ، 117/11 .
 الجعدي : 171/17 .
 جعدة بن عبدالله الخزاعي : 8/22 .
 أبو جعفر المنصور : 124/3 .
 أخو جعفي : 235/18 .
 أم جعفر بن عتبة : 37/13 .
 جعفر بن الزبير : 206 ، 205 ، 181 ، 180/1 ؛
 61/6 ؛ 251/3 ؛ 166 ، 139 ، 137/2
 ؛ 5/15 ؛ 244/9 ؛ 10 ، 9 ، 8 ، 7 ، 6
 . 214 ، 206 ، 202/21

توبة بن الحمير : 143 ، 141/11 ؛ 196/3
 . 164 ، 147 ، 144
 تويت اليمامي : 152 ، 151 ، 150 ، 148/23
 . 153
 التيمي : 8 ، 7 ، 6 ، 5/20 ؛ 254 ، 42 ، 9/19
 ، 20 ، 16 ، 15 ، 14 ، 13 ، 12 ، 11 ، 10 ، 9
 . 50

- ث -

ثلث قطنة : 170 ، 169 ، 167 ، 166/14
 ، 176 ، 175 ، 174 ، 173 ، 172 ، 171
 . 178 ، 177
 ثروان بن مرة : 66 ، 58/18 .
 الثريا بنت علي بن عبدالله : 161/1 .

- ج -

جارية يزيد بن حوراء : 179/3 .
 جامع بن مرخية : 110/9 .
 جبل بن جوال : 118/9 .
 جبلة بن الأيهم : 117 ، 115 ، 113/15 .
 جهاء الأشجعي : 71 ، 70 ، 69 ، 68/18 .
 جثامة بن عقيل بن علفة : 185/12 .
 الجحاف السلمي : 146 ، 144 ، 140/12 .
 جحضر بن ضيفة : 29/5 .
 جدار أخو تابط شراً : 117/21 .
 ابن جدل الطعان : 43/16 .
 جذيمة الأبرش : 217/15 .
 أبو جراب العبلي : 252/1 .
 جرثومة العنزى : 229/22 .
 جرير : 202 ، 196 ، 181 ، 180 ، 172/1 ؛
 238 ، 180 ، 154/3 ؛ 138 ، 137/2
 ؛ 228 ، 126/5 ؛ 181 ، 47 ، 46/4 ؛ 251
 ؛ 6/8 ؛ 232/7 ؛ 180 ، 108 ، 62 ، 61/6
 ، 15 ، 14 ، 13 ، 12 ، 11 ، 10 ، 9 ، 8 ، 7
 ، 23 ، 22 ، 21 ، 20 ، 19 ، 18 ، 17 ، 16
 ، 34 ، 32 ، 31 ، 29 ، 28 ، 27 ، 26 ، 24
 ، 42 ، 41 ، 40 ، 39 ، 38 ، 37 ، 36 ، 35

- جعفر بن سراقه القرني : 100/8 .
 جعفر بن عفان الطائي : 78/10 ؛ 187/7 .
 جعفر بن علية : 30/13 ، 31 ، 32 ، 33 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 .
 جعفران الموسوس : 31/14 ؛ 11/20 ، 108 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 .
 جفنة الهزاني : 18/8 .
 جفیر العبسي : 139/12 .
 أبو جلدة اليشكري : 208/11 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 .
 جلييلة بنت مرة : 41/5 .
 الجماز : 165/13 ، 166 ، 175/23 .

- ح -

- حاتم الطائي : 238/5 ؛ 221/6 ، 226 ، 146/8 ، 147 ، 176 ؛ 233/11 ، 234 ؛ 227/12 ؛ 132/17 ، 259 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 273 ، 274 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 281 ؛ 25/18 ؛ 133/22 .
 حاتم بن عدي الخراساني : 50/21 .
 أنخت حاجز الأزدي : 151/13 .
 حاجب الفيل : 167/14 ، 168 ، 169 ، 170 .
 حاجب بن ذبيان : 42/3 .
 حاجب بن زرة : 69/11 .
 حاجز الأزدي : 13/14 ، 146/13 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ؛ 109/21 .
 الحادرة الثعلبي : 188/3 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 .
 حادي سكينه بنت الحسين : 130/11 .
 الحارث بن الأبرص : 106/11 .
 الحارث بن حلزة : 28/11 ، 30 ، 31 ، 34 .
 الحارث بن خالد المخزومي : 88/1 ، 117 ، 163 ؛ 143/2 ، 145 ؛ 216/3 ، 218 .
 جميل : 91/1 ، 92 ، 93 ، 94 ، 194 ، 244 ؛ 10/2 ، 150 ، 243 ، 248 ، 253 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 260 ؛ 37/4 ، 90 ، 204 ، 205 ، 206 ؛ 57/5 ، 270 ، 41/7 ؛ 42 ؛ 11/8 ، 27 ، 44 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 144 ؛ 145 ؛ 253/9 ؛ 123/11 ؛ 69/12 ؛ 136/14 ، 138 ؛ 36/16 ، 107 ، 108 ؛ 166/19 ؛ 186/21 ؛ 106/22 ، 107 ، 219 ، 220 .
 جميل عروة بن أذينة : 136/1 ؛ 88/8 .
 حميد بن ثور : 188/8 .
 الجن : 119/9 .
 جنادة العذري : 129/1 ؛ 23/22 .
 ابن جندب : 110/6 .
 ابن جندب : 110/6 ، 111 .

حذيفة بن بدر : 150/17 .
 الحرياء بنت عقيل بن علفة : 185/12 .
 حرقبة بنت النعمان : 39/24 .
 حرملة العكلي : 108/11 .
 حريث بن زيد الخيل : 195/17 .
 حريث بن عامر : 23/19 .
 حريث بن عتاب : 250 ، 249 ، 248/14 .
 251 .
 حريم بن الحارث : 48/24 .
 أبو حزيمة التميمي : 182 ، 181 ، 180/22 ، 187 ، 186 ، 185 ، 184 .
 الحزنب بن سلامة : 23/19 .
 الحزين الديلي : 125/11 ، 10 ، 7/9 ، 155/12 ، 222 ، 220 ، 218 ، 96/15 ، 228 ، 227 ، 226 ، 225 ، 224 ، 223 .
 116/16 ، 231 ، 230 ، 229 .
 الحزين الكناني : 159/1 .
 الحزين بن الحارث : 167 ، 166/15 .
 حسان بن تبع : 222 ، 221/22 .
 حسان بن ثابت : 19 ، 15 ، 12/3 ، 127/2 ، 109 ، 108 ، 105 ، 104/4 ، 32 ، 24 ، 111 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126 ، 152 ، 215 ، 25/6 ، 42/7 ، 43 ، 232/8 ، 250/9 ، 251 ، 252 ، 213/9 ، 214 ، 13/11 ، 107/15 ، 109 ، 110 ، 111 ، 114 ، 116 ، 117 ، 129 ، 133 ، 39/16 ، 41 ، 42 ، 45 ، 59 ، 68 ، 117/17 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126 ، 231 ، 233 ، 260/21 ، 95/23 .
 الحسن بن الحارث : 166 ، 165 ، 163/15 .
 الحسن بن الضحاك : 130/7 .
 الحسن بن رجاء : 153/7 .
 الحسن بن وهب : 74 ، 69 ، 68 ، 67 ، 66/23 .

219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 145/6 ، 20/7 ، 231/8 ، 165/9 ، 167 ، 169 ، 173 ، 132/11 ، 133 ، 87/15 ، 242 ، 243 ، 249 ، 37/17 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 254/18 .
 الحارث بن زهير : 148/17 .
 الحارث بن ظالم : 71 ، 69 ، 68 ، 67 ، 66/11 ، 72 ، 73 ، 74 ، 76 ، 77 ، 81 ، 82 ، 83 ، 86 ، 87 .
 الحارث بن عباد : 218/16 ، 38 ، 32 ، 31/5 ، 123/19 .
 الحارث بن عمرو بن مضاض : 14 ، 10/15 ، 16 ، 17 ، 21 .
 الحارث بن قراد : 53/13 .
 الحارث بن هشام : 126/4 .
 الحارث بن ويلة : 153 ، 151/22 ، 96/10 .
 الحارثة بن خالد : 231 ، 228/3 .
 حارثة بن بدر الغداني : 47/11 ، 105/6 ، 88/13 .
 عم الحارث بن ظالم : 71/11 .
 حامد بن بشير الخارجي : 73/16 .
 أبو حبش : 39/4 .
 حبناء بن عمرو : 66/13 .
 حبيب بن سهم التميمي : 106 ، 102 ، 101/6 .
 حبيب بن وائل : 6/5 .
 حبيبة بنت سفيان : 195/14 .
 حبشية بنت حبش : 219 ، 215/7 .
 الحجاج بن سلامة : 182 ، 21 ، 168/17 .
 حجر بن عمرو آكل المرار : 246 ، 242/16 .
 حجر بن معاوية بن عينة : 138/12 .
 حجناء بنت نصيب : 28 ، 27/23 .
 حجية بن المضرب : 200/20 .
 حذافة بن غانم : 163/8 .

120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ،
128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 156 ، 178 ؛

84/5 ، 85 ، 98 ؛ 66/6 ؛ 95/12 ؛ 96 ،
252 ؛ 198/16 ، 202 ، 203 ؛ 161/17 ،
162 ، 163 ، 164 ، 191 ، 192 ؛

226/22 .

أبو حفص الشطرنجي : 117/5 ؛ 209/6 ؛
50/18 ؛ 32/22 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ،
37 ، 38 ، 143 ؛ 88/23 .

أبو حفصة يزيد جد مروان : 61/10 .

الحكم الخضري : 172/2 ، 173 ، 186 ، 187 ،
188 ، 191 ، 194 ، 195 ، 196 .

الحكم بن عبدل : 175/2 ، 262 ، 263 ، 264 ،
266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ،

272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 277 ، 278 ،

279 ؛ 24/15 ؛ 8/16 .

الحكم بن قنبر : 47/19 ، 49 ، 52 ، 55 .

أم حكيم الخارجية : 108/6 .

أم حكيم بنت يحيى : 186/16 .

حكيم بن أبي الخلاف : 120/8 .

حلحلة بن قيس : 149/19 .

الحليس بن نعيم النهدي : 98/5 .

الحماني (رجل من بني حمان) : 47/8 .

حماد الراوية : 114/2 ؛ 137/5 ؛ 63/6 ؛ 66 ،
97/14 ؛ 237/17 .

حماد بن الزبرقان : 65/6 .

حماد بن العباس : 225/13 .

حماد بن يسير : 28/14 .

حماد عجرد : 95/3 ؛ 195/11 ؛ 200/13 ،

224 ، 234 ؛ 204/14 ، 209 ، 210 ،

212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ،

218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ،

224 ، 225 ، 226 ، 228 ، 229 ، 230 ،

231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ،

237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 242 ، 243 ،

100 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ،
108 .

الحسين بن الضحاك : 125/5 ؛ 110/7 ؛ 112 ،

113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ،

119 ، 120 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ،

126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ،

132 ، 133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ،

138 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ،

145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 151 ،

152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 157 ، 158 ،

159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ،

165 ، 166 ، 167 ، 169 ، 170 ، 171 ،

172 ، 173 ؛ 225/9 ؛ 182/15 ؛ 183 ،

184 ؛ 168/19 ؛ 48/21 ؛ 23/22 ؛

46/23 .

الحسين بن عبد الله بن عبيد الله : 68/5 ، 74 ، 75 ؛

44/12 ، 45 ، 46 ، 47 .

الحسين بن علقمة : 214/7 .

الحسين بن علي بن أبي طالب : 91/16 ، 93 ؛

85/21 .

الحسين بن عمار : 249/11 .

الحسين بن مطير : 15/15 ، 280 ؛ 13/16 ،

16 ، 18 ، 19 ، 20 ؛ 258/18 ؛ 64/20 .

أبو حشيشة : 80/23 .

حصان بن ثابت : 14/3 .

الحصين بن الحمام المري : 192/12 ؛ 255/13 ؛

7/14 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 .

الحصين بن سعد : 31/16 .

حصين بن عمرو بن معاوية : 104/11 .

الحضين بن المنذر : 217/11 .

حضير الكتائب : 91/17 .

حطائط بن يعفر : 19/13 .

الخطيئة : 99/2 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ،

105 ، 107 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ،

113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 119 ،

- خالد بن أبي أيوب : 118/20 .
 خالد بن جعفر بن كلاب : 57/11 ، 62 ، 65 ؛
 37/15 .
 خالد بن زهير : 194/6 .
 خالد بن سعيد بن العاصي : 10/19 .
 خالد بن عقبة : 45/1 ؛ 164/2 ، 166 .
 خالد بن علقمة : 248/12 ، 249 .
 خالد بن المهاجر : 50/1 ؛ 84/10 ، 85 ، 104 ؛
 127/16 ، 131 ، 132 .
 خالد بن يزيد بن معاوية : 146/6 ؛ 244/17 ،
 247 .
 خالد بن يزيد مولى قثم : 222/15 .
 خبيب بن عدي : 163/4 .
 خداس بن زهير : 192/3 ؛ 44/22 ، 46 ، 47 ،
 50 ، 51 .
 خديجة بنت المأمون : 12/16 .
 أبو خراش الهذلي : 263/5 ؛ 213/15 ؛
 146/21 ، 148 ، 150 ، 151 ، 152 ،
 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 159 ،
 162 ، 163 .
 خرقاء العامرية : 30/18 .
 الخريمي : 253/19 .
 خرز بن لوذان «الحارس بن لوذان» : 142/10 ؛
 9/11 ؛ 108/12 .
 خزامي جارية الضبط : 223/10 .
 الخزرجي : 49/1 ؛ 156/16 ، 158 ، 160 .
 خزيمة الأسدي : 104/15 .
 خزيمة بن مالك : 238/13 .
 خزيمة بن نهد : 50/13 ، 51 ، 52 .
 الخطفي من بني سعد : 26/21 .
 خفاف بن عمير : 60/15 .
 خفاف بن نذبة : 214/2 ؛ 62/15 ، 64 ؛
 95/17 ، 96 ؛ 52/18 ، 53 ، 54 ، 55 ،
 59 ، 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 66 .
 خلف الأحمر : 141/20 ، 143 .
 244 ، 245 ، 246 ، 247 .
 الحمدوي : 166/13 ؛ 63/20 .
 حمدان بن أبان اللاحقي : 124/6 .
 الحمراء بنت ضمرة : 135/22 .
 حمزة بن بيش : 20/7 ؛ 210/12 ؛ 132/16 ،
 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 138 ، 139 ،
 140 ، 141 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ،
 148 ، 149 .
 حمزة بن مضر : 241/5 .
 الحميري (ذو جدن) : 218/17 .
 السيد الحميري : 184/7 ، 202 .
 حميد الشكري : 30/12 .
 حميد بن ثور الهلالي : 247/4 ، 250 ، 66/5 ؛
 185/8 ، 188 ؛ 56/9 ؛ 157/18 ؛
 237/20 ، 239 .
 حميد بن سعيد : 111/18 .
 حميدة بنت النعمان بن بشير : 170/9 ، 171 ،
 172 ، 173 ؛ 38/16 ، 39 ؛
 حميد بن ثور : 249/4 ، 250 .
 أبو حنش عصم بن النعمان : 152/12 ؛ 85/23 .
 حنش بن عمرو : 148/17 .
 حنظلة بن أبي عفراء الطائي : 160/10 .
 حنظلة بن الشرقي أبو الطمحان : 105/11 .
 حنين الحيري : 223/2 ، 227 .
 حواس بن قطبة : 96/8 .
 أبو حية النميري : 207/8 ؛ 209/16 ، 211 ،
 212 ؛ 147/18 .
 - خ -
 خاقان بن الأهمم : 56/14 .
 خالد القسري : 283/21 .
 خالد بن يزيد الكاتب : 133/10 ؛ 218/15 ،
 220 ، 222 ، 223 ؛ 249/17 ؛ 164/20 ،
 176 ، 177 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ،
 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ؛
 148/22 ، 149 ؛ 82/23 ، 88 ، 179 .

26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 34 ؛
 13/152 ، 157 ؛ 15/54 ، 68 ؛ 16/47 ،
 119 ؛ 18/56 .
 دعبل الخزاعي : 10/39 ، 41 ؛ 16/16 ، 268 ،
 281 ؛ 19/36 ، 37 ، 39 ، 64 ؛ 20/58 ،
 60 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ،
 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ،
 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ،
 87 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ،
 96 ، 97 ، 99 ، 100 ، 103 ، 104 ، 105 ،
 106 ، 107 ، 204 ؛ 23/79 .
 دفاقة بن عبد العزيز : 23/23 .
 دكين الراجز : 9/194 .
 أبو دلامة : 6/169 ؛ 9/126 ؛ 10/187 ،
 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ،
 194 ، 195 ، 196 ، 198 ، 199 ، 200 ،
 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ،
 207 ، 208 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ،
 214 ، 216 ، 223 ؛ 11/183 ؛ 14/115 .
 أبو دلف العجلي : 8/177 ، 178 ، 183 ؛
 16/165 ؛ 21/44 ، 46 ؛ 24/71 .
 أبو دلف القاسم : 19/215 ، 241 .
 ابن الدمينه : 2/33 ؛ 13/47 ؛ 17/70 ، 73 ،
 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 79 ، 80 ؛ 20/167 ،
 168 ؛ 22/54 .
 دنائير جارية ابن كتاسة : 13/239 ، 242 .
 دندن الكاتب : 23/73 .
 ابن دنفش الحاجب : 23/57 .
 أبو دهبل الجمحي : 1/180 ، 181 ، 205 ،
 206 ، 236 ؛ 2/137 ، 139 ، 166 ؛
 3/77 ، 188 ؛ 5/77 ؛ 6/61 ؛ 7/86 ،
 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 93 ، 94 ، 95 ،
 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ،
 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ،
 110 ؛ 15/76 ؛ 20/237 ، 239 .

الخلنجي القاضي : 11/228 .
 الخلود : 18/180 .
 الخليفة المعتز : 9/239 .
 الخليفة الواثق : 9/220 .
 الخنساء : 2/214 ؛ 4/151 ؛ 6/221 ، 226 ؛
 9/72 ، 252 ؛ 10/20 ؛ 11/7 ، 19 ؛
 15/53 ، 55 ، 57 ، 61 ، 64 ، 65 ، 71 ،
 99 ، 232 ؛ 16/17 ؛ 17/129 ؛ 20/164 .
 الخنساء أخت زخير بن أبي سلمى : 10/244 .
 خنساء جارية هشام المكفوف : 19/220 .
 خوات العذري : 8/99 .
 خوات بن جبير : 14/202 .
 خولة بنت ثابت : 3/26 ، 27 ؛ 9/45 .
 ابن الخياط عبدالله : 3/104 ؛ 19/223 ، 224 ،
 225 ، 226 ، 229 ، 231 .
 الخيار بن سبرة : 21/254 .

- د -

ابن دارة عبد الرحمن : 21/163 ، 164 ، 173 ،
 174 ، 175 .
 الدارمي سعيد : 3/33 ، 34 ، 35 ؛ 4/232 ،
 234 ، 235 ؛ 6/202 ؛ 10/82 .
 داود بن أحمد : 14/26 .
 داود بن سلم : 6/10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ،
 17 ، 18 ، 9/126 ؛ 15/218 ، 220 ،
 222 ، 223 .
 دثار بن شيبان : 2/119 ، 123 .
 دحمان المغني أو أحد ولديه : 6/25 .
 دختنوس بنت لقيط : 11/93 ، 97 ، 101 ،
 102 .
 ابن دراج الطفيلي : 16/170 .
 درهم بن يزيد : 3/13 ، 18 .
 ابن دريد : 10/49 .
 دريد بن الصمة : 9/46 ؛ 10/6 ؛ 8/9 ،
 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ،
 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ،

- ر -

- روثة : 120/10 ؛ 223/20 ، 226 ، 227 ، 228 ، 290 .
 راجز قضاعي : 66/8 .
 راشد الكاتب : 61/23 .
 الراعي النميري : 226/5 ؛ 20/18 ، 27 ؛ 144/19 ؛ 112/23 ؛ 24/24 ، 112 ، 115 ، 117 ، 118 .
 ابن رباح الحسن بن إبراهيم : 105/23 ، 106 .
 الرباب بنت امرئ القيس : 94/16 .
 رباب بن رميلة : 199/9 .
 ربطة أخت عمرو ذي الكلب : 10/23 .
 ربطة بنت جابر أخت تأبط شرأ : 122/21 .
 ربطة بنت جدل الطعان : 48/16 .
 أبو ربيعة المصطلق : 117/1 .
 الربيع بن قعنّب : 28/13 .
 الربيع بن أبي الحقيق : 90/22 ، 91 ، 92 .
 الربيع بن زياد العبسي : 249/15 ؛ 129/17 ، 135 ، 142 ، 145 .
 الربيع بن ضبع : 73/9 ؛ 35/22 .
 الربيع بن عبدالله : 22/23 .
 الربيع بن عمارة : 132/17 .
 الربيع بن قعنّب : 28/13 .
 الرمق = عبيد بن سالم الخزرج ربيع بن قعنّب : 78/11 .
 ربيعة الرقي : 171/16 ؛ 172 ، 173 ، 174 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 .
 ربيعة بن أمية : 96/4 .
 ربيعة بن مقروم : 256/5 ؛ 57/22 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 .
 ربيعة بن مكدم : 40/16 ؛ 41 ، 46 ، 47 ، 49 ، 52 .
 أبو الرديني العكلي : 138/24 .
 رزاح رجل من نهد : 85/5 .
 رزين العروضي : 92/20 .

- أبو دهمان الغلابي : 19/15 ؛ 179/22 ، 180 .
 ابن دهمية : 280/4 .
 أبو دواد الإيادي : 108/2 ؛ 191/12 ؛ 26/14 ؛ 256/16 ، 257 ، 258 ، 259 ، 261 ، 262 ؛ 144/17 ، 163 .
 أم دواد : 262/16 .
 دواد المري : 191/12 .
 دواد بن أبي دواد : 257/16 ، 258 ، 262 .
 دودة بنت أبي دواد : 262/16 .
 الديان بن جندل : 10/12 ؛ 44/24 .
 ديك الجن : 32/14 ؛ 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 43 ، 45 .

- ذ -

- أبو ذؤيب الهذلي : 63/1 ؛ 186/6 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 196 ؛ 119/11 ؛ 52/13 .
 أبو الذلفاء : 108/20 .
 ذهل بن ثعلبة : 247/19 .
 ذو الإصبع العدواني : 186/1 ؛ 61/3 ، 62 ، 64 ، 67 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 74 ، 75 ، 76 ، 79 ؛ 240/4 ؛ 105/15 .
 ذو الرمة : 227/1 ؛ 32/3 ؛ 153/5 ، 155 ، 188 ، 236 ، 278 ، 280 ؛ 40/8 ، 41 ، 42 ، 144 ؛ 206/9 ؛ 27/12 ، 28 ، 36 ؛ 240/16 ؛ 31/17 ، 96 ، 138 ، 281 ؛ 6/18 ؛ 7 ، 8 ، 9 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 17 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ؛ 164/19 ؛ 5/21 ، 229 ؛ 152/22 ؛ 49/24 .
 ذو رعين : 223/22 .
 ذو كبار : 123/24 .
 بنت ذي الإصبع : 65/3 ، 66 .
 أبو الذيال اليهودي : 89/22 .

زفر بن الحارث : 212/8 ؛ 142/12 ؛
 143/19 ، 144 ، 22/24 ، 23 ، 24 ،
 27 .
 زميل الفزاري : 26/13 .
 زهراء الكلاية : 214/5 .
 ابن زهير المخنث : 26/3 ، 27 .
 زهير السكب : 188/22 ، 189 ، 190 .
 زهير بن أبي سلمى : 108/2 ، 126 ، 136 ؛
 222/4 ، 229 ؛ 68/6 ، 76 ؛ 135/8 ؛
 225/10 ، 226 ، 227 ، 233 ، 234 ،
 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ،
 241 ، 244 ، 245 ، 325 ؛ 209/12 ؛
 64/17 ، 65 ، 165 .
 زهير بن جذيمة : 53/11 .
 زهير بن جناب : 262/2 ؛ 263 ؛ 79/3 ، 80 ،
 81 ، 88 ، 92 ؛ 79/5 ؛ 239/10 ؛ 14/19 ،
 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 .
 ابن أبي الزوائد : 77/14 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ،
 82 ، 83 ، 86 ؛ 25/15 .
 ابن زبابة : 17/19 .
 ابن زياد المكي : 148/1 .
 أبو زياد الكلابي : 178/5 ؛ 94/24 .
 زياد الأعجم : 215/11 ؛ 17/12 ، 24 ؛
 265/15 ؛ 59/13 ، 61 ، 62 ، 66 ، 70 ؛
 182/14 ، 183 ؛ 259/15 ؛ 260 ، 261 ،
 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ،
 268 ، 269 .
 زيادة بن زيد : 67/8 ؛ 180/21 ، 183 .
 زيان بن سيار : 137/12 .
 ابن أبي زيد : 77/2 .
 أبو زيد الطائي : 90/5 .
 أبو زيد صديق لبشار : 130/3 .
 زيد الخيل : 58/14 ؛ 176/17 ، 178 ، 179 ،
 180 ، 184 ، 185 ، 187 ، 188 ، 189 ،
 190 ، 191 ، 193 ، 194 .

رزين بن علي : 41/10 .
 الرشيد الخليفة : 149/5 ؛ 133/10 ؛ 88/23 .
 رشيد بن وميض : 170/15 ، 171 .
 ابن الرقاق العاملي : 195/3 .
 الرقاشي : 163/16 ، 164 ، 165 ، 166 ،
 167 ، 168 .
 أبو رقية : 68/7 .
 رقيقة : 153/17 .
 الرماح : 187/2 .
 ذو الرمة : 38/18 .
 الرمق : 80/22 .
 ابن أبي رميلة الضبي : 198/9 .
 ابن رهيمة : 140/2 ، 141 ؛ 279/4 ، 280 ،
 281 ، 282 ، 283 ؛ 11/6 ، 14 ، 16 ؛
 241/14 ؛ 139/21 .
 ابن عم روح بن زنباع : 171/9 .
 روح بن زنباع : 170/9 ، 171 ، 172 .
 ابن الرومي : 49/10 ؛ 138/23 .
 رياح بن الأسك : 55/11 ، 63 .
 ريسان العذري : 129/1 ؛ 23/22 .

- ز -

الزبء : 216/15 .
 زبان بن سيار : 249/5 .
 الزبرقان بن بدر : 118/2 ؛ 113/4 ؛ 50/14 .
 ابن الزبير الأسدي : 97/17 .
 أبو زيد الطائي : 229/4 ؛ 88/5 ، 89 ، 91 ،
 92 ، 93 ؛ 85/12 ، 89 ، 90 ، 92 ، 93 ،
 94 ، 127 .
 الزبير بن الأشيم : 164/14 .
 الزبير بن عبد الله الزبير : 165/14 .
 الزبير بن دحمان : 219/18 .
 زيان بن سيار : 190/3 .
 زرارة بن المخبل : 136/13 .
 الزرقاء بنت زهير : 53/13 .
 زرقاء اليمامة : 25/11 .

زید بن ظبيان : 184/11 .
 زید بن عمر بن نفیل : 79/3 ، 80 ، 84 ، 85 ، 87 ، 92 .
 زينب بنت عرفة : 177/12 .
 زينب بنت مالك بن جعفر : 16/12 .
 - س -
 السائب بن عمرو : 180/6 .
 سارة القرظية : 80/22 .
 سارية بن أبي زعيم : 158/21 .
 سحيم بن وثيل الرياحي : 93/13 .
 سحيم عبد بني الحسحاس : 211/22 ، 214 ، 215 ، 218 .
 سدوس بن شيان : 244/16 ، 245 .
 سديف : 241/4 ، 243 ، 245 ، 246 ، 89/16 ، 90 .
 سراقه البارقي : 51/8 ، 10/9 ، 12 .
 سراقه بن عوف : 46/17 .
 سراقه بن مرداس : 15/8 ، 51 ، 192/14 ، 203 .
 ابن سريج : 153/8 ، 155/15 ، 156 .
 السري بن عبد الرحمن : 115/20 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 79/21 .
 أبو سعد المخزومي : 61/20 ، 93 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 .
 سعد بن الحصين : 31/16 .
 سعد بن عبد الرحمن : 186/1 .
 سعد بن القعقاع : 128/3 ، 210/13 .
 سعد بن مالك : 31/5 ، 34 .
 سعد بن مرة بن جبير : 21/7 .
 سعدة بنت فريد : 101/22 ، 102 .
 أبو سعيد مولى فائد : 231/4 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 246 ، 247 ، 88/10 ، 107 .
 سعية بن عريض : 79/3 ، 80 ، 91 ، 92 ، 87/22 ، 88 ، 89 .
 سعيد بن العاص : 96/5 .
 سعيد بن المسيب : 144/6 .
 سعيد بن حميد : 254/16 ، 110/18 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 218/19 ، 221 ، 222 .
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : 190/1 ، 260/2 ، 288/4 ، 121/6 ، 192/8 ، 193 ، 195 ، 196 ، 197 ، 198 ، 98/15 ، 73/24 .
 سعيد بن وهب : 214/20 ، 216 ، 217 ، 218 ، 220 ، 5/24 .
 السفاح سلمة بن خالد : 151/12 .
 أبو سفیان بن حرب : 215/6 ، 238 ، 248 ، 249 .
 سفیان بن مجاشع : 151/12 .
 سلام الرافعي : 208/18 .
 سلامة القس : 216/6 ، 248/8 ، 249 ، 100/9 ، 101 .
 سلامة بن صبيح : 6/13 .
 أبو سلمة : 5/9 .
 أبو سلمى والد زهير : 229/10 .
 سلم الخاسر : 139/3 ، 60/4 ، 215/6 ، 48/7 ، 119 ، 120 ، 179/19 ، 186 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 196 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 131/20 .
 سلم بن زياد : 245/9 .
 سلمان العجلي : 90/13 .
 سلمة بن الحارث : 152/12 .
 سلمة بن الخرشب : 132/17 .
 سلمة بن عياش : 185/20 ، 186 ، 187 ، 188 ، 6/10 .
 سلمه بن دريد : 6/10 .
 سلمى بنت عميس : 261/7 .

زید بن ظبيان : 184/11 .
 زید بن عمر بن نفیل : 79/3 ، 80 ، 84 ، 85 ، 87 ، 92 .
 زينب بنت عرفة : 177/12 .
 زينب بنت مالك بن جعفر : 16/12 .
 - س -
 السائب بن عمرو : 180/6 .
 سارة القرظية : 80/22 .
 سارية بن أبي زعيم : 158/21 .
 سحيم بن وثيل الرياحي : 93/13 .
 سحيم عبد بني الحسحاس : 211/22 ، 214 ، 215 ، 218 .
 سدوس بن شيان : 244/16 ، 245 .
 سديف : 241/4 ، 243 ، 245 ، 246 ، 89/16 ، 90 .
 سراقه البارقي : 51/8 ، 10/9 ، 12 .
 سراقه بن عوف : 46/17 .
 سراقه بن مرداس : 15/8 ، 51 ، 192/14 ، 203 .
 ابن سريج : 153/8 ، 155/15 ، 156 .
 السري بن عبد الرحمن : 115/20 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 79/21 .
 أبو سعد المخزومي : 61/20 ، 93 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 .
 سعد بن الحصين : 31/16 .
 سعد بن عبد الرحمن : 186/1 .
 سعد بن القعقاع : 128/3 ، 210/13 .
 سعد بن مالك : 31/5 ، 34 .
 سعد بن مرة بن جبير : 21/7 .
 سعدة بنت فريد : 101/22 ، 102 .
 أبو سعيد مولى فائد : 231/4 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 246 ، 247 ، 88/10 ، 107 .
 سعية بن عريض : 79/3 ، 80 ، 91 ، 92 ، 87/22 ، 88 ، 89 .

- السليك بن السلكة : 171/19 ؛ 240/20 ، 242 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 254 .
- السليك بن مجمع : 37/14 .
- بعض سليم : 213/2 .
- سليط بن سعد : 93/2 .
- سليمان بن أبي دباكل : 212/7 ؛ 220 ، 227 ، 76 ، 73/21 .
- سليمان بن قته : 97/19 .
- سليمان بن وهب : 59/12 ؛ 129/23 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 .
- أبو سماك الأسدي : 242/13 .
- سماعة بن أشول : 217/2 .
- أبو السمط : 53/12 ؛ 178/23 .
- السمع بن جابر أخو تأبط شراً : 115/21 ، 117 .
- السمهري العكلي : 168/21 ، 169 ، 170 ، 171 .
- السموأل بن عادياء : 79/3 ، 80 ، 92 ؛ 220/6 ، 225 ، 232 ، 89/9 ؛ 83/22 ، 84 ، 86 .
- سنان بن أبي حارثة : 109/11 .
- سنان بن جابر : 145/19 ، 146 .
- السندري : 198/16 .
- سهل بن الحنظلية : 160/15 .
- سهل بن رزاح : 78/5 ، 79 .
- سهل بن عبد الحميد : 145/23 .
- أبو سواج : 220/8 ، 221 .
- سودة بن الفرح : 228/22 .
- سوار بن المضرب : 211/6 .
- سوار بن حيان المنقري : 52/14 .
- سوار بن عبدالله : 182/19 .
- أبو السود الديلي : 232/20 ، 238 .
- سويد بن أبي كاهل : 68/13 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ؛ 278/21 ؛ 43/24 .
- سويد بن عامر المصطلق : 229/7 .
- سويد بن كراع : 247/12 ، 248 ، 250 ، 251 ، 252 .
- ابن سيابة : 112/5 ، 161 ، 165 ؛ 58/12 ، 59 ، 60 ، 61 ، 63 ؛ 135/23 .
- أم سيار أم ربيعة بن مكدم : 41/16 .
- ابن سيحان عبد الرحمن بن أرطاة : 156/2 ، 160 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 .
- السيد الحميري : 191/7 ، 176 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 210 ، 198/8 ؛ 12/9 ؛ 191/10 .
- ش -
- شأس بن أبي يلى : 100/11 .
- الأزارقة : 106/6 .
- شافع بن وائر : 167/21 .
- شيام : 58/18 ، 65 .
- أبو الشبل البرجمي : 123/14 ، 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 134 ؛ 220/19 .
- شبل بن عبدالله : 241/4 ، 246 .
- شبيب البرصاء : 182/12 ، 194 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 .
- شبيب بن يزيد : 37/16 .
- أبو الشدائد الفزاري : 162/16 ، 163 .
- شداد بن معاوية : 149/17 ، 250 .
- أبو شراعة : 126/22 ؛ 32/23 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 42 ، 44 .
- شراعة بن الزندبوذ : 50/15 .
- شرح القاضي : 154/17 ، 161 .
- شرح بن الأحوص : 90/11 ، 100 .
- شرح بن سموأل : 220/6 ، 225 .
- شعيب بن مايل : 148/12 .

- شقران : 198/2 ، 200 ، 201 .
 الشماح : 127/2 ؛ 117/9 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 152/12 ؛ 157 ، 125/15 ؛ 69/17 ؛ 36/24 .
 شماطيط : 169/15 ؛ 173/2 .
 الشمردل بن شريك : 50/13 ، 246 ، 247 ، 248 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ؛ 228/21 .
 أبو الشمقمق : 135/3 ، 173 ، 69/4 ؛ 66/10 ؛ 177/16 ؛ 204/19 ؛ 33/20 .
 الشنفرى : 65/6 ؛ 105/21 ، 117 ، 118 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 135 ، 137 ، 138 ، 139 .
 أبو شهاب : 152/7 .
 الشويعر الليثي : 52/22 .
 ابن أبي الشيص : 98/20 ، 99 .
 أبو الشيص : 148/5 ؛ 19/16 ، 278 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ؛ 157/22 .
- ض -**
- ضابىء البرجمي : 127/2 .
 ضبارة بن الطفيل : 67/1 .
 أبو الضحاك التميمي : 171/11 .
 أم الضحاك المحاربية : 108/20 .
 ضرار التميمي السعدي : 139/22 .
 ضرار بن الأزور : 20/13 .
 ضرار بن الخطاب : 217/7 ؛ 39/16 ، 41 ، 45 ؛ 139/19 .
 ضمرة بن ضمرة : 79/11 .
- ط -**
- طارق الخزاعي : 20/21 ، 21 .
 أبو طالب بن عبد المطلب : 139/4 ؛ 39/9 ، 40 ؛ 149/18 .
 طالب بن أبي طالب : 134/4 .
 طاهر بن الحسين : 43/20 .
 ابن الطثرية : 97/17 .
 طخيم الأسدي : 129/8 .
 ابن طرامة : 20/24 .
- شقران : 198/2 ، 200 ، 201 .
 الشماح : 127/2 ؛ 117/9 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 152/12 ؛ 157 ، 125/15 ؛ 69/17 ؛ 36/24 .
 شماطيط : 169/15 ؛ 173/2 .
 الشمردل بن شريك : 50/13 ، 246 ، 247 ، 248 ، 250 ، 251 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ؛ 228/21 .
 أبو الشمقمق : 135/3 ، 173 ، 69/4 ؛ 66/10 ؛ 177/16 ؛ 204/19 ؛ 33/20 .
 الشنفرى : 65/6 ؛ 105/21 ، 117 ، 118 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 135 ، 137 ، 138 ، 139 .
 أبو شهاب : 152/7 .
 الشويعر الليثي : 52/22 .
 ابن أبي الشيص : 98/20 ، 99 .
 أبو الشيص : 148/5 ؛ 19/16 ، 278 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ؛ 157/22 .
- ص -**
- أبو صالح بن يزداد : 76/23 .
 صالح بن عبد القدوس : 113/14 .
 صالح بن عبدالله العبدشمي : 101/6 ، 102 ، 106 .
 الصامت بن أصرم : 81/22 .
 الصحمي من بني صحمة : 143/11 .
 أبو صخر الهذلي : 224/1 ؛ 121/5 ؛ 177/8 ؛ 208/23 ، 212 ، 61/24 ، 63 ، 65 ، 66 ، 67 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 .
 أبي صدقة = مسكين بن صدقة .
 صخر الغني : 7/1 ؛ 239/22 ؛ 5/23 ، 7 ، 8 .
 صخر بن أعمى : 112/2 .
 صخر بن الجعد الخضري : 24/22 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 32 .

- طرفة بن العبد : 112/2 ؛ 30/5 ؛ 269/8 ؛
 82/9 ؛ 212/12 ؛ 54/24 .
- الطرماح بن حكيم : 31/2 ؛ 70/6 ؛ 24/12 ،
 25 ، 27 ، 28 ، 30 ، 31 ، 32 ؛ 6/17 ؛
 49/19 ؛ 136/22 .
- طريح بن إسماعيل : 211/4 ، 216 ، 217 ، 219 ،
 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ،
 227 ، 228 ؛ 74/6 ؛ 75 ؛ 168/15 ؛
 16/20 .
- طريف العنبري : 184 ، 183/9 ؛ 23/15 .
- أبو الطفيل عامر : 101/15 ، 103 ، 104 ،
 105 ، 106 ، 107 .
- الطفيل بن عمرو : 153/13 ، 154 .
- طفيل الغنوي : 165/8 ، 166 ؛ 236/15 ،
 238 ، 239 ، 240 ، 251 ؛ 185/17 ،
 186 .
- أبو الطمحان بن القيني : 92/2 ؛ 253/12 ،
 254 ؛ 7/13 ، 8 ، 9 ، 10 ؛ 214/17 .
- طياب بن إبراهيم الموصلبي : 251/5 .
- ظ -
- ظالم العامري : 133/21 .
- أبو ظبية العكلي : 146/20 ، 147 .
- ع -
- ابن عائشة : 86/17 .
- عائشة بنت طلحة : 127/11 ، 128 .
- عاتكة بنت زيد : 41/18 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 .
- عارف الطائي قيس بن جروة : 130/22 ، 131 ،
 132 .
- عاصم بن ثابت : 164/4 .
- عامر الحصفي : 72/15 .
- عامر بن الطفيل : 97/11 ، 112 ؛ 9/12 ؛
 196/16 ؛ 45/17 ، 187 ؛ 18/21 .
- عامر بن الظرب : 214/4 .
- عامر بن المجنون الجرمي (مدرج الرياح) : 79/3 ،
 80 ، 92 .
- عامر بن جوين : 71/9 ، 72 .
- عامر بن زهير بن جناب : 79/5 .
- عامر بن مالك : 70/11 .
- ابن عباد الرازي : 227/17 .
- ابن عباس : 153/17 .
- أبو العباس الأعمى : 37/1 ، 40 ؛ 203/16 ،
 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ،
 العباس الأعمى : 163/3 ؛ 206/16 .
- العباس بن الأحنف : 239/2 ؛ 118/3 ؛ 110/5 ،
 123 ، 138 ، 156 ، 164 ؛ 48/6 ، 208 ؛
 226/7 ؛ 252/8 ، 254 ، 255 ، 256 ،
 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261 ، 262 ،
 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ؛
 217/9 ؛ 93/10 ، 94 ؛ 170/15 ؛
 235/16 ، 236 ، 237 ؛ 51/17 ، 52 ، 53 ،
 54 ، 55 ، 56 ؛ 224/18 ، 260 ، 268 ،
 269 ؛ 64/21 ؛ 37/22 ؛ 90/23 ، 167 ،
 168 .
- العباس بن الحسن : 119/24 .
- العباس بن الوليد بن عبد الملك : 58/7 .
- العباس بن عتبة : 81/5 .
- العباس بن مرداس : 26/5 ؛ 240/6 ؛ 48/14 ،
 191 ، 193 ، 194 ، 195 ، 197 ، 198 ،
 199 ، 200 ، 201 ، 202 ؛ 144/15 ،
 236 ؛ 207/17 ؛ 54/18 ، 55 ، 57 ، 59 ،
 60 ، 63 ، 64 ، 65 ، 67 ، 149 ؛ 79/22 ؛
 40/24 .
- العباس بن مروان : 144/15 ؛ 58/18 .
- العباس بن يزيد الكندي : 17/8 ، 184 ، 188 .
- العباس بن يزيد بن الأسود : 186/8 .
- عباد بن الممق : 84/19 .
- عباد بن إلياس : 14/22 .
- عباد بن سلمة : 212/3 .
- عبادة بن مرثد : 57/14 .
- ابن عبدل الأسدي : 142/16 ، 144 .

- عبد الحميد بن عبيد الله : 169/12 .
عبد الخالق بن أبان : 37/16 .
عبد الرحمن بن أبي بكر : 54/1 ؛ 17/254 ، 256 ، 258 ؛ 141/21 .
عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي : 64/7 .
عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان : 180/1 ، 181 ، 205 ، 206 ؛ 137/2 ، 139 ، 164 ، 166 ، 167 ، 169 ، 170 ؛ 61/6 ؛ 134/8 .
عبد الرحمن بن الحكم : 241/3 ؛ 182/13 ، 183 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ؛ 79/15 ، 82 .
عبد الرحمن بن جهيم : 174/2 ، 217 .
عبد الرحمن بن حسان : 180/1 ، 181 ، 182 ، 183 ، 79 ، 93 ؛ 100/9 ؛ 74/15 ، 76 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ؛ 28/16 .
عبد الرحمن بن حنبل : 189/6 .
عبد الرحمن بن خالد : 217/3 .
عبد الرحمن بن دارة : 174/21 .
عبد الرحمن بن زيد : 70/5 ؛ 182/21 ، 185 ، 187 ، 191 .
عبد الرحمن بن سليمان : 40/18 .
عبد الرحمن بن يزيد : 187/21 .
عبد الرحيم الدفاف : 187/3 .
عبد السلام بن القتال : 203/2 .
عبد الصمد بن العذل : 158/13 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 .
عبد الصمد بن عبد الأعلى : 10/7 .
عبد الصمد بن علي : 22/6 .
عبد العزى الكلبي : 93/2 .
عبد القيس بن خفاف : 11/11 .
عبد المدان : 15/12 .
عبد الملك بن مروان : 276/2 ؛ 122/16 .
عبد بني الحسحاس : 213/22 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 .
عبد عمرو بن شريح : 196/16 .
عبد قيس بن خفاف البرجمي : 167/8 ، 175 .
عبد مكاتب : 249/21 ، 279 .
عبد يغوث الحارثي : 223/16 ، 227 ، 228 .
عبد الله بن الحشرج : 16/12 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 .
عبد الله بن العباس الربيعي : 162/19 ، 178 ، 183 ، 185 ، 186 .
عبد الله بن ثور : 16/5 .
عبد الله بن حسن بن الحسن : 89/21 .
عبد الله بن أبي بكر الصديق : 42/18 ، 43 .
عبد الله بن أبي ربيعة : 126/2 .
عبد الله بن أبي كثير : 278/4 ؛ 100/5 .
عبد الله بن أبي معقل : 279/4 ؛ 12/24 .
عبد الله بن الحجاج الثعلبي : 109/13 ، 111 ، 113 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 .
عبد الله بن الحسن بن الحسن : 82/12 ؛ 84/21 ، 93 .
عبد الله بن الحمير : 149/11 .
عبد الله بن الزبيرى : 62/1 ، 63 ، 64 ، 65 ، 77 ؛ 87/15 ، 121 .
عبد الله بن الزبير الأسدي : 251/3 ؛ 244/9 ؛ 139/14 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 166 ؛ 202/21 ، 206 ، 214 .
عبد الله بن الزبير الأمدي : 163/14 .
عبد الله بن العباس الربيعي : 220/10 ؛ 57/17 ؛ 158/19 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 .

عبدالله بن همام السلولي : 249/3 ؛ 24/16 ،
 . 102
 عبدة بن الطيب : 54/14 ؛ 59 ، 21/21 ، 22 ،
 . 23
 عبدالله بن أبي معقل : 9/24 ، 11 ، 12 .
 عبدالله بن المعتز : 10/16 .
 عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر : 46/12 ،
 . 168
 أبو العبر الهاشمي : 169/23 ، 170 ، 172 ،
 . 175 ، 174
 عبيسي : 237/3 .
 العيلي (أبو العدي) : 259/1 ؛ 204/2 ؛
 235/4 ، 237 ، 238 ، 239 ، 197/11 ،
 199 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 207 .
 عيلة بنت عبيد : 148/1 .
 عبيد بن أبي وجزة : 178/12 .
 عبيد بن الأبرص : 108/2 ؛ 217/6 ؛ 63/9 ؛
 191/14 ؛ 163/17 ؛ 63/22 ، 65 ، 66 ،
 . 68 ؛ 111/24
 عبيد بن أوس : 136/1 .
 عبيد بن حنين : 278/4 ؛ 100/5 .
 عبيد بن موهب : 231/3 .
 عبيد بن سالم الخرج : 80/22 .
 عبيدالله بن إسحاق الهاشمي : 72/4 .
 عبيدالله بن عبدالله بن طاهر : 32/9 ؛ 224/10 .
 عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : 103/9 ، 106 ،
 107 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ،
 113 ؛ 109/11 ؛ 178/13 ؛ 106/14 ،
 144 ، 157 ؛ 10/16 ؛ 216/22 ؛ 9/24 ،
 . 12 ، 11
 عبيدالله بن عمرو : 145/23 .
 عبيدالله بن قطبة : 100/8 .
 عبيدالله بن قيس الرقيات : 33/1 ، 91 ، 149 ؛
 32/3 ، 33 ؛ 207/4 ؛ 242 ، 45/5 ، 48 ،
 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 56 ، 57 ، 58 ،

173 ، 174 ، 175 ، 176 ، 179 ، 181 ،
 182 ، 183 ، 184 ، 185 ؛ 59/23 ، 157 .
 عبدالله بن العجلان النهدي : 165/22 ، 167 ،
 168 ، 170 .
 عبدالله بن النعمان : 36/16 .
 عبدالله بن جحش : 152/19 ، 153 ، 154 ،
 . 155
 عبدالله بن جدعان : 238/8 .
 عبدالله بن جذل الطعان : 42/16 ، 45 .
 عبدالله بن جعفر : 152/8 .
 عبدالله بن حذف : 172/15 .
 عبدالله بن رواحة : 153/16 .
 عبدالله بن سيرة : 198/23 .
 عبدالله بن سعيد : 212/1 .
 عبدالله بن طاهر : 68/12 ؛ 107/20 .
 عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر : 125/11 .
 عبدالله بن عبد المدان : 28/10 .
 عبدالله بن عبدالله بن طاهر : 32/9 .
 عبدالله بن عبدالله بن عتبة : 108/9 .
 عبدالله بن عجلان : 39/9 ، 40 ، 42 ؛
 . 169/22
 عبدالله بن علقمة : 212/7 ، 213 ، 215 ، 219 .
 عبدالله بن فضالة : 32/1 ، 33 ؛ 48/12 ، 51 .
 عبدالله بن محمد الأمين : 157/10 ، 158 ، 159 .
 عبدالله بن محمد بن أبي عيينة : 33/20 ، 34 ، 35 ،
 40 ، 48 .
 عبدالله بن مصعب الزبيري : 252/4 ؛ 148/9 ؛
 22/15 ، 23 ؛ 103/19 ؛ 131/24 ، 132 ،
 133 ، 134 ، 135 .
 عبدالله بن معاوية بن عبدالله الجعفري : 46/12 ،
 153 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ،
 171 ؛ 197/13 .
 عبدالله بن موسى الهادي : 154/10 ، 155 .
 عبدالله بن هارون العروضي : 114/1 ، 116 .

- عتيبة بن الحارث : 235/15 .
عتيبة بن مرداس : 160/22 ، 162 ، 163 ، 164 .
أبو عثمان المازني «بكر» : 175/9 .
العجاج : 11/5 ، 120/10 ، 122 ، 222/20 ؛ 144/21 .
المعجير السلولي : 132/8 ، 184 ، 187 ، 188 ؛ 38/13 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 90 .
العديل بن الفرخ : 50/6 ، 120 ، 227/22 ؛ 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 .
بنت عدي بن الرقاع : 230/9 .
عدي بن الرقاع : 198/1 ؛ 224/9 ، 227 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 239 ، 189/16 ؛ 96/19 .
عدي بن زيد : 62/2 ، 67 ، 68 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 82 ، 83 ، 86 ، 87 ، 89 ، 92 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ؛ 227 ، 232 ؛ 155/3 ؛ 59/6 ؛ 60 ، 68 ؛ 37/7 ، 52 ، 84/10 ؛ 85 ، 217/15 .
عدي بن مرينا : 71/2 .
عدي بن نوفل : 50/15 ، 52 .
عدي بن يزيد : 75/2 ، 82 ، 96 .
العرجي : 28/1 ، 66 ، 180 ، 181 ، 248 ، 252 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261 ، 262 ، 263 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ؛ 239/2 ؛ 240 ، 241 ؛ 240/3 ، 252 ، 253 ؛ 201/4 ، 225 ، 226 ، 227 ، 236 ؛ 164/8 ؛ 80/12 ، 141/16 ؛ 242/18 ؛ 155/19 ، 156 ، 157 ، 159 ، 170 .
عرعة بن عاصية : 74/12 .
عرفجة بن جنادة : 24/19 .
أبو عروبة المدني : 14/16 .
- 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ؛ 154/6 ، 155 ، 184 ؛ 240/8 ، 242 ، 251 ؛ 121/11 ، 122 ، 239 ، 240 ؛ 12/12 ، 128 ، 129 ، 158 ، 159 ؛ 205/13 ، 96/15 ؛ 102/16 ؛ 195/17 ؛ 196 ، 197 ، 198 ، 200 ، 249/18 ؛ 250 ، 90/19 ، 96 ، 97 ، 99 ؛ 14/21 ، 141 .
عبدة بن هلال : 101/6 ، 102 ، 106 .
ابن عتاب الكلبي : 77/11 .
أبو العتاهية : 24/2 ؛ 134/3 ، 172 ، 176 ، 177 ، 178 ، 254 ؛ 11/4 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 72 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 79 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 94 ؛ 106/5 ، 112 ، 113 ، 155 ، 244 ؛ 119/7 ، 120 ، 161 ؛ 268/8 ؛ 205/9 ؛ 16/10 ، 86 ، 89 ، 135 ؛ 232/11 ؛ 187/15 ، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 260 ؛ 74/18 ، 75 ، 125 ، 151 ، 175 ؛ 177 ، 220 ، 223 ، 224 ، 251 ، 252 ؛ 162/19 ، 176 ، 187 ، 188 ، 193 ، 194 ، 198 ؛ 190/20 ، 191 ، 192 ، 193 ، 215 ؛ 59/21 ؛ 168/23 .
أبو العالية الخزري : 98/10 .
العتابي : 53/10 ، 92 ؛ 62/13 ، 73 ، 74 ، 75 ، 77 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 107 ؛ 106/14 ، 107 ، 129 .
عتيبة : 157/22 ، 162 .

- عروة الرحال : 109/11 .
 عروة بن أذينة : 210/1 ؛ 152/2 ، 154 ، 155 ؛ 49/7 ، 50 ؛ 25/15 ؛ 86/16 ، 191 ؛ 233/18 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243 .
 عروة بن الورد : 29/3 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 59 ، 60 ؛ 221/6 ، 226 ؛ 44/13 .
 عروة بن حرام : 174/4 ؛ 180/6 ؛ 136/14 ، 138 ؛ 168/20 ؛ 78/24 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 .
 عروة بن زيد الخيل : 184/17 ، 186 .
 عروة بن قيس : 128/9 .
 عروة بن مرة أخو أبي خراش : 157/21 .
 عريب : 50/21 ، 54 ، 56 ، 61 ، 63 ، 66 ، 67 ؛ 112/9 .
 عريف القوافي : 141/19 .
 العريان البصري : 159/23 .
 عزيل الخثعمي : 149/13 .
 أبو عطاء السندي : 191/10 ، 192 ؛ 233/17 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244 .
 عطارد بن حاجب : 115/4 .
 عطاء الملط : 158/3 .
 العطوي : 114/23 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 .
 عفراء بنت عفار (عفيرة بنت عباد) : 112/11 ، 114 .
 عفراء بنت عقال : 82/24 ، 85 .
 عفيف بن المنذر : 174/15 ، 175 .
 عقال بن هاشم : 201/2 .
 ابن أبي عقب : 56/7 .
 عقبة بن كعب : 176/2 .
 عقرب : 121/16 .
 ابن عقيل بن علفة : 186/12 .
 عقبة الأسدي : 233/20 .
 عقيد : 51/18 .
 عقيد مولى صالح : 46/18 ، 50 .
 عقيل بن علفة : 76/11 ؛ 182/12 ، 184 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 191 ، 192 ، 193 ؛ 141/19 .
 عقيلة بنت الضحاك : 34/8 .
 عكاشة العمي : 179/3 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ؛ 78/23 .
 أبو علاثة التيمي : 120/2 .
 العلاء بن قرظة : 278/21 .
 علبة بن ربيعة : 37/13 .
 علس ذو جدن : 157/4 ، 158 ، 159 .
 علفة بن عقيل بن علفة : 188/2 ، 189 ؛ 185/12 ، 186 ، 187 .
 علقمة الذبياني : 21/11 .
 علقمة الفحل : 138/8 ، 139 ؛ 109/15 ، 142/21 ، 144 ، 145 ، 146 .
 علقمة بن سباع : 229/16 .
 علقمة بن عبدة : 198/20 .
 أبو علي البصير : 168/10 ؛ 43/23 .
 علي بن أديم : 178/15 ، 179 ، 180 .
 علي بن الجهم : 225/7 ؛ 220/9 ؛ 161/10 ، 164 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ، 187 ؛ 55/12 ؛ 245/13 ؛ 218/19 ، 223 ؛ 170/20 ؛ 181/23 ، 182 .
 علي بن الخليل : 111/14 ، 112 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 .
 علي بن الغدير : 149/19 .
 علي بن أمية : 256/18 ؛ 96/23 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 127 .
 علي بن ثابت : 76/18 .

- علي بن جبلة : 8/181 ، 182 ، 183 ؛ 19/232 ،
 234 ، 237 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242 ،
 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 250 ، 251 ،
 252 ، 253 ، 254 ؛ 23/64 .
 علي بن رزين : 20/61 .
 علي بن عبدالله الجعفري : 16/19 ، 281 ،
 282 ؛ 22/155 ، 156 ، 157 .
 علي بن عمرو الأنصاري : 14/136 ، 138 .
 علي بن قيس بن عاصم : 14/52 .
 علي بن محمد بن نصر : 23/76 .
 علي بن هشام : 5/246 ؛ 7/225 ، 226 ، 228 ؛
 9/219 ؛ 17/60 .
 علي بن يحيى النجم : 8/264 ، 265 ؛ 12/35 ،
 65 ؛ 22/114 ، 115 ؛ 23/134 .
 علي بن بنت المهدي : 6/115 ؛ 10/14 ، 86 ،
 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 135 ، 137 ،
 139 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 .
 ابن عمارة السلمي : 1/192 .
 العماني : 18/225 ، 226 ، 227 ، 229 ،
 230 ، 231 ، 232 ، 233 .
 عمار بن غيلان : 13/141 .
 عمار ذو كبار : 7/45 ، 53 ؛ 24/120 ، 122 ،
 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ،
 130 ، 131 .
 عمارة الوليد النوفلي : 3/27 ؛ 9/38 ؛ 14/108 ؛
 18/88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 .
 عمارة بن حمزة : 13/197 .
 عمارة بن عقيل : 13/129 ؛ 19/83 ؛
 23/131 ؛ 24/136 ، 137 ، 139 ،
 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 .
 عمارة بن يسير : 14/30 .
 عمدة بن الطيب : 10/151 ؛ 14/53 ، 54 .
 أبو عمرو بن العلاء : 3/99 .
 أبو عمرو بن بلدر : 18/56 .
 أخت عمرو بن عاصية : 12/71 ، 73 ، 74 ، 75 ،
 8/105 . أم عمران : 6/105 .
 أم عمرو أخت ربيعة بن مكدم : 16/44 .
 أم عمرو بن عدي بن زيد : 24/44 .
 عمر الوادي : 23/83 ، 86 .
 عمر بن أبي حفصة : 13/99 .
 عمر بن أبي ربيعة : 1/27 ، 39 ، 52 ، 53 ، 59 ،
 60 ، 62 ، 63 ، 65 ، 67 ، 68 ، 69 ، 72 ،
 74 ، 75 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ،
 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ،
 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ،
 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ،
 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ، 110 ،
 111 ، 112 ، 113 ، 115 ، 116 ، 117 ،
 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ،
 124 ، 125 ، 126 ، 128 ، 130 ، 131 ،
 132 ، 133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ،
 138 ، 139 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ،
 145 ، 146 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ،
 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 160 ،
 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ،
 172 ، 173 ، 174 ، 176 ، 177 ، 179 ،
 180 ، 181 ، 182 ، 185 ، 186 ، 187 ،
 190 ، 191 ، 194 ، 200 ، 201 ، 203 ،
 205 ، 206 ، 208 ، 211 ، 232 ، 234 ،
 243 ، 245 ، 247 ، 259 ، 260 ؛ 2/137 ،
 139 ، 166 ، 226 ، 234 ، 237 ، 238 ،
 242 ، 244 ، 246 ، 247 ، 258 ، 289 ؛
 3/223 ، 252 ، 253 ، 254 ؛ 4/133 ،
 153 ، 154 ، 155 ، 207 ، 208 ، 223 ؛
 5/44 ، 61 ، 63 ، 77 ، 124 ، 130 ، 131 ،
 147 ، 162 ، 193 ، 219 ؛ 6/61 ، 126 ،
 129 ، 183 ، 220 ، 221 ، 225 ، 227 ،
 229 ، 230 ، 231 ؛ 7/41 ؛ 8/102 ،
 148 ، 150 ، 156 ، 158 ، 159 ، 161 ،
 190 ؛ 9/9 ، 48 ، 49 ، 50 ، 52 ، 131

- عمرو بن زعل : 44/20 .
 عمرو بن سعيد بن زيد : 95/9 ، 97 ، 217/13 .
 عمرو بن سندي : 206/14 .
 عمرو بن سنه : 133/9 .
 عمرو بن شأس : 250/2 ، 252 ، 152/8 ،
 228 ، 134/11 ، 136 ، 137 ، 138 ،
 139 ، 140 .
 عمرو بن شقيق : 39/16 ، 41 ، 45 .
 عمرو بن عدي : 212/5 ، 213 .
 عمرو بن عقيل التميمي : 184/8 ، 188 .
 عمرو بن علقمة : 212/7 ، 216 ، 218 .
 عمرو بن عمير اليماني : 187/14 .
 عمرو بن قمئة : 256/15 ، 99/18 ، 101 ،
 102 ، 103 ، 104 .
 عمرو بن كلثوم : 157/3 ، 61/9 ، 34/11 ،
 38 ، 39 ، 40 ، 213/15 .
 عمرو بن مالك اليزيدي : 53/13 .
 عمرو بن مالك بن النجار : 31/15 .
 عمرو بن مخلدة : 147/19 .
 عمرو بن معديكرب : 221/6 ، 226 ، 6/10 ،
 22 ، 201/14 ، 139/15 ، 141 ، 142 ،
 145 ، 151 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ،
 156 ، 158 ، 160 ، 162 ، 50/16 ، 52 ،
 53 ، 89/21 .
 عمرو ذو الكلب : 10/23 .
 عملس بن عقيل : 188/2 ، 189 .
 عمير بن الحباب : 147/12 ، 148 ، 18/24 ،
 19 ، 20 ، 22 ، 23 .
 عمير بن الحمام : 141/4 .
 عمير بن بحدل : 18/24 ، 22 .
 عمير بن ضابئة : 154/14 .
 عميرة بنت حسان : 150/19 .
 عنان جارية الناطقي : 193/11 ، 203/19 ،
 83/23 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 90 ، 144 .
 أبو العنيس الصيمري : 40/21 ، 41 ، 42 .
- 169 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ،
 184 ، 185 ، 35/10 ، 80 ، 87 ، 117 ،
 156 ، 118/11 ، 228 ، 237 ، 242 ،
 243 ، 76/12 ، 77 ، 81 ، 83 ، 52/13 ،
 169 ، 191 ، 233 ، 238/14 ، 20/15 ،
 22 ، 52 ، 84 ، 88 ، 156 ، 177 ، 178 ،
 122/16 ، 124 ، 209 ، 33/17 ، 37 ،
 38 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 170 ،
 196 ، 256/18 ، 261 ، 263 ، 116/19 ،
 207/20 ، 45/21 ، 140 ، 283 ، 9/22 ،
 10 ، 11 ، 24 .
 عمر بن لجأ : 52/8 ، 53 ، 57 ، 221 .
 عمران بن حطان : 78/18 ، 80 ، 81 ، 82 ،
 83 ، 84 ، 86 ، 87 ، 88 .
 عمران بن عصام : 199/17 .
 عمرة بنت النعمان : 171/9 ، 38/16 .
 عمرة بنت دريد : 27/10 ، 85 .
 عمرة بنت مرداس : 203/14 .
 عمرو الظالمي : 151/3 .
 عمرو القنا : 101/6 ، 102 ، 106 .
 عمرو الوراق : 223/6 ، 227 .
 عمرو بن أحمر بن العمرد : 166/8 ، 167 .
 عمرو بن الاطنابة : 85/11 ، 86 .
 عمرو بن الأهثم : 115/4 ، 56/14 .
 عمرو بن آلة : 91/2 .
 عمرو بن الحارث بن مضاض : 10/15 ، 14 ،
 16 ، 17 ، 21 .
 عمرو بن الحصين : 190/23 ، 200 ، 213 .
 عمرو بن السليح : 90/2 .
 عمرو بن العاص : 45/9 ، 157/17 ، 90/18 ،
 91 .
 عمرو بن براق : 115/6 ، 125/21 ، 126 .
 عمرو بن ثعلبة بن ملقط : 133/22 .
 عمرو بن جبلة : 42/24 .
 عمرو بن ذكوان : 72/15 .

- غ -

- غرض : 90/3 ، 91 .
ابن الغريزة النهشلي : 186/11 ، 187 .
غريز بن أبي جابر : 24/19 .
غريز بن طلحة : 25/15 .
غريض اليهودي : 79/3 ، 80 ، 81 ، 92 ،
21/19 .
غسان بن ذهيل : 13/8 .
غصين بن حي : 6/14 .
غلام سعدى : 225/16 .
غلفاء : 149/12 ، 152 .
غنية بنت عفيف : 261/17 .
أبو الغول بن عبدالله : 284/4 ، 293 ، 65/6 .
الغول : 78/10 .
غيش : 51/21 .
غيلان بن سلمة : 139/13 ، 141 ، 142 ،
143 ، 144 ، 145 .

- ف -

- فاختة بنت عدي : 138 / 1 .
فارغة بنت حسان بن ثابت : 26/3 ، 27 .
فاطمة بنت ربيعة : 41/5 .
فديك بن حنظلة الجرمي : 124/8 ، 125 .
الفرزدق : 53/1 ، 221 ، 175/2 ؛ 251/3 ؛
173/4 ، 181 ، 270 ، 57/6 ؛ 6/8 ، 25 ،
28 ، 33 ، 38 ، 40 ، 62 ، 63 ، 70 ، 211 ،
217 ؛ 59/9 ، 125 ، 239 ، 241 ، 242 ،
243 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ،
249 ، 252 ، 253 ، 254 ؛ 121/10 ؛
37/11 ، 62 ، 73 ، 213 ، 230 ؛ 40/12 ،
151 ؛ 132/13 ، 190 ، 250 ، 251 ؛
161/14 ؛ 218/15 ، 220 ، 221 ، 222 ،
223 ، 233 ، 234 ، 265 ؛ 106/16 ،
108 ، 109 ، 110 ، 111 ؛ 13/18 ، 15 ؛
50/19 ؛ 122/20 ، 187 ، 143/21 ،
192 ، 195 ، 196 ، 197 ، 199 ، 200 ،

- أبو العنيس الصيمري : 171/23 .
العنبري : 119/24 .
عترة العبسي : 180/1 ؛ 230/2 ، 232 ؛
153/8 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ،
172 ، 173 ؛ 163/9 ؛ 108/10 ، 142 ،
229 ؛ 108/12 ؛ 37/17 ؛ 38 ، 50/18 .
ابن عنقاء الفزاري : 151/19 .
عوف بن الأحوص : 36/9 .
عوف بن المتفق : 10/11 .
عوف بن عطية بن الخرع : 90/11 .
عوف بن مالك : 55/24 .
عوف بن معاوية : 17/10 .
عوف بن ملحم : 57 / 11 .
عون بن عبدالله : 104/9 .
عويف القوافي الفزاري : 78/11 ، 135 ؛
199/12 ؛ 133/19 ، 136 ، 137 ، 140 ،
147 ، 150 ، 151 ، 152 ؛ 213/21 .
عوين بن عبدالله بن الحجاج : 117/13 .
أبو العيال الهذلي : 134/2 ؛ 106/24 ، 107 ،
109 ، 110 .
عياض بن مرثد بن أسيد : 91/11 .
أبو عيسى بن الرشيد : 147/10 ، 149 ، 153 .
عيسى الحبطي : 78/18 ، 84 .
عيسى بن زئب : 203/12 ، 205 ، 181/15 ؛
267/18 ؛ 190/20 ، 191 ، 193 ؛
49/21 ، 51 .
عيسى بن قدامة : 163/15 ، 165 ، 166 .
عيسى بن موسى الهاشمي : 160/16 ، 161 .
أبو العيص الجرمي : 110/18 .
ابن أبي عيينة : 269/5 ؛ 37/12 ؛ 26/20 ، 30 ،
31 ، 32 ، 33 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ،
40 ، 41 ، 42 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 49 ،
50 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 .
أبو عيينة بن محمد : 66/4 ؛ 112/5 .
عيينة بن حصن : 147/15 .

- قبضة الكلب : 19/8 .
 قبيلة تغلب : 149/12 .
 القتال السحمي : 203/2 ؛ 6/22 .
 القتال الكلابي : 178/5 ؛ 89/24 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 .
 قتادة بن معرب : 220/11 .
 قتيلة بنت الحارث : 35/1 .
 قحافة بن عوف : 197/16 ؛ 198 .
 القحيف العقيلي : 131/8 ؛ 28/18 ؛ 30 ، 48/24 ؛ 51 ، 52 .
 قدامة بن الأحرز : 18/12 .
 قراد بن حنش الصاردي : 78/11 .
 قران الأسدي : 247/20 .
 ابن قرد الخنزير التيمي : 47/24 .
 قريظة بن يقظة : 184/11 .
 قس بن ساعدة : 240/8 ؛ 241 ، 242 ، 243 ، 244 ؛ 163/15 ؛ 165 ، 166 .
 القطامي : 194/5 ؛ 17/11 ؛ 18 ؛ 128/17 ؛ 13 ، 14 ، 15 ، 27 ، 28 ، 29 ، 32 ، 31 .
 قطري بن الفجاءة : 102/6 ؛ 106 .
 أبو قطيفة : 27/1 ؛ 30 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ؛ 164/2 .
 قطية بنت بشر : 220/1 .
 أبو قلابة الجرمي : 172/13 .
 القلاح بن حزن المنقري : 63/10 .
 أبو القنافذ : 237/5 .
 ابن قنبر : 102/14 ؛ 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ؛ 245 ؛ 145/23 .
 أبو قيس بن الأسلت : 13/3 ؛ 20 ؛ 87/17 ، 88 ، 89 ، 95 ، 97 ، 98 .
 قيس بن الحدادية : 91/14 ؛ 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 101 ، 102 .
 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 236 ، 237 ، 238 ، 241 ، 242 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 258 ، 259 ، 261 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 273 ، 275 ، 277 ، 279 ، 280 ، 282 ؛ 16/22 ؛ 18 ، 19 ، 239 .
 أبو فرعة الكناني : 233/8 .
 فروة بن حمصة : 138/24 ؛ 139 ، 143 .
 فروة بن مسيك : 141/15 .
 فروج الرفاء : 38/15 ؛ 45/20 .
 فضالة بن شريك : 47/12 ؛ 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 216/5 .
 الفضل بن الربيع : 216/5 .
 الفضل بن العباس اللهيبي : 113/16 ؛ 114 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 123 ، 124 .
 الفضل بن عباس بن عتبة : 81/5 .
 فضل الشاعرة : 172/10 ؛ 119/18 ؛ 120 ، 214/19 ؛ 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ؛ 139/22 ، 140 .
 فضلة بن مرة أخو جساس : 27/5 .
 الفند الزماني : 53/24 ؛ 55 .
 أبو الفياض سوار بن أبي شراة : 43/23 .
 - ق -
 أبو قابوس : 5/4 ؛ 10 .
 ابنة القاسم : 96/4 .
 القاسم بن عمر : 193/23 .
 القاسم بن يوسف : 41/23 ؛ 111 ، 112 ، 178/7 .
 قاسم الخياط : 178/7 .

، 30 ، 28 ، 27 ، 26 ، 25 ، 23 ، 22 ، 21
 ، 253 ، 230 ، 213 ، 209 ، 208 ، 166
 ، 78 ، 29/12 ؛ 134 ، 133/11 ؛ 255
 ، 123 ، 122 ، 117 ، 115 ، 85 ، 84 ، 79
 ، 132 ، 131 ، 130 ، 127 ، 125 ، 124
 ، 94/15 ؛ 130/13 ؛ 135 ، 134 ، 133
 ، 95 ، 193 ، 192 ، 191 ، 100 ، 95
 ، 241/18 ؛ 77/17 ؛ 108 ، 106/16
 ؛ 252 ، 29/21 ؛ 100/19 ؛ 265 ، 242
 . 15/24

كثير بن كثير السهمي : 166/1 ، 210 ؛
 . 129/9 ؛ 239 ، 224/2

كثير بن كثير بن الصلت : 212/1 .
 كثيرة أم سلهمة : 20/18 ، 22 ، 23 .

كعب بن معدان الأشقري : 3/ 180 ؛ 81/6 ؛
 ، 182 ، 181 ، 179 ، 178 ، 166/14
 ، 183 ، 184 ، 185 ، 186 ، 187 ، 189
 . 190 ؛ 268/15

كعب بن الأشرف : 92/22 .

كعب بن جعيل : 196/3 ؛ 11/5 ؛ 56/9 .

كعب بن جميل : 202/8 .

كعب بن زهير : 107/2 ؛ 187/5 ؛ 216 ؛
 ، 66 ، 65 ، 64 ، 63 ، 62/17 ؛ 43/16
 . 68 ، 67

كعب بن سعد القرظي : 79/22 .

كعب بن لؤي : 162/10 .

كعب بن مالك الأنصاري : 215/6 ؛ 149/16 ؛
 ، 151 ، 153 ، 154 ، 155 ؛ 101/17 .

كعب حذار : 117/21 .

أبو كلية التيمي : 45/24 .

الكلبة : 97/19 .

الكميت بن زيد الأسدي : 227/1 ؛ 157/3 ؛
 ، 37/7 ؛ 162/8 ؛ 102/10 ؛ 55/11 ؛
 ، 70/15 ؛ 139/16 ؛ 285 ، 286 ؛ 7/17 ؛
 ، 16 ، 15 ، 14 ، 13 ، 12 ، 11 ، 10 ، 9

قيس بن الخطيم : 280/2 ؛ 5/3 ؛ 6 ، 8 ، 9 ،
 ، 12 ، 13 ، 16 ، 18 ، 19 ، 24 ، 30 ، 32 ؛
 ، 222/9 ؛ 242/14 ؛ 22/16 ؛ 25 ؛
 . 5/22 ؛ 95/17

قيس بن القتال : 12/22 .

قيس بن جروة : 130/22 ، 131 .

قيس بن ذريح : 176 ، 175/1 ؛ 43/2 ؛ 58 ،
 ، 59 ؛ 126/5 ؛ 137 ، 7/6 ؛ 9 ، 24/7 ؛
 ، 132/9 ؛ 133 ، 134 ، 136 ، 137 ؛
 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ؛
 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ؛
 ، 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 155 ، 156 ؛
 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ؛
 . 223/20

قيس بن زهير بن جذيمة : 68/11 ؛ 83 ، 105 ؛
 . 149 ، 144 ، 143 ، 132/17 ؛ 257/16

قيس بن شيبه : 207/17 .

قيس بن عاصم المنقري : 115/4 ؛ 45/14 ؛ 47 ،
 ، 49 ، 51 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 ؛ 226/16 ؛
 . 29/21

قيس بن مسعود بن قيس : 36/24 ، 37 .

قيس بن الملوح = مجنون ليلي = مجنون بني عامر
 قيسية بن كلثوم : 6/13 .

ك -

كاسبة بن حرقوص : 155/15 .

أبو كاهل الشكري = سويد

كبشة أخت عمرو بن معديكرب : 154/15 .

الكتنجي : 60/23 .

كثير عزة : 55/1 ؛ 111 ، 152 ، 185 ، 189 ،
 ، 234 ، 239 ، 244 ؛ 38/2 ؛ 250 ، 248 ؛
 ، 252 ؛ 187/4 ؛ 188 ، 63/5 ؛ 65 ؛
 ، 22/6 ؛ 154 ، 155 ؛ 66/7 ؛ 67 ، 124 ؛
 ، 188 ، 212 ، 220 ، 227 ؛ 70/8 ؛ 78 ،
 ، 80 ، 156 ، 157 ، 206 ، 269 ؛ 7/9 ؛ 8 ،
 ، 9 ، 10 ، 11 ، 13 ، 14 ، 18 ، 19 ، 20

مالك بن الرب : 33/13 ؛ 199/22 ، 202 ،
204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 211 .

مالك بن الصمة : 24/10 .

مالك بن الصمصامة الجعدي : 54/22 ، 55 ،
56 .

مالك بن العجلان : 17/3 ؛ 82/22 .

مالك بن جبار : 265/17 .

مالك بن حمار الفزاري : 109/11 .

مالك بن زهير : 52/13 .

مالك بن عوف النصري : 94/14 ؛ 57/18 .

مالك بن نويرة : 203/15 ، 207 ، 278/21 .

المؤمل بن أميل : 169/15 ؛ 57/21 ؛ 170/22 ،
172 ، 173 ، 174 ، 175 ، 176 .

المؤمل بن جميل : 104/18 ، 105 ، 106 .

المأمون الخليفة : 212/5 ؛ 269/18 ؛ 60/20 ،
159 ، 163 ؛ 150/22 .

ماني الموسوس : 158/23 ، 160 ، 161 ، 162 ،
163 .

التملمس : 63/3 ؛ 6/5 ؛ 215/15 ، 217 ؛
69/17 ؛ 44/23 .

متمم بن نويرة : 20/13 ؛ 202/15 ، 205 ،
207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ؛ 40/17 .

258 .

المتنخل الهذلي : 109/6 ؛ 56/24 ، 59 ، 60 ،
61 .

المتوكل الليثي : 110/12 ، 111 ، 112 ، 113 ،
115 ، 117 .

أبو المثلم الهذلي : 8/23 .

المجير بن أسلم : 21/24 .

مجنون ليلى : 27/1 ؛ 269 ، 7/2 ؛ 8 ، 10 ، 11 ،
12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 19 ،

20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ،
28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ،

37 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ،
46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ،

17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ،

25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 33 ؛

69/21 ، 70 ؛ 13/22 .

الكميت بن معروف : 13/17 ، 14 ؛ 173/21 ،
175 ؛ 100/22 .

ابن أم كهف الطائي : 77/11 .

- ل -

بنت لبيد بن ربيعة : 253/15 .

لبيد بن ربيعة العامري : 84/9 ، 99 ؛ 112/11 ؛
5/12 ؛ 28/13 ؛ 245/15 ؛ 247 ، 248 ،

250 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ،

258 ؛ 197/16 ، 198 ، 199 ، 259 ؛

43/17 ؛ 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 134 ؛

103/18 ؛ 43/22 .

لبيد بن خليفة : 93/17 .

لقيط الأيادي : 104/2 ؛ 11/23 ، 13 ، 14 ،
94 .

لقيط بن زرارة : 99/11 ، 100 ، 101 ؛
135/22 ، 138 .

لمس بن سعد البارقي : 213/17 ، 214 .

أبو ليلى المجاشعي : 273/21 ، 274 .

ليلى أخت المنتشر الباهلي : 19/11 .

ليلى الأخيلية : 13/5 ، 14 ؛ 188/8 ؛ 140/11 ،

143 ، 153 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ،

160 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ،

167 .

ليلى المجنون : 5/2 ، 55 ، 57 .

- م -

ابنة مالك بن بدر : 145/17 .

أبو مالك الأعرج : 177/3 ؛ 177/22 ، 178 .

مالك المزموم : 85/18 ، 86 .

مالك بن أبي كعب الخزرجي : 49/1 ؛ 156/16 ،
157 ، 158 ، 160 .

مالك بن أسماء : 114/1 ؛ 170/9 ؛ 39/16 ؛
165/17 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 .

- محمد بن أمية : 41/2 ؛ 69/4 ؛ 99/12 ؛ 101 ،
 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ،
 109 ؛ 40/19 ؛ 222 ؛ 148/22 ؛ 80/23 ،
 127 ، 128 .
- محمد بن بشير الخارجي : 68/16 ؛ 70 ، 72 ،
 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 79 ،
 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ،
 88 ، 89 ؛ 92/21 .
- محمد بن حازم : 59/14 ؛ 60 ، 61 ، 62 ، 63 ،
 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 71 ،
 72 .
- محمد بن حمزة بن نضير : 241/15 .
- محمد بن حميد الطوسي أبو جعفر : 132/10 .
- محمد بن راشد الخناق : 219/5 .
- محمد بن رياح : 14/14 .
- محمد بن سعيد الأسدي : 180/23 .
- محمد بن صالح العلوي : 246/16 ؛ 248 ، 249 ،
 250 ، 252 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 .
- محمد بن عبد الملك الزيات : 77/20 ؛ 51/23 ،
 52 ، 53 ، 54 ، 57 ، 58 ، 59 ، 61 ، 62 ،
 64 ، 65 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ،
 100 ، 102 ؛ 6/24 .
- محمد بن علي البتي : 37/21 ؛ 63/23 .
- محمد بن عمرو الجرجاني : 283/5 .
- محمد بن كناسة : 236/13 ؛ 237 ، 238 ، 239 ،
 240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244 .
- محمد بن معروف الواسطي : 103/23 .
- محمد بن وهب : 57/19 ؛ 56 ، 58 ، 59 ، 60 ،
 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ،
 69 ، 70 ، 71 ، 72 .
- محمد بن يزيد الحصني : 70/12 .
- محمد بن يسار : 297/4 .
- محمد بن يسير : 13/14 ؛ 15 ، 18 ، 19 ، 20 ،
 21 ، 22 ، 23 ، 25 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ،
 31 ، 32 .
- 54 ، 55 ، 56 ، 58 ، 59 ، 60 ، 61 ، 243 ؛
 197/4 ؛ 204 ، 205 ، 231 ، 233 ، 236 ؛
 150/5 ؛ 261 ، 7/6 ؛ 9 ، 108/7 ؛ 91/8 ؛
 95/9 ؛ 97 ، 153 ، 218 ، 225/11 ؛
 118/15 ؛ 119 ؛ 184/20 ؛ 239 ؛
 132 ، 69/24 .
- محارب بن دثار : 190/7 .
- محنة بن المضرب : 202/20 .
- محبوبة الشاعرة : 221/19 ؛ 140/22 ؛ 141 ،
 142 ، 239 .
- أبو محجن الثقفي : 184/11 ؛ 270/18 ؛ 5/19 ،
 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 .
- أبو محجن مولى خالد القسري : 62/7 .
- محرز بن المكعير : 239/16 .
- أبو محمد اليزيدي : 194/19 ؛ 128/20 ،
 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 136 ،
 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 143 ، 144 ،
 145 ، 147 ؛ 21/23 .
- أبو محمد من جدة : 176/18 .
- أم محمد الأعرابية : 230/5 .
- محمد اليزيدي : 119/6 ؛ 120 ، 140/20 ؛
 146 ، 148 .
- محمد بن أبان الضبي : 109/6 .
- محمد بن أبي العباس السفاح : 282/4 ؛ 241/14 ،
 242 ، 243 ، 244 .
- محمد بن أبي العتاهية : 69/4 ؛ 84 ، 88 ، 89 ،
 96 .
- محمد بن أبي أمية : 222/19 .
- محمد بن أبي محمد : 106/20 ؛ 146 ، 149 ،
 150 ، 151 ، 152 .
- محمد بن الأشعث : 244/11 ؛ 245 ، 247 ؛
 39/15 ؛ 40 ، 41 ، 42 ، 48 .
- محمد بن الحارث بن بسختر : 35/12 ؛ 154/23 ،
 156 .
- محمد بن الفضل السكوني : 216/14 .

- محمود بن خليفة : 93/17 .
 محمد بن صالح العلوي : 254/16 .
 محمد بن أبي محمد : 150/20 .
 المخبل السعدي : 91/11 ، 131/13 ، 133 ، 134 ، 135 ، 137 ، 138 ، 139 ، 161/15 .
 المخبل القيسي : 166/20 ، 167 ، 168 ، 88/24 .
 المخزومي : 117/1 .
 ابن المخلاة الكلبي : 143/19 .
 ابن مخلاة : 20/24 .
 مخلد الموصل : 266/8 .
 مدرج الريح : 89/3 .
 مدرك العبسي : 19/5 .
 المرار الأسدي : 245/2 ، 254/5 .
 المرار بن سعيد الفقعسي : 245/10 ، 246 ، 249 ، 250 .
 مراد شاعرة علي بن هشام : 229/7 ، 219/9 .
 مريان بن سعد الدوسي : 155/13 .
 مرة النهدي : 248/18 ، 119/23 ، 120 ، 121 .
 مرة بن خليف : 117/21 ، 122 .
 مرة بن دودان : 9/12 ، 10 ، 18/21 ، 19 .
 مرة بن سعد بن قريع : 11/11 .
 مرة بن محكان : 224/3 ، 170/21 ، 224/22 ، 226 ، 227 .
 مرثد بن الحارث : 43/24 .
 أبو مرداس بن عبدة بن منبه : 54/14 ، 59 ، 22/21 .
 مرداس بن أبي عامر : 239/6 ، 106/11 ، 107 ، 40/24 .
 مرداس بن عامر : 107/11 .
 المرقش الأصغر : 100/6 .
 المرقش الأكبر : 92/6 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 98 ، 198 ، 234/11 ، 235 .
 المرقش السدوسي : 9/11 .
 مروان الأصغر أبو السمط : 53/12 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 178/23 .
 مروان بن أبي حفصة الأصغر : 155/3 ، 120/5 ، 226/9 ، 59/10 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 88 ، 112 ، 45/11 ، 52/12 ، 53 ، 99/13 ، 100 ، 101 ، 201/19 ، 7/20 ، 85/23 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 .
 مروان بن الحكم : 49/5 ، 268/21 .
 مروان بن سراقه : 196/16 .
 مريم امرأة أبي حمزة الشاري : 210/23 .
 ابن مزاحم الثمالي : 56/6 .
 أبو المزاحم : 178/12 .
 مزاحم العقيلي : 184/8 ، 186 ، 72/19 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 .
 مزاحم بن الحارث المجنون : 8/2 ، 43 ، 51 .
 مزاحم بن عمرو : 71/17 .
 مزرد بن ضرار : 107/2 ، 118/9 .
 المساور بن هند : 246/10 .
 مسافر بن أبي عمرو : 36/9 ، 38 ، 39 ، 40 ، 42 ، 255 ، 98/18 ، 169/22 .
 مساور الوراق : 106/18 ، 107 ، 108 ، 109 ، 110 .
 المستهل بن الكميث : 128/14 ، 20/17 ، 23 ، 29 .
 المسجاح بن سباع الضبي : 253/12 .
 المسدود المغني : 184/20 .
 أخت مسعود بن شداد : 71/12 ، 75 .
 مسعدة بن البخترى : 71/6 ، 189/13 ، 190 .
 مسعود أخو ذي الرمة : 6/18 .
 مسعود بن خالد : 277/4 .
 مسعود بن خرشة : 175/21 ، 176 ، 177 .
 مسعود بن شداد : 71/12 ، 75 .

- المفرج بن المزمع : 18/22 .
 مفروق الشيباني : 36/24 .
 المفضل بن المهلب : 60/13 .
 ابن مقبل : 56/6 ؛ 15/15 .
 مقدم أخو بني عدس : 91/11 .
 المقنع الكندي : 81/17 .
 مكرز بن حفص : 39/16 ، 41 ، 45 .
 مكنف أبو سلمى : 276/16 .
 مكين العذري : 216/6 ؛ 98/8 .
 أبو ملحح النسابة : 66/21 ، 67 .
 ابن منذر : 121/18 ، 122 ، 124 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 136 ، 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 150 ، 151 ؛ 147/23 .
 المنتصر الخليفة : 223/9 ، 224 .
 المنخل الإشكري : 12/11 ، 13 ، 272/20 ؛ 6/21 ، 7 ، 8 .
 ابن المنذر العروضي : 251/5 .
 ابن منذار : 123/18 .
 منذر بن حسان : 20/24 .
 أبو منصور الباخريزي : 219/19 .
 منصور النمري : 136/3 ؛ 191/7 ؛ 96/13 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ؛ 122/14 .
 منصور بن بجرة : 101/13 ، 105 ، 106 .
 منظور بن زيان : 138/12 .
 منقوسة بنت زيد الفوارسي الضبي : 48/14 .
 أبو المنهال : 83/6 .
 المهاجر بن خالد بن الوليد : 127/16 .
 مهلهل بن ربيعة : 26/5 ، 28 ، 31 ، 33 ، 34 ، 35 ، 37 ، 39 ؛ 77/6 ، 94 ؛ 71/13 ؛ 63/16 .
 ابن الكوسج : 171/5 .
 أبو موسى الأعمى : 205/12 ؛ 123/23 .
 أبو موسى بن نصير : 13/22 .
 موسى بن جابر الحنفي : 213/11 .
 موسى بن خاقان : 69/12 .
 موسى شهوات : 78/1 ؛ 242/3 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249 ؛ 99/9 .
 الموصلي : 51/18 .
 ابن المولى : 142/2 ؛ 199/3 ، 200 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210 ، 211 ، 213 ؛ 64/5 ؛ 111/6 .
 ابن المولى : 202/3 ، 211 ؛ 5 ؛ 64 ؛ 111 .
 مولى فائد والعيلى : 229/7 ، 230 .
 ابن ميادة : 196/2 ، 170 ، 171 ، 172 ، 174 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 184 ، 185 ، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205 ، 207 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 218 ، 220 ، 221 ؛ 220/21 .
 ميد الجرمي : 116/8 .
 مية محبوبة ذي الرمة : 11/18 .
 - ن -
 نائلة بنت الفرافصة : 219/16 ، 220 ، 221 .
 النابغة الجعدي : 72/1 ، 114 ؛ 142/2 ، 145 ؛ 9/3 ، 92 ؛ 11/4 ، 298 ؛ 7/5 ، 8 ، 9 ، 10 ، 12 ، 13 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 100 ؛ 201/6 ؛ 152/8 ؛ 99/10 ، 11/11 ؛ 91 ؛ 111/15 ؛ 202 ؛ 22/20 ؛ 91/22 .
 النابغة الذبياني : 54/1 ؛ 194/4 ؛ 60/7 ؛ 250/10 ؛ 5/11 ، 6 ، 7 ، 8 ، 10 ، 11 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 22 ، 23 ، 24 .

- 257 ، 77 ، 66 ، 31 ؛ 273/17 ؛ 109/15 ؛ 28 ، 27 ، 26 ، 25
نصيب الأكبر : 78/12 . 6/21
- نابغة بني جعدة : 17/12 ؛ 95/11 ؛ 34/1 .
نابغة بني شيبان : 84 ، 83 ، 82 ، 81 ، 80/7 ؛ 86
ناحية بنت ضمضم : 146/17 .
الناشئ : 51/21 .
نافع بن الخنجر : 103/11 .
نافع بن خليفة الغنوي : 238/15 .
ناهض بن ثوبة : 128 ، 127 ، 122 ، 121/13 ؛ 130
نبيه بن الحجاج : 130/10 ؛ 115/6 ؛ 205 ، 204 ، 203 ، 201/17
النجاشي : 124/20 ؛ 189 ، 184/13 .
نجبة بن كليب : 36/13 .
أبو نجلة لجيم بن سعد : 34/24 .
نجلة الخفاجي : 52/24 .
أبو النجم العجلي : 122 ، 121 ، 120/10 ؛ 128 ، 127 ، 126 ، 125 ، 124 ، 123 ؛ 255/20
أبو النجم العدیل : 235/22 ؛ 279/2 .
أبو نخيلة الحماني : 160/3 ؛ 176 ، 175/1 ؛ 255 ، 254 ، 253 ، 251/20 ؛ 5/7 ؛ 261 ، 260 ، 259 ، 258 ، 257 ، 256 ؛ 267 ، 266 ، 265 ، 264 ، 263 ، 262 ؛ 271 ، 269
أبو النشاش : 121/12 .
نصر بن سيار : 239/17 .
نصر بن غالب : 166 ، 165 ، 163/15 .
نصر بن يسار : 45/7 .
نصيب الأصغر : 257/5 ؛ 32/4 ؛ 244/1 ؛ 88/6 ؛ 44/8 ؛ 202 ، 92 ، 90 ، 89 ، 88/6 ؛ 107/16 ؛ 119 ، 118/15 ؛ 35 ، 34/9 ؛ 108 ، 235 ؛ 15/23 ؛ 19 ، 17 ، 16 ، 15/23 ؛ 30 ، 29 ، 27 ، 24 ، 23 ، 22 ، 21 ، 20
- نصيب بن رياح : 27/1 ؛ 28 ، 129 ، 139 ، 219 ، 218 ، 216 ، 213 ، 156 ، 143 ، 220 ، 226 ، 224 ، 223 ، 222 ، 221 ، 228 ، 234 ، 233 ، 231 ، 230 ، 229 ، 235 ، 241 ، 240 ، 238 ، 237 ، 236 ، 242 ، 243 ، 244 ، 247 ؛ 30/9 ؛ 120/15 ؛ 121
نصيح بن نهيك : 124/13 .
أبو النضير : 192 ، 191/11 ؛ 119 ، 118 /5 ؛ 196 ، 194 ، 193
أبو نعام : 137/18 .
النعمان بن المنذر : 59/16 ؛ 249/15 ؛ 135/17
النعمان بن بشير : 21/16 ؛ 83 ، 52 ، 50/15 ؛ 35 ، 34 ، 32 ، 31 ، 30
أبو نعيمة النمري : 97/13 .
أبو نفيس بن يعلى : 246 ، 243/12 .
أبو نفيلة الأشجعي : 83/6 .
نفيلة الأشجعي أبو المنهال : 85/6 .
النمر بن تولب : 190/22 ؛ 5/21 ؛ 56/14 ؛ 198 ، 197 ، 196 ، 195 ، 194 ، 193 ؛ 199
النميري (منصور) : 120/6 ؛ 109/5 ؛ 245/2 ؛ 139 ، 138 ، 137 ، 135 ، 132 ، 130 ؛ 145 ، 144 ، 143 ، 142 ، 141 ، 140 ؛ 146 ؛ 223/7 ؛ 113/10 ؛ 57/19 ؛ 206
النميري الثقفي : 131/11 .
النميري محمد : 269/18 ؛ 140 ، 135/6
نهار بن توسعة : 15/16 .
أبو نهشل بن حميد : 65 ، 63 ، 62/1 ؛ 108/23 ؛ 159/10
أبو نواس : 20/5 ؛ 80 ، 65/4 ؛ 156/3 ؛ 118/7 ؛ 223 ، 218 ، 119/6 ؛ 148

هلال بن عمرو الأسدي : 266/18 ، 267 .
 أخو همدان : 129/9 .
 أبو الهندي : 209/20 ، 210 ، 211 ، 212 ،
 213 .
 هند الجلاحية : 19/24 .
 هند بنت عتبة : 128/15 ، 246/12 ، 55/24 .
 هند بنت أبي عبيدة : 247/16 .
 هند بنت خالد : 156/13 .
 هند بنت عتبة : 152 ، 150/4 ، 129/15 .

-و-

الوائق الخليفة : 217/9 ، 219 ، 221 ،
 143/22 .
 أبو واسع : 82/15 .
 واسع بن خشرم : 191/21 .
 والبة بن الحباب : 11/4 ، 227/14 ، 20/16 ،
 72/18 ، 73 ، 74 ، 76 ، 77 ، 160 .
 أبو وجزة السعدي : 171/12 ، 173 ، 174 ،
 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ،
 181 ، 85/14 .
 وحشية الجرمية : 118/8 ، 131 .
 ورقاء بن زهير : 50/11 ، 61 ، 62 ، 64 ،
 202/15 .
 ورقة بن نوفل : 79/3 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ،
 85 ، 92 ، 21/19 .
 وضاح اليمن : 224/5 ، 147/6 ، 148 ، 149 ،
 150 ، 151 ، 152 ، 153 ، 156 ، 158 ،
 159 ، 160 ، 161 ، 163 ، 164 ، 165 ،
 166 ، 167 ، 168 .
 وضاح ميمون : 76/11 .
 وعلة بن عبدالله الجرمي : 230/16 ، 151/22 ،
 152 ، 153 ، 154 .
 أخت الوليد بن طريف : 62/12 ، 63 ، 65 ، 67 .
 الوليد بن زيد : 253/3 ، 15/7 ، 16 ، 44 .
 الوليد بن طريف : 64/12 .
 الوليد بن عدي : 61/9 .

124 ، 155 ، 156 ؛ 111/10 ؛ 20/16 ،
 164 ، 281 ، 282 ؛ 56/17 ؛ 74/18 ،
 125 ، 127 ، 143 ، 160 ؛ 26/19 ؛ 40 ،
 203 ؛ 16/20 ؛ 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ،
 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 39 ، 152 ؛
 67/21 ، 68 ، 69 ؛ 83/23 ؛ 84 ، 85 ،
 86 ، 87 ، 89 ، 90 ، 140 ، 146 .

-ه-

هارون الرشيد : 59/4 ؛ 194/5 ؛ 236/16 ،
 237 ؛ 225/18 ؛ 34/22 .
 هارون بن محمد العباسي : 130/23 .
 هاشم بن حرملة : 72/15 .
 هبل بن عبدالله : 21/19 .
 أم هذيلة بن خشرم : 186/21 .
 هذيلة بن خشرم : 181 ، 184 ، 178/21 ،
 185 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 .
 الهذيل البصري : 159/23 .
 ابن هرمة : 243/4 ؛ 257 ، 258 ، 259 ، 261 ،
 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ،
 268 ، 269 ، 270 ، 272 ، 273 ، 274 ،
 275 ، 276 ؛ 139/5 ؛ 140 ، 167 ، 168 ،
 169 ، 170 ، 171 ، 240 ؛ 71/6 ؛ 72 ،
 73 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 80 ، 81 ، 82 ،
 83 ، 84 ، 86 ، 87 ؛ 33/9 ؛ 34 ، 39 ،
 255 ؛ 236/11 ؛ 161/12 ؛ 162 ، 163 ،
 159/15 ؛ 232/19 .
 هزيلة الجديسية : 113/11 .
 أبو هشام الباهلي : 98/3 ؛ 174 ، 248/14 .
 هشام المرثي : 16/18 .
 هشام بن المغيرة : 39/9 ، 40 ، 42 ؛ 169/22 .
 هشام بن عروة : 126/16 .
 هشام بن عقبة أخو ذي الرمة : 7/18 .
 هفان بن همام : 62/6 .
 هلال بن الأسعر : 37/3 ، 38 ، 45 ، 46 ، 47 ،
 48 ، 49 ، 50 ؛ 247/18 .

يزيد بن الحكم الثقفى : 209 ، 208 ، 206/12 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 209 ، 212 ، 95 .
 يزيد بن الرقاع البعيث : 94/19 ، 131/8 .
 أم يزيد بن الطثرية : 112/8 ، 9/6 ، 152/5 ، 113 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 132 .
 يزيد بن حوراء : 179/3 .
 يزيد بن ضبة : 77 ، 76 ، 74 ، 72 ، 71/7 ، 6/17 .
 يزيد بن عبد المدان : 14 ، 11 ، 9 ، 8/12 ، 17/21 ، 18 .
 يزيد بن عبد الملك : 95/15 ، 203/9 ، 66/1 ، 131/23 .
 يزيد بن محمد المهلبى : 37/8 ، 245/2 ، 177/1 ، 215 ، 190/14 ، 84/15 ، 197 ، 198 ، 20/16 ، 150/17 ، 151 ، 152 ، 246 .
 يزيد بن مفرغ الحميرى = ابن مفرغ
 يزيد بن هشام : 190/16 .
 ابن سيحان عبد الرحمن بن أرتاة : 159 ، 157/2 ، 280/16 ، 231 : 11 .
 أبو يعقوب الخريمى : 206 ، 205/9 ، 172/3 .
 يعقوب بن داود : 104 ، 103/22 .
 يوسف بن الصقيل : 184/23 ، 180/19 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 .
 يونس بن الخياط : 228 ، 227 ، 225/19 ، 231 ، 230 ، 229 .
 يونس بن الربيع : 148/20 .

الوليد بن عقبة : 86 ، 84 ، 82 ، 80 ، 78/5 ، 87 ، 90 ، 97 ، 98 ، 99 ، 101 ، 252 ، 202/15 .
 الوليد بن يزيد : 141 ، 140/2 ، 268/1 ، 252/3 ، 90/4 ، 68/5 ، 75 ، 132 ، 201/6 ، 252 ، 5/7 ، 8 ، 7 ، 10 ، 11 ، 13 ، 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 38 ، 39 ، 40 ، 46 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 ، 61 ، 64 ، 65 ، 67 ، 69 ، 70 ، 71 ، 80 ، 84 ، 97/9 ، 98 ، 204 ، 67/10 ، 240/11 ، 126 ، 125/19 ، 191 ، 190/16 .

- ي -

ابن ياسين : 279 ، 221 ، 216 ، 201/5 ، 280 .
 يحيى بن أبي حفصة : 64 ، 63/10 .
 يحيى بن الحكم : 188/16 .
 يحيى بن المبارك اليزيد : 148/20 ، 120/6 .
 يحيى بن خالد البرمكى : 57/5 .
 يحيى بن زياد : 229/14 .
 يحيى بن طالب الحنفى : 77 ، 76 ، 75 ، 74/24 ، 78 .
 يحيى بن نوفل : 188/15 ، 23/4 ، 265/2 .
 أخت يزيد بن الطثرية : 40/13 ، 132 ، 131/8 ، 90 .
 يزيد المهلبى : 226 ، 224/9 .
 يزيد بن أبي مساحق : 54/7 .

فهرس الأمثال

-أ-

- أبدأهم بالصراخ ينهزموا
أبشري أم عامر
ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
أتركه لحماً على ظهر وضم
أتق ماثور القول بعد اليوم
أتلك بجائن رجلاه
أجرأ (أشجع) من ليث بخفان خادر
أجود بالمال من حاتم
أحاديث طسم وأحلامها
أحال على الدّم
أحب شيء إلى الإنسان ما منعا
احتكم فيها حكم الصبي على أهله
إحدى ليالك فهيسى هيسى
أحدكم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الخشبة في است أبيه
أحسن من غناء الصريمة
أحق من دعة
أحاك أحوال إن من لا أتحا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
أخطأت استك الحفرة
أخف الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك
أدرعوا الليل فإنه أخفى للويل
أدل من قطاة
أذكر غائباً تراه
أربع على ظلعك
أروغ من ثعالة
أريك السها وتريني القمر
أريها استها وتريني القمر
است الخالب أعلم
است الضارط أعلم
استك (أخيك) أضيّق من ذاك
استقبال الموت خير من استدباره
استي لم تعود المجرم
أسرع من نكاح أم خارجة
أشام من البسوس
- 11 : 253
21 : 130
20 : 124 ، 125
16 : 52
17 : 148
22 : 62 ، 65
11 : 154 ، 164
22 : 238
11 : 71 ، 14 ؛ 96
21 : 214
12 : 84
23 : 41
12 : 242
20 : 213
19 : 117
21 : 79
20 : 125 ، 126
15 : 25
13 : 80
16 : 225
20 : 240
12 : 77
7 : 14
16 : 258
16 : 124
16 : 261
11 : 73
11 : 75
5 : 27 ، 15 ؛ 160
24 : 42
17 : 271
13 : 193
5 : 25

- أشبه أمةً بعض بزه
 67 : 3
 أشرق ثبير كيما نغير
 65 : 3
 أشغل من ذات النحين
 191 : 13
 أشقر إن لم تتقدم تنحر
 100 : 11
 أصبر من عود بجنيه جلب
 149 : 19
 أضرباً وأنت الأعلى
 241 : 20
 أضيّق اسناً من ذلك
 27 : 5
 أعز من كليب وإل
 24 : 5
 أغدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية
 47 ، 45 : 17
 أغدر بقينة أو ذع
 30 : 15
 اقلب ما شئت ينقلب
 18 : 19
 أكلة رأس
 195 : 23
 ألفت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر
 110 : 11
 الأمر مخلوجة ليس بسلكي
 32 : 5
 أمسك حتى أضطاد لك زعبله أخرى
 227 : 16
 أمتع من عقاب الجوّ
 216 : 15
 أنتفخ والله سحرّك
 91 : 17
 أنا النذير العريان
 145 : 19 ، 263 : 16
 إن الحديث طرف من القرى
 157 : 12 ، 125 : 9
 إن الشقي بكل جبل يخنق
 246 : 10
 إن الشقي وافد البراجم
 135 : 22
 إن العوان لا تعلم الخمرة
 199 : 17 ، 60 : 6 ، 137 : 2
 إن في الشر خياراً
 41 : 24
 أن يريش ولا يبري
 217 : 11
 إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً
 212 : 15
 إن غدرت بك مرة فقد غدرت بي مراراً
 83 : 11
 أنت امرؤ رأيتك في الكين لا في الصبح
 214 : 15
 إنك لا تركض مركضاً
 140 : 17
 إنما النخل لمن أبره
 31 : 15
 إنما النشيد على المسرة
 130 : 21
 إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة
 189 : 12
 إنني جمعت قضّي وقضيضي
 209 : 23
 أهرج من طويس
 157 : 4
 أوفى من السموع
 232 : 6
 إياب القارظين
 46 : 17
 أينما أتوجه ألقى سعداً
 144 : 3
 الإيناس قبل الإيساس
 76 : 13

- ب -

147 : 19	بأشجع من جعل جنائاً ومقدماً
214 : 15	ببقة تركت الرأي
214 : 15	ببقة قضى الأمر
108 : 18	برئت إلى عرينة من عرين
25 : 15	برح الخفاء
271 : 17 ؛ 202 : 15	بعض الشر أهون من بعض
149 : 17	البنى مرتعه وخيم
62 : 22	بلغ الحزام الطيبين
22 : 22	بلغ السيل الزبى
241 : 21 ؛ 122 : 20	به لا يظلي بالصريمة أغفرا
32 ، 31 : 5	بؤ بشسع نعل كليب
217 : 15	بيدي لا يبيد عمرو
118 : 24	بيضة البلد
230 : 17	بيني وبينهم حساء الموت

- ت -

29 : 5	تَحَلَّيْ أَمْ الْبُؤْ عَلَى بَوَّكْ
139 : 17	ترك الخداع من أجرى من مائه
148 : 13	ترك الربيع غدوة
192 : 15 ؛ 197 : 1	تسمع بالمعيدي خير من أن تراه
63 : 18	تضرب أحساساً لأسداس
6 : 20	تطلب الغرة في خيس الأسد
157 : 13	تعدي الصبحاح مبارك الجرب
200 : 17	تعست العجلة
164 : 12	تفرقت الظباء على خداس
267 : 20	التوبة تغسل الحوبة

- ث -

233 : 10	ثُلُ عرشها
257 : 16	جار كجار أبي دواد
157 : 13	جانيك من يجني عليك
139 : 17	جري المذكيات غلاب

- ح -

65 ، 62 : 22 ؛ 277 : 14	حال الجريض دون القريض
150 : 10	حال القدر دون الوطر
158 : 1	حبك الشيء يعمي ويصم
5 : 21	حتى يؤوب المنخل
23 : 16	حدث المرأة حديثين فإن أبت ف عشرة

- الحديث فيك ذو شجون
الحذر لا يدفع القدر
حريص لا يرى عمله
حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة
حطبت في حبله

- خ -

- خامري أم عامر ، أبشري بجرادٍ عظام وكمر رجال
خذنا بطن (أنف) هرشي أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لمن طريف
خذه ولو بقرطي مارية
خطر يسير في خطب كبير
خير حماري العبادي
دعني من بنيات الطريق
دقوا بينهم عطر مشم
دمت لجنيك قبل الليل مضطجعا
دونها خرط القتاد

- ذ -

- ذهب الحمار يطلب قرنن فجاء بلا أذنين

- ر -

- الرائد لا يكذب أهله
راعي ضأن [أجهل من . . .]
راغية البكر [أصابتهم . . .]
رب جدّ جدّه اللعب
رب حنظلية قد غاظنتني
رب عجلة تهب ريثاً
رب محلول لا يستطاع فراقه
رب منهول سمين بيته
رمى بالجفل
رمتني بدائها وانسلت
رميته بحجره

- ز -

- زلت بأقدامها النمل
زويداً يعلون الجدود

- س -

- سبق السيف العذل
سدّ ابن بيض الطريق
سواء علينا قاتلوه وسالبه
سفيه مأمور

- ش -

72 : 20 ؛ 213 : 15
217 : 15
186 : 12 ؛ 50 : 10
60 : 11

شَبَّ عمرو عن الطوق
شَرَّ والله عكتم به في الجوالقات
شنشنة أعرفها من أخزم
شيئاً ما يريد السوط إلى الشقراء

- ص -

135 : 22
247 : 9
42 : 24
110 : 16

صار الفتيان حمماً
صبراً على مجامر الكرام
الصبر من أسباب الظفر
صحيفة المتلمس

- ض -

73 : 13

ضبيعت البكار بطحال

- ط -

202 : 18
42 : 24
279 : 5

طار غرابها
الطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر
طفيلي مقترح

- ع -

242 : 20
191 : 18 ؛ 259 : 16 ؛ 233 : 12
91 : 7
81 : 22
136 : 20
80 : 13
72 : 5
105 : 17
270 : 20
80 : 13
6 : 14
195 : 16

العاشية تهيج الآية
العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالة (الملامة)
عركتُ بها جنبي
عسل طيب ووعاء سوء
عش بجذ وكن هبنقة
عشيرك من أحسن عشرتك
على الخبير سقطت
على نفسها تجني براقس
على معالقها وصبر الجنذب
عمك من عمك خيره
عند جهينة الخبر اليقين
عنز وتيس ، وتيس وعنز

- غ -

82 : 11

غالها ما غال الناقة

- ف -

163 : 7
219 : 18
232 : 12
178 : 16

فأشرب من رملة
فالجواد عينه فراره
فإن العصا كانت لمثلي تفرع
فإن كل مبذول مملول

93 : 11	فخر البغيّ بمجدج ربّتها
133 : 20	فطال مقامه وأتى بخييه
104 : 20 ؛ 207 ، 201 ، 198 ، 132 : 18 ؛ 183 ، 44 ؛ 16 : 165 ؛ 9	فقع القراق (بدوية)
63 : 24 ؛ 82 : 18	فقعة القاع
11 : 12	فلا يسرك من يفرّك
79 : 14	فلأنت أحق من حميده
123 : 20	فلن يعطي الحب سوط مُمرّ
41 : 21	في بيته يؤتى الحكم
151 : 6	في الصيف ضيحت اللبن
113 : 9	في اللدود راحة المفوود
56 : 11	فهم أذل من يد في رحم

- ق -

61 : 17	قبل غير وما جرى
233 : 20	قد يحسن الإنسان من حيث لا يدري
39 : 9	قد يضطر العير والمكواة في النار
233 : 20	قذّة النسر
80 : 13	قريبك من قرب منك نفعه
202 : 9	قلدهم طوق الحمامة
214 : 15	القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف

- ك -

249 : 20	كالثور يضرب لما عافت البقر
111 : 20	كأنه بقلّة ذابلة
58 : 15	كأنه علم في رأسه نار
186 : 11	كأنه مصباح بان
34 : 24	كالستجير من الرمضاء بالنار
22 : 22 ؛ 158 : 21	كدابغة وقد حلم الأديم
22 : 24	كراغية البكر
228 : 14 ؛ 254 : 1	كُسير وعوير وكل غير خير
233 : 20	كعين الديك
224 : 12	كل أجوف ضروط
64 ، 59 : 11 ؛ 188 : 6	كل أربّ نفور
11 : 5	كل امرئ يعدو بما استعدا
241 : 6	كل الصيد في جوف الفرا
238 : 9	كلاهما وتما
169 : 20	كلهم حاطب في حيل
134 : 16	كمهدي التمر إلى هجر
201 : 7	كنكاح أمّ خارجة

- ل -

- 31 : 5 لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عدلي
 223 : 20 لا تجعل بجبينك الأسدّة
 190 : 17 لا تقول استها شيئاً
 212 : 6 لا عطر بعد عروس
 63 : 24 ؛ 164 : 10 لا في العير ولا في النقيير
 66 : 16 لا مخبأ لعطر بعد عروس
 28 : 5 لا ناقة لي في هذا ولا جمل
 63 : 22 لا يرسل رجليك من ليس معك
 24 : 10 ليس الكماة جلود نمر
 215 : 15 لحازم من يجري العصا في أول القوم
 116 : 12 لذي مرة يرمى بي الرّجوان
 31 : 5 لست من هذا ولا جملي ولا رحلي
 101 : 17 لقد سقط بك العشاء على سرحان
 175 : 17 لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
 47 : 16 ؛ 173 : 3 للبدن وللنعم
 241 : 20 الليل طويل وأنت مقمر
 231 : 12 لم أبع داري ولكن بعت جاري
 28 : 21 لمثلها كنت أحسبك الحسا
 74 : 2 لو يغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
 125 : 20 لو لا الهفوة لم احتج إلى العذر
 62 : 12 لو نكح الأسد في استه لذلّ
 229 : 12 ليس للسائل الملحف مثل الرد الجاسم
 190 : 9 ليست حفصة من رجال أم عاصم

- م -

- 209 : 17 ما بل بحر صوفة
 21 : 11 ما وراءك يا عصام
 60 : 23 ؛ 139 : 22 ما ولا لصداء
 66 : 11 مثل جنان عبقر
 181 : 20 مثل ذنب أبي هب
 42 : 24 مثل عروة الحكم
 258 ، 225 : 16 المرء يعجز لا محالة
 228 : 18 ؛ 179 : 16 ؛ 8 : 12 ؛ 212 : 6 مرعى ولا كالسعدان
 60 : 23 ؛ 139 : 22 ؛ 17 : 21 ؛ 10 : 20 معادة عاقل خير من مودة أحمق
 79 : 12 المغبون في استه عود
 46 : 15 المغرور من غره نافع
 81 : 12

242 : 18	مكره أخوك لا يطل
126 : 20	ملحها فوق الركب
76 : 21	من أسد ييشة خادر
237 : 21	من شرّ ما أطرحك أهلك
158 : 1	من عالّ بعدها فلا اتجير
168 : 12	من عتاب الأديم ذي البشرة
63 : 22	من عزّ بزّ
13 : 12	من يجعل الرأس مثل الذنب
171 : 2	من يسمع يخل
62 : 22	النايا على الحوايا
7 : 12	منكم نافخ ضرمه
42 : 24	المنية ولا الدنية
42 : 24	مهلك معذور خير من نجا معرور

- ن -

150 : 13	نار الحياحب [أخلف من . . .]
119 : 16	النخس يكفيك البطيء
67 : 12 ؛ 11 : 11	نفس عصام سودت عصاها

- ه -

171 : 15 ؛ 195 : 4	هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم
252 : 20	هل تلد الذّبية إلا الذّيبا
220 : 22	هل من جائية خبر
56 : 23	هل يجمع القين الحسامين في غمد
277 : 17	هكذا فصادتي

- و -

17 : 10	واقية كواقية الكلاب
131 : 20 ؛ 181 : 11	والباديء أظلم
143 : 17	وحسبك من شرّ سماعة

- ي -

10 : 5	يا بسر نحن همدان وهذا شيام
134 : 22	يا بعضي دع بعضاً
200 : 13	يحول الجريض دون القريض
123 : 13	يرمى به الرجوان
54 : 24	يوم التحالق

فهرس المصادر والمراجع

- آراب الفلاسفة لحنين بن إسحاق ، اختصره محمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري ، تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، ط 1 ، الكويت 1985 .
- الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ ، تحقيق د. رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1983 .
- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن للغزي (مخطوط رقم 418ج) بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، ومنه ميكرو فيلم (رقم : 308) بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .
- الأجوبة المسككة لابن أبي عون ، تحقيق د. وداد القاضي ، بيروت .
- أحاسن المحاسن للإمام أبي الحسن الرخجي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجواثب 1301 .
- إحياء علوم الدين للغزالي (1-4) ، القاهرة 1302 .
- أخبار أبي تمام الصولي ، تحقيق محمد عبده عزام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1980 .
- أخبار البحري لأبي بكر الصولي ، تحقيق د. صالح الأشر ، دمشق 1958 .
- أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ، نشر القدسي ، دمشق 1347 .
- أخبار الدولة العباسية لمجهول ، تحقيق د. عبد العزيز الدوري و د. عبد الجبار المطليبي ، دار الطليعة ، بيروت 1971 .
- أخبار الزجاجي أبي القاسم ، تحقيق د. عبد الحسين المبارك ، دار الرشيد ، بغداد 1980 .
- أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ، دمشق 1347 .
- أخبار القضاة لوكيح بن خلف (1-3) ، تحقيق عبدالعزيز المراغي ، القاهرة 1366-1369 .
- الأخبار الموقفيات ، انظر : الموقفيات .
- أخبار النساء لابن قيم الجوزية ، مصر 1307 .
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان للعباس بن بكار الضبي ، تحقيق سكيئة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1983 .
- (اختيار) المنظوم والمنثور لابن أبي طاهر طيفور ، مخطوطة دار الكتب المصرية .
- أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق 1965 .
- أدب الخواص للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .
- أدب الدنيا والدين للماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة 1955 .
- الأدب الصغير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط 3 ، القاهرة 1946 .
- الأدب الكبير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط 3 ، القاهرة 1946 .
- أدب الكتاب للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة 1342 .
- الأدب المفرد للبخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1375 .
- أدب النديم لكشاجم ، القاهرة 1298 .
- الأذكياء لابن الجوزي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .

- الإرشاد للشيخ المفيد ، مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (1-10) ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1305 .
- الأزمة والأمكة للمرزوقي (1-2) ، حيدر آباد الدكن 1322 .
- أساس البلاغة للزمخشري ، دار صادر ، بيروت 1979 .
- الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية 1958 .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1-4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة .
- أسد الغابة لابن الأثير (1-5) ، طهران 1342 .
- الأسد والغواص ، تحقيق د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1978 .
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملّا علي القاري ، تحقيق محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1972 .
- أسماء الغتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (ضمن نواذر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1972 .
- الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي ، تحقيق د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1981 .
- الأشباه والنظائر للخالدين (1-2) ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ، القاهرة 1958-1965 .
- أشجع السلمي : حياته وشعره ، د. خليل بنيان الحسون ، بيروت 1981 .
- أشعار الخليل (الحسين بن الضحاك) ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت 1960 .
- أشعار النساء للمرزباني ، تحقيق سامي مكّي العاني وهلال ناجي ، بغداد 1976 .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (1-8) ، مصر 1323-1325 .
- الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، 1955 .
- الاعتبار لابن أبي الدنيا ، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف ، دار البشير ، عمان .
- إعجاز القرآن للباقلاني ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة 1953 .
- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن علي بن طولون ، دمشق 1348 .
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، تأليف عمر رضا كحالة ، بيروت 1977 .
- الأعلام ، تأليف خير الدين الزكلي (1-10) ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1954-1959 .
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (1-25) ، دار الثقافة ، بيروت 1955-1960 ؛ (1-16) طبعة دار الكتب المصرية .
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي (1-3) ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، القاهرة 1983 .
- ألف باء البلوي (1-2) ، القاهرة 1287 .
- ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمة لمحمد بن حبيب (ضمن نواذر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1973 .

الإكليل ، لأبي محمد بن يعقوب الهمداني (1-3) حققه وعلق حواشيه محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1963 .

الإمام للنوري (1-7) تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر أباد الدكن 1973-1976 .
الاماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. يونس أحمد السامرائي ، بيروت 1984 .

أماي ابن الشجري (1-2) ، طبعة حيدر أباد الدكن .

أماي الزجاجي ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1382 .

أماي الشيخ الصدوق لابن بابويه القمي ، طهران 1380 .

أماي الطوسي (1-2) ، بغداد 1964 .

أماي القالي (والذيل) (1-3) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953 .

أماي المرتضى (الدرر والغرر) (1-2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1967 ؛ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1954 .

أماي الزيدي ، حيدر أباد الدكن 1938 .

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (1-2) ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، القاهرة 1967 .

إمتاع الأسماع للمقريزي (ج : 1) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1941 .

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (1-3) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة 1939-1944 .

الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، دمشق 1980 .

أمثال العرب للمفضل الضبي ، قدم له وعلق عليه د. إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981 .

الأمثال والحكم للماوردي (نسخة ليدن) .

أمرء البيان (1-2) ، لمحمد كرد علي ، مصر 1937 .

أمل الآمل المنسوب للجاحظ ، تحقيق رمضان ششن ، بيروت 1968 .

الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمرائي ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، ليدن 1973 .

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1-4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1950-1973 .

الانتقاء لابن عبر البر ، القاهرة 1350 .

أنس المخزون لصفي الدين أبي الفتح الحلبي ، (مخطوطة جامعة ييل) .

أنساب الأشراف للبلاذري :

جـ 1 (مخطوطة رئيس الكتاب رقم 597) .

جـ 3 تحقيق د. عبد العزيز الدوري ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث

الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1978 .

جـ 1/4 تحقيق د. إحسان عباس ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث

الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1979 .

أنساب الخيل لابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب ، القاهرة 1946 .

- أنموذج الزمان لابن رشيقي القيرواني ، جمع وتحقيق محمد اليكوش والعروسي المطوي ، تونس 1986 .
الأوراق للصولي (أخبار الشعراء المحدثين) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
الأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1942 .
الإيجاز والإعجاز للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
الإيناس في علم الأنساب للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .
البخلاء للجاحظ ، تحقيق د. طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ، 1948 .
البخلاء للخطيب البغدادي ، تحقيق د. أحمد مطلوب وآخرين ، بغداد 1964 .
البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي (1-5) ، نشر كلمان هوار ، باريس 1899-1919 .
البداية والنهاية لابن كثير (1-14) ، مكتبة المعارف ، بيروت ومكتبة النصر ، الرياض 1966 .
البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد بدوي و د. حامد عبد المجيد ، القاهرة 1960 .
برد الأكباد في الأعداد للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
البرصان والعرجان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بغداد 1982 .
البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي :
1 - نسخة الفاتح رقم 3695-3699 .
4 - (نسخة الأمبروزيانا) .
1-9 تحقيق د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت 1984 .
بغية الطلب لابن العديم (5) ، صورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ؛ (1-10) + الفهارس ، تحقيق د. سهيل زكار ، دمشق .
بغية الوعاة للسيوطي (1-2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964-1965 .
البلدان ، (مختصر كتاب) لابن الفقيه ، تحقيق دي غويا ، ليدن 1302 .
بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور ، صححه أحمد الألفي ، القاهرة 1908 .
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1-3) ، لمحمد شكري آلوسي ، ط2 ، مصر 1924 .
بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر ، تحقيق محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
بهجة المجالس لابن عبد البر النمري (1-2) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
البيان المغرب لابن عذاري (1) ، تحقيق الأستاذين كولان وليفي يروفتسال ، ليدن 1948 .
البيان والتبيين للجاحظ (1-4) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1961 .
البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني (1-2) ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1980 .
تاج العروس للزبيدي (1-10) ، المطبعة الخيرية بمصر ، 1306-1307 .

- التاج في أخلاق الملوك (المنسوب للجاحظ) ، تحقيق أحمد زكي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1914 .
- تاريخ ابن الأثير للجزري (1-3) ، تحقيق تورنبرج ، دار صادر ، بيروت 1965 .
- تاريخ ابن الديلمي = ذيل تاريخ مدينة السلام ، بغداد (1-2) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بغداد 1974-1979 ؛ (ومخطوطة كيمبردج) .
- تاريخ ابن عساكر (تراجم النساء) ، تحقيق سكيئة الشهابي ، دمشق 1982 .
- تاريخ أصفهان ، أبو نعيم ، طبعة بيروت .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لعز الدين بن الأثير ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة 1963 .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1-14) ومعه الذيل على تاريخ بغداد لابن النجار (15-17) ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت (مصورة عن طبعة الخانجي الأولى ، القاهرة) .
- تاريخ الحكماء للقفطي ، تحقيق جوليوس ليرت ، ليسك 1903 .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ، طبعة دار الثقافة ، بيروت .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (1-19) ، مخطوط .
- تاريخ الردة للكلاعي ، تهذيب خورشيد أحمد فاروق ، معهد الدراسات الإسلامية ، دلهي 1970 .
- تاريخ الطبري (1-15) طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية ، (1-10) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1960-1969 .
- تاريخ الموصل للشيخ أبي زكريا الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة 1967 .
- تاريخ يعقوبي (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1960 ؛ وتحقيق هوتسما ، ليدن 1883 .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، مصر 1326 .
- تتمة اليتيمة للثعالبي (1-2) ، عني بنشره عباس إقبال ، طهران 1353 .
- تجارب الأمم لمسكويه (وذيله لأبي شجاع) (1-3) ، تحقيق آمدرز ، القاهرة 1914-1916 ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
- تحسين القبيح وتقييح الحسن للثعالبي ، تحقيق شاعر العاشور ، بيروت 1981 .
- التحف والهدايا لأبي بكر وأبي عثمان ابني هاشم الخالديين ، تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1956 .
- تحفة الأنفس لابن هذيل ، طبعة أوروبية .
- التحفة المملوكية في الآداب السياسية (المنسوب للماوردي) تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ، الاسكندرية .
- تحفة الوزراء (المنسوب للثعالبي) تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفار ، بغداد 1977 .
- تذكرة الحفاظ للذهبي (1-4 في مجلدين) ، طبعة حيدر آباد الدكن 1955-1957 .
- التذكرة الحمدونية لابن حمدون (1-10) تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت 1996 .
- تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ، تقديم محمد صادق بحر العلوم ، النجف 1964 .
- التذكرة السعدية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، النجف 1972 .
- ترتيب المدارك للقاضي عياض (1-7) ، الرباط .

- الترجمة والنقل عن الفارسية (1) جمع د. محمدي ، بيروت 1964 .
- ترويح الأرواح لجرباب الدولة ، نسخة المكتبة الوطنية ، باريس .
- تزوين الأسواق للأنطاكي ، مصر 1302 ؛ (1-2) طبعة بيروت 1973 (عن الطبعة المصرية ؛ ومعه ديوان الصباية) .
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر لأبي الحسن الماوردي ، تحقيق محيي هلال السرحان ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 .
- التشبيهاً لابن أبي عون ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، كمبرج 1950 .
- التعازي للمدائني ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار وبديري محمد فهد ، بغداد 1971 .
- التعازي والمرثي للمبرد ، تحقيق محمد الدياجي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1976 .
- تعريف القدماء بأبي العلاء ، لجنة بإشراف د. طه حسين ، القاهرة 1944 .
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (1-20) ، مصر 1354 .
- تقييد العلم للخطيب البغدادي ، تحقيق أسعد طلس ، دمشق .
- تكملة تاريخ الطبري للهمذاني ، تحقيق ألبير كتعان ، بيروت 1961 .
- الكلمة لوفيات النقلة للمندري (1-4) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بيروت 1981 .
- تمام المتن في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969 .
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة 1961 .
- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، انظر مجموعة ورام .
- التيه على أوهم أبي علي في أماليه لأبي عبيد ، عبدالله بن عبد العزيز البكري ، مصر 1926 .
- التيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات لأبي القاسم علي بن حمزة البصري ، تحقيق عبد العزيز الميعني ، دار المعارف ، مصر .
- تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، وقف على طبعه الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1895 .
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (1-7) ، صنعة الشيخ عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت 1979 .
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (1-12) ، حيدر أباد الدكن 1325-1327 .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- التوفيق للتلفيق للثعالبي ، تحقيق إبراهيم صالح ، دمشق 1983 .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1965 .
- ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (بهامش المستطرف للأبشيهي) .
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1-2) ، دار الفكر ، بيروت ؛ تحقيق عبد الكريم الخطيب ، القاهرة 1982 .
- الجامع الصغير للسيوطي (1-2) ، القاهرة 1954 .
- الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافي بن زكريا النهرواني (1-2) تحقيق د. محمد مرسي الخولي ، بيروت 1981-1983 ؛ (3-4) تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1987 .
- جمع الجواهر للحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1953 .

- الجمهرة لابن دريد (1-4) ، ط. حيدر آباد الدكن .
- جمهرة الإسلام للشيزري (مصورة عن مخطوطة ليدن ، فؤاد سيزكين ، فرانكفورت) .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (1-2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1978 .
- جمهرة الأمثال للعسكري (1-2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1964 .
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة 1962 .
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (1-3) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البايي ، القاهرة 1933 .
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (1-4) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البايي ، القاهرة 1937-1938 .
- جمهرة النسب للزبير بن بكار (1) تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1381 .
- الجواهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن منصور بن حبش المعروف بابن الحداد (آيا صوفيا ، رقم 1/4824) ؛ وتحقيق ودراسة د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1983 .
- حاشية على شرح بانت سعاد لعبد القادر البغدادي (ج : 1) تحقيق نظيف محرم خواجة ، فيسبادن 1980 .
- الحكمة الخالدة (جاويدان خرد) لمسكويه ، تحقيق د. عيد الرحمن بدوي ، القاهرة 1952 .
- الحلة السراء لابن الأبار (1-2) ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة 1963 .
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (1-10) ، القاهرة 1938 .
- حلية الخاضرة في صناعة الشعر لمحمد بن الحسن الخاتمي (1-2) ، تحقيق د. جعفر الكتاني ، بغداد 1979 .
- حماسة ابن الشجري ، حيدر آباد الدكن 1345 .
- حماسة أبي تمام (شرح التبريزي) (1-4) ، بولاق 1296 .
- حماسة أبي تمام (شرح المرزوقي) (1-4) ، تحقيق أحمد أمين و د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1951-1953 .
- حماسة البحري ، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .
- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (1-2) ، تحقيق د. مختار الدين أحمد ، حيدر آباد الدكن 1964 .
- حماسة الخالدين : انظر الأشباه والنظائر .
- حماسة الظرفاء لأبي محمد العبدلكاني (1-2) ، تحقيق محمد جبار المعبيد ، بغداد 1978 .
- الحنين إلى الأوطان للجاحظ ، مطبعة المنار ، القاهرة 1333 .
- حياة الحيوان الكبرى للدميري (1-2) ، مصر 1292 .
- الحيوان للجاحظ (1-7) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1938-1945 .
- خاص الخاص للثعالبي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1326 .
- خريدة القصر (قسم العراق) (1-4) (ولها تكملة) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، بغداد .
- خزانة الأدب للبغدادي (1-4) بولاق 1299 ؛ تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة .

- الخصال للشيخ الصدوق ، قم 1376 .
- خطب خالد بن صفوان وأقواله وأخباره ، جمعها د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1990 .
- خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ، بغداد 1964 .
- خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان ، تحقيق يوسف شخت وماكس مايرهوف ، القاهرة 1937 .
- خمس رسائل (من ضمنها الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد) ، الجواثب 1301 .
- الدر المنثور للسيوطي (1-6) ، القاهرة 1314 .
- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصفهاني ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1972 .
- دعائم الإسلام للنعمان بن محمد بن منصور التميمي ، تحقيق آصف بن علي ، دار المعارف ، مصر 1951 .
- دلائل النبوة لأبي نعيم ، حيدر آباد الدكن 1369 .
- دلائل النبوة للبيهقي (ج: 1) تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 ؛ (ج: 3 ، ج: 5) تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985 .
- الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد 1966 .
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تصحيح عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937 .
- ديوان ابن دريد ، دراسة وتحقيق عمر ابن مسلم ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1973 .
- ديوان ابن الدمينية ، صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق راتب النفاخ ، مطبعة المدني ، نشر دار العروبة ، 1959 .
- ديوان ابن رشيقي القيرواني ، جمع وتحقيق د. عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت .
- ديوان ابن الرومي (1-6) ، تحقيق د. حسين نصار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1973-1981 .
- ديوان ابن المعتز (3-4) ، تحقيق ب. لوين ، استانبول ، 1945-1950 .
- ديوان ابن المعتز (1-3) ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1978 .
- ديوان ابن مفرغ ، جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، بيروت 1975 ؛ (شعر ابن مفرغ) ، جمع وتقديم د. داود سلوم ، بغداد 1968 .
- ديوان ابن نباتة السعدي (1-2) ، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، بغداد 1977 .
- ديوان ابن هانئ الأندلسي ، ط. دار صادر ، بيروت 1952 .
- ديوان ابن هرمة ، جمع محمد جبار المعبيد ، النجف 1969 ؛ وجمع د. حسين عطوان ومحمد نفاع ، دمشق 1969 .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بيروت 1975 .
- ديوان أبي تمام (1-4) ، تحقيق محمد عبده عزام ، القاهرة 1951-1965 ؛ شرح وتعليق شاهين عطية ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت 1968 .
- ديوان أبي دلالة ، جمع وتحقيق د. رشدي علي حسن ، بيروت 1985 .
- ديوان أبي دهل الجمحي ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، النجف 1972 .
- ديوان أبي دواد الإيادي ، جمع غوستاف غرناوم وأعاد تحقيقه د. إحسان عباس ، بيروت 1959 .
- ديوان أبي ذؤيب ، انظر : ديوان الهذليين .

- ديوان أبي الشيص ، جمع عبدالله الجبوري . بغداد 1967 .
- ديوان أبي العتاهية ، تحقيق د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق 1965 ؛ تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
- ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، بيروت 1980 .
- ديوان أبي فراس الحمداني (1-2) ، جمع وشرح د. سامي الدهان ، بيروت 1944 .
- ديوان أبي قيس بن الأسلت ، دراسة وتحقيق حسن محمد باجودة ، القاهرة 1973 .
- ديوان أبي النجم العجلي ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايزغ 1903 ؛ صنعه وشرحه علاء الدين أغا ، النادي الأدبي ، الرياض ، 1981 .
- ديوان أبي نواس (1-3) تحقيق ايفالد فاغنر ، فيسبادن 1958-1982 ؛ وتحقيق د. بهجت الحديشي ، بغداد 1980 ؛ وتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت 1953 ؛ (ج : 4) تحقيق غريغور شولر ، فيسبادن 1982 .
- ديوان أبي الهندي وأخباره ، جمع عبدالله الجبوري ، بغداد 1969 .
- ديوان الأخطل بعناية الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1891 ؛ شرح كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1999 .
- ديوان الأعشى ، تحقيق غويار ، بيانه 1927 ، دار صادر ، بيروت .
- ديوان أعشى باهلة ، تحقيق وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايزغ 1903 .
- ديوان أعشى همدان ، نشر رودلف غاير ، لندن 1928 (الصبح المنير في شعر أبي بصير) .
- ديوان الأفوه الأودي (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937 ؛ وتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة 1958 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .
- ديوان أمية بن أبي الصلت الأندلسي ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي ، تونس 1974 ؛ جمع د. عبد الحفيظ السطلي ؛ بشير يموت ، بيروت 1937 .
- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت 1960 .
- ديوان البحري (1-4) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1963-1965 ؛ وشرح كرم البستاني (1-2) دار صادر ، بيروت .
- ديوان بشار بن برد (1-3) ، باعتناء محمد الطاهر بن عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1955-1966 ؛ وجمع بدر الدين العلوي ، دار الثقافة ، بيروت ؛ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 2000 .
- ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1960 .
- ديوان بكر بن النطاح ، جمع وتحقيق غازي النقاش ، بغداد 1977 .
- ديوان تأبط شرأ ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1984 .
- ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1962 .

- ديوان جبران العود النيمري ، رواية السكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، 1931 .
- ديوان جرير (1-2) ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة 1971 ؛ شرح وجمع كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
- ديوان جميل بثينة ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، مكتبة نصر ، القاهرة ؛ تحقيق وشرح بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت 1966 .
- ديوان الأحوص الأنصاري ، تحقيق وشرح د. سعدي ضناوي ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .
- ديوان الأقيشر الأسدي ، صنعه الدكتور محمد علي دقة ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .
- ديوان حاتم الطائي ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، القاهرة ؛ ودار صادر ، بيروت .
- ديوان الحارث بن حلزة ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د. وليد عرفات ، لندن ودار صادر ، بيروت 1971 .
- ديوان الحسين بن مطير الأسدي ، جمع وتحقيق د. محسن غياض ، بغداد 1971 ؛ جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجلة المخطوطات العربية ، مجلد 15 ، الجزء الأول 1969 .
- ديوان حسين بن الضحّاك ، جمع الأستاذ عبد الستار فراخ ، دار الثقافة ، بيروت 1960 .
- ديوان الخطيئة ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، القاهرة 1958 ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1967 .
- ديوان الحماني ، مجلة المورد 1974/2 .
- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1951 ؛ إشراف د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1995 .
- ديوان الحيص يص (1-3) ، تحقيق مكّي السيد جاسم وشادي هادي شكر ، بغداد 1972-1975 .
- ديوان خالد الكاتب ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1981 .
- ديوان الخالديين ، جمع وتحقيق د. سامي الدهان ، دمشق 1961 .
- ديوان الخريمي ، جمع وتحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيد ، بيروت 1971 .
- ديوان الخنساء (أنيس الجلساء) بغاية أحد الآباء اليسوعيين ، بيروت 1888 ؛ تحقيق أنور أبو سويلم ، دار عمان ، عمان 1988 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .
- ديوان دعبل الخزاعي ، جمع د. محمد يوسف نجم ، بيروت 1962 ؛ وجمع د. عبد الكريم الأشتر (شعر دعبل بن علي الخزاعي) منشورات المجمع العلمي العربي ، دمشق 1964 .
- ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري ، دار الثقافة ، بيروت 1964 .
- ديوان ذي الإصبع العدواني ، تحقيق وجمع عبد الوهاب العدواني ومحمد الديلمي ، الموصل ، 1973 .
- ديوان ذي الرمة (1-3) ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق 1972-1973 ؛ طبعة أوروبا تحقيق مكارتني ؛ وتحقيق الشيخ زهير فتح الله ، دار صادر ، بيروت 1995 .

ديوان الراعي النميري ، جمع وتحقيق راينهت فايرت ، فيسسان 1980 ؛ وتحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، بغداد 1980 .

ديوان ربيعة بن مقروم الضبي ، جمع وتحقيق تناصر عبد القادر فياض حروفش ، دار صادر ، بيروت ، 1999 .

ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب) ، اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي ، برلين 1903 .
ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، دراسة وتحقيق سعود محمود الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .

ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ، 1944 .
ديوان زهير بن جناب الكلبي ، صنفه د. محمد شفيق البيطار ، دار صادر ، بيروت 1999 .
ديوان سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1950 .
ديوان السري الرفاء ، ط. القدسي ، القاهرة ؛ وط . بغداد .
ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب 1968 ؛ وتحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .

ديوان الشريف الرضي (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1961 .
ديوان الشريف المرتضى (1-3) ، تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة 1958 .
ديوان شعر الخوارج ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، ط4 ، دار الشروق ، بيروت 1982 .
ديوان شعر المثقب العبدى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1971 .
ديوان الشماخ بن ضرار ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، القاهرة 1968 .
ديوان الشنفرى ويلي ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان الصمة بن عبدالله القشيري ، جمعه د. عبد العزيز محمد الفيصل ، الرياض ، النادي الأدبي ، الرياض 1981 .

ديوان الصاحب ابن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد 1965 .
ديوان الصنوبري ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1970 .
ديوان ضرار بن الخطاب الفهري ، جمع د. فاروق أسليم بن أحمد . دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلام الشتتمري ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق 1975 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1953 .
ديوان الطرماح ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1968 .
ديوان الطغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي ، تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري ، الكويت 1983 .

ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1968 ؛ تحقيق كرنكو ، لندن 1927 ؛ تحقيق حسان فلاح أوغلي ، دار صادر ، بيروت 1997 .
ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ، بيروت 1959 .

- ديوان عبد الصمد المفضل ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، دار صادر ، بيروت 1998 .
- ديوان عبيد بن الأبرص ، جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .
- ديوان عروة ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
- ديوان العباس بن الأحنف ، جمع وتحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة 1954 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1978 .
- ديوان العباس بن مرداس ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1968 .
- ديوان عبدالله بن رواحة ، تحقيق د. وليد قصاب ، دار العلوم ، الرياض 1982 ؛ دراسة وتحقيق د. حسن محمد باجوده ، القاهرة 1972 .
- ديوان عبد المحسن الصوري (1-2) ، تحقيق مكّي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ، بغداد 1980 .
- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1958 .
- ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة 1957 ؛ تحقيق شارلس لايل ، سلسلة جيب التذكارية ، 1913 .
- ديوان العجاج ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايزغ 1903 .
- ديوان عدي بن الرقاع ، تحقيق الدكتورين القيس والضامن ، بغداد 1987 .
- ديوان عدي بن زيد ، تحقيق محمد جبار المعيد ، بغداد 1965 .
- ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد 1956 .
- ديوان عروة بن أذينة ، دار صادر ، بيروت 1996 .
- ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق 1966 .
- ديوان علقمة بن عبدة (الفحل) ، شرح الأعلام الششمري ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، ط 1 ، مطبعة الأصيل بحلب ، 1969 ؛ وتحقيق سعيد نسب مكارم ، دار صادر ، بيروت 1996 .
- ديوان العلوي الكوفي ، مجلة المورد 2/ 1974 .
- ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، دمشق 1946 .
- ديوان غُليّة بنت المهدي . جمعه وحققه الدكتور سعدي ضناوي ، دار صادر ، بيروت 1997 .
- ديوان عمارة بن عقيل ، تحقيق شاكر العاشور
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت 1961 .
- ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت 1994 ؛ نشر لايل ، كيمرج ، 1919 .
- ديوان عمرو بن كلثوم ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
- ديوان عمرو بن معدّي كرب الزبيدي ، جمع هاشم الطعان ، بغداد 1970 .
- ديوان عترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .
- ديوان الفرزدق (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1966 .
- ديوان القتال الكلابي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1961 .
- ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، بيروت 1960 ؛ ونشر بارت ، ليدن 1902 .

- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .
- ديوان قيس بن ذريح : شعر ودراسة ، صنعة حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة 1960 .
- ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د. إحسان عباس ، بيروت 1971 .
- ديوان كشاجم ، تحقيق خيرية محمد محفوظ ، سلسلة كتب التراث (رقم 17) ، بغداد 1970 .
- ديوان كعب بن زهير ، شرح السكري ، دار الكتب ، القاهرة 1950 .
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكّي العاني ، بغداد 1966 ؛ تحقيق مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت 1997 .
- ديوان لقيط بن يعمر ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .
- ديوان ليلى الأخيلية ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وجيل العطية ، الكويت 1971 .
- ديوان المتلمس ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1970 ؛ وتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .
- ديوان المتنبّي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة 1944 ؛ شرح أبو البقاء العكبري ، القاهرة 1936 .
- ديوان مجنون ليلى ، جمع عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر ، القاهرة ؛ شرح زكي درويش ، دار صادر ، بيروت 1994 .
- ديوان محمد بن حازم الباهلي ، صنعة شاكر العاشور ، بغداد 1977 .
- ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ، تحقيق د. جميل سعيد ، القاهرة 1949 .
- ديوان المرقشيين (المرقش الأكبر : عمرو بن سعد . المرقش الأصغر : عمرو بن حرملة) تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1998 .
- ديوان مزرد بن ضرار ، رواية ابن السكيت ، شرح ثعلب ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، بغداد 1962 .
- ديوان مسكين الدارمي ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وعبدالله الجبوري ، بغداد 1970 .
- ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع القواني) تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1957 .
- ديوان المعاني للعسكري أبي هلال (1-2) ، نشر القدسي ، القاهرة 1352 .
- ديوان معن بن أوس ، صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد 1977 .
- ديوان النابغة الجعدي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1977 ، جمع ماريا نلينو ؛ وجمع وشرح محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس 1976 .
- ديوان النابغة الشيباني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1932 .
- ديوان الهذليين (شرح أشعار الهذليين) (1-3) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة .
- ديوان الواواء (أبو الفرج الدمشقي) ، تحقيق د. سامي الدهان ، ط 1 ، 1950 ، ط 2 ، دار صادر ، بيروت 1993 .
- ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق ف. غابريلي ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت 1969 .
- ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت 1998 .

- ديوان وضاح اليمين ، جمعه وقدم له وشرحه د . محمد خير البقاعي ، دار صادر ، بيروت 1996 .
- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ، القاهرة 1356 .
- الذخائر والتحف المنسوب للقاضي الرشيد ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة د. صلاح الدين المنجد ، الكويت 1959 .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الششتري (1-8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، 1975 .
- الذهب المسوك في مواعظ الملوك للحميدي ، طبعة الرياض .
- ذيل الروضتين لأبي شامة (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) ، القاهرة 1947 .
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (1 ، 4-6 ، 8) تحقيق د. محمد بنشريفة و د. إحسان عباس ، بيروت 1964-1965 ، 1973 .
- ربيع الأبرار للزمخشري (1-4) ، تحقيق د. سليم النعيمي ، بغداد 1976-1982 ؛ ومخطوطة برنستن رقم : 3535 .
- رحلة التجاني ، تقديم حسن حسين عبد الوهاب ، تونس 1958 .
- رحلة النهروالي (المسمى الفوائد السنية في الرحلة المدنية) ، مخطوطة ولي الدين رقم : 2440 .
- رسالة الطيف لبهاء الدين الأربلي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد 1968 .
- رسالة في علم الكتابة للتوحيدي (ضمن رسائل أبي حيان التوحيدي) ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق .
- الرسالة الموضحة للحاتمي ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت 1965 .
- رسائل ابن أبي الدنيا (مجموعة رسائل) ، الطبعة الأولى ، مصر 1935 .
- رسائل ابن حزم الأندلسي (1-4) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
- رسائل أبي العلاء (ج : 1) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
- رسائل بديع الزمان الهمذاني (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) ، تحقيق الشيخ إبراهيم الأحمد الطرابلسي ، بيروت 1890 .
- رسائل البلغاء ، جمع وتحقيق محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، القاهرة 1946 .
- رسائل التوحيدي ، تأليف إبراهيم الكيلاني ، دار طلاس ، دمشق 1985 .
- رسائل الجاحظ (1-4) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1964-1979 .
- رسائل سعيد بن حديد وأشعاره ، جمع وتحقيق د. يونس السامرائي ، بغداد 1971 .
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (شرح مقصورة حازم) (1-2) ، مصر 1344 .
- الروض الأنف للإمام عبد الرحمن السهيلي (1-7) ، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري الصنهاجي ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، 1975 .
- روضة العقلاء لابن حبان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1977 .

- روضة القضاة للسمناني (4 أجزاء في مجلدين) ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، بغداد 1970 ؛ مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
- رونق التحير في السياسة والتدبير (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم : 1182) .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (1-2) ، ط2 ، القاهرة 1953 .
- الريحان والريعان لابن خيرة الأندلسي (ج : 1) ، نسخة الفاتح رقم : 3909 .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق د. حاتم الضامن ، (1-2) مؤسسة الرسالة ، بيروت 1992 .
- الزهد لابن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، حيدر أباد الدكن .
- الزهد للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق محمد جلال شرف ، بيروت 1981 .
- زهر الآداب لأبي إسحاق الحصري (1-2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1969 .
- زهر الأكم في الأمثال والحكم (1-3) ، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1981 .
- الزهرة لابن داود الأصفهاني الظاهري (1-2) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1975 ، عمان 1985 .
- سراج الملوك للطروش ، الاسكندرية 1289 ؛ وطبعة دار صادر ، بيروت 1995 .
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964 .
- سراقات أبي نواس لمهلهل بن يموت ، تحقيق محمد مصطفى هدار ، القاهرة 1957 .
- سراقات المتنبّي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي ، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ، سلسلة نفائس المخطوطات التونسية .
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ، (اختصار ابن منظور) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1980 .
- السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري ، بعناية مجتبي ميني ، فيسبادن 1957-1958 .
- سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي لأبي عبيد البكري (1-2) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 .
- سنن ابن ماجه ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
- سنن أبي داود (1-2) ، باعتناء الشيخ أحمد سعد علي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة 1952 .
- سنن الترمذي ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
- سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح (1-5) ، بيروت 1983 .
- سنن الدارمي (1-2) ، بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية .
- السنن الكبرى للبيهقي (1-10) ، حيدر أباد الدكن 1344-1355 .
- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي (1-8) ، القاهرة .
- سير أعلام النبلاء للذهبي (1-25) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1981-1988 .

- سيرة ابن طولون للبلوي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1358 .
- سيرة ابن هشام (1-4) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، القاهرة 1955 .
- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، مصر 1331 .
- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، اعتناء أحمد عبيد ، القاهرة .
- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ، القاهرة .
- الشافي في شرح أصول الكافي لابن المظفر (1-3) ، ط2 ، النجف 1969 .
- شذرات الذهب لابن العماد (1-8) ، القاهرة 1350-1351 .
- شذرات من كتب مفقودة ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 .
- شرح أمالي القاضي ، انظر : السمط .
- شرح البسامة (شرح قصيدة ابن عبدون) ، القاهرة 1340 .
- شرح ديوان جرير ، تحقيق إسماعيل الصاوي ، مصر 1935 .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب ، دار الكتب المصرية ، 1944 .
- شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر .
- شرح ديوان ليلى بن ربيعة ، تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت 1962 .
- شرح خطبة عائشة لابن الأنباري ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد .
- شرح السبع الطوال لابن الأنباري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1963 .
- شرح شواهد الكشف لمحّب الدين الحموي ، مصر 1281 .
- شرح شواهد المغني للسيوطي ، مصر 1322 .
- شرح القصائد التسع لأحمد بن محمد النحاس (1-2) ، تحقيق أحمد خطاب ، بغداد 1973 .
- شرح ما يقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، القاهرة 1963 ؛ (القسم الأول) تحقيق د. السيد محمد يوسف ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1975 .
- شرح مقامات الحريري للشريشي (1-5) ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969-1976 .
- شرح مقصورة حازم ، انظر : رفع الحجب المستورة .
- شرح نقائض جرير والفرزدق (1-2) ، تحقيق بيفان ، لندن 1905-1908 .
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1-20) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1959-1963 .
- شروح سقط الزند (1-5) ، دار الكتب المصرية ، 1945-1948 .
- الشريشي ، شرح مقامات الحريري (1-5) ، للشريشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .
- شعب الإيمان للبيهقي (1-9) ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1990 .
- شعر أشجع السلمي ، جمع د. خليل حسون ، دار المسيرة ، بيروت ، 1981 .
- شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، دمشق 1982 ؛ جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي ، بغداد 1968 .

- شعر أبي زيد الطائي ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1967 .
- شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
- شعر الأسدي (اسماعيل بن عمار) .
- شعر البيضا ، تحقيق د. سعود عبد الجبار ، جامعة قطر ، 1983 .
- شعر ثابت قطنة ، جمع وتحقيق ماجد السامرائي ، بغداد 1968 .
- شعر الأحوص بن محمد الأنصاري ، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة النعمان ، النجف 1969 .
- شعر الحاددة الذبياني ، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1973 .
- شعر الحارث بن خالد المخزومي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1972 .
- شعر الحسين بن مطير ، جمع د. حسين عطوان ؛ وبعناية د. محسن غياض ، بغداد .
- شعر خفاف بن ندية السلمي ، جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1967 .
- شعر دريد بن الصمة الجشمي ، جمع وتحقيق وشرح د. محمد خير البقاعي ؛ تقديم د. شاکر الفحام ، دار قتيبة ، دمشق 1981 .
- شعر ربيعة الرقي ، مجمع د. يوسف بكار .
- شعر ربيعة بن مقروم بن ضبة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، حزيران 1968 .
- شعر الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهمم ، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبا الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
- شعر الزبيري ، جمع د. يحيى الجبوري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
- شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار ، دار المسيرة ، بيروت 1983 .
- شعر سعيد بن حميد ، جمع يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، 1971 .
- شعر السليك بن السلوك ، جمع حميد آدم تويني وكامل سعيد عواد ، مطبعة العاني ، بغداد .
- شعر طريح ، جمع د. نوري حمودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .
- شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق د. سامي مكّي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد 1971 .
- شعر عبد الصمد بن المعدل ، تحقيق زهير غازي زاهد ، بغداد 1970 .
- شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1974 .
- شعر عبدالله بن معاوية ، جمع عبد الحميد الراضي ، بغداد 1976 .
- شعر العتابي (العتابي : حياته وما تبقى من شعره) ، جمع د. ناصر حلاوي ، مجلة المريد 2-3 ، السنة الثانية ، ص 369-436 .
- شعر عروة بن حزام ، جمع د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب بغداد ، 1961 .
- شعر علي بن جبلة (الملقب بالعكوك) ، جمع د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، 1972 .

- شعر عمر بن لجأ التميمي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1976 .
- شعر عمرو بن أحر الباهلي ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1974 .
- شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف 1976 .
- شعر الكميت بن زيد الأسدي (1-2) ، جمع د. داود سلّوم ، بغداد 1969 .
- شعر المتوكل الليثي ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ، بغداد 1971 .
- شعر مالك و متمم ، جمع ابتسام مرهون الصّفار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1968 .
- شعر مروان بن أبي حفصة ، جمع قحطان رشيد التميمي ، النجف 1972 .
- شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1981 .
- شعر الناشئ الأكبر ، صنعة هلال ناجي ، مجلة المورد ، المجلد 11 ، بغداد 1982 .
- شعر النامي ، جمع وتحقيق صبيح رديف ، بغداد 1970 .
- شعر نصيب بن رباح ، جمع د. داود سلّوم ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1967 .
- شعر النعمان بن بشر ، حققه وقدم له د. يحيى الجبوري ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968 .
- شعر النمر بن تولب ، صنعه نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد .
- شعر هدية بن الخشرم العلوي ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، 1976 .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (1-2) ، دار الثقافة ، بيروت 1969 ؛ وتحقيق دي غويا ، لندن 1902 .
- شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان 1979 .
- شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة حاتم صالح الضامن ، دار التربية ، بغداد 1973 .
- شعر يزيد بن مفرغ الحميري ، تحقيق شارل بلا ؛ وتحقيق د. داود سلّوم ؛ وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1995 .
- شعر اليزيديين ، جمع د. محسن غياض ، بغداد 1972 .
- شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت 1984 .
- شعراء أمويون ، نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل 1976 .
- شعراء عباسيون لفون غروناوم ، ترجمة محمد يوسف نجم ، بيروت 1959 .
- شعراء عباسيون منسيون ، د. إبراهيم النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997 .
- شعراء مقلون ، حاتم صالح الضامن ، عالم الكتب ، بيروت 1987 ؛ جمع د. نوري حمودي القيسي ، بغداد .
- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، القاهرة 1978 .
- شمائل الرسول لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة 1967 .
- الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1302 .
- الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان ، نسخة الخزنة العامة بالرباط ، رقم : 729 .
- الشيخان : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري ، في أنساب الأشراف، تحقيق إحسان صدقي العماد ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت 1989 .

- الشوق والفراق لابن المرزبان ، تحقيق د . جليل العطية ، المطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1994 .
- صبح الأعشى للقلقشندي (1-4) ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالقاهرة ، 1963 .
- صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة 1952 .
- صحيح البخاري (1-9) ، القاهرة 1958 .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1-6) ، المكتب الإسلامي ، 1982 .
- صحيح مسلم (1-2) ، القاهرة 1290 .
- الصدقة والصدق لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق 1964 .
- صفة الصفوة لابن الجوزي (1-4) ، حيدر آباد الدكن 1355 .
- صوان الحكمة (النسب لأبي سليمان المنطقي) انظر : منتخب صوان الحكمة .
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1-6) ، المكتب الإسلامي ، (دمشق - بيروت) .
- طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، نشر الأب لويس شيخو ، بيروت 1912 .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1956 .
- طبقات الصوفية للسلمي ، تحقيق نور الدين شريعة ، القاهرة 1953 .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (1-2) ، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، 1972 .
- الطبقات الكبرى لابن سعد (1-8) ، دار صادر ، بيروت 1957-1958 .
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1973 .
- طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق الصيرفي والأبياري ، القاهرة 1962 .
- عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1988 .
- العبر في خبر من غبر للذهبي (1-6) ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد وآخرين ، الكويت 1966/1960 .
- العثمانية للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1955 .
- عرائس المجالس للنعالي ، القاهرة 1954 .
- العزلة لأبي سليمان الخطابي ، القاهرة 1352 .
- العطاء الجزيل للبلوي ، مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم : 6148 .
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين المكي ، تحقيق فؤاد سيد ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة 1959-1969 .
- العقد الفريد لابن عبد ربه (1-7) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، القاهرة 1962 .
- العققة والبررة لأبي عبيدة ، معمر بن مثنى ، ضمن نواذر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر 1954 .

- عقلاء المجانين للنيسابوري ، تحقيق محمد بحر العلوم ، النجف 1968 .
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (1-2) ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، المكتبة العلمية ، لاهور ، باكستان 1979 .
- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني (1-2) ، القاهرة 1907 .
- عنوان الأريب للنيفر (1-2) ، تونس 1351 .
- عهد أردشير ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1967 .
- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، تحقيق د. عبد العزيز المانع ، الرياض .
- عين الأدب والسياسة لابن هذيل ، مصر 1302 ؛ ودار الكتب العلمية ، بيروت 1981 .
- العيني ، انظر : المقاصد النحوية .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشعائل والسير لابن سيد الناس (1-2) ، القاهرة 1352 .
- عيون الأخبار لابن قتيبة (1-4) ، طبعة دار الكتب المصرية .
- عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ، رقم : 1377 .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (1-2) ، تحقيق أوغست ميللر ، المطبعة الوهبية ، القاهرة 1299 .
- العيون والحدائق لمؤلف مجهول - من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشره دي غويه ، بريل 1871 (مصورة مكتبة المثنى ببغداد) .
- غرر الخصائص الواضحة للطوطا ، ط بيروت .
- غرر السير للثعالبي ، تحقيق مجتبي مينيوي ، مكتبة الأسد ، طهران 1963 .
- غريب الحديث للخطابي (1-3) ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي (منشورات جامعة أم القرى ، 1983) .
- الغنية ، فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق د. ماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982 .
- الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق ش. أنبروس استوري ، ليدن 1915 .
- الفاضل للمبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1956 .
- الفاضل للوشاء (1-2) ، طبعة بغداد .
- الفاائق في غريب الحديث للزمخشري (1-3) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1945-1947 .
- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، القاهرة 1959 .
- فوح البلدان للبلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد .
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، نشره يوسف توما البستاني ، القاهرة 1927 ؛ طبعة دار صادر ودار بيروت 1960 .
- الفرج بعد الشدة للتوخمي (1-5) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت 1978 .
- فرحة الأديب للغندجاني ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، دمشق 1981 .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ، تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .

- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة لابن الصباغ المغربي ، الطبعة الثانية ، النجف .
- فقر الحكماء ونوادر العلماء (نشر ضمن كتاب رسائل فلسفية على أنه لمؤلف مجهول ، ومؤلفه حسب نسخة برنستن رقم : 723 هو عمر بن ظفر السراجي) تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، بيروت 1980 .
- فقه اللغة وخصائص العربية للثعالبي ، بيروت 1858 .
- الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم ، تحقيق فلوجل (طبعة مصورة) بيروت 1964 ؛ تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 .
- فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاکر الكتبي (1-5) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1973 .
- الفوائد لابن قيم الجوزية ، تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت 1981 .
- الفوائد السنية ، انظر : رحلة النهروالي .
- قطب السورور للرفيق ، تحقيق أحمد الجندي ، دمشق 1969 .
- قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي ، دراسة وتحقيق د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1979 .
- قيس بن ذريح ووضاح اليمن للأصبهاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1950 .
- الكافي (الأصول) للكليني ، طهران 1381 .
- الكامل للمبرد (1-4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، القاهرة ، 1956 ؛ وتحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير (1-13) ، دار صادر ، بيروت 1965-1967 .
- كتاب الآداب لجعفر ابن شمس الخلافة ، القاهرة 1931 .
- كتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور ، القاهرة 1949 .
- كتاب الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي وعبد الحميد النعماني ومحمد عثمان المالكيكاوى ، ناسك 1960 .
- كتاب الخراج لأبي يوسف ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت 1985 .
- كتاب الخيل لأبي عبيدة ، حيدر آباد الدكن 1358 .
- كتاب سيبويه (1-2) ، طبعة بولاق .
- كتاب صفين (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، ط 2 ، 1382 .
- كتاب العصا لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. حسن عباس ، الاسكندرية 1977 .
- كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (1-8) ، حيدر آباد الدكن 1968-1975 .
- كتاب النوادر للقالي ، القاهرة 1926 .
- كتاب الأمثال لأبي فيد السدوسي حققه وقدم له د. رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة 1971 .
- كتاب المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .
- كتاب النقائص ، نقائص جرير والفرزدق (1-3) تحقيق المستشرق بيفان ، ليدن 1907 .

- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (1-2) ، ط 2 ،
باعثاء أحمد الفلوس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1979 .
- الكلم الروحانية لأبي الفرج ابن هندو ، تصحيح وطباعة مصطفى الدمشقي ، مصر 1900 .
- كليلة ودمنة لابن المقفع ، دار الشروق ، بيروت 1981 .
- كتايات الأدباء للجرجاني ، مصر 1908 .
- كنز العمال لابن قاضي خان الهندي (1-16) ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب 1969-1977 .
- الآلآء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (1-2) القاهرة 1352 .
- الباب (شرح الشهاب) ، تصنيف أبو الوفا مصطفى المراغي ، القاهرة 1970 .
- لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1935 .
- لسان العرب لابن منظور (1-15) ، دار صادر ، بيروت 1955-1956 .
- لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء للثعالبي ، تحقيق قاسم السامرائي ، ليدن 1978 .
- لطائف اللطف (وهو لطائف الظرفاء) للثعالبي ، تحقيق عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت 1980 .
- لطائف المعارف للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وحسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1960 .
- لطف التدبير للخطيب الاسكافي ، تحقيق أحمد عبد الباقي ، القاهرة 1964 .
- لقاح الخواطر وجلاء البصائر لعبد الله بن يحيى بن عبد الله (مخطوطة كيمبردج رقم : 139) .
- اللمع في التصوف للسراج ، تحقيق نيكولسون ، ليدن 1914 .
- مالك ومتمم ابنا نويوة اليربوعي ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ، بغداد 1968 .
- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، القاهرة 1954 .
- مجالس ثعلب (1-2) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1960 .
- المجتنى لابن دريد ، حيدر أباد الدكن ، 1362 .
- مجلة *Studia Islamica* (1978) (مقالة للدكتورة وداد القاضي حول «عهد الإمام علي لملك الأشر»).
- مجلة الدراسات ، الجامعة الأردنية ، 1988 .
- مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، طبعة لاهور .
- مجمع الأمثال للميداني (1-2) ، مصر 1310 ؛ وتحقيق د. جان عبدالله توما ، (1-4) ، دار صادر ، بيروت 2002 .
- مجمع الذاكرة (1-4) ، تحقيق د. إبراهيم النجار ، الجامعة التونسية 1987-1990 .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (1-10) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- مجموعة المعاني ، طبعة الجواثب 1301 .
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، جمع د. محمد حميد الله ، دار الإرشاد ، بيروت 1969 .
- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) (1-2) ، دار صعب ودار التعارف ، بيروت ، (صورة عن الطبعة الأولى 1376) .

- الحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ، القاهرة 1324 .
- الحاسن والمساوى للبيهقي ، دار صادر ، بيروت 1960 .
- محاضرات الأبرار لابن عربي (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1968 .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني (1-4 في مجلدين) ، دار الحياة ، بيروت .
- الحب والمحجوب والمشموم والمشروب ، تأليف السري بن أحمد الرفاء ، (1-3) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، (ج 4) ، تحقيق ماجد حسن الذهبي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1986 .
- الخبر لابن حبيب ، حيدر آباد الدكن 1361 .
- المحمدون من الشعراء للقفطي ، تحقيق حسن معمر ، الرياض 1970 .
- مختار الحكم للمبشر بن فاتك ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، مدريد 1958 .
- المختار من رسائل الصايي ، تحقيق الأمير شكيب أرسلان ، بعيدا ، لبنان 1898 .
- المختار من شعر بشار ، بعناية محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة 1934 .
- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس لابن الكازروني ، تحقيق د. مصطفى جواد ، بغداد 1970 .
- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (1-32) ، لمحققين متعددين ، دمشق 1984-1988 .
- مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الكويت 1969 .
- مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ج : 8 في جزئين) حيدر آباد الدكن 1951-1952 .
- مراتب التحوين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1955 .
- مروج الذهب للمسعودي (1-7) ، تحقيق شارل بيلا ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1965-1979 ؛ (1-9) ، تحقيق باريه دي مينار ، باريس 1861-1873 .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1-2) لجلال الدين السيوطي شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ، علي البجاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ج : 11) (تراجم شعراء المغرب والأندلس) .
- المستجد من فعلات الأجواد للتتوخي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1946 .
- المستدرك للحاكم (1-4) ، القاهرة 1335 .
- المستطرف من كل فن مستظرف للأبشهي (1-2) ، مصر 1277 .
- المستقصى في الأمثال للزمخشري (1-2) ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت 1977 .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (1-6) ، دار صادر والمكتب الإسلامي ، بيروت 1969 .
- مسند الشهاب للقضاعي (1-2) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، بيروت 1985 .
- مصارع العشاق للسراج (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1958 .
- المصباح المضيء في سيرة المستضيء لابن الجوزي (1-2) ، تحقيق ناجية عبدالله إبراهيم ، بغداد 1976-1977 .
- مصنف ابن أبي شيبة ، نشره عبد الخالق خان ، حيدر آباد الدكن 1966 .

- مصنف عبد الرزاق (1-11) ، باعتناء حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1970-1972 .
- المصون للعسكري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، الكويت 1960 .
- مطالع البدور في منازل السرور للغزولي (1-2) ، القاهرة 1299 .
- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (1-4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1947 .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي (1-7) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 .
- المعجم الأوسط للحافظ الطبراني ، تحقيق محمود الطحان ، ط1 مكتبة المعارف ، الرياض 1985 .
- معجم البلدان لياقوت الحموي (1-7) ، دار صادر ، بيروت 1993 .
- معجم الشعراء للمزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1960 ؛ تحقيق كرنكو ، القاهرة 1354 .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1-4) لأبي عبيد البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1945 .
- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، العراق 1984 .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (1-7) ، لفنسك وآخري ، لندن 1936-1969 .
- المعارف لابن قتيبة ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 1960 .
- المعرفة والتاريخ للفسوي (1-3) ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد 1974-1976 .
- المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .
- الغازي للواقدي (1-3) ، تحقيق مارسدن جونز ، لندن 1966 .
- المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.
- المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة .
- المفضليات ، شرح ابن الأنباري ، تحقيق كارلوس يعقوب ليال ، بيروت 1920 .
- مفيد العلوم للخوارزمي ، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، بيروت 1980 .
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1949 .
- المقاصد الحسنة للسخاوي ، تصحيح عبدالله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف ، مصر 1956 .
- المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزنة الأدب للبغدادي) ، طبعة بولاق .
- المقفى (1-8) ، لتقي الدين المقرئ ، تحقيق د. محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1991 .
- مقامات بديع الزمان ، قدم لها وشرحها الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957 .
- المقدمات الممهدة لابن رشد (1-2) ، القاهرة 1325 .
- مكارم الأخلاق للطبرسي ، مصر 1303 .
- المكافأة وحسن العقبى لابن الداية ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1940 .
- الملاحن لابن دريد ، تصحيح أبو إسحق إبراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة 1347 .

ملاح يونانية في الأدب العربي ، تأليف د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1977 .

- الملل والحل للشهرستاني (1-2) ، تحقيق محمد فتح الله بدران ، القاهرة .
 المتع للنهشلي ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983 .
 مناقب أبي حنيفة للكردي ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1981 .
 مناقب الشافعي للبيهقي (1-2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 .
 مناقب الزيدية لابن البقاء ، تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان .
 مناهج الفكر للوطواط (ج 1 ، 2) منشورات معهد تاريخ العلوم ، فرانكفورت 1990 .
 المحتل في تراجم الشعراء للثعالبي ، المطبعة التجارية ، الإسكندرية 1903 .
 منتخب صوان الحكمة المنسوب لأبي سليمان المنطقي (نشر بعنوان صوان الحكمة) ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، طهران 1974 .
 منتهى الطلب من أشعار العرب (1-9) ، تأليف محمد بن ميمون ، تحقيق د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت 1999 .
 المنتظم لابن الجوزي ، طبعة بيروت .
 المنق لابن حبيب البغدادي ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، حيدر أباد الدكن 1964 .
 المنهج السلوك في أخلاق الملوك لعبد الرحمن بن عبد الله (نسخة ليدن) ؛ وتحقيق علي عبدالله موسى ، عمان 1987 .
 الموازنة للآمدي (1-2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1965/1961 .
 المؤتلف والمختلف للآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1961 ؛ تصحيح وتعليق كرنكو ، دار الجيل ، بيروت 1991 .
 الموسوعة الإسلامية (بالإنجليزية) مادة Kihana .
 الموشى لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ، تحقيق رودولف برونو ، ليدن 1886 ؛ تحقيق مصطفى كمال ، القاهرة 1953 .
 الموشح للمرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1965 .
 الموقفيات (الأخبار الموقفيات) للزبير بن بكار ، تحقيق د. سامي العاني ، بغداد 1972 .
 ميزان الاعتدال للذهبي (1-4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1963 .
 الميسر والقдах لابن قتيبة ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1342 .
 نثر الدر للآبي (1-7) تحقيق محمد علي قرنة وآخرين ، القاهرة 1990 ؛ (7) ، تحقيق د. عثمان بو غانمي التونسي ، الدار التونسية للنشر ، 1983 .
 نثر النظم وحل العقد للثعالبي ، المطبعة الأدبية ، مصر 1317 .
 النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (1-16) ، طبعة دار الكتب المصرية .
 نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري (1-2) ، صححه خورشيد أحمد فاروق ، ط. حيدر أباد الدكن 1976 .

- نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء للملك الأفضل العباس بن علي ، (نسخة مكتبة محمد بن عبد الرحمن العبيكان بالرياض) .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1959 .
- نسب قريش للمصعب الزبيري ، تحقيق إ. ليفي بروفنسال ، مصر 1953 .
- نشوار المحاضرة للتوخي (1-8) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت .
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد (1-2) ، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن ، عمان 1982 .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (1-8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968 .
- نكت الهميان في نكت الهميان للصفدي ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة 1911 .
- النمر والتعلب لسهل بن هارون ، تحقيق وتقديم وترجمة إلى الفرنسية عبد القادر المهيري ، تونس 1973 .
- نهاية الأرب للنوري (1-22) ، طبعة دار الكتب المصرية .
- نهج البلاغة من كلام الإمام علي ، تحقيق د. صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1967 .
- نوادير أبي زيد في اللغة ، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت 1981 .
- نور القبس للرمزي ، اختصار أبي المحاسن اليعموري ، تحقيق رودولف زهايم ، فيسبادن 1964 .
- الهاشميات للكميت ، شرح أبي رياش ، ليدن 1904 .
- الهدايا والتحف للخالدين ، انظر : التحف والهدايا .
- الهفوات النادرة للصابي ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق 1967 .
- الوفاي بالوفيات لصالح الدين الصفدي (1-18 + 22) ، لمحققين مختلفين ، شتوتفات 1993 .
- الوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، القاهرة 1963 .
- الورقة لابن الجراح ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ، مصر 1953 .
- الوزراء للصابي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1958 .
- الوزراء والكتاب للجهمياري ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة 1938 .
- الوزير المغربي : الشاعر الناصر الشاعر ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1990 .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (1-8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1973/1969 .
- يتمة الدهر للثعالبي (1-4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1375/1377 .

الفهرس

5	فهرس المائة الصوت المختارة
15	فهرس القوافي
316	فهرس الشعراء
350	فهرس الأمثال
358	فهرس المصادر والمراجع

بعونه تعالى

تمّ طبع كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني

يوم الرابع والعشرين من شهر نيسان (ابريل)

سنة 2002م ، الموافق إلى يوم

الحادي عشر من شهر صفر

سنة 1423هـ

ولله الحمد .